الكشاف

عن

حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري
(٤٦٧-٥٣٨ هـ)

تحقيق وتعليق ودراسة

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود
الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي
أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

مكتبة العبيكان

فهرس الكشاف

الجزء الأول

الجزء الثاني

الجزء الثالث

الجزء الرابع

الجزء الخامس

الجزء السادس

الكشاف

عن

حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل

في وجوه التأويل

للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري

(٤٦٧-٥٣٨ هـ)

تحقيق وتعليق ودراسة

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي

أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

الجزء الأول

مكتبة العبيكان

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب. ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس ٤٦٥٠١٢٩

الكشّاف

ترجمة جار الله الزمخشري

توطئة:

إن مما لا شك فيه أن معرفة العلماء ـ خاصة المصنفين منهم ـ تساعد على فهم تلك العقلية التي أبدعت وأخرجت هذا النتاج التراثي؛ فقد نقل عن الخطيب البغدادي قوله: «إن مَنْ صَنَّفَ فَقَدْ عَرَضَ عَقْلَهُ عَلَىٰ طَبَقٍ».

ومعرفة المصنف تتشعب حتى تشمل مولده ونشأته، والمراحل المختلفة في جوانب حياته من طلبه العلم وسماعه ورحلته، إلى بلوغه مرتبة الشيوخ، وَصُنْعِ العلماء، إلى مرحلة تصنيفه وتخليد أسمه بتراث يعيش بقدر صلاح نيته؛ قال الشاعر: [من الرمل]

إِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ ... فَكُنْ حَدِيثاً حَسَناً لِمَنْ رَوَىٰ

وإن مما يساعد على فهم الشخصية المترجم لها ـ معرفة أحوال العصر الذي عاش فيه وعايشه؛ فإن الإنسان يتأثر بمجتمعه ويؤثر فيه؛ فالإنسان مدني بطبعه.

ولذا كان من اللازم اللازب أن أقدم بين يدي الترجمة بالحديث عن عصر الزمخشري:

إضاءة على عصر الزمخشري

عاش جار الله في الثلث الأخير من القرن الخامس والثلث الأول من القرن السادس الهجريين، وهذا يجعلنا نتحدث عن عدة نواحٍ:

أولاً: الحالة السياسية لعصر الزمخشري

كانت تلك الفترة من التاريخ فترة ضعف وفتور للخلافة العباسية، بعد رحلة طويلة من الصراعات، فلم يبق من خلافة بني العباس إلا مجرد رموز يشار بها إليها.

ومما يدل على هذا التفكك أنّا وجدنا عدد الذين استخلفوا من العباسيين في زمن وحياة الزمخشري قد بلغ خمسةً من الخلفاء، وهم:

١ ـ المقتدي بالله: عبد بن محمد بن القائم (٤٦٧ ـ ٤٨٧هـ).

٢ ـ المستظهر بالله: أحمد بن المقتدى (٤٨٧ ـ ٥١٢هـ).

٣ ـ المسترشد بالله: الفضل بن المستظهر (٥١٢ ـ ٥٢٩هـ).

٤ ـ الراشد بالله: المنصور بن المسترشد (٥٢٩ ـ ٥٢٩هـ).

٥ ـ المقتفي بالله: محمد بن المستظهر (٥٢٩ ـ ٥٥٥هـ).

ونتيجة لهذا التفكك والانحلال ظهرت دويلات إسلامية حاولت خلع ربقة التقيد بالخلافة العباسية؛ ففي «خوارزم» مسقط رأس جار الله وجدنا دولة عرفت بـ«الخوارزمية»، حيث امتد حكمها من «خراسان» إلى ما وراء النهر. وقد عمرت تلك الدولة ما يقرب من مائة وستين عاماً، من سنة ٤٧٠ ـ إلى سنة ٦٢٨هـ(١).

وقد عاصر صاحبنا «الزمخشري» أسرة أنوشتكين التي حكمت «خوارزم»، حيث تعاقب عليها في أثناء حياة الزمخشري ثلاثة من خلفائها، وهم:

١ ـ أنوشتكين (٤٧٠ ـ ٤٩٠هـ).

٢ ـ قطب الدين محمد بن أنوشتكين (٤٩٠ ـ ٥٢١هـ).

٣ ـ أتسز بن محمد (٥٢١ ـ ٥٥١هـ).

وقد كان بين الزمخشري والأمير محمد بن أنوشتكين علاقة وثيقة، حيث مدحه الزمخشريُّ بقصيدة أولها: [من البسيط]

أيُّ الـمُـلُـوكِ تَـلاَقَـتْ فِـي مَـجَـالِـسِـهِ   غَـرَائِـبُ الْـعِـلْـمِ وَالآدَابِ وَالْـحِـكَـمِ(٢)

وأما «بغداد» فلم تكن أحسن حالاً، فقد تزعزعت عاصمة الخلافة، حتى تعاقب على مقاليد الأمور فيها أكثر من شرذمة، فبعد آل بويه، كان السلاجقة «العظماء»!!.

ومؤسس هذه الدولة هو ركن الدين طغرل (٤٢٩ ـ ٥٢٢هـ)(٣)، وقد عاصر صاحبنا من سلاطين هذه الدولة جمعاً، كان منهم غياث الدين، أبو شجاع محمد بن أبي الفتح ملكشاه (٤٩٨ ـ ٥١١هـ) الذي اتصل به الزمخشري ومدحه.

وكان من الدويلات التي حكمت البلدان في ظل الخلافة المتدهورة:

١ ـ الدولة الفاطمية، وكانت على أرض مصر والشام (٢٩٧ ـ ٥٦٧هـ).

٢ ـ دولة المرابطين، وكانت على أرض المغرب والأندلس (٤٤٨ ـ ٥٤١هـ).

---

(١) ينظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم، ط. أولى ـ النهضة المصرية ـ ١٩٦٧م، ٤/ ٩٤.

(٢) الزمخشري لغويًا ومفسراً، مرتضى آية الله زادة، القاهرة، دار الثقافة ١٩٧٧م، ص ٢٤، ٢٥.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ٥/ ١٧١، ورؤوس المسائل ص ١٤.

وفي ظل هذه الأحوال السياسية المتردية، قام الصليبيون بغارات شعواء على ديار الإسلام؛ محاولين النيل من أسسه وتقويض دعائمه، فكانت أولى حملاتهم على الشام سنة ٤٩١هـ، حيث سقطت مدينة «القدس» في أيديهم سنة ٤٩٢هـ.

ثانياً: الحالة الاجتماعية والاقتصادية

إن غالب المجتمعات البشرية تكون مبنية على فئات وعناصر شتى؛ فثمة الفقير، وثمة الغني، وهناك الأمير، وهناك الوزير، ويوجد الراعي وتوجد الرعية، فئات متباينة، يجمعها انتسابها إلى جنس البشر. وقد كان المجتمع في عصر الزمخشري هكذا، وكان هناك أقليات من أهل الكتاب حيث عاشت ونالت أمنها وحقوقها.

وظهرت بسبب دخول الشعوب في الإسلام عادات وتقاليد مختلفة، أغلبها من الجاهلية، كأعياد النيروز، والميلاد، وغير ذلك.

وكثرت في ذلك المجتمع الفرق والملل والأهواء والنحل، فكثرت تبعاً لذلك المسائل الكلامية والمناظرات مما أدى إلى الفتن والاضطرابات. فظهرت فرقة الباطنية، والتي كان لها دولة في مصر، وكانت لها أهداف خبيثة.

وهناك حدثت فتنة اشتعل أوارها بين الأشاعرة والحنابلة، وذلك سنة ٤٤٧هـ، حيث «وقعت بينهما فتنة عظيمة، حتى تأخر الأشاعرة عن الجمعات خوفاً من الحنابلة»[(١)].

ومع هذه الفتن، وجدنا الدعاة المصلحين يحاولون فض تلك النزاعات، والدعوة إلى التمسك بالدين وترك الأهواء، ومكافحة الشكوك والأوهام التي يثيرها سفاسطة الملل والنحل.

ولقد كانت «خوارزم» بلد الزمخشري بمنأىً عن تلك الفتن؛ يقول ياقوت الحموي: « . . .وما أظن كان في الدنيا لمدينة خوارزم نظير في. . . ملازمة أسباب الشرائع والدين»[(٢)].

إلا أن «خوارزم» تعرضت لهجوم بعض قبائل الترك، ولكن الله تكفل بنصرهم في عامة الأوقات، ومنحهم الغلبة في كافة الوقعات.

ولقد كانت الحالة الاقتصادية مضطربةً، فعم الجوع، وانتشر الفقر والبؤس، حتى شكا

---

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٨/ ١٦٣، ١٠/ ٢٨٦.
(٢) ينظر: معجم البلدان ٢/ ٤٨٦.

صاحبنا نَفْسه مِنْ ذلك، حتى قال جائراً بشكواه: [من الطويل]

فَيَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ مُسْتَغْنِيَاً وَلَمْ ... أَكُنْ فِي خُوَارِزْمٍ رَئِيسَ الأَفَاضِلِ
وَيَا لَيْتَنِي مُرْضٍ صَدِيقِي وَمُسْخِطٌ ... عَدُوِّي وَأَنِّي فِي فَهَاهَةِ بَاقِلِ
وَمَا حَقُّ مِثْلِي أَنْ يَكُونَ مُضَيَّقَاً ... وَقَدْ عَظُمَتْ عِنْدَ الْوَزِيرِ وَسَائِلِي [(١)]

ثالثاً: الحالة العلمية لعصر جار الله

إن حياة الترف والدعة قليلاً ما ينبغ فيها أحد، بينما حياة البؤس والفقر تشحذ العقول، وتمد الخيالات، وتدفع الهمم لارتقاء سلم المجد وعتبات الرفعة.

وهذا ما كان شائعاً في ذلك العصر؛ فمع تلك الحال العصيبة ازدهرت حال العلم، وظهر علماء أفاضل دانت الدنيا لهم، وكان خَلَفُهُم عيالاً عليهم، وانتشرت المدارس، والخانقاهات، والكتب والمكتبات، وبلغ التصنيف مبلغاً هائلاً. وقد كان أهل «خوارزم» مشهورين بولعهم بعلوم الشرع واللغة، فبلغوا فيهما شأوًا ومنزلة رفيعة.

ولقد تمخض عصر الزمخشري عن أئمة كبار، كان لهم أثر كبير في إثراء الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية، فمنهم:

في التفسير:

- ابن عطية الأندلسي: عبد الحق بن غالب، ت ٥٤٢هـ.

في القراءات وعلوم القرآن:

- ابن العريف: أحمد بن محمد، ت ٥٣٦هـ.
- الخشاب: عبد الله بن أحمد، ت ٥٦٧هـ.
- الشاطبي: القاسم بن فيره، ت ٥٩٠هـ.

في الحديث:

- ابن مَنْدَه: يحيى بن عبد الوهاب، ت ٥١١هـ.
- البغوي الفراء: الحسين بن مسعود، ت ٥١٦هـ.
- السِّلفي: أحمد بن محمد، ت ٥٧٦هـ.

---

(١) ينظر: الزمخشري لغويًا ومفسراً ص ٣٧، نقلاً عن رؤوس المسائل ص ١٩.

في الملل والنحل، والفلسفة وعلم الكلام:

- الغزالي: محمد بن محمد، ت ٥٠٥هـ.
- ابن ماجه: محمد بن يحيى، ت ٥٣٣هـ.
- الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم، ت ٥٤٨هـ.
- ابن الطفيل: محمد بن عبد الملك، ت ٥٨١هـ.
- ابن رشد الحفيد: محمد بن أحمد، ت ٥٩٥هـ.

في الفقه وأصوله:

ـ الحنفية:

- شمس الأئمة السرخسي: محمد بن أحمد، ت ٤٨٣هـ.
- الدامغاني: أبو عبد الله محمد بن علي، ت ٤٧٨هـ.
- البزدوي: علي بن محمد، ت ٤٨٣هـ.

السمرقندي: أبو بكر علاء الدين محمد بن أحمد، ت ٥٥٢هـ.

ـ المالكية:

- الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف، ت ٤٩٤هـ.
- المازري: أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر، ت ٥٢٦هـ.
- ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله، ت ٥٤١هـ.
- عياض: أبو الفضل عياض بن موسى، اليحصبي، ت ٥٤١هـ.

ـ الشافعية:

- ابن الصباغ: أبو نصر عبد السيد بن محمد، ت ٤٧٧هـ.
- المتولي: أبو سعيد عبد الرحمن بن مأمون، ت ٤٨٨هـ.
- إمام الحرمين: أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، ت ٤٨٧هـ.
- الروياني: أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل، ت ٥٠٢هـ.

ـ الحنابلة:

- ابن البناء: الحسن بن أحمد بن عبد، البغدادي، ت ٤٧١هـ.
- الحلواني: محمد بن علي بن محمد، ت ٥٠٥هـ.
- أبو الخطاب: محفوظ بن أحمد، ت ٥١٠هـ.
- ابن عقيل: علي بن محمد، ت ٥١٣هـ.

- ابن الزاغوني: علي بن عبد الله بن نصر، ت ٥٢٧هـ.
- ابن هبيرة: يحيى بن أبي منصور، ت ٥٦٠هـ.

في علوم اللغة:

- الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن، ت ٤٧١هـ.
- التبريزي: أبو زكريا يحيى بن علي، ت ٥٠٢هـ.
- الراغب الأصفهاني: حسين بن محمد، ت ٥٠٢هـ.
- ابن السِّيد البطليوسي: عبد الله بن محمد، ت ٥٢١هـ.
- الجواليقي: موهوب بن أحمد، ت ٥٤٠هـ.
- ابن الشجري: هبة الله بن علي، ت ٥٤٢هـ.
- كمال الدين الأنباري: عبد الرحمن بن محمد، ت ٥٧٧هـ.

في الشعر والأدب:

- الحريري: القاسم بن علي، ت ٥١٦هـ.
- ابن خفاجة: إبراهيم بن أبي الفتح، ت ٥٣٣هـ.
- رشيد الدين الوطواط: محمد بن محمد بن عبد الجليل، ت ٥٧٣هـ.

في التاريخ والجغرافيا:

- السمعاني: عبد الكريم بن محمد، ت ٥٦٢هـ.
- ابن عساكر: علي بن الحسن، ت ٥٧١هـ.
- الشريف الإدريسي، ت ٥٤٨هـ.

وقد وجدنا في ذلك العصر من العلماء من كان موسوعيًا، كأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، ت ٥٩٧هـ.

وهكذا امتلأ عصر الزمخشري بأساطين العلم وأئمته الذين رفعوا لواء الدين عالياً خفاقاً.

ولقد كانت «خوارزم» لها نصيب وافر من أولئك الأعلام، وقد ذكر الثعالبي في يتيمته نبذاً من أدبهم وشعرهم[١].

ولقد شاعت في ذلك العصر مجالس المناظرات والجدل، ووجد لها من يساعدها

---

(١) الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ١٣٧٧هـ، ٤/ ١٩٤ ـ ٢٥٤.

ويدعو إليها، حيث كان الخلفاء ووزراؤهم من المشجعين لها، مما أدى إلى ظهور التعصب المذهبي والتحيز الطائفي، حتى صور لنا الزمخشري بعضاً مما كان يرمي به كل مذهب من غيره من المذاهب؛ يقول: [من الطويل]

إِذَا سَأَلُوا عَنْ مَذْهَبِي لَمْ أَبُحْ بِهِ ... وَأَكْتُمُهُ كِتْمَانُهُ لِيَ أَسْلَمُ
فَإِنْ حَنَفِيًّا قُلْتُ قَالُوا بِأَنَّنِي ... أُبِيحُ الطِّلاَ وَهْوَ الشَّرَابُ الْمُحَرَّمُ
وَإِنْ مَالِكِيًّا قُلْتُ قَالُوا بِأَنَّنِي ... أُبِيحُ لَهُمْ أَكْلَ الكِلاَبِ وَهُمْ هُمُ
وَإِنْ شَافِعِيًّا قُلْتُ: قَالُوا بِأَنَّنِي ... أُبِيحُ نِكَاحَ البِنْتِ وَالْبِنْتُ تَحْرُمُ
وَإِنْ حَنْبَلِيًّا قُلْتُ قَالُوا بِأَنَّنِي ... ثَقِيلٌ حُلُولِيٌّ بَغِيضٌ مُجَسِّمُ
وَإِنْ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الحَدِيثِ وَحِزْبِهِ ... يَقُولُونَ تَيْسٌ لَيْسَ يَدْرِي وَيَفْهَمُ
تَعَجَّبْتُ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ... فَمَا أَحَدٌ مِنْ أَلْسُنِ النَّاسِ يَسْلَمُ
وَأَخَّرَنِي دَهْرِي وَقَدَّمَ مَعْشَراً ... عَلَى أَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ وَأَعْلَمُ
وَمُذْ أَفْلَحَ الْجُهَّالُ أَيْقَنْتُ أَنَّنِي ... أَنَا المِيمُ وَالأَيَّامُ أَفْلَحُ أَعْلَمُ[(١)]

ملحوظة:

ورد في الجزء الخامس في الصفحة ٥٤٩ من هذا الكتاب عبارة [فأدخل الملك إن شاء الله] وفي هذا انحراف لابد من الإشارة إليه؛ فقد يتبادر للقارئ أن هذه العبارة «إن شاء الله» إنما هي من قول الملك فأضافها من عنده. ويأتي من يبرر فيقول: ربما أراد كذا أو كان يقصد كذا، فهذا من التلبيس على السالكين يفضي إلى انحرافات خطيرة في الفهم والمنهج، فكلُّ ما جاء في كتاب الله تعالى، والذي نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ سواء أكان حكاية أو قصة أو حكماً أو حلالاً أو حراماً أو محكماً أو متشابهاً إنما هو من كلام الله تعالى ليس بمخلوق ولا مضاف.

---

(١) ينظر: مقدمة الكشاف للزمخشري، ومقدمة الفائق في غريب الحديث، بتحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ١/ ٩.

حياة الزَّمَخْشَرِيّ(1)

نسبه، لقبه، مولده:

هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الخوارزمي، جار الله، «فخر خوارزم». ولقبه الأشهر هو «جار الله»، حيث غلب عليه؛ لمجاورته بـ«مكة» زماناً طويلاً.

ولد الزمخشري بـ«زمخشر»، إحدى قرى «خوارزم»، وذلك يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب، سنة ٤٦٧هـ.

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الزمخشري في بيت متدين يتدثر بدثار الصلاح؛ فالوالد رجل فاضل، شفوق بأبنائه، حبسه مؤيد الملك، فتوسل إليه الزمخشري أن يفك أسره، بقوله: [من الكامل]

أَكْفَى الكُفَاةِ مُؤَيَّدَ المُلْكِ الَّذِي ... خَضَعَ الزَّمَانُ لِعِزِّهِ وَجَلاَلِهِ
إِرْحَمْ أَبِي لِشَبَابِهِ وَلِفَضْلِهِ ... وَارْحَمْهُ لِلضُّعَفَاءِ مِنْ أَطْفَالِهِ
إِرْحَمْ أَسِيراً لَوْ رَآهُ مِنَ العِدَا ... أَقْسَاهُمْ قَلْباً لَرَقَّ لِحَالِهِ(2)

ويقول راثياً له بعد موته: [من البسيط]

فَقَدْتُهُ فَاضِلاً فَاضَتْ مَآثِرُهُ ... أَلْعِلْمُ وَالأَدَبُ المَأْثُورُ وَالوَرَعُ
صَامَ النَّهَارَ وَقَامَ اللَّيْلَ وَهْوَ شَجٍ ... مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ كَابِي اللَّوْنِ مُمْتَقِعُ(3)

ولقد كانَتْ أُمُّ صاحبنا عطوفة، رقيقة القلب، مجابة الدعاء، يحكي الزمخشري في ذلك فيقول: «كنت في صباي أمسكت عصفوراً وربطته بخيط في رجله، فأفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خرق، فجذبته فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي، وقالت:

---

(1) ينظر ترجمته في: الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/١٦١، ووفيات الأعيان ٥/١٦٨، الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ٢٠٩، الأنساب ٦/٢٩٧، إنباه الرواة ٣/٢٦٥، تاج التراجم ص ٧١، بغية الوعاة ٢/٢٧٩، الأعلام ٧/١٧٨، معجم المؤلفين ١٢/١٨٦.

(2) ينظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن، للصاوي، ص ٢٥.

(3) ينظر: السابق ص ٢٦، ورؤوس المسائل ص ٣١.

قطع الله رجلك كما قطعت رجله»[1]. وقطعتْ رجل الزمخشريِّ عندما سقط عن دابته.

نشأ الزمخشري في أسرة فقيرة، فوجدنا أباه يدفع به إلى خياط ليعلمه الخياطة، ولكن الزمخشري له رغبة في طلب العلم، فيستعطف أباه، قائلاً له: «احملني إلى البلد واتركني بها»[2].

ورحل صاحبنا إلى «بخارى» في طلب العلم[3]، حيث كانت «بخارى» آنذاك كعبة العلماء، فأخذ من علمائها وتلمذ لجهابذتها.

كما أن الزمخشري زار مدينة «مرو» ولقي بها الإمام السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ، وتنقل بين «خوارزم» وخراسان» محصلاً للعلم، فحصل أصول الفقه، والحديث، والتفسير، والكلام، وعلوم العربية.

دخل الزمخشري «مكة» ـ حرسها الله ـ فجاور بها، وكانت أولى رحلاته إليها سنة ٥٠٢هـ، واتصل بشريفها علي بن حمزة بن وهاس وكان أديباً، فقويت علاقتهما.

ولكن الزمخشري يخرج من مكة راحلاً إلى وطنه الأول، ولكن ما لبث أن عاودته الحنين إليها، حتى صور ذلك في قوله: [من الطويل]

بُكَاءَ عَلَى أَيَّامِ مَكَّةَ إِنَّ بِي إِلَيْهَا حَنِينَ النِّيبِ فَاقِدَةَ الْبَكْرِ
تَذَكَّرْتُ أَيَّامِي بِهَا فَكَأَنَّنِي قَدِ اخْتَلَفَتْ زُرْقُ الأَسِنَّةِ فِي صَدْرِي[4]

وأخيراً عاد صاحبنا المعتزلي إلى «مكة» نحو عام ٥١٨هـ، وفي عودته مر بـ«الشام» ومدح صاحب «دمشق» تاج الدين ت٥٢٦هـ.

ويبدو أن جار الله كان مولعاً ببيت الله الحرام؛ فإن أشهر مصنفاته وأعظمها قد صنفها بين زمزم والمقام؛ كتفسيره «الكشاف»، وأطواق الذهب، ونوابغ الكلم، وربيع الأبرار، وأساس البلاغة، وغيرها[5].

ولكن ما لبث الزمخشري بعد هجوم الشيخوخة عليه أن فكر في الأفول إلى وطنه الأول، فعاد معرجاً في طريقه على «بغداد»، وبها زاره أبو السعادات هبة الله بن الشجري

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان ٥/١٦٩.
(٢) ينظر: مفتاح السعادة ٢/١٠٠.
(٣) ينظر: وفيات الأعيان ٥/١٧٠.
(٤) ينظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن ص ٣٧.
(٥) ينظر: مفتاح السعادة ٢/١٠٠.

ت٥٤٢هـ، حيث هنأه بقدومه، وأثنى عليه(١).

وفي «خوارزم» استقر الزمخشري الشيخ الكهل، حيث صار «فخر خوارزم» ومرجعها الأشهر.

شيوخه:

قديماً قالوا: «مَنْ دَخَلَ فِي الْعِلْمِ وَحْدَهُ خَرَجَ وَحْدَهُ»، ويعنون بها أن من لم يكن له شَيْخٌ لا يُفْلِحْ. ولقد كان عصر الزمخشري عصر أشياخ علم وأساطين فنون، فرأيناه يتلمذ لكثير منهم، نذكر هنا أبرزهم:

ـ أبو مضر، محمود بن جرير الضبي، الأصفهاني ت ٥٠٧هـ، وهو مدخل مذهب الاعتزال إلى «خوارزم»، وأخذ عليه النحو والأدب، ورثاه الزمخشري قائلاً: [من الطويل]

وَقَائِلَةٍ مَا هٰذِهِ الدُّرَرُ الَّتِي ... تَسَاقَطُهَا عَيْنَاكَ سِمْطَيْنِ سِمْطَيْنِ
فَقُلْتُ: هُوَ الدُّرُّ الَّذِي قَدْ حَشَا بِهِ ... أَبُو مُضَرٍ أُذْنِي تَسَاقَطُ مِنْ عَيْنِي(٢)

ـ أبو الحسن علي بن المظفر النيسابوري، الضرير.
ـ السديد الخياطي. وأخذ عنه الفقه.
ـ أبو السعد الجشمي: المحسن بن محمد بن كرامة، البيهقي، ت ٤٩٤هـ.
ـ ركن الدين محمد الأصولي، وأخذ عنه الأصول.
ـ أبو منصور نصر الحارث، أخذ عنه الحديث.
ـ أبو الخطاب، نصر بن أحمد بن عبد الله البَطِر، ت ٤٩٤هـ.
ـ أبو الحسين، أحمد بن علي الدامغاني، ت ٥٤٠هـ.
ـ أبو منصور الجواليقي، موهوب بن أبي طاهر، ت ٥٣٩هـ.

وغير هؤلاء كثير تخرج بهم الإمام الزمخشري.

تلاميذه:

تلمذ لجار الله الزمخشري طائفة كبيرة من طلاب العلم، حتى تخرجوا به فصاروا أئمة في اللغة وآدابها وعلوم الشرع المطهر.

وكان منهم من برز في علوم كثيرة، نذكر أشهرهم.

---

(١) ينظر: نزهة الألباء ص ٢٩٢، وبغية الوعاة ٢/ ٢٨٠.
(٢) ينظر: معجم الأدباء ١٩/ ١٢٤، ورؤوس المسائل ص ٣٨.

- علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس العلوي.

- علي بن محمد العمراني، الخوارزمي، أبو الحسن الأديب، الملقب بـ «حجة الأفاضل وفخر المشايخ» ت٥٦٠هـ.

- أبو الفضل البقالي الخوارزمي الآدمي، محمد بن أبي القاسم بايجول، الملقب بـ«زين المشايخ». وقد جلس مكان الزمخشري بعده[١].

- أبو يوسف يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر البلخي، كان أحد أئمة النحو والأدب.

وقد أجاز الزمخشري لكثير من طلبة العلم في عصره، والذين صاروا أئمة أعلام، منهم أبو طاهر الخشوعي، والأديب الوطواط.

مصنفاته:

ترك الزمخشري تراثاً هائلاً من التصانيف، في مختلف فنون العلم، نذكرها ههنا مرتبة على حروف المعجم[٢]

- أساس البلاغة (معجم يهتم بالمجاز والاستعارة).
- أطواق الذهب، أو النصائح الصغار (في الوعظ والرقائق).
- أعجب العجائب في شرح لامية العرب.
- الأمالي في كل فن.
- الأمكنة والجبال والمياه والبقاع المشهورة في أشعار العرب.
- الأنموذج (مختصر من المفصل في النحو).
- تسلية الضرير.
- تعليم المبتدي وإرشاد المهتدي (جمل في العربية وترجمتها بالفارسية للناشئين).
- جواهر اللغة.
- خصائص العشرة الكرام البررة.
- ديوان التمثيل.
- ديوان الرسائل.
- ديوان الزمخشري.

---

(١) ينظر: معجم الأدباء ١٩/٥.

(٢) ينظر: رؤوس المسائل، تحقيق عبد الله نذير أحمد، ص ٤٢ ـ ٤٦.

- رؤوس المسائل (في الخلاف الفقهي بين مذهبي أبي حنيفة والشافعي).
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار (مختارات شتى من الأدب والتاريخ والعلوم).
- الرسالة الناصحة.
- سوائر الأمثال.
- شافي العي من كلام الشافعي.
- شرح أبيات كتاب سيبويه.
- شرح بعض مشكلات المفصل.
- شرح مقامات الزمخشري (النصائح الكبار).
- شقائق النعمان في حقائق النعمان (في مناقب أبي حنيفة).
- صميم العربية.
- ضالة الناشد في علم الفرائض.
- الفائق (في غريب الحديث).
- القسطاس.
- القصيدة البعوضية. (وأخرى في مسائل الغزالي).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (وهذا التفسير المشهور الذي نقوم بتحقيقه).
- الكشف في القراءات.
- متشابه أسامي الرواة.
- المحاجاة في الأحاجي والأغلوطات.
- مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة.
- مسألة في حكمة الشهادة.
- المستقصى في أمثال العرب.
- معجم الحدود.
- المفرد والمركب (أو المؤلف).
- المفصل في تعليم النحو.
- مقامات الزمخشري.
- مقدمة الأدب (معجم عربي فارسي).
- المنهاج (في أصول الفقه).

ـ نزهة المستأنس.

ـ النصائح الصغار والبوالغ الكبار.

ـ نكت الأعراب في غريب الإعراب.

ـ نوابغ الكلم (حكم وأقوال).

ثناء العلماء عليه:

يقول تعالى في محكم آياته: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ والمعاصي عدو خطير للعلم وأهله؛ وإن العلم لا يؤتاه عاصٍ.

ولقد حبىٰ الله الزمخشريَّ بصفات طيبة، أبرزها شدة تواضعه وأدبه الجم، وهذا العهد بأهل اللغة؛ يقول تلميذه رشيد الدين الوطواط عنه: «...وقد جرى بيني وبينه في حياته وأوقات راحته مما يتعلق بفنون الآداب وأقسام علوم العرب، مسائل أكثر من أن يحصى عددها، أو يستقصى أمدها، رجع فيها إلى كلامي، ونزل على قضيتي وأحكامي؛ فالسعيد من إذا سمع الحق، سكتت شقائق لجاجه، وسكنت صواعق حجاجه... وإنما ذكرت هذا القدر اليسير ليعلم فتيان هذه الخطة، أن هذا الإمام كان صبوراً على مرارة الحق، وحرارة الصدق، مع أنه رب هذه البضائع، وصاحب هذه الوقائع، فهو مع الحق ولو على نفسه»[(١)].

بل كان الزمخشري كثيراً ما يصرح بما يدل على هضمه نفسه، يتضح ذلك من جوابه للحافظ السِّلَفي حينما استجازه، يقول: «...ولا يغرنكم قول فلان فيّ...؛ فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه، وجهل بالباطن المشوه، ولعل الذين غرهم مني ما رأوا من حسن النصح للمسلمين، وتبليغ الشفقة على المستفيدين، وقطع المطامع عنهم، وإفادة المبار والصنائع عليهم، وعزة النفس والربء بها عن السفاسف الدنيات، والإقبال على خويصتي، والإعراض عما يعنيني؛ فجللت في عيونهم، وغلطوا فيّ، ونسبوا إليّ ما لست منه في قبيل ولا دبير، وما أنا فيما أقول بها ضيم لنفسي...»[(٢)].

كان الزمخشري ديِّناً ورعاً، صالحاً، متدثراً بدثار العلمِ والفضل؛ نقل القفطي عن الإمام أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي قوله: «كان الزمخشري أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه، وأكثرهم اكتساباً واطلاعاً على كتبها، وبه ختم فضلاؤهم»[(٣)].

---

(١) ينظر: رؤوس المسائل ص ٥٢.

(٢) ينظر: وفيات الأعيان ٥/ ١٧١، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٣٢.

(٣) ينظر: إنباه الرواة ٣/ ٢٧٠.

قال القفطي: «. . . وكان ممن يضرب به المثل في علم الأدب والنحو واللغة، وصنف التصانيف في التفسير وغريب الحديث والنحو وغير ذلك، ودخل «خراسان»، وورد «العراق»، وما دخل بلداً إلا اجتمعوا عليه وتلمذوا له واستفادوا منه، وكان علامة الأدب ونسابة العرب، أقام بـ«خوارزم» تضرب إليه أكباد الإبل، وتحط بفنائه رحال الرجال، وَتُحْدَىٰ باسمه مطايا الآمال»[1].

ومدحه هبة الله بن الشجري لما التقى به في «بغداد» قائلاً: [من البسيط]

كَانَتْ مُسَاءَلَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ دُوَادٍ أَطْيَبَ الْخَبَرِ
حَتَّى الْتَقَيْنَا فَلاَ وَاللَّهِ مَا سَمِعَتْ أُذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَىٰ بَصَرِي[2]

ومدحه الشريف بن وهاس، قائلاً: [من الطويل]

جَمِيعُ قُرَى الدُّنْيَا سِوَى الْقَرْيَةِ الَّتِي تَبَوَّأَهَا دَاراً فِدَاءُ زَمَخْشَرَا
وَأَحْرِ بِأَنْ تُزْهَىٰ زَمَخْشَرُ بِامْرِئٍ إِذَا عُدَّ فِي أُسْدِ الشَّرَىٰ زَمَخَ الشُّرَىٰ[3]

وقال السيوطيُّ: «كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفنناً في كل علم. . .»[4].

وبالجملة فإن الزمخشري لم يغمط عليه غير مذهبه في الاعتزال؛ قال ابن حجر عنه: «إنه صالح لكنه داعية إلى الاعتزال»[5].

وفاته:

عاد الزمخشري من «مكة» ـ حرسها الله ـ وكأنه أحس بدنو أجله، فأقام بـ«خوارزم» إلى أن توفاه الله تعالى، وذلك ليلة عرفة من سنة ٥٣٨هـ بـ«جرجانية».

وقيل: إن الزمخشريَّ أوصَىٰ أن يكتب على قبره هذه الأبيات: [من الكامل]

يَا مَنْ يَرَىٰ مَدَّ الْبَعُوضِ جَنَاحَهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الأَلْيَلِ
وَيَرَىٰ عُرُوقَ نِيَاطِهَا فِي نَحْرِهَا وَالْمُخَّ فِي تِلْكَ الْعِظَامِ النُّحَّلِ
إِغْفِرْ لِعَبْدٍ تَابَ مِنْ فَرَطَاتِهِ مَا كَانَ مِنْهُ فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ[6]

---

(١) ينظر: إنباه الرواة ٣/ ٢٦٥.
(٢) ينظر: نزهة الألباء ص ٢٩١.
(٣) ينظر: إنباه الرواة ٣/ ٢٦٨.
(٤) ينظر: بغية الوعاة ٢/ ٢٧٩.
(٥) ينظر: لسان الميزان ٦/ ٤.
(٦) ينظر: وفيات الأعيان ٥/ ١٧٣.

«الكَشَّاف» في الميزان

بداية ينبغي التأكيد على أن صاحبنا جار الله كان معتزليًا كما أشرنا من قبل، إلا أن الرجل كان رأساً، داعية إلى مذهبه، يقول صاحب وفيات الأعيان: «كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد، متظاهراً باعتزاله، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن: قل له: أبو القاسم المعتزلي بالباب. وأول ما صنف كتاب «الكشاف» كتب استفتاح الخطبة: الحمد لله الذي خلق القرآن. فيقال: إنه قيل له: متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه. فغيره بقوله: الحمد لله الذي جعل القرآن: و«جعل» عندهم بمعنى «خلق»، والبحث في ذلك يطول ورأيت في كثير من النسخ: الحمد لله الذي أنزل القرآن. وهذا إصلاح الناس لا إصلاح المصنف. ا.هـ كلام ابن خلكان.

السبب الباعث على تصنيف الكشاف:

ذكر الزمخشري في فاتحة كشافه ما دعاه إلى تقييده، فبين أن بعض إخوانه في الدين - يعني في مذهب الاعتزال - اجتمعوا إليه وسألوه أن يملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، واستشفعوا عليه بكل عظيم، إلى أن رحل إلى مكة، وهو مع كل هذا يستعفي، حتى قابل الأمير، الشريف أبا الحسن بن وهاس، فصادف منه رغبة كرغبة من سأله الإقدام، فلم يملك إلا الإذعان وتلبية أمر الإمام. ولقد أنهى تفسيره - كما يقول - في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة.

منهج الزمخشري في نصرة مذهبه:

لما كان الزمخشري بهذه الجرأة من إعلان مذهبه وافتخاره وزهوه به، لم يكن بِدْعاً - حينئذٍ - أن ينتصر له بكل ما استطاع من حجاج، حتى لو اضطره ذلك إلى ليِّ أعناق الآيات وتأويلها على غير لسان العرب، وإنك لتراه يدخل في تفسير الآية، وتكون بعيدة كل البعد عن معتقده، إلا أنه - لتمكنه من فنون القول، وبراعته في الكلام - يزيف ويزين التأويل حتى يدخله على قلوب كثير من الناس، مما دفع سراج الدين البلقيني - وقد صنف

«الكشاف على الكشاف» ـ إلى قوله: «. . . استخرجت من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش؛ من قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] قال: أيُّ فوز أعظم من دخول الجنة؟! أشار به إلى عدم الرؤية[(١)].

وأيضاً قال ابن تيمية أثناء الكلام عن تفاسير المعتزلة: ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة، يدس البدع في كلامه وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير من أهل السنة كثير من تفاسيرهم الباطلة[(٢)].

ولقد سلك الزمخشري في سبيل ذلك طرقاً ومسائل تنوعت إلى ما يلي:

ـ تأويله للفظ القرآني بما يتفق ومذهبه:

وذلك كأن يتعرض لتفسير آية فيكون لفظها على ظاهره لا يساعد مذهبه، فيذهب به إلى معنى آخر، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، فهذه آية تثبت رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وهذا مردود عند المعتزلة، فيذهب الزمخشري إلى أن معنى «ناظرة» منتظرة؛ «فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه، أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي. تريد معنى التوقع والرجاء، ومنه قول القائل: [من الكامل]

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ وَالْبَحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نِعَمَا

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر، حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم ـ تقول: «عيينتي نويظرة إلى الله وإليكم». . .[(٣)].

ـ إيغاله في التأويل بالتمثيل والتخييل:

كان الزمخشري إذا حاصره النص القرآني حاول حمله على التخييل، فنراه عند تعرضه لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] يذكر أربعة أوجه في معنى «الكرسي»، يقول في أولها: إن كرسيه لم يضق عن السماوات والأرض لبسطته وسعته، وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط، ولا كرسي ثمة، ولا قعود، ولا قاعد؛ كقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾

---

(١) ينظر: الإتقان ١/ ١٩٠.
(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٣٨.
(٣) ينظر: الكشاف.

[الزمر: ٦٧]، من غير تصور قبضة وطيٍّ ويمين، وإنما هو تخييل لعظمة شأنه، وتمثيل حسن؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾(١).

وطبيعي ألا يرتضي ابن المنير ـ كما سيأتي ـ كلام الزمخشري هذا فتعقبه قائلاً: «قوله في الوجه الأول: إن ذلك تخييل للعظمة، سوء أدب في الإطلاق، وبعد في الإصرار؛ فإن التخييل إنما يستعمل في الأباطيل وما ليست له حقيقة صدق، فإن يكن معنى ما قاله صحيحاً، فقد أخطأ في التعبير عنه بعبارة موهمة لا مدخل لها في الأدب الشرعي. وسيأتي له أمثالها مما يوجب الأدب أن يجتنب».

بل إن الزمخشري يتوسع في تخييله وتمثيله حتى ولو عضد مفهوم الآية حديث أو أثر؛ ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] يقول: «وما يروون من الحديث: «ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها» والله أعلم بصحته، فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها؛ فإنهما كانا معصومين، وكذلك كل من كان في صفتهما؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، واستهلاله صارخاً من مسه: تخييل (!!) وتصوير لطمعه فيه، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه، ويقول: هذا ممن أغويه. ونحوه من التخييل ـ قول ابن الرومي: [من الطويل]

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا ... يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةَ يُولَدُ

وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا، ولو سلط إبليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخاً وعياطاً مما يبلونا به من نخسه»(٢).

وما كان لابن المنير أن يترك مثل هذا الكلام حتى يتعقبه، فنراه يقول راداً عليه: «أما الحديث المذكور فمذكور في الصحاح متفق على صحته، فلا محيص له إذن من تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله ما لا يحتمله؛ جنوحاً إلى اعتزال منتزع، في فلسفة منتزعة، في إلحاد، ظلمات بعضها فوق بعض... ثم تنظيره بتخييل ابن الرومي في شعره جرأة وسوء أدب، ولو كان معنى ما قاله صحيحاً لكانت هذه العبارة واجباً أن تجتنب، ولو كان الصراخ غير واقع من المولود لأمكن على بعد أن يكون تمثيلاً، أما وهو واقع مشاهد، فلا وجه لحمله على التخييل إلا الاعتقاد الضئيل وارتكاب الهوى الوبيل».

وإن الفطن اللبيب ليعلم يقيناً أن الذي جر المعتزلة ـ والزمخشري منهم ـ إلى هذا التحايل والتمثيل إنما هو تقديسهم للعقل مطلقاً، فقاسوا به الغائب على الشاهد، وجعلوه

---

(١) ينظر: الكشاف.
(٢) ينظر: الكشاف.

حكمهم ونبراسهم، يقول جار الله في «أطواق الذهب في المواعظ والخطب»[1] ملقباً العقل بـ«السلطان»: «امش في دينك تحت راية السلطان، ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان؛ فما الأسد المحتجب في عرينه، أعز من الرجل المحتج على قرينه، وما العَنْزُ الجرباء تحت الشمأل البليل، أذل من المقلد عند صاحب الدليل».

ـ حمله للآيات المتشابهات على المحكمات إذا تصادمت مع مذهبه:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] فقد حمله على قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وابن المنير يغضب على الزمخشري لصنيعه ذاك، فيقول: «هذا كما قدمته عنه من تكلفه لتنزيل الآي على وفق ما يعتقده، وأعوذ بالله من جعل القرآن تبعاً للرأي؛ وذلك أن معتقده إحالة رؤية الله تعالى؛ بناء على زعم القدرية من أن الرؤية تستلزم الجسمية والجهة، فإذا ورد عليهم النص القاطع الدال على وقوع الرؤية كقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ مالوا إلى جعله من المتشابه حتى يردوه ـ بزعمهم ـ إلى الآية التي يدعون أن ظاهرها يوافق رأيهم».

على أن الزمخشري كان ينتصر لمعتقداته من خلال تفسيره للآيات، فهو يرى ـ كغيره من المعتزلة ـ أن صاحب الكبيرة مخلد في نار جهنم، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا...﴾ الآية [النساء: ٩٣]، يقول: «فإن قلت: هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر؟ قلت: ما أَبْيَنَ الدليل، وهو تناولُ قوله: «ومن يقتل» أي قاتل كان من مسلم أو كافر، تائب أو غير تائب، إلا أن التائب أخرجه الدليل، فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله»[2].

ومن ذلك انتصاره لمذهب شعيته في السحر؛ فإنهم لا يقولون به، ولا يعتقدون في السحرة، وأنت تراه في تفسير سورة الفلق التي فلقت معتقدهم في السحر، يحاول ـ كعادته ـ التملص من مفهومها، فيفسر قوله تعالى: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾، بأن المقصود النساء أو النفوس، أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقداً في الخيوط، وينفثن عليها ويرقين، ثم يقول: «ولا تأثير لذلك، اللهم إلا إذا كان ثم إطعام شيء ضار، أو سقيه، أو إشمامه، أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه، ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلاً على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق، من الحشوية والجهلة من العوام، فينسبه الحشو والرعاع إليهن وإلى نفثهن، والثابتون بالقول الثابت لا

---

(١) ينظر: أطواق الذهب ص ٢٨.
(٢) ينظر: الكشاف.

يلتفتون إلى ذلك ولا يعبئون به. . . قال: ويجوز أن يراد بهن النساء الكيَّادات من قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] تشبيهاً لكيدهن بالسحر والنفث في العقد، أو اللاتي يفتنَّ الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن، كأنهن يسحرن بذلك»[١].

ولقد تعرض له ابن المنير حاكماً عليه بأنه: «استفزه الهوى حتى أنكر ما عرف، وما به إلا أن يتبع اعتزاله، ويغطي بكفه وجه الغزالة».

ومن انتصاراته لمذهبه صولته وجولته في مسألة الإرادة وخلق الأفعال ـ وذلك في كثير من الآيات التي تصرح بأن للعباد مشيئة تحت مشيئة ربهم وخالقهم، فتراه يرد إرادة الله تعالى إلى معنى «اللطف» و«التوفيق»، فهو في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] تذرع بلفظ «اللطف»[٢](!!!)، فتعقبه ابن المنير قائلاً: «المعتقد الصحيح أن الله هو الذي يخلق الهدى لمن يشاء هداه، وذلك هو اللطف، لا كما يزعم الزمخشري أن الهدى ليس خلق الله وإنما العبد يخلقه نفسه، وإن أطلق الله تعالى إضافة الهدى إليه كما في هذه الآية فهو مأوّل على زعم الزمخشري بـ«لطف الله» الحامل للعبد على أن يخلق هواه. إن هذا إلا اختلاق. وهذه النزعة من توابع معتقدهم السيء في خلق الأفعال، وليس علينا هداهم، ولكن الله يهدي من يشاء، وهو المسؤول ألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا».

ومن انتصاراته لمعتقده إقراره وحجاجه عن مبدأ الحسن والقبح العقليين، ولما كان لا يستقيم له هذا المبدأ إلا بإزاحة ما قد يعترضه من عقبات، لجأ إلى اللف والتحايل حول آيتين من كتاب الله: الأولى: قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. والثانية: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

فهو في الآية الأولى يعلم أنها تعارض مبدأه، فمن ثم سأل هذا السؤال: «كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة، والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة، ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها؟؟

ثم يجيب فيقول: قلت: الرسل منبهون عن الغفلة، وباعثون على النظر، كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين، وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع، فكان إرسالهم إزاحة للعلة، وتتميماً لإلزام الحجة؛ لئلا يقولوا:

---

(١) ينظر: الكشاف.

(٢) ينظر: الكشاف.

لولا أرسلت إلينا رسولاً فيوقظنا من سنة الغفلة، وينبهنا لما وجب الانتباه له»[1] .

ثم هو عندما يتكلم عن الآية الثانية يحس بالتساؤل نفسه، ويجيب بمثل إجابته تلك؛ يقول: «فإن قلت: الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل؛ لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله، وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه، واستيجابهم العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم، وكفرهم لذلك، لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف، والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان. قلت: بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة؛ لئلا يقولوا: كنا غافلين، فلولا بعثت إلينا رسولاً ينبهنا على النظر في أدلة العقل».

ومن هنا نسجل كلمة شيخنا العلامة الشيخ أبو شهبة في «الإسرائيليات والموضوعات» فقال رحمه الله:

إن تفسير «الكَشَّاف» من خير كتب التفسير العلميَّة وأجلها، ولولا نزعته الاعتزالية في بعض الآيات القرآنية لما تناوله المعترضون بالنقد، ولما شَنَأَهُ بعض الناس، وبحسب هذا الكتاب فضلاً ومنزلة: أن كُلَّ من جاءَ بعد الزمخشري عَالَةٌ عليه، فيما يذكره فيه من أَسرار الإِعجاز، والغوص على المعاني البلاغية الدقيقة.

ولبراعته في الكلام، وتمكنه من فنون القول، وبُعْدِ غوره: يَدُسُّ بَعْضَ آرائه في أثناءِ تفسيره، وتَرُوجُ على خَلْقٍ كثيرٍ من أَهل السنة؛ ولذا قال البلقيني: استخرجْتُ من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش من قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[2] قال: أَيُّ فوز أَعظم من دخول الجنة، أَشار به إلى عدم الرُّؤْيةِ[3] ، وقال ابن تيمية أثناءَ الكلام عن تفاسير المعتزلة: ومن هؤلاءِ من يكون حسن العبارة، يَدُسُّ البِدَعَ في كلامه، وأَكثر الناس لا يعلمون؛ كصاحب الكشاف ونحوه، حتى إنه يَرُوجُ على خلق كثير من أَهل السنة، كثيرٌ مِنْ تفاسيرهم الباطلة[4] .

وَمِنْ مُمَيِّزَاتِ هَذَا التَّفْسِيرِ

١ ـ خلوه من الحشو والتطويل.

٢ ـ سلامته من القصص الإِسرائيلي غالباً، وإذا ذكر بعضه فإنه قد يفنِّدُهُ، كما فعل في قصَّة داود وسليمان، ولكن وجدت فيه بعض الموضوعات التي لا تدرك بالعقل، وإنما

---

(١) ينظر: الكشاف.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٣) الإتقان ج ٢ ص ١٩٠.

(٤) مقدمة في أصول التفسير ص ٣٨.

يعملها أئمة الحديث ونقاده. وذلك مثل: الحديثِ الطويلِ المرويِّ في فضائل السور، سورة سورة، وكذلك ما روي: في قصَّة السيدة زينب بنت جحش، وحاول تبريره، وقد يذكر بعض الإسرائيليات، ولا يفنِّدها، مثل ما ذكره: في قصَّة يَأجوج ومَأجوج، بل ذكر هنا حديثاً موضوعاً على النبيِّ - ﷺ - [1] وسَأَتَنَاوَلُ ذلك بالتفصيل فيما يَأتِي، إن شاءَ الله تعالى.

٣ - اعتماد في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم في الْخِطَابِ.

٤ - عِنَايَتُهُ الفائِقَةُ بالإِبانة عن أسرار الإِعجاز القرآنيِّ بطريقة فنيَّة قائمة على الذوق الأَدبي.

٥ - اتباعه طريقة السُّؤَالِ: (إِنْ قُلْتَ - بفتح التاء)، ويقول في الجواب: (قُلْتُ: بضم التاء) وهي طريقة مِنْ طُرُقِ التشويقَ، في التعليم وترسيخِ المعاني في النفس.

الانْتِصَافُ

وقد قَيَّضَ الله لهذا الكتاب مَنْ نَبَّهَ إِلَىٰ ما فيه من اعتزالياتٍ، وبين ما فيه من انحراف، وميل باللفظ القرآني إلى مذهب أَهل الاعتزال، وهو: الإِمام أَحمد بن محمد، المعروف بابن المنير. عالم الإِسكندرية وقاضيها، وخطيبها، فألف كتابه: «الانتصاف»، وهو يدل على علو كعب هذا الإِمام في العلوم الشرعية، والبلاغية، وأُصول الدين، وأُصول الفقه وبهذا الكتاب النفيس، يمكن للقارىء لتفسير الكشاف أن يقرأه مع الأَمن عليه أن يزيغ، أَو يضل في متاهات الاعتزال.

تَخْرِيجُ أَحَادِيثِ الكَشَّافِ

وقد تنبه إلى ما في تفسير الكشاف من الروايات الضعيفة، والموضوعة، بعض المحدثين، فقام بإِكمال هذا النقص خير قيام، وسد هذه الثغرة التي دخل منها على القراءِ ضرر كثير، فقد أَلف الإِمام الحافظ الفقيه: عبد الله بن يوسف الزيلعي المتوفى سنة ٧٧٢هـ رسالة في تخريج أَحاديث الكشاف، وما فيه من قصص وآثار، بين فيها الصحيح، من الحسن، من الضعيف، من الموضوع، وقد لخصها الإِمام الحافظ - الفقيه. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، في رسالة سماها: «الكاف الشاف من

---

(١) تفسير الكشاف في سورة الكهف عند تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾.

تخريج أَحاديث الكشاف»، وقد طبعت مع الكشاف في بعض الطبعات، فجزاهما الله خير الجزاء.

حملة أهل السنة على الزمخشري:

إن دسائس الاعتزال التي حشا بها الزمخشري كشافه دفعت بعض أهل السنة إلى القيام بواجب الدفاع عن الاعتقاد الصحيح؛ وردًا للحق إلى نصابه، وتبييناً لزغل معتقد هذا الرجل.

وكان من أشد الناس ردًا على الزمخشري أحمد بن المنير الإسكندري المالكي، الذي صنف كتاب «الانتصاف من الكشاف»، وقد أحنقه ما صنع الزمخشري بآيات الله من دسائس الاعتزال، انظر إليه يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] وقد قال الزمخشري: «فمنكم آت بالكفر وفاعل له، ومنكم آت بالإيمان..». «لقد ركب عمياء، وخبط خبط عشواء، واقتحم وعراً: السالك فيه هالك، والغابر فيه عاشر، وإنما ينصب إلى مهاوي الأراك، ويحوم حول مراتع الإشراك، ويبحث: لكن عن حتفه بظِلْفه، ويتحذق، وما هو إلا بمتشدق، ويتحقق، وما هو إلا يتفسق...»[١].

وكثيراً ما نرى الألفاظ الشديدة من ابن المنير يصوبها تجاه الزمخشري، لسوء فعاله، وهضمه لجماعات أهل السنة؛ وفي موضع من التفسير يقول ابن المنير: «فانظر إليه كيف أشحن قلبه بغضاً لأهل السنة وشقاقاً، وكيف ملأ الأرض من هذه النزعات نفاقاً، فالحمد لله الذي أَهَّل عبده الفقير إلى التورك عليه؛ لأَنَّه آخذ من أهل البدعة بثأر أهل السنة، فأصمي أفئدتهم من قواطع البراهين بمقومات الأسنة»[٢].

حملة ابن القيّم:

ثار ابن القيم على الزمخشري من أجل تفسيره الاعتزالي، فنراه يذكر ما فسر به الزمخشري قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، ثم يقول: «فهذا منه شنشنة نعرفها من قدري ناف للمشيئة العامة، مبعد للنجعة في جعل كلام الله معتزليًا قدريًا»[٣].

---

(١) ينظر: الكشاف.
(٢) ينظر: الكشاف.
(٣) ينظر: إعلام الموقعين ١/ ٢٠٢.

حملة ابن السبكي:

وفي مقالة يقول التاج السبكي: «واعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه، ومصنفه إمام في فنه، إلا أنه رجل مبتدع متجاهر ببدعته، يضع من قدر النبوة كثيراً، ويسيء أدبه على أهل السنة والجماعة، والواجب كشط ما في الكشاف من ذلك كله، ولقد كان الشيخ الإمام ـ يعني والده التقي السبكي ـ يُقْرئه فإذا انتهى إلى كلامه في قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩﴾ [آية: ١٩] أعرض عنه صفحاً، وكتب ورقة حسبة سماها: «سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف»، وكلامه في سورة التحريم وغير ذلك[١] من الأماكن التي أساء أدبه فيها على خير خلق الله تعالى؛ سيدنا رسول الله ﷺ، فأعرضت عن إقراء كتابه حياءً من النبي ﷺ، مع ما في كتابه من الفوائد والنكت البديعة»[٢].

حملة أبي حيان:

صنف أبو حيان الأندلسي تفسيره «البحر المحيط»، وقد تعقب فيه الزمخشري في كثير من آرائه النحوية مما دفعه ـ ذات مرة ـ إلى أن يقول عنه: «وهذا الرجل كثير التبجح بكتاب سيبويه، وكم من نص في كتاب سيبويه عمي بصره وبصيرته عنه، حتى إن الإمام أبا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتاباً يذكر فيه ما غلط فيه الزمخشري وما جهله من نصوص كتاب سيبويه»[٣].

وقال أبو حيان: «. . .وقد نظمت قصيداً في شغل الإنسان نفسه بكتاب الله، واستطردت إلى مدح كتاب الزمخشري، فذكرت أشياء من محاسنه، ثم نبهت على ما فيه مما يجب تجنبه، ورأيت إثبات ذلك هنا لينتفع بذلك من يقف على كتابي هذا، ويتنبه على ما تضمنه من القبائح، فقلت بعد ذكر ما مدحته به: [من الطويل]

وَلٰكِنَّهُ فِيهِ مَجَالٌ لِنَاقِدِ ... وَزَلاَّتُ سُوءٍ قَدْ أَخَذْنَ الْمَخَانِقَا

فَيُثْبِتُ مَوْضُوعَ الأَحَادِيثِ جَاهِلاً ... وَيَعْزُو إِلَى الْمَعْصُومِ مَا لَيْسَ لاَئِقَا

وَيَشْتُمُ أَعْلاَمَ الأَئِمَّةِ ضَلَّةً ... وَلاَ سِيَّمَا إِنْ أَوْلَجُوهُ الْمَضَايِقَا

وَيُسْهِبُ فِي الْمَعْنَى الْوَجِيزِ دَلاَلَةً ... بِتَكْثِيرِ أَلْفَاظٍ تُسَمَّى الشَّقَاشِقَا

يَقُولُ فِيهَا اللَّهَ مَا لَيْسَ قَائِلاً ... وَكَانَ مُحِبًّا فِي الْخَطَابَةِ وَامِقَا

---

(١) وذلك كما في تفسيره قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة: ٤٣] يقول: كناية عن الجناية، لأن العفو رادف لها، ومعناه: أخطأت وبئس ما فعلت. !!!

(٢) ينظر: معيد النعم ومبيد النقم.

(٣) ينظر: البحر المحيط ـ بتحقيقنا ـ ٨/ ٢٩٨.

وَيُخْطِيءُ فِي تَرْكِيبِهِ لِكَلاَمِهِ فَلَيْسَ لِمَا قَدْ رَكَّبُوهُ مُوَافِقَا
وَيَنْسُبُ إِبْدَاءَ الْمَعَانِي لِنَفْسِهِ لِيُوهِمَ أَغْمَاراً وَإِنْ كَانَ سَارِقَا
وَيُخْطِيءُ فِي فَهْمِ الْقُرَانِ لأَنَّهُ يُجَوِّزُ إِعْرَاباً أَبَىٰ أَنْ يُطَابِقَا
وَكَمْ بَيْنَ مَنْ يُؤْتَى الْبَيَانَ سَلِيقَةً وَآخَرَ عَانَاهُ فَمَا هُوَ لاَحِقَا
وَيَحْتَالُ لِلأَلْفَاظِ حَتَّىٰ يُدِيرَهَا لِمَذْهَبِ سُوءٍ فِيهِ أَصْبَحَ مَارِقَا
فَيَا خُسْرَهُ شَيْخٌ تَخَرَّقَ صِيتُهُ مَغَارِبَ تَخْرِيقِ الصَّبَا وَمَشَارِقَا
لَئِنْ لَمْ تَدَارَكْهُ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةٌ لَسَوْفَ يُرَى لِلْكَافِرِينَ مُرَافِقَا

حملة ابن خلدون:

عقد ابن خلدون في مقدمته فصلاً في علوم القرآن من التفسير والقراءات وذكر فيه كلاماً في تفسير كتاب الله، وكان من قوله: «ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض في آي القرآن من طرق البلاغة، فصار ذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه، وتحذير للجمهور من مكامنه...»[١].

حملة الشيخ حيدر الهروي:

وكان للشيخ حيدر الهروي نصيب من التعليق على كشاف الزمخشري، فبين قيمة الكشاف وما له، ثم ذكر ما يعكر عليه من أنه بسبب: «إخطائه سلوك الطرق الأدبية، وإغفاله عن إجمال أرباب الكمال، أصابته عين الكلالة، فالتزم في كتابه أموراً أذهبت رونقه وماءه، وأبطلت منظره ورواءه، فتكدرت مشاربه الصافية، وتضيقت موارده الضافية، وتزلزلت رتبه العالية.

منها: أنه كلَّما شَرَعَ في تفسير آية من الآي القرآنية مضمونها لا يساعِدُ هواه، ومدلولها لا يطاوع مشتهاه، صَرَفَهَا عن ظاهرها بتكلُّفات باردة، وتعسُّفات جامدة، وصرف الآية ـ بلا نكتة بلاغيَّة لغير ضرورة ـ عن الظاهر، وفيه تحريفٌ لكلام اللَّهِ سبحانه وتعالَىٰ، وليته يكتفي بقدر الضرورة، بل يبالغ في الإطناب والتكثير؛ لئلاً يوهم بالعَجْز والتقصير، فتراه مشحوناً بالاعتزالات الظاهرة التي تتبادَرُ إلى الأفهام، والخفيَّة التي لا تتسارَقُ إليها الأوهام، بل لا يهتدِي إلَىٰ حبائله إلا وُرَّادٌ بعد وُرَّادٍ من الأذكياء الحُذَّاق، ولا ينتبه لمكائِدِهِ

---

(١) ينظر: مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٨.

إلاّ واحدٌ مِنْ فضلاء الآفاق. وهذه آفة عظيمَةٌ، ومصيبةٌ جسيمة.

ومنها: أنه يَطْعَنُ في أولياء الله المرتَضَيْنَ من عباده، ويغفل عن هذا الصنيع لفرط عناده، وَنِعْمَ ما قال الرازيُّ في تفسير قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾[1]: خاض صاحب «الكشَّاف» في هذا المقام في الطعن في أولياء الله تعالَىٰ، وكتب فيها ما لا يليقُ بعاقلٍ أن يكتب مثله في كتب الفُحْش، فهبْ أنه اجترأ على الطَّعْنِ في أولياء الله تعالى، فكيف اجتراؤه على كَتْبِهِ ذلك الكلام الفاحِشَ في تفسير كلامِ اللَّهِ المجيد.

ومنها: أنه أورد فيه أبياتاً كثيرة، وأمثالاً غزيرةً بَنَىٰ على الهَزْلِ والفُكَاهَة أساسَهَا، وأورد على المزاح البَارِدِ نِبْرَاسَهَا، وهذا أمر من الشرع والعَقْل بعيد، لا سيما عند أهل العدل والتوحيد.

ومنها: أنه يذكر أهل السنة والجماعة ـ وهم الفرقة الناجية ـ بعبارات فاحشة، فتارة يُعَبِّرُ عنهم بالمجبرة، وتارة ينسبهم على سبيل التعريضِ إلى الكُفْر والإلحاد، وهذه وظيفةُ السُّفَهَاءِ الشُّطَّار، لا طريقة العلماء الأبرار»[2].

حملة الجلال السيوطي:

ومن الكتب التي صنفها السيوطي كتاب «التحبير في علم التفسير»، ذكر فيه من يجوز لمثله أن يقحم نفسه في كتاب الله يفسره ويستخرج درره، كما ذكر من يقبل منه ومن لا، فقال: «. . . وممن لا يقبل تفسيره: المبتدع، خصوصاً الزمخشري في «كشافه»؛ فقد أكثر فيه من إخراج الآيات عن وجهها إلى معتقده الفاسد، بحيث يسرق الإنسان من حيث لا يشعر، وأساء فيه الأدب على سيد المرسلين ﷺ في مواضع عديدة فضلاً عن الصحابة وأهل السنة. وقد أحسن الذهبي إذ ذكره في «الميزان» وقال: كن حذراً من كشافه.

وألف الشيخ تقي الدين السبكي كتاباً سماه «الانكفاف عن إقراء الكشاف» ذكر فيه أنه عقد التوبة من إقرائه وتاب إلى الله، فلا يقرأه ولا ينظر فيه أبداً؛ لما حواه من الإساءة المذكورة.

قال[3]: وقد استشارني بعض أهل المدينة النبوية أن يشتري منه نسخة ويحملها إلى المدينة، فأشرت عليه بألا يفعل، حياءً من النبي ﷺ أن ينقل إلى بلد هو فيها كتاب فيه ما

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) ينظر: كشف الظنون ص (١٤٨٣).

(٣) يعني تقي الدين السبكي.

يتعلق بجنابه ﷺ. على أنه آية في بيان أنواع البلاغة والإعجاز لولا ما شانه مما ذكرناه»[1].

قيمة الكشاف البلاغية:

لم يكن كشاف الزمخشري سوءاً كله، بل حوى كثيراً من اللمحات الفنية والبلاغية التي تجلي فصاحة كتاب الله وبلاغته وحسن رصفه، وجمال وصفه؛ فإن الذين نقموا على الزمخشري سوء فعاله، قدموا ذكر محاسنه، فجمع بين الخير والشر، وخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً. [من الطويل]

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَىٰ سَجَايَاهُ كُلُّهَا ... كَفَىٰ الْمَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهْ

وكأن الزمخشري أحسن قيمة عمله وصنعة يده، فمن ثم رفع صوته قائلاً: [من البسيط]

إِنَّ التَّفَاسِيرَ فِي الدُّنْيَا بَلاَ عَدَدٍ ... وَلَيْسَ فِيهَا لَعَمْرِي مِثْلُ كَشَّافِي

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْهُدَىٰ فَالْزَمْ قِرَاءَتَهُ ... فَالْجَهْلُ كَالدَّاءِ وَالْكَشَّافُ كَالشَّافِي

ولعل من الإنصاف ألا نعتبر تزكية المرء عمله؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، فمن ثم ننقل بعض كلمات مما قيلت في قيمة الكشاف البلاغية.

قولة أبي القاسم بن بشكوال:

نقل أبو حيان في «البحر المحيط» موازنة للحافظ ابن بشكوال، عقدها بين تفسير ابن عطية الأندلسي، وبين تفسير الزمخشري، فقال: «وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص، إلا أن الزمخشري قائل بالطفرة، ومقتصر من الذؤابة على الوفرة، فربما سنح له آبي المقادة فأعجزه اعتياصه، ولم يمكنه لتأنيه اقتناصه، فتركه عقلاً لمن يصطاده، وغفلاً لمن يرتاده. وربما ناقض هذا المنزع، فثنى العنان إلى الواضح والسهل اللائح، وأجال فيه كلاماً، ورمى نحو غرضه سهاماً. هذا مع ما في كتابه من نصره مذهبه، وتقحم مرتكبه، وتجشم حمل كتاب الله عز وجل عليه، ونسبة ذلك إليه، فمغتفر إساءته لإحسانه، ومصفوح عن سقطه في بعض؛ لإصابته في أكثر بُنيانه».

والكشاف يعد أول كتاب في التفسير كشف لنا على سر بلاغة القرآن، وأبان لنا عن وجوه إعجازه، وأوضح لنا عن دقة المعنى الذي يفهم من التركيب اللفظي. كل هذا في قالب أدبي رائع، وصوغ إنشائي بديع، لا يتفق لغير الزمخشري إمام اللغة وسلطان المفسرين؛ يقول

---

(١) ينظر: التحبير في علم التفسير ص ٣٣٠ ـ ٣٣١.

الشيخ حيدر الهروي:

(... وبعد، فإن كتاب الكشاف كتاب عليُّ القدر رفيع الشأن، لم ير مثله في تصانيف الأولين، ولم يرد شبيهه في تآليف الآخرين. اتفقت على متانة تراكيبه الرشيقة كلمة المهرة المتقنين، واجتمعت على محاسن أساليبه الأنيقة ألسنة الكملة المفلقين. ما قصر في قوانين التفسير وتهذيب براهينه، وتمهيد قواعده وتشييد معاقده. وكل كتاب بعده في التفسير، ولو فرض أنه لا يخلو عن النقير والقطمير. إذا قيس به لا تكون له تلك الطلاوة، ولا يوجد فيه شيء من تلك الحلاوة، على أن مؤلفه يقتفي أثره، ويسأله خبره. وقلما غير تركيباً من تراكيبه إلا وقع في الخطأ والخطل، وسقط من مزالق الخبط والزلل، ومع ذلك كله إذا فتشت عن حقيقة الخبر، فلا عين منه ولا أثر، ولذلك قد تداولته أيدي النظار، فاشتهر في الأقطار كالشمس في وسط النهار»[1].

هذا، وإن نيل الكشاف هذا الإعجاب والتقدير حتى من خصومه، لدليل واضح على قيمة هذا السفر وعلو قدره.

موقف الزمخشري من الإسرائيليات:

من استقرأ صنيع الزمخشري في كشافه يجد أنه ذكر الإسرائيليات في بعض الآيات، إلا أنه كان يذكرها إما بصيغة «روي» المشعرة بالتمريض، أو بقوله: «والله علم بصحته»، أو يقول: «ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا: هذا من أباطيل اليهود».

ومن أمثلة ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ [النمل: ٣٥]، ولقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ [القصص: ٣٨] وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ [ص: ٢١]، في كل ذلك يروي روايات إسرائيلية، ثم يعقب عليها بما يشير إلى ضعفها أو عدم الأخذ بها فيما لا يليق بالأنبياء.

موقفه من المسائل الفقهية:

كان الزمخشري حنفي المذهب، إلا أنه معتدل لا يتعصب لمذهبه، فتارة يرجح مذهبه إن ظهر له ذلك، وتارة يرجح مذهب غيره، ومن إنصافه ما يظهر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] قال: والذي بيده عقدة

---

(١) ينظر: كشف الظنون (١٤٨٣).

النكاح ـ الولي، يعني إلا أن تعفو المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر، وتقول المرأة: ما رآني، ولا خدمته، ولا استمتع بي، فكيف آخذ منه شيئاً، أو يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن، وهو مذهب الشافعي ـ وقيل: هو الزوج، وعفوه أن يسوق إليها المهر كاملاً، وهو مذهب أبي حنيفة، والأول ظاهر الصحة»[1].

وبعد فإن أول دليل على قيمة الكشاف أنه قد اعتنى به أناس كثيرون، فمن مختصرٍ له، ومن محشٍّ عليه، ومن منتصر له، ومن محاكم بينه وبين غيره، وقد ذكر صاحب «كشف الظنون» عدداً جمًّا منهم، أذكر هنا كلامه، يقول:

فَمِمَّنْ كتب عليه الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندريّ المالكي كتابه «الانتصاف» بيَّن فيه ما تضمنه من الاعتزال، وناقشه في أعاريب وأحسن فيها الجدال، وتوفي (سنة ٦٨٣ ثلاث وثمانين وستمائة). وتلاه: الإمام علم الدين عبد الكريم بن علي العراقي في كتاب «الإنصاف» جعله حكماً بين «الكشاف» و«الانتصاف»، وتوفي (سنة ٧٠٤ أربع وسبعمائة)، ولخصهما: الإمام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام في مختصر لطيف مع يسير زيادة، وتوفي (سنة ٧٦٢ اثنتين وستين وسبعمائة)، قال: اختصرْتُ فيه «الانتصاف من الكشاف» وحذفت منه ما وقعت الإطالة به من نقل كلام الزمخشريِّ على وجهه من غير كلام عليه؛ إعجاباً به واستحساناً له، وما قابل به الزمخشري في سَبِّهِ أهل السنة بمثلها؛ مقتصراً على العقيدة الصحيحة، وما يتعلق بالآية منها مِنْ دليلٍ، وحمل على تأويل، فلم أدع شيئاً من معاني الكتاب المذكور؛ فما وافق منه الصواب أبقيته بحاله، وما خالف ذلك بينت وجه ضعفه وإخلاله، والله الموفق، فابتدأ بـ«قال محمود» و«قال أحمد» إلخ؛ كما في «الانتصاف»، وأكثر الإمام أبو حيان في «بَحْرِهِ» من مناقشته في الإعراب، وتلاه: تلميذه الشهاب أحمد بن يوسف الحلبي المشهور بالسمين، والبُرْهَانُ إبراهيم بن محمد السفاقسيُّ في إعرابيهما، ولخص الشيخ تَاجُ الدين أحمد بن مكتوم مناقشاتِ شيخه أبي حيان في تأليفٍ مفرَدٍ، سماه: «الدر اللقيط من البحر المحيط» وتوفي (سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة)، وممن كتب عليه حاشيةً: العلامة قُطْب الدين محمود بن مسعود الشيرازيُّ في مجلَّدَيْنِ لطيفَيْنِ، وتوفي (سنة ٧١٠ عشر وسبعمائة)، والعلاَّمة فخر الدين أحمد بن حسن الجار بردى المتوفَّىٰ (سنة ٧٤٦ ست وأربعين وسبعمائة)، والعَلاَّمة شرف الدين الحسن بن محمد الطِّيبيِّ، وهي أجل حواشيه في ستِّ مجلَّدات ضخمات، قال: «رَأَيْتُ النبيَّ ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ قبيل الشروع؛ أنه ناولني قدحاً من اللبن، وأشار إلي فأصبت منه، ثم ناولته ـ عليه الصلاة والسلام ـ فأصاب منه، أقول: سمَّاها

---

(١) ينظر: الكشاف.

«فتوح الغيب، في الكَشْف عن قناع الريب»، وتوفي (سنة ٧٤٣ ثلاث وأربعين وسبعمائة)، والعلامة أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي، وهو شَرْحٌ بـ«قَالَ»، رأَيْتُ منه مجلداً على «الفاتحة»، وقطعة من «البقرة»، ولا أدري أكملها أم لا، أقول: وصل فيها إلى تمام الزهراوينِ، أوله: «الحَمْدُ لِلَّهِ عَلاَّمِ الغيوبِ، كَشَّاف الكروب...» إلخ، (وتوفي سنة ٧٨٦ ست وثمانين وسبعمائة)، والعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، وهي ملخَّصة من حاشية الطيبيِّ مع زيادة تعقيد في العبارة ولم يتمَّها، أقول: وصل فيها إلى سورة «الفتح»، وفرغ منها (سنة ٧٨٩ تسع وثمانين وسبعمائة)، (وتوفي أول سنة ٧٩٢)، والعلامة قطب الدين محمد بن محمد التحتاني الرازي، (توفي سنة ٧٦٦)، وعليه اعتراضات أوردها جمال الدين محمد بن محمد الأقسرايي، وعليه محاكمات لعبد الكريم بن عبد الجبار، أولها: «الحمدُ للَّهِ الذي أخرج العباد من ظلمة العدم إلى نور الوجود...» إلخ؛ ذكر فيها أن شرح الكشاف للعلاَّمة قطب الدين الرازيِّ كتابٌ جليلُ الشانِ، لكن المولى جمال الدين محمد بن محمد الأقسرايي اَعْتَرَضَ عليه اَعتراضاتٍ، فكتبت الأجوبة، وسميتها بـ«المحاكمات»، وأجاب عن المحاكمات ابنُ سماونة ذكره عرب زاده في «حاشية الشقائق»، أما شرح الطيبي فلم يألُ جهداً في إيراد مباديه المنتشرة من تبيين وجوه القراءات وتصحيح الأحاديث والروايات، وتحقيق لغاته، وتدقيق نكاته، وبذل مجهوده في تقرير مسائله، ومع ذلك: ففيه شيئان؛ أحدهما: ليس من الأفعال الاختيارية، وهو أنَّ هذا الكتابَ كتابٌ متينٌ وحصنٌ حصينٌ لا يكمل علمه بمجرَّد العثور على العلوم الظاهرة، بل له شرائطُ بعضُهَا ما ذكره مؤلِّفه، حيث قال قد رَجَعَ زماناً ورُجِعَ إليه، ورَدَّ ورُدَّ عليه، مع ذهنٍ وَقَّادٍ، وذكر أمر لا يمكن تحصيله إلا بالكدِّ والجِدِّ، وثانيهما: أنه كان مولعاً بكثرة إيراد النكات البيانية، فصار شرحه كبير الحَجْم في غير المقصود، واَختلاط الموجود بالمفقود، وأما شرح الرازيِّ: فلأنه غير تامٍّ، وبتقديره هو خلاصة الطيبيِّ لم يزدْ عليه سوى التنقيحِ في كل بابٍ، واعتراضاتٍ تنادِي بأن موردها ليس من رجال هذا الكتاب، وأما شرح الفاضل الجيلوهيِّ على أنه وافٍ بمقاصده، فإن فيه ثلاثة أشياء؛ أحدها: أنه لم يشرحه مرتباً كما يكون حال الشروح مع المتون، وثانيها: قد بذل جهده فيما يتعلق بالرواية وقوانينها؛ لكنه كثيراً ما يزلق في المضايق، ويدحض في التعقلات، ولا أدري أهو لقصور استعداده الفطريِّ أم لعدم تمرُّنه في المعقولات، وثالثها: أنه بَالَغَ في اختصار عبارته والاقتصارِ على إشارته؛ فخرج من حيز الاَنتفاع إلى حد الإلغاز والإخلال، فلا يحصل بمطالعته سِوَى التخيُّل الفاسد مع تَعَبِ الكلال، وأما شرح المحقِّق النحرير ـ أي: السعد ـ فما له من نظير؛ لاشتماله على التحقيق والتدقيق، ولطائف التوفيق والتلفيق، لكنه فوت الفرصة، واشتغل به في آخر عمره، فأتاه بريد الأجل، قبل الفراغ من العمل، وقد تحقَّقَتْ

منه أنَّ هذا الكتاب على تعاقب الشهور والأعوام مهرة لم تُرْكَبْ، ودرة لم تثقب. . . إلخ.

وكتب العلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني حاشيةً ولا أدري إلى أين وصل، أقول: وقف في أواسط «سورة البقرة»، وتوفي (سنة ٨١٦ ست عشرة وثمانمائة)، وكتب المولى محيي الدين محمد بن الخطيب حاشيةً على حاشية السيد، وتوفي (سنة ٩٠١ إحدى وتسعمائة)، أولها «إن أحَقّ ما يوشح به صدر الكلام. . .» إلخ، وأهداها إلى السلطان بايزيد، والمولى عبد الكريم ـ أيضاً ـ، والمولى علاء الدين علي الطوسي، المتوفى بسمرقند (سنة ٨٨٧ سبع وثمانين وثمانمائة)، وعلق المولى برهان الدين حيدر بن محمد الهروي تلميذ السعد حاشية على حاشية سعد الدين، أجاب فيها عن اعتراضات السيد، وتوفي (سنة ٨٣٠ ثلاثين وثمانمائة)، والمولى علاء الدين علي بن محمد المعروف بـ«قوشجي» علق على أوائل حاشية السعد، وتوفي (سنة ٨٧٩ تسع وسبعين وثمانمائة). (وللمولى شيخ الإسلام بهراة يحيى الهروي المعروف بـ«الحفيد» حاشيةٌ على حاشية جَدِّهِ سعد الدين، وأجاب ـ أيضاً ـ عن اعتراضات السيد). وعلى حاشية السيد حاشيةٌ للمولى حسن چلبي ابن محمد شاه الفناري المتوفَّىٰ (سنة ٨٨٦ ست وثمانين وثمانمائة)، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني، وهي على أسلوب غير أساليب المذكورين، وإنما ذكرمنها (من كلامهم) اليسير، أقول: وهي ثلاث مجلدات، سماها: «الكشاف على الكشاف»؛ كما سَبَقَ، وتوفي (سنة ٨٠٥ خمس وثمانمائة)، والشيخ ولي الدين أبو زرعة أحمد ابن الحافظ الكبير عبد الرحيم العِرَاقِيّ في مجلَّدين، لَخَّصَ فيها كلام ابن المنير والعلم العراقي وأبي حَيَّان وأجوبة (السمين) الحلبيّ والسفاقسيّ، مع زيادة تخريج أحاديثه. انتهى كلام السيوطيّ مع حذف وإلحاق.

ثم أقول: وتوفي أبو زرعة (سنة ٨٢٠ عشرين وثمانمائة (٨٢٦)، وممن كتب ـ أيضاً ـ غير ما ذكره السيوطي: الإمام العلامة عمر بن عبد الرحمن الفارسي القزويني (حاشية) في مجلَّد سماها: «الكشْف»، (وتوفي سنة ٧٤٥ خمس وأربعين وسبعمائة)، أولها: «الحمد لله الذي أنار الأعيان بنورِ الوجود. . .» إلخ، ذكر فيها أنه أشار إلى تأليفها مَنْ أمرُهُ مطاعٌ، فشرع وكتب فيها ما تلقفه من الأئمة الماضين أو استنبطه بميامن أنوارهم، وهذا الأخير ميزها بـ«أَقُول»، والعلامة عماد الدين يحيى بن قاسم العلوي المعروف بـ«الفاضل اليمني» (كتب حاشية» في مجلَّدين سماها دُرَرَ الأصداف من حواشي الكشاف [درر الأصداف في حل عقد الكشاف]، فرغ من تأليفها في صفر (سنة ٧٣٨ ثمان وثلاثين وسبعمائة) وتوفي (سنة ٧٥٠ خمسين وسبعمائة) (وله حاشية أخرى ـ اسمها تحفة الأشراف في كشف غوامض الكشاف ـ ألفها بعد فراغه من حاشيته المسماة بدرر الأصداف في حل عقد الكشاف، أولها: «الحمد لله الذي أنزل قرآنه العظيم. . .» إلخ، ذكر فيها أنه لما وَقَفَ على

حاشية الطيبيِّ، وجد مذكوراً فيها ما ذكره صاحبُ «الانتصاف» و«الإنصاف» وغيرهما، أراد أن يجمع بين «حاشية الطيبي» و«دُرَرِ الأصداف»، وسماها «تحفة الأشراف في كشف غوامض الكشاف». والشيخ علاء الدين علي بن محمد الشاهرودي الشهير بـ«مصنفك» فرغ منها (سنة ٨٥٦ ست وخمسين وثمانمائة)، وتوفي (سنة ٨٧١ إحدى وسبعين وثمانمائة)، وخير الدين خضر بن عمر العطوفي المتوفى (سنة ٩٤٨ ثمان وأربعين وتسعمائة)، ويوسف بن حسن التبريزي المتوفى (سنة ٨٠٤ أربع وثمانمائة)، وشرح خطبته الشيخ الإمام مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي المتوفى (سنة ٨١٧ سبع عشرة وثمانمائة)، وسماه: «نغبة الخَشَّاف، لِحَلِّ خطبة الكشاف»، ثم كتب ثانياً، وسماه «نغبة الرشاف، من خطبة الكشاف»، وذكر أن الأول أصيب بكفة الإتلاف عند مغيرة الإعجاف، وأعاد العمل (سنة ٧٦٨ ثمان وستين وسبعمائة)، وعلق على أوائله شيخ الإسلام سيف الدين أحمد بن محمد الهروي المعروف بـ«حميد التفتازاني» فبلغ إلى أواسط «سورة البقرة»، وتوفي (سنة ٩٠٦ ست وتسعمائة)، والمولى أبو السعود بن محمد العمادي على سورة الفتح، حين قرىء عليه في سفر الكفار، سماه: «مَعَاقِدَ الطراف، في أول تفسير سورة الفتح من الكشاف» وتوفي (سنة ٩٨٢ اثنتين وثمانين وتسعمائة)، والمولى صنع الله بن جعفر المفتي على أوائله، وتوفي (سنة ١٠٢١ إحدى وعشرين وألف)، وممن علق على بعض مواضعه ـ أيضاً ـ المولى كمال الدين إسماعيل القرماني المعروف بـ«قرة كمال» من علماء الدولة الفاتحية. والعلامة شمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بـ«ابن كمال باشا» المفتي المتوفَّىٰ (سنة ٩٤٠ أربعين وتسعمائة)، وهو من أحسن تأليفاته على ما ذكره عرب زاده في «حاشية الشقائق» أكثرها على السيد. والمولى مهدي الشيرازي المتوفى (سنة ٩٥٦ ست وخمسين وتسعمائة). وأما المختصرون فكثيرون منهم الشيخ محمدبن علي الأنصاريّ أزال عنه الاعتزال، وتوفي (سنة ٦٦٢ اثنتين وستين وستمائة). والعَلاَّمة قطب الدين محمد بن مسعود بن محمود بن أبي الفتح السيرافي الفالي الشَّقَّار «لعله قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي المذكور قبل هذا» لخصَّه، وسماه تقريبَ التفسير، أتمه في التاسع من شوالٍ (سنة ٦٩٨ ثمان وتسعين وستمائه) ببلدة «شيراز» أوله: «الحمد لله الذي جعل كِتَابَهُ الكريم مفتاحاً للسرور. . .» إلخ، أزال اعتزاله وبعض إطنابه، فَهذَّب ونقح وضم إلى مواضع الانغلاق حَلاً وبياناً، وهو كتاب صغير الحجم وجيزُ النظم، مشتمل على محض الأهمِّ من «الكشاف» مع زيادات شريفة، وعليه حاشية لطيفةٌ مفيدةٌ مسمَّاة بـ«توضيح مشكلات التقريب» لعلي بن عمر الأرزنجاني، كتبها حين درسه، وبلغ إلى الثلث الثاني، أولها: «الحمد لله الذي حارت الأفكار في مبادي أنوار كتابه. . .» إلخ. والمولى عبد الأوَّل بن حسين الشهير بـ«أُمِّ ولد» المتوفىٰ (سنة ٩٥٠ خمسين وتسعمائة).

والمولى محب الدين محمد بن أحمد المدعوّ بمولانا زاده الحنفي (المتوفَّىٰ سنة ٨٥٩ تسع وخمسين وثمانمائة). وسيد المختصرات منه كتاب أنوار التنزيل للقاضي العَلاَّمة ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، لخَصَّه وأجاد، وأزال عنه الاعتزال، وحَرَّر وٱستدرك وٱشْتَهَرَ ٱشتهار الشمس في وَسَط النهار، فعكف عليه العاكفون، كما سبق ذكره في الألف، وكانت وفاته (سنة ٦٩٢ اثنتين وتسعين وستمائة). وممن خرج أحاديثه الإمام المحدِّث جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي المتوفى (سنة ٧٦٢ اثنتين وستين وسبعمائة). ولخص كتابه الحافظ الكبير شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر في كتاب سَمَّاه: «الكَاف الشاف، في تحرير أحاديث الكشاف» في مجلد، واستدركَ عليه في مجلد آخر، وتوفي (سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة)، قال ابن حجر: ٱسْتَوَعَبَ ما فيه من الأحاديث المرفوعة، فأكثر من تبيين طرقها، وتسمية مخرجيها، عَلَىٰ نمط ما في أحاديث «الهداية»؛ لكنه فاته كثير من الأحاديث المرفوعة التي يذكرها الزمخشريُّ بطريق الإِشارة، ولم يتعرض غالباً لشيء من الآثار الموقوفة. وصنَّف أبو علي عمر بن محمد بن خليل السكوني المغربي (المتوفى سنة ٧١٧ سبع عشرة وسبعمائة) كتاب «التمييز على الكشاف»، تكلم فيه في الإمام فخر الدين وغيره بما لا يعاب به عالم؛ (كما) ذكره السبكي وعلى الكشَّاف حاشية للإمام أبي العباس أحمد بن عثمان الأزدي الشهير بـ«ابن البناء»، ومن الحواشي حاشية الفاضل يوسف بن الحسين الحلواني مات (سنة ٨٥٤ أربع وخمسين وثمانمائة)، (وعلى الكشاف حاشية تامَّة في مجلَّدين للفاضل علاء الدين علي المعروف بـ«بَهْلَوَان»، ناقش فيها مع القطب الرازي). وشرح أبيات الكشاف لبعض الأفاضل مختصر، أوله: «إن أولى ما يفتتح به الكتاب. . .» إلخ، ذكر فيه أن بعض إخوانه أشار إليه بعد أن شرح أبيات المفصل أنْ يَشْرَحَ أبيات الكشَّاف، فأجاب، وهي زهاء ألف بيت، أكثرها منشور (منثور) المقاطع، خافية معانيها على أكثر الأدباء حتى الفحول. (وشرح شواهد الكشاف) في مجلَّدات لخضر بن محمَّد الموصلي نزيل مكة المكرَّمة، ذكره الشِّهَاب. و«مقتضب التمييز، في اعتزال الزمخشريِّ من الكتاب العزيز» للشيخ الفاضل أبي علي عمر بن محمد بن خليل السكوني صاحب «المنهج المشرق»، أوله «الحمد لله رب العالمين. . .» إلخ، وفي شرح خطبة الكَشَّاف مختصَرٌ لبعض الأفاضل، قال صاحب القاموس محمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي (فيما كتبه على الخطبة)، قال بعض الطلبة: وأثبته بعض المعتنين بـ«الكشاف» في تعليق له عليه؛ أنه كان في الأصل (كتب) «خلق» مكان «أنزل» وبالآخرة (وأخيراً) غيره المصنِّف أو غيره؛ حذراً عن الشناعة الواضحة، فقول (هذا قولٌ) ساقطٌ جدًّا، وقد عرضته على أستاذي، فأنكر غاية الإِنكار، وأشار إلى أن هذا القول بمعزل عن الصَّوَاب؛ لوجهين: أحدهما: أن الزمخشري لم يكن لتفوته اللطائفُ المذكورة

في «أنزل» وفي «نزل» في مفتتح كلامه، ويقبل كلمة خالية من ذلك، والثاني: أنه لم يكن يأنف من انتمائه إلى الاعتزال، وإنما كان يفتخر بذلك، وأيضاً: أتى عقيبه بما هو صريح في المعنىٰ، ولم يبل (ولم يبال) بأنه قبيح وقد رأيتُ النسخة التي بخطِّ يده بـ«مدينة السلام» مختبئة في تربة الإمام أبي حنيفة خالية عن أثر كشط وإصلاح. انتهى. قال شمس الدين الأصبهاني ـ رحمه الله ـ في تفسيره «الجامع بين التفسير الكبير والكشاف»: تتبعت الكشاف فوجدتُ أن كل ما أخذه أخذه من الزجاج.

وهكذا، كان لكتاب الزمخشري قيمة عالية بين أهل العلم، استوجب لأجلها أن يوضع في مصاف أفضل الكتب وأجود الأسفار، فإليك أيها القارىء اللبيب قبل كتاب تفسير أبي القاسم جار الله الزمخشري المسمى: «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» مقدمة تتعلق بالتفسير ومدارسه.

«التفسير قبل الزمخشري»

مقدمة

التَّفْسِيرُ وَالتَّأْوِيلُ

التفسير: لغة:

التفسير في اللغة: الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣] أي بياناً وتفصيلاً. وهو مأخوذ من الفسر، وهو: الإبانة والكشف.

قال الفيروزآبادي [١]:

«الفَسْرُ: الإبانة وكشف المغطى كالتفسير، والفعل كضرب ونصر».

وقال ابن منظور [٢]:

«الفَسْرُ: البيان، فَسَرَ الشيء يَفْسِرُه ـ بالكسر ـ ويَفْسُرُه ـ بالضم ـ فَسْراً، وفَسَّرَه: أبانه. والتفسير: مثله... والفَسْرُ: كشف المُغَطَّى. والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المُشْكِل».

وقال «أبو حيان» [٣]:

«... ويطلق التفسير أيضاً على التعرية للانطلاق، قال ثعلب: تقول: فسرت الفرس: عريته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري».

---

(١) القاموس المحيط «فسر».
(٢) اللسان: مادة «فسر».
(٣) البحر المحيط ١/١٣.

وعلى ذلك: فالمادة تدور حول معنيين[1]:

الكشف المادي المحسوس، والكشف المعنوي المعقول.

وقيل: إن أصل الكلمة من التَّفْسِرَة، وهي الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض، كما يكشف المفسّر عن شأن الآية وقصتها[2].

التفسير: اصطلاحاً:

عرفه السيوطي قائلاً[3]:

«هو علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، وبيان محكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها، ونحو ذلك».

وعرَّفه «أبو حيان» فقال[4]:

هو «علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك...» وفيه قصور وغموض[5].

وتعريف «الزركشي» أوضح من التعريفين السابقين إذ يقول[6]:

«التفسير: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ـ ﷺ ـ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ».

وهناك تعريفات أخرى ـ غير ما ذكرنا[7] ـ وكلها تتفق «على أن علم التفسير علم

---

(١) التفسير: معالم حياته ـ منهجه اليوم ـ أمين الخولي ص ٥، والتفسير والمفسرون/ للذهبي ج ١/ ١٥.
(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ٢٩٤، وتفسير البغوي ١/ ١٨ ط المنار، واللسان: فسر.
(٣) الإتقان ٢/ ١٧٤.
(٤) البحر المحيط ١/ ١٠.
(٥) راجع: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير أبو شهبة ص ٤١.
(٦) البرهان ج ١/ ٣٣.
(٧) راجع مثلاً: مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٤٠٦ط أولى، ومنهج الفرقان في علوم القرآن ج٢/ ٦، التفسير في قواعد التفسير / الكافياجي ص ٣، ١١ وغيرها.

يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى، وبيان المراد»[1] .

التأويل: لغة:

أصله: «من الأَوْلِ، وهو الرجوع».

قال الفيروزآبادي[2] :

«آل إليه أَوْلاً وَمَآلاً: رجع، وعنه ارتد... وأوّل الكلام تأويلاً، وتأوله: دبره وقدره وفسره، والتأويل عبارة الرؤيا».

وقال ابن «منظور»[3] :

«الأَوْلُ: الرجوع، آلَ الشَّيءُ يَؤولُ أَوْلاً ومَآلاً: رجع، وَأَوَّلَ الشيءَ: رَجَعَهُ، وأُلْتُ عن الشيء: ارتددت، وفي الحديث: «من صام الدهر فلا صام ولا آل» أي لا رجع إلى خير... وأوّل الكلام وتأوَّله: دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسره».

وعليه:

فالتأويل: إرجاع الكلام إلى ما يحتمله من المعاني.

وقيل: التأويل مأخوذ من الإيالة، وهي السياسة، فكأن المؤوِّل ساس الكلام وضعه في موضعه... قال الزمخشري[4] :

«آلَ الرعيَّة يؤولها إِيَالَةً حَسَنَةً، وهو حسن الإِيالة، وائتالها، وهو مُؤْتَالٌ لقومه مِقْتَالٌ عليهم، أي: سائس محتكم، قال زياد في خطبته: قد أُلنا وإيل علينا، أي: سُسْنَا وسِسْنَا...».

وقد ورد لفظ التأويل في القرآن الكريم على معان مختلفة:

من ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ...﴾ [آل عمران: ٧]. بمعنى التفسير والتعيين.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] بمعنى العاقبة والمصير.

---

(١) التفسير والمفسرون ١/ ١٧.

(٢) القاموس المحيط ٣/ ٣٣١.

(٣) اللسان / مادة «أول» ١/ ١٧١ وما بعدها.

(٤) أساس البلاغة ص ٢٥ ط الشعب.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ. . . ﴾ [الأعراف: ٥٣] وقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ. . . ﴾ [يونس: ٣٩] بمعنى وقوع المخبر به.

ومن آيات سورة يوسف[١] أريد بها: نفس مدلول الرؤيا.

ومن آيتي سورة الكهف[٢] بمعنى بيان حقيقة الأعمال التي عملها العبد الصالح، وليس تأويل الأقوال[٣].

التأويل اصطلاحاً:

التأويل عند السلف له معنيان:

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، وبذلك يكون التأويل والتفسير مترادفين، وهذا ما يعنيه «ابن جرير الطبري» في تفسيره حين يقول: «القول في تأويل قوله تعالى. . .» وكذا قوله «اختلف أهل التأويل في هذه الآية. . . فالتفسير والتأويل كلاهما بمعنى.

ثانيهما: هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به.

وعليه:

فالتأويل هنا نفس الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبلة، فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا هو نفس طلوعها، وهذا في نظر «ابن تيمية» هو لغة القرآن التي نزل بها، وعلى هذا فيمكن إرجاع كل ما جاء في القرآن من لفظ التأويل إلى هذا المعنى الثاني[٤].

أما التأويل عند المتأخرين من الأصوليين والكلاميين وغيرهم:

فهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف[٥].

قال في جمع الجوامع[٦]:

---

(١) الآيات: ٦، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ١٠٠.
(٢) الآيتان: ٧٨، ٨٢.
(٣) راجع: التفسير والمفسرون ١/ ١٨، ١٩.
(٤) التفسير والمفسرون ١/ ١٩ (بتصرف وإيجاز).
(٥) راجع: التفسير والمفسرون ١/ ١٩.
(٦) ج ٢/ ٥٦، والتفسير والمفسرون ١/ ٢٠.

«التأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل عليه دليل فصحيح، أو لما يظن دليلاً من الواقع ففاسد، أو لا لشيء فلعب لا تأويل».

«الْفَرْقُ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ»

اختلف علماء «التفسير» في بيان الفرق بين التفسير والتأويل. ولعل منشأ هذا الخلاف «هو استعمال القرآن لكلمة التأويل، ثم ذهاب الأصوليين إلى اصطلاح خاص فيها، مع شيوع الكلمة على ألسنة المتكلمين من أصحاب المقالات والمذاهب»(١).

- ومن العلماء من ذهب إلى أنهما بمعنى واحد. . . ومن هؤلاء: «أبو عبيد القاسم بن سلام» وطائفة معه(٢).

- ومنهم من فرق بينهما:

يقول الراغب الأصفهاني(٣):

«التفسير أعم من التأويل. وأكثر ما يستعمل التفسير من الألفاظ، والتأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا.

والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل أكثره يستعمل في الجمل. فالتفسير إمّا أن يستعمل في غريب الألفاظ «كالبحيرة، والسائبة، والوصيلة»، أو في تبيين المراد وشرحه؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المزمل: ٢٠]، وإما في كلام مضمن بقصة لا يمكن تصوره إلا بمعرفتها؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

وأما التأويل: فإنه يستعمل مرة عامًا، ومرة خاصًا، نحو «الكفر» المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري خاصّة، و«الإيمان» المستعمل في التصديق المطلق تارة، وفي تصديق دين الحق تارة، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة، نحو لفظ «وجد» المستعمل في الجدة والوجد والوجود».

---

(١) التفسير. معالم حياة ـ ص ٦.

(٢) الإتقان ٢/١٧٣، التفسير والمفسرون ١/٢١ والإسرائيليات والموضوعات ٤٣.

(٣) التفسير والمفسرون ١/٢١، نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن / السيد خليل ص ٢٩، نقلاً عن: مقدمة التفسير للراغب ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ آخر كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار.

وقال «أبو طالب الثعلبي»[(١)]:

«التفسير: بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق، والصيِّب بالمطر. والتأويل: تفسير باطن اللفظ، مأخوذ من الأوّل، وهو الرجوع لعاقبة الأمر. فالتأويل: إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير: إخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل؛ مثاله: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤] تفسيره: أنه من الرصد، يقال: رصدته: إذا رقبته، والمرصاد: مفعال منه. وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله، والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه».

وقال «البغوي»[(٢)]:

«التأويل: هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.

والتفسير: هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها».

وقيل: «التفسير: ما يتعلق بالرواية، والتأويل: ما يتعلق بالدراية»[(٣)]؛ يقول الكافيجي[(٤)]:

«... إن علم التفسير علم يبحث فيه عن أحوال كلام الله المجيد من حيث إنه يدل على المراد بحسب الطاقة البشرية، وينقسم إلى قسمين:

تفسير: وهو ما لا يدرك إلا بالنقل أو السماع، أو بمشاهدة النزول وأسبابه، فهو ما يتعلق بالرواية؛ ولهذا قيل: إن التفسير للصحابة.

وتأويل: وهو ما يمكن إدراكه بقواعد العربية، فهو ما يتعلق بالدراية، ولهذا قيل: إن التأويل للفقهاء، فالقول من الأوّل بلا نقل أو سماع خطأ، وكذا القول من الثاني بمجرَّد التشهي، وأما استنباط المعاني على قانون اللغة فمما يعد فضلاً وكمالاً».

وقد رجح المرحوم الدكتور الذهبي هذا الرأي، وعلل ذلك بقوله[(٥)]:

«وذلك لأن التفسير معناه: الكشف والبيان. والكشف عن مراد الله تعالى لا نجزم به

---

(١) الإتقان ٢/١٧٣.
(٢) تفسير البغوي ١/١٨.
(٣) الإتقان ٢/١٧٣.
(٤) التيسير في قواعد التفسير ص ٣، ١١.
(٥) التفسير والمفسرون ١/٢٣.

إلا إذا ورد عن رسول الله ـ ﷺ ـ أو عن بعض أصحابه، الذين شهدوا نزول الوحي، وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وخالطوا رسول الله ـ ﷺ ـ ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم.

وأما التأويل: فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعاني من كل ذلك».

وهذا هو ما نميل إليه.

«حَاجَةُ النَّاسِ إِلَى التَّفْسِيرِ»

نزل القرآن الكريم لغرضين أساسيين:

أولهما: ليكون معجزة، فلا يقدر البشر على أن يأتوا بمثله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، ولا بسورة من مثله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

ثانيهما: ليكون منهج حياة، ودستوراً للمسلمين، فيه صلاحهم وفلاحهم؛ إذ تكفل بكل حاجاتهم من أمور الدين والدنيا، عقائد، وأخلاق، وعبادات، ومعاملات... إلخ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]. ففي اتباعه الهداية، وفي الإعراض عنه الشقاء والضنك؛ ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦].

وبه مخرج الأمة من أزماتها، ونجاتها من الفتن؛ يقول علي ـ كرم الله وجهه ـ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَتَكُونُ فِتَنٌ، فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ ـ ﷺ ـ: «كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلاَ يَخْلَقُ عَلَىٰ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ. مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ خَاصَمَ بِهِ أَفْلَحَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

ـ ولكي يكون معجزاً ويتأتى تحديه للبشر.

ـ ولكي يتأتى اتخاذه دستوراً ومنهج حياة.

ولكي يتدبر المؤمنون آياته(١).

ولكي يستطيع المسلمون العرب الانطلاق بالدعوة(٢)؛ لكل هذا جاء القرآن عربيًا.

وكان القوم ـ «عند نزوله ـ سواء من هو حجة له: من المؤمنين الصادقين، ومن هو حجة عليه، من الكافرين الجاحدين يفهمونه ويحيطون بمعانيه إفراداً وتركيباً، فيتلقون دعوته، ويدركون مواعظه، ويعون تحديه بالإعجاز بين مذعنين، يقولون: آمنا به، ومعاندين يلحدون في آياته، ويمعنون في معارضته كيداً وَليًا بألسنتهم وطعناً في الدين.

«فما كان منهم مَنْ تَعَذَّر عليه فهمه، ولا مَنْ خَفِيَتْ عليه مقاصده ومعانيه، بل كان وضوح معانيه، ويسر فهمه، هو الأصل فيما قام حوله من صراع بين مؤمن يجد فيه شفاء نفسه، وانشراح صدره، وكافر ينقبض لقوارع آياته فلا يزال يدفعها بالإعراض والمعارضة، والدفاع والمقارعة، وكان ذلك هو الأصل أيضاً في تكون الأمة المحمدية، وتولد التاريخ الإسلامي»(٣).

يقول «ابن خلدون»(٤):

«إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه».

وقد سبقه أبو عبيدة معمر بن المثنى حين قال(٥):

«إنما نزل القرآن بلسان عربي مبين... فلم يحتج السلف، ولا الذين أدركوا وحيه، إلى النبي ـ ﷺ ـ أن يسألوا عن معانيه، لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم عن المسألة عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص».

إلا أن هذا الإطلاق يعارضه قول عمر بن الخطاب للرسول ـ ﷺ ـ(٦):

---

(١) قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ...﴾ [ص: ٢٩].

(٢) قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ ...﴾.

(٣) التفسير ورجاله / محمد الفاضل ابن عاشور ص ٧ ـ ٨.

(٤) المقدمة ص ٣٦٧ ط الأزهرية سنة ١٩٣٠.

(٥) مجاز القرآن ـ ط ثانية ـ دار الفكر.

(٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٢٨٤ ط الحلبي تحقيق أبو الفضل، وقال الصيرفي: ولست أعرف إسناد هذا الحديث، وإن صح فقد دل على أن النبي ﷺ قد عرف ألسنة العرب.

«يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَأْتِينَا بِكَلَامٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَمَا نَعْرِفُهُ وَلَنَحْنُ الْعَرَبُ حَقًّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: «إِنَّ رَبِّي عَلَّمَنِي فَتَعَلَّمْتُ، وَأَدَّبَنِي فَتَأَدَّبْتُ».

كما يعارضه صريح القرآن؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

نعم، إن هناك ألفاظاً لم تستطع بعض القبائل العربية معرفتها، ربما لعدم استعمالهم لها، أو لاحتمال اللفظ عدة معانٍ، وكذا بعض آيات أشكل عليهم فهم معناها، وذلك كسؤالهم النبي ـ ﷺ ـ لما نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] فقالوا: وأينا لم يظلم؟ وفزعوا إلى النبي ـ ﷺ ـ فبيّن لهم أن المراد بالظلم الشرك؛ واستدلَّ عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ولو صح ما ذهب إليه ابن خلدون وأبو عبيدة، لما كانت حاجة الصحابة إلى تفسير الرسول ـ ﷺ ـ لكن تفسير الرسول للقرآن قد ورد في الأحاديث الصحيحة، بياناً لمعنى لفظ، أو توضيحاً لمشكل، أو تأكيداً لحكم، أو تفصيلاً لمجمل، أو تخصيصاً لعامٍّ، أو تقييداً لمطلق. . . إلخ.

وكان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ حراصاً على حفظ القرآن، وفهم معانيه، وفقه أحكامه.

قال أبو عبد الرحمن السُّلمي:

حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ـ ﷺ ـ عشر آيات، لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: «فتعلمنا القرآن، والعلم، والعمل جميعاً».

وإذا كان العرب الخُلَّصُ الذين لم تعكر عربيتهم عجمة ـ يحتاجون إلى التفسير، فنحن أولى وأحوج، بل وأشد حاجة إلى تفسير القرآن الكريم؛ إذ صار البون بعيداً بين العرب والفصحى. . .

يقول السيوطي[1]:

«ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه، وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه

---

(١) الإتقان للسيوطي ٢/ ٣٣٠ والبرهان للزركشي ١/ ١٤.
(٢) الإتقان ٢/٢٩٦ ـ ٢٩٧.

من أحكام الظواهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد احتياجاً إلى التفسير».

والحاجة إلى التفسير «إنما هي حاجة عارضة نشأت من سببين:

السبب الأول: هو أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة، وإنما كان نزوله وتبليغه في ظرف زمني متسع جِدًّا: قدره أكثر من عشرين عاماً، فكان ينزل منجماً على أجزاء مع فواصل زمنية متراخية بين تلك الأجزاء، وكان نزوله في تقدم بعض أجزائه وتأخر البعض الآخر، على ترتيب يختلف عن ترتيبه التعبدي؛ لأن ترتيب تاريخ النزول كان منظوراً فيه إلى مناسبة الظروف والوقائع، مناسبة ترجع إلى ركن من أركان مطابقة الكلام لمقتضى الحال. وترتيب التلاوة أو الترتيب التعبدي، كان منظوراً فيه إلى تسلسل المعاني وتناسب أجزاء الكلام بعضها مع بعض... والترتيب الأول مؤقت زائل بزوال ملابساته من الوقائع والأزمنة والأمكنة.

أما ترتيب التلاوة التعبدي فباق؛ لأنه في ذات الكلام، يدركه كل واقف عليه وتالٍ له من الأجيال المتعاقبة، بينما الترتيب التاريخي لا يدركه إلا شاهد العيان لتلك الملابسات من الجيل الذي كان معاصراً لنزول القرآن... وكان انقراض تلك الملابسات الوقتية محوجاً إلى معرفتها معرفة نقلية تصوُّرية؛ ليتمكن الآتون من استعمال القرائن والأحوال، التي اهتدى بها إلى معاني التراكيب القرآنية سابقوهم.

وأما السبب الثاني: فهو أن دلالات القرآن الأصلية، التي هي واضحة بوضوح ما يقتضيه من الألفاظ والتراكيب ـ تتبعها معانٍ تكون دلالة التراكيب عليها محل إجمال أو محل إبهام؛ إذ يكون الترتيب صالحاً على الترديد لمعان متباينة، يتصور فيها معناه الأصلي، ولا يتبين المراد منها؛ كأن يقع التعبير عن ذاتٍ بإحدى صفاتها، أو يكنى عن حقيقة بإحدى خَوَاصِّهَا، أو أحد لوازمها... فينشأ عن ذلك إجمال يتطلب بياناً، أو إبهام يتطلب تعييناً... ولما كان الذين اتصلوا أولاً بتلك المجملات أو المبهمات أو المطلقات قد رجعوا إلى المبلِّغ ـ ﷺ ـ في طلب بيانها أو تعيينها أو تقييدها، فتلقوا عندما أفادهم، فاطلعوا بأن الذين أتوا بعدهم احتاجوا إلى معرفة تلك الأمور المأثورة عن النبي ـ ﷺ لتتضح لهم تلك المعاني كما اتضحت لمن قبلهم...»[1].

وَبِذَا تبين أن التفسير نشأ منذ بدء الوحي؛ إذ احتاج إليه الصحابة، ثم زادت حاجة

---

(١) التفسير ورجاله من ١٠ ـ ١٣.

التابعين إلى التفسير، ولا سيما ما رآه الصحابة وسمعوه من الرسول ـ ﷺ ـ ولم يتمكنوا هم من رؤيته ولا سماعه... ثم اشتدت حاجة تابعي التابعين.

وهكذا كلما بَعُدَ الناس عن عصر نزوله، زادَتِ الحاجةُ إلى التفسير بمقدار ما زاد من غموض[١].

فَهْمُ الصَّحَابَةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

نزل القرآن عربيًا على رسول عربي، وقوم عرب؛ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ... ﴾ [الجمعة: ٢]، فكانوا أخبر بلغتهم، وفهموا القرآن حق فهمه، وقد يشكل عليهم فهم آية منه فيرجعون إلى القرآن نفسه، فقد يجدون فيه توضيحاً أو تفصيلاً؛ وإلا رجعوا إلى النبي ـ ﷺ ـ ليفسر لهم ما أشكل عليهم...

وكان الصحابة يجتهدون في فهم القرآن الكريم مستعينين على ذلك بـ[٢]:

١ ـ معرفة أوضاع اللغة وأسرارها.

٢ ـ معرفة عادات العرب.

٣ ـ معرفة أحوال اليهود والنصارى في الجزيرة وقت نزول القرآن.

٤ ـ قوة الفهم وسعة الإدراك.

وبدهي أن يتفاوت الصحابة في توافر هذه الأدوات عندهم، وبالتالي في فهم القرآن الكريم، فلم يكونوا جميعاً في مرتبة واحدة، ومن هنا كان الاختلاف اليسير بينهم في تفسير القرآن الكريم.

ومن ذلك:

ـ ما روي من أن الصحابة فرحوا حين نزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٥]؛ لظنهم أنها مجرد إخبار وبُشْرَىٰ بكمال الدين، ولكن عمر بَكَىٰ وقال: ما بعد الكمال إلا النقص، مستشعراً نَعْيَ النبي ـ ﷺ ـ وقد كان مصيباً في ذلك؛ إذ لم يعش النبي ﷺ بعدها إلا أحداً وثمانين يوماً؛ كما روي[٣].

ـ وفيه ما رواه البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال[٤]:

---

(١) راجع التفسير والمفسرون / للذهبي ١/١٠١ ـ ١٠٢.

(٢) راجع التفسير والمفسرون ١/٥٩ وما بعدها.

(٣) الموافقات للشاطبي ج ٣/٣٨٤، التفسير والمفسرون ١/٦١، ٦٢.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/٥١٩،/ باب التفسير.

«كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه وقال: لم يدخل هذا معنا، وإن لنا أبناء مثله؟!

فقال عمر: إنه من أعلمكم، فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني فيهم إلا ليريهم، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ①﴾ [النصر: ١].

فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره؛ إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم ولم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟

فقلت: لا، فقال: ما تقول؟

قلت: هو أَجَلُ رسولِ اللّهِ ـ ﷺ ـ أَعْلَمَهُ اللّهُ له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ①﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ③﴾ فقال عمر: لا أعلَمُ منها إلا ما تقول».

ـ وقال ابن عباس[١]:

«كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]؟ حتَّىٰ أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُهَا، يقول: أنا ابتدأتها».

أَشْهَرُ مُفَسِّرِي الْقُرْآنِ مِنَ الصَّحَابَةِ

عد السيوطي عدداً من مفسّري القرآن من الصحابة؟ ذَكَرَ منهم:

الخلفاء الأربعة، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبا موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، رضي الله عنهم.

أما الخلفاء الثلاثة الأول فالرواية عنهم في التفسير قليلة جِدًّا، وذلك بسبب تقدُّم وفاتهم، ولانشغالهم بمهام الخلافة[٢].

١ ـ علي بن أبي طالب:

وأما علي ـ كرم الله وجهه ـ فهو أكثرهم تفسيراً للقرآن؛ وذلك لأنه لم يشغل بالخلافة، وإنما كان متفرغاً للعلم حتى نهاية عصر عثمان.

وكثرة مرافقته للرسول ـ ﷺ ـ وسكناه معه، وزواجه من ابنته فاطمة، إلى جانب ما

---

(١) الإتقان ٢/١١٣.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في التفسير ٨٤، والتفسير والمفسرون للذهبي ١/٦٤، ٦٥.

حباه الله من الفطرة السليمة. . . كل ذلك أورثه العلم الغزير، حتى قالت عائشة، رضي الله عنها[1]: «أَمَا إِنَّهُ لأَعْلَمُ النَّاسِ بِالسُّنَّةِ» في زمن كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ متوافرين.

وروى معمر، عن وهب بن عبد الله، عن أبي الطفيل، قال: «شهدت عليًّا يخطب وهو يقول: سَلُونِي، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم: أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل».

وقيل لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من عليّ؟

قال: لا، والله لا أعلمه.

وقال ابن مسعود: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب عنده من الظاهر والباطن»[2].

نموذج من تفسير علي ـ رضي الله عنه ـ للقرآن:

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان عظماً، ازداد ذلك البياض، حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب، فكلما ازداد النفاق، ازداد بذلك السواد، حتى يسود القلب كله، وايم الله، لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود[3].

٢ ـ عبد الله بن مسعود:

هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح، وقيل: «شمخ». . . ينتهي نسبه إلى مضر، يكنى بأبي عبد الرحمن، وأمه: أم عبد بنت عبد ود، من هذيل، وكان يقال له: ابن أم عبد.

أسلم قديماً قبل عمر بن الخطاب، وكان سبب إسلامه: حين مَرَّ به رسول الله ـ ﷺ ـ وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وهو يرعى غنماً، فسألاه لبناً فقال: إني مؤتمنٌ، قال: فأخذ رسول الله ـ ﷺ ـ عناقاً لم ينز عليها الفحل، فاعتقلها، ثم حلب وشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلص، فقلص، فقلت: علمني من هذا الدعاء، فقال: إنك غلام معلم. . . الحديث[4].

---

(١) الاستيعاب ٣/ ١١٠٤، أسد الغابة ٤/ ٢٩.
(٢) راجع الإتقان ٢/ ٣١٩.
(٣) تفسير البغوي ـ ط المنار ٤/ ٢٧٣.
(٤) البداية والنهاية ٧/ ١٦٩، أسد الغابة ٣/ ٢٥٦ ـ ٢٦٠.

كان عبد الله من أحفظ الصحابة لكتاب الله وأقرئهم له، وكان ـ ﷺ ـ يَطْلُبُ مِنهُ أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ يَوْماً: اَقْرَأْ عَلَيَّ سُورَةَ النِّسَاءِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، يَقُولُ: فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] فَاضَتْ عَيْنَاهُ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ[1].

وكان ـ ﷺ ـ يقول:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْباً كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ٱبْنِ أُمِّ عَبْدٍ»[2] وكان ابن مسعود حريصاً على فهم القرآن الكريم، يروي الطبري وغيره عن ابن مسعود أنه قال:

«كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»، وعن مسروق قال[3]: قال عبد الله بن مسعود:

«والذي لا إله غيره مَا نَزَلَتْ آيَةٌ من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل، لركبت إليه».

وطرق الرواية عن ابن مسعود متعدِّدة، وأصح هذه الطرق ما جاء من[4]:

١ ـ طريق الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود.

٢ ـ طريق مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود.

٣ ـ طريق الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود... وهذه الطرق الثلاثة أخرج منها البخاري في «صحيحه».

وهناك طرق أخرى كـ:

ـ طريق السدي الكبير، عن مرة الهمذاني، عن ابن مسعود. أخرج منها الحاكم في «مستدركه» وابن جرير في «تفسيره» ـ كثيراً.

ـ طريق أبي روق، عن الضحاك، عن ابن مسعود. وهي طريق غير مرضيَّة، أخرج منها ابن جرير في «تفسيره» أيضاً، وهي منقطعة؛ لأن الضحاك لم يلق ابن مسعود.

وكان لابن مسعود تلاميذ كثيرون في الكوفة، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ لما ولي

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ١٦٩.

(٢) مسند الإمام أحمد ١/ ٧.

(٣) صحيح البخاري ـ كتاب الفضائل / باب مناقب عبد الله بن مسعود.

(٤) التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ٨٧، ٨٨.

عَمَّار بن ياسر على الكوفة، سير معه عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، فجلس الكوفيون إليه وتعلموا منه.

ويقول العلماء:

إن ابن مسعود هو الذي وضع الأساس لطريقة الاستدلال، وقد أثرت هذه الطريقة في مدرسة التفسير، فكثر التفسير بالرأي والاجتهاد[١]. وسوف يأتي ذكر تلاميذه عند حديثنا عن تفسير التابعين.

٣ ـ أبي بن كعب:

هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، سيد القراء[٢]. كنيته: أبو المنذر، أو أبو الطفيل.

شهد بيعة العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ـ ﷺ ـ.

وهو أحد المشهورين بحفظ القرآن من الصحابة، وبإقرائه، قال فيه عمر بن الخطاب «أُبَيٌّ أَقْرَؤُنَا»[٣].

وهو أحد الذين تَلْمَذَ عليهم «ابن عباس»؛ يقول ابن عباس[٤]:

«ما حدثني أحد قط حديثاً فاستفهمته، فلقد كنت آتي باب أبي بن كعب وهو نائم، فأقيل على بابه، ولو علم بمكاني لأحب أن يوقظ؛ لمكاني من رسول الله ـ ﷺ ـ ولكني أكره أن أمله».

كان أبي يكتب في مصحفه أشياء ليست من القرآن الكريم مما يعد شرحاً، أو تفسيراً، أو سبباً لنزول، أو مما نسخ، وكان يقول: لا أَدَعُ شيئاً سمعته من رسول الله ـ ﷺ ـ[٥]. فمن ذلك مثلاً: دعاء القنوت[٦].

وكان من أعلم الصحابة بكتاب الله وذلك لعدة عوامل:

* أنه كان من كُتَّاب الوحي للرسول ـ ﷺ ـ.

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٢٠.
(٢) تهذيب التهذيب ١/ ١٨٧، غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣١. أسد الغابة ١/ ٤٩ ـ ٥١.
(٣) رواه البخاري، وانظر طبقات القراء للذهبي ٦/ ٦٢٩ وكذا شهد له النبي ﷺ.
(٤) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٧١.
(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٢٨.
(٦) راجع الإتقان ١/ ٦٦.

* أنه كان حبراً من أحبار اليهود العارفين بأسرار الكتب القديمة وما ورد فيها.

وقد تعددت طرق الرواية عنه وأشهر هذه الطرق:

١ ـ طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبَيّ، وهي طريق صحيحة، أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً، وأخرج الحاكم منها في «مستدركه»، والإمام أحمد في «مسنده».

٢ ـ طريق وكيع، عن سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عَقِيلٍ، عن الطُّفَيْل بن أبي بن كعب، عن أبيه، وهذه يخرج منها الإمام أحمد في «مسنده»، وهي على شرط الحسن[١].

وتلاميذ أبيّ كثيرون منهم: أبو العالية، وزيد بن أسلم، ومحمد بن كعب القرظي، وغيرهم. ويعد أبي بن كعب أستاذ مدرسة التفسير في المدينة.

٤ ـ عبد الله بن عباس:[٢]

هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم... يلتقي مع الرسول ـ ﷺ ـ في الجد الأول (عبد المطلب)، فهو ابن عم رسول الله.

ولد إبان المقاطعة الاقتصادية التي فرضتها قريش على بني المطلب، أي: قبل الهجرة بثلاث سنوات.

لازم ابن عباس رسول الله ـ ﷺ ـ لكن الرسول توفي، ولابن عباس من العمر ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة سنة.

وقد حظي ابن عباس بدعوة رسول الله له حين قال ـ ﷺ ـ: «اللَّهُمَّ، عَلِّمْهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»، وفي رواية: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ».

واستجيبت دعوة الرسول ـ ﷺ ـ فكان عبد الله بن عباس «ترجمان القرآن»؛ يقول ابن مسعود:

«نعم ترجمان القرآن ابن عباس»، وذلك لبراعته في التفسير؛ كما لقب بالحبر، لغزارة علمه، وبالبحر كذلك.

وإذا كان ابن عباس قد فاته طول الصحبة للرسول ـ ﷺ ـ فقد استعاض عن ذلك بملازمة كبار الصحابة، يسألهم، ويتعرَّف أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك.

---

(١) راجع التفسير والمفسرون ١/٩٢، ٩٣.

(٢) بعض الكتب التي تترجم للمفسرين من الصحابة تقدم ابن عباس على سائر الصحابة لتفوقه في هذا العلم، وبعضها ترجئه بعد الثلاثة السابقين لتقدمهم في السن عليه وحداثته بينهم.

يقول ابن عباس:[١]

«لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ـ ﷺ ـ اللتين قال الله فيهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ . . . ﴾ [التحريم: ٤]، لم أزل أتلطف له حتى عرفتُ أنهما حفصة وعائشة».

ويقول:

«وجدت عامة حديث رسول الله ـ ﷺ ـ عند الأنصار، فإني كنت لآتي الرجل فأجده نائماً، لو شئت أن يوقظ لي لأوقظ، فأجلس على بابه تَسْفِي على وجهي الريح، حتى يستيقظ متى ما استيقظ، وأسأله عما أريد ثم أنصرف».

لقد أخذ ابن عباس العلم عن رسول الله ـ ﷺ ـ أولاً؛ فكان الرسول يعلمه ويربيه؛ قال له يوماً:

«يا غُلاَمُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: ٱحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، ٱحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَٱسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا ٱسْتَعَنْتَ فَٱسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَٱعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ ٱجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنِ ٱجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

وفي خلافة عمر كان لابن عباس تقدير خاصٌ عنده، فكان يدنيه من مجلسه رغم حداثة سنة ـ كما ذكرنا.

وقد أفاد ابن عباس من هؤلاء الذين يعدون بمثابة شيوخه: عمر بن الخطاب، أبي بن كعب، علي بن أبي طالب، زيد بن ثابت.

روى عبد الرزَّاق عن معمر قال[٢]:

«عامة علم ابن عباس من ثلاثة: عمر، وعلي، وأبي بن كعب».

وذكر ابن الأثير الجزريُّ في ترجمة ابن عباس أنه[٣] «حفظ المحكم في زمن النبيِّ ﷺ، ثم عرض القرآن على أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وقيل: إنه قرأ على علي بن أبي طالب رضي الله عنه».

---

(١) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي ١/ ٢٢.
(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٤١.
(٣) طبقات القراء ٤٢٥.

لقد أوتي ابن عباس علماً غزيراً جعله أبرز المفسرين وأتمهم اضطلاعاً بالتفسير حتى إنه «لم يبق عند منتصف القرن الأول من الهجرة من بين الصحابة وغيرهم إلا مذعن لابن عباس، مسلّم له مقدرته الموفقة، وموهبته العجيبة، وعلمه الواسع في تفسير القرآن»[1].

لقد امتلك ابن عباس أدوات المفسِّر؛ فكان عالماً بأسرار العربية يحفظ الكثير من الشعر القديم، ويحثُّ الناس على النظر فيه قائلاً[2]:

«إذا تعاجم شيء من القرآن، فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربي».

وهو القائل[3]:

«الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه».

وقد ذكر السيوطي بسنده حواراً دار بين نافع بن الأزرق وابن عباس، فقال[4]:

بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة، قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه، فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بمصادقه من كلام العرب؛ فإن الله تعالَىٰ إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فقال نافع:

أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المعارج: ٣٧].

قال: العزون: حَلَق الرفاق.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم. أما سمعتَ عَبِيدَ بن الأبرص، وهو يقول: [من الوافر]

فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّىٰ ... يَكُونُوا حَوْلَ مِنْبَرِهِ عِزِينَا

قال: أخبرني عن قوله: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

قال: الوسيلة: الحاجة.

---

(١) التفسير ورجاله / ابن عاشور ص ١٦.
(٢) التفسير ورجاله / ابن عاشور ص ١٧.
(٣) الإتقان ١/١١٩، غاية النهاية في طبقات القراء ٤٢٦.
(٤) الإتقان ١/١٢٠.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم. أما سمعت عنترة وهو يقول: [من الكامل]

إنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكِ وَسِيلَةٌ   إِنْ يَأْخُذُوكِ تَكَحَّلِي وَتَخَضَّبِي

إلى آخر المسائل وأجوبتها[1].

وهي إن دلت فإنما تدل على سعة علمه بلغة العرب، وقوة ذاكرته؛ مما جعله إمام التفسير في عهد الصحابة، ومرجع المفسِّرين في الأعصر التالية لعصره، وهو إمام مدرسة التفسير في مكة، وأول من ابتدع الطريقة اللغوية في تفسير القرآن.

طرق الرواية عن ابن عباس:

تعددت طرق الرواية عن ابن عباس، واختلفت تلك الطرق... وأشهر هذه الطرق وأصحُّها[2]:

١ ـ طريق الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، وتعد هذه الطريق من السلاسل الذهبية، وقد أخرج منها ابن جرير الطبري، وعبد الرزَّاق في «تفسيريهما».

٢ ـ طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء بن أبي رباح ـ وعن عكرمة أحياناً ـ عن ابن عباس، وقد أخرج منها عبد الرزاق في «تفسيره».

٣ ـ طريق معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس... وقالوا:

إن هذه أجود الطرق عنه، وفيها قال الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ: «إن بمصر صحيفةً في التفسير رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً».

وقال الحافظ ابن حجر:

«وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهي عند البخاري عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في «صحيحه» فيما يعلقه عن ابن عباس».

٤ ـ طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

---

(١) راجعها في الإتقان ١/ ١٢٠ وما بعدها.

(٢) راجع: الإتقان ٢/ ١٨٨، التفسير والمفسرون ١/ ٧٧، ٨٨، حبر الأمة عبد الله بن عباس ص ١٨٢.

وهناك طرق أخرى تلي هذه الطرق. . . [1].

وكان لابن عباس مدرسة في التفسير بمكة، فكان يجلس لأصحابه من التابعين يفسر لهم كتاب الله تعالى.

يقول الإمام ابن تيمية:

«أما التفسير، فأعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس؛ كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم من أصحاب ابن عباس؛ كطاوس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير، وأمثالهم. . .» [2].

قِيمَةُ التَّفْسِيرِ الْمَأْثُورِ عَنِ الصَّحَابَةِ

بعض المحدّثين يعطي التفسير المأثور عن الصحابي حكم المرفوع، ومن هؤلاء الإمام الحاكم في «مستدركه»؛ إذ يقول [3]:

«ليعلم طالب الحديث: أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل ـ عند الشيخين ـ حديث مسند».

ولكن قيد «ابن الصلاح، والنووي» وغيرهما هذا الإطلاق بما يرجع إلى أسباب النزول، وما لا مجال للرأي فيه.

يقول ابن الصلاح [4]:

«ما قيل من أن تفسير الصحابي حديث مسند؛ فإنما ذلك في تفسير يتعلَّق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي، أو نحو ذلك مما لا يمكن أن يؤخذ إلا عن النبي ـ ﷺ ـ ولا مدخل للرأي فيه؛ كقول جابر ـ رضي الله عنه ـ: كانت اليهود تقول: من أتى امرأة من دبرها في قبلها، جاء الولد أحول، فأنزل الله عز وجل: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ. . . ﴾ الآية [البقرة: ٢٢٣] فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى الرسول ـ ﷺ ـ فمعدودة في الموقوفات».

وذكروا أن تفسير الصحابي له حكم المرفوع، إذا لم يكن للرأي فيه مجال، وأما ما يكون للرأي فيه مجال، فله حكم الموقوف.

---

(١) راجع: حبر الأمة عبد الله بن عباس ١٤٦ وما بعدها.

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ١٥.

(٣) راجع: تدريب الراوي ص ٦٤، التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ٩٤.

(٤) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٤.

وما حكم عليه بالوقف:

قال بعض العلماء: لا يجب الأخذ به؛ لأنه مجتهد فيه، وقد يصيب وقد يخطىء.

وقال بعضهم: يجب الأخذ به؛ لأنه: إما سمعه من الرسول، وإما فسره برأيه، وهم أدرى الناس بكتاب الله، وهم أهل اللسان، ولما شاهدوه من القرائن والأحوال، ولا سيما ما ورد عن الأئمة الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وغيرهم[1].

يقول الزركشي[2]:

«اعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل، وقسم لم يرد. والأول: إما أن يرد عن النبي ﷺ، أو الصحابة، أو رُءُوس التابعين، فالأول: يبحث فيه عن صحة السند، والثاني: ينظر فيه تفسير الصحابي: فإن فسره من حيث اللغة، فهم أهل اللسان؛ فلا شك في اعتماده، أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن، فلا شك فيه...».

ويقول الحافظ ابن كثير[3]:

«... وحينئذٍ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التامِّ والعلم الصحيح، والعمل الصالح، ولا سيما علماؤهم وكبراؤهم؛ كالأئمة الأربعة، والخلفاء الراشدين، والأئمَّة المهديِّين، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم».

مَدْرَسَةُ مَكَّةَ

تَلامِيذُ ابْنِ عَبَّاسٍ

١ ـ سعيد بن جبير:

هو[4]: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، مولى بني والبة، يكنى بأبي محمد[5]، أو بأبي عبد الله[6]. كان حبشي الأصل، أسود اللون، أبيض الخصال[7].

---

(١) التفسير والمفسرون ص ٩٥ (بتصرف).

(٢) البرهان ٢/ ١٨٣.

(٣) مقدمة تفسير ابن كثير / الجزء الأول.

(٤) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٦، تقريب التهذيب ١/ ٢٩٢، وفيات الأعيان ١/ ٢٠٤، تهذيب التهذيب ٤/ ١١، البداية والنهاية ٩/ ١٠٣، الأعلام ٣/ ١٤٥.

(٥) (٦) طبقات ابن سعد، والبداية والنهاية وغيرهما.

(٧) التفسير والمفسرون ١/ ١٠٤.

هو أحد كبار التابعين، وإمام من أئمة الإسلام في التفسير، وكثرة العمل الصالح.

كان في أول أمره كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود، ثم لأبي بردة الأشعري، ثم تفرغ للعلم حتى صار إماماً علماً[1].

أخذ العلم عن ابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن مغفَّل المزني، وغيرهم. وتخرَّج في مدرسة ابن عباس[2].

وكان ابن عباس يثق بعلمه، ويحيل عليه من يستفتيه، وكان يقول لأهل الكوفة إذا أتوه ليسألوه عن شيء: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟! يعني: سعيد بن جبير[3].

وكان يحب أن يسمع منه، قال له مرة: حَدِّث، فقال: أُحَدِّثُ وأنت هنا؟! فقال: أليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد فإن أصبتَ فذاك، وإن أخطأتَ علمتُكَ[4].

مكانته في التفسير: كان ـ رضي الله عنه ـ من أعلم التابعين بالقراءات؛ يقول إسماعيل بن عبد الملك[5]: «كان سعيد بن جبير يَؤُمُّنَا في شهر رمضان، فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود، وليلة بقراءة زيد بن ثابت، وليلة بقراءة غيره، وهكذا أبداً».

وساعدته معرفته بالقراءات على معرفة معاني القرآن وأسراره، ومع ذلك كان يتورَّع من القول في التفسير برأيه.

يروي ابن خلكان[6]: «أن رجلاً سأل سعيداً أن يكتب له تفسير القرآن، فغضب، وقال: لأَنْ يسقط شِقِّي أحبُّ إليَّ من ذلك».

وقد شهد له التابعون بتفوُّقه في العلم، ولا سيما التفسير، قال قتادة[7]: «وكان أعلم الناس أربعة: كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بالسير، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام».

وقال سفيان الثوري[8]: «خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبير، ومجاهد بن جَبْر،

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات ٩٥.
(٢) الإسرائيليات والموضوعات ٩٥.
(٣) التفسير والمفسرون ١/١٠٥.
(٤) طبقات ابن سعد ٦/٢٥٧، ووفيات الأعيان ١/٢٠٤.
(٥) وفيات الأعيان ١/٢٠٤.
(٦) وفيات الأعيان ١/٢٠٤ ـ ٢٠٥.
(٧) الإسرائيليات والموضوعات ٩٥.
(٨) الإسرائيليات والموضوعات ص ٩٥.

وعكرمة، والضحاك». وقال خُصَيْف[1]: «كان من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيِّب، وبالحج عطاء، وبالحلال والحرام طاوس، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جَبْر، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جُبَيْر».

نموذج من تفسيره: قال سعيد بن جبير: السبع المثاني هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، قال: وسميت بذلك؛ لأنها بينت فيها الفرائض والحدود[2].

قتله:

قتل ـ رضي الله عنه ـ سنة أربع وتسعين من الهجرة، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي صَبْراً، وذلك: أن سعيد بن جبير خرج على الخليفة مع ابن الأشعث، فلما قتل ابن الأشعث، وانهزم أصحابه من «دير الجماجم»، هرب سعيد، فلحق بمكة، وكان واليها خالد بن عبد الله القَسْرِيّ، فأخذه وبعث به إلى الحَجَّاج.

فقال له الحجاج: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير.

قال: بل أنت شقي بن كسير. قال: بل أمي كانت أعلم باسمي منك.

قال: شقيت أنت، وشقيت أمك. قال: الغيب يعلمه غيرك.

قال: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظّىٰ. قال: لو علمت أن ذلك بيدك، لاتخذتك إلٰهاً.

قال: فما قولك في محمد؟. قال: نبي الرحمة وإمام الهدى.

قال: فما قولك في علي؟ أهو في الجنة أو هو في النار؟. قال: لو دخلتها وعرفتُ مَنْ فيها عرفْتُ أهلها.

قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل.

قال: فأيهم أعجب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقهم.

قال: وأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم.

قال: فما بالك لم تضحك؟ قال: وكيف يضحك مخلوق خلق من طين، والطين تأكله النار؟!

قال: فما بالنا نضحك؟ قال: لم تستو القلوب.

ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت، فجمعه بين يديه، فقال سعيد: إن كنتَ جمعتَ هذا لتتقي به مِنْ فَزَعِ يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٣٣، ٣٤.

أرضعت، ولا خير في شيء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا، ثم دعا الحجاج بالعود والناي، فلما ضرب بالعود، ونفخ بالناي ـ بكى سعيد، فقال: ما يبكيك أهو اللعب؟ قال سعيد: هو الحزن، أما النفخ فذكرني يوماً عظيماً، يوم النفخ في الصور، وأما العود فشجرة قطعت من غير حق، وأما الأوتار فمن الشاه تبعث معها يوم القيامة.

قال الحجاج: ويلك يا سعيد!! قال: لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة.

قال الحجاج: اختر يا سعيد أيَّ قتلة أقتلك.

قال: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة.

قال: أفتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عُذْرَ.

قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه، فلما خرج ضَحِكَ، فأخبر الحجاج بذلك فرده، وقال: ما أَضْحَكَكَ؟ قال: عجبت من جرأتك على الله، وحِلْمِ الله عليك.

فأمر بالنطع فبسط، وقال: اقتلوه. فقال سعيد: وجهتُ وَجْهِيَ للذي فطر السموات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركين.

قال: وجهوا به لغير القبلة. قال سعيد: فأينما تولوا فثم وجه الله.

قال: كبوه لوجهه. قال سعيد: منها خلقناكم، وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخرى.

قال الحجاج: اذبحوه. قال سعيد: أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة، ثم دَعَا سعيد فقال: اللهم لا تسلِّطْهُ علَىٰ أحدٍ يقتله بعدي.

وكان الحجاج إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامِعِ ثوبه، ويقول: يا عَدُوَّ الله، فيم قتلتني؟!

فيقول الحجاج: ما لي ولسعيد بن جبير؟! ما لي ولسعيد بن جبير؟![1].

ذكر عن الإمام أحمد أنه قال[2]: قتل سعيد بن جبير، وما على وجه الأرض أَحَدٌ إلا وهو محتاج ـ أو قال: مفتقر ـ إلى علمه.

---

(١) انظر وفيات الأعيان ١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦، تذكرة الحفاظ ٧١ ـ ٧٣، البداية والنهاية ٩/ ١٠١ ـ ١٠٣.
(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٦٦، وفيات الأعيان ١/ ٢٠٦، الأعلام ٣/ ١٤٥.

٢ ـ مجاهد بن جَبْرٍ:

هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج القرشي، المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي. ولد سنة ٢١هـ في خلافة عمر بن الخطاب، وتوفي سنة ١٠٣هـ[١].

أحد أئمة التابعين والمفسرين، وأحد أعلام القراء، ومن خاصَّة أصحاب ابن عباس، اشتهر بقوة حافظته، حتى قال ابن عمر وهو آخذ بركابه:

«وددت أن ابني سالماً وغلامي نافعاً يحفظان حفظك»[٢].

كان مجاهد شغوفاً بالعلم وخاصَّة التفسير. روى الفضل بن ميمون عن مجاهد، قال[٣]: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة.

ويقول أيضاً[٤]: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية، أسأله فيم نزلت، وكيف كانت؟

ولا تعارض بين الروايتين، فالأولى لتمام الضبط والتجويد، والثانية للعلم والتفسير.

أسند مجاهد عن أعلام الصحابة وعلمائهم: عن ابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وابن عمرو، وأبي سعيد، ورافع بن خَدِيجٍ... وروى عنه خلق من التابعين[٥].

مكانته في التفسير: كان مجاهد أقل أصحاب ابن عباس روايةً عنه في التفسير، وكان أوثقهم.

قال سفيان الثوري[٦]: «إذا جاءك التفسير عن مجاهد، فَحَسْبُكَ به».

وقال ابن تيمية[٧]: «ولذا يعتمد على تفسيره الشافعيُّ والبخاريُّ وغيرهما من أهل العلم» غير أن بعض العلماء كان لا يأخذ بتفسيره؛ يقول أبو بكر بن عياش: قلت للأعمش، ما بال تفسير مجاهد مخالف؟ أو: ما بالهم يتقون تفسير مجاهد؟

قال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب[٨].

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/٤٤٦، تهذيب التهذيب ١٠/٤٢، البداية والنهاية ٩/٢٣٢.
(٢)، (٣) ميزان الاعتدال ٣/٩.
(٤) تهذيب التهذيب ١٠/٤٢.
(٥) البداية والنهاية ٩/٢٣٢.
(٦) تفسير الطبري ١/٣٠.
(٧) مقدمة في أصول التفسير ص ٧ لابن تيمية.
(٨) طبقات ابن سعد ٥/٤٦٦، ميزان الاعتدال ٣/٣٣٩.

لكن هذا لا يقدح في صدقه وعدالته، فقد «أجمعت الأمة على إمامته والاحتجاج به؛ وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة».

ثم إن سؤال أهل الكتاب أمر مباح ـ فيما لا يتعلق بحكم تشريعي ـ أباحه الرسول ﷺ[1].

كان مجاهد ـ رضي الله عنه ـ يعطي عقله حرية واسعة في فهم بعض نصوص القرآن التي يبدو ظاهرها بعيداً، فإذا ما مَرَّ بنص قرآني من هذا القبيل، وجدناه ينزله بكل صراحه ووضوح على التشبيه والتمثيل، وتلك الخطة كانت فيما بعد مَبْدَأً معترفاً به ومقرراً لدى المعتزلة في تفسير القرآن بالنسبة لمثل هذه النصوص»[2].

نموذج من تفسير مجاهد: روى ابن كثير أن مجاهداً قال في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] قال: أما الظاهرة: فالإسلام والقرآن والرسول والرزق، وأما الباطنة: فما ستر من العيوب والذنوب[3].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] قال: من لم يتب إذا أصبح وإذا أمسى، فهو من الظالمين[4].

٣ ـ عكرمة:

هو: عكرمة بن عبد الله البربري المدني، مولى عبد الله بن عباس، يكنى بأبي عبد الله، أصله من البربر بالمغرب[5].

سمع من مولاه ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وعمرو بن العاص، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وغيرهم[6].

تَلْمَذَ عَلَىٰ يَدَيْ عبد الله بن عباس، وكان ابن عباس لا يألو جهداً في تثقيفه وتعليمه، بل إنه كان يقسو عليه حتى يعلمه؛ روى ابن أبي شيبة عن عكرمة قال[7]: «كان ابن عباس يجعل في رجلي الكَبْلَ يعلمني القرآن والسنة».

---

(١) يقول ـ ﷺ ـ: بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

(٢) التفسير والمفسرون ١/١٠٨.

(٣)، (٤) البداية والنهاية ٩/ ٢٣٤.

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٧، وفيات الأعيان ١/٣١٩، البداية والنهاية ٩/ ٢٥٤، الأعلام ٥/ ٤٣.

(٦) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٧.

(٧) البداية والنهاية ٩/ ٢٥٥، والكَبْل: القيد.

وروى البخاري في صحيحه، عن عكرمة؛ أن ابن عباس قال له[١]: «حَدِّثِ الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تملَّ الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم، فتقص عليهم، فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه؛ فإني عهدت رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه لا يفعلون ذلك».

لقد اهتم ابن عباس بتلميذه هذا اهتماماً كبيراً، وكأنه كان يَعُدُّهُ؛ ليكون خليفته في تفسير القرآن، وكان يكافئه إذا ما أحسن فهم آية أشكَلَتْ على ابن عباس.

روى داود بن أبي هند عن عكرمة قال:

قرأ ابن عباس هذه الآية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] قال ابن عباس: لم أدر أنجا القوم أم هلكوا؟ قال: فما زلت أبين له حتى عرف أنهم نَجَوْا، فكساني حلة[٢].

قال شهر بن حوشب: «عكرمة حبر هذه الأمة»[٣].

وقد شهد له الأئمة الأعلام بالثقة والعدالة:

قال المروزي: قلت لأحمد: يحتج بحديث عكرمة؟ فقال: نعم، يحتجُّ به[٤].

وقال ابن معين: إذا رأيتَ إنساناً يقع في عكرمة وفي حَمَّاد بن سلمة، فاتهمه على الإسلام[٥].

وقال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتجُّ بعكرمة[٦].

وقد أخرج له: البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

علمه ومكانته في التفسير: كان عكرمة على درجة كبيرة من العلم، فهو من أعلم الناس بالسير والمغازي.

قال سفيان، عن عمرو، قال[٧]: كنت إذا سمعت عكرمة يحدِّث عن المغازي كأنه مُشْرِفٌ عليهم ينظر كيف يصفون ويقتتلون.

---

(١) ميزان الاعتدال ٣/ ٩٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٨.

(٣) ميزان الاعتدال ٣/ ٩٣، مقدمة فتح الباري ص ٤٥٠.

(٤) مقدمة فتح الباري ص ٤٥٠.

(٥) معجم الأدباء ١٢/ ١٨٩.

(٦) مقدمة فتح الباري ص ٤٥٠.

(٧) البداية والنهاية ٩/ ٢٥٥، مقدمة فتح الباري ص ٤٥٠.

وهو من علماء زمانه بالفقه والقرآن.

أما التفسير: فقد شهد له الأئمة بذلك؛ يقول الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة[1].

وقال حبيب بن أبي ثابت: اجتمع عندي خمسة: طاوس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء؛ فأقبل مجاهد وسعيد بن جبير يلقيان على عكرمة التفسير، فلم يسألاه عن آية إلا فسرها لهما، فلما نفد ما عندهما، جعل يقول:

أنزلت آية كذا في كذا، وأنزلت آية كذا في كذا[2].

نموذج من تفسير عكرمة: قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ **[الحديد: ١٤]** أي: بالشهوات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالتوبة، ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ أي: التسويف ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ الموتُ، ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان[3].

وتوفي عكرمة ـ رضي الله عنه ـ بالمدينة سنة سبع ومائة للهجرة، وقيل: سنة أربع ومائة[4].

٤ ـ طاوس:

هو: طاوس بن كيسان الخولاني، أبو عبد الرحمن.

أول طبقة أهل اليمن من التابعين، وهو من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى إلى اليمن[5].

أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم، وروايته عن ابن عباس أكثر، وأخذه عنه في التفسير أكثر من غيره، ولهذا عُدّ من تلاميذ ابن عباس، وجاء ذكره في مدرسته بمكة[6].

روى عنه خلق من التابعين؛ منهم: مجاهد، وعطاء، وعمرو بن دينار، وغيرهم[7]. شهد له ابن عباس بالورع والتقوى؛ فقال: «إني لأظن طاوساً من أهل الجنة»[8]. وطاوس

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٥٥.
(٢) مقدمة فتح الباري ص ٤٥٠.
(٣) البداية والنهاية ٩/ ٢٥٩.
(٤) تهذيب التهذيب ٧/ ٢٦٣ ـ ٢٧٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٠، البداية والنهاية ١/ ٢٥٣.
(٥) البداية والنهاية ٩/ ٢٤٤.
(٦) التفسير والمفسرون ١/ ١١٤.
(٧) البداية والنهاية ٩/ ٢٤٥.
(٨) تهذيب التهذيب ٥/ ٩.

ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

كان طاوس ـ رضي الله عنه ـ جريئاً في الحق، لا يخشَىٰ فيه لومة لائم، روى الزهري[1]: أن سليمان رأى رجلاً يطوف بالبيت، له جمالٌ وكمالٌ، فقال: من هذا يا زهريُّ؟

فقلت: هذا طاوس، وقد أدرك عدة من الصحابة، فأرسل إليه سليمان، فأتاه، فقال: لو ما حدثتنا؟! فقال:

حدثني أبو موسى قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «إِنَّ أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مَنْ وَلِيَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً، فَلَمْ يَعْدِلْ فِيهِمْ»؛ فتغير وجه سليمان، فأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه إليه، فقال: لو ما حدثتنا؟! فقال: حَدَّثني رجلٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ ـ قال ابن شهاب: ظننتُ أنه أراد عليًا ـ قال: دعاني رسول الله ـ ﷺ ـ إِلَىٰ طعام في مجلسٍ من مجالسِ قُرَيْشٍ، ثم قال: «إِنَّ لَكُمْ عَلَىٰ قُرَيْشٍ حَقًّا، وَلَهُمْ عَلَىٰ النَّاسِ حَقٌّ، مَا إِذَا ٱسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا، وَإِذَا حَكَمُوا عَدَلُوا، وَإِذَا ٱئْتُمِنُوا أَدَّوْا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً»؛ قال: فتغير وجه سليمان، وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه، وقال: لو ما حدثتنا؟! فقال: حدَّثني ابن عباس أن آخر آية نزلَتْ من كتاب الله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

علمه:

بلغ طاوس من العلم مبلغاً عظيماً، وكان واثقاً من علمه هذا.

أنكر عليه سعيد بن جبير قوله عن ابن عباس: إن الخلع طلاقٌ، فلقيه مرة فقال له: «لقد قَرَأْتُ القرآن قبل أن تُولَدَ، ولقد سمعته وأَنْتَ إذ ذاك هَمُّكَ لقم الثريد».

وقال قيس بن سعد: «كان طاوس فينا مِثْلَ ابن سيرين فيكم».

والتفسير المأثور عنه قليل جدًا، ومعظمه يرويه عن ابن عباس، ولقلة التفسير المأثور عنه، وطُولِ باعه في الفقه، قالوا عنه: إنه فقيه لا مفسِّر، وعدَّه علماء الفقه فقيهاً.

نموذج من تفسيره: قال في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ . . .﴾ الآية [الروم: ٣٩] «هو الرجل يعطي العطية ويهدي الهدية ليثاب أفضل من ذلك، ليس فيه أجر ولا وزر».

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٤٧.

وقد توفي طاوس ـ رضي الله عنه ـ يوم السابع من ذي الحجة سنة ١٠٦هـ، ووافته منيته وهو يحجُّ بيت الله الحرام، وصلى عليه هشام بن عبد الملك وهو خليفة.

٥ ـ عطاء بن أبي رباح:

هو: عطاء بن أبي رباح، وأبو رباح هو: أسلم بن صفوان، مولى آل أبي ميسرة بن أبي خُثَيم الفهريّ[(١)].

سيد التابعين علماً وعملاً وإتقاناً في زمانه بمكة[(٢)].

قال ابن سعد[(٣)]: سمعت بعض أهل العلم يقول: كان عطاء أسود، أَعْوَرَ، أَفْطَسَ، أَشَلَّ، أعرج، ثم عمي بعد ذلك.

وكان ثقة، فقيهاً، عالماً، كثير الحديث.

قال أبو جعفر الباقر وغير واحد[(٤)]: ما بقي أحد في زمانه أعلم بالمناسك منه، وزاد بعضهم: وكان قد حَجَّ سبعين حجة، وعُمِّر مائة سنة، وكان في آخر عمره يفطر في رمضان من الكبر والضعف، ويفدي عن إفطاره.

روى عن عدد كثير من الصحابة؛ منهم: ابن عمر، وابن عمرو، وعبد الله بن الزبير، وأبو هريرة، وغيرهم.

وسمع من ابن عباس التفسير وغيره. وروى عنه من التابعين عدة؛ منهم: الزهري، وعمرو بن دينار، وقتادة، والأعمش، وغيرهم[(٥)].

مكانته في التفسير: كان ابن عباس يقول لأهل مكة إذا جلسوا إليه: تجتمعون إليّ يا أهل مكة، وعندكم عطاء؟![(٦)].

وقال قتادة[(٧)]: كان أعلمُ التابعين أربعة: «كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بالسير، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام».

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٦٧، وفيات الأعيان ١/ ٣١٨، البداية والنهاية ٩/ ٣١٧، ٣١٨.
(٢) ميزان الاعتدال ٣/ ٧٠.
(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٩٦، البداية والنهاية ٩/ ٣١٨.
(٤) البداية والنهاية ٩/ ٣١٨.
(٥) البداية والنهاية ٩/ ٣١٨.
(٦) تذكرة الحفاظ ١/ ٩١.
(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٦٩.

لم يكن عطاء مكثراً من رواية التفسير عن ابن عباس فضلاً عن تفسيره هو، ولعلّ إقلاله في التفسير يرجع إلى تحرجه من القول بالرأي[١].

قال عبد العزيز بن رفيع[٢]: سئل عطاء عن مسألة؟ فقال: لا أدري، فقيل له: ألا تقولُ فيها برأيك؟ قال: إني أستحِيي من الله أن يدان في الأرض برأيي.

لكنه كان يدلي برأيه ـ أحياناً ـ في التفسير.

روى الطبراني ـ بسنده ـ عن يحيى بن ربيعة الصنعاني قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النمل: ٤٨] قال: كانوا يقرضون الدراهم، قيل: كانوا يقصون منها ويقطعونها[٣].

وقيل لعطاء: إن ههنا قوماً يقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] فما هذا الهدى الذي زادهم؟!. قلت: ويزعمون أن الصلاة والزكاة ليستا من دين الله، فقال: قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥] فجعل ذلك دِيناً[٤].

وتوفي رضي الله عنه سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة[٥].

وبعد:

فهذه هي مدرسة التفسير بمكة، تلك التي أسسها حبر الأمة عبد الله بن عباس، وهؤلاء أشهر شيوخها الذين تخرجوا فيها على يَدَي ابن عباس، وفي نهاية مطافنا معها نرصُد ما يلي:

* كان لهذه المدرسة دور ضخم في نشر التفسير، وقد هيأ لها هذا الدور: نبوغ شيوخها، بالإضافة إلى موطن المدرسة «مكة» حيث البيتُ الحرامُ الذي يأتيه الناس من كُلِّ فَجٍّ عميق.

* لم يكتف شيوخ هذه المدرسة بنشر التفسير في مكة، وإنما كان لهم دور بالغ الأهمية خارج مكة؛ فقد كان لسعيد بن جبير رحلة إلى الري، نشر فيها الكثير من العلم[٦]، وكذلك كان لمجاهد رحلات خارج مكة، واستقر طاوس باليمن ينشر هناك علم

---

(١) التفسير والمفسرون ١/ ١١٥.
(٢) التفسير والمفسرون ١/ ١١٥.
(٣)،(٤) البداية والنهاية ٩/ ٣١٨، ٣١٩.
(٥) المصدر نفسه ٩/ ٣١٧.
(٦) راجع: حبر الأمة عبد الله بن عباس ص ١٤٥.

ابن عباس وتفسيره، وأما عكرمة فقد طاف البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً؛ إذ رحل إلى خراسان، واليمن، والعراق، والشام، ومصر، والحرمين[1].

جزى الله هؤلاء الأعلام عن القرآن والمسلمين خير الجزاء.

مَدْرَسَةُ المَدِينَةِ
تَلامِيذُ أُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ

قامت مدرسة المدينة في التفسير على الصحابي الجليل أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ فهو أستاذها وأشهر مفسريها.

وكان بالمدينة كثير من الصحابة، أقاموا بها، فجلسوا إلى «أُبَيٍّ» يعلمهم كتاب الله وسنته، ومن أشهر هؤلاء:

١ ـ أبو العالية:

هو: زياد، وقيل: رُفَيْعُ بن مِهْرَان الرياحي، مولاهم[2].

مخضرم، أدرك الجاهلية وأسلَمَ بعد وفاة النبي ـ ﷺ ـ بسنتين.

روى عن: علي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وأبي بن كعب، وغيرهم.

كان من ثقات التابعين، وقد أجمع عليه أصحاب الكتب الستة.

كان يحفظ القرآن ويتقنه، قال: «قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم بعشر سنين».

وقال: «قرأت القرآن على عهد عمر ثلاث مرات».

وقال فيه ابن أبي داود: «ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية».

رويت عنه نسخة كبيرة في التفسير، رواها أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبَيٍّ، وهو إسناد صحيح.

توفي سنة تسعين من الهجرة على أرجح الأقوال.

٢ ـ محمد بن كعب القرظي:

هو: محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي، المدني، أبو حمزة، أو أبو عبد الله، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة؛ منهم: علي، وابن مسعود، وابن عباس،

---

(١) راجع: وفيات الأعيان ١/ ٣١٩، معجم الأدباء ١٢/ ١٨١، البداية والنهاية ٩/ ٢٥٤.

(٢) راجع: تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥، ومقدمة فتح الباري ص ٤٢٢، وانظر: التفسير والمفسرون ١/ ١١٦، ١١٧.

وغيرهم. وروي عن أبي بن كعب بالواسطة(١).

قال فيه ابن سعد(٢): كان ثقة، عالماً، كثير الحديث، ورعاً. وهو من رجال الكتب الستة.

قال فيه ابن عون(٣): ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي.

نموذج من تفسيره(٤): قال في قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠] اصبروا: على دينكم، وصابروا: لوعدكم الذي وعدتم، ورابطوا: عدوَّكُمُ الظاهر والباطن، واتقوا الله: فيما بيني وبينكم، لعلكم تفلحون: إذا لقيتموني.

توفي سنة مائة وثمان من الهجرة(٥)، وقيل بعد ذلك.

٣ ـ زيد بن أسلم:

هو(٦): زيد بن أسلم العدوي، المدني، الفقيه، المفسر. أبو أسامة أو أبو عبد الله.

كان أبوه مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكان زيد من كبار التابعين الذين عرفوا القول بالتفسير.

قال فيه الإمام أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي: «ثقة». وهو عند أصحاب الكتب الستة.

عرف بغزارة العلم. كان يقرأ القرآن برأيه ولا يتحرَّج من ذلك؛ إذ يرى جواز التفسير بالرأي.

وأشهر من أخذ التفسير عن زيد بن أسلم من علماء المدينة: ابنه عبد الرحمن بن زيد، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة.

وتوفي سنة ست وثلاثين ومائة للهجرة، وقيل غير ذلك.

---

(١) البداية والنهاية ٩/٢٦٨ وما بعدها.

(٢)، (٣) راجع: التفسير والمفسرون ١/١١٧، والإسرائيليات والموضوعات ٩٨.

(٤) البداية والنهاية ٩/٢٦٨.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) تهذيب التهذيب ٣/٣٩٥ ـ ٣٩٧، وراجع: التفسير والمفسرون ١/١١٨، ١١٩.

مَدْرَسَةُ الْعِرَاقِ

تَلاَمِيذُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ

قامت هذه المدرسة على عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وغيره، إلا أن ابن مسعود هو أشهر أساتذتها، أو هو أستاذها الأول؛ لطول باعه في هذا الميدان، بالإضافة إلى أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين ولى عَمَّار بن ياسر على الكوفة سَيَّرَ معه عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، فجلس إليه أهل الكوفة، وأخذوا عنه أَكْثَرَ من غيره.

ومن أهم سمات هذه المدرسة: شيوع طريقة الاستدلال فيها؛ نظراً لأن أهل العراق عرفوا بأنهم أهل الرأي، وقد وضع حجر الأساس لهذه الطريقة عبد الله بن مسعود[١].

ومن أشهر رجال هذه المدرسة:

١ ـ علقمة بن قيس:

هو: علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك، أبو شبل، النخعي، الكوفي.

كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم. وكان يشبه بابن مسعود، وكان أعلم أصحابه بعلم ابن مسعود[٢].

قال عثمان بن سعيد: «قلت لابن معين: علقمة أحب إليك أم عبيدة؟ فلم يُخَيِّر، قال عثمان: كلاهما ثقة، وعلقمة أعلم بعبد الله».

وروى عبد الرحمن بن يزيد قال: قال عبد الله: ما أقرأ شيئاً ولا أعلمه إلا علقمة يقرؤه ويعلمه.

قال فيه الإمام أحمد: «ثقة من أهل الخير». وهو عند أصحاب الكتب الستة.

مات سنة إحدى وستين، وقيل: سنة اثنتين وستين، عن تسعين سنة[٣].

٢ ـ مسروق:

هو: مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني، الكوفي، العابد، أبو عائشة.

سأله عمر يوماً عن اسمه؟ فقال له: اسمي مسروقُ بْنُ الأجدع، فقال عمر: الأجدَعُ

---

(١) التفسير والمفسرون ١/ ١٢٠ (بتصرف وإيجاز).

(٢) تهذيب التهذيب ٧/٢٧٦ ـ ٢٧٨، البداية والنهاية ٨/ ٢١٩.

(٣) راجع المصدرين السابقين.

شيطانٌ، أنت مسروق بن عبد الرحمن[1].

روى عن الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وغيرهم.

وكان أعلم أصحاب ابن مسعود، وأكثرهم أخذاً منه؛ قال علي بن المديني: ما أُقَدِّمُ على مسروق أحداً من أصحاب عبد الله، يعني: ابن مسعود.

وقال الشعبي: ما رأيت أطلب للعلم منه.

وقد وثقه علماء الجرح والتعديل؛ فقال ابن معين: ثقة، لا يسأل عن مثله، وقال ابن سعد: كان ثقة. وله أحاديث صالحة، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة.

توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ثلاث وستين من الهجرة على الأَشْهَرِ[2].

٣ ـ عامر الشعبي:

هو: عامر بن شَرَاحِيلَ الشعبي، الحميري، الكوفي، التابعي الجليل، أبو عمرو، قاضي الكوفة[3].

كان علاّمة أهل الكوفة، إماماً حافظاً، ذا فنون.

وقد أدرك خلقاً من الصحابة وروى عنهم؛ ومنهم: عمر، وعلي، وابن مسعود، وإن لم يسمع منهم، وروى عن أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم.

قال الشعبي: أدركت خمسمائة من الصحابة.

والشعبي ثقة؛ فهو عند أصحاب الكتب الستة، وقال ابن حبان في «الثقات»: كان فقيهاً شاعراً.

وعن سليمان بن أبي مجلز قال: ما رأيت أحداً أفقه من الشعبي، لا سعيدَ بْنَ المسيِّب، ولا طاوساً، ولا عطاءً، ولا الحَسَنَ، ولا ابْنَ سيرين.

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠/١٠٩ ـ ١١١، التفسير والمفسرون ١/١٢١، ١٢٢، الإسرائيليات والموضوعات ٩٩.

(٢) تهذيب التهذيب ١٠/١٠٩ ـ ١١١، التفسير والمفسرون ١/١٢١، ١٢٢، الإسرائيليات والموضوعات ٩٩.

(٣) تهذيب التهذيب ٥/٦٥ ـ ٦٩، البداية والنهاية ٩/٢٣٩ ـ ٢٤٠.

وقال ابن سيرين: قدمت الكوفة وللشعبي حَلْقَةٌ، وأصحاب رسول الله - ﷺ - يومئذٍ كثير[1].

ومع أنه قد أوتي هذا الحَظَّ الوافر من العلم، لم يَكُنْ جريئاً على كتاب الله حتَّىٰ يقول فيه برأيه؛ قال ابن عطية[2]: كان جلة من السلف؛ كسعيد بن المسيب، وعامر الشعبي يعظِّمون تفسيرالقرآن، ويتوقَّفون عنه؛ تورُّعاً، واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم وتقدمهم.

توفي سنة أربع ومائة من الهجرة[3]، وقيل: سنة تسع ومائة.

٤ ـ الحسن البصري:

هو: الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، مولى الأنصار، وأمه: خَيْرَةُ مولاة أم سلمة زوج النبي - ﷺ - رُبِّيَ في حجرها، وأرضعته بلبانها، فعادت عليه بركة النبوة[4].

ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب.

وهو أحد كبار التابعين الأجلاء علماً وعملاً وإخلاصاً، شهد له بالعلم خلق كثير.

قال أنس بن مالك: «سلوا الحسن؛ فإنه حفظ ونَسِينَا»، وقال سليمان التيمي: «الحسن شيخُ أهل البصرة»، وروى أبو عوانة عن قتادة أنه قال: «ما جالست فقيهاً قطُّ إلا رأيتُ فَضْلَ الحسن عليه».

وكان أبو جعفر الباقر يقولُ عنه: «ذلك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء»[5].

وقد التزم الحسن البصري بمنهجه السلفي في تفسير الآيات المتعلِّقة بالله وصفاته، ولم يمنعه هذا الالتزام من حرية العقل حين تعرَّض لغيرها؛ يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩] قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له، وهذه هي عقيدة السلف التي بنوها على ما تعلق بالآية من سبب لنزولها؛ فعن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش إلى النبيِّ - ﷺ - يخاصمونه في القَدَرِ، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ

---

(١) راجع لهذه الأقوال: تهذيب التهذيب، البداية والنهاية، والتفسير والمفسرون.
(٢) مقدمة تفسير القرطبي ١/ ٣٤.
(٣) البداية والنهاية ٩/ ٢٣٩.
(٤) تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣ ـ ٢٧٠، البداية والنهاية ٩/ ٢٨٠، الحسن البصري للإمام أبي الفرج بن الجوزي ـ هدية مجلة الأزهر / محرم ١٤٠٨هـ.
(٥) تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣.

خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩][(١)].

وكان الحسن يعمل عقله وفكره في فهم القرآن وتفسيره؛ يقول في قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبأ: ٢٣]:

«إن الله لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: لابثين فيها أحقاباً، فوالله، ما هو إلا أنه إذا مَضَىٰ حقب، دخل آخر، ثم آخر... إلى الأبد؛ فليس للأحقاب عدة إلا الخلود»[(٢)].

وتوفي رحمه الله سنة عشر ومائة من الهجرة، عن ثمان وثمانين سنة.

٥ ـ قتادة:

هو: قتادة بن دعامة السدوسي، الأكمه، أبو الخطاب، عربي الأصل، كان يسكن البصرة.

أحد علماء التابعين، والأئمة العاملين، روى عن: أنس بن مالك، وجماعة من التابعين؛ منهم: سعيد بن المسيِّب، وأبو العالية، وزرارة بن أوفى، وعطاء، ومجاهد، وابن سيرين، ومسروق، وأبو مجلز، وغيرهم[(٣)].

وحدَّث عنه جماعاتٌ من الكبار؛ كالأعمش، وشعبة، والأوزاعي، وغيرهم.

وكان قويَّ الحافظة، واسع الاطلاع في الشعر العربي، بصيراً بأيام العرب.

كان قتادة على مبلغ عظيم من العلم؛ فضلاً عما اشتهر به من معرفته لتفسير كتاب الله تعالى؛ وقد شهد له بذلك كبار التابعين والعلماء.

قال فيه سعيد بن المسيب: «ما أتاني عراقيٌّ أحسن من قتادة».

وقد استخدم قتادة معرفته باللغة العربية في التفسير، وأعمل فكره في تفهم الآيات، بجانب روايته عن السلف.

وقد توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة سبع عشرة ومائة من الهجرة، عن ست وخمسين سنة على المشهور، وقيل: سنة خمس عشرة ومائة[(٤)].

وبعد:

فهذه هي مدارس التفسير المشهورة في عصر التابعين، الذين تَلَقَّوْا غالب أقوالهم في

---

(١) البغوي الفراء ٢٢١.

(٢) البغوي الفراء ٢٢٢.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ١٧٩، البداية والنهاية ٩/ ٣٢٦، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥١.

(٤) راجع: تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥١ ـ ٣٥٦، البداية والنهاية ٩/ ٣٢٥، ٣٢٦.

التفسير عن الصحابة، وبعضهم استعان بأهل الكتاب، ثم اجتهدوا مستعينين على ذلك بما بلغوا من العلم ودقة الفهم، وقرب عهدهم من الرسول - ﷺ - والعرب الخلص، فلم تفسد سليقتهم.

وهناك مدارس أخرى غير هذه المدارس الثلاث، ولكنها لم ترق لشهرة هذه الثلاث.

ومن هذه: مدرسة مصر التي اشتهر من شيوخها: يزيد بن حبيب الأزدي، وأبو الخير مرثد بن عبد الله، وغيرهما.

ومدرسة اليمن التي أرسى دعائمها طاوس بن كيسان، وكان من أشهر شيوخها: وهب بن منبه الصنعاني.

وهكذا بذل هؤلاء التابعون جهداً ضخماً في حمل الأمانة عن الصحابة، ثم جاء تابعوا التابعين؛ ليكملوا المسيرة، وظَلَّتْ تتوارث حتى وصلَتْ إلينا، فجزى الله كُلَّ مَنْ أَسْهَمَ في هذا العلم خير الجزاء، ونفعنا الله بالقرآن وعلومه.

قِيمَةُ التَّفْسِيرِ الْمَأْثُورِ عَنِ التَّابِعِينَ

تفسير التابعي: إما أن يكون مأثوراً عن النبيﷺ، أو عن صحابته، أَوْ لاَ: فإن كان مأثوراً عن النبي يأخذ حكم تفسيرهﷺ، وكذلك إن كان مأثوراً عن الصحابة.

وإن لم يكن مأثوراً عن النبي، ولا عن الصحابة، فقد اختلف العلماء في الرجوع إليه، والأخذ بأقوال التابعين فيه:

* فقد نقل عن أبي حنيفة أنه قال[1]: ما جاء عن رسول الله - ﷺ - فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة تخيَّرنا، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال.

* ونقلوا عن الإمام أحمد روايتين، إحداهما بالقبول، والأخرى بعدم القبول[2].

وذهب بعض العلماء إلى أنه لا يؤخذ بتفسير التابعين؛ لأنهم لم يسمعوا من النبي - ﷺ - بخلاف تفسير الصحابة الذين سمعوا من النبي - ﷺ - وشاهدوا القرائن والأحوال.

وأكثر المفسِّرين على الأخذ بأقوال التابعين؛ لأنهم تلقوا على أيدي الصحابة؛ كما سبق أن ذكرنا.

---

(١) راجع: التفسير والمفسرون للذهبي ١/١٢٩.

(٢) المصدر نفسه.

والرأي الذي نرجِّحه ونميل إليه هو ما ذكره ابن تيمية، قال[1]:

«قال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين ليست حجة؛ فكيف تكون حجة في التفسير؟! يعني: أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قولُ بعضهم حُجَّةً على بعض ولا عَلَىٰ مَنْ بعدهم، ويُرْجَعُ في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك».

سِمَاتُ التَّفْسِيرِ فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ

اتسم التفسير في تلك المرحلة بعدة سمات؛ من أبرزها[2]:

* أنه اعتمد على التلقي والرواية، وغلب على التلقي والرواية طابع الاختصاص، فكان لكل بلد مدرسته وأستاذه، فمكة استاذها ابن عباس، والمدينة أستاذها أبي بن كعب، والعراق أستاذه ابن مسعود... وهكذا.

* دخول أهل الكتاب في الإسلام كان سبباً في تسلل الدخيل إلى علم التفسير، وقد تساهل التابعون في النقل عنهم ـ فيما لا يتعلق بالأحكام الشرعية ـ بدون تَحَرٍّ ونَقْدٍ، وأكثر من رُوِيَ عنه في ذلك من مسلمي أهل الكتاب:

عبد الله بن سَلاَمٍ، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وغيرهم.

* كان بدهيًّا أن يختلف التابعون في التفسير؛ نظراً لتعدُّدهم وكثرتهم واختلاف مدارسهم التي تخرَّجوا فيها، ولكنه خلافٌ ليس بالكثير، إذا ما قيس بالعصور اللاحقة.

* كما ظهرَتْ نواة الخلاف المذهبيِّ؛ إذْ ظهرَتْ بعض التفسيرات تَحْمِلُ في طياتها بذوراً لتلك المذاهب.

التَّفْسِيرُ فِي عَصْرِ التَّدْوِينِ

تبدأ هذه المرحلة في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي؛ إذ انتشر التدوين بصورة واسعة، وعني العرب «بتدوين كل ما يتصل بدينهم الحنيف، فقد تأسَّسَتْ في كل بلدة إسلامية مدرسة دينية عُنِيَتْ بتفسير الذكر الحكيم، ورواية الحديث النبوي، وتلقين

---

(١) مقدمة في أصول التفسير / ابن تيمية ٢٨ ـ ٢٩، الإتقان في علوم القرآن ٢/١٢٩.
(٢) راجع: التفسير والمفسرون ١/١٣١، ١٣٢.

الناس الفقه وشئون التشريع، وكان كثير من المتعلِّمين في هذه المدارس يحرصون على تدوين ما يسمعونه...»[١].

تدوين التفسير: اُخْتُلِفَ في أول من أَلَّف تفسيراً «مكتوباً»، فبعضهم يذكر أن «عبد الملك بن جُرَيْجٍ»[٢] [ت ١٤٩هـ] هو أول من أَلَّف تفسيراً مكتوباً.

وذكر ابن النديم: أن أبا العباس ثعلباً قال: كان السبب في إملاءِ كتاب الفَرَّاء في المعاني أن عمر بن بُكَيْرٍ كان من أصحابه، وكان منقطعاً إلى الحسن بن سهل، فكتب إلى الفراء: إن الأمير الحسن بن سهل، ربما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن، فلا يحضُرُني فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، أو تجعل في ذلك كتاباً أرجع إليه، فَعَلْتَ، فقال الفراء لأصحابه: اجتمعوا حتى أملي عليكم كتاباً في القرآن... فقال الفراء لرجل: اقرأ بفاتحة الكتاب نفسِّرها، ثم نوفي الكتاب كله، فقرأ الرجل وفَسَّر الفراء، قال أبو العباس: «لم يعملْ أحد قبله مثله، ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه».

وبذلك يكون ابن النديم قد عد «الفَرَّاء» أول من ألف تفسيراً للقرآن مدوَّناً.

ولكن ابن حجر يذكر أن التفسير المدوَّن كان قبل الفراء وقبل ابن جريج؛ إذ يقول[٣]:

«وكان عبد الملك بن مروان [ت ٨٦هـ] سأل سعيد بن جبير [ت ٩٥هـ] أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير، فوجده عطاء بن دينار في الديوان، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير».

ويبدو أنه من الصعب تحديدُ أَوَّلِ من فسر القرآن تفسيراً مدوَّناً على تتابع آياته وسوره كما في المُصْحَفِ.

أَقْسَامُ التَّفْسِيرِ

وظل الخَلَفُ يحمل رسالةَ السَّلَفِ جيلاً بعد جيل، حتى وَصَلَتْ مسيرة التفسير إلى تابعي التابعين، وهنا تعدّدت اتجاهاتُ التفسير إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية، هي:

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي د. شوقي ضيف ٤٥٢.

(٢) هو عبد الملك عبد العزيز بن جريج، أبو خالد، أو أبو الوليد، مولاهم، من علماء مكة ومحدثيها، ولد سنة ٨٠هـ، توفي سنة ١٤٩هـ، أول من صنف بالحجاز الكتب، نقل عنه ابن جرير في تفسيره. راجع طبقات ابن سعد.

(٣) تهذيب التهذيب ١٩٨/٧.

أولاً ـ الاتجاه الأثري (التفسير بالمأثور):

والمأثور: اسم مفعول من أَثَرْتُ الحديثَ أَثْراً: نقلته، والأَثَرُ اسمٌ منه، وحديث مأثور، أي: منقولٌ[1].

وعلى ذلك: فهو يشمل المنقول عن الله تبارك وتعالى ـ في القرآن الكريم ـ والمنقول عن النبي ﷺ، والمنقول عن الصحابة، والمنقول عن التابعين.

وجُلُّ الذين يكتبون عن تاريخ التفسير ويتحدَّثون عن الاتجاه الأثريِّ يَبْدَءُونَهُ بالطبري، فيقطعون بذلك اتصال سلسلة التطوُّر في الأوضاع التفسيرية بين القرن الأول والقرن الثالث بإضاعة الحلقة من تلك السلسلة التي تمثل منهج التفسير في القرن الثاني؛ لأن تفسير ابن جرير الطبريِّ أُلِّفَ في أواخر القرن الثالث، وصاحبه توفي في أوائل القرن الرابع. . . وبالوقوف على هذه الحلقة ـ وهي إفريقية تونسية ـ يتضح كيف تطور فهم التفسير عما كان عليه في عهد ابن جُرَيْج، إلى ما أصبح عليه في تفسير الطبري، ويتضح لمن كان الطبري مَدِيناً له بذلك المنهج الأثريِّ النظري الذي دَرَجَ عليه في تفسيره العظيم.

ذلك التفسير هو أقدم التفاسير الموجودة اليوم على الإطلاق، ويعد صاحبه مؤسِّس طريقة التفسير النقدي، أو الأثري النظري الذي صار بعده «ابن جرير الطبري» واشتهر بها.

ذلك هو تفسير «يحيى بن سَلاَّم» التميمي، البصري، المتوفى سنة ٢٠٠هـ، ويقع في ثلاث مجلدات ضخمة، وقد بناه على إيراد الأخبار مسندة، ثم تعقبها بالنقد والاختيار، وكان يبني اختياره على المعنى اللغوي والتخريج الإعرابي. . . وتوجد من هذا التفسير نسخة بتونس[2].

ويعد ابن جرير الطبري ربيب تلك الطريقة، طريقة يحيى بن سلام، وثمرة غرسه، وقد ذكر السيوطي عدداً من مفسري هذا الاتجاه الأثري منهم:

* يزيد بن هارون ت ١١٧ هـ.
* شعبة بن الحجاج ت ١٦٠ هـ.
* وكيع بن الجراح ت ١٩٧ هـ.
* سفيان بن عيينة ت ١٩٨ هـ، وغيرهم.

---

(١) المصباح المنير (أثر)، الإسرائيليات والموضوعات (أبو شهبة ص ٦٤).
(٢) التفسير ورجاله / ابن عاشور ص ٢٧.

«ابن جرير الطبري»[1]:

لكن التفسير حين انتهَىٰ إلى الطبري في أوائل القرن الثالث الهجري «كان نهراً مزبداً، ذا ركام ورواسب، قد انصب إلى بحرٍ خِضَمٍّ عُبَابٍ، فامتزج بمائه، وتشرَّب من عناصره، وصفا إليه من زبده، وتطهر لديه من ركامه ورواسبه»[2].

«وابن جرير» فقيه، عالم، تبحَّر في فنون شَتَّىٰ من العِلْمِ، فهو أحد المشاهير من رجال التاريخ، ويعد كتابه «تاريخ الأمم والملوك» فيه مرجع المراجع، وبه صار إمام المؤرِّخين غير منازع.

وقد شهد له بذلك كثير من الأعلام؛ يقول الخطيب البغدادي[3]:

«جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات كلِّها، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في الأحكام، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المَشْهُورُ في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في التفسير لم يصنِّفْ أحدٌ مثله...».

لقد امتلك الطبري أدوات التفسير، فاستخدمها بمهارة وحذق، ومن هنا عُدَّ تفسيره ذا أولية بين كتب التفسير: أولية زمنية، وأولية من ناحية الفنية والصياغة، أما أوليته الزمنية: فلأنه أقدم كتاب في التفسير وَصَلَ إلينا، وما سبقه من المحاولات التفسيرية ذَهَبَتْ بمرور الزمن، ولم يصل إلينا شَيْءٌ منها، اللهم إلا ما وَصَلَ إلينا منها في ثنايا ذلك الكتاب الخالد الذي نَحْنُ بصدده[4].

وأما أوليته من ناحية الفَنِّ والصياغة: فذلك أمر يرجعُ إِلَىٰ ما يمتاز به الكتاب من الطريقة البديعة التي سلكها فيه مؤلِّفه، حتى أخرجه للناس كتاباً له قيمته ومكانته»[5].

طريقة الطبري في التفسير:

حين يفسِّر الطبري آية يَضَعُ لها عنواناً هكذا «القول في تأويل قوله جل ثناؤه...» ثم

---

(١) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، الإمام أبو جعفر الطبري، ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي سنة ٣١٠هـ وقد جاوز الثمانين بخمس أو ست سنين.

(٢) التفسير ورجاله ص ٣٠.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٥٦.

(٤) هذا على اعتبار فقد تفسير «يحيى بن سلام» الذي أشرت إليه آنفاً، أما وقد ذكر الإمام الفاضل ابن عاشور أن نسخة من الكتاب موجودة في تونس، فإن تفسير الطبري لا يعد ذا أولية زمنية.

(٥) التفسير والمفسرون ١/٢٠٥.

يقول: يعني تعالى بذلك... ويستشهد على التفسير بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين، عارضاً المعاني الحقيقية والمجازية في استعمالات العرب، مستشهداً بالشعر العربيِّ على ما يثبت استعمال اللفظ في المعنَى الذي حمله عليه.

وقد يَعْرِضُ أقوال الصحابة والتابعين، إذا تعدَّدَتْ في الآية الواحدة، ثم لا يكتفي بمجرَّد العَرْضِ، وإنما يرجح رأيا على رأي بقوله[1]:

«وأولى الأقوال عندي بالصواب...»، أو: «وقال أبو جعفر: والصواب من القول في هذه الآية...»، أو: «وأولى التأويلات بالآية...»، ثم يؤيد رأيه بقوله: «وبمثل الذي قلنا قال أهل التأويل...»، أو بعرض حجج وأدلة، قائلاً: «وإنما رأينا أن ذلك أولى التأويلات بالآية؛ لأن...».

وقد عني ابن جرير بالقراءات عناية كبيرة، ولا غرو، فهو من علماء القراءات المشهورين، وله فيها مؤلَّفٌ، إلا أنه ضاع ضمن ما ضاع من التراث العربي القديم.

كما اهتم الطبري بالشعر القديم؛ ويستشهد به على الغريب، وهو في ذلك تابع لابن عباس.

كما كانت له عناية بالمذاهب النحوية البصرية والكوفية، يورد الرأي ويوجِّهه.

ويورد بعض الأحكام الفقهية في تفسيره؛ مختاراً لأحد الآراء، مؤيِّداً اختياره بالأدلَّة العلمية القيمة[2].

رحم الله الطبري وجزاه عن القرآن وتفسيره خير الجزاء.

ثانياً: الاتجاه اللغوي:

وقد بدا هذا الاتجاه واضحاً في أواخر القرن الثاني الهجريِّ، وأوائل القرن الثالث؛ إذْ نَشَأَ علم النحو، ونَضِجَتْ علوم اللغة على أيدي الرواد؛ أمثال: أبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وغيرهم..

وكان الغرض الأسمَىٰ من تأصيل هذه العلوم وتقعيدها خِدْمَةَ القرآن الكريم؛ صيانَةً له من اللحن، ولا سِيَّمَا بعد اتصال العرب بالعجم.

وقد أثرت هذه الدراساتُ في تفسير القرآن تأثيراً كبيراً؛ إذ اشتغل اللغويون أنفسهم بالقرآن ولغته، وكان من أشهر هؤلاء العلماء «أبو عُبَيْدَة مَعْمَرُ بن الْمُثَنَّى» المتوفَّىٰ سنة

---

(١) راجع: تفسير الطبري.

(٢) راجع: التفسير والمفسرون ١/٢٠٢ ـ ٢١٨.

٢٠٨هـ أو ٢١٥هـ، وقد ألف كتابه «مجاز القرآن» سنة ١٨٨هـ[(١)]، ويعد هذا الكتاب أقدم مؤلَّف في معاني القرآن وَصَلَ إلينا.

وأبو عُبَيْدَة موسوعةٌ علميةٌ له مؤلَّفات في مجالات شتَّىٰ، وقد «أوتي لساناً صارماً جَلَبَ علَىٰ نفسه عداوات كثيرة، ثم تنفَّسَ به العمر قرابة قرن كامل زَامَلَ فيه أعلاماً كباراً، وجادل خصوماً كثاراً، وشهد تلاميذه ومَنْ في طبقتهم يجادلون عنه، ويجادلون فيه، فقرب وباعد، وواصل وقاطع، ولكن مخالفيه كانوا من الكثرة بحيث أرهقوه وضايقوه، حتى جاءه الأجل فلم ينهض لتشييع جنازته أَحَدٌ، وعُلِّلَ ذلك بما ترك من حَزَازَاتٍ أدبية»[(٢)].

ويحكي أبو عبيدة سبب تأليفه كتاب «مجاز القرآن» فيقول:

«أرسل إليَّ الفَضْلُ بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه سنة ثمان وثمانين ومائة، فَقَدِمْتُ إلى بغداد واستأذنت عليه، فأَذِنَ لي، فدخلْتُ عليه وهو في مجلس له طويل عريضٍ، فيه بساطٌ واحدٌ قد ملأه، وفي صدره فُرُشٌ عالية لا يرتقى إليها إلا على كرسيٍّ، وهو جالس عليها فَسَلَّمْتُ عليه بالوزارة، فَرَدَّ وضَحِكَ إلَيَّ، واستدناني حتى جلستُ إليه على فرشة، ثم سألني وألطفني وباسطني، وقال: أنشدني فأنشدته، فَطَرِبَ وضحك وزاد نشاطه، ثم دخل رجلٌ في زِيِّ الكُتَّاب له هَيْئَةٌ، فأجلسه إلى جانبي، وقال له: أَتَعْرِفُ هذا؟ قال: لا، قال: هذا أبو عبيدة عَلاَّمَةُ أهل البصرة، أقدمناه؛ لنستفيدَ من علمه، فدعا له الرجل وقَرَّظَهُ لفعله هذا، وقال لي: إني كنتُ إليك مشتاقاً، وقد سألتُ عن مسألة، أفتأذَنُ لي أن أُعَرِّفَكَ إياها؟ فقلت: هاتِ، قال: قال الله عز وجل: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات: ٦٥] وإنما يقع الوعد والإيعادُ بما عُرِفَ مثلُهُ، وهذا لم يُعْرَفْ؟! فقلت: إنما كلم الله تعالى العَرَبَ على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرىء القيس: [من الطويل]

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ... وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

وهم لم يروا الغولَ قطُّ، ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أَوْعَدُوا به، فاستحسن الفضل ذلك واستحْسَنَ السائل، وعزمْتُ مِنْ ذلك اليوم أن أَضَعَ كتاباً في القرآن في مثل هذا وأشباهه، وما يحتاج إليه من علمه؛ فلما رجعت إلى البصرة، عَمِلْتُ كتابي الذي سميته «المجاز»، وسألت عن الرجل السائل، فقيل لي: هو من كُتَّاب الوزيرِ وجلسائِهِ، وهو إبراهيمُ بْنُ إسماعيلَ الكاتِبُ»[(٣)].

---

(١) معجم الأدباء ١٩/١٥٨.

(٢) خطوات التفسير البياني د. رجب البيومي ص ٣٧، ٣٨، وراجع: معجم الأدباء ١٩/ ١٦٠.

(٣) معجم الأدباء ١٩/١٥٨.

وبعض العلماء ينكر هذه القصة؛ لأن أبا عبيدة لم يُشِرْ إليها في مقدمة كتابه...[1].

ومن الذين كتبوا عن اتجاهات التفسير مَنْ يُسْلِكُ أبا عبيدة ـ من خلال كتابه هذا ـ في سلك الاتجاه البيانيِّ في التفسير، وأكثرهم يعده رائداً في الاتجاه اللغوي.

على أن أبا عُبَيْدَةَ لم «يَعْنِ بالمجازِ ما هو قسيمُ الحقيقة، وإنما عني بمجاز الآية: مَا يُعَبَّرُ به عن الآية»[2].

فقد يستعمل أبو عبيدة لفظ المجاز قاصداً به معنى اللفظ، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩] يقول: مجازه: «شددني إليك، ومنه قولهم: وَزَعَنِي الحِلْمُ عن السفاه، أي: منعني، ومنه: الوزعة الذين يدفعون الخصوم والناس عن القضاة والأمراء، ثم يستشهد بالبيت: [من الطويل]

عَلَىٰ حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَىٰ الصِّبَا فَقُلْتُ: أَلَمَّا تَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ[3]

وأما أبو زكريا الفراء المتوفَّىٰ سنة ٢٠٧هـ، فكان يستعين بتفسيرات السَّلَفِ مضيفاً له ما أَدَّىٰ إليه اجتهاده اللغوي، وكذا الزَّجَّاج المتوفى سنة ٣١١هـ»[4].

لقد استلهم الفراء الحسن اللغوي محكِّماً ذوقه وعقله، كما راعى السِّيَاق العامَّ في الآية؛ ولذا نجده يفضل قراءة تُحَقِّقُ التجانس بين الكلمات المتجاورات على غيرها[5].

ثالثاً: الاتجاه البياني[6]:

وبذور هذا الاتجاه نجدها في تفسير ابن عباس المبثوث في ثنايا التفسير الأثريِّ، ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦٦]، أن عمر ـ رضي الله عنه ـ سأل الناس عن هذه الآية؟ فما وجد أحداً يشفيه، حتى

---

(١) راجع خطوات التفسير البياني ص ٤٤، ٤٥ وقد ذكر الدكتور رجب البيومي أسباباً أخرى ومبررات لرفض هذه القصة.

(٢) فتاوى ابن تيمية كتاب الإيمان ص ٨٨.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٩٢، ٩٣.

(٤) راجع البغوي الفراء ص ٢٣٨.

(٥) راجع البغوي الفراء ص ٢٣٩، ٢٤٠ (بتصرف وإيجاز).

(٦) بعض المؤلفين في تاريخ التفسير يضعون اتجاهاً ثالثاً بدلاً من هذا الاتجاه يطلقون عليه «الاتجاه النقدي»، وبعضهم يسلك هذا الاتجاه ضمن الاتجاه الأثري. انظر: التفسير ورجاله: ابن عاشور ص ٢٦.

قال ابن عباس، وهو خَلْفَهُ: يا أمير المؤمنين، إني أَجِدُ في نفسي منها شيئاً، فَتَلَفَّتَ إليه، فقال: تحوَّلْ ههنا، لِمَ تَحقِّرُ نفسك؟! قال: هذا مثل ضربه الله ـ عزَّ وجل ـ فقال: أيودُّ أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخَيْرٍ حين فَنِيَ عمره، واقترب أجله، خَتَمَ ذلك بعمل مِنْ عمل أهل الشقاء، فأفسده كله، فحرقَهُ أَحْوَجَ ما كان إليه[1].

وهو من باب الاستعارة التمثيلية، وقد ألمع إليه ابن عباس بقوله المُقَارب: هٰذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. . . إلخ، وهل قال البلاغيون فيما بَعْدُ غَيْرَ ذلك؟![2].

ونهج تلاميذ ابن عباس نهجه، وكان أكثرهم نتاجاً في هذا الاتجاه «مجاهدٌ»[3].

وأما تأصيلُ هذا الاتجاه فقد كان على يد «أبي عُبَيْدَةَ» صاحب «مجاز القرآن»، ويعد صاحب الخطوة الأولَىٰ في هذا الاتجاه.

وفضلُ هذا الكتاب في الدراسات البلاغية أنه حِينَ تعرَّضَ للنصوص القرآنية، أَشَارَ إِلَىٰ ما تدلُّ عليه من حقيقة أو مَثَلٍ أو تشبيهٍ أو كنايةٍ، وما يتضمَّن من ذكر أو حذف، أو تقديم أو تأخير، فوضع بذلك اللبنة الأولى في صرح الدراسات البلاغية للقرآن. . . وإذا كان عبد القاهر أظهرَ مَنْ نَادَىٰ من البلغاء بأن يوضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وهو ما سمي بقضية «النَّظْم»، فإن بذور قضيته هذه كانت تكمن في مجاز «أبي عبيدة» حيث رأَىٰ في زمنه السابق ما رآه صاحب «الدلائل» في زمنه اللاحق، فكان بذلك الرائدَ الأوَّلَ لعلم المعاني عند من يلتمسون الجذور الضاربة في الأعماق[4].

وقد رتب «أبو عبيدة» كتابه وفق ترتيب السور القرآنية في المُصْحَفِ؛ ومِنْ هنا صار من اليسير أن يرجع الدارس إلى ما ذكر أبو عُبَيْدَةَ في توجيه الآيات الكريمة مِنْ مثل قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] حيث قال: إنها كناية وتشبيه[5].

ومن مثل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩] حيث أتبع الآية بتحليل بياني، وعَدَّهَا من مجاز التمثيل، حين قال:

---

(١) تفسير ابن جرير ٣/٤٧.
(٢) راجع: خطوات التفسير البياني ص ٢١ وفيه شواهد أخرى.
(٣) راجع الأمثلة التي ذكرها الدكتور رجب البيومي في خطوات التفسير البياني ص ٣٤ وما بعدها.
(٤) خطوات التفسير البياني ص ٤٦، ٤٧.
(٥) راجع: مجاز القرآن ١/ ٧٣.

«ومجاز الآية مجازُ التمثيل؛ لأن ما بَنَوْهُ على التقوى أَثْبَتُ أساساً من البناء الذي بَنَوْهُ على الكفر والنفاق، فهو على شفا جُرُفٍ، وهو ما يجرف من الأودية فلا يثبت البناء عليه[1].

تلك هي الخطوة الأولى خطاها أبو عبيدة في التفسير البياني للقرآن الكريم، وإنْ وُجِّهَتْ إليه كثيرٌ من النقود والمطاعن من علماء كبار؛ أمثال الفراء، والأصمعي، والطبري[2].

ثم تَلَتْ هذه الخطوةَ خطواتُ الجاحظِ وابْنِ قتيبة وغيرهما.

التفسير بغير المأثور
(بالرأي)

المراد بالرأي هنا الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد موفقاً، أي: مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه بعيداً عن الجهالة والضلالة ـ فالتفسير به محمود وَإلاَّ فمذموم، والأُمور التي يجب استناد الرأي إليها في التفسير نقلها السيوطي في الإتقان عَن الزركشي، فقال ما ملخصه: للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربع:

الأولى: النقل عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

الثانية: الأخذ بقول الصحابي، فقد قيل إنه في حكم المرفوع مطلقاً، وخَصَّهُ بعضُهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.

الثالثة: الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلاَّ ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.

الرابعة: الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع، وهذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس في قوله: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ».

فَمَن فسر القرآن برأيه، أي: باجتهاده ملتزماً الوقوف عند هذه المآخذ، معتمداً عليها فيما يرى من معاني كتاب الله كان تفسيره سائغاً جائزاً خليقاً بأن يسمى التفسير الجائز أو التفسير المحمود، وَمَنْ حاد عن هذه الأصول وفسر القرآن غير معتمد عليها، كان تفسيره ساقطاً مرذولاً، خليقاً بأن يسمى التفسير غير الجائز أو التفسير المذموم.

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٢٦٩، وانظر: خطوات التفسير البياني ص ٥١، ٥٢.

(٢) راجع: خطوات التفسير البياني ص ٥٨ وما بعدها.

فالتفسير بالرأي الجائز يجب أن يلاحظ فيه الاعتماد على ما نقل عن الرسول ﷺ وأصحابه مما ينير السبيل للمفسر برأيه، وأن يكون صاحبه عارفاً بقوانين اللغة خبيراً بأساليبها، وأن يكون بصيراً بقانون الشريعة، حتى ينزل كلام الله على المعروف من تشريعه.

أما الأُمور التي يجب البعد عنها في التفسير بالرأي فمن أهمها التهجم على تبيين مراد الله من كلامه على جهالة بقوانين اللغة أو الشريعة، ومنها: حمل كلام الله على المذاهب الفاسدة، ومنها: الخوض فيما استأثر الله بعلمه، ومنها: القطع بأن مراد الله كذا من غير دليل، ومنها: السير مع الهوى والاستحسان.

وبعد هذا فاعلم أن أكثر السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ قد أجازوا تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد.

مناهج المفسرين بالرأي

يجب على من يحاول أعلى مراتب التفسير بالرأي أن يأخذ حذره، وأن يَتَذَرَّعَ بكل العلوم التي ذكرها الإمام الحبر البحر ذي البيان أبو حيان في مقدمة تفسيره هنا؛ ليكون قد أصاب المراد أو كاد.

أولاً: أن يطلب المعنى من القرآن، فإن لم يجده طلبه من السنة، لأنها شارحة للقرآن، فإن أعياه الطلب رجع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بالتنزيل وظروفه وأسباب نزوله، وشاهدوه حين نزل، فوق ما امتازوا به من علم وعمل «وخير ما فسرته بالوارد».

ثانياً: إن لم يظفر بالمعنى في الكتاب والسنة ومأثورات الصحابة وجب عليه أن يجتهد وسعه متبعاً ما يأتي:

١ ـ البدء بما يتعلق بالألفاظ المفردة من اللغة والصرف والاشتقاق، ملاحظاً المعاني التي كانت مستعمله زمن نزول القرآن الكريم.

٢ ـ إرداف ذلك بالكلام على التركيب من جهة الإعراب والبلاغة، على أن يتذوق ذلك بحاسته البيانية.

٣ ـ تقديم المعنى الحقيقي على المجازي؛ بحيث لا يصار إلى المجاز إلاَّ إذا تعذرت الحقيقة.

٤ ـ ملاحظة سبب النزول، فإن لسبب النزول مدخلاً كبيراً في بيان المعنى المراد؛ كما سبق في مبحث أسباب النزول.

٥ ـ مراعاة التناسب بين السابق واللاحق بين فقرات الآية الواحدة، وبين الآيات بعضها ببعض.

٦ ـ مراعاة المقصود من سياق الكلام.

٧ ـ مطابقة التفسير للمفسر من غير نقص ولا زيادة.

٨ ـ مطابقة التفسير لما هو معروف من علوم الكون، وسنن الاجتماع، وتاريخ البشر العام، وتاريخ العرب الخاص أيام نزول القرآن.

٩ ـ مطابقة التفسير لما كان عليه النبي ﷺ في هديه وسيرته؛ لأنه ﷺ هو الشارح المعصوم للقرآن بسنته الجامعة لأقواله وأفعاله وشمائله وتقريراته.

١٠ ـ ختام الأمر ببيان المعنى المراد والأحكام المستنبطة منه في حدود قوانين اللغة والشريعة والعلوم الكونية.

١١ ـ رعاية قانون الترجيح عند الاحتمال وهو ما يأتي:

قال السيوطي في «الإتقان» ما نصه: «وَكُلُّ لفظ احتمل معنيين فصاعداً، فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعليهم اعتماد الدلائل دون مجرد الرأي.

فإن كان أحد المعنيين أوضح وجب الحمل عليه، إلا أن يقوم الدليل على إرادة غيره، وإذا تساويا والاستعمال فيهما حقيقة، لكن في أحدهما لغوية أو عرفية وفي الآخر شرعية، فالحمل على الشرعية أولى، إلا أن يدل الدليل على إرادة اللغوية؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ﴾، وإن كانت في أحدهما عرفية والآخر لغوية، فالحمل على العرفية أولى.

وإن اتفقا في ذلك أيضاً، فإن تنافى اجتماعهما، ولم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد كالقرء للحيض والطهر، اجتهد في المراد منهما؛ بالأمارات الدالة عليه، فما ظنه فهو مراد الله تعالى في حقه.

وإن لم يظهر له شيء، فهل يتخير أو يأخذ بالأغلظ أو بالأخف؟ أقوالٌ، وإن لم يتنافيا وجب الحمل عليهما عند المحققين، ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة إلا إن دَلَّ دليلٌ على إرادة أحدهما أ هـ».

أَهَمُّ كُتُبِ التَّفْسِيرِ بِالرَّأْيِ الْجَائِزِ

نذكر منها مجرد أمثلة ومن أراد المزيد فليرجع إلى: «التفسير والمفسرون» لشيخنا الشيخ الذهبي، «ومناهل العرفان» وغيرهما.

١ ـ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ:

مؤلف هذا التفسير هو أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، التيمي البكري، الطبرستاني، الرازي، الملقب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الشافعي، المولود سنة ٥٤٤هـ أربع وأربعين وخمسمائة من الهجرة، وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة ٦٠٦هـ ست وستمائة من الهجرة بالري[١].

٢ ـ أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ، وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ:

ومؤلفه هو: الشيخ الإمام، قاضي القضاة، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، البيضاوي، الشافعي[٢]، أصله مِن «شيراز»؛ في جنوب إيران، وبها كانت نشأته العلمية الأُولى، وبها تخرج في الفقه والأُصول، والمنطق، والحكمة، والكلام والأَدب، وبرع في الأُصولين، وضم علوم العربية والأدب إلى علوم الشريعة والحكمة، وَلي قضاءَ «شيراز» مُدَّةً، وكانت وفاته بـ«تبريز» خمس وثمانين وستمائة، وقيل: سنة إِحدى وتسعين وستمائة، ومن مؤلفاته القيمة: كتاب «المنهاج» وشرحه في أُصول الفقه، وكتاب: «الطوالع» في أُصول الدين، و«أَنوار التنزيل»، و«أَسرار التأويل»، وهو ما نحن بصدده وغيرها.

وتفسيره جامع بين التفسير والتأْويل على مقتضى القواعد اللغوية والشرعية، وهو متأَثر في طريقته في بيان الأَلفاظ، والتراكيب، ونكت البلاغة ـ بتفسير الكشاف للزمخشري، ولكنه قرر فيه الأَدلة على أُصول أَهل السنة، وهو في هذا متأَثر بالإِمام فخر الدين الرازي.

٣ ـ الْجَامِعُ لأَحْكَامِ الْقُرْآنِ وَالْمُبَيِّنُ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ السُّنَّةِ وَآيِ الْقُرْآنِ:

ومؤَلفه هو، الإِمام: أَبو عبد الله، محمد بن أَحمد بن أَبي بكر بن فرج الأَنصاري، الخزرجي الأَندلسي، القرطبي[٣]، المفسر، كان من عباد الله الصالحين، والعلماءِ العارفين

---

(١) انظر ترجمته في: الأعلام ٧/٢٠٣، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٢/٢٣، وفيات الأعيان ٣/ ٣٨١، لسان الميزان ٤/٤٢٦، البداية والنهاية ٣/ ٥٥، طبقات الشافعية ٥/ ٣٣، النجوم الزاهرة ٦/ ١٩٨، مفتاح السعادة ١/ ٤٤٥، مرآة الجنان ٤/ ٧، مرآة الزمان ٨/ ٣٥٣.

(٢) ينظر ترجمته في: طبقات المفسرين (١/ ٢٤٢)، البداية والنهاية (١٣/ ٣٠٩)، بغية الوعاة (٢/ ٥٠)، شذرات الذهب (٥/ ٣٩٢)، طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ١٥٧)، مرآة الجنان (٤/ ٢٢٠)، مفتاح السعادة (٢/ ١٠٣)، هدية العارفين (١/ ٤٦٢، ٤٦٣).

(٣) ينظر ترجمته في: طبقات المفسرين (٢/ ٦٥)، الديباج المذهب (ص ٣١٧)، شذرات الذهب (٥/ ٣٣٥)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص ٢٨)، نفح الطيب (٢/ ١١٠)، هدية العارفين (٢/ ١٢٩)، الوافي بالوفيات (٢/ ١٢٢).

الورعين، الزاهدين في الدنيا المشغولين بما يعنيهم من أُمور الآخرة، كانت أَوقاته كلها معمورة مشغولة ما بين عبادة وتأْليف، وكانت وفاته سنة إِحدى وسبعين وستمائة ومن مؤَلفاته كتاب: «الأَسنى في شرح أَسماءِ الله الحسنى»، وكتاب: «التذكار في أَفضل الأَذكار»، وكتاب: «شرح التقصي» وغيرها.

وتفسير القرطبي من أَجلِّ التفاسير وأَعظمها نفعاً، أَسقط منه القصص والتواريخ، وذكر عوضاً عنها أَحكام القرآن بتوسع، حتى حاف بها على التفسير، واستنباط الأَدلة وذكر القراءات والإِعراب والناسخ والمنسوخ.

٤ ـ لُبَابُ التَّأْوِيلِ فِي مَعَانِي التَّنْزِيلِ:

مؤلف هذا التفسير: هو علاء الدين أبو الحسن، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيمي، البغدادي، الشافعي، الصوفي، المعروف بالخازن[١]، توفي سنة ٧٤١هـ (إحدى وأربعين وسبعمائة من الهجرة) بمدينة حلب، فرحمه الله رحمة واسعة.

٥ ـ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ لأَبِي حَيَّان:

ومؤَلفه هو: الإِمام: أَثير الدين، أَبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الغرناطي، الحياني، الشهير بأَبي حيان[٢]، ولد سنة أَربع وخمسين وستمائة من الهجرة، وتوفي سنة أَربع وخمسين وسبعمائة.

كان ـ رحمه الله ـ ملمًّا بالقراءات متواترها، وصحيحها، وشاذّها؛ كما كان على جانب كبير من العلم باللغة وآدابها، والعلم بالنحو والصرف حتى صار إماماً فيهما، وذا رأي معتبر في مسائلهما؛ ولذلك غلب عليه في تفسيره: الإكثار من النحو، والصرف، واللغة ـ كما أسلفت.

وله مؤلفات منها: «غريب القرآن في مجلد»، و«شرح التسهيل» وهو كتاب جليل، وكتاب «البحر المحيط»؛ في التفسير، وهو ما نحن بصدده الآن، وقد عكف على تأليفه لما نصب مدرساً للتفسير في قبةِ السلطان الملك المنصور، وفي دولة ولده الملك الناصر؛

---

(١) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٣/ ٩٧، الأعلام ٥/ ٥، معجم المطبوعات ٨٠٩.

(٢) ينظر ترجمته في: طبقات المفسرين (٢/ ٢٨٦)، بغية الوعاة (١/ ٢٨٠)، البدر الطالع (٢/ ٢٨٨)، حسن المحاضرة (١/ ٥٣٤)، الدرر الكامنة (٥/ ٧٠)، ذيل تذكرة الحفاظ (ص ٢٣)، ذيل العبر (ص ٢٤٥)، طبقات الشافعية للسبكي (٦/ ٣١).

وكان ذلك في أَواخر سنة عشر وسبعمائة، وقد خطا سنه نحو السابعة والخمسين من عمره المبارك.

وقد اعتمد أَبو حيان في تفسيره على تفاسير مَن تقدمه: ولا سيما تفسير الإِمامين الجليلين: أَبي القاسم، محمود بن عمر الزمخشري، وأَبي محمد، عبد الحق، المعروف بابن عطية، وعلى ثقافته اللغوية والنحوية والصرفية والأَدبية، التي يظهر أثرها واضحاً في كتابه، وهو من كتب التفسير بالرأي والاجتهاد الممدوح.

وكتاب التفسير لأَبي حيان لم يخل كغيره من كتب التفسير من ذكر الروايات المأثورة عن النبي ﷺ، وعن الصحابة والتابعين.

٦ ـ السِّراجُ المُنِيرُ في الإعانةِ على معرفةِ بعضِ مَعَانِي كلامِ رَبِّنَا الحكيمِ الخَبِير:

ومؤَلفه هو: الشيخ العلامة: شمس الدين، محمد بن أحمد الشربيني، الشافعي الخطيب[١]، نشأ بالقاهرة، وعلى شيوخ عصره أَخذ، ولما رأَوه أَهلاً للفتوى، والتدريس، أجازوه بهما، فدرس وأَفتى، وانتفع به خلق كثير.

وقد كان ـ رحمه الله ـ على جانب من الصلاح، والورع، والزهد، وكثرة العبادة، وكان يعتكف طوال شهر رمضان من كل عام، توفي عصر يوم الخميس الثاني من شعبان سنة ٩٧٧ هـ، سبع وسبعين وتسعمائة هجرية.

ومن مؤلفاته: «شرح كتاب المنهاج»، و«شرح كتاب التنبيه»، و«السراج المنير» في التفسير.

وهو: تفسير وسط بين الإِطناب والإِيجاز، اقتصر فيه على أَصحِّ الأَقوال غالباً، ولم يذكر من الأَعاريب إِلاَّ ما كانَتِ الحاجةُ ماسَّة إليه، اعتمد فيه صاحبه على تفاسيرِ مَنْ سبقه؛ كالزمخشريِّ، والبيضاويِّ، والبغوي، والرازيِّ، وغيرهم، وقد ينقل فيه بعض تفسيرات مأثورة عن السلف، كما التزم فيه: أَلاَّ يذكر من الأَحاديث إلا صحيحها، وحسنها، دون ذكر الضعيف والموضوع؛ ولذلك: يتعقب الزمخشريَّ، والبيضاوي، في ذكرهما للحديث الموضوعِ الطويلِ في فضائل السور: سورة، سورة، كما ينبه على الأَحاديث الضعيفة إِن روى شيئاً منها في تفسيره[٢].

---

(١) ينظر ترجمته في: الأعلام (٦/٦)، شذرات الذهب (٨/ ٣٨٤).

(٢) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٣٣٨ وما بعدها.

٧ ـ إِرشادُ العَقْلِ السَّليمِ إِلَى مَزَايا القرآنِ الكَرِيم:

ومؤَلِّفُهُ هو: الإِمام، القاضي، المفتي، أَبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى[١]، ولد سنة ٨٩٣ هـ ثلاث وتسعين وثمانمائة من الهجرة، بقرية قريبة من القسطنطينية، ونشأ في بيت عرف بالعلم، والفضل، والدين، تتلمذ على والده، وغيره من العلماء. وعلَّ من معينه بعد نهل، حتى صار عَلَماً من أعلام العلم، تولّى التدريس مدة، ثم ولي القضاءَ، وصار يتنقل فيه من بلد إِلى بلد، حتى انتهى به الأَمر إِلى الإِفتاءِ، وكان أَبو السعود عالماً، أديباً، متمكِّناً من اللغات الثلاث: العربية، والفارسية، والتركية، وقد مكنت له معرفته بهذه اللغات الاطلاع على الكثير من الكُتُب التي أُلفت بها، فاكتسب علماً غزيراً، ولم يدع له التدريس، وولاية القضاءِ، والتنقل بين البلاد ـ مجالاً للتأليف، فلم يترك لنا إِلا تفسيره هذا، وبعض حواش أُخرى، على «تفسير الكشاف»، وعلى «شرح العناية على الهداية»، وهي ناقصة، وبعد هذه الحياة العلمية الحافلة توفي بالقسطنطينية، في أَوائل جمادى الأُولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة من الهجرة، ودفن بجوار الصحابي الجليل: أَبي أَيوب الأَنصاري، فرضي الله عنه، وأَرضاه.

واشتغل العلاَّمة أَبو السعود في حياته بتدريس الكتابَيْن المشهورَيْن: الكَشَّاف، وتفسير البيضاوي، حتى في الأَوقات التي كان يخرج فيها مع السلطان سليمان القانوني غازياً، كان يشتغل بالتدريس لطلبته الذين كانوا لا يفارقونه، وقد كانت نفسه تَتُوقُ إِلى تفسير جامع بين تفسير الكشاف، وتفسير البيضاوي، وأَن يضيف إليها ما اكتسبه من غيرهما من الكتب، ومن الفُهُوم التي فَتَحَ الله بها عليه في تَفْسِيرِ القرآن حتى حَقَّقَ الله هذه الأُمنية في آخر حياته، فكانَ ثمرة ذلك هذا التفسير العظيم الذي اشتهر بشهرة صاحبه، وعكف أَهل العلم من يومها على دراسته، وسماه: «إِرشاد العقل السليم، إِلى مزايا القرآن الكريم» ولكنَّه خلَّصه من اعتزاليَّاتِ الزمخشريِّ، ونهج فيه منهج أَهل السنة.

ومن أَهم مميزات هذا التفسير: أَنه خَالٍ من الاستطرادات والتوسُّع في ذكر الأَحكام الفقهية والنحوية، ويكاد يكون خالصاً للتفسير، وقد عُنِيَ فيه عنايةً بالغةً بإِبراز وجوه البلاغة وأَسرار الإِعجاز في القرآن الكريمِ، ولا سيَّما في «باب الفصل والوصل»، و«وجوه المناسبات بين الآيات».

٨ ـ رُوحُ المَعَانِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي:

ومؤلفه هو: خاتمة المحققين، وعمدة المدققين، وإِمام المفسرين، أَبو الثناءِ: شهاب

---

(١) ينظر ترجمته في الأعلام (٥٩/٧)، شذرات الذهب (٣٩٨/٨)، الفوائد البهية ٨١.

الدين، السيد الإمام، محمود بن عبد الله الآلوسي[1] البغدادي، الحنفي، مفتي بغداد وعالمها في القرن الثالث عشر الهجري.

ولد سنة ١٢١٧ سبع عشرة ومائتين بعد الألَف من الهجرة، في جانب الكرخ من بغداد.

نبغ في العلوم من صغره، وأخذ عن كثير من فحول علماءِ عصره، منهم: والده، والشيخ خالد النقشبندي، واشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة، وقد تتلمذ عليه كثيرون، وتخرج على يديه بعض العلماءِ الفضلاءِ من بلاد مختلفة، ولما تولى الإفتاءَ شرع يدرس كل العلوم في داره؛ بجوار جامع الشيخ عبد الله العاقولي بالرصافة، وقد ساعده على ذلك: نبوغه في علوم شتى، وجمعِ إلى العلم النقلي والعقلي ـ الأَدب وفنونه، فمن ثم عرف بجزالة التعبير، وسلالة الأُسلوب، وحسن التصرف في القول، وبروحه اللطيفة الفكهة، ومن تعبيراته اللطيفة التي لا تخلو من الفكاهة: تسميته للحروف الزائدة بأَنها: «سيف خطيب»، وعن النكات البلاغية بأَنها: «كالوردة، إِنْ دعكتها أَزلت ما فيها من رائحة وجمال».

وتفسير «روح المعاني» خير تفسير، وأَجمعه، وأَوفاه، وقد جمع فيه خلاصة كل كتب التفاسير قبله وحواشيها، ولا سيما حاشية: تفسير الكشاف، وحاشية الشهاب الخفاجي، على تفسير البيضاوي، وقد حل بعض رموزها، وعباراتها الخفية التي استعصى فهم المراد منها على العلماء، وله استدراكات قيمة، وتعقبات دقيقة لمن سبقه من العلماءِ.

وكثيراً ما يدلي برأْيه بين الآراء؛ فهو ليس مجرد ناقل، بل له شخصيته العلمية البارزة، وأَفكاره النيرة، وليس في تفسيره ما يؤاخذ عليه، إلا كثرة الاستطرادات، والتوسع فيما يستطرد إليه؛ حتى يكاد يغرق القارىء لكتابه في بحر هذه الاستدراكات، ولو أَن أَحداً نزع ما استطرد إِليه من كتابه، لجاءَت في رسائل كثيرة؛ وكذلك: ذكره للتفسير الإِشاري، فليس ثمة ما يدعو إليه، ولعله فعل ذلك لنزعة تصوفية، وليجيءَ كتابه جامعاً لكل الأَلوان التفسيرية، ومرضياً لجميع الأَذواق.

---

(١) ينظر ترجمته في: الأعلام (١٧٧/٧)، أعيان البيان ٩٩، أعلام العراق ٢١.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

منهجنا في التحقيق

اتبعنا في تحقيق الكتاب ما يلي:

أولاً: عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها.

ثانياً: تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب، مع وضع كتاب «الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» لابن حجر مبدوءاً بـ «قال الحافظ: ....» وكذا استعنا بتخريج الزيلعي على الكشاف.

ثالثاً: تخريج الشواهد الشعرية وتوثيقها مع وضع كتاب «مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف» للشيخ محمد عليان.

رابعاً: وضع تعقبات السمين الحلبي في الدر المصون على الكشاف ودفعها.

خامساً: توثيق بعض الآثار الواردة في الكتاب.

سادساً: التعليق على بعض المسائل البلاغية في الكتاب.

سابعاً: تراجم لبعض الرواة.

ثامناً: شرح بعض الألفاظ الغريبة.

تاسعاً: وضع كتابي: «الانتصاف» للإمام أحمد بن المنير الاسكندري، وكتاب: حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي.

عاشراً: وضع مقدمة للكتاب.

الحادي عشر: وضع فهارس عامة للكتاب.

وصف النسخ الخطية

النسخة الأولى: وهي المحفوظة بمكتبة الأحقاف وتقع تحت رقم (٢٦٠) تفسير، في مجلدين، وعدد أوراقهما (٢١٥)ق، (٢٧٧)ق.

النسخة الثانية: وهي المحفوظة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (٣٤٠) تفسير، وعدد أوراقها (٢٨٣)ق.

النسخة الثالثة: وهي المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٩٧) تفسير طلعت في مجلدين، وعدد أوراقهما (٣٩٥)، (٤٧٧)ق.

النسخة الرابعة: وهي المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٨٨) تفسير، في مجلدين، وعدد أوراقهما (٢٧٣)، (٦٠٢)ق.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً، ونزّله بحسب المصالح منجماً، وجعله بالتحميد مُفتتحاً، وبالاستعاذة مختتماً، وأوحاه على قسمين متشابهاً ومحكماً؛ وفصله سوراً وسوّره آيات، وميز بينهنّ بفصول وغايات، وما هي إلا صفات مبتدىء مبتدع، وسمات منشىء مخترع؛ فسبحان من استأثر بالأوّلية والقِدم، ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم؛ أنشأه كتاباً ساطعاً تبيانه، قاطعاً برهانه، وحياً ناطقاً ببينات وحجج، قرآنا عربياً غير ذي عوج، مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية، مصداقاً لما بين يديه من الكتب السماوية، معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان، دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان، أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء، وأبكم به من تحدّى به من مصاقع الخطباء، فلم يتصدّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم؛ على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء، وأوفر عدداً من رمال الدهناء؛ ولم ينبض[١] منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادّة والمضارّة، وإلقائهم الشراشر[٢] على المعازة والمعارّة، ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط، وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط؛ إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر، وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر؛ وقد جرّد لهم الحجة أوّلاً، والسيف آخراً، فلم يعارضوا إلا السيف وحده، على أنّ السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حدّهُ؛ فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أنّ البحر قد زخر فطمّ على الكواكب[٣]، وأنّ الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب.

---

(١) قوله: «ولم ينبض» أي يتحرك كما في الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «الشراشر» في الصحاح؛ الشراشر الأثقال. الواحدة شرشرة يُقال: ألقى عليه شراشره حرصاً ومحبة. وفيه: العرارة شدة الحرب، واسمه للسودَد. (ع)

(٣) قوله «فطم على الكواكب» في الصحاح: الكوكب النجم، وكوكب الشيء معظمه، وكوكب الروضة نورها، والمعنى الأخير هو المراد هنا، والأول هو ما يأتي. (ع)

والصلاة [والسلام] على خير من أُوحيَ إليه حبيب الله أبي القاسم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم؛ ذي اللواء المرفوع في بني لؤيّ، وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصيّ؛ المثبت بالعصمة، المؤيد بالحكمة، الشادخ[1] الغرّة الواضح التحجيل، النبيّ الأميّ المكتوب في التوراة والإنجيل/ ؛ وعلى آله الأطهار، وخلفائه من الأختان والأصهار، وعلى جميع المهاجرين والأنصار.

اعلم: أنّ متن كلّ علم وعمود كل صناعة ـ طبقات العلماء فيه متدانية، وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية، إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطا يسيرة، أو تقدّم الصانع الصانع لم يتقدّمه إلا بمسافة قصيرة؛ وإنما الذي تباينت فيه الرتب، وتحاكت فيه الركب، ووقع فيه الاستباق والتناضل، وعظم فيه التفاوت والتفاضل؛ حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد، وترقى إلى أن عدّ ألف بواحد ـ ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث للفكر، ومن غوامض أسرار، محتجبة وراء أستار، لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم، وإلا واسطتهم وفصهم، وعامتهم عماة عن إدراك حقائقها بأحداقهم، عناة في يد التقليد لا يمنّ عليهم بجزّ نواصيهم وإطلاقهم.

ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح[2]؛ من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها ـ علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم؛ كما ذكر الجاحظ في كتاب «نظم القرآن»، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار، وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ؛ والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوّة لحييه ـ لا يتصدّى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق؛ إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن؛ وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثه على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله؛ بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ؛ كثير المطالعات، طويل المراجعات؛ قد رجع زماناً ورجع إليه، وردّ وردّ عليه؛ فارساً في علم الإعراب، مقدّماً في حملة

(١) قوله: «الشادخ الغرة» في الصحاح: شدخت الغرة، إذا اتسعت. (ع)
(٢) قوله: «بما يبهر الألباب القوارح» في الصحاح: قرح الحافر، إذا انتهت أسنانه، وكل ذي حافر يقرح، وكل ذي خف يبزل. (ع)

الكتاب؛ وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها، مشتعل القريحة وقّادها؛ يقظان النفس درّاكاً للمحة وإن لطف شأنها، منتبهاً على الرمزة وإن خفي مكانها، لا كزّا جاسياً، ولا غليظاً جافياً، متصرفاً ذا دراية بأساليب النظم والنثر، مرتاضاً غير ريض[١] بتلقيح بنات الفكر؛ قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم ويرصف، طالما دفع إلى مضايقه، ووقع في مداحضه ومزالقه.

ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية[٢] العدلية، الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية، كلما رجعوا إليّ في تفسير آية فأبرزت لهم/ بعض الحقائق من الحجب، أفاضوا في الاستحسان والتعجب؛ واستطيروا شوقاً إلى مصنف يضم أطرافاً من ذلك حتى اجتمعوا إليّ مقترحين أن أملي عليهم «الكشف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» فاستعفيت، فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد، والذي حداني على الاستعفاء على علمي؛ أنهم طلبوا ما الإجابة إليه عليّ واجبة؛ لأنّ الخوض فيه كفرض العين ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله، وركاكة رجاله، وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم؛ فضلاً أن تترقى إلى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان، فأمليت عليهم مسألة في الفواتح، وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة، وكان كلاماً مبسوطاً كثير السؤال والجواب طويل الذيول [والأذناب]، وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم مناراً ينتحونه ومثالاً يحتذونه، فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والإناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة، وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من أهلها ـ وقليل ما هم ـ عطشى الأكباد إلى العثور على ذلك المملى، متطلعين إلى إيناسه، حرّاصاً على اقتباسه، فهز ما رأيت من عطفي وحرّك الساكن من نشاطي، فلما حططت الرحل بمكة إذا أنا بالشعبة السنية، من الدوحة الحسنية: الأمير الشريف الإمام شرف آل رسول الله أبي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ـ أدام الله مجده ـ وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم ـ أعطش الناس كبداً وألهبهم حشى وأوفاهم رغبة، حتى ذكر أنه كان يحدّث نفسه ـ في مدّة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشادّة ـ بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل إلى إصابة هذا الغرض؛ فقلت: قد

---

(١) قوله: «غير ريض» في الصحاح: ناقة ريض، أول ما ريضت وهي صعبة بعد. (ع)

(٢) قوله: «مِن أفاضل الفئة الناجية» هي التي سمّاها أهل السُّنَّة بالمعتزلة، فقوله: «إخواننا في الدين» يقتضي أنه مِن المعتزلة؛ ولذا تراه في مسائل الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة يقول المعتزلة، فإذا كان ظاهر الآية يوافقهم أبقاها على ظاهرها، وإذا كان يخالفهم صرفها عن ظاهرها إلى معنى يوافقهم، عفى اللّه عنه. (ع)

ضاقت على المستعفي الحيل، وعيت به العلل، ورأيتني قد أخذت مني السنّ، وتقعقع الشنّ، وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب، فأخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر(١)، ووفق الله وسدّد ففرغ [منه] في مقدار مدّة خلافة أبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه(٢) ـ وكان يقدّر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة، وما هي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم، وبركة أفيضت عليّ من بركات هذا الحرم المعظم؛ أسأل الله أن يجعل ما تعبت فيه منه سبباً ينجيني، ونوراً [لي] على الصراط يسعى بين يدي وبيميني؛ ونعم المسئول.

---

(١) قوله: «والفحص عن السرائر» لعله «الشرائد» أو «الشدائد». (ع)

(٢) قوله: «ففرغ منه في مقدار خلافة أبي بكر الصديق ـ رضيَ اللّه عنه ـ: وكان يقدر تمامه في أكثر مِن ثلاثين سنة» كانت مدة خلافة أبي بكر ـ رضيَ اللّه عنه ـ سنتين وثلاثة أشهر على الصواب، وكأنه لمح بذكر الثلاثين إلى حديث سفينة مرفوعاً «الخلافة بعدي ثلاثون سنة» أخرجه الترمذي وغيره. فكأنه قال يقدر تمامه في مدة الخلفاء الراشدين فيسره اللّه في قدر مدة أولهم وأفضلهم. وكانت أيضاً أقصر مِن مدة الثلاثة الذين بعده؛ لأن خلافة عمر رضيَ اللّه عنه كانت عشراً وأشهراً. وعثمان رضيَ اللّه عنه اثني عشرة سنة. وعلي رضيَ اللّه عنه خمس سنين إلا أشهراً. وقُتِل علي رضيَ اللّه عنه بعد النبي صلّى اللّه عليه وسلّم بتسع وعشرين سنة ونصف، وأكمل النصف مدة الحسن بن علي رضيَ اللّه عنه، واللّه أعلم. أهـ مِن تخريج الأحاديث للحافظ ابن حجر.

سورة فاتحة الكتاب

مكية، وقيل: مكية ومدنية؛ لأنها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى، وتسمى: أمَّ القرآن؛ لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو أهله، ومن التعبد بالأمر والنهي، ومن الوعد/ ٣أ والوعيد، وسورة الكنز والوافية لذلك، وسورة الحمد والمثاني؛ لأنها تثنى في كل ركعة، وسورة الصلاة؛ لأنها تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها، وسورة الشفاء والشافية، وهي سبع آيات بالاتفاق، إلا أنّ منهم من عدّ: ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة:٧] دون التسمية، ومنهم من مذهبه على العكس.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُرَّاءُ المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أنّ التسمية ليست بآية من الفاتحة، ولا من غيرها من السور؛ وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها، كما بُدىء بذكرها في كل أمر ذي بال؛ وهو مذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ ومن تابعه؛ ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة. وقُرّاء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة، وعليه الشافعي وأصحابه ـ رحمهم الله ـ ولذلك يجهرون بها. وقالوا: قد أثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن، ولذلك لم يثبتوا ﴿آمين﴾، فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها. وعن ابن عباس: «مَنْ تَرَكَهَا، فَقَدْ تَرَكَ مائَةً وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ آيَةً مِنْ كِتَابِ الله تَعَالَىٰ» (١).

---

١ ـ قال الزيلعي في «الإسعاف» (١/ ٢١): غريب، أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٣٩) من طريق شهر بن حوشب عن ابن عباس بلفظ: «من ترك بسم الله الرحمن الرحيم، فقد ترك آية من كتاب الله».

فائدة: أخرج الحافظ البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٤٠) رقم (٢٣٣٨) بسنده إلى الإمام أحمد قال: من لم يقرأ مع كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم، فقد ترك مائة وثلاث عشرة آية من كتاب الله.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: موقوف، ليس بمعروف عنه، والذي في «الشعب» للبيهقي عنه: «من ترك بسم الله الرحمن الرحيم، فقد ترك آية من كتاب الله». وتعقب ابن الحاجب ما أورده الزمخشري، بأن قال: «الصواب مائة وثلاث عشرة»، وبهذا اللفظ ذكر الشهرزوري في «المصباح».
وزاد: وإنما لم يقل: «أربع عشرة»؛ لأن «براءة» لا بسملة فيها، انتهى. روى البيهقي في «الشعب» =

فإن قلت: بم تعلقت الباء؟ قلت: بمحذوف تقديره: بسم الله أقرأ أو أتلو[1]؛ لأنّ الذي يتلو التسمية مقروء، كما أنّ المسافر إذا حلّ أو ارتحل فقال: بسم الله والبركات، كان المعنى: بسم الله أحل وبسم الله أرتحل؛ وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله؛ بـ «بسم الله» كان مضمراً ما جعل التسمية مبدأ له، ونظيره في حذف متعلق الجارّ قوله عزّ وجلّ: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ [النمل: ١٢]، أي: اذهب في تسع آيات. وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس: بالرفاء والبنين. وقول الأعرابي: باليمن والبركة، بمعنى: أعرست، أو نكحت؛ ومنه قوله [من الوافر]:

= عن أحمد بن حنبل، أنه قال: «من لم يقل مع كل سورة: بسم الله الرحمن الرحيم، فقد ترك مائة وثلاث عشرة آية من كتاب الله تعالى».

قلت: وقفت على سبب الغلط في منقول الزمخشري؛ وذلك أن الحاكم روى في ترجمة عبد الله بن المبارك بسند له عن علي القاشاني قال: «رأيت عبد الله بن المبارك يرفع يديه في أول تكبيرة على الجنازة، ثم الثانية أخفض قليلاً، والصلوات مثل ذلك». قال علي: قال عبد الله: «من ترك بسم الله الرحمن الرحيم في فواتح السور، فقد ترك مائة وثلاث عشرة آية». قال عبد الله: وأخبرنا حنظلة بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: «من ترك بسم الله الرحمن الرحيم، فقد ترك آية من كتاب الله تعالى»، فلما لم يخص ابن عباس سورة، حمله ابن المبارك على الكل إلاّ «براءة» فكان مائة وثلاث عشرة. انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه اللّه تعالى: «الباء في البسملة تتعلق بمحذوف تقديره: بسم اللّه أقرأ أو أتلو» قال أحمد: رحمه اللّه تعالى: الذي يقدره النحاة «أبتدىء» وهو المختار لوجوه: الأول: أن فعل الابتداء يصح تقديره في كل بسملة ابتدىء بها فعل ما مِن الأفعال خِلاف فعل القراءة، والعام صحة تقديره أولى أن يقدر، ألا تراهم يقدرون متعلق الجار الواقع خبراً أو صفة أو صلة أو حالاً بالكون والاستقرار حيثما وقع ويؤثرونه لعموم صحة تقديره، والثاني: أن تقدير فعل الابتداء مستقل بالغرض من البسملة إذ الغرض منها أن تقع مبدأ فتقدير فِعل الابتداء أوقع بالمحل، وأنت إذا قدرت «أقرأ» فإنما تعني أبتدىء القراءة والواقع في أثناء التلاوة قراءة أيضاً لكن البسملة غير مشروعة في غير الابتداء. ومنها ظهور فعلِ الابتداء في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾. وقال عليه السلام: «كل أمر خطير ذي بال لا يبدأ فيه باسم اللّه فهو أبتر». ولا يعارض هذا ما ذكره من ظهور فعلِ القراءة في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ فإنّ فعل القراءة إنما ظهر ثم لأن الأهم هو القراءة غير منظور إلى الابتداء بها. ألا ترى إلى تقدم الفعل فيها على متعلقه لأنه الأهم ولا كذلك في البسملة؛ فإن الفعل المقدر كائنا ما كان إنما يقدر بعدها، ولو قدر قبل الاسم لفات الغرض من قصد الابتداء إذاً على أنه الأهم في البسملة، فوجب تقديره، وسيأتي الكلام على هذه النكتة.
قال السمين الحلبي: وأجاب غيره بأن «باسم ربك» ليس متعلقاً بـ «اقرأ» الذي قبله بل بـ «اقرأ» الذي بعده.
وفي هذا نظر؛ لأن الظاهر على هذا القول أن يكون: ﴿اقرأ﴾ الثاني توكيداً للأول، فيكون قد فصل بمعمول المؤكد بينه وبين ما أكده مع الفصل بكلام طويل. انتهى. الدر.

فَقُلْتُ: إِلَى الطَّعامِ فَقَالَ مِنْهُمْ فَرِيقٌ: نَحْسُدُ الْأَنَسَ الطَّعَامَا[1]

فإن قلت: لم قدّرت المحذوف متأخراً[2]؟ قلت: لأنّ الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به؛ لأنهم كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم، فيقولون: باسم اللات، باسم العزى،

---

(١) ونار قد حضأت لها بِلَيْلٍ بدار ما أريد بها مقاما
سوى ترحيل راحلة وعين أكاليها مخافة أن تناما
أتوا ناري فقلت: منون أنتم؟ فقالوا: الجن قلت: عموا ظلاما
فقلت: إلى الطعام فقال منهم زعيم: نحسد الأنس الطعاما
لقد فضلتم في الأكل فينا ولكن ذاك يعقبكم سقاما

لشمر بن الحارث الضبي، وقيل لتأبط شراً، وقيل لشمر الغساني، وقيل للفرزدق يصف نفسه بالجرأة واقتحام المخاوف. يقول: ورب نار قد حضأتها بالحاء المهلة: أشعلتها وسعرتها، وقيل هو خضأتها، بالمعجمة، ولا أعله وإن ذكره بعض النحاة في باب الحكاية، وبعيد: تصغير بعد، والوهن والموهن: بمعنى الفتور أو النوم أو هدوء الصوت، وقيل: نحو نصف الليل. أي أوقدتها في جوف الليل في مفازة لا أريد بها سوى تجهيز ما يلزم لراحلتي في السفر ولأجل عين أكاليها أي أساهرها أو أحافظها، فأنا أحفظها مِن النوم وهي تحفظني من العدو، والضمير في أتوا: لمبهم. ومنون استفهام، وكان حقه: مَن أنتم، لأنه لا يأتي بصورة الجمع إلا في الوقف، والأصل في نونه الأخيرة السكون للوزن، على أن إجراء الوصل مجرى الوقف كثير في النظم كما صرحوا به وجعلوا هذا منه، وكأن هناك قول مقدر مثل «جئناك» فحكى إعراب ضمير الفاعل فيه حتى يظهر استشهاد يونس به في الحكاية. فقالوا: نحن الجن. وكان الظاهر: فقلت عموا. ولكن أتى به مستأنفاً جواب سؤال مقدر تقديره: فماذا قلت لهم؟ فقال: قلت: عموا، أي تنعموا في وقت الظلام، وعطف قوله «فقلت» بالفاء دلالة على التعقيب. وأما رواية «عموا صباحاً» فمن قصيدة أخرى تعزى إلى خديج بن سنان الغساني ومنها [من الوافر]:

نزلت بشعب وادي الجن لما رأيت الليل قد نشر الجناحا

وشبه الليل بطائر، فأثبت له ما للطائر. أو شبه الظلمة بالجناح، وقوله «إلى الطعام» أي هلموا وأقبلوا إليه. دل المقام على ذلك، فقال زعيم منهم، أي سيد وشريف: نحن نحسد الأنس في الطعام أو على الطعام، فهو نصب على نزع الخافض. ويجوز أنه بدل، ويجيء «حسد» متعدياً لاثنين، والطعاما: مفعوله الثاني. وقال الجوهري: الأنس هنا بالتحريك: لغة في الإنس، ويجوز قراءته «الإنس» على اللغة المشهورة. لقد فضلتم عنا في الأكل حال كونكم فينا أي فيما بيننا، ولكن ذاك يلحقكم سقاماً في العاقبة. وهذا كله من أكاذيب العرب.

وهو لشمر بن الحارث الضبي في لسان العرب (حسد)، وتاج العروس ٨/ ٢٥، والحيوان ٦/ ١٩٧، ولسهم بن الحارث في الحيوان ٤/ ٤٨٢، ولتأبط شرًا في ديوانه ص ٢٥٧، وبلا نسبة في لسان العرب (أنس)، وجمهرة اللغة ص ٥٠٢، وتاج العروس (أنس)، وانظر المزيد من مصادر البيت، والقول في نسبته في ديوان تأبط شرًا ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٢) قال محمود: «لم قدرت المحذوف متأخراً. . . إلخ» قال أحمد رحمه الله: لأنك لو ابتدأت بالفعل في التقدير لما كان الاسم مبتدأ به فيفوت الغرض من التبرك باسم الله تعالى أول نطقك. وأما إفادة التقديم الاختصاص ففيه نظر سيأتي إن شاء الله تعالى.

فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله ـ عزّ وجلّ ـ بالابتداء؛ وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، حيث صرح بتقديم الاسم، إرادة للاختصاص. والدليل عليه قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١]. فإن قلت: فقد قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، فقدّم الفعل. قلت: هناك تقديم الفعل أوقع لأنها أوّل سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم. فإن قلت: ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة؟[1] قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك: كتبت بالقلم، على معنى أنّ المؤمن لما اعتقد أنّ فعله لا يجيء معتداً به في الشرع واقعاً على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله؛ لقوله عليه ـ الصلاة والسلام ـ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يُبْدَأْ فِيهِ بِاسْمِ اللهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ» (٢) إلا كان فعلا كلا فعل، جعل فعله مفعولاً باسم الله، كما

---

٢ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ٢٦١) كتاب الأدب: باب الهدى في الكلام حديث (٤٨٤٠) وابن ماجة (١/ ٦١٠) كتاب النكاح: باب خطبة النكاح حديث (١٨٩٤)، وأحمد (٢/ ٣٥٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٤٩٤)، والدارقطني (١/ ٢٢٩) رقم (١)، وابن حبان (٥٧٨ ـ موارد) وبرقم (١، ٢ ـ الإحسان)، والبيهقي (٣/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩)، كتاب الجمعة: باب ما يستدل به على وجوب التحميد في خطبة الجمعة كلهم من طريق الأوزاعي عن قرة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة به.

قال أبو داود: رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد ابن عبد العزيز عن الزهري عن النبي ـ ﷺ ـ مرسلاً. ا.هـ.

وكذا قال البيهقي.

وقال الدارقطني: تفرد به قرة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وأرسله غيره عن الزهري عن النبي ـ ﷺ ـ وقرة ليس بقوي في الحديث، والمرسل هو الصواب.

ورجح المرسل أيضاً الدارقطني في «العلل» (٨/ ٢٩ ـ ٣٠)، فقال: يرويه الأوزاعي، واختلف عنه، فرواه عبيدالله بن موسى وابن أبي العشرين والوليد بن مسلم وابن المبارك وأبو المغيرة عن الأوزاعي عن قرة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ ورواه محمد بن كثير عن الأوزاعي عن الزهري كذلك لم يذكر قرة، ورواه وكيع عن الأوزاعي عن قرة عن الزهري قال =

---

(١) قال محمود: «فإن قلت ما معنى تعلق اسم اللّه تعالى بالقراءة... إلخ»؟ قال أحمد رحمه اللّه: وفي قوله: «إن اسم اللّه هو الذي صير فعله معتبراً شرعاً» حيد عن الحق المعتقد لأهل السنّة في قاعدتين: إحداهما أن الإسم هو المسمى، والأخرى أن فعل العبد موجود بقدرة اللّه تعالى لا غير؛ فعلى هذا تكون الاستعانة باسم اللّه معناها اعتراف العبد في أول فعله بأنه جار على يديه، وهو محل له لا غير؛ وأما وجود الفعل فيه فباللّه تعالى أي بقدرته تسليماً للّه في أول كل فعل؛ والزمخشري رحمه اللّه لا يستطيع هذا التحقيق لاتباعه الهوى في مخالفة القاعدتين المذكورتين، فيعتقد أن اسم اللّه تعالى الذي هو التسمية معتبر في شرعية الفعل لا في وجوده؛ إذ وجوده على زعمه بقدرة العبد. فعلى ذلك بنى كلامه. أقول: دعواه أن عند أهل السنّة الاسم غير المسمى ممنوعة، وتحقيقه قد ذكر في غير هذا الكتاب.

= رسول الله - ﷺ - مرسلاً.
ورواه محمد بن سعيد يقال له: الوصيف عن الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه، والصحيح عن الزهري المرسل. ا.هـ.
أما الحاكم - رحمه الله - فقد صحح لقرة بن عبد الرحمن على شرط مسلم حديث: «حذف السلام سنة»، ووافقه الذهبي.
قلت: وهذا من أوهامهما - رحمهما الله - فإن قرة بن عبد الرحمن لم يرو له مسلم احتجاجاً، ولكن روى له في المتابعات، فلا نستطيع مثلاً أن نصحح لقطن بن نسير أو غيره ممن روى له مسلم في المتابعات، على شرط مسلم.
والعجب من الذهبي في موافقته للحاكم أكثر، لأنه أورد قرة بن عبد الرحمن في «ميزانه» (٥/ ٤٧٠ - بتحقيقنا).
وقال: خرج له مسلم في الشواهد ا.هـ.
قلت: ومدار الحديث على قرة بن عبد الرحمن، فإليك أقوال الأئمة فيه.
قال أبو حاتم: ليس بقوي، وقال أبو زرعة: الأحاديث التي يرويها مناكير، وقال أحمد: منكر الحديث جداً.
وقال ابن معين: ليس بقوي الحديث.
وقال العجلي: يكتب حديثه.
وقال ابن شاهين عن يحيىٰ: ليس به بأس عندي.
وقال الفسوي: ثقة.
وقال ابن عديّ: أرجو أنه لا بأس به.
وقد لخص الحافظ هذه الأقوال: فقال: صدوق له مناكير.
ينظر «الجرح والتعديل» (٧/ ١٣٢)، و «أحوال الرجال» (ص١٦٥)، «سؤالات ابن طهمان»؛(٦٣٩)، و«ثقات العجلي» (١٣٨٥) و«ثقات ابن شاهين» (١١٦٣)، و«المعرفة والتاريخ» (٢/ ٤٦٠)، و«الكامل» (٦/ ٢٠٧٧)، والتقريب (٢/ ١٢٥).
قلت: وعلى افتراض أن قرة ثقة فقد خالفه الأكثرون من أصحاب الزهري، وهم يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبد العزيز، وهم بلا شك أكثر وأوثق من قرة بن عبد الرحمن.
وهذا الذي رجحه الدارقطني، وأبو داود، والبيهقي.
ثمّ إن قرة قد اضطرب في لفظ هذا الحديث، فمرة يرويه بلفظ: أبتر، ومرة بلفظ: أجذم، ومرة بلفظ: أقطع.
ومع كل ما تقدم فقد حكم النووي في «المجموع» (١/ ٧٣)، بأنه حديث حسن، وكذلك ابن الصلاح فيما نقله عنه السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (١/ ٩)، وقد حكم السبكي أيضاً بصحته تبعاً لابن حبان.
ولهذا الحديث إسناد آخر أشار إليه الدارقطني في «السنن» (١/ ٢٢٩)، فقال: ورواه صدقة عن محمد بن سعيد عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن النبي - ﷺ -.
وأشار إليه أيضاً في «العلل» (٨/ ٣٠)، فقال: ورواه محمد بن سعيد يقال له: الوصيف عن الزهري عن ابن كعب ابن مالك عن أبيه.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٧٢) رقم (١٤١) من طريق صدقة بن عبد الله عن محمد بن =

يفعل الكتب بالقلم. والثاني: أن يتعلق بها تعلق الدهن بالإنبات[1] في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] على معنى: [متبرّكاً] بسم الله أقرأ، وكذلك قول الداعي للمعرس: بالرفاء والبنين، معناه: أعرست ملتبساً بالرفاء والبنين، وهذا الوجه/٣ب أعرب وأحسن؛ فإن قلت: [فكيف] قال الله ـ تبارك وتعالى ـ متبركاً باسم الله أقرأ؟ قلت: هذا مقول على ألسنة العباد، كما يقولُ الرجل الشعر على لسان غيره، وكذلك: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] إلى آخره، وكثير من القرآن على هذا المنهاج، ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه، وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه[2]، فإن قلت: من حق

= الوليد الزبيدي عن الزهري عن عبد الله بن كعب عن أبيه عن النبي ـ ﷺ ـ به.
ومن طريقه السبكي في «طبقات الشافعية» (١/ ١٤)، وصدقة بن عبد الله ضعيف.
والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٩١).
وقال: وفيه صدقة بن عبد الله ضعفه أحمد، والبخاري ومسلم وغيرهم، ووثقه أبو حاتم ودحيم في رواية.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»:
لم أره هكذا. والمشهور فيه حديث أبي هريرة من رواية قرة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «لا يبدأ فيه بحمد الله أقطع»، أخرجه أبو عوانة في صحيحه، وأصحاب السنن، ولأحمد من هذا الوجه: «لا يفتتح بذكر الله، فهو أبتر، أو أقطع». وللخطيب في الجامع من طريق مبشر بن إسماعيل عن الزهري بلفظ: «لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، فهو أقطع، والراوي له عن مبشر ـ مجهول». انتهى.

---

(١) قوله «تعلق الدهن بالإنبات» هذا يناسب قراءة «تنبت» من أنبت الرباعي: كما يأتي. (ع)
(٢) يقدم الزمخشري هذا المبحث بكلام قوي عند البسملة حتى يصل في ختام المبحث بقوله: «وكثير من القرآن على هذا المنهاج، ومعناه: تعليم (الله) عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه».
قد بين الزمخشري من أسرار هذا الحذف ما أفاء الله به عليه، وفي تقدير هذا المحذوف فعلاً أو اسماً وكلام طويل، وخلاصة هذا كله:
١ ـ أن الحذف لا يكون إلا لسر بلاغي يستدعيه المقام، ولا يقع هذا السر موقعه في النفس إلا بهذا الحذف من بليغ الكلام كما أورد الزمخشري ـ رحمه الله ـ تعالى ـ هنا في البسملة، وقد فهم البلاغيون هذا فقالوا: إن السر هو: الإسراع إلى المقصود الأهم، وقد يضاف إلى ذلك ضيق المقام عند ذكر المسند أو غيره، وبهذا يكون المذكور هو الأهم، ولهذا قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ:
«ومتعلق الباء محذوف وهو ـ أقرأ أو أتلو ـ لأن المناسب لما جعلت البسملة مبدأ له فمن قدره متقدماً كان غرضه الدلالة على الاهتمام بشأن الفعل، ومن قدره متأخراً كان غرضه الدلالة بتأخيره على الاختصاص مع ما يحصل في ضمن ذلك من العناية بشأن الاسم، والإشارة إلى أن البداية أهم لكون التبرّك حصل به، وبهذا يظهر رجحان تقدير الفعل متأخراً في مثل هذا المقام، ولا يعارضه قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ لأن ذلك المقام مقام القراءة فكان الأمر بها أهم، وأما الخلاف في كون المقدر اسماً أو فعلاً فلا يتعلق بذلك كثير فائدة». =

= أقول: وهذا الفهم الدقيق من كلام الله ـ سبحانه ـ إنما تأتي لهم من فقههم لكلام العرب، فقد سب أعرابي آخر فأعرض عنه، فقال: إياك أعنى، فرد عليه: وعنك أعرض، وبذلك قدم الأهم «ينظر البحر المحيط، هذا وقد تتناغم عدة معانٍ مقصودة عند المتكلم مع كونه لأبي حيان ١/ ٢٤، ونقله صاحب العبارة واحدة بما فيها من ذكر وحذف، فترى المرمى البلاغة القرآنية ص ٣٤٠. د. محمد محمد أبو موسى منها: أهمية المذكور دون سواه، والاختصاص، ـ نشر مكتبة وهبة والإشعار بالتعظيم كما في «بسم الله» فإنه ـ سبحانه ـ صاحب الكمالات التي تليق بذاته المقدسة، وكمالاته لا تتناهي، ولهذا لا يعتد بأمر ذي بال إلا بتصديره باسمه ـ جل جلاله ـ كما صح هذا في سنة النبي ـ ﷺ ـ وقد كتب كبار العلماء بحوثاً نفيسة متفردة في البسملة لما فيها من عجائب وأسرار وآثار ومن أرادها فليراجعها في مواطنها.

٢ ـ لا بد مع الحذف من قرينة تدل على المحذوف وإلا ما صح الحذف، فالمحذوف كأنه مذكور مع وجود ما يدل عليه، ولكنه لم يذكر في الكلام للأسرار التي كشفت عنها الغطاء فيما سبق وبعد أن فهمنا بداية معنى «أل» كما «وينظر كذلك شرح ابن عقيل بتحقيق الشيخ ـ محمد محي الدين وتنظر في كيفية تطبيق العلماء عبد الحميد ٢/ ١٩٦ ـ ط. دار إحياء التراث العربي لهذا المفهوم في النصوص البليغة، وقد جمع الباحث هذا في يعلم هذا الذي قلناه حق العام لكنه محكوم كتاب علم المعاني: دراسة وتحليل للباحث بمذهبه الاعتزالي كما أشار إلى هذا السيد د. فتحي عبد الرحمن حجازي وزملائه «ط ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م.

الشريف، ولهذا ترى النسفي الذي خلص كتابه من الكشاف لكنه في عقيدته سني يرجح كون «أل» في «الحمد لله» للاستغراق، وعبارته هكذا:

«والألف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافاً للمعتزلة، ولهذا فرق باسم الله لأنه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال، وهو بناء على مسألة خلق الأفعال». أما العلامة أبو السعود فقد أحسن القول وأجاد، وكلامه هكذا: «وتعريفه للجنس، ومعناه الإشارة إلى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع، والمراد: تخصيص حقيقة الحمد به ـ تعالى ـ المستدعي لتخصيص جميع أفرادها به ـ سبحانه ـ على الطريق البرهاني... وقد قيل: للاستغراق الحاصل بالقصد إلى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع أفرادها حسبما يقتضيه المقام».

والناظر في كلام الإمام الرازي يرى أنه ذكر القولين: «الجنسية، والاستغراقية» ولم يرجح أحد القولين على الآخر، ولعله رآها تصلح من الطريقين، وكل منهما يؤدي إلى الآخر، وسنوضح هذا في نهاية المقام وجاء الشوكاني في خاتمة المطاف ورجح كونها للاستغراق، ورد كلام الزمخشري، فهو يقول: «وتعريفه لاستغراق أفراد الحمد، وأنها مختصة بالرب ـ سبحانه ـ على معنى أن حمد غيره لا اعتداد به، لأن المنعم هو الله ـ عز وجل ـ أو على أن حمده هو المفرد فيكون الحصر ادعائياً، ورجح صاحب الكشاف أن التعريف هنا هو تعريف الجنس لا الاستغراق، والصواب ما ذكرناه» ثم استدل على ترجيحه للاستغراق بما ورد في الحديث فيقول:

«وقد جاء في الحديث ـ اللهم لك الحمد كله».

وقد فهم الشوكاني الاستغراق من كلمة «كله» فإنها تفيد جميع الأفراد وقد صوب كلامه على كلام الكشاف، وبهذا يكون قول الزمخشري مردوداً عليه، وفي المسألة كلام طويل حتى قال الإمام الألوسي:

«وقد صار هذا معترك الأفهام، ومزدحم أفكار العلماء الأعلام» ويفهم من جملة أقوال العلماء =

حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون، نحو: كاف التشبيه، ولام الابتداء، وواو العطف وفائه، وغير ذلك، فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر؟ قلت: أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء، وأما الباء: فلكونها لازمة للحرفية والجر، والاسم أحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون، فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة، لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن إذا كان دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن، لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة، ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة، وإذا وقعت في الدرج لم تفتقر إلى زيادة شيء، ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن، فقال: سم وسم، قال [من الرجز]:

بِـاسْـمِ الَّـذِي فِـي كُـلِّ سُـورَةٍ سُـمُـهْ[1]

= الأعلام أن «أل» الداخلة على النكرة كما في «الحمد لله» تفيد الجنس والحقيقة من ذات اللفظ بلا نظر إلى الأفراد، ثم يؤخذ من هذه الإفادة والتخصيص أن جميع الأفراد مقصودون من داخل الحقيقة، لأن الحقيقة تنطبق انطباقاً شمولياً على كل ما تصدق عليه من أفراد، وبهذا يتأتى الاستغراق بمعرفة المقام، فالاستغراق قد أتى على طريق البرهان فكان أقوى في الاستدلال عليه، لأنه لو خرج فرد من أفراد الكلمة لخرجت الحقيقة، فيلزم عدم اختصاص الحقيقة بصاحبها لأن اللام في «لله» للقصر.

والخلاصة من هذه كله:

١ ـ أن العلامة الزمخشري ـ نظراً لمذهبه الاعتزالي ـ يرى أن «أل» للجنس والحقيقة كما مر.

٢ ـ وأن غيره كالشوكاني ومن قبله يقول بأنها «للاستغراق».

٣ ـ ويرى فريق ثالث أنها تصلح لكلا الأمرين: الحقيقة، والاستغراقِ على توجيهين **قلت**: وقد أعدت النظر في هذا كله ورأيت أن الخلاف شكل لا طائل تحته، والمقصود في النهاية واحد، فمن قال بأنها للجنس فإنه لا يمنع إفادتها الاستغراق بالطريق البرهاني ـ كما بينت آنفاً ـ، ومن أفاد بأنها للاستغراق فقد نظر إلى الجنسية مع الاختصاص فإنهما يفيدان الاستغراق قطعاً، لانطباق المعنى المقصود في «الحمد» على جميع أفراده بلا استثناء، فالجنسية مع القرائن تفيد الاستغراق، والاستغراق مأخوذ من معنى الجنس والاختصاص بمعرفة المقام وهكذا. . .

وإذا كانت العلاقة هكذا بين الجنس والاستغراق صح إطلاق «أل» على كل منهما لأن كلا من المعنيين يتمازج من الآخر ومعه، وبهذا ينحل الإشكال، ويتضح المقال والله ـ تعالى ـ أعلم.

«ينظر تفسير النسفي ١/٣، ٩، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/٩، ١٣، مفاتيح الغيب للرازي ١/١٣٨، وحاشية الشهاب على البيضاوي ١/ ٣٥ وما بعدها، وروح المعاني للألوسي ١/٣٩، وما بعدها، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل في مقدمته ١/٣ ـ ٦، وفتح القدير ١/١٧، ١٨، ١٩.

(١) باسم الذي في كل سورة سمه — قد وردت على طريق تعلمه
أرسل فيها بازلا يقرمه — فهو بها ينحو طريقاً يعلمه

لرؤبة بن العجاج يصف إبلاً. ولفظ «اسم» مِن الألفاظ العشرة التي سمع بناء أوائلها على السكون كابن وامرىء، فإذا ابتدؤوا بها زادوا همزة الوصل ولا حاجة لها في الدرج، وسمع تحريك أول =

وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز: كيد ودم، وأصله: سمو، بدليل تصريفه: كأسماء، وسمي، وسميت، واشتقاقه من السمو، لأنّ التسمية تنويه بالمسمى وإشادة بذكره، ومنه قيل للقب النبز: من النبز بمعنى: النبر، وهو رفع الصوت، والنبز: قشر النخلة الأعلى. فإن قلت: فلم حذفت الألف في الخط، وأثبتت في قوله: باسم ربك؟ قلت: قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط؛ لكثرة الاستعمال، وقالوا: طُوِّلَتِ الباء تعويضاً من طرح الألف، وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبه: طوّل الباء، وأظهر السنات، ودوّر الميم، و: (الله) أصله الإله. قال [من الطويل]:

مَـعَـاذَ الإِلَـهِ أَنْ تَـكُـونَ كـظَـبْـيَـةٍ[1]

....

= بعضها كما في سمه بتثليث أوله. وباسم متعلق بأرسل وباؤه للملابسة. وضمير وردت للسورة. وضمير تعلمه بالفوقية للّه على طريق الالتفات إلى الخطاب، ويمكن أنه لمخاطب مبهم، وعلى روايته بالتحتية فالضمير للّه فقط. ويحتمل من بعد أن ضمير وردت للإبل فكذلك تعلمه بالفوقية. وأما بالتحتية فضميره للّه أو للراعي. والبازل: الذي انشق نابه من الإبل وذلك في السنة التاسعة وربما بزل في الثامنة، وقرم إلى اللحم ونحوه: اشتاق إليه. والتقريم والإقرام: التشويق إليه والجملة حال من الراعي المرسل أو صفة لبازل، وعليه فلم يبرز ضمير الفاعل لأمن اللبس. فهو أي البازل؛ وينحو: أي يقصد بها، والباء للظرفية أو للتعدية إلى المفعول به كذهبت بزيد، ويجوز أن الضمير للراعي فالباء للتعدية فقط. وروي «نزلت» بدل «وردت» وهو يؤيد جعل الضمير للسورة، وروي البيت الثاني قبل الأول. والمعنى أرسل فيها الراعي ملتبساً بذكر اسم اللّه بازلاً حال كونه يشوقه إليها بإعفائه من العمل وحبسه عن الإبل ثم إرساله فيها، فذلك البازل يقصد بها طريق يعرفه وهو طريق الضراب، وعلم ما لا يعقل مجاز عن اهتدائه إلى منافعه، على طريق الاستعارة التصريحية والمجاز المرسل، أو شبهه بالعاقل على طريق المكنية، فالعلم تخييل لذلك التشبيه. وكون اسمه تعالى في كل سورة ظاهر على القول بأن البسملة آية من كل سورة، وإلا ورد مثل سورة العصر. وربما يدفع إبطاء القافية باختلافها في الفاعل وفي معنى المفعول وفي الحقيقة والمجاز.

ينظر لسان العرب (سما)، وأسرار العربية ص ٨، والإنصاف ص ١٦، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٥٨، وشرح شواهد الشافية ص ١٧٦، ص ١٦٦، تاج العروس (سما)، أساس البلاغة (قرم).

(١) مـعـاذ الإلـه أن تـكـون كـظـبـيـة ... ولا دمـيـة ولا عـقـيـلـة ربـرب
ولـكـنـهـا زادت عـلـى الـحـسـن كـلـه ... كـمـالا ومـن طـيـب عـلـى كـل طـيـب

للبعيث بن حريث في محبوبته أم السلسبيل، يقال: عاذ عياذاً وعياذة ومعاذاً وعوذاً، إذا التجأ إلى غيره، فالمعاذ مصدر نائب عن اللفظ بفعله، والدمية: الصنم والصورة من العاج ونحوه المنقوشة بالجواهر. وعقيلة كل شيء: أكرمه. والربرب: القطيع من بقر الوحش: شبه محبوبته بالظبية وبالدمية وبالعقيلة في نفسه، ثم وجدها أحسن منها فرجع من ذلك والتجأ إلى اللّه منه كأنه أثم: أو المعنى لا أشبهها بذلك وإن وقع من الشعراء. وأتى بلا المؤكدة لما قبلها من معنى النفي أي ليست كظبية ولا دمية ولا عقيلة ربرب ولكنها زادت كمالاً على الحسن المعروف كله، أو زادت على الحسن الحسّي كمالاً معنوياً، وزادت من الطيب على كل طيب.

ينظر خزانة الأدب ٢/٢٧٧، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٣٧٨، الدر ١/٥٧.

ونظيره: الناس، أصله: الأُنَاس. قال: [من مجزوء الكامل]

إنَّ الـمَـنـايَـا يَـطَّـلِـعْـ ... ـنَ عَـلَـى الأُنَـاسِ الآمِـنِـيـنَـا[1]

فحذفت الهمزة، وعوّض منها حرف التعريف، ولذلك قيل في النداء: يا ألله بالقطع، كما يقال: يا إله، [والإله] ـ من أسماء الأجناس كالرجل والفرس ـ اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق، كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا، وكذلك السنة على عام القحط، والبيت على الكعبة، والكتاب على كتاب سيبويه، وأما: (الله) بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق، لم يطلق على غيره. ومن هذا الاسم اشتق: تأله، وأله، واستأله؛ كما قيل: استنوق، واستحجر، في الاشتقاق من الناقة والحجر. فإن قلت: أاسم هو أم صفة؟ قلت: بل اسم غير صفة، ألا تراك تصفه ولا تصف به؟ لا تقول: شيء إله، كما لا تقول: شيء رجل. وتقول: إلٰه واحد صمد، كما تقول: رجل كريم خير. وأيضاً فإنّ صفاته تعالى لا بدّ لها من موصوف تجرى عليه، فلو جعلتها كلها صفات، بقيت غير جارية على اسم موصوف بها، وهذا محال. فإن قلت: هل/ ٤أ لهذا الاسم اشتقاق؟ قلت: معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعداً معنى واحد، وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم: أله، إذا تحير/ ، ومن أخواته: دله، وعله، ينتظمهما معنى التحير والدهشة، وذلك أنّ الأوهام تتحير في معرفة المعبود، وتدهش الفطن، ولذلك كثر الضلال، وفشا الباطل، وقَلَّ النظر الصحيح. فإن قلت: هل تفخم لامه؟ قلت: نعم، قد ذكر الزجّاج أنّ تفخيمها سنة، وعلى ذلك العرب كلهم، وإطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابراً عن كابر.

و(الرحمٰن) فعلان من رحم، كغضبان، وسكران، من غضب، وسكر، وكذلك: (الرحيم) فعيل منه، كمريض وسقيم، من مرض وسقم، وفي: (الرحمٰن) من المبالغة ما ليس في: (الرحيم)[2]؛ ولذلك قالوا: رحمٰن الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا، ويقولون: إنّ

---

(١) شبه المنايا بأناس يبحثون عمن استحق الموت على طريق المكنية والاطلاع تخييل. والمعنى: أن المنايا تأتي للناس على حين غفلة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها. والأناس: اسم جمع لا واحد له من لفظه، مأخوذ من الإيناس وهو الإبصار لظهورها، أو من الأنس ضد الوحشة. والآمنون: الغافلون عن مجيء المنايا، فهو مجاز مرسل.
والبيت لذي جدن الحميري ينظر خزانة الأدب ٢/ ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٨، الأشباه والنظائر ١/ ٣١٢، والجنى الداني ص ٢٠٠، وجواهر الأدب ص ٣١٣، والخصائص ٣/ ١٥١، وشرح شواهد الشافية ص ٢٩٦، وشرح المفصل ٢/ ٥٢٩/ ١٢١، أمالي ابن الشجرى ١/ ١٢٤، مجالس العلماء ٨٠، الدر ١/ ٥٧.

(٢) قال محمود: «وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم... إلخ». قال أحمد رحمه الله: لا يتم الاستدلال بقصر البناء وطوله على نقصان المبالغة وتمامها. ألا ترى بعض صيغ المبالغة كفعل أحد =

الزيادة في البناء لزيادة المعنى. وقال الزّجّاج في الغضبان: هو الممتلىء غضباً. ومما طَنَّ على أُذني من ملح العرب أنهم يسمون مركباً من مراكبهم بالشقدف؟ وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق، فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل، أردت المحمل العراقي فقال: أليس ذاك اسمه الشقدف؟ قلت: بلى، فقال: هذا اسمه الشقنداف، فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى، وهو من الصفات الغالبة ـ كالدبران، والعيوق، والصعق ـ لم يستعمل في غير الله ـ عزّ وجلّ ـ، كما أنّ: (الله) من الأسماء الغالبة. وأما قول بني حنيفة في مُسَيْلِمَةَ: رَحْمَانُ اليمامة، وقولُ شاعرهم فيه: [من البسيط]

.... وأَنْتَ غَيْثُ الوَرَى لا زِلْتَ رَحْمَانَا[1]

فباب من تعنتهم في كفرهم، فإن قلت: كيف تقول: الله رحمٰن، أتصرفه أم لا[2]؟

= الأمثلة أقصر من فاعل الذي لا مبالغة فيه البتة. وأما قولهم: رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا، فلا دلالة فيه أيضاً على مبالغة رحمن بالنسبة إلى رحيم فإن حاصله أن الرحمة منه بالدلالة على إتمامها؛ ألا ترى ضارباً لما كان أعم من ضراب، كان ضراب أبلغ منه لخصوصه، فلا يلزم إذاً من خصوص رحيم أن يكون أقصر من رحمن لعمومه.

(١) سموت بالمجد يابن الأكرمين أبا ... وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

لرجل من بني حنيفة يمدح مسيلمة الكذاب، يقول: علوت بسبب المجد يابن الأكرمين من جهة الأب، وليس المراد خصوصه، بل مطلق الأصل، ولو كان المراد خصوصه لأشعر بالذم، وهو تمييز للأكرمين أو تمييز لـ «سموت»، وأنت كالغيث للورى في كثرة النفع، ولا زلت رحماناً: دعا بدوامه رحيماً عليهم؛ ورحمن خاص باللّه فإطلاقه على غيره جهل أو عناد. وقيل: إن الخاص به المحلى بأل.

ينظر: روح المعاني ٥٩/١، الدر المصون ٦٢/١.

(٢) قال محمود رحمه اللّه تعالى: «فإن قلت كيف تقول اللّه رحمن أتصرفه أم لا... إلخ»؟ قال أحمد: ليت شعري بعد امتناع فعلانة وفعلى ما الذي عين قياسه على عطشان دون ندمان مع أن قياسه على ندمان معتضد بالأصل في الأسماء وهو الصرف؟ أقول: الذي عينه هو أن باب سكران وعطشان أكثر من باب ندمان، وإذا احتمل أن يكون من كل واحد منهما فحمله على ما هو الأكثر أولى؛ ولأن رحمن وعطشان مشتركان في عدم وجود فعلانة. بخلاف ندمان فلهذا كان حمله على عطشان أولى، ثم قال: وقد نقل غيره خلافاً في صرف رحمن مجرداً من التعريف، وبناه على تعيين العلة في منع صرف عطشان هل هي وجود فعلى فيصرف رحمن، أو امتناع فعلانة فيمتنع الصرف؟ وهو أيضاً نظر قاصر. وأتم منهما أن يقال: امتنع صرف عطشان وفاقاً وامتناع صرفه معلل بشبه زيادتيه بألفي التأنيث، والشبه دائر على وجود فعلى وامتناع فعلانة؛ فإما أن يجعل الأمران وصفي شبه بهما مجموعهما مستقل، أو كل واحد منهما مستقلاً ببيان الشبه، أو أحدهما دون الآخر على البدل؛ فهذه أربع احتمالات. فإن كان مقتضى الشبه المجموع أو وجود فعلى خاصة انصرف رحمن، وإن كان كل واحد من الأمرين مستقلاً أو الشبه بامتناع فعلانة خاصة منع رحمن من الصرف؛ فلم يبقَ إلا تعيين ما به حصل الشبه في عطشان بين زيادتيه وبين ألفي التأنيث من الاحتمالات الأربعة، وعليه ينبني الصرف وعدمه. والتحقيق أن كل واحد من الأمرين المذكورين =

قلت: أقيسه على أخواته من بابه، أعني: نحو عطشان، وغرثان، وسكران، فلا أصرفه. فإن قلت: قد شرط في امتناع صرف فعلان أن يكون فعلان فعلى، واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان فعلى، فلم تمنعه الصرف؟ قلت: كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى، كعطشى، فقد حظر أن يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة، فإذن لا عبرة بامتناع التأنيث، للاختصاص العارض، فوجب الرجوع إلى الأصل قبل الاختصاص، وهو القياس على نظائره. فإن قلت: ما معنى وصف الله تعالى بالرحمة[1]، ومعناها: العطف والحنوّ، ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها؟ قلت: هو مجاز عن إنعامه على عباده؛ لأنّ الملك إذا عطف على رعيته، ورق لهم، أصابهم بمعروفه وإنعامه، كما أنه إذا أدركته الفظاظة والقسوة، عنف بهم، ومنعهم خيره ومعروفه. فإن قلت: فلم قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه[2]، والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى، كقولهم: فلان عالم نحرير، وشجاع باسل، وجواد فياض؟ قلت: لما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ فتناول جلائل النعم،

= مستقل باقتضاء الشبه فيمتنع صرف رحمن لوجود إحدى العلتين المتعلقتين في الشبه وهي امتناع فعلانة على هذا التقدير؛ وإنما قلنا ذلك لأن امتناع فعلانة فيه حاصله امتناع دخول تاء التأنيث على زيادتيه كامتناع دخولهما على ألفي التأنيث فحصل الشبه بهذا الوجه. ووجود فعلى يحقق أن مذكره مختص ببناء ومؤنثه مختص ببناء آخر، فيشبه أفعل وفعلى في اختصاص كل واحد منهما ببناء غير الآخر، فهذا وجه آخر من الشبه. ومن تأمل كلام سيبويه فهم منه ما قررته. فإن قيل: محصل ذلك مناسبة كل واحد من الأمرين المذكورين لاقتضاء الشبه، فما الذي دل على استقلال كل واحد منهما علة في الشبه؟ وهلا كان المجموع علة وحينئذٍ ينصرف رحمن وهو أحد الاحتمالات الأربعة المتقدمة؟ قلت: امتناع صرف عمران ألم يدل على استقلال كل واحد من الأمرين بالشبه المانع من الصرف؛ إذ عمران علماً لا فعلى له وهو غير منصرف وفاقاً. أقول: قد عثر ههنا رحمه اللّه وإن الجواد قد يعثر لأن اعتبار وجود فعلى أو انتفاء فعلانة إنما كان في الصفة، أما في الاسم فشرطه العلية لا وجود فعلى ولا انتفاء فعلانة.

(١) قال محمود رحمه اللّه: «فإن قلت: ما معنى وصف اللّه تعالى بالرحمة. . . إلخ»؟ قال أحمد رحمه اللّه: فالرحمة على هذا من صفات الأفعال ولك أن تفسرها بإرادة الخير فيرجع إلى صفات الذات وكلا الأمرين قال به الأشعرية في الرحمة وأمثالها مما لا يصح إطلاقه باعتبار حقيقته اللغوية على اللّه تعالى؛ فمنهم من صرفه إلى صفة الذات، ومنهم من صرفه إلى صفة الفعل.

(٢) قال محمود رحمه اللّه: «فإن قلت: فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه. . . إلخ»؟ قال أحمد رحمه اللّه: إنما كان القياس تقديم أدنى الوصفين؛ لأن في تقديم أعلاهما ثم الإرداف بأدناهما نوعاً من التكرار؛ إذ يلزم من حصول الأبلغ حصول الأدنى؛ فذكره بعده غير مفيد ولا كذلك العكس؛ فإنه ترق من الأدنى إلى مزيد بمزية الأعلى لم يتقدم ما يستلزمه، ولذلك كان هذا الترتيب خاصاً بالإثبات. وأما النفي فعلى عكسه تقدم فيه الأعلى. تقول: ما فلان نحريراً ولا عالماً، ولو عكست لوقعت في التكرار: إذ يلزم من نفي الأدنى عنه نفي الأعلى وكل ذلك مستمدة في عموم الأدنى وخصوص الأبلغ، وإثبات الأخص يستلزم ثبوت الأعم، ونفي الأعم يستلزم نفي الأخص.

وعظائمها، وأصولها، أردفه: (الرحيم)؛ كالتتمة والرديف؛ ليتناول ما دقّ منها ولطف.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾

الحمد والمدح أخوان، وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها. تقول: حمدت الرجل على إنعامه، وحمدته على حسبه وشجاعته.

وأمّا الشكر فعلى النعمة خاصة، وهو بالقلب واللسان والجوارح؛ قال: [من الطويل]

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلاثَةً يَدِي ولِسَانِي والضَّمِيرَ المُحَجَّبَا[1]

والحمد باللسان وحده، فهو إحدى شعب الشكر، ومنه قوله/ ٤ب عليه [الصلاة و] السلام: «الحَمْدُ رَأْسُ الشُّكْرِ، مَا شَكَرَ الله عَبْدٌ لَمْ يَحْمَدْهُ» (٣) وإنما جعله رأس الشكر؛ لأنّ ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها، أشيع لها وأدلّ على مكانها من الاعتقاد،

---

٣ ـ أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٤٢٤) رقم١٩٥٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٩٦) حديث رقم (٤٣٩٥)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» في الأصل الرابع والخمسين والمائة؛ كلهم من طريق قتادة عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.
قلت: وهذا سند ضعيف لانقطاعه؛ فإن قتادة لم يدرك عبد الله بن عمرو.
والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٣ ـ ٣٤)، وعزاه إلى عبد الرزاق في المصنف، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، والخطابي في الغريب، والبيهقي في الأدب، والديلمي في مسند الفردوس والثعلبي.
وأخرجه البغوي في معالم التنزيل (٣/ ١٤٣) في آخر سورة بني إسرائيل.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»:
أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما به ـ مرفوعاً، وفيه انقطاع؛ وعن ابن عباس مثله.
رواه البغوي في تفسير (سبحان)، وفيه نصر بن حماد وهو ضعيف. انتهى.

---

(١) وما كان شكري وافياً بنوالكم ولكنني حاولت في الجهد مذهبا
أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
أي لم يكن تعظيمي إياكم وافياً بحق عطائكم، ولكنني أردت من الاجتهاد في تعظيمكم مذهباً، وبينه بقوله: إن نعمتكم علي افادتكم من يدي ولساني وجناني، فهي وأعمالها لكم، قال السيد الشريف: هو استشهاد معنوي على أن الشكر يطلق على أفعال الموارد الثلاثة. وبيان أنه جعلها جزاء للنعمة، وكل ما هو جزاء للنعمة عرفاً يطلق عليه الشكر لغة، فكأنه قال: كثرت نعمتكم عندي فوجب علي استيفاء أنواع الشكر لكم، وبالغ في ذلك حتى جعل مواردها ملكاً لهم، وقيل: النعماء جمع للنعمة، لكن ظاهر عبارة اليد أنها بمعناها، ورواية البيت الأول بعد الثاني أحسن موقعاً وأظهر استشهاداً.
ينظر ابن كثير ١/ ٢٢، غرائب الفرقان ١/ ٩٢.

وآداب الجوارح؛ لخفاء عمل القلب، وما في عمل الجوارح من الاحتمال، بخلاف عمل اللسان، وهو النطق الذي يفصح عن كلّ خفي ويجلي كل مشتبه.

والحمد: نقيضه الذمّ، والشكر: نقيضه الكفران، وارتفاع الحمد بالابتداء، وخبره الظرف الذي هو «لله» وأصله النصب[1] الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر التي تنصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار، كقولهم: شكراً، وكفراً، وعجباً، وما أشبه ذلك، ومنها: سبحانك، ومعاذ الله، ينزلونها منزلة أفعالها، ويسدّون بها مسدّها، لذلك لا يستعملونها معها، ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة، والعدل بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء؛ للدلالة على ثبات المعنى واستقراره. ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ﴾ [هود: ٦٩]، رفع السلام الثاني؛ للدلالة على أنّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ حياهم بتحية أحسن من تحيتهم؛ لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدّده وحدوثه. والمعنى: نحمد الله حمداً، ولذلك قيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ لأنه بيان لحمدهم له، كأنه قيل: كيف تحمدون؟ فقيل: إياك نعبد. فإن قلت: ما معنى التعريف فيه؟ قلت: هو نحو التعريف في أرسلها العراك[2]، وهو تعريف الجنس، ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أنّ الحمد ما هو، والعراك ما هو، من بين أجناس الأفعال، والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم[3].

---

(١) قال محمود رحمه اللّه: «الأصل في الحمد النصب. . . إلخ» قال أحمد: ولأن الرفع أثبت. اختار سيبويه في قول القائل: رأيت زيداً فإذا له علم علم الفقهاء: الرفع، وفي مثل: رأيت زيداً فإذا له صوت صوت حمار: النصب، والسر في الفرق بين الرفع والنصب أن في النصب إشعاراً بالفعل، وفي صيغة الفعل إشعار بالتجدد والطرو، ولا كذلك الرفع، فإنه إنما يستدعي اسماً: ذلك الاسم صفة ثابتة، ألا ترى أن المقدر مع النصب نحمد اللّه الحمد. ومع الرفع الحمد ثابت للّه أو مستقر.

(٢) قال محمود رحمه اللّه: «وتعريف الحمد نحو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الخ» قال أحمد رحمه اللّه: تعريف التكرار باللام إما عهدي وإما جنسي، والعهد إما أن ينصرف العهد فيه إلى فرد معين من أفراد الجنس باعتبار يميزه عن غيره من الأفراد كالتعريف في نحو ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾، وإما أن ينصرف العهد فيه إلى الماهية باعتبار يميزها عن غيرها من الماهيات كالتعريف في نحو «أكلت الخبز، وشربت الماء»، والجنسي هو الذي ينضم إليه شمول الآحاد، نحو: الرجل أفضل من المرأة، وكلا نوعي العهد لا يوجب استغراقها، وإنما يوجبه الجنسي خاصة: فالزمخشري جعل تعريف الحمد من النوع الثاني من نوعي العهد، وإن كان قد عبر عنه بتعريف الجنس؛ لعدم اعتنائه باصطلاح أصول الفقه. وغير الزمخشري جعله للجنس فقضى بإفادته، لاستغراق جميع أنواع الحمد وليس ببعيد.

(٣) يقول الزمخشري: في تعريف «الحمد لله»
«فإن قلت: مع معنى التعريف فيه؟ قلت: هو نحو التعريف في: أرسلها العراك وهو تعريف الجنس. . . والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم».
قلنا: قد عرض السيد الشريف الجرجاني هذه المسألة عرضا قوياً مستدلاً على ما يقول، وقد لخص =

وقرأ الحسن البصري: ﴿ٱلْحَمْدِ لِلَّهِ﴾ بكسر الدال؛ لإتباعها اللام، وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة: ﴿ٱلْحَمْدُ لُلَّهِ﴾ بضم اللام لإتباعها الدال، والذي جسرهما على ذلك ـ والإتباع إنما يكون في كلمة واحدة كقولهم: منحدر الجبل ومعبره ـ تنزل الكلمتين منزلة كلمة، لكثرة استعمالهما مقترنتين، وأشف القراءتين قراءة إبراهيم؛ حيث جعل الحركة البنائية تابعة للإعرابية التي هي أقوى، بخلاف قراءة الحسن.

الرب: المالك، ومنه قول صفوان لأبي سفيان: لأن يربني رجل من قريش أحب إليّ

= هذا كله في نهاية مقاله حيث قال:

«والحق أن السبب في الاختيار ـ أي اختيار الجنس دون الاستغراق ـ هو أن اختصاص الجنس مستفاد من جوهر الكلام، ومستلزم لاختصاص جميع الأفراد، فلا حاجة في تأدية المقصود الذي هو ثبوت الحمد لله ـ تعالى ـ وانتفاؤه عن غيره إلى أن يلاحظ الشمول والإحاطة ويستعان فيه بأمر خارج عن اللفظ، بل نقول على ما اختاره يكون اختصاص جميع الأفراد ثابتاً بطريق برهاني أقوى من إثباته ابتداء».

ويمضي السيد الشريف في كلامه موضحاً إلى أن يقول: «ومن هنا يظهر أن الحمل على الجنس دون الاستغراق محافظة على مذهبه».

قلت: أولى بالباحث أن يفهم أولاً معنى «أل» الداخلة على النكرة عند البلاغيين فأقول:

١ ـ إن «أل» تدخل على المعرَّف بها ويراد منها «الجنس» والحقيقة بلا نظر إلى الأفراد أصلاً.

٢ ـ وقد تدخل ويراد منها «الأفراد» ولكن بلا تحديد للبعض أو بتحديد له أو يراد الكل فإذا أريد البعض مع التعيين حينئذ تسمى «لام العهد الخارجي» سواء كان:

(أ) ذكريا (ب) أو كنائياً (حـ) علميا

أما إذا أريد البعض بلا تعيين فتسمى «لام العهد الذهني» وهي التي مدخولها كالنكرة في جعل الجملة التي بعدها «صفة» أو «حالاً».

أما إذا أريد جميع الأفراد فتسمى «لام الاستغراق» وتحته فرعان:

(أ) الاستغراق الحقيقي (ب) العرفي

وهذه صورة بيانية لمباحث «أل» مع أمثلتها.

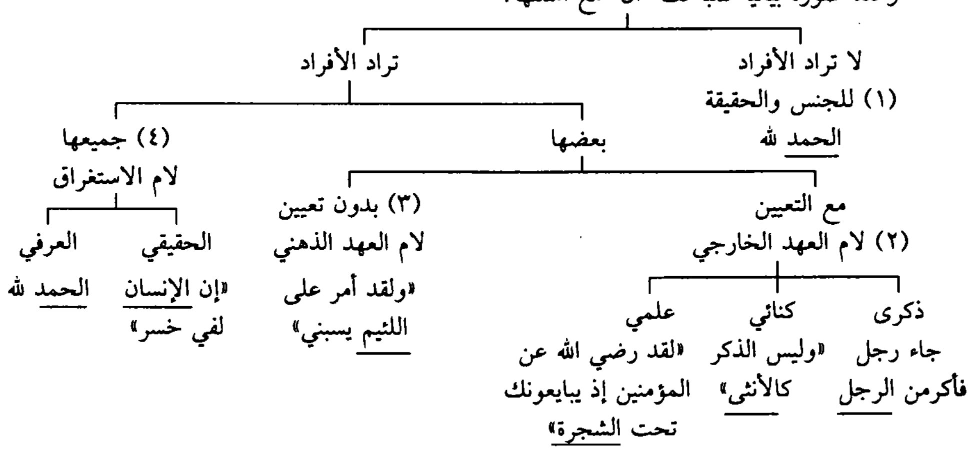

«ينظر التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري ٢/ ١١١، ١١٢ ط. عيسى البابي الحلبي.

من أن يربني رجل من هوازن (٤). تقول: ربه يربه، فهو رب، كما تقول: نمّ عليه ينمّ، فهو نمّ. ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل، ولم يطلقوا الرب إلا في الله وحده، وهو في غيره على التقيد بالإضافة، كقولهم: رب الدار، ورب الناقة، وقوله تعالى: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠]، ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف: ٢٣]. وقرأ زيد بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بالنصب على المدح، وقيل بما دل عليه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، كأنه قيل: نحمد الله رب العالمين.

العالم: اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين[(١)]، وقيل: كل ما علم به الخالق من

---

٤ ـ أخرجه أحمد (٣/٣٧٦)، وأبو يعلى في مسنده (٣/٣٨٨) حديث (١٨٦٣)، وابن حبان (١٧٠٤ ـ موارد) والبزار (٢/ ٣٥١) ـ كشف) رقم (١٨٣٤) والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ١١٩ ـ ١٢٣)؛ كلهم من طريق محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه.
وأخرجه ابن هشام في السيرة (٢/ ٤٤٥).
والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٨٣).
وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، ورواه البزار باختصار، وفيه ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع في رواية أبي يعلىٰ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: موقوف. قال ابن إسحاق في «المغازي»: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه في قصة حنين، وفيه قول صفوان هذا؛ ومن طريقه أخرجه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في الدلائل، ورواه جويرية عن مالك عن الزهري مرسلاً، وأخرجه الدارقطني في الغرائب.
(تنبيه) وقع فيه أن صفوان قال ذلك لأبي سفيان. والذي في مرسل الزهري أنه قال لابن أخيه والذي في المغازي: أنه قال لأخيه ابن أمه كلدة. وأخرجه أبو يعلىٰ من طريق ابن إسحاق. انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه الله: «العالم اسم لذوي العلم من الملائكة... إلخ». قال أحمد رحمه الله: تعليله الجمع بإفادة استغراقه لكل جنس تحته فيه نظر؛ فإن «عالماً» كما قرره: اسم جنس عرف باللام الجنسية، فصار العالم ـ وهو مفرد ـ أدل على الاستغراق منه جمعاً. قال إمام الحرمين رحمه الله: التمر أحرى باستغراق الجنس من التمور؛ فإن التمر يسترسل على الجنس لا بصيغة لفظية، والتمور ترده إلى تخيل الوجدان، ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع، وفي صيغة الجمع مضطرب. انتهى كلامه. والتحقيق في هذا وفي كل ما يجمع من أسماء الأجناس ثم يعرف تعريف الجنس: أنه يفيد أمرين: أحدهما أن ذلك الجنس تحته أنواع مختلفة. والآخر أنه مستغرق لجميع ما تحته منها؛ لكن المفيد لاختلاف الأنواع الجمع، والمفيد لاستغراق جميعها التعريف؛ ألا ترى أنه إذا جمع مجرداً من التعريف دل على اختلاف الأنواع. ثم إذا عرف أفاد استغراقاً غير موقوف على الجمعية، إذ هذا حكم مفرده إذا عرف؛ فقول الزمخشري إذاً «إن فائدة جمع العالمين الاستغراق» مردود بثبوت هذه الفائدة وإن لم يجمع؛ وقول إمام الحرمين «إن الجمع يؤيد الإشعار بالاستغراق لما تتخيله من الرد إلى الوجدان» مردود بأن فائدة الجمع الإشعار باختلاف الأنواع، واختلافها لا ينافي استغراقها بصيغة المفرد المقر من تعريف الجنس، وإن أراد أن الجمع يخيل الإشارة إلى أنواع محله =

الأجسام والأعراض، فإن قلت: لم جُمع؟ قلت: ليشمل كل جنس مما سُمي به. فإن قلت: هو اسم غير صفة؛ وإنما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء، أو ما في حكمها من الأعلام. قلت: ساغ ذلك؛ لمعنى الوصفية فيه، وهي الدلالة على معنى العلم.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾

قُرِىء: «ملك يوم الدين، ومالك، وملك بتخفيف اللام/ ٥أ، وقرأ أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ: مَلَكَ يومَ الدين، بلفظ الفعل ونصب اليوم، وقرأ أبو هريرة رضي الله عنه: مالكَ بالنصب. وقرأ غيره: مَلَك، وهو نصب على المدح؛ ومنهم من قرأ: مالكٌ، بالرفع. وملك: هو الاختيار، لأنه قراءة أهل الحرمين، ولقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [غافر: ١٦]، ولقوله: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢]، ولأن المُلْكَ يَعم، والمَلِك يخص، ويوم الدين: يوم الجزاء. ومنه قولهم: «كمَا تَدينُ تُدان» (٥) وبيت الحَمَاسَة: [من الهزج]

---

٥ ـ أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٧٩، من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب، عن أبي قلابة، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الذنب لا ينسى، والبرلايَبلى، والديان لا يموت، فكن كما شئت؛ فكما تدين تدان. ثم قال هذا مرسل.
وقد ورد هذا الحديث موصولاً.
أخرجه ابن عديّ في الكامل (٦/ ١٥٨)، من طريق محمد ابن عبد الملك الأنصاري عن نافع عن ابن عمر عن النبي ـ ﷺ ـ قال: الذنب لا ينسى... إلى آخر الحديث ومحمد بن عبد الملك منكر الحديث؛ كما قال البخاري.
وقال النسائي: متروك الحديث، أسند ذلك عنهما ابن عديّ في «كامله».
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»:
هو طرف من حديث مرفوع، أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة مرسلاً، هكذا أخرجه البيهقي في الزهد، ورواه الإمام أحمد عن عبد الرزاق بسنده عن أبي قلابة عن أبي الدرداء، وهذا منقطع مع وقفه، وله شاهد موصول من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، أخرجه ابن عديّ في ترجمته محمد بن عبد الملك وضعفه.
قلت: وأخرج ابن أبي عاصم في السنة عن أبي أيوب الجبائري عن سعيد بن موسى عن رباح بن =

= معهودة فهذا الخيال يعينه من المفرد، فالعالم إذاً جمع ليفيد اختلاف الأنواع المندرجة تحته من الجن والإنس والملائكة، وعرف ليفيد هموم الربوبية للّه تعالى في كل أنواعه؛ وتوضيح هذا التقرير: أنا لو فرضنا جنساً ليس تحته إلا آحاد متساوية وهو الذي يسميه غير النحاة النوع الأسفل، لما جاز جمع هذا بحال، لا معرفاً ولا منكراً، وبهذه الفائدة يرد قول إمام الحرمين «إن التمور جمع من حيث اللفظ» لا معنى تحته لجمع الجمع في نحو نوق ونياق وأنيق؛ وأما تعليل الزمخشري جمعه بالواو والنون بإشعاره لصفة العلم فيلحق بصفات من يعقل، فصحيح إذا بنى الأمر على أنه لا يتناول إلا أولى العلم: وأما على القول بأنه اسم لكل موجود سوى اللّه، فيحتاج إلى مزيد نظر في تغليب العاقل في الجمع على غير العاقل.

وَلَـــمْ يَــبْــقَ سِـــوَى الـــعُـــدْوَا نِ دِنَّـــاهـــمْ كَـــمَـــا دَانُـــوا[1]

فإن قلت: ما هذه الإضافة؟ قلت: هي إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتّساع، مُجرى مجرى المفعول به، كقولهم: يا سارق الليلة أهل الدار، والمعنى على الظرفية، ومعناه: مالك الأمر كله في يوم الدين، كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]. فإن قلت: فإضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقة؛ فلا تكون معطية معنى التعريف، فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة؟ قلت: إنما تكون غير حقيقية إذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال، فكان في تقدير الانفصال، كقولك: مالك الساعة، أو غداً. فأمّا إذا قصد معنى الماضي، كقولك: هو مالك عبده أمس، أو زمان مستمرّ، كقولك: زيد مالك العبيد، كانت الإضافة حقيقية، كقولك: مولى العبيد، وهذا هو المعنى في: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، ويجوز أن يكون المعنى: ملك الأمور يوم الدين، كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾

= زيد عن معمر عن الزهري عن أنس حديثاً موضوعاً، وفيه: إن الله تعالى قال: «يا موسى كما تدين تدان»، والمتهم بوضعه سعيد بن موسى انتهى.

---

(١) صــفــحــنــا عــن بــنــي ذهــل وقــلــنــا الــقــوم إخــوان
فــلــمــا صــرح الــشــر فــأمــســى وهــو عــريــان
ولــم يــبــق ســوى الــعــدوا ن ـ دنــاهــم كــمــا دانــوا

لشهل بن شيبان بن ربيعة. وليس في العرب شهل بالمعجمة غيره هو وشهل بن أنمار بن أراش. يقول: صفحنا عن بني ذهل رحمة بهم لعلهم يرجعون، فلما ظهر الشر بيننا وبالغ في الظهور حتى كأنه رجل عريان عن ثيابه، فشبه الشر بإنسان على طريق المكنية وأثبت له العري تخييلاً. ويروى: وهو غرثان، أي: جائع، فهو على التشبيه أيضاً. وقيل: أراد بالشر: السيف، وعريه: تجرده عن غمده. وزيدت الواو قبل الجملة الواقعة خبر لأمسى لتأكيد الربط، تشبيهاً لها بالجملة الواقعة حالاً، ولم يبق سوى عدوان بعضنا على بعض، أو سوى عدوانهم علينا جازيناهم كما ظلمونا، وسمي الثاني ديناً مشاكلة، وهي مجاز لعلاقة المجاورة وقسم برأسه خلاف بين القوم، ومذهب الجمهور أن سوى لا تخرج عن النصب على الظرفية المكانية إلا في الضرورة كما هنا، ومذهب ابن مالك كالزجاجي أنها بمعنى غير فتصرف في الاختيار، كما في قوله صلّى اللّه عليه وسلّم: «سألت اللّه أن لا يسلط على أمتي عدواً من سوى أنفسها» وقول بعض العرب: أتاني سواك، أي: غيرك، وصرح صراحاً بالتحريك: خلص خلوصاً وظهر، وصرح تصريحاً: خلص تخليصاً وأظهر، فما هنا من الأول. ويروى بدل الشطر الثاني: بدا والشر عريان، وفيه إظهار الشر في مقام الإضمار، و «بدا» بدل من صرح، وفيه تبيين وتفسير لمعناه، وأما جواب «لما» فهو قوله: دناهم كما دانوا.
ينظر: أمالي القالي ١/ ٢٦٠، وحماسة البحتري ص ٥٦، وخزانة الأدب ٣/ ٤٣١، والدرر ٣/ ٩٢، وسمط اللآلي ص ٩٤٠، وشرح التصريح ١/ ٣٦٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٣٥، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٤٠، والمقاصد النحوية ٣/ ١٢٢؛ أوضح المسالك ٢/ ٢٨١، وشرح الأشموني ١/ ٢٣٦، وشرح ابن عقيل ص ٣١٦؛ وهمع الهوامع ١/ ٢٠٢، اللسان: دين، المحرر الوجيز ١/ ٧١، الدر ١/ ٧٢.

[الأعراف: ٤٤]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ [الأعراف: ٤٨]، والدليل عليه قراءة أبي حنيفة: «مَلَكَ يومَ الدين»، وهذه الأوصاف التي أجريت على الله ـ سبحانه ـ من كونه رباً مالكاً للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته، ومن كونه منعماً بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق، ومن كونه مالكاً للأمر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به، وأنه به حقيق في قوله: الحمد لله ـ دليل على أنّ من كانت هذه صفاته، لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾

«إيا»: ضمير منفصل للمنصوب، واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك: إياك، وإياه، وإياي، لبيان الخطاب والغيبة والتكلم، ولا محل لها من الإعراب، كما لا محل للكاف في أرأيتك، وليست بأسماء مضمرة، وهو مذهب الأخفش وعليه المحققون، وأما ما حكاه الخليل عن بعض العرب: «إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب» ـ فشيء شاذ لا يعوّل عليه، وتقديم المفعول؛ لقصد الاختصاص[1]، كقوله

---

(١) قوله «وتقديم المفعول لقصد الاختصاص».
قلنا: المفعول هو: ما يقع عليه فعل الفاعل كقوله ـ تعالى ـ ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وحق المفعول أن يكون بعد الفاعل؛ لأن ترتيب الجملة الفعلية من الآية [٣ البقرة] «فعل وفاعل ومفعول» لالتصاق الفعل بفاعله ثم بعد ذلك تأتي المفاعيل التي يقع عليها فعل الفاعل.
وبهذا يكون التقديم من هذا المقام الأصلي له لفائدة كالاختصاص والاهتمام وغير ذلك ومعنى الاختصاص: تعد شيء على شيء بطريق مخصوص كما هنا في الآية ترى تقديم ما حقه التأخير.
وللقصد تقسيمات بحسب الحقيقة والإضافة والصفة والموصوف، وينظر فيه إلى حال المخاطب به.
وهي تفريعات بلاغية تنظر في محلها من كتب البلاغة الأصيلة.
والذي نعني به هنا أن الزمخشري قال بالاختصاص في هذا التقديم، وقد نازعه فيه أبو حيان في تفسيره البحر المحيط، وذكر أن كلامه هذا زعم مردود عليه، وبين أن التقديم للاعتناء والاهتمام بالمفعول.
وقد رد كلام أبي حيان شيخنا أبو موسى في بحثه عن بلاغة القرآن في الكتاب ولا تعصب منه في هذا، بل هو فهم دقيق لكلام الزمخشري، وكلام أبي حيان معاً، ومن أراد الإفادة فعليه بمراجعة كلام الجميع والوقوف عند كلامهم، وبذلك يرى ما للزمخشري من حق فيما قال.
وقد تابعت الباحثين في الآية فرأيت ما أفادوه من الاختصاص كما قال الزمخشري وغيره ولا مانع مع الاختصاص من الاهتمام، ولذا كان العلامة الشوكاني أحكم في فهمه لهذا الموطن حيث قال «والصواب أنه لها، ولا تزاحم بين المقتضيات».
ينظر علم المعاني في تفسير فتح القدير للشوكاني ١/٣٦١ وما بعدها ـ د. فتحي حجازي».
كما ينظر هذا في النسفي ١/٥٧، وإرشاد العقل السليم لابن السعود ١/١٦ مفاتيح الغيب للرازي ١/٢٩٨، حاشية الشهاب على البيضاوي ١/١١٢ وروح المعاني للألوسي ١/٨٧، ٨٨، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ٢/١١٩، والإيضاح ٣/٤ وما بعدها، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٣٥٠ وما بعدها، والبحر المحيط ١/٩.

تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ [الزمر: ٦٤]، ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤]. والمعنى نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة. وقرىء: «إِيَاك» بتخفيف الياء، و«أَيَّاك» بفتح الهمزة والتشديد، و«هَيَّاك» بقلب الهمزة هاء؛ قال طُفَيْلٌ الْغَنَوِيُّ: [من الطويل]

فَهَيَّاكَ والأَمْرَ الَّذِي إنْ تَرَاحَبَتْ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ مَصَادِرُهْ[(١)]

والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل، ومنه: ثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة وقوّة النسج، ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع لله ـ تعالى ـ، لأنه مولى أعظم النعم، فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع، فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى/ ٥ب الالتفات في علم البيان[(٢)]، قد يكون [(٣)]من الغيبة إلى الخطاب،

---

(١) لمضرس بن ربعي، وقيل لطفيل، وهياك: أصله إياك، قلبت همزته هاء، وهو في محل نصب بمحذوف وجوباً، والأمر: عطف عليه، والأصل: احذر تلاقي نفسك والأمر فحذف ما عدا ضمير الخطاب وما عطف عليه لكثرة الاستعمال. ولأن مقام التحذير يقتضي السرعة وإيجاز الكلام، وقيل أصله: باعد نفسك من الأمر وباعد الأمر من نفسك، فحذف لذلك، وشبه أسباب الدخول في الأمر بالموارد: أي مواضع الورود إلى نحو الماء، وأسباب الخروج منه بالمصادر: أي مواضع الصدور: أي الرجوع، فكل منهما استعارة تصريحية، وأما تشبيه الأمر بشيء له موارد ومصادر كالماء على طريقة المكنية، فهو خارج عن قانون البيان؛ لأن الأمر يطلق على كل شيء، فتخصيصه بغير نحو الماء ثم تشبيهه به، بالقصد لا بالوضع. ويروى هكذا:

فإياك والأمر الذي إن توسعت موارده ضاقت عليك المصادر
فما حسن أن يعذر المرء نفسه وليس له من سائر الناس عاذر

أي فليس عذر المرء لنفسه حسناً: أي قبوله لاعتذارها بعد وقوعها في الورطة، وقوله: وليس له الخ: جملة حالية وعلى هذا فحقه حرف الراء. وهو في: شرح شواهد الشافية ص ٤٧٦، ولطفيل الغنويّ أو لمضرس في ديوان طفيل ص ١٠٢، وبلا نسبة في الإنصاف ١/ ٢١٥، وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٥٥٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١١٥٢، وشرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٢٢٣، وشرح المفصل ٨/ ١١٨، ١٠/ ٤٢، ولسان العرب (هيا) (أيا) والمحتسب ١/ ٤٠، والممتع في التصريف ١/ ٣٩٧، والمنصف ٢/ ١٤٥.

(٢) قوله «قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان» ١/ ٦٢ الكشاف أقول: الالتفات لغة: مصدر التفت أي صرفت وجهي إلى جهة أخرى قال من اللسان: قال أي أحد الشعراء ولم يعينه:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا يلاحظني من حيث ما أتلفت

وفي الإصطلاح: (أ) عند الجمهور:
التعبير عن معنى بطريق من طرق الكلام الثلاثة: التكلم والخطاب والغيبة بمد التعبير عنه بطريق آخر منها.
ولا بد أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر، ويترقبه السامع (ب) عند السكاكي:
التعبير بإحدى الطرق المتقدمة عن المعنى خلافاً لما يقتضيه الظاهر ولم يشترط تقدم طريق من هذه الطرق، بل يجوز أن يكون بداية على خلاف الظاهر كما في قول امرىء القيس:
تطاول ليلكِ بالإثمد، . . . ولم يقل على الظاهر: تطاول ليلى. =

ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]. وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ﴾ [فاطر: ٩].

وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات[1]: [من المتقارب]

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالأَثْمَدِ	ونَامَ الخَلِيُّ ولَم تَرْقُدِ
وبَاتَتْ وباتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ	كَلَيْلَةِ ذِي العَائِرِ الأرْمَدِ
وَخُبِّرْتُهُ عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ	وذلِكَ مِنْ نَبَإٍ جَاءَنِي[2]

= وبهذا عرف الفارق بين قول السكاكي والجمهور، واستبان ما يميل إليه الزمخشري رحمه الله.
والكلام في الالتفات وتفريعاته ومواطنه وأسراره في مراجع البيان وأصول البلاغيين.
«ينظر الإيضاح بتحقيق خفاجي ٢/ ١١٩ وما بعدها، والبلاغة القرآنية لأبي موسى ٤٤٣، والمطول ٩٥/ ٩٦، ولسان العرب (لفت).

(٣) قوله «في علم البيان» قد يكون لعله وقد، وعبارة النسفي: وهو قد يكون. (ع)

(١) قال محمود رحمه الله: «وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات... إلخ.» قال أحمد رحمه الله: يعني أنه ابتدأ بالخطاب ثم التفت إلى الغيبة، ثم إلى التكلم وعلى هذا فهما التفاتان لا غير، وإنما أراد الزمخشري والله أعلم أنه أتى بثلاثة أساليب: خطاب لحاضر، وغائب، ولنفسه، فوهم بقوله ثلاث التفاتات، أو تجعل الأخير ملتفتاً التفاتتين عن الثاني وعن الأول فيكون ثلاثاً، والأمر فيه سهل.
قال السمين الحلبي: وقد خطأ بعضهم الزمخشري في جعله هذا ثلاثة التفاتات وقال: بل هما التفاتان:
أحدهما: خروج من الخطاب المفتتح به في قوله: «لَيْلُكَ» إلى الغيبة في قوله: «وباتت له ليلة».
والثاني: الخروج من هذه الغيبة إلى التكلم في قوله: «من نبأ جاءني وخبرته».
والجواب أن قوله أولاً: «تطاول ليلك» فيه التفات؛ لأنه كان أصل الكلام أن يقول: تطاول ليلي، لأنه هو المقصود فالتفت من مقام التكلم إلى مقام الخطاب، ثم من الخطاب إلى الغيبة، ثم من الغيبة إلى التكلم الذي هو الأصل. وقرىء شاذاً: «إياك يُعْبَدُ» على بنائه للمفعول الغائب، ووجهها على إشكالها: أن فيها استعارة والتفاتاً أما الاستعارة فإنه استعير فيها ضمير النصب لضمير الرفع والأصل: أنت تعبد وهو شائع؛ كقولهم: عساك وعساه وعساني في أحد الأقوال وقول الآخر [من الرجز]:

يَابْنَ الزُّبَيْرِ طَالَمَا عَصَيْكَا ... وَطَالَمَا عَنَّيْتَنَا إِلَيْكَا

فالكاف في «عَصَيْكَا» نائبة عن التاء، والأصل: عصيت. وأما الالتفات فكان من حق هذا القارىء أن يقرأ: إياك تُعْبَدُ بالخطاب، ولكنه التفت من الخطاب في «إياك» إلى الغيبة في «يُعْبَد»، إلا أن هذا التفات غريب؛ لكونه في جملة واحدة، بخلاف الالتفات المتقدم ونظير هذا الالتفات قوله [من الطويل]:

أَأَنْتَ الهِلَالِيُّ الَّذِي كُنْتَ مَرَّةً ... سَمِعْنَا بِهِ والأَرْحَبِيُّ الْمُغَلَّبُ؟

فقال: «به» بعد قوله: «أنت وكنت». انتهى. الدر المصون.

(٢) لامرىء القيس بن حجر الجاهلي، وقال ابن هشام: هو غلط، وقائله امرؤ القيس بن عابس الصحابي، وقيل لعمرو بن معديكرب، والأثمد كأحمد، وقد تضم ميمه، وقد يروى بكسرها: اسم موضع، والعائر اسم جامد يطلق على قذى تدمع منه العين، وعلى الرمد، وعلى كل ما أعلّ العين، وفي الشعر ثلاث التفاتات، لكن الأول على مذهب السكاكي فقط: وهو أنه كان الظاهر التعبد =

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد، ومما اختص به هذا الموضع: أنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء، وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل: إياك، يا من هذه صفاته نخصك بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدل على أنّ العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به، فإن قلت: لم قرنت الاستعانة بالعبادة؟ قلت: ليجمع بين ما يتقرّب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته. فإن قلت: فلم قدّمت العبادة على الاستعانة؟ قلت: لأنّ تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها، فإن قلت: لم أطلقت الاستعانة؟[1] قلت: ليتناول كل مستعان فيه، والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة، ويكون قوله: ﴿ٱهۡدِنَا﴾ [الفاتحة: ٦]؛ بياناً للمطلوب من المعونة، كأنه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: اهدنا الصراط المستقيم، وإنما كان أحسن؛ لتلاؤم الكلام، وأخذ بعضه بحجزة بعض، وقرأ ابن حبيش: «نستعين»، بكسر النون.

= بطريق التكلم فالتفت إلى الخطاب وذلك في البيت الأول. والثاني: عدوله عن الخطاب إلى الغيبة في الثاني. والثالث: التفاته عن الغيبة إلى التكلم في الثالث. والجمهور يجعلون الأول من قبيل التجريد. وأبو الأسود: كنية صاحب الشاعر الذي يرثيه، وقيل هو المخبر واسمه ظالم بن عمرو وهو عم امرىء القيس. وقيل أبي مضاف لياء المتكلم والأسود صفته، ويروى: عن بني الأسود.

ينظر: ديوانه ص ١٨٥، وتخليص الشواهد ص ٢٤٣، وشرح قطر الندى ص ١٣٦، شرح التصريح ١/ ١٩١، ولعمرو بن معديكرب في ديوانه ص ٢٠٠، ولعمرو أو لامرىء القيس في سمط اللآلي ص ٥٣١، ولامرىء القيس بن عابس في المقاصد النحوية ٢/ ٣٠، وله أو لامرىء القيس الكندي أو لعمرو بن معديكرب، في شرح شواهد المغني ٢/ ٧٣٢، وأوضح المسالك ١/ ٢٥٤، وجمهرة اللغة ص ٧٧٥، وشرح الأشموني ١/ ١١٥، والتبيان لابن محمد الطيبي ٢٨٧، والطراز لابن حمزة العلوي ٢/ ١٤٠، البحر المحيط ١/ ١٤٢، الدر ١/ ٧٥.

(١) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت لم قدمت العبادة على الاستعانة... إلخ». قال أحمد: معتقد أهل السنّة أن العبد لا يستوجب على ربه جزاء ـ تعالى الله عن ذلك ـ والثواب عندنا ـ من الإعانة في الدنيا على العبادة ومن صنوف النعيم في الآخرة ـ ليس بواجب على الله تعالى، بل فضل منه وإحسان. وفي الحديث «أنه عليه الصلاة والسلام قال: لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»، مضافاً إلى دليل العقل المحيل أن يجب على الله تعالى شيء، لكن قام الدليل عقلاً وشرعاً على أنه تعالى لا يجب عليه شيء، فقد قام عقلاً وشرعاً على أن خبره تعالى صدق ووعده حق، أي يجب عقلاً أن يقع، فإما أن يكون الزمخشري تسامح في إطلاق الاستيجاب وأراد وجوب صدق الخبر، وإما أن يكون أخرجه على قواعد البدعية في اعتقاد وجوب الخير على الله تعالى وإن لم يكن وعد.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝﴾

هدى: أصله أن يتعدى باللام أو بإلى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، فعومل معاملة ـ اختار ـ في قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]. ومعنى طلب الهداية ـ وهم مهتدون ـ طلب زيادة الهدى بمنح الإلطاف، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وعن علي وأُبيّ ـ رضي الله عنهما ـ: اهدنا: ثبتنا، وصيغة الأمر والدعاء واحدة، لأنّ كل واحد منهما طلب، وإنما يتفاوتان في الرتبة، وقرأ عبد الله: أرشدنا.

«السراط»: الجادّة، من سرط الشيء إذا ابتلعه، لأنه يسترط السابلة إذا سلكوه، كما سُمّي: لقماً؛ لأنه يلتقمهم، والصراط من قلب السين صاداً لأجل الطاء، كقوله: «مصيطر»، في «مسيطر»، وقد تشم الصاد صوت الزاي، وقرىء بهنّ جميعاً، وفصاحهنّ إخلاص الصاد، وهي لغة قريش وهي الثابتة في الإمام، ويجمع سرطاً، نحو: كتاب وكتب، ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل، والمراد طريق الحق، وهو ملة الإسلام.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝﴾

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: بدل من الصراط المستقيم، وهو في حكم تكرير العامل/ ٦أ، كأنه قيل: اهدنا الصراط المستقيم، اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، كما قال: ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥]، فإن قلت: ما فائدة البدل؟ وهلا قيل: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم؟ قلت: فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير، والإشعار بأنّ الطريق المستقيم بيانه وتفسيره: صراط المسلمين؛ ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده، كما تقول: هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم؟ فلان؛ فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم، والفضل من قولك: هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل؟ لأنك ثنيت ذكره مجملاً أوّلاً، ومفصلاً ثانياً، وأوقعت فلاناً تفسيراً وإيضاحاً للأكرم الأفضل، فجعلته علماً في الكرم والفضل، فكأنك قلت: من أراد رجلاً جامعاً للخصلتين فعليه بفلان، فهو المشخص المعين، لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع.

والذين أنعمت عليهم: هم المؤمنون، وأُطلق الإنعام؛ ليشمل كل إنعام[1]؛ لأنّ من

---

(١) قال محمود رحمه الله: وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام. قال أحمد رحمه الله: إن إطلاق الإنعام يفيد الشمول كقوله: إن إطلاق الاستعانة يتناول كل مستعان فيه، وليس بمسلم فإن الفعل لا عموم =

أُنعِمَ عليه بنعمة الإسلام، لم تبق نعمة إلا أصابته، واشتملت عليه. وعن ابن عباس: هم أصحاب موسى قبل أن يغيروا، وقيل: هم الأنبياء. وقرأ ابن مسعود: «صراط من أنعمت عليهم».

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: بدل من الذين أنعمت عليهم، على معنى أنّ المنعم عليهم: هم الذين سلموا من غضب الله والضلال، أو صفة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله والضلال.

فإن قلت: كيف صح أن يقع: ﴿غَيْرِ﴾ صفة للمعرفة وهو لا يتعرّف وإن أضيف إلى المعارف؟ قلت: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لا توقيت فيه كقوله [من الكامل]:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي[1] ....

ولأنّ المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم، فليس في ـ غير ـ إذن الإبهام

= لمصدره، والتحقيق أن الإطلاق إنما يقتضي إبهاماً وشيوعاً. والنفس إلى المبهم أشوق منها إلى المقيد لتعلق الأمل مع الإبهام لكل نعمة تخطر بالبال.

(١) ولقد أمر على اللئيم يسبني ... فمضيت ثمة قلت لا يعنيني
غضبان ممتلىء علي إهابه ... إني وربك سخطه يرضيني

لرجل من بني سلول، ويسبني صفة للئيم وإن قُرن بأل، لأنه ليس المراد لئيماً بعينه بدليل مقام التمدح ف «أل» فيه للعهد الذهني لا الخارجي. ومدخولها في المعنى كالنكرة، فجاز وصفه بالجملة وإن كانت لا يوصف بها إلا النكرة، وهذا يفيد اتصافه بالسب دائماً لاحال المرور فقط وهو لمراد، وكان الظاهر أن يقول: فأمضي ثم أقول، ولكن أتى بالماضي دلالة على تحقق ذلك منه، وروي: فأعف ثم أقول: أي أكف عنه وعن مكافأته، ويحتمل أنه أراد صررت على صيغة الماضي بالمضارع لحكاية الحال، هذا والظاهر أن الجملة حالية، أي: أمر على اللئيم حال كونه يسبني وأنا أسمع فأعرض عنه وأقول إنه لا يقصدني بذلك السب الذي سمعته منه، وليس المراد وصفه بالسب الدائم، لأنه لا يظهر مع تخصيص السب بوقوعه على ضمير المار، على أنه يمكن جعل الحال لازمة فتفيد الدوام. هو غضبان ممتلىء جلده غضباً علي لكن لا أبالي بذلك، فإني وحق ربك غضبه يرضيني، فليدم عليه وليزدد منه، والإهاب: الجلد قبل دبغه بل وقبل سلخه كما هنا.
ينظر في الدرر ٧٨/١، وشرح التصريح ١١/٢، وشرح شواهد المغني ٣١٠/١، والكتاب ٢٤/٣، والمقاصد النحوية ٥٨/٤، ولشمر بن عمرو الحنفي في الأصمعيات ص ١٢٦، ولعميرة بن جابر الحنفي في حماسة البحتري ص ١٧١، وبلا نسبة في الأذهية ص ٢٦٣، والأشباه والنظائر ٩٠/٣، والأضداد ص ١٣٢، وأمالي ابن الحاجب ص ٦٣١، وأوضح المسالك ٢٠٦/٣، وجواهر الأدب ص ٣٠٧، وخزانة الأدب ٣٥٧/١، ٣٥٨، ١٠١/٣، ٢٠٧/٤، ٢٠٨، ٢٣/٥، ٥٠٣، ١٩٧/٧، ١١٩/٩، ٣٨٣، والخصائص ٣٣٨/٢، ٣٣٠/٣، والدرر ١٥٤/٦، وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٢١، وشرح شواهد المغني ٨٤١/٢، وشرح ابن عقيل ص ٤٧٥، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢١٩، ولسان العرب (ثم) (منن)، ومغني اللبيب ١٠٢/١، ٤٢٩/٢، ٦٤٥، وهمع الهوامع ٢٩/١، ١٤٠/٢، والدر المصون ٣٥٤/١.

الذي يأبى عليه أن يتعرّف، وقرىء بالنصب على الحال، وهي قراءة رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب، ورويت عن ابن كثير، وذو الحال الضمير في عليهم، والعامل: أنعمت، وقيل: المغضوب عليهم: هم اليهود؛ لقوله ـ عز وجل ـ: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٦٠]. والضالون: هم النصارى؛ لقوله تعالى: ﴿قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ [المائدة: ٧٧]، فإن قلت: ما معنى غضب الله؟ قلت: هو إرادة الانتقام[(١)] من العصاة، وإنزال العقوبة بهم، وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده، نعوذ بالله من غضبه، ونسأله رضاه ورحمته. فإن قلت: أي فرق بين ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ الأولى و ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ الثانية؟ قلت: الأولى: محلها النصب على المفعولية، والثانية: محلها الرفع على الفاعلية، فإن قلت: لم دخلت: «لا» في ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؟ قلت: لما في ـ غير ـ من معنى النفي، كأنه قيل: لا المغضوب عليهم ولا الضالين. وتقول: أنا زيداً غير ضارب، مع امتناع قولك: أنا زيداً مثل ضارب؛ لأنه بمنزلة قولك: أنا زيداً لاضارب، وعن عمر وعلي ـ رضي الله عنهما ـ أنهما قرآ: وغير الضالين، وقرأ أيوب السختياني: «ولا الضألين» ـ بالهمز، كما قرأ عمرو بن عبيد: «ولا جأن»، وهذه لغة من جدّ في الهرب من التقاء الساكنين[(٢)]. ومنها ما حكاه أبو زيد من قولهم: شأبة، ودأبة.

آمين: صوت سمي به الفعل الذي هو/٦ب استجب، كما أنّ: «رويد، وحيهل، وهلم»: أصوات سميت بها الأفعال التي هي «أمهل، وأسرع، وأقبل»، وعن ابن عباس ـ

---

٦ ـ أخرجه الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، كما في تخريج الزيلعي (١/٢٧) =

---

(١) قال محمود رحمه اللّه: «ومعنى الغضب من اللّه تعالى إرادة الانتقام. . . إلخ» قال أحمد: أدرج في هذا ما يقتضي عنده وجوب وعيد العصاة، وليس مذهب أهل السنّة، بل الأمر عندهم في المؤمن العاصي موكول إلى المشيئة: فمنهم مَن أراد اللّه تعالى عقوبته والانتقام منه فيقع ذلك لا محالة، ومنهم مَن أراد العفو عنه وإثابته فضلاً منه تعالى، على أن المغضوب عليهم والضالين واقعان على الكفار، ووعيدهم واقع لا محالة ومراد، واللّه الموفق. أقول: قال الزمخشري رحمه اللّه: الغضب من اللّه تعالى إرادة الانتقام من العصاة إلخ لا يدل على ما فسره، فإن وجوب وعيد العصاة لا يعلم منه. والغضب من اللّه عند أهل السنّة والمعتزلة: عبارة عما ذكره الزمخشري رحمه اللّه، إلا أن عند أهل السنّة أن اللّه تعالى إن شاء عذب صاحب الكبيرة وإن شاء غفر له، وعند المعتزلة وجوب عذابه: فعند المعتزلة ظاهر أن الغضب عبارة عن إرادة الانتقام، وعند أهل السنّة: إن غفر له فلا غضب، وإن لم يغفر له فغضبه عبارة عما ذكره.

(٢) قال السمين الحلبي: وقد فعلوا ذلك حيث لا ساكنان، قال الشاعر [من الرجز]:

فَـخِـنْـدِفٌ هَـامَـةُ هٰـذَا الـعَـأْلَـمِ.

انتهى. الدر المصنون.

رضي الله عنهما ـ: سألت رسول الله ﷺ عن معنى آمين؟ فقال: «اَفْعَلْ» (٦) وفيه لُغتان: مَدُّ أَلِفِهِ، وَقَصْرُهَا؛ قال: [من البسيط]

.... وَيَرْحَمُ اللَّهُ عَبْداً قَالَ آمِينَا[١]

وقال: [من الطويل]

.... أَمِينَ فَزَادَ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا بُعْدَا[٢]

وعن النبي ﷺ: «لَقَّنَنِي جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ آمينَ عِنْدَ فَرَاغِي مِنْ قِرَاءَةِ فَاتِحَةِ

= وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٤)، وجويبر في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس؛ كما في الدر المنثور (١/ ٤٤).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية أبي صالح عنه بإسناد واهٍ. انتهى.

---

(١)
يا رب إنك ذو منٍّ ومغفرة ... بيت بعافية ليل المحبينا
الذاكرين الهوى من بعدما رقدوا ... الساقطين على الأيدي المكبينا
يا رب لا تسلبني حبها أبداً ... ويرحم الله عبداً قال آمينا

لقيس بن معاذ الملوح مجنون ليلى العامرية، اشتد وجده بها، فأخذه أبوه إلى الكعبة ليدعو الله عسى أن يشفيه، فأخذ بحلقة بابها وقال ذلك. والدعاء لليل المحبين مجاز عقلي، وهو في الحقيقة لهم، وبين أن رقادهم ليس على المعتاد بقوله: الساقطين على الأيدي، المكبين على الوجوه حيرة وسكرة، ثم دعا بأن يديم الله حبها، ودعا لمن يؤمن على دعائه بأن يقول: آمين، وهو اسم فعل، أي استجب يا الله هذا الدعاء، وهو بالمد، ويجوز قصره.
البيت للمجنون ينظر ديوانه ص ٢١٩، ولعمر بن أبي ربيعة ينظر لسان العرب (أمن) وليس في ديوانه، إصلاح المنطق ص ١٧٩، وإنباه الرواة ٣/ ٢٨٢، وشرح الأشموني ٢/ ٤٨٥، وشرح المفصل ٤/ ٣٤، وشرح شذور الذهب ص ١٥١، أمالي ابن الشجري ١/ ٢٥٩، شذور الذهب ١٥٧، معاني الزجاج ١/ ١٧، الصحاح: (أمن)، البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٤٢، مقاييس اللغة ١/ ١٣٥، القرطبي ١/ ٩٠، الدر ١/ ٨٧. فتح القدير ١/ ٧٨.

(٢)
تباعد عني فطحل إذ دعوته ... أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

لجبير بن الأضبط كان قد سأل فطحلاً فأعرض عنه فدعا عليه، ويروى تباعد مني فطحل وأبى، وأمينَ: بقصر الهمزة على اللغة العربية الأصلية. وأما بالمد فقيل أعجمي؛ لأنه ليس في لغة العرب فاعيل. وقيل: أصله بالقصر فأشبعت همزته: اسم فعل بمعنى استجب، ورتبته بعدما بعده. قدمه حرصاً على طلب الإجابة ووقوع الدعاء مجاباً من أول وهلة. والفاء للسببية عما قبلها. أي: حيثما تباعد عني فزد ما بيننا بعداً يا الله، وبعداً: يجوز أن يكون تمييزاً، وأن يكون مفعولاً.
ينظر: تهذيب إصلاح المنطق ٢/ ٤٢، إصلاح المنطق ص ١٧٩، وشرح الأشموني ٢/ ٤٨٥، وشرح شذور الذهب ص ١٥٢، وشرح المفصل ٤/ ٣٤، ولسان العرب (حطل)، (أمن)، ومعاني الزجاج ١/ ١٧، الصحاح ٥/ ٢٠٧، مقاييس اللغة ١/ ١٣٥، والقرطبي ١/ ٩٠، الدر ١/ ٨٧.

الكِتَابِ» وقال: «إِنَّهُ كَالْخَتْمِ عَلَى الْكِتَابِ» (٧)، وليس من القرآن؛ بدليل أنه لم يثبت في المصاحف، وعن الحسن: لا يقولها الإمام؛ لأنه الداعي، وعن أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ مثله، والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يخفيها، وروى الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله ﷺ (٨). وعند الشافعي يجهر بها. وعن وائل بن حجر؛ أنّ النبي ﷺ «كان إذا قرأ: ولا الضَّالِّين، قَالَ: آمِينَ وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَه» (٩). وعن رسول الله ﷺ[1] أنه قال

---

٧ ـ قال الزيلعي غريب بهذا اللفظ (١/ ٢٧).
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
لم أجده هكذا. وفي «الدعاء» لابن أبي شيبة من رواية أبي ميسرة أحد كبار التابعين قال: أقرأ جبريل ـ عليه السلام ـ النبي ـ ﷺ ـ فاتحة الكتاب فلما قال: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال له: قل: آمين. فقال: آمين، قلت: وعند أبي داود عن أبي زهير قال: آمين مثل الطابع على الصحيفة وروى ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً: «آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين»، وهو في الدعاء للطبراني. انتهى.

٨ ـ قال الزيلعي: في «تخريج الكشاف» (١/ ٢٧) غريب جدًّا.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»:
لم أجده عن واحد منهما. انتهى.

٩ ـ أخرجه أحمد (٤/ ٣١٥)، والطيالسي (١٠٢٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٢)، وابن حبان (٥/ ١٠٩) حديث (١٨٠٥)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٥٧)، والطبراني (٢٢/ ٤٥) (١١٢) عن طريق شعبة عن سلمة بن كهيل عن حجر أبي العنبس عن علقمة بن وائل عن أبيه: وفي لفظه: وأخفى بها صوته.
وصحح هذا الطريق الحاكم وابن حبان.
قال الدارقطني في سننه (١/ ٣٣٤)؛ كذا قال شعبة: «وأخفى بها صوته» ويقال: إنه وهم فيه؛ لأن سفيان الثوري ومحمد بن سلمة بن كهيل، وغيرهما رووه عن سلمة، فقالوا: «ورفع صوته بآمين» وهو الصواب. ا.هـ.
أما طريق سفيان الذي أشار إليه الدارقطني.
أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٢٥)، وأحمد (٤/ ٣١٦ ـ ٣١٧) وأبو داود (١/ ٢٤٦): كتاب الصلاة: باب التأمين وراء الإمام، حديث (٩٣٢)، والترمذي: كتاب الصلاة باب ما جاء في التأمين (٢/ ٢٧) حديث برقم (٢٤٨)، والدارمي (١/ ٢٨٤): كتاب الصلاة: باب الجهر بالتأمين، والطبراني (٢٢/ ٤٤) حديث (١١١)، والدارقطني (١/ ٣٣٤): كتاب الصلاة: باب التأمين في الصلاة بعد =

---

(١) قوله: وعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: اعلم أن صاحب الكتاب التزم أن يذكر آخر كل سورة حديثاً لبيان فضلها، ولكن ليست كلها صحيحة فقد قال الجلال السيوطي: اعلم أن السور التي صحت الأحاديث في فضلها: الفاتحة، والزهراوان، والأنعام، والسبع الطوال مجملاً، والكهف، ويس، والدخان، والملك، والزلزلة، والنصر، والكافرون، والإخلاص، والمعوذتان. وما عداها لم يصح فيه شيء أهـ. والزهراوان: البقرة، وآل عمران. والسبع الطوال: من أول البقرة إلى آخر براءة ـ بعدها مع الأنفال سورة واحدة ـ قاله الأجهوري على البيقونية في مصطلح الحديث. (ع)

لأبيّ بن كعب: «أَلا أُخبِرُكَ بِسُورَةٍ لَمْ يُنَزَّلْ في التَّوْرَاةِ والإنْجِيلِ والقُرْآنِ مِثْلُهَا؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُول الله. قال: «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ؛ إِنَّها السَّبْعُ المَثَانِي والقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذي أُوتِيتُهُ» (١٠).

= فاتحة الكتاب والجهر بها، والبيهقي في السنن الكبرى (٢١/٥٧): كتاب الصلاة: باب جهر الإمام بالتأمين والبغوي (٢/٢٠٨) كتاب الصلاة: باب الجهر بالتأمين في صلاة الجهر، حديث (٥٨٧) من طريق سفيان عن سلمة بن كهيل به.

وأخرجه ابن أبي شيبة (٢/٤٢٥) وأبو داود (١/٢٣٦): كتاب الصلاة: باب التأمين وراء الإمام، حديث (٩٣٢)، والترمذي (٢/٢٩) كتاب الصلاة: باب ما جاء في التأمين، حديث رقم (٢٤٩)، والطبراني في معجمه الكبير (٢٢/٤٥): حديث (١١٤) من طريق العلاء بن صالح عن سلمة به، وأخرجه من طريق محمد بن كهيل، عن حجر بن عنبس عن وائل؛ ولفظ رواية سفيان: «يمدّ بها صوته» وعند أبي داود والطبراني: «يرفع بها صوته»، ولفظ العلاء بن صالح: فجهر بآمين، وسلم عن يمينه وعن شماله حتى رأيت بياض خده، وقد صحح إسناده البيهقي في المعرفة، والحافظ في تلخيص الحبير (١/٢٣٦).

وقد توسع البيهقي رحمه الله في «الخلافيات» في الكلام على هذا الحديث، وترجيح رواية سفيان ومن وافقه.

وانظر تعليقنا هناك على هذا الحديث، ففيه البسط والحمد لله على التوفيق.

قال الحافظ في «تخريج الكشاف».

أخرجه أبو داود من رواية حجر بن عنبسة عنه. وإسناده حسن. انتهى.

١٠ ـ أخرجه الترمذي (٤/٢٩٧): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الحجر، حديث (٣١٢٥)، والنسائي في المجتبى (٢/١٣٩) كتاب الافتتاح. باب تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾، حديث (٩١٤)، وأحمد في مسنده (٢/١١٢)، والدارمي (٢/٤٤٦): كتاب فضائل القرآن: باب فضل فاتحة الكتاب، وابن خزيمة (١/٢٥٢) كتاب الصلاة: باب فضل قراءة الفاتحة، حديث (٥٠١)، وأبو يعلى الموصلي (١١/٣٦٧) حديث (٦٤٨٢). وابن حبان (٣/٥٣) كتاب الرقائق: باب قراءة القرآن حديث (٧٧٥)، والحاكم في المستدرك (١/٥٥٧) وعبد بن حميد (ص٨٦)حديث (١٦٥)، والبيهقي في الكبرى (٢/٣٧٥)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢/٢٣) باب فضل فاتحة الكتاب، حديث (٣٩٣)، والطبري في تفسيره (٩/١٤٤)، كلهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وصححه ابن خزيمة، وابن حبان.

والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٢١)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن مردويه، وأبي ذر الهروي في فضائل القرآن.

وللحديث شاهد من حديث أبي سعيد بن المعلّى.

أخرجه البخاري (٨/٦) كتاب التفسير: باب ما جاء في فاتحة الكتاب حديث (٤٤٧٤)، (٨/٢٣٢) كتاب التفسير باب ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ حديث (٤٧٠٣)، و(٨/٦٧١) كتاب فضائل القرآن: باب فضل فاتحة الكتاب حديث (٥٠٠٦) وأبو داود (١/٤٦١) كتاب الصلاة: باب فاتحة الكتاب حديث (١٤٥٨) والنسائي (٢/١٣٩) كتاب الافتتاح: باب تأويل قول الله عز وجل: =

وعن حذيفة بن اليمان أنّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْقَوْمَ لَيَبْعَثُ الله عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ حَتْماً مَقْضِيّاً، فَيَقْرَأُ صَبِيٌّ مِنْ صِبْيَانِهِمْ في الْكِتَابِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فَيَسْمَعُهُ الله تَعَالَىٰ فَيَرْفَعُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ الْعَذَابَ أَرْبَعِينَ سَنَةً» (١١).

= ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾، وابن ماجة (٢/ ١٢٤٤) كتاب الأدب: باب ثواب القرآن حديث (٣٧٨٥) وأحمد (٤/ ٢١١) والدارمي (١/ ٣٥٠) كتاب الصلاة: باب أم القرآن هي السبع المثاني، (٢/ ٤٤٥) كتاب فضائل القرآن باب فضل فاتحة الكتاب، وأبو يعلى (١٢/ ٢٢٥) رقم (٦٨٣٧) والبيهقي (٢/ ٣٦٨) كتاب الصلاة، كلهم من طريق شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلّى قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ـ ﷺ ـ فلم أجبه قال: قلت له: يا رسول الله إني كنت أصلي قال: أولم يقل الله: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ ثم قال لي: ألا أعلمك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته.

والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٢١) وزاد نسبته إلى الطبري وابن حبان وابن مردويه.

قال الحافظ في تخريج الكشاف.

أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم من رواية عبد الحميد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة. ورواه مالك في الموطأ عن العلاء بن عبد الرحمن: أن أبا سعيد مولى عامر بن كريز أخبره: «أن النبي ـ ﷺ ـ نادى أبيّ بن كعب ـ فذكره» وهو مرسل؛ لأن أبا سعيد هذا تابعي.

وهذا الحديث قد أخرجه البخاري من وجه آخر عن أبي سعيد بن المعلّى: «أن النبي ـ ﷺ ـ مر به وهو يصلي، فدعاه ـ فذكر الحديث، ووهم صاحب جامع الأصول، فجعلهما واحداً فأخطأ؛ لأن الأول مكي مولى تابعي. والثاني أنصاري مدني من أنفسهم. صحابي. قال البيهقي: يحتمل أن يكون ذلك صدر منه ـ ﷺ ـ لأبيّ بن كعب مرة، ولسعيد بن المعلّي مرة أخرى. انتهى.

١١ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣٠): رواه الثعلبي في تفسيره من حديث أبي معاوية الضرير، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة، عن النبي ـ ﷺ ـ. . . فذكره سواء.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الثعلبي من رواية أبي معاوية عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي عنه. قلت: إلا أن دون أبي معاوية من لا يحتج به. وله شاهد في مسند الدارمي عن ثابت بن عجلان قال: «كان يقال: إن الله ليريد العذاب بأهل الأرض، فإذا سمع تعليم الصبيان بالحكمة صرف ذلك عنهم» يعني بالحكمة: القرآن، وحديث أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ في فضائل القرآن سورة سورة. أخرجه الثعلبي من طرق عن أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ كلها ساقطة. وأخرجه ابن مردويه من طريقين. وأخرجه الواحدي في الوسيط. وله قصة ذكرها الخطيب ثم ابن الصلاح عمن اعترف بوضعه؛ ولهذا روى عن أبي عصمة أنه وضعه. انتهى.

سورة البقرة

مدنيّة، وهي مائتان وستّ وثمانون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ①﴾.

﴿الٓمٓ﴾: اعلم أنّ الألفاظ التي يتهجى بها أسماء، مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم، فقولك: ـ ضاد ـ اسم سمي به: «ضه» من ضرب إذا تهجيته، وكذلك: «را، با»: اسمان؛ لقولك: «ره، به»؛ وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة، وهي أن المسميات لما كانت ألفاظاً كأساميها، وهي حروف وحدان والأسامى عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة، اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها، وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى، إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها؛ لأنه لا يكون إلا ساكناً. ومما يضاهيها في إيداع اللفظ دلالة على المعنى: التهليل، والحوقلة، والحيعلة، والبسملة؛ وحكمها ـ ما لم تلها العوامل ـ أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد، فيقال: «ألف لام ميم»، كما يقال: «واحد اثنان ثلاثة»؛ فإذا وليتها العوامل، أدركها الإعراب. تقول: هذه ألف، وكتبت ألفاً، ونظرت إلى ألف؛ وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب، قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها، فحقك أن تلفظ به موقوفاً؛ ألا ترى أنك إذا أردت أن تلقى على الحاسب أجناساً مختلفة ليرفع حسبانها، كيف تصنع، وكيف تلقيها أغفالاً من سمة الإعراب؟ فتقول: «دار، غلام، جارية، ثوب، بساط». ولو أعربت ركبت شططاً. فإن قلت: لم قضيت لهذه الألفاظ بالاسمية؟ وهلا زعمت أنها حروف كما وقع في عبارات المتقدّمين؟ /٧أ قلت: قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف، فعلمت أن قولهم خليق بأن يصرف إلى التسامح، وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الأسماء التي لا يقدح إشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف، مستعملين الحرف في معنى الكلمة، وذلك أن قولك: «ألف»: دلالته على أوسط حروف: «قال، وقام» دلالة «فرس» على الحيوان المخصوص، لا فضل فيما يرجع إلى التسمية بين الدلالتين؛ ألا ترى أنّ الحرف: ما دلّ على معنى في غيره، وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه؛ ولأنها متصرف فيها بالإمالة كقولك: «با، تا». وبالتفخيم كقولك: «يا، ها»، وبالتعريف، والتنكير، والجمع والتصغير، والوصف، والإسناد، والإضافة، وجميع ما للأسماء المتصرفة. ثم إني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك. قال سيبويه: قال الخليل: يوماً ـ وسأل أصحابه ـ:

«كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف[1] التي في لك، والباء التي في ضرب»؟ فقيل: نقول: «باء، كاف»، فقال: إنما جئتم بالاسم، ولم تلفظوا بالحرف، وقال: أقول: «كه، به». وذكر أبو علي في كتاب: «الحجة» في: (يسّ): وإمالة يا، أنهم قالوا: يا زيد، في النداء؛ فأمالوا وإن كان حرفاً، قال: فإذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء، فلأن يميلوا الاسم الذي هو «يس» أجدر؛ ألا ترى أنّ هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها؟ فإن قلت: من أي قبيل هي من الأسماء، أمعربة أم مبنية؟ قلت: بل هي أسماء معربة، وإنما سكنت سكون «زيد وعمرو وغيرهما» من الأسماء، حيث لا يمسها إعراب، لفقد مقتضيه وموجبه. والدليل على أنّ سكونها وقف وليس ببناء: أنها لو بنيت لحذى بها حذو: «كيف، وأين، وهؤلاء». ولم يقل: «صَ، قَ، نَ» مجموعاً فيها بين الساكنين. فإن قلت: فلم لفظ المتهجى بما آخره ألف منها مقصوراً، فلما أعرب مدّ فقال: هذه «باء، وياء، وهاء» وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك: «لا» مقصورة؛ فإذا جعلتها اسماً مددت، فقلت: كتبت «لاء»؟ قلت: هذا التخيل يضمحل بما لخصته من الدليل؛ والسبب في أن قصرت متهجاة، ومدّت حين مسها الإعراب: أنّ حال التهجي خليقة بالأخف الأوجز، واستعمالها فيه أكثر. فإن قلت: قد تبين أنها أسماء لحروف المعجم، وأنها من قبيل المعربة، وأن سكون أعجازها عند الهجاء لأجل الوقف، فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور؟ قلت: فيه أوجه: أحدها وعليه إطباق الأكثر: أنها أسماء السور. وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بـ«باب أسماء السور»، وهي في ذلك على ضربين: أحدهما ما لا يتأتى فيه إعراب، نحو: «كهيعَصَ، والّمَر»، والثاني: ما يتأتى فيه الإعراب، وهو إما أن يكون اسماً فرداً كـ «صَ، و قَ، و نَ»، أو أسماء عدّة مجموعها على زنة مفرد كـ«حمَ، وطسَ، ويسَ»؛ فإنها موازنة لـ «قابيل وهابيل»، وكذلك «طسَمَ» يتأتى فيها أن تفتح نونها، وتصير ميم مضمومة إلى «طسَ» فيجعلا اسماً واحداً؛ كدارا بحرد؛ /٧ب فالنوع الأول: محكى ليس إلاّ؛ وأما النوع الثاني: فسائغ فيه الأمران: الإعراب، والحكاية؛ قال قاتل محمد بن طلحة السجاد، وهو شُرَيْحُ بن أوفى العَبْسِيُّ[2]: [من الطويل]

---

(١) قال محمود رحمه الله: «وقد سأل الخليل أصحابه كيف ينطقون بالكاف... إلخ». قال أحمد رحمه الله: وسألهم أيضاً كيف ينطقون بالقاف من يقبل؟ فقالوا: قاف، كقولهم الأول، فأجابهم كجوابه الأول وقال: أما أنا فأقول: اقه، فألحق رضيَ الله عنه أولاً هاء السكت؛ لأن الحرف المنطوق به متحرك، وثانياً همزة الوصل؛ لأنه ساكن.

(٢) قوله «قال قاتل محمد بن طلحة... إلخ» هكذا نسبه البخاري لشريح في تفسير غافر. ولفظه: ويقال إن (حم) اسم. لقول شريح بن أبي أوفى، فذكره. ونسب ذلك لغير شريح، ففي الطبقات لابن سعد والمستدرك للحاكم من رواية الواقدي عن محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه قال: =

يُـذَكِّـرُنِـي حَـامِـيـمَ وَالـرُّمْـحُ شَـاجِـرٌ فَـهَـلاَّ تَـلاَ حَـامِـيـمَ قَـبْـلَ الـتَّـقَـدُّمِ[1]؟

فأعرب حاميم ومنعها الصرف، وهكذا كل ما أعرب من أخواتها؛ لاجتماع سببي منع الصرف فيها، وهما: العلمية، والتأنيث.

والحكاية: أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الأولى؛ كقولك: «دعني من تمرتان»، وبدأت بالحمدُ لله، وقرأت: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ [النور: ١] قال: [من الوافر]

وَجَـدْنَـا فِـي كِـتَـابِ بَـنِـي تَـمِـيـمٍ أَحَـقُّ الْـخَـيْـلِ بِـالـرَّكْـضِ الْـمُـعَـارُ[2]

= كان محمد بن طلحة يوم الجمل مع أبيه. فنهى علي رضيَ اللّه عنه عن قتله. وقال: من رأى صاحب البرنس الأسود فلا يقتله - يعنيه - فقتله رجل من بني أسد بن خزيمة يقال له: طلحة بن مدلج، وقيل: شداد بن معاوية العبسي. وقيل عصام بن مقشعر وعليه الأكثر. وهو الذي يقول في قتله. فذكره. قلت: وهو من جملة أبيات. أولها:

وأشـعـث قـوام بـآيـات ربـه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم

(١) وأشـعـث قـوام بـآيـات ربـه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
شككت له بالرمح جيب قميصه فخرّ صريعاً لليدين وللفم
على غير شيىء غير أن ليس تابعا عليا ومن لا يتبع الحق يظلم
يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم

لشريح بن أوفى العبسي يوم الجمل، حين أمر أبو طلحة محمد بن طلحة أن يبرز للقتال، وكان من قرابة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، فكان كلما حمل عليه رجل قال: نشدتك بحم لما فيها من آية ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ حتى حمل عليه العبسي فقتله وأنشأ يقول: ورب أشعث من أثر العبادة كثير القيام والعمل بآيات ربه، أو القيام في الليل بتلاوتها، قليل الأذى، وروي الكرى: أي النوم، وروي القذى: وهو ما يتساقط في العين فيغمضها: كنى بقلته عن قلة النوم فيما ترى العين: أي في رأي العين. شككت: أي خرقت له بالرمح جيب: أي طرف قميصه، كناية عن طعنه به في الصدر أو من خلفه حتى نفذ من صدره، أو نظمت وربطت جيب قميصه بصدره مطروحاً على يديه ووجهه. وعبر بالفم مبالغة في التنكيل؛ ولأنه أول ما يلقى الأرض من الوجه، وذلك بلا سبب غير أنه ليس تابعاً لعلي بن أبي طالب، وهكذا حال كل من لا يتبع الحق، وهو أنه يعاقب ويهان. يذكرني حاميم، والحال أن رمحي مختلط في ثيابه وأضلاعه. وقيل المعنى: والحال أن الرماح مختلطة والحرب قائمة، وقوله فهلا، فيه نوع توبيخ: أي كان من حقه أن يذكرني بها قبل التقدم للحرب.

وهو للأشتر النخعيّ في الاشتقاق ١٤٥، ولعدي بن حاتم الطائيّ في حماسة البحتريّ ص ٣٦، ولشريح بن أوفى العبسيّ في لسان العرب (حمم)، ولعصام بن مقشعر البصريّ في معجم الشعراء ص ٢٧٠، وبلا نسبة في الخصائص ٢/ ١٨٣، ولسان العرب (ندم)، والمقتضب ١/ ٢٣٨، ٣/ ٣٥٦.

(٢) وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار
يضمر بالأصائل فهو نهد أقب مقلص فيه اقورار
كأن سراته والخيل شعث غداة وجيفها مسد مغار =

وقال ذو الرمّة: [من الوافر]

سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثاً فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلَالَا[1]

= كأن حفيف منخره إذا ما كتمن الربو كير مستعار

لبشر بن خازم الأسدي، وقيل للطرماح. والركض: ضرب الراكب دابته برجله، وعار الفرس: ذهب ههنا وههنا مرحاً عند انفلاته، وأعاره صاحبه فهو معار. قال أبو عبيدة: والناس يرونه أي يظنون المعار من العارية وهو خطأ. ويروى: المعار بكسر الميم. ويروى: يشمر، بدل يضمر. والأصائل جمع أصيل كالآصال وهي أواخر النهار. أي يترك بلا علف من أول النهار فيجوع حتى يكون ضامر البطن في آخره، أو يهيأ ويرسل للقتال في آخر النهار فما بال أوله. والنهد: غليظ الجنبين مرتفع الأضلاع، والأقب، رقيق الخصر، والمقلص ـ كمعظم على اسم المفعول ـ المشمر المشرف طويل القوائم، ويجوز جعله على اسم الفاعل بمعنى المتشمر المكتنز اللحم. يقال: قلصه بالتشديد شمره، فقلص هو أيضاً: أي تشمر، ويقال قلصت الناقة كذلك: إذا استمرت على السير. والاقورار: رقة الجسم ونحافته. والسراة: أعلى الظهر. والوجيف: سرعة سير الخيل. والمسد: الحبل. شبه السراة به في الامتداد والصلابة، وقوله: والخيل شعث، جملة حالية، والشعث جمع أشعث، أو شعث، وغداة: ظرف له. والحفيف: دوي الجرى والطيران. يقال: حف الفرس حفيفاً، وأحففته: إذا حملته على الحفيف، وضمير كتمن للخيل. والربو: الزيادة وما ارتفع من الأرض، والنفس العالي، وانتفاخ الفرس من عدو أو فزع. يقال منه: راب يربو، إذا أخذه الربو: أي إذا ضاقت مناخر الخيل عن إخراج النفس لعجزها، كان منخر فرسي واسعاً كالكير ـ وهو منفخة الحداد ـ لعلو نفسه وتردده. وجعله مستعاراً ليدل علي أنه تداولته الأيدي. يقول: وجدنا في كلام جدودنا هذا الكلام، فأحق مبتدأ، والمعار خبره، والجملة محكية محلها نصب بوجدنا.

وهو لبشر بن أبي خازم في ديوانه ص ٧٨، وشرح اختيارات المفضّل ٣/ ١٤٣٩، وللطرماح في ملحق ديوانه ص ٥٧٣، ولسان العرب (عير)، وتاج العروس (عير)، ٢٧٤ (عور)، ٢٨٢ (غور)، ولبشر أو للطرماح في شرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٢٣، ولابن الطراوة في بغية الوعاة ٢/ ٣٤١، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٩/ ١٦٨، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ٢٣١، والكتاب ٣/ ٣٢٧، ولسان العرب (عير)، وما ينصرف وما لا ينصرف ص ١٢٥، والمقتضب ٤/ ١٠، ونوادر أبي زيد ص ٣٢.

(١) لذي الرمة يمدح بلالاً أبا بريدة، وهما لقب وكنية لعامر بن أبي موسى الأشعري، كان أمير البصرة وقاضيها، وصيدح: اسم ناقة الشاعر. والناس رفع بالابتداء: أي سمعت هذا الكلام فحكاه على ما كان عليه، ولم ينصب الناس، لأنه يقتضي أن فعل الانتجاع مما يسمع وليس كذلك، لأنه بمعنى يرتحلون طالبين غيثاً، أو بمعنى يطلبون غيثاً أي مطراً أو كلأً نابتاً منه. وروي بنصب الناس، فيكون ينتجعون غيثاً: بمعنى يتكلمون بطلبه. وروي رأيت الناس. قال ابن القطاع: ولا يصح معه الرفع، وذلك لأن الرؤية لا تقع على اللفظ، وشبه تهيئتها وإعدادها للسير إليه ليسوقها أو سوقها إليه بأمره لها بالسير إليه، وطلبه لترتب السير على كل على طريق التصريح، ويجوز أنه شبهها بالعاقل فخاطبها بذلك على سبيل المكنية: أي اطلبي بلالاً، فإنه أنفع مما يطلبه الناس، ولما سمع بلال ذلك قال: يا غلام اعلف صيدح قتا ونوى، والقت: نوع من النبات الطري.

ينظر ديوانه ص ١٥٣٥، وجمهرة اللغة ص ٥٠٣، وخزانة الأدب (٩/ ١٦٧، ١٦٨)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٢٣٢)، وشرح التصريح (٢/ ٢٨٢)، ولسان العرب (صدح) (نجع)، المقتضب (٤/ ١٠)، ونوادر أبي زيد ص ٣٢، وبلا نسبة في أسرار العربية (ص ٣٩٠). وخزانة الأدب (٩/ ٢٦٨، =

وقال آخر: [من مجزوء الوافر]

تَنَادَوْا بالرَّحِيلِ غَداً وَفِي تَرْحَالِهِمْ نَفْسِي[1]

وروي منصوباً ومجروراً. ويقول أهل الحجاز في استعلام من يقول: «رأيت زيداً»: «من زيداً؟» وقال سيبويه: سمعت من العرب: «لا من أين يا فتى». فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ: «صَ، وقَ، ونَ» مفتوحات[2]؟ قلت: الأوجه: أن يقال: ذاك نصب وليس بفتح، وإنما لم يصحبه التنوين؛ لامتناع [الصرف] على ما ذكرت، وانتصابها بفعل مضمر؛ نحو: «اُذكر»، وقد أجاز سيبويه مثل ذلك في: «حمَ، وطسَ، ويسَ» لو قرىء به. وحكى أبو سعيد السيرافي أنّ بعضهم قرأ: «يسَ». ويجوز أن يقال: حرّكت لالتقاء الساكنين، كما قرأ من قرأ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. فإن قلت: هلا زعمت أنها مقسم بها[3]؟ وأنها نصبت

= ٣٩٣)، وشرح الأشموني (٣/ ٦٤٤).

(١) روي الرحيل بالرفع على أنه مبتدأ، وغداً ـ أي في غد ـ خبره، وبالنصب: مصدر لفعل محذوف، وذلك كله على الحكاية. وروي بالجر على الأصل، وغداً. ظرف للرحيل، وفي ترحالهم: أي مع رحيلهم نفسي ـ أي روحي ـ فكأن محبوبه أخذ روحه وغادره ميتاً لتعلق قلبه به، ويجوز أنه استعارها لمحبوبه على طريق التصريحية، لأن به حياته وسروره، فكأنه يموت بمفارقته لاغتمامه.
والبيت بلا نسبة في الأشباه والنظائر (٨/ ١٢٦)، ودرّة الغواص ص ٢٣٩ وسر صناعة الإعراب ص ٢٣٢، والمحتسب ٢/ ٢٣٥، والمقرب ١/ ٢٩٣.

(٢) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت: فما وجه من قرأ ص وق ون مفتوحات... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله تعالى: كلامه على الوجه الأول يوجب كونها معربة، وعلى الوجه الثاني يحتمل أن يكون أراد أن الفتحة ـ لالتقاء الساكنين ـ نشأت عن سكون الحكاية. فإنها إنما تحكى ساكنة مجردة من سمة الإعراب، فلا تكون الحركة إذاً إعراباً. إذ لا مقتضى له مع الحكاية، ولا بناء إذ هي معربة عنده على هذا التقدير. ويحتمل أن يكون أراد أنها مبنية فتكون الحركة مثلها في أين وكيف حركة بناء، والأول هو الظاهر من مراده إذ حتم قبل أنها معربة، على أن سيبويه نص في كتابه على ما أورده بلفظه قال: وأما (ص) فلا يحتاج إلى أن يجعل اسماً أعجمياً، لأن وزنه في كلامهم. ولكنه يجوز أن يكون اسماً للسورة فلا يصرف. ويجوز أن يكون أيضاً (يس وص) اسمين غير متمكنين فيلزمان الفتح كما ألزمت الأسماء غير المتمكنة للحركات نحو: كيف، وأين. وحيث، وأمس اهـ كلام سيبويه. وفيه رد على الزمخشري رحمه الله في حتمه أن تكون معربة وأن فتحتها نصب أو لالتقاء الساكنين العارض للحكاية على ما ظهر من مقوله آنفاً، وسيأتي له أيضاً ما يدل على أنه لا يجوز بناؤها البتة. أقول: بعد تسليم أن الأول هو الظاهر من مراده، فما ذكره ـ حكاية عن سيبويه ـ غير وارد عليه، لأنه اختار أحد الوجهين.

(٣) قال محمود رحمه الله: «هلا زعمت أنها مقسم بها... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: وله البقاء على أنها منصوبة على القسم، وجعل الواو عاطفة على مذهب الخليل وسيبويه في أمثاله، ويسلك حينئذٍ في العطف سبيل [من الطويل]:

.... ولا سابق شيئاً إذا كان جائيا

فإن المقسم به وإن كان منصوباً لأنه محل يعهد وفيه الخبر، فعطف بالجر رعاية لذلك العهد، وههنا =

قولهم: «[نعم] الله لأفعلن»، و«أي الله لأفعلن»، على حذف حرف الجر، وإِعمال فعل القسم [1]؟ وقال ذو الرُّمَّة: [من الطويل]

أَلاَ رُبَّ مَـنْ قَـلْـبِـي لَـهُ ٱلـلَّـهَ نَـاصِـحٌ .... [2]

وقال آخر [من الوافر]:

.... فَـذَاكَ أَمَـانَـةُ الـلَّـهِ الـثَّـرِيـدُ [3]

قلت: إنّ القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما، فلو زعمت ذلك، لجمعت بين قسمين على مقسم واحد، وقد استكرهوا ذلك. قال الخليل في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ١ - ٣]: الواوان الأخريان ليستا بمنزلة الأولى، ولكنهما الواوان اللتان تضمان الأسماء إلى الأسماء في قولك: «مررت بزيد

= أولى بالصحة منه بيت زهير المذكور لأن انتصاب المقسم به إنما نشأ عن حذف حرف الجر الذي هو أصل في القسم، وانتصاب خبر ليس أصل في نفسه، ليس ناشئاً عن حذف. غايته أن حرف الجر قد يصحب خبرها دخيلاً، فمراعاة الأصل أجدر من مراعاة العارض، فقد تحرر في فتح ص وجهان: أحدهما أن يكون إعراباً وهو إما جري على الوجه الذي أبداه الزمخشري، أو نصب على الوجه الذي نقلته عن سيبويه، ثانيهما أنه لا إعراب ولا بناء وهو عروضه على الوقف في الحكاية.

(١) قال السمين الحلبي: وهذا ضعيف؛ لأن ذلك من خصائص الجلالة المعظمة، لا يشرَكُها فيه غيرها. انتهى. الدر المصون.

(٢) ألا رب من قلبي له اللّه ناصح ومن قلبه لي في الظباء السوانح

لذي الرمة. و «من» نكرة موصوفة. و «قلبي» مبتدأ. «اللّه» قسم نصب على حذف الجار وإعمال فعل القسم المقدر. و «ناصح» خبر، والجملة صفة «من» و «السوانح» المسرعات جهة اليمين، كما أن «البوارح» المسرعات جهة الشمال. يقول: رب شخص قلبي له ناصح خالص واللّه. ورب شخص قلبه لي غير خالص بل نافر عني كأنه من الظباء المسرعات نفوراً. وأعاد الموصوف ـ وإن كان المقصود ذكر الصفة فقط ـ تنبيهاً على استقلال كل من الصفتين بقصد الإخبار به. هذا، ويحتمل أن المعنى: أن قلبه لي ناصح أيضاً؛ لأن بعض العرب يتيمن بالسوانح. وفيه تلويح بتشبيه محبوبته بالظبية.

ينظر ملحق ديوانه ص ١٨٦١، والكتاب ٣/٤٩٨، وبلا نسبة في شرح المفصل ٩/١٠٣.

(٣) إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة اللّه الثريد

«ما» زائدة. وأدم يأدم كضرب يضرب، إذا وفق وأصلح، وكذلك آدم بمد الهمزة، فتأدمه: تصلحه وتهيئه للأكل، وأمانة اللّه رفع على الابتداء، والخبر محذوف، أي: قسمي: أو نصب بفعل القسم المقدر بعد حذف الجار. أي: أقسم بأمانة اللّه؛ أو جر بواو القسم مقدرة، لكن البصريون خصوا هذا بلفظ الجلالة. يقول: إذا كان الخبز مأدوماً باللحم وممزوجاً به، فذلك هو الثريد دون ما عداه وحق أمانة اللّه.

ينظر الكتاب ٣/٦١، ٤٩٨، شرح المفصل ٩/٩٢، ١٢/١٠٤٢، اللسان: آدم، المخصص ١٣/١١٦، الأصول لابن سراج ١/٤٣٣، شرح الجمل لابن عصفور ١/٥٣٢، الدر ١/٨٨ ولسان العرب (أدم).

وعمرو»، والأولى بمنزلة الباء والتاء، قال سيبويه: قلت للخليل: فلم لا تكون الأخريان بمنزلة الأولى؟ فقال: إنما أقسم بهذه الأشياء على شيء، ولو كان انقضى قسمه بالأوّل على شيء لجاز أن يستعمل كلاماً آخر، فيكون كقولك: «بالله لأفعلنّ»، «بالله لأخرجنّ اليوم»، ولا يقوى أن تقول: «وحقك وحق زيد لأفعلنّ». والواو الأخيرة: واو قسم، لا يجوز إلا مستكرهاً. قال: وتقول «وحياتي ثم حياتك لأفعلنّ»؛ فثم هٰهنا بمنزلة الواو. هذا ولا سبيل فيما نحن بصدده إلى أن تجعل الواو للعطف؛ لمخالفة الثاني الأول في الإعراب. فإن قلت: فقدّرها مجرورة بإضمار الباء القسمية لا بحذفها، فقد جاء عنهم: «الله لأفعلن» مجروراً، ونظيره قولهم: «لاه أبوك»؛ غير أنها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة، واجعل الواو للعطف، حتى يستتب لك المصير إلى نحو ما أشرت إليه. قلت: هذا لا يبعد عن الصواب، ويعضده ما رووا/٨أ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «أقسم الله بهذه الحروف» (١٢).

فإن قلت: فما وجه قراءة بعضهم «صَ وقَ» بالكسر(١)؟ قلت: وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين، والذي يبسط من عذر المحرّك: أن الوقف لما استمرّ بهذه الأسامي، شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات، فعوملت تارة معاملة «الآن» وأخرى معاملة «هؤلاء». فإن قلت: هل تسوّغ لي في المحكية مثل ما سوّغت لي في المعربة(٢) من إرادة معنى القسم؟ قلت: لا عليك في ذلك، وأن تقدّر حرف القسم

---

١٢ ـ رواه الطبري في تفسيره (١/ ٢٠٧) رقم (٢٣٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
وذكره في الدر المنثور (١/ ٥٤) وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.
قال الحافظ بن حجر في «تخريج الكشاف»: موقوف.
رواه البيهقي في الأسماء والصفات من طريق معاوية بن صالح عن علي بن طلحة عنه: بلفظ «الحروف المقطعة في أوائل السور كلها أقسام أقسم الله بها»، ورواه ابن مردويه من هذا الوجه في تفسير طه. قال: «طه وأشباهها قسم أقسم الله بها». وهي من أسماء الله تعالىٰ. انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه اللّه: «فإن قلت فما وجه قراءة بعضهم ص وق بالكسر. . . إلخ»؟ قال أحمد رحمه اللّه: وهذا تحقق لك مخالفته لما نقلته من نص سيبويه من أنها غير متمكنة، ويدلك على أن فتحتها التي قال قبل إنها لالتقاء الساكنين فتحة بناء، أنه إنما أراد السكون العارض في الحكاية لا سكون البناء وهو مخالف لنص سيبويه كما نبهت عليه أيضاً.

(٢) قال محمود رحمه اللّه: «هل تسوغ لي في المحكية إرادة القسم كما سوغت لي في المعربة. . . إلخ»؟ قال أحمد رحمه اللّه: وقد منع الزمخشري أن يكون ص منصوباً على القسم لما تقدم، وأجاز أن يكون حم في الحديث المذكور منصوبة على القسم، بخلاف حم في القرآن، فتلك يتعين أن يكون نصبها على إضمار الفعل، أو مجرورة على القسم. وأما النصب مع القسم فلا يجيزه إلا =

مضمراً في نحو قوله عز وجل: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ [الدخان: ١، ٢]، كأنه قيل: أقسم بهذه السورة، وبالكتاب المبين: إنا جعلناه. وأما قوله ﷺ: «حَم لاَ يُنْصَرون» (١٣) فيصلح أن يقضى له بالجرّ والنصب جميعاً على حذف الجار وإضماره. فإن قلت: فما معنى تسمية السور بهذه الألفاظ خاصة؟ قلت: كأن المعنى في ذلك الإشعار، بأن الفرقان ليس إلا كلمًا عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ، كما قال ـ عز من قائل ـ: ﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[يوسف: ٢]. فإن قلت: فما بالها مكتوبة في المصحف على صور

---

١٣ ـ أخرجه الترمذي (٤/ ١٩٧): كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في الشعار، حديث (١٦٨٢)، وأبو داود (٣/ ٣٣)كتاب الجهاد: باب الرجل ينادي بالشعار، حديث (٢٥٩٧)، والحاكم في مستدركه (٢/ ١٠٧) من طريق المهلب بن أبي صفرة عمّن سمع النبي ـ ﷺ ـ.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إلاً أن فيه إرسال، والرجل الذي لم يسمه المهلب بن أبي صفرة البراء بن عازب.

وأخرجه أحمد (٤/ ٢٨٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٥٧ ـ ١٥٨) كتاب عمل اليوم والليلة: باب كيف الشعار حديث (١٠٤٥١ ـ ١٠٤٥٢)، والحاكم في مستدركه (٢/ ١٠٧) موصولاً عن البراء.

والحديث له شواهد من حديث أنس، وشيبة بن عثمان الحجبي، وأبي دجانة الأنصاري.

● أما حديث أنس: فقد أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٤/ ٥٧٧) حديث رقم (٣٩٩٠).

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٨٦): كتاب المغازي والسير: باب غزوة حنين، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أحمد بن محمد بن القاسم وهوضعيف. وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣٦) إلى أبي نعيم في دلائل النبوة وابن مردويه في تفسيره.

● أما حديث شيبة بن عثمان الحجبي، فقد أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٧/ ٣٥٨) حديث برقم (٧١٩٢).

● أما حديث أبي دجانة؛ فقد أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١١٨) جماع أبواب نزول الوحي. . .: باب ما يذكر من حرز أبي دجانة. . .

وذكره السيوطي في اللآلىء المصنوعة (٢/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨).

وقال: حديث موضوع.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه أصحاب السنن الثلاثة من رواية المهلب عمن سمع النبي ـ ﷺ ـ يقول: «إن بيتكم العدو فليكن شعاركم حم لا يبصرون»، قال الحاكم: المبهم هو البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ ثم أخرجه كذلك، وهو في النسائي ـ أيضاً ـ، وفي الباب عن أنس ـ رضي الله عنه ـ في الأوسط للطبراني، وفي الدلائل لأبي نعيم عنه في غزوة حنين، وعن شيبة بن عثمان في الطبراني ـ أيضاً ـ وعن أبي دجانة الأنصاري في آخر الدلائل للبيهقي، في حديث طويل. انتهى.

= في الحديث، والفرق عنده أن المانع من إجازته في القرآن مجيء المعطوف بعده مخالفاً له في الإعراب، إذ المعطوفات كلها مجرورة، ويتعذر عنده القسم في الثواني خوفاً من جمع قسمين على مقسم واحد، ولا كذلك الحديث فإنه لم يأت بعده ما يأباه؛ فلذلك خص جواز هذا الوجه بالحديث. وأما على الوجه الذي أوضحته فيعم جواز ذلك القرآن والحديث جميعاً.

الحروف[1] أنفسها، لا على صور أساميها؟ قلت: لأنّ الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف، واستمرّت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب: اكتب «كيت وكيت» أن يلفظ بالأسماء، وتقع في الكتابة الحروف أنفسها، عمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح، وأيضاً فإن شهرة أمرها، وإقامة ألسن الأسود والأحمر لها، وأنّ اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها[2]، وأنّ بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده، أمنت وقوع اللبس فيها[3]، وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء؛ ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان؛ لاستقامة اللفظ، وبقاء الحفظ، وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف. قال عبد الله بن درستويه في كتابه: «المترجم بكتاب الكتاب المتمم»: في الخط والهجاء خطان لا يقاسان: خط المصحف، لأنه سنة، وخط العروض؛ لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه. الوجه الثاني: أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد[4]، كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدّى بالقرآن وبغرابة نظمه؛ وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو عليهم وقد

---

(١) قال محمود رحمه اللّه: «فإن قلت: فما بالها مكتوبة في المصحف على صورة الحروف... إلخ»؟ قال أحمد رحمه اللّه: على هذا المعنى من خروج خط المصحف عن قياس الخط اعتمد القاضي رضيَ اللّه عنه في كتاب الانتصار، في الجواب عما نقل عن عثمان رضيَ اللّه عنه: أن عكرمة لما عرض عليه المصحف وجد فيه حروفاً من اللحن فقال: لا تغيروها فإن العرب ستقيمها بألسنتها. فلو كان الكاتب من ثقيف والمملل من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف، قال القاضي: وإنما قال عثمان رضيَ اللّه عنه ذلك؛ لأن ثقيفاً كانت أبصر بالهجاء، وهذيلاً كانت تظهر الهمزة. والهمزة إذا ظهرت في لفظ المملل كتبها الكاتب على صورتها فما أراد عثمان رضيَ اللّه عنه إلا أن تلك الحروف كتبت على خلاف قياس الخط، مثل كتابة: الصلوة، والزكوة. بالواو لا بالألف؛ قال القاضي: وإنما أخذ اللّه على الحفظة أن لا يغيروا التلاوة. أما الخط فلم يأخذ عليهم رسماً بعينه، حتى لا يسوغ الخروج من قياس رسم خاص من رسوم بالخط اهـ كلامه.

(٢) قوله «لا يحلى بطائل منها» في الصحاح: وقولهم لم يحل منه بطائل: أي لم يستفد منه كبير فائدة ولا يتكلم به إلا مع الجحد. (ع)

(٣) قوله «أمنت وقوع اللبس فيها» أي تلك الأمور الأربعة، أمنت القارىء. وقوع اللبس في الفواتح. (ع)

(٤) قال محمود رحمه اللّه: «الوجه الثاني أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد... إلخ» قال أحمد رحمه اللّه: إنما أردت هذا الفصل في كلام الزمخشري؛ لأنه غاية الصناعة، ونهاية البراعة، لولا الإخلال بلطيفة لو سلكها لتمت فصاحته. وهي أنه بنى أول الكلام على النفي وطول فيه، حتى انتهى إلى الإثبات، فكان أول الكلام رهيناً لآخره على الضد متى ينقضي على البعد، فهو كما انتقد على أبي الطيب قوله في الخيل [من البسيط]:

ولا ركبت بها إلا إلى ظفر ولا حصلت بها إلا على أمل

فإنه صدر الصدر والعجز بما صورته الدعاء على المخاطب في العرض مستدركاً بعد. وإنما يؤاخذ بهذا مثل أبي الطيب والزمخشري لأن لهما في مراتب الفصاحة علواً يفطن السامع لمثل هذا النقد.

عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم، ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه، ولم تظهر معجزتهم[1] عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة، وهم أمراء الكلام، وزعماء الحوار، وهم الحرّاص على التساجل[2] في اقتضاب الخطب، والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز، ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة[3] كل ناطق، وشقت غبار كل سابق، ولم يتجاوز الحدّ الخارج من قوى[4] الفصحاء، ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء؛ إلا/٨ب لأنه ليس بكلام البشر، وأنه كلام خالق القوى والقدر. وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل، ولناصره على الأوّل أن يقول: إن القرآن إنما نزل بلسان العرب، مصبوباً في أساليبهم واستعمالاتهم، والعرب لم تتجاوز ما سموا به[5] مجموع اسمين، ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة، والقول بأنها أسماء السور حقيقة: يخرج إلى ما ليس في لغة العرب، ويؤدّي أيضاً إلى صيرورة الاسم والمسمى واحداً. فإن اعترضت عليه بأنه قول مقول على وجه الدهر، وأنه لا سبيل إلى ردّه، أجابك بأن له محملاً سوى ما يذهب إليه، وأنه نظير قول الناس: «فلان يروي، قفا نبك، وعفت الديار، ويقول الرجل لصاحبه: ما قرأت؟ فيقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ١] و﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١] و﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء: ١١] و﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥]. وليست هذه الجمل بأسامي هذه القصائد وهذه السور والآي، وإنما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها، وتلاوة السورة أو الآية التي تلك فاتحتها. فلما جرى الكلام على أسلوب من يقصد التسمية، واستفيد منها ما يستفاد من التسمية، قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة. وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الأول أن يقول: التسمية بثلاثة أسماء فصاعداً، مستنكرة لعمري، وخروج عن كلام العرب، ولكن إذا جعلت اسماً واحداً على طريقة: «حضرموت»، فأما غير مركبة منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار فيها؛ لأنها من باب التسمية بما حقه أن يحكى حكاية، كما سموا: بـ: «تأبط شراً»، وبرق نحره، وشاب قرناها. وكما لو سمي بـ: «زيد منطلق، أو بيت شعر». وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر، وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم، دلالة

---

(١) قوله «ولم تظهر معجزتهم» لعله بفتح الميم والجيم مقابل مقدرة. (ع)

(٢) قوله «على التساجل» أي التفاخر بأن تصنع مثل صنعه في جري أو سقي، وأصله من السجل: بمعنى الدلو الذي فيه ماء. واقتضاب الخطب: ارتجالها: أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «التي بزت بلاغة» أي غلبت وسلبت. (ع)

(٤) قوله «الخارج من قوى» لعله عن. (ع)

(٥) قوله «لم تتجاوز ما سموا به» لعله: بما، أو لعله: فيما. (ع)

قاطعة على صحة ذلك. وأما تسمية السورة كلها بفاتحتها، فليست بتصيير الاسم والمسمّى واحداً، لأنها تسمية مؤلف بمفرده، والمؤلف غير المفرد. ألا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفاً منه ومن حرفين مضمومين إليه، كقولهم: «صاد»، فلم يكن من جعل الاسم والمسمّى واحداً، حيث كان الاسم مؤلفاً والمسمّى مفرداً. الوجه الثالث: أن ترد السور مصدّرَةً بذلك، ليكون أوّل ما يقرع الأسماع مستقلاً بوجه من الإعراب، وتقدمة من دلائل الإعجاز. وذلك أنّ النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام: الأميون منهم وأهل الكتاب، بخلاف النطق بأسامي الحروف. فإنه كان مختصاً بمن خط وقرأ، وخالط أهل الكتاب، وتعلم منهم، وكان مستغرباً مستبعداً من الأمي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨]. فكان حكم النطق بذلك ـ مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئاً من أهله ـ حكم الأقاصيص المذكورة في القرآن، التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الإحاطة بها، في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي، وشاهد بصحة/ ٩أ نبوته، وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة من غير أن يسمعها من أحد. واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عزّ سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء ـ وجدتها نصف أسامي حروف المعجم[1] أربعة عشر سواء، وهي: «الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف،

---

(١) قال محمود رحمه الله: «واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عزّ سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم... إلخ». قال أحمد: بقي عليه من الأصناف الحروف الشديدة، وقد ذكر تعالى نصفها: الهمزة المعبر عنها بالألف، والكاف، والقاف، والطاء. والمطبقة، وقد ذكر تعالى نصفها: الصاد، والطاء. والمنفتحة، وقد ذكر نصفها: الألف، والحاء، والراء، والسين، والعين، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون، والهاء، والياء. وحروف الصفير لما كانت ثلاثاً: السين، والصاد، والزاي؛ لم يكن لها نصف فذكر منها اثنين: السين، والصاد. وتلك العادة المأنوسة فيما يقصد إلى تنصيفه فلا يمكن فيتم الكسر. ألا ترى طلاق العبد وعدة الأمة ونحو ذلك؟ والحروف اللينة وهي ثلاثة: الألف، والياء، والواو. وذكر منها اثنين: الألف، والياء كحروف الصفير. والمكرر وهو الراء. والهاوي وهو الألف. والمنحرف وهو اللام. وقد ذكرها. ولم يبق من أصناف الحروف خارجاً عن هذا النمط إلا ما بين الشديد والرخو، فإنه لم يقتصر منها على النصف؛ لأن ما ذكر زائداً على النصف اندرج في غيرها من الأصناف، فلم يمكن الاقتصار لها كالشديدة والرخوة فلم يكن بها عناية. وأما حروف الذلاقة والمصمتة فالصحيح ألاّ يُعَدا صنفين، ولمن عدهما صنفين متميزين خبط طويل في جهة تميزهما، حتى أبعد الزمخشري في مفصله في تميزهما فقال: حروف الذلاقة التي يعتمد الناطق فيها على ذلق اللسان ـ أي طرفه ـ وهو تمييز مردود جداً: لأن من جملتها: الميم، والباء، والفاء. ولا مدخل لطرف اللسان فيها. ثم لا يتم على هذا التمييز مطابقتها للمصمته، إذ المصمتة مفسرة عنده بأنها حروف تكون عن تركيب كلمة رباعية فما زاد منها حتى يدرج معها أحد حروف الذلاقة، فكيف المقابلة بين الخروج من طرف اللسان وبين الصمت؟ فالحق أنهما صنفان ضعيف تميزهما، فلم يعتبر جريانهما على النمط المستمر =

والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون» في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم. ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، بيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها: «الصاد، والكاف، والهاء، والسين، والحاء». ومن المجهورة نصفها: «الألف، واللام، والميم، والراء، والعين، والطاء، والقاف، والياء، والنون». ومن الشديدة نصفها: «الألف، والكاف، والطاء، والقاف». ومن الرخوة نصفها: «اللام، والميم، والراء، والصاد، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والياء، والنون». ومن المطبقة نصفها: «الصاد، والطاء». ومن المنفتحة نصفها: «الألف، واللام، والميم، والراء، والكاف، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والقاف، والياء، والنون». ومن المستعلية نصفها: «القاف، والصاد، والطاء». ومن المنخفضة نصفها: «الألف، واللام، والميم، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والسين، والحاء، والنون». ومن حروف القلقلة نصفها: «القاف، والطاء». ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها، رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته. وقد علمت أن معظم الشيء وجلّه ينزل منزلة كله، وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته، فكأن الله عز اسمه عدّد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم، إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم. ومما يدل على أنه تغمد[1] بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعاً في تراكيب الكلم:[2] أن الألف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه

= في غيرهما من الأصناف البين امتيازها. وعد الزمخشري في هذا النمط حروف القلقلة، وذكر أن المذكور منها النصف: القاف، والطاء؛ ووهم فإنها خمسة أحرف، لم يذكر منها في الفواتح سوى الحرفين المذكورين. وعلى الجملة فلا يقدم الناظر تخريج ما لم يجر على هذا النمط من الأصناف على وجه يمكن الاستئناس إليه.

(١) قوله «تغمد» لعله «تعمد» بالعين المهملة. (ع)

(٢) قال محمود رحمه اللّه: «ومما يدل على أنه تغمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعاً في تراكيب الكلم أن الألف واللام... إلخ» قال أحمد رحمه اللّه: الألف المذكورة في الفواتح يحتمل أن يكون المراد بها الهمزة اللينة، وقد اضطرب فيها كلام الزمخشري في هذا الفصل، فعندما عد الحروف أربعة عشر حرفاً في الفواتح قال: إنها نصف حروف العربية، فهذا يدل على أن جملتها ثمانية وعشرون حرفاً، فلا بد من سقوط أحد الحرفين من هذا العدد إما اللينة أو الهمزة، وإلا كانت تسعة وعشرين. والظاهر أن الساقط الهمزة وعندما قال: في تسع وعشرين على عدد الحروف اقتضى هذا دخول الألفين في العدد. والظاهر من كلامه أن الألف عنده هي اللينة، فلذلك علل تسميتها بالألف بأن النطق لما تعذر بها أولا استقرت الهمزة مكانها وفاء بمراعاة تلك اللطيفة التي قدمها من جعل مسمى الحرف أول اسمه. وأما عند النحاة فالألف المعدودة في حروف المعجم مفردة هي الهمزة؛ وأما اللينة فهي المعدودة مع اللام حيث يقولون: لام ألف، ويكتبونها على صورة «لا».

الفواتح مكرّرتين. وهي: «فواتح سورة البقرة، وآل عمران، والروم، والعنكبوت، ولقمان، والسجدة، والأعراف، والرعد، ويونس، وإبراهيم، وهود، ويوسف، والحجر».
فإن قلت: فهلا عدّدت بأجمعها في أوّل القرآن؟ وما لها جاءت مفرقة على السور؟ قلت: لأنّ إعادة التنبيه على أنّ المتحدّى به مؤلف منها لا غير، وتجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض، وأقرّ له في الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة، وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن، فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره، فإن قلت: فهلا جاءت على وتيرة واحدة؟ ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت «صٓ و قٓ و نٓ» على حرف، و «طه و طسٓ و يسٓ و حمٓ» على حرفين، و «الٓمٓ والٓرٓ وطسٓمٓ»، على ثلاثة أحرف، و« الٓمٓصٓ والٓمٓر»، على أربعة أحرف، و« كهيعٓصٓ، وحمٓ عٓسٓقٓ»، على خمسة أحرف؟ قلت: هذا على إعادة افتنانهم في أساليب الكلام، وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوّعة؛ وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك، سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك. فإن قلت: فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة/ ٩ب التي اختصت بها؟ قلت: إذا كان الغرض هو التنبيه ـ والمبادىء كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة ـ كان تطلب وجه الاختصاص ساقطاً، كما إذا سمى الرجل بعض أولاده «زيداً»، والآخر «عمراً»، لم يقل له: لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو؟ لأنّ الغرض هو التمييز وهو حاصل أية سلك؛ ولذلك لا يقال: لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس؟ ولم قيل: للاعتماد الضرب؟ وللانتصاب القيام؟ ولنقيضه القعود؟ فإن قلت: ما بالهم عدّوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض؟ قلت: هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور. أمّا «الٓمٓ» فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها؛ وهي ست. وكذلك «الٓمٓصٓ» آية، و«الٓمٓر» لم تعدّ آية، و«الٓرٓ» ليست بآية في سورها الخمس، و «طسٓمٓ» آية في سورتيها، و «طه، ويسٓ» آيتان، و «طسٓ» ليست بآية، و «حمٓ» آية في سورها كلها، و «حمٓ، عٓسٓقٓ» آيتان، و «كهيعٓصٓ» آية واحدة، و «صٓ و قٓ و نٓ» ثلاثتها لم تعدّ آية. هذا مذهب الكوفيين، ومن عداهم لم يعدّوا شيئاً منها آية. فإن قلت: فكيف عدّ ما هو في حكم كلمة واحدة آية؟ قلت: كما عدّ «الرحمٰن» وحده و «مدهامّتان» وحدها آيتين على طريق التوقيف، فإن قلت: ما حكمها في باب الوقف؟ قلت: يوقف على جميعها وقف التمام إذا حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده؛ وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور ونعت بها كما ينعت بالأصوات، أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله عزّ قائلاً: ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١، ٢] أي هذه الٓمٓ ثم ابتدأ فقال: ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ٢]. فإن قلت: هل لهذه الفواتح محل من الإعراب[1]؟ قلت: نعم لها محل فيمن جعلها أسماء للسور؛ لأنها عنده كسائر الأسماء

---

(١) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت: ما محل هذه الفواتح من الإعراب... إلخ»؟ قال أحمد رحمه =

الأعلام. فإن قلت: ما محلها؟ قلت: يحتمل الأوجه الثلاثة، أما الرفع: فعلى الابتداء، وأما النصب والجرّ، فلما مرّ من صحة القسم بها وكونها بمنزلة: الله، والله على اللغتين. ومن لم يجعلها أسماء للسور، لم يتصوّر أن يكون لها محل في مذهبه، كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعدّدة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾

فإن قلت: لم صحت الإشارة بذلك إلى ما ليس ببعيد[1]؟ قلت: وقعت الإشارة إلى «الٓمٓ» بعد ما سبق التكلم به وتقضّى، والمتقضّى في حكم المتباعد، وهذا في كل كلام؛ يحدّث الرجل بحديث ثم يقول: وذلك ما لا شك فيه. ويحسب الحاسب ثم يقول: فذلك كذا وكذا. وقال الله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]. وقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٣٧]، ولأنه لما وصل من المرسل إلى المرسل إليه، وقع في حد البعد، كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيئاً: «احتفظ بذلك». وقيل معناه: ذلك الكتاب الذي وعدوا به. فإن قلت: لم ذكر اسم الإشارة ـ والمشار إليه مؤنث وهو السورة[2] ـ؟ قلت: لا أخلو من أن أجعل الكتاب خبره أو صفته. فإن جعلته خبره، كان ذلك في معناه، ومسماه مسماه، فجاز إجراء حكمه عليه في التذكير، كما أجرى عليه في التأنيث في قولهم: من كانت أمّك. وإن جعلته صفته، فإنما أشير به/ ١٠أ إلى الكتاب صريحاً؛ لأنّ اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له؛ تقول: هند ذلك الإنسان، أو ذلك الشخص فعل كذا؛ وقال الذُّبيانيُّ: [من البسيط]

= الله: وإنما جاز النصب مع القسم فيما لا يعقبه معطوف مجرور. فأما ما يعقبه معطوف مجرور مثل ص وق ون فإنه لا يجيز فيه النصب مع القسم البتة، ويحمله على إضمار فعل، أو على أن الفتح في موضع الجر. وأما على وجه بدئه فيما تقدم فيجوز النصب مع القسم في جميعها فجدد به عهداً. وعلى النصب بإضمار فعل أعربها سيبويه في كتابه.

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت لم صحت الإشارة بذلك إلى ما ليس ببعيد... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: ولأن البعد هنا باعتبار علو المنزلة، وبعد مرتبة المشار إليه من مرتبة كل كتاب سواه كما يقطعون بثم للإشعار بتراخي المراتب. وقد يكون المعطوف سابقاً في الوجود على المعطوف عليه وسيأتي أمثاله.

(٢) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت: لم ذكر اسم الإشارة... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: ولو مثل ذلك بقول القائل: حصان كانت دابتك، لكان أقوم وأسلم من الفرق بما في لفظ «من» من الإبهام الصالح للذكر والمؤنث. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ فيمن وصل الكلام فجعل (هم العدو) جملة في موضع المفعول الثاني للحسبان، وعدل عن أن يقول: هي العدو، نظراً إلى المفعول الثاني الذي هو في المعنى خبر عن الصيحة، فذكر وجمع لما كان المبتدأ هو الخبر في المعنى. وقد وجه الشيخ أبو عمرو قول الزمخشري، وتسمى الجملة بالتاء والياء عقيب قوله: والكلام هو المركب من كلمتين ـ بهذا التوجيه

نُبِّئْتُ نُعْمَى على الهِجْرَانِ عَاتِبَةً سُقْيًا ورُعْيًا لِذَاكَ العَاتِبِ الزَّارِي[1]

فإن قلت: أخبرني عن تأليف ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ مع ﴿الٓمٓ﴾. قلت: إن جعلت ﴿الٓمٓ﴾ اسماً للسورة ففي التأليف وجوه: أن يكون ﴿الٓمٓ﴾ مبتدأ، و﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ ثانياً، و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ خبره، والجملة خبر المبتدأ الأوّل. ومعناه: أنّ ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل، كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتاباً، كما تقول: هو الرجل، أي الكامل في الرجولية، الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال. وكما قال: [من الطويل]

.... هُمُ الْقَوْمُ كلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ[2]

---

(١) عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا يحيون من نؤي وأحجار؟
لقد أراني ونعمى لاهيين بها والدهر والعيش لم يهمم بإمرار
نبئت نعمي على الهجران عاتبة سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري
للنابغة الذبياني. والعوج: عطف رأس البعير بالزمام. ونعم: اسم محبوبته. والدمنة: ما تلبد من البعر والرماد والقمامة، والمراد مطلق الآثار. والنؤي: الحاجز حول الخباء لئلا يدخله الماء. والمراد بالأحجار: الأثافي التي تنصب عليها القدور، أو بقية الجدران، وهم بالشيء: أراده، وأصله الإدغام، وفكه هنا لغة، أي لم يهم كل منهما. والإمرار: صيرورة الشيء مرا، والإحلاء: صيرورته حلواً، وجعل الطعم مراً، وجعله حلواً. ويروى زارية بدل عاتبة. والزاري: العائب، يقال: زرى عليه يزري إذا عاب عليه. وقوله ماذا تحيون: استشعار للخطأ في الأمر بالتحية ورجوع عنه لأنه لا يجدي شيئاً. و «من» بيان لماذا، وفيه معنى التحقير، ونعمى: عطف على ضمير النصب، والواو للحال، أي والحال أن الدهر والعيش لم يتغير كل منهما إلى البؤس. شبههما بما تصبح منه الإرادة على طريق الكناية، فأسند لهما الهم تخييلاً، أو استعار الهم للمشارفة والقرب تصريحاً، وشبههما بالمطعوم فأثبت لهما الإمرار، أو استعاره لتكدرهما ونغصهما لجامع كراهية النفس لكل. وعلى الهجران: أي مع هجرانها، أو لأجل هجراني لها. وسقياً، ورعياً: منصوبان على المصدرية، أي سقاها الله ورعاها. وذلك إشارة إلى الإنسان أو الشخص وهي المراد، ووصفها بما للذكر تعظيماً لها وتفخيماً لشأنها.
ينظر: ديوانه (٤٩)، مشاهد الإنصاف ١/ ٢٦، الدر المصون ٣/ ١٠٧.

(٢) وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد
للأشهب بن رميلة. وقيل لحريث بن مخفض. والذي: أصله الذين، فخذفت النون تخفيفاً.
وروي: وإن الألى، وهو بمعنى الذين، وهم المذكورون في أول الأبيات وهو: [من الطويل]
ألم تر أني بعد عمرو ومالك وعروة وابن الهول لست بخالد
وحانت: أتى حين هلاكها، وهو كناية عن الهلاك. ويقال: حان حيناً: هلك، وأحانه الله: أهلكه؛ فهو حقيقة. وفلج ـ بالفتح ـ اسم موضع بطريق البصرة. ودماؤهم: نفوسهم. وهم القوم كل القوم: أي هم المختصون بجميع صفات الرجال الحميدة دون غيرهم.
ينظر الدر المصون (١/ ٨١)، والكتاب (١/ ١٨٦ ـ ١٨٧)، والخزانه (٢/ ٥٠٧)، وابن الشجري (٢/ ٣٠٧)، وشواهد المغني للسيوطي (١٧٥)، وابن يعيش (٣/ ١٥٥)، ورصف المباني (٣٤١)، الهمع (١/ ٤٩)، الدرر (١/ ٢٠٤)، ولسان العرب (فلج)، والمؤتلف والمختلف ص ٣٣، المقاصد =

وأن يكون الكتاب صفة، ومعناه: هو ذلك الكتاب الموعود، وأن يكون ﴿الٓمٓ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي هذه «الٓمٓ»، ويكون ذلك خبراً ثانياً أو بدلاً، على أن الكتاب صفة، وأن يكون: هذه «الٓمٓ» جملة، وذلك الكتاب جملة أخرى. وإن جعلت «الٓمٓ» بمنزلة الصوت، كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب، أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل[1]. أو الكتاب صفة والخبر ما بعده، أو قدّر مبتدأ محذوف، أي هو - يعني المؤلف من هذه الحروف - ذلك الكتاب. وقرأ عبد الله: «الٓمٓ تنزيل الكتاب لا ريب فيه». وتأليف هذا ظاهر.

والريب: مصدر رابني، إذا حصل فيك الريبة، وحقيقة الريبة: قلق النفس واضطرابها، ومنه ما روى الحسن بن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لاَ يُرِيبُكَ (١٤)؛ فَإِنَّ الشَّكَّ رِيبَةٌ، وَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ» أي: فإن كون الأمر مشكوكاً فيه مما

---

١٤ - ورد عن جماعة من الصحابة؛ منهم الحسن بن علي، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر.
أما حديث الحسن:
فأخرجه النسائي (٨/٣٢٧) باب الحث على ترك الشبهات.
والترمذي (٤/٥٧٦، ٥٧٧) كتاب صفة القيامة (٢٥١٨)، وقال: حسن صحيح، وأحمد في المسند (١/٢٠٠).
وابن حبان في صحيحه؛ كما أورده الهيثمي في موارد الظمآن ص ١٣٧ كتاب المواقيت باب ما جاء في القنوت (٥١٢).
والحاكم في المستدرك (٢/١٣) كتاب البيوع، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، ورواه أيضاً (٤/٩٩) وسكت عنه، وقال الذهبي: سنده قوي.
وأبو نعيم في الحلية (٨/٢٦٤)، والبغوي في شرح السنة (٤/ ٢١٠) (٢٠٢٥ - بتحقيقنا).
وعبد الرزاق في المصنف (٣/١١٧) برقم (٤٩٨٤).
«وإسناده صحيح». =

= النحوية ١/٤٨٢، المقتضب ٤/١٤٦، والمنصف ١/٦٧، ومغني اللبيب ١/ ١٩٤، ٢/ ٥٥٢، صناعة الإعراب ٢/٥٣٧.

(١) قوله - أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل.
خلاصة هذا الموضع أن البلاغيين لاحظوا أن «ذلك» إشارة للبعيد بدليل لام البعد، والكتاب منا جد قريب، فلماذا أشير بالبعيد إلى القريب؟ وجوابه أن إشارة البعد تدل على بعد المنزلة، فإذا ضمت إليها دلالة أل في الكتاب صار المعنى: هذا الكتاب الرفيع القدر الكامل في كل ما حواه لا شك فيه هدى للمتقين ولعل هذا هو المراد - والله أعلم.
وهذا الموقع وهو - تعريف. المسند إليه بطريق الإشارة. له عند البلاغيين مبحث متين، وقد جمعوا له معاني كثيرة من خلال دراستهم للقرآن، وكلام خاتم المرسلين، وشعر العرب، ما جعله باباً واسعاً من أبواب البلاغة العربية ومن أراد الوقوف عليه فليراجع مصنفات البلاغيين.
ينظر: المطول ٧٧ وما بعدها والإيضاح بتحقيق خفاجي ٢/٣٢ وما بعدها، وفتح القدير ١/٣٣، وروح المعاني ١/١٠٥، علم المعاني في فتح القدير للشوكاني ١/٥٢ وما بعدها، والجمل في الفتوحات الألهية ١/١١.

تقلق له النفس ولا تستقرّ، وكونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن له وتسكن، ومنه: ريب الزمان، وهو ما يقلق النفوس، ويشخص بالقلوب من نوائبه، ومنه: أنه مر بظبي حاقف[1] فقال: «لاَ يُرِبْهُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ» (١٥). فإن قلت: كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق؟

= أما حديث أنس:

فأخرجه أحمد في المسند (٣/١٥٣) من طريق يحيىٰ بن إسحاق قال: أخبرني أبو عبد الله الأسدي قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً؛ فإنه ليس دونها حجاب»، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

أما حديث ابن عمر:

أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٥٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ٢٢٠) و(٦/ ٣٨٦) من طريق عبد الله بن أبي رومان عن ابن وهب عن مالك عن نافع عن ابن عمر به.

والخطيب في التاريخ (٢/٣٨٧) من رواية قتيبة بن سعيد عن مالك ثم قال:

«وهذا الحديث باطل عن قتيبة عن مالك، وإنما يحفظ عن عبد الله بن أبي رومان عن ابن وهب عن مالك. واه، تفرد واشتهر به ابن أبي رومان وكان ضعيفاً» ا.هـ.

وقال أبو نعيم في الحلية:

«غريب من حديث مالك تفرد به ابن أبي رومان عن ابن وهب»، ورواه القضاعي في مسند الشهاب (٦٤٥) من رواية عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن النبي ـ ﷺ ـ ويراجع فتح الوهاب للغماري (١/ ٤٥٥) رقم (٤٠٨).

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه الترمذي في آخر الطب، والحاكم في الأحكام والبيوع، والطبراني والبزار، ورواه البيهقي في الشعب بلفظ: «فإن الشر ريبة، والخير طمأنينة». انتهى.

١٥ ـ أخرجه النسائي (٥/١٨٣): كتاب الحج: باب ما يجوز للمحرم أكله من الصيد، حديث رقم (٢٨١٨) وأحمد (٣/ ٤٥٢)، ومالك في الموطأ (١/ ٣٥١) كتاب الحج: باب ما يجوز للمحرم أكله من الصيد حديث (٧٩)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٦/ ١٧١) كتاب الهبات: باب ما جاء في هبة المشاع، وأيضاً في (٩/ ٣٢٢): كتاب الضحايا: باب ما جاء في حمار الوحش. . .، وابن حبان في صحيحه (١١/ ٥١٣) كتاب الهبة. باب ذكر إباحة قبول المرء الهبة للشيء المشاع بينه وبين غيره، والطبراني في معجمه الكبير (٥/ ٢٥٩) حديث برقم (٥٢٨٣)، والحديث صححه ابن حبان.

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه في الموطأ. والنسائي في الحج. وابن حبان من رواية عمر بن سلمة الضمري عن البهري، أن رسول الله ـ ﷺ ـ خرج يريد مكة وهو محرم، حتى إذا كان بالإنابة بين الرويثة والعرج، إذا ظبي حاتف في ظل وفيه سهم، فأمر رجلاً أن يقف عنده لا يُرِيبُه أحد من الناس حتى يجاوزوه. ولإسحاق في مسنده: فقال لبعض القوم: «كن حتى يمر الناس ولا يريبه أحد بشيء» ا.هـ. البهري وقع في مسند أبي يعلى أن اسمه مخول، ولفظه: نبحث حبائل لي بالأبواء فوقع فيها ظبي، فأفلت والحبل في رجله، فخرجت أقفوه فسبقني إليه رجل فاحتضنها، ثم ترافعنا إلى النبي ـ ﷺ ـ فجعله بيننا نصفين. انتهى.

---

(١) قوله «أنه مر بظبي حاقف» لعله: أنه صلّى اللّه عليه وسلّم إلخ. وفي الصحاح أنه عليه السلام مر بظبي حاقف في ظل شجرة، وهو الذي انحنى وتثنى في نومه اهـ. (ع)

وكم من مرتاب فيه؟ قلت: ما نفى أنّ أحداً لا يرتاب فيه[(١)] وإنما المنفى كونه متعلقاً للريب ومظنة له؛ لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه؛ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، فما أبعد وجود الريب منهم؟ وإنما عرفهم الطريق إلى مزيل الريب، وهو أن يحزروا أنفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة، هل تتم للمعارضة أم تتضاءل دونها؟ فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة. فإن قلت: فهلا قدّم الظرف على الريب، كما قدّم على الغَوْل في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٧]؟ قلت: لأنّ القصد في إيلاء الريب حرف النفي، نفي الريب عنه، وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب، كما كان/ ١٠ب المشركون يدّعونه، ولو أولى الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد، وهو أنّ كتاباً آخر فيه الريب لا فيه؛ كما قصد في قوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾[(٢)] تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي، كأنه قيل: ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة، وقرأ أبو الشعثاء: ﴿لا رَيْبُ فِيهِ﴾ بالرفع، والفرق بينها وبين المشهورة، أنّ المشهورة توجب الاستغراق، وهذه تجوّزه. والوقف على ﴿فِيهِ﴾ هو المشهور. وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على ﴿لَا رَيْبَ﴾ ولا بدّ للواقف من أن ينوي خبراً. ونظيره قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء: ٥٠]، وقول العرب: لا بأس، وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز. والتقدير: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

﴿فِيهِ هُدًى﴾ الهدى مصدر على فعل، كالسرى والبكى، وهو الدلالة الموصلة إلى البغية، بدليل وقوع الضلالة في مقابلته. قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. ويقال: مهدي، في موضع المدح كـ «مهتد»؛ ولأن اهتدى مطاوع هدى ـ ولن يكون المطاوع في خلاف معنى أصله ـ ألا ترى إلى نحو: غمه فاغتم، وكسره فانكسر، وأشباه

---

(١) قوله «أن أحداً لا يرتاب فيه» لعله أن أحداً يرتاب فيه. وقد يقال المراد ما نفى الريب على معنى أن أحداً لا يرتاب فيه. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي وكأن هذا الذي ذكره أبو القاسم الزمخشري بناءً منه على أن التقديم يفيد الاختصاص، وكأن المعنى أن خمرة الآخرة اختصت بنفي الغول عنها بخلاف غيرها، وللمنازعة فيه مجال.

وقد رام بعضهم الرد عليه بطريق آخر، وهو أن العرب قد وصفت أيضاً خمر الدنيا بأنها لا تغتال العقول؛ قال علقمة [من البسيط]:

تَشفِي الصُّدَاعَ وَلاَ يُؤذِيكَ صَالِبُهَا ... وَلاَ يُخَالِطُهَا فِي الرَّأْسِ تَدْوِيمُ

وما أبعد هذا من الرد عليه، إذ لا اعتبار بوصف هذا القائل. انتهى. الدر.

ذلك، فإن قلت: فلم قيل: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والمتقون مهتدون[1]؟ قلت: هو كقولك للعزيز المكرم: «أعزك الله وأكرمك»، تريد طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه واستدامته، كقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. ووجه آخر، وهو أنه سماهم عند مشارفتهم؛ لاكتساء لباس التقوى، متقين، كقول رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ قَتيلاً فَلَهُ سَلَبُهُ» (١٦) وعن ابن

---

١٦ ـ أخرجه مالك (٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥) كتاب الجهاد ـ باب ما جاء في السلب في النّفل: حديث (١٨) وأحمد (٥/ ٢٩٥، ٣٠٦) والبخاري (٦/ ٢٤٧) كتاب فرض الخمس ـ باب من لم يخمس الأسلاب ـ حديث (٣١٤٢) ومسلم (٣/ ١٣٧٠): كتاب الجهاد والسير. باب استحقاق القاتل سلب القتيل حديث (٤١/ ١٧٥١) وأبو داود (٣/ ١٥٩) كتاب الجهاد ـ باب في السلب يُعطى القاتل حديث (٢٧١٧) وابن ماجة (٢/ ٩٤٦): كتاب الجهاد ـ باب المبارزة والسلب ـ حديث (٢٨٣٧) والترمذي (٤/ ١١١) كتاب السير: باب ما جاء في من قتل قتيلاً ـ حديث (١٥٦٢).
والحميدي (١/ ٢٠٤) رقم (٤٢٣) والدارمي (٢/ ٢٢٩) كتاب السير باب من قتل قتيلاً فله سلبه وأبو عبيد القاسم بن سلام في «الأموال» رقم (٧٧٦) وابن الجارود(٦/ ١٠٧) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٢٢٦) والبيهقي (٩/ ٥٠) والبغوي في شرح السنةِ (٥/ ٦١٢ ـ بتحقيقنا) من طريق يحيى بن سعيد عن عمر بن كثير بن أفلح عن أبي محمد مولى أبي قتادة عنه. مطولاً ومختصراً وقال الترمذي: حسن صحيح.
وأخرجه أحمد (٥/ ٣٠٧) عن إسحاق بن عيسىٰ والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٢٢٧) من طريق ابن المبارك كلاهما عن ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبي جعفر عن الأعرج عن أبي قتادة الأنصاري أنه قتل رجلاً من الكفار فنفله ـ النبي ـ ﷺ ـ سلبه ودرعه فباعه بخمسة أواق.
وابن المبارك من قدماء أصحاب ابن لهيعة.
وللحديث شاهد من حديث أنس بن مالك.
أخرجه أبو داود (٢/ ٧٨) كتاب الجهاد: باب في السلب يعطى للقاتل حديث (٢٧١٨) والدارمي (٢/ ٢٢٩) كتاب الجهاد والسير، باب من قتل قتيلاً فله سلبه وابن حبان (١٦٧١ ـ موارد) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٢٢٧) والحاكم (٣/ ٣٥٣) وأبو داود الطيالسي (٢/ ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ منحة) رقم (٢٣٧٤) والبيهقي (٦/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧) كتاب قسم الفيء: باب السلب للقاتل وأحمد (٣/ ١١٤) من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ يوم حنين: «من قتل قتيلاً فله سلبه». . .
=

---

(١) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت: فلم قيل هدىً للمتقين والمتقون مهتدون. . . إلخ». قال أحمد رحمه الله: الهدى يطلق في القرآن على معنيين: أحدهما الإرشاد وإيضاح سبيل الحق. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾. وعلى هذا يكون الهدى للضال باعتبار أنه رشد إلى الحق، سواء حصل له الاهتداء أو لا. والآخر خلق اللّه تعالى الاهتداء في قلب العبد، ومنه: (أولئك الذين هدى اللّه فبهداهم اقتده) فإذا ثبت وروده على المعنيين فهو في هذه الآية يحتمل أن يراد به المعنيان جميعاً. وأما قول الزمخشري: إن القرآن لا يكون هدى للمعلوم بقاؤهم على الضلالة، فإنما يستقيم إذا أريد بالهدى خلق الاهتداء في قلوبهم. وأما إذا أريد معناه الأول، فلا يمتنع أن اللّه تعالى أرشد الخلق أجمعين، وبين للناس ما نزل إليهم، فمنهم من اهتدى، ومنهم من حقت عليهم الضلالة. هذا مذهب أهل السنّة.

عباس رضي الله عنهما: «إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمُ الحَجَّ فَلْيَعْجَلْ؛ فإنه يَمْرَضُ المَرِيضُ، وتَضِلُّ

= قال أبو داود: هذا حديث حسن.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه أيضاً ابن حبان.
وله شاهد أيضاً من حديث سمرة بن جندب.
أخرجه أحمد (٥/ ١٢) وابن ماجة (٢/ ٩٤٧) كتاب الجهاد: باب المبارزة والسلب حديث (٢٨٣٨) والبيهقي (٦/ ٣٠٩) من طريق نعيم بن أبي هند عن ابن سمرة بن جندب عن أبيه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من قتل فله السلب».
قال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٤١٦): هذا إسناد فيه ابن سمرة بن جندب واسمه سليمان بن سمرة بن جندب.
ذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن القطان: حاله مجهول وباقي رجال الإسناد ثقات. ا.هـ.
وفي الباب عن سلمة بن الأكوع وعوف بن مالك وابن عباس وجابر.
أما حديث سلمة بن الأكوع.
أخرجه مسلم (٣/ ١٣٧٤ - ١٣٧٥) كتاب الجهاد والسير: باب استحقاق القاتل سلب القتيل حديث (٤٥/ ١٧٥٤) من طريق إياس بن سلمة قال: حدثني أبو سلمة بن الأكوع قال: غزونا مع رسول الله - ﷺ - هوازن... الحديث.
أما حديث عوف بن مالك.
أخرجه مسلم (٣/ ١٣٧٣) كتاب الجهاد والسير: باب استحقاق القاتل سلب القتيل حديث (٤٣/ ١٧٥٣) عن عوف بن مالك قال خَرَجْتُ مَعَ مَنْ خَرَجَ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ. وَرَافَقَنِي مَدَدِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - بِنَحْوِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي الْحَدِيثِ: قَالَ عَوْفٌ: فَقُلْتُ: يَا خَالِدُ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - قَضَى بِالسَّلَبِ لِلْقَاتِلِ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي اسْتَكْثَرْتُهُ.
أما حديث ابن عباس.
فأخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٤٥) من طريق إبراهيم بن أدهم عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس.
قال أبو نعيم: غريب من حديث إبراهيم لم نكتبه إلاّ من هذا الوجه.
تنبيه: عزا الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (٢/ ١٥٢) هذا الحديث لأبي نعيم في «الحلية» بلفظ: من قتل قتيلاً فله سلبه وليس كما قال فاللفظ هو كما تقدم.
حديث آخر عن ابن عباس.
أخرجه أحمد (١/ ٢٨٩) من طريق مقسم عنه أن النبي - ﷺ - مرّ على أبي قتادة وهو عند رجل قد قتله فقال: دعوه وسلبه.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٣٣ - ٣٣٤) وقال: رواه أبو يعلىٰ والطبراني في الكبير والأوسط بمعناه ورجال أحمد والكبير رجال الصحيح غير عتاب بن زياد وهو ثقة.
حديث آخر:
ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٣٤) عنه قال: انتهى عبد الله بن مسعود إلى أبي جهل يوم بدر وهو رقيد فاستل سيفه فضرب عنقه فندر رأسه ثم أخذ سلبه فأتى النبي - ﷺ - فأخبره أنه قتل أبا جهل فاستحلفه بالله ثلاث مرات، وحلف، فجعل له سلبه.
وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن أبي إسحاق أبو إسرائيل الملائي وهو ضعيف. =

الضَّالَّة، وتُكْتَفُ الحَاجَةُ» (١٧) فَسَمى المشارف للقتل والمرض والضلال: «قتيلاً ومريضاً، وضالاً»، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]، أي صائراً إلى الفجور والكفر. فإن قلت: فهلا قيل: هدى للضالين؟ قلت: لأن الضالين فريقان: [فريق] علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم، وفريق علم أنّ مصيرهم إلى الهدى؛ فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة، فبقي أن يكون هدى لهؤلاء، فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل: هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال، فاختصر الكلام بإجرائه على الطريقة التي ذكرنا، فقيل: هدى للمتقين. وأيضاً فقد جعل ذلك سلماً إلى

= - حديث جابر:
أخرجه البيهقي (٦/ ٣٠٩) من طريق أبي الوليد ثنا هشام عن شريك عن ابن عقيل عن جابر قال: بارز عقيل بن أبي طالب - رضي الله عنه - رجلاً يوم مؤته فقتله فنفله رسول الله - ﷺ - سيفه وترسه. وأخرجه البيهقي أيضاً من طريق الوليد بن صالح ثنا شريك به وأخرجه الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (٢/ ١٥٤) من طريق سليمان بن أحمد - الطبراني - في الأوسط نا أحمد بن خليد نا إسماعيل بن عبد الله بن زرارة نا شريك عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: بارز عقيل بن أبي طالب يوم مؤتة رجلاً فقتله فنفله رسول الله - ﷺ - سلبه وخاتمه...
وذكره الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٣٣٤) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وهو حسن الحديث.
وفيه ضعف ا.هـ.
وقال ابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (٢/ ١٥٤): حديث حسن.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف به.
متفق عليه من حديث أبي قتادة، وفيه قصته، وغلط الطيبي فقرأه لأبي داود عن ابن عباس - رضي الله عنهما - والذي فيه أنّه قال يوم بدر:
«من قتل قتيلاً فله كذا وكذا»، لم يقل: «فله سلبه». انتهى.

١٧ - أخرجه ابن ماجة (٢/ ٩٦٢) كتاب المناسك باب الخروج إلى الحج، حديث (٢٨٨٣) وأحمد في مسنده (١/ ٢١٤) وفي (١/ ٣٢٣) وفي (١/ ٣٥٥).
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٤١) وعزاه إلى إسحاق بن راهويه في مسنده:
من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أو عن الفضل بن عباس أو عن أحدهما، عن صاحبه.
وأخرجه أبو داود (٢/ ١٤١): كتاب المناسك: حديث رقم (١٧٣٢) وأحمد في مسنده (١/ ٢٢٥) وعبد بن حميد في مسنده ص (٣٧) حديث (٧٢٠) والدارمي (٢/ ٢٨): كتاب المناسك: باب من أراد الحج فليستعجل.
من طريق مهران أبي صفوان عن ابن عباس بلفظ «من أراد الحج فليتعجّل».
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: موقوف، عزاه الطيبي لأبي داود وحده مرفوعاً، وقال: ليس فيه الزيادات، يعني قوله فيه يمرض إلى آخره انتهى. والحديث بتمامه عند ابن ماجة وأحمد وإسحاق في مسنديهما مرفوعاً، وفيه أبو إسرائيل المكي، وهو صدوق سيء الحفظ. انتهى.

تصدير السورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول المثاني، بذكر أولياء الله والمرتضين من عباده.

والمتقي في اللغة اسم فاعل، من قولهم: «وقاه فاتقى». والوقاية: فرط الصيانة، ومنه: فرس واق، وهذه الدابة تقي من وجاها، إذا أصابه ضلع[١] من غلظ الأرض، ورقة الحافر، فهو يقي حافره أن يصيبه أدنى شيء يؤلمه، وهو في الشريعة الذي/ ١١أ يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك، واختلف في الصغائر[٢]، وقيل: الصحيح، أنه لا يتناولها؛ لأنها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر، وقيل: يطلق على الرجل اسم المؤمن؛ لظاهر الحال، والمتقي لا يطلق إلا عن خبرة، كما لا يجوز إطلاق العدل إلا على المختبر.

ومحل ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الرفع، لأنه خبر مبتدإ محذوف، أو خبر مع ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لذلك، أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدّم خبراً عنه، ويجوز أن ينصب على الحال، والعامل فيه معنى الإشارة أو الظرف، والذي هو أرسخ عرقاً في «البلاغة» أن يضرب عن هذه المحال صفحاً، وأن يقال: إن قوله: ﴿الٓمٓ﴾ جملة برأسها، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، و﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ جملة ثانية، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ثالثة، و﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ رابعة. وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها، وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة؛ بيان ذلك أنه نبه أولاً على أنه الكلام المتحدّى به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال، فكان تقريراً لجهة التحدي، وشدّاً من أعضاده، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب، فكان شهادة وتسجيلاً

---

(١) قوله «من وجاها إذا أصابه ضلع» في الصحاح: الوجي: الوجع في الحافر. والضلع: الميل والاعوجاج والظلع: غمز في مشيته البعير. (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله: «واختلف في الصغائر... إلخ». قال أحمد رحمه الله: ومن تمني القدرية على الله تعالى اعتقادهم أن الصغائر ممحوة عنهم ما اجتنبوا الكبائر، وأنه يجب أن يعفو الله عنها لمجتنب الكبائر، كما يجب عندهم أن لا يعفو عن مرتكب الكبائر، وهذا هو الخطأ الصراح، والمحادة لآيات الله البينات وسُنَن رسوله صلّى الله عليه وسلّم الصحاح. والحق أن غفران الصغائر ـ وإن اجتنبت الكبائر ـ موكول إلى المشيئة، كما أن غفران الكبائر موكول إليها أيضاً. ومن لا يعتقد ذلك وهم القدرية يضطرون إلى الوقوف عند قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ فإنه ناطق بالمؤاخذة بالصغائر. ويتحيرون عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ فإنه مصرح بمغفرة الكبائر. أما أهل السنة فقد ألفوا بين هاتين الآيتين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فإن التقييد بالمشيئة في هذه يقضي على الآيتين المطلقتين.

بكماله؛ لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة، وقيل لبعض العلماء: فيم لذتك؟ فقال: في حجة تتبختر اتضاحاً، وفي شبهة تتضاءل افتضاحاً. ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين، فقرّر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله، وحقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم لم تخل كل واحدة من الأربع، بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق، ونظمت هذا النظم السري، من نكتة ذات جزالة[1]، ففي الأولى: الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه، وفي الثانية: ما في التعريف من الفخامة، وفي الثالثة: ما في تقديم الريب على الظرف، وفي الرابعة: الحذف، ووضع المصدر الذي هو: ﴿هُدًى﴾ موضع الوصف الذي هو: «هاد» وإيراده منكراً، والإيجاز في ذكر المتقين.

زادنا الله اطلاعاً على أسرار كلامه، وتبييناً لنكت تنزيله، وتوفيقاً للعمل بما فيه.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة، أو مدح منصوب، أو

---

(١) قوله ـ ثم لم تخل كل واحدة.. «من نكتة ذات جزالة»
قلت: في كلامه بيان قوي لكن البلاغيين نظروا في هذه الجمل فوجدوها خلت من حرف العطف، وهذا دليل على كمال الاتصال المعنوي بينها، وكما قالوا إن الفعل هو عين الوصل في الحقيقة؛ لأن المدار في المقاصد على المعاني وتواصلها، ولهذا أغنانا عن الوصل بالواو قوة الاتصال المعنوي، ولهذا سمي بكمال الاتصال، ولنستمع إلى قول القزويني في الإيضاح حيث يقول:
«فإن وزان لا ريب فيه في الآية وزان نفسه في قولك جاءني الخليفة نفسه، فإنه لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال، بجعل المبتدأ ذلك، وتعريف الخبر باللام، كان عند السامع قبل أن يتأمله مظنة أنه مما يرمى به جزافاً من غير تحقق، فأتبعه ـ لا ريب فيه ـ نفياً لذلك، إتباع الخليفة نفسه، إزالة لما عسى أن يتوهم السامع أنك في قولك جاءني الخليفة متجوز أو ساه، وكذا قوله: «كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً الثاني مقرر لما أفاده الأول....».
ثم يحدثنا عن إتباع «هدى للمتقين» لما قبلها بدون عاطف ـ أيضاً ـ فيقول:
«فإن هدى للمتقين معناه أنه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محققة وهذا معنى قولك ـ ذلك الكتاب ـ لأن معناه كما هو الكتاب الكامل، والمراد فيما له كماله في الهداية؛ لأن الكتب السماوية بحسبها تتفاوت في درجات الكمال».
في قول صاحب الكشاف: «وفي اسم الإشارة.... إلخ» ١/١٤١ ما يفيد أن تعريف المسند إليه باسم الإشارة لأغراض عديدة مبثوثة في النص القرآني والحديث الشريف وكلام العرب، وقد سار البلاغيون في بحثهم عن هذه الأسرار وجمعوا منها زادا طيباً في مصنفاتهم. ومن هذا الزاد ما أوردوه في هذه الآية حيث قال القزويني «أفاد اسم الإشارة زيادة الدلالة على المقصود من اختصاص المذكورين قبله باستحقاق الهدى من ربهم والفلاح».
«يراجع الإيضاح ٢/٢٥ وما بعدها مع تحقيق خفاجي عليه، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري لأبي موسى ٣١٢، وعلم المعاني في تفسير فتح القدير للشوكاني ١/٨٣ وما بعدها».

مرفوع بتقدير: أعني الذين يؤمنون، أو هم الذين يؤمنون، وإما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ [البقرة:٥]. فإذا كان موصولاً، كان الوقف على المتقين حسناً غير تامّ، وإذا كان مقتطعاً، كان وقفاً تاماً، فإن قلت: ما هذه الصفة، أواردة بياناً وكشفاً للمتقين؟ أم مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها؟ أم جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية/ ١١ب عليه تمجيداً؟ قلت: يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف، لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات، أمّا الفعل: فقد انطوى تحت ذكر الإيمان الذي هو أساس الحسنات ومنصبها، وذكر الصلاة والصدقة؛ لأنّ هاتين أُمّا العبادات البدنية والمالية، وهما العيار على غيرهما؛ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ سَمَّىٰ رَسُولُ الله ﷺ الصَّلاَةَ عِمَادَ الدِّينِ، وَجَعَلَ الفَاصِلَ بَيْنَ الإِسْلاَمِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ؟. وَسَمَّى الزَّكَاةَ قَنْطَرَةَ الإِسْلاَمِ؟ (١٨) وقال الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ

---

١٨ ـ أما حديث الصلاة عماد الدين:

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٩) حديث برقم (٢٨٠٧).

وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٣١) حديث (١٦٢١).

وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٩٦).

وذكره ابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٣٠٨) كتاب الصلاة باب أوقات الصلاة، تحت رقم (٢٤٣).

والحديث له شاهد من حديث علي بن أبي طالب.

وذكره الديلمي في فردوس الأخبار (٢/ ٥٦٣) حديث (١/ ٣٦١) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٩٦).

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٤٢) حديث (١٩) ـ إلى أبي القاسم الأصبهاني في كتابه الترغيب والترهيب.

وقال ابن حجر في تلخيص الحبير: قال النووي في التنقيح هو منكر باطل، قلت: وليس كذلك بل رواه أبو نعيم شيخ البخاري في كتابه الصلاة عن حبيب بن سليم، عن بلال بن يحيىٰ قال جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ وسأله؟ فقال: «الصّلاة عمود الدين»، وهو مرسل رجاله ثقات. ا.هـ.

أما حديث: بين العبد والكفر ترك الصلاة.

أخرجه أحمد (٣/ ٣٧٠ و٣٨٩)، والدارمي (١/ ٢٨٠) كتاب الصلاة: باب في تارك الصلاة، ومسلم (١/ ٨٨) كتاب الإيمان: باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، الحديث (١٣٤/ ٨٢)، وأبو داود (٥/ ٨٥) كتاب السنة: باب في رد الإرجاء، الحديث (٤٦٧٨)، والترمذي (٥/ ١٣): كتاب الإيمان: باب ما جاء في ترك الصلاة، الحديث (٢٦١٨)، وابن ماجة (١/ ٣٤٢): كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، الحديث (١٠٧٨)، وأبو نعيم (٨/ ٢٥٦ ـ الحلية)، والبيهقي (٣/ ٣٦٦)، ولفظ مسلم من رواية أبي الزبير، عن جابر، سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة».

وأخرجه ابن ماجه (١٠٨٠)، من حديث أنس بن مالك بلفظ: «ليس بين العبد و[بين] الشرك إلاّ =

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦ ـ ٧]. فلما كانتا بهذه المثابة، كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها، ومن ثم اختصر الكلام اختصاراً، بأن استغنى عن عدّ الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها، والذي إذا وجد لم تتوقف أخواته أن تقترن به، مع ما في ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين، وأما الترك فكذلك؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؟ ويحتمل ألاّ تكون بياناً للمتقين، وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات، ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي، ويحتمل أن تكون مدحاً للموصوفين بالتقوى، وتخصيصاً للإيمان بالغيب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر؛ إظهاراً لإنافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات.

والإيمان: إفعال من الأمن. يقال: أمنته وآمنته غيري، ثم يقال: آمنه إذا صدّقه، وحقيقته: آمنه التكذيب والمخالفة، وأمّا تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقرّ وأعترف، وأمّا ما

= ترك الصلاة فإذا تركها فقد أشرك».
وقال البوصيري (١/٣٥٧): هذا إسناد ضعيف لضعف يزيد بن أبان الرقاشي.
أما حديث: «الزكاة قنطرة الإسلام».
أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/١٤١٧) والبيهقي في الشُعَب (٣/ ١٩٥) حديث (٣٣١٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢٧٠)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٤٩٣) حديث برقم (٨١٤)، كلهم من طريق الضحاك بن حمزة عن أبان عن حطان بن عبدالله الرقاشي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ وذكره.
وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ـ ﷺ ـ، قال يحيىٰ: الضحاك ليس بشيء: وقال النسائي: ليس بثقة.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٥) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله موثقون، إلاّ أن بقية مدلس وهو ثقة.
وعزاه الزيلعي إلى إسحاق بن راهويه في مسنده (تخريج الكشاف (١/ ٤٢)).
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
أما الحديث الأول: فأخرجه البيهقي في الشعب من طريق عكرمة عن عمر ـ رضي الله عنه ـ في حديث في آخره: «والصلاة عماد الدين» قال: وعكرمة لم يسمع من عمر. قال: وأراه عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، وله شاهد من حديث على ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «الصلاة عماد الإسلام»، أخرجه الأصبهاني في الترغيب. وغفل ابن الصلاح في مشكل الوسيط فقال: هذا حديث غير معروف. قلت: والطيبي عزاه لتخريج الترمذي في حديث معاذ ففيه: «وعموده الصلاة» ولا يخفى بعده.
وأما الحديث الثاني: فرواه مسلم من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «بين الرجل وبين الكفر تركه الصلاة».
وأما الحديث الثالث: فرواه إسحاق في مسنده من حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ به سواء. وفيه الضحاك ابن حمق. وهو ضعيف. انتهى.

حكى أبو زيد عن العرب: ما آمنت أن أجد صحابة ـ أي ما وثقت ـ فحقيقته: صرت ذا أمن به، أي ذا سكون وطمأنينة، وكلا الوجهين حسن في ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي يعترفون به أو يثقون بأنه حق، ويجوز ألاّ يكون ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ صلة للإيمان، وأن يكون في موضع الحال، أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به، وحقيقته: ملتبسين بالغيب، كقوله ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨]، ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢]، ويعضده ما روي: «أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله ﷺ وإيمانهم، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنّ أمر محمد كان بيّناً لمن رآه، والذي لا إله غيره، ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ هذه الآية (١٩)، فإن قلت: فما المراد بالغيب إن جعلته صلة؟ وإن جعلته حالاً؟ قلت: إن جعلته صلة كان بمعنى الغائب، إمّا تسمية بالمصدر من قولك: غاب الشيء غيباً، كما سمي الشاهد بالشهادة، قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الزمر: ٤٦] والعرب تسمى المطمئن من الأرض غيباً، وعن النضر بن شميل: شربت الإبل حتى وارت غيوب كلاها، يريد بالغيب: الخمصة التي تكون في موضع الكلية، إذا بطنت الدابة/ ١٢أ انتفخت، وإما أن يكون فيعلا فخفف، كما قيل: قَيْل وأصله: قَيِّل، والمراد به: الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير، وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه، أو نصب لنا دليلاً عليه، ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال: فلان يعلم الغيب، وذلك نحو الصانع وصفاته، والنبوّات وما يتعلق بها، والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد، وغير ذلك، وإن جعلته حالاً كان بمعنى الغيبة والخفاء، فإن قلت: ما الإيمان الصحيح[1]؟ قلت: أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه، ويصدّقه بعمله؛

---

١٩ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦٠): كتاب التفسير: باب من سورة البقرة.
وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٥٤٤) حديث (١٨٠) باب تفسير سورة البقرة.
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣٤) حديث (٦٦) وذكره البغوي في تفسيره معلّقاً (١/ ٤٧).
والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٦) وعزاه إلى سفيان بن عيينة وسعيد بن منصور وأحمد بن منيع في مسنده وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف والحاكم وابن مردويه.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
أخرجه الحاكم من طريق عبد الرحمن بن زيد: «ذكروا عند عبد الله بن مسعود. إلخ» وإسناده صحيح. انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه الله تعالى: «إن قلت ما معنى الإيمان الصحيح... إلخ». قال أحمد رحمه الله: يعني بالفاسق غير مؤمن ولا كافر، وهذا من الأسماء التي سماها القدرية وما أنزل الله بها من سلطان. ومعتقد أهل السنّة أن الموحد لله الذي لا خلل في عقيدته مؤمن وإن ارتكب الكبائر. وهذا =

فمن أخل بالاعتقاد ـ وإن شهد وعمل ـ فهو منافق، ومن أخل بالشهادة فهو كافر، ومن أخل بالعمل فهو فاسق.

ومعنى إقامة الصلاة: تعديل أركانها، وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها، من أقام العود ـ إذا قوّمه ـ أو الدوام عليها والمحافظة عليها، كما قال عزّ وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [المؤمنون: ٩] من قامت السوق إذا نفقت، وأقامها، قال [من المتقارب]:

أَقَامَتْ غَزَالَةُ سُوقَ الضِّرَابِ ... لِأَهْلِ العِرَاقَيْنِ حَوْلاً قَمِيطَا[1]

لأنها إذا حوفظ عليها، كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون، وإذا عطلت وأضيعت، كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه، أو التجلد والتشمر لأدائها، وألاّ يكون في مؤدّيها فتور عنها ولا توان، من قولهم: قام بالأمر، وقامت الحرب على ساقها، وفي ضدّه: قعد عن الأمر، وتقاعد عنه ـ إذا تقاعس وتثبط ـ أو أداؤها، فعبر عن الأداء بالإقامة؛ لأنّ القيام بعض أركانها، كما عبر عنه بالقنوت ـ والقنوت القيام ـ وبالركوع وبالسجود، وقالوا: سبح، إذا صلى؛ لوجود التسبيح فيها؛ ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات: ١٤٣].

= هو الصحيح لغة وشرعاً. أما لغة فإن الإيمان هو التصديق وهو مصدق. وأما شرعاً فأقرب شاهد عليه هذه الآية، فإنه لما عطف فيها العمل الصالح على الإيمان دل على أن الإيمان معقول بدونه، ولو كان العمل الصالح من الإيمان لكان العطف تكراراً. وانظر حيلة الزمخشري على تقريب معتقده من اللغة بقوله: المؤمن من اعتقد الحق وأعرب عنه بلسانه وصدقه بعمله فجعل التصديق من حظ العمل حتى يتم له أن من لم يعمل فقد فوت التصديق الذي هو الإيمان لغة. ولقد أوضحنا أن التصديق إنما هو بالقلب ولا يتوقف وجوده على عمل الجوارح؛ مما يحقق معتقد أهل السنّة أن من آمن باللّٰه ورسوله ثم اخترم قبل أن يتعين عليه عمل من أعمال الجوارح فهو مؤمن باتفاق وإن لم يعمل. وأصدق شاهد على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى إذا لم يبق بينه وبينها إلا فواق ناقة عمل بعمل أهل الجنة فكتب من أهل الجنة» وإنما مثل عليه الصلاة والسلام بفواق الناقة لأنه الغاية في القصر، ومثل هذا الزمان إنما يتصور فيه القصد الصحيح خاصة، ومع ذلك فقد عده من أهل الجنة. وإنما يدخل المؤمن الجنة باتفاق الفريقين. والأدلة على ذلك تجرد كون الشرط فيه شطراً. أقول: تفسير الفاسق بغير مؤمن ولا كافر كما هو مذهب المعتزلة غير موجه والشيء الذي هو لم يصرح به لا يجب علينا تصريحه وتعريفه: فإن عندنا «الضال» من أخل بالعمل فهو فاسق.

(١) لأيمن بن خزيم. وغزالة: امرأة شبيب الخارجي، قتله الحجاج فحاربته سنة كاملة، وسوق الضراب: مجاز عن ميدان المحاربة، أو شبه المطاعنة بالرماح والمضاربة بالسيوف بالأمتعة التي تُباع وتُشترى في السوق على سبيل المكنية والسوق تخييل. والعراقان: البصرة والكوفة. والقميط: التام نعت مؤكد، ويقال: قمط الطائر أنثاه: سفدها. والقماط: حبل تشد به الأسرى والأخصاص، فالمادة دالة على الإحاطة والضم.

والصلاة: فعلة من صلى، كالزكاة من زكى، وكتابتها بالواو على لفظ المفخم، وحقيقة صلى: حرّك الصلوين؛ لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده، ونظيره: كفر اليهودي إذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه؛ لأنه ينثني على الكاذتين[1]، وهما الكافرتان، وقيل للداعي: مصلّ؛ تشبيهاً في تخشعه بالراكع والساجد.

وإسناد الرزق إلى نفسه[2]؛ للإعلام بأنهم ينفقون الحلال[3] الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله، ويسمى رزقاً منه، وأدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الإسراف والتبذير المنهى عنه، وقدّم مفعول الفعل؛ دلالة على كونه أهم، كأنه قال: ويخصون بعض المال الحلال بالتصدّق به، وجائز أن يراد به الزكاة المفروضة؛ لاقترانه بأخت الزكاة وشقيقتها وهي الصلاة وأن تراد هي وغيرها من النفقات في سبُل الخير؛ لمجيئه مطلقاً يصلح أن يتناول كل منفق، وأنفق الشيء وأنفده أخوان، وعن يعقوب: نفق الشيء، ونفد واحد، وكل ما جاء مما/ ١٢ب فاؤه نون، وعينه فاء؛ فدالّ على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك إذا تأملت.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

فإن قلت: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ أهم غير الأوّلين أم هم الأوّلون؟ وإنما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك: هو الشجاع والجواد؛ وفي قوله [من المتقارب]:

إِلَى المَلِكِ القَرْمِ وَابْنِ الهُمَامِ ... وَلَيْثِ الكَتِيبَةِ فِي المُزْدَحَمْ[4]

---

(١) قوله «على الكاذتين» في الصحاح: الكاذتان ما نشأ من اللحم في أعالي الفخذ اهـ. (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله: «أضاف الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم إنما ينفقون مِن الحلال الطلق... إلخ». قال أحمد رحمه الله: فهذه بدعة قدرية، فإنهم يرون أن الله تعالى لا يرزق إلا الحلال، وأما الحرام فالعبد يرزقه لنفسه حتى يقسمون الأرزاق قسمين: هذا لله بزعمهم، وهذا لشركائه. وإذا أثبتوا خالقاً غير الله، فلا يأنفون عن إثبات رازق غيره. أما أهل السنّة فلا خالق ولا رازق في عقدهم إلا الله سبحانه، تصديقاً بقوله تعالى ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أيها القدرية.

(٣) قوله «بأنهم ينفقون الحلال» مبني على أن الرزق مختص بالحلال. وهو مذهب المعتزلة. وعند أهل السنّة: الرزق أعم. (ع)

(٤) الجار والمجرور متعلق بما قبله في الشعر. والقرم ـ بالفتح ـ في الأصل: الفحل المكرم الذي يعفى من العمل لتقديمه وتشويقه إلى ضراب الإبل. استعارة للسيد الرئيس أو للفارس المعد للمكاره. وظاهر القاموس أنه بمعنى السيد حقيقة. ووسط الواو بين النعوت لتوكيد ربطها بالمنعوت. والهمام: العظيم الهمة، النافذ العزيمة. واستعار الليث للشجاع على طريق التصريح. والكتيبة: الجيش المنضم المنتظم. والمزدحم: المعركة؛ لأنها محل الإزدحام، وأصله، مزتحم، من الافتعال قلبت تاؤه دالاً. ينظر الدر المصون ١/٩٨، الإنصاف لابن الأنباري (٢٧٦) الخزانة (١/ ٤٥١) =

وقوله: [من السريع]

يَـا لَـهْـفَ زَيَّـابَـةَ لِـلْـحَـارِثِ ... الـصَّـابِـحِ فـالـغَـانِـم فَـالآيِـبِ[1]

قلت: يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وأضرابه من الذين آمنوا، فاشتمل إيمانهم على كل وحي أُنزل من عند الله، وأيقنوا بالآخرة؛ إيقاناً زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وأنّ النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات، واجتماعهم على الإقرار[2] بالنشأة الأخرى، وإعادة الأرواح في الأجساد، ثم افتراقهم فرقتين: منهم من قال: تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا، ودفعه آخرون فزعموا أن ذلك إنما احتيج إليه في هذه الدار من أجل نماء الأجسام ولمكان التوالد والتناسل، وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون إلا بالنسيم والأرواح العبقة، والسماع اللذيد، والفرح، والسرور، واختلافهم في الدوام والانقطاع، فيكون المعطوف غير المعطوف عليه، ويحتمل أن يراد وصف الأوّلين، ووسط العاطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه، فإن قلت: فإن أُريد بهؤلاء غير أولئك، فهل يدخلون في جملة المتقين أم لا؟ قلت: إن عطفتهم على: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من مؤمني أهل الكتاب

= القرطبي (١/ ٢٧٢) البحر (٥/ ٢١٣).

(١) يـا لـهـف زيابة لـلـحارث الـصـ ... ـابـح فـالـغـانـم فـالآيـب

والله لـو لاقـيـتـه خـالـيـاً ... لآب سـيـفـانـا مَـعَ الـغـالـبِ

لابن زيابة في جواب الحارث بن هشام حين قال له:

أيـا ابـن زيـابـة إن تـلـقـنـي ... لا تـلـقـني في الـنـعـم الـعـازب

وَتَـلْـقَـنِـي يـشـد بـي أجـرد ... مـسـتـقـدم الـبـركـة كـالـراكـب

والعازب ـ بالزاي ـ البعيد عن أهله. يعرض بابن زيابة رَاعٍ للنعم لا شجاع. والأجرد: المنجرد الشعر. والبركة في البعير والفرس: العظم الناتىء في صدرهما وعظمه ممدوح فيهما، وشبهه بالراكب في طول عنقه وامتداده ويجوز أن المعنى أن راكبه مستقدم البركة لا متخشع منكمش. يقول: يا حسرة أبي عليّ مِن أجل الحارث الذي بلغ مراده مني. وفيه ضرب مِن التهكم فإنه كان توعده ثم نكص على عقبيه. وقيل: هو على ظاهره، ثم حلف أنه لو وجده لقتله، ولكنه أبرز الكلام في صورة الإيهام للإنصاف في الكلام ورجوع السيفين مع الغالب: كناية عن قتل المغلوب واستلاب سلاحه.

البيت لامرىء القيس. ينظر: الحماسة (١/ ٩٢)، الخزانة (٢/ ٣٣١) وأمالي ابن الشجري (٢/ ٢١٠)، الهمع (٢/ ١١٩)، الدرر (٢/ ١٥٠)، المغني (١/ ١٦٣)، الخزانة (٥/ ١٠٧)، الدر (١/ ٩٩)، سمط اللآلي ٥٠٤، معجم الشعراء ٢٠٨، الجنى الداني ٦٥.

(٢) قوله «واجتماعهم على الإقرار» لعله عطف على مجرور «من» البيانية، باعتبار ما عطف عليه من افتراقهم واختلافهم الآتيين فتدبر. (ع)

وغيرهم، وإن عطفتهم على: ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ لم يدخلوا، وكأنه قيل: هدى للمتقين، وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك، فإن قلت: قوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ إن عنى به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها، فلم يكن ذلك منزلاً وقت إيمانهم، فكيف قيل: أنزل بلفظ المضيّ؟ وإن أريد المقدار الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل، واشتمال الإيمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب، قلت: المراد المنزل كله؛ وإنما عبر عنه بلفظ المضيّ وإن كان بعضه مترقباً، تغليباً للموجود على ما لم يوجد، كما يغلب المتكلم على المخاطب، والمخاطب على الغائب، فيقال: «أنا [وأنت فعلنا]»، و«أنت وزيد تفعلان»، ولأنه إذا كان بعضه نازلاً، وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله؛ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] ولم يسمعوا جميع الكتاب، ولا كان كله منزلاً، ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا؛ ونظيره قولك: كل ما خطب به فلان فهو فصيح، وما تكلم بشيء إلا وهو نادر، ولا تريد بهذا الماضي [منه] فحسب دون الآتي، لكونه معقوداً بعضه/١٣أ ببعض، ومربوطاً آتيه بماضيه، وقرأ يزيد بن قطيب: ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِن قَبْلِكَ﴾ على لفظ ما سُمي فاعله، وفي تقديم: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ﴾ وبناء ﴿يُوقِنُونَ﴾ على: ﴿هُمْ﴾؛ تعريض بأهل الكتاب، وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، وأنّ قولهم ليس بصادر عن إيقان، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، والإيقان: إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه، و: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ﴾ تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأوّل، وهي صفة الدار؛ بدليل قوله: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ [القصص: ٨٣] وهي من الصفات الغالبة، وكذلك الدنيا، وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام، كقوله: ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١٤] وقرأ «أبو حية»(١) النميري: «يؤقنون» بالهمز، جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه، فقلبها قلب واو «وجوه» و«وُقِّتَتْ»، ونحوه: [من الوافر]

لَحُبُّ المُؤْقِدَانِ إِلَيَّ مُؤْسَى ... وَجَعْدَةُ إِذْ أَضَاءَهُمَا الوَقُودُ(٢)

---

(١) قوله «وقرأ أبو حية» لعله: أبو حيوة. (ع)

(٢) لجرير في مدح هشام بن عبد الملك وموسى ابنه وجعدة بنته. وقيل ابنه أيضاً وليس كذلك. واللام للقسم. وحب أصله حبب ـ كظرف ـ نقلت حركة الباء إلى الحاء ثم أدغمت في الأخرى. ومعناه: إنشاء المدح كنعم، ويفيد التعجب أيضاً كـ «ماأحبه». وقد تفتح حاؤه إذا كان فاعله ذا والمؤقدان بالهمزة فاعل. ومؤسى بالهمز أيضاً. وجعدة المخصوص بالمدح على طريقة: نعم الرجل زيد. و «حب»: محول من «حب» الثلاثي كضرب، وإن كان الكثير «أحب» الرباعي؛ لأنه لا يصاغ للمدح إلا من الثلاثي. فإن قلت: أهو محول من «حب» المسند للفاعل، أم من «حب» المبني للمجهول؟ قلت: إن كان من المسند للفاعل فالمؤقدان محبوبان، وإن كان من المسند للمفعول فالتحويل تقديري. فالظاهر أنه مصوغ من المادة من غير ملاحظة إسناد. ويجوز أن «حب» أصله «حبب» =

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى﴾: الجملة في محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ، وإلا فلا محلّ لها، ونظم الكلام على الوجهين: أنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب، فقد ذهبت به مذهب الاستئناف، وذلك أنه لما قيل: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ واختصّ المتقون بأنّ الكتاب لهم هدى، اتجه لسائل أن يسأل فيقول: ما بال المتقين مخصوصين بذلك؟ فوقع قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدّر، وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله أن يلطف بهم، ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم، أي: الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم، أحقاء بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح؛ ونظيره قولك: أحبّ رسول الله ﷺ الأنصار الذين قارعوا دونه، وكشفوا الكرب عن وجهه، أولئك أهل للمحبة، وإن جعلته تابعاً للمتقين، وقع الاستئناف على أولئك؛ كأنه قيل: ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى؟ فأجيب بأنّ أولئك الموصوفين، غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً، وبالفلاح آجلاً، واعلم أنّ هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث؛ كقولك: قد أحسنت إلى زيد، زيد حقيق بالإحسان، وتارة بإعادة صفته، كقولك: أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك [منك]؛ فيكون الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ؛ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه. فإن قلت: هل يجوز أن يجري الموصول الأوّل على المتقين، وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره؟ قلت: نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح، تعريضاً بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوّة رسول الله/ ١٣ب ﷺ، وهم ظانون أنهم على الهدى، وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله، وفي اسم

= ـ كضرب مبني للمجهول ـ فالمؤقدان نائب فاعل، ومؤسى وجعدة بدل أو بيان. والمعنى على الخبر لا الإنشاء. وروي: أحب المؤقدين، بإضافة أفعل التفضيل إلى صيغة الجمع؛ فمؤسى وجعدة خبر. وسوغ قلب واو الموقدين وموسى همزة، ضم ما قبلها، فكأنها مضمومة، وهي إذا ضمت تبدل همزة. ويقال: أضاء المكان وأضاءه السراج. وما هنا مِن الثاني، فهو متعد بمعنى أنارهما الوقود بالضم: أي توقد نار القرى وتلتهبنها، وأما بالفتح فهو ما توقد به. وأصل فعول أنه مبالغة في الفاعل كضروب، وكثر بمعنى ما يفعل به الفعل كوقود وسحور، فيحتمل أنه من قبيل اسم المفعول، وأنه من قبيل اسم الآلة شذوذاً. والمعنى: ما أحبهما إلى وقت بأن أظهرتهما النار التي يوقدانها لقرى الأضياف.

ينظر الدر المصون (١/ ١٠١)، وديوانه (١١٢)، المحتسب (١/ ٤٧)، الخصائص (٢/ ١٧٥)، المغني (٢/ ٦٨٤)، الأشباه والنظائر (٢/ ١٢)، (٨/ ٧٤) وشرح شواهد الشافية ص ٤٢٩، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٦٢، وبلا نسبة في سر صناعة الإعراب ١/ ٧٩، ومغني اللبيب ٢/ ٦٨٤، المقرب ٢/ ١٦٣.

الإشارة الذي هو: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ إيذان بأنّ ما يرد عقيبه، فالمذكورون قبله أهل؛ لاكتسابه من أجل الخصال التي عدّدت لهم؛ كما قال حاتم: [من الطويل]

وَلِلَّهِ صُعْلُوكٌ ....

ثم عدّد له خصالاً فاضلة؛ ثم عقب تعديدها بقوله: [من الطويل]

فَـذَلِـكَ إنْ يَـهْـلِـكْ فَـحَـسْـبِـي ثَـنَـاؤُهُ وَإنْ عَاشَ لَمْ يَقْعُدْ ضَعِيفاً مُذَمَّمَا[1]

ومعنى الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ مثل لتمكنهم من الهدى[2]، واستقرارهم

---

(١) ويغشى إذا ما كان يوم كريهة صدور العوالي وهو مختضب دما
إذ الحرب أبدَتْ ناجذيها وشمرت وولى هدان القوم أقدم معلما
فذلك إن يهلك فحسبي ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

لحاتم الطائي، يرثي رجلاً بأنه عالي الهمة، وإذا كان يوم حرب يذهب إلى صدور الرماح وينزل فيما بينها، والحال أنه مختضب بالدم منها. وقوله «أو الحرب» عطف على قوله «كان يوم كريهة» وإسناد إبداء الناجذ والتشمير عن الساعد مثلاً إلى الحرب مجاز عقلي، لأنها سبب في أن الفرسان يفعلون ذلك. ويجوز أنه شبهها في قوتها واشتدادها بشجاع يفعل ذلك على طريق الكناية وإبداء الناجذ والتشمير تخييل. والناجذ: آخر الأضراس وهو ضرس الحلم. والهدان ـ ككتاب ـ : الأحمق الثقيل، وجمعه هدون ـ من الهدنة وهي السكون ـ . وأقدم: جواب الشرط، معلماً للناس بأنه فلان على عادة الفرسان. أو معلماً فرسه مسومها. فذلك الموصوف بتلك الصفات المختص بتلك الخِصال، هو المستحق لأن يقال فيه إن يهلك ويمُت فيكفني ثناؤه فخراً: أي ذكره بين الناس بالجميل. وقوله «إن عاش» شرط لا يقتضي الوقوع، لكن ذكره دلالة على أنه محمود الفعال على أي حال. وقوله «لم يقعد» قليل المدح في الظاهر كثيره عند أولي البصائر: أي بل يقعد على حاله المشهورة وخصاله الحميدة.
ينظر الدر المصون (١/ ١٠٢).

(٢) قوله: «ومعنى الاستعلاء في قوله ـ على هدى ـ مثل لتمكنهم من الهدى. . .» إلخ هذا المقصد هو ما عناه البلاغيون فيما بعد بالاستعارة في الحرف ـ على ـ وقد جعلوها استعارة تبعية، أي تابعة لتشبيه أو تشبيهين سابقين، ولذا قالوا في إجرائها شبهت الهداية بما يستعلى عليه، ثم حذف وأخذ منه «على» الدالة على الاستعلاء وجعل في المشبه، دليلاً على التمكن التام في الهداية والفلاح بسبب ما قدموا من سمات وصالحات.
وهذا رأي يخالف ما يفهم من كلام الكشاف الذي يرى أن الاستعارة هنا تابعة لمثلها في متعلق الحرف مع مجروره. وهذا خلاف كلام جمهور البلاغيين، ورأيهم هو المعتمد، وخلاصة أن الاستعارة في المعاني الكلية التي تتعلق بها الحروف، ففي الآية التي معنا تكون الاستعارة هكذا: شبهت الملابسة الكلية ـ المطلقة ـ بالاستعلاء الكلي ـ المطلق ـ ثم سرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات، وهنا يظهر الحرف «على» في الاستعلاء الجزئي فيستعار للملابسة الجزئية في الهداية.
وبهذا تتضح الاستعارة في الحرف، وفي المقام كلام وفير لجهابذة الفضلاء من العلماء فليراجع في مصنفاتهم ـ غفر الله لنا ولهم.
ينظر تعليقات أستاذنا محمد عبد المنعم خفاجي، على الإيضاح للقزويني ٥/ ٩٢ وما بعدها، والبلاغة القرآنية ٤٩٢ وما بعدها. وغير ذلك من كتب التراث البلاغي في هذا الموضع.

عليه، وتمسكهم به، شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه؛ ونحوه: هو على الحق وعلى الباطل، وقد صرّحوا بذلك في قولهم: جعل الغواية مركباً، وامتطى الجهل[1]، واقتعد غارب الهوى.

ومعنى: ﴿هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾، أي: منحوه من عنده وأوتوه من قبله، وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير، والترقي إلى الأفضل فالأفضل، ونكر: ﴿هُدًى﴾، ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه، ولا يقادر قدره؛ كأنه قيل: على أي هدى، كما تقول: لو أبصرت فلاناً لأبصرت رجلاً، وقال الهُذَلِيُّ: [من الطويل]

فَلاَ وَأَبِي الطَّيْرِ المُرِبَّةِ بِالضُّحَى[2] عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ وَقَعْتِ عَلَى لَحَمْ[3]

والنون في: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أدغمت بغنة وبغير غنة، فالكسائي، وحمزة، ويزيد، وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها، وقد أغنها الباقون إلا أبا عمرو؛ فقد روى عنه [فيها] روايتان.

وفي تكرير: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى، فهي ثابتة لهم بالفلاح؛ فجعلتْ كلّ واحدة من الأثرتين في تمييزهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها، فإن قلت: لم جاء مع العاطف؟ وما الفرق بينه وبين قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ

---

(١) قوله «وامتطى الجهل» أي اتخذ الجهل مطية، واتخذ الهوى قعوداً. والقعود مِن الإبل: البكر حين يركب. والغارب: ما بين السنام إلى العنق، كما في الصحاح. (ع)

(٢) قوله «وأبي الطير المربة بالضحى» أي المجتمعة العاكفة. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لَحَمْ
فلا وأبي لا يأكل الطير مثله عشية أمسى لا يبين من السَّلَمْ

لأبي كبير الهذلي يرثي خالد بن زهير. و«لا» زائدة قبل القسم. واستعظم الطير الواقعة عليه فأقسم بها، وكنى عنها بأبي الطير كما يكني عن العظيم بأبي فلان. وأصل أبي هنا: أبين، على صيغة جمع المذكر السالم، سقطت نونه للإضافة، ويحتمل أنه مفرد والمراد به النسر؛ لأنه يكنىٰ بأبي الطير. ويجوز أن يريد بأبي الطير خالداً لوقوعها عليه، ويجوز أن يريد به أصلها. ويروى: لعمر أبي الطير المربة غدوة. . . إلخ. ويروى هذا برفع الطير. ولعله على الابتداء أو الخبرية لمحذوف. أو على تقدير النداء، وإلى مضاف إلى ضمير المتكلم كالذي بعده. ويقال: أرب بالمكان وألب به. أقام فيه ولازمه، فالمربة المقيمة العاكفة وقت الضحى على خالد القتيل. والتفت إلى خطاب الطير فقال لها: لقد وقعت. ويروى علقت، على لحم ـ بالتحريك ـ على لمة وتنكيره للتعظيم: أي على لحم عظيم. وأنثها لأنها جماعة في المعنى. فإن قرىء بفتح التاء فظاهر، وخاطبه لتنزيله منزلة العاقل، ثم أقسم بأبيه أن الطير لا يأكل مثل خالد في العظم عشية أمسى لا يظهر لنا من السلم ـ وهو شجر العضاء ـ كناية عن كونه قتيلاً فيه والطير حوله على ذلك الشجر. وفي البيتين التفاتان.

ينظر خزانة الأدب (٥/ ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٨١، ١١/ ٤٧)، شرح أشعار الهذليين (٣/ ١٢٢٦)، مجالس ثعلب (ص ١٥١، ٢١٢)، ولأبي ذؤيب من خزانة الأدب (٥/ ٨٥).

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]؟ قلت: قد اختلف الخبران ههنا[١]؛ فلذلك دخل العاطف، بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان؛ لأن التسجيل عليهم بالغفلة، وتشبيههم بالبهائم شيء واحد، فكانت الجملة الثانية مقرّرة لما في الأولى فهي من العطف بمعزل.

و﴿هُمُ﴾ فصل: وفائدته: الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره، أو هو مبتدأ والمفلحون خبره، والجملة خبر أولئك.

ومعنى التعريف في: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنساناً قد تاب من أهل بلدك، فاستخبرت من هو؟ فقيل: زيد التائب، أي هو الذي أخبرت بتوبته. أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحين، وتحققوا ما هم، وتصوّروا بصورتهم الحقيقية، فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة، كما تقول لصاحبك: هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام؟ إن زيداً هو هو، فانظر كيف كرّر الله عزّ وجلّ التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى، وهي: ذكر اسم الإشارة، وتكريره، وتعريف المفلحين، وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك/ ١٤أ؛ ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا، وينشطك لتقديم ما قدّموا، ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب، والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته، اللهمّ، زينا بلباس التقوى، واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة، والمفلح: الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه،

---

(١) قوله ـ «قد اختلف الخبران ههنا» ومقصوده أن العطف يقتضي التغاير بطبيعته حتى يصح الجمع به سواء كانت الواو هي العاطفة أو غيرها بحسب طبيعة الجملتين.
وكلام البلاغيين في نحو هذه الجمل قائم على أن الجملة الثانية إذا اتفقت مع الأولى التي لها محل من الإعراب كان الوصل بالواو، وهذا واضح تماماً في هاتين الجملتين:
﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ جملة خبرية لفظاً ومعنى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ كذلك، وقد شاركت الثانية الأولى في هذا الإخبار عن «المتقين» في بداية كلامه ـ سبحانه ـ وبهذه المشاركة وجب الوصل بالواو العاطفة بخلاف «أولئك كالأنعام بل هم أضل» ومعها «أولئك هم الغافلون» فإن الثانية بمثابة التوكيد المعنوي للأولى، ولذا يقال وبينهما كمال اتصال، وبهذا وجب الفعل؛ لأنه كما سبق لا موضع للوصل هنا حيث لا تغاير.
ولشيخ البلاغيين عبد القاهر كلمة جامعة في هذا الميدان حيث يقول:
«كذلك يكون في الجمل ما تتصل به من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها، وهي كل جملة مؤكدة ومبينة لها، وكانت إذا حصلت لم تكن شيئاً سواها».
«دلائل الإعجاز ٢٢٧، الشيخ شاكر ـ ط. المدني»، وشروح التلخيص ٣/ ٣٠٢، وعلم المعاني في فتح القدير ٢/ ٦٦٢، المطول للسعد ص ٢٤٧.

والمفلج ـ بالجيم ـ مثله، ومنه قولهم للمطلقة: استفلحي بأمرك بالحاء والجيم، والتركيب دال على معنى الشق والفتح؛ وكذلك أخواته في الفاء والعين؛ نحو: فلق، وفلذ، وفلى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾

لما قدّم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده، وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة، قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى، ولا يجدي عليهم اللطف، وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه، وإنذار الرسول وسكوته، فإن قلت: لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف؛ كنحو قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤﴾ [الانفطار: ١٣ ـ ١٤] وغيره من الآي الكثيرة؟ قلت: ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت؛ لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب، وأنه هدى للمتقين، وسيقت الثانية؛ لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت، فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب، وهما على حدّ لا مجال فيه للعاطف، فإن قلت: هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون جار على المتقين، فأمّا إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين، ثم عقبته بكلام آخر في صفة أضدادهم، كان مثل تلك الآي المتلوّة. قلت: قد مرّ لي أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف، وأنه مبنيّ على تقدير سؤال، فذلك إدراج له في حكم المتقين، وتابع[1] له في المعنى؛ وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه.

والتعريف في ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم، كأبي لهب، وأبي جهل، والوليد بن المغيرة، وأضرابهم، وأن يكون للجنس متناولاً كلّ من صمم على كفره تصميماً لا يرعوي بعده[2] وغيرهم؛ ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الإنذار وتركه عليهم، و: ﴿سَوَآءٌ﴾ اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر، ومنه قوله تعالى: ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠] بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر لإنّ، و﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ في موضع المرتفع به على الفاعلية؛ كأنه قيل: إنّ الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه. كما تقول: إنّ زيداً مختصم أخوه وابن عمه، أو يكون ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ في موضع الابتداء، و﴿سَوَآءٌ﴾ خبراً مقدّماً بمعنى: سواء عليهم إنذارك وعدمه، والجملة خبر لإنّ. فإن قلت: الفعل أبداً خبر لا مخبر/ ١٤ب عنه

---

(١) قوله «وتابع له في المعنى» لعله واتباع له. (ع)
(٢) قوله «بعده وغيرهم» لعله كهؤلاء وغيرهم. (ع)

فكيف صحّ الإخبار عنه في هذا الكلام؟ قلت: هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى، وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلاً بيناً، من ذلك قولهم: «لا تأكل السمك وتشرب اللبن»، معناه: لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن، وإن كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل، والهمزة وأم مجرّدتان لمعنى الاستواء[1]، وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأساً؛ قال سيبويه: جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك: اللهمّ اغفر لنا أيتها العصابة، يعني: أنّ هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام، كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء، ومعنى الاستواء: استواؤهما في علم المستفهم عنهما؛ لأنه قد علم أن أحد الأمرين كائن، إمّا الإنذار وإمّا عدمه، ولكن لا بعينه، فكلاهما معلوم بعلم غير معين، وقرىء: «أأنذرتهم» بتحقيق الهمزتين، والتخفيف أعرب وأكثر، وبتخفيف الثانية بين بين، وبتوسيط ألف بينهما محققتين، وبتوسيطها والثانية بين بين، وبحذف حرف الاستفهام، وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله، كما قرىء ﴿قد افلح﴾. فإن قلت: ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفاً؟ قلت: هو لاحن[2] خارج عن كلام العرب خروجين: أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حدّه ـ وحدّه أن يكون الأوّل حرف لين، والثاني حرفاً مدغماً نحو قوله: الضَّالِّينَ، وخُوَيْصَّة (٢٠)؛ والثاني: إخطاء طريق

---

٢٠ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٩/ ٣١٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث (١٢٩).
وأخرجه أحمد (٢/ ٣٢٤).
وأخرجه الطيالسي (٢/ ٢١٥) كتاب الفتن وعلامات الساعة باب ما جاء في العلامات الكبرى للساعة حديث (٢٧٧٠).
من طريق زياد بن رباح عن أبي هريرة.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
=

---

(١) قال محمود رحمه اللَّه: «والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء. . . إلخ». قال أحمد رحمه اللَّه: وحاصل هذا النقل استعمال الحرف في أعم معناه. فالهمزة المعادلة لـ «أم» موضوعة في الأصل للاستفهام عن أحد متبادلين في عدم علم التعين فنقلت إلى مطلق المعادلة وإن لم يكن استفهاماً، واستعملت في الجزء الحقيقي. وكذلك حرف النداء موضوع في الأصل لتخصيص المنادى بالدعاء، ثم نقل إلى مطلق التخصيص ولا نداء، كما يكون المجاز بالتخصيص والقصر مثل تخصيص الدابة بذوات الأربع وإن كانت في الأصل لكل ما دب، فقد يكون بالتعميم والتعدي مثل تسمية الرجل الشجاع أسداً نقلاً لهذا الاسم من موصوف بالشجاعة مخصوص وهو الحيوان المعروف، إلى كل موصوف بتلك الصفة غير مقصورة على محلها الأصلي.

(٢) قال السمين الحلبي: وهذا منه ليس بصواب؛ لثبوت هذه القراءة تواتراً، وللقراء في نحو هذه الآية عمل كثير وتفصيل منتشر. انتهى. الدر المصون.

التخفيف؛ لأن طريق تخفيف الهمزة المتحرّكة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين؛ فأما القلب ألفاً فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس، والإنذار: التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي، فإن قلت: ما موقع ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟ قلت: إمّا أن يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها، أو خبراً لإنّ والجملة قبلها اعتراض.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾

الختم والكتم أخوان؛ لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتماً له وتغطية لئلا يتوصل إليه ولا يطلع عليه.

والغشاوة: الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه، وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة. فإن قلت: ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار؟ قلت: لا ختم ولا تغشية[1] ثَمّ على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز[2]، ويحتمل أن

= قوله «وخويصة» مسلم من رواية زياد بن رباح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «بادروا بالأعمال ستًّا. . .» فذكره وفيه: «وخويصة أحدكم» انتهى.

---

(١) قوله «لا ختم ولا تغشية» ولا تغطية.

(٢) قوله ـ سبحانه ـ ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ . . . الآية فيها: أن ذلك من «باب المجاز».

كلام البلاغيين في هذا محدود دقيق خصوصاً لدى العلامة السكاكي، فالمجاز عندهم: إما مفرد وإما مركب فالمفرد هو: الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب مع علاقة تصحح هذا الاستعمال وقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

ثم يقسم هذا المجاز إلى:

١ ـ مرسل بعلاقة غير المشابهة، ولهذا له علاقات كثيرة بحسب الوشائج التي بين اللفظ والمعنى المستعمل فيه كالسببية والمسببية وغير ذلك.

٢ ـ استعارة بعلاقة المشابهة ولها أقسام عديدة تراجع في محلها من كتب البلاغيين.

وأما المركب فهو استعمال اللفظ المركب أي جملة من الكلام فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيهاً تمثيلياً مبالغة في التشبيه قال صاحب الإيضاح شارحا هذا التحديد:

«أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبه في جنس المشبه به مبالغة في التشبيه، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه».

وللتمثيل صور شتى ومبالغات ثرة ومنه ما كتب به الوليد بن زيد لما بويع إلى مروان بن محمد ـ وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له: «أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام».

وفي الآية «ختم الله على قلوبهم. . . .» الآية تستطيع أن تجعل القصد إلى الاستعارة أو التمثيل كما بين المفسر ـ رحمه الله ـ تعالى ـ «تراجع الإيضاح ١٠٨/٥، ١٠٩ والمفتاح ١٦٨، ١٧٧، ١٧٨».

يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل، أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده، وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة، ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين، كأنما غطى عليها وحجبت، وحيل بينها وبين/ ١٥أ الإدراك، وأمّا التمثيل، فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية، وقد جعل بعض المازنيين الحُبْسَةَ في اللسان والعيّ خَتْمَاً عليه، فقال: [من الكامل]

خَتَمَ الإِلٰهُ عَلى لِسَانِ عُذَافِرٍ ... خَتْماً فَلَيْسَ عَلى الكَلامِ بِقَادِرِ
وإِذَا أَرَادَ النُّطْقَ خِلْتَ لِسَانَهُ ... لَحْماً يُحَرِّكُهُ لِصَقْرٍ نَاقِرِ[1]

فإن قلت: فلم أسند الختم إلى الله تعالى[2]، وإسناده إليه يدل على المنع من قبول

---

(١) لرجل مِن فزارة واستعار الختم المانع من زيادة الكتاب ونقصه للمنع من الكلام. وعذافر ـ بالضم ـ اسم رجل. ويطلق على الشديد العظيم، وعلى الأسد. والبيت معناه الإخبار عن حال عذافر، وهو الظاهر من التفريع ويبعد أنه دعاء عليه. وفاعل يحرك لعذافر. شبه لسانه باللحم الذي ينقره الصقر بجامع تحرك كل بغير استقامة مع عدم التلفظ، وهذا مما يدل على أن البيت إخبار لا دعاء.

(٢) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت فلم أسند الختم إلى الله تعالى... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: هذا أول عشواء خبطها في مهواة من الأهواء هبطها، حيث نزل من منصة النص إلى حضيض تأويله؛ إبتغاء الفتنة استبقاء لما كتب عليه من المحنة، فانطوى كلامه هذا على ضلالات أعدها وأردها:
الأولى: مخالفة دليل العقل على وحدانية الله تعالى. ومقتضاه أنه لا حادث إلا بقدرة الله تعالى لا شريك له، والامتناع من قبول الحق من جملة الحوادث؛ فوجب انتظامه في سلك متعلقات القدرة العامة المتعلق بالكائنات والممكنات.
الثانية: مخالفة دليل النقل المضاهي لدليل العقل كأمثال قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ وهذه الآية أيضاً؛ فإن الختم فيها مسند إلى الله تعالى نصاً. والزمخشري رحمه الله لا يأبى ذلك، ولكنه يدعي الالتجاء إلى تأويلها لدليل قام عنده عليه. فإذا أثبت أن الدليل العقلي على وفق ما دلت عليه، وجب عليه إبقاؤها على ظاهرها بل لو وردت على خِلاف ذلك ظاهراً، لوجب تأويلها بالدليل جمعاً بين العقل والنقل.
الثالثة: الفرار من نسبة ما اعتقده قبحاً إلى الله تعالى تنزيهاً، على زعمه أن الإشراك به في اعتقاد أن الشيطان هو الذي يخلق الختم والكافر يخلقه لنفسه بقدرته على خلاف مراد ربه. فلقد استوخم من السنّة المناهل العذاب وورد من حميم البِدعة موارد العذاب.
الرابعة: الغلط باعتقاد أن ما يقبح شاهداً يقبح غائباً، فلما كان المنع من قبول الحق قبيحاً في الشاهد وجب على زعمه أن يكون قبيحاً مِن الغائب. وهذه قاعدة قد فرغ من بطلانها في فنها.
الخامسة: اعتقاده أن ذلك لو فُرِض وجوده بقدرة الله تعالى لكان ظلماً، والله تعالى منزّه عن الظلم =

الحق والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح[١] علواً كبيراً لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه؛ وقد نص على تنزيه ذاته بقوله: ﴿وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٧٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨] ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل؟ قلت: القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها،

= بقوله تعالى ﴿وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ومن الظلم البين جهل حقيقة الظلم؛ فإنه التصرف في ملك الغير بغير إذنه. فكيف يتصور ثبوت حقيقته للّه تعالى؟ وكل مفروض محصور بسور ملكه عزَّ وجل: المُلك للّه الواحد القهار.

السادسة: أنه فر من اعتقاد نسبة الظلم إلى اللّه تعالى فتورَّط فيه إلى عنقه؛ لأنه قد جزم بأن المنع مِن قبول الحق لو كان مِن فِعل اللّه تعالى لكان ظلماً. فيقال له: وقد قام البرهان على أنه مِن فعل اللّه تعالى فيلزمك أن يكون ظلماً ـ تعالى اللّه عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ.

والخيال الذي يدندن حوله هؤلاء: أن أفعال العبد لو كانت مخلوقة للّه تعالى لما نعاها على عباده ولا عاقبهم ولا قامت حجة اللّه عليهم. وهذه الشبه قد أجراها في أدراج كلامه المتقدم، فيقال لهم: لِمَ قلتم إنها لو كانت مخلوقة للّه لَما نعاها على عباده؟ فإن أسندوا هذه الملازمة ـ وكذلك يفعلون ـ إلى قاعدة التحسين والتقبيح وقالوا: معاقبة الإنسان بفعل غيره قبيحة في الشاهد لا سيما إذا كانت المعاقبة من الفاعل فيلزم طرد ذلك غائباً. قيل لهم: ويقبح في الشاهد أيضاً أن يمكن الإنسان عبده من القبائح والفواحش بمرأى منه ومسمع، ثم يعاقبه على ذلك من القدرة على ردعه ورده من الأول عنها. وأنتم معاشر القدرية تزعمون أن القدرة التي بها يخلق العبد الفواحش لنفسه مخلوقة للّه تعالى، على علم منه عزَّ وجل أن العبد يخلق بها لنفسه ذلك، فهو بمثابة إعطاء سيف باتر لفاجر يعلم أنه يقطع به السبيل ويسبي به الحريم، وذلك في الشاهد قبيح جزماً. فسيقولون: أجل إنه لقبيح في الشاهد، ولكن هناك حكمة استأثر اللّه تعالى بعلمها فرقت بين الشاهد والغائب، فحسن من الغائب تمكين عبده من الفواحش مع القدرة على أن لا يقع منه شيء، ولم يحسن ذلك في الشاهد. وفي هذا الموطن تتزلزل أقدامهم وتتنكّس أعلامهم، إذا لاحت لهم قواطع اليقين وبوارق البراهين؛ فيُقال لهم: ما المانع أن تكون تلك الأفعال مخلوقة للّه تعالى ويعاقَب العبد عليها لمصلحة وحكمة استأثر اللّه بها كما فرغتم منه الآن سواء؟ فلمَ لا يسلك أحدكم الطريق الأعدل وينظر عاقبة هذا الأمر فيصير آخر أول، وليفوض من الابتداء إلى خالقه، ويتلقى حجة اللّه تعالى عليه بالقبول والتسليم، ويسلك مهتدياً بنور العقل ومقتدياً بدليل الشرع الصراط المستقيم؛ فإن نازعتْه النفس وحادثته الهواجس ورغب في مستند من حيث النظر يأنس به من مفاوز الفكر، فليخطر بباله ما ذُكر عند كل عاقل من التمييز بين الحركة الاختيارية والقسرية، فلا يجد عنده في هذه التفرقة ريباً. فإذا استشعر ذلك فلينتبه فقد لطف به إلى أن انحرف عن مضايق الجبر، فاراً أن يلوح به شيطان الضلال إلى مهامه الاعتزال، فليمسك نفسه دونها بزمام دليل الوحدانية على أن لا فاعل ولا خالق إلا اللّه تعالى، فإذا وقف لم يقف إلا وهو على الصراط المستقيم والطريقة المثلى، ماراً عليها في أسرع من البرق الخاطف والريح العاصف. فليتأمّل الناظر هذا الفصل، ويتخذه وزره في قاعدة الأفعال، يقف على الحق إن شاء اللّه تعالى.

(١) قوله «واللّه يتعالى عن فعل القبيح» هذا مذهب المعتزلة. أما عند أهل السنّة فيجوز عليه تعالى خلق الشر وإرادته كالخير، وإن كان لا يأمر إلا بالخير. والختم على القلوب عندهم خلق الضلال فيها كما بين في علم التوحيد. (ع)

وأما إسناد الختم إلى الله عز وجل، فلينبه على أنّ هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي، ألا ترى إلى قولهم: فلان مجبول على كذا ومفطور عليه، يريدون أنه بليغ في الثبات عليه، وكيف يتخيل ما خيل إليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار، شناعة صفتهم وسماجة حالهم، ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم؟ ويجوز أن تضرب الجملة كما هي، وهي ختم الله على قلوبهم مثلاً كقولهم: سال به الوادي، إذا هلك، وطارت به العنقاء، إذا أطال الغيبة، وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته؛ وإنما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي، وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء؛ فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الأغتام [(١)] التي هي في خلوّها عن الفطن كقلوب البهائم، أو بحال قلوب البهائم أنفسها، أو بحال قلوب مقدّر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئاً ولا تفقه، وليس له عزّ وجلّ فعل في تجافيها عن الحق ونبوّها عن قبوله، وهو متعال عن ذلك، ويجوز أن يستعار الإسناد في نفسه من غير الله لله، فيكون الختم مسنداً إلى اسم الله على سبيل المجاز، وهو لغيره حقيقة، تفسير هذا: أنّ للفعل ملابسات شتى، يلابس الفاعل والمفعول به، والمصدر، والزمان والمكان، والمسبَّب له، فإسناده إلى الفاعل حقيقة، وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة؛ وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل، كما يضاهي الرجل الأسد في جراءته فيستعار له اسمه، فيقال في المفعول به: عيشة راضية، وماء دافق، وفي عكسه: سيل مُفْعَم [(٢)]. وفي المصدر: شعر شاعر، وذيل ذائل، وفي الزمان: نهاره صائم، وليله قائم، وفي المكان: طريق سائر، ونهر جار، وأهل مكة يقولون: صلى المقام، وفي المسبَّب: بنى الأمير المدينة، وناقة ضبوث/ ١٥ب [(٣)] وحلوب، وقال: [من الطويل]

.... إِذَا رَدَّ عَافِي الْقِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا [(٤)]

---

(١) قوله «نحو قلوب الأغتام» الذي في الصحاح: الغتمة العجمة، والأغتم الأعجم الذي لا يفصح شيئاً، والجمع غتم. (ع)

(٢) قوله «سيل مفعم» في الصحاح: أفعمت الإناء ملأته، وفيه أيضاً: ذيل ذائل، وهو الهوان والخزي. (ع)

(٣) قوله «وناقة ضبوث» في الصحاح: ناقة ضبوث، يشك في سمنها فتضبث، أي تجس باليد. (ع)

(٤) فلا تسأليني واسألي عن خليقتي ... إذا رد عافي القدر من يستعيرها
فكانوا قعوداً فوقها يرقبونها ... وكانت فتاة الحي ممن يعيرها
لعرب بن الأحوص الباهلي. وقيل: للكميت. يقول: فلا تسأليني عن طبيعتي واسألي غيري عنها، وقت أن يمنع عافي القدر ـ أي طالب الرزق الذي فيها ـ مَن يستعيرها ليطبخ فيها. وإسناد الرد للعافي مجاز عقلي؛ لأن المانع في الحقيقة هو صاحب القدر بسبب طالب الرزق، ولم يسنده إلى نفسه تبرءاً من نسبة الرد إليها، إلا أن يراد جنس القدر لا قدره هو فقط؛ فالمعنى: إذا أجدب =

فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر؛ إلا أنّ الله سبحانه لما كان هو الذي أقدره ومكنه، أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى المسبِّب.

ووجه رابع: وهو أنهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغنى عنهم الآيات والنذر، ولا تجدى عليهم الألطاف المحصلة ولا المقربة إن أُعطُوهَا، لم يبق ـ بعد استحكام العلم بأنه لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعاً واختياراً ـ طريق إلى إيمانهم إلا القسر والإلجاء، وإذا لم تبق طريق إلا أن يقسرهم الله ويلجئهم، ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم؛ لئلا ينتقض الغرض في التكليف، عبر عن ترك القسر والإلجاء بالختم؛ إشعاراً بأنهم الذين ترامى أمرهم في التصميم على الكفر والإصرار عليه إلى حدّ لا يتناهون عنه إلا بالقسر والإلجاء، وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي.

ووجه خامس: وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكماً بهم من قولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فصلت: ٥] ونظيره في الحكاية والتهكم قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١﴾ [البينة: ١] فإن قلت: اللفظ يحتمل أن تكون الأسماء داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية[1] فعلى أيهما يعوّل؟ قلت: على دخولها في حكم الختم؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ﴾ [الجاثية: ٢٣] ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم، فإن قلت: أيّ فائدة في تكرير الجارّ في قوله: ﴿وَعَلَىٰ

= الزمان على ما سيأتي. وجمع الضمير في قوله «فكانوا» لأن العافي متعدد في المعنى: أي فكأن العفاة قاعدين حولها ينتظرون نضج ما فيها. وكانت فتاة الحي ـ يعني حية ـ من جملة مَن يعير القدر. ويجوز أن ضمير «كانوا» لمَن يستعيرها. ويحتمل أن «عافي القدر» بقية ما كان فيها مِن المرق، والإسناد مجازي أيضاً على معنى أنّ مَن يستعيرها يجدها مشغولة، وهو دليل على كثرة طبخه للضيفان. ويجوز أن المراد أن الحالة جدب حتى أن صاحب القدر يرد المستعير حرصاً على ما فيها مِن بقية المرق ولو قليلة؛ فضمير «كانوا» لمَن يستعيرها ويجوز أن عافي القدر: مفعول لم يظهر نصبه للوزن، و «مَن يستعيرها» فاعل؛ لأنه كان مِن عادة العرب في الجدب أنّ يرد المستعير بقية مِن المرق في القدر للمعير، فهو كناية عن الجدب؛ لكن لا تتم مناسبة لِما بعده: ويجوز أن يكون المعنى إذا منع مستعير القدر عافيها أي طالب الرزق منها ولبخله وعدم نزول الضيفان عنده، لا يملك لنفسه قدراً، فإذا استعار قدراً ليطبخ فيها مرة منع طالب الرزق منها. وعلى هذا يحتمل أنه جمع حذفت نونه للإضافة فنصبه بالياء، فهذه أربعة وجوه.

ينظر ديوان (٣٧١)، والدر المصون ١/ ٤٢٤.

(١) قال محمود رحمه اللّه: «اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة حكم الختم، وفي حكم التغشية. . . إلخ»، قال أحمد رحمه اللّه وكان جدي رحمه اللّه يذكر هذا ويزيد عليه أن الأسماع والقلوب لما كانت محوية كان استعمال الختم لها أوْلى، والأبصار لما كانت بارزة وإدراكها متعلّق بظاهرها كان الغشاء لها أليَق.

سَمْعِهِۦ﴾؟ [الجاثية: ٢٣] قلت: لو لم يكرّر لكان انتظاماً للقلوب والأسماع في تعدية واحدة؛ وحين استجدّ للأسماع تعدية على حدة، كان أدل على شدة الختم في الموضعين، ووحد السمع كما وحد البطن في قوله: كلوا في بعض بطنكم تعفوا، يفعلون ذلك إذا أمن اللبس، فإذا لم يؤمن؛ كقولك: فرسهم، وثوبهم، وأنت تريد الجمع رفضوه، ولك أن تقول: السمع مصدر في أصله، والمصادر لا تجمع، فلمح الأصل يدل عليه جمع الأذن في قوله: ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥] وأن تقدّر مضافاً محذوفاً: أي وعلى حواس سمعهم، وقرأ ابن أبي عبلة: وعلى أسماعهم، فإن قلت: هلا منع أبا عمرو والكسائي من إمالة أبصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد؟ قلت: لأنّ الراء المكسورة تغلب المستعلية، لما فيه من التكرير كأن فيها كسرتين، وذلك أعون شيء على الإمالة وأن يمال له ما لا يمال، والبصر نور العين، وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات، كما أن البصيرة نور القلب، وهو ما به يستبصر ويتأمل، وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للإبصار والاستبصار.

وقرىء: ﴿غِشاوة﴾ بالكسر والنصب، وغُشاوةٌ: بالضم والرفع، وغَشاوةً: بالفتح والنصب، وغِشوةٌ: بالكسر والرفع، وغَشوة: بالفتح والرفع والنصب، وعشاوةٌ: بالعين غير المعجمة/ ١٦أ والرفع، من العشا.

والعذاب: مثل النكال بناء ومعنى؛ لأنك تقول: أعذب عن الشيء، إذا أمسك عنه، كما تقول: نكل عنه، ومنه العذب؛ لأنه يقمع العطش ويردعه، بخلاف الملح فإنه يزيده، ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخاً؛ لأنه ينقخ العطش أي يكسره، وفراتاً؛ لأنه يرفته على القلب. ثم اتسع فيه فسمى كل ألم فادح عذاباً، وإن لم يكن نكالاً ـ أي عقاباً يرتدع به الجاني عن المعاودة.

والفرق بين العظيم والكبير، أن العظيم نقيض الحقير، والكبير نقيض الصغير، فكأن العظيم فوق الكبير، كما أن الحقير دون الصغير، ويستعملان في الجثث والأحداث جميعاً، تقول: رجل عظيم وكبير، تريد جثته أو خطره، ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعاً من الأغطية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله.

اللّهم أجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾

افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله، وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم، ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم، ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً قلوباً وألسنة، ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣]، وسماهم المنافقين، وكانوا أخبث الكفرة، وأبغضهم إليه، وأمقتهم عنده؛ لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً وتدليساً، وبالشرك استهزاء وخداعاً؛ ولذلك أنزل فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، ووصف حال الذين كفروا في آيتين، وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية، نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم، وفضحهم وسفههم، واستجهلهم واستهزأ بهم، وتهكم بفعلهم، وسجل بطغيانهم وعمههم، ودعاهم صماً بكماً عمياً، وضرب لهم الأمثال الشنيعة، وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة.

وأصل (ناس): أناس، حذفت همزته تخفيفاً كما قيل: لوقة، في ألوقة[١]، وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الأناس، ويشهد لأصله إنسان، وأناس وأناسى، وإنس، وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون، كما سمى الجنّ لاجتنانهم، ولذلك سموا بشراً، ووزن ناس فعال؛ لأن الزنة على الأصول، ألا تراك تقول في وزن: «قه» افعل، وليس معك إلا العين وحدها؟! وهو من أسماء الجمع كرخال[٢]، وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبرهِ كأنيسيان ورويجل، ولام التعريف فيه للجنس، ويجوز أن تكون للعهد، والإشارة إلى الذين كفروا المارّ ذكرهم؛ كأنه قيل: ومن هؤلاء من يقول، وهم عبد الله بن أبيّ وأصحابه، ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق، ونظير موقعه موقع القوم في قولك: نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام.

و«من» في: ﴿مَن يَقُولُ﴾: موصوفة، كأنه قيل: ومن الناس ناس يقولون كذا، كقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، إن جعلت اللام للجنس، وإن جعلتها للعهد فموصولة[٣]، كقوله: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ/ ١٦ب يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التوبة: ٦١]. فإن قلت: كيف

---

(١) قوله «كما قيل لوقة في ألوِقة» اللوقة والألوِقة: الزبدة، أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «من أسماء الجمع كرخال» الرخل ـ بالكسر ـ: الأنثى مِن ولد الضأن، والجمع رخال بالكسر، وبالضم كذا في الصحاح. (ع)

(٣) قال السمين الحلبي: وكأنه قصد مناسبة الجنس للجنس والعهد للعهد، إلا أن هذا الذي قاله غير لازم، بل يجوز أن تكون «أل» للجنس، وتكون «من» موصولة وللعهد، ومن نكرة موصوفة، وزعم الكسائي أنها لا تكون إلا في موضع تختص به النكرة؛ كقوله [من الرمل]:

رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظاً قَلْبَهُ ... قَدْ تَمَنَّى لِيَ مَوْتاً لَمْ يُطَعْ =

يجعلون بعض أولئك، والمنافقون غير المختوم على قلوبهم؟ قلت: الكفر جمع الفريقين معاً وصيرهم جنساً واحداً، وكون المنافقين نوعاً من نوعي هذا الجنس ـ مغايراً للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء ـ لا يخرجهم من أن يكونوا بعضاً من الجنس؛ فإن الأجناس إنما تنوّعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض، وتلك المغايرات إنما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية، فإن قلت: لم اختص بالذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر؟ قلت: اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة؛ لأن القوم كانوا يهوداً، وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان؛ لقولهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وكذلك إيمانهم باليوم الآخر؛ لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته، فكان قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ٨] خبثاً مضاعفاً وكفراً موجهاً، لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم، فهو كفر لا إيمان، فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم، وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي، كان خبثاً إلى خبث، وكفراً إلى كفر، ـ وأيضاً ـ فقد أوهموا في هذا المقال أنهم اختاروا الإيمان(١) من جانبيه، واكتنفوه من قطريه، وأحاطوا بأوّله وآخره، وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام، فإن قلت: كيف طابق قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، والأول: في ذكر شأن الفعل لا الفاعل، والثاني: في ذكر شأن الفاعل لا الفعل؟ قلت: القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه، فسلك في ذلك طريق أدّى إلى الغرض المطلوب، وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره، وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين، لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان، وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة، فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، هو أبلغ من قولك: وما يخرجون منها، فإن قلت: فلم جاء الإيمان مطلقاً في الثاني وهو مقيد في الأوّل؟ قلت: يحتمل أن يراد التقييد

= وهذا الذي قاله هو الأكثر، إلا أنها قد جاءت في موضع لا تختص به النكرة قال [من الكامل]:

فَكَفَى بِنَا فَضْلاً عَلَى مَنْ غَيْرِنَا ....

و«من» تكون موصولة ونكرة موصوفة كما تقدم، وشرطية واستفهامية، وهل تقع نكرة غير موصوفة أو زائدة؟ خلاف، واستدل الكسائي على زيادتها بقول عنترة [من الكامل]:

يَا شَاةَ مَنْ قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ ... حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ

ولا دليل فيه؛ لجواز أن تكون موصوفة بـ«قنص»: إما على المبالغة أو على حذف مضاف. انتهى. الدر.

(١) قوله: «اختاروا الإيمان» لعله احتازوا ـ بالحاء المهمَلة والزاي ـ كما في عبارة البيضاوي. (ع)

ويترك لدلالة المذكور عليه، وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط، لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر، ولا من الإيمان بغيرهما، فإن قلت: ما المراد باليوم الآخر؟ قلت: يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حدّ له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع؛ لتأخره عن الأوقات المنقضية، وأن يراد الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار؛ لأنه آخر الأوقات المحدودة الذي/ ١٧أ لا حدّ للوقت بعده.

والخدع: أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه، من قولهم: ضب خادع وخدع، إذا أمر الحارش يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر، فإن قلت: كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح[1]؛ لأن العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع، والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع، والمؤمنون وإن جاز أن يُخْدَعُوا

---

(١) قال محمود رحمه اللّه: «فإن قلت: كيف ذلك ومخادعة اللّه والمؤمنين لا تصح... إلخ»؟ قال أحمد رحمه اللّه: هذا الفصل مِن كلام الزمخشري جمعَ فيه الغث والسمين، ونحن ننبّه على ما فيه من الزبد، ليتم للناظر أخذ ما فيه مِن السنة، آمناً مِن التورُّط في وضر البدعة، مستعينين باللّه وهو خير معين. فما خالف فيه السنة قوله: إنَّ اللّه تعالى عالم بذاته، يريد لا يعلم. وهذا مما وسمت به المعتزلة في المقدمة من أنهم يجحدون صفات الكمال الإلهي، يبغون بذلك زعمهم التوحيد والتنزيه. ومعتقد أهل السنة أن اللّه تعالى عالِم بعلم قديم أزلي، متعلّق بكل معلوم واجب أو ممكن أو مستحيل ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين. وحسبك هذه الآية مصدقة لمعتقدهم في ثبوت صفة العلم له تعالى وفي عموم تعلقه بالكليات والجزئيات إلى ما وراءها من البراهين الكلامية على ذلك. ولسنا بصدد ذكرها في هذا الكتاب. ومما خالف فيه السنة: اعتقاده أن في الكائنات ما ليس مخلوقاً للّه تعالى؛ لأنه قبيح على زعمه كالمفهوم من الخداع في هذه الآية. وما جرّه إلى هاتين النزغتين إلا اعتقاده أنه لا يتم استحالة كونه تعالى مخدوعاً، إلا بأنه عالم بذاته حتى تعم عالميته كل كائن فلا يخدع؛ إذ نسبة الذات إلى الكائنات نسبة واحدة، ولا يتم استحالة كونه تعالى خادعاً إلا باستحالة صدور بعض الكائنات عنه لأنه قبيح على زعمهم. ولقد وقف هذا التنزيه على ما لا توقف عليه ولا شرط فيه: فنحن معاشر أهل السنّة نعتقد أن اللّه تعالى عالِم بعلم، ومع ذلك نعتقد استحالة كونه مخدوعاً؛ لأن علمه عندنا عام التعلق كما وصفنا. ونعتقد أنه لا يصدر كائن في الوجود إلا عن قدرته لا غير، ومع ذلك نمنع أن ينسب الخداع إلى اللّه تعالى لما يوهم ظاهره من أنه إنما يكون عن عجز عن المكافحة وإظهار المكتوم. هذا هو الموهوم منه في الإطلاق، ولكن حيث أطلقه تعالى مقابلاً لما ذكره مِن خداع المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم، علمنا أن المراد منه أنه فعل معهم فعلاً سمّاه خداعاً مقابلة ومشاكلة؛ وإلا فهو قادر على هتك سَترِهِم وإنزال العذاب بهم رأي العين فهذا مُعْتَقَد أهل السنّة في هذا الآية وأمثالها لا كالزمخشري وشيعته الذين يزعمون أنهم يوحدون فيجحدون، وينزهون فيشركون. واللّه الموفق للحق. وكذلك الخداع المنسوب إليهم على سبيل المجاز عن تعاطيهم أفعال المخادع على ظنهم وأصدق شاهد في أنه مجاز نفيه بعقب إثباته في قوله ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ففي هذه التتمة نفي احتمال الحقيقة حتى تتعين جهة المجاز. ومما عدّه البيانيون من أدلة المجاز صدق نفيه فتأمّل هذا الفصل فله على سائر الفصول الفضل.

لم يجز أن يَخْدَعُوا، ألا ترى إلى قوله: [من البسيط]

وَٱسْتَمْطَرُوا مِنْ قُرَيْشٍ كُلَّ مُنْخَدِعٍ[١] ....

وقول ذي الرمّة [من البسيط]:

.... إنَّ الحَلِيمَ وذَا الإِسْلَامِ يُخْتَلَبُ[٢]

فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع، قلت: فيه وجوه، أحدها: أن يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون، صورة صنع الخادعين، وصورة صنع الله معهم ـ حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم، وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار ـ صورة صنع الخادع، وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم، والثاني: أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه؛ لأن من كان ادعاؤه الإيمان بالله نفاقاً لم يكن عارفاً بالله ولا بصفاته، ولا أن لذاته تعلقاً بكل معلوم، ولا أنه غنى عن فعل

---

(١) واستمطروا من قُرَيْش كل منخدع ... إن الكريم إذا خادعته انخدعا

كانت العرب إذا أصابها جدب فزعت إلى قُرَيْش ليستسقوا لهم، لأنهم ولاة البيت وحماة حرَمِه، كما فعل قوم عاد لما قحطوا. وكذلك استسقى عمر بالعباس عم النبي صلّى اللّه عليه وسلّم. واستسقى أبو سفيان النبي صلّى اللّه عليه وسلّم فأجابه واستسقى له مع ما كان بينهما من العداوة. يقول: طلب القوم من كل منخدع من قُرَيْش المطر: أي أن يطلب لهم المطر. وقال السيد: واستمطروا، أي استقوا وطلبوا، فأفاد أنه على صيغة الأمر. وفي الصحاح: أي سلوه أن يعطي كالمطر مثلاً، وهو يؤيِّد كلام السيد. ويجوز تشبيه كل منخدع من قُرَيْش بالسحاب على سبيل المكنية، فيطلب منه المطر. والمنخدع المغلوب لكرمه، وبينه قوله: إن الكريم. ويروى البيت هكذا

لا خير في الحب لا ترجى نوافله ... فاستمطروا من قُرَيْش كل منخدعٍ

ويروى «من فريق» بدل «قُرَيْش». وقوله: «لا ترجى ... إلخ» جملة حالية للحب. وفريق بعينه من الحجاز.

البيت للفرزدق، ينظر لسان العرب (مطر)، وديوان الأدب (٢/ ٤٣١)، وليس في ديوانه، ولأبي دهبل الجمحي في ديوانه ص ٥٨، وتاج العروس (مطر).

(٢) تزداد للعين إبهاجاً إذا سفرت ... وتخرج العين فيها حين تنتقب

تلك الفتاة التي علقتها عرضاً ... إن الحليم وذا الإسلام يختلب

لذي الرمة في محبوبته مي. وسفرت المرأة: كشفت عن وجهها. وروي: إسفاراً، بدل إبهاجاً. والمراد أن إبهاجها بسفرها لعيني يزداد إذا كشفت عن وجهها. وخرجت العين ـ كتعبت ـ حارت. وروي «منها» بدل «فيها» أي من أجلها. وتنتقب: أي تُرسل النقاب على وجهها. وعرضاً أي مِن غير قصد ولا شعور. وخلب ـ من باب قتل ـ: خدع أي هي الشابة التي اعترضني حبها حيث لا أشعر. ثم تسلى بأن العاقل المسلم كثيراً ما ينخدع.

ينظر ديوانه ص (٦) وفيه الكريم بدل الحليم.

القبائح؛ فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون الله في زعمه مخدوعاً ومصاباً بالمكروه من وجه خفي، وتجويز أن يدلس على عباده ويخدعهم، والثالث: أن يذكر الله تعالى ويراد الرسول ﷺ؛ لأنه خليفته في أرضه، والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده، كما يقال: قال الملك كذا ورسم كذا؛ وإنما القائل والراسم وزيره أو بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه، مصداقه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، والرابع: أن يكون من قولهم: أعجبني زيد وكرمه، فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله، وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص، ولما كان المؤمنون من الله بمكان، سلك بهم ذلك المسلك، ومثله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] وكذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾(١) [الأحزاب: ٥٧]، ونظيره في كلامهم: علمت زيداً فاضلاً، والغرض فيه ذكر إحاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه؛ لأنه كان معلوماً له قديماً؛ كأنه قيل: علمت فضل زيد؛ ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله، فإن قلت: هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح؟ قلت: وجهه أن يقال: عنى به «فعلت» إلا أنه أخرج في زنة: «فاعلت»؛ لأن الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة، والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي إليه، ويعضده قراءة من قرأ: ﴿يَخْدَعُونَ ٱللهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وهو أبو حيوة، و: ﴿يُخَادِعُونَ﴾: بيان ليقول، ويجوز أن يكون مستأنفاً كأنه قيل: ولم يدعون الإيمان كاذبين وما/١٧ب رفقهم في ذلك؟ فقيل: يخادعون، فإن قلت: عمّ كانوا يخادعون؟ قلت: كانوا يخادعونهم عن أغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم وإعفاؤهم عن المحاربة وعما كانوا يطرقون به من سواهم من الكفار، ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من إكرامهم والإحسان إليهم وإعطائهم الحظوظ من المغانم، ونحو ذلك من الفوائد، ومنها اطلاعهم ـ لاختلاطهم

---

(١) قال السمين الحلبي: وهذا منه غير مرض؛ لأنه إذا صح نسبة مخادعتهم إلى الله تعالى بالأوجه المتقدمة فلا ضرورة تدعوا إلى ادعاء زيادة اسم الله تعالى، وأما «أعجبني زيد وكرمه» فإن الإعجاب أسند إلى زيد بجملته، ثم عطف عليه بعض صفاته تمييزاً لهذه الصفة من بين سائر الصفات للشرف، فصار من حيث المعنى نظيراً لقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ وفَاعَلَ له معانٍ خمسةٌ: المشاركةُ المعنويةُ نحو: «ضاربَ زيدٌ عمراً» وموافقةُ المجرد نحو: «جاوَزْتُ زيداً» أي جُزْتُه، وموافقةُ أَفْعَل متعدياً نحو: «باعَدْتُ زيداً وأبعدته»، والإغناءُ عن أَفْعَل نحو: «وارَيْتُ الشيءَ»، وعن المجردِ نحو: سافَرْت وقاسَيْت وعاقَبْت، والآيةُ فيها فاعَلَ يحتمل المعنيين الأوَّلَيْن: أمّا المشاركةُ فالمخادعةُ منهم لله تعالى تقدَّم معناها، ومخادعةُ الله إياهم من حيث إنه أجرى عليهم أحكامَ المسلمين في الدنيا، ومخادعةُ المؤمنين لهم كونُهم امتَثلوا أمرَ الله تعالى فيهم، وأمَّا كونهُ بمعنى المجرد فيبيِّنه قراءةُ ابن مسعود وأبي حيوة: «يَخْدَعون» انتهى. الدر المصون.

بهم ـ على الأسرار التي كانوا حراصاً على إذاعتها إلى منابذيهم، فإن قلت: فلو أظهر عليهم حتى لا يصلوا إلى هذه الأغراض بخداعهم عنها؟ قلت: لم يظهر عليهم لما أحاط به علماً من المصالح التي لو أظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء إبليس وذرّيته ومتاركتهم، وما هم عليه من إغواء المنافقين وتلقينهم النفاق أشدّ من ذلك، ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة، فإن قلت: ما المراد بقوله: «وما يخادعون إلا أنفسهم»؟ قلت: يجوز أن يراد: وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم؛ لأن ضررها يلحقهم، ومكرها يحيق بهم، كما تقول: فلان يضارّ فلاناً وما يضارّ إلا نفسه، أي: دائرة الضرار راجعة إليه وغير متخطية إياه، وأن يراد حقيقة المخادعة أي: وهم في ذلك يخدعون أنفسهم حيث يمنونها الأباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به، وأنفسهم كذلك تمنيهم وتحدّثهم بالأماني وأن يراد: وما يخدعون، فجيء به على لفظ: «يفاعلون» للمبالغة، وقرىء: «وما يخدعون»، ويخدعون من خدع، ويخدعون ـ بفتح الياء ـ بمعنى يخدعون، ويُخدعون، ويُخادَعون على لفظ ما لم يسم فاعله، والنفس: ذات الشيء وحقيقته، يقال: عندي كذا نفساً، ثم قيل للقلب: نفس؛ لأن النفس به؛ ألا ترى إلى قولهم: المرء بأصغريه، وكذلك بمعنى الروح، وللدم نفس؛ لأن قوامها بالدم، وللماء نفس؛ لفرط حاجتها إليه، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين أصيبت نفسه، كقولهم: فلان يؤامر نفسيه ـ إذا تردّد في الأمر اتجه له رأيان وداعيان لا يدري على أيهما يعرج، كأنهم أرادوا داعي النفس، وهاجس النفس فسموهما: نفسين، إما لصدورهما عن النفس، وإما لأن الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له، شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين، والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم، والمعنى بمخادعتهم ذواتهم: أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم ولا يتخطاهم إلى من سواهم، ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم.

والشعور علم الشيء علم حس[١] من الشعار، ومشاعر الإنسان: حواسه، والمعنى: أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس، وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حسّ له.

واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازاً، فالحقيقة أن يراد الألم كما تقول: في جوفه مرض، والمجاز/١٨أ أن يستعار لبعض أعراض القلب، كسوء الاعتقاد، والغل، والحسد، والميل إلى المعاصي، والعزم عليها، واستشعار الهوى،

(١) قال محمود رحمه الله تعالى: «والشعور علم الشيء علم حس... إلخ». قال أحمد رحمه الله: إيضاح هذا الكلام على تفسير الشعور كما قال بأنه علم الشيء من ناحية الحس إلخ: أنه لما كانت مفسدة النفاق عائدة على المنافق عوداً بيناً جلياً محسوساً. نعى عليهم جهلهم بالمحسوس فنفى شعورهم به ولا كذلك معرفة الحق وتميزه عن الباطل فإنه أمر عقلي نظري.

والجبن، والضعف، وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض، كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك، والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر، أو من الغل والحسد والبغضاء؛ لأن صدورهم كانت تغلى على رسول الله ﷺ والمؤمنين غلا وحنقاً ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله تعالى في قوله: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] ويتحرقون عليهم حسداً ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠] وناهيك مما كان[1] من ابن أبيّ وقول سعد بن عبادة لرسول الله ﷺ: «اعف عنه يا رسول الله واصفح، فوالله، لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يعصبوه بالعصابة، فلما ردّ الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك» (٢١)، أو يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور، لأن قلوبهم كانت قوية، إما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به: أن ريح الإسلام تهب حيناً ثم تسكن ولواءه يخفق أياماً ثم يقرّ، فضعفت حين ملكها اليأس عند إنزال الله على رسوله النصر وإظهار دين الحق على الدين كله، وإما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبناً وخوراً[2] حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة، قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» (٢٢)، ومعنى زيادة الله

---

٢١ ـ أخرجه البخاري (١٢/ ٢٣٥): كتاب الأدب: باب كنية المشرك، (٦٢٠٧)، وأخرجه أيضاً في (٥/ ١٥٣) كتاب الجهاد: باب الردف على الحمار (٢٩٨٧) مختصراً وأيضاً في (١١/ ٥٩٧) كتاب اللباس: باب الارتداف على الدابة، حديث (٥٩٦٤) مختصراً.
ومسلم (٦/ ٣٩٨) كتاب الجهاد والسير: باب في دعاء النبي ـ ﷺ ـ وصبره، حديث (١٧٩٨) والترمذي (٥/ ٦١): كتاب الاستئذان: باب ما جاء في: السلام على مجلس فيه المسلمون وغيرهم، حديث (٢٧٠٢) والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٥٦): كتاب الطب: باب عيادة المريض راكباً مردفاً على الدابة، حديث (٧٥٠٢) وأحمد (٥/ ٢٠٣) وعبد الرزاق (٥/ ٤٩٠) حديث (٩٧٨٤).
كلهم من طريق، ابن شهاب الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد به.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
متفق عليه من رواية عروة عن أسامة بن زيد، أن رسول الله ـ ﷺ ـ ركب على حمار على قطيفة فركبه، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة. فذكره مطولاً. انتهى.

٢٢ ـ أخرجه البخاري (١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) كتاب التيمم حديث (٣٣٥)، ومسلم (١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١) كتاب المساجد حديث (٣/ ٥٢١).
من حديث جابر وله شواهد سيأتي تخريجها في موضعها.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
متفق عليه من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

---

(١) قوله: «وناهيك مما كان» لعله: بما كان. (ع)
(٢) قوله: «جبناً وخوراً» الخور بالتحريك: الضعف كما في الصحاح. (ع)

إياهم مرضاً أنه كلما أنزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفراً إلى كفرهم، فكأن الله هو الذي زادهم ما ازدادوه إسناداً للفعل إلى المسبب له، كما أسنده إلى السورة في قوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥] لكونها سبباً، أو كلما زاد رسوله نصرة وتبسطاً في البلاد ونقصاً من أطراف الأرض ازدادوا حسداً وغلا وبغضاً، وازدادت قلوبهم ضعفاً وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبناً وخوراً، ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع، وقرأ أبو عمرو في رواية الأصمعي: مرْض، ومرْضاً، بسكون الراء:

يقال: أَلِمَ فهو ﴿أَلِيمٌ﴾ كَوَجِع فهو وَجِيع؛ ووصف العَذَابُ به، نَحْو قوله: [من الوافر]

.... تَحِيَّةُ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[1]

وهذا على طريقة قولهم: جدّ جدّه، والألم في الحقيقة للمؤلم كما أنّ الجدّ للجادّ.

والمراد بكذبهم قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾، وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته، وتخييل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم، ونحوه قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ [نوح: ٢٥]، والقوم كفرة؛ وإنما خصت الخطيئات استعظاماً لها وتنفيراً عن ارتكابها، والكذب: الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله،

---

(١) أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع
وسوق كتيبة دلفت لأخرى ... كأن زهاءها رأس صليع
وخيل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجيع

لعمرو بن معد يكرب صاحب ريحانة أخت دُريد بن الصمة، التمس منه زواجها فأجابه ومطله، وقيل: ريحانة اسم موضع بعينه. والسميع: المسمع على اسم المفعول، أو المسموع. أو المسمع على اسم الفاعل، أو السامع وأصل فعيل أن يكون بمعنى فاعل كعليم. وكذا ما جاء بمعنى مفعول كجريح وقتيل. وندر من الرباعي بمعنى مفعل اسم فاعل كوجيع، وبمعنى مفعل اسم مفعول كسميع بمعنى مسمع اسم مفعول. وكثُر سماعاً بمعنى مفاعل كجليس وشريك. وسميع: مبتدأ، خبره يؤرقني أي هل داعي الشوق من ريحانة يسهرني والحال أنّ أصحابي نيام؟ والاستفهام للتعجب «وسوق كتيبة» عطف على الداعي أو على ضمير يؤرقني. والكتيبة: الجماعة المنضمة المنتظمة. ودلف دلفاً من باب تعب مشى بتؤدة. وقيل تقدم وأسرع. كأن زهاءها: أي مقدارها. والصليع: الذي لا شعر فيه، ولعله شبهها بذلك الرأس في التجرُّد والانكشاف والظهور والتمام كما يقال: جيش أقرع، وألف أقرع: أي تام مجازاً. وخيل: أي وأصحاب خيل قد تقدمت لها بمثلها. والتحية: الدعاء بالحياة، فأخبر عنها بالضرب الوجيع على سبيل التهكم. وضمير «بينهم» للخيل بمعنى الجيش. وانتقل من ذِكر ريحانة إلى ذِكر الحرب لأنه كان أغار على دُريد في طلبها.
ينظر شواهد الكتاب ٢/ ٣٢٣، والنوادر ١٥٠، وابن يعيش ٢/ ٨٠، الخزانة ٤/ ٥٣، والدر المصون ١/ ٣٢٩، فتح القدير ١/ ٢٧٨.

وأمّا ما يروى عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: «أَنَّهُ كَذَبَ/١٨ب ثَلاثَ كَذَبَاتٍ» (٢٣)، فالمراد التعريض، ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمى به، وعن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وروى مرفوعاً: «إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمان» (٢٤) وقرىء: «يكذبون»، من كذبه

---

٢٣ ـ أخرجه البخاري (١٠/١٥٨): كتاب النكاح: باب اتخاذ السراري ومن أعتق جارية ثم تزوجها، حديث برقم (٥٠٨٤) وأيضاً في (٧/٣٦) كتاب أحاديث الأنبياء: باب قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ وحديث (٣٣٥٧ ـ ٣٣٥٨)، ومسلم في صحيحه (٨/ ١٣٤): كتاب الفضائل: باب من فضائل إبراهيم الخليل (٢٣٧١).

وأبو داود، (٢/ ٢٦٤): كتاب الطلاق: باب في الرجل يقول لامرأته: يا أختي، حديث (٢٢١٢)، والترمذي (٥/ ٣٢١): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، حديث (٣١٦٦) والنسائي في السنن الكبرى (٥/٩٨) كتاب المناقب باب سارة ـ رضي الله عنها ـ حديث (٨٣٧٤ ـ ٨٣٧٥)، وأحمد (٢/٤٠٣)، والبيهقي في سننه الكبرى (٧/٣٦٦)، كتاب «الخلع والطلاق»: باب الرجل يقول لامرأته: يا أختي يريد الأخوة في الإسلام.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف».

متفق عليه واللفظ للبخاري من رواية ابن سيرين، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ رفعه: «لم يكذب إبراهيم إلاَّ ثلاث كذبات: اثنتين منهن في ذات الله عز وجل. . . ـ الحديث. وأخرجه الترمذي في تفسير الأنبياء، من طريق أبي الزناد عن الأعرج عنه. انتهى.

٢٤ ـ روي هذا الحديث مرفوعاً وموقوفاً:

أما المرفوع، فقد عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/٤٦) إلى بن عديّ في الكامل.

أما الموقوف فقد أخرجه أحمد (١/٥) وأبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (٥/٢٣٦) كتاب الأدب باب ما جاء في الكذب، حديث برقم (٢٥٦٠٢)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٠/١٩٦) كتاب الشهادات: باب من كان منكشف كذبه مظهره لا يستتر به لا تجوز شهادته، وابن المبارك في الزهد (ص٢٥٥) باب من كذب في حديث ليضحك به القوم، حديث (٧٣٦). وقال الدارقطني في كِتابه العلل (١/٢٥٨) حديث (٥٠)، رواه عن قيس إسماعيل بن أبي خالد، وبيان بن بشر، وأبو إسحاق السبيعي، ومجالد بن سعيد، وكلهم وقفه ولم يرفعه إلاَّ إسماعيل، فإنه اختلف عنه فيه، فرفعه عنه يحيىٰ بن عبد الملك بن أبي غنية، وجعفر بن زياد الأحمر وعمرو بن ثابت بن أبي المقدام، ووقفه غيرهم عن إسماعيل، والصحيح منه قول من وقفه، وروي عن أبي أسامة، وعن يزيد بن هارون عن إسماعيل بن أبي خالد مرفوعاً. ولا يثبت رفعه عنهما.

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:

روي مرفوعاً وموقوفاً على أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أما المرفوع: فأخرجه ابن عديّ من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عنه. قال الدارقطني في العلل: رفعه يحيىٰ بن عبد الملك وجعفر الأحمر، وعمر بن ثابت عن إسماعيل. ووقفه غيرهم وهو أصح. ويروى عن أبي أسامة ويزيد بن هارون عنه أيضاً مرفوعاً. ولا يثبت عنهما ا.هـ. وأما الموقوف: فأخرجه أحمد وابن أبي شيبة في الأدب كلاهما عن وكيع عن إسماعيل وابن المبارك في الزهد عن إسماعيل كذلك. ولم يجد الطيبي المرفوع فأخرج بدله عن صفوان بن سليم. قيل: يا رسول الله: المؤمن يكون جباناً؟ قال نعم، يكون بخيلاً؟ قال: نعم. يكون كذّاباً قال: لا. أخرجه مالك وهو مرسل. انتهى.

الذي هو نقيض صدقه؛ أو من كذّب الذي هو مبالغة في كذب، كما بولغ في صدق فقيل: صدّق، ونظيرهما: بان الشيء وبيّن، وقلص الثوب وقلّص. أو بمعنى الكثرة كقولهم: موّتت البهائم، وبركت الإبل، أو من قولهم: كذب الوحشي إذا جرى شوطاً ثم وقف لينظر ما وراءه؛ لأن المنافق متوقف متردّد في أمره، ولذلك قيل له: مذبذب، وقال ـ عليه السلام ـ: «مَثَلُ المُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ العَائِرَةِ بَيْنَ الغَنَمَيْنَ، تَعِيرُ إِلىٰ هَذِهِ مَرَّةً وإِلىٰ هَذِهِ مَرَّةً» (٢٥).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦)﴾

«وإذا قيل لهم» معطوف على (يكذبون)، ويجوز أن يعطف على (يقول آمنا)؛ لأنك لو قلت: ومن الناس من إذا قيل لهم لا تفسدوا، كان صحيحاً، والأوّل أوجه.

والفساد: خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعاً به، ونقيضه؛ الصلاح، وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة، والفساد في الأرض: هيج الحروب والفتن، لأن في ذلك فساد ما في الأرض، وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، ومنه قيل لحرب كانت بين طيء: حرب الفساد، وكان فساد المنافقين في الأرض، أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم، وذلك مما يؤدّي

---

٢٥ ـ أخرجه مسلم (٤/٢١٤٦) كتاب صفات المنافقين: باب (٥٠) حديث (١٧/ ٢٧٨٤)، والنسائي (٨/ ١٢٤) كتاب الإيمان: باب مثل المنافق حديث (٥٠٣٧)، وأحمد (٢/ ٣٢)، والخطيب في «تاريخه» (١٤/ ٢٦٨)؛ من حديث عبد الله بن عمر.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»:
أخرجه مسلم من رواية موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: قوله تعير بمهملة؛ أي: تتردد. انتهى.

إلى هيج الفتن بينهم، فلما كان ذلك من صنيعهم مؤدياً إلى الفساد قيل لهم: ﴿لَا تُفۡسِدُواْ﴾، كما تقول للرجل: لا تقتل نفسك بيدك، ولا تلق نفسك في النار، إذا أقدم على ما هذه عاقبته، و﴿إِنَّمَا﴾: لقصر الحكم على شيء، كقولك: إنما ينطق زيد، أو لقصر الشيء على حكم كقولك: إنما زيد كاتب، ومعنى ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾: أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد، و﴿أَلَآ﴾: مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي، لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً كقوله: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾ [القيامة: ٤٠]، ولكونها في هذا المنصب من التحقيق، لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدّرة بنحو ما يتلقى به القسم، وأختها التي هي «أما»: من مقدّمات اليمين وطلائعها: [من الطويل]

أَمَـا والَّـذِي لا يَـعْـلَـمُ الـغَـيْـبَ غـيْـرُهُ .... (١)

[من الطويل]

أَمَا والَّذِي أَبْكَى وأَضحَكَ .... (٢)

---

(١) أمـا والـذي لا يـعـلـم الـغـيـب غـيـره ... ويحيي العِظام البيض وهي رميم
لقد كنت أختار القرى طاوي الحشا ... مـحـاذرة مـن أنْ يـقـال لـئـيـم
وإني لأستحيي يميني وبينها ... وبين فمي داجي الظلام بهيم
لحاتم الطائي. وأصل «أما» مركبة من همزة الاستفهام وما النافية. فصارت حرفاً لاستفتاح القسم وتوكيد الكلام وأقسم بالذي يعلم الغيب والضمائر وهو اللّه تعالى، لأن جواب القسم من هذا القبيل. وذكر البيض دفعاً لتوهُّم أنها المكسية باللحم أو كناية عن طول مدتها عارية عنه، فيشتد بياضها لجفاف دمها وهي رميم بالية. واستواء المذكر والمؤنث في فعيل بمعنى فاعل كما هنا قليل، والكثير في الذي بمعنى مفعول. لقد كنت أختار القرى: أي جمع الضيفان وإكرامهم. ويجوز أن يروى: أجتاز القرى بالجيم والزاي وضم القاف: يصف نفسه بالعفة. ويروى: أختار الجوى بمعنى حرقة القلب من الجوع ونحوه حال كوني عفوفاً. وعلى الأولى فالمعنى: حال كوني جائعاً، فطي الحشا أي المعدة والأمعاء كناية عن ذلك، وكثُر استعمال الطي في هذا المعنى، حتى قيل منه: طوى يطوي كرضي يرضى بمعنى جاع، فهو طيان كجوعان وزنا ومعنى. محاذرة: أي حذراً من قول الناس إنه لئيم لا كريم. وكان يستحي أن يمد يده للطعام إلى فمه، مع أن الليل شديد الظلمة حائل بينهما فيمنعه أن يراها. والبهيم: الذي انبهمت فيه الأشياء لظلمته.
ينظر ديوانه ص ١٧٥، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص (١٧١٥)، شرح شواهد المغني (١/ ٢٠٧)، لسان العرب (رمم)، وبلا نسبة في جواهر الأدب ص ٣٣٨، مغني اللبيب (١/ ٦٨):

(٢) أمـا والـذي أبـكـى وأضـحـك والـذي ... أمـات وأحـيـا والـذي أمـره الأمـر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى ... أليفين منها لا يروعهما الذعر
لأبي صخر عبداللّه بن سلمي الهذلي. و «أما» استفتاحية ومقدمة وطليعة لليمين. والواو بعدها للقسم، أي: وحق الذي أبكى وأضحك حقيقة، أو الذي سر وضر كناية، وهو أنسب بالمقام.

ردّ الله ما ادّعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ ردّ وأدله على سخط عظيم، والمبالغة فيه من جهة الاستئناف، وما في كلتا الكلمتين ألا، وإن من التأكيدين، وتعريف الخبر وتوسيط الفصل، وقوله: ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾[1] أتوهم في النصيحة من وجهين: أحدهما:

والذي أمره: أي مقدره هو المقدر النافذ، أو الذي أمره إذا أراد شيئاً الأمر: أي قوله كن. ويروى «أمر» بلا لام: أي أمر حق عظيم. لقد تركتني جواب القسم: أي صيرتني أحسد الوحش على رؤيتي متآلفين منها، أي الوحش: لأنه في معنى الجماعة. لا يروعهما أي لا يخيفهما، لأن الخوف يحل بالروع - بالضم - وهو القلب. وذُعِر ذُعراً، كتعب: خاف خوفاً. وذعرته ذعراً كضربته ضرباً أخفته. أي لا تخيفهما الإخافة. ويجوز أن يُراد بالذعر: الأمر المخيف. ويروى: لا يروعهما النفر: أي لا ينفر أحدهما من الآخر فيروعه بذلك.

ينظر الأغاني ٢٣/ ٢٨١، والدرر ٥/ ١١٨، وشرح أشعار الهذليين ص ٢/٩٥٧، وشرح شواهد المغني ١/ ٦٩، ٢١٠، والشعر والشعراء ٢/٥٦٧، ولسان العرب (رمث)، وبلا نسبة في تخليص الشواهد ص ١٧٠، وجواهر الأدب ص ٣٣٦، ٣٣٨، ورصف المباني ص ٩٧، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٧٣٠، وشرح المفصل ٨/ ١١٤، ومغني اللبيب ١/ ٥٤، وهمع الهوامع ٢/ ٧٠.

(١) في قوله - تعالى - «قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون» إذا نظرت إلى هاتين الجملتين فإنك ترى فصلاً بين جملة «إنما نحن مصلحون»، وما بعدها ذلك أن القائل مختلف، فلم تدخل الثانية في عداد الأولى، ولهذا وجب الفصل، وهذا الحكم يرد أيضاً - عند قوله - تعالى - ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ الله يستهزىء بهم﴾ يقول القزويني في هذا:
«فإن كان للأولى حكم ولم يقصد إعطاؤه للثانية تعين الفصل» ثم أورد الآية التي معنا معلقاً «لم يعطف - الله يستهزىء بهم - على - قالوا - لئلا يشاركه في الاختصاص بالظرف المقدم، وهو قوله - وإذا خلوا إلى شياطينهم - فإن استهزاء الله - تعالى - بهم وهو أن خذلهم فخلاهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجاً إياهم من حيث لا يشعرون متصل لا ينقطع بكل حال: خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم، وكذلك في الآيتين الأخيرتين فإنهم مفسدون في جميع الأحيان - قيل لهم لا تفسدوا أولاً، وسفهاء في جميع الأوقات قيل لهم آمنوا أولاً والآيتان اللتان أراد صاحب الإيضاح ينظر الإيضاح خفاجي ٣/ ١٢، وينظر أيضاً في المطول ٢٤٨ لهما هذا الحكم هما قوله - تعالى - وما بعدها، والمفتاح ١١٩ وما بعدها».
«وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» وقوله - تعالى -:
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ وهاتان الآيتان في معرض الحديث عن المنافقين الوارد من أول قوله - تعالى - «ومن النّاسِ...».
والحديث عن الفصل بين الجمل والوصل باب واسع جعله البلاغيون باب البلاغة الذي يصل إلى ذروته كل بليغ فهم لبنات النظم أولاً حتى وصل إلى الجمل التي تنتظم المقاصد، وعندئذ يقف بين الجمل فاصلاً أو واصلاً بحسب المقاصد التي من أجلها جاء الكلام في المقام.
ولهذا قال بعضهم: «البلاغة: الفصل والوصل» ينظر الإيضاح ٣/ ١٢، والمفتاح ١١٩، والمطول ٢٤٨.

تقبيح ما كانوا عليه؛ لبعده من الصواب، وجرّه إلى الفساد والفتنة، والثاني: تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوي الأحلام، ودخولهم في/ ١٩أ عدادهم؛ فكان من جوابهم أن سفهوهم لفرط سفههم، وجهلوهم لتمادي جهلهم، وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة. فإن قلت: كيف صح أن يسند «قيل»: إلى «لا تفسدوا، وآمنوا» وإسناد الفعل إلى الفعل مما لا يصح؟ قلت: الذي لا يصح هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل، وهذا إسناد له إلى لفظه، كأنه قيل: وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام، فهو نحو قولك: «ألف» ضرب من ثلاثة أحرف، ومنه: «زَعَمُوا مَطِيَّةُ الْكَذِبِ»(٢٦).

و«ما» في «كما»: يجوز أن تكون كافة مثلها في (ربما)، ومصدرية مثلها في ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ٢٥].

واللام في «الناس» للعهد، أي كما آمن رسول الله ﷺ ومن معه. أو هم ناس معهودون كعبد الله بن سلام وأشياعه؛ لأنهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم، أي: كما آمن أصحابكم وإخوانكم، أو للجنس أي: كما آمن الكاملون في الإنسانية، أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة، ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل.

والاستفهام في ﴿أَنُؤْمِنُ﴾: في معنى الإنكار، واللام في ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾: مشار بها إلى الناس، كما تقول لصاحبك: إن زيداً قد سعى بك، فيقول: أو قد فعل السفيه، ويجوز أن تكون للجنس، وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم؛ لأنهم عندهم أعرق الناس في السفه، فإن قلت: لم سفهوهم واسترقوا عقولهم، وهم العقلاء المراجيح؟ قلت: لأنهم لجهلهم وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم، اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل، ومن ركب متن الباطل كان سفيهاً؛ ولأنهم كانوا في رياسة وسطة في

---

٢٦ ـ قال الزيلعي: ذكر المصنف في التغابن، حديثاً مرفوعاً عن النبي ـ ﷺ ـ ولم أجده بهذا اللفظ، والذي وجدته: «بئس مطية الرجل» زعموا. ا.هـ. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٢٢٦)، باب ما يقول الرجل إذ ذكّى، حديث (٧٧٠) وأبو داود في سننه (٤/ ٢٩٤٠) كتاب الأدب: باب قول الرجل زعموا، حديث (٤٩٧٢)، وأخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٠١)، وابن المبارك في الزهد (ص١٢٧) حديث (٣٧٧)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٦٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ٤٠٦) حديث (٣٢٨٥)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٣٣٤).
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»:
أخرجه ابن سعد في الطبقات من رواية الأعمش عن شريح قال: زعموا كنية الكذب، وقد ذكره المصنف مرفوعاً في سورة التغابن، ولم أجده بهذا اللفظ. والذي في الأدب المفرد للبخاري من حديث أبي مسعود الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «بئس مطيّة الرجل زعموا»، وكذا أخرجه أحمد، وإسحاق، وأبو يعلىٰ، وهو من رواية أبي قلابة عنه، وفي رواية البخاري بين أبي قلابة وبين أبي مسعودٍ: أبو المهلب. انتهى.

قومهم ويسار، وكان أكثر المؤمنين فقراء، ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب، فدعوهم سفهاء؛ تحقيراً لشأنهم، أو أرادوا عبد الله بن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من إسلامهم وفت في أعضادهم، قالوا ذلك على سبيل التجلد توقياً من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل، والسفه سخافة العقل وخفة الحلم، فإن قلت: فلم فصلت هذه الآية بـ ﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾، والتي قبلها بـ: ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾؟ قلت: لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحقّ وهم على الباطل، يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة، وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدّي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دينويّ مبني على العادات، معلوم عند الناس، خصوصاً عند العرب في جاهليتهم، وما كان قائماً بينهم من التغاور، والتناحر، والتحارب، والتحازب، فهو كالمحسوس المشاهد؛ ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقاً له. مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له أوّل قصة المنافقين فليس بتكرير؛ لأن تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم، وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين، وإيهامهم أنهم معهم، فإذا فارقوهم إلى شطار دينهم صدقوهم/١٩ب ما في قلوبهم، وروى: «أن عبد الله بن أبيّ وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال عبد الله: انظروا كيف أردّ هؤلاء السفهاء عنكم، فأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحباً بالصدّيق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار، الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيد بني عديّ الفاروق القويّ في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد عليّ فقال: مرحباً بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله. ثم افترقوا فقال لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فأثنوا عليه خيراً، فنزلت» (٢٧).

ويقال: لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريباً منه، وهو جاري ملاقيّ ومراوقي، وقرأ أبو حنيفة: وإذا لاقوا.

وخلوت بفلان وإليه، إذا انفردت معه، ويجوز أن يكون من «خلا» بمعنى: مضى،

---

٢٧ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٩).
وعزاه للواحدي والثعلبي، عن ابن عباس.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه الواحدي في الأسباب من رواية السدي الصغير محمد بن مروان، عن أبي صالح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه؛ وذلك أنهم خرجوا ذات يوم» . . . فذكره، وفي آخره: «فرجعوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فأخبروه فنزلت»، ومحمد بن مروان متروك متهم بوضع الحديث، وسياقه في غاية النكارة. انتهى.

وخلاك ذمّ: أي عداك ومضى عنك، ومنه: القرون الخالية، ومن «خلوت به»: إذا سخرت منه، وهو من قولك: خلا فلان بعرض فلان يعبث به، ومعناه: وإذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدّثوهم بها، كما تقول: أحمد إليك فلاناً، وأذمّه إليك، وشياطينهم: الذين ماثلوا الشياطين في تمرّدهم، وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية، وفي آخر زائدة، والدليل على أصالتها قولهم: تشيطن، واشتقاقه من «شطن» إذا بعد؛ لبعده من الصلاح والخير، ومن «شاط» إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة، ومن أسمائه الباطل. ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم، فإن قلت: لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية، وشياطينهم بالاسمية محققة بأن[1]؟ قلت: ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأوكدهما، لأنهم في ادّعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم، لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم، وذلك إما لأنّ أنفسهم لا تساعدهم عليه، إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرّك، وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد، وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة، وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل، ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين: ﴿ربنا إننا آمنا﴾ [آل عمران: ١٦]، وأما مخاطبة إخوانهم، فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية، والقرار على اعتقاد الكفر، والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة، ووفور نشاط، وارتياح للتكلم به، وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم، فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد، فإن قلت: أنى تعلق قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾؟ قلت: هو توكيد له، لأن قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾/ ٢٠أ معناه الثبات على اليهودية، وقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ ردّ للإسلام ودفع له منهم، لأن المستهزىء بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتداً به، ودفع نقيض الشيء، تأكيد لثباته أو بدل منه؛ لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر، أو استئناف، كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، فقالوا: فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا: إنما نحن مستهزءون، والاستهزاء: السخرية والاستخفاف، وأصل الباب الخفة ـ من الهزء وهو القتل السريع ـ وهزأ يهزأ: مات على المكان، عن بعض العرب: مشيت فلغبت فظننت لأهزأنّ

---

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت: لمَ كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية... إلخ؟» قال أحمد رحمه الله: وبنى هذا التقرير على أن الجملة الاسمية أثبت من الفعلية خصوصاً مؤكدة بأن مردفة بإنما على أنه قد حكى إيمان المؤمنين المخلصين بالجملة الفعلية أيضاً في قوله ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾. وعلى الجملة فلقد أحسن الزمخشري رحمه الله في تقريره ما شاء وأجمل ما أراد.

على مكاني، وناقته تهزأ به: أي تسرع وتخف. فإن قلت: لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى، لأنه متعال عن القبيح، والسخرية من باب العيب والجهل؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، فما معنى استهزائه بهم؟ قلت: معناه إنزال الهوان والحقارة بهم، لأنّ المستهزىء غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به، وإدخال الهوان والحقارة عليه، والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك، وقد كثر التهكم في كلام الله تعالى بالكفرة، والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم، والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون، ويجوز أن يراد به ما مر في: ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ من أنه يجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر، وهو مبطن بادخار ما يراد بهم، وقيل: سمي جزاء الاستهزاء باسمه؛ كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٩٤]. فإن قلت: كيف ابتدىء قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ ولم يعطف على الكلام قبله[(١)]، قلت: هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة، وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزىء بهم الاستهزاء الأبلغ، الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته، لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل، وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم؛ انتقاماً للمؤمنين، ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله، فإن قلت: فهلا قيل الله مستهزىء بهم ليكون طبقاً لقوله: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾[(٢)]؟ قلت: لأن: ﴿يَسۡتَهۡزِئُ﴾ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتاً بعد وقت، وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ﴾ [التوبة: ١٢٦]، وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار، ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [التوبة: ٦٤]. ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ من مدّ الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره، وكذلك مدّ/ ٢٠ب الداوة وأمدها: زادها ما يصلحها، ومددت السرج والأرض: إذا استصلحتهما بالزيت والسماد، ومده الشيطان

---

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت: كيف ابتدىء قوله: الله يستهزىء بهم ولم يجعله معطوفاً... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: فإن قال قائل: أفلا يُستفاد هذا المعنى من العطف؟ قيل له: لو عطف لأشعر بأن الغرض كل الغرض اجتماع مضمون الجملتين وإعراض عن هذا المعنى الذي ينفرد به الاستئناف.

(٢) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت: فهلا قيل الله مستهزىء بهم... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: ولهذا الفرق بين الفعل والاسم ورد قوله تعالى ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ﴾ لما كان التسبيح من الطوائد متكرراً متجدداً شيئاً فشيئاً وحشر الطير معه أمر دائم، ذكر التسبيح بصيغة الفعل، والحشر بصيغة الاسم. وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيد تقرير فيه.

في الغي وأمده: إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكاً فيه. فإن قلت: لم زعمت أنه من المدد دون المد في العمر والإملاء والإمهال؟ قلت: كفاك دليلاً على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن: (ويمدّهم)، وقراءة نافع: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يُمِدُّونَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٠٢] على أن الذي بمعنى: أمهله إنما هو مدّ له مع اللام كأملى له، فإن قلت: فكيف جاز أن يوليهم الله مدداً في الطغيان وهو فعل الشياطين؟ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ﴾ (١)؟ [الأعراف: ٢٠٢] قلت: إما أن يحمل على أنهم لما منعهم الله ألطافه التي يمنحها المؤمنين، وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه، بقيت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة فيها، تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين، فسمى ذلك التزايد مدداً، وأسند إلى الله سبحانه؛ لأنه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم، وإما على منع القسر والإلجاء، وإما على أن يسند فعل الشيطان إلى الله؛ لأنه بتمكينه وإقداره والتخلية بينه وبين إغواء عباده، فإن قلت: فما حملهم على تفسير المدّ في الطغيان بالإمهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه؟ قلت: استجرّهم إلى ذلك خوف الإقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسندوا إلى الشياطين، ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته، وإلا كان منه بمنزلة الأروى من النعام، ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز، أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدّي سليماً من القادح، فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة، فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل، ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره: في ضلالتهم يتمادون، وأن هؤلاء من أهل الطبع، والطغيان: الغلو في الكفر، ومجاوزة الحدّ في العتوّ، وقرأ زيد بن علي ـ رضي الله عنه ـ: «فِي طِغْيَانِهِمْ» بالكسر وهما لغتان، كـ «لُقْيَان، ولِقْيَان، وَغُنْيَان وَغِنْيَان». فإن قلت: أي نكتة في إضافته إليهم (٢)؟ قلت: فيها أن

---

(١) قال محمود رحمه اللّه: «إن قلت: كيف جاز أن يوليهم اللّه مدداً من الطغيان... إلخ»؟ قال أحمد رحمه اللّه: ما يمنعه أن يقره على ظاهره ويبقيه في نصابه إلا أنه توحيد محض وحق صرف، والقدرية من التوحيد على مراحل.

(٢) قال محمود رحمه اللّه: «فإن قلت: ما النكتة في إضافة الطغيان إليهم... إلخ»؟ قال أحمد رحمه اللّه: كل فعل صدر من العبد اختياراً فله اعتباران: إن نظرت إلى وجوده وحدوثه وما هو عليه من وجوه التخصيص، فانسب ذلك إلى قدرة اللّه وحده وإرادته لا شريك له. وإن نظرت إلى تميزه عن القسر الضروري فأنسبه في هذه الجهة إلى العبد، وهي النسبة المعبَّر عنها شرعاً بالكسب في أمثال قوله تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، وهي المتحققة أيضاً إذا عرضت على ذهنك الحركتين الضرورية الرعشية مثلاً والاختيارية، فإنك تميز بينهما لا محالة بتلك النسبة. فإذا تقرر تعدُّد الاعتبار فمدهم في الطغيان مخلوق للّه تعالى فأضافه إليه. ومن حيث كونه واقعاً منهم على وجه الاختيار المعبَّر عنه بالكسب أضافه إليهم. ففرع على أصول السنة بحسْن ثمار فروعك في الجنة، لا كما تفرع القدرية فإنهم يخبون ولكن على أنفسهم. ألهمَنا اللّه التحقيق وأيّدَنا بالتوفيق.

الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم، وأن الله بريء منهم ردّاً لاعتقاد الكفرة القائلين: لو شاء الله ما أشركنا، ونفياً لوهم من عسى يتوهم[1] عند إسناد المدّ إلى ذاته لو لم يضف الطغيان إليهم؛ ليميط الشبه، ويقلعها، ويدفع في صدر من يلحد في صفاته؛ ومصداق ذلك أنه حين أسند المدّ إلى الشياطين، أطلق الغيّ ولم يقيده بالإضافة في قوله: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]، والعمه: مثل العمى، إلا أن العمى عامّ في البصر/ ٢١أ والرأي، والعمه في الرأي خاصة، وهو التحير والتردّد، لا يدري أين يتوجه، ومنه قوله: بالجاهلين العمه، أي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق، وسلك أرضاً عمهاء: لا منار بها[2].

ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى: اختيارها عليه واستبدالها به، على سبيل الاستعارة؛ لأنّ الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر[3]؛ ومنه: [من الرجز]

أَخَـذْتُ بـالـجُـمَّـةِ رَأْسـاً أَزْعَـرَا وَبـالـثَّـنَـايَـا الْـوَاضِـحَـاتِ الـدُّرْدَرَا
وبـالـطَّـوِيـلِ الـعُـمْـرِ عُـمْـراً حَـيْـدَرَا كَـمَـا اشْـتَـرَى الـمُـسْـلِـمُ إذ تَـنَـصَّـرَا[4]

وعن وهب: قال الله عز وجل فيما يعيب به بني إسرائيل: «تَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ العَمَلِ، وَتَبْتَاعُونَ الدُّنيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ»، فإن قلت: كيف اشتروا الضلالة بالهدى، وما كانوا على هدى؟ قلت: جعلوا لتمكنهم منه وإعراضه لهم[5] كأنه في

---

(١) قوله: «وَنفياً لوهم من عسى... إلخ» يريد الرد على أهل السنّة القائلين: إن اللّه تعالى هو الفاعل في الحقيقة للخير والشر. وينتصر للمعتزلة القائلين بأنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريده. (ع)

(٢) قوله «وسلَك أرضاً عمهاء» أي ومنه قولهم سلَك... إلخ. (ع)

(٣) قال محمود رحمه اللّه: «الشراء يستدعي بذل العوَض... إلخ». قال أحمد رحمه اللّه: ومِن هذا القبيل منع مالك رضيَ اللّه عنه أن يشتري إحدى أوزتين مذبوحتين يختارها المشتري منهما، لأنه يُعد مختاراً لكل واحدة منهما، ثم بائعاً بالأخرى فيدخله الربا، وهو الذي يعبر عنه متأخرو أصحابه بأن مَن ملك أن يملك هل يعد مالكاً أولاً؟ وربما قالوا: من خير بين شيئين عد منتقلاً على أحد القولين.

(٤) «الجمة»: كثيرة الشعر، والباء للبدل، و «زعر» كتعب فهو أزعر، أي قليل الشعر. ويقال للموضع الذي لا نبات فيه. والثنايا: مقدم الأسنان. والمراد الثغر كله. والدردر ـ بالفتح ـ مغارز الأسنان. والحيدر: القصير. واشترى: استبدل. والمراد أنه أخذ امرأة عجوزاً قبيحة بدل امرأة شابة جميلة، وروي أن جبلة بن الأيهم قدِم مكة فطاف بالكعبة، فوطىء رجل إزاره، فلطمه فشكى إلى عُمَر رضيَ اللّه عنه فحُكِم بالقصاص من جبلة، فاستمهله إلى الغد وهرب ليلاً إلى الروم، وتنصر بعد الإسلام، ثم ندم على ما فعل فضرب به المثل.
ينظر النوادر ص ١٥٢، معاني القرآن للفراء ١/ ٣٣، الطبري ١/ ٥٦٢، البحر ١/ ١٧٧، الدر المصون ١/ ٢٠٦.

(٥) قوله: «وإعراضه لهم» في الصحاح: اعترض لك الخير، إذا أمكنك. (ع)

أيديهم، فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به، ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة.

و«الضلالة»: الجور عن القصد وفقد الاهتداء، يقال: ضلّ منزله، وضل دريص نفقه[(١)]، فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين. والربح: الفضل على رأس المال، ولذلك سمي: الشف، من قولك: أشف بعض ولده على بعض، إذا فضله، ولهذا على هذا شف، والتجارة: صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشتري للربح، وناقة تاجرة: كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها، وقرأ ابن أبي عبلة: (تجاراتهم)، فإن قلت: كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها؟ قلت: هو من الإسناد المجازي[(٢)]، وهو أن يسند

---

(١) قوله «وضلّ دريص نفقه» في الصحاح: الدرص ولد الفأرة واليربوع وأشباه ذلك. وفي المثل «ضلّ دريص نفقه» أي جحره. (ع)

(٢) قوله ـ سبحانه ـ ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ هو من الإسناد المجازي وفي هذا البيان دليل على أن الإسناد في قوله ﴿رَبِحَت﴾ إلى «تجارتهم» فيه خروج على حقيقة الإسناد، والأصل: ربحوا في تجارتهم، وهذا مما يؤخذ من كلامه بدقة واتساع ولكن لماذا جعل هذا عقلياً؟

ذلك أن العقل هو الحكم في هذا الإسناد لا اللغة كما هو واضح في المجاز اللغوي، ولهذا حينما تكونت فكرته قالوا في تحديده:

«إسناد الفعل أو ما يقوم مقامه إلى غير فاعله الحقيقي لملابسة ـ علاقة ـ مع وجود قرينة صارفة ومانعة من الإسناد الحقيقي».

وقد يسمى بالمجاز الحكمي لأن العقل يحكمه، فإذا قلت «شفى الطبيب المريض» سارع العقل إلى فهم هذا الإسناد في «شفى» على المجاز لا الحقيقة، ولهذا يقال: إن الطبيب سبب في الشفاء فقط، والشافي في الحقيقة هو «الله» جل جلاله.

يقول الشيخ عبد القاهر في ذلك:

«ولا يغرنك أنك ترى الرجل يقول: أتى بي الشوق إلى لقائك وأشباه ذلك مما نجده لسعته وشهرته يجري مجرى الحقيقة التي لا يشكل أمرها، فليس هو كذلك أبداً، بل يرق ويلطف حتى يمتنع مثله إلا على الشاعر المفلق، والكاتب البليغ، وحتى يأتيك بالبدعة لم تصرفها، والنادرة تأنق لها».

ويحدد الشيخ عبد القاهر هذا المجاز مع أنه متقدم في زمانه على صاحب هذا التفسير فيقول:

«وحده أن كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في العقل لضرب من التأول فهي مجاز»

وبعد هذا نخرج إلى أسرار هذا النظم القرآني البديع في النقاط التالية:

١ ـ المبالغة في إثبات المعنى المقصود، والمقام في هذا المضمار في حاجة إليه بحيث لا يصلح سواه في هذا المقام كما ترى في الآية.

٢ ـ الإيجاز البليغ الذي هو سمة القرآن، وعلامة بلاغة البيان، فحينما نسمع: «ربحت تجارتهم» تنحدر إلينا المعاني في هذا الأسلوب لتعطينا صورة الخسران الكامل وتعود بهذا كله إلى صورة إيمانهم بالله ـ سبحانه ـ التي اتضحت تماماً لأولى النهي وأنهم خسروا خسراناً مبيناً وهذا ما عبرعنه المولى ـ جلت حكمته ـ بقوله ـ وما كانوا مهتدين ـ.

٣ ـ المجاز العقلي فن بليغ وجميل ينشط العقول، ويقرع القلوب، ولهذا ترى الأريب حينما يقف =

الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له، كما تلبست التجارة بالمشترين، فإن قلت: هل يصح: ربح عبدك وخسرت جاريتك، على الإسناد المجازي؟ قلت: نعم إذا دلت الحال؛ وكذلك الشرط في صحة: رأيت أسداً، وأنت تريد المقدام، إن لم تقم حال دالة لم يصح، فإن قلت: هب أنّ شراء الضلالة بالهدى وقع مجازاً في معنى الاستبدال، فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثمّ مبايعة على الحقيقة(١)؟ قلت: هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز، ثم تقفى بأشكال لها وأخوات، إذا تلاحقن لم تر كلاماً أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقاً، وهو المجاز المرشح؛ وذلك نحو قول العرب في البليد: كأن أذني قلبه خطلاً، وإن جعلوه كالحمار، ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة، فادعوا لقلبه أذنين، وادعوا لهما الخطل(٢)، ليمثلوا البلادة تمثيلاً يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة؛ ونحوه: [من الطويل]

وَلَـمَّـا رَأَيْـتُ الـنَّـسْـرَ عَـزَّ ابْـنَ دَأْيَـة ... وعَشَّشَ في وَكْرَيْهِ جَاشَ لهُ صَدْرِي(٣)

لما شبه الشيب بالنسر، والشعر الفاحم بالغراب، أتبعه ذكر التعشيش والوكر/ ٢١ب، ونحوه قول بعض فُتَّاكِهِمْ في أُمِّهِ: [من الوافر]

فَـمَـا أُمُّ الـرُّدَيْـنِ وَإِنْ أَدَلَّـتْ ... بِـعَـالِـمَـةٍ بِـأَخْـلَاقِ الْـكِـرَامِ

= عند هذا النظم القوي المتين تنساب إليه قوى خفية فيرى نفسه ينتفض خاشعاً أمام كلام العليم الخبير، وهذا ما نجده في كلام الله ورسوله، وفي بلاغة العرب النجباء. في كل زمان ومكان.

«ينظر المطول للسعد ٥٧، والإيضاح للقزويني بتحقيقه ١/ ٧٧ ودلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر ٢٨٧، ٢٢٨ بتحقيق خفاجي وبحوث المطابقة لعلي العبدري ١٩٦، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ٢١٤ وما بعدها، وخصائص التراكيب لأبي موسى ـ أيضاً ـ ٦٦، علم المعاني في تفسير فتح القدير للشوكاني د. فتحي حجازي ٢/ ٤٢٤ وشرح السعد بتحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ١/ ١٠٢.

(١) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت: هب أن شراء الضلالة بالهدى... إلخ». قال أحمد رحمه الله: وهذا النوع قريب من التتميم الذي يمثله أهل صناعة البديع بقول الخنساء [من البسيط]:

وإنَّ صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

لما شبهته في الاهتداء به بالعلم المرتفع، أتبعت ذلك ما يناسبه ويحققه، فلم تقنع بظهور الارتفاع حتى أضافت إلى ذلك ظهوراً آخر باشتعال النار في رأسه.

(٢) قوله «وادعوا لهما الخطل» أي الاسترخاء. (ع)

(٣) شبه الشيب بالنسر بجامع البياض، واستعاره له تصريحاً. وشبَّه الشباب بالغراب ـ وهو ابن دأية ـ بجامع السواد كذلك. وعزه يعزه عزاً، كنصره نصراً: إذا غلبه وقهره. والتعشيش في الوكرين ترشيح للاستعارتين، والمراد بهما الرأس واللحية. ويحتمل أن التركيب كله استعارة تمثيلية. يقول: لما رأيت الشيب غلب الشباب وحلَّ محله، تحرك لأجله قلبي واضطرب، فالصدر مجاز. ويروى: جاشت له نفسي.

إِذَا الشَّيْطَانُ قَصَّعَ فِي قَفَاهَا　　تَنَفَّقْنَاهُ بِالْحَبْلِ التُّوَامِ[1]

أي إذا دخل الشيطان في قفاها، استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم، يريد: إذا حردت[2] وأساءت الخلق، اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها، استعار التقصيع أوّلاً، ثم ضم إليه التنفق، ثم الحبل التوام؛ فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه؛ تمثيلاً لخسارهم وتصويراً لحقيقته، فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾؟ قلت: معناه أنّ الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان: سلامة رأس المال، والربح، وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معاً، لأن رأس مالهم كان هو الهدى، فلم يبق لهم مع الضلالة، وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة، لم يوصفوا بإصابة الربح، وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية؛ لأن الضال خاسر دامر، ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله: قد ربح، وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيهم ويخسر.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾

لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميماً للبيان، ولضرب

---

(١) دلّت المرأة وأدلّت: حسن تمنعها مع رضاها. ودلت وأدلت أيضاً: تغنجت وتشكلت. والاسم: الدل، والدالة، والدلال. وقيل: هو قريب من معنى الهدى. ومنه: كانوا ينظرون إلى هدى عمر ودله فيتشبهون به. ونفى علمها بأخلاق الكرام: كناية عن إساءتها الخلق. ويروى: بقائلة بأخلاق الكرام، أي بمكترثه ولا معتنية بها، أو ليست فاعلة لها والمآل واحد. وقصع اليربوع: اتخذ القاصعاء أو دخل فيها، وهي جحره الذي يدخل فيه. وتنفق: اتخذ النافقاء أو خرج منها، وهي الطرف الثاني من الجحر الذي يخرج منه، وتنفقه الصائد: استخرجه منها، فلجحره بابان إذا أتاه الصائد من الأول خرج من الثاني فاستعار التقصيع الذي هو فعل اليربوع لدخول الشيطان في قفاها، واستعار التنفق لإخراجه منه على طريق التصريحية والثانية ترشيح للأولى وبالعكس. والحبل: جمع حبال جمع حبل ككتب جمع كتاب: والتوام: الثني من الحبل، وجمعه: توائم، وتوام كغراب. أي بالحبل المثناة المفتولة، وهي على رواية الحبل بالإفراد، فيخرج على أن التوام ليس جمعاً بل اسم جمع يعامل معاملة المفرد، أي بالحبل القوي لأنه مجموع حبال مفتولة، وهذا ترشيح للتنفق وترشيح الترشيح ترشيح، فيكون ترشيحاً للتقصيع أيضاً، والحبال من ملائمات التنفق في نحو الاصطياد. ويجوز أن يشبه الشيطان باليربوع، فإذا أردنا اصطياده من جهة هرب من جهة أخرى حتى نصطاده بأقوى حيلة، فتكون مكنية والتقصيع والتنفق بالحبل تخييل. وجعل ذلك كله في قفاها لأن الحمق يُنسب إليه عادة، أو لأن الشيطان يأتيها من حيث لا تشعر، كأنه من خلفها. ثم إن هذا الكلام كناية أو تمثيل للمراد، وهو أنها إذا أساءت الخلق ترضيناها بالتحيل والترفق. ينظر الدر المصون (١/١٢٨).

(٢) قوله «يريد إذا حردت» في الصحاح: الحرد ـ بالتحريك ـ الغضب. (ع)

العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر ـ شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبيّ، ولأمر مّا أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله ﷺ وكلام الأنبياء والحكماء؛ قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣] ومن سور الإنجيل سورة الأمثال، والمَثَلُ في أصل كلامهم: بمعنى المِثْل، وهو النظير؛ يقال: مثل، ومثل، ومثيل، كشبه، وشبه، وشبيه، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده: مثل، ولم يضربوا مثلاً، ولا رأوه أهلا للتسيير، ولا جديراً بالتداول والقبول، إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه، ومن ثمّ حوفظ عليه وحمى من التغيير، فإن قلت: ما معنى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾؟، وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد ناراً؛ حتى شبه أحد المثلين بصاحبه؟ قلت: قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام، للحال أو الصفة أو القصة، إذا كان لها شأن وفيها غرابة، كأنه قيل: حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً، وكذلك قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ﴾ [محمد: ١٥]، أي وفيما قصصنا عليك من العجائب، قصة الجنة العجيبة، ثم أخذ في بيان عجائبها ـ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾ [النحل: ٦٠] / ٢٢أ: أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة، ﴿مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩]، أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه، ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا: فلان مثلة في الخير والشر، فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن، فإن قلت: كيف مثلت الجماعة بالواحد؟ قلت: وضع الذي موضع الذين؛ كقوله: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ﴾ [التوبة: ٦٩]، والذي سوّغ وضع الذي موضع الذين، ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران: أحدهما: أنّ «الذي» لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة، وتكاثر وقوعه في كلامهم، ولكونه مستطالاً بصلته، حقيق بالتخفيف، ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين، والثاني: أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون، وإنما ذاك علامة لزيادة الدلالة، ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع، والواحد فيهن واحد[1]، أو قصد جنس المستوقدين، أو أريد

---

(١) قال السمين الحلبي: وليس لمرجِّح أن يرجِّح قولَ الزمخشري بأنهم قالوا: إنَّ الميمَ في قولهم: «مُ الله» بقية ايمُن، فإذا انتهكوا ايمن بالحذف حتى صار على حرفٍ واحد فَأَوْلى أن يقال بذلك فيما بقي على حرفين؛ لأن «أل» زائدةٌ على ماهِيَّةِ «الذي» فيكونون قد حَذَفوا جميعَ الاسم، وتركوا ذلك الزائدَ عليه بخلاف ميم «ايمُن»، وأيضاً فإنَّ القولَ بأنَّ الميمَ بقيةُ ايمُن قولٌ ضعيف مردودٌ يأباه قولُ الجمهور. انتهى. الدر المصون.

الجمع أو الفوج الذي استوقد ناراً، على أنّ المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد؛ إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد، ونحوه قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، وقوله: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد: ٢٠]، ووقود النار: سطوعها وارتفاع لهبها، ومن أخواته: وقل في الجبل إذا صعد وعلا، والنار: جوهر لطيف مضيء حارّ محرق، والنور: ضوءها وضوء كل نير، وهو نقيض الظلمة، واشتقاقها من نار ينور إذا نفر؛ لأنّ فيها حركة واضطراباً، والنور مشتق منها، والإضاءة: فرط الإنارة، ومصداق ذلك قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، وهي في الآية متعدية، ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله، والتأنيث للحمل على المعنى؛ لأنّ ما حول المستوقد أماكن وأشياء، ويعضده قراءة ابن أبي عبلة: «ضاءت»، وفيه وجه آخر، وهو أن يستتر في الفعل ضمير النار، ويجعل إشراق ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها، على أنّ «ما» مزيدة أو موصولة في معنى الأمكنة، و﴿حَوْلَهُۥ﴾: نصب على الظرف، وتأليفه للدوران والإطافة، وقيل للعام: حول؛ لأنه يدور، فإن قلت: أين جواب «لمّا»؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن جوابه ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾، والثاني: أنه محذوف كما حذف في قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ [يوسف: ١٥]، وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدالّ عليه، وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة، مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى، كأنه قيل: فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام، متحيرين متحسرين/ ٢٢ب على فوت الضوء، خائبين بعد الكدح في إحياء النار، فإن قلت: فإذا قدّر الجواب محذوفاً فبم يتعلق: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟ قلت: يكون كلاماً مستأنفاً؛ كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره، اعترض سائل فقال: ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد؟ فقيل له: ذهب الله بنورهم، أو يكون بدلاً من جملة التمثيل[1] على سبيل البيان، فإن قلت: قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني[2]؟ قلت: مرجعه الذي استوقد؛ لأنه في معنى الجمع، وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في ﴿حَوْلَهُۥ﴾، فللحمل على اللفظ تارة، وعلى المعنى أخرى، فإن قلت: فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟ قلت: إذا طفئت النار

(١) قال السمين الحلبي: وقد ردَّ عليه بعضهم هذا بوجهين: أحدهما أن هذا تقدير مع وجود ما يغني عنه، فلا حاجة إليه؛ إذ التقديرات إنما تكون عند الضرورات. والثاني: أنه لا تُبْدَلُ الجملة الفعلية من الجملة الاسمية. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «فما مرجعه في الوجه الثاني» لعله السابق. (ع)

بسبب سماوي ريح أو مطر، فقد أطفأها الله تعالى وذهب بنور المستوقد، ووجه آخر، وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله، ثم إما أن تكون ناراً مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام، وتلك النار متقاصرة مدّة اشتعالها قليلة البقاء، ألا ترى إلى قوله: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وإما ناراً حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي، ويتهدوا بها في طرق العبث، فأطفأها الله وخيب أمانيهم، فإن قلت: كيف صح في النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد؟ قلت: هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره، فإن قلت: هلا قيل ذهب الله بضوئهم؛ لقوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ﴾؟ قلت: ذكر النور أبلغ؛ لأنّ الضوء فيه دلالة على الزيادة، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم، لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً، والغرض إزالة النور عنهم رأساً وطمسه أصلاً، ألا ترى كيف ذكر عقيبه: ﴿وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ﴾، والظلمة: عبارة عن عدم النور وانطماسه، وكيف جمعها، وكيف نكرها، وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله: ﴿لَّا يُبۡصِرُونَ﴾، فإن قلت: فلم وصفت بالإضاءة؟ قلت: هذا على مذهب قولهم: للباطل صولة ثم يضمحل، ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت، ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح، والفرق بين أذهبه وذهب به، أن معنى أذهبه: أزاله وجعله ذاهباً، ويقال: ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه، وذهب السلطان بماله: أخذه ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ [يوسف: ١٥]، ﴿إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ومنه: ذهب به الخيلاء، والمعنى: أخذ الله نورهم وأمسكه، ﴿وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ﴾ [فاطر: ٢] فهو أبلغ من الإذهاب، وقرأ اليماني: «أذهب الله نورهم»، وترك: بمعنى طرح وخلى، إذا علق بواحد، كقولهم: تركه ترك ظبي ظله،/ ٢٣أ فإذا علق بشيئين، كان مضمناً معنى صير، فيجرى مجرى أفعال القلوب كقول عنترة: [من الكامل]

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ ....[1]

---

(١) فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم
فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم
لعنترة بن شداد العبسي من معلقته. يقول: فخرقت بالرمح اليابس الصلب ثيابه، أي: قلبه وأحشاءه، فهي كناية عنها. أو شككت ثيابه بمعنى نظمتها ببدنه بإدخال الرمح فيها. ويروى: إهابه، أي جلده. وليس الكريم... إلى آخره: اعتراض دال على أن عادة الكرام أن يجودوا بكل شيء حتى بالأرواح للرماح. وفيه نوع تهكم. فتركته: أي صيرته. جزر السباع ـ بالتحريك ـ أي نصيبها وطعمتها من اللحم. ونهشه وناشه: تناوله بفمه وكدمه. وقضمه يقضمه، من بابَيْ علم وضرب: عضّه بمقدم أسنانه. فقوله «يقضمن» بدل. وعبَّر بالحسن عن الشيء الحسن مبالغة: أي يأكلن بنانه الحسن ومعصمه الحسن. ويروى بدل هذا الشطر: ما بين قلة رأسه والمعصم. وما زائدة، و «بين» ظرف للنوش. ويجوز أن «ما» موصولة بدل من ضمير المفعول. وقلة الرأس: أعلاه، كقلة الجبل وقنته. =

ومنه قوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ أصله: هم في ظلمات، ثم دخل ترك فنصب الجزأين، والظلمة عدم النور، وقيل: عرض ينافي النور، واشتقاقها من قولهم: ما ظلمك أن تفعل كذا: أي ما منعك وشغلك، لأنها تسدّ البصر وتمنع الرؤية، وقرأ الحسن: «ظُلْمَات» بسكون اللام، وقرأ اليماني: «في ظُلْمة» على التوحيد، والمفعول الساقط من ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت إلى إخطاره بالبال، لا من قبيل المقدر المنوى، كأنّ الفعل غير متعدّ أصلاً، نحو: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ في قوله: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف: ١٨٦]، فإن قلت: فيم شبهت حالهم بحال المستوقد؟ قلت: في أنهم غب الإضاءة خبطوا في ظلمة وتورّطوا في حيرة، فإن قلت: وأين الإضاءة في حال المنافق؟ وهل هو أبداً إلا حائر خابط في ظلماء الكفر؟ قلت: المراد ما استضاءوا به قليلاً من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم، ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد، ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم، وما افتضحوا به بين المؤمنين، واتسموا به من سمة النفاق، والأوجه أن يراد الطبع؛ لقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾، وفي الآية تفسير آخر: وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى، عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد، والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات، وتنكير النار للتعظيم، كانت حواسهم سليمة، ولكن لما سدّوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم، وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم، وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا؛ كأنما أيفت مشاعرهم، وانتقضت بناها التي بنيت عليها للإحساس والإدراك؛ كقوله: [من البسيط]

صُمٌّ إذا سَمِعُوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِهِ ... وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا[1]

= ينظر ديوانه ص (٢١٠)، خزانة الأدب (٩/ ١٦٥، ١٦٦)، شرح شواهد المغني (١/ ٤٨٠)، وبلا نسبة في تخليص الشواهد ص (٤٤٥)، سر صناعة الإعراب (٢/ ٦٩٤).

(١) إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً ... مني وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا
جهلاً علي وجبنا عن عدوهم ... لبئست الخلتان الجهل والجبن

لقعنب بن أم صاحب بن ضمرة. وضمرة أبوه. وأم صاحب: كنية أمه. يقول: إن يسمعوا. وروي: يأذنوا، كيسمعوا وزناً ومعنى، من جهتي بهتان وزور أذاعوها، فكأنهم يطيرون بها بين الناس من فرحهم بما تقل عني. فالطيران استعارة مصرّحة لذلك. قال ابن مالك تبعاً للفراء: ويجوز إجابة المضارع بالماضي وإن منعه الجمهور في الاختيار. وأي شيء سمعوه من قول صالح كتموه، فالدفن استعارة تصريحية أيضاً. وهم صم: أي كالصم، فهو تشبيه بليغ واستعارة على الخلاف. وإن ذكرت عندهم بسوء أذنوا وأنصتوا. ويروى «سبة» بالضم: ما يُسب به. وقد يروى: سبأة، بتحتية ساكنة =

[ومن الرجز]

أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ

[ومن الطويل]

أَصَمُّ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي لاَ أُرِيدُهُ   وَأَسْمَعُ خَلْقِ الله حِينَ أُرِيدُ(١)

[ومن المتقارب]

فَأَصْمَمْتُ عَمْراً وَأَعْمَيْتُهُ   عَنِ الْجُودِ وَالْفَخْرِ يَوْمَ الفَخَار(٢)

فإن قلت: كيف طريقته عند علماء البيان(٣)؟ قلت: طريقة قولهم: «هم ليوث»

= فهمزة. ويروى: وما يسمعوا. ويروى: صموا، على لفظ الماضي، بدل صم. ويروى بسوء كلهم أذن: أي فكلهم أذن؛ فهو على تقدير الفاء، لأنه جواب الشرط. ويحتمل أنه على التقديم والتأخير: أي كلهم أذن إن ذكرت بسوء وهو أنسب بما قبله. وجعلهم نفس الأذن مبالغة. ويجوز أن الأذن وصف يقع على الواحد والمتعدد، وذلك لجهلهم وبأسهم علي، وجُبنهم وضعفهم عن عدوهم. وقيل: هو على تقدير جمعوا جهلاً. والخلتان الخصلتان. والجبن بضمتين لغة فيه. وفيه إطناب بالتوشع، لأنه أتى بمثّى وفسره باسمين ثانيهما معطوف على الأول وهو حسن.

ينظر لسان العرب (شور)، و(أذن)، تاج العروس (أذن).

(١) صم صمماً، كتعب تعباً. فأصم - بفتح الصاد - فعل مضارع. ولو جعلته اسماً على الخبرية لضمير محذوف لكانت مناسبة لأسمع المعطوف عليه. والمعنى أن حالي تكون كحال الأصم؛ فهو مجاز عن ذلك. وأسمع: أي أفعل بمقتضى السماع، فهو مجاز أيضاً. ويجوز أنه كناية. يقول: لا أستمع لما أكره. وأسمع كلام خلق الله حين أريده، بأن يكون محبوباً إلي، أو حين أريد السماع.

(٢) يقول: لما أظهرت مفاخري ومكارمي، أصممت عمراً: أي صيَّرته كالأصم. وأعميته: أي صيَّرته كالأعمى فالصمَم والعمي: استعارتان مصرحتان. والمراد ألجمته وأسكته عن الكلام في الفخر والجود حين مفاخرتي إياه. وقيل أصممته وأعميته: وجدته أصم ووجدته أعمى: أي كأنه كذلك على ما مر.

ينظر لسان العرب (فخر)، ومقاييس اللغة (٤/ ١٣٤)، أساس البلاغة (عمي)، تاج العروس (فخر).

(٣) قوله - تعالى - «صم بكم عمي فهم لا يرجعون» كيف طريقته عند علماء البيان؟

درج القدماء على المزج بين التشبيه والتمثيل ومنهم صاحب الكشاف وأبو السعود، وهي مصطلحات لا تنافر بينها، والمحدثون فهموا هذا التفريع بدقة وألفوا في ذلك مصنفات خصوصاً من يجنح للمدرسة السكاكية، ولكن الذي كان يقع فيه الخلط هو الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة، وبات الأمر واضحاً حيث عرف الفرق بين التشبيه والاستعارة أولاً، لأن الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه، وإدخال المشبه في جنس المشبه به بحيث أصبح فرداً من أفراده، وبهذا جاز إطلاقه عليه أي إطلاق المشبه به على المشبه.

يقول القزويني: «وههنا شيء لا بد من التنبيه عليه، وهو أنه إذا أجري في الكلام لفظ دلت القرينة على تشبيه شيء بمعناه فيكون ذلك على وجهين: أحدهما أن لا يكون المشبه مذكوراً ولا مقدوراً كقولك غنت لنا ظبية وأنت تريد امرأة، ولقيت أسداً وأنت تريد رجلاً شجاعاً، ولا خلاف أن هذا ليس بتشبيه وأن الاسم فيه استعارة. =

للشجعان، وبحور للأسخياء، إلا أنّ هذا في الصفات، وذاك في الأسماء، وقد جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال جميعاً، تقول: رأيت ليوثاً، ولقيت صماً عن الخير، ودجا الإسلام، وأضاء الحق، فإن قلت: هل يسمى ما في الآية استعارة؟ قلت: مختلف فيه، والمحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة؛ لأنّ المستعار له مذكور وهم المنافقون/ ٢٣ب، والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له، ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه، لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام، كقول زهير: [من الطويل]

لَدَىٰ أَسَدٍ شَاكِي السِّلاَحِ مُقَذَّفٍ ... لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ (١)

= والثاني: أن يكون المشبه مذكوراً أو مقدراً، فاسم المشبه به إن كان خبراً أو في حكم الخبر. . . . فالأصح أنه يسمى تشبيهاً، وأن الاسم فيه لا يسمى استعارة».

هذا هو أظهر الفروق بين التشبيه والاستعارة. أما التشبيه البليغ فقد درج الأقدمون وكثير من المحدثين على أن المحذوف الوجه والأداة هو البليغ؛ لأن حذف الوجه يفيد التعميم والشمول فيما يؤخذ من الصفات الملائمة للمشبه فقولنا زيد أسد أبلغ من ذكر «زيد أسد في الجراءة»، وأما حذف الأداة فلإفادة الاتحاد بين الطرفين كأن زيداً صار أسداً في شجاعته لا فارق إلا صورة الجسم وكأنها لم تكن، وهذا الحكم هو الذي وقف عنده كثير من البلاغيين.

ولكن أهل الذوق البلاغي منهم نظروا في الأساليب الرفيعة خصوصاً القرآن والسنة، وكلام العرب الخلص فوجدوا أن التشبيهات القرآنية كثيراً ما وردت بالأداة، وقد لوحظ الإشارة إلى الوجه أو ذكره، وانظر قول بعضهم: «الأصدقاء كالنار قليلها متاع وكثيرها بوار» فلو أننا حذفنا الأداة والوجه لكان ذلك إفساداً للمعنى المقصود، إذ المعنى على «الأصدقاء نار»، ومن أجل هذا كله قالوا: إن البلاغة في التشبيه لا تكون بالحذف أو الذكر من غير نظر إلى المقصود، فالغرض من التشبيه هو الذي يحدد ذكر الأداة أو حذفها وكذلك الوجه، فإذا كان القصد إلى معنى يتحقق بذكر الأداة فلا بد من ذكرها وهذا وارد كثيراً في القرآن والسنّة وشعر العرب، وإذا كان المعنى لا يتحقق إلا مع الحذف حذفت الأداة أو الوجه، فالحذف والذكر يدوران مع المعنى المقصود حذفاً وذكراً وكلام الله ـ تعالى ـ هو الحجة والمرجع.

«ينظر أسرار البيان د. علي حسن العماري ٨٦، ٨٧ والبلاغة القرآنية ٤٨٨ وما بعدها، الإيضاح للقزويني ٤/ ١٢٩ وما بعدها».

(١) فشد فلم يفزع بيوتاً كثيرة ... لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم

لدى أسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد أظفاره لم تقلم

لزهير بن أبي سلمى من معلقته يمدح حصين بن ضمضم بأنه شد على عدوه بحسن تدبير فلم يفزع بيوتاً كثيرة. أو المعنى شد عليه وحده، فلم يفزع بيوتاً، أي أهل بيوت تساعده، و «حيث» بدل من «لدى» ويحتمل أن لدى لمكان مبهم مضاف لحيث المعنى بإضافته للجملة. وأم قشعم: اسم للمنية. شبهها بالمسافر على طريق المكنية. والرحل تخييل و «لدى» الثاني بدل من الأول. وجرّد من الممدوح لكماله في الشجاعة شخصاً آخر، فاستعار له الأسد استعارة تصريحية. وشاكي: أي تام السلاح تجريد؛ لأنه يلائم المشبه. قال الفراء: هو مقلوب شايك: أي ذي شوكة وحدة. ومقذف: أي ضخم، كأنه قذف باللحم ورمي به. له لبد: أي شعور متلبدة على منكبيه. أظفاره لم =

ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كأنهم يتناسَوْنَ التشبيه ويضربون عن توهمه صفحاً، قال أبو تمام: [من المتقارب]

وَيَـصْـعَـدُ حَـتَّـىٰ يَـظُـنَّ الـجَـهُـولُ ... بِـأَنَّ لَـهُ حَـاجَـةً فـي الـسَّـمَـاءِ(١)

وبعضهم: [من البسيط]

لا تَـحْـسَـبُـوا أَنَّ فِـي سِـرْبَـالِـهِ رَجُـلاً ... فـفِـيـهِ غَـيْـثٌ وَلَـيْـثٌ مُـسْـبِـلٌ مُـشْـبِـلُ(٢)

وليس لقائل أن يقول: طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فأتسلق بذلك إلى تسميته استعارة؛ لأنه في حكم المنطوق به؛ نظيره قولُ من يخاطب الحَجّاج: [من الكامل]

أَسَـدٌ عَـلَـيَّ وفـي الـحُـرُوبِ نَـعَـامَـةٌ ... فَـتْـخَـاءُ تَـنْـفِـرُ مِـنْ صَـفِـيـرِ الـصَّـافِـرِ(٣)

= تقلم: كل هذا ترشيح لأنه يلائم المشبه به. وفي قوله أظفاره لم تقلم: نوع من الإطناب يسمى الإيغال ختم به البيت للمبالغة في التشبيه، كقول الخنساء في أخيها صخر: كأنه علم في رأسه نار.

ينظر ديوانه ص ٢٤، لسان العرب (قذف)، (مكن)، تهذيب اللغة (٧٦/٩)، جمهرة اللغة (ص ٩٧٤)، تاج العروس (قذف).

(١) لأبي تمام يمدح خالد بن يزيد الشيباني ويذكر أباه. فضمير «يصعد» ليزيد. واستعار الصعود من العلو الحسي للعلو المعنوي على طريق التصريح، ثم بنى عليه ما ينبني على العلو في المكان ترشيحاً وتتميماً للمبالغة في التشبيه، لأن ذلك الظن لا ينبني إلا على رؤيته صاعداً حقيقة. والظن ـ كالعلم ـ يتعدى بنفسه تارة وبالحرف أخرى. وخصَّ الجهول ليفيد أن ذلك الظن خطأ. ويشبه أن يكون تجريداً للاستعارة، لكن أخفاه ظهور الترشيح، وأفاد السعد أن ذكر الجهول احتراس من توهم احتياج الممدوح والمقام، لدعوى أنه في غاية الكمال، واشتهرت روايته لظن بالماضي، وهو على تقدير القسم وقد: أي والله لقد ظن الجهول ذلك.

(٢) للزمخشري. شبه الممدوح بالغيث في كثرة الخير والكرم، وبالليث في كثرة الشجاعة، واستعارهما له على طريق الاستعارة التصريحية، وبنى على ذلك نهى الناس عن أن يظنوا أن في ثوبه رجلاً، للدلالة على تناسي التشبيه وادعاء الاتحاد. والمسبل: كثير الانسياب، فهو راجع للغيث. والمشبل الذي كثرت أشباله: أي أولاده من الأسود، فهو راجع لليث، ففيه لف ونشر، وفيه شبه التضاد حيث جمع بين ما يخشى وما يرجى. وفيه الجناس اللاحق بين غيث وليث، وبين مسبل ومشبل.

(٣) أسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا كررت على غزالة في الوغي ... بل كان قلبك في جناحي طائر
لعمران بن حطان قاتل الحجاج. روي أن شبيب الخارجي وأمه جهيزة وامرأته غزالة، كانوا في غاية الفراسة فدخلوا الكوفة في ألف وثلاثين فارساً، وفيها حينئذٍ الحجاج ومعه ثلاثون ألف مقاتل فحاربوه سنة كاملة حتى هرب منهم فعيَّره عمران بذلك: أي أنت كالأسد، ولا يصح استعارة عند الجمهور لنية ذكر المشبه. وجوزها التفتازاني على أن المذكور فرد هن أفراده لا عينه. و «على» متعلق بأسد، لما فيه من معنى الشجاعة والقوة. و «في الحروب» متعلق بنعامة، لما فيه من معنى الجبن والضعف. وهذا ظاهر على مذهب العلامة، لأن الأسد مستعار لمطلق شجاع، والنعامة لمطلق جبان. وأما على مذهب الجمهور فهما جامدان لبقائهما على حقيقتهما، إلا أن يقال: لما =

ومعنى ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾: أنهم لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه، أو عن الضلالة بعد أن اشتروها، تسجيلاً عليهم بالطبع، أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون، ولا يدرون أيتقدّمون أم يتأخرون؟: وكيف يرجعون إلى حيث ابتدءوا منه؟!

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

ثم ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر، ليكون كشفاً لحالهم بعد كشف، وإيضاحاً غب إيضاح، وكما يجب على البليغ في مظانّ الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز؛ فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع؛ أنشد الجاحظ: [من الكامل]

يُوحُونَ بِالْخُطَبِ الطِّوَالِ وتَارَةً ... وَحْيَ المُلَاحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ[1]

ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ٢١]، وألا ترى إلى ذي الرُّمَّة كيف صنع في قصيدته؟: [من البسيط]

أَذَاكَ أَمْ نَمَشٌ بِالْوَشْيِ أَكْرُعُهُ ... .

أَذَاكَ أَمْ خَاضِبٌ بِالسِّيِّ مَرْتَعُهُ ... .[2]

= وقع في مقام التشبيه لوحظ فيهما الوصف الذي بُنيت عليه المشابهة. ويجوز تعلقهما بمعنى التشبيه، أو بمحذوف حال من المبتدأ المحذوف على رأي سيبويه. والفتخ ـ بالتحريك ـ لين وانفراج في الأصابع والأجنحة. والفتخاء: وصف منه. وتنفر: صفة نعامة، أي تفزع وتهلع خوفاً من أدنى صوت تسمعه. وصفها بغاية الضعف ليدل على أن المشبه كذلك ثم وبخه بقوله: هلا كررت على تلك المرأة في الحرب. لم تفعل ذلك بل كان قلبك يخفق ويضطرب، كأنه في جناحي طائر، وهو من التشبيه البليغ. ويروى: هلا برزت إلى غزالة.

ينظر: جمهرة اللغة ص (٩٢٣)، وعمران بن حطان في الأغاني (١٨/ ١٢٢).

(١) أنشده الجاحظ، وروي «يرمون» استعار الرمي لإخراج الكلام من الفم بكثرة على طريق التصريح. ويقال: وحى له، وإليه وحياً، وأوحى له وإليه إيحاء: إذا ألقى إليه الكلام، أو أشار له به، وألهمه إياه. فالوحي مصدر وحي أو اسم مصدر أوحى، واللحظ: الإشارة بطرف العين يُمْنَة أو يُسْرَة. واللاحظ وصف بحسب الأصل، وهو اسم لطرف العين. ولذلك جمع على لواحظ، ونسب الوحي إليها لأنها آلة. ويجوز أنه جمع لاحظة عنق للنسائي أي يتكلمون بالخُطَب الطوال تارة عند الأمن، ويوحون وحياً باللواحظ تارة أخرى، لخوفهم من الرقباء، فلكل مقام عندهم مقال.

(٢) أذاك أم نمش بالوشي أكرعه ... مسفع الخد عاد ناسط شبب =

فإن قلت: قد شبه المنافق في التمثيل الأوّل بالمستوقد ناراً، وإظهاره الإيمان بالإضاءة، وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار، فما ذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق؟ قلت: لقائل أن يقول: شبه دين الإسلام بالصيب، لأنّ القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق، والمعنى: أو كمثل ذوي صيب، والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا، فإن قلت: هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات؟ وهلا صرح به كما في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ [غافر: ٥٨]، وفي قول امرىء القيس: [من الطويل]

كأنّ قُلوبَ الطَّيرِ رَطْباً ويَابِساً ... لَدَى/ ٢٤أ وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البَالِي [١]

= أذاك أم خاضب بالسي مرتعه ... أبو ثلاثين أمسى وهو منقلب

لذي الرمة يصف ناقته شبهها أولاً بحمار الوحش، ثم قال: أذاك الحمار تشبهه ناقتي أم نمش. والنمش بالتحريك ـ: تفرُّق اللون. وكحذر: متفرق اللون. والوشى: لون يخالف لون بقية الشيء. والأكرع: جمع كراع وهو الساق والمسفع: الأسود ـ من السفعة ـ وهي السواد: والناشط: الخارج من أرض لأخرى. والشبب ـ كحذر أيضاً ـ المسن من بقر الوحش. ثم قال أذاك الثور يشبهها، أم خاضب؟ وهو الظليم الذي احمرَّت ساقاه، أو اصفرَّتا من أكل الربيع. والسي: المستوى من الأرض، واسم موضع بعينه. والمرتع: مصدر أو اسم مكان مظروف في أوسع منه. ومنقلب: راجع من المرعى إلى أفراخه الثلاثين. فيكون أسرع ما يكون، فهي كذلك سريعة السير. وأكرعه فاعل بالظرف أو فاعل نمش. ومرتعه: فاعله بالظرف، أو مبتدأ والظرف خبر له.

وهو لـ «ذي الرمّة» في ديوانه ص ٧٤، ولسان العرب (نشط)، وتهذيب اللغة ١١/ ٣٨٢، وكتاب العين ٦/ ٢٢٣، ٢٧١، ومقاييس اللغة ٣/ ١٧٧، ٥/ ٤٢٦، وتاج العروس (نشط)، ٢١/ ٢٠٠ (سفع)، ومجمل اللغة ٣/ ١٥٢، ٤/ ٤٠١، وجمهرة أشعار العرب ص ٩٥٤، وبلا نسبة في لسان العرب (نمش)، وتاج العروس (نمش).

(١) لامرىء القيس يصف العقاب وهي تأكل صغار الطير إلا قلوبها، فلذلك كثُرَت عندها، ويصف نفسه بالشجاعة، حيث وصل إلى رؤية ذلك فقال: كأن قلوب الطير حال كونها رطباً بعضها ويابساً بعضها، حال كونها عند وكر العقاب ـ أي عشها ـ: العناب، وهو ثمر أحمر رطب، فهو راجع للبعض الرطب. والحشف: الجاف الرديء من التمر البالي الهالك، فهو راجع للبعض اليابس، ففيه لف ونشر مرتب، وفيه طباق التضاد بين الرطب واليابس. ويجوز أن رطباً ويابساً نصب على البدل من قلوب الطير، أي كأن الرطب واليابس منها: العناب والحشف، وبدل البعض لا يجب فيه ضمير يرجع للمبدل منه، وإن كان الأولى ذلك.

ينظر البيت في ديوانه ص ٣٨، وشرح التصريح ١/ ٣٨٢، وشرح شواهد المغنى ١/ ٣٤٢، ٢/ ٨١٩، ٥٩٥ واللسان (أدب)، والمنصف ٢/ ١١٧، وأوضح المسالك ٢/ ٣٢٩، ومغني اللبيب ١/ ٢١٨، ٢/ ٣٩٢، ٤٣٩، ودلائل الإعجاز (٦٦)، وروح المعاني ١٣/ ٣٤، والدر المصون ٤/ ٩٠.

قلت: كما جاء ذلك صريحاً فقد جاء مطوياً ذكره على سنن الاستعارة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢]، ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩]، والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه: أنّ التمثيلين جميعاً من جملة التمثيلات المركبة دون المفرّقة، لا يتكلف الواحد واحد شيء يقدر شبهه به، وهو القول الفحل والمذهب الجزل، بيانه: أنّ العرب تأخذ أشياء فرادى، معزولاً بعضها من بعض، لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها، كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن، وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامّت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً، بأخرى مثلها؛ كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ . . .﴾ [الجمعة: ٥] الآية؛ الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة، بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة، وتساوي الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار، لا يشعر من ذلك إلا بما يمرّ بدفيه من الكدّ والتعب؛ وكقوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٥]، المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر، فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيره شيئاً واحداً، فلا، فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدّة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل؛ وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق، فإن قلت: الذي كنت تقدّره في المفرّق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك: «أو كمثل ذوي صيب» هل تقدّر مثله في المركب منه؟ قلت: لولا طلب الراجع في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ ما يرجع إليه لكنت مستغنياً عن تقديره؛ لأني أراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا عليّ أوَلِيَ حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله. ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٢٤] الآية، كيف ولي الماء الكاف، وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره، ومما هو بين في هذا قول لبيد: [من الطويل]

وَمَا النَّاسُ إلاّ كَالدِّيَارِ وَأَهْلُهَا ... بِهَا يَوْمَ حَلُّوهَا وغَدْواً بَلاَقِعُ[1]

---

(١) لم يرد تشبيه الناس بالديار ذاتها، وإنما أراد تشبيه حالهم بحال الديار مع أهلها. وقوله: «وأهلها بها» جملة حالية. و «يوم حلوها» نصب بعامل المجرور قبله المحذوف. و «غدوا بلاقع» أي وهي في غد بلاقع، جمع بلقع: أي قفر خالي، والشائع استعمال «الغد» كاليد، فظهرت واوه هنا على الأصل. وعبّر بالغد ومراده به الزمن القريب، كما يقال أفعله بكرة. والمراد بعد أيام قليلة، فالجامع سرعة الفناء والزوال بعد البهجة والنضرة. ولك جعله من تشبيه المفرد بالمفرد بجامع أن الناس =

لم يشبه الناس بالديار، وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم، بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها، وتركها خلاء خاوية، فإن قلت: أي التمثيلين أبلغ[1]؟ قلت: الثاني؛ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدّة الأمر وفظاعته؛ ولذلك أُخر، وهم

= تكون فيها الأرواح. فهي زاهية باهية، ثم تنزع منها فتصير خالية خاوية كالدار تكون عامرة بأهلها فتصبح خراباً. وهذا على رفع أهلها. وأما على جره عطفاً على الديار فيتعين الأول، ويكون «بها» متعلق بمحذوف حال من أهلها. والباء بمعنى «في» على التقديرين.

وهو للبيد في ديوانه ص ١٦٩، وأمالي المرتضى ١/ ٤٥٣، وشرح المفصّل ٦/ ٤، والشعر والشعراء ١/ ٢٨٤، ولسان العرب (غدا)، ولذي الرمّة في ملحق ديوانه ص ١٨٨٧، وللبيد أو لذي الرمة في تاج العروس (غدا)، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٧/ ٤٧٩، والكتاب ٣/ ٣٥٨، والمنصف ١/ ٦٤، ٢/ ١٤٩.

(١) قوله ـ تعالى ـ «أو كصيب من السماء. . . .» الآية فيه تمثيلان على المفرد أو التركيب فأي التمثيلين أبلغ؟

المراد بالتمثيل في كلام فحول العلماء المتقدمين: التشبيه، وهذه قضية لها كلام سيأتي في محله، لكن القصد هنا في أن الكلام في الآية وما قبلها يحتمل تشبيه المفردات ببعضها كل فيما يقابله، ويحتمل تشبيه التركيب بحيث ينظر إلى الهيئة الحاصلة من اجتماع هذه المفردات على الصورة المقصودة التي تؤدي المعنى المراد لدى المتكلم، وخصوصاً إذا كان رب العالمين هو المتكلم فهو العليم الخبير بذات الصدور، لهذا وجب أن نفرق بين المتعدد والمركب في التشبيه، فأقول: الفرق بينهما في أمور أجملها فيما يلي:

١ ـ المتعدد له أوجه متعددة لا تتداخل، فهي مفردات متوالية، بخلاف المركب فإن وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من صورتين هما طرفا التشبيه كما بين المفسر العلامة.

٢ ـ في المتعدد يصح تفريق التشبيه، لأن كل مفرد وضع بجانب الآخر أما المركب ففيه (أ) نوع يصح فيه تفصيل الأجزاء، وتشبيه كل جزء منه بما يقابله في الطرف الآخر كما في قوله ـ تعالى ـ «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا» فلو قلت في غير القرآن: اليهود كالحمير صح التشبيه، لكن ذلك لا يقصد أبداً في الآية.

(ب) ونوع آخر إذا فرقت أعضاؤه فسد فيه تشبيه مفرده، كما في قول الشاعر [من الكامل]:

وكـأن أجـرام الـنـجـوم لـواحـقـا ... درر نـشـرن عـلـى بـسـاط أزرق

فهذا من التشبيه الذي يوجد فيه الحسن الملائم للمقام حينما ترى صورته كذلك فإذا فضت ترى مفردات هزيلة لا تحسن في التشبيه، إذ ما معنى تشبيه النجوم بالدرر فقط؟!!

٣ ـ في المتعدد لا ترى للترتيب مزية بخلاف المركب فإن كل جزئية فيه نراها في مكانها لا تفارقه كموضع العين والأنف والقدم فلا يصح وضع العين مكان الأنف أو القدم وهكذا في المركب، ترى لكل كلمة في مكانها وقعاً لتؤدي أداء في صورة المقصود لا يصلح في مكانها سواها من التركيب أو من غيره.

٤ ـ فائدة التشبيه المتعدد الاختصار فقط أما المركب فإن ثمرته أن الناظر فيه يكوّن صورة ينتزعها من الأجزاء متواصلة متآلفة كما ترى في الإنسان بصورته المكونة من أعضاء جسمه فإن كل عضو على حده لا مزية فيه، ولكن حسنه يتجلى إذا تواصل مع بقية أعضاء الجسم حوله ولننظر الآية السابقة «مثل الذين حملوا التوراة. . .» الآية، وانظر قول الشاعر [من الطويل]: =

يتدرجون في نحو هذا من الأهون/ ٢٤ب إلى الأغلظ، فإن قلت: لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك؟ قلت: «أو» في أصلها؛ لتساوي شيئين فصاعداً في الشك، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك؛ وذلك قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، تريد أنهما سيان في استصواب أن يجالسا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، أي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما؛ فكذلك قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾: معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين، وأن القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل، فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب، وإن مثلتها بهما جميعاً فكذلك. والصيب: المطر الذي يصوّب، أي ينزل ويقع، ويقال للسحاب: صيب، أيضاً؛ قال الشمّاخ: [من الطويل]

.... وأَسْحَمَ دَانٍ صَادِقِ الرَّعْدِ صَيِّبِ(١)

= كأن مثار النقع فوق رءوسنا ... وأسيافنا ليل تهادى كواكبه

فالمقصود بيان هيئة الحرب والضرب وما يكون فوق الرؤوس بصورة الليل الذي تتساقط فيه الكواكب، فتخيل المشبه به وإن كان خيالياً يعطينا صورة كاملة للمشبه الحقيقي لهذه الحرب الضروس.

لهذا كان الاعتبار في الآية «أو كصيب وما قبلها» لهذا التركيب لا للمتعدد لأن التركيب يدل أكثر من التعدد، وهذا ما أفاد المفسر العلامة. «ينظر البلاغة القرآنية ٤٧٥ وما بعدها تعليقات العلامة: محمد عبد المنعم خفاجي على الإيضاح للقزويني ٤/٤١، ٤٢، ٤٣، والمطول ٣٢٣ وما بعدها، أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر ٢/٤١ وما بعدها».

(١) أرسماً جديداً من سعاد تجنب ... عفت روضة الأجداد منه فينقب

عفا آية نسج الجنوب مع الصبا ... وأسحم دان صادق الوعد صيب

للشماخ. وقيل للنابغة الذبياني وقيل للهيثم بن خوار. يقال: جنبه، باعده أو أصاب جانبه، وعفى المنزل: درس وهلك، وعفته الريح: أهلكته ودرسته. والجد - بالضم - البئر التي في موضع كثير الكلأ. والجدد: الأرض الصلبة، ضد الحبار، والأجداد جمع للأول أو للثاني. والجدد: الطرائق المنعطفة من الرمل. ويجوز أن الأجداد جمعه أيضاً، لكن على روايته «روضة» بالنصب والإضافة للضمير. والأجداد بالرفع. والنقب - كالشعب -: الطريق المطمئن في الجبل. ونقب المكان ينقب: صار ذا نقب. وكذلك يشعب صار ذا شعب. هذا والمتبادر أنه بالعين بدل القاف، أي يقفر، من النقبة وهي الإقفار. والآي واحدة آية، بمعنى العلامات والآثار. وشبه اختلاف الرياح على وجوه منضبطة بالنسج على طريق التصريحية. والأسحم: الأسود، وهو صفة السحاب. والداني: القريب. وروي «داج» والداجي المظلم. والصيب: كثير الأمطار. والاستفهام تعجبي: يقول: أتعجب من مباعدتنا الرسم الجديد من دار سعاد؟ أو أتعجب من مرورنا بجانب رسم سعاد الجديد الذي هلكت آثاره فصار طرقاً متسعة؟ والذي محا أثره هو اختلاف الرياح وتتابُع الأمطار. فعفا استئناف بياني. وشبّه السحاب برجل صدَق وعده على طريق المكنية. والصدق والوعد تخييل. وروي الرعد بالراء، شبّه رعده بالخبر الصادق. وصيب: فيعل من صاب يصوب، إذا نزل مائلاً إلى جهة، كسيِّد من ساد يسود.

وتنكير صيب؛ لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل، كما نكرت النار في التمثيل الأول، وقرىء: «كصائب»، والصيب أبلغ. والسماء: هذه المظلة، وعن الحسن: أنها موج مكفوف. فإن قلت: قوله: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ما الفائدة في ذكره، والصيب لا يكون إلا من السماء؟ قلت: الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوّب من سماء، أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق، لأنّ كل أفق من آفاقها سماء، كما أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]، الدليل عليه قوله: [من الطويل]

.... ومِـنْ بُـعْـدِ أَرْضٍ بَـيْـنَـنَـا وسَـمَـاءِ(١)

والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء، كما جاء بصيب، وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير، أمد ذلك بأن جعله مطبقاً، وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه، لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر؛ ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣]، فإن قلت: بم ارتفع ظلمات؟ قلت: بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف. والرعد: الصوت الذي يسمع من السحاب، كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتفض إذا حدتها الريح فتصوّت عند ذلك من الارتعاد، والبرق الذي يلمع من السحاب، من برق الشيء بريقاً إذا لمع، فإن قلت: قد جعل الصيب مكاناً للظلمات فلا يخلو من أن يراد به السحاب أو المطر، فأيهما أريد فما ظلماته؟ قلت: أما ظلمات السحاب فإذا كان أسحم مطبقاً فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة إليهما ظلمة الليل، وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر، وظلمة إظلال غمامه مع ظلمة

---

(١) فـأوه لـذكـراهـا إذا مـا ذكـرتـهـا ومِـن بـعـد أرض بـيـنـنـا وسـمـاء

«أوّه» بالتشديد مع فتح الواء وكسرها مبني على السكون. وروي بضم الهمزة وسكون الواو. وفيه لغة ثالثة بإبدال الواو ألف مد مبني فيهما على الكسر: اسم فعل للتوجُّع. وما زائدة بعد إذا للدلالة على تعميم الأوقات. يقول: أتوجّع من تذكُّر المحبوبة كلما تذكرتها، ومن بعد ما بيننا من قطعة أرض وقطعة سماء تقابل تلك القطعة فأطلق الأرض والسماء على بعض كل منهما، وذكرهما لإفادة ذلك، لكن المقرر عندهم أن التنوين إنما يفيد التبعيض في الأفراد لا في الأجزاء، فلا يتم ما تقدم إلا بعد ادعاء أن السماء تطلق على بعض تلك المظلة، والأرض على بعض هذه المقلة؛ ليكون البعض فرداً من الأفراد لا جزءاً من الأجزاء. وذكر السماء دلالة على تناهي البُعد في الأرض، لأنه يظهر فيها قبل ظهوره في السماء. ويجوز أن المراد تشبيه البُعد بينهما بالبُعد بين السماء والأرض. وعليه فالتنوين للتهويل والتعظيم.

ينظر: المحتسب ١/٣٩، الخصائص ٢/٨٩، الهمع ١/١٦، الدرر ١/٣٨، معاني القرآن ٢/٢٣، المنصف ٣/١٢٦، الأصول لابن سراج ٣/٣٣٠، ابن يعيش ٤/٣٨، ارتشاف الضرب ١/٤٧٤، اللسان (أو)، النكت والعيون ١/٥٧، المحرر الوجيز ١/٧١، القرطبي ١٠١، الدر ١/٧٣.

الليل، فإن قلت: كيف يكون المطر مكاناً للبرق والرعد وإنما مكانهما السحاب؟ قلت إذا كانا في أعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة فهما فيه، ألا تراك تقول: فلان في البلد، وما هو منه إلا في حيز يشغله/ ٢٥أ جرمه، فإن قلت: هلا جمع الرعد والبرق أخذاً بالأبلغ كقول البحتري: [من الكامل]

يَا عَارِضاً مُتَلَفِّعاً بِبُرودِهِ ... يَخْتَالُ بَيْنَ بُرُوقِهِ ورُعُودِهِ[1]

وكما قيل: ظلمات؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يراد العينان، ولكنهما لما كانا مصدرين في الأصل ـ يقال: رعدت السماء رعداً وبرقت برقاً ـ روعي حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وإن أريد معنى الجمع، والثاني: أن يراد الحدثان كأنه قيل: وإرعاد وإبراق؛ وإنما جاءت هذه الأشياء منكرات، لأن المراد أنواع منها، كأنه قيل: فيه ظلمات داجية، ورعد قاصف، وبرق خاطف، وجاز رجوع الضمير في يجعلون إلى أصحاب الصيب مع كونه محذوفاً قائماً مقامه الصيب، كما قال: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، لأن المحذوف باق معناه وإن سقط لفظه، ألا ترى إلى حسان كيف عوّل على بقاء معناه في قوله: [من الكامل]

يُسْقَوْنَ مِنْ وِرْدِ البَرِيصِ عَلَيْهِمُ ... بَرَدَىٰ يُصَفِّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ[2]

---

(١) يا عارضاً متلفعاً ببروده ... يختال بين بروقه ورعوده
إن شئت عدت لأرض نجد عودة ... فحللت بين عقيقه وزروده
لتجود في ربع بمنعرج اللوى ... قفر تبدل وحشة من غيده
للبُحتري يخاطب السحاب لأنه شبّهه لتكاثفه وتراكمه بإنسان متلفع بثيابه. وإثبات التلفُّع بالبرود والاختيال تخييل وبنى على ذلك إثبات المشيئة له. وجمع البرق والرعد مع أنهما مصدران للدلالة على الكثرة والتعدُّد المرات. والعقيق والزرود موضعان بعينهما. والمنعرج ـ على زنة اسم المفعول ـ المكان الذي ينعطف فيه السائر يُمنة ويُسرة. واللوى الرمل الملتوي. والأغيد: الناعم الجميل، مؤنّثه غيداء، والغيد ـ كالبيض ـ جمعه. والجود: الأمطار.
يلتمس من السحاب المعترض في الأفق أن يمطر في ربع الأحبة بالمكان المنعطف، ثم وصف الربع بأنها قفر لا نبات فيه، وصار فيه وحشة بالوحوش بدل الأنس بالأحبة.

(٢) لله در عصابة نادمتهم ... يوماً بجلق في الزمان الأول
يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل
لحسّان بن ثابت يذكر أيام ملوك الشام الغسانيين. والعصابة: الجماعة على رأي واحد. وجلق ـ بالتشديد ـ اسم أعجمي لبلد. «وفي الزمان» متعلق بمحذوف صفة ليوم الواقع ظرفاً للمنادمة. وهي المحادثة على الشراب. والبريص اسم وادٍ. ويروى ـ بفتحتان ـ: علم لنهر بدمشق وجبل بالحجاز واسم للبحر. ويصفق: أي يمتزج. وقيل «يتصفى» ينقله من إناء إلى آخر. ولعله رواه «يصفى» من التصفية. والرحيق: الصافي. والسلسل: السهل المساغ «ومن ورد» مفعول أول، و «عليهم» قيل متعلق بمحذوف حال من الضمير المنوي في ورد. والظاهر أنه متعلق بورد أي أقبل =

حيث ذكر يصفق؛ لأن المعنى: ماء بردى، ولا محل لقوله: ﴿يَجْعَلُونَ﴾ لكونه مستأنفاً؛ لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدّة والهول، فكأن قائلاً قال: فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد؟ فقيل: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾، ثم قال: فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق؟ فقيل: يكاد البرق يخطف أبصارهم، فإن قلت: رُأَيسُ الأصبع هو الذي يجعل في الأذن[1]؛ فهلا قيل: أناملهم؟ قلت: هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها، كقوله: ﴿فَاغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، أراد البعض الذي هو إلى المرفق والذي إلى الرسغ، وأيضاً ففي ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل، فإن قلت: فالأصبع التي تسدّ بها الأذن أصبع خاصة[2]، فلم ذكر الاسم العام دون الخاص؟ قلت: لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن، ألا ترى أنهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدّعاءة، فإن قلت: فهلا ذكر بعض هذه الكنايات؟ قلت: هي ألفاظ

= ونزل. و «بردى» مفعول ثانٍ. و «يصفق» جملة حالية. والمعنى: أن كل من ورد عليهم البريص يسقونه ماء بردى حال كونه على مامر. ويجوز أن يكون معناه تتلاطم أمواجه فالباء للملابسة. ويحتمل أن فيه قلباً. والأصل يصفق الرحيق السلسل به، ولعل ذلك كناية عن كرمهم لإكثارهم العطاء. وقيل الرحيق السلسل الخمر الصافية السهلة. والمعنى على التشبيه، أي بماء كأنه الخمر. والظاهر بقاؤه على حقيقته، ويكون ذلك قبل تحريمها وهو أوقع في مقام المدح. فإن قلت: «بردى» مؤنث، فلم قال «يصفق» بالتذكير؟ قلت: هناك مضاف مذكر حذف، فقام المضاف إليه مقامه في الإعراب والتذكير. والأصل: ماء بردى.

ينظر ديوانه ص ١٢٢، وجمهرة اللغة ص ٣١٢، وخزانة الأدب ٤/ ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٤، ١١/ ١٨٨، والدرر ٥/ ٣٨، وشرح المفصل ٣/ ٢٥، ولسان العرب (برد)، (برص)، (صفق)، ومعجم ما استعجم ص ٢٤٠، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/ ٤٥١، وشرح الأشموني ٢/ ٣٢٤، وشرح المفصل ٦/ ١٣٣، ولسان العرب ١١/ ٣٤٥ (سلسل)، وهمع الهوامع ٢/ ٥١.

(١) قال محمود رحمه اللَّه: «فإن قلت المجعول من الأصابع في الآذان رءوسها... إلخ» قال أحمد رحمه اللَّه: لأن فيه إشعاراً بأنهم يبالغون في إدخال أصابعهم في آذانهم فوق العادة المعتادة في ذلك فراراً من شدة الصوت.

(٢) قال محمود رحمه اللَّه: «فإن قلت: فالأصبع التي تسد الأذن... إلخ». قال أحمد رحمه اللَّه: لا ورود لهذين السؤالين. أما الأول فلأنه غير لازم أن يسدوا في تلك الحالة بالسبابة ولا بد فإنها حالة حيرة ودهش، فأي أصبع اتفق أن يسدوا بها غير معرجين على ترتيب معتاد في ذلك، فذكر مطلق الأصابع أدل على الدهش والحيرة. أو فلعلهم يؤثرون في هذا الحال سد آذانهم بالوسطى، لأنها أصم للأذن وأحجب للصوت فلم يلزم اقتصارهم على السبابة. وأما السؤال الثاني فمفرع على الأول، وقد ظهر بطلانه؛ وأيضاً ففيه مزيد ركاكة. إذ الغرض تشبيه حال المنافقين بحال أمثالهم من ذوي الحيرة، فكيف يليق أن يكني عن أصابعهم بالمسبحات؟ ولعل ألسنتهم ما سبَّحت اللَّه قط. ثم إذا كان الغرض من التمثيل تصوير المعاني في الأذهان تصوير المحسوسات، فذلك خليق بذكر الصرائح واجتناب الكنايات والرموز.

مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد، وإنما أحدثوها بعد، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ متعلق بيجعلون، أي: من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم، كقولك: سقاه من العيمة[1]، والصاعقة: قصفة رعد تنقض معها شقة من نار، قالوا: تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه، وهي نار لطيفة حديدة، لا تمرّ بشيء إلا أتت عليه، إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود، يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت، ويقال: صعقته الصاعقة إذا أهلكته، فصعق؛ أي مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقرأ الحسن: «من الصواقع»/ ٢٥ب؛ وليس بقلب للصواعق، لأنّ كلا البناءين سواء في التصرف، وإذا استويا كان كل واحد بناء على حياله، ألا تراك تقول: صقعه على رأسه، وصقع الديك، وخطيب مصقع: مجهر بخطبته، ونظيره: «جبذ» في: «جذب» ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف، وبناؤها إما أن يكون صفة لقصفة الرعد، أو للرعد، والتاء مبالغة كما في الراوية، أو مصدراً كالكاذبة والعافية، وقرأ ابن أبي ليلى: «حذار الموت»، وانتصب على أنه مفعول له؛ كقوله: [من الطويل]

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادِّخَارَهُ[2] ....

والموت: فساد بنية الحيوان، وقيل: عرض لا يصح معه إحساس معاقب للحياة، وإحاطة الله بالكافرين مجاز، والمعنى: أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به

---

(١) قوله «سقاه من العيمة» هي شهوة اللبن، وقيل شدة شهوته. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر ... وذي أود قومته فتقوما
وأغفر عوراء الكريم ادخاره ... وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

لحاتم الطائي. وقيل للأحنف بن قيس. يقول: ورب عوراء، أي كلمة قبيحة، قد أعرضت عن المؤاخذة بها فلم تضرني. ورب ذي أود ـ أي اعوجاج ـ كالعصي المعوجة، قومته وعدلته بالمحاربة فتقوم. وقسم الأعراض إلى قسمين: لكل منهما علة مخصوصة فقال: وأغفر عوراء الكريم، أي قبيحته، لأجل ادخاري إياه، فادخاره: مفعول له نصب بأغفر، وإن عرض بالإضافة. وأعرض عن شتمي للرجل اللئيم تكرماً مني كي لا أكون مثله. ويجوز أن المعنى: عن مؤاخذة اللئيم لشتمه لي تكرماً مني. فتكرماً: مفعول نصب بأعرض. والقول بأن تكرماً علة لأعرض وأغفر: قول مَن لم يذق طعم الكلام.

البيت لحاتم الطائي ينظر ديوانه ص ٢٢٤، وخزانة الأدب ٣/ ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٥، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٥٢، الكتاب ١/ ٣٦٨، وشرح المفصل ٢/ ٥٤، واللمع ص ١٤١، والمقاصد النحوية ٣/ ٧٥، ونوادر أبي زيد ص ١١٠، أسرار العربية ص ١٨٧، وخزانة الأدب ٣/ ١١٥، ولسان العرب (عور) (خصص)، وشرح ابن عقيل ص ٢٩٦، المقتضب ٢/ ٣٤٨، الكامل (١٦٥) والعين (٣/ ٧٥) والأشموني (٢/ ١٨٩) وروح المعاني (١/ ١٧٤) والدر المصون (١/ ١٣٨) فتح القدير ١/ ٢٣٢.

حقيقة، وهذه الجملة اعتراض لا محل لها(١)، والخطف: الأخذ بسرعة، وقرأ مجاهد «يخطف» بكسر الطاء، والفتح أفصح وأعلى، وعن ابن مسعود: «يختطف»، وعن الحسن: «يَخَطِّفُ»، بفتح الياء والخاء، وأصله: يختطف، وعنه: «يخطف»، بكسرهما على إتباع الياء الخاء، وعن زيد بن علي: «يخطف»، من خطف، وعن أبيّ: «يتخطف»، من قوله: ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾ استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول: كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته؟ وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون، إذا صادفوا من البرق خفقة، مع خوف أن يخطف أبصارهم، انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة، فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة، ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فأصمهم، أو في ضوء البرق(٢) فأعماهم، وأضاء: إما متعد بمعنى: كلما نوّر لهم ممشى ومسلكاً أخذوه والمفعول محذوف، وإما غير متعد بمعنى: كلما لمع لهم ﴿مَّشَوْا۟﴾ في مطرح نوره وملقى ضوئه، ويعضده قراءة ابن أبي عبلة: «كلما ضاء لهم»، والمشي: جنس الحركة المخصوصة، فإذا اشتد فهو سعي، فإذا ازداد فهو عدو، فإن قلت: كيف قيل مع الإضاءة: كلما، ومع الإظلام: إذا؟ قلت: لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي وتأتيه، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها، وليس كذلك التوقف والتحبس، وأظلم: يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر، وأن يكون متعدياً منقولاً من ظلم الليل(٣)، وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب: «أُظْلِمَ»، على ما لم يسم فاعله، وجاء في شعر حبيب بن أوس: [من الطويل]

هُمَا أَظْلَمَا حَالَيَّ ثُمَّتَ أَجْلَيَا ... ظَلامَيْهِمَا عَنْ وَجْهِ أَمْرَدَ أَشْيَبِ(٤)

---

(١) قال السمين الحلبي: كأنه يَعْنى بذلك أن جملة قوله: «يَجْعَلُون أصابعهم»، وجملة قوله: «يكاد البرق» شيء واحد؛ لأنهما من قصة واحدةٍ فوقع ما بينهما اعتراضاً. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «أوفي ضوء البرق» لعله وفي. (ع)

(٣) قوله «منقولاً من ظلم الليل» في الصحاح «ظلم الليل بالكسر وأظلم» بمعنى، عن الفراء. (ع)

(٤)
أحاولت إرشادي فعقلي مرشدي ... أم استمت تأديبي فدهري مؤدبي
هما أظلما حالي ثمت أجليا ... ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب
شجى في حلوق الحادثات مشرق ... به عزمه في الترهات مغرب

لأبي تمام. ويقال لحبيب بن أوس. وحاول الشيء: أراده وحام حول تحصيله. واستام الشيء: قصده وتتبع سماته وتعرفه بها. ويروى: أم اشتقت. وقوله «عن وجه أمرد أشيب» فيه تجريد، أي عن وجه رجل أمرد كناية عن حسن الخُلق. أشيب كناية عن جودة الرأي اللازمة لكمال الرجولية. والأول كناية عن المضي في طرق الهزل. والثاني كناية عن المضي في طرق الجد، فلذلك اجتمعا معاً في زمان واحد. ويُحتمل أنه شاب مع أنه أمرد من كثرة حوادث الدهر. والشجى: ما نشب في الحلق لا يصعد ولا ينزل. والمشرق المغرب: الذاهب شرقاً وغرباً. والمراد التعميم: والترهة: =

وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول/٢٦أ العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة، فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه، ومعنى ﴿قَامُواْ﴾: وقفوا وثبتوا في مكانهم، ومنه: قامت السوق، إذا ركدت، وقام الماء: جمد، ومفعول ﴿شَآءَ﴾ محذوف، لأن الجواب يدل عليه، والمعنى: ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها، ولقد تكاثر هذا الحذف في «شاء» و«أراد» لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله: [من الطويل]

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَماً لَبَكَيْتُهُ[1] ....

وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [الأنبياء: ١٧]، ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر: ٤]، وأراد: ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد، وأبصارهم بوميض البرق، وقرأ ابن أبي عبلة: «لأذهب بأسماعهم»، بزيادة الباء كقوله: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والشيء: ما صح أن يعلم ويخبر عنه، قال سيبويه - في ساقة الباب المترجم بباب مجاري أواخر الكلم من العربية: وإنما يخرج التأنيث من التذكير، ألا ترى

= فارسي معرَّب بمعنى الطريق الصغيرة غير الجادة. والجمع ترهات وتراريه. ثم استعير للباطل وصار اسماً له، والمعنى: إن أردت مرشدي فهو عقلي، أو مؤدبي فدهري. فالاستفهام بمعنى الشرط مجازاً، ويحتمل أنه توبيخي والفاء تعليلية لمحذوف، أي لا ينبغي إرادة إرشادي ولا تأديبي. فإن دهري وعقلي تكفَّلا بذلك. وبين ذلك بقوله «هما أظلما» واستعمال أظلم متعدياً لغة رديئة. وحالي: مفعول. والإظلام استعارة لتنغيص العيش وتكدير الخاطر. وأجليا: أزالا وكشفا ظلاميهما. والظلامان: استعارة للتكدُّر والتنغُّص. وقوله «شجى» بدل من الأمرد، أي كالشجى. وشبَّه الحوادث بحيوانات لها حلوق على طريق المكنية والحلوق تخييل لذلك. والمعنى أن الحوادث صارت لا تؤثِّر فيه ومضى به عزمه في جميع طرق الهزل كما مضى به في الجد، وبين مشرق مغرب طِباق التضاد.

ينظر ديوانه (١/ ١٥٧)، والدر المصون (١/ ١٤٢).

(١) ملكت دموع العين حين رددتها ... إلى ناظري والعين كالقلب تدمع
ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

لابن يعقوب إسحاق بن حسَّان الخذيمي، يرثي أبا الهيذام عامر بن عماد أمير عرب الشام، يقول: غلبت دموع عيني وقدرت عليها حين رددتها إلى مكانها. ويروى «ثم رددتها» والحال أنها تدمع دمعاً كالقلب في الحمرة والحرقة. أو تدمع على وجه التبعية للقلب. ويروى «فالعين في القلب» مبالغة في فكره وحزنه المضمر فيه. وذكر مفعول المشيئة مع أنه صار في استعمالهم نسياً منسياً لأنه شيء مستغرب فحسن ذكره. وضمن «أبكي» معنى أدمع، فعداه إلى الدم مع أنه لا يتعدى إلا إلى المبكي عليه. وشبَّه الصبر بكريم أو ببيت له ساحة على سبيل المكنية. والمراد أنه يترك الجزع ويعدل إلى الصبر فيتصف به.

ينظر الكامل (٤/ ٣)، الدلائل (١١٦) شرح الحماسة (٣/ ١٠٥٣)، الدر المصون (١/ ١٤٣).

أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى؟، والشيء: مذكر، وهو أعم العام، كما أن الله أخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم، تقول: شيء لا كالأشياء؛ أي معلوم لا كسائر المعلومات، وعلى المعدوم والمحال فإن قلت: كيف قيل: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل[1] وفعل قادر آخر[2]؟ قلت: مشروط في حد القادر ألا يكون الفعل مستحيلاً؛ فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها، فكأنه قيل: على كل شيء مستقيم قدير، ونظيره: فلان أمير على الناس أي على من وراءه منهم، ولم يدخل فيهم نفسه وإن كان من جملة الناس، وأما الفعل بين قادرين فمختلف فيه، فإن قلت: ممّ اشتقاق القدير؟ قلت: من التقدير؛ لأنه يوقع فعله على مقدار قوّته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

لما عدّد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين، وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم، وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها، ويحظيها عند

---

(١) قال محمود رحمه الله: «وفي الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل... إلخ». قال أحمد رحمه الله: هذا الذي أورده خطأ على الأصل والفرع. أما على الأصل، فلأن الشيء لا يتناول إلا الموجود عند أهل السنّة. وأما على الفرع، فلأنا وإن فرعنا على معتقد القدرية ـ والشيء عندهم إنما يتناول الموجود والمعدوم الذي يصح وجوده فلا يتناول المستحيل ـ إذاً على هذا التفريع ما يراده إياه نقضاً غير مستقيم على المذهبين. وأما المقدور بين قادرين، فإنها ورطة إنما يستاق إليها القدرية الذين يعتقدون أن ما تعلقت به قدرة العبد استحال أن يتعلّق به قدرة الرب، إذ قدرة العبد خالقة فيستغني الفعل بها عن قدرة خالق آخر ـ تعالى الله عما يشركون علواً كبيراً ـ وأما أهل السنّة فالقادر الخالق عندهم واحد، وهو الله الواحد الأحد، فتتعلق قدرته تعالى بالفعل فيخلقه، وتتعلق به قدرة العبد تعلّق اقتران لا تأثير؛ فلذلك لم يخلق مقدور بين قادرين على هذا التفسير. وقد حشى الزمخشري في أدراج كلامه هذا سلب القدرة القديمة وجحدها، وجعل الله تعالى قادراً بالذات لا بالقدرة، دسّ ذلك تحت قوله: وفي الأشياء ما لا تعلق به لذات القادر، ولم يقل لقدرة القادر، فليتفطن لدفائنه. وكم من ضلالة استدسها في هذه المقالة والله الموفق. فإن قيل: أيها الأشعرية، إذا كان الشيء عندكم هو الموجود، فما معنى القدرة عليه بعد وجوده وبقائه، والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؟ قلنا: القدرة تتعلق بمقدورها فتوجده فيكون حينئذٍ شيئاً؛ فلما كان مآل ما تعلقت به القدرة إلى الشيء حتماً، صح إطلاق الشيء عليه، وهو من وادي: «من قتل قتيلاً فله سلبه» وإذا سموا الشيء باسم ما يؤول إليه غالباً، فما يؤول إليه حتماً أجدر.

(٢) قوله «وفعل قادر آخر» لعله مبني على مذهب المعتزلة أن العبد هو الفاعل لأفعاله الاختيارية. ومذهب أهل السنّة أن فاعلها في الحقيقة هو الله تعالى. (ع)

الله ويرديها، أقبل عليهم بالخطاب، وهو من الالتفات المذكور عند قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهو فنّ من الكلام جزل، فيه هزّ وتحريك من السامع، كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكياً عن ثالث لكما: إنّ فلاناً من قصته كيت وكيت، فقصصت عليه ما فرط منه، ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت: يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك، وتستوي على جادّة السداد في مصادرك ومواردك، نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه، واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء، وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازاً من طبعه مالاً يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة/ ٢٦ب، وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف، يستفتح الآذان للاستماع، ويستهش الأنفس للقبول، وبلغنا بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة: أنّ كل شيء نزل فيه: (يٰأيُّهَا النَّاسُ) فهو مكي، و(يٰأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا) فهو مدني(٢٨)، فقوله: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم): خطاب لمشركي مكة، و«يا» حرف وضع في أصله لنداء البعيد، صوت يهتف به الرجل بمن يناديه، وأما نداء القريب فله «أي، والهمزة»، ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب، تنزيلاً له منزلة من بعد، فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معنيّ به جداً، فإن قلت: فما بال الداعي

---

٢٨ ـ هذا الحديث روي مرسلاً ومسنداً:ـ

أما المرسل: ـ فقد أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٤٠): كتاب فضائل القرآن: باب ما نزل من القرآن بمكة والمدينة، وأبو عبيد القاسم (٢/ ٢٠٢) باب منازل القرآن بمكة والمدينة، حديث (٨١٧).

وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٧٣).

وعزاه إلى ابن عبيد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن الضريس وابن المنذر وأبي الشيخ بن حيان في التفسير عن علقمة.

أما المسند: فقد أخرجه الحاكم (٣/ ١٨) كتاب الهجرة، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٤) جماع أبواب نزول الوحي: باب ذكر السور التي نزلت بمكة، والتي نزلت بالمدينة.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٧٣)، وعزاه إلى البزار والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال الحافظ في «تخريج الكشاف»:

أخرجه ابن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم بهذا. وأخرجه البزار من رواية الأقيس ابن الربيع عن الأعمش موصولاً بذكر عبد الله بن مسعود فيه. وقال: لا نعلم أحداً أسنده إلاّ قيس، واعترض بما رواه الحاكم والبيهقي في الدلائل عنه. وابن مردويه في تفسير الحج. كلهم من طريق وكيع أيضاً قال: حدثنا أبي عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله. . . (فائدة): هذا محمول على أن المراد بالمكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة؛ لأن الغالب على أهل مكة كان الكفر فخوطبوا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾. وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾. أفاده الشيخ بهاء الدين بن عقيل. انتهى.

يقول في جؤاره: يا رب[1]، ويا ألله، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وأسمع به وأبصر؟ قلت: هو استقصار منه لنفسه، واستبعاد لها من مظانّ الزلفى وما يقرّبه إلى رضوان الله ومنازل المقرّبين، هضماً لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط في جنب الله، مع فرط التهالك على استجابة دعوته والإذن لندائه وابتهاله، و«أي» وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام، كما أنّ «ذو» و«الذي» وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل. وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه، فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء، فالذي يعمل فيه حرف النداء هو «أيّ» والاسم التابع له صفته، كقولك: يا زيد الظريف؛ إلا أن «أيّا» لا يستقل بنفسه استقلال: «زيد» فلم ينفك من الصفة، وفي هذا التدرّج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد، وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين: معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه، ووقوعها عوضاً مما يستحقه أيّ من الإضافة، فإن قلت: لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره؟ قلت: لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة: لأن كل ما نادى الله له عباده ـ من أوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره ووعده ووعيده، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم، وغير ذلك مما أنطق به كتابه ـ أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان ـ عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ، فإن قلت: لا يخلو الأمر بالعبادة من أن يكون متوجهاً إلى المؤمنين والكافرين جميعاً، أو إلى كفار مكة خاصة، على ما روى عن علقمة والحسن، فالمؤمنون عابدون ربهم، فكيف أمروا بما هم ملتبسون به؟ وهل هو إلا كقول القائل: [من الخفيف]

فَلَوَ اَنّي فَعَلْتُ كُنْتُ كَمَنْ تَسْـ ـأَلُهُ وَهْوَ قَائِمٌ أَنْ يَقُومَا[2]

وأما الكفار فلا يعرفون الله، ولا يقرّون/ ٢٧أ به فكيف يعبدونه؟ قلت: المراد بعبادة

---

(١) قوله «يقول في جؤاره: يا رب» في الصحاح: جأر الثور يجأر، أي صاح. وجأر الرجل إلى الله عز وجل: أي تضرع. (ع)

(٢) نِعمة اللّه فيك لا تسأل اللّـ ـه إليها نُعمي سوى أن تدوما
فلو أني فعلت كنت كمن تسـ ـأله وهو قائم أن يقوما

النِّعمة بالكسر، والنُّعمي بالضم، وكذلك النَّعماء بالفتح بمعنى واحد. يقول: نِعمة اللّه علينا فيك كافية لا نطلب من اللّه نِعمة أخرى منضمة إليها، سوى أن تدوم هي أو أنت أو أنتما. فلو أني ـ بالنقل للوزن ـ فعلت، أي سألت اللّه غيرها كانت حالي مع اللّه كحالك مع من تسأله القيام وهو قائم، فهو تشبيه مركّب، وإلا فهو سائل ومن تسأله مسئول. يعني أن السؤال يكون تحصيلاً للحاصل، لأنه لا نِعمة سواها أعظم منها في ظنه. وفيه مبالغة في تعظيمها.

المؤمنين: ازديادهم منها وإقبالهم وثباتهم عليها، وأما عبادة الكفار، فمشروط فيها ما لا بدَّ لها منه وهو الإقرار، كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما، وما لا بد للفعل منه، فهو مندرج تحت الأمر به وإن لم يذكر، حيث لم ينفعل إلا به، وكان من لوازمه، على أنّ مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، فإن قلت: فقد جعلت قوله: ﴿ٱعْبُدُواْ﴾ متناولاً شيئين معاً: الأمر بالعبادة، والأمر بازديادها، قلت: الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئاً آخر، فإن قلت: ﴿رَبَّكُمُ﴾ ما المراد به؟ قلت: كان المشركون معتقدين ربوبيتين: ربوبية الله، وربوبية آلهتهم، فإن خصوا بالخطاب، فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والأرض، والآلهة التي كانوا يسمونها أرباباً، وكان قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ صفة موضحة مميزة، وإن كان الخطاب للفرق جميعاً، فالمراد به: «ربكم» على الحقيقة، والذي خلقكم: صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم، ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة، إلا أن الأول أوضح وأصح، والخلق: إيجاد الشيء على تقدير واستواء، يقال: خلق النعل، إذا قدرها وسواها بالمقياس، وقرأ أبو عمرو: «خَلَقْكُم» بالإدغام، وقرأ ابن السميفع: وخلق من قبلكم، وفي قراءة زيد بن علي: ﴿والّذِينَ مَنْ قَبْلَكُمْ﴾ وهي قراءة مشكلة، ووجهها على إشكالها أن يقال: أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيداً؛ كما أقحم جَريرٌ في قوله: [من البسيط]

يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لاَ أَبَالَكُمُ ....[1]

---

(١) يا تيم تيم عدي لا أبالكم لا يلقينكم في سوءة عمر
تعرضت تيم لي جهلاً لأهجوها كما تعرض الاست الخارىء الحجر

لجرير، تعرض له عمر بن لجأ، ويقال بن لجام التيمي بالهجو فخاطب قبيلته بذلك. وحذف المضاف إليه مع بقاء المضاف على حالة الإضافة مضطرد، إن اقترن بذكر مثله ليدل عليه؛ وإلا فهو سماعي. ومثل هذا التركيب يجوز فيه ضم الأول فهو مفرد والثاني مضاف لما بعده، وفتحه على أنه مضاف للمذكور، أو لمحذوف مماثل له، أو على أنهما مركبان اسماً واحداً مضافاً لما بعدهما؛ فتيم الأول هنا مضاف لعدي، والثاني مقحم بينهما مضاف لعدي محذوفاً عند سيبويه أو مضاف للمذكور، والأول مضاف لمحذوف مثل المذكور عند المبرد وتبعه ابن مالك. أو هما معاً مركبان كخمسة عشر، مضافان لعدي عند الفراء وتبعه الأعلم. ولو كان الثاني بدلاً أو بياناً أو توكيداً والأول مفردًا، لضم الأول وهم غير تيم قريش. وقولهم «لا أباله» دعاء بعدم الأب. وقيل محتمل للذم، أن لا أبًا له رشيداً، بل هو ابن زِنا. ويحتمل المدح، أي ليس محتاجاً إلى الأب بل مفاخره ذاتية، لكن ما هنا من الأول. و «لكم» خبر «لا» عند ابن الحاجب. وخبرها محذوف عند غيره ولكم متعلق بمحذوف صفة. أو اللام زائدة والضمير مضاف إليه. وأما على الأول مبني على فتح مقدر وحذف تنوينه للبناء. وعلى الثاني منصوب بفتحة مقدرة وحذف تنوينه لشبه الإضافة. وعلى الثالث منصوب بفتحة مقدرة وحذف تنوينه للإضافة. وهذا كله على لغة قصره كفتى. وأما نصبه =

تيماً الثاني بينِ الأول وما أضيف إليه، وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه في: لا أبالك[1]. ولعل للترجي أو الإشفاق، تقول: لعل زيداً يكرمني، ولعله يهينني، وقال الله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]. ألا ترى إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ [الشورى: ١٨]، وقد جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن، ولكن لأنه إطماع من كريم رحيم، إذا أطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة، لجري إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به. قال من قال: إن «لعل»: بمعنى: «كي»، و«لعل»: لا تكون بمعنى: «كي»؟! ولكن الحقيقة ما ألقيت إليك، وأيضاً فمن ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا: عسى، ولعل، ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا إخالة، أو يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة أو النظرة الحلوة، فإذا عثر على شيء من ذلك منهم، لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب، فعلى مثله ورد كلام مالك/٢٧ب الملوك ذي العز والكبرياء، أو يجيء على طريق الإطماع دون التحقيق؛ لئلا يتكل العباد؛ كقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ

= بالألف على لغة إعرابه بالحروف فلا يظهر إلا في الثالث، وفيه أن المضاف معرفة و «لا» لا تعمل إلا في النكرات، إلا أن يقال زيادة اللام صيرته في صورة النكرة فعملت فيه. و «لا يلقينكم» نهي عن الإلقاء في المكروه. وروي بالفاء بدل القاف، من ألفى إذا وجد لكن روي «لا يوقعنكم» وهو يؤيد الأول. والمراد النهي عن إقرار عمر على هجوه الموقع لهم في السوءة وهي هجو جرير لهم. واللام في لأهجوها لام العاقبة. وقد شبّه نفسه ـ بل فمه ـ باست الخارىء، أي دبره. ومهد لذلك التشبيه فيما تقدم بالتعبير بالسوءة. ولقد هجا نفسه من حيث لم يشعر. والاست: من الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فزادوها همزة الوصل.

ينظر: ديوانه ص ٢١٢، والأزهيّة ص ٢٣٨، والأغاني ٣٤٩/٢١، وخزانة الأدب ٢٩٨/٢، ٣٠١، ٩٩/٤، ١٠٧، والخصائص ٣٤٥/١، والدرر ٢٩/٦، وشرح أبيات سيبويه ١٤٢/١، وشرح شواهد المغني ٨٥٥/٢، وشرح المفصل ١٠/٢، والكتاب ٥٣/١؛ ٢٠٥/٢، واللامات ص ١٠١، ولسان العرب (أبي)، والمقاصد النحوية ٢٤٠/٤، والمقتضب ٢٢٩/٤، ونوادر أبي زيد ص ١٣٩، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢٠٤/٤، وأمالي ابن الحاجب ٧٢٥/٢، وجواهر الأدب ص ١٩٩، ٤٢١، وخزانة الأدب ٣١٧/٨، ١٩١/١٠، ورصف المباني ص ٢٤٥، وشرح الأشموني ٤٥٤/٢، وشرح ابن عقيل ص ٥٢٢، وشرح المفصل ١٠٥/٢، ٢١/٣، ومغني اللبيب ٤٥٧/٢، وهمع الهوامع ١٢٢/٢.

(١) قال السمين الحلبي: إلا أنَّ بعضَهم يَرُدُّ هذا القولَ ويجعلُه فاسداً؛ مَنْ جهة أنه لا يُؤكَّدُ الحرف إلا بإعادة ما اتصل به، فالموصول أولى بذلك، وخرج الآية والبيت على أن «مَنْ قبلكم» صلةٌ للموصولِ الثاني، والموصولُ الثاني وصلته خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ، والمبتدأُ وخبرُه صلةُ الأول، والتقديرُ: والذينَ هُمْ مَنْ قبلكم.

﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [التحريم: ٨]، فإن قلت: فـ«لعل» التي في الآية ما معناها، وما موقعها؟ قلت: ليست مما ذكرناه في شيء، لأن قوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم؛ لأن الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة، وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد أيضاً، ولكن «لعل»: واقعة في الآية موقع المجاز[١] لا الحقيقة، لأن الله ـ عز وجل ـ خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف، وركب فيهم العقول والشهوات، وأزاح العلة في أقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين، ووضع في أيديهم زمام الاختيار، وأراد منهم الخير والتقوى[٢]، فهم في صورة المرجوّ منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم ـ وهم مختارون بين الطاعة والعصيان ـ كما ترجحت حال المرتجي بين أن يفعل وألا يفعل، ومصداقه قوله عز وجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وإنما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب، ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار، فإن قلت: كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون، فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك، فلم قصره عليهم دون من قبلهم؟ قلت: لم يقصره عليهم، ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعاً، فإن قلت: فهلا قيل تعبدون لأجل اعبدوا[٣]؟ أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم؟ قلت: ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدّي ذلك إلى تنافر النظم، وإنما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده، فإذا قال: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ للاستيلاء على أقصى غايات العبادة كان أبعث على العبادة، وأشدّ إلزاماً لها، وأثبت لها في النفوس، ونحوه أن تقول لعبدك: احمل خريطة الكتب، فما ملكتك يميني إلا لجرّ الأثقال، ولو قلت: لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع.

---

(١) قال محمود رحمه الله: «لعل واقعة في الآية موقع المجاز... إلخ». قال أحمد رحمه الله: كلام سديد إلا قوله: وأراد منهم التقوى والخير؛ فإنه كلام أبرزه على قاعدة القدرية. والصحيح والسنة أن الله تعالى أراد مِن كل أحد ما وقع منه من خير وغيره، ولكن طلب الخير والتقوى منهم أجمعين. والطلب والأمر عند أهل السنّة مباين للإرادة، ألهمنا الله صواب القول وسداده.

(٢) قوله «وأراد منهم الخير والتقوى» مبني على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يريد إلا الخير وإن وقع خلافه. ومذهب أهل السنّة أنه يريد الخير والشر، وكل ما أراده يقع، لإجماع السلف على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. (ع)

(٣) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت فهلا قيل تعبدون... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: كلام حسن إلا قوله خلقكم للاستيلاء على أقصى غاية العبادة؛ فإنه مفرع على تلك النزعة المتقدمة آنفاً. والعبارة المحررة في ذلك على قاعدة السنّة أن يقال: اعبدوا ربكم الذي خلقكم على حالة من حقكم معها أن تستولوا على أقصى غاية العبادة وهي التقوى لما ركب فيكم من العقول، وبينه لكم من البواعث على تقواه، فكان جديراً بكم أن لا تدعوا من جهدكم في التقوى شيئاً.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قدّم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم أحياء قادرين أوّلاً؛ لأنه سابقة أصول النعم ومقدمتها، والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما، ثم خلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرّهم الذي لا بدّ لهم منه، وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه، ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار، ثم ما سوّاه عزّ وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها، والإخراج به من بطنها ـ أشباه النسل المنتج من الحيوان ـ من ألوان الثمار رزقاً لبني آدم، ليكون لهم ذلك معتبراً، ومتسلقاً إلى النظر الموصل إلى التوحيد/٢٨أ والاعتراف؛ ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر، ويتفكرون في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم، وأن شيئاً من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على إيجاد شيء منها، فيتيقنوا عند ذلك أن لا بدّ لها من خالق ليس كمثلها، حتى لا يجعلوا المخلوقات له أنداداً وهم يعلمون أنها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر، والموصول مع صلته إمّا أن يكون في محل النصب وصفاً كالذي خلقكم، أو على المدح والتعظيم، وإمّا أن يكون رفعاً على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح، وقرأ يزيد الشامي: «بساطاً»، وقرأ طلحة: «مهادا»، ومعنى جعلها فراشاً وبساطاً ومهاداً للناس: أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده، فإن قلت: هل فيه دليل على أنّ الأرض مسطحة وليست بكريّة؟ قلت: ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش، وسواء كانت على شكل السطح، أو شكل الكرة، فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع، لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها، وإذا كان متسهلاً في الجبل وهو وتد من أوتاد الأرض، فهو في الأرض ذات الطول والعرض أسهل، والبناء مصدر سمي به المبنى ـ بيتاً كان أو قبة أو خباء أو طرافاً ـ وأبنية العرب: أخبيتهم، ومنه بنى على امرأته، لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديداً، فإن قلت: ما معنى إخراج الثمرات بالماء وإنما خرجت بقدرته ومشيئته؟ قلت: المعنى أنه جعل الماء سبباً في خروجها ومادّة لها، كماء الفحل في خلق الولد، وهو قادر على أن ينشىء الأجناس كلها بلا أسباب ولا موادّ كما أنشأ نفوس الأسباب والموادّ، ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجاً لها من حال إلى حال، وناقلاً من مرتبة إلى مرتبة حكماً ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وأفكاراً صالحة، وزيادة طمأنينة، وسكون إلى عظيم قدرته وغرائب حكمته، ليس ذلك في إنشائها بغتة من غير تدريج وترتيب، و«من» في: ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للتبعيض بشهادة قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقوله:

﴿فأخرجنا به ثمرات﴾ [فاطر: ٢٧]، ولأنّ المنكرين أعني: ماء، ورزقاً. يكتنفانه، وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل: وأنزلنا من السماء بعض الماء، فأخرجنا به بعض الثمرات، ليكون بعض رزقكم، وهذا هو المطابق لصحة المعنى، لأنه لم ينزل من السماء الماء كله، ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات، ولا جعل الرزق كله في الثمرات، ويجوز أن تكون للبيان[١]، كقولك: أنفقت من الدراهم ألفاً، فإن قلت: فيم انتصب/ ﴿رِزۡقًا﴾؟ قلت: إن كانت «من» للتبعيض، كان انتصابه بأنه مفعول له، وإن كانت مبينة، كان مفعولاً لأخرج، فإن قلت: فالثمر المخرج بماء السماء كثير جمّ فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك: فلان أدركت ثمرة بستانه، تريد ثماره، ونظيره قولهم: كلمة الحويدرة؛ لقصيدته، وقولهم للقرية: المدرة؛ وإنما هي مدر متلاحق، والثاني: أنّ الجموع يتعاور بعضها موقع بعض، لالتقائها في الجمعية، كقوله: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ﴾ [الدخان: ٢٥] و﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ويعضد الوجه الأوّل قراءة محمد بن السميفع: من الثمرة، على التوحيد، و﴿لَّكُمۡ﴾ صفة جارية على الرزق إن أريد به العين، وإن جعل اسماً للمعنى فهو مفعول به، كأنه قيل: رزقاً إياكم، فإن قلت: بم تعلق: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ﴾؟ قلت: فيه ثلاثة أوجه: أن يتعلق بالأمر، أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له: ﴿أَندَادٗا﴾؛ لأنّ أصل العبادة وأساسها التوحيد، وألا يجعل لله ندًا ولا شريكًا، أو بلعل، على أن ينتصب تجعلوا انتصاب، «فأطلع» في قوله عز وجل: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧] في رواية حفص عن عاصم، أي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه، أو بالذي جعل لكم، إذا رفعته على الابتداء، أي هو الذي خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية، فلا تتخذوا له شركاء، والند: المثل، ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوىء، قال جرير: [من الوافر]

أَتَــيْــمــاً يَــجْــعَــلُــونَ إلَــيَّ نِــدًّا ... وَمَــا تَــيْــمٌ لِــذِي حَــسَــبٍ نَــدِيــدَا[٢]

---

(١) قال السمين الحلبي: وفيه نظر؛ إذ لم يتقدم ما يبين هذا، وكأنه يعني أنه بيان لـ «رزقا» من حيث المعنى، و «رزقا» ظاهر أنه مفعول به، ناصبه «أَخْرَج». ويجوز أن يكون «من الثمرات» في موضع المفعول به، والتقدير: فأخرج ببعض الماء بعض الثمرات. انتهى. الدر المصون.

(٢) الاستفهام إنكاري. وتيم: اسم رجل واسم قبيلة، وهو مفعول مقدم. و «إلى» متعلق بتجعلون على طريق التضمين، أي تنسبونه إلى أو إلى بمعنى لي. ويجوز تعلقه بنداً وهو مفعول ثانٍ. والواو للحال أي والحال أن تيماً ليس نداً لصاحب حسب ومآثر، فكيف يكون نداً لي. ويروى: أتيم تجعلون، فهو مبتدأ والمعنى ما تقدم وقيل إلى متعلق بمحذوف حال من تيماً أو من نداً. والند: الكفء والضد.
ينظر البيت في ديوانه (١٦٤)، مجالس العلماء (١١٤)، والدر المصون (١/ ١٥٠).

وناددت الرجل: خالفته ونافرته، من ندّ ندوداً إذا نفر، ومعنى قولهم: ليس لله ندّ ولا ضدّ نفي ما يسدّ مسدّه، ونفي ما ينافيه، فإن قلت: كانوا يسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب، وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه، قلت: لما تقرّبوا إليها وعظموها وسموها آلهة، أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله، قادرة على مخالفته ومضادّته، فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم، كما تهكم بهم بلفظ الندّ، شنع عليهم واستفظع شأنهم بأن جعلوا أنداداً كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ندّ قط، وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيلٍ حين فارق دين قومه: [من الوافر]

أَرَبًّا وَاحِداً أَمْ أَلْفَ رَبٍّ ... أَدِينُ إذَا تَقَسَّمَتِ الأُمُورُ؟[1]

وقرأ محمد بن السميفع: فلا تجعلوا لله ندا، فإن قلت: ما معنى ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قلت: معناه: وحالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد، والمعرفة بدقائق الأمور وغوامض الأحوال، والإصابة في التدابير، والدهاء والفطنة، بمنزل/ ٢٩أ لا تدفعون عنه، وهكذا كانت العرب، خصوصاً ساكنو الحرم من قريش وكنانة، لا يصطلى بنارهم[2] في استحكام المعرفة بالأمور وحسن الإحاطة بها، ومفعول: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ متروك كأنه قيل: وأنتم من أهل العلم والمعرفة، والتوبيخ فيه آكد، أي أنتم العرّافون المميزون، ثم إنّ ما أنتم عليه في أمر ديانتكم من جعل الأصنام لله أنداداً، هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل، ويجوز أن يقدر: وأنتم تعلمون أنه لا يماثل، أو: وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت، أو: وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله؛ كقوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الروم: ٤٠].

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

---

(١) أربـاً واحـداً أم ألـف رب ... أديـن إذا تـقـسـمـت الأمـور
تـركـت الـلات والـعـزى جـمـيـعـاً ... كـذلـك يـفـعـل الـرجـل الـبـصـيـر
لعمرو بن زيد بن نفيل بن رباح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن ربيعة. والهمزة للاستفهام. وفيه ضرب من التعجُّب وإظهار الخطأ في عبادة الأرباب وتشنيع على عبادهم. «وربا» مفعول. أدين: أي أطيع. والمراد بالألف الكثرة، لا خصوص ذلك العدد. إذا تقسّمت الأمور: أي إذا اتخذت كل طائفة ديناً من الأديان. وقوله: اللات العزى: أي وغيرهما من الأصنام؛ لأنه لا فرق بينهما. والبصير: المتبصّر في الأمر.

(٢) قوله: «لا يصطلي بنارهم» لعله يصطلي بدون «لا» أو لعله: لا يصطلي إلا بنارهم، بزيادة «إلا» فليحرر. ويمكن أن يراد اختصاصهم بكمال المعرفة، وأن غيرهم لا يصل إلى شيء مما لديهم من ذلك. (ع)

لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها، ويبطل الإشراك ويهدمه، وعلم الطريق إلى إثبات ذلك وتصحيحه، وعرفهم أنّ من أشرك فقد كابر عقله، وغطى على ما أنعم عليه من معرفته وتمييزه. عطف على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوّة محمد ﷺ، وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة، وأراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعي، أم هو من عند نفسه كما يدعون، بإرشادهم إلى أن يحزروا أنفسهم ويذوقوا طباعهم وهم أبناء جنسه وأهل جلدته، فإن قلت: لم قيل: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ على لفظ «التنزيل» دون «الإنزال»؟ قلت: لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم[1]، وهو من مجازه لمكان التحدي، وذلك أنهم كانوا يقولون: لو كان هذا من عند الله مخالفاً لما يكون من عند الناس، لم ينزل هكذا نجوماً سورة بعد سورة وآيات غب آيات، على حسب النوازل وكفاء الحوادث[2]، وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر، من وجود ما يوجد منهم مفرقاً حيناً فحيناً، وشيئاً فشيئاً حسب ما يعنّ لهم من الأحوال المتجددة والحاجات السانحة، لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة، ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه أو رسائله ضربة، فلو أنزل الله لأنزله خلاف هذه العادة جملة واحدة: قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢]، فقيل: إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج، فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه، وهلموا نجماً فرداً من نجومه: سورة من أصغر السور، أو آيات شتى مفتريات، وهذه غاية التبكيت، ومنتهى إزاحة العلل، وقُرىء: «على عبادنا» يريد رسول الله ﷺ وأمته، والسورة: الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات، وواوها إن كانت أصلاً، فإما أن تسمى بسورة المدينة وهي حائطها؛ لأنها طائفة من القرآن محدودة محوّزة على حيالها، كالبلد المسوّر؛

---

(١) قال السمين الحلبي: قال بعضُهم: «وهذا الذي ذهَب إليه في تضعيفِ الكلمة هنا، هو الذي يُعَبَّر عنه بالتكثير، أي يَفْعَلُ ذلك مرةً بعد مرةٍ، فَيُدَلُّ على ذلك بالتضعيفِ، ويُعَبَّرُ عنه بالكثرةِ». قال: «وذَهَلَ عن قاعدةٍ؛ وهي أن التضعيفَ الدالَّ على ذلك من شرطه أن يكونَ في الأفعال المتعديةِ قبل التضعيفِ غالباً نحو: جَرَّحْتُ زيداً وفتَّحْتُ الباب، ولا يُقال: جَلَّس زيدٌ، ونَزَّل لم يكن متعدياً قبل التضعيفِ، وإنَّما جَعَلَه متعدياً تضعيفَه. وقولُه «غالباً» لأنه قد جاء التضعيف دالاً على الكثرة في اللازم قليلاً نحو: «مَوَّت المالُ» وأيضاً فالتضعيفُ الدالُّ على الكثرةِ لاَ يَجْعَلُ القاصرَ متعدياً كما تقدَّم في مَوَّت المال، ونَزَّل كان قاصراً فصار بالتضعيفِ متعدِّياً، فدلَّ على أن تضعيفه للنقل لا للتكثير، وأيضاً كان يَحْتاج قولُه تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ إلى تأويل، وأيضاً فقد جاء التضعيفُ حيث لا يمكنُ فيه التكثيرُ نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ إلا بتأويلٍ بعيدٍ جداً، إذ ليس المعنى على أنهم اقترحوا تكرير نزول آيةٍ، ولا أنه عَلَّق تكريرَ نزولِ مَلَكٍ رسولٍ على تقديرِ كونِ ملائكةٍ في الأرض. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «وكفاء الحوادث» أي مقابلها ومساويها. أفاده الصحاح. (ع)

أو لأنها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد/ ٢٩ب، كاحتواء سورة المدينة على ما فيها، وإما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة، قال النابغة: [من الكامل]

وَلِرَهْطِ حَرَّابٍ وَقَدٌّ سُورَةٌ فِي المَجْدِ لَيْسَ غُرَابُهَا بِمُطَارِ[١]

لأحد معنيين؛ لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارىء، وهي ـ أيضاً ـ في أنفسها مترتبة: طوال، وأوساط، وقصار، أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين، وإن جعلت واوها منقلبة عن همزة؛ فلأنها قطعة وطائفة من القرآن، كالسورة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه، فإن قلت: ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً؟ قلت: ليست الفائدة في ذلك واحدة، ولأمر ما أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه على هذا المنهاج مسوّرة مترجمة السور، وبوّب المصنفون في كل فنّ كتبهم أبواباً موشحة الصدور بالتراجم، ومن فوائده: أنّ الجنس إذا انطوت تحته أنواع، واشتمل على أصناف، كان أحسن وأنبل وأفخم[٢] من أن يكون بياناً واحداً، ومنها أن القارىء إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأهز لعطفه، وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله، ومثله المسافر، إذا علم أنه قطع ميلاً، أو طوى فرسخاً، أو انتهى إلى رأس بريد ـ نفس ذلك منه ونشطه للسير، ومن ثم جزأ القرّاء القرآن أسباعاً، وأجزاء، وعشوراً، وأخماساً، ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة[٣]، اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة، فيعظم

---

(١) ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار
قوم إذا كثر الصياح رأيتهم وقرا غداة الروع والإنفار
للنابغة الذبياني. والسورة ـ بالضم ـ: الرتبة، يقول: ولقوم حراب بن زهير وقد بن مالك درجة في الشرف دائمة العز. وحراب بالراء. وروي بالزاي. وقد بالمهملة. وروي بالمعجمة. وقد وقذ: أخوان. وليس غرابها بمطار استعارة تمثيلية لدوام العز لهم؛ أو كناية عنه، لأن أصله: أنه إذا كثُر الشجر والنبات، يقيم فيه الغراب ولا يطيره شيء لحب الخصب وعدم الجدب. والأوجه أن السورة أصلها المرتبة الحسية، فاستعيرت للمعنوية، ثم جرت فيها المكنية حيث شبهت بمكان الخصب، وإثبات الغراب والإطارة تخييل لذلك التشبيه. ثم قال: هم قوم إذا كثُر الصياح في الحرب رأيتهم وقرا أي صما. فهو من الوقر أي ثقل الأذن، بمعنى أن كثرة الصياح لا تزعجهم كأنهم صم وقيل من الوقار والسكنية. وغداة الروع والإنفار: صبيحة الخوف والإفزاع. وقيل: أصله أن الغراب يقع على رأس البعير يتلقط منها الهوام، فلا يحرك رأسه لئلا ينفر الغراب فشبه مرتبتهم برأس البعير على طريق المكنية. وقيل لارتفاعها لا يصلها الغراب حتى يطار من فوقها. فالمعنى لا غراب فوقها فيطار.
ينظر ديوانه ص ٥٥، ولسان العرب (قدد)، (سور)، (طير)، وأساس البلاغة (غرب)؛ وتاج العروس (قدد)، (سور) (طير).

(٢) قوله «وأنبل وأفخم» أي أفضل وأعظم. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «إذا حذق السورة» حذق الشيء، أي مهر فيه. أفاده الصحاح. (ع)

عنده ما حفظه، ويجل في نفسه ويغتبط به»، ومنه حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ: «كَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، جَدَّ فِينَا» (٢٩) ومن ثمة كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة أفضل، ومنها أنّ التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم، إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع. ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ متعلق بسورة صفة لها أي بسورة كائنة من مثله، والضمير لما نزلنا[1]، أو لعبدنا، ويجوز أن يتعلق بقوله: ﴿فَأْتُوا۟﴾، والضمير للعبد، فإن قلت: وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل؟ قلت: معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم، أو فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشراً عربياً أو أمياً لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء، ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك؛ ولكنه نحو قول القبعثري للحجاج وقد قال له: لأحملنك على الأدهم: مثل الأمير حمل على الأدهم والأشهب، أراد من كان على صفة الأمير من السلطان والقدرة وبسطة اليد، ولم يقصد أحداً يجعله مثلاً للحجاج، وردّ الضمير إلى المنزل أوجه؛ لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ/ ٣٠أ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود: ١١]، ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨]، ولأن

---

٢٩ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٣٣٣): كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، حديث برقم (٣٦١٧)، ومسلم (٩/ ١٣٨): كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث (٢٧٨١)، وأحمد في المسند (٣/ ١٢٠، ١٢١ ـ ٢٤٥)، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده (ص٤٠٠)، حديث برقم (١٣٥٤).

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:

هذا طرف من حديث أخرجه أحمد وابن أبي شيبة قال: حدثنا يزيد بن هارون عن حميد عن أنس ـ رضي الله عنه ـ: أن رجلاً كان يكتب للنبي ـ ﷺ ـ، وقد قرأ البقرة وآل عمران، وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا ـ أي: عظم... الحديث». وأخرجه ابن حبان من هذا الوجه بلفظ: «عدّ فينا ذو شأن» وقد ذكره الجوهري في الصحاح من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ بلفظ المصنف. وأصله عند البخاري من رواية عبد العزيز بن صهيب. وعند مسلم في رواية ثابت، كلاهما عن أنس دون القدر الذي اقتصر عليه المصنف. ولم يصب الطيبي في عزوه له إلى الصحيحين. وعزاه الزمخشري في تفسير الجن إلى رواية عمر ـ رضي الله عنه ـ أيضاً كما سيأتي. انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه الله: «الضمير يحتمل عوده لما نزلناه... إلخ». قال أحمد رحمه الله: ومعنى هذا الترجيح أن المتحدي عليهم في التفسير الأوجه جملة المخاطبين، أي أنهم باجتماعهم ومظاهرة بعضهم بعضاً، عجزة عن الإتيان بطائفة منه. وأما على التفسير المرجوح، فهم مخاطبون بأن يعينوا واحداً منهم يكون معارضاً للمتحدي بأنه يأتي بمثل ما أوتي به أو ببعضه. ولا شك أن عجز الخلائق أجمعين أبهى من عجز واحد منهم. ويشهد لرجحان الأول قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾.

القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب، والكلام مع ردّ الضمير إلى المنزل أحسن ترتيباً، وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه، وهو مسوق إليه ومربوط به، فحقه ألا يفك عنه برد الضمير إلى غيره، ألا ترى أن المعنى: وإن ارتبتم في أنّ القرآن منزل من عند الله، فهاتوا أنتم نبذاً مما يماثله ويجانسه، وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً إلى رسول الله ﷺ أن يقال: وإن ارتبتم في أنّ محمداً مُنزل عليه فهاتوا قرآناً من مثله؛ ولأنهم إذا خوطبوا جميعاً ـ وهم الجم الغفير ـ بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم، كان أبلغ في التحدّي من أن يقال لهم: ليأتي واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد، ولأنّ هذا التفسير هو الملائم لقوله: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة، ومعنى ﴿دُونِ﴾ أدنى من مكان من الشيء، ومنه الشيء الدون، وهو الدنيّ الحقير، ودوّن الكتب، إذا جمعها، لأن جمع الأشياء إدناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها، يقال: هذا دون ذاك، إذا كان أحط منه قليلاً، ودونك هذا: أصله خذه من دونك، أي من أدنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الأحوال والرتب، فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم، ومنه قَولُ مَنْ قَالَ لِعَدُوّهِ وقد رَاءَاهُ بالثّناء عليه: أَنَا دُونَ هَذَا وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ،(٣٠) واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حدّ إلى حدّ وتخطى حكم إلى حكم، قال الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، أي: لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين، وقال أمية: [من البسيط]

يــا نَــفْــسُ مَــالَــكِ دُونَ الــلّــهِ مِــنْ وَاقِ .... (١)

---

٣٠ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف إلى البزار في مسنده (١/ ٥٢).
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه البزار من رواية علي بن أبي ربيعة قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فجعل يثني عليه. وكان يبلغه عنه خلاف ذلك، فقال: أنا دون هذا الذي تقوله، ولكن فوق ما في نفسك». ا.هـ.

---

(١) يـا نـفـس مـالـك دون الـلّـه مـن واق ولا لـلَـسْـع بـنـات الـدهـر مـن راق
لأمية بن أبي الصلت يقول: يا نفس ليس لك حافظ دون اللّه، أي متجاوز اللّه، أو متجاوزة اللّه، فهو حال من الواقي أو من النفس. واستعار البنات للحوادث بجامع ملازمة كل لمنشئه على طريق التصريحية، ثم شبه الحوادث بالأفاعي بجامع إيذاء كل لغيره على طريق المكنية ولسعها تخييل. ويجوز أنه استعار اللسع للإصابة على طريق التصريحية. والراقي طبيب اللسع. ومن زائدة في الموضعين لتوكيد الاستغراق: أي لا حافظ لك إلا اللّه، ولا جابر لك إلا هو.

أي إذا تجاوزت وقاية الله ولم تناليها لم يقك غيره، و﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بادعوا أو بشهداءكم، فإن علقته بشهداءكم فمعناه: ادعو الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق، أو ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الأعشى: [من الطويل]

تُـرِيـكَ الـقَـذَى مِـنْ دُونِـهَـا وهْـيَ دُونَـهُ ....[1]

أي تريك القذى قدّامها وهي قَدّام القذى، لرقّتها وصفائها، وفي أمرهم أن يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن بفصاحته: غاية التهكم بهم، ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أي من دون أوليائه ومن غير المؤمنين، ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله، وهذا من المساهلة وإرخاء العنان والإشعار بأنّ شهداءهم وهم مدارة القوم[2]، الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة، تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الإنسانية والأنفة أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم إحالته، وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز، وإن علقته بالدعاء فمعناه: ادعوا من دون الله شهداءكم، يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا: الله يشهد أنّ ما ندعيه حق، كما يقوله العاجز عن إقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام، وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم، وأنّ الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثاً غير قولهم: الله يشهد أنا صادقون، وقولهم هذا:

---

(١) وساق إذا شئنا كميش بمعشر ... وصهباء زباد إذا ما ترقرق
تريك القذى من دونها وهي دونه ... إذا ذاقها من ذاقها يتمطّق
للأعشى في مدح المحلق عبد الرحيم بن خيثم بن شداد. والكميش: السريع. وماضي العزم: أي سريع في سقي الناس ولو كثروا. والزباد ـ كرمان ـ: رغوة اللبن ونحوه. والترقرق: الترشرش والانصباب. وترقرق: أصله تترقرق، فحذف منه إحدى التاءين، أي تتحرك. تريك: أي الصهباء وهي الخمر، لأن فيها لون الصهبة. والقذى ما يتساقط في الشراب والعين. دونها: أي قدمها حائلاً بينها وبينك، والحال أنها دونه أي قدمه حائلة بينه وبينك إذا ذاقها: أي الخمر، من ذاقها: من أراد ذوقها، يتمطق: أي يصوِّت بفتح فمه ومص لسانه وشفتيه، أو يطبق فمه ويفتحه تلذُّذاً بها فيصوِّت. وقيل إن ضمير «تريك» عائد للزجاجة يصفها بالصفاء، فلعله أطلق الصهباء عليه لتلونها بلون الخمرة. وضمير «ذاقها» عائد لها بمعنى الخمرة، فيكون في الكلام استخدام. وروي «وهي فوقه» بدل «دونه» وفيه نوع تأييد لعود الضمير على الخمرة.
ينظر ديوانه ص ٢٦٩، تهذيب اللغة (٩/ ١٦، ٤/ ١٨٠)، أساس البلاغة (مطق)، تاج العروس (مطق)، وبلا نسبة في لسان العرب (مطق)، (دون)، جمهرة اللغة ص (٩٢٤)، تاج العروس (دون).

(٢) قوله «مدارة القوم» المدارة جلد يدار ويخرز على هيئة الدلو، لكنها تكون واسعة الجوف قصيرة الجوانب لتنغمس في الماء وإن كان قليلاً فتمتلىء منه. أفاده الصحاح فهي هنا مجاز. (ع)

تسجيل منهم على أنفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة، وعن بعض العرب أنه سئل عن نسبه فقال: قرشيّ والحمد لله، فقيل له: قولك: «الحمد لله» في هذا المقام ريبة، أو ادعوا من دون الله شهداءكم: يعني أنّ الله شاهدكم، لأنه أقرب إليكم من حبل الوريد، وهو بينكم وبين أعناق رواحلكم، والجن والإنس شاهدوكم، فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والإنس إلا الله تعالى، لأنه القادر وحده على أن يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم؛ فهو في معنى قوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ . . .﴾ [الإسراء: ٨٨] الآية.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرّفون أمر النبي ﷺ وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسرّه وامتياز حقه من باطله، ـ قال لهم: فإذا لم تعارضوه، ولم يتسهل لكم ما تبغون، وبان لكم أنه معجوز عنه، فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق، فآمنوا وخافوا العذاب المعدّ لمن كذب، وفيه دليلان على إثبات النبوّة: صحة كون المتحدي به معجزاً، والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله، فإن قلت: انتفاء إتيانهم بالسورة واجب، فهلا جيء بـ«إذا» الذي للوجوب دون: «إن» الذي للشك، قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم، وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمّل، كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام، والثاني: أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه: إن غلبتك لم أبق عليك، وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكماً به، فإن قلت: لم عبر عن الإتيان بالفعل، وأي فائدة في تركه إليه؟ قلت: لأنه فعل من الأفعال، تقول: أتيت فلاناً، فيقال لك: نعم ما فعلت، والفائدة فيه: أنه جار مجري الكناية التي تعطيك اختصاراً ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه، ألا ترى أنّ الرجل يقول: ضربت زيداً في موضع كذا على صفة/ ٣١أ كذا، وشتمته ونكلت به، ويعد كيفيات وأفعالاً، فتقول: بئسما فعلت، ولو ذكرت ما أنبته عنه، لطال عليك؛ وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل، لاستطيل أن يقال: فإن لم تأتوا بسورة من مثله، ولن تأتوا بسورة من مثله[1]، فإن قلت: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ ما محلها؟ قلت: لا محل لها؛ لأنها جملة اعتراضية، فإن قلت:

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولا يَلْزَمُ ما قال؛ لأنه لو قال: «فإنْ لم تأتوا ولَنْ تأتوا» كان المعنى على ما ذَكَر، ويكونُ قد حَذَفَ ذلك اختصاراً، كما حَذَف اختصاراً مفعولَ «لم تَفعلوا ولَنْ تفعلوا»، ألا ترى أنَّ التقدير: فإنْ لم تفعلوا الإتيانَ بسورةٍ من مِثله، ولن تفعلوا الإتيانَ بسورةٍ من مثله». انتهى الدر.

ما حقيقة: «لن» في باب النفي؟ قلت: «لا»، و«لن» أختان في نفي المستقبل، إلا أن في «لن» توكيداً وتشديداً، تقول لصاحبك: لا أقيم غداً، فإن أنكر عليك قلت: لن أقيم غداً؛ كما تفعل في: أنا مقيم، وإني مقيم، وهي عند الخليل في إحدى الروايتين عنه أصلها: «لا أن»، وعند الفراء: «لا»، أبدلت ألفها نوناً، وعند سيبويه وإحدى الروايتين عن الخليل: حرف مقتضب؛ لتأكيد نفي المستقبل، فإن قلت: من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة؟ قلت: لأنهم لو عارضوه بشيء، لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه، إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال، لا سيما والطاعنون فيه أكثف عدداً من الذابين عنه، فحين لم ينقل علم أنه إخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة، فإن قلت: ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله؟ قلت: إنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة، صح عندهم صدق رسول الله ﷺ، وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا، استوجبوا العقاب بالنار؛ فقيل لهم: إن استبنتم العجز فاتركوا العناد؛ فوضع ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ موضعه؛ لأنّ اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد، من حيث إنه من نتائجه؛ لأنّ من اتقى النار ترك المعاندة، ونظيره أن يقول الملك لحشمه: إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي، يريد: فأطيعوني واتبعوا أمري، وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط، وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة، وفائدته الإيجاز الذي هو من حلية القرآن، وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه وإبرازه في صورته؛ مشيعاً ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع أمرها.

والوَقود: ما ترفع به النار، وأمّا المصدر فمضموم، وقد جاء فيه الفتح، قال سيبويه: وسمعنا من العرب من يقول: وقدت النار وُقوداً عالياً، ثم قال: والوَقود أكثر، والوقود الحطب، وقرأ عيسى بن عمر الهمدانيّ ـ بالضم ـ تسمية بالمصدر، كما يقال: فلان فخر قومه وزين بلده، ويجوز أن يكون مثل قولك: حياة المصباح السليط، أي: ليست حياته إلا به/ ٣١ب؛ فكأنّ نفس السليط حياته، فإن قلت: صلة «الذي» و «التي» يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب، فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة؟ قلت: لا يمتنع أن يتقدّم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب، أو سمعوه من رسول الله ﷺ، أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم: ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] فإن قلت: فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم، وههنا معرّفة؟ قلت: تلك الآية نزلت بمكة، فعرفوا منها ناراً موصوفة بهذه الصفة، ثم نزلت هذه بالمدينة[1]؛ مشاراً بها إلى ما عرفوه أوّلاً، فإن قلت: ما معنى قوله تعالى:

---

(١) قال محمود رحمه الله: «هذه الآية نزلت بالمدينة بعد نزول آية التحريم بمكة... إلخ». قال أحمد =

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾؟ قلت: معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران، بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة، وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت أوّلا بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه، وتلك ـ أعاذنا الله منها برحمته الواسعة ـ توقد بنفس ما يحرق ويحمي بالنار، وبأنها لإفراط حرّها وشدّة ذكائها إذا اتصلت بما لا تشتعل به نار، اشتعلت وارتفع لهبها، فإن قلت: أنار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة، أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة؟ قلت: بل هي نيران شتى، منها نار توقد بالناس والحجارة، يدل على ذلك تنكيرها في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: ١٤] ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين، كما أنّ لكفرة الإنس ناراً وقودها هم، جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب، فإن قلت: لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقوداً. قلت: لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا، حيث نحتوها أصناماً وجعلوها لله أنداداً أو عبدوها من دونه: قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه، فقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في معنى الناس والحجارة، و ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] في معنى وقودها، ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضارّ عن أنفسهم بمكانهم، جعلها الله عذابهم، فقرنهم بها محماة في نار جهنم، إبلاغاً في إيلامهم وإغراقاً في تحسيرهم[(١)]، ونحوهم ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدّة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق، حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم، وقيل: هي حجارة الكبريت، وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل ﴿أُعِدَّتْ﴾/ ٣٢أ، هيئت لهم وجعلت عدّة لعذابهم، وقرأ عبد الله: «أعتدت»، من العتاد بمعنى العدة.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

من عادته ـ عز وجل ـ في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب، ويشفع البشارة

= رحمه الله يعني بالآية قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ لكني لم أقف على خلاف بين المفسرين أن سورة التحريم مدنية وما اشتملت عليه من القصة المشهورة أصدق شاهد على ذلك. فالظاهر أن الزمخشري وهم في نقله أنها مكية.

(١) قوله «وإعراقاً في تحسيرهم» لعله: وإغراقاً، بالغين المعجمة. (ع)

بالإنذار إرادة التنشيط، لاكتساب ما يزلف، والتثبيط عن اقتراف ما يتلف، فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب، قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي، وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب، فإن قلت: مَنْ المأمور بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ﴾؟ قلت: يجوز أن يكون رسول الله ﷺ، وأن يكون كل أحد، كما قال عليه الصلاة والسلام: «بَشِّرِ المَشَّائِينَ إِلَى المَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ» (٣١) لم يأمر بذلك واحداً بعينه؛ وإنما كل أحد مأمور به، وهذا

---

٣١ ـ أخرجه أبو داود (١/٢٠٩) كتاب الصلاة، باب: ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلم، حديث (٥٦١).

والترمذي (١/٤٣٥) كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة حديث (٢٢٣).

من حديث إسماعيل بن سليمان عن عبد الله بن أوس، عن بريدة بن الحصيب عن النبي ـ ﷺ ـ قال:

«بشر المشّائين...».

ورواه القضاعي في مسند الشهاب رقم (٧٥٢، ٧٥٥)، والبغوي في شرح السنة (٢/١١٨) رقم (٤٧٤ ـ بتحقيقنا).

وله شواهد من حديث:

أنس، وسهل بن سعد، وأبي الدرداء، وابن عباس وابن عمر، وزيد بن حارثة، وأبي موسى الأشعري، وأبي أمامة، وعائشة، وأبي سعيد الخدري، وحارثة ابن وهب الخزاعي.

أما حديث أنس:

فأخرجه ابن ماجة (١/٢٥٦) كتاب المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة حديث (٧٨١).

والحاكم (١/٢١٢) من طريق ثابت البناني عن أنس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: فذكره.

أما حديث سهل بن سعد:

رواه ابن ماجة (١/٢٥٦) كتاب المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة (٧٨٠) من حديث زهير بن محمد التميمي عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي مرفوعاً.

ورواه الحاكم (١/٢١٢)، وابن خزيمة (٢/٣٧٧) رقم (١٤٩٨، ١٤٩٩).

والطبراني في الكبير (٦/١٤٧) رقم (٥٨٠٠).

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه...

ووافقه الذهبي.

وأما حديث أبي الدرداء:

فرواه ابن حبان في صحيحه، كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (١/٥٣).

وأما حديث ابن عباس:

رواه الطبراني (١٠/٣٥١) رقم (١٠٦٨٩) قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا العباس بن بكار العيني ثنا أبو هلال عن قتادة عن سعيد بن المسيّب عن ابن عباس مرفوعاً به...

قال الهيثمي في المجمع (٢/٣٣).

«وفيه العباس بن عامر الضبي، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله موثقون» ا.هـ. =

الوجه أحسن وأجزل؛ لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من

= وأما حديث ابن عمر:
أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/٣٥٨) رقم (١٣٣٣٥):
قال الهيثمي في المجمع (٢/٣٣).
«فيه داود ابن الزبرقان ضعفه ابن معين وابن المديني وأبو زرعة، وقال البخاري: مقارب الحديث» ا.هـ.
وأما حديث زيد بن حارثة:
فرواه الطبراني في الكبير (٥/٨٦) رقم (٤٦٦٢) مرفوعاً بلفظ: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بنور يوم القيامة ساطع».
قال الهيثمي في المجمع (٢/٣٣):
«رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه ابن لهيعة، وهو مختلف في الاحتجاج به» ا.هـ.
وأما حديث أبي موسى الأشعري:
رواه الطبراني في الكبير والبزار (١/٢١٧) (كشف/ ٤٣٢)، قال الهيثمي (٢/ ٣٣ ـ ٣٤).
«رواه الطبراني في الكبير والبزار، وفيه محمد بن عبد الله بن عمير بن عبيد ـ وهو منكر الحديث» ا.هـ.
وأما حديث أبي أمامة:
رواه الطبراني أيضاً مرفوعاً بلفظ: «بشر المدلجين إلى المساجد في الظلم بمنابر من نور يوم القيامة يفزع الناس ولا يفزعون».
قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٤):
«رواه الطبراني في الكبير، وفيه سلمة العبسي عن رجل من أهل بيته، ولم أجد من ذكرهما» ا.هـ.
وأما حديث عائشة:
قال الهيثمي (٢/ ٣٣): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الحسن بن علي الشروي، قال الذهبي: لا يعرف، وفي حديثه نكرة قال الأزدي: لا يتابع عليه» ا.هـ.
وأما حديث أبي سعيد الخدري:
فرواه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٣٦١) رقم (١١١٣) قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٣):
«فيه عبد الحكم بن عبد الله وهو ضعيف» ا.هـ.
وأما حديث حارثة بن وهب الخزاعي:
فرواه ابن شاهين في كتاب الترغيب له.
كما ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٥٤)، والسيوطي في الأزهار المتناثرة (ص٣٣).
وعزاه السيوطي في الأزهار أيضاً. لأبي موسى المديني عن حطيم الحراني مرسلاً.
ولسعيد بن منصور عن عطاء بن يسار مرسلاً.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه أبو داود. والترمذي والبزار. من طريق إسماعيل بن سليمان عن عبد الله بن أوس عن بريدة وقال الدارقطني: تفرد به إسماعيل. وله شاهد من رواية ثابت عن أنس وسهل بن سعد ـ رضي الله عنهما ـ أخرجه ابن ماجه والحاكم. وأخرجه ابن حبان عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ، والطبراني من رواية ابن عباس وابن عمر وزيد بن حارثة وأبي موسى وأبي أمامة ـ رضي الله عنهم ـ =

قدر على البشارة به، فإن قلت: علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه؟ قلت: ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه؛ إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين، كما تقول: زيد يعاقب بالقيد والإرهاق، وبشر عمراً بالعفو والإطلاق، ولك أن تقول: هو معطوف على قوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟﴾[(١)] كما تقول: يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم، وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم، وفي قراءة زيد بن عليّ - رضي الله عنه -: «وَبُشِّرَ» على لفظ المبنيّ للمفعول عطفاً على ﴿أُعِدَّتْ﴾[(٢)]، والبشارة: الإخبار مما يظهر سرور المخبر به، ومن ثم قال العلماء: إذا قال لعبيده: أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حرّ، فبشروه فرادى، عتق أوّلهم، لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين، ولو قال مكان «بشرني» أخبرني: عتقوا جميعاً، لأنهم جميعاً أخبروه، ومنه: البشرة لظاهر الجلد، وتباشير الصبح: ما ظهر من أوائل ضوئه، وأما ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه، كما يقول الرجل لعدوّه: أبشر بقتل ذرّيتك ونهب مالك، ومنه قوله: [من الكامل]

.... فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ[(٣)]

= بأسانيد ضعيفة. وحديث زيد في الكامل لابن عديّ. وحديث أبي موسى عند البزار. ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة في ترجمة أحمد بن محمد بن صدقة. وقال: تفرد به قتادة بن الفضل عن الحسن بن علي البيروتي، ورواه الطيالسي وأبو يعلىٰ من حديث أبي سعيد، وإسناده ضعيف أيضاً. ورواه عمر بن شاهين في الترغيب له من حديث حارثة بن وهب الخزاعي. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: وهذا قد رَدَّهُ الشيخ بأنّ «فاتقوا» جواب الشرط، فالمعطوف يكون جواباً؛ لأن حكمَه حكمُه، ولكنه لا يصح؛ لأن تبشيره للمؤمنين لا يترتب على قوله: «فإن لم تفعلوا». انتهى. الدر المصون.

(٢) قال السمين الحلبي: وهو غلط؛ لأن المعطوف عليه من الصلة، ولا راجع على الموصول من هذه الجملة، فلا يصح أن يكون عطفاً على أعدت. انتهى. الدر المصون.

(٣) غضبت تميم أن نقتل عامراً ... يوم النسار فأعتبوا بالصيلم
لبشر بن أبي حازم الأسدي. وتميم، وعامر: قبيلتان. وهل: استفهام إنكاري. أي ليس المجرب للأمور مثلهما كمن لم يجربها. ويجوز أنه أمره بالسؤال لأن الذي يسأل ويعلم ليس كمن لم يعلم. وأن نقتل: أي من أن نقتل. وروي: تقتل عامر، بالبناء للمجهول. والنسار اسم ماء لبني عامر، أي غضبت علينا تميم من قتل حلفائهم فكأنها عتبت علينا لضعفها. فأعتبناهم، أي أزلنا عتابهم =

والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم، قال الحطيئة: [من البسيط]

كَيْفَ الْهِجَاءُ وَمَا تَنْفَكُّ صَالِحَةٌ مِنْ آلِ لَأْمٍ بِظَهْرِ الغَيْبِ تَأْتِينِي(١)

والصالحات: كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة، واللام للجنس، فإن قلت: أي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد، وبينها داخلة على المجموع؟ قلت: إذا دخلت على المفرد كان صالحاً؛ لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به، وأن يراد به بعضه إلى الواحد منه، وإذا دخلت/ ٣٢ب على المجموع، صلح أن يراد به جميع الجنس، وأن يراد به بعضه لا إلى الواحد منه؛ لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية، والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه، فإن قلت: فما المراد بهذا المجموع مع اللام؟ قلت: الجملة من الأعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف.

والجنة: البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه، قال زهير: [من البسيط]

.... تَسقِي جَنَّةً سُحُقَا(٢)

= بالصيلم: وهو السيف الكثير القطع، من صلمه إذا قطعه. وشبه إجابتهم بالمحاربة بالسيف بإجابة مَن يزيل العتاب على سبيل التصريحية التهكمية. لأن الأول مكروه والثاني محبوب.

ينظر ديوانه ص ٤٨٠، ولسان العرب (عتب)، (صلم)، وتهذيب اللغة: ٢/٢٧٨، ١٢/١٩٩، وتاج العروس: (عتب)، (صلم)، والعقد الفريد: ٥/٢٤٨، وسمط اللآلي ص ٥٠٣.

(١) للحطيئة واسمه جرول بن أوس بن حرمة بن مخذوم بن مالك الغطفاني، حين وفدت العرب على النعمان بن المنذر فأحضر حللاً عظيمة وقال: إني ملبسها غداً لمَن شئت، فلما كان الغد تخلف ابن سعدى خوف إلباسها غيره وهو حاضر فطلبه الملك وألبسه الحلل، فحسدته سادات العرب من قومه، وضمنوا للحطيئة مائة بعير لو هجاه، فقال: كيف الهجاء له، والحال أن لا تنفك فعلة صالحة تأتيني من آل لأم حال كوني ملتبساً بظهر الغيب، أو حال كونهم ملتبسين بظهر الغيب. وأقحم الظهر لأن الغائب كأنه وراء الظهر، أو لتقوية الغيب، لأنهم إذا أرادوا تقوية شيء أسندوا له الظهر لقوته، وكثيراً ما يجرون الصفة مجرى الاسم، إما لعدم الاحتياج إلى ذكره كما في صالحة، أو لأنها كافية في تعيين الموصوف إن احتيج إليه.

ينظر ديوانه (٨٦)، الدر المصون ١/١٥٨.

(٢) إن الخليط أجدوا البين فافترقا وعلق القلب من أسماء ما علقا
وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا
كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا

لزهير بن أبي سلمى. والخليط المعاشر. والبين: الانفصال والبعد، وأسماء: اسم محبوبته. وأصله من الوسامة وهي علامة الحسن. وقيل أصله جمع اسم. وعلق: مبني للمجهول. والقلب: نائب فاعل. وما علق ـ بالتخفيف ـ: مفعوله، أي ما تعلق به منها وهو الحب والتحسُّر والتحزُّن على =

أي نخلاً طوالاً، والتركيب دائر على معنى الستر، وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرّة، من مصدر جنه إذا ستره، كأنها سترة واحدة لفرط التفافها، وسميت دار الثواب: «جنة» لما فيها من الجنان، فإن قلت: الجنة مخلوقة أم لا؟ قلت: قد اختلف في ذلك، والذي يقول إنها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام، كالنبي والرسول والكتاب ونحوها، فإن قلت: ما معنى جمع الجنة وتنكيرها؟ قلت: الجنة اسم لدار الثواب كلها، وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين، لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان، فإن قلت: أما يشترط في استحقاق الثواب بالإيمان والعمل الصالح ألا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر؛ وألا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية؟ فهلا شرط ذلك؟ قلت: لما جعل الثواب مستحقاً بالإيمان والعمل الصالح، والبشارة مختصة بمن يتولاهما، وركز في العقول أن الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء، إذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه، وأنه لا يبقى مع وجود مفسده إحساناً، وأعلم بقوله تعالى لنبيه ﷺ وهو أكرم الناس عليه وأعزهم: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ **[الزمر: ٦٥]**، وقال تعالى للمؤمنين: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ **[الحجرات: ٢]**، كان اشتراط حفظهما من الإحباط والندم كالداخل تحت الذكر، فإن قلت: كيف صورة جري الأنهار من تحتها؟ قلت: كما ترى الأشجار النابتة على شواطىء الأنهار الجارية، وعن مسروق: أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود، وأنزه البساتين وأكرمها منظراً ما كانت أشجاره مظللة، والأنهار في خلالها مطردة، ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى، وأن الجنان والرياض وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء، وإلا كان الأنس الأعظم فائتاً، والسرور الأوفر مفقوداً، وكانت كتماثيل لا أرواح فيها، وصور لا حياة لها، لما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعاً بذكر/١٣٣أ

= سفرها. ولم يعينه دلالة على التكثير والتهويل ولما اشتغل قلبه بها. فكأنها أخذته معها؛ ولذلك ادّعى أنها أخذته رهناً على سبيل الاستعارة المصرّحة، ورشّحها بقوله: لا فكاك له: وغلق الرهن ـ بالكسر ـ: إذا امتلكه الدائن ويئس صاحبه من رجوعه إليه، ثم قال: كأن عيني من شدة البكاء وكثرة الدموع عينان في دلوين عظيمتين ممتلئتين ماء، تحملهما ناقة مقتلة مذللة معتادة على العمل من الإبل النواضح التي يستقى عليها، تسقي تلك الناقة جنة «سحقاً» بضمتين: جمع سحوق، أي نخلا طوالاً جهة السماء، أو بعيدة عن محل الماء، فهي دائمة ذاهبة آيبة. ولقد خاطب نفسه أولاً كأنه يخبرها بسفر أسماء لفرط جزعه، ثم التفت كأنه يشتكي للناس في قوله: كأن عيني.

ينظر ديوانه ص ٣٧، ولسان العرب: (سحق)، (قتل)، (جنن)، ومجمل اللغة: ١/ ١٠٠، ومقاييس اللغة: ١/ ٤٢١، وتاج العروس: (سحق)، (قتل)، (جنن).

الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قرن واحد كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه، ولما قدّمه على سائر نعوتها، والنهر: المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر، يقال لبردى: نهر دمشق، وللنيل: نهر مصر، واللغة العالية: «النهر» بفتح الهاء، ومدار التركيب على السعة، وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازى كقولهم: بنو فلان يطؤهم الطريق، وصيد عليه يومان، فإن قلت: لم نكرت الجنات وعرّفت الأنهار؟ قلت: أما تنكير الجنات فقد ذكر، وأما تعريف الأنهار فأن يراد الجنس، كما تقول: لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه، تشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب، أو يراد أنهارها، فعوّض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[1] [مريم: ٤] أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ . . .﴾ [محمد: ١٥] الآية.

وقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟﴾: لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات، أو خبر مبتدأ محذوف، أو جملة مستأنفة؛ لأنه لما قيل: إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا، أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس؟ فقيل: إنّ ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا، أي أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله، فإن قلت: ما موقع: ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾؟ قلت: هو كقولك: كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئاً حمدتك، فموقع: ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ موقع قولك من الرمان، كأنه قيل: كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمّانها أو عنبها أو غير ذلك رزقاً، قالوا ذلك، فمن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية؛ لأنّ الرزق قد ابتدىء من الجنات، والرزق من الجنات قد ابتدىء من ثمرة، وتنزيله تنزيل أن تقول: رزقني فلان، فيقال لك: من أين؟ فتقول: من بستانه، فيقال: من أي ثمرة رزقك من بستانه؟ فتقول: من رمّان، وتحريره أن «رزقوا»: جعل مطلقاً مبتدأ من ضمير الجنات، ثم جعل مقيداً بالابتداء من ضمير الجنات، مبتدأ من ثمرة، وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا التفسير؛ وإنما المراد النوع من أنواع الثمار، ووجه آخر: وهو أن يكون ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾: بياناً على منهاج قولك: رأيت منك أسداً، تريد أنت أسد، وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار، والجنات الواحدة، فإن قلت: كيف قيل: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾؟

---

(١) قال السمين الحلبي: بمعنى أنّ الأصل: واشتعل رأسي، فعوّض «أل» عن ياء المتكلم، وهذا ليس مذهب البصريين، بل قال به بعض الكوفيين، وهو مردود بأنه لو كانت «أل» عوضاً من الضمير لما جُمع بينهما، وقد جُمع بينهما، قال النابغة:

رَحِيبٌ قِطَابُ ٱلْجَيْبِ مِنهَا رَفِيقَةٌ ... بِجَسِّ النَّدَامَىٰ بَضَّةُ الْمُتَجَرَّدِ

فقال: الجيب منها. انتهى. الدر المصون.

وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا؟ قلت: معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل[1]، وشبهه بدليل قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾، وهذا كقولك: أبو يوسف أبو حنيفة، تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته. فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ﴾؟ قلت: إلى المرزوق في الدنيا والآخرة/ ٣٣ب جميعاً؛ لأنّ قوله: ﴿هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾: انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥]، أي بجنسي الغنى والفقير؛ لدلالة قوله: غنياً أو فقيراً على الجنسين، ولو رجع الضمير إلى المتكلم به، لقيل أولى به على التوحيد، فإن قلت: لأي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة؟، وما بال ثمر الجنة لم يكن أجناساً أخر؟ قلت: لأنّ الإنسان بالمألوف آنس، وإلى المعهود أميل، وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه، ولأنه إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدّم معه ألف، ورأى فيه مزية ظاهرة، وفضيلة بينة، وتفاوتاً بينه وبين ما عهد بليغاً، أفرط ابتهاجه واغتباطه، وطال استعجابه واستغرابه، وتبين كنه النعمة فيه، وتحقق مقدار الغبطة به، ولو كان جنساً لم يعهده وإن كان فائقاً، حسب أنّ ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك، فلا يتبين موقع النعمة حق التبين، فحين أبصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم، وأن الكبرى لا تفضل عن حدّ البطيخة الصغيرة، ثم يبصرون رمّانة الجنة تشبع السكن، والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة، ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر، كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده، ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه، كان ذلك أبين للفضل، وأظهر للمزية، وأجلب للسرور، وأزيد في التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما، وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها، دليل على تناهي الأمر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة، وعلى أنّ ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم، ويستدعي تبجحهم في كل أوان، عن مسروق: «نَخْلُ الجَنَّةِ نَضِيدٌ مِنْ أَصْلِهَا إِلَىٰ فَرْعِهَا، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ القِلَالِ، كُلَّمَا نَزَعْتَ ثَمَرَةً عَادَتْ مَكَانَهَا أُخْرَىٰ، وَأَنْهَارُهَا تَجْرِي فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ، والعُنْقُودُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ ذِرَاعاً» (٣٢). ويجوز أن يرجع الضمير في ﴿أتوا به﴾: إلى الرزق، كما أن هذا إشارة إليه، ويكون المعنى: أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم

---

٣٢ ـ أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٨) رقم (٣٣٩٥٩)، وهناد بن السري في الزهد (١/ ٩٠) رقم (٩٥)، ورواه في (١/ ٩٤) رقم (١٠٣، ١٠٤). ويحيىٰ بن صاعد في زوائد زهد ابن المبارك رقم (٥٤٤).

---

(١) قال محمود رحمه الله: «معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل... إلخ». قال أحمد رحمه الله: وهذا من التشبيه بغير الأداة، وهو أبلغ مراتب التشبيه، كقولهم: أبو يوسف أبو حنيفة.

متجانساً في نفسه؛ كما يحكى عن الحسن: يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها، ثم يؤتى بالأخرى فيقول: هذا الذي أتينا به من قبل، فيقول الملك: كل، فاللون واحد، والطعم مختلف، وعنه ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيَتَنَاوَلُ الثَّمَرَةَ لِيَأْكُلَهَا فَمَا هِيَ بِوَاصِلَةٍ إِلىٰ فِيهِ حَتَّىٰ يُبَدِّلَ الله مَكَانَهَا مِثْلَهَا» (٣٣) فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى، قالوا ذلك، والتفسير الأوّل هو هو، فإن قلت: كيف موقع قوله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ من نظم الكلام؟ قلت: هو كقولك: فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل، ورأى من الرأي كذا وكان صواباً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، وما أشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير، والمراد بتطهير/ ٣٤أ الأزواج: أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة، وما لا يختص بهنّ من الأقذار والأدناس، ويجوز لمجيئه مطلقاً: أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذي عليه نساء الدنيا، مما يكتسبن بأنفسهنّ، ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشىء المفسدة، ومن سائر عيوبهنّ ومثالبهنّ وخبثهنّ وكيدهنّ، فإن قلت: فهلاّ جاءت الصفة مجموعة كما في الموصوف؟ قلت: هما لغتان فصيحتان، يقال: النساء فعلن، وهنّ فاعلات وفواعل، والنساء فعلَتْ، وهي فاعلة؛ ومنه بيت الحماسة [من الكامل]:

وَإِذَا الـعَـذَارَىٰ بِـالـدُّخَـانِ تَـقَـنَّـعَـتْ   وَٱسْتَعْجَلَتْ نَصْبَ القُدُورِ فَمَلَّتِ[1]

---

٣٣ ـ أخرجه البزار (رقم ٣٥٣٠) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٨) للطبراني، والحديث رواه الحاكم في قصة طويلة في كتاب الفتن من المستدرك (٤/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة» ا.هـ.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف».
أخرجه الطبراني والبزار والحاكم من حديث ثوبان بلفظ: ولا ينزع رجل من أهل الجنة من ثمرها شيئاً إلاّ أخلف الله مكانها مثلها، ولفظ البزّار: «إلاّ أعيد في مكانها مثليها، على التثنية، وسيأتي في آخر الزخرف».

---

(١) وإذا العذارى بالدخان تقنعت   واستعجلت نصب القدور فملَّت
دارت بأرزاق العناة مغالق   بيدي من قمع العشار الجلة
ولقد رأبت ثأي العشيرة بينها   وكفيت جانبها اللتيا والتي

لسلمي بن ربيعة بن جفنة الضبي وشبه استتار الأبكار بالدخان أو سوادهن به باستتارهن بالقناع على طريق التصريح أو شبّه الدخان به على طريق المكنية. وملت: شوت المليل بأن تضع اللحم أو الخبز على الجمر فينضج. ويروى «درت» بدل «دارت» أي كثُر بذلها. والعفاة: طلاب الرزق. والمغالق: سهام الميسر التي تغلق الحظر وتثبته للغالب. والقمع: قطع السنام جمع قمع. والعشار: النوق التي مضى على حملها عشرة أشهر. والجلة: السمان العظيمات السنام، جمع جليل كصبية =

والمعنى وجماعة أزواج مطهرة[1]، وقرأ زيد بن علي: «مطهرات» وقرأ عبيد بن عمير: «مُطَّهَرَةٌ»، بمعنى متطهرة، وفي كلام بعض العرب: ما أحوجني إلى بيت الله، فأطهر به أطهرة، أي فأتطهر به تطهرة، فإن قلت: هَلاَّ قيل طاهرة؟ قلت: في ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ فخامة لصفتهنّ ليست في طاهرة، وهي الإشعار بأن مطهراً طهرهنّ، وليس ذلك إلا الله عزّ وجلّ المريد بعباده الصالحين أن يخوّلهم كلّ مزية فيما أعدّ لهم.

والخلد: الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال امرؤ القيس [من الطويل]:

أَلاَ أنْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي ... وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كانَ في العُصُرِ الخَالي؟

وَهَلْ يَنْعَمَنْ إلاَّ سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ ... قَلِيلُ الهُمُومِ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ؟[2]

= جمع صبي، أي إذا جدب الزمان، حتى أن الأبكار مع فرط حيائهن وصونهن، يقبلن على الدخان ويشتوين على الجمر، ويأكلن ولا يصبرن لنضج القدور من الجوع بذلت للناس بكثرة. ويحتمل أن مخدراته تباشر تنضيج قرى الضيفان بأنفسهن فيبذله لهم. والأول أبلغ. ورأبت: أصلحت. والثأي الفساد وكفيت من جنى منها. ويروى «جانبها» بالموحدة الداهية الصغيرة والكبيرة. واللتيا: تصغير التي كغيرها من الموصولات التي سمع تصغيرها، وزيدت الألف في آخرها عوضاً عن ضم التصغير، وهي بفتح اللام. وقال الأخفش بضمها على قياس التصغير وإن كان شاذاً في الأسماء المبنية كما هنا. واستغنت عن الصلة لنقلها بالتصغير عن معنى الموصولية وحمل عليها «التي» لأنها لما ذكرت في مقابلتها كان معناها الداهية العظيمة فلم يكن قصد إلى معنى الموصولية أيضاً. وقيل يجوز حذف الصلة بدليل. فيقدر هنا: اللتيا صغرت، والتي عظمت. ثم إن هذا من قبيل الأمثال السائرة. وأصله أن رجلاً تزوج امرأة قصيرة فقاسى منها الشدائد، ثم زوج طويلة أيضاً فقاسى ضعف ذلك، فطلقهما وقال: بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبداً.

ينظر: خزانة الأدب ٨/ ٣٦، ٤٤، والدرر ١/ ١٨٤ وشرح ديوان الحماسة ص ٥٥، وشرح المفصل ٥/ ١٠٥، ونوادر أبي زيد، ص ١٢١، ولعلباء بن أرقم في الأصمعيات ص ١٦٢، وشرح اختيارات المفضل ص ٨١٦، وهمع الهوامع ١/ ٦٠، والدر المصون ١/ ١٦١.

(١) قوله «وجماعة أزواج مطهرة» لعل الواو مزيدة من الناسخ. أو لعل أصله ولهم فيها جماعة أزواج. (ع)

ينظر: ديوانه (٢٧)، الكتاب ٢/ ٢٢٧، المحتسب ٢/ ١٣٠، أمالي ابن الشجرى ١/ ٢٧٤، الدرر ٢/ ١٠٧، الدر المصون ١/ ١٦٢.

(٢) لامرىء القيس. وألا استفتاحية. وأنعم صباحاً: تحية الجاهلية، أي طاب عيشك. ويخفف فيقال عم، كما روي هنا. وكذلك «يعمن» روي هنا أيضاً. ونعم ينعم كضرب يضرب: ونعم ينعم كسهل يسهل. ونعم ينعم كعلم يعلم. ونعم ينعم بكسر عينهما وهو شاذ، بمعنى صار ناعماً ليناً. وخص الصباح لأنه وقت الغارات. والطلل: ما بقي من آثار الديار. والبالي: الفاني. والمراد تحية أهل الطلل ثم تذكر الخطأ في تحيتهم فقال: لا يتنعم من كان في الزمن الماضي وهو اليوم فان، فالاستفهام إنكاري: والمخلد: طويل العمر بحيث لا يفنى. والأوجال: جمع وجل وهو الخوف، =

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾

سيقت هذا الآية؛ لبيان أنَّ ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد، والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقّرات من الأشياء مضروباً بها المثل، ليس بموضع للاستنكار والاستغراب، من قبل أنّ التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهّم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيمًا كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك، فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذاً إلاّ أمراً تستدعيه حال المتمثل له وتستجرّه إلى نفسها، فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية؛ ألا ترى إلى الحق لما كان واضحاً جلياً أبلج، كيف تمثل له بالضياء والنور؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته، كيف تمثل له بالظلمة؟ ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً لله تعالى لا حال أحقر منها وأقلّ، ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن، وجعلت أقلّ من الذباب وأخس قدراً، وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع، ولم يقل للمتمثل: استحى من تمثيلها بالبعوضة؛ لأنه مصيب في تمثيله، محق في قوله، سائق للمثل على قضية مضربه، محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه؛ ولبيان أنّ المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور بناظر العقل، إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل، علموا أنه الحق الذي لا تمرّ الشبهة/ ٣٤ب بساحته، والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله، وأن الكفّار الذين غلبهم الجهل على عقولهم، وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم، أوعرفوا أنه الحق إلا أنّ حبّ الرّياسة وهوى الإلف والعادة لا يخليهم أن ينصفوا، فإذا سمعوه عاندوا[١] وكابروا وقضوا عليه بالبطلان، وقابلوه بالإنكار، وأن ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيّهم وضلالهم، والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام، وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثّلوا فيها

= والباء للملابسة. ويجوز أنها للظرفية تخييلاً.

(١) قوله «فإذا سمعوا عاندوا» لعل زيادة الفاء في خبر أن لشبه اسمها بالشرط. (ع)

بأحقر الأشياء فقالوا: أجمع من ذرّة، وأجرأ من الذباب، وأسمع من قراد، وأصرد من جرادة[1]، وأضعف من فراشة، وآكل من السوس، وقالوا في البعوضة: أضعف من بعوضة، وأعز من مخ البعوض، وكلفتني مخ البعوض، ولقد ضربت الأمثال في الإنجيل بالأشياء المحقرة، كالزوان والنخالة[2] وحبة الخردل، والحصاة، والأرضة، والدود، والزنابير، والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا تغني استقامته وصحته على من به أدنى مسكة، ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بأمارة ولا إقناع، أن يرمي لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة إذا لم يجد سوى ذلك معوّلاً، وعن الحسن وقتادة: «لَمَّا ذَكَرَ الله الذُّبَابَ والعَنْكَبُوت فِي كِتَابِهِ وَضَرَبَ لِلْمُشْرِكِيْنَ بِهِ الْمَثَلَ، ضَحِكَتِ الْيَهُودُ، وَقَالُوا: مَا يُشْبِهُ هَذَا كَلَامَ الله، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الآيَة» (٣٤).

والحياء: تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم، واشتقاقه من الحياة، يقال: حيي الرجل، كما يقال: نسي وحشي وشظي الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء[3] جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير، منتكس القوّة منتقص الحياة، كما قالوا: هلك فلان حياء من كذا، ومات حياء، ورأيت الهلاك في وجهه من شدّة الحياء، وذاب حياء، وجمد في مكانه خجلاً، فإن قلت: كيف جاز وصف القديم سبحانه به[4]، ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم، وذلك في حديث سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله حَيِيٌّ كَرِيْمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ الْعَبْدُ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً حَتَّىٰ يَضَعَ فِيهِمَا خَيْراً»

---

٣٤ ـ أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١/ ٩٣) رقم (٢٧٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٨٨).

---

(١) قوله «وأصرد مِن جرادة» في الصحاح: صرد الرجل بالكسر فهو صرد ومصراد: يجد البرد سريعاً. (ع)

(٢) قوله «كالزوان والنخالة» في الصحاح: الزوان حب يخالط البر. (ع)

(٣) قوله «إذا اعتلت هذه الأعضاء» عرق النّسا والحشا والشظى. وفي الصحاح: الشظى عظم مستدق ملزق بالذراع، فإذا تحرك في موضعه قيل: قد شظي الفرس. (ع)

(٤) قال محمود رحمه الله: «إن قلت كيف جاز وصف الله تعالى بالاستحيائية... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: ولقائل أن يقول: ما الذي دعاه إلى تأويل الآية مع أن الحياء الذي يخشى نسبة ظاهره إلى الله تعالى مسلوب في الآية كقولنا: الله ليس بجسم ولا بجوهر في معرض التنزيه والتقديس. وأما تأويل الحديث فمستقيم، لأن الحياء فيه ثبت لله تعالى. وللزمخشري أن يجيب بأن السلب في مثل هذا إنما يطرأ على ما يمكن نسبته إلى المسلوب عنه. إذ مفهوم نفي الاستحياء عنه في شيء خاص، ثبوت الاستحياء في غيره، فالحاجة داعية إلى تأويله لما أفضى إليه مفهومه. وإنما يتوجه السؤال لو كان الاستحياء مسلوباً مطلقاً، كقولنا: الله لا يحول ولا يزول؛ فإن ذلك لا يثبت ومحال، بل يقال: هو مقدس منزه مطلقاً.

(٣٥)؟ قلت: هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وأنه لا يردّ يديه صفراً من عطائه، لكرمه بترك من يترك ردّ المحتاج إليه حياء منه، وكذلك معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾: أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها، ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة، فقالوا: أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على/ ٣٥أ السؤال،

---

٣٥ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٤٦٨) كتاب الصلاة، باب الدعاء حديث (١٤٨٨).
والترمذي (٥/ ٥٢٠) كتاب الدعوات حديث (٣٥٥٦)، وابن ماجة (٢/ ١٢٧١) كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء. حديث (٣٨٦٥)، وأحمد (٥/ ٤٣٨)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٦٠) كتاب الرقائق رقم (٨٧٦)، والحاكم (١/ ٤٩٧)، وصححه ووافقه الذهبي.
ورواه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٥٦)، والبغوي في شرح السنة (٣/ ١٥٩) رقم (١٣٧٩)، وله شاهد من حديث أنس، جابر.
أما حديث أنس:
أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨)، من طريق أبي عبد الله الصفار ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، ثنا بشر بن الوليد القاضي ثنا عامر بن يساف عن حفص بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري، قال: حدثني أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال قال رسول الله ـ ﷺ ـ: إن الله رحيم كريم يستحيي من عبده أن يرفع إليه يديه، ثم لا يضع فيهما خيراً».
وصحح إسناده وتعقبه الذهبي بأن عامر ذو مناكير، ورواه عبد الرزاق (٢/ ٢٥١) رقم (٣٢٥٠) عن معمر عن أبان عن أنس مرفوعاً.
وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٣١).
والبغوي في شرح السنة (٣/ ١٥٩) رقم (١٣٨٠ ـ بتحقيقنا).
وأما حديث جابر:
فرواه أبو يعلى في مسنده (٣/ ٣٩١) قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ قال: ذكر أبي عن يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله تعالىٰ حيي كريم يستحيي من عبده أن يرفع إليه يديه؛ فيردهما صفراً ليس فيهما شيء».
قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٥٢):
«رواه أبو يعلىٰ والطبراني في الأوسط، وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر وقد وثق على ضعفه وبقية رجالهما رجال الصحيح» ا.هـ. قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه أبو داود والترمذي، وابن ماجة، وابن حبان والحاكم من حديثه بلفظ «إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً، قال الترمذي: حسن غريب. ورواه بعضهم ولم يرفعه. وفي الباب عن أنس ـ رضي الله عنه ـ. أخرجه عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبان عنه. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق أبان. وأخرجه الحاكم من طريق حفص بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة قال: حدثني أنس بن مالك ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إن الله رحيم حيي كريم يستحي من عبده أن يرفع يديه، ثم لا يضع فيهما خيراً، وعن جابر أخرجه أبو يعلىٰ. وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر، وهو متروك، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أخرجه الطبراني. انتهى.

وهو فنّ من كلامهم بديع، وطراز عجيب؛ منه قول أبي تمام [من الكامل]:

مَـنْ مُـبْـلِـغٌ أَفْـنَـاءَ يَـعْـرُبَ كُـلَّـهَـا ... أَنِّـي بَـنَـيْـتُ الـجَـارَ قَـبْـلَ الـمَـنْـزِلِ؟[١]

وشهد رجل عند شريح، فقال: إنك لسبط الشهادة، فقال الرجل: إنها لم تجعد عني، فقال: لله بلادك، وقبل شهادته، فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة، ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار، وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها، ولله درّ أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها، لا تكاد تستغرب منها فناً إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسدّ مدارجه، وقد استعير الحياء فيما لا يصحّ فيه: [من الطويل]

إِذَا مَـا اسْـتَـحَـيْـنَ الـمَـاءَ يَـعْـرِضُ نَـفْـسَـهُ ... كَرَعْنِ بِسِبْتٍ[٢] فِي إِنَاءٍ مِنَ الـوَرْدِ[٣]

وقرأ ابن كثير في رواية شبل: «يستحي» بياء واحدة، وفيه لغتان: التعدّي بالجارّ، والتعدي بنفسه، يقولون: استحييت منه واستحييته، وهما محتملتان ههنا.

وضرب المثل: اعتماده وصنعه، من ضرب اللبن وضرب الخاتم، وفي الحديث: «اَضْطَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ» (٣٦) و ﴿مَا﴾ هذه إبهامية[٤]، وهي التي إذا

---

٣٦ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشّاف (١/ ٥٧): «غريب» ا.هـ.، وروى البخاري (١١/ ٥١١) =

---

(١) لأبي تمام. وفناء الدار: ما امتد من جوانبها، وجمعه أفنية. ويقال: هو من أفناء الناس، إذا لم يعلم من أي قبيله هو، أي من أطرافهم. ويعرب: اسم قبيلة، وبناء الجار: اتخاذه، سماه بناء للمشاكلة التقديرية حيث قرنه بما يبني وهو المنزل وهو مجاز بجامع مطلق الاتخاذ أو علاقته المجاورة الذهنية أو اللفظية، وهذه العلاقة تجري في كل مشاكلة. ولم يرتضه بعضهم، واختار أنها إن لم يوجد لها علاقة فهي قسم رابع لا حقيقة ولا مجاز ولا كناية.
ينظر البيت في ديوانه ٣/ ٤٧، الدر المصون ١/ ١٦٣.

(٢) (قوله بسبت في إناء من الورد) في الصحاح: السبت بالكسر جلود البقر المدبوغة بالقرظ اهـ وهو في البيت مجاز كالإناء من الورد. (ع)

(٣)
كفانا الربيع العيس من بركاته ... فجاءته لم تسمع حداء سوى الرعد
إذا ما استحين الماء يعرض نفسه ... كرعن بسبت في إناء من الورد

للمتنبي. والعيس: الإبل. والربيع: المطر. والحداء: الغناء للإبل، والاستثناء متصل على تشبيه الرعد بالحداء، وجعله من أفراده، أي: كفانا حاجة العيس لكثرته، حتى كأنه يعرض نفسه على النوق. ويقال: استحيى واستحى كما هنا أي إذا خشين من عرض نفسه عليهن، أو امتنعن منه. وروي «استجبن» بالجيم فالموحدة، أي أطعنه في عرض نفسه عليهن. وجملة «يعرض نفسه» حالية. واستعار السبت بالكسر ـ وهو الجلد المدبوغ بالقرظ ـ لمشافر النوق على طريق التصريح. وكذلك استعار الإناء من الورد للبركة التي كثُر زهرها ونورها. وإن لم يكن ذلك الإناء موجوداً و «في» بمعنى «من». ويجوز أنه جعل الأرض ظرفاً للشرب.
ينظر البيت في الدر المصون ١/ ١٦٢.

(٤) قال محمود رحمه اللّه: «وما هذه إبهامية... إلخ». قال أحمد رحمه اللّه: وفيها وهم إمام الحرمين =

اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاماً وزادته شياعاً وعموماً؛ كقولك: أعطني كتاباً مَا، تريد أيّ كتاب كان، أو صلة للتأكيد، كالتي في قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، كأنه قيل: لا يستحيي أن يضرب مثلاً حقاً أو البتة، هذا إذا نصبت: ﴿بَعُوضَةً﴾، فإن رفعتها فهي موصولة[1]، صلتها الجملة؛ لأن التقدير: هو بعوضة، فحذف صدر الجملة كما

= كتاب اللباس، باب الخاتم حديث (٥٨٧٤)، من طريق عبد العزيز بن صهيب عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: صنع النبي ـ ﷺ ـ خاتماً قال: «إنا اتخذنا خاتماً ونقشنا فيه نقشاً؛ فلا ينقش عليه أحد»، قال: فإني لأرى بريقه في خنصره.

ورواه مسلم (٧/ ٣١٨) كتاب اللباس والزينة، باب لبس النبي ـ ﷺ ـ خاتماً من ورق حديث (٢٠٩٢)، وروى مسلم (٧/ ٣٢٠) كتاب اللباس والزينة، باب في طرح الخواتم حديث (٢٠٩٣) عن ابن شهاب، أخبره أن أنس بن مالك أخبره أنه رأى في يد رسول الله ـ ﷺ ـ خاتماً من ورق يوماً واحداً، ثم إن الناس اضطربوا الخواتم من ورق فلبسوها، فطرح النبي ـ ﷺ ـ خاتمه، فطرح الناس خواتمهم.
والحديث رواه البخاري (١١/ ٥٠٤) كتاب اللباس، باب حديث (٥٨٦٨)، وأبو داود (٢/ ٤٨٩)، كتاب الخاتم، باب في ما جاء في ترك الخاتم، حديث (٤٢٢١)، والنسائي (٨/ ١٩٥)، كتاب الزينة، باب طرح الخاتم وترك لبسه.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»:
أخرجه مسلم من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

= في تقرير نصوصية العموم في قوله عليه الصلاة والسلام: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها... الحديث» فإنه قرر العموم والإبهام في أي، ثم قال: فإذا انضافت إليها ما الشرطية كان ذلك أبلغ في اقتضاء العموم، فاعتقد أن المؤكدة هي الشرطية، وإنما هي حرف مزيد لهذا الغرض. وأما «ما» الشرطية فاسم كمن. والله الموفق.

(١) قال محمود: «هذا إذا نصبت بعوضة، فإن رفعتها فهي موصولة... إلى قوله: ووجه آخر جميل وهو أن تكون... إلخ». قال أحمد: حملها على الاستفهامية بالمعنى الذي قرره: فيه نظر؛ لأن قوله تعالى «فما فوقها» في الحقارة فيكون معناه: فما دونها. وإما أن يراد فما هو أكبر منها حجماً. وعلى كلا التقديرين يتقدّر الاستفهام؛ لأنه إنما يستعمل في مثل: ما دينار وديناران، أي إذا جاد بالكثير فما القليل. وإذا ذهبت في الآية هذا المذهب لم تجد لصحته مجالاً، إذ يكون المراد: إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً بالمحقرات، فما البعوضة وما هو أحقر منها. وقد فرضنا أنها في أحد الوجهين نهاية في المحقرات، وفي الوجه الآخر ليست نهاية، بل النهاية في قوله (فما فوقها) أي دونها. فإذا حمل ما بعد الاستفهام على النهاية في الوجهين جميعاً لم ينتظم التنبيه المذكور. بل ينعكس الغرض فيه؛ إذ المقصود في مثل قولنا: فلان لا يبالي بعطاء الألوف فما الدينار الواحد ـ التنبيه على أن إعطاء القليل منه محقق بعطائه الكثير بطريق الأولى، ولا يتحقق في الآية على هذا التقدير أنه لا يستحيي من ضرب المثل بالمحقرات التي لا تبلغ النهاية، فكيف يستحيي من ضرب المثل بما يبلغ النهاية في الحقارة كالبعوضة. هذا عكس لنظم الأولوية، ولو كانت الآية مثلاً واردة على غير هذا التكلُّم كقول القائل: إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً بالبعوضة التي هي نهاية =

حذف في ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]، ووجه آخر حسن جميل، وهو أن تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات قال: إنّ الله لا يستحيي أن يضرب للأنداد ما شاء من الأشياء المحقّرة مثلاً، بله البعوضة فما فوقها، كما يقال: فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران، والمعنى: إن لله أن يتمثل للأنداد وحقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه وأقل، كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ وبما لا يدركه[1]؛ لتناهيه في صغره إلا هو وحده بلطفه، أو بالمعدوم، كما تقول العرب: فلان أقل من لا شيء في العدد، ولقد ألم به قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ [العنكبوت: ٤٢]، وهذه القراءة تعزى إلى رؤبة بن العجّاج، وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم، والمشهود له بالفصاحة، وكانوا يشبّهون به الحسن، وما أظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه، وهو المطابق لفصاحته، وانتصب ﴿بَعُوضَةً﴾ بأنها عطف بيان لمثلا. أو مفعول ليضرب، و ﴿مَثَلًا﴾ حال عن النكرة مقدمة عليه. أو انتصبا مفعولين فجرى: (ضرب) مجرى: (جعل)، واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب؛ يقال: بعضه البعوض، وأنشد: [من الوافر]

لَنِعْمَ البَيْتُ بَيْتُ أَبِي دِثَارِ ... إِذَا مَا خَافَ بَعْضُ القَوْمِ بَعْضَا[2]

ومنه: بعض الشيء؛ لأنه قطعة منه، والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع/ ٣٥ب

= في الحقارة، فما الأنعام التي هي أبهى من البعوضة أو أبعد منها عن الحقارة بما لا يخفى، لكان تقرير الزمخشري متوجهاً. وما أراه والله أعلم إلا واهماً في هذا الوجه. وما طولت النفس ووسعت العبارة في الاعتراض عليه، إلا أنه محل ضيق ومعنى متعاص لا يخلص إلى الفهم إلا بهذا المزيد من البسط. وناهيك بموضع العكس على فهم الزمخشري بل مع تعوُّد فهمه وإصابة نسجه. خصوصاً في تنسيق المعاني وتفصيلها والله الموفق. وما تبجحه بالعثور على الوجه الذي ظن أن رؤبة بن العجاج راعاه في قراءته، فكلام ركيك توهم أن القراءة موكولة إلى رأي القارىء وتوجيهه لها ونصرته بالعربية وفصاحته في اللغة، وليس الأمر كذلك، بل القراءة على اختلاف وجوهها وبعد حروفها: سنة تتبع، وسماع يقضي بنقله، الفصيح وغيره على حد سواء، لا حيلة للفصيح في تعسُّر شيء منه عما سمعه عليه، وما يصنع بفصاحته في القرآن الذي بدَّد كل فصاحة وعزل كل بلاغة. فالصحيح والمعتقد أن كل قارىء معزول إلا عما سمعه فوعاه، وتلقنه من الأفواه، فأداه إلى أن ينتهي ذلك إلى استماع من أنصح من نطق بالضاد: سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فتأمل هذا الفصل فإن فاهمه قليل.

(١) قوله «وبما لا يدركه» لعله: أو بما. (ع)

(٢) المراد بالبيت: الكله التي تمنع البعوض ليالي الصيف عمّن فيها: وأبو دثار: اسم رجل. والدثار: ما يلبس فوق الثياب إذا خاف بعض القوم بعض البعوض، أي قطعه ولسعه. ويحتمل أن المعنى: نعم المأوى والملجأ بيت أبي دثار، أخاف بعض الناس من شر بعضهم. ففيه التورية وهي من بديع الكلام.

ينظر البيت في اللسان (بعض) الدر المصون ١/ ١٦٤.

فغلبت، وكذلك الخموش[1] ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾: فيه معنيان: أحدهما: فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلاً، وهو القلّة والحقارة، نحو قولك ـ لمن يقول: فلان أسفل الناس وأنذلهم ـ هو فوق ذاك، تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة، والثاني: فما زاد عليها في الحجم، كأنه قصد بذلك ردّ ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت، لأنهما أكبر من البعوضة، كما تقول لصاحبك ـ وقد ذمّ من عرفته يشح بأدنى شيء فقال: فلان بخل بالدرهم والدرهمين ـ: هو لا يبالي أن يبخل بنصف درهم فما فوقه، تريد بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم والدرهمان، كأنك قلت: فضلاً عن الدرهم والدرهمين، ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في «صحيح مسلم» عن إبرٰهيم عن الأسود قال: دَخَلَ شَبَابٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا وَهِيَ بِمِنَىٰ وَهُمْ يَضْحَكُونَ، فَقَالَتْ: مَا يُضْحِكُكُمْ؟ قَالُوا: فُلاَنٌ خَرَّ عَلَىٰ طُنُبِ فُسْطَاطٍ فَكَادَتْ عُنُقُهُ أَوْ عَيْنُهُ أَنْ تَذْهَبَ، فَقَالَتْ: لاَ تَضْحَكُوا، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَمُحِيَتْ بِهَا عَنْهُ خَطِيئَةٌ» (٣٧) يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة، وهي نحو نخبة النملة في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «مَا

---

٣٧ ـ أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٩) ومسلم (٤٨ ـ ٢٥٧٢) من طريق هشام بن عروة، عن عائشة ومالك (٢/ ٩٤١) في العين، باب ما جاء في أجر المريض من طريقة مسلم (٥ ـ ٢٥٧٢) عن يزيد بن خصيفة كلاهما عن عروة به.
وأخرجه مسلم (٥١ ـ ٤٥٧٢) من طريق عمرة عن عائشة.
وأخرجه أحمد (٦/ ٣٩، ٢٦١) من طريق عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة.
وأخرجه (٦/ ٢٥٧) من طريق ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة.
وأخرجه أحمد (٦/ ٤٨، ١٨٥) من طريق عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة.
وأخرجه أحمد (٦/ ٢٤٨) من طريق حمزة بن عبد الله بن الزبير عن عائشة.
وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٧) في الطب، باب ما جاء في كفارة المرض (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم (٤/ ١٩٩٢) في البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن (٥٢/ ٢٥٧٣)، والترمذي (٣/ ٢٩٨)، في الجنائز، باب ما جاء في ثواب المريض (٩٦٦)، وأحمد (٣/ ٤، ٢٤، ٦٣، ٨١)، وأبو يعلىٰ (١٢٣٧)، والبغوي في شرح السنة (٣/ ١٨٢) (٤١٥) بلفظ «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها، إلاَّ كفَّر الله بها من خطاياه».
وعند الترمذي وأحمد عن أبي سعيد وحده دون أبي هريرة.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف».
أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة. انتهى.

---

(١) قوله «وكذلك الخموش» في الصحاح: الخموش ـ بالفتح ـ: البعوض. (ع)

أَصَابَ الْمُؤْمِنَ مِنْ مَكْرُوهٍ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَاهُ حَتَّىٰ نُخْبَةَ النَّمْلَةِ» (٣٨) وهي عضتها، ويحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع، كالخرور على طنب الفسطاط، فإن قلت: كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر؟ قلت: ليس كذلك، فإن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات، «وقد ضَرَبَهُ رَسُولُ الله ﷺ مَثَلاً للدُّنْيَا» (٣٩)، وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها، ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحادّ إلا تحركها، فإذا سكنت فالسكون يواريها، ثم إذا لوحتَ لها

---

٣٨ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٧): «قلت: غريب جدًا».
وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

٣٩ ـ وذلك في حديث سهل بن سعد الذي رواه الترمذي (٤/ ٥٦٠) كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ـ عزّ وجلّ ـ حديث (٢٣٢٠)، قال: حدثنا قتيبة حدثنا عبد الحميد بن سليمان عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء».
ورواه ابن ماجة (٢/ ١٣٧٦) كتاب الزهد، باب مثل الدنيا حديث (٤١١٠).
ورواه الحاكم (٤/ ٣٠٦) مثل حديث ابن ماجة.
وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».
وتعقبه الذهبي فقال: «زكريا بن منظور ضعفوه»، والطبراني في الكبير (٦/ ١٧٨) رقم (٥٩٢١).
وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥٣)، والبيهقي في الشعب رقم (١٠٤٦٥)، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٩٥٦).
وللحديث شواهد من حديث أبي هريرة، وابن عباس، وابن عمر.
أما حديث أبي هريرة: أخرجه البيهقي في الشعب (٧/ ٣٢٦) رقم (١٠٤٧٠)، عن أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى مشركاً منها شيئاً».
والبزار في مسنده رقم (٣٦٩٣).
قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٩١):
«رواه البزار وفيه صالح مولى التوأمة وهو ثقة، ولكنه اختلط، وبقية رجاله ثقات» ا.هـ.
أما حديث ابن عباس:
أخرجه أبو نعيم (٧/ ٣٢) بلفظ المصنف، ولم يذكر الماء.
أما حديث ابن عمر:
أخرجه الخطيب في التاريخ (٤/ ٩٢) من طريق محمد بن أحمد بن عون، حدثنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن ابن عمر، أن رسول الله ـ ﷺ ـ. قال: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء».
ورواه القضاعي في مسند الشهاب رقم (١٤٣٩).
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
كأنه يشير إلى حديث سهل بن سعد مرفوعاً: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» أخرجه الترمذي. انتهى.

بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها، فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة، وتفاصيل خلقتها، ويبصر بصرها، ويطلع على ضميرها، ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس: ٣٦]، وأنشدت لبعضهم: [من الكامل]

يَا مَنْ يَرَىٰ مَدَّ الْبَعُوضِ جَنَاحَهَا ... فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الأَلْيَلِ
وَيَرَىٰ عُرُوقَ نِيَاطِهَا فِي نَحْرِهَا ... وَالْمُخَّ فِي تِلْكَ الْعِظَامِ النُّحَّلِ
اغْفِرْ لِعَبْدٍ تَابَ مِنْ فَرَطَاتِهِ ... مَا كَانَ مِنْهُ فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ[1]

﴿وَأَمَّا﴾: حرف فيه معنى الشرط، ولذلك يجاب بالفاء، وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد، تقول: زيد ذاهب، فإذا قصدت توكيد ذاك وأنه لا محالة ذاهب، وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت: أمّا زيد فذاهب؛ ولذلك قال سيبويه في تفسيره: مهما يكن من شيء فزيد ذاهب، وهذا التفسير مدل لفائدتين/ ٣٦أ: بيان كونه توكيداً، وأنه في معنى الشرط، ففي إيراد الجملتين مصدّرتين به ـ وإن لم يقل: فالذين آمنوا يعلمون، والذين كفروا يقولون ـ إحماد عظيم لأمر المؤمنين، واعتداد بعلمهم أنه الحق، ونعى على الكافرين إغفالهم حظهم، وعنادهم، ورميهم بالكلمة الحمقاء، و ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، يقال: حقّ الأمر، إذا ثبت ووجب، وحقّت كلمة ربك، وثوب محقق: محكم النسج، و ﴿مَاذَآ﴾ فيه وجهان: أن يكون ذا اسماً موصولاً بمعنى الذي، فيكون كلمتين، وأن يكون «ذا» مركبة مع «ما» مجعولتين اسماً واحداً فيكون كلمة واحدة، فهو على الوجه الأوّل مرفوع المحل على الابتداء، وخبره ذا مع صلته، وعلى الثاني منصوب المحل في حكم «ما» وحده، لو قلت: ما أراد الله، والأصوب في جوابه أن يجيء على الأوّل مرفوعاً، وعلى الثاني منصوباً، ليطابق الجواب السؤال، وقد جوّزوا عكس ذلك تقول في جواب من قال: ما رأيت؟: خير، أي المرئي خير، وفي جواب ما الذي رأيت؟: خيراً، أي رأيت خيراً، وقرىء قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، بالرفع والنصب على التقديرين، والإرادة نقيض الكراهة، وهي مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك، وفي حدود المتكلمين: الإرادة معنى يوجب للحيّ حالاً لأجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه، وقد اختلفوا في إرادة الله، فبعضهم على

---

(١) للزمخشري، وإن كانت عادته في الكتاب ألا ينسب شعره لنفسه. يقول: يا ألله يا مبصر الخفيات حتى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل. والبهيم: المظلم، لانبهام الأشياء فيه. والأليل: أفعل تفضيل من الليل ـ وإن كان جامداً ـ للمبالغة في الظلمة. والنياط: عرق غليظ منوط بالقلب تتصل به عروق رقيقة. والنحر: أسفل العنق، والمخ: ما في وسط العظام. والنحل: جمع ناحل، أي دقيق. والفرطات: ذنوبه التي فرطت منه، و «ما كان» مفعول «اغفر». والزمان الأول: زمن الشباب.

أنّ للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد، وهو أمر زائد على كونه عالماً غير ساه، وبعضهم على أن معنى إرادته لأفعاله هو أنه فعلها وهو غير ساه ولا مكره، ومعنى إرادته لأفعال غيره أنه أمر بها، والضمير في ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾: للمثل، أو لأن يضرب، وفي قولهم: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾ استرذال واستحقار، كما: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا فِي عَبْد الله بنِ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ: يَا عَجَبًا لاَبْنِ عَمْرٍو هَذَا (٤٠)!

﴿مَثَلًا﴾: نصب على التمييز؛ كقولك لمن أجاب بجواب غث: ماذا أردت بهذا جواباً، ولمن حمل سلاحاً ردياً: كيف تنتفع بهذا سلاحاً؟ أو على الحال، كقوله: ﴿هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ جارٍ مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدّرتين بأما، وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة، وأنّ العلم بكونه حقاً من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نوراً إلى نورهم، وأنّ الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطاً في ظلماتهم، فإن قلت: لم وصف المهديون بالكثرة، والقلة صفتهم[(١)]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، «الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة»، «وجدت الناس اخْبُرْ تَقْلُهُ»؟ قلت: أهل الهدى كثير في أنفسهم،

٤٠ ـ أخرجه مسلم (٢/٢٤٧ ـ نووي) كتاب الحيض، باب حكم ضفائر المغتسلة حديث (٣٣١)، وابن ماجة (١/١٩٨) كتاب الطهارة، باب ما جاء في غسل النساء من الجنابة، حديث (٦٠٤)، وأحمد في المسند (٦/٤٣)، والبيهقي في السنن (١/١٨١).
وابن أبي شيبة (١/٧٣) رقم (٧٩٣).
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: هو قطعة من حديث أخرجه مسلم في كتاب الحيض من رواية عبيد بن عمير، قال: «بلغ عائشة أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص كان يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهنّ... الحديث» فقالت عائشة: «يا عجباً لابن عمرو هذا، يأمر النساء...» انتهى.

(١) قال محمود رحمه اللَّه: فإن قلت: «كيف وصف المهديون بالكثرة... إلخ»؟ قال أحمد رحمه اللَّه: جوابه صحيح، وتنظيره بالبيت وهم؛ لأن الشاعر إنما ذهب إلى أن عدد الكرام وإن كان قليلاً في نفسه فالواحد منهم لعموم نفعه وانبساط كرمه يقوم مقام ألف من جنسه مثلاً. وعدد اللئام وإن كثروا فالأكثرون منهم يعدون بواحد من غيرهم، لغل أيديهم وانقباضها عن الجود، وعدم تعدي نفع منهم إلى غيرهم، كقول ابن يزيد [من الرجز]:

الناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عرا

وأما الآية فمضمونها أن عدد المهديين كثير في نفسه، ومضمون الآيات الأُخر أن عددهم قليل بالنسبة إلى كثرة عدد الضالين، فعبر عنه تارة بالكثرة نظراً إلى ذاته، وتارة بالقلة نظراً إلى غيره، فليس معنى البيت من الآية في شيء.

وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال، وأيضاً، فإنّ القليل من المهديين كثير في الحقيقة، وإن قلّوا في الصورة، فسمّوا ذهاباً إلى الحقيقة كثيراً/ ٣٦ب [من البسيط]:

إِنَّ الْكِرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ قَلُّوا كَمَا غَيْرُهُمْ قَلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا[(١)]

وإسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب[(٢)]؛ لأنه لما ضرب المثل، فضل به قوم واهتدى به قوم، تسبب لضلالهم وهداهم، وعن مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد، فقال: يا أبا يحيى، أما ترى ما نحن فيه من القيود؟ فرفع مالك رأسه فرأى سلّة، فقال: لمن هذه السلّة؟ فقال: لي، فأمر بها تنزل، فإذا دجاج وأخبصة، فقال مالك: هذه وضعت القيود على رجلك، وقرأ زيد بن علي: «يُضِلُّ بِهِ كثيراً» وكذلك: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، والفسق: الخروج عن القصد، قال رُؤْبَةُ [من الرجز]:

فَوَاسِقاً عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرَا[(٣)]

---

(١) القل ـ بالفتح ـ: القليل، وهو المراد. وبالضم: بمعنى القلة، ويستعمل بمعنى القليل أيضاً. وبالكسر: الارتعاد غضباً. يقول: إن الكرام في الدنيا كثير لكثرة خيرهم. لأن الكريم يقاوم ألف لئيم، والحال أنهم قليل في العدد كما أن غيرهم ـ يعني اللئام ـ قليل في الخير وإن كثروا في العدد. فوجه الشبه اجتماع الكثرة والقلة في كل على التوزيع.
ينظر الدر المصون: ١/ ١٦٧.

(٢) قال محمود رحمه الله: «ونسبة الإضلال إلى الله تعالى من إسناد الفعل إلى السبب... إلخ». قال أحمد رحمه الله: جرى على سنة السببية في اعتقاد أن الإشراك بالله وأن الإضلال من جملة المخلوقات الخارجة عن عدد مخلوقاته عز وجل، بل من مخلوقات العبد لنفسه على زعم هذه الطائفة ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ وانظر إلى ضيق الخناق، بغلبة الحكايات لإطلاقات المشايخ فرتب عليها حقائق العقائد، وهذا من ارتكاب الهوى واقتحام الهلكة. وما أشنع تصريحه بأن الله سبب الإضلال لا خالقه كما أن السلة سبب في وضع القيود في رجلَيْ المحبوس. وإسناد الفعل لله عزّ وجل مجاز لا حقيقة، كما أن إسناد الفعل إلى البلد كذلك! يا له من تمثيل صار به مثلة، وتنظير صار به حائداً عن النظر الصحيح، مردود على التفصيل والجملة. نسأل الله تعالى العصمة من أمثال هذه الزلة، وهو ولي التوفيق.

(٣) فواسقاً عن قصدها جوائرا يذهبن في نجد وغوراً غائرا
لرؤبة بن العجاج، وقيل لذي الرمة، يصف نوقاً تمشي في المفاوز، خارجات عن طريق الاستقامة، مجاوزات حده. وبيّن ذلك بقوله: يذهبن: وروي: يهوين، أي يسرعن تارة في مكان مرتفع، وتارة في غور: أي في مكان كثير الانخفاض. فغوراً: نصب على الظرفية. وغائراً: وصف مؤكّد.
ينظر ديوانه: ص ١٩٠، وأساس البلاغة (فسق)، وللعجاج في ملحق ديوانه ٢/ ٢٨٨، والكتاب: ١/ ٩٤، ولسان العرب: (فسق) وتهذيب اللغة: ٨/ ٤١٤، وتاج العروس (فسق)، وجواهر الأدب ص ٣٣، والخصائص: ٢/ ٤٣٢، وشرح التصريح: ١/ ٢٨٨، وشرح شذور الذهب ص ٤٣١، =

والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة، وهو النازل بين المنزلتين[(١)] أي بين منزلة المؤمن والكافر، وقالوا: إن أوّل من حدّ له هذا الحدّ أبو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن أشياعه[(٢)]، وكونه بَيْنَ بَيْن: أنّ حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين، وهو كالكافر في الذمّ واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته، وألا تقبل له شهادة، ومذهب مالك بن أنس والزيدية: أنّ الصلاة لا تجزىء خلفه، ويقال للخلفاء المردة من الكفار: الفسقة، وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله، ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١]، يريد اللمز والتنابز، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

النقض: الفسخ وفك التركيب، فإن قلت: من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد؟ قلت: من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة، لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين؛ ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ القَوْمِ حِبَالاً وَنَحْنُ قَاطِعُوهَا، فَنَخْشَىٰ إِنِ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَعَزَّكَ وَأَظْهَرَكَ ـ أَنْ تَرْجِعَ إِلَىٰ قَوْمِكَ» (٤١)، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه، فينبّهوا بتلك الرمزة على مكانه؛ ونحوه قولك: شجاع يفترس أقرانه، وعالم يغترف منه الناس، وإذا تزوّجت امرأة فاستوثرها، لم تقل هذا إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر، وعلى المرأة بأنها فراش[(٣)].

والعهد: الموثق، وعهد إليه في كذا: إذا وصاه به ووثقه عليه، واستعهد منه: إذا اشترط عليه واستوثق منه، والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله: أحبار اليهود المتعنتون، أو منافقوهم، أو الكفار جميعاً، فإن قلت: فما المراد بعهد الله؟ قلت: ما ركز في عقولهم

---

٤١ ـ أخرجه ابن هشام في السيرة (١/٥٩) رقم (٤٥١)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٦١ ـ ٤٦٢)، والبيهقي في الدلائل (٢/٤٤٧)، والطبراني في الكبير (١٩/٨٧ ـ ٩٠) رقم (١٧٤).
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
أخرجه ابن إسحاق في المغازي في قصة العقبة من رواية كعب بن مالك ـ فذكر القصة، وفيها: «فاعترض القول أبو الهيثم بن التيهان فذكره بطوله»، وأخرجه أحمد والطبراني والبيهقي في الدلائل كلهم من طريقه. انتهى.

والمحتسب: ٢/ ٤٣، والدر المصون: ١/ ١٦٨.

(١) قوله «وهو النازل بين المنزلتين» هذا عند المعتزلة، وأما عند أهل السنّة فهو مؤمن، والفسق لا يخرجه عن الإيمان. (ع)

(٢) قوله «وعن أشياعه» هم المعتزلة. (ع)

(٣) قوله «وعلى المرأة بأنها فراش» بناء على أن الوثارة لين الفراش خاصة. (ع)

من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١١٢]، أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بُعِثَ إليهم رسول ـ يصدقه الله بمعجزاته ـ صدقوه واتبعوه، ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب/ ٣٧أ المنزلة عليهم، كقوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقوله في الإنجيل لعيسى ـ صلوات الله عليه ـ: «سأنزل عليك كتاباً فيه نبأ بني إسرائيل، وما أريته إياهم من الآيات، وما أنعمت عليهم، وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به، وما ضيعوا من عهده إليهم»، وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله تعالى وأوفوا بعهده، ونصره إياهم، وكيف أنزل بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقهم ولم يوفوا بعهده، لأنّ اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا بمحمد ﷺ، وقيل: هو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم، ولا يبغي بعضهم على بعض، ولا يقطعوا أرحامهم، وقيل: عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود: العهد الأوّل الذي أخذه على جميع ذرية آدم، الإقرار بربوبيته[1] وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرّقوا فيه، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٧]، وعهد خصّ به العلماء، وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم، ويجوز أن يكون بمعنى توثيقه، كما أنّ الميعاد والميلاد، بمعنى الوعد والولادة، ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى، أي من بعد توثقته عليهم، أو من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وإنذار رسله، ومعنى قطعهم ما أمر الله به أن يوصل: قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين، وقيل: قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق، في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض، فإن قلت: ما الأمر؟ قلت: طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه، وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور؛ لأن الداعي الذي يدعو إليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به، فقيل له: أمر، تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به، كما قيل له شأن، والشأن: الطلب والقصد، يقال: شأنت شأنه، أي قصدت قصده، ﴿هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾؛ لأنهم استبدلوا النقض بالوفاء، والقطع بالوصل، والفساد بالصلاح، وعقابها بثوابها.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ

---

(١) قوله «الإقرار بربوبيته» لعله من الإقرار. (ع)

معنى الهمزة التي في ﴿كَيۡفَ﴾: مثله في قولك: أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان، وهو الإنكار والتعجب، ونظيره قولك: أتطير بغير جناح؟، وكيف تطير بغير جناح؟ فإن قلت: قولك: أتطير بغير جناح إنكار للطيران؛ لأنه مستحيل بغير جناح، وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الإماتة والإحياء، قلت: قد أخرج في صورة المستحيل لما قوى من الصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان، فإن قلت: فقد تبين أمر الهمزة، وأنها لإنكار الفعل والإيذان باستحالته في نفسه، أو لقوة الصارف عنه، فما تقول في: ﴿كَيۡفَ﴾، حيث كان إنكاراً للحال التي يقع عليها كفرهم؟ قلت: حال الشيء تابعة لذاته، فإذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع/ ٣٧ب ثبوت الحال؛ فكان إنكار حال الكفار لأنها تبيع ذات الكفر ورديفها إنكاراً لذات الكفر، وثباتها على طريق الكناية، وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ، وتحريره: أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها، وقد علم أنّ كل موجود لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده، ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات كان إنكاراً لوجوده على الطريق البرهاني.

والواو في قوله: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾: للحال، فإن قلت: فكيف صح أن يكون حالاً وهو ماض، ولا يقال جئت وقام الأمير، ولكن وقد قام، لا أن يضمر قد؟ قلت: لم تدخل الواو على: ﴿كنتم أمواتاً﴾ وحده، ولكن على جملة قوله: ﴿كنتم أمواتاً﴾ إلى ﴿تُرۡجَعُونَ﴾، كأنه قيل: كيف تكفرون بالله، وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتاً نطفاً في أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة، ثم يحييكم بعد الموت، ثم يحاسبكم، فإن قلت: بعض القصة ماض وبعضها مستقبل، والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح أن يقعا حالاً حتى يكون فعلاً حاضراً وقت وجود ما هو حال عنه، فما الحاضر الذي وقع حالاً؟ قلت: هو العلم بالقصة، كأنه قيل: كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأولها وآخرها[1]، فإن قلت: فقد آل المعنى إلى قولك: على أي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته؟ قلت: قد ذكرنا أنّ معنى الاستفهام في ﴿كَيۡفَ﴾ الإنكار[2]، وأنّ إنكار الحال متضمن لإنكار الذات على سبيل الكناية، فكأنه قيل: ما

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ ما معناه: هذا تَكَلُّفٌ، يعني تأويلَه هذه الجملةَ بالجملةِ الاسمية. قال: «والذي حَمَله على ذلك اعتقادُه أنّ الجملَ مندرجَةٌ في حكم الجملةِ الأولى». قال: «ولا يتعيَّن، بل يكونُ قولُه تعالى: «ثم يُميتُكم» وما بعده جملاً متسأنفةً أَخْبَرَ بها تعالى لا داخلةً تحت الحالِ؛ ولذلك غايَرَ بينها وبين ما قبلَها من الجملِ بحرفِ العطفِ وصيغةِ الفعل السابقَيْنِ لها في قولِهِ: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾. انتهى الدر.

(٢) قوله ـ سبحانه ـ ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ....﴾ الآية.

أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه! فإن قلت: إن اتصل علمهم بأنهم كانوا أمواتاً فأحياهم ثم يميتهم، فلم يتصل بالإحياء الثاني والرجوع؟ قلت: قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة إليه، فكان ذلك بمنزلة حصول العلم، وكثير منهم علموا ثم عاندوا، والأموات: جمع ميت، كالأقوال في جمع قَيْل[1]، فإن قلت: كيف قيل لهم أموات في حال كونهم جماداً، وإنما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى؟ قلت: بل يقال ذلك لعادم الحياة، كقوله ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الفرقان: ٤٩]، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [يس: ٣٣]، ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل: ٢١]، ويجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما في أن لا روح ولا إحساس، فإن قلت: ما المراد بالإحياء الثاني؟ قلت: يجوز أن يراد به الإحياء في القبر: وبالرجوع: النشور، وأن يراد به النشور، وبالرجوع: المصير إلى الجزاء، فإن قلت: لم كان العطف الأوّل بالفاء والإعقاب بثم؟ قلت: لأنّ الإحياء الأوّل قد تعقب الموت بغير تراخ، وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء، والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ـ إن أريد به النشور ـ تراخيا ظاهراً، وإن أريد به إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه، والرجوع إلى الجزاء ـ أيضاً ـ متراخ عن النشور، فإن قلت: من أين أنكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الله، ألأنّها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر، أم على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر؟ قلت: يحتمل الأمرين جميعاً، لأنّ ما عدّده آيات/ ٣٨أ وهي مع كونها آيات من أعظم النعم، ﴿لَكُم﴾: لأجلكم، ولانتفاعكم به في دنياكم

= فيه «كيف» في موضع الهمزة المفيدة للإنكار والتعجب، وهذا ما أفاده المفسر العلامة وشرحه مطبقاً. . .

أقول: «كيف» اسم استفهام للسؤال عن الحال، وجوابه بيان حال المسؤول عنه، كما إذا قلت كيف محمد؟ فجوابه: صحيح أو سقيم، مشغول أو فارغ ونحو ذلك.

وهذه الأداة جعلها البلاغيون من أدوات التصور أي تصور أحد أركان الإسناد: المسند أو المسند إليه، أو العلاقة بينهما، أو أكثر من واحد منها.

وكما تفيد السؤال عن الحال تفيد معاني أخرى بقرينة الحال كما في الآية هنا فقد جاءت للتعجب مع الإنكار فهي في موضع الهمزة كما قرر المفسر العلامة.

والتعجب في اللغة يحدده صاحب اللسان بقوله «أن ترى الشيء يعجبك تظن أنك لم تر مثله» ويتضمن هذا إنكاراً، ولهذا قال صاحب اللسان ـ أيضاً ـ «العجب والعجب: إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده».

وبهذا نصل إلى أن التعجب: انفعال النفس بالشيء أو الأمر الغريب النادر لأنها لم تر مثله ويأتي بأدوات كثيرة من أدوات الاستفهام ومنها: هل، وما، وأي، وأني مع الهمزة وكيف.

ينظر اللسان (عجب) الإيضاح للقزويني ٣/ ٧٢، المطول ٢٣٥، البلاغة القرآنية لأبي موسى ٣٨٢.

(١) قوله «كالأقوال في جمع قيل» ملك من ملوك حمير. وأصله «قيل» بالتشديد. ومن جمعه على أقيال لم يجعل أصله مشدداً. كذا في الصحاح. (ع)

ودينكم، أما الانتفاع الدنيوي فظاهر، وأمّا الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم، وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها، لاشتماله على أسباب الأنس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية، وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والأحناش والسموم والغموم والمخاوف؛ وقد استدل بقوله: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾، على أنّ الأشياء التي يصح أن ينتفع بها[1] ولم تجري مجرى المحظورات في العقل خلقت في الأصل مباحة مطلقاً لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها، فإن قلت: هل لقول من زعم أنّ المعنى خلق لكم الأرض وما فيها وجه صحة؟ قلت: إن أراد بالأرض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلْوية: جاز ذلك، فإنّ الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية، و ﴿جَمِيعًا﴾: نصب على الحال من الموصول الثاني، والاستواء: الاعتدال والاستقامة، يقال: استوى العود وغيره، إذا قام واعتدل، ثم قيل: استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصداً مستوياً، من غير أن يلوي على شيء، ومنه استعير قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، أي قصد إليها بإرادته ومشيئته بعد خلق ما في الأرض، من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر، والمراد بالسماء جهات العلو، كأنه قيل: ثم استوى إلى فوق، والضمير في ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: ضمير مبهم، و ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾: تفسيره؛ كقولهم: ربه رجلا[2]، وقيل: الضمير راجع إلى السماء، والسماء في معنى الجنس، وقيل. جمع

---

(1) قال محمود رحمه الله تعالى: «وقد استدلّ بقوله (خلق لكم) على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها... إلخ». قال أحمد رحمه الله: هذا استدلال فرقة من القدرية ذهبت إلى أن حكم الله تعالى الإباحة في ذوات المنافع التي لا يدل العقل على تحريمها قبل ورود الرُسُل تلقيها من العقل وزعموا أنها اشتملت على منافع وحاجة الخلق داعية إليها، فخلقها مع خطرها على العباد خلاف مقتضى الحكمة: فوجب عندهم بمقتضى العقل أن يعتقدوا إباحتها في حكم الله عزَّ وجل، وهذا زلل ناشىء عن قاعدة التحسين والتقبيح الباطلة. وأما استدلال الزمخشري لهذه الفرقة بالآية فغير مستقيم، فإنّ دعواهم أن العقل كافٍ في إباحة هذه الأشياء. فإن دلّت الآية على الإباحة فنحن نقول بموجبها ويكون إذاً إباحة شرعية سمعية. وإن لم تدل على الإباحة لم يبقَ في الاستدلال بها مطمع.

(2) قال السمين الحلبي: وقد رُدَّ عليه هذا؛ فإنه ليس من المواضِع التي يُفَسَّر فيها الضميرُ بما بعدَه؛ لأنّ النحويين حَصَروا ذلك في سبعةِ مواضع: ضميرِ الشأن، والمجرور بـ «رُبَّ» والمرفوع بنعْمَ وبِئْسَ وما جرى مَجْراهما، وبأوّلِ المتنازِعَيْن، والمفسَّر بخبرِهِ، وبالمُبْدِل منه، ثم قال هذا المعترض: «إلاَّ أن يُتَخَيَّلَ فيه أن يكونَ «سبع سمواتٍ» بدلاً وهو الذي يقتضيه تشبيهُه برُبَّه رجلاً، فإنه ضميرٌ مبهمٌ ليس عائداً على شيء قبلَه، لكن هذا يَضعفُ بكونِ هذا التقديرِ يَجْعَلُه. غيرَ مرتبطٍ بما قبلَهُ ارتباطاً كلياً، فيكون أَخْبَرَ بإخبارينِ:
أحدُهما: أنه استوى إلى السماء.
والثاني: أنه سَوَّى سبع سموات، وظاهرُ الكلامِ أن الذي استوى إليه هو المُسَوَّى بعينه. انتهى. الدر.

سماءة، والوجه العربي هو الأوّل، ومعنى تسويتهنّ: تعديل خلقهنّ، وتقديمه، وإخلاؤه من العوج والفطور، أو إتمام خلقهنّ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ فمن ثم خلقهنّ خلقاً مستوياً محكماً من غير تفاوت، مع خلق ما في الأرض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم، فإن قلت: ما فسرت به معنى الاستواء إلى السماء يناقضه (ثم) لإعطائه معنى التراخي والمهلة قلت: (ثم) ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السمٰوات على خلق الأرض، لا للتراخي في الوقت كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧]، على أنه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به، لأن المعنى [أنه] حين قصد إلى السماء لم يحدث فيما بين ذلك ـ أي في تضاعيف القصد إليها ـ خلقاً آخر. فإن قلت: أما يناقض هذا قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾ [النازعات: ٣٠]؟ قلت: لا؛ لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء، وأمّا دحوها فمتأخر، وعن الحسن: خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر، عليها دخان ملتزق بها، ثم أصعد الدخان وخلق منه السمٰوات، وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض، فذلك قوله: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وهو الالتزاق/ ٣٨ب.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾

﴿وَإِذْ﴾: نصب بإضمار اذكر، ويجوز أن ينتصب بقالوا، والملائكة: جمع ملأك على الأصل، كالشمائل في جمع شمأل، وإلحاق التاء لتأنيث الجمع، و﴿جَاعِلٌ﴾ من جعل الذي له مفعولان، دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فكانا مفعوليه، ومعناه مُصَيِّرٌ في الأرض خليفة، والخليفة: من يخلف غيره، والمعنى: خليفة منكم، لأنهم كانوا سكان الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته، فإن قلت: فهلا قيل: خلائف، أو خلفاء؟ قلت: أريد بالخليفة آدم، واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يُسْتغنىٰ بذكر أبي القبيلة في قولك: مضر وهاشم. أو أريد من يخلفكم، أو خلفاً يخلفكم فوحد لذلك، وقرىء: «خليقة» بالقاف ويجوز أن يريد: خليفة مني، لأنّ آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كلّ نبيّ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، فإن قلت: لأي غرض

أخبرهم بذلك؟ قلت: ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم، صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم، وقيل: ليعلم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها، وعرضها على ثقاتهم ونصائحهم، وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنياً عن المشاورة. ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا﴾: تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير[1]، ولا يريد إلا الخير، فإن قلت: من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وإنما هو غيب؟ قلت: عرفوه بإخبار من الله، أو من جهة اللوح، أو ثبت في علمهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون، وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم، أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة، وقرىء: «يسفُك»، بضم الفاء، ويُسفك، ويَسفك، من أسفك، وسفك، والواو في ﴿وَنَحۡنُ﴾: للحال، كما تقول: أتحسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان، والتسبيح: تبعيد الله عن السوء، وكذلك تقديسه، من سبح في الأرض والماء، وقدس في الأرض: إذا ذهب فيها وأبعد، و ﴿بِحَمۡدِكَ﴾: في موضع الحال، أي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك؛ لأنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك، ﴿أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾: أي أعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم، فإن قلت: هلا بين لهم تلك المصالح؟ قلت: كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة، وإن خفي عليهم وجه الحسن والحكمة، على أنه قد بين لهم بعض ذلك فيما أتبعه من قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾، واشتقاقهم ﴿ءَادَمَ﴾ من الأدمة، ومن أديم الأرض، نحو اشتقاقهم: (يعقوب): من العقب، و (إدريس): من الدرس، و (إبليس): من الإبلاس، وما آدم إلا اسم أعجمي، وأقرب أمره أن يكون على فاعل، كآزر، وعازر، وعابر، وشالخ، وفالغ، وأشباه ذلك: ﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾: أي أسماء المسميات[2]، فحذف المضاف إليه لكونه معلوماً مدلولاً عليه بذكر الأسماء، لأن الاسم

---

(١) قوله «وهو الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير» هذا وما بعده عند المعتزلة. وأما عند أهل السنّة فهو تعالى يفعل الخير والشر ويريدهما. (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله: «أي أسماء المسميات... إلخ». قال أحمد رحمه الله: وهو يفر من اعتقاد أن الإسم هو المسمى، لأن ذلك معتقَد أهل السنة، فيعمل الحيلة في إبعاده عن مقتضى الآية بقوله ﴿أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ ويتغافل عن قوله ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ فإن الضمير فيه عائد إلى المسميات اتفاقاً. ولم يجر إلا ذِكر الأسماء، فدلّ على أنها المسميات، ويعرض أيضاً عن حكمة التعليم، وأن تعليقه بنفس الألفاظ لا كبير غرض فيه بل الغرض المهم تعليمه لذوات المسميات وإطلاعه على حقائقها وما أودع الله تعالى فيها من خواص وأسرار وعلى تسميتها أيضاً فإن طريق التعليم يميِّز كل حقيقة باسمها فقد ثبت بهاتين النكتتين أن المراد بالأسماء المسميات. وأما استدلاله بقوله (أنبئوني بأسماء هؤلاء) فغايته إضافة الأسماء إلى الذوات، فلهم أن يقولوا لو كانت الأسماء هي الذوات =

لا بد له من مسمى، وعوض منه اللام كقوله: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾ [مريم: ٤]، فإن قلت: هلا/ ٣٩أ زعمت أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وأن الأصل: وعلم آدم مسميات الأسماء؟ قلت: لأن التعليم وجب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات، لقوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، ﴿أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ فكما علق الإنباء بالأسماء لا بالمسميات ولم يقل: أنبئوني بهؤلاء، وأنبئهم بهم، وجب تعليق التعليم بها، فإن قلت: فما معنى تعليمه أسماء المسميات؟ قلت: أراه الأجناس التي خلقها، وعلمه أن هذا اسمه فرس، وهذا اسمه بعير، وهذا اسمه كذا، وهذا اسمه كذا، وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾: أي عرض المسميات؛ وإنما ذكّر لأن في المسميات العقلاء فغلبهم، وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يعني في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء إرادة للرد عليهم، وأن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها، ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا، فأراهم بذلك وبين لهم بعض ما أجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ استحضار لقوله لهم: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، إلا أنه جاء به على وجه أبسط من ذلك وأشرح، وقرىء: «وعُلم آدم» على البناء للمفعول، وقرأ عبد الله: «عرضهُنّ»، وقرأ أُبيّ: «عرضها»، والمعنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها؛ لأن العرض لا يصح في الأسماء، وقرىء: «أنبيهم»، بقلب الهمزة ياء، «وأنبهم»، بحذفها والهاء مكسورة فيهما.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾

= لزمت إضافة الشيء إلى نفسه، وهذا ما لا مطمع فيه فإن هذه الإضافة مثلها في قولك: نفس زيد وحقيقته، فالمراد إذاً نبئوني بحقائق هؤلاء، ولا نكير في هذه الإضافة؛ فإن الأسماء بمعنى المسميات. والحقائق أعم من هؤلاء المشار إليهم والمضاف إليهم فصحت الإضافة لما بين الأعم والأخص من التغاير، وهذا هو المصحح للإضافة في مثل نفس زيد وأشباهه. فهذه نبذة من مسألة الاسم والمسمى تختص بهذه الآية. وفيها إن شاء الله كفاية على أنها وإن عدّها المتكلمون من فن الكلام، فالغالب عليها أنها مسألة لفظية لا يرجع اختلاف الأشعرية والمعتزلة فيها إلى كثير من حيث الحقيقة.

السجود لله تعالى على سبيل العبادة، ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم، وأبو يوسف[1] وإخوته له؟ ويجوز أن تختلف الأحوال والأوقات فيه، وقرأ أبو جعفر: «للملائكةُ اسجدوا» بضم التاء للإتباع، ولا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع إلا في لغة ضعيفة، كقولهم: «الحمدِ لله»[2]، ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾، استثناء متصل، لأنه كان جنّياً واحداً بين أظهر الألوف من الملائكة مغموراً بهم، فغلبوا عليه في قوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾، ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم، ويجوز أن يجعل منقطعاً ﴿أَبَىٰ﴾ امتنع مما أمر به ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ عنه، ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. من جنس كفرة الجن وشياطينهم، فلذلك أبى واستكبر؛ كقوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]، السكنى من السكون لأنها نوع من اللبث والاستقرار، و ﴿أَنتَ﴾ تأكيد للمستكن في ﴿ٱسۡكُنۡ﴾؛ ليصح العطف عليه، و﴿رَغَدًا﴾ وصف للمصدر، أي أكلا رغداً واسعاً رافهاً، و ﴿حَيۡثُ﴾: للمكان المبهم، أي: أيّ مكان من الجنة ﴿شِئۡتُمَا﴾: أطلق لهما الأكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة، حين لم يحظر عليهما بعض الأكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات من الجنة، حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة بين أشجارها الفائتة للحصر، وكانت الشجرة فيما قيل: (الحنطة)، أو (الكرمة)، أو (التينة)، وقرىء: «ولا تِقربا» بكسر التاء، و «هذي» و «الشِجرة»،/ ٣٩ب بكسر الشين، و «الشِيرة» بكسر الشين والياء، وعن أبي عمرو أنه كرهها، وقال يقرأ بها برابرة مكة وسودانها، ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله، ﴿فَتَكُونَا﴾ جزم عطف على ﴿تَقۡرَبَا﴾، أو نصب جواب للنهى، الضمير في ﴿عَنۡهَا﴾ للشجرة، أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها، وتحقيقه: فأصدر الشيطان زلتهما عنها، و (عن): هذه، مثلها في قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [الكهف: ٨٢]، وقوله: [من السريع]

---

(١) قوله «لآدم وأبو يوسف» لعله وأبوَى يوسف. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: قلتُ: وهذا أكثرُ شذوذاً، وأضعفُ من ذاك مع ما في ذاك من الضعفِ المتقدِّم؛ لأنَّ هناك فاصلاً وإنْ كان ساكناً، وقال أبو البقاء: «وهي قراءةٌ ضعيفةٌ جداً، وأحسنُ ما تُحمَلُ عليه أن يكون الراوي لم يَضْبِطْ عن القارىء، وذلك أن القارىء أشارَ إلى الضمِّ تنبيهاً على أنَّ الهمزةَ المحذوفةَ مضمومةٌ في الابتداءِ، فلم يُدْرِكِ الراوي هذه الإشارَةَ. وقيل: إنه نوى الوقفَ على التاءِ ساكنةً ثم حَرَّكها بالضم إتباعاً لحركةِ الجيم، وهذا من إجراءِ الوَصْلِ مُجْرى الوقفِ؛ ومثلُه: ما رُوِيَ عن امرأةٍ رأت رجلاً مع نساءٍ فقالت: «أفي سَوْءَةَ أنْتُنَّه» نوتِ الوقف على «سَوْءَة» فسكَّنَتِ التاءَ ثم ألقَتْ عليها حركةَ همزةِ «أنتنَّ». قلت: فعلى هذا تكونُ هذه الحركةُ حركةَ التقاءِ ساكنين، وحينئذٍ يكونُ كقوله: «قالِت اخرُج» وبابه، وإنما أكثرَ الناسُ توجيهَ هذه القراءةِ لجلالةِ قارئِها أبي جعفر يزيد بن القعقاع شيخِ نافعٍ شيخِ أهلِ المدينةِ، وترجمتُهما مشهورةٌ. انتهى. الدر.

وقيل: فأزلهما عن الجنة[٣] بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما، كما تقول: زلّ عن مرتبته، وزل عني ذاك: إذا ذهب عنك، وزل من الشهر كذا، وقرىء: «فأزالهما»، ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم والكرامة. أو من الجنة إن كان الضّمير للشجرة؛ في (عنها)، وقرأ عبد الله: «فوسوس لهما الشيطان عنها»، وهذا دليل على أنّ الضّمير للشجرة، لأنّ المعنى صدرت وسوسته عنها، فإن قلت: كيف توصل إلى إزلالهما ووسوسته لهما بعدما قيل له: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [ص: ٧٧]. قلت: يجوز أن يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة، ولا يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء، وقيل: كان يدنو من السّماء فيكلّمهما، وقيل: قام عند الباب فنادى، ورُوِيَ أنّه أراد الدخول فمنعته الخزنة، فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون، قيل: ﴿اهْبِطُوا﴾: خطاب لآدم وحواء وإبليس، وقيل: والحية، والصّحيح أنّه لآدم وحوّاء والمراد هما وذريتهما؛ لأنّهما لمّا كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنّهما الإنس كلّهم، والدّليل عليه قوله: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه: ١٢٣] ويدلّ على ذلك قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾، وما هو إلا حكم يعم الناس كلّهم، ومعنى بعضكم لبعض ﴿عَدُوٌّ﴾: ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض، والهبوط: النزول إلى الأرض، ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع استقرار: أو استقرار ﴿وَمَتَاعٌ﴾ وتمتع بالعيش، ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: يريد إلى يوم القيامة، وقيل: إلى الموت.

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾

---

(١) قوله «وقوله ينهون عن أكل» في الصحاح: جزور نهية ـ على فعلية ـ: أي ضخمة سمينة.

(٢) يـمـشـون رسـمـاً فـوق قـنـتـه   يـنـهـون عـن أكـل وعـن شـرب

يصف مضيافاً أشبع أضيافه، فهم يمشون ويرسمون رسماً فوق أعلى الجبل. وقنة الجبل وقلته: أعلاه، حال كونهم متناهين في السمن تناهياً ناشئاً عن أكل كثير وشرب كثير.

ينظر لسان العرب: (نوه)، (نهى).

(٣) قال محمود رحمه الله: «وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما، كما تقول زل... إلخ». قال أحمد رحمه الله: ويشهد له قوله تعالى ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾.

معنى تلقي الكلمات؛ استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها، وقرىء بنصب (آدم) ورفع (الكلمات)، على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به، فإن قلت: ما هنّ؟ قلت: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا . . .﴾ الآية [الأعراف: ٢٣]، وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «إن أحب الكلام إلى الله ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة: سبحانك اللّهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، لا إلٰه إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»،(٤٢) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى. قال: يا رب ألم تنفخ فيّ الروح من روحك؟ قال: بلى. قال: يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى. قال: ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى. قال: يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم»،(٤٣) واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء، لأنها كانت تبعاً له، كما طوى ذكر/ ٤٠أ النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك، وقد ذكرها في قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: فرجع عليه بالرحمة والقبول، فإن قلت: لم كرر: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾؟ قلت: للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾، فإن قلت: ما جواب الشرط الأول؟ قلت: الشرط الثاني مع جوابه؛ كقولك: إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك، والمعنى: فإما يأتينكم مني هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم؛ بدليل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ في مقابلة قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ [طه: ١٢٣]، فإن قلت:

---

٤٢ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ٢١٠) رقم (٢٤٠٣)، قال: حدثنا أبو بكر قال: نا ابن فضيل وأبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن الحارث بن سويد قال: قال ابن مسعود فذكره.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: موقوف، أخرجه ابن أبي شيبة في أوائل الصلاة من رواية إبراهيم التيمي عن الحارث بن سويد قال: قال ابن مسعود: فذكره ولم يقل: «ما قال أبونا آدم حين اقترف الخطيئة». انتهى.

٤٣ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٤٥)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي وابن جرير في التفسير (١/ ٥٤٢) رقم (٧٧٥). وابن أبي حاتم في التفسير (١/ ١٣٥) رقم (٤١١)، وذكره السيوطي في الدر (١/ ١١٦)، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في التوبة وابن المنذر.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: موقوف، أخرجه الحاكم في ترجمة آدم، من فضائل الأنبياء، من رواية المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عنه. . . انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه اللّه: «فإن قلت لم جيء بكلمة الشك وإتيان الهدى كائن. . . إلخ؟». قال أحمد رحمه اللّه: هاتان زلّتان زلّهما فلزّهما في قرن: الأولى: إيراد السؤال بناء على أن الهدى على اللّه تعالى واجب. والثانية: بناء الجواب على أن الوجوب الشرعي يثبت بالعقل قبل ورود الشرع. والحق أن اللّه تعالى لا يجب عليه شيء ـ تعالى عن الإيجاب رب الأرباب ـ. وإنما يدخل تحت =

فلم جيء بكلمة الشك[1]، وإتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه؟ قلت: للإيذان بأنّ الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل، وإنزال الكتب، وأنه إن لم يبعث رسولاً ولم ينزل كتاباً، كان الإيمان به وتوحيده واجباً؛ لما ركب فيهم[2] من العقول، ونصب لهم من الأدلة ومكنهم من النظر والاستدلال، فإن قلت: الخطيئة التي أهبط بها آدم[3] إن كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء؟، وإن كانت صغيرة، فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والإخراج من الجنة والإهباط من السماء، كما فعل بإبليس ونسبته إلى الغيّ والعصيان، ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة إلى التوبة؟ قلت: ما كانت إلا صغيرة مغمورة بأعمال قلبه من الإخلاص والأفكار الصالحة التي هي أجل الأعمال وأعظم الطاعات، وإنما جرى عليه ما جرى، تعظيماً للخطيئة وتفظيعاً لشأنها وتهويلاً، ليكون ذلك لطفاً له ولذرّيته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم، والتنبيه على أنه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة، فكيف يدخلها ذو خطايا جمة، وقرىء: «فمن تبع هُدَيَّ» على لغة هذيل، «فلا خوفَ» بالفتح.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾

﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: هو يعقوب ـ عليه السلام ـ لقب له، ومعناه في لسانهم: صفوة الله،

= ربقة التكاليف المربوب لا الرب. وأما وجوب النظر في أدلة التوحيد، قائماً يثبت بالسمع لا بالعقل، وإن كان حصول المعرفة بالله وتوحيده غير موقوف على ورود السمع، بل محض العقل كافٍ فيه باتفاق.

(١) قوله «واجباً لما ركب فيهم» هذا عند المعتزلة. وأما عند أهل السنّة فلا حكم قبل الشرع. (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت الخطيئة التي أهبط بها آدم من الجنة... إلخ». قال أحمد رحمه الله تعالى: مقتضاه تأويل الآي المشعر ظاهرها بوقوع الصغائر من الأنبياء تنزيهاً لهم عنها. على أن تجويز الصغائر عليهم قد قال به طوائف من أهل السنّة. وفي طي وقوعها إلطاف وزيادة في الالتجاء إلى الله تعالى والتواضُع له والاشفاق على الخطائين والدعاء لهم بالتوبة والمغفرة، كما نُقل عن داود أنه كان بعد ابتلاء الله له يدعو للخطائين كثيراً. وعلى الجملة فالقدري يجوز الصغائر على الأنبياء ويقول: إن اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر في حق الناس فلا جرم التزم الزمخشري ورود السؤال؛ لأن آدم عليه السلام معصوم من الكبائر باتفاق فيلزم على قاعدة القدرية أن تكون صغيرة واجبة التكفير والمحو، غير مؤاخذ عليها ولا مستوجب بسببها عقوبة ولا شيئاً مما وقع، وهذا لا جواب للزمخشري عنه إلا الإنصاف والرجوع عن المعتقدات الباطلة والمذاهب الماحلة ولقد شنّع السؤال بقوله إن الذي جرى على آدم عليه السلام كالذي جرى على إبليس عليه اللعنة. ومعاذ الله أن يكون الحالان سواء والعاقبتان كما تعلم: أن آدم عليه السلام خالد في النعيم المقيم؛ وأن إبليس خالد في العذاب الأليم.

وقيل: عبد الله، وهو بزنة إبرٰهيم وإسمٰعيل، غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة، وقرىء «إسرائل» و «إسرائلّ»، وذكرهم النعمة: ألا يُخِلُّوا بشكرها، ويعتدّوا بها، ويستعظموها، ويطيعوا مانحها، وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدّد عليهم: من الإنجاء من فرعون وعذابه، ومن الغرق، ومن العفو عن اتخاذ العجل، والتوبة عليهم، وغير ذلك، وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد ﷺ المبشر به في التوراة والإنجيل، والعهد يضاف إلى المعاهِد والمعاهَد جميعاً، يقال: أوفيت بعهدي، أي بما عاهدت عليه كقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]، وأوفيت بعهدك: أي بما عاهدتك عليه، ومعنى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾، وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي؛ كقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥]، ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾: فلا تنقضوا عهدي، وهو من قولك: زيداً رهبته، وهو/ ٤٠ب أوكد في إفادة الاختصاص من: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وقرىء: «أُوَفِّ» بالتشديد: أي أبالغ في الوفاء بعهدكم، كقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل: ٨٩]، **ويجوز أن يريد بقوله**: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ ما عاهدوا عليه ووعدوه من الإيمان بنبيّ الرحمة والكتاب المعجز، ويدل عليه قوله: ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ أوّل من كفر به، أو أوّل فريق أو فوج كافر به، أو: ولا يكن كل واحد منكم أوّل كافر به، كقولك: كسانا حلة، أي كل واحد منا، وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أوّل من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته، ولأنهم كانوا المبشرين بزمان من أوحى إليه والمستفتحين على الذين كفروا به، وكانوا يعدون اتباعه أول الناس كلهم، فلما بعث كان أمرهم على العكس كقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [البينة: ١ ـ ٤]، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]، ويجوز أن يراد: ولا تكونوا مثل أول كافر به، يعني من أشرك به من أهل مكة، أي: ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكوراً في التوراة موصوفاً، مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له، وقيل: الضمير في «به» لما معكم؛ لأنهم إذا كفروا بما يصدّقه فقد كفروا به، والاشتراء استعارة للاستبدال؛ كقوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦]، وقوله: [من الرجز]

كَـمَـا ٱشْـتَـرَى الـمُـسْـلِـمُ إِذْ تَـنَـصَّـرَا[1]

وقوله [من الطويل]:

---

(١) مر شرح هذا الشاهد عند تفسير آية ١٦ فراجعه إن شئت. اهـ مصححة.

. . . . فَإِنِّي شَرَيْتُ الحِلْمَ بَعْدَكَ بِالجَهْلِ[1]

يعني: ولا تستبدلوا بآياتي ثمناً وإلا فالثمن هو المشترى به، والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم، خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعاً لرسول الله ﷺ فاستبدلوها ـ وهي بدل قليل ومتاع يسير ـ بآيات الله وبالحق الذي كل كثير إليه قليل، وكل كبير إليه حقير، فما بال القليل الحقير، وقيل: كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم، ويهدون إليهم الهدايا، ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم، وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع، وكان ملوكهم يدرّون عليهم الأموال؛ ليكتموا أو يحرّفوا.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

الباء التي في ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ إن كانت صلة مثلها في قولك: لبست الشيء بالشيء خلطته به، كأن المعنى: ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم، حتى لا يميز بين حقها وباطلكم، وإن كانت باء الاستعانة كالتي في قولك: كتبت بالقلم، كان المعنى: ولا تجعلوا الحق ملتبساً مشتبهاً بباطلكم الذي تكتبونه، ﴿وَتَكْتُمُوا۟﴾: جزم داخل تحت حكم النهي، بمعنى: ولا تكتموا، أو منصوب بإضمار أن، والواو بمعنى الجمع، أي: ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق، كقولك: لا تأكل السمك

---

(١) ألا زعمت أسماء ألا أحبها ... فقلت: بلى لولا ينازعني شغلي
جزيتك ضعف الود لولا اشتكيته ... وما إن جزاك الضعف من أحد قبلي
فإن تزعميني كنت أجهل فيكم ... فإنى شريت الحلم بعدك بالجهل

لأبي ذؤيب الهذلي. وزعمت: أي ظنت أنه الحال والشأن لا أحبها، فقلت لها: بلى أحبك لولا ينازعني: أي لولا أن ينازعنى شغلي ويصرفني عن مودتك. أو لو لم ينازعني شغلي لوددتك: جزيتك ضعف الود: أي وددتك قدر المعتاد مرتين، أو قدر ودك مرتين. لولا اشتكيته: أي لولا أن مللته وسئمته، أو لو لم تشتكيه لضاعفته وأكثرته، فلولا هنا يحتمل أنها كلمة واحدة فيقدر بعدها «أن» المصدرية، ويحتمل أنها كلمتان بمعنى لو لم، لكنه استعمال نادر. ويجوز في «لولا» الثانية أنها حرف تحضيض وتوبيخ كهلا، يعني كان الأحق بالشكوى كثرة المودة الموجبة للتهمة، لا كثرة الهجر. و «ما» نافية، و «إن» و «من» زائدتان. وأجهل: فعل مضارع مرفوع. وقيل: أفعل تفضيل منصوب. فيكم: أي بسببكم، أو فيما بين قبيلتكم. وعبر بضمير جمع المذكر للتعظيم. فإني شريت: جواب الشرط، واشترى الشيء: أخذه بالثمن، وشراه: باعه به، فالمراد هنا: استبدلت العقل بعد فراقك بالجهل، فهو مجاز مرسل علاقته الإطلاق. والمعنى: أنه اعتذر عن عدم ودها بشغله وشكواها وعقله.
ينظر ديوانه (١/ ٣٦)، الهمع: (١/ ١٤٨)، ابن عقيل: (١/ ٤٢٣)، الدر المصون: ١/ ٢٠٧.

وتشرب اللبن، فإن قلت: لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما، لأنهم إذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق[1]؟ قلت: بل هما متميزان؛ لأن لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتابتهم في التوراة ما ليس/ ٤١أ منها، وكتمانهم الحق أن يقولوا: لا نجد في التّوراة صفة محمد ﷺ، أو حكم كذا، أو يمحوا ذلك، أو يكتبوه على خلاف ما هو عليه، وفي مصحف عبد الله: «وتكتمون»، بمعنى كاتمين، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: في حال علمكم أنكم لابسون كاتمون، وهو أقبح لهم، لأنّ الجهل بالقبيح ربّما عذر راكبه ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعني: صلاة المسلمين وزكاتهم ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ منهم؛ لأنّ اليهود لا ركوع في صلاتهم، وقيل: (الركوع): الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله، ويجوز أن يراد بالرّكوع: الصّلاة، كما يُعبَّر عنها بالسّجود، وأن يكون أمراً بأن يُصلي مع المصلّين، يعني في الجماعة، كأنّه قيل: وأقيموا الصّلاة وصلّوها مع المصلّين، لا منفردين.

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَتَأْمُرُونَ﴾: الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم[2]، والبرّ: سعة الخير والمعروف، ومنه البر لسعته، ويتناول كلّ خير، ومنه قولهم: صدقت وبررت، وكان الأحبار يأمرون من نصحوه في السرّ من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد ﷺ ولا يتّبعونه، وقيل: كانوا يأمرون بالصّدقة ولا يتصدّقون، وإذا أتوا بصدقات ليفرّقوها خانوا فيها، وعن محمد بن واسع: بلغني أنّ ناساً من أهل الجنّة اطّلعوا على ناس من أهل النّار فقالوا لهم: قد كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنّة، قالوا: كنّا نأمركم بها ونخالف إلى غيرها، ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ وتتركونها من البر كالمنسيات، ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: تبكيت مثل قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: يعني تتلون التّوراة وفيها نعت محمد ﷺ، أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: توبيخ عظيم بمعنى: أفلا تفطنون، لقبح

---

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين. . . إلخ». قال أحمد رحمه الله: السؤال غير موجّه، لأنه ادّعى فيه عدم التميُّز بين الفعلين. وغاية ما قدره تلازمهما. والمتلازمان متغايران متميزان، إلا أن يعني بعدم التميُّز عدم الانفكاك، فلا نسلم له تعذُّر جمعهما في النهي إذاً بل النهي عن أحدهما على هذا التقدير مستلزم للنهي عن الآخر، وإن لم يصرِّح به.

(٢) قوله ـ تعالى ـ «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون» فيه: الهمزة للتقرير والتوبيخ والتعجيب من حالهم. =

ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه، وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول، لأنّ العقول تأباه وتدفعه، ونحوه: ﴿أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ [الأنبياء: ٦٧]. ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ على حوائجكم إلى الله ﴿بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي بالجمع بينهما، وأن تصلّوا صابرين على تكاليف الصلاة، محتملين لمشاقّها، وما يجب فيها ـ من إخلاص القلب، وحفظ النيات، ودفع الوساوس، ومراعاة الآداب، والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع، واستحضار العلم بأنّه انتصاب بين يدي جبار السمٰوات، ليسأل فكّ الرّقاب عن سخطه وعذابه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] أو: واستعينوا على البلايا والنّوائب بالصّبر عليها والالتجاء إلى الصّلاة عند وقوعها، وكان رسولُ الله ﷺ «إذا حزبه أمر فزع إلىٰ الصّلاة» (٤٤) وعن ابن عباس أنّه نُعي إليه أخوه «قُثَم» وهو في سفر، فاسترجع وتنحّى عن الطريق فصلّى ركعتين أَطَالَ فيهما الْجُلُوسَ، ثُمّ قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: «واستعينوا بالصبر والصّلاة»، (٤٥) وقيل:

---

٤٤ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٤٢٠) كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي ـ ﷺ ـ من الليل حديث (١٣١٩)، وأحمد (٥/ ٣٨٨).
والبغوي في شرح السنة (٢/ ٥٢٦) رقم (١٠١١)، وابن جرير في التفسير (٢/ ١٢) رقم (٨٥٠)، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٤٥٣) باب إرسال حذيفة بن اليمان إلى عسكر المشركين.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
أخرجه الطبري في تفسيره من حديث حذيفة بهذا اللفظ، فأخرجه أبو داود وأحمد من رواية عبد العزيز أخي حذيفة عن حذيفة بلفظ: «كان إذا حزبه أمر صلّى». وأخرجه البيهقي في الدلائل في قصة الخندق مطولاً. انتهى.
٤٥ ـ أخرجه ابن جرير في التفسير (٢/ ١٤) رقم (٨٥٢)، وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٦٣٢) كتاب =

= أقول: الهمزة أوسع أدوات الاستفهام استعمالاً ولهذا جاء للتصور والتصديق بخلاف هل فإنها للتصديق فقط، وبقية أدوات الاستفهام فإنها للتصور فقط.
فالهمزة للتصديق وهو انقياد الذهن وإذعانه لوقوع النسبة بين المسند والمسند إليه أو عدم وقوعها، وهذا ما يفهم من قولك أقام زيد؟، وأزيد قام، فالمسؤول عنه نسبة القيام إليه في الواقع أحاصلة أم لم تحصل؟
وتأتي للتصور ـ أيضاً ـ وهو: إدراك غير النسبة المذكورة آنفاً كقولك: أتمر في الطبق أم عنب؟ فالمطلوب تعيين المسند إليه، وقد يطلب تعيين المسند كما في قولك:
أزيد في المنزل أم في العمل؟، وللهمزة معانٍ أخرى تدرك من خلال المقام ومن رام هذا الكلام فعليه بالمصنفات البلاغية وانتقال الأداة لهذه المعاني بطريق «ينظر الإيضاح للقزويني ٣/ ٥٨، ٥٩، والمطول ٢٣٩ التلازم بين معناها الأصلي: الاستفهام والبلاغة القرآنية لأبي موسى ٢٥٩ وما بعدها، ومن البلاغة والمعنى المنقولة إليه، وذلك في جميع العربية في نور القرآن والسنة النبوية لفتحي حجازي وزميله الأدوات على غرارها. ٩٨، وعقود الجمان للسيوطي ١/ ١٧٤.

الصّبر الصّوم، لأنّه حبس عن المفطرات، ومنه قيل لشهر رمضان: شهر الصّبر/ ٤١ ب ويجوز أن يراد بالصّلاة الدّعاء، وأن يستعان على البلايا بالصّبر، والالتجاء إلى الدّعاء، والإبتهال إلى الله تعالى في دفعه. ﴿وَإِنَّهَا﴾ الضمير للصّلاة أو للإستعانة، ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل، ونهوا عنها من قوله: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ. . . ﴾ [البقرة: ١٢٢] إلى ﴿وَٱسْتَعِينُواْ﴾، ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ لشاقة ثقيلة من قولك: كبر عليّ هذا الأمر، ﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ [الشورى: ١٣]. فإن قلت: ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه ممّا يثقل؟ قلت: لأنّهم يتوقّعون ما ادّخر للصّابرين على متاعبها فتهون عليهم، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] أي يتوقّعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده، ويطمعون فيه، وفي مصحف عبد الله: «يعلمون»، ومعناه: يعلمون أن لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك، ولذلك فسر: (يظنون): بيتيقّنون، وأمّا من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب، كانت عليه مشقّة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين بأعمالهم، ومثاله من وعد على بعض الأعمال والصنائع أجرة زائدة على مقدار عمله، فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه، كأنّه يستلذّ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخّره بعض الظّلمة، ومن ثمّ قال رسول الله ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» (٤٦). وكان يقول: «يا بِلَال، رَوِّحْنَا» (٤٧)، والخشوع:

= التفسير، ورواه من طريقه البيهقي في الشعب (٧/ ١١٤) رقم (٩٦٨٢)، وذكره السيوطي في الدر (١/ ١٣١) وعزاه لابن المنذر.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: موقوف، أخرجه سعيد بن منصور. والطبري من طريق عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه: أن ابن عباس. . . فذكره، وأخرجه البيهقي في الشعب من هذا الوجه.

٤٦ ـ أخرجه النسائي (٧/ ٦١) كتاب عشرة النساء، باب حبّ النساء: من طريق ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «حُبّبَ إليّ من الدنيا: النساء، والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة. . .».
وأخرجه في السنن الكبرى (٥/ ٢٨٠) كتاب عشرة النساء، باب حبّ النساء رقم (٨٨٨٧)، (٨٨٨٨)، وأحمد (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥)، والحاكم (٢/ ١٦٠)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٦/ ١٩٩) رقم (٣٤٨٢).
وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
أخرجه النسائي والحاكم وأحمد وابن أبي شيبة والبزار من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ: قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: حُبّب إليّ من الدنيا: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة، وسيأتي في آل عمران. انتهى.

٤٧ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ٢٩٦) في الأدب، باب في صلاة العتمة (٤٩٨٥) وأحمد (٥/ ٣٦٤)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٧٦) برقم (٦٢١٤)، والخطيب في التاريخ (١٠/ ٤٤٤) من طريق سعد بن كدام بن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن رجل.
[عند أبي داود والطبراني والخطيب. رجل من خزاعة. وعن أحمد: رجل من أسلم]. =

الإخبات والتطامن، ومنه: الخشعة للرملة المتطامنة، وأما الخضوع: فاللين والانقياد، ومنه: خضعت بقولها إذا لينته.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

= قال: ليتني صليت فاسترحت. فكأنهم عابوا عليه ذلك. فقال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها».
وأخرجه الخطيب عن حفص بن غياث عن ثابت الشامي عن سالم بن أبي الجعد عن رجل قال سمعت النبي - ﷺ - وحضرت الصلاة - يقول: أرحنا بها يا بلال.
وأخرجه أبو داود (٤٩٨٦)، وأحمد (٥/ ٣٧١)، والخطيب (١٠/ ٤٤٣) عن عثمان بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد، عن عبد الله بن محمد بن الحنفية قال: انطلقت أنا وأبي إلى صهر لنا من الأنصار نعوده فحضرت الصلاة. فقال لبعض أهله: يا جارية ائتوني بوضوء لعلي أصلي فأستريح. قال: فأنكرنا ذلك عليه. فقال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: قم يا بلال فأرحنا بالصلاة.
وتابعه أبو حمزة الثمامي رواه الطبراني (٦٢١٥)، والخطيب (١٠/ ٤٤٤) عن سالم به.
ورواه الخطيب عن أبي خالد عن سفيان الثوري عن عثمان بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن ابن الحنفية عن علي مرفوعاً «يا بلال قم فأرحنا بالصلاة».
وقال: لم يرو هذا الحديث كذا عن الثوري مسنداً غير أبي خالد عبد العزيز بن أبان والمحفوظ عنه ما أخبرنا البرقاني أخبرنا علي بن عمر الحافظ أخبرنا ابن ميسر حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عثمان عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية عن النبي - ﷺ - «أرحنا يا بلال».
وأخرجه الخطيب عن حسين بن علوان عن أبي حمزة الثمامي عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن علي بن الحنفية عن بلال أن رسول الله - ﷺ - قال: «أرحنا بها يا بلال» يعني الصلاة.
وقال الحافظ العراقي في تخريجه على الإحياء (١/ ١٦٥). أخرجه الدارقطني في العلل من حديث بلال. ولأبي داود نحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم بإسناد صحيح.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
أخرجه أبو داود من رواية سالم بن أبي الجعد. قال: قال رجل من خزاعة سمعت النبي - ﷺ - يقول: «يا بلال أقم الصلاة وأرحنا بها»، ورجاله ثقات: لكن اختلف فيه على سالم اختلافاً كثيراً. ذكره الدارقطني في العلل. ورواه أحمد من رواية سالم المذكور عن رجل من أسلم به. ورواه أحمد أيضاً وأبو داود من وجه آخر عن سالم: «أن محمد بن الحنفية قال: دخلت مع أبي على صهر لنا من الأنصار. فحضرت الصلاة، فذكر قصة. وفيها. أقم يا بلال. فأرحنا بالصلاة» أخرجه الدارقطني في العلل من رواية سالم، عن ابن الحنفية عن علي - رضي الله عنه - وقال: تفرد أبو خالد القري عن الثوري هكذا، ومن طريق حمزة الثمالي عن ابن الحنفية عن بلال. وأخرجه إبراهيم الحزبي من رواية سالم عن ابن الحنفية مرسلاً. وقال: معناه: نصلي ونروح إلى منازلنا. وليس من الاستراحة والأثقال وإلاّ لقال: أرحنا منها. انتهى. وينكر على هذا أن في رواية أحمد: أن الأنصاري قال يا جارية. ائتني بوضوئي؛ لعلّي أصلي فأستريح. انتهى.

﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾: نصب عطف على ﴿نِعْمَتِيَ﴾، أي: اذكروا نعمتي وتفضيلي، ﴿عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾: على الجمّ الغفير من النّاس، كقوله تعالى: ﴿بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١] يقال: رأيت عالماً من النّاس يراد الكثرة ﴿يَوْمًا﴾: يريد يوم القيامة، ﴿لَّا تَجْزِى﴾ لا تقضي عنها شيئًا من الحقوق، ومنه الحديث في جذعة ابن نيار: «تُجْزِي عَنْكَ وَلاَ تُجْزِي عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ» (٤٨)، و ﴿شَيْئًا﴾: مفعول به، ويجوز أن يكون في موضع مصدر، أي قليلاً من الجزاء، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٠] ومن قرأ «لا تجزىء» من أجزأ عنه إذا أغنى عنه، فلا يكون في قراءته إلاّ بمعنى شيئاً من الإجزاء، وقرأ أبو السّرار الغنوي: «لا تجزي نسمة عن نسمة شيئاً»، وهذه الجملة منصوبة المحل صفة لـ: «يوماً». فإن قلت: فأين العائد منها إلى الموصوف؟ قلت: هو محذوف تقديره: لا تجزي فيه، ونحوه ما أنشده أبو عليّ: [من الرجز]

تَــرَوَّحِــي أَجْــدَرُ أَنْ تَــقِــيــلِــي[(١)]

---

٤٨ ـ أخرجه البخاري (٣/ ١٢٣) كتاب العيدين، باب الأكل يوم النحر حديث (٩٥٥)، من طريق الشعبي عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال: خطبنا النبي ـ ﷺ ـ يوم الأضحى بعد الصلاة فقال: «من صلّى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة، فإنه قبل الصلاة ولا نسك له»، فقال أبو بردة بن نيار خال البراء: يا رسول الله، فإني نسكت شاتي قبل الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب، وأحببت أن تكون شاتي أول شاة تذبح في بيتي، فذبحت شاتي، وتغديت قبل أن آتي الصلاة قال: «شاتك شاة لحم»، قال: يا رسول الله، فإن عندنا عناقاً لنا جذعة هي أحب إليّ من شاتين، أفتجزي عني؟، قال: نعم، ولن تجزي عن أحد بعدك».
ورواه مسلم (٧/ ١٢٤ ـ نووي) كتاب الأضاحي، باب وقتها، حديث (١٩٦١).
وأبو داود (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦) كتاب الضحايا، باب ما يجوز في الضحايا من السنن حديث (٢٨٠٠، ٢٨٠١)، والدارمي (٢/ ٨٠) كتاب الأضاحي، باب في الذبح قبل الإمام، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٢٣١) رقم (٥٩١٠، ٥٩١١)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤، ٣١١)، ورواه في (٩/ ٢٧٦، ٢٧٧).
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
متفق عليه من حديث البراء ـ رضي الله عنه ـ قال: «ضحى خال لي يقال له أبو بردة بن نيار» ـ فذكر الحديث. انتهى.

---

(١) تـروحـي يـا خـيـرة الـغـسـيـل   تـروحـي أجـدر أن تـقـيـلـي
غـداً بـجـنـبـي بـارد ظـلـيـل
لأبي علي أحيحة بن الجلاح. يقول لناقته: بكري بالرواح: أو جدي السير فيه. والغسيل: صنوان النخل. شبّه ناقته بالمختار منه لعراقتها في الكرم وارتفاعها. وكرر الأمر للتوكيد. هذا ويقال: تروح النبت إذا طال. فتروحي: أي امتدّي وارتفعي. والخطاب لعنعار النخل لا للناقة قاله العيني مخالفاً جميع الشراح لهذا الرجز. وقد يؤكده أنه روى بدل «تروحي» الأول «تأبري» والتأبير: وضع طلع =

أي: ماء أجدر بأن تقيلي فيه، ومنهم من ينزل فيقول: اتّسع فيه، فأجرى مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضّمير كما حذف من قوله: أم مال أصابوا، ومعنى التنكير: أنّ نفساً من الأنفس لا تجزي عن نفس منها شيئاً من الأشياء، وهو الإقناط الكلّي القطاع للمطامع، وكذلك قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾، أي: فدية لأنّها معادلة للمفدّى، ومنه الحديث: «لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ»/ ٤٢أ (٤٩)، أي: توبة ولا

---

٤٩ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٤١٠) كتاب الجزية والموادعة، باب ذمة المسلمين وجوارهم حديث (٣١٧٢)، من طريق إبراهيم التيمي عن أبيه قال: «خطبنا علي فقال: ما عندنا كتاب نقرؤه إلاّ كتاب الله، وما في هذه الصحيفة...».
والمدينة حرم الله ما بين عير إلى كذا، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى فيها محدثاً ـ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك، وذِمّةُ المسلمين واحدة، فمن أخفر مسلماً فعليه مثل ذلك...».
وأطرافه في البخاري رقم (١١١، ١٨٧٠، ٣٠٤٧، ٣١٧٩، ٦٧٥٥، ٦٩٠٣، ٧٣٠٠)، ورواه مسلم (٥/ ١٤٨ ـ نووي) كتاب الحج، باب فضل المدينة حديث (١٣٧٠)، وأبو داود (١/ ٦٢٠ ـ ٦٢١) كتاب المناسك، باب في تحريم المدينة حديث (٢٠٣٤)، والترمذي (٤/ ٤٣٨) كتاب الولاء والهبة، باب ما جاء فيمن تولى غير مواليه، أو ادعى إلى غير أبيه حديث (٢١٢٧)، وابن حبان في صحيحه (٩/ ٣٠) رقم (٣٧١٦)، وأحمد في المسند (١/ ٨١، ١٢٦)، وأبو يعلىٰ في مسنده (١/ =

= الذكور من النخل في الإناث لتنمو ثمرتها ويمكن أن يقال: إنه ترشيح للتشبيه. والظاهر أنه انتقل من رجز إلى آخر لأحيحة، فقد روي عنه:

تأبري يا خيرة الغسيل   تأبري من حنذ فشولي
إذ ضن أهل النخل بالفحول

هذا هو خطاب الغسيل. وحنذ ـ بالتحريك ـ موضع قريب من المدينة. وقيل اسم قرية. وقيل اسم ماء. والمعنى: أن ريح الصبا تهب من جهته فتحمل طلع الذكور منه إلى الإناث فيغنيها عن التأبير الصناعي. وشولي أي ارتفعي وامتدي، أي تأبري بنفسك، حيث بخل أهل النخل بطلع الذكور التي تلقح الإناث. وأجدر: نصب بمحذوف، أي وأتى مكاناً أجدر وأحق بأن تقيلي فيه وتستريحي من السير. ويجوز نصبه بتروحي، بتضمينه معنى اطلبي. فحذف باء الجر ولفظ فيه لعلمها. وغدا نصب بتقيلي، بجنبي: أي في جنبي، فهو بدل من فيه المحذوفة، أي: في حافتي ماء بارد ظليل، أي مظلل بالأشجار، أو في جانبي مكان ذي ظل لا حر فيه. وحينئذٍ فالمعنى أجدر أن تقيلي بجانبيه، فأظهر في محل الإضمار لإظهار صفة المكان. وأفعل التفضيل المجرد إن لم تتصل به «من» لفظاً فهي متصلة به تقديراً، على أن محل ذلك إذا أريد به التفضيل على معين. والظاهر أن أجدر هنا ليس كذلك، فلا حاجة لتقديرها. ويجوز أن يكون أجدر فعلاً ماضياً أي دخل في الجدارة والحقية «أن تقيلي» أي حقت ووجبت قيلولتك، فلا حذف أصلاً. وقال العيني: يجوز أن يكون بارد ظليل على حذف حرف العطف للضرورة، أي بجنب بارد وجنب ظليل.
ينظر التصريح: ٢/ ١٠٣، والمقاصد النحوية: ٤/ ٣٦، وأوضح المسالك ٣/ ٢٩١، ٣٩٠، وخزانة الأدب، ٥/ ٥٧، وشرح الأشموني: ٢/ ٣٨٥.

فدية، وقرأ قتادة: «ولا يَقْبَلُ منها شفاعةً»، على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل، ونصب الشفاعة، وقيل: كانت اليهود تزعم أنّ آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا، فإن قلت: هل فيه دليل على أنّ الشفاعة لا تُقبل للعصاة[(١)]؟ قلت: نعم، لأنّه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقّاً أخلت به من فعل أو ترك، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنّها لا تُقبل للعصاة، فإن قلت: الضّمير في ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ إلى أي النّفسين يرجع؟ قلت: إلى الثانية العاصية غير المجزى عنها، وهي التي لا يؤخذ منها عدل، ومعنى لا يقبل منها شفاعة: إن جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها، ويجوز أن يرجع إلى النّفس الأولى، على أنّها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها، كما لا تجزىء عنها شيئاً، ولو أعطت عدلاً عنها لم يؤخذ منها، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يعني ما دلّت عليه النّفس المنكرة من النّفوس الكثيرة والتذكير بمعنى: العباد والأناسي، كما تقول: ثلاثة أنفس[(٢)].

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

= ٢٢٨) رقم (٢٦٣)، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: متفق عليه من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ رفعه: «المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا، فمن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل ـ الحديث»، ورواه عبد الرزاق وقال في آخره: والصرف والعدل: التطوع والفريضة. واتفقا عليه من حديث أنس نحوه. ولمسلم من حديث أبي صالح عن أبي هريرة رفعه: «المدينة حرم. فمن أحدث ـ فذكره»، وغفل الطيبي فعزاه لأبي داود من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «من تعلم صرف الكلام لِيَسْبِيَ به قلوب الناس ـ لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً». انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه اللّه: «هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة... إلخ»؟ قال أحمد رحمه اللّه: أما من جحد الشفاعة فهو جدير أن لا ينالها. وأما من آمن بها وصدقها وهم أهل السنة والجماعة، فأولئك يرجون رحمة اللّه. ومعتقدهم أنها تنال العصاة من المؤمنين، وإنما ادّخرت لهم. وليس في الآية دليل لمنكريها، لأن قوله يوماً أخرجه منكراً، ولا شك أن في القيامة مواطن، ويومها معدود بخمسين ألف سنة، فبعض أوقاتها ليس زماناً للشفاعة وبعضها هو الوقت الموعود وفيه المقام المحمود لسيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام. قد وردت آي كثيرة ترشد إلى تعدُّد أيامها واختلاف أوقاتها. منها قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ مع قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ فيتعين حمل الآيتين على يومين مختلفين، متغايرين: أحدهما محل للتساؤل: والآخر ليس محلاً له، وكذلك الشفاعة، وأدلة ثبوتها لا تحصى كثرة، رزقنا اللّه الشفاعة وحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة.

(٢) قال السمين الحلبي: النحاةَ نَصُّوا على أنه ضرورةٌ، فالأولى أن يعودَ على الكفار الذين اقتضتهم الآيةُ كما قال ـ ابن عطية. انتهى. الدر المصون.

أصل ﴿ءَالِ﴾: أهل، ولذلك يصغر بأهيل، فأبدلت هاؤه ألفاً، وخُصَّ استعماله بأولى الخطر والشّأن كالملوك وأشباههم، فلا يقال آل الإسكاف والحجّام، و﴿فِرْعَوْنَ﴾: علم لمن ملك العمالقة، كقيصر: لملك الروم، وكسرى: لملك الفرس، ولعتوّ الفراعنة اشتقوا: تَفَرْعَنَ فُلاَنٌ، إذا عتا وتجبّر، وفي مُلَحِ بعضهم: [من الكامل]

قَدْ جَاءَهُ الْمُوسَى الْكَلُومُ فَزَادَ فِي ... أَقْصَى تَفَرْعُنِهِ وَفَرْطِ عُرَامِهِ[١]

وقرىء: «أنجيناكم»، ونجيتكم. ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ من سامه خسفاً إذا أولاه ظلماً، قال عمرو بن كلثوم: [من الوافر]

إِذَا مَا الْمَلْكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفاً ... أَبَيْنَا أَنْ يَقِرَّ الْخَسْفُ فِينَا[٢]

وأصله من سام السلعة إذا طلبها، كأنه بمعنى يبغونكم، ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: ويريدونكم عليه، والسُّوء: مصدر السيّيء: يقال: أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل، يراد قبحهما، ومعنى ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ والعذاب كلُّه سيّيء: أشدّه وأفظعه، كأنّه قبحه بالإضافة إلى سائره، و﴿يُذَبِّحُونَ﴾: بيان لقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ ولذلك ترك العاطف كقوله تعالى: ﴿يضاهئون قول الذين كفروا﴾ [التوبة: ٣٠]، وقرأ الزهري: «يذبحون» بالتخفيف كقولك: قطعت الثياب وقطعتها، وقرأ عبد الله: «يقتلون»، وإنّما فعلوا بهم ذلك لأنّ الكهنة أنذروا فرعون بأنّه يولد مولود يكون على يده هلاكه، كما أنذر نمروذ، فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفّظ، وكان ما شاء الله، والبلاء المحنة إن أشير بذلكم إلى صنيع فرعون، والنعمة إن أشير به إلى الإنجاء.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

---

(١) الضمير للصبي. وقيل لذكره. والموسى: آلة الحلق والختان، من أوسى رأسه حلقه. وقال الفراء وغيره هي فعلى ويؤنث. يقال. رجل ماس مثل مال، أي خفيف طياش. وقيل: هو مفعل. وذلك كناية عن ختانه به، لأنه يورث النمو والفتوة. وقيل: عن حلق العانة، لأنه زمن بلوغ الأشد. واختار السعد الأول لأنه أنسب بالمقام. والكلوم: كثير الكلم ـ أي الجرح ـ والتفرعن: العتو والتجبُّر، مأخوذ من فرعون لشهرته بالطغيان والظلم والتكبُّر. والعرام كغراب: الشدة والحدة والخبث. ويمكن أنه من الفرع، لارتفاعه وعلوه على غيره.
ينظر الدر المصون: (١/٢١٨).

(٢) لعمرو بن كلثوم من معلقته. «وما» زائدة. «والملك» بالسكون: لغة فيه. ويقال: سامه ذلاً، إذا أولاه إياه وألحقه به. وقيل: إذا كلفه ما فيه ذل وأكرهه عليه. والخسف ـ بفتح الخاء وضمها ـ: الذل. يقول إذا ألحق بالناس الذل منعناه إقرار الذل فينا، ولم ننقد له كسائر الناس، لشجاعتنا على جميع من سوانا.
البيت من معلقته المشهورة ينظر شرح المعلقات التبريزي (٣٩٥)، والشنقيطي (١٠٨)، والدر المصون ١/٢١٨، القرطبي ١/٢٦١.

﴿فَرَقْنَا﴾: فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم، وقرىء: فرّقنا، بمعنى: فصلنا، يقال: فرق بين الشيئين، وفرّق بين الأشياء؛ لأنّ المسالك كانت اثنى عشر على عدد الأسباط، فإن قلت: ما معنى ﴿بِكُمُ﴾؟ قلت: فيه أوجه: أن يراد أنّهم كانوا يسلكونه(١)، ويتفرّق الماء عند سلوكهم، فكأنّما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما، وأن يراد/ ٤٢ب فرقناه بسببكم(٢)، وبسبب إنجائكم، وأن يكون في موضع الحال(٣) بمعنى فرقناه ملتبساً بكم؛ كقوله: [من الوافر]

.... تَـدُوسُ بِـنَـا الْـجَـمَـاجِـمَ وَالـتَّـرِيـبَـا(٤)

أي تدوسها ونحن راكبوها، ورُوِيَ أنّ بني إسرائيل قالوا لموسى: أين أصحابنا لا نراهم؟ قال: سيروا فإنّهم على طريق مثل طريقكم، قالوا: لا نرضى حتى نراهم، فقال: اللّهمّ أعنّي على أخلاقهم السّيّئة، فأوحى إليه: أن قل بعصاك هكذا، فقال بها على الحيطان، فصارت فيها كوى، فتراموا وتسامعوا كلامهم: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلى ذلك وتشاهدونه لا تشكّون فيه.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

---

(١) قال محمود رحمه اللّه: «يحتمل أنهم كانوا يسلكون... إلخ». قال أحمد رحمه اللّه: فتكون الباء على هذا الوجه استعانة مثلها في كتبت بالقلم.

(٢) قال محمود رحمه اللّه: «ويحتمل أن يكون المراد فرقناه بسببكم». قال أحمد رحمه اللّه: وهي على هذا الوجه سببية، كما تقول: أكرمتك بإحسانك إلي.

(٣) قال محمود رحمه اللّه: «ويحتمل أن يكون في موضع الحال... إلخ». قال أحمد رحمه اللّه: وهي على هذا الوجه للمصاحبة مثلها في: أسندت ظهري بالحائط، والوجه الأول ضعيف من حيث أن مقتضاه أن تفريق البحر وقع ببني إسرائيل. والمنقول بل المنصوص عليه في الكتاب العزيز: أن البحر إنما انفرق بعصا موسى، يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾، فآلة التفريق العصا، لا بنو إسرائيل.

(٤) كـأن خـيـولـنـا كـانـت قـديـمـاً   تـسـقـي فـي قـحـوفـهـم الـحـلـيـبـا
فـمـرت غـيـر نـافـرة عـلـيـهـم   تـدوس بـنـا الـجـمـاجـم والـتـريـبـا
لأبي الطيب المتنبي. وتسقي: بالتضعيف. والقحوف: جمع قحف بالكسر، وقيل بالضم: وهو العظم الذي فوق الدماغ وإناء صغير من خشب. والحليب: اللبن المحلوب، أي كأنها كانت معتادة بهم فمرت عليهم مطمئنة. تدوس جماجمهم: أي رءوسهم ونحن على ظهورها. والتريب: لغة في التراب.
ينظر ديوانه ١/ ٢٥٦، البحر المحيط ١/ ٣٥٥، حاشية القطب على الكشاف ٢/ ١٠٧١، والدر المصون ١/ ٢٢١.

لما دخل بنو إسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون إليه، وعد الله موسى أن ينزل عليه التّوراة، وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجة، وقيل: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، لأنّ الشُّهور غررها بالليالي، وقرىء ﴿وَعَدْنَا﴾، لأنّ الله تعالى وعده الوحي ووعد المجيء للميقات إلى الطور: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد مضيه إلى الطور، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾: بإشراككم ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾: حين تبتم، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من بعد ارتكابكم الأمر العظيم وهو اتّخاذكم العجل، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: إرادة أن تشكروا[1] النّعمة في العفو عنكم.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤)﴾

﴿الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾: يعني الجامع بين كونه كتاباً منزلاً، وفرقاناً يفرق بين الحق والباطل: يعني التّوراة، كقولك: رأيت الغيث والليث، تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا﴾ [الأنبياء: ٤٨]، يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقاناً وضياء وذكراً: أو التوراة، والبرهان: الفارق بين الكفر والإيمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات، أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام، وقيل الفرقان: انفراق البحر، وقيل: النّصر الذي فرّق بينه وبين عدوّه، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] يريد به يوم بدر، حمل قوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: على الظاهر وهو البخع[2]، وقيل: معناه قتل بعضهم بعضاً، وقيل: أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة، ورُوي: أنّ الرجل كان يبصر ولده، ووالده وجاره وقريبه، فلم يمكنهم المضي لأمر الله، فأرسل الله ضَبَابَةً وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها، وأمروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم، ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم، وقيل لهم: اصبروا، فلعن الله من

---

(١) قال محمود: «ومعناه إرادة أن تشكروا». قال أحمد رحمه الله: أخطأ في تفسير «لعل»؛ بالإرادة؛ لأن مراد الله تعالى كائن لا محالة. فلو أراد منهم الشكر لشكروا ولا بد. وإنما أجراه الزمخشري على قاعدته الفاسدة في اعتقاد أن مراد الرب كمراد العبد، منه ما يقع ومنه ما يتعذَّر ـ تعالى الله عن ذلك ـ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. والتفسير الصحيح في «لعل» هو الذي حرره سيبويه رحمه الله في قوله: (لعله يتذكر أو يخشى) قال سيبويه: الرجاء منصرف إلى المخاطب كأنه قال: كونا على رجائكما في تذكرته وخشيته وكذلك هذه الآية معناها لتكونوا على رجاء الشكر لله عزَّ وجل ونعمه. فينصرف الرجاء إليهم وينزه الله تعالى.

(٢) قوله: «وهو البخع» في الصحاح: بخع نفسه بخعاً، أي: قتلها غماً. (ع)

مدّ طرفه أو حلّ حبوته أو اتقى بيد أو رجل، فيقولون: آمين، فقتلوهم إلى المساء حتى دعا موسى وهارون وقالا: يا ربّ، هلكت بنو إسرائيل، البقية البقية، فكشفت السّحابة ونزلت التوبة، فسقطت الشفار من أيديهم، وكانت القتلى سبعين ألفاً، فإن قلت: ما الفرق بين الفاآت؟ قلت: الأولى للتسبيب لا غير، لأنّ الظُّلم سبب التوبة، والثانية: للتعقيب لأنّ المعنى فاعزموا على التّوبة فاقتلوا أنفسكم، من قِبَلِ أنّ الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم، ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم، فيكون المعنى: فتوبوا،/ ٤٣أ فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم، والثالثة متعلّقة بمحذوف، ولا يخلو إما أن ينتظم في قول موسى لهم، فتتعلّق بشرط محذوف، كأنّه قال: فإن فعلتم فقد تاب عليكم، وإمّا أن يكون خطاباً من الله تعالى لهم على طريقة الإلتفات، فيكون التقدير: ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارؤكم، فإن قلت: من أين اختصّ هذا الموضع بذكر البارىء؟ قلت: البارىء هو الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣] ومتميّزاً بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة، فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر، إلى عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة والبلادة، ـ في أمثال العرب: أبلد من ثور ـ حتّى عرضوا أنفسهم لسخط الله ونزول أمره بأن يفكّ ما ركّبه من خلقهم، وينثر ما نظم من صورهم وأشكالهم، حين لم يشكروا النّعمة في ذلك، وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قيل: القائلون السبعون الذين صعقوا، وقيل: قاله عشرة آلاف منهم، ﴿جَهْرَةً﴾: عياناً، وهي مصدر من قولك: جهر بالقراءة وبالدعاء، كأنّ الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية، والذي يرى بالقلب مخافت بها، وانتصابها على المصدر، لأنّها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس، أو على الحال بمعنى ذوي جهرة، وقرىء «جهرة»: بفتح الهاء، وهي إماً مصدر كالغلبة، وإما جمع جاهر، وفي هذا الكلام دليل على أن موسى عليه الصلاة والسلام رادّهم القول وعرّفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال[1]، وأن من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة

(١) قوله «أن يكون في جهة محال» هذا مذهب المعتزلة. ومن استجاز عليه الرؤية هم أهل السنة، =

الأجسام[1] أو الأعراض، فرادّوه بعد بيان الحجّة ووضوح البرهان، ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل، فسلّط الله عليهم الصعقة كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكفرين، ودلالة على عظمهما بعظم المحنة، و﴿ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾: ما صعقهم، أي: أماتهم، قيل: نار وقعت من السماء فأحرقتهم، وقيل: صيحة جاءت من السماء، وقيل: أرسل الله جنوداً سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوماً وليلة، وموسى ـ عليه السلام ـ، لم تكن صعقته موتاً ولكن غشية، بدليل قوله: فلما أفاق، والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾، وقرأ عليّ رضي الله عنه «فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعْقَة»، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمة البعث بعد الموت، أو نعمة الله بعدما كفرتموها إذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة وإذاقتكم الموت، ﴿وَظَلَّلْنَا﴾: وجعلنا الغمام يظلّكم؛ وذلك في التيه، سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس؛ وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه، وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى، وينزل عليهم ﴿ٱلْمَنَّ﴾: وهو الترنجبين مثل الثلج، من طلوع/٤٣ب الفجر إلى طلوع الشمس، لكل إنسان صاع، ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم، ﴿السلوى﴾ وهي السّماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه، ﴿كُلُوا۟﴾ على إرادة القول، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا، فاختصر الكلام بحذفه لدلالة: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ عليه.

= والجهة ليست شرطاً للرؤية عندهم، فلا يلزم كونه من جملة الأجسام أو الأعراض كما بين في علم التوحيد. (ع)

(١) قال محمود رحمه الله: «فيه دليل على أن موسى عليه السلام رادهم القول، وعرفهم أن رؤية من لا يجوز عليه. . . إلخ». قال أحمد رحمه الله: لقد انتهز الزمخشري ما اعتقده فرصة من هذه الآية التي لا مطمع له عند التحقيق في التشبث بها، فبنى الأمر على أن العقوبة سببها طلب ما لا يجوز على الله تعالى من الرؤية على ظنه، وأنى له ذلك وثم سبب ظاهر في العقوبة سوى ما ادعاه هو كل السبب. وذلك أن موسى عليه السلام لما علم جواز رؤيته تعالى طلبها في آية الأعراف في دار الدنيا، فأخبره الله تعالى أنه لا يراه في الدنيا، وصار ذلك عنده وعند بني إسرائيل أصلاً مقرراً، كما هو عندنا الآن معاشر أهل السنة أن الله تعالى لا يُرى في دار الدنيا، لأنه أخبر أنه لا يرى والخبر واجب الصدق وكما أخبر أنه لا يرى في دار الدنيا فقد وعد الوعد الصادق عز وجل برؤيته في الدار الآخرة وتخصيص ذلك بالمؤمنين، وبعد استقرار هذا المعتقد طلب بنو إسرائيل الرؤية في الدنيا تعنتاً أو شكاً في الخبر، فأنزل الله تعالى بهم تلك العقوبة. وكيف تخيل الزمخشري وشيعته أن موسى عليه السلام طلب من الله ما لا يجوز عليه. وهل هو لو كان الأمر على ما تخيل إلا كبني إسرائيل. ومعاذ الله، لقد برأه من ذلك وكان عند الله وجيهاً. وأما الأدلة العقلية على جواز رؤيته تعالى عقلاً والسمعية على وقوعها في الدار الآخرة، فأكثر من أن تحصى وهي مستقصاة في فن الكلام، وإنما غرضنا في هذا الباب مباحثة الزمخشري والرد عليه من حيث يتمسك على ظنه وأخذه قوماً منه. والله الموفق.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (٥٩)﴾

﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس، وقيل: أريحاء من قرى الشام، أمروا بدخولها بعد التيه، ﴿ٱلْبَابَ﴾: باب القرية، وقيل: هو باب القبة التي كانوا يصلون إليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ. أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكراً لله وتواضعاً، وقيل: «السجود»: أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين، ليكون دخولهم بخشوع وإخبات، وقيل: طوطىء لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها، ودخلوا متزحفين على أوراكهم ﴿حِطَّةٌ﴾: فعلة من الحط كالجلسة والركبة، وهي خبر مبتدأ محذوف، أي مسألتنا حطة، أو أمرك حطة، والأصل: النصب بمعنى: حطّ عنا ذنوبنا حطّة، وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات؛ كقوله: [من الرجز]

.... صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكِلَانَا مُبْتَلَى[1]

والأصل: صبراً، على: اصبر صبراً، وقرأ ابن أبي عبلة بالنّصب على الأصل، وقيل معناه: أمرنا حطة، أي أن نحط في هذه القرية ونستقرّ فيها، فإن قلت: هل يجوز أن تنصب حطة في قراءة من نصبها بـ «قولوا»، على معنى: قولوا هذه الكلمة؟ قلت: لا يبعد، والأجود أن تنصب بإضمار فعلها، وينتصب محل ذلك المضمر بـ «قولوا»، وقرىء «يغفر لكم»: على البناء للمفعول بالياء والتاء، ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أي من كان محسناً منكم، كانت تلك الكلمة سبباً في زيادة ثوابه، ومن كان مسيئاً كانت له توبة ومغفرة، ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[2]: أي وضعوا مكان حطة، ﴿قَوْلًا﴾: غيرها، يعني: أنهم أمروا

---

(١) شكى إلي جملي طول السرى   صبراً جميلاً فكلانا مبتلى
يقول: اشتكى بعيري إلي تعبه من طول سير الليل. وصبراً: مصدر قام مقام فعله. أي اصبر يا بعير صبراً جميلاً ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب. أو التقدير: فقلت له اصبر صبراً، فكل منا مصاب بالبلاء. أو مختبر وممتحن هل يصبر على مشاق السفر أم لا. ويروى: صبر جميل، أي أحق بنا على حذف الخبر. أو أمرنا صبر، فيكون من المواضع التي يجب فيها حذف المبتدأ لنيابة الخبر عن الفعل. والصبر الجميل: هو ما لا شكوى فيه إلى الخلق.
البيت من شواهد الكتاب ١/ ٣٢١، أمالي المرتضى ١/ ٧٢، المشكل (١٠٧)، مجاز القرآن ١/ ٣٠٣، التهذيب (شكا)، الفخر ٣/ ٨٩، الدر المصون ١/ ٢٣٢.

(٢) قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا﴾ .... الآية.
في هذه الآية تشابه مع آية في سورة الأعراف وهي: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ (١٦٢)﴾ [الآية ١٦٢].

بقول معناه التوبة والاستغفار، فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به، ولم يمتثلوا أمر الله، وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر، لأنهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به، لم يؤاخذوا به، كما لو قالوا مكان حطة: نستغفرك ونتوب إليك، أو اللّهم اعف عنا، وما أشبه ذلك، وقيل: قالوا مكان حطة: حنطة، وقيل: قالوا بالنبطية: «حطا سمقاثا»، أي: حنطة حمراء، استهزاء منهم بما قيل لهم، وعدولاً عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا، وفي تكرير: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: زيادة في تقبيح أمرهم[1]، وإيذان بأنّ إنزال الرجز عليهم لظلمهم، وقد

فبين الآيتين مع التشابه مفارقات، وخلاصة ذلك على الترتيب الآتي:
١ ـ زيادة لفظ «منهم» في آية الآعراف وذلك لأن مبني القصة في الأعراف على التمييز بلفظة «من» دائماً «ومن قوم موسى....».
أما في سورة البقرة فإن بناء القصة على التقريع والتخويف، ولهذا جاء التعبير للجميع لأن الكل يتحمل تبعة البعض.
٢ ـ عبر عن العذاب في آية البقرة بقوله «فأنزلنا» وفي الأعراف «فأرسلنا» وذلك أن الآية في البقرة جاءت صادرة من المولى ـ سبحانه ـ مباشرة، والصادر من جهة الله يكون إنزالاً «وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية...» لهذا قال «فأنزلنا» أما في سورة الأعراف فإن الكلام يبدو صدوره من رسولهم بدليل قوله ـ تعالى ـ «وإذ قيل لهم...» ولهذا ناسب المقام لفظ «فأرسلنا».
٣ ـ في آية الأعراف جاء الكلام على الإضمار بعد الإظهار، وهذه طبيعة الأسلوب فقال: «فأرسلنا عليهم» أما في البقرة فقال «فأنزلنا على الذين ظلموا» فأظهر في موضع الإضمار، وذلك لنكتة بلاغية تلوح من السياق ويقتضيها المقام، وذلك لتعظيم الأمر وبيان سبب نزول العذاب، وفيه توبيخ لهم وتقريع.
ويرى بعض الباحثين أن الظلم الثاني غير الأول، فالأول: ظلمهم لأنفسهم والثاني: ظلمهم في علاقتهم بربهم، وهذا أشد من الأول لأنه خسر عبادة ربه بخلاف الأول فقد خسر نفسه.
هذا في آية البقرة أما في آية الأعراف فإن الظلم الأول هو الثاني ولهذا أضمر في الثاني.
٤ ـ ختمت آية البقرة بقوله ﴿يَفْسُقُونَ﴾ وآية الآعراف بقوله ﴿يَظْلِمُونَ﴾ وذلك لتحقيق التعادل بين الآيتين، ففي آية البقرة جاء «الظلم» مرتين، وفي آية الأعراف جاء الظلم في البداية، ثم أضمر ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ فجاء الختام ببيان ظلمهم ليكون الظلم في الآيتين متعادلاً، وبذلك يتسق النمط القرآني في القصة الواحدة.
فانظر هداك الله إلى دقة الأداء القرآني، وأن كل آية نظمت على مقامها فجاءت كلماتها في مواقعها تماماً، ولكل كلمة دورها في الأداء للغاية المقصودة، ولو أبدلت كلمة بأخرى لاختل ميزان المعاني، ولكن الله ـ سبحانه ـ يعلمنا كيف نضع الألفاظ بإزاء المعاني المرادة بحيث تكشف عنها كشف دقيقاً معجزاً، وهذا من الإعجاز البياني في كلام رب العالمين.
«ينظر تفسير الرازي ٢/١٢٨ وما بعدها ط. دار الغد العربي ـ الأولى ١٩٩١ م، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي ٣/٧١، ومن تشابه القرآن الكريم في ضوء البلاغة العربية د. إبراهيم الجعلي ٥ وما بعدها ـ ط. الأولى. الحسين الإسلامية ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م.

(١) قال محمود رحمه اللّه: «وفي تكرير (الذين ظلموا) زيادة في تقبيح... إلخ». قال أحمد رحمه =

جاء في سورة الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ﴾ [الأعراف: ١٣٣] على الإضمار، والرجز: العذاب، وقرىء ـ بضم الراء ـ وروى: أنه مات منهم في ساعة بالطّاعون أربعة وعشرون ألفاً، وقيل: سبعون ألفاً.

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

عطشوا في التيه، فدعا لهم موسى بالسقيا، فقيل له: ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾، واللام إمّا للعهد والإشارة إلى حجر معلوم، فقد روي أنه حجر طوري حمله معه، وكان حجراً مربعاً له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين، لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم، وكانوا ستمائة ألف، وسعة المعسكر اثنا عشر ميلاً، وقيل: أهبطه آدم/ ٤٤أ من الجنة فتوارثوه، حتى وقع إلى شعيب، فدفعه إليه مع العصا، وقيل: هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل إذ رموه بالأدرة، ففرّ به، فقال له جبريل: يقول لك الله تعالى: ارفع هذا الحجر، فإنّ لي فيه قدرة ولك فيه معجزة، فحمله في مخلاته، وإمّا للجنس، أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر، وعن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجراً بعينه، قال: وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة، وروى أنّهم قالوا: كيف بنا لو أفضينا إلى أرض ليست فيها حجارة، فحمل حجراً في مخلاته فحيثما نزلوا ألقاه، وقيل: كان يضربه بعصاه فينفجر، ويضربه بها فييبس، فقالوا: إن فقد موسى عصاه متنا عطشاً، فأوحى إليه: لا تقرع الحجارة، وكلمها تطعك، لعلهم يعتبرون، وقيل: كان من رخام وكان ذراعاً في ذراع، وقيل: مثل رأس الإنسان، وقيل: كان من آسّى الجنة[1]، طوله عشرة أذرع على طول موسى، وله شعبتان تتقدان في الظلمة، وكان يحمل على حمار، ﴿فَانفَجَرَتْ﴾: الفاء متعلقة بمحذوف، أي فضرب فانفجرت، أو فإن ضربت فقد انفجرت، كما ذكرنا في قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ، وقرىء: «عشرة»: بكسر الشين، وبفتحها وهما لغتان، ﴿كُلُّ أُنَاسٍ﴾:

= الله: وفيه تهويل لظلمهم من حيث وضع الظاهر موضع المضمر، وهو مفيد لذلك. إذ هو من قبيل الإشهار لهذا المعين مع إمكان الاختصار بالإضمار.

(١) قوله: «من آس الجنة»: ضبط في بعض النسخ بالضم والتشديد وكتب على هامشه: «كذا بخط جار الله ومعناه الأساس، والصواب ضبطه بالفتح والمد والتخفيف أي شجر الآس لأنه صفة العصا سها فيها المصنف كذا بهامشه، اهـ عليان. والظاهر أن ضبطه بالضم والتشديد بمعنى الأساس أليَق لأن الكلام في وصف الحجر لا العصا. اهـ مصححة.

كل سبط، ﴿مَّشۡرَبَهُمۡ﴾: عينهم التي يشربون منها، ﴿كُلُواْ﴾: على إرادة القول، ﴿مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ﴾: مما رزقكم من الطعام وهو المنّ والسلوى ومن ماء العيون، وقيل: الماء ينبت منه الزروع والثمار، فهو رزق يؤكل منه ويشرب، والعثيّ: أشدّ الفساد، فقيل لهم: لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم، لأنهم كانوا متمادين فيه.

﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

كانوا فلاحة فنزعوا إلى عَكَرِهم فأَجَمواما كانوا فيه[1]، من النعمة وطلبت أنفسهم الشقاء، ﴿عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾: أرادوا ما رزقوا في التيه من المنّ والسلوى، فإن قلت: هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد؟ قلت: أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدّل، ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها، قيل: لا يأكل فلان إلا طعاماً واحداً، يراد بالوحدة نفي التبدّل والاختلاف، ويجوز أن يريدوا أنهما ضرب واحد، لأنهما معاً من طعام أهل التلذذ والترف، ونحن قوم فِلاَّحةٍ أهل زراعات، فما نريد إلا ما ألفناه وضرينا به من الأشياء المتفاوتة كالحبوب والبقول ونحو ذلك، ومعنى: ﴿يُخۡرِجۡ لَنَا﴾: يظهر لنا ويوجد، والبقل، ما أنبتته الأرض من الخضر، والمراد به أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع، والكرفس، والكراث، وأشباهها، وقرىء: «وقُثائها»: بالضم، والفوم: الحنطة، ومنه فوّموا لنا، أي: اخبزوا، وقيل: الثوم، ويدل عليه قراءة ابن مسعود: وثومها، وهو للعدس والبصل أوفق، ﴿ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ﴾: الذي هو أقرب منزلة وأدون مقداراً، والدنو والقرب يعبر بهما عن قلّة المقدار فيقال: هو داني المحل وقريب المنزلة، كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك، فيقال: هو بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة/ ٤٤ب والعلو، وقرأ زهير الفرقبي: «أدنأ» بالهمزة من الدناءة، ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ وقرىء «اهبُطوا»، بالضم: أي انحدروا إليه من التيه، يقال: هبط الوادي إذا نزل به، وهبط منه، إذا خرج، وبلاد التيه: ما بين بيت المقدس إلى قنسرين، وهي اثنا عشر فرسخاً في ثمانية فراسخ، ويحتمل أن يريد العلم، وإنما صرفه مع اجتماع السببين فيه،

---

(١) قوله: «فأجموا ما كانوا فيه» أي: كرهوا. أفاده الصحاح. (ع)

وهما التعريف والتأنيث، لسكون وسطه كقوله: ﴿وَنُوحًا﴾ و﴿لُوطًا﴾، وفيهما العجمة والتعريف، وإن أريد به البلد فما فيه إلا سبب واحد، وأن يريد مصراً من الأمصار، وفي مصحف عبد الله وقرأ به الأعمش: «اهبطوا مصرَ» ـ بغير تنوين ـ كقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ﴾، وقيل هو: «مصرائيم» فعرّب[1] ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾: جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه، أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب، كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه، فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة[2]، إما على الحقيقة، وإما لتصاغرهم وتفاقرهم، خيفة أن تضاعف عليهم الجزية، ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من قولك: باء فلان بفلان، إذا كان حقيقاً بأن يقتل به، لمساواته له ومكافأته، أي صاروا أحقاء بغضبه، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما تقدّم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب، أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وقد قتلت اليهود ـ لعنوا ـ شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم، فإن قلت: قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق فما فائدة ذكره؟ قلت: معناه: أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم؛ لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض فيقتلوا؛ وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم، فلو سئلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجهاً يستحقون به القتل عندهم، وقرأ عليّ رضي الله عنه «ويقتّلون» بالتشديد، ﴿ذَٰلِكَ﴾: تكرار للإشارة، ﴿بِمَا عَصَوا۟﴾: بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء، مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء، وقيل: هو اعتداؤهم في السبت، ويجوز أن يشار بذلك إلى الكفر، وقتل الأنبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم؛ لأنهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الأنبياء، أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

إن الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: والذين تهوّدوا، يقال: هاد يهود، وتهوّد إذا دخل في اليهودية، وهو هائد، والجمع هود، ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: وهو جمع نصران، يقال: رجل نصران، وامرأة نصرانة، قال: نصرانة لم

---

(١) قال السمين الحلبي: وعلى هذا إذا قيل بأنه عَلَمٌ لمكانٍ بعينه، فلا ينبغي أن يُصْرف البتةَ لانضمام العُجْمةِ إليه، فهو نظير «فاه وجَوْر وحِمْص» ولذلك أجمعَ الجمهورُ على منعِه في قوله «ادخلوا مِصْر». والمِصْرُ في أصل اللغة: «الحدُّ الفاصِل بين الشيئين» وحُكِي عن أهل هَجَرَ أنهم إذا كتبوا بَيْعَ دارٍ قالوا: اشترى فلانٌ الدار بمُصُورِها «أي»: حدودها. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «أهل مسكنة ومدقعة» أي: متربة. أفاده الصحاح. (ع)

تحنف، والياء في نصرانيّ: للمبالغة كالتي في أحمريّ، سموا لأنهم نصروا المسيح، ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: وهو من صبأ إذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة، ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾: من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً ودخل في ملة/ ٤٥أ الإسلام دخولاً أصيلاً، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: الذي يستوجبونه بإيمانهم وعملهم، فإن قلت: ما محل من آمن؟ قلت: الرفع إن جعلته مبتدأ خبره، «فلهم أجرهم»: والنصب إن جعلته بدلاً من اسم إنّ المعطوف عليه، فخبر إنّ في الوجه الأول الجملة كما هي، وفي الثاني فلهم أجرهم، والفاء لتضمن، ﴿مَنْ﴾: معنى الشرط.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾: بالعمل على ما في التوراة، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق، وذلك أن موسى ـ عليه السلام ـ جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة، فكبرت عليهم وأبوا قبولها، فأمر جبريل فقلع الطور من أصله، ورفعه وظلله فوقهم، وقال لهم موسى: إن قبلتم وإلا ألقي عليكم، حتى قبلوا، ﴿خُذُوا۟﴾: على إرادة القول، ﴿مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾: من الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجدّ وعزيمة، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾: واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: رجاء منكم أن تكونوا متقين، أو قلنا: خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾: ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به، ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بتوفيقكم للتوبة لخسرتم، وقرىء: خذوا ما آتيتكم، وتذكروا، واذّكروا[1] و﴿ٱلسَّبْتِ﴾: مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت[2]، وإن ناساً منهم اعتدوا فيه، أي: جاوزوا ما حدّ لهم فيه من التجرّد للعبادة وتعظيمه

---

(١) قوله «وتذكروا واذكروا» أي بتشديد الذال والكاف، وأصله: وتذكروا. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: وفيه نظرٌ؛ فإنَّ هذا اللفظ موجودٌ واشتقاقُه مذكورٌ في لسان العرب قبل فِعْل اليهودِ ذلك، اللهم إلا أنْ يريدَ هذا السبتَ الخاصَّ المذكورَ في هذه الآية. والأصلُ فيه المصدرُ كما ذكرتُ، ثم سُمّي به هذا اليومُ من الأسبوع لاتفاقِ وقوعِه فيه، كما تقدَّم أنَّ خَلْقَ الأشياء تَمَّ وقُطِعَ، وقد يقال يومُ السبتِ فيكونُ مصدراً، وإذا ذُكِر معه اليومُ أو مع ما أشبهه من أسماءِ الأزمنة مِمَّا يتضمَّن عَمَلاً وحَدَثاً، جاز نصبُ اليوم ورفعُه نحو: اليوم الجمعةُ، اليوم العيدُ، كما يقال: اليوم الاجتماعُ والعَودُ، فإنْ ذُكِرَ مع «الأحد» وأخواتِه وَجَب الرفعُ على المشهورِ، وتحقيقُها مذكورٌ في كتبِ النحو. انتهى. الدر.

واشتغلوا بالصيد، وذلك أن الله ابتلاهم، فما كان يبقى حوت في البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت، فإذا مضى تفرّقت، كما قال: ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾ [الأعراف: ١٦٣] فحفروا حياضاً عند البحر وشرعوا إليها الجداول، فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد، فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم، ﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: خبران، أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء، وهو الصغار والطرد، ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: يعني المسخة: ﴿نَكَالًا﴾: عبرة تنكل من اعتبر بها أي تمنعه، ومنه النكل: القيد، ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: لما قبلها، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: وما بعدها من الأمم والقرون[1] لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها، واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين، أو أريد بما بين يديها: ما بحضرتها من القرى والأمم، وقيل: نكالاً: عقوبة منكلة لما بين يديها؛ لأجل ما تقدّمها من ذنوبهم وما تأخر منها، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم، أو لكلّ متّقٍ سمعها.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

كان في بني إسرائيل شيخ موسر، فقتله ابنه بنو أخيه ليرثوه، وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله، ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾: أتجعلنا مكان هزو، أو أهل هزو، أو مهزواً بنا، أو الهزو/ ٤٥ب نفسه؛ لفرط الاستهزاء، ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: لأن الهزو في مثل هذا من باب الجهل والسفه، وقرئ: «هزؤاً» بضمتين، و «هزءاً»: بسكون الزاي، نحو كفؤا وكفؤاً، وقرأ حفص: «هزواً»: بالضمتين والواو، وكذلك «كفواً»، والعياذ واللياذ من واد واحد.

---

(١) قوله: «وما بعدها من الأمم والقرون» لعله: والقرى، نظير قوله الآتي: من القرى والأمم. (ع)

في قراءة عبد الله: «سل لنا ربك ما هي»؟ سؤال عن حالها وصفتها، وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا، فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر، والفارض: المُسنَّة، وقد فرضت فروضاً فهي فارض؛ قال خِفَافُ بْنُ نُدْبَةَ [من الطويل]:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْطَيْتُ ضَيْفَكَ فَارِضاً ... تُسَاقُ إِلَيْهِ مَا تَقُومُ عَلَىٰ رِجْلِ[1]

وكأنها سميت فارضاً؛ لأنّها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها، والبكر: الفتية، والعوان النّصف؛ قال [من الوافر]:

.... نَوَاعِمُ بَيْنَ أَبْكَارٍ وَعُونِ[2]

وقد عوّنت[3]، فإن قلت: ﴿بَيْنَ﴾: يقتضي شيئين فصاعداً[4]، فمن أين جاز دخوله على ﴿ذَٰلِكَ﴾، قلت: لأنه في معنى شيئين؛ حيث وقع مشاراً به إلى ما ذكر من الفارض والبكر، فإن قلت: كيف جاز أن يشار به إلى مؤنثين؛ وإنما هو للإشارة إلى واحد مذكر؟ قلت: جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدّم، للاختصار في الكلام، كما جعلوا، (فعل):

---

(١) لخفاف بن ندبة يهجو العباس بن مرداس بالبخل. والفارض: الناقة المسنة تساق إليه، أي لا تركب، بل تحتاج إلى من يضربها ويسوقها من خلفها. لا تقوم على رجل: أي: لا رجل لها قوية تعتمد عليها في قيامها.
ينظر: الأضداد (٣٧٦)، اللسان «فرض»، القرطبي (١/ ٣٠٤)، مجمع البيان (١/ ٢٩٣)، البحر (١/ ٢٤٨)، الدر المصون (١/ ٢٥٥).

(٢) ظعائن كنت أعهدهن قدماً ... وهن لدى الإقامة غير جون
حصان مواضع النقب الأعالي ... نواعم بين أبكار وعون

للطرماح. والظعائن النساء في الهوادج. والضعائن ـ بالضاد ـ: المطايا. والضغائن ـ بالغين ـ: جمع ضغينة، وهي الحقد والميل والاعوجاج. وضغنته: إذا أخذته في حضنك. وفرس ضاغن: لا يعطي ما عنده من الجري. وناقة ذات ضغن: أي حنين إلى وطنها. وامرأة ذات ضغن تحب غير زوجها. والجون ـ بالضم ـ: جمع جوناء أي سوداء. والحصان ـ بالفتح ـ: المحصنة. والنقب: جمع نقاب، ككتب وكتاب. والعون أصله بضم الواو جمع عوان، وهي النصف ـ بفتحتين ـ أي الوسط من النساء والبهائم، فسكن تخفيفاً. يقول: تلك النساء ظعائن؛ أي مسافرات غيّر لونهن السفر، وكنت أعهدهن في قديم الزمان حين الإقامة غير سود وهن محصّنات الوجوه، وإذا حفظت حفظْن كلهن عادة. والأعالي: صفة للنقب أو المواضع، وهذا لا يكون إلا في النساء كما ترى. وروى بعضهم «ضغائن» بدل «ظعائن» ولعله تحريف. وهن ناعمات، دائرات بين أبكار صغيرات وعون أواسط.
ينظر: المنصف (٣/ ٥٨)، اللسان (عون) الدر ١/ ٢٥٥.

(٣) قوله: «وقد عونت» في الصحاح: وتقول منه: عونت المرأة تعويناً، وعانت تعون عوناً. (ع)

(٤) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت بين يقتضي شيئين. . . إلخ» قال أحمد رحمه الله: وقد مر نظير هذا عند قوله (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) فجدد به عهداً.

نائباً عن أفعال جمّة تذكر قبله، تقول للرّجل: نعم ما فعلت، وقد ذكر لك أفعالاً كثيرة وقصة طويلة، كما تقول له: ما أحسن ذلك، وقد يجري الضمير مجرى اسم الإشارة في هذا، قال أبو عبيدة: قلتُ: لِرُؤْبَةَ في قوله [من الرجز]:

فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ - وَبَلَقْ كَأَنَّهُ فِي الجِلْدِ تَوْلِيعُ البَهَقْ(١)

إن أردت الخطوط فقل: كأنها، وإن أردت السواد والبلق فقل: كأنّهما، فقال: أردت كأن ذاك، ويلك! والذي حسن منه: أنّ أسماء الإشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة، وكذلك الموصولات؛ ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع، ﴿مَا تُؤْمَرُونَ﴾: أي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله أمرتك الخير أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول به بالمصدر، كضرب الأمير.

الفقوع: أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه، يقال في التوكيد: أصفر فاقع ووارس، كما يقال: أسود حالك وحانك، وأبيض يقق ولهق، وأحمر قاني وذريحي، وأخضر ناضر ومدهامّ، وأورق خطبانيّ وأرمك ردانيّ، فإن قلت: «فاقع» ههنا واقع خبراً عن اللون، فلم يقع توكيداً لصفراء، قلت: لم يقع خبراً عن اللون؛ إنما وقع توكيداً لصفراء، إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها، فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها، فإن قلت: فهلا قيل: صفراء فاقعة؟ وأي فائدة في ذكر اللون؟ قلت: الفائدة فيه التوكيد، لأن اللون اسم للهيئة وهي الصّفرة، فكأنّه قيل: شديدة الصُّفرة صفرتها، فهو من/٤٦أ قولك: جدّ جدّه، وجنونك مجنون، وعن وهب: إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، والسرور لذّة في القلب عند حصول نفع أو توقعه، وعن عليّ رضيَ الله عنه: (من لبس نعلاً صفراء قلّ همّه (٥٠) لقوله تعالى:

---

٥٠ - قال الزيعلي (١/ ٦٥): «غريب عن علي، ولم أجده إلاّ عن ابن عباس» ا.هـ.

---

(١) لرؤبة بن العجاج يصف بقرة وحشية، وقيل فرساً، وقيل خيلاً فيها لون السواد ولون البلق - أي البياض - ويروى: من بياض وبلق؛ فلعل البياض بياض يرهقه قترة، كأنه: أي ذلك المذكور أو المجتمع منهما، توليع البهق في الجلد. أو كأنه حال كونه في الجلد توليع البهق، أي تخطيطه من البياض المشوب بكدرة الناشىء من البهق، وهو داء يتغير منه لون الجلد. روي أن أبا عبيدة قال له: إن أردت الخطوط فقل: كأنها. وإن أردت السواد والبلق فقل: كأنهما. فقال أردت كأن ذاك، فقد أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة في صحة الإشارة بالمفرد منه إلى المتعدد بتأويله بالمذكور ونحوه.

ينظر: ديوانه (١٠٤)، مجالس العلماء (٢٧٧)، المحتسب ٢/ ١٥٤، المغني (٢/ ٦٧٨)، اللسان (بهق)، مجاز القرآن (١/ ٤٣)، مجالس ثعلب (٢/ ٣٧٥)، حاشية الكشاف للتفتازاني (١/ ٢٢، ٥٣٠) الدر المصون (١/ ٢٥٦).

﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾، وعن الحسن البصري: ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾: سوداء شديدة السّواد، (٥١) ولعلّه مستعار من صفة الإبل؛ لأن سوادها تعلوه صفرة، وبه فُسّر قوله تعالى: ﴿جمالات صفر﴾، [المرسلات: ٣٣]. قال الأعشى [من الخفيف]:

تِـلْـكَ خَـيْـلِـي مِـنْـهُ وَتِـلْـكَ رِكَـابِـي ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ هُـنَّ صُـفْـرٌ أَوْلَادُهَـا كَـالـزَّبِـيـبِ[1]

﴿مَا هِيَ﴾: مرّة ثانية، تكرير للسّؤال عن حالها وصفتها، واستكشاف زائد ليزدادوا بياناً لوصفها، وعن النبي ﷺ: «لَوِ اعْتَرَضُوا أَدْنَى بَقَرَة فَذَبَحُوهَا لَكَفَتْهُم، وَلَكِنْ شدّدوا فَشَدَّدَ الله عَلَيْهِمْ» (٥٢) والاستقصاء شؤم، وعن بعض الخلفاء أنه كتب إلى عامله بأن يذهب إلى

وقال الحافظ في «تخريج الكشاف»: موقوف لم أجده.

وحديث ابن عباس:

أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٢١٩) رقم (٧١٠)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٣٢٠) رقم (١٠٦١٢)، والخطيب في الجامع (١/ ٣٩٢) رقم (٩١٥)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٤٦) رقم (١٤٩٦) في ترجمة الفضل بن الربيع، وعزاه السيوطي في الدر (١/ ١٥١) للديلمي أيضاً، وذكره ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٣١٩)، وقال: «قال أبي: هذا حديث كذب موضوع» ا.هـ.

وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٤٢):

«رواه الطبراني، وفيه ابن العذراء غير مسمى ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات» ا.هـ.

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: موقوف، لم أجده: لكن أخرجه العقيلي والطبراني والخطيب من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: من لبس نعلاً صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه: فقال: كذب. موضوع. انتهى.

٥١ ـ أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٢٢٠) رقم (٧١٤)، (١/ ٢٢١) رقم (٧٢٠)، وابن جرير (٢/ ١٩٩) رقم (١٢١٨)، وسعيد بن منصور (٢/ ٥٦٤) رقم (١٩٢)، وذكره السيوطي (١/ ١٥١) وعزاه لعبد بن حميد أيضاً.

٥٢ ـ أخرجه الطبري في التفسير (٢/ ٢٠٦) رقم (١٢٤٥)، عن ابن عباس موقوفاً بلفظ: «لو اعترضوا =

---

(١) إن قيساقيس الفعال أبا الأشـ ‌ ‌ ‌ عث أمست أصداؤه لشعوب
كل عام يمدني بجموم ‌ ‌ ‌ عند وضع للضأن أو بنجيب
تلك خيلي منه وتلك ركابي ‌ ‌ ‌ هن صفر أولادها كالزبيب

للأعشى في أبي الأشعث بن قيس. والفعال ـ بالفتح: فعل الخير، والأصداء: جمع صدى، وهو ذكر البوم. كانت العرب تزعم أن عظام رأس القتيل تصير بومة وتصيح: أدركوني. حتى يؤخذ بثأره. وشعوب: اسم للمنية، ويمكن أنه جمع شعب بمعنى طريق، أي أمست متفرقة في الطرق. وذلك كناية عن قتله. والجمع للتعظيم، أو اعتباري. والجموم: جمع جم بتثليث أوله بمعنى الكثير. والنجيب: الكريم من الخيل والإبل. والركاب: المطايا. هن أي الركاب، صفر: جمع أصفر أو صفراء، أولادها يغلب عليها السواد كالزبيب. والمراد بالصفرة سواد ترهقه صفرة، لأن هذا أعز ألوان الإبل عندهم.

ينظر: ديوانه (٣٣٥)، الأضداد (١٣٨)، اللسان (خشب)، الدر المصون ١/ ٢٥٧.

قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم، فكتب إليه: بأيّهما أبدأ؟ فقال: إن قلت لك بقطع الشجر سألتني: بأيّ نوع منها أبدأ؟ وعن عمر بن عبد العزيز: إذا أمرتك أن تعطي فلاناً شاة سألتني: أضائن أم ماعز؟ فإن بيّنت لك قلت: أذكر أم أنثى؟ فإن أخبرتك قلت: أسوداء أم بيضاء؟ فإذا أمرتك بشيء فلا تراجعني، وفي الحديث: «أَعْظَمُ النَّاسِ جُرْماً مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ لِأَجْلِ مَسْأَلَتِهِ» (٥٣). ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾: أي إنّ البقر الموصوف بالتعوين والصّفرة كثير فاشتبه علينا أيّها نذبح، وقرىء: تشّابه، بمعنى تتشابه بطرح التاء وإدغامها في الشّين، وتشابهت ومتشابهة ومتشابه، وقرأ محمد ذو الشامة: إن الباقر يشّابه، بالياء والتّشديد، جاء في الحديث: «لَوْ لَمْ يَسْتَثْنُوا لَمَا بُيِّنَتْ لَهُمْ آخِرَ الأَبَدِ» (٥٤) أي: لو لم يقولوا: إن شاء الله، والمعنى: إنا لمهتدون إلى البقرة المراد ذبحها، أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل، ﴿لَّا ذَلُولٌ﴾: صفة لبقرة، بمعنى بقرة غير ذلول، يعني لم

= بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا وتعنتوا موسى فشدد الله عليهم»، ولم يذكر فيه: «والاستقصاء شؤم»، ورواه أيضاً ابن أبي حاتم (١/ ٢١٥) رقم (٦٩٨)، وذكر السيوطي في الدر (١/ ١٥٠) أن ابن أبي حاتم وابن مردويه أخرجا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لولا أن بني إسرائيل قالوا: «وإنا إن شاء الله لمهتدون» ما أعطوا أبداً، ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبحوها ـ لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم».

وهو عند ابن أبي حاتم (١/ ٢٢٣) رقم (٧٢٧) دون قوله: «ولو أنهم اعترضوا... إلخ.».
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
ابن مردويه والبزار وابن أبي حاتم؛ كلهم من طريق الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مرفوعاً، وفي سنده عباد بن منصور، وفيه ضعف، والطبري من كلام ابن عباس موقوفاً، ومن كلام أبي العالية دون قوله: «والاستقصاء شؤم»، فليس هو في المرفوع ولا الموقوف قلت: قوله: «والاستقصاء شؤم»، من كلام الزمخشري. انتهى.

٥٣ ـ أخرجه البخاري (١٣/ ٢٧٨) كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال حديث (٧٢٨٩)، ومسلم (٤/ ١٨٣١) كتاب الفضائل، باب توقيره ـ ﷺ ـ حديث (٢٣٥٨).
وأبو داود (٢/ ٦١٢) كتاب السنة، باب لزوم السنة حديث (٤٦١٠)، وأحمد (١/ ١٧٦، ١٧٩)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٣١٤) رقم (١١٠)، والحميدي (١/ ٣٧) رقم (٦٧)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٤٣) رقم (١٤٤).
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ انتهى.

٥٤ ـ أخرجه ابن جرير (٢/ ٢٠٥) رقم (١٢٤٢) عن ابن جريج مرسلاً.
ورواه أيضاً ابن جرير (٢/ ٢٠٦) رقم (١٢٤٤) عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله ـ ﷺ ـ كان يقول: «إنما أمر القوم بأدنى بقرة، ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد عليهم، والذي نفس محمد بيده لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد».
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
أخرجه ابن جرير من طريق ابن جريج مرفوعاً. وهو معضل. انتهى.

تذلّل للكراب[1] وإثارة الأرض، ولا هي من النّواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث، و(لا) الأولى: للنفي، والثانية: مزيدة، لتوكيد الأولى، لأنّ المعنى: لا ذلول تثير وتسقي، على أنّ الفعلين صفتان لذلول، كأنّه قيل: لا ذلول مثيرة وساقية، وقرأ أبو عبد الرحمٰن السلمي: «لا ذلول» بمعنى لا ذلول هناك، أي: حيث هي، وهو نفي لذلها؛ ولأن توصف به فيقال: هي ذلول، ونحوه قولك: مررت بقوم لا بخيل ولا جبان، أي فيهم، أو حيث هم، وقرىء: «تُسقي» بضم التاء من أسقى، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: سلمها الله من العيوب، أو معفاة من العمل سلمها أهلها منه كقوله [من البسيط]:

أَوْ مَعْبَرِ الظَّهْرِ يُنْبِي عَنْ وَلِيَّتِهِ   مَا حَجَّ رَبُّهُ فِي الدُّنْيَا وَلاَ اعْتَمَرَا[2]

أو مخلصة اللون، من سلم له كذا إذا خلص له، لم يشب صفرتها شيء من الألوان ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾: لا لمعة في نقبتها[3]، من لون آخر سوى الصّفرة، فهي صفراء كلّها حتى/٤٦ب قرنها وظلفها، وهي في الأصل مصدر وشاه وشياً وشية، إذا خلط بلونه لوناً آخر، ومنه: ثور موشى القوائم، ﴿جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ﴾: أي بحقيقة وصف البقرة، وما بقي إشكال في أمرها، ﴿فَذَبَحُوهَا﴾: أي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلّها فذبحوها، وقوله: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾: استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم، وأنّهم لتطويلهم المفرط

---

(١) قوله «لم تذلل للكراب» في الصحاح: كربت الأرض إذا قلبتها للحرث. وفي المثل: الكراب على البقر، ويقال: الكلاب على البقر. (ع)

(٢) أنشده سيبويه. ويقال: أعبرت الشاة فهي معبرة، إذا كثُر صوفها لتركها سنة من غير جز، فالظهر المعبر: المتروك من الجز فيكثُر وبره، أو لأنه لا وبر عليه فيحز. ولعل المراد هنا المتروك من الحمل عليه. وقيل: المنجرد الشعر. ونبا عنه ينبو: انحرف. وأنبيته: حرفته وأبعدته، فما هنا معناه يمنع غيره عن ركوب وليته. وظاهر كلام بعضهم أنه يقال: نبى ينبي، كرمى يرمي، إذا انحرف. وأن ما هنا منه، أي ينفر عن وليته: أي برذعته، لأنها تلي الجلد. وربه باختلاس الحركة للوزن، بمعنى صاحبه. والمعنى: أنه بعير متروك من العمل فهو مصعب ينفر من الراكب، لأنه لم يسافر أصلاً حتى أن صاحبه لا حج ولا اعتمر، وظاهر كلام بعضهم أن «ربه» هي رب التي هي حرف جر، فتكون جارة للضمير بلا تمييز لتقدم مرجعه، ودالة على تحقيق النفي مجازاً عن معنى التكثير وهي اعتراض بين المتعاطفين، وإسناد الفعلين لضمير البعير مجاز عقلي، لأنه من آلات الحج والاعتمار. وقائل ذلك فسره بأنه منجرد الظهر ينفر من برذعته لدبره من كثرة الأسفار. ما سافر لحج ولا اعتمار، وإنما يسافر إلى الأعداء. ولو جعل معناه كما تقدم لجاز. فالمعنى أنه مصعب لم يركب ولم يسافر أصلاً، حتى أنه لم يسافر لحج ولا عمرة وهو ظاهر.
والبيت لرجل من باهلة: ينظر شرح أبيات سيبويه ١/ ٤٢٢، الكتاب ١/ ٣٠، الإنصاف ٢/ ٥١٦، خزانة الأدب ٥/ ٢٦٩ لسان العرب (عبر) والمقتضب ١/ ٣٨، المقرب ٢/ ٢٠٤، الدر المصون ١/ ١٩٦.

(٣) قوله: «لا لمعة في نقبتها» في الصحاح: النقبة اللون والوجه. (ع)

وكثرة استكشافهم، ما كادوا يذبحونها، وما كادت تنتهي سؤالاتهم، وما كاد ينقطع خيط إسهابهم فيها وتعمّقهم، وقيل: وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها، وقيل: لخوف الفضيحة في ظهور القاتل، ورُوِيَ: أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عِجلة فأتى بها الغيضة(١) وقال: اللّهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر، وكان براً بوالديه، فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه، فساوموها اليتيم وأمّه حتى اشتروها بملء مَسْكِها ذهباً، وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير، وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة (٥٥). فإن قلت: كانت البقرة التي تناولها الأمر بقرة من شق البقر غير مخصوصة، ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات، فذبحوا المخصوصة، فما فعل الأمر الأوّل؟ قلت: رجع منسوخاً؛ لانتقال الحكم إلى البقرة المخصوصة، والنّسخ قبل الفعل جائز، على أنّ الخطاب كان لإبهامه متناولاً لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها، ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التّخصيص لكان امتثالاً له؛ فكذلك إذا وقع عليها بعد التخصيص، ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾: خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم، ﴿فَادَّارَءْتُمْ﴾: فاختلفتم واختصمتم في شأنها؛ لأنّ المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً، أي يدفعه ويزحمه، أو تدافعتم، بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض، فدفع المطروح عليه الطّارح، أو لأنّ الطّرح في نفسه دفع، أو دفع بعضكم بعضاً عن البراءة واتهمه، ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتوماً، فإن قلت: كيف أعمل «مخرج» وهو في معنى المضيّ؟ قلت: وقد حكى ما كان(٢) مستقبلاً في وقت التدارؤ، كما حكى الحاضر في قوله: ﴿باسط ذراعيه﴾ [الكهف: ١٨] وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما: (ادّارأتم)، و (فقلنا)، والضّمير في ﴿اَضْرِبُوهُ﴾: إمّا أن يرجع إلى النّفس والتذكير على تأويل الشخص والإنسان، وإمّا إلى القتيل لما دلّ عليه من قوله: (ما كنتم تكتمون)، ﴿بِبَعْضِهَا﴾: ببعض البقرة، واختلف في البعض الذي ضرب به، فقيل: لسانها، وقيل: فخذها اليمنى، وقيل: عَجْبها، وقيل: العظم الذي يلي الغضروف وهوأصل الأذن، وقيل: الأذن، وقيل: البضعة بين الكتفين، والمعنى: فضربوه فحيي، فحذف ذلك لدلالة قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ

---

٥٥ ـ قصة فتى بني إسرائيل رواها أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٧٦٥) رقم (١٢٦٤) مختصراً.
وذكرها السيوطي في الدر (١/ ١٥٤)، وعزاها لعبد بن حميد، وأبي الشيخ في العظمة في قصة طويلة.

---

(١) قوله «فأتى بها الغيضة» في الصحاح: الغيضة الأجمة، وهي مغيض ماء يجتمع فيه فينبت فيه الشجر. (ع)

(٢) قوله «قلت وقد حكى ما كان» لعله «قد» بدون واو. (ع)

﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾، وروي: أنهم لمّا ضربوه، قام بإذن الله وأوداجه تشخب دماً، وقال: قتلني فلان وفلان لابني عمه، ثم سقط ميتاً، فأخذا وقتلا ولم يورّث قاتل بعد ذلك، ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: إما أن يكون خطاباً للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم؛ كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة، ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: ودلائله على أنه قادر على كلّ شيء، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تعملون على قضية عقولكم، وأن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلّها لعدم الاختصاص، حتى لا تنكروا البعث، وإمّا أن يكون خطاباً للمنكرين/١٤٧أ في زمن رسول الله ﷺ. فإن قلت: هلا أحياه ابتداء؟ ولم شرط في إحيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها؟ قلت: في الأسباب والشروط حكم وفوائد؛ وإنّما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرّب وأداء التكاليف، واكتساب الثواب والإشعار بحسن تقديم القربة على الطّلب، وما في التّشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم، ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة إلى امتثال أوامر الله تعالى وارتسامها على الفور، من غير تفتيش وتكثير سؤال، ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة، والدلالة على بركة البرّ بالوالدين، والشفقة على الأولاد، وتجهيل الهازىء بما لا يعلم كنهه، ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء، وبيان أنّ من حق المتقرّب إلى ربه أن يتنوّق[1] في اختيار ما يتقرّب به، وأن يختاره فتيّ السنّ غير قحم ولا ضرع، حسن اللون بريأ من العيوب يونق من ينظر إليه، وأن يغالى بثمنه، كما يروى عن عمر رضي الله عنه: أَنَّهُ ضَحَّى بِنَجِيبَةٍ بِثَلَاثمائَةِ دِينَارٍ (٥٦)، وأنّ الزيادة في الخطاب نسخ له، وأن النّسخ قبل الفعل جائز وإن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه؛ لأدائه إلى البداء، وليعلم بما أمر من مسّ الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه أن المؤثر هو المسبب لا الأسباب؛ لأنّ الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل أن تتولد منهما حياة، فإن قلت: فما للقصة لم تقص على ترتيبها، وكان حقّها أن يقدّم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها، وأن يقال: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰءْتُمْ فِيهَا﴾

---

٥٦ ـ أخرجه أبو داود (٥٤٦/١) كتاب المناسك، باب تبديل الهدى حديث (١٧٥٦)، وعزاه في الكنز (٢٣٣/٥) رقم (١٢٧٢٢) إلى أبي داود.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
أخرجه أبو داود من رواية الجهم بن الجارود عن سالم عن أبيه. قال: «أهدى عمر ـ رضي الله عنه ـ نجيبه فأعطى بها ثلاثمائة دينار. فقال: يا رسول الله، أفأبيعها واشتري بثمنها بدناً؟ قال: لا انحرها إياها. انتهى.

---

(١) قوله «أن يتنوق» في الصحاح: تنوق في الأمر، أي تأنق فيه. ويفيد أيضاً أن «القحم» المسن الفاني، و «الضرع» بالتحريك الضعيف النحيف. و «الأنق» الفرح والسرور. (ع)

فقلنا: اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها؟ قلت: كل ما قصّ من قصص بني إسرائيل إنما قصّ تعديداً لما وجد منهم من الجنايات، وتقريعاً لهم عليها، ولمّا جدّد فيهم من الآيات العظام، وهاتان قصّتان كلّ واحدة منهما مستقلّة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين، فالأولى: لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك، والثانية: للتقريع على قتل النفس المحرّمة وما يتبعه من الآية العظيمة، وإنّما قدّمت قصّة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل؛ لأنّه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض في تثنية التقريع، ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى؛ دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله: ﴿ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ﴾ حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنيتهِ بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها، وأنها قصة واحدة بالضّمير الراجع إلى البقرة.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

معنى ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾: استبعاد القسوة من بعد ما ذكر ممّا يوجب لين القلوب ورقّتها ونحوه: ﴿ثم أنتم تمترون﴾، وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوّها عن الاعتبار، وأنّ المواعظ لا تؤثّر فيها، و﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى إحياء القتيل، أو إلى جميع ما تقدّم من الآيات المعدودة، ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾: فهي في قسوتها مثل الحجارة، ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ﴾: منها، و «أشد» معطوف على الكاف، إما على معنى أو مثل/٤٧ب أشد قسوة، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وتعضّده قراءة الأعمش بنصب الدّال عطفاً على الحجارة، وإمّا على: أو هي في أنفسها أشد قسوة والمعنىٰ: أن من عرف حالها شبهها بالحجارة، أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلاً، أو من عرفها شبّهها بالحجارة، أو قال: هي أقسى من الحجارة، فإن قلت: لم قيل: أشدّ قسوة، وفعل القسوة ممّا يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب[1]؟ قلت: لكونه أبين وأدلّ على فرط القسوة، ووجه آخر، وهو أن لا يقصد معنى الأقسى، ولكن قصد وصف القسوة بالشدّة، كأنّه قيل: اشتدّت قسوة الحجارة، وقلوبهم أشدّ قسوة، وقرىء: قساوة، وترك ضمير المفضّل عليه لعدم

---

(١) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت: لم قيل: أشد قسوة... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: ولأن سياق هذه الأقاصيص قصد فيه الإسهاب لزيادة التقريع، حتى جعلت القصة الواحدة قصتين كما مر الآن. ولا شك أن قوله (أو أشد قسوة) أدخل في الإسهاب من قول القائل: أو أقسى.

الإلباس؛ كقولك: زيد كريم، وعمرو أكرم، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾: بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدّة القسوة، وتقرير لقوله: (أو أشدّ قسوة)؛ وقرىء «وإنْ» بالتخفيف، وهي (إن): المخفّفة من الثّقيلة التي تلزمها اللام الفارقة، ومنها قوله تعالى: ﴿وإن كل لما جميع﴾ [يس: ٣٢]. والتفجر: التفتُّح بالسّعة والكثرة، وقرأ مالك بن دينار: «ينفجر» بالنون، ﴿يَشَّقَّقُ﴾: يتشقق، وبه قرأ الأعمش، والمعنى إنّ من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير، ومنها ما ينشق انشقاقاً بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضاً ﴿يَهْبِطُ﴾: يتردّى من أعلى الجبل، وقرىء بضم الباء، والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله تعالى، وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها، وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به، وقرىء «يعملون» بالياء والتاء، وهو وعيد.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾: الخطاب لرسول الله ﷺ والمؤمنين، ﴿أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾: أن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم، كقوله ﴿فآمن له لوط﴾ [العنكبوت: ٢٦] يعني اليهود، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾: طائفة فيمن سلف منهم، ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾: وهو ما يتلونه من التوراة، ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾: كما حرّفوا صفة رسول الله ﷺ؛ وآية الرّجم، وقيل: كان قوم من السّبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلّم موسى بالطّور وما أمر به ونهى، ثم قالوا: سمعنا الله يقول في آخرِه: إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا فلا بأس، وقرىء كَلِمَ الله. ﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم كاذبون مفترون، والمعنى: إن كفر هؤلاء وحرّفوا فلهم سابقة في ذلك، ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾: يعني اليهود، ﴿قَالُوا﴾: قال منافقوهم(1)، ﴿آمَنَّا﴾: بأنّكم على الحقّ، وأنّ محمداً هو الرسول المبشر به، ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ﴾: الذين لم ينافقوا، ﴿إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: الذين نافقوا، ﴿قَالُوا﴾: عاتبين عليهم:

---

(١) قال محمود رحمه الله: «قال منافقوهم... إلخ». قال أحمد رحمه الله: وصح عود الضمير في اللفظ إلى جهة واحدة مع اختلاف المرجوع إليه، لأنهما صنفان مندرجان في الأول. ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ فالضمير الأول للأزواج، والثاني للأولياء وهو راجع إلى جهة واحدة وهي جهة المخاطبين لاشتمالهم على الصنفين جميعاً، والله أعلم.

﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: بما بين لكم في التّوراة من صفة محمد، أو قال المنافقون لأعقابهم يرونهم التصلّب في دينهم: أتحدّثونهم، إنكاراً عليهم أن يفتحوا عليهم شيئاً في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود، ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ﴾: ليحتجّوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه، جعلوا محاجتهم به، وقولهم هو في كتابكم/٤٨أ هكذا محاجة عند الله، ألا تراك تقول: هو في كتاب الله هكذا، وهو عند الله هكذا، بمعنى واحد، ﴿يَعۡلَمُ﴾: جميع، ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾: ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان.

﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ﴾: لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها، ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: إلا ما هم عليه من أمانيهم، وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم، وأنّ آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، وما تمنّيهم أحبارهم من أنّ النّار لا تمسّهم إلاّ أياماً معدودة، وقيل: إلا أكاذيب مختلفة سمعوها من علمائهم فتقبّلوها على التّقليد، قال أعرابي لابن دأب في شيء حدّث به: أهذا شيء رويته، أم تمنيته، أم اختلقته[1]، وقيل: إلا ما يقرءون من قوله [من الطويل]:

تَـمَـنَّـى كِـتَـابَ الـلَّـهِ أَوَّلَ لَـيْـلَـةٍ ....[2]

والاشتقاق من منى إذا قدّر؛ لأنّ المتمنّي يقدّر في نفسه ويحزر ما يتمناه، وكذلك المختلق والقارىء يقدّر أنّ كلمة كذا بعد كذا، وإلاّ أمانيّ: من الاستثناء المنقطع، وقرىء: أماني، بالتخفيف، ذكر العلماء الذين عاندوا بالتّحريف مع العلم والاستيقان، ثم العوامّ الذين قلّدوهم، ونبّه على أنهم في الضلال سواء؛ لأن العالم عليه أن يعمل بعلمه،

---

(١) قوله «أم تمنيته أم اختلقته» لعله أي أم الخ. (ع)

(٢) تـمـنـى كـتـاب الـلّـه أول لـيـلـة   تـمـنـي داود الـزبـور عـلـى رسـل

لحسّان بن ثابت في مرثية عثمان بن عفان رضيَ اللّه عنهما. يقول: تمنى كتاب اللّه، أي تلاه وتابع في تلاوته كتمنى داود عليه السلام الزبور: أي كتلاوته الزبور على رسل بالكسر: أي تؤدة وسكينة. وروي بدل الشطر الثاني

....   وآخـرهـا لاقـى حـمـام الـمـقـادر

والحمام: الموت، لأنه مقدّر، من حم اللّه الشيء: قدره.

ينظر: القرطبي (٢/٦)، المحرر الوجيز (١/ ٣٣٠)، مجمع البيان (١/ ٣٢٢)، اللسان (منى)، والدر ١/ ٢٦٩.

وعلى العامي أن لا يرضى بالتقليد والظنّ وهو متمكن من العلم، ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: المحرّف، ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾[1]: تأكيد، وهو من مجاز التأكيد، كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه: يا هذا، كتبته بيمينك هذه، ﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾: من الرشا.

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: أربعين يوماً عدد أيام عبادة العجل، وعن مجاهد: كانوا يقولون: مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوماً، ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ﴾: متعلق بمحذوف تقديره: إن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده، و ﴿أَمْ﴾: إمّا أن تكون معادلة بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير، لأن العلم واقع بكون أحدهما، ويجوز أن تكون منقطعة، ﴿بَلَىٰ﴾: إثبات لما بعد حرف النفي، وهو قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾: أي بلى تمسّكم أبداً، بدليل قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: من السّيئات، يعني كبيرة من الكبائر[2]، ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: تلك واستولت عليه، كما يحيط العدوّ ولم يتفص عنها[3] بالتوبة، وقرىء: خطاياه و خطيئاته، وقيل: في الإحاطة: كان ذنبه أغلب من طاعته، وسأل رجل الحسن عن الخطيئة قال: سبحان الله، ألا أراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة، انظر في المصحف فكل آية نهى فيها الله عنها وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهي الخطيئة المحيطة.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا

---

(١) قال محمود: «إن قلت: ما فائدة قوله بأيديهم... إلخ»؟ قال أحمد رحمه اللّه: وربما قال الزمخشري في مثل هذا: إن فائدته تصوير الحالة في النفس كما وقعت، حتى يكاد السامع لذلك أن يكون مشاهداً للهيئة.

(٢) قوله: «يعني كبيرة من الكبائر» فسّرها بذلك لتنطبق الآية على مذهب المعتزلة. وهو أن فاعل الكبيرة مخلّد في النار، ومذهب أهل السنّة أنه لا يخلد فيها إلا الكافر. وفسروا الخطيئة بالشرك. وفي الخازن قال ابن عباس: هي الشرك يموت عليه صاحبه اهـ وهو الذي يحيط بفاعله ويسد أبواب النجاة أمامه في كل جهة. (ع)

(٣) قوله: «ولم يتفص عنها» أي يتخلص. (ع)

﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾: إخبار في معنى النهي[1]، كما تقول: تذهب إلى فلان تقول له كذا، تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنه كأنه سورع إلى الإمتثال والإنتهاء، فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وأبيّ «لا تعبدوا»: ولا بدّ من إرادة/ ٤٨ب القول، ويدلّ عليه أيضاً قوله ﴿وَقُولُوا۟﴾، وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، إمّا أن يقدّر: وتحسنون بالوالدين إحساناً، أو وأحسنوا، وقيل: هو جواب قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[2]: إجراء له مجرى القسم، كأنه قيل: وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون، وقيل: معناه: ألاّ تعبدوا، فلما حذفت (أن): رفع، كقوله [من الطويل]:

ألاَ أَيُّهَذَا الزّاجِرِي أَحْضُرُ الْوَغَى ....[3]

ويدل عليه قراءة عبد الله: «ألاّ تعبدوا»، ويحتمل «أن لا تعبدوا»، أن تكون (أن) فيه مفسرة، وأن تكون أن مع الفعل بدلاً عن الميثاق، كأنه قيل: أخذنا ميثاق بني إسرائيل توحيدهم وقرىء بالتاء حكاية لما خوطبوا به، وبالياء لأنهم غيب، ﴿حُسْنًا﴾: قولا هو حسن في نفسه[4]، لإفراط حسنه، وقرىء «حسناً»، و «حسنى» على المصدر ـ كبشرى،

---

(١) قال محمود رحمه اللّه تعالى: «لا تعبدون إخبار في معنى النهى... إلخ» قال أحمد رحمه اللّه: وجه الدليل منه أنّ الأول لو لم يكن في معنى النهي لما حسن عطف الأمر عليه، لما بين الأمر والخبر المحض من التنافر، ولا كذلك الأمر والنهي لالتقائهما في معنى الطلب.

(٢) قال محمود رحمه اللّه: «وقيل هو جواب قوله (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل)... إلخ». قال أحمد رحمه اللّه: لو قدر القسم مضافاً إلى المذكورين لكان أوجه، فيقول (وإذ أقسمتم لا تعبدون إلا اللّه... إلخ).

(٣) ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ... وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي؟
لطرفة بن العبد من معلقته. وألا أداة استفتاح. وحرف النداء محذوف. وأي منادى. واسم الإشارة نعت له. والزاجر نعت لاسم الإشارة مضاف لياء المتكلم إضافة الوصف لمفعوله. وروي بدله «اللائمي»: وروي «أحضر» منصوباً بإضمار أن، ومرفوعاً على إهمالها وحسن حذفها ذكرها فيما بعد. يقول: يا أيها الزاجر لي عن حضور الحرب وشهود لذّات النصر والظفر والغنيمة. أو شهود لذّات الشراب ومغازلة النساء المستدعين لإتلاف المال، لست مخلّداً لي لو طاوعتك. فالاستفهام إنكاري.
ينظر ديوانه ص ٣٢، والإنصاف ٢/ ٥٦٠، وخزانة الأدب ١/ ١١٩، ٨/ ٥٧٩، والدرر ١/ ٧٤، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ٢٨٥، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٠٠، والكتاب ٣/ ٩٩، ١٠٠، ولسان العرب (أنن)، (دنا)، والمقاصد النحويّة ٤/ ٤٠٢، والمقتضب ٢/ ٨٥، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١/ ٤٦٣، ٨/ ٥٠٧، ٥٨٠، ٥٨٥، والدرر ٣/ ٣٣، ٩/ ٩٤، ورصف المباني ص ١١٣، وشرح شذور الذهب ص ١٩٨، وشرح ابن عقيل ص ٥٩٧، وشرح المفصل ٢/ ٧، ٤/ ٢٨، ٧/ ٥٢، ومجالس ثعلب ص ٣٨٣، ومغني اللبيب ٢/ ٣٨٣، ٦٤١، وهمع الهوامع ٢/ ١٧.

(٤) قال محمود: «أي قولاً هو حسن في نفسه... إلخ». قال أحمد: وفيه من التأكيد والتخصيص على =

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: على طريقه الإلتفات[1] أي توليتم عن الميثاق ورفضتموه، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ قيل: هم الذين أسلموا منهم، ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾: وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن المواثيق، والتولية.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾: لا يفعل ذلك بعضكم ببعض، جعل غير الرجل نفسه، إذا اتصل به أصلاً أو ديناً، وقيل: إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه، لأنه يقتص منه. ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾: بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه، ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: عليها، كقولك: فلان مقرّ على نفسه بكذا شاهد عليها، وقيل: وأنتم تشهدون اليوم، يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ﴾ استبعاد لما أسند إليهم[2] من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم، والمعنى ثم أنتم بعد

= إحسان مناولة الناس، أنه وضع الصدر فيه موضع الاسم. وهذا إنما يستعمل للمبالغة في تأكيد الوصف، كرجل عدل، وصوم وفطر، وقرىء حسناً فهو على هذا من الصفات المشبَّهة.

(١) قال السمين الحلبي: وهذا الذي قاله إنما يَجيءُ على قراءةِ: «لا يَعْبدون» بالغيبة، وأمَّا على قراءةِ الخطابِ فلا التفات ألبتةَ، ويجوزُ أن يكونَ أرادَ بالالتفاتِ الخروجَ مِنْ خطابِ بني إسرائيل القدماءِ إلى خطابِ الحاضرين في زمن النبيِّ ﷺ وقد قيل بذلك، ويؤيِّده قولُه تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ قيل: يعني بهم الذين أَسْلموا في زمانِه عليه السلام كعبدِ الله بن سَلام وأضرابه، فيكونُ التفاتاً على القراءتين. والمشهورُ نَصْبُ «قليلاً» على الاستثناء لأنه مِنْ موجب. ورُوي عن أبي عمرو وغيره: «إلا قليلٌ» بالرفع. وفيه ستةُ أقوال، أصحُها: أنَّ رفعه على الصفة بتأويل «إلا» وما بعدها بمعنى غَيْر. وقد عَقَد سيبويه ـ رحمه الله ـ في ذلك باباً في كتابه فقال: «هذا بابُ ما يكونُ فيه «إلاَّ» وما بعدها وصفاً بمنزلة غير ومثل»، وذكر من أمثلة هذا الباب: «لو كان معنا إلا رجلٌ إلا زيدٌ لغُلِبْنا» و «لو كانَ فيهما آلهةٌ إلا اللَّهُ لَفَسَدَتا». انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود رحمه اللَّه: أدخل ثم استبعاداً. . . إلخ؟ قال أحمد رحمه اللَّه: وهذا نظير ما تقدم آنفاً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ الآية.

ذلك هؤلاء المشاهدون، يعني أنكم قوم آخرون[1] غير أولئك المقرّين تنزيلاً، لتغير الصفة منزلة وتغير الذات، كما تقول: رجعت بغير الوجه الذي خرجت به، وقوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾: بيان لقوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وقيل: «هؤلاء» موصول بمعنى الذي[2]، وقرىء: «تظّاهرون»: بحذف التاء وإدغامها، وتتظاهرون بإثباتها، وتظهرون بمعنى تتظهرون: أي تتعاونون عليهم، وقرىء: «تفدوهم»، «وتفادوهم»، «وأسرى»، «وأسارى» ﴿وَهُوَ﴾: ضمير الشأن، ويجوز أن يكون مبهماً تفسيره، ﴿إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي بالفداء، ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: أي بالقتال والإجلاء، وذلك أنّ قريظة كانوا حلفاء الأوس، والنضير كانوا حلفاء الخزرج، فكان كلّ فريق يقاتل مع حلفائه، وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم، وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه، فعيرتهم العرب وقالت: كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم، فيقولون: أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم، ولكنا نستحي أن نذل حلفاءنا، والخزي: قتل بني قريظة وأسرهم وإجلاء بني النضير، وقيل: الجزية، وإنما ردّ من فعل منهم ذلك إلى أشدّ العذاب، لأن عصيانه أشدّ، وقرىء: «يردّون»، «ويعملون». بالياء /٤٩أ والتاء. ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ﴾: عذاب الدنيا بنقصان الجزية، ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم، وكذلك عذاب الآخرة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة، آتاه إياها جملة واحدة، ويقال: قفاه إذا أتبعه من القفا، نحو ذنبه، من الذنب، وقفاه به: أتبعه إياه، يعني: وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل، كقوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ [المؤمنون: ٤٤] وهم: يوشع، وأشمويل، وشمعون، وداود، وشعيباً، وسليمان، وشعيا، وأرميا، وعزير، وحزقيل، وإلياس، واليسع، ويونس، وزكريا، ويحيى، وغيرهم، وقيل: ﴿عِيسَى﴾: بالسريانية أيشوع، و﴿مَرْيَمَ﴾ بمعنى الخادم،

---

(١) قال محمود رحمه الله: «والمعنى: ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء الشاهدون، يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك... إلخ». قال أحمد رحمه الله: هو بيان لتغيُّر الصفة الموجب لتنزيلهم منزلة المغايرين لهم بالذات.

(٢) قوله: «موصول بمعنى الذي» لعله الذين. (ع)

وقيل: المريم بالعربية من النساء، كالزير من الرجال[1]، وبه فسر قول رؤبة [من الرجز]:

قُلْتُ لِزِيرٍ لَمْ تَصِلْهُ مَرْيَمُهْ[2]

وووزن «مريم» عند النحويين «مفعل»، لأن فعيلاً بفتح الفاء لم يثبت في الأبنية كما ثبت نحو عثير وعليب[3]، ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات الواضحات والحجج، كإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص والإخبار بالمغيبات، وقرىء: «وآيدناه»، ومنه: آجده، بالجيم[4] إذا قوّاه، يقال: الحمد الله الذي آجدني بعد ضعف، وأوجدني بعد فقر، ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: بالروح المقدسة، كما تقول: حاتم الجود، ورجل صدق، ووصفها بالقدس، كما قال: ﴿وروح منه﴾: [النساء: ١٧١] فوصفه بالإختصاص والتقريب للكرامة، وقيل: لأنه لم تضمه الأصلاب، ولا أرحام الطوامث، وقيل: بجبريل، وقيل: بالإنجيل، كما قال في القرآن: ﴿رُوحاً من أمرنا﴾، [الشورى: ٥٢] وقيل: باسم الله الأعظم، الذي كان يحيي الموتى بذكره، والمعنى: ولقد آتينا يابني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ﴾: منهم بالحق، ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: عن الإيمان به، فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ، والتعجيب من شأنهم، ويجوز أن يريد: ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم، ثم وبخهم على ذلك، ودخول الفاء، لعطفه على المقدّر، فإن قلت: هلا قيل وفريقاً

---

(١) قوله «كالزير من الرجال» في الصحاح: هو الذي يحب محادثة النساء ومجالستهن. (ع)

(٢) قلت لزير لم تصله مريمه ... ضليل أهواء الصبا تندمه

لرؤبة بن العجاج يعاتب أبا جعفر الدوانيقي على البطالة ومغازلة النساء. سُمِّيَ بذلك لأنه زاد في الخراج دوانق أيام خلافته، كذا في الكشف. والزير من يُكثِر مودة النساء وزيارتهن. والمريم: من تكثر مودة الرجال وزيارتهم. قال أبو عمرو: من رام يريم، ومعناه بقي أو ذهب. وريمت السحابة تريماً: دامت. لدوامها على المودة، أو لخروجها من بيتها. والضليل كثير الضلال. والصبا: الميل إلى الجهل والفتوة. وتندمه: بمعنى ندمه، فهو مصدر مرفوع فاعل ضليل. ولعل معناه أن ندمه ضال ضائع في أهواء الصبا. ويروى «مندمه» بصيغة اسم الفاعل. وضليل: مرفوع على الابتداء، ومندمه خبره. ولعل معناه أن الرجل كثير الضلال يعني نفسه هو الذي يندمه ويجعله نادماً، أي يأمره بالندم. وقال عبد الحكيم علي البيضاوي نقلاً عن الكشف: أي قلت له من كثر ضلاله يكون مندم نفسه وموقعها في الندامة. واللام في قوله لزير للتعليل؛ أي قلت ذلك القول لأجله، هذا توجيه ما قيل فيه. ولو جعلت ضليل صفة زير كالوجه الأول، وتندمه فعل أمر مقول القول، حرك بالضم لالتقائه ساكناً مع هاء السكت ولمناسبة القافية لجاز: أي قلت له تندم وتب، لكن فيه تكلف شاذ.
ينظر ديوانه ص ١٤٩، وتهذيب اللغة: ١٣/ ٢٤٤، وتاج العروس: (زور)، (ضلل)، ولسان العرب: (زور) وكتاب العين: ٧/ ٩.

(٣) قوله «عثير وعليب» العثير: الغبار. وعليب: اسم واد. (ع)

(٤) قوله «ومنه آجده بالجيم» وأصله ما يقال: ناقة أجد، أي قوية موثقة الخلق أفاده الصحاح. (ع)

قتلتم[1]؟ قلت: هو على وجهين: أن تراد الحال الماضية[2]، لأنَّ الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب، وأن يراد: وفريقاً تقتلونهم بعد، لأنكم تحومون حول قتل محمد ﷺ لولا أني أعصمه منكم، ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة، وقال ـ ﷺ ـ عند موته:

«ما زالت أكلةُ خيبر تعادّني، فهذا أوان قطعت أبهري» (٥٧) ﴿غُلْفُۢ﴾: جمع أغلف، أي: هي خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد ـ ﷺ ـ ولا تفقهه، مستعار من الأغلف الذي لم يختن، كقولهم: (قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه)، [فصلت:

----

٥٧ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٧٣٧) كتاب المغازي/باب مرض النبي ـ ﷺ ـ ووفاته (٤٤٢٨) معلقاً قال:
وقال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ «كان النبي ـ ﷺ ـ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم».
وعزاه في الكنز (٣٢١٨٩) لابن السني في «اليوم والليلة» وأبي نعيم في «الطب» من حديث أبي هريرة.
وله شاهد من حديث ابن عباس؛ أن رسول الله ـ ﷺ ـ مات من اللحم الذي كانت اليهودية سمته فانقطع أبهره من السم على أس السنة كان يقول: ما زلت أجد منه حساً».
قال الهيثمي (٩/ ٣٨).
«رواه الطبراني وإسناده حسن».
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
أخرجه البزار وأبو نعيم في الطب وابن عديّ في الكامل. من طريق سعيد بن محمد الوراق عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. وسعيد ضعيف، لكن رواه الحاكم من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمر بسنده: «أن امرأة يهودية أتت النبي ـ ﷺ ـ بشاة مصلية ـ فذكر القصة ـ وفيها: أن هذه الشاة مسمومة، وأن بشر بن البراء مات منها. فقتلها رسول الله ـ ﷺ ـ». وأخرج هذا القدر أبو داود من رواية خالد الطحان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة مرسلاً. ورواه الطبري من حديث بريدة قال: «خرجنا إلى خيبر ـ فذكر القصة. قال: فلما اطمأن رسول الله ـ ﷺ ـ يعني بخيبر ـ أهدت زينب بنت الحارث إليه شاة ـ فذكر القصة فيه، =

---

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت: هلا قيل: وفريقاً قتلتم... إلخ» قال أحمد رحمه الله: والتعبير بالمضارع يفيد ذلك دون الماضي، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ فعبَّر بالماضي ثم قال: فتصبح الأرض مخضرَّة، فعدل عنه إلى المضارع إرادة لتصوير اخضرارها في النفس. وعليه قول ابن معديكرب يصوِّر شجاعته وجرأته [من الوافر]:

فإني قد لقيت القرن أسعى ... بسهب كالصحيفة صحصحان
فآخذه فأضربه فيهوي ... صريعاً لليدين وللجران

(٢) قوله: «أن تراد الحال الماضية» لعله: أن تراد حكاية الحال. (ع)

٥]، ثم ردّ الله أن تكون قلوبهم مخلوقة[1]، كذلك لأنها خلقت على الفطرة، والتمكن من

= وقال: يا أم بشر، ما زالت أكلة خيبر التي أكلت مع إبنك تعادني. فهذا أوان قطعت أبهري» قلت: من قوله: «فلما اطمأن إلخ» ليس هو في حديث بريدة، وإنما هو من كلام الطبري. وهو في مغازي ابن إسحاق بهذا اللفظ الأول. وفيه قال ابن إسحاق: فحدثني مروان بن عثمان عن أبي سعيد بن المعلّى: «أن النبي - ﷺ - قال لأم بشر - وقد دخلت عليه: يا أم بشر، إن هذا لأوان وجدت انقطاع أبهري - الحديث»، وكذا أخرجه الطبراني، وأبو نعيم في الدلائل من رواية أبي الأسود عن عروة مختصراً. وذكره الواقدي في المغازي مطولاً بغير سند. وذكره ابن سعد في الطبقات عنه بأسانيد وفيه: ورفعها إلى ولاة بشر بن البراء فقتلوها. وروى أبو عبيدة والحربي في غريبهما من حديث أبي جعفر الباقر نحو الأول مرسلاً. قال الأصمعي: تعادني من العداد. وهو الشيء الذي يأتي لوقت دون وقت، وذكره البخاري تعليقاً من رواية عيينة عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - ووصله البزار والحاكم من هذا الوجه، واتفق الشيخان على حديث أنس - رضي الله عنه -: «أن امرأة يهودية أتت النبي - ﷺ - بشاة مسمومة»، فأكل منها الحديث، وفيه: فقال: ما زلت أعرفها في لهوات النبي - ﷺ -»، وروى أحمد والحاكم من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن أم بشر قالت: «دخلت على رسول الله - ﷺ - في وجعه الذي قبض فيه، فقلت: ما يتهم نفسك، فإني لا أتهم بابني إلاّ الطعام الذي أكله معك بخيبر. قال: وأنا لا أتهم غيرها. فهذا أوان انقطع أبهري».

وأخرج البيهقي في الدلائل هذه القصة عن الزهري، وفيها: قال الزهري: قال جابر: «واحتجم يومئذ على الكاهل، وبقي ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه. قال: ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عداداً حتى كان هذا أوان انقطاع الأبهر مني»، وأخرج أبو داود من رواية الزهري عن جابر كذلك. وروى الطبراني والدارقطني من رواية يحيىٰ بن عبد الرحمن بن لبيبة عن أبيه عن جده لبيبة الأنصاري - رضي الله عنه - قال: «أهدت يهودية إلى النبي - ﷺ - شاة مصلية مسمومة. فأكل منها هو وبشر ابن البراء بن مصرور. فمرضا مرضاً شديداً - فذكر القصة. وفيها: ثم أمر بها فصلبت»، وروى معمر عن الزهري أنه قال: أسلمت. فتركها رسول الله - ﷺ -. قال معمر: هكذا قال. والناس يقولون: إنها لم تسلم وإنها قتلت. قال البيهقي: ثم السهيلي: يجمع بينهما بأنه صفح عنها فلم يقتلها، لأنه كان لا ينتقم لنفسه. فلما مات بشر من تلك الأكلة قتلها به قصاصاً. انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه اللّه: «ثم رد اللّه أن تكون قلوبهم مخلوقة. . . إلخ». قال أحمد رحمه اللّه: وهذا من نوائب الزمخشري على تنزيل الآيات على عقائدهم الباطلة، وأنى له ذلك في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ألا تراه كيف أخذ من رد اللّه على هذه الطائفة أن تكون قلوبهم مخلوقة على الكفر، أن الكفر والامتناع من قبول الحق هم خلقوه لأنفسهم، تمهيداً لقاعدته الفاسدة في خلق الأعمال. وسبيل الرد عليه أن اللّه تعالى إنما كذبهم ورد عليهم في ادعائهم عدم الاستطاعة للإيمان وسلب التمكُّن وعللوا ذلك بأن قلوبهم غلف وصدق اللّه ورسوله في أنه إنما خلقهم على الفطرة والتمكُّن من الإيمان والتأتي والتيسُّر له. وإنما هم اختاروا الكفر على الإيمان فوقع اختيارهم الكفر مقارناً لخلق اللّه تعالى إياه في قلوبهم بعدما أنشأهم على الفطرة، فقيام حجة اللّه تعالى عليهم: بأنه خلقهم متمكنين من الإيمان غير مقسورين على الكفر، =

قبول الحق، بأن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم، فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الألطاف التي تكون للمتوقع إيمانهم وللمؤمنين، ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: فإيماناً قليلاً يؤمنون /٤٩ب وما مزيدة، وهو إيمانهم ببعض الكتاب، ويجوز أن تكون القلّة بمعنى العدم[1]، وقيل: «غلف»: تخفيف «غلف» جمع «غلاف»، أي: قلوبنا أوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره، وروى عن أبي عمرو: قلوبنا غلف، بضمتين: ﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، هو القرآن، ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: من كتابهم لا يخالفه، وقرىء: «مصدقاً»، على الحال، فإن قلت: كيف جاز نصبها عن النكرة؟ قلت: إذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه، وقد وصف: «كتاب» بقوله: ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وجواب لما محذوف وهو نحو: كذبوا به، واستهانوا بمجيئه، وما أشبه ذلك، ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: يستنصرون على المشركين، إذا قاتلوهم، قالوا: اللّهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة، ويقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبيّ يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، وقيل معنى: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يفتحون عليهم، ويعرفونهم أن نبيّاً يبعث منهم قد قرب أوانه، والسين للمبالغة، أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم، كالسين في استعجب واستسخر، أو يسأل بعضهم بعضاً أن يفتح عليهم، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾: من الحق، ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾: بغياً، وحسداً، وحرصاً على الرياسة، ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي عليهم وضعاً للظاهر موضع المضمر، للدّلالة على أنّ اللعنة لحقتهم لكفرهم، واللام للعهد، ويجوز أن تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولاً أوّلياً.

= وذلك لا ينافي توجيه أهل السنة في اعتقادهم أن اللّه تعالى خالق ذلك في قلوبهم على وفق اختيارهم. هذا هو الحق الأبلج والصراط الأبهج والله الموفق. وقول الزمخشري: إن كفرهم إنما خلقوه لأنفسهم بسبب منع ألطاف الله تعالى التي تسبب المؤمنون في حصولها لهم وكانت سبباً في خلقهم الإيمان في قلوبهم: كل هذا تستر من الإشراك واعتقاد آلهة غير الله تخلق لنفسها ما شاءت من إيمان وكفر تعالى الله عما يشركون علواً كبيراً.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وما ذهبَ إليه من أنَّ «قليلاً» يُراد به النفيُ، فصحيحٌ، لكنْ في غيرِ هذا التركيبِ»، أعني قوله تعالى: «فقليلاً ما يؤمنون» لأنَّ «قليلاً» انتصَبَ بالفعلِ المثبت فصار نظيرَ «قُمْتُ قليلاً» أي: قمتُ قياماً قليلاً، ولا يَذْهَبُ ذاهبٌ إلى أنَّك إذا أَتَيْتَ بفعلٍ مُثْبَتٍ وجَعَلْتَ «قليلاً» منصوباً نعتاً لمصدرِ ذلك الفعلِ يكونُ المعنى في المُثْبَتِ الواقع على صفةٍ أو هيئةٍ انتفاءَ ذلك المُثْبَتِ رأساً وعدَمَ وقوعِه بالكليّة، وإنما الذي نَقَل النحويون: أنّه قدَ يُراد بالقلة النفيُ المَحْضُ في قولهم: «أَقَلُّ رجلٍ يقول ذلك، وقَلَّما يقوم زيد»، وإذا تقرّر هذا فَحَمْلُ القلةِ على النفي المَحْض هنا ليس بصحيحٍ» انتهى. قلت: ما قاله أبو القاسم الزمخشري ـ رحمه الله ـ من أنَّ معنى التقليلِ هنا النفيُ قد قالَ به الواحديُّ قبلَه، فإنه قال: «أَيْ: لا قليلاً ولا كثيراً، كما تقول: قَلَّما يفعلُ كذا، أي: ما يفعله أصلاً». انتهى. الدر المصون.

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

«ما»: نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئاً، ﴿اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾: والمخصوص بالذم، ﴿أَن يَكْفُرُوا﴾: واشتروا بمعنى باعوا، ﴿بَغْيًا﴾: حسداً وطلباً لما ليس لهم، وهو علة اشتروا، ﴿أَن يُنَزِّلَ﴾: لأن ينزل أو على أن ينزل، أي حسدوه على أن ينزّل الله، ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: الذي هو الوحي، ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾: وتقتضي حكمته وإرساله، ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾: فصاروا أحقاء بغضب مترادف، لأنهم كفروا بنبيّ الحق وبغوا عليه، وقيل: كفروا بمحمد بعد عيسى، وقيل: بعد قولهم: عزيرُ ابن الله، وقولهم: «يد الله مغلولة»، وغير ذلك من أنواع كفرهم، ﴿بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾: مطلق فيما أنزل الله من كلّ كتاب، ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾: مقيد بالتوراة، ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أي: قالوا: ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾: منها غير مخالف له، وفيه ردّ لمقالتهم، لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها[١]، ثم اعترض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادّعائهم الإيمان بالتوراة والتوراة لا تسوّغ قتل الأنبياء.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: يجوز أن يكون حالاً، أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها، وأن يكون اعتراضاً بمعنى: وأنتم قوم عادتكم الظلم، وكرّر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الأول مع ما فيه من التوكيد ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما أمرتم به في التوراة ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾: قولك، ﴿وَعَصَيْنَا﴾/ ٥٠أ أمرك، فإن قلت: كيف طابق قوله جوابهم؟

---

(١) قال محمود رحمه الله: «أنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة... إلخ». قال أحمد رحمه الله: وهذه النكتة بعينها هي الموجب لكفر القدرية على أحد قولي مالك والشافعي والقاضي رضيَ الله عنهم، فإن العقائد الصحيحة السنية متلازمة متوافقة يصدق بعضها بعضاً. فجحد أحدها كفر به ثم كفر بالجميع، نسأل الله تعالى العصمة.

قلت: طابقه من حيث أنه قال لهم: اسمعوا، وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة، فقالوا: ﴿سَمِعْنَا﴾، ولكن لا سماع طاعة، ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾: أي تداخلهم حبه، والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصّبغ، وقوله: ﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾: بيان لمكان الإشراب، كقوله: ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾: [النساء: ١٠]. ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾: بسبب كفرهم، ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ﴾: بالتوراة، لأنه ليس في التوراة عبادة العجاجيل، وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم، كما قال قوم شعيب: ﴿أصلاتك تأمرك﴾ [هود: ٨٧] وكذلك إضافة الإيمان إليهم، وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تشكيك في إيمانهم وقدح في صحة دعواهم له.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿خَالِصَةً﴾: نصب على الحال من الدار الآخرة، والمراد الجنة، أي سالمة لكم، خاصة بكم، ليس لأحد سواكم فيها حق، يعني: إن صحّ قولكم، لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، و ﴿ٱلنَّاسِ﴾: للجنس وقيل: للعهد، وهم المسلمون، ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾؛ لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب، كما روى عن المبشرين بالجنة ما روى، كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة، فقال له ابنه الحسن: ما هذا بزيّ المحاربين، فقال: يا بنيّ، لا يبالي أبوك على الموت سقط، أم عليه سقط الموت، وعن حذيفة رضي الله عنه أنه كان يتمنى الموت، فلما احتضر قال: حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم. (٥٨) يعني: على التمني، وقال عمار بصفين: «الآن ألاقي الأحبة محمداً وحزبه»، (٥٩) وكان كل واحد من

---

٥٨ ـ أخرجه الحاكم (٤/٥٠٢).
وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
قال الحافظ بن حجر في «تخريج الكشاف»:
أخرجه الحاكم من طريق زيد بن سلام عن أبيه عن جده: «أن حذيفة لما احتضر قال: حبيب جاء على فاقة». انتهى.
٥٩ ـ أخرجه البزار رقم (١٢٦٩٠ ـ كشف).
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:

العشرة يحب الموت ويحنّ إليه، وعن النبي ﷺ ـ: «لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي» (٦٠) ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بما أسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد: ﷺ وبما جاء به، وتحريف كتاب الله، وسائر أنواع الكفر والعصيان، وقوله: ﴿ولن يتمنوه أبداً﴾: من المعجزات، لأنه إخبار بالغيب، وكان كما أخبر به، كقوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة ٢٤] فإن قلت: ما أدراك أنهم لم يتمنوا؟ قلت: لأنهم لو تمنوا، لنقل ذلك[٢] كما نقل سائر الحوادث، ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولى المطاعن في الإسلام أكثر من الذرّ، وليس أحد منهم نقل ذلك. فإن قلت: التمني من أعمال القلوب، وهو سر لا يطلع عليه أحد فمن أين علمت: أنهم لم يتمنوا؟ قلت: ليس التمني من أعمال القلوب إنما هو قول الإنسان بلسانه: ليت لي كذا، فإذا قاله قالوا: تمنى، وليت: كلمة التمني، ومحال أن يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب، ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا، لقالوا: قد تمنينا الموت في قلوبنا، ولم ينقل أنهم قالوا ذلك، فإن قلت: لم يقولوه، لأنهم علموا أنهم لا يصدّقون، قلت: كم حكى

= أخرجه الطبراني، والبزار من رواية ربيعة بن ناجد قال: قال لي عمار يوم صفين: «اليوم ألاقي الأحبة: محمداً وحزبه»، ورواه أبو نعيم في الحلية. من رواية أبي سنان قال: «رأيت عمار بن ياسر يوم صفين دعا بشراب، فأتى بقدح من لبن فشرب منه، ثم قال: صدق الله ورسوله: اليوم أُلاَقِي الأحبة: محمداً وحزبه». انتهى.

٦٠ ـ قال الزيلعي (١/ ٧٥) رقم (٥٤): «غريب بهذا اللفظ».
وأخرجه ابن جرير (٢/ ٣٦٣) رقم (١٥٦٧)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٨٤) رقم (٩٤١) عن ابن عباس موقوفاً بلفظ: «لو تمنوا الموت أشرق أحدهم بريقه» ا.هـ.
وأخرجه البخاري (٨/ ٥٩٥) كتاب التفسير، باب ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ حديث (٤٩٥٨).
قال الحافظ في الفتح: وقد أخرج ابن مردويه بإسناد ضعيف عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن العباس مثله ا.هـ.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
لم يخرجه. وقد أخرجه الطبري من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ موقوفاً. وأخرج البيهقي في الدلائل من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «أن النبي ـ ﷺ ـ قال لليهود: «إن كنتم صادقين في مقالتكم فقولوا: اللهم أمتنا. فوالذي نفسي بيده، لا يقولها رجل منكم إلاّ غص بريقه ومات مكانه. قالوا: فأنزل الله ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾، وفي البخاري من رواية عبد الكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال أبو جهل: «إن رأيت محمداً عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه. فقال النبي ـ ﷺ ـ: «لو فعل لأخذته الملائكة ـ زاد الإسماعيلي ـ: عياناً. قال ابن عباس: ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا. ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ـ ﷺ ـ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً»، وأخرجه ابن مردويه من هذا الوجه مثله. وزاد بعد قوله: «لماتوا»، «ورأوا مقاعدهم من النار». انتهى.

عنهم من أشياء قاولوا بها المسلمين من الإفتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدقين / ٥٠ب فيه ولا محمل له إلا الكذب البحت ولم يبالوا، فكيف يمتنعون من أن يقولوا إنّ التمني من أفعال القلوب وقد فعلناه، مع احتمال أن يكونوا صادقين في قولهم وإخبارهم عن ضمائرهم، وكان الرجل يخبر عن نفسه بالإيمان فيصدّق مع احتمال أن يكون كاذباً لأنه أمر خافٍ لا سبيل إلى الإطلاع عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: تهديد لهم ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾: هو من وجد بمعنى علم المتعدي إلى مفعولين في قولهم: وجدت زيداً ذا الحفاظ[1]، ومفعولاه: «هم أحرص»، فإن قلت: لم قال: ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ بالتنكير؟ قلت: لأنه أراد حياة مخصوصة، وهي الحياة المتطاولة؛ ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبيّ «على الحياة، ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾: محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس: أحرص من الناس، فإن قلت: ألم يدخل الذين أشركوا تحت الناس؟ قلت: بلى، ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد، ويجوز أن يراد: وأحرص من الذين أشركوا، فحذف: لدلالة أحرص الناس عليه، وفيه توبيخ عظيم، لأنّ الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلاّ الحياة الدنيا، فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم، فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقرّ بالجزاء كان حقيقاً بأعظم التوبيخ، فإن قلت: لم زاد حرصهم على حرص المشركين؟ قلت: لأنهم علموا ـ لعلمهم بحالهم ـ أنهم صائرون إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك، وقيل: أراد بالذين أشركوا المجوس، لأنهم كانوا يقولون لملوكهم: عش ألف نيروز وألف مهرجان، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: هو قول الأعاجم: زي هزار سال[2]، وقيل: «ومن الذين أشركوا» كلام مبتدأ، أي ومنهم ناس، ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾: على حذف الموصوف، كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] والذين أشركوا ـ على هذا ـ مشارٌ به إلى اليهود، لأنهم قالوا: عزير ابن الله، والضمير في: ﴿وَمَا هُوَ﴾: لأحدهم، و ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾: فاعل «بمزحزحه»، أي: وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره، وقيل: الضمير لما دلّ عليه «يعمر» من مصدره، وأن «يعمر» بدل منه، ويجوز أن يكون «هو»: مبهماً، وأن «يعمر» موضّحه، والزحزحة: التبعيد والإنحاء، فإن قلت: «يودّ أحدهم» ما موقعه؟ قلت: هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الإستئناف. فإن قلت: كيف اتصل لو يعمر بيودّ أحدهم؟ قلت: هو حكاية لودادتهم، و «لو»: في معنى التمني، وكان القياس: لو أعمر، إلا أنه جرى على لفظ الغيبة لقوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ كقولك: حلف بالله ليفعلنّ.

---

(١) قوله: «وجدت زيداً ذا الحفاظ» في الصحاح: يقال إنه لذو الحفاظ، وذو محافظة، إذا كانت له أنفة. (ع)

(٢) قوله: «زي هزار سال» زي بالفارسية بمعنى: عِش. وهزار بمعنى: ألف. وسال بمعنى: عام. (ع)

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾

روي: أن عبد الله بن صوريا من أحبار «فدك» حاجّ رسول الله ﷺ، وسأله عمن يهبط عليه بالوحي، فقال: جبريل، فقال: ذاك عدوّنا، ولو كان غيره لآمنا بك، وقد عادانا مراراً، وأشدّها أنه أنزل على نبينا أنّ بيت المقدس سيخربه بختنصّر، فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكيناً، فدفع عنه جبريل وقال: إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه، وإن لم يكن إياه فعلى /٥١أ أي حق تقتلونه، (٦١) وقيل: أمره الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا. وروي: أنه كان لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة، وكان ممرّه على مدارس اليهود، فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم، فقالوا: يا عمر، قد أحببناك، وإنا لنطمع فيك فقال: والله ما أجيئكم لحبكم، ولا أسألكم لأني شاك في ديني، وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد ﷺ، وأرى آثاره في كتابكم، ثم سألهم عن جبريل؟ فقالوا: ذاك عدوّنا يطلع محمداً على أسرارنا، وهو صاحب كل خسف وعذاب، وإنّ ميكائيل يجيء بالخصب والسلام. فقال لهم: وما منزلتهما من الله تعالى قالوا: أقرب منزلة، جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وميكائيل عدوّ لجبريل. فقال عمر: لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوّين، ولأنتم أكفر من الحمير، ومن كان عدواً لأحدهما كان عدواً للآخر، ومن كان عدواً لهما كان عدّواً لله. ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي، فقال النبي ﷺ: لقد وافقك ربك يا عمر. فقال عمر: لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر»، (٦٢) وقرىء: «جبرئيل»، بوزن قفشليل[(١)]

---

٦١ ـ قال الحافظ: لم أقف له على سند، وقال الزيلعي (١/ ٧٦) رقم (٥٥): «حديث غريب» ا.هـ.
وذكره الواحدي (١/ ١٧٩ ـ ١٨٠)، والبغوي (١/ ٩٦).
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
هكذا ذكره الثعلبي، والواحدي، والبغوي، فقالوا: روى ابن عباس: «أن حبراً من أحبار اليهود من فدك يقال له عبد الله بن صوريا فذكره»، ولم أقف له على سند. ولعله من تفسير الكلبي عن أبي صالح عنه. انتهى.

٦٢ ـ أخرجه ابن جرير في التفسير (٢/ ٣٨٤) رقم (٦١٣)، وذكره البغوي (١/ ٩٦) عن قتادة وعكرمة والسدي، وذكره السيوطي في الدر (١/ ١٧٥) مع اختلاف يسير في اللفظ مختصراً.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
=

---

(١) قوله «بوزن قفشليل» في الصحاح: القفشليل المغرفة، فارسي معرب. (ع)

و«جبرئل» بحذف الياء، و«جبريل» بحذف الهمزة، و«جبريل» بوزن قنديل، وجبرالّ بلام شديدة، و«جبرائيل» بوزن جبراعيل، و«جبرائل» بوزن جبراعل، ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة، وقيل معناه: عبد الله، الضمير في ﴿نَزَّلَهُۥ﴾: للقرآن، ونحو هذا الإضمار ـ أعني إضمار ما لم يسبق ذكره ـ فيه فخامة لشأن صاحبه، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: أي حفظه إياك وفهمكه، ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بتيسيره وتسهيله: فإن قلت: كان حقّ الكلام أن يقال: على قلبي[1]، قلت: جاءت على حكاية كلام الله تعالى كما تكلم به، كأنه قيل: قل ما تكلمت به من قولي: من كان عدوّاً لجبريل، فإنه نزله على قلبك، فإن قلت: كيف استقام قوله، «فإنه نزله»: جزاء للشرط[2]؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتاباً مصدّقاً للكتب بين يديه، فلوا أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم، والثاني: إن عاداه أحد، فالسبب في عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدّقاً لكتابهم وموافقاً له، وهم كارهون للقرآن

= أخرجه الواحدي في الأسباب من رواية داود بن أبي هند عن الشعبي، قال: «كان لعمر، فذكره سواه»، وأخرجه الطبري من طريق أسباط عن السدّي. قال في قوله: **﴿قل من كان عدواً لجبريل...﴾** الآية قال: «كان لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أرض بأعلى المدينة ـ إلى آخره ـ إلاّ أنه قال فقال عمر: والذي بعثك بالحق لقد جئتك وما أريد إلاّ أن أخبرك». انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت: كان حق الكلام أن يقال على قلبي... إلخ». قال أحمد رحمه الله: الحكاية مرة تكون مع التزام اللفظ، ومرة تكون بالمعنى غير متّبعة للفظ، فلعل الأمر في هذه الآية توجه على النبي عليه السلام أن يحكي معنى قول الله تعالى له: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ بلفظ المتكلّم ونظير هذا قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ إلى قوله ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ فانظر ما وقع بعد القول المنسوب إليهم مما يفهم أنه قول الله عزّ وجل لا على سبيل الحكاية عنهم، إذ هم لا يقولون: فأنشرنا، وإنما يقولون: فأنشر، على لفظ الغيبة ولكن جاء الكلام حكاية على المعنى، لأن معنى قولهم: فأنشر الله، هو معنى قول الله عن ذاته: فأنشرنا، ولا يستتب لك أن يجعل هذا من باب الخروج من الغيبة إلى التكلّم الذي يسمى التفاتاً، فإن في هذا مزيداً. ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ إلى قوله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ فأول الكلام يفهم قول موسى وآخره يفهم قول الله تعالى. والطريق الجامع في ذلك ما قررته والله أعلم.

(٢) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت كيف استقام قوله فإنه نزله جزاء للشرط... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: ويكون دخول الفاء في الجزاء على هذا الوجه مستحقاً لسببين: أحدهما أنه جملة اسمية، والآخر أنه ماضٍ صحيح.

ولموافقته لكتابهم، ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له، كقولك: إن عاداك فلان فقد آذيته وأسأت إليه، أُفرد الملكان بالذكر[1] لفضلهما كأنهما من جنس آخر، وهو مما ذكر أنّ التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات، وقرىء: ميكال، بوزن قنطار، وميكائيل كميكاعيل، وميكائل كميكاعل، وميكئل كميكعل، وميكئيل كميكعيل. قال ابن جنى: العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه/ ٥١ب ﴿عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾: أراد عدوّ لهم فجاء بالظاهر، ليدل على أنّ الله إنما عاداهم لكفرهم، وأن عداوة الملائكة كفر، وإذا كانت عداوة الأنبياء كفراً فما بال الملائكة وهم أشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشدّ العقاب.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟

---

(١) في قوله ـ تعالى ـ: «من كان عدو الله وملائكته ورسله وجبريل وميكال...» الآية. فيه إفراد الملكية بالذكر، وهذا إشارة إلى فن جليل من فنون القول البليغ وهو ذكر الخاص بعد العام، وهو نوع من أنواع الإطناب البلاغي لنكتة يريدها، المتكلم، والباحث في مسارات هذا اللون في كلام الله ورسوله يلحظ أن هذا اللون يفيد: ١ ـ التوكيد ٢ ـ التشريف ٣ ـ الإعظام ٤ ـ التنبيه على خصوصية فن الخاص ٥ ـ التهويل والتفظيع وغير ذلك من المعاني التي يدركها أهل الفروق البلاغي في مقامات هذا الأسلوب.
في الآية التي معنا: تنبيه على خصوصية في «جبريل وميكال» كما شرح ذلك المفسر العلامة. وهذا ما سنراه في قوله ـ تعالى ـ أيضاً ـ
﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [من الآية ١٩٧ البقرة] ففيه تخصيص لأولى الألباب بالخطاب لأنهم القابلون لأوامر الله الناهضون بها.
ونرى التهويل والإعظام في هذا اللون عند قوله ـ تعالى ـ.
«كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين».
فذكر «وأغرقنا آل فرعون» مع دخوله في عمومية ما قبله دليل على معنى يقصده الله ـ سبحانه ـ وراء هذا التخصيص، وقد فهم العلماء أن ذلك ما يفيد «التهويل والتفظيع وإعظام الفرق والعذاب الذي نزل بهم».
وفي هذا تخويف لكفار ـ مكة الذين يسيرون على هذا الدرب مع الظالمين ـ.
ومن أراد استيفاء هذا اللون الجميل فليراجع مصنفات البلاغيين.
«ينظر الإيضاح ٣/ ٢٢٤، وما بعدها، المطول للسعد ٢٩٢، ومفاتيح الغيب للرازي ٣/ ١٩١، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٢/ ٢٩٠، ٤/ ٢٥٢، وروح المعاني للألوسي ٢/ ٨٦، ١٠/ ١٢، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٩٤، ٤/ ٥٠٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٨٩٤، وفتح القدير للشوكاني ٢/ ٢٦١، ٤/ ٤٠، ٢/ ٣١٨، كما ينظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٤/ ٢٩، والنسفي ٢/ ١٠٨، علم المعاني في فتح القدير للشوكاني ـ د. فتحي حجازي ٢/ ٧٠٧ وما بعدها.
(٢) قوله «فما بال الملائكة وهم أشرف» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فالأنبياء أشرف. (ع)

﴿عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٠ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾

﴿إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: إلا المتمرّدون من الكفرة، وعن الحسن: إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره، وعن ابن عباس رضي الله عنه: قال ابن صوريا لرسول الله ﷺ: ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها (٦٣) فنزلت، واللام في ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: للجنس، والأحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب، ﴿أَوَكُلَّمَا﴾: الواو: للعطف على محذوف معناه: أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا: وقرأ أبو السَّمَّال بسكون الواو على أنّ الفاسقون بمعنى الذين فسقوا، فكأنه قيل: وما يكفر بها إلا الذين فسقوا، أو نقضوا عهد الله مراراً كثيرة، وقرىء «عوهدوا وعهدوا» واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود، وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا، وكم عاهدهم رسول الله ﷺ فلم يفوا، ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ [الأنفال: ٥٦]، والنبذ الرمي بالذمام[(١)] ورفضه، وقرأ عبد الله «نَقَضَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ»: وقال فريق منهم، لأنّ منهم من لم ينقض، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بالتوراة وليسوا من الدين في شيء، فلا يعدّون نقض المواثيق ذنباً ولا يبالون به، ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: يعني التوراة، لأنهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها، وقيل: كتاب الله القرآن، نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول، ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنه كتاب الله لا يدخلهم فيه شك[(٢)]، يعني أن علمهم بذلك رصين، ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم، مثل لتركهم وإعراضهم عنه، مثل بما يرمى بها وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه، وعن الشعبي: هو بين أيديهم يقرؤنه، ولكنهم نبذوا العمل به، وعن سفيان: أدرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب، ولم يحلوا حلاله ولم يحرّموا حرامه.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟

---

٦٣ - أخرجه ابن جرير (٢/ ٣٩٨) رقم (١٦٣٧)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٩٤) رقم (٩٧٦)، وذكره السيوطي في الدر (١/ ١٨١)، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق، حدثني محمد بن أبي محمد حدثني سعيد بن جبير عنه بهذا انتهى.

---

(١) قوله «بالذمام» في الصحاح: الذمام الحرمة. (ع)
(٢) قوله «لا يدخلهم فيه شك» لعله علماً لا يدخلهم فيه شك. (ع)

يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾: أي نبذوا كتاب الله واتّبعوا، ﴿مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، يعني: واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: على عهد ملكه وفي زمانه، وذلك أنّ الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة، وقد دوّنوها في كتب يقرءونها ويعلمونها الناس، وفشا ذلك في زمن سليمان ـ عليه السلام ـ حتى قالوا: إن الجن تعلم الغيب، وكانوا يقولون: هذا علم سليمان، وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم، وبه تسخر الإنس والجن والريح التي تجري بأمره، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾: تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به[(١)] سليمان من اعتقاد السحر والعمل به، وسماه كفراً، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: هم الذين ﴿كَفَرُوا۟﴾، باستعمال / ٥٢أ السحر وتدوينه، ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾: يقصدون به إغواءهم وإضلالهم، ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾: عطف على السحر، أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين، وقيل: هو عطف على ما تتلو، أي واتبعوا ما أنزل، ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾: عطف بيان للملكين علمان لهما، والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس، من تعلمه منهم وعمل به كان كافراً، ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به؛ ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمناً [من الهزج]:

عَـرَفْـتُ الـشَّـرَّ لاَ لِـلـشَّـرْ ... رِ لَـكِـنْ لِـتَـوَقِّـيـهِ[(٢)]

كما ابتلى قوم طالوت بالنهر، ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾

---

(١) قوله «لما بهتت به» أي قالت عليه ما لم يفعله. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) عـرفـت الـشـر لا لـلـشـر ... ر لـكـن لـتـوقـيـه
فـمـن لا يـعـرف الـشـر ... مـن الـنـاس يـقـع فـيـه

لأبي نواس. ومعنى «لكن» هنا. للإضراب الانتقالي. ويمكن أن يتوهّم من قوله «لا للشر» أنه لم يعرف الشر لأجل شيء من متعلقاته رأساً فدفع هذا التوهُّم بقوله: لكن عرفته لتوقيه، فهي للاستدراك. أي عرفته لأجل التحفُّظ منه. و «من الناس» بيان لمن مؤكد للعموم، ويقع جزم في جواب الشرط، أي من جهل الشر وقع فيه، كالمار إذا جهل البئر المغطاة في طريقه. واستروحوا بذلك لجواز تعلُّم نحو السحر للتمكن من تجنبه. ويجوز أن «من الناس» صفة للشر، و «من» بيانية أو ابتدائية. ويروى «من الخير» أي من لم يميز الشر من الخير يقع في الشر.

[البقرة: ٢٤٩]، وقرأ الحسن: «على الملكين»: بكسر اللام، على أنّ المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل: وما يعلم الملكان أحداً حتى ينبّهاه وينصحاه ويقولا له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: أي ابتلاء واختبار من الله، ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾: فلا تتعلم معتقداً أنّه حق فتكفر، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾: الضمير لما دلّ عليه من أحد، أي فيتعلم الناس من الملكين، ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ أي علم السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه، كالنفث في العقد، ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف[1] ابتلاء منه، لا أنّ السحر له في نفسه بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لأنه ربما أحدث الله عنده فعلاً من أفعاله وربما لم يحدث ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾؛ لأنهم يقصدون به الشر، وفيه أن اجتنابه أصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجرّ إلى الغواية، ولقد علم هؤلاء اليهود أن من اشتراه أي استبدل ما تتلو الشياطين من كتاب الله، ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾: من نصيب، ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾: أي باعوها، وقرأ الحسن: الشياطون، وعن بعض العرب: بستان فلان حوله بساتون، وقد ذكر وجهه فيما بعد، وقرأ الزهري: «هاروتُ وماروتُ»: بالرفع على: هما هاروت وماروت، وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف، ولو كانا من الهرت والمرت ـ وهو الكسر كما زعم بعضهم ـ لانصرفا، وقرأ طلحة «وما يعلمان» من أعلم، وقرىء: «بين المرء»: بضم الميم وكسرها مع الهمز، والمرّ، بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف[2]، كقولهم: فرج، وإجراء الوصل مجرى الوقف، وقرأ الأعمش: وَمَا هُمْ بضاريّ، بطرح النون والإضافة إلى أحد والفصل بينهما بالظرف، فإن قلت: كيف يضاف إلى أحد وهو مجرور بمن؟ قلت: جعل الجار جزءاً[3] من المجرور[4]، فإن قلت:

---

(١) قوله «الفرك والنشوز» في الصحاح الفرك بالكسر البغض ولا يستعمل إلا بين الزوجين وقوله لا أن السحر . . . إلخ: مبني على مذهب المعتزلة من أن السحر لا حقيقة له ولا تأثير له. وذهب أهل السنة إلى إثباته وإثبات تأثيره وإن كان تأثير كل شيء في غيره لا يكون إلا بإذنه تعالى وهذا هو ظاهر الكتاب وظاهر السنة. (ع)

(٢) قوله «على تقدير التخفيف والوقف» أي في لغة من وقف بالتضعيف. (ع)

(٣) قوله «قلت جعل الجار جزءاً» ونظيره لا أبالك. (ع)

(٤) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وهذا التخريج ليس بجيد؛ لأن الفصل بين المتضايفين بالظرف والمجرور من ضرائر الشعر، وأقبح من ذلك ألا يكون ثم مضاف إليه؛ لأنه مشغول بعامل جر فهو المؤثر فيه لا ـ الإضافة، وأما جعله حرف الجر جزءاً من المجرور فليس بشيء؛ لأن هذا مؤثر فيه وجزء الشيء لا يؤثر فيه. وفي قول الشيخ نظر؛ أما كون الفصل من ضرائر الشعر فليس كما قال؛ لأنه قد فصل بالمفعول به في قراءة ابن عامر فبالظرف وشبهه أولى، وأما قوله: «لأن جزء الشيء لا يؤثر فيه» فإنما ذلك في الجزء الحقيقي وهذا إنما قال: ننزله منزلة الجزء ويدل على ذلك قول النحويين: الفعل كالجزء من الفاعل، ولذلك أنث لتأنيثه، ومع ذلك فهو مؤثر فيه. انتهى. الدر المصون.

كيف أثبت لهم العلم أولاً في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾: على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾؟ قلت: معناه لو كانوا يعملون بعلمهم، جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾: برسول الله والقرآن، ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾: الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب /٥٢ب الشياطين، ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾، وقرىء: «لَمَثْوَبَةٌ»، كمشورة ومشورة، ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: أنّ ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا، ولكنه جهلهم لترك العمل بالعلم، فإن قلت: كيف أوثرت الجملة الإسمية على الفعلية في جواب لو؟ قلت: لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب إلى الرفع في سلام عليكم[1] لذلك، فإن قلت: فهلا قيل لمثوبة الله خير؟ قلت: لأن المعنى: لشيء من الثواب خير لهم، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾: تمنياً[2]، لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم له، كأنه قيل: وليتهم آمنوا، ثم ابتدىء لمثوبة من عند الله خير، كان المسلمون يقولون لرسول الله ـ ﷺ ـ إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم: راعنا يا رسول الله، أي راقبنا وانتظرنا، وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه، وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية، وهي «راعينا» فلما سمعوا بقول المؤمنين: راعنا، افترصوه وخاطبوا به الرسول ـ ﷺ ـ وهم يعنون به تلك المسبة، فنهى المؤمنون عنها وأُمروا بما هو في معناها، وهو: ﴿ٱنظُرْنَا﴾ من نظره إذا انتظره، وقرأ أُبيّ: «انظرنا» من النظرة، أي أمهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود: «راعونا»، على أنهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير: وقرأ الحسن: «راعناً»، بالتنوين من الرعن وهو الهوج، أي: لا تقولوا قولاً راعنا منسوباً إلى الرعن رعيناً، كدارع ولابن،

---

(١) قال السمين الحلبي: أي: ليتهم آمنوا على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم له؛ فعلى هذا لا يلزمُ أن يكون لها جواب؛ لأنها قد تجاب بالفاء حينئذٍ، وفي كلامه اعتزال. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود رحمه الله: «ويجوز أن يكون قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ تمنياً. . . إلخ» قال أحمد رحمه الله: التمني مجاز عن إرادة الله تعالى لإيمانهم وتقواهم من طراز تفسيره للعل بالإرادة والرد عليه على سبيل ثم. قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «لم يعهد في كلام العرب وقوع الجملة الابتدائية جوابًا لـ «لو» إنما جاء هذا المختلف في تخريجه، ولا تثبت القواعد الكلية بالمحتمل. انتهى. الدر المصون.

لأنه لما أشبه قولهم: راعينا، وكان سبباً في السب اتصف بالرعن ﴿وَٱسۡمَعُواۗ﴾: وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله - ﷺ - ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة، حتى لا تحتاجوا إلى الإستعانة وطلب المراعاة، أو واسمعوا سماع قبول وطاعة، ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا: سمعنا وعصينا، أو واسمعوا ما أمرتم به بجدّ حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتم عنه، تأكيداً عليهم ترك تلك الكلمة، وروي: أن سعد بن معاذ سمعها منهم، فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله، والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله - ﷺ - لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها فنزلت. (٦٤) ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾: ولليهود الذين تهاونوا برسول الله - ﷺ - وسبوه ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: من الأولى للبيان، لأنّ الذين كفروا جنس تحته نوعان: أهل الكتاب، والمشركون؛ كقوله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البينة: ١]، والثانية: مزيدة لاستغراق الخير، والثالثة لابتداء الغاية، والخير الوحي، وكذلك الرحمة كقوله تعالى: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾ [الزخرف: ٣٢]، والمعنى: أنّهم يرون أنفسهم أحقّ بأن يوحى إليهم فيحسدونكم وما يحبّون أن ينزّل عليكم شيء من الوحي، ﴿وَٱللَّهُ﴾ يختصّ بالنبوة، ﴿مَن يَشَآءُ﴾: ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: إشعار بأنّ إيتاء النبوّة من الفضل العظيم؛ كقوله/٥٣أ تعالى: ﴿إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٧].

﴿۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾

رُوي أنهم طعنوا في النسخ فقالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر، ثم ينهاهم

---

٦٤ - أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة؛ كما ذكره السيوطي في الدر (١/ ١٩٥)، وهو من طريق محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.
وقال الحافظ: والسدي هذا الصغير متروك وكذا شيخه. انتهى.

عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً؟ فنزلت، وقرىء: «ما ننسخ من آية»: وما «نُنسخ» بضم النون، ومن أنسخ، أو ننسأها، وقرىء: «ننسها» و«ننسها» بالتشديد، و«تنسها»، و«تنسها»، على خطاب رسول الله ـ ﷺ ـ، وقرأ عبد الله: «ما ننسك من آية أو ننسخها» وقرأ حذيفة: «ما ننسخ من آية أو ننسكها»، ونسخ الآية: إزالتها بإبدال أخرى مكانها وإنساخها، الأمر بنسخها، وهو أن يأمر جبريل ـ عليه السلام ـ بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها، ونسؤها، تأخيرها وإذهابها، لا إلى بدل، وإنساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب، والمعنى أنّ كلّ آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معاً، أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل، ﴿نَأْتِ﴾: بآية خير منها للعباد، أي بآية العمل بها أكثر للثواب أو مثلها في ذلك، ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فهو يقدر على الخير، وما هو خير منه، وعلى مثله في الخير، ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فهو يملك أموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم، وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ، لما بين لهم أنه مالك أمورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره، وقررهم على ذلك بقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى ـ عليه السلام ـ من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالاً عليهم كقولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾، [الأعراف: ١٣٨]، ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، [النساء: ١٥٣]، وغير ذلك، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة، وشك فيها، واقترح غيرها، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: روي: أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفراً من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: ألم يروا ما أصابكم، ولو كنتم على الحق ما هزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل، ونحن أهدى منكم سبيلاً، فقال عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد. قال: فإني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت. فقالت اليهود: أما هذا فقد صبأ، وقال حذيفة: وأما أنا فقد رضيت بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً، وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخواناً. ثم أتيا رسول الله ـ ﷺ ـ وأخبراه فقال: «أصبتما خيراً وأفلحتما، (٦٥) فنزلت». فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾[1]؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يتعلق بـ «وَدَّ»، على

---

٦٥ ـ قال الحافظ «لم أجده مسنداً وهو في تفسير الثعلبي بلا سند ولا راوٍ» ا.هـ.
وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٧٩): «غريب وهو في تفسير الثعلبي هكذا من غير سند ولا راوٍ».

---

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت: بم تعلق قوله من عند أنفسهم... إلخ؟» قال أحمد رحمه الله: =

معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم، لا من قبل التدين والميل مع الحق، لأنهم ودّوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق، فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق؟ وإما أن يتعلق/ ٥٣ب بحسدا، أي: حسداً متبالغاً منبعثاً من أصل أنفسهم، ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾: فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ الذي هو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: فهو يقدر على الانتقام منهم، ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾: من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما، ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: تجدوا ثوابه عند الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: عالم لا يضيع عنده عمل عامل.

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١١١) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)﴾

الضمير في ﴿وَقَالُوا۟﴾: لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمعنى: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فلف بين القولين ثقة بأنّ السامع يردّ إلى كل فريق قوله، وأمناً من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٣٥]، والهود: جمع هائد، كعائذ وعُوذ، وبازل وبُزل، فإن قلت: كيف قيل كان هوداً على توحيد الاسم وجمع الخبر؟ قلت: حمل الاسم على لفظ «من» والخبر على معناه، كقراءة الحسن إلا من هو صالو الجحيم، وقوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [الجن: ٢٣]، وقرأ أبيّ بن كعب: «إلا من كان يهودياً أو نصرانياً». فإن قلت: لم قيل: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [الجن ٢٣] وقولهم: «لن يدخل الجنة» أمنية واحدة[1]؟ قلت: أشير بها إلى الأماني المذكورة وهو أمنيتهم[2] أن لا ينزل على المؤمنين

= يبعد الوجه الثاني دخول عند. ويقرب الأول قوله تعالى ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾.

(١) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت: لم قيل تلك أمانيهم وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: يبعد هذا الجواب قوله تعالى عقيب ذلك: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فإن البرهان المطلوب منهم ههنا إنما هو على صحة دعواهم أن الجنة لا يدخلها غيرهم. ويحقق هذا قوله ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ فإنما يعني الجنة ونعيمها، رداً عليهم في نفي غيرهم عن دخولها ففي هذا دليل بين على أن الأماني المشار إليها ليس إلا ما طولبوا بإقامة البرهان على صحته وهو أمنية واحدة والله أعلم. والجواب القريب: أنهم لشدة تمنيهم لهذه الأمنية ومعاودتهم لها وتأكدها في نفوسهم جمعت، ليفيد جمعها أنها متأكدة في قلوبهم، بالغة =

خير من ربهم، وأمنيتهم أن يردّوهم كفاراً، وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم: أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم، وقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾: متصل بقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾، و ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: اعتراض، أو أريد أمثال تلك الأمنية أمانيهم، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، يريد أن أمانيهم جميعاً في البطلان مثل أمنيتهم هذه، والأمنية أفعولة من التمني، مثل الأضحوكة والأعجوبة، ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾: هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: في دعواكم، وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين، وأن كل قول لا دليل عليه، فهو باطل غير ثابت، و «هات»: صوت بمنزلة هاء، بمعنى أحضر، ﴿بَلَىٰ﴾: إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: في عمله[1] ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ﴾: الذي يستوجبه. فإن قلت: «من أسلم وجهه» كيف موقعه؟ قلت: يجوز أن يكون ﴿بَلَىٰ﴾ رداً لقولهم، ثم يقع، «من أسلم»: كلاماً مبتدأ، ويكون «من»: متضمناً لمعنى الشرط، وجوابه: «فله أجره»، وأن يكون «من أسلم»: فاعلاً لفعل محذوف، أي بلى يدخلها من أسلم، ويكون قوله «فله أجره»: كلاماً معطوفاً على يدخلها من أسلم.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: أي على شيء يصح ويعتدّ به، وهذه مبالغة عظيمة، لأن المحال

= منهم كل مبلغ، والجمع يفيد ذلك وإن كان مؤداه واحداً. ونظيره قولهم: معاً جياع، فجمعوا الصفة ومؤداها واحد، لأن موصوفها واحد تأكيداً لثبوتها وتمكنها. وهذا المعنى أحد ما روي في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ فإنه جمع قليلاً وقد كان الأصل إفراده، فيقال لشرذمة قليلة كقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ لولا ما قصد إليه من تأكيد معنى القلة بجمعها. ووجه إفادة الجمع في مثل هذا للتأكيد أن الجمع يفيد بوضعه الزيادة في الآحاد، فنقل إلى تأكيد الواحد، وإبانة زيادته على نظرائه نقلاً مجازياً بديعاً، فتدبر هذا الفصل فإنه من نفائس صناعة البيان والله الموفق.

(٢) قوله «وهو أمنيتهم» لعله: وهي. (ع)

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا منه جنوح إلى الاعتزال» انتهى. الدر المصون.

والمعدوم/ ٥٤أ يقع عليهما اسم الشيء[(١)]، فإذا نفي إطلاق اسم الشيء عليه، فقد بولغ في ترك الإعتداد به إلى ما ليس بعده[(٢)]، وهذا كقولهم: أقل من لا شيء، ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: الواو للحال، والكتاب للجنس، أي قالوا ذلك، وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب، وحق من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به أن لا يكفر بالباقي؛ لأن كل واحد من الكتابين مصدّق للثاني شاهد بصحته، وكذلك كتب الله جميعاً متواردة على تصديق بعضها بعضاً: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج، ﴿قَالَ﴾: الجهلة، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: لا علم عندهم، ولا كتاب، كعبدة الأصنام والمعطلة ونحوهم، قالوا لأهل كل دين: ليسوا على شيء، وهذا توبيخ عظيم لهم، حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم، وروي: أن وفد نجران لمّا قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحبار اليهود، فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت النصارى لهم نحوه، وكفروا بموسى والتوراة، (٦٦) ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾: بين اليهود والنصارى ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه، وعن الحسن: حكم الله بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار ﴿أَن يُذْكَرَ﴾: ثاني مفعولي منع، لأنك تقول: منعته كذا، ومثله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ﴾، [الاسراء: ٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ [الكهف: ٥٥] ويجوز أن يحذف حرف الجر مع أن، ولك أن تنصبه مفعولاً له بمعنى كراهة أن يذكر، وهو حكم عام لجنس مساجد الله، وأن مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم، والسبب فيه أن النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه، وأن الروم غزوا أهله فخربوه وأحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا، وقيل: أراد به منع المشركين رسول الله ـ ﷺ ـ أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية. فإن قلت: فكيف قيل مساجد الله وإنما وقع

---

٦٦ ـ أخرجه ابن جرير (٢/٥١٣) رقم (١٨١١)، وابن أبي حاتم (١/٣٣٨ ـ ٣٣٩) رقم (١١١٠)، وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/١٩٠) رقم (٦٢٥)، وذكره السيوطي في الدر (١/٢٠٣).
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:
أخرجه الطبري من رواية ابن إسحاق، حدثني محمد بن أبي محمد، حدثني سعيد أو عكرمة عن ابن عباس به، وفيه: «أن قائل اليهود اسمه رافع بن حريملة». انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه الله: «هذه مبالغة عظيمة لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء... إلخ». قال أحمد رحمه الله: وتفسيره الشيء مخالف لفريقي أهل السنة والبدعة، فإنه عند أهل السنة قاصر على الموجود وعند المعتزلة يطلق على الموجود وعلى المعدوم الذي يصح وجوده، فليس متناولاً للحال بحال عندهما، وقد تقدم له مثله.

(٢) قوله «إلى ما ليس بعده» لعل المعنى: إلى حد ليس بعده حد. (ع)

المنع والتخريب على مسجد واحد هو بيت المقدس أو المسجد الحرام؟ قلت: لا بأس أن يجيء الحكم عاماً، وإن كان السبب خاصاً، كما تقول لمن آذى صالحاً واحداً: ومن أظلم ممن آذى الصالحين، وكما قال الله عز وجل: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ [الهمزة: ١] والمنزول فيه الأخنس بن شريق، ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾: بانقطاع الذكر أو بتخريب البنيان، وينبغي أن يراد بـ «من»: منع العموم كما أريد بمساجد الله، ولا يراد الذين منعوا بأعيانهم من أولئك النصارى أو المشركين، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: المانعون، ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ﴾: أي ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله، ﴿إِلَّا خَآئِفِينَ﴾: على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم، فضلاً أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها، والمعنى: ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوّهم، وقيل: ما كان لهم في حكم الله، يعني: أن الله/ ٥٤ب قد حكم وكتب في اللوح أنه ينصر المؤمنين ويقوّيهم حتى لا يدخلوها إلا خائفين. روى: أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكراً / مسارقة، وقال قتادة: لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا أنهك ضرباً وأبلغ إليه في العقوبة، وقيل: نادى رسول الله ـ ﷺ ـ: «ألا لا يحجنّ بعد هذاالعام مشرك، ولا يطوفنّ بالبيت عُريان» (٦٧) وقرأ أبو عبد الله: «إلا خيفاً»، وهو مثل صيم[1]، وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد: فجوّزه أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ، ولم يجوزه مالك، وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره، وقيل: معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ﴿خِزْيٌ﴾: قتلٌ وسبيٌ، أو ذلة بضرب الجزية، وقيل: فتح مدائنهم قسطنطينية وروميه وعمورية.

---

٦٧ ـ أخرجه البخاري (٤/ ٢٨٧) كتاب الحج، باب لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك، حديث (١٦٢٢).

ومسلم (٥/ ١٢٦) كتاب الحج، باب لا يحج البيت مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان حديث (١٣٤٧).

وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٢١٠) تفسير سورة مريم: وعزاه أيضاً لابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل.

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:

متفق عليه من رواية حميد بن عبد الرحمن: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ انتهى.

---

(١) قوله «وهو مثل صيم» في الصحاح: قوم صوم وصيم. (ع)

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ﴾: أي بلاد المشرق والمغرب، والأرض كلها لله هو مالكها ومتوليها، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ﴾: ففي أي مكان فعلتم التولية، يعني تولية وجوهكم شطر القبلة؛ بدليل قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة ١٥٠]، ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾: أي جهته التي أمر بها ورضيها؛ والمعنى: أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس، فقد جعلت لكم الأرض مسجداً فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها، وافعلوا التولية فيها، فإن التولية ممكنة في كل مكان لا يختص [إسكانها] في مسجد دون مسجد، ولا في مكان دون مكان، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾: الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بمصالحهم، وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة: أينما توجهت، وعن عطاء: عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة، فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا، وقيل: معناه: فأينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة، وقرأ الحسن: «فأينما تُولوا»، بفتح التاء من التولي يريد: فأينما توجهوا القبلة.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَقَالُواْ﴾: وقرىء بغير واو، يريد الذين قالوا: المسيح ابن الله، وعزير ابن الله، والملائكة بنات الله، ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾: تنزيه له عن ذلك وتبعيد، ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: هو خالقه ومالكه، ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح، ﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: منقادون، لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته، ومن كان بهذه الصفة لم يجانس، ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد، والتنوين في ﴿كُلّٞ﴾: عوض من المضاف إليه، أي كل ما في السمٰوات والأرض، ويجوز أن يراد كلّ من جعلوه لله ولداً له قانتون، مطيعون، عابدون، مقرون بالربوبية، منكرون لما أضافوا إليهم، فإن قلت: كيف جاء بما التي لغير أولي العلم مع قوله قانتون[1]؟ قلت: هو كقوله: سبحان ما سخركنّ لنا، وكأنه جاء بـ (ما) دون (من)، تحقيراً لهم، وتصغيراً لشأنهم، كقوله: ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ﴾ [الصافات: ١٥٨].

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا بعيد جداً؛ لأن المجعول ولداً لم يجر له ذكر، ولأن الخبر يشترك فيه المجعول «ولداً» وغيره. قوله: «لم يجر له ذكر» بل قد جرى ذكره فلا بعد فيه. انتهى. الدر المصون.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾

/ ٥٥أ يقال: بدع الشيء فهو بديع؛ كقولك: بزع الرجل[١] فهو: بزيع، و﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، أي: بديع سمٰواته وأرضه، وقيل: البديع بمعنى المبدع، كما أنّ السميع في قول عمرو: [الوافر]

أمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ ....[٢]

بمعنى المسمع، وفيه نظر، ﴿كُن فَيَكُونُ﴾: من كان التامّة، أي احدث فيحدث، وهذا مجاز من الكلام، وتمثيل، ولا قول ثم، كما لا قول في قوله [من الرجز]:

إِذْ قَالَتِ الأَنْسَاعُ لِلْبَطْنِ: الْحَقِي[٣]

وإنما المعنى: أنّ ما قضاه من الأمور، وأراد كونه؛ فأنما يتكوّن، ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف، كما أنّ المأمور المطيع الذي يؤمر، فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الإباء، أكد بهذا استبعاد الولادة، لأنّ من كان بهذه الصفة من القدرة، كانت حاله مباينة لأحوال الأجسام في توالدها، وقرىء: «بديعِ السمٰوات» مجروراً على أنه بدل من الضمير في له، وقرأ المنصور بالنصب على المدح.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: وقال الجهلة من المشركين، وقيل من أهل الكتاب، ونفى

---

(١) قوله «بزع الرجل» بزع بالزاي كظرف وزناً ومعنى. أفاده الصحاح وصرح كقولك بأنه لا يوصف به الأحداث. (ع)

(٢) مر شرح هذا الشاهد عند تفسير آية ١٠ فراجعه إن شئت اهـ.

(٣) إِذْ قالت الأنساع للبطن: الْحَقِي قدماً فآضت كالفنيق المحنق

لأبي النجم العجلي. والنسع ـ بالكسر ـ: حزام عريض يشد به وسط الدابة وستر الهودج. والحق: فعل أمر، أي التصق يا بطن بالظهر وانضمر. وقدوماً: نصب على المصدر بمحذوف أو بما قبله على أنه مفعول له. وآض يئيض أيضاً: إذا صار يصير، أو رجع يرجع، أي صارت الناقة كالفنيق. ويروى: فأحنت، أي حقدت واغتاظت الناقة، وأصله بكسر الحاء فسكن تخفيفاً كما تقدم في ضجر ودبر. والفنيق: الفحل المنعم المكرم. يقال: أفنقه، إذا نعمه. وجارية فنقة: ناعمة. والمحنق: المغيظ، من الحنق وهو الحقد والغيظ. ويروى «إذ قالت» بدل «إذا قالت». والحق: بوصل الهمزة وقطعها. والمحنق بسكون الحاء، فيكون من الرجز، لا من الطويل. وقدم قدماً، كنصر نصراً، إذا تقدم. والظاهر أن هذه الرواية هي الصواب لكثرة رجز أبي النجم. وإثبات القول للأنساع ومخاطبتها البطن من باب التمثيل. والمعنى أنه شد عليها أدوات السفر فاغتاظت غيظاً شديداً، كالفحل المكرم الذي غاظه غيره.

عنهم العلم؛ لأنهم لم يعملوا به، ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾، هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلّم موسى؟ استكباراً منهم وعتوّاً، ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾: جحوداً، لأن يكون ما أتاهم من آيات الله آيات، واستهانة بها، ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى؛ كقوله: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾ [الذاريات: ٥٣]، ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ﴾، ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها، والإذعان لها، والإكتفاء بها عن غيرها.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾: لأن تبشر وتنذر لا لتجبر على الإيمان، وهذه تسلية لرسول الله - ﷺ - وتسرية عنه، لأنه كان يغتم ويضيق صدره؛ لإصرارهم وتصميمهم على الكفر، ولا نسألك: ﴿عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم، كقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] وقرىء: «ولا تَسْأَلْ» على النهي. روي أنه قال: «ليت شعري ما فعل أبواي»، فنهى عن السؤال عن أحوال الكفرة والإهتمام بأعداء الله، وقيل: معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب، كما تقول: كيف فلان؟ سائلاً عن الواقع في بلية، فيقال لك: لا تسأل عنه، ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته، فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره، أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع وإضجاره، فلا تسأل، وتعضد القراءة الأولى قراءة عبد الله: «ولن تسأل»، وقراءة أبيّ: «وما تسأل».

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾

كأنهم قالوا: لن نرضى عنك، وإن أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا؛ إقناطاً منهم لرسول الله - ﷺ - عن دخولهم في الإسلام، فحكى الله عزّ وجلّ كلامهم، ولذلك قال: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾: على طريقة إجابتهم عن قولهم، يعني أن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق، والذي يصح أن يسمى هدى، وهو الهدى كله ليس وراءه هدى، وما تدعون/ ٥٥ب إلى اتباعه ما هو بهدى؛ إنما هو هوى، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع، ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: أي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: هم مؤمنو أهل الكتاب، ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾: لا يحرّفونه، ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله ـ ﷺ ـ ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ﴾: بكتابهم دون المحرفين، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾: من المحرفين ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: حيث اشتروا الضلالة بالهدى.

﴿۞ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾: اختبره بأوامر ونواه، واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه عن اختيار[1] أحد الأمرين: ما يريد الله، وما يشتهيه العبد، كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك، وقرأ أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ وهي قراءة ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «إبراهيمُ ربَّه»: رفع إبراهيم ونصب ربه، والمعنى: أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهنّ أم لا؟ فإن قلت: الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير، فتعليق الضمير به إضمار قبل الذكر، قلت: الإضمار قبل الذكر أن يقال: ابتلى ربه إبراهيم، فأما ابتلى إبراهيم ربه، أو ابتلى ربه إبراهيم، فليس واحداً منهما بإضمار قبل الذكر، أما الأوّل: فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكراً ظاهراً، وأما الثاني: فإبراهيم فيه مقدّم في المعنى، وليس كذلك: ابتلى ربه إبراهيم، فإن الضمير فيه قد تقدم لفظاً ومعنى فلا سبيل إلى صحته، والمستكن في ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: في إحدى القراءتين لإبراهيم بمعنى: فقام بهنّ حق القيام وأداهنّ أحسن التأدية من غير تفريط وتوان، ونحوه: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾﴾ [النجم ٣٧] وفي الأخرى لله تعالى بمعنى: فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئاً، ويعضده ما روي عن مقاتل أنه فسر الكلمات بما سأل إبراهيم ربه في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة ١٢٨]، ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة ١٢٩]، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة ١٢٧]، فإن قلت: ما العامل في إذ؟ قلت: إما مضمر نحو: واذكر إذ ابتلى أو إذ ابتلاه كان كيت وكيت، وإما: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ﴾، فإن قلت: فما موقع قال؟ قلت: هو على الأوّل استئناف، كأنه قيل: فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات؟ فقيل: قال: إني جاعلك للناس إماماً، وعلى الثاني

(١) قوله «تمكينه عن اختيار» لعله من.

جملة معطوفة على ما قبلها، ويجوز أن يكون بياناً لقوله: (ابتلى)، وتفسيراً له، فيراد بالكلمات ما ذكره من الإمامة، وتطهير البيت، ورفع قواعده، والإسلام قبل ذلك في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ [البقرة ١٣١]، وقيل في الكلمات: هنّ خمس في الرأس: الفرق، وقص الشارب، والسواك، والمضمضة، والاستنشاق، وخمس في البدن: الختان، والإستحداد، والإستنجاء، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقيل: ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين سهماً: عشر في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وعشر في المؤمنون: و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾/ ٥٦أ [المعارج: ٣٤]، وقيل: هي مناسك الحج، كالطواف، والسعي، والرمي، والإحرام، والتعريف، وغيرهنّ، وقيل: ابتلاه بالكوكب، والقمر، والشمس، والختان، وذبح ابنه، والنار، والهجرة، والإمام: اسم من يؤتم به على زنة الآله، كالإزار لما يؤتزر به، أي يأتمون بك في دينهم، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾: عطف على الكاف، كأنه قال: وجاعل بعض ذريتي، كما يقال لك: سأكرمك، فتقول: وزيداً، ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: وقرىء: «الظالمون»، أي من كان ظالماً من ذرّيتك. لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة، وإنما ينال من كان عادلاً بريئاً من الظلم، وقالوا: في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة، وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته، ولا تجب طاعته؛ ولا يقبل خبره، ولا يقدّم للصلاة، وكان أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ يفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن عليّ ـ رضوان الله عليهما ـ، وحمل المال إليه، والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالإمام والخليفة، كالدوانيقي وأشباهه، وقالت له امرأة: أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل، فقال: ليتني مكان ابنك، وكان يقول في المنصور وأشياعه: لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عدّ آجره لما فعلت، وعن ابن عيينة: لا يكون الظالم إماماً قط، وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة، والإمام إنما هو لكف الظلمة، فإذا نصب من كان ظالماً في نفسه فقد جاء المثل السائر: من استرعى الذئب ظلم: و﴿ٱلْبَيْتَ﴾: اسم غالب للكعبة، كالنجم للثريا، ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: مباءة ومرجعاً للحجاج والعمار، يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أي يثوب إليه أعيان الذين يزورونه أو أمثالهم، ﴿وَأَمْنًا﴾: موضع أمن، كقوله: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] ولأن الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج، وقرىء: «مثابات»، لأنه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج ٢٥]، ﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾: على إرادة القول، أي: وقلنا: اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه، وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب، وعن النبي ـ ﷺ ـ: «أنه أخذ بيد عمر فقال: هذا مقام إبراهيم، فقال عمر: أفلا نتخذه مصلى ـ يريد

أفلا نؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركاً به وتيمناً بموطىء قدم إبراهيم ـ فقال: لم أومر بذلك، فلم تغب الشمس حتى نزلت»، (٦٨) وعن جابر بن عبد الله: «أنّ رسول الله ﷺ استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة، حتى إذا فرغ، عمد إلى مقام إبراهيم، فصلى خلفه ركعتين، وقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (٦٩) وقيل: مصلّى مدعى، ومقام إبراهيم: الحجر الذي فيه أثر قدميه، والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه، وهو الموضع الذي يسمّى مقام إبراهيم، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه سأل المطلب بن أبي وداعة/٥٦ب: هل تدري أين كان موضعه الأوّل؟ قال: نعم، فأراه موضعه اليوم، وعن عطاء ﴿مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾: عرفة والمزدلفة والجمار، لأنه قام في هذه المواضع ودعا فيها، وعن النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم، وقرىء: «واتخذوا»: بلفظ الماضي عطفا على «جعلنا»: أي واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي وسم به لاهتمامه به

---

٦٨ ـ قال الزيلعي (١/ ٨٠):

«غريب بهذا اللفظ» ا.هـ.

وعزاه الحافظ في «تخريج الكشاف» إلى أبي نعيم من رواية مجاهد عن ابن عمر: «أن النبي ـ ﷺ ـ أخذ بيد عمر ـ رضي الله عنه ـ فمر على المقام فقال له: يا نبي الله، هذا مقام إبراهيم؟ قال: نعم، قال: ألا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ـ الآية.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال عمر ـ رضي الله عنه ـ «وافقني ربي في ثلاث قلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾... إلخ.

أخرجه البخاري (٩/ ٢٠) كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ حديث (٤٤٨٣)، وأطرافه في البخاري (٤٠٢، ٤٧٩٠، ٤٩١٦)، ورواه الترمذي (٥/ ٢٠٦) كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة حديث (٢٩٥٩، ٢٩٦٠).

وابن ماجه (١/ ٣٢٢) كتاب إقامة الصلاة، باب القبلة حديث (١٠٠٩)، وأحمد في المسند (١/ ٢٤، ٣٦ ـ ٣٧)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٣١٩) رقم (٦٨٩٦)، والبغوي في شرح السنة (٧/ ١٨٩) رقم (٣٧٨٠).

٦٩ ـ أخرجه مسلم (٢/ ٩٢١) كتاب الحج: باب استحباب الرمل في الطواف والعمرة حديث (٢٣٦/ ١٢٦٣)، (٢/ ٨٨٦ ـ ٨٩٢) كتاب الحج: باب حجة النبي ـ ﷺ ـ حديث (١٤٧/ ١٢١٨)، وأبو داود (٢/ ٤٥٥ ـ ٤٦٤) كتاب المناسك باب صفة حجة النبي ـ ﷺ ـ حديث (١٩٠٥)، والترمذي (٣/ ٢١٢) كتاب الحج: باب ما جاء من الحجر إلى الحجر حديث (٨٥٧)، والنسائي (٥/ ٢٣٠) كتاب الحج: باب الرمل من الحجر إلى الحجر، وابن ماجة (٢/ ١٠٢٢) كتاب المناسك: باب حجة رسول الله ـ ﷺ ـ حديث (٣٠٧٤).

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:

هكذا ذكره والذي في صحيح مسلم في الحديث الطويل في صفة الحج، «أنه قرأ الآية لما فرغ من الطواف ثم صلى». انتهى.

وإسكان ذرّيته عنده قبلةً يصلّون إليها، ﴿عَهِدْنَآ﴾: أمرناهما، ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾: بأن طهرا، أو أي طهرا، والمعنى طهراه من الأوثان، والأنجاس، وطواف الجنب، والحائض، والخبائث كلها، أو أخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم، ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾: المجاورين، الذين عكفوا عنده، أي أقاموا لا يبرحون، أو المعتكفين، ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلاة، كما قال: ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]، والمعنى: للطائفين والمصلين، لأن القيام والركوع والسجود هيآت المصلي.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

أي: اجعل هذا البلد أو هذا المكان، ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾: ذا أمن، كقوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]. أو آمنا من فيه، كقوله: ليل نائم، و﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم﴾: بدل من أهله، يعني وارزق المؤمنين من أهله خاصة، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: عطف على من آمن كما عطف، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾: على الكاف في جاعلك[1] فإن قلت: لم خصّ إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ المؤمنين حتى ردّ عليه؟ قلت: قاس الرزق على الإمامة فعرّف الفرق بينهما؛ لأن الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعى، وأبعد الناس عن النصيحة الظالم، بخلاف الرزق فإنه قد يكون استدراجاً للمرزوق وإلزاماً للحجة له، والمعنى: وأرزق من كفر فأمتعه، ويجوز أن يكون ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: مبتدأ متضمناً معنى الشرط، وقوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾: جواباً للشرط، أي ومن كفر فأنا أمتعه، وقرىء: فأمتعه فأضطره[2] فألزه إلى عذاب النار، لزّ المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر إليه، وقرأ أبيّ: فنمتعه قليلاً ثم نضطره، وقرأ يحيى بن وثاب: فإضطره، بكسر الهمزة، وقرأ ابن عباس: فأَمْتِعْهُ قليلاً ثم اضطرَّه، على لفظ الأمر، والمراد: الدعاء من إبراهيم دعا ربّه بذلك، فإن قلت: فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة؟ قلت: في (قال): ضمير إبراهيم، أي قال إبراهيم بعد مسألته

---

(١) قال السمين الحلبي: وفيه نظر؛ فإن هذه الحروف قد أدغمت في غيرها، أدغم أبو عمرو الداني اللام في: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ والضاد في الشين: ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ والشين في السين: ﴿ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ وأدغم الكسائي الفاء في الباء: ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ﴾ وحكى سيبويه أن: «مضجعاً» أكثر فدل على أن: «مطجعاً كثيراً».
وقرأ يزيد بن أبي حبيب: «أضطره» بضم الطاء كأنه للإتباع. وقرأ أبي: «فنمتعه ثم نضطره» بالنون.
واضطر افتعل من الضُرّ وأصله: اضتر فأبدلت التاء طاء؛ لأن تاء الافتعال تبدل طاء بعد حروف الإطباق، وهو معتد وعليه جاء التنزيل. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «فأضطره» التلاوة: ثم أضطره. (ع)

اختصاص المؤمنين بالرزق: ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره، وقرأ ابن محيصن: فأطره، بإدغام الضاد في الطاء كما قالوا: اطجع، وهي لغة مرذولة؛ لأنّ الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها، ولا تضغم هي فيما يجاورها وهي حروف «ضم شفر».

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿يَرْفَعُ﴾: حكاية حال ماضية، و﴿ٱلْقَوَاعِدَ﴾: جمع قاعدة، وهي الأساس، والأصل لما فوقه، وهي صفة غالبة، ومعناها الثابتة، ومنه قعّدك الله، أي: أسأل الله أن يقعدك أي يثبتك، ورفع الأساس: البناء[1] عليها، لأنها إذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر، ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء[2]، لأنّ كل ساف/٥٧أ قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه، ومعنى رفع القواعد: رفعها بالبناء، لأنه إذا وضع سافاً فوق ساف فقد رفع السّافات، ويجوز أن يكون المعنى: وإذ يرفع إبراهيم ما قعد من البيت ـ أي استوطأ ـ يعني جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء، وروي: أنه كان مؤسساً قبل إبراهيم فبنى على الأساس، وروي: أن الله تعالى أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد: شرقي وغربي، وقال لآدم ـ عليه السلام ـ: أهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي، فتوجه آدم من أرض الهند إليه ماشياً، وتلقته الملائكة فقالوا: برّ حجك يا آدم، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام (٧٠)

---

٧٠ ـ قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف:
«أخرجه الفاكهي في كتاب مكة من رواية الضحاك هو ابن مزاحم. قال: قال حذيفة: وسلمان الفارسي: «سمعنا رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: إن الله أنزل البيت من ياقوتة حمراء نزلت به الملائكة مع آدم، فنزلت به في الحرم، وترك آدم في الهند في جبل يقال له: وأشب بأرض الهند، وترك إبليس بالحرم، فحوّل الله إبليس إلى أرض الهند، وحوّل آدم إلى الحرم... الحديث، وفي إسناده ضعف. وانقطاع ورواه أيضاً من طريق ابن إدريس عن أبيه عن عطاء أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سأل كعباً قال: أخبرني عن بناء هذا البيت ما كان أمره؟ فقال: إن هذا البيت أنزله الله من السماء ياقوتة حمراء مجوفة مع آدم. وفي رواية النهاس بن قهم: سمعت عطاء يقول: قال آدم: يا =

---

(١) قوله «ورفع الأساس البناء» لعله الأسس ـ بضمتين. (ع)
(٢) قوله «المراد بها سافات البناء» قوله «سافات» عبارة أبي السعود. والفخر «ساقات» بالقاف بدل الفاء. والصواب أنه بالفاء كما في الصحاح في باب الفاء: الساف: كل عرق من الحائط. (ع)

وحج آدم أربعين حجة من أرض الهند إلى مكة على رجليه، فكان على ذلك إلى أن رفعه الله أيام الطوفان إلى السماء الرابعة، فهو البيت المعمور، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم ببنائه وعرّفه جبريل مكانه، وقيل: بعث الله سحابةً أظلته، ونودي: أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص، وقيل: بناه من خمسة أجبل طورسينا، وطورزيتا، ولبنان، والجودي، وأسسه من حراء، وجاءه جبريل بالحجر الأسود من السماء، وقيل: تمخض أبو قبيس فانشق عنه، وقد خبىء فيه في أيام الطوفان، وكان ياقوتة بيضاء من الجنة، فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسودّ، وقيل: كان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، ﴿رَبَّنَا﴾: أي يقولان ربنا، وهذا الفعل في محل النصب على الحال، وقد أظهره عبد الله في قراءته، ومعناه: يرفعانها قائلين ربنا، ﴿إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ﴾: لدعائنا، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بضمائرنا ونياتنا، فإن قلت: هلا قيل: قواعد البيت، وأي فرق بين العبارتين؟ قلت: في إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام ما ليس في إضافتها لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين، ﴿مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾: مخلصين لك أوجهنا، من قوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] أو مستسلمين، يقال: أسلم له، وسلم، واستسلم، إذا خضع وأذعن، والمعنى: زدنا إخلاصاً أو إذعاناً لك، وقرىء: «مسلمين» على الجمع، كأنهما أرادا أنفسهما وهاجر، أو أجريا التثنية على حكم الجمع لأنها منه ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا﴾: واجعل من ذرّيتنا ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، و﴿مِنَ﴾: للتبعيض أو للتبيين، كقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ [النور: ٥٥]. فإن قلت: لم خصّا ذرّيتهما بالدعاء؟ قلت: لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة، ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، ولأنّ أولاد الأنبياء إذا صلحوا، صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير؛ ألا ترى أن المقدّمين من العلماء والكبراء إذا كانوا على السداد، كيف يتسببون لسداد من وراءهم؟ وقيل: أراد بالأمة أمة محمد ﷺ ﴿وَأَرِنَا﴾: منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف، ولذلك لم يتجاوز مفعولين، أي وبصرنا متعبداتنا في الحج، أو وعرفناها، وقيل: مذابحنا، وقرىء: وأرْنا/ ٥٧ب بسكون الراء قياساً على فخذ في فخذ، وقد استرذلت؛ لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها، فإسقاطها

= رب أين توجهني؟ قال: تبني لي بتهامة بيتاً مما يلي البحر يطاف حوله، كما تطوف الملائكة حول عرشي. ويصلى عنده كما تُصلي الملائكة عند عرشي. فأقبل نحو البيت. مما يلي الصفا. فطاف بالبيت وصلّى عنده. قال النهاس: وحدّثني عقيل على بن سفيان. حدثنا عطاء عن عبد الله بن عمرو بمثله وقال الفاكهي في كتاب مكة أيضاً: حدثنا ابن عمرو، حدثنا سفيان عن ابن أبي لبيد قال «حج آدم فتلقته الملائكة فقالوا: أبر نسكك. فقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام» وهكذا هو في جامع سفيان بن عيينة. انتهى.

إجحاف، وقرأ أبو عمرو بإشمام الكسرة، وقرأ عبد الله: وأرهم مناسكهم، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾: ما فرط منا[1] من الصغائر أو استتاباً لذرّيتهما، ﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾: في الأمة المسلمة، ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: من أنفسهم، ورُوِيَ أنه قيل له: قَدِ اسْتُجِيبَ لَكَ وَهُوَ فِي آخِرِ الزَّمانِ، فَبَعَثَ الله فِيهِمْ مُحَمّداً ﷺ. قال عليه الصلاة والسلام: «أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى أَخي عِيسَى وَرُؤْيَا أُمّي» (٧١). ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾: يقرأ عليهم، ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل

---

٧١ - رُوي من حديث العرباض بن سارية وأبي أمامة.
أما حديث العرباض بن سارية:
قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين، وإنَّ آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني، أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام.
أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ٣١٣) رقم (٦٤٠٤) واللفظ له.
ورواه أحمد (٤/ ١٢٧، ١٢٨).
والحاكم (٢/ ٦٠٠).
والطبراني في معجمه (١٨/ ٢٥٢) رقم (٦٢٩).
والبزار (٣/ ١١٣) رقم (٢٣٦٥ - كشف).
وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٨٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٣٠)، والبغوي في شرح السنة (٧/ ١٠) رقم (٣٥٢٠ - بتحقيقنا).
أما حديث أبي أمامة:
فأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٦٢)، من طريق أبي النضر ثنا الفرج بن فضالة ثنا لقمان بن عامر قال: سمعت أبا أمامة قال: قلت: يا نبي الله، ما كان أول بدء أمرك، قال: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام.
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٨٣) للطيالسي، والبيهقي في الشعب.
وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢٥):
«رواه أحمد وإسناده حسن، وله شواهد تقويه، ورواه الطبراني» ا.هـ.
قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف:
أخرجه أحمد والبزار وابن حبان. والطبراني والحاكم من حديث العرباض بن سارية: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول «إني عبد الله وخاتم النبيين، وأبي آدم منجدل في طينته وأخبركم عن ذلك. دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت - الحديث» ولأحمد من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - «قلت: يا رسول الله. ما كان بدؤ أمرك قال: دعوة أبي إبراهيم؛ وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت به قصور الشام»، ورواه البيهقي في الشعب. ثم قال: «أما دعوة إبراهيم فهي قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وأما بشارة عيسى فهي قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾، قال: وأما رؤيا أمه فذكر ابن إسحاق في السيرة قال: «كانت آمنة بنت وهب أم رسول الله =

---

(١) قوله «وتب علينا ما فرط منا» لعله على تضمين تب معنى اغفر. (ع)

وحدانيتك وصدق أنبيائك، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: الشريعة، وبيان الأحكام، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس، كقوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿وَمَن يَرْغَبُ﴾: إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة إبراهيم، و ﴿مَن سَفِهَ﴾: في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب، وصحّ البدل، لأنّ من يرغب غير موجب، كقولك: هل جَاءَكَ أَحَدٌ إلاّ زَيْدٌ ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: امتهنها واستخف بها، وأصل السفه: الخفة، ومنه زمام سفيه، وقيل: انتصاب النفس على التمييز، نحو: غُبِنَ رَأْيُهُ وَأَلَمَّ رَأْسُهُ، ويجوز أن يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله [من الوافر]:

.... وَلاَ بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا[1]

= ﷺ - تحدث أنها أتيت»، ولأبي يعلىٰ عن شدّاد بن أوس رفعه: «أما دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى بن مريم، وأن أمي رأت في المنام نوراً قالت: فجعلت أتبع بصري النور، فجعل النور يسبق بصري حتى أضاء لي مشارق الأرض ومغاربها»، وللحاكم في المستدرك من طريق ابن إسحاق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله - ﷺ - قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك قال: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام»... انتهى.

---

(١) فما قومي بثعلبة بن سعد ... ولا بفزارة الشعر الرقابا
وقومي - إن سألت - بنو لؤي ... بمكة علموا مضر الصوابا
لحارث بن ظالم المري، يدعي أنه من قريش، وأن أمه خرجت به إلى مرة وهو صغير، فنسب إليهم. وثعلبة وفزارة ومضر: أسماء قبائل، ووصف ثعلبة بابن لها للأصل فإنه اسم أبي القبيلة. والشعر: جمع أشعر كحمر وأحمر. والرقاب: تمييز معرفة على رأي الكوفيين. وأشعر الرقبة يطلق على الأسد، وعلى أغم القفا - وهو المراد. يقول: ليس قومي هؤلاء الأخسة، وإنما أنا من بني لؤي. وإن سألت: اعتراض بين المبتدأ وخبره. ومضر والصواب: مفعولان لعلموا.
ينظر الأغاني ١١/١١٩، الإنصاف ص ١٣٣، شرح أبيات سيبويه ١/٢٥٨، شرح اختيارات المفضل ٣/١٣٣٥، الكتاب ١/٢٠١، المقاصد النحوية ٣/٦٠٩، المقتضب ٤/١٦١، خزانة الأدب ٧/٤٩٢، شرح المفصل ٦/٨٩، الحماسة الشجرية ١/٢٤٧، البحر ١/٥٦٥، الدر المصون ١/٣٧٤.

[ومن الوافر]:

. . . . أَجَبُّ الظَّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ[1]

وقيل معناه: سفه في نفسه، فحذف الجار، كقولهم: زيد ظني مقيم، أي في ظني، والوجه هو الأوّل، وكفى شاهداً له بما جاء في الحديث: «الْكِبْرُ أَنْ تَسَفَهَ الْحَقَّ وَتَغْمِصَ النَّاسَ[2]»، (٧٢) وذلك أنه إذا رغب عمّا لا يرغب عنه عاقل قط، فقد بالغ في إذالة

---

٧٢ ـ رُوي من حديث أبي هريرة، وابن مسعود، وعبد الله بن عمرو، وأبي ريحانة، وثابت بن قيس بن شماس، وسواد بن عمرو الأنصاري، وابن عباس، وابن عمر، وجابر، وعقبة بن عامر، والحسين بن علي.

ـ أما حديث أبي هريرة: =

---

(١) فإن يهلك أبو قابوس يهلك ... ربيع الناس والشهر الحرام
ونأخذ بعده بذناب عيش ... أجب الظهر ليس له سنام

للنابغة الذبياني يرثي النعمان المعافى بن الحارث الأصغر ملك العرب. وقيل لجرير، وليس بذاك. يقول: فإن يتبين هلاك النعمان يتبين هلاك ربيع الناس. شبهه بالربيع وهو المطر، أو النهر، أو فصل الربيع. أو الخصب، في أن كلا يعم خيره الناس. وشبهه بالشهر الحرام في أن كلا أمان للناس من الحروب والمخاوف. وروي: والبلد الحرام. أي مكة. شبهه بها في الأمان أيضاً. ويجوز أن المعنى إن يهلك هو يهلك تبعاً له عطاؤه وجاهه الشبيهان بالربيع وبالشهر الحرام في النفع والأمان، وكل ذلك على سبيل الاستعارة التصريحية. ويجوز أنه كان يحفظ لهم ربيعهم عن رعي غيرهم وحرمة شهرهم عن هتكها، بأن يغار عليهم فيه، فلا استعارة إلا في هلاك الشهر. وروي نأخذ: بالحركات الثلاث، وكذلك كل مضارع معطوف على جواب الشرط، فالجزم على العطف، والرفع على الاستئناف. والنصب بإضمار إن لشبه الشرط بالنفي. لكنه قليل. والذناب ـ بالكسر ـ: ذنب البعير والفرس، وعقب كل شيء. وشبه العيش الضنك الضيق الناقص ببعير مهزول على طريق المكنية. والذناب، والظهر، والسنام ـ بالفتح ـ تخييل. وأجب الظهر: منقطعه، أي ونتمسك بعده بطرف عيش وبقية منه ضيقة قليلة، كالبعير المقطوع الظهر. ويبين ذلك بقوله: ليس له سنام. وأجب: صفة مشبَّهة ممنوع من الصرف، فيجر بالفتحة على الصفة لعيش. وقيل نصب على الحال. وروي بالرفع على الخبرية لمحذوف. ويروى الظهر بالرفع، فاعلاً للصفة، أو بدلاً من الضمير فيها وفتحه النحاة، وبالنصب تشبيهاً بالمفعول أو تمييزاً على مذهب من ميز بالمعرفة وضعفوه وبالجر بإضافة أجب إليه فيجر أجب بالكسرة، وحسنوا هذا.

ينظر ديوانه ص ١٠٦، والكتاب ١/ ١٩٦، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٢٨، وشرح المفصل ٦/ ٨٣، ٨٥، والمقاصد النحوية ٣/ ٥٧٩، ٤/ ٤٣٤، والأغاني ١١/ ٢٦، وخزانة الأدب ٧/ ٥١١، ٩/ ٣٦٣، وأسرار العربية ص ٢٠٠، لسان العرب، (حبب)، ١/ ٨ (ذنب)؛ والمقتضب ٢/ ١٧٩، والإنصاف ١/ ١٣٤، والاستقامة ص ١٠٥، والأشباه والنظائر ٦/ ١١، وأمالي ابن الحاجب ١/ ٤٥٨، وشرح عمدة الحافظ ص ٣٥٨، وشرح ابن عقيل ص ٥٨٩، وشرح الأشموني ٣/ ٥٩١.

(٢) قوله «وتغمص الناس» أي تستصغرهم وتعيبهم. أفاده الصحاح. (ع)
ينظر: المحتسب ١/ ١٠٩، الخصائص ٢/ ٣٣٨، البحر المحيط ١/ ٥٧١، الدر المصون ١/ ٣٧٦.

. . . .

= فأخرجه أبو داود (٢/ ٤٥٧) كتاب اللباس، باب ما جاء في الْكِبْر حديث (٤٠٩٢)، من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة؛ أن رجلاً أتى النبي ـ ﷺ ـ وكان رجلاً جميلاً، فقال: يا رسول الله، إني رجل حُبِّب إلى الجمال، وأعطيت منه ما ترى حتى ما أحب أن يفوقني أحد، إما قال بشراك نعلي، وإما قال: بشسع نعلي، أفمن الكبر ذلك؟ قال: لا، ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس».

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٢/ ٢٨١) رقم (٥٤٦٧)، بلفظ: «إنما الكبر من سفه الحق وغمص الناس»، والحاكم (٤/ ١٨١ ـ ١٨٢).

ـ **وأما حديث ابن مسعود:**

فأخرجه الترمذي (٤/ ٣٦١) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر حديث (١٩٩٩)، وابن حبان في صحيحه (١٢/ ٢٨٠) رقم (٥٤٦٦)،من طريق علقمة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال الرجل: يا رسول الله، إن الرجل ليحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، فقال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر من بطر الحق وغمص الناس».

ورواه الحاكم (١/ ٢٦) قريباً من ذلك، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد احتجا جميعاً برواته» ا. هـ.

وأصل الحديث رواه مسلم (١/ ٣٦٦ ـ نووي) كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه حديث (٩١).

وأبو داود (٢/ ٤٥٧) كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر حديث (٤٠٩١).

والترمذي (٤/ ٣٦٠) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر حديث (١٩٩٨).

وابن ماجة (٢/ ١٣٩٧) كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع حديث (٤١٧٣).

ـ **وأما حديث عبد الله بن عمرو:**

قلت: يا رسول الله، أمن الكبر أن أصنع طعاماً فأدعو أصحابي، قال: لا الكبر أن تسفه الحق وتغمص النّاس».

قال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٣٦):

(رواه البزار وأحمد في حديث طويل. . . ورجال أحمد ثقات» ا. هـ.

ـ **وأما حديث أبي ريحانة:**

أخرجه أحمد (٤/ ١٣٣) ثنا أبو المقبرة قال ثنا جرير قال: سمعت كريب بن أبرهة وهو جالس مع عبد الملك بدير المرات، وذكروا الكبر فقال كريب: سمعت أبا ريحانة يقول: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: إنه لا يدخل شيء من الكبر الجنة، قال: فقال قائل: يا رسول الله، إني أحب أن أتجمل بسبق سوطي وشسع نعلي، فقال النبي ـ ﷺ ـ: إن ذلك ليس بالكبر، إن الله عزّ وجلّ جميل يحب الجمال، إنما الكبر من سفه الحق وغمض النّاس بعينيه» ا. هـ.

قال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٣٦):

«رواه أحمد ورجاله ثقات، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط»، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٧٩) رقم (٨١٥٣).

ـ **وأما حديث ثابت بن قيس:**

أخرجه الطبراني (٢/ ٦٩) رقم (١٣١٨) حدثنا علي بن سعيد الرازي ثنا محمد بن مسلم بن وارة ثنا محمد بن سعيد بن سابق ثنا عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن عبد =

= الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري به، ورواه البزار كما في كشف الإسناد (٣٥٧٨).
قال الهيثمي في المجمع (٧/٧):
«رواه الطبراني، وفيه محمد بن أبي ليلى وهو سيء الحفظ، وجده عبد الرحمن لم يدرك ثابت بن قيس» ا.هـ.
- **وأما حديث سواد بن عمرو الأنصاري:**
أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٧/ ١١٢ - ١١٣) أرقام (٦٤٧٧، ٦٤٧٨، ٦٤٧٩)، من طرق عن محمد بن سيرين عن سواد بن عمرو الأنصاري.
قال في المجمع (٥/١٣٧):
«رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» ا.هـ.
- **وأما حديث ابن عمر:**
أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/٣٣٩) رقم (٤٦٦٥)، حدثنا أبو زرعة قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن قال: حدثنا عيسى بن موسى الدمشقي عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله - ﷺ- يقول: «من سحب ثيابه لم ينظر الله إليه، فقال أبو ريحانة: والله لقد أمرضني ما حدثتنا به، فوالله إني لأحب الجمال حتى إنه لأجعله في شراك نعلي وعلاق سوطي، أفمن الكبر ذلك؟ فقال رسول الله - ﷺ-: إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ولكن الكبر من سفه الحق وغمص الناس».
قال الهيثمي في المجمع (٥/١٣٦):
«رواه الطبراني في الأوسط، وفيه موسى بن عيسى الدمشقي قال الذهبي: مجهول، وبقية رجاله رجال الصحيح» ا.هـ.
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٨٦) للبزار، والطبراني في مسند الشاميين.
- **وأما حديث ابن عباس:**
أخرجه عبد بن حميد رقم (٦٧٣ - منتخب) ثنا يزيد بن هارون أنا سالم بن عبيد عن أبي عبد الله عن عبد الرحمن بن أبي ليلى سمع ابن عباس يقول: فذكر حديثاً طويلاً.
- **وأما حديث جابر:**
فأخرجه عبد بن حميد في مسنده، كما في المنتخب رقم (١١٥١).
أنا عبيد الله بن موسى عن موسى بن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله فذكر حديثاً طويلاً.
- **وأما حديث عطية بن عامر:**
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٨٧) لأبي القاسم الأصفهاني في كتاب الترغيب والترهيب له.
- **وأما حديث الحسين بن علي:**
أن عبد الله بن عمرو قال:
«يا رسول الله، أَمِنَ الكبر أن يكون لأحدنا النجيبة الفارهة؟ قال: لا، قال: فمن الكبر أن يكون لأحدنا الحلّتان الحسنتان؟ قال: لا. قال: فمن الكبر أن أتخذ طعاماً فأدعو قومي، فيمشون خلفي، ويأكلون عندي؟ قال: لا، قال: فما الكبر يا رسول الله؟ قال: أن تسفه الحق وتغمص الناس». =

نفسه[1]، وتعجيزها، حيث خالف بها كل نفس عاقّة، ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾، بيان لخطإِ رأي من رغب عن ملته، لأنّ من جمع الكرامة عند الله في الدارين، بأن كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهوداً له بالاستقامة على الخير في الآخرة، لم يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه ﴿إِذْ قَالَ﴾: ظرف لاصطفيناه، أي: اخترناه في ذلك الوقت. أو انتصب بإضمار (اذكر): استشهاداً على ما ذكر من حاله، كأنه قيل: اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله، ومعنى قال له: أسلم، أخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية إلى المعرفة والإسلام، و﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾: أي فنظر وعرف، وقيل: أسلِمْ: أي

= قال في المجمع (٥/ ١٣٦):
«رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف». ا.هـ.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه البزار من رواية ابن إسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عمر: «قيل: يا رسول الله، أمن الكبر أن يتخذ الرجل الطعام، فيكون عليه الجماعة، ويلبس القميص النظيف» قال: ليس ذلك بالكبر. وإنما الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس، وذكر فيه قصة. وقال: لا نعلم رواه عن عمرو عن ابن عمر إلاّ ابن إسحاق ا.هـ. وأخرجه الطبراني من رواية ابن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «قلت: يا رسول الله، أمن الكبر أن ألبس الثوب الحسن؟ قال: لا. قلت: فما الكبر؟ فذكره»، ورواه البخاري في الأدب المفرد من طريق الصعب بن زهير عن زيد بن أسلم قال: لا نعلمه إلاّ عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال: «جاء رجل فقال: يا رسول الله: الكبر أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟ قال: لا... الحديث»، وأخرجه أيضاً من رواية عبد العزيز بن محمد. وأخرجه البزار، من رواية أبي بكر بن أبي سبرة.
وأخرجه أحمد في الزهد من رواية هشام بن سعد كلهم عن زيد به. وقال عبد بن حميد في مسنده: أخبرنا عبد الله بن موسى عن موسى بن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر فذكر حديثاً، وفيه: فقال معاذ: «يا رسول الله، أمن الكبر أن يكون لأحدنا الدابة فيركبها، أو النعلان، أو الثياب يلبسها، أو الطعام يجمع عليه أصحابه؟ قال: لا. ولكن الكبر أن يسفه الحق ويغمص المؤمنين»، وموسى ضعيف. وفي الطبراني من رواية عبد الحميد بن سليمان. عن عمارة بن غزية عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها: أن عبد الله ابن عمرو قال: «يا رسول الله، أمن الكبر أن ألبس الحلة الحسنة؟ الحديث»، وأخرجه الطبراني في الأوسط. ومسند الشاميين عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر نحوه. وفي الباب عن أبي هريرة: أخرجه ابن حبان والحاكم من طريق ابن سيرين عنه، وعن ابن مسعود. أخرجه إسحاق وأبو يعلى والحاكم: أن مالك بن مرارة الرهاوي. قال «يا رسول الله، إن لي من الجمال ما ترى، وإني لا أحب أحداً أن يفضلني بشركين فما فوقهما. أفهذا من البغي؟، قال: لا. الحديث»، وعن أبي ريحانة. أخرجه أحمد والطبراني. وعن ثابت بن قيس. أخرجه الدارمي والطبراني. وعن سوداء بن عمرو والحسين بن علي أخرجهما الطبراني. وعن ابن عباس. أخرجه عبد بن حميد وعن عقبة بن عامر أخرجه أبو مسلم في الجامع من السنن له. انتهى.

---

(١) قوله «في إذالة نفسه» أي إهانتها. أفاده الصحاح. (ع)

أذعنْ وأطعْ، ورُوِيَ: أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما: قد علمنا أنّ الله تعالى قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد، فمن آمن به فقد اهتدى ورشد، ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يُسلم، فنزلت.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

وقرىء: وأوصى، وهي في مصاحف أهل الحجاز والشام، والضّمير في ﴿بِهَآ﴾: لقوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، على تأويل الكلمة والجملة، ونحوه رجوع الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ [الزخرف: ٢٨] إلى قوله ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧] وقوله: كلمة باقية. دليل على أن التأنيث على تأويل الكلمة، ﴿وَيَعْقُوبُ﴾: عطف على إبراهيم، داخل في حكمه، والمعنى: ووصّى بها يعقوب بنيه، أيضاً، وقرىء: ويعقوب، بالنصب عطفاً على بنيه، ومعناه ووصى بها إبراهيم بنيه ونافلته يعقوب، ﴿يَٰبَنِىَّ﴾: على إضمار القول عند البصريين، وعند الكوفيين يتعلق بوصى، لأنه في معنى القول، ونحوه قول القائل: [الرجز]

رَجُلاَنِ مِنْ ضَبَّةَ أَخْبَرَانَا: إِنَّا رَأَيْنَا رَجُلاً عُرْيَانَا[1]

بكسر الهمزة: فهو بتقدير القول عندنا، وعندهم يتعلق بفعل الإخبار، وفي قراءة أبيّ وابن مسعود: أن يا بنيَّ ﴿ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام، ووفقكم للأخذ به، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ﴾ معناه فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام، فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا، كقولك: لا تصلّ إلا وأنت خاشع، فلا تنهاه عن الصلاة، ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته، فإن قلت: فأي نكتة في إدخال حرف النهي على الصلاة وليس بمنهى عنها؟ قلت: النكتة فيه إظهار أن الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة، فكأنه قال: أنهاك عنها إذا لم تصلها على هذه الحالة، ألا ترى إلى قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لاَ صَلاَةَ لِجَارِ

(١) رجلان بالسكون للتخفيف والوزن؛ كما يسكن عضد. وضبة: اسم قبيلة. وروي بدله «من مكة» والإخبار فيه معنى القول، فلذلك كسرت بعده «إن» على الحكاية، أي قالا لنا ذلك القول؛ وهو: أنا رأينا. ومذهب الكوفيين أن الجملة المحكية في محل نصب بالفعل المذكور. ومذهب البصريين بقول مقدّر. وقال بعضهم: الظاهر أنها مفسرة فلا محل لها. وروي بالفتح على حذف الجار، أي بأنا رأينا.

الْمَسْجِدِ إِلاّ فِي الْمَسْجِدِ» (٧٣) فإنه كالتصريح بقولك لجار المسجد: لا تصلِّ إلا في المسجد؛ وكذلك المعنى في الآية إظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موت لا خير فيه، وأنه ليس بموت السعداء، وأن من حق هذا الموت أن لا يحل فيهم، وتقول في الأمر ـ أيضاً ـ: مت وأنت شهيد، وليس مرادك الأمر بالموت، ولكن بالكون على صفة الشهداء إذا مات؛ وإنّما أمرته بالموت اعتداداً منك بميتته، وإظهاراً لفضلها على غيرها، وأنها حقيقة بأن يحث عليها.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (١٣٣)﴾

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: هي أم المنقطعة[1]، ومعنى الهمزة فيها الإنكار، والشهداء جمع شهيد، بمعنى الحاضر: أي ما كنتم حاضرين يعقوب ـ عليه السلام ـ إذ حضره الموت، أي حين احتضر، والخطاب للمؤمنين بمعنى: ما شاهدتم ذلك[2] وإنما حصل لكم العلم

---

٧٣ ـ أخرجه الدارقطني (١/ ٤٢٠) والحاكم (١/ ٢٤٦) والبيهقي (٣/ ٥٧) من طريق سليمان بن داود اليمامي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة به.
وسكت عنه الحاكم وقال البيهقي: وهو ضعيف.
والحديث ذكره الحافظ في «التلخيص» (٢/ ٦٦) وقال: فائدة حديث: «لا صلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد» مشهور بين الناس وهو ضعيف ليس له إسناد ثابت وأخرجه الدارقطني عن جابر وأبي هريرة وفي الباب عن علي وهو ضعيف أيضاً.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الدارقطني والحاكم من رواية أبي سلمة عن أبي هريرة، وفيه سليمان بن داود اليماني وهو ضعيف، والدارقطني وابن عديّ، والعقيلي من حديث جابر، وفيه محمد بن مسكين وهو ضعيف، وأخرجه ابن حبان في الضعفاء في ترجمة عمر بن راشد عن أبي ذئب عن الزهري عن عروة عن عائشة، وقال كان عمر بن راشد يضع الحديث وقد صحّ موقوفاً عن علي ـ رضي الله عنه ـ أخرجه ابن أبي شيبة. انتهى.

---

(١) قوله «هي أم المنقطعة» هي تفسر ببل والهمزة. (ع)
(٢) قال محمود رحمه الله: «الخطاب فيه للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم... إلخ». قال أحمد رحمه الله: وإنما اختار على هذا التفسير أن تكون متصلة، لأنه لو جعلها منقطعة كالأول؛ لكان مضمون الكلام نفيَ شهود المخاطبين وهم اليهود على هذا التفسير الثاني، لوفاة يعقوب والوصية بالإسلام، وحينئذٍ يكون ذلك كإقامة حجتهم على جحد الإسلام وإنكار أن يكون الأنبياء مسلمين والغرض ضد ذلك.
وإنما كان الكلام يقتضي النفي حينئذٍ، لأن الاستفهام من الله تعالى لا يحمل على ظاهره، فتعين صرفه إلى الإنكار، لأن السياق يقتضيه. ولهذا كان نفياً لشهود المسلمين وفاة يعقوب ووصيته على التفسير الأول، لا سيما والمعتاد خطاب اليهود المعاصرين للنبي عليه الصلاة والسلام بما يخاطب به أوائلهم، تنزيلاً لعلمهم ورضاهم منزلة حضورهم وتعاطيهم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾، =

به من طريق الوحي، وقيل: الخطاب لليهود؛ لأنهم كانوا يقولون: ما مات نبيّ، إلا على اليهودية، إلا أنهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه، لظهر لهم حرصه على ملة الإسلام، ولما ادعوا عليه اليهودية، فالآية منافية لقولهم، فكيف يقال لهم: «أم كنتم شهداء»؟ ولكن الوجه أن تكون أم متصلة على أن يقدر قبلها محذوف، كأنّه قيل: أتدّعون على الأنبياء اليهودية؟ ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ يعني أن أوائلكم من بني إسرائيل كانوا مشاهدين له إذْ أراد بنيه على التوحيد وملة الإسلام، وقد علمتم/٥٨ب ذلك، فما لكم تدّعون على الأنبياء ما هم منه برآء؟ وقرىء «حَضِرَ» بكسر الضاد، وهي لغة، ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: أي شيء تعبدون؟ و ﴿مَا﴾: عامٌّ في كل شيء فإذا علم فرق بما ومن؛ وكفاك دليلاً قول العلماء (من) لما يعقل، ولو قيل: من تعبدون، لم يعم إلا أولي العلم وحدهم، ويجوز أن يقال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ سؤال عن صفة المعبود، كما تقول: ما زيد؟ تريد: أفقيه، أم طبيب، أم غير ذلك من الصفات؟ و ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾: عطف بيان لآبائك، وجعل إسماعيل وهو عمه من جملة آبائه، لأنّ العمّ أب والخالة أمّ، لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة لا تفاوت بينهما، ومنه قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ» (٧٤) أي: لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي

---

٧٤ ـ أخرجه مسلم (٤/ ٦٣ ـ نووي) كتاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها حديث (٩٨٣).
وأبو داود (١/ ٥١٠) كتاب الزكاة، باب في تعجيل الزكاة، حديث (١٦٢٣).
وأحمد (٢/ ٣٢٢).
والدارقطني (٢/ ١٢٣) باب تعجيل الصدقة قبل الحول.
والبيهقي (٤/ ١١١) كتاب الزكاة، باب تعجيل الصدقة.
كلهم من طريق الأعرج عن أبي هريرة قال: بعث رسول الله ـ ﷺ ـ عمر على الصدقة فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عمّ رسول الله ـ ﷺ ـ. فقال، رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما ينقم ابن جميل، إلاّ أنه كان فقيراً فأغناه الله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً. قد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله، وأما العباس فهي عليّ ومثلها معها»، ثم قال: «يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه».
وله شاهد من حديث علي مرفوعاً بلفظ:
«أما علمت أن عمّ الرجل صنو أبيه».
أخرجه أحمد في المسند (١/ ٩٤).
وله شاهد آخر من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ عم الرجل صنو أبيه».
أخرجه الطبراني (١٠/ ٨٧) رقم (٩٩٨٥).
قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٨٢): =

= ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ﴾ إلى أشباه ذلك، فإذا كانت أم متصلة والخطاب لليهود فقد جرى الأمر في خطابهم على المعتاد، وإذا كانت منقطعة انعكس الأمر.

النخلة، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في العباس: «هَذَا بَقِيَّةُ آبَائِي» (٧٥)، وقال: «رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي، فَإِنِّي أَخْشَى أَن تَفْعَلَ بِهِ قُرَيْشُ مَا فَعَلَتْ ثَقِيفُ بِعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودَ» (٧٦) وقرأ

= «رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط، وزاد: أن: عم الرجل صنو أبيه، وفيه محمد ابن ذكوان وفيه كلام وقد وثق» ا.هـ.

وأيضاً ما رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي رافع قال: بعث رسول الله ـ ﷺ ـ عمر بن الخطاب ساعياً على الصدقة، فأتى العباس بن عبد المطلب فأغلظ له العباس فأتى عمر النبي ـ ﷺ ـ فذكر له ذلك فقال له ـ ﷺ ـ يا عمر: أما علمت أن عم الرجل صنو أبيه، إن العباس كان أسلفنا صدقة العام عام أول».

قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٨٢):

«رواه الطبراني في الأوسط، وفيه إسماعيل المكي وفيه كلام كثير وقد وثق». ا.هـ.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

متفق عليه من حديث أبي هريرة. في قصة العباس وخالد بن الوليد وابن جميل لما امتنعوا من إعطاء الصدقة. انتهى.

٧٥ ـ أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٨٢) رقم (٣٢٢١٢) من طريق ابن عيينة عن داود بن شابور عن مجاهد قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: احفظوني في العباس، فإنه بقية آبائي وإن عم الرجل صنو أبيه».

ورواه الطبراني في الكبير (١١/ ٨٠) رقم (٧ ـ ١١١) من طريق مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «استوصوا بعمي العباس خيراً، فإنه بقية آبائي، وإنما عم الرجل صنو أبيه».

قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٧٢):

«رواه الطبراني، وفيه عبد الله بن خراش وهو ضعيف ووثقه ابن حبان، وقال: ربما أخطأ وبقية رجاله وثقوا» ا.هـ.

ورُوي عن الحسن بن علي نحو حديث ابن عباس.

قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٧٢):

«رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه جماعة لم أعرفهم» ا.هـ.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن أبي شيبة. حدثنا ابن عيينة عن داود بن شابور عن مجاهد. قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «احفظوني في العباس، فإنه بقية آبائي. وإن عم الرجل صنو أبيه»، ورواه الطبراني في الأوسط من رواية موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن أبيه عن جده عن الحسن عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «احفظوني ـ فذكر مثله» ورواه في الكبير من حديث ابن عباس من وجهين. انتهى.

٧٦ ـ أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٤٨٤)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٣١٥)، وابن عساكر (٧/ ٢٣٦ ـ تهذيب).

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»:

قال ابن أبي شيبة في المغازي في مصنفه: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب. عن عكرمة. قال: «لما وادع رسول الله ـ ﷺ ـ أهل مكة الحديث» إلى أن قال: «فانطلق العباس فركب بغلة النبي ـ ﷺ ـ الشهباء، وانطلق إلى قريش، ليدعوهم إلى الله فأبطأ عليه. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: ردوا عليّ أبي، فإن عم الرجل صنو أبيه. إني أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود: دعاهم إلى الله فقتلوه. أما والله لئن ركبوها منه لأضرِمَنَّهَا عليهم ناراً. انتهى.

أبيّ: وإله إبراهيم، بطرح آبائك، وقرىء: أبيك، وفيه وجهان: أن يكون واحداً وإبراهيم وحده عطف بيان له، وأن يكون جمعاً بالواو والنون، قال [من المتقارب]:

.... وَفَدَّيْنَنا بالأَبِينَا[1]

﴿إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ بدل من إله آبائك؛ كقوله تعالى: ﴿بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ﴾ [العلق: ١٥ ـ ١٦] أو على الاختصاص، أي نريد بإله آبائك إلهاً واحداً، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: حال من فاعل نعبد، أو من مفعوله، لرجوع الهاء إليه في له، ويجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد، وأن تكون جملة اعتراضية مؤكدة، أي ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مذعنون.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾: إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون، والمعنى: أنّ أحداً لا ينفعه كسب غيره متقدماً كان أو متأخراً، فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا، فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم، وذلك أنهم افتخروا بأوائلهم، ونحوه قول رسول الله ﷺ: «يَا بَنِي هَاشِم، لاَ يَأْتِينِي النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ وَتَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ» (٧٧)، ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ولا تؤاخذون بسيئاتكم كما لا تنفعكم حسناتهم.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: بل تكون ملة إبراهيم، أي أهل ملته كقول عدّي بن حاتم: «إِنِّي مِنْ دِينٍ» (٧٨) يريد من أهل دين، وقيل: بل نتبع ملة إبراهيم، وقرىء: «مِلَّةُ إبراهيم»:

---

٧٧ ـ قال الحافظ: لم أجده.
وقال الزيلعي (١/ ١٩٤) في تخريج أحاديث الكشاف:
«غريب جدًا». انتهى.

٧٨ ـ أخرجه أحمد (٤/ ٢٥٨)، وابن حبان (٢٢٨٠ ـ موارد)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٤٢)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» رقم (٤٧٠)، من طريق محمد بن سيرين عن أبي عبيدة بن حذيفة عن الشعبي عن عدي بن حاتم به.

---

(١) فلما تبين أصواتنا ... بكين وفدّيننا بالأبينا
يقول: لما تبين النساء أصواتنا في الحرب وعرفنها، بكين شفقة ورحمة لنا، وفدّيننا: أي كل واحدة تقول: فداكم أبي، أو تقول لصاحبتها: فداك أبي. والأبينا: جمع أب معرب إعراب جمع التصحيح.

بالرفع، أي ملته ملتنا، أو أمرنا ملته، أو نحن ملته بمعنى أهل ملته، و ﴿حَنِيفًا﴾: حال من المضاف إليه؛ كقولك: رأيت وجه هند قائمة، والحنيف: المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق، والحنف: الميل في القدمين، وتحنف إذا مال، وأنشد [من الوافر]:

وَلَكِنَّا خُلِقْنَا إِذْ خُلِقْنَا حَنِيفاً دِينُنَا عَنْ كُلِّ دِينِ[١]

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن كلا منهم يدّعي اتباع إبراهيم وهو على الشرك. ﴿قُولُوٓا﴾ خطاب للمؤمنين، ويجوز أن يكون خطاباً للكافرين، أي قولوا: لتكونوا على الحقّ، وإلا فأنتم على الباطل، وكذلك قوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ﴾ يجوز أن يكون على: بل اتبعوا أنتم ملة إبراهيم، أو كونوا أهل ملته.

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾

والسبط: الحافد، وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله ـ ﷺ ـ ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: حفدة يعقوب ذراريّ أبنائه الاثني عشر، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: لا نؤمن ببعض، ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، و ﴿أَحَدٍ﴾ في معنى الجماعة[٢]، ولذلك صحّ دخول ﴿بَيْنَ﴾ عليه، ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: من باب التبكيت؛ لأن دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الإسلام، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] فلا يوجد إذاً

= وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن سعد من رواية ابن سيرين عن أبي عبيدة بن حذيفة. قال: إني من دين. قال: أنا أعلم بدينك منك». انتهى.

(١) الحنف والتحنف: الميل. والحنيف: المائل عن الباطل إلى الحق. يقول: خلقنا حال كوننا مائلاً ديننا عن الأديان الباطلة كلها إلى دين أبينا إبراهيم، لأن العرب اتفقت على أنه حق، وذلك من وقت ابتداء خلقنا، فإذا: ظرف للخلق الأول بعد تقييده بالحال بعده.
ينظر: الدر المصون (١/ ٣٨٤).

(٢) قال محمود رحمه الله: «وأحد في معنى الجماعة... إلخ». قال أحمد رحمه الله: وفيه دليل على أن النكرة الواقعة في سياق النفي تفيد العموم لفظاً حتى يتنزل المفرد فيها منزلة الجمع في تناوله الآحاد مطابقة، لا كما ظنه بعض الأصوليين من أن مدلولها بطريق المطابقة في النفي كمدلولها في الإثبات. وذلك الدلالة على الماهية. وإنما لزم فيها العموم من حيث أن سلب الماهية يستوجب سلب الأفراد لما بين الأعم والأخص من التلازم في جانب النفي. إذ سلب الأعم أخص من سلب الأخص فيستلزمه، فلو كان لفظاً ما لا إشعار له بالتعدد والعموم وضعاً لما جاز دخول بين عليها.

دين آخر يماثل دين الإسلام في كونه حقاً، حتى إن آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين، فقيل: فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير، أي: فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مساوياً له في الصحة والسداد فقد اهتدوا، وفيه أنّ دينهم الذي هم عليه: وكل دين سواه مغاير له غير مماثل، لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال. ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه: هذا هو الرأي الصواب، فإن كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به، وقد علمت أن لا أصوب من رأيك، ولكنك تريد تبكيت صاحبك، وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأي وراءه، ويجوز أن لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة، كقولك: كتبت بالقلم، وعملت بالقدوم أي: فإن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها، وقرأ ابن عباس وابن مسعود: «بما آمنتم به» وقرأ أبيّ: «بالذي آمنتم به» ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾: عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم إلا ﴿فِى شِقَاقٍ﴾: أي في مناوأة ومعاندة[1] لا غير، وليسوا من طلب الحق في شيء. أو: وإن تولوا عن الشهادة والدخول في الإيمان بها، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾: ضمان من الله، لإظهار رسول الله ـ ﷺ ـ عليهم، وقد أنجز وعده بقتل قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير، ومعنى السين أنّ ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: وعيد لهم، أي يسمع ما ينطقون به، ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه، أو وعد لرسول الله ـ ﷺ ـ بمعنى: يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق، وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: مصدر مؤكد منتصب على قوله، ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ كما انتصب، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: عما تقدمه، وهي (فعلة) من صبغ، كالجلسة من جلس، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى: تطهير الله؛ لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون: هو تطهير لهم، وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال: الآن صار نصرانياً حقاً فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم: قولوا آمناً بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا، وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا، أو يقول المسلمون، صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم؛ وإنما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة، كما تقول لمن يغرس الأشجار: اغرس كما يغرس

---

(١) قوله: «في مناوأة ومعاندة» في الصحاح: ناوأت الرجل مناوأة ونواء، عاديته. وربما لم يهمز. وأصله الهمز. (ع)

فلان، تريد رجلاً يصطنع الكرم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾: يعني أنه يصبغ عباده بالإيمان، ويطهرهم به من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته، وقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾: عطف على آمنا بالله، وهذا العطف يردّ قول من زعم أن ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: بدل من: ملة إبراهيم أو نصب على الإغراء بمعنى: عليكم صبغة الله، لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التئامه واتساقه[1]، وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه، والقول ما قالت حذام.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾

قرأ زيد بن ثابت «أتحاجُونّا»: بإدغام النون، والمعنى: أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم، وتقولون: لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا، وترونكم أحق بالنبوة منا، ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: نشترك جميعاً في أننا عباده، وهو ربنا، وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده، هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي إذا كان أهلاً للكرامة، ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: يعني أن العمل هو أساس الأمر وبه العبرة، وكما أن لكم أعمالاً يعتبرها الله في إعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك، ثم قال: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾، فجاء بما هو سبب الكرامة، أي ونحن له موحدون نخلصه بالإيمان فلا تستبعدوا أن يؤهل أهل إخلاصه، لكرامته بالنبوّة، وكانوا يقولون: نحن أحقّ بأن تكون النبوّة فينا، لأنا أهل كتاب والعرب عبدة أوثان، ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾: يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون أم معادلة للهمزة في ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾: بمعنى أيّ الأمرين تأتون: ألمحاجّة في حكمة الله أم ادّعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء؟ والمراد بالاستفهام عنهما إنكارهما معاً، وأن تكون منقطعة بمعنى: بل أتقولون، والهمزة للإنكار ـ أيضاً ـ وفيمن قرأ بالياء لا تكون إلا منقطعة: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾: يعني أن الله شهد لهم بملّة الإسلام في قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧]. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادته لإبراهيم بالحنيفية، ويحتمل معنيين: أحدهما أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم، لأنهم كتموا هذه

---

(١) قوله «واتساقه» في الصحاح: الاتساق الانتظام. وفيه أيضاً: التنسيق التنظيم. (ع)

الشهادة وهم عالمون بها، والثاني: أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها، وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد ﷺ بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته، (ومن) في قوله: ﴿شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: مثلها في قولك: هذه شهادة مني لفلان إذا شهدت له، ومثله: ﴿براءة من الله ورسوله﴾ [التوبة: ١].

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: الخفاف الأحلام، وهم اليهود، لكراهتهم التوجه إلى الكعبة/ ٦٠أ، وأنهم لا يرون النسخ، وقيل: المنافقون؛ لحرصهم على الطعن والاستهزاء، وقيل: المشركون، قالوا: رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها، والله ليرجعن إلى دينهم، فإن قلت: أي فائدة في الإخبار بقولهم قبل وقوعه[1]؟ قلت: فائدته أن مفاجأة المكروه أشدّ، والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع لما يتقدّمه من توطين النفس، وأنّ الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لشغبه، وقبل الرمي يراش السهم، ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾: ما صرفهم ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾: وهي بيت المقدس، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ﴾: أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها، ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾: من أهلها، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة، من توجيههم تارة إلى بيت المقدس، وأخرى إلى الكعبة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ﴾: ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ خياراً، وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، ونحوه قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «وَأَنْطُوا[2] الثَّبَجَةَ» (٧٩) يريد الوسيطة بين السمينة

---

٧٩ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٩١):

=

---

(١) قال محمود رحمه الله: «أي فائدة في الإخبار بقولهم قبل وقوعه... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله تعالى: ولهذه السكتة أجرى من حذو النظار في إدراج مناظرتهم العمل بمقتضى الذي هو كذا، السالم عن معارضة كذا، فسيقول: درء للمعارض قبل ذكر الخصم له، وهي نكتة بديعة أحسن ما يستدل على صحتها بهذه الآية. فتفطن لها. فإنها من الملح.

(٢) قوله «وأنطوا الثبجة» لغة في أعطوا. (ع)

والعجفاء وصفاً بالثَّبج وهو: وسط الظهر، إلا أنه ألحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف، وقيل: للخيار: وسط[1] لأنّ الأطراف يتسارع إليها الخلل، والأعوار والأوساط محمية محوّطة، ومنه قول الطائي [من البسيط]:

كَانَتْ هِيَ الْوَسَطَ الْمَحْمِيَّ فَاكْتَنَفَتْ بِهَا الْحَوَادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرَفَا[2]

وقد اكتريت بمكة جمل أعرابي للحج فقال: أعطني من سطاتهنه، أراد من خيار الدنانير، أو عدولاً، لأنّ الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ﴾، رُوِيَ: «أنّ الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم، فيؤتى بأمّة محمد ـ ﷺ ـ فيشهدون، فتقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد ـ ﷺ ـ فيسأل عن حال أمته، فيزكيهم ويشهد بعدالتهم» (٨٠)

= ذكره القاضي عياض في الشفاء في الفصل الأول في فصل: فصاحته ـ عليه السلام ـ. . .
قلت (أي الزيلعي): غريب أيضاً، وأعاده في سورة الكوثر» ا.هـ.
قال الحافظ: يأتي في سورة الكوثر.

٨٠ ـ أخرجه ابن جرير (٣/ ١٥١) رقم (٢١٩٢) عن زيد بن أسلم، أن قوم نوح يقولون يوم القيامة: لم يبلّغنا نوح، فيدعى نوح ـ عليه السلام ـ فيسأل: هل بلغتهم؟ فيقول: نعم. فيقال: من شهودك؟ فيقول: أحمد ـ ﷺ ـ وأمته، فتدعون فتسألون فتقولون: نعم قد بلّغهم، فتقول قوم نوح ـ عليه السلام ـ: كيف تشهدون علينا ولم تدركونا؟ قالوا: قد جاء نبي الله ـ ﷺ ـ فأخبرنا أنه قد بلغكم، وأنزل عليه أنه قد بلّغكم فصدّقناه، قال: فيصدق نوح ـ عليه السلام ـ ويكذبونهم قال: لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً. ورواه ابن جرير (٨/ ٣٦٩) رقم (٩٥١٥)، عن السدي نحوه في تفسير سورة النساء الآية ٤١.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: موقوف، أخرجه الطبري عن زيد بن أسلم موقوفاً. وأخرجه في =

---

(١) قال محمود رحمه الله: «وقيل للخيار وسط. . . إلخ». قال أحمد رحمه الله: وهذا مما اقتضى المجاز فيه التعميم.

(٢) وغيضة الموت أعني البذ قدت لها عرمرمًا لخروق الأرض معتسفا
كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا
لأبي تمام يخاطب المعتصم. والغيضة: مغيض الماء، يجتمع فيه ثم يغيض ويذهب فينبت فيه الشجر والنبات. والمراد هنا: موضع العسكر. والبذ: اسم قلعة لبابك الخرمي. والعرمرم: الجيش الكثير. وخروق الأرض: طرائفها. والمعتسف: الحائد عن الطريق لكثرته. شبّه ذلك الموضع بالغيضة على سبيل التهكم بأصحابه، لأنها تُضاف للماء، فأضافها للموت. وشبّه الجيش في الانقياد بالإبل على طريق المكنية وقودهم تخييل، وكنّى بالوسط عن التي لا يصل إليها الخلل لأنها محمية بالأطراف فاكتنفت وأحاطت بها الحوادث، يعني جيوش المعتصم، حتى أصبحت تلك الغيضة طرفاً فلحقها الخلل ومكاره الجيش.
ينظر: ديوانه (١٩٢)، الدر المصون (١/ ٣٩٢).

وذلك قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]. فإن قلت: فهلا قيل لكم شهيداً وشهادته لهم لا عليهم[1] قلت: لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له، جيء بكلمة الاستعلاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، ﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]، وقيل: لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: يزكيكم ويعلم بعدالتكم، فإن قلت: لم أخرت صلة الشهادة أولاً وقدّمت آخراً[2] قلت: لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم، ﴿الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾: ليست بصفة للقبلة إنما هي ثاني مفعولي جعل، يريد: وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها

= تفسير النسائي من قول السدي أيضاً. وفي البخاري من حديث أبي سعيد الخدري. قال: يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلّغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمداً وأمته. فيشهدون أنه بلّغ ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا... الآية﴾، ورواه البيهقي في البعث والنشور من رواية أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ يجيء النبيّ يوم القيامة، ومعه الثلاثة والأربعة والرجلان، حتى يجيء النبي وليس معه أحد، فتدعى أمة محمد؛ فيشهدون أنهم بلّغوا. فيقال لهم: وما علمكم أنهم بلّغوا فيقولون: جاءنا رسولنا بكتاب أخبرنا فيه أنهم قد بلّغوا فصدّقنا، قال: فيقال: صدقتم. وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت: فهلا قيل لكم شهيداً وشهادته لهم لا عليهم... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: وجه الاستدلال بالآية أنه وصف الله تعالى في أولها بالرقيب وفي آخرها بالشهيد على وجه التخصيص أولاً ثم التعميم ثانياً: وإنما ينتظم التعميم والتخصيص مع اتحاد مؤدى الرقيب والشهيد، إذ الآية في مثل قول القائل لمن شكره: كنت محسناً إلي وأنت لكل أحد محسن. وكأنه لما قال ﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ وكان ذلك مخصصاً لرقيبيته تعالى على بني إسرائيل. أراد أن يصفه بما هو أهله حتى ينفي وهم الخصوصية فقال في التقدير: وأنت على كل شيء كذلك، فوضع «شهيداً» موضع «كذلك» المشار به إلى رقيبيته، فلا يتم الاستدلال بها إلا على هذا الوجه. وفيه غموض على كثير من الأفهام والله الموفق.

(٢) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت: لم أخرت صلة الشهادة أولاً وقدمت آخراً... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: لأن المنة عليهم في الطرفين، ففي الأول بثبوت كونهم شهداء وفي الثاني بثبوت كونهم مشهوداً لهم بالتزكية خصوصاً من هذا الرسول المعظّم ولو قدم شهيداً لانتقل الغرض إلى الامتنان على النبي عليه الصلاة والسلام بأنه شهيد. وسياق الخطاب لهم والامتنان عليهم يأباه. وإنما أخذ الزمخشري الاختصاص من التقديم لأن فيه إشعار بالأهمية والعناية، وكثيراً ما يجري أي ذلك في أثناء كلامه، وفيه نظر.

وهي الكعبة، لأنّ رسول الله ـ ﷺ ـ كان يصلّي بمكة إلى الكعبة، ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس/ ٦٠ب بعد الهجرة تألفاً لليهود، ثم حوّل إلى الكعبة فيقول: وما جعلنا القبلة التي تجب أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها أوّلاً بمكة، يعني: وما رددناك إليها إلا امتحاناً للناس وابتلاء ﴿لِنَعْلَمَ﴾: الثابت على الإسلام الصادق فيه، ممن هو على حرف ينكُص، ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ لقلقه فيرتدّ؛ كقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣١]، ويجوز أن يكون بياناً للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته، يعني أنّ أصل أمرك أن تستقبل الكعبة، وأن استقبالك بيت المقدس كان أمراً عارضاً لغرض؛ وإنما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا ـ وهي بيت المقدس، لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: (كَانَتْ قِبْلَتُهُ بِمَكَّةَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ) (٨١) فإن قلت: كيف قال: ﴿لِنَعْلَمَ﴾: ولم يزل عالماً بذلك؟ قلت: معناه: لنعلمه علماً يتعلق به الجزاء، وهو أن يعلمه موجوداً حاصلاً ونحوه: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقيل: ليعلم رسول الله والمؤمنون؛ وإنّما أسند علمهم إلى ذاته، لأنهم خواصه وأهل الزلفى عنده، وقيل: معناه لنميز التابع من الناكص، كما قال: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧] فوضع العلم موضع التمييز، لأنّ العلم به يقع التمييز به، ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾: هي إن المخففة التي تلزمها اللام الفارقة، والضمير في: ﴿كَانَتْ﴾: لما دلّ عليه قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ من الردّة، أو التحويلة، أو الجعلة، ويجوز أن يكون للقبلة، ﴿لَكَبِيرَةً﴾: لثقيلة شاقة، ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ إلا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا أهلاً للطفه، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾: أي ثباتكم على الإيمان، وأنكم لم تزلّوا ولم ترتابوا، بل شكر صنيعكم وأعدّ لكم الثواب العظيم، ويجوز أن يراد: وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه أن تركه مفسدة

---

٨١ ـ أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٢٥)، والبزار في المسند (١/ ٢١٠ ـ ٢١١) رقم (٤١٨ ـ كشف)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٦٧) رقم (٦٦ ـ ١١)، من حديث مجاهد عن ابن عباس قال: كان النبي ـ ﷺ ـ يصلّي وهو بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه، وبعدما هاجر ستة عشر شهراً، ثم انصرف إلى الكعبة».
واللفظ للطبراني في الكبير.
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٩٢) لابن راهويه في مسنده، وابن سعد في الطبقات.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه إسحاق وابن سعد والبزار. والطبراني من رواية مجاهد عن ابن عباس: قال: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ يصلّي بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً»، قال البزار: لا يعلم رواه عنه إلاّ الأعمش ولا عنه إلاّ أبو عوانة. انتهى.

وإضاعة لإيمانكم، وقيل: من كان صلى إلى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة. عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: لَمّا وَجّه رَسُولُ الله إلَى الْكَعْبَة[1] قَالُوا: كَيْفَ بِمَنْ مَاتَ قَبْلَ التَّحْوِيلِ مِنْ إخْوَانِنَا فَنَزلَتْ: ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: «لاَ يُضِيعُ أُجُورَهُم وَلاَ يَتْرُكُ مَا يُصْلِحُهُمْ» (٨٢). ويحكى عن الحجاج أنه قال للحسن: ما رأيك في أبي تراب، فقرأ قوله: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ ثم قال: وعليٌّ منهم، وهو ابن عم رسول الله ـ ﷺ ـ وختنه على ابنته، وأقرب الناس إليه، وأحبهم، وقرىء: «إلا لِيُعْلَمَ» على البناء للمفعول، ومعنى العلم: المعرفة، ويجوز أن تكون (من) متضمنة لمعنى الاستفهام معلقاً عنها العلم، كقولك: علمت أزيد في الدار أم عمرو، وقرأ ابن أبي إسحاق «على عقبيه» بسكون القاف، وقرأ اليزيدي «لكبيرةٌ» بالرفع/ ٦١أ، ووجهها أن تكون (كان) مزيدة، كما في قوله [من الوافر]:

.... وَجِيـرَانٍ لَـنَـا ـ كَـانُـوا ـ كِـرَامِ[2]؟

والأصل: وإن هي لكبيرة، كقولك: إن زيد لمنطلق ثم وإن كانت لكبيرة وقرىء: «ليضيِّع» بالتشديد.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ

---

٨٢ ـ أخرجه أبو داود (٢/ ٦٣١) كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث (٤٦٨٠)، والترمذي (٥/ ٢٠٨) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة حديث (٢٩٦٤)، وابن حبان (٤/ ٦٢١) رقم (١٧١٧)، والحاكم (٢/ ٢٦٩).
والدارمي (١/ ٢٨١) كتاب الصلاة، باب تحويل القبلة، وأحمد في المسند (١/ ٢٩٥، ٣٠٤، ٣٢٢، ٣٤٧).
وقال الحاكم:
«هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ا.هـ.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود والترمذي وصححه الحاكم من رواية سماك عن عكرمة عنه. انتهى.

---

(١) هو في الذي بعده.
(٢) فـكـيـف إذا مـررت بـدار قـوم ... وجـيـران لـنـا ـ كـانـوا ـ كـرام؟
للفرزدق. يقول: فكيف يكون الحال إذا مررت بدار قوم وجيران لنا كرام، فكانوا: زائدة للدلالة على المضي، وأن الجيران كانوا ثم انقرضوا. وكرام ـ بالجر ـ: صفة جيران.

﴿بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾

﴿قَدۡ نَرَىٰ﴾: ربما نرى، ومعناه: كثرة الرؤية[1] كقوله [من البسيط]:

قَـدْ أَتْـرُكُ الـقِـرْنَ مُـصْـفَـرًّا أَنَـامِـلُـهُ[2] ....

﴿تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ﴾: تردّد وجهك وتصرّف نظرك في جهة السماء، وكان رسول الله ﷺ يتوقع من ربه أن يحوّله إلى الكعبة، لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وأدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم، ولمخالفة اليهود فكان يراعى نزول جبريل ـ عليه السلام ـ والوحي بالتحويل، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: فلنعطينّك ولنمكننك من استقبالها، من قولك: وليته كذا. إذا جعلته والياً له، أو فلنجعلنك تلي سَمْتها دون سمت بيت المقدس، ﴿تَرۡضَىٰهَا﴾: تحبها وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله

---

(١) قال محمود رحمه الله: «معناه كثرة الرؤية... إلخ». قال أحمد رحمه الله: وهذا من المواضع التي تبالغ العرب فيها بالتعبير عن المعنى بضد عبارته. ومنه: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ والمراد كثرة مودتهم للإسلام في القيامة وعند معاينة جزائه وثوابه، وكذلك: ﴿وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ﴾ ومراده إظهار عنادهم بأن علمهم برسالته يقيني مؤكد، ومع ذلك يكفرون به.

(٢)
قـد أتـرك الـقـرن مـصـفـراً أنـامـلـه ... كـأن أثـوابـه مـجـت بـفـرصـاد
أوجرته ونـواصي الـخيـل معـلـمـة ... سمـر أعـامـلـهـا من خلـفـهـا نـادي

للهذلي. وقيل: لعبيد بن الأبرص. وقد للتكثير والترك بمعنى التصيير. واصفرار الأنامل: كناية عن الموت. والفرصاد: ماء التوت، وهو أحمر. والإيجار: السقي كرهاً. ونواصي الخيل: شعور رءوسها. والمعلمة: المشهورة بعلامات. والسمراء: القناة. وعاملها في الأصل: هو ما يلي السنان منها، فاستعاره لما يأتي مبالغة. ويقال: نأدته الداهية نأداً، إذا فدحته وبلغت منه، وخفف الناد هنا بإبدال الهمزة ألفاً، أي كثيراً ما أترك قريني في الشجاعة قتيلاً ملطخة أثوابه بدمه أسقيته رمحاً عاملها من خلفها شدة ضربي. ويروى: ثادي، بالمثلثة. والثأد ـ بالهمز وقد يخفف ـ: الندى والمطر. وأما الثادي ـ اسم فاعل ـ فهو السحاب الكثير المطر، أي سقيته، والحال أن نواصي الخيل مسومة رمحاً عاملها من خلفها شدة ضربي الشبيهة بالندى أو بالسحاب، وذلك مناسب للإيجار. ويروي: سمر، كحمر، فهو خبر ثانٍ. وأعاملها: مضارع. وناد: مفعول أوجرته وفيه نوع التهكم. وروي لزهير تكميل البيت الأول بقوله:

.... يميد في الرمح ميد المائح الأسن

أي المنتن. يقال: أسن الماء فهو آسن، بالمد وتركه، إذا أنتن.

والبيت لعبيد بن الأبرص في ديوانه ص ٦٤، وخزانة الأدب ١١/ ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٦٠، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٦٨، ولعبيد بن الأبرص أو للهذلي في الدرر ٥/ ١٢٨، وشرح شواهد المغني ص ٤٩٤، وللهذلي بدون تحديد في الأزهية ص ٢١٢، والجنى الداني ص ٢٥٩، وشرح المفصل ٨/ ١٤٧، والكتاب ٤/ ٢٢٤، ولسان العرب (قدد)، ومغني اللبيب ص ١٧٤، وبلا نسبة في تذكرة النحاة ص ٧٦، ورصف المباني ص ٣٩٣، وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٢٠، ولسان العرب (أسن)، والمقتضب ١/ ٤٣، وهمع الهوامع ٢/ ٧٣.

وحكمته ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ نحوه، قال [من المتقارب]:

وَأَظْعَنُ بِالْقَوْمِ شَطْرَ الْمُلُو ... كِ . . . . [1]

وقرأ أبيّ: تلقاء المسجد الحرام، وعن البراء بن عازب: قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم وجه إلى الكعبة[2] (٨٣)، وقيل: كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين، ورسول الله ـ ﷺ ـ في مسجد بني سلمة وقد صلّى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحوّل في الصلاة واستقبل الميزاب، وحوّل الرجال مكان النساء، والنساء مكان الرجال، فسمى المسجد مسجد القبلتين(٨٤)، و﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾: نصب على الظرف، أي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسَمْته[3]؛ لأن استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد، وذكر

---

٨٣ ـ أخرجه البخاري (٢/ ٦٠) كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان حديث (٣٩٩)، وأطرافه في (٤٠، ٤٤٨٦، ٤٤٩٢، ٧٢٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢ ـ ١٣ ـ نووي) كتاب المساجد، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة حديث (٥٢٥)، والترمذي (٢/ ١٦٩) كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في ابتداء القبلة حديث (٣٤٠)، (٥/ ١٩١)، كتاب التفسير حديث (٢٩٦٢)، وابن ماجة (١/ ٣٢٢) كتاب إقامة الصلاة، باب القبلة حديث (٢٩٦٢)، وابن ماجة (١/ ٣٢٢) كتاب إقامة الصلاة، باب القبلة حديث (١٠١٠)، وابن حبان في صحيحه (٤/ ٦١٧ ـ ٦١٨) رقم (١٧١٦)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٨٣، ٢٨٨ـ ٢٨٩، ٣٠٤)، والبيهقي في السنن (٢/ ٢) كتاب الصلاة، باب تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.

وابن خزيمة في صحيحه مختصراً (١/ ٢٢٢) رقم (٤٢٨)، والدارقطني (١/ ٢٧٣)، وابن الجارود في المنتقى رقم (١٦٥)، والبغوي في شرح السنة (٢/ ٩٥) رقم (٤٤٥).

قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف:

متفق عليه من طريق أبي إسحاق عنه، وفيه: «وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ـ الحديث»، وفي رواية لابن حبان: «وكا يحب أن يحوّل نحو البيت». انتهى.

٨٤ ـ قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف:

«أخرجه الواقدي في المغازي، ونقله عن ابن سعد ثم أبي الفتح اليعمري» ا.هـ.

---

(١) ويروى هذا البيت هكذا:

وأطعن بالرمح شطر الملو ... ك حتى إذا خفق المجدح

ينظر اللسان (جدح)، والدر المصون ١/ ٣٩٩.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وشرحه هذا على التحقيق متضادٍ؛ لأنه شرح «قد نرى» بـ ربما نرى، ورب على مذهب المحققين إنما تكون لتقليل الشيء في نفسه، أو لتقليل نظيره، ثم قال: ومعناه كثرة الرؤية، فهو مضاد لمدلول رب على مذهب الجمهور، ثم هذا الذي ادعاه من كثرة الرؤية لا يدل عليه اللفظ؛ لأنه لم توضع للكثرة «قد» مع المضارع سواء أريد به المضي أم لا، وإنما فهمت الكثرة من متعلق الرؤية، وهو التقلب. انتهى. الدر المصون.

(٣) قال محمود رحمه الله: «الشطر النحو والسمت. . . إلخ». قال أحمد رحمه الله: وقد نقل أصحابنا =

المسجد الحرام دون الكعبة؛ دليل في أنّ الواجب، مراعاة الجهة دون العين، ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾: أن التحويل إلى الكعبة هو الحق؛ لأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله أنه يصلّي إلى القبلتين، ﴿يَعْمَلُونَ﴾ قرىء بالياء والتاء؛ ﴿مَّا تَبِعُواْ﴾: جواب القسم المحذوف سدّ مسدّ جواب الشرط، ﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾: بكل برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق، ما تبعوا ﴿قِبْلَتَكَ﴾ لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة؛ إنما هو عن مكابرة، وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾: حسم لأطماعهم إذ كانوا ماجوا في ذلك، وقالوا: لو ثبت على قبلتنا، لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم، وقرىء: «بتابع قبلتهم»: على الإضافة، ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾: يعني أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم، كما لا ترجى موافقتهم لك، وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى مطلع الشمس، أخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه، وثباته عليه، فالمحق منهم لا يزل عن / ٦١ب مذهبه لتمسكه بالبرهان، والمبطل لا يقلع عن باطله؛ لشدة شكيمته في عناده، وقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله: ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾: كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير، بمعنى: ولئن اتبعتهم مثلاً بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر، ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: المرتكبين الظلم الفاحش، وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير، واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى، وتهييج وإلهاب للثبات على الحق، فإن قلت: كيف قال: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾، ولهم قبلتان[1] لليهود قبلة

= المالكية خلافاً عن المذهب في الواجب فقيل: الجهة. وقيل: العين، هذا مع البعد. وأما حيث تشاهد الكعبة في المسجد الحرام فمن خرج عن السمت ثم لم تصح صلاته قولاً واحداً، ثم لهم على كل واحد من القولين إشكال. أما على قول العين فيلزم أن لا تصح صلاة الصف المستقيم المستطيل زيادة على مسامتة الكعبة شرفها الله تعالى، لأنا نعلم بالضرورة ـ وإن لم نشاهد ـ أن بعضهم يصلّي إلى غير عينها. إذ لا يفي سمتها بذلك على هذا التقدير. لكن الجواز في مثل هذا مع البعد متفق عليه. وأما على قول الجهة فيلزم تجويز صلاة الكائن في الشمال مثلاً إلى الجهات الثلاث، لأنها كلها جهات الكعبة، والسمت غير مراعى على هذا المذهب، وإنما جاء هذا الخبط من عدم التمييز بين مراعاة الجهة والسمت. ولقد ميزهما أبو حامد بمثال هندسي في كتاب الإحياء فلا نطول بذكره. والتحقيق عند الفتوى: أن المعتبر مع البعد الجهة لا السمت.

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت: لم جاء على التوحيد وهما قبلتان. . . إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: ومثل هذا ما أجيب به عن قوله تعالى ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ مع أنه متعدد وهو المن والسلوى، فقيل إنهم أرادوا أنهما من طعام الترفه، وآثروا طعام الفلاحة والأجلاف، فلما اتحد الطعامان المذكوران في الرفاهية جعلوهما طعاماً واحداً. وهذا المعنى في إنكار الطعام أبلغ، لأنهم لم يكتفوا في إنكاره بقولهم ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ﴾ حتى أكدوه بقولهم ﴿وَٰحِدٍ﴾ وللزمخشري عنه جواب آخر سلف بمكانه.

وللنصارى قبلة؟ قلت: كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق، فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾

﴿ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾: يعرفون رسول الله ﷺ معرفة جلية يميّزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص، ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾: لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: أنا أعلم به مني بابني، قال: ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي، فأما ولدي، فلعل والدته خانت، فقبل عمر رأسه، وجاز الإضمار، وإن لم يسبق له ذكر؛ لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع، ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علماً معلوماً بغير إعلام، وقيل: الضمير للعلم أو القرآن أو تحويل القبلة، وقوله: (كما يعرفون أبناءهم): يشهد للأول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام. فإن قلت: لم اختص الأبناء[1]؟ قلت: لأنّ الذكور أشهر وأعرف، وهم لصحبة الآباء ألزم، وبقلوبهم ألصق، وقال: ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾: استثناء لمن آمن منهم، أو لجهالهم الذين قال الله تعالىٰ فيهم ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ٧٨]. ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾: يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف، أي هو الحق، أو مبتدأ خبره: (من ربك)، وفيه وجهان: أن تكون اللام للعهد، والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله ـ ﷺ ـ، أو إلى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق، أي: هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك، وأن تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره، يعني أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه، وما لم يثبت أنه من الله كالذي عليه أهل الكتاب فهو الباطل، فإن قلت: إذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك؟ قلت: يجوز أن يكون خبراً بعد خبر، وأن يكون حالاً، وقرأ عليّ ـ رضي الله عنه ـ: الحق من ربك، على الإبدال من الأوّل، أي يكتمون الحق، الحق من ربك، ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾: الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم، أوفي أنه من ربك، ﴿ وَلِكُلٍّ ﴾: من أهل الأديان المختلفة، ﴿ وِجْهَةٌ ﴾: قبلة، وفي قراءة أبيّ: ولكل

---

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت لم خصّ الأبناء ولم يقل أولادهم. . . إلخ». قال أحمد رحمه الله: بنى كلامه هذا على أن الإناث لا يدخلن في لفظ الأبناء كما يدخلن في لفظ الأولاد، وليس الأمر كذلك، بل اللفظان سواء في شمول الإناث، ولذلك يدخلن في لفظ الواقف إذا وقف على بنيه وبني بنيه، كما يدخلن في لفظ الأولاد. هذا مذهب الإمام مالك رضيَ الله عنه.

قبلة، ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهه، فحذف أحد المفعولين، وقيل هو لله تعالى، أي الله موليها إياه، وقرىء: «ولكل وجهة» على الإضافة، والمعنى / ٦٢أ وكل وجهةٍ اللَّهُ موليها، فزيدت اللام؛ لتقدم المفعول كقولك: لزيد ضربت ولزيد أبوه ضاربه، وقرأ ابن عامر: هو مولاها أي هو مولى تلك الجهة وقد وليها، والمعنى: لكل أمّة قبلة تتوجه إليها، منكم ومن غيركم، ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾: أنتم، ﴿الْخَيْرَاتِ﴾: واستبقوا إليها[1] غيركم من أمر القبلة وغيره، ومعنى آخر: وهو أن يراد: ولكل منكم يا أمة محمد، وجهة، أي: جهة يصلّي إليها جنوبية، أو شمالية، أو شرقية، أو غربية، فاستبقوا الخيرات، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه، ويجوز أن يكون المعنى: فاستبقوا الفاضلات من الجهات، وهي الجهات المسامتة للكعبة، وإن اختلفت، أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعاً يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة، وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ (١٥٤)﴾

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾: أي: ومن أي بلد خرجت للسفر، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: إذا صليت، ﴿وَإِنَّهُ﴾: وإن هذا المأمور به، وقرىء: «تعملون» بالتاء والياء، وهذا التكرير، لتأكيد أمر القبلة وتشديده، لأنّ النسخ من مظانّ الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة إلى التفصلة بينه وبين البداء، فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدّوا، ولأنه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر، فاختلفت فوائدها، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: استثناء من الناس، ومعناه: لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا للمعاندين منهم القائلين: ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحباً لبلده، ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء.

---

(١) قوله «واستبقوا إليها» لعله واسبقوا. (ع)

فإن قلت: أي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحوّل حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين؟ قلت: كانوا يقولون ما له لا يحوّل إلى قبلة أبيه إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة؟ فإن قلت: كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين؟ قلت: لأنهم يسوقونه سياق الحجة، ويجوز أن يكون المعنى: لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم وإسماعيل أبي العرب، إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون: بداله فرجع إلى قبلة آبائه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم، وقرأ زيد بن علي ـ رضي الله عنهما ـ «ألا الذين ظلموا منهم»، على أنّ ألا للتنبيه ووقف على حجة، ثم استأنف منبها، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم، فإنهم لا يضرونكم، ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾: فلا تخالفوا أمري وما رأيته مصلحة لكم، ومتعلق اللام محذوف، معناه: ولإتمامي النعمة عليكم وإرادتي اهتداءكم أمرتكم بذلك؛ أو يعطف على علة مقدّرة، كأنه قيل: واخشوني لأوفقكم ولأتمّ نعمتي عليكم، وقيل: هو معطوف على: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾، وفي الحديث: «تَمَامُ النِّعْمَةِ دُخُولُ الْجَنَّةِ» (٨٥) وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: «تَمَامُ النِّعْمَةِ الْمَوْتُ عَلَى الْإِسْلَامِ»/ ٦٢ب ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾: إمّا أن يتعلق بما قبله، أي: ولأتمّ نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول، أو بما بعده، أي: كما ذكرتكم بإرسال الرسول، ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ﴾ بالطاعة، ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: بالثواب، ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي﴾: ما أنعمت به عليكم، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾: ولا تجحدوا نعمائي، ﴿أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾: هم أموات بل هم أحياء، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾: كيف حالهم في حياتهم، وعن الحسن: أنّ الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم، فيصل إليهم الروح والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا، فيصل إليهم الوجع، وعن مجاهد: يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها، وقالوا: يجوز أن يجمع الله من أجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل إليها النعيم وإن كانت في حجم الذّرة، وقيل: نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر،

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ

---

٨٥ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٥٤١) كتاب الدعوات، حديث (٣٥٢٧).
وأحمد في المسند (٥/ ٢٣١) عن معاذ بن جبل.
وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٢٦٥).
وعزاه «لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبخاري في الأدب المفرد، والطبراني، والبيهقي في الأسماء والصفات، والخطيب عن معاذ بن جبل» ا.هـ.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه أحمد، والترمذي، والبزار من حديث معاذ، وسيأتي في سورة الرحمن. انتهى.

ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾: ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم، هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لأمر الله وحكمه أم لا؟ ﴿بِشَيْءٍ﴾: بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾: المسترجعين عند البلاء؛ لأنّ الاسترجاع: تسليم وإذعان، وعن النبي ﷺ: «من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته، وأحسن عقباه، وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه»، (٨٦) وروي: أنه طفىء سراج رسول الله ﷺ: فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، فقيل: أمصيبة هي؟ قال: «نعم، كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة»، (٨٧) وإنما قلل في قوله: (بشيء): ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل ففوقه ما يقل إليه، وليخفف عليهم ويريهم أن رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم؛ وإنما وعدهم ذلك قبل كونه؛ ليوطنوا عليه نفوسهم، (ونقص): عطف على (شيء)، أو على الخوف، بمعنى: وشيء من نقص الأموال، والخطاب في: (بشّر): لرسول الله ﷺ، أو لكل من يتأتى منه البشارة، وعن الشافعي ـ رحمه الله ـ في الخوف: خوف الله، والجوع: صيام شهر رمضان؛ والنقص من الأموال: الزكوات والصدقات، ومن الأنفس: الأمراض، ومن الثمرات؛ موت الأولاد[1]، وعن النبي ﷺ:

---

٨٦ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٦)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٥٥) رقم (١٣٠٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ١١٦) رقم (٩٦٨٩)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به مرفوعاً.

وعلي عن ابن عباس منقطع، وقد تقدم الكلام على هذا.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الطبري، والطبراني، والبيهقي في الشعب من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قال في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآية: إن المؤمن إذا أسلم لأمر الله، واسترجع عند المصيبة أحرز ثلاث خصال من الخير: الصلاة من الله، والرحمة. وتحقيق سبيل الهدى، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: من استرجع. . . فذكره. انتهى.

٨٧ ـ أخرجه أبو داود في المراسيل رقم (٤١٢)، حدثنا قتيبة حدثنا يحيىٰ ـ يعني ابن سليم ـ عن عمران القصير قال:

طفىء مصباح النبي ـ ﷺ ـ فاسترجع قالت عائشة: إن هذا مصباح: قال: «كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة»، قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه أبو داود في المراسيل من حديث عمران القصير، قال: طفىء مصباح النبي ﷺ فاسترجع، فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: إنما هذا مصباح. فقال: كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة. انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه الله: «وعن الشافعي رضيَ الله عنه: الخوف خوف الله.. والجوع: صيام شهر =

«إذا مات ولد العبد، قال الله تعالى للملائكة: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: أقبضتم ثمرة قلبه؟ فيقولون: نعم، فيقول الله تعالى: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد»، (٨٨) والصلاة: الحنو والتعطف، فوضعت موضع الرأفة، وجمع بينها وبين الرحمة، كقوله تعالى: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧]، ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، والمعنى: عليهم رأفة بعد رأفة، ورحمة أيّ رحمة، ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾: لطريق الصواب، حيث استرجعوا وسلموا لأمر الله.

﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

والصفا والمروة: علمان للجبلين، كالصمان والمقطم/٦٣أ والشعائر: جمع شعيرة، وهي العلامة، أي: من أعلام مناسكه ومتعبداته، والحج: القصد، والإعتمار: الزيارة، فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين، وهما في المعاني كالنجم والبيت في الأعيان، وأصل ﴿يَطَّوَّفَ﴾: يتطوّف، فأدغم، وقرىء: «أن يطوف»: من طاف، فإن قلت: كيف قيل: إنهما من شعائر الله، ثم قيل: لا جناح عليه أن يطوف بهما؟ قلت: كان على الصفا أساف، وعلى المروة نائلة، وهما صنمان، يروى: أنهما كانا رجلاً وامرأة زنيا

---

٨٨ ـ أخرجه الترمذي (٣/ ٣٣٢) كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب حديث (١٠٢١)، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٢١٠) رقم (٢٩٤٨)، وأحمد في مسنده (٤/ ٤١٥)، والبيهقي في الشعب (٧/١١٨ ـ ١١٩) رقم (٩٦٩٩، ٩٧٠٠).
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه الترمذي، وقال: حسن غريب، وأخرجه أحمد وغيره وصححه ابن حبان، ورواه البيهقي في الشعب مرفوعاً وموقوفاً، انتهى.

= رمضان، والنقص من الأموال: الزكوات، ومن الأنفس: الأمراض، ومن الثمرات: موت الأولاد» قال أحمد: وفي تفسيره هذا نظر، لأن هذا الابتلاء موعود به في المستقبل، مذكور قبل وقوعه توطناً عليه عند الوقوع، ولعله ما من بلية ذكرها إلا وقد تقدمت لهم قبل نزول الآية، إذ الخوف من الله تعالى لم يزل مشحوناً في قلوب المؤمنين، ويبعد أن يعبر عن الصدقة بالنقص وقد عبر عنها الشرع بالزكاة التي هي النمو ضد النقص وورد «ما نقص مال من صدقة» ويمكن أن يقال هي نقص حساً؛ وإنما سميت زكاة باعتبار ما يؤول إليه حال القيام بها من النمو فالعوض المرجو من كرم الله خلف فلما ذكرها الله تعالى في سياق الابتلاء الموعود بها عبّر عنها بالزكاة تسهيلاً لإخراجها على المكلف لأنه إذا استشعر العوض من الله تعالى ونمو ماله بذلك، هان عليه بذلها وسمحت نفسه لذلك.

في الكعبة، فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما، فلما طالت المدّة عُبدا من دون الله، فكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان، كره المسلمون الطواف بينهما، لأجل فعل الجاهلية، وأن لا يكونْ عليهم جناح في ذلك، فرفع عنهم الجناح، واختلف في السعي، فمن قائل: هو تطوّع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك، كقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وغير ذلك، ولقوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، كقوله: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٨٤]، ويُروى ذلك عن أنس، وابن عباس، وابن الزبير، وتنصره قراءة ابن مسعود: فلا جناح عليه أن لا يطوّف بهما، وعن أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ: أنه واجب وليس بركن، وعلى تاركه دم، وعند الأوّلين لا شيء عليه، وعند مالك والشافعي: هو ركن، لقوله ـ عليه السلام ـ: «اِسْعَوْا فَإِن الله كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ» (٨٩) وقرىء: ومن يطوّع بمعنى: ومن يتطوع،

---

٨٩ ـ رُوي هذا من حديث ابن عباس، وصفية بنت شيبة، وحبيبة بنت أبي تجرأة، وتملك العبدرية.

ـ **أما حديث ابن عباس:**

فرواه الطبراني (١١/ ١٨٤) رقم (١١٤٣٧) قال: حدثنا محمد بن النضر عن معاوية بن عمرو عن المفضل بن صدقة عن ابن جريج، وإسماعيل بن مسلم عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ـ ﷺ ـ عام حج عن الرمل، فقال: «إنَّ الله كتب عليكم السعي فاسعوا».

قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٤٢):

«رواه الطبراني في الأوسط، وفيه المفضل بن صدقة، وهو ضعيف» ا.هـ.

وقال في المجمع أيضاً (٣/ ٢٥١):

«رواه الطبراني في الكبير، وفيه المفضل بن صدقة وهو متروك» ا.هـ.

وأمّا حديث صفية بنت شيبة: قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: اسعوا؛ فإن الله كتب عليكم السعي» ا.هـ.

عزاه الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٥١) للطبراني في الكبير، وقال: «فيه المثنى بن الصباح، وثقه ابن معين في رواية، وضعفه جماعة» ا.هـ.

وأمّا حديث حبيبة بنت أبي تجرأة: أنها قالت: «رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يطوف بين الصفا والمروة، والناس بين يديه، وهو وراءهم، وهو يسعى حتى إني لأرى ركبتيه من شدة السعي، وهو يقول: اسعوا؛ فإن الله كتب عليكم السعي».

أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٤٢١، ٤٢١ ـ ٤٢٢)، والشافعي في المسند (١/ ٣٥١) رقم (٩٠٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٧٠)، والدارقطني (٢/ ٢٥٦)، والبغوي في شرح السنة (٤/ ٨٤) رقم (١٩١٤ ـ بتحقيقنا).

وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٥٠):

«رواه أحمد والطبراني في الكبير... وفيه عبد الله بن المؤمل، وثقه ابن حبان، وقال: يخطىء، وضعفه غيره» ا.هـ.

ـ **وأما حديث تملك العبدرية:**

قالت: نظرت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا في غرفة لي بين الصفا والمروة، وهو يقول: «أيها =

فأدغم، وفي قراءة عبد الله: ومن يتطوع بخير.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾: من أحبار اليهود، ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾ في التوراة ﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: من الآيات الشاهدة على أمر محمد ـ ﷺ ـ ﴿والهدىٰ﴾: والهداية بوصفه إلى أتباعه والإيمان به، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾: ولخصناه، ﴿لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في التوراة، لم ندع فيه موضع إشكال، ولا اشتباه على أحد منهم، فعمدوا إلى ذلك المبين الملخص فكتموه ولَبَّسوا على الناس، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾: ما أفسدوا من أحوالهم، وتداركوا ما فرط منهم، ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾: ما بينه الله

= الناس، إنّه كتب عليكم السعي فاسعوا»، رواه البيهقي (٥/٩٨) كتاب الحج، باب وجوب الطواف بين الصفا والمروة، وأن غيره لا يجزي عنه.

قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٥١):

«رواه الطبراني في الكبير، وفيه المثنى بن الصباح، وقد وثقه ابن معين في رواية، وضعفه جماعة» ا.هـ.

وقال الزيلعي في نصب الراية (٣/٥٧):

«تفرد به مهران بن أبي عمر قال البخاري: في حديثه اضطراب».

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: سئل رسول الله ـ ﷺ ـ عام حج عن الرمل فذكره. رواه الشافعي، وأحمد، وإسحاق، والطبراني، والدارقطني، والحاكم من رواية عبد الله بن المؤمل عن عمر بن عبد الرحمن بن نحيس عن عطاء بن أبي رباح عن حبيبة بنت أبي تجرأة، قالت: رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه، وهو وراءهم يسعى حتى إني لأرى ركبتيه من شدة السعي، وهو يقول: «اسعوا؛ فإن الله كتب عليكم السعي»، وعبيد الله ضعيف. وأخرجه الحاكم من طريق آخر عن عبد الله بن شيبة عن جدته صفية بنت شيبة عن حبيبة بنت أبي تجرأة. قالت: اطلعت بكرة بين الصفا والمروة فأشرفت على رسول الله ـ ﷺ ـ وإذا هو يسعى، ويقول لأصحابه: «اسعوا، فإن الله كتب عليكم السعي»، وأخرجه الطبراني والبيهقي من رواية ابن عيينة عن المثنى بن الصباح عن المغيرة بن حكيم، عن صفية عن تملك العبدرية قالت: نظرت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا في غرفة لي بين الصفا والمروة، وهو يقول: «أيها الناس، إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا». والمثنى ضعيف، وأخرجه الطبراني من رواية حميد بن عبد الرحمن عن المثنى بن الصباح فلم يذكر تملك. انتهى.

في كتابهم فكتموه، أو بينوا للناس ما أحدثوه من توبتهم، ليمحوا سمة الكفر عنهم، ويعرفوا بضدّ ما كانوا يعرفون به، ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢) ﴾

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾: يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا، ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتاً، وقرأ الحسن: «والملائكةُ والناسُ أجمعون» والملائكة والناس أجمعون، بالرفع عطفاً على محل اسم الله، لأنه فاعل في التقدير، كقولك: عجبت من ضرب زيد وعمرو، تريد من أن ضرب زيد وعمرو، كأنه قيل: أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة، فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾، وفي الناس المسلم والكافر، قلت: أراد بالناس من يعتدّ بلعنه/ ٦٣ب وهم المؤمنون، وقيل: يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾: في اللعنة، وقيل: في النار إلا أنها أضمرت تفخيماً؛ لشأنها وتهويلاً، ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾: من الإنظار أي لا يمهلون ولا يؤجلون، أو لا ينتظرون ليعتذروا، أو لا ينظر إليهم نظر رحمة.

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (١٦٣) ﴾

﴿ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾: فرد في الإلٰهية لا شريك له فيها ولا يصحّ أن يسمى غيره إلٰهاً، و﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾: تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾: المولى لجميع النعم أصولها وفروعها، ولا شيء سواه بهذه الصفة، فإن كلّ ما سواه إمّا نعمة وإما منعم عليه، وقيل: كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنماً، فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا: إن كنت صادقاً فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت[1].

---

(١) قوله ـ سبحانه ـ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ إلى نهاية الآية التي بعدها هذا الخطاب للمشركين، ومقامهم الإنكار، ولهذا عجبوا حينما نزلت هذه الآية ـ كما بين ذلك العلامة المفسر، ولكن المتكلم هو الله العليم بذات الصدور، ولهذا أراد أن ينزلهم منزلة غير المنكرين، فجاء خطابهم بدون توكيد.
والبلاغيون في هذا المجال يقولون: إنه خطاب خالي الذهن يكون بلا توكيد، والمتردد بتوكيد واحد، والمنكر بتوكيدات تدفع الإنكار، وتدع ما في نفسه من أدواء، ولكن إذا كان المخاطب لديه من الدلائل التي لو تأملها لاقتنع بالقضية من عند نفسه، هنا ينزل المنكر منزلة خالي الذهن بهذا الاختيار الجديد، ويسمى هذا التنزيل: خطاب على غير ظاهر الحال، وهذا المقام له تفريعات عديدة، ومقامات فريدة، ومن أجل ذلك ترى المفسر العلامة يورد أنهم تعجبوا فأخبرهم المولى ـ سبحانه ـ في الآية التي بعدها بما يجب عليهم أن يفعلوه، وهو تدبر آيات الله في المسوات والأرض والليل والنهار والبحر والأرض فهم إن فعلوا ذلك علموا عن يقين أن الإله واحد، وهو الله لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.
=

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: واعتقابهما؛ لأنّ كلّ واحد منهما يعقب الآخر، كقوله: ﴿جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢] ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: بالذي ينفعهم مما يحمل فيها أو ينفع الناس، فإن قلت: قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾: عطف على أنزل أم أحيا؟ قلت: الظاهر أنه عطف على أنزل داخل تحت حكم الصلة؛ لأنّ قوله: **(فأحيا به الأرض)**: عطف على أنزل، فاتصل به وصارا جميعاً كالشيء الواحد، فكأنه قيل: وما أنزل في الأرض من ماء وبثّ فيها من كل دابة؛ ويجوز عطفه على أحيا على معنى فأحيا بالمطر الأرض وبثّ فيها من كل دابة؛ لأنهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا[1]. ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: في مهابها: قبولاً، ودبوراً، وجنوباً، وشمالاً، وفي أحوالها: حارّة، وباردة، وعاصفة، ولينة، وعقماً، ولواقح، وقيل: تارة بالرحمة، وتارة: بالعذاب، ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾: سخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء، ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون، لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة، وعن النبيّ ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: «وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فَمَجَّ بِهَا» (٩٠) أي: لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها، وقرىء: الفُلُك بضمتين، وتصريف

---

٩٠ ـ ذكره الثعلبي في التفسير.
وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٩٩): «غريب جدًا» ا.هـ.

= يقول سعد الدين التفتازاني:
«ويجعل المنكر كغير المنكر إذا كان معه أي مع المنكر ما إن تأمله أي شيء من الدلائل والشواهد إن تأمل المنكر ذلك الشيء ارتدع عن إنكاره، ومعنى كونه مع المنكر أن يكون معلوماً له أو محسوساً عنده، كما تقول لمنكر الإسلام ـ الإسلام حق ـ من غير تأكيد لما معه من الدلائل الدالة على نبوة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ لكنه لا يتأملها ليرتدع عن الإنكار».
وقد فهم المفسرون هذا المنحى البلاغي في الأساليب الخبرية والإنشائية وركزوا هممهم في التطبيقات الفائقة في آيات الكتاب العزيز، ناظرين إلى مقامات الآيات التي وردت مع التوكيد أو بدونه سواء كان هذا على ظاهر الحال أو خلاف ظاهر الحال. ومن أراد الوقوف على نحو هذه الأسرار، واستجلاء هذه الآثار فعليه بمطالعة كتب المفسرين، ينظر روح المعاني للألوسي ٢٣/ ٤١، المطول ص ٥٠، والإيضاح ١/ ٩٨، وخصائص التراكيب لأبي موسى ٤٨ وما بعدها، وبحوث المطابقة لعلي البدري ١٦٨ وما بعدها؛ ودلائل الإعجاز بتعليق وشرح خفاجي ٣١١، وعلم المعاني ٥٤.
(١) قوله «ويعيشون بالحيا» في الصحاح: الحيا ـ مقصور ـ: المطر والخصب. (ع)

الريح، على الإفراد.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿أَندَادًا﴾: أمثالاً من الأصنام، وقيل: من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم؛ واستدلّ بقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة ١٦٦]، ومعنى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾: يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب، ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾: كتعظيم الله[1]، والخضوع له، أي: كما يحب الله تعالى، على أنه مصدر من المبني للمفعول؛ وإنما استغنى عن ذكر من يحبه لأنه غير ملبس، وقيل: كحبهم الله، أي: يسوُّون بينه وبينهم في محبتهم؛ لأنهم كانوا يقرّون بالله ويتقرّبون إليه، فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره؛ بخلاف المشركين فإنهم يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه، فيقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ويعبدون الصنم/ ٦٤أ زماناً ثم يرفضونه إلى غيره، أو يأكلونه كما أكلت باهلة إلٰهها من حيس عام المجاعة، ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾: إشارة إلى متخذي الأنداد، أي: لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أنّ القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون أندادهم، ويعلمون شدّة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة، لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم، فحذف الجواب كما في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟﴾ [الأنعام: ٢٧]، وقولهم: لو رأيت فلاناً والسياط تأخذه، وقرىء: ولو ترى، بالتاء على خطاب الرسول أو كل مخاطب، أي: ولو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً، وقرىء: إذ يرون، على البناء للمفعول، وإذ في المستقبل كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾: بدل من ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾، أي: تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الأتباع، وقرأ مجاهد، الأوّل: على البناء للفاعل، والثاني: على البناء

(١) قال محمود رحمه الله: «يحبونهم كحب الله: يعظّمونهم كما يعظّم الله... إلخ». قال أحمد: فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول كالأول، ولكن هذا الفاعل مسمى وفعله مبني للفاعل عند فكه من السبك.

للمفعول، أي تبرأ الأتباع من الرؤوساء، ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: والواو للحال، أي: تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب، ﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾: عطف على تبرأ، و﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾: الوصل التي كانت بينهم، من الإتفاق على دين واحد، ومن الأنساب، والمحاب، والأتباع، والاستتباع؛ كقوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، ﴿لَوْ﴾: في معنى التمني، ولذلك أجيب بالفاء الذي يجاب به التمني، كأنه قيل: ليت لنا كرّة فنتبرأ منهم، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الإراء الفظيع، ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ﴾، أي ندامات وحسرات، ثالث مفاعيل أرى: ومعناه أنّ أعمالهم تنقلب حسرات عليهم، فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم، ﴿وما هم بخارجين﴾: هم بمنزلته في قوله [من الكامل]:

هُـمْ يَـفْـرِشُـونَ الـلِّـبْـدَ كُـلَّ طِـمِـرَّةٍ .... (١)

في دلالته على قوّة أمرهم فيما أسند إليهم لا على الاختصاص.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

﴿حَلَـٰلًا﴾: مفعول كلوا، أو حال مما في الأرض، ﴿طَيِّبًا﴾: طاهراً من كل شبهة، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾: فتدخلوا في حرام، أو شبهة، أو تحريم حلال، أو تحليل حرام، و (من): للتبعيض؛ لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول، وقرىء: خطوات بضمتين، وخطوات بضمة وسكون، وخطؤات بضمتين وهمزة، جعلت الضمة على الطاء

(١) قال محمود رحمه الله: «هم ههنا بمنزلته في قوله هم يفرشون... إلخ» قال أحمد رحمه الله: أشد ما أخفى في هذه الكلمات معتقداً ورب صدره كلمات فهو ينفس عن نفسه خلق الكتمان بما ينفثه منه في بعض الأحيان، وكشف ذلك أن يقال: لما استشعر دلالة الآية لأهل السنة على أنه لا يخلد في النار إلا الكافر. وأما العاصي ـ وإن أصر على الكبائر ـ فتوحيده يخرجه منها ولا بد وفاء بالوعد. ووجه الدلالة منها على ذلك أنه صدر الجملة بضمير مبتدأ، ومثل هذا النظم يقتضي الاختصاص والحصر لغة. وستمر للزمخشري مواضع يستدل فيها على الحصر بذلك، فقد قال في قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ أن معناه لا ينشر إلا هم، وأن المنكر عليهم ما يلزمهم من حصر الألوهية فيهم. وكذلك يقول في أمثال قولهم ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أن معناه الحصر أنه لا يوقن بالآخرة إلا هم، فإذا ابتنى الأمر على ذلك لزم حصر نفي الخروج من النار في هؤلاء الكفّار دون غيرهم من الموحدين. لكن الزمخشري يأبى ذلك، فيعمل الحال من معارضة هذه الفائدة بفائدة تتم له على القاعدة، فيجعل الضمير المذكور يفيد تأكيد نسبة الخلود إليهم لاختصاصه بهم، وهم عنده بهذه المثابة، لأن العصاة وإن خلدوا على زعمه إلا أن الكفّار أحق بالخلود وأدخل في استحقاقه منهم. فسبحان من امتحنه بهذه المحنة على حذقه وفطنته. والله ولي التوفيق.

كأنها على الواو، وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون، والخطوة: المرة من الخطو، والخطوة: ما بين قدمي الخاطي، وهما كالغرفة والغرفة، والقبضة والقبضة، يقال: اتبع خطواته، ووطىء على عقبه، إذا اقتدى به واستن بسنته، ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة لا خفاء به، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾: بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته، أي: لا يأمركم بخير قط إنما يأمركم، ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾: بالقبيح ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾: وما يتجاوز الحدّ في القبح من العظائم، وقيل: السوء ما لا حدّ فيه، والفحشاء: ما يجب الحدّ فيه، ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: وهو قولكم: هذا حلال وهذا حرام، بغير علم، ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله تعالى مما لا يجوز عليه، فإن قلت: كيف كان/ ٦٤ب الشيطان آمراً مع قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾؟ [الحجر: ٤٢] قلت: شبه تزيينه وبعثه على الشر بأمر الآمر، كما تقول: أمرتني نفسي بكذا، وتحته رمز إلى أنكم منه بمنزلة المأمورين؛ لطاعتكم له وقبولكم وساوسه؛ ولذلك قال: ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] لما كان الإنسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿لَهُمُ﴾: الضمير للناس، وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم، لأنه لا ضال أضل من المقلد، كأنه يقول للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون، قيل: هم المشركون، وقيل: هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الإسلام فقالوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [لقمان: ٢١]؛ فإنهم كانوا خيراً منا وأعلم، وألفينا: بمعنى وجدنا، بدليل قوله: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [لقمان: ٢١]. ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾: الواو للحال، والهمزة: بمعنى الردّ والتعجيب، معناه: أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون للصواب.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾

لا بدّ من مضاف محذوف تقديره، ومثل داعي الذين كفروا، ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾: أو: ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق، والمعنى: ومثل داعيهم إلى الإيمان ـ في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت، من غير إلقاء أذهان ولا استبصار ـ كمثل الناعق بالبهائم، التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر

لها، ولا تفقه شيئاً آخر ولا تعي، كما يفهم العقلاء ويعون، ويجوز أن يراد بما لا يسمع: الأصم الأصلخ، الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا النداء والتصويت لا غير، من غير فهم للحروف، وقيل معناه: ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته؛ فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أم باطل؟ وقيل معناه: ومثلهم في دعائهم الأصنام كمثل الناعق بما لا يسمع، إلا أنّ قوله: ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾: لا يساعد عليه، لأنّ الأصنام لا تسمع شيئاً[1]، والنعيق: التصويت، يقال: نعق المؤذن، ونعق الراعي بالضأن، قال الأخطل [من الكامل]:

فَانْعَقْ بِضَأْنِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا ... مَنَّتْكَ نَفْسُكَ فِي الخَلَاءِ ضَلَالا[2]

وأما (نغق الغراب) فبالغين المعجمة ﴿صُمٌّ﴾ هم صم، وهو رفع على الذمّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)﴾

﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: من مستلذاته، لأنّ كل ما رزقه الله لا يكون إلا حلالًا[3] ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾: الذي رزقكموها، ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: إن صحّ أنكم تخصونه بالعبادة، وتقرّون أنه مولى النعم، وعن النبي ﷺ: «يَقُولُ الله تَعَالَى: إِنِّي وَالْجِنُّ والْإِنسَ

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولَحَظَ الزمخشري في هذا القولِ تمامَ التشبيهِ من كلِّ جهةٍ، فكما أن المنعوقَ به لا يسمع إلا دعاءً ونداءً فكذلك مدعوُّ الكافرِ من الصنم، والصنمُ لا يسمع، فَضَعُفَ عنده هذا القولُ» قال: «ونحن نقول: التشبيهُ وَقَعَ في مُطْلَقِ الدعاءِ لا في خصوصياتِ المدعوِّ، فتشبيه الكافرِ في دعائه الصنمَ بالناعِقِ بالبهيمةِ لا في خصوصياتِ المنعوقِ به». انتهى. الدر المصون.

(٢) للأخطل ونعق ينعق نعيقاً ـ بالعين المهملة ـ إذا صوت بغنمه. ونغق الغراب نغاقاً ـ بالمعجمة ـ إذا صاح أي: صوت لغنمك يا جرير، واكتفِ بذلك عن المفاخر فلست من أهلها، إنما أنت راعي غنم. منتك: حدثتك نفسك ووعدتك وسوّلت لك في الفضاء الخالي عن الناس ضلالاً وكذباً. لا هدى وصدقاً كما تزعم، وذمه جرير بقوله:

والتغلبي إذا تنحنح للقرى ... حك استه وتمثل الأمثالا

ورد عليه الأخطل بقوله [من البسيط]:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم ... قالوا لأمهم: بولي على النار

ينظر: ديوانه (٢٥٠)، البحر المحيط (١/ ٦٥١) والدر المصون ١/ ٤٣٩.

(٣) قوله «كل ما رزقه الله لا يكون إلا حلالاً» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فقد يكون حراماً، كما بين في موضعه. (ع)

فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ، أَخْلُقُ، ويُعْبَدُ غَيْرِي وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِي» (٩١).

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

قرىء: «حَرّم» على البناء للفاعل، و«حُرِّم» على البناء للمفعول، و«حَرُم» بوزن كرم، ﴿أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾، أي: رفع به الصوت للصنم، وذلك قول أهل الجاهلية: باسم اللات والعزى، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: على مضطرّ آخر بالاستيثار عليه، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: سَدّ الجوعة/ ٦٥أ فإن قلت: في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد، قال رسول الله ﷺ: «أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ» (٩٢). قلت: قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة، ألا ترى أنّ

---

٩١ ـ أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ١٣٤) رقم (٤٥٦٣)، من طريق بقية حدثنا صفوان بن عمرو، حدثني عبد الرحمن بن جبير ابن نفير وشريح بن عبيد الحَضْرَمِيانِ عن أبي الدرداء عن النبي ـ ﷺ ـ قال: قال الله عز وجل... فذكره.
وعزاه الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف للطبراني في مسند الشاميين.
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للترمذي في «نوادر الأصول» في الأصل التاسع والثمانين بعد المائة، ولم أجده فيه من نسختي من النوادر؛ فلينظر.
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من رواية بقية، حدثنا صفوان بن عمير، حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير. وشريح بن عبيد عن أبي الدرداء عن النبي ـ ﷺ ـ قال: قال الله عز وجل: «إني والجن والإنس...» فذكره سواء. انتهى.

٩٢ ـ أخرجه الشافعي في مسنده (٢/ ١٧٣): كتاب الصيد، والذبائح، الحديث (٦٠٧)، وأحمد (٢/ ٩٧)، وابن ماجة (٢/ ١١٠٢). كتاب الأطعمة: باب الكبد والطحال، الحديث (٣٣١٤)، والدراقطني (٤/ ٢٧٢): باب الصيد والذبائح والأطعمة. الحديث (٢٥) والبيهقي (١/ ٢٥٤): كتاب الطهارة: باب الحوت يموت في الماء والجراد، وعبد بن حميد في «المنتخب» (ص ـ ٢٦٠) رقم (٨٢٠) والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ٣٩ ـ بتحقيقنا)، كلهم من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال».
قال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد فيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف. ا.هـ.
وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٥٨) وأعلّه بعبد الرحمن، وقال كان ممّن يقلّب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك.
وقال: حدثنا أحمد بن المثنى ـ أبو يعلى ـ قال سمعت يحيى بن معين يقول عبد الرحمن، وأسامة. وعبد الله، بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيء.
وهذا فيه نظر فإن عبد الله وثقه أحمد بن حنبل.
وقد أسند ابن حبان في المجروحين (٢/ ٥٨)، عن أحمد بن حنبل قال: عبد الله لا بأس به.
وأسند ابن عديّ في «الكامل» (٤/ ١٨٥) عن أحمد أنه قال: ثقة وقد أخرجه الدارقطني (٤/ ٢٧٢) من طريق مطرّف عن عبد الله بن زيد به، وأخرجه البيهقي (١/ ٢٥٤) من طريق ابن أبي أويس قال: =

القائل إذا قال: أكل فلان ميتة، لم يسبق الوهم إلى السمك والجراد، كما لو قال: أكل دماً، لم يسبق إلى الكبد والطحال، ولاعتبار العادة والتعارف، قالوا: من حلف لا يأكل لحماً فأكل سمكاً لم يحنث ـ وإن أكل لحماً في الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤] وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافراً لم يحنث ـ وإن

= ثنا عبد الرحمن، وأسامة، وعبد الله، بنو زيد ابن أسلم، عن أبيهم به.
وقال: أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعفاء جرحهم يحيى بن معين وكان أحمد بن حنبل وعلي بن المديني يوثقان عبد الله بن زيد إلاً أن الصحيح من هذا الحديث الأول ـ يعني الموقوف ـ الذي أخرجه من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر موقوفاً. وقال هو في معنى المسند.
قال ابن التركماني في «الجوهر النقي» (١/ ٢٥٤): بل رواه يحيى بن حسان عن سليمان بن بلال مرفوعاً كذا قال ابن عديّ في الكامل ا.هـ. قلت. وهو ثقة.
وثّقه أحمد، والنسائي، والعجلي، وابن حبان، والبزار، وابن يونس. وقال أبو حاتم: صالح الحديث ينظر التهذيب (١١/ ١٩٧).
إلاّ أن أبا زرعة رجح الموقوف فقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٧) رقم (١٥٢٤): سئل أبو زرعة عن حديث رواه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أحلت لنا ميتتان ودمان». ورواه عبد الله بن نافع، عن أسامة بن زيد عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ـ ﷺ ـ ورواه القعنبي، عن أسامة وعبد الله بن زيد، عن أبيهما، عن ابن عمر موقوف. قال أبو زرعة الموقوف أصح.
وكذا صحح الموقوف أبو حاتم كما في «تلخيص الحبير» (١/ ٢٦) وقد توبع بنو زيد بن أسلم على رفع الحديث.
تابعهم أبو هشام الأيلي عند ابن مردويه في «تفسيره» كما في «نصب الراية» (٤/ ٢٠٢) فقال: وله طريق آخر قال ابن مردويه في «تفسيره»، ثنا عبد الباقي بن قانع، ثنا محمد بن بشر بن مطر، ثنا داود بن راشد، ثنا سويد بن عبد العزيز، ثنا أبو هشام الأيلي، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر قال قال: قال رسول الله: «يحلّ من الميتة اثنان، ومن الدم اثنان: فأما الميتة فالسمك والجراد، وأما الدم فالكبد والطحال».
وسكت عنه الزيلعي فلم يبين علّته.
قال الحافظ في «التلخيص» (١/ ٢٦): تابعهم شخص أضعف منهم، وهو أبو هشام كثير بن عبد الله الأيلي. أخرجه بن مردويه في تفسيره. ـ وكثير قال البخاري ومسلم: منكر الحديث وقال النسائي والدارقطني: متروك.
ينظر التاريخ الكبير (٧/ ٩٥٠) والضعفاء الصغير (٣٠٦) للبخاري والكنى للإمام مسلم (٢/ ٨٧٥). والضعفاء والمتروكين للنسائي (٥٣١) والدارقطني (٤٤٥).
وقال الحافظ: الرواية الموقوفة التي صححها أبو حاتم، وغيره، هي في حكم المرفوع لأن قول الصحابي أحلّ لنا وحرّم علينا كذا مثل قوله «أمرنا بكذا ونهينا عن كذا فيحصل الاستدلال بهذه الرواية لأنها في معنى المرفوع».
قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف:
أخرجه أحمد، والشافعي، وابن ماجة، والدارقطني من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

سماه الله تعالى دابة في قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: ٥٥]. فإن قلت: فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه؟ قلت: لأنّ الشحم داخل في ذكر اللحم؛ لكونه تابعاً له وصفة فيه، بدليل قولهم: لحم سمين، يريدون أنه شحيم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿فِي بُطُونِهِمۡ﴾: ملء بطونهم، يقال: أكل فلان في بطنه، وأكل في بعض بطنه، ﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾: لأنه إذا أكل ما يتلبّس بالنار لكونها عقوبة عليه، فكأنه أكل النار، ومنه قولهم: أكل فلان الدم، إذا أكل الدية التي هي بدل منه؛ قال [من الطويل]:

أَكَلْتُ دَماً إنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ .... (١)

---

(١) دمشق خذيها واسلمي أن ليلة ... تمر بعودي نعشها ليلة القدر
أكلت دماً إن لم أرعك بضرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

لأعرابي تزوج امرأة فلم توافقه، فقيل له: إن حمى دمشق سريعة في موت النساء. فحملها إليها وقال لها ذلك، ونزل دمشق ـ وهي مدينة بالشام ـ منزلة العاقل فناداها. والظاهر أن هذا التنزيل من باب الاستعارة المكنية والنداء تخييل، وكذلك الأمر بالعلم، والمرور: المشي، فإسناده لليلة مجاز عقلي من الإسناد للزمان، وهو في الحقيقة لحملة النعش، أو بمعنى المضي فهو حقيقة والباء للملابسة، وهو كناية عن موتها. والعودان: طرفا النعش. وجعل تلك الليلة كليلة القدر عنده لشدة ترقبها وتمنيها والتشوُّق إليها، ثم التفت إلى خطابها ودعا على نفسه بقوله: أكلت دماً، أي دية، لأنها بدل الدم وأخذها عار عند العرب، لدلالتها على الجبن وحب المال دون الثأر. وإن لم أرعك: من راعه يروعه إذا أخافه. والمراد أنه يغيظها بتزوج ضرة عليها جميلة طويلة العنق. فبعد مهوى القرط: كناية عن ذلك. والقرط: حلي الأذن. ومهواه: مسقطه من المنكب. والنشر: الرائحة الطيبة. ويحتمل أنه دعا على نفسه بالجدب حتى يحتاج لفصد النوق وأكل دمها، وكذلك كانت تفعل الجاهلية في الجدب. ويحتمل أن المراد: شربت دماً، فهو تعليق على الممتنع عنده دلالة على تحقيق التزوج، لأنه يرجع إلى أن عدم التزوج ممتنع كما أن شرب الدم ممتنع. ونظيره ما أنشده أبو إياس [من الطويل]:

أمالك عمر إنما أنت حية ... إذا هي لم تقتل تعش آخر العمر
ثلاثين حولاً لا أرى منك راحة ... لهنك في الدنيا لباقية العمر
دمشق خذيها لا تفتك قليلة ... تمر بعودي نعشها ليلة القدر
فإن أنفلت من عمر صعبة سالماً ... تكن من نساء الناس لي بيضة العقر

ولعل «العمر» في القافية الأولى بمعنى الدهر. ولهنك هاؤه بدل من همزة إن عند البصريين، وعند =

وقال[1] [من الرجز]:

يَـــأكُـــلْـــنَ كُـــلَّ لَـــيْـــلَـــةٍ إِكَـــافَـــا[2]

أراد ثمن الإكاف، فسماه إكافاً لتلبسه بكونه ثمناً له، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم، وقيل: نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه، وقيل: لا يكلمهم بما يحبون، ولكن بنحو قوله: ﴿اخسؤا فيها ولا تكلمون﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم، كما تقول لمن يتعرّض لما يوجب غضب السلطان: ما أصبرك على القيد والسجن؟! تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب، وقيل: فما أصبرهم، فأي شيء صبرهم، يقال: أصبره على كذا وصبره بمعنى، وهذا أصل معنى فعل التعجب، والذي روي عن الكسائي أنه قال: قال لي قاضي اليمن بمكة، اختصم إليّ رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له: ما أصبرك على الله، فمعناه: ما أصبرك على عذاب الله، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ﴾: أي ذلك العذاب بسبب أنّ الله نزل ما نزل من الكتب بالحقّ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟﴾: في كتب الله، فقالوا في بعضها: حق وفي بعضها: باطل، وهم أهل الكتاب، ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ﴾: لفي خلاف، ﴿بَعِيدٍ﴾: عن الحق، والكتاب للجنس، أو كفرهم ذلك؛ بسبب أنّ الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون، وإن الذين اختلفوا فيه من المشركين ـ فقال بعضهم: سحر، وبعضهم: شعر، وبعضهم: أساطير ـ لفي شقاق بعيد، يعني: أنّ أولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء أن يكفروا.

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ

= غيرهم أصله: لله إنك. وبيضة العقر: زعموا أنها بيضة الديك لا يبيض في عمره غيرها. وقيل: هي مثل لما لا وجود له أصلاً. فالمعنى: أنه يتزوج جميلة لا يتزوج غيرها، أو أنه لا يتزوج أصلاً. وصعبة هي امرأته.

(١) البيت لعروة الرحال. ينظر: الحماسة ٢/ ٤٦٣ والدر المصون ١/ ٤٤٤.
إن لـــنـــا أحـــمـــرة عـــجـــافـــا ... يـــأكـــلـــن كـــل لـــيـــلـــة إكـــافـــا
الأحمرة: الحمير. والعجاف: المهازيل. والأكاف: البرذعة، فالمراد: يأكلن كل ليلة علفاً مُشترى بثمن إكاف، بأن يباع الإكاف ثم يشترى بثمنها علفاً لها، فأوقع الأكل على الإكاف بواسطتين، ولعل بيع براذعها لضعفها عن العمل. ويمكن أنه مجرد تقديم، وإنما خصَّ الإكاف لاختصاصه بالحمير.

(٢) قوله «كل ليلة إكافاً» هو ما يوضع على ظهر الحمار عند ركوبه أو تحميله، أفاده الصحاح. (ع)
ينظر: البحر المحيط ١/ ٦٦٧ والدر المصون ١/ ٤٤٤.

ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

﴿ٱلْبِرَّ﴾: اسم للخير ولكل فعل مرضيّ، ﴿أَن تُوَلُّوا۟ / ٦٥ب وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾: الخطاب لأهل الكتاب[1]، لأن اليهود تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس، والنصارى قِبل المشرق، وذلك أنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوّل رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الكعبة، وزعم كل واحد من الفريقين أنّ البرّ التوجه إلى قبلته، فردّ عليهم، وقيل: ليس البرّ فيما أنتم عليه، فإنه منسوخ خارج من البرّ؛ ولكن البرّ ما نبينه، وقيل: كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة، فقيل: ليس البرّ العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البرّ أمر القبلة، ولكن البرّ الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة برّ من آمن وقام بهذه الأعمال، وقرىء: «وليس البرّ» ـ بالنصب على أنه خبر مقدم ـ وقرأ عبد الله: بأن تولوا، على إدخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك: ليس المنطلق بزيد، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾: على تأويل حذف المضاف، أي برّ من آمن، أو يتأول البرّ، بمعنى ذي البرّ، أو كما قالت [من البسيط]:

.... فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وإِدْبَارُ[2]

---

(١) قال محمود رحمه الله: «الخطاب فيه لليهود والنصارى... إلخ». قال أحمد رحمه الله: هذا منقول عن المبرد، مصمى بسهام الرد، فإن فيه إبهاماً بأن اختلاف وجوه القراءة موكول إلى الاجتهاد، وأنه مهما اقتضاه قياس اللغة جازت القراءة به لمن يعد أهلاً للاجتهاد في العربية واللغة. وهذا خطأ محض، فالقراءات سنة متبعة لا مجال فيها للدراية. على أن ما قاله وقدر أنه الأوجه ليس ببالغ ذروة فصاحة الآية إلا على القراءات المستفيضة، لأن الكلام مصدر بذكر البر الذي هو المصدر قولاً واحداً، فلو عدل إلى ذكر البر الذي هو الوصف لا يفك المطابقة ومعنى النظام. ولذلك كان تأويل الآية بحذف المضاف من الثاني على تأويل: بر من آمن، أوجه وأحسن وأبقى على السياق. ومن ظنّ أنه يشق غباراً أو يتعلق بأذيال فصاحة المعجز للفصحاء، فقد سوّلت له نفسه محالاً ومنته ضلالاً.

(٢)
فما عجول على بو تطيف به ... لها حنينان: إصغار وإكبار
لا تسأم الدهر منه كلما ذكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار
يوماً بأوجد مني حين فارقني ... صخر وللدهر إحلاء وإمرار

للخنساء ترثي أخاها صخراً. والعجول: الناقة التي أسقطت حملها قبل تمام شهرين، والتي فقدت ولدها بنحر أو موت والبو: جلد محشو تدر الناقة لأجله. وقيل: ولد الناقة. وطاف به يطوف طوفاً وطوافاً وطوفاناً، إذا دار حوله وطاف عليه يطيف طيفاً، إذا أقبل عليه. وقد يستعمل كل موضع الآخر، أي تحوم حوله. ويروى: تحن له. وإصغار وإكبار: بدل من حنينان. ويروى: إعلان وإسرار. والمعنى واحد، غير أن فيه تقديماً وتأخيراً. أو الإصغار الحنين على الولد الصغير، والإكبار على الكبير. كذا قيل، لكن خير ما فسرته بالوارد. والدهر: نصب بتسأم أي: لا تمل طول =

وعن المبرّد: لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت: «ولكنّ البَرّ»، بفتح الباء، وقرىء: «ولكن البارّ»، وقرأ ابن عامر ونافع: «ولكن البر» بالتخفيف، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: جنس كتب الله، أو القرآن، ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾: مع حب المال والشح به، كما قال ابن مسعود: «أَنْ تُؤْتِيَهَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَأْمَلُ الْعَيْشَ وَتَخْشَى الْفَقْرَ، وَلاَ تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ: قُلْتَ: لفلان: كذا ولفلان كذا (٩٣)، وقيل: على حب الله، وقيل: على حب الإيتاء،

---

٩٣ - أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩/ ٥٥) رقم (١٦٣٢٤) ومن طريقه أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٩٣) رقم (٨٥٠٣)، وعزاه الزيلعي (١/ ١٠٠ - ١٠١) في تخريج أحاديث الكشاف للحاكم، وأبي نعيم، والبيهقي في الشعب.
كلهم رووه موقوفاً، دون قوله: ولا تمهل حتى... إلخ.
وهي في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رجل للنبي - ﷺ -: يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح حريص تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان».
أخرجه البخاري (٦/ ٢٥) كتاب الوصايا، باب الصدقة عند الموت حديث (٢٧٤٨)، ورواه في كتاب الزكاة (٤/ ٣٣)، باب أي الصدقة أفضل وصدقة الشحيح الصحيح حديث (١٤١٩).
ومسلم (٤/ ١٣٣ - نووي) كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح حديث (١٠٣٢).
وأبو داود (٢/ ١٢٦) كتاب الوصايا، باب ما جاء في كراهية الإضرار في الوصية حديث (٢٨٦٥).
والنسائي (٥/ ٦٨ - ٦٩) كتاب الزكاة، باب أي الصدقة أفضل، و(٦/ ٢٣٧). كتاب الوصايا، باب الكراهية في تأخير الوصية، وابن ماجة (٢/ ٩٠٣) كتاب الوصايا، باب النهي عن الإمساك في الحياة والتبذير عند الموت حديث (٢٧٠٦) مطولاً، وأحمد (٢/ ٢٥، ٢٣١، ٤١٥، ٤٤٧)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ١٠٥) رقم (٣٣١٢)، وابن خزيمة (٤/ ١٠٣) رقم (٢٤٥٤)، والبيهقي (٤/ ١٨٩ - =

= الدهر مما ذكر من الحنين ورجوعه للبو، تأباه جزالة المعنى. ويمكن عوده على الطيف المعلوم من تطيف. ويروي بدل هذا الشطر ● ترتع مارتعت حتى إذا ادكرت ● وأصله إذ تكرت أي تذكرت.
ويروى ● ترتع ما غفلت حتى إذا ذكرت ● أي ترعى مدة غفلتها عنه، فإذا تذكرته فإنما هي ذات إقبال وذات إدبار، أو مقبلة ومدبرة، أو هي نفس الإقبال والإدبار مبالغة. أي تلتفت تارة أمامها وتارة خلفها وتتلهى عن الرعي. وقيل المراد إقبال النهار وإدبار الليل وعكسه. ويمكن أن وجهه استقلال المدة، أي فإنما مدة الدهر إقبال وإدبار دائرين بين الليل والنهار، فالضمير عائد على معلوم من السياق، لكن لا يظهر على الرواية الثانية. ويوما: نصب بأوجد وجاز تقدمه على أفعل التفضيل، لأنه ظرف، وكذاك تنبيهاً على أن المراد باليوم مطلق الزمن غالباً. وبأوجد: خبر عجول.
ويروى «بأوجع» أي ليست أشد حزناً مني حين فارقني أخي، وحين نصب بأوجد أيضاً. ووجهه أنه في معنى عاملين، أي ليس وجدها يوماً أشد من وجدي حين الفراق، فالأول للأول، والثاني للثاني، ثم تسلت بقولها: وللدهر إحلاء وإمرار. ويقال: أحلى الشيء وأمر، صار حلواً وصار مراً.
ويجوز أنهما متعديان. والمراد: أن الدهر ينعم العيش تارة ويبئسه أخرى. فالإحلاء والإمرار استعارتان لذلك.

يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه، وقدم ذوي القربى، لأنهم أحق، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «صدقتك على المسكين صدقة، وعلى ذي رحمك اثنتان لأنها صدقة وصلة» (٩٤) وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح»[1]،

= ١٩٠) كتاب الزكاة، باب فضل صدقة الصحيح الشحيح.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: موقوف:
أخرجه عبد الرزاق عن الثوري عن زبيد عن مرة عنه. قال في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، قال: «أن يؤتيه» فذكره. . . إلى قوله: «ويخشى الفقر» ولم يذكر ما بعده، ومن طريقه أخرجه الطبراني والحاكم، وذكره أبو نعيم في الحلية في ترجمة مسعر، فأخرجه من طريقه عن زبيد به، وهكذا رواه مسعر والناس عن زبيد موقوفاً رواه مخلد بن يزيد عن الثوري مرفوعاً، وتفرد برفعه ثم ساقه، وأخرجه البيهقي من رواية شعبة عن زبيد موقوفاً، ومن طريق سلام بن سليم المداني عن محمد بن طلحة عن زبيد مرفوعاً: وسلام ضعيف رواه الطبري من ثلاثة طرق عن زيد موقوفاً. ولم يذكر أحد منهم ولا تمهل، وإنما هو في حديث أبي هريرة. اتفق الشيخان عليه بلفظ: «قال رجل للنبي ـ ﷺ ـ: يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟ قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان، كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان». انتهى.

٩٤ ـ أخرجه الترمذي (٣/ ٣٨) كتاب الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة حديث (٦٥٨)، والنسائي (٥/ ٩٢) كتاب الزكاة، باب الصدقة على الأقارب، وابن ماجة (١/ ٥٩١)، كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة حديث (١٨٤٤)، وأحمد في المسند (٤/ ١٧، ١٨، ٢١٤)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ١٣٣) رقم (٣٣٤٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٧٧) رقم (٢٣٨٥)، والدارمي (١/ ٣٩٧) كتاب الزكاة، باب الصدقة على القرابة، والحميدي (٢/ ٣٦٣) رقم (٨٢٣)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٧٥) أرقام (٦٢٠٤ ـ ٦٢١٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧).
وللطبراني في الكبير (٨/ ٢٤٤) رقم (٧٨٣٤) عن أبي أمامة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إن الصدقة على ذي قرابة يضعف أجرها مرتين».
قال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٢٠):
«رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبد الله بن زحر وهو ضعيف» ا.هـ.
وله أيضاً في الكبير (٥/ ١٠١) رقم (٤٧٢٣)، من حديث أبي طلحة، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:
«الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة».
قال الهيثمي في المجمع (٣/ ١١٩):
«رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه من لم أعرفه» ا.هـ.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه النسائي، والترمذي، وابن ماجة، وابن حبان، والحاكم، وأحمد، وابن أبي شيبة، والدارمي، كلهم من حديث سلمان بن عامر بلفظ: «الصدقة على المسكين حسنة» الترمذي. وفي الباب عن ابن طلحة، وأبي أمامة. أخرجها الطبراني. انتهى.

---

(١) قوله «ذي الرحم الكاشح» في الصحاح: تقول طوى فلان عن كشحه، إذا قطعك. والكاشح الذي يضمر لك العداوة. (ع)

(٩٥) وأطلق، ﴿ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ والمراد: الفقراء منهم لعدم الإلباس، والمسكين:

---

٩٥ ـ ورد ذلك من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وأبي أيوب، وحكيم بن حزام وأبي هريرة.
فأما حديث أم كلثوم: فرواه الحميدي (١/١٥٧) (٣٢٨)، وابن خزيمة (٢٣٨٦)، والحاكم (١/٤٠٦)، والبيهقي (٧/٧٠)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص٤٨) من طريق الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عنها مرفوعاً أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
وكذا رواه الطبراني في الكبير (٢٥/٨٠) (٢٠٤).
وقال ابن طاهر كما في نصب الراية (٤/٤٠٦) سنده صحيح.
وقال المنذري في الترغيب (١/٦٨٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٩): رجاله رجال الصحيح.
وأما حديث أبي أيوب: فرواه أحمد (٥/٤١٦)، والطبراني في الكبير (٤/١٣٨، ١٣٩)، (٣٩٢٣)، وابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه، وأبو يعلى الموصلي في «مسانيدهم» عن أبي معاوية، ثنا الحجاج عن الزهري عن حكيم بن بشير عنه مرفوعاً: «إن أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح».
وقال الدارقطني في العلل، كما في نصب الراية (٤/٤٦). لم يروه عن الزهري غير الحجاج بن أرطأة، ولا يثبت.
وقال الهيثمي في المجمع (٣/١١٩): فيه الحجاج بن أرطأة، وفيه كلام.
وأما حديث حكيم بن حزام: فرواه أحمد (٣/٤٠٢) عن سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الزهري عن أيوب بن بشير عنه أن رجلاً سأل النبي ـ ﷺ ـ: أي الصدقة أفضل قال: على ذي الرحم الكاشح.
وأخرجه أحمد (٥/٤١٦)، والطبراني في الكبير (٣/٢٢٦) (٣١٢٦) عن حجاج بن أرطأة عن الزهري به.
وقال المنذري (١/٦٨٢): رواه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن؛ وكذا قال الهيثمي.
وأما حديث أبي هريرة: فرواه أبو عبيد القاسم بن سلام في «الأموال» (٩١٤) عن إبراهيم بن يزيد المكي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عنه عن النبي ـ ﷺ ـ، أنه سئل: أي الصدقة أفضل؟ فقال: «الصدقة على ذي الرحم الكاشح».
وقال أبو عبيد: وحدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن النبي ـ ﷺ ـ مثل ذلك، ولم يسنده عقيل. ا.هـ.
وطرق الحديث معلولة إلاَّ طريق أم كلثوم فهي صحيحة؛ وعلى ذلك فالحديث صحيح.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق، والحاكم، والبيهقي، والطبراني، من رواية ابن عيينة عن الزهري. عن حميد بن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة. ورواه أبو عبيد في كتاب الأموال من رواية إبراهيم بن يزيد المكي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة. وأخرجه من طريق عقيل عن الزهري مرسلاً. لم يذكر أبا هريرة، ورواه أحمد من رواية سفيان بن حسين عن الزهري عن أيوب بن بشير عن حكيم بن حزام، ورواه أيضاً هو وإسحاق والطبراني من طريق الحجاج بن أرطأة عنه عن حكيم بن بشير عن أبي أيوب. فهذه الطرق كلها تدور على «الزهري» مع اختلاف عليه، وأحفظهم سفيان بن عنبسة، وعقيل أحفظ منه. وروايته أشبه بالصواب. انتهى.

الدائم السكون إلى الناس، لأنه لا شيء له، كالمسكير: للدائم السكر، ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر المنقطع، وجُعل ابناً للسبيل لملازمته له، كما يقال للص القاطع: ابن الطريق، وقيل: هو الضيف، لأنّ السبيل يرعف به[1] ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾: المستطعمين، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «للسائل حق وإن جاء على ظهر فرسه». (٩٦) ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾: وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم، وقيل: في ابتياع الرقاب وإعتاقها، وقيل في فك الأسارى.

---

٩٦ ـ روى من حديث علي بن أبي طالب، الحسين ابن علي، أبي هريرة، وفاطمة الزهراء، والهرماس ابن زياد.

ـ أما حديث علي:

فأخرجه أبو داود (١/ ٥٢٣) كتاب الزكاة، باب حق السائل حديث (١٦٦٦)، من طريق فاطمة بنت حسين عن أبيها عن علي عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «للسائل حق وإن جاء على فرس».

ـ وأما حديث الحسين:

فرواه أبو داود (١/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣) كتاب الزكاة، باب حق السائل حديث (١٦٦٥)، وأحمد في المسند (١/ ٢٠١)، وأبو يعلى (١٢/ ١٥٤) رقم (٦٧٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٧٩)، والطبراني في الكبير (٣/ ١٤١) رقم (٢٨٩٣)، والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٢٨٥).

ـ وأما حديث فاطمة الزهراء:

عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ١٠٥) لابن راهويه في مسنده مرفوعاً بلفظ: «للسائل حق وإن جاء على ظهر فرس» ا.هـ.

ـ أما حديث أبي هريرة:

فرواه ابن عديّ في الكامل (٤/ ١٥٠٣ ـ ١٥٠٤)، من طريق عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً.

ورواه في (٥/ ١٦٨٧) من طريق عمر بن يزيد المدائني عن عطاء عن أبي هريرة مرفوعاً.

ـ أما حديث الهرماس بن زياد:

فرواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) رقم (٥٣٥)، قال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٠٤): «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه عثمان بن فايد وهو ضعيف» ا.هـ.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه أبو داود من رواية فاطمة بنت الحسين بن علي عن أبيها عن علي ـ رضوان الله عليه ـ. ومن رواية الحسين بن علي، من غير ذكر أبيه. في إسنادهما يحيى بن أبي يعلى، وقيل: يعلى بن أبي يحيى: وهو مجهول. وقد رواه إسحاق بن راهويه من طريقه، فجعله من رواية فاطمة بنت الحسين عن فاطمة، ورواه الطبراني من حديث الهرماس بن زياد. وفيه عثمان بن فايد. وهو ضعيف: وقال مالك في الموطأ: أخبرنا زيد بن أسلم، أكان رسول الله ـ ﷺ ـ فذكره ووصله ابن عديّ من طريق عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة. وعبد الله ضعيف. ورواه أيضاً من طريق عمر بن يزيد المدائني عن عطاء عن أبي هريرة. وعمر ضعيف. انتهى.

---

(١) قوله «لأن السبيل يرعف به» أي يتقدّم به ويبرزه للمقيمين، كما يرعف الأنف بدم الرعاف. أفاده الصحاح. (ع)

فإن قلت: قد ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بإيتاء الزكاة، فهل دلّ ذلك على أنّ في المال حقاً سوى الزكاة؟ قلت: يحتمل ذلك، وعن الشعبي: أنّ في المال حقاً سوى الزكاة، وتلا هذه الآية، ويحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكاة، أو يكون حثاً على نوافل الصدقات والمبارّ، وفي الحديث: «نسخت الزكاة كلّ صدقة» (٩٧) يعني: وجوبها، وروي: «ليس في المال حق سوى الزكاة» (٩٨) ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾: عطف على من آمن، وأخرج، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾: منصوباً على الاختصاص والمدح؛ وإظهاراً لفضل الصبر/٦٦أ في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال، وقرىء: والصابرون، وقرىء: والموفين، والصابرين، و﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾: الفقر والشدة، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المرض والزمانة، ﴿صَدَقُوا۟﴾: كانوا صادقين جادّين في الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ

---

٩٧ ـ أخرجه البيهقي (٩/ ٢٦٢) كتاب الضحايا، والدارقطني (٤/ ٢٨١)، من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ نسخت الزكاة كل صدقة في القرآن، ونسخ غسل الجنابة كل غسل، ونسخ صوم رمضان كل صوم، ونسخ الأضحى كل ذبح.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه الدارقطني، والبيهقي من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ وإسناده ضعيف. وأخرجه عبد الرزاق من قول علي موقوفاً. انتهى.

٩٨ ـ قال النووي في «المجموع» (٥/ ٣٠٤): وأما حديث: «ليس في المال حق سوى الزكاة» فضعيف جداً لا يعرف.
قال البيهقي في السنن الكبيرة: والذي يرويه أصحابنا في التعليق «ليس في المال حق سوى الزكاة» لا أحفظ فيه إسناداً. ا.هـ.
لكن ورد هذا الحديث بغير هذا اللفظ وهو: «إن في المال حقاً سوى الزكاة».
أخرجه الترمذي (٣/ ٤٨) كتاب الزكاة: باب ما جاء أن في المال حقاً سوى الزكاة حديث (٦٥٩) وابن ماجة (١/ ٥٧٠) كتاب الزكاة: باب ما أدى زكاته ليس بكنز حديث (١٧٨٩) من طريق أبي حمزة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس به.
وقال الترمذي: هذا حديث إسناده ليس بالقوي وأبو حمزة ميمون الأعور ضعيف وروى بيان وإسماعيل بن سالم عن الشعبي هذا الحديث قوله «إن في هذا المال حقاً سوى الزكاة» وهذا أصح.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن ماجة من رواية أبي حمزة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس بهذا وترجم عليه ـ باب ما أدى زكاته فليس بكنز ـ وقال البيهقي: والذي يرويه أصحابنا في التعاليق: «ليس في المال حق سوى الزكاة»، لا أحفظ له إسناداً، وقد رواه الترمذي وأبو يعلى والطبراني من هذا الوجه بلفظ: «إن في المال حقاً سوى الزكاة» قال الترمذي: ليس إسناده بذاك. وقد رواه بيان، وإسماعيل عن الشعبي قال. وهو أصح. انتهى.

﴿ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

عن عمر بن عبد العزيز، والحسن البصري، وعطاء، وعكرمة، وهو مذهب مالك والشافعي[1] رحمة الله عليهم ـ: أنّ الحر لا يقتل بالعبد، والذكر لا يقتل بالأنثى أخذاً بهذه الآية ويقولون: هي مفسرة لما أبهم في قوله: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، ولأنّ تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها، وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها، وعن سعيد بن المسيب، والشعبي، والنخعي، وقتادة، والثوري، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه: أنها منسوخة بقوله: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: ٤٥] والقصاص ثابت بين العبد والحرّ، والذّكر والأنثى، ويستدلون بقوله ـ ﷺ ـ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم»(٩٩) وبأنّ التفاضل غير معتبر في الأنفس، بدليل أنّ جماعة لو قتلوا واحداً

---

٩٩ ـ أخرجه الطيالسي (٢/ ٣٧ ـ منحة) وأحمد (٢/ ٢١١) وأبو داود (٣/ ١٨٣) كتاب الجهاد: باب في السرية ترد على أهل العسكر حديث (٢٧٥١) وابن ماجة (٢/ ٨٩٥) كتاب الديات: باب المسلمون تتكافأ دماؤهم حديث (٢٦٨٥) وابن الجارود في المنتقى (٧٧١) والبيهقي (٨/ ٢٩) كتاب الجنايات: باب فيمن لا قصاص بينه باختلاف الدينين وابن أبي شيبة (٩/ ٤٣٢) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٣٨٨ ـ بتحقيقنا) والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٧٠) من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبي عن جده قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وللحديث شاهد من حديث علي.

أخرجه أحمد (١/ ١٢٢) وأبو داود (٤/ ٦٦٧) كتاب الديات باب أيُقاد المسلم بالكافر حديث (٤٥٣٠) والنسائي (٨/ ١٩) كتاب القسامة: باب القود بين الأحرار والمماليك في النفس وأبو عبيد القاسم بن سلام في «الأموال» (ص ـ ١٧٩) رقم (٤٩٥) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ١٩٢) وفي «مشكل الآثار» (٢/ ٩٠) والدارقطني (٣/ ٩٨) كتاب الحدود والديات (٦١) والحاكم (٢/ ١٤١) والبيهقي (٨/ ٢٩) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٣٨٨ ـ بتحقيقنا) من طريق الحسن عن قيس بن عباد قال: انطلقت أنا والأشتر إلى علي فقلنا: هل عهد إليك رسول الله ـ ﷺ ـ شيئاً لم يعهده للناس عامة قال: لا إلاّ ما كان في كتابي هذا فأخرج كتاباً من قراب سيفه فإذا فيه المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده ومن أحدث حدثاً فعلى نفسه ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. =

---

(١) قال محمود رحمه الله: «مذهب مالك والشافعي رضيَ الله عنهما أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالأنثى... إلخ» قال أحمد رحمه الله: وهذا من الزمخشري وهم على الإمامين، فإنهما يقتصان من الذكر للأنثى بلا خلاف عنهما. وأما الحر والعبد عندهما فهو الذي وهم الزمخشري عنهما.

قتلوا به، وروي: «أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية، وكان لأحدهما

= وفي الباب عن ابن عباس ومعقل بن يسار وعائشة وعطاء بن أبي رباح مرسلاً.
ـ حديث ابن عباس:
أخرجه ابن ماجة (٢/ ٨٩٥) كتاب الديات: باب المسلمون تتكافأ دماؤهم حديث (٢٦٨٣) من طريق حنش عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ـ ﷺ ـ قال: المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم ويُرَد على أقصاهم.
وذكره الحافظ البوصيري في الزوائد (٢/ ٣٥٣) وقال: هذا إسناد ضعيف لضعف حنش واسمه حسين بن قيس.
ـ حديث معقل بن يسار:
أخرجه ابن ماجة (٢/ ٨٩٥) كتاب الديات: باب المسلمون تتكافأ دماؤهم حديث (٢٦٨٤) وابن عديّ في «الكامل» (٥/ ٣٣٢) من طريق عبد السلام بن أبي الجنوب عن الحسن عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «المسلمون يد على من سواهم وتتكافأ دماؤهم».
واللفظ لابن ماجة.
أما لفظ ابن عديّ: لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده والمسلمون يد على من سواهم تتكافأ دماؤهم.
وقال ابن عديّ: وعبد السلام بن أبي الجنوب بعض ما يرويه لا يتابع عليه منكر.
وذكره الحافظ البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤) وقال هذا إسناد ضعيف عبد السلام ضعفه ابن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة والبزار وابن حبان.
ـ حديث عائشة:
أخرجه الدارقنطي (٣/ ١٣١) كتاب الحدود والديات حديث (١٥٥) من طريق مالك بن محمد بن عبد الرحمن عن عمرة عن عائشة قالت: وجد في قائم سيف رسول الله ـ ﷺ ـ كتابان: إن أشد الناس عتواً في الأرض رجل ضرب غير ضاربه أو رجل قتل غير قاتله ورجل تولى غير أهل نعمته فمن فعل ذلك فقد كفر بالله وبرسله ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وفي الآخر: المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده ولا يتوارث أهل ملتين.
وقال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ٣٩٥) ومالك هذا هو ابن أبي الرجال أخو حارثة ومحمد قال أبو حاتم: هو أحسن حالاً من أخويه ا.هـ.
ـ مرسل عطاء:
أخرجه أبو عبيد في «الأموال» (ص ـ ٢٩٠) رقم (٨٠٣) ثنا ابن أبي زائدة عن معقل بن عبد الله الجزري عن عطاء بن أبي رباح قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: المسلمون أخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم ومشدهم على مضعفهم ومتسريهم على قاعدهم.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه أبو داود، والنسائي، والحاكم من طريق قيس بن عبادة عن علي في قصة. ورواه ابن داود وابن ماجة من رواية عمرو بن شعيب عن»أبيه عن جده. وزاد: «ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم»، وفي الباب عن عائشة: رواه البخاري في تاريخه، والدارقطني، وعن ابن عباس، ومعقل بن يسار في ابن ماجة، وعن جابر في المعجم الأوسط للطبراني. انتهى.

طَوْلٌ على الآخر، فأقسموا لنقتلنّ الحرّ منكم بالعبد منا، والذكر بالأنثى، والاثنين بالواحد، فتحاكموا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ حين جاء الله بالإسلام، فنزلت، وأمرهم أن يتباوؤا» (١٠٠) ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾: معناه: فمن عفى له من جهة أخيه[1]، شيء من العفو، على أنه كقولك: سير بزيد بعض السير، وطائفة من السير، ولا يصحّ أن يكون شيء في معنى المفعول به، لأنّ (عفا): لا يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة، وأخوه: هو وليّ المقتول، وقيل له أخوه، لأنه لابسه، من قبل أنه ولي الدم ومطالبه به، كما تقول للرجل: قل لصاحبك كذا، لمن بينه وبينه أدنى ملابسة أو ذكره بلفظ الأخوة، ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام، فإن قلت: إن عفى يتعدّى بعن لا باللام، فما وجه قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾؟ قلت: يتعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب، فيقال: عفوت عن فلان وعن ذنبه. قال الله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة: ٤٣] وقال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ [المائدة: ١٠١] فإذا تعدى إلى الذنب والجاني معاً، قيل: عفوت لفلان عما جنى، كما تقول: غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه، وعلى هذا ما في الآية، كأنه قيل: فمن عفى له عند جنايته، فاستغنى عن ذكر الجناية، فإن قلت: هلا فسرت عفى

---

١٠٠ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» غريب جدًا وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه الله: «معنى الآية: فمن عفى له من جهة أخيه... إلخ». قال أحمد رحمه الله: ويقوي هذا التأويل القول بأن موجب العمد أحد الأمرين من القصاص أو الدية. والخيار إلى الولي. وهو أحد القولين في مذهب مالك رضيَ الله عنه ومشهورهما. إذ لو جعلنا موجب العمد القود على القول الآخر، لكان في ذلك تضييق على الولي. والآية مشعرة بالتخفيف والسعة وتحتمل الآية وجهاً آخر، وهو عود الضميرين جميعاً إلى الولي، وقالوا على هذا الوجه يكون العفو إعطاء البدل، كأنه قال: فمن أعطي شيئاً من أخيه أي بدلاً من أخيه. ويكون «من» مثلها في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠﴾. ونظيره في استعمال العفو في العطاء عندي قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ إذا حمل الذي بيده العقدة على الزوج. وهو مذهب الشافعي رضيَ الله عنه. ويقول أصحابه: عفوه على أحد وجهين: إما من استرجاع النصف الواجب إن كان قد سلم جميع المهر، وإما على دفع النصف الآخر الذي سقط عنه إن كان لم يسلمه، فيكون العفو على هذا مستعملاً في الإعطاء. ويقوي هذا الوجه في أنه لا قصاص قوله ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ لأن المخاطب بالاتباع بالمعروف إنما هو الولي، فإذا جعلنا الضميرين له انساق الكلام سياقة واحدة إلى جهة واحدة، وصار المعنى: فمن أعطى من الأولياء بدلاً من أخيه، فليتبع بالمعروف في طلب ما أعطى. ولما خالفه الولي عن التقاضي خاطب القاتل بحسن الأداء، فلينتظم الكلام موجهاً إلى وجهة واحدة. وأما على الوجه الذي قرره الزمخشري، فالضميران جميعاً راجعان إلى القاتل وتقدير الكلام: فمن عفى له من القاتلين عن جنايته شيء من العفو فليتبع الولي هذا القاتل المعفو عنه بالمعروف، فيكون المخاطب أول الآية القاتل، وآخرها الولي، بخلاف الوجه الذي قررته والله أعلم. وكلا الوجهين حسن جيد.

بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به؟ قلت: لأن عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت، ولكن أعفاه، ومنه قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «وَأَعْفُوا اللِّحَىٰ» (١٠١) فإن قلت، فقد ثبت قولهم: عفا أثره إذا محاه وأزاله، فهلا جعلت معناه: فمن محي له من أخيه شيء؟ قلت: عبارة قلقة في مكانها، والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس، فلا يعدل عنها/٦٦ب إلى أخرى قلقة نابية عن مكانها، وترى كثيراً ممن يتعاطى هذا العلم يجترىء ـ إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله ـ على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه، وهذه جرأة يستعاذ بالله منها[١]. فإن قلت؟: لم قيل: شيء من العفو؟ قلت: للإشعار بأنه إذا عفى له طرف من العفو وبعض منه بأن يعفى عن بعض الدم، أو عفا عنه بعض الورثة تمّ العفو وسقط القصاص ولم تجب إلا الدية، ﴿فَاتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: فليكن اتباع، أو فالأمر اتباع؛ وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعاً، يعني: فليتبع الولي القاتل بالمعروف بأن لا يعنف به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة، وليؤدّ إليه القاتل بدل الدم أداء بإحسان، بأن لا يمطله ولا

---

١٠١ ـ أخرجه مالك (٢/ ٩٤٧) كتاب الشعر: باب السنة في الشعر حديث (١) والبخاري (١٠/ ٣٥١) كتاب اللباس باب إعفاء اللحى حديث (٥٨٩٣) ومسلم (١/ ٢٢٢) كتاب الطهارة: باب خصال الفطرة حديث (٥٢، ٥٣/ ٢٥٩) وأبو داود (٢/ ٤٨٣) كتاب الترجل: باب في أخذ الشارب حديث (٤١٩٨) والترمذي (٥/ ٩٥) كتاب الأدب: باب ما جاء في إعفاء اللحية حديث (٢٧٦٣، ٢٧٦٤) والنسائي (١/ ١٦) كتاب الطهارة باب إحفاء الشارب وإعفاء اللحى حديث (١٥) وفي (٨/ ١٨١ ـ ١٨٢) كتاب الزينة: باب إحفاء الشوارب وإعفاء اللحية حديث (٥٢٢٦) وأبو عوانة (١/ ١٨٩) وابن أبي شيبة (٨/ ٣٧٦) وابن المنذر في «الأوسط» (١/ ٢٣٩) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٢٣٠) والبيهقي (١/ ١٥١) كتاب الطهارة، وفي «الآداب» رقم (٨٣٠) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٤٧) وفي «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٣٧٥) رقم (٨٦٣) والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ٢١٩ ـ بتحقيقنا) من طرق عن نافع عن ابن عمر به.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
متفق عليه من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «إذا ثَبَتَ أنَّ «عَفَا» بمعنى مَحَافَلاَ يَبْعُدُ حَمْلُ الآية عليه، ويكونُ إسنادُ «عَفَا» لمرفوعِهِ إسناداً حقيقياً؛ لأنه إذ ذاك مفعولٌ به صريحٌ، وإذا كان لا يتعدَّى كان إسنادُهُ لمرفوعِهِ مجازاً؛ لأنَّه مصدرٌ مشبَّهٌ بالمفعولِ به، فقد يتعادَلُ الوجهان: أعني كونَ عفا اللازم لشهرتِهِ في الجناياتِ و «عفا» المتعدِّي بمعنى «مَحَا» لتعلقِهِ بمرفوعِهِ تعلقاً حقيقياً» فإن قيل: تُضَمَّنُ «عَفَا» معنى «تَرك» فالجوابُ أنَّ التضمينَ لا يَنْقاس، وقد أجاز ابنُ عطية أَنْ يكونَ عَفَا بمعنى تَرَكَ. وقيل إن «عُفِيَ» بمعنى فُضِلَ، والمعنى: فَمَنْ فُضِلَ له من الطائفتين على الأخرى شيءٌ من تلك الدِّيات، مِنْ قَولِهِم: عَفَا الشيءُ إذا كَثُرَ. انتهى. الدر المصون.

يبخسه، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الحكم المذكور من العفو والدية، ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾؛ لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرّم العفو وأخذ الدية، وعلى أهل الإنجيل العفو وحرّم القصاص والدية، وخيرت هذه الأمّة بين الثلاث: القصاص، والدية، والعفو، توسعة عليهم وتيسيراً، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: التخفيف، فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل[1]، أو القتل بعد أخذ الدية، فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية، ثمّ يظفر به فيقتله، ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: نوع من العذاب شديد الألم في الآخرة، وعن قتادة: العذاب الأليم أن يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية؛ لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لاَ أُعَافِي أَحَداً قَتَلَ بَعْدَ أَخْذِهِ الدِّيَةَ» (١٠٢) ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾: كلام فصيح[2] لما

---

١٠٢ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ١٧٣) كتاب الديات، باب من قتل بعد أخذ الدية حديث (٤٥٠٧) من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «لا أعفى من قتل بعد أخذه الدية».
وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ١٥) رقم (١٨٢٠٠)، وابن جرير في تفسيره (٣/ ٣٧٦) رقم (٢٦٠٣) عن قتادة مرسلاً قال: وذكر لنا أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يقول: لا أعافي رجلاً قتل بعد أخذه الدية.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٧٣)، وعزاه لابن المنذر أيضاً.
ونسبه السيوطي في الدر (١/ ١٧٣) لسمويه في فوائده من حديث سمرة.

---

(١) قوله «من قتل غير القاتل» بيان للتجاوز والاعتداء. (ع)
(٢) في قوله ـ تعالى ـ ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ إعجاز أسلوبي فيه منتهى البلاغة، وكلام المفسر العلامة فيه طيب دفيق وقد شاع بين البلاغيين موازنة بين قول العرب: «القتل أنفى للقتل» وهذه الآية وفي القول الكريم إعجاز، وفي كلام العرب ما يدل على ضعف الإنسان، وقد بين أهل البلاغة الفروق بين العبارتين، وإن كان كلام الله في السماء وكلام البشر في الثرى وخلاصة ما بينه أهل البيان في النقاط التالية:
١ ـ تقديم الجار والمجرور «لكم» فيه خطاب للإنسان في إنسانيته العالية، ولهذا كان التقديم مفيداً للاختصاص وهذا مما يطابق قوله في الختام «يا أولى الألباب»، وبهذا تدرك حقيقة من حقائق الحياة، وهن أن هذا التشريع الإلهي العالي للإنسانية وحدها، وهذا بخلاف ما قيل «القتل أنفى للقتل» فإنه بدأ بما يثير في النفس الهمجية والوحشية التي لا تتفق مع الإنسان في حقيقته.
٢ ـ قال «في القصاص» ليدل على أنه جزاء فعل لا بداية عدوان، وفيه أنه على قدر الاعتداء قلة وكثرة، وهذا المعنى لا يوجد في القول العربي.
٣ ـ «القصاص» بهذه الصيغة فيه دلالة على أن الذي يؤخذ منه من حقه الدفاع والمنازعة حتى يستقر الحكم ويستبين، ولهذا اختارها المولى على «الاختصاص» إذ هذا شريعة الفرد والقصاص شريعة المجتمع.
٤ ـ أن لفظة «قصاص» تفضل كلمة «قتل» من جهة أنه لا شبهة تحوم حولها فأما «القتل» فإنه إما جريمة واعتداء وإما جزاء، أما كلمة «القصاص» فإنها جزاء فقط، ولهذا كان اصطفاء كلمة «قصاص» منزهة عن العيب والشبهات، وهذا أدب أسلوبي إلهي. =

فيه من الغرابة[1]، وهو أنّ القصاص قتل وتفويت للحياة، وقد جعل مكاناً وظرفاً للحياة، ومن إصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة؛ لأن المعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة، وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة، وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل، وكان يُقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر، فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أيّ حياة، أو نوع من الحياة، وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل؛ لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل؛ لأنّه إذا همّ بالقتل فعلم أنه يقتصّ منه فارتدع منه سلم صاحبه من القتل، وسلم هو من القود، فكان القصاص سبب حياة نفسين، وقرأ أبو الجوزاء: ولكم في القصص حياة أي فيما قص عليكم من حكم القتل، القصاص، وقيل القصص: القرآن، أي: «ولكم في القرآن حياة للقلوب»، كقوله تعالى: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: أي أريتكم ما في القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: تعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به، وهو خطاب له فضل اختصاص بالأئمة.

= ٥ ـ «القصاص» فيه شمول للقتل فما دونه بخلاف القتل فإنه يخص هذه الغريزة البشرية بأقبح معانيها، ولهذا كان تكرارها في المثل بمثابة العيب المكرر، وهذا ما لا تراه في «القصاص».
٦ ـ التعبير «بالقصاص» يجعل الإنسان أمام سمة طيبة لو التزم بها لكان مطيعاً لربه بخلاف «القتل» فإن صورة عدوانية بكل ما تحمله هذه الكلمة.
٧ ـ «القصاص» فيه شمول لأخذ الدية والعفو وغير ذلك من الأحكام بخلاف القتل فإنه لا شيء فيه سوى وحشية الدماء.
٨ ـ تعريف «القصاص» بالألف واللام دليل على أنه مقيد بقيود شرعية لتكريم الإنسانية.
٩ ـ تنكير كلمة «حياة» لتفيد أنها حياة صالحة شاملة لكل ألوان الحياة، وبهذا تكون حياة عظيمة لأنها في ظل تشريع العظيم الذي يدير للإنسان ما يصلحه في كل زمان ومكان.
١٠ ـ نداء الإنسان بقوله «يا أولى الألباب» يفيد أن القرآن لا ينادي جميع البشر بما هم عليه من غفلات بل إنه ينادي عليهم من باب العقل، ولهذا ختم بقوله «لعلكم تتقون» ليفيد أن استعمال اللب في الحياة من وراء شرع الله له جزاء المتقين في الأولى والآخرة. هذه بعض سمات الأسلوب الإلهي، ومن أمعن النظر وأدرك بالبصيرة يجد أسراراً وختماً عجيباً في أساليب القرآن العظيم.
«ينظر وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ٣/٤٠٣ وما بعدها. ط. دار المعارف بمصر، الإيضاح للقزويني ٣/٢٠١ وما بعدها، والمطول للسعد ٢٨٧.

(١) قال محمود رحمه الله: «كلام فصيح لما فيه من الغرابة. . . إلخ». قال أحمد رحمه الله: قوله جعل أحد الضدين محلاً للآخر: كلام إما وهم فيه أو تسامح، لأن شرط تضاد الحياة والموت اجتماعهما في محل واحد تقديراً، ولا تضاد بين حياة غير المقتص منه وموت المقتص، والبلاغة التي أوضحها في الآية بينة بدون هذا الإطلاق.

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٨١﴾ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾: إذا دنا منه وظهرت أماراته، ﴿خَيۡرًا﴾ مالاً كثيراً، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنّ رجلاً أراد الوصية وله عيال وأربعمائة/ ٦٧أ دينار، فقالت: ما أرى فيه فضلاً، (١٠٣) وأراد آخر أن يوصي فسألته: كم مالك؟ فقال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: إنما قال الله: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾ وإنّ هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك، (١٠٤) وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: أنّ مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة فمنعه»، وقال: قال الله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾: والخير هو المال، وليس لك (١٠٥)

---

١٠٣ ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩/ ٦٣) رقم (١٦٣٥٤)، قال: أخبرنا الثوري عن منصور بن صفية قال: حدثنا عبد الله بن عبيد بن عمير، أن عائشة سئلت عن رجل مات وله أربعمائة دينار، وله عدة من الولد فقالت عائشة: ما في هذا فضل عن ولده. ا.هـ.
وروى رقم (١٦٣٥٥) عن ابن جريج قال: أخبرني منصور بن عبد الرحمن عن أمه عن عائشة مثل حديث الثوري، إلاّ أنه قال: فلامته عائشة وقالت: إن ذلك لقليل أو نحو ذلك.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه عبد الرزاق عن الثوري عن منصور بن صفية حدثنا عبد الله بن عبيد بن عمير: «أن عائشة سئلت عن رجل مات وله أربعمائة دينار وله عدة من الولد، فقالت عائشة: ما في هذا فضل عن ولده»، وعن ابن جريج عن منصور بن عبد الرحمن عن أمه عن عائشة مثله. وزاد: «فلامته عائشة وقالت: إن ذلك لقليل. قلت: منصور بن عبد الرحمن هو ابن صفية، فكأنه سمعه من أمه، ومن عبد الله كلاهما عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ. انتهى.
١٠٤ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٢٢٩) رقم (٣٠٩٤٦)، حدثنا معاوية عن محمد بن شريك عن ابن أبي مليكة عن عائشة قال: قال لها رجل: إني أريد أن أوصى، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف قالت: فكم عيالك؟ قال: أربعة قالت: فإن الله يقول: «إن ترك خيراً» وإنه شيء يسير؛ «فدعه لعيالك فإنه أفضل».
وأخرجه البيهقي في الكبرى أيضاً (٦/ ٢٧٠) كتاب الوصايا، باب: من استحب ترك الوصية إذا لم يترك شيئاً كثيراً.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن محمد بن شريك عن ابن أبي مليكة عن عائشة: «أن رجلاً قال لها: إني أريد أن أوصي ـ فذكره». انتهى.
١٠٥ ـ أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩/ ٦٢) رقم (١٦٣٥١) عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه قال: دخل عليٌّ على مولى لهم في الموت، فقال: يا عليُّ، ألا أوصي؟ فقال علي: لا إنما قال الله تبارك وتعالى: «إن ترك خيراً»، وليس لك كثير مال. قال: وكان له سبعمائة درهم، ورواه ابن =

مال، والوصية فاعل كتب، وذكر فعلها للفاصل، ولأنها بمعنى أن يوصى، ولذلك ذكر الراجع في قوله: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾ والوصية للوارث كانت في بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث، وبقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إِنَّ الله أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ أَلاَ لاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ» (١٠٦) وبتلقي الأمّة إياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر، وإن كان من الآحاد،

= أبي شيبة (٦/ ٢٢٩) رقم (٣٠٩٤٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٧٠) كتاب الوصايا، باب: من استحب ترك الوصية إذا لم يترك شيئاً كثيراً.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن هشام عن أبيه قال: «دخل علي ـ رضي الله عنه ـ على مولى له في الموت، فقال: ألا أوصي؟ فقال له علي: إنما قال الله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، وليس لك كثير مال. قال: وكان له سبعمائة درهم»، ورواه ابن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر عن هشام به. انتهى.

١٠٦ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ٢٩٠) كتاب الوصايا: باب الوصية للوارث حديث (٢٨٧٠) والترمذي (٤/ ٤٣٣) كتاب الوصايا: باب لا وصية لوارث حديث (٢١٢٠) وابن ماجة (٢/ ٩٠٥) كتاب الوصايا: باب لا وصية لوارث حديث (٢٧١٣) وأحمد (٥/ ٢٦٧) والطيالسي (٢/ ١١٧ ـ منحة) رقم (٢٤٠٧) وسعيد بن منصور (٤٢٧) والدولابي في «الكنى» (١/ ٦٤) وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٢٢٧) والبيهقي (٦/ ٢٤٦) كتاب الوصايا: باب نسخ الوصية للوالدين، كلهم من إسماعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول في خطبته عام حجة الوداع: إن الله تبارك وتعالى قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وأخرجه ابن الجارود في «المنتقى» رقم (٩٤٩) من طريق الوليد بن مسلم قال: ثنا ابن جابر ثنا سليم بن عامر سمعت أبا أمامة فذكر الحديث.
وفي الباب عن جماعة من الصحابة وهم عمرو بن خارجة وأنس بن مالك وابن عباس وجابر وعلي وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وزيد بن أرقم والبراء ومجاهد مرسلاً.
ـ حديث خارجة:
أخرجه الترمذي (٤/ ٤٣٤) كتاب الوصايا: باب لا وصية لوارث حديث (٢١٢١) والنسائي (٦/ ٢٤٧) كتاب الوصايا: باب إبطال الوصية للوارث وابن ماجة (٢/ ٩٠٥) كتاب الوصايا: باب لا وصية لوارث وأحمد (٤/ ١٨٦، ١٨٧) والدارمي (٢/ ٤١٩) كتاب الوصايا: باب الوصية للوارث والطيالسي (١٣١٧) وأبو يعلى (٣/ ٧٨) رقم (١٥٠٨) والبيهقي (٦/ ٢٦٤) كتاب الوصايا: باب نسخ الوصية للوالدين، كلهم من طريق شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن عمرو بن خارجة أن النبي ـ ﷺ ـ خطب على ناقته وأنا تحت جرانها إن لعابها ليسيل بين كتفي فسمعته يقول: إن الله عز وجل أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث.
قال الترمذي: حسن صحيح.
وللحديث طريق آخر.
أخرجه الدارقطني (٤/ ١٥٢) كتاب الوصايا حديث (١٠) والبيهقي (٦/ ٢٦٤) كتاب الوصايا: باب نسخ الوصية للوالدين والأقربين من طريق زياد بن عبد الله عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن عمرو بن خارجة مرفوعاً بلفظ: لا وصية لوارث إلاّ أن يجيز الورثة. =

= وضعف البيهقي سنده.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٢٠٢) رقم (٤١٤٠) من طريق عبد الملك بن قدامة الجمحي عن أبيه عن خارجة بن عمرو أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال يوم الفتح وأنا عند ناقته: ليس لوارث وصية قد أعطى الله عز وجل: كل ذي حق حقه وللعاهر الحجر.
وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه عبد الملك بن قدامة الجمحي وثقه ابن معين وضعفه الناس. ا.هـ.
قلت ووثقه أيضاً يعقوب بن سفيان فقال في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٣٥): مديني ثقة.
لكن عبد الملك هذا ضعفه الجمهور.
قال البخاري في «الضعفاء» (٢٢٠): يعرف وينكر.
وقال أبو زرعة الرازي: منكر الحديث. سؤالات البرذعي (ص ٣٥٦).
وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث. علل الحديث (٢٤٣٥).
وقال النسائي: مدني ليس بالقوي. الضعفاء والمتروكين (٤٠٣).
وقال الدارقطني: مدني يترك. سؤالات البرقاني (٣٠١).
ـ حديث أنس:
أخرجه ابن ماجة (٢/ ٩٠٦) كتاب الوصايا: باب لا وصية لوارث حديث (٢٧١٤) والدارقطني (٤/ ٧٠) كتاب الفرائض حديث (٨) والبيهقي (٦/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥) كتاب الوصايا: باب نسخ الوصية للوالدين والأقربين من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سعيد بن أبي سعيد عن أنس به.
قال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٣٦٨): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.
ـ حديث ابن عباس:
أخرجه الدارقطني (٤/ ٩٧) كتاب الفرائض: حديث (٨٩) والبيهقي (٦/ ٢٦٣) كتاب الوصايا: باب نسخ الوصية للوالدين والأقربين من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال البيهقي: (عطاء هو الخراساني لم يدرك ابن عباس ولم يره قاله أبو داود وغيره).
وأخرجه البيهقي (٦/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) من طريق يونس بن راشد عن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس.
قال الحافظ في «التلخيص» (٣/ ٩٢): حديث حسن.
ـ حديث جابر:
أخرجه الدارقطني (٤/ ٩٧) كتاب الفرائض: حديث (٩٠) من طريق فضل بن سهل ثنى إسحاق بن إبراهيم الهروي ثنا سفيان عن عمر عن جابر به.
قال الدارقطني: الصواب مرسل.
قال أبو الطيب آبادي في «التعليق المغني» (٤/ ٩٧): إسحاق بن إبراهيم الهروي ثم البغدادي أبو موسى وثقه ابن معين وغيره وقال عبد الله بن علي بن المديني: سمعت أبي يقول: أبو موسى الهروي روى عن سفيان عن عمرو عن جابر: لا وصية ـ الحديث كأنه سفيان عن عمرو مرسلاً كذا في الميزان. ا.هـ.
وللحديث طريق آخر.
أخرجه الدارقطني (٤/ ١٥٢) كتاب الوصايا حديث (١٢) من طريق نوح بن دراج عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: لا وصية لوارث ولا إقرار بدين. =

لأنهم لا يتلقون بالقبول إلا الثبت الذي صحت روايته، وقيل: لم تنسخ، والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين، وقيل: ما هي بمخالفة لآية المواريث، ومعناها:

= ـ **حديث علي:**

أخرجه الدارقطني (٤/٩٧) كتاب الفرائض حديث (٩١) من طريق يحيى بن أبي أنيسة عن أبي إسحاق الهمداني عن عاصم بن ضمرة عن علي قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: الدين قبل الوصية ولا وصية لوارث.

ومن طريق يحيى أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٧/ ١٩٠).

ويحيى بن أبي أنيسة:

قال أحمد: متروك الحديث.

وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه.

وقال ابن معين: ليس بشيء.

وقال البخاري: لا يتابع في حديثه وليس بذاك.

وقال النسائي: متروك الحديث.

أسند ذلك ابن عديّ في «الكامل» عنهم.

ـ **حديث عبد الله بن عمرو:**

أخرجه الدارقطني (٤/٩٨) كتاب الفرائض حديث (٩٣) وابن عديّ في «الكامل» (٢/ ٨١٧) من طريقين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ـ ﷺ ـ قال في خطبته يوم النحر: لا وصية لوارث إلاّ أن يجيز الورثة.

ـ **حديث معقل بن يسار:**

أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٥/ ٢١١) من طريق علي بن الحسن بن يعمر ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قال معقل بن يسار: كنا بمنى وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يخطب ولعاب ناقته بين كتفي ففهمت من كلامه. قال: لا وصية لوارث.

قال ابن عديّ: هذا الحديث باطل بهذا الإسناد.

ـ **حديث زيد بن أرقم والبراء:**

أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٦/ ٣٥٠) من طريق موسى بن عثمان الحضرمي عن أبي إسحاق عن البراء وزيد بن أرقم قالا: كنا مع النبي ـ ﷺ ـ يوم غدير خم ونحن نرفع غصن الشجرة عن رأسه فقال: إن الصدقة لا تحل لي ولا لأهلي لعن الله من ادعى إلى غير أبيه ولعن الله من تولى غير مواليه الولد للفراش وللعاهر الحجر ليس لوارث وصية.

قال ابن عديّ: موسى بن عثمان: حديثه ليس بمحفوظ.

وقال أبو حاتم: متروك ينظر اللسان (٦/ ١٢٥) والميزان (٤/ ٢١٤).

ـ **مرسل مجاهد:**

أخرجه البيهقي (٦/ ٢٦٤) كتاب الوصايا: باب نسخ الوصية للوالدين والأقربين، من طريق الشافعي عن ابن عيينة عن سليمان الأحول عن مجاهد به.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه أبو داود، والترمذي: وحسنه وابن ماجة. من حديث أبي أمامة والترمذي أيضاً وصححه، والنسائي وابن ماجة من حديث عمرو بن خارجة، وابن ماجة من رواية عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سعيد بن أبي سعيد، أنه حدثه عن أنس بن مالك به. انتهى.

كتب عليكم ما أوصى به الله من توريث الوالدين والأقربين[1] من قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ [النساء: ١١] أو كتب على المحتضر أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير ما أوصى به الله لهم عليهم، وأن لا ينقص من أنصبائهم، ﴿ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾: بالعدل، وهو أن لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث، ﴿حَقًّا﴾: مصدر مؤكد، أي حق ذلك حقاً، ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾: فمن غير الإيصاء عن وجهه إن كان موافقاً للشرع من الأوصياء والشهود، ﴿بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ﴾: وتحققه، ﴿فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ﴾: فما إثم الإيصاء المغير أو التبديل إلا على مبدّليه دون غيرهم من الموصي والموصى له؛ لأنهما بريان من الحيف، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾: وعيد للمبدّل، ﴿فَمَنۡ خَافَ﴾: فمن توقع وعلم، وهذا في كلامهم شائع يقولون: أخاف أن ترسل السماء، يريدون التوقع والظنّ الغالب الجاري مجرى العلم، ﴿جَنَفًا﴾: ميلاً عن الحق بالخطأ في الوصية، ﴿أَوۡ إِثۡمٗا﴾: أو تعمداً للحيف، ﴿ فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ﴾: بين الموصى لهم، وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع، ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾: حينئذ، لأنّ تبديله تبديل باطل إلى حق، ذكر من يبدّل بالباطل ثم من يبدّل بالحق ليعلم أنّ كل تبديل لا يؤثم[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾: على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم. قال عليّ ـ رضي الله عنه ـ: أوّلهم آدم، يعني: أنّ الصوم عبادة قديمة أصلية، ما أخلى الله أمّة من افتراضها عليهم، لم يفرضها عليكم وحدكم، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾: بالمحافظة عليها، وتعظيمها، لأصالتها وقدمها، أو لعلكم تتقون المعاصي؛ لأنّ الصائم أظلف لنفسه[3] وأردع لها من مواقعة السوء، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ» (١٠٧) أو لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين، لأنّ الصوم شعارهم، وقيل معناه: أنه

---

١٠٧ ـ أخرجه البخاري (٤/١٤٢) كتاب الصوم: باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة حديث =

---

(١) قوله «من توريث الوالدين والأقربين من» لعله في. (ع)

(٢) قوله «أن كل تبديل لا يؤثم» لعل المعنى أن ليس كل تبديل يؤثم. (ع)

(٣) قوله «لأن الصائم أظلف لنفسه» في الصحاح: ظلف نفسه عن الشيء منعه عنه. وظلفت نفسي عن كذا ـ بالكسر ـ: كلست. (ع)

كصومهم في عدد الأيام وهو شهر رمضان، كتب على أهل الإنجيل فأصابهم موَتان، فزادوا عشراً قبله وعشراً بعده، فجعلوه خمسين/٦٧ب يوماً، وقيل: كان وقوعه في البرد الشديد والحرّ الشديد، فشقّ عليهم في أسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع، وزادوا عشرين يوماً كفارة لتحويله عن وقته، وقيل: الأيام المعدودات: عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر، كتب على رسول الله ـ ﷺ ـ صيامها حين هاجر، ثم نسخت بشهر رمضان، وقيل: كتب عليكم كما كتب عليهم أن يتقوا المفطر بعد أن يصلوا العشاء وبعد أن يناموا، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ . . .﴾ الآية [البقرة: ١٨٧]، ومعنى ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ موقتات بعدد معلوم، أو قلائل، كقوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠] وأصله أنّ المال القليل يقدّر بالعدد ويتحكر فيه، والكثير يهال هيلاً ويحثى حثياً، وانتصاب «أياماً» بالصيام، كقولك: نويت الخروج يوم الجمعة، ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: أو راكب سفر، ﴿فَعِدَّةٌ﴾: فعليه عدّة، وقرىء بالنصب بمعنى: فليصم عدّة، وهذا على سبيل الرخصة، وقيل: مكتوب عليهما أن يفطرا ويصوما عدّة، ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: واختلف في المرض

= (١٩٠٥)، (٩/٨) كتاب النكاح: باب قول النبي ـ ﷺ ـ «من استطاع منكم الباءة فليتزوج» حديث (٥٠٦٥) ومسلم (٢/١٠١٨) كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه... حديث (١/ ١٤٠٠) وأبو داود (١/ ٦٢٤) كتاب النكاح: باب التحريض على النكاح حديث (٢٠٤٦) والنسائي (٤/ ١٧١) كتاب الصوم: باب فضل الصيام، (٦/ ٥٦) كتاب النكاح: باب الحث على النكاح وابن ماجة (١/ ٥٩٢) كتاب النكاح: باب ما جاء في فضل النكاح حديث (١٨٤٥) والدارمي (٢/ ١٣٢) كتاب النكاح: باب الحثّ على التزويج، وأحمد (١/ ٣٧٨، ٤٤٧) والطيالسي (١/ ٣٠٣ ـ منحة) رقم (١٥٤٥) وأبو يعلى (٩/ ٤٦ ـ ٤٧) رقم (٥١١٠) والبيهقي (٧/ ٧٧) كتاب النكاح: باب الرغبة في النكاح، وفي «شعب الإيمان» (٤/ ٣٨٠) رقم (٥٤٧٦) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٥٦) كلهم من طريق إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود مرفوعاً.

وأخرجه البخاري (٩/ ١٢) كتاب النكاح: باب من لم يستطع الباءة فليصم حديث (٥٠٦٦) ومسلم (٢/ ١٠١٩) كتاب النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه حديث (٣، ٤/ ١٤٠٠) والترمذي (٣/ ٣٩٢) كتاب النكاح: باب ما جاء في فضل التزويج والحث عليه حديث (١٠٨١) والنسائي (٤/ ١٦٩ ـ ١٧٠) كتاب الصيام: باب فضل الصيام، (٦/ ٥٧ ـ ٥٨) كتاب النكاح: باب الحث على النكاح، والدارمي (٢/ ١٣٢) كتاب النكاح: باب الحث على التزويج، وأحمد (١/ ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٢) وعبد الرزاق (٦/ ١٦٩) رقم (١٠٣٨٠) والحميدي (١/ ٦٣) رقم (١١٥) وابن حبان (٤٠٣٤) والبيهقي (٧/ ٧٧) كتاب النكاح: باب الرغبة في النكاح والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٣ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود مرفوعاً.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

قوله «قال ـ عليه السلام ـ: فعليه بالصوم» صدره: يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم إلخ. متفق عليه من حديث ابن مسعود. انتهى.

المبيح للإفطار، فمن قائل: كل مرض، لأنّ الله تعالى لم يخص مرضاً دون مرض كما لم يخص سفراً دون سفر، فكما أنّ لكل مسافر أن يفطر؛ فكذلك كل مريض، وعن ابن سيرين أنه دخل عليه في رمضان وهو يأكل فاعتلّ بوجع أصبعه، وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد أو الصداع المضر وليس به مرض يضجعه، فقال: إنه في سعة من الإفطار، وقائل: هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه، لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وعن الشافعي: لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل، واختلف ـ أيضاً ـ في القضاء، فعامّة العلماء على التخيير، وعن أبي عبيدة بن الجرّاح ـ رضي الله عنه ـ: «إنّ الله لَمْ يُرَخِّصْ لَكُمْ فِي فِطْرِهِ، وهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَلَيْكُمْ فِي قَضَائِهِ، إنْ شِئْتَ فَوَاتِرْ، وَإِنْ شِئْتَ فَفَرِّقْ» (١٠٨) وعن عليّ، وابن عمر، والشعبي، وغيرهم، أنّه يَقْضِي كَمَا فَاتَ مُتَتَابِعاً (١٠٩)، وفي قراءة أبيّ: «فعدّة من أيام أخر متتابعات» فإن قلت: فكيف قيل: ﴿فَعِدَّةٌ﴾: على التنكير، ولم يقل: فعدّتها، أي فعدّة، الأيام المعدودات؟ قلت: لما قيل: فعدّة والعدّة بمعنى المعدود فأمر بأن يصوم أياماً معدودة مكانها، علم أنه لا يؤثر عدد على عددها، فأغنى ذلك عن التعريف بالإضافة، ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾: وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم إن أفطروا، ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾: نصف صاع من برّ أو صاع من غيره عند أهل العراق، وعند أهل الحجاز مدّ، وكان ذلك في بدء الإسلام: فرض عليهم الصوم ولم يتعوّدوه فاشتدّ عليهم، فرخص لهم في الإفطار والفدية، وقرأ ابن عباس: «يطوّقونه»، تفعيل من الطوق إما بمعنى الطاقة أو القلادة، أي يكلفونه أو يقلدونه ويقال لهم صوموا، وعنه «يتطوّقونه» بمعنى يتكلفونه أو يتقلدونه، «ويطوقونه» بإدغام التاء في الطاء، «ويطيقونه» «ويطيقونه» بمعنى/٦٨أ يتطوقونه، وأصلهما: يطيوقونه ويتطيوقونه، على أنهما من فيعل وتفعيل من الطوق، فأدغمت الياء في

---

١٠٨ ـ رواه الدارقطني (٢/ ١٩٢)، وقال الحافظ في تخريج الكشاف: الدارقطني من روايته. انتهى.

١٠٩ ـ أما أثر علي: فرواه عبد الرزاق في المصنف (٤/ ٢٤٢) رقم (٧٦٦٠) عن الثوري عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال: تباعاً والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٥٩) كتاب الصيام، باب قضاء شهر رمضان.

ـ وأما أثر ابن عمر: فأخرجه عبد الرزاق (٤/ ٢٤٢) رقم (٧٦٥٨)، والبيهقي (٤/ ٢٥٩) كتاب الصيام، باب قضاء شهر رمضان.

ـ وأما أثر الشعبي: فروا، عبد الرزاق (٤/ ٢٤٢) رقم (٧٦٥٩) عن الثوري عن منصور عن إبراهيم وعن داود عن الشعبي.

قالا: تباعاً.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق عنهما.

قال: يقضيه تباعاً. انتهى.

الواو بعد قلبها ياء كقولهم: تدير المكان وما بها ديَّار، وفيه وجهان: أحدهما: نحو معنى يطيقونه، والثاني: يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز، وحكم هؤلاء الإفطار والفدية، وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ، ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه، أي: يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم، ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: فزاد على مقدار الفدية، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾: فالتطوع أخير له أو الخير، وقرىء «فمن يطوّع»، بمعنى يتطوّع، ﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾: أيها المطيقون أو المطوقون، وحملتم على أنفسكم وجهدتم طاقتكم، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من الفدية وتطوع الخير، ويجوز أن ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ـ أيضاً ـ، وفي قراءة أبيّ: والصيام خير لكم.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

الرمضان: مصدر رمض إذا احترق ـ من الرمضاء ـ فأضيف إليه الشهر وجعل علماً، ومنع الصرف للتعريف والألف والنون كما قيل: «ابن داية» للغراب بإضافة الابن إلى داية البعير؛ لكثرة وقوعه عليها إذا دبرت، فإن قلت: لم سمي: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾؟ قلت: الصوم فيه عبادة قديمة، فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حرّ الجوع ومقاساة شدّته، كما سموه: ناتقاً؛ لأنه كان ينتقهم، أي: يزعجهم إضجاراً بشدته عليهم، وقيل: لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحرّ، فإن قلت: فإذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف إليه جميعاً، فما وجه ما جاء في الأحاديث من نحو قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً واحْتِسَاباً» (١١٠). «مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ» (١١١). قلت: هو من باب الحذف،

---

١١٠ ـ أخرجه البخاري (٤/ ٢٥٠): كتاب صلاة التراويح: باب فضل من قام رمضان، الحديث (٢٠٠٩)، ومسلم (١/ ٥٢٣): كتاب المسافرين: باب الترغيب في قيام رمضان، الحديث (١٧٣/ ٧٥٩).
ومالك (١/ ١١٣) كتاب الصلاة في رمضان: باب الترغيب في الصلاة في رمضان (٢).
وأبو داود (١/ ٤٣٦) كتاب الصلاة: باب في قيام شهر رمضان (١٣٧١) والنسائي (٣/ ٢٢) كتاب قيام الليل: باب ثواب من قام رمضان إيماناً واحتساباً (١٦٠٣).
والترمذي (٣/ ١٧١ ـ ١٧٢) كتاب الصوم: باب الترغيب في قيام رمضان وما فيه من الفضل (٨٠٨).
وابن ماجه (١/ ٤٢٠) كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء في قيام شهر رمضان (١٣٢٦). =

لأمن الإلباس؛ كما قال [من الطويل]:

.... بِمَا أَعْيَا النِّطَاسِيَّ حِذْيَمَا[1]؟

= وأحمد (١/ ٢٨١، ٢٨٩، ٤٠٨، ٤٢٣) والدارمي (٢/ ٢٦) كتاب الصوم: باب في فضل قيام شهر رمضان.
والبيهقي (٢/ ٤٩٢) وابن خزيمة (٣/ ٣٣٦) رقم (٢٢٠٢) من طرق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة به.
وقال الترمذي: حسن صحيح.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ انتهى.

١١١ ـ جزء من حديث رواه الترمذي (٥/ ٥٥٠) كتاب الدعوات باب قول رسول الله ـ ﷺ ـ: «رغم أنف رجل».
حديث (٣٥٤٥) من حديث سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ـ ﷺ ـ: رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان، ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة».
وأحمد (٢/ ٢٥٤).
وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٨٩) رقم (١٩٠٨)، والحاكم (١/ ٥٤٩) مختصراً، وسكت عنه، وكذا الذهبي، وروى مسلم (٨/ ٣٤٩ ـ نووي) كتاب البر والصلة، باب رغم أنف من أدرك والديه حديث (٢٥٥١) من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف» قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة».
قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف:
أخرجه الترمذي من رواية عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رفعه: «رغم أنف رجل دخل عليه رمضان، ثم انسلخ قبل أن يغفر له ـ الحديث» قلت: هذا ليس موافقاً للفظ المصنف، والموافق له ما أخرجه ابن حبان. انتهى.

---

(١) فهل لكم فيما إلي فإنني ... بصير بما أَعْيَا النطاسي حذيما؟
يقول: فهل لكم رغبة فيما ينسب إلي من إصابة الرأي، فإنني بصير بحل الأمور المعضلة. وكنّى عن ذلك بقوله: بما أَعْيَا حذيما النطاسيّ، وهو طبيب ماهر حاذق. وحذيم ـ بكسر فسكون ـ أراد به ابن حذيم، لأنه كنيته، فحذف جزء الاسم لأمن اللبس. والنطاسي نسبة للنطاس وزان القرطاس، وهو في لغة الروم بمعنى الحاذق الماهر في الطب. وتخفيفه هنا إما من تصرف العرب، وإما لأجل الوزن. وقيل معناه: فهل لكم رأي وتبصُّر فيما يرجع نفعه إلي، ثم أعرض عن مشاورتهم بقوله: فإني أعلم وأعرف منكم بما أعيى النطاسي، ولا يخفى أنه لا موقع للفاء حينئذٍ، إلا أن يكون المعنى بأنه يطلب منهم الرشوة.
والبيت لأوس بن حجر، ينظر ديوانه ص ١١١، وخزانة الأدب: ٤/ ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٦، وشرح شواهد الشافية ص ١١٦، ١١٧، ولسان العرب: (نطس)، (حذم)، (إلى)، وجمهرة اللغة ص ٨٣٨، ١٣٢٧، والخصائص: ٢/ ٤٥٣، وشرح المفصل: ٣/ ٢٥.

أراد ابن حذيم، وارتفاعه على أنه مبتدأ خبره، ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾: أو على أنه بدل من الصيام في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] أو على أنه خبر مبتدأ محذوف، وقرىء بالنصب على: صوموا شهر رمضان، أو على الإبدال من: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾، أو على أنه مفعول، ﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾ [البقرة: ١٨٤]. ومعنى: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾: ابتدىء فيه إنزاله، وكان ذلك في ليلة القدر، وقيل: أنزل جملة إلى سماء الدنيا، ثم نزل إلى الأرض نجوما، وقيل: أنزل في شأنه القرآن، وهو قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ كما تقول: أنزل في عمر كذا، وفي عليّ كذا، وعن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَالْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مَضَيْنَ» (١١٢) ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾: نصب على الحال، أي أنزل وهو هداية للناس إلى الحق، وهو آيات واضحات، مكشوفات مما يهدي إلى الحق ويفرق/٦٨ب بين الحقّ والباطل، فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾، بعد قوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾؟ قلت: ذكر أوّلاً أنه هدى، ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله، وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال، ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾: فمن كان شاهداً، أي حاضراً مقيماً غير مسافر في الشهر، فليصم فيه ولا يفطر، والشهر: منصوب على الظرف وكذلك الهاء في: ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾، ولا يكون مفعولاً به كقولك: شهدت الجمعة؛ لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾: أن ييسر عليكم ولا يعسر، وقد نَفَى عنكم الحرج في الدِّين، وأمركم بالحنيفية السمحة التي لا إصر فيها، وجملة ذلك ما رخص لكم فيه من إباحة الفطر في السفر والمرض، ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر، حتى زعم أنّ من صام منهما فعليه الإعادة، وقرىء:

---

١١٢ ـ أخرجه أحمد (٤/١٠٧) من حديث أبي سعيد مولى بني هاشم ثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة بن الأسقع مرفوعاً، وابن جرير في التفسير (٣/٤٤٦) رقم (٢٨١٤)، حدثنا أحمد بن منصور قال حدثنا عبد الله بن رجاء قال حدثنا عمران به والطبراني في الكبير (٢٢/٧٥) رقم (١٨٥)، وذكره السيوطي في الدر (١/١٨٩)، وعزاه لمحمد بن نصر وابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب.
وروى أبو يعلى في مسنده (٤/١٣٥) رقم (٢١٩٠)، من حديث أبي المليح عن جابر بن عبد الله موقوفاً.
قال الهيثمي في المجمع (١/٢٠٢):
«رواه أبو يعلى، وفيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف» ا.هـ.
أخرجه أحمد والطبراني من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً به وفي الباب عند أبي داود، وأخرجه الثعلبي في تفسيره وعن جابر أخرجه أبو يعلى. انتهى.

اليسر، والعسر ـ بضمتين، الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره[1]، ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: شرع ذلك، يعني: جملة ما ذكر من أمر الشّاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر، فقوله: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ﴾ علة الأمر بمراعاة العدّة ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ﴾ علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: علة الترخيص والتيسير، وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان، وإنما عدّى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمّناً معنى الحمد، كأنه قيل: ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم[2]، ومعنى ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ وإرادة أن تشكروا، وقرىء: «ولتكملوا» بالتشديد. فإن قلت: هل يصحّ أن يكون (ولتكملوا) معطوفاً على علة مقدرة، كأنه قيل لتعملوا ما تعلمون، ولتكملوا العدّة، أو على اليسر، كأنه قيل: يريد الله بكم اليسر، ويريد بكم لتكملوا، كقوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ﴾؟ [الصف: ٨] قلت: لا يبعد ذلك والأوّل أوجه. فإن قلت: ما المراد بالتكبير؟ قلت: تعظيم الله والثناء عليه، وقيل: هو تكبير يوم الفطر، وقيل: هو التكبير عند الإهلال[3].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه، فإذا دعى أسرعت تلبيته، ونحوه ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «هُوَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْنَاقِ رَوَاحِلِكُمْ» (١١٣) وروي: أَنَّ أَعْرَابِيّاً قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: أَقَرِيبٌ رَبُّنَا فَنُنَاجِيهِ، أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيهِ؟ (١١٤) فَنَزَلَتْ:

---

١١٣ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٥٣٧) كتاب المغازي: باب غزوة خيبر حديث (٤٢٠٥)، (١١/ ٢١٧) كتاب =

---

(١) قال محمود رحمه الله: «الفعل المعلل محذوف تقديره شرع ذلك... إلخ». قال أحمد رحمه الله: ولقبه الخاص به في صناعة البديع: رد أعجاز الكلام إلى صدوره. ولقد أحسن الزمخشري في التنقيب عنه فهو منظوم في سلك حسناته.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا منه تفسيرُ معنى لا إعراب؛ إذ لو كان كذلك لكانَ تعلّقُ «على» بـ «حامدين» التي قَدَّرها لا بـ «تُكَبِّروا»، وتقديرُ الإعراب في هذا هو: ولِتَحْمَدُوا الله بالتكبيرِ على ما هداكم، كما قدَّره الناسُ في قوله:

قَـدْ قَـتَـلَ الـلَّـهُ زِيَـاداً عَـنِّـي

أي: صَرَفَه بالقتلِ عني، انتهى. الدر المصون.

(٣) قوله «عند الإهلال» أي الإحرام بالنسك. أفاده الصحاح. (ع)

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾: إذا دعوتهم للإيمان والطاعة، كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم، وقرىء «يرشَدون ويرشِدون»، بفتح الشين، وكسرها.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)﴾

كان الرجل إذا أمسى حلّ له الأكل والشرب[(١)] والجماع إلى أن يصلّي العشاء الآخرة أو يرقد، فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة، ثم إنّ عمر رضي الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة، فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه، فأتى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة وأخبره بما فعل، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما كنت جديراً بذلك يا عمر[(٢)]»

= الدعوات باب قول لا حول ولا قوة إلاّ بالله حديث (٦٤٠٩)، وباب الدعاء إذا علا عقبه حديث (٦٣٨٤) وفي (١٣/ ٣٨٤) كتاب التوحيد: باب وكان الله سميعاً بصيراً حديث (٧٣٨٦) ومسلم (٤/ ٢٠٧٦) كتاب الذكر والدعاء: باب استحباب خفض الصوت بالذكر حديث (٤٤/ ٢٧٠٤).

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري، قال: «كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ في غزوة، فلما قفلنا أشرفنا على المدينة، فكبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال النبي ـ ﷺ ـ: «إن ربكم ليس بأصم ولا غائب، هو بينكم وبين رءوس رواحلكم». ورواه الترمذي. انتهى.

١١٤ ـ أخرجه ابن جرير (٣/ ٤٨٠) رقم (٢٩٠٤)، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ١١٤) للدارقطني في كتابه المؤتلف والمختلف في ترجمة الصلت بن حكيم.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الطبري وابن أبي حاتم والدارقطني في المؤتلف من رواية الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده: «أن أعرابياً ـ فذكره ـ وزاد» بعد قوله: «فتناديه». «فسكت عنه». انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه الله: «كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل... إلخ». قال أحمد رحمه الله: ويشهد لصحة هذا الجواب أنه لما استقرت الإباحة فيه قال ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ فكنّى عنه الكناية المألوفة في الكتاب العزيز. ويشكل بقوله ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ فإن هذه العبارة استعملت ولم ينقل في الحج ما نقل في الصوم من سبب نزول الآية وهو مواقعة المكروه. ويمكن أن يجاب عنه لما وقع في آية الحج منهياً عنه أريد للشعبة عندهم كيلا يقعوا فيه، فعبَّر عنه بما هجنه لكون ذلك منفراً لهم عن التورُّط.

فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء، فنزلت، (١١٥) وقرىء: أَحَلَّ لكم ليلة الصيام الرفث، أي أحلّ الله، وقرأ عبد الله: الرفوث، وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه، كلفظ النيك، وقد أرفث الرجل، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه أنشد وهو مُحْرِمٌ [من الرجز]:

وهُــنَّ يَـمْـشِـيـنَ بِـنَـا هَـمِـيـسَـا إنْ تَـصْـدُقِ الـطَّـيْـرُ نَـنِـكْ لَـمِـيـسَـا[1]

فَقِيلَ لَهُ: أَرَفَثْتَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا الرَّفَثُ مَا كَانَ عِنْدَ النِّساءِ (١١٦)، وقال الله تعالى: ﴿فَلَا

---

١١٥ ـ رواه ابن جرير (٣/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨) رقم (٢٩٤٣) حدثني محمد بن سعد قال: «حدثني أبي حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله: «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم» إلى «وعفا عنكم» كان الناس أول ما أسلموا إذا صام أحدهم يصوم يومه حتى إذا أمسى طعم... في قصة طويلة، فنزلت الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ... الآية﴾، ورواه في قصة طويلة أيضاً عن السدي (٣/ ٥٠١) رقم (٢٩٤٩).

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

رواه الطبري من طريق عطية عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ الآية، قال: كان الناس أول ما أسلموا إذا صاموا يطعمون من الطعام فيما بين المساء والعتمة. فإذا صلوا العتمة حرم عليهم الطعام حتى يمسوا من الليلة القابلة، وإن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بينما هو نائم إذ سولت له نفسه فأتى أهله فذكره. ليس فيه: «فقام رجال فاعترفوا»، وروى الطبري من طريق السدي قال: «كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وقع على جارية له في ناس من المسلمين لم يملكوا أنفسهم، فأتى النبي ـ ﷺ ـ. انتهى.

١١٦ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٢٧٦) من طريق أبي العالية عن ابن عباس.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ووافقه الذهبي.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق زياد بن الحسين عن أبي العالية: «أترفث وأنت محرم؟ فقال: إنما الرفث ما روجع به النساء». =

---

(١) أنشده ابن عباس في الحج. فقال له أبو العالية: أترفث وأنت محرم؟ فقال: إنما الرفث ما كان عند النساء. وقال بعضهم: قال حصين بن قيس: أخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول: وهن... البيت. فقلت له: أترفث وأنت محرم؟ فقال: إنما الرفث ما قيل عند النساء. وهن، أي النوق «يمشين بنا» أي معنا. والهميس: نوع من السير لا صوت له، نصب بيمشين. وإن تصدق الطير، أي التي تفاءلنا بها حيث طارت جهة اليمين، وشبّه الطير بمخبر على طريق المكنية والصدق تخييل. وروي: إن يصدق الظن، والفعل بعده جواب الشرط ولفظ «النيك» هو الحقيقة في إدخال الذكر في الفرج، وما عداه ـ كالوطء والجماع والملامسة ـ مجاز في الأصل أو كناية، ولذلك قبح النطق بها دون غيرها. ولميس: اسم امرأة، ولعل ابن عباس ضربه مثلاً للظفر بما كان يقصده.
ينظر: اللسان م «رفث»، والدرر ١/ ١٩٩، والدر المصون ١/ ٤٧٤.

رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فكنى به عن الجماع[1]، لأنه لا يكاد يخلو من شيء من

= وأخرجه ابن أبي شيبة والطبري من هذا الوجه، والهميس بفتح الهاء وآخره مهملة: ضرب من السير، لا يسمع له وقع. ذكره ثابت السرقسطي. انتهى.

---

(١) قوله ـ تعالى ـ «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم» فيه: الرفث كناية عن الجماع موضوع الكناية عند المفسر العلامة تطبيقي على آيات الكتاب العزيز «الكشاف ١/٣٣٨» والذي نقف عنده هنا هو صورة الكناية عند أهل البلاغة.

وخلاصتها في النقاط الآتية:

١ ـ عرفت لغة بمعنى «الستر» قال صاحب اللسان: «والكناية أن تتكلم بالشيء وتريد غيره وكنى عن الأمر بغيره يكني كناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو: الرفث والغائط وغيره».

وقال ـ أيضاً ـ «قال أبو عبيد: كنيت الرجل وكنوته لغتان»، والمصدر كناية أما «كناوه» فإن الواو قلبت عن الياء سماعاً ـ هذا في دائرة اللغة.

واصطلاحاً: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي، وبهذا فارقت المجاز العام السابق في كلام البلاغيين على الكناية، فإن القرينة في المجاز مانعة وهنا قرينة إلا أنها ليست مانعة.

والكناية عند صاحب الكشاف تسير مع هذا التحديد، بل هو أول من بين أن المعنى الأصلي قد يراد مع الكنائي، ولا مانع منه أبداً، وجعل أقسامها كما عرف عنها في بحوث البلاغيين من بعد، وفرق بينها وبين التعريض.

٢ ـ أقسام الكناية المعروفة عند البلاغيين ثلاثة:

(أ) عن موصوف كقوله ـ تعالى ـ ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [الآية ١٣ القمر].

(ب) عن صفة كقوله ـ تعالى ـ ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الآية ٦ المائدة].

(جـ) عن نسبة كقولك: هذا بيت علم، وقول زياد الأعجم من هذا الباب، وقصته أنه نزل على ابن الحشرج فأكرمه فقال زياد هذا [من الكامل]:

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

ولطائف الكناية أكثر من أن تحصى ومنها:

(أ) التوكيد، لأنه إثبات المعنى المقصود بدليله، فإذا كان البيت قد نسب إليه العلم فهذا دليل على أن أهل البيت قد ملأهم العلم وفاض عنهم حتى صاحب البيت.

(ب) التعبير عن المعنى الخسيس باللفظ الرفيع الدال عليه، وهذا من أدب اللغة الإسلامية التي تعلم البشرية كيف يتحدثون، كما في الآية التي معنا.

(جـ) رفع المعنويات إلى صورة المحسوسات، والمحسوس أقوى تأثيراً لأنه أقرب إلى النفس.

(د) الإشارة إلى المعنى بلطف وبراعة، وذلك في مجالس الناس قائم وملموس ولهذه المعاني طرائق من الكناية القرآنية، ولطائفها كثيرة، والمفسر الأريب ترى له فيها ملحوظات ولمسات، وسترى هذا في كثير من الآيات.

«ينظر لسان العرب مادة: كنى، الإيضاح ٥/١٥٨، ومفتاح العلوم للسكاكي ١٨٩ والمطول للسعد ٤٠٧، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٣/١٤١، دروس تطبيقية د. فتحي مزيد ١٥٣ وما بعدها، ودراسات من علم البيان د. محمود عبد العظيم ٢٩٧ وما بعدها والبلاغة القرآنية د. أبو موسى ٥٤٥ وما بعدها.

ذلك، فإن قلت: لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١]، ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾، ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣]، ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٢]؟ قلت: استهجاناً لما وجد منهم قبل الإباحة، كما سماه اختياناً لأنفسهم، فإن قلت: لم عدى الرفث بإلى؟ قلت: لتضمينه معنى الإفضاء، لما كان الرجل والمرأة يعتنقان، ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه، شبه باللباس المشتمل عليه، قال الجعديُّ [من المتقارب]:

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَهَا تَثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسَا[1]

فإن قلت: ما موقع قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾؟ قلت: هو استئناف كالبيان، لسبب الإحلال، وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهنّ مثل هذه المخالطة والملابسة، قلّ صبركم عنهنّ، وصعب عليكم اجتنابهنّ، فلذلك رخص لكم في مباشرتهنّ، ﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾: تظلمونها، وتنقصونها حظها من الخير، والاختيان من الخيانة، كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدّة، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور، ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة، أي: لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها، ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل، وقيل: هو نهيٌ عن العزل، لأنّه في الحرائر، وقيل: وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلّله دون ما لم يكتب لكم من المحلّ المحرّم، وعن قتادة: وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر، وقرأ ابن عباس: «واتبعوا»، وقرأ الأعمش: «وأتوا»، وقيل: معناه: واطلبوا ليلة القدر، وما كتب الله لكم من الثواب إن أصبتموها وقمتموها، وهو قريب من بدع التفاسير، ﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾: هو أوّل من يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود، و ﴿ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾: ما يمتدّ معه من غبش الليل، شبهاً بخيطين أبيض وأسود، قال أبو داود[2] / [من المتقارب]:

---

(١) للنابغة الجعدي. و «ما» زائدة. والضجيع: المضاجع. والعطف ـ بالكسر ـ: الجانب. تثنت: بالغت في مطلوبه من التعانق فكانت مشتملة عليه كاللباس، فهو تشبيه بليغ. ويروى: ثنى جيدها، أي عنقها.
ينظر ديوانه ص ٨١، وجمهرة اللغة ص ٥٣٦، لسان العرب (نحس)، (سلط)، وتاج العروس: (نحس) (سلط)، والكامل ص ٤٧٧، والشعر والشعراء ص ٣٠٢، كتاب العين: ٣/ ١٤٤، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٢٠، الدر المصون ١/ ٤٧٤.

(٢) قوله «قال أبو داود» لعله: دؤاد. (ع). هذا، ولعله اعتمد على نسخة فيها ما أشار إليه.

فَلَمَّا أَضَاءَتْ لَنَا سَدْفَةٌ وَلاحَ مِنَ الصُّبْحِ خَيْطٌ أَنَارَا(1)

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾: بيان للخيط الأبيض، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود، لأنّ بيان أحدهما بيان للثاني، ويجوز أن تكون (من) للتبعيض؛ لأنه بعض الفجر وأوّله، فإن قلت: أهذا من باب الاستعارة، أم من باب التشبيه؟ قلت: قوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾: أخرجه من باب الاستعارة، كما أن قولك: رأيت أسداً مجازاً، فإذا زدت: (من فلان): رجع تشبيهاً. فإن قلت: فلم زيد: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، حتّى كان تشبيهاً؟ وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة؟ قلت: لأنّ من شرط المستعار، أن يدل عليه الحال أو الكلام، ولو لم يذكر: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾: لم يعلم أن الخيطين مستعاران، فزيد ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾: فكان تشبيهاً بليغاً وخرج من أن يكون استعارة، فإن قلت: فكيف التبس على عديّ بن حاتم مع هذا البيان حتى قال: عمدت إلى عقالين أبيض وأسود، فجعلتهما تحت وسادتي، فكنت أقوم من الليل، فأنظر إليهما فلا يتبين لي الأبيض من الأسود، فلمّا أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فضحك وقال: «إِنْ كَانَ وِسَادَكَ لَعَرِيضاً» (١١٧) وَرُوِيَ: «إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا (١١٨)، إنّما ذاك بياض النّهار وسواد

---

١١٧ ـ أخرجه البخاري (٩/٣٨) كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ...﴾ حديث (٤٥٠٩)، ورواه في (٤/٦٢٩) كتاب الصوم، باب قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟... الآية﴾ حديث (١٩١٦).

ومسلم (٤/٢١٤ ـ نووي) كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر حديث (١٠٩٠).

وأبو داود (٢/٧١٧) كتاب الصيام، باب وقت السحور حديث (٢٣٤٩).

والترمذي (٥/٢١١) كتاب التفسير، حديث (٢٩٧١)، وابن حبان (٨/٢٤٢) رقم (٣٤٦٢).

والبيهقي في الكبرى (٤/٢١٥) كتاب الصيام، باب الوقت الذي يحرم فيه الطعام على الصائم.

والطحاوي (٢/٥٣).

والدارمي (٢/٥ ـ ٦) كتاب الصوم، باب متى يمسك المتسحر عن الطعام والشراب.

والطبراني في المعجم الكبير (١٧/٧٨، ٧٩) رقم (١٧٢ ـ ١٧٩)، والطبري في تفسيره (٣/٥١٢ ـ ٥١٣) رقم (٢٩٨٧، ٢٩٨٨).

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث الشعبي عن عديّ بن حاتم. انتهى.

١١٨ ـ هي رواية عند البخاري (٩/٣٨) كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟... الآية﴾ حديث =

---

(1) لأبي داود. وأضاء وأنار، يجيئان لازمان كما هنا ومتعديين. والسدفة: بياض الفجر يشوبه قليل ظلام. وفي لغة نجد: الظلمة. وأسدفت المرأة القناع: أرسلته. وأسدف الليل: أظلم. وعند غيرهم هي الإضاءة والصبح. وأسدف الصبح: أضاء. وأسدف الباب فتحه. وشبّه بياض بعض الصبح بالخيط في امتداده. ويجوز أن «من» بيانية. وجملة أنار صفة خيط، وجواب الشرط فيما بعده.
ينظر ديوانه ص ٣٥٢، ولسان العرب: (خيط)، وتهذيب اللغة: ٧/٤٠٣، وتاج العروس: (خيط).

الليل»؟ قلت: غفل عن البيان؛ ولذلك عرّض رسول الله ﷺ قفاه، لأنه مما يستدل به على بلاهة الرَّجُلِ، وقِلّة فطنته، وأنشدتني بعض البدويات لِبَدَوِيّ [من الطويل]:

عَـرِيـضُ الـقَـفَـا مِـيـزَانُـهُ فِـي شِـمَـالِـهِ   قَدِ انْحَصَّ مِنْ حَسْبِ القَرَارِيطِ شَارِبُهُ[1]

فإن قلت: فما تقول فيما رُوِيَ عن سهل بن سعد السّاعدي: أنها نزلت ولم ينزل ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا له، فنزل بعد ذلك ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فعلموا أنه إنما يعني بذلك الليل والنهار؟ (١١٩) وكيف جاز تأخير البيان، وهو يشبه العبث، حيث لا يفهم منه المراد، إذ ليس باستعارة لفقد الدلالة، ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر، فلا يفهم منه إذن إلاّ الحقيقة وهي غير مرادة؟ قلت: أما من لم يجوّز تأخير البيان ـ وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين، وهو مذهب أبي عليّ وأبي هاشم ـ فلم يصحّ عندهم هذا الحديث، وأما من يجوّزه فيقول: ليس بعبث، لأنّ المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب، ويعزم على فعله إذا استوضح المراد منه، ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾: قالوا: فيه دليل على جواز النية بالنهار[2] في صوم رمضان، وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر، وعلى نفي صوم

= (٤٥١٠) من طريق الشعبي عن عديّ بن حاتم أيضاً.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

هذه الرواية في البخاري أيضاً من طريق الشعبي عن عديّ بن حاتم أيضاً. انتهى.

١١٩ ـ أخرجه البخاري (٤/ ٦٣٠) كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟... الآية﴾ حديث (١٩١٧)، وفي (٩/ ٣٨) كتاب التفسير حديث (٤٥١١)، ومسلم (٤/ ٢١٤ ـ نووي) كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر حديث (١٠٩١).

من رواية أبي حازم عن سهل به.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

متفق عليه من رواية أبي حازم عنه. انتهى.

---

(١) يصف رجلاً بالغباوة على طريق الكناية. فعرض القفا: كناية عن الحمق. وكون ميزانه في شماله: كناية عن البله. أي انحسر شاربه، لكثرة ما يعض على شفته عند الحسب، كناية عن البلادة.

(٢) قال محمود رحمه الله: «قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار... إلخ». قال أحمد: وجه استدلالهم من الآية على الحكم الأول متعذّر، لأن إقران النية بأول الصوم وجوداً غير معتبر باتفاق، وتقديمها من الليل وتستصحب معتبر باتفاق، فإذاً لا تنافي بين الأكل والشرب إلى الفجر وبين نية الصوم المستقبل من الليل. ووجودها من الليل متقدمة على الصوم مستفاد من دليل دل عليه، وإنما لم يتم لهم الاستدلال بالآية على اعتبار النية في النهار ـ لو كان الأكل والشرب ليلاً إلى الفجر ـ ينافي صحة استصحاب النية، وكان اقتضاء الآية لجواز الأكل والشرب إلى الفجر يمنع من اعتبار النية من الليل إلى الفجر لوجود المنافي لها ولا بد منها، فيتعين أن يوقع بعد الفجر على هذا التقدير. وذلك التقدير كما =

الوصال، ﴿عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ﴾: معتكفون فيها، والاعتكاف: أن يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه، والمراد: بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ﴾، ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾: وقيل معناه: ولا تلامسوهنّ بشهوة، والجماع يفسد الاعتكاف/ ٧٠أ وكذلك إذا لمس أو قبّل فأنزل، وعن قتادة: كان الرجل إذا اعتكف، خرج فباشر امرأته ثم رجع إلى المسجد، فنهاهم الله عن ذلك، وقالوا: فيه دليل على أنّ الاعتكاف لا يكون إلا في مسجد، وأنه لا يختصّ به مسجد دون مسجد، وقيل: لا يجوز إلا في مسجد نبيّ وهو أحد المساجد الثلاثة، وقيل: في مسجد جامع، والعامة على أنه في مسجد جماعة، وقرأ مجاهد: في المسجد، ﴿تِلْكَ﴾: الأحكام التي ذكرت، ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ﴾: فلا تغشوها، فإن قلت: كيف قيل[1]: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ﴾ مع قوله: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]؟ قلت: من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه، فهو متصرف في حيّز الحقّ، فنهى أن يتعداه؛ لأن من تعداه وقع في حيز الباطل، ثم بولغ في ذلك فنهى أن يقرب الحدّ الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل، وأن يكون في الواسطة متباعداً عن الطرف فضلاً عن أن يتخطاه، كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىً، وَحِمَىَ الله مَحَارِمُهُ فَمَنْ رَتَعَ حَوْلَ الْحِمَى يُوْشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ» (١٢٠) فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد، ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه،

---

١٢٠ ـ أخرجه البخاري (١/ ١٥٣) كتاب الإيمان/ باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢)، ورواه في البيوع/ باب الحلال بيّن والحرام بيّن (٢٠٥١).
ومسلم (٣/ ١٢١٩) كتاب المساقاة/ باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٥٩٩)، وأبو داود (٢/ ٢٦٣)، كتاب البيوع/ باب في اجتناب الشبهات (٣٣٢٩، ٣٣٣٠)، والترمذي (٣/ ٥٠٢) كتاب البيوع/ باب ما جاء في ترك الشبهات (١٢٠٥)، وابن ماجة (٢/ ١٣١٨، ١٣١٩) كتاب الفتن/ باب الوقوف عند الشبهات (٣٩٨٤)، والنسائي (٧/ ٢٤١) كتاب البيوع/ باب اجتناب الشبهات، (٨/ ٣٢٧) كتاب الأشربة/ باب الحثّ على ترك الشبهات، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١)، والدارمي (٢/ ٢٤٥)، والبيهقي في السنن (٥/ ٦٤، ٢٦٤)، والبغوي في شرح السنة (٤/ ٢٠٧، ٢٠٨) (٢٠٢٤ ـ بتحقيقنا)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٩٧) (٧٢١)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٧٠، ٣٣٦). =

= علمت متفق على بطلانه. وأما الاستدلال بها على الحكمين الآخرين فصحيح مستند والله أعلم. ولتفطن الزمخشري لبطلان الاستدلال بالآية على الحكم المذكور سلك سبيل النقل عنهم فقال: قالوا. لا يقولها إلا في مثل هذا المعنى، ولم يسعه التنبيه على بطلان الاستدلال لأنه على وفق مذهبه.

(١) قال محمود رحمه الله تعالى: «إن قلت كيف قال فلا تقربوها. . . إلخ» قال أحمد رحمه الله تعالى: وفي هذه الآية دليل بيّن لمذهب مالك رضيَ الله تعالى عنه في سد الذرائع والاحتياط للمحرمات لا يدافع عنه.

ومناهيه خصوصاً، لقوله: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾، وهي حدود لا تقرب.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

ولا يأكل بعضكم مال بعض، ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه، «و» لا ﴿تدلوا بها﴾: ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام، ﴿لِتَأْكُلُواْ﴾: بالتحاكم، ﴿فَرِيقًا﴾: طائفة، ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾: بشهادة الزور، أو باليمين الكاذبة، أو بالصلح، مع العلم بأن المقضي له ظالم، وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال للخصمين: «إنما أنا بشر، وأنتم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضكم ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه، فلا يأخذنّ منه شيئاً، فإنما أقضي[(1)] له قطعة من نار» فبكيا وقال كل واحد منهما: حقي لصاحبي. فقال: «اذهبافتوخيا، ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه» (١٢١) وقيل: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ﴾: وتلقوا بعضها إلى

= ـ وفي الباب من حديث عمار بن ياسر: رواه أبو يعلى (٣/ ٢١٣) (١٦٥٣).
وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٧٦):
«رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه موسى بن عبيدة الربذي. وهو ضعيف» ا.هـ.
وفي الباب عن جابر أيضاً عن الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٧٠).
قال الحافظ ابن حجر: متفق عليه. وله ألفاظ. انتهى.

١٢١ ـ أخرجه مالك (٢/ ٧١٩) كتاب الأقضية: باب الترغيب في القضاء حديث (١) والبخاري (١٢/ ٣٣٩) كتاب الحيل: باب (١٠) حديث (٦٩٦٧) ومسلم (٣/ ١٣٣٧) كتاب الأقضية: باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة حديث (٤/ ١٧١٣) وأبو داود (٤/ ١٢) كتاب الأقضية: باب في قضاء القاضي إذا أخطأ حديث (٣٥٨٣) والترمذي (٣/ ٦٢٤) كتاب الأحكام: باب التشديد على من يقضي له بشيء حديث (١٣٣٩) والنسائي (٨/ ٢٣٣) كتاب آداب القاضي: باب الحكم بالظاهر وابن ماجه (٢/ ٧٧٧) كتاب الأحكام: باب أقضية الحاكم لا تحل حراماً حديث (٢٣١٧).
والشافعي (٢/ ١٧٨) كتاب الأحكام في الأقضية حديث (٦٢٦) والحميدي (١/ ١٤٢) رقم (٢٩٦) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٩٩٩) وأبو يعلى (١٢/ ٣٠٥) رقم (٦٨٨٠) وابن حبان (٥٠٤٧، ٥٠٤٩ ـ الإحسان) والدارقطني (٤/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) كتاب الأقضية والأحكام حديث (١٢٧) والبيهقي (١٠/ ١٤٣) كتاب آداب القاضي: باب من قال: ليس للقاضي أن يقضي بعلمه، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ١٥٤) باب الحاكم يحكم بالشيء فيكون في الحقيقة بخلافه في الظاهر، الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣٤٣) رقم (٧٩٨) والبغوي في شرح السنة (٥/ ٣٤٧) ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي ـ ﷺ ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض =

---

(١) قوله «فإن ما أقضي» لعله: فإنما. (ع)

حكام السوء على وجه الرشوة، وتدلوا: مجزوم داخل في حكم النهي، أو منصوب بإضمار أن، كقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ [البقرة: ٤٢]. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنكم على الباطل، وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح، وصاحبه أحق بالتوبيخ.

﴿۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)﴾

وروي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري، قالا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة؟» فنزلت، (١٢٢) ﴿مَوَاقِيتُ﴾: معالم يوقت بها الناس

= فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذنه فإنما أقطع له قطعة من النار».

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وأخرجه البخاري (٥/ ١٠٧) كتاب المظالم: باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه حديث (٢٤٥٨) ومسلم (٣/ ١٣٣٨) كتاب الأقضية. باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة حديث (٤/ ١٧١٣) وأحمد (٦/ ٣٠٨) والدارقطني (٤/ ٢٣٩) كتاب الأقضية والأحكام حديث (١٢٦) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ١٥٤) والبيهقي (١٠/ ١٤٣) كتاب آداب القاضي: باب من قال: ليس للقاضي أن يقضي بعلمه، كلهم من طريق الزهري عن عروة عن زينب عن أم سلمة به.

وللحديث طريق آخر عن أم سلمة.

أخرجه أبو داود (٤/ ١٢) كتاب الأقضية: باب في قضاء القاضي إذا أخطأ حديث (٣٥٨٤، ٣٥٨٥) وأحمد (٦/ ٣٢٠) وابن أبي شيبة (٧/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) رقم (٣٠١٦) وابن الجارود رقم (١٠٠٠) وأبو يعلى (١٢/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥) رقم (٦٨٩٧) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ١٥٤ ـ ١٥٥) وفي «المشكل» (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

والدارقطني (٤/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) كتاب الأقضية والأحكام والحاكم (٤/ ٩٥) والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٢٩٨) رقم (٦٦٣) والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٣٤٩ ـ بتحقيقنا: كلهم من طريق أسامة بن زيد عن عبد الله بن رافع عن أم سلمة به.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه أبو داود والدارقطني، والحاكم وأحمد وإسحاق، وابن أبي شيبة وأبو يعلى كلهم من رواية أسامة بن زيد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أم سلمة وأصله في الصحيحين بدون الزيادة.

١٢٢ ـ قال الحافظ:

«عزاه الواحدي في الأسباب إلى ابن الكلبي مختصراً وذكره الثعلبي كما ذكره المصنف».

وقال الزيلعي (١/ ١١٨):

«غريب ونقله الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي أنه قال: نزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ في =

مزارعهم، ومتاجرهم ومحال ديونهم، وصومهم، وفطرهم، وعدد نسائهم، وأيام حيضهنّ، ومدد حملهنّ، وغير ذلك، ومعالم للحج يعرف بها وقته، كان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطاً، ولا داراً ولا فسطاطاً من باب، فإذا كان من أهل المدر/ ٧٠ب نقب نقباً في ظهر بيته منه يدخل ويخرج، أو يتخذ سلماً يصعد فيه؛ وإن كان من أهل الوبر، خرج من خلف الخباء، فقيل لهم: ﴿وليس البرّ﴾: بتحرّجكم من دخول الباب، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾: برّ، ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: ما حرّم الله، فإن قلت: ما وجه اتصاله بما قبله(١)؟ قلت: كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها ـ وتمامها معلوم ـ: أنّ كل ما يفعله الله عزّ وجلّ لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده، فدعوا السؤال عنه، وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البرّ في شيء وأنتم تحسبونها برّاً، ويجوز أن يجري ذلك على طريق الاستطراد(٢) لما ذكر أنها مواقيت للحج؛ لأنه كان

= معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري قالا... فذكره.

وهو عند الثعلبي؛ كما ذكره المصنف... ا.هـ.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف.
عزاه الواحدي في الأسباب إلى ابن الكلبي مختصراً وذكره الشعبي؛ كما ذكره المصنف. انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت ما وجه إيصال هذا الكلام... إلخ» قال أحمد رحمه الله: ومثل هذا من الاستطراد في كتاب الله تعالى قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾... إلى آخر الآية فإنه تعالى بين عدم الاستواء بينهما إلى قوله (أجاج) وبذلك تم القصد في تمثيل عدم استواء الكافر والمسلم، ثم قوله ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ﴾ لا يتقرر به عدم الاستواء، بل المفاد به استواؤهما فيما ذكر، فهو من إجراء الله الكلام بطريق الاستطراد المذكور. وإنما مثلت هذا النوع الذي نبه عليه الزمخشري لأنه مفرد عن الاستطراد الذي بوب عليه أهل صناعة البديع والمطابق لما بوبوا عليه سواء قوله تعالى: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾. فإنه ذم اليهود واستطرد بذلك ذم المشركين المنكرين للبعث على نوع من التشبيه لطيف المنزع وفي البديع التمثيل بقوله [من الطويل]:

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه ... فليس به بأس وإن كان من جرم

وسيأتي فيه مزيد تقرير إن شاء الله.

(٢) في قوله ـ تعالى ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ...﴾ الآية.
كان السؤال عن الأهلة تبدو صغيرة ثم تكبر وجاء الجواب لغير هذا السؤال على طريق الاستطراد وهذا ما أشار إليه المفسر العلامة.
والاستطراد لوجه من البديع البليغ، وقد حدده أهل البلاغة بأنه: «الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، لم يقصد بذكر الأول التوسل إلى ذكر الثاني» ثم أشار صاحب الإيضاح الذي حدده بهذا التحديد إلى مثال من الشعر وهو قول الحماسي [من الطويل]:

وإنا لقوم لا نرى القتل سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول

وذكر أيضاً من هذا الباب قوله ـ تعالى ـ ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ =

من أفعالهم في الحج، ويحتمل أن يكون هذا لتعكيسهم في سؤالهم، وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره، والمعنى: ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم، ولكن البرّ، برّ من اتقى ذلك وتجنبه، ولم يجسر على مثله، ثم قال: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾: أي: وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا، والمراد: وجوب توطين النفوس، وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب، من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شكٍّ في ذلك حتى لا يسأل عنه؛ لما في السؤال من الإتهام بمقارفة الشك، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢١].

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾

المقاتلة في سبيل الله: هو الجهاد، لإعلاء كلمة الله، وإعزاز الدين، ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾: الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين، وعلى هذا يكون منسوخاً بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، وعن الربيع بن أنس ـ رضي الله عنه ـ: هي أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ يقاتل من قاتل ويكف عمن كف، أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من

= ﴿التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ....﴾ الآية فقد أورد الزمخشري هنا أنها على سبيل الاستطراد في قوله «ولباس التقوى»... وهذا هو أصل الاستطراد.

وقد يكون الثاني مقصوداً ويجعل الأول توصلاً إليه، وذلك كقول أبي إسحاق الصابي مادحاً سيف الدولة [من الكامل]:

إن كنت خنتك في المودة ساعة ... فَذَمَمْتُ سيف الدولة المحمودا

وزعمت أن له شريكاً في العلى ... ومجدته في فضله التوحيدا

ويقصد «بالتوحيد» عدم النظير له في الفضل، والغموس: أشد الأيمان والشاهد في الأبيات: ذكره حديث الخيانة ليتوصل به إلى مدح سيف الدولة وهذا النوع «الاستطراد» يسميه بعض علماء البديع حسن الخروج، ولا مشاحة في الأسماء.

«الإيضاح مع تحقيق خفاجي ٦/ ٣٠ وما بعدها، البلاغة القرآنية لأبي موسى ٥٨٢ وما بعدها، والصناعتين لأبي هلال العسكري ٤٤٨ وما بعدها تحقيق د. مفيد قميحة ط. دار الكتب العلمية.

الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء، أو الكفرة كلّهم؛ لأنهم جميعاً مضادّون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم، فهم في حكم المقاتلة، قاتلوا أو لم يقاتلوا، وقيل: لما صدّ المشركون رسول الله ـ ﷺ ـ عام الحديبية، وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء، خاف المسلمون أن لايفي لهم قريش ويصدّوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام، وكرهوا ذلك، نزلت وأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام، ورفع عنهم الجناح في ذلك، ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾: بابتداء القتال، أو بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء، والشيوخ والصبيان، والذين[1] بينكم وبينهم عهد، أو بالمثلة أو بالمفاجأة من غير دعوة، ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: حيث وجدتموهم في حلّ أو حرم، والثقف: وجود على وجه الأخذ والغلبة، ومنه: رجل ثقف، سريع الأخذ لأقرانه، قال [من الوافر]:

فَـإِمَّـا تَـثْـقَـفُـونِـي فَـاقْـتُـلُـونِـي ... فَـمَـنْ أَثْـقَـفْ فَـلَـيْـسَ إِلَـى خُـلُـودِ[2]

﴿مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾/ ٧١أ. أي: من مكة وقد فعل رسول الله ـ ﷺ ـ بمن لم يسلم منهم يوم الفتح، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي: المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب به، أشدّ عليه من القتل، وقيل لبعض الحكماء: ما أشد من الموت؟ قال: الذي يتمنى فيه الموت، جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت، ومنه قول القائل [من الطويل]:

لَـقَـتْـلٌ بِـحَـدِّ الـسَّـيْـفِ أَهْـوَنُ مَـوْقِـعـاً ... عَـلَـى الـنَّـفْـسِ مِـنْ قَـتْـلٍ بِـحَـدِّ فِـرَاقِ[3]

وقيل: ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾: عذاب الآخرة، ﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات:١٣] وقيل: الشرك أعظم من القتل في الحرم، وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين، فقيل: والشرك الذي هم عليه أشدّ وأعظم مما يستعظمونه، ويجوز أن يراد: وفتنتهم إياكم بصدّكم عن المسجد الحرام أشدّ من قتلكم إياهم في الحرم، أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم، وقرىء: «ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم، فإن قتلوكم»: جعل وقوع القتل

---

(١) قوله «والذين» لعله أو الذين. (ع)

(٢) «إما» هي «أن» الشرطية أدغمت نونها في «ما» الزائدة للتنصيص على التعميم. والثقف: القبض والضبط. ومنه «الثقاف» وهو الآلة التي تعض الرماح وتقبضها لتقويمها. يقول: إن تدركوني في أي وقت وتغلبوني فاقتلوني، فإن من أدركني منكم ليس مجاباً أو منتهياً إلى خلود، بل لا بد من قتله. وهذا من الإشاحة والجد في القتال، وقطع أطماع الصلح من البال.
ينظر: الدر المصون ١/ ٤٨٠.

(٣) يقول: تالله إن القتل بالسيف أهون على النفس وقوعاً من القتل بالفراق. وشبّهه بالسيف على طريق المكنية. وإضافة الحد إليه تخييل، وحسن الاستعارة مشاكلته لما قبله.

في بعضهم كوقوعه فيهم، يقال: قتلتنا بنو فلان. وقال: فإن تقتلونا نقتلكم، ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾: عن الشرك والقتال، كقوله: ﴿إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾: خالصاً ليس للشيطان فيه نصيب، ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾: عن الشرك، ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: فلا تعدوا على المنتهين، لأنّ مقاتلة المنتهين عدوان وظلم، فوضع قوله: ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ موضع على المنتهين. أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين، سُمّي جزاء الظالمين ظلماً، للمشاكلة، كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ أو أريد أنكم إن تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام، وهو ذو القعدة، فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾، أي: هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه، يعني: تهتكون حرمته عليهم، كما هتكوا حرمته عليكم، ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾، أي: وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة أيّ حرمة كانت، اقتص منه بأن تهتك له حرمة، فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا، وأكد ذلك بقوله ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم، فلا تعتدوا إلى ما لا يحلّ لكم.

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

الباء في: ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾: مزيدة مثلها في أعطى بيده للمنقاد، والمعنى: ولا تقبضوا التهلكة بأيديكم، أي: لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم، وقيل: (بأيديكم)، بأنفسكم، وقيل تقديره: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم، كما يقال: أهلك فلان نفسه بيده، إذا تسبب لهلاكها، والمعنى: النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك / أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله، أو عن الاستقتال والإخطار بالنفس، أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدوّ وروي أن رجلاً من المهاجرين حمل على صف العدوّ فصاح به الناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري: نحن أعلم بهذه الآية، وإنما أنزلت فينا، صحبنا رسول الله ﷺ فنصرناه، وشهدنا معه المشاهد، وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا، فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها، رجعنا إلى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها. فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد، (١٢٣) وحكى أبو علي في «الحلبيات» عن أبي عبيدة، التهلكة والهلاك والهلك:

واحد، قال: فدلّ هذا من قول أبي عبيدة على أن التهلكة مصدر، ومثله: ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الأعيان: التنضبة والتنفلة، ويجوز أن يقال: أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما، على أنها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة، كما جاء الجوار في الجوار[1].

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

---

١٢٣ ـ أخرجه أبو داود (٢/ ١٦) كتاب الجهاد، باب في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ حديث (٢٥١٢)، والترمذي (٥/ ٢١٢) كتاب تفسير القرآن حديث (٢٩٧٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٨٤، ٢٧٥).

والنسائي في التفسير (١/ ٢٣٦) رقم (٤٨)، والطيالسي رقم (٥٩٩)، والطبري في التفسير رقم (٣١٧٩ ـ ٣١٨٠:)، والبيهقي في سننه (٩/ ٤٥) كتاب السير، باب ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ . . . الآية﴾، والطبراني في الكبير (٤/ ١٧٦) رقم (٤٠٦٠).

وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٠٧)، وزاد نسبته لسعيد بن حميد وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من طريق عثمان الدارمي أخبرنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم بن عمران ـ فذكره سواء. وأصله عند أبي داود والنسائي والترمذي من رواية أسلم المذكور. قال: «خرجنا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فخرج من المدينة صف عظيم من الروم وصففنا لهم صفاً عظيماً من المسلمين فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم. فصاح الناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: يأيها الناس والحديث ـ وفي رواية الترمذي: «وعلى الناس فضالة بن عبيد»، وفي رواية النسائي: «وعلى أهل مصر عقبة بن خالد»، «وعلى أهل الشام فضالة»، وكذا أخرجه أحمد وإسحاق، وأبو يعلى، والطبري، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وغيرهم. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: وردَّ عليه الشيخ بأنَّ فيه حَمْلاً على شاذ ودَعْوى إبدالٍ لا دليل عليها؛ وذلك أنه جعله تَفْعِلة بالكسر مصدرَ فَعَّل بالتشديد، ومصدرُه إذا كان صحيحاً غيرَ مهموزٍ على تَفْعيل، وتَفْعِلة فيه شاذٌ. وأمّا تنظيرُه له بالجِوار والجُوار فليس بشيء؛ لأن الضمّ فيه شاذٌ، فالأولى أن يقال: إنّ الضمّ أصل غيرُ مُبْدَلٍ من كسر. وقد حكى سيبويه مِمّا جاء من المصادر على ذلك التَّضُرَّة والتَّسُرَّة. قال ابن عطية: «وقرأ الخليل «التَّهْلِكة» بكسر اللام وهي تَفْعِلة من هَلَّك بتشديد اللام» وهذا يُقَوِّي قولَ الزمخشري. انتهى. الدر المصون.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: ائتوا بهما تامّين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما، قال [من الوافر]:

تَـمَـامُ الْـحَـجِّ أَنْ تَـقِـفَ الْـمَـطَـايَـا عَـلَـى خَـرْقَـاءَ وَاضِـعَـةِ الـلِّـثَـامِ (١)

جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم إلاّ به، وقيل: إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك، روي ذلك عن عليّ وابن عباس وابن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ، وقيل: أن تفرد لكل واحد منهما سفراً كما قال محمد: حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل، وقيل: أن تكون النفقة حلالاً، وقيل: أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والأغراض الدنيوية، فإن قلت: هل فيه دليل على وجوب العمرة؟ قلت: ما هو إلا أمر بإتمامهما، ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين أو تطوّعين، فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعاً، إلاّ أن تقول: الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما، بدليل قراءة من قرأ «وأقيموا الحج والعمرة»، والأمر للوجوب في أصله، إلا أن يدلّ دليل على خلاف الوجوب، كما دلّ في قوله: ﴿فَٱصْطَادُواْ﴾ [المائدة: ٢] ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ونحو ذلك، فيقال لك: فقد دلّ الدليل على نفي الوجوب، وهو ما روي أنه قيل: يا رسول الله: العمرة واجبة مثل الحج؟ قال: «لا، ولكن أن تعتمر خير لك» (١٢٤) وعنه: «الحج جهاد، والعمرة تطوّع». (١٢٥) فإن قلت: فقد روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه

---

١٢٤ ـ أخرجه الترمذي (٣/ ٢٦١) كتاب الحج، باب ما جاء في العمرة أواجبة هي أم لا؟ حديث (٩٣١)، حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني حدثنا عمرو بن علي عن الحجاج، عن محمد بن المنكدر عن جابر أن النبي ـ ﷺ ـ سئل عن العمرة أواجبة هي؟ قال: «لا وأن تعتمروا هو أفضل».
والدارقطني (٢/ ٢٨٥) كتاب الحج، باب المواقيت مرفوعاً وموقوفاً.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي من رواية حجاج بن أرطأة عن ابن المنكدر: «أن النبي ـ ﷺ ـ سئل عن العمرة: أواجبة هي؟ قال: لا. وأن تعتمر هو أفضل»، ورواه الطبراني من رواية عبيد الله بن المغيرة عن أبي الزبير عن جابر، بلفظ: «وأن تعتمر خير لك»، ورواه الدارقطني من الوجهين. وضعفه.
١٢٥ ـ روى من حديث طلحة بن عبيد الله ومن حديث ابن عباس ومن حديث ميمونة. =

---

(١) لذي الرمة. وخرقاء: اسم محبوبة له من بني عامر؛ لأنه لما شغف بها خرق أدواته وقال: إن تمام حجنا أن نزور خرقاء فتقف مطايا رجل مسافر، فأصلحي لي أدواتي. والله لا أحسن العمل وإني لخرقاء أي حمقاء، حولها حال كونها واضعة اللثام عن وجهها حتى أراه. وإضافة الوصف إلى مفعوله لفظية لا تفيده التعريف فصح حالاً. وحكي أن بعض السلف الصالح قال لصاحبه: هل نتم حجنا كما قال ذو الرمة، وأنشد البيت. قيل وحقيقة مراده أنه ينبغي كما قطعنا البراري ووصلنا إلى حرمه، أن نقطع أهواء النفس حتى نشاهد آثار كرمه، فيكون استعماله البيت من باب التمثيل.

قال: «إن العمرة لقرينة الحج، (١٢٦) وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال له: إني

= ـ **أما حديث طلحة:**

أخرجه ابن ماجة (٢/ ٩٩٥) كتاب المناسك، باب العمرة، حديث (٢٩٨٩) حدثنا هشام ابن عمار ثنا الحسن بن يحيى الخشني ثنا عمر بن قيس. أخبرني طلحة بن يحيى عن عمه إسحاق بن طلحة عن طلحة بن عبيد الله، أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «الحج جهاد والعمرة تطوع».

قال البوصيري في الزوائد (٣/ ٢٤) رقم (١٠٤٧):

«هذا إسناد ضعيف عمر بن قيس المعروف بسندل ضعفه أحمد وابن معين والفلاس وأبو زرعة وأبو حاتم والبخاري وأبو داود وغيرهم، والحسن الراوي عنه ضعيف» ا.هـ.

ـ **أما حديث ابن عباس:**

فرواه الطبراني (١١/ ٤٤٢) رقم (١٢٢٥٢) قال: حدثنا أحمد بن الجعد ثنا محمد بن بكار ثنا محمد بن الفضل عن عطية عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «الحج جهاد والعمرة تطوع».

قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٠٨):

«رواه الطبراني في الكبير وفيه محمد بن الفضل بن عطية وهو كذاب» ا.هـ.

ـ **وأما حديث ميمونة:**

فرواه ابن أبي داود في المصاحف (ص١١٤) حدثنا يعقوب بن عبد الله بن أبي مخلد حدثنا أبو منصور حدثنا عمر بن قيس عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عمه عن ميمونة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «الحج جهاد والعمرة تطوع».

قال الزيلعي في نصب الراية (٣/ ١٥٠):

«حديث آخر: قال الشيخ في الإمام: روى عبد الباقي بن قانع حدثنا بشر بن موسى ثنا جرير وأبو الأحوص عن معاوية بن إسحاق عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الحج جهاد والعمرة تطوع». انتهى قال الشيخ: قال ابن حزم هذا كذب من بلايا عبد الباقي بن قانع التي تفرد بها» انتهى من نصب الراية.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن ماجة من رواية إسحاق بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه بهذا. ورواه الطبراني من حديث ابن عباس بنحوه، وفيه محمد بن الفضل بن عطية. وهو ضعيف. ورواه ابن أبي داود في المصاحف من رواية عمر بن قيس عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عمه عن مسعود. قال الدارقطني في العلل: هذا خطأ. ولعله أراد إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عمه عبس بن طلحة، وإنما يعرف هذا الحديث من رواية معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة. ورواه الحفاظ من أصحاب شعبة عن معاوية بن إسحاق عن أبي صالح عن ماهان مرسلاً. وكذلك رواه ابن أبي شيبة عن جرير عن معاوية بن إسحاق. وقال البيهقي: روى عن شعبة هذا الإسناد موصولاً. لكن الطريق فيه إلى شعبة ضعيف. انتهى.

١٢٦ ـ أخرجه البيهقي في المعرفة (٣/ ٥٠٣) كتاب المناسك، باب العمرة هل تجب وجوب الحج حديث (٢٧٠٨)، والشافعي في الأم (٢/ ١٣٢).

وذكره البخاري تعليقاً في صحيحه (٤/ ٤٣١) كتاب العمرة، باب العمرة وجوب العمرة وفضلها.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه البخاري تعليقاً. والشافعي موصولاً. من رواية عمرو بن دينار عن طاوس عنه. انتهى.

وجدت الحجّ والعمرة مكتوبين عليّ، أهللت بهما جميعاً فقال: «هُديت لسنة نبيك»، (١٢٧) وقد نظمت مع الحج في الأمر بالإتمام فكانت واجبة مثل الحج؟ قلت: كونها قرينة للحج أنّ القارن/ ٧٢أ يقرن بينهما، وأنهما يقترنان في الذكر فيقال: حجّ فلان واعتمر والحجاج والعمار، ولأنها الحجّ الأصغر، ولا دليل في ذلك، على كونها قرينة له في الوجوب، وأمّا حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله: أهللت بهما، وإذا أهلّ بالعمرة وجبت عليه كما إذا كبر بالتطوّع من الصلاة، والدليل الذي ذكرناه أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحجّ وحده فيها، فهما بمنزلة قولك: صم شهر رمضان وستة من شوال، في أنك تأمره بفرض وتطوّع، وقرأ عليّ وابن مسعود والشعبي ـ رضي الله عنهم ـ «والعمرة لله»: بالرفع، كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحجّ وهو الوجوب، ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: يقال: أُحصر فلان، إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقال ابن ميادة [من الطويل]:

وَمَا هَجْرُ لَيْلَى أَنْ تَكُونَ تَبَاعَدَتْ عَلَيْكَ وَلاَ أَنْ أَحْصَرَتْكَ شُغُولُ[1]

وحُصر: إذا حبسه عدوّ عن المضي، أو سجن، ومنه قيل للمحبس: الحصير، وللملك، الحصير، لأنه محجوب، هذا هو الأكثر في كلامهم، وهما بمعنى المنع في كل شيء، مثل صدّه وأصدّه، وكذلك قال الفرّاء وأبو عمرو الشيباني، وعليه قول أبي حنيفة ـ رحمهم الله تعالى ـ كل منع عنده من عدوّ كان أو مرض أو غيرهما معتبر في إثبات حكم

---

١٢٧ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٥٥٩) كتاب المناسك، باب في الإقران حديث (١٧٩٨).
والنسائي (٥/ ١٤٦ ـ ١٤٧) كتاب المناسك، باب القران، وابن ماجه (٢/ ٩٨٩) كتاب المناسك، باب من قرن الحج والعمرة حديث (٢٩٧٠)، وأحمد (١/ ١٤، ٢٤، ٣٧، ٥٣).
وابن حبان في صحيحه (٩/ ٢١٩) رقم (٣٩١٠، ٣٩١١)، وابن خزيمة (٤/ ٣٥٢) رقم (٣٠٦٩)، والبيهقي (٤/ ٣٥٧) كتاب الحج، باب جواز القرآن.
وفي (٤/ ٣٥٤) كتاب الحج، باب القارن يهريق دماً.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن ماجة، وابن حبان من رواية أبي وائل عن الضبي بن معبد به. انتهى.

---

(١) لتوبة بن حمير، يقول لنفسه: ليس هجر ليلى الأخيلية محبوبتك لتباعدها عنك ولا لأشغال منعتك عنها، بل لخوف الرقباء والوشاة هجرتها ويجوز أن المعنى: ليس هجرها لك بسبب، وإنما هو لإيذائك واحتراق قلبك.
ينظر اللسان: (حصر)، الدر المصون (١/ ٤٨٤)، فتح القدير (١/ ٤١٦).

الإحصار، وعند مالك والشافعي منع العدوّ وحده، وعن النبي ـ ﷺ ـ: «من كسر أو عرج فقد حلّ وعليه الحج من قابل»، (١٢٨) ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: فما تيسر منه، يقال: يسر الأمر واستيسر، كما يقال: صعب واستصعب، والهدي جمع هدية، كما يقال في جدية السرج(١) جدي، وقرىء: «من الهديّ»: بالتشديد جمع هدية كمطية ومطيّ، يعني: فإن منعتم من المضي إلى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة، فعليكم إذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير أو بقرة أو شاة، فإن قلت: أين ومتى ينحر هدي المحصر؟ قلت: إن كان حاجاً فبالحرم متى شاء عند أبي حنيفة يبعث به، ويجعل للمبعوث على يده يوم أمار(٢) وعندهما في أيام النحر وإن كان معتمراً فبالحرم في كل وقت عندهم جميعاً، و (ما استيسر): رفع بالابتداء، أي فعليه ما استيسر، أو نصب على: فاهدوا ما استيسر ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ﴾: الخطاب للمحصرين، أي لا تحلوا حتى تعلموا أنّ الهدي الذي بعثتموه إلى الحرم بلغ، ﴿مَحِلَّهُۥ﴾: أي مكانه الذي يجب نحره فيه، ومحل الدين وقت وجوب قضائه، وهو ظاهر على مذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ. فإن قلت: إنّ النبي ـ ﷺ ـ نحر هديه حيث أحصر؟ (١٢٩) قلت: كان محصره طرف الحديبية الذي إلى أسفل مكة وهو

---

١٢٨ ـ أخرجه أبو داود (٢/٤٣٣): كتاب المناسك (الحج). باب الإحصار.، حديث (١٨٦٢)، والترمذي (٣/٢٧٧): كتاب الحج. باب ما جاء في الذي يهل بالحج فيكسر أو يعرج، حديث (٩٤٠)، والنسائي (٢/١٩٨)، كتاب الحج، باب فيمن أحصر بعدو، وابن ماجه (٢/١٠٢٨): كتاب المناسك: باب المحصر، حديث (٣٠٧٧)، والحاكم (١/٤٧٠)، كتاب المناسك، والبيهقي (٥/٢٢٠). كتاب الحج: باب من رأى الإحلال بالإحصار بالمرض.
وأبو نعيم في «الحلية» (١/٣٥٧ ـ ٣٥٨) وابن سعد في «الطبقات» (٤/٢٣٨) والطبراني في «الكبير» (٣/٢٥٣) والدارقطني (٢/٢٧٨) كتاب الحج: باب المواقيت من طريق عكرمة عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ من كسر أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى».
قال عكرمة فذكرت ذلك لأبي هريرة وابن عباس فقالا: صدق.
قال الترمذي: هذا حديث حسن.
وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه أصحاب السنن، وأحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة، والطبراني من حديث عكرمة عن ابن عمرو بن غزية الأنصاري. انتهى.
١٢٩ ـ أخرجه البخاري (٤/٧) كتاب المحصر باب إذا أحصر المعتمر حديث (١٨٠٩) من حديث ابن =

---

(١) قوله «في جدية السرج» في الصحاح «الجدية» بتسكين الدال: شيء محشو يجعل تحت دفتي السرج والرحل. ثم قال: وكذلك الجدية على فعيلة. (ع)

(٢) قوله «على يده يوم أمار» عبارة البيضاوي: يوم أمارة، فإذا جاء اليوم وظن أنه ذبح تحلل. وفي الصحاح: قال الأصمعي: الأمار والأمارة. الوقت والعلامة. (ع)

من الحرم، وعن الزهري: أنّ رسول الله - ﷺ - نحر هديه في الحرم، (١٣٠) وقال الواقدي: الحديبية هي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾: فمن كان به مرض يحوجه/ ٧٢ب إلى الحلق، ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾: وهو القمل أو الجراحة، فعليه إذا احتلق فدية، ﴿مِّن صِيَامٍ﴾: ثلاثة أيام، ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾: على ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع من برّ، ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾: وهو شاة، وعن كعب بن عجرة أنّ رسول الله - ﷺ - قال له: «لعلك أذاك هوامّك»؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: «احلق رأسك وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو انسك شاة» (١٣١) وكان كعب يقول: فيّ

= عباس، وأخرجه (٤/ ١١) كتاب المحصر: باب الإحصار في الحج حديث (١٨١٠) من حديث ابن عمر.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أما نحر الهدى حين أحصر ففي البخاري من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - «أنه - ﷺ - خرج معتمراً فحال كفار قريش بينه وبين البيت، فنحر هديه، وحلق رأسه بالحديبية» وأما كونه أسفل مكة فرواه.
وأما حديث الزهري فلم أجده، لكن روى الطبري من حديث ناجية بن جندب الأسلمي قال أتيت النبي - ﷺ - حين صد عن البيت فقلت: يا رسول الله، ابعث معي بالهدى فينحر بالحرم قال: كيف تصنع به؟ قال أنحدر به في أودية فلا يقدرون عليه، فانطلقت به حتى نحرته في الحرم. انتهى.

١٣٠ - قال الزيلعي (١/ ١٢٤):
«لم أجده، لكن روى الطبري في تفسيره: حدثني الفضل بن سهل ثنا مخول بن إبراهيم ثنا إسرائيل عن مجزاة بن زاهر الأسلمي عن أبيه عن ناجية بن جندب الأسلمي قال: أتيت النبي - ﷺ - حين صد عن الهدى، فقلت: يا رسول الله، ابعث معي بالهدى فلننحره بالحرم. قال: «كيف تصنع به؟» قال: آخذ به أودية. فلا يقدرون عليه، فانطلقت به حتى نحرته بالحرم».

١٣١ - أخرجه البخاري (٤/ ١٦): كتاب المحصر: باب قول الله تعالى: ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾، حديث (١٨١٥)، ومسلم (٢/ ٨٦١، ٨٦٢): كتاب الحج: باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى، وجوب الفدية لحلقه، وبيان قدرها، حديث (٨٥/ ١٢٠١)، وأبو داود (٢/ ٤٣٠): كتاب المناسك (الحج): باب في الفدية، حديث (١٨٥٦)، والترمذي (٣/ ٢٨٨): كتاب الحج: باب ما جاء في المحرم يحلق رأسه في إحرامه ما عليه، حديث (٩٥٣)، والنسائي (٥/ ١٩٥): كتاب الحج: باب في المحرم يؤذيه القمل في رأسه، وابن ماجة (٢/ ١٠٢٨، ١٠٢٩): كتاب المناسك: باب فدية المحصر، حديث (٣٠٧٩) والبيهقي (٥/ ٥٥): كتاب الحج: باب من احتاج إلى حلق رأسه للأذى حلقه وافتدى، ومالك (١/ ٤١٧): كتاب الحج: باب فدية من حلق قبل أن ينحر، حديث (٢٣٧)، والطيالسي (١/ ٢١٣): كتاب الحج والعمرة: باب جواز الحجامة للمحرم، وما يفعل من اشتكى عينه أو تأذى بكثرة القمل في رأسه، حديث (١٠٢٦)، وأحمد (٤/ ٢٤١)، من حديث كعب بن عجرة، قال: «كان بي أذى من رأسي فحملت إلى رسول الله - ﷺ - والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ منك ما أرى، أتجد شاة؟ قلت: لا، فنزلت الآية: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، قال: هو صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين نصف صاع طعاماً لكل =

نزلت هذه الآية، وروي: أنه مرّ به وقد قَرِحَ رَأْسُهُ[1] فقال: «كفى بهذا أذى» (١٣١م) وأمره أن يحلق ويطعم، أو يصوم، والنسك: مصدر، وقيل: جمع نسيكة، وقرأ الحسن: أو «نسك»، بالتخفيف، ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾: الإحصار، يعني: فإذا لم تحصروا وكنتم في أمن وسعة، ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾: أي استمتع، ﴿بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾: واستمتاعه بالعمرة إلى وقت الحج: انتفاعه بالتقرّب بها إلى الله تعالى قبل الانتفاع بتقرّبه بالحج، وقيل: إذا حلّ من عمرته، انتفع باستباحة ما كان محرّماً عليه إلى أن يحرم بالحج، ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: هو، هدي المتعة، وهو نسك عند أبي حنيفة ويأكل منه، وعند الشافعي: يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه، ويذبحه يوم النحر عندنا، وعنده يجوز ذبحه إذا أحرم بحجته، ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: الهدي، ﴿فَـ﴾: عليه، ﴿صيام ثلاثة أيام في الحج﴾: أي في وقته وهو أشهرُ ما بين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج، وهو مذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ، والأفضل أن يصوم يوم التروية وعرفة ويوماً قبلهما، وإن مضى هذا الوقت لم يجزئه إلا الدم، وعند الشافعي: لا تصام إلا بعد الإحرام بالحج تمسكاً بظاهر قوله: ﴿فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾: بمعنى إذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج عند أبي حنيفة، وعند الشافعي: هو الرجوع إلى

= مسكين».

وفي لفظ لمسلم (٢/ ٨٦١): كتاب الحج: باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى، ووجوب الفدية لحلقه، وبيان قدرها، حديث (٨٤/ ١٢٠١)، وأبو داود (٢/ ٤٣١): كتاب المناسك (الحج): باب في الفدية، حديث (١٨٥٧)، وأحمد (٤/ ٢٤٢)، عنه قال: «أتى علي رسول الله ـ ﷺ ـ زمن الحديبية فقال: «كأن هوام رأسك تؤذيك»؟، فقلت: أجل. قال: «فاحلقه واذبح شاة أو صم ثلاثة أيام أو تصدق بثلاثة أصع من تمر بين ستة مساكين»، وزاد أبو داود في رواية أخرى: فحلقت رأسي ثم نسكت».

والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٨٥) وعزاه إلى وكيع وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبي داود وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والبيهقي.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف.

متفق عليه. وله طريق وألفاظ في الكتب الستة وغيرها، والأقرب للفظ المنصف ما رواه مالك. انتهى.

١٣١م ـ أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ١٠٦)، والعقيلي (٣/ ٣٨٧).

وقال الحافظ أخرجه إسحاق في مسنده والطبراني والدارقطني من رواية الزبير بن عديّ عن أبي وائل عن كعب بن عجرة قال لقيني رسول الله ـ ﷺ ـ، فمسح رأسي فتناثر القمل. فقال: كفى بهذا أذى، انطلق فاحلق وتصدق على ستة مساكين، وفي رواية إسحاق، قال: «إن هذا لأذى» وأمره أن يحلق وأن ينسك أو يصوم أويطعم». انتهى.

---

(١) قوله «وقد قرح رأسه» في الصحاح: قرح جلده ـ بالكسر ـ خرجت به القروح. (ع)

أهاليهم، وقرأ ابن أبي عبلة: «وسبعةً»: بالنصب، عطفاً على محل ثلاثة أيام، وكأنه قيل: فصيام ثلاثة أيام؛ كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤، ١٥] فإن قلت: فما فائدة الفذلكة؟ قلت: الواو قد تجيء للإباحة في نحو قولك: جالس الحسن وابن سيرين، ألا ترى أنه لو جالسهما جميعاً أو واحداً منهما، كان ممتثلاً ففذلكت نفياً لتوهم الإباحة[1]، وأيضاً ففائدة الفذلكة في كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً ليحاط به، من جهتين، فيتأكد العلم، وفي أمثال العرب: علمان خير من علم، وكذلك: ﴿كَامِلَةٌ﴾: تأكيد آخر، وفيه زيادة توصية بصيامها وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها، كما تقول للرجل إذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزل: الله الله لا تقصر، وقيل: كاملة في وقوعها بدلاً من الهدي، وفي قراءة أبيّ: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات»، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة/ ٧٣أ إلى التمتع، عند أبي حنيفة وأصحابه، لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم، ومن تمتع منهم أو قرن، كان عليه دم، وهو دم جناية لا يأكل منه؛ وأما القارن والمتمتع من أهل الآفاق، فدمهما دم نسك يأكلان منه، وعند الشافعي: إشارة إلى الحكم الذي هو وجوب الهدي أو الصيام ولم يوجب عليهم شيئاً[2]، وحاضرو المسجد الحرام: أهل المواقيت فمن دونها إلى مكة عند أبي حنيفة، وعند الشافعي: أهل الحرم، ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في المحافظة على حدوده وما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لمن خالف؛ ليكون علمكم بشدة عقابه لطفاً لكم في التقوى.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٧﴾

أي وقت الحج ﴿أَشْهُرٌ﴾: كقولك: البرد شهران، والأشهر المعلومات: شوال، وذو القعدة، وعشر ذي الحجة[3]، عند أبي حنيفة، وعند الشافعي: تسع ذي الحجة، وليلة يوم

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وفيه نظرٌ؛ لأنه لا تُتَوَهَّمُ الإباحة؛ فإنَّ السياق سياقُ إيجاب، فهو ينافي الإباحة، ولا ينافي التخييرَ، فإن التخييرَ يكون في الواجبات، وقد ذكر النحويون الفرقَ بين التخيير والإباحةِ». انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «ولم يوجب عليهم شيئاً» أي على حاضري المسجد الحرام. (ع)

(٣) قال محمود رحمه الله: «هي شوال وذو القعدة... إلخ». قال أحمد رحمه الله: الذي نقله عن مالك أحد قوليه وليس بالمشهور عنه. وأما استدلاله لهذا القول بكراهية عمر الاعتمار إلى أن يهل المحرم فلا ينهض دليلاً لمالك، لأنه يقول: لا تنعقد العمرة في أيام منى خاصة لمن حج، ما لم =

النحر، وعند مالك: ذي الحجة كله، فإن قلت: ما فائدة توقيت الحج بهذه الأشهر؟ قلت: فائدته أن شيئاً من أفعال الحجّ لا يصحّ إلا فيها، والإحرام بالحج لا ينعقد ـ أيضاً ـ عند الشافعي في غيرها، وعند أبي حنيفة ينعقد إلا أنه مكروه، فإن قلت: فكيف كان الشهران وبعض الثالث أشهر؟ قلت: اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد؛ بدليل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] فلا سؤال فيه إذن؛ وإنما كان يكون موضعاً للسؤال لو قيل: ثلاثة أشهر معلومات، وقيل: نُزِّل بعض الشهر منزلة كله، كما يقال: رأيتك سنة كذا، أو على عهد فلان، ولعل العهد عشرون سنة أو أكثر، وإنما رآه في ساعة منها، فإن قلت: ما وجه مذهب مالك وهو مرويّ عن عروة بن الزبير؟ قلت: قالوا إنّ العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر؛ فكأنها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنه كان يخفق الناس بالدّرة وينهاهم عن الاعتمار فيهنّ، وعن عمر[(١)] ـ رضي الله عنه ـ: قال لرجل: إن أطعتني انتظرت حتى إذا أهللت المحرّم[(٢)] خرجت إلى ذات عرق فأهللت منها بعمرة، وقالوا: لعل من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة إلى آخر الشهر، ﴿مَّعْلُومَٰتٌ﴾: معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم، وفيه أن الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه؛ وإنما جاء مقرّراً له، ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾: فمن ألزمه نفسه بالتلبية أو بتقليد الهدي وسوقه عند أبي حنيفة وعند الشافعي بالنية ﴿فَلَا رَفَثَ﴾: فلا جماع؛ لأنه يفسده، أو فلا فحش من الكلام، ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل: هو السّباب والتنابز بالألقاب، ﴿وَلَا جِدَالَ﴾: ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين[(٣)]؛ وإنما أمر باجتناب ذلك، وهو واجب/ ٧٣ب الاجتناب في

= يتم الرمي ويحل بالإفاضة فتنعقد. وجميع السنة ما عدا ما ذكر ميقات للعمرة، ولا تظهر فائدة هذا القول عند مالك إلا في إسقاط الدم عن مؤخر طواف الإفاضة إلى آخر ذي الحجة لا غير، وهي الفائدة التي نقلها الزمخشري عن عروة، ولعمري إن هذا القول حسن دليلاً، فلا يحتاج إلى مزيد. ولكن ظاهر الآية ومقتضاها: أن جملة الأشهر هي زمان الحج. ألا ترى أن من قال: وعشر من ذي الحجة يحتاج في تنزيل الآية على مذهبه إلى تقرير أن بعض الشهر يتنزل منزلة جميعه، ويستشهد على ذلك بقوله: ● ثلاثون شهراً في ثلاثة أحوال ● وإنما أحوجه إلى الاستشهاد، خروج مقالته عن ظاهر الآية؛ فالمتمسك بها على ظاهرها في كمال الأشهر الثلاثة واقف مع اقتضائها غير مضطر إلى مزيد عليه.

(١) قوله «وعن عمر» لعله ابن عمر. (ع)

(٢) قوله «حتى إذا أهللت المحرم» في الصحاح: أهل الهلال واستهل. على ما لم يسم فاعله. (ع)

(٣) قوله «والمكارين» في الصحاح: الكراء ممدود، لأنه مصدر كاريت. والدليل على ذلك أنك تقول: رجل مكار. ومفاعل: إنما هو من فاعلت اهـ فالمكارين في عبارة المفسر. جمع للمكاري، على زنة المفاعلين جمعاً للمفاعل. (ع)

كل حال[1]، لأنه مع الحج أسمج كلبس الحرير في الصلاة؛ والتطريب في قراءة القرآن، والمراد بالنفي وجوب انتفائها، وأنها حقيقة بأن لا تكون، وقرىء المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع، وقرأ أبو عمرو وابن كثير الأوّلين بالرفع؛ والآخر بالنصب: لأنهما حملا الأوّلين على معنى النهي، كأنه قيل: فلا يكونن رفث ولا فسوق، والثالث: على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل: ولا شك ولا خلاف في الحج، وذلك أنّ قريشاً كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام، وسائر العرب يقفون بعرفة؛ وكانوا يقدّمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء، فردَّ إلى وقت واحد وردّ الوقوف إلى عرفة، فأخبر الله تعالى أنه قد ارتفع الخلاف في الحج؛ واستدلّ على أن المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله ـ ﷺ ـ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق، خرج كهيئة يوم[2] ولدته أمه» (١٣٢) وأنه لم يذكر الجدال[3] ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾، حث على الخير عقيب

---

١٣٢ ـ أخرجه البخاري (٣/ ٣٨٢) كتاب الحج: باب فضل الحج المبرور حديث (١٥٢١)، (٤/ ٢٥) كتاب المحصر: باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ حديث (١٨١٩)، وباب قول الله عز وجل: ﴿وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ حديث (١٨٢٠)، ومسلم (٢/ ٩٨٣) كتاب الحج: باب في فضل الحج والعمرة حديث (٤٣٨/ ١٣٥٠) والنسائي (٥/ ١١٤) كتاب الحج: باب فضل الحج والترمذي (٣/ ١٧٦) كتاب الحج: باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة حديث (٨١١) وابن ماجة (٢/ ٩٦٤ ـ ٩٦٥) كتاب المناسك: باب فضل الحج والعمرة حديث (٢٨٨٩) وأحمد (٢/ ٢٤٨، ٤١٠، ٤٨٤) والطيالسي (١/ ٢٠٢ ـ منحة) رقم (٩٧٥) والدارمي (٢/ ٣١) كتاب المناسك: باب في فضل الحج والعمرة، وأبو يعلى (١١/ ٦١) رقم (٦١٩٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣١٦) وابن خزيمة (٤/ ١٣١) رقم (٢٥١٤) وابن حبان رقم (٣٧٠٢ ـ الإحسان) والبيهقي (٥/ ٦٧) كتاب الحج: باب لا =

---

(١) قال محمود رحمه الله: «إنما أمر باجتناب ذلك في الحج واجتنابه واجب... إلخ». قال أحمد رحمه الله: وفيه نكتة تتعلق بعلم البيان. وهي أن تخصيص الحج بالنهي عن الرفث فيه والفسوق والجدال يشعر بأنها في غير الحج وإن كانت منهياً عنها وقبيحة، إلا أن ذلك القبح الثابت لها في غير الحج كلا قبح بالنسبة إلى وقوعها في الحج فاشتمل هذا التخصيص على هذا النوع من المبالغة البليغة والله أعلم. على أن الرفث إن كان التحدُّث في أمر الجماع خاصة، فالنهي عنه خاص بالحج وهو جائز في غيره على الوجه الشرعي. وقد نبه مالك رضيَ الله عنه على أنه لا بأس للحاج بالسعي في أمور النساء. إلا أن ذلك قد يوقع في الوهم على أنه يؤدي إلى ترك المحظور. وهذا يدل على تشديد مالك في حظر الرفث للحاج وما يتعلق به والله أعلم. وسمعت الشافعية يلهجون بالاعتراض على إسحاق في قوله من التنبيه: وتحريم الغيبة على الصائم. فيقولون: وعلى المفطر. فلا فائدة في تخصيص الصائم. ويعدون ذلك وهما منه وهم بمعزل عن هذه الآية وأمثالها، فقد أوسعته عذراً في عبارته تلك؛ إذ الكتاب العزيز به تمتحن الفصاحة وصحة العبارات.

(٢) قوله «خرج كهيئة يوم» لعله «كهيئة» بدون «يوم». (ع)

(٣) قال السمين الحلبي: وهذ الذي ذكره الزمخشري سبقه إليه صاحبُ هذه القراءة، إلاّ أنه أفصحَ عن =

النهي عن الشر؛ وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن، ومكان الفسوق البرّ والتقوى؛ ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة، أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم، حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه، وينصره قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾، أي: اجعلوا زادكم إلى الآخرة؛ اتقاء القبائح، فإن خير الزاد اتقاؤها، وقيل: كان أهل اليمن لا يتزوّدون ويقولون: نحن متوكلون، ونحن نحج بيت الله أفلا يُطعمنا فيكونون كلاً على الناس، فنزلت فيهم، ومعناه: وتزوّدوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس[1]، والتثقيل عليهم، فإن خير الزاد التقوى، ﴿وَاتَّقُونِ﴾: وخافوا عقابي، ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: يعني أن قضية اللب تقوى الله، ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

= رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٢٢٢) والحميدي (٢/ ٤٤٠) رقم (١٠٠٤) والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعاً.

وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

متفق عليه من حديث أبي هريرة. انتهى.

= مرادِه، قال أبو عمرو بن العلاء ـ أحد قارئيها ـ: الرفعُ بمعنى فلا يكونُ رفثٌ ولا فسوقٌ؛ أَيْ شيءٌ يَخْرُج من الحَجِّ، ثم ابتدأ النفيَ فقال: «ولاجدالَ»، فأبو عمرو لم يجعل النفيَيْن الأوَّلَيْن نهياً، بل تركهما على النفي الحقيقي؛ فمِنْ ثَمَّ كان في قوله هذا نظرٌ؛ فإنَّ جملة النفي بلا التبرئةِ قد يرادُ بها النهيُ أيضاً، وقيل ذلك في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. والذي يظهر في الجوابِ عن ذلك ما نقله أبو عبد الله الفاسي عن بعضهم فقال: «وقيل: الحُجَّةُ لمَنْ رفعهما أنَّ النفي فيهما ليس بعامٍّ، إذ قد يقع الرفثُ والفسوق في الحج من بعضِ الناسِ بخلاف نفي الجدال في أمر الحج فإنه عامٌّ...» وهذا يتمشَّى على عُرْف النحويين فإنهم يقولون: لا العاملةُ عملَ «ليس» لنفي الوَحْدة، والعاملةُ عملَ «إنَّ» لنفي الجنس، قالوا: ولذلك يُقال: لا رجلٌ فيها بل رجلان أو رجال إذا رفعت، ولا يَحْسُن ذلك إذا بَنَيْتَ اسمَها أو نَصَبْتَ بها. وتوسَّط بعضُهم فقال: التي للتبرئة نصٌّ في العمومِ، وتلك ليست نَصًّا، والظاهرُ أنَّ النكرةَ في سياق النفي مطلقاً للعموم. انتهى. الدر المصون.

(١) قوله «وإبرام الناس» في الصحاح: أبرمه، أي أمله وأضجره. (ع)

خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: عطاء منه وتفضلاً، وهو النفع والربح بالتجارة، وكان ناس من العرب يتأثمون أن يتجروا أيام الحج، وإذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق، ويسمون من يخرج بالتجارة: الداجّ[١]، ويقولون: هؤلاء الداج وليسوا بالحاج، وقيل: كانت عكاظ ومجنّة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في أيام الموسم، وكانت معايشهم منها، فلما جاء الإسلام تأثموا، فرفع عنهم الجناح في ذلك وأبيح لهم، وإنما يباح ما لم يشغل عن العبادة، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أن رجلاً قال له: إنا قوم نكري في هذا الوجه وإن قوماً يزعمون أن لا حج لنا، فقال: سأل رجل رسول الله ـ ﷺ ـ عما سألت فلم يردّ عليه، حتى نزل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، فدعا به فقال: «أنتم حجاج»، (١٣٣) وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قيل له: «هل كنتم تكرهون التجارة في الحج؟ فقال: وهل كانت/ ٧٤أ معايشنا إلا من التجارة في الحج»، (١٣٤) وقرأ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «فضلاً من ربكم في مواسم الحج»، «أنْ تبتغوا» في أن تبتغوا[٢] ﴿أَفَضْتُم﴾ دفعتم بكثرة، وهو من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة، وأصله أفضتم

---

١٣٣ ـ أخرجه أبو داود في سننه (١/ ٥٤١) كتاب المناسك، باب الكرى حديث (١٧٣٣)، وأحمد في المسند (٢/ ١٥٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٤٩)، والدارقطني في السنن (٢/ ٢٩٢) كتاب الحج، باب المواقيت، والطيالسي في مسنده رقم (١٩٠٩)، وابن جرير (٤/ ١٦٤) رقم (٣٧٦٥)، وسعيد بن منصور (٣/ ٨٢٠) رقم (٣٥٢).
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه أبو داود، وأحمد، وابن أبي شيبة، والحاكم من طريق العلاء بن المسيب: حدثنا أبو أمامة التيمي قال: «كنت أكري في هذا الوجه وكان قوم يقولون: إنه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقال: ألست بمحرم ولكن ـ الحديث». انتهى.

١٣٤ ـ أخرجه ابن جرير (٤/ ١٦٨ ـ ١٦٩) رقم (٣٧٨٨) حدثنا أحمد بن إسحاق قال: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا مندل عن عبد الرحمن بن المهاجر عن أبي صالح مولى عمر قال: قلت لعمر: يا أمير المؤمنين، كنتم تتجرون في الحج؛ قال: وهل كانت معايشهم إلاّ في الحج. ا.هـ.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه الطبري من طريق عبد الرحمن بن مهاجر عن أبي صالح مولى عمر قال: قلت يا أمير المؤمنين، ـ فذكره وفي إسناده مندل بن علي وهو ضعيف. انتهى.

---

(١) قوله «الداج» الدجيج: الدبيب في السير وقالوا: الحاج والداج، فالداج: الأعوان والمكارون كذا في الصحاح. والمكارون: جمع المكاري، كالمغازين جمع المغازي. (ع)

(٢) قوله «أن تبتغوا» كان الأوجه تقديم هذا على تفسير قوله تعالى ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾. (ع)

أنفسكم، فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا، وفي حديث أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ: «صب في دقران، وهو يخرش[1] بعيره بمحجنه» ويقال: أفاضوا في الحديث وهضبوا فيه[2]، (١٣٥)و ﴿عَرَفَٰتٍ﴾: علم للموقف سمى بجمع كأذرعات، فإن قلت: هلا مُنعت الصرف وفيها السببان: التعريف والتأنيث[3]؟ قلت: لا يخلو من التأنيث إما أن يكون بالتاء التي في لفظها، وإما بتاء مقدرة كما في سعاد؛ فالتي في لفظها ليست للتأنيث، وإنما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها، لأنّ هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التأنيث في بنت، لأن التاء التي هي بدل من الواو لاَختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فأبت تقديرها، وقالوا: سميت بذلك؛ لأنها وصفت لإبراهيم ـ عليه السلام ـ فلما أبصرها عرفها، وقيل: إن جبريل حين كان يدور به في المشاعر أراه إياها فقال: قد عرفت، وقيل: التقى فيها آدم وحوّاء فتعارفا، وقيل: لأنّ الناس يتعارفون فيها والله أعلم بحقيقة ذلك، وهي من الأسماء المرتجلة؛ لأنّ العرفة لا تعرف في أسماء الأجناس إلا أن تكون جمع عارف، وقيل: فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة، لأنّ الإفاضة لا تكون إلا بعده، وعن النبي ـ ﷺ ـ: «الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج» (١٣٦) ﴿فَٱذۡكُرُوا

---

١٣٥ ـ قال الزيلعي (١/ ١٢٧): «لم أجده بهذا اللفظ».
وقال الحافظ: لم أجده. والذي في الغرائب لأبي عبيد الجرمي. وفي مسند الشافعي وطبقات ابن سعد كلهم من حديث عيينة عن ابن المنكدر، وعن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن جبير بن الحويرث قال «رأيت أبا بكر على قزع. وهو يخرش بعيره بمحجنه»: زاد الجرمي عن أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن عيينة «كأني أنظر إلى فخذه وقد انكشفت». انتهى.
١٣٦ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٥٩٩) كتاب المناسك، باب من لم يدرك عرفة حديث (١٩٤٩)، والترمذي =

---

(١) قوله «دقران» في بعض النسخ: ذفران، بالذال المعجمة والفاء. ولعل الأول بالدال المهملة والفاء، من الدفر بمعنى النتن خاصة. والذفر ـ بالمعجمة والفاء محركة ـ ذكاء الرائحة طيبة أو خبيثة، كما في الصحاح. أما الدقر بالمهلة والقاف فبمعنى الشدة والكذب والفحش والنميمة. أفاده الصحاح. وفيه. الخرش مثل الخدش. (ع)

(٢) قوله «وهضبوا فيه» في الصحاح: الهضبة المطرة. وهضب القوم في الحديث واهتضبوا أي أفاضوا فيه. (ع)

(٣) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت هلا منعت عرفات الصرف... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: يلزمه إذا سمى امرأة بمسلمات أن لا يصرفه فيقول: هذا مسلمات بغير تنوين. وهو قول رديء بل الأفصح الصحيح في مسلمات إذا سمى به أن ينون. وإنما بنى الزمخشري كلامه على أن تنوين عرفات للتمكين لا للمقابلة. ولذلك أسقط تنوين المقابلة من أنواع التنوين التي عدها في مفصله، على أنه راجع إلى تنوين التمكين.

ٱللَّهَ﴾: بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات، وقيل: بصلاة المغرب والعشاء، و ﴿ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾: قزح، وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقدة، وقيل: المشعر الحرام: ما بين جبل المزدلفة من مأزمي عرفة[1] إلى وادي محسر، وليس المأزمان، ولا وادي محسر من المشعر الحرام، والصحيح: أنه الجبل، لما روى جابر ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ـ ﷺ ـ لما صلّى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس، ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام، فدعا وكبر وهلل، ولم يزل واقفاً حتى أسفر»، (١٣٧) وقوله تعالى: ﴿عند المشعر الحرام﴾: معناه مما يلي المشعر الحرام قريباً منه، وذلك للفضل، كالقرب من جبل الرحمة، وإلا فالمزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر، أو جعلت أعقاب المزدلفة؛ لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر، والمشعر: المعلم، لأنه معلم العبادة، ووصف بالحرم لحرمته، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه نظر إلى الناس ليلة جمع فقال: لقد أدركت الناس هذه الليلة لا ينامون، وقيل: سميت المزدلفة جمعاً؛ لأنّ آدم ـ صلوات الله عليه ـ اجتمع فيها مع حواء وازدلف إليها، أي دنا منها، وعن قتادة: لأنه يجمع فيها/ ٧٤ب بين الصلاتين، ويجوز أن يقال: وصفت بفعل أهلها، لأنهم يزدلفون إلى الله أي يتقرّبون بالوقوف فيها، ﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾: ما مصدرية أو كافة، والمعنى: واذكروهُ ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه، لا تعدلوا عنه، ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾: من قبل الهدى، ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: الجاهلين، لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه، وإن هي مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة، ﴿ثُمَّ

= (٣/٣٣٨)، كتاب الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج حديث (٨٨٩)، والنسائي (٥/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥) كتاب المناسك، باب في من لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام بالمزدلفة، وابن ماجه (٢/ ١٠٠٣) كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع حديث (٣٠١٥)، وأحمد (٤/ ٣٣٥) وابن حبان في صحيحه (٩/ ٢٠٣) (٣٨٩٢)، والدارمي (٢/ ٥٩) كتاب المناسك باب بما يتم الحج، وابن الجارود في المنتقى حديث (٤٦٨)، والدارقطني (٢/ ٢٤٠، ٢٤١)، كتاب الحج باب المواقيت، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٦٤)، والبيهقي (٥/ ١١٦) كتاب الحج، باب وقت الوقوف.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: رواه أصحاب السنن، والحاكم، واللفظ للنسائي وزاد قبل: «أن يطلع الفجر» كلهم من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي ـ رضي الله عنه ـ انتهى.

١٣٧ ـ تقدم تخريج حديث جابر في صفة حج النبي ـ ﷺ ـ.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه مسلم في صفة الحج في الحديث الطويل. انتهى.

---

(١) قوله «من مأزمي عرفة» في الصحاح: المأزم المضيق، وموضع الحرب أيضاً. (ع)

﴿أَفِيضُوا﴾: ثم لتكن إفاضتكم: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾، ولا تكن من المزدلفة، وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع[1] على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن أن يساووهم في الموقف، وقولهم: نحن أهل الله وقطان حرمه فلا تخرج منه، فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات؟ فإن قلت: فكيف موقع ثم؟ قلت: نحو موقعها في قولك: أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم، تأتي بثم لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم، والإحسان إلى غيره وبُعد ما بينهما؛ فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات، قال: ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الإفاضتين، وأن إحداهما صواب والثانية خطأ، وقيل: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس، أي: من المزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفات، وقرىء: «من حيث أفاض الناسِ» ـ بكسر السين ـ أي النّاسي وهو آدم، من قوله: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي﴾ [طه: ١١٥] يعني أن الإفاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾: من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾، أي: فإذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾: فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم، وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل، فيعدّدون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم، ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾: في موضع جرّ عطف على ما أضيف إليه الذكر[2] في قوله: ﴿كَذِكْرِكُمْ﴾ كما تقول كذكر قريش آباءهم، أو

---

(١) قال محمود رحمه الله: «وذلك لما كان عليه الحمس من الترفُّع على الناس... إلخ». قال أحمد رحمه الله: وقد اشتملت الآية على نكتتين:
إحداهما: عطف الإفاضتين إحداهما على الأخرى ومرجعهما واحد وهو الإفاضة المأمور بها، فربما يتوهَّم متوهِّم أنه من باب عطف الشيء على نفسه، فيزال هذا الوهم بأن بينهما من التغاير ما بين العام والخاص. والمخبر عنه أولاً الإفاضة من حيث هي غير مقيدة. والمأمور به ثانياً الإفاضة مخصوصة بمساواة الناس.
والثانية: بعد وضوح استقامة العطف كونه وقع بحرف المهملة وذلك يستدعي التراخي مضافاً إلى التغاير، وليس بين الإضافة المطلقة والمقيدة تراخ. فالجواب على ذلك: أن التراخي كما يكون باعتبار الزمان قد يكون باعتبار علو المرتبة وبعدها في العلو بالنسبة إلى غيرها، وهو الذي أجاب به بعد مزيد نشيط وإيضاح.

(٢) قال محمود رحمه الله: «أشد معطوف على ما أضيف إليه الذكر... إلخ». قال أحمد رحمه الله: فعلى الأول يكون (أشد) واقعاً على المذكور المفعول. ومثله على الأول: أن يضرب اثنان زيداً مثلاً، فيقول أيهما أشد ضرباً لزيد؟ فيوقعه على الضارب. ومثال الثاني أن يضرب زيد اثنين مثلاً فتقول: أيهما أشد ضرباً؟ فتوقعه على المضروب. وعلى الوجه الأول يكون التفضيل على الفاعل وهو القياس. وعلى الثاني يكون التفضيل على المفعول وهو خلاف القياس. وقد ذكر الزمخشري في مفصله أنه شاذ بقولهم: أتسبل مرآة التحسين وأنا أسر منك، هذا في أمثلة عددها، فليت شعري =

قوم أشدّ منهم ذكراً، أو في موضع نصب عطف على آباءكم، بمعنى: أو أشدّ ذكراً[1] من آبائكم، على أن ذكراً من فعل المذكور ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ معناه أكثروا ذكر الله ودعاءه فإنّ الناس من بين مقلّ لا يطلب بذكر الله إلاّ أعراض الدنيا، ومكثر يطلب خير الدارين، فكونوا من المكثرين، ﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ اجعل إيتاءنا أي إعطاءنا في الدنيا خاصة، ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي: من طلب خلاقي وهو النّصيب، أو ما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب، لأنّ همه مقصور على الدنيا.

والحسنتان ما هو طلبةُ الصّالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير، وطلبتهم في الآخرة من الثواب، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: الحسنة في الدنيا/ ١٧٥أ المرأة الصالحة، وفي الآخرة الحوراء، وعذاب النار: امرأة السوء، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الداعون بالحسنتين: ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾: أي نصيب من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة، وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة، أو من أجل ما كسبوا، كقوله: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ﴾ [نوح: ٢٥]، أو لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم [منه] ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة، وسمّى الدعاء كسباً لأنه من الأعمال،

= كيف حمل الآية عليه وقد وجد غير ذلك سبيلاً. وفي الوجهين جميعاً يفر من عطف أشد على الذكر الأول، لئلا يكون واقعاً على الذكر وقد انتصب الذكر تمييزاً عنه، فيكون الذكر ذاكراً وهو محال، لكن أبا الفتح صحح هذا الوجه وألحقه بباب قولهم: شعر شاعر، وجن جنونه، ونحوه مما بالغت العرب فيه حتى جعلت للصفة صفة مثلها تمكيناً لثبوتها. ووضح ذلك أن انتصاب الذكر تمييزاً يوجب أن لا يقع أشد عليه، ويعين خروجه منه إما بأن يقع على الجثة الذاكرة بتأويل جعله ذاكراً، على ما صار إليه أبو الفتح أنك لو قلت: زيد أكرم أبا، لكان زيد من الأبناء: ولو قلت: زيد أكرم أب، لكان من الآباء. ويحتمل عطفه على الذكر أعني وجهاً آخر سوى ما ذهب إليه أبو الفتح، وهو أن يكون من باب ما ذكره سيبويه قال: ويقولون هو أشح الناس رجلاً، وهما خير الناس رجلاً، وهما خير الناس اثنين، فالمجرور هنا بمنزلة التنوين، وانتصب الرجل والاثنين، كما انتصب الوجه في قولك: هو أحسن منه وجهاً، ولا يكون إلا نكرة، كما لا تكون الحال إلا نكرة، والرجل هو الاسم المبتدأ؛ فإنما أراد بذلك أن هذا ليس بمثابة: هو أشجع الناس غلاماً، فإن هذا يجوز أن يكون غلاماً هو الاسم المبتدأ كما في المثال الأول، ويجوز أن يكون غيره؛ فالآية على هذا الوجه الذي أوضحته منزلة على المثال الأول، فيكون ذكر المنصوب واقعاً على أشد كما كان الرجل المنصوب واقعاً على أشح؛ فكأنه قال: أو أشد الأذكار ذكراً، فهذه وجوه أربعة كلها مطروقة، إلا هذا الوجه الذي زدته، فإن خاطري أبو عذرته (كخشية الله أو أشد خشية) ولم أقف على كلام الزمخشري فيها بعد.

(١) قال السمين الحلبي: وهذا الذي قاله الزمخشري معنى حسن، ليس فيه تجوُّز بأن يُجْعَل للذكر ذكر؛ لأنه جعل «أشد» من صفات الذاكرين، إلا أن فيه العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار وهو ممنوع عند البصريين ومَحَلُّ ضرورة. انتهى. الدر المصون.

والأعمال موصوفة بالكسب: بما كسبت أيديكم، ويجوز أن يكون: (أولئك) للفريقين جميعاً، وأنّ لكلّ فريق نصيباً من جنس ما كسبوا، ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد، فبادروا إكثار الذكر وطلب الآخرة، أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدلّ على كمال قدرته ووجوب الحذر منه، رُوِي: أنه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة، وَرُوِيَ في مقدار فواق ناقة، ورُوِيَ في مقدار لمحة.

﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

الأيام المعدودات: أيام التشريق، وذكر الله فيها: التكبير في أدبار الصلوات وعند الجمار، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنّه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله، حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف، ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾: فمن عجّل في النفر أو استعجل النفر، وتعجل، واستعجل: يجيئان مطاوعين بمعنى عجل. يقال: تعجل في الأمر واستعجل: ومتعديين، يقال: تعجّل الذهاب واستعجله، والمطاوعة أوفق لقوله: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾؛ كما هي كذلك في قوله [من البسيط]:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ[1]

---

(١) والناس من يلق خيراً قائلون له ... ما يشتهي ولأم المخطىء الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل
وربما فات قوم جل أمرهم ... من التأني وكان الرأي لو عجلوا

للقطامي وقيل للأعشى. والناس مبتدأ. ومن يلق ـ يصب ـ خيراً، شرط حذف صدر جوابه، أي فهم قائلون له، والجملة خبر المبتدأ. ما يشتهي، أي الذي من الدعاء بخير أو من المدح. وروي: ما تشتهي، فلعل معناه يقولن له: ما تشتهيه أنت يا مخاطب. ويجوز أن «ما» استفهامية، أي ما الذي تريده يا من لقيت الخير، لكن تبعده المقابلة. وهبلت المرأة هبلاً، كتعبت تعباً: ثكلت ولدها وفقدته فحزنت عليه. أي ويقال لأم المخطىء الثكلى، فهو دعاء عليها بموت ولدها. ثم قال:

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

وعجلته فتعجل واستعجل، ويتعديان أيضاً فيقال: تعجل الأمر واستعجله. ثم قال: وقد يفوت قوماً معظم قصدهم بسبب التأني وكان الرأي الصواب عجلتهم، فلو مصدرية. والمعنى أن بعض الحاجات يناسبها التمهُّل، وبعضها التعجُّل. ويجوز أن «لو عجلوا» هو اسم كان والرأي بالنصب خبرها. وروي بدله الحزم، والمعنى متقارب. وفي الكلام نوع بديعي يسمى العكس والتبديل، وهو الإتيان بنقيض المعنى المشهور كما هنا، فإن مدح التأني هو المشهور، ومدح العجلة يناقضه. أفاده السيوطي في شرح عقود الجمان.

البيت للقطامي ينظر في ديوانه ص ٢٥، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٨٠٥، وديوان المعاني ١/ ١٢٤، =

لأجل المتأني: ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ بعد يوم النّحر يوم القرّ[1]؟ وهو اليوم الذي يسمّيه أهل مكة يوم الرؤوس، واليوم بعده ينفر إذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم، وهو مذهب الشافعي ويُروى عن قتادة، وعند أبي حنيفة وأصحابه ينفر قبل طلوع الفجر، ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾: حتى رمى في اليوم الثالث، والرَّمْيُ في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزّوال عند أبي حنيفة، وعند الشافعي: لايجوز، فإن قلت: كيف قال: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، عند التعجّل والتأخر جميعاً؟ قلت: دلالة على أنّ التعجل والتأخر مخير فيهما، كأنه قيل: فتعجلوا أو تأخروا، فإن قلت: أليس التأخر بأفضل؟ قلت: بلى، ويجوز أن يقع التخيير بين الفاضل والأفضل كما خُيّر المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل[2]، وقيل: إنّ أهل الجاهلية كانوا فريقين: منهم من جعل المتعجل آثماً، ومنهم من جعل المتأخر آثماً، فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعاً، ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: أي ذلك التخيير، ونفي الإثم عن المتعجل والمتأخر لأجل الحاج المتقي؛ لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما، فيحسب أنّ أحدهما يرهق صاحبه آثام في الإقدام عليه، لأنّ ذا التقوى حذّر متحرّز من كل ما يريبه؛ ولأنه هو الحاج على الحقيقة عند/ ٧٥ب الله، ثم قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، ليعبأ بكم، ويجوز أن يراد ذلك الذي مرّ ذكره من أحكام الحج وغيره لمن اتقى؛ لأنه هو المنتفع به دون من سواه، كقوله: ﴿ذلك خير للذين يريدون وجهَ الله﴾[الروم: ٣٨].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا

= وللأعشى في تخليص الشواهد ص ١٠٢، وخزانة الأدب ٥/ ٢٧٧، ولسان العرب (بعض)، ومجالس ثعلب ص ٤٣٧، والدر المصون ١/ ٥٠٢.

(١) قوله «يوم النحر يوم القر» في الصحاح: لأن الناس يقرون في منازلهم. (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله: «إنما نفى الإثم في الطرفين جميعًا ليدل على التخيير بين الأمرين الفاضل والأفضل، كما خير المسافر بين الصوم والفطر وإن كان الصوم أفضل». قال أحمد رحمه الله: قوله ـ إن التخيير يقع بين الفاضل والأفضل ـ غير مستقيم، فإن التخيير يوجب التساوي في غرض المخير، وينافي طلب أحد الطرفين والأمر به. وكيف يستقيم اجتماع ما يوجب الطلب والترجيح وما يوجب التساوي والتخيير. وقد وقع لإمام الحرمين قريب من هذا، فإنه ميز الوجوب من الندب بأن الندب يشتمل على اقتران الأمر بخيرة الترك ولا كذلك الوجوب، ولم يرضه محققو الفن وإنما أخل الزمخشري في تفسيره الآية فلزمه ذلك السؤال الوارد عليه. وبيان عدم التطابق بين تفسيره والآية، أي مضمونها نفي الإثم عن الطرفين جميعاً، وهذا القدر مشترك بين الندب والكراهة والإباحة، لكن يتميز الندب بترجيح الفعل على الترك، وتتميز الكراهة والإباحة بالتخيير بينهما؛ فلا تنافي إذاً بين الندب إلى التأخير وأنه أفضل، وبين نفي الإثم عن تاركه إلى التخييل. وحينئذٍ لا يرد السؤال الذي لزمه فأجاب عنه.

﴿يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾، أي: يروقك ويعظم في قلبك، ومنه: الشيء العجيب الذي يعظم في النفس، وهو الأخنس بن شريق كان رجلاً حلو المنطق، إذا لقي رسول الله ـ ﷺ ـ ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم، وقال: يعلم الله أني صادق، وقيل: هو عامّ في المنافقين، كانت تحلولى ألسنتهم، وقلوبهم أمرّ من الصَّبِرِ، فإن قلت: بم يتعلق قوله: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؟ قلت: بالقول، أي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا؛ لأن ادّعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظاً من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة، كما تراد بالإيمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول؛ فكلامه إذاً في الدنيا لا في الآخرة، ويجوز أن يتعلق بـ ﴿يعجبك﴾، أي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك، ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة، أو لأنه لا يؤذن له في الكلام[1] فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ أي يحلف ويقول: الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام، وقرىء: «ويشهدُ اللهُ»، وفي مصحف أبيّ: «ويستشهد الله»: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين، وقيل: كان بينه وبين ثقيف[2] خصومة فبيتهم ليلاً وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم، والخصام: المخاصمة، وإضافة الألدّ بمعنى في، كقولهم: ثبت الغدر. أو جعل الخصام ألدّ على المبالغة، وقيل الخصام: جمع خصم، كصعب وصعاب، بمعنى وهو أشدّ الخصوم خصومة ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء المنطق ﴿سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ كما فعل بثقيف، وقيل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ وإذا كان والياً فعل ما يفعل ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل، وقيل: يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل، وقرىء: (ويهلكُ الحرث والنسلُ)، على أن الفعل للحرث والنسل، والرفع للعطف على سعى، وقرأ الحسن بفتح اللام، وهي لغة. نحو: أبى يأبى، وروى عنه: «ويهلك»، على البناء للمفعول ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ من قولك: أخذته بكذا، إذا حملته عليه وألزمته إياه، أي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الإثم الذي ينهى عنه،

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: والذي يظهر أنه متعلق بيعجبك لا على المعنى الذي قاله الزمخشري، بل على معنى أنك تستحسن مقالته دائماً في مدة حياته؛ إذ لا يصدر منه من القول إلا ما هو معجب رائق لطيف، فمقالته في الظاهر معجبة دائماً، لا تراه يعدل عن تلك المقالة الحسنة الرائعة إلى مقالةٍ خشنةٍ منافية. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «وقيل كان بينه وبين ثقيف» الضمير للأخنس بن شريق. (ع)

وألزمته ارتكابه، وأن لا يخلي عنه ضراراً ولجاجاً. أو على ردّ قول الواعظ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾

﴿يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ يبيعها أي يبذلها في الجهاد، وقيل: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل، وقيل: نزلت في صهيب بن سنان أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفراً كانوا معه، فقال لهم: أنا شيخ كبير، إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضرّكم، فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي. فقبلوا منه ماله وأتى المدينة. ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾

﴿ٱلسِّلْمِ﴾ بكسر السين وفتحها، وقرأ الأعمش بفتح السين واللام، وهو: الاستسلام والطاعة، أي استسلموا لله وأطيعوه، ﴿كَآفَّةً﴾: لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته، وقيل: هو الإسلام، والخطاب لأهل الكتاب؛ لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم، أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم، ويجوز أن يكون كافة حالا من السلم؛ لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب، قال [من البسيط]:

أَلسِّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيتَ بِهِ   وَالحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرَعُ[1]

---

(١) أبا خراشة أما أنت ذا نفر   فإن قومي لم تأكلهم الضبع
إن تك جلمود بصر لا أؤبسه   أوقد عليه فأحميه فينصدع
السلم تأخذ منها ما رضيت به   والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

للعباس بن مرداس يخاطب خفاف بن ندبة. وأما أنت: أصله لأن كنت، فحذفت لام التعليل وكان الناقصة، فانفصل ضميرها ونابت عنها ما، وأدغمت فيها أن المصدرية. وقال الكوفيون تأتي «أن» بالفتح شرطية كأن بالكسر، وعلى هذا فلا حاجة لتقدير لام التعليل، والمعنى على الشرط والجواب. والضبع: السنة المجدبة، أو الحيوان المعروف. والبصر: حجارة تضرب إلى بياض، واحده بصرة. وقيل هي بمعناه، وأبسه تأبيساً: ذلله وكسره. يقول يا أبا خراشة، لأن كنت صاحب جيش افتخرت علي، لا تفعل ذلك فإن قومي موجودون كثيرون. وكنّى عن ذلك بعدم أكل الضبع إياهم. ويحتمل أن فيه تعريضاً أيضاً، ثم قال: إن تكن كصخر من الحجارة لا أقدر على تأبيسه وتكسيره لصلابته، أوقد عليه نار الحرب بمعاونة الفرسان لي فأحرقه فينشق وينكسر؛ فالإيقاد استعارة مصرحة، والإحماء ترشيح. أو إن لم أغلبك على العادة تحيلت حتى أغلبك، كما يتحيل بكسر الحجر بالنار. وأتى بضمير الغيبة نظراً للخبر، ورفع أحميه وينصدع بعد الشرط المضارع قليل ضعيف، سيما مع عطفهما على المجزوم، ولعله توهم جزمه. والسلم بالفتح وبالكسر: الصلح =

على أن المؤمنين أمروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها، وأن لا يدخلوا في طاعة دون طاعة. أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها، وأن لا يُخلوا بشيء منها، وعن عبد الله بن سلام: أنه استأذن رسول الله ﷺ أن يقيم على السبت (١٣٨) وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل[١] و﴿كافة﴾ من الكف، كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم، ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾، عن الدخول في السلم، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾، أي: الحجج والشواهد على أنّ ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب لا يعجزه الانتقام منكم، ﴿حَكِيمٌ﴾: لا ينتقم إلا بحق، وروي أنّ قارئًا قرأ غفور رحيم، فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن، وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم،

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

١٣٨ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٢٥٥) بلفظ نزلت في ثعلبة وعبد الله ابن سلام وابن يامين وأسد وأُسيد ابني كعب، وسعيه بن عمرو، وقيس بن زيد ـ كلهم من يهود ـ قالوا يا رسول الله يوم السبت يوم كنا نعظمه فدعنا فلنسبت فيه وإن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها بالليل فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ...﴾.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٣٣) وعزاه للطبرى.

قال الحافظ ابن حجر: رواه عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن موسى بن عبد الرحمن الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال «نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه. وذلك أنهم حين آمنوا بالنبي ـ ﷺ ـ آمنوا بشريعته وشريعة موسى، فعظموا السبت وكرهوا لحمان الإبل وألبانها بعدما أسلموا. فأنكر ذلك عليهم المسلمون: فقالوا: إنّا نقوى على هذا وهذا وقالوا للنبي ـ ﷺ ـ في التوراة كتاب الله تعالى: وفي هذا فلنعمل بهما. فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ وهي نسخة موضوعة. وقد أخرجه الطبري من رواية حجاج بن محمد عن ابن جريج عن عكرمة. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً... الآية﴾ قال: نزلت في أناس من اليهود أسلموا كعبد الله بن سلام، وثعلبة، وابن يامين وأسد بن كعب. وطائفة من يهود، استأذنوا رسول الله ـ ﷺ ـ أن يسبتوا وأن يقوموا بالتوراة ليلاً. فأمرهم الله بإقامة شعائر الإسلام والرغبة عما عداها. قال فذكر الآية. فهذا أولى. وابن جريج لم يسمع من عكرمة. انتهى.

= تأخذ منها ما يكفيك من طول المدة، أو تأخذ منا بسببها. وأما الحرب فيكفيك منها القليل، فتنكير جرع للتقليل. وشبّه الحرب بنار منحبسة في ظرف ذي منافذ تخرج منها أنفاس، وشبّه الأنفاس بماء على طريق المكنية والأنفاس تخييل للأولى والجرع تخييل للثانية، وفيها نوع تهكُّم حيث شبّه الحار بالبارد، كأنه يسقيه من أنفاسها. ويروى «في السلم تأخذ منا ما رضيت به» أي تأخذ منا شيئاً كثيراً في زمن الصلح، ولا تطيق من حربنا إلا قليلاً؛ لكن هذه الرواية إنما تدل على تأنيث السلم، بطريق المقابلة للحرب.

ينظر: ديوانه ص (٨٦) وخزانة الأدب ٢/ ٨٢، وإصلاح المنطق ص ٣٠، لسان العرب (أبس)، وأساس البلاغة (جرع)، تاج العروس (أبس) وفي المخصص (١٥/ ٧٤)، الدر المصون (١/ ٥١٠)، والبحر المحيط ٢/ ١٣٠.

(١) قوله «في صلاته من الليل» لعل بعده سقطاً تقديره: فنزلت. (ع)

لا يذكر الغفران عند الزلل، لأنه إغراء عليه، وقرأ أبو السّمال: «زلِلتم» بكسر اللام وهما لغتان، نحو: ظللت وظلِلت.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

إتيان الله إتيان أمره وبأسه كقوله: ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ [النحل: ٣٣]، ﴿جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾ [الأنعام: ٤٣]، ويجوز أن يكون المأتي به محذوفاً، بمعنى: أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ ﴿فِى ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة وهي ما أظلك، وقرىء: «ظلال» وهي جمع ظلة، كقلة وقلال أو جمع ظل، وقرىء (والملائكة) بالرفع كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وبالجر عطف على ظلل أو على الغمام، فإن قلت: لِمَ يأتيهم العذاب في الغمام؟ قلت: لأنّ الغمام مظنة الرحمة، فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول، لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم، كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسرّ، فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير؛ ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع؛ لمجيئها من حيث يتوقع الغيث، ومن ثمة اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]. ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: وأتم أمر إهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه، وقرأ معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: «وقضاء الأمر»: على المصدر المرفوع عطفاً على الملائكة، وقرىء: «ترجِع»، «وترجَع»، على البناء للفاعل/ ٧٦ب والمفعول بالتأنيث والتذكير فيهما.

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾

﴿سَلْ﴾: أمر للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو لكل أحد، وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسأل الكفرة يوم القيامة، ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾: على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم، أو من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام، و﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾: آياته، وهي أجل نعمة من الله، لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة، وتبديلهم إياها: أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم، فجعلوها أسباب ضلالتهم؛ كقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]، أو حرفوا آيات الكتب[1] الدالة على دين محمد ـ ﷺ ـ. فإن

---

(١) قوله «أو حرفوا آيات الكتب» لعله عطف على المعنى، أي أنهم جعلوا المعجزات أسباب ضلالهم، وقد جعلها الله أسباب هداهم. أو حرفوا آيات الكتب... إلخ». (ع)

قلت: كم استفهامية أم خبرية؟ قلت: تحتمل الأمرين، ومعنى الاستفهام فيها للتقرير، فإن قلت: ما معنى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾، قلت: معناه من بعد ما تمكن من معرفتها أو عرفها؛ كقوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥] لأنه إذا لم يتمكن من معرفتها، أو لم يعرفها، فكأنها غائبة عنه: وقرىء ﴿وَمَن يُبَدِّلْ﴾ بالتخفيف.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

المزين هو الشيطان[(١)]، زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها، ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها، أو جعل إمهال المزين له تزيينا، ويدل عليه قراءة من قرأ: «زَيَّنَ للَّذِينَ كَفَرُوا الحَيَاةَ الدُّنيَا»: على البناء للفاعل، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: كانت الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لاحظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم، أي: لا يريدون غيرها، وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها، أو ممن يطلب غيرها، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾؛ لأنهم في عليين من السماء، وهم في سجين من الأرض[(٢)]، أو حالهم عالية لحالهم؛ لأنهم في كرامة وهم في هوان. أو هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم

---

(١) قال محمود رحمه الله: «المزين هو الشيطان... إلخ» قال أحمد رحمه الله: وردت إضافة التزيين إلى الله تعالى وإضافته إلى غيره في مواضع من الكتاب العزيز وهذه الآية تحتمل الوجهين، لكن الإضافة إلى قدرة الله تعالى حقيقة، والإضافة إلى غيره مجاز. على قواعد السنّة. والزمخشري يعمل على عكس هذا، فإن أضاف لله فعلاً من أفعاله إلى قدرته جعله مجازاً وإن أضافه إلى بعض مخلوقاته جعله حقيقة. وسبب هذا هو التعكيس باتباع الهوى في القواعد الفاسدة.

(٢) قال محمود رحمه الله: «لأنهم في عليين من السماء، وهم في سجين... إلخ». قال أحمد رحمه الله: وهذا من وضع الظاهر موضع المضمر بصفة أخرى ومثله في كتاب الله كثير، قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ وكان الأصل: ألا إنهم... الآية، فوضع الظاهر موضع المضمر بصفة أخرى، وضمنه ذكر صفة الظلم بتلو صفة الخسران. وفي كلام الزمخشري طماح إلى قاعدته في وجوب وعيد العصاة. ألا تراه يقول: ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي، إشارة إلى أن غير المتقي وهو المصر على الكبائر شقي حتماً كهؤلاء الذين يسخرون من الذين آمنوا، ومنهم من يتمحل فيقول: لأنه جعل المؤمن عين المتقي ومقتضى قاعدته الفاسدة: أن الإيمان يستلزم التقوى حتى لا يفرض مؤمن إلا متقياً. إذ الإيمان فيما فسره هو في تفسيره هذا وفيما فسره أهل بدعته في كتبهم هو تصديق الاعتقاد الصحيح والنطق به بالعمل الصالح، والمخل عندهم بالعمل إما بالإصرار على كبيرة أو بترك مهم من الواجبات فاسق ليس بمؤمن ولا كافر. فمقتضى هذا التقرير على ما ترى أن كل مؤمن متق، وقد علمت من كلامه على هذه الآية ما يأبى ذلك وينقضه.

كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم، ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المطففين: ٣٤]، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير تقدير، يعني: أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه، كما وسع على قارون وغيره، فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة، ولو كانت كرامة لكان أولياؤه المؤمنون أحق بها منكم، فإن قلت: لم قال: ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾؟ قلت: ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي؛ وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: متفقين على دين الإسلام، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾: يريد: فاختلفوا فبعث الله؛ وإنما حذف لدلالة قوله: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: عليه، وفي قراءة عبد الله: «كان الناس أمّة واحدة فاختلفوا فبعث الله»؛ والدليل عليه قوله عز وعلا: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩]، وقيل: كان/ ٧٧أ الناس أمة واحدة كفارًا، فبعث الله النبيين، فاختلفوا عليهم، والأوّل الوجه. فإن قلت: متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق؟ قلت: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا، وقيل: هم نوح ومن كان معه في السفينة ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾: يريد الجنس، أو مع كل واحد منهم كتابه، ﴿لِيَحْكُمَ﴾: الله، أو الكتاب، أو النبيّ المنزل عليه، ﴿فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: في الحق ودين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتّفاق، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾: في الحق، ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: إلا الذين أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف، أي ازدادوا في الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب، وجعلوا نزول الكتاب سبباً في شدّة الاختلاف واستحكامه، ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: حسدًا بينهم وظلمًا؛ لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم، و﴿مِنَ الْحَقِّ﴾: بيان لما اختلفوا فيه؛ أي: فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

﴿أَمْ﴾: منقطعة، ومعنى الهمزة[1] فيها: للتقرير، وإنكار الحسبان واستبعاده، ولما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات ـ تشجيعاً لرسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب، وإنكارهم لآياته وعداوتهم له ـ قال لهم على طريقة الالتفات التي هي أبلغ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾، ﴿وَلَمَّا﴾: فيها معنى التوقع، وهي في النفي نظيرة «قد» في الإثبات، والمعنى: أن إتيان ذلك متوقع منتظر ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ حالهم التي هي مثل في الشدة، و﴿مَسَّتْهُمُ﴾: بيان للمثل وهو استئناف، كأن قائلاً قال: كيف كان ذلك المثل؟ فقيل: مستهم البأساء، ﴿وَزُلْزِلُوا﴾: وأزعجوا إزعاجاً شديداً شبيها بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع، ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ﴾: إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها، ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾، أي: بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك، ومعناه طلب الصبر وتمنيه، واستطالة زمان الشدة، وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة، وتماديه في العظم؛ لأنّ الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم، فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها، ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ على إرادة القول، يعني فقيل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر، وقرىء: ﴿حتى يَقُولَ﴾ بالنصب على إضمار أن، ومعنى الاستقبال؛ لأنّ: «أن» علم له، وبالرفع على أنه في معنى الحال؛ كقولك: شربت الإبل حتى يجيء البعير يجرُّ بطنه؛ إلا أنها حال ماضية محكية.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

فإن قلت: كيف طابق الجواب السؤال في قوله: ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم﴾/ ٧٧ب وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصرف؟ قلت: قد تضمن قوله ﴿مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: بيان ما ينفقونه وهو كل خير، وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف؛ لأنّ النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها، قال الشاعر [من الكامل]:

إنَّ الصَّنِيعَةَ لاَ تَكُونُ صَنِيعَةً ... حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ[2]

---

(١) قوله «أم منقطعة ومعنى الهمزة» تفسر بمعنى بل والهمزة. (ع)

(٢) إن الصنيعة لا تكون صنيعة ... حتى يصاب بها طريق المصنع
فإذا صنعت صنيعة فاعمد بها ... لله أو لذوي القرابة أو دع

يقول: إن العطية لا تكون عطية حقيقة حتى تكون في موضعها، فكنّى بإصابة الطريق عن إيصالها إلى المقصد، وهو من يستحقها. وقوله «فاعمد بها» أي اقصد بها. وضمنه معنى اذهب بها، فعداه =

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه جاء عمرو بن الجموح، وهو شيخ هِمّ[1] وله مال عظيم فقال: ماذا ننفق من أموالنا؟ وأين نضعها؟ فنزلت (١٣٩)، وعن السدي: هي منسوخة بفرض الزكاة، وعن الحسن: هي في التطوّع.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾

﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾: من الكراهة، بدليل قوله: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ ثم إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة؛ كقولها [من البسيط]:

.... فَـإِنَّـمَـا هِـيَ إِقْـبَـالٌ وَإِدْبَـارُ[2]

كأنه في نفسه لفرط كراهتهم له، وإما أن يكون فعلاً بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز، أي وهو مكروه لكم، وقرأ السلمي ـ بالفتح ـ على أن يكون بمعنى المضموم، كالضَّعف والضُّعف، ويجوز أن يكون بمعنى الإكراه على طريق المجاز، كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾[3] [الأحقاف: ١٥]، **وعلى قوله تعالى**: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ جميع ما كلفوه، فإن النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: ما يصلحكم وما هو خير لكم، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾.

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ

---

١٣٩ ـ ذكره السيوطي في الدر (١/ ٤٣٧) وعزاه لابن المنذر عن ابن حبان قال: إن عمرو بن الجموح سأل النبي ـ ﷺ ـ: ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت.

= بالللام. ويروى: لذوي القرائب فلعل معناه لأصحاب القرابات القرائب. وقوله «أودع» أي اترك، لأنه ليس بعد هذين إلا الفخر.
البيت لابن منظور: ينظر اللسان (صنع) الدر المصون (١/ ٥٢٥).

(١) قوله «وهو شيخ هم وله مال» في الصحاح الهم ـ بالكسر ـ: الشيخ الفاني. (ع)
(٢) مر شرح هذا الشاهد بهذا الجزء عند تفسير آية ١٧٧ فراجعه إن شئت اهـ مصححة.
(٣) قوله «ووضعته كرهاً وعلى قوله تعالى» أي جميع ما كلفوه جار على قوله تعالى ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا﴾... إلخ فإن النفوس تكرهه وهو خير لهم، وتحب خلافه وهو شر لهم. (ع)

﴿كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

بعث رسول الله - ﷺ - عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين؛ ليترصد عيرًا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه، فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف، وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة، فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام شهرًا يأمن فيه الخائف ويبذعرّ[1] فيه الناس إلى معايشهم فوقف رسول الله - ﷺ - العير، وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا: ما نبرح حتى تنزل توبتنا، وردّ رسول الله - ﷺ - العير والأسارى (١٤٠)، وعن ابن عباس - رضي الله عنه -: لما نزلت أخذ رسول الله - ﷺ - الغنيمة (١٤١)، والمعنى: يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام، و﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾: بدل الاشتمال من الشهر، وفي قراءة عبد الله: «عن قتال فيه»، على تكرير العامل؛ كقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ **[الأعراف: ٧٥]**، وقرأ عكرمة: «قتل فيه قل قتل فيه كبير»، أي: إثم كبير، وعن عطاء: أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام؟ فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه، وما نسخت (١٤٢)، وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ **[التوبة: ٥]**، ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: مبتدأ وأكبر خبره، يعني: وكبائر قريش من

---

١٤٠ - أخرجه ابن إسحاق (٧٠٥ - سيرة بن هشام).
والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٨).
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ١٣٠) وعزاه للثعلبي. وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص٤٤).
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن إسحاق في المغازي قال: حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير بطوله ومن طريقه رواه البيهقي في الدلائل وكذا ذكره ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ومن طريقه الواحدي وأخرجه الطبراني من حديث جندب بن عبد الله البجلي موصولاً. انتهى.

١٤١ - ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٤٩) وعزاه لابن منده وابن عساكر بلفظ: فغنموا وفيهم نزلت «الآية».

١٤٢ - ذكره السيوطي في الدر (١/ ٤٥١) عن عطاء وعزاه لأبي داود بلفظ عطاء قال: أجل القتال في الشهر الحرام في براءة في قوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً...﴾.

---

(١) قوله «ويبذعر فيه الناس» أي يتفرقون فيه. أفاده الصحاح. (ع)

صدّهم عن سبيل/٧٨أ الله وعن المسجد الحرام، وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون، ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾: الإخراج أو الشرك، والمسجد الحرام: عطف على سبيل الله، ولا يجوز أن يعطف على الهاء في ﴿بِهِۦ﴾. ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردّوهم عن دينهم؛ وحتى معناها التعليل كقولك: فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة، أي يقاتلونكم كي يردّوكم، و﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾: استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوّه: إن ظفرت بي فلا تبق عليَّ، وهو واثق بأنه لا يظفر به، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ﴾: ومن يرجع عن دينه إلى دينهم ويطاوعهم على ردّه إليه، ﴿فَيَمُتْ﴾: على الردّة، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام، وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة، وبها احتج الشافعي على أن الردّة لا تحبط الأعمال حتى يموت عليها، وعند أبي حنيفة أنها تحبطها وإن رجع مسلمًا. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾: رُوي أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي، ظنّ قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر، فنزلت: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾، وعن قتادة: هؤلاء خيار هذه الأمّة، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون، وإنه من رجا طلب، ومن خاف هرب (١٤٣).

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة[1]: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ

---

١٤٣ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٥١) وعزاه لابن حميد. وزاد في الكشاف وإن من رجا طلب ومن خاف هرب.

---

(١) قال محمود رحمه الله: نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة... إلخ». قال أحمد: ويظهر لي سر واقع بما ذكره في هذا الغرض، وذلك أن السؤال الأول من الأسئلة المقرونة بالواو عين السؤال الأول من الأسئلة المجردة عن الواو. ولكن وقع جوابه أولاً بالمصرف لأنه الأهم وإن كان المسؤول عنه إنما هو المنفق لا وجه مصرفه، ثم لما لم يكن في الجواب الأول تصريح بالمسؤول =

سَكَرًا ﴾ [النحل: ٦٧] فكان المسلمون يشربونها، وهي لهم حلال، ثم إن عمر ومعاذًا ونفرًا من الصحابة قالوا: يا رسول الله، أفتنا في الخمر؛ فإنها مذهبة للعقل، مسلبة للمال، فنزلت: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، فشربها قوم وتركها آخرون، ثم دعا عبد الرحمٰن بن عوف ناسًا منهم، فشربوا وسكروا فأمّ بعضهم فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء: ٤٣] فقل من يشربها، ثم دعا عتبان بن مالك قوماً فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا، افتخروا وتناشدوا، حتى أنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار، فضربه أنصاري بلحى بعير، فشجه موضحة، فشكا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ. فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: اللهم، بين لنا في الخمر بيانا شافياً، فنزلت: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١] فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: انتهينا يا رب (١٤٤)، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: لو وقعت قطرة في بئر،

---

١٤٤ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ١٣٢): غريب بهذا اللفظ وذكره وعزاه للثعلبي من غير سند. =

= عنه أعيد السؤال ليجابوا عن المسؤول عنه صريحاً، فقيل العفو أي الفاضل من النفقة الواجبة على العيال، أو نحو ذلك حيثما ورد في تفسيره، فتعين إذاً اقتران هذا السؤال بالواو ليرتبط بالأول. ويحتمل أنهم لما أجيبوا أولاً ببيان جهة المصرف ولم يصرح لهم بالجواب على عين المنفق ما هو، أعاد السؤال لكي يتلقوا جوابه صريحاً، فتعين دخول الواو. وأما السؤال الثاني من الأسئلة المقرونة بالواو، فقد وقع عن أحوالهم مع اليتامى وهل يجوز لهم مخالطتهم في النفقة والكسوة والسكنى وقد كانوا يتحرجون من ذلك في الجاهلية؟ فلما كان مناسباً للسؤال عن الإنفاق باعتبار المنفق وباعتبار جهة المصرف، عطف عليه ليكمل لهم بيان المشروعية في النفقة وآدابها الدينية بياناً شافياً، لأنه قد اجتمع في علمهم ما ينفقون، وفيم ينفقون، وعلى أي حالة ينفقون من مخالطة اليتيم والانفراد عنه. وأما السؤال الثالث منها وهو الواقع عن النساء الحيض، فقد ورد أنهم في الجاهلية كانوا يعتزلون الحيض في المؤاكلة والمساكنة يقتدون في ذلك باليهود، فسألوا السؤال المذكور، كما كانوا يعتزلون اليتامى في المساكنة والمؤاكلة تحرجاً جاهلياً، وكان بين هذين السؤالين تناسب كما ترى، فحسن أن يعطف الآخر على ما قبله تنبيهاً على ما بينهما من المشاكلة والله أعلم. وإذا اعتبرت الأسئلة المجردة عن الواو لم تجد بينها مداناة ولا مناسبة البتة، إذ الأول منها عن النفقة، والثاني عن القتال في الشهر الحرام، والثالث عن الخمر والميسر. فبين هذه الأسئلة من التباين والتقاطع ما لا يخفى، فذكرت كذلك مرسلة متعاطفة غير مربوطة بعضها ببعض، فتنبه لهذا السر فإنه بديع لا تجده يراعى إلا في الكتاب العزيز، لاستيلائه على أسرار البلاغة ونكت الفصاحة، ولا يستفاد منه إلا بالتنقيب في صناعة البيان وعلم اللسان. وقد اشتمل جواب الزمخشري ليقدم على وهم أنبه عليه، وذلك أنه قال: الأسئلةَ الثلاثة الأخيرة وقعت في وقت واحد وكانت في حكم السؤال الواحد، فربط بعضها ببعض بالواو، وهذا يقتضي كما ترى أن يقترن السؤال الثاني والثالث بالواو خاصة دون الأول، إذ الواو إنما يربط ما بعدها بما قبلها، فاقترانها بالأول لا يربطه بالثاني وإنما يربطه بما قبله، وعلى هذا تكون الأسئلة التي وقعت في وقت واحد أربعة أسئلة لا ثلاثة خاصة، وقد قال: إن الأسئلة المرتبطة الواقعة في وقت واحد هي الثلاثة الأخيرة، فهو واهم بلا شك وكل أحد مأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم.

فبنيت مكانها منارة، لم أؤذن عليها، ولو وقعت في بحر، ثم جف، ونبت فيه الكلأ، لم أرعه» (١٤٥)، وعن ابن عمر - رضي الله عنهما -: «لو أدخلت أصبعي فيه، لم تتبعني» (١٤٦)، وهذا هو الإيمان حقاً، وهم الذين اتقوا الله حق تقاته، والخمر: ما غلا واشتدّ/ ٧٨ب وقذف بالزبد من عصير العنب، وهو حرام، وكذلك نقيع الزبيب أو التمر الذي لم يطبخ، فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه، ثم غلا واشتدّ، ذهب خبثه ونصيب الشيطان، وحلّ شربه ما دون السكر، إذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند أبي حنيفة، وعن بعض أصحابه: لأن أقول مرارًا هو: «حلال»، أحبّ إليّ من أن أقول مرة هو «حرام»، ولأن أخر من السماء فأتقطع قطعاً أحبّ إليّ من أن أتناول منه قطرة»، وعند أكثر الفقهاء: هو حرام كالخمر، وكذلك كل ما أسكر من كل شراب، وسميت «خمرًا» لتغطيتها العقل، والتمييز، كما سميت سكرًا، لأنها تسكرهما، أي: تحجزهما، وكأنها سميت بالمصدر من «خمره خمراً»، إذا ستره للمبالغة، والميسر: القمار، مصدر من يسر، كالموعد والمرجع من فعلهما، يقال: يسرته، إذا قمرته، واشتقاقه من اليسر؛ لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كدٍّ ولا تعب، أو من اليسار؛ لأنه سلب يساره، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله قال [من الطويل]:

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَيْسِرُونَنِي (١٤٧) .... (١)

= وأخرجه أبو داود (٣/ ٣٢٥): كتاب الأشربة: باب تحريم الخمر، حديث (٣٦٧٠)، والترمذي (٥/ ٢٥٣): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة المائدة، حديث (٣٠٤٩)، والنسائي (٨/ ٢٨٩)، كتاب الأشربة: باب تحريم الخمر، حديث (٥٥٤٠) وأحمد (١/ ٥٣).
وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٥٢) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود والترمذي والنسائي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي والضياء المقدسي في المختارة عن عمر أنه قال...
قال الحافظ: هكذا ذكره الثعلبي في تفسيره بغير إسناد وسيأتي في تفسير سورة النساء من حديث أبي هريرة معناه. انتهى.

١٤٥ - ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ١٣٢) وجعله مرفوعاً عن النبي - ﷺ - وبيّض له وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف: لم أجده عنه. انتهى.

١٤٦ - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٩٧)، حديث (٢٤٠٦٥).
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن المبارك عن الأوزاعي عن سليمان بن حبيب أن ابن عمر قال «لو أدخلت أصبعي في خمر ما أحببت أن ترجع إلى...». انتهى.

١٤٧ - أخرجه الطبري (٤/ ٣٢٤)، حديث (٤١٢١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٥٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر والنحاس من ناسخه.

---

(١) أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني: ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم؟ =

أي: يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسور، فإن قلت: كيف صفة الميسر؟ قلت: كانت لهم عشرة أقداح، وهي: الأزلام، والأقلام، والفذ، والتوأم، والرقيب، والحلس، والنافس، والمسبل، والمعلى، والمنيح، والسفيح، والوغد، لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة أجزاء، وقيل: ثمانية وعشرين إلا لثلاثة، وهي: المنيح، والسفيح، والوغد، ولبعضهم [من مجزوء الرمل]:

لِيَ فِي الدُّنْيَا سِهَامٌ لَيْسَ فِيهِنَّ رَبِيحُ
وَأَسَامِيهِنَّ: وَغْدٌ وَسَفِيحٌ وَمَنِيحُ[1]

للفذ سهم، وللتوءم سهمان، وللرقيب ثلاثة، وللحلس أربعة، وللنافس خمسة، وللمسبل ستة، وللمعلى سبعة، يجعلونها في الربابة وهي خريطة، ويضعونها على يدي عدل، ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها، فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء، أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح، ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئاً وغرم ثمن الجزور كله، وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها، ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه، ويسمونه البرم، وفي حكم الميسر: أنواع القمار، من النرد والشطرنج وغيرهما، وعن النبي - ﷺ -: «إياكم وهاتين اللعبتين المشئومتين فإنهما من ميسر العجم» (١٤٨) وعن عليّ - رضي الله عنه -: أنّ النرد

---

١٤٨ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص (٣٦٨)، حديث (١٢٧٥)، وأحمد (١/ ٤٤٦) بلفظ الكعبتان، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١٥) كتاب الشهادات باب كراهية اللعب بالنرد...، وابن عديّ (١/ ٢١٦). =

= لسحيم بن وثيل الرياحي. والشعب: اسم مكان. ويقال: يسره، إذا غلبه في لعب الميسر وهو القمار. واليأس هنا بمعنى العلم. وزهدم في الأصل فرخ البازي يسمى به الفرس لسرعته. أي أقول في هذا الموقع وقت أن غلبوني في الميسر وضربوني بسهامه: ألم تعلموا أني ابن الرجل الشجاع فارس تلك الفرس. والاستفهام للتقرير والتقريع. وروي: إذ يأسرونني، أي يأخذوني أسيراً عندهم. ويجوز أن المعنى: ألم تيأسوا وتقطعوا أطماعكم عما تريدون بي لأني ابن ذلك الفارس المشهور، فالاستفهام للتوبيخ والحث على اليأس من ذلك.
ينظر المحتسب (١/ ٣٥٧)، مجاز القرآن (١/ ٣٣٢)، تأويل المشكل (١٩٢، الطبري (١٦/ ٤٥٠)، القرطبي (٩/ ٣٢٠)، البحر المحيط ٥/ ٣٨٢، التهذيب ١٣/ ٦٠، ١٤٢، الصحاح ٣/ ٩٩٣، الدر المصون ٤/ ٢٤٣.

(١) الأسماء الثلاثة لأقلام الميسر التي لا نصيب لها من الجزور كل اسم لعلم، والوغد في الأصل: الخادم، والدنيء، وثمر الباذنجان: بخلاف السبعة الباقية فلها أنصباء. والكلام من باب التمثيل، شبّه حاله في الدنيا بحال من خرجت له تلك السهام في الميسر لعدم الظفر بالمرام. ويعد كونه كناية عن الكرم، حيث يعطي ولا يأخذ. ويروى بدل «وأساميهن» «إنما سهمي» بدليل: سهام قبله.

والشطرنج من الميسر (١٤٩)، وعن ابن سيرين: كل شيء فيه خطر، فهو من الميسر (١٥٠)، والمعنى: يسألونك عما في تعاطيهما؛ بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾: وعقاب الإثم في تعاطيهما. ﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾: وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار، والطرب فيهما، والتوصل بهما إلى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم، والنيل من مطاعمهم ومشاربهم وأعطياتهم، وسلب الأموال بالقمار، والافتخار على الأبرام[1]، وقرىء: «إثم كثير» ـ بالثاء ـ وفي قراءة أبيّ: «وإثمهما أقرب»، ومعنى الكثرة: أن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة، ﴿ٱلْعَفْوَ﴾: نقيض الجهد؛ وهو أن ينفق مالاً يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع؛ قال [من الطويل]:

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي[2] ....

= وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١١٦) وعزاه لأحمد والطبراني وقال: رجال الطبراني رجال الصحيح.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف أخرجه ابن مردويه من حديث سمرة بن جندب ومن حديث أبي موسى الأشعري نحوه ورواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد من وجهين عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود بلفظ «اتقوا هاتين اللعبتين المشؤومتين اللتين يزجران زجراً فإنهما من ميسر العجم». انتهى.

١٤٩ ـ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١٢): كتاب الشهادات باب الاختلاف في اللعب بالشطرنج أن علياً قال الشطرنج ميسر.
وابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٧)، حديث (٢٦١٥٠) وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ١٣٣)، حديث (١٣٠) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم في تفسيره، والثعلبي في تفسيره.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦٤) وزاد نسبته لابن المنذر.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي والثعلبي من طريق حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه «أن علياً قال في النرد والشطرنج: هما من الميسر وهو منقطع». انتهى.

١٥٠ ـ ذكره السيوطي في الدر (٢/ ٥٦٥) وعزاه لابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن ابن سيرين بلفظ أما كان من لعب فيه قمار أو قيام أو صياح أو شر فهو من الميسر.

---

(١) قوله «والافتخار على الأبرام» جمع للبرم بالتحريك، وهو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. كذا في الصحاح. (ع)

(٢)
خذي العفو منى تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
فإني رأيت الحب في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب
ولا تضربيني مرة بعد مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيب
لأسماء بن خارجة النزاري أحد حكماء العرب يخاطب زوجته حين بنى عليها. والعفو: السهل =

ويقال للأرض السهلة: العفو، وقرىء بالرفع والنصب، وعن النبي - ﷺ -.

أنّ رجلاً أتاه ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغازي فقال: خذها مني صدقة، فأعرض عنه رسول الله - ﷺ -؛ فأتاه من الجانب الأيمن، فقال مثله فأعرض عنه، ثم أتاه من الجانب الأيسر فأعرض عنه، فقال: «هاتها» مغضباً، فأخذها فخذفه بها خذفاً لو أصابه لشجه أو عقره، ثم قال: «يجيء أحدكم بماله كله يتصدّق به ويجلس يتكفف الناس! إنما الصدقة عن ظهر غنىً» (١٥١). ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: إمّا أن يتعلق بـ ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾، فيكون المعنى: لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين؛ فتأخذون بما هو أصلح لكم، كما بينت لكم أنّ العفو أصلح من الجهد في النفقة، أو تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع، ويجوز أن يكون إشارة إلى قوله: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، لتتفكروا(١) في عقاب الإثم في الآخرة والنفع في الدنيا، حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم، وإمّا أن يتعلق بـ ﴿يُبَيِّنُ﴾ على معنى: يبين لكم الآيات في أمر الدارين، وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون، لما نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠] اعتزلوا اليتامى، وتحاموهم، وتركوا مخالطتهم، والقيام بأموالهم، والاهتمام بمصالحهم، فشق ذلك عليهم، وكاد يوقعهم في الحرج، فقيل: ﴿إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾، أي: مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم، ﴿وَإِن

---

١٥١ - أخرجه الدارمي (١/٣٩١) كتاب الزكاة - باب النهي عن الصدقة بجميع ما عند الرجل. وأبو داود (٢/٣١٠) كتاب الزكاة - باب الرجل يخرج من ماله حديث (١٦٧٣) والحاكم (١/٤١٣) كتاب الزكاة - باب خير الصدقة ما كان عن ظهر غني، والبيهقي (٤/١٥٤) وابن خزيمة (٤/٩٨) رقم (٢٤٤١) من طرق عن محمد ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن جابر به وقال الحاكم - صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وصححه ابن حبان (٨/١٦٦) رقم (٣٣٧٢) وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٤/٦٦)، حديث (٢٠٨٤)، وعبد بن حميد في مسنده ص (٣٣٧)، حديث (١١٢١).
قال الحافظ ابن حجر:
أخرجه أبو داود وابن حبان والبزار والدارمي وأبو يعلى، وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وإسحاق في مسانيدهم: كلهم من رواية محمود بن لبيد عن جابر ورواه ابن سعد في ترجمة أبي حصين السلمي من رواية عمر بن الحكم بن ثوبان عن جابر قال «قدم أبو حصين السلمي بذهب أصابه من معدنهم فقضى منه ديناً كان عليه» فذكر الحديث مثل سياق أبي داود. وفي إسناده الواقدي. انتهى.

= اليسير. والسورة: شدة الغضب. واجتمعا: شارفا الاجتماع. ويذهب: استئناف وقع جواب سؤال مقدر، والضرب مجاز عن الإيذاء، والمغيب عاقبة الأمر، أي خذي السهل من أخلاقي لئلا يذهب حبي إياك ويذهب فيه رائحة الإضراب، أي بل يذهب.
ينظر: لسان العرب (عفا)، تاج العروس (عفا).

(١) قوله «أكبر من نفعهما لتتفكروا» لعله فيكون المعنى: لتتفكروا. (ع)

تُخَالِطُوهُمْ﴾: وتعاشروهم ولم تجانبوهم، ﴿فـ﴾ هم ﴿إخوانكم﴾: في الدين، ومن حق الأخ أن يخالط أخاه، وقد حملت المخالطة على المصاهرة، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾، أي: لا يخفى على الله من داخلهم بإفساد وإصلاح فيجازيه على حسب مداخلته، فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ﴾: لحملكم على العنت، وهو المشقة، وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم، وقرأ طاوس: «قل إصلح لهم»، ومعناه إيصال الصلاح، وقرىء: «لعنتكم»، بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على اللام؛ وكذلك: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ (1) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب، يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم، ولكنه: ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يكلف إلا ما تتسع فيه طاقتهم.

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)﴾

﴿وَلَا تَنكِحُواْ﴾: وقرىء بضم التاء، أي: لا تتزوّجوهنّ أو لا تزوّجوهن، و﴿ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾: الحربيات، والآية ثابتة، وقيل: المشركات الحربيات والكتابيات جميعاً، لأن أهل الكتاب من أهل الشرك، لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾ إلى قوله/٧٩ب تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١]، وهي منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [المائدة: ٥]، وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط؛ وهو قول ابن عباس والأوزاعي وروي أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين، وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق، فأتته وقالت: ألا نخلو؟ فقال: ويحك! إن الإسلام قد حال بيننا، فقالت: فهل لك أن تتزوّج بي؟ قال: نعم، ولكن أرجع إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأستأمره، فاستأمره، فنزلت: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ﴾ ولامرأة مؤمنة حرّة كانت أو مملوكة، وكذلك: ﴿وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ﴾ (١٥٢)؛ لأنّ الناس كلهم عبيد الله

---

١٥٢ ـ أخرجه أبو داود (٢/ ٢٢٠): كتاب النكاح: باب في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾، حديث (٢٠٥١)، والترمذي (٥/ ٣٢٨): كتاب تفسير القرآن: باب «ومن سورة النور»، حديث (٣١٧٧) والنسائي (٦/ ٦٦): كتاب النكاح باب تزويج الزانية، حديث (٣٢٢٨)، وأحمد (٢/ ١٥٨)، (٢/ ٢٢٥)، وعبد الله بن أحمد في الزوائد (٢/ ٢٢٥) والحاكم في المستدرك (٢/ ١٩٣، =

---

(١) قوله «وكذلك فلا إثم عليه» لعله: كذلك في طرح الهمزة، لا في نقل الحركة، وتطرح ألف المد لالتقاء الساكنين. فليحرر. (ع)

وإماؤه، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾: ولو كان الحال أنّ المشركة تعجبكم وتحبونها، فإنّ المؤمنة خير منها مع ذلك، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى المشركات والمشركين، أي: يدعون إلى الكفر فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين إلا المناصبة والقتال، ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾: يعني وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة، ﴿وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾: وما يوصل إليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم، وأن يؤثروا على غيرهم، ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به الجنة والمغفرة، وقرأ الحسن: «والمغفرةُ بإذنه» ـ بالرفع ـ أي: والمغفرة حاصلة بتيسيره.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾

﴿ٱلْمَحِيضِ﴾: مصدر، يقال: حاضت محيضاً، كقولك: جاء مجيئاً، وبات مبيتاً، ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: أي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له، ﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾: فاجتنبوهنّ؛ يعني: فاجتنبوا مجامعتهنّ، رُوي: أنّ أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة، لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجالسوها على فرش، ولم يساكنوها في بيت، كفعل اليهود والمجوس، فلما نزلت أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهنّ فأخرجوهنّ من بيوتهم، فقال ناس من الأعراب: يا رسول الله، البرد شديد، والثياب قليلة، فإن آثرناهن بالثياب، هلك سائر أهل البيت؛ وإن استأثرنا بها، هلكت الحِيَّضُ، فقال ـ عليه الصلاة

= ١٩٤) والبيهقي في سننه الكبرى (١٥٣/٧): كتاب النكاح: باب نكاح المحدثين وما جاء في قول الله عز وجل: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ . . .﴾.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٩/٥، ٤٠) وعزاه لعبد بن حميد وأبو داود والترمذي والنسائي، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم والبيهقي. عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به.

قال الحافظ: أورده الواحدي من تفسير الكلبي عن ابن عباس «أن رسول الله ـ ﷺ ـ بعث رجلاً يقال له: مرثد بن أبي مرثد فذكره» ونزولها في هذه القصة ليس بصحيح فقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال «كان رجل يقال له: مرثد بن أبي مرثد الغنوي. وكان رجلاً شديداً يحمل الأساري من مكة حتى يأتي بهم المدينة ـ الحديث بطوله. وفيه حتى نزلت ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ قال فدعاني رسول الله ـ ﷺ ـ، فقرأها عليّ. وقال لا تنكحها وكذا أخرجه أحمد وإسحاق والبزار. وقال لا نعلم أسند مرثد بن أبي مرثد إلاّ هذا الحديث. انتهى.

والسلام ـ: «إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهنّ إذا حضن، ولم يأمركم بإخراجهنّ من البيوت كفعل الأعاجم» (١٥٣)، وقيل: إنّ النصارى كانوا يجامعونهنّ، ولا يبالون بالحيض، واليهود كانوا يعتزلونهنّ في كل شيء، فأمر الله بالاقتصاد بين الأمرين، وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال، فأبو حنيفة وأبو يوسف: يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الإزار، ومحمد بن الحسن لا يوجب إلا اعتزال الفرج، وروى محمد حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنّ عبد الله بن عمر سألها: هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض؟ فقالت: تشدّ إزارها على سفلتها، ثم ليباشرها إن شاء (١٥٤)، وما روى زيد بن أسلم: أنّ رجلاً سأل النبيّ ـ ﷺ ـ: ما يحلّ لي من امرأتي وهي حائض؟ قال: «لتشدّ عليها إزارها/ ٨٠أ ثم شأنك بأعلاها» (١٥٥)، ثم قال: وهذا قول أبي حنيفة، وقد جاء ما هو أرخص من هذا عن عائشة ـ

---

١٥٣ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ١٣٧)، حديث (١٣٣) وقال الحافظ: لم أجده. انتهى.

١٥٤ ـ أخرجه مالك (١/ ٥٨): كتاب الطهارة: باب ما يحل للرجل من امرأته وهي حائض، حديث (٩٥)، والدارمي (١/ ٢٤٢): باب مباشرة الحائض، وعبد الرزاق في مصنفه (١/ ٣٢٣)، حديث (١٢٤١) من طريق نافع عن بن عمر عن عائشة.

قال الحافظ:

وفي الموطأ من رواية محمد بن الحسن: عن مالك عن نافع «أن عبد الله بن عمر أرسل إلى عائشة يسألها ـ فذكره» وكذا أخرجه رواة الموطأ عن مالك والشافعي وغيره. وأخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج عن سلمان ابن موسى عن نافع نحوه. انتهى.

١٥٥ ـ أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٥٧): كتاب الطهارة: باب ما يحل للرجل من امرأته وهي حائض، حديث (٩٣) والدارمي (١/ ٢٤١): كتاب... باب مباشرة الحائض، من طريق زيد بن أسلم أن رجلاً سأل النبي ـ ﷺ ـ... فذكره.

وأخرجه أبو داود (١/ ٥٥): كتاب الطهارة: باب في المذي، حديث (٢١٢، ٢١٣) عن عبد الله بن سعد، والثاني عن معاذ بن جبل وللحديث شواهد موصولة عن عائشة وميمونة.

ـ أما حديث عائشة:

فأخرجه البخاري (١/ ٤٠٣) كتاب الحيض: باب مباشرة الحائض حديث (٣٠٢) ومسلم (١/ ٢٤٢) كتاب الحيض: باب مباشرة الحائض فوق الإزار حديث (١/ ٢٩٣) وأبو داود (١/ ١٨٤) كتاب الطهارة: باب في الرجل يصيب من الحائض ما دون الجماع حديث (٢٦٨) والترمذي (١/ ٢٣٩) كتاب الطهارة: باب ما جاء في مباشرة الحائض حديث (٦٣٥) وابن ماجة (١/ ٢٠٨) كتاب الطهارة: باب ما للرجل من امرأته حديث (٦٣٥) والدارمي (١/ ٢٤٢) كتاب الطهارة: باب مباشرة الحائض وأحمد (٦/ ٧٤) من طريق الأسود عن عائشة قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله ـ ﷺ ـ أن يباشرها أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها...

ـ حديث ميمونة:

أخرجه البخاري (١/ ٤٠٥) كتاب الحيض: باب مباشرة الحائض حديث (٣٠٣) ومسلم (١/ ٢٤٣) كتاب الحيض: باب مباشرة الحائض فوق الإزار حديث (٣/ ٢٩٤) وأبو داود (١/ ١٨٣ ـ ١٨٤) كتاب الطهارة: باب في الرجل يصيب منها ما دون الجماع حديث (٢٦٧) عن ميمونة نحو حديث عائشة. =

رضي الله عنها ـ أنها قالت: يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك (١٥٦) وقرىء «يطهرن»: بالتشديد، أي: يتطهرن، بدليل قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، وقرأ عبد الله: «حتى يتطهرن»، و«يطهرن» بالتخفيف، والتطهر: الاغتسال، والطهر: انقطاع دم الحيض، وكلتا القراءتين مما يجب العمل به، فذهب أبو حنيفة إلى أن له أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل، وفي أقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل، أو يمضي عليها وقت صلاة، وذهب الشافعي إلى أنه لا يقربها حتى تطهر وتُطَهَّر، فتجمع بين الأمرين؛ وهو قول واضح، ويعضده قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾: من المأتي الذي أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾: مما عسى يندر منهم من ارتكاب مانهوا عنه من ذلك، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾: المتنزهين عن الفواحش، أو إنّ الله يحبّ التوّابين الذين يطهرون أنفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب، ويحب المتطهرين من جميع الأقذار: كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل، وإتيان ما ليس بمباح، وغير ذلك، ﴿حَرْثٌ لَكُمْ﴾: مواضع الحرث لكم، وهذا مجاز، شُبِّهْنَ بالمحارث تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور، وقوله: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾: تمثيل، أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم، لا تحظر عليكم جهة دون جهة، والمعنى: جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتي واحداً وهو موضع الحرث، وقوله: ﴿هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾، ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾: من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة، وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدّبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاورتهم ومكاتبتهم، وروي: أن اليهود كانوا يقولون: من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها، كان ولدها أحول، فذكر ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ: فقال كذبت اليهود ونزلت (١٥٧): ﴿وَقَدِّمُوا

= قال الحافظ رواه مالك في الموطأ عنه بهذا مرسلاً. ووصله الطبراني من رواية الدراوردي عن زيد بن أسلم وصفوان بن مسلم عن عطاء بن يسار مرسلاً. وفي الباب عن حزام بن حكيم عن عمه عبد الله بن سعد «أنه سأل رسول الله ـ ﷺ ـ: ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟ قال: لك ما فوق الإزار» أخرجه أبو داود. وعن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله ـ ﷺ ـ بنحوه ـ والتعفف عن ذلك أفضل وإسناده ضعيف. انتهى.

١٥٦ ـ أخرجه الدارمي (١/٢٤٣) كتاب الطهارة باب مباشرة الحائض من طريق خالد بن أيوب عن رجل عن عائشة أنها قالت لإنسان...

قال الحافظ أخرجه الدارمي من رواية أيوب عن رجل عن عائشة أنها قالت لإنسان «اجتنب شعار الدم ولك ما سواه» انتهى.

١٥٧ ـ أخرجه البخاري (٨/٣٧): كتاب التفسير: باب نساؤكم حرث لكم...، حديث (٤٥٢٨)، ومسلم (٢/١٠٥٨): كتاب النكاح: باب جواز جماعه...، حديث (١١٧/١٤٣٥)، وأبو داود (٢/ =

﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾: ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة، وما هو خلاف ما نهيتكم عنه، وقيل: هو طلب الولد، وقيل: التسمية على الوطء، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فلا تجترئوا على المناهي، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾: فتزوّدوا ما لا تفتضحون به، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات، فإن قلت: ما موقع قوله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ مما قبله؟ قلت: موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، يعني: أنّ المأتى الذي أمركم الله به هو مكان الحرث، ترجمة له وتفسيراً، أو إزالة للشبهة، ودلالة على أنّ الغرض الأصيل في الإتيان / هو طلب النسل لا قضاء الشهوة، فلا تأتوهنّ إلا من المأتي الذي يتعلق به هذا الغرض، فإن قلت: ما بال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾: جاء بغير واو ثلاث مرات، ثم مع الواو ثلاثاً؟ قلت: كان سؤالهم عن تلك الحوادث الأول وقع في أحوال متفرّقة، فلم يؤت بحرف العطف؛ لأنّ كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ، وسألوا عن الحوادث الأخر في وقت واحد، فجيء بحرف الجمع لذلك، كأنه قيل: يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر، والسؤال عن الإنفاق، والسؤال عن كذا وكذا.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥)﴾

= ٢٤٩): كتاب النكاح باب من جامع النكاح، حديث (٢١٦٣) والترمذي (٥/ ٢١٥): كتاب التفسير: باب ومن سورة البقرة، حديث (٢٩٧٨)، والنسائي (٦/ ٣٠٢) كبرى، كتاب عشرة النساء: باب نساؤكم حرث. . .، حديث (١١٠٣٨)، وابن ماجه (١/ ٦٢٠) كتاب النكاح: باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن، حديث (١٩٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٩٤): كتاب النكاح: باب إتيان النساء في أدبارهن والطحاوي (٣/ ٤٠): كتاب النكاح: باب وطء النساء في أدبارهن.

والدارمي (٢/ ١٤٥): كتاب النكاح: باب النهي عن إتيان النساء في أعجازهن. وابن حبان في صحيحه (٩/ ٤٧٤)، حديث (٤١٦٦)، والطبري في تفسيره (٤/ ٤٠٩)، حديث (٤٣٣٩)، وابن أبي شيبة (٣/ ٥١٧)، حديث (١٦٦٦٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٦٧، ٤٦٨)، وعزاه للستة، ووكيع، وابن شيبة، وعبد بن حميد وابن جرير وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في سننه.
قال الحافظ متفق عليه من طرق عن ابن المنكدر عن جابر: والتقييد لمسلم فقط. ولمسلم من رواية الزهري «إن شاء مجبية وإن شاء غير مجبية. غير أن ذلك في صمام واحد» وهو من قول الزهري. وأخرجه أصحاب السنن والبزار وابن حبان. وليس عند أحد منهم قول «فذكر ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ» وأخرجه البزار من طريق خصيف عن ابن المنكدر. وزاد فيه «وإنما الحرث من حيث يخرج الولد» تفرد به خصيف. وهو ضعيف. انتهى.

العرضة: فعلة بمعنى مفعول، كالقبضة والغرفة، وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الإناء فيعترض دونه ويصير حاجزاً ومانعاً منه، تقول: فلان عرضة دون الخير، والعرضة أيضاً: المعرض للأمر؛ قال [من الطويل]:

.... وَلاَ تَجْعَلُونِي عُرْضَةً لِلَّوَائِمِ(1)

ومعنى الآية على الأولى: أنّ الرجل كان يحلف على بعض الخيرات، من صلة رحم، أو إصلاح ذات بين، أو إحسان إلى أحد، أو عبادة، ثم يقول: أخاف الله أن أحنث في يميني، فيترك البرّ إرادة البرّ في يمينه، فقيل لهم: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾: أي حاجزاً لما حلفتم عليه، وسمي المحلوف عليه يميناً، لتلبسه باليمين، كما قال النبي - ﷺ - لعبد الرحمٰن بن سمرة: «إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك» (158) أي: على شيء مما يحلف عليه، وقوله: ﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ﴾: عطف بيان لأيمانكم، أي: للأمور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والإصلاح بين الناس، فإن قلت: بم تعلقت اللام في: لأيمانكم؟ قلت: بالفعل، أي: ولا تجعلوا الله لأيمانكم برزخاً وحجازاً، ويجوز أن يتعلق بـ ﴿عُرْضَةً﴾: لما فيها من معنى الاعتراض، بمعنى: لا تجعلوه شيئاً يعترض البر، من اعترضني كذا، ويجوز أن يكون اللام للتعليل، ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة، أي ولا تجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبروا (2)، ومعناها على الأخرى: ولا تجعلوا الله معرضاً لأيمانكم

---

158 - أخرجه البخاري (13/ 132): كتاب الأحكام: باب من سأل الإمارة وكل إليها، حديث (7147)، ومسلم (3/ 1273، 1274): كتاب الأيمان: باب ندب من حلف يميناً...، حديث (19/ 1652)، وأبو داود (3/ 130): كتاب الخراج والإمارة باب ما جاء في طلب الإمارة، حديث (2929) والترمذي (4/ 106): كتاب النذور والأيمان: باب ما جاء فيمن حلف...، حديث (1529)، والنسائي (7/ 10): كتاب الأيمان والنذور: باب النهي عن مسألة الإمارة، حديث (3782) وأحمد (5/ 61)، والدارمي (2/ 186): كتاب النذور والأيمان: باب من حلف على يمين فرأى غيرها خير منها، وابن الجارود (3/ 254) حديث (998) والبيهقي في سننه (10/ 53) وابن حبان في صحيحه (10/ 189)، حديث (4348) عن الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة... به.
قال الحافظ أخرجه الأئمة الخمسة من رواية الحسن البصري عن عبد الرحمن بن سمرة. انتهى.

---

(1) دعوني أنح وجداً كنوح الحمائم ولا تجعلوني عرضة للوائم
قيل هو لأبي تمام. يقول: اتركوني أنح لما بي من الوجد وحرقة العشق مثل نوح الحمائم. ويروى: لنوح الحمائم، فهو علة للمعلل مع علته. والعرضة: المعرض للأمر، أي: ولا تجعلوني معرضاً للوم اللوائم. أو المراد باللوائم: أنواع اللوم مبالغة، على حد: جد جده، لأن اللائم حقيقة فاعل اللوم.

(2) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا التقديرُ لا يصحُّ للفصلِ بين العاملِ ومعمولهِ بأجنبي، وذلك =

فتبتذلوه بكثرة الحلف به، ولذلك ذم من أنزل فيه: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ [القلم: ١٠] بأشنع المذامّ وجعل الحلاف مقدّمتها، وأن تبروا علة للنهي، أي: إرادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا، لأن الحلاف مجترىء على الله، غير معظم له، فلا يكون براً متقياً، ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم وإصلاح ذات بينهم، اللغو: الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره، ولذلك قيل لما لا يُعتدُّ به في الدية من أولاد الإبل، «لغو»: واللغو من اليمين: الساقط الذي لا يُعتدّ به في الأيمان، وهو الذي لا عقد معه، والدليل عليه: ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان﴾ [المائدة: ٨٩]، ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، واختلف الفقهاء فيه، فعند أبي حنيفة وأصحابه/٨١أ هو أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه، ثم يظهر خلافه، وعند الشافعي: هو قول العرب: لا والله، وبلى والله، بما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف، ولو قيل لواحد منهم: سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لأنكر ذلك، ولعله قال: لا والله ألف مرة، وفيه معنيان: أحدهما: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾: أي لا يعاقبكم بلغوة اليمين الذي يحلفه أحدكم بالظن، ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم، أي: اقترفته من إثم القصد إلى الكذب في اليمن، وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس، والثاني: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾: أي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه، ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم، أي: بما نوت قلوبكم وقصدت من الأيمان، ولم يكن كسب اللسان وحده ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: حيث لم يؤاخذكم باللغو في أيمانكم.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾

قرأ عبد الله: «آلوا من نسائهم»، وقرأ ابن عباس: «يقسمون من نسائهم»، فإن قلت: كيف عدي بمن، وهو معدى بعلى؟ قلت: قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد، فكأنه قيل: يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين، ويجوز أن يراد لهم: ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾، كقوله: لي منك كذا، والإيلاء من المرأة أن يقول: والله لا أقربك أربعة

= أنَّ «لأيمانكم» عنده متعلقٌ بـ «تجعلوا»، فوقع فاصلاً بين «عُرْضَة» التي هي العاملُ وبين «أَنْ تَبَرُّوا» الذي هو في أن تبروا، وهو أجنبيٌّ منهما. ونظيرُ ما أجازه أن تقولَ: «امرُرْ واضربْ بزيدٍ هنداً»، وهو غيرُ جائزٍ، ونَصُّوا على أنه لا يجوزُ: «جاءني رجلٌ ذو فرسٍ راكبَ أَبْلَقَ» أي رجلٌ ذو فرسٍ أبلقَ راكبٌ، لِما فيه من الفصلِ بالأجنبي. انتهى. الدر المصون.

أشهر فصاعداً على التقييد بالأشهر، أو لا أقربك على الإطلاق، ولا يكون في ما دون أربعة أشهر، إلا ما يحكى عن إبراهيم النخعي، وحكم ذلك: أنه إذا فاء إليها في المدة[1] بالوطء إن أمكنه أو بالقول إن عجز: صح الفيء، وحنث القادر، ولزمته كفارة اليمين، ولا كفارة على العاجز، وإن مضت الأربعة بانت بتطليقة عند أبي حنيفة، وعند الشافعي: لا يصح الإيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر ثم يوقف المولي، فإما أن يفيء وإما أن يطلق، وإن أبى، طلق عليه الحاكم، ومعنى قوله: ﴿فَإِن فَآءُو﴾: فإن فاؤا في الأشهر، بدليل قراءة عبد الله: «فإن فاؤا فيهن»، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالإيلاء وهو الغالب، وإن كان يجوز أن يكون على رضا منهن إشفاقاً منهن على الولد من الغيل[2]، أو لبعض الأسباب لأجل الفيئة التي هي مثل التوبة ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾: فتربصوا إلى مُضيِّ المدة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: وعيد على إصرارهم وتركهم الفيئة، وعلى قول الشافعي ـ رحمه الله ـ معناه ﴿فَإِن فَآءُو﴾، ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟﴾[3] بعد مضي المدة، فإن قلت: كيف موقع الفاء إذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدّة التربص؟[4] قلت: موقع صحيح، لأن قوله: ﴿فَإِن فَآءُو﴾، ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟﴾: تفصيل لقوله ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾، والتفصيل يعقب المفصل، كما تقول: أنا نزيلكم هذا الشهر، فإن أحمدتكم أقمت عندكم

---

(١) قال محمود رحمه الله: «وحكم ذلك أنه إذا فاء إليها في المدة... إلخ». قال أحمد رحمه الله: وهذا التفسير منزل على مذهب أبي حنيفة لأنه لا يرى الفيئة بعد انقضاء الأربعة الأشهر مفيدة إذا وقع الطلاق بنفس مضيها فلا تكون الفيئة معتبرة عنده إلا في أربعة الأشهر خاصة.

(٢) قوله «على الولد من الغيل» في الصحاح: اخترت الغيلة ـ بالكسر ـ بولد فلان، إذا أتيت أمه وهي ترضعه، أو حملت وهي ترضعه. والغيل ـ بالفتح ـ اسم ذلك الابن. (ع)

(٣) قوله «فإن فاؤا وإن عزموا» يعنى أن كلاً من الشرطين عند الشافعي بعد مضي المدة. (ع)

(٤) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت كيف موقع الفاء إذا كانت الفيئة قبل انقضاء مدة التربص إلخ» قال أحمد رحمه الله: هذا جواب عن سؤال موجّه على أبي حنيفة رضيَ الله عنه لأنه إذا رأى الفيئة في الأشهر الأربعة خاصة لا فيما بعدها والله تعالى عطف الفيئة على تربُّص أربعة أشهر بالفاء ومقتضاها كما علمت وقوع ما عطفه بعدما عطفه عليه فيلزم وقوع الفيئة المعتبرة بعد انقضاء الأشهر الأربعة، وأبو حنيفة يأباه فلذلك أجاب عنه الزمخشري بجوابه المتقدم والسؤال عندي يندفع بطريق آخر وهو أن المعطوف عليه التربُّص وهو حاصل من أول المدة لوقوع الفيئة في المدة بعد التبرُّص فلا يحتاج إلى الجواب بالمثال المذكور وإنما أوقع الزمخشري في التزام السؤال تسليمه لتقدم الفيئة في الأربعة الأشهر على تربُّصها بناء منه على أنه لا يصدق قول القائل قد تربصت بفلان أربعة أشهر إلا إذا انقضت المدة وليس الأمر كذلك فإنه يصدق من الحاكم أن يقول عند ضرب أجل المولى قد تربصت لك أربعة أشهر كما قال الله تعالى لينظر أيفيء أم لا، ويصدق رب الدين في أن يقول لمديانه حالة القرض قد أجلك بهذا الدين سنة وإن كان المقتضى منها حينئذٍ دقيقة واحدة فلذلك التربُّص المعطوف عليه في الآية واقع عند ضرب الأجل المذكور فالفيئة الواقعة في الأجل إنما يقع بعده، فالفاء على بابها المعروف.

إلى آخره، وإلا لم أقم إلا ريثما أتحوّل[1]. فإن قلت: ما تقول في قوله/ ٨١ب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2] وعزمهم الطلاق بما يعلم ولا يسمع؟ قلت: الغالب أن العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار، لا يخلو من مقاولة ودمدمة[3]، ولا بد له من أن يحدّث نفسه ويناجيها بذلك، وذلك حديث لا يسمعه إلا الله كما يسمع وسوسة الشيطان، ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾: أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء، فإن قلت: كيف جازت إرادتهن خاصة، واللفظ يقتضي

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وليس بصحيح؛ لأنَّ ما مثّله ليس بنظيرِ الآيةِ، ألا ترى أنَّ المثالَ فيه إخبارٌ عن المُفَصَّل حالُه، وهو قولُه: «أنا نُزيلكم هذا الشهر»، وما بعد الشرطينِ مُصَرَّحٌ فيه بالجوابِ الدالِّ على اختلافِ متعلَّقِ فعلِ الجزاء، والآيةُ ليسَتْ كذلك؛ لأنَّ الذين يُؤْلُون ليس مُخْبَراً عنهم ولا مُسْنَداً إليهم حكمٌ، وإنما المحكومُ عليه تربُّصهم، والمعنى: تربُّص المُؤْلِين أربعةُ أشهر مشروعٌ لهم بعد إيلائِهم، ثم قال: «فإنْ فاؤوا وإنْ عَزَموا» فالظاهرُ أنَّهُ يَعْقُبُ تربُّصَ المدةِ المشروعةِ بأسْرِها، لأنَّ الفيئةَ تكونُ فيها، والعَزْمَ على الطلاقِ بعدَها، لأنَّ التقييدَ المغايرَ لا يَدُلُّ عليه اللفظُ، وإنما يُطابقُ الآيةَ أَنْ تقولَ: «للضيفِ إكرامُ ثلاثةِ أيام، فإنْ أقامَ فنحنُ كرماءُ مُؤْثِرونَ وإنْ عَزَم على الرحيلِ فله أنْ يَرْحَلَ» فالمتبادَرُ إلى الذِّهْنِ أنَّ الشرطينِ مُقَدَّران بعدَ إكرامِه». انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود رحمه الله: «فإن قلت: ما القول في قوله فإن الله سميع عليم... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: في هذا الجواب إسلاف جواب عن سؤال آخر يتوجه على أبي حنيفة رضيَ الله عنه فيقال له: إذا كان مضى الأربعة الأشهر يوجب عندك وقوع الطلاق بنفسه غير موقوف على إيقاع من أحد، فما الذي يسمع إذاً؟ وهو أمكن من السؤال الذي قدره الزمخشري، فإن لقائل أن يقول: عبر بالعزم عن الإيقاع لأنه يستلزمه غالباً، وفي أثناء كلامه نكتة تحتاج إلى التنبيه عند قوله: والعزم بما يعلم ولا يسمع، والذي ننبه عليه أن قاعدة أهل السنة أن كل موجود يجوز أن يسمع، حتى الجواهر والألوان والمعاني بجملتها. وكذلك يعتقد أن موسى عليه السلام سمع الكلام القديم وليس بحرف ولا صوت. فلا يتوقف السمع عندهم على أن يكون المسموع صوتاً ولا نطقاً، غير أن المعتاد انقسام الموجودات إلى مسموع ومرئي وملموس ومشموم ومذوق وهو المعلوم بالحس، وإلى معلوم بغير ذلك. وعلى هذا المعتاد جرت عادة خطاب الله تعالى لعبده، وإن كان الزمخشري ثابتاً فيما قاله على الأمر العرفي معتقداً ما ذكرناه من حيث المعروف ـ وما أراه كذلك ـ فالأمر سهل. وإن كان أخرج كلامه المذكور على قاعدة الاعتزال ـ وهو الظاهر من حاله في اعتقاد أن ما عدا الأصوات لا يجوز أن يسمع عقلاً ـ فالحذر الحذر من هذه القاعدة الفاسدة والله المستعان. ثم لا بد لنا في مسألة الإيلاء من البصر لما يعتقده من مذهب مالك رضيَ الله عنه، ومذهب مالك رضيَ الله عنه هو الذي اقتفاه الشافعي رضيَ الله عنه في المسألة فنقول: مضى الأربعة الأشهر بمجرده لا يوجب وقوع الطلاق على الزوج، لأن الأصل بقاء العصمة، وقد جعل الله له الفيئة بعد تربُّص الأجل المذكور، ونحن وإن بينا أولاً أن الآية لا تأبى وقوع الفيئة في الأجل وهي أيضاً تأبى وقوعها بعد الأجل، فينتظم من أصليه، أعني بقاء العصمة. والسلامة من معارضة الآية، وقوع الفيئة المعتبرة بعد الأجل، وبقاء العصمة بعد الأجل، استصحاباً للأصل غير معارض بالآية، وهو المطلوب.

(٣) قوله «لا يخلو من مقاولة ودمدمة» في الصحاح: دمدمت الشيء إذا ألزقته بالأرض، لكنه غير مناسب هنا، فلعله زمزمة بالزاي. وفي الصحاح: الزمزمة صوت الرعد. والزمزمة: كلام المجوس عند أكلهم. أو رمرمة بالراء، وفي الصحاح: ترمرم، إذا حرك فاه للكلام اهـ. وهذا أنسب. (ع)

العموم؟ قلت: بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه، فجاء في أحد ما يصلح له كالاسم المشترك، فإن قلت: فما معنى الإخبار عنهن بالتربص؟ قلت: هو خبر في معنى الأمر، وأصل الكلام: وليتربص المطلقات، وإخراج الأمر في صورة الخبر، تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجوداً، ونحوه قولهم في الدعاء: رحمك الله، أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة، كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها، وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضاً فضل تأكيد، ولو قيل: ويتربص المطلقات، لم يكن بتلك الوكادة، فإن قلت: هلا قيل: يتربصن ثلاثة قروء، كما قيل: ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ وما معنى ذكر الأنفس؟ قلت: في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث، لأن فيه ما يُستنكف منه فيحملهن على أن يتربصن، وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال، فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص، والقروء: جمع قرء أو قرء، وهو الحيض، بدليل قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «دعي الصلاة أيام أقرائك» (١٥٩) وقوله: «طلاق الأمة تطليقتان، وعدتها حيضتان» (١٦٠) ولم يقل طهران، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ

----

١٥٩ ـ أخرجه الدارقطني في سننه (١/ ٢١٧): كتاب الحيض حديث (٥٦)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ١٠٠، ١٠١).

قال الحافظ: أخرجه الطحاوي والدارقطني من حديث فاطمة بنت أبي حبيش «أنها قالت: يا رسول الله إني امرأة أستحاض فلا أطهر قال: دعى الصلاة أيام أقرائك ثم اغتسلي وصلي». انتهى.

١٦٠ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٦٦٥) في الطلاق، باب في سنة طلاق العبد (٢١٨٩)، والترمذي (٣/ ٤٨٨) في الطلاق، باب ما جاء أن طلاق الأمة تطليقتان (١١٨٢) وابن ماجه (١/ ٦٧٢) في الطلاق، باب في طلاق الأمة وعددها (٢٠٨٠) والدارقطني (٤/ ٣٩)، والحاكم (٢/ ٢٠٥)، والبيهقي (٧/ ٣٦٩) عن أبي عاصم نا ابن جريج عن مظاهر عن القاسم بن محمد عن عائشة قال رسول الله ـ ﷺ ـ طلاق الأمة تطليقتان، وقرؤها حيضتان. قال أبو عاصم: فلقيت مظاهراً فحدثني عن القاسم عن عائشة عن النبي ـ ﷺ ـ مثله إلاّ أنه قال: وعدتها حيضتان.

قال أبو داود: وهو حديث مجهول.

وقال الترمذي: حديث عائشة حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً، إلاّ من حديث مظاهر بن أسلم، ومظاهر، لا نعرف له في العلم غير هذا الحديث.

وقال البيهقي: بإسناده عن ابن حماد يقول. قال البخاري: مظاهر بن أسلم عن القاسم عن عائشة، ضعفه أبو عاصم.

ويشهد له حديث ابن عمر أخرجه ابن ماجه (٢٠٧٩) والدارقطني (٤/ ٣٨)، والبيهقي (٧/ ٣٦٩) عن عمر بن شبيب المسلي عن عبد الله بن عيسى عن عطية عن ابن عمر قال رسول الله ـ ﷺ ـ: طلاق الأمة اثنتان، وعدتها حيضتان.

وقال البيهقي والدارقطني: تفرد به عمر بن شبيب المسلي هكذا مرفوعاً، وكان ضعيفاً. والصحيح ما رواه سالم ونافع عن ابن عمر موقوفاً.

=

مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ [الطلاق: ٤] فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار، ولأن الغرض الأصيل في العدة استبراء الرحم، والحيض هو الذي تستبرأ به الأرحام دون الطهر؛ ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة؛ ويقال أقرأت المرأة، إذا حاضت، وامرأة مقرىء، وقال أبو عمرو بن العلاء: دفع فلان جاريته إلى فلانة تقرئها، أي: تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء، فإن قلت: فما تقول: في قوله تعالى: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [الطلاق: ١]، والطلاق الشرعي، إنما هو في الطهر؟ قلت: معناه مستقبلات لعدتهن، كما تقول: لقيته لثلاث بقين من الشهر، تريد مستقبلاً لثلاث، وعدتهنّ الحيض الثلاث، فإن قلت: فما تقول في قول الأعشى [من الطويل]:

.... لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا[(١)]

قلت: أراد: لما ضاع فيها من عدّة نسائك، لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن،

= وأخرجه مالك (٢/ ٥٧٤) في الطلاق، باب ما جاء في طلاق العبد (٥٠) ومن طريقه أخرجه البيهقي (٧/ ٣٦٩) عن نافع عن ابن عمر موقوفاً.
وأخرجه الدارقطني (٤/ ٣٨) عن سالم ونافع عن ابن عمر موقوفاً.
وقال الدارقطني: وهذا هو الصواب. وحديث عبد الله بن عيسى عن عطية عن ابن عمر عن النبي - ﷺ - منكر غير ثابت من وجهين:
أحدهما: أن عطية ضعيف. وسالم ونافع أثبت منه وأصح رواية.
والوجه الآخر: أن عمر بن شبيب ضعيف الحديث، لا يخبر بروايته.
قال الحافظ، أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية مظاهر بن أسلم عن القاسم عن عائشة بهذا ومظاهر ضعيف. ورواه ابن ماجه والدارقطني من رواية عطية عن ابن عمر نحوه: وفيه عمر بن شبيب وهو ضعيف. انتهى.

---

(١) أفي كل عام أنت جاشم غزوة تشدّ لأقصاها عزيم عزائكا؟
مؤثلة مالاً وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا

للأعشى، يقول لجاره: أينبغي أن تتجشم وتكلف نفسك في كل عام دخول غزوة واقتحام مكارهها، تشد وتوثق عزيمة صبرك، لأقصاها: أي أبعدها وأعلاها أو غايتها ومنتهاها. ومؤثلة أي مؤصلة على اسم الفاعل. ويروى مورثة، أي تورثك تلك الغزوة مالاً كثيراً بغنائمها، ورفعة لك في الحي لأجل ما ضاع فيها أي في الأعوام المعلومة من ذكر كل عام. واللام للعاقبة، شبه ضياع القروء المترتب على خروجه للغزو بأمر مرغوب على طريق المكنية ولام العلة تخييل، أو شبه ترتب المرغوب عنه بترتب المرغوب فيه. واستعار له اللام على طريق التصريحية، وفيها نوع توبيخ. ويجوز أن ذلك الاستفهام للتعجُب، فقوله «لما ضاع فيها» من تمام العجب. والأقراء التي تضيع على الزوج هي الأطهار، لأنها التي يوطأن فيها. لا الحيض، وضياع ذلك يؤدي إلى انقطاع النسل.
ينظر ديوانه (٩١)، المحتسب ١/ ١٨٣، الهمع ٢/ ١٤١، الدرر ٢/ ١٩٤، الدر المصون ١/ ٥٥٥، فتح القدير ١/ ٣٠٦.

أي: من مدّة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء، استطال مدة غيبته عن أهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات، وأنه تمرّ على نسائه/ ٨٢أ مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعن فيها، أو أراد من أوقات نسائك، فإنّ القرء والقارىء جاء في معنى الوقت، ولم يرد لا حيضاً ولا طهراً، فإن قلت: فعلام انتصب ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾؟ قلت: على أنه مفعول به كقولك: المحتكر يتربص الغلاء، أي: يتربصن مضيّ ثلاثة قروء، أو على أنه ظرف، أي: يتربصن مدة ثلاثة قروء، فإن قلت: لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء؟ قلت: يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية، ألا ترى إلى قوله: ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾، وما هي إلا نفوس كثيرة، ولعل القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قرء من الأقراء، فأوثر عليه تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل، فيكون مثل قولهم: ثلاثة شسوع، وقرأ الزهري: «ثلاثة قرو»، بغير همزة، ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ﴾: من الولد أو من دم الحيض، وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع، ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها، أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض: قد طهرت؛ استعجالاً للطلاق، ويجوز أن يراد اللاتي يبغين إسقاط ما في بطونهن من الأجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك، فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه، ﴿إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾: تعظيم لفعلهن، وأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترىء على مثله من العظائم، والبعولة: جمع بعل، والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة، ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك: بعل حسن البعولة، يعني: وأهل بعولتهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: برجعتهن، وفي قراءة أبيّ: «بردّتهن»: ﴿في ذلك﴾ في مدة ذلك التربص، فإن قلت: كيف جُعلوا أحق بالرجعة، كأن للنساء حقاً فيها؟ قلت: المعنى أنّ الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة، وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها، إلا أن لها حقاً في الرجعة، ﴿إِنۡ أَرَادُوٓاْ﴾: بالرجعة، ﴿إِصۡلَٰحٗاۚ﴾: لما بينهم وبينهن، وإحساناً إليهن ولم يريدوا مضارّتهنّ، ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ﴾: ويجب لهنّ من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهنّ، ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾: بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهنّ ولا يكلفونهنّ ما ليس لهم ولا يعنف أحد الزوجين صاحبه، والمراد بالمماثلة: مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة، لا في جنس الفعل، فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك، ولكن يقابله بما يليق بالرجال، ﴿دَرَجَةٞۗ﴾: زيادة في الحق وفضيلة، قيل: المرأة تنال من اللذة ما ينال الرجل، وله الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ

ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾

﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾: بمعنى التطليق، كالسلام بمعنى التسليم، أي: التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال/ ٨٢ب دفعة واحدة، ولم يرد بالمرتين التثنية، ولكن التكرير، كقوله: (ثم ارجع البصر كرّتين) [الملك: ٤] أي: كرّة بعد كرّة، لا كرّتين اثنتين، ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم: لبيك، وسعديك، وحنانيك، وهذاذيك، ودواليك، وقوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾: تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون، بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهنّ، وبين أن يسرحوهنّ السراح الجميل الذي علمهم، وقيل: معناه الطلاق الرجعي مرّتان، لأنه لا رجعة بعد الثلاث، فإمساك بمعروف أي: برجعة، أو تسريح بإحسان أي: بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدّة، أو بأن لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها، وقيل: بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث، ورُوي: أنّ سائلاً سأل رسول الله ـ ﷺ ـ: أين الثالثة؟ فقال: عليه الصلاة والسلام ـ: «أو تسريح بإحسان» (١٦١) وعند أبي حنيفة وأصحابه: الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة، والسنة أن لا يوقع عليها إلا واحدة في طهر لم

---

١٦١ ـ أخرجه الدارقطني (٤/ ٣، ٤): كتاب الطلاق، حديث (١، ٢) الأول عن قتادة عن أنس، والثاني عن إسماعيل بن سميع الحنفي عن أنس وأخرجه أبو داود في المراسيل ص(١٨٩)، حديث (٢٢٠) وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ١٩٠)، حديث (١٩٢١٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٣٣٧، ٣٣٨)، حديث (٩١ ـ ١١) مرسلاً.
والبيهقي في سننه الكبرى (٧/ ٣٤٠): كتاب الخلع والطلاق: باب ما جاء في موضع الطلقة الثالثة من كتاب الله عز وجل. عن أنس وكذلك مرسلاً وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٩٥) وعزاه لابن مردويه والبيهقي عن أنس ولأحمد ووكيع وعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس وابن مردويه والبيهقي، عن أبي رزين الأسدي قال: قال رجل. . .
قال الحافظ ابن حجر أخرجه الدارقطني من رواية عبد الواحد بن زياد عن إسماعيل بن سميع عن أنس به. وقال في العلل: وهم فيه ليث بن حماد رواية عن عبد الواحد. والمحفوظ عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين مرسلاً. وقد أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي معاوية. وعبد الرزاق عن الثوري كلاهما عن إسماعيل بن سميع. ورواه الدارقطني أيضاً من رواية حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس قال قال رجل لرسول الله ـ ﷺ ـ «إني أسمع الله يقول: الطلاق مرتان فأين الثالثة؟ قال: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، هي الثالثة». انتهى.

يجامعها فيه، لما روي في حديث ابن عمر: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال له: «إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالاً فتطلقها لكل قرء تطليقة» (١٦٢) وعند الشافعي، لا بأس بإرسال الثلاث، لحديث العجلاني الذي لاعن امرأته، فطلقها ثلاثًا بين يدي رسول الله ـ ﷺ ـ فلم ينكر عليه (١٦٣) رُوي: أنّ جميلة بنت عبد الله بن أبيّ كانت تحت ثابت بن قيس بن

---

١٦٢ ـ أخرجه الدارقطني (٤/ ٣١) كتاب الطلاق: حديث (٨٤) من طريق شعيب بن رزيق أن عطاء الخراساني حدثهم عن الحسن عن ابن عمر فذكره.

وذكره عبد الحق في الأحكام الوسطى (٣/ ١٩٢) من طريق الدارقطني.

وقال: معلى بن منصور رماه أحمد بن حنبل بالكذب قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢١)، وقال صاحب التنقيح: عطاء الخراساني قال ابن حبان: كان صالحاً غير أنه كان رديء الحفظ كثير الوهم فبطل الاحتجاج به وقد صرَّح الحسن بسماعه من ابن عمر، قال الإمام أحمد فيما رواه عنه ابنه صالح: الحسن سمع من ابن عمر، وكذلك قال أبو حاتم وقيل لأبي زرعة: الحسن لقي ابن عمر؟ قال نعم. ا.هـ. والحديث علّقه الإمام البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٥/ ٤٦١) كتاب الخلع والطلاق: باب الإختيار في الطلاق عن عطاء الخراساني عن الحسن عن ابن عمر وقال: عطاء الخراساني أتى في هذا الحديث بزيادات لم يتابع عليها وهو ضعيف في الحديث لا يقبل منه ما يتفرد به. ا.هـ.

قلت: وقد أعل البيهقي الحديث بعطاء فقط مع أن معلى أسوأ حالاً منه لأن معلى قد توبع على هذا الحديث تابعه يحيى بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي.

أخرجه الطبراني في «الكبير» كما في «نصب الراية (٣/ ٢٢٠) من طريق علي بن سعيد الرازي عن يحيى بن عثمان به.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٣٣٩): رواه الطبراني وفيه على ابن سعيد الرازي قال الدارقطني: ليس بذاك وعظمه غيره وبقية رجاله ثقات.

قال الحافظ: أخرجه الدارقطني والطبراني من رواية شعيب بن رزين أن عطاء الخراساني حدثهم عن الحسن قال: حدثنا عبد العزيز بن عمير «أنه طلق امرأته تطليقة وهي حائض» ثم أراد أن يتبعها بتطليقتين آخرتين عند القرأين فبلغ ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ. فقال: يا ابن عمير، ما هكذا أمرك الله. قد أخطأت السنة، والسنة أن تستقبل الطهر فتطلق لكل قرء: فأمرني بمراجعتها. فقال: إذا طهرت فطلق عند ذلك أو أمسك ـ الحديث». انتهى.

١٦٣ ـ أخرجه مالك (٢/ ٥٦٦ ـ ٥٦٧) كتاب الطلاق: باب ما جاء في اللعان حديث (٣٤) والبخاري (٩/ ٣٦١) كتاب الطلاق: باب من جوز الطلاق الثلاث حديث (٥٢٥٩) ومسلم (٢/ ١١٢٩ ـ ١١٣٠) كتاب اللعان حديث (١/ ١٤٩٢) وأبو داود (٢/ ٦٧٩ ـ ٦٨٢) كتاب الطلاق: باب في اللعان حديث (٢٢٤٥) والنسائي (٦/ ١٧٠ ـ ١٧١) كتاب الطلاق باب بدء اللعان، وابن ماجه (١/ ٦٦٧) كتاب الطلاق: باب اللعان حديث (٢٠٦٦) وأحمد (٥/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) والدارمي (٢/ ١٥٠) كتاب النكاح: باب في اللعان وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٧٥٦) وابن حبان (٤٢٧١ ـ الإحسان) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ١٠٢) والبيهقي (٧/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) كتاب اللعان: باب سنة اللعان، والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٨١ ـ بتحقيقنا) من طريق الزهري عن سهل بن سعد به.

قال الحافظ ابن حجر متفق عليه من حديث سهل بن سعد لكن قيل: إن قوله «فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره النبي ـ ﷺ ـ بطلاقها» من كلام الزهري رواية عن سهل. (تنبيه) قال عبد الحق في الأحكام: =

شماس وكانت تبغضه وهو يحبها، فأتت رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت: يا رسول الله، لا أنا ولا ثابت، لا يجمع رأسى ورأسه شيء، والله، ما أعيب عليه في دين ولا خلق، ولكني أكره الكفر في الإسلام، ما أطيقه بغضاً، إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدّة فإذا هو أشدهم سوادًا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً، فنزلت، وكان قد أصدقها حديقة، فاختلعت منه بها، وهو أوّل خلع كان في الإسلام (١٦٤)، فإن قلت: لمن الخطاب في قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا﴾؟ إن قلت للأزواج لم يطابقه قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ

= لم يصح اللفظ بالثلاث إلاّ في حديث الملاعن. وتعقب بما في مسلم عن فاطمة بنت قيس قالت «طالقني زوجي ثلاثاً فخاصمته. . . الحديث». انتهى.

١٦٤ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٣٩٥) كتاب الطلاق: باب الخلع حديث (٥٢٧٣) والنسائي (٦/ ١٦٩) كتاب الطلاق: باب ما جاء في الخلع وابن ماجه (١/ ٦٦٣) كتاب الطلاق: باب المختلعة تأخذ ما أعطاها حديث (٢٠٥٦) والدارقطني (٤/ ٤٦) كتاب الطلاق والخلع والإيلاء (١٣٥) والبيهقي (٧/ ٣١٣) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٤١ ـ ١٤٢ ـ بتحقيقنا) من طريق عكرمة عن ابن عباس به.
وأخرجه أبو داود (١/ ٦٧٧) كتاب الطلاق: باب في الخلع حديث (٢٢٢٩) والترمذي (٣/ ٤٩١) كتاب الطلاق: باب ما جاء في الخلع حديث (١١٨٥) مكرر من طريق عكرمة عن ابن عباس بلفظ: أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت منه فجعل النبي ـ ﷺ ـ عدتها حيضة.
وقال الترمذي: حسن غريب.
وقال أبو داود: وهذا الحديث رواه عبد الرزاق عن معمر عن عمرو بن مسلم عن عكرمة عن النبي ـ ﷺ ـ مرسلاً.
وأخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣).
قال الحافظ: أخرجه الطبري في تفسيره: حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا معتمر بن سليمان قال: قرأت على فضيل عن أبي جرير أنه سأل عكرمة «هل كان للخلع أصل؟ قال: كان ابن عباس يقول: إن أول خلع كان في الإسلام في أخت عبد الله بن أبي بن سلول، أتت رسول الله ـ ﷺ ـ فذكره «ولم يسمها» وقد سماها البخاري من رواية حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة «أن جميلة ـ فذكره» ولابن ماجه من رواية أخرى عن عكرمة عن ابن عباس «أن جميلة بنت سلول» وكذا أخرجه عبد الرزاق من وجه آخر «أن امرأة أتت النبي ـ ﷺ ـ، وهي جميلة بنت عبد الله بن أبي» وعند الدارقطني من طريق ابن جريج أخبرنا أبو الزبير «أن ثابت بن قيس كانت عنده زينب بنت عبد الله بن أبي. وكان أصدقها حديقة، فكرهته ـ إلى آخره» فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون لها اسمان. وقد رويت القصة لغيرها. وفي الموطأ عن يحيى بن سعيد عن عمرو عن حبيبة بنت سهل «أنها كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس، وأن رسول الله ـ ﷺ ـ خرج إلى الصبح فوجدها عند بابه في الغلس. فقال من هذه؟ قالت: أنا حبيبة بنت سهل. قال: ما شأنك؟ قالت: لا أنا ولا ثابت بن قيس» ومن طريقه أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد، ولابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «كانت حبيبة بنت سهل تحت ثابت بن قيس بن شماس، وكان رجلاً دميماً. فقالت: يا رسول الله لو لا مخافة الله لبزقت في وجهه: فقال: أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم. فردت عليه حديقته. وفرق بينهما» ولأحمد من حديث سهل بن أبي حثمة قال «كانت بنت سهل ـ الحديث». انتهى.

ٱللَّهِ﴾، وإن قلت للأئمة والحكام، فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن؟ قلت: يجوز الأمران جميعاً: أن يكون أوّل الخطاب للأزواج، وآخره للأئمة والحكام، ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره، وأن يكون الخطاب كله للأئمة والحكام، لأنهم الذين يأمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم، فكأنهم الآخذون والمؤتون، ﴿مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾: مما أعطيتموهنّ من الصدقات، ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: إلا أن يخاف الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية، لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها/ ٨٣أ فيما أعطت، ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾: فيما فدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر، والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم، ورُوي أن امرأة نشزت على زوجها فرفعت إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ، فأباتها في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال: كيف وجدت مبيتك؟ قالت: ما بت منذ كنت عنده أقر لعيني منهن، فقال لزوجها: اخلعها ولو بقرطها (١٦٥)، قال قتادة: يعني بمالها كله، هذا إذا كان النشوز منها، فإن كان منه، كره له أن يأخذ منها شيئاً، وقرىء «إلا» أن يخافا، على البناء للمفعول وإبدال أن لا يقيما من ألف الضمير، وهو من بدل الاشتمال كقولك: خيف زيد تركه إقامة حدود الله، ونحوه: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ [الأنبياء: ٣] ويعضده قراءة عبد الله: ﴿إلا أن تخافوا﴾ وفي قراءة أبي: «إلا أن يظنا»، ويجوز أن يكون الخوف بمعنى الظن، يقولون: أخاف أن يكون كذا، وأفرق أن يكون، يريدون أظن، ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾: الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾، واستوفى نصابه، أو فإن طلقها مرة ثالثة بعد المرّتين، ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾: من بعد ذلك التطليق، ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾: حتى تتزوّج غيره، والنكاح يسند إلى المرأة، كما يسند إلى الرجل كما التزوج، ويقال: فلانة ناكح في بني فلان، وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد ابن المسيب، والذي عليه الجمهور أنه لا بد من الإصابة، لما روى عروة عن ـ عائشة رضي الله عنها ـ: أنّ امرأة رفاعة جاءت إلى النبي ـ ﷺ ـ فقالت: إن رفاعة طلقني فبت طلاقي وإن عبد الرحمٰن بن الزبير تزوّجني، وإنما معه مثل هدبة الثوب وإنه طلقني قبل أن يمسني، فقال

---

١٦٥ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ١٢٥)، حديث (١٨٥٢٥) وعبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٥٠٥)، حديث (١١٨٥١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٥٠٢) في تفسير سورة البقرة الآية (٢٢٩).
وعزاه عبد الرزاق، وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي.
قال الحافظ: أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة والطبري وإبراهيم الحربي في أواخر الغريب له كلهم من رواية أيوب عن كثير مولى سمرة «أن عمر أتى بامرأة ناشزة فذكره» قال إبراهيم: الناشز التي تعصى زوجها. انتهى.

رسول الله ـ ﷺ ـ: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عُسيلته ويذوق عُسيلتك (١٦٦)، ورُوي: أنها لبثت ما شاء الله، ثم رجعت، فقالت: إنه كان قد مسني،

---

١٦٦ ـ أخرجه مالك (٢/ ٥٣١) كتاب النكاح: باب نكاح المحلل وما أشبهه حديث (١٧) من طريق المسور بن رفاعة القرظي عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير أن رفاعة بن سموال طلق امرأته. . .
ومن طريق مالك أخرجه الشافعي في «الأم» (٥/ ٢٤٨) باب نكاح المطلقة ثلاثاً وابن حبان (١٣٢٣ ـ موارد) والبيهقي (٧/ ٣٧٥) كتاب الرجعة: باب نكاح المطلقة ثلاثاً.
قال السيوطي في «تنوير الحوالك» (٢/ ٦) قال ابن عبد البر: كذا لأكثر الرواة مرسل ووصله ابن وهب عن مالك فقال عن أبيه وابن وهب من أجل من روى عن مالك هذا الشأن وأثبتهم فيه وتابعه أيضاً ابن القاسم وعلي بن زياد وإبراهيم بن طهمان وعبيد الله بن عبد المجيد الحنفي كلهم عن مالك وقالوا فيه: عن أبيه وهو صاحب القصة. ا.هـ.
ومن طريق ابن وهب أخرجه ابن الجارود (٦٨٢) والبيهقي (٧/ ٣٧٥) كتاب الرجعة: باب نكاح المطلقة ثلاثاً.
وأخرجه البزار (٢/ ١٩٤ ـ كشف) رقم (١٥٠٤) من طريق عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي ثنا مالك بن أنس عن المسور بن رفاعة عن الزبير عن عبد الرحمن بن الزبير عن أبيه.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٤٣): رواه البزار والطبراني ورجالهما ثقات وقد رواه مالك في الموطأ مرسلاً وهو هنا متصل. ا.هـ.
وقد ورد هذا الحديث موصولاً من حديث عائشة.
أخرجه أحمد (٦/ ٢٢٦) والبخاري (٥/ ٢٤٩) كتاب الشهادات: باب شهادة المختبىء حديث (٢٦٣٩) ومسلم (٢/ ١٠٥٥ ـ ١٠٥٦) كتاب النكاح: باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره حديث (١١١/ ١٤٣٣) والترمذي (٢/ ٢٩٣) كتاب النكاح: باب ما جاء فيمن يطلق امرأته ثلاثاً حديث (١١١٨) والنسائي (٦/ ١٤٨) كتاب الطلاق: باب إحلال المطلقة ثلاثاً، وابن ماجه (١/ ٦٢١ ـ ٦٢٢) كتاب النكاح: باب الرجل يطلق امرأته ثلاثاً حديث (١٩٣٢).
والدارمي (٢/ ١٦١) كتاب الطلاق: باب ما يحل المرأة لزوجها الذي طلقها. . . والشافعي (٢/ ٣٤ ـ ٣٥) كتاب الطلاق حديث (١١٠) والحميدي (١/ ١١١) رقم (٢٢٦) وعبد الرزاق (٦/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) رقم (١١١٣١) والطيالسي (١/ ٣١٤ ـ ٣١٥) رقم (١٦١٢، ١٦١٣) وسعيد بن منصور (٢/ ٧٣ ـ ٧٤) رقم (١٩٨٥) وأبو يعلى (٧/ ٣٩٧) رقم (٤٤٢٣) وابن حبان (٤١٩٩ ـ الإحسان) والبيهقي (٧/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٦٩ ـ بتحقيقنا) من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى النبي ـ ﷺ ـ فقالت: كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنما معه مثل هدبة الثوب فقال: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا حتى تزوقي عسيلته ويذوق عسيلتك. . .
وقال الترمذي: حسن صحيح.
وللحديث طرق أخرى عن عائشة.
فأخرجه البخاري (٩/ ٢٨٤) كتاب الطلاق: باب من قال لامرأته أنت عليّ حرام حديث (٥٢٦٥) ومسلم (٢/ ١٠٥٧) كتاب النكاح: باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حى تنكح زوجاً غيره حديث (١١٤/ ١٤٣٣) وأحمد (٦/ ٢٢٩) والدارمي (٢/ ١٦٢) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به.

فقال لها: «كذبت في قولك الأوّل، فلن أصدّقك في الآخر»، فلبثت حتى قبض رسول الله ـ ﷺ ـ (١٦٧) فأتت أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فقالت: أأرجع إلى زوجي الأوّل، فقال: قد عهدت رسول الله ـ ﷺ ـ حين قال لك ما قال، فلا ترجعي إليه، فلما قبض أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ قالت مثله لعمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: إن أتيتني بعد مرّتك هذه

= وأخرجه مسلم (٢/١٠٥٧) كتاب النكاح: باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره حديث (١١٥/١٤٣٣) وأحمد (٦/١٩٣) وأبو يعلى (٨/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) رقم (٤٩٦٤) من طريق القاسم بن محمد عن عائشة.

وأخرجه أبو داود (١/ ٧٠٥) كتاب الطلاق: باب في المبتوتة لا يرجع إليها زوجها حتى تنكح زوجاً غيره حديث (٢٣٠٩) وأحمد (٦/ ٤٢) من طريق الأسود عن عائشة.

وأخرجه البخاري (١٠/٢٩٣) من طريق عبد الوهاب عن أيوب عن عكرمة.

«أنَّ رفاعة طلَّق امرأته، فتزوجها عبد الرحمن بن الزُّبير القرظي، قالت عائشة: وعليها خِمارٌ أخضر، فشكت إليها، وأرَتها خُضرة بجلدها. فلما جاء رسول الله ـ ﷺ ـ والنساء ينصر بعضهن بعضاً ـ قالت عائشة: ما رأيت مثل ما يلقى المؤمنات لجلدها أشد خضرة من ثوبها. قال وسمع أنها قد أتت رسول الله ـ ﷺ ـ، فجاء ومعه إبنان له من غيرها، قالت: والله ما لي إليه من ذنب، إلاَّ أنَّ ما معه ليس بأغنى عني من هذه ـ وأخذت هدبةً من ثوبها ـ فقال: كذبت والله يا رسول الله، إني لأنفضها نفض الأديم، ولكنها ناشزٌ تريد رفاعة، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: فإن كان ذلك لم تحلِّي له أو تصلحي له حتى يذوق من عسيلتك. قال وأبصر معه ابنين له فقال: بنوك هؤلاء؟ قال: نعم. قال: هذا الذي تزعمين ما تزعمين؟ فوالله لهم أشبه به من الغراب بالغراب».

وفي الباب عن ابن عمر وعبيد الله بن عباس وأنس بن مالك والفضل بن عباس.

ـ حديث ابن عمر:

أخرجه أحمد (٢/ ٨٥) والنسائي (٦/١٤٨ ـ ١٤٩) كتاب النكاح: باب إحلال المطلقة ثلاثاً وابن ماجه (١/ ٦٢٢) كتاب النكاح: باب الرجل يطلق امرأته ثلاثاً فتتزوج فيطلقها ـ (١٩٣٣) من طريق محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد شمعت سالم بن رزين يحدث عن سالم بن عبد الله بن عمر عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر به.

أخرجه أحمد (٢/ ٦٢) والنسائي (٦/ ١٤٩) والبيهقي (٧/ ٣٧٥) من طريق سفيان عن علقمة بن مرثد عن رزين بن سليمان عن ابن عمر.

قال النسائي: هذا أولى بالصواب.

وأخرجه أبو يعلى (٨/ ٣٧٤) رقم (٤٠٦٦) من طريق يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر.

قال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٣٤٣): رواه الطبراني وأبو يعلى ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

قال الحافظ متفق عليه من هذا الوجه. انتهى.

١٦٧ ـ ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٠٥) وعزاه لابن المنذر عن مقاتل بن حيان.

قال الحافظ قال عبد الرزاق: أخبرنا ابن جريج عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة ـ فذكر الحديث. وفيه «فقعدت ما شاء الله. ثم جاءته فأخبرته أنه قد مسها، فمنعها أن ترجع إلى زوجها الأول، وقال: اللهم إن كان إنما بها أن يحلها لرفاعة فلا يتم لها نكاحه مرة أخرى. ثم أتت أبا بكر وعمر في خلافتهما فمنعاها». انتهى

لأرجمنك، فمنعها. فإن قلت فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل؟ قلت: ذهب سفيان والأوزاعي وأبو عبيد ومالك وغيرهم إلى أنه غير جائز، وهو جائز عند أبي حنيفة مع الكراهة، وعنه أنهما إن أضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة، وعن النبي ـ ﷺ ـ: «أنه لعن المحلل والمحلل له» (١٦٨) وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: لا أوتى بمحلل ولا

---

١٦٨ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة وهم علي بن أبي طالب وابن مسعود وعقبة بن عامر وجابر بن عبد الله وأبو هريرة وابن عباس.

ـ حديث علي:

أخرجه أحمد (١/ ٨٧، ١٠٧، ١٢١، ١٣٣، ١٥٠، ١٥٨) وأبو داود (٢/ ٥٦٢) كتاب النكاح: باب في التحليل حديث (٢٠٧٦) والترمذي (٣/ ٤٢٧) كتاب النكاح: باب المحل والمحلل له حديث (١١١٩) وابن ماجه (١/ ٦٢٢) كتاب النكاح: باب المحلل والمحلل له حديث (١٩٣٥) وأبو يعلى (١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) رقم (٤٠٢) والبيهقي (٧/ ٢٠٨) كتاب النكاح: باب في نكاح المحلل، كلهم من طريق عامر الشعبي عن الحارث عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: لعن الله المحلل والمحلل له.

ـ حديث ابن مسعود:

أخرجه أحمد (١/ ٤٤٨) والترمذي (٣/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) كتاب النكاح: باب المحل والمحلل له حديث (١١٢٠) والنسائي (٦/ ١٤٩) كتاب النكاح: باب إحلال المطلقة ثلاثاً والدارمي (٢/ ١٥٨) كتاب النكاح: باب في النهي عن التحليل والبيهقي (٧٠/ ٢٠٨) كتاب النكاح: باب ما جاء في نكاح المحلل من طرق عن سفيان عن أبي قيس عن هزيل بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود قال: لعن رسول الله ـ ﷺ ـ المحلل والمحلل له.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه أحمد (١/ ٤٥٠ ـ ٤٥١) وأبو يعلى (٨/ ٤٦٨) رقم (٥٠٥٤) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٧٨ ـ بتحقيقنا).

من طريق عبد الكريم الجزري عن أبي واصل عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ـ ﷺ ـ لعن المحلل والمحلل له.

ـ حديث عقبة بن عامر:

أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٢٣) كتاب النكاح: باب المحلل والمحلل له حديث (١٩٣٦) والدارقطني (٣/ ٢٥١) كتاب النكاح حديث (٢٨) والحاكم (٢/ ١٩٩) والبيهقي (٧/ ٢٠٨) كتاب النكاح: باب نكاح المحلل وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٦٤٦) من طريق الليث عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: ألا أخبركم بالتيس المستعار وهو المحلل والمحلل له لعن الله المحلل والمحلل له.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال: وقد ذكر أبو صالح كاتب الليث عن ليث سماعه من مشرح.

ثم ساقه من طريقه عن الليث قال: سمعت مشرح به.

ثم قال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

وقد أعلّ أبو زرعة هذا الحديث بعدم سماع الليث من مشرح فقال ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٤١١) رقم (١٢٣٢): سمعت أبا زرعة وذكر حديثاً رواه أبو صالح كاتب الليث وعثمان بن صالح =

. . . .

= قالا: حدثنا الليث عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا بلى قال: المحل والمحلل له، فلعن الله المحلل والمحلل له. «قال أبو زرعة وذكرت هذا الحديث ليحيى بن عبد الله بن بكير وأخبرته برواية عبد الله بن صالح وعثمان بن صالح فأنكر ذلك إنكاراً شديداً وقال: لم يسمع الليث من مشرح شيئاً ولا روى عنه شيئاً وإنما حدثني الليث بن سعد بهذا الحديث عن سليمان بن عبد الرحمن أن رسول الله ـ ﷺ ـ. . . قال أبو زرعة: الصواب عندي حديث يحيى يعني بن عبد الله بن بكير. ا.هـ.

وقد أعلّ الإمام البخاري هذا الحديث بنفس العلة وهي عدم سماع الليث من شرح بن هاعان.
فقال الترمذي في «العلل الكبير» (ص ١٦١ ـ ١٦٢) رقم (٢٧٤): سألت محمداً ـ يعني البخاري ـ عن حديث عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر. . . فذكره.
فقال: عبد الله بن صالح لم يكن أخرجه في أيامنا ما أرى الليث سمعه من مشرح بن هاعان لأن حيوة روى عن بكر بن عمرو عن مشرح. ا.هـ.
ويرد هذا كله تصريح الليث بسماعه من مشرح عند ابن ماجه، فقال الليث: قال لي أبو مصعب مشرح بن هاعان وعند الحاكم: من طريق أبي صالح عن الليث قال: سمعت مشرح وعند البيهقي أيضاً.
لترتفع بذلك مظنة الانقطاع بين الليث ومشرح. والحديث ذكره البوصيري في الزوائد (٢/ ١٠٢) وقال: هذا إسناد مختلف فيه من أجل أبي مصعب. ا.هـ. وأبو مصعب هو مشرح بن هاعان.
قال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٢٥٠): مقبول: يعني عند المتابعة وإلاَّ فلين الحديث.
ـ **حديث أبي هريرة:**
أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٣) وابن الجارود (٦٨٤) والبزار (٢/ ١٦٧ ـ كشف) رقم (١٤٤٢) وابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٤١٣) رقم (١٢٣٧) والبيهقي (٧/ ٢٠٨) من طريق عبد الله بن جعفر المخرمي عن عثمان بن محمد عن المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ لعن الله المحلل والمحلل له.
وذكره الحافظ في «التلخيص» (٣/ ١٧٠) وزاد نسبته إلى إسحاق بن راهويه والترمذي في العلل وقال: وحسنه البخاري.
وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٧٠): رواه أحمد والبزار وفيه عثمان بن محمد الأخنسي وثقه ابن معين وابن حبان وقال ابن المديني: له عن أبي هريرة مناكير. ا.هـ.
وهنا لم يروه عن أبي هريرة ولكن رواه عن المقبري عن أبي هريرة.
ـ **حديث جابر:**
أخرجه الترمذي (٣/ ٤٢٧) كتاب النكاح: باب المحلل والمحلل له حديث (١١١٩) ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٦٤٧) من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي عن جابر به.
وقال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بالقائم فإن مجالد بن سعيد قد ضعفه بعض أهل العلم منهم أحمد بن حنبل. ا.هـ.
وقال ابن الجوزي: قال أحمد: مجالد ليس بشيء وقال يحيى لا يحتج بحديثه.
وقال ابن الجوزي أيضاً: وقد روى هذا المعنى من طرق صحاح عن ابن مسعود وغيره. =

محلل له إلا رجمتهما (١٦٩)، وعن عثمان ـ رضي الله عنه ـ: لا إنكاح إلا نكاح/٨٣ب رغبة غير مدالسة (١٧٠) ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾: الزوج الثاني، ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾: أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه بالزواج، ﴿إِن ظَنَّآ﴾: إن كان في ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية، ولم يقل: إن علما أنهما يقيمان، لأنّ اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله عز وجل، ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى، لأنك لا تقول: علمت أن يقوم زيد، ولكن: علمت أنه يقوم، ولأنّ الإنسان لا يعلم ما في الغد، وإنما يظن ظناً.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي: آخر عدتهن وشارفن منتهاها، والأجل يقع على المدّة كلها،

= ـ حديث ابن عباس:
أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٢٢) كتاب النكاح: باب المحلل والمحلل له حديث (١٩٣٤) حدثنا محمد بن بشار ثنا أبو عامر عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: لعن رسول الله ـ ﷺ ـ المحلل والمحلل له.
قال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ١٠٢): هذا إسناد ضعيف لضعف زمعة بن صالح.
رواه أبو يعلى في مسنده حدثنا أبو هشام حدثنا أبو عامر حدثنا زمعة فذكره بزيادة في آخره.
وقال ابن حجر في «التلخيص» (٣/ ١٧٠): وفي إسناده زمعة بن صالح وهو ضعيف.
قال الحافظ روى عن ابن مسعود وعلي وجابر وعقبة بن عامر، وأبي هريرة، وابن عباس. قلت: أحال بها على تخريج الهداية وحديث ابن مسعود أخرجه الترمذي والنسائي وصححه ابن دقيق العبد على شرط البخاري. وحديث ابن عباس أخرجه ابن ماجه. وحديث علي أخرجه أحمد وأبو داود. وحديث أبي هريرة رواه أحمد والبيهقي. وحديث عقبة بن عامر أخرجه ابن ماجه. وحديث جابر ذكره الترمذي. انتهى.

١٦٩ ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٢٦٥)، حديث (١٠٧٧٧) وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٧٥): كتاب السنن: باب ما جاء في المحل والمحلل له، حديث (١٩٩٢، ١٩٩٣) وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٥٠٧) وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد الرزاق وأبو بكر بن الأثرم في سننه والبيهقي.
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة من رواية المسيب بن رافع عن قبيصة بن جابر عن عمر فذكره. انتهى.

وعلى آخرها، يقال لعمر الإنسان: أجل، وللموت الذي ينتهي به: أجل، وكذلك الغاية والأمد، يقول النحويون: «من»، لابتداء الغاية، و «إلى»: لانتهاء الغاية، وقال [من الخفيف]:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ مُدَّةَ الْعُمْـ ـرِ وَمُودٍ إِذَا انْتَهَى أَمَدُهْ[(1)]

ويتسع في البلوغ - أيضاً - فيقال: بلغ البلد إذا شارفه وداناه، ويقال: قد وصلت، ولم يصل، وإنما شارف، ولأنه قد علم أنّ الإمساك بعد تقضّي الأجل لا وجه له، لأنها بعد تقضّيه غير زوجة له في غير عدّة منه، فلا سبيل له عليها، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: فإما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: وإما أن يخليها حتى تنقضي عدّتها وتبين من غير ضرار، ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾: كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها، ثم يراجعها لا عن حاجة، ولكن ليطوّل العدة عليها، فهو الإمساك ضراراً، ﴿لِّتَعْتَدُوا﴾: لتظلموهنّ، وقيل: لتلجئوهن إلى الافتداء، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾: بتعريضها لعقاب الله، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ (١٧١) أي: جدّوا في الأخذ

---

١٧٠ - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/٢٢٦)، حديث (١١٥٦٧) عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله - ﷺ - سئل عن المحلل، فقال لا نكاح إلاّ نكاح رغبة...

والحاكم في مستدركه (٢/١٩٩): كتاب الطلاق عن عمر بن نافع، عن أبيه أنه قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً...

وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وأخرجه البيهقي (٧/٢٠٨، ٢٠٩): كتاب النكاح: باب ما جاء في نكاح المحلل.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٥٠٧) وعزاه للبيهقي عن سليمان بن يسار أن عثمان بن عفان رفع إليه رجل تزوج امرأة ليحللها لزوجها ففرق بينهما وقال لا ترجع إليه إلاّ نكاح رغبة غير دلسه.

قال الحافظ: لم أجده عن عثمان بل وجدته عن ابن عمر. أخرجه الحاكم من رواية عمر بن نافع عن أبيه أنه قال «جاء رجل إلى ابن عمر «فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فتزوجها أخ له من غير مؤامرة منه ليحلها لأخيه، هل تحل للأول؟ قال: لا إلاّ نكاح رغبة. كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله - ﷺ -» وقد روى مرفوعاً أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس - رضي الله عنها - «أن رسول الله - ﷺ - سئل عن المحلل. فقال: لا، إلاّ نكاح رغبة غير دلسة، ولا مستهزئ بكتاب الله تعالى لم يذق العسيلة» وفي إسناده إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة وهو ضعيف. انتهى.

١٧١ - أخرجه الطبري (٥/٨)، حديث (٤٩٠٩) بلفظ هو الذي يطلق امرأته ثم يدعها حتى إذا كان في آخر عدّتها راجعها...» عن مسروق، (٥/٩)، حديث (٤٩١٤) عن الربيع.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٥٠٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

---

(١) يقال: أودى إذا هلك، وأودى به السيل ونحوه أهلكه وذهب به. والودى كالغنى: الهلاك. ويروى أجله. والأمد والأجل يطلقان على جميع مدة الشيء وعلى منتهاها، كما تطلق الغاية على جميع المسافة وعلى آخرها. يقول: كل حي لا بد أنه يستكمل مدة عمره ويهلك إذا انتهت مدته وتسكين العمر لغة فيه.

بها والعمل بما فيها، وارعوها حق رعايتها، وإلا فقد اتخذتموها هزواً ولعباً، ويقال لمن لم يجدّ في الأمر: إنما أنت لا عب وهازىء، ويقال: كن يهودياً وإلا فلا تلعب بالتوراة، وقيل: كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوّج ويقول: كنت لاعباً، (١٧٢) وعن النبي ـ ﷺ ـ: «ثلاث جدّهن جدّ وهزلهن جدّ: الطلاق[1] والنكاح والرجعة». (١٧٣) ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ

---

١٧٢ ـ أخرجه الطبري (٥/ ١٣)، حديث (٤٩٢٣).
وذكره السيوطي في تفسيره الدر المنثور (١/ ٥٠٩) وعزاه لابن أبي شيبة، والطبري وابن أبي حاتم عن الحسن قال: كان الرجل يطلق ويقول كنت لاعباً...

١٧٣ ـ أخرجه أبو داود (١/ ١٦٦) كتاب الطلاق باب في الطلاق على الهزل (٢١٩٤) والترمذي (٣/ ٤٩٠) كتاب الطلاق باب ما جاء في الجد والهزل في الطلاق (١١٨٤) وابن ماجه (١/ ٦٥٧) كتاب الطلاق باب من طلق أو نكح أو راجع لاعباً (٢٠٣٩) وسعيد بن منصور في السنن باب الطلاق لا رجوع فيه (١٦٠٣)، والطحاوي في شرح المعاني (٣/ ٩٨)، والدارقطني (٣/ ٢٥٦، ٢٥٧)، باب المهر (٤٥، ٤٧)، (٤/ ١٨، ١٩) كتاب الطلاق (٥٠، ٥١)، والحاكم (٢/ ١٩٨). وقال الحاكم: صحيح الإسناد وعبد الرحمن بن حبيب هذا هو ابن أردك من ثقات المدنيين.
وتعقبه الذهبي بقوله في عبد الرحمن هذا: «فيه لين».
والبغوي في شرح السنة (٥/ ١٦١) (٢٣٤٩ ـ بتحقيقنا).
كلهم من طريق عبد الرحمن بن أردك عن عطاء بن أبي رباح عن يوسف بن ماهك عن أبي هريرة.
وعبد الرحمن بن أردك سبق كلام الحاكم والذهبي فيه.
وقال الحافظ في التقريب (١/ ٤٧٦): «لين الحديث».
وللحديث شواهد ذكرها الزيلعي في «نصب الراية».
ـ **أولاً**: ما رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» قال حدثنا بشر بن عمر ثنا ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبي جعفر عن عبادة بن الصّامت أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: لا يجوز اللعب في ثلاث: الطلاق والنكاح والعتاق فمن قالهن فقد وجبن».
وقد أعلّ بعلتين:
الأولى: الانقطاع بين عبيد الله بن جعفر وعبادة بن الصّامت.
الثانية: ضعف عبد الله بن لهيعة.
قال الحافظ في «التقريب» (١/ ٤٤٤):
«صدوق، من السابعة، خلط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرها».
ثانياً: ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف وابن أبي حاتم في تفسيره وابن جرير (٢/ ٤٩٦) (٤٩٢٦) عن الحسن مرسلاً: «كان الرجل في الجاهلية يطلق، ثم يراجع، ويقول: كنت لاعباً ويعتق ثم يراجع ويقول: كنت لاعباً فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من طلّق أو حرّر، أو أنكح فقال: إني كنت لاعباً فهو جائز».
«وهذا مرسل صحيح الإسناد إلى الحسن وهو البصري». =

---

(١) قوله «وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة» في أبي السعود: النكاح والطلاق والعتاق. (ع)

عَلَيۡكُمۡ﴾: بالإسلام وبنبوّة محمد ـ ﷺ ـ ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾: من القرآن والسنة، وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها، ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾: بما أنزل عليكم، ﴿فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾: إما أن يخاطب به الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلماً وقسراً، ولحمية الجاهلية لا يتركونهنّ يتزوّجن من شئن من الأزواج، والمعنى: أن ينكحن أزواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهنّ، وإما أن يخاطب به الأولياء في عضلهنّ أن يرجعن إلى أزواجهنّ، رُوي: أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأوّل، (١٧٤) وقيل: في جابر بن/ ٨٤أ عبد الله حين عضل بنت عم له، (١٧٥) والوجه أن يكون خطاباً للناس، أي: لا يوجد فيما بينكم عضل، لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين، والعضل: الحبس والتضييق، ومنه: عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج، وأنشد لابن هرمة [من الوافر]:

وَإِنَّ قَصَائِدِي لَكَ فَاصْطَنِعْنِي عَقَائِلُ قَدْ عَضَلْنَ عَنِ النِّكَاحِ[1]

وبلوغ الأجل على الحقيقة، وعن الشافعي ـ رحمه الله ـ: دلّ سياق الكلامين على افتراق البلوغين، ﴿إِذَا تَرَٰضَوۡاْ﴾: إذا تراضى الخطاب والنساء، ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بما يحسن بالدين والمروءة من الشرائط، وقيل: بمهر المثل، ومن مذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ أنها إذا زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فللأولياء أن يعترضوا، فإن قلت: لمن الخطاب في قوله: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾؟ قلت: يجوز أن يكون لرسول الله ـ ﷺ ـ ولكل أحد، ونحوه: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُ﴾ [المجادلة: ١٢] ﴿أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُ﴾: من أدناس الآثام، وقيل: (أزكى وأطهر): أفضل وأطيب، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾: ما في ذلك من الزكاء والطهر،

= قال الحافظ: أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم والدارقطني والبيهقي من حديث أبي هريرة وفي إسناده ضعف. انتهى.

١٧٤ ـ أخرجه الطبري (٥/ ١٧ ـ ١٨) رقم (٤٩٢٧ ـ ٤٩٣٧) والدارقطني (٣/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) كتاب النكاح حديث (١٥، ١٦).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥١١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد.
وعزاه لابن جرير عن ابن جريج.
وعزاه لابن جرير عن إسحاق الهمداني.

١٧٥ ـ أخرجه الطبري (٥/ ٢١) رقم (٤٩٣٩) عن السديّ وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥١١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(١) العقائل: جمع عقيلة، وهي المعقولة في خدرها من النساء. يقول: إن قصائدي لك مثل المخدرات، فلك: حال من القصائد أو العقائل. وقوله «فاصطنعني» اعتراض، أي فاتخذني مادحاً وكافئني على مدحي إياك بما لا أمدح به غيرك من القصائد. ولما شبّه القصائد بالنساء رشح ذلك بالعضل، وهو المنع من النكاح الخاص بالنساء.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ـه، أو والله يعلم ما تستصلحون به من الأحكام والشرائع وأنتم تجهلونه.

﴿۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)﴾

﴿يُرْضِعْنَ﴾: مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد، ﴿كَامِلَيْنِ﴾: توكيد كقوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]؛ لأنه مما يتسامح فيه فتقول: أقمت عند فلان حولين، ولم تستكملهما، وقرأ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «أن يكمل الرضاعة»، وقرىء: «الرِّضاعة»، بكسر الراء، «والرضعة»، «وأن تتم الرضاعة»، و«أن يتم الرضاعة»، برفع الفعل تشبيهاً لـ «أن» بـ «ما»؛ لتأخيهما في التأويل، فإن قلت: كيف اتصل قوله: ﴿لِمَنْ أَرَادَ﴾: بما قبله؟ قلت: هو بيان لمن توجه إليه الحكم، كقوله تعالى: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] لك بيان للمهيت به، أي: هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع، وعن قتادة: حولين كاملين، ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾: أراد أنه يجوز النقصان، وعن الحسن: ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون في الفطام ضرر، وقيل: اللام متعلقة بـ ﴿يُرْضِعْنَ﴾، كما تقول: أرضعت فلانة لفلان ولده، أي: يرضعن حولين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة من الآباء، لأنّ الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم، وعليه أن يتخذ له ظئراً إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه، وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه، ولا يجوز استئجار الأم عند أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح، وعند الشافعي: يجوز، فإذا انقضت عدّتها، جاز بالاتفاق، فإن قلت: فما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهنّ؟ قلت: إما أن يكون أمراً على وجه الندب، وإما على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه، أو لم توجد له ظئر، أو كان الأب عاجزاً عن الاستئجار، وقيل: أراد الوالدات المطلقات/ ٨٤ب وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾: وعلى الذي يولد له وهو الوالد، و﴿لَهُ﴾: في محل الرفع على الفاعلية، نحو: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ في ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، فإن قلت لم قيل: ﴿الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ دون الوالد، قلت: ليعلم أنّ الوالدات إنما ولدن لهم، لأن الأولاد للآباء، ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات، وأنشد للمأمون بن الرشيد [من البسيط]:

فَـإِنَّـمَـا أُمَّـهَـاتُ الـنَّـاسِ أَوْعِـيَـةٌ   مُـسْـتَـوْدَعَـاتٌ وَلِـلآبَـاءِ أَبْـنَـاءُ(1)

فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم، كالأظآر؛ ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣]، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: تفسيره ما يعقبه، وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارّا، وقرىء «لا تكلف»: بفتح التاء؛ و«لا نكلف»: بالنون، وقرىء: «لا تضارُّ»: بالرفع على الإخبار، وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول، وأن يكون الأصل: تضارر بكسر الراء، وتضارر بفتحها، وقرأ: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾: بالفتح أكثر القراء، وقرأ الحسن بالكسر على النهي، وهو محتمل للبناءين ـ أيضاً ـ، ويبين ذلك أنه قرىء «لا تضارَرْ»، ولا «تضارِرْ»، بالجزم وفتح الراء الأولى، وكسرها، وقرأ أبو جعفر: لا «تضارْ»، بالسكون مع التشديد على نية الوقف، وعن الأعرج: «لا تضارْ» بالسكون والتخفيف، وهو من ضاره يضيره، ونوى الوقف كما نواه أبو جعفر، أو اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا، وعن كاتب عمر بن الخطاب: «لا تضرر»، والمعنى: لا تضارّ والدة زوجها بسبب ولدها، وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة، وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد، وأن تقول بعد ما ألفها الصبي: اطلب له ظئرًا، وما أشبه ذلك؛ ولا يضارّ مولود له امرأته بسبب ولده، بأن يمنعها شيئًا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها؛ ولا يأخذه منها وهي تريد إرضاعه، ولا يكرهها على الإرضاع؛ وكذلك إذا كان مبنياً للمفعول فهو نهي عن أي: يلحق بها الضرار من قبل الزوج، وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد، ويجوز أن يكون: ﴿تُضَآرَّ﴾: بمعنى: تضر، وأن تكون الباء من صلته، أي: لا تضرّ والدة بولدها، فلا تسيء غذاءه وتعهده، ولا تفرط فيما ينبغي له، ولا تدفعه إلى الأب بعد ما ألفها، ولا يضرّ

---

(1) لا تزرين بفتى من أن يكون له   أم من الروم أو سوداء عجماء
فإنما أمهات الناس أوعية   مستودعات وللآباء أبناء

للمأمون بن الرشيد حين كتب إليه أخوه الأمين يوبخه على الخلافة بغير استحقاق، وفي آخره: ابن الأمة ما ألأمه: فأجابه بذلك. وأزرى به: إذا أوقع به العيب ورماه به. والنون في الفعل للتوكيد. ويروى: لا تزدرين فتى، على خطاب المؤنثة، وكأنه أراد به إسماع أخيه. وزرى عليه: إذا عاب عليه. والازدراء: افتعال منه، أي لا تعيبي، والنون ثابتة بعد النهي شذوذاً. والعجماء: التي لا تفصح في كلامها. وشبّه النساء بالأوعية التي تودع فيها الأشياء تشبيهاً بليغاً، أو على طريق التصريحية على رأي السعد في كل تشبيه بليغ. وروي: وللأبناء آباء. والمعنى أن الرفعة والضعة من جهة الآباء لا من جهة الأمهات، لأنها كالأوعية للأبناء. لكن هذا التشبيه مبني على الظاهر. ثم كتب المأمون أيضاً في جواب أخيه: القلم بمده، والسيف بحده، والمرء بسعده، لا بأبيه ولا بجده.

الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد. فإن قلت: كيف قيل بولدها وبولده؟ قلت: لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافاً لها عليه وأنه ليس بأجنبيّ منها، فمن حقها أن تشفق عليه وكذلك الوالد، ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾: عطف على قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾، وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه، فكان المعنى: وعلى وارث المولود له/ ٨٥أ مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة، أي: إن مات المولود له لزم من يرثه أن يقوم مقامه في أن يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار، وقيل: هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه، واختلفوا، فعند ابن أبي ليلى: كل من ورثه، وعند أبي حنيفة: من كان ذا رحم محرم منه، وعند الشافعي: لا نفقة فيما عدا الولاد، وقيل: من ورثه من عصبته مثل الجد، والأخ، وابن الأخ، والعم، وابن العمّ، وقيل: المراد وارث الأب، وهو الصبي نفسه، وأنه إن مات أبوه وورثه وجبت عليه أجرة رضاعه في ماله إن كان له مال، فإن لم يكن له مال أجبرت الأم على إرضاعه، وقيل: ﴿على الوارث﴾: على الباقي من الأبوين من قوله: «واجعله الوارث منا[1]». ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾: صادراً، ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك، زادا على الحولين أو نقصا، وهذه توسعة بعد التحديد، وقيل: هو في غاية الحولين لا يتجاوز، وإنما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما: أمّا الأب فلا كلام فيه، وأمّا الأمّ، فلأنها أحق بالتربية وهي أعلم بحال الصبي، وقرىء: «فإن أراد»، استرضع: منقول من أرضع، يقال: أرضعت المرأة الصبي، واسترضعتها الصبي، لتعديه إلى مفعولين، كما تقول: أنجح الحاجة، واستنجحته الحاجة والمعنى: أن تسترضعوا المراضع أولادكم، فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه، كما تقول: استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته؛ وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن أحدهما عبارة عن الأوّل، ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾: إلى المراضع، ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾: ما أردتم إيتاءه، كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦] وقرىء: «ما أتيتم»، من أتى إليه إحساناً إذا فعله، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١] أي: مفعولاً، وروى شيبان عن عاصم: «ما أوتيتم»، أي: ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الأجرة، ونحوه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، وليس التسليم بشرط للجواز والصحة، وإنما هو ندب إلى الأولى، ويجوز أن يكون بعثاً على أن يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من أهنى ما يكون، لتكون طيبة النفس راضية، فيعود ذلك إصلاحاً لشأن الصبي واحتياطاً في أمره، فأمرنا بإيتائه ناجزاً يداً بيد، كأنه قيل: إذا أدّيتم إليهن يداً

---

(١) قوله «واجعله الوارث منا» الرواية المشهورة: مني. (ع)

بيد ما أعطيتموهن، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: متعلق بـ ﴿سَلَّمْتُم﴾، أمروا أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشري الوجوه، ناطقين بالقول الجميل، مطيبين لأنفس المراضع بما أمكن، حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾: على تقدير حذف المضاف، أراد: وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن، وقيل: معناه يتربصن بعدهم؛ كقولهم: السمن مَنَوَان بدرهم، وقرىء: «يتوفون» بفتح الياء[1]، أي: يستوفون آجالهم، وهي قراءة علي ـ رضي الله عنه ـ، والذي يحكى: أن أبا الأسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة، فقال له رجل: من المتوفي؟/ ٨٥ب ـ بكسر الفاء، فقال: الله تعالى، وكان أحد الأسباب الباعثة لعلي ـ رضي الله عنه ـ على أن أمره بأن يضع كتاباً في النحو، تناقضه هذه القراءة، ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾: يعتددن هذه المدّة، وهي أربعة أشهر وعشرة أيام، وقيل: عشراً ذهاباً إلى الليالي والأيام داخلة معها، ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين إلى الأيام. تقول: صمت عشراً[2]، ولو ذكرت خرجت من كلامهم، ومن البين فيه قوله تعالى: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه: ١٠٣] ثم: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه: ١٠٤] ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: فإذا انقضت عدّتهن، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: أيها الأئمة وجماعة المسلمين، ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾: من التعرّض للخطاب، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذي لا ينكره الشرع، والمعنى: أنهن لو فعلن ما هو منكر كان على الأئمة أن يكفوهن، وإن فرّطوا كان عليهم الجناح، ﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ﴾: هو أن يقول لها: إنك لجميلة أو صالحة أو نافقة ومن غرضي أن أتزوّج، وعسى الله أن

---

(١) قال محمود رحمه الله: «قرأها علي رضيَ الله عنه بفتح الياء... إلخ». قال أحمد رحمه الله: ولعل السائل لأبي الأسود كان ممن يفهم عنه أنه لا فرق عنده بين الكسر والفتح وهو الظاهر، وعلى ذلك أجابه أبو الأسود، فلا تناقض حينئذٍ.

(٢) قال محمود رحمه الله: «تقول: صمت عشراً... إلخ» قال أحمد رحمه الله: ومنه «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر» فغلب الليالي أو كان الصوم غير متصور فيها حتى قالوا: إن شرطة النية وزمانها الليل، فلهذا جعل لها حظاً في الصوم وغلبها.

يبسر لي امرأة صالحة، ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه، ولا يصرح بالنكاح، فلا يقول: إني أريد أن أنكحك، أو أتزوجك، أو أخطبك، وروى ابن المبارك عن عبد الله بن سليمان عن خالته قالت: دخل عليَّ أبو جعفر محمد بن علي وأنا في عدتي، فقال: قد علمت قرابتي من رسول الله ـ ﷺ ـ وحق جدّي عليّ وقدمي في الإسلام، فقلت: غفر الله لك! أتخطبني في عدّتي وأنت يؤخذ عنك؟ فقال: أوقد فعلت! إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله ـ ﷺ ـ وموضعي، قد دخل رسول الله ـ ﷺ ـ على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبي سلمة فتوفي عنها، فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده من شدّة تحامله عليها، فما كانت تلك خطبة، (١٧٦) فإن قلت: أي: فرق بين الكناية والتعريض؟ قلت: الكناية: أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، كقولك: طويل النجاد والحمائل، لطول القامة[1]، وكثير الرماد للمضياف، والتعريض: أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم، ولذلك قالوا [من الطويل]:

.... وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا[2]

وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض، ويسمى: التلويح، لأنه يلوح منه ما يريده، ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾: أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرّضين ولا مصرحين ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾: لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهنّ ولا تصبرون عنه، وفيه طرف من التوبيخ، كقوله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، [البقرة: ١٨٧]، فإن قلت: أين المستدرك بقوله[3]: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾؟

---

١٧٦ ـ أخرجه الدارقطني (٣/ ٢٢٤) كتاب النكاح حديث (١٨).
وقال أبو الطيب آبادي في «التعليق المغني» (٣/ ٢٢٤) الحديث ذكره أيضاً ابن تيمية في المنتقى وعزاه إلى المصنّف، قال الشوكاني في «النيل»: هو منقطع لأن محمد بن علي هو الباقر ولم يدرك النبي ﷺ.
قال الحافظ: هكذا في كتاب النكاح لابن المبارك ورواه الدارقطني من رواية محمد بن الصلت عن عبد الرحمن بن سليمان ـ وهو ابن الغسيل ـ نحوه بتمامه. انتهى.

---

(١) قوله «لطول القامة» لعله: لطويل. (ع).
(٢) البيت لتوبة بن الحمير الخفاجي، نسب إليه في الحماسة البصرية ٢/ ١٧٧، وصدره:
أروح لتسليم عليك وأغتدي ....
وينظر: أنوار الربيع ٦/ ٦١، والتباين في علم المعاني ص ٢٧٦
(٣) قال محمود رحمه الله: «إن قلت أين المستدرك بقوله ولكن... إلخ» قال أحمد رحمه الله: وقويت دلالة هذا المذكور على ما حذف، لأن المعتاد في مثل هذه الصيغة ورود الإباحة عقيبها. ونظير هذا النظم قوله تعالى ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ =

قلت: هو محذوف، لدلالة ستذكرونهنّ عليه، تقديره: علم الله أنكم ستذكرونهنّ فاذكروهنّ، ولكن لا تواعدوهنّ سرّا، والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء، لأنه مما يسرّ، قال الأعشى [من الطويل]:

وَلاَ تَقْرَبَنْ مِنْ جَارَةٍ إِنَّ سِرَّهَا /٨٦ عَلَيْكَ حَرَامٌ فَانْكِحَنْ أَوْ تَأَبَّدَا[1]

ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد؛ لأنه سبب فيه كما فعل بالنكاح، ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ﴾: وهو أن تعرّضوا ولا تصرحوا، فإن قلت: بم يتعلق حرف الاستثناء؟ قلت: بـ ﴿لَّا تواعدوهنّ﴾، أي: لا تواعدوهنّ مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة. أي: لا تواعدوهنّ إلا بأن تقولوا، أي: لا تواعدوهنّ إلا بالتعريض، ولا يجوز أن يكون استثناءً منقطعاً من: ﴿سِرًّا﴾، لأدائه إلى قولك: لا تواعدوهنّ إلا التعريض[2]، وقيل معناه: لا تواعدوهن جماعاً، وهو أن يقول لها إن نكحتك كان كيت وكيت، يريد ما

= الآية. ولهذا الحذف سر والله أعلم، وهو أنه اجتنب لأن الإباحة لم تنسحب على الذكر مطلقاً، بل اختصت بوجه واحد من وجوهه وذلك الوجه المباح عسر التميز عما لم يبح، فذكرت مستثناة بقوله ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ﴾ تنبيهاً على أن المحل ضيق والأمر فيه عسر والأصل فيه الحظر، ولا كذلك الوطء في زمن ليل الصوم فإنه أبيح مطلقاً غير مقيد، فلذلك صدر الكلام بالإباحة والتوسعة، وجاء النهي عن مباشرة المعتكفة في المسجد تلواً للإباحة وتبعاً في الذكر، لأنها حالة فاذة والمنع فيها لم يكن لأجل الصوم، ولكن الأمر يتعلق به من حيث المصاحب وهو الاعتكاف، فتفطن لهذا السر فإنه من غرائب النكت.

(١) ولا تسخرن من بائس ذي ضرارة ولا تحسبن المال للمرء مخلدا
ولا تقربن من جارة إن سرها عليك حرام فانكحن أو تأبدا
للأعشى ميمون بن قيس. والبائس: الفقير المحتاج. والضرارة: العمى. وإسناد الإخلاد إلى المال مجاز، لأنه سببه على التوهُّم، وتقرب ـ بفتح الراء ـ بمعنى نفعل، فمن زائدة. وجارة: مفعول، وبضمها بمعنى تدنو، فمن أصلية. وروى: ولا تقربن جارة ـ بتشديد النون ـ وعلى كل فهو كناية عن النهي عن الوطء. والسر: ضد الجهر، واستعمل هنا في الوطء مجازاً لأنه يقع فيه، أو لأنه مما يسر. والنكاح: عقد الزوجية. ويقال: أبد الوحشي أبوداً، وتأبد تأبداً: نفر عن الأنيس، وألفه هنا منقلبة عن نون التوكيد في الوقف، والمراد منه التباعد مجازاً، والمخاطب بذلك ليس معيناً. ونهاه عن الدنو منها لأنه أبلغ من نهيه عن وطئها، ثم قال: فتزوج أو اعتزل النساء كالوحش.
ينظر ديوانه (١٣٧)، اللسان (نكح)، الدر المصون ١/ ٥٤٠.

(٢) قال السمين الحلبي: ورَدَّ عليه الشيخ بأنَّ الاستثناءَ المنقطعَ ليس مِنْ شرطِهِ صِحَّةُ تسلُّطِ العاملِ عليه، بل هو على قسمين: قسم يَصِحُّ فيه ذلك، وفيه لغتان: لغةُ الحجازِ وجوبُ النصب مطلقاً نحو: «ما جاء أحدٌ إلا حماراً»، ولغةُ تميم إجراؤه مُجرى المتصلِ فيُجْرون فيه النصبَ والبدلية بشرطه، وقسم لا يَصِحُّ فيه ذلك نحو: «ما زادَ إلا ما نَقَصَ»، و «ما نفَعَ إلا ما ضر». وحكمُ هذا النصبُ عند العَربِ قاطبةً، فالقسمان يشتركان في التقديرِ بلكن عند البصريين. إلاَّ أنَّ أحدَهما يَصِحُّ تسلُّط العاملِ عليه في قولك: «ما جاء أَحدٌ إلا حمار» لو قلت: «ما جاء إلا حمارٌ» صَحَّ، بخلافِ القسمِ الثاني، فإنَّه لا يتوجَّه عليه العاملُ». انتهى. الدر المصون.

يجري بينهما تحت اللحاف، إلا أن تقولوا قولاً معروفاً يعني من غير رفث ولا إفحاش في الكلام، وقيل: لا تواعدوهن سراً: أي: في السر على أنّ المواعدة في السرّ عبارة عن المواعدة بما يستهجن، لأن مسارّتهنّ في الغالب بما يستحيا من المجاهرة به، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْـرُوفًاۚ﴾، هو أن يتواثقا أن لا تتزوّج غيره، ﴿وَلَا تَعْـزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾: من عزم الأمر وعزم عليه، وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح في العدّة، لأن العزم على الفعل يتقدّمه، فإذا نهي عنه كان عن الفعل أنهى، ومعناه: ولا تعزموا عقد عُقدة النكاح، وقيل: معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح، وحقيقة العزم: القطع، بدليل قوله - عليه السلام -: «لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل» ورُوي «لمن لم يبيت الصيام» ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ﴾: يعني ما كتب وما فرض من العدّة، ﴿يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: من العزم على ما لا يجوز، (١٧٧) ﴿فَٱحْذَرُوهُۚ﴾: ولا

---

١٧٧ - أخرجه أبو داود (٢/ ٨٢٣، ٨٢٤): كتاب الصوم: باب النية في الصّيام: حديث (٢٤٥٤)، والترمذي (٢/ ١١٦، ١١٧): كتاب الصوم: باب ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل حديث (٧٢٦)، والنسائي (٤/ ١٩٦، ١٩٧): كتاب الصيام: باب ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة في ذلك وابن ماجه (١/ ٥٤٢): كتاب الصيام: باب ما جاء في فرض الصوم من الليل، والخيار في الصوم، حديث (١٧٠٠)، وأحمد (٦/ ٢٨٧)، والدارمي (٢/ ٦، ٧): كتاب الصوم: باب من لم يجمع الصيام من الليل، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ٥٤): كتاب الصيام: باب الرجل ينوي الصيام بعدما يطلع الفجر. والدارقطني (٢/ ١٧٢): كتاب الصيام: باب تبييت النية من الليل وغيره، حديث (٢، ٣، ٤)، والبيهقي (٤/ ٢٠٢): كتاب الصيام: باب الدخول في الصوم بالنية، والخطيب (٣/ ٩٢، ٩٣).

من طريق عبد الله بن عمر عن حفصة أن النبي - ﷺ - قال: «من لم يبيّت الصيام من الليل فلا صيام له» واللفظ للنسائي ولفظ أبي داود والترمذي: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له».

وقال الترمذي: لا نعرفه مرفوعاً إلاّ من هذا الوجه وقد رُوي عن نافع عن ابن عمر قوله: وهو أصح.

قال الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٢/ ١٨٨).

واختلف الأئمة في رفعه ووقفه فقال ابن أبي حاتم عن أبيه لا أدري أيهما أصح يعني رواية يحيى بن أيوب عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري عن سالم ورواية إسحاق بن حازم عن عبد الله بن أبي بكر عن سالم بغير وساطة الزهري لكن الوقف أشبه وقال أبو داود: لا يصح رفعه، وقال الترمذي: الموقوف أصح، ونقل في «العلل» عن البخاري أنه قال: هو خطأ وهو حديث فيه اضطراب والصحيح عن ابن عمر موقوف، وقال النسائي الصواب عندي موقوف ولم يصح رفعه وقال أحمد: ما له عندي ذلك الإسناد وقال الحاكم في الأربعين صحيح على شرط الشيخين وقال في المستدرك: صحيح على شرط البخاري، وقال البيهقي: رواته ثقات إلاّ أنه رُوي موقوفاً، وقال الخطابي أسنده عبد الله بن أبي بكر وزيادة الثقة مقبولة، وقال ابن حزم: الاختلاف فيه يزيد الخبر قوة، وقال الدارقطني: كلّهم ثقات. =

تعزموا عليه، ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعاجلكم بالعقوبة.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: لا تبعة عليكم من إيجاب مهر، ﴿إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾: ما لم تجامعوهن، ﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: إلا أن تفرضوا لهن فريضة، أو حتى تفرضوا، وفرض الفريضة: تسمية المهر، وذلك أن المطلقة غير المدخول بها إن سمى لها مهر فلها نصف المسمى، وإن لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل، ولكن المتعة، والدليل على أن الجناح تبعة المهر قوله: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾: إلى قوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ فقوله: فنصف ما فرضتم: إثبات للجناح المنفي ثمة، والمتعة: درع، وملحفة، وخمار، على حسب الحال عند أبي حنيفة، إلا أن يكون مهر مثلها أقل من ذلك، فلها الأقل من نصف مهر المثل ومن المتعة، ولا ينقص من خمسة دراهم؛ لأن أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها، و﴿ٱلْمُوسِعِ﴾: الذي له سعة، و﴿ٱلْمُقْتِرِ﴾: الضيق الحال، و﴿قَدَرُهُۥ﴾: مقداره الذي يطيقه، لأنّ ما يطيقه هو الذي يختص به، وقرىء بفتح الدال، والقدْر والقدَر لغتان، وعن النبي - ﷺ -. أنه قال لرجل من الأنصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهراً، ثم طلقها قبل أنْ يمسها: «أمتعتها»؟ قال: لم يكن عندي شيء، قال: «متعها بقلنسوتك»،

= وفي الباب عن عائشة:
أخرجه الدارقطني (٢/ ١٧١ ـ ١٧٢) كتاب الصيام: باب تبييت النية من الليل والبيهقي (٤/ ٢٠٣) كتاب الصيام: باب الدخول في الصوم بالنية.
قال الحافظ في «التلخيص» (٢/ ١٨٩). وفيه عبد الله بن عباد وهو مجهول وقد ذكره ابن حبان في الضعفاء.
وفي الباب أيضاً عن ميمونة بنت سعد.
أخرجه الدارقطني (٢/ ١٧٣) كتاب الصيام: باب تبييت النية من الليل، بلفظ من أجمع الصوم من الليل فليصم ومن أصبح ولم يجمعه فلا يصم.
وفيه محمد بن عمر الواقدي وهو متروك.
قال الحافظ: أخرجه أصحاب السنن من حديث حفصة بلفظ «المن لم يجمع» وقوله: ورُوي «المن لم يبيت» هي عند النسائي. انتهى.

(١٧٨) وعند أصحابنا: لا تجب المتعة إلا لهذه وحدها، وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب، ﴿مَتَٰعًا﴾: تأكيد/٨٦ب لـ ﴿متعوهن﴾، بمعنى تمتيعاً، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة، ﴿حَقًّا﴾: صفة لمتاعاً، أي: متاعاً واجباً عليهم، أو حق ذلك حقاً، ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: على الذين يحسنون إلى المطلقات بالتمتيع، وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال ـ ﷺ ـ. «من قتل قتيلاً فله سلبه». (١٧٩) ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾: يريد المطلقات، فإن قلت: أي: فرق بين قولك: الرجال يعفون، والنساء يعفون؟ قلت: الواو في الأوّل ضميرهم، والنون علم الرفع، والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهنّ، والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب، ويعفو: عطف على محله، و﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾: الوليّ[1]، يعني: إلا أن تعفو المطلقات عن أزواجهن فلا

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

١٧٨ ـ بيض له الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ١٥١) وقال الحافظ: لم أجده. انتهى.
وينظر تفسير القرطبي (٣/ ٢٠٢).
١٧٩ ـ تقدم تخريج برقم (١٦).

---

(١) قال محمود رحمه الله: «والذي بيده عقدة النكاح الولي... إلخ» قال أحمد رحمه الله: هذا النقل وهم فيه الزمخشري عن الشافعي رضيَ الله عنه، فإن مذهبه موافق لمذهب أبي حنيفة رضيَ الله عنه في أن المراد به الزوج. وإنما ذهب إلى أن المراد الولي الإمام مالك رضيَ الله عنه، وصدق الزمخشري أنه قول ظاهر الصحة، عليه رونق الحق وطلاوة الصواب لوجوه:
الأول: أن الذي بيده عقدة النكاح ثابتة مستقرة هو الولي. وأما الزوج فله ذلك العقد المتقدم خاصة، ثم هو بعد الطلاق، والكلام حينئذٍ ليس من عقدة النكاح في شيء البتة، فإن قيل: أطلق عليه ذلك بعد الطلاق بتأويل «كان» مقدرة، فلا يخفى على المنصف ما في ذلك من البعد والخروج من حد إطلاق الكلام وأصله.
الثاني: أن الخطاب الأول للزوجات اتفاقاً بقوله ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ وفيهن من لا عفو لها البتة كالأمة والبكر، فلولا استتمام التقسيم بصرف الثاني إلى الولي على ابنته البكر أو أمته، وإلا لزم الخروج عن ظاهر عموم الأول، وحيث حمل الكلام على الولي صار الكلام بمعنى: إلا أن يعفون إن كن أهلاً للعفو، أو يعفو لهن إن لم يكن أهلاً، ولهذا كان الولي الذي يعفو ويعتبر عفوه عند مالك: هو الأب في ابنته البكر، والسيد في أمته خاصه.
الثالث: أن الكتاب العزيز جدير بتناسب الأقسام وانتظام أطراف الكلام، والأمر فيه على هذا المحمل بهذه المثابة، فإن الآية حينئذٍ مشتملة على خطاب الزوجات ثم الأولياء ثم الأزواج بقوله ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ فتكون على هذا الوجه مليئة بالفوائد جامعة للمقاصد.
الرابع: أن المضاف إلى صاحب عقدة النكاح العفو كما هو مضاف إلى الزوجات، والعفو: الإسقاط لغة وهو المراد في الأول اتفاقاً، إذ المضاف إلى الزوجات هو الإسقاط بلا ريب، ولو كان المراد بصاحب العقدة الزوج لتعين حمل العفو على تكميل المهر وإعطائه ما لا يستحق عليه، وهذا إنما يطابقه من الأسماء التفضُل. ومن ثم قال في خطاب الأزواج ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ لأن المبذول من جهته غير مستحق عليه فهو فضل لا عفو. ولا يقال: لعل الزوج تعجّل المهر كاملاً =

يطالبنهم بنصف المهر، وتقول المرأة: ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئاً، أو يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن، وهو مذهب الشافعي، وقيل: هو الزوج، وعفوه أن يسوق إليها المهر كاملاً، وهو مذهب أبي حنيفة، والأوّل ظاهر الصحة، وتسمية الزيادة على الحق عفواً فيها نظر، إلا أن يُقال: كان الغالب عندهم أن يسوق إليها المهر عند التزوّج، فإذا طلقها، استحقّ أن يطالبها بنصف ما ساق إليها، فإذا ترك المطالبة، فقد عفا عنها، أو سماه عفواً على طريق المشاكلة، وعن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة، وطلقها قبل أن يدخل بها، فأكمل لها الصداق، وقال: أنا أحق بالعفو، (١٨٠) وعنه: أنه دخل على سعد بن أبي وقاص، فعرض عليه بنتاً له فتزوّجها، فلما خرج، طلقها وبعث إليها بالصداق كاملاً، فقيل له: لم تزوّجتها؟ فقال: عرضها عليّ فكرهت ردّه، قيل: فلم بعثت بالصداق؟ قال: فأين الفضل؟ (١٨١) و﴿ٱلْفَضْلِ﴾: التفضل، أي: ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض وتتمرؤا ولا تستقصوا، وقرأ الحسن «أن يعفو الذي، بسكون

---

١٨٠ ـ أخرجه الطبري (٥/ ١٥٢) رقم (٥٣٢٢ ـ ٥٣٢٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٥١).
كتاب النكاح: باب من قال عفو المهر وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٢٢) وعزاه إلى الشافعي وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي.

١٨١ ـ أخرجه الطبري (٥/ ١٦٥) رقم (٥٣٦٤) من طريق سعيد بن جبير بن مطعم عن أبيه أنه دخل على سعد بن أبي وقاص... فذكره.
قال الحافظ ابن حجر:
أخرجه الطبري من طريق ابن أبي ذئب عن سعيد بن محمد بن جبير عن جده جبير بن مطعم به سواء. انتهى.

= قبل الطلاق وطلق فيجب استرجاع النصف فيسقطه ويعفو عنه، وحينئذٍ يبقى العفو من جانب الزوج على ظاهره وحقيقته، لأنا نقول: حسبنا في رد هذا الوجه ما فيه من الكلفة وتقدير ما الأصل خلافه.

الخامس: أن صدر الآية خطاب للأزواج في قوله: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ إلى قوله ﴿فَرَضْتُمْ﴾ فلو جاء قوله ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ مراداً به الزوج لكان عدولاً والتفاتاً من الخطاب إلى الغيبة، وليس هذا من مواضعه، ولأجل هذا جاء قوله ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ﴾ على صيغة الخطاب، لأن المراد به الأزواج لخطابهم أولاً.

السادس: أن قوله ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ وما عطف عليه استثناء من قوله ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ وأصل الكلام: فنصف ما فرضتم واجب عليكم إلا أن يعفو عنه الزوجات فليس بواجب عليكم إذاً، فإذا حمل الكلام على الولي استقام، إذ هم لو كملوا المهر لهن فالنصف واجب عليهم ولا يتغير ولا يخالف الحالة المستثناة مما وقع منه الاستثناء، فلا يجري الاستثناء على حقيقته في المخالفة بين الأول والثاني، إلا أن يقال: مقتضى قوله ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ واجب عليكم: أن النصف الآخر غير مؤدى إليهن لأنه ساقط عن الزوج، فإذا عفا بمعنى كمل المهر فقد صار النصف الآخر مؤدى إليهن، ففي هذا التأويل من الكلفة ما يسقط مؤنة رده.

الواو، وإسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيهاً لهما بالألف، تشبيهٌ لأنهما أختاها، وقرأ أبو نُهيك: «وأن يعفو»، بالياء، وقرىء: «ولا تنسو الفضل»، بكسر الواو.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾: أي الوسطى بين الصلوات، أو الفضلى، من قولهم للأفضل: الأوسط، وإنما أفردت وعطفت على الصلاة[1]، لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر، وعن النبيّ - ﷺ - أنه قال يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم ناراً» (١٨٢) وقال - عليه الصلاة والسلام -: «إنها الصلاة التي شغل عنها

---

١٨٢ - أخرجه أحمد (٣/ ٢٥) والنسائي (٢/ ١٧) كتاب الأذان: باب الأذان للفائت من الصلوات، والطيالسي (١/ ٧٨ - منحة) رقم (٣٢٣) والدارمي (١/ ٣٥٨) كتاب الصلاة: باب الحبس عن الصلاة والشافعي في «الأم» (١/ ٨٦) وأبو يعلى (٢/ ٤٧١) رقم (١٢٩٦) وابن خزيمة (٢/ ٩٩) رقم (٩٩٦) وابن حبان (٢٨٥ - موارد) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٣٢١) كتاب الصلاة، والبيهقي (١/ ٤٠٢) من حديث أبي سعيد الخدري قال: حبسنا يوم الخندق عن الصلاة حتى كان بعد المغرب بهوى من الليل كفينا وذلك قول الله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ قال: فدعا رسول الله - ﷺ - بلالاً فأقام الظهر فأحسن صلاتها كما كان يصلّيها في وقتها ثم أمره فأقام العصر فصلاّها فأحسن صلاتها كما كان يصلّيها في وقتها ثم أمره فأقام المغرب فصلاها كذلك قال: وذلك قبل أن ينزل الله عز وجل في صلاة الخوف ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ . . .

والحديث صحّحه ابن خزيمة وابن حبّان وصحّحه ابن السّكن كما في «نيل الأوطار» (٢/ ٣٤) وقال الشوكاني: رجال إسناده رجال الصحيح. . .

وفي الباب عن ابن مسعود وجابر.

- حديث ابن مسعود:

أخرجه أحمد (١/ ٣٧٥)، والترمذي (١/ ١١٥): كتاب الصلاة: باب الرجل تفوته الصّلوات، الحديث (١٧٩)، (١/ ١٧): كتاب الأذان: باب الإجتزاء للفائت من الصلوات بأذان واحد، والبيهقي (١/ ٤٠٣): كتاب الصّلاة: باب الأذان والإقامة للجمع بين الصّلوات الفائتات، من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن المشركين شغلوا رسول الله - ﷺ - عن أربع صلوات يوم الخندق حتى ذهب من الليل ما شاء، فأمر بلالاً فأذّن ثم أقام فصلّى الظهر، ثم أقام فصلّى العصر ثم أقام فصلّى المغرب ثم أقام فصلّى العشاء.

وقال الترمذي: حديث عبد الله ليس بإسناده بأس إلاّ أن أبا عبيدة لم يسمع من عبد الله. ا.هـ.

وللحديث طريق آخر عن ابن مسعود أيضاً.

أخرجه أبو يعلى (٥/ ٣٩) رقم (٢٦٢٨) من طريق يحيى بن أبي أنيسة عن زبيد الأيامي عن أبي عبد الرحمن السّلمي عن عبد الله بن مسعود به قال: شغل المشركون رسول الله - ﷺ - عن الصّلوات: =

---

(١) قوله «وعطفت على الصلاة» لعله: على الصلوات. (ع)

سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب» (١٨٣) وعن حفصة أنها قالت لمن كتب لها المصحف: إذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقرؤها، فأملت عليه: والصلاة الوسطى صلاة العصر (١٨٤)، وروي/٨٧أ عن عائشة

= الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى ذهب ساعة من الليل ثم أمر رسول الله ـ ﷺ ـ بلالاً فأذّن وأقام ثم صلّى الظهر ثم أمره فأذّن وأقام فصلّى العصر ثم أمره فأذّن وأقام فصلّى المغرب ثم أمره فأذّن وأقام فصلّى العشاء.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/٧) وقال: رواه أبو يعلى وفيه يحيى بن أبي أنيسة وهو ضعيف عند أهل الحديث إلاّ أن ابن عديّ قال: وهو مع ضعفه يُكتب حديثه. ا.هـ.
ويحيى روى له الترمذي وقال الحافظ في «التقريب» (٢/٣٤٣). ضعيف.
ـ حديث جابر:
أخرجه البزار (١/١٨٥ ـ كشف) رقم (٣٦٥) من طريق مؤمل بن إسماعيل ثنا حمّاد بن سلمة عن عبد الكريم بن أبي المخارق عن مجاهد عن جابر بنحو حديث ابن مسعود وقال في آخره: ما على وجه الأرض قوم يذكرون الله غيركم.
وقال البزار: لا نعلم رواه بهذا الإسناد إلاّ مؤمل ولا نعلمه يروي عن جابر بهذا اللفظ إلاّ من هذا الوجه.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/٧) وقال: رواه البزّار والطبراني في الأوسط وفيه عبد الكريم بن أبي المخارق وهو ضعيف. ا.هـ.
وفيه أيضاً مؤمل بن إسماعيل.
قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو زرعة: في حديثه خطأ كثير.
وقال الذهبي: صدوق مشهور وثّق.
وقال الحافظ: صدوق سيّء الحفظ.
ينظر المغني (٢/٦٨٩)، والتقريب (٢/ ٢٩٠).
قال الحافظ: أخرجه مسلم من رواية شتير بن شكل عن علي به. والحديث في الكتب الستة، إلاّ أن قوله «صلاة العصر» عند مسلم وحده. وأخرجه البخاري في المغازي والجهاد والتفسير وفي الباب عن ابن مسعود رفعه «الصلاة الوسطى صلاة العصر» أخرجه الترمذي. وعنده عن سمرة نحوه. انتهى.

١٨٣ ـ أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٥/٥٤٣) من طريق مقاتل بن سليمان عن أبي إسحاق السَّبِيعي عن الحارث الأعور عن علي مرفوعاً.
قال الحافظ: وفي إسناده مقاتل بن سليمان وهو ساقط، وأخرجه ابن أبي شيبة (١/٢٤٥) رقم (٨٦١١) عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي موقوفاً ورجّح الحافظ صوابه عن المرفوع.
قال الحافظ: أخرجه ابن عديّ في الكامل عن علي مرفوعاً. قال «صلاة الوسطى صلاة العصر التي غفل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب» وفي إسناده مقاتل بن سليمان. وهو ساقط، ورواه ابن أبي شيبة من رواية أبي إسحاق عن الحارث ابن علي مرفوعاً، وهو أشبه بالصّواب. وفي الباب عن ابن عباس موقوفاً عند الطبري. انتهى.

١٨٤ ـ أخرجه مالك (١/١٣٩): كتاب صلاة الجماعة: باب الصّلاة الوسطى، حديث (٢٦) وابن حبان =

(١٨٥) وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ: والصلاة الوسطى، وصلاة العصر (١٨٦)؛

= (٥/ ٣٨٩)، حديث (١٧٢٢) والبيهقي في سننه (١/ ٤٦٢): كتاب الصلاة: باب من قال هي الصبح، وأبو يعلى (١٣/ ٥٠)، حديث (٧١٢٩) والطبري في تفسيره (٥/ ٢٠٩)، حديث (٥٤٦٢)، وعبد الرزاق في مصنّفه (١/ ٥٧٨)، حديث (٢٢٠٢) وذكره الحافظ في المطالب العالية (٣/ ٣٠٨)، حديث (٣٥٥٠) وعزاه لأبي يعلى وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٥٣٧) وزاد نسبته إلى أبي عبيد وعبد بن حميد وابن الأنباري عن عمرو بن رافع قال كنت أكتب مصحفاً لحفصة. وأخرجه عبد الله بن أبي داود في المصاحف، ص (٩٦، ٩٧).

قال الحافظ: أخرجه الطبري من طريق أبي بشر عن سالم عن حفصة أنها أمرت رجلاً فكتب لها مصحفاً. فقالت: إذا بلغت هذا المكان فأعلمني. فلما بلغ ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ قالت: اكتب: صلاة العصر. وفي رواية له: فقالت له اكتب فإنّي سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى هي صلاة العصر» هكذا عند الطبري.

والمشهور عن حفصة أنّها أملت على الكاتب: حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطى صلاة العصر. كذلك رواه مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم عن عمرو بن رافع أنه قال: كنت أكتب مصحفاً لحفصة فذكره. ورواه ابن حبّان من رواية ابن إسحاق: حدثني أبو جعفر محمد بن علي ونافع بن عمرو بن نافع مولى عمر بن الخطاب حدّثهما أنه كان يكتب المصاحف في عهد أزواج رسول الله ـ ﷺ ـ قال: فاستكتبتني حفصة مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية من هذه السورة ـ البقرة ـ فلا تكتبها حتى تأتيني بها فأمليها عليك كما حفظتها من رسول الله ـ ﷺ ـ قال: فلمّا بلغتها جئتها بالورقة التي أكتبها: فقالت لي: اكتب حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطى وصلاة العصر. ومن هذا الوجه أخرجه أبو يعلى والطحاوي. ورواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن نافع عن حفصة نحوه وكذا رواه الطبري من طريق عبد الله بن عمر عن نافع: أنّ حفصة أمرت مولىً لها: وأخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف من نحو عشرين طريقاً فيها كلّها وصلاة العصر بالواو. انتهى.

١٨٥ ـ أخرجه مالك (١/ ١٣٨، ١٣٩): كتاب صلاة الجماعة: باب الصّلاة الوسطى، حديث (٢٥)، ومسلم (٣/ ١٣٨ نووي): كتاب المساجد: باب الصّلاة الوسطى حديث (٢٠٧/ ٦٢٩)، وأبو داود (١/ ١١٢): كتاب الصّلاة: باب وقت صلاة العصر، حديث (٤١٠)، والترمذي (٥/ ٢١٧): كتاب التفسير: باب من سورة البقرة حديث (٢٩٨٢)، والنّسائي (١/ ٢٣٦): كتاب الصّلاة: باب المحافظة على صلاة العصر، حديث (٤٧٢)، والبيهقي (١/ ٤٦٢) الصّلاة: باب من قال هي الصّبح.

وعبد الله بن أبي داود في «المصاحف» ص (٩٤، ٩٥).

قال الحافظ: أما عائشة فروى مسلم من طريق أبي يونس مولى عائشة قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت إذا بلغت هذه الآية فآذني. فلمّا بلغتها آذنتها فأملت عليّ: حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطى وصلاة العصر وقالت سمعتها من رسول الله ـ ﷺ ـ وكذا أخرجه أبو داود والترمذي والنّسائي ومالك والشافعي وأحمد من هذا الوجه. وأما ابن عباس فرواه الطبري وابن أبي داود في المصاحف من رواية أبي إسحاق عمر بن مريم عن ابن عباس «أنه كان يقرؤها كذلك». انتهى.

١٨٦ ـ أخرجه الطبري (٥/ ٢١٣)، حديث (٥٤٦٨) وعبد الله بن أبي داود، في كتاب المصاحف ص (٨٧).

بالواو، فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين: إحداهما الصلاة الوسطى، إمّا الظهر، وإمّا الفجر وإمّا المغرب، على اختلاف الروايات فيها، والثانية: العصر، وقيل: فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: هي صلاة الظهر (١٨٧)، لأنها في وسط النهار، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يصليها بالهاجرة، ولم تكن صلاة أشدّ على أصحابه منها، وعن مجاهد: هي الفجر (١٨٨)، لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل، وعن قبيصة بن ذؤيب: هي المغرب (١٨٩)، لأنها وتر النهار ولا تنقص في السفر من الثلاث، وقرأ عبد الله: «وعلىٰ الصلاة الوسطى»، وقرأت عائشة ـ رضي الله عنها ـ «والصلاة الوسطى» بالنصب على المدح والاختصاص، وقرأ نافع: «الوصطى»، بالصاد ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾: في الصلاة، ﴿قَـٰنِتِينَ﴾: ذاكرين لله في قيامكم، والقنوت: أن تذكر الله قائماً، وعن عكرمة: كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا، وعن مجاهد: هو الركود، وكف الأيدي، والبصر، ورُوي: أنهم كانوا إذا قام أحدهم إلى الصلاة هاب الرحمٰن أن يمدّ بصره أو يلتفت، أو يقلب الحصا، أو يحدّث نفسه بشيء من أمور الدنيا، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره، ﴿فَرِجَالًا﴾: فصلوا راجلين، وهو جمع راجل كقائم وقيام، أو رجل، يقال: رجل رجل، أي: راجل، وقرىء: «فرجالا»، بضم الراء، «ورجالاً» بالتشديد «ورجلاً»، وعند أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ: لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف، وعند الشافعي ـ رحمه الله ـ: يصلون في كل حال، والراكب يومىء ويسقط عنه التوجه إلى القبلة، ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾: فإذا زال خوفكم، ﴿فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾: من صلاة الأمن، أو فإذا أمنتم فاشكروا الله على الأمن، واذكروه بالعبادة، كما أحسن إليكم بما علمكم من الشرائع، وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الأمن.

---

١٨٧ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٠١، ٢٠٢) حديث (٥٤٥١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٥٣٦) وعزاه للبيهقي وابن عساكر.
وقال ابن حجر: أخرجه الطبري من رواية أبي عقيل زهرة بن معبد أن سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير وإبراهيم بن طلحة سألوا ابن عمر عن الصلاة الوسطى. فقال: هي الظهر. انتهى.

١٨٨ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢١٩)، حديث (٥٤٨٧).

١٨٩ ـ أخرجه الطبري (٥/ ٢١٤)، حديث (٥٤٧١) من طريق إسحاق عن رجل عن قبيصة به وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٥٤٢) وعزاه لابن جرير الطبري عن قبيصة بن ذؤيب.
قال الحافظ: أخرجه الطبري من رواية إسحاق بن أبي فروة عن رجل عن قبيصة بن ذؤيب قال: الصّلاة الوسطى صلاة المغرب ألا ترى أنها ليست بأقلّها ولا أكثرها ولا تقصر في السفر؟ وإسحاق متروك وشيخه مجهول. انتهى.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾

تقديره: فيمن قرأ وصية بالرفع، ووصية الذين يتوفون، أو وحكم الذين يتوفون وصية لأزواجهم، أو والذين يتوفون أهل وصية لأزواجهم، وفيمن قرأ بالنصب: والذين يتوفون يوصون وصية، كقولك: إنما أنت سير البريد، بإضمار تسير، أو وألزم الذين يتوفون وصية، وتدل عليه قراءة عبد الله: «كتب عليكم الوصية لأزواجكم متاعاً إلى الحول»، مكان قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾، وقرأ أبيّ: «متاع لأزواجهم متاعاً»، ورُوي عنه: «فمتاع لأزواجهم»، ومتاعاً نصب بالوصية، إلا إذا أضمرت يوصون، فإنه نصب بالفعل، وعلى قراءة أبيّ متاعاً نصب بمتاع، لأنه في معنى التمتيع؛ كقولك: الحمد لله حمد الشاكرين، وأعجبني ضرب لك زيداً ضرباً شديداً، و﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ﴾: مصدر مؤكد، كقولك: هذا القول غير ما تقول، أو بدل من متاعاً، أو حال من الأزواج، أي: غير مخرجات، والمعنى: أن حق الذين يتوفون/ ٨٧ب عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً، أي: ينفق عليهنّ من تركته ولا يخرجن من مساكنهن، وكان ذلك في أول الإسلام، ثم نسخت المدة بقوله: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًاۖ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، وقيل: نسخ ما زاد منه على هذا المقدار، ونسخت النفقة بالإرث الذي هو الربع والثمن، واختلف في السكنى، فعند أبي حنيفة وأصحابه: لا سكنى لهن، ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾: من التزين والتعرض للخطاب، ﴿مِن مَّعْرُوفٍۗ﴾: مما ليس بمنكر شرعاً، فإن قلت: كيف نسخت الآية المتقدمةُ المتأخرةَ؟ قلت: قد تكون الآية متقدّمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل، كقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٤٢] مع قوله ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾ [البقرة: ١٤٤].

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ﴾: عم المطلقات بإيجاب المتعة لهن بعد ما أوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها، وقال: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾، كما قال ثمة: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وعن سعيد بن جبير وأبي العالية والزهري: أنها واجبة لكل مطلقة، وقيل: قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعاً، وقيل: المراد بالمتاع نفقة العدة.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ

ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين، وتعجيب من شأنهم، ويجوز أن يخاطب به من لم يَرَ ولم يسمع، لأنّ هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب، روي: أنّ أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين، فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفرّ من حكم الله وقضائه، وقيل مرّ عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابعه، تعجباً مما رأى، فأوحى إليه: ناد فيهم أن قوموا بإذن الله، فنادى، فنظر إليهم قياماً يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت (١٩٠)، وقيل: هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذراً من الموت، فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم، ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾، فيه دليل على الألوف الكثيرة، واختلف في ذلك، فقيل: عشرة، وقيل: ثلاثون، وقيل: سبعون، ومن بدع التفاسير، ﴿أُلُوفٌ﴾: متآلفون، جمع آلف كقاعد وقعود، فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾؟ قلت: معناه فأماتهم، وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته، وتلك ميتة خارجة عن العادة، كأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالاً من غير إباء ولا توقف؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة، وأنّ الموت إذا لم يكن منه بدٌّ ولم ينفع منه مفر، فأولى أن يكون في سبيل الله، ﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون، كما بصر أولئك، وكما بصركم باقتصاص خبرهم، أو لذو فضل على الناس/٨٨أ حيث أحيى أولئك ليعتبروا فيفوزوا، ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم البعث، والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثاً على الجهاد: ما أتبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون، ﴿عَلِيمٌ﴾: بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

إقراض الله: مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه، والقرض الحسن: إما المجاهدة

---

١٩٠ ـ أخرجه الطبري (٥/ ٢٧٠) رقم (٥٦٠٢، ٥٦٠٣) من طريق أسباط عن السّدي عن أبي مالك وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٥١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

في نفسها، وإما النفقة في سبيل الله، ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾: قيل: الواحد بسبعمائة، وعن السدي: كثيرة لا يعلم كنهها إلا الله، ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾: يوسع على عباده ويقتر، فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم على ما قدّمتم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)﴾

﴿لِنَبِيٍّ لَهُمُ﴾: هو يوشع، أو شمعون، أو شمويل، ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾: أنهض للقتال معنا أميراً نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره، طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله ـ ﷺ ـ من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها، ومن أمرهم بطاعته وامتثال أوامره، ورُوي أنه أمر الناس إذا سافروا أن يجعلوا أحدهم أميراً عليهم، ﴿نُقَاتِلْ﴾: قرىء بالنون والجزم على الجواب، وبالنون والرفع على أنه حال، أي: ابعثه لنا مقدّرين القتال، أو استئناف كأنه قال لهم: ما تصنعون بالملك؟ فقالوا: نقاتل، وقرىء: «يقاتل» بالياء والجزم على الجواب، وبالرفع على أنه صفة لـ ﴿ملكا﴾، وخبر «عسيتم»، ﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾: والشرط فاصل بينهما، والمعنى: هل قاربتم أن لا تقاتلوا؟ يعني: هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون؟ أراد أن يقول: عسيتم أن لا تقاتلوا، بمعنى: أتوقع جبنكم عن القتال، فأدخل هل مستفهماً عما هو متوقع عنده ومظنون، وأراد بالاستفهام التقرير، وتثبيت أنّ المتوقع كائن، وأنه صائب في توقعه(١)، كقوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان﴾ [الإنسان: ١] معناه: التقرير، وقرىء «عسيتم» بكسر السين وهي ضعيفة، ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ﴾: وأيّ داع لنا إلى ترك القتال، وأي: غرض لنا فيه، ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾: وذلك أنّ قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين، فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾: قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ

---

(١) قوله «وأنه صائب في توقعه» في الصحاح: صاب السهم القرطاس يصيبه، لغة في أصابه. (ع)

﴿عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾

﴿طَالُوتَ﴾: اسم أعجمي كجالوت وداود، وإنما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته، وزعموا أنه من الطوال لما وصف به من البسطة في الجسم، ووزنه إن كان من الطول «فعلوت» منه، أصله طولوت، إلا أنّ امتناع صرفه يدفع أن يكون منه، إلا أن يقال: هو اسم عبراني وافق عربياً، كما وافق حنطاء حنطة، وبشمالا لها رحمانا رحيماً بسم الله الرحمٰن الرحيم، فهو من الطول كما لو كان عربياً، وكان أحد سببيه العجمة، لكونه عبرانياً، ﴿أَنَّى﴾/٨٨ب كيف ومن أين، وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له، فإن قلت: ما الفرق بين الواوين في: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ﴾، ﴿وَلَمْ يُؤْتَ﴾؟(1) قلت: الأولى للحال، والثانية: لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالاً، قد انتظمتهما معاً في حكم واو الحال، والمعنى: كيف يتملك علينا، والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك، وأنه فقير ولا بدّ للملك من مال يعتضد به، وإنما قالوا ذلك لأنّ النبوّة كانت في سبط لاوى بن يعقوب، والملك في سبط يهوذا، ولم يكن طالوت من أحد السبطين، ولأنه كان رجلاً سقاء أو دباغاً فقيراً، ورُوي: أنّ نبيهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكاً، فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم، فلم يساوها إلا طالوت (١٩١)، ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾: يريد أنّ الله هو الذي اختاره عليكم، وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله، ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال، وهما العلم المبسوط والجسامة، والظاهر أنّ المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لأجله من أمر الحرب، ويجوز أن يكون عالماً بالديانات وبغيرها، وقيل: قد أوحي إليه ونبىء، وذلك أنّ الملك لا بدّ أن يكون من أهل العلم، فإنّ الجاهل مزدرى غير منتفع به، وأن يكون جسيماً يملأ العين جهارة؛ لأنه أعظم في النفوس وأهيب في القلوب، والبسطة: السعة والامتداد، ورُوي أن الرجل القائم كان يمدّ يده فينال رأسه، ﴿يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾: أي الملك له غير منازع فيه، فهو يؤتيه من يشاء: من يستصلحه للملك، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: الفضل والعطاء،

---

١٩١ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/٣١٣) حديث (٥٦٥٢) عن السّدي.

---

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت ما الفرق بين الواوين... إلخ»، قال أحمد رحمه الله: وحاصل هذا أن الواو الأولى أفادت جملتها الحالية بنفسها وأفادت الجملة الثانية الحالية أيضاً لكن بواسطة الواو العاطفة. وهذا النظر من السهل الممتنع.

يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر، ﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يصطفيه للملك.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

﴿ٱلتَّابُوتُ﴾: صندوق التوراة، وكان موسى ـ عليه السلام ـ إذا قاتل، قدّمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرّون، والسكينة: السكون والطمأنينة، وقيل: هي صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت، لها رأس كرأس الهرّ وذنب كذنبه وجناحان، فتئن فيزف التابوت نحو العدوّ وهم يمضون معه، فإذا استقرّ، ثبتوا وسكنوا ونزل النصر، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح هفافة (١٩٢)، ﴿وَبَقِيَّةٌ﴾: هي رضاض الألواح وعصى موسى وثيابه وشيء من التوراة، وكان رفعه الله تعالى بعد موسى ـ عليه السلام ـ فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه، فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت، وقيل: كان مع موسى ومع أنبياء بني إسرائيل بعده يستفتحون به، فلما غيرت بنو إسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في أرض جالوت، فلما أراد الله أن يملّك طالوت أصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن، فقالوا: هذا بسبب التابوت بين أظهرنا، فوضعوه على ثورين، فساقهما الملائكة إلى طالوت، وقيل كان من خشب الشمشار مموّها بالذهب، نحواً من ثلاثة أذرع/ ٨٩أ في ذراعين، وقرأ أبيّ وزيد بن ثابت: «التابوه» بالهاء وهي لغة الأنصار، فإن قلت: ماوزن التابوت؟ قلت: لا يخلو من أن يكون فعلوتا[(١)] أو فاعولاً، فلا يكون: «فاعولا» لقلته، نحو: سلس وقلق، ولأنه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف إليه، فهو إذاً «فعلوت»: من التوب، وهو الرجوع؛ لأنه ظرف توضع فيه الأشياء وتودعه، فلا يزال يرجع إليه ما يخرج منه، وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاج إليه من مودعاته، وأمّا من قرأ بالهاء فهو «فاعول» عنده، إلا فيمن جعل هاءه بدلاً من التاء،

----

١٩٢ ـ أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ص (١٠٠ ـ ١٠١) والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٢٦) رقم (٥٦٦٦) والحاكم (٢/ ٤٦٠) من طريق سلمة بن كهيل عن أبي الأحوص عن علي به.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٦٢) وزاد نسبته إلى أبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر.

---

(١) قال محمود رحمه الله: «وزن التابوت فعلوت... إلخ» قال أحمد رحمه الله: يريد لأن الفاء تاء واللام كذلك، والعرب تستثقل ما فاؤه ولامه حرف واحد لأنه توأم للتكرار.

لاجتماعهما في الهمس وأنهما من حروف الزيادة، ولذلك أبدلت من تاء التأنيث، وقرأ أبو السمال: «سَكِّينة»، بفتح السين والتشديد وهو غريب، وقرىء: «يحمله»، بالياء، فإن قلت: مَن ﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾؟ قلت: الأنبياء من بني يعقوب بعدهما، لأن عمران هو ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب، فكان أولاد يعقوب آلهما، ويجوز أن يراد: مما تركه موسى وهارون، والآل مقحم لتفخيم شأنهما.

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾

﴿فَصَلَ﴾: عن موضع كذا، إذا انفصل عنه وجاوزه، وأصله: فصل نفسه، ثم كثر محذوف المفعول، حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل، وقيل: فصل عن البلد فصولاً، ويجوزأن يكون: فصله فصلاً، وفصل فصولاً كوقف وصدّ ونحوهما، والمعنى: انفصل عن بلده، ﴿بِٱلْجُنُودِ﴾: رُوي أنه قال لقومه: لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه، ولا تاجر مشتغل بالتجارة، ولا رجل متزوّج بامرأة لم يبن عليها، ولا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ، فاجتمع إليه مما اختاره ثمانون ألفاً، وكان الوقت قيظاً، وسلكوا مفازة، فسألوا أن يجري الله لهم نهراً، فـ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: بما اقترحتموه من النهر، ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾: فمن ابتدأ شربه من النهر بأن كرع فيه، ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾: فليس بمتصل بي ومتحد معي، من قولهم: فلان مني، كأنه بعضه؛ لاختلاطهما واتحادهما، ويجوز أن يراد فليس من جملتي وأشياعي، ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: ومن لم يذقه، من طعم الشيء، إذا ذاقه، ومنه طِعم الشيء، لمذاقه؛ قال [من الطويل]:

.... وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نَقَاخاً[1] وَلاَ بَرْدَا[2]

---

(١) قوله «لم أطعم نقاخاً» هو الماء العذب الذي ينقخ الفؤاد ببرده. والنقخ: النقف. وهو كسر الرأس عن الدماغ. (ع)

(٢) فإن شئت حرمت النساء سواكم ... وإن شئت لم أطعم نقاخاً ولا برداً

للعرجي. وتاء شئت يحتمل أنها للمتكلم، وأنها للمخاطبة وهو أبلغ. وخاطب الواحدة بلفظ جمع المذكر تعظيماً. ولم أطعم: أي لم أتناول. والنقاخ ـ بالقاف والخاء المعجمة ـ: الماء العذب البارد. والبرد: النوم، وعن بعض العرب: منع البرد البرد، وهو من باب الجناس التام، والعرجي: =

ألا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم، ويقال: ما ذقت غماضاً، ونحوه من الابتلاء: ما ابتلى الله به أهل أيلة من ترك الصيد مع إتيان الحيتان شرَّعاً، بل هو أشد منه وأصعب، وإنما عرف ذلك طالوت بإخبار من النبي، وإن كان نبياً ـ كما يروي عن بعضهم ـ فبالوحي، وقرىء «بنهر» بالسكون، فإن قلت:ممَّ استثنى قوله: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ﴾؟ قلت: من قوله: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾[1]، والجملة الثانية في حكم المتأخرة، إلا أنها قدّمت للعناية كما قدم، ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾، في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ [المائدة: ٦٩] ومعناه: الرخصة في اغتراف الغرفة باليد/ ٨٩ب دون الكروع، والدليل عليه قوله: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ أي: فكرعوا فيه، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: وقرىء: «غَرفة» بالفتح بمعنى المصدر، وبالضم بمعنى المغروف، وقرأ أبيّ والأعمش: «إلا قليل»، بالرفع، وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانباً، وهو باب جليل من علم العربية، فلما كان معنى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ في معنى فلم يطيعوه، حمل عليه، كأنه قيل: فلم يطيعوه إلا قليل منهم، ونحوه قول الفرزدق [من الطويل]:

.... لَـمْ يَـدَعْ مِنَ الْمَالِ إلاَّ مُسْحَتٌ أَوْ مُجَلَّفُ[2]

= هو عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، نسبة لعرج الطائف.

ينظر ديوانه (١٠٩)، البحر ٢/ ٢٧٣، الأضداد (٦٤) التهذيب للمبرد ١٤/ ١٠٥، اللسان: برد: فتر، الدر المصون ١/ ٦٠٤.

(١) قال محمود رحمه الله: «مستثنى من قوله ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ . . . إلخ» قال أحمد رحمه الله: وفي هذه الآية تقوية لمن ذهب إلى أن الاستثناء المتعقب للجمل لا يتعين عوده إلى الأخيرة لاحتمال عوده إلى ما قبلها. ورد على من منع ذلك محتجاً بامتناع الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بأجنبي من الاستثناء. ولذلك حقق عوده إلى الأخيرة، وتوقف في انعطافه على ما تقدمها، فيجوز عنده أن يعود على الجميع مع الأخيرة. وأما عوده على ما قبل الأخيرة دونها فمتعذر عند هذا القائل فلم يصف في العود إلى الأخيرة لهذه الشبهة. وقد بيَّن القاضي أبو بكر صلاحية عوده إلى ما قبل الأخيرة دونها رداً على هذا القائل، واستشهد بقوله تعالى ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ووجه استشهاده: أن المعنى يأبى انعطاف هذا الاستثناء إلى الجملة الأخيرة ويعين عوده إلى ما قبلها وسيأتي بيان ذلك عند الكلام على الآية.

(٢) إليك أمير المؤمنين رمت بنا شعوب النوى والهوجل المتعسّف
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف

للفرزدق. يقول: يا أمير المؤمنين، قذفتنا إليك طرق البعد، لكن الرامي به في الحقيقة دواعي النفس، فإسناد الرمي إلى الشعوب مجاز عقلي: أو شبه الطرق بمن يصح منه الرمي على سبيل المكنية، والمراد بالرمي البعث مجازاً، والهوجل: الطويل الأحمق، أي البعير المتعسف الحائد عن سُنَن الطريق، أو الطريق المعوج، فهو عطف خاص على عام. وشبّه الزمان المجدب بذي ناب على طريق المكنية، وإسناد العض له تخييل. والمسحت: البقية القليلة من الشيء، يقال سحته =

كأنه قال: لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف، وقيل: لم يبق مع طالوت إلا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني القليل، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يعني الخُلّص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه، أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله، والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة، وقيل: الضمير في ﴿قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا﴾: للكثير الذين انخذلوا، والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه، كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما، يظهر أولئك عذرهم في الانخذال، ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به، ورُوي: أنّ الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته، والذين شربوا منه اسودّت شفاههم وغلبهم العطش.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾

و «جالوت»: جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد، وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوّة القلوب، وإلقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الأسباب، كان أيشى أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه، وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم، فأوحي إلى اشمويل أنّ داود بن إيشى هو الذي يقتل جالوت، فطلبه من أبيه، فجاء وقد مرّ في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقالت له: إنك تقتل بنا جالوت، فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله، وزوّجه طالوت بنته، ورُوي أنه حسده وأراد قتله ثم تاب، ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾: في مشارق الأرض المقدّسة ومغاربها، وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: والنبوّة، ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾: من صنعة

= وأسحته إذا استأصله، والأولى لغة الحجاز، والثانية لغة نجد. والمجلف: المنقرض من جوانبه، يقال جلفه كنصره إذا قشره أو قطعه. والجائفة أبلغ من الجالفة، وقيل: المسحت والمجلف، الذي أخذ منه ماله أو هلك منه، وكان الواجب نصب الاستثناء: لأنه لا وجه للرفع، لكن روعي فيه معنى النفي فرفع، أي لم يبق من المال إلا هما. وروي: إلا مسحتا أو مجلف، فرفع الثاني عطفاً على المعنى. روي أنه سئل: لم خالفت بينهما فقال: قلت ذلك لتشقى به النحويون. ونداء عبد الملك بن مروان في الموضعين للتعظيم والاستعطاف.

ينظر ديوانه (٥٥٦)، المحتسب (١/ ١٨٠)، الخصائص (١/ ١٩٩)، شرح المفصل لابن يعيش (١/ ٣١)، الخزانة (٢/ ٣٤٧)، الإنصاف (١٨٨)، اللسان «سحت»، الدر المصون (١/ ٦٠٦).

الدروع، وكلام الطير والدواب وغير ذلك، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾: ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم، لغلب المفسدون، وفسدت الأرض، وبطلت منافعها، وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض، وقيل: ولولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار، لفسدت الأرض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين، أو لو لم يدفعهم بهم لعمّ الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: يعني القصص التي اقتصها، من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم، وتمليك طالوت/ ١٩٠أ وإظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السّماء، وغلبة الجبابرة على يد صبي، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب، لأنه في كتبهم كذلك، ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار.

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾: إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة، أو التي ثبت علمها عند رسول الله ﷺ ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: لما أوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات، ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾: منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير، وهو موسى - عليه السلام -، وقرىء: «كلم الله» بالنصب، وقرأ اليماني: «كالم الله»، من المكالمه، ويدل عليه قولهم: كليم الله، بمعنى مكالمه، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾: أي ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء، فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة، والظاهر أنه أراد محمداً ﷺ[1] لأنه هو المفضل عليهم، حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات

(١) قال محمود رحمه الله: «والظاهر أنه أراد محمداً عليه الصلاة والسلام... إلخ» قال أحمد رحمه الله: وإنما أوردت هذا الفصل من كلامه استحساناً له لفظاً ومعنى، وتبركا بإعطاء المصطفى عليه الصلاة والسلام من الفضل بعض حقه. وأصاب الزمخشري في قوله: حيث أوتي النبي عليه الصلاة والسلام من الفضل المنيف على سائر ما أوتيه الأنبياء، على الجميع الصلاة والسلام. وليس كما يقال عن بعض أهل العصر من تفضيل النبي عليه الصلاة والسلام على كل واحد واحد من آحاد =

المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر، ولو لم يؤت إلاّ القرآن وحده لكفى به فضلاً منيفاً على سائر ما أوتي الأنبياء، لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات، وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى، لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه، والمتميز الذي لا يلتبس، ويقال للرجل: من فعل هذا؟ فيقول: أحدكم أو بعضكم، يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال، فيكون أفخم من التصريح به وأنوه بصاحبه، وسئل الحطيئة عن أشعر الناس؟ فذكر زهيراً والنابغة ثم قال: ولو شئت لذكرت الثالث، أراد نفسه، ولو قال: ولو شئت لذكرت نفسي، لم يفخم أمره، ويجوز أن يريد: إبراهيم ومحمداً وغيرهما من أولي العزم من الرسل، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كنا في المسجد نتذاكر فضل الأنبياء، فذكرنا نوحاً بطول عبادته، وإبراهيم بخلته، وموسى بتكليم الله إياه، وعيسى برفعه إلى السماء، وقلنا: رسول الله ﷺ أفضل منهم، بعث إلى الناس كافة؛ وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وهو خاتم الأنبياء، فدخل ـ عليه السلام ـ فقال: فِيمَ أَنْتُمْ؟ فَذَكَرْنَا لَهُ، فَقَالَ: لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ خَيْراً مِنْ يَحْيَى بِنْ زَكَرِيَّا، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ سَيِّئَةً قَطُّ وَلَمْ يَهِمَّ بِهَا، (١٩٣) فإن قلت: فلمَ خصّ موسى وعيسى من بين الأنبياء بالذكر؟ قلت: لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة، ولقد بيّن الله وجه التفضيل، حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات، فلما كان هذان النبيان قد أوتيا ما أوتيا من عظام الآيات خصّا بالذكر في باب التفضيل، وهذا دليل بين أنّ من زيد تفضيلاً بالآيات منهم فقد فضل على غيره، ولما كان

---

١٩٣ ـ أخرجه البزار (٢٣٥٨ ـ كشف) والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢١٨) رقم (١٢٩٣٨) كلاهما من طريق أبي عاصم عبد الله بن عبيد العباداني عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس.
وذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ١٥٧) وزاد نسبته إلى إسحاق بن راهويه وابن مردويه من هذا الطريق أيضاً والحديث ذكره الحافظ نور الدين الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢١٢) وقال: رواه البزار والطبراني وفيه علي بن زيد بن جدعان وضعّفه الجمهور وبقية رجاله ثقات. قلت: وفي إعلاله بعلي بن زيد وحده نظر فإن عبد الله بن عبيد الله أبا عاصم العباداني ليّن الحديث.
ينظر «التقريب» (٢/ ٤٤٣).
لذلك أصاب الحافظ رحمه الله في إعلال هذا الحديث: فأعلّه بأبي عاصم وعلي بن زيد.
قال الحافظ: أخرجه إسحاق بن راهويه: أخبرنا أبو عاصم العبادي أخبرنا علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عنه به ورواه البزّار والطبراني وابن مردويه من حديث ابن عاصم العبادي به وهو ضعيف وشيخه مجهول. انتهى.

= الأنبياء. وينبغي الوقوف عن نسبته له، فإنه من العلماء الأعلام وعمد دين الإسلام، والوجه التوريك بالغلط على النقلة عنه.

نبينا ﷺ هو الذي أوتي/ ٩٠ب منها ما لم يؤت أحد في كثرتها وعظمها، كان هو المشهود له بإحراز قصبات الفضل غير مدافع، اللهمّ ارزقنا شفاعته يوم الدين، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مشيئة إلجاء وقسر[1]، ﴿مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ﴾ من بعد الرسل، لاختلافهم في الدين، وتشعب مذاهبهم، وتكفير بعضهم بعضاً، ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾، لالتزامه دين الأنبياء، ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾: لإعراضه عنه، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾: كرّره للتأكيد[2]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: من الخذلان والعصمة، ﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾: أراد الإنفاق الواجب، لاتصال الوعيد به، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾: لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق؛ لأنه ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾: حتى تبتاعوا ما تنفقونه، ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾: حتى يسامحكم أخلاؤكم به، وإن أردتم أن يحطّ عنكم ما في ذمّتكم من الواجب[3]، لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في

---

(١) قوله «مشيئة إلجاء وقسر» يعني أنه أراد عدم الاقتتال، لكن لا إرادة قسر، ولذلك تخلف المراد عنها، وهذا مذهب المعتزلة. وأما عند أهل السنة فليس هناك إرادة يتخلف عنها المراد، بل كل ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، كما بيّن في محله. (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله: «كرر ولو شاء الله للتأكيد» قال أحمد رحمه الله: ووراء التأكيد سر أخص منه، وهو أن العرب متى بنت أول كلامها على مقصد ثم اعترضها مقصد آخر وأرادت الرجوع إلى الأول، قصدت ذكره إما بتلك العبارة أو بقريب منها. وذلك عندهم مهيع من الفصاحة مسلوك، وطريق معتد. وكان جدي لأمي أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير يعد في كتاب الله تعالى مواضع في هذا المعنى: منها قوله تعالى ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ ومنها قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ وهذه الآية من هذا النمط، لما صدر الكلام بأن اقتتالهم كان على وفق المشيئة. ثم طال الكلام، أو أريد بيان أن مشيئة الله تعالى كما نفذت في هذا الأمر الخاص وهو اقتتال هؤلاء فهي نافذة في كل فعل واقع، وهو المعنى المعبّر عنه في قوله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ طرأ ذكر تعلق المشيئة بالاقتتال لتلوه عموم تعلق المشيئة لتناسب الكلام وتعرف كل بشكله. فهذا سر ينشرح لبيانه الصدر ويرتاح السر، والله الموفق. وأي قدم يثبت للاعتزال قبالة هذا؟ لأنه الدائرة القاطعة لدابره، الكافلة بالرد على منتحله وناصره ولذلك جوزها الزمخشري لاغتناصها على تأويله، واعتصامها بالنصوصية من حيله ونحيله.

(٣) قال محمود رحمه الله: «ومعناه: إن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم... إلخ» قال أحمد رحمه الله: أما القدرية، فقد وطنوا أنفسهم على حرمان الشفاعة وهم جدير أن يحرموها. وأدلة أهل السنّة على إثباتها للعصاة من المؤمنين أوسع من أن تحصى. وما أنكرها القدرية إلا لإيجابهم مجازاة الله تعالى للمطيع على الطاعة وللعاصي على المعصية إيجاباً عقلياً على زعمهم. فهذه الحالة في إنكار الشفاعة نتيجة تلك الضلالة. وقد تقدم جواب عن التمسك بإطلاق مثل هذه الآية في نفي الشفاعة، ونعيده فنقول: أيام القيامة متعددة والشفاعة في بعضها ثابتة، فكل ما ورد مفهماً لنفيها حمل على الأيام الخالية منها جمعاً بين الأدلة، كما ورد قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ وورد ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وورد ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا =

حط الواجبات، لأنّ الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير[1]، ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أراد والتاركون الزكاة هم الظالمون، فقال: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾: للتغليظ، كما قال في آخر آية الحج، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ مكان: ومن لم يحج؛ ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وقرىء: «لا بيعُ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ، بالرفع.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

﴿ٱلْحَىُّ﴾: الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء[2]، وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح أن يعلم ويقدر، و﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه، وقريء: القيام، والقيم، والسنة: ما يتقدّم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس، قال ابن الرقاع العاملي [من الكامل]:

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ ... فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ[3]

= جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ وورد ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ولا تخلص في أمثال هذه الآي باتفاق إلا الحمل على تعدُّد أوقات القيامة واختلاف أحوالها وأيامها، وكذلك أمر الشفاعة سواء. رزقنا الله الشفاعة وحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة.

(١) قوله «لأن الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير» هذا مذهب المعتزلة. وعند أهل السنّة قد تكون في تخفيف العذاب أيضاً. (ع)

(٢) قوله «الحي الباقي الذي لا سبيل عليه... إلخ» المعتزلة يفرون من أن يثبتوا لله صفة وجودية كالحياة التي تنافي الموت فلذا فسر الحي بما قال. (ع)

(٣)
لولا الحياء وإن رأسي قد عثى ... فيه المشيب لزرت أم القاسم
وكأنها بين النساء أعارها ... عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم

لعدي بن الرقاع في تشبيب مدح الوليد بن عبد الملك. وعن الأصمعي: أنه لأحمد بن الرقاع. وعثى يعثى كسعى يسعى، وعاث يعيث كعاش يعيش: سار على وجه الإفساد. وروي «عسى» بالسين أي ظهر وانتشر واشتد، فعسى هنا تامة لا ناقصة. وأم القاسم: كنية محبوبته. وبين النساء: أي دون النساء، وقد روي كذلك أيضاً. و «أحور» فاعل «أعار» والحور: صفاء سواد العين وبياضها. والجآذر: جمع جؤذر وهو ولد الظبية. وجاسم: موضع بعينه. ووسنان: نعت أحور. وأقصدت الرجل: إذا طعنته فلم تخطىء مقتله، أي أصابه النعاس وهو ما يتقدم النوم من الفتور والغفلات. ورنق الماء: كدر. وترنق: تكدر. ورنقه وأرنقه: كدره ورنق الطائر ترنيقاً، إذا وقف في =

أي: لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم؛ لأنّ من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً، ومنه حديث موسى: أنه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية: أينام ربنا؟ فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ثلاثاً ولا يتركوه ينام، ثم قال: خذ بيدك قارورتين مملوءتين، فأخذهما، وألقى الله عليه النعاس، فضرب إحداهما على الأخرى فانكسرتا، ثم أوحى إليه: قل لهؤلاء إني أمسك السموات والأرض بقدرتي، فلو أخذني نوم أو نعاس، لزالتا (١٩٤). ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾: بيان لملكوته وكبريائه، وأن أحداً لا يتمالك أن يتكلّم يوم القيامة إلاّ إذا أذن له في الكلام، كقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ: ٣٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما كان قبلهم وما يكون بعدهم، والضمير لما في السموات والأرض؛ لأنّ فيهم العقلاء، أو لما دل عليه: ﴿مَن ذَا﴾: من الملائكة والأنبياء، ﴿مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾: من معلوماته، ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾: إلا بما علم، الكرسي ما يجلس عليه، ولا يفضل عن مقعد القاعد، وفي قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾: أربعة أوجه[(١)]: أحدها أنّ كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته/ ١٩١أ وسعته، وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط، ولا كرسي ثمة ولا قعود، ولا قاعد، كقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[الزمر: ٦٧] من غير تصوّر

---

١٩٤ ـ أخرجه أبو يعلى (١٢/ ٢١) رقم (٦٦٦٩) والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٤) رقم (٥٧٨٠) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٢٦٨) والدارقطني في «الأفراد» كما في «الكاف الشاف» ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٣٩ ـ ٤١) رقم (٢٢، ٢٣) كلهم من طريق أمية بن شبل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة به.
وقال الدارقطني: تفرد به الحكم بن أبان عن عكرمة وتفرد به أمية عن الحكم وتفرد به هشام عن أمية.
=

= الهواء صافاً جناحيه يريد الوقوع. فالمعنى: وقفت في عينه سنة. ويجوز أن المعنى: رنقت عينه سنة، أي كدرتها. وأقحم «في» لأنه جعل العين ظرفاً للترنيق، وهذا يشعر بتشبيه العين بالماء في شدة الصفاء. والسنة من وسن فهو وسنان، فهي من باب عدة. وسبب النوم: ريح يقوم في أغشية الدماغ، فإذا وصل إلى العين فترت، وهذا هو الوسن، وإذا وصل إلى القلب وتمكن منه زال إدراك الحواس، وهذا هو النوم؛ فلذلك نفاه مع إثبات السنة.

ينظر: الحماسة الشجرية ٢/ ٦٨٢، البحر ٢/ ٢٨١، تهذيب اللغة ٢/ ١٠٥، اللسان: نعس، الدر المصون ١/ ٦١٣.

(١) قال محمود رحمه الله: «وفي قوله تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أربعة أوجه... إلخ» قال أحمد رحمه الله: قوله في الوجه الأول أن ذلك تخييل للعظمة سوء أدب في الإطلاق وبعد في الإضرار، فإن التخيل إنما يستعمل في الأباطيل وما ليست له حقيقة صدق، فإن يكن معنى ما قاله صحيحاً فقد أخطأ في التعبير عنه بعبارة موهمة لا مدخل لها في الأدب الشرعي، وسيأتي له أمثالها مما يوجب الأدب أن يجتنب.

قبضة وطيّ ويمين، وإنما هو تخييل، لعظمة شأنه، وتمثيل حسيّ، ألا ترى إلى قوله:

= وقال الخطيب: هكذا رواه أمية بن شبل عن الحكم بن أبان موصولاً مرفوعاً وخالفه معمر بن راشد فرواه عن الحكم عن عكرمة قوله لم يذكر فيه النبي ـ ﷺ ـ ولا أبا هريرة. ا.هـ.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٨٦).
وقال: رواه أبو يعلى وفيه أمية بن شبل ذكره الذهبي في الميزان ولم يذكر أن أحداً ضعفه وإنما ذكر له هذا الحديث وضعفه به، قلت: أما الطريق الذي أشار إليه الخطيب فقد أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٠٢) ومن طريقه الطبري (٥/ ٣٩٤) رقم (٥٧٧٩) من طريق معمر بن راشد عن الحكم بن أبان عن عكرمة من قوله.
قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٤١) ولا يثبت هذا الحديث عن رسول الله ـ ﷺ ـ وغلط من رفعه، والظاهر أن عكرمة رأى هذا في كتب اليهود فرواه فما يزال عكرمة يذكر عنهم أشياء لا يجوز أن يخفى هذا على نبيّ الله عزّ وجل وقد روى عبد الله بن أحمد في كتاب السنة عن سعيد ابن جبير قال: إن بني إسرائيل قالوا لموسى ـ عليه السّلام ـ هل ينام ربنا؟ وهذا هو الصّحيح فإن القوم كانوا جهّالاً بالله عزّ وجلّ. ا.هـ. وقد أنكر الحديث المرفوع الحافظ الذهبي فقال في الميزان (١/ ٤٤٣ ـ بتحقيقنا) في ترجمة أمية بن شبل: له حديث منكر رواه عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة مرفوعاً قال: وقع في نفس موسى هل ينام الله. . . الحديث».
رواه عنه هشام بن يوسف وخالفه معمر عن الحكم عن عكرمة قوله وهو أقرب ولا يسوّغ أن يكون هذا وقع في نفس موسى وإنما روى أن بني إسرائيل سألوا موسى عن ذلك ا.هـ. وقد استغرب الحافظ عماد الدين بن كثير هذا الحديث فقال في «تفسيره» (١/ ٣٠٨): وهذا حديث غريب جداً والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع.
قال الحافظ: قلت قوله «وذلك من قومه كطلب الرؤية. من كلام الزمخشري، أدرجه في الخبر. فقد رواه عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أن موسى سأل الملائكة: هل ينام الله عزّ وجلّ؟ فذكره» وقد رواه أبو يعلى والطبري والدارقطني في الأفراد وابن مردويه والبيهقي في الصّفات، كلّهم من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل عن هشام بن يوسف عن أمية بن شبل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يُحكى عن موسى ـ عليه السلام ـ قال قد وقع في نفس موسى: هل ينام ربنا؟ فأرسل إليه ملكاً فأرقه، ثم أعطاه قارورتين في كلّ يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما. قال: فجعل ينام ويكاد يداه يلتقيان فيستيقظ فيحبس إحداهما على الأخرى حتى نام نومة. فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان. قال: ضرب الله له مثلاً: إن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض» ورواه البيهقي موقوفاً وقال: هذا هو الأشبه. وقال الدارقطني تفرّد به الحكم عن عكرمة وأمية عن الحكم وهشام عن أمية. وقال الخطيب: رواه معمر عن الحكم عن عكرمة من قوله. ولم يذكر أبا هريرة. . . ولا النبي ـ ﷺ ـ قلت: ورواية عبد الرزاق ترد عليه. لكنها موقوفة. وقد ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية وقال: يشبه أن يكون عكرمة تلقاه عن كتب أهل الكتاب. قال: وقد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة له عن سعيد بن جبير «أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه الصّلاة والسّلام: هل ينام ربّنا» قال: وهذا هو الصّحيح. انتهى.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ والثاني: وسع علمه وسمّى العلم كرسياً تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم، والثالث: وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك، والرابع ما رُوي: أنه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السّموات والأرض، وهو إلى العرش كأصغر شيء، وعن الحسن: الكرسي هو العرش، ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾: ولا يثقله ولا يشق عليه، ﴿حِفْظُهُمَا﴾: حفظ السموات والأرض، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾: الشأن، ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: الملك والقدرة، فإن قلت: كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي[1] من غير حرف عطف؟ قلت: ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين، فلو توسط بينهما عاطف لكان كما

---

(١) عاد كلامه قال: «فإن قلت: كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي وما بالها لم تعطف بالواو؟ قلت: لأنها كلها في حكم البيان والبيان متحد بالمبين فدخول الواو بينهما ـ كما تقول العرب ـ دخول بين العصا ولحائها، فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمناً عليه غير ساه عنه، والثانية لكونه سالكاً لتدبيره، والثالثة لكبرياء شأنه، والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق، والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها. وقد وردت آثار في تفضيلها. منها قوله عليه السلام «ما قرئت هذه الآية في دار إلا اجتنبتها الشياطين ثلاثين يوماً، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة، يا علي علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها» وعن علي رضيَ الله عنه سمعت نبيكم على أعواد المنبر يقول «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله» وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال علي أين أنتم من آية الكرسي، ثم قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يا علي، سيد البشر آدم، وسيد العرب محمد ولا فخر، وسيد الفرس سلمان، وسيد الروم صهيب، وسيد الحبشة بلال، وسيد الجبال طور سيناء، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسي». وإنما فضلت لما فضلت له سورة الإخلاص، من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى» قال أحمد: وكان جدي رحمة الله عليه يقول: اشتملت آية الكرسي على ما لم تشتمل عليه آية من أسماء الله عزَّ وجل وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعاً فيها اسم الله تعالى، ظاهراً في بعضها ومستكناً في بعض، ويظهر لكثير من العادين منها ستة عشر إلا على بصير حاد البصيرة لدقة استخراجه. الأول الله، الثاني هو، الثالث الحي، الرابع القيوم، الخامس ضمير لا تأخذه، السادس ضمير له، السابع ضمير عنده، الثامن ضمير إلا بإذنه، التاسع ضمير يعلم، العاشر ضمير علمه، الحادي عشر ضمير شاء، الثاني عشر ضمير كرسيه، الثالث عشر ضمير ولا يئوده، الرابع عشر وهو، الخامس عشر العلي، السادس عشر العظيم. فهذه عدة الأسماء البينة. وأما الخفي فالضمير الذي اشتمل عليه المصدر في قوله (حفظهما) فإنه مصدر مضاف إلى المفعول، وهو الضمير البارز، ولا بد له من فاعل وهو الله، ويظهر عند فك المصدر فيقول: ولا يئوده أن يحفظهما هو. وكان الشيخ أبو عبدالله محمد بن أبي الفضل المرسي قد رام الزيادة على هذا العدد لما أخبرته به عن الجد رحمه الله فقال: يمكن أن يعد ما في الآية من الأسماء المشتقة كل واحد منها بآيتين. لأن كل واحد يتحمل ضميراً ضرورة كونه مشتقاً، وذلك الضمير إنما يعود إلى الله تعالى، وهي باعتبار ظهورها اسم وقد اشتملت على آخر مضمر، فيكون جملة العدد على هذا النظر أحداً وعشرين اسماً، وكنت أجريت معه في تعدُّد الزيادة المذكورة وجهاً لطيفاً، وهو أن الاسم المشتق لا يتحمل =

تقول العرب: بين العصا ولحائها[1]، فالأولى، بيان لقيامه بتدبير الخلق، وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه، والثانية: لكونه مالكاً لما يدبره، والثالثة: لكبرياء شأنه، والرابعة: لإحاطته بأحوال الخلق، وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة، وغير المرتضى، والخامسة: لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها، أو لجلاله وعظم قدره، فإن قلت: لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله ﷺ: «ما قرئت هذه الآية في دار إلا هجَرتها الشياطين ثلاثين يوماً، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة، يا عليّ علمها ولدك وأهلك وجيرانك، فما نزلت آية أعظم منها» (١٩٥) وعن عليّ رضي الله عنه: سمعت نبيكم ﷺ على أعواد المنبر وهو يقول: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ولا يواظب عليها إلا صدّيق أو عابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمّنه الله على نفسه، وجاره، وجار جاره والأبيات حوله» (١٩٦)، وتذاكر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أفضل ما في القرآن، فقال لهم عليّ رضي الله عنه:

---

١٩٥ ـ بيض له الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ١٦٠) وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

١٩٦ ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٥٨) رقم (٢٣٩٥) عن الحاكم بسنده عن نهشل ابن سعيد عن أبي إسحاق الهمداني عن حبة العرني عن علي بن أبي طالب مرفوعاً.

وقال البيهقي: إسناده ضعيف.

ومن طريق البيهقي أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٤٣) لكن وقع عنده عن عبد العزّى عن علي وهو تصحيف وقع عند ابن الجوزي لذا قال عقب الحديث: هذا حديث لا يصح: عبد العزّى لا يعرف ونهشل قد كذبه أبو داود الطيالسي وابن راهويه، وقال الرازي والنّسائي هو متروك وقال ابن حبّان: لا يحلُ كتب حديثه إلاّ على سبيل التعجب. ا.هـ.

قلت: وحبه العرني هو حبة بن جوين بن علي العرني.

قال ابن معين والجوزجاني: غير ثقة.

وقال النّسائي: ليس بالقوي.

وقال ابن خراش: ليس بشيء. =

= الضمير بعد صيرورته بالتسمية علماً على الأصح، وهذه الصفات كلها أسماء الله تعالى، ثم ولو فرضناها متحملة للضمائر بعد التسمية على سبيل التنزيل، فالمشتق إنما يقع على موصوفه باعتبار تحمله ضميره. ألا تراك إذا قلت: زيد كريم، وجدت «كريماً» إنما يقع على زيد، لأن فيه ضميره، حتى لو جردت النظر إليه لم تجده مختصاً بزيد، بل لك أن توقعه على كل موصوف بالكرم من الناس، ولا تجده مختصاً بزيد إلا باعتبار اشتماله على ضميره، فليس المشتق إذاً مستقلاً بوقوعه على موصوفه إلا بضميمة الضمير إليه، فلا يمكن أن يجعل له حكم الانفراد عن الضمير مع الحكم برجوعه إلى معين البتة، فرضي الشيخ المذكور عن هذا البحث وصوبه والله الموفق للصواب.

(١) قوله: «بين العصا ولحائها» في الصحاح: اللحاء ـ ممدود ـ قشر الشجر. وفي المثل: لا تدخل بين العصا ولحائها. (ع)

أين أنتم عن آية الكرسي، ثم قال: قال لي رسول الله ﷺ «يا عليّ، سيد البشر آدم، وسيد

= ووثّقه ابن حبّان والعجلي.
وقال الحافظ في «التقريب» صدوق.
وهذا يخالف ما كتبه في «الكاف الشاف» حيث أعلّ حديث علي بن أبي طالب فقال: وفي إسناده نهشل بن سعيد وهو متروك وكذلك حبه العرني. ا.هـ.
وللحديث شاهد من حديث أنس.
أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩) رقم (٢٣٩٦) عن الحاكم بسنده عن عبد الله ابن عبد الرحمن اليمامي عن سالم الخياط عن الحسن والمختار عن أنس به.
وقال البيهقي إسناده ضعيف. ا.هـ.
ولصدر الحديث شاهد قوي من حديث أبي أمامة.
أخرجه النّسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٠) كتاب عمل اليوم والليلة: باب ثواب من قرأ آية الكرسي حديث (٩٩٢٨) من طريق الحسين بن بشر عن محمد بن حمير عن محمد بن زياد الألهاني عن أبي أمامة مرفوعاً.
وقال المنذري في «الترغيب» (٢/ ٤٤٨): رواه النّسائي والطبراني بأسانيد أحدها صحيح وقال شيخنا أبو الحسن: هو على شرط البخاري وأخرجه ابن حبّان في كتاب الصّلاة وصحّحه. ا.هـ. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٠٥).
وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد وأحدها جيد. ا.هـ.
قلت: وقد غفل ابن الجوزي غفلة شديدة فأخرج هذا الحديث في «الموضوعات» (١/ ٢٤٤) من طريق الدارقطني بسنده حدثنا هارون ابن زياد النجّار وعلي بن صدقة الأنصاري.
قالا: حدثنا محمد بن حميرية.
وقال: قال الدارقطني: غريب من حديث الألهاني تفرّد به محمد بن حمير عنه، قال يعقوب بن سفيان: ليس بالقوي. ا.هـ.
وقد تعقّبه السيوطي في «اللاليء المصنوعة» (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) فقال: كلا بل قوي ثقة من رجال البخاري والحديث صحيح على شرطه وقد أخرجه النّسائي وابن حبّان في صحيحه وابن السنّي في عمل اليوم والليلة وصحّحه أيضاً الضياء المقدسي في المختارة وقال الحافظ ابن حجر في تخريج المشكاة: غفل ابن الجوزي فأورد هذا الحديث في الموضوعات وهو من أسمج ما وقع له، وقال الحافظ شرف الدين الدمياطي في جزء جمعه في تقوية هذا الحديث محمد بن حمير القضاعي الحمصي كنيته أبو عبد الحميد احتجّ به البخاري في صحيحه وكذلك محمد بن زياد الألهاني أبو سفيان الحمصي احتجّ به البخاري أيضاً... ا.هـ.
ولتمام كلام السيوطي يراجع اللاليء فله كلام طيب على هذا الحديث إلاّ أننا لنا مؤاخذة واحدة على كلامه وهي أنه عزا حديث أبي أمامة إلى ابن حبّان في صحيحه وهو وهم حيث أن ابن حبّان روى هذا الحديث في كتاب الصّلاة ـ كتاب منفصل له ـ نصّ على هذا المنذري في «الترغيب» كما تقدم. وللحديث شاهد أيضاً من حديث المغيرة.
أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٢١) من طريق مكي بن إبراهيم ثنا هاشم بن هاشم عن عمر ابن إبراهيم عن محمد بن كعب عن المغيرة بن شعبة مرفوعاً».
وقال أبو نعيم: حديث غريب من حديث المغيرة تفرّد به هاشم بن هاشم عن عمر عن محمد ما =

العرب: محمد ولا فخر، وسيد الفرس: سلمان، وسيد الروم: صهيب، وسيد الحبشة: بلال، وسيد الجبال: الطور، وسيد الأيام: يوم الجمعة، وسيد الكلام: القرآن، وسيد القرآن: البقرة، وسيد البقرة: آية الكرسي» (١٩٧) قلت: لما فضلت له سورة الإخلاص لاشتمالها على توحيد الله، وتعظيمه، وتمجيده، وصفاته العظمى، ولا مذكور أعظم من ربّ العزة، فما كان ذكراً له كان أفضل من سائر الأذكار، وبهذا يعلم أنّ أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله/ ٩١ب علم أهل العدل والتوحيد[1] ولا يغرّنك عنه كثرة أعدائه [من البسيط]:

إِنَّ الْعَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً وَلَنْ تَرَى لِلِئَامِ النَّاسِ حُسَّادَا[2]

= كتبناه عالياً إلاّ من حديث مكي.

قال السيوطي في «اللالىء» (١/ ٢٣١): وقال الحافظ شرف الدين الدمياطي مكي وهاشم ومحمد بن كعب اتفقا على الاحتجاج بهم وعمر بن إبراهيم أبو حفص العبدي البصري احتجّ به الترمذي والنّسائي وابن ماجه وقال فيه يحيى بن معين ثقة وقال عبد الصّمد ابن عبد الوارث ثقة وفوق الثقة. ا.هـ.

وللحديث شواهد أخرى يراجع لها اللاليء المصنوعة (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٣).

قال الحافظ: أخرجه البيهقي في الشعب من طريق ابن إسحاق عن حبة بن جوين العرفي. سمعت علي بن أبي طالب يقول: فذكره دون قوله «ولا يواظب عليها إلاّ صدّيق أو عابد»: وذكر ما بعده. وفي إسناده نهشل بن سعيد وهو متروك. وكذلك حبة العرفي، وأخرجه أيضاً من حديث أنس بلفظ «من قرأ في دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي حفظ إلى الصّلاة، ولا يحافظ عليها إلاّ نبيٌّ أو صدّيق أو شهيد» وإسناده ضعيف وصدرُ الحديث أخرجه النّسائي وابن حبّان. من حديث أبي أمامة، وإسناده صحيح، وله شاهد عن المغيرة بن شعبة عند أبي نعيم في الحلية من رواية محمد بن كعب القرظي عنه، وغفل ابن الجوزي فأخرجه في الموضوعات. انتهى.

١٩٧ ـ ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ١٦١ ـ ١٦٢) وقال: ذكره أبو شجاع الديلمي في كتاب الفردوس من حديث علي مرفوعاً.

وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده وقد ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ابنه ا.هـ.

وذكره السيوطي في «الجامع الصغير» (٤٧٥٤ ـ فيض) وعزاه للديلمي في مسند الفردوس ورمز له =

---

(١) قوله «علم أهل العدل والتوحيد» المعتزلة سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، وعلم التوحيد أشرف العلوم في نفسه لا بقيد إضافته إلى فرقة من أهله، اللهم إلا عند المتعصب. (ع)

(٢) للمغيرة شاعر آل المهلب. وقيل للمهلبية: ما أكثر حسادكم فأنشدوه. والعَرَانين: الخيار الأشراف و «لن» لتوكيد النفي. ويروى: ولا ترى. ويروى: ما ترى. واللئيم: الخسيس، واللئام جمعه. وحساد ـ بضم الحاء ـ جمع حاسد. أي ليس للئيم الناس حاسداً، فهو من مقابلة الجمع بالجمع. وفتحها على أنه مفرد أبلغ من حيث المعنى، حيث نفى الواحد عن الجمع نفياً شمولياً.
ينظر: أساس البلاغة (حسد).

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾: أي: لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر، ولكن على التمكين والاختيار، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩] أي: لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل، وبنى الأمر على الاختيار، ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾: قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: فمن اختار الكفر بالشيطان أو الأصنام والإيمان بالله، ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾: من الحبل الوثيق المحكم، المأمون انفصامها، أي: انقطاعها، وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر، والاستدلال بالمشاهد المحسوس، حتى يتصوّره السّامع كأنه ينظر إليه بعينه، فيحكم اعتقاده والتيقن به، وقيل: هو إخبار في معنى النهي، أي: لا تتكرهوا في الدين، ثم قال بعضهم: هو منسوخ بقوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ٧٣] وقيل: هو في أهل الكتاب خاصة، لأنهم حصنوا أنفسهم بأداء الجزية، وروي: أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان، فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله ﷺ، ثم قدما المدينة، فلزمهما أبوهما، وقال: والله لا أدعكما حتّى تُسلما، فأبيا، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ الله، أَيَدْخُلُ بَعْضِي النَّارَ وَأَنَا أَنْظُرُ؟ فَنَزَلَتْ: فَخَلَّاهُمَا (١٩٨).

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

= بالضعف وقال المناوي في «الفيض» (٤/ ١٢٣): وفيه محمد ابن عبد القدوس عن مجالد بن سعيد ومحمد قال الذهبي مجهول، ومجالد قال أحمد: ليس بشيء وضعّفه غيره ورواه أيضاً ابن السنّي وعنه تلقاه الديلمي مصرّحاً فلو عزاه للأصل لكان أولى ا.هـ. والحديث ذكره أيضاً الهندي في «كنز العمال» (٣٢٢٧٠) وعزاه إلى الديلمي في «مسند الفردوس».

قال الحافظ: لم أجده. وقد ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ابنه. ا.هـ.

١٩٨ ـ أخرجه الطبري (٥/ ٤١٠) رقم (٥٨١٩) عن ابن عباس.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٨٣) عن ابن عباس وعزاه لابن إسحاق والطبري.
وينظر «معالم التنزيل» (١/ ٢٤٠).
قال الحافظ: أخرجه الواحدي في أسبابه من قول مسروق، وكذلك البغوي وقد أخرج الطبري من رواية أبي إسحاق عن محمد بن أبي محمد عند عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين: كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلماً فقال يا رسول الله ألا استكرههما فأنزل الله تعالى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ...﴾. انتهى.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: أرادوا أن يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر إلى الإيمان، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: أي: صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك، أو الله وليّ المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ـ إن وقعت لهم ـ بما يهديهم ويوفّقهم له من حلّها، حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾: الشياطين، ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾: من نور البينات التي تظهر لهم إلى ظلمات الشكّ والشُّبهة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به، ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ متعلق بحاجّ على وجهين[1]:

أحدهما حاجّ لأن آتاه الله الملك، على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتوّ فحاجّ لذلك، أو على أنه[2] وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على أن آتاه الله الملك، فكأن المحاجة كانت لذلك، كما تقول: عاداني فلان لأني أحسنت إليه، تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢].

---

(١) قال محمود: «إن أتاه متعلق بحاج على وجهين. . . إلخ» قال أحمد: عفا الله عنه، والوجهان قريبان من حيث المعنى، إلا أن بينهما في الصناعة فرقاً، وهو إنما استعمل المصدر في الأول مفعولاً من أجله، وفي الثاني ظرفاً. وقد وقعت المصادر ظروفاً في مثل: خفوق النجم، ومقدم الحاج، وأمثال ذلك. وإنما وقعت محاجته بهذا الظرف لاشتماله على إيتاء الملك الحامل له على البطر، أو على وضع كفر النعمة فيه مكان شكرها. وهذان المعنيان هما المذكوران في الوجه الأول بعينهما؛ فلهذا نبهت على أن الفرق بين الوجهين صناعي لا معنوي. والله الموفق لمعاني كلامه.

(٢) قوله «أو على أنه» لعله: أو على معنى أنه. (ع)

والثاني: حاجّ وقت أن آتاه الله الملك. فإن قلت: كيف جاز أن يؤتي الله الملك الكافر؟ قلت: فيه قولان: آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والأتباع، وأما التغليب والتسليط فلا، وقيل: ملكه امتحاناً لعباده[1] / ١٩٢أ و﴿وَإِذْ قَالَ﴾: نصب بحاج أو بدل من آتاه إذ جعل بمعنى الوقت، ﴿أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾: يريد أعفو عن القتل[2] وأقتل، وكان الاعتراض عتيداً، ولكن إبراهيم لما سمع جوابه الأحمق، لم يحاجه فيه، ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب، ليبهته أول شيء، وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجّة إلى حجّة، وقرىء: «فبهت الذي كفر»: أي فغلب إبراهيم الكافر، وقرأ أبو حيوة: فبهت، بوزن قرب، وقيل: كانت هذه المحاجّة حين كسر الأصنام وسجنه نمروذ، ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له: من ربك الذي تدعو إليه؟ فقال: ربي الذي يحيي ويميت، ﴿أَوْ كَالَّذِى﴾: معناه: أو أرأيت مثل الذي مرّ[3]، فحذف لدلالة: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: عليه؛ لأنّ كلتيهما كلمة تعجيب، ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ، كأنّه قيل: أرأيت كالذي حاجّ إبراهيم أو كالذي مرّ على قرية، والمارّ كان كافراً[4] بالبعث،

---

(١) قال محمود: «فإن قلت كيف جاز أن يؤتى الله الملك الكافر؟ قلت: ذلك على وجهين: أحدهما آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والأتباع، فأما التغليب والتسليط فلا. الثاني أن يكون ملكه امتحاناً لعباده، قال أحمد: السؤال مبني وروده على قاعدة فاسدة، وهي اعتقاد وجوب مراعاة ما يتوهمه القدرية صلاحاً أو أصلح على الله تعالى في أفعاله، وكل ذلك من أصول القدرية التي اجتثها البرهان القاطع فما لها من قرار. وأما إيراد السؤال على صيغة: لم آتاه الله الملك وهو كافر؟ أو لم أفعل كذا وكذا؟ فجواب رده على الإطلاق في قوله تعالى ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ لو سمع الصم البكم. والله ولي التوفيق. (عاد كلامه) قال ومعنى قوله أنا أحيي وأميت: أعفو عن القتل وأقتل، وكان الاعتراض عنيداً ولكن إبراهيم عليه السلام لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه ولكنه انتقل إلى ما لا يقدر فيه على مثل ذلك ليبهته أول شيء، وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة، قال أحمد: وقد التزم غير واحد من العلماء أن هذا الذي صدر من الخليل عليه الصلاة والسلام ليس بانتقال من الحجة، ولكن من المثال. وأما الحجة فهي استدلاله على ألوهية الله تعالى بتعلّق قدرته بما لا يجوز تعلّق قدرة الحادث به، ثم هذا له أمثلة منها الإحياء والإماتة، ومنها: الإتيان بالشمس من المشرق. والعدول بعد قيام الحجة وتمهيد القاعدة من مثال إلى مثال ليس ببدع عند أهل الجدل والله أعلم.

(٢) قوله «يريد أعفو عن القتل» في الصحاح عفوت عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه. وفيه: أعفني من الخروج معك أي دعني منه. (ع)

(٣) قال محمود: «معناه أو أرأيت مثل الذي مر... إلخ» قال أحمد: ومثل هذا النظم يحذف منه قبل الرؤية كثيراً، كقوله [من]:

حتى إذا الكلاّب قال لها ... كاليوم مطلوباً ولا طلبا

يريد لم أر كاليوم فحذف الفعل وحرف النفي. والظاهر حمل الآية على الوجه الأول لوجود نظيره، والله أعلم.

(٤) (عاد كلامه) قال والمار كان كافراً بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك واحد. وقيل: =

وهو الظاهر، لانتظامه مع نمروذ في سلك، ولكلمة الاستبعاد التي هي: أنى يحيى، وقيل: هو عزير أو الخضر، أراد أن يعاين إحياء الموتى، ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وقوله: ، ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ﴾: اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء، واستعظام لقدرة المحيي، والقرية: بيت المقدس حين خربه بختنصر، وقيل: هي التي خرج منها الألوف، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: تفسيره فيما بعد، ﴿يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٍۖ﴾: بناء على

= كان مؤمناً وهو عزير أو الخضر، وأراد أن يعاين الإحياء كما طلبه إبراهيم. وقوله يوماً، بناه على الظن. روي أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال ـ قبل النظر إلى الشمس ـ يوماً، ثم التفت فرأى بقية منها فقال: أو بعض يوم، انتهى كلامه. قال أحمد: أما استدلال الزمخشري على أن المار كان كافراً بانتظامه مع نمروذ في سلك واحد، فمعارض بأنه نظمت قصته مع قصة إبراهيم عليه السلام في نسق واحد، فليس الاستدلال على كفره باقتران قصته مع قصة نمروذ، أولى من الاستدلال على إيمانه بانتظامها أيضاً مع قصة إبراهيم، إلا أن يقول إن قصة هذا المار معطوفة على قصة نمروذ عطف تشريك في الفعل، منطوقاً به في الأولى ومحذوفاً من الثانية، مدلولاً عليه بذكره أولاً، ولا كذلك عطف قصة إبراهيم فإنها مصدرة بالواو التي لا تدخل في كثير من أحوالها للتشريك، ولكن لتحسين النظم حتى تتوسط بين الجمل التي يعلم تعاطفها لذلك الغرض، ولا كذلك عطفها في قصة نمروذ، فإنه بأو التي لا تستعمل إلا مشركة، إذ عطف التحسين اللفظي خاص بالواو فنقول: إذا انتهى الترجيح إلى هذا التدقيق فهو معارض بما بين قصة المار وقصة إبراهيم من التناسب المعنوي، لأن طلبتهما واحدة، إذ المار سأل معاينة الأحياء، وكذلك طلبة إبراهيم ثم التناسب المعنوي أرجح من التعلق بأمور لفظية ترد إلى أنحاء مختلفة ويؤيد القول بأن المار كان مؤمناً تحريه في قوله تعالى: ﴿يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٍ﴾ فإن ظاهره الاحتراز من التحريف في القول حتى لا يعبر عن جل اليوم باليوم حذراً من إبهام طلبته لجملة اليوم. ومثل هذا التحري لا يصدر عن معطل، والله أعلم. ولا يقال إنما صدر منه هذا التحري بعد أن حيي وآمن، لأنا نقول إنما آمن على القول بكفره بعد ظهور الآيات، يدل عليه قوله تعالى ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ وأما التحري المذكور فكان أول القصة قبل الإيمان وما قدرت هذا السؤال إلا لنكتة يذكرها الزمخشري الآن تشعر بإيراده على الترجيح المذكور. ثم هذه الجرأة التي نقلها الزمخشري في خلال كلامه من أنه إنما قال: أو بعض يوم لما رأى بقية من الشمس لم يكن رآها أول كلامه فاستدرك الأمر، فيها نظر دقيق لم أقف عليه لأحد ممن أورد الحكاية في تفسيره. وذلك أن الأمر إذا كان على ما تضمنته، وكلام المار المذكور بني أولاً على الجزم بأنه لبث يوماً ثم جزم آخراً أن لبثه إنما كان بعض يوم لرؤية بقية من الشمس، وكان مقتضى التعبير عن حاله أن يقول: بل بعض يوم، مضرباً عن جزمه الأول إلى جزمه الثاني، لأن «أو» إنما تدخل في الخبر إذا انبنى أوله على الجزم ثم عرض في آخره شك، ولا جزم بالنقيض، فالحكاية المذكورة توجب أن يكون الموضع لـ «بل» لا لـ «أو» إذ موضع «بل» جزم بنقيض الأول، فإذا استقر ذلك فالظاهر من حال المار أنه كان أولاً جازماً ثم شك لا غير اتباعاً لمقتضى الآية، وعدولاً عن الحكاية التي لا تثبت إلا بإسناد قاطع، فيضطر إلى تأويل، فتأمل هذا النظر فإنه من لطيف النكت، والله الموفق.

الظن، رُوي أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس، فقال قبل النظر إلى الشمس: يوماً، ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال: أو بعض يوم، ورُوي: أنّ طعامه كان تيناً وعنباً، وشرابه عصيراً أو لبناً، فوجد التين والعنب كما جنيا، والشراب على حاله، ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغيّر، والهاء أصلية أو هاء سكت، واشتقاقه من السنة على الوجهين؛ لأنّ لامها هاء أو واو، وذلك أن الشيء يتغيّر بمرور الزمان، وقيل: أصله يتسنن، من الحمأ المسنون، فقلبت نونه حرف علّة، كتقضي البازي، ويجوز أن يكون معنى، ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم تمرّ عليه السنون التي مرت عليه، يعني: هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث مائة سنة، وفي قراءة عبد الله: فانظر إلى طعامك، وهذا شرابك لم يتسن، وقرأ أبيّ: لم يسنه، بإدغام التاء في السين، ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾: كيف تفرّقت عظامه ونخرت، وكان له حمار قد ربطه، ويجوز أن يراد: وانظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته، وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء، كما حفظ طعامه وشرابه من التغيّر، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾: فعلنا ذلك يريد إحياءه بعد الموت وحفظ ما معه، وقيل: أتى قومه راكب/ ٩٢ب حماره، وقال: أنا عزير، فكذّبوه، فقال: هاتوا التّوراة فأخذ يهذها هذاً[1] عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب، فما خرم حرفاً، فقالوا: هو ابن الله، ولم يقرأ التوراة ظاهراً أحد قبل عزير، فذلك كونه آية، وقيل: رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخاً وهو شاب، فإذا حدّثهم بحديث، قالوا: حديث مائة سنة، ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾: هي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من إحيائهم، ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾: كيف نحييها، وقرأ الحسن: ننشرها، من نشر الله الموتى، بمعنى: أنشرهم فنشروا، وقريء بالزاي، بمعنى نحرّكها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب، وفاعل «تبيّنَ» مضمر، تقديره: فلما تبيّن له أن الله على كلّ شيء قدير، ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فحذف الأول، لدلالة الثاني عليه، كما في قولهم: ضربني وضربت زيداً، ويجوز: فلما تبيّن له ما أشكل عليه، يعني: أمر إحياء الموتى، وقرأ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فلما تبين له على البناء للمفعول، وقرىء: قال اعلم، على لفظ الأمر، وقرأ عبد الله: قيل اعلم، فإن قلت: فإن كان المارّ كافراً فكيف يسوغ أن يكلّمه الله[2]؟ قلت: كان الكلام بعد البعث ولم يكن إذ ذاك كافراً.

---

(١) قوله «فأخذ يهذها» أي يسرع بها. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) (عاد كلامه) قال: «فإن قلت إذا كان المار كافراً... إلخ» قال أحمد: وهذا سؤال عجيب، والجواب عنه أعجب منه، ومن سلم لهذا السائل أن الله تعالى لا يسوغ أن يكلم الكافر؟ وهل هذا إلا خطب بلا أصل؟ أليس أن إبليس رأس الكفر ومعدنه ومع هذا قال الله تعالى ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ =

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

﴿أَرِنِي﴾: بصرني، فإن قلت: كيف قال له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾، وقد علم أنه أثبت الناس إيماناً[1]؟ قلت: ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسّامعين، و﴿بَلَىٰ﴾:

= رَّحِيمٌ﴾. . . إلى آخر الآية ويقول تعالى للكفار وهم بين أطباقها يعذبون ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ولأن هذا الأمر متيقن وقوعه فضلاً عن جوازه أول العلماء قوله تعالى ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ بمعنى ولا يكلمهم بما يسرهم وينفعهم. هذا وجه تعجبي من السؤال. وأما الجواب فقد أسلفت آنفاً رده بأن إيمان هذا المار على القول بأنه كان كافراً إنما حصل في آخر القصة بعد أن تبينت له الآيات. وأما كلام الله تعالى فمن أول القصة. قلت: الزمخشري كفانا مؤنة هذا الفصل سؤالاً وجواباً والله المستعان.

(١) قال محمود: «إن قلت كيف قال له ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ وقد علم. . . إلخ»؟ قال أحمد: الأولى في هذه الآية أن يذكر فيها المختار في تفسيرها من الممتحنة بالفكر المحرر، والنكت المفصحة بالرأي المخمر فما وافق من كلام المصنف ما يذكره فالحمد لله، وما خالفه فالحق فيما ذكرناه والله الموفق. فنقول: أما سؤال الخليل عليه السلام بقوله له ﴿كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فليس عن شك والعياذ بالله في قدرة الله عن الإحياء، ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء، ولا يشترط في الإيمان الإحاطة بصورتها، فإنما هي طلب علم ما لا يتوقف الإيمان على علمه، ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة كيف، وموضوعها السؤال عن الحال، ونظير هذا السؤال أن يقول القائل: كيف يحكم زيد في الناس؟ فهو لا يشك أنه يحكم فيهم، ولكنه سأل عن كيفية حكمه لا ثبوته، ولو كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فيطرق إلى إبراهيم شكاً من هذه الآية. وقد قطع النبي عليه الصلاة والسلام دابر هذا الوهم بقوله «نحن أحق بالشك من إبراهيم» أي ونحن لم نشك، فلأن لا يشك إبراهيم أحرى وأولى. فإن قلت: إذا كان السؤال مصروفاً إلى الكيفية التي لا يضر عدم تصورها ومشاهدتها بالإيمان ولا تخل به، فما موقع قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾؟ قلت: قد وقعت لبعض الحذاق فيه على لطيفة وهي أن هذه الصيغة تستعمل ظاهراً في السؤال عن الكيفية كما مر، وقد تستعمل في الاستعجاز. مثاله: أن يدعي مدع أنه يحمل ثقلا من الأثقال وأنت جازم بعجزه عن حمله، فتقول له: أرني كيف محمل هذا، فلما كانت هذه الصيغة قد يعرض لها هذا الاستعمال الذي أحاط علم الله تعالى بأن إبراهيم مبرأ منه، أراد بقوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ أن ينطق إبراهيم بقوله: بلى آمنت، ليدفع عنه ذلك الاحتمال اللفظي في العبارة الأولى: ليكون إيمانه مخلصاً نص عليه بعبارة يفهمها كل من يسمعها فهماً لا يلحقه فيه شك. فإن قلت: قد تبين لي وجه الربط بين الكلام على التقدير المبين، فما موقع قول إبراهيم ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وذلك يشعر ظاهراً بأنه كان عند السؤال فاقداً للطمأنينة؟ قلت: معناه ولكن ليزول عن قلبي الفكر في كيفية الحياة، لأني إذا شاهدتها سكن قلبي عن الجولان في كيفياتها المتخيلة، وتعينت عندي بالتصوير المشاهد وجاءت الآية مطابقة لسؤاله، لأنه شاهد صورة حياة الموتى، تقديره: الذي يحيي ويميت، فهذا أحسن ما يجري لي في تفسير هذه الآية وربك الفتاح العليم. وأما قول الزمخشري: «إن علم الاستدلال يتطرق إليه =

إيجاب لما بعد النّفي، معناه بلى آمنت، ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾: ليزيد سكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال، وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب، وأزيد للبصيرة واليقين، ولأنّ علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري، فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك، فإن قلت: بم تعلقت اللام في: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ﴾: ؟ قلت: بمحذوف تقديره: ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب، ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾: قيل: طاوساً وديكاً وغراباً وحمامة، ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾: بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهنّ واضممهنّ إليك، قال [من الطويل]:

.... وَلَـكِـنَّ أَطْـرَافَ الـرِّمَـاحِ تَـصُـورُهَـا(١)

وقال [من الطويل]:

وَفَـرْعٍ يَـصِـيـرُ الْـجِـيـدَ وَحْـفٍ كَـأَنَّـهُ عَلَى اللِّيْتِ قِنْوَانُ الْكُرُومِ الدَّوَالِحِ(٢)

وقرأ ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ «فصرهن» بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء، من صره يصره ويصره إذا جمعه، نحو: ضره ويضره ويضره، وعنه: «فصرّهن»، من التصرية، وهي الجمع ـ أيضاً ـ ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾، يريد: ثم جزّئهن وفرّق أجزاءهن على الجبال، والمعنى: على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي أرضك، وقيل: كانت أربعة أجبل، وعن السّدّي: سبعة، ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾: وقل لهن: تعالين بإذن الله،

= التشكيك بخلاف العلم الضروري، فكلام لم يصدر عن رأي منور ولا فكر محرر، وذلك أن العلم الموقوف عن سبب لا يتصور فيه تشكيك، ما دام سببه مذكوراً في نفس العالم، وإنما الذي يقبل التشكيك قبولاً مطلقاً هو الاعتقاد وإن كان صحيحاً وسببه باقٍ في الذكر، وبهذا ينحط الاعتقاد الصحيح عن ذروة العلم، ولكن للقدماء من القدرية خبط طويل في تميز العلم عن الاعتقاد، حتى غالى أبو هاشم فقال العلم بالشيء والجهل به مثلان. وهذا على الحقيقة جهل حتى لحقيقة الجهل، والزمخشري في قواعد العقائد يقفو آثار هذا القائل أية سلك فلعله من ثم طرق إلى العلم النظري الشك حسب تطرقه إلى الاعتقاد الذي يكون مرة جهلاً ومرة مطابقاً، والله الموفق.

(١) ومـا صَـيَّـرُ الأعـنـاق فـيـهـم جـبـلـة ولـكـن أطـراف الـرمـاح تـصـورهـا

الصير ـ بالتحريك ـ اعوجاج العنق. ويقال صاره يصوره ويصيره، بمعنى أماله وقطعه. أي ليس ميل الأعناق طبيعة فيهم ولكن أطراف الرماح لكثرتها فوق رءوسهم تميل أعناقهم. وإسناد الإمالة للأطراف مجاز عقلي من الإسناد للسبب. ويجوز أن «فيهم» حال من الصير لا من جبلة، أي حال كونه فيهم.

ينظر: جمهرة اللغة ص (٧٤٥).

(٢) صاره يصيره ويصوره، إذا أماله أو قطعه: وروي: يزين الجيد. والجيد: العنق. والوحف: الكثيف الأسود. والليت: صفحة العنق. والدوالح: المثقلات بالحمل، يصف شعر محبوبته بأنه يميل عنقها لثقله عليه، وشبّه غدائره على جانب جيدها بعناقيد الكروم المثقلات بالحمل.

ينظر: ديوان الأدب (٣/ ٤٠٥).

﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن/ ١٩٣أ على أرجلهن، فإن قلت: ما معنى أمره بضمّها إلى نفسه بعد أن يأخذها[(١)]؟ قلت: ليتأمّلها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها[(٢)]، لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء، ولا يتوهم أنها غير تلك، ولذلك قال: يأتينك سعياً، ورُوي أنه أمر بأن يذبحها، وينتف ريشها، ويقطعها، ويفرّق أجزاءها، ويخلط ريشها، ودماءها، ولحومها، وأن يمسك رؤسها، ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال، على كل جبل ربعاً من كل طائر، ثم يصيح بها: تعالين بإذن الله، فجعل كل جزء يطير إلى الآخر، حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤسهن، كل جثة إلى رأسها، وقرىء: «جزأ» بضمتين، «وجَزّاً»، بالتشديد، ووجهه أنه خُفّف بطرح همزته، ثم شُدّد كما يشدد في الوقف، إجراء للوصل مجرى الوقف.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾: لا بد من حذف مضاف، أي: مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة، والمنبت هو الله، ولكن الحبة لما كانت سبباً أسند إليها الإنبات، كما يسند إلى الأرض وإلى الماء، ومعنى إنباتها سبع سنابل، أن تخرج ساقاً يتشعب منها سبع شعب، لكل واحدة سنبلة، وهذا التمثيل تصوير للأضعاف، كأنّها ماثلة بين عيني الناظر، فإن قلت: كيف صحّ هذا التمثيل والممثّلُ به غير موجود؟ قلت: بل هو موجود في الدُخن والذرة وغيرهما، وربّما فرخت ساق البرة في الأراضي القوية المغلّة فيبلغ حبّها هذا المبلغ، ولو لم يوجد لكان صحيحاً على سبيل الفرض والتقدير، فإن قلت: هلا قيل: سبع سنبلات، على حقه من التمييز بجمع القلة، كما قال: ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ [يوسف: ٥٣]؟ قلت: هذا لما قدمت عند قوله: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾، [البقرة: ٢٢٨] من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها، ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾: أي: يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء، لا لكل منفق، لتفاوت أحوال المنفقين، أو يضاعف سَبع المائة ويزيد عليها أضعافها لمن يستوجب ذلك.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ

---

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت: ما معنى أمره بضمها... إلخ»؟ قال أحمد: يريد: ولم يقل طيراناً لأنه إذا كانت ساعية كان أثبت لنظره عليها من أن تكون طائرة، والله أعلم.

(٢) قوله «وهيآتها وحلاها» جمع حلية بالكسر أي صفاتها. أفاده الصحاح. (ع)

رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾:

المنّ: أن يعتدّ على من أحسن إليه بإسحانه، ويريد أنه اصطنعه وأوجب عليه حقّاً له، وكانوا يقولون: إذا صنعتم صنيعة فانسوها، ولبعضهم [من الطويل]:

وَإِنَّ امْـرَأً أَسْـدَىٰ إِلَـيَّ صَـنِـيـعَـةً ... وَذَكَّـرَنِـيـهَـا مَـرَّةً لَـلَـئِـيـمُ[1]

وفي نوابغ الكلم: صنوان[2] من منح سائله ومنّ، ومن منع نائله وضنّ، وفيها: طعم الألاء أحلى من المنّ وهي أمرّ من الألاء[3] مع المنّ، والأذى: أن يتطاول عليه بسبب ما أزال إليه، ومعنى: «ثم» إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المنّ والأذى، وأنّ تركهما خير من نفس الإنفاق، كما جعل الاستقامة على الإيمان خيراً من الدخول فيه بقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، فإن قلت: أيُّ فرق بين قوله: ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، وقوله فيما بعد: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾:؟ قلت: الموصول لم يضمّن ههنا معنى الشرط/ ٩٣ب وضمنه ثمة، والفرق بينهما من جهة المعنى أنّ الفاء فيها، دلالة على أنّ الإنفاق به استحق الأجر،

---

(١) يقول: وإن رجلاً أعطاني عطية وذكرني بها مرة واحدة ـ للئيم. أي بليغ في اللؤم والخسة.

(٢) قال محمود: «في نوابغ التكلم صنوان... إلخ» قال أحمد: «ثم» في أصل وضعها تشعر بتراخي المعطوف بها عن المعطوف عليه في الزمان وبعد ما بينهما، والزمخشري يحملها على التفاوت في المراتب والتباعد بينهما، حيث لا يمكنه حملها على التراخي في الزمان لسياق يأبى ذلك كهذه الآية: وحاصله: أنها استعيرت من تباعد الأزمنة لتباعد المرتبة، وعندي فيها وجه آخر محتمل في هذه الآية ونحوها: وهو الدلالة على دوام الفعل المعطوف بها وإرخاء الطول في استصحابه، فهي على هذا لم تخرج عن الإشعار ببعد الزمن. ولكن معناها الأصلي تراخي زمن وقوع الفعل وحدوثه، ومعناها المستعارة إليه دوام وجود الفعل وتراخي زمن بقائه؛ وعليه حمل قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي داموا على الاستقامة دواماً متراخياً ممتد الأمد، وتلك الاستقامة هي المعتبرة، لا ما هو منقطع إلى ضده من الحيد إلى الهوى والشهوات. وكذلك قوله ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾ أي يدومون على تناسي الإحسان وعلى ترك الاعتداد به والامتنان، ليسوا بتاركيه في أزمنة إلى الإذاية وتقليد المنن بسببه، ثم يتوبون، والله أعلم. وقريب من هذا أو مثله أن السين تصحب الفعل لتنفيس زمان وقوعه وتراخيه، ثم ورد قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾. وقد حكى الله تعالى في مثل هذه الآية ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ فليس إلى حمل السين على تراخي زمان وقوع الهداية له من سبيل، فيتعين المصير إلى حملها على تنفس دوام الهداية الحاصلة له وتراخي بقائها وتمادي أمدها. ولعل الزمخشري أشار إلى هذا المعنى في آية إبراهيم عليه السلام، فتأمل هذا الوجه فهو أوجه مما حمل الزمخشري عليه آية البقرة. وهذه الآية أبقى على الحقيقة وأقرب إلى الوضع على أحسن طريقة والله الموفق.

(٣) قوله «وفيها طعم الآلاء» في الصحاح: الآلاء النعم، واحدها «ألا» بالفتح. وفيه أيضاً: الألاء ـ بالفتح ـ شجر حسن المنظر مر الطعم اهـ. واسم النعم على زنة أسباب. والظاهر أن اسم الشجر على زنة صحاب، فليحرر ما في النوابغ. (ع)

وطرحها عار عن تلك الدلالة.

﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: ردّ جميل، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: وعفو عن السّائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤل، أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل، أو وعفو من جهة السائل لأنه إذا ردّه ردّا جميلاً عذره، ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾: وصح الإخبار عن المبتدأ النكرة، لاختصاصه بالصّفة، ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾: لا حاجة به إلى منفق يمنُّ ويؤذي، ﴿حَلِيمٌ﴾: عن معاجلته بالعقوبة، وهذا سخط منه ووعيد له، ثم بالغ في ذلك بما أتبعه، ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ﴾: أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كإبطال المنافق الذي ينفق ماله، ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: لا يريد بإنفاقه رضاء الله ولا ثواب الآخرة، ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر أملس عليه تراب، وقرأ سعيد بن المسيّب: صَفَوَان بوزن كروان، ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾: مطر عظيم القطر، ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾: أجرد نقيا من التراب الذي كان عليه، ومنه: صلد جبين الأصلع إذا برق، ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾: كقوله: ﴿فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ويجوز أن تكون الكاف في محل النّصب على الحال، أي: لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق، فإن قلت: كيف قال: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾، بعد قوله: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ﴾؟ قلت: أراد بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق، ولأن «من»، و «الذي»: يتعاقبان، فكأنه قيل: كمن ينفق.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح، وبذله أشقّ شيء على النّفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الإيمان؛ لأن النّفس إذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها، وقل طمعها في اتباعه لشهواتها، وبالعكس، فكان إنفاق المال تثبيتاً لها على الإيمان واليقين، ويجوز أن يراد: وتصديقاً للإسلام، وتحقيقاً للجزاء من أصل أنفسهم؛ لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله، علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه، «ومن»: على التفسير الأوّل

للتبعيض، مثلها في قولهم: هز من عطفه، وحرك من نشاطه، وعلى الثاني؛ لابتداء الغاية، كقوله تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩]، ويحتمل أن يكون المعنى: وتثبيتاً من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخلصة فيه، وتعضّده قراءة مجاهد: وتبيينا من أنفسهم، فإن قلت: فما معنى التبعيض؟ قلت: معناه أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبّت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها[1]، ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١١] والمعنى: ومثل نفقة/ ١٩٤أ هؤلاء في زكائها عند الله، ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ﴾: وهي البستان، ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: بمكان مرتفع، وخصّها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمراً، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: مطر عظيم القطر، ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثمرتها، ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل، ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها، أو مثل حالهم عند الله بالجنّة على الربوة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطلّ، وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة ـ بعد أن يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع ـ زاكية عند الله، زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده، وقرىء: كمثل حبة، وبربوة ـ بالحركات الثلاث ـ و«أكلها» بضمتين.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

الهمزة في، ﴿أَيَوَدُّ﴾: للإنكار، وقرىء: له جنات، وذرية ضعاف، والإعصار: الريح التي تستدير في الأرض، ثم تسطع نحو السماء كالعمود، وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله، فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة، فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر، وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم، فهلكت بالصاعقة، وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عنها الصحابة فقالوا: الله أعلم، فغضب وقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس رضي الله عنه: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. قال: قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك. قال: ضربت مثلاً لعمل. قال: لأي: عمل؟ قال: لرجل غني يعمل الحسنات. ثم بعث

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «والظاهر أنه نفسه هي التي تُثَبِّته وتحمله على الإنفاق في سبيل الله ليس محرك إلا هي، لما اعتقدَتْه من الإيمان والثواب» يعني فيترجح أن التثبيت مسند في المعنى إلى أنفسهم». انتهى. الدر المصون.

الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها[1]، (١٩٩) وعن الحسن رضي الله عنه: هذا مثلٌ قلّ والله من يعقله من الناس، شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان إلى جنته، وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا. فإن قلت: كيف قال، ﴿جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾: ثم قال: ، ﴿لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[2]: قلت: النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع، خصهما بالذكر، وجعل الجنة منهما ـ وإن كانت محتوية على سائر الأشجار ـ تغليباً لهما على غيرهما، ثم أردفهما ذكر كل الثمرات، ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ [**الكهف**: ٣٤] بعد قوله: ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾[**الكهف**: ٣٢] فإن قلت: علام عطف قوله: ، ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾: ؟ قلت: الواو للحال لا للعطف، ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر، وقيل: يقال: وددت أن يكون كذا وودت لو كان كذا، فحمل العطف على المعنى، كأنه قيل: أيودّ أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾

﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾: من جياد مكسوباتكم، ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم﴾: من الحب والثمر والمعادن وغيرها. فإن قلت: فهلا قيل: وما أخرجنا لكم، عطفاً على، ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾: حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الأرض؟ قلت/ ٩٤ب معناه: ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات، ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾: ولا تقصدوا المال الرديء، ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾: تخصونه بالإنفاق، وهو في محل الحال، وقرأ

----

١٩٩ ـ أخرجه البخاري (٨/ ٤٩): كتاب التفسير: باب قوله ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ...﴾ حديث (٤٥٣٨).
والحاكم في مستدركه (٢/ ٢٨٣) والطبري (٥/ ٥٤٥)، حديث (٦٠٩٦).
وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٠٢) وعزاه لابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد والبخاري والطبري وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس.
قلت: وفي استدراك الحاكم لهذا الحديث وهم.
قال الحافظ: أخرجه البخاري من حديث عبيد بن عمير: أن عمر سأل. فذكره. ا.هـ.

---

(١) قوله «أغرق أعماله كلها» في بعض نسخ الجلال: أحرق، بالحاء، وكذلك عبارة النسفي. (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله: «إن قلت: لم ذكر النخيل والأعناب أولاً... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: وهذا من باب تثنية ذكر ما يقع الاهتمام به مرتين عموماً وخصوصاً ومثله (فيهما فاكهة ونخل ورمان) إلا أنه في تلك الآية بدأ بالتعميم وفي هذه الآية بدأ بالتخصيص والمقصود هو ما نبهنا عليه، والله أعلم.

عبد الله: «ولا تأمموا»، وقرأ ابن عباس: «ولا تيمموا»، بضم التاء، ويممه وتيممه وتأممه، سواء في معنى قصده ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم، ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ﴾: إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترحضوا فيه من قولك: أغمض فلان عن بعض حقه، إذا غضّ بصره، ويقال للبائع: أغمِض، أي: لا تستقص، كأنك لا تبصر، وقال الطِّرِمَّاح [من الخفيف]:

لَمْ يَفُتْنَا بِالوِتْرِ قَوْمٌ ولِلضَّيْـ ... ـمِ رِجَالٌ يَرْضَوْنَ بالإِغْمَاضِ[1]

وقرأ الزهريّ: «تغمضوا»، وأغمض وغمض بمعنى، وعنه: «تغمِضُوا»، بضم الميم وكسرها. من غمض يغمض ويغمض، وقرأ قتادة: «تُغمَضُوا»، على البناء للمفعول، بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه، وقيل: إلا أن توجدوا مغمضين، وعن الحسن رضي الله عنه: لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا يتصدّقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾:

أي: يعدكم في الإنفاق، ﴿ٱلْفَقْرَ﴾، ويقول لكم إنَّ عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا، وقرىء: الفقر، بالضم. والفقر ـ بفتحتين ـ والوعد يستعمل في الخير والشر، قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ﴾ [الحج: ٧٢]، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ﴾: ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور، والفاحش عند العرب: البخيل[2]، ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾: في الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً﴾ لذنوبكم وكفارة لها، ﴿وَفَضْلًاۗ﴾: وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم، أو ثواباً عليه في الآخرة.

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ

---

(١) قوله «لم يفتنا بالوتر قوم» في الصحاح «الموتور» الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه. تقول منه: وتره وتراً وترة. وكذلك وتره حقه أي نقصه. (ع)

(٢) الباء للملابسة أو بمعنى مع. والوتر ـ بالكسر ـ الظلم ونقص بعض الحق، ومثله الترة. والفعل وتر كوعد. والضيم: الظلم، والإغماض: ترك بعض الحق والإعراض عنه، كأنه لا يراه. يقول: لم يسبقنا قوم بالوتر ويظفروا منا به. وقوله: وللضيم رجال: استئناف، يعني إنا لا نعرض عن حقنا كغيرنا لشجاعتنا دونهم، أوحال، أي والحال أن للظلم ناس يرضون بترك حقوقهم لعجزهم، ويؤول إلى الأول.

(٣) قوله: «والفاحش عند العرب البخيل» قال [من الطويل]:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي ... عقيلة مال الفاحش المتشدد. (ع)

أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ﴾: يوفق للعلم والعمل به، والحكيم عند الله: هو العالم العامل وقرىء: «ومن يؤت الحكمة» بمعنى ومن يؤته الله[1] الحكمة، وهكذا قرأ الأعمش، و﴿خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾: تنكير تعظيم، كأنه قال: فقد أوتي أيّ خير كثير ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾. يريد الحكماء العلاّم العمّال، والمراد به الحثّ على العمل بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق.

﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾

﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: في سبيل الله، أو في سبيل الشيطان، ﴿أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ﴾: في طاعة الله، أو في معصيته، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾: لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي، أو لا يفون بالنذور، أو ينذرون في المعاصي، ﴿مِنۡ أَنصَارٍ﴾: ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه.

﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٧١﴾﴾

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «إن أرادَ تفسيرَ المعنى فهو صحيحٌ، وإن أرادَ الإعرابَ فليس كذلك؛ إذ ليس ثَمّ ضميرُ نصبٍ محذوفٌ، بل مفعولُ «يُؤتِ» مَنْ الشرطيةُ المتقدمةُ. قلت: ويؤيِّدُ تقديرَ الزمخشري قراءةُ الأعمش: «ومَنْ يُؤتِه الحكمةَ» بإثباتِ هاءِ الضمير، و «مَنْ» في قراءتِه مبتدأٌ لاشتغالِ الفعلِ بمعمولِه، وعند مَنْ يجوِّزُ الاشتغالَ في أسماءِ الشرطِ والاستفهام يجوُز في «مَنْ» النصبَ بإضمارِ فعلٍ، ويقدِّرُه متأخراً، والرفعُ على الابتداءِ، وقد تقدَّم تحقيق هذِهِ في غضونِ هذا الإعرابِ.

قال الشيخ: «وتقديرُه هكذا يُؤدي إلى حَذْفِ الموصوفِ بـ «أي» وإقامةِ الصفةِ مُقامَه، فإنَّ التقديرَ: فقد أوتي خيراً أيّ خير كثيرٍ، وإلى حذفِ «أيّ» الواقعةِ صفةً، وإقامةِ المُضاف إليها مُقامَها، وإلى وصفِ ما يُضاف إليه «أي» الواقعةُ صفةً نحو: مَرَرْتُ برجلٍ أيِّ رجلٍ كريم، وكلُّ هذا يَحْتاج إثباتُه إلى دليل، والمحفوظُ عن العربِ أنَّ «أياً» الواقعةَ صفةً تُضاف إلى ما يُماثِلُ الموصوف نحو: «دَعَوْتُ امرَأً أيَّ امرىءٍ، فأجابني» وقد يُحْذَفُ المصوفُ بأيّ كقوله [من الطويل]:

إِذَا حَارَبَ الحَجَّاجُ أيَّ مُنَافِقٍ ....

تقديرُهُ: منافقاً أيَّ منافق، وهذا نادرٌ، وقد تقدَّم أنَّ تقديرَ الزمخشري كذلك، أعني كونَه حَذْفَ موصوفَ أيّ. وأصلُ «يَذَّكَّرُ»: يَتَذَكَّر فَأُدْغَمَ. انتهى. الدر المصون.

«ما» في (نِعِمَّا): نكرة غير موصولة ولا موصوفة، ومعنى، ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾: فنعم شيئاً إبداؤها، وقريء بكسر النون وفتحها، ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾: وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: فالإخفاء خير لكم، والمراد الصدقات المتطوّع بها، فإنّ الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «صدقات السر في التطوّع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً» (٢٠٠) وإنما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل، لنفي التهمة، حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل، والمتطوّع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل (نُكَفِّر) وقرىء بالنون مرفوعاً عطفاً على محل ما بعد الفاء، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: ونحن نُكَفِّر. أو على أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأة، ومجزوماً عطفاً على محل الفاء وما بعده، لأنه جواب الشرط، وقرىء: «ويكفّر»، بالياء مرفوعاً، والفعل لله أو للاخفاء، وتكفر بالتاء، مرفوعاً ومجزوماً، والفعل للصدقات، وقرأ الحسن رضي الله عنه بالياء والنصب بإضمار أن ومعناه: إن تخفوها يكن خيراً لكم، وأن يكفر عنكم.

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾: لا يجب عليك أن تجعلهم[1] مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المنّ والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك، وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي

---

٢٠٠ ـ أخرجه الطبري (٥/ ٥٨٣)، حديث (٦١٩٧).
وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٢٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.
قال الحافظ: أخرجه الطبري من رواية ابن عباس قال: «جعل الله صدقة السر التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً وجعل صدقة الفريضة علانيتها تفضل سرها خمساً وعشرين ضعفاً»، وكذا جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلّها. انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه الله: «لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين... إلخ». قال أحمد رحمه الله: المعتقد الصحيح أن الله هو الذي يخلق الهدى لمن يشاء هداه، وذاك هو اللطف، لا كما يزعم الزمخشري أن الهدى ليس خلق الله وإنما العبد يخلقه لنفسه. وإن أطلق الله تعالى إضافة الهدى إليه كما في هذه الآية، فهو مؤول على زعم الزمخشري بلطف الله الحامل للعبد على أن يخلق هداه. إن هذا إلا اختلاق، وهذه النزعَة من توابع معتقدهم السيء في خلق الأفعال وليس علينا هداهم، ولكن الله يهدي من يشاء، وهو المسئول أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا.

فحسب، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: يلطف بمن يعلم أنّ اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهى عنه، ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾: من مال، ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾: فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم، ﴿وَمَا تُنفِقُونَ﴾: وليست نفقتكم إلا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده، فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله؟، ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: ثوابه أضعافاً مضاعفة، فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه، وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها، وقيل: حجت أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ فأتتها أمها تسألها وهي مشركة، فأبت أن تعطيها، فنزلت، وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين (٢٠١)، وروي: أنّ ناساً من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام، فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوهم(١)، وعن بعض العلماء: لو كان شر خلق الله، لكان لك ثواب نفقتك، واختلف في الواجب، فجوز أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ صرف صدقه الفطر إلى أهل الذمة، وأباه غيره.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

الجار متعلق بمحذوف، والمعنى: اعمدوا للفقراء، واجعلوا ما تنفقون للفقراء، كقوله تعالى: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ [النمل: ١٢] ويجوزأن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: صدقاتكم للفقراء، و﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هم الذين أحصرهم الجهاد، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: لاشتغالهم به، ﴿ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: للكسب، وقيل: هم أصحاب الصفة، وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر، فكانوا في صفة المسجد ـ وهي سقيفته ـ يتعلمون القرآن بالليل، ويرضخون النوى(٢) بالنهار، وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله ﷺ، فمن كان عنده فضل

---

٢٠١ ـ أخرجه الطبري (٥/ ٥٨٧، ٥٨٨)، حديث (٦٢٠٣).

---

(١) قوله «كرهوا أن ينفقوهم» لعله على تضمين الفعل معنى الإعطاء. أو لعله محرف وأصله ينفعوهم من النفع. (ع)

(٢) قوله «ويرضخون النوى» في الصحاح: رضخت الحصى والنوى: كسرته، ورضخت له رضخاً، وهو العطاء ليس بالكثير اهـ. (ع)

أتاهم به إذا أمسى، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: وقف رسول الله ﷺ يوماً على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال: «أَبْشِرُوا يا أصحاب الصفة، فمن بقي من أُمَّتِي على النعت الذي أنتم عليه راضياً بما فيه فإنه من رفقائي في الجنة»، (٢٠٢) ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾: بحالهم، ﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾: مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة، ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾: من صفرة الوجه ورثاثة الحال، والإلحاف: الإلحاح، وهو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشيء يعطاه. من قولهم: لحفني من فضل لحافه، أي: أعطاني من فضل ما عنده، وعن النبي ﷺ: «إنّ الله تعالى يحبّ الحَيِيّ الحليم المتعفف، ويبغض البذيّ السئال الملحف» (٢٠٣) ومعناه: أنهم إن سألوا سألوا بتلطف

---

٢٠٢ ـ أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٣/ ٢٧٧) بعد ترجمة مبادر بن عبيد الله الرقي عن ابن عباس قال: وقف النبي يوماً على أصحاب الصفة...

وذكره المتقى الهندي في الكنز (٦/ ٤٦٧)، حديث (١٦٥٧٧) وعزاه للخطيب البغدادي.

والحديث ذكره السيوطي في «الجامع الكبير» (١٢٨) وعزاه لأبي عبد الرحمن السلمي في «سنن الصوفية» والخطيب والديلمي عن ابن عباس.

قال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

٢٠٣ ـ أخرجه البزار في مسنده (٢/ ٤٣٠ كشف): كتاب الأدب: باب فيمن لا يستحي، حديث (٢٠٣١) من طريق مجاهد عن أبي هريرة.

ـ وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ١٦٤)، حديث (١٦٩) وعزاه لإسحاق بن راهويه والطبراني في مسند الشاميين عن عطاء بن مسلم الخراساني عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ أن الله يحب الحليم...

ـ وأخرجه السهمي في تاريخ جرجان ص (١٤٢) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٧٨).

ـ وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٠/ ٢٤١)، حديث (١٠٤٤٢) عن عبد الله بن مسعود.

ـ وابن أبي شيبة (٥/ ٢١٣)، حديث (٢٥٣٤٤) من طريق الأعمش عن حبيب عن ميمون بن أبي شبيب. قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ إن الله يحب الحيي العفيف...

وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٣٤) وعزاه للطبري وابن المنذر عن قتادة قال: ذكر لنا أنّ النبيّ كان يقول: إن الله يحب...

وقد أخرجه الطبري (٥/ ٦٠٠) حديث (٦٢٣١) من طريق قتادة.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن أبي شيبة في الأدب من رواية ميمون بن أبي شبيب عن النبي ـ ﷺ ـ مرسلاً إلاّ أنه قال «ويبغض الفاحش البذيء». وقد رُوي موصولاً، والبزّار من طريق محمد بن كثير الملائي عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة به. في حديث أوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وقال: لا نعلمه عن أبي هريرة إلاّ بهذا الإسناد. ا.هـ. وإسناده ضعيف. وقد رواه الطبراني من حديث ابن مسعود به، وأتمّ منه وفي إسناده سوار بن مصعب، وهو ضعيف وله طريق أخرى عن أبي هريرة أخرجها إسحاق في مسنده، والطبراني في مسند الشاميين من طريقه قال: أخبرنا كلثوم بن محمد قال حدثنا عطاء بن أبي مسلم الخراساني عن أبي هريرة ـ =

ولم يلحوا، وقيل: هو نفي للسؤال والإلحاف جميعاً كقوله [من الطويل]:

عَلَى لاَحِبٍ[1] لاَ يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ ....[2]

يريد نفي المنار والاهتداء به.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾:

﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير، فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال، وقيل: نزلت في أبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ حين تصدّق بأربعين ألف دينار، عشرة بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرة في السرّ، وعشرة في العلانية، وعن ابن عباس

= فذكره مقتصراً على ما ذكره المصنّف بمعناه. وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان وحمزة السهمي في تاريخ جرجان، كلاهما من طريق عيسى بن خالد البلخي عن ورقاء عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ: «إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثر نعمته عليه، ويكره البؤس والتبؤس ويبغض السائل الملحف، ويحب العفيف المتعفّف». انتهى.

---

(١) قوله: «على لاحب» أي طريق واضح. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) وإني زعيم إن رجعت مملكاً ... بسير ترى منه الفرانق أزورا
على لاحب لا يهتدي بمناره ... إذا سافه العود النباطي جرجرا

لامرىء القيس. والزعيم الكفيل. والفرانق ـ بضم الفاء ـ: رسول يوصل خبر الخوف. والأزور: المائل. يقول: إن ملكوني عليهم كما كنت فإني متكفل بسفر صعب. واللحب واللاحب: الطريق الواسع، من لحبه إذا وطئه ومر فيه، فأصله ملحوب. والمنار أعلام الطريق. وسافه يسوفه سوفاً إذا شمه شماً. ومنه المسافة. والعود: الجمل المسن. ويطلق على الطريق القديم. والسؤدد: القديم. والنباطي: نسبة للنبط، وهم قوم يحلون البطاح بين العراقين يستنبطون منها الماء، كيماني نسبة لليمن. ويروى: العود الديافي. وداف يدوف إذا خلط، ودياف: موضع بالجزائر فيه نبط الشام. والديافي نسبة إليه. والجرجرة: صوت يردده البعير في حنجرته، يعني أنه طريق واسع لا منار فيه يهتدى به، وفيه نوع من البديع يسمونه نفي الشيء بإيجابه، ويفسرونه بأن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشيء وباطنه نفيه، بأن ينفي ما هو من سببه وهو المنفي في الباطن. وفي البيت نفي الاهتداء بالمنار، والمقصود نفي المنار كما ذكره السيوطي في شرح عقود الجمان، إذا شمه الجمل المسن عرف أنه طريق وعر لتجربته الطرق، وجرجر خوفاً منه لصعوبته عليه مع تمرنه على السفر، سيما إذا كان من إبل النبط لكثرة رحيلهم. هذا ويحتمل أن السير مجاز عن السياسة كما يشعر به طلب الملك؛ فيكون ما بعده ترشيح للمجاز.

ينظر ديوانه (٩٥)، أمالي ابن الشجري ١/ ١٩٢، الخصائص ٣/ ١٦٥، معاني الزجاج ١/ ٣٥٧، أمالي المرتضى ١/ ١٦٥، اللسان: سوق: الدر المصون ١/ ٦٥٧.

رضي الله عنهما ـ نزلت في عليّ رضي الله عنه: لم يملك إلا أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، (٢٠٤) وقيل: نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، كان إذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾:

﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾: كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلاة والزكاة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع، ﴿لَا يَقُومُونَ﴾: إذا بعثوا من قبورهم[1]، ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: أي: المصروع، وتخبط الشيطان من زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع، والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء، فورد

---

٢٠٤ ـ أخره الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٩٧)، حديث (١١١٦٤).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٧): وفيه عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٤٢) وعزاه لابن جرير وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن عساكر.
من طريق عبد الوهاب عن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس.

---

(١) قال محمود رحمه الله: «يعني إذا بعثوا من قبورهم... إلخ» قال أحمد: قوله: وتخبط الشيطان من زعمات العرب، أي كذباتهم وزخارفهم التي لا حقيقة لها، كما يقال في الغول والعنقاء ونحو ذلك. وهذا القول على الحقيقة من تخبط الشيطان بالقدرية في زعماتهم المردودة بقواطع الشرع، فقد ورد «ما من مولود يولد إلا يمسه الشيطان فيستهل صارخاً» وفي بعض الطرق «إلا طعن الشيطان في خاصرته ومن ذلك يستهل صارخاً إلا مريم وابنها، لقول أمها: إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» وقوله عليه السلام «التقطوا صبيانكم أول العشاء فإنه وقت انتشار الشياطين» وفي حديث مكحول: أنه مر برجل نائم بعد العصر فركضه برجله وقال: لقد دفع عنك الشياطين، أو لقد عوفيت، إنها ساعة مخرجهم وفيها ينتشرون وفيها يكون الخبتة. قال شمر: كان في لسان مكحول لكنة، وإنما مراد الخبطة من الشيطان، أي إصابة مس أو جنون. وقد ورد في حديث لمفقود الذي اختطفته الشياطين وردته في زمنه عليه الصلاة والسلام أنه حدث عن شأنه معهم قال: فجاءني طائر كأنه جمل، فتعثرني، فاحتملني على خافية من خوافيه، إلى غير ذلك مما يطول الكتاب بذكره. واعتقاد السلف وأهل السنّة أن هذه أمور على حقائقها واقعة، كما أخبر الشرع عنها. وإنما القدرية خصماء العلانية فلا جرم أنهم ينكرون كثيراً مما يزعمونه مخالفاً لقواعدهم، من ذلك: السحر، وخبطة الشيطان، ومعظم أحوال الجن، وإن اعترفوا بشيء من ذلك، فعلى غير الوجه الذي يعترف به أهل السنّة وينبىء عنه ظاهر الشرع، في خبط طويل لهم فاحذرهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

على ما كانوا يعتقدون، والمس: الجنون، ورجل ممسوس، وهذا أيضاً من زعماتهم، وأن الجنيّ يمسه فيختلط عقله، وكذلك جن الرجل: معناه ضربته الجنّ ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب، وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات. فإن قلت: بم يتعلق قوله: ، ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾: ؟ قلت: بـ «لا يقومون»، أي: لا يقومون من المسّ الذي بهم إلا كما يقوم المصروع، ويجوز أن يتعلق بيقوم، أي: كما يقوم المصروع من جنونه، والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين، تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف، وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون، إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين، لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم، فلا يقدرون على الإيفاض، ﴿ذَٰلِكَ﴾: العقاب بسبب قولهم، ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: . فإن قلت: هلا قيل إنما الربا مثل البيع لأنّ الكلام في الربا لا في البيع[1] فوجب أن يقال: إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه، وكانت شبهتهم أنهم قالوا: لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز، فكذلك إذا باع درهماً بدرهمين؟ قلت: جيء به على طريق المبالغة، وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانوناً في الحل حتى شبهوا به البيع، وقوله: ، ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: إنكار لتسويتهم بينهما، ودلالة عل أنّ القياس يهدمه النص، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه، ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾: فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا، ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾: فتبع النهي وامتنع، ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾: فلا يؤخذ بما مضى منه، لأنه أخذ قبل نزول التحريم، ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾:

---

(١) قال محمود: «إن قلت لِمَ لَمْ يقولوا: إنما الربا مثل البيع. . . إلخ» قال أحمد: وعندي وجه في الجواب عن السؤال الذي أورده غير ما ذكر، وهو أنه متى كان المطلوب التسوية بين المحلين في ثبوت الحكم. فللقائل أن يسوي بينهما طرداً، فيقول مثلاً: الربا مثل البيع، وغرضه من ذلك أن يقول: والبيع حلال فالربا حلال. وله أن يسوي بينهما في العكس فيقول: البيع مثل الربا، فلو كان الربا حراماً كان البيع حراماً ضرورة المماثلة. ونتيجته التي دلت قوة الكلام عليها أن يقول: ولما كان البيع حلالاً اتفاقاً غير حرام، وجب أن يكون الربا مثله، والأول على طريقة قياس الطرد، والثاني على طريقة قياس العكس، ومآلهما إلى مقصد واحد، فلا حاجة على هذا التقرير إلى خروج عن الظاهر لعذر المبالغة أو غيره، وليس الغرض من هذا كله إلا بيان هذا الذي تخيلوه على أنموذج النظم الصحيح وإن كان قياساً فاسد الوضع، لاستعماله على مناقضة المعلوم من حكم الله أيضاً في تحريم الربا وتحليل البيع وقطع القياس بينهما، ولكن إذا استعملت الطريقتين المذكورتين استعمالاً صحيحاً فقل في الأول: النبيذ مثل الخمر في علة التحريم، وهو الإسكار، والخمر حرام فالنبيذ حرام. وقل في الثانية: إنما الخمر مثل النبيذ فلو كان النبيذ حلالاً لكان الخمر حلالاً، وليست حلالاً اتفاقاً فالنبيذ كذلك ضرورة المماثلة المذكورة، فهذا التوجيه أولى أن تحمل الآية عليه، والله أعلم.

يحكم في شأنه يوم القيامة، وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلى الربا، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: وهذا دليل بيّن[1] على تخليد الفساق[2]، وذكر فعل الموعظة لأنّ تأنيثها غير حقيقي، ولأنها في معنى الوعظ، وقرأ أُبيٌّ والحسن: «فمن جاءته».، ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه، وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: الربا وإن كثر إلى قلّ.، ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: ما يتصدّق به بأن يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه، وفي الحديث.: «ما نقصتْ زكاةٌ من مال قط»، (٢٠٥) ﴿كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾: تغليظ في أمر الربا وإيذان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين.

---

٢٠٥ ـ أخرجه مسلم (٨/٥٤٦ ـ الأبي): كتاب البر والصّلة والأدب: باب استحباب العفو والتواضع حديث (٢٥٨٨/٦٩)، وأحمد (٢/٢٣٥)، وابن خزيمة (٤/٩٧) حديث (٢٤٣٨) والدارمي (١/ ٣٩٦): كتاب الزكاة: باب في فضل الصّدقة.
ومالك (٢/١٠٠٠): كتاب الصّدقة: باب ما جاء في التعفّف، حديث (١٢) وأحمد (٢/٢٣٥، ٣٨٦، ٤٣٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/١٨٧): كتاب الزكاة: باب كراهية البخل (١٠/٢٣٥) والترمذي (٤/٣٧٦): كتاب البر والصّلة: باب ما جاء في التواضع، حديث (٢٠٢٩) وابن حبّان في صحيحه (٨/٤٠)، حديث (٣٢٤٨) والبغوي في شرح السنة (٣/٣٩٩ ـ بتحقيقنا): كتاب الزكاة: باب فضل الصّدقة، حديث (١٦٢٧) عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة.
وأخرجه البزار (١/٤٤٠ ـ كشف الأستار)، حديث (٩٣٠) من طريق عبد الله بن غالب ثنا هشام بن عبد الرحمن الكوفي ثنا علقمة بن مرثد عن أبي الربيع عن أبي هريرة به.
وقال البزار: ما حدّث به هكذا إلاّ هشام ولا رواه عنه إلاّ عبد الله بن غالب العبَادَاني.
وقد حدّث بغير حديث عن الأعمش، قال الحافظ ابن حجر:
من رواية العلاء عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ «ما نقصت صدقة من مال... الحديث» ورواه البزّار من هذا الوجه، فزاد فيه قط. انتهى.

---

(١) قوله «على تخليد الفساق» وهو مذهب المعتزلة ولا يخلدون عند أهل السنّة كما بين في محله. (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله: «في هذه الآية دليل على تخليد الفساق... إلخ» قال أحمد رحمه الله: وهو يبني على أن المتوعد عليه بالخلود العود إلى فعل الربا خاصة، ولا يساعده على ذلك الظاهر الذي استدل به، فإن الذي وقع العود إليه مسكوت عنه في الآية. ألا تراه قال (ومن عاد) فلم يذكر المعود إليه، فيحمل على ما تقدم كأنه قال: ومن عاد إلى ما سلف ذكره فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، والذي سلف ذكره فعل الربا واعتقاد جوازه، والاحتجاج عليه بقياسه على البيع. ولا شك عندنا ـ أهل السنّة والجماعة ـ أن من تعاطى معاملة الربا مستحلاً لها مكابراً في تحريمها مسنداً إحلالها إلى معارضة آيات الله البينات بما يتوهمه من الخيالات فقد كفر ثم ازداد كفراً، وإذ ذاك يكون الموعود بالخلود في الآية من يقال إنه كافر مكذب غير مؤمن، وهذا لا خلاف فيه، فلا دليل للزمخشري إذاً على اعتزاله في هذه الآية، والله الموفق. وإنما هو موكل بتحميل الآيات من المعتقدات الباطلة ما لا تحتمله، وأنى له ذلك في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا، فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها. روي: أنها نزلت في ثقيف، وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا، وقرأ الحسن ـ رضي الله عنه ـ: «ما بقىٰ»، بقلب الياء ألفاً على لغة طيء: وعنه «ما بقي» بياء ساكنة، ومنه قول جرير [من البسيط]:

هُوَ الْخَلِيفَةُ فَارْضَوْا مَا رَضِي لَكُمُ   مَاضِي الْعَزِيمَةِ مَا فِي حُكْمِهِ جَنَفُ[1]

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن صح إيمانكم، يعني أنّ دليل صحة الإيمان وثباته امتثال ما أمرتم به من ذلك، ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ﴾: فاعلموا بها، من أذن بالشيء إذا علم به، وقرىء: «فآذنوا»، فأعلموا بها غيركم، وهو من الإذن وهو الاستماع، لأنه من طرق العلم، وقرأ الحسن: «فأيقنوا»، وهو دليل لقراءة العامّة. فإن قلت: هلا قيل بحرب الله ورسوله؟ قلت: كان هذا أبلغ، لأن المعنى: فأذنوا بنوع من الحرب عظيم [من] عند الله ورسوله، وروي أنها لما نزلت قالت ثقيف: لا يديْ لنا بحرب الله ورسوله. ، ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾: من الارتباء، ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾: المديونين[2] بطلب الزيادة عليها، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: بالنقصان منها. فإن قلت: هذا حكمهم إن تابوا، فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت: قالوا: يكون مالهم فيئاً للمسلمين، وروى المفضل عن عاصم: «لا تظلمون ولا تظلمون»، ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾: وإن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة أو ذو إعسار وقرأ عثمان ـ رضي الله عنه ـ. «ذا عسرة» علىٰ وإن كان الغريم ذا عسرة، وقرىء: «ومن كان ذا عسرة». ، ﴿فَنَظِرَةٌ﴾: أي: فالحكم أو فالأمر نظرة وهي الإنظار، وقرىء: «فنظْرة»

---

(١) أي هو المعروف بالعدل. أو هو الخليفة الكامل فارضوا ما رضيَ لكم من الأحكام. وتسكين آخر «رضيَ» ونحوه: لغة شاذة. ماضي العزيمة: نافذ الحكم، ليس في حكمه جنف: أي ميل عن الحق إلى غيره.
ينظر: ديوانه (٣٩٠)، الدر المصون (١/ ٦٦٥).

(٢) قوله «المديونين بطلب الزيادة» القياس المدينين، فلعل هذا مسموع شذوذاً، وسيعبر به فيما بعد أيضاً. (ع)

بسكون الظاء، وقرأ عطاء: «فناظره» بمعنى فصاحب الحق ناظره: أي: منتظره، أو صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم: مكان عاشب وباقل، أي: ذو عشب وذو بقل، وعنه: فناظِرْه، على الأمر بمعنى فسامحه بالنظرة وياسره بها، ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: إلى يسار وقرىء بضم السين، كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة، وقرىء بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله [من البسيط]:

.... وَأَخْلَفُوكَ عِدَ الأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا(1)

وقوله تعالى: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧]، ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: ندب إلى أن يتصدقوا برءوس أموالهم على من أعسر من غرمائهم أو ببعضها، كقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧] وقيل: أريد بالتصدق الإنظار لقوله ﷺ: «لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة»، (٢٠٦) ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنه خير لكم

---

٢٠٦ ـ أخرجه ابن ماجه (٢/٨٠٨) كتاب الأحكام باب إنظار المعسر حديث (٢٤١٨) من طريق الأعمش عن نفيع أبي داود عن بريدة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: من أنظر معسراً كان له كلّ يوم صدقة ما لم يحل ومن أنظره بعد حلّة كان له مثله في كلّ يوم صدقة.
قال البوصيري في «الزوائد» (٢/٢٤٦): هذا إسناد ضعيف نفيع بن الحارث الأعمى الكوفي متفق على ضعفه.
وللحديث طريق آخر أخرجه أحمد (٥/ ٣٥١) والحاكم (٢/ ٢٩) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٥٣٨) من طريق محمد بن جحادة عن سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً.
ومن هذا الطريق ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ١٦٦) وزاد نسبته إلى إسحاق بن راهويه وأبي يعلى والطبراني في «جمعه أحاديث محمد بن جحادة».
وللحديث شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ١٥١) رقم =

---

(1) إن الخليط أجدوا البين وانجردوا ... وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا
لأبي أمية الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب. وقيل: لزهير. والخليط: المخالط في العشرة، وهو كالعشير. يقال للواحد والمتعدد. وأجدوا البين: اجتهدوا في الفراق. وانجردوا. مضوا. وعد الأمر: أصله عدة الأمر. وأصلها وعد، فعوضت التاء عن الواو، ثم حذفت التاء للإضافة كالتنوين على لغة، واختلف فقيل إنها سماعية. وقيل إنها قياسية. واشتراطهم للحذف عدم اللبس ـ فيمتنع في شجرة زيد للبس بشجر زيد ـ يؤيد كونها قياسية. وفي المراح: أن حذف تاء التعويض جائز هنا اتفاقاً. أما عند سيبويه فلأن التعويض عنده من الأمور الجائزة. وأما عند الفراء فلأنه لا يوجب التاء إلا عند عدم الإضافة، وهي هنا متحققة فتقوم مقام العوض، وعائد الموصول محذوف، أي الأمر الذي وعدوه إياك.
ينظر: شرح شواهد الشافية ص ٦٤، شرح التصريح ٢/٣٩٦، لسان العرب «غلب»، «خلط» المقاصد النحوية ٤/٥٧٢، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٥/٢٤١، شرح الأشموني ٢/٣٠٤، شرح شافية الحاجب ١/١٥٨، شرح عمدة الحافظ ص ٤٨٦، لسان العرب (وعد)، (خلط)، أوضح المسالك ٤/٤٠٧، الخصائص ٣/١٧١.

فتعملوا به، جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه، وقرىء «تصدّقوا» بتخفيف الصاد على حذف التاء، ﴿تُرْجَعُونَ﴾: قرىء على البناء للفاعل والمفعول: وقرىء: «يرجعون» بالياء على طريقة الالتفات، وقرأ عبد الله: «تردّون»: وقرأ أبيّ: «تصيرون»، وعن ابن عباس: أنها آخر آية نزل بها جبريل ـ عليه السلام ـ، وقال: ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة، وعاش رسول الله ﷺ بعدها أحداً وعشرين يوماً، (٢٠٧) وقيل: أحداً وثمانين، وقيل: سبعة أيام، وقيل: ثلاث ساعات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم

= (١١٣٣٠).

وقال الهيثمي في «المجمع» (١٣٨/٤): رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه الحكم بن الجارود ضعّفه الأزدي وشيخ الحكم وشيخ شيخه لم أعرفهما.

قال الحافظ ابن حجر:

رواه ابن ماجه من رواية الأعمش عن أبي داود نفيع عن بريدة رفعه «من أنظر معسراً كان له بكلّ يوم صدقة. ومن أنظره بعد حلّه كان له مثله في كلّ يوم صدقة» وأبو داود ضعيف وقد اختلف عليه فيه فرواه عبد الله بن نمير عن الأعمش هكذا وخالفه أبو بكر بن عياش فرواه عن الأعمش عن أبي داود عن عمران بن حصين أخرجه أحمد والطبراني وقد أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والطبراني والحاكم والبيهقي في آخر الشعب كلهم من رواية عبد الوارث عن محمد بن جحادة عن ابن بريدة عن أبيه نحوه وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني. انتهى.

٢٠٧ ـ أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١٣٧/٧) وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦٥٣/١) وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر.

﴿بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

﴿إِذَا تَدَايَنتُم﴾: إذا داين بعضكم بعضاً. يقال: داينت الرجل إذا عاملته، ﴿بِدَيْنٍ﴾: معطياً أو آخذاً كما تقول: بايعته إذا بعته أو باعك. قال رؤبة [من الرجز]:

دَايَنْتُ أَرْوَى وَالدُّيُونُ تُقْضَى ... فَمَطَلَتْ بَعْضاً وَأَدَّتْ بَعْضَا[1]

والمعنى: إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه. فإن قلت: هلا قيل: إذا تداينتم إلى أجل مسمى[2] وأي: حاجة إلى ذكر «الدين» كما قال: داينت أروى، ولم يقل: بدين؟ قلت: ذكر ليرجع الضمير إليه في قوله: ، ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾: إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال: فاكتبوا الدين، فلم يكن النظم بذلك الحسن، ولأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحالّ. فإن قلت: ما فائدة قوله: ، ﴿مُّسَمًّى﴾: قلت: ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوماً كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام، ولو قال: إلى الحصاد، أو الدياس، أو رجوع الحاج، لم يجز لعدم التسمية، وإنما أمر بكتبة الدين، لأنّ ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود، والأمر للندب، وعن ابن عباس: أن المراد به السلم، وقال: لما حرم الله الرّبا أباح السلف، وعنه: أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول آية، (٢٠٨) ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾: متعلق بكاتب صفة له، أي: كاتب مأمون على ما يكتب،

---

٢٠٨ ـ أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٢٨٦) والطبري (٦/ ٤٠)، حديث (٦٣٢١) وعلّقه البخاري (٤/ ٥٠٦): كتاب البيوع: باب السّلم إلى أجل معلوم.
وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٢٠٥)، حديث (١٢٩٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٨، =

---

(١) لرؤبة. يقول: عاملت محبوبتي بدين لي عليها من لوازم المودة، فمطلت: أي أخرت بعضاً منه وأطالت مدة تأخيره، وقضت بعضاً منه. وقوله «والديون تقضى» جملة حالية أو اعتراضية مبينة لظلمها في المطل وأصل المطل: المط والمد.
ينظر: ديوانه (٧٩)، الخصائص (٢/ ٩٦)، شواهد الكتاب (٢/ ٣٠٠)، الدر المصون (١/ ٦٧٢).
(٢) قال محمود: «إن قلت هلا قيل إذا تداينتم... إلخ»؟ قال أحمد: الأجل المسمى هو المعلوم انتهاؤه، ولعلم الانتهاء طرق منها التحديد بنفس الزمان كالسنة والشهر. ومنها التحديد بما يعتاد وقوعه في زمن مخصوص مضبوط بالعرف. كالحصاد، ومقدم الحاج. وكيفما علم الأجل صح ضربه، فمن ثم أجاز مالك البيع إلى الحصاد لأنه معلوم عندهم، ثم المعتبر زمان وقوع هذه المسميات لا نفس وقوعها حتى لو حل زمن قدوم الحاج فمنعه مانع من القدوم مثلاً لم يكن به عبرة وحكمنا بحلول أجل الدين، والله أعلم.

يكتب بالسوية والاحتياط. لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص، وفيه: أن يكون الكاتب فقيها عالماً بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلاً بالشرع، وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب، وأن لا يستكتبوا إلا فقيهاً دينا، ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾: ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب، ﴿أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾: مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير، وقيل هو كقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧] أي: ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها، وعن الشعبي: هي فرض كفاية، وكما علمه الله: يجوز أن يتعلق بأن يكتب، وبقوله: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾. فإن قلت: أي: فرق بين الوجهين؟ قلت: إن علقته بأن يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة، ثم قيل له، ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾: يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد، وإن علقته بقوله: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق، ثم أمر بها مقيدة[1]، ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾: ولا يكن المملي إلا من وجب عليه الحق، لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره به، والإملاء والإملال لغتان قد نطق بهما القرآن ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الفرقان: ٥]، ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾: من الحق، ﴿شَيْئًا﴾: والبخس: النقص، وقرىء «شياً»، بطرح الهمزة: «وشياً»، بالتشديد، ﴿سفيهاً﴾: محجوراً عليه لتبذيره وجهله بالتصرف، ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾: صبياً أو شيخاً مختلاً، ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾: أو غير مستطيع للإملاء بنفسه لعيّ به أو خرس، ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾: الذي يلي أمره من وصيّ إن كان سفيهاً أو صبياً، أو وكيل إن كان غير مستطيع، أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه، وقوله تعالى: ، ﴿أَن يُمِلَّ هُوَ﴾: فيه أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره، وهو الذي يترجم عنه، ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾: واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدّين، ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾: من رجال المؤمنين، والحرية والبلوغ شرط مع الإسلام عند عامة العلماء، وعن علي - رضي

= ١٩): كتاب البيوع: باب جواز السّلف المضمون بالصّفة.

وذكره السيوطي في الدر (١/ ٦٥٤) وعزاه للشافعي وعبد الرزاق وعبد بن حميد والبخاري وابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر والحاكم والبيهقي، عن عبد الله بن عباس.

قال الحافظ ابن حجر:

أخرجه الحاكم من رواية أبي حيّان الأعرج عن الأعمش عن ابن عباس قال «أشهد أن السلم المضمون إلى أجل مسمّى أن الله أجله في الكتاب وأذن فيه وقرأ هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهو خلاف الظاهر، وتكون الكاف في هذا القولِ للتعليل» قلت: وعلى القولِ بكونها متعلقةً بقوله: «فليكتب» يجوز أن تكون للتعليل إيضاً، أي: فلأجلِ ما علمه الله فليكتب. انتهى. الدر المصون.

الله عنه ـ: لا تجوز شهادة العبد في شيء، وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتيّ أنها جائزة، ويجوز عند أبي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل. ، ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾: فإن لم يكن الشهيدان، ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾: فليشهد رجل وامرأتان، وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص، ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾: ممن تعرفون عدالتهم، ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾: أن لا تهتدي إحداهما للشهادة بأن تنساها، من ضل الطريق إذا لم يهتد له، وانتصابه على أنه مفعول له أي: إرادة أن تضل. فإن قلت: كيف يكون ضلالها مراداً لله تعالى؟ قلت: لما كان الضلال سبباً للإذكار، والإذكار مسبباً عنه، وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما، كانت إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار إرادة للإذكار، فكأنه قيل: إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت، ونظيره قولهم: أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه، وأعددت السلاح أن يجيء عدوٌّ فأدفعه، وقرىء: «فتذكر» بالتخفيف والتشديد، وهما لغتان، و«فتذاكر»، وقرأ حمزة: «إن تضل إحداهما» على الشرط. فتذكر، بالرفع والتشديد، كقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥] وقرىء: «أن تُضَلَّ إحداهما» على البناء للمفعول والتأنيث، ومن بدع التفاسير فتذكر، فتجعل إحداهما الأخرى ذكرا، يعني أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر، ﴿إِذَا مَا دُعُوا﴾: ليقيموا الشهادة، وقيل: ليستشهدوا، وقيل لهم شهداء قبل التحمل، تنزيلاً لما يشارف منزلة الكائن، وعن قتادة: كان الرجل يطوف [في] الحواء[1] العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم أحد، فنزلت. كني بالسأم عن الكسل، لأنّ الكسل صفة المنافق، ومنه الحديث: «لا يقول المؤمن كسلت» (٢٠٩) ويجوز أن يراد من كثرت مدايناته؛ فاحتاج أن يكتب لكل دين صغير أو كبير كتاباً، فربما مل كثرة الكتب، والضمير في، ﴿تَكْتُبُوهُ﴾: للدين أو الحق، ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾: على أي حال كان الحق من صغر أو كبر، ويجوز أن يكون الضمير للكتاب؛ وأن يكتبوه مختصراً أو مشبعاً لا يخلوا بكتابته، ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾: إلى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: إشارة إلى أن تكتبوه، لأنه في معنى المصدر، أي: ذلكم الكتب، ﴿أَقْسَطُ﴾: أعدل من القسط، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾: وأعون على إقامة الشهادة، ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾: وأقرب من انتفاء الريب. فإن قلت: مِمَّ بني أفعلا التفضيل، أعني: أقسط، وأقوم؟ قلت: يجوز على مذهب سيبويه أن يكونا مبنيين من أقسط وأقام، وأن يكون أقسط

---

٢٠٩ ـ سيأتي تخريجه في سورة براءة. انتهى.

---

(١) قوله «يطوف في الحواء» في الصحاح: الحواء جماعة بيوت من الناس مجتمعة. (ع)

من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط، وأقوم من قويم، وقرىء[1]. «ولا يسأموا أن يكتبوه» بالياء فيهما. فإن قلت: ما معنى، ﴿تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً﴾: وسواء أكانت المبايعة بدين أوبعين فالتجارة حاضرة؟ وما معنى إدارتها بينهم؟ قلت: أريد بالتجارة ما يتجر فيه من الأبدال، ومعنى إدارتها بينهم تعاطيهم إياها يداً بيد، والمعنى: إلا أن تتبايعوا بيعاً ناجزاً يداً بيد فلا بأس أن لا تكتبوه، لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين، وقرىء: ﴿تجارةٌ حاضرةٌ﴾ بالرفع على كان التامّة، وقيل: هي الناقصة على أنّ الاسم (تجارة حاضرة) والخبر ﴿تُدِيرُونَهَا﴾ وبالنصب على إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب [من الطويل]:

بَـنِـي أَسَـدٍ هَـلْ تَـعْـلَـمُـونَ بَـلاَءَنَـا إِذَا كَـانَ يَـوْمـاً ذَا كَـوَاكِـبَ أَشْـنَـعَـا؟[2]

أي: إذا كان اليوم يوماً، ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: أمر بالإشهاد على التبايع مطلقاً، ناجزاً أو كالئا لأنه أحوط وأبعد مما عسى [أن] يقع من الاختلاف، ويجوز أن يراد: وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة، على أن الإشهاد كاف فيه دون الكتابة، وعن الحسن: إن شاء أشهد وإن شاء لم يشهد، وعن الضحاك: هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل[3]، ﴿وَلَا يُضَآرَّ﴾: يحتمل البناء للفاعل والمفعول، والدليل عليه

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: لم ينصَّ سيبويه على أنَّ أفعلَ التفضيلِ تبني من «أَفعل»، إنما يُؤْخَذُ ذلك بالاستدلالِ، فإنه نصَّ في أوائلِ كتابِه على أنّ «أَفعَل» للتعجبِ يكونُ من فَعَل وفَعِل وفَعُل وأَفعَل، فظاهرُ هذا أن «أَفعَل» للتعجب يُبني منه أَفعل للتفضيل، فما اقتاسَ في التعجبِ اقتاسَ في التفضيلِ، وما شَذَّ فيه شَذَّ فيه. وقد اختلف النحويون في بناءِ التعجبِ وأَفعَل التفضيلِ من أَفعَل على ثلاثةِ مذاهب: الجوازُ مطلقاً، والمنعُ مطلقاً، والتفضيلُ بين أَنْ تكونَ الهمزةُ للنقلِ فيمتنِعَ، أو لا فيجوزَ، وعليه يُؤَوَّل كلامُ سيبويه، حيث قال: «إنه يبني من أَفعَل» أي الذي همزتُه لغيرِ التعدية. ومَنْ مَنَعَ مطلقاً قال: «لم يَقُلْ سيبويه وأَفعَلَ بصيغة الماضي» إنما قالها أَفعِل بصيغةِ الأمر، فالتبس على السامعِ، ويعني أنه يكونُ فعلُ التعجب على أَفعِلْ، بناؤه من فَعَل وفَعِل وفعُل، وعلى أفعِل. انتهى. الدر المصون.

(٢) من أبيات الكتاب. والمراد من هذا الاستفهام الوعيد والتهديد وتذكير ما سبق أو التقرير، أو هل بمعنى قد. والبلاء: الحرب وكل مكروه. أي يا بني أسد، هل تعلمون حربنا إذا كان اليوم يوماً صاحب كواكب، فاسم كان محذوف. ويجوز أن اسم كان ضمير البلاء، ويوماً ظرف متعلق بالخبر المحذوف. وكنّى بذي الكواكب عن المظلم، لأن الكواكب المتعددة لا تظهر إلا ليلاً، فالمعنى: إذا كان اليوم يشبه الليل في الظلمة من اشتداد الحرب وإثارة الغبار فيحجب الشمس. فكأن النجوم ترى فيه. وأقرب من ذلك أنه استعار الكواكب لأطراف الرماح، وسيوف للمعانها وانتشارها ذلك اليوم كالنجوم على طريق التصريحية، والأشنع: القبيح.
البيت لعمرو بن شأس ينظر الكتاب ١/ ٤٧، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٦٣، وخزانة الأدب ٨/ ٥٢١، والأزهية ص ١٨٦، ولحصين بن همام ينظر المعاني الكبير ص ٩٧٣، ولسان العرب (شهب)، والمقتضب ٤/ ٩٦، والدر المصون ١/ ٦٨٤.

(٣) قوله «على باقة بقل» حزمة منه. أفاده الصحاح. (ع)

قراءة عمر ـ رضي الله عنه ـ: «ولا يضارر»، بالإظهار والكسر، وقراءة ابن عباس رضي الله عنه: «ولا يضارر»، بالإظهار والفتح، والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منهما، وعن التحريف والزيادة والنقصان، أو النهي عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم، ويلزا، أو لا يعطي الكاتب حقه من الجعل، أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد[1] وقرأ الحسن: «ولا يضار»، بالكسر، ﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾: وإن تضارّوا، ﴿فَإِنَّهُۥ﴾: فإنّ الضرار، ﴿فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾: وقيل: وإن تفعلوا شيئاً مما نهيتم عنه، ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: مسافرين، وقرأ ابن عباس وأبيّ ـ رضي الله عنهما ـ «كتاباً»، وقال ابن عباس: أرأيت إن وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة، وقرأ أبو العالية: «كتبا»، وقرأ الحسن: «كتاباً»، جمع كاتب، ﴿فَرِهَٰنٌ﴾: فالذي يستوثق به رهن، وقرىء «فرهن» بضم الهاء وسكونها، وهو جمع رهن، كسقف وسقف، و «فرهان». فإن قلت: لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر[2] وقد رهن رسول الله ﷺ درعه في غير سفر.

---

٢١٠ ـ أخرجه البخاري (٤/ ٣٠٢) كتاب البيوع: باب شراء النبي بالنسيئة حديث (٢٠٦٩) وأحمد (٣/ ١٣٣) والنسائي (٧/ ٢٨٨) كتاب البيوع: باب الرهن في الحضر، وابن ماجه (٢/ ٨١٥) كتاب الرهون: باب (١) حديث (٢٤٣٧).
والترمذي (٣/ ٥١٩ ـ ٥٢٠) كتاب البيوع: باب ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل حديث (١٢١٥) وأبو يعلى (٥/ ٣٩٤) رقم (٣٠٦١) وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص ٢٦٣).
والبيهقي (٦/ ٣٦) كتاب الرهن: باب جواز الرهن، كلهم من حديث قتادة عن أنس أنه مشى إلى النبي ـ ﷺ ـ بخبز شعير وإهالة سَنِخَه ولقد رهن النبي ـ ﷺ ـ درعاً له بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شعيراً لأهله ولقد سمعته يقول: ما أمسى عند آل محمد ـ ﷺ ـ صاع برّ ولا صاع حبّ وإن عنده لتسع نسوة. . .
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
قال الحافظ ابن حجر:

---

(١) قوله «مؤنة مجيئه من بلد» لعله من بلد بعيد. (ع)

(٢) قال محمود رحمه الله: «إن قلت: لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر. . . إلخ» قال أحمد رحمه الله: فالتخصيص بالسفر على هذا جرى على وفق الغالب فلا مفهوم له. وفي هذه الآية دليل بين لمذهب مالك رضيَ الله عنه في إقامة الرهن عند التنازع في قدر الدين مقام شاهد للمرتهن إلى تمام قيمته، حتى لو تنازعا فقال الراهن: رهنتكه بمائة، وقال المرتهن: بل الرهن بمائتين، لكان الرهن شاهداً بقيمته. خلافاً للشافعي رضيَ الله عنه فإنه يرى القول قول الراهن مطلقاً، لأنه غارم، ووجه الدليل لمالك رضيَ الله عنه من الآية: أن الله تعالى جعل الرهن في التوثق عوضاً من الإشهاد والكتابة، وخصه بالسفر لإعوازهما حينئذٍ، ولو كان القول قول الراهن شرعاً لم يكن قائماً مقام الإشهاد ولا مفيداً فائدته بوجه، إذ لو لم يكن الرهن لكان القول قول المديان في قدر الدين فلم يزد وجود الرهن فائدة على عدمه باعتبار نيابته عن الإشهاد، ولا يقال: إن فائدته الامتياز به على =

(٢١٠) قلت: ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة، ولكن السفر لما كان مظنة لإعواز الكتب والإشهاد، أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر، بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والإشهاد، وعن مجاهد والضحاك أنهما لم يجوّزاه إلا في حال السفر أخذاً بظاهر الآية، وأما القبض فلا بدّ من اعتباره[١]، وعند

= متفق عليه من رواية الأسود بن يزيد عن عائشة. أن النبي - ﷺ - اشترى من يهودي طعاماً إلى أجل ورهنه درعاً من حديد» وللبخاري من رواية قتادة عن أنس قال: «ولقد رهن رسول الله - ﷺ - درعاً له بالمدينة عند يهودي، وأخذ منه شعيراً لأهله. انتهى.

= الغرماء، لأن تلك فائدة الإشهاد حتى يكون نائباً عنه عند تعذره، ولا فائدة إذ ذاك إلا جعل القول قول المرتهن في قدر الدين عند التخالف وهو مذهب مالك المقدم ذكره. ومن ثم لم يجعله شاهداً إلا في قيمته لا فيما زاد عليها، معتضداً بالعادة في أن رب الدين لا يقبل في دينه إلا الموفى بقيمته. فدعوة أن الدين أكثر من القيمة مردودة بالعادة، والمديان أيضاً لا يسمح بتسليم ما قيمته أكثر فيما هو أقل، فدعواه أن الدين أقل من القيمة مردودة بالعادة، ولا يبقى إلا النظر في أمر واحد، وهو أن المعتبر عند مالك في القيمة يوم الحكم، حتى لو تصادقا على أن القيمة كانت يوم الرهن أكثر أو أقل لم يلتفت إلى ذلك زادت أو نقصت، وإنما يعتبر يوم القضاء. ولقائل أن يقول: إذا جعلتم الرهن مقام الشاهد عند عدمه لأن العادة تقتضي أن الناس إنما يرهنون في الديون المساوي قيمته لها، فينبغي أن تعتبروا القيمة يوم الرهن غير معرجين على زيادتها ونقصانها يوم القضاء، وعند ذلك يتجاذب أطراف الكلام في أن المقتضي لإقامته مقام الشاهد هو المعنى المتقدم أو غيره. وليس غرضنا إلا أن الآية ترشد إلى إقامته مقام الشهادة في الجملة. وأما تفاصيل المسألة فذلك من حظ الفقه.

(١) قال محمود: «وأما القبض فلا بد من اعتباره... إلخ» قال أحمد رحمه الله: ليس بين مالك والشافعي خلاف في صحة الارتهان بالإيجاب والقبول دون القبض، ولكنه عند مالك رضيَ الله عنه يصح بذلك، ويلزم الراهن بالعقد تسليمه للمرتهن. وعند الشافعي لا يلزم بالعقد ولكن للقبض عند مالك اعتبار في الابتداء والدوام، ولا يشترط الشافعي كثيراً من أحكامه عند مالك، وذلك أنهما لو تقاررا على القبض ثم قام الغرماء انتفع بالرهن عند الشافعي وامتاز به، ولم ينتفع به عند مالك وكان أسوة الغرماء فيه، حتى ينضاف إلى الشهادة عليهما بالقبض معاينة البينة لذلك، لأنه يتهمهما بالتواطؤ على إسقاط حق الغرماء فلا يعتبر إقرارهما إلا بانضمام المعاينة، فالقبض من هذا الوجه أدخل في الاعتبار على رأي مالك منه على رأي الشافعي، هذا في الابتداء. وأما في الدوام فمالك رضيَ الله عنه يشترط بقاءه في يد المرتهن حتى لو عاد إلى يد الراهن بأن أودعه المرتهن إياه أو أجره منه أو أعاره إياه إعارة مطلقة فقد خرج من الرهن، ولو قام الغرماء وهو بيد الراهن بوجه من الوجوه المذكورة كان أسوة الغرماء فيه، والشافعي رضيَ الله عنه لا يشترط دوام القبض على هذا الوجه، بل الراهن عند الشافعي أن ينتفع بالرهن ولو كره المرتهن إذا لم يكن الانتفاع مضراً بالرهن، كسكنى الدار، واستخدام العبد. وله أن يستوفي منافعه بنفسه على الصحيح عنده المنصوص عليه في الأم ولا يؤثر ذلك في الرهن بطلاناً ولا خللاً، فقد علمت أن القبض أدخل في الاعتبار على مذهب مالك ابتداء ودواماً، والآية تعضده فإن الرهن في اللغة هو الدوام. أنشد أبو علي:

فالخبز واللحم لهم راهن ... وقهوة راووقها ساكب =

مالك يصح الارتهان بالإيجاب والقبول بدون القبض، ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: فإن أمن بعض الدائنين بعض المديونين[1] لحسن ظنه به، وقرأ أبيّ «فإن أومن» أي: آمنه الناس[2] ووصفوا المديون بالأمانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله، ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾: حث المديون على أن يكون عند ظن الدائن به وأمنه منه وائتمانه له، وأن يؤدّي إليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه، وسمي الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه، والقراءة أن تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال أو ياء، فتقول: الذي اؤتمن، أو الذي تمن، وعن عاصم أنه قرأ: «الذي اتمن»، بإدغام الياء في التاء، قياساً على اتسر في الافتعال من اليسر، وليس بصحيح. لأنّ الياء منقلبة عن الهمزة، فهي في حكم الهمزة و «اتزر» عاميٌّ، وكذلك ريا في رؤيا، ﴿ءَاثِمٌ﴾: خبر إن، و﴿قَلْبُهُۥ﴾: رفع بآثم على الفاعلية، كأنه قيل: فإنه يأثم قلبه، ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء، وآثم خبر مقدّم، والجملة خبر إن. فإن قلت: هلا اقتصر على قوله: ، ﴿فَإِنَّهُۥ ءَاثِمٌ﴾؟ وما فائدة ذكر القلب ـ والجملة هي الآثمة لا القلب وحده ـ؟ قلت: كتمان الشهادة: هو أن يضمرها ولا يتكلم بها، فلما كان إثماً مقترفاً بالقلب أسند إليه، لأنّ إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ. ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد: هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني، ومما عرفه قلبي، ولأنّ القلب هو رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله، فكأنه قيل: فقد تمكن الإثم في أصل نفسه، وملك أشرف مكان فيه، ولئلا يظنّ أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط، وليعلم أنّ القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه، واللسان ترجمان عنه، ولأنّ أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهي لها كالأصول التي تتشعب منها. ألا ترى أنّ أصل الحسنات والسيآت الإيمان والكفر، وهما من أفعال القلوب، فإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أكبر الكبائر

= ولعل القائل باشتراط دوام الرهن في يد المرتهن بما في لفظ الرهن من اقتضاء الدوام، وله في ذلك متمسك. وما طولت في حكاية مذهب مالك في القبض، إلا لأن المفهوم من كلام الزمخشري إطراح القبض عند مالك لأنه فهم من قول أصحابه أن القبض لا يشترط في صحة الرهن. ولا في لزومه أنه غير معتبر عنده بالكلية، والله أعلم.

(١) قوله «المديونين لحسن ظنه به» لعله مسموع شاذ، والقياس المدينين، وكذا المديون قياسه المدين. (ع)

(٢) قوله «أي آمنه الناس» الظاهر أنه من الإفعال بالكسر، لا من المفاعلة، أي جعل الناس البعض وهو الدائن بحيث يأمن البعض الآخر وهو المدين، وذلك بأن وصفوا له المدين بالأمانة إلخ، فصار الدائن بحيث يأمن المدين. (ع)

الإشراك بالله لقوله تعالى: ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، (٢١١) وقرىء: «قلبَه»، بالنصب، كقوله: ، ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠] وقرأ ابن أبي عبلة: «أثم قلبه»، أي: جعله آثماً[١].

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)﴾:

﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾: يعني من السوء ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما أظهر منه أو أضمره، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: ممن استوجب العقوبة بالإصرار، ولا يدخل فيما يخفيه الإنسان: الوساوس وحديث النفس، لأنّ ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه، ولكن ما اعتقده وعزم عليه، وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه تلاها فقال: لئن آخذنا الله بهذا لنهلكنّ، ثم بكى حتى سمع نشيجه[٢] فذكرَ لابن عباس فقال: يغفر الله لأبي عبد الرحمٰن. قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ﴾: (٢١٢) وقرىء: «فيغفر» و«يعذب»، مجزومين عطفاً على جواب الشرط، ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب. فإن قلت: كيف يقرأ الجازم؟ قلت: يظهر الراء ويدغم الياء، ومدغم الراء في اللام لاحن مخطىء خطأ فاحشا، وراويه عن أبي عمرو مخطىء مرّتين، لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم، والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب في قلة الضبط قلة

---

٢١١ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٠٠) رقم (٦٤٤٧).

٢١٢ ـ أخرجه الطبري (٦/ ١٠٦) رقم (٦٤٥٩) والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٣٨٤) رقم (١٠٧٦٩) كلاهما من طريق الزهري عن سعيد بن مرجانة عن ابن عمر.
وله طريق آخر عن ابن عمر.
أخرجه الحاكم (٢/ ٢٨٧) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢٩٧) رقم (٣٢٩) من طريق سالم عن ابن عمر بنحو الطريق الأول.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قال الحافظ:
أخرجه الطبري من طريق الزهري عن سعيد بن مرجانة عن ابن عمر به.
وأخرجه الحاكم من وجه آخر عن ابن عمر. انتهى.

---

(١) قوله «أثم قلبه أي جعله آثماً» يحتمل أنه بمد الهمزة من الأفعال، وأنه بتشديد التاء من التفعيل، فليحرر. (ع)

(٢) قوله «حتى سمع نشيجه» في الصحاح: نشج الباكي نشجاً ونشيجاً، إذا غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب. (ع)

الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو، وقرأ الأعمش: «يغفر» بغير فاء مجزوماً على البدل من «من يحاسبكم»، كقوله [من الطويل]:

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِي دِيَارِنَا   تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَنَاراً تَأَجَّجَا[1]

ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب، لأنّ التفصيل أوضح من المفصل، فهو جار مجرى بدل البعض من الكل أو بدل الاشتمال، كقولك: ضربت زيداً رأسه، وأحب زيداً عقله، وهذا البدل واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القبيلين إلى البيان.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ﴾: إن عطف على الرسول كان الضمير ـ الذي التنوين نائب عنه في كل ـ راجعاً إلى الرسول والمؤمنين، أي: كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين[2]، ووقف عليه، وإن كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين، ووحد ضمير ﴿كُلٌّ﴾ في ﴿ءَامَنَ﴾ آمن على معنى: كل واحد منهم آمن، وكان يجوز أن يجمع، كقوله: ﴿كُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، وقرأ ابن عباس: «وكتابه»، يريد القرآن أو الجنس[3] وعنه الكتاب أكثر من الكتب. فإن قلت: كيف يكون الواحد أكثر من الجمع؟ قلت: لأنه إذا أريد بالواحد الجنس ـ والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها ـ لم يخرج منه شيء. فأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع[4]، ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾: يقولون لا نفرق، وعن أبي

---

(١) «تلمم» بدل مما قبله، أي متى تنزل عندنا تجدنا موقعين النار بحطب غليظ، وهذا كناية عن كرمهم. وتأججاً: مسند لضمير الحطب والنار، أي اشتعلا، واستدل بهما. وإسناده للنار حقيقي، وللحطب من باب الإسناد للسبب، فهو مجاز عقلي وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز في الإسناد.
والبيت لعبيد الله بن الحر الجعفي. ينظر: الكتاب (٣/ ٨٦)، شرح المفصل (٧/ ٥٣)، الدرر (٢/ ١٦٦)، الخزانة (٣/ ٦٦٠) والإنصاف (٢/ ٥٨٣) والهمع (٢/ ١٢٨) وشرح الأشموني (٣/ ١٣١)، القرطبي (١/ ٢٦١)، والدر المصون (١/ ١١٣).

(٢) قوله «ورسله من المذكورين» لعل قبله سقطا تقديره: أي كل من المذكورين. (ع)

(٣) قال محمود: «نقل عن ابن عباس أنه قرأ وكتابه... إلخ» قال أحمد: وقد قال مالك: إن التمر أحرى باستغراق الجنس من التمور، فإن التمر استرسل على الجنس لا بصيغة لفظية، والتمور يرده إلى تخيل الوحدان، ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع وفي صيغة الجمع مضطرب. وهذا الكلام من الإمام لو ظفر له بقول ابن عباس هذا لأشهر الفرضية في الاستشهاد به على صحة مقالته هذه فلا نعيده.

(٤) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وليس كما ذكر؛ لأنَّ الجمعَ متى أُضِيف أو دَخَلَتْه الألفُ واللامُ الجنسية صارَ عامًّا، ودلالةُ العامِّ دلالةٌ على كلِّ فردٍ فردٍ، فلو قال: «أَعْتَقْتُ عبيدي» لشمل ذلك كلَّ عبدٍ له، ودلالةُ الجمعِ أظهرُ في العموم من الواحدِ سواءً كانت فيه الألفُ واللامُ أو الإضافةُ، بل لا =

عمرو: «يفرق» بالياء، على أن الفعل لكل، وقرأ عبد الله: «لا يفرقون»، و﴿أَحَدٍ﴾: في معنى الجمع، كقوله تعالى: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [الحاقة: ٤٧] ولذلك دخل عليه بين. ، ﴿سَمِعْنَا﴾: أجبنا، ﴿غُفْرَانَكَ﴾: منصوب بإضمار فعله. يقال: غفرانك لا كفرانك، أي: نستغفرك ولا نكفرك وقرىء: «وكتبه ورسله» بالسكون.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

الوسع: ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه، أي: لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود، وهذا إخبار عن عدله ورحمته كقوله تعالى: ، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾: [البقرة: ١٨٥] لأنه كان في إمكان الإنسان وطاقته أن يصلي أكثر من الخمس، ويصوم أكثر من الشهر، ويحج أكثر من حجة، وقرأ ابن أبي عبلة «وسعها» بالفتح، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾: ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر، لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها. فإن قلت: لم خص الخير بالكسب، والشر بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمّارة به، كانت في تحصيله أعمل وأجدّ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لادلالة فيه على الاعتمال. أي: لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطأ إن فرط منا. فإن قلت: النسيان والخطأ متجاوز عنهما، فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما[1]؟ قلت: ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما

= يُذْهَبُ إلى العموم في الواحدِ إلاّ بقرينةٍ لفظيةٍ؛ كَأَنْ يُستَثْنَى منه أو يوصفَ بالجمعِ؛ نحو: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ «أهلك الناسَ الدينارُ الصُّفر والدرهم البيض» أو قرينةٍ معنويةٍ نحو: «نيَّةُ المؤمنِ أبلغُ مِنْ عملِه» وأقصى حالِهِ أن يكونَ مثلَ الجمعِ العامِّ إذا أُريد به العمومُ» قلت: للناس خلافٌ في الجمعِ المحلّى بألْ أو المضافِ: هل عمومُه بالنسبةِ إلى مراتبِ الجموعِ أم إلى أعمَّ من ذلك، وتحقيقُه في علم الأصول. انتهى. الدر المصون.

(١) قال محمود: «فإن قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما. . . إلخ» قال أحمد: ولا ورود لهذا السؤال على قواعد أهل السنّة، لأنا نقول: إنما ارتفعت المؤاخذة بهذين بالسمع كقوله عليه الصلاة والسلام: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» وإذا كان كذلك فلعل رفع المؤاخذة بهما كان إجابة لهذه الدعوة، فقد نقل أن الله تعالى قال عند كل دعوة منها: قد فعلت. وإنما التزم الزمخشري ورود السؤال على قواعد القدرية الذاهبين إلى استحالة المؤاخذة بالخطأ والنسيان عقلاً، لأنه من تكليف ما لا يطيق، وهو المستحيل عندهم تفريعاً على قاعدة التحسين والتقبيح، وكلها قواعد باطلة ومذاهب =

مسببان عنه من التفريط والإغفال. ألا ترى إلى قوله: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان﴾ [الكهف: ٦٣] والشيطان لا يقدر على فعل النسيان، وإنما يوسوس فتكون وسوسته سبباً للتفريط الذي منه النسيان، ولأنهم كانوا متقين الله حق تقاته، فما كانت تفرط منهم فرطة إلا على وجه النسيان والخطأ، فكان وصفهم بالدعاء بذلك إيذاناً ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به، كأنه قيل: إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به، فما فيهم سبب مؤاخذة إلا الخطأ والنسيان، ويجوز أن يدعو الإنسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه، والإصر: العبء الذي يأصر حامله أي: يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله، استعير للتكليف الشاقّ، من نحو قتل الأنفس، وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك، وقرىء: «آصاراً» على الجمع، وفي قراءة أبيّ: «ولا تحمّل علينا» بالتشديد. فإن قلت: أيّ فرق بين هذه التشديدة والتي في، ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾: ؟ قلت: هذه للمبالغة في حمل عليه، وتلك لنقل حمله من مفعول واحد إلى مفعولين، ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾: من العقوبات النازلة بمن قبلنا، طلبوا الإعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم، ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها، وقيل: المراد به الشاقّ الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف، وهذا تكرير لقوله: ، ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾: . ﴿مَوْلَىٰنَا﴾: سيدنا ونحن عبيدك. أو ناصرنا. أو متولي أمورنا، ﴿فَٱنصُرْنَا﴾: فمن حق المولى أن ينصر عبيده. أو فإنّ ذلك عادتك. أو فإنّ ذلك من أمورنا التي عليك توليها، وعن ابن عباس: «أنّ رسول الله ﷺ لما دعا بهذه الدعوات، قيل له عند كل كلمة: قد فعلت» (٢١٣) وعنه عليه الصلاة والسلام: «من قرأ الآيتين من

----

٢١٣ ـ أخرجه مسلم (١/ ٤٢٢ نووي): كتاب الإيمان: باب بيان أنه «سبحانه وتعالى لم يكلّف. . .، حديث (٢٠٠/١٢٦).
والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٦، ٢٨٧) عن سعيد بن جبير.
والترمذي في سننه (٥/ ٢٢١): كتاب التفسير: باب ومن سورة البقرة حديث (٢٩٩٢) وأحمد (١/ ٢٣٣) والنسائي في التفسير (١/ ٢٩٣)، حديث (٧٩)، والطبري (٦/ ١٠٤، ١٠٥)، حديث (٦٤٥٧)، وصحّحه ابن حبّان في صحيحه (١١/ ٤٥٨، ٤٥٩)، حديث (٥٠٦٩).
قال الحافظ ابن حجر:
أخرجه مسلم من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس: لما نزلت هذه الآية ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ. . . الآية﴾ قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم. فقال: قولوا: سمعنا وأطعنا ـ الحديث، وفيه: قد فعلت. في مواضع، وغفل الحاكم فاستدركه. انتهى.

= ماحلة. فالله تعالى يجعل لنا من إجابة هذه الدعوات أوفر نصيب، ويلهمنا المعتقد الحق والقول المصيب، إنه سميع مجيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» (٢١٤) وعنه عليه الصلاة والسلام: «أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهنّ نبيٌّ قبلي» (٢١٥) وعنه ـ عليه السلام ـ: «أنزل الله

---

٢١٤ ـ أخرجه البخاري (٨/ ٦٧٢) كتاب فضائل القرآن: باب فضل سورة البقرة حديث (٥٠٠٩) ومسلم (١/ ٥٥٥) كتاب صلاة المسافرين: باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة (٢٥٥/ ٨٠٧) وأبو داود (١/ ٤٤٤) كتاب الصّلاة: باب تحزيب القرآن حديث (١٣٩٧) والترمذي (٥/ ١٥٩) كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في آخر سورة البقرة حديث (٢٨٨١) والنّسائي في «الكبرى» (٥/ ٩) كتاب فضائل القرآن باب سورة كذا وسورة كذا حديث (٨٠٠٣)، و(٥/ ١٤) باب الآيتان من آخر سورة البقرة حديث (٨٠١٨) وأحمد (٤/ ١٢١، ١٢٢) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ص١٠٥ ـ ١٠٦) رقم (٢٣٣) وعبد الرزاق (٣/ ٣٧٧) رقم (٦٠٢٠) والدارمي (١/ ٢٨٨) وسعيد بن منصور (٤٧٥) وابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص ـ ٨٣) رقم (١٦١) والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥) رقم (٥٥٠، ٥٥٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٠) كتاب الصّلاة: باب كم يكفي الرجل قراءة القرآن في ليله، وفي «شعب الإيمان» (٢/ ٤٦٢) رقم (٢٤٠٥، ٢٤٠٦) كلّهم من طريق منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنت أحدّث عن أبي مسعود حديثاً فلقيته وهو يطوف بالبيت فسألته فحدّث عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: من قرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
قلت: والذي حدّث عبد الرحمن بن يزيد بهذا الحديث هو علقمة بلا شك.
فأخرجه البخاري (٨/ ٧١٢) كتاب فضائل القرآن باب في كم يقرأ القرآن حديث (٥٠٥١).
قال الحافظ: متفق عليه من حديث ابن مسعود. واختلف في معناه. فقيل: كفتاه: أجزأتاه عن قيام الليل كما في الذي قبله، وقيل: كفتاه: أجراً وفضلاً، وقيل: كفتاه من كلّ شيطان أو من كلّ آفة. انتهى.

٢١٥ ـ أخرجه مسلم (٣/ ٦ نووي): كتاب المساجد: باب (٥)، حديث (٤/ ٥٢٢).
والنّسائي (٥/ ١٥ كبرى): كتاب فضائل القرآن: باب الآيتان من آخر سورة البقرة، حديث (٨٠٢٢) وأحمد (٥/ ٣٨٣) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٦٣): كتاب فضائل القرآن.
وصحّحه ابن حبّان في صحيحه (٤/ ٥٩٥)، حديث (١٦٩٧)، وابن خزيمة (١/ ١٣٢)، حديث (٢٦٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٢٣): كتاب الطهارة: باب عواذ الماء بعد طلبه، وفي الشعب (٢/ ٤٦٠)، حديث (٢٣٩٩) وفي الدلائل (٥/ ٤٧٥)، وذكره الزيلعي (١/ ١٧٠، ١٧١) حديث (١٧٩) وزاد نسبته إلى البزّار وابن أبي شيبة عن ربعي بن حراش عن حذيفة به.
وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٦٠)، حديث (٢٤٠٤) وأحمد (٥/ ١٥١) والحاكم (١/ ٥٦٢) بلفظ إن الله ختم البقرة... وذكره الزيلعي (١/ ١٧١)، حديث (١٧٩) وزاد في نسبته إلى إسحاق ابن راهويه.
قال الحافظ ابن حجر:
هذا طرف من حديث. أوّلُه عن حذيفة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: فُضّلنا على الناس بثلاث: جُعلت لنا الأرض كلّها مسجداً وجُعلت تربتها لنا طهوراً، وجُعلت صُفوفنا كصفوف الملائكة، وأوتيت هؤلاء الآيات آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش، لم يُعط منه أحد قبلي، ولا يعطى منه أحد بعديّ: أخرجه النّسائي وأحمد والبزّار وابن أبي شيبة وابن خزيمة وابن حبّان من رواية أبي =

آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمٰن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل» (٢١٦). فإن قلت: هل يجوز أن يقال: قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة. قلت: لا بأس بذلك، وقد جاء في حديث النبي ﷺ «من آخر سورة البقرة» و «خواتيم سورة البقرة» و «خواتيم البقرة»: (٢١٧).

وعن عليّ رضي الله عنه «خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش» (٢١٨).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنه رمى الجمرة ثم قال «من ههنا ـ والذي لا إلٰه غيره ـ رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة» (٢١٩)

= مالك الأشجعي عن ربعي بن خراش عن حذيفة، وقد أخرجه مسلم، لكن قال في الثالثة وذكر خصلة أخرى: فأبهمها، وذكرها أصحاب المستخرجات وغيرهم من طريق شيخه بإسناده فيه، وغفل الحاكم فذكر في فضائل القرآن في المستدرك: أنّ مسلماً أخرج هذه الجملة، ولعلّ مسلماً إنّما أبهمها للاختلاف على ربعي فيها، فقد رواه أحمد وإسحاق من رواية جرير عن منصور عن ربعي عن خراش عن زيد بن ظبيان عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لكن تابع أبو مالك نعيم بن أبي هند، أخرجه الطبراني في الأوسط في المحمدين منه من طريقه. انتهى.

٢١٦ ـ أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٧/ ٢٥٤٥) والسّهمي في «تاريخ جرجان» (٢٦٨).
وذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ١٦٩) وعزاه لابن عديّ والسّهمي.
وكذا فعل السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٦٩).
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن عديّ من حديث ابن مسعود وفي إسناده الوليد بن عباد وهو مجهول عن أبان بن أبي عياش وهو متروك.

٢١٧ ـ تقدم برقم (٢١٤).
قال الحافظ: تقدماً جميعاً قريباً، ولمسلم من حديث مرة بن شراحيل الطبيب عن ابن مسعود: أُعطي رسول الله ـ ﷺ ـ ثلاثاً: الصّلوات الخمس، وخواتيم سورة البقرة ـ الحديث. وله عن ابن عباس: بينما جبريل عند النبي ـ ﷺ ـ إذ نزل ملك ـ الحديث وفيه: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة. انتهى.

٢١٨ ـ أخرجه الدارمي (٢/ ٤٤٩): كتاب فضائل القرآن: باب فضل أول سورة البقرة وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٦٩) وعزاه للدارمي ومحمد بن نصر وابن الضريس وابن مردويه عن علي: ما كنت أرى أن أحداً... إلى أن قال: وإنهن عن كنز تحت العرش.

٢١٩ ـ أخرجه البخاري (٣/ ٥٨١): كتاب الحج: باب يكبّر مع كلّ حصاة، حديث (١٧٥٠)، ومسلم (٢/ ٩٤٢): كتاب الحج: باب رمي جمرة العقبة من بطن الوادي، وتكون مكة عن يساره، ويكبّر مع كلّ حصاة، حديث (٣٠٥/ ١٢٩٦)، وأبو داود (٢/ ٤٩٧): كتاب المناسك (الحج): باب في رمي الجمار، حديث (١٩٧٤)، والترمذي (٣/ ٢٤٥، ٢٤٦): كتاب الحج: باب ما جاء: كيف ترمي الجمار، حديث (٩٠١)، والنّسائي (٥/ ٢٧٣): كتاب الحج: باب المكان الذي ترمي منه جمرة العقبة، وابن ماجه (٢/ ١٠٠٨): كتاب المناسك: باب من أين ترمي جمرة العقبة، حديث (٣٠٣٠)، وأحمد (١/ ٤١٥). والطيالسي (١/ ٢٢٣ ـ منحة) رقم (١٠٨٢) والحميدي (١/ ٦١) رقم =

ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة وسورة المجادلة، وإذا قيل: قرأت البقرة، لم يشكل أنّ المراد سورة البقرة كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وعن بعضهم أنه كره ذلك وقال: يقال قرأت السورة التي تذكر فيه البقرة.

عن رسول الله ﷺ: «السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإنّ تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة. قيل: وما البطلة؟ قال: السحرة» (٢٢٠).

= (١١١) وابن خزيمة (٤/ ٢٧٨) رقم (٢٨٧٩، ٢٨٨٠) وأبو يعلى (٨/ ٣٨٦) رقم (٤٩٧٢) والبيهقي (٥/ ١٢٩) كتاب الحج: باب رمي الجمرة من بطن الوادي والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ١٠٨ ـ بتحقيقنا).

من طريق عبد الرحمن بن يزيد قال: «رمى عبد الله بن مسعود جمرة العقبة من بطن الوادي بسبع حصيات يكبّر مع كلّ حصاة، قال: فقيل له: إنّ أناساً يرمونها من فوقها، فقال عبد الله بن مسعود: هذا والذي لا إله غيره مقام الذي أنزل عليه سورة البقرة».
وقال الترمذي: حسن صحيح.
قال الحافظ: متفق عليه من رواية الأعمش: سمعت الْحَجّاج بن يوسف على المنبر يقول: السورة التي يذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر فيها آل عمران. والسورة التي يذكر فيها النساء. قال: فذكرته لإبراهيم فقال: حدثني عبد الرحمن بن يزيد أنه كان مع ابن مسعود حين رمى جمرة العقبة... الحديث. انتهى.

٢٢٠ ـ قال الزيلعي (١/ ١٧٣)، حديث (١٨٢): غريب بهذا اللفظ.
وأخرجه مسلم (٣/ ٣٤٩ نووي): كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن، حديث (٨٠٤) وأحمد (٥/ ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٥٤) وصحّحه ابن حبّان (١/ ٣٢٢)، حديث (١١٦)، والحاكم في مستدركه (١/ ٥٦٤): كتاب فضائل القرآن، والدارمي (٢/ ٤٣٢): كتاب فضائل القرآن: والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٩٥، ٣٩٦): كتاب الصّلاة: باب المعاهد على قراءة القرآن وعبد الرزاق (٣/ ٣٦٥، ٣٦٦)، حديث (٥٩٩١)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٣٨)، حديث (٧٥٤٢). وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ١٧٣)، حديث (١٨٢).
وعزاه للثعلبي والبغوي من حديث بريدة أيضاً.
قال الحافظ: ذكر أبو شجاع الديلمي في الفردوس. من حديث أبي سعيد الخدري: والمسألة في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة مرفوعاً: اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة. قال معاوية أحد رواته: المعنى أن البطلة السحرة. وفي الباب عن بريدة عند الثعلبي والبغوي.
(تنبيه) المصنّف ذكر حديث أبي سعيد مستدلاً به أن قال: السورة التي يذكر فيها كذا. ولما قبله على الجواز. فإنه من المرفوع ما رواه الطبراني في الأوسط في المحمدين وابن مردويه في تفسيره من حديث موسى بن أنس بن مالك عن أبيه رفعه: «لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران، وكذا القرآن كلّه، ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها آل عمران، وكذا القرآن كلّه، وفي إسناده عيسى بن ميمون أبو سلمة الخواص، وهو ساقط. انتهى.

سورة آل عمران

مدنية وهي مائتا آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝٤﴾

«م» حقها أن يوقف عليها كما وقف على ألف ولام، وأن يبدأ ما بعدها كما تقول: واحد اثنان: وهي قراءة عاصم، وأما فتحها فهي حركة الهمزة ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف. فإن قلت: كيف جاز إلقاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لأنّ ثبات حركتها كثباتها؟ قلت: هذا ليس بدرج، لأنّ (م) في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت، وإنما حذفت تخفيفاً وألقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها، ونظيره قولهم: واحد اثنان، بإلقاء حركة الهمزة على الدال[1]. فإن قلت: هلا زعمت أنها حركة لالتقاء الساكنين؟ قلت: لأنّ التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف، وذلك قولك: هذا إبراهيم وداود وإسحاق، ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمين في ألف لام ميم، لالتقاء الساكنين، ولما انتظر

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وجوابه ليس بشيء؛ لأنه ادعى أن الميم حين حركت موقوف عليها، وأن ذلك ليس بدَرَج، بل هو وقف وهذا خلاف ما أجمعت عليه العرب والنحاة من أنه لا يوقف على متحرك ألبتة، سواء كانت حركته إعرابية أم بنائية أم نقلية، أم لالتقاء الساكنين، أم للاتباع، أم للحكاية؛ فلا يجوز في «قد أفلح» إذا حذفت الهمزة ونقلت حركتها إلى دال «قد» أن تقف على دال قد بالفتحة بل تسكنها قولاً واحداً». وأما قوله: «ونظير ذلك «واحد اثنان» بإلقاء حركة الهمزة على الدال فإن سيبويه ذكر أنهم يشمون آخر واحد» لتمكنه، ولم يحك الكسر لغة، فإن صح الكسر فليس «واحد» موقوفاً عليه كما زعم الزمخشري، ولا حركته حركة نقل من همزة الوصل، ولكنه موصول بقولهم: اثنان فالتقى ساكنان: دال واحد وثاء اثنين فكسرت الدال لالتقاء الساكنين وحذفت همزة الوصل لأنها لا تثبت في الوصل. انتهى. الدر المصون.

ساكن آخر[١]. فإن قلت: إنما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم، لأنهم أرادوا الوقف وأمكنهم النطق بساكنين، فإذا جاء ساكن ثالث لم يمكن إلا التحريك فحركوا. قلت: الدليل على أن الحركة ليست لملاقاة الساكن أنه كان يمكنهم أن يقولوا: واحد اثنان، بسكون الدال مع طرح الهمزة، فيجمعوا بين ساكنين، كما قالوا: أصيم، ومديق. فلما حركوا الدال علم أن حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين[٢].

فإن قلت: فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر؟ قلت: هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقولة، و﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾: اسمان أعجميان، وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وأفعيل، إنما يصح بعد كونهما عربيين، وقرأ الحسن: «الأنجيل»، بفتح الهمزة، وهو دليل على العجمة، لأن أفعيل ـ بفتح الهمزة ـ عديم في أوزان العرب. فإن قلت: لم قيل ﴿نزل الكتاب﴾[٣]، ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾: ؟ قلت: لأن القرآن نزل منجماً، ونزل الكتابان جملة، وقرأ الأعمش: «نزَل عليك الكتابُ» بالتخفيف ورفع الكتاب، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾: أي: لقوم موسى وعيسى، ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم. فإن قلت: ما المراد بالفرقان؟ قلت: جنس الكتب السماوية[٤]، لأن كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو الكتب التي ذكرها كأنه قال

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهو سؤال صحيح وجواب صحيح، لكن الذي قال: «إن الحركة هي لالتقاء الساكنين» لا يتوهم أنه أراد التقاء الياء والميم من «ألم» في الوقف، وإنما عني التقاء الساكنين اللذين هما ميم ميم الأخيرة ولام التعريف كالتقاء نون «من» ولام الرجل إذا قلت: «من الرجل» قلت: هذا الوجه هو الذي قدمته عن بعضهم وهو مكي وغيره. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وفي سؤاله تعمية في قوله: «فإن قلت: لم يحركوا لالتقاء الساكنين» ويعني بالساكنين: الياء والميم وحينئذ يجيء التعليل بقوله: «أنهم أرادوا الوقف وأمكنهم النطق بساكنين» يعني الياء والميم. ثم قال: «فإذا جاء ساكن ثالث ـ يعني لام التعريف ـ لم يكن إلا التحريك ـ يعني في الميم ـ فحركوا ـ يعني الميم ـ لالتقائها ساكنة مع لام التعريف؛ إذ لو لم يحركوا لاجتمع ثلاث سواكن وهو لا يمكن». انتهى. الدر المصون.

(٣) قال محمود: «فإن قلت: لم قيل في القرآن نزل... إلخ» قال أحمد: يريد لأن «فعل» صيغة مبالغة وتكثير، فلما كان نزول القرآن منجماً كان أكثر تنزيلاً من غيره لتفرقه في مرار عديدة، فعبر عنه بصيغة مطابقة لكثرة تنزيلاته، وعبر عن الكتابين بصيغة خلية عن المبالغة والتكثير والله أعلم.

(٤) (عاد كلامه) قال: والفرقان يحتمل أن يراد به جميع الكتب السماوية لأنها تفرق بين الحق والباطل، أو الكتب التي ذكرها أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور. كما أفرده وأخر ذكره في قوله ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقاً بين الحق والباطل، بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيماً لشأنه وإظهاراً لفضله والله أعلم. قال أحمد: وقد جعل الزمخشري سر التعبير عن نزول القرآن بصيغة «فعل» تفريقه في التنزيل كما تقدم آنفاً، ثم حمل الفرقان على أحد تأويلاته على القرآن والتعبير عنه بأفعل كغيره، فإن يكن هذا ـ والله أعلم ـ فالوجه أنه لما عبر أولاً عن نزوله الخاص به، أتى بعبارة مطابقة لقصد الخصوصية، فلما جرى ذكره ثانياً لينعت بصفة زائدة =

بعد ذكر الكتب الثلاثة: وأنزل ما يفرق بين الحق والباطل من كتبه، أو من هذه الكتب، أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور، كما قال: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] وهو ظاهر. أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقاً بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس، تعظيماً لشأنه وإظهاراً لفضله ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ من كتبه المنزلة وغيرها، ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: له انتقام شديد(١) لا يقدر على مثله منتقم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾: في العالم فعبر عنه بالسماء والأرض، فهو مطلع على كفر من كفر وإيمان من آمن، وهو مجازيهم عليه، ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾: من الصور المختلفة المتفاوتة، وقرأ طاوس: «تصوّركم»، أي: صوّركم لنفسه ولتعبده، كقولك: أثلت مالاً، إذا جعلته أثلة، أي: أصلاً، وتأثلته، إذا أثلته لنفسك، وعن سعيد بن جبير: هذا حجاج على من زعم أنّ عيسى كان رباً، كأنه نبه بكونه مصوراً في الرحم، على أنه عبد كغيره، وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾

﴿مُّحْكَمَٰتٌ﴾: أحكمت عبارتها(٢) بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه، ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾:

= على اسم الجنس، عبر عن نزوله من حيث الإطلاق اكتفاء بتميُّزه أولاً وإجمالاً لذلك في غير مقصوده، ومن العبارة السائرة عن هذا المعنى: الكلام يجمل في غير مقصوده، ويفصل في مقصوده.

(١) قال محمود: «معناه له انتقام شديد... إلخ». قال أحمد: وإنما يلقى هذا التفخيم من التنكير وهو من علاماته مثله في قوله ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾.

(٢) قال محمود: «المحكمات التي أحكمت عبارتها... إلخ». قال أحمد: هذا كما قدمته عنه من تكلفه لتنزيل الآي على وفق ما يعتقده، وأعوذ بالله من جعل القرآن تبعاً للرأي. وذلك أن معتقده إحالة رؤية الله تعالى على بناء على زعم القدرية من أن الرؤية تستلزم الجسمية والجهة، فإذا ورد عليهم النص القاطع الدال على وقوع الرؤية كقوله ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ مالوا إلى جعله من المتشابه حتى يردوه بزعمهم إلى الآية التي يدعون أن ظاهرها يوافق رأيهم. والآية قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ وغرضنا الآن بيان وجوب الجمع بين الآيتين على الوجه الحق، فنقول: محمل قوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في دار الدنيا. ومحمل الرؤية على الدار الآخرة جمعاً بين الأدلة. أو نقول: =

مشتبهات محتملات، ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها، ومثال ذلك ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣]، ﴿لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]. ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]. فإن قلت: فهلا كان القرآن كله محكماً؟ قلت: لو كان كله محكماً لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمّل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به، ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه وردّه إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله، ولأنّ المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف، إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره، وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد، ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم، ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوّة في إيقانه، ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: هم أهل البدع، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾: فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق، ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾: طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم، ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾: وطلب أن يأوّلوه التأويل الذي يشتهونه، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى

= الأبصار وإن كانت ظاهرة العموم إلا أن المراد بها الخصوص، أي لا تدركه أبصار الكفار كقوله ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ ونقول: لا تعارض بين الآيتين. فنقر كل واحدة منها في نصابها. وبيان ذلك: أن الأبصار عام بالألف واللام الجنسيتين، ولا يتم غرض القدرية على زعمهم إلا بالموافقة على عمومها، وحينئذٍ يكون في العموم مرادفة لدخول كل، لأن كليهما أعني المعروف والجنسي، وكلا يفيد الشمول والإحاطة، وإذا أثبت ذلك فالسلب داخل على الكلية. والقواعد مستقرة على أن سلب الكلية جزئي لغة وتعقلاً. ألا ترى أن القائل إذا قال: لا تنفق كل الدراهم، كان المفهوم من ذلك الإذن في إنفاق البعض والنهي عن إنفاق البعض، ومن حيث المعقول أن الكلية تسلب بسلب بعض الأفراد ولو واحداً، وحينئذٍ يكون مقتضى الآية سلب الرؤية عن بعض الأبصار وثبوتها لبعض الأبصار، وهذا عين مذهب أهل السنّة، لأنهم يثبتونها للموحدين ويسلبونها عن الكفار كما أنبأ عنه قوله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ فقد ثبت أن هذه الآية إما محمولة على إثبات الرؤية، وإما باقية على ظاهرها، دليلاً على ثبوتها على وفق السنة. ولا يقال قد ثبت الفرق بين دخول كل على المعرف تعريف الجنس وبين عدم دخولها. ألا ترى أنهم يقولون إن قولنا: «الإنسان كاتب» مهمل في قوة الجزئية، وإن قولنا «كل إنسان حيوان» كلي لا جزئي. لأنا نقول إنما جارينا القدرية على ما يلزمهم الموافقة فيه، وهم قد وافقوا على تناول الأبصار لكل واحد واحد من أفراد الجنس، ولولا ذلك لما تم لهم مرام، ولكفونا مؤنة البحث في ذلك، وهذا القدر من الكلية المتفق عليها بين الفريقين لا يثبت لما سماه أهل ذلك الفن مهملاً، بل هذا هو الكلي عندهم والله الموفق. وأما الآيتان الأخريان اللتان إحداهما قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ والأخرى التي هو قوله تعالى ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ فلا ينازع الزمخشري في تمثيل المحكم والمتشابه بهما.

﴿ٱلۡعِلۡمِ﴾: أي: لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله[1] وعباده الذين رسخوا في العلم، أي: ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع، ومنهم من يقف على قوله (إلا الله)، ويبتدىء ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ﴾ ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه، وبمعرفة الحكمة فيه من آياته، كعدد الزبانية ونحوه، والأوّل هو الوجه، ويقولون: كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل، ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: أي: بالمتشابه، ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾: أي: كل واحد منه ومن المحكم من عنده، أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمّل ويجوز أن يكون، ﴿يَقُولُونَ﴾: حالا من الراسخين، وقرأ عبد الله: «إن تأويله إلا عند الله»، وقرأ أبيّ: «ويقول الراسخون».

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾

﴿لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾: لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا[2]، ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾: وأرشدتنا لدينك. أو لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا، ﴿مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ﴾: من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة، وقرىء «لا تزغ قلوبنا»، بالتاء والياء ورفع القلوب، ﴿جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ﴾: أي: تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم، كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ [التغابن: ٩]

---

(١) قال محمود: «معناه لا يهتدي إلى تأويله... إلخ» قال أحمد رحمه الله: وقوله «لا يهتدي إليه إلا الله» عبارة قلقة، ولم يرد إطلاق الاهتداء على علم الله تعالى، مع أن في هذه اللفظة إيهاماً إذ الاهتداء لا يكون في الإطلاق إلا عن جهل وضلال ـ جل الله وعز ـ حتى إن الكافر إذا أسلم أطلق أهل العرف عليه: فلان المهتدي، ذلك مقتضى اللغة فيه فإنه مطاوع هدى. يقال: هديته فاهتدى، والإجماع منعقد على أن ما لم يرد إطلاقه وكان موهماً لا يجوز إطلاقه على الله عز وجل. ولذا أنكر على القاضي إطلاقه المعرفة على علم الله تعالى حيث حد مطلق العلم بأنه معرفة المعلوم على ما هو عليه. فلأن ينكر على الزمخشري إطلاق الاهتداء على علم الله تعالى أجدر. وما أراها صدرت منه إلا وهما حيث أضاف العلم إلى الله تعالى وإلى الراسخين في العلم، فأطلق الاهتداء على الراسخين، أو عقل عن كونه ذكرهم مضائين إلى الله تعالى في الفعل المذكور والله أعلم.

(٢) قال محمود: «معناه ربنا لا تبلنا ببلايا... إلخ» قال أحمد: أما أهل السنّة فيدعون الله بهذه الدعوة غير محرفة، لأنهم يوحدون حق التوحيد، فيعتقدون أن كل حادث من هدى وزيغ مخلوق لله تعالى. وأما القدرية فعندهم أن الزيغ لا يخلقه الله تعالى وإنما يخلقه العبد لنفسه، فلا يدعون الله تعالى بهذه الدعوة إلا محرفة إلى غير المراد بها كما أولها المصنف به، وإن كنا ندعو الله تعالى مضافاً إلى هذه الدعوة بأن لا يبتلينا ولا يمنعنا لطفه آمين، لأن الكل فعله وخلقه، ولا موجود إلا هو وأفعاله، التي نحن وأفعالنا منها.

وقرىء: «جامع الناس»، على الأصل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾: معناه أنّ الإلهية تنافي خلف الميعاد كقولك:

إن الـــجـــواد لا يـــخـــيـــب ســـائـــلـــه

والميعاد: الموعد. قرأ علي ـ رضي الله عنه ـ: «لن تغني» بسكون الياء، وهذا من الجدّ في استثقال الحركة على حروف اللين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾

﴿مِّنَ﴾: في قوله: ، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: مثله في قوله: ﴿وإنّ الظنّ لا يغني من الحق شيئاً﴾ [النجم: ٢٨] والمعنى: لن تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله، ﴿شَيْـًٔا﴾: أي: بدل رحمته وطاعته وبدل الحق: ومنه: «ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ» أي: لا ينفعه جدّه وحظه من الدنيا بذلك، أي: بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سبأ: ٣٧] وقرىء: «وقود»، بالضم بمعنى أهل وقودها، والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله ﷺ، وعن ابن عباس: هم قريظة والنضير. الدأب: مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله، والكاف مرفوع المحل تقديره: دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم، ويجوز أن ينتصب محل الكاف بـ «لن تغني»، أو بالوقود. أي: لن تغني عنهم مثل ما لم تُغنِ عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم، تقول: إنك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد كظلم أبيك ومثل ما كان يظلمهم، وإنّ فلاناً لمحارف كدأب[1] أبيه، تريد كما حورف أبوه ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ تفسير لدأبهم مافعلوا وفعل بهم، على أنه جواب سؤال مقدّر عن حالهم، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: هم مشركو مكة، ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾: يعني يوم بدر، وقيل: هم اليهود. لما غلب رسول الله ﷺ يوم بدر قالوا: هذا والله النبي الأميّ الذي بشرنا به موسى، وهموا باتباعه. فقال بعضهم: لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى، فلما كان يوم أحد شكُّوا، وقيل جمعهم رسول الله ﷺ بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع، فقال: يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، فقد عرفتم أني نبي مرسل، فقالوا: لا يغرّنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم

---

(١) قوله «وإن فلاناً لمحارف كدأب أبيه» في الصحاح: رجل محارف ـ بفتح الراء ـ أي محدود محروم، وهو خلاف قولك: مبارك. (ع)

بالحرب فأصبت منهم فرصة، لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس، (٢٢١) فنزلت، وقرىء: «سيغلبون ويحشرون»، بالياء، كقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم﴾ [الأنفال: ٣٨] على قل لهم قولي لك سيغلبون. فإن قلت: أي فرق بين القراءتين من حيث المعنى؟ قلت: معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم. فهو إخبار بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه. كأنه قال: أدّ إليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾: الخطاب لمشركي قريش، ﴿فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾: يوم بدر، ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾: يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين(١) قريباً من ألفين. أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفاً وعشرين، أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم، وكان ذلك مدداً لهم من الله كما أمدّهم بالملائكة، والدليل عليه قراءة نافع: «ترونهم»، بالتاء أي: ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة، أو مثلي أنفسهم. فإن قلت: فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]. قلت: قللوا أوّلا في أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا، فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين، ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمن: ٣٩] وقوله تعالى:

---

٢٢١ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ١٥٤): كتاب الخراج والإمارة والفيء: باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، حديث (٣٠٠١).
والطبري (٦/ ٢٢٨)، حديث (٦٦٦٨).
قال الحافظ ابن حجر:
أخرجه أبو داود والطبري من رواية ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال «لما أصاب رسول الله ـ ﷺ ـ قريشاً يوم بدر وقدم المدينة جمع اليهود ـ الحديث. . . انتهى.

---

(١) قال محمود: «معناه يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين. . . إلخ» قال أحمد: وكذلك آيات الشفاعة المقدمة على رأي أهل السنّة.

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤] وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية، وقيل: يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين[١] على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦] بعد ما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥] ولذلك وصف ضعفهم[٢] بالقلة لأنه قليل بالإضافة إلى عشرة الأضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم، وقراءة نافع لا تساعد عليه، وقرأ ابن مصرِّف: «يرونهم»، على البناء للمفعول بالياء والتاء، أي: يريهم الله ذلك بقدرته، وقرىء: «فئة تقاتل وأخرى كافرة»، بالجرّ على البدل من فئتين، وبالنصب على الاختصاص. أو على الحال من الضمير في «التقتا». ، ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾: يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها، معاينة كسائر المعاينات، ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ﴾: كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في عين العدوّ.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾: المزين هو الله سبحانه وتعالى[٣] للابتلاء، كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى

---

(١) (عاد كلامه) قال: «وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين. . . إلخ» قال أحمد: إنما قال ذلك لأن الخطاب على قراءة نافع يكون للمسلمين، أي ترونهم يا مسلمون، ويكون ضمير المثلين أيضاً للمسلمين. وقد جاء على لفظ الغيبة فيلزم الخروج في جملة واحدة من الحضور إلى الغيبة والالتفات وإن كان سائغاً فصيحاً، إلا أنه إنما يأتي في الأغلب في جملتين. وقد جاء ههنا الكلام جملة واحدة، لأن مثلهم مفعول ثان للرؤية، ولو قال القائل: ظننتك يقوم، على لفظ الغيبة بعد الخطاب، لم يكن بذاك، فهذا هو الوجه الذي أعد الزمخشري به بين قراءة نافع وبين هذا التأويل، إلا أنه يلزم مثله على أحد وجهيه المتقدمين آنفاً، لأنه قال: معناه على قراءة نافع: ترون يا مشركون المسلمين مثلي عددهم أو مثلي فئتكم الكافرة، فعلى هذا الوجه الثاني يلزم الخروج من الخطاب إلى الغيبة في الجملة بعينها، كما ألزمه هو على ذلك الوجه والله أعلم.

(٢) قوله «ولذلك وصف ضعفهم» لعل هذا في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ أي وصف ضعف المسلمين وهو الستمائة بالقلة، مع أن ضعف الشيء أكثر منه، فتدبر. (ع)

(٣) قال محمود: «المزين هو الله تعالى. . . إلخ» قال أحمد: التزيين للشهوات يطلق ويراد به خلق حبها =

﴿ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ [الكهف: ٧] ويدل عليه قراءة مجاهد: «زَيَّنَ للناس»، على تسمية الفاعل، وعن الحسن: الشيطان، والله زينها لهم، لأنا لا نعلم أحداً أذم لها من خالقها، ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: جعل الأعيان التي ذكرها شهوات[1] مبالغة في كونها مشتهاة محروصاً على الاستمتاع بها، والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات، لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية، وقال: ، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: ثم جاء بالتفسير، ليقرر أوّلا في النفوس أن المزين لهم حبه ما هو إلا شهوات لا غير، ثم يفسره بهذه الأجناس، فيكون أقوى لتخسيسها، وأدلّ على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله، والقنطار: المال الكثير. قيل: ملء مسك ثور، وعن سعيد بن جبير: مائة ألف دينار، ولقد جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا، و﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾: مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم: ألف مؤلفة، وبدرة مبدرة، و ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾: المعلمة، من السومة وهي العلامة. أو المطهمة أو المرعية[2] من أسام الدابة وسوّمها، ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الأزواج الثمانية، ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور، ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ﴾.

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾: كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم، كما تقول: هل أدلك على رجل عالم؟ عندي رجل صفته كيت وكيت، ويجوز أن يتعلق اللام بـ «خير»، واختص المتقين، لأنهم هم المنتفعون به، وترتفع، ﴿جَنَّٰتٌ﴾: على: هو جنات، وتنصره قراءة من قرأ «جنات» بالجرّ على البدل من خير، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: يثيب ويعاقب على الاستحقاق، أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم، فلذلك أعدّ لهم الجنات.

= في القلوب، وهو بهذا المعنى مضاف إلى الله تعالى حقيقة، لأنه لا خالق إلا هو خالق كل شيء، من جوهر، ومن عرض قائم بالجوهر، حب أو غيره. محمود في الشرع أولا. ويطلق التزيين ويراد به الحض على تعاطي الشهوات والأمر بها، فهو بهذا الاعتبار لا يضاف إلى الله تعالى منه إلا الحض على بعض الشهوات المنصوص عليها شرعاً كالنكاح المقترن بقصد التناسل واتباع السنة فيه وما يجري مجراه. وأما الشهوات المحظورة فتزيينها بهذا المعنى الثاني مضاف إلى الشيطان، تنزيلاً لوسوسته وتحسينه منزلة الأمر بها والحض على تعاطيها. وكلام الحسن رضيَ الله عنه محمول على التزيين بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول، فإنه يحاشي أن ينسب خلق الله إلى غير الله. وإنما الزمخشري كثيراً ما يورد أمثال هذه العبارة الملتبسة تنزيلاً لها على قواعد القدرية الفاسدة، فتفطن لها وبرىء قائلها من السلف الصالح عما يزعم الزمخشري النقل عنه، والله الموفق.

(١) (عاد كلامه) قال: «جعل الأعيان التي ذكرها شهوات... إلخ» قال أحمد: يريد إلحاقها بباب: رجل صوم وفطر، مما يوضع فيه المعنى موضع الاسم مبالغة.

(٢) قوله «أو المطهمة أو المرعية» عبارة أبي السعود. أو المطهمة التامة الخلق اهـ. وفي الفخر: قال القفال: المطهمة المرأة الجميلة المرتبة اهـ. (ع)

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: نصب على المدح، أو رفع، ويجوز الجرّ صفة للمتقين أو للعباد، والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كما لهم في كل واحدة منها، وقد مرّ الكلام في ذلك، وخص الأسحار لأنهم كانوا يقدّمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وعن الحسن: كانوا يصلون في أوّل الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار، هذا نهارهم، وهذا ليلهم.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾

شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره، وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف، وكذلك إقرار الملائكة وأولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه، ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾: مقيماً للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال، ويثيب ويعاقب، وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم، وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾[1] [فاطر: ٣١]. فإن قلت: لم جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه؟ ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكباً لم يجز؟ قلت: إنما جاز هذا لعدم الإلباس كما جاز في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢] إن انتصب

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وليس من بابِ الحالِ المؤكدةِ؛ لأنه ليس من باب: ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ولا من باب: «أنا عبدُ الله شجاعاً» فليس: «قائماً بالقسط» بمعنى شَهِد، وليس مؤكداً لمضونِ الجملةِ السابقةِ في نحو: أنا عبدُ الله شجاعاً وهو زيدٌ شجاعاً، لكنْ في هذا التخريج قَلَقٌ في التركيبِ؛ إذ يصير كقولك: «أكلَ زيدٌ طعاماً وعائشةُ وفاطمةُ جائعاً» فَيَفْصِل بين المعطوفِ عليه والمعطوفِ بالمفعول، وبين الحالِ وذي الحال بالمفعول والمعطوفِ، لكنْ بمشيئةِ كونِها كلِّها معمولةً لعاملٍ واحدٍ.» انتهى.

قلت: مؤاخَذَتُهُ له في قولِهِ: «مؤكدةٌ» غيرُ ظاهرٍ؛ وذلك أنّ الحالَ على قسمين: إمّا مؤكدةٌ وإمّا مُبيِّنة، وهي الأصلُ، فالمُبَيِّنَةُ لا جائزٌ أن تكونَ ههنا، لأنّ المبيِّنة تكونُ منتقلةً، والانتقالُ هنا مُحالٌ؛ إذ عَدْلُ اللّهِ تعالى لا يتغيَّرُ، فإنْ قيل لنا قسمٌ ثالثٌ، وهي الحالُ اللازمةُ فكانَ للزمخشري مندوحةٌ عن قوله «مؤكدة» إلى قوله «لازمة» فالجوابُ أنّ كلَّ مؤكدةٍ لازمةٌ وكلَّ لازمةٍ مؤكدةٌ فلا فرقَ بين العبارتين، وإن كان الشيخُ زَعَم أنّ إصلاحَ العبارةِ يَحْصُل بقوله: «لازمة»، ويَدُلُّ على ما ذكرتُهُ من ملازَمَةِ التأكيدِ للحالِ اللازمةِ وبالعكس الاستقراءُ. وقولُه: «ليس معنى قائماً بالقسط معنى شهد» ممنوعٌ بل معنى «شَهِد» مع متعلِّقهِ ـ وهو أنه لا إله إلا هو ـ مساوٍ لقولِهِ «قائماً بالقسط» لأنّ التوحيدَ ملازمٌ للعدلِ.

«نافلة» حالا عن «يعقوب»، ولو قلت: جاءني زيد وهند راكباً جاز لتميزه بالذكورة[1]، أو على المدح. فإن قلت: أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك: الحمد لله الحميد. «إنا معشر الأنبياء لا نورث». (٢٢٢) [من البسيط]:

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

٢٢٢ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) كتاب فرض الخمس: باب فرض الخمس حديث (٣٠٩٤)، (٧/ ٣٨٩) كتاب المغازي: باب حديث لبني النضير حديث (٤٠٣٣)، (٩/ ٤١٢ ـ ٤١٣) كتاب النفقات: باب حبس الرجل قوت سنة على أهله حديث (٥٣٥٨)، (١٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع حديث (٧٣٠٥) ومسلم (٣/ ١٣٧٧ ـ ١٣٧٩) كتاب الجهاد: باب حكم الفيء حديث (٤٩/ ١٧٥٧) وأبو داود (٢/ ١٥٤ ـ ١٥٦) كتاب الخراج: باب في صفايا رسول الله ـ ﷺ ـ من الأموال حديث (٢٩٦٣) والترمذي (٤/ ١٥٨) كتاب السير: باب ما جاء في تركة رسول الله ـ ﷺ ـ حديث (١٦١٠) وفي «الشمائل» (٢١٦) وعبد الرزاق (٩٧٧٢) وأبو يعلى (١/ ١٢، ١٣) رقم (٢، ٤) وابن حبّان في «صحيحه» (٨/ ٢٠٧ ـ الإحسان) حديث (٦٥٧٤) والبيهقي (٦/ ٢٩٧) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٦٣١، ٦٣٢ ـ بتحقيقنا) كلّهم من طريق الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر بن الخطاب به وفيه قصة طويلة.

وأخرجه مالك (٢/ ٩٩٣) كتاب الكلام: باب ما جاء في تركة النبي ـ ﷺ ـ حديث (٢٧) والبخاري (١٢/ ٧، ٨) كتاب الفرائض: باب قول النبي ـ ﷺ ـ لا نورّث ما تركنا صدقة حديث (٦٧٢٧، ٦٧٣٠) ومسلم (٣/ ١٣٧٩) كتاب الجهاد والسير: باب قول النبي ـ ﷺ ـ: «لا نورّث ما تركنا فهو صدقة». حديث (٥١/ ١٧٥٨) وأبو داود (٢/ ١٦٠، ١٦١) كتاب الخراج والفيء والإمارة: باب في صفايا رسول الله ـ ﷺ ـ من الأموال حديث (٢٩٧٦، ٢٩٧٧) والنسائي (٧/ ١٣٢) كتاب قسم الفيء وأحمد (٦/ ١٤٥، ٢٦٢) وعبد الرزاق (٩٧٧٤) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (١٠٩٨) وابن حبّان (٨/ ٢٩ ـ الإحسان) رقم (٦٥٧٧) والبيهقي (٦/ ٢٩٧، ٢٩٨) كلّهم من طريق الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: إنّ أزواج النبي ـ ﷺ ـ حين توفي رسول الله ـ ﷺ ـ أردن أن يبعثن عثمان بن عفّان إلى أبي بكر فيسألنه ميراثهن من النبي ـ ﷺ ـ قالت عائشة لهنّ: أليس قد قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا نورّث ما تركنا فهو صدقة». =

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وما ذَكَره مِنْ قوله: «جاءني زيدٌ وعمروٌ راكباً» أنه لا يجوزُ ـ ليس كما ذَكَر، بل هذا جائزٌ؛ لأنَّ الحالَ قَيْدٌ فيمن وَقَعَ منه أو به الفعلُ أو ماأ شبه ذلك، وإذا كان قيداً فإنه يُحْمَل على أقرب مذكورٍ، ويكون «راكباً حالاً مِمَّا يَليه، ولا فرقَ في ذلك بين الحالِ والصفةِ، لو قلت: «جاءني زيدٌ وعمروٌ الطويلُ» كان «الطويلُ» صفةً لعمرو، ولا تقولُ: لا تجوزُ هذه المسألةُ لِلَّبْس؛ إذ لا لَبْسَ في هذا وهو جائزٌ، وكذلك الحالُ. وأمَّا قولُه: «إنَّ نافلةً» انتصَب حالاً عن يعقوب» فلا يتعيَّنُ أَنْ يكونَ حالاً عن يعقوب؛ إذ يُحتمل أَنْ يكونَ «نافلةً» مصدراً كالعاقبة والعافِية، ومعناه: «زيادة، فيكونُ ذلك شاملاً لإسحاق ويعقوب؛ لأنهما زيداً لإبراهيم بعد ابنه إسماعيل وغيره» قلت: مرادُ الزمخشري بمنع «جاءني زيد وعمرو راكباً» إذا أُريد أَنَّ الحالَ منهما معاً، أمَّا إذا أريد أنها حالٌ من واحدٍ منهما فإنَّما تُجْعَلُ لِما تليه، لعودِ الضميرِ على أقرب مذكور، وبعضَهم جَعَله حالاً من «هو». انتهى. الدر المصون.

إِنَّـا بَـنـي نَـهْـشَـلٍ لاَ نَـدَّعـي لأَبٍ ....

قلت: قد جاء نكرة كما جاء معرفة، وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي[من المتقارب]:

وَيَـأْوِي إلـى نِـسْـوَةٍ عُـطَّـلٍ وَشُعْـثـا مَـرَاضِيـعَ مِـثْـلَ الـسَّعَـالِـي[1]

فإن قلت: هل يجوز أن يكون صفة للمنفي كأنه قيل: لا إله قائماً بالقسط إلا هو؟ قلت: لا يبعد، فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف. فإن قلت: قد جعلته حالا من فاعل شهد، فهل يصح أن ينتصب حالاً عن «هو» في، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾:؟ قلت: نعم، لأنها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي أن يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها، كقولك: أنا عبد الله شجاعاً، وكذلك لو قلت: لا رجل إلا عبد الله شجاعاً[2]، وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد، وكذلك انتصابه على المدح.

= وفي بعض طرق الحديث أنّ راوي هذا الحديث هو أبو بكر.
قال الحافظ ابن حجر:
أخرجه أحمد. حدّثنا وكيع حدّثنا سفيان عن أبي الزّناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا. ورواه النّسائي في الكبرى، من رواية ابن عيينة عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: قال عمر لعبد الرحمن وسعد وعثمان وطلحة والزبير «أنشدكم بالله الذي قامت له السّموات والأرض، أسمعتم النبي ـ ﷺ ـ يقول ـ فذكره، وفيه قالوا: اللّهمّ نعم» وأخرجه في الكنى في ترجمة أبي إدريس تلميذ أبي سليمان من رواية عن عبد الملك بن عمر عن أبي هريرة مثله. وأصله متفق عليه من حديث عائشة بلفظ: «لا نورّث ما تركنا صدقة». انتهى.

---

(1) للهذلي يصف رجلاً يصيد ويرجع إلى زوجته وبناته عطل عاريات من الحلي والثياب. وشعثا نصب على الذم، أي وأذم شعثاً أي مغبرات الوجوه من الجوع. والعطل: جمع عاطلة. والشعث. جمع شعثاء، كسود وسوداء. ومراضيع: جمع مرضاع قياساً، أو مرضع سماعاً، أي ترضع أولادها مثل السعالي جمع سعلاة وهي أنثى الشياطين، أي كريهات المنظر مثل الأغوال، وهي أقبح شيء عند العرب.
البيت لأمية بن أبي عائذ الهذلي في خزانة الأدب ٢/٤٢٦، ٤٣٢، ٥/٤٠، وشرح أبيات سيبويه ١/١٤٦، وشرح أشعار الهذليين ٢/٥٠٧، وشرح التصريح ٢/١١٧، والكتاب ١/٣٩٩، ٢/٦٦، ولأبي أمية في المقاصد النحوية ٤/٦٣، وللهذلي في شرح المفصل لابن يعيش ٢/١٨، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/٣٢٢، وأوضح المسالك ٣/٣١٧، ورصف المباني ص ٤١٦، وشرح الأشموني ٢/٤٠٠، والمقرب ١/٢٢٥ وينظر الدر المصون ٢/٤٤.

(2) قال السمين الحلبي: يعني أنَّ الحالَ المؤكَّدَة لا يَكونُ العاملُ فيها النصبَ شيئاً من الجملةِ السابقةِ قبلَها، إنما ينتصبُ بعاملٍ مضمرٍ، فإنْ كان المتكلمُ مُخْبِراً عن نفسه نحو: «أنا عبدُ الله شجاعاً» قَدَّرْتَه: أَحقُّ شجاعاً، مبنياً للمفعول، وإنْ كان مُخْبِراً عن غيره قَدَّرْتَه مبنياً للفاعل نحو: «هذا عبدُ الله شجاعاً» أي: أَحُقُّه، هذا هو المذهبُ المشهورُ في نصبِ مثلِ هذه الحالِ. وفي المسألةِ قولان =

فإن قلت: هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة وأولي العلم كما دخلت الوحدانية؟ قلت: نعم إذا جعلته حالاً من هو، أو نصباً على المدح منه، أو صفة للمنفي، كأنه قيل: شهد الله والملائكة وأولو العلم أنه لا إله إلا هو، وأنه قائم بالقسط، وقرأ عبد الله: «القائم بالقسط»، على أنه بدل من هو، أو خبر مبتدأ محذوف، وقرأ أبو حنيفة: «قيما بالقسط»، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: صفتان مقرّرتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل، يعني أنه العزيز الذي لا يغالبه إله آخر، الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله. فإن قلت: ما المراد بأولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله؟ قلت: هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل(١) والتوحيد، وقرىء: «أنه» بالفتح، و﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾: بالكسر على أنّ الفعل واقع على أنه بمعنى شهد الله على أنه، أو بأنه، وقوله: ، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾: جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى. فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد؟ قلت: فائدته أن قوله: ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: توحيد، وقوله: ، ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾: تعديل، فإذا أردفه قوله: ، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾: فقد آذن أن الإسلام هو العدل(٢) والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين، وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدّي إليه كإجازة الرؤية أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور، لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام، وهذا بين جلي كما ترى، وقرئا مفتوحين، على أن الثاني(٣) بدل من الأوّل. كأنه قيل: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام، والبدل هو المبدل منه في المعنى، فكان بياناً صريحاً، لأن دين الله هو التوحيد والعدل، وقرىء الأوّل بالكسر والثاني بالفتح، على أن الفعل واقع على «إنّ»(٤) وما بينهما

= لأبي إسحاق أنّ العاملَ فيها هو خبرُ المبتدأ؛ لِما ضُمِّنَ من معنى المشتق؛ إذ هو بمعنى المُسَمَّى. وقولٌ ثالثٌ: أنّ العاملَ فيها المبتدأ لِما ضُمِّن مِنْ معنى التنبيه، وهي مسألةٌ طويلةٌ. وبعضُهم جَعَلَه حالاً من الجميع على اعتبارِ كلِّ واحدٍ قائماً بالقسط. وهذا مناقضٌ لِما قاله الزمخشري من أنَّ الحالَ مختصةٌ باللّهِ تعالى دونَ ما عُطِفَ عليه. وهذا المذهبُ مردودٌ بأنه لو جازَ ذلك لجازَ «جاء القومُ راكباً». أي كلُّ واحدٍ منهم راكباً، والعرب لا تقولُ ذلك ألبتّة، فَفَسَدَ هذا. انتهى. الدر المصون.

(١) قوله «والبراهين القاطعة وهم علماء العدل» تلميح بالمعتزلة حيث سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، لكن الإنصاف التعميم حتى يشمل أهل السنة والجماعة. (ع)

(٢) قوله «فقد آذن أن الإسلام هو العدل» تعسف لا يقتضيه النظم الكريم، لكن دعى إليه التعصب، وقوله «وفيه أن من ذهب» إلخ تورك على أهل السنة مبني على ذلك، وتحقيقه في علم التوحيد، وبالجملة فالعدل والتوحيد لم ينحصرا في مذهب المعتزلة. (ع)

(٣) قوله «وقرئا مفتوحتين على أن الثاني» الضمير عائد إلى قوله تعالى ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وقوله (إن الدين) اهـ. (ع)

(٤) قوله «واقع على إن» أي على إن الدين. . . إلخ. (ع)

اعتراض مؤكد، وهذا أيضاً شاهد على أن دين الإسلام هو العدل والتوحيد، فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك، وقرأ عبد الله: «أن لا إله إلا هو»، وقرأ أبيّ: «إن الدين عند الله للإسلام»، وهي مقوية لقراءة من فتح الأولى وكسر الثانية، وقرىء: «شهداء لله»، بالنصب على أنه حال من المذكورين قبله، وبالرفع على هم شهداء الله. فإن قلت: فعلام عطف على هذه القراءة، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾: ؟ قلت: على الضمير في شهداء، وجاز لوقوع الفاصل بينهما. فإن قلت: لم كرر قوله: ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1]: قلت: ذكره أوّلاً للدلالة على اختصاصه بالوحدانية، وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة، ثم ذكره ثانياً بعد ما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل، للدلالة على اختصاصه بالأمرين، كأنه قال: لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين، ولذلك قرن به قوله: ، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل، ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أهل الكتاب من اليهود والنصارى، واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل[2]، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾: أنه الحق الذي لا محيد عنه، فثلثت النصارى، وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالوا: كنا أحق بأن تكون النبوّة

---

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت ما فائدة تكرار لا إله إلا هو... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: وهذا التكرار لما قدمته في نظيره مما صدر الكلام به إذا طال عهده. وذلك أن الكلام مصدر بالتوحيد، ثم أعقب التوحيد تعداد الشاهدين به، ثم قوله (قائماً بالقسط) وهو التنزيه. فطال الكلام بذلك، فجدد التوحيد تلو التنزيه ليلي قوله ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ ولولا هذا التجديد لكان التوحيد المتقدم كالمنقطع في الفهم مما أريد إيصاله به والله أعلم. قال: «وفيه أن من ذهب إلى تشبيه... إلخ». قال أحمد: هذا تعريض بخروج أهل السنة من ربقة الإسلام بل تصريح. وما ينقم منهم إلا أن صدقوا وعد الله عباده المكرمين على لسان نبيهم الكريم صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم بأنهم يرون ربهم كالقمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، ولأنهم وحدوا الله حق توحيده فشهدوا أن لا إله إلا هو ولا خالق لهم ولأفعالهم إلا هو. واقتصروا على أن نسبوا لأنفسهم قدرة تقارن فعلهم لا خلق لها ولا تأثير غير التمييز بين أفعالهم الاختيارية والاضطرارية. وتلك المعبر عنها شرعاً بالكسب في مثل قوله تعالى ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ هذا إيمان القوم وتوحيدهم، لا كقوم يغيرون في وجه النصوص فيجحدون الرؤية التي يظهر أن جحدهم لها سبب في حرمانهم إياها. ويجعلون أنفسهم الخسيسة شريكة لله في مخلوقاته، فيزعمون أنهم يخلقون لأنفسهم ما شاءوا من الأفعال على خلاف مشيئة ربهم محادة ومعاندة لله في ملكه. ثم بعد ذلك يستترون بتسمية أنفسهم أهل العدل والتوحيد، والله أعلم بمن اتقى. ولجبر خير من إشراك، إن كان أهل السنة مجبرة فأنا أول المجبرين. ولو نظرت أيها الزمخشري بعين الإنصاف إلى جهالة القدرية وضلالها، لانبعثت إلى حدائق السنة وظلالها، ولخرجت عن مزالق البدع ومزالها، ولكن كره الله انبعاثهم. ولعلمت أي الفريقين أحق بالأمن وأولى بالدخول في أولي العلم المقرونين في التوحيد بالملائكة المشرفين بعطفهم على اسم الله عز وجل. اللهم ألهمنا على اقتفاء السنة شكرك. ولا تؤمنا مكرك إنه لا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرون، فليس ينجي من الخوف إلا الخوف. والله ولي التوفيق.

(٢) قوله «تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل» مبني على ما قاله آنفاً. (ع)

فينا من قريش لأنهم أمّيون ونحن أهل الكتاب، وهذا تجوير لله، ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾: أي: ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب إلا حسداً بينهم وطلباً منهم للرياسة وحظوظ الدنيا، واستتباع كل فريق ناساً يطؤن أعقابهم، لاشبهة في الإسلام، وقيل: هو اختلافهم في نبوّة محمد ﷺ، حيث آمن به بعض وكفر به بعض، وقيل: هو اختلافهم في الإيمان بالأنبياء، فمنهم من آمن بموسى، ومنهم من آمن بعيسى، وقيل هم اليهود، واختلافهم أن موسى ـ عليه السلام ـ حين احتضر استودع التوراة سبعين حبراً من بني إسرائيل، وجعلهم أمناء عليها، واستخلف يوشع، فلما مضى قرن بعد قرن واختلف أبناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدوا على حظوظ الدنيا والرياسة، وقيل: هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله.

﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ﴾: فإن جادلوك في الدين، ﴿فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾: أي: أخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم أجعل فيها لغيره شركا بأن أعبده وأدعوه إلها معه؛ يعني أن ديني التوحيد وهو الدين القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي، وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه، ونحوه ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران: ٦٤] فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه؛ فما معنى المحاجة فيه؟، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾: عطف على التاء في «أسلمت» وحسن للفاصل، ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولاً معه، ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: من اليهود والنصارى، ﴿وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾: والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب، ﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾: يعني أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة؛ فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم؟ وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقاً إلا سلكته: هل فهمتها لا أم لك، ومنه قوله عزّ وعلا ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر، وفي هذا الاستفهام استقصار[1] وتعيير بالمعاند وقلة الإنصاف، لأن المنصف إذا تجلت له الحجة لم يتوقف إذعانه للحق، وللمعاندة بعد تجلي الحجة ما يضرب أسداد بينه وبين الإذعان[2]، وكذلك في: هل فهمتها؟ توبيخ بالبلادة وكلة القريحة، وفي

(١) قوله «وفي هذا الاستفهام استقصار» أي عد المخاطب قاصراً. (ع)
(٢) قوله «يضرب أسداد بينه وبين الأذعان» لعله أسداداً، أي حجباً. (ع)

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه، ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا﴾: فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور، ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾: لم يضروك فإنك رسول منبه عليك أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

قرأ الحسن: «يقتلون النبيين»، وقرأ حمزة: «ويقاتلون الذين يأمرون» وقرأ عبد الله: «وقاتلوا» وقرأ أبيّ. «يقتلون النبيين والذين يأمرون»، وهم أهل الكتاب. قتل أولوهم الأنبياء وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا، وكانوا حول قتل رسول الله ﷺ والمؤمنين لولا عصمة الله، وعن أبي عبيدة بن الجراح: قلت يا رسول الله، أي: الناس أشدّ عذاباً يوم القيامة؟ قال: «رجل قتل نبياً؛ أو رجلاً أمر بمعروف ونهى عن منكر» ثم قرأها ثم قال: «يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيّا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً في آخر النهار»، (٢٢٣) ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: لأنّ لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة. فإن قلت: لم دخلت الفاء في خبر إن؟ قلت: لتضمن اسمها معنى الجزاء، كأنه قيل: الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم، و «إنّ» لا تغير معنى الابتداء فكأنّ دخولها كلا دخول، ولو كان مكانها «ليت» أو «لعل» لامتنع إدخال الفاء لتغير معنى الابتداء.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم

---

٢٢٣ ـ أخرجه البزار (٣٣١٤ ـ كشف)، والطبري (٦/ ٢٨٥)، حديث (٦٧٨٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره ص (١٦١) حديث (٢٧٦).
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٣) وعزاه للطبري وابن أبي حاتم عن أبي عبيدة بن الجرّاح قال: قلن يا رسول الله: أي الناس...
قال الحافظ ابن حجر:
أخرجه البزار والطبراني وابن أبي حاتم والثعلبي والبغوي من حديثه. وفيه أبو الحسن مولى بني أسد وهو مجهول. انتهى.

مَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: يريد أحبار اليهود، وأنهم حصلوا نصيباً وافراً من التوراة، و «من»: إما للتبعيض وإما للبيان، أو حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوارة وهي نصيب عظيم، ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: وهو التوراة، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: وذلك أنّ رسول الله ﷺ دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت؟ قال: على ملة إبراهيم. قالا: إنّ إبراهيم كان يهودياً. قال لهما: إنّ بيننا وبينكم التوارة، فهلموا إليها» (٢٢٤) فأبيا، وقيل نزلت في الرجم، وقد اختلفوا فيه، وعن الحسن وقتادة: كتاب الله القرآن؛ لأنهم قد علموا أنه كتاب الله لم يشكوا فيه، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب، ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾: وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم، وقرىء «لِيُحْكَمَ» على البناء للمفعول، والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من أحبارهم وبين من لم يسلم وأنهم دعوا إلى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم، ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا، وذلك أنّ قوله: ، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: يقتضي أن يكون اختلافاً واقعاً فيما بينهم، لا فيما بينهم وبين رسول الله ﷺ، ﴿ذَٰلِكَ﴾: التولي والإعراض بسبب تسهيلهم[1] على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج من

---

٢٢٤ ـ أخرجه الطبري (٦/ ٢٨٨)، حديث (٦٧٨١) عن عكرمة عن ابن عباس وابن أبي حاتم (٢/ ١٦٦)، حديث (٢٧٧) عن عكرمة. . . به. وابن إسحاق (٦٣٢ ـ سيرة بن هشام).
وذكره السيوطي (٢/ ٢٤) وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن ابن عباس. . . به.
وذكره الزيلعي (١/ ١٧٩)، حديث (١٨٦) وزاد نسبته إلى الواحدي في أسباب النزول.
قال الحافظ:
أخرجه الطبري من رواية إسحاق عن محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما به. انتهى.

---

(١) قال محمود: «ذلك التولي والإعراض بسبب طمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت الحشوية والمجبرة وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون» قال أحمد رحمه الله: هذا أيضاً تعريض بأهل السنة في اعتقادهم تفويض العفو عن كبائر المؤمن الموحد إلى مشيئة الله تعالى وإن مات مصراً عليها إيماناً بقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وتصديقاً بالشفاعة لأهل الكبائر وينقم عليهم ذلك حتى يجعلهم أصلاً يقيس عليهم اليهود القائلين ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ فانظر إليه كيف أشحن قلبه بغضاً لأهل السنة وشقاقاً، وكيف ملأ الأرض من هذه النزعات نفاقاً، فالحمد لله الذي أهل عبيده الفقير إلى التورك عليه، لأن آخذ من أهل البدعة بثأر السنة، فأصمي أفئدتهم من قواطع البراهين بمقومات الأسنة.

النار بعد أيام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية[1]، ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: من أنّ آباءهم هم الأنبياء يشفعون لهم كما غرت أولئك شفاعة رسول الله ﷺ في كبائرهم، ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾: فكيف يصنعون فكيف[2] تكون حالهم، وهو استعظام لما أعدّ لهم وتهويل لهم، وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه والمخلص منه، وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون، وروي أنّ أوّل راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود، فيفضحهم الله على رءوس الأشهاد، ثم يأمر بهم إلى النار، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: يرجع إلى كل نفس على المعنى، لأنه في معنى كل الناس كما تقول: ثلاثة أنفس، تريد ثلاثة أناسي.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾:

الميم في، ﴿اللَّهُمَّ﴾: عوض من يا، ولذلك لا يجتمعان، وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم، وبدخول حرف النداء عليه، وفيه لام التعريف، وبقطع همزته في يا ألله، وبغير ذلك، ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾: أي: تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرّف الملاك فيما يملكون، ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾: تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك، ﴿وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾: النصيب الذي أعطيته منه، فالملك الأوّل عام شامل، والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل. روى. (٢٢٥) أنّ رسول الله ﷺ حين افتتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم، فقال المنافقون

---

٢٢٥ ـ ذكره البغوي في تفسيره (١/ ٢٨٩، ٢٩٠) عن ابن عباس، وأنس ابن مالك عن قول قتادة.
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ١٨٠)، حديث (١٨٧) وقال: غريب.
وعزاه للواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس، وأنس.
قال الحافظ:
ذكره الواحدي في أسبابه عن ابن عباس وأنس ـ رضي الله عنهم ـ ولم أجد له إسناداً. انتهى.

---

(١) قوله «كما طمعت المجبرة والحشوية» تورك على أهل السنة، حيث ذهبوا إلى أن من دخل النار من أهل الكبائر المؤمنين يخرج بالشفاعة أو بعفو الله، كما نطقت به الأحاديث. (ع)
(٢) قوله «فكيف تكون» لعله أو فكيف. (ع)

واليهود: هيهات هيهات، من أين لمحمد ملك فارس والروم؟ هم أعز وأمنع من ذلك، وروي أنّ رسول الله ﷺ لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً وأخذوا يحفرون، خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول، فوجهوا سلمان إلى رسول الله ﷺ يخبره، فأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدّعتها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، وكبر وكبر المسلمون وقال: أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب، ثم ضرب الثانية فقال: أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم، ثم ضرب الثالثة فقال: أضاءت لي قصور صنعاء، وأخبرني جبريل ـ عليه السلام ـ أن أمّتي ظاهرة على كلها، فأبشروا. فقال المنافقون: ألا تعجبون، يمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا، فنزلت. (٢٢٦) فإن قلت: كيف قال: ، ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾: فذكر الخير دون الشر؟ قلت: لأنّ الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة، فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك، ولأن كل أفعال الله تعالى من نافع وضارّ صادر عن الحكمة والمصلحة، فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه.

---

٢٢٦ ـ أخرجه النّسائي (٥/ ٢٦٩ كبرى): كتاب السير: باب حفر الخندق، حديث (٨٨٥٨) وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٢٤٤) حديث (١٦٨٥) وأحمد (٤/ ٣٠٣)، وأبو نعيم (١/ ٣٧٦، ٣٧٧)، من الأخبار في غزوة الخندق، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤٢١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٧٨)، حديث (٣٦٨٢٠)، وذكره الزيلعي (١/ ١٨١) وزاد في نسبته إلى إسحاق بن راهويه من حديث البراء بن عازب.

ـ وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (١/ ٣٧٧).

والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤١٩) باب ما ظهر في حفر الخندق من دلائل... وابن سعد في الطبقات (٤/ ٦٢) من حديث عمرو بن عوف.

وذكره الزيلعي (١/ ١٨٢، ١٨٣)، وزاد نسبته إلى الواحدي في أسباب النزول، والثعلبي والبغوي من حديث عمرو بن عوف.

قال الحافظ: أخرجه البيهقي. وأبو نعيم في دلائل النبوة لهما؛ من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جدّه. قال «خط رسول الله ـ ﷺ ـ الخندق عام الأحزاب، ثم قطع أربعين ذراعاً بين كلّ عشرة» قال عمرو بن عوف، فكنت أنا وسليمان وحذيفة والنّعمان بن مقرن وستة نفر من الأنصار في أربعين ذراعاً فذكره مطوّلاً من هذا الوجه. ذكره الواحدي في أسباب النزول والطبري والثعلبي والبغوي. ورواه ابن سعد في الطبقات في ترجمة سلمان. قال: أخبرنا ابن أبي فديك عن كثير بن عبد الله به. وقال الواقدي في المغازي: حدّثني عاصم ابن عبد الله الحكمي عن عمر بن الحكم قال «كان عمر بن الخطّاب يومئذ يضرب بالمعول، إذ صادف حجراً أصلد فضرب ضربة ـ فذكره بنحوه، ورواه النّسائي وأحمد وإسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلى كلّهم من رواية ميمون أبي عبد الله عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ مختصراً وإسناده حسن. انتهى.

ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما، وحال الحيّ والميت في إخراج أحدهما من الآخر، وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أنّ من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب دلالة من يشاء من عباده، فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب: أنا الله ملك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، فإن العباد أطاعوني جعلتهم لهم رحمة، وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إليّ أعطفهم عليكم، وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام «كما تكونوا يولى عليكم» (٢٢٧).

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر، وقد كرّر ذلك في القرآن ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ . . .﴾ الآية [المجادلة: ٢٢]، والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان، ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾: ومن يوالي الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية، يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأساً، وهذا أمر معقول فإنّ موالاة الوليّ وموالاة عدوّه متنافيان، قال [من الطويل]:

تَـوَدُّ عَـدُوِّى ثُـمَّ تَـزْعُـمُ أَنَّـنِـي صَدِيقُكَ لَيْسَ النَّوْكُ عَنْكَ بِعَازِبِ(١)

---

٢٢٧ ـ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، حديث (٧٣٩٢) وذكره السيوطي في تفسيره (٣/٨٦) وعزاه للحاكم في التاريخ والبيهقي في شعب الإيمان. عن أبي إسحاق.
قال الحافظ: رواه القضاعي في مسند الشهاب من رواية المبارك بن فضالة عن الحسن عن أبي بكرة وفي إسناده إلى مبارك مجاهيل. انتهى.

---

(١) تـود عـدوي ثـم تـزعـم أنـنـي صديقك ليس النوك عنك بعازب
فـليـس أخي من ودني رأى عينـه ولكن أخي من ودني في المغايب
النوك: الحمق. والعازب: البعيد. يقول: إن الصديق من لا يصادق بغيض صديقه، ومن يراعي الأخوة بظهر الغيب، لا برأي العين. ويجوز أن تود على تقدير الاستفهام التوبيخي، وأبرزه في صورة الخبر للتشنيع. ورأي عينه: نصب على الظرف أي حين رأي عينه: والمغايب: أزمان الغياب.

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾: إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه، وقرىء: «تقية». قيل للمتقي تقاة وتقية، كقولهم: ضرب الأمير لمضروبه. رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم، والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء، وانتظار زوال المانع من قشر العصا، كقول عيسى صلوات الله عليه: «كن وسطاً وامش جانباً»، (٢٢٨) ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾: فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه، وهذا وعيد شديد، ويجوز أن يضمن، ﴿تَتَّقُواْ﴾: معنى تحذروا وتخافوا، فيعدى بمن وينتصب، ﴿تُقَىٰةً﴾: أو تقية على المصدر، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾: من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضي الله، ﴿يَعْلَمْهُ﴾: ولم يخف عليه وهو الذي، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: لا يخفى عليه من شيء قط. فلا يخفى عليه سركم وعلنكم، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: فهو قادر على عقوبتكم، وهذا بيان لقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] لأنّ نفسه وهي ذاته المميزة من سائر الذوات، متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم، فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور، فهي قادرة على المقدورات كلها، فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب، فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب، ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الأطلاع على أحواله، فوكل همه بما يورد ويصدر، ونصب عليه عيوناً، وبث من يتجسس عن بواطن أموره، لأخذ حذره وتيقظ في أمره، واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به، فما بال من علم أنّ العالم الذات[1] الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن. اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ

---

٢٢٨ ـ وذكره علي بن محمد الملا في الأسرار ص (١٨٠)، حديث (٦٩٩) ولم ينسبه إلى عيسى عليه السّلام ولكن قال: قال بعضهم: كن وسطاً.

---

(١) قوله «فما بال من علم أن العالم الذات» من إضافة الوصف إلى مرفوعه كالحسن الوجه، يعني أن علمه بذاته، لا بعلم زائد على ذاته كعلم الحوادث، وهذا عند المعتزلة. (ع)

﴿أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠)﴾

﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾: منصوب بتودّ، والضمير في بينه لليوم، أي: يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين، تتمنى لو أنّ بينها وبين ذلك اليوم[(١)] وهوله أمداً بعيداً، ويجوز أن ينتصب، ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾: بمضمر نحو: اذكر، ويقع على «ما عملت» وحده[(٢)]، ويرتفع، ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾: على الابتداء، و﴿تَوَدُّ﴾: خبره، أي: والذي عملته من سوء تودّ هي لو تباعد ما بينها وبينه، ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تودّ. فإن قلت: فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبد الله ودّت؟ قلت: لا كلام في صحته، ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لأنه حكاية الكائن في ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامّة، ويجوز أن يعطف، ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾: على، ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾: ويكون، ﴿تَوَدُّ﴾: حالاً، أي: يوم تجد عملها محضراً وادّة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضراً، كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] يعني مكتوباً في صحفهم يقرؤنه ونحوه ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، والأمد المسافة كقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣٨] وكرّر قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه، ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾: يعني أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه، وعن الحسن: من رأفته بهم أن حذرهم نفسه، ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذوراً لعلمه وقدرته، مرجوّ لسعة رحمته كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣].

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)﴾

محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها، ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم، والمعنى: إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة، ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾: حتى يصحّ ما تدعونه من إرادة عبادته، يرض عنكم ويغفر لكم،

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وأَبْعَدَ الزمخشري في عودِه على «اليوم»؛ لأنَّ أحدَ القِسْمين اللذين أُحْضِرا في ذلك له هو الخيرُ الذي عمله، ولا يُطلب تباعُدُ وقتِ إحضارِ الخير إلا بتجوُّز؛ إذ كان يشتمل على إحضار الخير والشر فتودُّ تباعدَه لتسلم من الشر، ودَعْه لا يحصُل له الخيرُ، والأَوْلى عَوْده إلى ما عملت من السوء لأنه أقرب مذكور. ولأن المعنى: أن السوء يُتَمَنَّى في ذلك اليوم التباعُدُ منه» انتهى. الدر المصون

(٢) قوله «ويقع على ما عملت وحده» أي يقع فعل الوجدان على ما عملت من خير وحده. (ع)

وعن الحسن: زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل (٢٢٩)، فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه، وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق[(١)] فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله، وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا أنه تصوّر في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته، ثم صفق وطرب ونعر وصعق تصوّرها، وربما رأيت المنيَّ قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته، وحمقى العامة على حواليه قد ملئوا أدرانهم بالدموع لما رققهم من حاله، وقرىء: «تحبون»، و«يحببكم» و«يحبكم»، من حبه يحبه. قال [من الطويل]:

أُحِبُّ أَبَا ثَرْوَانَ مِنْ حُبِّ تَمْرِهِ ... وَأَعْلَمُ أَنَّ الرِّفْقَ بِالْجَارِ أَرْفَقُ

وَوَاللَّهِ لَوْلاَ تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ ... وَلاَ كَانَ أَدْنَى مِنْ عُبَيْدٍ وَمُشْرِقُ[(٢)]

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: يحتمل أن يكون ماضياً، وأن يكون مضارعاً بمعنى: فإن تتولوا، ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ

---

٢٢٩ ـ أخرجه الطبري (٦/ ٣٢٣)، حديث (٦٨٤٨) عن الحسن: «إنّ أقواماً كانوا على عهد...».
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

---

(١) قوله «وينعر ويصعق» في الصحاح: النعرة صوت في الخيشوم. ويقال: ما كانت فتنة إلا نعر فيها فلان، أي نهض. (ع)

(٢) لغيلان بن شجاع النهشلي. يقول: أحب هذا الرجل من أجل حب تمره. ويروى: أبا مروان، وأعلم أن الرفق بالجار أرفق منه بغيره، أي أشد رفقاً، وأسند الرفق إلى نفسه مبالغة كجد جده. ويجوز أن المعنى أن الرفق بالجار أحق أو أكمل منه بغيره. وأمالو قرىء «أوفق» بالواو فظاهر. وفيه استعطاف لأبي مروان، وطلب الرفق منه بالشاعر. واللغة الغالية أحب الرباعي. وحبه يحبه بكسر فاء المضارع من باب ضرب نادر من جهة مجيئه ثلاثياً ومن جهة كسر فاء مضارعه. وقياس مضارع الثلاثي المضاعف المتعدي ضم فائه كيشد ويرد. وقد يجيء حب يحب من باب علم يعلم. ولا كان أدني: أي أقرب إلي من عبيد ومشرق، وهما ابناه. وفي القافية الإقواء. وروى أبو العباس المبرد بدل الشطر الأخير: وكان عياض منه أدنى ومشرق، أي أقرب إلي من أبي مروان. وعليه فلا إقواء فيها.

ينظر: لسان العرب (حبب)، الأشباه والنظائر (٢/ ٤١٠)، خزانة الأدب (٩/ ٤٢٩)، شرح شواهد المغني (٢/ ٧٨٠)، شرح المفصل لابن يعيش (٧/ ١٣٨)، الخصائص (٢/ ٢٢٠)، مغني اللبيب (١/ ٣٦١).

مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق وأولادهما، و﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾: موسى وهرون[1] ابنا عمران بن يصهر، وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة، و﴿ذُرِّيَّةً﴾: بدل من آل إبراهيم وآل عمران، ﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾: يعني أنّ الآلين ذرّية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض: موسى وهرون من عمران، وعمران من يصهر، ويصهر من فاهث، وفاهث من لاوى، ولاوى من يعقوب، ويعقوب من إسحاق، وكذلك عيسى ابن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود[2] بن إيشا بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق، وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله ﷺ، وقيل: «بعضها من بعض» في الدين، كقوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: يعلم من يصلح للاصطفاء، أو يعلم أنّ بعضهم من بعض في الدين. أو «سميع عليم» لقول امرأة عمران ونيتها، و﴿إِذْ﴾: منصوب به، وقيل: بإضمار اذكر، وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان، أم مريم البتول. جدّة عيسى ـ عليه السلام ـ، وهي حنة بنت فاقوذ، وقوله: ، ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾: على أثر قوله: ، ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾: مما يرجح أنّ عمران هو عمران بن ماثان جدّ عيسى، والقول الآخر يرجحه أن موسى يقرن بإبراهيم كثيراً في الذكر. فإن قلت: كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون، ولعمران بن ماثان مريم البتول، فما أدراك أن عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى وهرون؟ قلت: كفى بكفالة زكريا دليلاً على أنه عمران أبو البتول، لأن زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد، وقد تزوّج

---

(١) قال محمود رحمه الله: «آل عمران وموسى وهرون... إلخ» قال أحمد رحمه الله: ومما يرجح هذا القول الثاني أن السورة تسمى آل عمران ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة. وأما موسى وهارون فلم يذكر قصتهما في هذه السورة، فيدل ذلك على أن عمران المذكور ههنا هو أبو مريم والله أعلم.

(٢) قوله «ابن ماثان بن سليمان بن داود» قوله: ابن سليمان، أي من نسله. وقوله: ابن يهوذا، أي من نسله، كما صرح به الفخر الرازي. وذكر أبو السعود بين ماثان وسليمان نحو خمسة عشر جداً، وبين إيشا ويهوذا تسعة جدود. (ع)

زكريا بنته إيشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة. روي أنها كانت عاقرا لم تلد إلى أن عجزت، فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاً له فتحرّكت نفسها للولد وتمنته، فقالت: اللهم إن لك عليّ نذراً شكراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه، (٢٣٠) فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل، ﴿مُحَرَّرًا﴾: معتقاً لخدمة بيت المقدس لا يدَ لي عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء، وكان هذا النوع من النذر مشروعاً عندهم، وروي: أنهم كانوا ينذرون هذا النذر، فإذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل وبين أن لا يفعل، وعن الشعبي، ﴿مُحَرَّرًا﴾: : مخلصاً للعبادة، (٢٣١) وما كان التحرير إلا للغلمان، وإنما بنت الأمر على التقدير، أو طلبت أن ترزق ذكراً، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾: الضمير لـ «ما في بطني»(١) وإنما أنث على المعنى لأن ما في بطنها كان أنثى في علم الله، أو على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة. فإن قلت: كيف جاز انتصاب، ﴿أُنثَىٰ﴾: حالا من الضمير في وضعتها(٢) وهو كقولك وضعت الأنثى أنثى؟ قلت: الأصل: وضعته أنثى، وإنما أنّث لتأنيث الحال؛ لأن الحال وذا الحال لشيء واحد، كما أنث الاسم في ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ﴾ لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [النساء: ١٧٦] وأمّا على تأويل الحبلة أو النسمة فهو ظاهر، كأنه قيل: إني وضعت

---

٢٣٠ ـ ذكر السيوطي في الدر (٢/ ٣٢) وعزاه لإسحاق بن بشير وابن عساكر عن ابن عباس بمعناه وذكره في (٢/ ٣٣، ٣٤) وعزاه للطبري وابن المنذر عن عكرمة.

٢٣١ ـ أخرجه الطبري (٦/ ٣٣١)، حديث (٦٨٦٢).

---

(١) قال محمود: «الضمير عائد إلى ما في بطني... إلخ» قال أحمد: الضمير في قوله «وضعتها» يتناول إذاً ما نسب إليها الوضع والأنوثة، فالحال واقعة عليها من حيث الجهة العامة وتلك الجهة كونها شيئاً وضع لا لخصوص نسبة الأنوثة إليها. وقد مر هذا البحث بعينه عند قوله تعالى ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾.

(٢) قال السمين الحلبي: ناقشه في الجواب الأول فقال: «وآل قولُه ـ يعني الزمخشري ـ إلى أنها حال مؤكَّدة، ولا يُخرجُه تأنيثُه لتأنيث الحال عن أن تكون حالاً مؤكَّدة. وأمّا تشبيهُه ذلك بقوله: «مَنْ كانت أمَّك» حيث عادَ الضميرُ على معنى «مَنْ» فليس ذلك نظيرَ «وضَعَتْها أنثى» لأن ذلك حُمِل على معنى «مَنْ» إذا المعنى: أيةُ امرأة كانَتْ أمَّك، أي: كانت هي أي أمِّك، فالتأنيثُ ليس لتأنيث الخبر، وإنما هو من باب الحَمل على معنى مَنْ، ولو فرضنا أنه من تأنيث الاسم لتأنيث الخبر، لم يكن نظيرَ «وضَعَتْها أنثى» لأنَّ الخبرَ تخصَّص بالإضافة إلى الضمير، فاستُفيد من الخبرِ ما لا يُسْتَفاد من الاسم، بخلاف «أنثى» فإنه لمجردِ التوكيدِ. وأمّا تنظيرهُ بقوله: «فإنْ كانتا اثنتين» فيعني أنه ثَنّى الاسم لتثنيةِ الخبرِ، والكلامُ عليه يأتي في مكانه، فإنه من المُشكلات، فالأحسن أن يُجعَلَ الضميرُ في «وضعَتْها أنثى» عائداً على النَّسَمَة أو النفس، فتكون الحالُ مبنيةً لا مؤكدةً».

قلت: قوله «ليس نظيرَه»، لأنَّ «مَنْ كانت أمَّك» حُمِل فيه على معنى «مَنْ»، وهذا أُنث لتأنيث الخبر» =

الحبلة أو النسمة أنثى. فإن قلت: فلم قالت: إني وضعتها أنثى وما أرادت إلى هذا القول؟ قلت: قالته تحسراً[1] على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها. فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً، ولذلك نذرته محرّراً للسدانة، ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن[2] قال الله تعالى: ، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: تعظيماً لموضوعها

= ـ ليس كما قال، بل هو نظيره؛ وذلك أنه في الآية الكريمةِ حُمِل على معنى «ما» كما حُمِل هناك على معنى «مَنْ»، وقول الزمخشري: «لتأنيث الخبرِ» أي: لأن المراد بـ «مَنْ» التأنيثُ بدليل تأنيثِ الخبرِ، فتأنيثُ الخبرِ بيِّن لنا أن المراد بـ «مَنْ» المؤنثُ، كذلك تأنيثُ الحال ـ وهي أنثى ـ بيَّن لنا أن المراد بـ «ما» في قوله: «ما في بطني» أنه شيء مؤنث، وهذا واضح لا يَحتاج إلى فكر. وأما قوله: «فقد استُفيد من الخبر ما لا يُستفاد من الاسم بخلاف «وضَعَتْها أنثى» فإنه لمجرد التوكيد» فليس بظاهرٍ أيضاً؛ وذلك لأنَّ الزمخشري إنما أراد بكونه نظيرَه من حيث إنَّ التأنيث في كلٍّ من المثالَيْنِ مفهومٌ قبلَ مجيءِ الحال في الآية، وقبلَ مجيءِ الخبرِ في النظير المذكور. أمّا كونهُ يفارقه في شيء آخرَ لعارضٍ فلا يَضُرُّ ذلك في التنظير، ولا يُخرِجه عن كونه يُشْبِهُه من هذه الجهة. انتهى. الدر المصون.

(١) (عاد كلامه) قال: «وإنما أرادت بقولها: وضعتها أنثى التحسُّر والتأسُّف... إلخ» قال أحمد: هذا التأويل على أنه من كلام الله تعالى لا حكاية عنها. وقد ذكر أهل التفسير تأويلاً آخر، وهو أن يكون هذا القول قولها حكاه الله تعالى عنها، أعني قوله ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ ويرشد إليه عطف كلامها عليه وهو قوله ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾... إلخ ويوردون على هذا الوجه أن قياس كونه من قولها أن يكون: وليست الأنثى كالذكر، فإن مقصودها تنقيص الأنثى بالنسبة إلى الذكر، والعادة في مثله أن ينفي عن الناقص شبهه بالكامل لا العكس، وقد وجد الأمر في ذلك مختلفاً فلم يثبت لي عين ما قالوه. ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ فنفى عن الكامل شبه الناقص، مع أن الكمال لأزواج النبي عليه الصلاة والسلام ثابت بالنسبة إلى عموم النساء. وعلى ذلك جاءت عبارة امرأة عمران والله أعلم. ومنه أيضاً ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾.

(٢) في قوله ـ تعالى ـ «فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى» ترى في هذا الخبر تحسراً وتحزناً، وهذا ما عرفه المفسر العلامة بهذا العنوان.

بهذا الفهم البلاغي يفتح المفسر العلامة باباً واسعاً من أبواب البلاغة في الخبر والغرض منه وخلاصة ذلك:

١ ـ أن الخبر الذي يلقيه المتكلم يفيد أحد أمرين:

(أ) الفائدة إذا لم يكن المخاطب يعلم شيئاً عن الخبر فنقول له حضر محمد، وأكرم إخوانه.

(ب) لازم الفائدة، وذلك إذا كان المخاطب يعلم الخبر وأنت تريد إفادته أنك تعلم هذا الخبر، فنقول له «أنت محمد».

٢ ـ وقد يخرج الخبر عن الفائدة ولازم الفائدة إلى معانٍ أخرى تدرك بمعونة المقام وسياق الكلام، فمنه ما ورد هنا في الآية الشريفة:

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ لم تقله راضية بما وضعت، وإنما تحسرت وحزنت أن ولدت ما كانت تتوقع غيره، إذ كانت تريد ذكراً لتحرره عابداً لربه، ولكن أراد أن يعدل موازين البشر فقال ـ سبحانه ـ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ لأن الأنثى ستكون عابدة على ما أرادت ثم تكون هذه الأنثى «مريم» أما لنبية عيسى عليه السلام، وبهذا لا يكون الذكر كالأنثى، بل الأنثى في هذا المقام أفضل يقول سعد الدين التفتازاني:

وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه، ومعناه: والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الأمور، وأن يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئاً. فلذلك تحسرت، وفي قراءة ابن عباس «والله أعلم بما وَضَعْتِ» على خطاب الله تعالى لها أي: إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلوّ قدره، وقرىء: «وضعت». بمعنى: ولعلّ لله تعالى فيه سراً وحكمة، ولعلّ هذه الأنثى خير من الذكر تسلية لنفسها. فإن قلت: فما معنى قوله: ، ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾: ؟ قلت: هو بيان لما في قوله: ، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: من التعظيم للموضوع والرفع منه، ومعناه: وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها، واللام فيهما للعهد. فإن قلت: علام عطف قوله: ، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾: ؟ قلت: هو عطف على إني وضعتها أنثى، وما بينهما جملتان معترضتان، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الواقعة: ٧٦] فإن قلت: فلم ذكرت تسميتها مريم لربها؟ قلت: لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة[1]، فأرادت بذلك التقريب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها، وأن يصدق فيها ظنها بها. ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه، وما يروى من الحديث. «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مس

= «لا شك أن قصد المخبر أي من يكون بصدد الإخبار والإعلام لا من يتلفظ بالجملة الخبرية فإنه كثيراً ما تورد الجملة الخبرية لأغراض أخر سوى إفادة الحكم أو لازمه كقوله ـ تعالى ـ حكاية عن امرأة عمران ـ ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ ـ إظهاراً للتحسر على خيبة رجائها، وعكس تقديرها، وللتحزن إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً» وبهذا ينفتح الباب لأغراض نفسية تثور في الأنفس بلا حد ولا عد، وهذا المجال واسع، وقد حصر منه البلاغيون بعض أنماطه في آيات الكتاب العزيز، ولكن الطريق طويل، وإلى الله ـ وحده ـ المصير.

«ينظر المطول ٤٣ وما بعدها، والإيضاح ١/٨٦، ٨٧، عقود الجمان وشرحه للسيوطي، وحواشي المرشدي عليه ١/٤٠، ٤١، خصائص التراكيب لأبي موسى ٤٦، علم المعاني في تفسير فتح القدير للشوكاني ١/٣٨٨ وما بعدها.

(١) (عاد كلامه) قال: «وفائدة قولها (وإني سميتها مريم) أن مريم في لغتهم العابدة... إلخ» قال أحمد: أما الحديث فمذكور في الصحاح متفق على صحته، فلا محيص له إذاً عن تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله ما لا يحتمله جنوحاً إلى اعتزال منتزع في فلسفة منتزعة في إلحاد ظلمات بعضها فوق بعض. وقد قدمت عند قوله تعالى ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ ما فيه كفاية، وما أرى الشيطان إلا طعن في خواصر القدرية حتى بقرها، ووكر في قلوبهم حتى حمل الزمخشري وأمثاله أن يقول في كتاب الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام بما يتخيل، كما قال في هذا الحديث، ثم نظره بتخييل ابن الرومي في شعره، جراءة وسوء أدب. ولو كان معنى ما قاله صحيحاً لكانت هذه العبارة واجباً أن تجتنب، ولو كان الصراخ غير واقع من المولود لأمكن على بعد أن يكون تمثيلاً. وما هو واقع مشاهد فلا وجه لحمله على التخييل إلا الاعتقاد الضئيل وارتكاب الهوى الوبيل.

الشيطان إياه، إلا مريم وابنها» فالله أعلم بصحته. فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها» (٢٣٢) فإنهما كانا معصومين، وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٠] واستهلاله صارخاً من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول: هذا ممن أغويه، ونحوه من التخييل قول ابن الرومي [من الطويل]:

لِمَا تُؤذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا ... يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةَ يُولَدُ[1]

وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا، ولو سلط إبليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخاً وعياطاً مما يبلونا به من نخسه، ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾: فرضي بها في النذر مكان الذكر، ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾: فيه وجهان: أحدهما أن يكون القبول اسم ما تقبل به الشيء كالسعوط واللدود، لما يسعط به ويلد، وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر في النذر، ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك، أو بأن تسلمها من أمّها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة، وروي: أن حنة حين ولدت مريم، لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد، ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون، وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، وكانت بنو ماثان رءوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم، فقال لهم زكريا: أنا أحق بها،

---

٢٣٢ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٥٤١): كتاب الأنبياء: باب قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾، حديث (٣٤٣١)، وطرفه في (٤٥٤٨)، ومسلم (٨/ ١٣١ نووي): كتاب الفضائل: باب فضل عيسى عليه السّلام، حديث (١٤٦/ ٢٣٦٦) وأحمد (٢/ ٢٣٣، ٢٧٤ ـ ٧٥) والطبري (٦/ ٣٣٧، ٣٣٩)، حديث (٦٨٩١، ٦٨٨٧) والبغوي في تفسيره (١/ ٢٩٥) آية (٣٦) من آل عمران، وابن حبّان في صحيحه (١٤/ ١٢٩)، حديث (٦٢٣٥).

قال الحافظ:

قال المصنّف: الله أعلم بصحته هكذا قال والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة في آخره: قال أبو هريرة اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. انتهى.

---

(١) لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وإنها ... لأفسح مما كان فيه وأرغد
إذا أبصر الدنيا استهل كأنه ... بما سوف يلقى من أذاها يهدد

لابن الرومي، يقول: إن بكاء الطفل حين ولادته لأجل ما تشعر به الدنيا من حوادثها فقط، وإن لا يكن بكاؤه لذلك، فأي شيء منها يبكيه، أو فأي شيء يبكيه منها، وإنها أي الدنيا، وروي: وإنه، أي الطفل لأفسح موضعاً مما كان فيه من ضيق الرحم وأرغد منه. وعوده على ما يبكيه بعيد، أو غير سديد. ويجوز أنه عائد على فضاء الدنيا المعلوم من المقام، ثم قال: إذا أبصرها صرخ، كأنه يخوف بما سوف يناله من أذاها قبل حصوله.

عندي خالتها فقالوا: لا حتى نقترع عليها، فانطلقوا ـ وكانوا سبعة وعشرين ـ إلى نهر، فألقوا فيه أقلامهم، فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم، فتكفلها، (٢٣٣) والثاني: أن يكون مصدراً على تقدير حذف المضاف بمعنى: فتقبلها بذي قبول حسن، أي: بأمر ذي قبول حسن وهو الاختصاص، ويجوز أن يكون معنى، ﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾: فاستقبلها، كقولك: تعجله بمعنى استعجله، وتقصاه بمعنى استقصاه، وهو كثير في كلامهم، من استقبل الأمر إذا أخذه بأوّله وعنفوانه قال القطامي [من الوافر]:

وَخَيْرُ الأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ ... وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَبَّعَهُ اتِّبَاعَا[1]

ومنه المثل «خذ الأمر بقوابله». أي: فأخذها في أوّل أمرها حين ولدت بقبول حسن، ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها، وقرىء: «وَكَفِلَها زكريا»، بوزن وعملها، ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّآ﴾: بتشديد الفاء ونصب زكرياء[2]، والفعل لله تعالى بمعنى: وضمها إليه وجعله كافلاً لها وضامناً لمصالحها، ويؤيدها قراءة أبيّ: وأكفلها، من قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ [ص: ٢٣] وقرأ مجاهد: فتقبلها ربها، وأنبتها، وكفلها، على لفظ الأمر في الأفعال الثلاثة، ونصب ربها، تدعو بذلك، أي: فاقبلها يا ربها وُرَبَّهَا، واجعل زكريا كافلاً لها. قيل: بنى لها زكريا محراباً في المسجد، أي: غرفة يصعد إليها بسلم، وقيل: المحراب أشرف المجالس ومقدّمها، كأنها وضعت في

---

٢٣٣ ـ أخرجه الطبري (٦/ ٣٥١)، حديث (٦٩٠٩) عن عكرمة.

قال الحافظ:

قوله «أنا أحق بها عندي خالتها، قوله «خالتها: يعني زوجته إيشاع أخت حنة لكن تقدم أنها أخت مريم وقال ـ ﷺ ـ في يحيى وعيسى هما ابنا خالة وفي أبي السّعود قيل في تأويل ذلك أنّ الأخت كثيراً ما تطلق على بنت الأخت فجرى الحديث على ذلك وقيل إنّ إيشاع أخت حنة من الأم وأخت مريم من الأب. انتهى.

---

(١) يقول: خير الأمور هو الذي تستقبله وتنتظره فتأخذه أول إتيانه. وليس خيرها ما تصبر عنه حتى يفوتك ويمضي ثم تتبعه وتذهب وراءه لتدركه، فالباء زائدة في خبر ليس، وهو على تقدير مضاف، أي ذي التتبع. وتتبعه: أصله تتتبعه حذفت منه تاء المضارعة أو تاء التفعل أو التاء التي هي فاء الفعل وهو أولاها، لأن كل من الأوليين جاء لمعنى. وقال الجوهري: وضع الاتباع موضع التتبع اهـ، فهو اسم مصدر، أو مصدر حذف منه بعض الزوائد. والتفعل أبلغ من الافتعال، فيتعين إرادته هنا لأنه مؤكد.

ينظر ديوانه (٤٠)، والكتاب ٤/ ٨٢، والخصائص ٢/ ٣٠٩، وابن يعيش ١/ ١١١، وأمالي الشجري ٢/ ١٤١، والخزانة ١/ ٣٩٢، والمقتضب ٣/ ٢٠٥، وديوان الحماسة ١/ ١٣٥، والبيان ٢/ ٤٧٠، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٧١، والدر المصون ٢/ ٦٠.

(٢) قوله «ونصب زكريا الفعل لله تعالى» لعله والفعل. (ع)

أشرف موضع من بيت المقدس، وقيل: كانت مساجدهم تسمى المحاريب، وروي: أنه كان لا يدخل عليها إلا هو وحده، وكان إذا خرج غلق عليها سبعة أبواب. ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾: كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط، فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾: من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والأبواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به إليك؟، ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾: فلا تستبعد. قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد، وعن النبي ﷺ أنه جاع في زمن قحط فأهدت له فاطمة ـ رضي الله عنها ـ رغيفين وبضعة لحم آثرته بها، فرجع بها إليها، وقال: هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً، فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله، فقال لها ﷺ: «أنّى لك هذا»؟ فقالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. فقال عليه الصلاة والسلام: «الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل»، ثم جمع رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته، فأكلوا عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو، فأوسعت فاطمة على جيرانها، (٢٣٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ﴾: من جملة كلام مريم عليها السلام، أو من كلام رب العزّة عزّ من قائل، ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير تقدير لكثرته، أو تفضلاً بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾

﴿هُنَالِكَ﴾: في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت. فقد يستعار هنا[1] وثم وحيث للزمان. لما رأى حال مريم في كرامتها على الله

---

٢٣٤ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٣٦) وعزاه لأبي يعلى.

---

(١) قال محمود: «فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان... إلخ» قال أحمد: لا يليق بالنبي أن يقف علمه بجواز ولادة العاقر على مشاهدة مثله، فإن العقل يقضي بجواز ذلك في قدرة الله تعالى وإن لم يقع نظيره. وأحسن من هذه العبارة وأسلم أن يقال: لما شاهد وقوع هذا الحادث كرامة لمريم امتد أمله إلى حادث يناسبه كرامة له، والله أعلم.

ومنزلتها، رغب في أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد أختها حنة في النجابة والكرامة على الله، وإن كانت عاقراً عجوزاً فقد كانت أختها كذلك، وقيل: لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر، ﴿ذُرِّيَّةً﴾: ولداً، والذرية يقع على الواحد والجمع، ﴿سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾: مجيبه. قرىء: «فناداه الملائكة»، وقيل: ناداه جبريل ـ عليه السلام ـ، وإنما قيل الملائكة على قولهم: فلان يركب الخيل، ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾: بالفتح على بأن الله، وبالكسر على إرادة القول. أو لأن النداء نوع من القول، وقرىء: «يبشرك»، «ويبشرك»، من بشره وأبشره. «ويَبْشُرك»[1] بفتح الياء من بشره، ويحيى إن كان أعجمياً وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى، وإن كان عربياً فللتعريف ووزن الفعل كيعمر، ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: مصدّقاً بعيسى مؤمناً به. قيل هو أول من آمن به، وسمي عيسى «كلمة» لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها، وهي قوله: «كن» من غير سبب آخر، وقيل: مصدّقاً بكلمة من الله، مؤمناً بكتاب منه، وسمي الكتاب كلمة، كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته، والسيد: الذي يسود قومه، أي: يفوقهم في الشرف، وكان يحيى فائقاً لقومه وفائقاً للناس كلهم في أنه لم يركب سيئة قط، ويالها من سيادة، والحصور: الذي لا يقرب النساء حصراً لنفسه أي: منعاً لها من الشهوات، وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. قال الأخطل [من البسيط]:

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالكَأْسِ نَادَمَنِي ... لاَ بِالحَصُورِ وَلاَ فِيهَا بِسَئَّارِ[2]

فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو، وقد روي أنه مرّ وهو طفل بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال: ما للعب خلقت، ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾: ناشئاً من الصالحين، لأنه كان من أصلاب الأنبياء، أو كائناً من جملة الصالحين كقوله: ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [البقرة: ١٣٠]. ، ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾: استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم، ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾: كقولهم: أدركته السنّ العالية، والمعنى أثر فيّ الكبر فأضعفني، وكانت له تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي: يفعل الله ما يشاء من

---

(١) قوله «ويبشرك» لعل هذه بدون ضمير الخطاب، وإن كانت السابقة من بشره بفتح الباء أيضاً. (ع)

(٢) للأخطل، يقول: رب شارب مشترٍ للخمر بالثمن الربيح الزائد، نادمني بالكأس. ويجوز تعلقه بما قبله، ليس حصوراً مانعاً نفسه من الدخول على القوم في لعب الميسر، ولا سآر على صيغة «فعال» للمبالغة، أي مبقياً في الكأس سؤراً، أي بقية، من أسأر إذا أبقى، وهو شاذ كجبار من أجبر. ويروى بسوار من السورة وهي الوثبة والعربدة، ففي سببية، أي ولا متغير العقل بسببها، ولا عاطفة على مربح، والثانية توكيد، والباء زائدة بعد كل، ونادمني خبر، فيجوز الرجوع إلى الوصف بعد الإخبار.
ينظر ديوانه (١٦٨)، والمحتسب ٢/ ٢٤١، والمعاني الكبير ١/ ٤٦٤، ورغبة الآمل ٢/ ٤٩، وجمهرة أشعار العرب ص ٧٢٤، والتاج ٣/ ١٤٣، ومجاز القرآن ١/ ٩٢، والدر المصون ٢/ ٨٥.

الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل، وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر، أو كذلك الله مبتدأ وخبر، أي: على نحو هذه الصفة الله، ويفعل ما يشاء بيان له، أي: يفعل ما يريد من الأفاعيل الخارقة للعادات، ﴿ءَايَةً﴾: علامة أعرف بها الحبل لأتلقى النعمة إذا جاءت بالشكر، ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا﴾: تقدر على تكليم الناس، ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾: وإنما خص تكليم الناس ليعلمه أنه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة، مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله، ولذلك قال: ، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾: يعني في أيام عجزك عن تكليم الناس، وهي من الآيات الباهرة. فإن قلت: لم حبس لسانه عن كلام الناس؟ قلت: ليخلص المدّة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره، توفراً منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة، وشكرها الذي طلب الآية من أجله، كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له: آيتك أن تحبس لسانك[1] إلا عن الشكر، وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من السؤال، ومنتزعاً منه، ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾: إلا إشارة بيد أو رأس أو غيرهما وأصله التحرّك. يقال ارتمز: إذا تحرّك، ومنه قيل للبحر الراموز، وقرأ يحيى ابن وثاب «إلا رمزاً» بضمتين، جمع رموز كرسول ورسل، وقرىء: «رمزاً» بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم، وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله [من الوافر]:

مَـتَـى مَـا تَـلْـقَـنِـي فَـرْدَيْـنِ تَـرْجُـفْ رَوَانِـفُ أَلْـيَـتَـيْـكَ وَتُـسْـتَـطَـارَا[2]

---

(١) قوله «أن تحبس لسانك» لعله: يحبس. (ع)

(٢) أحولي تنفض استك مذرويها لتقتلني فها أنا ذا عمارا
متى ما تلقني فردين ترجف روانف أليتيك وتستطارا
وسيفي صارم قبضت عليه أصابع لا ترى فيها انتشارا

لعنترة يخاطب عمارة بن زياد العبسي، لما قال لقومه: ليتني لقيته فأرحتكم منه وأعلمتكم أنه عبد، والاست: الدبر، وهي فاعل. ومذرويها: مفعول، وكان قياسه: مذريان بالياء لأنه مقصور زائد على ثلاثة أحرف، وقياس تثنيته كذلك، فمجيئه بالواو شاذ، وسهله أن تثنيته تقديرية لأنه لم يسمع له مفرد. وحكي عن أبي عمرو «مذري» مفرداً، فيكون مثنى حقيقة، وبه قبل. وحكي عن أبي عبيدة مذري مفرداً، ومذريان مثنى بالياء على القياس، وإن نصب الاست كان مفعولاً، ومذرويها بدلاً منه. والمذروان بالكسر فرعا الأليتين وقرنا الرأس. يقال: جاء ينفض مذرويه يختال ويتبختر، وقوس هتافة المذروني، وهما موقعا الوتر من أعلى وأسفل. أي رنانتهما، وها أنا ذا أصله أنا هذا، فقدمت الهاء مبادرة إلى التنبيه، ثم قال: متى تلاقني حال كوننا منفردين عن غيرنا، تخف مني فترتعد أطراف أليتيك، فارتعادها كناية عن الخوف. وتستطارا مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفاً، والفاعل ضمير المخاطب كأن الخوف يطيره. ويجوز أن الضمير للروانف، أي تنتفض وتنتشر كالطائر. ويروى: روادف، والمراد واحد.
ينظر خزانة الأدب ٤/٢٩٧، ٧/٥٠٧، ٥١٤، ٥٥٣، ٨/٢٢، والدرر ٥/٩٤، وشرح التصريح ٢/٢٩٤، وشرح شواهد الشافية ص ٥٠٥، وشرح عمدة الحافظ ص ٤٦٠، وشرح المفصل لابن =

بمعنى إلا مترامزين، كما يكلم الناس الأخرس بالإشارة ويكلمهم، والعشيّ: من حين تزول الشمس إلى أن تغيب، و﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾: من طلوع الفجر إلى وقت الضحى، وقرىء «والأبكار»، بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار. يقال: أتيته بكراً بفتحتين. فإن قلت: الرمز ليس من جنس الكلام؛ فكيف استثنى منه؟ قلت: لما أدّى مؤدّى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاماً، ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿يَٰمَرْيَمُ﴾: روي أنهم كلموها شفاها معجزة لزكريا أو إرهاصا لنبوّة عيسى، ﴿ٱصْطَفَىٰكِ﴾: أولاً حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية، ﴿وَطَهَّرَكِ﴾: مما يستقذر من الأفعال ومما قرفك به اليهود، ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ﴾: آخراً، ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: بأن وهب لك عيسى من غير أب؛ ولم يكن ذلك لأحد من النساء. أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود؛ لكونهما من هيآت الصلاة وأركانها؛ ثم قيل لها، ﴿وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: بمعنى: ولتكن صلاتك مع المصلين أي: في الجماعة؛ أو انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم، ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع، فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما سبق من نبإ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام، يعني أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي. فإن قلت: لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة؟ وترك نفي استماع الأنباء من حفاظها وهو موهوم؟ قلت: كان معلوماً عندهم علماً يقيناً أنه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي، فلم يبق إلا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة، فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له ولا قراءة، ونحوه ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾

= يعيش ٢/ ٥٥، ولسان العرب (طير)؟ (ألا)، (خصا)، والمقاصد النحوية ٣/ ١٧٤، وبلا نسبة في أسرار العربية ص ١٩١، وأمالي ابن الحاجب ١/ ٤٥١، وشرح الأشموني ٣/ ٥٧٩، وشرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٣٠١، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ١١٦، ٦/ ٨٧، ولسان العرب (رنق)، وهمع الهوامع ٢/ ٦٣. والدر المصون ٢/ ٩٠.

[القصص: ٤٤]، ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ [القصص: ٤٦]، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ﴾ [يوسف: ١٠٢]، ﴿أَقْلَٰمَهُمْ﴾: أزلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين، وقيل: هي الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة، اختاروها للقرعة تبركا بها، ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: في شأنها تنافساً في التكفل بها. فإن قلت: ، ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾: بم يتعلق؟ قلت: بمحذوف دلّ عليه «يلقون أقلامهم»، كأنه قيل: يلقونها ينظرون أيهم يكفل، أو ليعلموا، أو يقولون.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿ٱلْمَسِيحُ﴾: لقب من الألقاب المشرفة، كالصدّيق والفاروق، وأصله مشيحاً بالعبرانية، ومعناه المبارك، كقوله: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١] وكذلك، ﴿عِيسَى﴾: معرب من أيشوع، ومشتقهما من المسح والعيس، كالراقم في الماء[1]. فإن قلت: ﴿إِذْ قَالَتِ﴾ بم يتعلق؟ قلت: هو بدل من، ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ويجوز أن يبدل من، ﴿إِذْ

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولا يَصِحُّ أنْ يكون «المسيح» في هذا التركيب صفةً؛ لأن المُخْبَرَ به على هذا لُفِظَ، والمسيحُ من صفةِ المدلولِ لا من صفةِ الدالِّ؛ إذ لفظُ عيسى ليس المسيح، ومَنْ قال: إنهما اسمان قال: فَقُدِّمَ المسيحُ على عيسى لشهرتِهِ. قال ابن الأنباري: «وإنّما قُدِّمَ ـ بُدِيءَ بلقبه ـ لأن المسيحَ أشهرُ من عيسى؛ لأنه قَلَّ أن يقعَ على سُمَيٍّ يَشْتَبِهُ به، وعيسى قد يقع على عدد كثير فقدَّمه لشهرتِهِ، ألا ترى أن ألقاب الخلفاء أشهرُ من أسمائِهم»، فهذا يَدُلُّ على أنَّ المسيحَ عند ابن الأنباري «القبُ» لا اسمٌ. وقال أبو إسحاق: «وعيسى مُعَرَّبٌ من أَيْسوع وإنْ جَعَلْتَه عربياً لم تَصْرِفْهُ في معرفةٍ ولا نكرةٍ؛ لأنَّ فيه ألفَ التأنيث، ويكون مشتقاً مِنْ عاسَه يَعُوسه إذا سَاسَه، وقام عليه». انتهى. الدر المصون.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: على أن الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع، كما تقول: لقيته سنة كذا. فإن قلت: لم قيل: عيسى ابن مريم والخطاب لمريم[1]؟ قلت: لأنّ الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات، فأعلمت بنسبته إليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه، وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين. فإن قلت: لم ذكر ضمير الكلمة؟ قلت: لأن المسمى بها مذكر. فإن قلت: لم قيل: اسمه المسيح عيسى ابن مريم[2]، وهذه ثلاثة أشياء: الاسم منها عيسى، وأما المسيح والابن فلقب وصفة؟ قلت: الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره، فكأنه قيل: الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة، ﴿وَجِيهًا﴾: حال من ﴿كَلِمَةٍ﴾ وكذلك قوله: «من المقربين» «ويكلم» «ومن الصالحين» أي: يبشرك به موصوفاً بهذه الصفات، وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة، والوجاهة في الدنيا: النبوّة والتقدم على الناس، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة، وكونه ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ رفعه إلى السماء وصحبته للملائكة، والمهد: ما يمهد للصبي من مضجعه، سمي بالمصدر، و﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾: في محل النصب على الحال، ﴿وَكَهْلًا﴾: عطف عليه بمعنى: ويكلم الناس طفلاً وكهلاً، ومعناه: يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء، من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء، ومن بدع التفاسير أن قولها: «رب» نداء لجبريل ـ عليه السلام ـ بمعنى يا سيدي ﴿ونعلمه﴾ عطف على يبشرك، أو على وجيها أو على يخلق، أو هو كلام مبتدأ، وقرأ عاصم ونافع: «ويعلمه»، بالياء. فإن قلت: علام تحمل: و«رسولاً»، و«مصدّقاً» من المنصوبات المتقدّمة، وقوله: ، ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾: و﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾: يأبى حمله عليها؟ قلت: هو من المضائق، وفيه وجهان: أحدهما أن يضمر له «وأرسلت» على إرادة القول؛ تقديره: ونعلمه الكتاب والحكمة، ويقول أرسلت رسولاً بأني قد جئتكم،

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم... إلخ» قال أحمد: ويحقق هذا الجواب قولها ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [مريم: ٢٠] فإنه لم يتقدم في وعد الله لها بالولد ما يدل على أنه من غير أب، إلا أنه لما نسبه إليها دل على أنها فهمت من ذلك كونه من غير أب، والله أعلم.

(٢) (عاد كلامه) قال: «فإن قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم... إلخ» قال أحمد: وفي هذا التقرير خلاص من إشكال يوردونه فيقولون: المسيح في الآية إن أريد به التسمية وهو الظاهر فما موقع قوله عيسى ابن مريم؟ والتسمية لا توصف بالنبوة، وإن أريد بالمسيح المسمى بهذه التسمية لم يلتئم مع قوله اسمه؟ ويجاب عن الإشكال بأن المسيح خبر عن قوله اسمه، والمراد التسمية، وأما عيسى ابن مريم فخبر مبتدأ محذوف تقديره: هو عيسى ابن مريم، ويكون الضمير عائداً إلى المسمى بالتسمية المذكورة، منقطعاً عن قول المسيح. والذي قرره الزمخشري لا يرد عليه هذا الإشكال، وهو حسن جداً، والله أعلم.

ومصدقاً لما بين يدي، والثاني أن الرسول والمصدّق فيهما معنى النطق، فكأنه قيل: وناطقاً بأني قد جئتكم، وناطقاً بأني أصدق ما بين يدي وقرأ اليزيدي: ورسول: عطفاً على كلمة، ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾: أصله أرسلت بأني قد جئتكم، فحذف الجار وانتصب بالفعل، و﴿أَنِّيَ أَخْلُقُ﴾: نصب بدل من، ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾: أو جرّ بدل من آية، أو رفع على: هي أني أخلق لكم، وقرىء: «إني»، بالكسر على الاستئناف، أي: أقدر لكم شيئاً مثل صورة الطير، ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾: الضمير للكاف، أي: في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير، ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾: فيصير طيراً كسائر الطيور حياً طياراً، وقرأ عبد الله: «فأنفخها» قال [من البسيط]:

.... كَالهَبْرَقِيِّ تَنَحَّى يَنْفُخُ الفَحَمَا[1]

وقيل: لم يخلق غير الخفاش، ﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾: الذي ولد أعمى، وقيل: هو الممسوح العين، ويقال: لم يكن في هذه الأمّة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير، وروي أنه ربما اجتمع عليه خمسون ألفاً من المرضى، من أطاق منهم أتاه، ومن لم يطق أتاه عيسى، وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده، (٢٣٥) وكرر، ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: دفعاً لوهم من توهم فيه اللاهوتية، وروي: أنه أحيا سام بن نوح وهم ينظرون، فقالوا هذا سحر فأرنا آية، فقال: يا فلان أكلت كذا، ويا فلان خبىء لك كذا، وقرىء «تذخرون»، بالذال والتخفيف، ﴿وَلِأُحِلَّ﴾: ردّ على قوله: ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: جئتكم بآية من ربكم، ولأحل لكم ويجوز أن يكون، ﴿مُصَدِّقًا﴾: مردوداً عليه أيضاً، أي: جئتكم بآية وجئتكم مصدقاً، وما حرم الله عليهم في شريعة موسى: الشحوم والثروب[2] ولحوم الإبل، والسمك، وكل ذي ظفر، فأحل لهم عيسى بعض ذلك. قيل: أحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية[3] له، واختلفوا في إحلاله لهم السبت، وقرىء «حرم عليكم» على

---

٢٣٥ ـ أخرجه الطبري (٦/ ٤٣١، ٤٣٢)، حديث (٧٠٩٨).
وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٥٧، ٥٨) وعزاه للطبري.

---

(١) مولي الريح روْقيهِ وجبهته ... كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما
للنابغة، يصف ثوراً وحشياً موجهاً قرنيه وجبهته إلى الريح، فهو مستقبلها برأسه وينفخ في مقابلتها بفمه، فيسمع له صوت، فهو كالهبرقي ـ وزان جعفري وزبرجي ـ وهو الحداد والصائغ. ويروى: كالحرقي، أي الحداد، نسبة لحرق النار، شبهه به حال كونه انحاز إلى ناحية ينفخ الفحم المنقد بالنار، فينفخ: حال متداخلة.
ينظر: ديوانه (١١٠) واللسان والدر المصون (٢/ ١٠٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٨).
(٢) قوله «الثروب» الشحوم الرقيقة التي تغشي الكرش والأمعاء. أفاده الصحاح. (ع)
(٣) قوله «ما لا صيصية له» الصيصية شوكة كالتي في رجل الديك. أفاده الصحاح. (ع)

تسمية الفاعل، وهو ما بين يديّ من التوراة، أو الله عزّ وجلّ، أو موسى ـ عليه السلام ـ؛ لأن ذكر التوراة دل عليه، ولأنه كان معلوماً عندهم، وقرىء: «حرم»، بوزن كرم ﴿وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله: ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾: لأن جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه، وقرىء بالفتح على البدل من ﴿ءَايَةٖ﴾، وقوله: ، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: اعتراض، فإن قلت: كيف جعل هذا القول آية من ربه؟ قلت: لأنّ الله تعالى جعله له علامة يعرف منها أنه رسول كسائر الرسل، حيث هداه للنظر في أدلة العقل والاستدلال، ويجوز أن يكون تكريراً لقوله: ﴿جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم، من خلق الطير، والإبراء، والإحياء، والإنباء بالخفايا، وبغيره من ولادتي بغير أب، ومن كلامي في المهد، ومن سائر ذلك، وقرأ عبد الله. «وجئتكم بآيات من ربكم»، فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه. ثم ابتدأ فقال: ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾: ومعنى قراءة من فتح: ولأنّ الله ربي وربكم فاعبدوه، كقوله: ، ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ . . . . فَلۡيَعۡبُدُواْ﴾ [قريش: ١ ـ ٣] ويجوز أن يكون المعنى: وجئتكم بآية على أن الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض.

﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾: فلما علم منهم، ﴿ٱلۡكُفۡرَ﴾: علماً لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس، و﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾: من صلة «أنصاري» مضمناً معنى الإضافة، كأنه قيل: من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله، ينصرونني كما ينصرني، أو يتعلق بمحذوف حالاً من الياء، أي: من أنصاري، ذاهباً إلى الله ملتجئاً إليه، ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾: أي: أنصار دينه ورسوله، وحواريّ الرجل: صفوته وخالصته، ومنه قيل للحضريات: الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن قال [من الطويل]:

فَقُلْ لِلحَوَارِيَّاتِ: يَبْكِينَ غَيْرَنَا ... وَلاَ تَبْكِنَا إلاّ الكِلاَبُ النَّوابِحُ[(١)]

وفي وزنه الحوالي، وهو الكثير الحيلة، وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيداً

---

(١) لليشكري، يقول: فقل للنساء الحضريات الصافيات البياض يبكين غيرنا، كناية عن أنه ليس من أهل التنعم، ثم نهى عن أن يبكيهم أحد إلا الكلاب التي تساق معهم للصيد، أو التي جرت عادتها بأكل قتلاهم في الحرب أو التي تنبحهم إذا أقبلوا على أصحابها، كناية عن أنه من أهل البدو والغزو.
ينظر البيت في المؤتلف والمختلف (٧٩)، ومعاني الزجاج ١/ ٤٢٣، ومجاز القرآن ١/ ٩٥، والجمهرة ١/ ٣٣٠، ٢/ ١٤٦، وجامع البيان، ٦/ ٤٥١، والبحر ٢/ ٤٩٣، والدر المصون ٢/ ١١٣.

لإيمانهم، لأنّ الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم، ﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية، وقيل: مع أمة محمد ﷺ؛ لأنهم شهداء على الناس، ﴿وَمَكَرُوا۟﴾: الواو لكفار بني إسرائيل الذين أحس منهم الكفر، ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة، ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾: أن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل، ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾: أقواهم مكراً وأنفذهم كيداً وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾: ظرف لـ «خير الماكرين» أو لـ «مكر الله»، ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾: أي: مستوفي أجلك. معناه: إني عاصمك[1] من أن يقتلك الكفار؛ ومؤخرك إلى أجل كتبته لك، ومميتك حتف أنفك لا قتيلاً بأيدهم، ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾: إلى سمائي ومقرّ ملائكتي، ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: من سوء جوارهم وخبث صحبتهم، وقيل «متوفيك»: قابضك من الأرض، من توفيت مالي على فلان إذا استوفيته: وقيل: مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن: وقيل: متوفي نفسك بالنوم من قوله: ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف، وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب، ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: يعلونهم بالحجة وفي أكثر الأحوال بها وبالسيف، ومتبعوه هم المسلمون لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى، ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾: تفسير الحكم قوله: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ﴾ . . . ﴿فَنُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾[2] وقرىء ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء.

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره، ﴿نَتْلُوهُ﴾: و﴿مِنَ

(١) قوله «أي مستوفي أجلك ومعناه إني عاصمك» مبني على أن القتيل يموت قبل استيفاء أجله، وهو مذهب المعتزلة. (ع)

(٢) قوله «فأعذبهم فنوفيهم» هذا في الذين كفروا. وقوله: فنوفيهم. . . إلخ، في الذين آمنوا. (ع)

﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف، ويجوز أن يكون «ذلك» بمعنى الذي، و«نتلوه» صلته. «ومن الآيات» الخبر، ويجوز أن ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه، ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾: القرآن، وصف بصفة من هو سببه، أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾: إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم[١]، وقوله: ، ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾: جملة مفسرة لما له شبه[٢] عيسى بآدم أي: خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم، وكذلك حال عيسى. فإن قلت: كيف شبه به وقد وجد هو من غير أب، ووجد آدم من غير أب وأم؟ قلت: هو مثيله في إحدى الطرفين، فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به، لأنَّ المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف، ولأنه شبه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة، وهما في ذلك نظيران، ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب، فشبه الغريب بالأغرب؛ ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه، وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم: لِمَ تعبدون عيسى، قالوا: لأنه لا أب له. قال: فآدم أولى لأنه لا أبوين له. قالوا: كان يحيي الموتى. قال: فحزقيل أولى، لأن عيسى أحيا أربعة نفر، وأحيا حزقيل ثمانية آلاف. قالوا: كان يبرىء الأكمه والأبرص. قال: فجرجيس أولى، لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالماً. ، ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾: قدّره جسداً من طين، ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾: أي: أنشأه بشراً كقوله:[٣] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، ﴿فَيَكُونُ﴾: حكاية حال ماضية.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولا يَظْهَرُ لي فَرْقٌ بين كلامِه هذا وبين مَنْ جَعَلَ المَثَل بمعنى الشأن والحال وبمعنى الصفة». قلت: قد تقدَّم في أولِ البقرة أنَّ المَثَل قد يُعَبَّر به عن الصفة وقد لا يُعَبَّر به عنها؛ فدلَّ ذلك على تغايُرهما، وقد مرَّ تفسيرُه وعبارةُ الناسِ فيه، ويَدُلُّ على ذلك ما قاله صاحب «ريّ الظمآن» عن الفارسي قال: «قيل: المَثَلُ بمعنى الصفة، وقولك: صفةُ عيسى كصفةِ آدم كلامٌ مُطَّرد، على هذا جُلُّ اللغويين والمفسرين، وخالف أبو علي الفارسي الجميعَ، وقال: المَثَلُ بمعنى الصفة لا يُمْكِنُ تصحيحُه في اللغة، إنما المَثَلُ التشبيهُ، على هذا تدورُ تصاريفُ الكلمة، ولا معنى للوصفيةِ في التشابهِ، ومعنى المثل في كلامِهم «أنها كلمةٌ يرسلها قائلُها لحكمةٍ يُشَبِّه بها الأمورَ ويقابِلُ بها الأحوالَ» قلت: فقد فَرَّق بين لفظِ المثل في الاصطلاحِ وبين الصفة. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «لما له شبه» أي للأمر الذي لأجله كان ذلك التشبيه. (ع)

(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولو كان الخَلْقُ بمعنى الإِنشاء لا بمعنى التقدير، لم يأتِ بقوله «كن»؛ لأنَّ ما خُلِقَ لا يقال له: كُنْ، ولا يُنْشَأُ إلا إنْ كان معنى «ثم قال له كن» عبارةً عن نَفْخِ الروح فيه. «قلت: قد تعرَّض الواحدي لهذه المسألة فَأَتْقَنها فقال: «وهذا ـ يعني قوله خلقه من =

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هو الحق كقول أهل خيبر: محمد والخميس (٢٣٦) ونهيه عن الامتراء ـ وجل رسول الله ﷺ أن يكون ممتريا ـ من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة، وأن يكون لطفاً لغيره.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾: من النصارى، ﴿فِيهِ﴾: في عيسى، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: أي: من البينات الموجبة للعلم، ﴿تَعَالَوْا۟﴾: هلموا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعالَ نفكر في هذه المسألة، ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾: أي: يدع كل مني ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة، ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾: ثم نتباهل بأن نقول: بهلة الله على الكاذب منا ومنكم، والبهلة بالفتح، والضم: اللعنة، وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته من قولك: «أبهله» إذا أهمله، وناقة باهل: لاصرار عليها[1] وأصل الابتهال هذا، ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا، وروي: «أنهم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر، فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح، ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أنّ محمداً نبيٌّ مرسل، وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكنّ فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتى رسول الله ﷺ وقد غدا محتضنا الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليٌّ

---

٢٣٦ ـ سيأتي تخريجه في سورة الصّافات.
قال الحافظ: هو طرف من حديث لأنس متفق عليه بلفظ «صبّح رسول الله ـ ﷺ ـ أهل خيبر وقد خرجوا بالمساحي على أعناقهم فلمّا رأوه قالوا: هذا محمد والخميس... الحديث».
وسيأتي في صورة الصّافات انتهى.

= تراب ـ ليس بصلةٍ لآدم ولا صفةٍ، لأنَّ الصلة للمبهمات والصفةَ للنكرات ولكنه خبرٌ مستأنفٌ على جهةِ التفسير لحالِ آدمَ عليه السلام» قال: «قال الزجاج «وهذا كما تقولُ في الكلام: «مَثَلُك كمثلِ زيد» تريد أنك تُشبهه في فِعْلٍ ثم تخبرُ بقصة زيد، فتقول: فعل كذا وكذا». انتهى. الدر المصون.

(١) قوله «وناقة باهل لاصرار عليها» في الصحاح صررت الناقة شددت عليها الصرار، وهو خيط يشد فوق الخلف والتودية، لئلا يرضعها ولدها. وفيه الخلف: حلمة ضرع الناقة. وفيه التودية: خشبة تشد عليه. (ع)

خلفها وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمّنوا، فقال أسقف نجران[1]: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرّك على دينك ونثبت على ديننا قال: «فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم» فأبوا. قال: «فإني أناجزكم» فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردَدنا عن ديننا على أنّ نؤدي إليك كل عام ألفي حلة: ألف في صفر، وألف في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد. فصالحهم على ذلك وقال: «والذي نفسي بيده، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رءوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا» (٢٣٧) وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنّ رسول الله ﷺ خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود. فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة، ثم علي، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. (٢٣٨) فإن قلت: ما كان دعاؤه

---

٢٣٧ ـ أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١/٢٥٨، ٢٥٩) عن ابن عباس عن الشعبي عن جابر قال: قدم على النبي ـ ﷺ ـ العاقب، والطيّب والطبري (٦/٤٧٩)، حديث (٧١٨١)، (٧١٨٣) في الأول عن محمد بن جعفر بن الزبير والثاني عن السديّ وأخرجه ابن إسحاق (٦٧٧ ـ سيرة بن هشام) وأخرجه أبو داود (٣/١٦٧): كتاب الخراج والإمارة والفيء: باب في أخذ الجزية، حديث (٣٠٤١) عن ابن عبّاس بنحو الأول.

قال الحافظ: أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوّة، من طريق محمد بن مروان السديّ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بطوله وابن مروان متروك متّهم بالكذب ثم أخرج أبو نعيم نحوه عن الشعبي مرسلاً، وفيه «فإن أبيتم المباهلة فأسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فأعطونا الجزية. كما قال الله تعالى. قالوا: ما نملك إلاّ أنفسنا قال: فإن أبيتم فإني أنبذ إليكم على سواء، فقالوا: لا طاقة لنا بحرب العرب، ولكن نؤدي الجزية، فجعل عليهم في كلّ سنة ألفي حلّة: ألفاً في صفر، وألفاً في رجب، فقال ـ ﷺ ـ: لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران لو تمّوا على الملاعنة» رواه الطبري من طريق أبي إسحاق، حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير في قوله ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ فذكره مرسلاً، وفي سنن أبي داود من حديث ابن عباس «صالح النبي ـ ﷺ ـ أهل نجران على ألفي حلّة النّصف في صفر، والبقية في رجب يؤدونه إلى المسلمين» وعارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً، وثلاثين من كلّ صنف من أصناف السّلاح يغزون بها والمسلمون ضامنون لها حتى يردّوها عليهم، وهو طرف من هذه القصّة. انتهى.

٢٣٨ ـ أخرجه مسلم (٨/٢٠٨ ـ نووي): كتاب فضائل الصّحابة: باب فضائل أهل البيت، حديث (٦١/٢٤٢٤)، والحاكم (٣/١٤٧): كتاب الفضائل وابن أبي شيبة (٦/ ٣٧٠)، حديث (٣٢١٠٢).

---

(١) قوله «فقال أسقف نجران يا معشر النصارى» أي حبرهم عبد المسيح اهـ. (ع)

إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه، فما معنى ضم الأبناء والنساء؟ قلت: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده[1] وأحب الناس إليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة، وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل، ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب، ويسمون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق، وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي ﷺ لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: الذي قص عليك من نبأ عيسى، ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾: قرىء بتحريك الهاء على الأصل وبالسكون، لأن اللام تنزل من ﴿هو﴾ منزلة بعضه، فخفف كما خفف عضد، وهو إما فصل بين اسم إن وخبرها، وإما مبتدأ و«القصص الحق» خبره، والجملة خبر «إن». فإن قلت: لم جاز دخول اللام على الفصل؟ قلت: إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز، لأنه أقرب إلى المبتدأ منه، وأصلها أن تدخل على المبتدأ، و «من» في قوله: ، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: بمنزلة البناء على الفتح في «لا إله إلا اللّه» في إفادة معنى الاستغراق، والمراد الردّ على النصارى في تثليثهم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾: وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله: ، ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا

= وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وهو واهم في ذلك فالحديث أخرجه مسلم.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٣٧٧) وعزاه لمسلم، وأحمد وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة.
قال الحافظ: أخرجه مسلم من طريق صفية بنت شيبة عنها. وغفل الحاكم فاستدركه. انتهى.

---

(١) قوله «وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه» في الصحاح: الفلذ: كبد البعير. والجمع: أفلاذ. والفلذة: القطعة من الكبد واللحم والمال وغيرها، والجمع فلذ اهـ، فتدبر. (ع)

يُفۡسِدُونَ﴾: [النحل: ٨٨].

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: قيل: هم أهل الكتابين، وقيل: وفد نجران، وقيل: يهود المدينة، ﴿سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾: مستوية بيننا وبينكم، لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل، وتفسير الكلمة قوله: ، ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يعني تعالوا إليها حتى لا نقول: عزير ابن الله، ولا المسيح ابن الله، لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا، ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع الله، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ [التوبة: ٣١] وعن عدي بن حاتم: «ما كنا نعبدهم يا رسول الله، قال: أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم. قال: هو ذاك» وعن الفضيل: لا أبالي أطعت مخلوقاً في معصية الخالق، أو صليت لغير القبلة، وقرىء «كلمة» بسكون اللام، وقرأ الحسن «سواء» بالنصب بمعنى استوت استواء، ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: عن التوحيد، ﴿فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾: أي: لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم، كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع أو غيرهما: اعترف بأني أنا الغالب وسلم لي الغلبة، ويجوز أن يكون من باب التعريض، ومعناه: اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره. زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم، وجادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين فيه فقيل لهم: إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، وبين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبينه وبين عيسى ألفان، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة؟، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾: حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال، ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: «ها» للتنبيه، و«أنتم» مبتدأ و«هؤلاء» خبره، و﴿حَٰجَجۡتُمۡ﴾: جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى، يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى

وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم، ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: مما نطق به التوراة والإنجيل، ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: ولا ذكر له في كتابيكم من دين إبراهيم، وعن الأخفش: ها أنتم هو آأنتم على الاستفهام. فقلبت الهمزة هاء، ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم، وقيل: ، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: بمعنى اللذين و﴿حَٰجَجْتُمْ﴾: صلته، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: علم ما حاججتم فيه، ﴿وَأَنتُمْ﴾: جاهلون به ثم أعلمهم بأنه بريء من دينكم وما كان إلا، ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: كما لم يكن منكم. أو أراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيراً والمسيح، ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾: إن أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب، ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾: في زمانه وبعده، ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾: خصوصاً، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: من أمته، وقرىء: «وهذا النبيَّ» بالنصب عطفاً على الهاء في «اتبعوه»، أي: اتبعوه واتبعوا هذا النبي، وبالجر عطفاً على إبراهيم.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ﴾: هم اليهود، دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى اليهودية، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾: وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم، لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم. أو وما يقدرون على إضلال المسلمين، وإنما يضلون أمثالهم من أشياعهم، ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بالتوراة والإنجيل، وكفرهم بها: أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوّة رسول الله ﷺ وغيرها، وشهادتهم: اعترافهم بأنها آيات الله. أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوّة الرسول، ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: نعته في الكتابين. أو تكفرون بآيات الله جميعاً وأنتم تعلمون أنها حق. قرىء «تلبسون» بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب «تلبَسُون» بفتح الباء أي: تلبسون الحق مع الباطل. كقوله: «كلابس ثوبَيْ زور»، وقوله [من الطويل]:

.... إِذَا هُـوَ بِـالْـمَـجْـدِ ٱرْتَـدَى وَتَـأَزَّرَا[1]

---

(١) فـلا أب وابـنـاً مـثـل مـروان وابـنـه إذا هـو بـالـمـجـد ارتـدى وتـأزرا
للفرزدق. وابناً: نصب عطفاً على موضع الأب، ومثل بالرفع ـ خبر لا أو نصب صفة لأب وابناً، والخبر محذوف. وابنه هو عبدالملك. و «إذا هو» أي مروان، لأن مجد الابن بمجد الأب لا العكس، والمراد بالمجد هنا: الأفعال الحميدة التي تتجدد منه، ثم إنه شبهه باللباس بجامع صون كل لصاحبه على طريق المكنية، والارتداء والتأزر تخييل. ويحتمل أنه شبّه الاتصاف به ظاهراً وباطناً بالارتداء والتأزر على طريق التصريحية. ويجوز أن المراد من «إذا» الزمن المستمر، لا المستقبل فقط. =

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾: أوّله. قال [من الكامل]:

مَنْ كَانَ مَسْرُوراً بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارِ[1]

والمعنى: أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين في أوّل النهار، ﴿وَٱكْفُرُوٓاْ﴾: به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون: ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد يتبين لهم فيرجعون برجوعكم، وقيل: تواطأ اثنا عشر من أحبار يهود خيبر، وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أوّل النهار من غير اعتقاد، واكفروا به آخر النهار وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شكّ أصحابه في دينهم، وقيل: هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة قال كعب بن الأشرف لأصحابه: آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها في أوّل النهار، ثم اكفروا به في آخره وصلوا إلى الصخرة، ولعلهم

= وهو لرجل من عبد مناة بن كنانة في تخليص الشواهد ص ٤١٣، ٤١٤؛ وخزانة الأدب ٤/ ٦٧، ٦٨؛ وشرح التصريح ١/ ٢٤٣؛ وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٠٧، والمقاصد النحويّة ٢/ ٣٥٥، وله أو للفرزدق في الدرر ٦/ ١٧٢، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/ ٤١٩، ٢/ ٥٩٣، ٨٤٧، وأوضح المسالك ٢/ ٢٢، وجواهر الأدب ص ٢٤١، وشرح الأشموني ١/ ١٥٣، وشرح قطر الندى ص ١٦٨، وشرح المفصّل ٢/ ١٠١، ١١٠ واللامات ص ١٠٥، واللمع ص ١٣٠، والمقتضب ٤/ ٣٧٢، همع الهوامع ٢/ ١٤٣.

(١) من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبنه يلطمن أوجههن بالأسحار

لربيع بن زياد. يرثي مالك بن زهير العبسي. ووجه النهار: أوله. والحواسر: كاشفات الوجوه، وصرف للوزن. والندبة: رفع الصوت بالبكاء على الميت. والأسحار: مقدم أعالي الأعناق. والباء بمعنى مع. كانت عادة العرب أن لا يندبوا القتيل إلا بعد أخذ ثأره فضمن الرثاء معنى المدح لهم والتشفي من عدوهم. وقال: من كان شامتاً بقتله فليجيء إلى نسائنا في أول النهار يجدهن كاشفات وجوههن يبكين عليه برفع أصواتهن، يضربن أوجههن مع صفاح أعناقهن. يعني أننا أخذنا ثأره فحل لنسائنا البكاء عليه، وانتقد ابن العميد قوله: فليأت نسوتنا. ولله در الإمام المرزوقي حيث أبدله بقوله: فليأت ساحتنا، لأنه فيه أيضاً الفرار من الإظهار موضع الإضمار.
ينظر البيت في ديوان الحماسة ١/ ٤٩٤، واللسان (وجه)، ومجاز القرآن ١/ ٩٧، وأمالي المرتضى ١/ ٢١١، والأشباه والنظائر ٢/ ٨٢، وتذكرة النحاة ص ١٣٩، والاستغناء في أحكام الاستثناء ص ٦٣٢، والبحر المحيط ٢/ ٥١٧، والدر المصون ٢/ ١٣٤.

يقولون: هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون، ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾: متعلق بقوله: ، ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾: وما بينهما اعتراض. أي: ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم. أرادوا: أسرّوا تصديقكم بأنّ المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم، ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً، ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام، ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾: عطف على أن يؤتى[1] والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع[2]، بمعنى: ولا تؤمنوا لغير أتباعكم، أنّ المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله تعالى بالحجة. فإن قلت: فما معنى الاعتراض؟ قلت: معناه أنّ الهدى هدى الله، من شاء أن يلطف به حتى يسلم، أو يزيد ثباته على الإسلام، كان ذلك، ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: يريد الهداية والتوفيق. أو يتمّ الكلام عند قوله: ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: على معنى: ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار «إلا لمن تبع دينكم»: إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم، ولأن إسلامهم كان أغيظ لهم، وقوله: ، ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾: معناه لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه، لا لشيء آخر، يعني أن ما بكم من الحسد والبغي ـ أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب ـ دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم، والدليل عليه قراءة ابن كثير: أأن يؤتى أحد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ، بمعنى: إلا أن يؤتى أحد. فإن قلت: فما معنى قوله: ، ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾: على هذا؟ قلت: معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم، ويجوز أن يكون، ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾: بدلاً من الهدى، و﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾: خبر إن، على معنى: قل إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم «أو يحاجوكم» حتى يحاجوكم «عند ربكم» فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم، وقرىء: «إن يؤتى أحد». على إن النافية، وهو متصل بكلام أهل الكتاب. أي: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم: ما يؤتى أحد مثل ما

---

(١) قال محمود: «أو يحاجوكم معطوف على أن يؤتى... إلخ» قال أحمد: وفي هذا الوجه من الإعراب إشكال، وهو وقوع أحد في الواجب، لأن الاستفهام هنا إنكار، واستفهام الإنكار في مثله إثبات، إذ حاصله أنه أنكر عليهم ووبخهم على وما وقع منهم وهو إخفاء الإيمان بأن النبوة لا تخص بني إسرائيل لأجل العلتين المذكورتين. فهو إثبات محقق. ويمكن أن يقال: روعيت صيغة الاستفهام وإن لم يكن المراد حقيقة، فحسن لذلك دخول أحد في سياقه. والله أعلم.

(٢) قال محمود: «والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع... إلخ» قال أحمد: أي حيث كان نكرة في سياق النفي، كما وصفه بالجمع في قوله ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم، يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم، ويجوز أن ينتصب، ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾: بفعل مضمر يدل عليه قوله: ، ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: كأنه قيل: قل إن الهدى هدى الله، فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم؛ لأن قولهم، ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا.

﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾

عن ابن عباس، ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾: هو عبد الله بن سلام، استودعه رجل من قريشٍ ألفاً ومائتي أوقية ذهباً فأداه إليه، و ﴿مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ﴾: فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش ديناراً فجحده وخانه، وقيل: المأمونون على الكثير النصارى، لغلبة الأمانة عليهم، والخائنون في القليل اليهود، لغلبة الخيانة عليهم، ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾: إلا مدّة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه متوكلاً عليه بالمطالبة والتعنيف، أو بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه، وقرىء: «يؤده» بكسر الهاء والوصل، وبكسرها بغير وصل، وبسكونها، وقرأ يحيى بن وثاب: «تئمنه»، بكسر التاء، ودمت بكسر الدال من دام يدام، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ترك الأداء الذي دلّ عليه لم يؤدّه، أي: تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم، ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾: أي: لا يتطرّق علينا عتاب وذم في شأن الأميين، يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب، وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار بهم، لأنهم ليسوا على ديننا، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون: لم يجعل لهم في كتابنا حرمة، وقيل: بايع اليهود رجالاً من قريش، فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا: ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم، وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم، وعن النبي ﷺ أنه قال عند نزولها: «كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدميّ، إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البرّ والفاجر» (٢٣٩) وعن ابن عباس أنه

---

٢٣٩ ـ أخرجه الطبري (٦/ ٥٢٢)، حديث (٧٢٦٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٤٩)، حديث (٨١٢) وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٧٨) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، عن سعيد بن جبير.
قال الحافظ:
أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق يعقوب بن النّعمان القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير به مرسلاً. انتهى.

سأله رجل فقال: إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة. قال: فتقولون ماذا؟ قال: نقول ليس علينا في ذلك بأس. قال: هذا كما قال أهل الكتاب: ليس علينا في الأميين سبيل. إنهم إذا أدّوا الجزية لم يحلّ لكم أكل أموالهم إلا بطيبة أنفسهم، (٢٤٠) ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: بادعائهم أن ذلك في كتابهم، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم كاذبون، ﴿بَلَىٰ﴾: إثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الأميين، أي: «بلى» عليهم سبيل فيهم، وقوله: ، ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾: جملة مستأنفة مقرّرة للجملة التي سدّت «بلى» مسدّها، والضمير في «بعهده» راجع إلى «من أوفى»، على أنّ كل من أوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر، فإنّ الله يحبه. فإن قلت، فهذا عام يخيل أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله. قلت: أجل، لأنهم إذا وفوا بالعهود وفوا أول شيء بالعهد الأعظم، وهو ما أخذ عليهم في كتابهم من الإيمان برسول مصدق لما معهم، ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه، ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى، على أن كل من وفى بعهد الله واتقاه فإنّ الله يحبه، ويدخل في ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء. فإن قلت: فأين الضمير الراجع من الجزاء إلى من؟ قلت: عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير، وعن ابن عباس: نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة أهل الكتاب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿يَشْتَرُونَ﴾: يستبدلون، ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: بما عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول المصدّق لما معهم، ﴿وَأَيْمَـٰنِهِمْ﴾: وبما حلفوا به من قولهم، والله لنؤمنن به ولننصرنه، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك، وقيل: نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب، حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله ﷺ، وأخذوا الرشوة على ذلك، وقيل: جاءت جماعة من اليهود إلى كعب بن الأشرف في سنة أصابتهم

---

٢٤٠ ـ أخرجه الطبري (٦/ ٥٢٣)، حديث (٧٢٧٣) وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٢٣، ١٢٤).
قال الحافظ:
أخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق أبي إسحاق عن صعصعة بن معاوية أنه سأل ابن عباس ـ فذكره انتهى.

ممتارين، فقال لهم: هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: لقد هممت أن أَمِيرَكم وأكسوكم فحرمكم الله خيراً كثيراً. فقالوا: لعله شبه علينا فرويداً حتى نلقاه. فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته، ثم رجعوا إليه وقالوا: قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا، ففرح ومارَهُمْ، وعن الأشعث بن قيس: نزلت فيّ، كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر، فاختصمنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «شاهداك أو يمينه» فقلت إذن يحلف ولا يبالي فقال «من حلف على يمين يستحق بها مالاً هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان» وقيل: نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه، والوجه أن نزولها في أهل الكتاب، وقوله: ، ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: يقوّي رجوع الضمير في «بعهده» إلى الله، ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾: مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول: فلان لا ينظر إلى فلان، تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: ولا يثني عليهم. فإن قلت: أي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه؟ قلت: أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية، لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه وأعاره نظر عينيه، ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثم نظر، ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرداً لمعنى الإحسان مجازاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر، ﴿لَفَرِيقًا﴾: هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحييّ بن أخطب وغيرهم، ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾: يفتلونها بقراءته عن الصحيح إلى المحرف وقرأ أهل المدينة: «يلوّن»، بالتشديد، كقوله: ﴿لووا رؤوسهم﴾ [المنافقون: ٥]، وعن مجاهد وابن كثير: يلون ووجهه أنهما قلبا الواو المضمومة همزة، ثم خففوها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها. فإن قلت: إلام يرجع الضمير في، ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾:؟ قلت: إلى ما دلّ عليه «يلوون ألسنتهم بالكتاب» وهو المحرف، ويجوز أن يراد: يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرىء: «ليحسبوه» بالياء، بمعنى: يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: تأكيد لقوله: هو من الكتاب، وزيادة تشنيع عليهم، وتسجيل بالكذب، ودلالة على أنهم لا يعرّضون ولا يورُّون وإنما يصرحون بأنه في التوراة هكذا، وقد أنزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الأخرة، وعن ابن عباس: هم اليهودالذين قدموا على كعب بن الأشرف غيروا التوراة وكتبوا كتاباً بدّلوا فيه صفة رسول الله ﷺ، ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى، وقيل: إنّ أبا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله ﷺ: أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا؟ فقال: معاذ الله أن نعبد غير الله، أو أن نأمر بعبادة غير الله! فما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني فنزلت، (٢٤١) وقيل: قال رجل: يا رسول الله، نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال: لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله» (٢٤٢) ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾: والحكمة وهي السنة، ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾: ولكن يقول: كونوا، والربانيّ: منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون؛ كما يقال: رقباني ولحياني، وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته، وعن محمد ابن الحنفية: أنه قال حين مات ابن عباس: اليوم مات ربانيّ هذه الأمّة، وعن الحسن: ربانيين: علماء فقهاء، وقيل: علماء معلمين، وكانوا يقولون: الشارع الرباني: العالم العامل المعلم، ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾: بسبب كونكم عالمين[1] وبسبب كونكم دارسين للعلم أوجب أن تكون الربانية التي هي قوّة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة، وكفى به دليلاً على خيبة سعي من جهد

---

٢٤١ ـ أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٤).
والطبري (٦/ ٥٣٩)، حديث (٧٢٩٦) عن ابن عبّاس وابن إسحاق (٦٣٥ ـ سيرة بن هشام).
وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٨٢) وعزاه لابن إسحاق والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس.
قال الحافظ ابن حجر:
أخرجه البيهقي في الدلائل والطبري من طريق ابن إسحاق: حدّثني محمد بن أبي محمد حدّثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال: «اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ـ ﷺ ـ، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلاّ يهودياً. وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلاّ نصرانياً. فأنزل الله فيهم ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ـ الآية﴾ قال أبو رافع القرظي ورجل آخر منهم يقال له الرئيس وهو السّيد ـ لرسول الله ـ ﷺ ـ وقد دعاهم للإسلام ـ أتريد منّا يا محمد ـ فذكره» وذكر الواحدي في الأسباب من طريق الكلبي وعطاء بن عياش «أنّ أبا رافع والرئيس من نصارى نجران قالا يا محمد ـ فذكره». انتهى.
٢٤٢ ـ ذكره السيوطي في الدر (٢/ ٨٢) وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ١٩٢)، حديث ١٩٩ وقال: غريب، وعزاه للواحدي في أسباب النزول عن الحسن بلفظ السيوطي: بلغني أن رجلاً...
قال الحافظ:
لم أجد له إسناداً ونقله الواحدي في الأسباب عن الحسن البصري «أنّ رجلاً» فذكره انتهى.

---

(١) قوله «بسبب كونكم عالمين» تفسير لقراءة (تعلمون) من العلم. (ع)

نفسه وكدّ روحه في جمع العلم، ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل، فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها: وقرىء «تعلمون»، من التعليم. «وتعلمون» من التعلم، ﴿تَدْرُسُونَ﴾: تقرءون، وقرىء «تدرسون»، من التدريس، وتدرسون على أن أدرس بمعنى درّس كأكرم وكرّم وأنزل ونزّل. «وتدرّسون»، من التدرّس، ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف: تدرسونه على الناس كقوله: ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ﴾ [الإسراء: ١٠٦] فيكون معناهما معنى تدرسون من التدريس، وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء، وأن السبب بينه وبين ربه منقطع، حيث لم يثبت النسبة إليه إلا للمتمسكين بطاعته، وقرىء «ولا يأمركم» بالنصب عطفاً على، ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾: وفيه وجهان: أحدهما: أن تجعل «لا» مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله: ، ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: والمعنى: ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ويأمركم، ﴿أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾: كما تقول: ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي، والثاني: أن تجعل «لا» غير مزيدة، والمعنى: أن رسول الله ﷺ كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة، واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح. فلما قالوا له: أنتخذك رباً؟ قيل لهم: ما كان لبشر أن يستنبئه الله، ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء، والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر، وتنصرها قراءة عبد الله «ولن يأمركم»، والضمير في، ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾: و﴿أَيَأْمُرُكُم﴾: لبشر، وقيل لله، والهمزة في أيأمركم للإنكار، ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين، وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾: فيه غير وجه: أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك، والثاني أن يضيف الميثاق إلى النبيين إضافته إلى الموثق لا إلى الموثق عليه، كما تقول ميثاق الله وعهد الله، كأنه قيل: وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم، والثالث: أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف، والرابع: أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكماً بهم، لأنهم كانوا يقولون: نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب ومنا كان النبيون، وتدل عليه قراءة أبيّ وابن

مسعود: «وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب» واللام في، ﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم﴾: لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف[1] وفي «لتؤمنن» لام جواب القسم، و «ما» يحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط، و«لتؤمنن» سادّ مسدّجواب القسم والشرط جميعاً وأن تكون موصولة بمعنى: للذي آتيتكموه لتؤمنن به، وقريء: «لما آتيناكم» وقرأ حمزة: «لما آتيتكم». بكسر اللام ومعناه: لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة؛ ثم لمجيء رسول مصدّق لما معكم لتؤمنن به. على أن «ما» مصدرية، والفعلان معها أعني «آتيتكم» و «جاءكم» في معنى المصدرين، واللام داخلة للتعليل على معنى: أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه، لأجل أني آتيتكم الحكمة، وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف، ويجوز أن تكون «ما» موصولة[2]. فإن قلت: كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله: ، ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ﴾: لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصفة، لأنك لا تقول: للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم؟ قلت: بلى[3] لأنّ ما معكم في معنى ما آتيتكم، فكأنه قيل: للذي آتيكموه وجاءكم رسول مصدق له، وقرأ سعيد بن جبير «لما» بالتشديد، بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة. ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الإيمان به ونصرته، وقيل: أصله لمن ما، فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بإدغامها في الميم، فحذفوا إحداها فصارت لما، ومعناه: لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به، وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى، ﴿إِصۡرِيۖ﴾: عهدي، وقريء: «أصرى» بالضم، وسمي إصراً، لأنه مما يؤصر، أي: يشدّ ويعقد، ومنه الإصار، الذي يعقد به، ويجوز أن يكون المضموم لغة في أصر، كعبر وعبر، وأن يكون جمع إصار، ﴿فَٱشۡهَدُواْ﴾: فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ من إقراركم وتشاهدكم، ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرُّجوع

---

(١) قال محمود: اللام في لما آتيتكم لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى القسم. . .الخ، قال أحمد: يريد على أن قوله (رسول) فاعل جاء، لأنه لا يخلو من الضمير وإلا فهذا القول صحيح على أن يكون الفاعل مضمراً ورسول خبر الموصول. ولم يرد الزمخشري إلا الأول، وهو ظاهر الآية.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وفيه حدسٌ لطيف جداً وحاصلُ ما ذكر أنهم إن أرادوا تفسير المعنى فيمكن أن يقال، وإن أرادوا تفسير الإعراب فلا يصح، لأن كلاً منهما ـ أعني الشرط والقسم ـ يطلبُ جواباً على حدة، ولا يمكن أن يكون هذا محمولاً عليهما؛ لأن الشرط يقتضيه على جهة العمل فيكون في موضع جزم، والقسم يطلبه من جهة التعلق المعنوي به من غير عمل فلا موضع له من الإعراب، مُحال أن يكون الشيء له موضع من الإعراب ولا موضع له من الإعراب. انتهى. الدر المصون.

(٣) عاد كلامه، قال مجيباً عن السؤال: «قلت: بلى. . .الخ» قال أحمد: يريد أن الكلام وإن خلا من العائد إلا أنه في معنى كلام يتحقق فيه العائد فيجوز دخوله في الصلة، والله أعلم.

إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض، وقيل: الخطاب للملائكة، ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: الميثاق والتوكيد، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: أي: المتمردون من الكفار دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة، والمعنى: فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون، ثم توسطت الهمزة بينهما، ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره ﴿أ﴾: يتولون ﴿فغير دين الله يبغون﴾: وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث أنّ الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل، وروي: أن أهل الكتاب اختصموا إلى رسول الله ﷺ فيما اختلفوا فيه من دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ؛ وكل واحد من الفريقين ادعى أنه أولى به، فقال ﷺ: «كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم» (٢٤٣) فقالوا: ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك. فنزلت: وقرىء: «يبغون»، بالياء: «وترجعون» بالتاء وهي قراءة أبي عمرو، لأنّ الباغين هم المتولون، والراجعون جميع الناس، وقرئا بالياء معاً، وبالتاء معاً، ﴿طَوْعًا﴾: بالنظر في الأدلة والإنصاف من نفسه، ﴿وَكَرْهًا﴾: بالسَّيف، أو بمعاينة ما يلجىء إلى الإسلام كنتق الجبل على بني إسرائيل، وإدراك الغرق فرعون، والإشفاء على الموت[1] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [غافر: ٨٤] وانتصب طوعاً وكرها على الحال، بمعنى طائعين ومكرهين.

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

أمر رسول الله ﷺ بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالإيمان، فلذلك وحد الضمير في، ﴿قُلْ﴾: وجمع في، ﴿آمَنَّا﴾: ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالاً من الله لقدر نبيه. فإن قلت: لم عدّى «أنزل» في هذه الآية بحرف الاستعلاء، وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء؟ قلت: لوجود المعنيين جميعاً، لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل، فجاء تارة بأحد المعنيين، وأخرى بالآخر، ومن قال: إنما قيل،

---

٢٤٣ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ١٩٢): غريب ونقله الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس: أنّ أهل الكتاب اختصموا. . . ا.هـ.
ذكر الحافظ ابن حجر: لم أجد له إسناداً، وذكره الواحدي في الأسباب أيضاً عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ انتهى.

---

(١) قوله: «والاشفاء على الموت» أي الإشراف، كما في الصحاح (٤).

﴿عَلَيْنَا﴾: لقوله: ، ﴿قُلْ﴾: ؛ و﴿إِلَيْنَآ﴾: لقوله: ﴿قُولُوٓاْ﴾ [البقرة: ١٣٦] تفرقة بين الرسول والمؤمنين، لأن الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء، ويأتيهم على وجه الانتهاء، فقد تعسف. ألا ترى إلى قوله: ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٨]، و﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [النساء: ١٠٥] وإلى قوله: ، ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكاً في عبادتها؛ ثم قال: ، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ يعني التوحيد وإسلام الوجه لله تعالى: ، ﴿دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: من الذين وقعوا في الخسران مطلقاً من غير تقييد للشياع، وقرىء: «ومن يبتغ غير الإسلام» بالإدغام.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا﴾: كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف، لما علم الله من تصميمهم على كفرهم، ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم وبعد ما شهدوا بأن الرسول حق، وبعدما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوّة ـ وهم اليهود ـ كفروا بالنبي ﷺ بعد أن كانوا مؤمنين به؛ وذلك حين عاينوا ما يوجب قوّة إيمانهم من البينات، وقيل: نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، منهم طعمة بن أبيرق، وَوَحْوَحُ بن الأسلت، والحرث بن سويد بن الصامت. فإن قلت: علام عطف قوله، ﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾:؟ قلت: فيه وجهان: أن يعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل؛ لأن معناه بعد أن آمنوا، كقوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ﴾ [المنافقون: ١٠] وقول الشاعر [من الطويل]:

... لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلاَ نَاعِبٍ[1] ....

---

(١) مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها

أنشده أبو المهدي. والشؤم: ضد اليمن. والناعب: الصائح، من باب ضرب ونفع، والبين: مصدر بمعنى الانفصال والبعد. وجر ناعب على توهم: ليسوا بمصلحين ولا ناعب، وجعل هذا جمهور النحاة مطرداً، ومنعه بعضهم. وروى «إلا بشؤم» وصوت الغراب كثيراً ما تتشاءم منه العرب. وهو كناية عن تشتت شمل تلك المشائيم وعدم اتفاق كلمتهم.

البيت للفرزدق وقيل للأحوص الدياحي ـ ينظر الكتاب (١/ ١٦٥)، (٩١٣) للفرزدق، والإنصاف ١/ ١٩٣، والخصائص (٢/ ٣٥٤)، والمغني ٢/ ٤٧٥، والحافظ في البيان ٢/ ٢٦١، وروح المعاني =

ويجوز أن تكون الواو للحال بإضمار «قد» بمعنى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى﴾: لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم أن اللطف لا ينفعهم.، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾: الكفر العظيم والارتداد، ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾: ما أفسدوا أو ودخلوا في الصلاح، وقيل: نزلت في الحرث بن سويد بعد أن ندم على ردّته وأرسل إلى قومه أن سلوا: هل لي من توبة، فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية. فأقبل إلى المدينة فتاب وقبل رسول الله ﷺ توبته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾: هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد والقرآن. أو كفروا برسول الله بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بإصرارهم على ذلك وطعنهم في كل وقت، وعداوتهم له، ونقضهم ميثاقه، وفتنتهم للمؤمنين، وصدهم عن الإيمان به، وسخريتهم بكل آية تنزل، وقيل: نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة، وازديادهم الكفر أن قالوا: نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون، وإن أردنا الرجعة نافقنا بإظهار التوبة. فإن قلت: قد علم أنّ المرتد كيفما ازداد كفرا فإنه مقبول التوبة إذا تاب فما معنى، ﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾:؟ قلت: جعلت عبارة عن الموت على الكفر، لأنّ الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر، كأنه قيل: إن اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر، داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم. فإن قلت: فلم قيل في إحدى الآيتين، ﴿لَّن تُقۡبَلَ﴾: بغير فاء، وفي الآخرى، ﴿فَلَن يُقۡبَلَ﴾:؟ قلت: قد أوذن بالفاء أنّ الكلام بني على الشرط والجزاء، وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر، وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب. كما تقول: الذي جاءني له درهم، لم تجعل المجيء سبباً في استحقاق الدرهم، بخلاف قولك: فله درهم. فإن قلت: فحين كان المعنى، ﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾: بمعنى الموت على الكفر، فهلا جعل الموت على الكفر مسبباً عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجرّه إلى الموت على الكفر؟ قلت: لأنه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع إلى الإسلام ولا يموت على الكفر. فإن

= ١٢/٩٨، والخزانة ١٥٨/٤ والأشموني ٢/ ٢٣٥ وابن يعيش ٢/ ٥٢، ورغبة الآمل ٤/ ٩٣ وضرائر الشعر ص ١٨٠، والدر المصون ٢/ ١٦١.

قلت: فأي: فائدة في هذه الكناية، أعني أن كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة؟ قلت: الفائدة فيها جليلة، وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار، وإبراز حالهم في صورة حالة الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الأحوال وأشدّها، ألا ترى أنّ الموت على الكفر إنما يخاف من أجل اليأس من الرحمة، ﴿ذَهَبًا﴾: نصب على التمييز، وقرأ الأعمش: «ذهب»، بالرفع رداً على «ملء»، كما يقال: عندي عشرون نفساً رجال. فإن قلت: كيف موقع قوله: ، ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾[1]: ؟ قلت: هو كلام محمول على

---

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به. . .الخ» قال أحمد: لم يبين تطبيق لفظ الآية على هذا التقدير الذي ذهب إليه بوجه، ونحن نبين السبب الباعث له على إخراج الكلام عن ظاهره، ثم نقرر وجهاً يطابق الآية، وذلك أن هذه الواو المصاحبة للشرط تستدعي شرطاً آخر يعطف عليه الشرط المقترنة به ضرورة، والعادة في مثل ذلك أن يكون المنطوق به منبهاً على المسكوت عنه بطريق الأولى، مثاله قولك: أكرم زيداً ولو أساء، فهذه الواو عطفت المذكور على محذوف تقديره: أكرم زيداً لو أحسن ولو أساء، إلا أنك نبهت بإيجاب إكرامه إن أساء على أن إكرامه أن أحسن بطريق الأولى. ومنه ﴿كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ معناه ـ والله أعلم: لو كان الحق على غيركم، ولو كان عليكم، ولكنه ذكر ما هو أعسر عليهم، فأوجبه تنبيهاً على ما هو أسهل وأولى بالوجوب، فإذا تبين مقتضى الواو في مثل هذه المواضع وجدت آية آل عمران هذه مخالفة لهذا النمط ظاهراً، لأن قوله: ﴿ولو افتدى به﴾ يقتضي شرطاً آخر محذوفاً يكون هذا المذكور منها عليه بطريق الأولى، وهذه الحال المذكورة وهي حالة افتدائهم بملء الأرض ذهباً هي حالة أجدر الحالات بقبول الفدية، وليس وراءها حالة أخرى تكون أولى بالقبول منها، فلذلك قدر الكلام بمعنى: لن يقبل من أحد منهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً، حتى تبين حالة أخرى يكون الافتداء الخاص بملء الأرض ذهباً هو أولى بالقبول منها، فإذا انتفى حيث كان أولى فلأن ينتفي فيما عدا هذه الحالة أولى، فهذا كله بيان للباعث له على التقدير المذكور. وأما تنزيل الآية عليه فعسر جداً، فالأولى ذكر وجه يمكن تطبيق الآية عليه على أسهل وجه وأقرب مأخذ إن شاء الله فنقول: قبول الفدية التي هي ملء الأرض ذهباً يكون على أحوال: منها أن يؤخذ منه على وجه القهر فدية عن نفسه كما تؤخذ الدية قهراً من مال القاتل على قول. ومنها أن يقول المقتدي في التقدير: أفدي نفسي بكذا، وقد لا يفعل. ومنها أن يقول هذا القول وينجز المقدار الذي يفدي به نفسه ويجعله حاضراً عتيداً، وقد يسلمه مثلاً لمن يأمن منه قبول فديته. وإذا تعددت الأحوال فالمراد في الآية أبلغ الأحوال وأجدرها بالقبول، وهو أن يفتدي بملى الأرض ذهباً افتداء محققاً بأن يقدر على هذا الأمر العظيم ويسلمه وينجزه اختياراً، ومع ذلك لا يقبل منه؛ فمجرد قوله أبذل المال وأقدر عليه أو ما يجري هذا المجرى بطريق الأولى، فيكون دخول الواو والحالة هذه على بابها، تنبيهاً على أن ثم أحوالاً أخر لا ينفع فيها القبول بطريق الأولى بالنسبة إلى الحالة المذكورة. وقد ورد هذا المعنى مكشوفاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ والله أعلم. وهذا كله تسجيل بأنه لا محيص ولا مخلص لهم من الوعيد، وإلا فمن المعلوم أنهم أعجز عن الفلس في ذلك اليوم. ونظير هذا التقدير من الأمثلة أن يقول القائل: لا أبيعك هذا الثوب بألف دينار ولو سلمتها إلي في يدي هذه، فتأمل هذا النظر فإنه من السهل الممتنع. والله ولي التوفيق.

المعنى. كأنه قيل: فلن تقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً، ويجوز أن يراد: ولو افتدى بمثله[1]، كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ [الزمر: ٤٧] والمثل يحذف كثيراً في كلامهم، كقولك: ضربته ضرب زيد، تريد مثل ضربه، وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله «ولا هيثم الليلة للمطيّ» و«قضية ولا أبا حسن لها»، تريد: ولا مثل هيثم، ولا مثل أبي حسن، كما أنه يراد في نحو قولهم: مثلك لا يفعل كذا، تريد أنت، وذلك أنّ المثلين يسدّ أحدهما مسدّ الآخر فكانا في حكم شيء واحد، وأن يراد: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً كان قد تصدق به، ولو افتدى به أيضاً لم يقبل منه، وقرىء: «فلن يَقْبَلَ من أحدهم ملء الأرض ذهباً» على البناء للفاعل وهو الله عزّ وعلا، ونصب «ملء»، ومل كـ «رض» بتخفيف الهمزتين.

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾:

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ﴾: لن تبلغوا حقيقة البرّ، ولن تكونوا أبراراً، وقيل: لن تنالوا بر الله وهو ثوابه، ﴿حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها، وتؤثرونها كقوله: ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧] وكان السلف رحمهم الله إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله، وروي: أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال: يا رسو الله. إن أحبّ أموالي إليّ بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال رسول الله ﷺ «بخ بخ ذاك مال رابح أو مال رائح وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسمها في أقاربه. (٢٤٤) وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال: هذه

---

٢٤٤ ـ أخرجه مالك (٢/ ٩٩٥) كتاب الصّدقة، باب: الترغيب في الصّدقة حديث (٢).
ـ والبخاري (٤/ ٨٤) كتاب الزكاة، باب: الزكاة على الأقارب حديث (١٤٦١)، (٥/ ٢٦٣)، كتاب الوكالة، باب: «إذا قال الرّجل لوكيله: ضعه...» حديث (٢٣١٨)، (٦/ ٣٣) كتاب الوصايا، باب: إذا أوصى الرجل لأقاربه، حديث (٢٧٥٢)، (٦/ ٥٣)، باب: إذا وقف أرضاً ولم يبيّن الحدود فهو جائز...، حديث (٢٧٦٩)، (٨/ ٧١) كتاب التفسير، باب: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ إلى ـ ﴿عَلِيمٌ﴾ حديث (٤٥٥٤)، (١١/ ٢٠٣) باب: استعذاب الماء، حديث (٥٦١١).
ـ ومسلم (٢/ ٦٩٣) كتاب الزكاة، باب: فضل النفقة والصّدقة على الأقربين والزوج والأولاد، حديث (٩٩٨).
ـ والترمذي (٥/ ٢٢٤) كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران، حديث (٢٩٩٧). =

---

(١) (عاد كلامه) قال: «ويجوز أن يكون معنى الكلام ولو افتدي بمثله...الخ» قال أحمد: وعلى هذا النمط يجري الكلام على التأويل المتقدم لأنه نبه بعدم قبول مثلي ملء الأرض ذهباً على عدم قبول ملئها مرة واحدة بطريق الأولى.

في سبيل الله، فحمل عليها رسول الله أسامة بن زيد، فكأنّ زيداً وجد في نفسه وقال: إنما أردت أن أتصدق به. فقال رسول الله ﷺ: أما إن الله تعالى قد قبلها منك،(٢٤٥) وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى، فلما جاءت أعجبته فقال: إن الله تعالى يقول: ، ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: فأعتقها، ونزل بأبي ذرّ ضيف فقال للراعي ائتني بخير إبلي فجاء بناقة مهزولة. فقال: خنتني، قال: وجدت خير الإبل فحلها، فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال: إنّ يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي، (٢٤٦) وقرأ عبد الله: «حتى تنفقوا بعض ما تحبون»، وهذا دليل على أنّ «مِن» في، ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: للتبعيض، ونحوه: أخذت من المال، و«من» في، ﴿مِن شَىْءٍ﴾: لتبيين ما تنفقوا، أي: من أي شيء كان طيباً تحبونه أو خبيثاً تكرهونه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه.

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ

= ـ وأحمد (٣/٢٥٦، ١١٥، ١٧٤، ٢٦٢).
ـ والدارمي (١/ ٣٩٠) كتاب الزكاة، باب: أيُّ الصّدقة أفضل.
ـ والبيهقي في سننه (٦/ ١٦٤) كتاب الوقف، باب: الصدقة في الأقربين.
ـ وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٨٩) وعزاه لمالك وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي والنّسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أنس، وذكر الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

٢٤٥ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٦، ٥٩٢)، حديث (٧٣٩٧)، من طريق عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن عمرو بن دينار قال: فذكره.
قال الشيخ أحمد شاكر: هذا حديث مرسل، لأن عمرو بن دينار تابعي. داود بن عبد الرحمن العطار المكي: ثقة من شيوخ الشافعي ووثّقه ابن معين، وأبو داود، وغيرهما، عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث، المكي النّوفلي: ثقة. أخرج له الجماعة. ا.هـ.
وأخرجه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب ومن طريقه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٩٢)، بنحو حديث عمرو بن دينار، وهذا الحديث معضل، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه عبد الرزاق في تفسيره والطبري من طريقه: أخبرنا معمر عن أيوب وغيره «أنه لمّا نزلت ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ جاء زيد بن حارثة بفرس له ـ فذكره) وهو معضل ـ وأخرجه الطبري من رواية عمرو بن دينار نحوه مرسلاً، ورجاله ثقات. انتهى.

٢٤٦ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٨٨)، رقم (٧٣٩٢) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد به.
وأخرجه الواحدي في الوسيط (١/ ٤٦٣) من حديث ابن أبي نجيح عن مجاهد به، وقال الحافظ ابن حجر: رواه الطبراني من رواية أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال: «كتب عمر إلى أبي موسى ـ فذكره» انتهى.

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾: كل المطعومات أو كل أنواع الطعام، والحل مصدر. يقال: حل الشيء حلا كقولك: ذلت الدابة ذلاً، وعزّ الرجل عزاً، وفي حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ: كنت أطيبه لحله وحرمه، (٢٤٧) ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث

---

٢٤٧ ـ أخرجه البخاري (٣/ ٣٩٦): كتاب الحج: باب الطيب عند الإحرام، وما يلبس إذا أراد أن يحرم ويترجّل ويدّهن، حديث (١٥٣٩)، ومسلم (٢/ ٨٤٦): كتاب الحج: باب الطيب للمحرم عند الإحرام، حديث (٣٣/ ١١٨٩)، وأبو داود (٢/ ٣٥٨، ٣٥٩): كتاب المناسك (الحج): باب الطيب عند الإحرام، حديث (١٧٤٥)، والترمذي (٣/ ٢٥٩): كتاب الحج: باب ما جاء في الطيب عند الإحلال قبل الزيارة، حديث (٩١٧)، والنسائي (٥/ ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨): كتاب الحج: باب الطيب عند الإحرام، وابن ماجه (٢/ ٩٧٦): كتاب المناسك: باب الطيب عند الإحرام، حديث (٢٩٢٦)، ومالك (١/ ٣٢٨): كتاب الحج: باب ما جاء في الطيب في الحج، حديث (١٧)، وابن الجارود (٤١٤)، والشافعي في «المسند» (ص: ١٢٠)، والحميدي (١/ ١٠٤)، رقم (٢١٠)، والدارمي (٢/ ٣٣): كتاب الحج: باب الطيب عند الإحرام وأحمد (٦/ ١٨١، ١٨٦، ١٩٢، ٢٠٠) وابن خزيمة (٤/ ١٥٥).
والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ١٣٠): باب الطيب للمحرم والبيهقي (٥/ ٣٤) وابن طهمان في مشيخته (٢٠، ١٦٠، ١٦٣) والدارقطني (٢/ ٢٧٤) من طرق عن القاسم عن عائشة به.
وقال الترمذي: حسن صحيح.
وأخرجه مسلم (٢/ ٨٤٦) كتاب الحج: باب الطيب للمحرم عند الإحرام حديث (٣١/ ١١٨٩)، والنسائي (٥/ ١٣٦ ـ ١٣٧) كتاب المناسك: باب إباحة الطيب عند الإحرام والشافعي في «المسند» (ص ـ ١٢٠) والحميدي (١/ ١٠٥) رقم (٢١١) والبيهقي (٥/ ٣٤) وأبو يعلى (٧/ ٣٥٣) رقم (٤٣٩١) من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت: طيّبت رسول الله ـ ﷺ ـ لإحرامه وطيّبته لإحلاله قبل أن يطوف بالبيت.
وأخرجه البخاري (١٠/ ٣٨٢) كتاب اللباس: باب ما يستحب من الطيب حديث (٥٩٢٨) ومسلم (٢/ ٨٤٧) كتاب الحج: باب الطيب للمحرم عند الإحرام (٣٦، ٣٧/ ١١٨٩) والنسائي (٥/ ١٣٧ ـ ١٣٨) كتاب المناسك باب إباحة الطيب عند الإحرام والدارمي (٢/ ٣٣) كتاب المناسك: باب الطيب عند الإحرام وأحمد (٦/ ١٣٠، ١٦٢) والحميدي (١/ ١٠٦) رقم (٢١٣) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ١٣٠) والبيهقي (٥/ ٣٤) من طريق عثمان بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كنت أطيّب النبيَّ ـ ﷺ ـ عند إحرامه بأطيب ما أجد وهذا لفظ البخاري.
وأخرجه البخاري (٣/ ٣٩٦) ومسلم (٢/ ٨٤٧) كتاب الحج: باب الطيب للمحرم عند الإحرام (٣٩/ ١١٩٠) وأبو داود (١/ ٥٤٤) كتاب المناسك: باب الطيب عِند الإحرام (١٧٤٦) والنّسائي (٥/ ١٤٠) وابن ماجه (٢/ ٩٧٧) كتاب المناسك: باب الطيب عن الإحرام (٢٩٢٨) وأحمد (٦/ ٣٨، ٢٤٥) وابن الجارود (٤١٥) وابن خزيمة (٤/ ١٥٧) رقم (٢٥٨٧) والطيالسي (١٣٧٨) والحميدي (١/ ١٠٦) رقم (٢١٥) والبيهقي (٥/ ٣٤) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠) من طريق الأسود عن عائشة قالت: كأنّي أنظر إلى وبيص الطيب في مفرق رسول الله ـ ﷺ ـ وهو محرم.

والواحد والجمع. قال الله تعالى: ﴿لاهنَّ حلٌّ لهم﴾ [الممتحنة: ١٠] والذي حرم إسرائيل وهو يعقوب ـ عليه السلام ـ على نفسه لحوم الإبل وألبانها وقيل العروق. كان به عرق النسا، فنذر إن شفي أن يحرّم على نفسه أحب الطعام إليه، وكان ذلك أحبه إليه فحرّمه، وقيل: أشارت عليه الأطباء باجتنابه، ففعل ذلك بإذن من الله، فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلالاً لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه، وهو رد على اليهود وتكذيب لهم، حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] إلى قوله تعالى: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦١] وفي قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ [الأنعام: ١٤٦] إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا[1] مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم، فقالوا: لسنا بأوّل من حرّمت عليه، وما هو إلا تحريم قديم، كانت محرّمة على نوح وعلى إبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل وهلم جرا، إلى أن انتهى التحريم إلينا، فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا، وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصدّ عن سبيل الله وأكل الربا وأخذ أموال الناس بالباطل، وما عدّد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حُرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم، ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾: أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم مما هو ناطق به من أن تحريم ما حرّم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم، لا تحريم قديم كما يدعونه، فروي أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين، وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي ﷺ، وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه، ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: بزعمه أن ذلك كان محرماً على بني إسرائيل قبل إنزال التوراة من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون إلى البينات.

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾: تعريض بكذبهم كقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦] أي: ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون، ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾: وهي

= قال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديثها. انتهى.

---

(١) قوله: «واشمأزوا منه وامتعضوا» أي غضبوا منه وشق عليهم، أفاده الصحاح (ع).

ملة الإسلام التي عليها محمد ومن آمن معه، حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم، حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم، وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾: صفة لـ «بيت»، والواضع هو الله عز وجلّ، تدل عليه قراءة من قرأ «وضع للناس» بتسمية الفاعل وهو الله، ومعنى وضع الله بيتا للناس، أنه جعله متعبداً لهم، فكأنه قال: إن أوّل متعبد للناس الكعبة، وعن رسول الله ﷺ: أنه سئل عن أوّل مسجد وضع للناس فقال: «المسجد الحرام. ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة»، (٢٤٨) وعن عليّ رضي الله عنه أن رجلاً قال له: أهو أوّل بيت؟ قال: لا، قد كان قبله بيوت، ولكنه أوّل بيت وضع للناس مباركاً فيه الهدى والرحمة والبركة، وأوّل من بناه إبراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش، (٢٤٩) وعن ابن عباس: هو أوّل بيت حُجَّ بعد الطوفان، (٢٥٠) وقيل: هو أوّل بيت ظهر

---

٢٤٨ ـ أخرجه البخاري (٦/٤٦٩) كتاب أحاديث الأنبياء باب (١٠) حديث (٣٣٦٦) ومسلم (٣/ ٥ ـ نووي) كتاب المساجد: حديث (١، ٢/ ٥٢٠) والنسائي (٢/ ٣٢) كتاب المساجد: باب ذكر أيّ مسجد وضع أوّلاً وابن ماجه (١/ ٢٤٨) كتاب المساجد باب أيّ مسجد وضع أوّلاً حديث (٧٥٣) وأبو عوانة (١/ ٣٩١، ٣٩٢) وأحمد (٥/ ١٦٠، ١٦٦) وعبد الرزاق (١٥٧٨) والحميدي (١٣٤) وابن أبي شيبة (٢/ ٤٠٢) وابن خزيمة (١٢٩٠) وابن حبّان (١٥٩٨، ٦٢٢٨) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٣٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٣٣) وفي «دلائل النبوة» (٢/ ٤٣) كلّهم من طريق الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر به.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: متفق عليه من حديث أبي ذرّ ـ رضي الله عنه ـ قال: «سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن أول مسجد وضع للناس، قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: بيت المقدس. قلت: كم بينهما؟ قال أربعون عاماً. ثمّ الأرض لك مسجد فحيث أدركتك الصّلاة فصلّ» انتهى.

٢٤٩ ـ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٠٢)، رقم (٩٦٢) من طريق مجالد عن الشعبي عن عليّ به.
ـ والطبري في تفسيره (٧/ ١٩) رقم (٧٤٢٢)، من طريق شعبة عن سماك عن خالد بن عرعرة قال: قام رجل إلى عليّ فقال: بنحوه.

٢٥٠ ـ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٣١)، رقم (٣٩٨٤) من طريق عبد الملك بن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ أوّل بقعة وضعت في الأرض موضع البيت ثم مدت منه الأرض، وإن أول جبل وضعه الله عزّ وجلّ في الأرض أبو قبيس ثم مدت منه الجبال.

على وجه الماء عند خلق السماء والأرض، خلقه قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض تحته، وقيل: هو أوّل بيت بناه آدم في الأرض، وقيل: لما هبط آدم قالت له الملائكة: طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بألفي عام، وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له: الضراح، فرفع في الطوفان إلى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات، ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾: البيت الذي ببكة، وهي عَلَمٌ للبلد الحرام، ومكة وبكة لغتان فيه، نحو قولهم: النبيط والنميط، في اسم موضع بالدهناء، ونحوه من الاعتقاب: أمر راتب وراتم، وحمى مغمطة ومغبطة[1] وقيل: مكة، البلد، وبكة: موضع المسجد، وقيل اشتقاقها من «بكه» إذا زحمه لازدحام الناس فيها، وعن قتادة: يَبُكُّ الناس بعضهم بعضاً الرجال والنساء، يصلي بعضهم بين يدي بعض، لا يصلح ذلك إلا بمكة كأنها سميت ببكة وهي الزحمة. قال [من الزجر]:

إذَا الشَّرِيبُ أَخَذَتْهُ الأَكَّهْ فَخَلِّهِ حَتى يَبُكَّ بَكَّهْ[2]

وقيل: تبك أعناق الجبابرة أي: تدقها. لم يقصدها جبار إلا قصمه الله تعالى. ، ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب، وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف، لأن التقدير للذي ببكة هو، والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار، ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾: لأنه قبلتهم ومتعبدهم، ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾: عطف بيان لقوله: ، ﴿ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾: . فإن قلت: كيف صح بيان الجماعة بالواحد[3]؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة إبراهيم من تأثير قدمه في حجر صلد، كقوله

---

(١) قوله: «وحمي مغمطة ومغبطة» في الصحاح: أغمطت عليه الحمى لغة في أغبطت، أي دامت اهـ.

(٢) يقول إذا أخذت «الأكة» وهي سوء الخلق «الشريب» الذي يشرب معك، أو الذي يسقي بإبله معك، كأنها ملكته واستولت عليه «فخله» أي اتركه حتى يقتطع من الماء قطعة، أو حتى يزدحم بإبله على الماء مرة، من الازدحام. وهذا وصية بمكارم الأخلاق، والحلم عند الغضب، والسماحة.
البيت لعامان بن كعب، ينظر تاج العروس (بكك)، لسان العرب: (شرب)، (أكك)، (بكك)، وجمهرة اللغة ٥٨، ٧٤، ٣١١، ومقاييس اللغة: ١/ ١٨، ١٨٦، ومجمل اللغة: ١/ ١٤٩ وديوان الأدب: ٣/ ١٢٩.

(٣) قال محمود: إن قلت: كيف صح بيان الجماعة بالواحد. . .الخ؟ قال أحمد: ونظير هذا التأويل ما تقدم لي عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ قال محمود فيما تقدم «والذي صدر منهم أمنية واحدة، فما وجه جمعها» وبينت فيها هذا بعينه، وهو أن الشيء الواحد متى أريد تمكينه وامتيازه عن غيره من صفة جمع، أفاد الجمع فيه ذلك، وقد لاح لي الآن في جمع الأماني، ثم وجه آخر، وذلك أن كل واحد منهم صدرت منه هذه الأمنية، فجمعها بهذا الاعتبار تنبيهاً على تعددها بتعددهم، والعجب أن الجمع في مثل هذا هو الأصل، وأن الإفراد إنما يقع فيه على نوع ما من الاختصار. ومنه: كلوا في بعض بطنكم تصحوا.

تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] والثاني: اشتماله على آيات[(١)] لأنّ أثر القدم في الصخرة الصماء آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، وإلانة بعض الصخر دون بعض آية، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لإبراهيم خاصة، وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنّة آية، ويجوز أن يراد فيه آيات بينات مقام إبراهيم، وأمن من دخله، لأنّ الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والأربعة[(٢)]، ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما. دلالة على تكاثر الآيات، كأنه قيل: فيه آيات بينات مقام إبراهيم، وأمن من دخله، وكثير سواهما، ونحوه في طيّ الذكر قول جرير [من الكامل]:

كَانَتْ حَنِيفَةُ أَثْلاَثاً فَثُلْثُهُمْ ... مِنَ الْعَبِيدِ وَثُلْثٌ مِنْ مَوَالِيهَا[(٣)]

ومنه قوله عليه الصلاة: والسلام: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وقرة عيني في الصلاة» (٢٥١) وقرأ ابن عباس وأبيّ ومجاهد وأبو جعفر المدني في رواية

---

٢٥١ ـ أخرجه النسائي (٧/ ٦١ ـ ٦٢) في عشرة النساء، باب حبّ النساء وأحمد (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ـ ﷺ ـ وآدابه ص (٢٢٩ ـ ٢٣٠)، وأبو يعلى (٣٤٨٢، ٣٥٣٠)، والحاكم (٢/ ١٦٠)، والطبراني في الصغير (١/ ٢٦٢) من حديث أنس مرفوعاً، حُبّب إليّ النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصّلاة.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: قد تقدّم أنّه أورده عند قوله تعالى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ مختصراً. وقد تقدم أن النسائي أخرجه من طريق سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان ومن طريق سلام بن مسكين، كلاهما عن ثابت عن أنس. ومن طريق سيار. رواه أحمد في الزهد =

---

(١) عاد كلامه. قال: الوجه الثاني اشتماله على آيات لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، وإلانة بعض الصخر دون بعض آية، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء آية، وحفظه مع كثرة عدوه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنة آية، ويجوز أن يريد مقام إبراهيم وأمن من دخله، وكثيراً سواهما والله أعلم.

(٢) قال السمين الحلبي: وردّ عليه الشيخ هذا من جهة تخالفهما تعريفاً فيتبعون النكرة النكرة والمعرفة المعرفة، وتبعهم في ذلك أبو علي الفارسي، وأما البصريون فلا يجوز عندهم إلا أن يكونا معرفتين، ولا يجوز أن يكونا نكرتين، وكل شيء أورده الكوفيون مما يوهم جواز كونه عطفاً جعله البصريون بدلاً، ولم يقم دليلاً للكوفيين». انتهى. الدر المصون.

(٣) الجرير يقول: كانت [هذه القبيلة منقسمة أثلاثاً، فثلثها من العبيد الأرقاء، وثلثها من عتقي القبيلة أو من عتقي العبيد. وعليه فالإضافة على معنى «من» ولم يذكر الثلث الثالث، لأنه من المعلوم أنه لم يبق إلا السادة الأشراف، بدليل الحصر في الأثلاث، والترقي من العبيد إلى العتقي. وهذا يحتمل الذم، وأن ثلث القبيلة فقط كرام والباقي لئام. ويحتمل المدح وأن خدمهم من العبيد كثير].

ينظر: البيت في ديوانه ص ٧٠٧، والبحر المحيط ٣/ ١٠، وروح المعاني ٤/ ٦، وحاشية الشهاب ٣/ ٤٨، والدر المصون ٢/ ١٧٠.

قتيبة: «آية بينة»، على التوحيد، وفيها دليل على أنّ مقام إبراهيم واقع وحده عطف بيان. فإن قلت: كيف أجزت أن يكون مقام إبراهيم والأمن عطف بيان للآيات؟ وقوله: ، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾: جملة مستأنفة إما ابتدائية وإما شرطية؟ قلت: أجزت ذلك من حيث المعنى، لأن قوله: ، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾: دلّ على أمن داخله، فكأنه قيل: فيه آيات بينات: مقام إبراهيم، وأمن داخله. ألا ترى أنك لو قلت: فيه آية بينة، من دخله كان آمناً صحّ، لأنه في معنى قولك: فيه آية بينة، أمن من دخله. فإن قلت: كيف كان سبب هذا الأثر؟ قلت: فيه قولان: أحدهما: أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه، وقيل: إنه جاء زائراً من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل: انزل حتى يغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه، ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر، فبقي أثر قدميه عليه، ومعنى، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾: معنى قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] وذلك بدعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب، وعن عمر رضي الله عنه «لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه» (٢٥٢) وعند أبي حنيفة: من لزمه القتل في الحل بقصاص

= والحاكم في المستدرك. ومن طريق سلام أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وابن سعد والبزّار وأبو يعلى، وابن عديّ في الكامل، وأعلّه به، والعقيلي في الضعفاء كذلك. وقال الدارقطني في علله. رواه أبو المنذر سلام. وسلام بن أبي الصهباء وجعفر بن سليمان، فرووه عن ثابت عن أنس، وخالفهم حمّاد بن زيد عن ثابت مرسلاً. وكذا رواه محمد بن ثابت البصري. والمرسل أشبه بالصّواب. وقد رواه عبد الله بن أحمد في زيادات الزهد عن غير أبيه من طريق يوسف بن عطية، عن ثابت مرسلاً أيضاً. ويوسف ضعيف. وله طريق أخرى معلولة عند الطبراني في الأوسط عن محمد بن عبد الله الحضرمي عن يحيى بن عثمان الحربي عن المقل بن زياد عن الأوزاعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس مثله قلت: ليس في شيء من طرقه لفظ «ثلاث» بل أوّله عند الجميع «حُبّب إليّ من دنياكم النّساء ـ الحديث» وزيادة «ثلاث» تفسد المعنى، على أنّ الإمام أبا بكر بن فورك شرحه في جزء مفرد بإثباتها، وكذلك أورده الغزالي في الإحياء واشتهر على الألسنة. انتهى.

٢٥٢ ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنّفه (٥/ ١٥٣)، كتاب الحج، باب: ما يبلغ الإلحاد ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ رقم (٩٢٢٨)، من طريق ابن أبي حسين يحدّث عن عكرمة بن خالد قال: قال عمر... وذكره.

وعزاه الزيلعي لأبي الوليد الأزرقي في تاريخ مكة، عن ابن جريج به. قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق في كتاب الحج من مصنّفه وأبو الوليد الأزرقي في تاريخ مكة من طريقه عن ابن جريج سمعت ابن أبي حسين عن عكرمة بن خالد قال: قال عمر بهذا وهذا منقطع. انتهى.

أوردّة أو زنى فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له، إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج، وقيل: آمنا من النار، وعن النبي ﷺ «من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا» (٢٥٣) وعنه عليه الصلاة والسلام «الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة» (٢٥٤) وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود: وقف

---

٢٥٣ ـ جاء من حديث جابر، وأنس وسلمان وعمر وحاطب، أما حديث جابر: ذكره المتقى الهندي في الكنز (١٢/ ٢٧١)، حديث (٣٥٠٠٥) وعزاه للطيالسي وابن عديّ (٤/ ١٤٥٥) وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ١٩٨) لابن عديّ في الكامل وأعلّه بعبد الله بن المؤمل.

ـ وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه موسى بن عبد الرحمن المسروقي وقد ذكره ابن حبان في الثقات، عبد الله بن المؤمل وثقه ابن حبّان وغيره وضعّفه أحمد وغيره وإسناده حسن.

ـ وأما حديث أنس فرواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٩٠) حديث (٤١٥٨)، ولفظه (من مات في أحد الحرمين بُعث من الآمنين يوم القيامة، ومن زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة).

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ١٩٨) لإسحاق بن راهويه في مسنده.

ـ وأما حديث سلمان، فرواه البيهقي في الشعب والطبراني في الكبير، كما في الكنز (١٢/ ٢٧١) رقم (٣٥٠٠٦).

ـ وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٢٢) باب: فيمن مات في أحد الحرمين: رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الغفور بن سعيد، وهو متروك.

ـ وأما حديث عمر، فرواه البيهقي في الشعب (٣/ ٤٨٨)، حديث (٤١٥٣).

ـ وأما حديث حاطب: فرواه الدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨) كتاب الحج، باب: المواقيت، من طريق هارون بن أبي قزعة، عن رجل من آل حاطب، عن حاطب قال: بنحوه.

ـ وعبد الرزاق في مصنّفه (٩/ ٢٦٧)، حديث (١٧١٦٦) من طريق غالب بن عبيد الله، رفع الحديث بنحوه، وقال ابن حجر في تخريج الكشاف:

قال إسحاق: أخبرنا عيسى بن يونس حدّثنا ثور بن يزيد حدّثني شيخ عن أنس به. ورواه البيهقي في الشعب من طريق ابن أبي فديك عن سليمان بن يزيد الكعبي عن أنس به وزاد: «من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة» وأخرجه أبو داود الطيالسي تاماً من حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ بإسناد فيه ضعف، وهو مجهول، وقال عبد الرزاق في مصنّفه، أخبرنا يحيى بن العلاء وغيره، وغالب بن عبيد الله يرفعه، فذكره، ويحيى وغالب ضعيفان جداً وأخرجه الدارقطني من رواية هارون بن أبي قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب بتمامه، وهو معلول «ورواه الطبراني في الأوسط والصغير، من وجهين عن عبد الله بن المؤمل عن أبي الزبير عن جابر دون الزيادة، وأورده ابن عديّ في ترجمة عبد الله بن المؤمل: وأخرجه البيهقي في الشعب والطبراني من حديث عبد الغفور بن سعيد الأنصاري عن أبي هاشم الرماني عن زاذان عن سلمان قال البيهقي: عبد الغفور ضعيف، وقد رُوي بإسناد أحسن من هذا، ثم ذكر طريق عبد الله بن المؤمل، وقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق عبد الغفور ونقل عن ابن حبّان أنه قال: كان يضع الحديث. قلت: وهذا من غلط ابن الجوزي في تصرّفه فإنه لم يختص بعبد الغفور. انتهى.

٢٥٤ ـ ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٥١)، حديث (١١١٢) وقال: ذكره في «الكشاف» وبيّض له =

رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ـ على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة، فقال: «يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر، (٢٥٥) يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر» وعن النبي ﷺ: «من صبر على حرّ مكة ساعة من نهار، تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام»، (٢٥٦) ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾: بدل من الناس، وروي: أنّ رسول الله ﷺ فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة، (٢٥٧) وكذا عن ابن عباس وابن عمر

= الزيلعي في تخريجه وتبعه الحافظ ابن حجر وسكت عليه السّخاوي، وقال القاريء: لا يعرف له أصل. أ.هـ.

وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ١٩٩): غريب جداً.
وقال ابن حجر: لم أجده. انتهى.

٢٥٥ ـ ذكره المتقي الهندي في الكنز (١٢/ ٢٦٢)، حديث (٣٤٩٦٠) وعزاه للديلمي عن ابن مسعود.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: لم أجده. انتهى.

٢٥٦ ـ أخرجه الديلمي في الفردوس (٤/ ١١٩)، حديث (٥٨٧١) من طريق أنس بن مالك.
وأخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ٢٢٦)، من طريق عطاء عن ابن عباس، وقال العقيلي: هذا حديث باطل، لا أصل له.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: هكذا ذكره أبو الوليد الأزرقي في تاريخ مكة، لكن بغير إسناد وقد أخرجه العقيلي في ترجمته الحسن بن رشيد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رفعه «من صبر في حرّ مكة ساعة باعد الله منه جهنم سبعين خريفاً، وقال هذا باطل، لا أصل له، والحسن بن رشيد يُحدّث بالمناكير. وأورده أبو شجاع في الفردوس من حديث أنس، بلفظ «تباعدت عنه جهنّم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنّة مائة عام». انتهى.

٢٥٧ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصّحابة وهم أنس بن مالك وابن عمر وابن عباس وعائشة وجابر وابن مسعود وابن عمرو بن العاص والحسن مرسلاً.
حديث أنس:
أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٦) كتاب الحج حديث (٦، ٧) والحاكم (١/ ٤٤٢) من طريق علي بن سعيد بن مسروق الكندي ثنا ابن أبي زائدة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن النبي ـ ﷺ ـ في قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ قال: قيل: يا رسول الله ما السّبيل قال: الزاد والراحلة.
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد تابع حمّاد بن سلمة سعيداً على روايته عن قتادة ووافقه الذهبي.
ثم أخرجه من طريق حمّاد بن سلمة عن قتادة عن أنس به.
وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وذكره البيهقي معلّقاً من طريق سعيد بن أبي عروبة (٤/ ٢٣٠).
وقال: ولا أراه إلاّ وهماً.
ثم أخرجه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن به مرسلاً.
وقال: هذا هو المحفوظ عن قتادة عن الحسن عن النبي ـ ﷺ ـ مرسلاً رواه يونس بن عبيد عن =

وعليه أكثر العلماء، وعن ابن الزبير: هو على ....

= الحسن، أما الطريق الثاني الذي خرجه الحاكم وصحّحه على شرط مسلم ذكره الحافظ ابن حجر في «التلخيص» (٢/ ٢٢١) وقال: إلاّ أن الراوي عن حمّاد هو أبو قتادة عبد الله بن واقد الحراني وقد قال أبو حاتم: هو منكر الحديث.

حديث ابن عمر:

أخرجه الترمذي (٣/١٧٧) كتاب الحج: باب ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة (٨١٣) وابن ماجه (٢/٩٦٧) كتاب المناسك: باب ما يوجب الحج (٢٨٩٦) والشافعي في «المسند» (١/ ٢٨٤) كتاب الحج: باب فيما جاء في فرض الحج وشروطه (٧٤٤) والطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٦٤) والدارقطني (٢/ ٢١٧) كتاب الحج حديث (٩، ١٠) وابن عديّ في «الكامل» (١/ ٢٢٦) والبيهقي (٤/ ٣٣٠) وفي «شعب الإيمان» (٣/ ٤٢٨) رقم (٣٩٧٤) من طريق إبراهيم بن يزيد الخوزي عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابن عمر به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن وإبراهيم بن يزيد هو الخوزي المكي قد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه.

وقال البيهقي: ضعّفه أهل العلم بالحديث.

قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ٨): وإبراهيم بن يزيد قال في «الإمام» قال فيه أحمد والنّسائي وعلي بن الجنيد: متروك.

وقال ابن معين: ليس بثقة وقال مرة: ليس بشيء وقال الدارقطني: منكر الحديث.

وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص» (٢/ ٢٢١): وهو من رواية إبراهيم الخوزي وقد قال فيه أحمد والنّسائي: متروك الحديث.

وقال في «التقريب» (١/ ٤٦) رقم (٣٠٣) إبراهيم بن يزيد الخوزي متروك الحديث.

وقد توبع إبراهيم على هذا الحديث تابعه محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي.

أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٧) كتاب الحج رقم (٩) من طريقه عن محمد بن عباد عن ابن عمر به.

قال البيهقي (٤/ ٣٣٠): وقد تابعه ـ أي إبراهيم الخوزي ـ محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي إلاّ أنه أضعف من إبراهيم بن يزيد.

وللحديث طريق آخر عن ابن عمر:

قال ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٢٩٧) رقم (٨٩١): سألت علي بن الحسين بن الجنيد عن حديث رواه سعيد بن سلام العطار عن عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر عن النبي ـ ﷺ ـ في قوله: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾.

قال الزاد والراحلة قال: هذا حديث باطل. ا.هـ.

وعلّته سعيد بن سلام العطار.

قال أحمد كذّاب وكذّبه ابن نمير، وقال البخاري: يذكر بوضع الحديث وقال النّسائي: ضعيف، وقال أبو حاتم: منكر الحديث جداً. ينظر المغني (١/ ٢٦٠) واللسان (٣/ ٣١ ـ ٣٢) فيظهر مما سبق أن طرق الحديث عن ابن عمر كلّها ضعيفة والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٩٩) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

حديث ابن عباس:

أخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٦٧) كتاب المناسك: باب ما يوجب الحج حديث (٢٨٩٧) ثنا سويد بن سعيد ثنا هشام بن سليمان القرشي عن ابن جريج قال: وأخبرنيه أيضاً عن عطاء عن عكرمة عن ابن =

= عباس أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «الزاد والراحلة» يعني قوله: من استطاع إليه سبيلاً.
قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ٩): قال في «الإمام»: وهشام بن سليمان بن عكرمة قال أبو حاتم: مضطرب الحديث ومحلّه الصّدق ما أرى به بأساً. ا.هـ.
قلت: وابن عطاء هو عمر بن عطاء بن وراز روى له أبو داود وابن ماجه.
وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٦١): ضعيف.
وله طريق آخر عن ابن عباس:
أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٨) كتاب الحج رقم (١٤) من طريق حصين بن مخارق عن محمد بن خالد عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس به.
قال أبو الطيب آبادي في «التعليق المغني»: (٢/ ٢١٨): حصين بن مخارق قال الدارقطني: يضع الحديث ونقل ابن الجوزي أن ابن حبّان قال: لا يجوز الاحتجاج به.
وله أيضاً طريق ثالث.
أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٨) من طريق داود بن الزبرقان عن عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس به.
قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ٩): وأخرجه الدارقطني في «سننه» عن داود بن الزبرقان عن عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس وأخرجه أيضاً عن حصين بن المخارق عن محمد بن خالد عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس... وداود وحصين كلاهما ضعيف.
حديث عائشة:
أخرجه العقيلي (٣/ ٣٣٢) والدارقطني (٢/ ٢١٧) والبيهقي (٤/ ٣٣٠) من طريق عتاب بن أعين عن سفيان الثوري عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أمه عن عائشة في قول الله عزّ وجلّ: «﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. قال: سأل رجل رسول الله ـ ﷺ ـ عن ذلك فقال: السّبيل الزاد والراحلة.
قال العقيلي: عتاب في حديثه وهم.
ثم أخرجه من طريق سفيان عن إبراهيم الخوزي عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابن عمر به.
وقال: هذا أولى على ضعفه أيضاً.
قال البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٣/ ٤٧٨):
ورُوي عن الثوري عن يونس عن الحسن عن أمه عن عائشة موصولاً وليس بمحفوظ.
حديث جابر:
أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٥) كتاب الحج حديث (١) من طريق عبد الملك بن زياد النصيبي ثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبي الزبير أو عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال رجل: يا رسول الله ما السبيل؟ قال الزاد والراحلة.
وذكره الغسّاني في «تخريج الأحاديث الضعاف من سنن الدارقطني» (ص ـ ٢٥٦) وقال: محمد بن عبد الله بن عبيد ضعيف.
وبه ضعفه الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ١٠) فقال: ومحمد بن عبد الله بن عبيد أجمعوا على ضعفه وتركه.
حديث ابن مسعود: =

قدر القوّة، (٢٥٨) ومذهب مالك أن الرجل إذا وثق بقوته لزمه، وعنه: ذلك على قدر

= أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٦) من طريق بهلول بن عبيد عن حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي - ﷺ - في قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: قيل يا رسول الله ما السّبيل قال: الزاد والراحلة.

قال الغسّاني: بهلول متروك.

وقال أبو الطيب آبادي في «التعليق المغني» (٢/ ٢١٦): بهلول بن عبيد قال أبو حاتم: ضعيف الحديث ذاهب وقال أبو زرعة ليس بشيء وقال ابن حبّان: يسرق الحديث ا.هـ.

وذكره برهان الدين الحلبي في كتابه «الكشف الحثيث عمن رُمي بوضع الحديث» (ص - ١١٥) وقال: ذكر شيخنا الحافظ العراقي في شرح الألفية له في المقلوب فيما قرأته عليه أنه من الوضّاعين.

وذكره أيضاً ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٤٣) في ذكر أسماء الوضّاعين والكذّابين فقال: بهلول بن عبيد الكندي الكوفي قال الحاكم وأبو سعيد البقال: روى موضوعات.

حديث عبد الله بن عمرو:

أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٥) من طريق عبد الله بن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عن النبي - ﷺ - قال: السّبيل إلى البيت الزاد والراحلة.

قال الحافظ الغسّاني في «تخريج الأحاديث الضعاف من سنن الدارقطني» (ص - ٢٥٦): ابن لهيعة ضعيف. ا.هـ.

وقد تابعه محمد بن عبيد الله العرزمي.

أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٥) من طريقه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه.

قال أبو الطيب آبادي في «التعليق المغني» (٢/ ٢١٦): محمد بن عبيد الله هو محمد بن عبيد الله بن ميسرة العرزمي الكوفي قال أحمد بن حنبل: ترك الناس حديثه وقال ابن معين: لا يكتب حديثه وقال الفلاس: متروك.

قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ١٠): قال الشيخ في «الإمام»: وقد خرّج الدارقطني هذا الحديث عن جابر وأنس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن مسعود وعائشة وليس فيها إسناد يُحتجّ به.

وقال الحافظ في «التلخيص» (٢/ ٢٢١): قال عبد الحق: إن طرقه كلّها ضعيفة وقال أبو بكر بن المنذر: لا يثبت الحديث في ذلك مسنداً والصّحيح من الروايات رواية الحسن المرسلة.

مرسل الحسن:

أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٩٠) والطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٦٤) رقم (٧٤٨٤) والدارقطني (٢/ ٢١٨) والبيهقي (٤/ ٣٢٧) وأبو داود في «المراسيل» (ص - ١٤٣ - ١٤٤) من طريق يونس عن الحسن قال: لما نزلت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: قيل يا رسول الله ما السّبيل قال: الزاد والراحلة.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٩٩) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

وقد روى الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٦١، ٣٦٢) هذا موقوفاً على عمر بن الخطاب وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري وأخرجه ابن أبي شيبة عن مجاهد وسعيد بن جبير والحسن وعطاء كما في «الدر المنثور» / ٢/ ١٠٠). =

الطاقة، وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر، وقد يقدر عليه من لا زاد له ولا راحلة، وعن الضحاك: إذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع، وقيل له في ذلك فقال: إن كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه؟ (٢٥٩) بل كان ينطلق إليه ولو حبواً فكذلك يجب عليه الحج، والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾: للبيت أو للحج، وكلُّ مأتيّ إلى الشيء فهو سبيل إليه وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد[1]، ومنها قوله: ، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ

= وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي وابن ماجه، من حديث عمر، بلفظ السّبيل الزاد والراحلة، فيه إبراهيم بن يزيد الجوزي. وهو ضعيف والحاكم من حديث أنس، وهو معلول. وأخرجه الدارقطني والحاكم من رواية قتادة عن أنس، لكن قال البيهقي: الصّواب عن قتادة عن الحسن مرسلاً، وأخرجه ابن ماجه عن ابن عباس، وإسناده ضعيف، والصّحيح عنه قوله. كما أخرجه ابن المنذر. وقال: لا يثبت مرفوعاً. وفي الباب عن علي وابن مسعود. وعائشة وجابر وعبد الله بن عمر. وأخرجها الدارقطني بأسانيد ضعيفة. انتهى.

٢٥٨ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/٤٣)، رقم (٧٤٩٢) من طريق رجل عن ابن الزبير.

٢٥٩ ـ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٤٢٦)، رقم (١٠٢٨) من طريق جويبر عن الضحّاك بلفظ (إن كان فقيراً وهو صحيح شاب فليؤاجر نفسه بالأكلة والعقبة حتى يحج).

ـ والطبري في تفسيره (٧/٤٣)، رقم (٧٤٩٣)، من طريق جويبر عن الضحّاك، ولفظه ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ قال: الزاد والراحلة فإن كان شاباً صحيحاً ليس له مال، فعليه أن يؤاجر نفسه بأكمله وعُقْبَتِهِ حتى يقضي حجته به، فقال له قائل: كلّف الله الناس أنّ يمشوا إلى البيت؟ فقال: لو أن لبعضهم ميراثاً بمكة، أكان تاركه؟ والله لانطلق إليه ولو حبواً!! كذلك يجبُ عليه الحج.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ فيه عناصر توكيد وتشديد، وقد بين العلامة المفسر هذا

قلنا: عناصر التوكيد في القرآن الكريم كثيرة، ولا يمكن الإحاطة بها، فيأتي من يقبل بناء الكلام، وأدوات التوكيد، فالذكر فيه توكيد، وكذا الحذف قد يفيده، والفصل والوصل وكثير من ألوان الإطناب البلاغي، والالتفات، وكل ألوان البيان، وكل ذلك لتثبيت المعني أو نفيه، بل قد تدل الكلمة بخصوص دلالتها على المعنى مع التوكيد كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٧] فكلمة العلو أفادت معناها مع التوكيد عليه، وقد لحظ الزمخشري هذا وبين أن في هذه الكلمة «الأعلى» تقرير لغلبته، وقهره، ومعه توكيد بالاستئناف وبالحرف «إن» المشددة، وبتكرير الضمير «إنك أنت» وتعريف الخبر «الأعلى» واختصاص هذه المادة بالعلو مما يفيد الغلبة والتفضيل. الكشاف ٢/٥٤٤

هذا كله يدخل من باب التوكيد والتقرير لحالة نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ حتى ينتفي عنه الخوف «لا تخف».

وهكذا، وتلاحظ أن الجملة الاسمية تفيد التوكيد بطريق الثبوت والاستمرار كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٣].

والواجب أن ندرك أن توكيد الإسمية لا يكون بها وحدها وإنما يكون بضميمة توكيد آخر بالحرف «إن» أو بالمقام المساعد على ذلك، هذا ما قرره أهل البلاغة من سياق النصوص وقد يكون التوكيد =

﴿ٱلْبَيْتِ﴾:[1] يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته، ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع إليه سبيلاً، وفيه ضربان من التأكيد: أحدهما: أن الإبدال تثنية للمراد وتكرير له، والثاني: أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين، ومنها قوله: ، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: مكان ومن لم يحج تغليظاً على تارك الحج؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً» (٢٦٠) ونحوه من التغليظ «من ترك الصلاة متعمداً فقد

---

٢٦٠ ـ رُوي من حديث عليّ، ومن حديث أبي أمامة، ومن حديث أبي هريرة.
أما حديث عليّ:
أخرجه الترمذي (٣/ ١٦٧)، كتاب الحج، باب: ما جاء في التغليظ في ترك الحج، حديث (٨١٢)، من طريق الحارث عن عليّ، ولفظه (من ملك زاداً وراحلة تُبلغه إلى بيت الله ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً. وذلك أنّ الله يقول في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾.
ـ وأخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٤٢)، حديث (٧٤٨٩)، من طريق الحارث عن عليّ. =

= بترتيب عناصر الجملة ترتيباً خاصاً يؤكد المعنى المراد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣].
فقد بيّن المفسر العلامة هذه التوكيدات الواردة في نظم الآية، والنظم نفسه توكيد للمعنى وقد يرى حرف ينضم إلى الجملة يسميه النحاة زائداً، ولكنه في القرآن من عناصر النظم فلا زيادة في كتاب الله إطلاقاً كما في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ وتقدير الكلام ما منعك أن تسجد أي من أن تسجد، فـ «لا» كما قال المفسر صلة أي مؤكدة.
والموضوع فيه ذيول كثيرة، وآيات عديدة، ولو قلنا بالتوكيد بهذا الاتساع لشمل جل موضوعات البلاغة من معان، وبيان، وبديع، فجميع ما في حديثهم جلة يقوم على البيان والتوكيد وتعميق المقاصد، وفي هذا القدر إشارة لمن أراد الغاية.
«ينظر البلاغة القرآنية لابن موسى ٤١٧ وما بعدها. وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٦٢، علم المعاني في تفسير فتح القدير ١/ ٢٩١ فتحي حجازي وتعليقات خفاجي على الإيضاح ١/ ٩١ وما بعدها والمطول ٤٧، وروح المعاني ١١/ ١٣٦، ومفاتيح الغيب للرازي ٨/ ٣٨٠، ٣٨١ ط. دار الغد العربي وأبو السعود ١/ ٣٨٩، ٣٩٠.

(١) قال محمود: «وفي الكلام أنواع من التوكيد منها قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي في رقابهم لا ينفكون عنه.. الخ» قال أحمد: قوله: «إن المراد بمن كفر من ترك الحج وعبر عنه بالكفر تغليظاً عليه» فيه نظر، فإن قاعدة أهل السنة توجب أن تارك الحج لا يكفر بمجرد تركه قولاً واحداً، فيتعين حمل الآية على تارك الحج جاحداً لوجوبه، وحينئذ يكون الكفر راجعاً إلى الاعتقاد لا إلى مجرد الترك. وأما الزمخشري فيستحل ذلك لأن تارك الحج بمجرد الترك يخرج من ربقة الإيمان ومن اسمه ومن حكمه، لأنه عنده غير مؤمن ومخلد تخليد الكفار، وعلى قاعدة أهل السنة يتعين المصير إلى ما ذكرناه، هذا إن كان المراد بمن كفر من ترك الحج. ويحتمل أن يكون استئناف وعيد للكافر، فيبقى على ظاهره والله أعلم.

كفر» (٢٦١) ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان،

= وكذا العقيلي في الضعفاء، (٣٤٨/٤) حديث (١٩٥٥)، من طريق الحارث عن علي.
وأما حديث أبي أمامة:
فرواه الدارمي في سننه (٢٨/٢)، كتاب المناسك، باب: من مات ولم يحج، عن أبي أمامة مرفوعاً (من لم يمنعه عن الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً).
وأما حديث أبي هريرة:
فرواه ابن عديّ في الكامل (٧/ ٢٥٨٠)، من طريق أبي المهزم عن أبي هريرة، وفي إسناده عبد الرحمن القطامي وأبو المهزم وهما متروكان. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي من رواية هلال بن عبد الله الباهلي: حدّثنا أبو إسحاق عن الحارث عن علي رفعه «من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً» وقال: غريب وفي إسناده مقال. وهلال بن عبد الله مجهول. والحارث يضعف. وأخرجه البزّار من هذا الوجه. وقال: لا نعلمه عن علي إلاّ من هذا الوجه وأخرجه ابن عديّ والعقيلي في ترجمة هلال ونقلا عن البخاري أنه منكر الحديث. وقال البيهقي في الشعب: تفرّد به هلال. وله شاهد من حديث أبي أمامة، أخرجه الدارمي بلفظ «من لم يمنعه عن الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً. وإن شاء نصرانياً» أخرجه من رواية شريك عن لبيد ابن أبي سليم عن عبد الرحمن بن سابط عنه. ومن هذا الوجه أخرجه البيهقي في الشعب. وقد أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي الأحوص عن ليث عن عبد الرحمن مرسلاً، لم يذكر أبا أمامة. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق ابن عديّ. وابن عديّ أورده في الكامل في ترجمة أبي المهزم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة مرفوعاً ونحوه. ونقل عن الفلاس أنه كذّب أبا المهزم وهذا من غلط ابن الجوزي في تصرّفه. لأن الطريق إلى أبي أمامة ليس فيه من اتهم بالكذب. فضلاً عمن كذب. انتهى.

٢٦١ ـ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٠٠)، بلفظ «من ترك الصّلاة متعمّداً فقد حبط عمله».
وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصّحيح.
ـ وأخرجه البزّار كما في تخريج الزيلعي (١/ ٢٠٣)، من حديث راشد الحماني: عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: أوصاني أبو القاسم ـ ﷺ ـ ألاّ أشرك بالله شيئاً وإن حرقت، ولا أترك صلاة مكتوبة متعمّداً؛ فمن تركها متعمّداً فقد كفر، ولا أشرب الخمر؛ فإنها مفتاح كلّ شر. قال ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الدارقطني في العلل. من رواية أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس قال: رواه علي بن الجعد عن أبي جعفر عن الربيع مرسلاً. وهو أشبه بالصّواب. ورواه البزّار من حديث أبي الدرداء قال «أوصاني أبو القاسم ـ ﷺ ـ ألاّ أشرك بالله شيئاً وإن حرقت، ولا أترك صلاة مكتوبة متعمداً. فمن تركها متعمّداً فقد كفر، ولا أشرب الخمر، فإنها مفتاح كلّ شر» أخرجه من رواية راشد الحناني عن شهر بن حوشب. وقال: راشد بصري ليس به بأس. وشهر مشهور. والحديث عند الترمذي والنّسائي وأحمد وابن حبّان والحاكم من حديث بريدة دون قوله «متعمّداً» ولفظه «العهد الذي بيننا وبينهم الصّلاة، فمن تركها فقد كفر» قد تقدم في البقرة حديث جابر عند مسلم «بين العبد والكفر ترك الصّلاة» وروى الترمذي من طريق عبد الله بن شقيق قال «كان أصحاب محمد النبي ـ ﷺ ـ لا =

ومنها قوله: ، ﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: وإن لم يقل عنه، وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان، لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة، ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدلّ على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه، وعن سعيد بن المسيب: نزلت في اليهود، فإنهم قالوا: الحج إلى مكة غير واجب وروى: أنه لما نزل قوله تعالى: ، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾: جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال: إن الله كتب عليكم الحج فحجوا» فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا: لا نؤمن به ولا نصلي إليه ولا نحجه، فنزل، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾:(٢٦٢) وعن النبي ﷺ، «حجوا قبل أن لا تحجوا، فإنه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة» (٢٦٣) وروي. «حجوا قبل أن لا تحجوا، حجوا قبل أن يمنع البرجانبه» (٢٦٤) وعن ابن مسعود: حجوا هذا البيت قبل أن تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة إلا نفقت، (٢٦٥) وعن عمر رضي الله عنه: لو ترك الناس الحج عاماً واحداً ما نوظروا (٢٦٦) وقرىء «حج البيت» بالكسر.

= يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلاً الصلاة» وإسناده صحيح. الحاكم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ انتهى.

٢٦٢ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٤٩/٧)، حديث (٧٥١٥) من طريق جويبر عن الضحّاك مرسلاً، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه الطبري من حديث جويبر عن الضحّاك قال: «لما نزلت: فذكره» وهو معضل وجويبر متروك الحديث ساقط. انتهى.

٢٦٣ ـ أخرجه ابن حبّان في صحيحه (١٥/ ١٥٣)، كتاب التاريخ، باب إخباره ـ ﷺ ـ عمّا يكون. . . ، حديث (٦٧٥٣) من طريق بكر بن عبد الله المزني عن ابن عمر بنحوه.
وأخرجه ابن خزيمة (٢٥٠٦) والبزّار (١٠٧٢) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٢٠٢).
وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٠٩): رواه البزّار والطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة. أخبرنا يزيد بن هارون عن حميد عن بكر بن عبد الله المزني عن عبد الله بن عمر قال: (تمتعوا من هذا البيت، فإنه ـ فذكره موقوفاً) وقد رُوي مرفوعاً: أخرجه ابن حبّان والحاكم والبزّار والطبراني من طريق سفيان بن حبيب عن حميد بهذا. انتهى.

٢٦٤ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف» (١/ ٢٠٦) هو هكذا في الفائق لابن غانم التنسيسي. قال الحافظ ابن حجر: لم أره هكذا. والذي في الدارقطني في آخر كتاب الحج من السنن من رواية عبد الله بن عيسى الجندي عن محمد بن أبي محمد عن أبيه عن أبي هريرة ـ رفعه «حجّوا قبل أن لا تحجّوا. قال: وما شأن الحج يا رسول الله، قال: يفعله أعرابها على أذناب أوديتها، فلا يصل إلى الحج أحد» وعبد الله ومحمد مجهولان. قاله العقيلي. ا.هـ.

٢٦٥ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشّاف» (١/ ٢٠٧) غريب. وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

٢٦٦ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أجده.
وفي مصنّف عبد الرزاق (٥/ ١٣) من طريق سالم بن أبي حفصة أن ابن عباس [قال]: «لو ترك =

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾: الواو للحال، والمعنى: لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد ﷺ والحال أن الله شهيد على أعمالكم فمجازيكم عليها، وهذه الحال توجب أن لا تجسروا على الكفر بآياته. قرأ الحسن: «تصدّون»، من أصدّه، ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن دين حق علم أنه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو الإسلام، وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدّهم عنه، ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم وقيل: أتت اليهود الأوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله، ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: تطلبون لها أعوجاجاً[1] وميلاً عن القصد والاستقامة. فإن قلت: كيف تبغونها عوجاً[2] وهو محال؟ قلت فيه معنيان: أحدهما: أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أنّ فيها عوجاً بقولكم: إن شريعة موسى لا تنسخ، وبتغييركم صفة رسول الله ﷺ عن وجهها ونحو ذلك، والثاني: أنكم تتعبون أنفسكم في إخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم، ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾: أنها سبيل الله التي لا يصدّ عنها إلا ضال مضلّ، أو وأنتم شهداء بين أهل دينكم، عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في عظائم أمورهم، وهم الأحبار، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾: وعيد، ومحل تبغونها نصب على الحال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

قيل: مرّ شاس بن قيس اليهودي ـ وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم ـ على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون،

= الناس زيارة هذا البيت عاماً واحداً ما مُطروا» وهو منقطع. انتهى.

---

(١) قال محمود: «أي تطلبون لها اعوجاجاً. . .الخ» قال أحمد: وفي تقديره الجار مع ضمير المفعول حيث قال: تطلبون لها اعوجاجاً، تنقيص من المعنى، وأتم من إعرابه معنى أن تجعل الهاء هي المفعول به وعوجاً حال وقع فيها المصدر الذي هو عوجاً موقع الاسم. وفي هذا الاعراب من المبالغة أنهم يطلبون أن تكون الطريقة المستقيمة نفس العوج على طريقة المبالغة في مثل رجل صوم، ويكون ذلك أبلغ في ذمهم، وتوبيخهم، والله أعلم.

(٢) قوله: «فإن قلت كيف تبغونها عوجا» لعله: كيف قال تبغونها. أو لعله: كيف يبغونها (ع).

فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، وقال: ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار، فأمر شاباً من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعاث[1] وينشدهم بعض ما قيل فيه من الأشعار، وكان يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس. ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا: السلاح السلاح، فبلغ النبي ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال: أتدعون الجاهلية[2] وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم. فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوّهم، فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ، فما كان يوم أقبح أوّلاً وأحسن آخراً من ذلك اليوم (٢٦٧).

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾: معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجيب، والمعنى: من أين يتطرق إليكم الكفر والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز، ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: على لسان الرسول غضة طرية[3] وبين أظهركم رسول الله ﷺ ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم، ﴿وَمَن يَعْتَصِم

---

٢٦٧ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/٥٥)، حديث (٧٥٢٤) من طريق زيد بن أسلم.
ـ وذكره ابن هشام في السيرة (٢/١٩٧ ـ ١٩٩) حديث (٦٣٧، ٦٣٨) من قول ابن إسحاق لم يجاوزه، وزاد في آخره: وكان يومئذ على الأوس حضير بن سماك الأشهلي، وهو أبو أسيد بن الحضير وكان على الخزرج عمرو بن النعمان البياضي فقتلا جميعاً، قال: وأنزل الله في شاس بن قيس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/٢٠٨) للثعلبي في تفسيره عن زيد بن أسلم من غير سند، وكذلك للواحدي في أسباب النزول.
وكلّهم قالوا فيه: «أبدعوى الجاهلية» ليس عند أحد منهم «أتدعون» قال الحافظ: أخرجه الطبري عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه بلفظه وأخرجه ابن إسحاق في المغازي، من طريق الطبري أيضاً قال: حدّثنا الثقة عن زيد بن أسلم مطوّلاً. وذكره ابن هشام فلم يذكر إسناد إسحاق. وزاد في آخره «وكان يومئذ على الأوس حضير بن سماك والد =

---

(١) قوله: «يوم بعاث» بعاث بالضم يوم وقعة للأوس والخزرج (ع).
(٢) قوله: «فقال أتدعون الجاهلية» في الشهاب على البيضاوي أنه محرف والرواية أبدعوى الجاهلية أي أتأخذون بها (ع).
(٣) قوله: «على لسان الرسول غضة طرية» في الصحاح: شيء غض، أي طرى، وكل ناضر غض، =

﴿بِٱللَّهِ﴾: ومن يتمسك بدينه، ويجوز أن يكون حثاً لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم، ﴿فَقَدْ هُدِيَ﴾: فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول: إذا جئت فلاناً فقد أفلحت، كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلاً، ومعنى التوقع في ﴿قَدْ﴾ ظاهر لأنّ المعتصم بالله متوقع للهدى، كما أن قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: واجب تقواه وما يحق منها، وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم، ونحوه ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] يريد: بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً، وعن عبد الله: هو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى» (٢٦٨) وروي مرفوعاً، وقيل: هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم، ويقوم بالقسط

= أُسيد، وكان على الخزرج عمرو بن النعمان البياضي. فقتلا جميعاً. وأنزل الله في شاس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ـ الآية﴾ وذكره الثعلبي والواحدي في أسبابه عن زيد بن أسلم بغير إسناد. انتهى.

٢٦٨ ـ أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٢٩٤)، كتاب التفسير وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وليس فيه ويشكر فلا يكفر.
ـ وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٤٦)، رقم (١٠٧٩) وهذان من طريق مرّة عن عبد الله موقوفاً.
ـ والطبري في تفسيره (٧/ ٥٧)، رقم (٧٥٣٦).
ـ والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٩٣)، رقم (٨٥٠١ ـ ٨٥٠٢).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٩): رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصّحيح والآخر ضعيف.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢١٠) لابن مردويه في تفسيره من طريق مرة عن ابن مسعود مرفوعاً.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
قال المصنّف ورُوي مرفوعاً انتهى. فأما الموقوف فأخرجه الحاكم من طريق مسعر عن زيد عن مرة عنه، وكذلك أخرجه عبد الرزاق ومن طريقه الطبري وابن أبي حاتم والطبراني، وقال أبو نعيم في ترجمة مسعر من الحلية:
حدّثنا سليمان بن أحمد، وهو الطبراني ـ فذكره. ثم قال: هكذا رواه الناس عن زيد موقوفاً. ورفعه النضر عن محمد بن طلحة عن زيد ثم ساقه مرفوعاً. وأخرجه ابن مردويه من طريق ابن وهب عن =

= نحو الشباب وغيره، وفيه شيء طري، أي غض بين الطراوة. (ع)

ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه (٢٦٩)، وقيل: لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه (٢٧٠)، والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾: معناه: ولا تكوننّ على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت، كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدوّ: لا تأتني إلا وأنت على حصان، فلا تنهاه عن الإتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الإتيان. قولهم اعتصمت بحبله: يجوز أن يكون تمثيلاً لاستظهاره به ووثوقه بحمايته، بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه، وأن يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد، أو ترشيحاً لاستعارة الحبل بما يناسبه، والمعنى: واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه. أو واجتمعوا على التمسك بعهده إلى عباده وهو الإيمان والطاعة؛ أو بكتابه لقول النبي ﷺ: «القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الردّ، من قال به صدق؛ ومن عمل به رشد، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم» (٢٧١)، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾: ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى، أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضاً ويحاربه ـ أو ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم، وهو اتباع الحق والتمسك بالإسلام. كانوا في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة، فألف الله بين

= سفيان الثوري عن زيد مرفوعاً أيضاً. وله شاهد عن ابن عباس مرفوعاً. أخرجه البيهقي في الشعب من رواية ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس. لكنه من نسخة عبد الغني بن سعيد الثقفي عن موسى بن عبد الرحمن الصنعاني. وهي ساقطة. انتهى.

٢٦٩ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٦٧)، رقم (٧٥٥٢)، من طريق علي عن ابن عباس بلفظ «أن يجاهدوا في الله حق جهاده، ولا يأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم».
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٤٩)، رقم (١٠٩٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وزاد فيه عن رواية الطبري «فإنها لم تنسخ».
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠٦) لابن المنذر.

٢٧٠ ـ أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٤٨) رقم (١٠٨٩) من طريق عطاء الواسطي عن أنس به وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٠٦) وعزاه لابن أبي حاتم فقط.

٢٧١ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ١٧٢) كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل القرآن حديث (٢٩٠٦) والدارمي (٢/ ٤٣٥) كتاب فضائل القرآن: باب فضل من قرأ القرآن من طريق الحارث الأعور عن علي مرفوعاً به.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاَّ من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول وفي الحارث مقال:
وذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٢١٢) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه =

قلوبهم بالإسلام، وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا، ﴿إِخْوَانًا﴾: متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم وأزال الاختلاف، وهو الأخوة في الله، وقيل: هم الأوس والخزرج، كاناأخوين لأب وأم، فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام وألف بينهم برسول الله ﷺ (٢٧٢)، ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾: وكنتم مشفين[١] على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر، ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾: بالإسلام، والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا[٢]

= والبزّار من طريق الحارث عن علي.

وقال البزّار: ولا نعلم رواه عن علي إلاّ الحارث، وللحديث شاهد من حديث ابن مسعود.
أخرجه الحاكم (١/ ٥٥٥) من طريق صالح بن عمر عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن ابن مسعود مرفوعاً بنحو حديث علي.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وقال الذهبي: صالح خرّج له مسلم لكن إبراهيم الهجري ضعيف. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي في فضائل القرآن، من حديث الحارث الأعور عن علي ـ رضي الله عنه ـ مطوّلاً. وفيه قصّة وقال: غريب لا نعرفه إلاّ من حديث حمزة الزيات. وإسناده مجهول انتهى. وأخرجه ابن أبي شيبة وإسحاق والدارمي والبزّار من طريق الحارث. قال البزّار: لا نعلمه إلاّ من طريق علي. ولا نعلمه رواه عنه إلاّ الحارث انتهى. وله شاهد عن معاذ بن جبل. أخرجه الطبراني من رواية عمرو بن واقد عن يونس بن ميسرة عن ابن إدريس بلفظ «ذكر رسول الله ـ ﷺ ـ الفتن فشددها. قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه: ما المخرج منها؟ قال: كتاب الله ـ فذكر الحديث بطوله. ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود مرفوعاً أيضاً «إنّ هذا القرآن حبل الله والنور المبين، والشافع، عصمة لمن تمسك به... الحديث» أخرجه من طريق صالح بن عمر عن إبراهيم البحري عن أبي الأحوص عنه. وإبراهيم ضعيف. انتهى.
٢٧٢ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٨٧) رقم (٧٥٨٤).

---

(١) قوله: «وكنتم مشفين» أي مشرفين. أفاده الصحاح. (ع)
(٢) قال محمود: «الضمير للشفا وهو مذكر وإنما أتته للإضافة...الخ» قال أحمد: ويجوز عود الضمير إلى الحفرة فلا يحتاج إلى تأويله المذكور، كما تقول: أكرمت غلام هند، وأحسنت إليها. والمعنى على عوده إلى الحفرة أتم، لأنها التي يمتن بالانقاذ منها حقيقة. وأما الامتنان بالانقاذ من الشفا فلا يستلزمه الكون على الشفا غالباً، ومن الهوى إلى الحفرة، فيكون الانقاذ من الشفا إنقاذاً من الحفرة التي يتوقع الهوى فيها، فإضافة المنة إلى الإنقاذ من الحفرة تكون أبلغ وأوقع، مع أن اكتساب التأنيث من المضاف إليه قد عده أبو علي في التعاليق من ضرورة الشعر. خلاف رأيه في الإيضاح. نقله ابن يسعون. وما حمل الزمخشري على إعادة الضمير إلى الشفا إلا أنه هو الذي كانوا عليه، ولم يكونوا في الحفرة حتى يمتن عليهم بالانقاذ منها، وقد بينا في أدراج هذا الكلام ما يسوغ الامتنان عليهم بالانقاذ من الحفرة، لأنهم كانوا صائرين إليها غالباً لولا الانقاذ الرباني. ألا ترى إلى قوله عليه السلام «المرتع حول الحمي يوشك أن يقع فيه» وإلى قوله تعالى: ﴿أَمْ مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ وانظر كيف جعل تعالى كون البنيان على الشفا سبباً مؤدياً =

وإنما أنث لإضافته إلى الحفرة وهو منها كما قال [من الطويل]:

.... كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ(١)

وشفا الحفرة وشفتها: حرفها، بالتذكير والتأنيث، ولامها واو، إلا أنها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة، ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة. فإن قلت: كيف جعلوا على حرف حفرة من النار؟ قلت: لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار، فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك البيان البليغ، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إرادة أن تزدادوا هدى.

= إلى انهياره في نار جهنم، مع تأكيد ذلك بقوله (هار) والله أعلم.

(١) فلو كنت في جب ثمانين قامة ... ورقيت أسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره ... وتعلم أني عندكم غير مفحم
وتشرق بالقول الذي قد أذعته ... كما شرقت صدر القناة من الدم

للأعشى ميمون بن قيس وفيه وجهان: الأول أنه يصف رجلاً بإفشاء السر، وأنه لو تحيل لكتمه لم يقدر، أي لو بالغت في الكتمان حتى كأنك كنت في بئر عميق، فالعدد كناية عن ذلك، ثم رقيت من قعره وبلغت أسباب السماء، أي أبوابها. وقوله «بسلم» مبالغة في التشبيه، كأنه صعد حقيقة على سلم «ليستدرجنك» بالنون المخففة، أي ليستنزلنك «القول» من السماء درجة درجة إلى قعر البئر كما كنت ويفسد تحيلك، فتهره أي تقوله. ودرج الصبي: إذا قارب بين خطاه. ودرج القوم: مات بعضهم إثر بعض. وهر الكلب هريراً إذا صوت. وفيه إشعار بتشبيهه بالكلب النابح. وتعلم، أي وأجيب أنا عن قولك فتعلم أني غير عاجز عن الجواب فيما بينكم. وروى «عنكم» بدل «عندكم» وهي هي. ورجع إلى بيان استدراج القول له فقال: وتشرق بالقول الذي قد أذعته ونشرته عني. وشرق: إذا غص بريقه أو نحوه. وذاع الخبر ذيعاً وذيوعاً: انتشر. وأذاعه: نشره. أي لم تقدر على ابتلاعه وكتمانه كما لم يبلغ صدر القناة أي الرمح الدم الذي يكون عليه من القتيل. وشبه القول الذي لم يقدر على كتمانه بالشيء الذي لم يقدر على ابتلاعه، فاستعار الشرق للعجز عن الكتمان على طريق التصريحية. وشبه الشرق الأول بالثاني ليفيد ضمناً أن قوله كالدم للمبالغة في عدم إمكان الكتمان. الوجه الثاني أن معناه لو كنت متباعداً عني كأنك في قعر البئر ورقيت منه إلى السماء ليقربنك القول إلي شيئاً فشيئاً حتى تهره، أي تكرهه وتبغضه، وتعلم أني عندكم غير عاجز عن الكلام الذي يقربك إلي، وتشرق بالقول الذي قد أذعته أنا عنك، فالتاء على هذا للمتكلم، أي لم تقدر على استماعه ودخوله أذنك كما لم تقدر صدر القناة على ابتلاع الدم. وصدر القناة مذكر. ولكن اكتسب التأنيث من المضاف إليه، فلذلك أنث فعله وقال: شرقت، وقيل: القناة هنا مجرى الماء، وأين هي من الدم.

ينظر: ديوانه ص ١٧٣، وخزانة الأدب ٥/١٠٦، والدرر ٥/١٩ وشرح أبيات سيبويه ١/٥٤، والكتاب ١/٥٢، ولسان العرب (صدر)، (شرق)، والمقاصد النحوية ٣/٣٧٨، والأزهية ص ٤٣٨، والأشباه والنظائر ٥/٢٥٥، الأشباه والنظائر ٢/١٠٥، والخصائص ٢/٤١٧، ومغني اللبيب ٢/٥١٣، والمقتضب ٤/١٩٧، ١٩٩، وهمع الهوامع ٢/٤٩. والدر ١/٢٥٧.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾: «من» للتبعيض[1] لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر، وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يباشر، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر، وقد يغلظ في موضع اللين، ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تمادياً، أو على مَن الإنكار عليه عبث، كالإنكار على أصحاب المآصر[2] والجلادين وأضرابهم، وقيل «من» للتبيين، بمعنى: وكونوا أمّة تأمرون، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: هم الأخصاء بالفلاح دون غيرهم، وعن النبي ﷺ أنه سئل وهو على المنبر: من خير الناس؟ قال: «آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر، وأتقاهم لله وأوصلهم» (٢٧٣)، وعنه عليه الصلاة والسلام: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه، وخليفة رسوله، وخليفة كتابه» (٢٧٤) وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن شنىء

---

٢٧٣ ـ أخرجه أحمد (٦/٤٣٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٢٠) رقم (٧٩٥٠) والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/٢٥٧ ـ ٢٥٨) رقم (٦٥٧) من طريق شريك القاضي عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن زوج درة بنت أبي لهب عن درة بنت أبي لهب مرفوعاً.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٦١) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.
وذكره أيضاً الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٢١٢) وزاد نسبته إلى أبي يعلى الموصلي ولم أجده في المطبوع من مسند أبي يعلى فلعلّه في مسنده الكبير، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبري والبيهقي في الشعب من رواية شريك عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن زوج درة بنت أبي لهب قالت «كنت عند عائشة، فجيء برجل إلى النبي ـ ﷺ ـ كان ناداه وهو على المنبر فقال: يا رسول الله، أيُّ الناس خير؟ فذكره». انتهى.
٢٧٤ ـ أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٦/ ٢١٠٤) من طريق كادح بن رحمة القرني عن ابن لهيعة عن ابن أبي حبيب عن مسلم بن جابر الصدفي عن عبادة بن الصّامت مرفوعاً. =

---

(١) قال محمود «من للتبعيض... الخ» قال أحمد: وفي هذا التبعيض وتنكير أمة تنبيه على قلة العاملين بذلك، وأنه لا يخاطب به إلا الخواص. ومن هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ فإنما وجه الخطاب على نفس منكرة تنبيهاً على قلة الناظر في معاده، وكذلك قوله: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ حتى ورد في التفسير أن المراد أذن واحدة مخصوصة وهي أذن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٢) قوله: «المآصر» جمع مأصر، وهو المحبس أي السجن، أفاده الصحاح. (ع)

الفاسقين وغضب لله، غضب الله له» (٢٧٥)، وعن حذيفة: يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وعن سفيان الثوري: إذا كان الرجل محبباً في جيرانه محموداً عند إخوانه فاعلم أنه مداهن، والأمر بالمعروف تابع للمأمور به، إن كان واجباً فواجب، وإن كان ندباً فندب، وأما النهي عن المنكر فواجب كله، لأنّ جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح. فإن قلت: ما طريق الوجوب؟ قلت: قد اختلف فيه الشيخان، فعند أبي علي: السمع والعقل، وعند أبي هاشم: السمع وحده. فإن قلت: ما شرائط النهي؟ قلت: أن يعلم الناهي أن ما ينكره قبيح، لأنه إذا لم يعلم لم يأمن أن ينكر الحسن، وأن لا يكون ما ينهي عنه واقعاً، لأن الواقع لا يحسن النهي عنه، وإنما يحسن الذم عليه والنهي عن أمثاله، وأن لا يغلب على ظنه أن المنهي يزيد في منكراته، وأن لا يغلب على ظنه أن نهيه لا يؤثر لأنه عبث. فإن قلت: فما شروط الوجوب؟ قلت: أن يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو أن يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر بإعداد آلاته، وأن لا يغلب على ظنه أنه إن أنكر لحقته مضرة عظيمة. فإن قلت: كيف يباشر الإنكار؟ قلت يبتدىء بالسهل، فإن لم ينفع ترقى إلى

= قال ابن حجر: وكادح ساقط.

قلت: وعبد الله بن لهيعة ضعيف.

قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٢١٣): وفيه حديث مرسل رواه علي بن معبد في كتاب «الطاعة والمعصية» ثنا بقية عن حسان بن سليمان عن أبي نضرة عن الحسن مرسلاً؛ وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه بن عديّ في الكامل في ترجمة كادح بن رحمة من روايته عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن مسلم بن جابر عن عبادة بن الصّامت. وكادح ساقط. وله شاهد مرسل أخرجه علي بن معبد في كتاب الطاعة عن بقية عن حسان بن سليمان عن أبي نضرة عن الحسن البصري. ومن هذا الوجه أخرجه الثعلبي. انتهى.

٢٧٥ ـ أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٤) في ترجمة عليّ بن أبي طالب من طريق خلاس بن عمرو عن علي مرفوعاً، وقال ابن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة علي مطوّلاً، من رواية خلاس بن عمرو قال: كنا جلوساً عند علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إذ أتاه رجل من خزاعة فقال: يا أمير المؤمنين هل سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ ينعت الإسلام؟ قال: سمعته يقول: بني الإسلام على أربعة أركان: الصّبر واليقين والجهاد والعدل ـ فذكره ـ إلى أن قال: والجهاد أربع شعب: الأمر بالمعروف. والنّهي عن المنكر. والصّدق في مواطن الصّبر. وشنآن الفاسقين. فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن. ومن نهى عن المنكر أرغم أنف الكافر. ومن صدق في مواطن الصّبر أحرز دينه. وقضى ما عليه. ومن شنأ الفاسقين فقد غضب لله. ومن غضب لله غضب الله له» وهو من طريق إسحاق بن بشر عن مقاتل. وهما ساقطان. قال: ورواية العلاء بن عبد الرحمن عن قبيصة بن جابر عن علي ـ رضي الله عنه ـ ا.هـ.

الصعب، لأنّ الغرض كف المنكر. قال الله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾، ثم قال: (فقاتلوا) [الحجرات: ٩]، فإن قلت: فمن يباشره؟ قلت: كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه، وقد أجمعوا أن من رأى غيره تاركاً للصلاة وجب عليه الإنكار، لأنه معلوم قبحه لكل أحد، وأما الإنكار الذي بالقتال، فالإمام وخلفاؤه أولى لأنهم أعلم بالسياسة ومعهم عدتها. فإن قلت: فمن يُؤمر ويُنهى؟ قلت: كل مكلف، وغير المكلف إذا همَّ بضرر غيره مُنع، كالصبيان والمجانين، وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعوّدوها، كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها. فإن قلت: هل يجب على مرتكب المنكر أن ينهى عما يرتكبه قلت: نعم يجب عليه، لأن ترك ارتكابه وإنكاره واجبان عليه، فبتركه أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر، وعن السلف: مروا بالخير وإن لم تفعلوا، وعن الحسن أنه سمع مطرّف بن عبد الله يقول: لا أقول ما لا أفعل، فقال: وأينا يفعل ما يقول، ودّ الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر. فإن قلت: كيف قيل: ، ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾:؟ قلت: الدعاء إلى الخير(١) عامّ في التكاليف من الأفعال والتروك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص، فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص إيذاناً بفضله، كقوله: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾: وهم اليهود والنصارى، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق، وقيل: هم مبتدعو هذه الأمة، وهم المشبهة

---

(١) (عاد كلامه) قال: «وقوله يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر صدر الكلام بالدعاء...الخ» قال أحمد: عطف الخاص على العام يؤذن بمزيد اعتناء بالخاص لا محالة إذا اقتصر على بعض متناولات العام، كقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ وكقوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ تمييزاً عن غيره من بقية المتناولات. وأما هذه الآية، فقد ذكر بعد العام فيها جميع ما يتناوله، إذ الخير المدعو إليه إما فعل مأمور أو ترك منهي، لا يعدو واحداً من هذين، حتى يكون تخصيصها يميزها عن بقية المتناولات، فالأولى في ذلك أن يقال: فائدة هذا التخصيص ذكر الدعاء إلى الخير عاماً، ثم مفصلاً. وفي تنبيه أن الذكر على وجهين ما لا يخفى من العناية والله أعلم، إلا أن يثبت عرف يخص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ببعض أنواع الخير، فإذ ذاك يتم مراد الزمخشري، وما أرى هذا العرف ثابتاً، والله أعلم.

والمجبرة والحشوية[1] وأشباههم، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾: نصب بالظرف وهو لهم، أو بإضمار اذكر، وقرىء: «تبيض وتسود»، بكسر حرف المضارعة. «وتبياض وتسوادّ»، والبياض من النور، والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه، وابيضت صحيفته وأشرقت، وسعى النور بين يديه وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده، واسودَّتْ صحيفته وأظلمت، وأحاطت به الظلمة من كل جانب. نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل وأهله، ﴿أَكَفَرْتُم﴾: فيقال لهم: أكفرتم، والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم، والظاهر أنهم أهل الكتاب، وكفرهم بعد الإيمان تكذيبهم رسول الله ﷺ بعد اعترافهم به قبل مجيئه، وعن عطاء: تبيض وجوه المهاجرين والأنصار وتسودّ وجوه بني قريظة والنضير، وقيل: هم المرتدون، وقيل: أهل البدع والأهواء (٢٧٦)، وعن أبي أمامة: هم الخوارج، ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال: كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء، وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء، فقال له أبو غالب: أشيء تقوله برأيك، أم شيء سمعته من رسول الله ﷺ. قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة. قال: فما شأنك دمعت عيناك، قال: رحمة لهم، كانوا من أهل الإسلام فكفروا. ثم قرأ هذه الآية، ثم أخذ بيده فقال: إن بأرضك منهم كثيراً. فأعاذك الله منهم (٢٧٧)، وقيل: هم جميع

---

٢٧٦ ـ أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/١٠٦)، رقم (١١٤٠)، عن ابن عباس بنحوه.

٢٧٧ ـ أخرجه الترمذي (٥/٢٢٦)، حديث (٣٠٠٠)، كتاب التفسير باب: ومن سورة آل عمران، وقال: حديث حسن. وقد رُوي هذا من غير هذا الوجه عن ابن عباس، وآدم بن سليمان هو والدُ يحيى بن آدم، وفي الباب عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.
ـ وابن ماجه (١/٦٢) حديث (١٧٦).
ـ وأحمد (٥/٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٦٩)، وزاد أحمد: ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ الآيتين.
ـ وعبد الرزاق في مصنفه في آخر كتاب القصاص (١٠/١٥٢) رقم (١٨٦٦٣) باب: ما جاء في الحرورية.
والحاكم (٢/١٤٩)، كتاب: قتل البغاة، من حديث عكرمة بن عمار عن شداد بن عمار قال: سمعت أبا أمامة... فذكره، وفيه فقال له رجل: أشيء تقوله برأيك... إلى آخره. ثم قرأ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ...﴾ الآية. انتهى، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، قال: والغالب على هذا المتن من حديث أبي غالب عن أبي أمامة.
وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/٣١٩ إلى ٣٢٧)، رقم (٨٠٣٣ ـ ٨٠٥١) من طرق عن أبي غالب عن ابن عباس.

---

(١) قوله: «وهم المشبهة والمجبرة والحشوية، إن أراد بهم أهل السنة ومن وافقهم كعادته، فقد أفرط في التعصب للمعتزلة. (ع)

الكفار لإعراضهم عما أوجبه الإقرار حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم (٢٧٨) قالوا بلى، ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: ففي نعمته وهي الثواب المخلد، فإن قلت: كيف موقع قوله: ، ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: بعد قوله: ، ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: ؟ قلت: موقع الاستئناف، كأنه قيل: كيف يكونون فيها؟ فقيل: هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (٢٧٩).

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: الواردة في الوعد والوعيد، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾: ملتبسة، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾ فيأخذ أحداً بغير جرم، أو يزيد في عقاب مجرم، أو ينقص من ثواب محسن، ونكر «ظلماً» وقال: ، ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: على معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه، فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح[1] والرضا بها.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾

«كان»: عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبهام، وليس فيه دليل

= ـ وذكره السيوطي في الدرّ المنثور (٢/ ١١١) وزاد لنسبته نسبته إلى ابن المنذر.
وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢١٤) وعزاه للثعلبي في تفسيره، قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق عكرمة بن عمار عن شداد عن أبي أمامة هكذا، ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم، وقد أخرجه الترمذي وابن ماجه، وعبد الرزاق وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والطبراني كلّهم من طريق أبي غالب. بتمامه. وله إسناد آخر أخرجه الطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أبي أمامة. انتهى.

٢٧٨ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٩٥) من حديث أبي بن كعب أنه عنى بذلك جميع الكفار، وأنّ الإيمان الذي يُوبّخون على ارتدادهم عنه، هو الإيمان الذي أقرّوا به يوم قيل لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾.

٢٧٩ ـ أخرجه ابن أبيّ حاتم في تفسيره (٢/ ٤٦٧)، رقم (١١٥١) من طريق عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ يعني لا يموتون.

---

(١) قوله: فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح» يريد أهل السنة القائلين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، كما أجمع عليه السلف. (ع)

على عدم سابق ولا على انقطاع طارىء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٦] ومنه قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾: كأنه قيل: وجدتم خير أمّة، وقيل: كنتم في علم الله خير أمّة[١]، وقيل: كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمّة، موصوفين به، ﴿أُخْرِجَتْ﴾: أظهرت، وقوله: ﴿تَأْمُرُونَ﴾: كلام مستأنف بين به كونهم خير أمّة، كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾: جعل الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إيماناً بالله، لأنّ من آمن ببعض ما يجب الإيمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه، فكأنه غير مؤمن بـــــالله ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠] والدليل عليه قوله تعالى: ، ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: مع إيمانهم بالله، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾: لكان الإيمان خيراً لهم مما هم عليه، لأنهم إنما آثروا دينهم على دين الإسلام حباً للرياسة واستتباع العوام، ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا ما هوخير مما آثروا دين الباطل لأجله، مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين، ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: كعبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: المتمرّدون في الكفر، ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾: إلا ضرراً مقتصراً على أذى بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك، ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾: منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر، ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم، وفيه تثبيت لمن أسلم منهم، لأنهم كانوا يؤذنونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بأنهم لا يقدرون أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يبالى به، مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأنّ عاقبة أمرهم الخذلان والذل. فإن قلت: هلا جزم المعطوف في قوله: ، ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾؟[٢] قلت :عدل به عن حكم

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: قوله: «لم تدل على عدم سابق» هذا إذا لم تكن بمعنى «صار» فإذا كانت بمعنى «صار» دلّت على عدم سابق، فإذا قلت: «كان زيد عالماً» بمعنى «صار زيد عالماً» دلّت على أنه انتقل من حالة الجهل إلى حالة العلم، وقوله: «ولا على انقطاع طارىء» قد ذكرنا قبل أن الصحيح أنها كسائر الأفعال يدلُّ لفظ المضي منها على الانقطاع، ثم قد تستعمل حيث لا انقطاع، وفرق بين الدلالة والاستعمال، ألا ترى أنك تقول: «هذا اللفظ يدل على العموم» ثم قد يستعمل حيث لا يراد العموم بل يراد الخصوص. وقوله: «كأنه قيل وجدتم خير أمة» هذا يعارض قوله: «إنها مثل قوله: «وكان الله غفوراً رحيماً» لأن تقديره «وجدتم خير أمة» يدل على أنها التامة وأن «خير أمة» حالٌ. وقوله: «وكان الله غفوراً رحيماً» لا شك أنها هنا الناقصة فتعارضا» قلت: لا تعارض لأن هذا تفسير معنى لا تفسير إعراب.

(٢) قال محمود: «إن قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون. . .الخ»؟ قال أحمد: وهذا من الترقي في الوعد عما هو أدنى إلى ما هو أعلى، لأنهم وعدوا بتولية عدوهم الأدبار عند المقاتلة، ثم ترقي الوعد إلى ما هو أتم في النجاح من أن هؤلاء لا ينصرون مطلقاً، ويزيد هذا الترقي بدخول =

الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء، كأنه قيل: ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت: فأي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى؟ قلت: لو جزم لكان نفي النصر مقيداً بمقاتلتهم، كتولية الأدبار، وحين رفع كان نفي النصر وعداً مطلقاً، كأنه قال: ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوّة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر، وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر. فإن قلت: فما الذي عطف عليه هذا الخبر؟ قلت: جملة الشرط والجزاء كأنه قيل: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت: فما معنى التراخي في ثمّ؟ قلت: التراخي في المرتبة لأنّ الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار. فإن قلت: ما موقع الجملتين أعني، ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ و﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾؟ قلت: هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب، كما يقول القائل: وعلى ذكر فلان فإنّ من شأنه كيت وكيت، ولذلك جاء من غير عاطف.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (١١٢)﴾

﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: في محل النصب على الحال، بتقدير: إلا معتصمين أو متمسكين أو متلبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم عام الأحوال، والمعنى: ضربت عليهم الذلة في عامّة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس، يعني ذمّة الله وذمّة المسلمين، أي: لاعز لهم قط إلا بهذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمّة لما قبلوه من الجزية، ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استوجبوه، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾: كما يضرب البيت على أهله، فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها، وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله أي: ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾: أي: ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم أنّ الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله، وأنّ سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر، ونحوه ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ﴾ [نوح: ٢٥]، ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ١٦١].

= ثم دون الواو، فإنها تستعار ههنا للتراخي: الرتبة لا في الوجود، كأنه قال: ثم ههنا ما هو أعلى في الامتنان وأسمع في رتب الإحسان، وهو أن هؤلاء قوم لا ينصرون ألبتة، والله أعلم.

﴿۞ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾

الضمير في، ﴿لَيْسُوا﴾: لأهل الكتاب، أي: ليس أهل الكتاب مستوين، وقوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾: كلام مستأنف لبيان قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾: كما وقع قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران: ١١٠] بياناً لقوله، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مستقيمة عادلة، من قولك: أقمت العود فقام، بمعنى استقام، وهم الذين أسلموا منهم، وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود، لأنه أبين لما يفعلون؛ وأدل على حسن صورة أمرهم، وقيل: عنىٰ صلاة العشاء، لأن أهل الكتاب لا يصلونها (٢٨٠)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أخَّر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله في هذه الساعة غيركم (٢٨١)، وقرأ هذه الآية،

---

٢٨٠ ـ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٨٦)، رقم (١٢٢٥) من طريق أبي جعفر عن الربيع في قوله: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ قال: قال بعضهم: صلاة العتمة تُصلّيها أمة محمد ـ ﷺ ـ ولا يُصلّيها غيرهم من أهل الكتاب.
وأخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ١٢٧) رقم (٧٦٦٠) من طريق الحسن بن يزيد العجلي عن عبد الله بن مسعود به.
وكذا ذكره البغوي في تفسيره (١/ ٣٤٣).

٢٨١ ـ أخرجه ابن حبّان في صحيحه (٤/ ٣٩٧) كتاب الصّلاة باب: مواقيت الصّلاة، حديث (١٥٣٠).
وأحمد (١/ ٣٩٩)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٦٢) حديث (١٠٢٠٩).
ـ والنّسائي في تفسيره (١/ ٣٢٠) حديث (٩٢).
ـ والطبري في تفسيره (٧/ ١٢٨)، حديث (٧٦٦٢).
ـ وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٨٦)، حديث (١٢٢٦)،
ـ وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٨٧).
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣١٧) كتاب الصّلاة، باب: وقت العشاء الآخرة، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، والبزّار، والطبراني في الكبير، ورجال أحمد ثقات ليس فيهم غير عاصم بن أبي النجود وهو مختلف في الاحتجاج به، وفي إسناد الطبراني عبيد الله بن زحر وهو ضعيف.
ـ وكذا ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٦)، وعزاه لابن المنذر.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢١٦) للواحدي في أسباب النزول.
والحديث له شاهد من طريق أنس، أخرجه النّسائي (٨/ ١٧٤) حديث (٥٢٠٢) من طريق قتادة عن =

وقوله: ﴿يَتْلُونَ﴾: و﴿يُؤْمِنُونَ﴾: في محل الرفع صفتان لأمّة، أي: أمّة قائمة تالون مؤمنون، وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل. ساجدين، ومن الإيمان بالله، لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عُزيراً، وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض، ومن الإيمان باليوم الآخر، لأنهم يصفونه بخلاف صفته، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنهم كانوا مداهنين، ومن المسارعة في الخيرات، لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها، والمسارعة في الخير: فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الموصوفون بما وصفوا به، ﴿مِنَ﴾: جملة، ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم، ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين ﴿فلن تكفروه﴾ لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧] في معنى توفيه الثواب نفى عنه نقيض ذلك. فإن قلت: لم عدى إلى مفعولين، وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد، تقول شكر النعمة وكفرها؟ قلت: ضمن معنى الحرمان، فكأنه قيل: فلن تحرموه؛ بمعنى فلن تحرموا جزاءه، وقرىء «يفعلوا»، «ويكفروه» بالياء والتاء، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾: بشارة للمتقين بجزيل الثواب، ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

الصرُّ: الريح الباردة[١] نحو: الصرصر. قال [من البسيط]:

لاَ تَعْدِلَنَّ أَتَاوِيِّينَ تَضْرِبُهُمْ ... نَكْبَاءَ صِرّ بأَصْحَابِ الْمَحَلاَّتِ[٢]

= أنس بنحوه. وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه النّسائي وابن حبّان وأحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبزّار كلّهم من رواية عاصم عن زرعة. انتهى.

---

(١) قال محمود: «الصر الريح الباردة... الخ» قال أحمد: كلها أوجه وجيهة، وهذا الأخير أحسنها وأوجهها، لكن لم يبين الزمخشري وجه الظرفية في الأمثلة المذكورة، ونحن نبينها فنقول: إذا قلت مثلاً: إن ضيعني زيد ففي عمرو بعد الله كاف، فقولك «كاف» أثبت به منكراً مجرداً من القيود المشخصة المخصصة، ثم جعلت المعين الذي هو عمرو محلاً له، فشخصت ذلك المطلق المجرد بهذا المعين، فهي ظرفية صحيحة، إذ كل مقيد ظرف لمطلقه، إذ المطلق بعض المقيد، فتنبه لهذه النكتة فإنها لطيفة، والله الموفق.

(٢) الأتاوى: الغريب البعيد، كأنه منسوب إلى الأتاوة، وهي الرشوة والخفالة، لأنه قد يبذلها على إقامته في غير وطنه. والنكباء: الريح الشديدة. والصر الحارة، وقيل: الباردة. وقال الزجاج: =

كما قالت ليلى الأخيلية [من الطويل]:

وَلَمْ يَغْلِبِ الْخَصْمَ الأَلَدَّ وَيَمْلإِ الْـ ـجِفَانَ سَدِيفاً يَوْمَ نَكْبَاءَ صَرصَرِ[1]

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾؟ قلت: فيه أوجه: أحدهما: أن الصرّ في صفة الريح بمعنى الباردة، فوصف بها القرّة بمعنى فيها قرة صرّ، كما تقول: برد بارد على المبالغة، والثاني: أن يكون الصر مصدراً في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله، والثالث: أن يكون من قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ومن قولك: إن ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل. قال [من الوافر]:

.... وَفِي الرَّحْمٰنِ لِلضُّعَفَاءِ كَافِي[2]

= صوت النار في الريح. وقيل: صوت الريح. والنكباء: الريح الشديدة. والصر الحارة، وقيل: الباردة. وقال الزجاج: صوت النار في الريح. وقيل: صوت الريح. وقيل: الجو. وقيل: البرد. وعلى هذا لو روى بالجر على الإضافة لكان وجيهاً. والمحلات قيل هي أدوات البيت كالفأس والقدر والغربال والدلو. ويجوز أنها البيوت وهو الظل من البيت. يقول: لا تسو بين الغرباء وبين أصحاب البيوت. وروى: لا يعدلن أتاويون، بالبناء للمجهول، وما بعده نائب فاعل. ورواه الجوهري بالبناء للفاعل، وقال: أي لا يعدلن أتاويون أحداً بأصحاب المحلات، فحذف المفعول وهو مدان، وفسر المحلات فحذف الموصول وهو مدان، وفسر المحلات فيه بالأدوات كافة، لأن الأتاوى يستعيرها من أصحابها. وعلى كل فالنون للتوكيد.

ينظر: المقاييس ١/ ٥٢ و٥/ ٤٧٤، والمعاني الكبير ١/ ٣٧٤، وأساس البلاغة ص ١٣٩، والبحر ٣/ ٣٥، واللسان (أتى)، والدر المصون ٢/ ١٩٢.

(١) كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ ... بنجد ولم يطلع من المتغور
ولم يغلب الخصم الألد ويملأ الـ ... ـجفان سديفاً يوم نكباء صرصر

لليلى الأخيلية ترثي صاحبها توبة بن الحمير وتتذكر أحواله وتعد مناقبه. وفتى الفتيان: أي هو الفتى من بينهم وليسوا فتياناً بالنسبة له وإن كانوا فتياناً في أنفسهم، وتوبة بدل. ولم ينخ من أناخ بعيره، خبر كأن، أي كأنه لم ينخ بعيره بمحل مرتفع. ويروى: لم يسر بنجد، ولم يطلع من أطلع بمعنى طلع، أو لم يطلع بعيره من المتغور على اسم المفعول، أي المكان المنخفض ما فيه، وكأنه لم يغلب الخصم الشديد الخصومة. ويروى الخصم الصحاح بفتح الصاد، بمعنى الصحيح، وكأنه لم يملأ الجفان سديفاً، أي قطعاً بيضا من السنام في زمن الريح الشديدة الباردة، أو كثيرة الصرير وهو التصويت تعني أنه كان يفعل ذلك كله، ثم كأنه اليوم لم يفعل لموته.

ينظر: البيت في ديوانها، ورغبة الآمل ٦/ ١٨٤ و٨/ ١٧٧، والبحر المحيط ٣/ ٣٥، والدر المصون ٢/ ١٩٢.

(٢) لقد زاد الحياة إلى حبا ... بناتي إنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين البؤس بعدي ... وأن يشربن رنقاً بعد صاف
وأن يعرين إن كسي الجواري ... فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولاهن قد سويت مهري ... وفي الرحمن للضعفاء كافي

لأبي خالد الخارجي. وقيل: لمحمد بن عبد الله الأزدي. وقيل: لعمران بن حطان. وقيل غير =

شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله، بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاماً، وقيل: هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم، وقيل: ما أنفقوا في عداوة رسول الله ﷺ فضاع عنهم، لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله، وشبه بحرث، ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم، لأنّ الهلاك عن سخط أشدّ وأبلغ. فإن قلت: الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه[1] وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر، والكلام غير مطابق للغرض

= ذلك، لامه قطري ابن الفجاءة عن التخلف عن الحرب فاعتذر بذلك. وبناتي فاعل زاد. وأحاذر أي أخاف أن يدركهن الفقر بعد موتي. وكنى عن ذلك برؤيتهن له مبالغة، لأنه إذا خاف الرؤية خاف اللحوق. ويروى مخافة أن يذقن البؤس، أي الشدة، فشبهه بمطعوم على سبيل المكنية والذوق تخييل. ورنق الماء كدر وترنق: تكدر، ورنقه وأرنقه كدره، والرنق بالتحريك مصدر كالكدر فسكن وأريد منه الماء الكدر. ورورى «زيفا» أي مغشوشاً مكدراً، فالمراد واحد، فشبه العيش المبغض به، وشبه العيش الناعم بالماء الصافي على طريق التصريح والشرب ترشيح، وكسي بوزن فرح لازم ضد عرى. ويجوز هنا بناؤه للمجهول، من كسي المعتدي كدعا. وإن للشرط المجرد عن الشك أو بمعنى إذ. وتنبو ترتفع عنهن، كناية عن عدم التزوج بهن. والكرم بالسكون، وقيل ـ بالكسر ـ وصف من الكرم يقع على الواحد والمتعدد مذكراً ومؤنثاً. ويروى «عن رم» أي باليات، وهو أشبه بالسياق. والعجاف جمع عجفاء، أي مهزولة، أي لا يلتفت إليهن مع كونهن كريمات لهزالهن ورثاثة حالهن. وسويت مهري: وضعت عليه آلات الحرب ومهدته وهيأته لها. ويروى «قد سموت مهري» ولعله بتخفيف الميم بمعنى علوت عليه وركبته وقيل: بمعنى وضعت عليه سمات الحرب، فلعله مقلوب. و«سمت وروى سومت بالتشديد، وهو الذي يصلح أنه بمعنى جعلت عليه علامات الحرب لا ذاك، وجود من جانب الله عز وجل شخصاً كافياً، ولا حجر في المبالغة لا سيما على العرب. وفيه نوع استرجاع إلى الله وتفويض إليه وتوكل عليه، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين.

ينظر: الكامل ٨٩٥، واللسان (كرم)، والدرر المصون ٢/ ١٩٢.

(١) قال محمود «فإن قلت» الغرض تشبيه ما أنفقوا قلة جدواه. . .الخ» قال أحمد: أما إيراد السؤال فلا ترتضى صيغته لما فيها من حيف بالأدب، إذ جزم السائل المقدر بأن كلام الله تعالى غير مطابق لمراده، واللائق بالسؤال الوارد عن كتاب الله تعالى أن يذكر بصيغة الاسترشاد الصريحة، لا بصيغة الاعتراض المحضة والعبارة الصحيحة أن يقال: فما وجه مطابقة الكلام للغرض.، ولا ينبغي التساهل في ذلك، فإن أحدنا لو أورد سؤالاً على كلام إمام معتبر بمرأى منه ومسمع، تحيل في أنواع التلطف في إيراده بعد عن أمثال هذه العبارة. ولعل الاعتراض على ذلك الإمام يكون وارداً لا يمكن عنه جواب، فكيف يليق التسامح في إيراد الأسئلة على كتاب الله تعالى بصيغ الاعتراضات، وإنما يسأل عن كتاب الله تعالى بمرأى منه ومسمع على علم بأنه كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. فما أجدره أن يتوفر في الاسترشاد وأن يتأدب في الإيراد، ثم نعود إلى جواب الزمخشري الثاني وهو قوله: «إن المراد مثل إهلاك ما ينفقون» فنقول: لم يكشف الغطاء بهذا الجواب عن المطابقة المسئول عنها، والسؤال باق. وذلك أن الريح المشبه بها ليست الإهلاك وإنما هي المهلكة. ولا مطابقة بين المصدر والاسم إلا بتأويل آخر، وحينئذٍ يبعد هذا الوجه. وأقرب منه أن يقول: أصل الكلام والله أعلم: مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل =

حيث جعل ما ينفقون ممثلاً بالريح. قلت: هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] ويجوز أن يراد: مثل إهلاك ما ينفقون مثل إهلاك ريح، أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرىء: «تنفقون، بالتاء»، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾: الضمير للمنفقين على معنى: وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول، أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم، أي: وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم، ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة، وقرىء: «ولكنّ» بالتشديد، بمعنى ولكنّ أنفسهم يظلمونها هم، ولا يجوز أن يراد: ولكنه أنفسهم يظلمون، على إسقاط ضمير الشأن، لأنه إنما يجوز في الشعر.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

بطانة الرجل وو ليجته: خصيصه وصفيه الذي يفضي إليه بشقوره[1] ثقة به، شبه ببطانة الثوب كما يقال: فلان شعاري، وعن النبي ﷺ: «الأنصار شعار والناس دثار» (٢٨٢)، ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾: من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون، ويجوز تعلقه بـ «لا

---

٢٨٢ ـ رواه البخاري مختصراً (٨/ ٣٦٩)، كتاب المغازي، باب: غزوة الطائف، حديث (٤٣٣٠).
ـ ومسلم (٤/ ١٦٦)، كتاب الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، حديث (١٣٩) ـ (١٠٦١).
ـ كلاهما من طريق عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم المازني في أثناء حديث طويل، أوله «أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ لمّا فتح حُنيناً قسم المغانم». انتهى.

= حرث قوم ظلموا أنفسهم فأصابته ريح فيها صر فأهلكته. ولكن خولف هذا النظم في المثل المذكور لفائدة جليلة وهو تقديم ما هو أهم، لأن الريح التي هي مثل العذاب ذكرها في سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث، فقدمت عناية بذكرها واعتماداً على أن الأفهام الصحيحة تستخرج المطابقة برد الكلام إلى أصله على أيسر وجه، ومثل هذا في تحويل النظم لمثل هذه الفائدة قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا . . .﴾ الآية. ومثله أيضاً: أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه. والأصل: أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت. وأن أدعم بها الحائط إذا مال، وأمثال ذلك كثيرة. والله الموفق.

(١) قوله: «بشقوره» في الصحاح الشقور بالضم الأمور اللاصقة بالقلب المهمة له الواحد شقر. (ع)

تتخذوا»، وبـ «بطانة» على الوصف، أي: بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم، ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: يقال: ألا في الأمر يألو، إذا قصر فيه، ثم استعمل معدّى إلى مفعولين في قولهم: لا ألوك نصحاً، ولا ألوك جهداً، على التضمين، والمعنى: لا أمنعك نصحاً ولا أنقصكه، والخبال: الفساد، ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾: ودّوا عنتكم، على أنّ «ما» مصدرية، والعنت: شدّة الضرر والمشقة، وأصله انهياض العظم بعد جبره، أي: تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشدّ الضرر وأبلغه، ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين، وعن قتادة: قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار لإطلاع بعضهم بعضاً على ذلك، وفي قراءة عبد الله «قد بدأ البغضاء»، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾: الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ما بين لكم فعملتم به. فإن قلت: كيف موقع هذه الجمل؟ قلت: يجوز أن يكون، ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾: صفة للبطانة وكذلك، ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ﴾: كأنه قيل: بطانة غير آليكم خبالاً بادية بغضاؤهم، وأما، ﴿قَدْ بَيَّنَّا﴾: فكلام مبتدأ، وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ﴿ها﴾ للتنبيه، و ﴿أنتم﴾ مبتدأ، و﴿أُوْلَآءِ﴾: خبره. أي: أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب، وقوله: ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾: بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء، وقيل: ﴿أُوْلَآءِ﴾: موصول، ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾: صلته، والواو في ﴿وَتُؤْمِنُونَ﴾: للحال، وانتصابها من لا يحبونكم أي: لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله، وهم مع ذلك يبغضونكم. فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم، وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم، ونحوه ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] ويوصف المغتاظ والنادم بعضّ الأنامل والبنان والإبهام قال الحرث بن ظالم المري [من الطويل]:

فَأَقْتُلُ أَقْوَاماً لِئَاماً أَذِلَّةً ... يَعَضُّونَ مِنْ غَيْظٍ رُءُوسَ الأَبَاهِمِ(١)

﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾: دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ: زيادة ما يغيظهم من قوّة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء، وما يكون منهم في حال خلوّ بعضهم ببعض، وهو كلام داخل في جملة المقول أو خارج

---

(١) للحرث بن ظالم المري. وعض الأنامل من الغيظ: كناية عن شدته، وأطلق الأباهم وأراد مطلق الأصابع مجازاً مرسلاً، لأنه لا داعي للتخصيص المخالف للواقع عادة. ويحتمل أنها حقيقة. ينظر: البيت في البحر المحيط ٢/ ٤٤، والدر المصون ٢/ ١٩٧.

منها. فإن قلت: فكيف معناه على الوجهين؟ قلت: إذا كان داخلاً في جملة المقول فمعناه: أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظاً إذا خلوا، وقل لهم: إنّ الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور، فلا تظنوا أنّ شيئاً من أسراركم يخفى عليه، وإذا كان خارجاً فمعناه: قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من إطلاعي إياك على ما يسرون فإني أعلم ما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم ولم يظهروه بألسنتهم، ويجوز أن لا يكون ثمّ قول، وأن يكون قوله: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾: أمراً لرسول الله ﷺ بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظاً بإعزاز الإسلام وإذلالهم به، كأنه قيل: حدث نفسك بذلك.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

الحسنة: الرخاء، والخصب، والنصرة، والغنيمة، ونحوها من المنافع، والسيئة ما كان ضدّ ذلك؛ وهذا بيان لفرط معاداتهم؛ حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير، ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدّة، فإن قلت: كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة؟[1] قلت: المس مستعار لمعنى الإصابة فكان المعنى واحداً. ألا ترى إلى قوله: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ [التوبة: ٥٠]، ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ٢٠ ـ ٢١]، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾: على عداوتهم، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: ما نهيتم عنه من موالاتهم، أو: وإن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه، وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه، كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم، وقرىء: «لا يضركم»: من ضاره يضيره، ويضركم على أن ضمة الراء لإتباع ضمة الضاد، كقولك مدّ يا هذا، وروى المفضل عن عاصم «لا يضركم» بفتح الراء، وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى، وقد قال الحكماء: إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من الصبر والتقوى وغيرهما، ﴿مُحِيطٌ﴾: ففاعل بكم ما أنتم أهله، وقريء بالياء ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بمعنى أنه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه.

---

(١) قال محمود: «إن قلت: كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة...الخ» قال أحمد: يمكن أن يقال: المس أقل تمكناً من الإصابة، وكأنه أقل درجاتها، فكأن الكلام والله أعلم: إن تصبكم الحسنة أدنى إصابة تسؤهم ويحسدوكم عليها، وإن تمكنت الإصابة منكم وانتهى الأمر فيها إلى الحد الذي يرثي الشامت عنده منها فهم لا يرثون لكن ولا ينفكون عن حسدهم ولا في هذه الحال، بل يفرحون ويسرون، والله أعلم.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿و﴾ اذكر، ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: بالمدينة، وهو غدوةُ إلى أحد من حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ روي: أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء، فاستشار النبي ﷺ أصحابه ودعا عبد الله بن أبيّ ابن سلول ولم يدعه قط قبلها، فاستشاره. فقال عبد الله وأكثر الأنصار: يا رسول الله، أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ قط إلا أصاب منا ولادخلها علينا إلا أصبنا منه، فكيف وأنت فينا، فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة، وإن رجعوا رجعوا خائبين. وقال بعضهم: يا رسول الله، اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم. فقال ﷺ: إني قد رأيت في منامي بقراً مذبحة حولي، فأوّلتها خيراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً فأولته هزيمة، ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم. فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد: اخرج بنا إلى أعدائنا. فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته. فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا: بئسما صنعنا، نشير على رسول الله ﷺ والوحي يأتيه، وقالوا: اصنع يا رسول الله ما رأيت، فقال: لا ينبغي لنبيّ أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل، فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوّم بهم القدح[1]، إن رأى صدراً خارجاً قال: تأخر، وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد؛ وأمّر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم: «انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا» (٢٨٣)، ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: تنزلهم، وقرأ عبد الله «للمؤمنين»، بمعنى

---

٢٨٣ ـ رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٢٤)، باب: كيف كان الخروج إلى أحد والقتال بين المسلمين والمشركين يومئذ، من طريق محمد بن إسحاق، قال: قال محمد بن شهاب الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة، ومحمد بن يحيى بن حبّان، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ. . . فذكره.
وأخرجه عبد الرزاق في مصنّفه (٥/ ٣٦٣)، حديث (٩٧٣٥)، في المغازي في غزوة أحد: حدّثنا معمر عن الزهري، عن عروة. . . فذكره بتغير يسير.
وأخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ١٦٣)، حديث (٧٧١٨) من نفس الطريق السابق. وابن هشام في سيرته (٣/ ٦)، في غزوة أحد، من قول ابن إسحاق، حديث (١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤). =

---

(١) قوله: «كأنما يقوم بهم القدح، في الصحاح: القدح ـ بالكسر ـ السهم قبل أن يراش ويركب نصله. (ع)

تسوى لهم وتهيء، ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾: مواطن ومواقف، وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا مجرى صار[1]، واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥]، ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩] من مجلسك وموضع حكمك، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم، ﴿إِذْ هَمَّت﴾: بدل من، ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾: أو عمل فيه معنى، ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، والطائفتان حيان من الأنصار: بنو سلمة

= بداية من قوله: «إني رأيت في منامي بقراً. . . حتى قوله: وتدعوهم».
والحديث له عدة شواهد منها.
ما أخرجه البخاري (٦/ ٧٢٥)، كتاب المناقب، حديث (٣٦٢٢).
ومسلم (٨/ ٣٦)، كتاب الرؤيا، باب: رؤيا النبي - ﷺ -.
- وابن حبّان في صحيحه (١٤/ ١٧٥)، كتاب التاريخ، فصل في هجرته - ﷺ - إلى المدينة. . . حديث (٦٢٧٥) وابن ماجه (٢/ ١٢٩٢) كتاب تعبير الرؤيا، حديث (٣٩٢١) كلّهم من طريق أبي موسى.
- وأحمد (٣/ ٣٥١) عن جابر بن عبد الله، وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن إسحاق في المغازي، قال: حدّثني محمد بن شهاب وعاصم بن عمر ومحمد بن يحيى بن حبّان والحصين ابن عبد الرحمن وغيرهم من علمائنا، كلّهم قد حدّث عن غزوة أحد. وكان من حديثهم قالوا: قال رسول الله - ﷺ - للمسلمين يوم أحد «إني رأيت بقراً وأولتها خيراً. ورأيت في ذباب سيفي ثلماً - فذكر الحديث بطوله وفيه: ومات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له: مالك بن عمرو. وفيه: ذكر للأمة وغير ذلك. ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقي في الدلائل وأورد منه الطبري من طريقه قطعة. وساقه عبد الرزاق عن معمر عن ابن شهاب عن عروة مطوّلاً وأخرجه الطبري من رواية أسباط عن السدّي بلفظ المصنّف، إلى قوله، وأصبح بالشعب، وبقية ذلك هو من كلام ابن إسحاق «قوله فيه حتى يقوم بها القداح» وقع في رواية الواقدي عن ابن أخي الزهري عن عروة عن المسور بن مخرمة. وقد ساقه الواقدي بهذا الإسناد مطولاً. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: أما إجراء «قَعَدَ» مجرى «صار» فقال بعض أصحابنا إنما جاء ذلك في لفظة واحدة شاذة في المثل في قولهم: «شَحَذَ شَفْرَته حتى قَعَدَتْ كأنها حَرْبَة»، وكذلك نَقَد على الزمخشري تخريجه قوله تعالى: ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا﴾ بمعنى: فتصير، لأنه لا يطرد إجراء قَعَد مجرى صار» قلت: وهذا الذي ذكره الزمخشري صحيح من كون «قعد» يكون بمعنى صار في غير ما أشار إليه هذا القائل، حكى أبو عمر الزاهد عن ابن الأعرابي أن العرب تقول: «قعد فلان أميراً بعد أن كان مأموراً» أي صار. ثم قال الشيخ: «وأما إجراء «قام» مجرى «صار» فلا أعلم أحداً عَدّها في أخوات «كان»، ولا جعلها بمعنى صار، إلا ابن هشام الخضراوي فإنه ذَكر في قول الشاعر:

عَلَى مَا قَامَ يَشْتِمُنِي لَئِيمٌ ... كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادِ

قلت: وغيره من النحويين يجعلها زائدة، وهو شاذ أيضاً. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا غير محرر، لأن العامل لا يكون مركباً من وصفين، فتحريره أن يقال: عمل فيه معنى سميع أو عليم، وتكون المسألة من التنازع». قلت: لم يُرِدِ الزمخشري بذلك إلا ما ذكرته من إرادة التنازع، ويصْدُق أن يقول: عمل فيه هذا وهذا بالمعنى =

من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وهما الجناحان. خرج رسول الله ﷺ في ألف، وقيل: في تسعمائة وخمسين، والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا، فانخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس، وقال: يا قوم، علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال: أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم، فقال عبد الله: لو نعلم قتالا لاتبعناكم، فهمّ الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله ﷺ (٢٨٤)، وعن ابن عباس رضي الله عنه: أضمروا أن يرجعوا، فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا، والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس، وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع، ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه، كما قال عمرو بن الأطنابة [من الوافر]:

أَقُولُ لَهَا إِذَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ: ... مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي(١)

----

٢٨٤ ـ ذكره ابن هشام في سيرته (٣/٨)، حديث (١٠٨٥)، في غزوة أحد من قول ابن إسحاق في كلام طويل، وتقدم بعضه في الحديث السابق.
ـ وذكر البغوي في تفسيره (١/٣٤٧)، رقم (١٢٢) نحوه.
وكذا ذكره السيوطي في الدرّ المنثور (٢/١٢١)، قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: هو الذي قبله، وذكره ابن هشام في تهذيب السيرة بتمامه عن ابن إسحاق. انتهى.

= المذكور لا أنهما عمِلا فيه معاً، على أنه لو قيل به لم يكن مبتدعاً قولاً، إذ الفراء يرى ذلك، ويقول في نحو: «ضربت وأكرمت زيداً» إنّ «زيداً» منصوبٌ بهما وإنهما تسلّطا عليه معاً، انتهى. الدر المصون.

(١) أبت لي عفتي وأبى تلادي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقحامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت: ... مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمى بعد عن عرض صحيح

لعمرو بن الأطنابة وهي أمه، وأبوه يزيد بن مناة بن ثعلبة من باهلة. والتلاد: المال القديم الموروث. ويروي بلائي أي بأسي في الحروب. واستعار الثمن لما يبذله في المكارم على طريق التصريح. والربيح: الزائد. والإقحام: تكليف الدخول في المكروه. ويروى: وإقدامي. ويروى «وأضرب» بدل «ضربي» وفيه دلالة على تجدد الضرب وإبرازه في صورة إلى أمر المشاهد وهو من عطف المصدر المؤول على المصدر الصريح، ويحتمل أنها جملة حالية والتقدير: وأنا أضرب. والهامة أعلى الرأس. والمشيح: الجاد في القتال، من أشاح إذا جد واجتهد. وجشأت: تحركت واضطربت، وجاشت: غلت وارتفعت، وكل شيء يغلي فهو يجيش. ومكانك: اسم فعل. أي الزمي يا نفس مكانك، يحمدك الناس إن ظفرت، أو تستريحي إن مت. ولأدفع: متعلق بالقول أو باسم الفعل أو بأبت لي، أي منعتني عفتي وما عطف عليها من الفرار. وإسناد الفعل لذلك مجاز عقلي من الإسناد للسبب. وشبه سلامة العرض من الطعن بسلامة البيضة مثلاً من الكسر فاستعار لها =

حتى قال معاوية: عليكم بحفظ الشعر، فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين، فما ثبت مني إلا قول عمرو بن الأطنابة، ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية، والله تعالى يقول: ، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ويجوز أن يراد: والله ناصرهما ومتولي أمرهما، فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله فإن قلت، فمامعنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية: والله ما يَسُرُّنا أنا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا؟. قلت: معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية، وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها ـ لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم ـ كانت سبباً لنزولهما، والفشل: الجبن والخور، وقرأ عبد الله: «والله وليهم» كقوله ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ [الحجرات: ٩].

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾

أمرهم بألا يتوكلوا إلا عليه، ولا يفوّضوا أمورهم إلا إليه، ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حالة قلة وذلة، والأذلة: جمع قلة والذلان جمع الكثرة، وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلاً، وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب، وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد، وقلتهم أنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر، وكان عدوّهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشِّكَّة والشَّوْكة[1]، وبدر: اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدراً فسمي به، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في الثبات مع رسوله، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: بتقواكم ما أنعم به عليكم من

= الصحة على طريق التصريح.

ينظر: إنباه الرواة ٣/ ٢٨١، وحماسة البحتري ص ٩، والحيوان ٦/ ٤٢٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٩٥، وخزانة الأدب ٢/ ٤٢٨، والدرر ٤/ ٨٤، وديوان المعاني ١/ ١١٤، وسمط اللآلي ص ٥٧٤، وشرح التصريح ٢/ ٢٤٣، وشرح شواهد المغني ص ٥٤٦، ومجالس ثعلب ص ٨٣، والمقاصد النحوية ٤/ ٤١٥، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/ ١٨٩، والخصائص ٣/ ٣٥، وشرح الأشموني ٣/ ٥٦٩، وشرح شذور الذهب ص ٤٤٧، وشرح قطر الندى ص ١١٧، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٧٤، ولسان العرب (جشأ)، ومغني اللبيب ١/ ٢٠٣، والمقرب ١/ ٢٧٣، وهمع الهوامع ٢/ ١٣.

(١) قوله: «والشكة والشوكة» في الصحاح: الشكة ـ بالكسر ـ السلاح. والشوكة: شدة البأس. (ع)

نصرته. أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها، فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له، ﴿إِذْ تَقُولُ﴾: ظرف لنصركم، على أن يقول لهم ذلك يوم بدر، أو بدل ثان من، ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾: على أن يقوله لهم يوم أحد. فإن قلت: كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة؟ قلت: قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى [عليهم]، فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا، حيث خالفوا أمر رسول الله ﷺ، فلذلك لم تنزل الملائكة؛ ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت، وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله، ومعنى، ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾: إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة، وإنما جيء بـ «لن» الذي هو لتأكيد النفي، للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوّهم وشوكته كالآيسين من النصر، و﴿بَلَىٰ﴾: إيجاب لما بعد «لن»، بمعنى: بل يكفيكم الإمداد بهم، فأوجب الكفاية ثم قال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾: يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسوّمين للقتال، ﴿وَيَأْتُوكُم﴾: يعني المشركين، ﴿مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾: من قولك: قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى، وجاء فلان ورجع من فوره، ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله: الأمر على الفور لا على التراخي، وهو مصدر من: فارت القدر، إذا غلت، فاستعير للسرعة، ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ـ ولا تعريج على شيء من صاحبها؛ فقيل: خرج من فوره، كما تقول: خرج من ساعته، لم يلبث، والمعنى: أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه، ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾: بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم، يريد: أنّ الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم، وقرىء: «منزلين» بالتشديد. «ومنزلين» بكسر الزاي، بمعنى: منزلين النصر، و﴿مُسَوِّمِينَ﴾: بفتح الواو وكسرها. بمعنى: معلمين، ومعلمين أنفسهم أو خيلهم. قال الكلبي: معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم، وعن الضحاك: معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها (٢٨٥)، وعن مجاهد: مجزوزة أذناب خيلهم (٢٨٦)، وعن قتادة: كانوا على خيل بلق (٢٨٧)، وعن عروة بن الزبير: كانت عمامة

---

٢٨٥ ـ أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣/١٠٨٩)، رقم (٥٢٤)، من طريق أبي معاوية عن جويبر عن الضحّاك.

٢٨٦ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/١٨٧) رقم (٧٧٧٩) من طريق محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد في قوله: ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ قال: مجزوزة أذنابها، وأعراقها فيها الصّوف أو العهن، فذلك التسويم.
وأخرجه ابن أبي حاتم (٢/٥٢٧)، رقم (١٣٧٢)، من طريق شبل عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.
ـ وذكره السيوطي في الدرّ المنثور (٢/١٢٥) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

٢٨٧ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/١٨٧)، من طريق بشر قال: حدّثنا يزيد قال: حدّثنا سعيد، عن قتادة: فذكره، رقم (٧٧٨٠).

الزبير يوم بدر صفراء، فنزلت الملائكة كذلك (٢٨٨)، وعن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه: «تسوّموا فإنّ الملائكة قد تسوّمت» (٢٨٩)، ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾: الهاء لـ «أن يمدكم». أي: وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ﴿ولتطمئن قلوبكم به﴾ كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا، ولا من عند الملائكة والسكينة، ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة، ويربط به على قلوب المجاهدين، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي لا يغالب في حكمه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة، ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر، وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم، ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة، ﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾: غير ظافرين بمبتغاهم، ونحوه ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً﴾ [الأحزاب: ٢٥] ويقال: كبته، بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة، وقيل في قول أبي الطيب [من الوافر]:

- لأَكْـبِـتَ حَـاسِـداً وَأرِى عَـدُوًّا ....(١)

---

٢٨٨ - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٣١) من طريق معمر عن قتادة قال: أخبرني عروة عن أبيه... فذكره.

٢٨٩ - رواه ابن أبي شيبة في مصنّفه (٧/ ٣٥٤)، في كتاب المغازي، باب: غزوة بدر، من طريق ابن عون عن عمير بن إسحاق. قال: «تسوموا فإن الملائكة قد تسومت» قال: فهو أول يوم وضع الصفوف. انتهى.
- وعزاه ابن أبي شيبة لإبراهيم الحربي، في كتابه غريب الحديث.
- وأخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ١٨٦)، حديث (٧٧٧٦) من نفس الطريق السابق قال: إن أول ما كان الصوف ليومئذ - يعني يوم بدر... فذكره.
- وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٢٠) للواقدي في كتاب المغازي من طريق عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة. حدّثنا أبو أمامة عن ابن عون. عن ابن عمير، وابن إسحاق بهذا. وهو مرسل وزاد: قال «فهو أول يوم وضع فيه الصّوف» ورواه الطبري من وجه آخر عن ابن عون به. وقال الواقدي: حدّثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر. عن محمود بن لبيد فذكره. قال: فأعلموا بالصوف في مغافرهم» ولم يذكر الزيادة. ورواه ابن سعد من طرق في قصة «وفيه: فقال لأصحابه يومئذ: «تسوموا فإن الملائكة قد تسومت». قال: «فأعلموا بالصّوف في مغافرهم وقلانسهم». انتهى.

---

(١)
رويدك أيها الملك الجليل ... تأن وعده مما تنيل
وجودك بالمقام ولو قليلاً ... فما فيما تجود به قليل
لأكبت حاسداً وأرى عدواً ... كأنهما وداعك والرحيل

=

هومن الكبد والرئة، واللام متعلقة بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾، أو بقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، ﴿أَوْ يَتُوبَ﴾: عطف على ما قبله.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾

و﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: اعتراض، والمعنى: أنّ الله مالك أمرهم، فإما يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا، أو يعذبهم إن أصروا على الكفر، وليس لك من أمرهم شيء، إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم، وقيل: إنّ، ﴿يَتُوبَ﴾: منصوب بإضمار «أن» و «وأن يتوب» في حكم اسم معطوف بأو على الأمر أو على شيء، أي: ليس لك من أمرهم شيء، أو من التوبة عليهم، أو من تعذيبهم. أو ليس لك من أمرهم شيء، أو التوبة عليهم، أو تعذيبهم، وقيل «أو» بمعنى «إلا أن» كقولك: لألزمنك أو تعطيني حقي، على معنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم، أو يعذبهم فتتشفى منهم، وقيل: شجه عتبة بن أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته، فجعل يمسح الدم عن وجهه، وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم، وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم، فنزلت (٢٩٠)، وقيل: أراد أن

---

٢٩٠ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٣١)، من طريق معمر عن قتادة به.
ومن طريق عبد الرزاق، رواه الطبري في تفسيره (٧/ ١٩٨) حديث (٧٨١٥).
ـ وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٥)، في غزوة أحد، أخبرنا محمد بن حميد العبدي، عن معمر، عن قتادة. . . فذكره.
ـ والحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما.
● منها ما رواه البخاري (٨/ ١٢٢)، حديث (٤٠٧٥) من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد الساعديّ، والحديث ليس فيه ذكر عتبة بن أبي وقاص، ولا سالم مولى حذيفة.
● ومنها ما أخرجه مسلم (٦/ ٣٨٨)، حديث (١٠٤) من طريق ثابت عن أنس. وحديث أنس انفرد =

= لأبي الطيب. يقول: تمهل يا أيها الملك عن السفر، واجعل ذلك التأني مما تحسن به إلينا، وجودك علينا بالإقامة، ولو كانت قليلة عندك أو في ذاتها فهي كثيرة عندنا، فإنه ليس فيما تجود به قليل. وقوله: «لأكبت» متعلق بتأن. وأصله: لأكبد، قلبت الدال تاء لقرب مخرجيهما، أي لأصيب كبد الحاسد بالغيظ. وأرى: أي أصيب رئة العدو به أيضاً، كأنهما: أي الحاسد والعدو، شبه الأول بالوداع، والثاني بالرحيل، في أن كلا يحزنه. وخص الثاني بالثاني، لأنه أشد كراهة، وفيه لف ونشر مرتب، وهو حسن.
ينظر: ديوانه: ٣/ ١٣٦، وتاج العروس: (كبت).

يدعو الله عليهم فنهاه الله تعالى، لعلمه أن فيهم من يؤمن، وعن الحسن، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: بالتوبة[1]، ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين[2]، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين للعذاب، وعن عطاء: يغفر لمن يتوب إليه ويعذب من لقيه ظالماً. وإتباعه قوله: ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾: تفسير بين لمن يشاء، وأنهم المتوب عليهم، أو الظالمون، ولكن أهل الأهواء والبدع يتصامُّون ويتعامون[3] عن آيات

= به مسلم، وقد علّقه البخاري.

- والنسائي في تفسيره (١/٣٢٧) حديث (٩٧) من طريق حميد عن أنس.
- والبيهقي في دلائل النبوة باب: غزوة أحد، من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري قال: رمى يومئذ رسول الله - ﷺ - رجلاً من بني الحارث بن عبد مناة يقال له: عبد الله بن قمئة، ويقال: بل رماه عتبة بن أبي وقاص، ثم أسند إلى مقسم.
قال: دعا النبي - ﷺ - فذكره.
- وابن هشام في سيرته (٣/ ٣١)، حديث (١١٢١)، من حديث أبي سعيد الخدري بنحو حديث البيهقي في الدلائل.
- وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٢٣) للثعلبي في تفسيره من طريق عكرمة وقتادة ومقسم، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق. ومن طريقه الطبري. أخبرنا معمر عن قتادة أنّ عتبة. فذكره من طريق معمر أخرجه ابن سعد سواء. والحديث في الصّحيحين من حديث سهل بن سعد «كسرت رباعية النبي - ﷺ - يوم أحد وشُجّ رأسه. فجعل يسلت الدم عن وجهه ويقول: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيّهم. وهو يدعوهم إلى الله؟ فأنزل الله تعالى ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ قال: وكانت فاطمة تغسل الدم عن وجهه - الحديث» وسيأتي قريباً أن الذي شجّه عبد الله بن قمئة. وقال الواقدي: المثبت عندنا أنّ الذي رمى وجه النبي - ﷺ - عبد الله بن قمئة: والذي رمى شفته وأصاب رباعيته. عتبة بن أبي وقاص. وفي السيرة لابن هشام من حديث أبي سعيد الخدري أنّ عتبة بن أبي وقّاص رمى رسول الله - ﷺ - يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى. وجرح شفته السفلى. وأن عبد الله بن شهاب شجّه في وجهه، وأنّ ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله - ﷺ - في حفرة من الحفر فأخذ عليٌّ بيده ورفعه طلحة حتى استوى قائماً ومصّ مالك بن سنان أبو أبي سعد الدم عن وجه النبي - ﷺ - ثم ازدرده. فقال النبي - ﷺ -: من مسّ دمه دمي لم تصبه النار. انتهى.

---

(١) قال محمود: «معناه يغفر لمن يشاء بالتوبة. . .الخ» قال أحمد: هذه الآية واردة في الكفار. ومعتقد أهل السنة أن المغفرة في حقهم مشروطة بالتوبة من الكفر والرجوع إلى الإيمان، وليسوا محل خلاف بين الطائفتين وعندهم أن المؤمن التائب من كفره هو المعني في قوله: (يغفر لمن يشاء) كما قاله الزمخشري. وأما تسلقه من ذلك على تعميم هذا الحكم وتعديته إلى الموحدين، فمن التعامي والتصام حقيقة، وإلا فهو أحذق من ذلك. وأما نسبته إلى أهل السنة التعامي والتصام والهوى والبدعة والافتراء، فالله حسيبه في ذلك والسلام.

(٢) قوله: «ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين» هذا عند المعتزلة. (ع)

(٣) قوله: «ولكن أهل الأهواء والبدع يتصامون» يريد أهل السنة وتحقيق المبحث في علم التوحيد. (ع)

الله فيخبطون خبط عشواء، ويطيبون أنفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم: يهب الذنب الكبير لمن يشاء، ويعذب من يشاء على الذنب الصغير.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾: نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله زاد في الأجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون[1]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾: كان أبو حنيفة رحمه الله يقول: هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه، وقد أمدّ ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين برحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله، ومن تأمّل هذه الآية وأمثالها لم يحدث نفسه بالأطماع الفارغة والتمني على الله تعالى، وفي ذكره تعالى «لعلّ» و «عسى» في نحو هذه المواضع ـ وإن قال الناس ما قالوا ـ ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى، وصعوبة إصابة رضا الله، وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه.

﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾

في مصاحف أهل المدينة والشام «سارعوا» بغير واو، وقرأ الباقون بالواو، وتنصره قراءة أبيّ وعبد الله: وسابقوا ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة: الإقبال على ما يستحقان به، ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، أي: عرضها عرض السموات والأرض، كقوله: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] والمراد: وصفها بالسعة والبسطة،

---

(١) قوله: « للمديون» لعله المدين، أو هو لغة شاذة. (ع)

فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه، وخص العرض، لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة، كقوله: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وعن ابن عباس رضي الله عنه: كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض، ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر، لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير أو قليل، كما حكي عن بعض السلف: أنه ربما تصدّق ببصلة، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها تصدّقت بحبة عنب (٢٩١) أو في جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرّة، لا تمنعهم حال فرح وسرور، ولا حال محنة وبلاء من المعروف، وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو في حبس، فإنه لا يدع الإحسان، وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الإخلاص، ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين.

كظم القربة: إذا ملأها وشد فاها، وكظم البعير: إذا لم يجتر، ومنه كظم الغيظ، وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثراً، وعن النبي ﷺ: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيماناً» (٢٩٢)، وعن عائشة رضي الله عنها: أن خادماً لها غاظها فقالت: لله درّ التقوى، ما تركت لذي غيظ شفاء.، ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾: إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه، وروي: «ينادي مناد يوم القيامة: أين الذين

---

٢٩١ ـ أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٣٥٥) رقم (٤٦٩٧)، من طريق فضيل بن مرزوق عن ظبية بنت المعلل، قالت: دخلت على عائشة فجاء سائل فأعطته حبّة عنب، ثم نظرت إليّ وقالت: أتعجبين من هذا إنّ في هذا لمثاقيل كثيرة. انتهى.
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: (١/ ٢٢٤) لعبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب الآنية من طريق أبي الأحوص عن إبن إسحاق بنحوه.
وكذا لابن زنجويه في كتاب الأموال من طريق الوليد بن جميع عن مولاه.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن سعد أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا فضيل بن مرزوق عن ظبية بنت المعلل. قالت: «دخلت على عائشة فجاء سائل فأعطته حبة عنب، ثم نظرت إليّ، وقالت: أتعجبين من هذا؟ إن هذا لمثاقيل كثيرة». انتهى.

٢٩٢ ـ أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ٢٤٨)، حديث (٤٧٧٨)، كتاب: الأدب، باب: من كظم غيظاً، من طريق سويد بن وهب عن رجل من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ عن أبيه.
ـ وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٣٢) من طريق داود بن قيس عن زيد بن أسلم.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود من رواية ابن عجلان عن سويد بن وهب عن رجل من أبناء أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ عن أبيه. قال ابن طاهر. هذا الصّحابي هو معاذ بن أنس وابنه سهل. ورواه عبد الرزاق وأحمد عنه، والعقيلي من طريقه. قال: أخبرنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل عن عمر له عن أبي هريرة به. وعبد الجليل مجهول.

كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا» وعن ابن عيينة: أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه (٢٩٣) وعن النبي ﷺ: «إن هؤلاء في أمّتي قليل إلا من عصم الله، وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت» (٢٩٤)، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورين، وأن تكون للعهد فتكون إشارة إلى هؤلاء، ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: عطف على المتقين. أي: أعدت للمتقين وللتائبين، وقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى الفريقين، ويجوز أن يكون و«الذين» مبتدأ خبره «أولئك»، ﴿فَٰحِشَةً﴾: فعلة متزايدة القبح، ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: أو أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذون به، وقيل: الفاحشة: الزنا، وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما، وقيل: الفاحشة: الكبيرة، وظلم النفس: الصغيرة، ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾: تذكروا عقابه أو وعيده أو نهيه، أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه، ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾: فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين[1]، ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وإنّ التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له، وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه، وأنّ عدله يوجب المغفرة للتائب، لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو[2] والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد، وتنشيط للتوبة، وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم، والمعنى: أنه وحده معه مصححات المغفرة، وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾: ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين، وعن النبي ﷺ: «ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة» (٢٩٥) وروي: «لا كبيرة

---

٢٩٣ ـ ينظر البحر المحيط (٣/ ٦٣).

٢٩٤ ـ ذكره الديلمي في كتاب الفردوس (٥/ ٣٦٤)، حديث (٨١٧٠)، من طريق أنس بلفظ: «يبعث الله ـ عزّ وجلّ ـ منادياً ينادي: من كان له على الله أجر فليقم إلى أجره ذلك فليأخذه. فيقال: وما ذلك الأجر؟ قال: من ظلم في أوان الدنيا فعفا وأصلح فأجره على الله، فيقومون إلى أجرهم ذلك، وهم قليلون في أمتي كثير في الأمم».

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٢٦) للثعلبي من طريق مقاتل بن حيان، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: ذكره الثعلبي عن مقاتل بن حيان قال: بلغنا أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ. . . فذكره. وإسناده إلى مقاتل من أول الكتاب، وفي الفردوس عن أنس نحوه في أوّل الذي قبله. انتهى.

٢٩٥ ـ الحديث رُوي من طريق أبي بكر ومن طريق ابن عباس. =

---

(١) قوله «عازمين» لعله عازمين على عدم العود. (ع)

(٢) قوله «بأقصى مما يقدر عليه وجب العفو» أما سمعاً فباتفاق، وأما عقلاً فعند المعتزلة فقط. (ع)

مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار» (٢٩٦)، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: حال من فعل الإصرار وحرف النفي منصب عليهما معاً، والمعنى: وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد عليها، لأنه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح، وفي

= فأما حديث أبي بكر:
رواه أبو داود (٢/ ٨٤) حديث (١٥١٤) كتاب الصّلاة، باب: في الاستغفار.
والترمذي (٥/٥٥٨) كتاب الدعوات، حديث (٣٥٥٩) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث أبي نُصيرة وليس إسناده بالقوي.
وأبو يعلى في مسنده (١/ ١٢٤)، حديث (١٣٧، ١٣٨).
- وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٥٥)، حديث (١٤٥٩) وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٢٧) للبزار في مسنده، ولابن السنّي في كتابه «عمل اليوم والليلة».
وأما حديث ابن عباس:
فعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٢٧) للطبراني في كتاب الدّعاء من حديث ابن أبي مليكة عن ابن عباس مرفوعاً بلفظه سواء، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود والترمذي وأبو يعلى والبزّار. من طريق عثمان بن واقد عن أبي نصيرة عن مولى لأبي بكر - رضي الله عنه -. قال الترمذي: غريب وليس إسناده بالقوي. وقال البزّار: لا نحفظه إلاّ من حديث أبي بكر بهذا الطريق. وأبو نصيرة وشيخه لا يُعرفان. قلت: له شاهد أخرجه الطبراني في الدّعاء من حديث ابن عباس. انتهى.

٢٩٦ - جاء هذا الحديث من طريق أبي هريرة، ومن طريق ابن عباس.
● أما حديث أبي هريرة:
فأخرجه أبو حفص عمر بن شاهين في كتاب الترغيب (١/ ٢٠٩) حديث (١٨٦) (١٢)، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ليست كبيرة بكبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة بصغيرة مع الإصرار».
- وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٢٨) للطبراني في مسند الشاميين من رواية مكحول عن أبي سلمة.
أما حديث ابن عباس:
فأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٨٥٣).
فائدة:
قال الشوكاني في «إرشاد الفحول» (ص٤٧): وقد قيل إن الإصرار على الصغيرة حكمه حكم مرتكب الكبيرة وليس على هذا دليل يصلح التمسك به وإنما هي مقالة لبعض الصّوفية فإنه قال: لا صغيرة مع إصرار وقد روى بعض ما لا يعرف علم الرواية هذا اللفظ وجعله حديثاً ولا يصح ذلك بل الحق أنّ الإصرار حكمه حكم ما أصرّ عليه فالإصرار على الصّغيرة صغيرة والإصرار على الكبيرة كبيرة.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه إسحاق بن بشر أبو حذيفة في المبتدأ عن الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وإسحاق حديثه منكر. ورواه الطبراني في مسند الشاميين من رواية مكحول. عن أبي سلمة. عن أبي هريرة. وزاد في آخره «فطوبى لمن وجد في كتابه استغفاراً كثيراً» وفي إسناده بشر بن عبد الوارث. وهو متروك. ورواه الثمار وابن شاهين في الترغيب من رواية بشر بن إبراهيم عن خليفة بن سليمان عن أبي سلمة عن أبي هريرة به. انتهى.

هذه الآيات بيان قاطع أنّ الذين آمنوا على ثلاث طبقات: متقون وتائبون ومصرُّون، وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم، دون المصرّين[١]، ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه. قال: ﴿أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾: بعد قوله: ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ [آل عمران: ٨٧] لأنهما في معنى واحد، وإنما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أنّ ذلك جزاء واجب على عمل، وأجر مستحق عليه، لا كما يقول المبطلون[٢]، وروي أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى: «ما أقلّ حياء من يطمع في جنتي بغير عمل، كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي»، وعن شهر بن حوشب: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: يقول الله تعالى يوم القيامة «جوزوا الصراط بعفوي، وادخلوا الجنة برحمتي، واقتسموها بأعمالكم» وعن رابعة البصرية ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تنشد [من البسيط]:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ... إنّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي عَلَى اليَبَسِ[٣]

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: ونعم أجر العاملين ذلك. يعني المغفرة والجنات، ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: يريد ما سنه الله في الأمم المكذبين من وقائعه، كقوله: ﴿وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ۝٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۝٦٢﴾ [الأحزاب: ٦١ ـ ٦٢] ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ٢٣].

---

(١) قوله: «والتائبين منهم دون المصرين» يعني أن الإصرار كبيرة وفاعل الكبيرة يخلد في النار لكن هذا عند المعتزلة، وخالف أهل السنة لأنه مؤمن عندهم والمؤمن لا يخلد فيها وتحقيقه في علم التوحيد. (ع)

(٢) قوله: «وأجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون» يريد بهم أهل السنة حيث قالوا: لا يجب على الله شيء. (ع)

(٣) ما بال نفسك ترضي أن تدنسها ... وثوب نفسك مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجرى على اليبس

للإمام على كرم الله وجهه وقيل: لأبي العتاهية، والبال الشأن والنفس. ويجوز أنها الذات والثوب على ظاهره. ويجوز أنها الروح والثوب مستعار للجسم، لأنه للروح كالثوب للبدن. أي لا ينبغي تدنيس المظروف مع تنظيف ظرفه، ويجوز أن الأولى الروح والثاني الذات، ويروى. ما بال دينك ترضي أن تدنسه. وثوب نفسك: جملة حالية، ويروى: «وثوبك الدهر مغسول». وترجو النجاة على حذف أداء الاستفهام التوبيخي، أبرزه في صورة الخبر ليصور قبحه، وشبه الأسباب الموصلة للنجاة بالطرق المسلوكة على سبيل التصريحية «ولم تسلك» ترشيح. وقوله: «إن السفينة» تمثيل لحال من يرجو أمراً ولم يأخذ في أسبابه بحال ملاح يريد تسيير السفينة على أرض صلبة لا ماء بها، وفيه تقرير التوبيخ الذي أفاده الاستفهام.
ينظر: ديوانه ص ٣٢٣، وأساس البلاغة (زرر).

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾: إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب، يعني: حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾: يعني أنه مع كونه بياناً وتنبيهاً للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز أن يكون قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: جملة معترضة للبعث على الإيمان وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين، ويكون قوله: ﴿هذا بيان﴾ إشارة إلى ما لخص وبين من أمر المتقين والتائبين والمصرّين، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾: تسلية من الله سبحانه لرسوله ﷺ وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم، يعني: ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم، أي: لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا، ولا تبالوا به، ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح، ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾: وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب، لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد. أو وأنتم الأعلون شأناً، لأنّ قتالكم لله ولإعلاء كلمته، وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر، ولأنّ قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار. أو هي بشارة لهم بالعلو والغلبة، أي: وأنتم الأعلون في العاقبة ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ [الصافات: ١٧٣]، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: متعلق بالنهي بمعنى: ولا تهنوا إن صح إيمانكم على أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه. أو بالأعلون، أي: إن كنتم مصدّقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾

قرىء «قرح» بفتح القاف وضمها، وهما لغتان كالضعف والضعف، وقيل: هو بالفتح الجراح، وبالضم ألمها، وقرأ أبو السَّمَّال «قرح» بفتحتين، وقيل: القرح والقرح كالطرد والطرد، والمعنى: إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال. فأنتم أولى أن لا تضعفوا، ونحوه ﴿فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾ [النساء: ١٠٤] وقيل: كان ذلك يوم أحد، فقد نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله ﷺ. فإن قلت: كيف قيل، ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾: وماكان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين؟ قلت: بلى كان مثله، ولقد قتل

يومئذ خلق من الكفار. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾: تلك مبتدأ، والأيام صفته، و﴿نُدَاوِلُهَا﴾: خبره، ويجوز أن يكون ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ مبتدأ وخبراً، كما تقول: هي الأيام تبلي كل جديد، والمراد بالأيام: أوقات الظفر والغلبة، «نداولها» نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، كقوله وهو من أبيات الكتاب [من المتقارب]:

فَيَوْماً عَلَيْنَا وَيَوماً لَنَا ... وَيَوْماً نُسَاءُ وَيَوماً نُسَرّ[1]

ومن أمثال العرب: الحرب سجال، وعن أبي سفيان أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال: أين ابن أبي كبشة، أين ابن أبي قحافة، أين ابن الخطاب. فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وها أنا عمر. فقال أبو سفيان يوم بيوم والأيام دول والحرب سجال. فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار. فقال: إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا إذن وخسرنا (٢٩٧)، والمداولة مثل المعاورة،

---

٢٩٧ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٢٩٦)، والطبراني (١٠/ ٣٦٥) رقم (١٠٧٣١).
ـ وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٠٢) حديث (١٦٤٤).
ـ والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٧٠)، كلهم عن ابن عباس.
ـ وشاهد له، حديث عكرمة الذي أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٥٦٧) رقم (١٥٠٧).
وحديث ابن مسعود عند أحمد (١/ ٤٦٣)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أحمد والحاكم والطبراني والبيهقي في الدلائل. من رواية ابن أبي الزناد عن أبيه عن ابن عباس أن أبا سفيان قال يوم أحد فذكره. قلت: وأصله في الصحيح من غير هذا الوجه بغير هذا السياق. انتهى.

---

(١) فلا وأبى الناس لا يعلمون ... فلا الخير خير ولا الشر شر
فيوم علينا ويوم لنا ... ويوم نساء ويوم نسر
للنمر بن تولب، وهو من أبيات الكتاب. و«لا» زائدة قبل القسم، لأنه في الغالب لنفي شيء. وقيل: إشارة إلى اتضاح القضية المقسم عليها وعدم احتياجها إلى قسم، لكنه إنما يظهر في مثل قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ حيث أبرز في صورة النفي المعتادة. و«الناس» مبتدأ خبره «لا يعلمون» ثم بين ذلك بقوله: فليس الخير الذي زعموا أنه خير خيراً كما زعموا. وليس الشر الذي زعموه شراً كما زعموا. أو ليس الخير خيراً دائماً، وليس الشر شراً دائماً. فيوم علينا نخذل فيه. ويوم لنا ننصر فيه، ويوم نساء فيه، ويوم نسر فيه. وروى بنصب اليوم. والمعنى: فيوماً تدور الدائرة علينا، ويوماً تكون الدولة لنا. ونساء يوماً، ونسر يوماً. وكل جملتين من هذه الجمل واقعتان موقع البيان مما قبلهما. وفي البيت الثاني: لف ونشر مرتب، وذلك حسن.
ينظر: ديوانه ص ٣٤٧، تلخيص الشواهد ص ١٩٣، حماسة البحتري ١/ ٥٦٥، وأمالي ابن الحاجب ٢/ ٧٤٩، همع الهوامع ١/ ١٠١، ٢/ ١٨، والدرر ١/ ٧٦، والدر المصون ١/ ٣٨٥.

وقال [من الكامل]:

تَــرِدُ الــمِــيَــاهَ فَــلاَ تَــزَالُ تَــدَاوُلاً ... فِـي الـنَّـاسِ بَـيْـنَ تَـمَـثُّـلٍ وَسَـمَـاعِ[1]

يقال: داولت بينهم الشيء فتداولوه، ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون المعلل محذوفاً معناه: وليتميز الثابتون على الإيمان منكم من الذين على حرف، فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل، بمعنى: فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم من غير الثابت، وإلا فالله عز وجل لم يزل عالماً بالأشياء قبل كونها، وقيل: معناه وليعلمهم علماً يتعلق به الجزاء، وهو أن يعلمهم موجوداً منهم الثبات، والثاني أن تكون العلة محذوفة، وهذا عطف عليه، معناه: وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله[2]، وإنما حذف للإيذان بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة، ليسليهم عما جرى عليهم، وليبصرهم أن العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب، ولا يشعر أنّ لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَ﴾: وليكرم ناساً منكم بالشهادة، يريد المستشهدين يوم أحد. أو وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم من الشدائد، من قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: اعتراض بين بعض التعليل وبعض، ومعناه: والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين في سبيل الله،

---

(١) فــلأهــديــن مــع الــريــاح قــصــيــدة ... مــنــي مــحــبــرة إلــى الــقــعــقــاع

تــرد الــمــيــاه فــلا تــزال تــداولاً ... فــي الــنــاس بــيــن تــمــثــل وســمــاع

المحبرة: المحصنة. والقعقاع اسم الممدوح، وهو في الأصل الشيء اليابس الصلب. ترد تلك القصيدة المياه، خصها لكثرة الناس عليها وتغنيهم بالأشعار عندها، أي ترد مواضع المياه فلا تزال متداولة في الناس، أو فلا تزال ذات تداول، أو فلا تزال تتداول تداولاً بين الناس دائرة بين تمثل: أي إنشاد لها بأن يضربها الناس أمثالاً لأحوالهم، وبين استماع لها لحسنها. وروى يرد المياه فلا يزال مداولاً الخ. فذكر ضمير القصيدة لأنها بمعنى الشعر.

البيت لزهير بن علس ـ ينظر مجمع الأمثال ٢/ ١٤٣، والبحر ٣/ ٦١، والفضليات ص ٢ والدر المصون ٢/ ٢١٦.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولم يُعَيِّنْ فاعلَ العلة المحذوفة، إنما كنى عنه بكيت وكيت، ولا يكنى عن الشيء حتى يعرف، ففي هذا الوجه حذف العلة وحذف عاملها وإبهام فاعلها فالوجه الأول أظهره، إذ ليس في غير حذف العامل» يعني بالوجه الأول أنه قدره: «وليعلم الله فعلنا ذلك» وهو المداولة أو نيل الكفار منكم.

والعلم هنا يجوز أن يتعدى لواحدٍ قالوا: لأنه بمعنى عرف، وهو مشكل لأنه لا يجوز وصف الله تعالى بذلك لما تقدم من أن المعرفة تستدعي جهلاً بالشيء، أو أنها متعلقة بالذوات دون الأحوال، ويجوز أن يكون متعدياً لاثنين، فالثاني محذوف تقديره: وليعلم الذين آمنوا مميّزين بالإيمان من غيرهم. انتهى. الدر المصون

الممحصين من الذنوب، والتمحيص: التطهير والتصفية، ﴿وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: ويهلكهم. يعني: إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص، وغير ذلك مما هو أصلح لهم، وإن كانت على الكافرين، فلمحقهم ومحو آثارهم.

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿أَمۡ﴾: منقطعة[١] ومعنى الهمزة فيها الإنكار، ﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ﴾: بمعنى ولما تجاهدوا، لأنّ العلم متعلق بالمعلوم[٢] فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه؛ لأنه منتف بانتفائه. يقول الرجل: ما علم الله في فلان خيراً، يريد: ما فيه خير حتى يعلمه، و«لما» بمعنى لم، إلا أن فيها ضرباً من التوقع فدلّ على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل، وتقول: وعدني أن يفعل كذا، ولما تريد، ولم يفعل، وأنا أتوقع فعله، وقرىء: «ولما يعلمَ اللّهُ» بفتح الميم، وقيل: أراد النون الخفيفة ولما يعلمَن[٣] فحذفها، ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع، كقولك: لا تأكل السمك وتشربَ اللبن، وقرأ الحسن بالجزم على العطف، وروى عبد الوارث عن أبي عمرو «ويعلم» بالرفع على أنّ الواو للحال، كأنه قيل: ولما تجاهدوا وأنتم صابرون.

---

(١) قوله: «أم منقطعة» هي المفسرة ببل والهمزة. (ع)

(٢) قال محمود: «ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم... الخ» قال أحمد: للتعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم خاص بعلم الله تعالى، لأنه يلزم من عدم تعلق علمه بوجود شيء ما، عدم ذلك الشيء، ضرورة أنه لا يعزب عن علمه شيء لعموم تعلقه، فاستقام التعبير عن نفي الشيء بنفي تعلق العلم القديم بوجوده المصحح للملازمة، ولا كذلك علم آحاد المخلوقين، فإنه لا يعبر عن نفي شيء بنفي تعلق علم الخلق به، لجواز وجود ذلك الشيء غير معلوم للخلق. والزمخشري يظهر من كلامه صحة هذا التعبير مطلقاً ويعتقد الملازمة المذكورة عامة، فلذلك قال في قول فرعون: (ما علمت لكم من إله غيري) أنه عبر عن نفي المعلوم بنفي العلم، لأنه من لوازمه، وسيأتي بيان أن الزمخشري وهم في هذا الموضع، وإلا فهو يحاشي عن الوقوع في مثله اعتقاداً، والله أعلم. وإنما عبر فرعون بذلك تلبيساً على ملئه وتتميماً لدعوى ألوهيته الكاذبة بأنه لا يعزب عن علمه شيء، فلو كان إله سواه على دعواه لتعلق علمه به وهذا يعد من حماقات فرعون ودعاويه الفارغة، والله الموفق.

(٣) قوله: «ولما يعلمن» لعله أي ولما يعلمن. (ع)

قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا الذي قاله في «لمّا» أنها تدلُّ على توقُّع الفعل المنفيّ بها فيما يستقبل لا أعلم أحداً من النحويين ذكره، بل ذكروا أنك إذا قلت: «لما يخرج زيد» دَلّ ذلك على انتفاء الخروج فيما مضى متصلاً نفيه إلى وقت الإخبار، أما أنها تدل على توقعه في المستقبل فلا، لكنني وجدت في كلام الفراء شيئاً يقارب ما قاله الزمخشري، قال: «لَمَّا» لتعريض الوجود بخلاف «لم». قلت: «والنحويون إنما فرّقوا بينهما من جهة أن المنفيّ بـ«لَمْ» هو فعلٌ غيرُ مقرون بـ«قد» «ولَمَّا» نفيٌ له مقروناً بها، وقد تَدُلُّ على التوقع، فيكون كلام الزمخشري صحيحاً من هذه الجهة ويَدُلُّ على ما قلته من كون «لم» لنَفْي فعل، و«لَمَّا» لنفي قد فَعَل نصّ النحاة على ذلك: سيبويه فَمَنْ دونَه. انتهى. الدر المصون.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾: خوطب به الذين لم يشهدوا بدراً وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهداً مع رسول الله ﷺ ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر، وهم الذين ألحوا على رسول الله ﷺ في الخروج إلى المشركين[1]، وكان رأيه في الإقامة بالمدينة، يعني: وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدّته وصعوبة مقاساته، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: أي: رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا، وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت، وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله ﷺ بإلحاحهم عليه، ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده. فإن قلت: كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم؟ قلت: قصد متمني الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير، ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن، كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء، ولا يخطر بباله أنّ فيه جرّ منفعة وإحسان إلى عدوّ الله وتنفيقا لصناعته، ولقد قال عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله[2] [من البسيط]:

لَـكِـنَّـنـي أَسْـأَلُ الـرَّحْـمٰـنَ مَـغْـفِـرَةً	وَضَـرْبَـةً ذَاتَ فَـرْغٍ تَـقْـذِفُ الـزَّبَـدَا
أو طَـعْـنَـةً بِـيَـدي حَـرَّانَ مُـجْـهِـزَةً	بِـحَـرْبَـةٍ تَـنـفُـذُ الأَحْـشَـاءَ وَالـكَـبِـدَا
حَـتَّـى يَـقُـولُـوا إِذَا مَـرُّوا عَـلَـى جَدَثـي:	أَرشَـدَكَ الـلَّـهُ مِـنْ غَـازٍ وَقَـدْ رَشَـداً[3]

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه، أقبل يريد قتله فذب عنه ﷺ مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد، حتى

---

(١) قوله: «في الخروج» لعله وكان رأيهم في الخروج. (ع)

(٢) قوله: «وقيل له: ردكم الله» لعله سالمين. (ع)

(٣) لعبد الله بن رواحة حين خرج إلى غزوة مؤتة فقيل له: ردك الله سالماً، وذات فرغ: أي ولسعة الثقب. والفرغ: مصب الماء من الدلو بين العرقي. أو طعنة ذات فرغ: أي ذات سعة. ويطلق الفرغ على الدلو أيضاً. وتقذف الزبد: تمج الدم الذي يعلوه الزبد ـ أي الرغوة ـ لكثرته. وحران: عطشان إلى قتلي. وهو مجاز عن تطلبه إياه. والمجهزة: المدفقة المسرعة التي لا تبقى رمقاً. وتنفذ الأحشاء: أي تنفذ فيها. وإن ضممت التاء وكسرت الفاء، فمعناه تثقبها، والكبد: عطف خاص على عام. والجدث: القبر. والتفت إلى الغسة في قوله: وقد رشد، على أنه من كلامه، ويجوز أنه من قول الناس، ويحتمل الإخبار والدعاء، ومن غاز: تمييز.

قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله ﷺ، فقال: قد قتلت محمداً، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قتل، وقيل: كان الصارخ الشيطان، ففشا في الناس خبر قتله فانكفئوا، فجعل رسول الله ﷺ يدعو: «إليّ عباد الله» حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه، فلامهم على هربهم، فقالوا: يا رسول الله ـ فديناك بآبائنا وأمهاتنا ـ أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين[1] فنزلت، وروي: أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين: ليت عبد الله بن أبيّ يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان، وقال ناس من المنافقين: لو كان نبيا لما قتل، ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم. فقال أنس بن النضر ـ عم أنس بن مالك ـ: يا قوم، إن كان قتل محمد فإن رب محمد حيٌّ لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ، فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه. ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل، وعن بعض المهاجرين: أنه مرّ بأنصاري يتشحط في دمه، فقال: يا فلان، أشعرت أن محمداً قد قتل، فقال: إن كان قتل فقد بلغ، قاتلوا على دينكم، (٢٩٨) والمعنى، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

----

٢٩٨ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٢٥٤)، حديث (٧٩٤٣) من طريق محمد بن الحسين عن أحمد بن المفضل عن أسباط عن السدّي بنحوه.

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٢) للواقدي، في كتاب المغازي من طريق خالد بن رباح عن الأعرج.

---

(١) قلت: هذا منتزع من عدة أخبار في وقعة أحد. قال موسى بن عقبة في المغازي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب. قال: «رمى يومئذٍ رسول الله ﷺ رجل من بني الحارث يقال له عبد الله بن قمئة، ويقال: بل رماه عتبة بن أبي وقاص، وفي الطبراني عن أبي أمامة «أن رسول الله ﷺ رماه عبد الله بن قمئة بحجر يوم أحد فشجه في وجهه وكسر رباعيته، وقال: «خذها وأنا ابن قمئة، فقال له النبي ﷺ أقمأك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة» وروى الطبري من طريق أسباط عن السدي فذكر قصة أحد. قال: «فأتى ابن قمئة الحارثي أحد بني الحارث بن عبد مناف بن كنانة. فرمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في رأسه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل، وجعل يدعوهم إلى عباد الله. إلى عباد الله. وفشا في الناس أن محمداً قتل» الحديث، وفي المغازي لابن إسحاق ومن طريقه الطبري عن الزهري، ومحمد بن محمد بن حبان وعاصم بن عمر، وغيرهم فذكر قصة أحد. قال «ولم يزل مصعب بن عمير يقاتل دونه ومعه لواؤه حتى قتل»، وكان الذي أصابه ابن قمئة وهو يظن أنه النبي ﷺ. فرجع إلى قريش فقال: لقد قتلت محمداً. وعند الواقدي عن ابن أبي سبرة عن خالد بن رباح عن الأعرج قال: «لما صاح الشيطان يوم أحد إن محمداً قد قتل». قال أبو سفيان: أيكم قتل محمداً؟ قال ابن قمئة: أنا. وأما قوله: فلا مهم على هربهم إلى آخره فرواه. . . . . قوله: أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين: ليت عبد الله ابن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، هو من رواية السدي المتقدمة ولفظه: فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي =

﴿خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾: فسيخلو كما خلوا، وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم، فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه، لأن الغرض من بعثة الرسل[1] تبليغ الرسالة وإلزام الحجة، لا وجوده بين أظهر قومه، ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾: الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب، والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل، مع علمهم أنّ خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سبباً للتمسك بدين محمد ﷺ، لا للانقلاب عنه. فإن قلت: لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل؟ قلت: لكونه مجوّزاً عند المخاطبين. فإن قلت: أما علموه من ناحية قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]؟ قلت: هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة. ألا ترى أنهم سمعوا بخبر قتله فهربوا، على أنه يحتمل العصمة من فتنة الناس وإذلالهم، والانقلاب على الأعقاب: الإدبار عما كان رسول الله ﷺ يقوم به من أمر الجهاد وغيره، وقيل: الارتداد، وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم إلا ما كان من قول المنافقين، ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وإسلامه[2]، ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ﴾: فما ضر إلا نفسه، لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضارّ والمنافع، ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه، وسماهم شاكرين، لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا. والمعنى: أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله، فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا أن يأذن الله له فيه تمثيلاً، ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك، فليس له أن يقبض نفساً إلا بإذن من الله، وهو على معنيين: أحدهما: تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدوّ بإعلامهم أن الحذر لا ينفع، وأن أحداً لا يموت قبل بلوغ أجله، وإن خوّض المهالك واقتحم المعارك، والثاني: ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة االعدو والتفافهم عليه وإسلام قومه له، نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل.

= فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان. قوله: «وقال ناس من المنافقين: لو كان نبياً ما قتل. ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم. فقال أنس بن النضر عم أنس: يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت. الحديث: هو في آخر رواية السدي المذكورة. قوله: وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال: يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل. فقال: «إن كان قد قتل فقد بلغ. فقاتلوا عن دينكم» رواه الطبري من رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد «أن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط» فذكره في كلام طويل.

(١) قوله: «من بعثة الرسل» لعله الرسول. (ع)

(٢) قوله: «وإسلامه» أي: تركه للعدو. (ع)

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿كِتَٰبًا﴾: مصدر مؤكد، لأن المعنى: كتب الموت كتاباً، ﴿مُّؤَجَّلًا﴾: موقتاً له أجل معلوم لا يتقدّم ولا يتأخر، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: أي: من ثوابها، ﴿وَسَنَجْزِى﴾: الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد، وقرىء: «يؤته»، و«سيجزي»، بالياء فيهما.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

قرىء: «قاتل»، و«قتل» و«قتّل»، بالتشديد، والفاعل «ربيون»، أو ضمير النبي، و﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ حال عنه بمعنى: قتل كائناً معه ربيون، والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الأوّل، وعن سعيد بن جبير رحمه الله: ما سمعنا بنبيّ قتل في القتال، والربيون الربانيون، وقرىء بالحركات الثلاث، فالفتح على القياس، والضم والكسر من تغييرات النسب، وقرىء: «فما وهنوا» بكسر الهاء، والمعنى: فما وهنوا عند قتل النبي، ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟﴾: عن الجهاد بعده، ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾: للعدوّ، وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله ﷺ، وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم. حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبيّ في طلب الأمان من أبي سفيان، ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ﴾: هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين، هضما لها واستقصاراً، والدعاء بالاستغفار منها مقدّما على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدوّ، ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاة وطهارة وخضوع، وأقرب إلى الاستجابة، ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر، وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدّمه، وأنه هو المعتدّ به عنده ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ﴾ [الأنفال: ٦٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: قال عليّ ـ رضي الله عنه ـ: نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: إن تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم، لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين، ويقولون: لو كان نبياً حقاً لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم، وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوماً له ويوماً عليه، وعن السدي: إن تستكينوا لأبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم، ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾: إلى دينهم، (٢٩٩) وقيل: هو عامّ في جميع الكفار، وإنّ على المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجرّوهم إلى موافقتهم، ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: أي: ناصركم، لا تحتاجون معه إلى نصرة أحد وولايته، وقرىء بالنصب على: بل أطيعوا الله مولاكم ﴿سنلقي﴾: قرىء بالنون والياء، والرعب ـ بسكون العين وضمها ـ قيل: قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة، وقيل: ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا: ما صنعنا شيئاً، قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن فاهرون[١] ارجعوا فاستأصلوهم، فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا. ﴿بِمَآ أَشْرَكُوا۟﴾: بسبب إشراكهم، أي: كان السبب في إلقاء الله الرّعب في قلوبهم إشراكهم به، ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة. فإن قلت: كان هناك حجة[٢] حتى ينزلها[٣] الله فيصح لهم الإشراك؟ قلت: لم يعن

---

٢٩٩ ـ أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/ ٢٧٧) رقم (٨٠٠٠) من طريق أسباط عن السدّي وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٩٥)، رقم (١٦١١، ١٦١٣)، من نفس طريق ابن جرير.

---

(١) قوله: «فاهرون» لعله فارهون. والفاره: الحاذق بالشيء. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «فإن قلت كان هناك حجة» لعله: أكان. (ع)

(٣) قال محمود: «إن قلت: كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك... الخ»؟ قال أحمد: إنما يرد هذا السؤال لو أفهم ظاهر اللفظ أن ثم حجة وليس في ظاهره ما يفهم ذلك، ولو كانت الآية كقول القائل: بما أشركوا بالله ما لم ينزل سلطانه، بإضافة السلطان إلى ما أشركوا به، لكان للسائل مقال، ولكان كقول القائل [من الطويل]:

علـي لاحـب لا يـهـتـدى بـمـنـاره ....

فإنه بإضافة المنار إليه يوهم أن فيه مناراً، فيحتاج الناظر إلى حمله على معنى لا منار فيه فيهتدي به، ولو أطلق الشاعر فقال: «على لا حب لا يهتدي فيه بمنار» مثلاً، لاستغنى عن تأويل الكلام، وكذلك الآية غنية عن التأويل، والله أعلم.

أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم، لأن الشرك لا يستقيم أن يقوم عليه حجة، وإنما المراد نفي الحجة ونزولها جيمعاً، كقوله [من السريع]:

.... وَلاَ تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرِ[1]

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾: وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله تعالى: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٥] ويجوز أن يكون الوعد قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم، وقيل: لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من المؤمنين: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت، وذلك أنّ رسول الله ﷺ جعل أحداً خلف ظهره، واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل، وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا ـ كانت الدولة

---

(١) لا تفزع الأرنب أهوالها ولا ترى الضب بها ينجحر

لابن أحمر. يقول: لا تخيف الأرنب أهوال تلك الصحراء، أي لا هول فيها حتى يفزعه، فما في البيت كناية عن ذلك، كقوله: ولا ترى الضب فيها يدخل جحره، أي لا ضب فيها ينجحر. و«ينجحر» حال إن كانت ترى بصرية، ومفعول ثان إن كانت علمية. ويجوز أن المعنى: لا أرنب فيها تفزعه أهوالها، كما لا ضب فيها يدخل جحره، فهما منفيان. وهذا أوفق بالمقدم
ينظر: ديوانه ص ٦٧، وأمالي المرتضى: ١/ ٢٢٩، وخزانة الأدب: ١٠/ ١٩٢ والخصائص: ٣/ ١٦٥، ٣٢١.

للمسلمين أو عليهم ـ فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم، والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم. يحسونهم أي: يقتلونهم قتلا ذريعاً. حتى إذا فشلوا، والفشل: الجبن وضعف الرأي، وتنازعوا، فقال بعضهم: قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا، وقال بعضهم: لا نخالف أمر رسول الله ﷺ، فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله: ، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾: ونفر أعقابهم ينهبون، وهم الذين أرادوا الدنيا، فكرّ المشركون على الرماة، وقتلوا عبد الله بن جبير ـ رضي الله عنه ـ، وأقبلوا على المسلمين، وحالت الريح دبوراً وكانت صباً، حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا، وهو قوله: ، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾: لماعلم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان أمر رسول الله ﷺ، ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: يتفضل عليهم بالعفو، أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم؛ لأنّ الابتلاء رحمة كما أنّ النصرة رحمة. فإن قلت: أين متعلق، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾: قلت: محذوف تقديره: حتى إذا فشلتم منعكم نصره، ويجوز أن يكون المعنى: صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم، ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: نصب بصرفكم، أو بقوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: أو بإضمار «اذكر» والإصعاد: الذهاب في الأرض والإبعاد فيه. يقال: صعد في الجبل وأصعد في الأرض. يقال: أصعدنا من مكة إلى المدينة وقرأ الحسن ـ رضي الله عنه ـ: «تصعدون»، يعني: في الجبل، وتعضد الأولى قراءة أبي: «إذ تصعدون في الوادي»، وقرأ أبو حيوة: «تصعدون»، بفتح التاء وتشديد العين، من تصعد في السلم، وقرأ الحسن ـ رضي الله عنه ـ: «تلون»، بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها، وقرىء: «يصعدون». «ويلوون» بالياء، ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾: كان يقول: «إليّ عباد الله إليّ عباد الله، أنا رسول الله، من يكرّ فله الجنة»، (٣٠٠) ﴿فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾: في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة. يقال: جئت في آخر الناس وأخراهم، كما تقول: في أوّلهم وأولاهم، بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى، ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾: عطف على صرفكم، أي: فجازاكم الله، ﴿غَمًّۢا﴾: حين صرفكم عنهم وابتلاكم ﴿بِـ﴾ ـسبب ﴿غم﴾ أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم له، أو غما مضاعفاً، غما بعد غم، وغما متصلاً بغم، من

---

٣٠٠ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٣٠١) حديث (٨٠٤٩) من طريق سعيد عن قتادة: ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾، ذاكم يوم أحد أصعدوا في الوادي فراراً، ونبيّ الله ـ ﷺ ـ يدعوهم إلى أخراهم «إليّ عباد الله، إليّ عباد الله».

ـ وذكره السيوطي في الدرّ المنثور (٢/ ١٥٤) وعزاه لعبد بن حميد في تفسيره، ولابن المنذر عن قتادة.

الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله ﷺ والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر، ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾: لتتمرنوا على تجرع الغموم، وتضروا باحتمال الشدائد، فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار، ويجوز أن يكون الضمير في، ﴿فَأَثَـٰبَكُمْ﴾: للرسول، أي: فآساكم في الاغتمام[1]، وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم، فأثابكم غماً اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتممتوه لأجله، ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره، وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله، ولا على ما أصابكم من غلبة العدو، وأنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم، وعن أبي طلحة ـ رضي الله عنه ـ: غشينا النعاس ونحن في مصافنا، فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه، ثم يسقط فيأخذه، وما أحد إلا ويميل تحت حجفته، (٣٠١) وعن [الزبير] رضي الله عنه: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد علينا

---

٣٠١ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٤٢٢) كتاب المغازي: باب ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ﴾ حديث (٤٠٦٨)، (٨/ ٧٦) كتاب التفسير: باب «أمنة نعاساً» حديث (٤٥٦٢) والترمذي (٥/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) كتاب التفسير: باب ومن سورة آل عمران حديث (٣٠٠٨) وأحمد (٤/ ٢٩) وابن حبّان (٧١٨٠) والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٨٤) رقم (٨٠٧٥، ٨٠٧٦) والطبراني في «الكبير» (٥/ ٩٥ ـ ٩٦) رقم (٤٦٩٩، ٤٧٠٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) كلّهم من طريق قتادة عن أنس به.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وأخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٩) كتاب التفسير: باب ومن سورة آل عمران حديث (٣٠٠٧) وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٠٥) وابن أبي شيبة (١٤/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤) رقم (٨٠٧٤) والحاكم (٢/ ٢٩٧) والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٧٢) وأبو نعيم في «الدلائل» ص(٣٦٧) كلّهم من طريق حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنس به.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن سعد (٣/ ٥٠٥) والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٨٣) رقم (٨٠٧٣) من طريق حميد عن أنس والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٥٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

وللحديث شاهد من حديث الزبير بن العوام.

أخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٩) كتاب التفسير: باب ومن سورة آل عمران حديث (٣٠٠٧) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير به بنحو حديث أنس.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه البخاري من رواية قتادة عن أنس به. لكن ليس في آخره «وما أحد إلاّ ويميل تحت جحفته». وهو بتمامه عند الحاكم. وكذا أخرجه الطبري من رواية ثابت عن أنس ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

---

(١) قوله: «فآساكم في الاغتمام» لعله: فأساكم، أي فصار أسوتكم أفاد الصحاح. (ع)

الخوف، فأرسل الله علينا النوم، والله إني لأسمع قول معتّب بن قشير والنعاس يغشاني: «لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا» (٣٠٢)، والأمنة: الأمن، وقرىء: «أمنة» بسكون الميم، كأنها المرة من الأمن، و، ﴿نُّعَاسًا﴾: بدل من «أمنة»، ويجوز أن يكون هو المفعول، وأمنة حالاً منه مقدمة عليه، كقولك: رأيت راكباً رجلاً، أو مفعولاً له بمعنى نعستم أمنة، ويجوز أن يكون حالاً من المخاطبين، بمعنى ذوي أمنة، أو على أنه جمع آمن، كبار وبررة، ﴿يَغْشَىٰ﴾: قرىء بالياء والتاء ردا على النعاس، أو على الأمنة، ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾: هم أهل الصدق واليقين، ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾: هم المنافقون، ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: ما بهم إلا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم الرسول ﷺ والمسلمين، أو قد أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم في الهموم والأشجان، فهم في التشاكي والتباثّ، ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾: في حكم المصدر، ومعناه: يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به، و﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: بدل منه، ويجوز أن يكون المعنى: يظنون بالله ظن الجاهلية، وغير الحق: تأكيد ليظنون، كقولك: هذا القول غير ما تقول، وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية، كقولك: حاتم الجود، ورجل صدق: يريد الظن المختص بالملة الجاهلية، ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية، أي: لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله، ﴿يَقُولُونَ﴾: لرسول الله ﷺ يسألونه، ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾: معناه هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط، يعنون النصر والإظهار على العدو، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾: ولأوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣]، ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾: معناه: يقولون لك فيما يظهرون: هل لنا من الأمر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق، يقولون في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله، ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾: أي: لو كان الأمر كما قال محمد: إن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون، لما غلبنا قط، ولما قتل من المسلمين من قتل في

---

٣٠٢ ـ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٢٠)، رقم (١٦٩٧).
ـ والطبري في تفسيره (٧/ ٣٢٣)، رقم (٨٠٩٤).
ـ وأبو نعيم في دلائل النبوة (٣٦٨).
ـ والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٧٣).
كلّهم من طريق يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير، قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه بن إسحاق في المغازي حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبيد الله بن الزّبير عن أبيه عن عبيد الله بن الزّبير عن أبيه به. أخرجه إسحاق والبزّار والطبري وابن أبي حاتم وأبو نعيم والبيهقي. كلّهم من طريقه. انتهى.

هذه المعركة، ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾: يعني من علم الله منه أنه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم، ﴿لَبَرَزَ﴾: من بينكم، ﴿الَّذِينَ﴾: علم الله أنهم يقتلون، ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾: وهي مصارعهم ليكون ما علم الله أنه يكون، والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين، وكتب مع ذلك أنهم الغالبون، لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم، وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله، وأن ما ينكبون به في بعض الأوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة، وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة، وقيل: معناه هل لنا من التدبير من شيء، يعنون لم نملك شيئاً من التدبير حيث خرجنا من المدينة إلى أحد، وكان علينا أن نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله بن أبيّ وغيره، ولو ملكنا من التدبير شيئاً لما قتلنا في هذه المعركة، قل: إن التدبير كله لله، يريد أن الله عز وجل قد دبر الأمر كما جرى، ولو أقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم، وقرىء: «كتب عليهم القتال». «وكتب عليهم القتل»، على البناء للفاعل، ولبرّز، بالتشديد وضم الباء، ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ﴾: وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص، ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان. فعل ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص. فإن قلت: كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة؟ قلت: ، ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾: صفة لطائفة و﴿يَظُنُّونَ﴾: صفة أخرى أو حال بمعنى: قد أهمتهم أنفسهم ظانين. أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها، و﴿يَقُولُونَ﴾: بدل من يظنون. فإن قلت: كيف صح أن يقع ما هو مسألة عن الأمر بدلاً من الإخبار بالظن؟[1] قلت: كانت مسألتهم صادرة عن الظنّ، فلذلك جاز إبداله منه، ويخفون حال من يقولون، و﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] اعتراض بين الحال وذوي الحال، و﴿يَقُولُونَ﴾: بدل من، ﴿يُخْفُونَ﴾: والأجود أن يكون استئنافاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)﴾

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف صح أن يقع ما هو مسألة عن الأمر. . .الخ»؟ قال أحمد: ويلاحظ هذا النظر في قوله تعالى عن الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ الآية فإن هذا السؤال استفهام، والاستفهام لا يتصف بما يتصف به الخبر من الصدق ونقيضه، ومع ذلك ورد قوله تعالى في خطابهم: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يعني في قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها. فأجرى استفهامهم مجرى الخبر لاستلزامه الإخبار بأن هذا النوع الإنساني ليس بمعصوم عن الفساد وسفك الدماء، إلا من عصمه الله تعالى منهم، والله أعلم.

﴿ٱسۡتَزَلَّهُمُ﴾: طلب منهم الزلل ودعاهم إليه، ﴿بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾: من ذنوبهم ومعناه: إنّ الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوباً، فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا، وقيل: استزلال الشيطان إياهم هو التولي، وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم، لأنّ الذنب يجرّ إلى الذنب، كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة وتكون لطفاً فيها، وقال الحسن ـ رضي الله عنه ـ: استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة، وقيل: ، ﴿بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾: هو تركهم المركز الذي أمرهم رسول الله ﷺ بالثبات فيه. فجرّهم ذلك إلى الهزيمة (٣٠٣) وقيل: ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها، فأخروا الجهاد حتى يصلحوا أمرهم ويجاهدوا على حال مرضية. فإن قلت: لم قيل: ﴿بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾: ؟ قلت: هو كقوله تعالى: ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ [المائدة: ١٥]، ﴿وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۚ﴾: لتوبتهم واعتذارهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب، ﴿حَلِيمٞ﴾: لا يعاجل بالعقوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾: أي: لأجل إخوانهم، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ [الأحقاف: ١١] ومعنى الأخوّة: اتفاق الجنس أو النسب، ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها ﴿أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى﴾: جمع غاز، كعاف وعفى، كقوله: عفى الحياض أجون[1]، وقرىء بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة. فإن قلت: كيف قيل: ، ﴿إِذَا ضَرَبُواْ﴾: مع، ﴿قَالُواْ﴾: ؟ قلت: هو على حكاية الحال الماضية، كقولك: حين يضربون في الأرض فإن قلت: ما متعلق «ليجعل»؟ قلت: «قالوا»، أي: «قالوا» ذلك واعتقدوه ليكون، ﴿حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ﴾: على أنّ اللام مثلها في

---

٣٠٣ ـ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٢٤)، رقم (١٧١٢) من طريق عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله ﴿إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ...﴾ يعني حين تركوا المركز وعصوا أمر رسول الله ـ ﷺ ـ حين قال للرماة يوم أحد: «لا تبرحوا مكانكم» فترك بعضهم المركز.

---

(١) قوله: «وعفى كقوله: عفى الحياض أجون» في الصحاح: العفي ـ جمع عاف ـ وهو الدارس. والآجن: الماء المتغير الطعم واللون. وأجن الماء يأجن ويأجن أجناً وأجوناً اهـ. وجمع الآجن على أجون، كالراكع على ركوع، والشاهد على شهود. (ع)

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] أو لا تكونوا، بمعنى: لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده، ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم. فإن قلت: ما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى؟ قلت: معناه أنّ الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم، ويضيق صدورهم عقوبة، فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دلّ عليه النهى، أي: لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم، لأنّ مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادّتهم مما يغمهم ويغيظهم ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ردٌّ لقولهم. أي: الأمر بيده، قد يحيي المسافر والغازي، ويميت المقيم والقاعد كما يشاء، وعن خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ أنه قال عند موته: مافيّ موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة، وها أناذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء، (٣٠٤) ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فلا تكونوا مثلهم، وقرئ بالياء، يعني الذين كفروا، ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾: جواب القسم، وهو سادّ مسدّ جواب الشرط، وكذلك، ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾: كذب الكافرين أوّلاً في زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان في المدينة لما مات، ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد، ثم قال لهم: ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت والقتل في سبيل الله، فإنّ ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: خير من طلاع الأرض ذهبة[(١)] حمراء، وقرىء بالياء، أي: يجمع الكفار، ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾: لإلى الله الرحيم الواسع الرحمة، المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله تعالى هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي. قرىء: «متم» بضم الميم وكسرها، من مات يموت ومات يمات.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

---

٣٠٤ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٣) للواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، وقال: راجع البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٢٦).

---

(١) قوله: «خير من طلاع الأرض ذهبة» في الصحاح: طلاع الأرض: ملؤها. والذهبة. القطعة من الذهب. (ع)

«ما» مزيدة للتوكيد والدلالة على أنّ لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] ومعنى الرحمة: ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم وآساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا أمره وانهزموا وتركوه، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: جافياً، ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾: قاسيه، ﴿لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾: لتفرّقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم، ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾: فيما يختص بك، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: فيما يختص بحق الله إتماماً للشفقة عليهم، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾: يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم، ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة، ولكنه أراد أن يستنّ به من بعده، (٣٠٥) وعن النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ «ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم» (٣٠٦) وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: ما رأيت أحداً أكثر مشاورة من أصحاب الرسول ﷺ، (٣٠٧) وقيل: كان سادات العرب إذا لم يشاوروا

---

٣٠٥ ـ أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٢) رقم (١٧٤٥) من طريق ابن شبرمة عن الحسن به.

٣٠٦ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٤): غريب، ولم أجده إلاّ من قول الحسن، ولم يروه الطبري إلاّ من قول الحسن، وقد ذكره المصنّف في سورة الشورى، من قول الحسن.
قلت: وأما قول الحسن فقد أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٣٤٤) رقم (٨١٣٠) من طريق إياس بن دغفل عن الحسن به، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أعاده في تفسير سورة الشورى عن الحسن قوله وهو المحفوظ. ومن طريقه أخرجه الطبري. انتهى.

٣٠٧ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٤): هكذا وجدته في عدة نسخ وصوابه: ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ـ ﷺ ـ.
ـ أخرجه ابن حبّان في صحيحه (١١/ ٢١٦)، رقم (٤٨٧٢)، من طريق عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ولفظه «خرج رسول الله ـ ﷺ ـ زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه. . . الحديث بطوله. وهو حديث الفتح.
وأخرجه عبد الرزاق في مصنّفه (٥/ ٣٣٠) رقم (٩٧٢٠).
ـ وأحمد (٤/ ٣٢٨).
وأشار إليه الترمذي (٤/ ٢١٣ ـ ٢١٤)، رقم (١٧١٤).
ـ والبيهقي في المعرفة (٧/ ٣٥٨) رقم (٥٨٦٢)، كتاب أدب القاضي، من طريق ابن عيينة عن الزهري.
وقد قال عنه الزيلعي: كأنّ فيه انقطاعاً بين الزهري وأبي هريرة.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: هذا فيه تحريف. والصّواب من رسول الله ـ ﷺ ـ لأصحابه، كذلك أخرجه الشافعي عن ابن عيينة عن الزهري عنه وهو منقطع وهو مختصر من الحديث الطويل في قصة الحديبية وغزوة الفتح، أخرجه ابن حبّان من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن المسور ومروان. وفيه قال الزهري: وكان أبو هريرة يقول. فذكره. وكذا أخرجه عبد الرزاق في مصنّفه وعند أحمد وإسحاق. وقد أشار إليه الترمذي في آخر الجهاد فقال: ويُروى عن أبي هريرة فذكره. انتهى.

في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله ﷺ بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم، وقرىء: «وشاورهم في بعض الأمر»، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح، فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله، لا أنت ولا من تشاور، وقرىء: «فإذا عزمت» بضم التاء، بمعنى فإذا عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل عليّ ولا تشاور بعد ذلك أحداً.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢)﴾

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ﴾: كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم، ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾: كما خذلكم يوم أحد، ﴿فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم﴾: فهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه، ونحوه ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿مِّن بَعْدِهِ﴾: من بعد خذلانه. أو هو من قولك: ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان؛ تريد إذا جاوزته، وقرأ عبيد بن عمير: «وإن يخذلكم»، من أخذله إذا جعله مخذولاً، وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله تعالى والتأييد، وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان، ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾: وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه، ولأن إيمانهم يوجب ذلك ويقتضيه. يقال: غلّ شيئاً من المغنم غلولاً وأغلّ إغلالاً: إذا أخذه في خفية. يقال: أغلّ الجازر، إذا سرق من اللحم شيئاً مع الجلد، والغل: الحقد الكامن في الصدر، ومنه قوله ﷺ: «من بعثناه على عمل فغلّ شيئاً جاء يوم القيامة يحمله على عنقه» (٣٠٨)

---

٣٠٨ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٥): غريب.

ـ قلت: أخرجه الطبري (٧/ ٣٥٩) رقم (٨١٥٩)، من طريق أبي حميد الساعديّ.

ـ وقد أخرج ابن ماجه هذا الحديث بمعناه (١/ ٥٧٩) حديث (١٨١٠) كتاب الزكاة، باب: ما جاء في عُمّال الصدقة، من طريق عبد الله بن أنيس.

أخرجه البخاري (١٣/ ٣٧٠)، حديث (٦٦٣٦).

كتاب الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي ـ ﷺ ـ؟ من طريق عروة عن أبي حميد الساعديّ «أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ استعمل عاملاً فجاءه العامل حين فرغ من عمله. الحديث: وفيه، فوالذي نفس محمد بيده لا يعمل أحدكم شيئاً إلاّ جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه» قلت: ولفظ ابن ماجه أقرب إلى حديث المصنّف.

ـ ومسلم (٦/ ٤٥٩) رقم (٢٦) ـ (١٨٣٢) من نفس طريق البخاري. =

وقوله ﷺ: «هدايا الولاة غلول» (٣٠٩) وعنه: «ليس على المستعير غير المغل ضمان»

= - والبيهقي (١٠/١٣٨)، كتاب آداب القاضي، باب: لا يقبل منه هدية.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن أنيس. أنّه تذاكر هو وعمر بن الخطاب يوماً الصّدقة فقال عمر «ألم تسمع رسول الله - ﷺ - حين ذكر غلول الصّدقة: أنه من غلّ بعيراً أو شاة أتى به يوم القيامة فقال له عبد الله بن أنيس: بلى» وفي الصّحيحين عن أبي حميد الساعديّ «أنّ رسول الله - ﷺ - استعمل عاملاً فجاءه العامل حين فرغ من عمله. الحديث: وفيه، فوالذي نفس محمد بيده لا يعمل أحدكم شيئاً إلاّ جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه. انتهى.

٣٠٩ - قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٦): غريب بلفظ الولاة والحديث رُوي من حديث أبي حميد، وأبي هريرة، وجابر وابن عباس.

● أما حديث أبي حميد:

فرواه أحمد (٥/ ٤٢٤) بلفظ (هدايا العمّال غلول) والبزّار (٢/ ٢٣٦)، حديث (١٥٩٩)، كتاب الإمارة، باب: في هدايا الأمراء، وابن عديّ (١/ ١٧٣).
والبيهقي مرفوعاً (١٠/ ١٣٨)، كتاب آداب القاضي، باب: لا يقبل منه هدية.
وذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ١٥٤)، باب: هدايا الأمراء.
وكذا ابن حجر في التلخيص (٤/ ٣٤٨)، حديث (٢٥٨٩)، وقال: إسناده ضعيف. وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٦): إن ابن عديّ عدّه من منكرات إسماعيل بن عياش، وابن عياش ضعيف في روايته عن الحجازين.

● وأما حديث أبي هريرة:

فأخرجه الطبراني في الأوسط كما في «مجمع البحرين» (٤/ ٩٤) رقم (٢١٥١).
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٦) لابن عديّ في الكامل.

● وأما حديث جابر:

فأخرجه البزّار (٢/ ٢٣٧)، حديث (١٦٠٠)، وقال: قال البزّار: لا نعلمه عن جابر إلاّ بهذا الإسناد.
- وابن عبد البر في التمهيد (٢/ ١٠).
- وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١١٠).
- وعبد الرزاق في مصنّفه (٨/ ١٤٧) حديث (١٤٦٦٥)، باب: الهدية للأمراء والذي يشفع عنده.
وذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ١٥٤)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.
- وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٧) لإسحاق بن راهويه في مسنده، من طريق أبي نضرة عن جابر.

● وأما حديث ابن عباس:

فعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٧) لابن الجوزي في كتاب التحقيق، من طريق يحيى بن نعيم عن ابن عباس، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: رواه أحمد، والبزّار، والطبراني من حديث أبي حميد السّاعديّ بلفظ «هدايا العمّال» وهو من رواية إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن عروة عنه. قال البزّار: أخطأ فيه إسماعيل سنداً ومتناً. وإنما أراد حديث الزهري عن عروة، عن أبي حميد باللفظ الماضي. وكذا عدّه ابن عديّ في منكرات إسماعيل بن =

(٣١٠) وعنه: «لا إغلال ولا إسلال» (٣١١) ويقال: أغله إذا وجده غالا، كقولك: أبخلته وأفحمته[1] ومعنى، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: وما صحّ له ذلك، يعني أن النبوة تنافي الغلول، وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع إلى معنى الأوّل، لأن معناه: وما صح له أن يوجد غالاً، ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالاً، وفيه وجهان: أحدهما: أن يبرأ

= عياش. وقال عبد الرزاق: حدّثنا سفيان الثوري عن أبان عن أبي عياش عن أبي نصيرة عن جابر بلفظ: «الهدايا للأمراء غلول» رواه إسحاق أخبرنا وكيع حدّثنا سفيان عمّن حدّثه عن أبي نضرة به. قال البزّار: أبان متروك. ثم ساقه من رواية قيس بن الربيع عن ليث بن أبي سليم. عن عطاء عن جابر به. وأخرجه ابن عديّ في ترجمة أحمد بن معاوية الباهلي من روايته عن النضر بن شميل عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. وقال: هذا حديث باطل، وذكر الطبراني في الأوسط، أنّ أحمد بن معاوية تفرّد به. انتهى.

٣١٠ ـ أخرجه البيهقي (٦/ ٩١) كتاب: العارية، باب: من قال لا يغرم من حديث أيوب، وقتادة وحبيب ويونس عن ابن سيرين أنّ شريحاً قال: ليس على المستودع غير المغل ضمان ولا على المستعير غير المغل ضمان قال البيهقي: هذا هو المحفوظ عن شريح القاضي، ورواه عمرو بن عبد الجبار عن عبيدة بن حسان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عن النبي ـ ﷺ ـ، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه وزاد «وليس على المستودع غير المغل ضمان» قال البيهقي: هذا ضعيف والمحفوظ أنه قول شريح. انتهى.

٣١١ ـ رُوي من حديث المسور ومروان، ومن حديث عمرو بن عوف، ومن حديث سلمة بن الأكوع.
فأما حديث مسور ومروان.
فأخرجه أبو داود (٣/ ٨٦)، رقم (٢٧٦٦)، كتاب الجهاد، باب: في صلح العدو، بلفظ «أنهم اصطلحوا على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، وعلى أن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال، وأحمد (٤/ ٣٢٣).
وأما حديث عمرو بن عوف: فرواه الدارمي في مسنده (٢/ ٢٣١) باب: في الغال إذا جاء بما غلّ به.
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٨) لابن عديّ في كامله، وقال: إن ابن عديّ أغلظ القول في كثير بن عبد الله، نقلاً عن النّسائي وأحمد وابن معين.
وأما حديث سلمة، فقد عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٨) لإبراهيم الحربي في كتاب غريب الحديث، ولابن زنجويه في كتاب الأموال وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود وأحمد من رواية الزهري عن عروة عن المسور ومروان في حديث. ورواه الدارمي والطبراني وابن عديّ من رواية كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جدّه رفعه «لا نهب ولا إسلال ولا إغلال ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة» ورواه ابن زنجويه في الأموال، وإبراهيم الحربي في الغريب من رواية موسى بن عبيدة عن أبان بن سلمة عن أبيه. وموسى ضعيف. انتهى.

---

(١) قوله: «كقولك أبخلته وأفحمته» في الصحاح: أفحمته: أي وجدته مفحماً لا يقول الشعر. (ع)

رسول الله ﷺ[1] من ذلك وينزه وينبه على عصمته بأن النبوّة والغلول متنافيان؟ لئلا يظن به ظانّ شيئاً منه وألا يستريب به أحد، كما روى: أنّ قطيفة حمراء فقدت يوم بدر. فقال بعض المنافقين: لعل رسول الله ﷺ أخذها، (٣١٢) وروي: أنها نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا: نخشى أن يقول رسول الله ﷺ: من أخذ شيئاً فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر، فقال لهم النبي ﷺ: «ألم أعهد إليكم ألاّ تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري» فقالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفاً، فقال ﷺ: «بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم» (٣١٣) والثاني أن يكون مبالغة في النهي لرسول الله ﷺ على ما روي: أنه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع، (٣١٤) فنزلت.

---

٣١٢ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٤٨)، رقم (٣٠٠٩)، كتاب التفسير، باب: ومن سورة آل عمران.
وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وقد روى عبد السّلام بن حرب عن خصيف نحو هذا، وروى بعضهم هذا الحديث عن خصيف عن مقسم، ولم يذكر فيه عن ابن عباس.
ـ والطبراني في الكبير (١١/ ٣٦٤) رقم (١٢٠٢٨، ١٢٠٢٩) من طريق عكرمة عن ابن عباس موقوفاً.
ـ وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٦٠) رقم (٣٢٤) ـ (٢٦٥١) بنحوه.
ـ والطبري في تفسيره (٧/ ٣٤٨)، رقم (٨١٣٦، ٨١٣٨، ٨١٣٩، ٨١٤٠).
ـ وابن أبي حاتم (٢٠/ ٦٣٧)، رقم (١٧٦٠).
كلهم من طرقٍ مختلفة عن ابن عباس.
وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٩): إن ابن عديّ في الكامل أعلّ هذا الحديث بخصيف، وضعّفه ابن معين، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي من حديث خصيف عن مقسم عن ابن عباس بلفظ: فقال بعض الناس، وقال حسن. قال: ورُوي عن مقسم ولم يذكر ابن عباس ورواه الطبراني وأبو يعلى وابن عديّ والطبري والواحدي كلّهم من هذا الوجه. وأعلّه ابن عديّ بخصيف. انتهى.
٣١٣ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٩) للثعلبي، وللواحدي في أسباب النزول، من طريق الكلبي ومقاتل، قال ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي في أسبابه عن الكلبي ومقاتل قال «نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز» إلخ. انتهى.
٣١٤ ـ ذكره الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٢٤٠) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير الطبري =

---

(١) قال محمود: «فيه توجيهان: أحدهما: أن يكون ذلك تنزيهاً لرسول الله ﷺ. . .الخ» قال أحمد رحمه الله: حمل الآية على الوجه الثاني يشهد له ورود هذه الصيغة كثيراً في النهي في أمثال قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾، ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾، إلى غير ذلك، على أن الزمخشري حاف في العبارة إذ يقول: عبر عن الحرمان بالغلول تغليظاً وتقبيحاً وما كان له أن يعبر عن هذا المعنى بهذه العبارة، فإن عادة لطف الله تعالى برسوله ﷺ في التأديب أن يكون ممزوجاً بغاية التخفيف والتعطف. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ قال بعض العلماء: بدأه بالعفو قبل العتب. ولو لم يبدأه بالعفو لا نفطر قلبه ﷺ.

يعني: وما كان لنبيّ أن يعطي قوماً ويمنع آخرين، بل عليه أن يقسم بالسوية، وسمى حرمان بعض الغزاة «غلولا» تغليظاً وتقبيحاً لصورة الأمر، ولو قرىء: «أن يغل» من أغل بمعنى غل، لجاز، ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث: «جاء يوم القيامة يحمله على عنقه» [1] (٣١٥) وروي: «ألا لا أعرفنّ أحدكم يأتي [2] ببعير له رغاء، وببقرة لها خوار، وبشاة لها ثغاء، فينادي يا محمد، يا محمد، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً فقد بلغتك» (٣١٦) وعن بعض جفاة العرب أنه سرق نافجة مسك، فتليت عليه الآية فقال: إذاً أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل، ويجوز أن يراد يأتي بما احتمل من وباله وتبعته وإثمه فإن قلت: هلا قيل: ثم يوفى ما كسب، ليتصل به؟ قلت: جيء بعامّ دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى، وهو أبلغ وأثبت، لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيراً أو شراً مجزي فموفى جزاءه،

= والواحدي في أسباب النزول. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة. حدّثنا وكيع حدّثنا سلمة بن نبيط. عن الضحّاك، فذكره به وأتمّ منه. وأخرجه الطبري والواحدي في أسبابه. انتهى.

٣١٥ ـ تقدم برقم (٣٠٨).

٣١٦ ـ أخرجه البزّار (١/ ٤٢٦ ـ كشف) رقم (٩٠٠) وأبو يعلى كما في تخريج الكشاف (١/ ٢٤١) كلاهما من طريق يعقوب بن عبد الله القمي ثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب به.

وقال البزّار: لا نعلمه عن عمر إلاّ بهذا الإسناد وحفص لا نعلم روى عنه إلاّ القمي.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٨٨).

وقال: رواه أبو يعلى في «الكبير» والبزّار ورجال الجميع ثقات. ا.هـ.

قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٢٤١): هذا حديث حسن الإسناد إلاّ أن حفص بن حميد مجهول لا أعلم روى عنه غير يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي، قيل: قيل روى عنه أيضاً أشعث بن إسحاق.

وقال فيه ابن معين: صالح، ووثّقه النّسائي وابن حبّان.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: رواه علي بن المديني في العلل وأبو يعلى والطبري من رواية حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بهذا في حديث طويل، وأصله في الصّحيحين عن أبي زرعة بن عمر بن جرير عن أبي هريرة بلفظ «ألا لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء... الحديث». انتهى.

---

(١) قوله: «جاء يوم القيامة يحمله على عنقه»: لعل صدره: من غل شيئاً. (ع)

(٢) قوله: «وروى: ألا لا أعرفن أحدكم يأتي، قوله: «لا أعرفن» بلفظ المنفي المؤكد بالنون، ومعناه النهي. أي لا يغل أحدكم فأعرفه. اهـ قسطلاني. (ع)

علم أنه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: أي: يعدل بينهم في الجزاء، كلٌّ جزاؤه على قدر كسبه.

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾: أي: هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله [من الوافر]:

أَنَصْبٌ لِلْمَنِيَّةِ تَعْتَرِيهِمْ ... رِجَالِي أَمْ هُمُ دَرَجُ السُّيُولِ؟![1]

وقيل: ذوو درجات والمعنى: تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين، أو التفاوت بين الثواب والعقاب، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: عالم بأعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: على من آمن مع رسول الله ﷺ من قومه، وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون بمبعثه، ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: من جنسهم عربياً مثلهم، وقيل: من ولد إسماعيل كما أنه من ولده، فإن قلت: مما وجه المنة عليهم في أن كان من أنفسهم؟ قلت: إذا كان منهم كان اللسان واحداً، فسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة، فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه والوثوق به، وفي كونه من أنفسهم شرف لهم، كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وفي قراءة رسول الله ﷺ وقراءة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ: من «أَنْفَسِهِم»، أي: من أشرفهم. لأن عدنان ذروة ولد إسماعيل، ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان، وخندف ذروة مضر، ومدركة ذروة خندف، وقريش ذروة مدركة، وذروة قريش محمد ﷺ، وفيما خطب به أبو طالب في تزويج خديجة ـ رضي الله عنها ـ وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر ـ: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل وضئضىء، معدّ وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمنا، وجعلنا الحكام على الناس. ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به

---

(١) أنشده سيبويه عن ابن هدمة، والهمزة للاستفهام، وهو من تجاهل العارف للتعجب والتحزن. والنصب: الغرض المنصوب يرمي إليه بالسهام، وهو كفلس أوفق بالوزن ويجوز أن أصله كعنق فسكن للوزن، أو ككتب فسكن كذلك. وهذا أوفق بالمعنى. وقد قيل بكل منها. وشبه رجاله به تشبيهاً بليغاً من حيث تتابع إصابة كل بالمكروه. وتعتريهم: جملة حالية. ودرج السيول: محلات انحدارها، شبههم بها لانمحاق كل شيئاً فشيئاً.
ينظر: ديوانه ص ١٨١، والأزمنة والأمكنة: ١/ ٣٠٧، وخزانة الأدب: ١/ ٤٢٤، وشرح أبيات سيبويه: ١/ ٢٨٤، والكتاب: ١/ ٤١٥، ٤١٦، ولسان العرب: (درج).

فتى من قريش إلا رجح به، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل، وقرىء: «لمن منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم»، وفيه وجهان: أن يراد لمن منّ الله على المؤمنين منه أو بعثه إذ بعث فيهم، فحذف لقيام الدلالة، أو يكون «إذ» في محل الرفع كـ «إذا» في قولك: أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائماً، بمعنى لمن منّ الله على المؤمنين وقت بعثه، ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: بعد ما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث، وقيل: ويأخذ منهم الزكاة، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: القرآن والسنة بعدما كانوا أجهل الناس وأبعدهم من دراسة العلوم، ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾: من قبل بعثة الرسول، ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ﴾: إن هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، وتقديره: وإنّ الشأن والحديث كانوا من قبل في ضلال، ﴿مُّبِينٍ﴾: ظاهر لا شبهة فيه.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾: يريد: ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم، ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾: يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين، و﴿لَمَّا﴾ نصب بقلتم، و ﴿أَصَٰبَتْكُم﴾: في محل الجرّ بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليه وتقديره: أقلتم حين أصابتكم، و﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾: نصب لأنه مقول، والهمزة للتقرير والتقريع. فإن قلت: علام عطفت الواو هذه الجملة؟ قلت: على ما مضى من قصة أحد من قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾: ويجوز أن تكون معطوفة على محذوف، كأنه قيل: أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا، «أنى هذا»: من أين هذا. كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران:٣٧] لقوله: ﴿مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾: وقوله: ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1]: والمعنى: أنتم السبب فيما أصابكم؛ لاختياركم الخروج من المدينة، أو

---

(١) قال السمين الحلبي: ورد عليه الشيخ بأن الظرف إذا وقع خبراً ألا يقدّر داخلاً عليه حرف جر غير «في»، أما أن يقدّر داخلاً عليه «من» فلا، لإنه إنما انتصب على إسقاط «في» ولذلك إذا أضمر الظرف تعدّى إليه بـ«في» إلاّ أن يتّسع فيه. قال: فتقديره غير سائغ واستدلاله بقوله: «مِنْ عند =

لتخليتكم المركز، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: لأخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فهو قادر على النصر وعلى منعه، وعلى أن يصيب بكم تارة ويصيب منكم أخرى، ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ﴾: يوم أحد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين ﴿فـ﴾ ـهو كائن، ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أي: بتخليته، استعار الإذن لتخليته الكفار، وأنه لم يمنعهم منهم ليبتليهم، لأنّ الآذن مخل بين المأذون له ومراده، ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾: وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون، وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: من جملة الصلة عطف على نافقوا، وإنما لم يقل: فقالوا؛ لأنه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم إلى القتال، كأنه قيل: فماذا قالوا لهم. فقيل: قالوا: لو نعلم، ويجوز أن تقتصر الصلة على، ﴿نَافَقُوا۟﴾: ويكون، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: كلاما مبتدأ قسم الأمر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون، وبين أن يقاتلوا إن لم يكن بهم غم الآخرة[1] دفعاً عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم، فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأساً لنفاقهم ودغلهم[2] وذلك ما روى أن عبد الله بن أبيّ انخذل مع حلفائه، فقيل له، فقال ذلك، وقيل: ﴿أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾: العدوّ بتكثيركم سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا لأنّ كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه، وعن سهل بن سعد الساعدي ـ وقد كف بصره ـ: لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم. قيل: وكيف وقد ذهب بصرك؟ قال لقوله: ﴿أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾: أراد: كثروا سوادهم، ووجه آخر وهو أن يكون معنى قولهم: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا﴾: لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً، ﴿لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ﴾: يعنون أن ما أنتم فيه لخطإ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء، ولا يقال لمثله قتال، إنما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة، لأنّ رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج، ﴿هُمْ

= أنفسكم» «من عند الله» وقوفٌ مع مطابقة السؤال للجواب في اللفظ وذهول عن هذه القاعدة».
واختار الشيخ أنّ «أنّى» بمعنى «كيف» قال: «وأنّى سؤالٌ عن الحال هنا، ولا تناسب أن تكون بمعنى «أين» أو «متى»، لأن الاستفهام لم يقع عن مكان ولا زمان هنا، إنما وقع عن الحال التي اقتضت لهم ذلك، سألوا عنها على سبيل التعجب، وجاء الجواب من حيث المعنى لا من حيث اللفظ في قوله: «قل هو من عند أنفسكم». قال: والسؤال بـ«أنّى» سؤالٌ عن تعيين كيفية حصول هذا الأمر، والجواب بقوله: «من عند أنفسكم» يتضمن تعيين الكيفية، لأنه بتعيين السبب تتعيَّن الكيفية من حيث المعنى، لو قيل على سبيل التعجب: كيف لا يحج زيد الصالح!! فقيل في جوابه: «العدم استطاعته» لحصل الجواب وانتظم من المعنى أنه لا يحجُّ وهو غير مستطيع انتهى.
أما قوله: «لا يقدّر الظرف بحرف جرٍّ غير «في» فالزمخشري لم يقدّر «في» مع «أنّى» حتى يلزمه ما قال، إنما جعل «أنّى» بمنزلة «من أين» في المعنى. وأمَّا عدوله عن الجواب المطابق لفظاً فالعكس أولى. انتهى. الدر المصون.

(١) قوله: «غم الآخرة» لعله هم الآخرة. (ع)
(٢) قوله: «ودغلهم» في الصحاح: الدغل ـ بالتحريك ـ الفساد، مثل الدخل. (ع)

﴿لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ﴾: يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم، فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا، تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر، وقيل: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان، لأنّ تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين، ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم﴾: لا يتجاوز إيمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئاً، وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم، وأنّ إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم، خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لأفواههم، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾: من النفاق، وبما يجري بعضهم مع بعض من ذمّ المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك، لأنكم تعلمون بعض ذلك علماً مجملاً بأمارات، وأنا أعلم كله علم إحاطة بتفاصيله وكيفياته، ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾: في إعرابه أوجه: أن يكون نصباً على الذمّ، أو على الردّ على الذين نافقوا، أو رفعاً على هم الذين قالوا، أو على الإبدال من واو يكتمون، ويجوز أن يكون مجروراً بدلاً من الضمير في «بأفواههم» أو «قلوبهم»، كقوله [من الطويل]:

.... عَلَى جُودِهِ لَضَنَّ بِالمَاءِ حَاتِمُ[1]

﴿لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾: لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو إخوانهم في النسب وفي سكنى الدار، ﴿وَقَعَدُواْ﴾: أي: قالوا وقد قعدوا عن القتال: لو أطاعنا إخواننا

---

(١) فلما تصافنا الإداوة أجهشت ... إلى غضون العنبري الجراضم
فجاء بجلمود له مثل رأسه ... ليشرب ماء القوم بين الصرائم
على حالة لو أن في القوم حاتماً ... على جوده لضن بالماء حاتم

للفرزدق، يعتذر عما وقع منه في السفر مع دليله عاصم العنبري حين ضل الطريق. والتصافن: اقتسام الماء القليل بالصفن، وهو وعاء صغير لنحو الوضوء. والإداوة: ظرف الماء، وجمعها أداوى. وإيقاع التصافن عليها مجاز عقلي لأنها محل الماء الذي اقتسموه. وأقرب منه أنها مجاز مرسل عما فيها والجهش والإجهاش: تضرع الإنسان إلى غيره وتهيئته للبكاء إليه كالصبي إلى أمه، وغضون الجلد: مكاسره ويروى: عيون. وإسناد الاجهاش إليها مجاز عقلي، لأنها محل ظهور أثره. والجراضم: واسع البطن كثير الأكل. والمراد بالجلمود: إناء صلب كبير مثل رأسه، أي العنبري. وفيه إشارة إلى حمقه، لأن إفراط الرأس في العظم أمارة البلادة. وفي الصلابة أيضاً إشارة إلى ذلك، ليشرب: أي ليأخذ ماء القوم بين الصرائم، جمع صريمة وهي منقطع الرمل، أو قطيع من الإبل إشارة إلى أنهم كانوا بمفازة لا ماء بها على حالة ضنكة، لو ثبت في تلك الحالة أن حاتماً في القوم مع جوده المشهور لبخل بالماء. «وعلى» بمعنى «في» ويؤيده رواية المبرد في كامله: «على ساعة» وحاتم ـ بالجر ـ بدل من ضمير جوده. وفيه تنويه بذكر الاسم وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج.
ينظر: ديوانه ٢/٢٩٧، ولسان العرب: (حتم) والمقاصد النحويّة، ٤/١٨٦، وشرح شذور الذهب ص ٣١٧، وشرح المفصل: ٣/٦٩، واللمع ص ١٧٤، ٢٦٦.

فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾: معناه: قل إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلاً وهو القعود عن القتال، فجدوا إلى دفع الموت سبيلاً، يعني أن ذلك الدفع غير مغن عنكم، لأنكم إن دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت، لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة، ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها، وروي: أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقاً. فإن قلت: فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم[1] بالقعود، فما معنى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾:؟ قلت: معناه أن النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن يكون غيره، لأن أسباب النجاة كثيرة، وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل، فما يدريكم أن سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون في مقالتكم؟ وما أنكرتم أن يكون السبب غيره، ووجه آخر: إن كنتم صادقين في قولكم: لو أطاعونا وقعدوا ما قتلوا، يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين، وقوله: ﴿فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ استهزاء بهم، أي: إن كنتم رجالاً دفاعين لأسباب الموت، فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد، وقرىء بالياء على: ولا يحسبنّ

(١) قال محمود: «إن قلت فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا. . .الخ» قال أحمد: السؤال المذكور إنما يرد على معتزلي من مثله، فإنهم يعتقدون أن الموت قد يكون بحلول الأجل، وقد يكون قبله، وأن المقتول لولا القتل لاستوفى أجله المكتوب له الزائد على ذلك، فلا جرم أن الإنسان على زعمهم يدفع عن نفسه العارض قبل حلول الأجل بتوقي الأسباب الموجبة لذلك، فعلى ذلك ورد السؤال المذكور. وأما أهل السنة فمعتقدهم أن كل ميت بأجله يموت، ويقولون: إن الخارجين إلى القتال في المعركة لم يكن بد من موتهم في ذلك الوقت، وأن ذلك الحين هو وقت حينهم في علم الله عز وجل، إيماناً بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وخلافاً للمنافقين وللموافقين لهم من المعتزلة في قولهم: لو أطاعونا ما ماتوا. ولعمري إنهم في هذا المعتقد مقلدون النمروذ في قوله: أنا أحيي وأميت، فإن الأحمق ظن أنه يقتل إن شاء فيكون ذلك إماتة، ويعفو عن القتل فيكون ذلك إحياء، وغاب عنه أن الذي عفا عن قتله إنما حيي لاستيفاء الأجل الذي كتبه الله له، وأن الذي قتله إنما مات لأنه استوفى تلك الساعة أجله، والله الموفق.

رسول الله ﷺ، أو ولا يحسبنّ حاسب، ويجوز أن يكون، ﴿ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾: فاعلاً، ويكون التقدير: ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتاً، أي: ولا يحسبنّ الذين قتلوا أنفسهم أمواتاً. فإن قلت: كيف جاز حذف المفعول الأوّل؟ قلت: هو في الأصل مبتدأ، فحذف كما حذف المبتدأ في قوله، ﴿أَحْيَآءٌ﴾: والمعنى: هم أحياء لدلالة الكلام عليهما، وقرىء: «ولا تحسبنّ» بفتح السين، «وقتلوا» بالتشديد. «وأحياء» بالنصب على معنى: بل احسبهم أحياء، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: مقرّبون عنده ذوو زلفى، كقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [فصلت: ٣٨]، ﴿يُرْزَقُونَ﴾: مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون، وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله، ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: وهو التوفيق في الشهادة وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم، من كونهم أحياء مقرّبين معجلاً لهم رزق الجنة ونعيمها، وعن النبي ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش» ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِـ﴾ ـإخوانهم المجاهدين، ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم﴾: أي: لم يقتلوا فيلحقوا (٣١٧) بهم، ﴿مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾: يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم، وقيل: لم يلحقوا بهم، لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم، ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: بدل من «الذين»، والمعنى: ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين، وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة. بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به، وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة، والجد في الجهاد، والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم، وإحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه في الله، وبشرى للمؤمنين بالفوز في

---

٣١٧ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ١٥) حديث (٢٥٢٠) كتاب الجهاد، باب: فضل الشهادة. . .
ـ والحاكم (٢/ ٨٨)، كتاب الجهاد، (٢/ ٢٩٧) كتاب التفسير، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
ـ وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٢١٩)، حديث (٢٣٣١).
ـ وأحمد (١/ ٢٦٥).
والبيهقي (٩/ ١٦٣)، كتاب السير، باب: فضل الشهادة في سبيل الله عزّ وجلّ والطبري في تفسيره (٧/ ٣٨٤)، حديث (٨٢٠٥).
كلّهم من طرق عن ابن عباس.
ـ ويشهد له حديث ابن مسعود عند مسلم (٧/ ٣٧) كتاب الإمارة باب: بيان أنّ أرواح الشهداء في الجنّة، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود وابن أبي شيبة والحاكم وأبو يعلى والبزّار كلّهم من حديث ابن عباس به وأتمّ منه. قال الدارقطني تفرّد به محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية، وأصله في مسلم من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، بلفظ: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلّقة بالعرش تمرح في الجنّة حيث شاءت ـ الحديث».

المآب، وكرّر ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ ليعلق به ما هو بيان لقوله: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: من ذكر النعمة والفضل، وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع وقرىء «وأن الله» بالفتح عطفاً على النعمة والفضل، وبالكسر على الابتداء وعلى أنّ الجملة اعتراض، وهي قراءة الكسائي، وتعضدها قراءة عبد الله. «والله لا يضيع».

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾: مبتدأ خبره، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: أو صفة للمؤمنين، أو نصب على المدح. روي: أنّ أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوّة، فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال: لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج رسول الله ﷺ مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال، وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر، وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا، فنزلت، (٣١٨) و «من» في، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾: للتبيين مثلها في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾ [الفتح: ٢٩] لأنّ الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا، لا بعضهم، وعن عروة بن الزبير: قالت لي عائشة ـ رضي الله عنها ـ «إن أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول» تعني أبا بكر والزبير، (٣١٩) ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾: روي أنّ أبا

---

٣١٨ ـ أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣١٤)، من حديث يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيوخه.
ـ وابن إسحاق (١١٨٨ ـ سيرة ابن هشام) في ذكر غزوة حمراء الأسد من طريق عبد الله بن أبي بكر عن معبد بن أبي معبد الخزاعي.
ـ والطبري في تفسيره (٧/ ٤٠٦) رقم (٨٢٤٣)، من نفس الطريق السابق، وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن إسحاق في المغازي عن شيوخه ومن طريقه البيهقي في الدلائل فذكره مطوّلاً.

٣١٩ ـ أخرجه البخاري (٨/ ١٢٤) رقم (٤٠٧٧)، كتاب المغازي باب: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.
ـ ومسلم (٨/ ٢٠٣)، رقم ٥١ ـ (٢٤١٨)، كتاب فضائل الصّحابة باب: من فضائل طلحة والزبير.
الاثنان من طريق هشام بن عروة عن أبيه.
=

سفيان نادى عند انصرافه من أحد. يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت، فقال النبي ﷺ: إن شاء الله؛ فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل «مر الظهران». فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع، فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً فقال: يا نعيم، إني واعدت محمداً أن نلتقي بموسم بدر، وإن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وقد بدا لي ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جراءة، فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الإبل، فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم: ما هذا بالرأي. أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريداً، فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، فوالله لا يفلت منكم أحد، (٣٢٠) وقيل: مرّ بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوهم، فكره المسلمون الخروج. فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد»، فخرج في سبعين راكباً وهم يقولون: «حسبنا الله ونعم الوكيل» ـ وقيل: هي الكلمة التي قالها إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين ألقي في النار ـ حتى وافوا بدراً وأقاموا بها ثماني ليال، وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيراً، ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق. قالوا: إنما خرجتم لتشربوا السويق. فالناس الأوّلون: المثبطون، والآخرون: أبو سفيان وأصحابه. (٣٢١) فإن قلت: كيف قيل: ﴿ٱلنَّاسِ﴾: إن

= ووهم الحاكم في مستدركه، فقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: متفق عليه ووهم الحاكم فاستدركه. انتهى.

٣٢٠ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٤٥) للثعلبي من قول مجاهد وعكرمة.
وهذا الحديث جزء من الحديث الذي أورده ابن سعد في الطبقات (٢/ ٤٥) في غزوة رسول الله ـ ﷺ ـ بدر الموعد، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: ذكره الثعلبي عن مجاهد وعكرمة وسنده إليهما في أوّل كتابه، وروى ابن سعد في الطبقات بعضه. انتهى.

٣٢١ ـ ذكره ابن سعد في الطبقات (٢/ ٤٥) في غزوة رسول الله ـ ﷺ ـ بدر الموعد، بنقص يسير.
ـ وأخرج البخاري (٩/ ٩٦) رقم (٤٥٦٣) كتاب التفسير، باب: الذين قال لهم الناس... من طريق أبي الضحى عن ابن عباس، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد ـ ﷺ ـ حين ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ...﴾ الآية.
ووهم الحاكم فرواه (٢/ ٢٩٨)، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن سعد من طريق ابن إسحاق. وموسى بن عقبة وغيرهما. وأخرجه الواقدي في المغازي. قال حدّثني الضحّاك بن عثمان وعبد الله بن جعفر ومحمد بن عبد الله بن مسلم وابن أبي حبيب وغيرهم. قالوا «لما أراد أبو سفيان أن ينصرف من أحد» فذكره مطوّلاً. قوله: وقيل: هي الكلمة التي قال إبراهيم حين ألقي في النار. رواه البخاري من طريق أبي الضحى عن ابن عباس. انتهى.

كان نعيم هو المثبط وحده؟ قلت: قيل ذلك لأنه من جنس الناس، كما يقال: فلان يركب الخيل ويلبس البرود، وماله إلا فرس واحد وبرد فرد. أو لأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه، ويصلون جناح كلامه، ويثبطون مثل تثبيطه. فإن قلت: إلام يرجع المستكن في، ﴿فَزَادَهُمْ﴾: ؟ قلت: إلى المقول الذي هو، ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾: كأنه قيل: قالوا لهم هذا الكلام فزادهم إيماناً، أو إلى مصدر قالوا، كقولك: من صدق كان خيراً له. أو إلى الناس إذا أريد به نعيم وحده. فإن قلت: كيف زادهم نعيم أو مقوله إيماناً؟ قلت: لما لم يسمعوا قوله وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الإسلام ـ كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم، كما يزداد الإيقان بتناصر الحجج؛ ولأن خروجهم على أثر تثبيطه إلى وجهة العدو طاعة عظيمة، والطاعات من جملة الإيمان؛ لأنّ الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل، وعن ابن عمر: قلنا: يا رسول الله، إن الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار» (٣٢٢) وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول: قم بنا نزدد إيماناً، (٣٢٣) وعنه: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمّة لرجح به. (٣٢٤) ﴿حَسْبُنَا

---

٣٢٢ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٤٨) للثعلبي من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية علي بن عبد العزيز عن حبيب بن عيسى بن فروخ عن إسماعيل بن عبد الرحمن عن مالك عن نافع عنه. انتهى.

٣٢٣ ـ أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٦٩ ـ ٧٠) رقم (٣٧) وابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٠٨) كلاهما من طريق محمد بن طلحة عن زبيد عن ذر عن عمر بن الخطاب به.

وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٤٨) للثعلبي من طريق ابن أبي شيبة. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان من رواية رزين عن عبد الله عنه. ورجاله ثقات إلاّ أنه منقطع. ومن هذا الوجه أخرجه الثعلبي والبيهقي في الشعب. انتهى.

٣٢٤ ـ أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٥/ ٢٦٠) والديلمي في «مسند الفردوس» رقم (٥١٨٨) من طريق عيسى بن عبد الله بسنده إلى ابن عمر مرفوعاً.

وقال السّخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص٣٤٩): وفي سنده عيسى بن عبد الله بن سليمان وهو ضعيف لكنه لم ينفرد به فقد أخرجه ابن عديّ أيضاً من طريق غيره بلفظ: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجحهم» ا.هـ.

والحديث الذي أشار إليه السّخاوي قد أخرجه ابن عديّ في «كامله» (٤/ ٢٠١).

وقد ورد هذا الحديث موقوفاً على عمر.

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٦٩) رقم (٣٦) من طريق ابن المبارك عن ابن شوذب عن محمد بن جحادة عن سلمة بن كهيل عن هذيل بن شرحبيل عن عمر موقوفاً.

وقال الدارقطني في «العلل» (٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) ـ هذا حديث يرويه عبد الله بن شوذب واختلف عنه فرواه ابن المبارك وأيوب بن سويد الرملي عن ابن شوذب عن محمد بن جحادة عن سلمة بن كهيل عن هذيل بن شرحبيل عن عمر وخالفهما رواد بن الجراح فرواه عن ابن شوذب عن محمد بن =

﴿ٱللَّهُ﴾: محسبنا، أي: كافينا. يقال: أحسبه الشيء إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنك تقول: هذا رجل حسبك، فتصف به النكرة؛ لأنّ إضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقة، ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾: ونعم الموكول إليه هو، ﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾: فرجعوا من بدر، ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: وهي السلامة وحذر العدوّ منهم ﴿وفضل﴾ وهو الربح في التجارة، كقوله: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ [البقرة: ١٩٨].، ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾: لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدوّ، ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾: بجرأتهم وخروجهم، ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾: قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا، وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم، وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء، وروي أنهم قالوا: هل يكون هذا غزوا، فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: خبر «ذلكم»، بمعنى: إنما ذلكم المثبط هو الشيطان، و«يخوّف أولياءه» جملة مستأنفة بيان لشيطنته. أو الشيطان صفة لاسم الإشارة، ويخوف الخبر، والمراد بالشيطان نعيم، أو أبو سفيان، ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف، بمعنى: إنما ذلكم قول الشيطان، أي: قول إبليس لعنه الله، ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾: يخوّفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه، وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود: «يخوفكم أولياءه»، وقوله: «فلا تخافوهم»، وقيل: يخوّف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله ﷺ. فإن قلت: فإلام رجع الضمير في، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾: على هذا التفسير؟ قلت: إلى الناس

= جحادة عن طلحة بن مصرف عن هذيل عن عمر، وخالفهم ضمرة بن ربيعة رواه عن ابن شوذب عن ابن جحادة عن سلمة عن عمرو بن شرحبيل ولم يقل عن هذيل ووهم وأصحها قول ابن المبارك ومن تابعه ا.هـ. والحديث موقوفاً ذكره السّخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص٣٤٩) وعزاه لإسحاق بن راهويه والبيهقي في «الشعب» وابن المبارك في «الزهد» ومعاذ بن المثنّى في زيادات «مسند مسدد».

وصحّح السّخاوي سنده.

وذكره البدر الزركشي في «التذكرة» ص(١٧١) وقال: قيل إنّه من كلام عمر بن الخطاب.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده من رواية هذيل بن شرحبيل عن عمر وإسناده صحيح ورُوي مرفوعاً أخرجه ابن عديّ من رواية عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ رفعه «لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها» في إسناده عيسى بن عبد الله بن سليمان وهو ضعيف. قلت: لم ينفرد به بل تابعه عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد بلفظ «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجحهم» أخرجه ابن عديّ أيضاً. وحديث عمر الموقوف أخرجه أيضاً ابن المبارك في الزهد. ومعاذ بن المثنّى في زيادات مسند مسدّد. انتهى.

في قوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ فتقعدوا عن القتال وتجبنوا، ﴿وَخَافُونِ﴾: فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: يعني أنّ الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾

﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾: يقعون فيه سريعاً ويرغبون فيه أشدّ رغبة، وهم الذين نافقوا من المتخلفين، وقيل: هم قوم ارتدّوا عن الإسلام. فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾:؟ ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتدّ؟ قلت: معناه لا يحزنوك لخوف أن يضرّوك ويعينوا عليك. ألا ترى إلى قوله، ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾: يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم، وما وبال ذلك عائداً على غيرهم. ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: أي: نصيباً من الثواب، ﴿وَلَهُمْ﴾: بدل الثواب، ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: وذلك أبلغ ما ضرّ به الإنسان نفسه. فإن قلت: هلا قيل: لا يجعل الله لهم حظاً في الآخرة، وأيّ فائدة في ذكر الإرادة؟ قلت: فائدته الإشعار بأنّ الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصاً لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر؛ تنبيهاً على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه، حتى إنّ أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: إمّا أن يكون تكريراً لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما أضاف إليهم، وإمّا أن يكون عاماً للكفار، والأوّل خاصاً فيمن نافق من المتخلفين. أو ارتدّ عن الإسلام أو على العكس، و﴿شَيْـًٔا﴾: نصب على المصدر؛ لأن المعنى: شيئاً من الضرر وبعض الضرر، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: فيمن قرأ بالتاء نصب و﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾: بدل منه: أي: ولا تحسبنّ أنّ ما نملي للكافرين خير لهم، و «أن» مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين، كقوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ [الفرقان: ٤٤]، و«ما» مصدرية، بمعنى: ولا تحسبنّ أنّ إملاءنا خير، وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة، ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا يخالف، وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف. فإن قلت: كيف صحّ مجيء البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين، ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد؟

قلت: صحّ ذلك من حيث إنّ التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى، ألا تراك تقول: جعلت متاعك بعضه فوق بعض، مع امتناع سكوتك على متاعك، ويجوز أن يقدّر مضاف محذوف على: ولا تحسبنّ الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم. أو ولا تحسبنّ حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم، وهو فيمن قرأ بالياء رفع، والفعل متعلق بأن وما في حيزه، والإملاء لهم: تخليتهم وشأنهم، مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء، وقيل: هو إمهالهم وإطالة عمرهم، والمعنى: ولا تحسبنّ أن الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم، ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾: «ما» هذه حقها أن تكتب متصلة، لأنها كافة دون الأولى، وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها، كأنه قيل: ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيراً لهم، فقيل: «إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً». فإن قلت: كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضاً لله تعالى في إملائه[1] لهم؟ قلت: هو علة للإملاء، وما كل علة بغرض. ألا تراك تقول: قعدت عن الغزو للعجز والفاقة، وخرجت من البلد لمخافة الشر، وليس شيء منها بغرض لك، وإنما هي علل وأسباب، فكذلك ازدياد الإثم جعل علة للإمهال وسبباً فيه. فإن قلت: كيف يكون ازدياد الإثم علة للإملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب؟ قلت: لما كان في علم الله المحيط بكل شيء أنهم مزدادون إثماً، فكأن الإملاء وقع من أجله وبسببه على طريق المجاز، وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الأولى وفتح الثانية، «ولا يحسبنّ» بالياء، على معنى: ولا يحسبنّ الذين كفروا أن إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون، وإنما هو ليتوبوا ويدخلوا في الإيمان، وقوله: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ﴾: اعتراض بين الفعل ومعموله، ومعناه: أن إملاءنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعام الله عليهم بتفسيح المدّة وترك المعاجلة بالعقوبة. فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: على هذه القراءة؟ قلت: معناه: ولا تحسبوا أن إملاءنا لزيادة الإثم وللتعذيب، والواو للحال، كأنه قيل: ليزداودا إثماً معداً لهم عذاب مهين.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾

---

(١) قال محمود: «إن قلت: كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضاً لله تعالى في إملائه لهم... الخ»؟ قال أحمد: بنى الزمخشري هذا الجواز على شفا جرف هار فانهار، لأن معتقده أن الاثم الواقع منهم ليس مراداً لله تعالى بل هو واقع على خلاف الإرادة الربانية، فلما وردت الآية مشعرة بأن ازدياد الإثم مراداً لله تعالى إشعاراً لا يقبل التأويل، أخذ يعمل الحيلة في وجه من التعطيل التزاماً لاتمام الفاسد وضرباً في حديد بارد، فجعل ازدياد الإثم سبباً وليس بغرض.

اللام لتأكيد النفي، ﴿عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: حتى يعزل المنافق عن المخلص، وقرىء: «يميز». من ميز، وفي رواية عن ابن كثير: «يميز»، من أماز بمعنى ميز. فإن قلت: لمن الخطاب في، ﴿أَنتُمْ﴾؟ قلت: للمصدّقين جميعاً من أهل الإخلاص والنفاق، كأنه قيل: ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها ـ من اختلاط بعضكم ببعض، وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعاً ـ حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه وإخباره بأحوالكم، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي: وما كان الله ليؤتي أحداً منكم علم الغيوب، فلا تتوهموا عند إخبار الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾: يرسل الرسول فيوحي إليه ويخبره بأنّ في الغيب كذا، وأن فلاناً في قلبه النفاق وفلاناً في قلبه الإخلاص، فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات، ويجوز أن يراد: لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب، بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم. كبذل الأرواح في الجهاد، وإنفاق الأموال في سبيل الله، فيجعل ذلك عياراً على عقائدكم وشاهداً بضمائركم، حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال، لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها، فإن ذلك مما استأثر الله به، وما كان الله ليطلع أحداً منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعاً عليها، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: فيخبره ببعض المغيبات ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بأن تقدروه حق قدره، وتعلموه وحده مطلعاً على الغيوب، وأن تنزلوهم منازلهم بأن تعلموهم عباداً مجتبين، لا يعلمون إلا ما علمهم الله، ولا يخبرون إلا بما أخبرهم الله به من الغيوب، وليسوا من علم الغيب في شيء، وعن السدي: قال الكافرون: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت. (٣٢٥)

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

---

٣٢٥ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦) رقم (٨٢٧٣) من طريق أسباط عن السدّي بلفظ ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ...﴾ قالوا: «إن كان محمد صادقاً، فليخبرنا بمن يؤمن بالله ومن يكفر»!! فأنزل الله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ...﴾ الآية، حتى يخرج المؤمن من الكافر.

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾: من قرأ بالتاء قدّر مضافاً محذوفاً، أي: ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم، وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله، أو ضمير أحد، ومن جعل فاعله «الذين يبخلون» كان المفعول الأوّل عنده محذوفاً تقديره: ولا يحسبن «الذين يبخلون» بخلهم، ﴿هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ﴾: والذي سوغ حذفه دلالة، ﴿يَبۡخَلُونَ﴾: عليه، وهو فصل، وقرأ الأعمش بغير «هو»، ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾: تفسير لقوله: ﴿هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ﴾: أي: سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق، وفي أمثالهم: تقلدها طوق الحمامة، إذا جاء بهنة يسب به ويذم، وقيل: يجعل ما بخل من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة، تنهشه من قرنه إلى قدمه وتنقر رأسه وتقول: أنا مالك، وعن النبي ﷺ في مانع الزكاة: «يطوق بشجاع أقرع» (٣٢٦) وروي «بشجاع أسود» وعن النخعي: سيطوقون بطوق من نار، (٣٢٧) ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾: أي: وله ما فيها مما يتوارثه أهلها من مال

---

٣٢٦ ـ أخرجه مالك (١/٢٥٦ ـ ٢٥٧)، كتاب الزكاة، باب ما جاء في الكنز.
والبخاري (٤/١١) حديث (١٤٠٣)، كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة...
ـ والنسائي (٥/٣٩) رقم (٢٤٨٢)، كتاب الزكاة، باب: مانع زكاة ماله.
ـ وأحمد (٢/٢٧٩، ٣١٦، ٣٥٥).
ـ وأبو يعلى في مسنده (١١/٢٠٦) رقم (٤٧٩) ـ (٦٣١٩).
وللحديث شواهد كثيرة، منها:
ما جاء من طريق جابر:
ـ أخرجه مسلم (٤/٧٤ ـ ٧٥) حديث (٢٧ ـ (٩٨٨) ـ ٢٨) كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة.
وما جاء من طريق ابن عمر.
ـ أخرجه النسائي (٥/٣٨، ٣٩) كتاب الزكاة، باب: مانع زكاة ماله.
وما جاء من طريق ابن مسعود.
ـ أخرجه الترمذي (٥/٢٣٢)، حديث (٣٠١٢)، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
ـ وابن ماجه (١/٥٦٨، ٥٦٩) حديث (١٧٨٤)، كتاب الزكاة، باب ما جاء في منع الزكاة.
ـ وأحمد (١/٣٧٧).
ـ وابن خزيمة (٤/١١، ١٢).
ـ والحاكم (٢/٢٩٨، ٢٩٩) كتاب التفسير، ورواية الحاكم صحّحها وأقرّها الذهبي.
ـ والطبراني في الكبير (٩/٢٦١، ٢٦٢)، رقم (٩١٢٢، ٩١٢٦).
ـ وعبد الرزاق في تفسيره (١/١٤١).
ـ وسعيد بن منصور في تفسيره (٣/١١٢٩، ١١٣٠)، رقم (٥٤٩).
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث أبي هريرة رفعه «من أتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثّل ماله بشجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة». انتهى.
٣٢٧ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/٤٣٩) رقم (٨٢٩٦) وابن أبي شيبة (٣/٢١٢) وسعيد بن منصور (٥٥١) وسفيان الثوري في «تفسيره» (ص٨٢) رقم (١٧٠) وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ =

وغيره فمالهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله، ونحوه قوله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] وقرىء «بما تعملون» بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات، وهي أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾

قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] فلا يخلو إمّا أن يقولوه عن اعتقاد لذلك، أو عن استهزاء بالقرآن، وأيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر إلا عن متمردين في كفرهم، ومعنى سماع الله له: أنه لم يخف عليه، وأنه أعدّله كفاءه من العقاب، ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾: في صحائف الحفظة. أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب. فإن قلت: كيف قال: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾: ثم قال، ﴿سَنَكْتُبُ﴾: وهلا قيل: ولقد كتبنا؟ قلت: ذكر وجود السماع أوّلاً مؤكداً بالقسم ثم قال: «سنكتب» على جهة الوعيد بمعنى: لن يفوتنا أبداً إثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء، وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذاناً بأنهما في العظم أخوان، وبأن هذا ليس بأوّل ما ركبوه من العظائم، وأنهم أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق، وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول، وروي: أن رسول الله ﷺ كتب مع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً، فقال فنحاص اليهودي: إنّ الله فقير حين سألنا القرض فلطمه أبو بكر في وجهه وقال: لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله ﷺ وجحد ما قاله، فنزلت، (٣٢٨) ونحوه قولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: [المائدة: ٦٤]، ﴿وَنَقُولُ﴾: لهم ﴿ذُوقُوا۟﴾ وننتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة: ذوقوا، ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: كما أذقتم المسلمين الغصص. يقال للمنتقم منه: أحس، وذق، وقال

= ١٤١(كلّهم من طريق منصور عن إبراهيم النّخعي وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣٩٥) وزاد نسبته لابن المنذر.

٣٢٨ ـ ذكره ابن هشام في سيرته (٢/ ٢٠١، ٢٠٢) رقم (٦٤١) من قول ابن إسحاق ولم يجاوزوه.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٥٠): لابن أبي حاتم في تفسيره من طريق محمد بن إسحاق، وللثعلبي والواحدي في أسباب النزول من قول عكرمة والسدّي ومقاتل وابن إسحاق، قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق، حدّثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس فذكره مطوّلاً. انتهى.

أبو سفيان لحمزة[1] ـ رضي الله عنه ـ: ذق عقق (٣٢٩) وقرأ حمزة: «سيكتب»، بالياء على البناء للمفعول، «ويقول» بالياء، وقرأ الحسن والأعرج: «سيكتب» بالياء وتسمية الفاعل، وقرأ ابن مسعود: «ويقال ذوقوا»، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما تقدّم من عقابهم وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاول بهنّ، فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب. فإن قلت: فلم عطف قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: على ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكاً لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب؟ قلت: معنى كونه غير ظلام للعبيد أنه عادل عليهم ومن العدل أن يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾

﴿عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾: أمرنا في التوراة وأوصانا بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة، وهو أن يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله، كما كان أنبياء بني إسرائيل تلك آيتهم، كان يقرب بالقربان، فيقوم النبي فيدعو، فتنزل نار من السماء فتأكله، وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله، لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان للرسول الآتي به إلا لكونه آية ومعجزة فهو إذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز أن يعينه الله تعالى من بين الآيات، وقد ألزمهم الله أن أنبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي أوجبت عليهم التصديق، وجاءوهم ـ أيضاً ـ بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم إن كانوا صادقين أن الإيمان يلزمهم بإتيانها. وقرىء «بقربان» بضمتين، ونظيره السلطان. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾: ؟ قلت: معناه، وبمعنى الذي قلتموه من قولكم: قربان تأكله النار، ومؤدّاه كقوله: ﴿ثُمَّ

---

٣٢٩ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٥١): للدارقطني في المؤتلف والمختلف في ترجمة الحليس، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: ذكره ابن إسحاق في المغازي قال: وكان الجليس بن زياد الكناني سيد الأحابيش مرّ بأبي سفيان وهو يضرب في شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول «ذق عقق»، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الدارقطني في المؤتلف. انتهى.

---

(١) قوله: «لحمزة رضي الله عنه: ذق عقق» في الصحاح: عاق وعقق، مثل عامر وعمر. وذق عقق: أي ذق جزاء فعلك يا عاق. (ع)

﴿يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ [المجادلة: ٣] أي: لمعنى ما قالوا. في مصاحف أهل الشام: وبالزبر، وهي الصحف، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: التوراة والإنجيل والزبور، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ من تكذيب قومه وتكذيب اليهود.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

وقرأ اليزيدي «ذائقة الموت» على الأصل، وقرأ الأعمش «ذائقة الموتَ» بطرح التنوين مع النصب كقوله [من المتقارب]:

.... وَلاَ ذَاكِرَ اللَّهَ إلاَّ قَلِيلا[1]

فإن قلت: كيف اتصل به قوله: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾؟ قلت: اتصاله به على أن كلكم تموتون ولا بدّ لكم من الموت ولا توفون أجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم، وإنما توفونها يوم قيامكم من القبور. فإن قلت: فهذا يوهم نفي ما يروى أن «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» (٣٣٠). قلت: كلمة التوفية تزيل هذا

---

٣٣٠ - أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٩ - ٦٤٠) كتاب صفة القيامة حديث (٢٤٦٠).
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد وهو ضعيف. ورواه الطبراني في الأوسط =

---

(١) فذكرته ثم عاتبته ... عتاباً رقيقاً وقولاً جميلاً
فألفيته غير مستعتب ... ولا ذاكر الله إلا قليلاَ
لأبي الأسود الدؤلي، كان يجلس إلى فناء امرأة جميلة بالبصرة فقالت له: هل لك أن أتزوج بك؟ فإني حميدة الخصال وكيت وكيت. فقال: نعم وتزوجها من أهلها، فوجدها بضد ما قالت، فعاتبها وخاطب أهلها بشعر منه ذلك، ثم طلقها أمامهم. وكنى بضمير المذكر عنها استحياء أي فذكرتها بما قالت وعاتبتها على ما فعلت عتاباً حسناً، فوجدتها غير قابلة مني عتاباً. ولفظ الجلالة نصب بـ «ذاكر»، وحذف تنوينه مع أنه غير مضاف تشبيهاً بحذف نون التوكيد الخفيفة لملاقاة الساكن. أو بتنوين العلم الموصوف بابن مضافاًإلى علم. وذاكر: عطف على مستعتب. و«لا» زائدة لتوكيد النفي، ولم يضف ذاكر إلى الله ليتمحض للتنكير كالذي قبله، وليكون أبلغ في النفي، لأن الإضافة قد تفيد أن شأنه الذكر، فيتوهم أن النفي هو الشأنية لا أصل الذكر.
ينظر: ديوانه (١٢٣)، الكتاب: ١/ ١٦٩، ابن يعيش: ٩/ ٢٣٤، الإنصاف: (٢/ ٦٥٩)، رصف المباني (٤٩)، ابن الشجري: ١/ ٣٨٣، مجالس ثعلب (١٢٣)، شواهد المغني (٩٣٣)، معاني الفراء (٢/ ٢٠٢)، المقتضب: ١/ ١٥٧، الخصائص: ١/ ٣١١، الخزانة: ١١/ ٣٧٤.

الوهم، لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها[1] يكون ذلك اليوم، وما يكون قبل ذلك فبعض الأجور. الزحزحة: التنحية والإبعاد تكرير الزح، وهو الجذب بعجلة، ﴿فَقَدْ فَازَ﴾: فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد، ونيل رضوان الله والنعيم المخلد. اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب، وعن النبي ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه» (٣٣١) وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد. شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغرّ حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته، والشيطان هو المدلس الغرور، وعن سعيد بن جبير: إنما هذا لمن آثرها على الآخرة، فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ، خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الأذى والشدائد والصبر عليها، حتى إذا لقوها لقوها وهم مستعدون لايرهقهم ما يرهق من يصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦)﴾

والبلاء في الأنفس: القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف

= في ترجمة مسعود بن محمد الرملي بإسناده إلى أبي هريرة وقال: لم يروه عن الأوزاعي إلا أيوب بن سويد. تفرّد به ولده محمد عنه. قلت: وهو ضعيف. انتهى.

٣٣١ ـ أخرجه مسلم (٦/ ٤٧٣) رقم (٤٦ ـ (١٨٤٤))، كتاب الإمارة باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأوّل فالأوّل.
ـ وأحمد (٢/ ١٩٢).
ـ والبيهقي (٨/ ١٦٩) كتاب قتال أهل البغي، باب: ما جاء في قتال أهل البغي والخوارج.
كلّهم من طريق عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في حديث طويل. انتهى.

---

(١) قال محمود: «لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها يكون. . .الخ» قال أحمد: هذا كما ترى صريح في اعتقاده حصول بعضها قبل يوم القيامة، وهو المراد بما يكون في القبر من نعيم وعذاب. ولقد أحسن الزمخشري في مخالفة أصحابه في هذه العقيدة، فإنهم يجحدون عذاب القبر، وها هو قد اعترف به، والله الموفق.

والمصائب، وفي الأموال: الإنفاق في سبل الخير وما يقع فيها من الآفات، وما يسمعون من أهل الكتاب[1] المطاعن في الدين الحنيف، وصدّ من أراد الإيمان، وتخطئة من آمن، وما كان من كعب بن الأشرف من هجائه لرسول الله ﷺ وتحريض المشركين، ومن فنحاص، ومن بني قريظة والنضير، ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾: فإن الصبر والتقوى، ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: من معزومات الأمور، أي: مما يجب العزم عليه من الأمور أو مما عزم الله أن يكون، يعني أنّ ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم أن تصبروا وتتقوا.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾: واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب، ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾: الضمير للكتاب. أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل إذا عزم عليه وقيل له: آلله لتفعلنّ، ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم، يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه، والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد، ونقيضه جعله نصب عينيه وألقاه بين عينيه، وكفى به دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئاً لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة، وتطييب لنفوسهم، واستجلاب لمسارّهم أو لجرّ منفعة وحطام دنيا، أو لتقية مما لا دليل عليه ولا أمارة أو لبخل بالعلم، وغيرة أن ينسب إليه غيرهم، وعن النبي ﷺ: (٣٣٢) «من كتم

---

٣٣٢ ـ أخرجه أبو داود ٢/ ٣٤٥ في العلم، باب كراهية منع العلم (٣٦٥٨)، والترمذي (٥/ ٢٩) في العلم، باب ما جاء في كتمان العلم (٢٦٤٩)، وابن ماجه (١/ ٩٦) في المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه (٢٦١)، وأحمد في المسند (١/ ٢٦٣، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٥٣، ٤٩٥) وابن أبي شيبة في المصنّف (٩/ ٥٥)، والطيالسي (٢٥٣٤)، وأبو يعلى (١١/ ٢٦٨) برقم (٦٣٨٣) وابن حبّان (٩٥ ـ موارد). والقضاعي في مسند الشهاب (٤٣٢) من طريقين ـ حمّاد بن سلمة، وعمارة بن راذان وعن عليّ بن الحكم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة به.

وقال الترمذي: حديث حسن. وقال العقيلي في الضعفاء (١/ ٧٤)، إسناده صالح.

وقال الذهبي في الكبائر (ص١٢٢): إسناده صحيح. رواه عطاء بن أبي هريرة.

وقال الحافظ في القول المسدد (ص٤٥) بعدما أورد الحديث من طريق أبي داود: والحديث وإن لم يكن في نهاية الصّحة لكنه صالح للحجّة.

وأخرجه أحمد (٢/ ٢٩٦، ٤٩٩، ٥٠٨)، وابن أبي شيبة (١٩/ ٥٥)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٦٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٣٤، ١٣٥) من طريق الحجّاج بن أرطأة عن عطاء به.

---

(١) قوله: «وما يسمعون من أهل الكتاب» بقي ما يسمعون من الذين أشركوا. (ع)

علماً عن أهله ألجم بلجام من نار» وعن طاوس أنه قال لوهب: إني أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب، وقال: والله لو كنت نبياً فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت أنّ الله سيعذبك، وعن محمد بن كعب: لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت على علمه[1] ولا يحل لجاهل

= وأخرجه الحاكم (١٠١/١) من طريق القاسم بن محمد بن حماد عن أحمد بن عبد الله عن محمد بن ثور عن ابن جريج قال: جاء الأعمش إلى عطاء فسأله عن حديث فحدّثه. فقلنا له: تحدّث هذا وهو عراقي؟ قال: لأني سمعت أبا هريرة يحدّث عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من سئل. . .» فذكره.

وقال الحاكم: هذا حديث تداوله النّاس بأسانيد كثيرة تجمع ويذاكر بها. وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وسكت عنه الذهبي. وتعقّبه العراقي كما في شرح الإحياء رقم (٥٦) بقوله: لا يصح من هذا الطريق، لضعف القاسم بن محمد بن حمّاد الدلال الكوفي. قال الدارقطني حدّثنا عنه وهو ضعيف. فلهذا لم أخرجه من هذا الوجه. قال الدارقطني في الجزء السّابع من الأفراد: وإنما يعرف هذا من حديث علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من رواية علي بن الحكم البناني عن عطاء عن أبي هريرة بلفظ: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار» أخرجه أبو داود من رواية حمّاد بن سلمة. والآخران من رواية عمارة بن راذان كلاهما عن علي، ورجال أبي داود ثقات. لكن له علّة. رواه عبد الوارث عن عليّ بن الحكم عن رجل عن عطاء. ويقال: إنّ هذا المبهم حجّاج بن أرطأة. وفي رواية ابن ماجه التصريح بسماع علي بن عطاء. لكن عمارة ضعيف. ولحديث أبي هريرة طريق أخرى حسّنها ابن القطّان فذكره من رواية قاسم بن أصبغ عن أبي الأحوص وهو العكبري عن ابن السري عن معتمر عن أبيه عن عطاء به، وابن أبي السري له أوهام، وكأنّه دخل عليه حديث في حديث. ورواه الطبراني في الأوسط من طريق جابر الجعفي عن الشعبي عن عطاء به، وجابر ضعيف، وله طرق كثيرة عن أبي هريرة أوردها ابن الجوزي في العلل المتناهية. وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه ابن حبّان في صحيحه، والحاكم من طريق ابن وهب عن عبد الله بن عباس عن أبيه عن أبي عبد الرحمن الحبلي عنه، وعن ابن عباس أخرجه الطبراني والعقيلي وفيه معمر بن زائدة قال العقيلي: لا يتابع عليه. وله طريق أخرى قاله أبو يعلى: حدّثنا زهير حدّثنا يونس بن محمد حدّثنا أبو عوانة عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وأخرجه ابن الجوزي من طريقين آخرين وضعّفهما. وعن أنس، رواه ابن ماجه من طريق يوسف بن إبراهيم سمعت أنساً به وأخرجه ابن الجوزي من طريقين آخرين وضعّفهما أيضاً. وعن ابن مسعود وطلق بن علي كلاهما في الطبراني. وعن جابر وعائشة كلاهما عند العقيلي. وعن ابن عمر عند ابن عديّ. وعن أبي سعيد الخدري عن أبي يعلى أسانيدها كلّها ضعيفة. وعن عمرو بن عبسة أخرجه ابن الجوزي بلفظ «فقد بريء من الإسلام» وإسناده ضعيف أيضاً. قال الإمام أحمد: لا يصح في هذا الباب شيء. (تنبيه) ليس في شيء من طرقه «عن أهله». انتهى.

---

(١) قوله: «على علمه» لعل بعده سقطا تقديره «حتى يعلم».

أن يسكت على جهله حتى يسأل، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا، (٣٣٣) وقرىء: «ليبيننُه»، ولا «يكتمونه». بالياء لأنهم غيب، وبالتاء على حكاية مخاطبتهم، كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ﴾ [الإسراء: ٤].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾: خطاب لرسول الله ﷺ، وأحد المفعولين، ﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾: والثاني، ﴿بِمَفَازَةٍ﴾: وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾: تأكيد تقديره: لا تحسبنهم، فلا تحسبنهم فائزين، وقرىء: «لا تحسبنّ». «فلا تحسبنهم»، بضم الباء على خطاب المؤمنين «ولا يحسبن». فلا «يحسبنهم»، بالياء وفتح الباء فيهما، على أنّ الفعل للرسول، وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأوّل وضمها في الثاني، على أن الفعل للذين يفرحون، والمفعول الأوّل محذوف على: لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة، بمعنى: لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين، وفلا يحسبنهم، تأكيد، ومعنى ﴿بِمَآ أَتَوا۟﴾: بما فعلوا، وأتى وجاء، يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾: [مريم: ٦١]، ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧]، ويدل عليه قراءة أبيّ: «يفرحون بما فعلوا»، وقرىء: «آتوا»، بمعنى أعطوا، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: «بما أوتوا»، ومعنى، ﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾: بمنجاة منه. روي: أن رسول الله ﷺ سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه، وأروه أنهم قد صدقوه، واستحمدوا إليه، وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاّه بما أنزل من وعيدهم: (٣٣٤) أي: لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا ـ

---

٣٣٣ ـ ذكره الديلمي في الفردوس (٤/ ٣٧٥)، رقم (٦٦١٨)، عن علي مرفوعاً: «ما أخذ الله ميثاق الجاهل أن يتعلم، حتى أخذ ميثاق العالم أن يعلّمه».

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٥٨) للثعلبي في تفسيره من طريق الحارث بن أبي أسامة، ولابن عبد البر في كتاب العلم من غير سند. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

رواه الحارث بن أبي أسامة أخبرنا عبد الوهاب الخفافي حدّثنا الحسن بن عمارة حدّثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الجزّار: سمعت عليّاً يقول فذكره والحسن متروك، ومن طريق الحارث رواه الثعلبي ورويناه في جزء الذراع قال: كتب الحارث بن أسامة فذكره، وذكره ابن عبد البر في العلم. قال: ويُروى عن عليّ. وذكره صاحب الفردوس عن علي. فكأنه وقف عليه مرفوعاً. انتهى.

٣٣٤ ـ أخرجه البخاري (٩/ ١٠٢) رقم (٤٥٦٨) كتاب التفسير، باب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾.

=

من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ـ ناجين من العذاب، ومعنى ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا﴾: بما أوتوه من علم التوراة، وقيل: يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ﷺ، ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من اتباع دين إبراهيم حيث ادعوا أن إبراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه، وقيل: هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله ﷺ، فلما قفل اعتذروا إليه بأنهم رأوا المصلحة في التخلف، واستحمدوا إليه بترك الخروج، وقيل: هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم، ويستحمدون إليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لإبطانهم الكفر، ويجوز أن يكون شاملاً لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب، ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ﴾: فهو يملك أمرهم، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فهو يقدر على عقابهم ﴿لَآيَاتٍ﴾ لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته، ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر، وفي النصائح الصغار: املأ عينيك من زينة هذه

= ـ ومسلم (٩/١٣٦)، رقم ٨ ـ (٢٧٧٨)، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.
ـ والترمذي (٥/٢٣٣)، رقم (٣٠١٤)، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران. وقال: «حديث حسن صحيح غريب».
ـ وأحمد (١/٢٩٨).
ـ والطبري في تفسيره (٧/ ٤٧٠)، رقم (٨٣٤٩).
ـ والطبراني في الكبير (١٠/ ٣٦٤)، رقم (١٠٧٣٠).
ـ والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٩)، وصحّحه وأقرّه الذهبي.
ـ كلّهم من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن مروان بن الحكم قال الحافظ:
متفق عليه من رواية حميد بن عبد الرحمن أن مروان قال لبوابه: يا رافع اذهب إلى ابن عباس فقل له: لئن كان امرؤ منّا فرح بما أوتي وحمد بما لم يفعل عذب لنعذبنّ جميعاً. فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب: أتاه اليهود فسألهم النبي ـ ﷺ ـ عن شيء فكتموه... الحديث». انتهى.

الكواكب، وأجلهما في جملة هذه العجائب، متفكراً في قدرة مقدّرها، متدبراً حكمة مدبرها، قبل أن يسافر بك القدر، ويحال بينك وبين النظر، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: قلت لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ، فبكت وأطالت، ثم قالت: كل أمره عجب، أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي، ثم قال: يا عائشة، هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي؟ فقلت: يا رسول الله إني لأحب قربك وأحب هواك، قد أذنت لك. فقام إلى قربة من ماء في البيت. فتوضأ ولم يكثر من صب الماء، ثم قام يصلي، فقرأ من القرآن فجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه، ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكي، ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض، فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له: يا رسول الله، أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً. ثم قال: وما لي لا أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» وروي: «ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمّلها» (٣٣٥) وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنّ النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يتسوّك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: (٣٣٦) وحكي: أنّ الرجل من بني إسرائيل كان إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة، فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله، فقالت له أمّه: لعلّ فرطة فرطت منك في مدّتك؟ فقال: ما أذكر. قالت: لعلك نظرت مرّة إلى السماء ولم تعتبر؟ قال: لعلّ. قالت: فما أُتيت إلا من ذاك، ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾: ذكراً دائباً على أي حال كانوا، من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون

---

٣٣٥ ـ أخرجه ابن حبّان في صحيحه (٢/٣٨٦)، حديث (٦٢٠)، كتاب الرقائق، باب: التوبة، من طريق عطاء وعبد الله بن عمر وعبيد بن عمير.
ـ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٣٤٩)، حديث (٢١٦٧).
ـ وعزاه الزيلعي لابن الجوزي في كتاب الوفاء، وللثعلبي، وعبد بن حميد وابن مردويه كلّهم من طريق أبي جناب الكلبي عن عطاء بن أبي رباح. وقال: ولم يذكروا كلّهم الرواية الثانية «ويل لمن لاكها بين فكّيه ولم يتأمّلها»؛ وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: رواه ابن مردويه في تفسيره سورة الروم من رواية أبي جناب. عن عطاء عن عائشة قالت: «لما نزلت هذه الآية ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ويح لمن دكها بين لحييه ثم لم يتفكر فيها» انتهى.
٣٣٦ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٦١) للثعلبي من طريق محمد بن عليّ بن أبي طالب عن عليّ.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: رواه الثعلبي من طريق حمّاد عن حجّاج عن حبيب بن أبي ثابت عن محمد بن عليّ بن أبي طالب عن عليّ وأصله في المتفق عليه من حديث ابن عباس. انتهى.

بالذكر في أغلب أحوالهم، وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة: أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله، فقال بعضهم: أما قال الله تعالى: ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾: فقاموا يذكرون الله على أقدامهم، وعن النبي ﷺ: «من أحبّ أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله» (٣٣٧) وقيل: معناه يصلون في هذه الأحوال على حسب استطاعتهم. قال رسول الله ﷺ لعمران بن الحصين: «صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب، تومىء إيماء» (٣٣٨) وهذه حجة للشافعي ـ رحمه الله ـ في إضجاع المريض على جنبه كما في اللحد، وعند أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ أنه يستلقي حتى إذا وجد خفة قعد، ومحل ﴿ عَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾: نصب على الحال عطفاً على ما قبله، كأنه قيل قياماً وقعوداً ومضطجعين، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: وما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الأفهام عن إدراك بعض عجائبه على عظم[1] شأن الصانع وكبرياء سلطانه، وعن سفيان الثوري أنه صلى خلف المقام

---

٣٣٧ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه (٦/ ٥٨)، حديث (٢٩٤٥٧) والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٥٧)، حديث (٣٢٦).
كلاهما من طريق معاذ بن جبل.
ـ وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٧٨)، وقال رواه الطبراني وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٦٢) للثعلبي في تفسيره في سورة العنكبوت، ولإسحاق بن راهويه في مسنده، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة وإسحاق والطبراني من حديث معاذ وفي إسناده موسى بن عبيدة وهو ضعيف، وأخرجه الثعلبي في تفسير العنكبوت، وابن مردويه في تفسير الواقعة. انتهى.

٣٣٨ ـ أخرجه البخاري (٢/ ٦٨٠): كتاب تقصير الصلاة باب صلاة القاعد، حديث (١١١٥)، و(٢/ ٦٨٣) باب صلاة القاعد بالإيماء، حديث (١١١٦)، و(٢/ ٦٨٤): باب إذا لم يُطِقْ قاعداً صلّى على جنبٍ وأبو داود (١/ ٣١٤): كتاب الصلاة: باب في صلاة القاعد، حديث (٩٥١)، والنّسائي (٣/ ٢٢٣): كتاب قيام الليل وتطوّع النّهار: باب فضل صلاة القائم على صلاة القاعد، وابن ماجه (١/ ٣٨٨): كتاب إقامة الصّلاة والسنّة فيها: باب صلاة القاعد على النّصف من صلاة القائم، حديث (١٢٣١)، وأحمد في «مسنده»: (٤/ ٤٣٣ ـ ٤٣٥ ـ ٤٤٢ ـ ٤٤٣)، وابن خزيمة (٢/ ٢٣٥) حديث (١٢٣٦)، و(٢/ ٢٤١) حديث (١٢٤٩).
ـ والترمذي (٢/ ٢٠٧)، حديث (٣٧١)، كتاب أبواب الصّلاة باب: ما جاء في صلاة القاعد على النّصف من صلاة القائم.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه البخاري وأصحاب السنن، من حديث عمران بن حصين. قال «كانت في بواسير ـ فذكر الحديث» وليس في آخره يومىء إيماء. وأورده صاحب الهداية ـ كما أورده الزمخشري. انتهى.

---

(١) قوله: «على عظم» لعله من عظم... إلخ، فيكون بياناً لما يدل عليه. (ع)

ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء، فلما رأى الكواكب غشي عليه، وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته، وعن النبيّ ﷺ: «بينما رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال: أشهد أنّ لك رباً وخالقاً، اللهمّ اغفر لي، فنظر الله إليه فغفر له» (٣٣٩) وقال النبي ﷺ: «لا عبادة كالتفكر» (٣٤٠) وقيل: الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات، وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكرة، وروي عن النبي ﷺ: «لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل أهل الأرض» (٣٤١) قالوا: وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله الذي هو عمل القلب، لأن أحداً لا يقدر أن يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل أهل الأرض، ﴿مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾: على إرادة القول. أي: يقولون ذلك وهو في محل الحال، بمعنى يتفكرون قائلين، والمعنى: ما خلقته خلقاً باطلاً بغير حكمة، بل خلقته لداعي حكمة عظيمة، وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك؛ ولذلك وصل به قوله: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: لأنه جزاء من عصى ولم يطع. فإن قلت: هذا إشارة إلى ماذا؟ قلت: إلى الخلق على أن المراد به المخلوق، كأنه قيل: ويتفكرون في مخلوق السموات والأرض، أي: فيما خلق منها، ويجوز أن يكون إشارة إلى السموات والأرض؛ لأنها في معنى المخلوق. كأنه قيل: ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلاً، وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ويجوز أن يكون «باطلاً» حالاً من هذا، وسبحانك:

---

٣٣٩ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/٢٦٣) للثعلبي في تفسيره من طريق عطاء بن يسار عن أبي هريرة، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة وفي إسناده من لا يُعرف. انتهى.

٣٤٠ ـ أخرجه البيهقي في الشعب (١٥٨/٤)، حديث (٤٦٤٧) باب: في تعديد نعم الله عزّ وجلّ وشكرها/ فصل في فضل العقل، من طريق علي.

ـ وابن حبّان في الضعفاء (٢/٣٠٦ ـ ٣٠٧)، وأعلّه بالحبطي، وقال: إنه يروي عن الثقات ما ليس من حديث الأثبات ـ انتهى، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن حبّان في الضعفاء، والبيهقي في الشعب من رواية أبي رجاء محمد بن عبد الله الخرطي من أهل شر عن شعبة عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لابنه الحسن «يا بني، سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: لا مال أعوز من العقل، ولا فقر أشد من الجهل، ولا عقل كالتدبير، ولا ورع كحسن الخلق، ولا عبادة كالتفكر... الحديث بطوله» وأبو رجاء. قال البيهقي: ليس بالقوي، وقال ابن حبّان يروي عن الثقات ما ليس من حديث الأثبات. انتهى.

٣٤١ ـ قال الزيلعي: غريب جداً.

ـ وقال ابن حجر: لم أجده. انتهى.

اعتراض للتنزيه من العبث، وأن يخلق شيئاً بغير حكمة.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾

﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾: فقد أبلغت في إخزائه، وهو نظير قوله (فقد فاز)، ونحوه في كلامهم: من أدرك مرعى الصمان[1] فقد أدرك، ومن سبق فلاناً فقد سبق، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: اللام إشارة إلى من يدخل النار وإعلام بأنّ من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها[2]. تقول: سمعت رجلاً يقول كذا، وسمعت زيداً يتكلم، فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع، لأنك وصفته بما يسمع أو جعلته حالاً عنه فأغناك عن ذكره، ولولا الوصف أو الحال لم يكن منه بد، وأن يقال: سمعت كلام فلان أو قوله. فإن قلت: فأيّ فائدة في الجمع بين المنادي وينادي؟ قلت: ذكر النداء مطلقاً ثم مقيداً بالإيمان تفخيما لشأن المنادي؛ لأنه لا منادي أعظم من مناد ينادي للإيمان، ونحوه قولك: مررت بهاد يهدي للإسلام، وذلك أنّ المنادي إذا أطلق ذهب الوهم إلى مناد للحرب، أو لإطفاء النائرة، أو لإغاثة المكروب، أو لكفاية بعض النوازل، أو لبعض المنافع، وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الرأي: وغير ذلك؛ فإذا قلت: ينادي للإيمان ويهدي للإسلام فقد رفعت من شأن المنادي والهادي وفخمته، ويقال: دعاه لكذا وإلى كذا، وندبه له وإليه، وناداه له وإليه، ونحوه: هداه للطريق وإليه، وذلك أن معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعاً، والمنادي هو الرسول ﴿ٱدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [يوسف: ١٠٨]، و ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وعن محمد بن كعب: القرآن. ، ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟﴾: أي: آمنوا، أو بأن آمنوا، ﴿ذُنُوبَنَا﴾: كبائرنا، ﴿سَيِّـَٔاتِنَا﴾: صغائرنا، ﴿مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾: مخصوصين بصحبتهم، معدودين في جملتهم، والأبرار: جمع برّ أو بارّ، كـ رب وأرباب، وصاحب وأصحاب، ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾: على هذه صلة للوعد، كما في قولك: وعد الله الجنة على الطاعة، والمعنى: ما وعدتنا على تصديق رسلك. ألا تراه كيف أتبع

---

(١) قوله: «من أدرك مرعي الصمان» في الصحاح: موضع إلى جنب رمل عالج. وعالج: موضع بالبادية به رمل. (ع)

(٢) قوله: «فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة، فمن يدخل النار من المؤمنين يخرج بالشفاعة أو بالعفو، كما حقق في محله (ع)

ذكر المنادي للإيمان وهو الرسول وقوله «آمنا» وهو التصديق ويجوزأن يكون متعلقاً بمحذوف، أي: ما وعدتنا منزلاً على رسلك، أو محمولاً على رسلك، لأن الرسل محملون ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ [النور: ٥٤] وقيل: على ألسنة رسلك، والموعود هو الثواب، وقيل: النصرة على الأعداء. فإن قلت: كيف دعوا الله بإنجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد؟ قلت: معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد أو هو باب من اللجأ إلى الله والخضوع له، كما كان الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يستغفرون مع علمهم أنهم مغفور لهم، يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع إليه، واللجأ الذي هو سيما العبودية.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

يقال: استجاب له واستجابه [من الطويل]:

.... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ(١)

﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ﴾: قرىء بالفتح على حذف الياء، وبالكسر على إرادة القول، وقرىء: «لا أضيّع»، بالتشديد، ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾: بيان لعامل، ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾: أي: يجمع ذكوركم وإناثكم أصل واحد، فكل واحد منكم من الآخر، أي: من أصله، أو كأنه منه لفرط اتصالكم واتحادكم، وقيل: المراد وصلة الإسلام، وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي: أنّ أمّ سلمة قالت: يا رسول الله، إني أسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء. فنزلت، (٣٤٢)

---

٣٤٢ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٢٣٧)، حديث (٣٠٢٣) كتاب تفسير القرآن باب: ومن سورة النساء. =

---

(١) وداع دعا يا من يهيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت: ادع أخرى وارفع الصوت جهرة ... لعل أبي المغوار منك قريب

لكعب بن سعد الغنوي، يرثي أخاه هرم وكنيته أبو المغوار. و«جهرة» مفعول مطلق مؤكد. و«أبي» مجرور بـ «لعل»، وهي لغة عقيل. واستعمال لعل في الأمر البعيد ـ مع أنها للرجاء والقرب ـ دليل على شدة ولهه وتنزيله البعيد منزلة القريب. وروى: «لعل أبا المغوار» على اللغة المشهورة. يقول: ورب داع إلى المكارم لم يهبه أحد فقلت له: ادع مرة أخرى برفع صوتك، لعل أخي يكون قريباً فيجيبك على عادته، فإنه كثيراً ما يطلب معالي الأمور، وهذا من باب التمثيل والتخييل، لأنه لا داعي في الواقع.

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾: تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم، كأنه قال: فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة، وهي المهاجرة عن أوطانهم فارّين إلى الله بدينهم من دار الفتنة، واضطرّوا إلى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشئوا بما سامهم[1] المشركون من الخسف، ﴿وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى﴾: من أجله وبسببه، يريد سبيل الدين، ﴿وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟﴾: وغزوا المشركين واستشهدوا، وقرىء: «وقتلوا»، بالتشديد. «وقتلوا وقاتلوا» ـ على التقديم ـ بالتخفيف والتشديد «وقتلوا، وقتلوا، وقتلوا»، على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول. «وقتلوا»، «وقاتلوا»، على بنائهما للفاعل ﴿ثواباً﴾ في موضع المصدر المؤكد بمعنى إثابة أو تثويباً، ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: لأن قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ. . . . . وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾: في معنى: لأثيبنهم. ﴿وعنده﴾ مثل: أن يختص به وبقدرته وفضله، لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه، كما يقول الرجل: عندي ما تريد، يريد اختصاصه به وبملكه وإن لم يكن بحضرته، وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل إليه ويتضرّع، وتكرير، ﴿رَبَّنَآ﴾: من باب الابتهال، وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإثابة، من احتمال المشاق في دين الله، والصبر على صعوبة تكاليفه، وقطع لأطماع الكسالى المتمنين عليه، وتسجيل على من لا يرى الثواب[2] موصولاً إليه، بالعمل بالجهل والغباوة، وروي عن جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ: من حزبه أمر فقال خمس مرات: ﴿رَبَّنَا﴾: أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد، وقرأ هذه الآية، وعن الحسن: حكى الله عنهم أنهم قالوا خمس مرات: ﴿رَبَّنَا﴾: ثم أخبر أنه استجاب لهم، إلا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به، فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾

= ـ والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٠)، كتاب التفسير، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.
ـ وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٤٤).
كلّهم من طريق رجل من ولد أم سلمة عن أم سلمة.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي، من رواية عمرو بن دينار. أخبرني سلمة ـ رجل من ولد أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قال: قالت أم سلمة. انتهى.

---

(١) قوله «بما سامهم» في الصحاح: يقال: سامه الخسف، وسامه خسفا، وخسفا أيضاً بالضم: أي أولاه ذلا. (ع)

(٢) قوله: «وتسجيل على من لا يرى الثواب» يريد أهل السنة القائلين: يجوز على الله أن يتفضل على العبد بدون عمل ولا يجب عليه إثابة العامل، وقد حقق في محله. (ع)

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾: الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد، أي: لا تنظر إلى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل وإصابة حظوظ الدنيا، ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الأرض، وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون(١). وعن ابن عباس: هم أهل مكة، وقيل: هم اليهود، وروي أن أناساً من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون: إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد. فإن قلت: كيف جاز أن يغتر رسول الله ﷺ بذلك حتى ينهىٰ عن الاغترار به؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن مدرة القوم ومتقدّمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعاً، فكأنه قيل: لا يغرنكم والثاني: أنّ رسول الله ﷺ كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه، كقوله: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]، ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾﴾ [القلم: ٨] وهذا في النهي نظير قوله في الأمر ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟﴾ [النساء: ١٣٦] وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب، وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب، لأنّ التقلب لو غرّه لاغتر به، فمنع السبب ليمتنع المسبب، وقرىء: «لا يغرنك» بالنون الخفيفة، ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي: ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد، أراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة، أو في جنب ما أعدّ الله للمؤمنين من الثواب، أو أراد أنه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل. قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع»، (٣٤٣) ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: وساء ما مهدوا لأنفسهم.

---

٣٤٣ ـ أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٣): كتاب الجنّة والنّار وصفة نعيمها وأهلها: باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث (٥٥/ ٢٨٥٨)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٦): كتاب الزهد: باب مثل الدنيا، حديث (٤١٠٨)، وأحمد (٤/ ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠)، والحميدي (٢/ ٣٧٨)، حديث (٨٥٥).
من طريق قيس بن أبي حازم، فذكره.
ـ والترمذي (٤/ ٥٦١)، حديث (٢٣٢٣)، كتاب الزهد باب: (١٥) منه، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من حديث المستورد بن شداد به. انتهى.

---

(١) قوله: «ويتجرون ويتدهقنون» يتملئون ويتمتعون بلين الطعام وطيب الشراب. أفاده الصحاح، في مادة دهق، ومادة دهقن. والأوفق بما في الصحاح: يتدهمقون، حيث قال: قال الأصمعي: الدهمقة: لين الطعام وطيبة ورقته. وحديث عمر «لو شئت أن يدهمق لي لفعلت، ولكن الله عاب قوماً فقال: أذهبتم طيباتكم. . . الآية» ولم يذكر الدهقنة بهذا المعنى تصريحاً. (ع)

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾

النزل والنزل: ما يقام للنازل. قال أبو الشعراء الضبي[من الطويل]:

وَكُنَّا إِذَا الجَبَّارُ بِالجَيْشِ ضَافَنَا ... جَعَلْنَا القَنَا وَالمُرْهِفَاتِ لَهُ نُزْلاً[(١)]

وانتصابه إمّا على الحال من «جنات» لتخصصها بالوصف والعامل اللام، ويجوز أن يكون بمعنى مصدر[(٢)] مؤكد، كأنه قيل: رزقا أو عطاء، ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من الكثير الدائم، ﴿خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾: مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل، وقرأ مسلمة بن محارب والأعمش، ﴿نُزْلاً﴾ بالسكون، وقرأ يزيد بن القعقاع: «لكنّ الذين اتقوا» بالتشديد.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: عن مجاهد: نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل الكتاب، وقيل في أربعين من أهل نجران، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى ـ عليه السلام ـ فأسلموا، وقيل: في أصحمة النجاشي ملك الحبشة، ومعنى أصحمة «عطية» بالعربية، وذلك أنه. لما مات نعاه جبريل إلى رسول الله ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: «اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم»، فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له. فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه، فنزلت، (٣٤٤) ودخلت لام الابتداء على اسم «إنّ» لفصل الظرف بينهما؛ كقوله: ﴿وَإِنَّ

---

٣٤٤ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧)، حديث (٨٣٧٦) من طريق جابر.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف لابن عديّ في الكامل، وللثعلبي في تفسيره، =

---

(١) لأبي الشعراء الضبي. والجبار: الملك العاتي. وضافه يضيفه: نزل عنده ضيفاً، أي إذا نزل بنا الجبار مع جيشه نزول الضيف. وفيه تهكم به حيث جاء محارباً. فشبهه بمن جاء للمعروف طالباً، ورشح ذلك التشبيه بجعل الرماح والسيوف المرهفات المسنونات نزلاً له، وهو الطعام المعدّ للضيف.

(٢) قوله: «ويجوز أن يكون بمعنى مصدر» في قوة: وأما على المصدر، لأنه يجوز.. .الخ. (ع)
ينظر البيت في حاشية الشهاب ٣/ ٩٤، والبحر ٣/ ١٥٤، والدر المصون ٢/ ٢٩١.

مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢]، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: من القرآن، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: من الكتابين، ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾: حال من فاعل «يؤمن» لأن من يؤمن في معنى الجمع ﴿لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً: كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: أي: ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعدوه في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤]، ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: لنفوذ علمه في كل شيء، فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الأجر، ويجوز أن يراد: إنما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

اصبروا على الدين وتكاليفه، ﴿وَصَابِرُواْ﴾: أعداء الله في الجهاد، أي: غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب، لا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً. والمصابرة: باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه، تخصيصاً لشدته وصعوبته، ﴿وَرَابِطُواْ﴾: وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها، مترصدين مستعدين للغزو. قال الله عز وجل: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] وعن النبي ﷺ: «من رابط يوماً وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه، لا يفطر، ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة». (٣٤٥)

= وللواحدي في أسباب النزول؛ وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: ذكره الثعلبي من قول ابن عباس وقتادة. ولفظه «فخرج إلى البقيع. وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة. أبصر سرير النجاشي» والباقي نحوه، وقد ذكر إسناده إليهما آخر الكتاب. وذكره الواحدي بلا إسناد. ورواه الطبري وابن عديّ في ترجمة أبي بكر الهذلي، واسمه: سلمى، وهو ضعيف ـ عن قتادة عن سعيد بن المسيّب عن جابر دون قوله «ونظر إلى أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي، وزاد فيه: وكبّر أربعاً، والطبراني في الأوسط» من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال: «لما قدم على النبي ـ ﷺ ـ وفاة النجاشي قال: اخرجوا فصلّوا على أخ لكم لم نره قط؛ فخرج بنا، وتقدّم النبي ـ ﷺ ـ ووقفنا خلفه، فصلّى وصلّينا. فلما انصرفنا قال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلّي على علج نصراني لم يره قط فأنزل الله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾. انتهى.

٣٤٥ ـ أخرجه أحمد (٥/ ٤٤٠).
ـ وابن حبّان في صحيحه (١٠/ ٤٨٣) رقم (٤٦٢٣)، كتاب السير باب: فضل الجهاد.
ـ ومعنى الحديث عند مسلم (٣/ ١٥٢٠) رقم (١٦٣ ـ (١٩١٣)).
كتاب الإمارة، باب: فضل الرباط في سبيل الله عزّ وجلّ.
ـ والترمذي (٤/ ١٨٨، ١٨٩)، رقم (١٦٦٥)، كتاب: فضائل الجهاد باب: ما جاء في فضل المرابط.
ـ والنّسائي (٦/ ٣٩) رقم (٣١٦٧)، كتاب الجهاد، باب: فضل الرباط. =

وعن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً على جسر جهنم». (٣٤٦)

= - والحاكم (٢/ ٨٠) كتاب الجهاد، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- والطبراني في الكبير (٦/ ٢٥٢)، رقم (٦١٣٤).
كلّهم من طريق سلمان الفارسي مرفوعاً.
- وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٦٧) للثعلبي في تفسيره من طريق أحمد بسنده ومتنه، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أحمد وابن أبي شيبة من حديث سلمان أتمّ منه ولابن حبّان من حديث سلمان «رباط يوم وليلة في سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه جاع لا يفطر، وقام لا يفتر» وأصله في مسلم، ووهم الحاكم فاستدركه. انتهى.

٣٤٦ - أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٣٩ - ٢٤٠) من طريق أبي بكر بن أبي داود السجستاني ثنا محمد بن عاصم ثنا شبابة بن سوار ثنا مخلد بن عبد الواحد عن علي بن زيد بن جدعان وعطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبيّ بن كعب مرفوعاً في فضائل القرآن سورة سورة.
قال ابن الجوزي: وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث وإنما عجبت من أبي بكر بن أبي داود كيف فرّقه في كتابه الذي صنّفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث محال ولكن بعض المحدّثين يرى تنفيق حديثه ولو بالبواطيل وهذا قبيح منهم فإنّه قد صحّ عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «من حدّث عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين». وهذا حديث فضائل السور مصنوع بلا شك. ا.هـ.
وقال أيضاً: مخلّد بن عبد الواحد، قال ابن حبّان منكر الحديث جداً ينفرد بمناكير لا تشبه أحاديث الثقات وقد اتفق بزيع ومخلّد على رواية هذا الحديث عن عليّ بن زيد وقد قال أحمد ويحيى: علي بن زيد ليس بشيء وبعد هذا فنفس الحديث يدل على أنه مصنوع... وقد روى في فضائل السور أيضاً ميسرة بن عبد ربه.
قال عبد الرحمن بن مهدي: قلت لميسرة: من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا، قال: وضعته أرغّب الناس فيه. ا.هـ.
قال الذهبي في «الميزان» (٦/ ٣٨٩ - بتحقيقنا): مخلّد بن عبد الواحد روى عنه شبابة بن سوار عن ابن جدعان وعن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبيّ بن كعب عن النبي - ﷺ - بذاك الخبر الطويل الباطل في فضائل السور فما أدري من وضعه إن لم يكن مخلد افتراه... ا.هـ.
وقد توبع مخلّد بن عبد الواحد على هذا الحديث تابعه من هو مثله أو شرٌّ منه.
فأخرج العقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٥٦ - ١٥٧) من طريق محمد بن بكار ثنا بزيع بن حسان أبو الخليل البصري ثنا علي بن زيد بن جدعان وعطاء بن أبي ميمونة كلاهما عن زر بن حبيش عن أبيّ بن كعب مرفوعاً.
وأسند العقيلي عن ابن المبارك قال: أظن الزنادقة وضعته.
ومن طريق العقيلي أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٣٩).
وقال بزيع: قال الدارقطني: هو متروك.
قلت: وهو آفته. =

وعنه عليه الصلاة والسلام: «من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس». (٣٤٧)

= وللحديث طريق آخر.

أخرجه الواحدي في «الوسيط» (١/ ٤١١ ـ بتحقيقنا) من طريق سلام بن سليم الطويل عن هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبيّ بن كعب به مرفوعاً.

قلت: وسلام بن سليم الطويل، قال البخاري: تركوه، وقال ابن معين: لا يُكتب حديثه، وقال أحمد: منكر الحديث، وقال النّسائي: متروك. ينظر الميزان (٢/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

وهارون بن كثير مجهول. ينظر الميزان (٤/ ٢٨٦).

قال السيوطي في «اللالىء» (١/ ٢٢٧): ومن طرقه الباطلة طريق هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبيّ بن كعب أخرجه ابن عديّ في «الكامل» وقال: رواه عن هارون القاسم بن الحكم العرفي، ويوسف بن عطية الكوفي لا البصري وهارون هذا غير معروف ولم يحدّث به عن زيد غيره وهو غير محفوظ عن زيد بن أسلم ا.هـ، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أبيّ بن كعب وسيأتي آخر الكتاب، ورواه ابن مردويه من وجه آخر عن أبيّ بن كعب، والواحدي في التفسير الأوسط من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ انتهى.

٣٤٧ ـ أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٤٨) رقم (١١٠٠٢) عن ابن عباس.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٧١): رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه طلحة بن زيد الرقي وهو ضعيف.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف:

أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف. انتهى.

الكشّاف

عن

حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

للعلّامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري
(٤٦٧-٥٣٨ هـ)

تحقيق وتعليق ودراسة

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوّض

شارك في تحقيقه
الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي
أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

الجزء الثاني

مكتبة العبيكان

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب. ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس ٤٦٥٠١٢٩

الكشاف

سورة النساء

مدنية، وهي مائة وست وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾: يا بني آدم، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم[1]. فإن قلت: علام عطف قوله:، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾:؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يعطف على محذوف، كأنه قيل: من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها، وخلق منها زوجها، وإنما حذف لدلالة المعنى عليه، والمعنى: شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها، وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها، ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾: نوعي جنس الإنس وهما الذكور والإناث، فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل بكيفية خلقهم منها، والثاني: أن يعطف على خلقكم، ويكون الخطاب في، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾: للذين بعث إليهم رسول الله ﷺ، والمعنى: خلقكم من نفس آدم، لأنهم من جملة الجنس المفرع منه، وخلق منها أمكم حواء وبث منهما، ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾: غيركم من الأمم الفائتة للحصر. فإن قلت: الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعوا إليها ويبحث عليها، فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجباً للتقوى وداعياً إليها؟ قلت: لأنّ ذلك مما يدل على القدرة العظيمة، ومن قدر على نحوه كان قادراً على كل شيء، ومن المقدورات عقاب العصاة،

---

(١) قال محمود: «معناه فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم وعلام عطف.. إلخ» قال أحمد: وإنما قدر المحذوف في الوجه الأول حيث جعل الخطاب عاماً في الجنس، لأنه لولا التقدير لكان قوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ تكراراً لقوله: ﴿خَلَقَكُم﴾ إذ مؤداهما واحد، وليس على سبيل بيان الأول، لأنه معطوف عليه حينئذ. وأما وهو معطوف على المقدر، فذاك المقدر واقع صفة مبينة، والمعطوف عليه داخل في حكم البيان فاستقام. وأما الوجه الثاني فالتكرار فيه ليس بلازم، إذ المخاطب بقوله ﴿خَلَقَكُم﴾ الذين بعث إليهم النبي عليه الصلاة والسلام. وقوله ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ واقع على من عدا المبعوث إليهم من الأمم، فلا حاجة للتقدير المذكور في الوجه الثاني، والله أعلم.

فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه، ولأنَّه يدل على النعمة السابغة عليهم، فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها. أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم، فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله، فقيل: اتقوا ربكم الذي وصل بينكم، حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة. فيما يجب على بعضكم لبعض، فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه، وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة، وقرىء: «وخالق منها زوجها، وباث منهما»، بلفظ اسم الفاعل، وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره: وهو خالق، ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾: تتساءلون به، فأدغمت التاء في السين، وقرىء «تساءلون» بطرح التاء الثانية، أي: يسأل بعضكم بعضاً بالله وبالرحم. فيقول: بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف، وأناشدك الله والرحم. أو تسألون غيركم بالله والرحم، فقيل «تفاعلون» موضع «تفعلون» للجمع، كقولك: رأيت الهلال وتراءيناه، وتنصره قراءة من قرأ: «تسلون به». مهموز أو غير مهموز، وقرىء «والأرحام» بالحركات الثلاث، فالنصب على وجهين، إما على: واتقوا الله والأرحام، أو أن يعطف على محل الجار والمجرور، كقولك: مررت بزيد وعمراً، وينصره قراءة ابن مسعود: «تسألون به وبالأرحام»، والجر على عطف الظاهر على المضمر، وليس بسديد؛ لأنّ الضمير المتصل متصل كاسمه، والجار والمجرور كشيء واحد، فكانا في قولك: (مررت به وزيد) و(هذا غلامه وزيد) شديدي الاتصال، فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة، فلم يجز ووجب تكرير العامل، كقولك: (مررت به وبزيد) و(هذا غلامه وغلام زيد) ألا ترى إلى صحة قولك: (رأيتك وزيداً) و(مررت بزيد وعمرو) لما لم يقو الاتصال، لأنه لم يتكرر، وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها [من البسيط].

.... فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ(1)

---

(1) فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيام من عجب

للأعشي. وقيل: لعمرو بن معديكرب. وقيل: لخفاف بن ندبة. وقيل: لعباس بن مرداس. يقال: قرب الفرس تقريباً: أسرع. يقول: فاليوم دنوت مسرعاً في هجونا بعد بطئك عنه. ويروي: قد بت، أي قد صرت تهجونا، فاذهب علىَ طريقتك فإنها سمة اللئام وشيمة الأيام، فلا عجب من ذلك، وهو أمر تخلية ومتاركة. والأيام: عطف على الضمير المجرور، وهو دليل على جوازه بدون إعادة الجار وإن منعه الجمهور.

ينظر: الإنصاف ص ٤٦٤، وخزانة الأدب: ٥/ ١٢٣ ـ ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، وشرح الأشموني: ٢/ ٤٣٠، والدر: ٢/ ٨١، ٦/ ١٥١ وشرح أبيات سيبويه: ٢/٢٠٧، وشرح ابن عقيل ص ٥٠٣، وشرح عمدة الحافظ ص ٦٦٢، وشرح المفصل: ٣/٧٨، ٧٩، والكتاب ٢/ ٣٩٢، وهمع الهوامع: ٢/ ١٣٩.

والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف، كأنه قيل: والأرحام كذلك، على معنى: والأرحام مما يتقىٰ أو والأرحام مما يتساءل به، والمعنى أنهم كانوا يقرون بأن لهم خالقاً، وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم، فقيل لهم: اتقوا الله الذي خلقكم، واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام فلا تقطعوها. أو واتقوا الله الذي تتعاطفون بإذكاره وبإذكار الرحم، وقد آذن عز وجل إذ قرن الأرحام باسمه ـ أن صلتها منه بمكان، كما قال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: [الإسراء: ٢٣]، وعن الحسن: إذا سألك بالله فأعطه، وإذا سألك بالرحم فأعطه، وللرحم حجنه عند العرش[1]، ومعناه ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته، وإذا أتاها القاطع احتجبت منه، (٣٤٨) وسئل ابن عيينة عن قوله عليه الصلاة والسلام: «تخيروا لنطفكم». فقال: (٣٤٩) يقول لأولادكم وذلك أن يضع ولده في الحلال. ألم تسمع قوله

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

٣٤٨ ـ أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٧٠٩)، وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٢٧٣): رواه إسحاق بن راهويه في مسنده: أخبرنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال: «الرحم معلّقة بالعرش... إلى آخره»، ورواه أبو عبد الله الترمذي في كتابه «نوادر الأصول» في الأصل الخمسين بعد المائة: حدّثنا الجارود ثنا جرير به سنداً ومتناً.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه إسحاق بن راهويه: أخبرنا جرير عن قابوس عن أبيه عنه به. ورواه الحكيم الترمذي من هذا الوجه. انتهى.

٣٤٩ ـ أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٣٣) كتاب النكاح: باب الأكفاء حديث (١٩٦٨) والدارقطني (٣/ ٢٩٩) كتاب النكاح حديث (١٩٨) والبيهقي (٧/ ١٣٣) كتاب النكاح باب اعتبار الكفاءة والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٢٦٤) كلّهم من طريق الحارث بن عمران الجعفري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ فذكره.

قال ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤) رقم (١٢٠٨) سألت أبي عن حديث رواه الحارث بن عمران الجعفري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: تخيّروا لنطفكم ـ قال أبي: الحديث ليس له أصل... ا.هـ.

وقال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ١٠٩): هذا إسناد فيه الحارث بن عمران المدني قال فيه أبو حاتم: ليس بالقوي والحديث الذي رواه لا أصل له يعني هذا الحديث، وقال ابن عديّ: والضعف على روايته بيّن، وقال الدارقطني متروك. ا.هـ.

ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٦٣) وسكت عنه.

ثم أخرجه من طريق عكرمة بن إبراهيم عن هشام بن عروة به.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بقوله: قلت الحارث متّهم وعكرمة ضعّفوه.

وأخرجه الدارقطني (٣/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩) كتاب النكاح: حديث (١٩٦) من طريق صالح بن موسى =

---

(١) قوله «حجنة عند العرش» في الصحاح: الحجن ـ بالتحريك ـ الاعوجاج. وصقر أحجن المخالب معوجها. وحجنة المغزل ـ بالضم ـ هي المنعقفة في رأسه. وفيه أيضاً: عقفت الشيء فانعقف، أي عطفته فانعطف. والتعقيف: التعويج. (ع)

تعالى: ، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾: وأول صلته أن يختار له الموضع الحلال، فلا يقطع رحمه ولا نسبه فإنما للعاهر الحجر، ثم يختار الصحة ويجتنب الدَّعوة[1]، ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله.

﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾﴾

﴿ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ﴾: الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم، واليتم الانفراد، ومنه: الرملة اليتيمة والدرّة اليتيمة، وقيل: اليتم في الأناسي من قبل الآباء، وفي البهائم من قبل الأمهات. فإن

= الطلحي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعاً «اختاروا لنطفكم المواضع الصّالحة».
قال الحافظ في «التلخيص» (٣/ ١٤٦): رواه على أناس ضعفاء رووه عن هشام أمثلهم صالح بن موسى الطلحي والحارث بن عمران الجعفري وهو حسن.
قال الزيلعي في «الإسعاف في تخريج الكشاف» (١/ ٢٧٤): وقال عبدالحق في أحكامه: إنه حديث لا أصل له رواه الحارث بن عمران الجعفري وأبو أمية الثقفي ومنذر بن علي وعكرمة بن إبراهيم وأيوب بن واقد وكلّهم ضعفاء، ورواه أبو المقدام بن زياد عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلاً وهو أشبه الصواب.
وللحديث شواهد من حديث عمر وأنس

حديث عمر:

أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٣/ ١١٣٤) ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٦١٢) من طريق سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله عن عمه أبي مشجعة عن عمر مرفوعاً بلفظ: «تخيّروا لنطفكم وانتخبوا المناكح وعليكم بذات الأوراك فإنهنّ أنجب».
قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح ففيه سليمان بن عطاء وهو يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني أشياء موضوعة، قال ابن حبّان: لا أدري التخليط منه أو من مسلمة.

حديث أنس:

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٧٧) ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٦١٣).
وقال ابن الجوزي: وأما حديث أنس ففيه مجاهيل.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: رواه ابن ماجه والحاكم والدارقطني من حديث هشام عن أبيه عن عائشة، قال ابن طاهر: لم يروه عن هشام ثقة، ورواه ابن عديّ من طريق عيسى بن ميمون أحد الضعفاء عن القاسم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ورواه تمام في فوائده وأبو نعيم في الحلية من رواية الزهري عن أنس، وفيه عبد العظيم بن إبراهيم السّالمي وهو مجهول، ورواه ابن عديّ من حديث عمر موقوفاً. وفيه سليمان بن عطاء. وهو ضعيف وقال ابن طاهر: رواه إسحاق بن الفيض عن عبد المجيد عن ابن جريج عن عطاء، فمرة قال: عن ابن عباس، ومرة قال: عن عائشة، وهذا أجود طرقه إن كان الإسناد إلى إسحاق قوياً. قال ابن أبي حاتم عن أبيه: هذا الحديث ضعيف من جميع طرقه. انتهى.

(١) قوله «ويجتنب الدعوة» لعله الدعرة بالراء بدل الواو. وفي الصحاح: الدعر ـ بالتحريك ـ الفساد. (ع)

قلت: كيف جمع اليتيم ـ وهو فعيل كمريض ـ على يتامى؟ قلت: فيه وجهان: أن يجمع على يتمى كأسرى، لأنّ اليتم من وادي الآفات والأوجاع، ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى، ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتم مجرى الأسماء، نحو صاحب وفارس، فيقال: يتائم، ثم يتامى على القلب، وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار[1] والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء، إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال، فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم، زال عنهم هذا الاسم، وكانت قريش تقول لرسول الله ﷺ: يتيم أبي طالب، إمّا على القياس وإما حكاية للحال التي كان عليها صغيراً ناشئاً في حجر عمه توضيعاً له، وأمّا قوله ـ عليه السلام ـ: «لا يتم بعد الحلم». (٣٥٠) فما هو إلا تعليم شريعة لا لغة، يعني أنه إذا احتلم

---

٣٥٠ ـ أخرجه أبو داود (١٢٨/٢) كتاب الوصايا: باب ما جاء متى ينقطع اليتم حديث (٢٨٧٣) والطبراني في «المعجم الصغير» (٩٦/١) من طريق عبد الله بن أبي أحمد عن علي بن أبي طالب به.
قال الحافظ في «التلخيص» (١٠١/٣): وقد أعلّه العقيلي وعبد الحق وابن القطّان والمنذري وغيرهم، وحسّنه النووي متمسكاً بسكوت أبي داود عليه... ا.هـ.
وللحديث طريق آخر.
أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٩٩/٥) من طريق إبراهيم النخعي عن علقمة بن قيس عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا رضاع بعد فصال ولا يتم بعد احتلام» وقال الهيثمي في «المجمع» (٣٣٧/٤): رواه الطبراني في الصغير ورجاله ثقات.
وله طريق أخرى عند عبد الرزاق في «المصنّف» (٤١٦/٦) رقم (١١٤٥٠) عن معمر عن جويبر عن الضحّاك بن مزاحم عن النزال بن سبرة عن عليّ عن النبي ـ ﷺ ـ به.
ورواه عن الثوري عن جويبر عن الضحّاك بن مزاحم عن النزال بن سبرة عن عليّ موقوفاً.
قال الزيلعي في «نصب الراية» (٢١٩/٣): قال العقيلي في كتابه وهو الصّواب؛ ورواه ابن عديّ في الكامل من حديث أيوب بن سويد عن الثوري به مرفوعاً وأعلّه بأيوب هذا ثم قال: هذا الحديث رواه عبد الرزاق مرة عن معمر فرفعه ومرة عن الثوري فوقفه. ا.هـ.
وللحديث شاهد من حديث أنس بن مالك.
أخرجه البزّار في «مسنده» كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢٧٧/١) ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ثنا يحيى بن يزيد بن عبد الملك بن المغيرة عن أبيه عن محمد بن المنكدر عن أنس =

---

(١) قال محمود: «إما أن يراد باليتامى الصغار... إلخ» قال أحمد: والوجه الأول قوي بقوله بعد آيات ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ دل على أن الآية الأولى في الحض على حفظها لهم ليؤتوها عند بلوغهم ورشدهم، والثانية في الحض على الإيتاء الحقيقي عند حصول البلوغ والرشد. ويقويه أيضاً قوله عقيب الأولى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ﴾، ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾ فهذا كله تأديب للوصي ما دام المال بيده واليتيم في حجره. وأما على الوجه الآخر فيكون مؤدي الآيتين واحداً، وهو الأمر بالإيتاء حقيقة، ويخلص عن التكرار بأن الأولى كالجملة الثانية كالمبينة لشرط الإيتاء من البلوغ وإيناس الرشد، والله أعلم.

لم تجر عليه أحكام الصغار. فإن قلت: فما معنى قوله: ، ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ :؟ قلت: إما أن يراد باليتامى الصغار، وبإتيانهم الأموال: أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة، حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة، وإمّا أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس، أو لقرب عهدهم ـ إذا بلغوا ـ بالصغر، كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها. على أنّ فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ[1]، ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد، وأن يؤتوها قبل أن

= مرفوعاً بلفظ: «لا يُتم بعد حلم».

قال البزّار: لا نعلمه يروي عن أنس إلاّ بهذا الإسناد ويزيد بن عبد الملك لين الحديث وروى جماعة من أهل العلم حديثه واحتملوه على لينه. وللحديث شاهد آخر من حديث جابر.
أخرجه ابن حبّان في «المجروحين» (١/٣١٨) ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٦٤١) من طريق أبي سعد عن يزيد الفقير عن جابر بن عبد الله مرفوعاً بلفظ: «لا طلاق قبل النكاح ولا عتق لمن لا يملك، ولا صمت يوم إلى الليل، ولا وصال في صيام، ولا رضاع بعد فطام، ولا يُتم بعد حلم».
وقال ابن الجوزي: وهذا حديث لا يصح، وأبو سعد اسمه سعيد بن المرزبان البقال، قال يحيى: ليس بشيء ولا يُكتب حديثه، وقال الفلاس: متروك الحديث، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود عن عليّ وإسناده حسن، لأنّ له طريقاً أخرى عن عليّ أخرجه عبد الرزاق أيضاً عن الثوري عن جويبر موقوفاً، وصوّبه العقيلي، وقد تابع جويبراً عليه عبد الكريم بن أبي المخارق عن الضحّاك. وعبد الكريم متروك أيضاً وله طريق أخرى عند الطبراني في الأوسط في ترجمة محمد بن سليمان الصّوفي من رواية علقمة بن قيس عن عليّ، ورواه أبو يعلى والطبراني من رواية ذيال بن عبيد بن حنظلة بن جذيم بن حنيفة سمعت جدي حنظلة يقول: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: فذكره وفي الباب عن أنس عند البزّار وفيه مرثد بن عبد الملك وهو ضعيف، وعن جابر عند عبد الرزاق والطيالسي وأبو يعلى من رواية حرام بن عثمان وهو متروك. ومن طريق سعيد بن المرزبان عن يزيد الفقير عن جابر. وسعيد ضعيف جداً. انتهى.

---

(١) قوله ـ تعالى ـ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾.... الآية. فيه استعمال لفظ «اليتامى» في البالغين منهم بدليل «آتوا» ولكن الله ـ تعالى ـ وهو الكريم راعي حال ضعفهم الذي كانوا عليه، ولهذا أفاد المفسر العلامة هذا المعنى.
فهذه الآية فتحت الباب للمجاز المرسل عن التشبيه، لأن استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي لا يكون إلا بعلاقة تصحح هذا النقل الاستعمالي، فإن كانت العلاقة تشبيهية صار المجاز «استعارة» وفيها كلام وفير، ولها موضع آخر، أما إذا كانت العلاقة غير المشابهة فالنقل على طريق المجاز المرسل أي الذي أطلق عن دعوى المشابهة، وقد تعرض المفسر العلامة لهذه العلاقات كلما ورد هذا المجاز بتوفيق من الله، ولهذا ألخص هذه العلاقات في النقاط التالية:
١ ـ علاقة ما كان كهذه الآية.
٢ ـ علاقة ما سيكون أي ما يؤول إليه الشيء وتسميته به كقوله ـ تعالى ـ ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ والمراد عنباً، ولكنه سيئول إلى الخمر. [والآية ٣٦ يوسف ـ عليه السلام ـ]. =

يزول عنهم اسم اليتامى والصغار. وقيل: هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن

= ٣ ـ السببية: أي إطلاق السبب وإرادة المسبب كقوله ـ تعالى ـ ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤].

فالقول سبب في إيجاد عيسى وتقديره: «كن من غير أب» فكان.

٤ ـ المسببة أي تسمية الشيء وهو سبب بما يتسبب عنه كقوله ـ تعالى ـ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فالنسيان والخطأ مراد بهما السبب وهو الغفلة والتفريط، فذكر المسبب وأراد السبب.

٥ ـ الكلية: أي إطلاق الكل وإرادة الجزء كما في قوله ـ تعالى ـ ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] فذكر الأشهر وأراد أيام الحج وعدتها لا تصل إلى ثلاثة أشهر، وهذا واضح في قوله ـ سبحانه ـ ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة ١٩] فالقصد إلى الأنامل.

٦ ـ الجزئية: أي إطلاق الجزء وإرادة الكل، وهذا ما ورد في قوله ـ تعالى ـ ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨] والقصد إلى صلاة الفجر، ولكن القرآن جزؤها الأهم ومن الواضح فيه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ والمقصود العبد، ولكن رقبته تقوم بها حياته، ولهذا كان التحرير له بهذا الجزء الذي به الحياة، ولهذا تراهم يقولون: فلان يملك كذا رأساً من الغنم، والمقصود الجسم كله.

٧ ـ المجاورة كقوله ـ تعالى ـ ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ الخسران في الدنيا والآخرة، والتكذيب غايته الموت، فسمى الموت بالساعة [الآية ٣١ الأنعام] لأنه يجاورها، وهذا ما سماه البلاغيون المجاورة لأنه سمى الشيء فيه باسم مجاوره.

٨ ـ الآلية أي تسمية الشيء باسم آلته التي بها يكون كقوله ـ تعالى ـ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] ومعنى الكلام أن لهم سابقة وفضلاً ومنزلة لكن لما كان السعي إلى هذا كله بالقدم سمي قدماً تسمية بالآلة، وهذا واضح في قوله ـ تعالى ـ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [مريم: ٥٠]، والمقصود: الثناء الحسن كما يعير بالبد عما يطلق باليد وهي العطية، ولسان العرب لغتهم وكلامهم.

٩ ـ المحلية أي تسمية الشيء باسم محله الذي يقع فيه كقوله ـ تعالى ـ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [الآية ١٧ العلق] والمقصود الذين يجتمعون معه في النادي الذي هو محل اجتماعهم.

١٠ ـ الحالية أي عكس ما تقدم، وهو تسمية المحل باسم الحال فيه كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ أي في الجنة فسميت باسم ما فيها وهو النعيم.

هذه هي أوضح العلاقات وأشهرها عند البلاغيين.

ولكن لماذا استعمال هذا المجاز؟ أفلا كانت الحقيقة كافية؟ أقول: لا، إن القرآن بلسان عربي مبين، ففي هذا الأسلوب بيان من جهات ألخصها في النقاط التالية:

١ ـ في هذا الأسلوب توكيد لأنه كدعوى الشيء بالبينة عليه، فحينما يريد العطف على هؤلاء البالغين ومعاونتهم فيما هم عليه من الحياة يقول: إنهم كانوا يتامى ثم يعبر عن هذا بأنهم «يتامى» حتى لا يتخلى عنهم أحد طيلة حياتهم.

٢ ـ تصوير المعنى المراد خير تصوير وأدقة.

٣ ـ الاختصار وهو سمة القرآن لما فيه من إعجاز، وهذا الإيجاز فيه تأدية للمعنى بكل قوة ففي الآية ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾ .... تفيد بكل قوة أنهم يتامى إلى الآن وواجب أن نعطف عليهم.

٤ ـ يعطي للمتكلم فرصة في اختيار الألفاظ المناسبة للمقام شعراً ونثراً.

هذه صورة مصغرة لما في كتب القوم من حديث عن المجاز المرسل، ومن أراد التخصص والتذوق فعليه بكتبهم فقد ملأت الوطاب، وأجادت في المراد. =

أخ له يتيم، فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى النَّبي ﷺ فنزلت، فلما سمعها العمُّ قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول، نعوذ بالله من الحوب الكبير، فدفع ماله إليه؛ فقال النبي - عليه السلام -: «ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره - يعني جنته - فلما قبض ألفوا ماله أنفقه في سبيل الله، فقال النبي ﷺ: «ثبت الأجر، ثبت الأجر وبقي الوزر، قالوا: يا رسول الله، قد عرفنا أنه ثبت الأجر كيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله؟ فقال: «ثبت أجر الغلام، وبقي الوزر على والده. (٣٥١) ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾: ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الأرض فتأكلوه مكانه. أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها[1] والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز. منه التعجل بمعنى الاستعجال، والتأخر بمعنى الاستئخار. قال ذو الرمّة [من الطويل]:

فَيَا كَرَمَ السَّكْنِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا ... عَنِ الدَّارِ وَالْمُسْتَخْلَفِ الْمُتَبَدَّلِ[2]

أراد: ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته، وقيل: هو أن يعطي رديئاً ويأخذ جيداً، وعن السدي: أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة، وهذا ليس بتبدل، وإنما هو تبديل إلا أن يكارم صديقاً له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي، ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾: ولا تنفقوها معها، وحقيقتها: ولا تضموها إليها[3] في الإنفاق، حتى لا تفرقوا

---

٣٥١ - قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٢٧٩):

ذكره الثعلبي من قول مقاتل والكلبي وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: ذكره الثعلبي عن مقاتل والكلبي، وسنده إليهما مذكور في أول الكتاب. انتهى.

= ينظر المطول للسعد ٣٥٥ وما بعدها، والإيضاح للقزويني ومعه تحقيق خفاجى ٣٦/٢٧٥ وشروح التلخيص ٢٩/٤ فما بعدها، والبلاغة القرآنية لأبي موسى ٥٢٧ وما بعدها، ودراسات في علم البيان لمحمود عبد العظيم صفا ١٨٦/١٥٨ ومن البلاغة القرآنية في نور القرآن والسنة النبوية دراسة منهجية تحليلية لفتحي حجازي وعبد العزيز خضر ١٨٩ وما بعدها، وزهر الربيع في المعاني والبيان والبديع للشيخ الحملاوي ١٣٢، عقود الجمان في المعاني والبيان للسيوطي وشرحه له وشرح آخر للمرشدي ٤٣/٢ وما بعدها.

(١) قوله «والتورع منها» لعله: عنها. (ع)

(٢) لذي الرمة. والسكن - بالسكون -: سكان الدار، فهو اسم جمع لساكن، كركب لراكب، وصحب لصاحب. وفي نداء كرمهم معنى التعجب من كثرته، أي يا كرم أصحاب الدار الذين ارتحلوا عنها، ويا لؤم المستخلف المتبدل، على صيغة اسم المفعول فيهما أي ما استخلفته وما استبدلته بعدهم من الوحوش. وقيل: من الذين لا يوفون بالمراد، فالتبدل بمعنى الاستبدال. والمستخلف على تقدير مضاف دل عليه المقام.
ينظر البيت في ديوانه (١٤٦٥)، والدر المصون ٢٩٨/٢.

(٣) قال محمود: «معناه ولا تضموها إلى أموالكم... إلخ»: قال أحمد: وأهل البيان يقولون المنهي =

بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم، وتسوية بينه وبين الحلال. فإن قلت: قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم، فلمَ ورد النهي عن أكله معها؟ قلت: لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال. وهم على ذلك يطمعون فيها ـ كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم كانوا يفعلون كذلك فنعىٰ عليهم فعلهم

= متى كان درجات فطريق البلاغة النهي عن أدناها تنبيهاً على الأعلى، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ وإذا اعتبرت هذا القانون بهذه الآية وجدته ببادىء الرأي مخالفاً لها، إذ أعلى درجات أكل مال اليتيم في النهي أن يأكله وهو غني عنه، وأدناها أن يأكله وهو فقير إليه، فكان مقتضي القانون المذكور أن ينهي عن أكل مال اليتيم من هو فقير إليه، حتى يلزم نهي الغني عنه من طريق الأولى. وحينئذ فلا بد من تمهيد أمر يوضح فائدة تخصيص الصورة العليا بالنهي في هذه الآية فنقول. أبلغ الكلام ما تعددت وجوه إفادته، ولا شك أن النهي عن الأدنى وإن أفاد النهي عن الأعلى إلا أن للنهي عن الأعلى أيضاً فائدة أخرى جليلة لا تؤخذ من النهي عن الأدنى، وذلك أن المنهي كلما كان أقبح كانت النفس عنه أنفر والداعية إليه أبعد، ولا شك أن المستقر في النفوس أن أكل مال اليتيم مع الغني عنه أقبح صور الأكل، فخصص بالنهي تشنيعاً على من يقع فيه، حتى إذا استحكم نفوره من أكل ماله على هذه الصورة الشنعاء، دعاه ذلك إلى الإحجام عن أكل ماله مطلقاً. ففيه تدريب للمخاطب على النفور من المحارم، ولا تكاد هذه الفائدة تحصل لو خصص النهي بأكله مع الفقر، إذ ليست الطباع في هذه الصورة معينة على الاجتناب كإعانتها عليه في الصورة الأولى. ويحقق مراعاة هذا المعنى تخصيصه الأكل، مع أن تناول مال اليتيم على أي وجه كان منهي عنه، كان ذلك بالادخار، أو بالتباس، أو ببذله في لذة النكاح مثلاً، أو غير ذلك. إلا أن حكمة تخصيص النهي بالأكل: أن العرب كانت تتذمم بالإكثار من الأكل، وتعد البطنة من البهمية وتعيب على من اتخذها ديدنه، ولا كذلك سائر الملاذ، فإنهم ربما يتفاخرون بالإكثار من النكاح ويعدونه من زينة الدنيا، فلما كان الأكل عندهم أقبح الملاذ خص النهي به، حتى إذا نفرت النفس منه بمقتضى طبعها المألوف جرها ذلك إلى النفور من صرف مال اليتيم في سائر الملاذ أو غيرها، أكلاً أو غيره. ومثل هذه الآية في تخصيص النهي بما هو أعلى قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ فخص هذه الصورة لأن الطبع على الانتهاء عنها أعون. ويقابل هذا النظر في النهي نظر آخر في الأمر، وهو أنه تارة يخص صورة الأمر الأدنى تنبياً على الأعلى، وتارة يخص صورة الأعلى لمثل الفائدة المذكورة من التدريب. ألا ترى إلى قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم . . . الآية﴾ . . . الآية كيف خص صورة حضورهم وإن كانت العليا بالنسبة إلى غيبتهم. وذلك أن الله تعالى علم شح الأنفس على الأموال، فلو أمر بإسعاف الأقارب واليتامى من المال الموروث ولم يذكر حالة حضورهم القسمة، لم تكن الأنفس بالمنبعثة إلى هذا المعروف كانبعاثها مع حضورهم، بخلاف ما إذا حضروا فإن النفس يرق طبعها وتنفر من أن تأخذ المال الجزل وذو الرحم حاضر محروم ولا يسعف ولا يساعد، فإذا أمرت في هذه الحالة بالأسعاف هان عليها امتثال الأمر وائتلافها على امتثال الطبع، ثم تدربت بذلك على إسعاف ذي الرحم مطلقاً حضر أو غاب. فمراعاة هذا وأمثاله من الفوائد لا يكاد يلفي إلا في الكتاب العزيز، ولا يعثر عليه إلا الحاذق الفطن المؤيد بالتوفيق، نسأل الله أن يسلك بنا في هذا النمط، فخذ هذا القانون عمدة، وهو أن النهي إن خص الأدنى فلفائدة التنبيه على الأعلى، وإن خص الأعلى فلفائدة التدريب على الانكفاف عن القبح مطلقاً من الانكفاف عن الأقبح، ومثل هذا النظر في جانب الأمر. والله الموفق.

وَسَمَّعَ بهم، ليكون أزجر لهم، والحوب: الذنب العظيم، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «إن طلاق أم أيوب لحوب» (٣٥٢) فكأنه قيل: إنه كان ذنباً عظيماً كبيراً، وقرأ الحسن «حوبا» بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا، وقرىء: «حابا»، ونظير الحوب والحاب: القول والقال، والطُّرد والطَّرد.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣)﴾

ولمَّا نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير، خاف الأولياء(١)

---

٣٥٢ ـ أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) رقم (١٢٨٧٦) من طريق يحيى بن عبد الحميد ثنا حمّاد بن زيد عن واصل مولى بن عيينة عن محمد بن سيرين عن ابن عباس به.
وقال ابن سيرين: الحوب الإثم.
والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٦٥) وقال: وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف. ا.هـ.
وقد ورد هذا الحديث مرسلاً.
أخرجه أبو داود في «المراسيل» (ص١٩٧) رقم (٢٣٣) من طريق عوف عن أنس بن سيرين قال: بلغني أن أبا أيوب أراد طلاق أم أيوب فاستأمر النبي ـ ﷺ ـ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ... فذكره وقد ورد هذا الحديث بلفظ: إن طلاق أم سليم لحوب.
أخرجه الحاكم (٢/ ٣٠٢) من طريق عليّ بن عاصم ثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: كان بين أبي طلحة وبين أم سليم كلام فأراد أبو طلحة أن يطلّق أم سليم فبلغ ذلك النبي ـ ﷺ ـ فقال... فذكره.
ومن طريق الحاكم أخرجه البيهقي (٧/ ٣٢٣) كتاب الطّلاق: باب في كراهية الطّلاق.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وتعقّبه الذهبي فقال: لا والله عليّ واه. قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أبو داود في المراسيل، وإبراهيم الحربي في الغريب من رواية أنس بن سيرين قال: بلغني أن أبا أيوب أراد أن يطلّق أم أيوب فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «يا أبا أيوب، إن طلاق أم أيوب لحوب» ورواه يحيى الحماني في مسنده، والطبراني في الأوسط من طريقه قال: حدّثنا حمّاد بن زيد عن واصل عن محمد بن سيرين عن ابن عباس وزاد: قال ابن سيرين: والحوب الإثم، وروى الحاكم من رواية عليّ بن عاصم عن حميد عن أنس قال: كان بين أبي طلحة وأم سليم كلاماً، فأراد أن يطلّقها، فبلغ ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «إن طلاق أم سليم لحوب». انتهى.

---

(١) قال محمود: «لما نزلت آية اليتامى خاف الأولياء... إلخ» قال أحمد: قد ثبت أن قاعدة القدرية عقيدتهم أن الكبيرة الواحدة توجب خلود العبد في العذاب وإن كان موحداً، ما لم يتب عنها، فمن ثم يقولون: لا تفيد التوبة عن بعض الذنوب والإصرار على بعضها، لأنه بواحدة من الكبائر ساوى الكافر في الخلود في العذاب، ولا يفيد توحيده ولا شيء من أعماله. هذا هو معتقدهم الفاسد =

أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى، وأخذوا يتحرّجون من ولايتهم، وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الأزواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهنّ ولا يعدل بينهن، فقيل لهم: إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرّجتم منها، فخافوا أيضاً ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات، لأنّ من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرّج ولا تائب، لأنه إنما وجب أن يُتحرج من الذنب ويُتاب منه لقبحه، والقبح قائم في كل ذنب، وقيل: كانوا لا يتحرّجون من الزنا[1] وهم يتحرّجون من ولاية اليتامى، فقيل: إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا. فانكحوا ما حلّ لكم من النساء، ولا تحوموا حول المحرّمات، وقيل: كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها، فيتزوجها ضناً بها عن غيره، فربما اجتمعت عنده عشر منهن، فيخاف ـ لضعفهن وفقد من يغضب لهن ـ أن يظلمهنّ حقوقهن ويفرط فيما يجب لهنَّ، فقيل لهم: إن خفتم أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم، ويقال للإناث: اليتامى كما يقال للذكور، وهو جمع يتيمة على القلب، كما قيل: أيامى، والأصل: أيائم ويتائم، وقرأ النخعي «تقسطوا» بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها في ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [**الحديد: ٢٩**] يريد: وإن خفتم أن تجوروا، ﴿مَا طَابَ﴾: ما حلّ، ﴿لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: لأنّ منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم، وقيل: (ما) ذهاباً إلى الصفة، ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء: ومنه قوله تعالى: ، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: ، ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾: معدولة عن أعداد مكررة، وإنما منعت الصرف لما فيها من العدلين: عدلها عن صيغها، وعدلها عن تكررها، وهي نكرات يعرّفن بلام التعريف. تقول: فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع، ومحلهن النصب على الحال مما طاب، تقديره: فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد، ثنتين ثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً. فإن قلت: الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع، فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع؟ (قلت): الخطاب للجميع، فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من

= الذي يروم الزمخشري تفسير الآية عليه فأحذره. أما أهل السنة فيقولون: إذا تاب العبد من بعض الذنوب كان الخطاب بوجود التوبة من باقيها متوجهاً عليه، وكأنه قام ببعض الواجبات وترك القيام ببعضها، فأفادته التوبة محو المتوب عنه بإذن الله ووعده، وهو في العهدة فيما لم يتب عنه، فإن كان تفسير الآية على أنهم خوطبوا بالتحرج في حقوق النساء والتوبة من الجور عليهن كما تابوا عن الحيف على اليتامى، فالأمر من ذلك منزل على ما بيناه من قواعد السنة، والله ولي التوفيق.

(١) عاد كلامه. قال محمود: وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى. . . إلخ»، قال أحمد: وهذا التأويل الذي أخرجه جدير بالتقدم وهو الأظهر، وتكون الآية معه لبيان حكم اليتامى، وتحذيراً من التورط في الجور عليهن، وأمراً بالاحتياط. وفي غيرهن متسع إلى الأربع، وأصدق شاهد على أنه هو المراد.

العدد الذي أطلق له، كما تقول للجماعة: اقتسموا هذا المال ـ وهو ألف درهم ـ درهمين درهمين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، ولو أفردت لم يكن له معنى. فإن قلت: فلم جاء العطف بالواو دون «أو»؟ قلت: كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك، ولو ذهبت تقول: اقتسموا هذا المال درهمين درهمين، أو ثلاثة ثلاثة، أو أربعة أربعة: أعلمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة، وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية، وبعضه على تثليث، وبعضه على تربيع. وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو، وتحريره: أنّ الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع، إن شاءوا مختلفين في تلك الأعداد، وإن شاءوا متفقين فيها، محظوراً عليهم ما وراء ذلك، وقرأ إبراهيم: وثلث وربع، على القصر من ثلاث ورباع، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾: بين هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها، ﴿فَوَاحِدَةً﴾: فالزموا: أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأساً. فإن الأمر كله يدور مع العدل، فأينما وجدتم العدل فعليكم به، وقرىء «فواحدةٌ» بالرفع على: فالمقنع واحدة، أو فكفت واحدة، أو فحسبكم واحدة، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: سوّى في السُّهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء، من غير حصر ولا توقيت عدد، ولعمري إنهنّ أقل تبعة وأقصر شغباً وأخف مؤنة من المهائر، لا عليك أكثرت منهن أم أقللت، عدلت بينهن في القسم أم لم تعدل، عزلت عنهن أم لم تعزل، وقرأ ابن أبي عبلة. «من ملكت»، ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى اختيار الواحدة والتسرى، ﴿أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾: أقرب من أن لا تميلوا، من قولهم: عال الميزان عولاً، إذا مال، وميزان فلان عائل، وعال الحاكم في حكمه إذا جار، وروى أن أعرابياً حكم عليه حاكم فقال له: أتعول عليّ، وقد روت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ: «ألا تعولوا: ألاّ تجوروا» (٣٥٣) والذي يحكى عن الشافعي ـ رحمه الله ـ أنه فسر (ألاّ تعولوا) ألاّ تكثر عيالكم. فوجهه أن يجعل من قولك: عال الرجل عياله يعولهم، كقولهم: مانهم يمونهم، إذا أنفق عليهم، لأنّ من كثر عياله لزمه أن يعولهم، وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الكسب وحدود الورع

---

٣٥٣ ـ أخرجه ابن حبّان (١٧٣٠ ـ موارد) من طريق عبد الرحمن بن إبراهيم ثنا محمد بن شعيب عن عمر بن محمد العمري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به.
وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٢٨٠): ورواه الطبري والثعلبي وابن مردويه وابن أبي حاتم في تفاسيرهم قال ابن أبي حاتم: والصّواب عن عائشة موقوف، ورواه إبراهيم الحربي في كتابه «غريب الحديث» كلّهم بالإسناد المذكور. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف:
أخرجه ابن حبّان وإبراهيم الحربي والطبري وابن أبي حاتم وغيرهم من رواية عمر بن محمد بن زيد عن هشام عن أبيه عنها. قال ابن أبي حاتم: الصواب موقوف. انتهى.

وكسب الحلال والرزق الطيب، وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورءوس المجتهدين، حقيقي بالحمل على الصحة والسداد، وأن لا يظنّ به تحريف تعيلوا إلى تعولوا، فقد روى عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: لا تظنن بكلمة خرجت من فِي أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً، (٣٥٤) وكفى بكتابنا المترجم بكتاب «شافي العيّ، من كلام الشافعي» شاهداً بأنه كان أعلى كعباً وأطول باعاً في علم كلام العرب، من أن يخفي عليه مثل هذا، ولكن للعلماء طرقاً وأساليب. فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات. فإن قلت: كيف يقال عيال من تسرى، وفي السراري نحو ما في المهائر؟ قلت: ليس كذلك، لأن الغرض بالتزوّج التوالد والتناسل بخلاف التسري، ولذلك جاز العزل عن السراري بغير إذنهن، فكان التسري مظنة لقلة الولد بالإضافة إلى التزوج، كتزوّج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع، وقرأ طاوس: «ألاّ تعيلوا»، من أعال الرجل إذا كثر عياله، وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي ـ رحمه الله ـ من حيث المعنى الذي قصده.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾

﴿صَدُقَـٰتِهِنَّ﴾: مهورهن، وفي حديث شريح: قضى ابن عباس لها بالصدقة، وقرىء: «صدقاتهن» بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن، و«صدقاتهن» بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة، وقرىء: «صدقتهن»، بضم الصاد والدال على التوحيد، وهو تثقيل صدقة، كقولك في ظلمة: ظُلُمَة. ، ﴿نِحْلَةً﴾: من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلاً، ومنه حديث أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ: إني كنت نحلتكِ جداد عشرين وسقاً بالعالية، (٣٥٥) وانتصابها على المصدر[1] لأن النحلة

---

٣٥٤ ـ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣٢٣) باب في حسن الخلق، فصل في ترك الغضب، حديث (٨٣٤٥) وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٢٨٠)، وعزاه إلى أبي القاسم الأصبهاني في كتاب الترهيب والترغيب والبيهقي في شعب الإيمان وابن طاهر في كتابه على أحاديث الشهاب وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه المحاملي حدّثنا زياد بن أيوب حدّثنا محمد بن يزيد عن نافع عن ابن عمر عن سليمان أن عبدة قال: قال عمر... فذكره. وإسناده منقطع ورواه الجوهري في مشيخته والأصبهاني في الترغيب في قصة طويلة أوّلها عن سعيد بن المسيّب قال: «وضع عمر بن الخطاب للناس ثمان عشرة كلمة كلّها حكمة» فذكر فيها ذلك وفي الإسناد ضعف، وروى البيهقي في الشعب من وجه آخر عنه قال: «كتب إلى بعض إخواني من الصّحابة أن ضع أمر أخيك على أحسنه؛ الحديث» موقوف أيضاً. انتهى.

٣٥٥ ـ أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٧٥٢): كتاب الأقضية: باب ما لا يجوز من النحل، حديث رقم (٤٠)، والبيهقي في سننه الكبرى (٦/ ١٧٠) كتاب الهبات: باب شرط القبض في الهبة، وأخرجه =

---

(١) قال محمود: «نحلة منصوب على المصدر لأنها في معنى الإيتاء... إلخ» قال أحمد: هذا الفصل =

والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قيل: وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة، أي: أعطوهنّ مهورهنّ عن طيبة أنفسكم، أو على الحال من المخاطبين، أي: آتوهنّ صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء، أو من الصدقات، أي: منحولة معطاة عن طيبة الأنفس، وقيل: نحلة من الله عطية من عنده وتفضلاً منه عليهن، وقيل: النحلة الملة، ونحلة الإسلام خير النحل، وفلان ينتحل كذا: أي: يدين به، والمعنى: آتوهن مهورهن ديانة، على أنها مفعول لها، ويجوز أن يكون حالاً من الصدقات، أي: ديناً من الله شرعه وفرضه، والخطاب للأزواج، وقيل: للأولياء، لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم، وكانوا يقولون: هنيئاً لك النافجة، لمن تولد له بنت، يعنون: تأخذ مهرها فتنفج به مالك أي: تعظمه. والضمير في (منه) جار مجرى اسم الإشارة كأنه قيل عن شيء من ذلك، كما قال الله تعالى: ، ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾: [آل عمران: ١٥] بعد ذكر الشهوات، ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب ما روى عن رؤبة أنه قيل له في قوله [من الرجز]:

كَأَنَّهُ فِي الجِلْدِ تَوْلِيعُ البَهَقْ(١)

فقال: أردت كأن ذاك. أو يرجع إلى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق، لأنك لو قلت: وآتوا النساء صداقهن، لم تخل بالمعنى، فهو نحو قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] كأنه قيل: أصدّق، و﴿نَفْسًا﴾: تمييز، وتوحيدها لأنّ الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه، والمعنى: فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم، ﴿فَكُلُوهُ﴾: فأنفقوه. قالوا: فإن وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة، علم أنها لم

= عبد الرزاق في مصنّفه (٩/ ١٠١) كتاب الوصايا: باب النحل، حديث (١٦٥٠٧)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٤٥) والبغوي في شرح السنة (٤/ ٤٣٠): كتاب العطايا: باب قبض الموهوب، حديث رقم (٢١٩٧).

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه مالك بإسناد صحيح أتمّ منه. انتهى.

= بجملته حسن جداً، غير أن في جملة تذكير الضمير في منه على الصداق، ثم تنظيره ذلك بقوله «فأصدق» نظر وذلك أن المراعي ثم الأصل، وهو عدم دخول الفاء والجزم وتقدير ما هو الأصل، وإعطاؤه حكم الموجود ليس ببدع، ولا كذلك إفراد الصداق المقدر، فإنه ليس بأصل الكلام، بل الأصل الجمع: وأما الإفراد فقد يأتي في مثله على سبيل الاختصار استغناء عن الجمع بالإضافة، ولا يرد أنهم قد راعوا ما ليس بأصل في قوله:

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ... ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً

لأن دخول الباء وإن لم يكن أصلاً، إلا أنها قد توطنت بهذا الموضوع وكثر حلولها فيه، فصارت كأن الأصل دخولها في الخبر، والله أعلم. والأمر في ذلك قريب.

(١) تقدم.

تطب منه نفساً، وعن الشعبي: أن رجلاً أتى مع امرأته شريحاً في عطية أعطتها إياه وهي تطلب أن ترجع، فقال شريح: ردّ عليها. فقال الرجل: أليس قد قال الله تعالى: ، ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ﴾: قال: لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه (٣٥٦)، وعنه: أقيلها فيما وهبت ولا أقيله، لأنهنّ يُخدعن، (٣٥٧) وحكى أن رجلاً من آل معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقاً كان لها عليه، فلبث شهراً ثم طلقها، فخاصمته إلى عبد الملك بن مروان، فقال الرجل: أعطتني طيبة بها نفسها، فقال عبد الملك: فأين الآية التي بعدها فلا تأخذوا منه شيئاً؟ اردد عليها، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه كتب إلى قضاته: إن النساء يعطين رغبة ورهبة. فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها، (٣٥٨) وعن ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية فقال: «إذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضى به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة»، (٣٥٩) وروي: أن أناساً كانوا يتأثمون أن يرجع أحد منهم في شيء مما ساق إلى امرأته، فقال الله تعالى إن طابت نفس واحدة من غير إكراه ولا خديعة فكلوه سائغاً هنيئاً، وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط، حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل: فإن طبن، ولم يقل: فإن وهبن أو سمحن، إعلاماً بأنَّ المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة، وقيل: فإن طبن لكم عن شيء منه، ولم يقل: فإن طبن لكم عنها، بعثا لهن على تقليل الموهوب، وعن الليث بن سعد: لا يجوز تبرعها إلا باليسير، وعن الأوزاعي: لا يجوز تبرعها ما لم تلد أو تقم في بيت زوجها سنة، ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف إلى الصداق الواحد، فيكون متناولاً بعضه، ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله، لأنّ بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا. الهنيء، والمريء: صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ، إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه، وقيل: الهنيء: ما يلذه الآكل، والمريء ما يحمد عاقبته، وقيل: هو ما ينساغ في مجراه، وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة «المريء» لمروء

---

٣٥٦ ـ أخرجه عبد الرزاق (٩/ ١١٤) كتاب الهبة باب هبة المرأة لزوجها، حديث (١٦٥٦٣) بنحوه.

٣٥٧ ـ أخرجه عبد الرزاق (٩/ ١١٤) كتاب الهبة باب هبة المرأة لزوجها، حديث (١٦٥٥٨).

٣٥٨ ـ أخرجه عبد الرزاق (٩/ ١١٥): كتاب الهبة باب هبة المرأة لزوجها، حديث (١٦٥٦٢) وابن أبي شيبة (٤/ ٥٢) كتاب البيوع.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من طريق محمد بن عبيد الله الثقفي قال: كتب عمر نحوه. انتهى.

٣٥٩ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٢٨٢) وعزاه إلى الثعلبي في تفسيره، والواحدي في تفسيره الوسيط، من طريق جويبر عن الضحّاك عن ابن عباس، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي في الأوسط من رواية جويبر عن الضحّاك عن ابن عباس. انتهى.

الطعام فيه وهو انسياغه، وهما وصف للمصدر، أي: أكلاً هنيئاً مريئاً، أو حال من الضمير، أي: كلوه وهو هنيء مريء، وقد يوقف على «فكلوه» ويبتدأ «هنيئاً مريئاً» على الدُّعاء، وعلى أنهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين، كأنه قيل: هنأ مرأ، وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾

﴿السُّفَهَاءَ﴾: المبذرون أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ولا يدى لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها، والخطاب للأولياء: وأضاف الأموال إليهم(١) لأنها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم، كما قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥] والدليل على أنه خطاب للأولياء في أموال اليتامى قوله: ، ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾: ، ، ﴿جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾: أي: تقومون بها وتنتعشون، ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم، وقرىء: «قيما»، بمعنى قياماً، كما جاء عوذاً بمعنى عياذاً، وقرأ عبد الله بن عمر: «قواماً»، بالواو، وقوام الشيء: ما يقام به، كقولك هو ملاك الأمر لما يملك به، وكان السلف يقولون: المال سلاح المؤمن، ولأن أترك ما لا يحاسبني الله عليه، خير من أن أحتاج إلى الناس، وعن سفيان ـ وكانت له بضاعة يقلبها ـ: لولاها لتمندل بي بنو العباس(٢)، وعن غيره /ـ وقيل له إنها تدنيك من الدنيا ـ: لئن أدنتني من الدنيا لقد صانتني عنها، وكانوا يقولون: اتجروا واكتسبوا، فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه، وربما رأوا رجلاً في جنازة فقالوا له: اذهب إلى دكانك، ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾: واجعلوها مكاناً لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا، حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق، وقيل: هو أمر لكل أحد ألاّ يخرج ماله إلى أحد من السفهاء، قريب أو أجنبي، رجل أو امرأة، يعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده، ﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: قال ابن جريج: عدَة جميلة، إن صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم، (٣٦٠) وعن عطاء: إذا ربحت أعطيتك، وإن

---

٣٦٠ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٧٣).

---

(١) قال محمود: «المراد أموال السفهاء وأضافها إلى الأولياء. . . . إلخ» قال أحمد: ويؤيد هذا المعنى أنه لما أمر بإسعاف ذوي القربى على سبيل المواساة قال: «وارزقوهم منه» لأن المدفوع إليهم من صلب المال، والله أعلم.

(٢) قوله «لتمندل بي بنو العباس» في الصحاح: المنديل معروف، تقول منه: تسندلت بالمنديل، وتمندلت. (ع)

غنمت في غزاتي جعلت لك حظاً، (٣٦١) وقيل: إن لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل: عافانا الله وإياك، بارك الله فيك، وكل ما سكنت إليه النفس وأحبته لحسنه عقلاً أو شرعاً من قول أو عمل، فهو معروف، وما أنكرته ونفرت منه لقبحه، فهو منكر.

﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم[١] ومعرفتهم بالتصرف، قبل البلوغ

---

٣٦١ ـ ذكره البغوي في تفسيره (١/ ٣٩٣).

---

(١) قال محمود: «معناه اختبروا أحوالهم... إلخ» قال أحمد: الابتلاء على هذا الوجه مذهب مالك رضي الله عنه، غير أنه لا يكون عنده إلا بعد البلوغ ولا يدفع إليه من ماله شيء قبله، وكذلك أحد قولي الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وقوله الآخر كمذهب أبي حنيفة، غير أن عنه خلافاً في صورته قبل البلوغ على وجهين: أحدهما: أن يسلم إليه المال ويباشر العقود بنفسه كالبالغ، والآخر أن يكون وظيفته أن يساوم، وتقرير الثمن إذا بلغ الأمر إلى العقد باشره الولي دونه وسلم الصبي الثمن، فأما الرشد فالمعتبر عند مالك رضي الله عنه فيه: هو أن يحرز ماله وينميه، وإن كان فاسقاً في حاله. وعند الشافعي: المعتبر صلاح الدين والمال جميعاً، وغرضنا الآن أن نبين وجه تنزيل مذهب مالك في هذه الآية والله المستعان. فأما منعه من الإيتاء قبل البلوغ ـ وإن كان ظاهر الآية أن الإيتاء قبله ـ من حيث جعل البلوغ وإيناس الرشد غاية للإيتاء، والغاية متأخرة عن المغيا ضرورة، فيتعين وقوع الإيتاء قبل. ولهذه النكتة أثبته أبو حنيفة قبل البلوغ والله أعلم، فعلي جعل المجموع من البلوغ وإيناس الرشد هو الغاية حينئذ يلزم وقوع الابتلاء قبلهما، أعني المجموع وإن وقع بعد أحدهما وهو البلوغ، لأن المجموع من اثنين فصاعد لا يتحقق إلا بوجود كل واحد من مفرديه. ويحقق هذا التنزيل أنك لو قلت: وابتلوا اليتامى بعد البلوغ، حتى إذا اجتمع الأمران وتضاما البلوغ والرشد فادفعوا إليهم أموالهم، لاستقام الكلام، ولكان البلوغ قبل الابتلاء وإن كان الابتلاء مغياً بالأمرين واقعاً قبل مجموعهما، ونظير هذا النظر توجيه مذهب أبي حنيفة في قوله: إن فيئة المولى إنما تعتبر في أجل الإيلاء لا بعده، وتنزيله على قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فجدد به عهداً يتضح لك تناسب النظرين، والله أعلم. وأما اقتصاره رضي الله عنه بالرشد على المال، فإن كان المولى عليه فاسق الحال فوجه استخراجه من الآية أنه علق إيناس الرشد فيها بالابتلاء بدفع مال إليهم ينظر تصرفهم فيه، فلو كان المراد إصلاح الدين فقط لم يقف الاختبار في ذلك على دفع المال إليهم، إذ الظاهر من المصلح لدينه أنه لا يتفاوت حاله في حالتي عدمه ويسره. ولو كان المراد إصلاح الدين والمال معاً ـ كما يقوله الشافعي رضي الله عنه ـ لم يكن إصلاح الدين موقوفاً على الاختبار بالمال كما مر آنفاً. وأيضاً فالرشد في الدين والمال جميعاً هو الغاية في الرشد، وليس الجمع بينهما بقيد، وتنكير الرشد في الآية يأبى ذلك. إذ الظاهر: فإن آنستم منهم رشداً ما فبادروا بتسليم المال إليهم غير منتظرين بلوغ الغاية فيه، والله أعلم.

حتى إذا تبينتم منهم رشداً ـ أي: هداية ـ دفعتم إليهم أموالهم من غير تأخير عن حدّ البلوغ، وبلوغ النكاح: أن يحتلم لأنه يصلح للنكاح عنده، ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والتناسل، والإيناس: الاستيضاح فاستعير للتبيين، واختلف في الابتلاء والرشد، فالابتلاء عند أبي حنيفة وأصحابه: أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه، والرشد: التهدي إلى وجوه التصرف، وعن ابن عباس: الصلاح في العقل والحفظ للمال، وعند مالك والشافعي: الابتلاء أن يتتبع أحواله وتصرُّفه في الأخذ والإعطاء، ويتبصر مخايله وميله إلى الدِّين، والرشد: الصلاح في الدين، لأن الفسق مفسدة للمال. فإن قلت: فإن لم يؤنس منه رشد إلى حدّ البلوغ؟ قلت: عند أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ ينتظر إلى خمس وعشرين سنة، لأن مدة بلوغ الذكر عنده بالسنّ ثماني عشرة سنة، فإذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الإنسان لقوله عليه الصلاة والسلام: «مروهم بالصلاة لسبع» (٣٦٢) دفع إليه ماله أونس منه الرشد أو لم

---

٣٦٢ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٣٣٤): كتاب الصّلاة: باب متى يؤمر الغلام بالصّلاة، حديث (٤٩٥)، وأحمد (٢/ ١٨٧)، والدارقطني (١/ ٢٣٠): كتاب الصّلاة: باب الأمر بتعليم الصّلوات والضرب عليها، حديث (٢،٣)، والحاكم (١/ ١٩٧)، وابن أبي شيبة (١/ ٣٤٧)، والدولابي في الكنى (١/ ١٥٩)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٦٧ ـ ١٦٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ٢٧٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مروا أولادكم بالصّلاة، وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع» الحديث.

وأخرجه أبو داود (١/ ٣٣٢، ٣٣٣): كتاب الصّلاة: باب متى يؤمر الغلام بالصّلاة، حديث (٤٩٤)، والترمذي (٢/ ٢٥٩): كتاب الصّلاة: باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصّلاة، حديث (٤٠٧).

والدارمي (١/ ٢٧٣) وابن أبي شيبة (١/ ٣٤٧) وأحمد (٣/ ٢٠١) وابن الجارود (١٤٧) وابن خزيمة (٢/ ١٠٢) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣/ ٢٣١) والدارقطني (١/ ٢٣٠) والحاكم (١/ ٢٠١) والبيهقي (٢/ ١٤) من طريق عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جدّه عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «مروا الصبي بالصّلاة ابن سبع سنين واضربوا عليها ابن عشر».

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وصححه ابن خزيمة وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن خزيمة، والحاكم من رواية عبد الملك بن الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه عن جدّه مرفوعاً: «مروا أولادكم بالصّلاة وهم أبناء سبع» ورواه أبو داود، والحاكم من طريق سوار بن داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه وأعلّه العقيلي في الضعفاء بسوار. ورواه البزّار من رواية محمد بن الحسن بن عطية عن محمد بن عبد الرحمن عنه وأعلّه العقيلي بمحمد بن الحسن وقال: الأولى رواية من رواه عن محمد بن عبد الرحمن مرسلاً وذكره ابن حبّان في الضعفاء عن عبد المنعم بن نعيم الرباحي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ورواه الدارقطني في الأوسط من حديث أنس وفيه داود بن المجير وهو متروك. انتهى.

يؤنس، وعند أصحابه: لا يدفع إليه أبداً إلا بإيناس الرشد. فإن قلت: ما معنى تنكير الرشد؟ قلت: معناه نوعاً من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة، أو طرفاً من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد. فإن قلت: كيف نظم هذا الكلام[(١)]؟ قلت: ما بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾: إلى ﴿فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾: جعل غاية للابتلاء، وهي «حتى» التي تقع بعدها الجمل. كالتي في قوله [من الطويل]:

فَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تَمُجُّ دِمَاءَهَا ... بِدِجْلَةَ حَتَّى مَاءُ دِجْلَةَ أَشْكَلُ[(٢)]

والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لأن «إذا» متضمنة معنى الشرط، وفعل الشرط «بلغوا النكاح» وقوله: ، ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾: جملة من شرط وجزاء واقعة جواباً للشرط الأول الذي هو إذا بلغوا النكاح، فكأنه قيل: وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم، فاستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم، وقرأ ابن مسعود: «فإن أحسيتم» بمعنى أحسستم قال [من الوافر]:

.... أَحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إِلَيْهِ شُوسُ[(٣)]

---

(١) قال محمود رحمه الله: «فما وجه نظم الكلام الواقع بعد حتى إلى قوله فادفعوا إليهم أموالهم... إلخ» قال أحمد رحمه الله: هو يروم بهذا التقدير تنزيل مذهب أبي حنيفة في سبق الابتلاء على البلوغ على مقتضى الآية، وقد أسلفنا وجه تنزيل مذهب مالك عليها بأظهر وجه وأقربه. والحاصل أن مقتضى النظر إلى المجموع من حيث هو ومقتضى مذهب أبي حنيفة النظر إلى المفردين، والظاهر اعتبار المجموع فإن العطف بالفاء يقتضيه، والله أعلم.

(٢) لجرير، يقول: فما زالت تمج، أي تلقى وتخرج دماءها في شاطىء دجلة. وحتى: ابتدائية تقع بعدها الجمل، ولا تخلو من معنى الغاية. وأشكل: خبر المبتدأ، وهو الأبيض المشوب بحمرة. وأظهر في محل الاضمار لقيد التهويل والتعظيم. أي حتى أن ماء ذلك النهر الكبير مختلط بالحمرة. ينظر: ديوانه (٣٤٤)، الخزانة ٩/ ٤٧٧، شرح المفصل لابن يعيش ٨/ ١٨، الهمع ١/ ٢٤٨، الدرر ١/ ٢٠٧، الأشموني ٣/ ٣٠٠، التهذيب ١/ ٢٢، حروف المعاني للزجاجي (٦٥)، معاني الحروف للدماني (١٢٠)، مغني اللبيب ١/ ١٢٨، شرح الألفية لابن الناظم (٦٧٦)، الدر المصون ١/ ٣٢٤.

(٣)
فباتوا يدلجون وبات يسري ... بصير بالدجى هاد عموس
إلى أن عرسوا وانحت منهم ... قريباً ما يمس له مسيس
سوى أن العتاق من المطايا ... أحسن به فهن إليه شوس

لأبي زبيد الطائي. والأدلاج: سير أول الليل. والتدليج: سير آخره. والسري: سير الليل. وبصير: صفة لمحذوف. وبالدجى: متعلق به. والبصير: المتبصر الخبير أو المبصر، فالباء بمعنى في. والدجى الظالم. والهادي: المراد به المهتدي. والعموس: القوي الشديد. وعرسوا: أي نزلوا. والحت: النتف والفرك والقطع والسرعة. فانحت: انعزل منهم بسرعة، أو أسرع قريباً منهم. ما يمس: أي لا يسمع له مسيس، أي صوت مسه للأرض في المشي. والعتاق: النجائب أو المسة. وأحسن: أصله أحسن، نقلت فتحة السين إلى الحاء ثم حذفت. ويروي: حسين. وفي لغة: حسين، بكسر السين. وأصله حسن، قلبت السين الثانية حرف علة. وزيادة الباء بعد فعل الحس =

وقرىء: «رشداً»، بفتحتين، «ورشداً»، بضمتين، ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾: مسرفين ومبادرين كبرهم، أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم، تفرطون في إنفاقها، وتقولون: ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا. ثم قسم الأمر بين أن يكون الوصي غنياً وبين أن يكون فقيراً، فالغني يستعف من أكلها[1] ولا يطمع، ويقتنع بما رزقه الله من الغنى إشفاقاً على اليتيم، وإبقاء على ماله، والفقير يأكل قوتاً مقدراً محتاطاً في تقديره على وجه الأجرة، أو استقراضاً على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الأكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على أن للوصي حقاً لقيامه عليها، وعن النبي ﷺ: أن رجلاً قال له: إن في حجري يتيماً أفآكل من ماله؟ قال: «بالمعروف غير متأثل[2] مالاً ولا واق مالك بماله» فقال: أفأضربه؟ قال: مما كنت ضارباً منه ولدك» (٣٦٣) وعن ابن عباس: أنّ وليّ اليتيم

---

٣٦٣ ـ الحديث مروي مسنداً ومرسلاً.

أولاً: الحديث المسند فقد رُوي عن جابر وابن عباس وطرفه عن عبد الله بن عمرو.

حديث «جابر».

أخرجه ابن حبّان (١٠/ ٥٤): كتاب الرضاع باب النفقة، حديث (٤٢٤٤)، والطبراني في معجمه الصغير (١/ ٨٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٤) كتاب البيوع: باب الولي يأكل من مال اليتيم مكان قيامه عليه بالمعروف إذا كان فقيراً، وفي شعب الإيمان (٤/ ٣٢٢)، حديث (٥٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٥١).

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٦).

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٢٨٥) إلى ابن عديّ أيضاً.

● أما حديث عبد الله بن عمرو:

فقد أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ١١٥) كتاب الوصايا: باب ما جاء فيما للولي من مال اليتيم، حديث رقم (٢٨٧٢)، والنسائي (٦/ ٢٥٦): كتاب الوصايا: باب ما للوصي من مال اليتيم (٣٦٦٨)، وابن ماجه (٢/ ٩٠٧) كتاب الوصايا: باب قوله: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، حديث (٢٧١٨)، وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٨٦)، والبيهقي في سننه الكبرى (٦/ ٢٨٤) كتاب الوصايا: باب والي اليتيم يأكل من ماله إذا كان فقيراً مكان قيامه عليه بالمعروف.

وابن الجارود في المنتقى (٣/ ٢١٨) باب ما جاء في الوصايا حديث (٩٥٢) والبغوي في تفسيره =

= كثيرة وإن تعدى بنفسه. والشوس: جمع أشوس، أوشوساء وهو الذي ينظر بمؤخر عينه يصف مسافرين والأسد يطلب فريسة منهم، وكثيراً ما يحذفون الموصوف كالأسد هنا، لأن الصفة تعينه، أو لادعاء تعينه.

ينظر ديوانه ص ٩٦، وسمط اللآلي ص ٤٣٨، واللسان (حسس)، والمحتسب ١/ ١٢٣، والمنصف ٣/ ٨٤، والإنصاف ١/ ٢٧٣، والخصائص ٢/ ٤٣٨، وشرح المفصل ١٠/ ١٥٤، ومجالس ثعلب ٢/ ٤٨٦، والمقتضب ١/ ٢٤٥، والدر المصون ١/ ١١٢.

(١) قوله: «من أكلها» لعله «عن». (ع)

(٢) قوله: «غير متأثل مالاً» أي: متخذ مالاً أصلاً، كما في الصحاح. (ع)

قال له: أفأشرب من لبن إبله؟ قال: إن كنت تبغي ضالتها، وتلوط حوضها، وتهنأ جرباها[1] وتسقيها يوم وردها، فاشرب غير مضرّ بنسل، ولا ناهك في الحلب (٣٦٤)

= (١/ ٣٩٦) كلّهم من طريق حسين المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.
وذكره السيوطي في الدر المنثور وزاد عزوه إلى ابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه.
. . . أما حديث ابن عباس فقد ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٢٨٤) من طريق الحسن العرني عن ابن عباس.
وعزاه إلى الثعلبي في تفسيره.
ثانياً الحديث المرسل:
من طريق الحسن العرني مرسلاً، أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة (٤/ ٣٩١) كتاب البيوع والأقضية: باب في الأكل من مال اليتيم (٢١٣٧٧)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٦/ ٤) كتاب البيوع: باب الولي يأكل من مال اليتيم، وسعيد بن منصور (٣/ ١١٥٩) حديث (٥٧٢) وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٤٨).
وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٩٣) حديث رقم (٨٦٤٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٦) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي شيبة والنحاس في ناسخه وعبد الرزاق وسعيد بن منصور.
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف وعزاه إلى ابن المبارك في كتاب البر والصّلة. أيضاً.
وقال البيهقي: هذا مرسل، وقد رُوي من وجه آخر موصولاً وهو ضعيف. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من طريق معاوية بن هشام: حدّثنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن الحسن العرني عن ابن عباس قال: «جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: إن في حجري يتيماً» بلفظ المصنّف سواء ورواه عبد الرزاق في المصنّف وابن المبارك في البر والصّلة والطبري عن سفيان بن عيينة عن ابن دينار عن الحسن العرني: «أنّ رجلاً قال: يا رسول الله» فذكره مرسلاً وهو عند ابن أبي شيبة في البيوع عن إسماعيل عن أيوب بن عمرو كذلك. وروى أحمد وأبو داود والنّسائي وابن ماجه وغيرهم من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه «جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: لا أجد شيئاً وليس لي مال. ولي يتيم له مال. قال: «كل من مال يتيمك غير مسرف ولا متأثل مالاً ولاواق مالك بماله» وروى ابن حبّان من رواية صالح بن رستم عن عمرو بن دينار عن جابر قال: قال رجل لرسول الله ـ ﷺ ـ «ممّ أضرب يتيمي؟ قال: ما كنت ضارباً منه ولدك، غير واق مالك بماله. ولا متأثل من ماله مالاً» وأخرجه ابن عديّ في الكامل في ترجمة صالح بن رستم. وهو أبو عامر الخزان وضعّفه عن ابن معين. وقال: لم أجد له حديثاً منكراً. ورواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمرو بن دينار. وقال: تفرّد به الخزان وهو من ثقات البصريين. انتهى.
٣٦٤ ـ أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٣٤): كتاب صفة النبي ـ ﷺ ـ: باب جامع ما جاء في الطعام والشراب، حديث (٣٣)، والبيهقي في سننه الكبرى (٦/ ٢٨٤) كتاب الوصايا: باب ما جاء في =

---

(١) قوله: «وتلوط حوضها وتهنأ جرباها» أي تصلحه بالطين بأنه تلزقه به. أفاده الصحاح. وفيه: هنأت البعير أهنؤه إذا طليته بالهناء وهو القطران اهـ. ونقل المناوي بهامشه عن الزجاج أنه بضم النون وأنه لم يجيء مضموم العين في مهموز اللام إلا هنأ يهنأ وقرأ يقرأ فليحرر. (ع)

وعنه: يضرب بيده مع أيديهم، فليأكل بالمعروف، ولا يلبس عمامة فما فوقها، (٣٦٥) وعن إبراهيم: لا يلبس الكتان والحلل، ولكن ما سدّ الجوعة ووارى العورة، (٣٦٦) وعن محمد بن كعب يتقرّم تقرّم البهيمة(١) وينزل نفسه منزلة الأجير فيما لا بدّ منه، وعن الشعبي: يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه، وعنه: كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي، (٣٦٧) وعن مجاهد: يستسلف، فإذا أيسر أدّى، (٣٦٨) وعن سعيد بن جبير: إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر قضاه، وإن أعسر فهو في حلّ، (٣٦٩) وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت

= تأديب اليتيم، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٤٧).

ومن طريق عبد الرزاق أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٨٨) حديث (٨٦٣٢) وسعيد بن منصور (٣/ ٢١٥٧) حديث (٥٧١)، وذكره البغوي في تفسيره (١/ ٣٩٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٦). وعزاه إلى مالك وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والنحاس في ناسخه.

وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣٨٧) وعزاه إلى الثعالبي والواحدي، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق من رواية يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد، قال: «جاء رجل إلى ابن عباس» فذكره، إلاَّ أنه قال: بدل: تبغي ضالتها «ترد نادتها» وأخرجه الطبري من طريقه والثعلبي والواحدي من وجه آخر عن القاسم. ورواه البغوي من طريق مالك عن يحيى بن سعيد عن القاسم وهو في الموطأ. انتهى.

٣٦٥ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه (٤/ ٣٩١) كتاب البيوع: باب في الأكل من مال اليتيم، حديث برقم (٢١٣٨١)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٤): كتاب البيوع: باب الولي يأكل من مال اليتيم مكان قيامه عليه بالمعروف إذا كان فقيراً. وسعيد بن منصور (٣/ ١١٥٦) حديث رقم (٥٧٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٦)، وعزاه إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي.

٣٦٦ ـ أخرجه سعيد بن منصور (٣/ ١١٥٥) حديث (٥٦٨) وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٨٧) حديث (٨٦٢٧) (٨٦٢٨)، (٨٦٢٩)، (٨٦٣٠)، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٤٧).

٣٦٧ ـ أخرجه ابن جرير الطبري (٧/ ٥٨٤) حديث برقم (٨٦١١).

٣٦٨ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه (٤/ ٣٩١): كتاب البيوع: باب في الأكل من مال اليتيم، حديث (٢١٣٨٠) وسعيد بن منصور في سننه (٣/ ١١٥٤) حديث (٥٦٧) وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٤٧) وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٨٥) حديث (٨٦١٦).

٣٦٩ ـ أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٣٩١): كتاب البيوع والأقضية: باب في الأكل من مال اليتيم، حديث (٢١٣٨٣) والبيهقي في سننه الكبرى (٦/ ٥): كتاب البيوع باب من قال يقضيه.
وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٥٨٤) حديث (٨٦٠٨) وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٤٧).

---

(١) قوله: «يتقرم تقرم البهيمة» في الصحاح: قرم الصبي والبهيم قرماً وقروماً وهو أكل ضعيف في أول ما يأكل. وتقرم مثله. (ع)

بالمعروف، وإذا أيسرت قضيت (٣٧٠) واستعف أبلغ من عف[1]، كأنه طالب زيادة العفة، ﴿فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾: بأنهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم، وذلك أبعد من التخاصم والتجاحد وأدخل في الأمانة وبراءة الساحة. ألا ترى أنه إذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند أبي حنيفة وأصحابه، وعند مالك والشافعي لا يصدّق إلا بالبينة، فكان في الإشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي إلى التهمة أو من وجوب الضمان إذا لم يقم البينة، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: أي: كافياً في الشهادة عليكم بالدفع والقبض، أو محاسباً. فعليكم بالتصادق، وإياكم والتكاذب.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾

﴿وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾: هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم، ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾: بدل مما ترك بتكرير العامل، و﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: نصب على الاختصاص، بمعنى: أعني نصيباً مفروضاً مقطوعاً واجباً لا بدّ لهم من أن يحوزوه ولا يستأثر به، ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١] كأنه قيل: قسمة مفروضة. وروي: أن أوس بن ثابت الأنصاري[2] ترك امرأته أم كجة وثلاث بنات، فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهنّ، وكان أهل الجاهلية لا يورّثون النساء

---

٣٧٠ - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٤) كتاب البيوع باب من قال يقضيه إذا أيسر، وفي (٦/ ٣٥٤): كتاب قسم الفيء والغنيمة: باب ما يكون للوالي الأعظم ووالي الإقليم من مال الله، وسعيد بن منصور في سننه (٤/ ١٥٣٨) حديث رقم (٧٨٨)، والطبري في تفسيره (٧/ ٥٨٢) حديث (٨٥٩٧)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٠٩) وابن كثير (١/ ٤٥٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٦).
وزاد نسبته إلى عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا والنحاس في ناسخه وابن المنذر، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن سعد، وابن أبي شيبة، والطبري من رواية إسرائيل وسفيان كلاهما عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب قال: قال عمر ورواه سعيد بن منصور عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن البراء قال: قال لي عمر. فذكره. انتهى.

---

(١) قال محمود: «استعف أبلغ من عف، وكأنه يطلب زيادة العفة من نفسه» قال أحمد: في هذا إشارة إلى أنه من استفعل بمعنى الطلب وليس كذلك، فإن استفعل الطلبية متعدية وهذه قاصرة. والظاهر أنه مما جاء فيه فعل واستفعل بمعنى، والله أعلم.

(٢) قوله «روى أن أوس بن الصامت الأنصاري» في رواية ابن ثابت. وليحرر اهـ. (ع)

والأطفال، ويقولون: لا يرث إلا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة، فجاءت أم كجة إلى رسول الله ﷺ في مسجد الفضيخ فشكت إليه، فقال: «ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله» فنزلت، فبعث إليهما لا تفرّقا من مال أوس شيئاً فإنّ الله قد جعل لهنّ نصيباً ولم يبين حتى يبين فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ [النساء: ١١] فأعطى أم كجة الثمن، والبنات الثلثين، والباقي ابني العم، (٣٧١) ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾: أي: قسمة التركة ﴿أُولُوا الْقُرْبَىٰ﴾ ممن لا يرث، ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾: الضمير لما ترك الوالدان والأقربون، وهو أمر على الندب قال الحسن: كان المؤمنون يفعلون ذلك، إذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع[1]. فحضهم الله على ذلك تأديباً من غير أن يكون فريضة. قالوا: ولو كان فريضة لضرب له حدّ ومقدار كما لغيره من الحقوق، وروى أن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ قسم ميراث أبيه وعائشة ـ رضي الله

---

٣٧١ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/٥٩٨) حديث (٨٦٥٦)، وذكره ابن حجر في الإصابة (٨/ ٤٥٦) ترجمة أم كُجّة الأنصارية، حديث (١٢٢٢١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٢١٧)، وعزاه إلى أبي الشيخ وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وذكره البغوي في تفسيره (١/ ٣٩٦)، والزيلعي في تخريج الكشاف (١/٢٨٨) حديث (٢٩٩) وزاد نسبته إلى الثعلبي والواحدي، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

هكذا أورده الثعلبي ثم البغوي بغير سند، وقال الواحدي في الأسباب: قال المفسرون: «إن أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كجة، وله منها ثلاث بنات. فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما عالجة وسويد فأخذا ماله، ولم يعطيا امرأته شيئاً ولا بناته. وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير، وإن كان ذكراً، وإنما يورثون الرجال الكبار، وكانوا يقولون: لا يعطى إلاً من قاتل على ظهور الخيل، وحاز الغنمية؛ فجاءت أم كجة فذكره إلى آخره سواء. والظاهر أنه عنى بقوله: «المفسرون» الكلبي ومقاتل وأشباههما وقد روى الطبري هذه القصة من طريق ابن جريج عن عكرمة على غير هذا السياق ولفظه: «نزلت في أم كجة وثعلبة وأوس بن سويد وهم من الأنصار كان أحدهما زوجها والآخر عم ولدها. فقالت: يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته فلم نورث. فقال عم ولدها: إن ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلا، ولا ينكأ عدواً. فنزلت ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ ...الآية﴾ وروى من طريق السدي قال: في قوله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ... الآية﴾ كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان ولا يورثون إلاً من أطاق القتال فمات عبد الرحمن أبو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كجة وترك خمس أخوات. فجاءت الورثة فأخذوا ماله فشكت أم كجة إلى النبي ـ ﷺ ـ فأنزل الله ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ ثم قال في أم كجة ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ... الآية﴾ انتهى.

---

(١) قوله «من رثة المتاع» في الصحاح: الرثة: السقط من متاع البيت من الخلقان، والجمع رثث، مثل قربة وقرب. (ع)

عنها - حية؟ فلم يدع في الدار أحداً إلا أعطاه، وتلا هذه الآية، (٣٧٢) وقيل: هو على الوجوب، وقيل: هو منسوخ بآيات الميراث كالوصية، وعن سعيد بن جبير: أن ناساً يقولون نسخت، ووالله ما نسخت، ولكنها مما تهاونت به الناس، (٣٧٣) والقول المعروف أن يلطفوا لهم القول ويقولوا: خذوا بارك الله عليكم، ويعتذروا إليهم، ويستقلوا ما أعطوهم ولا يستكثروه، ولا يمنوا عليهم، وعن الحسن والنخعي: أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين، يعنيان: الورق والذهب. فإذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة إلى الأرضين والرقيق وما أشبه ذلك، قالوا لهم قولاً معروفاً، كانوا يقولون لهم: بورك فيكم.

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾

«لو» مع ما في حيزه صلة لـ «الذين»، والمراد بهم: الأوصياء، أمروا بأن يخشوا الله(١)

---

٣٧٢ - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٦٧) كتاب الوصايا: باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٠) حديث (٨٦٨١) و(٨٦٨٢)، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٤٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٩) وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي.

٣٧٣ - مروي مقطوع وموقوف:

● أما المقطوع فمن كلام سعيد بن جبير. وأخرجه سعيد بن منصور (٣/ ١١٦٦) حديث (٥٧٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٨) حديث (٨٦٦٥).

● أما الحديث الموقوف فإنه موقوف على ابن عباس من طريق سعيد بن جبير، وأخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٤٥٦): كتاب الوصايا: باب قوله تعالى ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾. حديث (٢٧٥٩)، والبيهقي في سننه الكبرى (٦/ ٢٦٧): كتاب الوصايا باب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٨) وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر والبخاري وأبو داود في ناسخه وابن أبي حاتم والبيهقي.

---

(١) قال محمود: «المراد الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله... إلخ» قال أحمد: وإنما ألجأه إلى تقدير (تركوا) بقوله: شارفوا أن يتركوا؛ لأن جوابه قوله (خافوا عليهم) والخوف عليهم إنما يكون قبل تركهم إياهم وذلك في دار الدنيا، فقد دل على أن المراد بالترك الإشراف عليه ضرورة، وإلا لزم وقوع الجواب قبل الشرط وهو باطل، ونظيره ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي شارفن بلوغ الأجل، ولهذا المجاز في التعبير عن المشارفة على الترك بالترك سر بديع، وهو التخويف بالحالة التي لا يبقى معها مطمع في الحياة ولا في الذب عن الذرية الضعاف، وهي الحالة التي وإن كانت من الدنيا إلا أنه لقربها من الآخرة ولصوقها بالمفارقة صارت من حيزها =

فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم، خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً وشفقتهم عليهم وأن يقدّروا ذلك في أنفسهم ويصوّروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة، ويجوز أن يكون المعنى: وليخشوا على اليتامى من الضياع، وقيل: هم الذين يجلسون إلى المريض فيقولون: إن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئاً، فقدم مالك، فيستغرقه بالوصايا، فأمروا بأن يخشوا ربهم، أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو كانوا، ويجوز أن يتصل بما قبله وأن يكون أمراً بالشفقة للورثة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين وأن يتصوّروا أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين. هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة؟ فإن قلت: ما معنى وقوع، ﴿لَوْ تَرَكُوا﴾: وجوابه صلة لـ «الذين»؟ قلت: معناه: وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافاً، وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم، كما قال القائل [من الوافر]:

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ حُبًّا ... بَنَاتِي أَنَّهُنَّ مِنَ الضِّعَافِ
أُحَاذِرُ أَن يَرَيْنَ الْبُؤْسَ بَعْدِي ... وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقاً بَعْدَ صَافِي(١)

وقرىء: «ضعفاء»، «وضُعافى»، «وضعافى». نحو سكارى، وسكارى، والقول السديد من الأوصياء: ألاّ يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب، ويدعوهم بـ «يا بنيّ ويا ولدي»، ومن الجالسين إلى المريض أن يقولوا له إذا أراد الوصية: لا تسرف في وصيتك فتجحف بأولادك، مثل قول رسول الله ﷺ لسعد: «إنك إن تترك ولدك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس» (٣٧٤) وكان الصحابة

---

٣٧٤ ـ أخرجه مالك (٢/٧٦٣) كتاب الوصية: باب الوصية في الثلث حديث (٤) والبخاري (٣/١٦٤) كتاب الجنائز: باب رثاء النبي ـ ﷺ ـ سعد حديث (١٢٩٥) ومسلم (٣/١٢٥٠) كتاب الوصية: باب الوصية بالثلث (٥/١٦٢٨) وأبو داود (٣/٢٤٨) كتاب الوصايا: باب ما لا يجوز للموصي في ماله حديث (٢٨٦٤) والترمذي (٤/٤٣٠) كتاب الوصايا: باب الوصية بالثلث حديث (٢١١٦) والنّسائي (٦/٢٤١ ـ ٢٤٢) كتاب الوصايا: باب الوصية بالثلث وابن ماجه (٢/٩٠٣) كتاب الوصايا: باب الوصية بالثلث حديث (٢٧٠٨) وأحمد (١/١٧٩) والدارمي (٢/٤٠٧) كتاب الوصايا: باب الوصية بالثلث وأبو داود الطيالسي (١/٢٨٢ ـ منحة) رقم (١٤٣٣). وعبد الرزاق (٩/٦٤) رقم (١٦٣٥٧). والحميدي (١/٣٦) رقم (٦٦). وابن الجارود (٩٤٧) ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (صـ٧٢) رقم (٢٤٨) وأبو يعلى (٢/٩٢) رقم (٤٧) وابن حبّان (٤٢٣٥، ٥٩٩٤، ٧٢١٧ ـ الإحسان) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/٣٧٩) والبيهقي (٦/٢٦٨) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/٣٦٨ ـ ٣٦٩) كلّهم من طريق الزهري عن عامر بن سعد عن =

= ومعبراً عنها بما يعبر به عن الحالة الكائنة بعد المفارقة من الترك، والله أعلم.

(١) تقدم.

ـ رضي الله عنهم ـ يستحبون ألاّ تبلغ الوصية الثلث وأن الخمس أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث، ومن المتقاسمين ميراثهم أن يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ظُلْمًا﴾: ظالمين[(١)]، أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته، ﴿فِى بُطُونِهِمْ﴾: ملء بطونهم يقال: أكل فلان في بطنه، وفي بعض بطنه. قال [من الوافر]:

كُـلُـوا فِـي بَـعْـضِ بَـطْـنِـكُـمُ تَـعِـفُّـوا .... [(٢)]

= أبيه قال: مرضت بمكة مرضاً أشفيت منه على الموت فجاء رسول الله ـ ﷺ ـ يعودني فقلت: يا رسول الله إن لي مالاً كثيراً وليس يرثني إلاّ ابنتي، أفأوصى بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت: فالشطر؟ قال: لا، قلت: فالثلث؟ قال: الثلث والثلث كثير، أو كبير إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وأخرجه البخاري (٥/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) كتاب الوصايا: باب إن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس حديث (٢٧٤٢) ومسلم (٣/ ١٢٥٠) كتاب الوصية: باب الوصية بالثلث حديث (٥/ ١٦٢٨) والنّسائي (٦/ ٢٤٢) كتاب الوصايا: باب الوصية بالثلث وأحمد (١/ ١٧٢) من طريق سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه به.
وأخرجه البخاري (٥/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥) كتاب الوصايا: باب الوصية بالثلث. وأخرجه النّسائي (٦/ ٢٤٣) كتاب الوصايا: باب الوصية، من طريق بكير بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبيه به.
وأخرجه أحمد (١/ ١٨٤) من طريق جرير بن حازم عن عمه جرير بن زيد عن عامر به.
وأخرجه مسلم (٣/ ١٢٠١) كتاب الوصية: باب الوصية بالثلث حديث (٨،٩/ ١٦٢٨) وأحمد (١/ ٦٨) وأبو يعلى (٢/ ١١٦) رقم (٧٨١) من طريق عمرو بن سعيد عن حميد بن عبد الرحمن عن ثلاثة من ولد سعد به.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص في قصة. انتهى.

---

(١) قال محمود: «معناه ظالمين، أو على وجه الظلم... إلخ» قال أحمد: ومثله (قد بدت البغضاء من أفواههم) أي شدقوا بها وقالوها بملء أفواههم. أو يكون المراد بذكر البطون تصوير الأكل للسامع، حتى يتأكد عنده بشاعة هذا الجرم بمذيد تصوير، ولأجل تأكيد التشنيع على الظالم لليتيم في ماله، خص الأكل لأنه أبشع الأحوال التي يتناول مال اليتيم فيها، والله أعلم.

(٢) كـلـوا فـي بـعـض بـطـنـكـم تـعـفـوا فـإنَّ زمـانـكـم زمـن خـمـيـص
أي كلوا في بعض بطونكم. وأفرد البطن لأمن اللبس، أي لا تملئوها، فأن أطعمتموني عففتم عن الطعام. وعف يعف ـ بكسر عين المضارع ـ من باب ضرب يضرِب. ثم قال: فإن زمانكم، أي أمرتكم بذلك لأن زمانكم مجدب. والخميص: الضامر البطن. فشبه الزمان المجدب بالرجل الجائع على طريقة الكناية، ووصفه بالخمص تخييل لذلك.

ومعنى يأكلون ناراً: ما يجر إلى النار، فكأنه نار في الحقيقة، وروي: «أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره[1] ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنَّه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا»، (٣٧٥) وقرىء «وسيصلون» بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها، ﴿سَعِيرًا﴾: ناراً من النيران مبهمة الوصف.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾: يعهد إليكم ويأمركم، ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾: في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة، وهذا إجمال تفصيله، ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾: فإن قلت: هلا قيل: للأنثيين مثل حظ الذكر[2] أو للأنثى نصف حظ الذكر؟ قلت: ليبدأ ببيان حظ الذكر

---

٣٧٥ ـ أخرجه ابن حبّان في صحيحه (١٢/ ٣٧٧): كتاب الحظر بعد الإباحة: باب ذكر الأخبار عن وصف ما يعذب به في القيامة أكلة أموال اليتامى، حديث (٥٥٦٦)، وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ٤٣٤)، حديث (٧٤٤٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٦) حديث (٨٧٢٢)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٥)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢١) وعزاه إلى ابن أبي شيبة في مسنده، وأبو يعلى وابن حبّان، وابن أبي حاتم، وقال الهيثمي: فيه زياد بن المنذر وهو كذاب.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الطبري من طريق السدي قال: «يبعث الله آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه وأنفه» إلى آخره وفي صحيح ابن حبّان من رواية زناد أبي المنذر عن نافع بن الحارث عن أبي برزة رفعه يبعث الله يوم القيامة قوماً من قبورهم تأجج أفواههم ناراً فقيل من هم يا رسول الله؟ فقال: ألم تر أن الله يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا . . . الآية﴾ وفي إسناده زناد المذكور. كذبه ابن معين وشيخه نافع بن الحارث ضعيف أيضاً وقد أورده ابن عديّ في الضعفاء في ترجمة زناد وأعل به. انتهى.

= ينظر: شرح أبيات سيبويه ١/ ٣٧٤، وخزانة الأدب ٧/ ٥٣٧، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦٣، والمقتضب ٢/ ١٧٢، أسرار العربيَّة ص ٢٢٣، وتخليص الشواهد ص ١٠٧، والدرر ١/ ١٥٢، وشرح المفصل لابن يعيش ٥/ ٨، ٦/ ٢١، والكتاب ١/ ٢١٠، والمحتسب ٢/ ٤٨٧، وهمع الهوامع ١/ ٥٠، أمالي ابن الشجري ١/ ١٠٨، روح المعاني ١/ ١٣٦، الدر ١/ ١٠٨.

(١) قوله من «قبره» يروي من دبره. ويؤيده ما في الخازن من حديث أبي سعيد الخدري، أنهم يجعل في أفواههم صخر من نار يخرج من أسافلهم اهـ، فحرره. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت هلا قيل للأنثيين مثل حظ الذكر. . . إلخ» قال أحمد: لأن الأفضلية حينئذ =

لفضله، كما ضوعف حظه لذلك، ولأنّ قوله: ، ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: قصد إلى بيان فضل الذكر، وقولك: للأنثيين مثل حظ الذكر، قصد إلى بيان نقص الأنثى، وما كان قصداً إلى بيان فضله ـ كان أدلّ على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه، ولأنهم كانوا يورّثون الذكور دون الإناث[1] وهو السبب لورود الآية، فقيل: كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث، فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به. فإن قلت: فإن حظ الأنثيين الثلثان، فكأنّه قيل: للذكر الثلثان. قلت: أريد حال الاجتماع لا الانفراد أي: إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان، كما أن لهما سهمين، وأما في حال الانفراد، فالابن يأخذ المال كله والبنتان يأخذان الثلثين، والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع، أنه أتبعه حكم الانفراد، وهو قوله: ، ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾: والمعنى للذكر منهم، أي: من أولادكم، فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم، كقولهم: السمن منوان بدرهم، ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾: فإن كانت البنات أو المولودات نساء خلصاً. ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن، ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾: يجوز أن يكون خبراً ثانياً لـ «كان» وأن يكون صفة لـ «نساء» أي: نساء زائدات على اثنتين، ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً﴾: وإن كانت البنت أو المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى، ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾: وقرىء: «واحدةٌ» بالرفع على كان التامّة والقراءة بالنصب أوفق لقوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾: وقرأ زيد بن ثابت «النصف» بالضم، والضمير في، ﴿تَرَكَ﴾ للميت؛ لأنّ الآية لما كانت في الميراث، علم أن التارك هو الميت. فإن قلت: قوله: ، ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الأولاد، لا لبيان حظ الأنثيين، فكيف صح أن يردف قوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾: وهو لبيان حظ الإناث؟ قلت: وإن كان مسوقاً لبيان حظ الذكر، إلا أنه لما فقه منه وتبين حظ الأنثيين مع أخيهما؛ كان كأنه مسوق للأمرين جميعاً. فلذلك صح أن يقال: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ فإن قلت: هل يصح أن يكون الضميران في «كن» و«كانت» مبهمين، ويكون «نساء» و«واحدة» تفسيراً لهما، على أن «كان» تامة؟ قلت: لا أبعد ذلك.

= مدلول عليها بواسطة الاستلزام لا منطوق بها. وأما على نظم الآية، فالأفضلية منطوق بها غير محتاجة إلى ذلك.

(١) عاد كلامه. قال: «ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الأناث... إلخ» قال أحمد: وعلى مقتضى هذا لا يكون حكم الابن إذا انفرد مذكوراً في الآية، لأنه حيث ذكره فإنما عني حالة الاجتماع مع الإناث خاصة على تفسير الزمخشري. هذا ويمكن خلافه، وهو أن المذكور أولاً ميراث الذكر على الإطلاق مجتمعاً مع الإناث منفرداً، أما وجه تلقي حكمه حالة الاجتماع فقد قرره الزمخشري. وأما وجه تلقيه حالة الانفراد فمن حيث إن الله تعالى جعل له مثل حظ الأنثيين، فإن كانت معه فذاك، وإن كانت منفردة عنه فقد جعل لها في حال انفرادها النصف، فاقتضى ذلك أن للذكر عند انفراده مثلي نصيبها عند انفرادها، وذلك الكامل. والله أعلم.

فإن قلت: لم قيل: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾[1] و لم يقل: وإن كانت امرأة؟ قلت: لأنّ الغرض ثمة خلوصهن إناثاً لا ذكر فيهنّ، ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾: وبين انفرادهن، وأريد هٰهنا أن يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها. فإن قلت: قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد، ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما، وما باله لم يذكر؟ قلت: أما حكمها فمختلف فيه، فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة الجماعة[2]؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾: فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف، وأما سائر الصحابة فقد أعطوهما حكم الجماعة، والذي يعلل به قولهم، أن قوله: ، ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾: قد دلّ على أن حكم الأنثيين حكم الذكر، وذلك أن الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة، فالأنثيان كذلك يحوزان الثلثين، فلما ذكر ما دلّ على حكم الأنثيين قيل: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾ على معنى: فإن كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للأنثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم أن حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت، وقيل: إن الثنتين أمس رحماً بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين، ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحماً منهما، وقيل: إن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أحرى أن يجب لها الثلث إذا

---

(١) عاد كلامه: قال محمود: «فإن قلت لم قيل: فإن كن نساء، ولم يقل: وإن كانت امرأة... إلخ» قال أحمد: يريد أن حكم البنتين حال اجتماعهما مع الابن مذكور في قوله ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ وأن حكم البنات منفردات مذكور في قوله ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ وأن حكم البنت منفردة مذكور في قوله ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُۚ﴾ وبقي عليه أن ذكر الابن في حال الانفراد مستفاد من قوله ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ إذا ضممته إلى قوله ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُۚ﴾ على التقرير الذي قدمته.

(٢) عاد كلامه. قال في الجواب «أما حكمها فمختلف فيه، فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة الجماعة... إلخ» قال أحمد: ومحل النظر أن ابن عباس أجرى التقييد بالصفة، وهي قوله ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ على ظاهره من مفهوم المخالفة، غير أنه ما كان يقتضي اللفظ أن يقتصر لهما على النصف لأجل تعارض المفهومين، إذ مفهوم ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾ أن تكون الأنثى أقل من الثلثين، ومفهوم ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُۚ﴾ أن تكون الأنثيين أزيد من النصف، فيكون نصيبهما متردداً فيما بين النصف والثلثين بقدر مجمل. وأما غيره فأظهر للتقييد فائدة جلية سوى المخالفة، وتلك الفائدة رفع الفرق المتوهم بين الأنثيين وما فوقهما. ومتى ظهرت للتخصيص فائدة جلية سوى المخالفة وجب المصير إليها وسقط التعلق بالمفهوم، وكأنه على القول المشهور لما علم أن الأنثيين يستوجبان الثلثين بالطرق المذكورة، وكان الوهم قد يسبق إلى أن الزائد على الأنثيين يستوجبن أكثر من فرض الأنثيين، لأن ذلك مقتضى القياس. رفع هذا الوهم. بإيجاب الثلثين لما فوق الأنثيين كوجوبه لهما، والله أعلم.

كانت مع أخت مثلها، ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضاً مع أخيها لو انفردت معه، فوجب لهما الثلثان، ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾: الضمير للميت، و﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾: بدل من، ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾[1]: بتكرير العامل، وفائدة هذا البدل أنه لو قيل: ولأبويه السدس، لكان ظاهره اشتراكهما فيه، ولو قيل: ولأبويه السدسان، لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها. فإن قلت: فهلا قيل: ولكل واحد من أبويه السدس، وأي فائدة في ذكر الأبوين أوّلاً، ثم في الإبدال منهما؟ قلت: لأنّ في الإبدال والتفصيل بعد الإجمال تأكيداً وتشديداً، كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير، و«السدس»: مبتدأ، وخبره: «لأبويه»، والبدل متوسط بينهما للبيان، وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة: «السدس» بالتخفيف، وكذلك الثلث والربع والثمن، والولد: يقع على الذكر والأنثى، ويختلف حكم الأب في ذلك. فإن كان ذكراً اقتصر بالأب على السدس، وإن كانت أنثى عصب مع إعطاء السدس. فإن قلت: قد بين حكم الأبوين في الإرث[2] مع الولد، ثم حكمهما مع

(١) قال محمود: «لكل واحد منهما بدل من لأبويه بتكرير العامل... إلخ» قال أحمد: وفي إعرابه بدلاً نظر، وذلك أنه يكون على هذا التقدير من بدل الشيء من الشيء، وهما كعين واحدة، ويكون أصل الكلام: والسدس لأبويه لكل واحد منهما، ويقتضي الاقتصار على المبدل منه التشريك بينهما في السدس، كما قال ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ فاقتضى اشتراكهن فيه، فيقتضي البدل ـ لو قدر إهدار الأول ـ إفراد كل واحد منهما بالسدس وعدم التشريك، وهذا يناقض حقيقة هذا النوع من البدل، لأنه يلزم في هذا النوع أن يكون مؤدي المبدل والبدل واحداً. وإنما فائدته التأكيد بمجموع الاسمين لا غير بلا زيادة معنى، فإذا تحقق ما بينهما من التباين تعذرت البدلية المذكورة، وليس من بدل التقسيم أيضاً على هذا الإعراب، وإلا لزم زيادة معنى في البدل. فالوجه ـ والله أعلم ـ أن يقدر مبتدأ محذوف كأنه قيل: ولأبويه الثلث ثم لما ذكر نصيبهما مجملاً، فصله بقوله ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ وساغ حذف المبتدأ لدلالة التفصيل عليه ضرورة، إذ يلزم من استحقاق كل واحد منهما للسدس استحقاقهما، والله أعلم. ولا يستقيم على هذا الوجه أيضاً جعله من بدل التقسيم. ألا تراك لو قلت: الدار كلها لثلاثة: لزيد، ولعمرو، ولخالد: كان هذا بدلاً وتقسيماً صحيحاً، لأنك لو حذفت المبدل منه فقلت: الدار لزيد ولعمرو ولخالد، ولم تزد في البدل زيادة، استقام. ولو قلت: الدار لثلاثة: لزيد ثلثها، ولعمرو ثلثها، ولخالد ثلثها. لم يستقم بدل تقسيم إذ لو حذفت المبدل منه لصار الكلام: الدار لزيد ثلثها، ولعمرو ثلثها، ولخالد ثلثها. فهذا كلام مستأنف، لأنك زدت فيه معنى تمييز ما لكل واحد منهم، وذلك لا يعطيه المبدل ولا سبيل في بدل الشيء من الشيء إلى زيادة معنى.

(٢) عاد كلامه. قال محمود: «فإن قلت قد بين حكم الأبوين والأرث... إلخ» قال أحمد: ومذهب ابن عباس أن الأخوة يأخذون السدس الذي حجبوا الأم عنه مع وجود الأب، فعلى هذا يكون فائدة قوله ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ الاحتراز مما لو ورثه الأخوة مع الأبوين، فإن الأم لها حينئذ السدس، وكأنه قيل: وورثه أبواه ولم يكن ثم إخوة فلأمه الثلث، فإن كان له إخوة فلأمه السدس. ولا يمكن جعله على مذهب ابن عباس مقيداً بعدم الزوجين، لأن ثلث الأم عنده لا يتغير بوجود واحد منهما، والله الموفق.

عدمه، فهلا قيل: فإن لم يكن له ولد فلأمه الثلث، وأي فائدة في قوله: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾؟ قلت: معناه: فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب، فلأمه الثلث مما ترك، كما قال: ﴿لِكُلِّ وَاحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾: لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما بقي بعد إخراج نصيب الزوج، لا ثلث ما ترك، إلا عند ابن عباس، والمعنى: أن الأبوين إذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين، فإن قلت: ما العلة في أن كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أنّ الزوج إنما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة. فأشبه الوصية في قسمة ما وراءه، والثاني: أن الأب أقوى في الإرث من الأم، بدليل أنه يضعف عليها إذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة، وجامعا بين الأمرين، فلو ضرب لها الثلث كملاً لأدى إلى حط نصيبه عن نصيبها. ألا ترى أن امرأة لو تركت زوجاً وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقي للأب، حازت الأم سهمين والأب سهماً واحداً، فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين، ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾: الإخوة يحجبون الأم عن الثلث وإن كانوا لا يرثون مع الأب، فيكون لها السدس وللأب خمسة الأسداس، ويستوي في الحجب الاثنان فصاعداً إلا عند ابن عباس[1]، وعنه أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم. فإن قلت: فكيف صحّ أن يتناول الإخوة الأخوين، والجمع خلاف التثنية؟ قلت: الإخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية، والتثنية كالتثليث والتربيع في إفادة الكمية، وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق، فدل بالإخوة عليه، وقرىء: «فلإمّه»، بكسر الهمزة إتباعاً للجرّة. ألا تراها لا تكسر في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ﴾: [المؤمنون: ٥٠]، ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ﴾: متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها، لا بما يليه وحده، كأنه قيل: قسمة هذه الأنصبة من بعد وصية يوصى بها، وقرىء ﴿يُوصى بها﴾ بالتخفيف والتشديد، و﴿يُوَصَّى بها﴾ على البناء للمفعول مخففاً، فإن قلت: ما معنى أو؟ قلت: معناها الإباحة، وأنه إن كان أحدهما أو كلاهما قدم على قسمة الميراث، كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين. فإن قلت: لم قدّمت الوصية على الدين[2] والدين مقدم عليها في الشريعة؟ قلت:

---

(١) عاد كلامه. قال محمود: «ويستوي في حجب الأم الاثنان فصاعداً إلا عند ابن عباس... إلخ» قال أحمد: ولقد أحسن في هذا التقرير ما لم يحسن كثير من حذاق الأصوليين، ويريد متلقى في تغاير وصفي الجمع والتثنية، إذ الجمع يتناول الاثنين ويتناول أزيد منهما. ولك هذا. وأما التثنية فقاصرة على الاثنين فبينهما على هذا العموم والخصوص، فكل تثنية جمع، وليس كل جمع تثنية.

(٢) قال محمود: «إن قلت: لم قدمت الوصية على الدين... إلخ»؟ قال أحمد: الوصية على ضربين: لغير معين، فلا يطالب بها إلا الإمام إن عثر عليها. ولمعين، فله المطالبة. ولكن يتباينان في القوة بين مطالبة رب الدين بدينه والموصي له بوصيته، لأن رب الدين يطالب بحق مستقر في الذمة سبق له به الفضل على مديانه، والموصي له إنما يطلب صدقة تفضل بها عليه الميت، لا عن استحقاق =

لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض، كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها، فكان أداؤها مظنة للتفريط، بخلاف الدين فإنّ نفوسهم مطمئنة إلى أدائه، فلذلك قدمت على الدين بعثاً على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين، ولذلك جيء بكلمة «أو» للتسوية بينهما في الوجوب، ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله: ، ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ﴾: أي: لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون، أمَّن أوصى منهم أمَّن لم يوص؟ يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرّضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعاً وأحضر جدوى ممن ترك الوصية، فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا، ذهاباً إلى حقيقة الأمر، لأن عرض الدنيا وإن كان عاجلاً قريباً في الصورة، إلا أنه فانٍ، فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى، وثواب الآخرة وإن كان آجلاً إلا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب الأدنى، وقيل: إن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه إليه فيرفع، وكذلك الأب إن كان أرفع درجة من ابنه، سأل أن يرفع إليه ابنه. فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعاً، وقيل: قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة، ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع، فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة، وقيل: الأب يجب عليه[1] النفقة على الابن إذا احتاج، وكذلك الابن إذا كان محتاجاً فهما في النفع بالنفقة لا يدري أيهما أقرب نفعاً، وليس شيء من هذه الأقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له، لأن هذه الجملة اعتراضية، ومن حق الاعتراضي أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه، والقول ما تقدم، ﴿فَرِيضَةً﴾: نصبت نصب المصدر المؤكد، أي: فرض ذلك فرضاً، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾: بمصالح خلقه، ﴿حَكِيمًا﴾: في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها.

﴿ ۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ

= سابق، فاكتفى بما لرب الدين من القوة عن تقديمه في الذكر، وعضد ضعف الموصي له بتقديمه في الذكر عوناً له على حصول رفق الوصية، ويمكن في دفعه طريق آخر فأقول: لم يخالف ترتيب الآية الواقع شرعاً فلا يرد السؤال، وذلك أن أول ما يبدأ به إخراج الدين، ثم الوصية، ثم اقتسام ذوي الميراث. فانظر كيف جاء إخراج الميراث آخراً، تلو إخراج الوصية، تلو الدين، فوافق قولنا: قسمة المواريث بعد الوصية والدين، صورة الواقع شرعاً. ولو سقط ذكر بعد وكان الكلام: أخرجوا الميراث والوصية والدين، لما أمكن ورود السؤال المذكور، والله أعلم.

(١) قوله «عليه»: لعله «له» فتدبر اهـ. مصححه.

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ (١٢)﴾

﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ﴾: منكم أو من غيركم. جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج، كما جعلت كذلك بحق النسب، والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن، ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ﴾: يعني الميت، و﴿يُورَثُ﴾: من ورث، أي: يورث منه وهو صفة لـ «رجل»، و﴿كَلَٰلَةً﴾: خبر كان، أي: وإن كان رجل موروث منه كلالة، أو يجعل «يورث» خبر كان، و«كلالة» حالاً من الضمير في يورث، وقرىء «يُورِث» و«يُورِّث» بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل، وكلالة حال أو مفعول به. فإن قلت: ما الكلالة؟ قلت: ينطلق على ثلاثة: على من لم يخلف ولداً ولا والداً، وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين، وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد، ومنه قولهم: ما ورث المجد عن كلالة، كما تقول: ما صمت عن عيّ، وما كف عن جبن، والكلالة في الأصل: مصدر بمعنى الكلال، وهو ذهاب القوّة من الإعياء. قال الأعشى [من الطويل]:

فَـآلَـيْـتُ لاَ أَرْثِـي لَـهَـا مِـنْ كَـلاَلَـةٍ .... [1]

فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد، لأنها بالإضافة إلى قرابتها كالّة ضعيفة، وإذا جعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذي كلالة. كما تقول: فلان من قرابتي، تريد من ذوي قرابتي، ويجوز أن تكون صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق[2]. فإن قلت: فإن جعلتها اسماً للقرابة في الآية فعلام تنصبها؟ قلت: على أنها مفعول له أي: يورث لأجل الكلالة أو يورث غيره لأجلها، فإن قلت: فإن جعلت «يورث» على البناء للمفعول من

---

(١) وأما إذا ما أدلجت فترى لها ... رقيبين جدياً لا يغيب وفرقدا
فآليت لا أرثى لها من كلالة ... ولا من وجى حتى تلاقي محمدا
للأعشى، يصف ناقته وقد وفد على النبي ﷺ، فصده المشركون ومات باليمامة. وأدلجت: سارت ليلاً. وجدياً، وفرقدا: بدل مما قبلهما. وهذا كناية عن طول ليلها، بل عن مللها من السير. فآليت. أي حلفت، لا أرثي: لا أرق لها، من أجل ملالة وسآمة. والوجى: ضرر الخف ونحوه من السير. ويروي بدله «فما لك عندي مشتكى من كلالة ولا من حفا» والمشتكي: الشكوى. والحفا: الوجى. يقول: إذا سارت ناقتي ليلاً طال ليلها، وحلفت لا أرق لها من أجل تعب ولا ضرر، حتى ألاقي بها محمداً ﷺ. وأسند الفعل إليها، دلالة على أنها تعرفه، فهي السائرة إليه.

(٢) قوله «كالهجاجة والفقاقة للأحمق» في الصحاح: رجل هجاجة أي أحمق. وفيه رجل فقاقة أي أحمق هذر. وفيه أيضاً: الهذر ـ بالتحريك ـ: الهذيان. والرجل هذر. بكسر الذال. (ع)

أورث، فما وجهه؟ قلت: الرجل حينئذٍ هو الوارث لا الموروث. فإن قلت: فالضمير في قوله: ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾: إلى من يرجع حينئذٍ؟ قلت: إلى الرجل وإلى أخيه أو أخته، وعلى الأول إليهما. فإن قلت: إذا رجع الضمير إليهما أفاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الأنثى، فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه؟ قلت: نعم، لأنك إذا قلت السدس له أو لواحد من الأخ أو الأخت على التخيير فقد سوّيت بين الذكر والأنثى، وعن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، أنه سئل عن الكلالة فقال: أقول فيه برأيي ـ فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء ـ. الكلالة: ما خلا الولد والوالد، (٣٧٦) وعن عطاء والضحاك: أنّ الكلالة هو الموروث، وعن سعيد بن جبير: هو الوارث،، وقد أجمعوا على أنّ المراد أولاد الأم، وتدل عليه قراءة أبيّ: «وله أخ أو أخت من الأم»، وقراءة سعد بن أبي وقاص: «وله أخ أو أخت من أم»، وقيل: إنما استدل على أن الكلالة هٰهنا الإخوة للأم خاصة بما ذكر في آخر السورة من أنّ للأختين الثلثين وأنّ للإخوة كل المال، فعلم هٰهنا ـ لما جعل للواحد السدس، وللاثنين الثلث، ولم يزادوا على الثلث شيئاً ـ أنه يعني بهم الإخوة للأم، وإلا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الإخوة الأخياف والأعيان وأولاد العلات[1] وغيرهم، ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾: حال، أي: يوصي بها وهو غير مضارّ لورثته وذلك أن يوصي بزيادة على الثلث، أو يوصي بالثلث فما دونه، ونيته مضارّة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى، وعن قتادة: كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه، وعن الحسن: المضارة في الدين أن يوصي بدين ليس عليه ومعناه الإقرار، ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾: مصدر مؤكد، أي: يوصيكم بذلك وصية، كقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١] ويجوز أن تكون منصوبة

---

٣٧٦ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٢٩٨): كتاب الفرائض: باب في الكلالة من هم، حديث (٣١٦٠٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠/ ٣٠٤): كتاب الفرائض باب الكلالة، حديث (١٩١٩١)، والدارمي في سننه (٢/ ٣٦٥): كتاب الفرائض باب الكلالة، والبيهقي في سننه الكبرى (٦/ ٢٢٤): كتاب حجب الإخوة والأخوات من كانوا بالأب والابن وابن الابن، وسعيد بن منصور (٣/ ١١٨٥) حديث (٥٩١)، وابن جرير الطبري (٨/ ٥٣) حديث (٨٧٤٥) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٤٣)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة والطبري وسعيد بن منصور. ومن رواية الشعبي قال: قال أبو بكر. وفي رواية سعيد والطبري كلام عمر أيضاً. انتهى.

---

(١) قوله «سائر الأخوة الأخياف والأعيان وأولاد العلات» في الصحاح: إخوة أخياف، إذا كانت أمهم واحدة والآباء شتى. والأعيان: الإخوة بنو أب واحد وأم واحدة. وبنو العلات: أولاد الرجل الواحد من أمهات شتى اهـ ملخصاً من مواضع. (ع)

بـ «غير مضار»، أي: لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالأولاد وألاّ يدعهم عالة بإسرافه في الوصية، وينصر هذا الوجه قراءة الحسن: «غير مضارّ وصية من الله» بالإضافة، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بمن جار أو عدل في وصيته، ﴿حَلِيمٌ﴾: عن الجائر لا يعاجله، وهذا وعيد. فإن قلت: في ﴿يُوصَىٰ﴾: ضمير الرجل إذا جعلته الموروث، فكيف تعمل إذا جعلته الوارث؟ قلت: كما عملت في قوله تعالى: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [النساء: ١١] لأنه علم أن التارك والموصي هو الميت. فإن قلت: فأين ذو الحال فيمن قرأ «يوصى بها» على ما لم يسم فاعله؟ يضمر «يوصى» فينتصب عن فاعله لأنه لما قيل، ﴿يُوصِي بِهَآ﴾: علم أن ثم موصياً، كما قال: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦] على ما لم يسمّ فاعله، فعلم أن ثم مسبحاً، فأضمر يسبح فكما كان «رجال» فاعل ما يدل عليه «يسبح»، كان «غير مضارّ» حالاً عما يدل عليه «يوصى بها».

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾: إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث، وسماها حدوداً. لأن الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين، لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها إلى ما ليس لهم بحق، ﴿يُدْخِلْهُ﴾: قرىء بالياء والنون، وكذلك، ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا﴾: وقيل: يدخله، وخالدين حملاً على لفظ «من» ومعناه، وانتصب «خالدين» و«خالداً» على الحال. فإن قلت: هل يجوز أن يكونا صفتين لـ «جنات» و«ناراً»؟ قلت: لا، لأنهما جريا على غير من هما له. فلا بدّ من الضمير وهو قولك: خالدين هم فيها، وخالداً هو فيها.

﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾

﴿يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: يرهقنها. يقال: أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى، وفي قراءة ابن مسعود: «يأتين بالفاحشة»، والفاحشة: الزنا؛ لزيادتها في القبح على كثير من القبائح، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾: قيل معناه: فخلدوهن محبوسات في بيوتكم، وكان

ذلك عقوبتهن في أول الإسلام. ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي . . .﴾ الآية [النور: ٢] ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذكر الحدّ لكونه معلوماً بالكتاب والسنة، ويوصي بإمساكهن في البيوت، بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال، ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾: هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح، وقيل: السبيل هو الحد. لأنه لم يكن مشروعاً ذلك الوقت. فإن قلت: ما معنى ﴿يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ والتوفي والموت بمعنى واحد، كأنه قيل: حتى يميتهن الموت؟ قلت: يجوز أن يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت، كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: ٢٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النساء: ٩٧]، ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن، ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ﴾: يريد الزاني والزانية، ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾: فوبخوهما وذمّوهما وقولوا لهما: أما استحييتما، أما خفتما الله، ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ وغيرا الحال، ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾: واقطعوا التوبيخ والمذمة، فإن التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب، ويحتمل أن يكون خطاباً للشهود العاثرين على سرهما، ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الإمام والحد، فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما، وقيل: نزلت الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين، وقرىء: «واللذانّ» بتشديد النون. «واللذأنّ»: بالهمزة وتشديد النون.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾

﴿ٱلتَّوْبَةُ﴾: من تاب الله عليه إذا قبل توبته وغفر له، يعني إنما القبول والغفران واجب على الله تعالى[١] لهؤلاء، ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾: في موضع الحال أي: يعملون السوء جاهلين سفهاء،

(١) قال محمود: «يعني إنما القبول والغفران واجب على الله. . . إلخ» قال أحمد: وقد تقدم في مواضع أن إطلاق مثل هذا من قول القائل: يجب على الله كذا. مما نعوذ بالله منه ـ تعالى عن الالزام والإيجاب رب الأرباب ـ وقاعدة أهل السنة أن الله تعالى مهما تفضل فهو لا عن استحقاق سابق، لأنهم يقولون: إن الأفعال التي يتوهم القدرية أن العبد يستحق بها على الله شيئاً، كلها خلق الله، فهو الذي خلق لعبده الطاعة وأثابه عليها، وخلق له التوبة وقبلها منه، فهو المحسن أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً، لا كالقدرية الذين يزعمون أن العبد خلق لنفسه التوبة بقدرته وحوله، ليستوجب على ربه المغفرة بمقتضى حكمته التي توجب عليه ـ على زعمهم ـ المجازاة على الأعمال إيجاباً =

لأنّ ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة، لا مما تدعو إليه الحكمة والعقل، وعند مجاهد: من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته، (٣٧٧) ﴿مِن قَرِيبٍ﴾: من زمان قريب، والزمان القريب: ما قبل حضرة الموت. ألا ترى إلى قوله: ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: فبين أنّ وقت الاحتضار وهو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب، وعن ابن عباس: قبل أن ينزل به سلطان الموت، (٣٧٨) وعن الضحاك: كل توبة قبل الموت فهو قريب، (٣٧٩) وعن النخعي: ما لم يؤخذ بكظمه، (٣٨٠) وروى أبو أيوب عن النبي ﷺ: «إنّ الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» (٣٨١) وعن عطاء: ولا قبل موته بفواق ناقة. وعن الحسن: أنّ إبليس قال حين

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

٣٧٧ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٩٠) حديث برقم (٨٨٣٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٠٠) حديث برقم (٧٠٧٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٣٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وعبد بن حميد.

٣٧٨ ـ أخرجه ابن جرير الطبري (٨/ ٩٤)، حديث (٨٨٤٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٣٢)، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

٣٧٩ ـ أخرجه ابن جرير الطبري (٨/ ٩٤) حديث (٨٨٥٠)، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٥١)، وسعيد بن منصور في سننه (٣/ ١١٩٨) حديث برقم (٥٩٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٠٠) حديث برقم (٧٠٧٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٣٢)، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي.

٣٨٠ ـ أخرجه ابن جرير الطبري (٨/ ١٠٠) حديث برقم (٨٨٦٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٣٤) وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

٣٨١ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٩٥)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٦٤)، والحديث له شواهد من حديث أبي هريرة وعبادة بن الصامت وابن عمر وجماعة من الصّحابة.

● **أما حديث أبي هريرة:** =

= عقلياً، فلذلك يطلقون بلسان الجرأة هذا الإطلاق. وما أبشع ما أكد الزمخشري هذا المعتقد الفاسد بقوله: يجب على الله قبول التوبة، كما يجب على العبد بعض الطاعات. فنظر المعبود بالعبد، وقاس الخالق على الخلق. وإنه لإطلاق يتقيد عن لسانه العاقل ويقشعر جلده استبشاعاً لسماعه، ويتعثر القلم عند تسطيره. على أن من لطف الله تعالى أن لم يجعل حاكي الكفر كافراً، ولا حاكي البدعة لضرورة ردها والتحذير منها مبتدعاً. وما بلغ الزمخشري في هذا الإطلاق إلا اغتناماً لفرصة التمسك على صحته بصيغة «على» المشعرة بالوجوب، فجعلها ذريعة لاستباحة هذا الإطلاق، ولم يجعل الله له فيها مستروحاً، فإنا نقول معاشر أهل السنة قد وعدنا الله قبول التوبة المستجمعة لشرائط الصحة ووقوع هذا الموعود واجب ضرورة صدق الخبر، فمهما ورد من صيغ الوجوب فمنزل على وجوب صدق الوعد. ومعنى قولنا: «صدق الخبر واجب» كمعنى قولنا: «وجود الله واجب» لأن أحداً لا يستوجب على الله شيئاً. ألهمنا الله الأدب في حق جلاله، وعصمنا من زيغ القول وضلاله.

أُهبط إلى الأرض: وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده. فقال تعالى: و«عزتي لا أغلق عليه بابَ التوبة ما لم يغرغر». (٣٨٢) فإن قلت: ما معنى، ﴿مِن﴾: في

= أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠١): كتاب التوبة: باب إلى متى تقبل التوبة، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٦٤)، وقال الهيثمي: رواه البزّار، وفيه يزيد بن عبد الملك النوفلي وهو متروك، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٢٩١) حديث برقم (٣٠٣) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

أما حديث عبادة بن الصامت:

فقد أخرجه الطبري في التفسير (٨/ ٩٦) حديث برقم (٨٨٥٨)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٦٤)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٢٩١) إلى إسحاق بن راهويه وابن جرير، وشاهد آخر من طريق ابن البيلماني عن أربعة من الصّحابة لم يسمهم.

أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٢٥)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٢٥٧): كتاب التوبة والإنابة، وسعيد بن منصور (٣/ ١٢٠١) حديث (٥٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٩٨) حديث (٧٠٦٩)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٦٤).

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٠) كتاب التوبة: باب إلى متى تقبل التوبة؛ قال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصّحيح عدا عبد الملك النوفلي وهو ثقة، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: لم أجده من حديث أبي أيوب الأنصاري على ما يتبادر إلى الفهم من هذا الإطلاق، وإنما أورده الطبري من طريق قتادة عن العلاء بن زياد عن أبي أيوب بشير بن كعب فذكره. وبشير تابعي معروف وهو بالموحدة والمعجمة مصغر، ولقتادة فيه إسناد آخر أخرجه الطبري أيضاً بالإسناد المذكور إليه. قال عن قتادة عن عبادة بن الصامت ومن هذا الوجه أخرجه إسحاق بن راهويه وهو منقطع بين قتادة وعبادة. وفي الباب عن ابن عمر أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن حبّان والحاكم وأحمد وأبو يعلى والطبراني وفي إسناده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف فيه، وعن أبي هريرة أخرجه البزّار وفيه يزيد بن عبد الملك النوفلي وهو ضعيف لكن له طريق أخرى أخرجها ابن مردويه عن صحابي معهم أخرجه أحمد والحاكم من رواية عبد الرحمن السلماني قال: اجتمع أربعة من الصّحابة فذكر الحديث فقال الرابع «وأنا سمعته أي النبي - ﷺ - يقول لي: إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يغرغر بنفسه» انتهى.

٣٨٢ - أخرجه ابن جرير الطبري (٨/ ٩٥) حديث (٨٨٥٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٣٢)، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٢٩٤) وعزاه إلى الثعلبي.

وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٩) وفي (٣/ ٤١) و(٣/ ٧٦).

وعبد بن حميد في مسنده (ص٢٩٠) حديث برقم (٩٣٢).

وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٢/ ٤٥٨) حديث برقم (١٢٧٣) وأيضاً في (٣/ ٥٣٠) حديث (١٣٩٩)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢١٠).

قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والطبراني في الأوسط وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصّحيح، كذلك أحد إسنادي أبي يعلى.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية عمرو بن عبيد عن الحسن قال: قال رسول الله - ﷺ -. . . فذكره. قلت: وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري وأخرجه =

قوله: ﴿مِن قَرِيبٍ﴾:؟ قلت: معناه التبعيض، أي: يتوبون بعض زمان قريب، كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زماناً قريباً، ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب، وإلا فهو تائب من بعيد. فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾ بعد قوله: (إنما التوبة على الله) لهم؟ قلت: قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾: إعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات، وقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾: عدة بأنه يفي بما وجب عليه، وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب، ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾: عطف على الذين يعملون السيئات. سوّى بين الذين سوّفوا توبتهم إلى حضرة الموت، وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم، لأنّ حضرة الموت أول أحوال الآخرة، فكما أنّ المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين، فكذلك المسوّف إلى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف والاختيار، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ﴾ في الوعيد نظير قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾ في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان لا محالة. فإن قلت: من المراد بـ «الذين يعملون السيئات». أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يراد الكفار. لظاهر قوله: ﴿وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ وأن يراد الفساق، لأن الكلام إنما وقع في الزانيين، والإعراض عنهما إن تابا وأصلحا، ويكون قوله: ﴿وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ وارداً على سبيل التغليظ كقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] وقوله: «فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً» (٣٨٣) «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر» (٣٨٤) لأن من كان مصدقاً ومات وهو لم يحدث نفسه بالتوبة، حاله قريبة من حال الكافر. لأنه لا يجترىء على ذلك إلا قلب مصمت.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ ﴾

كان يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم، فزجروا عن ذلك، كان الرجل إذا مات له قريب من أب أو أخ أو حميم[1] عن امرأة، ألقىٰ ثوبه عليها وقال

= أحمد وأبو يعلى والطبراني... انتهى.

٣٨٣ ـ تقدم تخريجه في آل عمران.

٣٨٤ ـ تقدم تخريجه في البقرة.

---

(١) قوله «أخ حميم» في الصحاح «حميمك: قريبك الذي تهتم لأمره». (ع)

أنا أحق بها من كلّ أحد[1]. فقيل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ أي: أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك، أو مكرهات، وقيل: كان يمسكها حتى تموت. فقيل: لا يحل لكم أن تمسكوهنّ حتى ترثوا منهنّ وهنّ غير راضيات بإمساككم، وكان الرجل إذا تزوّج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر؛ لتفتدي منه بمالها وتختلع، فقيل: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ والعضل: الحبس والتضييق، ومنه: عضلت المرأة بولدها، إذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه، ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ وهي النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة، أي: إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع، ويدل عليه قراءة أبيّ: «إلا أن يفحشن عليكم»، وعن الحسن: الفاحشة الزنا، (٣٨٥) فإن فعلت حلّ لزوجها أن يسألها الخلع، وقيل: كانوا إذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها، (٣٨٦) وعن أبي قلابة ومحمد بن سيرين: لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها، (٣٨٧) وعن قتادة: لا يحل له أن يحبسها ضراراً حتى تفتدي منه، (٣٨٨) يعني وإن زنت، وقيل: نسخ ذلك بالحدود، وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو النصفة في المبيت والنفقة، والإجمال في القول: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾: فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير، وأحبت ما هو بضد ذلك، ولكن للنظر في أسباب الصلاح.

---

٣٨٥ ـ أخرجه ابن جرير (٨/١١٦) حديث (٨٨٩٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٢٣٦)، وابن كثير في تفسيره (١/٤٦٦)، والبغوي في تفسيره (١/٤٠٩).

٣٨٦ ـ الأثر منسوب لعطاء وأخرجه ابن جرير (٨/١١٥) حديث (٨٨٩٤)، وعبد الرزاق (١/١٥٢) ذكره البغوي في تفسيره (١/٤٠٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٢٣٦)، وعزاه إلى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر.

٣٨٧ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٢٣٦) وعزاه إلى ابن المنذر.

٣٨٨ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/١١١) حديث برقم (٨٨٨٥).

---

(١) قال محمود: «كان الرجل إذا مات له قريب ألقى ثوبه على امرأته وقال: أنا أحق بها من كل أحد... إلخ» قال أحمد: وخص تعالى ذكر من آتي القنطار من المال بالنهي، تنبيهاً بالأعلى على الأدنى، لأنه إذا كان هذا على كثرة ما بذل لامرأته من الأموال منهياً عن استعادة شيء يسير حقير منها على هذا الوجه، كان من لم يبذل إلا الحقير منهياً عن استعادته بطريق الأولى. ومعنى قوله: ﴿وَءَاتَيْتُمْ﴾ والله أعلم: وكنتم آتيتم، إذ إرادة الاستبدلال في ظاهر الأمر واقعة بعد إيتاء المال واستقرار الزوجية.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾

وكان الرجل إذا طمحت عينه[١] إلى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها[٢] بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوّج غيرها. فقيل: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ الآية، والقنطار: المال العظيم، من قنطرت الشيء إذا رفعته، ومنه القنطرة، لأنها بناء مشيد. قال [من الطويل]:

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا ... لَتُكْتَنَفَنْ حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمِدِ[٣]

وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قام خطيباً فقال: أيها الناس، لا تغالوا بصُدُق النساء[٤]، فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ، ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية، فقامت إليه امرأة فقالت له: يا أمير المؤمنين، لِمَ تمنعنا حقاً جعله الله لنا والله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾: فقال عمر: كل أحد أعلم من عمر ثم قال لأصحابه: تسمعونني أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه عليّ حتى تردّ عليّ امرأة ليست من أعلم النساء (٣٨٩) والبهتان: أن تستقبل الرجل بأمر قبيح

---

٣٨٩ ـ أخرجه أبو داود في سننه (٢/ ٢٣٥): كتاب النكاح: باب الصداق حديث (٢١٠٦)، وأخرجه الترمذي (٣/ ٤١٣) كتاب النكاح باب ما جاء في مهور النساء، حديث (١١١٤م)، والنسائي (٦/ ١١٧) كتاب النكاح: باب القسط في الأصدقة (٣٣٤٩).
وابن ماجه في سننه (١/ ٦٠٧): كتاب النكاح: باب صداق النساء حديث (١٨٨٧)، وأحمد في مسنده (١/ ٤١)، وابن أبي شيبة في مصنّفه (٣/ ٤٩٢) كتاب النكاح: باب ما قالوا في مهور النساء واختلافهم في ذلك، حديث (١٦٣٧١)، وعبد الرزاق في مصنّفه (٦/ ١٧٥) كتاب النكاح باب غلاء الصداق، حديث (١٠٣٩٩).
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٧٥): كتاب النكاح. =

---

(١) قوله «إذا طمحت عينه» أي ارتفعت إلى استحسان امرأة للتمتع بها بدل امرأته. أفاده الصحاح. (ع)
(٢) قوله «ورماها» أي بما ليس فيها كما يؤخذ مما يأتي. (ع)
(٣) لطرفة بن العبد من معلقته يشبه ناقته بقنطرة الرجل الرومي. أو النهر الرومي، وهو أنسب بلام العهد وبذكر الاسم الظاهر بعده. وأقسم: جملة حالية، أي: حلف لا تحاط بالقرمد، أي الجبس، حتى تشاد وترفع بالآجر، أو ليحيط بها الفعلة حتى ترفع بالجبس. وتكتنفن: مضارع مبني للمجهول مؤكد بالنون.
ينظر: ديوانه ص ٢٥، ولسان العرب: ١١٨/٥ (قنطر)، وتهذيب اللغة: ٩/ ٤٠٥.
(٤) قوله «لا تغالوا بصدق النساء» جمع صداق، كسحب جمع سحاب. (ع)

تقذفه به وهو بريء منه، لأنه يبهت عند ذلك، أي: يتحير، وانتصب، ﴿بُهْتَنًا﴾: على الحال، أي: باهتين وآثمين، أو على أنه مفعول له وإن لم يكن غرضاً، كقولك: قعد عن القتال جبناً، والميثاق الغليظ: حق الصحبة والمضاجعة، كأنه قيل: وأخذن به منكم ميثاقاً غليظاً، أي بإفضاء بعضكم إلى بعض، ووصفه بالغلظ لقوّته وعظمه، فقد قالوا: صحبة عشرين يوماً قرابة، فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج؟ وقيل: هو قول الوليّ عند العقد: أنكحتك على ما في كتاب الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وعن النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان في أيديكم[1] أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله». (٣٩٠)

= وأبو داود الطيالسي (١/٣٠٦) كتاب النكاح باب جواز التزوج بالقليل والكثير من الصداق وعدم المغالاة فيه، حديث (١٥٦٢)، وسعيد بن منصور في سننه (١/٣/١٩٢) حديث برقم (٥٩٥). (٥٩٦) وفي باب ما جاء في الرياء في الجهاد (٢/٣/٢٥١). حديث (٢٥٤٧)، والحميدي في مسنده (١/١٣) رقم (٢٣) والدارمي (٢/١٤١) كتاب النكاح: باب كم كانت مهور أزواج النبي وبناته.

والبيهقي في سننه الكبرى (٦/٢٣٤) كتاب الصداق: باب ما يستحب في القصد من الصداق.

وذكره الدارقطني في العلل (٢/٢٣٢) حديث رقم (٢٤١) أبو نعيم في الحلية (١/١٣٨) من حديث شريح عن عمر في ترجمة شريح، وقال: غريب من حديث الشعبي عن شريح والمشهور من حديث ابن سيرين عن أبي العجفاء، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أصحاب السنن، وابن حبّان، والحاكم، وأحمد والدارمي، وابن أبي شيبة، والطبراني كلّهم من طريق محمد بن سيرين عن أبي العجفاء. قال: خطبنا عمر فذكره دون ما في آخره، وأخرجه الحاكم من أوجه أخرى عن عمر كذلك. وذكر الدارقطني في العلل لهذا الحديث اختلافاً كثيراً، ورواه عبد الرزاق من الوجه الأول وزاد فيه: فقامت امرأة فقالت له: ليس ذلك لك يا عمر. وإن الله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ الآية. فقال: إن امرأة خاصمت عمر فخصمته، وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة شريح من طريق أشعث بن سوار عن الشعبي عن شريح قال: قال عمر... فذكره بلفظ السنن واستغربه من هذا الوجه. وأخرجه إسحاق من رواية عطاء الخراساني عن عمر، وهو منقطع وزاد فيه «ثم إن عمر خطب أم كلثوم ـ أي بنت علي ـ وأصدقها أربعين ألفاً» وروى أبو يعلى من طريق ابن إسحاق. حدّثني محمد بن عبد الرحمن عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال: ركب عمر المنبر ثم قال: أيها الناس ما إكثاركم في صداق النساء. وقد كانت الصدقات فيما بين رسول الله ـ ﷺ ـ وبين أصحابه أربعمائة درهم فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت له: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا النساء في صدقهن على أربعمائة. قال: نعم، قالت: أما سمعت الله يقول ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ... الآية﴾ فقال عمر: اللهم عفوا كل أحد أفقه من عمر، ثم رجع فركب المنبر، فقال: من شاء أن يعطي من ماله ما أحب. انتهى.

٣٩٠ ـ أخرجه البخاري (٦/٤١٨) في أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (٣٣٣١) و(٩/١٦٠) في =

---

(١) قوله «فإنهن عوان في أيديكم» في الصحاح: العاني الأسير. وقوم عناة، ونسوة عوان. (ع)

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾

وكانوا ينكحون روابهم[1]، وناس منهم يمقتونه [2]من ذي مروآتهم، ويسمونه نكاح المقت، وكان المولود عليه يقال له المقتي، ومن ثم قيل: ﴿وَمَقْتًا﴾: كأنه قيل: هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح، قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين، وقرئ[3]: «لا تحل لكم» بالتاء، على أن ترثوا بمعنى الوراثة، وكرها ـ بالفتح،

= النكاح، باب المداراة مع النساء (٥١٨٤). وباب الوصاة بالنساء (٥١٨٦)، ومسلم (٢/ ١٠٩٠ ـ ١٠٩١) في الرضاع، باب الوصية بالنساء (١٤٦٨)، والترمذي (٣/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤)، والدارمي (٢/ ١٤٨) في النكاح، باب مداراة الرجل أهله من طرق عن أبي هريرة رفعه ـ واللفظ لمسلم ـ إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقه، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها.

وقال الترمذي: حسن صحيح، وإسناده جيد.

وشهد له حديث سمرة رواه أحمد (٥/ ٨)، وحديث أبي ذر عند أحمد (٥/ ١٥ ـ ١٥١)، والدارمي (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

وحديث عائشة رواه أحمد (٦/ ٢٧٩)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: هذا مركب من حديثين. الأول أخرجه الترمذي، والنّسائي، وابن ماجه من حديث عمرو بن الأحوص، قال: شهدت حجة الوداع ـ فذكر حديثاً ـ وفيه: «واستوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهن عوان عندكم» وفي البخاري ومسلم من حديث أبي حازم عن أبي هريرة في أثناء حديث: «واستوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهن خلقن من ضلع ـ الحديث». والثاني أخرجه مسلم في حديث جابر الطويل في صفة الحج فقال فيه: «واتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله» وروى أبو يعلى والبزّار والطبري من رواية موسى بن عبيدة الربذي أحد الضعفاء عن صدقة بن يسار عن ابن عمر رفعه: «أيها الناس، النساء، عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله». (فائدة) العوان: جمع عانية، وهي الأسيرة. انتهى.

---

(١) قوله «ينكحون روابهم» في الصحاح. الراب زوج الأم. والرابة: امرأة الأب. وربيب الرجل: ابن امرأته من غيره. ونكاح المقت: كان في الجاهلية أن يتزوج امرأة أبيه. اهـ في موضعين. (ع)

(٢) قال محمود فيه: «كانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه... إلخ» قال أحمد: وعندي في هذا الاستثناء سر آخر وهو أن هذا المنهي عنه ـ لفظاعته وبشاعته عند أكثر الخلق حتى كان ممقوتاً قبل ورود الشرع ـ جدير أن يمتثل النهي فيه فيجتنب، فكأنه قد امتثل النهي عنه حتى صار مخبراً عن عدم وقوعه، وكأنه قيل: ما يقع نكاح لأبناء المنكوحات للآباء ولا يؤخذ منه شيء إلا ما قد سلف. وأما في المستقبل بعد النهي فلا يقع منه شيء ألبتة، ومثل هذا النظر جار في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فأجراه مرفوعاً على أنه خبر وإن كان المراد نهيهم عن عبادة غير الله، ولكن لما كان هذا المنهي جديراً بالاجتناب وكأنه اجتنب، عبر عن النهي فيه بصيغة الخبر ورفع الفعل. وقد مضى هذا التقدير بعينه ثم لم يجر مثله في هذه الآية والله أعلم.

(٣) أي من الآية رقم (١٩).

والضم ـ من الكراهة والإكراه، وقرىء ﴿بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ من أبانت بمعنى تبينت أو بينت، كما قرىء «مبيّنة» بكسر الياء وفتحها، و﴿يجعلُ اللهُ﴾ بالرفع، على أنه في موضع الحال، ، ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾: بوصل همزة إحداهن. كما قرىء (فلا إثم عليه) [البقرة: ١٧٣]. فإن قلت: تعضلوهن، ما وجه إعرابه؟ قلت: النصب عطفاً على «أن ترثوا» و(لا) لتأكيد النفي. أي: لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن. فإن قلت: أي فرق بين تعدية ذهب بالباء، وبينها بالهمزة؟ قلت: إذا عدي بالباء فمعناه الأخذ والاستصحاب، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ [يوسف: ١٥] وأما الإذهاب فكالإزالة. فإن قلت: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ﴾ ما هذا الاستثناء؟ قلت: هو استثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له، كأنه قيل: ولا تعضلوهن في جميع الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة. أو: ولا تعضلوهنّ لعلة من العلل إلا لأن يأتين بفاحشة. فإن قلت: من أي وجه صح قوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ﴾: جزاء للشرط؟ قلت: من حيث أنّ المعنى: فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة، فلعل لكم فيما تكرهونه خيراً كثيراً ليس فيما تحبونه فإن قلت: كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤكم؟ قلت: كما استثنى من قوله [من الطويل]:

غَـيْـرَ أَنَّ سُـيُـوفَـهُـمْ..... ....

وَلاَ عَـيْـبَ فِـيـهِـمْ..... ....

يعني: إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف، فانكحوه، فلا يحل لكم غيره، وذلك غير ممكن، والغرض المبالغة في تحريمه وسدّ الطريق إلى إباحته، كما يعلق بالمحال في التأبيد نحو قولهم: حتى يبيض القار، وحتى يلج الجمل في سم الخياط.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٣) ﴾

معنى، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾: تحريم نكاحهن[1] لقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٢] ولأن تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن، كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها، ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله، وقرىء

---

(١) قال محمود: «معناه تحريم نكاحهن... إلخ» قال أحمد: وهذا تفريع على القول بعموم المشترك في معانيه فاستقام تعليق الجار المذكور بهما، والله أعلم.

«وبنات الاخت» بتخفيف الهمزة، وقد نزّل الله الرضاعة منزلة النسب، حتى سمى المرضعة أمًّا للرضيع، والمراضعة أختاً، وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه، وأخته عمته، وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه، وأم المرضعة جدّته، وأختها خالته، وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمه، ومن ولد لها من غيره فهم إخوته وأخواته لأمه، ومنه قوله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» (٣٩١) وقالوا: تحريم الرضاع كتحريم النسب إلا في مسألتين: إحداهما: أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج أخت ابنه من النسب ويجوز أن يتزوّج أخت ابنه من الرضاع، لأن المانع في النسب وطؤه أمها، وهذا المعنى غير موجود في الرضاع، والثانية: لا يجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب، ويجوز في الرضاع، لأن المانع في النسب وطء الأب إياها، وهذا المعنى غير موجود في الرضاع، ﴿مِن نِّسَآئِكُمُ﴾: متعلق بـ «ربائبكم» ومعناه أن الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها. فإن قلت: هل يصح أن يتعلق بقوله: ﴿وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾؟ قلت: لا يخلو

---

٣٩١ ـ أخرجه مالك (٢/ ٦٠١) كتاب الرضاع: باب رضاعة الصغير حديث (١) والبخاري (٥/ ٣٠٠) كتاب الشهادات: باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض حديث (٢٦٤٤) ومسلم (٢/ ١٠٦٨) كتاب الرضاع: باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة حديث (٢/ ١٤٤٤) النّسائي (٦/ ١٠٢ ـ ١٠٣) كتاب النكاح: باب لبن الفحل، الدارمي (٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦) كتاب النكاح: باب ما يحرم من الرضاع، وعبد الرزاق (٧/ ٤٧٦) رقم (١٣٩٥٢) وأحمد (٦/ ١٧٨) وابن الجارود (٦٨٧) وأبو يعلى (٧/ ٣٣٨) رقم (٤٣٧٤) والبيهقي (٧/ ١٥٩) كتاب النكاح: باب ما يحرم من نكاح القرابة والرضاع كلّهم من طريق عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة» وله لفظ آخر مطولاً.

وللحديث طريق آخر عن عائشة:

أخرجه مالك (٢/ ٦٠٧) كتاب الرضاع: باب جامع ما جاء في الرضاعة حديث (١٥) والشافعي (٢/ ١٩ ـ ٢٠) كتاب النكاح: باب ما جاء في الرضاع حديث (٥٩) وعبد الرزاق (٧/ ٤٧٧) رقم (١٣٩٥٤) وأحمد (٦/ ٤٤، ٥١) وأبو داود (٢/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦) كتاب النكاح: باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب حديث (٢٠٥٥) والترمذي (٣/ ٤٥٣) كتاب الرضاع: باب ما جاء يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب حديث (١١٤٧) وابن ماجه (١/ ٦٢٣) كتاب النكاح: باب يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب حديث (١٩٣٧) والنّسائي (٦/ ٩٩) والدارمي (٢/ ١٥٦) كتاب النكاح: باب ما يحرم من الرضاع، وسعيد بن منصور (١/ ٢٧٣) رقم (٩٥٣) وابن حبّان (٤٢٠٩ ـ الإحسان) ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (ص ـ ٨٦) رقم (٣٠٤) والبيهقي (٧/ ١٥٩) كتاب النكاح: باب ما يحرم من نكاح القرابة والرضاع والخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٣٣) من طرق عن عروة عن عائشة مرفوعاً بلفظ: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة».

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث عائشة وابن عباس. انتهى.

إمّا أن يتعلق بهن وبالربائب، فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعاً، وإما أن يتعلق بهنّ دون الربائب فتكون حر متهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الأوّل، لأن معنى (من) مع أحد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر. ألا تراك أنك إذا قلت: وأمّهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ فقد جعلت (من) لبيان النساء، وتمييز المدخول بهنّ من غير المدخول بهنّ، وإذا قلت: وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ فإنك جاعل (من) لابتداء الغاية، كما تقول: بنات رسول الله ﷺ من خديجة، وليس بصحيح أن يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان، ولا يجوز الثاني لأن ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به، ما لم يعترض أمر لا يرد، إلا أن تقول: أعلقه بالنساء والربائب، وأجعل (من) للاتصال، كقوله تعالى: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ [التوبة: ٦٧] فإني لست منك ولست مني. ما أنا من دد ولا الدد مني: وأمهات النساء متصلات بالنساء لأنهنّ أمهاتهنّ[1] كما أن: الربائب متصلات بأمهاتهن لأنهنّ بناتهنّ. هذا وقد اتفقوا على أن تحريم أمهات النساء مبهم دون تحريم الربائب، على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى وقد روي عن النبي ﷺ في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه قال: «لا بأس أن يتزوج ابنتها، ولا يحل له أن يتزوج أمها»، (٣٩٢)

---

٣٩٢ ـ تفرد به الترمذي من أصحاب الكتب الستة (٣/ ٤١٦) كتاب النكاح: باب ما جاء فيمن يتزوج المرأة ثم يطلقها حديث برقم (١١١٧).

وأخرجه عبد الرزاق في مصنّفه (٦/ ٢٧٦) كتاب النكاح: باب أمهات نسائكم (١٠٨٢١)، والبيهقي في سننه الكبرى (٧/ ١٦٠) كتاب النكاح باب ما جاء في قوله تعالى ﴿وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾، وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٤٦)، حديث برقم (٨٩٥٦).

---

(١) عاد كلامه. قال: «ولا يجوز الثاني لأن ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض أمر لا يرد إلا أن تقول: أعلقه بالنساء والربائب، واجعل من الاتصال، كقوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ فإني لست منك ولست مني. ما أنا من دد ولا الدد مني. وأمهات النساء متصلات بالنساء لأنهن... إلخ» قال أحمد: يعني أن لهذا الإعراب وجهاً في الصحة، وتكون «من» على هذا مستعملة في معنى واحد من معانيها وهو الاتصال، فيستقيم تعلقها بهما. وقد نقل ذلك عن ابن عباس مذهباً. ونقل أيضاً قراءة عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير: وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن. وكان ابن عباس يقول: والله ما نزل إلا هكذا. انتهى نقل الزمخشري. والقول المشهور عن الجمهور إبهام تحريم المرأة، ويقيد تحريم الربيبة بدخول الأم كما هو ظاهر الآية. ولهذا الفرق سر وحكمة، وذلك لأن المتزوج بابنة المرأة لا يخلو بعد العقد وقبل الدخول من محاورة بينه وبين أمها ومخاطبات ومساورات، فكانت الحاجة داعية إلى تنجيز التحريم ليقطع شوقه من الأم فيعاملها معاملة ذوات المحارم، ولا كذلك العاقد على الأم، فإنه بعيد عن مخاطبة ابنتها قبل الدخول بالأم، فلم تدع الحاجة إلى تعجيل نشر الحرمة. وأما إذا وقع الدخول بالأم فقد وجدت مظنة خلطة الربيبة، فحينئذ تدعو الحاجة إلى نشر الحرمة بينهما، والله أعلم.

وعن عمر وعمران بن الحصين ـ رضي الله عنهما ـ: أن الأم تحرم بنفس العقد، وعن مسروق: هي مرسلة فأرسلوا ما أرسل الله، (٣٩٣) وعن ابن عباس: أبهموا ما أبهم الله، (٣٩٤) إلا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير أنهم قرءوا: «وأمّهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن»، وكان ابن عباس يقول: والله ما نزل إلا هكذا، وعن جابر روايتان، وعن سعيد بن المسيب عن زيد: إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها، كره أن يخلف على أمّها، وإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل، (٣٩٥) أقام الموت مقام الدخول

= وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٤٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٢٩٩) وزاد نسبته إلى أبي قرة في سننه وأبي يعلى الموصلي. قال ابن جرير الطبري: وهذا خبر ـ وإن كان في إسناده ما فيه ـ فإن إجماع الحجة على صحة القول به، مستغن عن الاستشهاد على صحته بغيره.

وقال الترمذي: «هذا حديث لا يصح من قبل إسناده، وإنما رواه ابن لهيعة والمثنى ابن الصباح عن عمر بن شعيب، والمثنى بن الصباح وابن لهيعة يضعفان في الحديث والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي في السنن قال: ذكر المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه: «أيما رجل نكح امرأة فدخل بها فلا يحل له نكاح ابنتها. وإن لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها. وأيما رجل نكح امرأة فدخل بها أو لم يدخل فلا يحل له نكاح أمها» وأخرجه أبو يعلى والبيهقي من طريق ابن مبارك عن المثنى به. والمثنى ضعيف لكن رواه الترمذي والبيهقي أيضاً من طريق ابن لهيعة عن عمرو به وقال: لا يصح، وإنما يرويه المثنى وابن لهيعة وهما ضعيفان. انتهى. ويشبه أن يكون ابن لهيعة أخذه عن المثنى لأن أبا حاتم قال: لم يسمع ابن لهيعة من عمرو بن شعيب شيئاً. فلهذا لم يرتق هذا الحديث إلى درجة الحسن. انتهى.

٣٩٣ ـ أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٤٨٤): كتاب النكاح باب الرجل يطلق المرأة قبل أن يدخل بها أله أن يتزوج أمها حديث (١٦٢٧١).
وعبد الرزاق في مصنّفه (٦/ ٢٧٤): كتاب النكاح: باب «أمهات نسائكم»، حديث (١٠٨١٣).
والبيهقي في سننه الكبرى (٧/ ١٦٠))، كتاب النكاح باب قوله تعالى ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾.
وسعيد بن منصور (٣/ ١٢١٦) حديث برقم (٦٠٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور، (٢/ ٢٤٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.

٣٩٤ ـ أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٤٨٥): كتاب النكاح: باب الرجل يطلق المرأة قبل أن يدخل بها أله أن يتزوج أمها، حديث برقم (١٦٢٦٨).
والبيهقي في سننه الكبرى (٧/ ٦٠): كتاب النكاح: باب قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾.
وسعيد بن منصور في سننه (١/ ٣/ ٢٧٠) باب في الرجل يتزوج المرأة، حديث (٩٣٧).
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٤٢).
وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

٣٩٥ ـ أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنّفه (٣/ ٤٨٤) كتاب النكاح: باب الرجل يطلق المرأة قبل أن =

في ذلك، كما قام مقامه في باب المهر، وسمى ولد المرأة من غير زوجها ربيباً وربيبة؛ لأنه يربهما كما يرب ولده في غالب الأمر، ثم اتسع فيه فسميا بذلك وإن لم يربهما. فإن قلت: ما فائدة قوله «في حجوركم»[1]؟ قلت: فائدته التعليل للتحريم، وأنهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم، وفي حكم التقلب في حجوركم إذا دخلتم بأمّهاتهن، وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والألفة، وجعل الله بينكم المودة والرحمة، وكانت الحال خليقة بأن تجروا أولادهن مجرى أولادكم، كأنكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ، أنه شرط ذلك في التحريم، وبه أخذ داود. فإن قلت: ما معنى ﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾؟ قلت: هي كناية عن الجماع، كقولهم: بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني أدخلتموهن الستر، والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند أبي حنيفة، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه خلا بجارية فجردها، فاستوهبها ابن له فقال: إنها لا تحلّ لك، (٣٩٦) وعن مسروق أنه أمر أن تباع جاريته بعد موته وقال: أما إني لم أصب منها إلا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر، (٣٩٧) وعن الحسن في الرجل يملك الأمة فيغمزها لشهوة أو يقبلها أو يكشفها: أنها لا تحل

= يدخل بها أله أن يتزوج أمها (١٦٢٦٨).

والبيهقي في سننه الكبرى (٧/ ١٦٠): كتاب النكاح باب قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾.

وابن جرير الطبري (٨/ ١٤٥) حديث (٨٩٥٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٤٢)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

٣٩٦ ـ أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٤٧٩): كتاب النكاح باب الرجل يجرد المرأة ويلمسها لا تحل لابنه وإن فعل الأب (١٦٢١٧) وأيضاً (١٦٢١٨) (١٦٢٢١).

وعبد الرزاق في مصنّفه (٦/ ٢٨٠ ـ ٢٨١): كتاب النكاح: باب ما يحرم الأمة والحرة (١٠٨٣٩)، (١٠٨٤٠)، والبيهقي في سننه الكبرى (٧/ ١٦٢): كتاب النكاح: باب ما جاء في معنى الدخول المشروط في تحريم الربيبة ومن لمس جارية...

٣٩٧ ـ أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنّفه (٣/ ٤٨٠) كتاب النكاح: باب في الرجل يجرد المرأة ويلمسها لا تحل لابنه وإن فعل الأب، (حديث برقم (١٦٢٢٣))، وعبد الرزاق في مصنّفه (٦/ ٢٨١) كتاب النكاح: باب ما يحرم الأمة والحرة (١٠٨٤٢)، (١٠٨٤٤).

---

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت: ما فائدة قوله في حجوركم... إلخ» قال أحمد: وهذا ما قدمته من تخصيص أعلى صور المنهي عنه بالمنهي، فإن النهي عن نكاح الربيبة المدخول بأمها عام في جميع الصور، سواء كانت في حجر الزوج أو بائنة عنه في البلاد القاصية، ولكن نكاحه لها وهي في حجره أقبح الصور والطبع عنها أنفر، فخصت بالنهي لتساعد الجبلة على الانقياد لأحكام الملة، ثم يكون ذلك تدريباً وتدريجاً إلى استقباح المحرم في جميع صوره، والله أعلم.

لولده بحال، (٣٩٨) وعن عطاء وحماد بن أبي سليمان: إذا نظر إلىٰ فرج امرأة فلا ينكح أمها ولا ابنتها، (٣٩٩) وعن الأوزاعي: إذا دخل بالأم فعرّاها ولمسها بيده وأغلق الباب وأرخى الستر، فلا يحلّ له نكاح ابنتها، وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار: أن التحريم لا يقع إلا بالجماع وحده، ﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ دون من تبنيتم. وقد تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة، (٤٠٠) وقال عزّ وجلّ: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. (٤٠١) ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟﴾: في موضع الرفع عطف على المحرمات، أي: وحرّم عليكم الجمع بين الأختين، والمراد حرمة النكاح. لأنّ التحريم في الآية تحريم النكاح وأما الجمع بينهما في ملك اليمين، فعن عثمان وعلي ـ رضي الله عنهما ـ أنهما قالا: أحلتهما آية وحرّمتهما آية (٤٠٢) يعنيان هذه الآية وقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾

---

٣٩٨ ـ أخرجه ابن أبي شيبة بنحوه (٣/ ٤٨٠) كتاب النكاح باب في الرجل يجرد المرأة وبلمسها لا تحل لابنه وإن فعل الأب، حديث برقم (١٦٢٢٥).

٣٩٩ ـ أخرجه ابن جرير الطبري (٨/ ١٤٨) حديث (٨٩٥٩) عن عطاء بنحوه.

٤٠٠ ـ مروي عن ابن عباس وطاوس، وعمرو بن دينار.
القول المنسوب لابن عباس. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٧٧): كتاب النكاح: باب قوله «وربائبكم» حديث (١٠٨٢٧).
والبيهقي في سننه الكبرى (٧/ ١٦٢) كتاب النكاح: باب ما جاء في معنى الدخول المشروط في تحريم الربيبة ومن لمس جاريته فأراد ابنه أن يقربها بعدما ملكها، وابن جرير الطبري (٨/ ١٤٧) حديث (٨٩٥٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٤٣) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.
أما المنسوب إلى طاوس.
فقد أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٢٧٧): كتاب النكاح: باب قوله تعالى «وربائبكم» حديث (١٠٨٢٨).

٤٠١ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (١٥/ ٣٦١): كتاب التوحيد: باب «وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم» حديث (٧٤٢١)، و(٧٤٢٠).
ومسلم في صحيحه (٥/ ٢٤٣) كتاب النكاح: باب زواج زينب بنت جحش، حديث (١٤٢٨).
والترمذي في سننه (٥/ ٣٥٤): كتاب التفسير: باب ومن سورة الأحزاب، حديث (٣٢١٣)، (٣٢١٢)، والنسائي (٦/ ٧٩) كتاب النكاح: باب صلاة المرأة إذا حظيت واستخارتها ربها، حديث (٣٢٥١) وأحمد (٣/ ١٩٥) (٣/ ٢٤٦) (٣/ ٢٢٦)، (٣/ ١٦٣) وعبد بن حميد حديث (١٢٠٦) (١٢٠٧)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث أنس بغير هذا اللفظ. انتهى.

٤٠٢ ـ أخرجه مالك (٢/ ٥٣٨) في النكاح، باب ما جاء في كراهية إصابة الأختين بملك اليمين، والمرأة وابنتها (٣٤)، والدارقطني (٣/ ٢٨٢)، والبيهقي (٧/ ١٦٣ ـ ١٦٤) عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب أن رجلاً سأل عثمان بن عفان عن الأختين من ملك اليمين، هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلتهما آية، وحرمتهما آية. فأما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك قال: فخرج من عنده، فلقي رجلاً من =

[النساء: ٣] فرجح عليٌّ التحريم، وعثمانُ التحليل[١]. ﴿إلا ما قد سلف﴾[٢]: ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

= أصحاب رسول الله ﷺ. فسأله عن ذلك، فقال: لو كان لي من الأمر شيء. ثم وجدت أحداً فعل ذلك، لجعلته نكالاً. قال ابن شهاب: أراه علي بن أبي طالب.

وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٤٥٦٧٧) وزاد فعزاه للشافعي وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي شيبة ومسدد والطبري.
وأما أثر علي فأخرجه الدارقطني (٣/ ٢٨٢)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/ ٤٦٨) برقم (٧٣٤) مطولاً، والبيهقي (٧/ ١٦٤).
وذكره الهندي (٤٥٦٩٦) فزاد فعزاه لابن أبي شيبة ومسدد وأبي يعلى والطبري.
وينظر شواهدهما عند الدارقطني والبيهقي، وتلخيص الحبير (٣/ ١٧٣ ـ ١٧٤).
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أما حديث عثمان ففي الموطأ عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب: «أن عثمان سئل عن الأختين، مما ملكت اليمين فقال: لا آمرك ولا أنهاك، أحلتهما آية وحرمتهما أخرى» وأخرجه الشافعي عن مالك وابن أبي شيبة من طريق مالك والدارقطني من طريق معمر عن الزهري وهو أشبه بلفظ المصنّف، وأما حديث علي فرواه البزّار وابن أبي شيبة وأبو يعلى من رواية أبي صالح الحنفي قال: قال علي للناس: سلوني فقال ابن الكوا حدّثنا يا أمير المؤمنين عن الأختين المملوكتين. قال: أحلتهما آية وحرمتهما أخرى وإني لا أحله ولا أنهى عنه ولا أفعله أنا ولا أحد من أهل بيتي. انتهى.

---

(١) أما عثمان فلم أجد عنه التصريح بالتحليل وإنما توقف، وأما على ففي رواية الموطأ ثم خرج السائل فلقي رجلاً من الصحابة قال الزهري أحسبه قال على فسأله فقال له. ولكني أنهاك ولو كان لي سبيل على فعله لجعلته نكالاً.

(٢) قال أحمد: موقع هذا الاستثناء كموقع نظيره المقدم ذكره عند قوله: «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء» على الوجه الذي بينت، وهو أن هذا النهي لكونه جديراً بأن يمتثل أجرى مجرى الإخبار عن امتثاله، حتى كأنه قيل: لا يقع شيء من هذه المحرمات إلا السالف منها لا غير. أو على الوجه الذي بينه الزمخشري فيما تقدم، وهو أن يكون المراد إلا ما قد سلف فإنه غير محرم فتعاطوه إن كان ممكناً، من باب التعليق على المحال بتاً للتحريم، إلا أن الزمخشري لم يسلك هذا المسلك ههنا لأن قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يرشد إلى أن المراد إلا ما قد سلف فإنه مغفور لاستثنائه في الآية الأولى لأنه عقبه ثم بقوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ فقدر في كل آية ما يناسب سياقها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾: القراءة بفتح الصاد، وعن طلحة بن مصرف أنه قرأ بكسر الصاد، وهنّ ذوات الأزواج. لأنهنّ أحصنّ فروجهنّ بالتزويج. فهنّ محصنات ومحصنات، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يريد: ما ملكت أيمانهم من اللاتي سبين ولهنّ أزواج في دار الكفر فهنّ حلال لغزاة المسلمين وإن كنّ محصنات، وفي معناه قول الفرزدق [من الطويل]:

وَذَاتُ حَلِيلٍ أَنْكَحَتْهَا رِمَاحُنَا حَلَالٌ لِمَنْ يَبْنِي بِهَا لَمْ تُطَلَّقِ(١)

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ مصدر مؤكد، أي: كتب الله ذلك عليكم كتاباً وفرضه فرضاً، وهو تحريم ما حرّم. فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾؟ قلت: على الفعل المضمر الذي نصب ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي: كتب الله عليكم تحريم ذلك، وأحلّ لكم ما وراء ذلكم، ويدل عليه قراءة اليماني: «كتب الله عليكم»، «وأحلّ لكم»، وروى عن اليماني: «كتب الله عليكم»، على الجمع والرفع أي: هذه فرائض الله عليكم، ومن قرأ: «وأحلّ لكم»، على البناء للمفعول، فقد عطفه على حرمت. ﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾ مفعول له بمعنى بين لكم ما يحلّ مما يحرم، إرادة أن يكون ابتغاؤكم، ﴿بِأَمْوَٰلِكُم﴾ التي جعل الله لكم قياماً في حال كونكم، ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم، ولا مفسدة أعظم مما يجمع بين الخسرانين، والإحصان: العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام، والأموال: المهور وما يخرج في المناكح. فإن قلت: أين مفعول «تبتغوا»؟ قلت: يجوز أن يكون مقدّراً وهو النساء، والأجود ألاّ يقدر، وكأنه قيل: أن تخرجوا أموالكم، ويجوز أن يكون ﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾ بدلاً من ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾: والمسافح الزاني، من السفح وهو صبّ المنيّ، وكان الفاجر يقول للفاجرة: سافحيني وماذيني من المذي، ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع أو خلوة صحيحة أو عقد عليهنّ ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ عليه، فأسقط الراجع إلى (ما) لأنه لا يلبس، كقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] بإسقاط منه، ويجوز أن تكون (ما) في معنى النساء، و(من) للتبعيض أو البيان، ويرجع الضمير إليه على اللفظ في «به»، وعلى المعنى في ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ﴾: و«أجورهن» مهورهن لأن المهر ثواب على البضع، ﴿فَرِيضَةً﴾: حال من الأجور بمعنى مفروضة أو وضعت موضع إيتاء لأن الإيتاء مفروض أو مصدر مؤكد. أي: فرض ذلك فريضة، ﴿فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾: فيما تحط

---

(١) للفرزدق، أنشده في مجلس الحسن البصري حين سئل رضي الله عنه عن سبي المرأة والتسري بها ولها حليل، فقال: كنت أراك أشعر، فإذا أنت أشعر وأفقه. أي: ورب صاحبة حليل تسببت الرماح في تزويجها، فإسناد الإنكاح إلى الرماح مجاز عقلي، حلال: خبر ذات حليل، والبناء عليها: كناية عن الدخول بها، لأن الزوج يبني لها بيتاً عند الدخول عادة «لم تطلق» جملة حالية من ضمير بها.
ينظر ديوانه: ٢/٥٧٦، الدر المصون ١/٥٤٩.

عنه من المهر، أو تهب له من كله أو يزيد لها على مقداره، وقيل: فيما تراضيا به من مقام أو فراق وقيل: نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام[1] حين فتح الله مكة على رسوله عليه الصلاة والسلام ثم نسخت، كان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً ليلة أو ليلتين أو أسبوعاً بثوب أو غير ذلك، ويقضي منها وطره ثم يسرحها. سميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها، وعن عمر: لا أوتى برجل تزوّج امرأة إلى أجل إلا رجمتهما بالحجارة، (٤٠٢ مكرر) وعن النبي ﷺ أنه أباحها، ثم أصبح يقول: «يَأَيُّها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء، ألا إن الله حرّم ذلك إلى يوم القيامة»، (٤٠٢ أ) وقيل: أبيح مرتين وحرّم مرتين، وعن ابن عباس: هي محكمة، (٤٠٢ ب) يعني لم تنسخ، وكان يقرأ: «فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى»، ويروى أنه رجع عن ذلك عند موته وقال: اللّهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة، وقولي في الصرف (٤٠٢حـ).

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

٤٠٢م ـ أخرجه مسلم وابن حبّان من طريق جابر عنه. انتهى.

٤٠٢أ ـ أخرجه مسلم (٢/١٠٢٦ ـ ١٠٢٧) كتاب النكاح: باب نكاح المتعة حديث (٢٤، ٢٥، ٢٦/ ١٤٠٦)، وأبو داود (٢/٥٥٨ ـ ٥٥٩) كتاب النكاح: باب في نكاح المتعة حديث (٢٠٧٢، ٢٠٧٣)، والنسائي (٦/١٢٦ ـ ١٢٧) كتاب النكاح: باب تحريم المتعة، وابن ماجه (١/ ١٦٣)، كتاب النكاح: باب النهي عن نكاح المتعة حديث (١٩٦٢)، وابن الجارود (٦٩٨، ٦٩٩)، وأحمد (٣/ ٤٠٤) والدارمي (٢/ ١٠٤)، وأبو نعيم (٥/ ٣٦٣٠)، والبيهقي (٧/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) من حديث سبرة بن معبد. ا.هـ.

٤٠٢ب ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أجده. ا.هـ.

٤٠٢جـ ـ قال الحافظ ابن حجر: أما رجوعه عن المتعة فرواه الترمذي بسند ضعيف عنه، وأما قوله: «اللهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة» فلم أجده، وأما قوله: «أتوب إليك من قولي بالصرف» فروى عنه معنى ذلك من أوجه: منها ما رواه أبو يعلى من طريق عبد الرحمن بن أبي نعيم قال: جاء أبو سعيد إلى ابن عباس فذكر مناظرته إياه في الصرف وفيه فقال: فسمعته بعد ذلك يقول: اللهم إني أتوب إليك مما كنت أفتي به الناس في الصرف. وللنسائي في الكنى من وجه آخر عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. أنه سمعه يقول «أستغفر الله وأتوب إليه من قولي في الصرف» ولابن عديّ من رواية داود بن علي عن أبيه عن جده أنه ترك قوله في الصرف حين سمع أبا سعيد يروي النهي عنه. ولابن ماجه من رواية أبي الجوزاء سمعت ابن عباس يأمر بالصرف ثم بلغني أنه رجع. ثم لقيته بمكة فقال نعم إنما كان رأياً مني. وللحاكم من طريقه نحوه. وللطبراني من رواية بكر بن عبد الله المزني مطولاً. وفيه «وإني أستغفر الله وأتوب إليه» وللبخاري في التاريخ من رواية ابن سيرين قال: أشهد على اثني عشر من أصحاب ابن مسعود أنهم شهدوا ابن عباس تاب من قوله في الصرف به. منهم عبيدة السلماني. وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن أبي هشام الواسطي عن زياد قال: كنت مع ابن عبيد بالطائف فرجع عن الصرف قبل أن يموت بسبعين يوماً. انتهى.

---

(١) قوله «في المتعة التي كانت ثلاثة أيام» أي أبيحت هذه المدة ثم نسخت. (ع)

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥) ﴾

الطول: الفضل، يقال: لفلان على فلان طول أي زيادة وفضل، وقد طاله طولاً فهو طائل. قال [من الطويل]:

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِيَ أَنَّنِي ... بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِىءٍ غَيْرِ طَائِلِ (١)

ومنه قولهم: ما حلا منه بطائل، أي: بشيء يعتدّ به مما له فضل وخطر، ومنه الطول في الجسم لأنه زيادة فيه، كما أن القصر قصور فيه ونقصان، والمعنى: ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة(٢) يبلغ بها نكاح الحرّة فلينكح أَمَةً. قال ابن عباس: من ملك ثلاثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الإماء، (٤٠٣) وهو الظاهر، وعليه

---

٤٠٣ ـ أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة (٣/ ٤٣٣): كتاب الحج: باب متى يجب على الرجل الحج، حديث برقم (١٢٧١٦).
وعبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٢٦٤): كتاب النكاح: باب نكاح الحر الأمة، حديث (١٣٠٨٥).
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣٠٥) حديث (٣١٥) وزاد نسبته إلى الثعلبي في تفسيره، =

---

(١) لقد زادني حبًّا لنفسي أنني ... بغيض إلى كل امرىء غير طائل
إذا ما رآني قطع الطرف بينه ... وبيني فعل العارف المتجاهل
للطرماح بن حكيم، يقول: لقد زادني بغضي لغير المحسن حبي لنفسي، لأني إذا كرهته لبخله علمت أني بضده، وأن نفسي كريمة فأحببتها، إذا رآني غض بصره عني، فكأنه قطع امتداده بيني وبينه كما يفعل العارف بالشيء المتغافل عنه، كراهة لرؤيتي، أو استيحاء مني.

(٢) قال محمود: «معناه ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة... إلخ» قال أحمد: وعلى هذا يكون الطول عند أبي حنيفة: وجود الحرة تحته، وهو أحد القولين لمالك رضي الله عنه، لكن يبعد هذا المعنى، لأن الطول عند مالك في أحد قوليه: القدرة بالمال على نكاح الحرة خاصة، حتى لو كانت الحرة تحته فأراد نكاح الأمة عجزاً عن حرة أخرى جاز له ذلك. وفي القول الآخر: الطول أحد الأمرين، إما القدرة بالمال على نكاح الحرة، وإما وجود الحرة تحته حتى لا يجوز له نكاح أمة على حرة إن كان عاجزاً عن حرة أخرى. ومقتضى ما نقله المصنف عن أبي حنيفة: أنه لا يجوز لمن تحته حرة نكاح أمة. وأنه يجوز لمن ليست تحته حرة أن ينكح الأمة ولو كان غنياً، فالمدلول لا يساعده ظاهر الآية، لأن الاستطاعة تثبت وإن لم يفعل المستطيع بمقتضاها ـ فالمستطيع لنكاح الحرة: ومدلوله، وإن لم يكن تحته الحرة. وتفسير الاستطاعة على مذهب أبي حنيفة بعيد جداً.

مذهب الشافعي ـ رحمه الله ـ. وأمّا أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ فيقول: الغنيّ والفقير سواء في جواز نكاح الأمة، ويفسر الآية بأن من لم يملك فراش الحرّة، على أن النكاح هو الوطء، فله أنه ينكح أمة، وفي رواية عن ابن عباس أنه قال: ومما وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان موسراً، (٤٠٤) وكذلك قوله: ﴿مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾: الظاهر ألاّ يجوز نكاح الأمة الكتابية، وهو مذهب أهل الحجاز، وعند أهل العراق يجوز نكاحها، ونكاح الأمة المؤمنة أفضل، فحملوه على الفضل لا على الوجوب، واستشهدوا على أن الإيمان ليس بشرط يوصف الحرائر به، مع علمنا أنه ليس بشرط فيهن على الاتفاق، ولكنه أفضل. فإن قلت: لم كان نكاح الأمة منحطاً عن نكاح الحرة؟ قلت: لما فيه من إتباع الولد الأم في الرق، ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها، ولأنها ممتهنة مبتذلة خرّاجة ولاّجة وذلك كله نقصان راجع إلى الناكح ومهانة، والعزة من صفات المؤمنين، وقوله: ﴿من فتياتكم﴾ أي من فتيات المسلمين، لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين. فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُمْ﴾؟ قلت: معناه أن الله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أرقائكم في الإيمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم، وربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرة، والمرأة أفضل في الإيمان من الرجل وحق المؤمنين ألاّ يعتبروا إلا فضل الإيمان لا فضل الأحساب والأنساب، وهذا تأنيس بنكاح الإماء وترك الاستنكاف منه، ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي أنتم وأرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الإيمان، لا يفضل حر عبداً إلا برجحان فيه، ﴿بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾: اشتراط لإذن الموالي في نكاحهن(١)، ويحتج به لقول أبي حنيفة: إن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن، لأنه اعتبر إذن الموالي لا عقدهم. ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وأدّوا إليهن مهورهن بغير مطل وضرار وإحواج إلى الاقتضاء واللز. فإن قلت: الموالي هم ملاك مهورهن لا هن، والواجب

= وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من رواية النزال بن سبرة عنه بهذا. انتهى.

٤٠٤ ـ لم أقف عليه عن ابن عباس ولكن وجدته منسوباً إلى مجاهد وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة (٣/ ٤٦٦): كتاب النكاح: باب الرجل يتزوج الأمة من كرهه. حديث (١٦٠٦٤)، وعبد الرزاق في مصنّفه (٧/ ٢٦٤) وكتاب النكاح: باب نكاح الحر الأمة (١٣٠٨٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٤) وعزاه لابن المنذر كلّهم نسبه إلى مجاهد.

(١) قال محمود: «هذا اشتراط لإذن الموالي في نكاحهن... إلخ» قال أحمد: وليس في الآية اشتراط إذن المولي لمن يتولى عقد نكاح أمته، ومتولي العقد ومباشرته مسكوت عنه في الآية، فيحمل على إذنه لوكيله في العقد على أمته، ولا يلزم أن تكون الأمة هي المباشرة، ولا دليل في الآية على ذلك، والله أعلم.

أداؤها إليهم لا إليهن، فلم قيل: (وآتوهن)؟ قلت: لأنهن وما في أيديهن مال الموالي، فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالي. أو على أن أصله: فآتوا مواليهن، فحذف المضاف، ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ عفائف، والأخدان: الأخلاء في السرّ، كأنه قيل: غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له، ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ بالتزويج، وقرىء: «أحصن»، ﴿نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ أي: الحرائر، ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: من الحدّ كقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ [النور: ٢] ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ [النور: ٨] ولا رجم عليهن، لأن الرجم لا يتنصف، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى نكاح الإماء، ﴿لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ﴾ لمن خاف الإثم الذي يؤدي إليه غلبة الشهوة، وأصل العنت: انكسار العظم بعد الجبر، فاستعير لكل مشقة وضرر، ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم، وقيل: أريد به الحدّ، لأنه إذا هويها خشي أن يواقعها فيحدّ فيتزوجها، ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ﴾ في محل الرفع على الابتداء، أي: وصبركم عن نكاح الإماء متعففين، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وعن النبي ﷺ: «الحرائر صلاح البيت، والإماء هلاك البيت». (٤٠٥)

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت في: لا أبالك، لتأكيد إضافة الأب، والمعنى: يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم، وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: ويرشدكم إلى طاعات إن قمتم بها كانت كفارات لسيآتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: أن تفعلوا ما تستوجبون به أن يتوب عليكم، ﴿وَيُرِيدُ﴾: الفجرة، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾: وهو الميل عن القصد والحق، ولا ميل أعظم منه

---

٤٠٥ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣٠٥) حديث (٣١٦).
وعزاه إلى الثعلبي، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف. أخرجه الثعلبي من رواية أحمد بن محمد بن عمر بن يونس اليمامي: حدّثنا أحمد بن يوسف العجلي. حدّثنا يونس بن مرداس خادم أنس قال: «كنت مع أنس وأبي هريرة فقال أنس: إني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: من أحب أن يلقي الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر. وقال أبو هريرة سمعته يقول: الحرائر صلاح البيت والإماء فساد البيت. أو قال: هلاك البيت» قلت: في إسناده أحمد بن محمد وهو متروك وكذبه أبو حاتم ويونس لا أعرفه. انتهى.

بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات، وقيل: هم اليهود، وقيل: المجوس. كانوا يحلون نكاح الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت، فلما حرمهنّ الله قالوا: فإنكم تحلون بنت الخالة والعمة، والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخ والأخت فنزلت. يقول تعالىٰ: يريدون أن تكونوا زناة مثلهم «يريد الله أن يخفف عنكم» بإحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص، ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾: لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات، وعن سعيد بن المسيب: ما أيس الشيطان من بني آدم قط إلا أتاهم من قبل النساء، فقد أتى عليّ ثمانون سنة وذهبت إحدى عينيّ وأنا أعشو بالأخرى، وإن أخوف ما أخاف عليّ فتنة النساء، وقرىء: «أن يميلوا» بالياء، والضمير لـ «الذين يتبعون الشهوات»، وقرأ ابن عباس: «وخلق الإنسانَ» على البناء للفاعل ونصب الإنسان وعنه ـ رضي الله عنه ـ: ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت: (٤٠٦) ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ [النساء: ١١٠]، ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا، ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ إلا أن تقع تجارة، وقرىء «تجارة» على: إلا أن تكون التجارة تجارة. ، ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ والاستثناء منقطع. معناه: ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض منكم. أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه، وقوله: (عن تراض) صفة لـ «تجارة»، أي: تجارة صادرة عن تراض، وخص التجارة بالذكر. لأنّ أسباب الرزق أكثرها متعلق بها، والتراضي: رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الإيجاب

---

٤٠٦ ـ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٢٧/٥). باب في معالجة كل ذنب بالتوبة حديث (٧١٤٥).
وعزاه الزيلعي في تخريج (٣٠٦/١) إلى البيهقي والطبراني وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه البيهقي في الشعب في الباب السابع والأربعين من رواية صالح المزي عن قتادة، قال ابن عباس: ثمان آيات في سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس: أولهن: «يريد الله ليبين لكم» فذكره. وهو عند الطبري من هذا الوجه. وصالح ضعيف. وقتادة عن ابن عباس منقطع. انتهى.

والقبول، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وعند الشافعي ـ رحمه الله ـ تفرّقهما عن مجلس العقد متراضيين.، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ من كان من جنسكم من المؤمنين، وعن الحسن: لا تقتلوا إخوانكم، أو لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة. وعن عمرو بن العاص: أنه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ـ، (٤٠٧) وقرأ علي ـ رضي الله عنه ـ: «ولا تقتلوا» بالتشديد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾: ما نهاكم عما يضركم إلا لرحمته عليكم، وقيل: معناه أنه أمر بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصاً لخطاياهم، وكان بكم يا أمة محمد رحيماً حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة.، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى القتل، أي: ومن يُقدم على قتل الأنفس، ﴿عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ لا خطأ ولا اقتصاصاً، وقرىء: «عدواناً» بالكسر، و«نصلَيه» بتخفيف اللام وتشديدها، و«نصليه» بفتح النون من صلاة يصليه، ومنه: شاة مصلية، «ويصليه» بالياء والضمير لله تعالى، أو لذلك، لكونه سبباً للصلي، ﴿نَارًا﴾ أي: ناراً مخصوصة شديدة العذاب، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ لأنّ الحكمة تدعو إليه، ولا صارف عنه من ظلم أو نحوه.

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

﴿كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وقرىء: «كبير ما تنهون عنه»، أي ما كبر من المعاصي التي ينهاكم الله عنها والرسول، ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ نمط ما تستحقونه من العقاب في كل

---

٤٠٧ ـ أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٣) وأبو داود (١/ ٣٣٨) كتاب الطهارة: باب إذا خاف الجنب البرد حديث (٣٣٤)، والدارقطني (١/ ١٧٨) كتاب الطهارة: باب التيمم حديث (١٢)، والحاكم (١/ ١٧٧) والبيهقي (١/ ٢٢٥)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود من رواية عبد الرحمن بن جبير عن ابن العاص قال: «احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت أن أغتسل فأهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ـ ﷺ ـ فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟! فأخبرته الذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يقل شيئاً، وعلقه البخاري فقال: يذكر عن عمرو بن العاص، وهذا الحديث اختلف فيه علي يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أنس عن عبد الرحمن فرواه عنه يحيى بن أيوب هكذا وخالف عمرو بن الحارث سنداً ومتناً: أما السند فزاد بين عبد الرحمن وعمرو أبا قيس مولى عمرو، وأما المتن فقال بدل التيمم: «فتوضأ وغسل مغابنه» ووافق يحيى بن أيوب عليه ابن لهيعة عند إسحاق بن راهويه، وأخرجه أحمد بالسند الأول، وأخرجه ابن حبّان بالسند الثاني، وأخرجه بالسندين الحاكم والدارقطني. انتهى.

وقت على صغائركم، ونجعلها كأن لم تكن، لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها، على عقاب السيئات، والكبيرة والصغيرة إنما وصفتا بالكبر والصغر بإضافتهما إما إلى طاعة أو معصية أو ثواب فاعلهما[1]، والتكفير: إماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد، أو بتوبة، والإحباط: نقيضه، وهو إماطة الثواب المستحق بعقاب أزيد أو بندم على الطاعة، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: الكبائر سبع: الشرك، والقتل، والقذف، والزنا، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، والتعرُّب بعد الهجرة، (٤٠٨) وزاد ابن عمر: السحر، واستحلال البيت الحرام، (٤٠٩) وعن ابن عباس: أن رجلاً قال له: الكبائر سبع؟ فقال: هي إلى سبعمائة أقرب، (٤١٠) لأنه لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار، وروى: إلى سبعين، (٤١١) وقرىء: «يكفر»، بالياء، و«مُدْخَلاً»

---

٤٠٨ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٣٥)، حديث (٩١٧٩).
وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٨٤).
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الطبري من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن سهل بن خيثمة عن أبيه، قال: «إني لفي هذا المسجد مسجد الكوفة وعلي يخطب» فذكره. وقوله: «وزاد ابن عمر استحلال البيت الحرام، أخرجه أبو داود من طريقه مرفوعاً، وأخرجه الثعلبي موقوفاً. انتهى.

٤٠٩ ـ **حديث ابن عمر:**
● أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ١١) باب لين الكلام لوالديه، حديث (٨).
● وابن جرير الطبري (٨/ ٢٣٩) حديث (٩١٨٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٦٢).
وزاد نسبته إلى إسحاق بن راهويه وابن المنذر وعبد بن حميد والقاضي إسماعيل في أحكام القرآن.
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣٠٧)، وزاد نسبته إلى الثعلبي والحديث عند أبي داود مرفوعاً (٣/ ١١٥) كتاب الوصايا: باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم، حديث (٢٨٧٤).
● **أما حديث ابن عباس:**

٤١٠ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٢٤٥)، حديث برقم (٩٢٠٧).
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٦١)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: قال عبد الرزاق: حدّثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال: قيل لابن عباس: الكبائر سبع. قال: هي إلى السبعين أقرب. وروى الطبري من رواية قيس ابن سعد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس «أن رجلاً سأله عن الكبائر سبع؟ قال: هي إلى سبعمائة لأنه لا صغيرة...» إلى آخره. انتهى.

٤١١ ـ أما قوله «إلى سبعين».
أخرجه عبد الرزاق في مصنّفه (١٠/ ٤٦٠): كتاب الجامع باب الكبائر، حديث (١٩٧٠٢).
والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٧٣) باب في حشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم: فصل في =

---

(١) قوله «أو ثواب فاعلهما» أي جزاؤه. ويمكن أن أصل العبارة «ثواب تاركهما» فحرفها الناسخ فلتحرر. (ع)

بضم الميم وفتحها، بمعنى المكان والمصدر فيهما.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟﴾: نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال. لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد، وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق أو قبض ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧] فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علماً بأن ما قسم له هو مصلحته، ولو كان خلافه لكان مفسدة له، ولا يحسد أخاه على حظه، ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟﴾: جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط أو القبض كسباً له، ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ ولا تتمنوا أنصباء غيركم من الفضل، ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد، وقيل: كأن الرجال قالوا: إن الله فضلنا على النساء في الدنيا: لنا سهمان ولهن سهم واحد، فنرجو أن يكون لنا أجران في الآخرة على الأعمال ولهن أجر واحد، فقالت أم سلمة ونسوة معها: ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم. فنزلت.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ تبيين لكل، أي: ولكل شيء مما ترك، ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ من المال ﴿جعلنا موالي﴾ وراثاً يلونه ويحرزونه، أو ولكل قوم جعلناهم موالي، نصيب مما ترك الولدان والأقربون على أن، ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ﴾: صفة لكل، والضمير الراجع إلى كل محذوف، والكلام مبتدأ وخبر، كما تقول: لكل من خلقه الله إنساناً من رزق الله، أي: حظ من رزق الله، أو: ولكل أحد جعلنا موالي مما ترك، أي ورّاثاً مما ترك، على أن (من) صلة موالي، لأنهم في معنى الورّاث، وفي (ترك) ضمير كلّ، ثم فسر الموالي بقوله: ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ كأنه قيل: مَنْ هم؟ فقيل: الوالدان والأقربون، ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ مبتدأ ضمن معنى الشرط. فوقع خبره مع الفاء وهو قوله: ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ ويجوز أن يكون منصوباً على قولك: زيداً فاضربه، ويجوز أن يعطف على «الوالدان»،

= أصحاب الكبائر إذا وافوا القيامة بلا توبة، حديث (٢٩٤)، والطبري (٨/ ٢٤٥) حديث (٩٢٠٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٦١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

ويكون المضمر في (فآتوهم) للموالي، والمراد بالذين عاقدت أيمانكم: موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك، وهدمي هدمك[1]، وثأري ثأرك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، وترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك، وتعقل عني وأعقل عنك، فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف، فنسخ، وعن النبي ﷺ أنه خطب يوم الفتح فقال: «ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به، فإنه لم يزده الإسلام إلا شدة، ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام» (٤١٢) وعند أبي حنيفة: لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا

---

٤١٢ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣١٠) (٣٢٠): غريب بهذا اللفظ ورواه الطبري في تفسيره مفرقاً. وقال ابن حجر: هو مركب من حديثين أخرجهما الطبري من حديث قيس بن عاصم. . .
ومن حديث عمرو بن شعيب.
قلت: أما حديث قيس بن عاصم.
فأخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٢٨٢) (٩٢٩٢) حدّثني يعقوب بن إبراهيم قال: حدّثنا هشيم قال: أخبرنا مغيرة عن أبيه، عن شعبة بن التوأم، عن قيس بن عاصم، أنه سأل النبي ـ ﷺ ـ عن الحلف. فقال: «ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به، ولا حلف في الإسلام».
ورواه أحمد في المسند (٦١١٥).
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٧٦) وعزاه لأحمد ولم يزد على ذلك.
ومن طريق أحمد أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٣٧١١٨) (٨٦٤).
وأخرجه الطيالسي (١٠٨٤) والحميدي (١٢٠٦) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٢٣٩)، والطبراني (١٨/ ٨٦٤١) والطبري في تفسيره (٨/ ٢٨٢) (٩٢٩١) والبزّار (٢/ ٣٨٨) (١٩١٥) كلّهم من طريق جرير بن عبد الحميد عن مغيرة به.
وأخرجه أيضاً أحمد (٥/ ٦١) والطبراني (١٨/ ٨٦٥) والقضاعي في مسند الشهاب (٤٠١٢) (٨٤١)، من طريق عباد بن عباد المهلبي عن شعبة عن مغيرة عن أبيه به.
قلت: «وسقط من المطبوع من الطبراني عن أبيه».
وحديث عمرو بن شعيب:
أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٢٨٤) (٩٢٩٤) من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لما دخل رسول الله ـ ﷺ ـ مكة عام الفتح، قام خطيباً في الناس فقال «يا أيها الناس ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلاّ شدة، ولا حلف في الإسلام».
والبخاري في الأدب المفرد (٥٧٠) مختصراً من طريق خالد بن مخلد ثنا سليمان بن بلال قال: حدّثنا عبد الرحمن بن الحارث عن عمرو بن شعيب به.
والحديث أخرجه الترمذي (١٤٦١٤) ـ كتاب السير (٢٢) ـ باب ما جاء في الحلف (٣٠) (١٥٨٥) بلفظ «أوفوا بحلف الجاهلية فإنه لا يزيدُهُ يعني الإسلام إلاّ شدة ولا تحدّثوا حلفاً في الإسلام».
وقال: حديث حسن صحيح.
وللحديث شاهد من حديث جبير بن مطعم.

---

(١) قوله «دمي دمك وهدمي هدمك» في الصحاح الهدم ـ بالتحريك ـ: ما تهدم من جوانب البئر فسقط فيها. ويقال: دماؤهم بينهم هدم: أي هدر. وهدم أيضاً بالتسكين، إذا لم يودوا. (ع)

على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافاً للشافعي، وقيل: المعاقدة التبني، ومعنى عاقدت أيمانكم: عاقدتهم أيديكم وما سحتموهم، وقرىء «عقّدت» بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم.

= أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٣٢٢) ـ كتاب فضائل الصّحابة (٤٤) ـ باب مؤاخاة النبي ـ ﷺ ـ بين أصحابه (٥٠) (٢٥٣٠).
وأحمد في المسند (٨٣١٤).
وأبو داود في سننه (٣/ ١٢٩) ـ كتاب الفرائض ـ باب في الحلف (٢٩٢٥).
والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٤١) (١٥٩٧).
والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٦٢) ـ كتاب الفرائض ـ باب نسخ التوارث بالتحالف وغيره.
والطبري في تفسيره (٨/ ٢٨٥) (٩٢٩٥).
قلت: وفي الباب عن ابن عباس وأم سلمة وعبد الرحمن بن عوف.
أما حديث ابن عباس:
فأخرجه أحمد (١/ ٣١٧، ٣٢٩)، والطبري (٩٢٨٩)، والطبراني (١١٧٤٠) وحديث أم سلمة.
أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٢٨٣) (٩٢٩٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٣٣٠) (٦٩٠٢).
وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٧٦) وقال: «رواه أبو يعلى والطبراني وفيه جدة بن جدعان ـ تحرفت في المطبوع إلى «ابن أبي مليكة» ـ ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات».
وحديث عبد الرحمن بن عوف.
عند أحمد في المسند (١/ ١٩٠) والطبري في (٨/ ٢٨٦) (٩٢٩٦) قلت:
وأمّا ما أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٣٨) ـ كتاب الكفالة ـ باب قول الله عزّ وجلّ ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ (٢٢٩٤)، ومسلم في صحيحه (٨/ ٣٢١) كتاب فضائل الصّحابة باب مؤاخاة النبي ـ ﷺ ـ بين أصحابه (٥٠) (٢٥٢٩).
وأبو داود (٣/ ١٢٩) ـ كتاب الفرائض ـ باب في الحلف ـ (٢٩٢٦).
من حديث عاصم الأحول قال: قيل لأنس بن مالك: أبلغك أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا حلف في الإسلام»؟ فقال أنس: قد حالف رسول الله ـ ﷺ ـ بين قريش والأنصار في داره وفي لفظ «داري» ولفظ أبي داود «في دارنا» مرتين أو ثلاثاً.
ويجمع بينهما كما قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣١١) وينظر في الجمع بينهما، وكأن المراد نفي التوارث بالحلف. ا.هـ.
وقال الحافظ في الفتح (٥/ ٢٤٠)... قال الطبري ما استدل به أنس على إثبات الحلف لا ينافي حديث جبير بن مطعم في نفيه، فإن الإخاء المذكور كان في أول الهجرة وكانوا يتوارثون به، ثم نسخ من ذلك الميراث وبقي ما لم يبطله القرآن وهوالتعاون على الحق والنصر والأخذ على يد الظالم. ا.هـ.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: هو مركب من حديثين أخرجهما الطبري من حديث قيس بن عاصم «أن النبي ـ ﷺ ـ قال: ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به» ومن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «أن النبي ـ ﷺ ـ قال في خطبته يوم الفتح: فوا بالحلف، فإنه لا يزيده الإسلام إلاّ شدة. ولا تحدّثوا حلفاً في الإسلام» وفي الباب عن جبير بن مطعم رفعه: «لا حلف في الإسلام» أخرجاه. انتهى.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾: يقومون عليهن آمرين ناهين، كما يقوم الولاة على الرعايا، وسموا قوّاماً لذلك، والضمير في، ﴿بَعْضَهُمْ﴾: للرجال والنساء جميعاً، يعني إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال، على بعض وهم النساء، وفيه دليل على أنّ الولاية إنما تستحق بالفضل، لا بالتغلب والاستطالة والقهر، وقد ذكروا في فضل الرجال: العقل، والحزم، والعزم، والقوّة، والكتابة ـ في الغالب ـ والفروسية، والرمي، وأنّ منهم الأنبياء والعلماء، وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى، والجهاد، والأذان، والخطبة، والاعتكاف، وتكبيرات التشريق عند أبي حنيفة، والشهادة في الحدود، والقصاص، وزيادة السهم، والتعصيب في الميراث، والحمالة، والقسامة، والولاية في النكاح والطلاق والرجعة، وعدد الأزواج، وإليهم الانتساب، وهم أصحاب اللحى والعمائم، ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾: وبسبب ما أخرجوا في نكاحهنّ من أموالهم في المهور والنفقات، وروى: أنّ سعد بن أبي الربيع وكان نقيباً من نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير. فلطمها. فانطلق بها أبوها إلى رسول الله ﷺ وقال: أفرشته كريمتي فلطمها فقال: «لتقتص منه» فنزلت، فقال ﷺ: أردنا أمراً وأراد الله أمراً، والذي أراد الله خير، (٤١٣) ورفع القصاص، واختلف في ذلك، فقيل لا قصاص بين الرجل

---

٤١٣ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣١٢) (٣٢١).
وعزاه للثعلبي في تفسيره، والواحدي في أسباب النزول من قول مقاتل: قال: نزلت في سعد بن الربيع.
وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد.
وروى أبو داود في المراسيل (ص٢٢١/ ٢٧٤) والطبري في تفسيره (٨/ ٢٩١) (٩٣٠٤)، وابن أبي شيبة في المصنّف (٥/ ٤١١) (٢٧٤٩٣) ـ عن الحسن: أن رجلاً لطم وجه امرأته، فأتت النبي ـ ﷺ ـ فشكت إليه. فقالت: القصاص فنزلت ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾. . .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٧١) لابن مردويه من حديث علي قال: «أتى النبي ـ ﷺ ـ رجل من الأنصار بامرأة له فقالت: يا رسول الله إن زوجها فلان ابن فلان الأنصاري، وأنه ضربها فأثر في وجهها، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ ليس له ذلك ـ فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ. . .﴾ أي قوامون على النساء في الأدب فقال رسول الله ـ ﷺ ـ أردت أمراً وأراد الله غيره»
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: كذا ذكره الثعلبي والواحدي عن مقاتل به. ولأبي داود =

وامرأته فيما دون النفس ولو شجها، ولكن يجب العقل، وقيل: لا قصاص إلا في الجرح والقتل، وأما اللطمة ونحوها فلا، ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾: مطيعات قائمات بما عليهنّ للأزواج، ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ الغيب خلاف الشهادة. أي: حافظات لمواجب الغيب إذا كان الأزواج غير شاهدين لهنّ حفظهن ما يجب عليهنّ حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والأموال، وعن النبي ﷺ: «خير النساء امرأة إن نظرتَ إليها سرّتك، وإن أمرْتها أطاعتك وإذا غبتَ عنها حفظتك في مالها ونفسها»، وتلا الآية (٤١٤) وقيل: ﴿لِّلْغَيْبِ﴾:

= في المراسيل وابن أبي شيبة والطبري عن الحسن أن رجلاً لطم امرأته فأتت النبي - ﷺ - فشكت إليه. فقال: القصاص. فنزلت ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ ولابن مردويه عن علي بإسناده أو نحوه. ولم يذكر «القصاص» وزاد «أردت أمراً وأراد الله غيره». انتهى.

٤١٤ - روى من حديث ابن عباس، ومن حديث أبي أمامة ومن حديث أبي هريرة ومن حديث عبد الله بن سلام.

أما حديث ابن عباس:

فأخرجه أبو داود في سننه (١/ ٥٢٢) - كتاب الزكاة - باب في حقوق المال (١٦٦٤)، والحاكم في مستدركه (١/ ٤٠٨ - ٤٠٩) كلاهما من طريق يحيى بن يعلى المحاربي ثنا أبي، ثنا غيلان، عن جعفر بن إياس عن مجاهد عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ...﴾... الحديث وفيه «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته».

وقال الحاكم «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.

وأخرجه الحاكم أيضاً (٢/ ٣٣٣) من طريق يحيى بن يعلى بن الحارث المحاربي ثنا أبي ثنا غيلان بن جامع عن عثمان بن القطان الخزاعي عن جعفر بن إياس عن مجاهد عن ابن عباس به.

فزاد في الإسناد «عثمان بن القطان الخزاعي» وقال «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

ولكن قال الذهبي و«عثمان» لا أعرفه والخبر عجيب.

قلت: وقول الحاكم «عثمان بن القطان الخزاعي» خطأ ولذلك قال الذهبي لا أعرفه. وإنما هو «عثمان أبي اليقظان».

كذا أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٨٣) من طريق يحيى بن يعلى بن الحارث ثنا أبي ثنا غيلان يعني ابن جامع عن عثمان أبي اليقظان عن جعفر بن إياس به.

ثم ذكره من روايته عن شخيه الحاكم بإسناده من طريق إبراهيم بن إسحاق الزهري ثنا يحيى ابن يعلى بن الحارث فذكره... قال البيهقي - «وقصر به بعض الرواة عن يحيى فلم يذكر في إسناده عثمان أبا اليقظان» ا. هـ.

و«عثمان» هذا هو ابن عُمَيْر - وهو عثمان بن أبي حُميد أيضاً البَجَلي أبو اليقظان الكوفي الأعمى.

قال الحافظ في التقريب (٢/ ١٣) ضعيف، واختلط، وكان يدلس ويغلو في التشيع.

وقال المناوي في فيض القدير (٢/ ٢٥٣) (١٧٧٤) نقلاً عن الذهبي في المهذب «فيه عثمان أبو اليقظان ضعفوه».

وأما حديث أبي أمامة:

فأخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ٥٩٦) - كتاب النكاح (٩) - باب أفضل النساء - (١٨٥٧) والطبراني =

لأسرارهم، ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾: بما حفظهنّ الله حين أوصى بهنّ الأزواج في كتابه وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام فقال: «استوصوا بالنساء خيراً» (٤١٥) أو بما حفظهنّ الله

= في «المعجم الكبير» (٨/ ٢٦٤) (٧٨٨١) كلاهما من طريق هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد ثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ـ ﷺ ـ أنه كان يقول «ما استفاد المسلم فائدة. . .» الحديث.

قال في الزوائد: في إسناده علي بن يزيد، قال البخاري: منكر الحديث، وعثمان بن أبي العاتكة مختلف فيه.

وأما حديث أبي هريرة:

أخرجه النّسائي في سننه (٦/ ٦٨) ـ كتاب النكاح (٢٦) ـ باب أي النساء خير (١٤) ـ (٣٢٣١) والحاكم (٢/ ١٦١)، أحمد (٢/ ٢٥١، ٤٣٢، ٤٣٨).

والبيهقي في الكبرى (٧/ ٨٢) ـ كتاب النكاح ـ باب استحباب التزوج بالودود الولود كلّهم من طريق ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ سئل أي النساء خير قال «التي تسره. . .» الحديث.

وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي.

وتصحيح الحاكم فيه نظر.

فإن «محمد بن عجلان» صدوق كما في التقريب (٢/ ١٩٠) (٥٢٤) وهو متكلم فيه خاصة في روايته عن سعيد عن أبي هريرة ـ انظر الثقات لابن حبّان (٧/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧) فالحديث حسن فحسب والله المستعان.

ولابن عجلان متابع أخرجه الطيالسي (ص٣٠٦ رقم ٢٣٢٥) والطبري في تفسيره (٨/ ٢٩٥) (٩٣٢٨) ثنا أبو معشر عن سعيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك. . .» وزاد في آخره قال وتلا هذه الآية «الرجال قوامون على النساء».

وأبو معشر اسمه نجيح بن عبد الرحمن السندي ضعيف. التقريب (٢/ ٢٩٨).

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣١٤) للثعلبي وابن مردويه.

وأما حديث عبد الله بن سلام:

فذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٧٦) وقال «رواه الطبراني وفيه رزيك بن رزيك، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات».

قلت: نقل الشيخ الألباني في الصّحيحة (٤/ ٢٧٤) (١٦٩٨) توثيق «رزيك» عن يحيى بن معين، وابن الجنيد. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود والحاكم والترمذي من رواية مجاهد عن ابن عباس «لما نزلت الذين يكنزون الذهب والفضة، الحديث ـ وفيه ألا أخبركم بخير ما يكنز: المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته. وإذا غاب عنها حفظته» والنّسائي من رواية سعيد المقبري عن أبي هريرة قال «سئل النبي ـ ﷺ ـ عن خير النساء فقال: التي تطيع إذا أمر وتسر إذا نظر. وتحفظه في نفسها وماله» وإسناده حسن. وأخرجه البزّار والحاكم والطبري وغيرهم من طرق عن سعيد. وفي الباب عن أبي أمامة عند ابن ماجه وإسناده ساقط. وعن عبد الله بن سلام عند الطبراني. وعن ثوبان وغيرهم. انتهى.

٤١٥ ـ تقدم برقم (٣٩٠)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث أبي حازم عن أبي هريرة. وقد تقدم من وجه آخر. انتهى.

وعصمهنّ ووفقهنّ لحفظ الغيب، أو بما حفظهنّ حين وعدهنّ الثواب العظيم على حفظ الغيب، وأوعدهنّ بالعذاب الشديد على الخيانة، و(ما) مصدرية، وقرىء «بما حفظَ اللهَ» بالنصب على أن «ما» موصولة، أي: حافظات للغيب بالأمر الذي يحفظ حق الله وأمانة الله، وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم، وقرأ ابن مسعود: «فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فأصلحوا إليهنّ». نشوزها ونشوصها: أن تعصي زوجها، ولا تطمئن إليه وأصله الانزعاج، ﴿فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾: في المراقد. أي: لا تداخلوهنّ تحت اللحف أو هي كناية عن الجماع، وقيل: هو أن يوليها ظهره في المضجع وقيل: «في المضاجع»: في بيوتهن التي يبتن فيها. أي: لا تبايتوهن، وقرىء: «في المضجع»، و«في المضطجع»، وذلك لتعرّف أحوالهن وتحقق أمرهن في النشوز أمر بوعظهن أوّلاً[1]، ثم هجرانهن في المضاجع، ثم بالضرب إن لم ينجع فيهن الوعظ والهجران، وقيل: معناه أكرهوهن[2] على الجماع واربطوهن، من هجر البعير إذا شدّه بالهجار، وهذا من تفسير الثقلاء، وقالوا: يجب أن يكون ضرباً غير مبرِّح لا يجرحها ولا يكسر لها عظماً ويجتنب الوجه، وعن النبيّ ﷺ: «علق سوطك حيث يراه أهلك» (٤١٦)

---

٤١٦ ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص١٧٩).
وعبد الرزاق في مصنّفه (٤٤٧١٩) (١٧٩٦٣).
والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٣٤٥) (١٠٦٧٢).
وابن عديّ في الكامل: (٢/ ٩٥٧).
كلّهم من طريق ابن أبي ليلى عن داود بن علي عن أبيه عن ابن عباس مرفوعاً.
قلت: وتوبع داود بن علي من أخويه عيسى وعبد الصمد.
أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٣٤٥) (١٠٦٧١).
من طريق سلام بن سليمان ثنا عيسى وعبد الصمد أنبأ علي بن عبد الله بن عباس عن أبيهما عن ابن عباس مرفوعاً «علقوا السوط...».
وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢/ ٢٠٣) من طريق المأمون أمير المؤمنين يقول حدّثني أبي عن أبيه عن عمه عبد الصمد بن علي به. =

---

(١) قال محمود: «أمر الله بوعظهن أولاً... إلخ» قال أحمد: وهذا الترتيب بين هذه الأفعال المعطوفة غير متلقي من صيغة لفظية، إذ العطف بالواو وهي مسلوبة الدلالة على الترتيب متمحضة الإشعار بالجمعية فقط. وإنما يتلقى الترتيب المذكور من قرائن خارجة عن اللفظ مفهومة من مقصود الكلام وسياقه.

(٢) عاد كلامه. قال محمود: «وقيل معناه أكرهوهن... إلخ» قال أحمد: ولعل هذا المفسر يتأيد بقوله: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ فإنه يدل على تقدم إكراه على أمر ما، وقرينة المضاجع ترشد إلى أنه الجماع. وإطلاق الزمخشري لما أطلقه في حق هذا المفسر من الإفراط.

وعن أسماء بنت أبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنهما ـ: كنت رابعة أربع نسوة عند الزبير بن العوّام، فإذا غضب على إحدانا ضربها بعود المشجب[1] حتى يكسره عليها، (٤١٧) ويروى عن الزبير أبيات منها [من الطويل]:

وَلَـوْلاَ بَـنُـوهَـا حَـوْلَـهَـا لَـخَـبَـطْـتُـهَـا ....

﴿فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: فأزيلوا عنهن التعرض بالأذى والتوبيخ والتجني، وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن إلى الطاعة والانقياد وترك النشوز،

= وقال الهيثمي في المجمع (١٠٩١٨) «رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه والبزّار، وقال: حيث يراه الخادم، وإسناد الطبراني فيهما حسن».
وللحديث شاهد من حديث ابن عمر.
أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/٣٣٢) حدّثنا حبيب بن الحسن ثنا عبد الله بن إبراهيم الأكفاني ثنا إسحاق بن بهلول ثنا سويد بن عمرو الكلبي ثنا الحسن بن صالح عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت».
وحديث جابر.
عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣١٦/١) لابن عديّ في الكامل ـ (٩٥٧/٢) ـ من حديث عباد بن كثير الثقفي عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ـ ﷺ ـ قال «رحم الله رجلاً علق في بيته سوطاً يؤدب به أهله».
وقال الحافظ ابن حجر وفي إسناد عباد بن كثير وهو ضعيف، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث ابن عباس. وفيه ابن أبي ليلى القاضي وفيه ضعف. وفي الباب عن ابن عمرو أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة الحسن بن صالح من روايته عن عبد الله بن دينار عنه، بلفظ «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت» وعن جابر رفعه «رحم الله رجلاً يعلق السوط حيث يراه أهل البيت» وعن جابر رفعه «رحم الله رجلاً يعلق في بيته سوطاً يؤدب به أهله» وفي إسناده عباد بن كثير وهو ضعيف. انتهى.

٤١٧ ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٤١/٩ ـ ٤٤٢) (١٧٩٤١) عن معمر عن هشام بن عروة أن الزبير كان يضرب نساءه، حتى يكسر على إحداهن أعواد المشجب.
وابن أبي شيبة (٢٢٣١٥) ـ كتاب الأدب ـ باب في الرجل يؤدب امرأته ـ (٢٥٤٥٥) حدّثنا حفص بن غياث عن هشام به. وفي المطبوع منه «وكان يكسر عليهن عيدان الساحب» والصواب «المشاجب» وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣١٦/١) للثعلبي من حديث أبي أسامة، عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: كنت رابعة أربع نسوة... فذكره بلفظ المصنّف سواء.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عنها بهذا وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن هشام عن أبيه قال: «كان الزبير شديداً على النساء ويكسر عليهم عيدان المشاجب» وقال ابن أبي شيبة حدّثنا حفص بن غياث، حدّثنا هشام به. انتهى.

---

(١) قوله «ضربها بعود المشجب» في الصحاح: المشجب الخشبة التي تلقي عليها الثياب. (ع)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾: فاحذروه واعلموا أنّ قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم، ويروى: أن أبا مسعود الأنصاري رفع سوطه ليضرب غلاماً له، فبصر به رسول الله ﷺ، فصاح به: «أبا مسعود، للَّهُ أقدر عليك منك عليه» فرمى بالسوط وأعتق الغلام .(٤١٨) أو إن الله كان علياً كبيراً وإنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه، ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن يجني عليكم إذا رجع.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾: أصْله: شقاقاً بينهما، فأضيف الشقاق إلى الظرف على طريق الاتساع، كقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] وأصله: بل مكر في الليل والنهار. أو على أن جعل البين مشاقاً والليل والنهار ماكرين، على قولهم: نهارك صائم، والضمير للزوجين، ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما، وهو الرجال والنساء، ﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾: رجلاً مقنعاً رضياً يصلح لحكومة العدل والإصلاح بينهما، وإنما كان بعث الحكمين من أهلهما، لأنّ الأقارب أعرف ببواطن الأحوال، وأطلب للصلاح، وإنما تسكن إليهم نفوس الزوجين، ويبرز إليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة، وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الأجانب ولا يحبان أن يطلعوا عليه. فإن قلت: فهل يليان الجمع بينهما والتفريق إن رأيا ذلك؟ قلت: قد اختلف فيه، فقيل: ليس إليهما ذلك إلا بإذن الزوجين، وقيل: ذلك إليهما، وما جعلا حكمين إلا وإليهما بناء الأمر على ما يقتضيه اجتهادهما، وعن عبيدة السلماني: شهدت علياً ـ رضي الله عنه ـ وقد

---

٤١٨ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٦/ ١٤٢ ـ نووي) ـ كتاب الأيمان (٢٧) ـ باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده (٨) حديث رقم (١٦٥٩).
وأبو داود (٣٤٠١٤) ـ كتاب الأدب ـ باب في حق المملوك ـ (٥١٥٩).
والترمذي (٤/ ٣٣٥) ـ كتاب البر والصلة (٢٨) ـ باب النهي عن ضرب الخدم وشتمهم ـ (١٩٤٨)
وأحمد (١٢٠١٤)، (٥/ ٢٧٣).
والبخاري في الأدب المفرد (١٧١).
وعبد الرزاق في المصنف (٩/ ٤٤٦) (١٧٩٥٩).
كلّهم من طريق سليمان الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: قال أبو مسعود البدري، كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً... الحديث.
وقال الترمذي: حسن صحيح.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من حديثه نحوه وقال في آخره. «أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار». انتهى.

جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد منهما فئام[1] من الناس، فأخرج هؤلاء حكماً وهؤلاء حكماً. فقال عليّ ـ رضي الله عنه ـ للحكمين: أتدريان ما عليكما؟ إن عليكما إن رأيتما أن تفرقا فرقتما، وإن رأيتما أن تجمعا جمعتما. فقال الزوج: أما الفرقة فلا. فقال عليّ: كذب والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك. فقالت المرأة: رضيت بكتاب الله لي وعليّ، (٤١٩) وعن الحسن: يجمعان ولا يفرقان، وعن الشعبي: ما قضى الحكمان جاز، والألف في، ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا﴾: للحكمين، وفي، ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾: للزوجين أي: إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله، بورك في وساطتهما، وأوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة، وألقى في نفوسهما المودّة والرحمة، وقيل: الضميران للحكمين. أي: إن قصدا إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما، فيتفقان على الكلمة الواحدة، ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد، وقيل: الضميران للزوجين. أي: إن يريدا إصلاح ما بينهما وطلبا الخير وأن يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الألفة، وأبدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة. ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾: يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾[الأنفال: ٦٣].

﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا

---

٤١٩ ـ أخرجه الشافعي في الأم (٥/ ١٧٧) من طريق عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن أيوب ابن أبي تميمة عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني أنه قال في هذه الآية ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا . . .﴾.

قال: جاء رجل وامرأة إلى علي ـ رضي الله عنه ـ. . . فذكره.

وكذلك أخرجه الدارقطني في سننه (٢٩٥١٣) ـ كتاب النكاح ـ (١٨٨).

وعبد الرزاق في المصنّف (٦/ ٥١٢) (١١٨٨٣) عن معمر عن أيوب به.

والطبري في تفسيره (٨/ ٣٢٠) (٩٤٠٧) عن يعقوب بن إبراهيم ثنا أبي علية عن أيوب به والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) ـ كتاب القسم والنشوز ـ باب الحكمين في الشقاق بين الزوجين ومعرفة السنن والآثار (٥/ ٤٣٦) ـ كتاب الصداق ـ باب الحكمين في الشقاق بين الزوجين ـ (٤٣٨٩).

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه الشافعي من رواية ابن سيرين عنه. وعبد الرزاق والدارقطني والطبري وغيرهم من طريقه. انتهى.

---

(١) قوله: «فئام من الناس» في الصحاح: الفئام الجماعة من الناس، لا واحد له من لفظه اهـ. (ع)

﴿مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: وأحسنوا بهما إحساناً، ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو غيرهما، ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: الذي قرب جواره، ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: الذي جواره بعيد، وقيل الجار: القريب النسيب، والجار الجنب: الأجنبي، وأنشد لبلعاء بن قيس [من المنسرح]:

لاَ يَجْتَوِينَا مُجَاوِرٌ أَبَداً ذُو رَحِمٍ أَوْ مُجَاوِرٌ جُنُبُ[1]

وقرىء: «والجار ذا القربى»، نصباً على الاختصاص. كما قرىء ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] تنبيهاً على عظم حقه لإدلائه بحق الجوار والقربى، ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾: هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك، إما رفيقاً في سفر، وإما جاراً ملاصقاً، وإما شريكاً في تعلم علم أو حرفة، وإما قاعداً إلى جنبك في مجلس أو مسجد أو غير ذلك، من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه. فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه، وتجعله ذريعة إلى الإحسان، وقيل: الصاحب بالجنب: المرأة، ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر المنقطع به، وقيل: الضيف، والمختال: التياه الجهول الذي يتكبر عن إكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه، فلا يتحفى بهم[2] ولا يلتفت إليهم، وقرىء: «والجار الجنب»، بفتح الجيم وسكون النون.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾: بدل من قوله: ﴿مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ أو نصب على الذم، ويجوز أن يكون رفعاً عليه، وأن يكون مبتدأ خبره محذوف، كأنه قيل: الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون، أحقاء بكل ملامة، وقرىء «بالبخل» بضم الباء وفتحها، وبفتحتين، وبضمتين: أي: يبخلون بذات أيديهم، وبما في أيدي غيرهم. فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتاً للسخاء ممن وجد، وفي أمثال العرب: أبخل من الضنين بنائل غيره. قال [من الطويل]:

وَإِنَّ امْرَأً ضَنَّتْ يَداه عَلَى امْرِئٍ بِنَيْلِ يَدٍ مِنْ غَيْرِهِ لَبَخِيلُ[3]

---

(١) لبلغان بن قيس. ويروي: بلعاء. والرحم: القرابة. والجنب: صفة مشبهة بمعنى الأجنبي، يستوى فيه المذكر والمؤنث، والواحد والمتعدد. يقول: لا يكرهنا الجار النسيب، ولا الجار الجنيب أبداً، لحسن عشرتنا.

(٢) قوله «فلا يتحفى بهم» في الصحاح: تحفيت به، أي بالغت في إكرامه وإلطافه. (ع)

(٣) سأقطع أرسان القباب بمنطق قصير عناء الفكر فيه طويل

ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل، من إذا طرق سمعه أنّ أحداً جاد على أحد. شخص[(1)] به وحلّ حبوته، واضطرب، ودارت عيناه في رأسه، كأنما نهب رحله وكسرت خزانته، ضجراً من ذلك وحسرة على وجوده، وقيل: هم اليهود، كانوا يأتون رجالاً من الأنصار يتنصحون لهم ويقولون: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون، وقد عابهم الله بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر إلى الناس، وعن النبي ﷺ: «إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته على عبده(٤٢٠)» وبنى عامل

---

٤٢٠ ـ ورد الحديث عن جماعة من الصّحابة.

عبد الله بن عمرو بن العاص، وابن أبي الأحوص، وعمران بن حصين، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري وجابر.

● **أما حديث عبد الله بن عمرو:**

فأخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ١٢٣ ـ ١٢٤) ـ كتاب الأدب (٤٤) ـ باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده. ـ (٢٨١٩).

وقال: حديث حسن.

والحاكم في المستدرك (٤/ ١٣٥)؛ كلاهما من طريق همام عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ . . .﴾ الحديث.

ولفظ الحاكم «كلوا واشربوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة إن الله تعالى يحب. . .».

وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

● **حديث ابن أبي الأحوص:**

أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤) ثنا بهز بن أسد قال ثنا حماد بن سلمة قال أنا عبد الملك بن عمير =

= وإن امرأ ضنت يداه على امرئ ... بنيل يد من غيره لبخيل

لأبي تمام. وقيل للبحتري. والأرسان: الحبال. والقباب التي لها أرسان: البيوت المنسوجة، جمع قبة وهي الخيمة. وهودج مقبب: فوقه قبة. والمراد أنه يتسبب في ارتحال قوم بخلاء، ففيه مجاز عقلي حيث أسند القطع إلى سببه، وكناية حيث عبر عن الارتحال بقطع حبال البيوت. ويجوز أن المراد أنه يسكت قوماً يدعون الفخر، ويهدم شرفهم وعظمتهم، ويظهر ضعتهم وخستهم، فشبه تلك الحال بحال قطع حبال البيوت المرتفعة المطنبة، فتنخفض بعد ارتفاعها وتخر ساقطة بعد انتصابها، على سبيل الاستعارة التمثيلية، وهذا أقرب إلى المقام، ويجوز أنه شبه المفاخر بالقباب بجامع العظم ومطلق الشرف والعلو في كل على طريق التصريح، وإثبات الأرسان لها ترشيح، أي: سأبطل دعوى من يدعي المفاخر وليس من أهلها بقول قصير ولكن تعب الفكر فيه طويل المدة. وفيه الطباق بين القصير والطويل. وبين ذلك المنطق بقوله «وإن امرءًا بخلت يداه» وأسند البخل إلى اليد لأنها آلة الإعطاء، فكأن المنع منها بنيل يداي نعمة، ويحتمل أن اليد حقيقة، وأضاف النيل إليها لأنها آلته «لبخيل» أي لبليغ في البخل، فالتنوين للتعظيم.

(١) قوله «شخص به وحل حبوته» في الصحاح: يقال للرجل إذا ورد عليه أمر أقلقه: شخص به. (ع)

للرشيد قصراً حذاء قصره، فنمّ به عنده. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن الكريم يسره أن

= عن أبي الأحوص أن أباه أتى النبي - ﷺ - وهو أشعث سيء الهيئة...

والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٨٣) (٦٦٣).

وابن حبّان في صحيحه (١٢/ ٢٣٥) (٥٤١٧).

كلاهما من طريق سليمان بن الحسن العطار ثنا هدبة بن خالد ثنا حماد بن سلمة به.

قلت: وأخرجه الحاكم أيضاً في مستدركه (١/ ٢٥) - كتاب الإيمان.

وليس فيه «إن الله إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن ترى عليه».

وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه لأن مالك بن نضلة الحبشمي ليس له راو غير إبنه أبي الأحوص وقد خرج مسلم عن أبي المليح بن أسامة عن أبيه وليس له راو غير ابنه وكذلك عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه وهذا أولى من ذلك كلّه. ا.هـ.

● **عمران بن حصين:**

أخرجه أحمد (٤/٤٣٨).

وابن سعد في الطبقات (٤/٢١٨)، (٧١٧).

والبيهقي في «الشعب» (٥/ ١٦٣) (باب في الملابس والأواني - فضل فيمن لبس ليرى أثر نعمة الله عليه» وفي الكبرى (٣/ ٢٧١) - كتاب صلاة الخوف - باب الرخصة للرجال في لبس الخز - (٦٢٠٠).

والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ١٣٥) (٢٨١).

كلّهم من طريق روح بن عبادة ثنا شعبة عن الفضيل بن فضالة ثنا أبو رجاء العطاردي قال: خرج علينا عمران بن الحصين وعليه مطرف من خز وقال: إن رسول الله - ﷺ - قال «إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثر نعمته عليه».

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٣٥) «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات».

قلت: ووقع في المطبوع من طبقات ابن سعد «مفضل بن فضالة رجل من قريش عن أبي رجاء العطاردي به».

وهذا خطأ إنما هو «الفضيل بن فضالة» القيسي البصري.

روى عن عبد الرحمن بن أبي بكرة... وأبي رجاء العُطاردي.

روى عنه: شعبة بن الحجاج.

قال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين، فضيل بن فَضَالة الذي روى عنه شعبة ثقة.

وقال أبو حاتم: شيخ - الجرح والتعديل (٧/ ٧٤) (٤٢٠).

وقال ابن شاهين في «الثقات» قال شعبة: ثقة الترجمة (١٠٦٩).

وقال الحافظ في التقريب (٢/ ١١٣)، صدوق من السادسة.

قلت: وللحديث طريق آخر عند الطبراني في الكبير (١٨/ ١٨١) (٤١٨) عن يزيد بن هارون أنا زياد الجصاص ثنا الحسن ثنا عمران بن حصين... فذكره.

● **وأما حديث أبي هريرة:**

فأخرجه أحمد (٢/ ٤٠٣) ثنا أحمد بن عبد الملك ثنا شريك عن ابن وهب عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ - «ما أنعم الله على عبد نعمة إلاّ وهو يحب أن يرى أثرها عليه».

وعزاه الزيلعي وابن حجر لإسحاق بن راهويه في مسنده. =

يرى أثر نعمته، فأحببت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك، فأعجبه كلامه، وقيل: نزلت في

= وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٣٥) رواه أحمد وفيه يحيى بن عبيد الله بن وهب وهو ضعيف.
قلت: وأخرجه أيضاً البيهقي في «الشعب» (٥/ ١٦٣) (٦٦٠٢) أخبرنا أبو الطاهر الفقيه أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا حاتم بن يونس الجرجاني ثنا إسماعيل بن سعيد الجرجاني ثنا عيسى ابن خالد البلخي ثنا ورقاء عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً «إن الله عزّ وجلّ إذا أنعم على عبد...».

● **حديث أبي سعيد الخدري**:

أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٢/ ٣٢٠) (١٠٥٥).
والبيهقي في «الشعب» (٥/ ١٦٣) (٦٢٠١).
كلاهما من طريق عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا عمران بن محمد بن أبي ليلى عن أبيه عن عطية عن أبي سعيد.
قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى نعمته على عبده».
وزاد البيهقي «ويبغض البؤس والتباؤس».
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٣٥) وقال: «رواه أبو يعلى وفيه عطية العوفي وهو ضعيف وقد وثق». ا.هـ.

● **ابن عمر**:

أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٣٩١٥) (٤٦٦٥) ثنا أبو زرعة قال: حدّثنا سليمان بن عبد الرحمن، قال: حدّثنا عيسى بن موسى الدمشقي عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً «من سحب ثيابه لم ينظر الله إليه...» الحديث وفيه «إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده...».
وقال الطبراني، لم يرو هذا الحديث عن عطاء الخراساني إلاّ عيسى بن موسى تفرد به سلمان بن عبد الرحمن.

● **وأما حديث جابر**:

فذكره الزيلعي في تخريج الكشاف وعزاه لابن عديّ في الكامل، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن حبّان والحاكم من رواية أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن أبيه «أن النبي ـ ﷺ ـ رآه في هيئة سيئة فقال: أما لك مال؟ فقال: من كل المال آتاني الله. قال: فهلا عليك. إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن ترى عليه» والترمذي عن همام عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» والطبراني من حديث عمران بن حصين نحوه ولأحمد وإسحاق من رواية ابن وهب عن أبي هريرة رفعه «ما أنعم الله على عبد نعمة إلاّ وهو يحب أن يرى أثرها عليه» ولأبي يعلى والبيهقي في الشعب من رواية عطية عن أبي سعيد رفعه «إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى نعمته على عبده، ويبغض البؤس والتبؤس» ولابن عديّ عن جابر رفعه «إن الله ليحب أن يرى أثر نعمته على عبده» وفيه عصمة بن محمد الأنصاري وهو منكر الحديث والطبراني في مسند الشاميين عن أنس رفعه «إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده» وهو من رواية عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عنه. ورواه في الأوسط من رواية موسى بن عيسى القرشي عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر نحوه. انتهى.

شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله ﷺ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: للفخار، وليقال: ما أسخاهم وما أجودهم! لا ابتغاء وجه الله، وقيل: نزلت في مشركي مكة المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله ﷺ، ﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾ حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر، ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأنّ الشيطان يقرن بهم في النار، ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾: وأي تبعة ووبال عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل الله، والمراد الذم والتوبيخ، وإلا فكل منفعة ومفلحة في ذلك، وهذا كما يقال للمنتقم: ما ضرك لو عفوت، وللعاق: ما كان يرزؤك لو كنت باراً، وقد علم أنه لا مضرة ولا مرزأة في العفو والبر، ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾: وعيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾

الذرّة: النملة الصغيرة، وفي قراءة عبد الله: «مثقال نملة»، وعن ابن عباس: أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال: كل واحدة من هؤلاء ذرة، وقيل: كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة، وفيه دليل على أنه لو نقص من الأجر أدنى شيء وأصغره، أو زاد في العقاب لكان ظلماً، وأنه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾: وإن يكن مثقال ذرّة حسنة وإنما أنث ضمير المثقال[1] لكونه مضافاً إلى مؤنث، وقرىء ـ بالرفع ـ على «كان التامة»، ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾: يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الأوقات المستقبلة غير المتناهية، وعن أبي عثمان النهدي أنه قال لأبي هريرة: بلغني عنك أنك تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى يعطي

(١) قال محمود: «وإنما أنث الضمير وهو للمثقال... إلخ» قال أحمد: وقد تقدم له مثل ذلك في قوله: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ وقد بينا ثم أن عوده إلى الحفرة جائز، بل أولى. وكذلك عوده ههنا إلى الذرة. ولا يمنع ذلك كون المضاف إليه غير مخبر عنه، لأن عود الضمير لا يستلزم الإخبار عنه في الكلام الأول. ويجوز: كانت دابتك، وكل ذلك أسهل من اكتساب المضاف للتأنيث من المضاف إليه. فقد نص أبو علي في التعاليق على أنه شاذ.

عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة» (٤٢١) قال أبو هريرة: لا، بل سمعته يقول: «إن الله تعالى يعطيه ألفي ألف حسنة» ثم تلا هذه الآية، والمراد الكثرة لا التحديد، ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيماً وسماه (أجراً) لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته. قرىء: «يضعفها» بالتشديد والتخفيف، من أضعف وضعف وقرأ ابن هرمز: «نضاعفها» بالنون، ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم، ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم، كقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. ، ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ المكذبين، ﴿شَهِيدًا﴾: وعن ابن مسعود أنه قرأ سورة النساء على رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فبكى رسول الله ﷺ وقال: «حسبنا»، (٤٢٢) ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ

---

٤٢١ ـ أخرجه أحمد في المسند (٢/٢٩٦).
وابن جرير الطبري في تفسيره (٥/٣٦٦) (٩٥١٠).
والبزّار كما في كشف الأستار (٤/٨٦).
كلّهم من طريق يزيد بن هارون عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي قال: لقيت أبا هريرة فقلت له...
وأخرجه أحمد أيضاً (٢/ ٥٢١ ـ ٥٢٢).
والبيهقي في الزهد (ص٢٧٨) (٧١٣).
كلاهما من طريق سليمان المغيرة عن علي بن زيد به.
وقال الهيثمي في المجمع (١٠/١٤٨) رواه أحمد بإسنادين والبزّار بنحوه وأحد إسنادي أحمد جيد.
وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف (٧/ ١٢٧) (٣٤٧٠٣).
وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٦٠) موقوفاً على أبي هريرة.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣٢١) لابن أبي حاتم وابن مردويه، وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أحمد والبزّار والطبري وابن أبي شيبة من رواية علي بن زيد بن جدعان عن أبي عثمان. ولفظه بلغني أن أبا هريرة يحدّث عن النبي ـ ﷺ ـ أن الله يضعف الحسنة لعبده المؤمن ألف ألف حسنة فانطلقت فلقيت أبا هريرة، فقلت: بلغني عنك أنك تقول سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: إن الله يعطي بالحسنة ألف ألف حسنة. قال أبو هريرة: بل سمعته يقول: إن الله يعطيه ألفي ألف حسنة ثم تلا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فمن يدري قول رسول الله ـ ﷺ ـ «أجراً عظيماً»، لم يرفعه ابن أبي شيبة قال البزّار لا نعلمه يروي عن أبي هريرة إلاّ بهذا الإسناد. كذا قال. وقد أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الزهد من طريق زياد الجصاص عن أبي عثمان نحوه. وأخرجه عبد الرزاق عن أبان عن أبي العالية قال: جئت أبا هريرة فذكره موقوفاً. وأبان متروك. انتهى.
٤٢٢ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٧١٢) ـ كتاب فضائل القرآن (٦٦) ـ باب قول المقريء للقاريء: حسبك (٣٣) ـ حديث رقم (٥٠٥٠).
ومسلم في صحيحه (٣/ ٣٤٦ ـ نووي) ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) ـ باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة (٤٠) ـ حديث رقم (٢٤٧) (٨٠٠). =

ٱلْأَرْضُ﴾: لو يدفنون فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى، وقيل: يودّون أنهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والأرض سواء وقيل: تصير البهائم تراباً، فيودّون حالها، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾: ولا يقدرون على كتمانه؛ لأن جوارحهم تشهد عليهم، وقيل الواو للحال، أي: يودون أن يدفنوا تحت الأرض وأنهم لا يكتمون الله حديثاً، ولا يكذبون في قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [**الأنعام: ٢٣**]، لأنهم إذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم، ختم الله على أفواههم عند ذلك، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الأمر عليهم يتمنون أن تسوى بهم الأرض. وقرىء: «تسوى»، بحذف التاء من تتسوى. يقال: سويته فتسوّى نحو: لويته فتلوى، وتسوى بإدغام التاء في السين، كقوله: ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ [**الصافات: ٨**] وماضيه أسوى كأزكى.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ

= وأبو داود (٣/ ٣٢٤) ـ كتاب العلم ـ باب في القصص ـ (٣٦٦٨).
والترمذي (٥/ ٢٣٨) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ (٣٠٢٥).
وقال: هذا أصح من حديث أبي الأحوص.
وأخرجه النسائي في سننه الكبرى وكتاب التفسير ـ باب (٨٦) ـ حديث رقم (١١١٠٥).
كلهم من طريق الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ـ ﷺ ـ «اقرأ على القرآن». . . الحديث.
وبعض الحديث عن عمرو بن مرة عن إبراهيم به.
وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٣) ـ كتاب الزهد (٣٧) ـ باب الحزن والبكاء (١٩) ـ (٤١٩٤).
والترمذي (٥/ ٢٣٧) ـ كتاب تفسير القرآن ـ (٣٠٢٤).
والنسائي في فضائل القرآن (٢٨١٥) (٨٠٧٦).
من طريق أبي الأحوص عن الأعمش عن إبراهيم به.
وقال الترمذي:
هكذا روى أبو الأحوص عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله، وإنما هو إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله.
وللحديث طرق أخرى عن ابن مسعود.
وأخرجه أيضاً أحمد (١/ ٣٧٤، ٣٨٠، ٤٣٣).
والحميدي (١/ ٥٥) (١٠١).
والحاكم في مستدركه (٣/ ٣١٩) ـ وصححه ووافقه الذهبي.
والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٣١) ـ كتاب الشهادات ـ باب البكاء عند قراءة القرآن، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: متفق عليه من رواية عبيدة السلماني عنه، وقال في آخره «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان». انتهى.

﴿لَمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾

روي: أن عبد الرحمٰن بن عوف صنع طعاماً وشراباً فدعا نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ حين كانت الخمر مباحة، فأكلوا وشربوا، فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم ليصلي بهم، فقرأ: أعبد ما تعبدون، وأنتم عابدون ما أعبد، فنزلت، فكانوا لا يشربون في أوقات الصلوات، فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون. ثم نزل تحريمها، (٤٢٣) ومعنى، ﴿لَا تَقْرَبُوا۟

---

٤٢٣ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ٣٢٥) ـ كتاب الأشربة ـ باب في تحريم الخمر ـ (٣٦٧١).
والترمذي (٥/ ٢٣٨) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ باب «ومن سورة النساء» (٣٠٢٦).
وقال: حديث حسن صحيح غريب.
«والنّسائي» في الكبرى في التفسير كما في «تحفة الأشراف» (١٠١٧٥).
وعبد بن حميد في مسنده (ص٥٦/ ٨٢).
والطبري في تفسيره (٨/ ٣٧٦) (٩٥٢٤).
والحاكم في مستدركه (٤/ ١٤٢ ـ ١٤٣).
كلّهم من طريق عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي ـ فذكره.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد اختلف فيه علي عطاء بن السّائب من ثلاثة أوجه هذا... وذكرها ثم قال: هذه الأسانيد كلّها صحيحة والحكم لحديث سفيان الثوري فإنّه أحفظ من كلّ من رواه عن عطاء بن السّائب. ا.هـ.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٢٣ للبزّار في مسنده ونقل عنه أنه قال «لا نعلمه يروى عن عليّ بن أبي طالب متصل الإسناد إلاّ من حديث عطاء بن السّائب عن أبي عبد الرحمن السّلمي...».
وقال الحافظ ابن حجر: اختلف على عطاء في اسم الداعي، وفي اسم المصلّي، ففي رواية أبي جعفر الرازي عنه عند الترمذي، صنع لنا عبد الرحمن، وكذا الحاكم من طريق خالد الطحّان عنه وعند أبي داود «أنّ رجلاً دعاه وعبد الرحمن». وللحاكم من رواية الثوري عن عطاء «دعانا رجل من الأنصار» وللترمذي عن عليّ «فقدموني» ولأبي داود «فقدّموا عليّاً» وللنّسائي من طريق أبي جعفر أيضاً «فقدّموا عبد الرحمن بن عوف» وأبهمه البزّار.
ثم قال: قوله «فكانوا لا يشربون... إلى آخره» لم أجده. ا.هـ، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه أصحاب السنن الثلاثة وأحمد وعبد بن حميد والبزّار والحاكم والطبري نحوه دون قوله «فكانوا لا يشربون إلخ. كلّهم من طريق عطاء بن السّائب عن أبي عبد الرحمن السّلمي عن عليّ.
واختلف على عطاء في اسم الدّاعي، وفي اسم المصلّي. ففي رواية أبي جعفر الرازي عنه عند الترمذي: صنع لنا عبد الرحمن، وكذا الحاكم من طريق خالد الطحّان عنه. وعند أبي داود «أنّ رجلاً دعاه وعبد الرحمن. وللحاكم من رواية الثوري عن عطاء «دعانا رجل من الأنصار».
وللترمذي عن عليّ «فقدّموني» ولأبي داود «فقدّموا عليّاً» وللنّسائي من طريق أبي جعفر أيضاً =

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: لا تغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها. كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الأنعام: ١٥١] وقيل: معناه: ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد، لقوله عليه الصلاة والسلام: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم» (٤٢٤) وقيل: هو سكر النعاس وغلبة النوم، كقوله [من الوافر]:

............، يَرِينَ النُّوم فِيهِمْ ... بِسُكْرِ سِنَاتِهِمْ كُلَّ الرُّيُونِ[1]

وقرىء: «سكارى»، بفتح السين، «وسكرى»، على أن يكون جمعاً، نحو: هلكىٰ، وجوعى، لأن السكر علة تلحق العقل. أو مفرداً بمعنى: وأنتم جماعة سكرى، كقولك: امرأة سكرى، وسكرى بضم السين كحبلى. على أن تكون صفة للجماعة، وحكى

= «فقدّموا عبد الرحمن بن عوف» وأبهمه البزّار. وكذا الحاكم. وللطبري عن الثوري. وللطبري أيضاً عن حمّاد بن سلمة والحاكم عن خالد. (تنبيه) قوله «فكانوا لا يشربون إلى آخره» لم أجده. انتهى.

٤٢٤ ـ أخرجه ابن ماجه (١/٢٤٧) كتاب المساجد والجماعات: باب ما يكره في الجماعات حديث (٧٥٠) من طريق الحارث بن نبهان ثنا عتبة بن يقظان عن أبي سعيد بن مكحول عن واثلة بن الأسقع به.
وفي الزوائد: إسناده ضعيف فإنّ الحارث بن نبهان متفق على ضعفه.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/١٥٦) رقم (٧٦٠١) من طريق العلاء بن كثير عن مكحول عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة قالوا: سمعنا رسول الله ـ ﷺ ـ فذكره والعلاء بن كثير متروك ورماه ابن حبّان بالوضع.
ينظر التقريب (٢/٩٣)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن عديّ من حديث أبي هريرة وفيه عبد الله بن محرور هو بمهملات وقرن محمد، وهو ضعيف وفي الباب عن ثوبان ومعاذ وأبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة. فحديث ثوبان في ابن ماجه بلفظ «جنّبوا مساجدنا صبيانكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم، ورفع أصواتكم... الحديث» وحديث معاذ رواه عبد الرزاق من رواية مكحول عنه وهو منقطع. وحديث الباقين رواه الطبراني والعقيلي وابن عديّ من رواية مكحول عنهم وفيه العلاء بن كثير وهو ضعيف. انتهى.

---

(١) رانوا: تغطت قلوبهم بالسكر كما يغطي الحديد بالصدأ. والسنات: جمع سنة من وسن كعدة من وعد، وهي فتور العين وغفلة القلب أول النوم. والريون: جمع رين، وهو على القلب كالصدأ على الحديد، ورأيت في الأساس للطرماح ما يشبه أن يكون أصل ذلك وهو قوله:

وركب قد بعثت إلى ردايا ... طلائح مثل أخلاق الجفون
مخافة أن يرين النوم فيهم ... بسكر سناتهم كل الريون

والردايا جمع ردية، كقضايا وقضية، التي أصابها الردي. والطلائح ـ جمع طليحة أو طاليح ـ: المهازيل. وأخلاق: جمع خلق، كسبب وهو الشيء البالي. وأضاف السنة لضمير النوم، لأنها أوله فنسبت إليه.
البيت للطرماح، ينظر ديوانه ص ٥٤٣، ولسان العرب (رين)، وكتاب العين: ٨/٢٧٧، وأساس البلاغة (سكر)، وتاج العروس (رين)، وفي المخصص: ١١/١٠١.

جناح بن حبيش: كسلى وكسلى، بالفتح والضم، ﴿وَلَا جُنُبًا﴾: عطف على قوله: ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال، كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنباً، والجنب: يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب، ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾: استثناء من عامة أحوال المخاطبين، وانتصابه على الحال. فإن قلت: كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها؟ قلت: كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة، إلا ومعكم حال أخرى تعذرون فيها، وهي حال السفر، وعبور السبيل عبارة عنه، ويجوز أن لا يكون حالاً ولكن صفة، لقوله: (جنباً) أي: ولا تقربوا الصلاة جنباً غير عابري سبيل، أي: جنباً مقيمين غير معذورين، فإن قلت: كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر؟ قلت: أريد بالجنب: الذين لم يغتسلوا كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا، إلا أن تكونوا مسافرين، وقال من فسر الصلاة بالمسجد: معناه: لا تقربوا المسجد جنباً إلا مجتازين فيه، إذا كان الطريق فيه إلى الماء، أو كان الماء فيه أو احتلمتم فيه، وقيل: إن رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد، فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرّا إلا في المسجد، فرخص لهم، وروي: أن رسول الله ﷺ لم يأذن لأحد أن يجلس في المسجد أو يمرّ فيه وهو جنب إلا لعلي ـ رضي الله عنه ـ. لأن بيته كان في المسجد (٤٢٥)، فإن قلت:

---

٤٢٥ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٦٣٩ ـ ٦٤٠) ـ كتاب المناقب (٥٠) ـ حديث رقم (٣٧٢٧) من طريق سالم ابن أبي حفصة عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ لعليّ: «يا عليّ لا يحلّ لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك...».
وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه، وسمع منّي محمّد بن إسماعيل هذا الحديث فاستغربه. والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٦٦) ـ كتاب النكاح ـ باب دخول المسجد جنباً.
من طريق سالم بن أبي حفصة عن عطية به، وقال: وعطية هو ابن سعد العوفي غير محتجّ به وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣٢٦) للبزار في مسنده من حديث سعد فقال: حدّثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، ثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدّثني أبي عن الحسن بن زيد عن خارجة بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ لعليّ «يا عليّ...» فذكره وقال «لا نعلمه يروي عن سعد إلاَّ بهذا الإسناد، ولا نعلم روى عن خارجة عن سعد إلاَّ الحسين بن زيد هذا». ا.هـ.
وأخرجه البزّار أيضاً من حديث أبي سعيد كالترمذي.
وفي الباب عن أم سلمة.
أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣) (٨٨١).
وإسناده مسلسل بالرافضة والمجهولين والضعفاء.
وأخرجه أيضاً حديث رقم (٨٨٣) بلفظ «ألا إنّ هذا المسجد لا يحلّ لجنب ولا لحائض إلاَّ للنبيّ وأزواجه وفاطمة بنت محمد وعليّ...».
والبيهقي في الكبرى (٦٥١٧). =

أدخل في حكم الشرط أربعة: وهم المرضى، والمسافرون، والمحدثون، وأهل الجنابة فيمن تعلق الجزاء الذي هو الأمر بالتيمم عند عدم الماء منهم. قلت: الظاهر أنه تعلق بهم جميعاً وأنّ المرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه فلهم أن يتيمموا، وكذلك السفر إذا عدموه لبعده، والمحدثون وأهل الجنابة كذلك إذا لم يجدوه لبعض الأسباب، وقال الزجاج: الصعيد وجه الأرض[1]، تراباً كان أو غيره، وإن كان صخراً لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره، وهو مذهب أبي حنيفة ـ رحمة الله عليه ـ. فإن قلت: فما يصنع بقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦] أي: بعضه، وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه؟ قلت: قالوا: إنّ (من) لابتداء الغاية. فإن قلت: قولهم: إنها لابتداء الغاية قول

= وابن أبي شيبة في مسنده كما في اللآليء المصنوعة: (١/ ٣٥٣).
كلّهم من طريق ابن أبي غنية عن أبي الخطاب الهجري عن محدوج الذهلي عن جسرة قالت أخبرتني أم سلمة قالت. . .
ونقل البيهقي عن البخاري أنه قال: محدوج الذهلي عن جسرة قاله ابن أبي غنية عن أبي الخطاب فيه نظر.
ورواه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢/ ٦٧) عن جسرة بنت دجاجة قالت سمعت عائشة «قال النبي ـ ﷺ ـ «لا أحلّ المسجد لحائض ولا لجنب إلاّ لمحمد وآل محمد».
وقال: وعند جسرة عجائب. ا.هـ.، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: أصل هذا الحديث في الترمذي بغير هذا اللفظ. أخرجه من طريق سالم بن أبي حفصة عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ـ ﷺ ـ لعليّ «يا عليّ، لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك» قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه. وقد سمعه مني محمد بن إسماعيل ا.هـ. وقد أخرجه البزّار من رواية الحسن بن زياد عن خارجة بن سعد عن أبيه سعد مثله سواء. وقال: لا نعلمه عن سعد إلاّ بهذا الإسناد، ثم أخرجه من حديث أبي سعيد كالترمذي. وقال: كان سالم شيعياً. لكنه لم يترك ولم يتابع على هذا ومعناه: أنه ـ ﷺ ـ كان منزله في المسجد. وفي الباب عن أم سلمة، أخرجه الطبري بلفظ «لا ينبغي لأحد أن يجنب في هذا المسجد إلاّ أنا وعليّ» وروى أبو يعلى من حديث ابن عباس «أنّ النبيّ ـ ﷺ ـ سدّ أبواب المسجد إلاّ باب عليّ» فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره. انتهى.

---

(١) قال محمود: «الصعيد وجه الأرض تراباً كان أو غيره. . . إلخ» قال أحمد: هذا إذا كان الضمير عائداً إلى الصعيد، وثم وجه آخر، وهو عود الضمير على الحدث المدلول عليه بقوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ إلى آخرها، فإن المفهوم منه: وإن كنتم على حدث في حال من هذه الأحوال سفر أو مرضى أو مجيء من الغائط أو ملامسة النساء، فلم تجدوا ماء تتطهرون به من الحدث، فتيمموا منه. يقال: تيممت من الجنابة. وموقع «من» على هذا مستعمل متداول، وهي على هذا الإعراب إما للتعليل أو لابتداء الغاية، وكلاهما فيها متمكن، والله أعلم.

متعسف، ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل: مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب، إلا معنى التبعيض. قلت: هو كما تقول، والإذعان للحق أحق من المراء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾: كناية عن الترخيص والتيسير. لأنّ من كانت عادته أن يعفو عن الخطائين ويغفر لهم، آثر أن يكون ميسراً غير معسر. فإن قلت: كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين، وبين المحدثين والمجنبين[1]، والمرض والسفر سببان من أسباب الرخصة، والحدث سبب لوجوب الوضوء، والجنابة سبب لوجوب الغسل؟ قلت: أراد سبحانه أن يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون الماء في التيمم بالتراب، فخص أوّل من بينهم مرضاهم وسفرهم، لأنهم المتقدّمون في استحقاق بيان الرخصة لهم بكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الأسباب الموجبة للرخصة، ثم عم كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدو أو سبع أو عدم آلة استسقاء أو إرهاق في مكان لا ماء فيه وغير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر، وقرىء: «من غيط»، قيل هو تخفيف غيط، كهين في هين، والغيط بمعنى الغائط.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: من رؤية القلب، وعدى بـ «إلى»، على معنى: ألم ينته علمك إليهم؟ أو بمعنى: ألم تنظر إليهم؟، ﴿أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: حظاً من علم التوراة، وهم أحبار اليهود ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ﴾ يستبدلونها بالهدى، وهو البقاء على اليهودية. بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوّة رسول الله ﷺ، وأنه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والإنجيل، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟﴾ أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه، وتنخرطوا في سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم؛ بل يحبون أن يضل معهم غيرهم، وقرىء: «أن يضلوا»، بالياء بفتح الضاد وكسرها﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم، ﴿بِأَعْدَآئِكُمْ﴾: وقد أخبركم بعداوة هؤلاء، وأطلعكم على أحوالهم وما يريدون بكم؛ فاحذروهم ولا تستنصحوهم في أموركم ولا تستشيروهم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾: فثقوا بولايته ونصرته دونهم. أو لا تبالوا بهم، فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين. . . إلخ»؟ قال أحمد: وهذا من ذكر المعتنى به خاصاً ومندرجاً في العموم تنبيهاً بذكره على وجهين مختلفين، لأن المرض والسفر مندرجان في عموم المحدثين والمجنبين، والله أعلم.

وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنًا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ بيان للذين أوتوا نصيباً من الكتاب: لأنهم يهود ونصارى، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾: جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض أو بيان «لأعدائكم»، وما بينهما اعتراض أو صلة لـ «نصيرا»، أي: ينصركم من الذين هادوا، كقوله: ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ [الأنبياء: ٧٧] ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ، على أن، ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ صفة مبتدأ محذوف تقديره: من الذين هادوا قوم يحرفون. كقوله [من الطويل]:

وَمَا الدَّهْرُ إلاَّ تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا ... أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ[1]

أي: فمنهما تارة أموت فيها، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: يميلونه عنها ويزيلونه؛ لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلماً غيره، فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها، وأزالوه عنها، وذلك نحو تحريفهم (أسمر ربعة) عن موضعه في التوراة بوضعهم (آدم طوال[2]) مكانه، ونحو تحريفهم (الرجم) بوضعهم (الحدّ) بدله. فإن قلت: كيف قيل هٰهنا (عن مواضعه) وفي المائدة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ [المائدة: ٤١] قلت: أمّا (عن مواضعه) فعلى ما فسرناه من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه، وأمّا ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ فالمعنى: أنه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها، فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقارّه، والمعنيان متقاربان، وقرىء: «يحرفون الكلام»، والكلم ـ بكسر الكاف وسكون اللام ـ: جمع كلمة تخفيف كلمة. قولهم: ﴿غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾: حال من

---

(١) وما الدهر إلا تارتان فمنهما ... أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح
وكلتاهما قد خط لي في صحيفة ... فلا العيش أهوى لي ولا الموت أروح

لتميم بن عقيل، يقول: ليس الدهر إلا تارتين ومرتين، فتارة أموت بها، وتارة أطلب العيش حال كوني أكدح، أي أجد وأتعب وأسرع في طلبه، والمراد بالصحيفة: اللوح المحفوظ، ثم قال: ليس العيش أحب إلى لما فيه من النصب، وليس الموت أروح لي لأن النفس تكرهه.
ينظر شرح أبيات سيبويه ٢/ ١١١٤، وخزانة الأدب ٥/ ٥٥، وشرح شواهد الإيضاح ص ٦٣٤، وحماسة البحتري ص ١٢٣، والحيوان ٣/ ٤٨، والدرر ٦/ ١٨، والكتاب ٢/ ٣٤٦، ولعجيز السلولي في سمط اللآلي ص ٢١٥، وخزانة الأدب ١٠/ ١٧٥، وشرح عمدة الحافظ ص ٥٤٧، ولسان العرب، والمحتسب ١/ ٢١٢، وهمع الهوامع ٢/ ١٢٠، والمقتضب ٢/ ١٣٨ والدر المصون ٢/ ٣٧١.

(٢) قوله «طوال» هو بالضم: الطويل. وبالكسر: جمعه. وبالفتح مصدر، أفاده الصحاح. (ع)

المخاطب[1]، أي: اسمع وأنت غير مسمع، وهو قول ذو وجهين، يحتمل الذمّ أي: اسمع منا مدعوا عليك ـ بلا سمعت ـ لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع، فكان أصم غير مسمع. قالوا ذلك اتكالاً على أنّ قولهم: ـ لا سمعت ـ دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه، ومعناه غير مسمع جواباً[2] يوافقك، فكأنك لم تسمع شيئاً. أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه، فسمعك عنه ناب، ويجوز على هذا أن يكون (غير مسمع) مفعول (اسمع)، أي: اسمع كلاماً غير مسمع إياك، لأن أذنك لا تعيه نبوًّا عنه، ويحتمل المدح، أي: اسمع غير مسمع مكروهاً، من قولك: أسمع فلان فلاناً إذا سبه، وكذلك قولهم: ﴿وَرَاعِنَا﴾ يحتمل راعنا نكلمك، أي: ارقبنا وانتظرنا، ويحتمل شبه كلمة عبرانية[3] أو سريانية كانوا يتسابون بها، وهي: راعينا، فكانوا ـ سخرية بالدين وهزؤا برسول الله ﷺ ـ يكلمونه بكلام محتمل، ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام، ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾: فتلاً بها وتحريفاً، أي: يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل، حيث يضعون (راعناً) موضع (انظرنا) و(غير مسمع) موضع: لا أسمعت مكروهاً. أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقاً. فإن قلت: كيف جاءوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا: سمعنا وعصينا؟ قلت: جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان، ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء، ويجوز أن يقولوه فيما بينهم، ويجوز أن لا ينطقوا بذلك، ولكنهم لما لم يؤمنوا جعلوا كأنهم نطقوا به، وقرأ أبيّ:

---

(١) قال محمود: «غير مسمع حال من المخاطب... إلخ» قال أحمد: مراده بذلك أنه لما فسر غير مسمع بالدعاء وهو إنشاء وطلب وقد أوقعه حالاً والحال خبر، أراد أن يبين أوجه صحة التعبير على الخبر بالانشاء بواسطة أن هؤلاء كانوا يظنون دعاءهم مستجاباً مخبراً بوقوع المدعو فيه. ونظيره ورود الأمر بصيغة الخبر تنبيهاً على تحقق وقوعه.

(٢) قال محمود: «ومعناه غير مسمع جواباً... إلخ» قال أحمد: والظاهر أن الكلم المحرف إنما أريد به في هذه السورة مثل «غير مسمع» و «راعنا» ولم يقصد ههنا تبديل الأحكام وتوسطها بين الكلمتين، بين قوله ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ وبين قوله: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ والمراد أيضاً: تحريف مشاهد بين على أن المحرف هما وأمثالهما. وأما في سورة المائدة فالظاهر ـ والله أعلم ـ أن المراد فيها بالكلم الأحكام وتحريفها تبديلها، كتبديلهم الرجم بالجلد. ألا تراه عقبه بقوله: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ الاختلاف المراد بالكلم في السورتين. قيل في سورة المائدة ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أي ينقلونه عن الموضع الذي وضعه الله فيه فصار وطنه ومستقره إلى غير الموضع، فبقي كالغريب المتأسف عليه، الذي يقال فيه: هذا غريب من بعد مواضعه ومقاره، ولا يوجد هذا المعنى في مثل «راعنا» «وغير مسمع» وإن وجد على بعد فليس الوضع اللغوي مما يعبأ بانتقاله عن موضعه كالوضع الشرعي. ولولا اشتمال هذا النقل على الهزء والسخرية لما عظم أمره، فلذلك جاء هنا ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ غير مقرون بما قرن به الأول من صورة التأسف.

(٣) قوله «ويحتمل شبه كلمة عبرانية» عبارة النسفي: ويحتمل سبه كلمة عبرانية، إلى آخر ما هنا. (ع)

«وأنظرنا»، من الإنظار وهو الإمهال. فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾؟ قلت: إلى (أنهم قالوا) لأن المعنى، ولو ثبت قولهم سمعنا وأطعنا لكان قولهم ذلك خيراً لهم، ﴿وَأَقْوَمَ﴾: وأعدل وأسدّ، ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: خذلهم بسبب كفرهم، وأبعدهم عن ألطافه، ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا﴾ إيماناً، ﴿قَلِيلًا﴾ أي: ضعيفاً ركيكاً لا يعبأ به، وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره، أو أراد بالقلة العدم[1]، كقوله: [من الطويل]

قَـلِـيـلُ الـتَّـشَـكِّـي لِـلْـمُـهِـمِّ يُـصِـيـبُـهُ ....[2]

أي: عديم التشكي، أو إلا قليلاً منهم قد آمنوا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾

﴿أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾: أي: نمحو تخطيط صورها، من عين وحاجب وأنف وفم،

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وما ذكراه من أن التقليل يُراد به العَدَمُ صحيح، غير أنَّ هذا التركيبَ الاستثنائي يأباه، فإذا قلت «لم أقم إلا قليلاً» فالمعنى انتفاء القيام إلا القليل فيوجد منك، لا أنه دال على انتفاء القيام ألبتةَ بخلافِ «قلّما يقولُ ذلك أحدٌ إلا زيدٌ و «قلَّ رجلٌ يفعل ذلك» فإنه يَحتمل القليل المقابل للتكثير، ويحتمل النفيَ المحض، أمّا أنك تنفي ثم توجب، ثم تريد بالإيجاب بعد النفي نفياً فلا، لأنه يلزم أنْ تجيءَ «إلاّ» وما بعدها لغواً من غيرِ فائدة، لأنَّ انتفاءَ القيام قد فُهِم من قولك: «لم أقم» فأيَّ فائدةٍ في استثناء مثبت يراد به انتفاءٌ مفهومٌ من الجملة السابقة؟ وأيضاً فإنه يؤدي إلى أن يكون ما بعدَ «إلا» موافقاً لِما قبلها في المعنى، والاستثناءُ يلزم أن يكون ما بعد «إلاّ» مخالفاً لِما قبلها فيه». انتهى. الدر المصون.

(٢)
قـلـيـل الـتـشـكـي لـلـمـهـم يـصـيـبـه ... كثير الهوى شتى النوى والمسالك
يـظـل بـمـومـاة ويـمـسـى بـغـيـرهـا ... جحيشاً ويعروري ظهور المهالك

لتأبط شراً، يمدح شمس بن مالك من رؤساء العرب. وقيل: لأبي كبير الهذلي يمدح تأبط شراً. والمعنى: أنه عديم التشكي ليظهر المدح. أي لا يشتكي لأجل المهم حال كونه يصيبه. كثير هوى النفس. والشت كالشتات في الأصل مصدر، ويستعملان بمعنى المتفرق المنتشر. وروي نشر النوى. وهو بمعناه. وروي شتى النوى وهو جمع شتيت. أي متفرق مختلف، أي نواه ومسالكه شتى أي كثيرة مختلفة. والنوى: اسم جمع نواة، وهي نية المسافر، ويطلق على البعد أيضاً فهو مذكر، ويطلق على نية المسافر فيؤنث. والموماة: المفازة لا ماء بها. والجحيش: الفريد الوحيد والاعروراء: ركوب الجواد عريان الظهر. وعبر بـ «يمسي» دون يبيت. إشارة إلى أنه يديم السير ولا ينزل في الليل. وبقوله «يعروري» إشارة إلى أنه يقتحم المكاره بلا وقاية عنها. ولقد شبه المهالك بما يصح ركوبه على طريق المكنية، وأثبت لها الظهور تخييلاً. وفيه إشارة إلى أنه غير مكترث بها، بل يسرع إليها بغير استعداد كإسراع الفارس إلى فرسه وعدم صبره حتى يسرجه. وفيه إشارة إلى أنه يظهر ويظفر حيث عبر بما يفيد الاستعلاء عليها.
ينظر الحماسة ١/ ٧٥، والدر المصون ٢/ ٣٧٤.

﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾: فنجعلها على هيئة أدبارها، وهي الأقفاء مطموسة مثلها، والفاء للتسبيب، وإن جعلتها للتعقيب على أنهم توعدوا بعقابين، أحدهما عقيب الآخر، ردها على أدبارها بعد طمسها؛ فالمعنى أن نطمس وجوهاً فننكسها، الوجوه إلى خلف، والأقفاء إلى قدّام، ووجه آخر: وهو أن يراد بالطمس القلب والتغيير، كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة، وبالوجوه: رءوسهم ووجهاؤهم أي: من قبل أن نغير أحوال وجهائهم، فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم أو نردهم إلى حيث جاءوا منه، وهي: أذرعات الشام، يريد: إجلاء بني النضير. فإن قلت: لمن الراجع في قوله: (أو نلعنهم)؟ قلت: للوجوه إن أريد الوجهاء، أو لأصحاب الوجوه؛ لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى (الذين أوتوا الكتاب) على طريقة الالتفات، ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾: أو نجزيهم بالمسخ، كما مسخنا أصحاب السبت. فإن قلت: فأين وقوع الوعيد. قلت: هو مشروط بالإيمان[١]، وقد آمن منهم ناس، وقيل: هو منتظر، ولا بدّ من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة، ولأن الله عز وجلّ أوعدهم بأحد الأمرين، بطمس وجوه منهم، أو بلعنهم فإن الطمس تبديل أحوال رؤسائهم، أو إجلاؤهم إلى الشام، فقد كان أحد الأمرين وإن كان غيره فقد حصل اللعن. فإنهم ملعونون بكل لسان، والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير﴾ [المائدة: ٦٠]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾: فلا بدّ أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

فإن قلت: قد ثبت أن الله عزّ وجلّ يغفر الشرك لمن تاب منه، وأنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة[٢]، فما وجه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٣]: ؟ قلت: الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعاً موجهين

---

(١) قوله «هو مشروط بالإيمان» لعله: مشروط بعدم الإيمان. (ع)

(٢) قوله: «لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة» هذا عند المعتزلة. وأما عند أهل السنة فتغفر بها، وبالشفاعة، وبمجرد الفضل. (ع)

(٣) قال محمود: «إن قلت قد ثبت أن الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه... إلخ» قال أحمد رحمه الله: عقيدة أهل السنة أن الشرك غير مغفور ألبتة، وما دونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفر له. هذا مع عدم التوبة. وأما مع التوبة فكلاهما مغفور. والآية إنما وردت فيمن لم يتب، ولم يذكر فيها توبة كما ترى، فلذلك أطلق الله تعالى نفي مغفرة الشرك، وأثبت مغفرة ما دونه مقرونة =

إلى قوله تعالى: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾: كأنه قيل: إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك، ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أنّ المراد بالأول من لم يتب، وبالثاني من تاب، ونظيره قولك: إنّ الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء. تريد: لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله، ويبذل القنطار لمن يستأهله، ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا﴾: أي: ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾: اليهود والنصارى، قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وقيل: جاء رجال من اليهود إلى رسول الله ﷺ بأطفالهم فقالوا: هل على هؤلاء ذنب؟ قال: «لا». قالوا: والله ما نحن إلا كهيئتهم، ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل، وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار. (٤٢٦) فنزلت، ويدخل فيها

---

٤٢٦ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره بنحوه (٨/ ٤٥٢) حديث (٩٧٣٥) عن الضحّاك.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠٥) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.
وطرفه أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٤٥٣) حديث (٩٧٣٧)، عن السدي.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠٥). =

= بالمشيئة كما ترى، فهذا وجه انطباق الآية على عقيدة أهل السنة. وأما القدرية فإنهم يظنون التسوية بين الشرك وبين ما دونه من الكبائر في أن كل واحد من النوعين لا يغفر بدون التوبة ولا يشاء الله أن يغفرهما إلا للتائبين. فإذا عرض الزمخشري هذا المعتقد على هذه الآية ردته ونبت عنه، إذ المغفرة منفية فيها عن الشرك، وثابتة لما دونه مقرونة بالمشيئة. فإما أن يكون المراد فيهما من لم يتب، فلا وجه للتفضيل بينهما بتعليق المغفرة في أحدهما بالمشيئة. وتعليقها بالآخر مطلقاً، إذ هما سيان في استحالة المغفرة. وإما أن يكون المراد فيهما التائب فقد قال في الشرك: إنه لا يغفر، والتائب من الشرك مغفور له، وعند ذلك أخذ الزمخشري يقطع أحدهما عن الآخر، فيجعل المراد مع الشرك عدم التوبة، ومع الكبائر التوبة، حتى تنزل الآية على وفق معتقده، فيحملها أمرين لا تحمل واحداً منهما: أحدهما: إضافة التوبة إلى المشيئة وهي غير مذكورة، ولا دليل عليها فيما ذكر. وأيضاً لو كانت مرادة لكانت هي السبب الموجب للمغفرة على زعمهم عقلاً، ولا يمكن تعلق المشيئة بخلافها على ظنهم في العقل، فكيف يليق السكوت عن ذكر ما هو العمدة والموجب وذكر ما لا مدخل له على هذا المعتقد الرديء. الثاني أنه بعد تقريره التوبة احتكم فقدرها على أحد القسمين دون الآخر. وما هذا إلا من جعل القرآن تبعاً للرأي، نعوذ بالله من ذلك. وأما القدرية فهم بهذا المعتقد يقع عليهم المثل السائر «السيد يعطي والعبد يمنع» لأن الله تعالى يصرح كرمه بالمغفرة للمصر على الكبائر إن شاء: وهم يدفعون في وجه هذا التصريح، ويحيلون المغفرة بناء على قاعدة الأصلح والصلاح، التي هي بالفساد أجدر وأحق.

كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله. فإن قلت: أما قال رسول الله ﷺ: «والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض»؟. (٤٢٧) قلت: إنما قال ذلك حين قال له المنافقون: اعدل في القسمة؛ إكذاباً لهم إذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه، وشتان من شهد الله له بالتزكية، ومن شهد لنفسه أو شهد له من لا يعلم، ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ إعلام بأن تزكية الله هي التي يعتدّ بها. لا تزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية، ومعنى (يزكي من يشاء): يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: أي: الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم. أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم، ونحوه ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، ﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في زعمهم أنهم عند الله أزكياء، ﴿وَكَفَىٰ﴾ بزعمهم هذا ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾ من بين سائر آثامهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

الجبت: الأصنام وكل ما عبد من دون الله: والطاغوت: الشيطان، وذلك أن حُيَيّ بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله ﷺ، فقالوا: أنتم أهل كتاب، وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا، فلا نأمن مكركم، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطئمن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم، ﴿بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا، وقال أبو سفيان: أنحن أهدى سبيلاً أم محمد. فقال كعب: ماذا يقول محمد؟ قالوا: يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك. قال: وما دينكم؟ قالوا: نحن ولاة البيت، ونسقي الحاج، ونقري الضيف، ونفك العاني، وذكروا أفعالهم، فقال: أنتم أهدى سبيلاً. (٤٢٨)

= وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: ذكر الثعلبي عن الكلبي قال: نزلت هذه الآية في رجال من اليهود أتوا بأطفالهم ـ فذكره. . . وسنده إلى الكلبي في أوّل الكتاب. انتهى.

٤٢٧ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣٧٧) حديث برقم (٣٣٥) ـ: غريب.
قال ابن حجر: لم أجده.
هذا وقد أخرج عبد الرزاق في مصنفه (٨/ ١١) كتاب البيوع باب الرهن والكفيل في السلف، حديث (١٤٠٩١) بإسناده عن معمر عن زيد بن أسلم «أنّ رجلاً كان يطلب النبي ـ ﷺ ـ بحق، فأغلظ له، فقال فأرسل النبي ـ ﷺ ـ إلى يهودي للتسليف منه، فأبى أن يسلفه إلاّ برهن، فبعث إليه بدرعه، وقال: والله إني لأمين في الأرض أمين في السماء».

٤٢٨ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٦٧) حديث (٩٧٨٩). =

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شرّ خصلتين: يمنعون ما أوتوا من النعمة ويتمنون أن تكون لهم نعمة غيرهم فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ على أن «أم» منقطعة[1] ومعنى الهمزة لإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك ثم قال: ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ﴾ أي: لو كان لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون أحداً مقدار نقير لفرط بخلهم. والنقير: النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة، كالفتيل والقطمير، والمراد بالملك: إما ملك أهل الدنيا، وإما ملك الله كقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ﴾ [الإسراء: ١٠٠] وهذا أوصف لهم بالشح، وأحسن لطباقه نظيره من القرآن، ويجوز أن يكون معنى الهمزة في «أم»: لإنكار أنهم قد أوتوا نصيباً من الملك، وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال الملوك، وأنهم لا يؤتون أحداً مما يملكون شيئاً، وقرأ ابن مسعود: «فإذاً لا يؤتوا»، على إعمال «إذا» عملها الذي هو النصب، وهي ملغاة في قراءة العامة، كأنه قيل: فلا يؤتون الناس نقيراً إذاً، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾: بل أيحسدون رسول الله ﷺ والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه، وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العزّ والتقدم كل يوم، ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ﴾: إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة، ﴿ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: الذين هم أسلاف محمد ﷺ، وأنه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما آتى أسلافه، وعن ابن عباس: الملك في آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان، (٤٢٩) وقيل: استكثروا نساءه فقيل لهم: كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية؟، (٤٣٠) ﴿فَمِنْهُم﴾: فمن اليهود، ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ أي: بما ذكر من حديث آل

= ● وعبد الرزاق في التفسير (١/ ١٦٤).
● وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠٦).

٤٢٩ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٨/ ٤٨١) حديث (٩٨٢٩) ولفظه عن ابن عباس ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ يعني ملك سليمان.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠٩).
وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

٤٣٠ ـ أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٨٨) بكتاب التاريخ: باب ذكر نبيّ الله سليمان بن داود وما آتاه =

---

(١) قوله «على أن أم منقطعة» أي تفسر بـ «بل» والهمزة. (ع)

إبراهيم، ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ وأنكره مع علمه بصحته. أو من اليهود من آمن برسول الله ﷺ، ومنهم من أنكر نبوّته. أو من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم، ومنهم من كفر، كقوله: ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦)﴾

﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾: أبدلناهم إياها. فإن قلت: كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص؟ قلت: العذاب للجملة الحساسة، وهي التي عصت لا للجلد، وعن فضيل: يجعل النضيج غير نضيج، وعن رسول الله ﷺ: «تبدّل جلودهم كل يوم سبع مرّات»، (٤٣١) وعن الحسن: سبعين مرة يبدّلون جلوداً بيضاء كالقراطيس، (٤٣٢) ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾: ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع. كقولك للعزيز: أعزّك الله، أي: أدامك على عزّك وزادك فيه، ﴿عَزِيزًا﴾ لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين، ﴿حَكِيمًا﴾ لا يعذب إلا بعدل من يستحقه.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧) ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨)﴾

= الله من الملك ـ ﷺ ـ.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠٩).

٤٣١ ـ قال الزيلعي: غريب تخريج الكشاف (١/ ٣٢٨) وقال ابن حجر: لم أجده.

٤٣٢ ـ أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٥٢): كتاب ذكر النار: باب ما ذكر فيما أُعدّ لأهل النار وشدّته حديث (٣٤١٥١)، عن يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن بلفظ «بلغني أنّه يُحرق في اليوم سبعين ألف مرة» وابن جرير الطبري (١/ ٤٨٥) حديث (٩٨٣٧) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١١).

وزاد نسبته إلى ابن المنذر وعبد بن حميد وابن أبي حاتم أما ذكر أن الجلود تكون كالقراطيس البيضاء فمروي عن ابن عمر وأخرجه ابن جرير الطبري (٨/ ٤٨٤) حديث (٩٨٣٣) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١٠).

وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: لم أجده. ولابن عديّ والطبراني عن ابن عمر: قرأ رجل عند عمر ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا﴾ فقال معاذ: تبدل كلّ ساعة مائة مرة. فقال عمر: هكذا سمعتها من رسول الله ـ ﷺ ـ، وفيه نافع بن يوسف السلمي وأبو هرمز وهو ضعيف، وقال إسحاق بن راهويه في مسنده: سئل فضيل بن عياض عن هذه الآية، فأخبرنا عن هشام عن الحسن قال: تبدل جلودهم كل يوم سبعين ألف مرة. انتهى.

﴿ظَلِيلًا﴾: صفة مشتقة من لفظ الظلّ لتأكيد معناه. كما يقال: ليل أليل، ويوم أيوم، وما أشبه ذلك، وهو ما كان فينانا لا جوب فيه، ودائماً لا تنسخه الشمس، وسجسجاً[1] لا حرّ فيه ولا برد، وليس ذلك إلا ظل الجنة. رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف إليه التفيؤ تحت ذلك الظل، وفي قراءة عبد الله: «سيدخلهم» بالياء، ﴿أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ﴾: الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة، وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة، وذلك: أنّ رسول الله ﷺ حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح، وأبى أن يدفع المفتاح إليه، وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه، فلوى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يده، وأخذه منه وفتح، ودخل رسول الله ﷺ وصلى ركعتين. فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة. فنزلت، فأمر علياً أن يردّه إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعليّ: أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق؟ فقال: لقد أنزل الله في شأنك قرآناً، وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فهبط جبريل وأخبر رسول الله ﷺ أن السدانة في أولاد عثمان أبداً، (٤٣٣) وقيل: هو خطاب للولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل، وقرىء: «الأمانة»، على التوحيد، ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾: (ما) إما أن تكون منصوبة موصوفة بـ «يعظكم» به، وإما أن تكون مرفوعة موصولة به، كأنه قيل: نعم شيئاً يعظكم به. أو نعم الشيء الذي يعظكم به، والمخصوص بالمدح محذوف، أي: نعمّا يعظكم به ذاك، وهو المأمور

---

٤٣٣ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣٢٨) وقال: غريب.
وانظر تفسير ابن عباس (٧٢).
والزجاج (٢/ ٦٩ ـ ٧٠).
والفتح الرباني (٢١/ ١٥٢).
والدر المنثور (٢/ ٣١٢) عن ابن عباس، وابن جريج وعزاه لابن مردويه وابن جرير، وابن المنذر.
وابن كثير (١/ ٥١٥ ـ ٥١٦) وأسباب النزول للواحدي (١١٦ ـ ١١٧).
والسيوطي (٧٩) وغرائب النيسابوري (٥/ ٧٦ ـ ٧٧).
وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٤٩، ٤٥٠).
والطبري (٨/ ٤٩١ ـ ٤٩٢).
والواحدي في تفسيره (٢/ ٧٠).
والبغوي في تفسيره (١/ ٤٤٣)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: هكذا ذكره الثعلبي ثم البغوي بغير إسناد. وكذا ذكره الواحدي في الوسيط والأسباب. وقال فيه: «ما دام هذا البيت، فإنّ المفتاح والسدانة في أولاد عثمان». انتهى.

---

(١) قوله «فينانا» أي طويلاً ممتداً. والجوب: الخرق والقطع. والسجسج: المتوسط. أفاده الصحاح .(ع)

به من أداء الأمانات والعدل في الحكم، وقرىء «نعما» بفتح النون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

لما أمر الولاة بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يحكموا بالعدل، أمر الناس بأن يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم، والمراد بـ «أولى الأمر منكم»: أمراء الحق؛ لأن ـ أمراء الجور ـ الله ورسوله بريئان منهم، فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم، وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إيثار العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان، وكان الخلفاء يقولون: أطيعوني ما عدلت فيكم، فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم، وعن أبي حازم أن مسلمة بن عبد الملك قال له: ألستم أمرتم بطاعتنا في قوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ قال: أليس قد نزعت عنكم إذا خالفتم الحق بقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وقيل: هم أمراء السرايا. (٤٣٤) وعن النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع أميري فقد أطاعني ومن يَعْصِ أميري فقد عصاني»، (٤٣٥) وقيل: هم العلماء الديِّنون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر. ، (٤٣٦) ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ﴾: فإن اختلفتم أنتم وأولوا الأمر منكم في شيء من أمور الدين، فردّوه

---

٤٣٤ ـ أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٤١٩) كتاب السير: باب ما جاء في طاعة الإمام والخلاف عنه (٣٢٥٣٩) وسعيد بن منصور (٤/ ١٢٨٧)، حديث (٦٥٣) وابن جرير الطبري (٨/ ٤٩٨) حديث (٩٨٥٩) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣١٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

٤٣٥ ـ أخرجه البخاري (٦/ ١٣٥) في الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقي به (٢٩٥٧)، و(١٣/ ١١٩) في الأحكام، باب قول الله تعالى ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ (٧١٣٨) ومسلم (٣/ ١٤٦٦ ـ ١٤٦٧) في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غيرمعصية (٣٢ ـ ٣٤/ ١٨٣٥)، وابن ماجه (٢/ ٩٥٤) في الجهاد، باب: طاعة الإمام (٢٨٥٩) وأحمد (٢/ ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٧٠، ٤١٦، ٤٦٧، ٥١١) والنسائي (٧/ ١٥٤) في البيعة، باب الترغيب في طاعة الأمير ـ والحميدي (٢/ ٤٧٧) برقم (٦١٢٣)ـ، والطيالسي (٢/ ١٦٦) برقم (٢٦١٧)، وعبد الرزاق في المصنّف (١١/ ٣٢٩) برقم (٢٦٧٩)، وأبو عوانة (٢/ ١٠٩)، وأبو يعلى (٦٢٧٢) وابن خزيمة (٣/ ٤٦) برقم (١٥٩٧)، والبيهقي (٨/ ١٥٥)، والخطيب في التاريخ (٨/ ٧٢)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٤٠٤)، والبغوي في شرح السنة (٢/ ٢٩٧) برقم (٢٤٤٤، ٢٤٤٥) من طرق عن أبي هريرة مرفوعاً به. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث أبي هريرة. والبخاري من رواية الأعرج ومسلم من رواية الأعرج وأبي سلمة كلاهما عنه. انتهى.

٤٣٦ ـ عن مجاهد أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة (٦/ ٤١٨) كتاب السير: باب ما جاء في طاعة الإمام والخلاف عنه حديث (٣٢٥٣٤).

إلى الله ورسوله، أي: ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة، وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه شك، وهو أن أمرهم أولاً بأداء الأمانات وبالعدل في الحكم وأمرهم آخراً بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل، وأمراء الجور لا يؤدّون أمانة ولا يحكمون بعدل، ولا يردون شيئاً إلى كتاب ولا إلى سنة، إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم، فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولو الأمر عند الله ورسوله، وأحق أسمائهم: اللصوص المتغلبة، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى الرد إلى الكتاب والسنة، ﴿خَيْرٌ﴾ لكم وأصلح، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: وأحسن عاقبة، وقيل: أحسن تأويلاً من تأويلكم أنتم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾

روي: أن بشراً المنافق خاصم يهودياً فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف، ثم إنهما احتكما إلى رسول الله ﷺ فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال: تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب. فقال اليهودي لعمر: قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه. فقال للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه، ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله، فنزلت، وقال جبريل: إنّ عمر فرق بين الحق والباطل، فقال له رسول الله ﷺ: «أنت الفاروق»، (٤٣٧)

= وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ٦٦).
وسعيد بن منصور (٤/ ١٢٨٧).
وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٥٠٠) حديث (٩٨٦٣) و(٩٨٧٣).
وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٩٣).
ومثله مروي عن ابن عباس وعطاء وأبي نجيح والحسن وأبي العالية.
انظر ابن جرير (٨/ ٥٠٠ ـ ٥٠١) حديث (٩٨٦٢ : ٩٨٧٤).

٤٣٧ ـ أخرج الطبري صدر هذا الحديث (٨/ ٥١١) حديث (٩٧٩٨). =

والطاغوت: كعب بن الأشرف، سماه الله طاغوتاً لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله ﷺ. أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه. أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله ﷺ على التحاكم إليه تحاكماً إلى الشيطان، بدليل قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ﴾، وقرىء ﴿بِمَآ أُنزِلَ . .﴾ ﴿وَمَا أَنزل﴾ على البناء للفاعل، وقرأ عباس بن الفضل: «أن يكفروا بها»، ذهاباً بالطاغوت إلى الجمع، كقوله: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقرأ الحسن «تعالوا» بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفاً[(١)]، كما قالوا: ما باليت به بالة، وأصلها بالية كعافية، وكما قال الكسائي في آية إن أصلها آيية فاعلة، فحذفت اللام، فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت، فصار (تعالوا)، نحو: تقدموا، ومنه قول أهل مكة: تعالي، بكسر اللام للمرأة، وفي شعر الحمداني [من الطويل]:

. . . . تَعَالِي أُقَاسِمْكِ الهُمُومَ تَعَالِي[(٢)]

= وذكره الواحدي في تفسيره (٢/ ٧٣).
● وذكره السيوطي في الدر المنثور كاملاً (٢/ ٣٢٠)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ٣٥٥)، الأصل الثالث والأربعون في تسليم الحق وسرّ مصافحته لعمر ـ رضي الله عنه ـ.
والزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣٣٠).
وزاد نسبته إلى الثعلبي وابن أبي حاتم وابن مردويه والواحدي في أسباب النزول.
وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور إلى الحافظ دحيم في تفسيره. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: ذكره الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي عاصم عن ابن عباس في هذه الآية: نزلت في رجل من المنافقين يقال له: بشر. وإسناده إلى الكلبي في خطبة كتابه. وذكره الواحدي أيضاً. ولابن أبي حاتم وابن مردويه من رواية وهب عن ابن لهيعة عن أبي الأسود «اختصم رجلان إلى النبي ـ ﷺ ـ فقضى بينهما. فقال الذي قضى عليه ردنا إلى عمر. فانطلقا إليه. فضرب عنق الذي قال: ردنا إلى عمر. فجاء الآخر فأخبره فقال: ما كنت أظن عمر يجتريء على قتل مؤمن. فأنزل الله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ـ الآية﴾ فأهدر دمه». انتهى.

---

(١) قوله «من تعاليت تخفيفاً» لعله عند إسناده إلى واو الجمع. فليحرر. (ع)
(٢)
أقول وقد ناحت بقربي حمامة:	أيا جارتا هل بات حالك حالي؟
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى	وما خطرت منك الهموم ببال
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا	تعالى أقاسمك الهموم تعالى
تعالى ترى روحاً لدي ضعيفة	تردد في جسم يعذب بالي
أيضحك مأسور وتبكي طليقة	ويسكت محزون ويندب سالي؟!
لقد كنت أولى منك بالدمع والبكا	ولكن دمعي في الشدائد غالي

للهمداني بالهاء. وبعضهم يرويه بالحاء، وكان أسيراً. وبات: أي صار حالك كحالي في الضيق والحزن، والاستفهام إنكاري. ويروي بدله «هل تعلمين بحالي» ونسبة العلم إليها لتنزيلها منزلة =

والوجه فتح اللام، ﴿فَكَيْفَ﴾ يكون حالهم، وكيف يصنعون؟ يعني أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمراً ولا يوردونه، ﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من التحاكم إلى غيرك واتهامهم لك في الحكم ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ حين يصابون فيعتذرون إليك، ﴿يَحْلِفُونَ﴾ ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك، ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ لا إساءة، ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ بين الخصمين، ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطاً لحكمك، ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم، وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم، ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله، وقيل: جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا: ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه، وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم، ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾: بالغ في وعظهم بالتخفيف والإنذار. فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿فِىٓ

= العاقل كما في ندائها. وقال «معاذ الهوى» كما يقال «معاذ الله» لعظمة الهوى عنده، وهو مصدر نائب عن فعله، أي ألتجيء إلى الهوى، من دعوى أنك مثلي، «ما ذقت» يا حمامة «طارقة» الفراق وشبهها بمطعوم مكروه والذوق تخييل. «وما خطرت الهموم ببال» أي بقلب منك. وأيا: حرف ندا. و «جارتا» أصله جارتي، فقلبت الياء ألفاً لرفع الصوت. وتكرير النداء فيه معنى التحسر. وادعاء بلادتها بعد تنزيلها منزلة العاقل بعيد «ما أنصف الدهر بيننا» حيث أطلقك وأسرك وأسرني وأحزنني. والقياس في تعالى ـ أمر للمؤنثة، وفي تعاليا للمثنى، وفي تعالوا لجمع الذكور ـ فتح اللام على أصلها لأنها عين الفعل، والضمير تال للامه المقدرة، وأهل مكة يكسرون الأولى لمناسبة الياء، ويضمون الثانية لمناسبة الواو تنزيلاً لها منزلة لام الفعل. ومنه قوله «أقاسمك الهموم» فلي النصف ولك الآخر. فإن قيل: إن قائل هذا الشعر مولد فلا يستشهد بكلامه. قلت: أجيب بأن إيراده من قبيل الاستئناء لا من قبيل الاستدلال. ومذهب الزمخشري أن «هاتِ» بالكسر بمعنى ناولني، و «تعالى» بالفتح دائماً على اللغة المشهورة بمعنى أقبل إلى، كلاهما اسم فعل لا فعل أمر، ولعله لعدم تصرفها في هذين المعنيين. وأغرب منه ما نقله السيوطي عن بعضهم: أن أدوات النداء أسماء أفعال متحملة لضمير المتكلم بمعنى أدعو. وقوله «ترى» بفتح الراء على اللغة الأولى، وبكسرها على الثانية. وتكرير الأمر كتكرير النداء. ومعنى ضعف الروح: عجز حواسها عن الإدراك. و «تردد» أصله: تتردد «بالى» أي نحيل. وقوله «أيضحك» استفهام تعجبي بالنسبة للجملة الأولى، وتوبيخي بالنسبة للثانية، وكذلك المصراع الثاني. ويجوز أنه تعجبي في الجميع، أو توبيخي في الجميع وهو أبعدها، ويعني بالمأسور والمحزون نفسه. وبالطليقة والسالي الحمامة. ويجوز أنه أراد العموم ويدخلان فيه دخولاً أولياً. و «المأسور» المحبوس وحزنه: لغة قريش. وأحزنه: لغة تميم. ومحزون من الأول. والندبة: رفع الصوت بالبكاء، والمراد به النوح السابق. والسالي: الصابر وقليل الهموم. والدمع: ماء العين ونزوله منها. والمراد الثاني. وروي «بالدمع مقلة» فمقلة تمييز. والأصل: لقد كانت مقلتي أولى من مقلتك بالدمع. و «غالي» مرتفع وممتنع لتجلد الشامتين. =

﴿أَنفُسِهِمْ﴾[1]؟ قلت: بقوله: (بليغاً) أي: قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم يغتمون به اغتماماً، ويستشعرون منه الخوف استشعاراً، وهو التوعد بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق وأطلع قرنه، وأخبرهم أن ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله، وأنه لا فرق بينكم وبين المشركين، وما هذه المكافة إلا لإظهاركم الإيمان وإسراركم الكفر وإضماره، فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف. أو يتعلق بقوله: ﴿وَقُل لَّهُمْ﴾ أي: قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولاً بليغاً، وأنّ الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفىٰ عليه فلا يغني عنكم إبطانه. فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق، وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه، وشراً من ذلك وأغلظ. أو قل لهم في أنفسهم ـ خالياً بهم، ليس معهم غيرهم، مسارًا لهم بالنصيحة، لأنه في السر أنجع، وفي الإمحاض أدخل ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ يبلغ منهم ويؤثر فيهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ﴾: وما أرسلنا رسولاً قط، ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بسبب إذن الله في طاعته، وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه، لأنه مؤدّ عن الله، فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله، ويجوز أن يراد بتيسير الله

= ينظر ديوانه ص ٢٤٦، وشرح شذور الذهب ص ٢٩، وشرح قطر الندى ص ٣٢.

(١) قال محمود: «إن قلت: بم تعلق قوله في أنفسهم... إلخ»؟ قال أحمد: ولكل من هذه التأويلات شاهد على الصحة. أما الأول فلأن حاصله أمره بتهديدهم على وجه مبلغ صميم قلوبهم وسياق التهديد في قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ يشهد له، فأنه أخبر بما سيقع لهم على سبيل التهديد. وأما الثاني فيلائمه من السياق قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ يعني ما انطوت عليه من الخبث والمكر والحيل. ثم أمره بوعظهم والإعراض عن جرائمهم؛ حتى لا تكون مؤاخذتهم بها مانعة من نصحهم ووعظهم، ثم جاء قوله ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ كالشرح للوعظ، ولذكر أهم ما يعظهم فيه، وتلك نفوسهم التي علم الله ما انطوت عليه من المذام، وعلى هذا يكون المراد الوعظ وما يتعلق به. وأما الثالث: فيشهد له سيرته عليه الصلاة والسلام في كتم عناد المنافقين، والتجافي عن إفصاحهم والستر عليهم، حتى عد حذيفة رضي الله عنه صاحب سره عليه السلاة والسلام، لتخصيصه إياه بالاطلاع على أعيانهم، وتسميتهم له بأسمائهم، وأخباره في هذا المعنى كثيرة.

وتوفيقه في طاعته، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بالتحاكم إلى الطاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا، ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾: من ذلك بالإخلاص، وبالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك بردّ قضائك، حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله ومستغفراً، ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا﴾: لعلموه تواباً، أي: لتاب عليهم، ولم يقل، واستغفرت لهم، وعدل عنه[1] إلى طريقة الالتفات، تفخيماً لشأن رسول الله ﷺ وتعظيماً لاستغفاره، وتنبيهاً على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾[2]: معناه فوربك[3] كقوله تعالى:

---

(١) قال محمود: «وإنما لم يقل واستغفرت لهم لأنه عدل به... إلخ» قال أحمد: وفي هذا النوع من الالتفات خصوصية، وهي اشتماله على ذكر صفة مناسبة لما أضيف إليه، وذلك زائد على الالتفات بذكر الأعلام الجامدة، والله الموفق.

(٢) قوله ـ تعالى ـ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ... الآية﴾.
في الآية تقدم المسند الفعلي حرف «لا»، والحروف دائماً مفاتيح أسرار تحتاج إلى وقفات من الباحثين للتعرف على بعضها بقدر الجهد ودقة البصيرة، فهذه الأدوات تحرك الجملة بأسرها وتعطي للصورة العامة انطباعاً ومذاقاً لا يكون بدونها، وعلينا بعد قراءة كلام المفسر العلامة بتدبر أن نقف عند الأمور الآتية:
١ ـ الفاء في قوله «فلا» تفيد الترتيب والتعقيب جواباً على ما تقدم.
٢ ـ تقديم النفي بالحرف «لا» لقوته، وتوكيده بتكريره بعد القسم.
٣ ـ هذا القسم المؤكد «وربك» وهذا كله لنفي إيمانهم إذا لم يحصل منهم ما شرطه المولى ـ عز وجل ـ لذلك، وهو ما جاء منه أول قوله ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾، وهذا أوقع وأشد على قلوب العباد حتى تقشعر قلوبهم وجلودهم فيعقلوا الغاية من قول ربهم.
٤ ـ اختلفت نظرات الباحثين في «لا» الأولى كما بين العلامة المفسر وغيره، وخلاصة ذلك (أ) أن «لا» هذه رد على مزاعم اليهود وأنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ثم استأنف المولى ـ سبحانه ـ فقال: لا يؤمنون حتى يكون كيت وكيت.
(ب) ونظر بعضهم بعين المعنى قائلاً إن «لا» نفي للإيمان، وقدم على القسم اهتماماً به لقوته، ثم كرر بعد القسم توكيداً، والقسم بين هاتين اللائين للتوكيد أيضاً، فانظر هذه التوكيدات وتأمل!!!
(جـ) وهناك من يرى أن «لا» توكيد للقسم وليست نافية لما بعده، ولو قلت في غير القرآن «فوربك» صح الكلام واستقام، ولكن المقام هنا في حاجة إلى هذا التوكيد بهذه الصورة، وقد وقع هذا الملحظ عند قوله ـ تعالى ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ ـ أيضاً ـ واختلاف هذه النظرات دليل البحث وتجلية المعاني، وقصد المراد الصحيح من كلام رب العزة.
٥ ـ بعد هذا نرى بقية الآية فيها وعيد شديد لأنه لا يصح إيمان عبد ولا يثبت حتى يحصل منه ثلاثة أمور:
(أ) تحكيم رسول الله ـ ﷺ ـ فيما شجر بين العباد بلا استثناء.
(ب) الرضا بما حكم به رسول الله ـ ﷺ ـ مع طيب نفس بذلك الحكم.
(جـ) أن يسلم الأمر لله ورسوله أي يذعن ظاهر وباطناً بدليل أن الله أكد على ذلك بقوله ـ «ويسلموا تسليماً» أي لا تشوبه مخالفة.
ولا بد من ارتباط هذه الأمور الثلاثة: التحكيم والرضا والتسليم. =

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ﴾ [الحجر: ٩٢] و(لا) مزيدة لتأكيد معنى القسم، كما زيدت في ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩] لتأكيد وجود العلم، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جواب القسم فإن قلت: هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر ﴿لَا﴾ في ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟ قلت: يأبى ذلك استواء النفي والإثبات فيه، وذلك قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾

= وبهذه الدقائق البلاغية في المسندات الفعلية: «لا يؤمنون»، «حتى يحكموك»، «لا يجدوا» و«يسلموا تسليماً» أصبحت الصورة واضحة أمامهم بأقوى بيان وأجلى برهان.
«ينظر روح المعاني للألوسي ٥/ ٧٠، ٧١، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٣/ ١٥١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٩٢٩، مفاتيح الغيب للرازي ٩/ ٢٩٠، فتح القدير للشوكاني ١/ ٤٨٣، الإيضاح للقزويني ومعه حواشي خفاجي عليه ٢/ ١٥٧ وما بعدها». وأبو السعود ١/ ٥٤٤.

(٣) قال محمود: «معناه فوربك و «لا» مزيدة لتأكيد. . . إلخ» قال أحمد: يشير إلى أن (لا) لما زيدت مع القسم وإن لم يكن المقسم به، دل ذلك على أنها إنما تدخل فيه لتأكيد القسم، فإذا دخلت حيث يكون المقسم عليه نفياً، تعين جعلها لتأكيد القسم، طرداً للباب. والظاهر عندي والله أعلم: أنها هنا لتوطئة النفي المقسم عليه، والزمخشري لم يذكر مانعاً من ذلك، وحاصل ما ذكره مجيئها لغير هذا المعنى في الإثبات؛ وذلك لا يأبى مجيئها في النفي على الوجه الآخر من التوطئة، على أن في دخولها على القسم المثبت نظراً وذلك أنها لم ترد في الكتاب العزيز إلا مع القسم، حيث يكون بالفعل، مثل ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾﴾، ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾﴾، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ولم تدخل أيضاً إلا على القسم بغير الله تعالى، ولذلك سر يأبى كونها في آية النساء لتأكيد القسم. ويعين كونها للتوطئة، وذلك أن المراد بها في جميع الآيات التي عددناها، تأكيد تعظيم المقسم به، إذ لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له فكأنه بدخولها يقول: إن إعظامي لهذه الأشياء بالقسم بها كلا إعظام، يعني أنه تستوجب من التعظيم فوق ذلك، وهذا التأكيد إنما يؤتي به رفعاً لتوهم كون هذه الأشياء غير مستحقة للتعظيم وللإقسام بها، فيزاح هذا الوهم بالتأكيد في إبراز فعل القسم مؤكداً بالنفي المذكور. وقد قرر الزمخشري هذا المعنى في دخول ﴿لَا﴾ عند قوله ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾﴾ على وجه مجمل هذا بسطه وإيضاحه، فإذا بين ذلك، فهذا الوهم الذي يراد إزاحته في القسم بغير الله مندفع في الإقسام بالله، فلا يحتاج إلى دخول (لا) مؤكدة للقسم فيتعين حملها على الموطئة، ولا تكاد تجدها في غير الكتاب العزيز داخلة على قسم مثبت. وأما دخولها في القسم وجوابه نفي فكثير مثل [من المتقارب]:

فلا وأبيك ابنة العامري	ي لا يدعي القوم أني أفر

وكقوله [من الوافر]:

ألا نادت أمامة باحتمال	لتحزنني فلا بك ما أبالي

وقوله [من الوافر]:

رأى برقاً فأوضع فوق بكر	فلا بك ما أسال ولا أقاما

وقوله [من الطويل]:

فخالف فلا والله تهبط تلعة	من الأرض إلا أنت للذل عارف

وهو أكثر من أن يحصى فتأمل هذا الفصل فإنه حقيق بالتأمل.

[التكوير: ١٩]، ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: فيما اختلف بينهم واختلط، ومنه الشجر لتداخل أغصانه، ﴿حَرَجًا﴾: ضيقاً، أي: لا تضيق صدورهم من حكمك، وقيل: شكا، لأنّ الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين، ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾: وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك، لا يعارضوه بشيء، من قولك: سلم الأمر لله وأسلم له، وحقيقة سلم نفسه وأسلمها، إذا جعلها سالمة له خالصة، و﴿تَسْلِيمًا﴾: تأكيد للفعل بمنزلة تكريره. كأنه قيل: وينقادوا لحكمه انقياداً لا شبهة فيه، بظاهرهم وباطنهم. قيل: نزلت في شأن المنافق واليهودي، وقيل: في شأن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة؛ وذلك أنهما اختصما إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرّة كانا يسقيان بها النخل، فقال: «اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك»، فغضب حاطب وقال: لأن كان ابن عمتك؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقك، ثم أرسله إلى جارك» (٤٣٨) كان قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه؛ فلما أحفظ[١]

---

٤٣٨ ـ أخرجه البخاري (٥/ ٤٢) في الشرب والمساقاة: باب سكر الأنهار (٢٣٥٩ ـ ٢٣٦٠)، ومسلم (٤/ ١٨٢٩ ـ ١٨٣٠) في الفضائل، باب وجوب اتّباعه ـ ﷺ ـ (١٢٩ ـ ٢٣٥٧). وأبو داود (٢/ ٣٣٩) في الأقضية، باب أبواب من القضاء (٣٦٣٧) والترمذي (٣/ ٦٤٤) في الأحكام، باب ما جاء في الرجلين يكون أحدهما أسفل من الآخر في الماء (١٣٦٣). وابن ماجه (١/ ٧ ـ ٨) في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ـ ﷺ ـ والتغليظ على من عارضه (١٥) و(٢/ ٨٢٩) في الرهون، باب الشرب من الأودية ومقدار حبس الماء (٢٤٨٠) وأحمد (٤/ ٤ـ٥)، والبيهقي (٦/ ١٥٣)، (١٠/ ١٠٦)، عن الليث عن ابن شهاب عن عروة عن عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ أنه حدّثه أنّ رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ـ ﷺ ـ. . . فذكره.

وأخرجه النّسائي (٨/ ٢٣٨) في آداب القضاء، باب الرخصة للحاكم الأمين أن يحكم وهو غضبان، وابن الجارود في المنتقى (١٠٢١)، والإسماعيلي كما في الفتح (٥/ ٤٣) عن يونس بن يزيد والليث بن سعد عن ابن شهاب عن عروة عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوّام. . .

وأخرجه البخاري (٥/ ٣٦٤) في الصلح: باب إذا أشار الإمام بالصّلح فأبى حكم عليه بالحكم البيّن (٢٧٠٨) وأحمد (١/ ١٦٥)، والبغوي في شرح السّنة (٤/ ٤١٤ ـ ٤١٥) برقم (٢١٨٧) عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن عروة أن الزبير كان يحدّث أنّه خاصم رجلاً من الأنصار.

وأخرجه البخاري (٥/ ٤٧) في الشرب، باب شرب الأعلى قبل الأسفل (٢٣٦١) (٨/ ١٠٣) في التفسير، باب ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (٤٥٨٥)، والبيهقي (٦/ ١٥٣، ١٠/ ١٠٦)، من طريق معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير مرسلاً.

وتابعه ابن جريج عن ابن شهاب به عند البخاري (٢٣٦٢).

وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: قال ابن أبي حاتم: حدّثنا عمرو بن عثمان حدّثنا سعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن سعيد بن المسيب ـ قوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ـ الآية﴾ قال: نزلت =

---

(١) قوله «فلما أحفظ رسول الله ﷺ» أي أغضب، أفاده الصحاح. (ع)

رسول الله ﷺ استوعب للزبير حقه في صريح الحكم، ثم خرجا فمرا على المقداد، فقال: لمن كان القضاء؟ فقال الأنصاري: قضى لابن عمته، ولوى شدقه. ففطن يهودي كان مع المقداد فقال: قاتل الله هؤلاء، يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضى بينهم، وايم الله، لقد أذنبنا ذنباً مرّة في حياة موسى، فدعانا إلى التوبة منه وقال: اقتلوا أنفسكم، ففعلنا، فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة ربنا حتى رضى عنا. فقال ثابت بن قيس بن شماس: أما والله إنّ الله ليعلم مني الصدق، لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها. وروى أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنّ من أمتي رجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي» (٤٣٩)، وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: والله لو أمرنا ربنا لفعلنا، والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك، فنزلت الآية في شأن حاطب، ونزلت في شأن هؤلاء.

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٦٨) ﴾

= في الزبير بن العوّام، وحاطب بن أبي بلتعة: اختصما في ماء فقضى النبي ـ ﷺ ـ أن يسقي الأعلى ثم الأسفل» وأصله في الصّحيحين أتمّ من هذا من غير تسمية حاطب. أخرجاه من طريق الزهري عن عروة قال «اختصم الزبير ورجل من الأنصار في شراج الحرّة فقال النبيّ ـ ﷺ ـ: «اسق يا زبير ثم ارسل الماء إلى جارك». فقال الأنصاري: «يا رسول الله، إن كان ابن عمّتك؟ فتلوّن وجهه ـ ﷺ ـ، ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك» واستوعب الزبير حقّه في صريح الحكم. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلاّ نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ الآية﴾ وروى أنهما لما خرجا مرا على المقداد: فقال قاتل الله هؤلاء، يشهدون أنّه رسول الله ـ ﷺ ـ ثم يتّهمونه على قضاء يقضي بينهم، وايم الله لقد أذنبنا مرّة في حياة موسى عليه السّلام فدعانا إلى التوبة منه وقال: «اقتلوا أنفسكم، ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة ربّنا حتّى رضي عنّا»، فقال ثابت بن قيس بن شماس: أما والله إنّ الله يعلم منّي الصّدق، لو أمرني أن أقتل نفسي لقتلتها» ذكره الثعلبي في تفسيره بغير سند عن الصّالحي، وإسناده إليه أوّل الكتاب. انتهى.

٤٣٩ ـ أخرجه ابن جرير الطبري (٨/ ٥٢٦)، حديث برقم (٩٩٢١).
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٢٤).
وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر.
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣٣١).
وزاد نسبته إلى الثعلبي، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: لم أجده هكذا، وإنما ذكره الثعلبي عن الحسن ومقاتل قالا: لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمّار وابن مسعود. والله لو أمرنا الله لفعلنا، والحمد لله الذي عافانا، فبلغ النبيّ ـ ﷺ ـ ذلك فقال ـ فذكره». انتهى.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾: أي: لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم أنفسهم، أو خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل، ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا﴾ ناس، ﴿قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ وهذا توبيخ عظيم، والرفع على البدل من الواو في (فعلوه)، وقرىء: «إلا قليلاً»، بالنصب على أصل الاستثناء، أو على إلا فعلاً قليلاً، ﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من اتباع رسول الله ﷺ وطاعته، والانقياد لما يراه ويحكم به، لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في عاجلهم وآجلهم، ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ لإيمانهم وأبعد من الاضطراب فيه، ﴿وَإِذًا﴾: جواب لسؤال مقدر، كأنه قيل: وماذا يكون لهم أيضاً بعد التثبيت، فقيل: وإذاً لو ثبتوا، ﴿لَّءَاتَيْنَٰهُم﴾: لأن «إذا» جواب وجزاء ﴿من لدنا أجراً عظيماً﴾: كقوله: ﴿ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ [النساء: ٤٠] في أنّ المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجراً، لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته، ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: وللطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

الصديقون: أفاضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا في تصديقهم كـ «أبي بكر الصديق» ـ رضي الله عنه ـ وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم، وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة، حيث وعدوا مرافقة أقرب عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات عنده، ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾: فيه معنى التعجب كأنه قيل: وماأحسن أولئك رفيقاً ولاستقلاله بمعنى التعجب. قرىء: «وحسْن»، بسكون السين. يقول المتعجب: حسن الوجه وجهك! وحسن الوجه وجهك، بالفتح والضم مع التسكين، والرفيق: كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه، ويجوز أن يكون مفرداً، بين به الجنس في باب التمييز، وروي: أنّ ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه، فأتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله ﷺ عن حاله؟ فقال: يا رسول الله، ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، فذكرت الآخرة، فخفت ألاّ أراك هناك، لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك، وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبداً، فنزلت، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين» (٤٤٠)، وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة، ﴿ذَٰلِكَ﴾

---

٤٤٠ ـ قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ذكره الثعلبي بغير سند، ونقله الواحدي في الأسباب =

مبتدأ و﴿ٱلْفَضْلُ﴾ صفته و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: الخبر، ويجوز أن يكون «ذلك» مبتدأ، «والفضل من الله» خبره، والمعنى: أنّ ما أعطي المطيعون من الأجر[1] العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه تفضل به عليهم تبعاً لثوابهم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾: بجزاء من أطاعه أو أراد أنَّ فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله، لأنهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليماً بعباده

= عن الكلبي لكن لم يقل في آخره «فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: والذي نفسي بيده إلى آخره» حكى ذلك عن جماعة من الصّحابة قال سعيد بن جبير: حدّثنا خلف بن خليفة عن عطاء بن السّائب عن الشعبي قال «جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال له: «أنت أحبّ إليّ من نفسي وولدي وأهلي ومالي، ولولا أني أتيتك فأراك لكنت، أي سأموت وبكى الأنصاري». فقال له النبي ـ ﷺ ـ: «ما يبكيك؟ فقال: ذكرت أنك ستموت مع النبيين عليهم الصّلاة والسّلام ونحن إن دخلنا الجنّة كنّا درتك فأنزل الله على رسوله ـ ﷺ ـ **﴿ومن يطع الله ـ الآية﴾**فقال له: أبشر» ومن طريقه أخرجه البيهقي في الشعب ووصله الطبراني وعنه ابن مردويه، ومن طريق خالد بن عبد الرحمن عن عطاء بن السّائب عن الشعبي عن ابن عباس نحوه، ورواه الطبري من طريق يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير نحوه مرسلاً، ورواه الطبراني في الصّغير والواحدي موصولاً من طريق عبد الله بن عمران العابدي عن فضيل بن عياض عن منصور بن إبراهيم عن الأسود عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت «جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: «يا رسول الله، والله إنّك لأحبُّ إليّ من نفسي» ـ الحديث بنحوه، وأخرجه الواحدي من طريق أخرى عن مسروق قال قال أصحاب محمد ـ ﷺ ـ فذكره مختصراً ومن طريق روح عن قتادة كذلك مرسلاً. انتهى.

---

(١) قال محمود: «والمعنى أن ما أعطى المطيعون من الأجر. . . إلخ» قال أحمد: عقيدة أهل السنة: أن المطيع لا يستحق على الله بطاعته شيئاً، وأنه مهما أثيب به من دخول الجنة والنجاة من النار، فذاك فضل من الله لا عن استحقاق ثابت، فهم يقرون هذه الآية في رجائها، وأما القدرية: فيزعمون أن المطيع يستوجب على الله ثواب الطاعة، وأن المقابل لطاعته من الثواب أجر مستحق كالأجرة على العمل في الشاهد، ليس بفضل، وإنما الفضل ما يزاده العبد على حقه من أنواع الثواب وصنوف الكرامة، فلما وردت هذه الآية ناطقة بأن جملة ما يناله عباد الله فضل من الله، اضطر الزمخشري إلى ردها إلى معتقده، فجعل الفضل المشار إليه هو الزيادة التابعة للثواب،يعني المستحق، ثم اتسع في التأويل فذكر وجهاً آخر وهو: أن يكون المشار إليه مزايا هؤلاء المطيعين في طاعتهم وتمييزهم بأعمالهم، وجعل معنى كونها فضلاً من الله أنه وفقهم لاكتسابهم ومكنهم من ذلك لا غير، يعني وأما إحداثها فبقدرهم. وهذا من الطراز الأول، والحق أن الكل أيضاً فضل من الله بكل اعتبار، لأن معتقدنا معاشر أهل السنة أن الطاعات والأعمال التي يتميز بها هؤلاء الخواص خلق الله تعالى وفعله، وأن قدرهم لا تأثير لها في أعمالهم، بل الله عز وجل يخلق على أيديهم الطاعات ويثيبهم عليها، فالطاعة إذاً من فضله وثوابها من فضله، فله الفضل على كل حال والمنة في الفاتحة والمآل، وكفي بقول سيد البشر في ذلك حجة وقدوة، فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام «لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل الله ورحمته» قيل: ولا أنت يا رسول الله، قال «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة» «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا». اللهم اختم لنا باقتفاء السنة، وأدخلنا بفضلك المحض الجنة.

فهو يوفقهم على حسب أحوالهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾

﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾: الحِذْرُ والحَذِر بمعنى، كالإثر والأثر، يقال: أخذ حذره، إذا تيقظ واحترز من المخوف، كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه، والمعنى: احذروا واحترزوا من العدوّ ولا تمكنوه من أنفسكم، ﴿فَٱنفِرُواْ﴾ إذا نفرتم إلى العدوّ إما، ﴿ثُبَاتٍ﴾: جماعات متفرّقة سرية بعد سرية، وإما، ﴿جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين كوكبة واحدة، ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة، وقرىء: «فانفروا» بضم الفاء.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

اللام في (لَمن) للابتداء بمنزلتها في قوله: ﴿إن الله لغفور﴾ [النحل: ١٨] وفي، ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾: جواب قسم محذوف تقديره: وإنّ منكم لمن أقسم بالله ليبطئن، والقسم وجوابه صلة «من» والضمير الراجع منها إليه ما استكن في، ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ والخطاب لعسكر رسول الله ﷺ والمبطئون منهم المنافقون لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقاً، ومعنى (ليبطئن) ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى: أبطأ كعتم بمعنى: أعتم[1]، إذا أبطأ، وقرىء «ليبطئن» بالتخفيف يقال: بطأ عليّ فلان وأبطأ عليّ وبطؤ نحو: ثقل، ويقال: ما بطأ بك؟ فيعدى بالباء، ويجوز أن يكون منقولاً من بطؤ، نحو: ثقل من ثقل، فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو، وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبيّ، وهو الذي ثبط الناس يوم أُحد، ﴿فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ من قتل أو هزيمة[2]، ﴿فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من فتح أو غنيمة، ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ وقرأ الحسن «ليقولنّ» بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى (من) لأن قوله: (لمن ليبطئن) في معنى الجماعة، وقوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾: اعتراض بين الفعل الذي هو (ليقولن) وبين مفعوله وهو، ﴿يَـٰلَيْتَنِى﴾ والمعنى كأن لم تتقدم له معكم موادّة، لأن المنافقين كانوا يوادّون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر، وإن كانوا يبغون لهم الغوائل

---

(١) قوله «كعتم بمعنى أعتم» في الصحاح «العتم: الإبطاء». (ع)

(٢) قال محمود فيه: «المراد بالمصيبة القتل والهزيمة... إلخ» قال أحمد: وفي هذه القراءة نكتة غريبة، وهي الإعادة إلى لفظ من بعد الإعادة إلى معناها، وهو مستغرب أنكر بعضهم وجوده في الكتاب العزيز لما يلزم من الإجمال بعد البيان، وهو خلاف قانون البلاغة، إذ الإعادة إلى لفظها ليس بمفصح عن معناها، بل تناوله للمعنى مجمل مبهم، فوقوعه بعد البيان عسر، ومنهم من أثبته وعد موضعين، وهذه الآية على هذه القراءة ثالث، وسيأتي بيان شاف إن شاء الله تعالى.

في الباطن، والظاهر أنه تهكم لأنهم كانوا أعدى عدوّ للمؤمنين وأشدهم حسداً لهم، فكيف يوصفون بالمودّة إلا على وجه العكس تهكماً بحالهم، وقرىء: «فأفوز» بالرفع عطفاً على «كنت معهم» لينتظم الكون معهم، والفوز معنى التمنى، فيكونا متمنيين جميعاً، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، بمعنى فأنا أفوز في ذلك الوقت.

﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿يَشْرُونَ﴾: بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ [من مجزوء الكامل]:

وَشَرَيْتُ بُرْداً لَيْتَنِي ... مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهْ[1]

فالذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون، وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله، ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد، والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها، والمعنى: إن صدّ الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافراً أو مظفوراً به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دين الله، ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: فيه وجهان: أن يكون مجروراً عطفاً على «سبيل الله» أي: في سبيل الله وفي

---

(١) وشريت برداً ليتني ... من بعد برد كنت هامه
يا هامة تدعو صدى ... بين المشرق فاليمامه
لابن مفرغ، باع غلامه برداً عند انصرافه من سجستان إلى البصرة، فندم على ذلك ودعا على نفسه بالقتل. ويقال: اشتراه إذا أخذه ودفع ثمنه. وشراه إذا دفعه وأخذ ثمنه. وكانت العرب تزعم أن عظام رأس القتيل تصير هامة، أي بومة تزقو وتصيح: أدركوني، أدركوني حتى يؤخذ بثأره. والصدي: ذكر البوم. والمشرق ـ كمعظم ـ واليمامة: موضعان بعينهما بينهما مفازة. فقوله: «كنت هامة» كناية عن أن يكون قتيلا. و«يا» للتنبيه أو للنداء. والمنادي محذوف وهامة بيان أو بدل من هامة الأولى، وغايرتها بانضمام الصفة إليها وهي قوله «تدعو صدي» أي تصيح على ذكرها. وهذا من المبالغة في الإشارة واللطف في العبارة، حيث ضرب عن جانب المعنى المراد صفحاً، حتى كأنه يتكلم في هامة حقيقية تزقو على ذكرها، بل أنها هامة تطير وتصيح مع الهامات في المفاوز، وبعد هذا فالكلام مجاز عن شدة تحسره وتحزنه وندمه على ما فعل.
ينظر ديوانه: ص ٢١٣، ولسان العرب: (برد)، (شرى).

خلاص المستضعفين. ومنصوباً[1] على اختصاص يعني واختص في سبيل الله خلاص المستضعفين لأنّ سبيل الله عام في كل خير، وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدّهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد، وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة، وبقي بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد ﷺ فتولاهم أحسن التولي ونصرهم أقوى النصر، ولما خرج استعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا، قال ابن عباس: كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا أعز بها من الظلمة. فإن قلت: لم ذكر الولدان؟ قلت: تسجيلاً بإفراط ظلمهم، حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين، إرغاماً لآبائهم وأمهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم، ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالاً لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا، كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة بإخراجهم في الاستسقاء، وعن ابن عباس: كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان (٤٤١)، ويجوز أن يراد بالرجال والنساء الأحرار والحرائر، وبالولدان العبيد والإماء، لأنّ العبد والأمة يقال لهما: الوليد والوليدة، وقيل: للولدان والولائد (الولدان) لتغليب الذكور على الإناث كما يقال: الآباء والإخوة. فإن قلت: لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث[2]؟ قلت: هو وصف للقرية إلا

---

٤٤١ ـ أخرجه البخاري (٣/٥٨٣) كتاب الجنائز: باب إذا أسلم الصّبي فمات هل يُصّلى عليه وهل يعرض على الصّبي الإسلام حديث (١٣٥٧).
ومسلم (٥/٤٦) كتاب الحج: باب استحباب تقديم ضعفه الأهل حديث (١٢٩٣).
وأبو داود (٢/١٩٤) كتاب الحج: باب التعجيل من جمع حديث (١٩٣٩).
والنّسائي (٥/٢٦١) كتاب الحج: باب تقديم النّساء والصّبيان إلى منازلهم بمزدلفة (٣٠٣٢).
وابن ماجه (٢/١٠٠٧) كتاب المناسك: باب من تقدّم من جمع إلى منى لرمي الجمار (٣٠٢٦).
وأحمد (١/٢٢١) (١/٢٧٢).
والحميدي (١/٢٢٠) حديث (٤٦٣).

---

(١) قال محمود: «يجوز أن يكون المستضعفين مجروراً ـ إلى قوله ـ ومنصوباً... إلخ» قال أحمد: وفيه على هذا مبالغة في الحث على خلاصهم من جهتين: إحداهما ـ التخصيص بعد التعميم فإنه يقتضي إضمار الناصب الذي هو اختص، ولولا النصب لكان التخصيص معلوماً من إفراده بالذكر، ولكن أكد هذا المعلوم بطريق اللزوم بأن أخرجه إلى النطق.

(٢) قال محمود: «إن قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث... إلخ»؟ قال أحمد: ووقفت على نكتة في هذه الآية حسنة، وهي أن كل قرية ذكرت في الكتاب العزيز فالظلم إليها ينسب بطريق المجاز كقوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ إلى قوله: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ وقوله: =

أنه مسند إلى أهلها. فأعطي إعراب القرية لأنه صفتها، وذكر لإسناده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم أهلها، ولو أنث فقيل: الظالمة أهلها، لجاز لا لتأنيث الموصوف، ولكن لأن الأهل يذكر ويؤنث. فإن قلت: هل يجوز من هذه القرية الظالمين أهلها؟ قلت: نعم، كما تقول: التي ظلموا أهلها، على لغة من يقول: أكلوني البراغيث، ومنه ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[1] [الأنبياء: ٣]، رغب الله المؤمنين ترغيباً وشجعهم تشجيعاً بإخبارهم أنهم إنما يقاتلون في سبيل الله. فهو وليهم وناصرهم، وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا وليّ لهم إلا الشيطان، وكيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ أي: كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة، وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ بالمدينة كع فريق منهم[2] لا شكاً في الدين ولا رغبة عنه، ولكن نفوراً عن الإخطار بالأرواح وخوفاً

= ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ وأما هذه القرية في سورة النساء فينسب الظلم إلى أهلها على الحقيقة، لأن المراد بها مكة فوقرت عن نسبة الظلم إليها تشريفاً لها ـ شرفها الله تعالى.

(١) قال السمين الحلبي: وهذه قاعدةٌ كلية: أنَّ الصفة إذا جَرَتْ على غيرِ مَنْ هي له سواءٌ كانت خبراً أم نعتاً أم حالاً يُنْعَتُ ما قبلَها في اثنين من خمسة: واحدٍ من ألقاب الإعراب، وواحد من التنكيرِ والتعريفِ، وأمَّا بالنسبةِ إلى التذكير والتأنيث والإفراد وضدَّيه فيُحْسَبُ المرفوعُ بها كالفعل، ويجبُ أيضاً إبرازُ الضميرِ منها مطلقاً ـ أعني سواء أَلْبس أم لم يُلْبِس ـ وأمَّا إذا كان المرفوعُ بها اسماً ظاهراً فلا حاجةَ إلى رَفْعِها الضميرَ، إلا أنه لا بد من راجع يرجع إلى الاسم الموصوف بها لفظاً كهذه الآية. وهذا بخلافِ الفعلِ إذا وُصِف به أو أُخبر به أو وقع حالاً لشيءٍ لفظاً وهو لغيره معنى، فإن الضميرَ لا يُبْرَزُ منه بل يَسْتَتِرُ نحو: «زيدٌ هندٌ يضربُها» و «هند زيدٌ تضربه» من غيرِ ضميرٍ بارز لقوة الفعل وضَعْفِ الاسم في العمل، وسواءٌ لم يُلْبِس ـ كما تقدَّم تمثيله ـ أو أَلْبس نحو: «زيدٌ عمروٌ يضربه» إذا قَصَدْتَ أن زيداً هو الضاربُ لعمرو، هذا مقتضى مذهبِ البصريينَ، نصَّ عليه مكي وغيره، إلا أنَّه قال قبل ذلك: «إلا أنَّ اسم الفاعل إذا كان خبراً أو صفة أو حالاً لغير مَنْ هو له لم يَسْتَتِرْ فيه ضميرٌ ولا بد من إظهاره، وكذلك إنْ عُطِف على غير مَنْ هو له». قلت: هذه الزيادةُ لم يذكرها النحويون وتمثيلُها عَسِرٌ. وأمَّا ابنُ مالك فإنه سَوَّى بين الفعل والوصف، يعني إنْ أَلْبس وجب الإِبرازُ حتى في الفعل نحو: «زيدٌ عَمروٌ يضربه هو» وإن لم يُلْبِس جاز نحو: «زيد هند يضربها وهذا مقتضى مذهب الكوفيين فإنهم عَلَّلوا باللبس. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «كع فريق منهم» أي جبن. أفاده الصحاح. (ع)

من الموت، ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾: من إضافة المصدر[1] إلى المفعول، فإن قلت: ما محل (كخشية الله) من الإعراب؟ قلت: محله النصب على الحال من الضمير في (يخشون) أي: يخشون الناس مثل أهل خشية الله، أي: مشبهين لأهل خشية الله، ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾: بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية الله، وأشد معطوف على الحال. فإن قلت: لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية الله، بمعنى مثل ما يخشى الله؟ قلت: أبى ذلك قوله: ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾: لأنه وما عطف عليه في حكم واحد، ولو قلت: يخشون الناس أشد خشية؟ لم يكن إلا حال عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر، لأنك لا تقول: خشي فلان أشد خشية، فتنصب خشية وأنت تريد المصدر، إنما تقول: أشد خشية فتجرّها، وإذا نصبتها لم يكن أشد خشية إلا عبارة عن الفاعل حالاً منه، اللّهم إلا أن تجعل الخشية خاشية وذات خشية، على قولهم: جد جده فتزعم أن معناه: يخشون الناس خشية مثل خشية الله، أو خشية أشد خشية من خشية الله، ويجوز على هذا أن يكون محل (أشد) مجروراً عطفاً على (خشية الله) تريد كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها، ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: استزادة في مدة الكف، واستمهال

---

(١) قال محمود: «قوله تعالى ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ من إضافة المصدر... إلخ» قال أحمد: وقد مر نظير هذه الآية في الإعراب وهو قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ وقد قرأ الزمخشري ثم ما أذعن له هنا وهو الجر عطفاً على الذكر، وبينا ثم جوازه بالتأويل الذي ذكره الزمخشري ههنا، وهو إلحاقه بباب جد جده، وأصل هذا الإعراب لأبي الفتح، وقد بينت جواز الجر عطفاً على الذكر من غير احتياج إلى التأويل المذكور، وأجرى مثله ههنا وهو وجه حسن استنبطته من كتاب سيبويه، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمني، والله الموفق. الذي ذكر سيبويه جواز قول القائل: ـ زيد أشجع الناس رجلاً ـ ثم قال سيبويه فـ «رجل» واقع على المبتدأ ولك أن تجره فتقول ـ زيد أشجع رجل ـ وهو الأصل انتهي المقصود من كلام سيبويه. وإذا بنيت عليه جاز أن تقول: خشي فلان أشد خشية، فتنصب الخشية وأنت تريد المصدر، كأنك قلت: خشي فلان خشية أشد خشية، فتوقع خشية الثانية على الأولى، وإن نصبتها فهو كما قلت: زيد أشجع رجلاً، فأوقعت رجلاً على زيد وإن كنت نصبته فهو على الأصل أن تقول: أشد خشية فتجرها، كما كان الأصل أن تقول: زيد أشجع رجل فتجره، وما منع الزمخشري من النصب مع وقوعه على المصدر إلا أن مقتضى النصب في مثله خروج المنصوب عن الأول، بخلاف المجرور، ألا تراك تقول: زيد أكرم أباً، فيكون زيد من الأبناء وأنت تفضل أباه، وتقول زيد أكرم أب، فيكون من الآباء وأنت تفضله، فلو ذهبت توقع أشد على الخشية الأولى وقد نصبت مميزها، لزم خروج الثاني عن الأول وهو محال، إذ لا تكون الخشية خشية فتحتاج إلى التأويل المذكور، وهو جعل الخشية الأولى خاشية حتى تخرجها عن المصدر المميز لها، وقد بينا في كلام سيبويه جواز النصب مع وقوع الثاني على الأول، كما لو جررت، فمثله يجوز في الآية من غير تأويل والله أعلم. وقد مضت وجوه من الإعراب في آية البقرة يتعذر بعضها هنا لمنافرة المعنى والله الموفق. ومثل هذه الأنواع من الإعراب منزل من العربية منزلة اللب الخالص، فلا يوصل إليها إلا بعد تجاوز جملة القشور، وربك الفتاح العليم.

إلى وقت آخر، كقوله: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ [المنافقون: ١٠]. ، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه، وقرىء: «ولا يظلمون»، بالياء.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾

قرىء «يدركُكم» بالرفع وقيل: هو على حذف الفاء[1]، كأنه قيل: فيدرككم الموت، وشبه بقول القائل [من البسيط]:

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا ....[2]

---

(١) قال محمود: «قرىء يدرككم بالرفع. وقيل: هو على حذف الفاء... إلخ» قال أحمد: أما الوجه الذي ألحقه بتوجيه سيبويه في الشعرين المذكورين ففيه نظر. أما قوله «ولا ناعب» فمختار، فإن دخول الباء في خبر ليس أمر مطرد غالب، والخبر وطن معروف لها، فإذا قدرت فيه حيث تسقط، روعي هذا التقدير في المعطوف، لما ذكرناه من الغلبة التي تقتضي إلحاق دخولها بالأصل الواجب الذي يعتبر، نطق به أو سكت عنه. وأما تقدير ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ﴾ في معنى كلام آخر، يرتفع معه قوله: ﴿يُدْرِككُّمُ﴾، فذلك تقدير لم يعهد له نظير، ولم يغلب هذا المقدر فيلتحق بغلبة دخول الباء في الخبر، فلا يلزم من مراعاة ما يقتضيه غالب الاستعمال ومعهوده مراعاة ما لم يسبق به عهد. وأما البيت الآخر لزهير، فالمنقول عن سيبويه حمله أو حمل مثله على التقديم والتأخير، كقوله:

يا أقرع بن حابس يا أقرع ... إنك إن يصرع أخوك تصرع

فليس من قبيل «ولا ناعب» والله الموفق. وفي الوجه الأخير الذي أبداه الزمخشري حجة واضحة على أن القتل في المعارك والملاحم لا يعترض على الأجل المقدر بنقص، وأن كل مقتول فبأجله مات، لا كما يزعمه القدرية، والله الموفق.

(٢) من يفعل الحسنات الله يشكرها ... الشر بالشر عند الله مثلان

فإنما هذه الدنيا وزينتها ... كالزاد لا بد يوماً أنه فان

لعبد الرحمن بن حسان. وقيل: لعبد الله بن حسان. وقيل: لكعب بن مالك الأنصاري. يقول: من يفعل الحسنات فالله يشكرها، أي يجازيه عليها أضعافاً، فأسقط الفاء من جواب الشرط وهو قليل. وقيل: مخصوص بالشعر. وعن المبرد منه مطلقاً، وزعم أن الرواية «من يفعل الخير فالرحمن يشكره» والشر ملتبس بالشر أو حاصل به، ثم قال: هما متماثلان عند الله لا يزيد الجزاء على الذنب. أو الباء بمعنى مع، أي الشر مع الشر مثلان عند الله، لكن الأول الذنب، والثاني جزاؤه. وسمي شراً مشاكلة. وروي «سيان» بدل «مثلان» فإن زينة الدنيا من المال والبنون ليست إلا مثل الزاد الذي يتزود به إلى بلوغ المعاد. ولا بد من فنائه يوماً من الأيام، فلا بد من فنائها. فيوماً: ظرف لفان.

ويجوز أن يقال: حمل على ما يقع موقع: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾، وهو أينما كنتم، كما حمل «ولا ناعب»، على ما يقع موقع (ليسوا مصلحين)[1] وهو ليسوا بمصلحين، فرفع كما رفع زهير [من البسيط]:

.... يَقُولُ: لاَ غَائِبٌ مَالِي وَلاَ حَرِمُ[2]

= البيت لكعب بن مالك في ديوانه ص ٢٨٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١٠٩، وله أو لعبد الرحمن بن حسان في خزانة الأدب ٩/ ٤٩، ٥٢، وشرح شواهد المغني ١/ ١٧٨، ولعبد الرحمن بن حسان في خزانة الأدب ٢/ ٣٦٥، ولسان العرب (بجل)، والمقتضب ٢/ ٧٢، ومغني اللبيب ١/ ٥٦، والمقاصد النحويّة ٤/ ٤٣٣، ونوادر أبي زيد ص ٣١، ولحسان بن ثابت في الدرر ٥/ ٨١، والكتاب ٣/ ٦٥، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٧/ ١١٤، وأوضح المسالك ٤/ ٢١٠، وخزانة الأدب ٩/ ٤٠، ٧٧، ١١/ ٣٥٧، والخصائص ٢/ ٢٨١، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ٢٦٤، ٢٦٥، وشرح شواهد المغني ١/ ٢٨٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/ ٢، ٣، والكتاب ٣/ ١١٤، والمحتسب ١/ ١٩٣، والمقرب ١/ ٢٧٦، والمنصف ٣/ ١١٨، وهمع الهوامع ٢/ ٦٠، ويروى «سيّان» مكان «مثلان».

(١) قوله «كما حمل «ولا ناعب» على ما يقع موقع «ليسوا مصلحين» هو من قول الشاعر [من الطويل]:

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها (ع)

(٢) هو الجواد الذي يعطيك نائله عفواً ويظلم أحياناً فينظلم

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول: لا غائب مالي ولا حرم

لزهير بن أبي سلمى، يمدح هرم بن سنان. والنائل: العطاء. وعفواً: حال منه، أي سهلا عليه، أي قليلاً عنده وإن كثر في الواقع، أو بغير سؤال. ويظلم: أي يسأل فوق طاقته فيتكلف ويعطي. ويروي: فيظلم، وأصله: يظتلم، مطاوع ظلمه. قلبت تاؤه طاء على الأصل في تاء الافتعال بعد المطبقة، ثم قلبت الطاء ظاء معجمة على خلاف الأصل في القلب للإدغام وأدغمت فيها الأولى وروى «فيظلم» وأصله: يظتلم أيضًا قلبت التاء طاء مهملة ثم قلبت الظاء طاء مهملة أيضاً على القياس وأدغمت في الثانية وروي «فيظطلم» بهما معاً. وقوله «أحياناً» فيه نوع احتراس من توهم وصفه بالفقر المستمر. «وإن أتاه خليل» أي متصف بالخلة ـ بالفتح ـ وهي الفقر والفاقة يبيح له أمواله ولا يتعلل. فقوله: «يقول... إلى آخره» كناية عن ذلك، وهو جواب الشرط. ورفع لأن الشرط ماض لم يؤثر العامل في لفظه الجزم، وقد يرفع جواب الشرط المضارع لتخيل أنه ماض، كمسألة العطف على التوهم. وقيل: إنه على تقدير الفاء، أي فهو يقول. وقيل: التقدير يقول: لا غائب مالي إن أتاه خليل؛ فالجواب محذوف دل عليه المذكور، وهو قول سيبويه، وما قبله قول الكوفيين، وروي عنه أيضاً. و «المسغبة» الجوع. و «حرم» كحذر، مصدر حرمه إذا منعه. والمراد به المفعول، أي ليس محروماً وممنوعاً عن السائلين. ويجوز أنه صفة مشبهة، كحذر وفرح بمعنى صنع. ولو قرىء «حرم» بالفتح بمعنى حرام، كزمن وزمان لجاز. وغايته أن يكون في القافية السناد.

ينظر ديوانه ص ١٥٣، والإنصاف ٢/ ٦٢٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٨، وخزانة الأدب ٩/ ٤٨، ٧٠، والدرر ٥/ ٨٢، ورصف المباني ص ١٠٤، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٥٨، وشرح التصريح ٢/ ٢٤٩، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٣٨، والكتاب ٣/ ٦٦، ولسان العرب (خلل)، (حرم)، والمحتسب ٢/ =

وهو قول نحوي سيبوي، ويجوز أن يتصل بقوله: ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: ولا تنقصون شيئاً مما كتب من آجالكم. أينما تكونوا في ملاحم حروب أو غيرها، ثم ابتدأ قوله: ﴿يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ والوقف على هذا الوجه على (أينما تكونوا)[1].

والبروج: الحصون. مشيدة مرفعة، وقرىء «مشيَّدة» من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجصّ، وقرأ نعيم بن ميسرة «مشيدة» بكسر الياء وصفاً لها بفعل فاعلها مجازاً كما قالوا: قصيدة شاعرة، وإنما الشاعر قارضها. السيئة تقع على البلية والمعصية، والحسنة على النعمة والطاعة. قال الله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦٨] وقال: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، والمعنى: وإن تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها إلى الله، وإن تصبهم بلية من قحط وشدة أضافوها إليك وقالوا: هي من عندك، وما كانت إلا بشؤمك، كما حكى الله عن قوم موسى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١] وعن قوم صالح: ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل: ٤٧] وروي عن اليهود ـ لعنت ـ أنها تشاءمت برسول الله ﷺ فقالوا: منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها، فردّ الله عليهم ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: يبسط الأرزاق ويقبضها على حسب المصالح، ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾: فيعلموا أن الله هو الباسط القابض، وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال، ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ يا إنسان خطاباً عاماً، ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ أي: من نعمة وإحسان، ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾: تفضلاً

= ٦٥، ومغني اللبيب ٢/ ٤٢٢، والمقاصد النحويّة ٤/ ٤٢٩، والمقتضب ٢/ ٧٠، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/ ٢٠٧، وجواهر الأدب ص ٢٠٣، وشرح الأشموني ٣/ ٥٨٥، وشرح شذور الذهب ص ٤٥١، وشرح ابن عقيل ص ٥٨٦، وشرح عمدة الحافظ ص ٣٥٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ١٥٧، وهمع الهوامع ٢/ ٦٠.

(١) قال السمين الحلبي: وردَّ عليه الشيخ فقال: «هذا تخريجٌ ليس بمستقيم لا من حيث المعنى ولا من حيث الصناعة النحوية: أمّا من حيث المعنى فإنه لا يناسِبُ أن يكونَ متصلاً بقوله: «ولا تظلمون فتيلاً» لأنَّ انتفاءَ الظلم ظاهراً إنما هو في الآخرة لقوله: «قُلْ متاعُ الدنيا قليل والآخرة خيرٌ لِمَنِ اتَّقى». وأما من حيث الصناعةُ النحوية فإنَّ ظاهرَ كلامِه يَدُلُّ على أن «أينما تكونوا» متعلقٌ بقوله: «ولا تُظْلمون» بمعنى ما فَسَّره، وهذا لا يجوز لأن أسماءَ الشرط لها صدرُ الكلام، فلا يتقدَّم عامُلها عليها، فإنْ وَرَدَ مثلُ: «اضربْ زيداً متى جاء» قُدِّر له عاملٌ يدلُّ عليه «اضرب» لا نفسُ «اضرب» المتقدم. فإن قيل: فكذلك يُقَدِّر الزمخشري عاملاً يدلُّ عليه «ولا تُظْلمون» تقديره: «أينما تكونوا فلا تظلمون» فحذف «فلا تظلمون» لدلالةِ ما قبله عليه، فيخلُصُ من الإِشكال المذكور. قيل: لا يمكن ذلك لأنه حينئذٍ يُحذف جواب الشرط وفعلُ الشرط مضارع، وقد تقدم أنه لا يكون إلا ماضياً» وفي هذا الردِّ نظرٌ، لأنه أراد تفسير المعنى. قوله: «ولا يناسب أن يكون متصلاً بقوله: «ولا تظلمون» ممنوعٌ، بل هو مناسب. انتهى. الدر المصون.

منه وإحساناً وامتناناً وامتحاناً، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ أي: من بلية ومصيبة ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠] وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب، حتى الشوكة يشاكها، وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب، وما يعفو الله أكثر، ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ أي: رسولاً للناس جميعاً لست برسول العرب وحدهم، أنت رسول العرب والعجم، كقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ذلك، فما ينبغي لأحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾: لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله، وروي أنه قال: «من أحبني فقد أحبّ الله، ومن أطاعني فقد أطاع الله» (٤٤٢) فقال المنافقون: ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل، لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله! ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى، فنزلت: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾: عن الطاعة فأعرض عنه، ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ إلا نذيراً، لا حفيظاً ومهيمناً عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم، كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِي تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا أمرتهم بشيء، ﴿طَاعَةٌ﴾ بالرفع أي: أمرنا وشأننا طاعة، ويجوز النصب بمعنى أطعناك طاعة، وهذا من قول المرتسم: سمعاً وطاعة، وسمع وطاعة، ونحوه قول سيبويه: وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له: كيف أصبحت؟ فيقول: حمد الله وثناء عليه، كأنه قال: أمري وشأني حمد الله، ولو نصب حمد الله وثناء عليه. كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها، ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾: زورت طائفة وسوت، ﴿غَيْرَ ٱلَّذِي تَقُولُ﴾: خلاف ما قلت وما أمرت به. أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة، لأنهم أبطلوا الرد لا القبول، والعصيان لا الطاعة، وإنما ينافقون بما يقولون

---

٤٤٢ ـ قال الزيلعي: غريب جداً.
تخريج الكشاف (١/٣٣٦)، حديث (٣٤٢) وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

ويظهرون، والتبييت: إما من البيتوتة لأن قضاء الأمر وتدبيره بالليل، يقال: هذا أمر بيت بليل، وإما من أبيات الشعر، لأن الشاعر يدبرها ويسويها، ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾: يثبته في صحائف أعمالهم، ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد. أو يكتبه في جملة ما يوحى إليك فيطلعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن إبطانهم يغني عنهم، ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ ولا تحدّث نفسك بالانتقام منهم، ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ في شأنهم، فإنّ الله يكفيك معرّتهم[1] وينتقم لك منهم إذا قوي أمر الإسلام وعز أنصاره، وقرىء «بيت طائفة» بالإدغام وتذكير الفعل، لأنّ تأنيث الطائفة غير حقيقي، ولأنها في معنى الفريق والفوج.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾

تدبُّر الأمر: تأمُّله والنظر في إدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل؛ فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه، ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾: لكان الكثير منه مختلفاً متناقضاً قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه، فكان بعضه بالغاً حدّ الإعجاز، وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته، وبعضه إخباراً بغيب قد وافق المخبر عنه، وبعضه إخباراً مخالفاً للمخبر عنه، وبعضه دالاً على معنى صحيح عند علماء المعاني، وبعضه دالاً على معنى فاسد غير ملتئم، فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائقة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق إخبار، علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره، عالم بما لا يعلمه أحد سواه. فإن قلت: أليس نحو قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾ [**الأعراف**: ١٠٧]، ﴿كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾ [**النمل**: ١٠]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [**الحجر**: ٩٢]، ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾﴾ [**الرحمٰن**: ٣٩] من الاختلاف؟ قلت: ليس باختلاف عند المتدبرين.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾

هم ناس من ضعفة المسلمين[2] الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطان

---

(١) قوله «معرتهم» أي إثمهم. وعبارة النسفي «مضرتهم» فحرر. (ع)

(٢) قال محمود: «هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال... إلخ» قال أحمد: وفي اجتماع الهمزة والباء على التعدية نظر، لأنهما متعاقبتان وهو الذي اقتضى عند =

للأمور. كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ﷺ من أمن وسلامة أو خوف وخلل، ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾: وكانت إذاعتهم مفسدة، ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى أولي الأمر منهم ـ وهم كبراء الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمرون منهم ﴿لَعَلِمَهُ﴾: لعلم تدبير ما أخبروا به، ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾: الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها، وقيل: كانوا يقفون من رسول الله ﷺ وأولى الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء، أو على خوف واستشعار، فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء، فتعود إذاعتهم مفسدة، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر وفوّضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا، لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه، وقيل: كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئاً من الخبر عن السرايا مظنوناً غير معلوم الصحة فيذيعونه، فيعود ذلك وبالاً على المؤمنين، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وقالوا: نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع، ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر، أي: يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم. يقال: أذاع السِّر، وأذاع به. قال [من الطويل]:

أَذَاعَ بِـهِ فِـي الـنَّـاسِ حَـتَّـى كَـأَنَّـهُ ... بِـعَـلْـيَـاءَ نَـارٌ أُوقِـدَتْ بِـثَـقُـوبِ[1]

ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة، وهو أبلغ من أذاعوه، وقرىء «لعلْمه» بإسكان اللام كقوله [من الطويل]:

فَـإِنْ أَهْـجُـهُ يَـضْـجَـرْ كَـمَـا ضَـجْـرَ بَـازِلٌ ... مِـنَ الأُدْمِ دَبْـرَتْ صَـفْـحَـتَـاهُ وَغَـارِبُـهْ[2]

= الزمخشري قوله في الوجه الثاني: فعلوا الإذاعة ليخرجها عن الباء المعاقبة للهمزة، ثم في هذه الآية تأديب لمن يحدث بكل ما يسمع، وكفي به كذباً، وخصوصاً عن مثل السرايا والمناصبين الأعداء والمقيمين في نحر العدو، وما أعظم المفسدة في لهج العامة بكل ما يسمعون من أخبارهم، خيراً أو غيره. ولقد جربنا ذلك في زماننا هذا منذ طرق العدو المخذول البلاد ـ طهرها الله من دنسه، وصانها عن رجسه ونجسه، وعجل للمسلمين الفتح وأنزل عليهم السكينة والنصر.

(١) أمنت على السر امرأ غير حازم ... ولكنه في النصح غير مريب
أذاع به في الناس حتى كأنه ... بعلياء نار أوقدت بثقوب

لأبي الأسود الدؤلي. والحازم: السديد الرأي. ويقال: أذاعه إذا أفشاه وأظهره، ويضمن معنى التحدث أيضاً فيقال: أذاع به أي تحدث به فأظهره. والعلياء: الأرض المرتفعة. والثقوب: آلة تثقب بها النار فتشتعل. يقول: وضعت السر عند من لا يصونه، وغرني صدق نصحه فأفشاه بين الناس. حتى كأنه نار في أكمة عالية أشعلت بالثقوب، فتكون أشد ظهوراً.
ينظر ديوانه ص ٤٥، والحيوان: ٦٠١/٥، ولسان العرب: (ذيع)، وتهذيب اللغة: ١٤٨/٣، وتاج العروس: (ذيع).

(٢) ضجر البعير: كثر رغاؤه من ثقل الحمل. والبازل البعير الذي انشق نابه، وذلك في السنة الثامنة أو =

والنبط: الماء يخرج من البئر أول ما تحفر، وإنباطه واستنباطه: إخراجه واستخراجه، فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ وهو إرسال الرسول، وإنزال الكتاب[1]، والتوفيق، ﴿لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: لبقيتم على الكفر، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم. أو إلا اتباعاً قليلاً، لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال، وإظهارهم الطاعة وإضمارهم خلافها. قال: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إن أفردوك وتركوك وحدك، ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾: غير نفسك وحدها إن تقدّمها إلى الجهاد، فإنّ الله هو ناصرك لا الجنود، فإن شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الألوف، وقيل: دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج، وكان أبو سفيان واعد

= التاسعة. والأدم: الشديدات البياض: جمع آدم أي شديد البياض، وربما علته صفرة، وزان حمر وأحمر، خصها لرقة جلودها. والدبر: الانجراح والانتقاب من الرحل. والغارب: العظم الناشز في الظهر. وضجر، ودبر: فعلان ماضيان من باب تعب، سكن وسطهما تخفيفاً. يقول: إن أذمه يتضجر كتضجر ذلك البعير من حمله.

(١) عاد كلامه. قال: «ومعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته: ولولا إرسال الرسول وإنزال الكتاب... إلخ» قال أحمد: وفي تفسير الزمخشري هذا نظر، وذلك أنه جعل الاستثناء من الجملة التي وليها بناء على ظاهر الإعراب» وأغفل المعنى. وذلك أنه يلزم على ذلك جواز أن ينتقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان، ومن اتباع الشيطان إلى عصيانه وخزيه، وليس لله عليه في ذلك فضل. ومعاذ الله أن يعتقد ذلك. وبيان لزومه أن «لولا» حرف امتناع لوجود، وقد أبانت امتناع اتباع المؤمنين للشيطان، فإذا جعلت الاستثناء من الجملة الأخيرة، فقد سلبت تأثير فضل الله في امتناع الاتباع عن البعض المستثنى ضرورة، وجعلت هؤلاء المستثنين مستبدين بالإيمان وعصيان الشيطان الداعي إلى الكفر، بأنفسهم لا بفضل الله. ألا تراك إذا قلت لمن تذكره بحقك عليه: لولا مساعدتي لك لسلبت أموالك إلا قليلاً، كيف لم تجعل لمساعدتك أثراً في بقاء القليل للمخاطب، وإنما مننت عليه بتأثير مساعدتك في بقاء أكثر ماله لا في كله. ومن المحال أن يعتقد موحد مسلم أنه عصم في شيء من الأشياء من اتباع الشيطان إلا بفضل الله تعالى عليه. أما قواعد أهل السنة فواضح أن كل ما يعد به العبد عاصياً للشيطان من إيمان وعمل خير، مخلوق لله تعالى، وواقع بقدرته، ومنعم على العبد به. وأما المعتزلة فهم وإن ظنوا أن العبد يخلق لنفسه إيمانه وطاعته إلا أنهم لا يخالفون في أن فضل الله منسحب عليه في ذلك، لأنه خلق له القدرة التي بها خلق العبد ذلك على زعمهم ووفقه لإرادة الخير، فقد وضح لك تعذر الاستثناء من الجملة الأخيرة على تفسير الزمخشري، وما أراه إلا واهماً مسترسلاً على المألوف في الإعراب، وهو إعادة الاستثناء إلى ما يليه من الجمل، مهملاً للنظر في المعنى. ومن ثم اتخذ القاضي أبو بكر رضي الله عنه الاستثناء في هذه الآية إلى ما قبل الجملة الأخيرة فطنة منه ويقظه، ولأنه إمام مؤيد في نظره مسدد في فكره، ثم اتخذ القاضي رضي الله عنه هذه الآية وزره في الرد على من زعم الجزم بعود الاستثناء المتعقب للجمل إلى الأخيرة، ظناً منه أن ذلك واجب لا يسوغ سواه. ثم يقف في عوده إلى ما تقدم خاصة. وقد بينت عند قوله تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ أن الاستثناء في هذه الآية أيضاً يتعين عوده إلى الأولى، ويتعذر رده إلى الأخيرة، لأن المعنى يأباه، وهي مؤازرة للقاضي في الرد على من حتم عود الاستثناء إلى الأخيرة، والله الموفق.

رسول الله ﷺ اللقاء فيها، فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت، فخرج وما معه إلا سبعون لم يلوِ على أحد، ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده، وقرىء ﴿لا تكلفْ﴾ بالجزم على النهي، و«لا نكلف»: بالنون وكسر اللام، أي: لا نكلف نحن إلا نفسك وحدها، ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: وما عليك في شأنهم إلا التحريض فحسب، لا التعنيف بهم، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وهم قريش، وقد كف بأسهم فقد بدا لأبي سفيان وقال: هذا عام مجدب، وما كان معهم زاد إلا السويق، ولا يلقون إلا في عام مخصب فرجع بهم، ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ من قريش، ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾: تعذيباً.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾

الشفاعة الحسنة: هي التي روعي بها حق مسلم، ودفع بها عنه شر أو جلب إليه خير، وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة، وكانت في أمر جائز لا في حدّ من حدود الله ولا في حق من الحقوق، والسيئة: ما كان بخلاف ذلك، وعن مسروق أنه شفع شفاعة فأهدى إليه المشفوع جارية، فغضب وردها وقال: لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك، ولا أتكلم فيما بقي منها وقيل: الشفاعة الحسنة: هي الدعوة للمسلم، لأنها في معنى الشفاعة إلى الله، وعن النبي ﷺ: «من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له [و] قال له الملك: ولك مثل ذلك (٤٤٣)، فذلك النصيب»، والدعوة على المسلم بضد ذلك ﴿مُّقِيتًا﴾ شهيداً حفيظاً، وقيل: مقتدراً، وأقات على الشيء(١)، قال الزبير بن عبد المطلب [من الوافر]:

وَذِي ضِغْنٍ نَفَيْتُ السُّوءَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى إِسَاءَتِهِ مُقِيتاً(٢)

---

٤٤٣ ـ أخرجه مسلم (٩/ ٥٨) حديث (٨٧)، كتاب الذّكر والدّعاء والتّوبة والاستغفار، باب: فضل الدّعاء للمسلمين.

ـ والبيهقي (٣/ ٣٥٣)، كتاب صلاة الاستسقاء، باب: باب استسقاء إمام الناحية المخصبة لأهل الناحية المجدبة.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء، بلفظ، قالت الملائكة: آمين، ولك بمثله. انتهى.

---

(١) قوله «وأقات على الشيء» لعل بعده سقطا تقديره: اقتدر عليه. (ع)

(٢) للزبير بن عبد المطلب. والضغن: الحقد. والإقاتة: الاقتدار. وروي الصاغاني (١/ ٣٣١): أقيت. وروي بعده:

يبيت الليل مرتفقا ثقيلا على فرش الفتاة وما أبيت =

وقال السموءل [من الخفيف]:

أَلِـيَ الْـفَـضْـلُ أَمْ عَـلَـيّ إِذَا حُـو   سِبْتُ إِنّي عَلَى الْحِسَابِ مُقِيتُ؟(١)

واشتقاقه من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾

الأحسن منها أن تقول: (وعليكم السلام ورحمة الله) إذا قال: (السلام عليكم) وأن تزيد (وبركاته) إذا قال: (ورحمة الله) وروي: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: السلام عليك، فقال: «وعليك السلام ورحمة الله» وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله، فقال: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته» وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: «وعليك». فقال الرجل: نقصتني، فأين ما قال الله؟ وتلا الآية. فقال: «إنك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله» (٤٤٤)، ﴿أَوْ رُدُّوهَآۗ﴾: أو أجيبوها بمثلها، ورد السلام ورجعه:

---

٤٤٤ ـ أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧) حديث (٦١١٤).
ـ والطبري في تفسيره (٨/ ٥٨٩)، حديث (١٠٠٤٤).
ـ وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٧١٩) حديث (١١٩٦) كلّهم من طريق سلمان الفارسي.
قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، قال أحمد: تركت حديث هشام بن لاحق. قال ابن حبّان: لا يجوز الاحتجاج به. =

= تَـعِـنُّ إلـى مـنـه مـؤذيـات   كـمـا تـؤذي الـجـذامـيـر الـبـروت

والمرتفق: المتكىء على مرفقه. وتعن: تسرع وتظهر. والجذمار: ما بقي من أصل السعفة. والبروت: الفأس، وهي فاعل تؤذي.
ينظر البحر ٣/ ٣١٦، والدر المصون ٢/ ٤٠٥.

(١)
لـيـت شـعـري وأشـعـرن إذا مـا   قـربـوهـا مـنـشـورة ودعـيـت
ألـيَ الـفـضـل أم عـلـى إذا حـو   سبت إني على الحساب مقيت؟
يـنـفـع الـطـيـب الـقـلـيـل مـن الـرز   ق ولا يـنـفـع الـكـثـيـر الـخـبـيـت

للسموءل الغساني اليهودي. وأشعرن: اعتراض، أي لا حاجة إلى ثمين الشعور، فإني أعلم أن من عمل خيراً يره، ومن عمل شراً يره وتوكيد الفعل المثبت الخبر كما هنا نادر جداً، لأنه ليس من مواضع التوكيد المنكورة في النحو. و «ما» زائدة. وضمير قربوها للصحف. وضمير الفاعل للملائكة. ويروي «الغور» بدل الفضل. وإني: بالكسر والفتح. المقيت: المقتدر. والشهيد: الحفيظ، وأصله القوت؛ لأنه يقوي النفس ويحفظها. والخبيت بالمثناة: الخبيث بالمثلثة. وحق بلاغة المعنى: تقديم القليل على الطيب، لكن أخرته الضرورة.
ينظر الدرر ٥/ ١٦٦، ولسان العرب (قوت)، والمقاصد النحويّة ٤/ ٣٣٢ وشرح الأشموني ٢/ ٥٠٠، وإصلاح المنطق ص ٢٧٧، وهمع الهوامع ٢/ ٧٩، ومجاز القرآن ١/ ١٣٥، الأصمعيات (٨٦)، والعين ٤/ ٣٢٢، والقرطبي ١/ ١٢٩، والدر المصون ٢/ ٤٠٥.

جوابه بمثله، لأن المجيب يرد قول المسلم ويكرره، وجواب التسليمة واجب، والتخيير إنما وقع بين الزيادة وتركها، وعن أبي يوسف ـ رحمه الله ـ: من قال لآخر: أقرىء فلاناً السلام، وجب عليه أن يفعل، وعن النخعي: السلام سنة والردّ فريضة، وعن ابن عباس: الردّ واجب، وما من رجل يمرّ على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس وردّت عليه الملائكة، ولا يرد السلام في الخطبة، وقراءة القرآن، جهراً ورواية الحديث، وعند مذاكرة العلم، والأذان، والإقامة، وعن أبي يوسف: لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج، والمغني، والقاعد لحاجته، ومطير الحمام، والعاري من غير عذر في حمام أو غيره، وذكر الطحاوي: أن المستحب ردّ السلام على طهارة، وعن النبي ﷺ: أنه تيمم لردّ السلام (٤٤٥). قالوا: ويسلم الرجل إذا دخل على امرأته، ولا يسلم على أجنبية، ويسلم الماشي على القاعد، والراكب على الماشي، وراكب الفرس على راكب الحمار، والصغير على الكبير، والأقل على الأكثر، وإذا التقيا ابتدرا، وعن أبي حنيفة: لا تجهر بالرد يعني الجهر الكثير، وعن النبي ﷺ: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا:

= ـ وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٣٦)، وقال: فيه هشام بن لاحق قواه النّسائي وترك أحمد حديثه، وبقية رجاله رجال الصّحيح.

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٣٧) لابن مردويه في تفسيره، من طريق أحمد بن حنبل.

ـ وله شاهد من حديث ابن عباس.

أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٣٥٨)، حديث (١٢٠٠٧) من طريق عكرمة عن ابن عباس.

ـ وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٣٦).

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الطبراني والطبري من رواية هشام بن عاصم الأحول عن أبي عثمان عن سلمان. وقال ابن الجوزي في العلل: ترك حديث هشام. ورواه الطبراني أيضاً من رواية عكرمة عن ابن عباس. والراوي له عن عكرمة أبو هريرة عن نافع عن هرمز. وهو ضعيف. انتهى.

٤٤٥ ـ أخرجه البخاري (١/ ٤٤١) كتاب التيمم: باب التيمم في الحضر حديث (٣٣٧) ومسلم (١/ ٢٨١) كتاب الحيض: باب التيمم حديث (١١٤/ ٣٦٩). قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه البخاري من رواية عمير مولى ابن عباس قال «أقبلت أنا وعبد الله بن يسار مولى ميمونة زوج النبي ـ ﷺ ـ حتى دخلنا على أبي الجهيم بن الحارث ابن الصّمة الأنصاري. فقال أبو الجهيم: «أقبل رسول الله ـ ﷺ ـ من نحو بئر جمل فلقيه رجل، فسلّم عليه فلم يرد عليه حتى أتى على الجدار فمسح بوجهه ويديه ثم ردّ عليه السّلام، ورواه مسلم معلّقاً». ولأوبي داود عن ابن عمير «مرّ رجل على رسول الله ـ ﷺ ـ في سكّة من السّكك، وقد خرج من غائط أو بول، فسلّم عليه، فلم يرد عليه حتى إذا كاد الرجل أن يتوارى في السّكّة ضرب يده على الحائط ومسح بها وجهه، ثم ضرب ضربة أخرى فمسح ذراعيه ثم ردّ السّلام. وقال: إنّه لم يمنعني أن أردّ عليك السّلام إلاّ أنّي لم أكن على طهارة». انتهى.

وعليكم» (٤٤٦) أي: وعليكم ما قلتم؛ لأنهم كانوا يقولون: السام عليكم.

وروى: «لا تبتدىء اليهوديّ بالسلام، وإن بدأك فقل وعليك» (٤٤٧)، وعن الحسن: يجوز أن تقول للكافر: وعليك السلام، ولا تقل: ورحمة الله، فإنها استغفار، وعن الشعبي أنه قال لنصراني سلم عليه: وعليك السلام ورحمة الله. فقيل له في ذلك، فقال: أليس في رحمة الله يعيش؟ وقد رخص بعض العلماء في أن يبدأ أهل الذمة بالسلام إذا دعت إلى ذلك حادثة تحوج إليهم، وروى ذلك عن النخعي، وعن أبي حنيفة: لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره، وعن أبي يوسف: لا تسلم عليهم ولا تصحافهم، وإذا دخلت فقل: السلام على من اتبع الهدى، ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه، ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ أي: يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: إما خبر المبتدأ، وإما اعتراض والخبر، ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، ومعناه: والله ليجمعنكم، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: ليحشرنكم إليه، والقيامة والقيام. كالطلابة والطلاب، وهي قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٦]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾: لأنه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب، وذلك أنّ الكذب مستقل بصارف عن الإقدام عليه وهو قبحه، ووجه قبحه الذي هو كونه كذباً وإخباراً عن الشيء بخلاف ما هو عليه. فمن كذب لم يكذب إلا لأنه محتاج إلى أن يكذب ليجرّ منفعة أو يدفع مضرة. أو هو غني عنه إلا أنه يجهل غناه. أو هو

---

٤٤٦ ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص (٣٢١)، حديث (١١١٢)، وابن ماجه (٢/ ١٢١٩): كتاب الأدب: «باب ردّ السّلام على أهل الذمّة»، حديث (٣٦٩٧)، وأحمد (٣/ ١٤٠، ٢١٤، ٢٣٤، ١٤٤، ١٩٢، ٢٨٩).
ـ والترمذي (٥/ ٤٠٧) كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المجادلة، رقم (٣٣٠١).
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
وينظر الحديث الآتي:
قال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ انتهى.
٤٤٧ ـ أخرجه مسلم (٤/ ١٧٠٧): كتاب «السّلام»: باب «النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسّلام، وكيف يرد عليهم» رقم (٦/ ٢١٦٣)، وأبو داود (٢/ ٧٧٣) كتاب «الأدب»: باب «في السّلام على أهل الذمّة» برقم (٥٢٠٥)، والترمذي (٤/ ١٥٤): كتاب «السير»: باب «ما جاء في التسليم على أهل الكتاب» برقم (١٦٠٢)، وأحمد (٢/ ٢٦٦ ـ ٣٤٦ ـ ٤٥٩)، وعبد الرزاق (١٠/ ٣٩١): كتاب «الجامع»: باب «السّلام على أهل الشّرك والدّعاء لهم» رقم (١٩٤٥٧)، والطّحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٤١) كتاب «الكراهية»: باب «السّلام على أهل الكفر».

جاهل بقبحه. أو هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في إخباره ولا يبالي بأيهما نطق، وربما كان الكذب أحلى على حنكه من الصدق، وعن بعض السفهاء أنه عوتب على الكذب فقال: لو غرغرت لهواتك به ما فارقته، وقيل لكذاب: هل صدقت قط؟ فقال: لولا أني صادق في قولي «لا» لقلتها. فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم، منزهاً عنه، كما هو منزه عن سائر القبائح.

﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿فِئَتَيْنِ﴾: نصب على الحال، كقولك: مالك قائماً؟ روى أنّ قوماً من المنافقين استأذنوا رسول الله ﷺ في الخروج إلى البدو معتلين باجتواء المدينة، فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين، فاختلف المسلمون فيهم، فقال بعضهم: هم كفار، وقال بعضهم: هم مسلمون، وقيل: كانوا قوماً هاجروا من مكة، ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنا على دينك وما أخرجنا إلا اجتواء المدينة والاشتياق إلى بلدنا، وقيل: هم قوم خرجوا مع رسول الله ﷺ يوم أُحد ثم رجعوا، وقيل: هم العرنيون الذين أغاروا على السرح وقتلوا يساراً، وقيل: هم قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة، ومعناه: ما لكم اختلفتم في شأن قوم نافقوا نفاقاً ظاهراً وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم، ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ أي: ردهم في حكم المشركين كما كانوا، ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله ﷺ. أو أركسهم في الكفر بأن خذلهم حتى أركسوا فيه؛ لما علم من مرض قلوبهم، ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ﴾: أن تجعلوا من جملة المهتدين، ﴿مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾: من جعله[(١)] من جملة الضلال، وحكم عليه بذلك أو خذله حتى ضلّ، وقرىء: «ركسهم»، و«ركسوا فيها».

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ

---

(١) قال محمود: «معناه من جعله... إلخ» قال أحمد: هو بهذين الوجهين يفر من الحق والحقيقة. أما الحق، فلأن الله هو الذي خلق الضلال لمن ضل؛ إذ لا خالق إلا الله. وأما الحقيقة، فلأنها ـ أعني الآية ـ اقتضت نسبة الأصل إلى فعل الله تعالى، فالتخيل في تحريف الفاعلية إلى التسبيب عدول عن الحقيقة إلى المجاز. وقد علمت الباعث له على هذا المعتقد فلا نعيده.

قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ ﴾

﴿فَتَكُونُونَ﴾: عطف على، ﴿تَكْفُرُونَ﴾: ولو نصب على جواب التمني لجاز، والمعنى: ودّوا كفركم فكونكم معهم شرعاً[1] واحداً فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء. فلا تتولوهم وإن آمنوا حتى يظاهروا إيمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله ـ لا لغرض من أغراض الدنيا ـ مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرّب.، ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة، فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحلّ والحرم، وجانبوهم مجانبة كلية، وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ استثناء من قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ﴾: ومعنى ﴿يصلون إلى قوم﴾: ينتهون إليهم ويتصلون بهم، وعن أبي عبيدة: هو من الانتساب، وصلت إلى فلان واتصلت به إذا انتميت إليه، وقيل: إن الانتساب لا أثر له في منع القتال، فقد قاتل رسول الله ﷺ بمن معه من هو من أنسابهم، والقوم هم الأسلميون، كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، وذلك أنه وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على ألاّ يعينه ولا يعين عليه، وعلى أنّ من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال، وقيل: القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح، ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾: لا يخلو من أن يكون معطوفاً على صفة قوم، كأنه قيل: إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين، أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم، أو على صلة الذين، كأنه قيل: إلا الذين يتصلون بالمعاهدين، أو الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ بعد قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾: فقرّر أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الإيقاع بهم. فإن قلت: كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء، واستحقاق إزالة التعرّض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالمكافين، لأنّ الاتصال بهؤلاء أو هؤلاء دخول في حكمهم، فهلا جوزت أن يكون العطف على صفة «قوم»، ويكون قوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾: تقريراً لحكم اتصالهم بالمكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم؟ قلت: هو جائز، ولكن الأول أظهر وأجرى على أسلوب الكلام، وفي قراءة أبيّ: «بينكم وبينهم

(١) قوله «شرعاً» أي طريقاً. وفي الصحاح: أنه يحرك ويسكن. (ع)

ميثاق جاءوكم حصرت صدورهم»، بغير «أو» ووجهه أن يكون (جاءوكم) بياناً لـ «يصلون»، أو بدلاً أو استئنافاً، أو صفة بعد صفة لـ «قوم». «حصرت صدورهم» في موضع الحال بإضمار قد، والدليل عليه قراءة من قرأ: «حصرة صدورهم»، و«حصرات صدورهم»، و«حاصرات صدورهم»، وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على: أو جاءوكم قوماً «حصرت صدورهم»، وقيل: هو بيان لـ «جاءوكم»، وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله ﷺ غير مقاتلين، والحصر: الضيق والانقباض، ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾: عن أن يقاتلوكم. أو كراهة أن يقاتلوكم. فإن قلت: كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين؟ قلت: ما كانت مكافتهم إلا لقذف الله الرعب في قلوبهم، ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه، فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين، فذلك معنى التسليط، وقرىء: «فلقتلوكم»، بالتخفيف والتشديد، ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ فإن لم يتعرضوا لكم، ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: الانقياد والاستسلام، وقرىء بسكون اللام مع فتح السين، ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم، ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾: هم قوم من بني أسد وغطفان، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم، ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين، ﴿أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ﴾ قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه، وكانوا شراً فيها من كل عدوّ، ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ﴾ حيث تمكنتم منهم، ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر، وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطاً ظاهراً حيث أذنا لكم في قتلهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾: وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ﴾ [آل عمران: ١٦١]، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ [الأعراف: ٨٩]،، ﴿أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾: ابتداء غير قصاص، ﴿إِلَّا خَطَـًٔاۚ﴾: إلا على وجه الخطأ. فإن قلت: بم انتصب «خطأ»؟ قلت: بأنه مفعول له، أي: ما ينبغي له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطأ وحده، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ، وأن يكون

صفة للمصدر إلا قتلاً خطأ، والمعنى أن من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء ألبتة، إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد، بأن يرمي كافراً فيصيب مسلماً، أو يرمي شخصاً على أنه كافر فإذا هو مسلم، وقرىء: «خطاء» ـ بالمد ـ و«خطا»، بوزن عمى ـ بتخفيف الهمزة ـ وروى: أنّ عياش بن أبي ربيعة ـ وكان أخا أبي جهل لأمّه ـ أسلم وهاجر خوفاً من قومه إلى المدينة، وذلك قبل هجرة رسول الله ﷺ، فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يئويها سقف حتى يرجع. فخرج أبو جهل ومعه الحارث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم[1] ففتل منه أبو جهل في الذروة والغارب، وقال: أليس محمد يحثك على صلة الرحم؟! انصرف وبرَّ أمك وأنت على دينك، حتى نزل وذهب معهما، فلما فسحا عن المدينة كتفاه، وجلده كل واحد مائة جلدة. فقال للحارث: هذا أخي، فمن أنت يا حارث؟ لله عليّ إن وجدتك خالياً أن أقتلك، وقدما به على أمه، فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد. ففعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم، وأسلم الحارث وهاجر، فلقيه عياش بظهر قباء ـ ولم يشعر بإسلامه ـ فأنحى عليه فقتله، ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله ﷺ فقال: قتلته ولم أشعر بإسلامه، فنزلت (٤٤٨)، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: فعليه تحرير رقبة، والتحرير: الإعتاق، والحر والعتيق: الكريم، لأن الكرم في الأحرار كما أن اللؤم في العبيد، ومنه: عتاق الخيل، وعتاق الطير لكرامها، وحرّ الوجه: أكرم موضع منه، وقولهم للئيم: عبد وفلان عبد الفعل: أي: لئيم الفعل، والرقبة: عبارة عن النسمة، كما عبر عنها بالرأس في قولهم: فلان يملك كذا رأساً من الرقيق، والمراد بـ «رقبة مؤمنة»: كل رقبة

---

٤٤٨ ـ أخرجه الطبري (٩/ ٣٣) رقم (١٠٠٩٢)، من طريق أسباط عن السديّ.
ـ وذكره ابن هشام في سيرته (٢/ ٩٣)، رقم (٤٩٠).
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٣٩، ٣٤٠) للواحدي في أسباب النّزول عن الكلبي، وللثعلبي في تفسيره من غير سند.
ـ قلت: ويشهد له ما أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٥٩، ٤٦٠) من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب مرسلاً.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي بغير سند، والواحدي عن الكلبي، ورواه من طريق أسباط عن السديّ بتغيير يسير ولم يسم الحارث، فقال: ومعه رجل من بني عامر وقال ابن إسحاق في المغازي: حدّثني نافع عن ابن عمر عن أبيه قال «أبعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص لما أردنا الهجرة، فأصبحت أنا وعياش. وحبس عنا هشام وفتى، وخرج أبو جهل وأخوه الحارث إلى عياش بالمدينة فكلّماه وقالا له: إن أمك نذرت ألاّ تمس رأسها بمشط. فذكر القصّة بطولها. انتهى.

---

(١) قوله «وهو في أطم ففتل منه» الأطم: الحصن، أفاده الصحاح. وفيه: ما زال فلان يفتل من فلان في الذروة والغارب، أي يدور من وراء خديعته. (ع)

كانت على حكم الإسلام عند عامة العلماء، وعن الحسن: لا تجزىء إلا رقبة قد صلت وصامت، ولا تجزىء الصغيرة، وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار، فاشترط الإيمان، وقيل: لما أخرج نفساً مؤمنة عن جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفساً مثلها في جملة الأحرار، لأنّ إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار، ﴿مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾: مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث، لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء، يقضى منها الدين، وتنفذ الوصية وإن لم يبق وارث فهي لبيت المال؛ لأن المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله ﷺ: «أنا وارث من لا وارث له» (٤٤٩). وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنه قضى بدية المقتول، فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال: لا أعلم لك شيئاً، إنما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه. فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال: كتب إليّ رسول الله ﷺ يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها أشيم. فورّثها عمر (٤٥٠)، وعن ابن مسعود: يرث كل وارث

---

٤٤٩ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ١٢٣)، حديث (٢٩٠١)، كتاب الفرائض باب: في ميراث ذوي الأرحام.
والنّسائي في الكبرى (٤/ ٧٦ ـ ٧٧) كتاب الفرائض، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر المقدام حديث (٦٣٥٤ ـ ٦٣٥٦) وابن ماجه (٢/ ٨٧٩، ٨٨٠) حديث (٢٦٣٤)، كتاب الديات باب: الدية على العاقلة فإن لم يكن عاقلة ففي بيت المال.
ـ والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤٤)، كتاب الفرائض.
ـ وأحمد (٤/ ١٣١، ١٣٣).
وابن حبّان في صحيحه (١٣/ ٣٩٧) حديث (٦٠٣٥) وابن الجارود في المنتقى رقم (٩٦٥) والطحاوي في شرح المعاني (٤/ ٣٩٧) والدارقطني (٤/ ٨٥ ـ ٨٦) كتاب الفرائض، والبيهقي (٦/ ٢١٥) كتاب الفرائض باب من قال بتوريث ذوي الأرحام.
وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين».
وتعقّبه الذهبي بقوله:
«عليٌّ، قال أحمد: له أشياء منكرات، قلت لم يخرج له البخاري» ا.هـ.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود والنّسائي وابن ماجه من حديث المقدام بن معد يكرب به، وأتمّ منه. انتهى.
٤٥٠ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ١٢٩ ـ ١٣٠) رقم (٢٩٢٧)، كتاب الفرائض باب: في المرأة ترث من دية زوجها.
ـ والترمذي (٤/ ٢٧) رقم (١٤١٥)، كتاب: الديات، باب: ما جاء في المرأة هل ترث من دية زوجها.
ـ وابن ماجه (٢/ ٨٨٣) رقم (٢٦٤٢)، كتاب الديات، باب: الميراث من الدية.
ـ والنّسائي في الكبرى (٤/ ٧٨) رقم (٦٣٦٣)، كتاب الفرائض باب: توريث المرأة من دية زوجها.
ـ وسعيد بن منصور (١/ ١٢٠)، رقم (٢٩٦)، باب: ميراث المرأة من دية زوجها.
كلّهم من طريق سعيد بن المسّيب.
ـ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أصحاب السّنن من رواية سعيد بن المسيّب «أن عمر ـ =

من الدية غير القاتل، وعن شريك: لا يقضى من الدية دين، ولا تنفذ وصية، وعن ربيعة: الغرة لأم الجنين وحدها، وذلك خلاف قول الجماعة. (فإن قلت): على من تجب الرقبة والدية؟ قلت: على القاتل إلا أن الرقبة في ماله، والدية تتحملها عنه العاقلة، فإن لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال، فإن لم يكن ففي ماله، ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾: إلا أن يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو، كقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ونحوه ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٠] وعن النبي ﷺ: «كل معروف صدقة (٤٥١)»، وقرأ أبيّ: «إلا أن يتصدقوا». فإن قلت: بم تعلق «أن يصدقوا»، وما محله؟ قلت: تعلق بـ «عليه»، أو بـ «مسلمة»، كأنه قيل: وتجب عليه الدية أو يسلمها، إلا حين يتصدقون عليه، ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان، كقولهم: اجلس ما دام زيد جالساً، ويجوز أن يكون حالاً من أهله بمعنى إلا متصدقين[1]، ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾: من قوم كفار أهل الحرب وذلك نحو رجل أسلم في قومه الكفار وهو بين أظهرهم لم يفارقهم، فعلى قاتله الكفارة إذا قتله خطأ وليس على عاقلته لأهله شيء؛ لأنهم كفار محاربون، وقيل: كان الرجل يسلم؛ ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين، فيقتل فيهم خطأ لأنهم يظنونه كافراً مثلهم، ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ﴾: كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين وأهل الذمة من الكتابيين، فحكمه حكم مسلم من مسلمين، ﴿فَمَن لَّمْ

= رضي الله عنه ـ كان يقول: الدية للعاقلة. لا ترث المرأة من دية زوجها شيئاً حتى قال له الضحّاك بن سفيان كتب إلى رسول الله ـ ﷺ ـ أن أورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها فرجع عمر ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

٤٥١ ـ جاء من طريق جابر ومن طريق حذيفة، فأما طريق جابر فأخرجه البخاري (١٢/٦١)، حديث (٦٠٢١)، كتاب الأدب، باب: كلّ معروف صدقة.
وأما طريق حذيفة:
فأخرجه مسلم (٤/٩٨)، حديث (٥٢ ـ ١٠٠٥)، كتاب الزكاة باب: بيان أن اسم الصّدقة يقع على كلّ نوع من المعروف.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه البخاري ومسلم من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: وخَطَّأه الشيخ في هذين التخريجين:
أما الأول فلأنَّ النحويين نَصُّوا على منع قيام «أَنْ» وما بعدَها مقامَ الظرف، وأنَّ ذلك ما تختص به «ما» المصدريةُ لو قلت: «آتيك أن يصيحَ الديك» أي: وقت صياحِه لم يجز.
وأما الثاني فنصَّ سيبويه على منعه أيضاً، قال: في قول العرب: «أنت الرجل أن تنازلَ، أو أن تخاصمَ» أي: أنت الرجل نزالاً ومخاصمة: «إنَّ انتصابَ هذا انتصابُ المفعول من أجله، لأنَّ المستقبل لا يكون حالاً». فكونُه منقطعاً هو الصوابُ. وقال أبو البقاء: «وقيل: هو متصلٌ، والمعنى: فعليه دِيَةٌ في كل حال إلا في حال التصدُّق عليه بها». انتهى. الدر المصون.

﴿يَجِدۡ﴾ رقبة، بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به إليه ﴿فـ﴾ ـعليه، ﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ قبولاً من الله ورحمة منه، من تاب الله عليه إذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه، أو نقلكم من الرقبة إلى الصوم توبة منه. هذه الآية فيها من التهديد والإيعاد والإبراق والإرعاد[1] أمر عظيم وخطب غليظ، ومن ثم روى عن ابن عباس ما روى من أن توبة قاتل المؤمن عمداً غير مقبولة (٤٥٢)، وعن سفيان: كان أهل العلم إذا سئلوا قالوا: لا توبة له، وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد، وإلا فكل ذنب ممحو بالتوبة، وناهيك بمحو الشرك دليلاً، وفي الحديث: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرىء مسلم (٤٥٣)» وفيه: «لو أن رجلاً قتل بالمشرق وآخر رضي

----

٤٥٢ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٤٣٩) رقم (٤٧٦٤)، كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ . . .﴾ الآية.
ـ والواحدي في تفسيره (٢/ ٩٩).
ـ وابن أبي شيبة (٥/ ٤٣٥)، رقم (٢٧٧٥٣)، كتاب الديات، باب: من قال: للقاتل توبة.
كلّهم من طرق عن ابن عباس.
ـ وعزا الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٤٣) ـ شاهداً لهذا الحديث لابن عديّ في الكامل من طريق ابن عمر مرفوعاً عن النبيّ ـ ﷺ ـ.
ـ وروى الواحدي في تفسيره (٢/ ٩٧) من طريق حميد عن أنس عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة».
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
متفق عليه من رواية سعيد بن حبيب عن ابن عباس في قوله ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ قال: لا توبة له، وفي رواية لهما عنه قال: قلت لابن عباس: ألمن قتل متعمداً من توبة؟ قال: لا. (فائدة) قال ابن أبي شيبة. حدّثنا يزيد بن هارون أنبأنا أبو مالك الأشجعي عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: ألمن قتل مؤمناً توبة؟ قال لا إلى النار فلمّا ذهب قال له جلساؤه: ما هكذا كنت تفتينا، قد كنت تفتينا أن لمن قتل مؤمنا توبة مقبولة. فما بال هذا اليوم؟ قال: إنّي أحسبه رجلاً مغضباً يريدأن يقتل مؤمناً. قال: فبعثوا في أثره فوجدوه كذلك». انتهى.
٤٥٣ ـ الحديث عزاه السيوطي في الدر (٢/ ١٩٨ ـ طبعة دار المعرفة) لابن المنذر عن أبي هريرة بلفظ «والله للدنيا وما فيها أهون على الله من قتل مسلم بغير حق» والحديث ساقط من الدر طبعة دار =

---

(١) قال محمود: «في هذه الآية من التهديد والوعيد والإبراق. . . إلخ» قال أحمد: وكفى بقوله تعالى في هذه السورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ دليلاً أبلج على أن القاتل الموحد ـ وإن لم يتب ـ في المشيئة وأمره إلى الله، إن شاء آخذه وإن شاء غفر له. وقد مر الكلام على الآية، وما بالعهد من قدم. وأما نسبة أهل السنة إلى الأشعبية، فذلك لا يضيرهم؛ لأنهم إنما تطفلوا على لطف أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، ولم يقنطوا من رحمة الله، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الظالمون.

بالمغرب لأشرك في دمه (٤٥٤)» وفيه: «إن هذا الإنسان بنيان الله. ملعون من هدم بنيانه»

= الكتب العلمية ـ بيروت فانتبه.

ـ وأخرج النّسائي (٧/ ٨٢) كتاب تحريم الدم/ باب تعظيم الدم.
والترمذي حديث رقم (١٣٩٥) والبيهقي في السّنن (٨/ ٢٢ ـ ٢٣) كتاب الجنايات/ باب تحريم القتل عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أنّ النبيّ ـ ﷺ ـ قال:
«لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم».
وعزاه المنذري في الترغيب (٣/ ٢٥٧) (٣٥٨٩) لمسلم ولم أجده عنده واقتصر الحافظ في التلخيص (٤/ ١٤) (١٦٧٨) على عزوه للنّسائي والترمذي.
ـ وروى النّسائي (٧/ ٨٣) كتاب تحريم الدم/ باب تعظيم الدم.
والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٤٥) (٥٣٤٢) عن بريدة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا» وأشار المنذري لتضعيفه في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٥٧) (٣٥٩٠) وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٣٥٤) لابن عديّ والبيهقي في الشعب فقط.
وأخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٧٤) كتاب الديات/ باب التغليظ في قتل مسلم (٢٦١٩) حدّثنا هشام بن عمّار ثنا الوليد بن مسلم ثنا مروان بن جناح عن أبي الجهم الجوزجاني عن البراء بن عازب أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق».
والبيهقي في الشعب (٤/ ٣٤٥) (٥٣٤٥) من طريق الوليد بن مسلم قال حدّثنا روح بن جناح والصّواب ما وقع عند ابن ماجة.
لأنّ (روح) بن جناح قال الحافظ في «التهذيب» (٣/ ٢٩٢):
«روى له الترمذي وابن ماجه حديثاً واحداً متنه: فقيه واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد» ا.هـ.
فيتبين من كلام الحافظ أنّ الذي في مسند حديث ابن ماجه إنما هو مروان وليس (روح) وهو يروي عن أبي الجهم كما قال الحافظ في التهذيب (١٠/ ٩٠).
والحديث حسّن المنذري في الترغيب (٣/ ٢٥٦) (٣٥٨٨) ـ إسناده فقال: رواه ابن ماجه بإسناد حسن ورواه البيهقي والأصبهاني، وزاد فيه: «ولو أنّ أهل سماواته وأهل أرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله النار» ا.هـ.
وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٣٥٥) لابن عديّ وقال ابن حجر: أخرجه الترمذي والنّسائي من رواية شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمر. ومثله بلفظ «من قتل رجلاً مسلماً» ورروياه موقوفاً. وهو أصح. ورواه البزّار وقال: لا نعلم أسنده عن شعبة إلاّ ابن أبي عديّ. ورواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى من رواية الثوري عن يعلى بن عطاء به مرفوعاً وأخرجه النّسائي من وجه آخر مرفوعاً. وفي الباب عن بريدة، أخرجه النّسائي وابن عديّ. والبيهقي في الشعب، بلفظ، «ولقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا» وفيه بشر بن المهاجر وفيه ضعف وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ أخرجه ابن ماجه، والبيهقي بلفظ «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مؤمن ـ وزاد: والمؤمن أكرم عند الله من الملائكة الذين عنده» وفي إسناده أبو المهزم يزيد بن سفيان. انتهى.

٤٥٤ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٤٥): غريب جداً.
وقال ابن حجر: لم أجده. انتهى.

(٤٥٥)، وفيه: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب[1] بين عينيه آيس من رحمة الله» (٤٥٦)، والعجب من قوم يقرءون[2] هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة، وقول ابن عباس بمنع التوبة ـ ثم لا تدعهم أشعبيتهم وطماعيتهم

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

٤٥٥ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٤٦): غريب جداً. ا.هـ.

٤٥٦ ـ أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٧٤) كتاب الديات: باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً حديث (٢٦٢٠) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٨٢) والبيهقي (٨/ ٢٢) كلّهم من طريق يزيد بن أبي زياد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً ومن هذا الوجه أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٠٤) وقال: لا يصح ففيه يزيد قال ابن المبارك: ارم به وقال النّسائي: متروك، وقال أحمد بن حنبل: ليس هذا الحديث بصحيح، وقال أبو حاتم بن حبّان: هذا حديث موضوع لا أصل له من حديث الثقات. ا.هـ.

وقال العقيلي: يزيد قال البخاري: منكر الحديث.

والحديث قال فيه الحافظ البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٣٣٤) هذا إسناد ضعيف يزيد بن أبي زياد الدمشقي قال فيه البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث زاد أبو حاتم ذاهب الحديث ضعيف كأن حديثه موضوع، وقال النّسائي: متروك الحديث.

وقال الترمذي: ضعيف الحديث. ا.هـ.

وللحديث شواهد كثيرة من حديث عمر بن الخطاب وابن عباس وأبي سعيد الخدري أوردها كلّها ابن الجوزي في الموضوعات وحكم عليها بالوضع.

وتعقّبه السيوطي في «اللآليء» (٢/ ١٨٦ ـ ١٨٨) بشواهد من حديث ابن عمر والزهري مرسلاً تخرج الحديث من دائرة الحكم عليه بالوضع.

وقد أورده السيوطي في «الجامع الصغير» (٦/ ٧٢ ـ فيض» رقم (٨٤٧١) عن أبي هريرة معزواً لابن ماجه ورمز له بالضعف.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن ماجه وأبو يعلى والعقيلي وابن عديّ من حديث أبي هريرة مثله. وإسناده ضعيف. ورواه ابن حبّان في الضعفاء من رواية عمرو بن محمد الأعلم عن نجم بن سالم الأفطس عن أبيه عن سعيد بن المسيّب عن عمر به وقال: إنه حديث موضوع، لا أصل له من حديث الثقات، وعمرو، والأفطس لا يجوز الاحتجاج بهما بحال. وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية، وترجمه خلف بن حويشب من روايته عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن المسيب به وقال غريب تفّرد به حكيم بن نافع عن خلف. وحكيم ضعيف إلاّ أنّه يرد على كلام ابن حبّان وفي الباب أيضاً عن ابن عمر. أخرجه البيهقي في الشعب، في السادس والثلاثين. وعن ابن عباس، أخرجه الطبراني من رواية عبد الله بن حراش عن العوام بن حوشب عن مجاهد عنه. انتهى.

---

(١) قوله «مكتوب» لعله مكتوباً. (ع)

(٢) قوله «والعجب من قوم يقرءون» فيه انتصار للمعتزلة وتشنيع على أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنه يجوز غفران الكبائر بالتوبة أو بالشفاعة أو بمجرد فضل الله، تمسكاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ كما حقق في علم التوحيد وفي الصحاح: أشعب اسم رجل كان طماعاً. وفي المثل «أطمع من أشعب» اهـ. الأشعبية: الخصلة التي تنسب إلى أشعب، وهي الطمع الشديد. (ع)

الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل إليهم مناهم، أن يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤] ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة في قتل الخطأ، لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للأطماع وأي: حسم، ولكن «لا حياة لمن تنادي» فإن قلت: هل فيها دليل على خلود من لم يتب[١] من أهل الكبائر؟ قلت: ما أبين الدليل وهو تناول قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ﴾ أيّ قاتل كان، من مسلم أو كافر، تائب أو غير تائب، إلا أن التائب أخرجه الدليل. فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: وقرىء: «فتثبتوا»، وهما التفعل بمعنى الاستفعال. أي: اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية[٢]، وقرىء: «السلم»، و«السلام» وهما الاستسلام، وقيل: الإسلام، وقيل: التسليم الذي هو تحية أهل الإسلام، ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وقرىء «مؤمناً» بفتح الميم من آمنه، أي: لا نؤمنك، وأصله: أن مرداس بن نهيك[٣] رجلاً من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره، فغزتهم سرية لرسول الله ﷺ كان عليها غالب بن فضالة الليثي، فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه، فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول[٤] من الجبل وصعد، فلمّا تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه، فأخبروا رسول الله ﷺ فوجد وجداً شديداً وقال: «قتلتموه إرادة ما معه» ثم قرأ الآية على أسامة، فقال: يا رسول الله استغفر لي. قال: «فكيف بلا إله إلا الله»، قال أسامة: فما زال يعيدها حتى وددت أن لم أكن

---

(١) قوله «دليل على خلود من لم يتب» هو مذهب المعتزلة. وذهب أهل السنة إلى خروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، كما في حديث الشفاعة وقد تقرر في محله. (ع)

(٢) قوله «ولا تتهوكوا فيه» أي تتخيروا أو تخبطوا بلا مبالاة. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «مرداس» في الصحاح: ردست القوم ورادستهم: إذا رميتهم بحجر. والمرداس: حجر يرمي به في البئر ليعلم أن فيها ماء أولا. ومنه سمي الرجل. (ع)

(٤) قوله «إلى عاقول» في الصحاح: العاقول من النهر والوادي والرمل: الموج منه. (ع)

أسلمت إلا يومئذٍ، ثم استغفر لي وقال: أعتق رقبة. (٤٥٧)، ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد، فهو الذي يدعوكم إلى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه، ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام ويتعوّذ به من التعرض له لتأخذوا ماله، ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة، فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم، ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم، وأن صرتم أعلاماً فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم، وأن تعتبروا ظاهر الإسلام في المكافة، ولا تقولوا إن تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية، فتجعلوه سلماً إلى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ تكرير للأمر بالتبين ليؤكد عليهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦)﴾

﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ قرىء بالحركات الثلاث، فالرفع صفة لـ «القاعدون»، والنصب استثناء منهم أو حال عنهم، والجرّ صفة لـ «المؤمنين» والضرر: المرض، أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها، وعن زيد بن ثابت: كنت إلى جنب رسول الله ﷺ فغشيته السكينة، فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها، ثم سري عنه فقال: «اكتب» فكتبت في كتف: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون﴾ فقال ابن أمّ مكتوم ـ وكان أعمى ـ: يا رسول الله، وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين. فغشيته السكينة كذلك، ثم قال: اقرأ يا زيد، فقرأت، ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فقال: «غير أولي الضرر» قال زيد: أنزلها الله وحدها، فألحقتها، والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى ملحقها

---

٤٥٧ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧٨/٩) حديث (١٠٢٢١) من طريق أسباط عن السديّ.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣٤٩/١) للثعلبي في تفسيره، من رواية الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وأخرجه الطبري من رواية أسباط عن السديّ بتغيير يسير. انتهى.

عند صدع في الكتف (٤٥٨)، وعن ابن عباس: لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون

---

٤٥٨ ـ أخرجه أبو داود (٢/ ١٤ ـ ١٥) كتاب الجهاد: باب في الرخصة في القعود من العذر حديث (٢٥٠٧) وأحمد (٥/ ١٩٠ ـ ١٩١) والحاكم (٢/ ٨١ ـ ٨٢) والطبراني في «الكبير» (٥/ ١٣٢) رقم (٤٨٥١) كلّهم من طريق أبي الزناد عن خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد بن ثابت قال: كنت إلى جنب رسول الله ـ ﷺ ـ فغشيته السّكينة فوقعت فخذُ رسول الله ـ ﷺ ـ على فخذي فما وجدت شيئاً أثقل من فخذ رسول الله ـ ﷺ ـ ثم سرى عنه فقال: اكتب فكتبت في كتف **﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله﴾** إلى آخر الآية فقام ابن أم مكتوم ـ وكان رجلاً أعمى ـ لما سمع فضيلة المجاهدين فقال: يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين؟ فلما قضى كلامه غشيت رسول الله ـ ﷺ ـ السّكينة فوقعت فخذه على فخذي ووجدت من ثقلها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الأولى ثم سرى عن رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: اقرأ يا زيد فقرأت **﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾** فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: **﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾** الآية كلّها.
قال زيد: فأنزلها الله وحدها فألحقتها والذي نفسي بيده فكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع في كتف.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣٦١) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن سعد وابن المنذر وابن الأنباري.
وللحديث شواهد من حديث البراء بن عازب وسهل بن سعد وابن عباس وزيد بن أرقم والفلتان بن عاصم.
حديث البراء:
أخرجه البخاري (٦/ ٥٣) كتاب الجهاد: باب قول الله عزّ وجلّ: **﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾** حديث (٢٨٣١)، (٨/ ١٠٨) كتاب التفسير: باب **﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾** حديث (٤٥٩٣)، (٤٥٩٤)، (٨/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩) كتاب فضائل القرآن: باب كاتب النبي ـ ﷺ ـ حديث (٤٩٩٠) ومسلم (٣/ ١٥٠٨) كتاب الإمارة: باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين حديث (١٤١/ ١٨٩٨) والترمذي (٥/ ٢٢٥) كتاب التفسير: باب سورة النّساء حديث (٣٠٣١) والنّسائي (٦/ ١٠) كتاب الجهاد: باب فضل المجاهدين على القاعدين، وأحمد (٤/ ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٠) والطيالسي (٢/ ١٧ ـ منحة) رقم (١٩٤٣) والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٢٩) وأبو يعلى (٣/ ٢٦٩) رقم (١٧٢٥) والواحدي في «أسباب النزول» (صـ١٣١) والبيهقي (٩/ ٢٣): باب من اعتذر بالضعف والزمانة كلّهم من طريق أبي إسحاق عن البراء بن عازب به.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣٦١) وزاد نسبته إلى ابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في «المصاحف» والبغوي في معجمه.
تنبيه: فات الإمام السيوطي في هذا الحديث أن يعزوه إلى مسلم وهو في صحيحه كما تقدم في أثناء التخريج.
وللحديث شواهد من حديث سهل بن سعد وزيد بن ثابت وابن عباس وزيد بن أرقم والفلتان بن عاصم.
ـ حديث سهل بن سعد:
أخرجه البخاري (٨/ ١٠٨) كتاب التفسير: باب **﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في** =

= سبيل الله﴾ حديث (٤٥٩٢) والترمذي (٥/ ٢٢٦) كتاب التفسير: باب سورة النّساء حديث (٣٠٣٣) والنّسائي (٦/ ٩) كتاب الجهاد: باب فضل المجاهدين على القاعدين حديث (٣٠٩٩) والبغوي في «شرح السنّة» (٧/ ٨٧ ـ بتحقيقنا) كلّهم من طريق الزهري عن سهل بن سعد أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى ابنه فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ أملى عليه. ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله﴾ وجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها عليّ قال: يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان أعمى ـ فأنزل الله على رسوله ـ ﷺ ـ وفخذه على فخذي فثقلت عليّ حتى خفت أن ترض فخذي ثم سرى عنه فأنزل الله ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح هكذا روى غير واحد عن الزهري عن سهل بن سعد نحو هذا وروى معمر عن الزهري هذا الحديث عن قبيصة بن ذؤيب عن زيد بن ثابت وفي هذا الحديث رواية رجل من أصحاب النبيّ ـ ﷺ ـ عن رجل من التابعين رواه سهل بن سعد عن مروان بن الحكم ومروان لم يسمع من النبيّ ـ ﷺ ـ. ا.هـ.

ـ حديث ابن عباس:

أخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٥) كتاب التفسير: باب سورة النّساء حديث (٣٠٣٢) والبيهقي (٩/ ٤٧) كتاب السير: باب النّفير وما يستدلّ به على أنّ الجهاد فرض على الكفاية، كلاهما من طريق ابن جريج عن عبد الكريم عن مقسم عن ابن عباس أنّه قال: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر لما نزلت غزوة بدر قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم إنا أعميان يا رسول الله فهل لنا رخصة فنزلت ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً . . .﴾ الآية فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس.

ـ حديث زيد بن أرقم:

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥/ ١٩٠) رقم (٥٠٥٣) من طريق أبي إسحاق عن زيد بن أرقم قال: لما نزلت ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله﴾ جاء ابن أم مكتوم فقال: يا رسول الله أمالي رخصة؟ قال: «لا» قال ابن أم مكتوم: اللهمّ إني ضرير فرخّص لي فأنزل الله ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ بكتابتها.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٢): ورجاله ثقات.

ـ حديث الفلتان بن عاصم:

أخرجه أبو يعلى (٣/ ١٥٦ ـ ١٥٧) رقم (١٥٨٣) وابن حبّان (١٧٣٣ ـ موارد) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٣٤) رقم (٨٥٦) والبزّار (٣/ ٤٥ ـ كشف) رقم (٢٢٠٣) كلّهم من طريق عبد الواحد بن زياد ثنا عاصم بن كليب حدّثني أبي عن الفلتان بن عاصم قال: كنّا عند النبيّ ـ ﷺ ـ فأنزل عليه، وكان إذا أنزل عليه دام بصرُهُ مفتوحةً عيناه، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله. قال: فكنّا نعرف ذلك منه. فقال للكاتب: «اكتب: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله﴾ قال: فقام الأعمى فقال: يا رسول الله، ما ذنبنا؟ فأنزل الله. فقلنا للأعمى: إنه يُنزل على النبيّ ـ ﷺ ـ فخاف أن يكون ينزل عليه شيءٌ من أمره، فبقي قائماً يقول: أعوذ بغضب رسول الله: قال: فقال النبي ـ ﷺ ـ للكاتب: «اكتب: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾. =

إليها (٤٥٩)، وعن مقاتل: إلى تبوك. فإن قلت: معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان، فما فائدة نفي الاستواء؟ قلت: معناه الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد، ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته، فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته، ونحوه ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته ليهاب به[1] إلى التعلم، ولينهض بنفسه عن صفة الجهل إلى شرف العلم، ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾ جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل: ما لهم لا يستوون، فأجيب بذلك، والمعنى على القاعدين غير أولي الضرر لكون الجملة بياناً للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف، ﴿وَكُلًّا﴾ وكل فريق من القاعدين والمجاهدين، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: المثوبة الحسنى وهي الجنة وإن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة، وعن النبي ﷺ: «لقد خلفتم بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم» (٤٦٠) وهم الذين صحت نياتهم ونصحت

= وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه البخاري من رواية ابن الحكم عن يزيد بن ثابت نحوه، وأبو داود وأحمد والحاكم من رواية خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت باللفظ المذكور. انتهى.

٤٥٩ ـ أخرجه البخاري (٩/ ١٣٦) رقم (٤٥٩٥)، كتاب التفسير، باب: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾.
ـ والترمذي (٥/ ٢٤١)، رقم (٣٠٣٢)، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة النساء.
ـ والطبري في تفسيره (٩/ ٩٢)، رقم (١٠٢٤١، ١٠٢٤٢).
ـ وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٧٠).
ـ والنّسائي في تفسيره (١/ ٣٩٩) رقم (١٣٧) كلّهم من طريق ابن عباس.
ـ وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٦٢) لابن المنذر.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، من هذا الوجه، من حديث ابن عباس موقوفاً.

٤٦٠ ـ جاء من حديث أنس مرفوعاً وكذا أيضاً من حديث جابر، فأما حديث أنس فأخرجه البخاري (٦/ ١٣٢) حديث (٢٨٣٩) كتاب الجهاد والسير باب: من حبسه العذر عن الغزو، (٨/ ٤٦٩) حديث (٤٤٢٣)، كتاب المغازي.
وأبو داود (٣/ ١٢) حديث (٢٥٠٨)، كتاب الجهاد، باب: الرخصة في القعود من العذر.
ـ وابن ماجه (٢/ ٩٢٣)، حديث (٢٧٦٤)، كتاب الجهاد، باب: من حبسه العذر عن الجهاد.
ـ وابن حبّان (١١/ ٣٣)، حديث (٤٧٣١)، كتاب السير، باب: الخروج وكيفية الجهاد.
● **وأما حديث جابر:**
فأخرجه مسلم (٧/ ٦٥)، حديث (١٥٩ ـ (١٨١١))، كتاب الإمارة باب: ثواب من حبسه عن الغزو مرض.
ـ وابن ماجه (٢/ ٩٢٣)، حديث (٢٧٦٥)، كتاب الجهاد، باب من حبسه العذر عن الجهاد. =

---

(١) قوله «ليهاب» الظاهر أنه من الهوب وهو وهج النار، أي توقدها، كما في الصحاح. (ع)

جيوبهم[1] وكانت أفئدتهم تهوى إلى الجهاد، وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر أو غيره. فإن قلت: قد ذكر الله تعالى مفضلين درجة ومفضلين درجات، فمن هم؟ قلت: أما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الأضراء وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم، لأن الغزو فرض كفاية. فإن قلت: لم نصب (درجة) و(أجراً) و(درجات)؟ قلت: نصب قوله: (درجة) لوقوعها موقع المرة من التفضيل، كأنه قيل: فضلهم تفضيلة واحدة، ونظيره قولك: ضربه سوطاً، بمعنى ضربه ضربة، وأما (أجراً) فقد انتصب بـ «فضل»، لأنه في معنى أجرهم أجراً و«درجات» و«مغفرة» و«رحمة» بدل من «أجراً»، ويجوز أن ينتصب (درجات) نصب درجة. كما تقول: ضربه أسواطاً بمعنى ضربات، كأنه قيل: وفضله تفضيلات، ونصب ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على أنه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها، وانتصب «مغفرة ورحمة» بإضمار فعلهما بمعنى: وغفر لهم ورحمهم، مغفرة ورحمة.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾

﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾: يجوز أن يكون ماضياً كقراءة من قرأ: «توفتهم»، ومضارعاً بمعنى تتوفاهم، كقراءة من قرأ: «توفاهم»، على مضارع وفيت، بمعنى أن الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها. أي: يمكنهم من استيفائها فيستوفونها، ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في حال ظلمهم أنفسهم، ﴿قَالُوا۟﴾ قال الملائكة للمتوفين، ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ في أي: شيء كنتم من أمر دينكم، وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة. فإن قلت: كيف صح وقوع قوله: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جواباً عن قولهم: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾: ؟ وكان حق الجواب أن يقولوا: كنا في كذا أو لم نكن في شيء؟ قلت: معنى، ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ التوبيخ

= - وأحمد (٣/ ٣٠٠).
- والبيهقي (٩/ ٢٤)، كتاب السير، باب: «من اعتذر بالضعف والمرض والزمانة...».
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه البخاري وأبو داود من رواية أنس ونحوه عن مسلم من حديث جابر - رضي الله عنه - انتهى.

(١) قوله «ونصحت جيوبهم» في الصحاح: تقول: إنه لحسن الجيبة - بالكسر - أي الجواب. ورجل ناصب الجيب: أي أمين. (ع)

بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين، حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا، فقالوا: كنا مستضعفين اعتذاراً مما وبخوا به واعتلالاً بالاستضعاف، وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء، فبكتتهم الملائكة بقولهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله ﷺ كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة، وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر، أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة ـ حقت عليه المهاجرة، وعن النبي ﷺ: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجبت له الجنة، وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام» (٤٦١). ـ اللّهم إن كنت تعلم أن هجرتي إليك لم تكن إلا للفرار بديني فاجعلها سبباً في خاتمة الخير ودرك المرجوّ من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك، بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ـ، ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك، وروي: أنّ رسول الله ﷺ بعث بهذه الآية إلى مسلمي مكة، فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب لبنيه: احملوني، فإني لست من المستضعفين، وإني لأهتدي الطريق، والله لا أبيت الليلة بمكة. فحملوه على سرير متوجهاً إلى المدينة وكان شيخاً كبيراً فمات بالتنعيم (٤٦٢)، فإن قلت: كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين من أهل

---

٤٦١ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٥١) للثعلبي في تفسير سورة العنكبوت من طريق عباد بن منصور الناجي عن الحسن.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي في تفسير العنكبوت من رواية عباد بن منصور الناجي عن الحسن مرسلاً. انتهى.

٤٦٢ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٥١) للواحدي في أسباب النزول.
ـ وأخرج الطبراني في الكبير (١١/ ٢٧٢)، رقم (١١٧٠٩).
وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٨١) رقم ٣٥٢ ـ (٢٦٧٩)، كلاهما من طريق عكرمة.
ـ عن ابن عباس بنحوه موقوفاً.
ـ وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ١٣)، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٥٢) للثعلبي بنفس لفظ المصنّف من غير سند.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: ذكره الثعلبي بغير سند هكذا. وأخرجه الواحدي في الأسباب من طريق أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس: أرسل رسول الله ـ ﷺ ـ بهذه الآية **﴿إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾** فلما قرأها السلمون قال جندب بن ضمرة الليثي وكان شيخاً كبيراً: احملوني فذكره. وأخرجه أبو يعلى والطبراني من هذا الوجه مختصراً. انتهى.

الوعيد[1]، كأنهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلاً؟ قلت: الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك، وأما الولدان فلا يكونون إلا عاجزين عن ذلك، فلا يتوجه عليهم وعيد، لأن سبب خروج الرجال والنساء من جملة أهل الوعيد إنما هو كونهم عاجزين، فإذا كان العجز متمكناً في الولدان لا ينفكون عنه، كانوا خارجين من جملتهم ضرورة. هذا إذا أريد بالولدان الأطفال ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف، وإن أريد بهم العبيد والإماء البالغون فلا سؤال. فإن قلت: الجملة التي هي، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ما موقعها؟ قلت: هي صفة لـ «المستضعفين» أو لـ «الرجال والنساء والولدان»، وإنما جاز ذلك والجمل نكرات، لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه، كقوله [من الكامل]:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي ....[2]

فإن قلت: لم قيل، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ بكلمة الإطماع؟ قلت: للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه، حتى إن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول: عسى الله أن يعفو عني، فكيف بغيره.

﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿مُرَٰغَمًا﴾: مهاجراً وطريقاً يراغم بسلوكه قومه، أي: يفارقهم على رغم أنوفهم، والرغم: الذلّ والهوان، وأصله لصوق الأنف بالرغام ـ وهو التراب ـ يقال: راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك. قال النابغة الجعدي [من المتقارب]:

كَطَوْدٍ يُلَاذُ بِأَرْكَانِهِ عَزِيزِ الْمَرَاغِمِ وَالْمَذْهَبِ[3]

---

(١) قال محمود: «الاستثناء من المتوعدين في قوله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ . . . إلخ» قال أحمد: قوله «إن المراهقين من الولدان يكلفون إلحاقاً بالبالغين» مردود بقوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام «رفع القلم عن ثلاث: عن الصبي حتى يحتلم» فجعل البلوغ نفسه مناط التكليف. وهذا مذهب الجماهير، ولم يبلغنا خلافه. وقال الزمخشري: أراد الحديثي العهد بالصبي وإن بلغوا، تسمية لهم بالاسم السالف لقرب عهدهم به، كما قال ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ فسماهم يتامى وإن بلغوا، إذ لا تدفع أموالهم حتى يبلغوا، لأنهم حديثو عهد باليتم. والغرض تعجيل دفع الأموال لهم إذا رشدوا، وإن قرب عهدهم باليتم حتى أنهم لذلك يعبر عنهم باليتامى، ولا يماطلوا ولو قال الزمخشري في الولدان كذلك، لكان قولاً سديداً، والله أعلم.

(٢) تقدم.

(٣) للنابغة الجعدي. والطود: الجبل العظيم. ويلاذ: يتحصن. والرغم: التصاق الأنف بالرغام أي =

وقرىء «مرغماً». وقرىء، ﴿ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ﴾: بالرفع[1] على أنه خبر مبتدأ محذوف، وقيل: رفع الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن يقف عليها، ثم نقل حركة الهاء إلى الكاف، كقوله [من الرجز]:

.... مِـنْ عَـنَـزِيٍّ سَـبَّـنِـي لَـمْ أَضْـرِبُـهْ[2]

وقرىء «يدركه» بالنصب على إضمار أن، كقوله [من الوافر]:

.... وَأَلْـحَـقَ بِـالْـحِـجَـازِ فَـأَسْـتَـرِيـحَـا[3]

= التراب، وهو كناية عن الذل والهوان. وفي سلوك سبيل المهاجرة مراغمة للخصم مفارقة له على رغم أنفه. والمراغم ـ على اسم المفعول ـ الطريق، لأنه مكان المراغمة. واسم المكان من غير الثلاثي المجرد على زنة اسم المفعول منه، وكمساجد جمعه. «والمذهب» روي بدله «المهرب» والثاني أخس. يشبه رجلاً بالجبل في الالتجاء إليه والتحصن بجاهه.

ينظر ديوانه ص ٣٣، ولسان العرب (رغم)، ومقاييس اللغة: ٢/ ٤١٤، ومجمل اللغة: ٢/ ٣٩٧، وكتاب العين: ٤/ ٤١٨، وتاج العروس (رغم).

(١) قال محمود: «قرىء يدركه برفع الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف... إلخ» قال أحمد: توجيه الرفع على إضمار المبتدأ فيه عطف الاسمية على الفعلية، والأولى خلافه ما وجد عنه سبيل. وأما الوجه الثاني من إجراء الوصل مجرى الوقف ففيه شذوذ بين، على أن الأفصح في الوقف خلاف نقل الحركة، وقد زاد شذوذاً بإجراء الوصل مجرى الوقف، فكيف وعندي وجه حسن خالص من الشذوذ مرتفع الذروة في الفصاحة، وهو العطف على ما يقع موقع «من» مما يكون الفعل الأول معه مرفوعاً، كأنه قال: والذي يخرج من بيته مهاجراً ثم يدركه الموت وهو الذي ذكره الزمخشري عند قوله ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾ فيمن قرأ بالرفع، وقال ثم: هو وجه نحوي سيبوي، وإجراؤه ههنا أقرب وأصوب منه ثمة، والله أعلم.

(٢) عجبت والدهر كثير عجبه ... من عنزي سَبَّني لم أضربه

قوله «والدهر كثير عجبه» جملة اعتراضية. والعنزي: نسبة لعنزة أبو حي من ربيعة. وقيل العنزي: القصير، نسبة إلى العنزة، وهي الرمح الصغير. والأصل سكون ياء أضربه للجزم، ولكنها عاورت الهاء للوزن. ويروي يا عجباً والدهر كثر عجبه من عنزي.

البيت لزياد الأعجم، ينظر شواهد الكتاب (١٨٠١)، والمحتسب) (١/ ١٩٦)، شرح المفصل (٩/ ٢٧٠، الهمع: (٢/ ٢٠٨) الدرر (٢/ ٢٣٤)، اللسان (لمم).

(٣) سأترك منزلي لبني تميم ... وألحق بالحجاز فأستريحا

للمغيرة بن حنين الحنظلي، وألحق كأكرم على الأفصح، وكأفتح على لغة. ونصبه بتقدير «أن» وإن لم يكن في جواب شيء من الأشياء الثابتة المعروفة في النحو، لأن المضارع قبله فيه معنى الأمر لنفسه، أو رائحة التمني، أو لأنه عطف على تعليل محذوف، أي لأنجو منهم وألحق بالحجاز فأستريح من شر عشرتهم. ولو رفع لفات ذلك وكان إخبارا باللحوق والاستراحة فقط، لكن نص النحويون على أن النصب بعد الخبر المثبت الخالي من الشرط ضرورة، وهذا منه.

ينظر: الكتاب ٣/ ٣٩، شرح المفصل ١/ ٢٧٩، المحتسب ١/ ١٩٧، الهمع ١/ ٧٧، الخزانة ٣/ ٦٠٠، الدرر ١/ ٥١، المقتضب ٢/ ٢٢، شرح الألفية لابن الناظم (٦٧٩)، الدر المصون ١/ ٣٥٤.

﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فقد وجب ثوابه عليه: وحقيقة الوجوب: الوقوع والسقوط ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ [الحج: ٣٦] ووجبت الشمس: سقط قرصها، والمعنى: فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه[١]، وروى في قصة جندب بن ضمرة: أنه لما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال: اللَّهم هذه لك، وهذه لرسولك، أبايعك على ما بايعك عليه رسولك. فمات حميداً فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: لو توفي بالمدينة لكان أتم أجراً، وقال المشركون وهم يضحكون: ما أدرك هذا ما طلب. فنزلت (٤٦٣)، وقالوا: كل هجرة لغرض ديني ـ من طلب علم، أو حج، أو جهاد، أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهداً في الدنيا، أو ابتغاء رزق طيب ـ فهي هجرة إلى الله ورسوله، وإن أدركه الموت في طريقه، فأجره واقع على الله.

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾

الضرب في الأرض: هو السفر، وأدنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند أبي حنيفة: مسيرة ثلاثة أيام ولياليهنّ بسير الإبل ومشي الأقدام على القصد، ولا اعتبار بإبطاء الضارب وإسراعه. فلو سار مسيرة ثلاثة أيام ولياليهنّ في يوم ـ قصر، ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة أيام، لم يقصر، وعند الشافعي أدنى مدة السفر أربعة برد مسيرة يومين، وقوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: ظاهره التخيير بين القصر والإتمام، وأن الإتمام أفضل، وإلى التخيير ذهب الشافعي، وروي عن النبي ﷺ أنه أتم في السفر (٤٦٤)، وعن

---

٤٦٣ ـ ينظر الحديث السابق.

٤٦٤ ـ أخرجه الدارقطني في سننه (٢/ ١٨٩) رقم (٤٤)، كتاب الصيام، باب: القُبلة للصّائم.
والبزّار (١/ ٣٢٩) رقم (٦٨٢)، باب: صلاة المسافر، باب: قصر الصّلاة في السفر.
ـ والبيهقي (٣/ ١٤١)، كتاب الصّلاة، باب: «من ترك القصر في السفر غير رغبة في السّنة».
ـ والشافعي في مسنده (١/ ١٨٢)، باب: في صلاة المسافر.
ـ والبيهقي في المعرفة (٢/ ٤٢٤)، رقم (١٥٩١)، كتاب الصّلاة، باب: الإتمام في السفر. جميعاً من حديث عائشة.
قال البزّار: لا نعلم رواه إلاّ عائشة، ولا له إلاّ هذا الطريق.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الشافعي وابن أبي شيبة والبزّار والدارقطني والبيهقي من طرق عن عطاء عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ «أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يقصر في السفر ويتم ويفطر ويصوم» لفظ الدارقطني. وقال: إسناده صحيح. انتهى.

---

(١) قوله «يثيبه وذلك واجب عليه» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فلا يجب عليه شيء. (ع)

عائشة ـ رضي الله عنها ـ: اعتمرت مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، قصرتَ وأتممتُ، وصمتَ وأفطرتُ. فقال: «أحسنت يا عائشة وما عاب عليّ» (٤٦٥)، وكان عثمان ـ رضي الله عنه ـ يتم ويقصر (٤٦٦)، وعند أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ: القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم (٤٦٧)، وعن عائشة رضي الله عنها: أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين،

----

٤٦٥ ـ أخرجه النسائي (٣/ ١٢٢)، حديث (١٤٥٦)، كتاب تقصير الصّلاة في السفر، باب: المقام الذي يقصر بمثله الصّلاة.
ـ والبيهقي (٣/ ١٤٢)، كتاب الصّلاة، باب: من ترك القصر في السفر غير رغبة في السّنة.
ـ والدارقطني في سننه (٢/ ١٨٨)، رقم (٤٠)، كتاب الصيام، باب: القُبلة للصّائم.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه النّسائي من حديث عبد الرحمن بن الأسود عنها وحسّنه. وأورده من طريق أخرى عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة. وقال: الأول متّصل وعبد الرحمن أدرك عائشة. ورواه البيهقي من الوجهين. انتهى.

٤٦٦ ـ أخرجه البخاري (٤/ ٣١٩)، رقم (١٦٥٧)، كتاب الحج، باب: الصّلاة بمنى.
ـ ومسلم (٣/ ٢١٥)، رقم ١٩ ـ (٦٩٥)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: قصر الصّلاة بمنى. كلاهما من حديث عبد الرحمن بن يزيد.
ـ وله طريق آخر من حديث ابن عمر.
أخرجه البخاري (٤/ ٣١٩) رقم (١٦٥٥)، كتاب الحج، باب الصّلاة بمنى ومسلم (٣/ ٢١٤) رقم (١٧)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: قصر الصّلاة بمنى.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث سالم عن أبيه «أنّ النّبي ـ ﷺ ـ صلّى بمنى وعرفة وغيرها صلاة المسافرين ركعتين، وأبو بكر، وعمر، وعثمان صدراً من خلافته، ثم أتمّها أربعاً» وأخرجاه عن عبد الرحمن بن يزيد قال: صلّى عثمان بمنى أربعاً فقيل لابن مسعود، فاسترجع ـ الحديث. انتهى.

٤٦٧ ـ أخرجه النّسائي (٣/ ١١١)، رقم (١٤٢٠)، كتاب الجمعة، باب: عدد صلاة الجمعة (٣/ ١٨٣) رقم (١٥٦٦)، كتاب: صلاة العيدين، باب: عدد صلاة العيدين.
ـ وابن ماجه (١/ ٣٣٨)، رقم (١٠٦٣ ـ ١٠٦٤)، كتاب إقامة الصّلاة والسّنة فيها، باب: تقصير الصّلاة في السفر.
ـ وأحمد (١/ ٣٧).
ـ والبيهقي (٣/ ١٩٩) كتاب الجمعة، باب: صلاة الجمعة ركعتان والطحاوي (١/ ٤٢١)، باب: صلاة المسافر.
ـ وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤).
جميعها من طرق عن عمر ـ رضي الله عنه ـ.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه النّسائي وابن ماجه من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر ـ ضي الله عنه ـ. ورواه البزّار من هذا الوجه. وحدّث به يزيد بن زياد بن أبي الجعد عن زبيد عن عبد الرحمن عن كعب بن عجرة. وهذا الطريق أخرجه ابن ماجه. وأخرجه البزّار من =

فأقرت في السفر، وزيدت في الحضر (٤٦٨). فإن قلت: فما تصنع بقوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا﴾: ؟ قلت: كأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصاناً في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه، وقرىء: «تقصروا» من أقصر، وجاء في الحديث قصار الخطبة، بمعنى تقصيرها (٤٦٩)، وقرأ الزهري «تقصّروا» بالتشديد، والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة، وهو قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وأمّا في حال الأمن فبالسنة، وفي قراءة عبد الله: «من الصلاة أن يفتنكم» ليس فيها، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ على أنه مفعول له، بمعنى: كراهة أن يفتنكم، والمراد بالفتنة: القتال والتعرّض بما يكره.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ

= طريق أخرى عن زيد بن وهب عن عمر وفيه ياسين الزيات. وهو ضعيف. انتهى.

٤٦٨ ـ أخرجه مالك (١/ ١٤٦): كتاب قصر الصّلاة في السفر: باب قصر الصّلاة، الحديث (٨)، والبخاري (٧/ ٢٦٧): كتاب المناقب الحديث (٣٩٣٥)، ومسلم (١/ ٤٧٨): كتاب صلاة المسافرين: باب صلاة المسافرين، الحديث (١/ ٦٨٥)، وأبو داود (٢/ ٥): كتاب الصّلاة: باب صلاة المسافر، الحديث (١١٩٨)، والنسائي (١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦): كتاب الصّلاة: باب كيف فرضت الصّلاة، والبيهقي (١/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣): كتاب الصّلاة: باب عدد ركعات الصّلوات.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه. انتهى.

٤٦٩ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٢٨٩)، رقم (١١٠٦)، كتاب الصّلاة، باب: إقصار الخطب.

ـ والحاكم (١/ ٢٨٩)، كتاب الجمعة.

ـ وأبو يعلى (٣/ ٢١١)، رقم (٤٧ ـ (١٦٤٨)).

كلّهم من طريق عمّار بن ياسر.

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٥٥) للمنذري.

وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انتهى.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود والحاكم وأبو يعلى والبزّار من رواية أبي راشد عن عمّار بن ياسر «أمرنا رسول الله ـ ﷺ ـ بإقصار الخطبة» قال أبو داود: لا نعلم روى أبو راشد عن عمّار إلاّ هذا الحديث. وفي ابن حبّان من حديث جابر في قصة صلاة الخوف: قال «وأنزل الله إقصار الصّلاة. وفي أبي يعلى عن يعلى بن أمية: قلت لعمر: قيم إقصار الصّلاة؟. . .» الحديث. انتهى.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يتعلق بظاهره من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله ﷺ، حيث شرط كونه فيهم، وقال من رآها بعده: إن الأئمة نواب عن رسول الله ﷺ في كل عصر، قوّام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولاً لكل إمام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف، عليه أن يؤمّهم كما أمّ رسول الله ﷺ الجماعات التي كان يحضرها، والضمير في (فيهم) للخائفين، ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾: فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك فصل بهم، ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾: الضمير إمّا للمصلين[(١)] وإمّا لغيرهم فإن كان للمصلين فقالوا: يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما، وإن كان لغيرهم فلا كلام فيه، ﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟﴾ يعني غير المصلين[(٢)]، ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يحرسونكم وصفة صلاة الخوف عند أبي حنيفة: أن يصلي الإمام بإحدى الطائفتين ركعة إن كانت الصلاة ركعتين ـ والأخرى بإزاء العدو ـ ثم تقف هذه الطائفة بإزاء العدو وتأتي الأخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلاته. ثم تقف بإزاء العدوّ، وتأتي الأولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تحرس، وتأتي الأخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها، والسجود على ظاهره عند أبي حنيفة، وعند مالك بمعنى الصلاة، لأن الإمام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائماً حتى تتم صلاتها وتسلم وتذهب، ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعداً حتى تتم صلاتها، ويسلم بهم ويعضده،

---

(١) قال محمود: «قيل المأمور بأخذ الأسلحة المصلون... إلخ» قال أحمد: والظاهر أن المخاطب بأخذ الأسلحة المصلون، إذ من لم يصل إنما أعد للحرس، فالظاهر الاستغناء عن أمرهم بذلك وتنبيههم عليه، وهم إنما أخروا الصلاة لذلك. أما المصلون فهم في مظنة طرح الأسلحة، لأنهم لم يعتادوا حملها في الصلاة، فنبهوا على أنهم لا ينبغي لهم طرح الأسلحة وإن كانوا في الصلاة، لضرورة الخوف وخشية الغرة. وأيضاً فصنيع الآية يعطي ذلك، لأنه قال: فلتقم طائفة منهم معك، وعقب ذلك بقوله ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ فالظاهر رجوع الضمير إليهم، وحيث يعاد إلى غير المصلين يحتاج إلى تكلف في صحة العود إليهم، بدلالة قوة الكلام عليهم وإن لم يذكروا.

(٢) عاد كلامه. قال «والمراد بقوله فليكونوا من ورائكم غير المصلين» قال أحمد: والظاهر أن معنى السجود ههنا الصلاة. وقد عبر عنها بالسجود كثيراً والمراد: فإذا صلت الطائفة أي أتمت صلاتها، فليكونوا من ورائكم. وفيه دليل لمشهور مذهب مالك من أن الطائفة الأولى تتم صلاتها والإمام منتظر للطائفة الأخرى. وقوله ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾ يعني إذا أتمت الأولى صلاتها ووقفت من ورائكم، فلتأت الطائفة الأخرى التي لم تصل بعد شيئاً فليصلوا معك. وفيه دليل بين أيضاً لأحد القولين في مذهب مالك، من أن الإمام ينتظر الثانية حتى تتم صلاتها ويسلم بهم، لأن ظاهر المعية المطلقة يوجب ذلك، إذ لو كانوا يقضون بعد سلامه لم يكونوا مصلين معه على الإطلاق، والله أعلم. فهذه الآية منطبقة على أكثر مشهور مذهبه في تفاصيل صلاة الخوف، والله الموفق للصواب.

﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾، وقرىء: «وأمتعاتكم» فإن قلت: كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ[1]؟ قلت: جعل الحذر وهو التحرّز والتيقظ آلة يستعملها الغازي، فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ، وجعلا مأخوذين، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَنَ﴾ [الحشر: ٩] جعل الإيمان مستقراً لهم ومتبوأ لتمكّنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوّء، ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم﴾: فيشدون عليكم شدة واحدة، ورخص لهم في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض، وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو. فإن قلت: كيف طابق الأمر بالحذر قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾؟ قلت: الأمر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه. فنفى عنهم ذلك الإيهام بإخبارهم أنّ الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه، لتقوىٰ قلوبهم، وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك، وإنما هو تعبد من الله كما قال: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿فإذا قضيتم الصلاة﴾ فإذا صليتم في حال الخوف والقتال، ﴿فَاذْكُرُواْ اللَّهَ﴾: فصلوها، ﴿قِيَمًا﴾: مسايفين ومقارعين، ﴿وَقُعُودًا﴾: جاثين على الركب مرامين، ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: مثخنين بالجراح، ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾ حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم، ﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ﴾: فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج، ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾: محدوداً بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كنتم، خوف أو أمن، وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله في إيجابه الصلاة على المحارب في حالة المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها، فإذا اطمأن فعليه القضاء، وأما عند أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ فهو معذور في تركها إلى أن يطمئن، وقيل: معناه فإذا قضيتم صلاة الخوف فأديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع، فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ إليه، ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾: فإذا أقمتم، ﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ﴾: فأتموها.

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾: ولا تضعفوا ولا تتوانوا، ﴿فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾: في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم، ثم ألزمهم الحجة بقوله: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾ أي: ليس ما تكابدون من

---

(١) عاد كلامه. قال «فإن قلت كيف جمع بين الأسلحة. . . . إلخ»؟ قال أحمد: وحسن هذا المجاز وبلغ به ذروة الفصاحة، عطف الحقيقة عليه.

الألم بالجرح والقتل مختصاً بكم، إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم، ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون. فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم، مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم، ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ من إظهار دينكم على سائر الأديان، ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرأ الأعرج: «أن تكونوا تألمون»، بفتح الهمزة، بمعنى: ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون، وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ تعليل، وقرىء: «فإنهم ييلمون كما تيلمون»، وروي أن هذا في بدر الصغرى، كان بهم جراح فتواكلوا، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: لا يكلفكم شيئاً ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا لما هو عالم به مما يصلحكم.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦)﴾

روي: أنّ طُعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعاً من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه، وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها، وما له بها علم، فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها، فقال: دفعها إليّ طعمة، وشهد له ناس من اليهود. فقالت بنو ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا: إن لم تفعل هلك وافتضح وبرىء اليهودي، فهمّ رسول الله ﷺ أن يفعل وأن يعاقب اليهودي، وقيل: هم أن يقطع يده فنزلت، وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطاً بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله (٤٧٠) ﴿بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ بما

---

٤٧٠ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٢٤٤)، حديث (٣٠٣٦)، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة النّساء.
ـ والحاكم (٤/ ٣٨٥)، كتاب الحدود.
ـ والطبري في تفسيره (٩/ ١٨٢)، رقم (١٠٤١٢).
كلّهم من طرق عن قتادة.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٥٨) للثعلبي في تفسيره وللواحدي في أسباب النزول.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحراني.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
ذكره الثعلبي من رواية أبي صالح عن الكلبي عن ابن عباس. ونقله الواحدي عن المفسّرين في الأسباب. ورواه الطبري من رواية سعيد عن قتادة قال «ذكر لنا أنّ هذه الآية نزلت في شأن طعمة بن أبيرق وكان من الأنصار من بني ظفر سرق درعاً لعمّه، كانت وديعة عنده. ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم يقال له: زيد بن السّمين ـ فذكر القصّة. وأخرجه الترمذي والحاكم مطوّلاً من رواية محمد بن سلمة عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن أبيه عن جدّه قتادة بن النّعمان. وقال =

عرفك وأوحى به إليك، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: لا يقولنّ أحدكم قضيت بما أراني الله، فإنّ الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه ﷺ، ولكن ليجتهد[1] رأيه، لأن الرأي من رسول الله ﷺ كان مصيباً، لأن الله كان يريه إياه، وهو منا الظن والتكلف، ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾: ولا تكن لأجل الخائنين مخاصماً للبرآء. يعني لا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر، ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ مما هممت به من عقاب اليهودي.

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾

﴿يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: يخونونها بالمعصية. كقوله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلماً لها لأنّ الضرر راجع إليهم. فإن قلت: لم قيل ﴿لِّلْخَآئِنِينَ﴾ و﴿يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: وكان السارق طعمة وحده؟ قلت: لوجهين، أحدهما: أنّ بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه، فكانوا شركاء له في الإثم، والثاني: أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته، فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه. فإن قلت: لم قيل ﴿خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ على المبالغة؟ قلت: كان الله عالماً من طعمة بالإفراط في الخيانة وركوب المآثم، ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله، وقيل: إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه أمر بقطع يد سارق، فجاءت أمه تبكي وتقول: هذه أوّل سرقة سرقها فاعف عنه. فقال: كذبت، إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة (٤٧١)، ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾: يستترون، ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ حياء منهم وخوفاً من ضررهم، ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: ولا يستحيون منه، ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾: وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليهم خاف من سرهم، وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم، مع

= الترمذي: غريب، ولا نعلم أسنده عن ابن إسحاق إلاّ محمد بن سلمة. ورواه يونس وغير واحد عن ابن إسحاق مرسلاً. انتهى.

٤٧١ ـ قال ابن حجر: لم أجده. ا.هـ.

---

(١) قوله «ولكن ليجتهد رأيه» عبارة الخازن: ليجهد. (ع)

علمهم إن كانوا مؤمنين أنهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة، وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح، ﴿يُبَيِّتُونَ﴾: يدبرون ويزوّرون[1] وأصله أن يكون بالليل، ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في دار زيد ليسرّق دونه ويحلف ببراءته. فإن قلت: كيف سمى التدبير قولاً، وإنما هو معنى في النفس؟ قلت: لما حدّث بذلك نفسه سمي قولاً على المجاز، ويجوز أن يراد بالقول: الحلف الكاذب الذي حلف به بعد أن بيته، وتوريكه[2] الذنب على اليهودي، ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: ها «للتنبيه» في «أنتم»، و«أولاء» وهما مبتدأ وخبر، و﴿جَٰدَلْتُمْ﴾ جملة مبينة لوقوع «أولاء» خبرا، كما تقول لبعض الأسخياء: أنت حاتم، تجود بمالك، وتؤثر على نفسك، ويجوز أن يكون (أولاء) اسماً موصولاً بمعنى «الذين» و«جادلتم» صلته، والمعنى: هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا. فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه، وقرأ عبد الله: «عنه»، أي: عن طعمة، ﴿وَكِيلًا﴾: حافظاً ومحامياً من بأس الله وانتقامه، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾: قبيحاً متعدياً يسوء به غيره، كما فعل طعمة بقتادة واليهودي، ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بما يختص به كالحلف الكاذب، وقيل: ومن يعمل سوءاً من ذنب دون الشرك. أو يظلم نفسه بالشرك، وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة، مع العلم بما يكون منه. أو لقومه لما فرط منهم من نصرته والذّبّ عنه.

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾

﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ أي: لا يتعدّاه ضرره إلى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء، ﴿خَطِيٓـَٔةً﴾: صغيرة، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أو كبيرة، ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾: كما رمى طعمة زيداً، ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا﴾: لأنه بكسب الإثم «آثم» وبرمي البريء «باهت» فهو جامع بين الأمرين، وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه: «ومن يكسب»، بكسر الكاف والسين المشددة وأصله يكتسب.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

---

(١) قوله «ويزورون» في الصحاح «زورت الشيء» حسنته وقومته. والتزوير: تزيين الكذب. (ع)

(٢) قوله «وتوريكه الذنب» في الصحاح «ورك فلان ذنبه على غيره» أي قرفه به. وفيه أيضاً «هو يقرف بكذا» أي يرمي به ويتهم به. (ع)

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أي: عصمته وألطافه وما أوحى إليك من الاطلاع على سرّهم، ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من بني ظفر، ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل، مع علمهم بأن الجاني هو صاحبهم، فقد روي أن ناساً منهم كانوا يعلمون كنه القصة، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾: لأن وباله عليهم، ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾ لأنك إنما عملت بظاهر الحال، وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾: من خفيات الأمور وضمائر القلوب، أو من أمور الدين والشرائع، ويجوز أن يراد بالطائفة بنو ظفر، ويرجع الضمير في (منهم) إلى الناس، وقيل: الآية في المنافقين.

﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾

﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾: من تناجي الناس، ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ إلا نجوى من أمر، على أنه مجرور بدل من كثير، كما تقول: لا خير في قيامهم إلا قيام زيد، ويجوز أن يكون منصوباً على الانقطاع، بمعنى: ولكن من أمر بصدقة، ففي نجواه الخير، وقيل: المعروف: القرض، وقيل: إغاثة الملهوف، وقيل: هو عامّ في كل جميل، ويجوز أن يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوّع، وعن النبي ﷺ: «كلام ابن آدم كله عليه لا له، إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله» (٤٧٢) وسمع سفيان رجلاً يقول: ما أشد هذا الحديث!! فقال: ألم تسمع الله يقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾: فهو هذا بعينه أو ما سمعته يقول: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر: ١ ـ ٢] فهذا هو بعينه، وشرط في استيجاب الأجر العظيم أن ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرّب به إليه، وأن يبتغي به وجهه خالصاً، لأن الأعمال بالنيات. فإن قلت: كيف قال: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾ ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؟ قلت: قد ذكر الأمر بالخير

---

٤٧٢ ـ أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٨)، رقم (٢٤١٢)، كتاب الزهد، باب: ما جاء في حفظ اللسان.
ـ وابن ماجه (٢/ ١٣١٥) حديث (٣٩٧٤)، كتاب الفتن، باب: كفّ اللسان عن الفتنة، والحاكم (٢/ ٥١٢ ـ ٥١٣)، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة عمّ يتساءلون.
ـ والطبراني في الكبير (٢٣/ ٢٤٣) رقم (٤٨٤).
ـ كلّهم من طريق أم حبيبة زوج النبيّ ـ ﷺ ـ.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٥٩) لابن مردويه في تفسيره سورة طه. وقال ابن حجر: أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم وأبو يعلى والطبراني من حديث أم حبيبة ومداره على محمد بن يزيد بن حبيش راوية سفيان الثوري وفيه رواية الحاكم بزيادة فيه من كلام الثوري وأنه استشهد بهذه الآية وغيرها. انتهى.

ليدل به على فاعله، لأنه إذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل. ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم، ويجوز أن يراد: ومن يأمر بذلك، فعبر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن سائر الأفعال، وقرىء: «يؤتيه»، بالياء.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم، وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها، كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة، لأنّ الله عز وعلا جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين، وبين مشاقة الرسول في الشرط، وجعل جزاءه الوعيد الشديد، فكان اتباعهم واجباً كموالاة الرسول عليه الصلاة والسلام. قوله: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾: نجعله والياً لما تولى من الضلال، بأن نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره، ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ وقرىء: «ونصله»، بفتح النون، من صلاه، وقيل: هي في طعمة وارتداده وخروجه إلى مكة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ تكرير للتأكيد، وقيل: كرّر لقصة طعمة، وروي: أنه مات مشركاً، وقيل: جاء شيخ من العرب إلى رسول الله ﷺ فقال: إني شيخ منهمك في الذنوب، إلا أني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وآمنت به، ولم أتخذ من دونه ولياً، ولم أوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة له، وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هرباً، وإني لنادم تائب مستغفر، فما ترى حالي عند الله؟ (٤٧٣) فنزلت، وهذا الحديث ينصر قول من فسر ﴿مَن يَشَآءُ﴾ بالتائب من ذنبه[١]،

---

٤٧٣ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٦٠) للثعلبي في تفسيره من طريق الضحاك عن ابن عباس.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: هو منقطع. انتهى.

---

(١) قوله «ينصر قول من فسر من يشاء. . . . إلخ» هو قول المعتزلة. (ع)

﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ هي اللات والعزى ومناة، وعن الحسن: لم يكن حيّ من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان، وقيل: كانوا يقولون في أصنامهم هنّ بنات الله، وقيل: المراد الملائكة. لقولهم: الملائكة بنات الله، وقرىء «أنثاً»، جمع أنيث أو أناث. و«وثناً». و«أثناً»، بالتخفيف والتثقيل جمع وثن، كقولك أَسَدٌ وأُسُدٌ وأُسْدٌ، وقلب الواو ألفاً نحو «أُجوه» في وجوه، وقرأت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «أوثاناً»، ﴿وَإِن يَدۡعُونَ﴾: وإن يعبدون بعبادة الأصنام، ﴿إِلَّا شَيۡطَٰنًا﴾ لأنه هو الذي أغراهم على عبادتها فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة، و﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ﴾ صفتان بمعنى شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنة الله وهذا القول الشنيع، ﴿نَصِيبًا مَّفۡرُوضًا﴾: مقطوعاً واجباً فرضته لنفسي من قولهم: فرض له في العطاء، وفرض الجند رزقه. قال الحسن: من كل ألف تسعمائة وتسعين إلى النار، ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ﴾ الأماني الباطلة[1] من طول الأعمار، وبلوغ الآمال، ورحمة الله للمجرمين بغير توبة[2] والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك، وتبتيكهم الآذان فعلهم بالبحائر، كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكراً، وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها، وتغييرهم خلق الله: فقوء عين الحامي وإعفاؤه عن الركوب، وقيل: الخصاء، وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم، وأما في بني آدم فمحظور، وعند أبي حنيفة: يكره شراء الخصيان وإمساكهم واستخدامهم، لأن الرغبة فيهم تدعو إلى خصائهم، وقيل: فطرة الله التي هي دين الإسلام، وقيل للحسن: إن عكرمة يقول هو الخصاء، فقال: كذب عكرمة، هو دين الله، وعن ابن مسعود: هو الوشم، وعنه: «لعن الله الواشرات والمتنمصات[3] والمستوشمات المغيرات خلق الله» (٤٧٤)، وقيل: التخنث.

---

٤٧٤ ـ أخرجه البخاري (١٠/ ٣٨٤): كتاب اللباس: باب المتفلجات للحسن، حديث (٥٩٣١)، وأطرافه في رقم (٥٩٣٩)، مسلم (٣/١٦٧٨) كتاب اللباس والزينة: باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة =

---

(١) قال محمود: «المراد الأماني الباطلة. . . إلخ» قال أحمد: هو تعريض بأهل السنة الذين يعتقدون أن الموحد ذا الكبائر غير التائب أمره يرجأ إلى الله تعالى، والعفو عنه موكول إلى مشيئته إيماناً وتصديقاً بقوله في الآية المعتبرة في هذا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ والعجب أن هذه الآية تكررت في هذه السورة مرتين على أذن الزمخشري، وهو مع ذلك يتصام عنها، ويجعل العقيدة المتلقاة منها من جملة الأماني الشيطانية، نعوذ بالله من إرسال الرسن في اتباع الهوى، وكذلك أيضاً عرض بأهل السنة في اعتقادهم صدق الوعد الصادق بالشفاعة المحمدية، وعد ذلك أيضاً أمنية شيطانية، وما أرى من جحد الشفاعة ينالها. فلا حول ولا قوة إلا بالله، لقد مكر بهذا الفاضل، فلا يأمن بعده عاقل. إنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

(٢) قوله: «للمجرمين بغير توبة» بل بالشفاعة، أو بمجرد الفضل. وهو مذهب أهل السنة. (ع)

(٣) قوله «الواشرات والمتنمصات» الواشرات: المرقات أسنانهن. والمتنمصات: الناتفات للشعر، والمتنقشات أيضاً. اهـ صحاح. (ع)

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾

﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران: الأول مؤكد لنفسه، والثاني مؤكد لغيره، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ توكيد ثالث بليغ. فإن قلت: ما فائدة هذه التوكيدات؟ قلت: معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه، ترغيباً للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد الله، على ما يتجرعون في عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّلِحَتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾

في ﴿لَّيْسَ﴾ ضمير وعد الله، أي: ليس ينال ما وعد الله من الثواب، ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ﴾ بـ﴿أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَبِ﴾ والخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به، وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله، وعن مسروق والسدي: هي في المسلمين، وعن «الحسن: ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل (٤٧٥)، إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا في الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحسن الظنّ بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظنّ بالله لأحسنوا العمل له»، وقيل: إنّ المسلمين وأهل الكتاب افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، وقال المسلمون: نحن أولى منكم، نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على

= والواشمة والمستوشمة...»، حديث (١٢٠/ ٢١٢٥)، وأبو داود (٢/ ٤٧٦): كتاب الترجّل: باب في صلة الشعر، حديث (٤١٦٩)، والنسائي (٨/ ٥١٨٨): كتاب الزينة: باب لعن المتنمّصات والمتفلجات، حديث (٥٢٥٣)، وابن ماجه (١/ ٦٤٠): كتاب النكاح: باب الواصلة والواشمة، حديث (١٩٨٩)، وأحمد (١/ ٤٣٣ (٤١٢٩)، (٤١٣٠))، (١/ ٤٤٣ (٤٢٣٠))، والدارمي (٢/ ٢٧٩): كتاب الاستيزان: باب الواصلة والمستوصلة، الحميدي (١/ ٥٣)، حديث (٩٧).

ـ والترمذي (٥/ ١٠٤ ـ ١٠٥)، حديث (٢٧٨٢)، كتاب الأدب، باب: ما جاء في الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة.

وابن جرير (٩/ ٢٢١)، رقم (١٠٤٨٨)، كلّهم من طريق ابن مسعود.

ـ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من رواية علقمة بزيادة «المتفلّجات» وفيه قصة. انتهى.

٤٧٥ ـ أخرجه ابن شيبة (٦/ ١٦٣) رقم (٣٠٣٥١) كتاب الإيمان والرؤيا (٥) باب من طريق زكريا عن الحسن.

الكتب التي كانت قبله. فنزلت، ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم: إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيراً منهم وأحسن حالاً ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]، ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] وكان أهل الكتاب يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه. لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك قبله، وعن مجاهد: إن الخطاب للمشركين. قوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ وقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعد ذكر تمني أهل الكتاب، نحو من قوله: ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته﴾ [البقرة: ٨١] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: عقيب قوله: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] وإذا أبطل الله الأماني وأثبت أن الأمر كله معقود بالعمل، وأن من أصلح عمله فهو الفائز، ومن أساء عمله فهو الهالك ـ: تبين الأمر ووضح، ووجب قطع الأماني وحسم المطامع، والإقبال على العمل الصالح، ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى إليه الأذهان. فإن قلت: ما الفرق بين (من) الأولى والثانية؟ قلت: الأولى للتبعيض، أراد ومن يعمل بعض الصالحات؛ لأنّ كلا لا يتمكن من عمل كل الصالحات لاختلاف الأحوال، وإنما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه، وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة، وتسقط عنه الصلاة في بعض الأحوال، والثانية لتبيين الإبهام في ﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾ فإن قلت: كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك[1]؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون الراجع في (ولا يظلمون) لعمال السوء وعمال الصالحات جميعاً، والثاني أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالاً على ذكره عند الآخر، لأن كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم، ولأن ظلم المسيء أن يزاد في عقابه، وأرحم الراحمين معلوم أنه لا يزيد في عقاب المجرم، فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب، فجاز أن ينقص

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون الراجع في ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ لعمال السوء وعمال الصالحات جميعاً. والثاني: أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالاً على ذكره عند الآخر، لأن كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم، ولأن ظلم المسيء أن يزاد في عقابه، وأرحم الراحمين معلوم أنه لا يزيد في عقاب المجرم، فكان ذكره مستغنى عنه. وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب، فجاز أن ينقص من الفضل لأنه ليس بواجب، وكان نفي الظلم دلالة على أنه لا يقع نقصان في الفضل» قال أحمد: مدار هذا التطويل بالسؤال والجواب على بث المعتقد الفاسد في أن الله تعالى يجب عليه أن يثيب على الطاعات، وأن الثواب منقسم إلى واجب ليس بفضل، وإلى زيادة على الواجب وهي الفضل خاصة، وهذا المعتقد هو الذي يصدق عليه أن الشيطان مناه للقدرية، حتى زعموا أن لهم على الله واجباً ـ تعالى الله عن ذلك ـ إن الله لغني عن عمل يوجب عليه حقاً، جل الله وعز. لقد نفخ الشيطان بهذه الأمنية في آذان القدرية. اللهم لا عمدة لنا إلا فضلك، فأجزل نصيبنا منه يا كريم.

من الفضل لأنه ليس بواجب. فكان نفي الظلم دلالة على أنه لا يقع نقصان في الفضل.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا تعرف لها رباً ولا معبوداً سواه، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: وهو عامل للحسنات تارك للسيئات، ﴿حَنِيفًا﴾ حال من المتبع، أو من إبراهيم كقوله: ﴿بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ [البقرة: ١٣٥] وهو الذي تحنف أي: مال عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾: مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله، والخليل: المخال، وهو الذي يخالك أي: يوافقك في خلالك، أو يسايرك في طريقك، من الخل: وهو الطريق في الرمل، أو يسدّ خللك كما تسدّ خلله، أو يداخلك خلال منازلك وحجبك. فإن قلت: ما موقع هذه الجملة؟ قلت: هي جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب، كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم [من الكامل]:

.... وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ ....[1]

فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته[2]، لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلاً، كان جديراً بأن تتبع ملته وطريقته، ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها

---

(١) يا ليت شعري والحودث جمة هل أغدون يوماً وأمري مجمع؟
قوله: «والحوادث جمة» أي كثيرة، جملة اعتراضية. وأغدون: مؤكد بالنون الخفيفة. «وأمرى مجمع» أي منوي مجزوم بامتثاله. أو المعنى: وشملي مجتمع بعد تفرقه، وهي جملة حالية مغنية عن خبر أغدون أو خبرها، وزيدت الواو لتوكيد الربط. وأجمع يتعلق بالمعقول، وجمع يتعلق بالمحسوس.

(٢) وهذا رأي صاحب الكشاف وتبعه أبو السعود.
وقد عرف الاعتراض عند جمهور البلاغيين بأنه: «أن يؤتي في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة» «الإيضاح ٣/ ٢٤١/ ٢٤٢ وبهذا التعريف خرج الإيغال لأنه في آخر الكلام مع أنه لا محل له من الإعراب.
وخرج التتميم لأن له محلاً من الإعراب، وخرج التكميل وهو الاحتراس لأنه يدفع توهم غير المراد من الكلام.
وأسراره البلاغية كثيرة: منها: التنزيه والتعظيم كقوله ـ تعالى ـ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [٥٧ النحل]
ومنها الدعاء كقول الشاعر:
«إي الثمانية ـ وبلغتها ـ قد أحوجت سمعي إلى ترجمان
ومنها التنبه على سبب أمر فيه غرابة كقول الله ـ سبحانه ـ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ =

معنى، وقيل: إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه. فقال خليله: لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت، ولكنه يريدها للأضياف، فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملئوا منها الغرائر حياء من الناس. فلما أخبروا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ساءه الخبر، فحملته عيناه وعمدت امرأته إلى غرارة منها فأخرجت أحسن حوارى، واختبزت واستنبه إبراهيم ـ عليه السلام ـ فاشتم رائحة الخبز، فقال: من أين لكم؟ فقالت امرأته: من خليلك المصري. فقال: بل من عند خليلي الله عز وجل، فسماه الله خليلاً.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين. معناه: أن له ملك أهل السمٰوات والأرض، فطاعته واجبة عليهم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ فكان عالماً بأعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها. فعليهم أن يختاروا لأنفسهم ما هو أصلح لها.

= لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٦﴾ [الواقعة ٧٥، ٧٦] وهذا من باب الاعتراض داخل اعتراض، فإن قوله ـ لو تعلمون ـ اعتراض داخل بين جمله ـ وإن لقسم عظيم ـ وهذه الجملة اعتراض بين القسم وجوابه.

وهناك فوائد كثيرة تلتمس بالتطبيق العملي في فهم نصوص القرآن.

وقد يأتي الاعتراض بأكثر من جملة كما تراه في قول الله ـ سبحانه ـ:

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [٣٦ آل عمران].

فقولها: إني وضعتها أنثى وإني سميتها مريم وما بين الجملتين اعتراض بجملتين.

وبعض البلاغين لم يقيده بهذه الأسرار بل جعله دفعا لإبهام ما يخالف المقصود، وهؤلاء فرقتان (أ) فرقة لاشتراط أن يقع في أثناء الكلام أو بين كلامين لهما معنى متصل أي يصح عندهم أن يكون الاعتراض آخر الكلام. ومنهم الزمخشري كهذه الآية التي في صدر هذا البحث (ب) وفرقة تشترط فيه ذلك لكن لا يشترطون أن يكون بجملة، فيدخل فيه التتميم.

ويلاحظ الزمخشري أن الجمل الاعتراضية لا بد لها من الاتصال القوى في الكلام الذي وقعت فيه، لأنها مسوقة لتوكيده وتقديره، وهذا ما تراه مبثوثاً في كلامه عند بيانه لقوله ـ تعالى ـ مثلاً ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه﴾ إلى قول الله سبحانه ـ ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيشرح هذه الآيات مبيناً أن قوله ـ سبحانه ـ ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ إلى «فما كان جواب» آيات معترضة تبين أن الأصل في سوق قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ إنما هو التسلية والتنفيس عن رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فإذا دخل قوله ـ وإن تكذبوا. . .» فهذا دخول أصيل على محله من الدعوة الإسلامية التي هي أصل الآيات من قبل ومن بعد.

ينظر المفتاح للسكاكي ٢٠٢، والإيضاح ٣/ ١٤١ وما بعدها، والبلاغة القرآنية لأبي موسى ٤٥٢ وما بعده، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٣٥، ٣/ ١٧٠، وروح المعاني للألوسي ٤/ ١٦٨ وغير ذلك من أمهات المراجع.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَمَا يُتْلَى﴾ في محل الرفع. أي: الله يفتيكم والمتلوّ، ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ في معنى اليتامى، يعني قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ [النساء: ٣] وهو من قولك: أعجبني زيد وكرمه، ويجوز أن يكون. ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ مبتدأ و﴿فِي الْكِتَابِ﴾ خبره على أنها جملة معترضة، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ تعظيماً للمتلو عليهم، وأن العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الأمور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها، والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله، ونحوه في تعظيم القرآن: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤] ويجوز أن يكون مجروراً على القسم، كأنه قيل: قل الله يفتيكم فيهنّ، وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب، والقسم أيضاً لمعنى التعظيم، وليس بسديد أن يعطف على المجرور في (فيهنّ)، لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى، فإن قلت بم تعلق قوله: ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾؟ قلت: في الوجه الأوّل هو صلة (يتلى) أي: يتلى عليكم في معناهن، ويجوز أن يكون (في يتامى النساء) بدلاً من (فيهن) وأما في الوجهين الآخرين فبدل لا غير. فإن قلت: الإضافة في (يتامى النساء) ما هي؟ قلت: إضافة بمعنى (من) كقولك: عندي سحق عمامة[1]، وقرىء: «في ييامى النساء» بياءين على قلب همزة أيامى ياء، ﴿لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ وقرىء: «ما كتب الله لهنّ». أي: ما فرض لهن من الميراث، وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه وما لها[2]. فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال، وإن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها، ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن، وعن أن تنكحوهن لدمامتهن، وروى أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان إذا جاءه ولي

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «والذي ذكره النحويون من ذلك إضافة الشيء إلى جنسه نحو: «خاتمُ حديدٍ» ويجوزُ الفصل إمَّا بإتباع نحو: «خاتم حديدٌ» أو تنصبَه تمييزاً نحو: «خاتمٌ حديداً» أو تجرُّه بـ «مِنْ» نحو: خاتم من حديد». قال: «والظاهر أن إضافة «سُحْق عمامةٍ» و «يتامى النساء» بمعنى اللام، ومعنى اللام الاختصاص». وهذا الردُّ ليس بشيء فإنهم ذكروا ضابط الإضافة التي بمعنى «مِنْ» أن تكونَ إضافةَ جزءٍ إلى كل بشرطِ صدقِ اسم الكلْ على البعض، ولا شك أن «يتامى» بعض من النساء، والنساء يَصْدُق عليهنَّ، وتحرَّزنا بقولنا «بشرطِ صدقِ الكل على البعض» من نحو «يد زيد» فإنَّ زيداً لا يَصْدُقُ على اليد وحدَها. وقال أبو البقاء: «في يتامى النساء» أي: في اليتامى منهن» وهذا تفسيرُ معنى لا إعرابٍ. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «ومالها .... إلخ» عبارة النسفي: ولعل أصله ومالها إلى ماله. (ع)

اليتيمة نظر، فإن كانت جميلة غنية قال: زوّجها غيرك والتمس لها من هو خير منك، وإن كانت دميمة ولا مال لها قال: تزوجها فأنت أحق بها (٤٧٦)، ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ مجرور معطوف على (يتامى النساء) وكانوا في الجاهلية إنما يورثون الرجال القوام بالأمور دون الأطفال والنساء، ويجوز أن يكون خطاباً للأوصياء كقوله: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ [النساء: ٢]، ﴿وَأَن تَقُومُوا۟﴾: مجرور كالمستضعفين بمعنى: يفتيكم في يتامى النساء، وفي المستضعفين، وفي أن تقوموا، ويجوز أن يكون منصوباً بمعنى: ويأمركم أن تقوموا، وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم، ولا يخلوا أحداً يهتضمهم.

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾

﴿خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا﴾: توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته، والنشوز: أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة، وأن يؤذيها بسب أو ضرب، والإعراض: أن يعرض عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها، وذلك لبعض الأسباب من طعن في سنّ، أو دمامة، أو شيء في خلق أو خُلق، أو ملال، أو طموح عين إلى أخرى، أو غير ذلك فلا بأس بهما في أن يصلحا بينهما، وقرىء: يصَّالحا، ويصالحا، بمعنى: يتصالحا، ويصطلحا، ونحو أصلح: أصبر في اصطبر، ﴿صُلْحًا﴾ في معنى مصدر كل واحد من الأفعال الثلاثة، ومعنى الصلح: أن يتصالحا على أن تطيب له نفساً عن القسمة أو عن بعضها، كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول ﷺ وعرفت مكان عائشة من قلبه، فوهبت لها يومها (٤٧٧). كما روى أن امرأة

---

٤٧٦ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٩/٢٦٦)، رقم (١٠٥٧٣)، من طريق إبراهيم عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الطبري من طريق إبراهيم أنّ عمر بن الخطاب ـ فذكره مرسلاً. انتهى.

٤٧٧ ـ أخرجه البخاري (١٠/٣٩١)، رقم (٥٢١٢)، كتاب النكاح، باب: المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها...
ـ ومسلم (٥/٣٠٤)، رقم ٤٧ ـ (١٤٦٣)، كتاب الرضاع، باب: جواز هبتها نوبتها لضرتها.
ـ وأبو داود (٢/٢٤٢ ـ ٢٤٣) رقم (٢١٣٥)، كتاب النكاح، باب: في القسم بين النّساء.
ـ وابن ماجه (١/٦٣٤)، رقم (١٩٧٢)، كتاب النكاح، باب: المرأة تهب يومها لصاحبتها.
ـ والنسائي في الكبرى (٥/٣٠١)، رقم (٨٩٣٤/٢)، كتاب عشرة النّساء باب: المرأة تهب يومها لامرأة من نساء زوجها. =

أراد زوجها أن يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت: لا تطلقني ودعني أقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال: إن كان هذا يصلح فهو أحب إليّ، فأقرها. أو تهب له بعض المهر، أو كله، أو النفقة؛ فإن لم تفعل فليس له إلا أن يمسكها بإحسان أو يسرحها، ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة أو من النشوز والإعراض وسوء العشرة. أو هو خير من الخصومة في كل شيء. أو الصلح خير من الخيور، كما أن الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض، وكذلك قوله، ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[1]، ومعنى إحضار الأنفس الشح أن الشح جعل حاضراً لها لا يغيب عنها أبداً ولا تنفك عنه، يعني أنها مطبوعة عليه والغرض أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها[2]، والرجل لا تكاد نفسه تسمح بأن يقسم لها وأن يمسكها إذا رغب عنها وأحب غيرها، ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟﴾ بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن، وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة، ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ النشوز والإعراض وما يؤدي إلى الأذى والخصومة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الإحسان والتقوى، ﴿خَبِيرًا﴾ وهو يثيبكم عليه، وكان عمران بن حطان

= - والبيهقي (٧/ ٧٤ ـ ٧٥)، كتاب النكاح، باب: ما يستدلُّ به على أنّ النبيّ - ﷺ - في سوى ما ذكرنا. . .
كلّهم من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الحاكم من حديث عائشة وهو في الصّحيحين من رواية عروة عن عائشة قالت «ما رأيت امرأة أحب أن أكون مسلاجها من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حدّة. الحديث». انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: وكأنه يريد أن قولَه: «وإنْ يتَفَرَّقا» معطوفٌ على قوله: «فلا جناح» فجاءت الجملتان بينهما اعتراضاً، هكذا قال الشيخ وفيه نظر، فإن بعدهما جملاً أُخَرَ فكان ينبغي أن يقول الزمخشري في الجميع: إنها اعتراض، ولا يخص: «والصلح خير» «وأُحْضِرَت الأنفسُ» بذلك، وإنما يريد الزمخشري بذلك الاعتراضَ بين قوله: «وإن امرأة» وقوله: «وإنْ تحسنوا» فإنهما شرطان متعاطفان، ويَدُلُّ عليه تفسيرُه له بما يفيد هذا المعنى فإنه قال: «وإن تحسنوا بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتتقوا النشوزَ والإعراضَ» انتهى. والألفُ واللام في «الصلح» يجوزُ أن تكونَ للجنس وأن تكونَ للعهد لتقدُّم ذكره نحو: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ و«خير» يُحتمل أن تكون للتفضيل على بابها والمفضَّلُ عليه محذوفٌ فقيل: تقديرُه: من النشوز والإعراض، وقيل: خيرٌ من الفرقة، والتقدير الأولُ أَوْلى للدلالة اللفظية، ويُحتمل أن تكون صفةً مجردةً أي: والصلحُ خيرٌ من الخيور، كما أنَّ الخصومةَ شرٌ من الشرور. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «وبغير قسمتها» لعله «غير قسمتها»، كالفرقة والنفقة والمهر. وعبارة النسفي: تسمح بقسمتها والرجل. . . إلخ، فحرر. (ع)

الخارجي من أذمّ بني آدم، وامرأته من أجملهم، فأجالت في وجهه نظرها يوماً ثم تابعت الحمد لله، فقال: مالك؟ قالت: حمدت الله على أني وإياك من أهل الجنة. قال: كيف؟ قالت: لأنك رزقت مثلي فشكرت، ورزقت مثلك فصبرت، وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين (٤٧٨).

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ﴾: ومحال أن تستطيعوا العدل، ﴿بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ والتسوية حتى لا يقع ميل ألبتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن، فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته، وما كلفتم منه إلا ما تستطيعون بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم، لأنّ تكليف ما لا يستطاع داخل في حدّ الظلم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ **[فصلت: ٤٦]** وقيل: معناه أن تعدلوا في المحبة، وعن النبي ﷺ: أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول «هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك» (٤٧٩) يعني: المحبة؛ لأن عائشة ـ رضي الله عنها ـ كانت أحب إليه، وقيل: إن العدل بينهن أمر صعب بالغ من الصعوبة حداً يوهم أنه غير مستطاع، لأنه يجب أن يسوّي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه، فهو كالخارج من حدّ الاستطاعة. هذا إذا كن محبوبات كلهن؛ فكيف إذا مال القلب مع بعضهن ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾: فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضاً

---

٤٧٨ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

٤٧٩ ـ أخرجه الدارمي (٢/ ١٤٤) كتاب النكاح ـ باب في القسمة بين النساء وأبو داود (٢/ ٦٠١) كتاب النكاح، باب القسم بين النّساء ـ الحديث (٢١٣٤) والترمذي (٣/ ٤٤٦) كتاب النكاح، باب التسوية بين الضرائر الحديث (١١٤٠) والنّسائي (٧/ ٦٤) كتاب عشرة النّساء، باب ميل الرجل إلى بعض نّسائه دون بعض.

وابن ماجه (١/ ٦٣٣) كتاب النكاح، باب القسمة بين النّساء ـ الحديث (١٩٧١) وابن أبي شيبة (٤/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧) وابن حبّان (١٣٠٥ ـ موارد) والحاكم (٢/ ١٨٧) كتاب النكاح، باب التشديد في العدل بين النّساء، والبيهقي (٧/ ٢٩٨) كتاب القسم والنشوز: باب **﴿لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النّساء﴾** من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ـ ﷺ ـ يقسم فيعدل ويقول: «اللهمّ هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك». وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أصحاب السنن وابن حبّان والحاكم من رواية أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة وفيه يعني «القلب». انتهى.

منها، يعني: أن اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة؛ فلا تفرطوا فيه إن وقع منكم التفريط في العدل كله، وفيه ضرب من التوبيخ، ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾: وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال [من الرجز]:

هَـلْ هِـيَ إلاّ حِـظَّـةٌ أَوْ تَـطْـلِـيـقْ أَوْ صَـلَـفٌ أَوْ بَـيْـنَ ذَاكَ تَـعْـلِـيـقْ؟[(١)]

وفي قراءة أبيّ: فتذروها كالمسجونة، وفي الحديث: «من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل» (٤٨٠)، وروى أنّ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بعث إلى أزواج رسول الله ﷺ بمال، فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أإلى كل أزواج رسول الله بعث عمر مثل هذا؟ قالوا: لا، بعث إلى القرشيات بمثل هذا وإلى غيرهنّ بغيره،

----

٤٨٠ ـ أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٧) والدارمي (٢/ ١٤٣) كتاب النكاح ـ باب العدل بين النّساء، وأبو داود (١/ ٦٤٨) كتاب النكاح ـ باب القسم بين النّساء ـ الحديث (٢١٣٣) والترمذي (٣/ ٤٤٧) كتاب النكاح ـ باب التسوية بين الضرائر ـ الحديث (١١٤١) والنّسائي (٧/ ٦٣) كتاب عشرة النّساء ـ باب ميل الرجل إلى بعض نّسائه دون بعض، وابن ماجه (١/ ٦٣٣) كتاب النكاح باب القسمة بين النّساء ـ الحديث (١٩٦٩) وابن الجارود ص (٢٤١) كتاب النكاح ـ الحديث (٧٢٢) وابن حبّان (١٣٠٧ ـ موارد): والحاكم (٢/ ١٨٦) كتاب النّكاح ـ باب التشديد في العدل بين النّساء، والبيهقي (٧/ ٢٩٧) كتاب القسم والنشوز ـ باب الرجل لا يفارق التي رغب عنها وغيرهم من حديث همام عن قتادة عن النفيرين أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا كانت عند الرجل امرأتان جاء يوم القيامة وشقه ساقط» ـ لفظ الترمذي.

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وأما الترمذي فقال: (إنما أسند هذا الحديث همام بن يحيى عن قتادة ورواه هشام الدستوائي عن قتادة قال: كان يقال ولا نعرف هذا الحديث مرفوعاً إلاّ من حديث همام» ا. هـ.

وصحّحه عبد الحق وابن دقيق العيد كما في «تلخيص الحبير» (٣/ ٢٠١) وللحديث شاهد من حديث أنس.

أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٣٠٠) من طريق محمد بن الحارث الحارثي ثنا شعبة عن عبد الحميد بن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقّه مائل».

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أصحاب السّنن وابن حبّان والحاكم من رواية بشير بن نهيك عن أبي هريرة. قال الترمذي: لا يعرف مرفوعاً إلاّ من حديث همّام. انتهى.

---

(١) لبنت الحمارس. والاستفهام إنكاري، أي ليست حالة الزوجة مع زوجها إلا حظة صغيرة بحظوة الزوج بها، أو تطليق لها مع الزوج، أو صلف ـ أي عدم حظوة من الزوج بها ـ وصلفت صلفاً من باب تعب. وتشاء صالفات وصلائف، لم يحظهن الزوج، أو تعليق بين ذلك المذكور من الأحوال. وتسبيغ مشطور الرجز بزيادة ساكن في آخره ـ كما هنا ـ قليل.
ينظر لسان العرب: (هلل)، (ها)، وتاج العروس؛ (حوق)، (هلل)، (حظا)، (ها)، ولسان العرب: (حوق)، وتهذيب اللغة ٥/ ٢٠٤، والمخصص ٢/ ٣٣، ١٥/ ٩٣.

فقالت: ارفع رأسك فإن رسول الله ﷺ كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه. فرجع الرسول فأخبره، فأتم لهن جميعاً (٤٨١) وكان لمعاذ امرأتان، فإذا كان عند إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى، فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد (٤٨٢)، ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾: ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة، ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ فيما يستقبل، غفر الله لكم.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾

وقرىء: «وإن يتفارقا» بمعنى وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه، ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾: يرزقه زوجاً خيراً من زوجه وعيشاً أهنأ من عيشه، والسعة الغني، والمقدرة. والواسع: الغني المقتدر.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾

﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾: متعلق بـ «وصينا»، أو بـ «أوتوا»، ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾: عطف على «الذين أوتوا»، ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: اسم للجنس يتناول الكتب السماوية، ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ﴾: بأن اتقوا، وتكون أن المفسرة، لأنّ التوصية في معنى القول. وقوله: ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ﴾ عطف على «اتقوا» لأنّ المعنى: أمرناهم وأمرناكم بالتقوى، وقلنا لهم ولكم: إن تكفروا فإن لله، والمعنى: إن لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم بأصناف النعم كلها، فحقه أن يكون مطاعاً في خلقه غير معصيّ. يتقون عقابه ويرجون ثوابه «ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب»

---

٤٨١ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٦٣): غريب، وأخرج أحمد (٣/ ٤٧٥) نحوه من حديث أبي عمرو بن حفص بن المغيرة ـ رضي الله عنه ـ.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده هكذا، وفي مسند أحمد من رواية باسرة بن سمين: سمعت عمر بن الخطاب يقول ـ وهو يخطب الناس يوم الجابية «إن الله جعلني خازناً لهذا المال وقاسماً له، ثم قال: بل الله يقسمه، وأنا باديء أهل رسول الله ـ ﷺ ـ ففرض لأزواجه عشرة آلاف إلاّ جويرية وصفية وميمونة. فقالت عائشة: إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ كان يعدل بيننا. فعدل بينهنّ عمر ـ الحديث» أورده في سنن أبي عمرو بن حفص في مسند المكيين. انتهى.

٤٨٢ ـ أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٤)، في ترجمة معاذ، من طريق يحيى بن سعيد عن معاذ، وزاد: فأسهم بينهما أيهما تقدّم وهذا مرسل. وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة معاذ من رواية الليث عن يحيى بن سعيد أن معاذ بن جبل ـ فذكره ـ وزاد: فأسهم بينهما أيهما تقدّم وهذا مرسل. انتهى.

من الأمم السالفة ووصيناكم أن اتقوا الله، يعني أنها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده، لستم بها مخصوصين، لأنهم بالتقوى يسعدون عنده، وبها ينالون النجاة في العاقبة، وقلنا لهم ولكم: وإن تكفروا فإن لله في سمواته وأرضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ مع ذلك، ﴿غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعن عبادتهم جميعاً، مستحقاً لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمده أحد منهم وتكرير قوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه، لأن الخشية والتقوى أصل الخير كله، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: يفنكم ويعدمكم كما أوجدكم وأنشأكم ﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ ويوجد إنساً آخرين مكانكم أو خلقاً آخرين غير الإنس، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ من الإعدام والإيجاد، ﴿قَدِيرًا﴾: بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء أراده، وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره، وقيل: هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله ﷺ من العرب. أي: إن يشأ يمتكم ويأت بأناس آخرين يوالونه، ويروى: أنها لما نزلت ضرب رسول الله ﷺ بيده على ظهر سلمان وقال: «إنهم قوم هذا» (٤٨٣) يريد أبناء فارس.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة، ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾: فماله يطلب أحدهما دون الآخر والذي يطلبه أخسهما، لأن من جاهد لله خالصاً لم تخطئه الغنيمة، وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة إلى جنبه كلا شيء، والمعنى: فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له إن أراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾

﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾: مجتهدين في إقامة العدل حتى لا تجوروا، ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها، ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم. فإن قلت: الشهادة على الوالدين والأقربين أن تقول: أشهد

---

٤٨٣ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٩/٢٩٩)، رقم (١٠٦٧٦).
من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
«أخرجه الطبري من رواية سهيل عن أبيه عن أبي هريرة بهذا وقال «يعني عجم الفرس». انتهى.

أن لفلان على والديّ كذا، أو على أقاربي. فما معنى الشهادة على نفسه؟ قلت: هي الإقرار على نفسه، لأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحق لها، ويجوز أن يكون المعنى: وإن كانت الشهادة وبالاً على أنفسكم[(١)]، أو على آبائكم وأقاربكم، وذلك أن يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره، ﴿إِن يَكُنْ﴾ إن يكن المشهود عليه، ﴿غَنِيًّا﴾ فلا تمنع الشهادة عليه لغناه طلباً لرضاه، ﴿أَوْ فَقِيرًا﴾: فلا تمنعها ترحماً عليه، ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: بالغني والفقير أي: بالنظر لهما وإرادة مصلحتهما، ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها، لأنه أنظر لعباده من كل ناظر. فإن قلت: لم ثنّى الضمير في (أولى بهما) وكان حقه أن يوحد، لأن قوله: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ في معنى إن يكن أحد هذين؟ قلت: قد رجع الضمير إلى ما دل عليه قوله: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ لا إلى المذكور، فلذلك ثنى ولم يفرد، وهو جنس الغنيّ وجنس الفقير، كأنه قيل: فالله أولى بجنسي الغنيّ والفقير، أي: بالأغنياء والفقراء، وفي قراءة أبيّ: فالله أولى بهم وهي شاهدة على ذلك، وقرأ عبد الله: «إن يكن غني أو فقير»، على كان التامة، ﴿أَن تَعْدِلُوا۟﴾ يحتمل العدل والعدول، كأنه قيل: فلا تتبعوا الهوى، كراهة أن تعدلوا بين الناس، أو إرادة أن تعدلوا عن الحق، ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾: وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل، أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها، وقرىء: «وإن تلوا، أو تعرضوا»، بمعنى: وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وبمجازاتكم عليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

---

(١) قال السمين الحلبي: وردَّ عليه الشيخ هذين الوجهين فقال: وتقديرُه: ولو كانت الشهادة على أنفسكم ليس بجيد؛ لأنَ المحذوف إنما يكون مِنْ جنسِ الملفوظِ به ليدلَّ عليه، فإذا قلت: «كن محسناً ولو لمَنْ أساء إليك» فالتقدير: ولو كنت محسناً لمَنْ أساء، ولو قَدَّرْته «ولو كان إحسانك» لم يكن جيداً لأنك تحذف ما لا دلالةَ عليه بلفظٍ مطابقٍ». وهذا الردُّ ليس بشيء، فإن الدلالة اللفظية موجودةٌ لاشتراكِ المحذوفِ والملفوظِ به في المادة، ولا يَضُرُّ اختلافُهما في النوع. وقال في الوجه الثاني: «وهذا لا يجوز لأن ما تعلق به الظرف كونٌ مقيدٌ، والكونُ المقيد لا يجوز حَذْفُه بل المطلقُ، لو قلت: كان زيدٌ فيك» تعني: محباً فيك لم يجز». وهذا الرد أيضاً ليس بشيء لأنه قَصَد تفسير المعنى، ومباديءُ النحو لا تَخفى على آحاد الطلبة فكيف بشيخِ الصناعة؟ انتهى. الدر المصون.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ خطاب للمسلمين، ومعنى ﴿ءَامَنُوا۟﴾: اثبتوا على الإيمان وداوموا عليه وازدادوه، ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ المراد به جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب، والدليل عليه قوله: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ [و] قرىء: «وكتابه» على إرادة الجنس، وقرىء: «نزل». «وأنزل»، على البناء للفاعل، وقيل: الخطاب لأهل الكتاب، لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض، وروي: أنه لعبد الله بن سلام، وأسد وأسيد ابني كعب، وثعلبة بن قيس، وسلام بن أخت عبد الله بن سلام، وسلمة ابن أخيه، ويامين بن يامين، أتوا رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله، إنا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزيز ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فقال ـ عليه السلام ـ: «بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله»، فقالوا: لا نفعل، فنزلت، فآمنوا كلهم (٤٨٤)، وقيل: هو للمنافقين، كأنه قيل: يأيها الذين آمنوا نفاقاً آمنوا إخلاصاً. فإن قلت: كيف قيل لأهل الكتاب: ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ وكانوا مؤمنين بالتوراة والإنجيل؟ قلت: كانوا مؤمنين بهما فحسب، وما كانوا مؤمنين بكل ما أنزل من الكتب، فأمروا أن يؤمنوا بالجنس كله، ولأن إيمانهم ببعض الكتب لا يصح إيماناً به، لأن طريق الإيمان به هو المعجزة، ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض، فلو كان إيمانهم بما آمنوا به لأجل المعجزة لآمنوا به كله، فحين آمنوا ببعضه علم أنهم لم يعتبروا المعجزة، فلم يكن إيمانهم إيماناً، وهذا الذي أراد عز وجلّ في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠]. فإن قلت: لم قيل (نَزّل على رسوله) و(أنزل من قبل)؟ قلت: لأن القرآن نزل مفرّقاً منجماً في عشرين سنة، بخلاف الكتب قبله، ومعنى قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ . . .﴾ الآية، ومن يكفر بشيء من ذلك، ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ لأن الكفر ببعضه كفر بكله. ألا ترى كيف قدم الأمر بالإيمان به جميعاً.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾

﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾: نفي للغفران والهداية[1] وهي اللطف على

---

٤٨٤ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٦٥) للثعلبي في تفسيره من رواية الكلبي: عن أبي صالح عن ابن عباس، وللواحدي في أسباب النزول من قول الكلبي.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: ذكره الثعالبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وذكره الواحدي في الأسباب عن الكلبي بغير سند. انتهى.

---

(١) قال محمود: «نفي للغفران والهداية. . . إلخ» قال أحمد: وليس في هذه الآيه ما يخالف ظاهر =

سبيل المبالغة التي تُعطيها اللام، والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الإيمان الخالص الثابت، والمعنى: إنّ الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه، يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله، لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردّة، وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه، حيث يبدو لهم فيه كرّة بعد أخرى وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردّة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم، لأنّ ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع، ولكنه استبعاد له واستغراب، وأنه أمر لا يكاد يكون، وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع، لا يكاد يرجى منه الثبات، والغالب أنه يموت على شرّ حال وأسمج صورة، وقيل: هم اليهود، آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالإنجيل وبعيسى. ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد ﷺ.

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ وضع (بشر) مكان: أخبر تهكما بهم، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصب على الذمّ أو رفع بمعنى أريد الذين، أو هم الذين، وكانوا يمايلون الكفرة[1] ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض: لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود.، ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يريد لأوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ **[المنافقون: ٨]**.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟

= القاعدة المستقرة على أن التوبة مقبولة على الإطلاق، لأن آخر ما ذكر من حال هؤلاء ازدياد الكفر، ولو كان المذكور في آخر أحوالهم التوبة والإيمان لاحتيج إلى الجمع بين الآية والقاعدة إذاً، وإنما يقع هذا الفصل الذي أورده الزمخشري موقعه في آية آل عمران، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ وقد ظهر الآن في الجمع بين هذه الآية والقاعدة وجه آخر سوى ما تقدم في آل عمران، وهو أن يكون المراد: لن يصدر منهم توبة فلن يكون قبول، من باب * على لا حب لا يهتدي بمناره * وعلى هذا يكون خبراً لا حكماً، والمخبر عنهم من سبق في علم الله أنه لا يتوب من المرتدين، والله أعلم. وفي قول الزمخشري «إن الناكث للتوبة العائد إليها يغلب من حاله أنه يموت بشر حال» نظر، فقد ورد في الحديث «المؤمن مفتن تواب» قال الهروي: معناه يقارف الذنب لفتنته، ثم يعقبه بالتوبة.

(١) قوله: «يمايلون الكفرة»: لعله «يمالئون». (ع)

مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾

﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾: هي أن المخففة من الثقيلة، والمعنى أنه إذا سمعتم، أي: نزل عليكم أنّ الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها، و(أن) مع ما في حيزها في موضع الرفع بـ «نُزِّل»، أو في موضع النصب بـ «نَزَّل»، فيمن قرأ به، والمنزل عليهم في الكتاب: هو ما نزل عليهم بمكة من قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨] وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به، فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه، وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين، فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة، وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار هم المنافقون، فقيل لهم: إنكم إذاً مثل الأحبار في الكفر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني القاعدون والمقعود معهم. فإن قلت: الضمير في قوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ إلى من يرجع؟ قلت: إلى من دل عليه، ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ كأنه قيل: فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها. فإن قلت: لم يكونوا مثلهم بالمجالسة إليهم في وقت الخوض؟ قلت: لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين، والراضي بالكفر كافر. فإن قلت: فهلا كان المسلمون بمكة ـ حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين ـ منافقين؟ قلت: لأنهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم، فكان ترك الإنكار لرضاهم، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ﴾ إما بدل من الذين يتخذون وإما صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم، ﴿يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ أي: ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق[1]، ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾: مظاهرين فأسهموا لنا في الغنيمة، ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾: ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم، ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن ثبطناهم عنكم، وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبكم ومرضوا في قتالكم، وتوانينا في مظاهرتهم عليكم، فهاتوا نصيباً لنا بما أصبتم، وقرىء «ونمنعكم» بالنصب بإضمار أن، قال الحطيئة [من الوافر]:

أَلَـمْ أَكُ جَـارَكُـمْ وَيَـكُـون بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَـكُـمُ الْـمَـوَدَّةُ وَالإِخَـاءُ؟[2]

---

(١) قوله: «أو إخفاق» في الصحاح: أخفق الرجل إذا غزا ولم يغنم. (ع)

(٢) للحطيئة يخاطب الزبرقان، وهم بنو عوف بن كعب، وكان جارهم ثم انتقل إلى بني رفيع، فذكر =

فإن قلت: لم سمى ظفر المسلمين فتحاً، وظفر الكافرين نصيباً؟ قلت: تعظيماً لشأن المسلمين، وتخسيساً لحظ الكافرين؛ لأن ظفر المسلمين أمر عظيم[١]، تفتح لهم أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه، وأمّا ظفر الكافرين، فما هو إلا حظ دنيّ ولمظة من الدنيا[٢] يصيبونها.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر، ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾: وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا وأعدّ لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة، ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم، والخادع: اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه، وقيل: يعطون على الصراط نوراً كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين، فينادون: انظرونا نقتبس من نوركم، ﴿كُسَالَىٰ﴾ قرىء بضم الكاف وفتحها، جمع كسلان، كسكارى في سكران، أي: يقومون متثاقلين متقاعسين، كما ترى من يفعل شيئاً على كره لا عن طيبة نفس ورغبة، ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾: يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة[٣]، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: ولا يصلون إلا

= الزبرقان بحق الجوار، وأنه ينبغي ألا يقاطعونه. والاستفهام للتقرير: أي أقروا بحق الجوار، فيكون بيننا تمام المودة والمؤاخاة، أي الموافقة في العسر واليسر، والبأساء والضراء.

ينظر البيت في ديوانه (٥٤)، وشرح شواهد المغني ص ٩٥٠، وشرح ابن عقيل ص ٥٧٤، ومغني اللبيب ص ٦٦٩، وشرح شذور الذهب ص ٤٠٣، والدرر ٤/ ٨٨ والرد على النحاة ص ١٢٨، وشرح أبيات الكتاب ٢/ ٧٣، والدرر ٤/ ٨٨، والمقاصد النحوية ٤/ ٤١٧، وجواهر الأدب ص ١٦٨، والمقتضب ٢/ ٢٧، وشرح الأشموني ٣/ ٥٦٧، ورصف المباني ص ٤٧، وهمع الهوامع ٢/ ١٣، وشرح قطر الندى ص ٧٦، والدر المصون ٢/ ٤٤٤

(١) قال محمود: «سمي ظفر المسلمين فتحاً تعظيماً لشأن المسلمين. . .الخ» قال أحمد: وهذا من محاسن نكت أسرار القرآن، فإن الذي كان يتفق المسلمين فيه استئصال لشأفة الكفار واستيلاء على أرضهم وديارهم وأموالهم وأرض لم يطئوها. وأما ما كان يتفق للكفار فمثل الغلبة والقدرة التي لا يبلغ شأنها أن تسمى فتحاً، فالتفريق بينهما مطابق أيضاً للواقع، والله أعلم.

(٢) قوله: «ولمظة من الدنيا» في الصحاح: لمظ يلمظ ـ بالضم ـ لمظا، إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه، واللمظة ـ بالضم ـ كالنكتة من البياض. (ع)

(٣) قال محمود: «لأنهم إنما يصلون رياء ما دام من يرقيهم، فإذا خلوا بأنفسهم لم يصلوا أو لا يذكرون الله بالتهليل والتسبيح إلا ذكراً قليلاً في الندرة وهكذا ترى كثيراً من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته =

قليلاً لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس إلا ما يجاهرون به، وما يجاهرون به قليل ـ أيضاً ـ لأنهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه. أو ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرا قليلاً في الندرة، وهكذا ترى كثيراً من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة، ولكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه، ويجوز أن يراد بالقلة العدم. فإن قلت: ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية؟ قلت: فيها وجهان أحدهما: أن المرائي يريهم عمله وهم يرون استحسانه، والثاني: أن يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل، فيقال: راءى الناس. يعني رآهم، كقولك: نعمه وناعمه، وفنقه وفانقه[1] وعيش مفانق. روى أبو زيد: رأت المرأة المرأة الرجل، إذا أمسكتها لترى وجهه، ويدل عليه قراءة ابن أبي إسحاق: يرأونهم بهمزة مشدّدة مثل. يرعونهم، أي: يبصرونهم أعمالهم ويراءونهم كذلك، ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ إمّا حال نحو قوله: (ولا يذكرون) عن واو يراءون، أي: يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين، أو منصوب على الذم، ومعنى (مذبذبين) ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر، فهم متردّدون بينهما متحيرون، وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي: يذاد ويدفع فلا يقرّ في جانب واحد، كما قيل: فلان يرمى به الرحوان[2] إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى: كلما مال إلى جانب ذب عنه، وقرأ ابن عباس «مذبذبين» بكسر الذال، بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم. أو بمعنى يتذبذبون. كما جاء: صلصل وتصلصل بمعنى، وفي مصحف عبد الله. متذبذبين، وعن أبي جعفر: «مدبدبين»، بالدال غير المعجمة وكأن المعنى: أخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة، فليسوا بماضين على دبة واحدة، والدبة: الطريقة ومنها: دبة قريش، و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الكفر والإيمان، ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونون مؤمنين، ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾:

= الأيام والليالي لم تسمع منه تهليله ولا تحميده، ولكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه. ولا يجوز أن يراد بالقلة العدم، انتهى كلامه. قلت: وإنما منع من أن يراد بها العدم لأنه خبر فيجب صدقه، وقد كانوا يذكرون الله في بعض الأحيان فلا يمكن أن يسلب ذكر الله مطلقاً، وإذا بنينا على أن المراد بالذكر الصلاة وهو الظاهر، فالمراد أيضاً الصلاة المعتبرة التي يذكر بها الانسان حق الله عليه فينتهي عن الفحشاء والمنكر. والصلاة في هذا الوجه مسلوبة عن المنافقين مطلقاً، فيجوز إذا حمل القلة على العدم بهذا التفسير، والله أعلم.

(١) قوله: «وفنقه وفانقه» في الصحاح أنهما بمعنى: أي نعمه. (ع)

(٢) قوله: «يرمي به الرحوان» في الصحاح الرحى معروفة، والألف منقلبة من الياء. تقول: هما رحيان. وفيه أيضاً، رحت الحية ترحو، إذا استدارت، والرحي: قطعة من الأرض تستدبر وترتفع على ما حولها. ورحى القوم: سيدهم. والأرحاء: الأضراس. والأرحاء: القبائل التي تستقل بنفسها وتستغني عن غيرها اهـ. وظاهره أن الرحى هنا وادي، فليحرر. (ع)

ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسمون مشركين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾

﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾: لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام أولياء، ﴿سُلْطَـٰنًا﴾: حجة بينة، يعني أن موالاة الكافرين بينة على النفاق، وعن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن أخ له: خالص المؤمن، وخالق الكافر والفاجر؛ فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن، وإنه يحق عليك أن تخالص المؤمن.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾

﴿ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾: الطبق الذي في قعر جهنم، والنار سبع دركات، سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض، وقرىء بسكون الراء، والوجه التحريك، لقولهم: أدراك جهنم. فإن قلت: لِمَ كان المنافق أشدّ عذاباً من الكافر؟ قلت: لأنه مثله في الكفر، وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله ومداجاتهم[1]، ﴿سَبِيلًا﴾: ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق، ﴿وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص، ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه، ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: فيشاركونهم فيه ويساهمونهم. فإن قلت: مَن المنافق؟ قلت: هو في الشريعة: من أظهر الإيمان وأبطن الكفر، وأمّا تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ، كقوله: «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر» (٤٨٥) ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «ثلاث من كنّ فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» (٤٨٦) وقيل لحذيفة ـ رضي الله عنه ـ: مَن المنافق؟ فقال: الذي يصف

---

٤٨٥ ـ تقدم في آل عمران، وقال الحافظ في الكشاف: تقدّم في آل عمران والبقرة. انتهى.

٤٨٦ ـ أخرجه البخاري (١/ ١٢٤)، كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق حديث (٣٣)، (٦/ ٢٧)، كتاب الوصايا، باب: قول الله عزّ وجلّ ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى ...﴾، حديث (٢٧٤٩).
(٥، ٦٢٥)، كتاب: الشهادات، باب: من أمر بإنجاز الوعد وفعله الحسن، حديث (٢٦٨٢). =

---

(١) قوله: «ومداجاتهم» في الصحاح: المداجاة: المداراة. (ع)

الإسلام ولا يعمل به، وقيل لابن عمر: ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فإذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال: كنا نعدّه من النفاق، وعن الحسن: أتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه[(١)]، فأصبح وقد عمم وقلد وأعطى سيفاً، يعني الحجاج.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾: أيتشفى به من الغيظ، أم يدرك به الثأر، أم يستجلب به نفعاً، أم يستدفع به ضرراً كما يفعل الملوك بعذابهم، وهو الغنيّ الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك، وإنما هو أمر أوجبته الحكمة أن يعاقب المسيء، فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾: مثيباً موفياً أجوركم، ﴿عَلِيمًا﴾ بحق شكركم وإيمانكم. فإن قلت: لم قدم الشكر على الإيمان؟ قلت: لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع، فيشكر شكراً مبهماً، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكراً مفصلاً، فكان الشكر متقدماً على الإيمان، وكأنه أصل التكليف ومداره.

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾: إلا جهر من ظلم[(٢)]، استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر

= (١٢/ ١٣٤) كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ . .﴾. حديث (٦٠٩٥).
- ومسلم (١/ ٣٢٣)، كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق حديث (٥٩) (١١٠).
- والترمذي (٥/ ١٩)، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في علامة المنافق حديث (٢٦٣١).
- والنّسائي (٨/ ١١٧) كتاب الإيمان. . . باب علامة المنافق، حديث (٥٠٢١).
- وأحمد (٢/ ٣٥٧).
- وابن حبّان (١/ ٤٩٠)، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في الشرك والنفاق، حديث (٢٥٧).
- والبيهقي (٦/ ٢٨٨)، كتاب الوديعة، باب: ما جاء في الترغيب في أداء الأمانات. كلّهم من طرق عن أبي هريرة.
- قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: «أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «آية المنافق ثلاث إلى آخره»، وفي رواية «من علامات المنافق ثلاث». انتهى.

---

(١) قوله: «وهو مقروع فيه» لعله يريد القرع بالعصا. وفي الصحاح «القارعة» الشديدة من شدائد الدهر، وهي الداهية، يقال: قرعتهم قوارع الدهر، أي أصابتهم. وقرعت رأسه بالعصا، مثل قرعت. (ع)
(٢) قال محمود: «تقديره لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا جهر من ظلم، وهو أن يدعو على =

المظلوم، وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء، وقيل: هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ [الشورى: ٤١] وقيل: ضاف رجل قوماً فلم يطعموه، فأصبح شاكياً، فعوتب على الشكاية فنزلت، وقرىء «إلا من ظلم» على البناء للفاعل للانقطاع. أي: ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء، ويجوز أن يكون (من ظلم) مرفوعاً، كأنه قيل: لا يحب الله الجهر بالسوء، إلا الظالم على لغة من يقول: ما جاءني زيد إلا عمرو، بمعنى ما جاءني إلا عمرو، ومنه ﴿لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] ثم حث على العفو، وألاّ يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار، بعد ما أطلق الجهر به وجعله محبوباً، حثاً على الأحب إليه، والأفضل عنده والأدخل في الكرم والتخشع والعبودية، وذكر إبداء الخير وإخفاءه تشبيباً[١] للعفو، ثم عطفه عليهما اعتداداً به وتنبيهاً على منزلته، وأن له مكاناً في باب الخير وسطاً[٢]؛ والدليل على أن العفو هو الغرض المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ أي: يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام، فعليكم أن تقتدوا بسنة الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾

جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله أو آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعاً لما ذكرنا[٣] من العلة، ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلاً: أن يتخذوا ديناً وسطاً بين الإيمان والكفر كقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: طريقاً وسطاً في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة، وقد أخطؤوا، فإنه لا واسطة بين الكفر والإيمان[٤] ولذلك قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ أي: هم

= الظالم ويذكره بما فيه... الخ» قال أحمد: «ووجه التغاير أن الظالم لا يندرج في المستثني منه كما أن الله تعالى مقدس أن يكون في السموات أو في الأرض، فاستحال دخوله في المستثنى منه، وكذا لا يندرج المستثنى في المستثنى منه في قولك: ما جاءني زيد إلا عمرو. وكلام الزمخشري في هذا الفصل لا يتحقق لي منه ما يسوغ مجاريته فيه لإغلاق عبارته، والله أعلم بمراده.

(١) قوله: «تشبيباً» لعله محرف وأصله «تنبيهاً» فحرر (ع)

(٢) قوله: «وسطاً» أي متوسطاً. (ع)

(٣) قوله: «لما ذكرنا» أي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾... الخ. (ع)

(٤) قوله: «فإنه لا واسطة بين الكفر والإيمان» هذا عند أهل السنة. أما عند المعتزلة ففاعل الكبيرة الذي =

الكاملون في الكفر، و(حقاً) تأكيد لمضمون الجملة، كقولك: هو عبد الله حقاً، أي: حق ذلك حقاً، وهو كونهم كاملين في الكفر، أو هو صفة لمصدر الكافرين، أي: هم الذين كفروا كفراً حقاً ثابتاً يقيناً لا شك فيه.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾

فإن قلت: كيف جاز دخول ﴿بَيْنَ﴾ على ﴿أَحَدٍ﴾ وهو يقتضي شيئين فصاعداً؟ قلت: إن أحداً عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما، تقول: ما رأيت أحداً، فتقصد العموم، ألا تراك تقول: إلا بني فلان، وإلا بنات فلان؛ فالمعنى: ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ معناه: أنّ إيتاءها كائن لا محالة وإن تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخراً.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ السَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِى السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾

روي: أنّ كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازورا وغيرهما قالوا لرسول الله ﷺ: إن كنت نبياً صادقاً فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى (٤٨٧). فنزلت، وقيل:

---

٤٨٧ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٩/٣٥٦)، رقم (١٠٧٦٨)، من طريق أسباط عن السدّي، وقال الحافظ =

= يموت بلا توبة لا هو مؤمن ولا كافر. بل منزلة بين المنزلين. فتدبر. (ع)

كتاباً إلى فلان وكتاباً إلى فلان أنك رسول الله، وقيل: كتاباً نعاينه حين ينزل، وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت، قال الحسن: ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم، وفيما آتاهم كفاية، ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ﴾ جواب لشرط مقدر[(١)]. معناه: إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى. ، ﴿أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ وإنما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم في أيام موسى وهم النقباء السبعون، لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت، ﴿جَهْرَةً﴾: عياناً بمعنى أرناه نره جهرة، ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾: بسبب سؤالهم الرؤية، ولو طلبوا أمراً جائزاً لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة، كما سأل إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالماً ولا رماه بالصاعقة، فتباً للمشبهة ورمياً بالصواعق[(٢)]، ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: تسلطاً واستيلاء ظاهراً عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه، واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيالك من سلطان مبين، ﴿بِمِيثَٰقِهِمْ﴾: بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه[(٣)]، ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾:

= في الكشاف: لم أجده هكذا، ورواه الطبري من طريق أسباط عن السدّيّ قال: «قالت اليهود للنبيّ ـ ﷺ ـ: «إن كنت صادقاً أنّك رسول الله فائتنا بكتاب من السّماء كما جاء به موسى، فنزلت» انتهى.

---

(١) قال محمود: «فقد سألوا موسى: جواب لشرط مقدر. . .إلخ» قال أحمد: وهذا من المواضع التي استولى عليه فيها الإغفال، ولوح به اتباع هواه إلى مهواة الضلال، لأنه بنى على أن الظلم المضاف إليهم لم يكن إلا لمجرد كونهم طلبوا الرؤية وهي محال عقلاً دنيا وآخرة على زعم القدرية، لما يلزم عندهم لو قيل بجوازها من اعتقاد التشبيه، فلذلك سمي أهل السنة المعتقدين لجوازها ووقوعها في الآخرة وفاء بالوعد الصادق مشبهة، وغفل عن كون اليهود اقترحوا على موسى عليه السلام خصوصية علقوا إيمانهم بها، ولم يعتبروا المعجز من حيث هو كما يجب اعتباره فقالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فهذا الاقتراح والتعنت يكفيهم ظلماً. ألا ترى أن الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً من السماء، أو حتى تفجر الأرض، أو يكون لك بيت من زخرف، كيف هم من أظلم الظلمة؟ وإن كانوا إنما طلبوا أموراً جائزة، ولكنهم اقترحوا في الآيات على الله، وحقهم أن يسندوا إيمانهم إلى أي معجز اختاره الله ـ دل ذلك دلالة يلجأ على أن ظلمهم مسبب عن اقتراحهم، لا عن كون المقترح ممتنعاً عقلاً. والعجب بتنظير هٰذا السؤال لو كان المسئول جائزاً كسؤال إبراهيم عن إحياء الموتى على زعم الزمخشري، غفلة منه عما انطوى عليه سؤال إبراهيم عليه السلام من صريح الإيمان حيث قال له تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ وعما انطوى عليه سؤال هؤلاء الملاعين من محض الكفر والاصرار عليه في قولهم: لن نؤمن لك. فصدروا كلامهم بالجحد والنفي. وأما دعاء الزمخشري على أهل السنة بالتب والصواعق، فالله أعلم أي الفريقين أحق بها، ويكفيه هذه الغفلة التي تنادي عليه باتباع الهوى الذي يعمي ويصم، نسأل الله العصمة من الضلالة والغواية.

(٢) قوله: «فتبا للمشبهة ورمياً بالصواعق» يعني أهل السنة، حيث أجازوا على الله الرؤية كما حقق في محله، وغفر الله للمؤمن يسيء المؤمنين. (ع)

(٣) قال السمين الحلبي: وظاهر هذه العبارة أنه لا يحتاج إلى حذف مضاف، بل أقول: لا يجوز تقدير =

والطور مطل عليهم، ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ ولا تعدوا في السبت، وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك، وقولهم سمعنا وأطعنا، ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد، وقرىء: «لا تعتدوا». «ولا تعدّوا»، بادغام التاء في الدال، ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم﴾: فبنقضهم، و(ما) مزيدة للتوكيد. فإن قلت: بم تعلقت الباء؟ وما معنى التوكيد؟[1] قلت: إما أن يتعلق بمحذوف، كأنه قيل: فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا، وإما أن يتعلق بقوله: ﴿حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ على أنّ قوله: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [النساء: ١٦٠] بدل من قوله: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ﴾ وأما التوكيد فمعناه تحقيق أنّ العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك. فإن قلت: هلا زعمت أن المحذوف[2]

= هذا المضاف، لأنه يقتضي أنهم نقضوا الميثاق فرفع الله الطور عليهم عقوبة على فعلهم النقض، والقصة تقتضي أنهم همُّوا بنقض الميثاق، فرفع الله عليهم الطور، فخافوا فلم ينقضوه، وإن كانوا قد نقضوه بعد ذلك. وقد صرَّح أبو البقاء بأنهم نقضوا الميثاق، وأنه تعالى رفع الطور عقوبة لهم فقال: «تقديره: بنقض ميثاقهم، والمعنى: ورفعنا فوقهم الطور تخويفاً، لهم بسبب نقضهم الميثاق». وفيه ذلك النظر المتقدم، ولقائل أن يقول: لما همُّوا بنقضه وقاربوه صح أن يقال: رفعنا الطور فوقهم لنقضهم الميثاق أي: لمقاربتهم نقضه، لأن ما قارب الشيء أُعطي حكمه، فتصحُّ عبارة من قدّر مضافاً كأبي البقاء وغيره. والميثاق مصدر مضاف لمفعوله. و«سُجَّداً» حالٌ من فاعل «ادخلوا». انتهى. الدر المصون.

(١) قال محمود: «إن قلت بم تعلقت الباء في قوله: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ﴾ قلت: إما أن تتعلق بمحذوف كأنه قيل: فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا. وإما أن تتعلق بقوله: «حرمنا عليهم» على أن قوله: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ بدل من قوله: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم﴾ انتهى كلامه». قلت: ولذكر البدل المذكور سر، وهو أن الكلام لما طال بعد قوله: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم﴾ حتى بعد عن متعلقه الذي هو «حرمنا»، قوي ذكره بقوله: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ حتى يلي متعلقه، وجاء النظم به على وجه من الاقتصار في إجمال ما سبق تفصيله، لأن جميع ما تقدم من النقض، والقتل، وقولهم قلوبنا غلف، وكفرهم، وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً. ودعواهم قتل المسيح ابن مريم قد انطوى عليه الإجمال المذكور آخر انطواء جامعاً، مع التسجيل على أن جميع أفاعيلهم الصادرة منهم ظلم. وقد تقدم لهذا التقرير نظائر والله الموفق.

(٢) عاد كلامه. قال: «إن قلت هلا زعمت أن المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله: ﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا﴾ فيكون التقدير فيما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم. قلت: لم يصح هذا التقدير، لأن قوله: ﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾ رد وإنكار لقولهم ﴿قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ فكان متعلقاً به، وذلك أنهم أرادوا بقولهم ﴿قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ أن الله خلقها غلفاً، أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة، كما حكى الله عن المشركين وقالوا: (لو شاء الرحمن ما عبدناهم) وكمذهب المجبرة أخزاهم الله، فقيل لهم: بل خذلها الله ومنعها الألطاف بسبب كفرهم، فصارت كالمطبوع عليها» انتهى كلامه. قال أحمد: هؤلاء قوم زعموا أن لهم على الله حجة بكونه خلق قلوبهم غير قابلة للحق ولا متمكنة من قبوله، فكذبهم في قولهم لأنه خلق قلوبهم على الفطرة أي أن الإيمان وقبول الحق من جنس مقدورهم كما هو من جنس مقدور المؤمنين، وذلك هو المعبر بالتمكن، وبخلقهم ميسرين للإيمان متأتياً منهم قبول الحق قامت عليهم حجة الله، إذ يجد الإنسان بالضرورة =

الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾، فيكون التقدير: فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم، بل طبع الله عليها بكفرهم. قلت: لم يصح هذا التقدير لأنّ قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ ردّ وإنكار لقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ فكان متعلقاً به، وذلك أنهم أرادوا بقولهم: (قلوبنا غلف) أن الله خلق قلوبنا غلفاً، أي: في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة، كما حكى الله عن المشركين وقالوا: ﴿لو شاء الرحمٰن ما عبدناهم﴾ [الزخرف: ٢٠] وكمذهب المجبرة[1] أخزاهم الله، فقيل لهم: بل خذلها الله ومنعها الألطاف بسبب كفرهم، فصارت كالمطبوع عليها، لا أن تخلق غلفاً غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله. فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾؟ قلت: الوجه أن يعطف على ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ ويجعل قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ كلاماً تبع قوله: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ على وجه الاستطراد، يجوز عطفه على ما يليه من قوله: (بكفرهم). فإن قلت: ما معنى المجيء بالكفر معطوفاً على ما فيه ذكره، سواء عطف على ما قبل حرف الإضراب، أو على ما بعده، وهو قوله: ﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾؟ قلت: قد تكرّر منهم الكفر، لأنهم كفروا بموسى، ثم بعيسى، ثم بمحمد صلوات الله عليهم، فعطف بعض كفرهم على بعض، أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه، كأنه قيل: فبجمعهم بين نقض الميثاق، والكفر بآيات الله، وقتل الأنبياء وقولهم: قلوبنا

= الفرق بين قبول الحق والدخول في الإيمان، وبين طيرانه في الهواء ومشيه على الماء، ويعلم ضرورة أن الإيمام ممكن منه، كما يعلم أن الطيران غير ممكن منه عادة، فقد قامت الحجة وتبلجت، ألا لله الحجة البالغة، فمن هذا الوجه اتجه الرد عليهم «لا كما يزعمه الزمخشري من أن لهم قدرة على الإيمان يلحقونه بها لأنفسهم ويقرونه في قلوبهم، وتلك القدرة موجودة سواء وجد الفعل أو لا، كالسيف المعد في يد القاتل للقتل سواء وجد أو لا، وأن هذه القدرة التي هي كالآلة للخلق على زعمه يصرفها العبد حيث شاء في إيمان وكفر، وافق ذلك مشيئة الله أو لا، وأن هؤلاء صرفوا قدرتهم إلى خلق الكفر لأنفسهم على خلاف مشيئة الله تعالى، فلذلك يعرض الزمخشري أهل السنة، القائلين بأن الله تعالى لو شاء من عبدة الأوثان ألا يعبدوها لما عبدوها، وتسميتهم لذلك مجبرة، ويجعل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ رداً على الأشعرية كما هو رد على الوثنية، ويغفل عن النكتة التي نبهنا عليها، وهي: أن الرد على الوثنية بذلك لم يكن إلا لأنهم ظنوا أن هذا المقدار يقيم لهم الحجة على الله، ولذلك قال تعالى عقيب ذلك: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ فأوضح الله تعالى أن الرد عليهم لم يكن لقولهم: إن الله لو شاء لهداكم أجمعين، ولكن إنما كان الرد لظنهم أن ذلك حجة على الله بقوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ فهذا التقدير هو الإيمان المحض والتوحيد الصرف، وما عداه من الإشراك الصراح فخزي، نعوذ بالله منه.

(١) قوله: «وكمذهب المجبرة أخزاهم الله» يريد بهم أهل السنة وحاشاهم أن يردوا بمذهبهم ما أراده الكفار بما قالوا. وتحقيقه في علم التوحيد. وغفر الله لمن تعدى حد الشرع من المؤمنين ولا أخزاهم يوم الدين. (ع)

غلف، وجمعهم بين كفرهم وبهتهم[1] مريم، وافتخارهم بقتل عيسى، عاقبناهم. أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا، والبهتان العظيم: هو التزنية. فإن قلت: كانوا كافرين بعيسى ـ عليه السلام ـ أعداء له، عامدين لقتله، يسمونه الساحر ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة، فكيف قالوا: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾؟ قلت: قالوه على وجه الاستهزاء، كقول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧] ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعاً لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيماً لما أرادوا بمثله كقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الزخرف: ٩] روي أنّ رهطاً من اليهود سبوه وسبوا أمّه فدعا عليهم «اللّهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني، اللّهم العن من سبني وسب والدتي»، فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير، فأجمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود، فقال لأصحابه: أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة؟ فقال رجل منهم: أنا. فألقي ـ عليه شبهه فقتل وصلب، وقيل: كان رجلاً ينافق عيسى، فلما أرادوا قتله قال: أنا أدلكم عليه، فدخل بيت عيسى فرفع عيسى وألقي شبهه على المنافق، فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى، ثم اختلفوا فقال بعضهم: إنه إلٰه لا يصح قتله، وقال بعضهم: إنه قتل وصلب، وقال بعضهم: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ وقال بعضهم رفع إلى السماء وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا. فإن قلت: ﴿شُبِّهَ﴾ مسند إلى ماذا؟ إن جعلته مسنداً إلى المسيح، فالمسيح مشبه به وليس بمشبه، وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت: هو مسند إلى الجار والمجرور وهو ﴿لهم﴾ كقولك خيل إليه، كأنه قيل: ولكن وقع لهم التشبيه، ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول؛ لأنّ قوله: إنا قتلنا يدل عليه، كأنه قيل: ولكن شبه لهم من قتلوه، ﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ استثناء منقطع لأنّ اتباع الظن ليس من جنس العلم، يعني: ولكنهم يتبعون الظن. فإن قلت: قد وصفوا بالشك والشك ألاّ يترجح أحد الجائزين[2]، ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجح أحدهما، فكيف يكونون شاكين ظانين؟ قلت: أريد

---

(١) قوله: «وبهتهم مريم» أي رميها بما ليس فيها، وهو التزنية. أي الرمي بالزنا. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت قد وصفوا بالشك والشك ألا يترجح. . .الخ» قال أحمد: وليس في هذا الجواب شفاء للعليل. والظاهر والله أعلم أنهم كانوا أغلب أحوالهم الشك في أمره والتردد فجاءت العبارة الأولى على ما يغلب من حالهم ثم كانوا لا يخلون من ظن في بعض الأحوال وعنده يقفون لا يرفعون إلى العلم فيه ألبتة وكيف يعلم الشيء على خلاف ما هو به فجاءت العبارة الثانية على حالهم النادرة في الظن نافية عنهم ما يترقى عن الظن ألبتة، والله أعلم.

أنهم شاكون ما لهم من علم قط، ولكن إن لاحت لهم أمارة فظنوا، فذاك، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾: وما قتلوه قتلاً يقيناً. أو ما قتلوه متيقنين، كما ادّعوا ذلك في قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾ أو يجعل ﴿يَقِينًا﴾ تأكيداً لقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ كقولك: ما قتلوه حقاً أي: حق انتفاء قتله حقاً، وقيل: هو من قولهم: قتلت الشيء علماً ونحرته علماً إذا تبالغ فيه علمك، وفيه تهكم، لأنه إذا نفى عنهم العلم نفياً كلياً بحرف الاستغراق. ثم قيل: وما علموه علم يقين وإحاطة لم يكن إلا تهكماً بهم، ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمننّ به، ونحوه: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] والمعنى: وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمننّ قبل موته بعيسى، وبأنه عبد الله ورسوله، يعني: إذا عاين قبل أن تزهق روحه[(١)] حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف، وعن شهر بن حوشب: قال لي الحجاج: آية ما قرأتها[(٢)] إلا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية، وقال: إني أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك، فقلت: إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا: يا عدوّ الله، أتاك موسى نبياً فكذبت به فيقول: آمنت أنه عبد نبيّ، وتقول للنصراني: أتاك عيسى نبياً فزعمت أنه الله أو ابن الله، فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه. قال: وكان متكئاً فاستوى جالساً فنظر إليّ وقال: ممن؟ قلت: حدثني محمد بن عليّ بن الحنفية، فأخذ ينكت الأرض بقضيبه ثم قال: لقد أخذتها من عين صافية، أو من معدنها. قال الكلبي: فقلت له: ما أردت إلى أن تقول حدثني محمد بن عليّ بن الحنفية. قال: أردت أن أغيظه، يعني بزيادة اسم عليّ (٤٨٨)، لأنه مشهور بابن الحنفية، وعن ابن عباس أنه فسره كذلك، فقال له عكرمة: فإن أتاه رجل فضرب عنقه قال: لا تخرج نفسه حتى يحرّك بها شفتيه. قال: وإن خرّ من فوق بيت أو

---

٤٨٨ ـ قال ابن حجر: لم أجده.

وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/٣٦٨)، للكلبي في تفسيره من طريق شهر. قال: ورأيته قديماً في كتاب المبتدأ وقصص الأنبياء بسنده من هذا الوجه.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: لم أجده، قلت: هو في تفسير الكلبي، رواه عن شهر، وروايته قديماً في كتاب المبتدأ وقصص الأنبياء لوثيمة بسنده من هذا الوجه. انتهى.

---

(١) قال محمود: «يعني إذا عاين قبل أن تزهق روحه...إلخ» قال أحمد: كقول فرعون لما عاين الهلاك: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل.

(٢) عاد كلامه. قال محمود: «وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها...إلخ». قال أحمد: ويبعد هذا التأويل قوله: (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) فإن ظاهره التهديد، ولكن ما أريد بقوله في حق هذه الأمة (ويكون الرسول عليكم شهيدا) والله أعلم.

احترق أو أكله سبع قال: يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به (٤٨٩)، وتدل عليه قراءة أبيّ: «إلا ليؤمنُنّ به قبل موتهم» بضم النون على معنى: وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم، لأنّ أحداً يصلح للجمع. فإن قلت: ما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم؟ قلت: فائدته الوعيد، وليكون علمهم بأنهم لا بدّ لهم من الإيمان به عن قريب عند المعاينة، وأن ذلك لا ينفعهم، بعثاً لهم وتنبيهاً على معالجة الإيمان به في أوان الانتفاع به، وليكون إلزاماً للحجة لهم، وكذلك قولهُ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ يشهد على اليهود بأنهم كذبوه، وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله، وقيل: الضميران لعيسى، بمعنى: وإن منهم أحد إلا ليؤمننّ بعيسى قبل موت عيسى، وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله. روي: أنه ينزل من السماء في آخر الزمان، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به، حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، ويلبث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه (٤٩٠)، ويجوز أن يراد أنه لا يبقى أحد من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به، على أن الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان، ويعلمهم نزوله وما أنزل له، ويؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم، وقيل: الضمير في (به) يرجع إلى الله تعالى، وقيل: إلى محمد ﷺ.

---

٤٨٩ ـ أخرجه الطبري (٩/ ٣٨٥)، رقم (١٠٨٢٦)، من طريق أسباط عن السدي، عن ابن عباس.
وقال الحافظ ابن حجر في الكشاف: لم أجده هكذا، وأخرجه الطبري من رواية أسباط عن السدّي قال: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «ليس من يهودي يموت حتى يؤمن بعيسى بن مريم، فقال له رجل من أصحابه: كيف والرجل يغرق أو يحترق أو يسقط عليه الجدار؛ أو يأكلُه السّبع؟ فقال: لا تخرج روحه من جسده حتى يقذف فيه الإيمان بعيسى عليه الصّلاة والسّلام». انتهى.

٤٩٠ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ١١٧، ١١٨): كتاب الملاحم: باب خروج الدجّال، حديث (٤٣٢٤) وأحمد (٢/ ٤٠٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٥) والطبري (٦/ ٤٥٩)، حديث (٧١٤٥) وعبد الرزاق (١١/ ٤٠١) حديث (٢٠٨٤٥) وصحّحه ابن حبّان (١٥/ ٢٢٥، ٢٢٦)، حديث (٦٨١٤)، (٦٨٢١)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن حبّان وأبو داود من رواية همّام عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة في حديث أوله «الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام إخوة أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنّه لم يكن بيني وبينه نبيّ، وإنّه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنّه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر، كأن رأسه يقطر وإن لم يمسه بلل، بين محصرين، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال ويقاتل الناس على الإسلام حتى يملكه الله في زمانه الملك كلّها إلاّ الإسلام إلى آخره» وأما قوله في أوله هنا «لا يبقى أحد من أهل الأرض إلاّ يؤمن به»، فرواه الطبري من قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. انتهى.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ فبأي ظلم منهم، والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه، وهو ما عدّد لهم من الكفر والكبائر العظيمة، والطيبات التي حرّمت عليهم: ما ذكره في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] وحرّمت عليهم الألبان، وكلّما أذنبوا ذنباً صغيراً أو كبيراً حرّم عليهم بعض الطيبات في المطاعم وغيرها، ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾: ناساً كثيراً أو صدًّا كثيراً، ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بالرشوة التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب، ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ﴾: يريد من آمن منهم، كـ «عبد الله بن سلام» وأضرابه، والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: يعني المؤمنين منهم، أو المؤمنون من المهاجرين والأنصار، وارتفع الراسخون على الابتداء، و﴿يُؤْمِنُونَ﴾ خبره، و﴿وَٱلْمُقِيمِينَ﴾ نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع، وقد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد، ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان، وغبي عليه أنّ السابقين الأوّلين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذبّ المطاعن عنه، من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدّها من بعدهم وخرقاً يرفوه من يلحق بهم، وقيل: هو عطف على، ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة وهم الأنبياء، وفي مصحف عبد الله: «والمقيمون»، بالواو، وهي قراءة مالك بن دينار، والجحدري، وعيسى الثقفي.

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، واحتجاج عليهم بأنّ شأنه في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا، وقرىء «زبُوراً» بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب، ﴿وَرُسُلًا﴾ نصب بمضمر في معنى: أوحينا إليك وهو: أرسلنا، ونبأنا، وما أشبه ذلك. أو بما فسره «قصصناهم»، وفي قراءة أبيّ: «ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل لم نقصصهم»، وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب: أنهما قرآ، ﴿وكَلَّم الَّله﴾ بالنصب، ومن بدع التفاسير أنه من الكَلْم[1]، وأن معناه وجرّح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: الأوجه أن ينتصب على المدح، ويجوز انتصابه على التكرير. فإن قلت: كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل[2]، وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة التي النظر

---

(١) قال محمود: «ومن بدع التفاسير أن كَلم من الكلم. . .إلخ» قال أحمد: وإنما ينقل هذا التفسير عن بعض المعتزلة لإنكارهم الكلام القديم الذي هو صفة الذات، إذ لا يثبتون إلا الحروف والأصوات قائمة بالأجسام لا بذات الله تعالى، فيرد عليهم بجحدهم كلام النفس إبطال خصوصية موسى عليه السلام في التكليم، إذ لا يثبتونه إلا بمعنى سماعه حروفاً وأصواتاً قائمة ببعض الأجرام، وذلك مشترك بين موسى وبين كل سامع لهده الحروف، حتى المشرك الذي قال الله فيه (حتى يسمع كلام الله) فيضطر المعتزل إلى إبطال الخصوصية الموسوية بحمل التكليم على التجريح، وصدق الزمخشري وأنصف: إنه لمن بدع للتفاسير التي ينبو عنها الفهم ولا يبين بها إلا الوهم، والله الموفق.

(٢) عاد كلامه. قال محمود: «فإن قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل. . .إلخ» قال أحمد: قاعدة المعتزلة في التحسين والتقبيح العقليين تجرهم إلى إثبات أحكام الله تعالى بمجرد العقل وإن لم يبعث رسولاً، فيوجبون بعقولهم، ويحرمون ويبيحون على وفق زعمهم. ومما يوجبونه قبل ورود الشرع: النظر في أدلة المعرفة ولا يتوقفون على ورود الشرع الموجب، فمن ثم يلزمون بعد خبط وتطويل، أن من ترك النظر في الأدلة قبل ورود الشرع، فقد ترك واجباً استحق به التعذيب، وقد قامت الحجة عليه في الوجوب وإن لم يكن شرع، وإذا تليت عليهم هذه الآية وهي قوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ وقيل لهم أما هذه الآية تناديكم يا معشر القدرية أن الحجة إنما قدمت على الخلق بالأحكام الشرعية المؤدية إلى الجزاء بإرسال الرسل لا بمجرد العقل، فما تقولون فيها؟ صمت حينئذٍ آذانهم وغيروا في وجه هذا النص وغيروه عما هو موضوع له، فقالوا: المراد أن الرسل تتمم حجة الله وتنبه على ما وجب قبل بعثها بالعقل، كما أجاب به الزمخشري، وقريباً من هذا التعسف يقولون إذا ورد عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا﴾ وربما يدلس على ضعفة المطالعين لهذا الفصل من كلام الزمخشري قوله: إن أدلة التوحيد والمعرفة منصوبة قبل إرسال الرسل، وبذلك تقوم الحجة فنظن أن ذلك جار على سنن الصحة، إذ المعرفة باتفاق، والتوحيد بإجماع، إنما طريقة العقل لا النقل الذي يلبس عليه أن النظر في أدلة التوحيد هو فعل المكلف ليس بالحكم الشرعي، بل الحكم وجوب النظر، والمعرفة متلقاة من العقل المحض، والوجوب متلقي من النقل الصرف، وبه تقوم الحجة، وعليه =

فيها موصل إلى المعرفة، والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة، ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها؟ قلت: الرسل منبهون عن الغفلة، وباعثون على النظر، كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد[1]، مع تبليغ ما حملوه من تفضيل أمور الدين وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع، فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتميماً لإلزام الحجة، لئلا يقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولاً فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له، وقرأ السلمي: لكنّ الله يشهد، بالتشديد. فإن قلت: الاستدراك لا بدّ له من مستدرك[2] فما هو في قوله: ﴿لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾: ؟ قلت: لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ قال: «لكن الله يشهد»، بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد، وقيل: لما نزل، ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾: قالوا: ما نشهد لك بهذا، فنزل ﴿لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه: إثباته لصحته بإظهار المعجزات، كما تثبت الدعاوى بالبينات، وشهادة الملائكة: شهادتهم بأنه حق وصدق. فإن قلت: بم يجابون لو قالوا: بم يعلم أن الملائكة يشهدون بذلك؟ قلت: يجابون بأنه يعلم بشهادة الله، لأنه لما علم بإظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته؛ لأنّ شهادتهم تبع لشهادته. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ وما موقعه من الجملة التي قبله؟ قلت: معناه أنزله ملتبساً بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره، وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان، وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لأنه بيان للشهادة، وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة، وقيل: أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك وأنك مبلغه، وقيل: أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملاً عليه، ويحتمل: أنه أنزل وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة، والملائكة يشهدون بذلك، كما قال في آخر سورة الجنّ. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ [الجن: ٢٨] والإحاطة بمعنى العلم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾: وإن لم يشهد غيره، لأنّ التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقاً ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ [الأنعام: ١٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

= يرتب الجزاء. والله سبحانه ولي التوفيق والمعونة.

(١) قوله: «كما ترى علماء أهل العدل» أي كما ذهب إليه المعتزلة. وذلك أنهم حكموا العقل وجعلوه كافياً في معرفة الأحكام، كوجوب العدل وحرمة الظلم. وقال أهل السنة: لا حكم قبل الشرع. والمسألة مشهورة في علم الأصول، فالسؤال مبني على مذهب المعتزلة. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك. . .إلخ» قال أحمد: ورود هذا الفصل في كلامه مما يغتبط به.

وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾

﴿كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾ جمعوا بين الكفر والمعاصي[1]، وكان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر. لأنه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يغفر لهما[2] إلا بالتوبة، ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾: لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم. أو لا يهديهم يوم القيامة طريقاً إلا طريقها، ﴿يَسِيرًا﴾ أي: لا صارف له عنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾

﴿فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾: وكذلك، ﴿ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾: انتصابه بمضمر، وذلك أنه لما بعثهم على الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال: ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ أي: اقصدوا، أو ائتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث، وهو الإيمان والتوحيد، ﴿لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته، حيث جعلته مولوداً لغير رشدة[3]، وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه إلٰهاً، ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وهو تنزيهه عن الشريك والولد، وقرأ جعفر بن محمد «إنما المسيح» بوزن السِّكيت، وقيل لعيسى (كلمة الله) (وكلمة منه) لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير، من

---

(١) قال محمود: «أي جمعوا بين الكفر والمعاصي. . .إلخ» قال أحمد: يعدل من الظاهر، لعله يتروح إلى بث طرف من العقيدة الفاسدة في وجوب وعيد العصاة، وأنهم مخلدون تخليد الكفار. وقد تكرر ذلك منه. وهذه الآية تنبو عن هذا المعتقد، فإنه جعل الفعلين أعني الكفر والظلم كليهما صلة للموصول المجموع، فيلزم وقوع الفعلين جميعاً من كل واحد من آحاده. ألا تراك إذا قلت: الزيدون قاموا، فقد أسندت القيام إلى كل واحد من آحاد الجمع، فكذلك لو عطفت عليه فعلاً آخر لزم فيه ذلك ضرورة، والله الموفق.

(٢) قوله: «في أنه لا يغفر لهما إلا بالتوبة» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فقد تغفر الكبيرة بالشفاعة، أو بمجرد الفضل. (ع)

(٣) قوله: «مولوداً لغير رشدة» أي لزنية، وفي الصحاح: تقول «هو لرشدة» خلاف قولك «الزنية». (ع)

غير واسطة أب ولا نطفة، وقيل له: روح الله، وروح منه لذلك، لأنه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح، كالنطفة المنفصلة من الأب الحيّ وإنّما اخترع اختراعاً من عند الله وقدرته خالصة، ومعنى، ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾: أوصلها إليها وحصلها فيها، ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، فإن صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون: هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم، أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم روح القدس، وأنهم يريدون بأقنوم الأب: الذات، وبأقنوم الابن: العلم، وبأقنوم روح القدس: الحياة، فتقديره الله ثلاثة؛ وإلا فتقديره: الآلهة ثلاثة، والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة، وأنّ المسيح ولد الله من مريم. ألا ترى إلى قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون: في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم، ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال الأولاد بأمّهاتها، وأن اتصاله بالله تعالى من حيث أنه رسوله، وأنه موجود بأمره وابتداعه جسداً حياً من غير أب، فنفى أن يتصل به اتصال الأبناء بالآباء، وقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ وحكاية الله أوثق من حكاية غيره، ومعنى، ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ سبحه تسبيحاً من أن يكون له ولد، وقرأ الحسن: «إن يكونُ»، بكسر الهمزة ورفع النون: أي: سبحانه ما يكون له ولد. على أنّ الكلام جملتان، ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بيان لتنزهه عما نسب إليه، يعني أنَّ كل ما فيهما خلقه وملكه، فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه، على أنَّ الجزء إنَّما يصح في الأجسام وهو متعال عن صفات الأجسام والأعراض، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ يكل إليه الخلق كلهم أمورهم، فهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾: لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة(١)، من نكفت الدمع، إذا

---

(١) قال محمود: «معناه لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة...إلخ قال أحمد: وقد كثر الاختلاف في تفضيل الأنبياء على الملائكة، فذهب جمهور الأشعرية إلى تفضيل الأنبياء. وذهب القاضي أبو بكر منا والحليمي وجماعة المعتزلة إلى تفضيل الملائكة، واتخذ المعتزلة هذه الآية عمدتهم في تفضيل الملائكة من حيث الوجه الذي استدل به الزمخشري. ونحن بعون الله نشبع القول في المسألة من حيث الآية فنقول: أورد الأشعرية على الاستدلال بها أسئلة:
أحدها: أن سيدنا محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل من عيسى عليه الصلاة والسلام، فلا =

نحيته عن خدك بأصابعك، ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: ولا من هو أعلى منه قدراً وأعظم منه

= يلزم من كون الملائكة أفضل من المسيح أن تكون أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا السؤال إنما يتوجه إذ لم يدع مورده أن كل واحد من آحاد الأنبياء أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة، وبين طائفتنا في هذا الطرف خلاف.

السؤال الثاني: أن قوله: (ولا الملائكة المقربون) صيغة جمع تتناول مجموع الملائكة، فهذا يقتضي كون مجموع الملائكة أفضل من المسيح، ولا يلزم أن يكون كل واحد منهم أفضل من المسيح. وفي هذا السؤال أيضاً نظر، لأن مورده إذا بنى على أن المسيح أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة فقد يقال: يلزم القول بأنه أفضل من الكل، كما أن النبي عليه الصلاة والسلام لما كان أفضل من كل واحد من آحاد الأنبياء كان أفضل من كلهم، ولم يفرق بين التفضيل على التفصيل والتفضيل على الجملة أحد ممن صنف في هذا المعنى. وقد كان بعض المعاصرين يفصل بين التفضيلين وادعى أنه لا يلزم منه على التفصيل تفضيل على الجملة، ولم يثبت عنه هذا القول. ولو قاله أحد فهو مردود بوجه لطيف، وهو أن التفضيل المراد جل أماراته رفع درجة الأفضل في الجنة. والأحاديث متوافرة بذلك. وحينئذٍ لا يخلو، إما أن ترفع درجة واحدة من المفضولين على من اتفق على أنه أفضل من كل واحد منهم، أو لا ترفع درجة أحد منهم عليه. لا سبيل إلى الأول، لأنه يلزم منه رفع المفضول على الأفضل، فتعين الثاني ـ وهو ارتفاع درجة الأفضل على درجات المجموع ـ ضرورة، فيلزم ثبوت أفضليته على المجموع من ثبوت أفضليته على كل واحد منهم قطعاً.

الثالث: أنه عطف الملائكة على المسيح بالواو، وهي لا تقتضي ترتيباً. وأما الاستشهاد بالمثال المذكور على أن الثاني أبداً يكون أعلى رتبة، فمعارض بأمثلة لا تقتضي ذلك، كقول القائل: ما عابني على هذا الأمر زيد ولا عمرو. قلت: وكقولك: لا تؤذ مسلماً ولا ذمياً، فإن هذا الترتيب وجه الكلام. والثاني أدنى وأخفض درجة، ولو ذهبت تعكس هذا فقلت: لا تؤذ ذمياً ولا مسلماً ليجعل الأعلى ثانياً، لخرجت عن حد الكلام وقانون البلاغة. وهذا المثال بين ما يورد في نقض القانون المقرر، ولكن الحق أولى من المراء، وليس بين المثالين تعارض.

ونحن نمهد تمهيداً يرفع اللبس ويكشف الغطاء فنقول: النكتة في الترتيب في المثالين الموهوم تعارضهما واحدة، وهي توجب في مواضع تقديم الأعلى، وفي مواضع تأخيره. وتلك النكتة مقتضى البلاغة النائي عن التكرار والسلامة عن النزول، فإذا اعتمدت ذلك فهما أدى إلى أن يكون آخر كلامك نزولاً بالنسبة إلى أوله، أو يكون الآخر مندرجاً في الأول قد أفاده، وأنت مستغن عن الآخر، فاعدل عن ذلك إلى ما يكون ترقياً من الأدنى إلى الأعلى، واستئنافاً لفائدة لم يشتمل عليها الأول، مثاله الآية المذكورة، فإنك لو ذهبت فيها إلى أن يكون المسيح أفضل من الملائكة وأعلى رتبة، لكان ذكر الملائكة بعده كالمستغني عنه، لأنه إذا كان الأفضل وهو المسيح على هذا التقدير عبداً لله غير مستنكف من العبودية، لزم من ذلك أن من دونه في الفضيلة أولى ألا يستنكف عن كونه عبداً لله وهم الملائكة على هذا التقدير، فلم يتجدد إذاً بقوله: (ولا الملائكة المقربون) إلا ما سلف أول الكلام. وإذا قدرت المسيح مفضولاً بالنسبة إلى الملائكة، فإنك ترقيت من تعظيم الله تعالى بأن المفضول لا يستنكف عن كونه عبداً له، إلى أن الأفضل لا يستنكف عن ذلك، وليس يلزم من عدم استنكاف المفضول عدم استنكاف الأفضل، فالحاجة داعية إلى ذكر الملائكة، إذ لم يستلزم الأول الآخر، فصار الكلام على هذا التقدير تتجدد فوائده وتتزايد، وما كان كذلك تعين أن يحمل عليه الكتاب العزيز، لأنه الغاية في البلاغة. وبهذه النكتة يجب أن تقول لا تؤذ مسلماً ولا =

خطراً وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش، كـ «جبريل وميكائيل وإسرافيل»، ومن في طبقتهم. فإن قلت: من أين دلّ قوله: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ على أنّ المعنى: ولا

= ذمياً، فتؤخر الأدنى على عكس الترتيب في الآية، لأنك إذا نهيته عن إيذاء المسلم فقد يقال: ذاك من خواصه، احترامًا للإسلام. فلا يلزم من ذلك نهيه عن الكافر المسلوبة عنه هذه الخصوصية، فإذا قلت: ولا ذمياً، فقد جددت فائدة لم تكن في الأول، وترقيت من النهي عن بعض أنواع الأذى إلى النهي عن أكثر منه، ولو رتبت هذا المثال كترتيب الآية فقلت: لا تؤذ ذمياً، فهم المنهي أن أذى المسلم أدخل في النهي، إذ يساوي الذمي في سبب الاحترام وهو الانسانية مثلاً، ويمتاز عنه بسبب أجل وأعظم وهو الإسلام، فيقنعه هذا النهي عن تجديد نهي آخر عن أذى المسلم. فإن قلت: ولا مسلماً، لم تجدد له فائدة ولم تعلمه غير ما علمه أو لا، فقد علمت أنها نكتة واحدة توجب أحياناً تقديم الأعلى وأحياناً تأخيره، ولا يميز لك ذلك إلا السياق. وما أشك أن سياق الآية يقتضي تقديم الأدنى وتأخير الأعلى. ومن البلاغة المرتبة على هذه النكتة قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ استغناء عن نهيه عن ضربهما فما فوقه بتقدير الأدنى، ولم يلق ببلاغة الكتاب العزيز أن تريد نهياً عن أعلى من التأفيف والإنهار، لأنه مستغني عنه وما يحتاج المتدبر لآيات القرآن مع التأييد شاهداً سواها (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ولما اقتضى الانصاف تسليم مقتضى الآية لتفضيل الملائكة، وكانت الأدلة على تفضيل الأنبياء عتيدة عند المعتقد لذلك، جمع بين الآية وتلك الأدلة بحمل التفضيل في الآية على غير محل الخلاف. وذاك أن تفضيل الملائكة في القوة رشدة البطش وسعة التمكن والاقتدار. قال: وهذا النوع من الفضيلة هو المناسب لسياق الآية، لأن المقصود الرد على النصارى في اعتقادهم ألوهية عيسى عليه السلام، مستندين إلى كونه أحيي الموتى، وأبرأ الأكمة والأبرص، وصدرت على يديه آثار عظيمة خارقة، فناسب ذلك أن يقال: هذا الذي صدرت على يديه هذه الخوارق لا يستنكف عن عبادة الله تعالى، بل من هو أكثر خوارق وأظهر آثاراً كالملائكة المقربين الذين من جملتهم جبريل عليه السلام، وقد بلغ من قوته وإقدار الله له أن اقتلع المدائن واحتملها على ريشة من جناحه فقلب عاليها سافلها، فيكون تفضيل الملائكة إذاً بهذا الاعتبار، لا خلاف أنهم أقوى وأبطش، وأن خوارقهم أكثر. وإنما الخلاف في التفضيل باعتبار مزيد الثواب والكرامات ورفع الدرجات في دار الجزاء. وليس في الآية عليه دليل. ولما كان أكثر ما لبس على النصارى في ألوهية عيسى كونه مخلوقاً أي موجوداً من غير أب، أنبأنا الله تعالى أن هذا الموجود من غير أب لا يستنكف من عبادة الله، بل ولا الملائكة المخلوقين من غير أب ولا أم، فيكون تأخير ذكرهم لأن خلقهم أغرب من خلق عيسى. ويشهد لذلك أن الله تعالى نظر عيسى بآدم عليهما السلام، فنظر الغريب بالأغرب، وشبه العجيب من قدرته بالأعجب، إذ عيسى مخلوق من أم، وآدم من غير أم ولا أب، ولذلك قال: (خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) ومدار هذا البحث على النكتة التي نبهت عليها، فمتى استقام اشتمال المذكور أياماً على فائدة لم يشتمل عليها الأول بأي طريق كان من تفضيل أو غيره من الفوائد، فقد استد النظر وطابق صيغة الآية، والله أعلم. وعلى الجملة فالمسألة سمعية والقطع فيها معروف بالنص الذي لا يحتمل تأويلاً ووجوده عسر، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وما أحسن تأكيد الزمخشري لاستدلاله ببعث الملائكة المعنيين بأنهم المقربون، ومن ثم ينشىء ظهور من فصل القول في الملائكة والأنبياء، فلم يعمم التفضيل في الملائكة ولا في الأنبياء، بل فصل ثم فصل. وليس الغرض إلا ذكر تحامل الآية، لا البحث في اختلاف المذاهب، والله الموفق.

من فوقه؟ قلت: من حيث أنّ علم المعاني لا يقتضي غير ذلك، وذلك أنّ الكلام إنما سيق لرد مذهب النصارى وغلوّهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية، فوجب أن يقال لهم: لن يترفع عيسى عن العبودية، ولا من هو أرفع منه درجة، كأنه قيل: لن يستنكف الملائكة المقرّبون من العبودية، فكيف بالمسيح؟ ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة، تخصيص المقربين لكونهم أرفع الملائكة درجة وأعلاهم منزلة، ومثاله قول القائل [من الطويل]:

وَمَـا مِـثْـلُـهُ مِـمَّـنْ يُـجَـاوِدُ حَـاتِـمٌ وَلاَ الْبَـحْـرُ ذُو الأَمْـوَاجِ يَـلْـتَـجُّ زَاخِـرُهُ(١)

لا شبهة في أنه قصد بالبحر ذي الأمواج: ما هو فوق حاتم في الجود، ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠] حتى يعترف بالفرق البين، وقرأ عليّ ـ رضي الله عنه ـ: «عُبيداً لله»، على التصغير، وروي أن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ: لم تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى. قال: وأي: شيء أقول؟ قالوا: تقول: إنه عبد الله ورسوله. قال: إنه ليس بعار أن يكون عبداً لله. قالوا: بلى (٤٩١)، فنزلت: أي: لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه، فلو كان موضع استنكاف لكان هو أولى بأن يستنكف لأنّ العار ألصق به. فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؟ قلت: لا يخلو إمّا أن يعطف على المسيح، أو على اسم (يكون) أو على المستتر في (عبداً) لما فيه من معنى الوصف، لدلالته على معنى العبادة، كقولك: مررت برجل عبد أبوه، فالعطف على المسيح هو الظاهر لأداء غيره إلى ما فيه بعض انحراف عن الغرض، وهو أن المسيح لا يأنف أن يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية، أو أن يعبد الله هو ومن فوقه. فإن قلت: قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبداً لله في هذا العطف، فما وجهه؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يراد: ولا كل واحد من الملائكة أو ولا الملائكة المقرّبون أن يكونوا عباداً لله، فحذف ذلك لدلالة (عبداً لله)

---

٤٩١ ـ أخرجه الواحدي في أسباب النزول للكلبي.
كما قال الحافظ في تخريج الكشاف.

---

(١) «يلتج» أي تضطرب لجته وهي معظم مائه. و«الزاخر» المرتفع. يقول: وليس مثل ممدوحي من الناس الذين يجاودهم حاتم، ولا من الذين يجاودهم البحر الزاخر، أي يضاهيهم في الجود. فالبحر: عطف على «حاتم» بالغ في وصف ممدوحه بأن مثله لا يضاهى في الكرم، فيلزم أنه هو لا يضاهي أيضاً، فنفي المضاهاة عن المثل كناية عن نفيها عن الممدوح. وفيه مبالغة أيضاً من جهة ترقيه من نفي مجاودة أكرم الناس إلى نفي مجاودة أنفع الأشياء. والفعل بالنسبة للبحر مجاز أو مشاكلة. أو شبه البحر بإنسان وأثبت له المجاورة على طريق المكنية وهذا على أن «يجاود» مبنى للفاعل، فإن كان مبنياً للمجهول فالمعنى أن حاتم ليس مثله ممن يضاهى في الجود، كما أن البحر لا يضاهى في النفع. فقد شبهه بالبحر ضمناً.

عليه إيجازاً، وأمّا إذا عطفتهم على الضمير في (عبداً) فقد طاح هذا السؤال. قرىء «فسيحشرهم» بضم الشين وكسرها وبالنون.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٍ مِّنۡهُ وَفَضۡلٍ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾

فإن قلت: التفصيل غير مطابق للمفصل[1]؛ لأنه اشتمل على الفريقين، والمفصل على فريق واحد. قلت: هو مثل قولك: جمع الإمام الخوارج، فمن لم يخرج عليه كساه وحمله، ومن خرج عليه نكل به، وصحة ذلك لوجهين: أحدهما: أن يحذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه، ولأنّ ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني، كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ﴾ والثاني: وهو أن الإحسان إلى غيرهم مما يغمهم، فكان داخلاً في جملة التنكيل بهم فكأنه قيل: ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر، فسيعذب بالحسرة إذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله. البرهان والنور المبين: القرآن. أو أراد بالبرهان دين الحق أو رسول الله ﷺ، وبـ «النور المبين»: ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز، ﴿فِي رَحۡمَةٍ مِّنۡهُ وَفَضۡلٍ﴾: في ثواب مستحق وتفضل، ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ﴾: إلى عبادته، ﴿صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا﴾ وهو طريق الإسلام، والمعنى: توفيقهم وتثبيتهم.

﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخۡتٌ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ

(١) قال محمود: «إن قلت التفصيل غير مطابق للمفصل. . .الخ» قال أحمد: المراد بالمفصل: من لم يستنكف ومن استنكف، لسبق ذكرهما. ألا ترى أن المسيح والملائكة المقربين ومن دونهم من عباد الله لم يستنكفوا عن عبادة الله وقد جرى ذكرهم. ويرشد إليه تأكيد الضمير بقوله (جميعاً) فكأنه قال فسيحشر إليه المقربين وغيرهم جميعاً ووقوع الفعل المتصل به الضمير جزاء لقوله: (ومن يستنكف) لا يعين اختصاص الضمير بالمستنكفين، لأن المصحح لارتباط الكلام قد وجد مندرجاً في طي هذا الضمير الشامل لهم ولغيرهم. وحينئذٍ يكون المفصل مشتملاً على الفريقين، وتفصيله منطبق عليه، والله أعلم.

﴿إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾

روي أنه آخر ما نزل من الأحكام[1]. كان رسول الله ﷺ في طريق مكة عام حجة الوداع، فأتاه جابر بن عبد الله فقال: إنّ لي أختاً، فكم آخذ من ميراثها إن ماتت؟ (٤٩٢) وقيل: كان مريضاً فعاده رسول الله ﷺ فقال: إني كلالة فكيف أصنع في مالي؟ (٤٩٣) فنزلت، ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾ ارتفع «امرؤ» بمضمر يفسره الظاهر، ومحل ﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ الرفع على الصفة لا النصب على الحال.[2] أي: إن هلك امرؤ غير ذي ولد، والمراد بالولد

---

٤٩٢ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٦٩): غريب، وعزاه للثعلبي في تفسيره من رواية الكلبي، وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. انتهى.

٤٩٣ ـ أخرجه البخاري (١٠/١١٨): كتاب المرضى: باب عيادة المغمى عليه، حديث (٥٦٥١)، (١٢/ ٥): كتاب الفرائض: باب قول الله تعالى **﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾**، حديث (٦٧٢٣)، (١٣/ ٣٠٣): كتاب الاعتصام بالكتاب والسّنة: باب ما كان النبيّ ـ ﷺ ـ يسأل مما لم ينزل عليه الوحي، حديث (٧٣٠٩)، ومسلم (٣/ ١٢٣٤، ١٢٣٥): كتاب الفرائض: باب ميراث الكلالة، حديث (٥، ٦، ٧، ٨/١٦١٦)، وأبو داود (٢/١٣٣): كتاب الفرائض: باب في الكلالة، حديث (٢٨٨٦)، (٢/٢٠٢): كتاب الجنائز: باب المشي في العيادة، حديث (٣٠٦٩).

والنّسائي (١/٨٧): كتاب الطهارة: باب الانتفاع بفضل الوضوء، حديث (١٣٨)، وابن ماجه (١/ ٤٦٢): كتاب الجنائز: باب ما جاء في عيادة المريض، حديث (١٤٣٦)، (٢/ ٩١١): كتاب الفرائض: باب الكلالة، حديث (٢٧٢٨)، وأحمد (٣/ ٢٩٨، ٣٧٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٠٨)، وابن خزيمة (١/ ٥٦)، حديث (١٠٦)، والحميدي (٢/ ٥١٦)، حديث (١٢٢٩)، والدارمي (١/ ١٨٧): كتاب الصّلاة والطهارة: باب الوضوء بالماء المستعمل.

من طريق محمد بن المنكدر، فذكره.

ـ والترمذي (٤/ ٤١٧)، كتاب الفرائض، باب: ميراث الأخوات حديث (٢٠٩٧).

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحافظ في الكشاف: متفق عليه من رواية ابن المنذر عنه. وأخرجه أصحاب السّنن، لكن ليس في رواية أحد منهم فنزلت **﴿إن امرؤ هلك﴾** إلاّ عند مسلم، من رواية ابن عيينة عنه بلفظ فنزلت **﴿يستفتونك ـ الآية﴾**. (فائدة) روى النّسائي من طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت على رسول الله ـ ﷺ ـ **﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ـ الآية﴾** وفي البخاري من رواية الشعبي عن ابن عباس «آخر آية نزلت آية الزنا» وروى الطبري من طريق يوسف بن مهران عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب قال: آخر آية نزلت على النبيّ ـ ﷺ ـ **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم ـ الآية﴾**. انتهى.

---

(١) قوله: «روى أنه آخر ما نزل من الأحكام» أي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ومنع الزمخشري أن يكون قوله: «ليس له ولد» جملة حالية من الضمير في «هلك» فقال: «ومحل «ليس له ولد» الرفع على الصفة لا النصب على الحال» انتهى. والزمخشري لم يقل كذلك أي: لم يمنع كونها حالاً من الضمير في «هلك» بل منع حاليّتها على =

الابن وهو اسم مشترك يجوز إيقاعه على الذكر وعلى الأنثى؛ لأن الابن يسقط الأخت، ولا تسقطها البنت إلا في مذهب ابن عباس، وبالأخت التي هي لأب وأم دون التي لأم، لأنّ الله تعالى فرض لها النصف وجعل أخاها عصبة وقال: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: وأما الأخت للأم فلها السدس في آية المواريث مسوّى بينها وبين أخيها، ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ﴾: وأخوها يرثها إن قدر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها، ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ أي: ابن؛ لأن الابن يسقط الأخ دون البنت. فإن قلت: الابن لا يسقط الأخ وحده فإن الأب نظيره في الإسقاط، فلم اقتصر على نفي الولد؟ قلت: بين حكم انتفاء الولد، ووكّل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السُّنة، وهو قوله ـ عليه السلام ـ: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى عصبة ذكر» (٤٩٤) والأب أولى من الأخ، وليسا بأول حكمين بين أحدهما

----

٤٩٤ ـ أخرجه البخاري (١٢/ ٢٧) كتاب الفرائض: باب ابني عمّ أحدهما أخ للأم والآخر زوج حديث (٦٧٤٦) ومسلم (٣/ ١٢٣٣) كتاب الفرائض: باب ألحقوا الفرائض بأهلها حديث (٢/ ١٦٥) وأحمد (١/ ٣١٣) والدارمي (٢/ ٣٦٨) كتاب الفرائض: باب العصبة، وأبو داود (٣/ ٣١٩) كتاب الفرائض: باب ميراث العصبة حديث (٢٨٩٨) وابن ماجه (٢/ ٩١٥) كتاب الفرائض: باب ميراث العصبة حديث (٢٧٤٠) والترمذي (٤/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥) كتاب الفرائض: باب في ميراث العصبة حديث (٢٠٩٨) والطيالسي رقم (٢٦٠٩) وابن الجارود رقم (٩٥٥) وعبد الرزاق (١٩٠٠٤) وأبو يعلى (٤/ ٢٥٨) رقم (٢٣٧١) وابن حبّان (٥٩٩٦، ٥٩٩٧، ٥٩٩٨ ـ الإحسان) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٩٠) كتاب الفرائض: باب الرجل يموت ويترك بنتاً وأختاً وعصبة سواهما، والدارقطني (٤/ ٧٠) كتاب الفرائض رقم (١١) والبيهقي (٦/ ٢٣٨) كتاب الفرائض: باب ترتيب العصبة والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٤٨ ـ بتحقيقنا) كلّهم من طريق عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس به. وفي لفظ بعضهم: ألحقوا الفرائض بأهلها فما تركت الفرائض فلأولى رجل ذكر. وقال الحافظ في الكشاف: متفق عليه من حديث ابن عباس بلفظ: «فلأولى رجل ذكر» =

= العموم كما هو ظاهر قوله، ويحتمل أنه أراد منع حاليتها من «امرؤ» لأنه نكرة، لكن النكرة هنا قد تخصّصت بالوصف، وبالجملة فالحال من النكرة أقلُّ منه من المعرفة. والذي ينبغي امتناع حاليتها مطلقاً كما هو ظاهر عبارته، وذلك أنَّ هذه الجملة المفسّرة للفعل المحذوف لا موضع لها من الإعراب فأشبهت الجمل المؤكدة، وأنت إذا أتبعت أو أخبرت فإنما تريد ذلك الاسم المتقدم في الجملة المؤكدة السابقة لا ذلك الاسم المكرر في الجملة الثانية التي جاءت تأكيداً، لأن الجملة الأولى هي المقصودة بالحديث، فإذا قلت: «ضربت زيداً ضربت زيداً الفاضل» فـ«الفاضل» صفة «زيداً» الأول لأنه في الجملة المؤكدة المقصود بالإخبار، ولا يَضُرُّ الفصلُ بين النعت والمنعوت بجملة التأكيد، فهذا المعنى ينفي كونها حالاً من الضمير في «هلك» وأما ما ينفي كونها حالاً من «امرؤ» فلما ذكرته لك من قلة مجيء الحال من النكرة في الجملة. وفي هذه الآية على ما اختاروه من كون «ليس له ولد» صفة دليل على الفصل بين النعت والمنعوت بالجملة المفسرة للمحذوف في باب الاشتغال، ونظيره: «إن رجلٌ قام عاقلٌ فأكرمه» فـ«عاقل» صفةٌ لـ«رجل» فُصِل بينهما بـ«قام» المفسّر لـ«قام» المفسّر. انتهى. الدر المصون.

بالكتاب والآخر بالسنة، ويجوز أن يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد، لأن الولد أقرب إلى الميت من الوالد، فإذا ورث الأخ عند انتفاء الأقرب، فأولى أن يرث عند انتفاء الأبعد، ولأن الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعاً، فكان ذكر انتفاء أحدهما دالاً على انتفاء الآخر. فإن قلت: إلى من يرجع ضمير التثنية والجمع[1] في قوله: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾: ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً﴾ قلت: أصله: فإن كان من يرث بالأخوة اثنتين، وإن كان من يرث بالأخوة ذكوراً وإناثاً وإنما قيل: «فإن كانتا»، و«إن كانوا»، كما قيل: من كانت أمّك. فكما أنث ضمير (من) لمكان تأنيث الخبر[2]، كذلك ثنى وجمع ضمير من يرث في «كانتا» و«كانوا»، لمكان تثنية الخبر وجمعه، والمراد بالإخوة، الإخوة [و] الأخوات، تغليباً لحكم الذكورة، ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ مفعول له، ومعناه: كراهة أن تضلوا. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة النساء فكأنما تصدّق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثاً، وأعطي من الأجر كمن اشترى محرّراً، وبرىء من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم. (٤٩٥)

= وأخرجه كذلك الترمذي والحاكم وأبو يعلى والبزّار «فائدة» قال ابن الجوزي: لفظ «عصبة» لا يحفظ في هذا الحديث. انتهى.

٤٩٥ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
وقال الحافظ في الكشاف: تقدّم الكلام على أسانيده في آخر سورة آل عمران. انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت إلى من يرجع ضمير التثنية والجمع... إلخ»؟ قال أحمد: وقد سبق له هذا التمثيل في مثل هذا الموضع ولو مثل بقول القائل: حصان كانت دابتك، لكان أسلم إذ في لفظ «من» من الإبهام ما يسوغ وقوعها على الأصناف المختلفة من مذكر ومؤنث وتثنية وجمع. ومثل الآية سواء قوله تعالى ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ فيمن جعل الجملة مفعولاً ثانياً للحسبان، فإن أصل الكلام: هي العدو، إذ الضمير على هذا الإعراب للصيحة، ولكنه ذكره وجمعه لمكان الخبر، والله أعلم.

(٢) قال السمين الحلبي «هذا تخريج لا يصح وليس نظير «من كانت أمك» لأنه قد صرح بـ «من» ولها لفظ ومعنى، فمن أنت راعي المعنى؛ لأن التقدير: أية أم كانت أمك ومدلول الخبر في هذا مخالف لمدلول الاسم، بخلاف الآية فإن المدلولين واحد، ولم يؤنث في «من كانت أمك» لتأنيث الخبر، إنما أنث لمعنى «من» إذ أراد بها مؤنثاً ألا ترى أنك تقول: «من قامت» فتؤنث مراعاة للمعنى إذ أردت السؤال من مؤنث، ولا خبر هنا فيؤنث «قامت لأجله». انتهى وهو تحامل منه على عادته، والزمخشري وغيره لم ينكروا أنه لم يصرح في الآية بلفظ «من» حتى يفرق لهم بهذا الفرق الغامض، وهذا التخريج المذكور هو القول الثاني في الألف. انتهى. الدر.

سورة المائدة

مدنية [إلا آية ٣ فنزلت بعرفات في حجة الوداع]

وهي مائة وعشرون آية [نزلت بعد الفتح]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾:

يقال: وفى بالعهد وأوفى[1] به ومنه: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ البقرة: ١٧٧]، والعقد: العهد الموثق، شبه بعقد الحبل ونحوه، قال الحطيئة [من البسيط]:

قَـوْمٌ إِذَا عَـقَـدُوا عَـقْـداً لِـجَـارِهِـمُ شَـدُّوا الْعِـنَـاجَ وَشَـدُّوا فَـوْقَـهُ الْـكَـرَبَـا[2]

وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف، وقيل: هي

---

(١) قال المصنف: «يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه الموفون بعهدهم» قال أحمد: ورد في الكتاب العزيز «وفى» بالتضعيف في قوله تعالى ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ وورود أوفى كثير. ومنه (أوفوا بالعقود) وأما (وفي) ثلاثياً فلم يرد إلا في قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ لأنه بنى أفعل التفضيل من وفى، إذ لا يبنى إلا من ثلاثي.

(٢) قـوم إذا عـقـدوا عـقـداً لـجـارهـم شدوا العـنـاج وشـدوا فـوقـه الـكـربـا

قـوم هـم الأنـف والأذنـاب غـيـرهـم ومـن يـسـوي بـأنـف الـنـاقـة الـذنـبـا

للحطيئة. والعناج ـ ككتاب ـ: حبل يشد في أسفل الدلو. ثم في العراقي جمع عرقوة، وهي الخشبة التي في فم الدلو. والكرب ـ كسبب ـ: حبل يشد على طرف العرقوة والعناج ليربطهما. وهذا استعارة تمثيلية شبه حالهم في توثيقهم العهد بوجوه متعددة بحال من يوثق الدلو بحبال متعددة. أو شبه حال عهدهم في وثاقته الزائدة بحال الدلو الموثقة «وأنف الناقة» لقب جعفر بن قريع، ذبح والده ناقة لنسائه فأرسلته أمه ليأخذ نصيبها فلم يجد إلا الرأس، فقال والده: عليك به، فجعل يجره من الأنف فلقب بذلك. فكانت قبيلته تأنف من ذلك اللقب، فاستعار الشاعر الأنف: للخيار العالين المقدار على طريق التصريح. أو شبه القوم به تشبيهاً بليغاً، وشبه غيرهم بالذنب في الخسة والضعة. والاستفهام إنكاري، أي لا أحد يسوي بين الأنف والذنب في الدفعة، فصار هذا اللقب مدحاً من حينئذٍ. وفيه تورية في غاية الحسن.

ينظر ديوانه: ص ١٦، ولسان العرب: (كرب)، (عنج)، وتاج العروس: (كرب، (عنج)، ومقاييس اللغة: ٥/ ١٧٤، وتهذيب اللغة: ١/١٩٧، ٣٧٩، ١٠/٢٠٧، ولسان العرب (عقد)، وجمهرة اللغة ص ٣٢٧.

ما يعقدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها، والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدم مجملاً ثم عقب بالتفصيل وهو قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم﴾ وما بعده. البهيمة: كلّ ذات أربع في البرّ والبحر، وإضافتها إلى الأنعام للبيان، وهي الإضافة التي بمعنى (من) كخاتم فضة، ومعناه: البهيمة من الأنعام، ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: إلا محرّم ما يتلى عليكم من القرآن، من نحو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ وإلا ما يتلى عليكم آية تحريمه، والأنعام: الأزواج الثمانية، وقيل: (بهيمة الأنعام) الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم أرادوا ما يماثل الأنعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الأنياب، فأضيفت إلى الأنعام لملابسة الشبه، ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ نصب على الحال من الضمير في (لكم) أي: أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد، وعن الأخفش أن انتصابه عن قوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ وقوله: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ حال عن «محلي الصيد»، كأنه قيل: أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون، لئلا نحرج عليكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: من الأحكام، ويعلم أنه حكمة ومصلحة، والحرم: جمع حرام وهو المحرم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾:

الشعائر: جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر، أي: جعل شعاراً وعلماً للنسك، من مواقف الحج ومرامي الجمار، والمطاف، والمسعى، والأفعال التي هي علامات الحج يعرف بها من الإحرام، والطواف، والسعي، والحلق، والنحر، و«الشهر الحرام»: شهر الحج، و«الهدي»: ما أهدي إلى البيت وتقرب به إلى الله من النسائك، وهو جمع هدية، كما يقال جدي في جمع جدية السرج[1]. والقلائد: جمع قلادة، وهي ما قلد به الهدي من نعل أو عروة مزادة، أو لحاء شجر[2]، أوغيره، وآمّو المسجد الحرام: قاصدوه، وهم الحجاج والعمار، وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها، وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدّون به الناس عن الحج، وأن يتعرض

(١) قوله «يقال جدي في جمع جدية السرج» في الصحاح: الجدية ـ بتسكين الدال: شيء محشو يجعل تحت دفتي السرج والرحل. والجمع جدي وجديات. (ع)

(٢) قوله «أو لحاء شجر» أي قشر اهـ. (ع)

للهدي بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله، وأما القلائد ففيها وجهان: أحدهما: أن يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن، وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لأنهاأشرف الهدي، كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] كأنه قيل: والقلائد منها خصوصاً، والثاني: أن ينهي عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي، على معنى: ولا تحلوا قلائدها فضلاً أن تحلوها، كما قال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١] فنهي عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها، ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ﴾: ولا تحلوا قوماً قاصدين المسجد الحرام، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وهو الثواب، ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: وأن يرضى عنهم، أي: لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم، تعظيماً لهم واستنكاراً أن يتعرض لمثلهم. قيل: هي محكمة، وعن النبي ﷺ: «المائدة من آخر القرآن نزولاً، فأحلوا حلالها وحرموا حرامها» (٤٩٦) وقال الحسن: ليس فيها منسوخ، وعن أبي ميسرة: فيها ثماني

---

٤٩٦ ـ أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٤٥) ـ باب فضل المائدة والأنعام ـ قال: حدّثنا أبو اليمان عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس قالا: قال رسول الله ـ ﷺ ـ فذكره.

قلت: وهذا الإسناد فيه علّتان.

الأولى: الإرسال: فإن ضمرة بن حبيب، وعطية بن قيس لم يسمعا من النبيّ ـ ﷺ ـ شيئاً وإنما يرويان عن بعض الصّحابة عن النبيّ...

راجع ترجمة ضمرة ـ تهذيب الكمال (١٣/ ٣١٤/ ٢٩٣٦)، وترجمة عطية بن قيس ـ تهذيب الكمال (١٠/ ١٥٣/ ٣٩٦١).

الثانية: ضعف «أبي بكر بن عبد الله».

وورد هذا الحديث موقوفاً على عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى عائشة.

أما حديث عبد الله بن عمرو:

فأخرجه الترمذي (٥/ ٢٦١) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ باب ومن سورة المائدة ـ (٣٠٦٣) بلفظ «آخر سورة أنزلت المائدة...» وقال: هذا حديث حسن غريب، ورُوي عن ابن عباس أنه قال: آخر سورة أنزلت «إذا جاء نصر الله...» ا.هـ.

والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١١) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وحديث عائشة:

أخرجه النّسائي في تفسيره (١/ ٤٢٧/ ١٥٨)، وأحمد في المسند (٦/ ١٨٨) والحاكم في مستدركه (٢/ ٣١١) وعنه البيهقي في سننه (٧/ ١٧٢)... كلّهم من طريق معاوية بن صالح، عن أبي الزّاهِرية عن جبير بن نفير قال...

وقال الحاكم «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وأقره الذهبي.

قلت: وفي ذلك نظر ـ فإن معاوية وأبا الزاهرية وجبير لم يخرج لهم البخاري».

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الحاكم من طريق جبير بن نفير. قال «دخلت على عائشة. فقالت لي: يا جبير، تقرأ المائدة؟ فقلت نعم. فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح. وأشار الترمذي إلى أن المراد بقولها «والفتح» إذا جاء نصر الله. قال: وقد روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ». انتهى.

عشرة فريضة وليس فيها منسوخ (٤٩٧)، وقيل: هي منسوخة، وعن ابن عباس: كان المسلمون والمشركون يحجون جميعاً، فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحداً عن حج البيت بقوله: ﴿لَا تُحِلُّوا﴾ ثم نزل بعد ذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٧] (٤٩٨)، وقال مجاهد والشعبي: ﴿لَا تُحِلُّوا﴾: نسخ بقوله: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩]، وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة، وابتغاء الرضوان بأنّ المشركين كانوا يظنون في أنفسهم أنهم على سداد من دينهم، وأنّ الحج يقربهم إلى الله، فوصفهم الله بظنهم، وقرأ عبد الله: «ولا آمي البيت الحرام»، على الإضافة، وقرأ حميد بن قيس والأعرج: «تبتغون» بالتاء على خطاب المؤمنين، ﴿فَٱصْطَادُوا﴾ إباحة للاصطياد بعد حظره عليهم، كأنه قيل: وإذا حللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا، وقرىء بكسر الفاء، وقيل: هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء، وقرىء: «وإذا أحللتم»، يقال: حلّ المحرم وأحلّ. (جرم) يجري مجرى (كسب) في تعديه إلى مفعول واحد واثنين. تقول: جرم ذنباً، نحو كسبه، وجرمته ذنباً، نحو كسبته إياه، ويقال: أجرمته ذنباً، على نقل المتعدي إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين، كقولهم: أكسبته ذنباً، وعليه قراءة عبد الله: «ولا يُجرمنكم» بضم الياء، وأوّل المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين، والثاني: ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾، و﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ بفتح الهمزة، متعلق بالشنآن بمعنى العلة، والشنآن: شدة البغض، وقرىء بسكون النون، والمعنى: ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدّوكم الاعتداء، ولا يحملنكم عليه، وقرىء: «إن صدّوكم»، على (إن) الشرطية، وفي قراءة عبد الله: «إن يصدوكم»، ومعنى صدّهم إياهم عن المسجد الحرام: منع أهل

---

٤٩٧ ـ أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ٤٦) ـ باب فضل المائدة والأنعام (٤٤٧)... من طريق عبد الرحمن عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال... فذكره.
وذكر هذه الرواية السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٤٧) ـ بلفظ أتم من هذا ـ وعزاه للفريابي وأبو عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ.
قلت: وأخرجه أيضاً سعيد بن منصور في تفسيره (٤/ ١٤٣٥/ ٧١١) ـ من طريق حُدَيج بن معاوية عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال «آخر سورة أنزلت في القرآن، سورة المائدة، وإن فيها لسبع عشرة فريضة».
ولعل الرواية السابقة أرجح من رواية حُدَيج، لأن حال إسرائيل في جده أبي إسحاق أحسن من حال حُدَيج. كما قرر ذلك أئمة الجرح والتعديل.
قال أبو حاتم الرازي: إسرائيل ثقة متقن، من أتقن أصحاب أبي إسحاق.
وقال الترمذي: إسرائيل ثبت في أبي إسحاق.
راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٣٥٥/ ١٣٣).
٤٩٨ ـ أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٣٩٣/ ١٠٩٤٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٤٩) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه.

مكة رسول الله ﷺ والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة، ومعنى الاعتداء: الانتقام منهم بإلحاق مكروه بهم، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾: على العفو والإغضاء ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ على الانتقام والتشفي، ويجوز أن يراد العموم لكل برّ وتقوى وكلّ إثم وعدوان، فيتناول بعمومه العفو والانتصار.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾:

كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات: البهيمة التي تموت حتف أنفها، والفصيد وهو الدم في المباعر[1]، يشوونا ويقولون: لم يحرم مَنْ فزد له، ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي: رفع الصوت به لغير الله، وهو قولهم: باسم اللات والعزى عند ذبحه، ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾: التي خنقوها حتى ماتت، أو انخنقت بسبب، ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: التي أثخنوها ضرباً بعصا أو حجر حتىٰ ماتت، ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾: التي تردَّت من جبل أو في بئر فماتت، ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح، ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ بعضه، ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه، وقرأ عبد الله «والمنطوحة»، وفي رواية عن أبي عمرو «السبْع» بسكون الباء، وقرأ ابن عباس: «وأكيل السبع»، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها، ويعظمونها بذلك ويتقرّبون به إليها، تسمى الأنصاب، والنصب واحد. قال الأعشى: [من الطويل]:

وَذَا النُّصُبِ المَنْصُوبِ لاَ تَعْبُدَنَّهُ ... لِعَاقِبَةٍ وَاللَّهَ رَبَّكَ فَاعْبُدَا[2]

---

(١) قوله «وهو الدم في المباعر» المباعر: الأمعاء يجعل فيها الدم بعد فصده ويشوى للضيف. وقولهم «لم يحرم... إلخ» جار مجرى الأمثال. و «فزد» مبنى للمجهول، أصله «فصد» فسكنت صاده تخفيفاً ثم قلبت زاياً. انتهى. (ع)

(٢) وذا النصب المنصوب لا تعبدنه ... لعاقبة والله ربك فاعبدا
وصل علي حين العشيات والضحي ... ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
للأعشى. و «النصب» كضرب وكشرب. وفي لغة: كسبب. وفي لغة كعنق. ويحتملها ما هنا: العلم المنصوب. والمراد به هنا الضم وأحد الحجارة التي كانت منصوبة حول البيت يذبحون لأجلها الهدي يتقربون به إليها. و «ذا» اسم إشارة نصب بمحذوف يفسره المذكور على طريقة =

وقيل: هو جمع، والواحد نصاب، وقرىء: «النصْب» بسكون الصاد، ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾: وحرّم عليكم الاستقسام بالأزلام أي: بالقداح. كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحاً أو أمراً من معاظم الأمور ضرب بالقداح، وهي مكتوب على بعضها: نهاني ربي، وعلى بعضها: أمرني ربي، وبعضها غفل؛ فإن خرج الآمر مضى لطيته[1]، وإن خرج الناهي أمسك، وإن خرج الغفل أجالها عوداً. فمعنى الاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام، وقيل: هو الميسر، وقسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومة، ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الإشارة إلى الاستقسام، أو إلى تناول ما حرّم عليهم؛ لأنّ المعنى حرّم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا. فإن قلت: لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام لتعرف الحال فسقاً؟ قلت: لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوم وقال: ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] واعتقاد أنّ إليه طريقاً وإلى استنباطه[2]، وقوله: أمرني ربي، ونهاني ربي: افتراء على الله، وما يدريه أنه أمره أو نهاه، والكهنة والمنجمون بهذه المثابة، وإن كان أراد بالرب الصنم ـ فقد روي أنهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم ـ فأمره ظاهر، ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ لم يرد به يوماً بعينه، وإنما أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية، كقولك: كنت بالأمس شاباً، وأنت اليوم أشيب، فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، ولا باليوم يومك، ونحوه (الآن) في قوله [من الكامل]:

= الاشتغال. وجعله الجوهري على تقدير: إياك وهذا النصب، فهو منصوب على التحذير ويروى لا تنسكنه بدل تعبدنه. ويروي «المثرين» بدل «الشيطان» أي الأغنياء. ويروى بدل الشطر الثاني «والله ربك فاعبدا» و «لعاقبة» أي لطلب عاقبة. وتقديم المعمول لإفادة الحصر ولزيادة الفاء. ويجوز أنه على تقدير: والزم الله ربك فهو نصب على الإغراء، والفاء عاطفة على المقدر. و «اعبدا» مؤكد بالنون المبدلة ألفاً للوقف. و «على» بمعنى «في» وروي «سبح» بدل «صل» والمعنى واحد، أي صل الصلوات وقت الضحى والعشيات. واحمدا كاعبدا.

ينظر ديوانه ص ١٨٧، والأزهية ص ٢٧٥، وتذكرة النحاة ص ٧٢، والدرر ٥/ ١٤٩، وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٦٧٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٤٤، ٢٤٥، وشرح التصريح ٢/ ٢٠٨، وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٧٧، ٧٩٣، والكتاب ٣/ ٥١٠، ولسان العرب (نصب)، (سبح)، (نون)، واللمع ص ٢٧٣، والمقاصد النحويّة ٤/ ٣٤٠، والمقتضب ٣/ ١٢، وبلا نسبة في الإنصاف ٢/ ٦٥٧، وأوضح المسالك ٤/ ١١٣، وجمهرة اللغة ص ٨٥٧، وجواهر الأدب ص ٥٧، ١٠٨، ورصف المباني ص ٣٢، ٣٣٤، وشرح الأشموني ٢/ ٥٠٥، وشرح قطر الندى ص ١٤٩، وشرح المفصل ٩/ ٣٩، ومغني اللبيب ص ٣٧٢، والممتع في الصريف ١/ ٤٠، وهمع الهوامع ٢/ ٧٨.

(١) قوله «فإن خرج الآمر مضى لطيته» بكسر الطاء، أي لنيته التي انتواها. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «وإلى استنباطه» لعل بعده سقطاً تقديره: سبيلاً خطأ وضلال. (ع)

أَلآنَ لَمَّا ابْيَضَّ مَسْرُبَتِي وَعَضَضْتُ مِنْ نَابِي عَلَى جِذْمِ[1]

وقيل: أريد يوم نزولها، وقد نزلت يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع، ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾: يئسوا منه أن يبطلوه وأن ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرّمت عليكم، وقيل: يئسوا من دينكم أن يغلبوه؛ لأن الله عزّ وجلّ وفيَّ بوعده من إظهاره على الدين كله، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعدما كانوا غالبين ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ وأخلصوا لي الخشية، ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: كفيتكم أمر عدوّكم، وجعلت اليد العليا لكم، كما تقول الملوك: اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد، إذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا إلى أغراضهم ومباغيهم. أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد، ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾: بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين، وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحجّ معكم مشرك، ولم يطف بالبيت عريان. أو أتممت نعمتي عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع كأنه قال: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك، لأنه لا نعمة أتمّ من نعمة الإسلام، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾: يعني اخترته لكم من بين الأديان، وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]. فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾؟ قلت: بذكر

---

(١) ألآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم
وحلبت هذا الدهر أشطره وأتيت ما آتى على علم

للذهلي. وقيل: لأبي العلاء المعري. و «الآن» الزمن الحاضر. و «المسربة» بضم الراء ـ وقد تفتح ـ: الشعرات التي تنبت وسط الصدر دقيقة مستطيلة إلى أسفل السرة، وهي آخر ما يشيب من الإنسان، فبياضها كناية عن بلوغه غاية الشيب، وأما المسربة بالفتح فهي مخرج الغائط. و «من نابي» حال مقدمة. و «من» تبعيضية. و «الجذم» أصل الشيء، كأن أنيابه تفتتت حتى لم يبق إلا أصولها. ويجوز أن المعنى: أنها سقطت وبقي محلها من اللحم، وهو أيضاً كناية عما تقدم توكيد له في المعنى. و «حلبت هذا الدهر» أي جمعت ما فيه من الحوادث وجربتها. و «أشطره» نواحيه وجوانبه؛ فكأنه شبه الزمان بمكان له جوانب على طريق الكناية، وإثبات الأشطر تخييل، وهو نصب على البدلية. والشطر أيضاً: نصف ضرع الناقة: فيه خالفان، وفي النصف الآخر خالفان. فشبه الدهر بناقة على طريق المكنية، وإثبات الأشطر تخييل. وحلبها ترشيح. وهذا أوجه وأقرب من الأول. وأشطره: نصب على البدلية أيضاً. ويمكن أن حلب مضاعف للتعدية لا للمبالغة. فالمعنى: جعلت الدهر يحلب لي أشطره ويجمع لي ما فيها من الغرائب والعجائب. وقيل: المراد بأشطره أنواع الخير والشر. وأتيت: أي فعلت؛ لأن من يفعل الشيء لا بد من توجه جسمه وقلبه إليه. والمعنى: صارت عادتي أني أفعل ما أفعله على علم عندي، من طول تجربتي لحوادث الدهر.
البيت للحارث بن وعلة الذهلي. ينظر: اللسان (سرب)، البحر المحيط (٣/ ٤٤٠).

المحرّمات، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾: اعتراض أكد به معنى التحريم، وكذلك ما بعده؛ لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل، ومعناه: فمن اضطرّ إلى الميتة أو إلى غيرها، ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾: في مجاعة، ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾: غير منحرف إليه، كقولِهِ: ﴿غير باغ ولا عاد﴾ [البقرة: ١٧٣]. ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لا يؤاخذه بذلك.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾

في السؤال معنى القول، فلذلك وقع بعده، ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾: كأنه قيل: يقولون لك ماذا أحلّ لهم، وإنما لم يقل: ماذا أحلّ لنا، حكاية لما قالوه لأنّ «يسألونك» بلفظ الغيبة، كما تقول: أقسم زيد ليفعلنّ، ولو قيل: لأفعلنّ وأُحلّ لنا، لكان صواباً، و (ماذا) مبتدأ، و (أحلّ لهم) خبره كقولك: أي شيء أحلّ لهم؟ ومعناه: ماذا أحلّ لهم من المطاعم كأنهم حين تلا عليهم ما حرّم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحلّ لهم منها، فقيل: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ أي: ما ليس بخبيث منها، وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب أو سنة أو قياس مجتهد. ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ عطف على الطيبات[1] أي: أحلّ لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف. أو تجعل (ما) شرطية، وجوابها (فكلوا) والجوارح: الكواسب من سباع البهائم والطير، كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين، والمكلب: مؤدّب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها، ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف، واشتقاقه من الكلب، لأنّ التأديب أكثر ما يكون في الكلاب فاشتقّ من لفظه لكثرته من جنسه. أو لأن السبع يسمى كلباً، ومنه قوله ـ عليه السلام ـ: «اللّهم سلط عليه كلباً من كلابك» (٤٩٩) فأكله الأسد. أو من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة. يقال: هو كلب بكذا، إذا كان ضارياً به، وانتصاب ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ على الحال من «علمتم». فإن قلت: ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بـ «علمتم»؟ قلت: فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح نحريراً في علمه مدرّباً فيه، موصوفاً بالتكليب،

---

٤٩٩ ـ سوف يأتي بتمامه في سورة النجم، وقال الحافظ في الكشاف: هو طرف من حديث أخرجه الحاكم، وسيأتي بتمامه في سورة النجم. انتهى.

---

(١) قال محمود رحمه الله تعالى: «وما علمتم عطفاً على الطيبات. . . إلخ» قال أحمد رحمه الله تعالى: ولقد أحسن في التنبيه على هذا السر الخفي غير أن الحال بأصالتها منتقلة غير لازمة ومقتضى هذا التقرير جعلها من الصفات اللازمة لمعلم الجوارح الثابتة له.

و﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾: حال ثانية أو استئناف، وفيه فائدة جليلة(1)، وهي أن على كلّ آخذ علماً ألاّ يأخذهُ إلا من أقتل أهله علماً وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه، وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد الإبل، فكم من آخذ عن غير متقن، قد ضيع أيامه وعضّ عند لقاء النحارير أنامله، ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾: من علم التكليب، لأنه إلهام من الله ومكتسب بالعقل. أو مما عرَّفكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه، وانزجاره بزجره، وانصرافه بدعائه، وإمساك الصيد عليه وألاّ يأكل منه، وقرىء: «مكلبين» بالتخفيف، وأفعل وفعل يشتركان كثيراً، والإمساك على صاحبه ألاّ يأكل منه، لقوله عليه الصلاة والسلام لعديّ بن حاتم: «وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه» (٥٠٠) وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: إذا أكل البازي فلا تأكل (٥٠١)، وفرق العلماء، فاشترطوا في سباع البهائم ترك الأكل لأنها تؤدّب بالضرب، ولم يشترطوه في سباع الطير، ومنهم من لم يعتبر ترك الأكل أصلاً ولم يفرق بين إمساك الكل والبعض، وعن سلمان، وسعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة ـ رضي الله عنهم ـ: إذا أكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل (٥٠٢). فإن

---

٥٠٠ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٥٩٨) كتاب الذبائح والصيد باب التسمية على الصيد حديث (٥٤٧٥) ومسلم (٣/ ١٥٢٩ ـ ١٥٣٠) كتاب الصيد والذبائح باب الصيد بالكلاب المعلمة حديث (١ـ٣/ ١٩٢٩) وأبو داود (٣/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) كتاب الصيد: باب في الصيد حديث (٢٨٤٨) والترمذي (٤/ ٦٨ ـ ٦٩) كتاب الصيد: باب ما جاء في الكلب يأكل من الصيد حديث (١٤٧٠) والنّسائي (٧/ ١٧٩ ـ ١٨٠) كتاب الصيد والذبائح: باب الأمر بالتسمية عند الصيد وابن ماجه (٢/ ١٠٦٩) كتاب الصيد: باب صيد الكلب حديث (٣٢١٤) وأحمد (٤/ ٢٥٦) والطيالسي (١/ ٣٤٠ ـ منحة) والدارمي (٢/ ٨٩) كتاب الصيد: باب التسمية عند إرسال الكلب، وابن الجارود في «المنتقى» (٩١٤١) والبيهقي (٩/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ٣ ـ بتحقيقنا) كلّهم من طريق الشعبي عن عديّ بن حاتم. وقال الحافظ في الكشاف: متفق عليه من حديث عديّ بن حاتم. انتهى.

٥٠١ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

٢٠٢ ـ حديث سلمان وسعد بن أبي وقاص: أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٣٧) ـ كتاب الصيد والذبائح ـ باب المعلم يأكل من الصيد الذي قد قتل ـ، وعبد الرزاق في المصنّف (٤/ ٤٧٤/ ٨٥١٨) ـ كتاب المناسك ـ باب الجارح يأكل ـ وابن أبي شيبة (٤/ ٢٣٤) ـ كتاب الصيد ـ باب ـ من رخص في أكله. . . (١٩٥٨٩/ ١٩٥٩٠)، وأما أثر أبي هريرة فأخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٢٣٤/ ١٩٥٩١) من طريق يزيد بن هارون قال: نا داود عن الشعبي عن أبي هريرة قال ـ فذكره ـ وقال الحافظ في الكشاف حديث سلمان أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من طريق قتادة عن سعيد بن المسيب عن سلمان في الكلب يرسل على الصيد إن أكل ثلثيه فكل الثلث الباقي. وحديث أبي هريرة كذلك رواه ابن أبي شيبة من طريق الشعبي عنه قال «إذا أرسلت كلبك فأكله فكل وإن أكل =

---

(١) عاد كلامه قال: «وفي قوله تعلمونهن مما علمكم الله فائدة جليلة. . . إلخ» قال أحمد: وفي الآية دليل على أن البهائم لها علم لأن تعليمها معناه لغة تحصيل العلم لها بطرقه خلافاً لمنكري ذلك.

قلت: إلام رجع الضمير في قوله: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾؟ قلت: إمّا أن يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته، أو إلى ما علمتم من الجوارح. أي: سموا عليه عند إرساله.

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قيل: هو ذبائحهم، وقيل: هو جميع مطاعمهم، ويستوي في ذلك جميع النصارى، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنه استثنى نصارى بني تغلب وقال: ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر (٥٠٣)، وبه أخذ الشافعي، وعن ابن عباس أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال: لا بأس (٥٠٤)، وهو قول عامة

= ثلثه» وحديث سعد ابن أبي وقاص كذلك أخرجه ابن أبي شيبة من رواية بكر بن الأشج عن حميد بن مالك عن سعد في الصيد يرسل عليه الكلب قال: كلْه وإن لم يبق منه إلاّ بضعة منه. انتهى.

٥٠٣ ـ أخرجه الشافعي في المسند (٢/ ١٧٤/ ٦١٣)، والبيهقي، في الكبرى (٩/ ٢٨٤) كتاب الضحايا ـ باب ذبائح نصارى العرب ـ من طريق الشافعي أنبأ الثقفي عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ أنه قال...، وعبد الرزاق في المصنّف (٤/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦/ ٨٥٧٠) من طريق أيوب عن ابن سيرين به.
وابن أبي شيبة في المصنّف (٣/ ٤٧٧/ ١٦١٩٣) ـ من طريق سعيد عن أبي معشر عن إبراهيم عن عليّ أنه ـ فذكره ـ قلت: وهذا إسناد فيه نظر، فإن فيه انقطاعاً بين إبراهيم النخعي وعليّ.
وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة من رواية إبراهيم النخعي عن عليّ. وهو منقطع. وأخرجه الشافعي وعبد الرزاق موصولاً من رواية عبيدة عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ انتهى.

٥٠٤ ـ أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٤٨٩) ـ كتاب الذبائح (٢٤) ـ باب ما يجوز من الذكاة في حال الضرورة ـ عن ثور بن زيد الديلمي عن عبد الله بن عباس: أنه سئل...
وهذا إسناد فيه نظر: فإن ثور لم يلق ابن عباس.
وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة (٣/ ٤٧٧/ ١٦١٩٧) ـ من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السّائب عن عكرمة عن ابن عباس...
قلت: وهذا الإسناد ليس أحسن حالاً من سابقه، فإن عطاء بن السّائب مختلط، ولم يرو عنه قبل الاختلاط إلاّ شعبة وسفيان الثوري كما قرر ذلك أئمة الجرح والتعديل ـ راجع تهذيب الكمال (٢٠/ ٨٦/ ٣٩٣٤)، وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه في الموطأ عن ثور عن ابن عباس بهذا. وهو منقطع. ثور لم يلق ابن عباس. وإنما أخذه عن عكرمة فحذفه مالك. وروى ابن أبي شيبة من طريق عطاء بن السّائب عن عكرمة عن ابن عباس. قال: «كلوا ذبائح بني تغلب وتزوجوا نساءهم». انتهى.

التابعين، وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه، وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عند أبي حنيفة، وقال صاحباه: هم صنفان: صنف يقرءون الزبور ويعبدون الملائكة، وصنف لا يقرءون كتاباً ويعبدون النجوم؛ فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب، وأما المجوس فقد سنّ بهم سنّة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم، وقد وری عن ابن المسيب أنه قال: إذا كان المسلم مريضاً فأمر المجوسي أن يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس، وقال أبو ثور: وإن أمره بذلك في الصحة فلا بأس وقد أساء، ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾: فلا عليكم أن تطعموهم[1]، لأنه لو كان حراماً عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم، ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾: الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والإماء من المسلمات يصحّ نكاحهنّ بالاتفاق، وكذلك نكاح غير العفائف منهن، وأما الإماء الكتابيات، فعند أبي حنيفة: هنَّ كالمسلمات، وخالفه الشافعي، وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات، ويحتج بقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١] ويقول: لا أعلم شركاً أعظم من قولها: إن ربها عيسى (٥٠٥)، وعن عطاء: قد أكثر الله المسلمات، وإنما رخص لهم يومئذ، ﴿مُّحْصِنِينَ﴾: أعفاء، ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾: صدائق، والخدن يقع على الذكر والأنثى، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾: بشرائع الإسلام وما أحلّ الله وحرّم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا

---

٥٠٥ - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٤٧٥/ ١٦١٦٥، ١٦١٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٥٩) - وعزاه لابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه.
وانظر الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٦٨) وأحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٣٢).

---

(١) قال محمود: «معناه فلا عليكم أن تطعموهم... إلخ» قال أحمد: وقد يستدل بهذه الآية من يرى الكفار مخاطبين بفروع الشريعة، لأن التحليل حكم، وقد علقه بهم في قوله ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ كما علق الحكم بالمؤمنين. وهذه الآية أبين في الاستدلال بها من قوله ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ فإن لقائل أن يقول في تلك الآية: نفي الحكم ليس بحكم، ولا يستطيع ذلك في آية المائدة هذه: لأن الحكم فيها مثبت والله أعلم. ولما استشعر الزمخشري دلالتها على ذلك وهو من القائلين بأن الكفار يستحيل خطابهم بفروع الشريعة، أسلف تأويلها بصرف الخطاب إلى المؤمنين، أي لا جناح عليكم أيها المسلمون أن تطعموا أهل الكتاب، كما رأيته في كلامه أيضاً.

طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾:

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[1] [النحل: ٩٨] وكقولك: إذا ضربت غلامك فهوّن عليه، في أن المراد إرادة الفعل. فإن قلت: لم جاز أن يعبر عن إرادة الفعل بالفعل؟ قلت: لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته له وهو قصده إليه وميله وخلوص داعيه، فكما عبر عن القدرة عن الفعل بالفعل في قولهم: الإنسان لا يطير، والأعمى لا يبصر، أي: لا يقدران على الطيران والإبصار، ومنه قوله تعالى: ﴿نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] يعني إنا كنا قادرين على الإعادة، كذلك عبر عن إرادة الفعل بالفعل، وذلك لأنّ الفعل مسبب عن القدرة والإرادة، فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما، ولإيجاز الكلام ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب قولهم: كما تدين تدان، عبر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه، وقيل: معنى (قمتم إلى الصلاة) قصدتموها؛ لأنّ من توجّه إلى شيء وقام إليه كان قاصداً له لا محالة، فعبَّر عن القصد له بالقيام إليه. فإن قلت: ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصَّلاة[2] محدث وغير محدث، فما وجهه؟ قلت: يحتمل أن يكون الأمر للوجوب، فيكون الخطاب للمحدثين خاصة، وأن يكون للندب، وعن رسول الله ﷺ والخلفاء بعده، أنهم كانوا يتوضئون لكل صلاة (٥٠٦)، وعن

----

٥٠٦ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (١/٤٢٣) ـ كتاب الوضوء (٤) ـ باب الوضوء من غير حدث (٥٤) (٢١٤) من حديث عمرو بن عامر عن أنس قال: . . .
والترمذي (١/٨٦، ٨٧) ـ كتاب الطهارة ـ باب ما جاء في الوضوء لكل صلاة (٤٤) (٥٨) من =

---

(١) قال محمود: «قوله إذا قمتم كقوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله. . . إلخ» قال أحمد: هذا الكلام يستقيم وروده من السني. كما يستقيم من المعتزلي لأنا نقول: الفعل يوجد بقدرة العبد ملتبساً بها ومقارناً لها، والمعتزلي بقوله ويعني مخلوقاً بها وناشئاً عن تأثيرها، فالعبارة مستعملة في المذهبين ولكن باختلاف المعنى، والله الموفق.

(٢) عاد كلامه. قال: «فإن قلت: ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم. . . إلخ» قال أحمد: الزمخشري أنكر أن يراد بالمشترك كل واحد من معانيه على الجمع. وقد سبق له إنكار ذلك ومن جوز إرادة جميع المحامل أجاز ذلك في الآية، ومن المجوزين لذلك الشافعي رحمه الله تعالى. وناهيك بإمام الفن وقدوته. هذا إذا وقع البناء على أن صيغة «أفعل» مشتركة بين الوجوب والندب صح تناولها في الآية للفريقين المحدثين والمتطهرين، وتناولها للمتطهرين من حيث الندب، والله أعلم.

النبي ﷺ: «من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات» (٥٠٧) وعنه ـ عليه السلام ـ:

= حديث حميد عن أنس وزاد فيه «طاهراً أو غير طاهر» وقال الترمذي: حديث حميد عن أنس حديث حسن غريب من هذا الوجه، والمشهور عند أهل الحديث حديث عمرو بن عامر الأنصاري عن أنس.

وأخرجه أيضاً من طريق عمرو بن عامر عن أنس... (٦٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
وأخرجه أبو داود (١/ ٤٤) ـ كتاب الطهارة ـ باب الرجل يصلي الصلوات بوضوء واحد ـ (١٧١) ـ من طريق شريك عن عمرو بن عامر البجلي قال: سألت أنس بن مالك. فذكره.
ومن طريق شريك أخرجه أيضاً ابن ماجه (١/ ١٧٠) ـ كتاب الطهارة وسننها (١) ـ باب الوضوء لكل صلاة... (٧٢) (٥٠٩).
والنسائي (١/ ٨٥) ـ كتاب الطهارة ـ باب الوضوء لكل صلاة (١٠١)) (١٣١)... من طريق شعبة عن عمرو بن عامر عن أنس...
وأحمد في المسند (٣/ ١٩٤، ٢٦٠)، وأخرجه أيضاً من طريق سفيان عن عمرو بن عامر عن أنس (٣/ ١٣٢).
والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٦٢) باب، تجديد الوضوء، والدارمي (١/ ١٨٣) ـ باب الوضوء لكل صلاة، وأبو داود الطيالسي (١/ ٥٤) منحة المعبود برقم (١٨٦) من طريق شعبة.

- قلت: وقد ورد أن النبي ـ ﷺ ـ كان يتوضأ لكل صلاة في حديث.
- عبد الله بن حنظلة الغسيل:

أخرجه أبو داود (١/ ١٢، ١٣) ـ كتاب الطهارة ـ باب السواك (٤٨)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٢٥) والحاكم في المستدرك (١/ ١٥٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

- وأما وضوء الخلفاء بعده.

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف (١/ ٣٥/ ٣٠٢، ٣٠٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٤٥٣/ ١١٣٢٧). قال: حدّثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال حدّثنا أزهر عن ابن عون، عن ابن سيرين أن الخلفاء كانوا يتوضئون لكل صلاة. وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه البخاري من رواية عمرو بن عامر عن أنس بلفظ «عند كل» وزاد «قلت: كيف كنتم تصنعون؟ قال: يجزيء أحدنا الوضوء ما لم يحدّث» والترمذي من رواية حميد عن أنس نحوه، وزاد «طاهراً وغير طاهر» ولمسلم من حديث يزيد «أن النبي ـ ﷺ ـ كان يتوضأ لكل صلاة» فلما كان يوم الفتح صلّى الصلوات بوضوء واحد. فقال له عمر: فعلت شيئاً لم تكن تفعله. قال: قد فعلته يا عمر، وسيأتي بعد قليل. ولأبي داود والحاكم وأحمد من حديث أسماء بنت زيد بن الخطاب عن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل «أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان أمر بالوضوء عند كل صلاة طاهراً أو غير طاهر. فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك» وقوله: «وكان الخلفاء بعد النبي ـ ﷺ ـ يتوضؤون لكل صلاة».
أخرجه ابن أبي شيبة والطبري من رواية أبي عوانة عن محمد بن سيرين قال: «كان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ـ رضي الله عنهم ـ يتوضؤون لكل صلاة». انتهى.

٥٠٧ ـ أخرجه أبو داود (١/ ١٦) ـ كتاب الطهارة ـ باب الرجل يجدد الوضوء من غير حدَث (٦٢) والترمذي (١/ ٨٧) ـ كتاب الطهارة ـ باب ما جاء في الوضوء لكل صلاة ـ (٥٩) وقال: إسناد ضعيف.

وابن ماجه (١/ ١٧١) ـ كتاب الطهارة وسننها ـ باب الوضوء على الطهارة (٧٣) (٥١٢) وذكر فيه =

أنه كان يتوضأ لكل صلاة (٥٠٨)، فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه وصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد، فقال له عمر: صنعت شيئاً لم تكن تصنعه؟ فقال: «عمداً فعلته يا عمر» يعني بياناً للجواز؟ فإن قلت: هل يجوز أن يكون الأمر شاملاً للمحدثين وغيرهم، لهؤلاء على وجه الإيجاب، ولهؤلاء على وجه الندب. قلت: لا، لأنَّ تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الإلغاز والتعمية، وقيل: كان الوضوء لكل صلاة واجباً أوّل ما فرض. ثم نسخ. (إلى) تفيد معنى الغاية مطلقاً. فأمّا دخولها في الحكم وخروجها، فأمر يدور مع الدليل، فمما فيه دليل على الخروج قوله: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] لأن الإعسار علة الإنذار، وبوجود الميسرة تزول العلة، ولو دخلت الميسرة فيه لكان مُنظراً في كلتا الحالتين معسراً وموسراً، وكذلك: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] لو دخل الليل لوجب الوصال، ومما فيه دليل على أن الدخول قولك: حفظت القرآن من أوله إلى آخره لأنّ الكلام مسوق لحفظ القرآن كله، ومنه قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الاسراء: ١] لوقوع العلم بأنه لا يسرى به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله، وقوله: ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ و﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾: لا دليل فيه على أحد الأمرين فأخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل، وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها، وعن النبي ﷺ: أنه كان يدير الماء على مرفقيه (٥٠٩)، ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾: المراد إلصاق المسح بالرأس، وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح، كلاهما ملصق للمسح برأسه. فقد أخذ

= قصة. كلّهم من طريق عبد الرحمن بن زياد الإفريقي عن أبي غطيف الهُذَليّ قال...

وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٥٢/ ٨٥٠)... وقال: اسم الإفريقي عبد الرحمن بن زياد.

قال أحمد: نحن لا نروي عنه شيئاً. وقال الدارقطني: ليس بالقوي. وقال ابن حبّان: يروي الموضوعات عن الثقات ويدلس، والحديث أخرجه أيضاً البيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٦٢)، وابن جرير في تفسيره (٤/ ٤٥٥/ ١١٣٤٠).

وقال الحافظ بن حجر في الكشاف: أخرجه أصحاب السنن إلاّ النّسائي من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -، قال الترمذي: إسناده ضعيف. انتهى.

٥٠٨ - ينظر: حديث (٥٠٦)، وقال الحافظ في الكشاف: تقدم التنبيه عليه وأن مسلماً أخرجه دون ذكر المسح، وكذلك أخرجه أصحاب السنن. انتهى.

٥٠٩ - أخرجه الدارقطني في سننه (١/ ٨٣/ ١٥)، من طريق عباد بن يعقوب نا القاسم بن محمد بن عبد الله بن عقيل عن جده، عن جابر بن عبد الله قال - فذكره، ومن طريقه أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٦١١).

وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه الدارقطني من حديث جابر «أن النبي - ﷺ - كان إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه، وإسناده ضعيف». انتهى.

مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على اختلاف الرواية، وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله ﷺ وهو ما روي: أنه مسح. على ناصيته (٥٠٩ مكرر)، وقدر الناصية بربع الرأس. قرأ جماعة «وأرجلَكم» بالنصب[1]، فدل على أن الأرجل مغسولة فإن قلت: فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في

---

٥٠٩ ـ أخرجه أبو داود الطيالسي (٩٥)، الحديث (٦٩٩)، وأحمد (٤/ ٢٤٤)، ومسلم (١/ ٢٣٠): كتاب الطهارة: باب المسح على الناصية والعمامة، الحديث (٨١/ ٢٧٤)، وأبو داود (١/ ١٠٤ ـ ١٠٥): كتاب الطهارة: باب المسح على الخفّين، الحديث (١٥٠)، والترمذي (١/ ١٧٠ ـ ١٧١): كتاب الطهارة: باب ما جاء في المسح على العمامة مع الناصية، والنسائي (١/ ٧٦): كتاب الطهارة: باب المسح على العمامة مع الناصية، الحديث (١٠٠)، وابن ماجه (١/ ١٨١): كتاب الطهارة: باب ما جاء في المسح على الخفّين، الحديث (٥٤٥)، وأبو عوانة (١/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠): كتاب الطهارة: باب إباحة المسح على العمامة، وابن الجارود في المنتقى (ص:٣٧): باب المسح على الخفّين، الحديث (٨٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣٠): باب فرض مسح الرأس في الوضوء، والدارقطني (١/ ١٩٢): كتاب الطهارة: باب في جواز المسح على بعض الرأس، والبيهقي (١/ ٥٨): كتاب الطهارة: باب مسح بعض الرأس.
والحديث أصله عند البخاري (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧): كتاب الوضوء: باب المسح على الخفّين، الحديث (٢٠٣)، لكن في ذكر المسح على الخفّين فقط ليس فيه المسح على النّاصية والعمامة.
وللحديث شواهد من حديث عمرو بن أمية الضمري، وبلال، وسلمان، وثوبان، وأبي طلحة، وأنس بن مالك، وأبي ذرّ، وأبي أمامة، وصفوان بن عسّال، وأبي موسى الأشعري، وخزيمة بن ثابت، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وأبي أيوب، وجابر بن عبد الله.
أما حديث عمرو بن أمية: رواه ابن أبي شيبة (١/ ٢٣): كتاب الطهارات: باب من كان يرى المسح على العمامة، والدارمي (١/ ١٨٠): كتاب الطهارة: باب المسح على العمامة، وأحمد (٤/ ١٧٩): والبخاري (١/ ٣٠٨): كتاب الوضوء: باب المسح على الخفين، الحديث (٢٠٥)، وابن ماجه (١/ ١٨٦): كتاب الطهارة: باب ما جاء في المسح على العمامة.
وقال ابن حجر في الكشاف: أخرجه مسلم من حديث المغيرة بن شعبة في قصّة فيها «ومسح بناصيته وعلى العمامة وعلى خفّيه» وللطبراني من حديثه «أنّ النبيّ ـ ﷺ ـ توضّأ ومسح على ناصيته». انتهى.

---

(١) قال محمود: «قرأ جماعة (وأرجلكم) بالنصب... إلخ» قال أحمد: ولم يوجه الجر بما يشفي العليل. والوجه فيه أن الغسل والمسح متقاربان من حيث أن كل واحد منهما إمساس بالعضو فيسهل عطف المغسول على الممسوح من ثم، كقوله [من مجزوء الكامل]:
... ... متقلداً سيفاً ورمحاً
[ومن الرجز]:
علفتها تبناً وماءً بارداً ... ...
ونظائره كثيرة. وبهذا وجه الحذاق، ثم يقال: ما فائدة هذا التشريك بعلة التقارب؟ وهلا أسند إلى كل واحد منها الفعل الخاص به على الحقيقة؟ فائدته الإيجاز والاختصار. وتوكيد الفائدة بما ذكره الزمخشري وتحقيقه أن الأصل أن يقال مثلاً: واغسلوا أرجلكم غسلاً خفيفاً لا إسراف فيه، كما هو =

حكم المسح؟ قلت: الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها، فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح، ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صبّ الماء عليها، وقيل: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾: فجيء بالغاية إماطة لظنّ ظانّ يحسبها ممسوحة، لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنه أشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزاً، فقال: ويل للأعقاب من النار، فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلاً ويدلكونها دلكاً، وعن ابن عمر [و]: كنا مع رسول الله ﷺ فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح فقال: «ويل للأعقاب من النار» (٥١٠) وفي رواية جابر: «ويل للعراقيب» . . . .

---

٥١٠ ـ وذكر هذا الحديث عن جماعة من الصّحابة وهم:
أبو هريرة وعبد الله بن عمرو وعائشة وجابر وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي ومعيقيب وأبو ذر وخالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وأبو أمامة وأخوه.

١ ـ حديث أبي هريرة:
أخرجه البخاري (١/ ١٤٣) كتاب الوضوء: باب غسل الأعقاب حديث (١٦٥) ومسلم (١/ ٢١٤) كتاب الطهارة: باب وجوب غسل الرجلين حديث (٢٨/ ٢٤٢) وعبد الرزاق (١/ ٢١) رقم (٦٢) والنّسائي (١/ ٧٧) كتاب الطهارة: باب إيجاب غسل الرجلين والدارمي (١/ ١٧٩) كتاب الطهارة: باب ويل للأعقاب من النار وأحمد (٢/ ٢٢٨، ٢٨٤، ٤٠٦، ٤٠٩، ٤٦٧، ٤٨٢) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٧٨، ٧٩) وأبو عبيد في «كتاب الطهور» (ص ـ٣٧٥) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٣٨) كتاب الطهارة، وابن المنذر في «الأوسط» (١/ ٤٠٦) وأبو عوانة (١/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) والبيهقي (١/ ٦٩) كتاب الطهارة: باب الدليل على أن فرض الرجلين الغسل كلّهم من طريق محمد بن زياد عن أبي هريرة قال: «أسبغوا الوضوء فإن أبا القاسم قال: ويل للأعقاب من النار».
وأخرجه مسلم (١/ ٢١٤) كتاب الطهارة: باب وجوب غسل الرجلين حديث (٣٠/ ٢٤٢) والترمذي (١/ ٥٨) كتاب الطهارة: باب ما جاء في ويل للأعقاب من النار حديث (٤١) وابن ماجه (١/ ١٥٤) كتاب الطهارة: باب غسل العراقيب حديث (٤٥٣) وابن خزيمة (١/ ٨٤) رقم (١٦٢) كلّهم من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة به.
وللحديث عن أبي هريرة ألفاظ منها، «ويل للعقب من النار وويل للعراقيب من النار».
وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

٢ ـ حديث عبد الله بن عمرو:
أخرجه البخاري (١/ ١٧٣) كتاب العلم: باب من رفع صوته بالعلم حديث (٦٠)، (١/ ٢٢٨) كتاب العلم: باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم حديث (٩٦) ومسلم (١/ ٢١٤) كتاب الطهارة: باب وجوب غسل الرجلين حديث (٢٧/ ٢٤١) وأبو داود (١/ ٧٢) كتاب الطهارة: باب في إسباغ الوضوء حديث (٩٧) والنّسائي (١/ ٧٨) كتاب الطهارة باب إيجاب غسل الرجلين، وابن ماجه (١/ =

= المعتاد، فاختصرت هذا المقاصد بإشراكه الأرجل مع الممسوح، ونبه بهذا التشريك ـ الذي لا يكون إلا في الفعل الواحد أو الفعلين المتقاربين جداً. على أن الغسل المطلوب في الأرجل غسل خفيف يقارب المسح وحسن إدراجه معه تحت صيغة واحدة، وهذا تقرير كامل لهذا المقصود، والله أعلم.

. . . .

= ١٥٤) كتاب الطهارة باب غسل العراقيب حديث (٤٥٠) وأحمد (٢/ ١٩٣، ٢٠٥، ٢١١) وابن خزيمة (١/ ٨٣ ـ ٨٤) رقم (١٦١) والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٣١٣ ـ بتحقيقنا) عن عبد الله بن عمرو قال: تخلّف عنّا النبيّ ـ ﷺ ـ في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقتنا الصّلاة ونحن نتوضّأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته «ويل للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثاً لفظ البخاري.

٣ ـ حديث عائشة وله طرق:

فأخرجه ابن ماجه (١/ ١٥٤) كتاب الطهارة: باب غسل العراقيب حديث (٤٥٢) وأحمد (٦/ ١٩١ ـ ١٩٢) وابن أبي شيبة (١/ ٢٦) وعبد الرزاق (١/ ٢٣) رقم (٦٩) والحميدي (١/ ٨٧) رقم (١٦١) وأبو عوانة (١/ ٢٥١) والترمذي في «العلل الكبير» (ص ـ ٣٥) رقم (٢٢) وابن المنذر في «الأوسط» (١/ ٤٠٦) وأبو عبيد في «كتاب الطهور» (ص ـ ٣٧٦) وأبو يعلى (٧/ ٤٠٠) رقم (٤٤٢٦) وابن حبّان (١٠٥٤ ـ الإحسان) والشافعي (١/ ٢٢) كتاب الطهارة: باب في صفة الوضوء حديث (٨٢) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٣٨) كتاب الطهارة، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (١/ ١٦٧) رقم (٧٠) كلّهم من طريق سعيد بن أبي سعيد عن أبي سلمة قال: توضأ عبد الرحمن عند عائشة فقالت: «يا عبد الرحمن أسبغ الوضوء إنّي سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «ويل للأعقاب من النار».

ومن هذا الوجه صحّحه ابن حبّان.

وقال البيهقي: قال أحمد: رواه عكرمة بن عمّار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن سالم مولى المهري عن عائشة، وهو من ذلك الوجه مخرّج في كتاب مسلم.

وقال الترمذي في «العلل»: سألت محمداً عن هذا الحديث فقال: حديث أبي سلمة عن عائشة حديث حسن. ا.هـ.

فحديث عائشة من هذا الطريق حسّنه البخاري وصحّحه ابن حبّان. والطريق الذي أشار إليه أحمد.

أخرجه مسلم (١/ ٢١٣) كتاب الطهارة: باب وجوب غسل الرجلين حديث (٢٥/ ٢٤٠) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٣٨) كتاب الطهارة، وأبو عبيد في «كتاب الطهور» (ص ـ ٣٨٢)، والبيهقي (١/ ٢٣٠) من طريق عكرمة بن عمّار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن سالم مولى المهري عن عائشة بمثل الطريق الأوّل.

وقد خولف عكرمة بن عمّار في هذا الحديث.

خالفه الأوزاعي وحرب بن شدّاد وأبو معاوية النّحوي وعليّ بن المبارك وحسين المعلّم فرووه عن يحيى بن أبي كثير عن سالم مولى المهري عن عائشة دون ذكر أبي سلمة فانفرد عكرمة بن عمّار بزيادة أبي سلمة في الإسناد.

وكما هو معروف فإنّ رواية عكرمة بن عمّار عن يحيى مضطربة.

قال أحمد: عكرمة مضطرب الحديث عن يحيى بن أبي كثير.

وقال ابن المديني: أحاديث عكرمة عن يحيى بن أبي كثير مناكير ليست بذاك كان يحيى بن سعيد يضعّفها.

وقال البخاري: مضطرب في حديث يحيى بن أبي كثير.

وقال أبو داود: ثقة وفي حديثه عن يحيى بن أبي كثير فيه اضطراب. =

. . . .

= وقال النّسائي: ليس به بأس إلاّ في حديث يحيى بن أبي كثير. ينظر التهذيب (٧/ ٢٦٢).
وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٣٠): صدوق يغلط وفي حديثه عن يحيى بن أبي كثير اضطراب. ا.هـ.
ومخالفة الأوزاعي:
عند أبي عبيد في «كتاب الطهور» (ص ـ ٣٧٧) وأبو عوانة (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) وابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٥٧) رقم (١٤٨).
ومخالفة حرب بن شدّاد.
عند الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٣٨).
ومخالفة أبي معاوية النّحوي.
عند أبي عبيد في «كتاب الطهور» (ص ـ ٣٨٢) وابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٥٧ ـ ٥٨) رقم (١٤٨).
ومخالفة عليّ بن المبارك.
عند أبي عوانة (١/ ٢٣٠).
ومخالفة حسين المعلّم.
عند ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٥٧) رقم (١٤٨).
فهؤلاء الخمسة الثقات خالفوا عكرمة ابن عمّار فلم يذكروا أبا سلمة في الإسناد.
وقد رجح أبو زرعة رواية الأوزاعي وحسين المعلم كما في «العلل» لابن أبي حاتم «(١/ ٥٧ ـ ٥٨) رقم (١٤٨).
وممّا يدلّ على أنّ عكرمة بن عمّار وهم في هذه الرواية أنّ جماعة تابعوا يحيى بن أبي كثير فرووا الحديث عن سالم عن عائشة ولم يذكروا أبا سلمة.
فأخرجه مسلم (١/ ٢١٤) كتاب الطهارة: باب وجوب غسل الرجلين حديث (٢٥/ ٢٤٠) وأبو عوانة (١/ ٢٣٠) والبيهقي (١/ ٦٩) كتاب الطهارة: باب الدليل على أن فرض الرجلين الغسل، من طريق مخرمة بن بكير عن أبيه عن سالم مولى شداد قال: دخلت على عائشة زوج النبيّ ـ ﷺ ـ يوم توفي سعد بن أبي وقّاص فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر فتوضّأ عندها فقالت: «يا عبد الرحمن أسبغ الوضوء فإنّي سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: ويل للأعقاب من النار».
وأخرجه مسلم (١/ ٢١٤) كتاب الطهارة: باب وجوب غسل الرجلين حديث (٢٥/ ٢٤٠) من طريق نعيم بن عبد الله المجمر عن سالم عن عائشة وأخرجه مسلم (١/ ٢١٤) كتاب الطهارة: باب وجوب غسل الرجلين حديث (٢٥/ ٢٤٠) من طريق محمد بن عبد الرحمن عن سالم عن عائشة وأخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٣٨) من طريق أبي الأسود يتيم عروة عن سالم عن عائشة وللحديث طريق آخر عن عائشة.
أخرجه ابن ماجه (١/ ١٥٤) كتاب الطهارة: باب غسل العراقيب حديث (٤٥١) وأبو عوانة (١/ ٢٥٢) والدارقطني (١/ ٩٥) كتاب الطهارة، من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.
٤ ـ حديث جابر بن عبدالله.
أخرجه ابن ماجه (١/ ١٥٥) كتاب الطهارة: باب غسل العراقيب حديث (٤٥٤) وابن أبي شيبة (١/ ٢٦) وأحمد (٣/ ٣٦٩، ٣٩٣) وأبو داود الطيالسي (١/ ٥٣ ـ منحة) رقم (١٧٨) وأبو يعلى (٤/ =

. . . .

= ٥٢) رقم (٢٠٦٥) وفي «معجم شيوخه» (ص ـ ٧٠) رقم (١٥) وأبو عبيد في «كتاب الطهور» (ص ـ ٣٨٢، ٣٨٣) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٥١٠) وابن المنذر في «الأوسط» (١/ ٤٠٦) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٣٨) من طريق الأحوص عن أبي إسحاق عن سعيد بن أبي كريب عن جابر بِن عبد الله قال: سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول «وَيْلٌ للعراقيب مِن النار».

قال البوصيْري في «الزوائد» (١/ ١٨٢): هذا إسناد رجاله ثقات. أ. هـ. وللحديث طريق آخر عن جابر.

أخرجه الطبراني في «الصّغير» (٢/ ٧) مِن طريق الوليد بن القاسم عن الأعمشْ عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول اللّه ﷺ «وَيْلٌ للعراقيب مِن النار».

وقال الطبراني: لم يروه عن الأعمش إلاّ الوليد تفرّد به حمّاد.

٥ ـ حديث عبدُاللّه بِن الحارِث بِن جزء الزُّبيدي.

أخرجه أحمد (٤/ ١٩١) والحاكم (١/ ١٦٢) كتاب الطهارة وابن خزيمة (١/ ٨٤) رقم (١٦٣) والدارقطني (١/ ٩٥) كتاب الطهارة باب وجوب غسل القدمين والعقبين رقم (١) وأبو عبيد في «كتاب الطهور» (ص ٣٧٥ـ٣٧٦) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٣٨) كتاب الطهارة، والبيهقي (١/ ٧٠) كتاب الطهارة: باب الدليل على أنَّ فرض الرجلين الغسل وفي «معرفة السنَن والآثار» (١/ ١٦٩) رقم (٧٢) كلّهم مِن طريق حيوة بِن شريح عن عقبة بِن مسلم التجيبي عن عبداللّه بِن الحارث بِن جزء الزُّبيدي قال: سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول: «وَيْلٌ للأعقاب وبطون الأقدام مِن النار» وقال الحاكم: صحيح ولم يخرجا ذكر بطون الأقدام ووافقه الذهبي وصحّحه ابن خزيمة.

وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٤٥): رواه أحمد والطبراني في الكبير. . . ورجال أحمد والطبراني ثقات.

٦ ـ حديث معيقيب.

أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٥) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٣٥٠) رقم (٨٢٢) مِن طريق أيوب بن عتبة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن معيقيب قال: قال رسول اللّه ﷺ: «وَيْلٌ للأعقاب مِن النار».

وعلّقه الترمذي في «العلل الكبير» (ص ـ ٣٥) عن أيوب بِن عتبة به وقال الترمذي: سألتُ محمَّداً عن هذا الحديث فقال: حديث أبي سلمة عن معيقيب: ليس بشيء كان أيوب لا يُعرف صحيح حديثه من سقيمة فلا أحدث عنه وضعف أيوب بن عتبة جداً. أ. هـ.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٤٥) وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه أيوب بن عتبة والأكثر على تضعيفه أ. هـ. وأيوب بن عتبة.

ضعّفه أحمد وابن معين وابن المديني والجوزجاني ومسلم والبخاري والعجلي وأبو حاتم وغيرهم كما في التهذيب (١/ ٤٠٨ـ٤٠٩).

وقال الذهبي في «المغني» (١/ ٩٧): ضعّفوه لكثرة مناكيره.

وقال الحافظ في «التقريب» (١/ ٩٠): ضعيف.

٧ ـ حديث أبي ذر الغفاري.

أخرجه عبد الرزاق (١/ ٢٢) رقم (٦٤) مِن طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد عن رجل عن أبي ذر =

(٥١١) وعن عمر أنه رأى رجلاً يتوضأ فترك باطن قدميه، فأمره أن يعيد الوضوء، وذلك

= قال: أشرف علينا رسول اللّٰه ﷺ ونحن نتوضأ فقال «وَيْلٌ للأعقاب مِن النار» فطفقنا نغسلها غسلاً وندلُكها دلكاً.

وزاد نسبته السيوطي في «الأزهار المتناثرة» (ص ـ ٢٦) إلى سعيد بن منصور.

٨ ـ حديث خالد بن الوليد وشرحبيل وعمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان.

أخرجه ابن ماجه (١/ ١٥٥) كتاب الطهارة: باب غسل العراقيب حديث (٤٥٥) مِن طريق أبي صالح الأشعري حدَّثني أبو عبداللّٰه الأشعري عن خالد بِن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بِن حسنة وعمرو بن العاص كلّ هؤلاء سمعوا رسول اللّٰه ﷺ يقول: «أتِمُّوا الوضوء وَيْلٌ للأعقاب من النار». والحديث قال البخاري كما في «عِلَل الترمذي الكبير» (ص ـ ٣٥): وحديث أبي عبدُاللّٰه الأشعري «وَيْلٌ للأعقاب مِن النار» حديث حسن أ. هـ. وصحَّحه ابن خزيمة (٦٦٥).

وقال البوصيري في الزوائد (١/ ١٨٢): هذا إسناد حسن ما علمت في رجاله ضعفاء أ. هـ.

٩ ـ حديث أبي أمامة وأخيه.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٤٧) رقم (٨١٠٩) مِن طريق علي بن مسهر عن ليث بِن أبي سليم عن عبدالرَّحمن بن سابط عن أبي أمامة وأخيه قالا: أبصَرَ رسول اللّٰه ﷺ قوماً يتوضّئون فقال «وَيْلٌ للأعقاب مِن النار».

وأخرجه الطبراني (٨/ ٣٤٧ـ٣٤٨) رقم (٨١١٠، ٨١١١، ٨١١٢، ٨١١٤، ٨١١٥) مِن طرق عن ليث عن عبدالرَّحمن بن سابط عن أبي أمامة ـ وحده ـ به وأخرجه الدراقطني (١/ ١٠٨) كتاب الطهارة: باب ما رُوي في فضل الوضوء حديث (٤) والطبراني (٨/ ٣٤٨ـ٣٤٩) رقم (٨١١٦) مِن طريق عبدالواحد بن زياد عن ليث عن عبدالرَّحمن بن سابط عن أبي أمامة أو عن أخي أبي أمامة. . . فذكره.

وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٤٥): رواه الطبراني في «الكبير» مِن طرق ففي بعضها عن أبي أمامة وأخيه وفي بعضها عن أبي أمامة فقط وفي بعضها عن أخيه فقط. . . ومدار طرقه كلّها عن ليث بن أبي سليم وقد اختلط. أ. هـ.

وحديث «وَيْلٌ للأعقاب مِن النار» صرَّح السيوطي بتواتره في «الأزهار المتناثرة» (ص ـ ٢٦) رقم (١٦) وتبعه الشيخ أبو الفيض الكتاني (ص ـ ٦٨، ٦٩) وقال: ومِمَّن صرَّح بأنَّه متواتر الشيخ عبد الرؤوف المناوي في «شرح الجامع الصغير، وشارح كتاب مسلم الثبوت في الأصول. أ. هـ.

وقال الحافظ في الكشاف:

متَّفق عليه مِن طريق يوسف بن ماهك عن عبداللّٰه بن عمرو قال «خلف رسول اللّٰه ﷺ عنا في سفرة فأدركنا ـ فذكره ـ وفيه: وأعقابهم تلوح» ولمسلم «رجعنا مع النبيّ ﷺ مِن مكة إلى المدينة ولأبي نعيم في المستخرج: وأعقابهم بيض تلوح (تنبيه) لم أره مِن حديث ابن عمر، وكأنَّه تحرف على صاحبه الكتاب، أو بعض مَن أخذه عنه. انتهى.

٥١١ ـ ينظر الحديث السابق، وقال الحافظ في الكشاف:

أخرجه ابن ماجه وأحمد وابن أبي شيبة وإسحاق وأبو يعلى مِن رواية أبي إسحاق عن سعيد بِن أبي كريب عن جابر وهي عند مسلم مِن حديث أبي هريرة. وللنسائي من حديث عبداللّٰه بن عمرو المذكور ولأبي يعلى مِن حديث عائشة. ولسعيد بِن منصور من حديث أبي ذر رضيَ اللّٰه عنه. انتهى.

للتغليظ عليه (٥١٢)، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ لأن تقطعا أحب إليّ من أن أمسح على القدمين بغير خفين (٥١٣)، وعن عطاء: والله ما علمت أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ مسح على القدمين (٥١٤)، وقد ذهب بعض الناس إلى ظاهر العطف فأوجب المسح، وعن الحسن: أنه جمع بين الأمرين، وعن الشعبي: نزل القرآن بالمسح والغسل سنة (٥١٥)، وقرأ الحسن: «وأرجلُكم»، بالرفع بمعنى وأرجلكم مغسولة أو ممسوحة إلى

---

٥١٢ ـ أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٤٥/ ٤٤٧) وعبد الرزاق في المصنّف (١/ ٣٦، ٣٧/ ١١٨) كلاهما، مِن رواية أبي قلابة، أنَّ عمر بن الخطاب رأى رجلاً...
ولكن فيه انقطاع: فإنَّ أبا قلابة وهو عبدُاللَّه بن زيد ـ لم يدرِك عمر بن الخطاب ـ راجع تهذيب الكمال (١٤/ ٥٤٣/ ٣٢٨٣) وابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٤٦٧/ ١١٤٥٨) وأخرجه البيهقي في السُّنَن الكبرى (١/ ٨٤) ـ كتاب الطهارة ـ باب تفريق الوضوء ـ موصولاً مِن طريق سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: رأى عمر بن الخطاب...
قلت: وفي الباب حديث مرفوع.
رواه أبو داود في السُّنَن (١/ ٤٥) ـ كتاب الطهارة ـ باب تفريق الوضوء (١٧٥) ـ قال: ثنا حيوة بن شويح، ثنا بقية، عن بحير هو ابن سعد ـ عن خالد، عن بعض أصحاب النبي: أنَّ النبي ﷺ، ونقل الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٣٨٧/ ٤٠٣) عن أبي داود أنَّه قال في الحديث السّابق، وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق مِن رواية أبي قلابة «أنَّ عمر رأى رجلاً يتوضّأ فبقي في رجله قدر ظفر. فقال: أَعِد ـ الوضوء» وهو منقطع. ورواه البيهقي موصولاً مِن طريق الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر «أنَّ عمر رأى رجلاً» فذكره بلفظ «لمعة» وقد رُوي مرفوعاً. أخرجه أحمد وأبو داود مِن رواية خالد بن معدان عن بعض الصّحابة «أنَّ النبيّ ﷺ رأى رجلاً وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره أن يعيد الوضوء والصّلاة. وقال الأثرم عن أحمد: إسناده جيد. وقال أبو داود: هو مرسل. وتعقّبه ابن دقيق العيد بأنَّ عدم ذكر اسم الصّحابي حدثه. وهو موصوف بكثرة الإرسال (تنبيه) قوله «تغليظاً عليه» مِن كلام صاحب الكشاف. وفيه نظر، لاحتمال أن يكون المراد بقوله «أعد الوضوء» أي اغسل رجليك من إطلاق الكل وإرادة البعض، وأما الذي في المرفوع فيحتمل أن يكون الأمر المذكور بعد أن أحدث الرجل. انتهى.

٥١٣ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف (١/ ١٦٩/ ١٩٤٤) ـ قال حدّثنا هشيم قال أنا يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت...
وله إسناد آخر عنده مِن طريق شعبة عن أبي بكر بن حفص قال: سمعْتُ عروة بن الزبير عن عائشة قالت:
وعبد الرزاق في المصنّف (١/ ٢٢١/ ٨٦٠) ـ عن ابن جريج قال: أخبرني أبو بكر بن حفص...
وابن الجوزي في العِلَل المتناهية (٢/ ٩٤٧/ ١٥٧٩) مِن طريق محمد بن مهاجر البغدادي...
وقال: هذا حديث موضوع وضعه محمد بن مهاجر. وقال الحافظ ابن حجر في الكشاف: أخرجه ابن الجوزي في العِلَل المتناهية مِن رواية القاسم عنها دون قوله «بغير خفين» وفي إسناده محمد بن المهاجر البغدادي وادّعى ابن الجوزي أنه وضعه. انتهى.

٥١٤ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

٥١٥ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف (١/ ٢٦/ ١٨٤، ١٨٥) ـ بلفظ «نزل جبريل بالمسح على القدمين»، وعبد الرزاق في المصنّف (١/ ١٩/ ٥٦).

الكعبين، وقرىء: «فاطهروا» أي: فطهروا أبدانكم، وكذلك «ليطهركم»، وفي قراءة عبد الله: «فأموا صعيداً»، ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾: في باب الطهارة، حتى لا يرخص لكم في التيمم، ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾: وليتمّ برخصه إنعامه عليكم بعزائمه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته فيثيبكم.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: وهي نعمة الإسلام، ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾: أي: عاقدكم به عقداً وثيقاً هو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا: سمعنا وأطعنا، وقيل: هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان (٥١٦).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾:

عدّى ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ بحرف الاستعلاء مضمناً معنى فعل يتعدّى به، كأنه قيل: ولا يحملنكم، ويجوز أن يكون قوله: ﴿أَن تَعْتَدُوا۟﴾ بمعنى على أن تعتدوا، فحذف مع «أن» ونحوه قوله عليه الصلاة والسلام: «من أُتبع على مليء فليتبع» (٥١٧) لأنه بمعنى أحيل،

---

٥١٦ قلت: هذا الكلام يشير إلى معنى حديث عبادة بن الصّامت قال «بايعنا رسول الله ـ ﷺ ـ . . .
أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٤٤٥) ـ باب الترغيب في الجهاد ـ والبخاري (١٣/ ١٩٢) ـ كتاب الأحكام: باب كيف يبايع الإمام الناس (٧١٩٩ـ٧٢٠٠)، ومسلم (٣/ ١٤٧٠) ـ كتاب الإمارة ـ باب وجوب طاعة الأمراء (٤١/ ١٧٠٩).

٥١٧ ـ أخرجه مالك (٢/ ٦٧٤) كتاب البيوع: باب جامع الدّين والحول حديث (٨٤) والبخاري (٤/ ٤٦٤) كتاب الحوالة) باب هل يرجع في الحوالة حديث (٢٢٨٧) ومسلم (٣/ ١١٩٧) كتاب المساقاة: باب تحريم مطل الغني الحديث (٣٣/ ١٥٦٤) وأبو داود (٣/ ٦٤٠) كتاب البيوع: باب في المطل حديث (٣٣٤٥) والنسائي (٧/ ٣١٧) كتاب البيوع: باب الحوالة والترمذي (٣/ ٦٠٠) كتاب البيوع: باب مطل الغني ظلم حديث (١٣٠٨) وابن ماجه (٢/ ٨٠٣) كتاب الصّدقات: باب الحوالة حديث (٢٤٠٣) والشافعي في «الأم» (٣/ ٢٣٣) كتاب الحوالة وأحمد (٢/ ٢٤٥) والدارمي (٢/ ٢٦١) =

وقرىء: «شَنْآن» بالسكون، ونظيره في المصادر (ليان) والمعنى: لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتتشفوا بما[1] في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد

= كتاب البيوع: باب في مطل الغني ظلم، والحميدي (٢/ ٤٤٧) رقم (١٠٣٢) وأبو يعلى (١١/ ١٧٢ـ١٧٣) رقم (٦٢٨٣) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤/ ٨) والبيهقي (٦/ ٧٠) كتاب الحوالة: باب من أحيل على مليء فليتبع، كلهم مِن طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم وإذا أحيل أحدكم على مليء فليتبع».

وأخرجه البخاري (٥/ ٧٥) كتاب الاستقراض: باب مطل الغني ظلم حديث (٢٤٠٠) ومسلم (٣/ ١١٩٧) كتاب المساقاة: باب تحريم مطل الغني وأحمد (٢/ ٣١٥) وعبد الرزّاق (٨/ ٣١٦) رقم (١٥٣٥٥) والبيهقي (٦/ ٧٠) كتاب الحوالة: باب من أحيل على مليء فليتبع، كلّهم مِن طريق معمر عن همّام بن منبّه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم» لفظ البخاري هكذا مختصراً.

وأخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٣١) مِن طريق أبي قرة موسى بن طارق عن ابن جريج عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم».

وقال الطبراني: لم يروه عن صالح إلاّ ابن جريج تفرّد به أبو قرة. قال السّهمي في «سؤالاته للدارقطني» (٤٠٢): سألت أبا الحسن الدارقطني، قلت: أبو قرة موسى بن طارق لا يقول أخبرنا أبداً يقول: ذكر فلان. إيش العلّة فيه فقال: هو سماع له كلّه وقد كان أصاب كتبه آفة فتورّع فيه فكان يقول: ذكر فلان أ. هـ.

وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٩٤) مِن طريق علي بن مسهر عن عاصم الأحول عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم».

وفي الباب عن ابن عمر

أخرجه الترمذي (٢/ ٦٠٠ـ٦٠١) كتاب البيوع: باب ما جاء في مطل الغني أنّه ظلم حديث (١٣٠٩) وابن ماجه (٢/ ٨٠٣) كتاب الصّدقات: باب الحوالة حديث (٢٤٠٤) وأحمد (٢/ ٧١) مِن طريق هشيم ثنايُونس بن عبيد عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم وإذا أحلت على مليء فاتبعه ولا تبع بيعتين في واحدة».

والحديث ذكره الحافظ البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٢٤٢) مع أنّه ليس على شرطه فقد أخرجه الترمذي أيضاً ولم ينفرد به ابن ماجه.

فقال: هذا إسناد رجاله ثقات غير أنّه منقطع، قال أحمد بن حنبل: لم يسمع يونس بن عبيد مِن نافع شيئاً إنما سمع مِن ابن نافع عن أبيه، وقال ابن معين وأبو حاتم: لم يسمع مِن نافع شيئاً.

وقال الحافظ بن حجر في الكشاف:

متّفق عليه مِن حديث الأعرج عن أبي هريرة بلفظ «وإذا أتبع أحدكم على مليئ فليتبع» وفي رواية لأحمد «وإذا أحيل أحدكم على مليئ فليحتل» وبهذا اللفظ أخرجه البزّار مِن حديث ابن عمر رضيَ اللّه عنه. انتهى.

---

(١) قوله: «وتتشفوا بما في قلوبكم» لعله مما. (ع)

أو ما أشبه ذلك، ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ نهاهم أولاً أن تحملهم البغضاء على ترك العدل، ثم استأنف فصرّح لهم بالأمر بالعدل تأكيداً وتشديداً، ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله: ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: أي العدل أقرب إلى التقوى، وأدخل في مناسبتها. أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفاً فيها، وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة، فما الظنّ بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه؟، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله، كأنه قال: قدّم لهم وعداً فقيل: أي شيء وعده لهم؟ فقيل: لهم مغفرة وأجر عظيم. أو يكون على إرادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة. أو على إجراء «وعد» مجرى قال: لأنه ضرب من القول. أو يجعل «وعد» واقعاً على الجملة التي هي لهم مغفرة، كما وقع ﴿تَرَكْنَا﴾ على قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ **[الصافات: ٧٩]** كأنه قيل: وعدهم هذا القول وإذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول، فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والأجر العظيم، وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة، فيسرون به ويستروحون إليه ويهوّن عليهم السكرات والأهوال قبل الوصول إلى الثواب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

روي: أن المشركين رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه قاموا إلى صلاة الظهر يصلون معاً، وذلك بـ «عسفان» في غزوة ذي أنمار. فلما صلوا ندموا ألاّ كانوا أكبوا عليهم، فقالوا: إنّ لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم، يعنون صلاة العصر وهموا بأن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها. فنزل جبريل بصلاة الخوف (٥١٨)، وروي: أن رسول الله ﷺ أتى

---

٥١٨ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٢٥٧/ ١٠٣٧٨)
والحديث أصله في صحيح مسلم (٣/ ٣٨٧، ٣٨٨) ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب صلاة الخوف (٥٧) (٣٠٨) مِن طريق أبي الزبير عن جابر قال: غزونا مع رسول الله ﷺ والنّسائي (٣/ ١٧٤) ـ كتاب صلاة الخوف ـ حديث رقم (١٥٤٤) مِن طريق عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة نحوه. وقال الحافظ في الكشاف:
أخرجه الطبري مِن رواية النّضر بن عمر عن عكرمة عن ابن عباس بتغير فيه، ولفظه قال «خرج رسول الله ﷺ في غزاة. فلقي المشركين بـ «عسقلان»، فلما صلّى الظهر فرأوه يركع ويسجد قال بعضهم لبعض: كان فرصة لكم لو أغرتم عليهم ما علوا بكم قال قائل منهم: فإنّ لهم صلاة أخرى، والباقي نحوه. وأصله في مسلم مِن رواية أبي الزبير عن جابر «غزونا مع النبيّ ﷺ قوماً مِن جهينة: قاتلونا قتالاً شديداً فلما صلّينا الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم لاقتطعناهم فقالوا: إنهم سيأتيهم صلاة هي أحبّ إليهم مِن الأولى فأخبر جبريل النبيّ ﷺ، وذكر ذلك لنا رسول الله ﷺ. =

بني قريظة ومعه الشيخان وعليّ ـ رضي الله عنهم ـ يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين. فقالوا: نعم يا أبا القاسم، اجلس حتى نطعمك ونقرضك، فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به، وعمد عمرو بن جحاش إلى رحا عظيمة يطرحها عليه، فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره، فخرج (٥١٩)، وقيل: نزل منزلاً وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها، فعلق رسول الله ﷺ سلاحه بشجرة، فجاء أعرابي فسلّ سيف رسول الله ﷺ ثم أقبل عليه فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله، قالها ثلاثاً، فشام الأعرابي السيف[1] فصاح رسول الله ﷺ بأصحابه فأخبرهم، وأبى أن يعاقبه (٥٢٠). يقال: بسط إليه لسانه إذا شتمه، وبسط إليه يده إذا بطش به ﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ

= فلما حضرت العصر صففنا صفين ـ الحديث» وللترمذي والنّسائي مِن طريق عبد اللّه بن شقيق عن أبي هريرة نحوه. انتهى.

٥١٩ ـ أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/٣٣٨، ٣٤٠) ـ باب غزوة بئر معونة وذكره ابن هشام في غزوة بني النّضير (٣/١٧٠/١٣٠٨).

وأبو نعيم في دلائل النبوّة (ص ٣٦٩) ـ باب المغازي ـ مِن طريق سليمان بن أحمد ثنا ابن سهل عن عبد الغني بن سعيد ثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل عن الضّحاك عن ابن عباس... وقال الحافظ في الكشاف:

أخرجه ابن إسحاق في المغازي ومِن طريقه البيهقي وأبو نعيم في الدلائل. قال: حدّثني والدي إسحاق بن يسار بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبداللّه بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما مِن أهل العلم قالوا: قدم أبو براد عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب على رسول اللّه ﷺ ـ فذكره مطوّلاً ـ وفيه قال «ثم خرج رسول اللّه ﷺ إلى بني النّضير يستعينهم في القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري فيما حدّثني يزيد بن رومان قال: كان بين بني النّضير وبني عامر عقد وحلف. فلمّا أتاهم رسول اللّه ﷺ يستعينهم قالوا: نعم، اجلس يا أبا القاسم فجلس إلى جانب جدار مِن بيوتهم ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا. من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله بها فيريحنا منه؟ فانتدبَ لذلك منهم عمرو بن جحاش بن كعب، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ـ ورسول اللّه ﷺ في نفر مِن أصحابه منهم أبو بكر وعمر وعلي، فأتاه جبريل مِن السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، ثم أمر بحربهم والمسير إليهم. فسار الناس، (تنبيه) في كلام صاحب الكشاف «أنهما كانا مسلمين» ولم أجد ذلك في شيء. مِن طرقه بل صرّح موسى بن عقبة في المغازي أنهما كانا كافرين، وكان لهما عهد وفي الدلائل لأبي نعيم مِن حديث ابن عباس: فلقى عمرو بن أمية رجلين مِن بني كلاب معهما أمان ولم يعلم به فقتلهما». انتهى.

٥٢٠ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٦/١٩٤) ـ كتاب الجهاد والسير (٥٦) ـ باب من علق سيفه بالشجر في السّفر عند القائلة (٨٤) (٢٩١٠).

---

(١) قوله «فشام الأعرابي السيف» في الصحاح. شمت السيف أغمدته. وشمته: سللته وهو من الأضداد. (ع)

وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الممتحنة: ٢] ومعنى (بسط اليد) مدّها إلى المبطوش به. ألا ترى إلى قولهم: فلان بسيط الباع، ومديد الباع، بمعنى، ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾: فمنعها أن تمدّ إليكم.

﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة، وقال لهم: إني كتبتها لكم داراً قراراً، فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها، وإني ناصركم، وأمر موسى ـ عليه السلام ـ بأن يأخذ من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم، فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل، وتكفل لهم به النقباء وسار بهم، فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون، فرأوا أجراماً عظيمة وقوّة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدّثوا قومهم وقد نهاهم موسى ـ عليه السلام ـ أن يحدثوهم، فنكثوا الميثاق، إلا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا، ويوشع بن نون من سبط أفرائيم بن يوسف، وكانا من النقباء، والنقيب: الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها، كما قيل له: عريف، لأنه يتعرفها، ﴿إِنِّى مَعَكُمْ﴾ أي: ناصركم ومعينكم، ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: نصرتموهم من أيدي العدوّ، ومنه التعزير، وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد، وقرىء بالتخفيف يقال: عزرت الرجل إذا حطته وكنفته، والتعزير والتأزير من واد واحد، ومنه: لأنصرنك نصراً مؤزراً، أي: قوياً، وقيل معناه: ولقد أخذنا ميثاقهم بالإيمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكاً يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، واللام في: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ﴾ موطئة للقسم

= ومسلم في الصّحيح (٤٩١٨ ــ نووى) ـ كتاب الفضائل (٤٣) ـ باب توكله على اللّه تعالى، (٤) (١٣)/ ٨٤٣. وقال الحافظ في الكشاف: متّفق عليه مِن رواية أبي سلمة عن جابر نحوه، وللبخاري مِن وجه آخر. انتهى.

وفي: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ جواب له، وهذا الجواب سادّ مسدّ جواب القسم والشرط جميعاً، ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم. فإن قلت: من كفر قبل ذلك أيضاً فقد ضلّ سواء السبيل. قلت: أجل، ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم، لأنّ الكفر إنما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة، فإذازادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى، ﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾: طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا، وقيل: مسخناهم، وقيل: ضربنا عليهم الجزية، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾: خذلناهم ومنعناهم الألطاف حتى قست قلوبهم. أو أملينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست، وقرأ عبد الله: «قسيَّة»، أي: ردية مغشوشة، من قولهم: درهم قسيّ وهو من القسوة؛ لأن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة، والقاسي والقاسح ـ بالحاء ـ أخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرىء: «قِسية»، بكسر القاف للإتباع، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ بيان لقسوة قلوبهم؛ لأنه لا قسوة أشدّ من الافتراء على الله وتغيير وحيه، ﴿وَنَسُواْ حَظًّا﴾: وتركوا نصيباً جزيلاً وقسطاً وافياً، ﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾: من التوراة، يعني أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظ عظيم، أو قست قلوبهم وفسدت فحرّفوا التوراة وزالت أشياء منها عن حفظهم، وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية (٥٢١)، وتلا هذه الآية، وقيل: تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته، ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ﴾ أي: هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وأن يسموك، ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾: على خيانة، أو على فعلة ذات خيانة، أو على نفس، أو فرقة خائنة، ويقال: رجل خائنة، كقولهم: رجل راوية للشعر للمبالغة، قال [من الكامل]:

حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ ... لِلْغَدْرِ خَائِنَةً مُغِلَّ الإِصْبَعِ[1]

---

٥٢١ ـ أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٤٨/أثر رقم ٨٣) قال: أخبرنا عبد الرحمن المسعودي عن القاسم عن عبد اللّه. قال: «إنّي لأحسب الرجل ينسى العلم يعلمه بالخطيئة يعملها».
والدارمي في سننه (١/١٠٥) ـ باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير اللّه.
والطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد للهيثمي (١/٢٠٤) ـ باب نسيان العلم ـ وقال: رجاله موثقون إلا أنّ القاسم لم يسمع مِن جده.
وأبو نعيم في الحلية مِن طريق بكار بن بكر. . . (١/١٣١).
وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن المبارك في الزهد. قال: أخبرنا عبد الرحمن المسعودي عن القاسم عن عبداللّه قال «إني لأحسب الرجل ينسى العلم يعلمه بالخطيئة يعملها» وهذا منقطع وكذا أخرجه الدارمي والطبراني. انتهى.

---

(١) أقرين إنك لو رأيت فوارسي ... بعمايتين إلى جوانب صلفع =

وقرىء: «على خيانة»، ﴿مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين آمنوا منهم، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: بعث على مخالفتهم، وقيل هو منسوخ بآية السيف، وقيل: فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤)﴾:

﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾: أخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى، أي: مثل ميثاقهم بالإيمان بالله والرسل وبأفعال الخير، وأخذنا من النصارى ميثاق أنفسهم بذلك. فإن قلت: فهلا قيل: من النصارى؟[1] قلت: لأنهم إنما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله، وهم الذين قالوا لعيسى: نحن أنصار الله، ثم اختلفوا بعد: نسطورية، ويعقوبية، وملكانية. أنصاراً للشيطان[2]، ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: فألصقنا وألزمنا من غري بالشيء إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره، ومنه الغراء الذي يلصق به، ﴿بَيْنَهُمُ﴾: بين فرق النصارى المختلفين، وقيل: بينهم وبين اليهود، ونحوه ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ **[الأنعام: ١٢٩]**، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ **[الأنعام: ٦٩]**.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ

= حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن ... للغدر خائنة مغل الإصبع

للكلابي، يخاطب ضيفاً نزل عنده فطمع في جاريته. والهمزة للنداء و «عمايتين» اسم جبلين. و «صلفع» اسم موضع. أي يا قرين لو رأيت فوارسي بهذين الجبلين ممتدين إلى جوانب صلفع، لحدثت نفسك بوفاء العهد خوفاً مني كما هو الواجب عليك، ولم تكن لأجل العدو. أو ولم تكن مجعولاً للغدر خائنة، على أنه خبر بعد خبر، أي كثير الخيانة، فالتاء للمبالغة كـ «راوية». ولعله كان قد أشار للجارية بأصبعه، فسمى الإشارة به للخيانة إضلالاً له: ويروى مغل الأصبع بالغين وغل وأغل إذا سرق شيئاً تافهاً، كأنه جعل أصبعه غالاً، أي سارقاً، للإشارة به.

ينظر: اللسان (صبع)، والطبري (١/ ١٣٢)، وإصلاح المنطق (٢٩٥)، الدر المصون (٢/ ٥٠١).

(١) قال محمود: «فإن قلت: فهلا قيل من النصارى... إلخ» قال أحمد: وبقيت نكتة في تخصيص هذا الموضع بإسناد النصرانية إلى دعواهم ولم يتفق ذلك في غيره. ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ فالوجه في ذلك والله أعلم أنه لما كان المقصود في هذه الآية ذمهم بنقض الميثاق المأخوذ عليهم في نصرة الله تعالى، ناسب ذلك أن يصدر الكلام بما يدل على أنهم لم ينصروا الله ولم يفوا بما واثقوا عليه من النصرة، وما كان حاصل أمرهم إلا التفوه بدعوى النصرة وقولها دون فعلها، والله أعلم.

(٢) قوله «وملكانية أنصاراً للشيطان» في الخازن فرقة رابعة وهي المرقوسية اهـ. (ع)

مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: خطاب لليهود والنصارى، ﴿مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ﴾: من نحو صفة رسول الله ﷺ، ومن نحو الرجم، ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾: مما تخفونه لا يبينه إذا لم تضطر إليه مصلحة دينية، ولم يكن فيه فائدة إلا اقتضاء حكم وصفته[1] مما لا بدّ من بيانه، وكذلك الرجم وما فيه إحياء شريعة وإماتة بدعة، وعن الحسن: ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾: يريد القرآن، لكشفه ظلمات الشرك والشك، ولإبانته ما كان خافياً عن الناس من الحق. أو لأنّه ظاهر الإعجاز، ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾: من آمن به، ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾:

قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ﴾: معناه بتّ القول، على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير. قيل: كان في النصارى قوم يقولون ذلك، وقيل: ما صرّحوا به ولكن مذهبهم يؤدي إليه، حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم، ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئاً، ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ﴾: من دعوه إلٰهاً من المسيح وأمّه دلالة على أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد، وأراد بعطف ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ على «المسيح..... وأمّه» أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى من غير ذكر كما خلق عيسى[2]، ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم. أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له، وكإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وغير ذلك. فيجب أن ينسب إليه ولا ينسب إلى البشر المجرى على يده.

---

(١) قوله «إلا اقتضاء حكم وصفته» لعل هنا سقطاً أو تحريفاً أوجب خفاء المعنى فليحرر. (ع)

(٢) قوله «كما خلق عيسى» في النسفي: ويخلق من ذكر من غير أنثى، كما خلق حواء من آدم. (ع)

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾:

﴿أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ﴾: أشياع ابني الله عزير والمسيح[1]، كما قيل لأشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير (الخبيبون) وكما كان يقول رهط مسيلمة: نحن أنبياء الله، ويقول أقرباء الملك وذووه وحشمه: نحن الملوك، ولذلك قال مؤمن آل فرعون: لكم الملك اليوم.، ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ فإن صحّ أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار أياماً معدودات على زعمكم، ولو كنتم أبناء الله، لكنتم من جنس الأب، غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب، ولو كنتم أحباءهُ، لما عصيتموه ولما عاقبكم ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ﴾ من جملة من خلق من البشر، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وهم أهل الطاعة، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ وهم العصاة[2].

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾:

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ إما أن يقدّر المبين وهو الدين والشرائع، وحذفه لظهور ما ورد الرسول لتبيينه. أو يقدّر ما كنتم تخفون، وحذفه لتقدّم ذكره. أو لا يقدر ويكون المعنى: يبذل لكم البيان، ومحله النصب على الحال، أي: مبيناً لكم.، ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ متعلق بـ «جاءكم»، أي: جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحي، ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾: كراهة أن تقولوا، ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ متعلق بمحذوف، أي: لا تعتذروا فقد جاءكم، وقيل: كان بين عيسى ومحمد ـ صلوات الله عليهما ـ خمسمائة وستون سنة، وقيل: ستمائة، وقيل: أربعمائة ونيف وستون، وعن الكلبي: كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف

---

(١) قال محمود: «معنى قولهم أبناء الله أشياع ابني الله عزير. . . إلخ» قال أحمد: ومنه قول الملائكة لأنهم خواص عباد الله ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ فأضافوا التقدير إليهم، وفي الحقيقة المقدر الله «وكذلك قول الدابة ـ لأنها من خواص آيات الله ـ: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ فيمن جعله من قول الدابة، والله أعلم.

(٢) قال محمود: «يعني أهل الطاعة ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ قال: يعني العصاة» قال أحمد رحمه الله: بل مشيئة الله تعالى تسع التائب المنيب، والعاصي المصر إذا كان موحداً. والزمخشري أخرج هذا التفسير على قاعدته المتكررة في غير ما موضع، وهي القطع بوعيد العصاة المصرين الموحدين، وأن المغفرة لهم محال.

نبي وبين عيسى ومحمد ـ صلوات الله عليهم ـ أربعة أنبياء. ثلاث من بني إسرائيل، وواحد من العرب: خالد بن سنان العبسي، والمعنى: الامتنان عليهم، وأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي أحوج ما يكون إليه، ليهشّوا إليه ويعدّوه أعظم نعمة من الله، وفتح باب إلى الرحمة، وتلزمهم الحجة فلا يعتلّوا غداً بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم عن غفلتهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾:

﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾: لأنه لم يبعث في أمّة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء[1]، ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾: لأنه ملكهم بعد فرعون ملكه، وبعد الجبابرة ملكهم، ولأنّ الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء، وقيل: كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله، فسمّي إنقاذهم ملكاً، وقيل: الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار، وقيل: من له بيت وخدم، وقيل: من له مال لا يحتاج معه إلى تكلّف الأعمال وتحمل المشاق، ﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ

---

(١) قال محمود: «لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء... إلخ» قال أحمد: والحامل على تفسير الملك بهذه التفاسير أن الله تعالى أنبأ في ظاهر الكلام أنه جعل الجميع ملوكاً بقوله ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ ولم يقل ﴿جَعَلَ فِيكُم مُّلُوكًا﴾ كما قال ﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ فلما عمم الملك فيهم، ولا شك أن الملك ـ المعهود هو الاستيلاء العام ـ لم يثبت لكل أحد منهم، فيتعين حمل الملك على ما كان ثابتاً لجميعهم أو لأكثرهم من الأبعاض المذكورة. هذا هو الباعث على تفسير الملك بذلك، والله أعلم. وهذا المعنى وإن لم يثبت لكل واحد منهم إلا أنه كان ثابتاً لملوكهم وهم منهم، إذ إسرائيل الأب الأقرب يجمعهم، فلما كانت ملوكهم منهم وهم أقرباؤهم وأشياعهم وملتبسون بهم، جاز الامتنان عليهم بهذه الصنيعة، والمعنى مفهوم. وهذا بعينه هو التقرير السالف آنفاً في قول اليهود والنصارى ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ وما بالعهد من قدم. فإن قلت: فلم لم يقل إذ جعلكم أنبياء لأن الأنبياء منهم كما قلت في الملوك؟ قلت: النبوة مزية غير الملك. وآحاد الناس يشارك لذلك في كثير مما به صار الملك ملكاً، ولا كذلك النبوة فإن درجتها أرفع من أن يشرك من لم يثبت له مع الثابتة نبوته في مزيتها وخصوصيتها ونعتها، فهذا هو سر تمييز الأنبياء وتعميم الملوك، والله أعلم.

﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ من فلق البحر، وإغراق العدوّ، وتظليل الغمام، وإنزال المنّ والسلوى، وغير ذلك من الأمور العظام، وقيل: أراد عالمي زمانهم، ﴿ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾: يعني أرض بيت المقدس، وقيل: الطور وما حوله، وقيل: الشام، وقيل: فلسطين ودمشق وبعض الأردن، وقيل: سمّاها الله لإبراهيم ميراثاً لولده حين رفع على الجبل، فقيل له: انظر، فلك ما أدرك بصرك، وكان بيت المقدس قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾: قسمها لكم وسماها، أو خط في اللوح المحفوظ أنها لكم، ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ﴾: ولا تنكصوا على أعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبناً وهلعاً، وقيل: لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا: ليتنا متنا بمصر، وقالوا: تعالوا نجعل علينا رأساً ينصرف بنا إلى مصر، ويجوز أن يراد: لا ترتدوا على أدباركم في دينكم بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم نبيكم ـ فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة. الجبار (فعال) من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد، ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾: هما كالب ويوشع، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: من الذين يخافون الله ويخشونه، كأنه قيل: رجلان من المتقين، ويجوز أن تكون الواو لـ «بني إسرائيل» والراجع إلى الموصول محذوف تقديره: من الذين يخافهم بنو إسرائيل وهم الجبارون، وهما رجلان منهم، ﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا﴾: بالإيمان فآمنا، قالا لهم: إن العمالقة أجسام لا قلوب فيها، فلا تخافوهم وازحفوا إليهم فإنكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم، وقراءة من قرأ: «يخافون» بالضم شاهدة له، وكذلك أنعم الله عليهما، كأنه قيل: من المخوفين، وقيل: هو من الإخافة، ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة. أو يخوّفهم وعيد الله بالعقاب. فإن قلت: ما محل (أنعم الله عليهما)؟ قلت: إن انتظم مع قوله: (من الذين يخافون) في حكم الوصف لـ «رجلان» فمرفوع، وإن جعل كلاماً معترضاً فلا محلّ له. فإن قلت: من أين علما أنهم غالبون؟ قلت: منْ جهة إخبار موسى بذلك، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ وقيل: من جهة غلبة الظن وما تبينا من عادة الله في نصرة رسله، وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر أعدائه، وما عرفا من حال الجبابرة، والباب: باب قريتهم، ﴿لَن نَّدۡخُلَهَا﴾ نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس، و﴿أَبَدٗا﴾: تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول، و﴿مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ بيان للأبد، ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ يحتمل ألاّ يقصدوا حقيقة الذهاب[1]، ولكن كما تقول: كلمته فذهب يجيبني، تريد معنى

---

(١) قال محمود: «ويحتمل ألا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن... إلخ» قال أحمد رحمه الله: يريد الزمخشري سألوا رؤية الله جهرة وهي محال عقلاً تعنتاً منهم. وقد مر له ذلك، وبينا أن تلبسهم بذلك لعدم فهم الإيمان به على التعيين اقتراحاً وتقاعساً عن الحق في قوله ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾.

الإرادة والقصد للجواب، كأنهم قالوا: أريد قتالهم، والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء، وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله عزّ وجلّ جهرة، والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم. ويحكى أنّ موسى وهارون عليهما السلام خرّا لوجوههما قدّامهم لشدة ما ورد عليهما، فهموا برجمهما، ولأمر مّا قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

لما عصوه وتمرّدوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به إلا هارون، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ﴾: لنصرة دينك[١]، ﴿إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ﴾: وهذا من البث والحزن والشكوى إلى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب ـ عليه السلام ـ ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة إلىٰ قتال البغاة، فما أجابه إلا رجلان فتنفس الصعداء[٢]، ودعا لهما وقال: أين تقعان مما أريد؟ وذكر في إعراب (أخي) وجوه: أن يكون منصوباً عطفاً على نفسي أو على الضمير في (إني) بمعنى: ولا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه، ومرفوعا عطفاً على محل «إن» واسمها. كأنه قيل: أنا لا أملك إلا نفسي[٣]، وهارون كذلك لا يملك إلا نفسه أو على الضمير في (لا أملك)، وجاز للفصل، ومجروراً عطفاً على الضمير في (نفسي)،

---

(١) عاد كلامه. قال محمود: «قال رب إني لا أملك لنصرة دينك إلا نفسي... إلخ» قال أحمد: وفي قول موسى عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء لنبينا عليه الصلاة والسلام: إني جربت بني إسرائيل وخبرتهم، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك. وتكريره هذا القول مراراً مصداق لما ذكره الزمخشري. وأما إن كان المراد بالرجلين غير يوشع وكالب ـ وكانا من العماليق الذين خافهم بنو إسرائيل ـ ويكون معنى يخافون أي يخافهم بنو إسرائيل ـ فالضمير على هذا يرجع إلى بني إسرائيل، والعائد محذوف وهو المفعول. فعلى هذا لا شك أن هذين الرجلين ليسا من بني إسرائيل المكتوب عليهم قتال العمالقة. وإنما عنى موسى عليه السلام: إني لا أملك من بني إسرائيل المفروض عليهم القتال أمر أحد إلا نفسي وأخي، والله أعلم.

(٢) قوله «فتنفس الصعداء» في الصحاح: الصعداء بالضم والمد تنفس ممدود اهـ. (ع)

(٣) قوله «بمعنى لا أملك إلا نفسي» لعله بمعنى إني لا أملك. وعبارة النسفي. أي إني لا أملك... إلخ. (ع)

وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور[1] إلا بتكرير الجار[2]. فإن قلت: أما كان معه الرجلان المذكوران؟ قلت: كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما، لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم وقسوة قلوبهم، فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره، ويجوز أن يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلاً لمن يوافقه، ويجوز أن يريد: ومن يؤاخيني على ديني، ﴿فَٱفۡرُقۡ﴾: فافصل، ﴿بَيۡنَنَا﴾ وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق، وتحكم عليهم بما يستحقون، وهو في معنى الدعاء عليهم، ولذلك وصل به قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾: على وجه التسبيب، أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله: ﴿نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، ﴿فَإِنَّهَا﴾: فإن الأرض المقدسة، ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ لا يدخلونها ولا يملكونها، فإن قلت: كيف يوفق بين هذا وبين قوله: ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٢١]؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلمَّا أبوا الجهاد قيل: فإنها محرّمة عليهم، والثاني: أن يراد فإنها محرّمة عليهم أربعين سنة، فإذا مضت الأربعون كان ما كتب، فقد روي أن موسى سار بمن بقي من بني إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح أريحاء وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض صلوات الله عليه، وقيل: لما مات موسى بعث يوشع نبياً، فأخبرهم بأنه نبيّ الله، وأن الله أمره بقتال الجبابرة، فصدقوه وبايعوه وسار بهم إلى أريحاء وقتل الجبارين وأخرجهم، وصار الشام كله لبني إسرائيل، وقيل: لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال: ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا﴾ وهلكوا في التيه ونشأت نواشيء من ذرّياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل في الظرف إما (محرمة) وإما (يتيهون) ومعنى، ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقاً، والتيه: المفازة التي يتاه فيها. روى أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين، حتى إذا سئموا وأمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه، وكان الغمام يظللهم من حرّ الشمس، ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم، وينزل عليهم المنّ والسلوى، ولا تطول شعورهم، وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله. فإن قلت: فلم كان ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره، وهم معاقبون؟ قلت: كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركاً لهم[3]،

---

(١) قوله «على ضمير المجرور» لعله على الضمير. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: وردَّ الشيخ هذا الوجهَ بأنه يلزم منه أن موسى وهارون لا يملكان إلاَّ نفسَ موسى فقط، وليس المعنى على ذلك». وهذا الردُّ ليس بشيءٍ، لأن القائلَ بهذا الوجهِ صرَّح بتقدير المفعول بعد الفاعل المعطوف، وأيضاً اللَّبْسُ مأمونٌ، فإنَّ كلَّ أحدٍ يتبادر إلى ذهنه أنه يملك أمرَ نفسِه. انتهى. الدر المصون.

(٣) قوله «عركاً لهم» في الصحاح: عركت الشيء: دلكته. وعرك البعير جنبه بمرفقه. وفيه أيضاً: الدعك مثل الدلك. وقد دعكت الأديم والخصم: لينته. (ع)

وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة، ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه. فإن قلت: هل كان معهم في التيه موسى وهارون عليهما السَّلام؟ قلت: اختلف في ذلك، فقيل لم يكونا معهم لأنه كان عقاباً، وقد طلب موسى إلى ربه أن يفرق بينهما وبينهم، وقيل: كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحاً لهما وسلامة، ولا عقوبة، كالنار لإبراهيم، وملائكة العذاب، وروي أن هارون مات في التيه، ومات موسى بعده فيه بسنة، ودخل يوشع أريحاء بعد موته بثلاثة أشهر، ومات النقباء في التيه بغتة، إلا كالب ويوشع، ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم، فقيل: إنهم أحقاء لفسقهم بالعذاب، فلا تحزن ولا تندم.

﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾:

هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل، أوحى الله إلى آدم أن يزوّج كل واحد منهما توأمة الآخر، وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد عليها أخاه وسخط. فقال لهما آدم: قرّبا قرباناً، فمن أيكما تقبل زوّجها، فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته؛ فازداد قابيل حسداً وسخطاً، وتوعده بالقتل، وقيل: هما رجلان من بني إسرائيل، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ تلاوة متلبسة بالحق والصحة. أو اتله نبأ متلبساً بالصدق موافقاً لما في كتب الأوّلين. أو بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد؛ لأن المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ﷺ ويبغون عليه. أو اتل عليهم وأنت محق صادق، و﴿إِذْ قَرَّبَا﴾ نصب بالنبأ أي: قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت، ويجوز أن يكون بدلاً من النبأ، أي: اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت، على تقدير حذف المضاف، والقربان: اسم ما يتقرّب به إلى الله من نسيكة

أو صدقة، كما أنّ الحلوان اسم ما يحلّى أي: يعطى. يقال: قرّب صدقة وتقرّب بها، لأن تقرّب مطاوع قرب، قال الأصمعي: تقرّبوا قرف القمع[1] فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب. فإن قلت: كيف كان قوله: ، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: جواباً لقوله: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾؟ قلت: لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له: إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى، لا من قبلي، فلم تقتلني؟ ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول؟ فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان، وفيه دليل على أنّ الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متق، فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم، وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له: ما يبكيك فقد كنت وكنت؟ قال إني أسمع الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. ، ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ قيل: كان أقوى من القاتل وأبطش منه، ولكنه تحرّج عن قتل أخيه واستسلم له خوفاً من الله؛ لأنّ الدفع لم يكن مباحاً في ذلك الوقت. قاله مجاهد وغيره، ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾ أن تحتمل إثم قتلي لك لو قتلتك وإثم قتلك لي. فإن قلت: كيف يحمل إثم قتله له ولا تزر وازرة وزر أخرى؟ قلت: المراد بمثل إثمي على الاتساع في الكلام، كما تقول: قرأت قراءة فلان، وكتبت كتابته، تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره، ونحوه قوله عليه الصلاة والسلام: «المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم» (٥٢٢) على أنّ البادي عليه إثم سبه، ومثل إثم سب صاحبه؛ لأنه كان سبباً فيه، إلا أن الإثم محطوط عن صاحبه معفوّ عنه، لأنه مكافىء مدافع عن عرضه. ألا ترى إلى قوله: «ما لم يعتد المظلوم» لأنه إذا خرج من حدّ المكافأة واعتدى لم يسلم. فإن قلت: فحين كف هابيل عن قتل أخيه واستسلم وتحرج عما كان محظوراً في شريعته من الدفع، فأين الإثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الإثمان؟ قلت: هو مقدّر فهو يتحمل مثل الإثم المقدّر، كأنه قال: إني أريد أن تبوء بمثل إثمي لو بسطت يدي إليك، وقيل: (بإثمي) بإثم قتلي

---

٥٢٢ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٣٨٥) ـ كتاب البر والصّلة والآداب (٤٥) ـ باب النّهي عن السّباب (١٨) (٦٨/ ٢٥٨٧) مِن حديث أبي هريرة.
والبخاري في الأدب المفرد (ص ١٦٤/ ٣٢٦، ٣٢٧) ـ باب المستبان ما قالا فعلى الأول ـ مِن حديث أبي هريرة، وأنس نحوه، وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه مسلم مِن حديث أبي هريرة، وللبخاري في الأدب المفرد عن أنس نحوه. انتهى.

---

(١) قوله: «تقربوا قرف القمع» في الصحاح: القرف القشر. والقمعة رأس السنام، والجمع قمع، والقمع أيضاً: بثرة تخرج في شفر العين. (ع)

(وإثمك) الذي من أجله لم يتقبل قربانك فإن قلت: فكيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه[1] بالنار؟ قلت: كان ظالماً وجزاء الظالم حسن جائز أن يراد. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وإذا جاز أن يريده الله، جاز أن يريده العبد؛ لأنه لا يريد إلا ما هو حسن[2]، والمراد بالإثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب، فإن قلت: لم جاء الشرط بلفظ الفعل[3] والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله: ، ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ . . . مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ﴾؟ قلت: ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع، ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي، ، ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾: فوسعته له ويسرته، من طاع له المرتع: إذا اتسع، وقرأ الحسن: «فطاوعت»، وفيه وجهان: أن يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل، وأن يراد أنّ قتل أخيه كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع، و«له» لزيادة الربط كقولك: حفظت لزيد ماله، وقيل: قتل وهو ابن عشرين سنة، وكان قتله عند عقبة حراء، وقيل: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا﴾ روي: أنه أوّل قتيل

---

(١) قال محمود: «إن قلت: كيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه. . . إلخ» قال أحمد: وهذا من دسه للمعتقد الفاسد في بيان كلامه، والفاسد من هذا اعتقاده أن في الكائنات ما ليس مراداً لله تعالى وتلك القبائح بجملتها، فإنها على زعمه واقعة على خلاف المشيئة الربانية، وهذا هو الشرك الخفي؛ فإياك أن تحوم حول شركه والعياذ بالله فأما إرادته لإثم أخيه وعقوبته فمعناه: إني لا أريد أن أقتلك فأعاقب، ولما لم يكن بد من إرادة أحد الأمرين: إما إثمه بتقدير أن يدفع عن نفسه فيقتل أخاه، وإما إثم أخيه بتقدير أن يستسلم وكان غير مريد للأول اضطر إلى الثاني، فلم يرد إذاً إثم أخيه لعينه، وإنما أراد أن الإثم هو بالمدافعة المؤدية إلى القتل ولم تكن حينئذٍ مشروعة فلزم من ذلك إرادة إثم أخيه. وهذا كما يتمنى الإنسان الشهادة. ومعناها أن يبوء الكافر بقتله وبما عليه في ذلك من الإثم، ولكن لم يقصد هو إثم الكافر لعينه، وإنما أراد أن يبذل نفسه في سبيل الله رجاء إثم الكافر بقتله ضمناً وتبعاً. والذي يدل على ذلك أنه لا فرق في حصول درجة الشهادة، وفضيلتها بين أن يموت القاتل على الكفر، وبين أن يختم له بالإيمان فيحبط عنه إثم القتل الذي به كان الشهيد شهيداً، أعني بقي الإثم على قاتله أو حبط عنه إذ ذلك لا ينقص من فضيلة شهادته ولا يزيدها، ولو كان إثم الكافر بالقتل مقصوداً لاختلف التمني باعتبار بقائه وإحباطه فدل على أنه أمر لازم تبع لا مقصود، والله أعلم.

(٢) قوله «لأنه لا يريد إلا ما هو حسن» هذا مذهب المعتزلة أما عند أهل السنة، فالله يريد كل كائن حسناً كان أو قبيحاً كما تقرر في علم التوحيد. (ع)

(٣) عاد كلامه.

قال: «فإن قلت: لم جاء الشرط بصيغة الفعل والجزاء باسم الفاعل. . . إلخ» قال أحمد: وإنما امتاز اسم الفاعل عن الفعل بهذه الخصوصية من حيث أن صيغة الفعل لا تعطي سوى حدوث معناه من الفاعل لا غير. وأما اتصاف الذات به فذاك أمر يعطيه اسم الفاعل. ومن ثم يقولون: قام زيد فهو قائم، فيجعلون اتصافه بالقيام ناشئاً عن صدوره منه، ولهذا المعنى قوله تعالى ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ عدولاً عن الفعل الذي هو لنرجمنك إلى الاسم تغليظاً. يعنون أنهم يجعلون هذه لثبوتها ووقوعها به كالسمة والعلامة الثابتة، ولا يقتصرون على مجرد إيقاعها به.

قتل على وجه الأرض من بني آدم، ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به، فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع، فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر، فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾ ويروى أنه لما قتله اسودّ جسده وكان أبيض، فسأله آدم عن أخيه فقال: ما كنت عليه وكيلاً، فقال: بل قتلته ولذلك اسودّ جسدك، وروي أن آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر، وهو كذب بحت، وما الشعر إلا منحول ملحون، وقد صحّ أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر. ، ﴿لِيُرِيَهُۥ﴾: ليريه الله. أو ليريه الغراب، أي: ليعلمه؛ لأنه لما كان سبب تعليمه، فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز، ﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾: عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده، والسوأة: الفضيحة لقبحها. قال [من الخفيف]:

. . . . يَـا لَـقَـوْمِـي لِـلـسَّـوْأَةِ الـسَّـوْآءِ[1]

أي: للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها، ﴿فَأُوَٰرِيَ﴾: بالنصب على جواب الاستفهام[2]، وقرىء بالسكون على: فأنا أواري. أو على التسكين في موضع النصب للتخفيف، ﴿مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾: على قتله، لما تعب فيه من حمله وتحيره في أمره، وتبين له من عجزه، وتلمذه للغراب، واسوداد لونه وسخط أبيه، ولم يندم ندم التائبين، ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾: بسبب ذلك وبعلته، وقيل: أصله من أجل شرا إذا جناه يأجله أجلاً، ومنه قوله [من الطويل]:

وَأَهِـلِ خِـبَـاءٍ صَـالِـحٍ ذَاتُ بَـيْـنِـهِـمْ   قَـدِ احْـتَـرَبُـوا فـي عَـاجِـلٍ أَنَـا آجِـلُـهُ[3]

---

(١) عجز بيت، وصدره:
لـم يَـهـبْ حـرمـة الـنـديـم وحـقـت   ... ...
ينظر: اللسان (سوأ)، البحر (٣/ ٤٨٠)، الدر المصون (٢/ ٥١٣).

(٢) قال السمين الحلبي: وهذا الذي ذكره أبو القاسم رَدَّه أبو البقاء بعد أن حكاه عن قوم، قال: «وذَكَر بعضُهم أنه يجوزُ أن ينتصِبَ على جواب الاستفهام وليس بشيء، إذ ليس المعنى: أيكونُ مني عجزٌ فمواراةٌ، ألا تَرى أنَّ قولَك: «أين بيتُك فأزورَك» معناه: لو عَرَفْتُ لزرتُ، وليس المعنى هنا لو عَجَزت لَوارَيْتَ» قلت: وهذا الردُّ على ظاهرِهِ صحيحٌ، وبَسْطُ عبارةِ أبي البقاء أنَّ النحاةَ يشترطون في جوازِ نَصْبِ الفعلِ بإضمار «أنْ» بعد الأشياء الثمانية ـ غير النفي ـ أن ينحلَّ الكلامُ إلى شرطٍ وجزاء، فإنْ انعقدَ منه شرطٌ وجزاءٌ صَحَّ النصبُ، وإلاَّ امتنعَ، ومنه: «أين بيتك فأزورَك» أي: إن عَرَّفْتَني بيتك أزرْك، وفي هذا المقام لو حَلَّ منه شرط وجزاء لفسدَ المعنى، إذ يصير التقديرُ: إنْ عَجَزْت وارَيْت، وهذا ليس بصحيح. لأنه إذا عَجَز كيف يواري. وردَّ الشيخ على أبي القاسم بما تقدَّم، وجعله غلطاً فاحِشاً، وهو مسبوق إليه كما رأيت، فأساءَ عليه الأدبَ بشيءٍ نقله عن غيره، الله أعلمُ بصحته. انتهى. الدر المصون.

(٣) وأهـل خـبـاء صـالـح ذات بـيـنـهـم   قـد احـتـربـوا فـي عـاجـل أنـا آجـلـه
فـأقـبـلـت فـي الـبـاغـيـن أسـأل عـنـهـم   سـؤالـك بـالأمـر الـذي أنـت جـاهـلـه
لخوات بن جبير، يصف نفسه بأنه مهياج للشرور والحروب، يقول: وربّ أهل خباء، أي بيوت =

كأنك إذا قلت: من أجلك فعلت كذا، أردت من أن جنيت فعله وأوجبته، ويدل عليه قولهم: من جراك فعلته، أي: من أن جررته بمعنى جنيته، وذلك إشارة إلى القتل المذكور، أي: من أن جنى ذلك القتل الكتب وجرّه، ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ و(من) لابتداء الغاية، أي: ابتدأ الكتب ونشأ من أجل ذلك، ويقال: فعلت كذا لأجل كذا، وقد يقال: أجل كذا، بحذف الجار وإيصال الفعل قال: أجل أنّ الله قد فضلكم، وقرىء: «من اجل ذلك»، بحذف الهمزة وفتح النون لإلقاء حركتها عليها، وقرأ أبو جعفر: «من إجل ذلك»، بكسر الهمزة وهي لغة فإذا خفف كسر النون ملقياً لكسرة الهمزة عليها، ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: بغير قتل نفس، لا على وجه الاقتصاص، ﴿أَوْ فَسَادٍ﴾ عطف على نفس بمعنى أو بغير فساد، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وهو الشرك، وقيل: قطع الطريق، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾: ومن استنقذها من بعض أسباب الهلكة قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك. فإن قلت: كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم؟ قلت: لأن كل إنسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة، فإذا قتل فقد أهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس، فلا فرق إذاً بين الواحد والجميع في ذلك. فإن قلت: فما الفائدة في ذكر ذلك؟ قلت: تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها، ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها؛ لأنّ المتعرض لقتل النفس إذا تصوّر قتلها بصورة قتل الناس جميعاً عظم ذلك عليه فثبطه، وكذلك الذي أراد إحياءها، وعن مجاهد: قاتل النفس جزاؤه جهنم، وغضب الله، والعذاب العظيم، ولو قتل الناس جميعاً لم يزد على ذلك، وعن الحسن: يا ابن آدم، أرأيت لو قتلت الناس جميعاً أكنت تطمع أن يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به؟ كلا إنه شيء سوّلته لك نفسك والشيطان، فكذلك إذا قتلت واحداً، ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعدما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات، ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾ يعني في القتل لا يبالون بعظمته.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي

= متلاصقة كأنها بيت واحد. أو كنّى به عن تقاربهم في النسب صالح ذات بينهم. أي الحال التي بينهم صالحة، قد تحاربوا بسبب شر عاجل أنا آجله أي جانبه قبل الحرب ومهيجه. وفيه شبه التضاد. ويقال: أجل الشر أجلاً إذا جناه وهيجه، فمحاربتهم كانت من أجله وبسببه، فانخذل الباغون للشر، فأقبلت أسأل عنهم، كسؤالك بالأمر: أي عن الأمر الذي أنت جاهله، أفاد بالتشبيه أنه ليس جاهلاً بهم حين سؤاله، وإنما كان يريهم أنه معهم ومحب لهم لا لعدوهم.
ينظر: ديوانه (١٤٥)، تفسير القرطبي (٦/ ١٤٥)، الدر المصون (٢/ ٥١٥).

ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٤)﴾:

﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: يحاربون رسول الله ﷺ، ومحاربة المسلمين في حكم محاربته، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾: مفسدين، أو لأنّ سعيهم في الأرض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة: ويفسدون في الأرض فانتصب (فساداً). على المعنى، ويجوز أن يكون مفعولاً له، أي: الفساد. نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد وقد مرّ بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم (٥٢٣)، وقيل: في العرنيين، فأوحى إليه أنّ من جمع بين القتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أفرد القتل قتل، ومن أفرد أخذ المال قطعت يده لأخذ المال، ورجله لإخافة السبيل، ومن أفرد الإخافة نفي من الأرض، وقيل: هذا حكم كل قاطع طريق كافراً كان أو مسلماً، ومعناه ﴿أَن يُقَتَّلُوٓا﴾ من غير صلب، إن أفردوا القتل، ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓا﴾: مع القتل إن جمعوا بين القتل والأخذ. قال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله: يصلب حياً، ويطعن حتى يموت، ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: إن أخذوا المال، ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: إذا لم يزيدوا على الإخافة، وعن جماعة منهم الحسن والنخعي: أن الإمام مخير بين هذه العقوبات في كلّ قاطع طريق من غير تفصيل، والنفي: الحبس عند أبي حنيفة، وعند الشافعي: النفي من بلد إلى بلد، لا يزال يطلب وهو هارب فزعاً، وقيل: ينفى من بلده، وكانوا ينفونهم إلى (دهلك) وهو بلد في أقصى تهامة، و(ناصع) وهو بلد من بلاد الحبشة، ﴿خِزْيٌ﴾: ذلّ وفضيحة، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا﴾: استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة، وأما حكم القتل والجراح وأخذ المال فإلى الأولياء، إن شاءوا عفواً، وإن شاءوا استوفوا، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: أن الحارث بن بدر جاءه تائباً بعدما كان يقطع الطريق، فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة (٥٢٤).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥)﴾:

---

٥٢٣ ـ أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤/٥٤٧).

٥٢٤ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف (٦/٤٤٤/٣٢٧٨٩) ـ قال: حدّثنا أبو أسامة عن مجالد عن عامر قال: كان حارثة بن بدر التميمي. . . فذكره.

وأخرج أيضاً مِن طريق عبد الرحيم بن سليمان عن أشعث عن الشعبي: نحوه.

وقال الحافظ ابن حجر في الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة مِن رواية مجالد عن الشعبي. قال: كان حارثة بن بدر التميمي قد أفسد في الأرض وحارب، فذكر قصة هذا فيها. انتهى.

الوسيلة: كل ما يتوسل به أي يتقرّب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي، وأنشد للبيد [من الطويل]:

أَرَى النَّاسَ لاَ يَدْرُونَ مَا قَدْرُ أَمْرِهِمْ ... أَلاَ كُلُّ ذِي لُبٍّ إِلَى اللَّهِ وَاسِلُ؟[1]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾:

﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾: ليجعلوه فدية لأنفسهم، وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم، وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه، وعن النبي ﷺ: «يقال للكافر يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد سئلت أيسر من ذلك» (٥٢٥) و (لو) مع ما في حيزه خبر (إنّ). فإن قلت: لم وحد الراجع في قوله: ﴿لِيَفْتَدُواْ

---

٥٢٥ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٤٠٨) ـ كتاب الرقاق (٨١) ـ باب من نوقش الحساب عذّب (٤٩) (٦٥٣٨)، ومسلم في الصّحيح (٤/ ٢١٦١) ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) ـ باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً (١٠) (٥٢/ ٢٨٠٥).

---

(١) ألا تسألان المرء ماذا يحاول؟ ... أنحب فيقضي أم ضلال وباطل؟
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ... ألا كل ذي لب إلى الله واسل؟
ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل؟
وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الأنامل

للبيد بن ربيعة العامري. وهمزة الاستفهام التي بعدها النفي للتحضيض على الفعل، أي: سلاه وقولا له: ما الذي تريده وتجهد نفسك في تحصيله؟ وعبر بلفظ الغيبة نظراً للفظ المرئي. وخطاب المثنى عادة جارية على لسان العرب، وإن كان المراد غيره. وقوله «أنحب» بدل «ما» والنحب: النذر والحمد والسرعة، كما أن النعب ـ بالعين ـ: السرعة أي أغرض صحيح فيقضي له. أم باطل فلا ينبغي؟ أو المعنى: أشيء أوجبه على نفسه فهو يسعى في قضائه، أم ضلال؟ وعلى كل فلا ينبغي: وقوله «ما قدر أمرهم» أي ما الذي هم فيه من شئون الدنيا وسرعة فنائها. و «ألا» استفتاحية «كل ذي لب» أي عقل «واسل» إلى الله لا إلى غيره، أي متوسل به ومتلجىء إليه من شر الدنيا وشر من لا يعقل، أو متقرب إليه بما ينفعه. ويروى «بلى كل» وهي أوقع معنى، لأنها رد لدعوى تعميم السابقة. ويروى «واصل» بالصاد، أي صائر أو متوجه بكليته، ويجوز فيه وفي واسل أنهما بمعنى متقرب إلى الله بالطاعة، لا مشتغل بالدنيا الفانية كغيره من الجهال. و «باطل» خبر كل شيء. و «زائل» خبر كل نعيم. و «لا محالة» اعتراض مؤكد. و «الدويهية» تصغير الداهية وهي المنية، بقرينة ما بعد. وتصغيرها للتعظيم والتهويل، أو للتحقير على زعم الغافلين المتهاونين.

ينظر ديوانه ص ٢٥٦، ولسان العرب: (وسل)، وتهذيب اللغة: ١٣/ ٦٧، ومقاييس اللغة: ٦/ ١١٠، وأساس البلاغة (وسل) ومجمل اللغة: ٤/ ٥٢٥، وتاج العروس (وسل).

بِهِۦ﴾: وقد ذكر شيئان؟ قلت: نحو قوله [من الطويل]:

.... فَـإِنِّــي وَقَــيَّــارٌ بِــهَــا لَــغَـرِيــبُ[1]

أو على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة، كأنه قيل: ليفتدوا بذلك، ويجوز أن يكون الواو في (مثله) بمعنى «مع»[2] فيتوحد المرجوع إليه. فإن قلت: فبم ينصب

= وأحمد في المسند (٣/٢١٨)، وابن جرير في تفسيره (٣/ ٣٤٤/ ٧٣٨٢)، وقال الحافظ في الكشاف: متّفق عليه من رواية قتادة عن أنس رضيَ اللّه عنه. انتهى.

---

(١) دعاك الهوى والشوق لما ترنحت ... هتوف الضحى بين الغصون طروب
تجاوبها ورق أصخن لصوتها ... فكل لكل مسعد ومجيب
فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيار بها لغريب

لضابيء بن الحارث البرجي حين حبسه عثمان بن عفان لما هجا بني نهشل. والترنح: التمايل. ويروى «ترنمت» أي تغنت بحسن صوتها. وهتفت الحمامة إذا غردت، فهي هتوف أي مفردة. و «بين» ظرف للترنح. و «طروب» مبالغة في الطرب، يوصف به المذكر والمؤنث، كهتوف. وهو فاعل، وهتوف حال؛ وإضافته لا تفيده التعريف في المعنى. ويجوز رفعه على أنه فاعل، وطروب نعته؛ لأنه وصف مضاف فلا تعريف له في اللفظ أيضاً. و «الورق» جمع ورقاء نوع من الحمام. و «أصخن» ملن واستمعن. ويروى «أرعن» ولم أجد في كتب اللغة «رعن» إلا بمعنى زكي ونمي، فلعل معناه نشطن على المجاز. وروي «ومن يك» بالواو. ومرفوع «أمسى» ضمير «من». وجملة «بالمدينة رحله» خبره، والجملة خبر يكن. ويجوز أن مرفوعه هو رحله، وجواب الشرط محذوف، أي ومن أمسى رحله بالمدينة حسن حاله، بخلاف حالي، فإني غريب لأن رحلي ـ أي منزلي ـ ليس فيها، وإنما فيها أنا وفرسي فقط. و «قيار» اسم فرسه. وقيل جمله. وقيل غلامه. وهو مبتدأ أو معطوف على محل اسم «إن» حذف خبره اختصاراً لدلالة المذكور عليه، فالعطف من عطف الجمل أو المفردات. وفيه العطف قبل تمام المعطوف عليه، لكنه على نية التقديم والتأخير، وهو سماعي لا يجوز القياس عليه، ولا يجوز جعل الغريب خبراً عنهما لئلا يتوارد عاملان على معمول واحد، ولا جعله خبراً عن قيار؛ لأن لام الابتداء لا تدخل على الخبر المؤخر. والبيت لفظه خبر، ومعناه إنشاء التحسر والتحزن، لكونه غريباً وحيداً.

ينظر الأصمعيات ص ١٨٤، والإنصاف ص ٩٤، وتخليص الشواهد ص ٣٨٥، وخزانة الأدب ٩/ ٣٢٦، ١٠/٣١٢، ٣١٣، ٣٢٠، والدرر ٦/ ١٨٢، وشرح أبيات سيبويه ١/٣٦٩، وشرح التصريح ١/٢٢٨، وشرح شواهد المغني ص ٨٦٧، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/٨٦، والشعر والشعراء ص ٣٥٨، والكتاب ١/ ٧٥، ولسان العرب (قير)، ومعاهد التنصيص ١/١٨٦، والمقاصد النحوية ٢/٣١٨، ونوادر أبي زيد ص ٢٠، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ١/ ١٣٠، وأوضح المسالك ١/ ٣٥٨، ورصف المباني ص ٦٧، وسر صناعة الإعراب ص ٣٧٢، وشرح الأشموني ١/ ١٤٤، ومجالس ثعلب ص ٣١٦، ٥٩٨، وهمع الهوامع ٢/ ١٤٤، والدر المصون ١/ ٣١٢.

(٢) قال السمين الحلبي: والذي يظهرُ من كلام الزمخشري هنا وفي تصانيفه أنه ما وقف على مذهب سيبويه في هذه المسألة، وعلى المفرع على مذهبِ المبرد لا يجوز أن تكون الواوُ بمعنى مع، والعاملُ فيها «ثَبَتَ» المقدّر لِما تقدَّم مِنْ وجودِ لفظةِ معه، وعلى تقديرِ سقوطِها لا يَصِحُّ، لأن =

المفعول معه؟ قلت: بما يستدعيه (لو) من الفعل، لأن التقدير: لو ثبت أن لهم ما في الأرض. قرأ أبو واقد «أن يُخرجوا» بضم الياء من أخرج، ويشهد لقراءة العامّة قوله: (بخارجين)، وما يروى عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس: يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوماً يخرجون من النار[1]، وقد قال الله تعالى: ، ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾: فقال: ويحك، اقرأ ما فوقها. هذا للكفار (٥٢٦). فما لفقته المجبرة[2] وليس بأول تكاذيبهم وفراهم، وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الأزرق ابن عمّ رسول الله ﷺ وهو بين أظهر أعضاده من قريش وأنضاده[3] من بني عبد المطلب وهو حبر الأمّة وبحرها ومفسرها، بالخطاب الذي لا يجسر على مثله أحد من أهل الدنيا، وبرفعه إلى عكرمة دليلين ناصين أن الحديث فرية ما فيها مرية.

---

٥٢٦ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أجده، وقد أنكره صاحب الكشاف، وقال: هذا مِمَّا لفّقه المجبرة، وليس أول تكاذيبهم إلى آخر كلامه. انتهى.

= «ثبت» ليس رافعاً لـ «ما» العائدِ عليه الضميرُ، وإنما هو رافعٌ مصدراً منسبكاً من أنَّ وما بعدها وهو كونٌ، إذ التقدير: لو ثبت كونُ ما في الأرض جميعاً لهم ومثلِه معه ليفتدوا به، والضميرُ عائدٌ على ما دونَ الكون، فالرافع للفاعل غيرُ الناصب للمفعول معه، إذ لو كان إياه لَلَزِمَ من ذلك وجود الثبوت مصاحباً للمثل، والمعنى على كينونة ما في الأرض مصاحباً للمثل لا على ثبوت ذلك مصاحباً للمِثل، وهذا فيه غموضٌ، وبيانه: إذا قلت: «يعجبني قيامُ زيدٍ وعمراً» جعلت «عمراً» مفعولاً معه، والعامل فيه «يعجبني» لَزِم من ذلك أنَّ عمراً لم يَقُمْ، وأعجبك القيامُ وعمروٌ، وإنْ جعلت العاملَ فيه القيامَ كان عمروٌ قائماً، وكان الإعجابُ قد تعلَّق بالقيام مصاحباً لقيامِ عمرو، فإن قلت: هل كان «ومثلَه معه» مفعولاً معه، والعامل فيه هو العامل في «لهم» إذ المعنى عليه؟ قلت: لا يصح ذلك لما ذكرناه من وجودِ «معه» في الجملة، وعلى تقديرِ سقوطها لا يَصِحُّ، لأنهم نَصُّوا على أنَّ قولك: «هذا لك وأباك» ممنوعٌ في الاختيار، قال سيبويه: «وأما هذا لك وأباك» فقبيحٌ لأنه لم يَذْكر فعلاً ولا حرفاً فيه معنى فعل، حتى يصيرَ كأنه قد تكلم بالفعل» فأفصح سيبويه بأن اسمَ الإشارة وحرفَ الجر المتضمِّن لمعنى الاستقرار لا يعملان في المفعول معه، وقد أجاز بعضُ النحويين في حرفِ الجر والظرف أن يعملا في المفعول معه نحو: «هذا لك وأباك» فقولُه: «وأباك» يكون مفعولاً معه والعامل الاستقرار في «لك» انتهى. الدر المصون.

(١) قال محمود: «وما يروى عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس يا أعمى البصر أعمي القلب تزعم أن قوماً يخرجون من النار. . . إلخ» قال أحمد: في هذا الفصل من كلامه وتمشدقه بالسفاهة على أهل السنة ورميهم بما لا يقولون به من الأخبار بالكذب والتخليق والافتراء ما يحمي الكبد المملوء بحب السنة وأهلها على الانتصاب للانتصاف منه، ولسنا بصدد تصحيح هذه الحكاية، ولا وقف الله صحة العقيدة على صحتها.

(٢) قوله «فما لفقته المجبرة» يعني أهل السنة بخروج صاحب الكبيرة من النار لأنه مؤمن خلافاً للمعتزلة القائلين لا مؤمن ولا كافر بل واسطة. وتحقيق المبحث في علم التوحيد. (ع)

(٣) قوله «وأنضاده» في الصحاح: أنضاد الرجل، أعمامه وأخواله المتقدمون في الشرف. (ع)

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾: رفعهما على الابتداء والخبر محذوف[(١)] عند سيبويه، كأنه قيل:

---

(١) قال محمود: «رفعهما على الابتداء والخبر المحذوف عند سيبويه كأنه... إلخ» قال أحمد: المستقرأ من وجود القراءات أن العامة لا تتفق فيها أبداً على العدول عن الأفصح. وجدير بالقرآن أنه يجري على أفصح الوجوه، وألا يخلو من الأفصح وما يشتمل عليه كلام العرب الذي لم يصل أحد منهم إلى ذروة فصاحته ولم يتعلق بأهدابها. وسيبويه يحاشي من اعتقاد عراء القرآن عن الأفصح، واشتماله على الشاذ الذي لا يعد من القرآن. ونحن نورد الفصل من كلام سيبويه على هذه الآية ليتضح لسامعه براءة سيبويه من عهدة هذا النقل. قال سيبويه ـ في ترجمة باب الأمر والنهي، بعد أن ذكر المواضع التي يختار فيها النصب ـ: وملخصها أنه متى بنى الاسم على فعل الأمر فذاك موضع اختيار النصب، ثم قال: كالموضح لامتياز هذه الآية عما اختار فيها النصب. وأما قوله عزّ وجل ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ﴾... الآية وقوله ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ﴾... فإن هذا لم يبن على الفعل، ولكنه جاء على مثال قوله ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ ثم قال بعد (فيها أنهار) فيها كذا... قلت: يريد سيبويه تمييز هذه الآي على المواضع التي بين اختيار النصب فيها، ووجه التمييز بأن الكلام حيث يختار النصب يكون الاسم فيها مبنياً على الفعل. وأما في هذه الآي فليس بمبني عليه، فلا يلزم فيه اختيار النصب. عاد كلامه. قال: وإنما وضع المثل للحديث الذي ذكر بعده فذكر أخباراً وقصصاً، فكأنه قال: ومن القصص مثل الجنة، فهو محمول على هذا الإضمار والله أعلم. وكذلك الزانية والزاني لما قال جل ثناؤه ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾ قال في جملة الفرائض (الزانية والزاني) ثم جاء (فاجلدوا) بعد أن مضى فيها الرفع. قلت: يريد سيبويه: لم يكن الاسم مبنياً على الفعل المذكور بعد، بل بني على محذوف متقدم وجاء الفعل طارئاً. عاد كلامه. قال: كما جاء • وقائلة خولان فانكح فتاتهم • فجاء بالفعل بعد أن عمل فيه المضمر، وكذلك (والسارق والسارقة) وفيما فرض عليكم السارق والسارقة، فإنما دخلت هذه الأسماء بعد قصص وأحاديث. وقد قرأ ناس (السارق والسارقة) بالنصب وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة، ولكن أبت العامة إلا الرفع، قلت: يريد سيبويه أن قراءة النصب جاء الاسم فيها مبنياً على الفعل، غير معتمد على متقدم، فكان النصب قوياً بالنسبة إلى الرفع، حيث يبنى الاسم على الفعل لا على متقدم، وليس يعني أنه قوي بالنسبة إلى الرفع حيث يعتمد الاسم على المحذوف المتقدم، فإنه قد بين أن ذلك يخرجه من الباب الذي يختار فيه النصب، فكيف يفهم عنه ترجيحه عليه، والباب مع القراءتين مختلف. وإنما يقع الترجيح بعد التساوي في الباب فالنصب أرجح من الرفع، حيث ينبني الاسم على الفعل والرفع متعين، لا أقول أرجح حيث بنى الاسم على كلام متقدم، ثم حقق سيبويه هذا المقدر بأن الكلام واقع بعد قصص وأخبار، ولو كان كما ظنه الزمخشري لم يحتج سيبويه إلى تقدير، بل كان يرفعه على الابتداء ويجعل الأمر خبره كما أعربه الزمخشري، فالملخص على هذا أن النصب على وجه واحد وهو بناء الاسم على فعل الأمر، والرفع على وجهين: أحدهما ضعيف =

وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما، ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء، والخبر، ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط، لأن المعنى: والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما، والاسم الموصول يضمن معنى الشرط، وقرأ عيسى بن عمر بالنصب، وفضلها سيبويه على قراءة العامّة لأجل الأمر لأنّ (زيداً فاضربه) أحسن من (زيد فاضربه)، ﴿أَيۡدِيَهُمَا﴾: يديهما، ونحوه: ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: ٤] اكتفى بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف، وأريد باليدين اليمينان، بدليل قراءة عبد الله: «والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم»، والسارق في الشريعة: من سرق من الحرز: والمقطع: الرسغ، وعند الخوارج: المنكب، والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند أبي حنيفة، وعند مالك والشافعية ـ رحمهما الله ـ ربع دينار، وعن الحسن درهم وفي مواعظه: احذر من قطع يدك في درهم ﴿جَزَآءَۢ﴾ و ﴿نَكَٰلٗا﴾: مفعول لهما[1]، ﴿فَمَن تَابَ﴾: من السرّاق، ﴿مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾: من بعد سرقته، ﴿وَأَصۡلَحَ﴾: أمره بالتفصي عن التبعات، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ﴾ ويسقط عنه عقاب الآخرة، وأمّا القطع فلا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه. وعند الشافعي في أحد قوليه تسقطه «من يشاء» من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين، وقيل: يسقط حدّ الحربي إذا سرق بالتوبة، ليكون أدعى له إلى الإسلام وأبعد من التنفير عنه، ولا يسقطه عن المسلم[2]: لأنّ في

= وهو الابتداء، وبناء الكلام على الفعل، والآخر قوي بالغ كوجه النصب، وهو رفعه على خبر ابتداء محذوف دل عليه السياق، وحيثما تعارض لنا وجهان في الرفع وأحدهما قوي والآخر ضعيف، تعين حمل القراءة على القوي كما أعربه سيبويه رضيَ الله عنه. والله تعالى أعلم.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «تَبع في ذلك الزجاج»، ثم قال: «وليس بجيدٍ، إلاّ إذا كان الجزاءُ هو النّكالَ فيكون ذلك على طريقِ البدلِ، وأما إذا كانا متباينين فلا يجوز ذلك إلا بوساطة حرف العطف». قلت: النكالُ نوعٌ من الجزاء فهو بدل منه، على أن الذي ينبغي أن يُقال هنا إن «جزاء» مفعول من أجله، العاملُ فيه «فاقطعوا» فالجزاءُ علةٌ للأمر بالقطع، و «نكالا» مفعولا من أجله أيضاً، العاملُ فيه «جزاء» والنكال علة للجزاء، فتكون العلة معللةً بشيء آخرَ فتكونُ كالحال المتداخلة، كما تقول: «ضربته تأديباً له إحساناً إليه» فالتأديبُ علةٌ للضرب والإحسان علة للتأديب، وكلامُ الزمخشري والزجاج قبله لا يُنافي ما ذكرته، فإنه لا منافاة بين هذا وبين قولِهما «جزاء» مفعولٌ من أجله، وكذلك «نكالاً» فتأمّلْه، فإنه وجه حسن، فطاحَ الاعتراضُ على الزمخشري والزجاج، والتفصيلُ المذكورُ في قولِه: «إلا إذا كان الجزاءُ هو النكال». ثم ظَفِرت بعد ذلك بأنه يجوز في المفعول له أن يَنْصِبَ مفعولاً له آخرَ يكون علة فيه، وذلك أنَّ المُعْرِبين أجازوا في قولِه تعالى: ﴿أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا﴾ أن يكون «بغياً» مفعولاً له، ثم ذكروا في قوله: ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ أنه مفعول له ناصبه «بغياً» فهو علةٌ له، صَرّحوا بذلك فظهر ما قلت. و «بما» متعلق بـ «جزاء»، و «ما» يجوز أن تكون مصدرية أي: بكسبِهما، وأن تكونَ بمعنى الذي، والعائدُ محذوفٌ لاستكمال الشروطِ أي: بالذي كَسَباه، والباء سببية. انتهى. الدر.

(٢) قوله «ولا يسقطه عن المسلم» لعله «ولا يسقط» أو «ولا تسقطه». (ع)

إقامته الصلاح للمؤمنين والحياة ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]. فإن قلت: لم قدّم التعذيب على المغفرة[1]؟ قلت: لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة.

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

قرىء «لا يُحزنك» بضم الياء، ويسرعون، والمعنى: لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين، ﴿فِي ٱلْكُفْرِ﴾ أي: في إظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين، فإني ناصرك عليهم وكافيك شرّهم. يقال: أسرع فيه الشيب، وأسرع فيه الفساد، بمعنى: وقع فيه سريعاً، فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم وتهافتهم فيه أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها، و﴿ءَامَنَّا﴾ مفعول قالوا، و﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ متعلق بـ «قالوا» لا بـ «آمَنَّا،» ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: منقطع مما قبله خبر لـ «سماعون»، أي: ومن اليهود قوم سماعون، ويجوز أن يعطف على ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ ويرتفع سماعون على: هم سماعون، والضمير للفريقين. أو للذين هادوا، ومعنى، ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: قابلون لما يفتريه الأحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك: الملك يسمع كلام فلان، ومنه (سمع الله لمن حمده)، ﴿سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾: يعني اليهود الذين لم يصلوا إلى مجلس رسول الله ﷺ وتجافوا عنه لما أفرط فيهم من شدّة البغضاء وتبالغ من العداوة، أي: قابلون من الأحبار ومن أولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا إليك، وقيل: سماعون إلى رسول الله ﷺ لأجل أن يكذبوا عليه بأن يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير، سماعون من رسول الله لأجل

---

(١) قال محمود: «فإن قلت لم قدم التعذيب على المغفرة... إلخ» قال أحمد: هو مبني على أن المراد بالمغفور لهم التائبون، وبالمعذبين السراق. ولا يجعل المغفرة تابعة للمشيئة إلا بقيد التوبة، لأن غير التائب على زعمه لا يجوز أن يشاء الله المغفرة له، فلذلك ينزل الإطلاق على المتقدم ذكره. ونحن نعتقد أن المغفرة في حق غير التائب من الموحدين تتبع للمشيئة، حتى أن من جملة ما يدخل في عموم قوله (ويغفر لمن يشاء) السارق الذي لم يتب. وعلى هذا يكون تقديم التعذيب لأن السياق للوعيد فيناسب ذلك تقديم ما يليق به من الزواجر والله أعلم.

قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيوناً ليبلغوهم ما سمعوا منه، وقيل: السَّمَّاعون: بنو قريظة، والقوم الآخرون: يهود خيبر، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾: يميلونه ويزيلونه، ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضعه الله تعالى فيها، فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع، ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾: المحرف المزال عن مواضعه، ﴿فَخُذُوهُ﴾ واعلموا أنه الحق واعملوا به، ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ وأفتاكم محمد بخلافه، ﴿فَٱحْذَرُوا۟﴾ وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال، وروي: أن شريفاً من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدُّهما الرجم في التوراة، فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطاً منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، وقالوا: إن أمركم محمد بالجلد والتحميم[1] فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا، وأرسلوا الزانيين معهم، فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل: اجعل بينك وبينهم ابن صوريا، فقال: «هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له: ابن صوريا»؟ قالوا: نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به حكماً. فقال له رسول الله ﷺ: «أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه، هل تجدون فيه الرجم على من أحصن؟» قال: نعم، فوثب عليه سفلة اليهود، فقال: خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب. ثم سأل رسول الله ﷺ عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون، وأمر رسول الله ﷺ الزانيين[2] فرجما عند باب مسجده (٥٢٧) . . . .

---

٥٢٧ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ١٥٥، ١٥٦) ـ كتاب الحدود ـ باب في رجم اليهوديين (٤٤٥٠، ٤٤٥١) وعبد الرزّاق في تفسيره (٧٠٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٨٠)، وابن جرير (٦/ ١٥٠) في تفسيره ـ وابن المنذر كما في الدرّ المنثور (٢/ ٢٨١)، والبيهقي في دلائل النبوّة (٦/ ٢٦٩ـ٢٧٠)، وابن هشام في سيرته (٢/ ٢٠٨).

١ ـ وللحديث شاهد مِن حديث ابن عمر:

أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/ ١٧٢/ ٦٨٤١) ومسلم (٦/ ٢٢٣/ ١٦٩٩) وأبو داود (٤٤٤٦)، (٤٤٤٩)، والترمذي مقتصراً على قصّة رجم اليهوديين (جـ ٤/ ١٤٣٦)، وابن ماجه (جـ ٢/ ٢٥٥٦)، وأحمد (٢/ ٥).

٢ ـ وله شاهد مِن حديث جابر بن عبدالله:

أخرجه أبو داود (٤٤٥٢) (٤٤٥٥) وابن ماجه (٢٣٢٨).

قال الحافظ في الكشاف: أخرجه ابن إسحاق في المغازي حدّثني ابن شهاب سمعت رجلاً مِن مزينة يحدث سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة ـ فذكره، دون أوله، ودون قوله فيه: فقال له =

---

(١) قوله «والتحميم» أي التسويد. وفي الصحاح «الحمة» بالضم: السواد. (ع)

(٢) قوله «الزانيين» لعله بالزانيين. (ع)

. . . . ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ تركه مفتوناً[1] وخذلانه[2]، ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئاً، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ﴾ أن يمنحهم من ألطافه ما يطهر به قلوبهم؛ لأنهم ليسوا من أهلها، لعلمه أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ [النحل: ١٠٤]، ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦].

﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ٱلسُّحْتِ﴾: كل ما لا يحل كسبه، وهو من ـ سحته ـ إذا استأصله لأنه مسحوت البركة كما قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٦] والربا باب منه، وقرىء: «السحت» بالتخفيف والتثقيل، والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته. «والسَحت»، بفتحتين. «والسحت»، بكسر السين، وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام، وعن الحسن: كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها

= جبريل: «اجعل بينك وبينهم ابن صوريا، فقال: «هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور، يسكن فدك» ودون ما في آخره، وكذا أخرجه البيهقي في الدلائل من رواية معمر عن الزهري مطولاً ـ زاد فيه قصة الملك الذي كان زنى منهم فلم يرجموه، وأصله في الصّحيحين مِن حديث أبي هريرة وغيره مختصراً. انتهى.

---

(١) قال محمود: «معنى ومن يرد الله فتنته: ومن يرد تركه مفتوناً. . . إلخ» قال أحمد رحمه الله: كم يتلجلج والحق أبلج هذه الآية كما تراها منطبقة على عقيدة أهل السنة في أن الله تعالى أراد الفتنة من المفتونين، ولم يرد أن يطهر قلوبهم من دنس الفتنة ووضر الكفر، لا كما تزعم المعتزلة عن أنه تعالى ما أراد الفتنة من أحد، وأراد من كل أحد الإيمان وطهارة القلب، وأن الواقع من الفتن على خلاف إرادته، وأن غير الواقع من طهارة قلوب الكفار مراد ولكن لم يقع، فحسبهم هذه الآية وأمثالها، لو أراد الله أن يطهر قلوبهم من وضر البدع. أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها. وما أبشع صرف الزمخشري هذه الآية عن ظاهرها بقوله: لم يرد الله أن يمنحهم ألطافه، لعلمه أن ألطافه لا تنجع فيهم ولا تنفع، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وإذا لم تنجع ألطاف الله تعالى ولم تنفع، فلطف من ينفع وإرادة من تنجع؟ وليس وراء الله للمرء مطمع.

(٢) قوله «تركه مفتوناً وخذلانه» قدر هذا بناء على أنه تعالى لا يريد الشر عند المعتزلة لكن عند أهل السنة يريد الشر والخير كما حقق في محله. (ع)

في كمه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه، فيأكل الرشوة ويسمع الكذب، وحكى أن عاملاً قدم من عمله فجاءه قومه، فقدم إليهم العراضة[1] وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله، فقال أعرابي من القوم: نحن كما قال الله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ وعن النبي ﷺ: «كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به» (٥٢٨) قيل: كان رسول الله ﷺ مخيراً ـ إذا تحاكم إليه أهل الكتاب ـ بين أن يحكم

---

٥٢٨ ـ رُوي هذا الحديث عن عدد من الصّحابة هم:
أبو بكر الصديق:
أخرجه الحاكم (٤/ ١٢٧) ـ كتاب الأطعمة ـ من طريق عبد الواحد بن زيد عن أسلم الكوفي عن مرّة الطيّب عن أبي بكر الصديق ـ رضيَ اللّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللّه ﷺ. . . قلت: عزاه الزيعلي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٤٠١) وكذلك الحافظ ابن حجر في تخريجات الكشاف ـ للحاكم من رواية زيد بن أرقم عن أبي بكر الصّديق ـ رضيَ اللّه عنه ـ
ولم أجده مِن رواية زيد بن أرقم في الحاكم وإنّما وجدناه مِن رواية مرة الطيّب عن أبي بكر الصديق مرفوعاً. واللّه المستعان ـ وكم ترك الأول للآخر ـ
عمر بن الخطاب:
أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٧٣/ ٨٧) ـ قال: حدّثنا محمد بن الفضل السقطي ثنا عبد العزيز بن عبدالله الأويسي ثنا يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن خصيفة عن السّائب بن يزيد عن عمر بن الخطاب ـ رضيَ اللّه عنه ـ أنّ رسول اللّه ـ ﷺ ـ قال «ثمن القينة. . . ذكره وفيه «ومن نبت لحمه على السحت فالنار أولى به».
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٩٤) ـ وفيه يزيد بن عبد الملك النوفلي وهو متروك ضعّفه جمهور الأئمة ونقل عن ابن معين في رواية: لا بأس به وضعّفه في أخرى أ. هـ.
ابن عباس:
أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٩٣ـ٣٩٤) (٥٥١٨).
والطبراني في الكبير (١١/ ٢١٧ـ٢١٨) (١١١٥٤) بلفظ «لا يدخل الجنّة لحم نبت من سحت» وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٩٦) ـ وفيه حسين بن قيس وهو متروك.
قلت: وحسين بن قيس هذا يلقب بحنش بن قيس الرحبي، قال فيه البخاري: أحاديثه منكرة جداً ولا يكتب حديثه ـ راجع ترجمته في تهذيب الكمال (٦/ ٤٦٥/ ١٣٣٠) وذكره الطبراني مِن طريق آخر في الكبير (١١/ ١١٤) (١١٢١٦) ـ عن أبي شهاب ـ عن ابن محمد الجزري ـ وهو حمزة النصيبي ـ عن عمرو بن دينار عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ «مِن أعان بباطل ليدحض. . .» وفيه «ومن نبت لحمه مِن سحت فالنار أولى به».
قال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢١٤ـ٢١٥) «رواه الطبراني وفيه أبو محمد الجزري حمزة ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصّحيح».
قلت: وأبو محمد الجزري هذا ـ الذي لم يعرفه الهيثمي ـ وقف عليه الحافظ وقال فيه ـ كما في =

---

(١) قوله «فقدم إليهم العراضة» في الصحاح: العراضة ـ بالضم ـ: ما يعرض المائر، أي يطعمه من الميرة. ويقال: اشتر عراضة لأهلك، أي هدية وشيئًا تحمله إليهم. (ع)

بينهم وبين ألاّ يحكم، وعن عطاء والنخعي والشعبي: أنهم إذا ارتفعوا إلى حكام

= التقريب (١/١٩٩/ ٥٦٥) ـ متروك متّهم بالوضع، من السابعة ـ وذلك فضل اللّه يؤتيه مَن يشاء واللّه ذو الفضل العظيم ـ

وأخرجه أيضاً الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٦/ ٧٦) (٣١١٢) وفيه ابراهيم بن زياد القرشي روى الخطيب عن يحيى بن معين أنّه قال «لا أعرفه» وفي الميزان «قال البخاري: لا يصح إسناده، قلت: ولا يعرف مَن ذا»؟؟، وفيه أيضاً خُصَيْف، وهو صدوق سيّئ الحفظ، خلط بآخره *.

كعب بن عجرة:

أخرجه الترمذي (٢/ ٥١٣) ـ كتاب الصّلاة ـ باب ما ذكر في فضل الصّلاة ـ (٦١٤) وقال: هذا حديث حسن غريب مِن هذا الوجه لا نعرفه إلا مِن حديث عبيد اللّه بن موسى. وسألت محمداً عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا مِن حديث عبيد اللّه بن موسى واستغربه جداً ـ أ. هـ.

وابن حبّان في صحيحه (١٢/ ٣٧٨ـ٣٧٩) (٥٥٦٧).

والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٦١)().

جابر بن عبداللّه:

أخرجه عبد الرزّاق (٢٠٧١٩) ومن طريقه أحمد (٣/ ٣٢١) والحاكم (٤/ ٤٢٢) عن معمر، عن عبداللّه بن خُثَيْم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبداللّه فذكره.

فائدة هامة:

«تحرف في المطبوع من «مسند أحمد» «سابط إلى ثابت»

وأخرجه أحمد (٣/ ٣٩٩) عن عفان، والبزّار (١٦٠٩) والحاكم (٣/ ٤٨٠٢٤٧٩) مِن طريق معلى بن أسد، كلاهما عن وهيب، دون قول الحاكم في حديثه «لا يدخل الجنّة لحم نبت. . . وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٥٠) وقال: رواه أحمد والبزار، ورجالهما رجال الصّحيح ـ أ. هـ.

عبد الرحمن بن سمرة:

أخرجه الحاكم (٤/ ١٢٦ـ١٢٧) مِن طريق أبي زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي ثنا سعيد بن بشير بن قتادة عن الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال النبيّ ـ ﷺ ـ فذكره وقال: حديث صحيح الإسناده ولم يخرجاه.

قلت: وتصحيح الحاكم فيه نظر.

فسعيد بن بشير وهو أبو سلمة الشامي.

ضعّفه النّسائي، وقال البخاري في تاريخه (٣/ ١٥٢٩) ـ يتكلمون في حفظه وهو يحتمل وقال ابن نمير: منكر الحديث ليس بشيء، ليس بقوي الحديث، يروي عن قتادة المنكرات. تهذيب الكمال (١٠/ ٣٥٤).

وقال الحافظ في التقريب (١/ ٢٩٢) (١٣٠) ضعيف.

عبداللّه بن عمر:

أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٨٠) (١١٩٧٢).

مِن طريق ابن وهب قال أخبرني عبد الرحمن بن أبي الموالي عن عمر بن حمزة بن عبداللّه بن عمر أنّ رسول اللّه ـ ﷺ. . .

قلت: كذا وجدته في الطبري. . . والصّواب عن عمر بن حمزة عن عبداللّه بن عمر أنّ رسول اللّه. . . ـ وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٤٠٠) لابن مردويه في تفسيره، وابراهيم الحربي =

المسلمين، فإن شاءوا حكموا وإن شاءوا أعرضوا، وقيل: هو منسوخ بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ وعند أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ: إن احتكموا إلينا حملوا على حكم الإسلام، وإن زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق من مسلم شيئاً أقيم عليه الحدّ، وأما أهل الحجاز فإنهم لا يرون إقامة الحدود عليهم، يذهبون إلى أنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود، ويقولون: إنّ النبي ﷺ رجم اليهوديين قبل نزول الجزية، ﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗا﴾ لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم، كالجلد مكان الرجم. فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم، شقّ عليهم وتكرهوا إعراضه عنهم وكانوا خلقاء بأن يعادوه ويضاروه، فأمن الله سربه، ﴿بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾: بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم، ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾: تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه، مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدّعون الإيمان به، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾: ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به، ﴿وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ

= في كتابه غريب الحديث. كلاهما من طريق ابن أبي الموالي عن عمر بن حمزة به وقال الحافظ: ورجاله ثقات إلاّ أنَّ عمر لم يسمع مِن ابن عمر.

حذيفة:
أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٨١).
مِن طريق النضر بن شميل ثنا محمد بن البزّار ـ أخبرني كردوس ـ أنَّ حذيفة خطبهم بالمدائن قال: فذكره وفيه «ليس ينبت لحم من سحت فيدخل الجنة».
وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الحاكم مِن رواية زيد بن أرقم عن أبي بكر الصّديق رضيَ اللّه عنه: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول «من نَبَت لحمه مِن السّحت فالنّار أولى به». وأخرجه ابن عدي في ترجمة «عبد الواحد بن زمعة» وضعّف به، وفي الباب عن معمر عند الطبراني وابن عدي في أثناء حديث وفيه يزيد بن عبد الملك النّوفلي. وهو ضعيف. وعن حذيفة أخرجه إسحاق بن راهويه من طريق كردوس قال «خطب حذيفة بالمدائن ـ فذكر الخطبة. وفيها الحديث، بلفظ «ليس لحم ينبت مِن سحت فيدخل الجنة» وأخرجه الطبراني في الأوسط مِن رواية أيوب بن سويد عن الثوري عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة بلفظ «لا يدخل الجنّة لحم نبَت مِن سحت، النار أولى به» قال أبو حاتم في العلل: أخطأ أيوب بن سويد فيه. والصّواب موقوف. وعن ابن عمر أخرجه الطبراني والحارثي في الغريب. وابن مردويه في الغريب مِن طريق عمر بن حمزة عنه. ورجاله ثقات إلاّ أنَّ عمر لم يسمع مِن ابن عمر. وعن ابن عباس أخرجه الطبراني والبيهقي من وجهين ضعيفين. وروى الترمذي مِن حديث كعب بن عجرة في حديث طويل في آخره «يا كعب بن عجرة، إنّه لا يربو لحم نبَت مِن سحت إلاّ وكانت النار أولى به»، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه. وسألت محمداً عنه فاستغربه. وقال أبو يعلى مِن وجه آخر عن كعب بن عجرة، وله شاهد فيه ابن حبّان مِن رواية عبداللّه بن خيثمة عن عبدالرحمن بن سابط عن جابر بن عبداللّه «أنَّ النبيّ ﷺ قال: يا كعب بن عجرة ـ فذكر مثله سواء» وأخرجه أحمد وإسحاق والبزّار وأبو يعلى والحاكم مِن هذا الوجه، وأخرجه الحاكم مِن طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن عبدالرحمن بن سمرة. فذكر مثل حديث كعب بن عجرة «أنه ﷺ خاطب به عبدالرحمن، وسعيد بن بشير ضعيف. انتهى.

﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: بكتابهم كما يدّعون. أو وما أولئك بالكاملين في الإيمان على سبيل التهكم بهم. فإن قلت: ﴿فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ ما موضعه من الإعراب؟ قلت: إمّا أن ينتصب حالاً من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم وإمّا أن يرتفع خبراً عنها كقولك: وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله وإمّا ألاّ يكون له محل وتكون جملة مبينة، لأنّ عندهم ما يغنيهم عن التحكيم، كما تقول: عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب، فما تصنع بغيره؟ فإن قلت: لم أنث التوراة؟ قلت: لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب. فإن قلت: علام عطف (ثم يتولون)؟ قلت: على (يحكمونك).

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فِيهَا هُدًى﴾ يهدي للحق والعدل، ﴿وَنُورٌۚ﴾ يبين ما استبهم من الأحكام، ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح[1]، كالصفات الجارية على القديم

---

(١) قال محمود: «قوله أسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح... إلخ» قال أحمد: وإنما بعثه على حمل هذه الصفة على المدح دون التفصلة والتوضيح أن الأنبياء لا يكونون إلا متصفين بها، فذِكر النبوة يستلزم ذِكرها. فمن ثم حملها على المدح. وفيه نظر: فإن المدح إنما يكون غالباً بالصفات الخاصة التي يتميز بها الممدوح عمن دونه. والإسلام أمر عام يتناول أمم الأنبياء ومتبعيهم كما يتناولهم. ألا ترى أنه لا يحسن في مدح النبي أن يقتصر على كونه رجلاً مسلماً؛ فإن أقل متبعيه كذلك. فالوجه والله أعلم أن الصفة قد تذكر للعظم في نفسها ولينوه بها إذا وصف بها عظيم القدر، كما يكون تنويهاً بقدر موصوفها. فالحاصل أنه كما يراد إعظام الموصوف بالصفة العظيمة، قد يراد إعظام الصفة بعظم موصوفها. وعلى هذا الأسلوب جرى وصف الأنبياء بالصلاح في قوله تعالى ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ وأمثاله، تنويهاً بمقدار الصلاح؛ إذ جعل صفة الأنبياء وبعثاً لآحاد الناس على الدأب في تحصيل صفته، وكذلك قيل في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأخبر عن الملائكة المقربين بالإيمان تعظيماً لقدر الإيمان، وبعثاً للبشر على الدخول فيه ليساووا الملائكة المقربين في هذه الصفة، وإلا فمن المعلوم أن الملائكة مؤمنين ليس إلا، ولهذا قال ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني من البشر لثبوت حق الإخوة في الإيمان بين الطائفتين، فكذلك ـ والله أعلم ـ جرى وصف الأنبياء في هذه الآية بالإسلام تنويهاً به. ولقد أحسن القائل في أوصاف الأشراف، والناظم في مدحه عليه الصلاة والسلام [من الكامل]:

فلئن مدحت محمداً بقصيدتي … فلقد مدحت قصيدتي بمحمد

والإسلام وإن كان من أشرف الأوصاف إذ حاصله معرفة الله تعالى بما يجب له ويستحيل عليه =

سبحانه لا للتفصلة والتوضيح، وأريد بإجرائها التعريض باليهود، وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث، وأنّ اليهودية بمعزل منها، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ مناد على ذلك، ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾: والزهاد والعلماء من ولد هارون، الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود، ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة، أي: بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل، و (من) في (من كتاب الله) للتبيين، ﴿وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾: رقباء لئلا يبدل، والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبييون ـ بين موسى وعيسى وكان بينهماألف نبي وعيسى للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها، كما فعل رسول الله ﷺ من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم، وإبائه عليهم ما اشتهوه من الجلد، وكذلك حكم الربانيون والأحبار والمسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه، وبسبب كونهم عليه شهداء، ويجوز أن يكون الضمير في (استحفظوا) للأنبياء والربانيين والأحبار جميعاً ويكون الاستحفاظ من الله، أي: كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه شهداء، ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإدهانهم[1] فيها وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من القرباء والأصدقاء، ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾: ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا ﴿بآياتي﴾ وأحكامه، ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ﴾: وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس، كما حرّف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلباً للرياسة فهلكوا، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: مستهيناً به، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ والظالمون والفاسقون؛ وصف لهم بالعتوّ في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة، وتمرّدوا بأن حكموا بغيرها، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنّ الكافرين والظالمين والفاسقين:

= ويجوز في حقه، إلا أن النبوة أشرف وأجل، لاشتمالها على عموم الإسلام مع خواص المواهب التي لا تسعها العبارة، فلو لم نذهب إلى الفائدة المذكورة في ذكر الإسلام بعد النبوة في سياق المدح، لخرجنا عن قانون البلاغة المألوف في الكتاب العزيز، وفي كلام العرب الفصيح، وهو الترقي من الأدنى إلى الأعلى لا النزول على العكس. ألا ترى أبا الطيب كيف تزحزح عن هذا المهيع في قوله [من المنسرح]:

شمس ضحاها هلال ليلتها ... در تقاصيرها زبرجدها

فنزل عن الشمس إلى الهلال. وعن الدر إلى الزبرجد، في سياق المدح، فمضغت الألسن عرض بلاغته، ومزقت أديم صيغته. فعلينا أن نتدبر الآيات المعجزات، حتى يتعلق فهمنا بأهداب علوها في البلاغة المعهود لها، والله الموفق للصواب.

(١) قوله «وإدهانهم فيها» في الصحاح: المداهنة ـ كالمصانعة. والإدهان مثله. (ع)

أهل الكتاب (٥٢٩)، وعنه: نعم القوم أنتم، ما كان من حلو فلكم، وما كان من مر فهو لأهل الكتاب، من جحد حكم الله كفر، ومن لم يحكم به وهو مقرّ فهو ظالم فاسق (٥٣٠)، وعن الشعبي: هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود، والفاسقون في النصارى (٥٣١)، وعن ابن مسعود: هو عام في اليهود وغيرهم، وعن حذيفة: أنتم أشبه الأمم سمتاً ببني إسرائيل: لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة[1]، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟ (٥٣٢).

---

٥٢٩ ـ قلت: لم أجده بهذا اللفظ ولكن:
أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (٤/ ١٤٨٥) مِن طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس قال: إنما أنزل الله عزَّ وجل ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، و﴿الظالمون﴾، و ﴿الفاسقون﴾ في اليهود خاصة.
وهو جزء من حديث طويل أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٤٦).
وأبو داود في سُنَنِه (٣/ ٢٩٩) ـ كتاب الأقضية ـ باب في القاضي يخطىء (٣٥٧٦).
وابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٥٩٤ـ١٢٠٤٢) ولكنه روى الحديث أنّه عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة مرسلاً، ليس فيه ذكر لابن عباس.
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٨ـ١٩). رواه أحمد والطبراني بنحوه وفيه عبدالرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجال أحمد ثقات».
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٠٧) لأبي الشيخ وابن مردويه.
٥٣٠ ـ قلت: قوله «نعم القوم. . . فهو لأهل الكتاب» أخرجه القاضي وكيع في أخبار القضاة (١/ ٤١) من طريق عطاء بن السّائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره ـ وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٠٧) لابن المنذر.
وأما قوله «من جحد. . .»
فأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٥٩٧) (١٢٠٦٨).
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٠٧) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.
٥٣١ ـ أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٥٩٥) من طرق عن عامر الشعبي قال: فذكره، وعبد الرزّاق في تفسيره (١/ ١٩١) قال: نا الثوري عن زكريا عن الشعبي قال. . .
ومن طريق عبدالرزاق أخرجه القاضي وكيع في أخبار القضاة (١/ ٤٢).
وأخرجه سفيان الثوري في تفسيره (١٠٢ـ١٠٣) (٢٤٨) عن جابر عن الشعبي. . .، وعن زكريا عن الشعبي. . .
٥٣٢ ـ أخرجه سفيان الثوري في تفسيره (١٠١ـ١٠٢) (٢٤٤) عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال: قيل لحذيفة. . .
وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٩١) مِن طريق حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري قال: سأل رجل حذيفة عن هؤلاء الآيات فذكره. . .
ومِن طريق عبدالرزّاق أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٥٩٣) (١٢٠٣٥)، ووكيع في أخبار =

---

(١) قوله «والقذة بالقذة» القذة، ريشة السهم اهـ. (ع)

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

في مصحف أبيّ: «وأنزل الله على بني إسرائيل فيها» وفيه: «وأن الجروح قصاص»، والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة، والرفع للعطف على محل (أن النفس)، لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس، إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا، وإما لأنّ معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتاب كما تقع عليه القراءة. تقول: كتبت الحمد لله، وقرأت سورة أنزلناها، ولذلك قال الزجاج: لو قرىء: إن النفس بالنفس، بالكسر؛ لكان صحيحاً. أو للاستئناف، والمعنى: فرضنا عليهم فيها، ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ مأخوذة، ﴿بِٱلنَّفْسِ﴾ مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق[1] ﴿وَ﴾ كذلك، ﴿وَٱلْعَيْنَ﴾ مفقوءة،

= القضاة (١/ ٣٩)، وأخرجه أيضاً مِن طريق جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن همام بن الحارث عن حذيفة. . .

ومن هذا الطريق أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٠٧) لابن أبي حاتم.

قلت: وكل الروايات التي ذكرناها آنفاً عن حذيفة ـ لم يذكر فيها قوله «غير أنّي لا أدري أتعبدون العجل أم لا».

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا من العطفِ على التوهُم، إذ توهَّم في قوله «أنَّ النفسَ بالنفس»: النفسُ بالنفسِ وضعَّفه بأن العطفَ على التوهُم لا ينقاس. والزمخشري نحا إلى هذا المعنى، ولكنه عَبَّر بعبارةٍ أخرى فقال: «الرفع [للعطف] على محلِّ «أنَّ النفسَ» لأن المعنى: «وكتبنا عليهم النفسُ بالنفس: إمَّا لإجراء «كتبنا» «مُجْرِ» قُلْنا، وإمَّا أن معنى الجملة التي هي «النفس بالنفس» مِمَّا يقع عليه الكَتْب كما تقع عليه القراءة تقول: كَتَبْتُ: الحمدُ لله، وقرأت: سورةٌ أَنزلناها، ولذلك قال الزجاج: «لو قُرِىء إن النفسَ بالنفسِ بالكسرِ لكانَ صحيحاً». قال الشيخ: «هذا هو [الوجهُ] الثاني من توجيه أبي عليّ، إلا أنه خَرَجَ عن المصطلح حيث جَعَلَه من العطفِ على المحلِّ وليس منه، لأنَّ العطفَ على المحل هو العطفُ على الموضع، وهو محصورٌ ليس هذا منه، ألا ترى أنَّا لا نقول: «أنَّ النفسَ بالنفس» في محلِّ رفع لأنَّ طالبَهُ مفقودٌ، بل «أن» وما في حَيِّزها بتأويلِ مصدرٍ لفظُه وموضعُه نصبٌ، إذ التقديرُ: كَتَبْنا عليهم أَخْذَ النفسِ». قلت: والزمخشري لم يَعْنِ أنَّ «أنَّ» وما في حَيِّزها في محل رفع فعطف عليها المرفوعَ حتى يُلْزِمَه الشيخُ بأنَّ لفظها ومحلَّها نصبٌ، إنما عَنَى أنَّ اسمَها محلُّه الرفعُ قبلَ دخولِها، فراعى العطفَ عليه كما راعاه في اسم «إنَّ» المكسورة. وهذا الردُ ليس للشيخ، بل سَبَقَه إليه أبو البقاء فأخذه منه. قال أبو البقاء: «ولا يجوز أن يكونَ معطوفاً على «أَنَّ» وما عملت فيه؛ لأنها وما عملت فيه في موضع نصب» انتهى. الدر المصون.

﴿بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ﴾ مجدوع، ﴿بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ﴾ مصلومة، ﴿بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾ مقلوعة، ﴿بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾: ذات قصاص، وهو المقاصة، ومعناه: ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت. ، ﴿فَمَن تَصَدَّقَ﴾ من أصحاب الحق، ﴿بِهِۦ﴾: بالقصاص وعفا عنه، ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ (٥٣٣) فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيآته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته، وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به (٥٣٤)، وقيل: فهو كفارة للجاني، إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه، وفي قراءة أبيّ: «فهو كفارته له». يعني فالمتصدق كفارته له أي: الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها، وهو تعظيم لما فعل، كقوله تعالى ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] وترغيب في العفو.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

قفيته مثل عقبته، إذا اتبعته ثم يقال: قفيته بفلان وعقبته به، فتعديه إلى الثاني بزيادة الباء، فإن قلت: فأين المفعول الأول في الآية؟ قلت: هو محذوف والظرف الذي هو ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ كالسَّادِّ مسدّه؛ لأنه إذا قفى به على أثره فقد قفى به إياه، والضمير في

---

٥٣٣ ـ قلت: لم أجده بهذا اللفظ والمعنى وإنما ثبت عن ابن عباس خلاف ذلك.
أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (١٤/ ١٤٩) (٧٥٧ـ٧٥٨) من طريق هشيم قال نا حصين عمّن حدّثه عن ابن عباس ـ في قوله عزّ وجلّ ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ قال: كفارة للجارح.
وسنده ضعيف لإبهام شيخ حصين، وأخرج ابن جرير في تفسيره (٦٠١١٤) (٩١ ـ ١٢) مِن طريق يحيى بن آدم عن سفيان، عن عطاء بن السّائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره وزاد فيه «وأجر الذي أصيب على الله».
قلت: وعطاء بن السّائب وإن كان قد اختلط، فإنّ الراوي عنه هنا هو سفيان الثوري، وهو مِمّن روى عنه قبل الاختلاط.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥١١) وعزاه لـ «عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ».

٥٣٤ ـ أخرجه سفيان الثوري في تفسيره (ص ١٠٢/ ٢٤٦) عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن الهيثم بن الأسود عن عبدالله بن عمرو. . .
والطبري في تفسيره (٤/ ٦٠٠) من طرق عن قيس بن مسلم به.
والبيهقي في السُّنَن الكبرى (٨/ ٥٤) ـ كتاب الجنايات ـ باب ما جاء في الترغيب في العفو عن القصاص.

«آثارهم» للنبيين في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾، وقرأ الحسن: «الأَنجيل» بفتح الهمزة؛ فإن صحّ عنه فلأنه أعجمي خرج لعجمته عن زِناتِ العربية، كما خرج هابيل وآجر، ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطف على محل، ﴿فِيهِ هُدًى﴾ ومحله النصب على الحال، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾ يجوز أن ينتصبا على الحال. كقوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ وأن ينتصبا مفعولاً لهما، كقوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾: كأنه قيل: وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيل، وللحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام. فإن قلت: فإن نظمت ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾ في سلك مصدقاً، فما تصنع بقوله: «وليحكم» قلت: اصنع به ما صنعت بـ «هدى وموعظة» حين جعلتهما مفعولاً لهما، فأقدّر: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيناه إياه، وقرىء: «وَلْيحكُمْ» على لفظ الأمر بمعنى: وقلنا: ليحكم، وروي في قراءة أبيّ: «وأن ليحكم»، بزيادة (أن) مع الأمر على أنّ (أن) موصولة بالأمر، كقولك: أمرته بأن قم كأنه قيل: وآتيناه الأنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل، وقيل: إن عيسى ـ عليه السلام ـ كان متعبداً بما في التوراة من الأحكام؛ لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة، وظاهر قوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ يردّ ذلك، وكذلك قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] وإن ساغ لقائل أن يقول: معناه: وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

فإن قلت: أي فرق بين التعريفين في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وقوله: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؟ قلت الأول: تعريف العهد، لأنه عنى به القرآن، والثاني: تعريف الجنس، لأنه عنى به جنس الكتب المنزلة: ويجوز أن يقال: هو للعهد؛ لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق، وإنما أريد نوع معلوم منه، وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن، ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾: ورقيباً على سائر الكتب؛ لأنه يشهد لها بالصحة والثبات، وقرىء: «مهيمناً عليه» بفتح الميم، أي: هومن عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل، كما قال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢] والذي هيمن الله عليه عزّ وجلّ أو الحفاظ في كل بلد، لو حُرِّف حَرْف منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد، ولا شمأزوا رادّين ومنكرين. ضمن ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾ معنى ولا تنحرف؛ فلذلك عدّي بـ «عن» كأنه قيل: ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعاً أهواءهم، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيها الناس،

﴿شِرْعَةً﴾: شريعة، وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين، ﴿وَمِنْهَاجًا﴾: وطريقا واضحاً في الدين تجرون عليه، وقيل: هذا دليل على أنّا غير متعبدين بشرائع من قبلنا، ﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: جماعة متفقة على شريعة واحدة، أو ذوي أمّة واحدة أي: دين واحد لا اختلاف فيه، ﴿وَلَكِن﴾ أراد، ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة، هل تعملون بها مذعنين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات، معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة؟ أم تتبعون الشبه وتفرطون في العمل؟، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: فابتدروها وتسابقوا نحوها، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات، ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم، وعاملكم ومفرطكم في العمل.

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

فإن قلت: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم﴾ معطوف على ماذا؟ قلت: على (الكتاب) في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ كأنه قيل: وأنزلنا إليك أن احكم على أنّ (أن) وصلت بالأمر لأنه فعل كسائر الأفعال، ويجوز أن يكون معطوفاً على (بالحق) أي: أنزلناه بالحق وبأن احكم، ﴿أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾: أن يضلوك عنه ويستزلوك، وذلك: أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من أحبار اليهود قالوا: اذهبوا بنا إلى محمد نفتنه عن دينه، فقالوا: يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود، وأنا إن اتبعناك اتبعتنا اليهود كلهم ولم يخالفونا، وإنّ بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك ونصدّقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، فنزلت، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: (٥٣٥) عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ

---

٥٣٥ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٦١٤) (١٢١٥٦).
والبيهقي في دلائل النبوّة (٢/ ٥٣٣).
وابن هشام في سيرته (٢/ ٢١٢ـ٢١٣) (٦٥٧).
كلّهم من طريق محمد بن إسحاق، قال حدّثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدّثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: . . .
قلت: ومحمد بن أبي محمد ـ هذا ـ قال الحافظ في التقريب (٢/ ٢٠٥) (٦٧٩)، مدني، مجهول من السادسة، تفرّد عنه ابن إسحاق.
وقال الذهبي في الميزان (٤ الترجمة ٨١٢٩)، لا يعرف.

﴿ذُنُوبِهِمْ﴾: يعني بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه، فوضع، ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ موضع ذلك وأرادأنّ لهم ذنوباً جمة كثيرة العدد، وأنّ هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها، وهذا الإبهام لتعظيم التولى واستسرافهم في ارتكابه، ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد [من الكامل]:

. . . . أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا[1]

أراد نفسه، وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام، كأنه قال: نفساً كبيرة، ونفساً أيّ نفس، فكما أن التنكير يعطي معنى التكبير وهو معنى البعضية، فكذلك إذا صرح بالبعض ﴿لَفَاسِقون﴾ لمتمرّدون في الكفر معتدون فيه، يعني أنّ التولي عن حكم الله من التمرّد العظيم والاعتداء في الكفر.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ فيه وجهان أحدهما: أنّ قريظة والنضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى، وروي: أنّ رسول الله ﷺ قال لهم: «القتلى بواء» فقال بنو النضير: نحن لا نرضى بذلك فنزلت (٥٣٦)، والثاني: أن يكون

---

٥٣٦ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف (٥/ ٤٦٠) ـ كتاب الديات ـ باب إنّ المسلمين تتكافأ دماؤهم (٢٧٩٧٣) ـ من طريق الشعبي قال: كان بين حيين مِن العرب قتال. . . فذكر قصة فيها فارتفعوا إلى النبيّ ـ ﷺ ـ فقال ـ «القتل بواء» أي سواء.
وقال الحافظ بن حجر في الكشاف: لم أجده هكذا، وفي ابن أبي شيبة من طريق الشعبي قال: كان بين حَيّين مِن العرب قتال ـ فذكر قصة فيها: فارتفعوا إلى النبيّ ﷺ فقال: «القتلى بواء» أي سواء. انتهى.

---

(١) تــراك أمــكــنــة إذا لــم أرضــهــا ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها
للبيد بن ربيعة من معلقته. يقول: أنا كثير ترك الأمكنة إذا لم أرضَ الإقامة بها. أو يربط ويحتبس بعض النفوس، يعني نفسه «حمامها» أي موتها المقدر لها فإذا رضيتها أو احتبسني الموت فيها فكيف أتركها؟ فقوله «يرتبط» بالجزم، عطف على المجزوم قبله. وقيل «أو» بمعنى «إلا» لكن كان حقه للنصب حينئذٍ. ولعله سكن للضرورة. وكما أن التنوين يفيد معنى التعظيم، فكذلك كل ما فيه إبهام كالبعضية هنا، فعبر عن نفسه ببعض النفوس دلالة على التعظيم. بل ربما ادعى أنها كل النفوس مبالغة.
ينظر البيت في ديوانه ص ٣١٣، والخصائص ١/ ٧٤، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٤٧٧ وشرح شواهد الشافية ص ٤١٥، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٥١، ومجالس ثعلب ص ٦٣، ٣٤٦، ٤٣٧، والمحتسب ١/ ١١١، خزانة الأدب ٧/ ٣٤٩، والخصائص ٢/ ٣١٧، ٣٤١، والدر المصون ١/ ١١٠، فتح القدير ١/ ٤٢١.

تعييراً لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم، وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل، لا تصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحي من الله تعالى وعن الحسن: هو عامّ في كل من يبغي غير حكم الله والحكم حكمان: حكم بعلم فهو حكم الله، وحكم بجهل فهو حكم الشيطان، وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعد ولده على بعض، فقرأ هذه الآية، وقرىء: «تبغون»، بالتاء والياء، وقرأ السلمي: «أفحكمُ الجاهلية يبغون»، برفع الحكم على الابتداء، وإيقاع يبغون خبراً وإسقاط الراجع عنه كإسقاطه عن الصلة في ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٣١] وعن الصفة في الناس رجلان: رجل أهنت، ورجل أكرمت، وعن الحال في (مررت بهند يضرب زيد) وقرأ قتادة: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ على أنّ هذا الحكم الذي يبغونه إنما يحكم به أفعى نجران، أو نظيره من حكام الجاهلية، فأرادوا بسفههم أن يكون محمد خاتم النبيين حكماً كأولئك الحكام. اللام في قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ للبيان كاللام في (هيت لك) أي: هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون، فإنهم الذين يتيقنون ألاّ أعدل من الله ولا أحسن حكماً منه.

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين. ثم علل النهي بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي: إنما يوالي بعضهم بعضاً لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر، فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ﴾ من جملتهم وحكمه حكمهم، وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله، كما قال رسول الله ﷺ: «لا تراءى ناراهما» (٥٣٧) ومنه

---

٥٣٧ ـ رُوي هذا الحديث ـ من حديث جرير بن عبدالله: ومن حديث خالد بن الوليد.
أ) أما حديث جرير بن عبدالله:
فأخرجه أبو داود (٣/ ٤٥) ـ كتاب الجهاد ـ باب النهى عن قتل من اعتصم بالسّجود ـ (٢٦٤٥)، والترمذي (٤/ ١٥٥) ـ كتاب السير(٢٢) ـ باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين (٤٢) (١٦٠٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٣٠٣) (٢٢٦٣) من طريق أبي معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبدالله قال: «بعث رسول الله ـ ﷺ ـ سرية إلى خثعم. . .».

قول عمر ـ رضي الله عنه ـ لأبي موسى في كاتبه النصراني: لا تكرموهم إذ أهانهم الله، ولا تأمنوهم إذ خوّنهم الله، ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله، وروي: أنه قال له أبو موسى: لا قوام للبصرة إلا به، فقال: مات النصراني والسلام، يعني هب أنه قد مات، فما كنت تكون صانعاً حينئذ فاصنعه الساعة، واستغن عنه بغيره (٥٣٨)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: يعني الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفر[1] يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتاً لهم، ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾: ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن

= وأخرجه أيضاً الترمذي (٤/ ١٥٥) (١٦٠٥) من طريق عبدة، والنسائي (٨/ ٣٦) ـ كتاب القسامة (٤٥) ـ باب القود بغير حديدة (٤٧٨٠)، من طريق أبي خالد، كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم مرسلاً.

وقال الترمذي: وهذا أصح، وأكثر أصحاب إسماعيل عن قيس بن أبي حازم أنَّ رسول اللّه ـ ﷺ . . . ولم يذكروا فيه عن جرير، ورواه حماد بن سلمة عن الحجّاج بن أرطأة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس عن جرير مثل حديث أبي معاوية. قال: وسمعت محمداً يقول: الصّحيح حديث قيس عن النبيّ ـ ﷺ ـ مُرسلُ

قلت: ورواية الحجّاج بن أرطأة:

أخرجها البيهقي في الكبرى (٩/ ١٢ـ١٣) مختصراً بلفظ «مَن أقام مع المشركين، فقد برئت منه الذّمة»، وأخرجها أيضاً في شعب الإيمان (٧/ ٣٩) (٩٣٧٣) (٣٩٧٤) ولكن الحجّاج مدلس، وقد عنعنه فلا فائدة من متابعته ـ واللّه المستعان ـ

وأخرجه أيضاً الشافعي في مسنده (٢/ ١٠٢) (٣٤٠) ـ مرسلاً ـ

ب) وأما حديث خالد بن الوليد:

فأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤/ ١١٤) (٣٨٣٦) وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٥٦): ورجاله ثقات، وقال الحافظ بن حجر في الكشاف: أخرجه أبو داود والترمذي والنّسائي من حديث جرير «أنَّ رسول اللّه ـ ﷺ بعث سرية إلى خثعم، فاعتصم ناس بالسّجود ـ الحديث، وفيه: وقال «أنا بريء مِن كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين. قالوا: ولِم؟ قال: لا تراءى نارهما» وصله أبو معاوية عن إسماعيل عن قيس عنه. وأرسله غيره مِن أصحاب إسماعيل كعبدة بن سليمان ووكيع وهشيم ومروان وتابعه حجّاج بن أرطأة عن إسماعيل موصولاً. وحجّاج ضعيف ورجّح البخاري وغيره المرسل. وخالف الجميع حفص بن غياث فرواه عن إسماعيل عن قيس عن خالد بن الوليد أخرجه الطبراني. انتهى.

٥٣٨ ـ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٣) ـ الباب السادس والستين ـ في مباعدة الكفار والمفسدين ـ (٩٣٨٤)، وأخرجه أيضاً في الكبرى (١٠/ ١٢٧) ـ كتاب آداب القاضي ـ باب لا ينبغي للقاضي ولا للوالي أن يتخذ كاتباً ذمياً ـ «دون ما في آخره».

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥١٦) لابن أبي حاتم:

وقال الحافظ بن حجر في الكشاف: أخرجه البيهقي في أدب القاضي مِن السُّنَن الكبير مطوّلاً دون ما في آخره، فلينظر. انتهى.

---

(١) قوله «بموالاة الكفر» لعله الكفرة. (ع)

تصيبهم دائرة من دوائر الزمان، أي: صرف من صروفه ودولة من دوله، فيحتاجون إليهم وإلى معونتهم، وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لرسول الله ﷺ: إنّ لي موالي من يهود كثيراً عددهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأُوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن أبيّ: إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية مواليّ وهم يهود بني قينقاع (٥٣٩). ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾ لرسول الله ﷺ على أعدائه وإظهار المسلمين، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾: يقطع شأفة اليهود[1] ويجليهم عن بلادهم، فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم: وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول الله ﷺ ويقولون: ما نظن أن يتم له أمر، وبالحري أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء، وقيل: أو أمر من عنده، أو أن يؤمر النبيّ ﷺ بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم، وقيل: أو أمر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب. فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قرىء بالنصب عطفاً على «أن يأتي» وبالرفع على أنه كلام مبتدأ، أي: ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت. وقرىء: «يقول»: بغير واو، وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ فقيل: يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا. فإن قلت: لمن يقولون هذا القول؟ قلت: إمّا أن يقوله بعضهم لبعض تعجباً من حالهم واغتباطاً بما منّ الله عليهم من التوفيق في الإخلاص، ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ﴾ لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار، وإمّا أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة. كما حكى الله عنهم ﴿وإن قوتلتم لننصرنكم﴾ [الحشر: ١١]. ، ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾: من جملة قول المؤمنين، أي: بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في

---

٥٣٩ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٦١٥) (١٢١٦٢).
والبيهقي في دلائل النبوّة (٣/ ١٧٤ـ١٧٥) ـ باب غزوة بنى قَيْنُقَاع وابن هشام في سيرته (٢/ ٤٥٨) (١٠٣٦).
وابن أبي شيبة في مصنّفه (٦/ ٣٩١ـ٣٩٢) ـ مختصراً ـ في كتاب الفضائل وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه وابن عساكر ـ كما في الدر المنثور (٢/ ٥١٥)، وقال الحافظ بن حجر في الكشاف:
أخرجه الطبري مِن رواية عطية بن سعيد العوفي قال: جاء رجل يقال له عبادة بن الصّامت ـ فذكره مرسلاً وأتمّ منه ومِن هذا الوجه أخرجه ابن أبي شيبة. وله طرق أخرى في المغازي لإبن إسحاق عن أبيه عن عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول اللَّه ﷺ فذكر نحوه. انتهى.

---

(١) قوله «يقطع شأفة اليهود» في الصحاح «الشأفة» قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب، فضرب بها المثل في الاستئصال اهـ باختصار. (ع)

رأى أعين الناس، وفيه معنى التعجب كأنه قيل: ما أحبط أعمالهم! فما أخسرهم! أو من قول الله عزّ وجلّ شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجيباً من سوء حالهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

وقرىء: «من يرتد» ومن «يرتدد»، وهو في الإمام بدالين، وهو من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها، وقيل: بل كان أهل الردّة إحدى عشرة فرقة: ثلاث في عهد رسول الله ﷺ: بنو مدلج، ورئيسهم ذو الخمار وهو الأسود العنسي، وكان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده، وأخرج عمال رسول الله ﷺ، فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن، فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بَيَّتَهُ فقتله وأخبر رسول الله ﷺ بقتله ليلة قتل، فسرّ المسلمون وقبض رسول الله ﷺ من الغد، وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول[(١)]. وبنو حنيفة، قوم. . . . .

---

(١) قوله: إن أهل الردة كانوا إحدى عشرة فرقة ثلاثة في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسبعة على عهد أبي بكر رضيَ الله عنه وواحدة على عهد عمر. فالتي في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الأسود العنسي. قلت: ليس قوله الأسود المذكور من بني مدلج، بل بنو مدلج قوم من بني كنانة بن مضر إخوة قريش والأسود المذكور كان باليمن. وقومه بنو عنس ـ بفتح العين المهملة وسكون النون بعدها سين مهملة. قال الزمخشري كان الأسود المذكور كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال النبي صلّى الله عليه وسلّم؛ فكتب النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن، فأهلكه الله على يد فيروز الديلمي فقتله. وأخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقتله ليلة قتل. فسر المسلمون بذلك. وقبض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الغد في آخر شهر ربيع الأول. قلت: وفي هذا الكلام من التخليط غير شيء فإن قوله: استولى على بلاد اليمن وأخرج عمال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ظاهره يقتضي ألا يبقى منهم هناك أحد وليس الأمر كذلك، بل بقى منهم كل ما كان عليه جماعة منهم من المهاجرين ابن أبي أمية ومعه جميع السواحل. وكان باليمن أيضاً معاذ بن جبل وغيره من عمال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سواحل اليمن. وإنما استولى العنسي على صنعاء. وبعض البلاد الجبالية. وقد نقض الزمخشري كلامه بقوله: فإنه صلّى الله عليه وسلّم كتب إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن. ولكن الجمع بين كلاميه: بأن مراده، إخراج عمال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذين حاربهم فيكون المراد إخراج بعضهم لا جميعهم. وقوله وقبض رسول الله (ﷺ) من الغد، أي صبيحة إخباره بقتل الأسود. وفيه نظر وسيأتي وجهه. وقوله: في آخر شهر ربيع الأول: ليس بصحيح فإنه صلّى الله عليه وسلّم مات في أول شهر ربيع الأول. وقيل: في ثامنه. وقيل: في ثاني عشر. وسيأتي بيان الاختلاف في وقت المجيء برأس الأسود العنسي. وقصة الأسود العنسي قد أخرجها مطولة جميع مَن صنّف في الردة كابن إسحاق والواقدي وسيف بن عمر. وسيمة بن =

= الفرات. وأخرجها الحاكم في الإكليل والبيهقي في الدلائل، قال الواقدي: اسم الأسود ذو الخمار. وقال غيره: اسمه عبهلة ولقبه ذو الخمار، لأنه كان يلقي على وجهه قناعاً ويهمهم. وكان له شيطانان أحدهما سحيق والآخر بشقيق، قال الواقدي: وملك الأسود نجران وأقام بها ستة أشهر ثم خرج في ستمائة ممن تبعه إلى صنعاء فحاصر الأساورة منهم باذان، وفيروز ودادويه في آخرين. وكانوا أسلموا. وأرسلوا بإسلامهم فروة بن مسيك المرادي. فاقتتل الفريقان حتى غلب الأسود فقتل منهم طائفة. وخير طائفة بين أن يخرجوا من صنعاء إلى بلد آخر ويقيموا بها ويضرب عليهم الخراج ويصيروا عبيداً له. واصطفى الأسود المرزبانة امرأة باذان لنفسه. وكانت جميلة. وكان يشرب الخمر ويقع عليها ولا يغتسل ولا يصلي، فكرهته المرزبانة وراسلت الأساورة وفيهم فيروز، وواعدتهم البستان في الوقت الذي يسكر فيه الأسود. فدخل عليه فيروز ودادويه وقيس بن مكشوح وهو سكران. فقالت المرزبانة: لفيروز وهو أحدثهم سناً: دونك الرجل. قال فيروز: كنت قد أنسيت سيفي من الدهش. فوقعت على الأسود فخنقته حتى حولت وجهه إلى قفاه. ثم دخل صاحباه فحزوا رأسه. واجتمع الأساورة بباب المدينة يقتلون أصحاب العنسي. فذكر تمام القصة، إنما اختصرناها. وروى النسائي من حديث عبدالله بن فيروز الديلمي عن أبيه قال «أتيت النبي صلَّى الله عليه وسلَّم برأس الأسود العنسي» قال عبدالحق لا يصح في هذا الباب شيء. وتعقبه ابن القطان بأن إسناد النسائي صحيح. ولا يعارضه ما جاء إن الخبر بقتله إنما جاء إثر موت النبي صلَّى الله عليه وسلَّم لأن رواية النسائي ليس فيها التصريح أنه صادف النبي صلَّى الله عليه وسلَّم. نعم في رواية الطبري زيادة تدل على ذلك.

(١) قول الزمخشري: وبنو حنيفة باليمامة. ورئيسهم مسيلمة. روى الواقدي من طريق حبيب بن عمير الأنصاري قال «كان مسيلمة بن حبيب قد ادعى النبوة في حياة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وقال لقومه يا معشر بني حنيفة ما الذي جعل قريشاً أحق بالنبوة منكم وليسوا بأكثر منكم ولا أعد، والله إن بلادكم لأوسع من بلادهم، وإن جبريل ينزل علي كما ينزل على محمد وشهد له الدجال بن عنعوة أن محمداً أشرك مسيلمة في الأمر، فسألوه وشهد له. وقرأ عليهم مسيلمة قرآناً يزعمه. سبح اسم ربك الأعلى الذي يسر على الحبلى. فأخرج منها نسمة تسعى من بين أحشا وسلا فمنهم من يدس في الثرى ومنهم يعيش يحيى. إلى أجل ومنتهى. والله يعلم السر وأخفى. ولا يخفى عليه أمر الآخرة والأولى. فبايعه أهل اليمامة فلما قدمت وفود العرب على النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، بعد الفتح قدم مسيلمة في وفد بني حنيفة فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده ـ تبعته. فأتى رسول الله ـ ﷺ ـ فسأله أن يشركه في الأمر، وأن يجعل له الخلافة بعده فأبى. ثم إن وفد بني حنيفة أظهروا الإسلام. وأجازهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بمثل جوائز الوفود ورجع مسيلمة معهم مظهراً النبوة. وشهد له الدجال بن عنعوة أن محمداً أشركه في الأمر. وتمادى مسيلمة على ضلاله. إلى خلافة أبي بكر فكثر تابعوه. فجهز إليه أبو بكر في جمع من الصحابة، فالتقوا باليمامة فاقتتلوا قتالاً شديداً من طلوع الشمس إلى العصر، وكثر القتل والجراح في الفريقين ووقعت النوبة في المسلمين. ثم تراجع المهاجرون والأنصار. فدفعوا بني حنيفة دفعة عظيمة حتى ألجئوهم إلى حديقة فيها مسيلمة فاعتصموا بها. وأغلقوا الباب فحاصرهم المسلمون. وقال لهم أبو دجانة ألقوا بي على المدينة حتى أصعد إلى أعلى الحديقة ففعلوا فهبط عليهم فقتل منهم حين فتح باب الحديقة وقتل هو وولج المسلمون الحديقة. فقتلوهم حين انتهى القتال إلى مسيلمة فطعنه عبدالله بن يزيد الأنصاري. وزرقه وحشي بن حرب فاشتركا في قتله.

مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. أمّا بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك. فأجاب عليه الصلاة والسلام: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب. أمّا بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» فحاربه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بجنود المسلمين، وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة، وكان يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية، وشرّ الناس في الإسلام، أراد في جاهليتي وإسلامي، وبنو أسد: قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله ﷺ خالداً[1] فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه، وسبع في عهد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ: فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرّة بن سلمة القشيري، وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد يا ليل، وبنو يربوع، قوم مالك بن نويرة، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوّجت نفسها مسيلمة الكذاب، وفيها يقول أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري [من البسيط]:

أَمَّتْ سَجَاحُ وَوَالاَهَا مُسَيْلِمَةُ ... كَذَّابَةٌ فِي بَنِي الدُّنْيَا وَكَذَّابُ[2]

وكندة: قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد، وكفى الله أمرهم على يد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، وفرقة واحدة في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ: غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة[3] وسيرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ قيل: لما نزلت أشار رسول الله ﷺ إلى أبي موسى الأشعري فقال: «قوم هذا» (٥٤٠) وقيل: هم ألفان من النخع، وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة

---

٥٤٠ ـ أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٨٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٦٢٤) (١٢١٩٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٣). كتاب التفسير.
وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
كلهم من طريق شعبة عن سماك بن حرب قال: سمعت عياضاً الأشعري يقول: . . .
وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٥١) من طريق عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري عن أبي موسى قال: . . .
قلت: وعياض الأشعري، مختلف في صحبته،
فقال عبد الرحمٰن بن أبي حاتم (٦/ الترجمة ٢٢٧٦) عن أبيه: عياض الأشعري، روي عن النبي ـ ﷺ ـ مرسلاً ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ وهو تابعي. روب عن أبي موسى عن النبي ـ ﷺ ـ ا.هـ

---

(١) قوله «خالداً» في أبي السعود «أبا بكر» اهـ. (ع)
(٢) لأبي العلاء المعري. وأمت ـ بالتشديد ـ: صارت إماماً في بني حنيفة وادعت النبوة. ويروى بالمد والتخفيف، أي صارت أيماً غير متزوجة وهي بنت المنذر. ووافاها، أي وافقها مسيلمة، فإنه تزوجها وكان مدعياً للنبوة أيضاً، وبعد قتله تابت وحسن إسلامها.
(٣) قوله «نصرته اللطمة» لعلها اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب وبز التجار، فحرر.

آلاف من أفناء الناس[1] جاهدوا يوم القادسية، وقيل: هم الأنصار، وقيل: سئل رسول الله ﷺ عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال: «هذا وذووه» ثم قال: لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس (٥٤١)، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: محبة العباد لربهم طاعته

= والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥١٨/٢) لابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه.
وقال الحافظ بن حجر في الكشاف:
أخرجه ابن أبي شيبة وإسحق والحاكم والطبراني. والطبري من طريق سماك بن حرب. عن عياض الأشعري. قال: لما نزلت هذه الأية فذكره. ورواه البيهقي في الدلائل من وجه آخر عن سماك عن عياض عن أبي موسى قال: تلوت عند النبي ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ الأية. فقال رسول الله ﷺ قومك يا أبا موسى. أهل اليمن. انتهى.

٥٤١ ـ أخرجه بهذا اللفظ «أبو يعلى» في مسنده (٢٧/٣) (١٤٣٨) من طريق سفيان عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن قيس بن سعد قال: قال رسول الله ـ ﷺ «لو كان... دون قوله «هذا وذووه» وأخرجه موقوفاً أيضاً على قيس بن سعد (٢٣/٣) وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٥٤/١٨) (٩٠٠، ٩٠١).
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٧/١٠ـ٦٨) وقال «رواه أبو يعلى والبزّار والطبراني ورجالهم رجال الصّحيح».
قلت: وله شاهد مِن حديث أبي هريرة:
أخرجه البخاري (٦٣٤/٩) ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ باب سورة الجمعة (٦٢)، (٤٨٩٧) ومسلم (١٩٧٢/٤) ـ كتاب فضائل الصّحابة (٤٤) ـ باب فضل فارس (٥٩) (٢٣١/٢٥٤٦) والترمذي (٥/ ٤١٣) ـ كتاب تفسير القرآن ـ سورة الجمعة (٣٣١٠) ـ «وطريقه فيه ضعف» ـ من طريق أبي الغيث عن أبي هريرة قال: كنّا جلوساً عند النبيّ ـ ﷺ...
ولفظه «لو كان الإيمان عند الثريا لنَالَهُ رجال من هؤلاء يعني سلمان الفارسي».
وصحّ الحديث بلفظ آخر، وهو «لو كان الدِّين عند الثريا لذهب به رجل من فارس...».
أخرجه مسلم (٢٣٠/٢٥٤٦) وأحمد في المسند (٣٠٨/٢ـ٣٠٩) من طريق زيد بن الأصم عن أبي هريرة مرفوعاً.
وللحديث طريق أخرى عن أبي هريرة وفيه سبب وروده وهو ما أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١/ ٣٣٠) (٣١٤٤٤) من طريق مسلم بن خالد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية...
قلت: وهذا إسناد فيه نظر ـ لضعف مسلم بن خالد:
قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال النّسائي، ليس بالقويّ.
وقال أبو حاتم، ليس بذاك القوي، منكر الحديث ـ راجع تهذيب الكمال (٥١٢/٢٧) ولكن ـ لمسلم بن خالد ـ متابعات.
الأولى: شيخ مِن أهل المدينة. =

---

(١) قوله «من أفناء الناس» في الصحاح «فناء الدار» ما امتد من جوانبها. والجمع أفنية. ويقال: هو من أفناء الناس، إذا لم يعلم ممن هو. (ع)

وابتغاء مرضاته، وألاّ يفعلوا ما يوجب سخطه[1] وعقابه، ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن

= أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٣ـ٣٨٤) (٣٢٦٠) وقال: هذا حديث غريب في إسناده مقال.
الثانية: عبد العزيز بن محمد.
أخرجه الحاكم (٢/ ٤٥٨) ـ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأقرّه الذهبي وقال الحافظ بن حجر في الكشاف:
هكذا رواه. وهو وهم منه فإنّ هذا الكلام إنّما ورد في آية الجمعة من طريق أبي الغيث عن أبي هريرة وهو متفق عليه. وفي آية القتال رواه الترمذي من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضيَ اللّه عنه. انتهى.

(١) قال محمود: «محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته. وألا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه. ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظهم ويثني عليهم ويرضى عنهم. وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة، وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئاً، وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف، وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله، وفي مراقصهم عطلها الله. بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء، وصعقاتهم التي أين منها صعقة موسى يوم دك الطور، فتعالى الله عنه علواً كبيراً. ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته، فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات» انتهى كلامه. قال أحمد لا شك أن تفسير محبة العبد لله بطاعته له على خلاف الظاهر وهو من المجاز الذي يسمى فيه المسبب باسم السبب والمجاز لا يعدل إليه عن الحقيقة إلا بعد تعذرها، فليمتحن حقيقة المحبة لغة بالقواعد لينظر أهي ثابتة للعبد متعلقة بالله تعالى أم لا، إذ المحبة لغة: ميل المتصف بها إلى أمر ملذ واللذات الباعثة على المحبة منقسمة إلى مدرك بالحس، كلذة الذوق في المطعوم، ولذة النظر واللمس في الصور المستحسنة، ولذة الشم في الروائح العطرة، ولذة السمع في النغمات الحسنة، وإلى لذة تدرك بالعقل كلذة الجاه والرياسة والعلوم وما يجري مجراها، فقد ثبت أن في اللذات الباعثة على المحبة ما لا يدركه إلا العقل دون الحس، ثم تتفاوت المحبة ضرورة بحسب تفاوت البواعث عليها، فليس اللذة برياسة الإنسان على أهل قرية كلذته بالرياسة على أقاليم معتبرة. وإذا تفاوتت المحبة بحسب تفاوت البواعث، فلذات العلوم أيضاً متفاوتة بحسب تفاوت المعلومات فليس معلوم أكمل ولا أجمل من المعبود الحق، فاللذة الحاصلة في معرفته تعالى ومعرفة جلاله وكماله تكون أعظم، والمحبة المنبعثة عنها تكون أمكن. وإذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات، فقد تحصل من ذلك أن محبة العبد ممكنة، بل واقعة من كل مؤمن، فهي من لوازم الإيمان وشروطه، والناس فيها متفاوتون بحسب تفاوت إيمانهم. وإذا كان كذلك وجب تفسير محبة العبد لله بمعناها الحقيقي لغة، وكانت الطاعات والموافقات كالمسبب عنها والمغاير لها. ألا ترى إلى الأعرابي الذي سأل عن الساعة فقال له النبي عليه الصلاة والسلام «ما أعددت لها» قال: ما أعددت لها كبير عمل ولكن حب الله ورسوله. فقال عليه الصلاة والسلام «أنت مع من أحببت» فهذا الحديث ناطق بأن المفهوم من المحبة لله غير الأعمال والتزام الطاعات، لأن الأعرابي نفاها وأثبت الحب وأقره عليه الصلاة والسلام على ذلك، ثم إذا ثبت إجراء محبة العبد لله تعالى على حقيقتها لغة، فالمحبة في اللغة إذا تأكدت سميت عشقاً، فمن تأكدت محبته لله تعالى وظهرت آثار تأكدها عليه من استيعاب الأوقات في ذكره وطاعته، فلا يمنع أن تسمى محبته عشقاً: إذ العشق ليس إلا المحبة البالغة. وما أردت =

الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة، وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا، وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف، وما يدينون به من المحبة والعشق، والتغني على كراسيهم خربها الله، وفي مراقصهم عطلها الله، بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء، وصعقاتهم التي أين منها صعقة موسى عند دكّ الطور؟!! فتعالى الله عنه علواً كبيراً، ومن كلماتهم: كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته، فإنّ الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات، ومنها: الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة، فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة. فإن قلت: أين الراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط؟ قلت: هو محذوف معناه: فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم، أو ما أشبه ذلك، ﴿أَذِلَّةٍ﴾: جمع ذليل، وأما ذلول فجمعه ذلل، ومن زعم أنه من الذلّ الذي هو نقيض الصعوبة، فقد غبى عنه أن ذلولاً لا يجمع على أذلة. فإن قلت: هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يضمن الذلّ معنى الحنوّ والعطف كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، والثاني: أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم، ونحوه قوله عزّ وجلّ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقرىء: أذلة وأعزة بالنصب على الحال، ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ يحتمل أن تكون الواو للحال، على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين، فإنهم كانوا موالين لليهود ـ لعنت ـ

= بهذا الفصل إلا تخليص الحق والانتصاب لأحباء الله عز وجل من الزمخشري، فإنه خلط في كلامه الغث بالسمين، فأطلق القول كما سمعته بالقدح الفاحش في المتصوفة من غير تحر منه، ونسب إليهم ما لا يعبأ بمرتكبه، ولا يعد في البهائم فضلاً عن خواص البشر، ولا يلزم من تسمى طائفة بهذا الاسم غاصبين له من أهله، ثم ارتكابهم ما نقل عنهم مما ينافي حال المسمين به حقيقة، أن يؤاخذ الصالح بالطالح ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وهذا كما أن علماء الدين قد انتسب إليهم قوم سموا أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، ثم خلعوا الربقة فجحدوا صفات الله تعالى وقضاءه وقدره وقالوا: إن الأمر أنف، وجعلوا لأنفسهم شركاً في المخلوقات وفعلوا وصنعوا، فلا يسوغ لنا أن نقدح في علماء أصول الدين مطلقاً؛ لأنهم قد انتسب إليهم من لا حيلة لهم في نفيه عن التسمي بنعتهم، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولا شك أن في الناس من أنكر تصور محبة العبد لله إلا بمعنى طاعته له لا غير، وهو الذي يحاز إليه الزمخشري. وقد بينا تصور ذلك وأوضحناه. والمعترفون بتصور ذلك وثبوته ينسبون المنكرين إلى أنهم جهلوا فأنكروا، كما أن الصبي ينكر على من يعتقد أن وراء اللعب لذة من جماع أو غيره، والمنهمك في الشهوات والغرام بالنساء يظن أن ليس وراء ذلك لذة أو رياسة أو جاه أو شبه ذلك، وكل طائفة تسحر بمن فوقها وتعتقد أنهم مشغولون في غير شيء. قال الغزالي: والمحبون لله يقولون لمن أنكر عليهم ذلك: إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون.

فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود، فلا يعملون شيئاً مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم، وأمّا المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط، وأن تكون للعطف، على أن من صفتهم المجاهدة في سبيل الله، وأنهم صلاب في دينهم، إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف، مضوا فيه كالمسامير المحماة، لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم، يشقّ عليه جدهم في إنكارهم وصلابتهم في أمرهم، واللومة: المرّة من اللوم، وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل: لا يخافون شيئاً قط من لوم أحد من اللوام، و﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة، ﴿يُؤْتِيهِ﴾: يوفق له، ﴿مَن يَشَآءُ﴾: ممن يعلم أنّ له لطفاً، ﴿وَٰسِعٌ﴾ كثير الفواضل والألطاف، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو من أهلها.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ (٥٥)﴾

عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ومعنى (إنما) وجوب اختصاصهم بالموالاة. فإن قلت: قد ذكرت جماعة فهلا قيل: إنما أولياؤكم؟ قلت: أصل الكلام: إنما وليكم الله، فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة، ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله ﷺ والمؤمنين على سبيل التبع، ولو قيل: إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا، لم يكن في الكلام أصل وتبع وفي قراءة عبد الله: «إنما مولاكم». فإن قلت: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾ ما محله؟ قلت: الرفع على البدل من «الذين آمنوا» أو على: هم الذين يقيمون. أو النصب على المدح، وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقاً، أو واطأت قلوبهم ألسنتهم إلا أنهم مفرطون في العمل، ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾: الواو فيه للحال، أي: يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلوا وإذا زكوا، وقيل: هو حال من (يؤتون الزكاة)، بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة، وإنها نزلت في عليٍّ كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه (٥٤٢). كأنه كان مرجاً[1] في خنصره، فلم يتكلف

---

٥٤٢ ـ قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: رواه ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن كهيل قال: تصدّق علي بخاتمه وهو راكع فنزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ ولابن مردويه من رواية سفيان الثوري عن ابن سنان عن الضحّاك عن ابن عباس قال: «كان علي قائماً يصلّي فمرّ سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فنزلت» وروى الحاكم في علوم الحديث من رواية عيسى بن عبدالله ثنا أبي عن أبيه عن جدّه =

---

(١) قوله «كأنه كان مرجاً» أي قلقاً غير ثابت. أفاده الصحاح. (ع)

لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته، فإن قلت: كيف صحّ أن يكون لعليّ ـ رضي الله عنه ـ واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلا واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان وتفقد الفقراء، حتى إن لزهم أمر لا يقبل[1] التأخير وهم في الصلاة، لم يؤخروه إلى الفراغ منها.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾

﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾: من إقامة الظاهر مقام المضمر[2]، ومعناه: فإنهم هم الغالبون، ولكنهم بذلك جعلوا أعلاماً لكونهم حزب الله، وأصل الحزب: القوم يجتمعون لأمر حزبهم، ويحتمل أن يريد بـ «حزب الله»: الرسول والمؤمنين، ويكون المعنى: ومن يتولهم فقد تولى حزب الله، واعتضد بمن لا يغالب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (٥٨)﴾

روي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث كانا قد أظهرا الإسلام ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادّونهما (٥٤٣)، فنزلت. يعني أن اتخاذهم دينكم هزواً ولعباً لا

= عن عليّ بن أبي طالب قال: نزلت هذه الآية؛ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ...﴾ الآية، فدخل رسول الله ﷺ المسجد والناس يصلُّون بين قائم وراكع وساجد وإذا سائل فقال رسول الله ﷺ. أعطاك أحدٌ شيئاً قال: لا إلاّ هذا الراكع يعني عليًا أعطاني خاتمه. ورواه الطبراني في الأوسط في ترجمة محمد بن على الصائغ وعند ابن مردويه من حديث عمار بن ياسر قال: وقف بعلي سائل وهو واقف في صلاته ـ الحديث. وفي إسناده خالد بن يزيد العمري وهو متروك ورواه الثعلبي من حديث أبي ذرّ مطوّلاً وإسناده ساقط. انتهى.

٥٤٣ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٦٣٠) (١٢٢٢١).
قلت: وفي سنده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ـ وتقدّم أنّ الحافظ قال فيه: مجهول وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٢١) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

---

(١) قوله «لا يقبل» لعله «لا يفعل». (ع)
(٢) قال محمود: «هذا من إقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه... إلخ» قال أحمد: ومقابله قوله تعالى ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ فوضع الظالمين موضع ضمير الأول ليزيدهم سمة الظلم إلى الخسران.

يصحّ أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء، بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة، وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار ـ وإن كان أهل الكتاب من الكفار ـ إطلاقاً للكفار على المشركين خاصة، والدليل عليه قراءة عبد الله: «ومن الذين أشركوا»، وقرىء: «والكفار» بالنصب والجرّ، وتعضد قراءة الجرّ قراءة أُبيّ: «ومن الكفار»، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في موالاة الكفار وغيرها، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقاً؛ لأن الإيمان حقاً يأبى موالاة أعداء الدين، ﴿اتَّخَذُوهَا﴾ الضمير للصلاة أو للمناداة. قيل: كان رجلاً من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول: (أشهد أن محمداً رسول الله) قال: حرّق الكاذب، فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم، فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت، واحترق هو وأهله (٥٤٤)، وقيل: فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده، ﴿لَّا يَعْقِلُونَ﴾ لأنّ لعبهم وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة، فكأنه لا عقل لهم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩)﴾

قرأ الحسن: «هل تنقَمون» بفتح القاف، والفصيح كسرها، والمعنى: هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها، ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾. فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾؟ قلت: فيه وجوه: منها أن يعطف على (أن آمنا)، بمعنى: وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمرّدكم وخروجكم عن الإيمان، كأنه قيل: وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون منه، ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف، أي: واعتقاد أنكم فاسقون ومنها. أن يعطف على المجرور، أي: وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون، ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع، أي: وما تنقمون منا إلا الإيمان مع أنّ أكثركم فاسقون، ويجوز أن يكون تعليلاً معطوفاً على تعليل محذوف، كأنه قيل: وما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات، ويدل عليه تفسير الحسن: بفسقكم نقمتم ذلك علينا.

وروي: أنه أتى رسول الله ﷺ نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل؟ فقال: «أومن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله: ونحن له مسلمون» فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ـ

---

٥٤٤ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٦٣١) (١٢٢٢٣).
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٢١) لابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه الطبري من رواية أسباط عن السدى في قوله ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾، قال: كان رجل من النصارى... فذكره. انتهى.

عليه السلام ـ: ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً أشرّ من دينكم. فنزلت (٥٤٥)، وعن نعيم بن ميسرة: «وإنّ أكثركم»، بالكسر، ويحتمل أن ينتصب (وأن أكثركم) بفعل محذوف يدل عليه (هل تنقمون)، أي: ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون، أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف، أي: (و) فسقكم ثابت معلوم عندكم، لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل، إلا أن حب الرياسة وكسب الأموال لا يدعكم فتنصفوا.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى المنقوم، ولا بدّ من حذف مضاف قبله، أو قبل (من) تقديره: بشرّ من أهل ذلك، أو دين من لعنه الله، و﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ في محل الرفع على قولك: هو من لعنه الله، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢] أو في محل الجرّ على البدل من شرّ، وقرىء: «مثوبة». «ومثوبة»، ومثالهما: مشورة، ومشورة. فإن قلت: المثوبة مختصة بالإحسان، فكيف جاءت في الإساءة؟ قلت: وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله [من الوافر]:

.... تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[1]

ومنه ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]. فإن قلت: المعاقبون من الفريقين هم

---

٥٤٥ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٦٣٢) (١٢٢٢٤) حدّثنا هناد السرى قال، حدّثنا يونس بن بكير، قال حدّثنا محمد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدّثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس..

قلت: وفيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت: تقدّم ـ أنه مجهول.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٤١٣) ـ للواحدي في أسباب النزول.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٢٢) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، قال الحافظ في الكشاف: أخرجه الواحدي في الأسباب. والوسط عن ابن عباس بهذا وأخرجه الطبري من رواية ابن إسحاق حدّثني محمد بن أبي محمد، مولى زيد بن ثابت. حدّثني سعيد أو عكرمة عن ابن عباس رضيَ اللّه عنهما قال أتى رسول اللّه ﷺ نفر مِن اليهود وفيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع. وعازر وآزار ابني آزار وأشيع فسألوه عمّن يؤمن به مِن الرُسُل فذكر نحوه. وفيه فلمّا ذكر عيسى جحدوا نبوّته. وقالوا لا نؤمن بعيسى ولا نؤمن بمَن آمَن به. انتهى.

---

(١) تقدم.

اليهود، فلم شورك بينهم[1] في العقوبة؟ قلت: كان اليهود ـ لعنوا ـ يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب، فقيل لهم: من لعنه الله شرّ عقوبة في الحقيقة واليقين من أهل الإسلام في زعمكم ودعواكم، ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ عطف على صلة[2] «من» كأنه قيل: ومن عبد الطاغوت، وفي قراءة أبيّ «وعبدوا الطاغوت»، على المعنى، وعن ابن مسعود: «ومن عبدوا»، وقرىء: «وعابد الطاغوت» عطفاً على القردة. «وعابدي». «وعباد». «وَعَبُدَ». «وَعَبُدَ»، ومعناه: الغلوّ في العبودية، كقولهم: رجل حذر وفطن، للبليغ في الحذر والفطنة. قال [من الكامل]:

أَبَنِي لُبَيْنَى إنَّ أُمَّكُمُ أَمَةٌ وَإِنَّ أَبَاكُمُ عَبُدُ[3]

وعبد بوزن حطم، وعبيد، وعبد ـ بضمتين ـ جمع عبيد: وعبدة بوزن كفرة، وعبد، وأصله عبدة، فحذفت التاء للإضافة. أو هو كخدم في جمع خادم، وعبد[4] وعباد، وأعبد، وعبد الطاغوت، على البناء للمفعول، وحذف الراجع، بمعنى: وعبد الطاغوت فيهم، أو بينهم، وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبوداً من دون الله، كقولك (أمر) إذا صار أميراً، و﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتِ﴾، بالجر عطفاً على، ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾. فإن قلت: كيف

---

(١) (قوله فلم شورك بينهم) لعله بينهما، أو بينهم وبين المسلمين. (ع)

(٢) قال محمود: «وعبد الطاغوت عطف على صلة من... إلخ» قال أحمد: السؤال يلزم القدرية لأنهم يزعمون أن الله تعالى إنما أراد منهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن عبادتهم للطاغوت قبيحة والله تعالى لا يريد القبائح بل تقع في الوجود على خلاف مشيئته، فلذلك يضطر الزمخشري إلى تأويل الجعل بالخذلان أو بالحكم، وكذلك أول قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بمعنى حكمنا عليهم بذلك. هذا مقتضى قاعدة القدرية. وأما على عقيدة أهل السنة الموحدين حقاً، فالآية على ظاهرها، والله تعالى هو الذي أشقاهم وخلق في قلوبهم طاعة الطاغوت وعبادته، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وإذا روجع القدري في تحقيق الخذلان أو الحكم الذي يستروح إلى التأويل به، لم يقدر منه على حقيقة. ولم يفسره بغير الخلق إن اعترف بالحق وترك ارتكاب المراء، والتذبذب مع الأهواء، والله ولي التوفيق.

(٣) أبني لبينى لست معترفاً ليكون ألأم منكم أحد
أبني لبينى إن أمكم أمة وإن أباكم عبد

لأوس بن حجر. وقيل لطرفة بن العبد، والهمزة للنداء، والعبد كالحذر البليغ في العبودية. ورواه الفراء بالضم، لكن قال: إن ضم الباء ضرورة. وقال السيوطي: إنه بالضم اسم جمع لعبد بالسكون، لكن ظاهر البيت يخالفه. يقول: يا بني لبينى، لست معترفاً لأن يكون أحد أشد لؤماً منكم، فإن أبويكم رقيقين. وتخصيص الأمة بالرقيقة والعبد بالرقيق: عرف شائع في اللغة. وناداهم نداء الغريب، لأنه أغيظ للمواجهة بالذم. وكرر النداء مع هذه الإضافة للاستخفاف بهم.
ينظر: ديوانه ٢١، اللسان (عبد)، البحر المحيط ٣/ ٥٣٠، الدر المصون ٢/ ٥٥٨.

(٤) قوله «وعبد» لعله بفتح العين وضم الباء كندس. أفاده الصحاح. (ع)

جاز أن يجعل الله منهم عباد الطاغوت؟[1] قلت: فيه وجهان أحدهما: أنه خذلهم حتى عبدوه، والثاني: أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به، كقوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمٰن إناثاً﴾ [الزخرف: ١٩] وقيل: الطاغوت: العجل؛ لأنه معبود من دون الله، ولأن عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان، فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت، وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أطاعوا الكهنة، وكل من أطاع أحداً في معصية الله فقد عبده، وقرأ الحسن: «الطواغيت»، وقيل: وجعل منهم القردة أصحاب السبت، والخنازير كفار أهل مائدة عيسى، وقيل: كلا المسخين من أصحاب السبت، فشبانهم مسخوا قردة، ومشايخهم مسخوا خنازير، وروي أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون: يا إخوة القردة والخنازير فينكسون رءوسهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الملعونون الممسوخون، ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾: جعلت الشرارة للمكان وهي لأهله، وفيه مبالغة ليست في قولك: أولئك شرّ وأضلّ، لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز. نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ يظهرون له الإيمان نفاقاً، فأخبره الله تعالى بشأنهم (٥٤٦) وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا، لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك، وقوله: (بالكفر) و (به) حالان، أي: دخلوا كافرين[2] وخرجوا كافرين، وتقديره: ملتبسين بالكفر، وكذلك قوله: (وقد دخلوا)؛ (وهم قد خرجوا) ولذلك دخلت (قد) تقريباً للماضي من الحال، ولمعنى آخر: وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم، وكان رسول الله ﷺ متوقعاً لإظهار الله ما كتموه، فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله: (قالوا آمنا) أي: قالوا ذلك وهذه حالهم.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا

---

٥٤٦ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/٦٣٦) (١٢٢٣٤) ـ حدّثنا بشر بن معاذ قال: حدّثنا يزيد قال: حدّثنا سعيد عن قتادة قوله ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ . . .﴾ الآية أناس مِن اليهود كانوا يدخلون على النبيّ ـ ﷺ . . .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٢٣ـ٥٢٤) ـ لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

---

(١) قوله «فإن قلت كيف جاز أن يجعل. . . إلخ» السؤال مبني على أنه لا يجوز عليه تعالى خلق الشر. وهو مذهب المعتزلة. أما عند أهل السنة فيجوز كما تقرر في علم التوحيد. (ع)

(٢) قال محمود: «المجروران حالان أي دخلوا كافرين. . . إلخ» قال أحمد: وفي تصدير الجملة الثانية بالضمير تأكيد لاتحاد حالهم في الكفر، أي دخلوا بالكفر وخرجوا وهم أولئك على حالهم في الكفر، كما تقول: لقيت زيداً بعد عوده من سفره وهو هو، أي على حاله. وفي المثل «وعبدالحميد عبدالحميد» أي حالته باقية، والله أعلم.

الإثم: الكذب[1] بدليل قوله تعالى: ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾. ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: الظلم، وقيل: الإثم كلمة الشرك، وقولهم: عزير ابن الله، وقيل: الإثم ما يختص بهم، والعدوان: ما يتعداهم إلى غيرهم، والمسارعة في الشيء: الشروع فيه بسرعة، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير[2] لأن كل عامل لا يسمى صانعاً، ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرّب وينسب إليه، وكأن المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها، وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره، فإذا فرط في الإنكار كان أشدّ حالاً من المواقع، ولعمري إن هذه الآية مما يقذ السامع[3] وينعي على العلماء توانيهم، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي أشدّ آية في القرآن (٥٤٧)، وعن الضحاك: ما في القرآن آية أخوف عندي منها (٥٤٨).

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ

---

٥٤٧ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٦٣٨) (١٢٢٤٤) ـ حدّثنا أبو كريب قال: حدّثنا ابن عطية قال: حدّثنا قيس، عن العلاء بن المسيّب عن خالد بن دينار، عن ابن عباس قال: . . .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٢٤) لأبي الشيخ.

٥٤٨ ـ أخرجه عبدالله بن المبارك في الزهد (١/ ١٩) (٥٧).
وابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٦٣٨) (١٢٢٤٢).
من طريق سلمة بن نبيط عن الضحّاك بن مزاحم في قوله تعالى ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ . . .﴾.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٢٤ـ٥٢٥) لعبد بن حميد وابن المنذر.

---

(١) قال محمود: «الإثم الكذب. . . إلخ» قال أحمد: وقوله (عن قولهم الإثم) يدل على أن الإثم الأول مقول، فيحتمل أن يكون المراد الكذب مطلقاً. ويحتمل أن يراد كلمة الشرك، واستدلال الزمخشري على أن المراد الكذب لا يتم، وإنما يدل على أنه مقول فيحتمل الأمرين، والله أعلم.

(٢) عاد كلامه. قال: «جعلوا آثم من مرتكبي المناكير، لأن كل عامل. . . إلخ» قال أحمد: يعني أنه لما عبر عن الواقع المذموم من مرتكبي المناكير بالعمل في قوله ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وعبر عن ترك الإنكار عليهم حيث ذمه بالصناعة في قوله ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ كان هذا الذم أشد، لأنه جعل المذموم عليه صناعة لهم وللرؤساء، وحرفة لازمة هم فيها أمكن من أصحاب المناكير في أعمالهم. وهذا مراده والله أعلم.

(٣) قوله «مما يقذ السامع» يعني يخففه وينشطه. وهذا إن كان مشدد الذال من القذ. أو يضربه حتى يسترخي ويشرف على الموت. وهذا إن كان مخففاً من الوقذ. (ع)

﴿ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط، ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازاً عنه لأنهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة، حتى أنه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها، ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزيلاً لقالوا: ما أبسط يده بالنوال، لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين[2] للبخل والجود، وقد استعملوهما حيث لا تصحّ اليد، كقوله [من الكامل]:

جَادَ الْحِمَى بَسْطُ الْيَدَيْنِ بِوَابِلٍ ... شَكَرَتْ نَدَاهُ تِلاَعُهُ وَوِهَادُهُ[3]

ولقد جعل لبيد للشمال يداً في قوله [من الكامل]:

. . . . إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا[4]

---

(١) قال محمود: «غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود... إلخ» قال أحمد: والنكتة في استعمال هذا المجاز تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية تلزمها غالباً، ولا شيء أثبت من الصور الحسية في الذهن؛ فلما كان للجود وللبخل معنيين لا يدركان بالحس ويلازمهما صورتان تدركان بالحس وهو بسط اليد للجود وقبضها للبخل، عبر عنهما بلازمهما لفائدة الإيضاح والانتقال من المعنويات إلى المحسوسات، والله أعلم.

(٢) قوله «وقعتا متعاقبتين» لعله «معاقبتين». (ع)

(٣) جاد الحمى أي: أمطر فيه وبسط اليدين فاعل، وأصله مصدر أريد به المنبسط ضد المنقبض ويروى سبط بتقديم السين صفة مشبهة كضخم وهو بمعنى المسترسل المنبسط كناية عن الكريم كما أن منقبض اليدين كناية عن البخيل فشبّه السحاب بإنسان كريم على سبيل المكنية وإثبات اليدين تخييل. والتلعة: الأرض المرتفعة. والوهدة: الأرض المنخفضة. وشبّه أعالي الحمى وأفاعله بطلاب الرزق وشكرها تخييل والندى بمعنى العطاء ترشيح للأولى. ويجوز أنه حقيقة لا بمعنى العطاء ويجوز أن الشكر تخييل للأولى أيضاً. يقول: أمطر السحاب أرض الحما بمطر كثير فأنبتت وأزهرت. وهذا معنى شكرها. ويجوز أن التلاع والوهاد مجاز عن أهلهما النازلين فيهما

(٤) وغداة ريح قد كشفت وقرة ... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

للبيد، من المعلقة. يقول: ورب غداة ريح قد كشفتها أي غمتها عن الناس. ويروى «قد وزعت» أي كففتها ومنعتها. ورب غداة قرة، بالكسر والضم أي شدة برد كشفت بردها أيضاً. والكشف خاص بالمحسوس فاستعير للمعقول من غمة الجوع والبرد على طريق التصريح. ويجوز أن إزالة الريح والبرد عن الناس كناية عن إدخالهم بيته لإكرامهم. وشبّه الغداة بمطية لها زمام. أو شبّه القرة بذلك. وشبّه الشمال ـ وهو نوع من الريح ـ بقائد يقود تلك المطية على طريق المكنية، والزمام تخييل للأولى، واليد للثانية، وليس بلازم أن يكون للمشبه شيء حقيقي يشبه ما للمشبه به على =

ويقال: بسط اليأس كفيه في صدري، فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الأعيان كفان، ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية، ولم يتخلص من يد الطاعن إذا عبث به. فإن قلت: قد صحّ أن قولهم: ، ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ عبارة عن البخل[1]. فما تصنع بقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾؟ ومن حقه أن يطابق ما تقدمه وإلا تنافر الكلام وزل عن سننه؟ قلت: يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد، ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم، ونحوه بيت الأشتر [من الكامل]:

بَقِيتُ وَفْرِى وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْعُلاَ وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسِ[2]

ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة، يغللون في الدنيا أسارى، وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم، والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز، كما تقول:

= المختار كاليد والزمام هنا. والمعنى أن الشمال تارة تجعل الغداة مغبرة باردة، وتارة لا. أو تارة تثير الغبار والبرد في جهة، وتارة في أخرى.

ينظر: ديوانه (١٧٦)، شرح القصائد العشر (٢٩٧)، العمدة ١/ ٢٦٩، البحر ٣/ ٥٣٥، روح المعاني (١٥/ ٥٦)، الدر المصون ٢/ ٥٦٦.

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت قد صح أن قولهم يد الله مغلولة عبارة عن البخل... إلخ» قال أحمد: لقد نقض قضيته التي أوردها في هذا الفصل بما ضمنه هذا السؤال والجواب من القاعدة الفاسدة في أن الله تعالى يستحيل عليه أن يريد من عباده شيئاً مما نعاه عليهم، وبنى على ذلك استحالة أن يدعو عليهم بالبخل لأنه لم يرده منهم، ويستحيل أن يريده منهم فوجّه هذا النص بالتأويل والتمسُّك بالأباطيل. والحق أن الله يدعو عليهم بالبخل ودعاؤه عبارة عن خلقه الشح في قلوبهم والقبض في أيديهم، فهو الداعي والخالق، لا خالق إلا هو يخلق لهم البخل ويتقدّس عنه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ فليت الزمخشري لم يتحدث في تفسير القرآن إلا من حيث علم البيان، فإنه فيه أفرس الفرسان، لا يجارى في ميدانه ولا يمارى في بيانه.

(٢) بقيت وفري وانحرفت عن العلا ولقيت أضيافي بوجه عبوس
إن لم أشن على ابن حرب غارة لم تخل يوماً من نهاب نفوس

للأشتر النخعي. والبيت الأول في صورة الخبر. والمراد به إنشاء الدعاء على نفسه بالبخل. ويجوز أنه من باب التعليق بالممتنع، والوفر المال الكثير ويروى بقيت وحدي أي فنيت عشيرتي أو بعدت عنها والانحراف التباعد عن حرف الشيء المحسوس كما أن العلى خاص بالمحسوسات، فيجوز أنه استعار الانحراف للإعراض والعدول على طريق التصريحية والعلى ترشيح. ويحتمل أنه استعار العلى للمكارم والانحراف ترشيح. وقوله بوجه عبوس: أي رجل عبوس، ففيه معنى التجريد إن لم أشن بالضم شرط دل ما قبله على جوابه، أي إن لم أفوق حرباً على ابن حرب معاوية بن صخر بن حرب، بحيث تأتيه من كل فج. ويروى «على ابن هند» ولم تخل صفة غارة، ونهاب النفوس: أخذ الأرواح بالقتل أو أسر الذوات. ويروى «ذهاب نفوس» أي فنائها. وفي الكلام الإدماج، حيث ضمن تهديد معاوية مدح نفسه بالكرم، حتى أن البخل عنده من أكبر المصائب وأشد العار، حتى علقه بالممتنع فأفاد امتناعه.

ينظر: الحماسة ١/ ٩٣، وأمالي القالي ١/ ٨٥، معجم الشعراء (٢٦٣)، والدر المصون ١/ ٤٢٩.

سبني سب الله دابره، أي: قطعه؛ لأنَّ السَّب أصله القطع. فإن قلت: كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد؟ قلت: المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم، فيزيدون بخلاً إلى بخلهم ونكداً إلى نكدهم، أو بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الأحدوثة التي تخزيهم وتمزق أعراضهم. فإن قلت: لم ثنيت اليد في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وهي مفردة في، ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾(1)؟ قلت: ليكون ردّ قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه، وذلك أنّ غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعاً فبني المجاز على ذلك، وقرىء: «ولعْنوا» بسكون العين، وفي مصحف عبد الله: «بل يداه بسطان». يقال: يده بسط بالمعروف، ونحوه مشية شحح(2) وناقة صرح، ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: تأكيد للوصف بالسخاء، ودلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة والمصلحة. روي أن الله تبارك وتعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً، فلما عصوا الله في محمد ﷺ وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة، ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه، (٥٤٩) ﴿وَلَيَزِيدَنَّ﴾ أي: يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تمادياً في الجحود وكُفْراً بآيات الله، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ﴾ فكلمهم أبداً مختلف، وقلوبهم شتى، لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد، ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا﴾: كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على أحد قط، وقد أتاهم الإسلام في ملك المجوس، وقيل: خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم

---

٥٤٩ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٦٤٠) ـ قال عكرمة: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ الآية، نزلت في فنحاص اليهودي.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٢٥) لأبي الشيخ ولكنه عن ابن عباس. . .

---

(1) عاد كلامه. قال فإن قلت: «لم ثنيت اليد في (يداه مبسوطتان) وهي مفردة في قولهم (يد الله). . . إلخ» قال أحمد: ولما كان المعهود في العطاء أن يكون بإحدى اليدين وهي اليمين، وكان الغالب على اليهود ـ لعنت ـ اعتقاد الجسمية. جاءت عبارتهم عن اليد الواحدة المألوف منها العطاء ـ فبين الله تعالى كذبهم في الأمرين في نسبة البخل وفي إضافته إلى الواحدة. تنزيلاً منهم على اعتقاد الجسمية، بأن ينسب إلى ذاته صفة الكرم المعبر عنها بالبسط، وبأن إضافته إلى اليدين جميعاً لأن كلتا يديه يمين. كما ورد في الحديث تنبيهاً على نفى الجسمية، إذ لو كانت ثابتة جل الله عنها لكانت إحدى اليدين يميناً والأخرى شمالاً ضرورة. فلما أثبت أن كلتيهما يمين نفي الجسمية وإضاف الكرم إليهما، لا كما يضاف في الشاهد إلى اليد اليمنى خاصة، إذ الأخرى شمال وليست محلاً للتكرم، والله أعلم.

(2) قوله «شحح» في الصحاح «الشحشحة» الطيران السريع. و «قطاة شحشح» أي سريعة اهـ فلعل الشحح مثله وفيه أيضاً «الصرح» بالتحريك: الخالص من كل شيء. (ع)

أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين، وقيل: كلما حاربوا رسول الله ﷺ نصر عليهم، وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس، ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾: ويجتهدون في الكيد للإسلام ومحو ذكر رسول الله ﷺ من كتبهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ مع ما عددنا من سيآتهم، ﴿ءَامَنُوا۟﴾ برسول الله ﷺ وبما جاء به، وقرنوا إيمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالإيمان، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ﴾ تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها، ﴿وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ﴾ مع المسلمين الجنة، وفيه إعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيآتهم، ودلالة على سعة رحمة الله تعالى وفتحه باب التوبة على كل عاص وإن عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى، وأن الإيمان لا ينجي[1] ولا يسعد إلا مشفوعاً بالتقوى، كما قال الحسن: هذا العمود فأين الإطناب، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾: أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله ﷺ، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم﴾: من سائر كتب الله، لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها، فكأنها أنزلت إليهم؛ وقيل: هو القرآن. لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا، وقوله: ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ عبارة عن التوسعة، وفيه ثلاث أوجه: أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة وأن

---

(١) قال محمود: «فيه دليل على أن الإيمان لا ينجي... إلخ» قال أحمد: وهو ينتهز الفرصة من ظاهر هذه الآية فيجعله دليلاً على قاعدته في أن مجرد الإيمان لا ينجي من الخلود في النار حتى ينضاف إليه التقوى، لأن الله تعالى جعل المجموع في هذه الآية شرطاً للتفكير ولإدخال الجنة. وظاهره أنهما ما لم يجتمعا لا يوجد تكفير ولا دخول الجنة، وأنى له ذلك والإجماع والاتفاق من الفريقين أهل السنة والمعتزلة على أن مجرد الإيمان يجب ما قبله ويمحوه، كما ورد النص فلو فرضنا موت الداخل في الإيمان عقيب دخوله فيه، لكان كيوم ولدته أمه باتفاق مكفر الخطايا محكوماً له بالجنة، فدل ذلك على أن اجتماع الأمرين ليس بشرط. هذا إن كان المراد بالتقوى الأعمال. وإن كانت التقوى على أصل موضعها الخوف من الله عز وجل، فهذا المعنى ثابت لكل مؤمن وإن قارف الكبائر. وحينئذٍ لا يتم للزمخشري منه غرض. وما هذا إلا إلحاح ولجاج في مخالفة المعتقد المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى أو سرق» كررها النبي صلّى الله عليه وسلّم مراراً، ثم قال: «وإن رغم أنف أبي ذر»، لما راجعه رضيَ الله عنه في ذلك. ونحن نقول. وإن رغم أنف القدرية.

يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل[1] منها من رءوس الشجر، ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم، ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾: طائفة حالها أمم[2] في عداوة رسول الله ﷺ وقيل: هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى، و﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ فيه معنى التعجب، كأنه قيل: وكثير منهم ما أسوأ عملهم، وقيل: هم كعب بن الأشرف وأصحابه والروم.

﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: جميع ما أنزل إليك وأي شيء أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحداً[3]، ولا خائف أن ينالك مكروه، ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾: وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك، ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ وقرىء: «رسالاته»، فلم تبلغ إذاً ما كلفت من أداء الرسالات، ولم تؤدّ

---

(١) قوله «ما تهدل» أي استرخى وتدلى، أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «أمم» أي يسير، أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قال محمود: «معناه بلغ غير مراقب في التبليغ أحداً، ولا خائف أن ينالك مكروه. (وإن لم تفعل) معناه: وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته، فلم تبلغ إذاً ما كلفت من أداء الرسالة ولم تؤد منها شيئاً قط. وذلك أن بعضها ليس بأولى من البعض، فكأنك أغفلت أداءها جميعها، كما أن من يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها، لإدلاء كل منها بما يدليه غيرها. وكونها كذلك في حكم الشيء الواحد لا يكون مبلغاً غير مبلغ، مؤمناً به غير مؤمن، إلى أن قال: «فإن قلت وقوع قوله (فما بلغت رسالته) جزاء للشرط ما وجه صحته؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أنه إذا لم تمثل... إلخ» قال أحمد: وهذا الاتحاد بين الشرط والجزاء ظاهر؛ لأن حاصله إن لم تبلغ الرسالة لم تبلغ الرسالة، باتحاد المبتدأ والخبر، حتى لا يزيد الخبر عليه شيئاً في الظاهر كقوله:

أنا أبو النجم وشعري شعري

فجعل الخبر عن المبتدأ بلا مزيد في اللفظ، وأراد: وشعري شعري المشهور بلاغته والمستفيض فصاحته، ولكنه أفهم بالسكوت عن هذه الصفات التي بها تحصل الفائدة أنها من لوازم شعره في أفهام الناس السامعين، لاشتهاره بها، وأنه غني عن ذكرها لشهرتها وذياعها. وكذلك أريد في الآية لأن عدم تبليغ الرسالة أمر معلوم عند الناس مستقر في الأفهام أنه عظيم شنيع ينقم على مرتكبه. بل عدم نشر العلم من العالم أمر فظيع فضلاً عن كتمان الرسالة من الرسول، فاستغنى عن ذكر الزيادات التي يتفاوت بها الشرط والجزاء للصوقها بالجزاء في الأفهام وإن كل من سمع عدم تبليغ الرسالة فهم ما وراءه من الوعيد والتهديد. وحسن هذا الأسلوب في الكتاب العزيز بذكر الشرط عاماً بقوله (وإن لم تفعل) ولم يقل وإن لم تبلغ الرسالة فما بلغت الرسالة. حتى يكون اللفظ متغايراً، وهذه المغايرة اللفظية وإن كان المعنى واحداً أحسن رونقاً وأظهر طلاوة من تكرار اللفظ الواحد في الشرط والجزاء، وهذه الذروة انحط عنها أبو النجم بذكر المبتدأ بلفظ الخبر، وحق له أن تتضاءل فصاحته عند فصاحة المعجز فلا يعاب عليه في ذلك. وهذا الفصل كاللباب من علم البيان، والله الموفق.

منها شيئاً قط، وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض، وإن لم تؤدّ بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعاً، كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها، لإدلاء كل منها بما يدليه[1] غيرها، وكونها كذلك[2] في حكم شيء واحد، والشيء الواحد لا يكون مبلغاً غير مبلغ، مؤمناً به غير مؤمن به، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن كتمت آية لم تبلغ رسالاتي (٥٥٠)، وروي عن رسول الله ﷺ: «بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعاً، فأوحى الله إليّ إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك، وضمن لي العصمة فقويت» (٥٥١). فإن قلت: وقوع قوله: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ جزاء للشرط ما وجه صحته؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أنه إذا لم يمتثل أمر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولاً كان أمراً شنيعاً لاخفاء بشناعته، فقيل: إن لم تبلغ منها أدنى شيء وإن كان كلمة واحدة، فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذي هو كتمان كلها، كما عظم قتل النفس بقوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] والثاني: أن يراد: فإن لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب، ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام: «فأوحى الله إليّ إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك» (٥٥٢)، ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى: والله يضمن لك العصمة من أعدائك، فما عذرك في مراقبتهم؟ فإن قلت: أين ضمان العصمة وقد شجّ في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته

---

٥٥٠ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/٦٤٧)(١٢٢٧٣)، حدّثني المثنى قال: حدّثنا عبدالله بن صالح قال: حدّثني معاوية عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس. . .
قلت: وعبدالله بن صالح هو أبو صالح المصري كاتب الليث ـ وفيه مقال.
قال الحافظ في التقريب (١/٤٢٣) (٣٨١) صدوق كثير الغلط ثبث في كتابه، وكانت فيه غفلة.

٥٥١ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/٤١٣) (٤٢٥) لإسحاق بن راهويه في مسنده. . . مِن طريق عطاء بن أبي مسلم الخراساني عن أبي هريرة مرفوعاً. . وللواحدي في أسباب النزول، عن الحسن عن النبيّ ﷺ مرسلاً مِن غير سند.
وذكره أيضاً السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٢٨) ـ عن الحسن عن النبيّ مرسلاً وعزاه لأبي الشيخ وقال الحافظ في الكشاف:
أخرجه إسحاق في مسنده. أخبرنا كلثوم بن محمد بن أبي سدرة. حدّثنا عطاء الخراساني عن أبي هريرة به ولم يذكر وضمن لي العصمة فقويت وذكره الواحدي في الوسيط والأسباب عن الحسن بغير سند. انتهى.

٥٥٢ ـ ينظر الحديث السابق.

---

(١) قوله «بما يدليه» يدلي به. (ع)
(٢) قوله «وكونها كذلك» لعله «الذلك». (ع)

(٥٥٣) صلوات الله عليه؟ قلت: المراد أنه يعصمه من القتل، وفيه: أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله، فما أشدّ تكليف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقيل: نزلت بعد يوم أحد، والناس: الكفار بدليل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: ومعناه أنه لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك، وعن أنس: كان رسول الله ﷺ يحرس حتى نزلت، فأخرج رأسه من قبة أدم وقال: انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس» (٥٥٤).

---

٥٥٣ ـ متفق عليه مِن حديث سهل ـ وقد تقدّم في تفسير آل عمران ـ وقال الحافظ في الكشاف: متفق عليه مِن حديث سهل، وقد تقدّم في تفسير آل عمران. انتهى.

٥٥٤ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٤١٤) (٤٢٧): غريب مِن حديث أنس ولم أجده إلا مِن حديث عائشة. وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده مِن حديث أنس.

قلت: وحديث عائشة.

أخرجه الترمذي (٥/ ٢٥١) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ باب **«ومِن سورة العائدة» ـ (٣٠٤٦) وابن جرير الطبري في تفسيره (٤/ ٦٤٧) (١٢٢٧٩).**

والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٣)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقرّه الذهبي.

والبيهقي في دلائل النبوّة (٢/ ١٨٤).

كلّهم مِن طريق مسلم بن إبراهيم حدّثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبدالله بن شقيق عن عائشة قالت: كان النبي ـ ﷺ ـ يحرس. . .

قلت: وقد حرف اسم «سعيد الجريري» في مستدرك الحاكم إلى **«معبد» ـ فلينتبه لذلك ـ وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبدالله بَن شقيق قال: كان النبيّ ـ ﷺ ـ يُحرَسُ ولم يذكروا فيه عن عائشة.**

قلت: وهذا المرسل الذي أشار إليه الترمذي. أخرجه الطبري في تفسيره (١٢٢٧٧) مِن طريق ابن علية، عن الجريري عن عبدالله بن شقيق. أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ كان يعتقبه. . .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٢٩) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

قلت: وللحديث شاهد مِن حديث.

١ ـ عبدُالله بن عباس: ولكن في سنده ضعف.

أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٢٥٦) (١١٦٦٣). مِن طريق عبد الحميد الحماني عن النضر أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال. كان رسول الله ـ ﷺ ـ يحرس فكان يرسل معه عمه أبو طالب. . .

قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٠) وفيه النضر بن عبد الرحمن وهو ضعيف.

٢ ـ أبي سعيد الخدري.

قال: كان عباس عم رسول الله ـ ﷺ ـ فيمَن يحرسه. . .

قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٠) رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه عطية العوفي وهو ضعيف.

وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف:

لم أجده مِن حديث أنس، وقد أخرجه الترمذي مِن رواية أبي قدامة الحارث بن عبيد عن سعيد =

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: على دين يعتد به حتى يسمى شيئاً لفساده وبطلانه، كما تقول: هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه، وفي أمثالهم: أقل من لا شيء، ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم، فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك، وفي المؤمنين غنى عنهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ رفع على الابتداء وخبره[(١)] محذوف، والنية به التأخير عما في حيز «إن» من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك، وأنشد سيبويه شاهداً له [من الوافر]:

وإلاَّ فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنْتُمْ ... بُغَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ[(٢)]

= الحريري عن عبدُاللّه بن شقيق عن عائشة. وقال: غريب. ورواه بعضهم عن الحريري مرسلاً ليس فيه عائشة. ورواه موصولاً الطبري مِن رواية ابن علية عن الحريري ولكنه رواه مِن رواية وهب عن الحريري. انتهى.

(١) قال محمود: «فيه الصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف... إلخ» قال أحمد: لا ورود للسؤال بهذا التوجيه، ولكن ثم سؤال متوجه، وهو أن يقال: لو عطف الصابئين ونصبه كما قرأ ابن كثير لأفاد أيضاً دخولهم في جملة المتوب عليهم، ولفهم من تقديم ذكرهم على النصارى ما يفهم من الرفع من أن هؤلاء الصابئين وهم أوغل الناس في الكفر يتاب عليهم، فما الظن بالنصارى. ولكان الكلام جملة واحدة بليغاً مختصراً والعطف إفرادي، فلم عدل إلى الرفع وجعل الكلام جملتين، وهل يمتاز بفائدة على النصب والعطف الإفرادي؟ ويجاب عن هذا السؤال بأنه لو نصبه ـ عطفه لم يكن فيه إفهام خصوصية لهذا الصنف، لأن الأصناف كلها معطوف بعضها على بعض عطف المفردات. وهذا الصنف من جملتها، والخبر عنها واحد. وأما مع الرفع فينقطع عن العطف الإفرادي وتبقى بقية الأصناف مخصصة بالخبر المعطوف به. ويكون خبر هذا الصنف المنفرد بمعزل تقديره مثلاً: والصابئون كذلك فيجيء كأنه مقيس على بقية الأصناف وملحق بها وهو بهذه المثابة، لأنهم لما استقر بعد الأصناف من قبول التوبة فكانوا أحقاء بجعلهم تبعاً وفرعاً، مشبهين بمن هم أقعد منهم بهذا الخبر. وفائدة التقديم على الخبر أن يكون توسُّط هذا المبتدأ المحذوف الخبر بين الجزئين، أدل على الخبر المحذوف من ذكره بعد تقصي الكلام وتمامه، والله أعلم.

(٢) إذا جزت نواصي آل بدر ... فأدوها وأسرى في الوثاق =

أي: فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك، فإن قلت: هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل «إن» واسمها؟ قلت: لا يصحّ ذلك قبل الفراغ من الخبر، لا تقول: إن زيداً وعمرو منطلقان. فإن قلت لم لا يصحّ والنية به التأخير، فكأنك قلت: إن زيداً منطلق وعمرو؟ قلت: لأني إذا رفعته رفعته عطفاً على محل «إن» واسمها، والعامل في محلهما هو الابتداء، فيجب أن يكون هو العامل في الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما تنتظمها (إن) في عملها؛ فلو رفعت ﴿ٱلصَّـٰبِـُٔونَ﴾ المنويّ به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بـ «أنّ»، لأعملت فيهما رافعين مختلفين. فإن قلت: فقوله و﴿ٱلصَّـٰبِـُٔونَ﴾ معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو؟ قلت: هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ . . .﴾الخ ولا محل لها، كما لا محل للتي عطفت عليها، فإن قلت: ما التقديم والتأخير إلا لفائدة، فما فائدة هذا التقديم؟ قلت: فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صحّ منهم الإيمان والعمل الصالح، فما الظنّ بغيرهم، وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدّهم غياً، وما سموا صابئين إلا لأنهم صبئوا عن الأديان كلها، أي: خرجوا، كما أن الشاعر قدم قوله: (وأنتم) تنبيهاً على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغاة من قومه، حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو (بغاة) لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم، مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدماً فإن قلت: فلو قيل: والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلاً. قلت: لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء، لأنه لا إزالة فيه عن موضعه، وإنما يقال: مقدّم ومؤخر للمزال لا للقارّ في مكانه، ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام، فإن قلت: كيف قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

= وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق
لبشر بن خازم الأسدي، يخاطب بني طيء ويتوعدهم بما صنعوا بآل بدر حلفاء بني أسد والناصية: مقدم شعر الرأس: وجز النواصي حقيقة، على عادتهم من جز ناصية الأسير إذا أرادوا إطلاقه، فطالبهم بمقتضاها وقال: فأدوها، أي الأسرى التي جزت نواصيها. أو أدوا النواصي نفسها. ويجوز أنه مجاز عن قتل كبرائهم. وقوله «فأدوها» أي دماء القتلى وأسرى عطف على الضمير المفعول. وإلا، أي وإن لا تفعلوا فاعلموا أنا وأنتم بغاة. وبغاة: خبر أنا. وخبر أنتم محذوف، أي بغاة أيضاً. ولم يجعل المذكور خبراً عنه أيضاً، لأنه ليس عطفاً على اسم إن، وإلا لقال: إنا وإياكم، بل هو من عطف الجمل. ولا يقال فيه العطف على الجملة قبل تمامها، لا نقول: سمع العطف قبل المعطوف عليه بالكلية في قوله: عليك ورحمة الله السلام. و «في شقاق» خبر ثانٍ، أي في خلاف ما بقينا. أي مدة بقائنا، يعني وأنتم تعلمون بأسنا في الحرب.
ينظر ديوانه ص ١٦٥، والإنصاف ١/ ١٩٠، وتخليص الشواهد ص ٣٧٣، وخزانة الأدب ١٠/ ٢٩٣، ٢٩٧، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١٤، وشرح التصريح ١/ ٢٢٨، والكتاب ٢/ ١٥٦، والمقاصد النحويّة ٢/ ٢٧١، وبلا نسبة في أسرار العربية ص ١٥٤، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٦٩.

ثم قال: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يراد بالذين آمنوا: الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بـ «من آمن». من ثبت على الإيمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه. فإن قلت: ما محل «من آمن» قلت: إما الرفع على الابتداء وخبره، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر «إن»، وإما النصب على البدل من اسم «إن» وما عطف عليه، أو من المعطوف عليه. فإن قلت: فأين الراجع إلى اسم «إن»؟ قلت: هو محذوف تقديره من آمن منهم، كما جاء في موضع آخر، وقرىء: «والصابيون»، بياء صريحة، وهو من تخفيف الهمزة، كقراءة من قرأ: «يستهزيون». «والصابون»: وهو من صبوت، لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع، وفي قراءة أبيّ - رضي الله عنه -: «والصابئين»، بالنصب، وبها قرأ ابن كثير، وقرأ عبد الله: «يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون».

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا﴾ ميثاقهم بالتوحيد، ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم، ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾: جملة شرطية وقعت صفة لرسلاً، والراجع محذوف أي رسول منهم، ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾: بما يخالف هواهم ويضادّ شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع. فإن قلت: أين جواب الشرط[1] فإن قوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ ناب عن الجواب، لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن تقول: إن أكرمت أخي أخاك أكرمت؟ قلت: هو محذوف يدل عليه قوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه، وقوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟﴾ جواب مستأنف. لقائل يقول: كيف فعلوا برسلهم؟ فإن قلت: لم جيء بأحد الفعلين ماضياً[2] وبالآخر مضارعاً؟ قلت: جيء ﴿يَقْتُلُونَ﴾ على حكاية الحال الماضية

---

(١) قال محمود: «إن قلت أين جواب الشرط... إلخ» قال أحمد: ومما يدل على حذف الجواب أنه جاء ظاهراً في الآية الأخرى، وهي توأمة هذه قوله تعالى ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ فأوقع قوله (استكبرتم) جواباً. ثم فسر استكبارهم وصنيعهم بالأنبياء بقتل البعض وتكذيب البعض. ولو قدر الزمخشري ههنا الجواب المحذوف مثل المنطوق به في أخت الآية فقال: ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ استكبروا، لكان أولى لدلالة مثله عليه.

(٢) عاد كلامه. قال: «فإن قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضياً... إلخ» قال أحمد: أو يكون حالاً على حقيقته لأنهم داروا حول قتل محمد عليه الصلاة والسلام. وقد قيل هذا الوجه في أخت هذه الآية في البقرة. وقد مضى وجه اقتضاء صيغة الفعل المضارع لاستحضاره دون الماضي وتمثيله بقوله =

استفظاعاً للقتل واستحضاراً لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها.

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾

قرىء: «ألاّ تكون»، بالنصب على الظاهر، وبالرفع عن (أن) هي المخففة من الثقيلة، أصله: أنه لا تكون فتنة فخففت (أن) وحذف ضمير الشأن.

فإن قلت: كيف دخل فعل الحسبان على (أن) التي للتحقيق؟ قلت: نزل حسبانهم لقوّته في صدورهم منزلة العلم، فإن قلت: فأين مفعولا حسب؟ قلت: سدّ ما يشتمل عليه صلة أن وأنّ من المسند والمسند إليه مسدّ المفعولين، والمعنى: وحسب بنو إسرائيل أنه لا يصيبهم من الله فتنة، أي: بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة، ﴿فَعَمُواْ﴾ عن الدين، ﴿وَصَمُّواْ﴾ حين عبدوا العجل، ثم تابوا عن عبادة العجل فـ﴿تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو[1] الرؤية: وقرىء: «عُموا وصُموا»، بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم، أي: رماهم وضربهم بالعمى والصمم، كما يقال: نزكته إذا ضربته بالنيزك[2] وركبته إذا ضربته بركبتك، ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ بدل من الضمير. أو على قولهم: أكلوني البراغيث، أو هو خبر مبتدأ محذوف أي: أولئك كثير منهم.

﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾

لم يفرق عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بينه وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم، وهو احتجاج على النصارى، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ في عبادته، أو فيما هو مختص به من صفاته

= تعالى ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ﴾ فعدل عن فأصبحت إلى فتصبح، تصويراً للحال واستحضاراً لها في ذهن السامع. ومنه [من الوافر]:

بأني قد لقيت الغول يسعى ... بسهب كالصحيفة صحصحان
فآخذه فأضربها فخرت ... صريعاً لليدين وللجران

وأمثاله كثيرة والله أعلم.

(١) قوله «وهو الرؤية» أحالها مذهب المعتزلة، وأجازها أهل السنة كما حقق في محله. (ع)

(٢) قوله «إذا ضربته بالنيزك» هو الرمح القصير، وهو فارسي معرب، أصله نيزه، فأبدلت الهاء كافاً. كذا بهامش، وأصله في الصحاح. (ع)

أو أفعاله، ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ التي هي دار الموحدين أي: حرمه دخولها ومنعه منه، كما يمنع المحرم من المحرّم عليه، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ من كلام الله على أنهم ظلموا[1] وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقوّلوا على عيسى ـ عليه السلام ـ، فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ردّه وأنكره، وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره. أو من قول عيسى ـ عليه السلام ـ، على معنى: ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول. أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥)﴾:

«من» في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ للاستغراق وهي القدرة مع (لا) التي لنفي الجنس في قولك: لا إلٰه إلا الله والمعنى: وما إلٰه قط في الوجود إلا إلٰه موصوف بالوحدانية لا ثاني له، وهو الله وحده لا شريك له، و (من) في قوله: ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾: للبيان كالتي في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠] فإن قلت: فهلا قيل: ليمسنهم عذاب أليم. قلت: في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾: وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام في تفسير «الذين كفروا منهم» أنهم بمكان من الكفر، والمعنى: ليمسنّ الذين كفروا من النصارى خاصة، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: نوع شديد الألم من العذاب كما تقول: أعطني عشرين من الثياب، تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون، ويجوز أن تكون للتبعيض، على معنى: ليمسنّ الذين بقوا على الكفر منهم، لأنّ كثيراً منهم تابوا من النصرانية، ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾: ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكرّرة عليهم بالكفر، وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه، وفيه تعجيب من إصرارهم، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم، ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ صفة لـ «رسول»، أي: ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها، أن أبرأ الله الأبرص وأحيا الموتى على يده، فقد أحيا

---

(١) قوله «على أنهم ظلموا» لعله على معنى أنهم. (ع)

العصا وجعلها حية تسعى، وفلق بها البحر، وطمس على يد موسى[1]. وأن خلقه من غير ذكر، فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ أي: وما أمه أيضاً إلا كصديقة كبعض النساء المصدّقات للأنبياء المؤمنات بهم، فما منزلتهما إلا منزلة بشرين: أحدهما نبي، والآخر صحابي. فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم؟ مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه. ثم صرح ببعدهما عما نسب إليهما في قوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ لأنّ من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسماً مركباً من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم[2] وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام، ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله. فإن قلت: ما معنى التراخي في قوله: «ثم انظر»؟[3] قلت: معناه ما بين العجبين، يعني أنه بين لهم الآيات بياناً عجيباً، وأنّ إعراضهم عنها أعجب منه.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾

﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾: هو عيسى، أي: شيئاً لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال، ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب، ولأنّ كل ما يستطيعه البشر من المضارّ والمنافع فبإقدار الله وتمكينه، فكأنه لا يملك منه شيئاً، وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية، حيث جعله لا يستطيع ضراً ولا نفعاً، وصفة الرب أن يكون قادراً على كل شيء لا يخرج مقدور على قدرته، ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ متعلق بـ «أتعبدون»، أي: أتشركون بالله ولا تخشونه، وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم، ولن يكون كذلك إلا وهو حي قادر.

---

(١) قوله «وطمس على يد موسى» لعله وطمس على أموال فرعون وقومه على يد... إلخ. (ع)

(٢) قوله «وقرم» في الصحاح «القرم» بالتحريك: شدة شهوة اللحم. (ع)

(٣) قال محمود: «فإن قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر... إلخ» قال أحمد: ومنه ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ وقوله ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ وهي في سائر هذه المواضع منقولة من التراخي الزماني إلى التراخي المعنوي في المراتب.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾

﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ صفة للمصدر أي: لا تغلوا في دينكم غلواً غير الحق[1] أي: غلواً باطلاً؛ لأنّ الغلو في الدين غلوّان: غلوّ حق: وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه، ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم، وغلوّ باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه، كما يفعل أهل الأهواء والبدع، ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾: هم أئمتهم في النصرانية، كانوا على الضلال قبل مبعث النبي ﷺ، ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾: ممن شايعهم على التثليث، ﴿وَضَلُّوا۟﴾ لما بعث رسول الله ﷺ، ﴿عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾

نزّل الله لعنهم في الزبور، ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ وفي الإنجيل على لسان عيسى، وقيل إن أهل أيلة، لما اعتدوا في السبت قال داود ـ عليه السلام ـ: اللّٰهم العنهم واجعلهم آية، فمسخوا قردة، ولما كفر أصحاب عيسى ـ عليه السلام ـ بعد المائدة قال عيسى ـ عليه السلام ـ: اللّٰهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذاباً لم تعذبه أحداً من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السبت، فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل، ما فيهم

---

(١) قال محمود: «معناه لا تغلوا في دينكم غلواً باطلاً... إلخ» قال أحمد: يعني بأهل العدل والتوحيد المعتزلة، ويعني بغلوهم الذي هو حق عندهم أنهم غلوا في التوحيد فجحدوا الصفات الإلهية، وغلوا في التعديل فنفوا أكثر الأفعال بل كلها عن أن تكون مخلوقة لله تعالى لانطوائها في مفاسد، ولأن الله تعالى يعاقب على ما هو قبيح منها، والعدل عندهم ألا يعاقب على فعل خلقه فهذا غلوهم في التعديل، وهو كما ترى أنه كاسد عن التوحيد؛ لأنهم جعلوا كل مخلوق من الحيوانات خالقاً، فالنصارى غالوا فأشركوا ثلاثة، والمعتزلة كما رأيت أشركوا كل أحد بل غير الأدميين في الخلق الذي هو خاص بالرب. ويعني الزمخشري بأهل البدع والأهواء من عدا الطائفة المذكورة، ويعني غلوهم الباطل إثبات الصفات لله تعالى وتوحيده على الحق، حتى لا خالق سواه ولا مخلوق إلا بقدرته، وقد ترضى عن شيعته وإخوانه وسكت عن ذكر من عداهم، ونحن نقول: اللهم ارضَ عمّن هو أحق الطوائف برضاك، وهذه دعوة أيضاً بلا خلاف، والله الموفق.

امرأة ولا صبيّ، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا﴾ أي: لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ، إلا لأجل المعصية والاعتداء، لا لشيء آخر؛ ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾: لا ينهى بعضهم بعضاً، ﴿عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ ثم قال: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ للتعجيب من سوء فعلهم، مؤكداً لذلك بالقسم، فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عن باب التناهي عن المناكير، وقلة عبئهم به، كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب. فإن قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر[1] تفسيراً للمعصية والاعتداء؟ قلت: من قبل أنّ الله تعالى أمر بالتناهي، فكان الإخلال به معصية وهو اعتداء، لأنّ في التناهي حسماً للفساد فكان تركه على عكسه. فإن قلت: ما معنى وصف المنكر بـ «فعلوه»، ولا يكون النهي بعد الفعل؟ قلت: معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه، أو عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر أرادوا فعله، كما ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوّى وتهيأ فتنكر، ويجوز أن يراد: لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه، بل يصبرون عليه ويداومون على فعله. يقال: تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه، ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ هم منافقو أهل الكتاب، كانوا يوالون المشركين ويصافونهم، ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هو المخصوص بالذمّ، ومحله الرفع، كأنه قيل: لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم، والمعنى: موجب سخط الله، ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ﴾: إيماناً خالصاً غير نفاق ما اتخذوا المشركين، ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: يعني أنّ موالاة المشركين كفى بها دليلاً على نفاقهم، وأنّ إيمانهم ليس بإيمان، ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: متمرّدون في كفرهم ونفاقهم، وقيل معناه: ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدّعون، ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون.

﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف وقع ترك التناهي... إلخ»؟ قال أحمد: وفي هذا التوبيخ الإخبار بأمرين قبيحين، أحدهما: بأنهم كانوا يفعلون المناكر، والآخر: أنهم كانوا تاركين للنهي عنها، أي عن أمثالها في المستقبل ولولا زيادة (فعلوه) لما صرح بوقوعها منهم، ولكان المصرح به ترك الأمرين جميعاً عند استحقاق النهي، وذلك حين الإشراف علي تعاطيه وظهور الأمارات الدالة عليه، فانتظم ثبوت الأمرين جميعاً على أخصر وجه وأبلغه وقد دلت هذه الآية على المذهب الصحيح الأشعري، من أن متعلق النهي فعل وهو الترك، خلافاً لأبي هاشم المعتزلي في قوله «إن متعلقه نفي محض وعدم صرف، ووجه دلالة الآية على أن متعلقه فعل أنه عبر عن ترك التناهي الذي وقع توبيخهم عليه بالفعل. فتجعل الرجل واقعاً على زيد. وقد سمى تركهم للنهي عن المنكر في الآية السالفة قبل هذه صنعاً، فقال ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ إلى قوله ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ وذلك أبلغ في الدلالة على أن متعلق النهي أمر ثابت، إذ الصنع أمكن من الفعل في الدلالة على الإثبات، وقد مر هذا التقرير، والله الموفق.

مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٤) فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (٨٦)﴾

وصف الله شدّة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق(١) ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم إلى الإسلام، وجعل اليهود قرناء المشركين في شدّة العداوة للمؤمنين، بل نبه على تقدّم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا، وكذلك فعل في قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [البقرة: ٩٦] ولعمري إنهم لكذلك وأشدّ، وعن النبيّ ﷺ: «ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله» (٥٥٥) وعلل

---

٥٥٥ ـ أخرجه ابن حبّان في كتاب المجروحين (٣/١٢٢) مِن طريق يحيى بن عبيد اللّه عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ـ ﷺ ـ «ما خلا...».
وقال ابن حبّان: يحيى بن عبيد اللّه بن موهب... يروي عن أبيه ما لا أصل له وأبوه ثقة فلمّا كثر روايته عن أبيه ما ليس مِن حديثه سقط عن حدّ الاحتجاج به...
والحديث رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (٨/٣١٦) بإسناد آخر وقال: غريب جداً.
وعزاه ابن كثير (٢/٨٥) لأبي بكر بن مردويه. وقال: وهذا حديث غريب جداً. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٣٧) لأبي الشيخ، وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه الثعلبي وابن مردويه وابن حبّان في الضّعفاء مِن رواية يحيى بن عبيد اللّه عن أبيه، عن أبي هريرة وفي رواية ابن حبّان «يهودي» على الإفراد. انتهى.

---

(١) قال محمود: «وصف الله تعالى شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم... إلخ» قال أحمد: وإنما قال ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ ولم يقل: النصارى. تعريضاً بصلابة اليهود في الكفر والامتناع من الامتثال للأمر، لأن اليهود قيل لهم ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾. فقابلوا ذلك بأن قالوا ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ والنصارى قالوا ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ ثم سموا نصارى، وكذلك أيضاً ورد أول هذه السورة ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ فأسند ذلك إلى قولهم، والإشارة به إلى قولهم ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ لكنه ههنا ذكر تنبيهاً على أنهم لم يثبتوا على الميثاق، ولا على ما قالوه من أنهم أنصار الله. وفي الآية الثانية ذكر تنبيهاً على أنهم أقرب حالاً من اليهود، لأنهم لما ورد عليهم الأمر لم يكافحوه بالرد مكافحة اليهود، بل قالوا ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ واليهود قالت ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ فهذا سره والله أعلم.

سهولة مأخذ النصارى وقرب مودّتهم للمؤمنين، ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ أي: علماء وعباداً ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم، واليهود على خلاف ذلك، وفيه دليل بين على أنّ التعلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وأدله على الفوز حتى علم القسيسين، وكذلك غم الآخرة والتحدّث بالعاقبة وإن كان في راهب، والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني، ووصفهم الله برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن، وذلك نحو ما يحكى عن النجاشيّ ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لجعفر بن أبي طالب ـ حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون ـ لعنوا ـ وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده ـ: هل في كتابكم ذكر مريم؟ قال جعفر: فيه سورة تنسب إليها، فقرأها إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ٣٤] وقرأ سورة طه إلى قوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [طه: ٩] فبكى النجاشي (٥٥٦) وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وهم سبعون رجلاً حين قرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس. فبكوا (٥٥٧). فإن قلت: بم تعلقت اللام في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؟ قلت: بـ «عداوة» و«مودّة»، على أنّ عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين أشدّ العداوات وأظهرها، وأن مودّة النصارى التي اختصت المؤمنين أقرب المودّات، وأدناها وجوداً، وأسهلها حصولاً، ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودّة مما يؤذن بالتفاوت، ثم وصف العداوة والمودّة بالأشدّ والأقرب. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾[1] قلت: معناه تمتلىء من الدمع حتى تفيض، لأن الفيض أن

---

٥٥٦ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٤١٥) (٤٢٩).
وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده، قلت: أظن صاحب الكشاف ذكره بالمعنى مِن قصة جعفر بن أبي طالب مع عمرو بن العاص لما أرسلته قريش بهديتها إلى النجاشي ليدفع إليهم جعفراً ورفقاءه فإن معنى ما ذكر موجوداً فيها إلاّ قراءة طه، أخرجه ابن إسحاق في المغازي، من طريق بن حبّان مِن حديث أم سلمة، وقوله: وكذلك فعل قومه أي النجاشي الذين وفدوا على رسول اللّه ﷺ.
وهم سبعون رجلاً حين قرأ النبيّ ﷺ سورة يس: الطبري من رواية قيس بن الربيع. عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير في قوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾. قال نعم رسل النجاشي الذين أرسلت وإسلام قومهم وكانوا سبعين رجلاً فدخلوا على رسول اللّه ﷺ فقرأ عليهم يٓس. فبكوا وعرفوا الحق. فنزلت ونزل فيهم أيضاً ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ وأخرجه ابن مردويه مِن وجه آخر عن قيس. انتهى.
٥٥٧ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره حدّثني حارث، ثنا عبدالعزيز ثنا قيس، عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير في قوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا . . .﴾.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٣٧) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

---

(١) عاد كلامه. قال: «إن قلت ما معنى قوله (ترى أعينهم تفيض من الدمع. . . إلخ» قال أحمد: وهذه =

يمتلىء الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء، وهو من إقامة المسبب مقام السبب، أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها، أي: تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعاً فإن قلت: أي فرق بين «من» و«من» في قوله: ، ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ : ؟ قلت: الأولى لابتداء الغاية، على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق، وكان من أجله وبسببه، والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا، وتحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق، فأبكاهم وبلغ منهم، فكيف إذا عرفوه كله وقرؤوا القرآن وأحاطوا بالسنة؟ وقرىء «تُرى أعينهم» على البناء للمفعول، ﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾ : المراد به إنشاء الإيمان، والدخول فيه، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ مع أمّة محمد ﷺ الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك، ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ : إنكار استبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين، وقيل: لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك. أو أرادوا: وما لنا لا نؤمن بالله وحده لأنهم كانوا مثلثين، وذلك ليس بإيمان بالله، ومحل (لا نؤمن) النصب على الحال، بمعنى: غير مؤمنين، كقولك: مالك قائماً، والواو في، ﴿وَنَطْمَعُ﴾ واو الحال. فإن قلت: ما العامل في الحال الأولى والثانية؟ قلت: العامل في الأولى ما في اللام من معنى الفعل، كأنه قيل: أي شيء حصل لنا غير مؤمنين، وفي الثانية معنى هذا الفعل، ولكن مقيداً بالحال الأولى؛ لأنك لو أزلتها وقلت: وما لنا ونطمع، لم يكن كلاماً، ويجوز أن يكون (ونطمع) حالاً من «لا نؤمن»، على أنهم أنكروا على نفوسهم أنهم لا يوحدون الله، ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا الصالحين، وأن يكون معطوفاً على لا نؤمن على معنى: وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين، أو على معنى: وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الإسلام، لأن الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين. قرأ الحسن: «فآتاهم»، ﴿بِمَا قَالُوا﴾ : بما تكلموا به

= العبارة من أبلغ العبارات، وأنهاها وهي ثلاث مراتب، فالأولى: فاض دمع عينه، وهذا هو الأصل. والثانية: محولة من هذه. وهي قول القائل: فاضت عينه دمعاً حولت الفعل إلى العين مجازاً ومبالغة، ثم نبهت على الأصل والحقيقة بنصب ما كان فاعلاً على التمييز. والثالثة: فيها هذا التحويل المذكور، وهي الواردة في الآية، إلا أنها أبلغ من الثانية بإطراح المنبهة على الأصل وعدم نصب التمييز، وإبرازه في صورة التعليل والله أعلم. وإنما كان الكلام مع التعليل أبعد عن الأصل منه مع التمييز: لأن التمييز في مثله قد استقر كونه فاعلاً في الأصل في مثل: تصبب زيد عرقاً، وتفقأ عمرو شحماً، واشتعل الرأس شيباً، وتفجرت الأرض عيوناً. فإذا قلت: فاضت عينه دمعاً، فهم هذا الأصل في العادة في أمثاله. وأما التعليل فلم يعهد فيه ذلك. ألا تراك تقول: فاضت عينه من ذكر الله كما تقول فاضت عينه من الدمع، فلا يفهم التعليل ما يفهم التمييز والله الموفق.

عن اعتقاد وإخلاص، من قولك: هذا قول فلان، أي: اعتقاده وما يذهب إليه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: ما طاب ولذ من الحلال، ومعنى ﴿لَا تُحَرِّمُواْ﴾ لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم. أو لا تقولوا حرّمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهداً منكم وتقشفاً[(١)] وروي: أنّ رسول الله ﷺ وصف القيامة يوماً لأصحابه، فبالغ وأشبع الكلام في الإنذار، فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون، واتفقوا على ألاّ يزالوا صائمين قائمين، وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك، ولا يقربوا النساء والطيب، ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح[(٢)] ويسيحوا في الأرض، ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «إني لم أومر بذلك، إن لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدسم، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني (٥٥٨) ونزلت، وروي: أنّ

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

٥٥٨ ـ قال الحافظ بن حجر في تخريج أحاديث الكشاف:
ذكره الواحدي هكذا في أسبابه بغير إسناد. لكن قال المفسرون ـ فذكره سواه، وقد أورده الطبري مِن طريق السدّى في هذه الآية قال «وذلك أنَّ رسول اللّه ﷺ جلس يوماً. فذكر الناس ثم قام ولم يزدهم على التخويف فقام ناس مِن أصحابه فذكره بمعنى ما تقدّم، وهو منتزع مِن أحاديث، وأصله في الصّحيحين عن عائشة: أنَّ أناساً مِن أصحاب رسول اللّه ﷺ سألوا أزواجه عن عمله في السر. فقال بعضهم: لا آكل اللحم. وقال بعضهم: لا أتزوج النّساء. وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك رسول اللّه ﷺ، فقال: ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا ولكنّي أصوم وأفطر. وأنام وأقوم. وآكل اللحم وأتزوّج النّساء فمَن رغب عن سنّتي فليس منّي» وفي الصّحيحين عن سعد بن أبي وقّاص قال «ردّ رسول اللّه ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل. ولو أذن له لاختصينا، وفي الصّحيحين عن عبداللّه بن عمرو بن العاص في قصة مراجعته النبي ﷺ في الصّوم والصّلاة فقال ﷺ «صُم وافطر، وقم ونم. فإنّ لنفسك عليك حقاً ـ الحديث» وروى الطبري مِن طريق ابن جريج عن مجاهد قال «أراد رجال، منهم عثمان بن مظعون وعبدُاللّه بن عمرو أن يتبتّلوا ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح، ومِن طريق ابن جريج عن عكرمة «أنّ عثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالماً ـ مولى أبي حذيفة ـ في جماعة مِن الصّحابة تبتّلوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النّساء ولبسوا المسوح وحرموا طيبات الطعام واللباس. وهمّوا بالاختصاء. =

---

(١) قوله «تقشفاً» وفي الصحاح «قشف» بالكسر: قشفاً، إذا لوحته الشمس أو الفقر فتغير. والمتقشف: الذي يتبلغ بالقوت وبالمرقع. (ع)

(٢) قوله «ويلبسوا المسوح» المسوح: أكسية غلاظ تعمل منها الغراير للتبن. أفاده الصحاح في مادة لبس.

رسول الله ﷺ كان يأكل الدجاج (٥٥٩) والفالوذ (٥٦٠)، وكان يعجبه الحلواء والعسل (٥٦١)، وقال: «إن المؤمن حلو يحب الحلاوة» (٥٦٢)، وعن ابن مسعود أن رجلاً قال له: إني حرمت

= واجتمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ . . . الآية﴾ قال: فبعث إليهم رسول الله ﷺ فقال: «إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وافطروا وصلُّوا وناموا. فليس منا مَن ترك سنتنا». انتهى.

٥٥٩ ـ أخرجه البخاري (١١/٦١٦) ـ كتاب كفارات الأيمان (٨٤) ـ باب الكفّارة قبل الحنث وبعده (١٠) (٦٧٢١) ومسلم في صحيحه (٦/١٢٢) ـ كتاب الأيمان (٢٧) ـ باب ندب مِن حلف يميناً فرأى غيرها (٣)ـ(٩).

٥٦٠ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/١٠٩ـ١١٠).
وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقرّه الذهبي.
والطبراني في «المعجم الصّغير» (٢/٢٤).
والخطيب البغدادي في تاريخه (١/٣٦٨ـ٣٦٩) (٣١٣).
وابن الجوزي في العلل المتناهيه (٢/٦٦٦).
كلّهم مِن طريق الوليد بن مسلم قال حدّثني محمد بن حمزة بن يوسف بن عبدالله بن سلام عن أبيه عن جده. قال: «خرج رسول الله ـ ﷺ ـ إلى المربد. . .
وقال الطبراني: لا يروى عن عبدالله بن سلام إلاّ بهذا الإسناد. تفرّد به الوليد بن مسلم وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصحّ عن رسول الله ـ ﷺ ـ تفرّد به الوليد وكان يسقط الضّعفاء مِن الإسناد ويدلّس.
قلت: ولذلك فإنّ قول الحاكم: صحيح الإسناد ـ فيه نظر، فلينتبه ـ.

٥٦١ أخرجه البخاري (٩/٤٦٨) ـ كتاب الأطعمة (٧٠) ـ باب الحلوى والعسل (٣٢) (٥٤٣١)، ومسلم (٥/٣٣١) ـ كتاب الطلاق (١٨) ـ باب وجوب الكفّارة على مَن حرم امرأته (٣) (١٤٦٤) (٢١) ـ وأبو داود (٣/٣٣٥) ـ كتاب الأشربة ـ باب في شراب العسل (٣٧١٥)، والترمذي (٤/٢٧٣) ـ كتاب الأطعمة (٢٦) ـ باب ما جاء في حبّ النبيّ ـ ﷺ ـ الحلواء والعسل (١٨٣١)، وابن ماجه (٢/١١٠٤) ـ كتاب الأطعمة (٢٩) باب الحلواء (٣٦) (٣٣٢٣) كلّهم مِن حديث هشام بَن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ يحبّ الحلوى والعسل».

٥٦٢ ـ ذكره الديلمي في «الفردوس» عن عليّ بن أبي طالب مرفوعاً «المؤمن حلو يحب الحلاوة. . .
والسّخاوي في المقاصد (ص ٣٠٨) وعزاه للديلمي عن عليّ ـ رضيَ الله عنه ـ مرفوعاً وقال: وهو واهٍ، لكن ثبت أنّ النبيّ ـ ﷺ ـ كان يأكل الحلو والعسل، وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف:
هذا منتزع مِن أحاديث. أمّا أكل الدّجاج فمتّفق عليه مِن حديث أبي موسى الأشعري في قصّة له. وأما أكله الفالوذ فرواه الحاكم مِن حديث عبدالله بن سلام قال «كنت مع النبيّ ﷺ في أناس مِن أصحابه إذا أقبل عثمان بن مظعون ومعه راحلة عليها غرارتان فذكر الحديث ـ وفيه فطبخ الدقيق والسّمن والعسل حتى نفح ثمّ أكل، وهو مِن رواية الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة مضعفاً وأعلّه ابن الجوزي بضعف الوليد. وأما «كان يعجبه الحلوى والعسل». فمتفق عليه مِن حديث همام عن أبيه عن عائشة رضيَ الله عنها. وأما الأخير فذكره الديلمي في الفردوس عن عليّ بن أبي طالب رضيَ الله عنه. انتهى.

الفراش فتلا هذه الآية وقال: «نم على فراشك وكفر عن يمينك» (٥٦٣). وعن الحسن أنه دعي إلى طعام ومعه فرقد السنجيّ وأصحابه، فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك، فاعتزل فرقد ناحية، فسأل الحسن: أهو صائم؟ قالوا: لا، ولكنه يكره هذه الألوان. فأقبل الحسن عليه وقال: يا فريقد، أترى لعاب النحل بلباب البرّ بخالص السمن يعيبه مسلم، وعنه أنه قيل له: فلان لا يأكل الفالوذ ويقول: لا أؤدّي شكره. قال: أفيشرب الماء البارد؟ قالوا: نعم. قال: إنه جاهل، إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ، وعنه إن الله تعالى أدّب عباده فأحسن أدبهم. قال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧] ما عاب الله قوماً وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا، ولا عذر قوماً زواها عنهم فعصوه، ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾: ولا تتعدوا حدود ما أحل الله لكم إلى ما حرّم عليكم. أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات. أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلماً، فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولاً أولياً لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك، ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقاً، ﴿حَلَٰلًا﴾: حال مما رزقكم الله، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تأكيد للتوصية بما أمر به، وزاده تأكيداً بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾: لأنّ الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ

---

٥٦٣ ـ أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٣٩٧) (٩٦٩٣) من طريق عارم أبو النعمان ثنا حماد بن زيد ثنا منصور بن المعتمر عن إبراهيم عن همّام بن الحارث أنّ ابن مقرن سأل عبدالله ابن مسعود فقال: . . .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٧٧) رواه الطبراني بأسانيد ورجال هذا وغيره رجال الصّحيح.
وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٥٥٦ رقم ١٢٤٩٠) مِن طريق جرير بن حازم أنّ سليمان الأعمش حدّثه عن إبراهيم بن يزيد النخعي به.
ولكن وقع فيها «نعمان بن مُقّرن» بدلاً مِن «معقل».
قلت: وهذا خطأ ـ ولعلّه تصحيف مِن النّساخ.
وأخرجه أيضاً سعيد بن منصور في تفسيره (٤/ ١٥٢٤ رقم ٧٧٤) نا حماد بن زيد عن منصور به
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٤٧) لابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم
وللحديث ألفاظ أخرى وفيه قصّة:
أخرجه عبدالرزّاق في المصنف (٧/ ٣٩٤ رقم ١٣٦٠٤) مِن طريق حمّاد عن إبراهيم أن معقل بن مقرن المزني جاء إلى عبدالله فقال. . .
ومِن طريق عبدالرزاق أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٣٩٧ رقم ٩٦٩١). وقد خالف حمّاد بن أبي سليمان كلاً مِن منصور والأعمش فأسقط همّاماً وعمرَ ـ ومنصور والأعمش كلّ واحد منهما أوثق مِن حماد وقد اجتمعا هنا، فسقطت رواية حماد ـ والله المستعان.

﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

اللغو في اليمين: الساقط الذي لا يتعلق به حكم، واختلف فيه، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عنه فقالت: هو قول الرجل: «لا والله، بلى والله» (٥٦٤) وهو مذهب الشافعي، وعن مجاهد: هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾: بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها

---

٥٦٤ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٥٥٦) ـ كتاب الأيمان والنذور (٨٣) ـ باب ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ . . .﴾ (١٤)ـ(٦٦٦٣) والنسائي في «التفسير» كما في «أطراف المزى» (١٢/ ٢٢١) (١٧٣١٦) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٤٨) ـ كتاب الأيمان ـ باب لغو اليمين مِن طريق يحيى القطّان، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

وتابع يحيى بن سعيد القطّان:

مالك فأخرجه في موطئه (٢/ ٤٧٧) ـ كتاب النذور والأيمان (٢٢) ـ باب اللغو في اليمين (٥).

وعن مالك أخرجه الشافعي في مسنده (٢/ ٧٤) ـ كتاب الأيمان والنذور ـ باب فيما يتعلق باليمين (٢٤٤) والبيهقي (١٠/ ٤٨).

وأخرجه أيضاً عبدالرزاق في مصنّفه (رقم ١٥٩٥١، ١٥٩٥٢)، والطبري في تفسيره (٢/ ٢٤٠، ٢٤١) والبغوي في تفسيره (١/ ٢٠١) مِن طرق عن عائشة موقوفاً ليس فيه ذكر سبب النزول، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٦٩) وزاد نسبته لوكيع ومسلم وعبد بن حميد وابن أبي حاتم مِن طرق عن عائشة قالت: أنزلت هذه الآية.

وقال الحافظ في الفتح (١١/ ٥٥٧):

قال ابن عبد البر: تفرّد يحيى القطان عن هشام بذكر السّبب في نزول الآية: أ. هـ.

قلت: وفي ذلك نظر. .

فقد تابع يحيى بن سعيد ـ عيسى بن يونس عن هشام به ـ عند ابن الجارود في المنتقى (ص ٢٣٢/ ٢٣٣ رقم ٩٢٥).

وأخرجه أبو داود في سُنَنِه (٣/ ٢٢٣) ـ كتاب الأيمان والنذور ـ باب لغو اليمين (٣٢٥٤) وابن حبّان في «الموارد» (١١٨٧) وفي صحيحه أيضاً (١٠/ ١٧٦) (٤٣٣٣).

والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٤٩) مِن طريق حسان بن إبراهيم، ثنا إبراهيم الصّائغ عن عطاء في اللغو واليمين قال: قالت عائشة ـ رضيَ اللّه عنها ـ إنّ رسول اللّه ـ ﷺ قال «هو كلام الرجل. . .»

وقال أبو داود: روى هذا الحديث داود بن أبي الفرات عن إبراهيم الصّائغ موقوفاً على عائشة، وكذلك رواه الزهري وعبد الملك بن أبي سليمان ومالك بن مغول، وكلّهم عن عطاء عن عائشة موقوفاً.

وقال البيهقي (١٠/ ٤٩) «وكذلك رواه عمرو بن دينار، وابن جريج وهشام بن حسان، عن عطاء عن عائشة رضيَ اللّه عنها موقوفاً».

وقال الحافظ في التلخيص: (٤/ ٣٠٨) (٢٥٠١) وصحّح الدارقطني الوقف. وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه البخاري ومالك مِن حديثها دون قوله: «سئلت» ورواه أبو داود مِن طريق عطاء عنها مرفوعاً وموقوفاً. وصحّح الدارقطني الموقوف. انتهى.

بالقصد والنية، وروي أن الحسن ـ رضي الله عنه ـ سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال: يا أبا سعيد، دعني أجب عنك فقال [من الطويل]:

وَلَسْتَ بِمَأْخُوذٍ بِلَغْوٍ تَقُولُهُ إِذَا لَمْ تَعَمَّدْ عَاقِدَاتِ الْعَزَائِمِ[(١)]

وقرىء: «عقدتم»، بالتخفيف. «وعاقدتم»، والمعنى: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم، فحذف وقت المؤاخذة. لأنه كان معلوماً عندهم، أو بنكث ما عقدتم. فحذف المضاف، ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ﴾: فكفارة نكثه، والكفارة: الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي: تسترها، ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾: من أقصده، لأنّ منهم من يسرف في إطعام أهله، ومنهم من يقتر وهو عند أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ نصف صاع من برّ أو صاع من غيره لكل مسكين، أو يغديهم ويعشيهم، وعند الشافعي ـ رحمه الله ـ: مدّ لكل مسكين، وقرأ جعفر بن محمد: «أهاليكم»، بسكون الياء، والأهالي: اسم جمع لأهل: كالليالي في جمع ليلة، والأراضي في جمع أرض، وقولهم: (أهلون) كقولهم (أرضون) بسكون الراء، وأما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف، كما قالوا: رأيت معد يكرب، تشبيها للياء بالألف، ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ عطف على محل (من أوسط)[(٢)] وقرىء بضم الكاف، ونحوه: قُدوة في قِدوة، وأسوة في إسوة، والكسوة ثوب يغطي العورة، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: كانت العباءة تجزىء يومئذٍ، وعن ابن عمر: إزار أو قميص أو رداء أو كساء، وعن مجاهد: ثوب جامع، وعن الحسن: ثوبان أبيضان، وقرأ سعيد بن المسيب واليماني: «أو كأسوتهم»، بمعنى: أو مثل ما تطعمون أهليكم إسرافاً كان أو تقتيراً. لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم، ولكن تواسون بينهم وبينهم. فإن قلت: ما محل الكاف؟ قلت: الرفع، تقديره: أو طعامهم كأسوتهم، بمعنى: كمثل طعامهم إن لم يطعموهم الأوسط، ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: شرط الشافعي رحمه الله الإيمان قياساً على كفارة القتل، وأما أبو حنيفة وأصحابه، فقد جوّزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى كفارة القتل. فإن قلت: ما معنى أو؟ قلت: التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على الإطلاق، بأيتها أخذ المكفر فقد أصاب، ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: إحداها، ﴿فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ﴾: متتابعات عند أبي

---

(١) للفرزدق روي أن الحسن رضيَ الله عنه سئل عن لغو اليمين: فقال الفرزدق: دعني أجب عنك يا أبا سعيد، وقال البيت، أي لست مؤاخذاً باللغو أي الساقط من الكلام. وتعمد: أصله تتعمد، حذف منه إحدى التاءين. وهذا في معنى الاستثناء المنقطع. وعاقدات العزائم: الجازمات، ونسبة الجزم إليها مجاز عقلي.

(٢) قوله «على محل من أوسط قد يقال هذا إنما يناسب القراءة الآتية أوكأسوتهم ولكن عبارة النسفي عطف على إطعام أو على محل من أوسط. ووجهه أن (من أوسط) بدل من (إطعام) والبدل هو المقصود في الكلام اهـ. (ع)

حنيفة ـ رحمه الله ـ، تمسكاً بقراءة أبيّ وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات»، وعن مجاهد: كل صوم متتابع إلا قضاء رمضان، ويخير في كفارة اليمين ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور[1]، ﴿كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ ولو قيل: تلك كفارة أيمانكم، لكان صحيحاً بمعنى تلك الأشياء أو لتأنيث الكفارة، والمعنى، ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم. فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأنّ الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف، لا بنفس الحلف، والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال إذا لم يعص الحانث، ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ﴾ فبروا فيها ولا تحنثوا[2] أراد الأيمان التي الحنث فيها معصية، لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض الجنس وعلى كله، وقيل: احفظوها بأن تكفِّروها، وقيل: احفظوها كيف حلفتم بها، ولا تنسوها تهاوناً بها، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك البيان، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾: أعلام شريعته وأحكامه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾

أكد تحريم الخمر والميسر وجوهاً من التأكيد[3] منها تصدير الجملة بـ «إنما»، ومنها

---

(١) قال محمود: «المشار إليه هو المذكور فيما تقدم ولو قيل... إلخ» قال أحمد: بل في هذه الآية وجه لطيف المأخذ في الدلالة على صحة وقوع الكفارة بعد اليمين وقبل الحنث وهو المشهور من مذهب مالك، وبيان الاستدلال بها أنه جعل ما بعد الحلف ظرفاً لوقوع الكفارة المعتبرة شرعاً، حيث أضاف «إذاً» إلى مجرد الحلف. وليس في الآية إيجاب الكفارة حتى يقال: قد اتفق على أنها إنما تجب بالحنث، فتعين تقديره مضافاً إلى الحلف، بل إنما نطقت بشرعية الكفارة ووقوعها على وجه الاعتبار، إذ لا يعطي قوله ﴿ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ إيجاباً، إنما يعطي صحة واعتباراً، والله أعلم. وهذا انتصار على من منع التكفير قبل الحنث مطلقاً، وإن كانت اليمين على بر والأقوال الثلاثة في مذهب مالك، إلا أن القول المنصور هو المشهور.

(٢) عاد كلامه. قال: «واحفظوا أيمانكم، أي فبروا فيها... إلخ» قال أحمد: وفي هذا التأويل إشعار بأن الشاك في صورة اليمين بعد تحقق أصلها يشدد عليه ويؤاخذ بالأحوط، فأرشده الله إلى حفظ اليمين لئلا يفضي أمره إلى أن يلزم في ظاهر الأمر على وجه الاحتياط ما لم يصدر منه في علم الله تعالى، كالذي يحلف بالطلاق وينسى هل قيده بالثلاث مثلاً أو أطلقه، فيلزمه الثلاث على المذهب المشهور. ويحتمل أن يكون في علم الله تعالى أنه إنما حلف بالطلاق مطلقاً، فأرشد إلى الحفظ لئلا يجره النسيان إلى هذا التشديد. والمراد بالأيمان كل ما ينطلق عليه يمين، سواء كان حلفاً بالله أو بغيره مما يلزم في الشرع حكماً والله أعلم.

(٣) قال محمود: «أكد الله تحريم الخمر والميسر وجوهاً من التأكيد منها... إلخ» قال أحمد: ويجوز عود الضمير إلى الرجس الذي انطوى على سائر ما ذكر والله أعلم.

أنه قرنهما بعبادة الأصنام، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «شارب الخمر كعابد الوثن» (٥٦٥) ومنها أنه جعلهما رجساً، كما قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾

---

٥٦٥ ـ أخرجه بهذا اللفظ ـ البزار في مسنده ـ كما في كشف الأستار (٢٩٢٥).
وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ٣٠٥) في ترجمة الحسن البصري (٥٢٩). كلاهما مِن حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً «شارب الخمر كعابد وثن».
وقال الحافظ ابن حجر: وفيه الخليل بن زكريا، وفي الذي قبله ثابت بن محمد وهو أصلح حالاً مِن الخليل. أ. هـ.
قلت: وللحديث شاهد ـ مِن حديث أبي هريرة، وابن عباس، وأنس بن مالك، وبعض الصحابة وجابر بن عبدالله.
أما حديث أبي هريرة:
فأخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ١/ ١٢٩) وابن ماجه (٣٣٧٥) وابن الجوزي في العِلَل (١١١٧) والواحدي في «الوسيط» مِن طرق عن محمد بن سليمان بن الأصبهاني عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة.
وفي رواية للبخاري عن سليمان عن سهيل بن أبي صالح عن محمد بن عبدالله عن أبيه قال النبي ـ ﷺ ـ «مدمن خمر. . .».
وقال: ولا يصحُّ حديث أبي هريرة في هذا.
وقال ابن الجوزي في العِلَل (٢/ ٦٧١-٦٧٢) ـ وهذا لا يصحُّ تفرّد به محمد بن سليمان قال ابن عدي: محمد بن سليمان مضطرب الحديث وقد أخطأ في غير أشياء منه. وقال أبو حاتم الرازي: لا نحتج به، وقال الدارقطني: خالفه سليمان بن بلال فرواه عن سهيل عن محمد بن عبدُالله عن أبيه عن النبي ـ ﷺ. قال ابن مريم عنه. قال ورواه حماد بن سلمة عن عاصم عن أبي صالح عن عبدالله بن عمرو مِن قوله. . . وهذا هو الصحيح والطريق التي قبله لا تثبت. أ. هـ.
حديث ابن عباس:
أخرجه أحمد (١/ ٢٧٢) عن أسود بن عامر، حدثنا الحسن بن صالح عن محمد بن المنكدر قال: حُدِّثت عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «مدمن الخمر إن مات لقيَ الله كعابد وثن» وهذا سند رجاله ثقات إلا شيخ ابن المنكدر فهو مجهول لم يسم.
وعبدالرزاق (٩/ ٢٣٩) (١٧٠٧٠)، وابن الجوزي في العِلَل (١١١٦) عن ابن المنكدر عن ابن عباس.
وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٢/ ١٦٧) (٥٣٤٧) وابن الجوزي في العِلَل (١١١٨) مِن طريق عبدالله بن خراش بن حوشب قال: حدثنا العوام بن حوشب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً «مَن لقيَ الله. . .».
وهذا إسناد ضعيف، فعبدُالله بن خراش هو الشيباني الحوشي، ضعّفه أبو زرعة والبخاري والنسائي والدارقطني وأبو حاتم. . وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ.
وقال ابن الجوزي عقبه: وهذا لا يصحُّ فإنَّ العوّام مجروح ـ قال البخاري وعبدُالله بن خراش منكر الحديث، وقال أبو زرعة ليس بشيء. أ. هـ.
قلت: وأخرجه أيضاً البزّار (٢/ ٢٧٧) (٢٩٣٤) والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٥) (١٢٤٢٨) وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٥٣) وابن الجوزي (١١١٩) مِن طريق ثوير بن أبي فاختة وحكيم بن جبير عن =

[الحج: ٣٠] ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان، والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت، ومنها أنه أمر بالاجتناب، ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح، وإذا كان الاجتناب فلاحاً، كان الارتكاب خيبة ومحقة، ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال، وهو وقوع التعادي والتباغض من أصحاب[1] الخمر والقمر، وما يؤدّيان إليه من الصدّ عن ذكر الله، وعن مراعاة أوقات الصلاة، وقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ من أبلغ ما ينهى به، كأنه قيل: قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع، فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون. أم أنتم على ما كنتم عليه، كأن لم توعظوا ولم تزجروا؟ فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: ، ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾؟ قلت: إلى المضاف المحذوف، كأنه قيل: إنما شأن الخمر والميسر أو

= سعيد بن جبير به.
وثوير بن أبي فاختة وحكيم بن جبير كلاهما ضعيف.
وقد تحرف ثوير إلى يزيد عند الهيثمي ولذلك قال في المجمع (٥/ ٧٧): رواه أحمد والبزّار والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح إلا أنَّ ابن المنكدر قال حُدِّثت عن ابن عباس وفي إسناد الطبراني يزيد بن أبي فاختة ولم أعرفه» أ. هـ.
حديث أنس بن مالك:
أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٤٠٧) (٤٨٠٧) ثنا عبيد بن عبدالله بن جحش قال: حدثنا جنادة بن مروان قال: حدثنا الحارث بن النعمان قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ـ ﷺ يقول «المقيم على الربا كعابد وثن، والمقيم على الخمر كعابد وثن». قال الحافظ: وإسناده ضعيف.
حديث جابر:
أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٥١٥).
مِن طريق المنكدر عن جابر عن النبي ـ ﷺ «مَن مات مدمن خمر مات كعابد وثن».
حديث بعض الصحابة، ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٤٢٠) (٤٣٣٠) وعزاه لإسحاق ابن راهويه في مسنده.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه البزّار مِن حديث مجاهد عن عبدالله بن عمرو بهذا. رواه الحارث بن أسامة وأبو نعيم في الحلية مِن رواية الحسن عن عبدالله بن عمرو به. وفيه الخليل بن زكريا وفي الذي قبله ثابت بن محمد وهو أصلح حالاً مِن الخليل. ولابن ماجه مِن حديث أبي هريرة، بلفظ «مدمن خمر كعابد وثن» وإسناده جيد، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن سليمان الأصبهاني عن سهيل عن أبيه عنه به. ورواه ابن حبان مِن حديث ابن عباس بهذا اللفظ. وقال الشبه أن يكون فيمن استحلّها. وفي مسند إسحاق ومِن رواية عمر بن عبدالعزيز عن بعض أصحابه، بلفظ «مَن شرب الخمر مات كعابد وثن» وللطبراني في الأوسط مِن حديث أنس بلفظ «المقيم على الخمر كعابد وثن» وإسناده ضعيف. انتهى.

---

(١) قوله «من أصحاب» لعله بين أصحاب. (ع)

تعاطيهما أو ما أشبه ذلك، ولذلك قال: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: فإن قلت: لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولاً ثم أفردهما آخراً؟[1] قلت: لأن الخطاب مع المؤمنين، وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر، وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر، وإظهار أنّ ذلك جميعاً من أعمال الجاهلية وأهل الشرك، فوجب اجتنابه بأسره، وكأنه لا مباينة بين من عبد صنماً وأشرك بالله في علم الغيب، وبين من شرب خمراً أو قامر، ثم أفردهما بالذكر ليرى أن المقصود بالذكر الخمر والميسر، وقوله: ﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ اختصاص للصلاة من بين الذكر كأنه قيل: وعن الصلاة خصوصاً.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَٱحْذَرُواْۚ﴾: وكونوا حذرين خاشين، لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة، ويجوز أن يراد: واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر، أو في ترك طاعة الله والرسول، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ﴾ أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول، لأنّ الرسول ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات، وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتم.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها، ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾ ما حرم عليهم منها، ﴿وَّءَامَنُواْ﴾: وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ ثم ثبتوا على التقوى والإيمان، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ﴾: ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم، أو أحسنوا إلى الناس: واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات، وقيل: لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة: يا رسول الله، فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر (٥٦٦) فنزلت. يعني أن المؤمنين لا

---

٥٦٦ ـ أخرجه أحمد في المسند (٢/٣٥١) ثنا سريج يعني ابن النعمان ثنا أبو معشر عن ابن وهب مَوْلى أبي هريرة عن أبي هريرة. قال: قدم رسول الله ـ ﷺ ـ وهم يشربون الخمر... فذكره. =

---

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب... إلخ» قال أحمد: ويرشد إلى أن المقصود الخمر والميسر خاصة، لأنهم إنما كانوا يتعاطونهما خاصة الآية الأخرى وهي قوله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ﴾ فخصهما بالذكر ولم يثبت النهي عنهما، فلذلك ورد أن قوماً تركوها لما فيها من الإثم، وقوماً بقوا على تعاطيها لما فيها من المنافع، ثم نزلت هذه الآية جازمة بالنهي، والله أعلم.

جناح عليهم في أي: شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم، (ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا)، على معنى: أنّ أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمداً لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان، ومثاله أن يقال لك: هل على زيد فيما فعل جناح؟ فتقول ـ وقد علمت أن ذلك أمر مباح ـ: ليس على أحد جناح في المباح، إذا اتقى المحارم،

= قلت: وهذا إسناد ضعيف.

آفته «أبو معشر» هذا واسمه نجيح بن عبدالرحمن السّندي ـ ضعّفه كثير مِن الأئمة.

قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو داود والنّسائي: ضعيف.

وقال أبو زرعة: صدوق في الحديث وليس بالقوى.

وقال عمرو بن علي: وأبو معشر ضعيف، ما روى عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب ومشايخه فهو صالح وما روى عن المقبري وهشام بن عروة ونافع وابن المنكدر روايته لا تكتب، وضعفه الحافظ في التقريب (٢/ ٢٩٨).

قلت: ووقع تصحيف عند الزيلعي في تخريج الكشاف فقال: رواه أحمد في مسنده ثنا شريح نا أبو معشر... بالشين المعجمة وليس كذلك ـ وليس هو شريح بن النعمان، راجع ترجمته في تهذيب الكمال (١٢/ ٤٥٠) فإنه متقدّم عن سريج ـ والله المستعان.

والحديث أخرجه الطبري (٥/ ٤١١) مِن وجه آخر، فقال: حدثني المثنّى ثنا عبدالله بن صالح حدثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس...

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٤٢٢) لابن مردويه في تفسيره.

وبعض الحديث في الصحيحين: مِن حديث أنس.

أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ١٣٣ـ١٣٤) ـ كتاب المظالم (٤٦) ـ باب صب الخمر في الطريق (٢١) حديث رقم (٢٤٦٤) ومسلم (٧/ ١٦٠) ـ كتاب الأشربة (٣٦) ـ باب تحريم الخمر (١) (١٩٨٠) (٣)، قال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أحمد مِن رواية ابن وهب مولى أبي هريرة قال «حرمت الخمر ثلاث مرات قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر. فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك. فأنزل الله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ الآية فقال الناس: لم تحرم علينا، إنما قال: فيها إثم كبير فكانوا يشربون الخمر، حتى كان يوم مِن الأيام صلّى رجل مِن المهاجرين المغرب، فخلط في قراءته. فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ فكانوا يشربونها حتى يأتي أحدهم للصلاة وهو مفيق، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ الآية فقالوا: انتهينا يا رب. وقال الناس: يا رسول الله، ناس قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجسًا مِن عمل الشيطان. فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ﴾ الآية فقال النبي ﷺ: «لو حُرِّمَت عليهم لتركوها كما تركتم»، إسناده ضعيف، فإنَّه مِن رواية أبي معشر عن أبي وهب. وأبو معشر ضعيف. وروى الطبري مِن حديث علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال في قوله تعالى ﴿ليس على الذين آمنوا﴾ الآية قالوا: يا رسول الله: ما تقول في إخواننا الذين ماتوا كانوا يشربون الخمر، ويأكلون الميسر. فأنزل الله الآية وفي المتفق عليه عن حمّاد بن زيد عن ثابت عن أنس قال «كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة ـ وكان خمرهم يومئذٍ الفضيخ فأمر منادياً فنادى: ألا إنّ الخمر قد حُرِّمَت ـ الحديث» قال بعض القوم: قد قتل فلان وفلان وفلان وهي في بطونهم فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ...﴾ الآية. انتهى.

وكان مؤمناً محسناً، تريد: أن زيداً تقيّ مؤمن محسن؛ وأنه غير مؤاخذ بما فعل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾﴾

نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون، وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذاً بأيديهم وطعناً برماحهم، ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾: ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد، ممن لا يخافه فيقدم عليه، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ﴾: فصاد، ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ الابتلاء فالوعيد لاحق به. فإن قلت: ما معنى التقليل والتصغير[(1)] في قوله: ﴿بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾؟ قلت: قلل وصغر ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين، كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال، وإنما هو شبيه بما ابتلى به أهل أيلة من صيد السمك، وأنهم إذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو أشدّ منه، وقرأ إبراهيم: يناله، بالياء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

﴿حُرُمٞ﴾: محرمون، جمع حرام، كردح في جمع رداح، والتعمد: أن يقتله وهو ذاكر لإحرامه، أو عالم أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله، فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى

---

(١) قال محمود: «إن قلت ما معنى التقليل والتصغير... إلخ» قال أحمد: وقد وردت هذه الصيغة بعينها في الفتن العظيمة في قوله تعالى ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فلا خفاء في عظم هذه البلايا والمحن التي يستحق الصابر عليها أن يبشر، لأنه صبر على عظيم. فقول الزمخشري إذاً «إنه قلّل وصغر تنبيهاً على أن هذه الفتنة ليست من الفتن العظام» مدفوع باستعمالها مع الفتن المتفق على عظمها. والظاهر ـ والله أعلم ـ أن المراد بما يشعر به اللفظ من التقليل والتصغير، التنبيه على أن جميع ما يقع الابتلاء به من هذه البلايا بعض من كل بالنسبة إلى مقدور الله تعالى، وأنه تعالى قادر على أن يكون ما يبلوهم به من ذلك أعظم مما يقع وأهول، وأنه مهما اندفع عنهم مما هو أعظم في المقدور، فإنما يدفعه عنهم إلى ما هو أخف وأسهل، لطفاً بهم ورحمة: ليكون هذا التنبيه باعثاً لهم على الصبر وحاملاً على الاحتمال، والذي يرشد إلى أن هذا مراد أن سبق التوعد بذلك لم يكن إلا ليكونوا متوطنين على ذلك عند وقوعه، فيكون أيضاً باعثاً على تحمله، لأن مفاجأة المكروه بغتة أصعب، والإنذار به قبل وقوعه مما يسهل موقعه، وحاصل ذلك لطف في القضاء، فسبحان اللطيف بعباده. وإذا فكر العاقل فيما يبتلى به من أنواع البلايا، وجد المندفع عنه منها أكثر إلى ما لا يقف عند غاية، فنسأل الله العفو والعافية واللطف في المقدور.

صيداً وهو يظن أنه ليس بصيد فإذا هو صيد، أو قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيداً فهو مخطىء. فإن قلت: فمحظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ، فما بال التعمد مشروطاً في الآية؟ قلت: لأن مورد الآية فيمن تعمد؛ فقد روي أنه عنّ لهم في عمرة الحديبية حمار وحش، فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله، فقيل له: إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولأن الأصل فعل التعمد، والخطأ لاحق به للتغليظ، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾: وعن الزهري: نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ (٥٦٧) وعن سعيد بن جبير: لا أرى في الخطأ شيئاً أخذاً باشتراط العمد في الآية (٥٦٨)، وعن الحسن روايتان، ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾: برفع «جزاء» و«مثل» جميعاً، بمعنى: فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد، وهو عند أبي حنيفة قيمة المصيد يقوّم حيث صيد. فإن بلغت قيمته ثمن هدى، تخير بين أن يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد، وبين أن يشتري بقيمته طعاماً، فيعطي كل مسكين نصف صاع من برّ أو صاع من غيره، وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوماً، فإن فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوماً أو تصدّق به، وعند محمد والشافعي ـ رحمهما الله ـ مثله نظيره من النعم، فإن لم يوجد له نظير من النعم عدل إلى قول أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ. فإن قلت: فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ وهو تفسير للمثل، وبقوله: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾؟ قلت: قد خير من أوجب القيمة بين أن يشتري بها هدياً أو طعاماً أو يصوم، كما خير الله تعالى في الآية. فكان قوله: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾: بياناً للهدى المشترىٰ بالقيمة في أحد وجوه التخيير؛ لأن من قوم الصيد واشترى بالقيمة هدياً فأهداه، فقد جزى بمثل ما قتل من النعم. على أن التخيير الذي في الآية بين أن يجزي بالهدى أو يكفر بالإطعام أو بالصوم، إنما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف إذا قوّم ونظر بعد التقويم أيّ الثلاثة يختار؟ فأما إذا عمد إلى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير ـ فإذا كان شيئاً لا نظير له قوّم حينئذٍ، ثم يخير بين الإطعام والصوم ـ ففيه نبوّ عما في الآية. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ كيف خير بين الأشياء الثلاثة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم، وقرأ عبد الله: فجزاؤه مثل ما قتل، وقرىء: فجزاءُ مثل ـ

---

٥٦٧ ـ أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/ ٤٣) (١٢٥٦٥) ـ مِن طريق هشيم، قال: أخبرني بعض أصحابنا عن الزهري أنه قال:

قلت: وأخرجه أيضاً عبدالرزاق في مصنّفه (٤/ ٣٩١) (٨١٧٨) ـ أخبرنا معمر عن الزهري قال: يحكم عليه في العمد ـ وهو في الخطأ سنة.

٥٦٨ ـ أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/ ٤٣) (١٢٥٦٧) ـ مِن طريق الأعمش عن عمرو بن مرّة. عن سعيد بن جبير قال: إنما جعلت الكفارة في العمد. . .

ما قتل، على الإضافة، وأصله. فجزاء مثل ما قتل، بنصب مثل بمعنى: فعليه أن يجزى مثل ما قتل، ثم أضيف كما تقول: عجبت من ضرب زيد، وقرأ السلميّ على الأصل وقرأ محمد بن مقاتل، فجزاء مثل ما قتل، بنصبهما، بمعنى: فليجز جزاء مثل ما قتل، وقرأ الحسن: من النعم. بسكون العين، استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ بمثل ما قتل، ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: حكمان عادلان من المسلمين. قالوا: وفيه دليل على أن المثل القيمة، لأنّ التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المشاهدة، وعن قبيصة أنه أصاب ظبياً وهو محرم فسأل عمر، فشاور عبد الرحمٰن بن عوف، ثم أمره بذبح شاة، فقال قبيصة لصاحبه: والله ما علم أمير المؤمنين حتى سأل غيره، فأقبل عليه ضرباً بالدرّة وقال: أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم. قال الله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: فأنا عمر، وهذا عبد الرحمٰن (٥٦٩)، وقرأ محمد بن جعفر «ذو عدل منكم» أراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة، وقيل: أراد الإمام، ﴿هَدْيًا﴾ حال عن «جزاء» فيمن وصفه بمثل، لأنّ الصفة خصصته فقرّبته من المعرفة، أو بدل عن مثل فيمن نصبه، أو عن محله فيمن جرّه، ويجوز أن ينتصب حالاً عن الضمير في «به»، ووصف هدياً بـ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ لأن إضافته غير حقيقية، ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم، فأما التصدّق به فحيث شئت عند أبي حنيفة، وعند الشافعي في الحرم. فإن قلت: بم يرفع، ﴿كَفَّٰرَةٌ﴾ من ينصب جزاء؟ قلت: يجعلها خبر مبتدأ محذوف، كأنه قيل: أو الواجب عليه كفارة. أو يقدر: فعليه أن يجزي جزاء أو كفارة. فيعطفها على أن يجزي، وقرىء: أو كفارة طعام مساكين على الإضافة، وهذه الإضافة مبينة، كأنه قيل: أو كفارة من طعام مساكين، كقولك: خاتم فضة، بمعنى خاتم من فضة[1]. وقرأ الأعرج: أو كفارة طعام

---

٥٦٩ ـ أخرجه عبدالرزاق في مصنفة (٤/٤٠٦ـ٤٠٧) (٨٢٣٩) عن معمر عن عبدالملك بن عمير قال: أخبرني قبيصة بن جابر الأسدي قال:
ومِن طريق عبدالرزاق أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٣١٠).
وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
والبيهقي في السُنَن الكبرى (٥/ ١٨١) ـ كتاب الحج ـ باب جزاء الصيد بمثله مِن النَّعم.
وابن جرير في تفسيره (٥/٤٦) (١٢٥٧٧) مِن طريق عن عبدالملك بن عمير به مختصراً، وقال الحافظ في تخريج الكشاف: رواه عبدالرزاق عن معمر عن عبدالملك بن عمير فذكره، وفيه الزيادة التي في آخره. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: أمّا زعمه فليس من هذا البابِ لأنَّ «خاتم فضة» من بابِ إضافةِ الشيءِ إلى جنسه والطعامُ ليس جنساً للكفارةِ إلا بتجوُّزٍ بعيدٍ جداً» انتهى. قلت: كان مِنْ حَقِّه أَنْ يقولَ: والكفارةُ ليست جنساً للطعام لأن الكفارةَ في التركيب نظيرُ «خاتم» في أَنَّ كلاً منهما هو المضافُ إلى ما بعده، فكما أن «خاتماً» هو المضافُ إلى جنسه ينبغي أنْ يَقال: الكفارة ليست جنساً =

مسكين، وإنما وحد، لأنه واقع موقع التبيين، فاكتفى بالواحد الدال على الجنس، وقرىء: أو (عدل ذلك)، بكسر العين، والفرق بينهما أن عدل الشيء ما عادله من غير جنسه، كالصوم والإطعام، وعدله ما عدل به في المقدار، ومنه عدلا الحمل، لأن كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا، كأن المفتوح تسمية بالمصدر، والمكسور بمعنى المفعول به، كالذبح ونحوه، ونحوهما الحمل والحمل، و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الطعام و﴿صِيَامًا﴾ تمييز للعدل كقولك: لي مثله رجلاً، والخيار في ذلك إلى قاتل الصيد عند أبي حنيفة وأبي يوسف، وعند محمد إلى الحكمين، ﴿لِّيَذُوقَ﴾ متعلق بقوله: (فجزاء)[1] أي: فعليه أن يجازى أو يكفر، ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام، والوبال: المكروه والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه، كقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٦] ثقيلاً، والطعام الوبيل: الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ، ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ لكم من الصيد في حال الإحرام قبل أن تراجعوا رسول الله ﷺ وتسألوه عن جوازه، وقيل: عما سلف لكم في الجاهلية منه، لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرماً، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي، ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ ينتقم: خبر مبتدأ محذوف تقديره. فهو ينتقم الله منه، ولذلك دخلت الفاء، ونحوه ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن: ١٣] يعني ينتقم منه في الآخرة، واختلف في وجوب الكفارة على العائد، فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير والحسن: وجوبها،

= للطعام لأجل المقابلةِ، لكن لا يمكنُ أن يقال ذلك فإنَّ الكفارةَ كما تقدَّم جنسٌ للطعامِ والجزاءِ والصوم، فالطريقُ في الردِّ على أبي القاسم أن يُقال: شرطُ الإضافة بمعنى «مِنْ» أن يُضافَ جزءٌ إلى كل بِشرطِ صِدقِ اسم الكلِ على الجزءِ نحو: «خاتمُ فضةٍ»، و «كفارةُ طعام» ليس كذلك، بل هي إضافة «كل» إلى جزء. وقد استشكل جماعةٌ هذه القراءةَ من حيث إنَّ الكفارةَ ليست للطعام إنما هي لقتل الصيد، كذا قاله أبو علي الفارسي وغيره، وجوابُه ما تقدَّم ولم يختلفِ السبعةُ في جمع «مساكين» هنا وإن اختلفوا في البقرة، قالوا: والفرقُ بينهما أنَّ قَتْل الصيد لا يُجْزِىء فيه إطعامُ مسكينٍ واحد. على أنه قد قرأ عيسى بن عمر والأعرج بتنوين «كفارة» ورفع «طعام مسكين» بالتوحيد، قالوا: ومرادُهما بيانُ الجنسِ لا التوحيدُ. انتهى. الدر المصون.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «إنما يتأتّى ذلك حيث يضاف إلى «مثل» أو يُنَوِّن «جزاء» ويُنْصَبُ «مثل»، وعَلَّل ذلك بأنه إذا رفع مثلاً كان صفةً للمصدر، وإذا وُصِف المصدرُ لم يعمل إلا أن يتقدم المعمول على وصفِه نحو: «يعجبني الضربُ زيداً الشديدُ» فيجوز. قلت: وكذا لو جَعَلَه بدلاً أيضاً أو خبراً لِما تقدم من أنه يلزمُ أن يُتبِعَ الموصول أو يخبرَ عنه قبل تمام صلتِه وهو ممنوعٌ، وقد أَفْهَمَ كلامُ الشيخ بصريحه أنه على قراءةِ إضافة الجزاءِ إلى «مثل» يجوزُ ما قَاله أبو القاسم، وأنا أقول: لا يجوزُ ذلك أيضاً لأنَّ «ليذوقَ» مِنْ تمامِ صلةِ المصدرِ، وقد عُطِف عليه قولُه «أو كفارةٌ أو عَدْلٌ» فيلزمُ أَنْ يُعْطَفَ على الموصولِ قبل تمامَ صلتِه، وذلك لا يجوزُ لو قلت: «جاء الذي ضَرَبَ وعمروٌ زيداً» لم يَجُزْ للفصل بين الصلة ـ أو أبعاضِها ـ والموصولِ بأجنبي، فتأمَّلْه فإنه موضعٌ حسن. انتهى. الدر المصون.

وعليه عامة العلماء، وعن ابن عباس وشريح: أنه لا كفارة عليه تعلقاً بالظاهر، وأنه لم يذكر الكفارة.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾:

﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾: مصيدات البحر مما يؤكل وما لا يؤكل، ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾: وما يطعم من صيده والمعنى: أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر[١]، وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده عند أبي حنيفة، وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد منه، على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه، ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾: سفعول له، أي: أحل لكم تمتيعاً لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢] في باب الحال، لأن قوله: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ مفعول له مختص بالطعام، كما أن نافلة حال مختصة بـ «يعقوب»، يعني أحل لكم طعامه تمتيعاً لتنائكم[٢] يأكلونه طرياً، ولسيارتكم يتزوّدونه قديداً، كما تزوّد موسى ـ عليه السلام ـ الحوت في مسيره إلى الخضر عليهما السلام، وقرىء: «وطعمه»، وصيد البر: ما صيد فيه، وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات، كطير الماء عند أبي حنيفة، واختلف فيه[٣] فمنهم من حرّم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد، وهو قول عمر وابن عباس، وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير: أنهم أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال، وإن صاده لأجله، إذا لم يدل ولم يشر، وكذلك ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ـ رحمه الله ـ، وعند مالك والشافعي وأحمد ـ رحمهم الله ـ: لا يباح له ما صيد لأجله. فإن قلت: ما يصنع أبو حنيفة بعموم قوله: صيد البر؟ قلت قد أخذ أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ بالمفهوم من قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾: لأن ظاهره أنه

---

(١) قوله «بجميع ما يصاد في البحر» لعله من. (ع)

(٢) قوله «تمتيعاً لتنائكم يأكلونه» أي للمتوطنين منكم. يقال: تنأ بالبلد توطنه، فهو تانىء، وهم تناء. أفاده الصحاح، وسيأتي للمفسر في قوله تعالى ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ أن الأناس اسم جمع غير تكسير، نحو رحال وتناء وتؤام. ويجوز أن يقال: إن الأصل الكسر والتكسير، والضمة بدل من الكسرة. (ع)

(٣) قال محمود: «اختلف في المراد بالتحريم... إلخ» قال أحمد: وتخصيص عموم الآية لازم على كلتا الطائفتين؛ لأن مالكاً رضيَ الله عنه يجيز أكل المحرم لصيد البر، إذا صاده حلال لنفسه أو لحلال فلا بد إذاً على مذهبه من تخصيص العموم المخصوص، غاية ذلك أن صورة التخصيص على مذهب أبي حنيفة، تكون أكثر منها على مذهب مالك، لأنه يجيز أكل ما صاده الحلال من أجل المحرم كما نقل عنه، فيزيد على مذهب مالك بهذه الصورة، والله أعلم.

صيد المحرمين دون صيد غيرهم، لأنهم هم المخاطبون فكأنه قيل: وحرم عليكم ما صدتم في البر، فيخرج منه مصيد غيرهم، ومصيدهم حين كانوا غير محرمين، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾ وقرأ ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «وحرّم عليكم صيد البرّ»، أي: الله عزّ وجلّ، وقرىء «ما دمتم» بكسر الدال، فيمن يقول، دام يدام.

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ (٩٧) ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٩٨)﴾

﴿ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾: عطف بيان على جهة المدح، لا على جهة التوضيح، كما تجيء الصفة كذلك[١]، ﴿قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾: انتعاشاً لهم[٢] في أمر دينهم ودنياهم، ونهوضاً إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم، لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم، وأنواع منافعهم، وعن عطاء بن أبي رباح: لو تركوه عاماً واحداً لم ينظروا ولم

---

(١) قال السمين الحلبي: واعترض عليه الشيخ بأن شرطَ البيانِ الجمودُ، والجمودُ لا يُشْعر بمدح، وإنما يُشْعر به المشتقّ، ثم قال: «إلا أنْ يريدَ أنه لَمَّا وُصِف البيت بالحرام اقتضى المجموعُ ذلك فيمكنُ». انتهى. الدر.

(٢) قال محمود: «معنى قياماً للناس: انتعاشاً لهم في أمر دينهم ودنياهم... إلخ» قال أحمد: وفي هذه الآية ما يبعد تأويلين من التأويلات الثلاثة المذكورة في قوله أول هذه السورة ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ فإن حمل القلائد ثم على ظاهرها، وتأويل صرف الإحلال إلى مواقعها من المقلد ـ كقوله ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾ يريد مواقع الزينة، والنهي عن إحلال القلائد يشبهه، كأنه قال: لا تحلوا قلائدها فضلاً عنها ـ متعذر في هذه الآية، لأنها وردت في سياق الامتنان بما جعله الله قياماً للناس من هذه الأمور المعدودة، وقد خص المنة بالبدن في قوله ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ﴾... الآية ولا يليق بسياق الامتنان الخروج من الأعلى إلى الأدنى، حتى يقع الامتنان بالمقلد ثم بالقلائد، بل ذلك لائق في سياق النهي أن يخرج من النهي عن الأعلى إلى التشديد بالنهي عن الأدنى. وأما التأويل الآخر ـ وهو بقاء القلائد على حقيقتها وصرف الإحلال المنهي عنه إليها حقيقة، أي لا تتعرضوا للقلائد ولا تنتفعوا بها، كما قال عليه الصلاة والسلام «ألقِ قلائدها في دمها وخل بين الناس وبينها» ـ فمتعذر أيضاً بما بعد به الذي قبله. وأما التأويل الثالث ـ وهو حملها على ذوات القلائد ـ فلائق بالاثنين فيتعين المصير إليه. ومن ثم لم يذكر الزمخشري في هذه الآية سواء. ووجه صلاحيته وظهوره فيهما: أن الغرض في سياق النهي إفراده بالذكر وتخصيصه بالنهي، بعد أن اندرج مع غيره في النهي، فكأنه نهى عنه لخصوصيته مرتين. والغرض في سياق الامتنان أيضاً ذلك، وهو تكرير المنة به مندرجاً في العموم ومخصوصاً بالذكر. وأيضاً فيليق في الامتنان الترقي من الأدنى إلى الأعلى، بخلاف النهي. والله أعلم.

يؤخروا، ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: الشهر الذي يؤدى فيه الحج، وهو ذو الحجة، لأنّ لاختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأناً قد عرّفه الله تعالى، وقيل: عنى به جنس الأشهر الحرم، ﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾: والمقلد منه خصوصاً وهو البدن، لأن الثواب فيه أكثر، وبهاء الحج معه أظهر، ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى جعل الكعبة قياماً للناس، أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره، ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وما ينعشكم مما أمركم به وكلفكم، ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن انتهك محارمه، ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن حافظ عليها.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩)﴾

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾: تشديد في إيجاب القيام بما أمر به، وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ، وقامت عليكم الحجة، ولزمتكم الطاعة، فلا عذر لكم في التفريط.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)﴾

البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله تعالى[(١)] وإن كان قريباً عندكم، فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على القليل الطيب، فإنّ ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل، لا يوازي النقصان في الخبيث، وفوات الطيب، وهو عام في حلال المال وحرامه، وصالح العمل وطالحه، وصحيح المذاهب وفاسدها، وجيد الناس ورديهم،

---

(١) قال محمود: «البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله... إلخ» قال أحمد: وقد ثبت شرعاً أن أكثر أهل الجنة من هذه الأمة. وقد اعترف للقدرية أنهم قليل فيها، وشذوذ بالنسبة إلى من عداهم من الطوائف والأمر بهذه المثابة، وهم أيضاً يعتقدون أنهم الفرقة الناجية الموعودون بالجنة لا غيرهم، إذ كل مَن عداهم ـ على طمعهم الفاسد ـ مخلد في النار مع الكفار، فعلى هذا تكون هذه الطائفة الشاذة القليلة أكثر أهل الجنة، وحاشا لله أن يستمر ذلك على عقل عاقل محصل، مطلع على ما ورد في السنن من الآثار المكافحة لهذا الظن الفاسد بالرد والتكذيب. ومن هم المعتزلة حتى يترامى طمعهم على هذا الحد؟ وهذا الاستنباط الذي استنبطه الزمخشري من أن المراد بالطيب هذا النفر المعتزلي. من قبيل القول بأن المراد في قوله تعالى ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أهل الحديث وأصحاب الرأي، يعني الحقيقة. وقد أغاظ في تفسير هذه الآية على مَن قال ذلك وعده من البدع، وها هو قد ابتدع قريباً منه في حمله الطيب في هذه الآية على الفريق المعتزلي. بل والله شراً من تلك المقالة، لأنه حمل الخبيث على من عداهم من الطوائف السنية، نعوذ بالله من ذلك، ونبرأ من تجرئه على السلف والخلف.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: وآثروا الطيب، وإن قل، على الخبيث وإن كثر، ومن حق هذه الآية أن تكفح بها وجوه المجبرة[1] إذا افتخروا بالكثرة؛ كما قيل: [الطويل]

وَكَاثِرْ بِسَعْدٍ إِنَّ سَعْداً كَثِيرَةٌ ... وَلاَ تَرْجُ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلاَ نَصْرَا[2]

وكما قيل [من البسيط]:

لاَ يَدْهَمَنَّكَ مِنْ دَهْمَائِهِمْ عَدَدٌ ... فَإِنَّ جُلَّهُمُ بَلْ كُلَّهُمْ بَقَرُ[3]

وقيل: نزلت في حجاج اليمامة، حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم، فنهوا عن الإيقاع بهم وإن كانوا مشركين.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢)﴾

الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعني قوله: ﴿إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ صفة للأشياء، والمعنى: لا تكثروا مسألة رسول الله ﷺ حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم، إن أفتاكم بها وكلفكم إياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها، وذلك نحو ما روي: أن سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن قال: يا رسول الله، الحج علينا كل عام؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ حتى أعاد مسألته ثلاث مرّات، فقال ﷺ: «ويحك! ما يؤمنك أن أقول نعم؟ والله لو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو تركتم لكفرتم، فاتركوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»

---

(١) قوله «أن نكفح بها وجوه المجبرة» يعني أهل السنة. وهذا غلو من العلامة في التعصُّب للمعتزلة، وما كان ينبغي أن يكون منه، لعدم الداعي إليه هنا. (ع)

(٢) «سعد» اسم قبيلة. والمعنى: أنه لا نفع فيهم إلا تكثير سواد الجيش، فلا يوفون بما وعدوا من النصر، ولا ينصرون بلا وعد. ويمكن أن المراد الوفاء بحق الشجاعة. فالنصر تفسير. وفي تكرير الاسم نوع تهكم.

(٣) لم يبقَ من جل هذا الناس باقية ... ينالها الوهم إلا هذه الصور
لا يدهمنك من دهمائهم عدد ... فإن جلهم بل كلهم بقر

لأبي تمام. يقال: دهمه الأمر، إذا غشيه فحيره وسد عليه باب الرأي. والدهماء: الجماعة الكثيرة المتكاثفة، وأصله من الدهمة وهي الظلمة والسواد. يقول: لم يبق من معظم هذا الجمع من الناس بقية يدركها الوهم بعد التأمُّل، إلا هذه الصور والأجسام المشاهدة، مجردة على العقول، فلا تفزع من كثرة عدد جماعتهم، فإن معظمهم كالبقر، بل جميعهم كذلك، فلا تدبير عندهم لأمر الحرب.

(٥٧٠)، ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾: وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان

---

٥٧٠ ـ قال الحافظ ابن حجر: هذا السياق لم أجده لا عن سراقة ولا عن عكاشة. قلت: وأخرج مسلم في صحيحه (٤/ ٤٠٦ ـ نووى) ـ كتاب الحج (١٥) ـ باب بيان وجوه الإحرام (١٧) (١٤١/١٢١٦)، مِن حديث جابر الطويل، وفيه. فقال سراقة بن مالك بن جُعْشُم: يا رسول اللّه! ألعَامِنا هذا أم لأبد؟ فقال «لأبد».

وهو عند البخاري مِن وجه آخر (٥/ ١٦٣) ـ كتاب الشركة (٤٧) ـ باب الاشتراك في الهدى والبُدْن. . (١٥) (٢٥٠٥، ٢٥٠٦).

والنسائي (٥/ ١٧٨) ـ كتاب الحج ـ باب إباحة فسخ الحج بعمرة لمَن لم يسق الهدى (٢٨٠٥) وابن ماجه (٢/ ٩٩٢ـ٩٩٣) ـ كتاب المناسك (٢٥) ـ باب فسخ الحج (٤١) (٢٩٨٠) وأخرجه النسائي مِن حديث سراقة بن مالك (٥/ ١٧٨).

وأحمد كذلك في المسند (٤/ ١٧٥) ـ كلاهما مِن طريق محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة، عن الملك بن ميسرة عن طاوس عن سراقة بن مالك بن جُعْشُم أنه قال:

وحديث عكاشة بن محصن:

فرواه ابن جرير في تفسيره (٥/ ٨٤) (١٢٨١٠) مِن حديث أبي هريرة قال: خطبنا رسول اللّه ـ ﷺ ـ فذكره.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٩٢) لأبي الشيخ وابن مردويه.

وقال ابن حجر: وهو أقرب إلى سياق المصنف دون ما في آخره مما ذكره المصنف.

قلت: وحديث أبي هريرة.

أخرجه مسلم في صحيحه (٥/ ١١١) ـ كتاب الحج (١٥) ـ باب فرض الحج مرة في العمر (٧٣) (٤١٢/١٣٣٧).

والنسائي (٥/ ١١٠ـ١١١) ـ كتاب مناسك الحج (٢٤) ـ باب وجوب الحج (١) (٢٦١٩) وكلاهما لم يسم الرجل السائل.

وله شاهد مِن حديث أنس.

أخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٦٣) ـ كتاب المناسك (٢٥) ـ باب فرض الحج (٢) (٢٨٨٥) ولم يسمّ الرجل أيضاً ورجاله ثقات.

وفي الباب أيضاً حديث علي وليس فيه تسمية الرجل.

أخرجه الترمذي (٣/ ١٦٩) ـ كتاب الحج (٧) ـ باب ما جاء كم فُرِض الحج (٨١٤) وقال: حديث عَلِيٍّ حديثُ حسن غريب.

والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٣ـ٢٩٤).

قلت: ووقع تسمية السائل في حديث ابن عباس.

أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٥٥) مِن طريق سليمان بن كثير أبي داود الواسطي قال: سمعت ابن شهاب يحدث عن أبي سنان عن ابن عباس قال: خطبنا يعني رسول اللّه ـ ﷺ ـ فقال «يا أيها الناس كتب عليكم الحج» قال: فقام، الأقرع بن حابس. . .

وأبو داود (٢/ ١٣٩) ـ كتاب المناسك ـ باب فرض الحج (١٧٢١).

والنسائي (٥/ ١١١) ـ كتاب مناسك الحج (٢٤) ـ باب وجوب الحج (١)ـ(٢٦٢٠).

وابن ماجه (٢/ ٩٦٣) ـ كتاب المناسك، باب فرض الحج (٢٨٨٦).

والحاكم (٢/ ٢٩٤). =

الوحي وهو ما دام الرسول بين أظهركم يوحى إليه، تبد لكم. تلك التكاليف الصعبة التي تسؤكم، وتؤمروا بتحملها، فتعرّضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها، ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾: عفا الله عما سلف، من مسألتكم، فلا تعودوا إلى مثلها، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته. فإن قلت: كيف قال: ، ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ ثم قال: ﴿قَدْ

= والبيهقي في السُّنَن الكبرى (٤/٣٢٦) ـ كتاب الحج ـ باب وجوب الحج مرة واحدة قلت: ووقع في تفسير ابن جرير (٥/ ٨٣) (١٢٨٠٩).
مِن حديث أبي هريرة ـ وفيه «فقام محصن الأسدي فقال: أفي كل عام...».
ولعله «سقط» فإني لم أجد في الصحابة مَن اسمه «محصن الأسدي».
واسم «عكاشة» كما في الإصابة «عكاشة بن محصن الأسدي».
قال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف: هذا السياق لم أجده لا عن سراقة ولا عن عكاشة. فأما سراقة فروى مسلم مِن حديث جابر الطويل في صفة الحج. فقال سراقة بن مالك بن جُعْشُم يا رسول اللَّه. لعامنا هذا. أم للأبد؟ قلت: وهو عند البخاري أيضاً مِن وجه آخر عن جابر، والنسائي وابن ماجه مِن حديث سراقة بن مالك نفسه أنه قال للنبي ﷺ «يا رسول اللَّه، عمرتنا هذه لعامنا أم للأبد؟ فقال: بل للأبد. دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة» وأما عكاشة بن محصن فرواه الطبري وابن مردويه مِن طريق محمد بن زياد: سمعت أبا هريرة رضيَ اللَّه عنه يقول «خطبنا رسول اللَّه ﷺ فقال: يا أيها الناس. كتب عليكم الحج، فقال عكاشة بن محصن الأسدي: أفي كل عام يا رسول اللَّه؟ فقال: أما أنا لو قلت نعم لوجبت. ولو وجبت ثم تركتم لضللتم. اسكتوا عني ما سكت عنكم إنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فأنزل اللَّه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ الآية وهو أقرب إلى سياق المصنف، دون ما في آخره بما ذكره المصنف فهو في الحديث الآتي. وأخرج الطبري من طريق أبي إسحاق الهجري عن ابن عباس عن أبي هريرة رضيَ اللَّه عنه قال قال رسول اللَّه ﷺ «إنَّ اللَّه كتب عليكم الحج فقال رجل: كل عام يا رسول اللَّه؟ فأعرض عنه حتى أعاد مرتين أو ثلاثاً. فقال: مَن السائل؟ فقيل فلان. فقال: والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما أطقتموه. ولو تركتموه لكفرتم». فأنزل اللَّه تعالى هذه الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ وأخرج أيضاً مِن طريق معاوية بن يحيى عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبي أمامة أنه سمعه يقول «قام رسول اللَّه ﷺ في الناس وقال: كتب عليكم الحج فقام رجل مِن الأعراب ـ فذكر الحديث، وفيه فقال: ويحك ماذا يؤمنك أن أقول نعم. واللَّه لو قلت نعم لوجبت. ولو وجبت لكفرتم. وأما بقيته ففيما أخرجه مسلم مِن طريق الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة «خطبنا رسول اللَّه ﷺ. فقال: أيها الناس فرض اللَّه عليكم الحج فحجوا فقال رجل: أفي كل عام يا رسول اللَّه؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً. فقال: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم. ثم قال: ذروني ما تركتكم فإنّما هلك مَن كان قبلكم بكثرة ـ سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء، فائتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»، وقد سأل عن الحج الأقرع بن حابس فعند بعض السُّنَن مِن حديث ابن عباس «أنَّ الأقرع بن حابس سأل رسول اللَّه ﷺ: الحج في كل سنة أو مرة واحدة؟ فقال: مرة واحدة. فما زاد فهو تطوع، وأخرجه الطبري مِن هذا الوجه. فسمّى الرجل محصنًا الأسدي. وعند غيره عكاشة بن محصن. انتهى.

سَأَلَهَا﴾ ولم يقل. قد سأل عنها؟ قلت: الضمير في، ﴿سَأَلَهَا﴾: ليس براجع إلى أشياء حتى تَجب تعديته بـ «عن»، وإنما هو راجع إلى المسألة التي دل عليها، ﴿لَا تَسْئَلُوا﴾ يعني قد سأل قوم هذه المسألة من الأولين، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا﴾ أي: بمرجوعها أو بسببها ﴿كافرين﴾[(١)] وذلك أنّ بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبيائهم عن أشياء، فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر، بحروا أذنها، أي: شقوها وحرّموا ركوبها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى، وإذا لقيها المعيّي لم يركبها، واسمها البحيرة، وكان يقول الرجل: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها، وقيل: كان الرجل إذا أعتق عبداً قال: هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث، وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم. فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم، وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره، فلا يركب، ولا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء ولا مرعى، ومعنى، ﴿مَا جَعَلَ﴾: ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك، ولكنهم بتحريمهم ما حرّموا، ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا، ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولا يتجه قولُهما إلا على حذف مضاف، وقد صَرَّح به بعضُ المفسرين، أي: قد سأل أمثالَها أي: أمثالَ هذه المسألة أو أمثالَ هذه السؤالات». وقال الحوفي في «سألها»: «الظاهرُ عَوْدُ الضميرِ على «أشياء» ولا يتجه حَمْلُه على ظاهرِه لا مِنْ جهة اللفظ العربي ولا من جهةِ المعنى، أمَّا من جهة اللفظ فلأنه كان ينبغي أن يُعَدَّى بـ «عن» كما عُدِّي في الأول، وأمَّا من جهةِ المعنى فلأنَّ المسئولَ عنه مختلِفٌ قطعاً، فإنَّ سؤالهم غيرُ سؤالِ مَنْ قبلهم، فإنَّ سؤالَ هؤلاء مثلُ مَنْ سأل: أين ناقتي وما في بطن ناقتي، وأين أبي وأين مدخلي؟ وسؤالُ أولئك غيرُ هذا نحو: ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً﴾ ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ ونحوه. وقال الواحدي: ـ ناقلاً عن الجرجاني ـ «وهذا السؤالُ في هذه الآيات يخالِف معنى السؤال في قوله: «لا تَسْألوا عن أشياء» «وإن تَسْألوا عنها» ألا ترى أنَّ السؤال في الآية الأولى قد عُدِّي بالجار، وها هنا لم يُعَدَّ بالجار، لأن السؤالَ ها هنا طَلَبٌ لعينِ الشيء نحو: «سَألْتُك درهماً» أي طلبته منك، والسؤالُ في الآية الأولى سؤالٌ عن حالِ الشيء وكيفيتِه، وإنما عَطَفَ بقولِه «قد سَألها قوم» على ما قبلَها وليست بمثلِها في التأويل، لأنه إنما نَهاهم عن تكليفِ ما لم يُكَلَّفوا، وهو مرفوعٌ عنهم» قلت: ويجوز أن يعودَ على «أشياء» لفظاً لا معنىً كما قال النحويون في مسألة: «عندي درهمٌ ونصفُه» أي: ونصفُ درهمٍ آخرَ. انتهى. الدر.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

الواو في قوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار، وتقديره: أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم، ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ والمعنى أنّ الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي، وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتوّ والعناد من الكفرة، يتمنون دخولهم في الإسلام، فقيل لهم، ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: وما كلفتم من إصلاحها والمشي بها في طرق الهدى، ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين، كما قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨] وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي، ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم. فهو مخاطب به، وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد، وإنما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه، وعن ابن مسعود: أنها قرئت عنده فقال: إن هذا ليس بزمانها[١] إنها اليوم مقبولة، ولكن يوشك أن يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم، فحينئذٍ عليكم أنفسكم (٥٧١)، فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه، وبسط لعذره، وعنه: ليس هذا زمان تأويلها. قيل: فمتى؟ قال: إذا جعل دونها السيف والسوط والسجن (٥٧٢). وعن أبي ثعلبة الخشني: أنه سئل عن ذلك

---

٥٧١ ـ أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (١/ ١٩٩) عن معمر عن الحسن أن ابن مسعود سأله رجل عن قوله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ...﴾ الآية ـ فذكره.
وسعيد بن منصور في تفسيره (٤/ ١٦٦٠) (٨٤٩) نا خالد بن عبدالله عن يونس عن الحسن عن ابن مسعود في قوله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ...﴾ ومن طريقه أخرجه:
الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٢٥١) (٩٠٧٢).
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢) «رجاله رجال الصحيح إلا أن الحسن البصري لم يسمع من ابن مسعود. وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٩٥) (١٢٨٥٤) من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن علية عن يونس عن الحسن قال: قال رجل لابن مسعود.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٩٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.
٥٧٢ ـ أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (٤/ ١٦٥٦) (٨٤٤) قال: نا هشيم نا جويبر عن الضحاك عن =

---

(١) قوله «ليس بزمانها إنها» لعل هذا الضمير للنصيحة المفهومة من السياق. (ع)

فقال للسائل: سألت عنها خبيراً. سألت رسول الله ﷺ عنها فقال: «ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا ما رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك نفسك ودع أمر العوام، وإنّ من ورائكم أياماً الصبر فيهنّ كقبض على الجمر، للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله» (٥٧٣). وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له: سفهت آباءك، ولاموه. فنزلت، ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: عليكم: من

= ابن مسعود في قوله عزّ وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ...﴾ فذكره.

قلت: وهذا إسناد ضعيف وفيه علّتان.

الأولى: ضعف «جُويبر» وهو ابن سعيد الأزدي أبو القاسم البلخي.

قال ابن معين: «ليس بشيء»، وسأل عبدالله عليّ بن المديني أباه عنه: فضعّفه جداً، وقال النسائي وعليّ بن الجنيد والدا رقطني «متروك»، وقال أبو زرعة: ليس بالقوي. أ. هـ.

مِن الجرح والتعديل (٢/ ٥٤٠ـ٥٤١) رقم (٢٢٤٦)، والتهذيب (٢/ ١٢٣ـ١٢٤) رقم (٢٠٠) وقال الحافظ في التقريب (١/ ١٣٦) (١٣١) ضعيف جداً.

الثانية: الانقطاع بين الضحاك وابن مسعود.

قال أبو زرعة الرازي. الضحاك لم يسمع مِن ابن عمر شيئاً. وقال: ولم يسمع مِن ابن عباس.

المراسيل لابن أبي حاتم (٩٦)، وقال ابن حجر في «التهذيب»، قال العجلي: ثقة وليس بتابعي (٤/ ٤٥٤) وقال في التقريب (١/ ٣٧٣) (١٧) صدوق كثير الإرسال.

والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٩٩) لعبد بن حميد.

٥٧٣ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ١٢٣) ـ كتاب الملاحم ـ باب الأمر والنهي (٤٣٤١) والترمذي (٥/ ٢٥٧) ـ كتاب التفسير (٤٨) ـ باب تفسير سورة المائدة (٣٠٥٨) وابن ماجه (٢/ ١٣٣٠) ـ كتاب الفتن (٣٦) ـ باب قوله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ (٤٠١٤) والحاكم في مستدركه (٤/ ٣٢٢).

وعنه البيهقي في الكبرى (١٠/ ٩١ـ٩٢) ـ كتاب آداب القاضي.

وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠)، وابن حبان في صحيحه (٣٨٥) (٢/ ١٠٨ـ١٠٩) وابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٩٧) (١٢٨٦٦) وابن نصر في السنّة (١٤) (٣٢) كلّهم مِن طريق عتبة بن أبي حكيم حدثني عمرو بن جارية اللخمي حدثني أبو أمية الشعباني قال...

«... وتصحفت عند الحاكم «جارية» إلى «حارثة» فلينتبه.

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وأقره الذهبي.

قلت: وفي كلام الحاكم نظر.

عتبة ين أبي حكيم مختلف فيه، ووصفه الحافظ في «التقريب» بقوله «صدوق يخطىء كثيراً، وعمرو بن جارية وأبو أمية القباني واسمه يحمد وقيل عبدالله بن ضامر ـ ذكرهما ابن حبان في الثقات وروى عنهما أكثر مِن واحد وقال الحافظ في كل واحد منهما «مقبول».

ولبعضه ما يشهد له. مِن حديث عبدالله عمرو بن العاص.

عند أحمد في المسند (٢/ ١٦٢)، وأبي داود (٤/ ١٢٣) ـ كتاب الملاحم ـ باب الأمر والنهي (٤٣٣٢).

ولفظ أحمد قال: قال لي رسول اللّه ـ ﷺ ـ كيف أنت إذا بقيت في حثالة مِن الناس قال: قلت يا =

أسماء الفعل، بمعنى: الزموا إصلاح أنفسكم، ولذلك جزم جوابه، وعن نافع: عليكم أنفسكم، بالرفع، وقرىء «لا يضركم» وفيه وجهان[1] أن يكون خبراً مرفوعاً وتنصره قراءة أبي حيوة، «لا يضيركم»؛ وأن يكون جواباً للأمر مجزوماً، وإنما ضمت الراء إتباعاً لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة، والأصل: لا يضْرُرْكم، ويجوز أن يكون نهياً، ولا يضركم، بكسر الضاد وضمها: من ضاره يضيره ويضوره.

= رسول اللَّه كيف ذلك «إذا مرجت عهودهم وأماناتهم وكانوا هكذا وشبك يونس ـ أحد رجال السند ـ بين أصابعه يصف ذلك قال: قلت ما أصنع عند ذلك يا رسول اللَّه ـ قال: اتَّقِ اللَّه عزَّ وجل وخُذ ما تعرف ودعْ ما تنكر وعليك بخاصتك وإياك وعوامهم» ولقوله «إنَّ من ورائكم أيام الصبر. . .».

له شاهد مِن حديث مازن بن صعصعة.
أخرجه ابن نصر المروزي في السنة (١٤) (٣٢).
مِن طريق عبداللَّه بن يوسف التنيسي ثنا خالد بن يزيد بن صبيح المري عن إبراهيم بن أبي عبلة عن عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة وكان مِن الصحابة أنَّ رسول اللَّه ـ ﷺ ـ قال «إنَّ من ورائكم. . .».
قلت: وهذا إسناد صحيح إلا أنَّ فيه انقطاعاً، فإن إبراهيم بن أبي عبلة لم يدرك عتبة بن غزوان تهذيب الكمال (١٩/ ٣١٧) (٣٧٨١).
والطبراني في الأوسط (٤/ ١٠٠) (٣١٤٥) حدثنا بكر قال: حدثنا عبداللَّه بن يوسف به.
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٨٥)، رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن شيخه بكر بن سهل عن عبداللَّه بن يوسف وكلاهما قد وثق وفيهما خلاف. أ. هـ.
وله شاهد أيضاً مِن حديث عبداللَّه بن مسعود.
أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٢٥) (١٠٣٩٤)، مِن طريق أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي ثنا سهل بن عثمان البجلي ثنا عبداللَّه بن نمير عن الأعمش عن زيد بن وهَب عن عبداللَّه بن مسعود عن النبي ـ ﷺ قال: «إنَّ من ورائكم. . .».
ورواه البزار (١/ ٣٧٨) بنحوه مِن طريق أحمد بن عثمان به إلا أنه قال سهل بن عامر البجلي: وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٨٥) رواه البزار والطبراني بنحوه. . . ورجال البزار رجال الصحيح غير سهل بن عامر البجلي وثقه ابن حبان.
قال الحافظ ابن حجر في الكشاف: أخرجه أصحاب السُنَن إلا النسائي مِن رواية عبداللَّه بن المبارك عن عتبة بن أبي حكيم عن عمرو بن حارثة اللخمي عن أبي أمية الصنعاني قال «أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية قال: أما واللَّه لقد سألت عنها خبيراً سألت رسول اللَّه ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر» ـ وذكره: وقال فيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام ـ وقال في آخره: مثل عملكم، قال ابن المبارك: وزادني غير عتبة: قيل يا رسول اللَّه أجر خمسين مِنّا أو منهم؟ قال: «لا، بل منكم»، وأخرجه ابن حبان والحاكم وإسحاق وأبو يعلى والطبراني. انتهى.

---

(١) قوله «لا يضركم، وفيه وجهان» يعني بالرفع، وهو يفيد أن القراءة الأصلية بالنصب. (ع)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

ارتفع اثنان على أنه خبر للمبتدأ الذي هو، ﴿شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ على تقدير: شهادة بينكم شهادة اثنين. أو على أنه فاعل «شهادة بينكم» على معنى: فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان: وقرأ الشعبي: «شهادة بينكم» بالتنوين، وقرأ الحسن: «شهادة»، بالنصب والتنوين على: ليقم شهادة اثنان، و﴿إِذَا حَضَرَ﴾ ظرف للشهادة، و﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ بدل منه، إبداله منه دليل على وجوب الوصية، وأنها من الأمور اللازمة التي ما ينبغي أن يتهاون بها مسلم ويذهل عنها، وحضور الموت: مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل، ﴿مِّنكُمْ﴾: من أقاربكم، و﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من الأجانب، ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم، فاستشهدوا أجنبيين على الوصية، وجعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت وما هو أصلح[1] وهم له أنصح، وقيل ﴿مِّنكُمْ﴾ من المسلمين، و﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من أهل الذمة، وقيل: هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم، وإنما جازت في أوّل الإسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر، وعن مكحول: نسخها قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ **[الطلاق: ٢]** وروي: أنه خرج بُديل بن أبي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين، مع عدي بن زيد وتميم بن أوس ـ وكانا نصرانيين ـ تجاراً إلى الشام، فمرض بديل وكتب كتاباً فيه ما معه، وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه، وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى أهله، ومات ففتشا متاعه، فأخذا إناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشاً بالذهب، فغيباه، فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء، فجحدا فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ، فنزلت، ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾: تقفونهما وتصبرونهما للحلف[2] (٥٧٤)، ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: من بعد صلاة

٥٧٤ ـ أخرجه الترمذي (٥/٢٥٨ـ٢٥٩) كتاب التفسير: باب ومن سورة المائدة حديث (٣٠٥٩) من طريق =

(١) قوله «وبما هو أصلح» لعله «وبما هو له أصلح».ع

(٢) قوله «وتصبرونهما للحلف» أي تحسبونهما. أفاده الصحاح. (ع)

العصر، لأن وقت اجتماع الناس، وعن الحسن: بعد صلاة العصر أو الظهر؛ لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما، وفي حديث بديل: أنها لما نزلت صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعا بعديّ وتميم فاستحلفهما عند المنبر، فحلفا، ثم وجد الإناء بمكة، فقالوا: إنا اشتريناه من تميم وعدي، وقيل: هي صلاة أهل الذمّة، وهم يعظمون صلاة العصر، ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾: اعتراض بين القسم والمقسم عليه، والمعنى: إن ارتبتم في شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما، وقيل: إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين، وإن أريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: أنه كان يحلف الشاهد والراوي إذا اتهمهما (٥٧٥) والضمير في، ﴿بِهِۦ﴾ للقسم، وفي، ﴿كَانَ﴾ للمقسم له يعني: لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضاً من الدنيا، أي: لا نحلف كاذبين لأجل المال، ولو كان من نقسم له قريباً منا، على معنى: أن هذه عادتهم في

= محمد بن إسحاق عن أبي النضر عن باذان مولى أمّ هانيء عن ابن عباس عن تميم الداري به.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب وليس إسناده بصحيح وأبو النضر الذي روى عنه محمد بن إسحاق هذا الحديث هو عندي محمد بن السّائب الكلبي يكنى أبا النضر وقد تركه أهل الحديث وهو صاحب التفسير، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: محمد بن السّائب الكلبي يكنى أبا النضر ولا نعرف لسالم أبي النّضر المدني رواية عن أبي صالح مولي أمّ هانيء وقد روى عن ابن عباس شيء مِن هذا على الإختصار مِن غير هذا الوجه. أ. هـ.
ثم أخرجه الترمذي (٥/ ٢٥٩) رقم (٣٠٦٠) مِن طريق عبد الملك بن سعيد بن جبير عن ابن عباس به مختصراً.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
قال الحافظ بن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه الترمذي مِن رواية ابن إسحاق عن أبي النضر وهو محمد بن السّائب الكلبي عن بادار، يعني أبا صالح مولى أمّ هانيء عن ابن عباس عن تميم الداري رضيَ اللّه عنهم. فذكره وقال: ليس إسناده بصحيح وأخرجه البخاري وأبو داود مختصراً. انتهى.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» فأما تحليف الشاهد فلم أره... أ. هـ.
قلت أما تحليف الراوي فهو ثابت عن عليّ.

٥٧٥ ـ أخرجه أبو داود (١٥٢١) والترمذي (٣٠٠٩) وابن ماجه (١٣٩٥) وأحمد (١/ ١٠) والحميدي (١/ ٤) وأبو يعلى رقم (١) وابن حبّان (٦١١) لهم مِن طريق أسماء بن الحكم الفزاري عن عليّ قال: كنت إذا سمعت مِن رسول اللّه ﷺ حديث نفعني اللّه بما شاء منه وإذا حدثني غيري لم أصدّقه إلاّ أن يحلف فإذا حلف صدقته.
وقال الحافظ بن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: فأما تحليف الشاهد. فلم أره. وأما تحليف الراوي فرواه أصحاب السُّنَن الثلاثة: البزار وابن حبّان مِن رواية أسماء بن الحكم الفزاري عن عليّ رضيَ اللّه عنه قال «إذا سمعت مِن رسول اللّه ﷺ حديثاً نفعني اللّه منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدّثني أحد مِن أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدّقته قال: وحدثني أبو بكر ـ وصدَق أبو بكر ـ الحديث، قال الترمذي: حسن لا نعرفه إلاّ مِن هذا الوجه، وروى بعضهم هذا الحديث موقوفاً، أي المتن دون القصّة. وقال البزار: أسماء هذا مجهول. انتهى.

صدقهم وأمانتهم أبداً، وأنهم داخلون تحت قوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]. ، ﴿شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أي: الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها، وعن الشعبي أنه وقف على شهادة، ثم ابتدأ آلله بالمدّ، على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه، وروي عنه بغير مدّ على ما ذكر سيبويه أن منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام، فيقول: أللهِ لقد كان كذا، وقرىء: «لملاثمين» بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وإدغام نون من فيها، كقوله: عاد لولي، فإن قلت: ما موقع (تحبسونهما)؟ قلت: هو استئناف كلام، كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما، فكيف نعمل إن ارتبنا بهما، فقيل: «تحسبونهما» فإن قلت: كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهي مطلقة؟ قلت: لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها، أغنى ذلك عن التقييد، كما لو قلت في بعض أئمة الفقه: إذا صلّى أخذ في الدرس علم أنها صلاة الفجر، ويجوز أن تكون اللام للجنس، وأن يقصد بالتحليف على أثر الصلاة أن تكون الصلاة لطفاً في النطق بالصدق، وناهية عن الكذب والزور ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: فإن اطلع، ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي: فعلا مَا أوجب إثماً، واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين، ﴿فَآخَرَانِ﴾: فشاهدان آخران، ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾: أي: من الذين استحق عليهم الإثم. معناه من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرتهم، وفي قصة بديل: أنه لما ظهرت خيانة الرجلين، حلف رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما، وأن شهادتهما أحق من شهادتهما. ، ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾: الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما، وارتفاعهما على: هما الأوليان كأنه قيل: ومن هما؟ فقيل: الأوليان، وقيل: هما بدل من الضمير في «يقومان»، أو «من آخران»، ويجوز أن يرتفعا بـ «استحق»، أي: من الذين استحق عليهم انتداب الأوليين منهم للشهادة لأطلاعهم على حقيقة الحال، وقرىء «الأوّلين» على أنه وصف للذين استحق عليهم، مجرور، أو منصوب على المدح، ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحقّ بها، وقرىء: «الأوليين»[1]، على التثنية، وانتصابه على المدح، وقرأ الحسن: «الأولان»، ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي، وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون ذلك. فوجهه عندهم أن الورثة قد ادعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا، فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما، فأنكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهم الشراء. فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ (استحق عليهم الأوليان) على البناء للفاعل، وهم علي: وأبيّ وابن عباس؟ قلت: معناه من الورثة الذي استحق عليهم الأوليان

---

(١) قوله «وقرىء الأوليين» لعله «الأولين» فليحرر. (ع)

من بينهم بالشهادة، أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الذي تقدم من بيان الحكم، ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أن يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة، ﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ﴾: أن تكر[١] أيمان شهود آخرين بعد إيمانهم، فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل. ، ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾: سمع إجابة وقبول.

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾بدل من المنصوب[٢] في قوله: (واتقوا الله) وهو من بدل الاشتمال، كأنه قيل: واتقوا الله يوم جمعه. أو ظرف لقوله: (لا يهدي)[٣] أي: لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم. أو ينصب على إضمار: اذكر. أو يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت، و﴿مَاذَآ﴾: منتصب بـ «أجبتم»[٤] انتصاب مصدره، على معنى: أي إجابة أجبتم، ولو أريد الجواب لقيل: بماذا أجبتم؟ فإن قلت: ما معنى سؤالهم؟ قلت: توبيخ قومهم، كما كان سؤال الموءودة توبيخاً للوائد. فإن قلت: كيف يقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ وقد علموا بما أجيبوا؟ قلت: يعلمون أن الغرض بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكلون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم[٥] وكابدوا من سوء إجابتهم، إظهاراً للتشكي واللجإ إلى ربهم في الانتقام منهم، وذلك أعظم على الكفرة وأفت في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم إذا اجتمع توبيخ الله وتشكي أنبيائه عليهم، ومثاله: أن ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم

---

(١) قوله «أن تكر أيمان شهود» في الصحاح «الكر» الرجوع. يقال: كره، وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى. (ع)

(٢) قال محمود: «يوم يجمع بدل من المنصوب... إلخ» قال أحمد: ويكون انتصابه إذاً انتصاب المفعول به لا الظرف على حكم المبدل منه.

(٣) عاد كلامه. قال: «أو ظرف لقوله لا يهدي القوم الفاسقين... إلخ» قال أحمد: وهو على هذا أيضاً مفعول به.

(٤) عاد كلامه. قال: «وماذا منتصب بأجبتم انتصاب مصدره على معنى أي إجابة... إلخ» قال أحمد: والتعظيم في هذا نحو التعظيم بالسكوت عن الصلة في مثل: ما حصل إلا بعد التي واللتيا.

(٥) قوله «بما منوا به منهم» أي ابتلوا. وفي الصحاح «منيته» و «منوته» إذا ابتليته. (ع)

على الانتصار له منه، فيجمع بينهما ويقول له: ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به، يريد توبيخه وتبكيته، فيقول له: أنت أعلم بما فعل بي تفويضاً للأمر إلى علم سلطانه، واتكالاً عليه، وإظهاراً للشكاية، وتعظيماً لما حلّ به منه، وقيل: من هول ذلك اليوم ينزعون ويذهلون[1] عن الجواب، ثم يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم، وقيل: معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به، لأنك علام الغيوب، ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها إجابة الأمم لرسلهم، فكأنه لا علم لنا إلى جنب علمك، وقيل: لا علم لنا بما كان منهم بعدنا، وإنما الحكم للخاتمة، وكيف يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين، وقرىء: «علام الغيوب» بالنصب[2] على أنّ الكلام قد تم بقوله ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾ أي: إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب (علام الغيوب) على الاختصاص، أو على على النداء، أو هو صفة لاسم إنّ[3]، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ بدل من (يوم يجمع) والمعنى: أنه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم، وبتعديد ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام، فكذبوهم وسموهم سحرة. أو جاوزوا حدّ التصديق إلى أن اتخذوهم آلهة، كما قال بعض بني إسرائيل

---

(١) عاد كلامه. قال: «وقيل من الهول والفزع يذهلون عن الجواب... إلخ» قال أحمد: وأيضاً فالمسئول عنه إجابتهم عند دعائهم إياهم إلى الله، لا ما حدث بعد ذلك مما لا يتعلق به علم الرسل، والله أعلم.

(٢) عاد كلامه. قال: «وقرىء علام الغيوب بالنصب... إلخ» قال أحمد: ويكون هذا من باب [من الرجز]:

أنا أبو النجم وشعري شعري

وقد مر قبل أبيات. وإنما ذكرت هذه الثلاثة من الإعراب لالتباسها إلا على الحذاق وقليل ما هم.

(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهو على حَذْفِ الخبر لفهم المعنى، فَتَمَّ الكلامُ بالمقدَّرِ في قوله «إنَّك أنتَ» أي: إنَّك الموصوفُ بأوصافِك المعروفةِ من العلم وغيره» ثم قال: «قال الزمخشري: ثم انتصب فذكره إلى آخره» فزعم أنَّ الزمخشري قَدَّر لـ «إنك» خبراً محذوفاً، والزمخشري لا يريد ذلك ألبتة ولا يرتضيه، وإنما يريد أَنَّ هذا الضمير بكونِه لله تعالى هو الدالُّ على تلك الصفات المذكورة لا انفكاكَ لها عنه، وهذا المعنى هو الذي تقتضيه البلاغةُ والذي غاص عليه أبو القاسم، لا ما قدَّره الشيخُ مُوهِماً أنه أتى به من عنده. ويعني بالاختصاص النصبَ على المدح لا الاختصاصَ الذي هو شبيه بالنداء، فإنَّ شرطه أن يكون حشواً.
ولكنَّ الشيخَ قد رَدَّ على أبي القاسم قولَه «إنه يجوز أن يكون صفةً لاسم «إنَّ» بأنَّ اسمها هنا ضمير مخاطب، والضمير لا يوصف مطلقاً عند البصريين، ولا يوصَف منه عند الكسائي إلا ضميرُ الغائبِ لإبهامه في قولهم «مررت به المسكينِ» مع إمكان تأويله بالبدل وهو ردُّ واضح، على أنه يمكن أن يقال أرادَ بالصفةِ البدلَ وهي عبارة سيبويه، يُطْلِقُ الصفةَ ويريد البدل فله أُسْوَةٌ بإمامه واللازم مشترك، فما كان جواباً عن سيبويه كان جواباً له، ولكن يَبْقَى فيه البدلُ بالمشتق وهو أسهلُ من الأول. ولم أَرَهُم خرَّجُوها على لغة مَنْ ينصِبُ الجزأين بـ «إنَّ» وأخواتِها. انتهى. الدر المصون.

فيما أظهر على يد عيسى ـ عليه السلام ـ من البينات والمعجزات ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٧] واتخذه بعضهم وأمه إلٰهين، ﴿أَيَّدتُّكَ﴾: قوّيتك، وقرىء: «أيدتك»، على أفعلتك، ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: بالكلام الذي يحيا به الدين، وأضافه إلى القدس، لأنه سبب الطهر من أوضار الآثام، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾: و﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ في موضع الحال، لأنّ المعنى تكلمهم طفلاً، ﴿وَكَهْلًا﴾ إلا أن (في المهد) فيه دليل على حدّ من الطفولة، وقيل روح القدس: جبريل ـ عليه السلام ـ، أيّد به لتثبيت الحجة. فإن قلت: ما معنى قوله: (في المهد وكهلاً)؟ قلت: معناه تكلمهم في هاتين الحالتين، من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحدّ الذي يستنبأ فيه الأنبياء، ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ خصّا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة، لأن المراد بهما جنس الكتاب والحكمة، وقيل: (الكتاب) الخط، و (الحكمة) الكلام المحكم الصواب، ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾: هيئة مثل هيئة الطير، ﴿بِإِذْنِى﴾: بتسهيلي، ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ الضمير للكاف، لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى ـ عليه السلام ـ وينفخ فيها، ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها؛ لأنها ليست في خلقه ولا من نفخه في شيء، وكذلك الضمير في «فتكون»، ﴿تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: تخرجهم من القبور وتبعثهم. قيل: أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ يعني اليهود حين هموا بقتله، وقيل: لما قال الله تعالى لعيسى. ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾ كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئاً لغد يقول: مع كل يوم رزقه، لم يكن له بيت فيخرب، ولا ولد فيموت، أينما أمسى بات.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾: أمرتهم على ألسنة الرسل، ﴿مُسْلِمُونَ﴾: مخلصون، من أسلم وجهه لله، ﴿يَٰعِيسَى﴾ في محل النصب على إتباع حركة الابن، كقولك: يا زيد بن عمرو، وهي اللغة الفاشية ويجوز أن يكون مضموماً كقولك: يا زيد بن عمرو، والدليل عليه قوله [من المتقارب]:

أَحَارِ بْنَ عَمْرٍو كَأَنِّي خَمِرْ ... وَيَبْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ[1]

لأنّ الترخيم لا يكون إلا في المضموم. فإن قلت: كيف قالوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ بعد إيمانهم وإخلاصهم[2]؟ قلت: ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى

---

(١) أحار بن عمرو كأني خمر ... ويعدو على المرء ما يأتمر
ولا وأبيك ابنة العامريّ ... لا يدعي القوم أني أفر
لامرىء القيس بن حجر. وقيل: لربيعة بن جشم اليمني. والهمزة للنداء. و «حار» مرخم، أصله حارث ضم على لغة من لا ينتظر المحذوف. واللغة المشهورة معاملته معاملة التام، كما أن المشهور أيضاً فتح العلم المنادى الموصوف بابن مضاف إلى علم آخر إتباعاً لنصب ابن. ويجوز ضمه كما هنا، لأن الترخيم لا يكون إلا في المضموم لأن المفتوح إتباعاً كالمركب مع ما بعده. والترخيم لا يأتي في الوسط، ولأنه لو كان مفتوحاً وضم في الترخيم لكان فيه إخلال بالفتحة المجتلبة للتناسب. والخمر ـ كحذر ـ: الذي خالطه داء فغطى عقله. والخمر ـ كسبب ـ: كل ما ستر من بناء أو شجر. ثم تذكر السبب في ذلك وهو مطاوعته ما لا تنبغي مطاوعته فقال: ويعدو على الإنسان ائتماره، أي امتثاله لأمر غيره. ويجوز أن «ما» موصولة، أي الذي يمثله من أمر من لا يعرف عواقب الأمور، أو من أمر نفسه وهواه. وشبّه ذلك بمن يصح منه العدوان، على طريق الكناية. ويروى «ويبدو على المرء» أي يشرف عليه ويظهر له عافية امتثاله لما لا ينبغي امتثاله. وكثير ينشد فاصلتي هذا البيت بالتنوين العالي، لكن أنكره الزجاج والسيرافي، لأنه يكسر الوزن. وجعله ابن يعيش من تنوين الترنُّم، بناء على أنه لجلب الترنُّم لا لقطعه، فلا يختص بالقوافي، المطلقة، بل يدخل المقيدة كما هنا. والمشهور تحريك ما قبله بالكسر. واختار ابن الحاجب الفتح. وجوز بعضهم تحريكه بما كان يستحقه لولا السكون. وبعض أجاز اجتماع الساكنين. ودخول «لا» النافية قبل القسم سائغ شائع في لسان العرب، لأنه غالباً يكون لرد دعوى الخصم ونفيها. فالتقدير: ولا يحصل ذلك وحق أبيك، ولو كانت زائدة محضاً لكانت الواو في التقدير داخلة على واو القسم. وروي بحذف الواو الأولى: أي وحق أبيك يا ابنة العامري لا أفر من الحرب أصلاً، فلا يدعيه أحد علي. فنفى الادعاء كناية عن نفي الفرار على أبلغ وجه.
ينظر ديوانه ص (١٥٤)، خزانة الأدب ١/ ٣٧٤، الدرر ٥/ ١٧٩، لسان العرب (أمر) (خمر) (نفس)، المقاصد النحوية ١/ ٥٩، وللنمر بن تولب في ملحق ديوانه ص (٤٠٤)، وبلا نسبة في شرح الأشموني ١/ ١٢، المقتضب ٤/ ٢٣٤، همع الهوامع ٢/ ١٤٣، الدر المصون ٢/ ٦٤٦.

(٢) قال محمود: «فإن قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد إيمانهم وإخلاصهم ـ في قوله ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ ـ قال: قلت ما وصفهم بالإيمان والإخلاص وإنما حكى ادعاءهم لهما... إلخ» قال أحمد: وقيل إن معنى (هل يستطيع) هل يفعل، كما تقول للقادر على القيام: هل تستطيع أن تقوم: مبالغة في التقاضي. ونقل هذا القول عن الحسن، فعلى هذا يكون إيمانهم سالماً عن قدح الشك في القدرة، فإن استقام التعبير عن الفعل بالاستطاعة من جملة أسباب الإيجاد وعلى عكسه التعبير عن إرادة الفعل بالفعل، تسمية بالسبب الذي هو الإرادة، باسم المسبب الذي هو الفعل، في مثل قوله (إذا قمتم إلى الصلاة) وقد مضى أول السورة. وفي هذا التأويل الحسن تعضيد لتأويل أبي حنيفة، حيث جعل الطول المانع من نكاح الأمة وجود الحرة في العصمة. وعدمه ألا يملكك عصمة الحرة وإن كان قادراً على ذلك، فتباح له حينئذٍ الأمة. وحمل قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ على =

ادعاءهم لهما، ثم أتبعه قوله: ﴿إِذْ قَالُواْ﴾ فآذن أن دعواهم كانت باطلة، وأنهم كانوا شاكين، وقوله: (هل يستطيع ربك) كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، وكذلك قول عيسى ـ عليه السلام ـ لهم معناه: اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته، ولا تقترحوا عليه، ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة، وقرىء: «هل تستطيع ربك»، أي: هل تستطيع سؤال ربك، والمعنى: هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله، والمائدة: الخوان[1] إذا كان عليه الطعام، وهي من (ماده) إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدّم إليه، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾: نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل، أو نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوّة، عاكفين عليها، على أن «عليها» في موضع الحال، وكانت دعواهم لإرادة ما ذكروا كدعواهم الإيمان والإخلاص، وإنما سأل عيسى وأجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب إذا خالفوا، وقرىء: «ويعلم»، بالياء على البناء للمفعول. «وتعلم». «وتكون»، بالتاء، والضمير للقلوب، ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ أصله يا الله. فحذف حرف النداء، وعوضت منه الميم، و ﴿رَبَّنَآ﴾: نداء ثان، ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي: يكون يوم نزولها عيداً. قيل: هو يوم الأحد، ومن ثم اتخذه النصارى عيداً، وقيل: العيد السرور العائد، ولذلك يقال: يوم عيد. فكأنّ معناه: تكون لنا سروراً وفرحاً، وقرأ عبد الله: «تكن»، على جواب الأمر، ونظيرهما. «يرثني» «ويرثني»، ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾: بدل من «لنا» بتكرير العامل، أي: لمن في زماننا من أهل ديننا، ولمن يأتي بعدنا، وقيل: يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم، ويجوز للمقدّمين منا والأتباع، وفي قراءة زيد: «لأولانا وأخرانا»، والتأنيث بمعنى الأمّة والجماعة، ﴿عَذَابًا﴾: بمعنى تعذيباً، والضمير في (لا أعذبه) للمصدر، ولو أريد بالعذاب ما يعذب به ـ لم يكن بدّ من الباء، وروي أن عيسى ـ عليه السلام ـ لما أراد الدعاء لبس صوفاً، ثم قال: اللَّهم أنزل علينا، فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين: غمامة فوقها وأخرى تحتها، وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى ـ عليه السلام ـ وقال: اللَّهم اجعلني من الشاكرين، اللَّهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة، وقال لهم: ليقم

= معنى: ومن لم يملك منكم، وحمل النكاح على الوطء، فجعل استطاعة الملك المنفية هي الملك كما ترى، حتى أن القادر غير المالك عادم الطول عنده فينكح الأمة، وقد مضى ذكر مذهبه، وكنت أستبعد إنهاضه لأن يكون تأويلاً يحتمله اللفظ ويساعده الاستعمال، حتى وقفت على تفسير الحسن هذا والله أعلم.

(١) قوله «والمائدة الخوان» في الصحاح «الخوان» بالكسر: الذي يؤكل عليه، معرب. وقوله «من ماده» الذي في الصحاح «ماد الشيء» تحرك. و «مادت الأغصان» تمايلت اهـ. (ع)

أحسنكم عملاً يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها. فقال شمعون رأس الحواريين: أنت أولى بذلك، فقام عيسى وتوضأ وصلّى وبكى، ثم كشف المنديل وقال: بسم الله خير الرازقين، فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسماً، وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وحولها من ألوان البقول ما خلا الكرّاث، وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد. فقال شمعون: يا روح الله، أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة؟ فقال: ليس منهما، ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية، كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله، فقال الحواريون: يا روح الله، لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى، فقال: يا سمكة احيي بإذن الله، فاضطربت. ثم قال لها: عودي كما كنت، فعادت مشوية. ثم طارت المائدة، ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير، وروي أنهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ﴾ قالوا: لا نريد فلم تنزل، وعن الحسن: والله ما نزلت، ولو نزلت لكان عيداً إلى يوم القيامة، لقوله: (وآخرنا)، والصحيح أنها نزلت.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ من أن يكون لك شريك، ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ﴾: ما ينبغي لي، ﴿أَنْ أَقُولَ﴾ قولاً لا يحق لي أن أقوله، ﴿فِى نَفْسِى﴾: في قلبي. والمعنى: تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه، فقيل: ﴿فِى نَفْسِكَ﴾: لقوله في نفسي، ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: تقرير للجملتين معاً، لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب، ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي إليه علم أحد.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

(أن) في قوله، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾[1] إن جعلتها مفسرة لم يكن لها بدّ من مفسر،

---

(١) قال محمود: «أن في قوله (أن اعبدوا) إن جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر. . . إلخ» قال أحمد: وقد أجاز بعضهم وقوع «أن» المفسرة بعد لفظ القول، ولم يقتصر بها على ما في معناه، =

والمفسر إما فعل القول وإما فعل الأمر، وكلاهما لا وجه له. أما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير أن يتوسط بينهما حرف التفسير، لا تقول: ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله، ولكن: ما قلت لهم إلا اعبدوا الله، وأما فعل الأمر، فمسند إلى ضمير الله عزّ وجلّ[1]. فلو فسرته بـ «اعبدوا الله ربي وربكم» لم يستقم؛ لأن الله تعالى لا يقول: اعبدوا الله ربي وربكم، وإن جعلتها موصولة بالفعل[2] لم تخل من أن تكون بدلاً من ما أمرتني به، أو من الهاء[3] في به، وكلاهما غير مستقيم لأن البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه، ولا يقال: ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله، بمعنى ما قلت لهم إلا عبادته؛ لأن العبادة لا تقال،

= فيجوز على هذا القول وقوعها تفسيراً لفعل القول. وقد أبى الزمخشري في مفصله وقوعها إلا بعد فعل في معنى القول كمذهبه ههنا.

(١) عاد كلامه. قال: «وأما فعل الأمر فمسند إلى ضمير الله عز وجل... إلخ» قال أحمد: ويجوز أيضاً هذا الوجه على صرف التفسير إلى المعنى، كأنه حكى معنى قول الله عز وجل له بعبارة أخرى، وكأن الله تعالى قال له: مرهم بعبادتي، أو قال لهم على لسان عيسى: اعبدوا الله رب عيسى وربكم، فلما حكاه عيسى عليه السلام قال: اعبدوا الله ربي وربكم، فكنّى عن اسمه الظاهر بضميره، كما قال الله تعالى حكاية عن موسى ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾ فانظر كيف جاء أول الكلام حكاية لقول موسى، وموسى لا يقول: فأخرجنا. ولكن فأخرج الله، فلما حكاه الله تعالى عن موسى رد الكلام إليه تعالى، وأضاف الإخراج إلى ذاته على طريقة المتكلم لا الحاكي، وكذلك قوله تعالى ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ إلى قوله ﴿فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ﴾ ونظائره كثيرة. وقد قدمت نحواً من هذا البحث عند قوله تعالى حكاية عن اليهود ﴿إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ لما استبعد الزمخشري أن تصفه اليهود بهذه الصفات المنافية لاعتقادهم فيه.

(٢) عاد كلامه. قال: «وإن جعلت أن موصولة مع فعل الأمر... إلخ» قال أحمد: أي فلا يقدر بالعبادة ولكن بالأمر بها، كأنه قيل: ما قلت لهم إلا الأمر بالعبادة لله، والأمر مقول لقلت، على أن جعل العبادة مقولة ليس ببعيد، على طريقة ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أي للوطء الذي قالوا ولا يتعلق به. وكقوله تعالى ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴿٨٠﴾﴾ وسيأتي له تصحيح هذا الاستعمال لوروده كثيراً في القرآن الكريم.

(٣) عاد كلامه. قال: «وكذلك إذا جعلته بدلاً من الهاء لأنك... إلخ» قال أحمد: وهذا أيضاً غير مانع من البدل، وإنما يواجه المصنف بما لا يسعه إنكاره، فقد قال في مفصله ما هذا نصه: وقولهم: إن البدل في حكم تنحية الأول، إيذان منهم باستقلاله بنفسه ومفارقته للتأكيد والصفة في كونهما اسمين لما يتبعانه، لا أن يعنوا إهدار الأول وإطراحه. ألا تراك تقول: زيداً رأيت غلامه رجلاً صالحاً، فلو ذهبت إلى إهدار الأول لم يسند كلامك. فانظر كيف يرد كلامه في المفصل وهو الحق ما ارتكبه من رد البدل في هذه الآية. للزوم طرح الأول فتخلو الصلة من الضمير: ولم يجعل هذا القدر مانعاً في المثال المذكور. مع أنك لو طرحت الأول لخلا الخبر من الضمير العائد ولم يسند الكلام. فهذه وجوه أربعة منعها في إعراب «أن» وكلها مسندة حسبما بينا. وهذه المساجلة في هذا الإعراب من الغرر والحجول في صناعة الإعراب وعلم البيان. وفرسان هذا المضمار قليل.

وكذلك إذا جعلته بدلاً من الهاء لأنك لو أقمت (أن اعبدوا الله) مقام الهاء، فقلت: إلا ما أمرتني بأن اعبدوا الله، لم يصح، لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته. فإن قلت: فكيف يصنع؟[1] قلت: يحمل فعل القول على معناه؛ لأن معنى (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به). ما أمرتهم إلا بما أمرتني به، حتى يستقيم تفسيره بـ «أن اعبدوا الله ربي وربكم» ويجوز أن تكون (أن) موصولة[2] عطف بيان للهاء لا . . . .

---

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت كيف يصنع؟ قلت: يحمل فعل. . . إلخ» قال أحمد: هذا التأويل لتوقع أن المفسرة بعد فعل في معنى القول، وليس قولاً صريحاً. وحمل القول على الأمر مما يصحح المذهب الآخر في إجازة وقوعها بعد القول، فإنه لولا ما بين القول والأمر من التفاوت المعنوي. لما جاز إطلاق إحداهما وإرادة الأخرى. والعجب أن الأمر قسم من أقسام القول، وما بينهما إلا عموم وخصوص. وليس في هذا التأويل الذي سلكه إلا كلفة لا طائل وراءها. ولو كانت العرب تأبى وقوع المفسرة بعد القول. لما أوقعتها بعد فعل ليس بقول. ثم عبرت عن ذلك الفعل بالقول؛ لأن ذلك كالعود إلى ما وقع الفرار منه وهم بعداء من ذلك.

(٢) علاد كلامه. قال: «ويجوز أن تكون أن موصولة. . . إلخ» قال أحمد: يريد بجعله عطف بيان أن يسلم من تقدير إطراح الأول في البدل وخلو الصلة حينئذٍ من العائد. وقد بينا أن ذلك غير لازم في البدل. والعجب أنه أيضاً في مفصله لم يفصل بين عطف البيان والبدل، إلا في مثل قول المرار [من الوافر]:

أنا ابن التارك البكري بشر . . . .

لأنه لو جعله بدلاً للزم تكرير العامل، وإضافة اسم الفاعل المعرف بالألف واللام إلى العلم ولم يفصل بينهما في غير هذا المثال ومن حيث المعنى أن المعتمد في عطف البيان الأول. وأما الثاني فللتوضيح. والمعتمد في البدل الثاني. وأما الأول فبساط لذكره، لا على أنه مطرح مهدر.

قال محمود «إن قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وإن تغفر لهم. . . إلخ» قال أحمد رحمه الله: تذبذب الزمخشري في هذا الموضع فلا إلى أهل السنة ولا إلى القدرية. أما أهل السنة، فالمغفرة للكافر جائزة عندهم في حكم الله تعالى عقلاً، بل عقاب المتقي المخلص كذلك غير ممتنع عقلاً من الله تعالى، وإذا كان كذلك فهذا الكلام خرج على الجواز العقلي، وإن كان السمع ورد بتعذيب الكفار وعدم الغفران لهم، إلا أن ورود السمع بذلك لا يرفع الجواز العقلي. وأما القدرية فيزعمون أن المغفرة للكافر ممتنعة عقلاً، لا تجوز على الله تعالى لمناقضتها الحكمة، فمن ثم كفحتهم هذه الآية بالرد، إذ لو كان الأمر كزعمهم لما دخلت كلمة «إن» المستعملة عند الشك في وقوع الفعل بعدها لغة في فعل لا شك في عدم وقوعه عقلاً، ولكان ذلك من باب التعليق بالمحال، كأن يبيض القار وأشباهه. وليس هذا مكان. فقول الزمخشري إذاً (إن يغفر لهم) لم يعدم وجهاً من الحكمة في المغفرة لأن العفو عن المجرم حسن عقلاً لا يأتلف بقواعد السنة، إذ لا يلتفت عندهم إلى التحسين العقلي، ولا يأتلف أيضاً بنزعات القدرية، لأنهم يجزمون بأنه لا وجه من الحكمة في المغفرة للكافر، ويقطعون بمنافاتها الحكمة، فكيف يخاطب الله تعالى به، فعلم أن عيسى عليه السلام يبرأ إلى الله من هذا الإطلاق ومما اشتمل عليه من سوء الأدب، فإن قول القائل لمن يخاطبه: ما فعل كذا فلن يعدم فيه عذراً ووجهاً من المصلحة كلام مبذول وعبارة نازلة عن أوفى مراتب الأدب، إنما يطلقها المتكلم لمن هو دونه عادة، فنسأل الله إلهام الأدب وتجنب ما في إساءته من مزلات العطب.

. . . . بدلاً[1]، ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾: رقيباً كالشاهد على المشهود عليه، أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة، وأنزلت عليهم من البينات، وأرسلت إليهم من الرسل، ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك، ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: القوي القادر على الثواب والعقاب، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب. فإن قلت: المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال: (وإن تغفر لهم)؟ قلت: ما قال إنك تغفر لهم، ولكنه بنى الكلام على: إن غفرت، فقال: إن عذبتهم عدلت، لأنهم أحقاء بالعذاب، وإن غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول، بل متى كان الجرم أعظم جرماً كان العفو عنه أحسن.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾

قرىء: «هذا يوم ينفع» بالرفع والإضافة، وبالنصب إما على أنه ظرف لـ «قال»: وإما على أنّ (هذا) مبتدأ، والظرف خبر، ومعناه: هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع، ولا يجوز أن يكون فتحاً، كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ﴾ [الانفطار: ١٩] لأنه مضاف إلى متمكن، وقرأ الأعمش: «يومٌ ينفع» بالتنوين، كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ﴾

---

(١) قال السمين الحلبي: وما اختاره الزمخشري وجَوّزه غيرُه لا يَصِحُ، لأنها جاءت بعد «إلا»، وكلَ ما كان بعد «إلا» المُستثنى بها فلا بد أن يكونُ له موضعٌ من الإعراب، و «أن» التفسيرية لا موضعَ لها من الإعراب». انتهى.
قلت: أمّا قوله: «إنّ ربي وربكم من كلام عيسى» ففي غايةِ ما يكون من البُعْد عن الأفهام، وكيف يَفْهم ذلك الزمخشري والسياق والمعنى يقودان إلى أنّ «ربي» تابعٌ للجلالة؟، لا يتبادر للذهن ـ بل لا يُقْبل ـ إلا ذلك، وهذا أشدُ من قولهم «يؤدي إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه» فآل قولُ الشيخ إلا أنّ «اعبدوا الله» من كلام الله تعالى و «ربي وربكم» من كلام عيسى، وكلاهما مفسِّرٌ لـ «أمرتَ» المسند للباري تعالى. وأما قوله «يَصِحُ ذلك على حَذْف مضاف» ففيه بعض جودة، وأما قولُه: «إنّ حلولَ البدل محلّ المبدل منه غيرُ لازم» واستشهاده بما ذكر فغيرُ مُسَلّم، لأنّ هذا معارَضٌ بنصِّهم، على أنه لا يجوز «جاء الذي مررت به أبي عبد الله» بجرّ «عبد الله» بدلاً من الهاء، وعَلَّلوه بأنه يلزمُ بقاءُ الموصول بلا عائدٍ، مع أنّ لنا أيضاً في الربط بالظاهر في الصلة خلافاً قَدَّمْتُ التنبيه عليه، ويكفينا كثرةُ قولهم في مسائل: «لا يجوزُ هذا لأنّ البدل يَحُلُّ محل المبدل منه» فيجعلون ذلك علةً مانعةً، يَعْرف ذلك مَنْ عانى كلامَهم، ولولا خوفُ الإطالة لأوردْتُ منه مسائل شتى. وأمّا قوله: «وكلُّ ما كان بعد «إلا» المستثنى به إلى آخره» فكلامٌ صحيح لأنها إيجابٌ بعد نفي فيستدعي تسلُّط ما قبلها على ما بعدها. انتهى. الدر.

[البقرة: ٤٨] فإن قلت: ما معنى قوله: ينفع الصادقين صدقهم؟ إن أريد صدقهم[1] في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل، وإن أريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه؛ لأنه في معنى الشهادة لعيسى ـ عليه السلام ـ بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة؟ قلت: معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم، وعن قتادة: متكلمان تكلّما يوم القيامة. أمّا إبليس فقال: إنّ الله وعدكم وعد الحق، فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذباً، فلم ينفعه صدقه، وأما عيسى ـ عليه السلام ـ فكان صادقاً في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

فإن قلت: في السمٰوات والأرض العقلاء وغيرهم، فهلا غلب العقلاء، فقيل: ومن فيهنّ؟ قلت: (ما) يتناول الأجناس كلها تناولاً عاماً. ألا تراك تقول إذا رأيت شبحاً من بعيد: ما هو؟ قبل أن تعرف أعاقل هو أم غيره، فكان أولى بإرادة العموم.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا» (٥٧٦).

---

٥٧٦ ـ تقدم، وينظر حديث (٣٤٦). وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: تقدّم إسناده إلى أبيّ بن كعب في تفسير آل عمران. انتهى.

---

(١) قال محمود «إن قلت ما معناه، إن أريد صدقهم في الآخرة... إلخ» قال أحمد: ولو أجاب بحمل الصادقين على الدنيا وصدقهم على الآخرة حتى يكون التقدير: هذا يوم ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة، لكان أوضح طباقاً لتفسير قتادة، وأخرج لإبليس وأشباهه من هذا العموم؛ فإن إبليس وإن صدق في الآخرة، إلا لم يكن من الصادقين في الدنيا، فلم ينفعه صدقه في الآخرة، والوجهان متقاربان.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ الأَنْعَامِ

مكية [إلا الآيات ٢٠ و٢٣ و٩١ و٩٣ و١١٤ و١٤١ و١٥١ و١٥٢ و١٥٣ فمدنية]
وعن ابن عباس: غير ست آيات، وآياتها ١٦٥ [نزلت بعد الحجر]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ۝١﴾

(جعل): يتعدّى إلى مفعول واحد، إذا كان بمعنى «أحدث» و«أنشأ»؛ كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾، وإلى مفعولين؛ إذا كان بمعنى «صير»؛ كقوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزخرف: ٢٩]، والفرق بين الخلق والجعل: أن «الخلق» فيه معنى التقدير(١)، وفي «الجعل» معنى التضمين؛ كإنشاء شيء من شيء، أو تصيير شيء شيئاً، أو نقله من مكان إلى مكان؛ ومن ذلك: ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾؛ لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة، والنور من النار، ﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝٨﴾[النبأ: ٨]، ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ [ص: ٥].

فإن قلت: لم أفرد النور(٢)؟

---

(١) قال محمود: «الفرق بين الجعل والخلق أن الخلق فيه معنى التقدير... إلخ» قال أحمد: وقد وردت «جعل» و«خلق» مورداً واحدًا فورد (وخلق منها زوجها) وورد (وجعل منها زوجها) وذلك ظاهر في الترادف، إلا أن للخاطر ميلاً إلى الفرق الذي أبداه الزمخشري. ويؤيده أن «جعل» لم يصحب السموات والأرض، وإنما لزمتها «خلق» وفي إضافة الخلق في هذه الآية إلى السموات والأرض، والجعل إلى الظلمات والنور مصداق للمميز بينهما، والله أعلم.

(٢) عاد كلامه. قال: فإن قلت: لم أفرد النور؟ قلت: للقصد... إلخ» قال أحمد: وقد سبق للزمخشري الاستدلال بجمع الجنس على التكثير، واعتقاد أنه أدل على الكثرة من الإفراد. وقد قدمنا ما في ذلك من النظر، وأسلفنا الاستدلال بقول حبر الأمة: «كتابه أكثر من كتبه، على خلاف ذلك» وهو رأي الإمام أبي المعالي. =

قلت: للقصد إلى الجنس؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الحاقة: ١٧] أو لأن الظلمات كثيرة؛ لأن ما من جنس من أجناس الأجرام إلا وله ظل، وظله هو الظلمة، بخلاف النور؛ فإنه من جنس واحد، وهو: النار.

فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[1]؟

قلت: إما على قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق؛ لأنه ما خلقه إلا نعمة، ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته، وإما على قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه/ ٢١٠، ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه.

فإن قلت: فما معنى «ثم»؟

قلت: استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته؛ وكذلك: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢] استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم[2].

= ولو قال الزمخشري. إن جمع الظلمات لاختلافها بحسب اختلاف ما ينشأ عنه من أجناس الأجرام، وإفراد النور لاتحاد الجنس الذي ينشأ عنه وهو للنار لكان أولى، والله أعلم.

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت علام عطف ثم الذين كفروا بربهم يعدلون... إلخ»؟ قال أحمد: وفي هذا الوجه الثاني نظر من حيث أن عطفه على الصلة يوجب دخوله في حكمها. ولو قال (الحمد لله الذي)، (الذين كفروا بربهم يعدلون) لم يسند، لخلو الجملة من العائد. ويمكن أن يقال: وضع الظاهر الذي هو (ربهم) موضع المضمر تفخيماً وتعظيماً. وأصل الكلام: الذي يعدل به الذين كفروا، أو الذي الذين كفروا يعدلون به، باتساع وقوعها صلة، رعاية لهذا الأصل، فهذا نظر من حيث الإعراب. ونظيره قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معك) فيمن جعل «ما» موصولة لا شرطية، فإن دخول جاءكم وما بعده في حكم الصلة يستدعي ضميراً عائداً إلى الموصول، وهو مفقود لفظاً؛ لأن الظاهر وضع فيه موضع المضمر. والأصل: ثم جاءكم رسول مصدق له، فاستقام عطفه ودخوله في حكم الصلة بهذه الطريقة؛ لكن بقي في آية الأنعام هذه نظر في المعنى على الإعراب المذكور، وهو أن يصير التقدير: الحمد لله الذي، الذين كفروا يعدلون، ووقوع هذا عقيب الحمد غير مناسب كما ترى. فالوجه ـ والله أعلم ـ عطفه على أول الكلام، لا على الصلة، والله الموفق.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ما قالاه من أنها للتوبيخ والاستبعاد، ليس بصحيح، لأنها لم توضع لذلك، والاستبعاد والتوبيخ مستفاد من السياق، لا مِنْ ثُمَّ، ولم أَعْلَمْ أحداً من النحويين ذكر ذلك، بل «ثُمَّ» هنا للمهلة في الزمان. وهي عاطفة جملة اسمية على جملة اسمية». يعني على «الحَمْدُ للَّهِ» ثم اعترض على الزمخشري في تجويزه أن تكون معطوفةً عَلَى خَلَقَ، بأن خَلَقَ صلة، فالمعطوف عليها يُعْطَى حُكْمَها، ولكن ليس ثَمَّ رابطٌ يعود منها على الموصول. ثم قال: «إلا أن يكون على رأي من يرى الربط بالظاهر كقولهم: أبو سعيد الذي رويت عن الخُدْرِيّ، وهو قليل جدا، لا ينبغي أن يُحْمَلَ عليه كتابُ الله». قُلْتُ: الزمخشري إنما يريد العطف بـ «ثُم» التراخي ما بين الرتبتين، ولا يريد التراخي في الزمان كما قد صرح به هو، فكيف يلزمه ما ذكر من الخلو عن =

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ﴾: أجل الموت، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾: أجل القيامة، وقيل: الأجل الأوّل: ما بين أن يخلق إلى أن يموت.

والثاني: ما بين الموت والبعث، وهو: البرزخ، وقيل: الأول: النوم، والثاني: الموت.

فإن قلت: المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفاً وجب تأخيره[1]؛ فلم جاز تقديمه في قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾؟

قلت: لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة[2]؛ كقوله ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ **[البقرة: ٢٢١]**.

فإن قلت: الكلام السائر أن يقال: عندي ثوب جيد، ولي عبد كيِّس، وما أشبه ذلك: فما أوجب التقديم؟

قلت: أوجبه أن المعنى: وأي أجل مسمى عنده؛ تعظيماً لشأن الساعة، فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم[3].

= الرابط، وكيف يتخيل كونها للمهملة في الزمان كما ذكر الشيخ. قوله: «بِرَبِّهِم» يجوز أن يتعلق بـ «كَفَرُوا». فيكون يَعْدِلُونَ بمعنى يميلونَ عنه من العدول، ولا مفعول له حينئذٍ. ويجوز أن يتعلق بـ «يعْدِلُونَ» وقدم للفواصل. انتهى. الدر المصون.

(١) قال محمود: «إن قلت المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفاً وجب... إلخ» قال أحمد: وليس في إرادة هذا المعنى موجب للتقديم. وقد ورد (وعنده علم الساعة) في سياق التعظيم لها، وهو مع ذلك مؤخر عن الخبر في قوله (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون) فالظاهر ـ والله أعلم ـ أن التقديم إنما كان لأن الكلام منقول من كلام آخر، وكان الأصل ـ والله أعلم ـ ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده؛ إذ كلاهما مقضي. فلما عدل بالكلام عن العطف الإفرادي تمييزاً بين الأجلين رفع الثاني بالابتداء وأقر بمكانه من التقديم، والله أعلم.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا الذي ذكره من كونه مُسَوِّغاً للابتداء بالنكرة لكونها وصفت ـ لا يتعين؛ لجواز أن يكون المُسَوِّغ التفصيل. ثم أنشد البيت [من الطويل]:

إِذَا مَـــا بَـــكَـــى.......... ....

قال السمين: الزمخشري لم يقل: إنه تعين ذلك، حتى يلزمه به، وإنما ذكر أَشْهر المُسَوِّغاتِ، فإنَّ العطف والتفصيل قَلَّ من يذكرهما في المُسَوِّغات. انتهى الدر.

(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا لا يجوز، لأنه إذا كان التقدير: وأَيُّ أَجَلٍ مُسَمًّى عِنْدَهُ، كانت أَيّ صفةٍ لموصوف محذوف تقديره: وَأَجَلٌ أَيُّ أَجَلٍ مُسَمًّى عِنْدَهُ، ولا يجوز حذف الصفة إذا كانت أيًا، ولا حذف موصوفها وإبقاؤها لو قلت: مررت بأَيِّ رَجُلٍ تريد: بِرَجُلٍ أَيِ رَجُلٍ، لم يجز». قلت: ولم أدرِ كيف يؤاخذ من فَسَّرَ معنى بلفظ، لم يدع أَنَّ ذلك اللفظ هو أصل الكلام المفسر، بل =

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾

﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلق بمعنى اسم الله[1]؛ كأنه قيل: وهو المعبود فينا؛ ومنه قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] أو: هو المعروف بالإلهية أو المتوحد بالإلهية فيها، أو: هو الذي[2] يقال له: «الله» فيها، لا يشرك به في هذا الإسم، ويجوز أن يكون: ﴿ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبراً بعد خبر، على معنى: أنه الله، وأنه في السموات والأرض، بمعنى: أنه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء؛ كأن ذاته فيهما[3].

فإن قلت: كيف موقع قوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾؟ قلت: إن أردت المتوحد بالإلهية كان تقريراً له؛ لأن الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده؛ وكذلك: إذا جعلت في السموات خبراً بعد خبر؛ وإلا فهو كلام مبتدأ بمعنى. هو يعلم سركم وجهركم، أو خبر ثالث، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: من الخير والشر، ويثيب عليه، ويعاقب.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥﴾

(من) في ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾: للاستغراق، وفي ﴿مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: للتبعيض، يعني: وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار، إلا كانوا عنه معرضين: تاركين للنظر لا يلتفتون إليه ولا يرفعون به رأساً؛ لقلة خوفهم، وتدبرهم للعواقب، ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾: مردود على كلام محذوف؛ كأنه قيل: إن كانوا معرضين عن

= قال: معناه: كَيْتَ وكَيْتَ. فكيف يلزمه أن يكون ذلك الكلام الذي فسر به هو أصل ذلك المفسر، على أنه قد ورد حذف موصوف أي وإبقاؤها كقوله [من الطويل]:

إذا حَارَبَ الحَجَّاجُ أَيَّ مُنَافِقٍ ... عَلاهُ بِسَيْفٍ كُلَّما هزَّ يَقْطَعُ

انتهى. الدر المصون.

(١) قال محمود: «في السموات متعلق بمعنى اسم الله... إلخ» قال أحمد: وما الآيتان الكريمتان إلا توأمتان، فإن التمدح في آية الزخرف وقع بما وقع التمدح به ههنا، من القدرة على الإعادة والاستئثار بعلم الساعة والتوحد في الألوهية، وفي كونه تعالى المعبود في السموات والأرض.

(٢) عاد كلامه. قال: أو هو المعروف بالألوهية أو هو الذي يقاله ـ الله ـ فيهما... إلخ» قال أحمد: وهذه الوجوه كلها كأن التعبير وقع فيها بالملزوم عن لوازمه المشهورة به، كما وقع ذلك في قوله [من الرجز]:

أنا أبو النجم وشعري شعري

أي المعروف المشهور، لأنه بنى على أنه متى ذكر شعره فهم السامع عند ذكره خواصه من الجودة والبلاغة وسلامة النسج، لاشتهاره بذلك، فاقتصر على قوله «شعري» اتكالاً على فهم السامع.

(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا ضعيف، لأن المجرور بـ «في» لا يدل على كون مقيد، إنما يدل على كون مطلق» انتهى. الدر.

الآيات، فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها[1]، وهو الحق، ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يعني: القرآن الذي تحدّوا به على تبالغهم في الفصاحة، فعجزوا عنه، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ﴾ الشيء الذي ﴿كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: وهو «القرآن»، أي: أخباره وأحواله، بمعنى: سيعلمون بأي شيء استهزءوا، وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء؛ وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا أو يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام، وعلوّ كلمته/.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾

مكن له في الأرض: جعل له مكاناً فيها؛ ونحوه: أرّض له، ومنه قوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٨٤] ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ﴾ [القصص: ٥٧] وأمّا مكنته في الأرض فأثبته فيها؛ ومنه قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦] ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله: ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾، والمعنى: لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عاداً وثمود وغيرهم، من البسطة في الأجسام، والسعة في الأموال، والاستظهار بأسباب الدنيا، والسماء المظلة؛ لأن الماء ينزل منها إلى السحاب، أو السحاب، أو المطر، والمدرار: المغزار.

فإن قلت: أي فائدة في ذكر إنشاء قرن آخرين بعدهم؟

قلت: الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرناً، ويخرب بلاده منهم، فإنه قادر على أن ينشىء مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس: ١٥].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾

---

(١) قال السمين الحلبي قال الشيخ: «ولا ضرورة تدعو إلى هذا مع انتظام الكلام». وقوله: «بالحَقّ» من إقامة الظاهر مقام المضمر؛ إذ الأصل: فَقَد كَذَّبُوا بها، أي بالآية. و «الأَنْبَاء» جمع نبأ، وهو ما يعظم وقعه من الأخبار. وفي الكلام حذف، أي: يأتيهم مضمونُ الأنباء. و «بِهِ» متعلّق بخبر كانُوا. و «لمّا» حرف وجوب، أو ظرف زمان، والعامل فيه كَذَّبُوا. و «ما» يجوز أن تكون موصولة اسمية والضمير في بِهِ عائد عليها، ويجوز أن تكون مصدرية، قاله ابن عطية، أي: أنباء كونهم مستهزئين، وعلى هذا فالضمير لا يعود عليها، لأنها حرفية، بل يعود على الحق وعند الأخفش يعود عليها، لأنها اسم عنده. انتهى. الدر المصون.

﴿كِتَٰبًا﴾: مكتوباً، ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾: في ورق، ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾: ولم يقتصر بهم على الرؤية؛ لئلا يقولوا[1]: سكرت أبصارنا، ولا تبقى لهم علة، لقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: تعنتاً، وعناداً للحق بعد ظهوره، ﴿لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: لقضي أمر إهلاكهم، ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: بعد نزوله طرفة عين[2]؛ إما لأنهم إذا عاينوا «الملك» قد نزل على رسول الله ـ ﷺ ـ في صورته (٥٧٧)، وهي آية لا شيء أبين منها وأيقن، ثم لا يؤمنون؛ كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأنعام: ١١١]، لم يكن بدّ من إهلاكهم، كما أهلك أصحاب المائدة.

وإما لأنه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملائكة[3]، فيجب إهلاكهم.

وإما لأنهم إذا شاهدوا «ملكاً» في صورته، زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون، ومعنى: (ثم) بعد ما بين الأمرين[4]: قضاء الأمر، وعدم الإنظار، جعل عدم الإنظار أشدّ

---

٥٧٧ ـ أخرجه البخاري (٨/ ٤٧٢) كتاب التفسير حديث (٤٨٥٥)، ومسلم (٢/ ٨ ـ نووي) كتاب الإيمان: باب: (ولقد رآه نزلة أخرى حديث (٢٨٧/ ١٧٧)، والترمذي (٥/ ٢٦٢) كتاب التفسير: باب ومن سورة الأنعام حديث (٣٠٦٨).
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: متفق عليه من رواية مسروق عن عائشة: أن النبي ﷺ رأى جبريل في صورته مرتين. وفي رواية لها: رأى جبريل له ستمائة جناح. انتهى.

---

(١) قال محمود: «ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا... إلخ» قال أحمد: والظاهر أن فائدة زيادة لمسهم له بأيديهم تحقيق القراءة على قرب، أي فقرءوه وهو في أيديهم لا بعيداً عنهم لما آمنوا، وإلا فالخط لا يدرك باللمس حتى يجعل فائدة زيادته إدراكه بوجهين، كما يفهم من كلام الزمخشري.
(٢) قال محمود: «يعني لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين... إلخ» قال أحمد: لا يحسن أن يجعل سبب مناجزتهم بالهلاك وضوح الآية في نزول الملك، فإنه ربما يفهم هذا الكلام أن الآيات التي لزمهم الإيمان بها دون نزول الملك في الوضوح، وليس الأمر كذلك. فالوجه ـ والله أعلم ـ أن يكون سبب تعجيل عقوبتهم بتقدير نزول الملك، وعدم إيمانهم أنهم اقترحوا ما لا يتوقف وجوب الإيمان عليه، إذ الذي يتوقف الوجوب عليه، المعجز من حيث كونه معجزاً، لا المعجز الخاص. فإذا أجيبوا على وفق مقترحهم فلم ينجع فيهم، كانوا حينئذ على غاية من الرسوخ في العناد المناسب لعدم النظرة، والله أعلم.
(٣) عاد كلامه. قال: «وإما لأنه يزول الاختيار الذي قاعدة التكليف مبنية عليه عند نزول الملك فيجب إهلاكهم وإما لأنهم إذا شاهدوا الملك في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون» قال أحمد: ويقوي هذا الوجه قوله: ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً. قال ابن عباس: ليتمكنوا من رؤيته ولا يهلكوا من مشاهدة صورته.
(٤) عاد كلامه. قال: «ومعنى ـ ثم ـ بعد ما بين الأمرين قضاء الأمر... إلخ» قال أحمد: وهذه النكتة من محاسن تنبيهاته.

من قضاء الأمر؛ لأنّ مفاجأة الشدّة أشدّ من نفس الشدّة، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾: ولو جعلنا الرسول ملكاً كما اقترحوا؛ لأنهم كانوا يقولون: «لولا أنزل على محمد ملك»، وتارة يقولون: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٣٣]، ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [فصلت: ١٤] ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾: لأرسلناه في صورة رجل، كما كان ينزل جبريل على رسول الله ـ ﷺ ـ في أعم الأحوال في صورة دحية (٥٧٨)؛ لأنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم، ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾: ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ؛ فإنهم يقولون إذا رأوا الملك في صورة إنسان: هذا إنسان وليس بملك.

فإن قال لهم: الدليل على أني ملك أني جئت بالقرآن المعجز، وهو ناطق بأني ملك لا بشر ـ كذبوه كما كذبوا محمداً ـ ﷺ ـ فإذا فعلوا ذلك، خذلوا كما هم مخذولون الآن، فهو لبس الله عليهم، ويجوز أن يراد: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة، وقرأ ابن محيصن: ﴿ولبسنا عليهم﴾، بلام واحدة، وقرأ الزهري: «وللبّسنا/ ٢١١ب عليهم ما يلبسون»، بالتشديد.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾: تسلية لرسول الله ـ ﷺ ـ عما كان يلقى من قومه، ﴿فَحَاقَ﴾:

---

٥٧٨ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٧٢٨) كتاب المناقب حديث (٣٦٣٤)، ومسلم (٨/ ٢٤٤ ـ نووي) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أم سلمة حديث (١٠٠/ ٢٤٥١).
وأخرج الحاكم (٤/ ٧) عن عائشة قالت: «لقد رأيت النبي ﷺ يناجي في حجرتي رجلاً شبهته بدِحْيَة الكلبي، فقال لي: هذا جبريل، وهو يقرئك السلام».
وأخرجه أحمد (٦/ ٧٤) عنها بنحوه.
قال الحافظ:
متفق عليه من رواية أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد قال: «نُبئت أن جبريل أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة، فجعل يتحدث، ثم قال فقال نبي الله لأم سلمة: من هذا؟ فقالت: دِحْيَةُ الكلبي... الحديث، وللحاكم من رواية مسروق عن عائشة قالت: «لقد رأيت رسول الله ﷺ يناجي في حجري رجلاً شبهته بدِحْيَة الكلبي. فقال لي: هذا جبريل، وهو يقرئك السلام، وللطبراني من رواية قتادة عن أنس: «أن رسول الله ﷺ كان يقول: يأتيني جبريل على صورة دِحْيَة الكلبي» قال أنس «وكان دِحْيَة رجلاً جسيماً جميلاً أبيض»، وفي إسناده عفير بن سعدان وهو ضعيف، ولأبي نعيم في الدلائل من رواية صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد عن النبي ﷺ قال: رأيت جبريل في خَلْقِهِ الذي خُلِقَ عليه، وكنت أراه قبل ذلك في صور مختلفة، وأكثر ما كنت أراه في صورة دِحْيَة الكلبي» رجاله ثقات، إلا أنه مرسل، وروى ابن سعد من طريق يحيى بن يعمر عن ابن عمر: «كان جبريل يأتي رسول الله ﷺ في صورة دِحْيَةِ الكلبي». انتهى.

بهم، فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو الحق؛ حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١)﴾

فإن قلت: أي فرق بين قوله: ﴿فانظروا﴾، وبين قوله: ﴿ثم انظروا﴾[1]؟

---

(١) قال محمود: «إن قلت أي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا... إلخ» قال أحمد: وأظهر من هذا التأويل أن يجعل الأمر بالسير في المكانين واحداً، ليكون ذلك سبباً في النظر، فحيث دخلت الفاء فلإظهار السببية، وحيث دخلت «ثم» فللتنبيه على أن النظر هو المقصود من السير، وأن السير وسيلة إليه لا غير. وشتان بين المقصود والوسيلة، والله أعلم.
هذه الملحوظات:
أولاً: أن «ثم» لها عند الربط بها معنيان ١ ـ الاستبعاد ٢ ـ البعد بين الأمرين.
نفس الآية التي معنا ترى المعنى الثاني فالسير مباح للتجارة وغيرها ثم أوجب النظر في آثار الهالكين، فإذا جاءت الفاء دلت على أن السير للنظر.
وأما المعنى الأول فقد وقع عند قوله ـ تعالى ـ:
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [السجدة: ٢٢] فالمقصود بثم أن ما بعدها أمر مستبعد بعد أن مهد ما قبل «ثم» لما يراد في الآية؛ فإن التذكير بآيات الله يؤهل إلى الإيمان لكن حينما يأتي الإعراض فهذا مستبعد، وهذا ما بينه الزمخشري عند هذه الآية وهي برقم [٢٢ السجدة].
ومثل هذه الآية ما جاء في قوله ـ تعالى ـ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣] وهكذا تتضح المعاني حول هذا الحرف «ثم» في سياق الآيات القرآنية.
أما المعنى الثاني الذي وردت عليه الآية التي معنا فقد اتضح هذا البعد في قوله ـ تعالى ـ:
﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦].
فإن ما بعد «ثم» لا يستبعد ولكنه بعيد، وقد بين هذا الزمخشري لأن حواء خلقت من أسفل أضلاعه ولم يحدث لامرأة مثل هذا سوى حواء، ومن أجل هذا لفت النظر إلى خلقها بقوله «ثم» كأن يقول «انظروا إلى طلاقة قدرتي فقد خلقت المرأة من أسفل ضلع رجل لأني قديرٌ على ما أشاء، فهذه آية عجيبة تستحق الفكر والتدبر وهذا بخلاف خلقنا من أب وأم.
ونستطيع فهم هذا من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨].
ثانياً: «الفاء» تفيد الترتيب مع الاتصال وأحسن مواقعها ما تفيد فيه المفاجأة وهذا ما تراه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦] فالفاء هنا تفيد أن يوم البعث جاءهم بغتة فقد كانوا به كافرين، ولهذا لحظ الزمخشري فيه شرطا يقدر بنحو قولك: إن كنتم منكرين البعث فقد تبين بطلان قولكم.
هذا المعنى في الفاء «المفاجأة» يضاف إلى معنى الاتصال السابق الملحوظ في السير من الأرض وانظر بين «ثم» و«الفاء» في قول الشاعر وهو العباس بن الأحنف [من البسيط]:

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ... ثم القفول، فقد جئنا خراسانا

فانظر موقع «ثم» القفول كما علمت؛ وموقع «الفاء» بعدها!!!
وقد أخذ الزمخشري وتبعه أبو السعود هذه المعاني من كلام عبد القاهر ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ فقد أفاض وأجاد، ولولا خشية الإطالة لأتيت بكلامه، ولكنا في عجالة، والله الموفق. =

قلت: جعل النظر[1] مسبباً عن السير في قوله: ﴿فانظروا﴾، فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين.

وأما قوله: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ فمعناه: إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبه على ذلك بثم؛ لتباعد ما بين الواجب والمباح.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: سؤال تبكيت، و﴿قُل لِّلَّهِ﴾: تقرير لهم، أي: هو ـ الله ـ لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره، ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾: أي: أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته، ونصب الأدلة لكم على توحيده بما أنتم مقرون به من خلق السموات والأرض، ثم أوعدهم على إغفالهم النظر، وإشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، فيجازيكم على إشراككم، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: نصب على الذم، أو رفع، أي: أريد الذين خسروا أنفسهم، أو أنتم الذين خسروا أنفسهم.

فإن قلت: كيف جعل عدم إيمانهم مسبباً عن خسرانهم، والأمر على العكس؟

قلت: معناه: الذين خسروا أنفسهم في علم الله؛ لاختيارهم الكفر، فهم لا يؤمنون.

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَلَهُۥ﴾: عطف على الله، ﴿مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: من السكنى، وتعديه بفي؛ كما في قوله: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: يسمع كل مسموع، ويعلم كل معلوم، فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

= «ينظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ٣/٩٣، ٩٤، ٩٥، والبلاغة القرآنية ٢٩٠ وما بعدها، والإيضاح بتحقيقه ٢/ ٩٠ وما بعدها، وتفسير أبي السعود ٢/١٢٨.

(١) قوله: «النظر» لعله «بالنظر».

أولى ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ﴾: همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو: ﴿أَتَّخِذُ﴾؛ لأنّ الإنكار في اتخاذ غير الله وليًّا، لا في اتخاذ الولي، فكان أولى بالتقديم؛ ونحوه: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩]، وقرىء: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ﴾: بالجرّ، صفة لله، وبالرفع على المدح.

وقرأ الزهري: «فطر»، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما عرفت ما فاطر السموات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها (٥٧٩)، أي: ابتدعتها، ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾: وهو يرزق ولا يرزق؛ كقوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٧]، والمعنى: أن المنافع كلها من عنده، ولا يجوز عليه الانتفاع، وقرىء: «ولا يَطْعَمُ»، بفتح الياء.

وروى ابن المأمون عن يعقوب: «وهو يطعم ولا يطعم»، على بناء الأول للمفعول، والثاني للفاعل، والضمير: لغير الله.

وقرأ الأشهب: «وهو يطعم ولا يطعم»، على بنائهما للفاعل، وفسر بأن معناه: وهو يطعم، ولا يستطعم.

وحكى الأزهري/ ٢١٢أ أطعمت، بمعنى: استطعمت؛ ونحوه: أفدت، ويجوز أن يكون المعنى: وهو يطعم تارة، ولا يطعم أخرى على حسب المصالح؛ كقولك: وهو يعطي، ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر، ﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾؛ لأنّ النبي سابق أمته في الإسلام؛ كقوله ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، وكقول موسى: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾، وقيل: لي لا تكونن، ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ومعناه: أمرت بالإسلام، ونهيت عن الشرك، و﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾: العذاب، ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾: الله الرحمة العظمى، وهي النجاة[1]؛ كقولك: إن أطعمت زيداً من

---

٥٧٩ ـ أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (٢/ ١٧٤) رقم (٧٤٨)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم (١٦٨٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره: (٥/ ١٥٨) رقم (١٣١١٤)؛ وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١١)، وعزاه لابن الأنباري في الوقف والابتداء..
قال الحافظ:
أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث، وفي فضائل القرآن بإسناد حسن، ليس فيه إلا إبراهيم بن مهاجر، وسيأتي في تفسير فاطر. انتهى.

---

(١) قال محمود: «المراد الرحمة العظمى وهي النجاة من النار... إلخ» قال أحمد: وإنما يلجئ إلى =

جوعه، فقد أحسنت إليه؟ تريد: فقد أتممت الإحسان إليه، أو فقد أدخله الجنة؛ لأن من لم يعذب، لم يكن له بدّ من الثواب.

وقرىء: «من يصرف عنه»، على البناء للفاعل، والمعنى: من يصرف الله عنه في ذلك اليوم، فقد رحمه، بمعنى: من يدفع الله عنه، ويحفظه، وقد علم من المدفوع عنه، وترك ذكر المصروف؛ لكونه معلوماً أو مذكوراً قبله، وهو العذاب، ويجوز أن ينتصب «يومئذ» بـ «يصرف» انتصاب المفعول به، أي: من يصرف الله عنه ذلك اليوم: أي هوله، فقد رحمه؛ وينصر هذه القراءة، قراءة أبيّ ـ رضي الله عنه ـ: «من يصرف الله عنه».

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: من مرض، أو فقر، أو غير ذلك من بلاياه، فلا قادر على كشفه إلا هو، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ من غنى، أو صحة، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: فكان قادراً على إدامته أو إزالته.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: تصوير للقهر والعلوّ بالغلبة والقدرة؛ كقوله: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ **[الأعراف: ١٢٧]**، الشيء أعم العام[(١)]؛ لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه، فيقع

= تخصيص الرحمة، إما بكونها العظمى، وإما برحمة الثواب أنه لو بقيت على إطلاقها، لما زاد الجزاء على الشرط إذ من المعلوم ضرورة أن صرف العذاب رحمة ما. والعجب أن الزمخشري يصحح تخصيصها برحمة الثواب بأن صرف العذاب يستلزم الثواب ولا بد، وغيره يصحح هذا التخصيص بأنه لا يلزم من صرف العذاب حصول الثواب، لجواز أن يصرف عنه العذاب ولا يثاب، فأفاد الجزاء إذاً فائدة لم تفهم من الشرط. هكذا صححه القونوي. ولعمري إن قاعدة المعتزلة تلجئ إلى ما ذهب إليه الزمخشري، لانقسام المكلفين عندهم إلى مستوجب للجنة فالثواب قطعاً، وإلى مستوجب للنار فالعذاب قطعاً، ويسندون ذلك إلى العقل لا إلى السمع.

(١) قال محمود: «الشيء أعم العام، لوقوعه على كل ما يصح... إلخ» قال أحمد وتفسيره الشيء يخالف الفريقين الأشعرية، فإنهم فسروه بالموجود ليس إلا، والمعتزلة فإنهم قالوا: والمعلوم الذي يصح وجوده، فاتفقوا على خروج المستحيل، وعلى الجملة فهذه المسألة معدودة من علم الكلام باعتبار ما. وأما هذا البحث فلغوي والتحاكم فيه لأهل اللغة، وظاهر قولهم غضبت من لا شيء، وإذا رأى غير شيء ظنه رجلاً ـ أن الشيء لا ينطلق إلا على الموجود إذ لو كان الشيء كل ما يصح أن يعلم عدماً كان أو وجوداً أو ممكناً أو مستحيلاً، لما صدق على أمر ما أنه ليس بشيء والأمر في ذلك قريب.

على القديم، والجرم، والعرض، والمحال، والمستقيم؛ ولذلك صحّ أن يقال في الله ـ عزّ وجلّ ـ: شيء لا كالأشياء، كأنك قلت: معلوم لا كسائر المعلومات، ولا يصح: جسم لا كالأجسام.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)﴾

وأراد: أي شهيد، ﴿أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾: فوضع شيئاً مقام شهيد؛ ليبالغ في التعميم، ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾، بمعنى: الله أكبر شهادة، ثم ابتدىء، ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: هو شهيد بيني وبينكم، وأن يكون: ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: هو الجواب؛ لدلالته على أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم، فأكبر شيء شهادة شهيد له، ﴿وَمَن بَلَغَ﴾: عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة، أي: لأنذركم به، وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم، وقيل: من الثقلين، وقيل: من بلغه إلى يوم القيامة، وعن سعيد بن جبير: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً ـ ﷺ ـ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾: تقرير لهم مع إنكار واستبعاد، ﴿قُل لَّا أَشْهَدُ﴾، شهادتكم.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١)﴾

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: اليهود والنصارى، يعرفون رسول الله ـ ﷺ ـ بحليته، ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾: بحلاهم، ونعوتهم لا يخفون عليهم / ٢١٢ ب ولا يلتبسون بغيرهم؛ وهذا استشهاد لأهل «مكة» بمعرفة أهل الكتاب به، وبصحة نبوّته، ثم قال: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: من المشركين، ومن أهل الكتاب الجاحدين، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به، جمعوا بين أمرين متناقضين، فكذبوا على الله بما لا حجة عليه، وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة، والبرهان الصحيح؛ حيث قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]. وقالوا: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]. وقالوا: ﴿الملائكة بنات الله﴾، و﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨] ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب، وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات، وسموها سحراً، ولم يؤمنوا بالرسول، ﷺ.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُن

﴿فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾: ناصبه محذوف تقديره: ويوم نحشرهم كان كيت وكيت، فترك؛ ليبقى على الإبهام الذي هو داخل في التخويف، ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ أي: آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ معناه: تزعمونهم شركاء، فحذف المفعولان، وقرىء: «يحشرهم ثم يقول»، بالياء فيهما؛ وإنما يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ، ويجوز أن يشاهدوهم، إلا أنهم حين لا ينفعونهم، ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة، فكأنهم غيب عنهم، وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ؛ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها، فيروا مكان خزيهم وحسرتهم، ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾: كفرهم، والمعنى: ثم لم تكن عاقبة كفرهم[1] ـ الذي لزموه أعمارهم، وقاتلوا عليه، وافتخروا به، وقالوا: دين آبائنا ـ إلا جحوده، والتبرؤ منه، والحلف على الانتفاء من التدين به، ويجوز أن يراد: ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمي فتنة؛ لأنه كذب.

وقرىء: «تكن» بالتاء، و«فتنتهم»، بالنصب؛ وإنما أنث: ﴿أَن قَالُواْ﴾؛ لوقوع الخبر مؤنثاً؛ كقولك: من كانت أمّك[2]؟.

---

(١) قال محمود: «فتنتهم كفرهم، والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم... إلخ» قال أحمد: وفي الآية دليل بين على أن الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به كذب، وإن لم يعلم المخبر مخالفة خبره لمخبره. ألا تراه جعل إخبارهم وتبريهم كذباً مع أنه تعالى أخبر أنهم ضل عنهم ما كانوا يفترون، أي سلبوا علمه حينئذ دهشاً وحيرة، فلم يرفع ذلك إطلاق الكذب عليهم.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وكلام الزمخشري ملفق من كلام أبي علي. وأما: «مَنْ كَانَتْ أُمَّكَ» فإنه حمل اسم كان على معنى «مَنْ»، فإن لها لفظاً مفرداً مذكراً، ولها معنى بحسب ما تريد من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث، وليس الحمل على المعنى لمراعاة الخبر، ألا ترى أنه يجيء حيث لا خبر، كقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ وقوله [من الطويل]:

.... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ

قُلْتُ: ليت شعري! ولأي معنى خص الزمخشري بهذا الاعتراض، فإنّه وارد على أبي عليّ أيضاً إذ لقائل أن يقول: التأنيث في: «جاءت» للحمل على معنى «ما» فإنّ لها هي أيضاً لفظاً ومعنى مثل «مَنْ»، على أنه يقال: للتأنيث علتان، فذكرا إحداهما. ورجح أَبُو عُبَيْدٍ قراءة الأخوين بقراءة أُبَيٍّ وابن مسعود: «وَمَا كان فِتْنَتَهُمْ إلاّ أَنْ قَالُوا» فلم تلحق الفعل علامة تأنيث. ورجّحَها غَيْرُه بإجماعهم على نصب «حجتهم» من قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾. وقُرِئ شاذا «ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِتْنَتُهُم إلاّ أَنْ قَالُوا: بتذكير «يكن» ورفع «فتنتهم»، ووجه شذوذها سقوط علامة التأنيث، والفاعل مؤنث لفظاً، وإن كان غير حقيقي، وجعل غير الأعرف اسماً، والأعرف خبراً، فهي عكس القراءة الأولى =

وقرىء: بالياء، ونصب الفتنة، وبالياء والتاء مع رفع الفتنة.

وقرىء: «رَبَّنَا»، بالنصب على النداء، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: وغاب عنهم، ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: يفترون إلهيته وشفاعته.

فإن قلت: كيف يصح أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الأمور وعلى أن الكذب، والجحود لا وجه لمنفعته؟

قلت: الممتحن ينطق بما ينفعه، وبما لا ينفعه، من غير تمييز بينهما حيرة ودهشاً؛ ألا تراهم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، وقد أيقنوا بالخلود، ولم يشكوا فيه، ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] وقد علموا أنه لا يقضي عليهم.

وأما قول من يقول: معناه: ما كنا مشركين عند أنفسنا، وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا، وحملُ قوله: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: في الدنيا، فتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام إلى ما هو عيّ وإقحام؛ لأن المعنى الذي ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه، ولا منطبق عليه، وهو ناب عنه أشدّ النبوّ، وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة: ١٨] بعد قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤] فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: حين تتلو القرآن، روي أنه اجتمع أبو سفيان، والوليد، والنضر، وعتبة، وشيبة، وأبو جهل، وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة، ما يقول محمد؟ فقال: والذي جعلها بيته ـ يعني الكعبة ـ ما أدري ما يقول، إلا أنه يحرّك لسانه، ويقول: أساطير الأوّلين، مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية، فقال أبو سفيان: إني لأراه حقًّا، فقال أبو جهل: كلا؛ فنزلت، والأكنة على القلوب، والوقر في الآذان ـ مثلٌ في نبوّ قلوبهم، ومسامعهم عن قبوله[1]، واعتقاد

= من الطرفين. و «أَن قَالُوا» مما يجب تأخيره لحصره، سواء أجعل اسماً أم خبراً. انتهى. الدر المصون.

(١) قال محمود: «الأكنة على القلوب والوقر في الآذان، مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله... =

صحته، ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾؛ للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم؛ كأنهم مجبولون عليه، أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥].

وقرأ طلحة: «وقراً»، بكسر الواو، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾: هي حتى التي تقع بعدها الجمل، والجملة قوله: ﴿إِذَا جَآءُوكَ﴾، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الرعد: ٤٣]، و﴿جَآءُوكَ﴾: «يجادلونك» موضع الحال، ويجوز أن تكون الجارة، ويكون «إذ جاءوك» في محل الجرّ، بمعنى: حتى وقت مجيئهم، ويجادلونك حال، وقوله: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، تفسير له، والمعنى: أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك، ويناكرونك، وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب، وهي الغاية في التكذيب، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾: الناس عن القرآن، أو عن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأتباعه، ويثبطونهم عن الإيمان به، ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾: بأنفسهم، فيضلون ويضلون، ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾: بذلك، ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾، ولا يتعداهم الضرر إلى غيرهم، وإن كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله ـ ﷺ ـ، وقيل: هو أبو طالب، لأنه كان ينهى قريشاً عن التعرّض لرسول الله ﷺ وينأى عنه، ولا يؤمن به، وروي أنهم اجتمعوا إلى أبي طالب، وأرادوا برسول الله ـ ﷺ ـ سوءاً، فقال: [من الكامل]

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ... حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَاْصدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ... وَاْبشِرْ بِذَاكَ وَقَرَّ مِنْهُ عُيُونَا
وَدَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ ... وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِيناً لاَ مَحَالَةَ أَنَّهُ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلاَ الْمَلاَمَةُ أَوْ حَذَارِيَ سُبَّةً ... لَوَجَدْتَنِي سَمْحاً بِذَاكَ مُبِينَا[1]

فنزلت (٥٨٠).

---

٥٨٠ ـ أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨) من طريق إبن إسحاق به.
وينظر سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٢).

= إلخ» قال أحمد رحمه الله: وهذه الآية حسبنا في رد معتقد القدرية الذين يزعمون أن الله تعالى أراد من هؤلاء المستمعين أن يعوا القرآن ويفقهوه، وأنه لم يمنعهم من ذلك، ومحال على زعمهم أن يمنعهم من ذلك ويريد أن لا يفقهوه، لأن ذلك عندهم قبيح. فانظر كيف تكافحهم هذه الآية بالرد وتنادي عليهم بالخطأ، إذ قوله (أن يفقهوه) معناه كراهة أن يفقهوه، وبين الإرادة على زعمهم، والكرامة على ما أنبأت عنه الآية. بون بعيد، والله الموفق.

(١) لأبي طالب، لما اجتمع عنده قريش وأرادوا قتل النبي ﷺ. «فاصدع» أي اجهر بأمرك حتى تؤثر في =

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: جوابه محذوف تقديره: «ولو ترى لرأيت أمراً شنيعاً»، ﴿وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: أروها حتى يعاينوها، أو اطلعوا عليها اطلاعاً هي تحتهم، أو أدخلوها/ ٢١٣ب فعرفوا مقدار عذابها من قولك: وقفته على كذا، إذا فهمته وعرفته.

وقرىء: «وقفوا»، على البناء للفاعل، من وقف عليه وقوفاً، ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾: تم تمنيهم، ثم ابتدؤا، ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: واعدين الإيمان، كأنهم قالوا: ونحن لا نكذب، ونؤمن على وجه الإثبات، وشبهه سيبويه بقولهم: «دعني ولا أعود»، بمعنى: دعني وأنا لا أعود، تركتني أو لم تتركني، ويجوز أن يكون معطوفاً على «نردّ»، أو حالاً على معنى: «يا ليتنا نردّ غير مكذبين وكائنين من المؤمنين»، فيدخل تحت حكم التمني.

فإن قلت: يدفع ذلك قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ لأنّ المتمني لا يكون كاذباً.

= قال الحافظ: أخرجه البيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق حدثني يعقوب بن عتيبة بن المغيرة ابن الأخنس، أنه حدث أن قريشاً قالت لأبي طالب هذه المقالة فذكر القصة. قال ابن إسحاق: ثم قال: فذكر هذا الشعر. انتهى.

= القلوب، كصدع الزجاج، أي شقه وكسره. وغض منه يغض ـ بالضم ـ غضاضة: وضع ونقص من قدره. وغضغضت الماء وتغضغض هو: نقصته وانتقص. أي ما عليك مذلة ومنقصة من أمرك. وبشر يبشر ـ بالضم ـ سر وفرح. وأبشر إبشاراً: سر واستبشر. وبشرته وأبشرته أفرحته. أي: افرح وانسر بذلك. وقرت عينه. بردت سروراً، أي افرح بذلك وانسر. فهو توكيد لأبشر؛ إلا أنه بطريق الكناية المفيدة للمبالغة. وعيوناً تمييز محول عن الفاعل، أي لتقر عيونك. والمراد بالجمع ما فوق الواحد، أو المبالغة، أو عيونه هو أو عيونه هو والمؤمنين. ويروى «منه» أي من ذلك الأمر. و«لن» حرف لتوكيد النفي كما تشهد به مواضع الاستعمال. ونفي الوصول: كناية عن نفي المضرة على وجه أبلغ. والباء للملابسة. و«حتى أوسد» غاية مفيدة للتوكيد والتأبيد والتوسيد: كناية عن الموت، فيجعل له وسادة تحت رأسه في رمسه. و«دفيناً» أي مدفوناً حال. ومجيء المضارع المنفي بلن جواباً للقسم لا يجوز إلا في الضرورة كما هنا. وزعمت: أي قلت عند من لا يصدقك، ولقد صدقت في دعواك أنك ناصح للناس، و«كنت ثم» أي عند قولك «أميناً» فيما ادعيت وعرضت علينا ديناً صادقاً أنه من خير أديان البرية ديناً، أي من جهة الديانة، أو جهة الجزاء. وقيل: قد يراد من التمييز مجرد التوكيد وهذا منه لا محالة في ذلك. فقوله «لا محالة» جملة اعتراضية للتوكيد. والحذار: مصدر بمعنى الحذر من مسبتهم لي. ويروى أو حذاري سبة. والسب أبلغ من اللوم «لوجدتني» يا محمد راضياً بذاك الدين، مظهراً له. وسمح سماحة فهو سمح، كضخم ضخامة فهو ضخم: إذا جاد ولم يبخل.
ينظر ديوانه ص ٤٦٨؛ ولسان العرب (كفر)؛ وتاج العروس (كفر).

قلت: هذا تمنّ قد تضمن معنى العدة، فجاز أن يتعلق به التكذيب، كما يقول الرجل: ليت الله يرزقني مالاً، فأحسن إليك، وأكافئك على صنيعك، فهذا متمنّ في معنى الواعد، فلو رزق مالاً، ولم يحسن إلى صاحبه، ولم يكافئه، كذب، كأنه قال: إن رزقني الله مالاً، كافأتك على الإحسان.

وقرىء: «ولا نكذب ونكون»، بالنصب، بإضمار «أن» على جواب التمني[1]، ومعناه: إن رددنا لم نكذب، ونكن من المؤمنين، ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾: من قبائحهم، وفضائحهم في صحفهم، وبشهادة جوارحهم عليهم؛ فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجراً، لا أنهم عازمون على أنهم لو ردّوا لآمنوا.

وقيل: هو في المنافقين، وأنه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه، وقيل: هو في أهل الكتاب، وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ـ ﷺ ـ ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾: إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار، ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾: من الكفر والمعاصي، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: فيما وعدوا من أنفسهم لا يفون به.

﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَقَالُوا﴾: عطف على لعادوا، أي: ولو ردّوا لكفروا ولقالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة، ويجوز أن يعطف على قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، على معنى: «وإنهم لقوم كاذبون في كل شيء»، وهم الذين قالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾، وكفى به دليلاً على كذبهم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: مجاز عن الحبس؛ للتوبيخ والسؤال، كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه.

---

(١) قال محمود: «وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب بإضمار أن على جواب التمني... إلخ» قال أحمد: وكثيراً ما تتناوب صيغة التمني والخبر. ألا ترى: إلى قوله تعالى: ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ في قوله: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ وهذه المعاهدة إنما كانت تمنياً بصيغة الخبر، والله أعلم. وأبين من ذلك قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فهذا هو التمني بعينه، ولكن بصيغة الوعد والخبر الصريحة، والله الموفق.

وقيل: وقفوا على جزاء ربهم.

وقيل: عرفوه حق التعريف، ﴿قَالَ﴾: مردود على قول قائل، قال: ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه؟ فقيل: قال: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾، وهذا تعيين من الله ـ تعالى ـ لهم على التكذيب.

وقولهم ـ لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ـ: ما هو بحق، وما هو إلا باطل، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها، وقد حقق الكلام فيه في مواضع أخر، و﴿حَتَّىٰ﴾: غاية لـ «كذبوا» لا لـ «خسر»؛ لأن خسرانهم لا غاية له، أي: ما زال بهم التكذيب/ ٢١٤أ إلى حسرتهم وقت مجيء الساعة.

فإن قلت: أما يتحسرون عند موتهم؟

قلت: لما كان الموت وقوعاً في أحوال الآخرة ومقدّماتها، جعل من جنس الساعة، وسمي باسمها؛ ولذلك قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ مَاتَ، فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ» (٥٨١). أو جعل مجيء الساعة بعد الموت؛ لسرعته كالواقع بغير فترة ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة، وانتصابها على الحال بمعنى: باغتة، أو على المصدر، كأنه قيل: بغتتهم الساعة بغتة، ﴿فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ الضمير للحياة الدنيا، جيء بضميرها، وإن لم يجر لها ذكر؛ لكونها معلومة، أو للساعة على معنى: قصرنا في شأنها وفي الإيمان بها، كما تقول: فرّطت في فلان، ومنه: فرّطت في جنب الله، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ﴾؛ كقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]؛ لأنه اعتيد حمل الأثقال على الظهور، كما ألف الكسب بالأيدي، ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾: بئس شيئاً يزرون وزرهم؛ كقوله: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ [الأعراف: ١٧٧].

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢)﴾

---

٥٨١ ـ أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار (١/ ٣٥٠) رقم (١١٢١)، وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص (٤٢٨): له ذكر في: «أكثروا هادم اللذات، ورواه الديلمي عن أنس مرفوعاً، ولفظه: «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته»، وللطبراني من حديث زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: يقولون: القيامة القيامة، وإنما قيامة المرء موته»، ومن رواية سفيان بن أبي قيس قال: «شهدت جنازة فيها علقمة فلما دفن قال: «أمّ ا هذا فقد قامت قيامته».
قال الحافظ: أخرجه أبو شجاع الديلمي في الفردوس عن أنس بلفظ «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته» للطبراني من حديث زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: «يقولون: القيامة القيامة، وإنما قيامة الرجل موته»، ومن رواية سفيان عن أبي قيس قال: «شهدت جنازة فيها علقمة. فلما دفن قال: «أما هذا فقد قامت قيامته». انتهى.

جعل أعمال الدنيا لعباً ولهواً، واشتغالاً بما لا يعني، ولا يعقب منفعة، كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾؛ دليل على أن ما عدا أعمال المتقين لعب ولهو.

وقرأ ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «ولدار الآخرة».

وقرىء: «تعقلون» بالتاء، والياء.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قَدْ﴾ في ﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾: بمعنى: «ربما» الذي يجيء لزيادة الفعل[1] وكثرته[2]؛ كقوله [من الطويل]:

---

(١) الحرف «قد» من قوله ـ «سبحانه» ـ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ . . . .﴾ يفيد زيادة الفعل وكثرته، وله معنى آخر أسجله هنا من خلال آيات القرآن العظيم وما فهمه المفسرون. وخلاصة هذا:
أن «قد» تدل على التوقع كقولك قد يقدم الغائب اليوم إذا توقعت ذلك وهذا مع المضارع، وأما الماضي فقد أثبته الكثيرون، قال الخليل يقال: «قد فعل» لقوم ينتظرون الخبر، وعليه قول المؤذن: قد قامت الصلاة.
والكلام هنا مع المضارع لأنها تكون معه بمعنى «ربما» التي تخرج إلى معنى التكثير بمعونة المقام، وهذا المعنى ما عليه الآية التي بين أيدينا، فالقصد إلى أن الله قد علم علماً شاملاً كاشفاً لاخفاء معه. وهذا التكثير تراه مع «ربما» في قول الله ـ تعالى ـ ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر: ٤] وقد شرح الزمخشري وأبو السعود هذا المعنى كل في كتابه وبلغة من شعر العرب، وقد سلك القرآن هذا المعنى الدقيق، لأنه بلسان عربي مبين.
ومعنى التكثير هذا ما عرفه المفسر العلامة وشرحه عند قول الله ـ سبحانه ـ: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤] فإذا كان الله مالكاً لما في السموات والأرض فكيف لا يعلم؟ بل إنه عليم بكل شيء ومحيط علمه ولا تخفى عليه خافية، وبهذا تكون «قد» للتوكيد على معنى العلم، ويتبعه توكيد الوعيد وهذه طريقة عربية صافية يقول زهير [من الطويل]:

أخو ثقة لا تهلك الخمرُ ماله ... ولكنه قد يهلِكُ المالَ نائلُه

فالكرم العربي، والضيافة يهلك المال بالتحقيق، فجاءت «قد» لتفيد هذا المعنى ولهذا الحرف معانٍ أخرى تنظر في مواطنها من كتب النحاة.
ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ومن حاشية الأمير ١/١٣٦ وما بعدها، والبلاغة القرآنية، لأبي موسى ٢٩٤ وما بعدها، والإكسير في علم التفسير للطوفي ٢٤١ تحقيق د/ عبد القادر حسين ـ نثر الآداب ـ ط ـ المطبعة النموذجية.

(٢) قال محمود: «قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله: ولكنه قد يهلك =

أَخُـو ثِـقَـةٍ لاَ تُـهْـلِـكُ الْـخَـمْـرُ مَـالَـهُ وَلَـكِـنَّـهُ قَـدْ يُـهْـلِـكُ الْـمَـالَ نَـائِـلُـهْ[1]

والهاء في ﴿إِنَّهُۥ﴾: ضمير الشأن، ﴿لَيَحْزُنُكَ﴾، قرىء: بفتح الياء، وضمها، و﴿ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾: هو قولهم: «ساحر كذاب» ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾، قرىء: بالتشديد، والتخفيف، من: كذبه، إذا جعله كاذباً في زعمه[2]، وأكذبه إذا وجده كاذباً، والمعنى: أن تكذيبك أمر

= المال نائله» قال أحمد: ومثلها في قوله ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ فإنه يكثر علمهم برسالته ويؤكده بظهور آياته، حتى يقيم عليهم الحجة في جمعهم بين متناقضين: أذيته، ورسوخ علمهم برسالته، والله أعلم. ومنه أيضاً قوله:

قـد أتـرك الـقـرن مـصـفـراً أنـامـلـه

والغرض التعبير عن المعنى بما يشعر بعكسه، تنبيهاً على أنه بلغ الآية التي ما بعدها إلا الرجوع إلى الضد. وذلك من لطائف لغة العرب وغرائبها [من الطويل]:

(١) أخـو ثـقـة لا تـهـلـك الـخـمـر مـالـه ولـكـنـه قـد يـهـلـك الـمـال نـائـلـه
تـراه إذا مـا جـئـتـه مـتـهـلـلاً كـأنـك تـعـطـيـه الـذي أنـت سـائـلـه
ولـو لـم يكـن في كـفـه غـيـر نـفـسـه لـجـاد بـهـا فـلـيـتـق الله سـائـلـه
فمن مثل حصن في الحروب ومثله لإنـكـار ضـيـم أو لـخـصـم يـحـاولـه

لزهير بن أبي سلمى يمدح حصن بن أبي حذيفة. والثقة من وثق، كالعدة من وعد. وإن كان الفعل الأول مكسوراً والثاني مفتوحاً، فأصلها «وثق» حذفت الواو وخلفتها التاء، والمراد بها ما يتوثق به، أو المصدر هو التوثق، أي هو ملازم لما يتوثق به من مكارم الأخلاق، لا ينفك عنه كأنه أخوه أو ملازم للتوثق به. وإسناد الإهلاك إلى الخمر مجاز عقلي، لأنه سببه، وكذلك إسناده إلى النائل، أي العطاء. و«قد» هنا للتكثير، وإلا لم يكن مدحاً، تراه متهللاً مستبشر الوجه إذا جئته سائلاً، فكأنك تعطيه المال الذي أنت طالبه منه. وبالغ في وصفه الكرم حتى أنه يجود بروحه إن لم يملك غيرها، وبنى على ذلك أمر سائله بالتقوى من الله، لئلا يأخذ روحه فيميته. فسائله الأول مضاف لمفعوله الثاني. والثاني مضاف للأول. وقوله «فمن» استفهام إنكاري، أي ما مثله أحد في الحروب، وما مثله أحد معد لإنكار الظلم وإبائه والمحاولة والمعالجة والطلب. وضمير يحاوله للضيم، أو لحصن، أو لمن. ويروى الشعر برواية أخرى، على أنه وصف لمعن بن زائدة وهي [من الطويل]:

يـقـولـون مـعـن لا زكـاة لـمـالـه وكـيـف يـزكـي الـمـال مـن هـو بـاذلـه
إذا حـال حـول لـم تـجـد فـي ديـاره مـن الـمـال إلا ذكـره وجـمـائـلـه
تـراه إذا مـا جـئـتـه مـتـهـلـلاً كـأنـك تـعـطـيـه الـذي أنـت نـائـلـه
تـعـود بـسـط الـكـف حـتـى لـو انـه أراد انـقـبـاضـاً لـم تـطـعـه أنـامـلـه
فـلـو لـم يـكـن.......... .... الـبـيـت

ورفع جمائله، ذهاباً إلى المعنى، لأن المعنى لم يبق إلا جمائله ونائله: آخذه منه، وبسط الكف: كناية عن كثرة الكرم. وأنامله: أجزاء أصابعه.

ينظر ديوانه (١٤١)، والدر المصون (٣/٤٧).

(٢) عاد كلامه. قال: «وقرئ يكذبونك بالتشديد والتخفيف من كذبه إلى قوله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾... إلخ»، قال أحمد: وفي هذا النوع من إقامة الظاهر مقام المضمر فنان من نكت البيان، إحداهما: =

راجع إلى الله؛ لأنك رسوله المصدق بالمعجزات، فهم لا يكذبونك في الحقيقة؛ وإنما يكذبون الله بجحود آياته، فاله عن حزنك لنفسك، وإن هم كذبوك وأنت صادق، وليشغلك عن ذلك ما هو أهمّ، وهو استعظامك بجحود آيات الله ـ تعالى ـ والاستهانة بكتابه، ونحوه قول السيد لغلامه ـ إذا أهانه بعض الناس ـ: إنهم لم يهينوك، وإنما أهانوني، وفي هذه الطريقة قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، وقيل: فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم، ولكنهم يجحدون بألسنتهم، وقيل: فإنهم لا يكذبونك؛ لأنك عندهم الصادق، الموسوم بالصدق، ولكنهم يجحدون بآيات الله.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ يسمى الأمين» (٥٨٢) فعرفوا أنه لا يكذب في شيء، ولكنهم كانوا يجحدون، وكان أبو جهل يقول: «ما نكذبك؛ لأنك عندنا صادق، وإنما نكذب ما جئتنا به».

وروي أنّ الأخنس بن شريق قال لأبي جهل: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؛ فإنه ليس عندنا أحد غيرنا؟ فقال له: والله إن محمداً لصادق/ ٢١٤ب، وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصيّ باللواء والسقاية والحجابة والنبوّة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فنزلت.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ﴾: من إقامة الظاهر مقام المضمر؛ للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ﴾: تسلية لرسول الله ـ ﷺ ـ[1] وهذا دليل على أن قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا

---

٥٨٢ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أجده عنه. وفي الطبقات من حديث يعلى بن أمية قال: بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة، وليس له بمكة اسم إلا الأمين. ورواه أيضاً من حديث علي بن أبي طالب نحوه. انتهى.

= الإسهاب في ذمهم وهذه النكتة يستقل بها الظاهر من حيث كونه ظاهراً، حتى لو كان لقباً جامداً، والأخرى زيادة منه تؤكد ذمهم، تفهم من اشتقاق الظاهر.

(١) عاد كلامه. قال: «وقوله ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية... إلخ» قال أحمد: ولا دلالة فيه لأنه مؤتلف مع نفي التكذيب أيضاً، وموقعه حينئذ من الفضيلة أبين، أي هؤلاء لم يكذبوك فحقك أن =

﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾: ليس بنفي لتكذيبه؛ وإنما هو من قولك لغلامك: ما أهانوك، ولكنهم أهانوني، ﴿عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟﴾: على تكذيبهم، وإيذائهم، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: لمواعيده من قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧١، ١٧٢]، ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٣٥) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦)﴾

كان يكبر على النبي - ﷺ - كفر قومه، وإعراضهم عما جاء به؛ فنزل: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الشعراء: ٣]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: منفذاً تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض، حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها، ﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم﴾: منها، ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: فافعل، يعني: أنك لا تستطيع ذلك، والمراد: بيان حرصه على إسلام قومه، وتهالكه عليه، وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض، أو من فوق السماء، لأتى بها؛ رجاء إيمانهم.

وقيل: كانوا يقترحون الآيات، فكان يودّ أن يجابوا إليها؛ لتمادي حرصه على إيمانهم، فقيل له: إن استطعت ذلك فافعل؛ دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله، حتى يأتيهم بما اقترحوا من الآيات لعلهم يؤمنون، ويجوز أن يكون ابتغاء النفق في الأرض، أو السلم في السماء، هو الإتيان بالآيات؛ كأنه قيل: لو استطعت النفوذ إلى ما تحت الأرض، أو الرقي إلى السماء لفعلت؛ لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها، وحذف جواب: «أن» كما تقول: «إن شئت أن تقوم بنا إلى فلان نزوره»، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: بأن يأتيهم بآية ملجئة، ولكنه لا يفعل؛ لخروجه عن الحكمة، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه[1]، ﴿إِنَّمَا

= تصبر عليهم ولا يحزنك أمرهم، وإذا كان من قبلك من الأنبياء قد كذبهم قومهم فصبروا عليهم، فأنت إذ لم يكذبوك أجدر بالصبر. فقد ائتلف كما ترى بالتفسيرين جميعاً، ولكنه من غير الوجه الذي استدل به فيه تقريب لما اختاره: وذلك أن مثل هذه التسلية قد وردت مصرحاً بها في نحو قوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فسلاه عن تكذيبهم له بتكذيب غيرهم من الأمم لأنبيائهم وما هو إلا تفسير حسن مطابق للواقع مؤيد بالنظائر، والله أعلم.

(١) قال محمود: «بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه»قال أحمد: وهذه الآية أيضاً كافلة بالرد على القدرية في زعمهم أن الله تعالى شاء جمع الناس كلهم على الهدى فلم يكن. ألا ترى أن الجملة مصدرة =

﴿يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ يعني: أن الذين تحرص على أن يصدّقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون؛ وإنما يستجيب من يسمع؛ كقوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾: مثل لقدرته على إلجائهم إلى الاستجابة بأنه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: للجزاء، فكان قادراً على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالإيمان، وأنت لا تقدر على ذلك، وقيل: معناه: وهؤلاء الموتى ـ يعني الكفرة ـ يبعثهم الله، ثم إليه يرجعون، فيحنئذ/ ٢١٥أ يسمعون، وأما قبل ذلك؛ فلا سبيل إلى استماعهم[١].

وقرىء: «يَرجعون»، بفتح الياء.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾: نزل بمعنى: أنزل، وقرىء: «أن ينزل» بالتشديد والتخفيف، وذكر الفعل والفاعل مؤنث؛ لأن تأنيث آية غير حقيقي، وحسن للفصل، وإنما قالوا ذلك مع تكاثر ما أنزل من الآيات على رسول الله ـ ﷺ ـ لتركهم الاعتداد بما أنزل عليه، كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات عناداً منهم، ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾: تضطرهم إلى الإيمان، كنتق الجبل على بني إسرائيل ونحوه، أو آية إن جحدوها جاءهم العذاب، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ الله قادر على أن ينزل تلك الآية، وأن صارفاً من الحكمة يصرفه عن إنزالها.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾: مكتوبة أرزاقها، وآجالها، وأعمالها كما كتبت أرزاقكم، وآجالكم، وأعمالكم، ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾: ما تركنا، وما أغفلنا، ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في اللوح المحفوظ، ﴿مِن شَىْءٍ﴾: من ذلك لم نكتبه، ولم نثبت ما وجب أن يثبت مما يختص به، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾؛ يعني: الأمم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض، كما

= بلو، ومقتضاها امتناع جوابها لامتناع الواقع بعدها، فامتناع اجتماعهم على الهدى إذن إنما كان لامتناع المشيئة، فمن ثم ترى الزمخشري يحمل المشيئة على قهرهم على الهدى بآية ملجئة لا يكون الإيمان معها اختياراً، حتى يتم له أن هذا الوجه من المشيئة لم يقع، وإن مشيئه اجتماعهم على الهدى على اختيار منهم ثابتة غير ممتنعة ولكن لم يقع متعلقها، وهذه من خباياه ومكامنه فاحذرها، والله الموفق.

(١) قوله «إلى استماعهم» لعله: إسماعهم.

روي أنه يأخذ للجماء من القرناء.

فإن قلت: كيف قيل: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ﴾ مع إفراد الدابة والطائر؟

فإن قلت: لما كان قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾: دالاً على معنى الاستغراق ومغنياً عن أن يقال: وما من دواب ولا طير، حمل قوله: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ﴾ على المعنى.

فإن قلت: هلا قيل: وما من دابة ولا طائر[1] إلا أمم أمثالكم؟ وما معنى زيادة قوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾، و﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾.

قلت: معنى ذلك: زيادة التعميم والإحاطة، كأنه قيل: وما من دابة فقط في جميع الأرضين السبع، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، محفوظة أحوالها، غير مهمل أمرها.

فإن قلت: فما الغرض في ذكر ذلك؟

قلت: الدلالة على عظم قدرته، ولطف علمه، وسعة سلطانه، وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس، المتكاثرة الأصناف، وهو حافظ لما لها وما عليها، مهيمن على أحوالها، لا يشغله شأن عن شأن، وأنّ المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان.

وقرأ ابن أبي عبلة: «ولا طائر» بالرفع على المحل، كأنه قيل: وما دابة ولا طائر.

وقرأ علقمة: «ما فرطنا»، بالتخفيف.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾

فإن قلت: كيف أتبعه قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؟

---

(١) قال محمود: «إن قلت هلا قيل: وما من دابة ولا طائر... إلخ» قال أحمد: ولم يبين وجه زيادتها للتعميم. وقائل أن يقول: يلزم من العموم في أجناس الطير دخول كل طائر في الجو في العموم وإن لم يذكر في الجو، وكذلك يوم من عموم الدواب في سائر أصنافها أن يندرج في ذلك كل دابة في الأرضين وإن لم يذكر في الأرض، فلا بد من بيان وجه الزيادة فنقول: موقع قوله ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ موقع الوصف العام. وصفة العام عامة ضرورة المطابقة، فكأنه مع زيادة الصفة تظافرت صفتان عامتان، والله أعلم.

قلت: لما ذكر من خلائقه، وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته، وينادي على عظمته.

قال: والمكذبون: ﴿صُمٌّ﴾، لا يسمعون كلام المنبه، ﴿وَبُكْمٌ﴾: لا ينطقون بالحق، خابطون في ظلمات الكفر، فهم غافلون عن تأمل ذلك، والتفكر فيه، ثم قال: إيذاناً بأنهم من أهل الطبع[1]، ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ أي: يخذله، ويخله، وضلاله لم يلطف به[2]؛ لأنه ليس من أهل اللطف، ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ / ٢١٥ ب ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾أي: يلطف به؛ لأنّ اللطف يجدي عليه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾: أخبروني، والضمير الثاني لا محل له من الإعراب؛ لأنك تقول: أرأيتك زيداً، ما شأنه؟ فلو جعلت للكاف محلاً، لكنت كأنك تقول: أرأيت نفسك زيداً ما شأنه؟ وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف، تقديره: إن أتاكم عذاب الله[3]، ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: من تدعون، ثم بكتهم بقوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾، بمعنى: أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم، إذا أصابكم ضرّ، أم تدعون الله دونها، ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾: بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة، ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: ما تدعونه إلى كشفه، ﴿إِن شَآءَ﴾: إن أراد أن يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة، ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾: وتتركون آلهتكم[4]، أو لا تذكرونها في ذلك الوقت؛ لأنّ أذهانكم في ذلك الوقت مغمورة

---

(١) قوله «إيذاناً بأنهم من أهل الطبع» أي الختم على القلوب. وقوله «أي يخذله... إلخ» فسر الإضلال بذلك، لأنه تعالى لا يخلق الشر عند المعتزلة، أما عند أهل السنة فيخلق الشر كالخير، فالإضلال على ظاهره عندهم بمعنى خلق الضلال في القلب.

(٢) قال محمود: «معنى يضلله يخذله ولم يلطف به... إلخ» قال أحمد: وهذا من تحريفاته للهداية والضلالة اتباعاً لمعتقده الفاسد؛ أن الله ـ تعالى ـ لا يخلق الهدى ولا الضلال، وأنهما من جملة مخلوقات العباد. وكم تخرق عليه هذه العقيدة فيروم أن يرقعها، وقد اتسع الخرق على الراقع، والله الموفق. هو لا يدع أن يحجر واسعاً فيوجب على الله رعاية المصالح بناء على القاعدة الفاسدة من مراعاة الصلاح والأصلح.

(٣) قال محمود: «متعلق الاستخبار محذوف تقديره ... إلخ»

(٤) عاد كلامه. قال: «وتنسون ما تشركون: أي وتتركون آلهتكم... إلخ» قال أحمد: وإنما يلقى الاختصاص حيث يقول: معناه أتخصون آلهتكم، ثم قال: بل تخصون الله بالدعاء من حيث تقدم المفعول على الفعل في قوله ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ وقوله ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ وتقديم المفعول عنده يفيد الاختصاص والحصر. وقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ في قوة قولك: لا نعبد إلا إياك. وقد مضى الكلام عليه.

بذكر ربكم وحده؛ إذ هو القادر على كشف الضر دون غيره، ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾[1]؛ كأنه قيل: أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله[2].

فإن قلت: إن علقت الشرط به فما تصنع بقوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ مع قوله: ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾، وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين؟

قلت: قد اشترط في الكشف المشيئة، وهو قوله: ﴿إِن شَآءَ﴾؛ إيذاناً بأنه إن فعل، كان له وجهه من الحكمة، إلا أنه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه.

---

(١) عاد كلامه. قال: «ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون... إلخ» قال أحمد: ولقد سدد النظر لولا أنه نغص ذلك بما يفهم وجوب مراعاة المصالح. وأن مشيئة الله ـ تعالى ـ تابعة للمصلحة، وقد تقدم آنفاً فاحذره. وعليك بما سواه فإنه من بديع النظر، والله الموفق.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا يجوز أن يتعلق الشرط بقوله: «أَغَيْرَ اللَّهِ»، لأنه لو تعلق به لكان جواباً له، لكنه لا يقع جواباً، لأن جواب الشرط إذا كان استفهاماً بالحرف لا يقع إلا بـ «هل»، وذكر ما قدمته إلى آخره، وعزاه الأخفش عن العرب. ثم قال: ولا يجوز أيضاً من وجه آخر، لأنا قد قررنا أن «أرأيتك» متعدية إلى اثنين ـ أحدهما في هذه الآية: محذوف، وأنه من باب التنازع، والآخر: وقعت الجملة الاستفهامية موقعه، فلو جعلتها جواب الشرط، لبقيت «أرأيتكم» متعدية إلى واحد، وذلك لا يجوز». قُلْتُ: وهذا لا يلزم الزمخشري، فإنه لا يرتضي ما قاله من الإعراب المشار إليه. قوله: يلزم تعديها لواحد. «قلنا: لا نسلم بل يتعدى لاثنين محذوفين، ثانيهما: جملة استفهام، كما قدره غيره بـ «أرأيتكم عبادتكم هل تنفعكم»؟ ثم قال وأيضاً التزام العرب في الشرط الجائي بعد أرأيت مضي الفعل دليل على أن جواب الشرط محذوف، لأنه لا يحذف جواب الشرط إلاّ عند مضي فعله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ﴾، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُهُۥ﴾، ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ إلى غير ذلك من الآيات، وقال الشاعر [من الرجز]:

أَرَيْــتَ إنْ جَــاءَتْ بِــهِ أُمْــلُــودَا

وأيضاً مجيء الجمل الاستفهامية مصدرة بهمزة الاستفهام دليل على أنها ليست جواب الشرط، إذ لا يصح وقوعها جواباً للشرط انتهى». ولما جوز الزمخشري أن الشرط متعلق بقوله: «أَغَيْرَ اللَّهِ» سأل سؤالاً، وأجاب عنه، قال: فإنْ قُلْتَ: إنْ علقت الشرط به، فما تصنع بقوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ مع قوله: ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾، وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين؟ قُلْتُ: قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله: «إنْ شَاءَ» إيذاناً بأنه إنْ فعل كان له وجه من الحكمة، إلاّ أنه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه. «قال الشيخ: وهذا مبني على أن الشرط متعلق بـ «أَغَيْرَ اللَّهِ»، وقد استدللنا على أنه لا يجوز». قُلْتُ: ترك الشيخ التنبيه على ما هو أهم من ذلك، وهو قوله: إلاّ أنه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه»، وهذا أصل فاسد من أصول المعتزلة يزعمون أن أفعاله تعالى تابعة لمصالح وحكم، يترجح مع بعضها الفعل، ومع بعضها الترك، ومع بعضها يجب الفعل، أو الترك، تعالى الله عن ذلك، بل أفعاله لا تعلل بغرض من الأغراض، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ وموضوع هذه المسألة غير هذا الموضوع. انتهى. الدر المصون.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

البأساء، والضراء: البؤس، والضر، وقيل: البأساء: القحط والجوع، والضراء: المرض، ونقصان الأموال والأنفس، والمعنى: ولقد أرسلنا إليهم الرسل فكذبوهم فأخذناهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: يتذللون، ويتخشعون لربهم، ويتوبون عن ذنوبهم، ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ معناه: نفي التضرع؛ كأنه قيل: فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا، ولكنه جاء بـ «لولا»؛ ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم، وقسوة قلوبهم، وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم، ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾: من البأساء والضراء، أي: تركوا الاتعاظ به، ولم ينفع فيهم، ولم يزجرهم، ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾: من الصحة، والسعة، وصنوف النعمة؛ ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء، كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارة، ويلاطفه أخرى؛ طلباً لصلاحه، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾: من الخير والنعم، لم يزيدوا على الفرح والبطر، من غير انتداب لشكر، ولا تصدّ لتوبة واعتذار، ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾: واجمون[١]، متحسرون، آيسون، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾: آخرهم لم يترك منهم أحد، قد استؤصلت شأفتهم[٢]، ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة[٣]، وأنه من أجلِّ/ ٢١٦أ النعم، وأجزل القسم.

وقرىء: ﴿فَتَحْنَا﴾ بالتشديد.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

---

(١) قوله: «واجمون» في الصحاح «الواجم» الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام.

(٢) قوله: «شأفتهم» قرحة تخرج من أسفل القدم فتكوى فتذهب. ثم ضربت مثلاً في الاستئصال، أورده الصحاح.

(٣) قال محمود: «الحمد ههنا إيذان بوجوب الحمد عند هلاك... إلخ» قال أحمد: ونظيرها قوله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾، ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ فيمن وقف ههنا وجعل الحمد على إهلاك المتقدم ذكرهم من الطاغين. ومنهم من وقف على المنذرين وجعل الحمد متصلاً بما بعده من إقامة البراهين على وحدانية الله تعالى، وأنه جل جلاله خير مما يشركون، فعلى الأول يكون الحمد حتماً، وعلى الثاني فاتحة، وهو مستعمل فيهما شرعاً، ولكنه في آية النمل أظهر في كونه مفتتحاً لما بعده، وفي آية الأنعام ختم لما تقدمه ختماً، إذ لا يقتضي السياق غير ذلك، والله أعلم.

﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾: بأن يصمكم، ويعميكم، ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾: بأن يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم، ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ أي: يأتيكم بذاك؛ إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة، أو بما أخذ وختم عليه، ﴿يَصْدِفُونَ﴾: يعرضون عن الآيات بعد ظهورها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

لما كانت البغتة أن يقع الأمر من غير أن يشعر به، وتظهر أماراته، قيل: ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾، وعن الحسن: ليلاً أو نهاراً.

وقرىء: «بغتة أو جهرة»[1]، ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ أي: ما يهلك هلاك تعذيب، وسخط إلا الظالمون.

وقرىء: «هل يهلك» بفتح الياء.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: من آمن بهم، وبما جاءوا به، وأطاعهم، ومن كذبهم، وعصاهم، ولم يرسلهم؛ ليتلهى بهم، ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة، ﴿وَأَصْلَحَ﴾: ما يجب عليه إصلاحه مما كلف.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

جعل العذاب ماسًّا، كأنه حيّ يفعل بهم ما يريد من الآلام، ومنه قولهم: لقيت منه الأمرّين والأقورين[2]؛ حيث جمعوا جمع العقلاء، وقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ **[الفرقان: ١٢]**.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

أي: لا أدعي ما يستبعد في العقول[3]، أن يكون لبشر من ملك خزائن الله ـ وهي

---

(١) قوله: «بغتة أو جهرة» كذا في أبي السعود والبيضاوي. وفي بعض نسخ هذا الكتاب بغتة أو جهرة، وكتب عليه: أي بتحريك الغين والهاء. اهـ.

(٢) قوله: «الأمرين والأقورين» الأمرين ـ بنون الجمع ـ: الدواهي. والأقورين ـ بكسر الراء ـ: الدواهي العظام، كذا في الصحاح.

(٣) قال محمود: «أي لا أدعي ما يستبعد في العقول... إلخ» قال أحمد رحمه الله: هو ينبني على القاعدة المتقدمة له في تفضيل الملائكة على الأنبياء. ولعمري إن ظاهر هذه الآية يؤيده، فلذلك انتهز الفرصة في الاستدلال بها ولمخالفه أن يقول: إنما وردت الآية ردا على الكفار في قولهم ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ =

قسمة بين الخلق وإرزاقه ـ وعلم الغيب، وأني من الملائكة الذين هم أشرف جنس[١]، خلقه الله ـ تعالى ـ وأفضله، وأقربه منزلة منه، أي: لم أدّع إلهية ولا ملكية؛ لأنه ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة، حتى تستبعدوا دعواي، وتستنكرونها؛ وإنما أدّعي ما كان مثله لكثير من البشر، وهو النبوّة، ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: مثل للضالّ والمهتدي[٢]، ويجوز أن يكون مثلاً لمن اتبع ما يوحى إليه، ومن لم يتبع، أو من ادّعى المستقيم؛ وهو النبوة، والمحال؛ وهو الإلهية أو الملكية، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾: فلا تكونوا ضالين أشباه العميان، أو فتعلموا أني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر، أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى إليّ مما لا بدّ لي منه.

فإن قلت: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ما محله من الإعراب؟

قلت: النصب عطفاً على قوله: ﴿عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾؛ لأنه من جملة المقول؛ كأنه قال: «لا أقول لكم هذا القول؛ ولا هذا القول».

إِلَيْهِ كَنزٌ . . . الآية﴾ فرد قولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، بأنه بشر وذلك شأن البشر، ولم يدع أنه ملك حتى يتعجب من أكله للطعام، وحينئذ لا يلزم منها تفضيل الملائكة على الأنبياء لأنه لا خلاف أن الأنبياء يأكلون الطعام وأن الملائكة ليسوا كذلك، فالتفرقة بهذا الوجه متفق عليها، ولا يوجب ذلك اتفاقاً على أن الملائكة أفضل من الأنبياء. وكذلك رد قولهم. أو يلقى إليه كنز، بأنه لا يملك خزائن الله تعالى حتى يأتيهم بكنز منها على وفق مقترحهم، ولا قال لهم ذلك حتى يقام عليه الحجة به. وهذه الآية جاء الترتيب فيها مخالفاً لترتيب قوله ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ قال الزمخشري: لأنهم أعلى من الأنبياء، وقد أخر ههنا دعوى الملكية عن دعوى الإلهية، إذ الإلهية أجل وأعلى، والملكية أدنى، ولا محل لذلك إلا التمهيد الذي أسلفته وقد جعلت الأمر في التقديم والتأخير تبعاً للسياق، فقد تقتضي البلاغة في بعضه عكس ما تقتضيه في الآخر. ولم يحسن الزمخشري في قوله: ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة، فإنه جعل الإلهية من جملة المنازل كالملكية. ومثل هذا الإطلاق لا يسوغ. والمنزلة عبارة عن المحل الذي ينزل الله فيه العبد من علو وغيره، فإطلاقها على الإلهية تحريف، والله الموفق للصواب.

(١) قوله: «من الملائكة الذين هم أشرف جنس» أي عند المعتزلة. أما عند أهل السنة، فالبشر أشرف، على ما تقرر في التوحيد.

(٢) عاد كلامه. قال: «والأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي. . . إلخ»، قال أحمد: قوله أو ادعى المحال يعني المستحيل، ولذلك قابله بالمستقيم يريد الممكن، وذلك مسبب عن دعوى الإلهية، إذ ادعاؤها لا يجوز عقلاً. وأما مدعي الملكية فلايقاس بمدعي الإلهية في الاستحالة العقلية. ويجوز في القدرة أن يجعل البشر ملكاً والملك بشراً، كما يجوز أن يجعل البشر أنبياء. ويدل على هذا الجواز قوله ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ هذا مع أن العقل يجيزه في قدرة الله تعالى؛ لأن الجواهر متماثلة، والمعاني القائمة ببعضها يجوز أن تقوم بكلها فالمعاني التي بها كان الملك ملكاً يجوز أن يخلقها الله تعالى للبشر وبالعكس. وعدم وقوعه لا يأبى استقامته وإمكانه، والله الموفق.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾: الضمير راجع إلى قوله: ﴿مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾، و﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾: إمّا قوم داخلون في الإسلام، مقرّون بالبعث، إلا أنهم مفرطون في العمل[1]، فينذرهم بما يوحى إليه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يدخلون في زمرة المتقين من المسلمين.

وإمّا أهل الكتاب؛ لأنهم مقرّون بالبعث.

وإما ناس من المشركين علم من حالهم؛ أنهم يخافون إذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقًّا فيهلكوا، فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الإنذار؛ دون المتمرّدين منهم، فأمر أن ينذر هؤلاء.

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾: في موضع الحال من يحشروا، بمعنى: يخافون أن يحشروا غير منصورين، ولا مشفوعاً لهم، ولا بدّ من هذه/ ٢١٦ب الحال؛ لأن كلاً محشور، فالمخوف إنما هو الحشر على هذه الحال.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

ذكر غير المتقين من المسلمين، وأمر بإنذارهم؛ ليتقوا، ثم أردفهم ذكر المتقين منهم،

---

(١) قال محمود: «الذين يخافون إما قوم آمنوا إلا أنهم مفرطون. . . إلخ» قال أحمد: وإنما كانت هذه الحال لازمة لو قيل: وأنذر به الذين يحشرون؛ لأنه لولا الحال لعم الأمر بالإنذار كل أحد والمقصود تخصيصه بالبعض. وأما وقد قيل ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فهذا الكلام مستقل برأسه. ومضمونه تخصيص الإنذار المأمور به بالقوم الخائفين من البعث، إما لأنهم مقرون به. وإما لأنهم يحتاطون لأنفسهم فيحملهم الخوف على النظر المفضي إلى اليقين، دون العتاة المصممين على الجحد وليس كل خائف من البعث لا شفيع له، فإن الموحدين أجمعين خائفون وهم مشفوع لهم، وإن عني باللازمة التي لا ينفك ذو الحال عنها، كالتي في قوله ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ قائماً هو حينئذ يبني على قاعدته في إنكار الشفاعة، فكل خائف عنده لا شفيع له إذ لا يخاف إلا أصحاب الكبائر غير التائبين أو الكفار. والكل عنده سواء لا شفيع لهم. وحيث أثبتت الشفاعة، جعلها خاصة بزيادة الثواب، فلا ينالها إلا من يستوجب على زعمه الثواب بعمله الصالح، وتكون الشفاعة مفيدة للمزيد على ما يرضيه. فهذا عنده لا يخاف من البعث، لأنه يستوجب الجنة. فمن ثم جعل الحال لازمة إذ الناس قسمان: غير خائف، فلا تتناوله الآية. وخائف، فذاك إنما خاف لأنه استوجب العقاب فلا شفاعة تناله. وهذه من دفائنه الخفية، ومكامنه المزوية، فتفطن لها، والله الموفق برحمته.

وأمره بتقريبهم وإكرامهم، ألاَّ يطيع فيهم من أراد بهم خلاف ذلك، وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم، أي: عبادته، ويواظبون عليها، والمراد بذكر الغداة والعشي: الدوام.

وقيل معناه: يصلون صلاة الصبح والعصر، ووسمهم بالإخلاص في عبادتهم بقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾، والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته، روي أن رؤوساً من المشركين قالوا لرسول الله ـ ﷺ ـ: لو طردت عنا هؤلاء الأعبد؛ يعنون: فقراء المسلمين، وهم: عمار، وصهيب، وبلال، وخباب، وسلمان، وأضرابهم ـ رضوان الله عليهم ـ وأرواح جبابهم ـ وكانت عليهم جباب من صوف ـ جلسنا إليك وحادثناك، فقال عليه الصلاة والسلام: «مَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ»، فَقَالُوا: فَأَقِمْهُمْ عَنَّا إِذَا جِئْنَا، فَإِذَا قُمْنَا، فَأَقْعِدْهُمْ مَعَكَ إِنْ شِئْتَ، فَقَالَ: «نَعَمْ»؛ طَمَعاً فِي إِيْمَانِهِمْ، (٥٨٣) وروي أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: لو فعلت حتى ننظر إلى ما يصيرون، قال: فاكتب بذلك كتاباً، فدعا بصحيفة، وبعليّ ـ رضي الله عنه ـ ليكتب؛ فنزلت، فرمى بالصحيفة، واعتذر عمر من مقالته[1].

قال سلمان وخباب: فينا نزلت، فكان رسول الله ـ ﷺ ـ يقعد معنا، ويدنو منا حتى تمس ركبتنا ركبته، وكان يقوم عنا إذا أراد القيام؛ فنزلت[2]: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــ

٥٨٣ ـ أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٨٢): كتاب الزهد: باب مجالسة الفقراء، حديث (٤١٢٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٤٦ ـ ١٤٧)، والبيهقي في شُعَبِ الإيمان (٧/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) رقم (١٠٤٩٤).
قال الحافظ:
رواه البيهقي في الشُّعَب في أواخره، والواحدي في الأسباب من رواية أبي مشجعة بن ربعي عن سلمان قال: «جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ: عُيينة بن بدر والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم، يعنون: أبا ذر وسلمان وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها ـ جلسنا إليك، وحادثناك وأخذنا عنك. فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ـ إلى قوله ـ لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا﴾، فقام النبي ﷺ يلتمسهم... الحديث»، ولابن ماجه وابن أبي شيبة والطبراني وأبو نعيم في ترجمة خباب. وإسحاق وأبو يعلى والبزار والبيهقي أيضاً، والواحدي من طريق أبي الكنود عن خباب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ ـ الآية ـ إلى: ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ قال: جاء الأقرع وعُيينة فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب، قاعداً في ناس من ضعفاء المؤمنين. فذكره مطولاً. انتهى.

---

(١) قلت: هو في حديث خباب المذكور آنفاً دون مشورة عمر. واعتذاره.
(٢) قلت أما حديث خباب فمن أوله إلى قوله: «أن تقوم» في حديثه المذكور آنفاً. وأما حديث سلمان =

رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨] فترك القيام عنا إلى أن نقوم عنه، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي، معكم المحيا، ومعكم الممات، ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾؛ كقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء: ١١٣]، وذلك أنهم طعنوا في دينهم وإخلاصهم، فقال: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ بعد شهادته لهم بالإخلاص، وبإرادة وجه الله في أعمالهم على معنى: وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله، فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر، والاتسام بسيمة[1] المتقين، وإن كان لهم باطن غير مرضي، فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعدّاهم إليك، كما أن حسابك عليك لا يتعدّاك إليهم؛ كقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

فإن قلت: أما كفى قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ حتى ضم إليه: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾؟

قلت: قد جعلتِ الجملتان بمنزلة جملة واحدة، وقصد بهما مؤدى واحد، وهو المعنى في قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، ولا يستقل بهذا المعنى إلا الجملتان جميعاً؛ كأنه قيل: لا تؤاخذ أنت، ولا هم بحساب صاحبه[2].

= فقد ذكرته أولاً. وأما قوله: «وقال الحمد لله... إلى آخره» فهو في حديث سلمان وحده.

(١) قوله: «بسيمة» لعله «بسمة».

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: قوله: لا تؤاخذ أنت... إلى آخره، تركيب غير عربي، لا يجوز عود الضمير هنا غائباً، ولا مخاطباً، لأنه إن عاد غائباً فلم يتقدم له اسم مفرد غائب يعود عليه، إنما تقدم قوله: «هُمْ» ولا يمكن العود عليه على اعتقاد الاستغناء بالمفرد عن الجمع، لأنه يصير التركيب: بحساب صاحبهم، وإن أعيد مخاطباً فلم يتقدم مخاطب يعود عليه، إنما تقدم قوله: لا تؤاخذ أنت، ولا يمكن العود إليه، فإنه ضمير مخاطب، فلا يعود عليه غائباً، ولو أبرزته مخاطباً لم يصحَّ التركيب أيضاً، فإصلاح التركيب أن يقال: لا يؤاخذ كل واحد منك، ولا منهم بحساب صاحبه، أو لا تؤاخذ أنت بحسابهم، ولا هم بحسابك، أو لا تؤاخذ أنت ولا هم بحسابكم، فتغلب الخطاب على الغيبة، كما تقول: «أنت وزيد تضربان». والذي يظهر أن كلام الزمخشري صحيح، ولكن فيه حذف، وتقديره: لا يؤاخذ كل واحد، أنت، ولا هم بحساب صاحبه. وتكون: أنت ولا هم بدلاً من كل واحد، والضمير في صاحبه عائد على قوله: «كل واحد». ثم إنه وقع في محذور آخر مما أصلح به كلام أبي القاسم، وذلك أنه قال: أو لا تؤاخذ أنت، ولا هم بحسابكم. وهذا التركيب يحتمل أن يكون المراد، بل هو الظاهر نفي المؤاخذة، بحساب كل واحد بالنسبة إلى نفسه هو، لا أن كل واحد غير مؤاخذ بحساب غيره، والمعنى الثاني هو المقصود. والضمائر الثلاثة - أعني التي في قوله: «مِنْ حِسَابِهِمْ» و «عَلَيْهِم» و «فَتَطْرُدَهُمْ» الظاهر عودها على نوع واحد، وهم: «الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ»، وبه قال الطبري، إلا أنه فسر «الحساب» بالرزق الدنيوي. وقال الزمخشري، وابن عطية: إنَّ الضميرين الأولين يعودان على المشركين، والثالث يعود على الداعين.
قال الشيخ: وقيل: الضمير في «حِسَابِهِمْ»، و «عَلَيْهِمْ» عائد على المشركين، وتكون الجملتان =

وقيل: الضمير للمشركين، والمعنى: لا يؤاخذون بحسابك، ولا أنت بحسابهم، حتى يهمك إيمانهم، ويحرّك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين، ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾: جواب النفي، ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: جواب النهي، ويجوز أن يكون عطفاً على ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾/ ٢١٧ أ، على وجه التسبيب؛ لأن كونه ظالماً مسبب عن طردهم.

وقرىء «بالغدوة والعشي».

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾، ومثل ذلك الفتن العظيم، فتنا بعض الناس ببعض، أي: ابتليناهم بهم، وذلك أنّ المشركين كانوا يقولون للمسلمين: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ﴾ الذين: ﴿مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾، أي: أنعم عليهم بالتوفيق؛ لإصابة الحق، ولما يسعدهم عنده من دوننا، ونحن المقدمون والرؤساء، وهم العبيد والفقراء؛ إنكاراً لأن يكون أمثالهم على الحق، وممنوناً عليهم من بينهم بالخير؛ ونحوه: ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾ [القمر: ٢٥]، ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك: خذلناهم[1]، فافتتنوا، حتى كان افتتانهم سبباً لهذا القول؛ لأنه لا يقول مثل قولهم هذا إلا مخذول، مفتون، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ أي: الله أعلم بمن يقع منه الإيمان، والشكر، فيوفقه للإيمان، وبمن يصمم على كفره، فيخذله، ويمنعه التوفيق.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: إما أن يكون أمراً بتبليغ سلام الله إليهم.

= اعتراضاً بين النهي وجوابِهِ. وظاهر عبارته أن الجملتين لا تكونان اعتراضاً إلاّ على اعتقاد كون الضميرين في «حِسَابِهِمْ» و «عَلَيْهِمْ» عائدين على المشركين، وليس الأمر كذلك، بل هما اعتراض بين النهي، وهو: «ولا تَطْرُدْ» وبين جوابه وهو: «فَتَكُونَ» وإن كانت الضمائر كلها للمؤمنين، ويدل على ذلك أنه قال بعد ذلك في «فَتَكُونَ»: «وجوزوا أن يكون جواباً للنهي في قوله: «ولا تَطْرُدْ»، وتكون الجملتان، وجواب الأول اعتراضاً بين النهي وجوابه». فجعلهما اعتراضاً مطلقاً من غير نظر إلى الضميرين، ويعني بالجملتين: «ما عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وما مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ»، وبجواب الأول قوله: «فَتَطْرُدَهُمْ». انتهى. الدر المصون.

(١) قوله: «خذلناهم فافتتنوا» فسر بهذا على مذهب المعتزلة: أنه تعالى لا يخلق الشر. وعند أهل السنة يخلق الشر كالخير.

وإما أن يكون أمراً بأن يبدأهم بالسلام؛ إكراماً لهم، وتطييباً لقلوبهم؛ وكذلك قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ من جملة ما يقول لهم ليسرهم، ويبشرهم بسعة رحمة الله، وقبوله التوبة منهم.

وقرىء: «إنه»؛ فإنه بالكسر على الاستئناف، كأن الرحمة استفسرت، فقيل: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾، وبالفتح على الإبدال من الرحمة، ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾: في موضع الحال، أي: عمله وهو جاهل، وفيه معنيان: أحدهما: أنه فاعل فعل الجهلة؛ لأنّ من عمل ما يؤدي إلى الضرر في العاقبة، وهو عالم بذلك أو ظانّ، فهو من أهل السفة والجهل، لا من أهل الحكمة والتدبير؛ ومنه قول الشاعر: [من الطويل]

عَلَىٰ أَنَّهَا قَالَتْ عَشِيَّةَ زُرْتُهَا ... جَهِلْتَ عَلَىٰ عَمْدٍ وَلَمْ تَكُ جَاهِلاً[1]

والثاني: أنه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة؛ ومن حق الحكيم ألاَّ يقدم على شيء حتى يعلم حاله، وكيفيته.

وقيل: إنها نزلت في عمر ـ رضي الله عنه ـ حين أشار بإجابة الكفرة إلى ما سألوا، ولم يعلم أنها مفسدة.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

وقرىء: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾، بالتاء والياء، مع رفع السبيل؛ لأنها تذكر وتؤنث، وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل، يقال: استبان الأمر، وتبين، واستبنته، وتبينته، والمعنى: مثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن، ونلخصها في صفة أحوال المجرمين، من هو مطبوع على قلبه لا يرجى إسلامه، ومن يرى فيه أمارة القبول، وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة، ومن دخل في الإسلام إلا أنه لا يحفظ حدوده، ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلاً منهم بما يجب أن يعامل به، فصلنا ذلك التفصيل.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾

---

(١) «على» بمعنى «مع» أي: قالت عشية زيارتي إياها «جهلت» أي: فعلت فعل الجاهل، أو تجاهلت وادعيت الجهل، مع تعمدك ولم تك جاهلاً حين الفعل. أو لم تك فيما مضى جاهلاً بشيء.

﴿نُهِيتُ﴾: صرفت، وزجرت، بما ركب فيّ من أدلة العقل، وبما أوتيت من أدلة السمع عن عبادة/ ٢١٧ب ما تعبدون، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وفيه استجهال لهم، ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة، ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ﴾ أي: لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل؛ وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال، وتنبيه لكل من أراد إصابة الحق ومجانبة الباطل، ﴿قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا﴾ أي: إن اتبعت أهواءكم، فأنا ضال، وما أنا من الهدى في شيء، يعني: أنكم كذلك، ولما نفى أن يكون الهوى متبعاً، نبه على ما يجب اتباعه بقوله: ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾، ومعنى قوله: ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ﴾: إني من معرفة ربي، وأنه لا معبود سواه، على حجة واضحة وشاهد صدق، ﴿وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ﴾: أنتم؛ حيث أشركتم به غيره، يقال: أنا على بينة من هذا الأمر، وأنا على يقين منه، إذا كان ثابتاً عندك بدليل، ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله، وشدة غضبه عليهم، لذلك، وأنهم أحقاء بأن يغافصوا[(١)] بالعذاب المستأصل، فقال: ﴿مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ﴾ يعني: العذاب الذي استعجلوه في قولهم: ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾: في تأخير عذابكم، ﴿يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ﴾ أي: القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير، والتعجيل في أقسامه، ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ أي: الفاضين.

وقرىء: «يقص الحق»[(٢)] أي: يتبع الحق، والحكمة فيما يحكم به ويقدره، من قص أثره، ﴿لَّوۡ أَنَّ عِندِي﴾ أي: في قدرتي وإمكاني، ﴿مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ﴾: من العذاب، ﴿لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ﴾: لأهلكتكم عاجلاً؛ غضباً لربي، وامتعاضاً[(٣)] من تكذيبكم به، ولتخلصت منكم سريعاً، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم.

وقيل: ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾: على حجة من جهة ربي، وهي القرآن، ﴿وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ﴾ أي: بالبينة، وذكر الضمير على تأويل البيان أو القرآن.

فإن قلت: بم انتصب الحق؟

قلت: بأنه صفة لمصدر «يقضي»، أي: يقضي القضاء الحق، ويجوز أن يكون مفعولاً به من قولهم: قضى الدرع إذا صنعها، أي: يصنع الحق ويدبره، وفي قراءة عبد الله: «يقضي بالحق».

---

(١) قوله: «يغافصوا» أي يؤاخذوا على غفلة. يقال: غافصت الرجل أخذته على غرة اهـ.

(٢) قوله: «وقرئ يقص الحق» ظاهره أن قراءة (يقض) من القضاء، هي المشهورة. فليحرر.

(٣) قوله: «وامتعاضاً» الامتعاض: اشتداد الغضب. أفاده الصحاح.

فإن قلت: لم أسقطت الياء في الخط؟

قلت: إتباعاً للخط واللفظ، وسقوطها في اللفظ؛ لالتقاء الساكنين.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾

جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة؛ لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن[1] المتوثق منها بالأغلاق والأقفال، ومن علم مفاتحها وكيف تفتح، توصل إليها، فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده، لا يتوصل إليها غيره، كمن عنده مفاتح أقفال المخازن، ويعلم فتحها، فهو المتوصل إلى ما في المخازن، والمفاتح: جمع مفتح، وهو المفتاح.

وقرىء: «مفاتيح»، وقيل: هي جمع مفتح ـ بفتح الميم ـ وهو المخزن/ ٢١٨أ، ﴿وَلَا حَبَّةٍ . . . وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾: عطف على ورقة[2]، وداخل في حكمها؛ كأنه قيل: وما يسقط من شيء من هذه الأشياء إلا يعلمه، وقوله: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: كالتكرير، لقوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾؛ لأنّ معنى: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾، ومعنى: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ واحد، والكتاب المبين: علم الله ـ تعالى ـ أو اللوح.

وقرىء: «ولا حبة ولا رطب ولا يابس»، بالرفع، وفيه وجهان: أن يكون عطفاً على محل: ﴿مِن وَرَقَةٍ﴾، وأن يكون رفعاً على الابتداء، وخبره: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾؛ كقولك: لا رجل منهم ولا امرأة إلافي الدار.

---

(١) قال محمود: «المفاتح استعارة، لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن. . . إلخ» قال أحمد: إطلاق التوصل على الله تعالى ليس سديداً فإنه يوهم تجدد وصول بعد تباعد إذ قول القائل توصل زيد إلى كذا يفهم أنه وصل بعد تكلف وبُعْد والله تعالى مقدس عن ذلك والغائب كالحاضر في علمه والعلم بالكائن هو العلم بما سيكون لا يتغاير ولا يختلف وليس لنا أن نطلق مثل هذا الإطلاق إلا عن ثبت، والله الموفق.

(٢) عاد كلامه. قال: «ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس، عطف على ورقة وداخل في حكمها. . . إلخ» قال أحمد: وفائدة هذا التكرير التطرية لما بعد عهده، لأنه لما عطف على ورقة بعد أن سلب الإيجاب المقصود للعلم في قوله ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ وكانت هذه المعطوفات داخلة في إيجاب العلم وهو المقصود وطالت، وبعد ارتباط آخرها بالإيجاب السالف كان ذلك جديراً بتجديد العهد بالمقصود، ثم كان اللائق بالبلاغة المألوفة في القرآن التجديد بعبارة أخرى، ليتلقاها السامع غضة جديدة غير مملولة بالتكرير. وهذا السر إنما ينقب عنه المسيطر في علم البين ونكت اللبان، والله الموفق.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾: الخطاب للكفرة، أي: أنتم منسدحون[1] الليل كله كالجيف، ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾: ما كسبتم من الآثام فيه، ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم، من النوم بالليل، وكسب الآثام بالنهار، ومن أجله؛ كقولك: فيم دعوتني؟ فتقول[2]: في أمر كذا، ﴿ليقضي أجل مسمى﴾: وهو الأجل الذي سماه، وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: وهو المرجع إلى موقف الحساب، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في ليلكم ونهاركم.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿حَفَظَةً﴾: ملائكة حافظين لأعمالكم، وهم الكرام الكاتبون، وعن أبي حاتم السجستاني: كان يكتب عن الأصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم، حتى قال فيه: أنت شبيه الحفظة، تكتب لغط اللفظة، فقال أبو حاتم: وهذا أيضاً مما يكتب.

فإن قلت: الله ـ تعالى ـ غنيّ بعلمه عن كتبة الملائكة، فما فائدتها؟

قلت: فيها لطف للعباد؛ لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم، والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم، يحفظون عليهم أعمالهم، ويكتبونها في صحائف تعرض على رءوس الأشهاد في مواقف القيامة ـ كان ذلك أزجر لهم عن القبيح، وأبعد عن السوء، ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي: استوفت روحه، وهم ملك الموت وأعوانه، وعن مجاهد: جعلت الأرض له مثل الطست يتناول من يتناوله، وما من أهل بيت إلا ويطوف عليهم في كل يوم مرّتين.

وقرىء: «توفاه»، ويجوز أن يكون ماضياً، ومضارعاً، بمعنى: تتوفاه، و﴿يُفَرِّطُونَ﴾: بالتشديد والتخفيف، فالتفريط: التواني، والتأخير عن الحدّ.

والإفراط: مجاوزة الحدّ، أي: لا ينقصون مما أمروا به أو لا يزيدون فيه، ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟

---

(١) قوله: «منسدحون» أي منسطحون على القفا، أو منقلبون على الوجه أفاده الصحاح.
(٢) قوله: «فتقول في أمر كذا» لعله: فيقول.

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى حكمه وجزائه، ﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾: مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم، ﴿ٱلْحَقِّ﴾: العدل، الي لا يحكم إلا بالحق، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: يومئذ لا حكم فيه لغيره، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾: لا يشغله حساب عن حساب.

وقرىء (الحقَّ): بالنصب على المدح؛ كقولك: الحمد لله الحق.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما، يقال لليوم الشديد: يوم مظلم، ويوم ذو كواكب، أي: اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل، ويجوز أن يراد: ما يشفون[1] عليه من الخسف في البر/ ٢١٨ب، والغرق في البحر بذنوبهم، فإذا دعوا وتضرعوا، كشف الله عنهم الخسف والغرق، فنجوا من ظلماتهما، ﴿لَّئِنْ أَنجَيْتَنَا﴾: على إرادة القول، ﴿مِنْ هَٰذِهِۦ﴾: من هذه الظلمة الشديدة.

وقرىء: «ينجيكم»: بالتشديد والتخفيف، «وأنجانا» وخفية، بالضم والكسر.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾: هو الذي عرفتموه قادراً، وهو الكامل القدرة، ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: كما أمطر على قوم لوط، وعلى أصحاب الفيل الحجارة، وأرسل على قوم نوح الطوفان، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: كما أغرق فرعون، وخسف بقارون، وقيل: «من فوقكم»: من قبل أكابركم وسلاطينكم، «ومن تحت أرجلكم»: من قبل سفلتكم وعبيدكم.

وقيل: هو حبس المطر والنبات، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾: أو يخلطكم فرقاً مختلفين على أهواء شتى، كل فرقة منكم مشايعة لإمام، ومعنى: «خلطهم»: أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا، ويشتبكوا في ملاحم القتال؛ من قوله: [من الكامل]

وَكَـتِـيـبَـةٍ لَـبَّـسْـتُـهَـا بِـكَـتِـيـبَـةٍ حَتَّىٰ إِذَا الْتَبَسَتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي[2]

---

(١) قوله: «ما يشفون عليه» أي يشرفون ويقربون. أفاده الصحاح.

(٢) وكـتـيـبـة لـبستـهـا بـكـتـيـبـة حتى إذا التبست نفضت لها يدي
فتركتهم تقص الرماح ظهورهم من بين منعقر وآخر مسند =

وعن رسول الله ـ ﷺ ـ: «سَأَلْتُ الله أَلاَّ يَبْعَثَ عَلَىٰ أُمَّتِي عَذَاباً مِنْ فَوْقِهِمْ، أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، فَأَعْطَانِي ذٰلِكَ، وَسَأَلْتُهُ أَلاَّ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِي، وَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ أَنَّ فَنَاءَ أُمَّتِي بِالسَّيْفِ» (٥٨٤)، وعن جابر بن عبد الله لما نزل: ﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، فلما نزل: ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعًا﴾، قال: «هَاتَانِ

---

٥٨٤ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٤٤٠) حديث (٤٤٨)، وقال: غريب بهذا اللفظ، وعزاه إلى ابن مردويه في تفسيره، وأخرجه مسلم (٩/ ٢٤١ ـ النووي): كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث (٢٠ ـ ٢١/ ٢٨٩٠) من طريق سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: «سألت ربي ثلاثاً: سألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالسَّنَةِ فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».
قال الحافظ:
كذا ذكره الثعلبي بغير سند. وهو في عدة أحاديث دون خبر جبريل. فروى ابن مردويه من حديث عمرو بن قيس عن رجل عن ابن عباس قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم. . . الآية﴾ قال: فقام النبي ﷺ فتوضأ، ثم قال: اللهم لا ترسل على أمتي عذاباً من فوقهم ولا من تحت أرجلهم، ولا تلبسهم شيعاً. فأتاه جبريل. فقال: يا محمد إن الله قد أجار أمتك أن يبعث عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم» وله شواهد: منها في مسلم عن سعد مرفوعاً: «سألت ربي ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها. وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» وعند مسلم من حديث ثوبان مطولاً. وعند عبد الرزاق من حديث شداد بن أوس مطولاً أيضاً، وفي الموطأ عن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ : «دعا لأمته ألا يظهر عليهم عدوا من غيرهم ولا يهلكهم بالسّنين فأعطيها، ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها»، ولابن ماجه من حديث معاذ نحو حديث سعد وللنسائي من حديث أنس نحوه، وللتِّرمذي من حديث خباب بن الأرت نحوه، وعند أحمد من حديث أبي بصرة الغفاري نحوه، وفي الطبراني من حديث ابن عباس، وقوله: «أن فناء أمتي بالسيف» رواه من حديث. انتهى.

= ما كان ينفعني مقال نسائهم وقتلت دون رجالها لا تبعد
للفرار السلمي، يمدح نفسه بأنه مهياج للشر يعرف مداخله ومخارجه. يقول: رب جماعة خلطتها بأخرى، حتى إذا تم اختلاطهما تخلصت منهما وتركتهما في حيص بيص، لكن فيه إثبات طرف من اللؤم. ونفض اليد: كناية عن التخلص. والوقص: الدق والكسر. والمنعقر: المجروح بالسهم، فتنقطع قوته من العقر وهو القطع. ويروى: منعفر، بالفاء أي متعفر بالتراب. والمسند: اسم مفعول، أي دابرين بين ساقط ومتكئ على غيره، ولا تبعد: مقول المقال، وهو بفتح العين أي لا نهلك، وهي كلمة تقولها النساء عند المصيبة. وقوله: «وقتلت» حال، أي والحال أني قد قتلت دون رجال تلك النساء، أي أمامهم، أو من بينهم لكفايتي عنهم. أي لو صبرت لقتلت، ولم يحيني كلام نسائهم وتفجعهم على مع سلامة رجالهن.
ينظر الحماسة البصرية (١/ ٦٠)، وحماسة البحتري (٥٢) والحيوان للجاحظ (٥/ ١٨٥)، ونهاية الأرب (٢/ ٣٥٢)، والدر المصون (١/ ٢٠٨).

أَهْوَنُ» (٥٨٥).

ومعنى الآية: الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة، والضمير في قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾: راجع إلى العذاب، ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: لا بدّ أن ينزل بهم، ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظ، وُكل إليَّ أمركم أمنعكم من التكذيب إجباراً؛ إنما أنا منذر، ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾: لكل شيء ينبأ به، يعني: إنباءهم بأنهم يعذبون وإيعادهم به، ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾: وقت استقرار، وحصول لا بدّ منه.

وقيل: الضمير في «به»: للقرآن.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: في الاستهزاء بها، والطعن فيها، وكانت قريش في أنديتهم يفعلون ذلك، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: فلا تجالسهم، وقم عنهم، ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾: فلا بأس أن تجالسهم حينئذ، ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: وإن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم[١]، ﴿فَلَا تَقْعُدْ﴾: معهم، ﴿بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: بعد أن تذكر النهي.

وقرىء: «ينسينك»، بالتشديد، ويجوز أن يراد: وإن كان الشيطان ينسينك قبل النهي[٢]، قبح مجالسة المستهزئين؛ لأنها مما تنكره العقول، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾:

---

٥٨٥ ـ أخرجه البخاري (٨/ ١٤١): كتاب التفسير: باب ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ حديث (٤٦٢٨)، وطرفاه في (٧٣١٣، ٧٤٠٦)، والترمذي (٥/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) كتاب التفسير: باب ومن سورة الأنعام حديث (٣٠٦٥).
قال الحافظ: أخرجه البخاري من حديث جابر. انتهى.

---

(١) قال محمود: «معناه وإن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي... إلخ» قال أحمد: وهذا التأويل الثاني يروم تنزيله على قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل، وأنه كاف وإن لم يرد شرع في التحريم وغيره من الأحكام إذا كانت واضحة للعقل، كمجالسته المستهزئين فإن قبحها بين العقل فهو مستقل بتحريمها، وحيث ورد الشرع بذلك فهو كاشف لحكمها ومبنية عليه، لا منشئ فيها حكماً. وقد علمت فساد هذه القاعدة ومخالفتها للعقائد السنية، على أن الآية تنبو عنه فإنه لو كان النسيان المراد ههنا نسيان الحكم الذي يدل عليه العقل قبل ورود هذا النهي، لما عبر بالمستقبل في قوله ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ﴾ فأما وقد ورد بصيغة الاستقبال فلا وجه لحمله على الماضي، والله الموفق.

(٢) قوله: «كان الشيطان ينسينك قبل النهي» بناء على أن هناك حكماً قبل الشرع، وهو مذهب المعتزلة، ولا حكم قبل الشرع عند أهل السنة. (ع)

بعد أن ذكرناك قبحها، ونبهناك عليه معهم، ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾، وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم، ﴿وَلَٰكِن﴾: عليهم أن يذكروهم، ﴿ذِكْرَىٰ﴾: إذا سمعوهم يخوضون/ ٢١٩أ، بالقيام عنهم، وإظهار الكراهة لهم، وموعظتهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: لعلهم يجتنبون الخوض؛ حياء أو كراهة لمساءتهم.

ويجوز أن يكون الضمير للذين يتقون، أي: يذكرونهم إرادة أن يثبتوا على تقواهم ويزدادوها، وروي أن المسلمين قالوا: لئن كنا نقوم كلما استهزءوا بالقرآن، لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام، وأن نطوف؛ فرخص لهم.

فإن قلت: ما محل: «ذكرى»؟

قلت: يجوز أن يكون نصباً على: «ولكن يذكرونهم ذكرى»، أي: تذكيراً، ورفعاً على: «ولكن عليهم ذكرى»، ولا يجوز أن يكون عطفاً على محل: «من شيء»؛ كقولك: ما في الدار من أحد، ولكن زيد؛ لأنّ قوله: ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ يأبى ذلك[1].

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «كأنه تخيل أن في العطف يلزم القيد الذي في المعطوف عليه، وهو. «مِنْ حِسَابِهِمْ» فهو قيد في «شَيْءٍ»، فلا يجوز عنده أن يكون من عطف المفردات عطفاً على «مِنْ شَيْءٍ» على الموضع، لأنه يصير التقدير عنده: «ولَكِنْ ذِكْرَى مِنْ حِسَابِهِمْ»، وليس المعنى على هذا. وهذا لذي تخيله ليس بشيء لا يلزم في العطف بـ «ولكن» ما ذكر، تقول: «ما عندنا رجل سوء، ولكن رجل صدق»، و «ما عندنا رجل من تميم، ولكن رجل من قريش»، و «ما قام من رجل عالم، ولكن رجل جاهل». فعلى هذا الذي قررناه يجوز أن يكون من عطف الجمل، كما تقدم، وأن يكون من عطف المفردات، والعطف بالواو، و «لكِنْ» جيء بها للاستدراك». قُلْتُ: قوله: تقول: «ما عندنا رجل سوء، ولكن رجل صدق» إلى آخر الأمثلة التي ذكرها لا يرد على الزمخشري، لأن الزمخشري، وغَيْرَهُ من أهل اللسان، والأصوليين، يقولون: إنَّ العطف ظاهر في التشريك، فإن كان في المعطوف عليه قيد، فالظاهر تقيد المعطوف بذلك القيد، إلاّ أن تجيء قرينة صارفة، فيحال الأمر عليها، فإذا قُلْتَ: «ضربت زيداً يوم الجمعة، وعمراً»، فالظاهر اشتراك «عمرو» مع «زيد» في الضرب مقيداً بيوم الجمعة. فإنْ قلت: وعمراً يوم السبت، لم يشاركه في قيده، والآية الكريمة من قبيل النوع الأول، أي: لم يؤت مع المعطوف بقرينة تخرجه، فالظاهر مشاركته للأول في قيده، ولو شاركه في قيده لزم منه ما ذكر الزمخشري. وأما الأمثلة التي أوردها فالمعطوف مقيد بغير القيد الذي قيد به الأول، وإنما كان ينبغي أن يأتي بأمثلة هكذا فيقول: «ما عندنا رجل سوء، ولكن امرأة»، و «ما عندنا رجل من تميم، ولكن صبي»، فالظاهر من هذا أن المثني: ولكن امرأة سوء، ولكن صبي من قريش. وقول الزمخشري: عطفاً على محل من «شيء» ولم يقل: عطفاً على لفظه، لفائدة حسنة، يعسر معرفتها، وهو أن «لكن» حرف إيجاب، فلو عطف ما بعدها على المجرور بـ «مِنْ» لفظاً، لزم زيادة «مِنْ» في الواجب، وجمهور البصريين على عدم زيادتها فيه. ويدل على اعتبار الإيجاب في «لكن» أنهم إذا عطفوا بعد خبر «ما» الحجازية أبطلوا =

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ أي: دينهم الذي كان يجب أن يأخذوا به لعباً ولهواً؛ وذلك أن عبدة الأصنام، وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب، وغير ذلك، من باب اللعب واللهو، واتباع هوى النفس، والعمل بالشهوة، ومن جنس الهزل دون الجد، واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الأصنام، وغيرها ديناً لهم، أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه، ودعوا إليه، وهو دين الإسلام لعباً ولهواً؛ حيث سخروا به واستهزؤا.

وقيل: جعل الله لكل قوم عيداً يعظمونه، ويصلون فيه، ويعمرونه بذكر الله، والناس كلهم من المشركين، وأهل الكتاب، اتخذوا عيدهم لعباً، ولهواً، غير المسلمين، فإنهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله، ومعنى: «ذرهم»: أعرض عنهم، ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم، ولا تشغل قلبك بهم، ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ أي: بالقرآن، ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ﴾؛ مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب، وترتهن بسوء كسبها، وأصل الإبسال المنع؛ لأن المسلم إليه يمنع المسلم؛ قال: [من الوافر]

وَإِبْسَالِي بَنِيَّ بِغَيْرِ جُرْمٍ ... بَعَوْنَاهُ وَلاَ بِدَمٍ مُرَاقِ[1]

ومنه: «هذا عليك بسل»، أي: حرام، محظور، والباسل: الشجاع؛ لامتناعه من قرنه، أو لأنه شديد البسور، يقال: بسر الرجل، إذا اشتدّ عبوسه، فإذا زاد قالوا: بسل، والعابس: منقبض الوجه، ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ وإن تفد كل فداء، «والعدل»: الفدية[2]؛ لأن الفادي يعدل المفدى بمثله، و«كلّ عدل»: نصب على المصدر،

= النصب، لأنها لا تعمل في المنتقض النفي، و «بل» كـ «لكن» فيما ذكرت لك. انتهى. الدر المصون.

(١) لعوف بن الأحوص الباهلي. والإبسال: التسليم للباسل، أي الشجاع المانع العابس. والبعو: بالعين المهملة ـ الجناية. يتحسر على تسليم أبنائه لبني قشير رهناً في دم رجل منهم اسمه: أبو الصحيفة، بغير جرم: أي ذنب جنيناه أنا وأولادي، ولا بدم مراق، أي: مسال منا، كناية عن القتل.
ينظر: تاج العروس (بسل)، (بعى)، لسان العرب (بعا)، التهذيب ٣/ ٢٤١، كتاب العين ٢/ ٢٦٥، المخصص ١٣/ ٧٩، القرطبي ٧/ ١٣، مجاز القرآن ١/ ١٩٤، الدر المصون ٣/ ٩١.

(٢) قال محمود: «معناه وإن تفد كل فداء والعدل الفدية... إلخ» قال أحمد: وهذا أيضاً من عيون إعرابه ونكت إغرابه التي طالما ذهل عنها غيره، وهو من جنس تدقيقه في منع عود الضمير من قوله =

وفاعل: «يؤخذ»، قوله: «منها»، لا ضمير العدل؛ لأنّ العدل ههنا مصدر فلا يسند إليه الأخذ، وأما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، فبمعنى المفديّ به، فصحّ إسناده إليه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى المتخذين دينهم لعباً ولهواً.

قيل: نزلت في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حين دعاه ابنه عبد الرحمن إلى عبادة الأوثان[1].

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ﴾: أنعبد، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: الضارّ النافع، ما لا يقدر على نفعنا، ولا مضرتنا، ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾: راجعين إلى الشرك بعد إذ أنقذنا الله منه، وهدانا للإسلام، ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: كالذي ذهبت به مردة الجن، والغيلان، ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾/ ٢١٩ب: المهمه[2]، ﴿حَيْرَانَ﴾: تائهاً، ضالاً عن الجادة، لا يدري كيف يصنع، ﴿له﴾، أي: لهذا المستهوي، ﴿أَصْحَٰبٌ﴾: رفقة، ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾: إلى أن يهدوه الطريق المستوي، أو سمي: «الطريق المستقيم» بالهدى يقولون له: ﴿ٱئْتِنَا﴾، وقد اعتسف المهمه تابعاً للجن، لا يجيبهم، ولا يأتيهم، وهذا مبني على ما تزعمه العرب، وتعتقده: أن الجنّ تستهوي الإنسان، والغيلان تستولي عليه؛ كقوله: ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فشبه الضالّ عن طريق الإسلام: التابع لخطوات الشيطان، والمسلمون يدعونه إليه، فلا يلتفت إليهم، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾: وهو الإسلام، ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾: وحده،

= (فتنفخ فيها) إلى الهيئة من قوله: (كهيئة الطير) مع أنه السابق إلى الذهن، وإنما حمله على القول بأن العدل ههنا مصدر أن الفعل تعدى إليه بغير واسطة، ولو كان المراد المفدى به لكان مفعولاً به، فلم يتعد إليه الفعل إلا بالباء، وكان وجه الكلام: وإن تعدل بكل عدل، فلما عدل عنه علم أنه مصدر، والله أعلم.

(١) قال محمود: «نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن إلى عبادة الأوثان... إلخ» قال أحمد: ومن أنكر الجن واستيلاءها على بعض الأناسي بقدرة الله تعالى حتى يحدث من ذلك الخبطة والصرع ونحوهما، فهو ممن استهوته الشياطين في مهامه الضلال الفلسفي، حيران له أصحاب من الموحدين يدعونه إلى الهدى الشرعي ائتنا، وهو راكب في ضلالة التعاسيف لا يلوي عليهم ولا يلتفت إليهم، فمرة يقول: إن الوارد في الشرع من ذلك تخييل، كما تقدم في سورة البقرة. ومرة يعده من زعمات العرب وزخارفها. وقد أسلفنا ذلك في البقرة وآل عمران قولاً شافياً بليغاً، فجدد به عهداً، والله الموفق.

(٢) قوله: «الأرض المهمه» أي: المفازة المتسعة. أفاده الصحاح.

وما وراءه ضلال، وغيّ، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٥]، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

فإن قلت: فما محل الكاف في قوله: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ﴾؟

قلت: النصب على الحال من الضمير في: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾، أي: أننكص مشبهين من استهوته الشياطين؟

فإن قلت: ما معنى: «استهوته»؟

قلت: هو استفعال، من هوى في الأرض، إذا ذهب فيها؛ كأن معناه: طلبت هويه، وحرصت عليه.

فإن قلت: ما محل ﴿وَأُمِرْنَا﴾؟

قلت: النصب عطفاً على محل قوله: ﴿إن هدى الله هو الهدى﴾ على أنهما مقولان، كأنه قيل: قل هذا القول، وقل: أمرنا لنسلم.

فإن قلت: ما معنى اللام في: ﴿لِنُسْلِمَ﴾؟

قلت: هي تعليل للأمر، بمعنى: أمرنا، وقيل لنا: أسلموا لأجل أن نسلم.

فإن قلت: فإذا كان هذا وارداً في شأن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ[1] فكيف

---

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت إذا كان هذا وارداً في أبي بكر «فكيف قيل للرسول عليه الصلاة والسلام ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ؟ قال أحمد: هو مبني على أن الأمر هو الإرادة، أو من لوازمه إرادة المأمور به، وهذا الإعراب منزل على معتقده هذا. وأما أهل السنة فكما علمت أن الأمر عندهم غير الإرادة ولا يستلزمها. وقولهم في هذه اللام كقولهم (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) من نفي كونها تعليلاً. والوجه في ذلك أنهم لما أوضحت لهم الآيات البينات وأزيحت عنهم العلل وتمكنوا من الإسلام والعبادة امتثالاً للأمر جعلوا بمثابة من أريد منهم ذلك تمكيناً لحضهم على الامتثال ولقطع أعذارهم إذا فعل بهم فعل المراد منهم ذلك، وما شأن المريد للشيء إذا كان قادراً على حصوله أن يزيح العلل ويرفع الموانع، وكذلك فعل مع المكلفين وإن لم تكن الطاعة مرادة من جميعهم، وأما إذا كانت اللام هي التي تصحب المصدر كما يقول الزجاج: تقديره الأمر للإسلام وكذلك يقول في قوله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ الإرادة للبيان وهي اللام التي تصحب المفعول عند تقدمه في قولك: لزيد ضربت، فهي على هذا الوجه غير محتاجة للتأويل. وقد قيل: إنها بمعنى «أن» كأنه قيل: وأمرنا أن نسلم قال هذا القائل. وكي ولام كي في أمرت وأردت خاصة، بمعنى «أن» لا على بابها من التعليل. والغرض من دخولها إفادة الاستقبال على وجه أوثق وأبلغ، إذ لا يتعلق هذان المعنيان ـ أعني الأمر والإرادة ـ إلا بمستقبل، وقد جمع بين الثلاثة اللام وكي وأن، في قوله: أردت لكما أن يطير... «البيت» وهذا الوجه أيضاً سالم المعنى من الخلل الذي يعتقده الزمخشري، والمحافظة على العقيدة. وقد وجدنا السبيل إلى ذلك بحمد الله متعينة، والله الموفق.

قيل للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: قل: أندعو؟.

قلت: للاتحاد الذي كان بين رسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين، خصوصاً بينه وبين الصديق أبي بكر، رضي الله تعالى عنه.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا﴾(١)؟

قلت: على موضع: «لنسلم»؛ كأنه قيل: «وأمرنا أن نسلم»، «وأن أقيموا»(٢)، ويجوز أن يكون التقدير: «وأمرنا لأن نسلم»، ولأن أقيموا: أي: للإسلام، ولإقامة الصلاة، ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾: مبتدأ، ويوم يقول: خبره مقدّماً عليه، وانتصابه بمعنى: الاستقراء؛ كقولك: يوم الجمعة القتال، واليوم بمعنى: الحين، والمعنى: أنه خلق السموات والأرض قائماً بالحق والحكمة، وحين يقول لشيء من الأشياء: «كن»، فيكون ذلك الشيء، قوله الحق والحكمة، أي: لا يكون شيئاً من السموات والأرض، وسائر المكونات، إلا عن حكمة وصواب، و﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾: ظرف، لقوله: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾؛ كقوله: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾؟ [غافر: ١٦]، ويجوز أن يكون: «قوله الحق»: فاعل يكون، على معنى: «وحين يقول لقوله الحق»، أي: لقضائه الحق، «كن»، فيكون قوله الحق، وانتصاب اليوم

---

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت علام عطف قوله: وأن أقيموا... إلخ»؟ قال أحمد: وهذا مصداق للقول بأن لنسلم معناه أن نسلم، وأن اللام فيه رديفة «أن» لا يراد عطفها عليها، فذلك هو الوجه الصحيح إن شاء الله. وفي ورود ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ محكياً بصيغته، وورود (نسلم) محكياً بمعناه، إذ الأصل المطابق لأقيموا: أسلموا، مصداق لما قدمته عند قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ وبينت ثم أن ذلك جائز على أن يكون عيسى عليه السلام حكى قول الله تعالى: اعبدوا الله ربكم ورب عيسى بمعناه فقال: اعبدوا الله ربي وربكم، فهذا مثله حكاية المعنى دون اللفظ، والله أعلم.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وظاهر هذا التقدير أنَّ «لِنُسْلِمَ» في موضع المفعول الثاني لـ «أُمِرْنَا»، وعطف عليه «وأَنْ أَقِيمُوا» فتكون اللام على هذا زائدة، وكان قد قَدَّمَ قبل هذا أن اللام تعليل للأمر، فتناقض كلامه؛ لأن ما يكون علة يستحيل أن يكون مفعولاً، ويدل على أنه أراد بقوله: «أَنْ نُسْلِمَ» في موضع المفعول الثاني، قوله بعد ذلك: ويجوز أن يكون التقدير: «وأُمِرْنَا لأَنْ نُسْلِمَ، ولأن أَقِيمُوا، أي: للإسلام، ولإقامة الصلاة». وهذا قول الزجاج، فلو لم يكن هذا القول مغايراً لقوله الأول لاتحد قولاه، وذلك خلف. انتهى. الدر.

(٣) قوله: «لمحذوف» لعله «بمحذوف».

لمحذوف[1]، دلّ عليه قوله: «الحق»؛ كأنه قيل: وحين يكوّن ويقدّر يقوم بالحق[2]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: هو عالم الغيب، وارتفاعه على المدح.

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿ءَازَرَ﴾: اسم أبي إبراهيم ـ عليه السلام ـ/ ٢٢٠أ وفي كتب التواريخ أنّ اسمه بالسريانية: «تارح»، والأقرب أن يكون وزن: «آزر»: فاعل، مثل تارح وعابر، وعازر، وشالخ، وفالغ، وما أشبهها من أسمائهم، وهو عطف بيان لأبيه، وقرىء «آزر» بالضم على النداء، وقيل: «آزر» اسم صنم، فيجوز أن ينبز به؛ للزومه عبادته، كما نبز «ابن قيس» بالرقيات اللاتي كان يشبب بهنّ، فقيل: «ابن قيس الرقيات»؛ وفي شعر بعض المُحْدَثِينَ: [من البسيط]

أُدْعَىٰ بِأَسْمَاءَ نَبْزاً فِي قَبَائِلِهَا ... كَأَنَّ أَسْمَاءَ أَضْحَتْ بَعْضُ أَسْمَائِي[3]

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا إعراب متكلف». قوله: «فيكُونُ» هي هنا تامة، وكذلك قوله: «كُنْ» فتكتفي بمرفوع، ولا تحتاج إلى منصوب. وفي فاعلها أربعة أوجه:
أحدها: أنه ضمير جميع ما يخلقه الله تعالى يوم القيامة، كذا قيده أبو البقاء بـ «يوم القيامة». وقال مكي: وقيل: تقدير المضمر في «فيكون» جميع ما أراد. فأطلق، ولم يقيده، وهذا أولى، وكأن أبا البقاء أخذ ذلك من قرينة الحال.
الثاني: أنه ضمير «الصّور» المنفوخ فيها، ودل عليه قوله: «يَوْمَ يُنْفَخُ في الصُورِ».
الثالث: هو ضمير «اليوم»، أي: فيكون ذلك اليوم العظيم.
الرابع: أن الفاعل هو: «قوله»، و «الحقُّ» صفته، أي: فيوجد قولهُ الحقُّ، ويكون الكلام على هذا تاما على «الحق». انتهى. الدر المصون.

(٢) يقول: ينادونني بلفظ «أسماء» شتماً لي بين قبائلها؛ أي: قبائل المحبوبة. ففيه استخدام. كأن أسماء، أي هذا اللفظ، أضحت: أي صارت بعض أسمائي. وأصل أسماء عند سيبويه: وسماء، من الوسامة وهي الحسن والجمال. قلبت واوه همزة على غير قياس. كما في أحد. وعند المبرد جمع اسم. وبين أسماء وأسمائي الجناس التام. وعلى اعتبار ياء المتكلم فهو من الناقص.
البيت لأبي محمد عبد الله الخازن. ينظر: شرح شواهد الشافية ص (٢٩٨)، الإنصاف ٢/ ٣٠، البحر ٤/ ١٦٩، الدر المصون ٣/ ١٠٠، فتح القدير ٣/ ٢١٢.

أو أريد «عابد آزر»، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، وقرىء: «ءأزر أتتخذ أصناماً آلهةً» بفتح الهمزة، وكسرها بعد همزة الاستفهام، وزاي ساكنة، وراء منصوبة منونة، وهو اسم صنم، ومعناه: أتعبد آزراً على الإنكار؟ ثم قال: تتخذ أصناماً آلهة؛ تثبيتاً لذلك وتقريراً، وهو داخل في حكم الإنكار؛ لأنه كالبيان له، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾: عطف على: «قال إبراهيم لأبيه»[١]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾: جملة معترض بها بين المعطوف والمعطوف عليه، والمعنى: ومثل ذلك التعريف، والتبصير نعرف إبراهيم، ونبصره، «ملكوت السموات والأرض»؛ يعني الربوبية والإلهية، ونوفقه لمعرفتها، ونرشده بما شرحنا صدره، وسدّدنا نظره، وهديناه لطريق الاستدلال، وليكون من الموقنين: فعلنا ذلك، ونرى: حكاية حال ماضية، وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام، والشمس، والقمر، والكواكب[٢]، فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر، والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤدٍ إلى أن شيئاً منها لا يصح أن يكون إلهاً؛ لقيام دليل الحدوث فيها، وأن وراءها محدثاً أحدثها؛ وصانعاً صنعها، ومدبراً دبر طلوعها، وأفولها، وانتقالها، ومسيرها، وسائر أحوالها، ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾: قول من ينصف خصمه، مع علمه بأنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه؛ لأنّ ذلك أدعى إلى الحق، وأنجى من الشغب، ثم يكرّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة، ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾: لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال، المتنقلين من مكان إلى مكان، المحتجبين بستر؛ فإنّ ذلك من صفات الأجرام، ﴿بَازِغًا﴾: مبتدئاً في الطلوع، ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾: تنبيه لقومه على أنّ من اتخذ القمر إلهاً، وهو نظير الكوكب، في الأفول، فهو ضال، وأنّ الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه، ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾: من باب استعمال النصفة[٣] ـ أيضاً ـ مع خصومه، ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾: من الأجرام التي

---

(١) قال محمود: «قوله ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ عطف على ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ﴾... إلخ» قال أحمد: وفي الاعتراض بهذه الجملة تنويه بما سيأتي من استدلال إبراهيم عليه السلام وأنه تبصير له من الله تعالى وتسديد.

(٢) عاد كلامه قال: «وكان أبوه آزر وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب... إلخ» قال أحمد: والتعريض بضلالهم ثانياً أصرح وأقوى من قوله أولاً ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ إنما ترقى إلى ذلك لأن الخصوم قد أقامت عليه الاستدلال الأول حجة، فأنسوا بالقدح في معتقدهم. ولو قيل هذا في الأول، فلعلهم كانوا ينفرون ولا يصغون إلى الاستدلال، فما عرض صلوات الله عليهم بأنهم في ضلالة، إلا بعد أن وثق بإصغائهم إلى تمام المقصود واستماعهم إلى آخره. والدليل على ذلك أنه ترقى في النوبة الثالثة إلى التصريح بالبراءة منهم والتقريع بأنهم على شرك، حين قيام الحجة عليهم وتبلج الحق وبلغ من الظهور غاية المقصود، والله أعلم.

(٣) عاد كلامه. قال: و«قوله: (هذا أكبر) من باب استعمال النصفة أيضاً مع الخصوم... إلخ» قال =

تجعلونها شركاء لخالقها، ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: للذي دلت هذه المحدثات عليه، وعلى أنه مبتدؤها ومبتدعها.

وقيل: هذا كان نظره، واستدلاله في نفسه، فحكاه الله، والأوّل أظهر؛ لقوله ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾/ ٢٢٠ب وقوله: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

فإن قلت: لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ[١]، وكلاهما انتقال من حال إلى حال؟

قلت: الاحتجاج بالأفول أظهر؛ لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب.

فإن قلت: ما وجه التذكير في قوله: «هذا ربي»، والإشارة للشمس؟

قلت: جعل المبتدأ مثل الخبر؛ لكونهما عبارة عن شيء واحد؛ كقولهم: ما جاءت حاجتك، ومن كانت أمك، ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا﴾ [الأنعام: ٢٣]، وكان اختيار هذه الطريقة واجباً لصيانة الرب عن شبهة التأنيث، ألا تراهم قالوا في صفة الله: «علام»، ولم يقولوا: «علامة»، وإن كان «العلامة» أبلغ؛ احترازاً من علامة التأنيث.

وقرىء: «ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض»، بالتاء، ورفع الملكوت، ومعناه: تبصره دلائل الربوبية.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم

= أحمد: وصدق الزمخشري، بل ذلك متعين. وقد ورد الحديث الوارد في الشفاعة أنهم يأتون إبراهيم عليه السلام فيلتمسون منه الشفاعة، فيقول: نفسي نفسي لا أسأل أحداً غيري، ويذكر كذباته الثلاث ويقول: لست لها، يريد قوله لسارة «هي أختي» وإنما عنى في الإسلام. وقوله: «إنه سقيم» وإنما عنى همه بقومه وبشركهم، والمؤمن يسقمه ذلك. وقوله: «بل فعله كبيرهم» وقد ذكرت فيه وجوه من التعريض، فإذا عد صلوات الله عليه وسلامه على نفسه هذه الكلمات مع العلم بأنه غير مؤاخذ بها، دل ذلك على أنها أعظم ما صدر منه، فلو كان الأمر على ما يقال من أن هذا الكلام محكي عنه على أنه نظر لنفسه، لكان أولى أن يعده أعظم مما ذكرناه؛ لأنه حينئذ يكون شكا بل جزما، على أن الصحيح أن الأنبياء قبل النبوة معصومون من ذلك.

(١) عاد كلامه. قال: فإن قلت: لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ، وكلاهما انتقال... إلخ. قال أحمد: وهذه من عيون نكته ووجوه حسناته.

مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ﴾: وكانوا حاجوه في توحيد الله، ونفي الشركاء عنه، منكرين لذلك، ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾، يعني: إلى التوحيد، ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾، وقد خوفوه أنّ معبوداتهم تصيبه بسوء، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾: إلا وقت مشيئة ربي[1] شيئاً يخاف، فحذف الوقت، يعني: لا أخاف معبوداتكم في وقت قط؛ لأنها لا تقدر على منفعة، ولا مضرة، إلا إذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها إن أصبت ذنباً استوجب به إنزال المكروه، مثل أن يرجمني بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر، أو يجعلها قادرة على مضرتي، ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾: أي: ليس بعجب، ولا مستبعد أن يكون في علمه إنزال المخوف بي من جهتها، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾؛ فتميزوا بين الصحيح والفاسد، والقادر والعاجز، ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ﴾: لتخويفكم شيئاً مأمون الخوف، لا يتعلق به ضرر بوجه، ﴿وَ﴾ أنتم، ﴿لَا تَخَافُونَ﴾: ما يتعلق به كل مخوف، وهو إشراككم بالله، ما لم ينزل بإشراكه، ﴿سُلْطَٰنًا﴾ أي: حجة؛ لأن الإشراك لا يصح أن يكون عليه حجة، كأنه قال: وما لكم تنكرون عليّ الأمن[2] في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن

---

(١) قال محمود: «(إلا أن يشاء) معناه إلا وقت مشيئة ربي شيئاً فحذف الوقت... إلخ» قال أحمد: هو بمعنى يجعلها قادرة، على أن المضرة خلق قدرة يخلق بها المضرة لمن يريد، بناء على قاعدته. وقد علمت أن عقيدة أهل السنة أن ذلك لا يجوز عقلاً أن يخلق غير الله ولا يقدر قدرة مؤثرة في المقدور إلا هو، وإن كان الزمخشري لم يصرح ههنا من عقيدته، فإنما يعني حيث يصرح أو يكنى ما يلائمها ويتنزل عليها، وغاية خوف إبراهيم منها المعلق على مشيئة الله لذلك، خوف الضرر عندها بقدرة الله تعالى لا بها. وكأنه في الحقيقة لم يخف إلا من الله، لأن الخوف الذي أثبته منها معلق بمشيئة الله وقدرته، وهو كلا خوف منها، والله أعلم.

(٢) عاد كلامه. قال: «ومعنى وكيف أخاف ما أشركتم... إلخ: مالكم تنكرون علي الأمن... إلخ» =

في موضع الخوف، ولم يقل: فأينا أحق بالأمن؛ أنا، أم أنتم احترازاً من تزكيته نفسه، فعدل عنه إلى قوله: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: يعني: فريقي المشركين والموحدين، ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم[1]، وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس، ﴿وَتِلْكَ﴾: إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم ـ عليه السلام ـ على قومه من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾، إلى قوله: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، ومعنى: ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ﴾: أرشدناه إليها، ووفقناه لها، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ يعني: في العلم والحكمة، وقرىء: بالتنوين، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾: الضمير: لنوح، أو لإبراهيم، و﴿دَاوُۥدَ﴾: عطف على نوحاً، أي: وهدينا داود، ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾: في موضع النصب عطفاً على «كلاً»، بمعنى: وفضلنا بعض آبائهم، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾: مع فضلهم وتقدّمهم وما رفع لهم من الدرجات، لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم، كما قال تعالى وتقدّس: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾/ ٢٢١أ [الزمر: ٦٥]، ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: يريد الجنس ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾: بالكتاب، والحكمة، والنبوّة، أو بالنبوّة، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: أهل مكة، ﴿ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ﴾: هم الأنبياء المذكورون، ومن تابعهم؛ بدليل قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾، وبدليل وصل قوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بما قبله، وقيل: هم أصحاب النبي ـ ﷺ ـ وكل من آمن به.

وقيل: كل مؤمن من بني آدم.

وقيل: الملائكة، وادّعى الأنصار أنها لهم، وعن مجاهد: هم الفرس، ومعنى: توكيلهم بها: أنهم وفقوا للإيمان بها، والقيام بحقوقها، كما يوكل الرجل بالشيء؛ ليقوم به، ويتعهده، ويحافظ عليه، والباء في: «بها»: صلة كافرين، وفي: ﴿بِكَٰفِرِينَ﴾: تأكيد النفي، ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾: فاختص هداهم بالاقتداء، ولا تقتد إلا بهم، وهذا معنى

= قال أحمد: ويحتمل أن يكون العدول إلى ذلك ليعم بالأمن كل موحد، وبالخوف كل مشرك، ويندرج هو في حكم الموحدين وقومه في حكم المشركين. وأحسن الجواب ما أفاد وزاد.

(١) قال محمود: «والمراد بقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم. وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس» قال أحمد: وقد ورد أن الآية لما نزلت عظمت على الصحابة، وقالوا أينا لم يظلم نفسه. فقال عليه الصلاة والسلام: «إنما هو الظلم في قول لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» وإنما هو يروم بذلك تنزيله على معتقده في وجوب وعيد العصاة، وأنهم لا حظ لهم في الأمن كالكفار، ويجعل هذه الآية تقتضي تخصيص الأمر بالجامعين الأمرين: الإيمان والبراءة من المعاصي. ونحن نسلم ذلك، ولا يلزم أن يكون الخوف اللاحق للعصاة هو الخوف اللاحق للكفار؛ لأن العصاة من المؤمنين إنما يخافون العذاب المؤقت، وهم آمنون من الخلود. وأما الكفار: فغير آمنين بوجه ما، والله الموفق.

تقديم المفعول، والمراد «بهداهم»: طريقتهم في الإيمان بالله، وتوحيده، وأصول الدين دون الشرائع؛ فإنها مختلفة، وهي هدى، ما لم تنسخ.

فإذا نسخت لم تبق هدى، بخلاف أصول الدين، فإنها هدى أبداً، والهاء في «اقتده»: للوقف تسقط في الدرج، واستحسن إيثار الوقف؛ لثبات الهاء في المصحف.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)﴾

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده، واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل، والوحي إليهم؛ وذلك من أعظم رحمته، وأجلّ نعمته، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ (١٠٧)﴾: أو ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين، وشدّة بطشه بهم، ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوّة، والقائلون هم اليهود؛ بدليل قراءة من قرأ: «تجعلونه» بالتاء، وكذلك: ﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ﴾، وإنما قالوا ذلك؛ مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله ـ ﷺ ـ فألزموا ما لا بدّ لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى ـ عليه السلام ـ وأدرج تحت الإلزام توبيخهم، وأن نعى عليهم[1] سوء جهلهم؛ لكتابهم، وتحريفهم، وإبداء بعض، وإخفاء بعض، فقيل: ﴿جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾، وهو نور، وهدى للناس، حتى غيروه، ونقصوه، وجعلوه قراطيس مقطعة، وورقات مفرقة؛ ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء، وروي أن مالك ابن الصيف من أحبار اليهود، ورؤسائهم، قال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَنْشِدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَىٰ مُوسَىٰ هَلْ تَجِدُ فِيهَا أَنَّ اللهَ يَبْغَضُ الحِبْرَ السَّمِينَ؟ فَأَنْتَ الْحِبْرُ السَّمِينُ، قَدْ سَمِنْتَ مِنْ مَالِكِ الَّذِي يُطْعِمُكَ اليَهُودُ» (٥٨٦)، فضحك القوم، فغضب، ثم التفت إلى

---

٥٨٦ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٢٦٢) رقم (١٣٥٣٩) عن سعيد بن جبير فذكره.
وعزاه الزيلعي في نصب الراية (١/٤٤٣) حديث (٤٥٠) إلى الواحدي في أسباب النزول.
قال الحافظ: أخرجه الواحدي في الأسباب من طريق سعيد بن جبير: «أن النبي ﷺ قال لمالك بن الصيف فذكره إلى قوله: فغضب، ثم قال: ما أنزل الله على بشر من شيء»، وكذلك أخرجه الطبري من رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير. انتهى.

---

(١) قال محمود: «وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وأن نعى عليهم... إلخ» قال أحمد: وهذا أيضاً من دقة نظره في الكتاب العزيز والتعمق في آثار معادنه، وإبراز محاسنه.

عمر فقال: مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ، فقال له قومه: ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك؟ قال: إِنَّهُ أَغْضَبَنِي، فَنَزَعُوهُ وَجَعَلُوا مَكَانَهُ كعب بن الأشرف، وقيل: القائلون: قريش (٥٨٧)، وقد ألزموا إنزال التوراة؛ لأنهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة/ ٢٢١ب ذكر موسى والتوراة، وكانوا يقولون: لو أنا أنزل علينا الكتاب، لكنا أهدى منهم ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾: الخطاب لليهود، أي: علمتم على لسان محمد ـ ﷺ ـ مما أوحى إليه ما لم تعلموا أنتم، وأنتم حملة التوراة، ولم تعلمه آباؤكم الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦)﴾، وقيل: الخطاب: لمن آمن من قريش؛ كقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦]، ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أي: أنزله الله؛ فإنهم لا يقدرون أن يناكروك، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾: في باطلهم الذي يخوضون فيه، ولا عليك بعد إلزام الحجة، ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه: إنما أنت لاعب، و﴿يَلْعَبُونَ﴾: حال من «ذرهم»، أو من «خوضهم»، ويجوز أن يكون: «في خوضهم»: حالاً من «يلعبون»، وأن يكون صلة لهم أو لذرهم.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)﴾

﴿مُبَارَكٌ﴾: كثير المنافع، والفوائد، ﴿وَلِتُنذِرَ﴾: معطوف على ما دلّ عليه صفة الكتاب، كأنه قيل: أو أنزلناه للبركات، وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار، وقرىء: «ولينذر» بالياء والتاء، وسميت مكة: ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ لأنها مكان أول بيت وضع للناس، ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم، ولأنها أعظم القرى شأناً لبعض المجاورين: [من الطويل]

فَمَنْ يُلْقِ فِي بَعْضِ الْقُرَيَّاتِ رَحْلَهُ فَأُمُّ الْقُرَىٰ مُلْقَى رِحَالِي وَمُنْتَابِي (١)

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: يصدّقون بالعاقبة ويخافونها، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: بهذا الكتاب،

---

٥٨٧ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٦٤) رقم (١٣٥٤٥) عن مجاهد به.
قال الحافظ: قوله «وقيل: القائلون قريش»، أخرجه الطبري عن مجاهد. انتهى.

---

(١) للزمخشري يفتخر بمكة وسكانها. والقريات ـ بالتشديد ـ: للتصغير. ورحل الشخص مسكنه ولو من شعر، أي: فمن يلق رحله في بعض القرى الصغيرة. فلا فخر له علي، فإن مكة محط رحالي ومنتابي، أي محل انتيابي، أي دخولي فيها نوبة بعد أخرى. وإلقاء الرحل: كناية عن الإقامة، لأنها تلزمه عرفاً. وملقى على زنة اسم المفعول اسم لمكان الإلقاء، كمتاب لمكان الانتياب.

وذلك أنّ أصل الدين خوف العاقبة، فمن خافها، لم يزل به الخوف حتى يؤمن، وخصّ الصلاة؛ لأنها عماد الدين، ومن حافظ عليها كانت لطفاً في المحافظة على أخواتها.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: فزعم أن الله بعثه نبيًا، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾، وهو «مسيلمة الحنفي الكذاب»، أو «كذاب صنعاء الأسود العنسي»، وعن النبي ـ ﷺ ـ: «رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ فِي يَدَيَّ سُوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَكَبِرَا عَلَيَّ، وَأَهَمَّانِي فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ أَنْ أَنْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا عَنِّي، فَأَوَّلْتُهُمَا الكَذَّابَيْنِ الَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا: كَذَّابُ اليَمَامَةِ «مُسَيْلَمَةُ»، وَكَذَّابُ صَنْعَاءَ «الأَسْوَدُ العَنْسِيُّ» (٥٨٨)، ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي، كان يكتب لرسول الله ـ ﷺ ـ فكان إذا أملى عليه «سميعاً عليماً» كتب هو: «عليماً حكيماً»، وإذا قال: «عليماً حكيماً»، كتب: «غفوراً رحيماً»، فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١٢]، إلى آخر الآية، عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان، فقال: «تبارك الله أحسن الخالقين»، فقال عليه الصلاة والسلام: «اكتبها»، فكذلك نزلت، فشك عبد الله، وقال: لئن كان محمداً صادقاً، لقد أوحي إليّ مثل ما أوحي إليه، ولئن كان كاذباً، فلقد قلت كما قال، فارتدّ عن الإسلام، ولحق بمكة، ثم رجع مسلماً قبل فتح مكة (٥٨٩)، وقيل: هو النضر بن

---

٥٨٨ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٧٢٥): كتاب المناقب حديث (٣٦٢٢)، وأطرافه من (٣٩٨٧ ـ ٤٠٨١ ـ ٧٠٣٥ ـ ٧٠٤١)، ومسلم (٨/ ٣٦ ـ ٣٧ ـ النووي) كتاب الرؤيا: باب رؤيا النبي ﷺ حديث (٢١ ـ ٢٢/ ٢٢٧٤).

وأحمد (٢/ ٣٣٨، ٣٤٤)، قال الحافظ: متفق عليه من حديث ابن عباس. انتهى.

٥٨٩ ـ أخرجه الطبري في تفسيره: (٥/ ٢٦٨): رقم (١٣٥٥٩ ـ ١٣٥٦٠).

وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٥٤٥) رقم (٤٥٢) إلى الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي عن ابن عباس بلفظ المصنف.. إلى قوله: فارتد عن الإسلام؛ كما عزاه إلى ابن الجوزي في الموضوعات من طريق ابن عدي، وقال: المتهم به أصرم.

قال الحافظ:

أخرجه الواحدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس إلى قوله: «فارتد عن الإسلام»، وقد رواه الطبري مختصراً من رواية أسباط عن السدي من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا =

الحارث، والمستهزئون/ ٢٢٢أ، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: جوابه محذوف، أي: رأيت أمراً عظيماً، ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة، فتكون اللام: للعهد، ويجوز أن تكون للجنس، فيدخل فيه هؤلاء؛ لاشتماله، و﴿غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾: شدائده وسكراته، وأصل الغمرة: ما يغمر من الماء[١]؛ فاستعيرت للشدّة الغالبة، ﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾: يبسطون إليهم أيديهم، يقولون: هاتوا أرواحكم، أخرجوها إلينا من أجسادكم، وهذه عبارة عن العنف في السياق، والإلحاح، والتشديد في الإرهاق، من غير تنفيس وإمهال، وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط، يبسط يده إلى من عليه الحق، ويعنف عليه في المطالبة، ولا يمهله، ويقول له: أخر إليّ مالي عليك الساعة، ولا أريم[٢] مكاني، حتى أنزعه من أحداقك.

وقيل: معناه: باسطو أيديهم عليهم بالعذاب[٣]، ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾: خلصوها من أيدينا، أي: لا تقدرون على الخلاص، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾: يجوز أن يريدوا وقت الإماتة، وما يعذبون به من شدة النزع، وأن يريدوا الوقت الممتدّ المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ، والقيامة، والهون: الهوان الشديد، وإضافة العذاب إليه؛ كقولك: رجل سوء، يريد العراقة في الهوان، والتمكن فيه، ﴿عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: فلا تؤمنون بها.

= . . . الآية﴾ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح. أسلم وكان يكتب للنبي ﷺ، فكان إذا أملى عليه سميعاً عليماً كتب هو: عليماً حكيماً، وإذا قال: عليماً حكيماً كتب سميعاً عليماً. فشك وكفر، وقال: إن كان محمد يوحي إليه فقد أوحى إلي، وإن كان الله ينزله فلقد أنزلت مثل ما أنزل الله. فلحق بالمشركين.

(تنبيه) قوله: للقرظي غلط بَيّن، فإن ابن أبي سرح قرشي عامري. قوله: ثم رجع مسلماً قبل فتح مكة. قوله: وقيل: هو النضر بن الحارث.
(فائدة) رُوِيَ أن هذه القصة كانت لابن خطل. أخرج ابن عدي في ترجمة أصرم بن حوشب أحد المتروكين من حديث علي، قال: «كان ابن خطل يكتب للنبي ﷺ فكان إذا نزل غفور رحيم كتب رحيم غفور ـ فذكر الحديث. وفيه: ثم كفر ولحق بمكة فقال النبي ﷺ: «من قتل ابن خطل فله الجنة» وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من هذا الوجه. ونقل عن ابن معين تكذب أصرم. انتهى.

---

(١) قال محمود: «أصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة. . . إلخ» قال أحمد: هو يجعله من مجاز التمثيل، ولا حاجة إلى ذلك. والظاهر أنهم يفعلون معهم هذه الأمور حقيقة على الصور المحكية، وإذا أمكن البقاء على الحقيقة فلا معدل عنها.

(٢) قوله: «ولا أريم مكاني» أي أبرح. وفي الصحاح: رامه يريمه أي برحه.

(٣) عاد كلامه. قال: «وقيل: معناه: باسطو أيديهم عليهم بالعذاب. . . إلخ» قال أحمد: ومثله ﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿فُرَادَىٰ﴾: منفردين عن أموالكم، وأولادكم، وما حرصتم عليه، وآثرتموه من دنياكم، وعن أوثانكم التي زعمتم أنها شفعاؤكم، وشركاء لله، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد، ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾: ما تفضلنا به عليكم في الدنيا، فشغلتم به عن الآخرة، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾: لم ينفعكم، ولم تحتملوا منه نقيراً، ولا قدّمتموه لأنفسكم، ﴿فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾: في استعبادكم؛ لأنهم حين دعوهم آلهة وعبدوها، فقد جعلوها لله شركاء فيهم، وفي استعبادهم.

وقرىء: «فرادى»، بالتنوين، و«فراد»، مثل: ثلاث، «وفردى»، نحو: «سكرى».

فإن قلت: كما خلقناكم، في أي محل هو؟

قلت: في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا، أي: مجيئاً مثل خلقنا لكم، ﴿تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: وقع التقطع بينكم، كما تقول: جمع بين الشيئين، تريد أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل: ومن رفع، فقد أسند الفعل إلى الظرف، كما تقول: قوتل خلفكم وأمامكم، وفي قراءة عبد الله: «لقد تقطع ما بينكم».

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾: بالنبات والشجر، وعن مجاهد: أراد الشقين الذين في النواة والحنطة، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أي: الحيوان، والنامي من النطف، والبيض، والحب، والنوى، ﴿وَمُخْرِجُ﴾: هذه الأشياء الميتة من الحيوان والنامي.

فإن قلت: كيف قال: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾، بلفظ اسم الفاعل، بعد قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾؟

قلت: عطفه على فالق الحب والنوى، لا على الفعل، ويخرج الحيَّ من الميت/ ٢٢٢ب: موقعه موقع الجملة المبينة؛ لقوله: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ لأنّ فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين[1]، من جنس إخراج الحيّ من الميت؛ لأنّ النامي في حكم

---

(١) قال محمود: «معناه فالق الحب والنوى بالنبات والشجر... إلخ» قال أحمد رحمه الله: وقد ورد =

الحيوان؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ١٩]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: ذلكم المحيي والمميت هو الله الذي تحق له الربوبية، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: فكيف تصرفون عنه، وعن توليه إلى غيره.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿ٱلْإِصْبَاحِ﴾: مصدر سمي به الصبح، وقرأ الحسن: بفتح الهمزة جمع صبح؛ وأنشد قوله: [من الرجز]

أَفْــنَــىٰ رَبَــاحــاً وَبَــنِــي رَبَــاحِ ... تَــنَــاسُــخُ الإِمْــسَــاءِ وَالإِصْــبَــاحِ(١)

= جميعاً بصيغة الفعل كثيراً في قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ وقوله ﴿أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ فعطف أحد القسمين على الآخر كثيراً دليل على أنهما توأمان مقترنان، وذلك يبعد قطعه عنه في آية الأنعام هذه ورده إلى فالق الحب والنوى، فالوجه ـ والله أعلم ـ أن يقال: كان الأصل وروده بصيغة اسم الفاعل أسوة أمثاله من الصفات المذكورة في هذه الآية من قوله: (فالق الحب) و(فالق الإصباح) و(جاعل الليل) و﴿مخرج الحي من الميت﴾ إلا أنه عدل عن اسم الفاعل إلى الفعل المضارع في هذا الوصف وحده، وهو قوله ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ إرادة لتصوير إخراج الحي من الميت واستحضاره في ذهن السامع، وهذا التصوير والاستحضار إنما يتمكن في أدائهما الفعل المضارع دون اسم الفاعل والماضي. وقد مضى تمثيل ذلك بقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ فعدل عن الماضي المطابق لقوله (أنزل) لهذا المعنى. ومنه ما في قوله [من الوافر]:

إنـي قـد لـقـيـت الـغـول تـسـعـى ... بـسـبـب كـالـصـحـيـفـة صـحـصـحـان
فـآخـذه فـأضـربـه فـخـرت ... صـريـعـاً لـلـيـديـن ولـلـجـران

فعدل إلى المضارع إرادة لتصوير شجاعته واستحضارها لذهن السامع. ومنه ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ فعدل عن مسبحات وإن كان مطابقاً لمحشورة بهذا السبب والله أعلم، ثم هذا المقصد إنما يجيء فيما تكون العناية به أقوى، ولا شك أن إخراج الحي من الميت أشهر في القدرة من عكسه، وهو أيضاً أول الحالين والنظر أول ما يبدأ فيه، ثم القسم الآخر وهو إخراج الميت من الحي ناشئ عنه. فكان الأول جديراً بالتصدير والتأكيد في النفس، ولذلك هو مقدم أبداً على القسم الآخر في الذكر على حسب ترتيبهما في الواقع، وسهل عطف الاسم على الفعل، وحسنه أن اسم الفاعل في معنى الفعل المضارع «فكل واحد منهما يقدر بالآخر، فلا جناح في عطفه عليه. والله أعلم.

(١) «رباح» أبو حي من يربوع، ثم صار اسماً للحي. وروى بالتحتية بدل الموحدة. والإمساء والإصباح: يرويان بكسر الهمزة على أنهما مصدران، وبفتحهما جمع مساء وصباح. وظلام الليل ينسخ نور النهار ويزيله وبالعكس. وإسناد الإفناء إلى التناسخ مجاز عقلي، من باب الإسناد للزمان، أو هو على اعتقاد الجاهلية فيكون حقيقة عندهم.
ينظر البيت في البحر ٤/١٨٩، حاشية الكشاف للتفتازاني ٢/ ٣٣٣، التهذيب ٤/ ٢٦٣ (صبح)، مشاهد الإنصاف ٢/٣٨، اللسان (صبح)، الرازي ١٣/١٨، الدر المصون ٣/ ١٣٢.

بالكسر، والفتح مصدرين، وجمع مساء وصبح.

فإن قلت: فما معنى فلق الصبح، والظلمة[1]؟ هي التي تنفلق عن الصبح؛ كما قال: [من الطويل]

تَرَدَّتْ بِهِ ثُمَّ انْفَرَىٰ عَنْ أَدِيمِهَا ... تَفَرِّيَ لَيْلٍ عَنْ بَيَاضِ نَهَارِ[2]

قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يراد فالق ظلمة الإصباح، وهي الغبش في آخر الليل، ومنقضاه الذي يلي الصبح.

والثاني: أن يراد فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره.

وقالوا: انشق عمود الفجر، وانصدع الفجر، وسموا الفجر فلقاً بمعنى: مفلوق، وقال الطائي: [من البسيط]

وَأَزْرَقُ الْفَجْرِ يَبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ ... وَأَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرٌ ثُمَّ يَنْسَكِبُ[3]

---

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت ما معنى فلق الصبح والظلمة وهي التي تنفلق... إلخ»؟ قال أحمد: وقيل الخالق والفالق بمعنى، فيكون المراد خالق الإصباح. والأظهر ما فسره عليه المصنف، والله أعلم.

(٢) كأن بقايا ما عفا من حبابها ... تفاريق شيب في سواد عذار
تردت به ثم انفرى عن أديمها ... تفري ليل عن بياض نهار
لأبي نواس يصف الخمرة. يقول: كأن بقايا الذي هلك وذهب من فقاقعها شيب أبيض متفرق في عذار أسود؛ لأن كلاً منهما أبيض منتشر فيما يخالف لونه، ولا يلزم من ذلك أنها سوداء كما يدل عليه ما بعده، ثم قال: تردت، أي استترت بالحباب، فالتردي: استعارة للتستر، ثم انفرى: انشق وزال عن أديمها أي وجهها كتفري الليل وانشقاق ظلامه عن بياض النهار، والجامع استتار كل بغيرها، ثم ظهوره بتفرق ذلك الغير فهو مركب. ولا يلزم من ذلك أن الحباب أسود كالليل، والخمرة بيضاء كالنهار، وانظر كيف خيل أنه في الأول أبيض وفي الثاني أسود وهي بالعكس. وهذا من العجب الداعي للطرب. وفيه أنه يرى في الأول أبيض معجباً، ثم تعرض عنه النفس وتريد الخمرة، فيتخيل أنه مظلم، ثم ينكشف وتظهر هي بيضاء ترهقها صفرة، كالسماء وقت الإسفار.

(٣) هذي مخايل برق خلفه مطر ... جود وورى زناد خلفه لهب
وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه ... وأول الغيث قطر ثم ينسكب
لأبي تمام. وقيل للبحتري. و«مخايل» أضواء تتخيلها، أو تخيل إلينا المطر بعدها. والجود - في الأصل - جمع جائد، كصحب وصاحب، وهو الكثير النافع. والورى: قدح الزند، والزناد جمعه، ككلب وكلاب، وقد يكون مفرداً ككتاب. يقول: إن أوائل الأمور تبدو قليلة ثم تكثر، فينبغي الحرص من أول الأمر قبل بلوغه غايته فيكثر الضرر ويعسر درؤه، أو المعنى أنه ينبغي التأني إلى بلوغ المراد، فالكلام كله من باب التمثيل. وروي:
وكاذب العمر يبدو قبل صادقه ... .
وروي بعد هذا البيت:

=

وقرىء: «فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً»، بالنصب على المدح.

وقرأ النخعي: فلق الإصباح وجعل الليل، السكن: ما يسكن إليه الرجل ويطمئن استئناساً به، واسترواحاً إليه، من زوج أو حبيب، ومنه قيل للنار: سكن؛ لأنه يستأنس بها؛ ألا تراهم سموها: «المؤنسة»، والليل يطمئن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه[1]، ويجوز أن يراد: وجعل الليل مسكوناً فيه من قوله: «لتسكنوا فيه»، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: قرئا بالحركات الثلاث، فالنصب على إضمار فعل دل عليه جاعل الليل، أي: وجعل الشمس والقمر حسباناً، أو يعطفان على محل الليل.

فإن قلت: كيف يكون لليل محل والإضافة حقيقية؛ لأنّ اسم الفاعل المضاف إليه في معنى المضيّ، ولا تقول: زيد ضارب عمراً أمس؟

قلت: ما هو في معنى المضيّ؛ وإنما هو دال على جعل مستمرّ في الأزمنة المختلفة، وكذلك فالق الحب، وفالق الإصباح، كما تقول: الله قادر عالم، فلا تقصد زماناً دون زمان، والجر عطف على لفظ الليل، والرفع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره: والشمس والقمر مجعلولان حسباناً، أو محسوبان حسباناً؛ ومعنى جعل الشمس والقمر حسباناً: جعلهما على حسبان؛ لأنّ حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما، والحسبان ـ بالضم ـ: مصدر حسب، كما أنّ الحسبان ـ بالكسر ـ مصدر حسب، ونظيره الكفران والشكران، ﴿وَذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى جعلهما حسباناً، أي: ذلك التسيير بالحساب المعلوم، ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾: الذي قهرهما وسخرهما، ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: بتدبيرهما وتدويرهما.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ﴾: في ظلمات الليل بالبر والبحر، وأضافها إليهما لملابستها/ ٢٢٣أ لهما، أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾

= ومثل ذلك وجد العاشقين هوى ... بالمزح يبدو وبالإدمان ينتهب
ونسبا لابن الرومي، أي الوجد في أوله هوى وفي آخره نار، والإدمان: الإدامة.
البيت لحاتم الطائي. ينظر العمدة ١/ ١٩، الدر المصون ٣/ ١٣٣.

(١) قوله: «وجمامه» أي: راحته من التعب. وفي الصحاح «الجمام» ـ بالفتح ـ: الراحة.

من فتح قاف المستقر، كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدراً، ومن كسرها، كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول، والمعنى: «فلكم مستقرّ في الرحم»، ومستودع في الصلب، أو مستقر فوق الأرض، ومستودع تحتها، أو «فمنكم مستقرّ ومنكم مستودع».

فإن قلت: لم قيل: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ مع ذكر النجوم[1]، و﴿يَفْقَهُونَ﴾ مع ذكر إنشاء بني آدم؟

قلت: كان إنشاء الإنس من نفس واحدة، وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيراً، فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقاً له.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم قيل مع ذكر النجوم يعلمون. . . إلخ» قال أحمد: لا يتحقق هذا التفاوت ولا سبيل إلى الحقيقة، وما هذا الجواب إلا صناعي. والتحقيق أنه لما أريد فصل كليهما بفاصلة تنبيهاً على استقلال كل واحدة منهما بالمقصود من الحجة، كره فصلهما بفاصلتين متساويتين في اللفظ، لما في ذلك من التكرار، فعدل إلى فاصلة مخالفة تحسيناً للنظم واتساقاً في البلاغة. ويحتمل وجهاً آخر في تخصيص الأولى بالعلم والثانية بالفقه، وهو أنه لما كان المقصود التعريض بمن لا يتدبر آيات الله ولا يعتبر مخلوقاته، وكانت الآية المذكورة أولاً خارجة عن أنفس النظار ومنافية لها، إذ النجوم والنظر فيها وعلم الحكمة الإلهية في تدبيره لها أمر خارج عن نفس الناظر، ولا كذلك النظر في إنشائهم من نفس واحدة وتقلباتهم في أطوار مختلفة وأحوال متغايرة، فإنه نظر لا يعدو نفس الناظر ولا يتجاوزها؛ فإذا تمهد ذلك. فجهل الإنسان بنفسه وبأحواله وعدم النظر فيها والتفكر أبشع من جهله بالأمور الخارجة عنه كالنجوم والأفلاك، ومقادير سيرها وتقلبها، فلما كان الفقه أدنى درجات العلم، إذ هو عبارة عن الفهم نفي من أبشع القبيلين جهلاً، وهم الذين لا يتبصرون في أنفسهم، ونفي الأدنى أبشع من نفي الأعلى درجة فخص به أسوأ الفريقين حالاً، ويفقهون ههنا مضارع فقه الشيء بكسر القاف إذا فهمه ولو أدنى فهم، وليس من فقه بضم القاف؛ لأن تلك درجة عالية. ومعناه: صار فقيهاً. قاله الهروي في معرض الاستدلال على أن فقه أنزل من علم. وفي حديث سلمان أنه قال ـ وقد سألته امرأة جاءته ـ: فقهت، أي فهمت، كالمتعجب من فهم المرأة عنه. وإذا قيل فلان لا يفقه شيئاً، كان أذم في العرف من قولك: فلان لا يعلم شيئاً، وكان معنى قولك: لا يفقه شيئاً ليست له أهلية الفهم وإن فهم. وأما قولك: لا يعلم، فغايته نفي حصول العلم له. وقد يكون له أهلية الفهم والعلم لو يعلم. والذي يدل على أن التارك للفكرة في نفسه أجهل وأسوأ حالاً من التارك للفكرة في غيره قوله تعالى ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ فخص التبصر في النفس بعد اندراجها فيما في الأرض من الآيات، وأنكر على من لا يتبصر في نفسه إنكاراً مستأنفاً. وقولنا في أدراج الكلام أنه نفى العلم عن أحد الفريقين ونفي الفقه عن الآخر، يعني بطريق التعريض، حيث خص العلم بالآيات المفصلة والتفقه فيها بقوم، فأشعر أن قوماً غيرهم لا علم عندهم ولا فقه، والله الموفق. فتأمل هذا الفصل وإن طال بعض الطول، فالنظر في الحسن غير مملول.

وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ (٩٩)﴾

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٖ﴾: نبت كل صنف من أصناف النامي، يعني: أن السبب واحد، وهو الماء، والمسببات صنوف مفتنة، كما قال: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٖ فِي ٱلْأُكُلِۚ﴾ [الرعد: ٤]، ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾: من النبات، ﴿خَضِرٗا﴾: شيئاً غضاً أخضر، يقال: أخضر وخضر، كأعور وعور، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة، ﴿يُخْرِجُ مِنْهَا﴾: من الخضر، ﴿حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا﴾: وهو السنبل، و﴿قِنْوَانٞ﴾: رفع بالابتداء، و﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾: خبره، و﴿مِن طَلْعِهَا﴾: بدل منه، كأنه قيل: «وحاصلة من طلع النخل قنوان»، ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً؛ لدلالة أخرجنا عليه، تقديره: ومخرجة من طلع النخل قنوان[1]، ومن قرأ: «يخرج منه حب متراكب، كان (قنوان): عنده معطوفاً على حب، والقنوان: جمع قنو، ونظيره: صنو وصنوان.

وقرىء: بضم القاف وبفتحها، على أنه اسم جمع كركب؛ لأنّ فعلان ليس من زيادة التكسير، ﴿دَانِيَةٞ﴾: سهلة المجتنى، معرضة للقاطف، كالشيء الداني القريب المتناول؛ ولأنّ النخلة، وإن كانت صغيرة، ينالها القاعد، فإنها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول.

وقال الحسن: «دانية» قريب بعضها من بعض، وقيل: ذكر القريبة، وترك ذكر البعيدة؛ لأنّ النعمة فيها أظهر، وأدلّ بذكر القريبة على ذكر البعيدة؛ كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] وقوله: ﴿وَجَنَّٰتٖ مِّنْ أَعْنَابٖ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يراد: وثم جنات من أعناب، أي: مع النخل.

والثاني: أن يعطف على: «قنوان» على معنى: وحاصلة، أو ومخرجة من النخل قنوان، وجنات من أعناب، أي: من نبات أعناب.

وقرىء: (وجنات) بالنصب عطفاً على ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٖ﴾، أي: وأخرجنا به جنات من أعناب؛ وكذلك قوله: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾، والأحسن أن ينتصبا على الاختصاص، كقوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [النساء: ١٦٢]؛ لفضل هذين الصنفين، ﴿مُشْتَبِهٗا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾، يقال: «اشتبه الشيئان وتشابها»؛ كقولك: «استويا وتساويا»، والافتعال والتفاعل يشتركان كثيراً.

وقرىء: متشابهاً وغير متشابه، وتقديره: والزيتون متشابهاً، وغير متشابه، والرمّان كذلك؛ كقوله: [من الخفيف]

كُنْتُ مِنْهُ/ ٢٢٣ب وَوَالِدَيَّ بَرِيًّا[2]

---

(١) قال السمين الحلبي: لا حاجة إليه؛ لأن الجملة مستقلة في الإخبار بدونه. انتهى. الدر المصون.

(٢) ينظر: ديوانه ص (١٨٧)، الدرر (٢/ ٦٢)، شرح أبيات سيبويه (١/ ٢٤٩)، الكتاب (١/ ٧٥)، لسان =

والمعنى: بعضه متشابهاً وبعضه غير متشابه، في القدر، واللون، والطعم، وذلك دليل على التعمد دون الإهمال، ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾: إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلاً، ضعيفاً، لا يكاد ينتفع به، وانظروا إلى حال ينعه، ونضجه، كيف يعود شيئاً جامعاً لمنافع وملاذ، نظر اعتبار واستبصار، واستدلال على قدرة مقدّره ومدبره، وناقله من حال إلى حال.

وقرىء: ﴿وَيَنۡعِهِۦٓ﴾: بالضم، يقال: ينعت الثمرة ينعاً وينعاً.

وقرأ ابن محيصن: «ويانعه»، وقرىء: «وثمره»، بالضم.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠﴾

إن جعلت ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾: مفعولي جعلوا، نصبت الجن بدلاً من شركاء، وإن جعلت (لله): لغواً كان، ﴿شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ﴾: مفعولين قدّم ثانيهما على الأول.

فإن قلت: فما فائدة التقديم؟

قلت: فائدته استعظام أن يتخذ لله شريك مَن كان ملكاً، أو جنياً، أو إنسياً، أو غير ذلك؛ ولذلك قدّم اسم الله على الشركاء. وقرىء: «الجن» بالرفع، كأنه قيل: من هم؟ فقيل: «الجن»، وبالجرّ على الإضافة التي للتبيين، والمعنى: أشركوهم في عبادته؛ لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله.

وقيل: هم الذين زعموا أنّ الله خالق الخير وكل نافع، وإبليس خالق الشر وكل ضارّ، ﴿وَخَلَقَهُمۡۖ﴾: وخلق الجاعلين لله شركاء، ومعناه: وعلموا أن الله خالقهم دون الجن، ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكاً للخالق.

وقيل: الضمير للجن.

وقرىء: «وخلقهم»، أي: اختلاقهم الإفك، يعني: وجعلوا لله خلقهم؛ حيث نسبوا قبائحهم إلى الله في قولهم: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ [الأعراف: ٢٨]، ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ﴾، وخلقوا له، أي: افتعلوا له، ﴿بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ﴾: وهو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير، وقول قريش في الملائكة، يقال: خلق الإفك، وخرقه، واختلقه، واخترقه، بمعنى. وسئل الحسن عنه؟ فقال: كلمة عربية كانت العرب تقولها: كان الرجل إذا كذب كذبة في نادي القوم،

= العرب (١١/ ١٣٢)، شرح الحماسة (٢/ ٩٣٦)، الهمع (١/ ١١٦).

يقول له بعضهم: قد خرقها والله، ويجوز أن يكون من خرق الثوب إذا شقه، أي: اشتقوا له بنين وبنات.

وقرىء: وخرّقوا بالتشديد للتكثير؛ لقوله: «بنين وبنات»، وقرأ ابن عمر وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: و«حرّفوا له»، بمعنى: وزوّروا له أولاداً؛ لأنّ المزوّر محرّف مغير للحق إلى الباطل، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ أو صواب، ولكن رمياً بقول عن عمي وجهالة، من غير فكر وروية.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها؛ كقولك: فلان بديع الشعر، أي: بديع شعره، أو هو بديع في السموات والأرض؛ كقولك: فلان ثبت الغدر، أي: ثابت فيه، والمعنى أنه عديم النظير والمثل فيها.

وقيل: «البديع» بمعنى: «المبدع»، وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو هو مبتدأ وخبره، ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾، أو فاعل تعالى.

وقرىء: بالجرّ؛ ردًّا على قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾/ ٢٢٤أ أو على: (سبحانه)، وبالنصب على المدح، وفيه إبطال الولد من ثلاثة أوجه: أحدها: أن مبتدع السموات والأرض، وهي أجسام عظيمة، لا يستقيم أن يوصف بالولادة؛ لأنّ الولادة من صفات الأجسام، ومخترع الأجسام لا يكون جسماً حتى يكون والداً.

والثاني: أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد، وهو متعال عن مجانس، فلم يصح أن تكون له صاحبة، فلم تصح الولادة.

والثالث: أنه ما من شيء إلا وهو خالقه والعالم به، ومن كان بهذه الصفة كان غنيًّا عن كل شيء، والولد إنما يطلبه المحتاج.

وقرىء: «ولم يكن له صاحبة»، بالياء، وإنما جاز للفصل؛ كقوله: [من الوافر]

لَـقَـدْ وَلَـدَ الأُخَـيْـطِـلَ أُمُّ سُـوءٍ[1] ....

---

(١) لـقـد ولـد الأخـيـطـل أم سـوء   عـلـى بـاب اسـتـه صـلـب وشـام

لجرير يهجو الأخطل. والأخيطل: تصغير الأخطل. وأم سوء ـ بالإضافة ـ: فاعل، فكان حق الفعل التأنيث؛ لكن سوغ تركه الفصل بالمفعول. والاست ـ بوصل الهمزة ـ الدبر. والصلب: جمع صليب. والشام اسم جمع شامة، وهي العلامات والنفوش. وكان الأخطل ـ وهو غياث بن غوث ـ =

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿ذَٰلِكُمُ﴾: إشارة إلى الموصوف مما تقدم من الصفات، وهو مبتدأ، وما بعده أخبار مترادفة[1] وهي: ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، أي: ذلكم الجامع لهذه الصفات، ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾: مسبب عن مضمون الجملة على معنى: أن من استجمعت له هذه الصفات، كان هو الحقيق بالعبادة، فاعبدوه، ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه، ثم قال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ يعني: وهو مع تلك الصفات، مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال، رقيب على الأعمال.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾

البصر: هو الجوهر اللطيف[2]، الذي ركبه الله في حاسة النظر، به تدرك المبصرات،

= من نصارى العرب. ويروى «على باب إستها» أي الأم. وهو أقعد في المعنى، وأشنع في هتك الحرمة.

ينظر: ديوانه ٢/ ٢٨٣، المقتضب ٢/ ١٤٥، الإنصاف ١/ ١٧٥، الأمالي لابن الشجري ٣/ ١٥٣، الدر المصون ٣/ ١٤٧.

(١) قال السمين الحلبي: هذا عند من يجيز تعدد الخبر مطلقاً. ويجوز أن يكون «الله» وحده هو الخبر، وما بعده إبدال منه؛ كذا قال أبو البقاء، وفيه نظر؛ من حيث إن بعضها مشتق، والبدل يقل بالمشتقات، وقد يقال: إن هذه ـ وإن كانت مشتقة ـ ولكنها بالنسبة إلى الله تعالى من حيث اختصاصها به صارت كالجوامد، ويجوز أن يكون «الله» هو البدل، وما بعده أخبار أيضاً، ومن منع تعدد الخبر، قدر قبل كل خبر مبتدأ، أو يجعلها كلها بمنزلة اسم واحد؛ كأنه قيل: ذلكم الموصوف هو الجامع بين هذه الصفات. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله تعالى في حاسة النظر به تدرك. . . إلخ» قال أحمد: وقد سلف الكلام على هذه الآية في غير موضعها، لأن المصنف تعجل الكلام عليها قبل، والذي يريده الآن أن الإدراك عبارة عن الإحاطة، ومنه: ﴿فلما أدركه الغرق﴾ أي أحاط به، و﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ أي محاط بنا، فالمنفي إذاً عن الأبصار إحاطتها به عز وعلا لا مجرد الرؤية، ثم إما أن نقتصر على أن الآية لا تدل على مخالفتنا، أو نزيد فنقول. يدل لنا أن تخصيص الإحاطة بالنفي يشعر بطريق المفهوم بثبوت ما هو أدنى من ذلك، وأقله مجردالرؤية، كما أنا نقول: لا تحيط به الأفهام وإن كانت المعرفة بمجردها حاصلة لكل مؤمن، فالإحاطة للعقل منفية كنفي الإحاطة للحس، وما دون الإحاطة من المعرفة للعقل والرؤية للحس ثابت غير منفي. ولم يذكر الزمخشري على إحالة الرؤية عقلاً دليلاً ولا شبهة فيحتاج إلى القدح فيه ثم معارضته بأدلة الجواز، ولكنه اقتصر على استبعاد أن يكون المرئي لا في جهة، فيقتصر معه على إلزامه استبعاد أن يكون الموجود لا في جهة؛ إذ اتباع الوهم يبعدهما جميعاً، والانقياد إلى العقل يبطل هذا الوهم ويجيزهما معاً. وهذا القدر كاف بحسب ما أورده في هذا الوضع، والله الموفق.

فالمعنى: أن الأبصار لا تتعلق به، ولا تدركه؛ لأنه متعال أن يكون مبصراً[1] في ذاته؛ لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلاً أو تابعاً، كالأجسام، والهيآت، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾: وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾: يلطف عن أن تدركه الأبصار، ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: بكل لطيف، فهو يدرك الأبصار، لا تلطف عن إدراكه، وهذا من باب اللطف[2].

---

(١) قوله: «لأنه متعال عن أن يكون مبصراً» استحالة الرؤية مذهب المعتزلة، لظاهر هذه الآية. وجوازها مذهب أهل السنة لقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ وكل يؤول مستند الآخر. وتحقيقه في التوحيد. (ع)

(٢) في قوله ـ تعالى ـ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ لحظ المفر «لف ونشر» وهو لون بديعي له إيقاعه في المعنى.

هذا اللون الجميل عرفه البلاغيون معرفة محددة وقالوا في تعريفه: «وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ما لكل واحد من غير تعيين» أي ذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد بلا تعيين، لأنه لوعين لكان تقسيماً، وعدم التعيين مبني على أن السامع سيحرك فكره ليرد كل إلف لإلفه، وبهذا التحديد نراه قسمين:

الأول: المفصل وله نوعان (أ) على الترتيب أي ترتيب النشر على ترتيب اللف كقوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣] فالسكن يلائم الليل، والابتغاء يناسب النهار، ومن هذا القسم الآية التي المصدرة. (ب) أو يكون على خلاف الترتيب كقوله ـ تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الروم: ٣٠].

وهذا ما لحظه الزمخشري عند الآية، وذكر هناك أن الأصل في الترتيب: ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه فصل اعتماداً على فطنة السامع.

الثاني: المجمل: وذلك كقوله ـ تعالى ـ ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] فقوله: «وقالوا» فيه إجمال لأهل الكتاب من يهود ونصارى بالضمير العائد إليهم وهو الفاعل «واو الجمع»، ولهذا يكون المعنى: وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان من النصارى، وهذا اللف والنشر الوارد في الآية مبني على أن السامع فطن يرد كل فريق إلى قوله مع أمن اللبس فقد علم أن كل فريق يعادي الآخر.

هذا وقد ذكر الزمخشري نوعاً من اللف يلطف مسلكه ويدق مأخذه عند قوله ـ تعالى ـ ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾... الآية وعارض سعد الدين التفتازاني ومن أراد المراجعة فعليه بكلام كل في محله من كتابه.

وقد يجتمع اللف والطباق إذا كان الصفات الراجعة إلى المذكور متقابلة كقوله ـ تعالى ـ: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ [هود: ٢٤] والآية بهذا الترتيب من الوضوح بمكان، وفيه تشبيه الكافرين بالأعمى والأصم وتشبيه المؤمنين بالبصير والسميع، فقد اجتمع في الآية من ألوان البلاغة: التشبيه واللف والنشر، والطباق، وهذا من عجائب النظم القرآني المعجز، حقا!! تنزيل من حكيم حميد....

«ينظر مفتاح العلوم للسكاكي ٢٠٠، والإيضاح للقزويني بتحقيق خفاجي ٦/ ٤٢ وما بعدها، المطول لسعد الدين التفتازاني ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، والبلاغة القرآنية ٥٧٦ وما بعدها» وعقود الجمان في =

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ﴾: هو وارد على لسان رسول الله ـ ﷺ ـ لقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ و«البصيرة» نور القلب الذي به يستبصر، كما أن البصر نور العين الذي به تبصر، أي: جاءكم من الوحي، والتنبيه على ما يجوز على الله، وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾: الحق وآمن، ﴿فَلِنَفْسِهِۦۖ﴾: أبصر، وإياها نفع، ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾: عنه، فعلى نفسه عمي وإياها ضرَّ بالعمى[1]، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: أحفظ أعمالكم، وأجازيكم عليها؛ إنما أنا منذر، والله هو الحفيظ عليكم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾: جوابه محذوف تقديره، وليقولوا «درست» تصرّفها، «ومعنى: ﴿دَرَسْتَ﴾: قرأت وتعلمت.

وقرىء: «دارست»، أي: «دارست العلماء»، و«درست» بمعنى: قدّمت هذه الآيات، وعفت، كما قالوا: «أساطير الأولين»، و«دُرست» بضم الراء، مبالغة في «درست»، أي: اشتد دروسها، و«درست» ـ على البناء للمفعول ـ بمعنى:/ ٢٢٤ب قرئت، أو عفيت، ودارست، وفسروها: بدارست اليهود محمداً ـ ﷺ ـ وجاز الإضمار؛ لأن الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم، ويجوز أن يكون الفعل للآيات، وهو لأهلها، أي: دارس أهل الآيات، وحملتها محمداً، وهم أهل الكتاب، «ودرس»؛ أي: درس محمد، «ودارسات»، على: هي دارسات، أي: قديمات، أو ذات دروس، كعيشة راضية.

فإن قلت: أي فرق بين اللامين في (ليقولوا)، (ولنبينه)؟

قلت: الفرق بينهما: أنّ الأول مجاز، والثانية حقيقة؛ وذلك أن الآيات صرفت للتبيين، ولم تصرف ليقولوا: دارست؛ ولكن لأنه حصل هذا القول بتصريف الآيات؛ كما حصل التبيين، شبه به فسيق مساقه، وقيل: ليقولوا كما قيل لنبينه.

= المعاني والبيان للسيوطي ٢/١٠٣، ١٠٤ وتفسير أبي السعود ٢/١٨٩».

(١) قال السمين الحلبي: هذا التقدير الذي قدره الزمخشري مسبوق إليه. سبقه إليه الكلبي، فإنه قال: «فمن أبصر صدّق وآمن بمحمد ﷺ، فلنفسه عَمِلَ، ومَنْ عَمِيَ فلم يُصَدّق، فعلى نفسه جنى العذاب. «وقوله: إن الفاء لا تدخل فيما ذكر». قد ينازع فيه. وإذا كانوا فيما يصلح أن يكون جواباً صريحاً، ويظهر فيه أثر الجازم كالمضارع يجوز فيه دخول الفاء، نحو: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾، فالماضي بدخولها أولى وأحرى». انتهى. الدر.

فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: (ولنبينه)؟

قلت: إلى الآيات؛ لأنها في معنى القرآن؛ كأنه قيل: و«كذلك نصرف القرآن»، أو إلى القرآن، وإن لم يجرِ له ذكر؛ لكونه معلوماً إلى التبيين الذي هو مصدر الفعل؛ كقولهم: ضربته زيداً، ويجوز أن يراد فيمن قرأ: «درست ودارست»: درست الكتاب ودارسته، فيرجع إلى الكتاب المقدّر.

﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: اعتراض أكد به إيجاب اتباع الوحي، لا محلّ له من الإعراب، ويجوز أن يكون حالاً من ربك، وهي حال مؤكدة؛ كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ **[فاطر: ٣١]**.

﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟﴾: الآلهة، ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ﴾: وذلك أنهم قالوا عند نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ **[الأنبياء: ٩٨]**؛ لتنتهينّ عن سب آلهتنا، أو لتهجونّ إلهك.

وقيل: كان المسلمون يسبون آلهتهم، فنهوا؛ لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله تعالى.

فإن قلت: سب الآلهة حق وطاعة، فكيف صحّ النهي عنه، وإنما يصح النهي عن المعاصي؟

قلت: ربّ طاعة علم أنها تكون مفسدة فتخرج عن أن تكون طاعة، فيجب النهي عنها؛ لأنها معصية، لا لأنها طاعة، كالنهي عن المنكر، هو من أجلّ الطاعات، فإذا علم أنه يؤدّي إلى زيادة الشر، انقلب معصية، ووجب النهي عن ذلك النهي، كما يجب النهي عن المنكر.

فإن قلت: فقد روي عن الحسن، وابن سيرين، أنهما حضرا جنازة، فرأى محمد نساء فرجع، فقال الحسن: لو تركنا الطاعة لأجل المعصية، لأسرع ذلك في ديننا.

قلت: ليس هذا ممن نحن بصدده؛ لأنّ حضور الرجال الجنازة طاعة، وليس بسبب لحضور النساء؛ فإنهن يحضرنها حضر الرجال، أو لم يحضروا، بخلاف سب الآلهة،

وإنما خيل إلى محمد أنه مثله حتى نبه عليه الحسن، ﴿عَدْوًا﴾: ظلماً وعدواناً، وقرىء: «عدوّاً» بضم العين وتشديد الواو بمعناه، يقال: هذا فلان عدواً، وعدواً، وعدواناً، وعداء، وعن ابن كثير: «عَدوّاً»، بفتح العين، بمعنى: أعداء/ ٢٢٥أ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: على جهالة بالله، وبما يجب أن يذكر به، ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: مثل ذلك التزيين زينا لكل أمّة من أمم الكفار سوء عملهم، أو خليناهم وشأنهم[1]، ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم: أو أمهلنا الشيطان حتى زين لهم، أو زيناه في زعمهم، وقولهم: «إن الله أمرنا بهذا وزينه لنا» ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾: فيوبخهم عليه، ويعاتبهم، ويعاقبهم.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: من مقترحاتهم، ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾: وهو قادر عليها، ولكنه لا ينزلها إلا على موجب الحكمة[2]، أو إنما الآيات عند الله، لا عندي،

---

(١) قوله: «أو خليناهم وشأنهم» فسر التزيين بذلك، لأنه تعالى لا يخلق الشر عند المعتزلة، ويخلق الشر والخير عند أهل السنة. (ع)

(٢) قال محمود: «يعني أن الله تعالى قادر على أن ينزل الآيات ولكنه لا ينزلها إلا على موجب الحكمة... إلخ» قال أحمد: ومحز النظر في الآية يتضح بمثال، فنقول: إذا قال لك القائل «أكرم فلاناً فإنه يكافئك» وكنت أنت تعلم منه عدم المكافأة، فإذا أنكرت على المشير بإكرامه قلت: وما يدريك أني إذا أكرمته يكافئني؟ فأنكرت عليه إثباته المكافأة وأنت تعلم نفيها، فإن انعكس الأمر فقال لك: «لا تكرمه فإنه لا يكافئك» وكنت تعلم منه المكافأة فأنكرت على المشير بحرمانه قلت: وما يدريك أنه لا يكافئني؟ تريد: وأنا أعلم منه المكافأة، فكان مقتضى الإنكار على المؤمنين الذين أحسنوا الظن بالمعاندين فاعتقدوا أنهم يؤمنون عند نزول الآية المقترحة أن يقال: وما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون، كما تقول في المثال منكراً عليَّ أن أثبت المكافأة وأنت تعلم خلافها، وما يدريكم أنه يكافئني؟ بإسقاط «لا» وإن أثبتها انعكس المعنى، إلى أن المعلوم لك الثبوت وأنت تنكر على من نفى، فلما جاءت الآية تفهم ببادئ الرأي أن الله تعالى علم الإيمان منهم وأنكر على المؤمنين نفيهم له والواقع على خلاف ذلك، اختلف العلماء، فحمل بعضهم «لا» على الزيادة، وبعضهم أول «أن» بلعل، وبعضهم جعل الكلام جواب قسم محذوف. وقد تفتح «أن» بعد القسم فقال التقدير: والله أنها إذا جاءت لا يؤمنون. وأما الزمخشري فتفطن لبقاء الآية على ظاهرها وقرارها في نصابها من غير حذف ولا تأويل فقال قوله السالف، ونحن نوضح اطراده في المثال المذكور ليتضح بوجهيه في الآية، فنقول: إذا حرمت زيداً لعلمك بعدم مكافأته فأشير عليك بالإكرام بناء على أن المشير يظن المكافأة، فلك معه حالتان: حالة تنكر عليه ادعاء العلم بما يعلم خلافه، وحالة تعذره في عدم العلم بما أحطت به علماً، فإن أنكرت عليه قلت: وما يدريك أنه يكافئ؟ وإن عذرته في عدم علمه بأنه لا يكافئ قلت: وما يدريك أنه لا يكافئ؟ يعني ومن أين تعلم أنت ما علمته أنا من عدم مكافأته وأنت لم تخبر أمره خبري، فكذلك الآية، إنما ورد فيها الكلام، قامة =

فكيف أجيبكم إليها وآتيكم بها، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: وما يدريكم، ﴿ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾: أن الآية التي تقترحونها، ﴿إذا جاءت لا يؤمنون بها﴾، يعني: أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها، وأنتم لا تدرون بذلك؛ وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية، ويتمنون مجيئها، فقال ـ عزّ وجلّ ـ: «وما يدريكم أنهم لا يؤمنون»، على معنى: أنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون به؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠] وقيل: «أنها» بمعنى: «لَعَلَّها»، من قول العرب: ائت السوق أنك تشتري لحماً؛ وقال امرؤ القيس: [من الكامل]

عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لأَنَّنَا نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ خُذَامِ[1]

وتقويها قراءة أبي: «لعلها إذا جاءت لا يؤمنون»، وقرىء: بالكسر، على أن الكلام قد تمّ قبله بمعنى: «وما يشعركم ما يكون منهم»، ثم أخبرهم بعلمه فيهم، فقال: إنها إذا جاءت، لا يؤمنون ألبتة، ومنهم من جعل «لا»: مزيدة في قراءة الفتح، وقرىء: «وما يشعرهم أنها إذا جاءت لا يؤمنون»، أي: يحلفون بأنهم يؤمنون عند مجيئها، وما يشعرهم أن تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعاً عليها فلا يؤمنوا بها.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ﴾: عطف على يؤمنون، داخل في حكم وما يشعركم، بمعنى: وما يشعركم أنهم لا يؤمنون، وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم، أي: نطبع على قلوبهم، وأبصارهم، فلا يفقهون، ولا يبصرون الحق

= عذر للمؤمنين في عدم علمهم بالمغيب في علم الله تعالى وهو عدم إيمان هؤلاء، فاستقام دخول «لا» وتعين وتبين أن سبب الاضطراب التباس الإنكار بإقامة الأعذار. والله الموفق للصواب.

(١) لامرئ القيس. والعوج: عطف رأس البعير بالزمام. والمحيل: الذي حال وتغير عن صفة الجدة إلى صفة البلى، أو الذي أصابه المحل والإقفار. هذا وفي الصحاح: أحال الشيء إذا أتى عليه الحول. ومنه الطلل المحيل، فهو اسم فاعل وهو الوجيه، ولأننا: بفتح اللام والهمزة، بمعنى لعلنا. قال في التسهيل: في لعل عشر لغات، وعد منها أن المفتوحة، ولأن. وابن خذام بمعجمتين أول من بكى الديار من شعراء العرب، وكان طبيباً حاذقاً يضرب به المثل في الطب.
ينظر البيت في ديوانه ص ١١٤، وجمهرة اللغة ص ٥٨٠، خزانة الأدب ٤/ ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ولسان العرب (خذم)؛ شرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٧٩، الدرر ٢/ ١٦٦، والمؤتلف والمختلف ص ١١ (وفيه «حمام» مكان «خذام»)، والحيوان ٢/ ١٤٠، وفيه (حمام) مكان (خذام)، تذكرة النحاة ص ١٩، ورصف المباني ص ١٢٧، وهمع الهوامع ١/ ١٣٤. والدر اا صون ٢/ ١٧٤.

كما كانوا عند نزول آياتنا، أو لا يؤمنون بها؛ لكونهم مطبوعاً على قلوبهم، وما يشعركم أنا نذرهم في طغيانهم، أي: نخليهم، وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا[1] فيه.

وقرىء: «ويقلب»، و«يذرهم» بالياء، أي: الله عزَّ وجلّ ـ وقرأ الأعمش: «وتقلب أفئدتهم وأبصارهم»، على البناء للمفعول.

﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: كما قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١] ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: كما قالوا: ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ [الدخان: ٢٦]، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾: كما قالوا: ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء:٩٢] **قبلاً، كفلاء بصحة ما بشرنا به وأنذرنا، أو جماعات، وقيل: «قبلا»، مقابلة.**

وقرىء: «قبلا» أي: عياناً[2]، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: مشيئة إكراه واضطرار[3]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾: فيقسمون بالله جهد أيمانهم على/ ٢٢٥ب ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات، أو: ولكنّ أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون إلا أن يضطرّهم فيطمعون في إيمانهم إذا جاءت الآية المقترحة.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾

---

(١) قوله: «حتى يعمهوا فيه» أي يتحيروا.

(٢) قوله: «وقرىء: قبلاً أي: عياناً» في الصحاح: رأيته قبلاً وقبلاً ـ بالضم ـ أي مقابلة وعياناً. ورأيته قبلاً ـ بكسر القاف ـ قال الله تعالى ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ أي عياناً.

(٣) قال محمود: «معناه إلا أن يشاء الله مشيئة إكراه واضطرار. . . إلخ» قال أحمد: بل المراد إلا أن يشاء الله منهم اختيار الإيمان، فإنه تعالى لو شاء منهم اختيارهم للإيمان لاختاروه وآمنوا حتماً. ما شاء الله كان. والزمخشري بنى على القاعدة الفاسدة في اعتقاده أن الله تعالى شاء منهم الإيمان اختياراً فلم يؤمنوا، إذ لا يجب على زعم طائفته نفوذ المشيئة، ولا يطلقون القول كما أطلقه سلف هذه الأمة وحملة شريعتها. من قولهم: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، بل يقولون إن أكثر ما شاءه لم يقع، إذ شاء الإيمان والصلاح من جميع الخلق، فلم يؤمن ويعمل الصالح إلا القليل، وقليل ما هم. وهذا كله مما يتعالى الله عنه علوّا كبيراً، فإذا صدمتهم مثل هذه الآية بالرد تحيلوا في المدافعة بحمل المشيئة المنفية على مشيئة القسر والاضطرار، وإنما لم يتم لهم ذلك أن لو كان القرآن يتبع الآراء، وأما وهو القدوة والمتبوع، فما خالفه حينئذ وتزحزح عنه فإلى النار، وما بعد الحق إلا الضلال، والله الموفق للصواب.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾: وكما خلينا بينك وبين أعدائك، كذلك فعلنا بمن قبلك من الأنبياء وأعدائهم، لم نمنعهم من العداوة، لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر، وكثرة الثواب والأجر، وانتصب: ﴿شَيَٰطِينَ﴾: على البدل من عدوًّا، أو على أنهما مفعولان؛ كقوله ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠] ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: يوسوس شياطين الجنّ إلى شياطين الإنس، وكذلك بعض الجنّ إلى بعض، وبعض الإنس إلى بعض، وعن مالك بن دينار: إنّ شيطان الإنس أشد عليّ من شيطان الجنّ؛ لأني إذا تعوّذت بالله ذهب شيطان الجنّ عني، وشيطان الإنس يجيئني فيجرّني إلى المعاصي عياناً، ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾: ما يزينه من القول، والوسوسة، والإغراء على المعاصي ويموّهه، ﴿غُرُورًا﴾: خدعاً وأخذاً على غرّة، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾: ما فعلوا ذلك، أي: ما عادوك، أو ما أوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول بأن يكفهم، ولا يخليهم وشأنهم.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾: جوابه محذوف تقديره: وليكون ذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً، على أن اللام لام الصيرورة، وتحقيقها ما ذكر، والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾[1]: يرجع إلى ما رجع إليه الضمير في فعلوه، أي: ولتميل إلى مَا ذكر من عداوة الأنبياء، ووسوسة الشياطين، ﴿أَفْـِٔدَةُ﴾: الكفار، ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾: لأنفسهم، ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾: من الآثام.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾: على إرادة القول، أي: قل يا محمد: أفغير الله أطلب حاكماً يحكم بيني وبينكم، ويفصل المحق منا من المبطل، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: المعجز، ﴿مُفَصَّلًا﴾: مبيناً فيه الفصل بين الحق والباطل، والشهادة لي بالصدق، وعليكم بالافتراء، ثم عضد الدلالة على أنّ القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: من باب التهييج والإلهاب؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥]، أو ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: في أنّ أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق، ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به، ويجوز أن

---

(١) قوله: «والضمير في إليه» أي: في قوله تعالى ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾.

يكون: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾: خطاباً لكل أحد، على معنى أنه إذا تعاضدت الأدلة على صحته وصدقه، فما ينبغي أن يمتري فيه أحد.

وقيل: الخطاب لرسول الله - ﷺ - خطاباً لأمته[1].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: تم كل ما أخبر به، وأمر، ونهى، ووعد، وأوعد، ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: لا أحد يبدّل شيئاً من ذلك، مما هو أصدق وأعدل، و«صدقاً وعدلاً»، نُصيبا على الحال.

وقرىء: كلمة ربك، أي ما تكلم به.

وقيل: هي/ ٢٢٦أ القرآن.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: من الناس أضلوك؛ لأنّ الأكثر في غالب الأمر يتبعون هواهم، ثم قال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾، وهو ظنهم أنّ آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يقدّرون أنهم على شيء، أو يكذبون في أنّ الله حرّم كذا، وأحلّ كذا.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾

وقرىء: «من يضل»: بضم الياء، أي: يضله الله، ﴿فَكُلُوا۟﴾: مسبب عن إنكار اتباع المضلين، الذين يحلون الحرام، ويحرّمون الحلال؛ وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله، فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم، فقيل للمسلمين: إن كنتم متحققين بالإيمان، فكلوا، ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم، أو مات حتف أنفه، وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى بـ«بسم الله»، ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟﴾: وأي غرض لكم في ألاّ تأكلوا، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم﴾:

---

(١) قوله: «خطاباً لأمته» لعله «خطاب».

وقد بين لكم، ﴿مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: مما لم يحرّم، وهو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] وقرىء «فصل لكم ما حرّم عليكم» على تسمية الفاعل، وهو الله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: مما حرّم عليكم؛ فإنه حلال لكم في حال الضرورة، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ قرىء: بفتح الياء وضمها، أي: يضلون فيحرّمون ويحللون، ﴿بِأَهْوَائِهِم﴾: وشهواتهم من غير تعلق بشريعة.

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: ما أعلنتم منه وما أسررتم، وقيل: ما عملتم وما نويتم، وقيل: ظاهره الزنا في الحوانيت، وباطنه الصديقة في السرّ.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾: الضمير راجع إلى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي، يعني: وإنّ الأكل منه لفسق، أو إلى الموصول على: وإنّ أكله لفسق، أو جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقاً.

فإن قلت: قد ذهب جماعة من المجتهدين إلى جواز أكل[1] ما لم يذكر اسم الله عليه

---

(١) قال محمود: «إن قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين إلى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان أو عمد. . . إلخ» قال أحمد: مذهب مالك وأبي حنيفة واه في أن متروك التسمية عمداً لا يؤكل. سواء كان تهاوناً أو غير تهاون، ولأشهب قول شاذ بجواز غير المتهاون في ترك تسميته، والآية تساعد مذهب الإمامين مساعدة بينة، فإنه ذكر عقيب غير المسمى عليه قوله: (وإنه لفسق) وذلك إن كان عبارة عن فعل المكلف وهو إهمال التسمية، أو تسمية غير الله فلا يدخل النسيان؛ لأن الناسي غير مكلف فلا يكون فعله فسقاً ولا هو فاسق، وإن كان نفس الفسق الذبيحة التي لم يسم عليها ولم يكن مصدراً، فإنما تسمى الذبيحة فسقاً نقلاً لهذا الاسم من المصدر إلى الذات فالذبيحة التي تركت التسمية عليها نسياناً لا يصح أن تسمى فسقاً، إذ الفعل الذي ينقل منه هذا الاسم ليس بفسق، فإذا تمهد ذلك فأما أن يقول: لا دليل في الآية على تحريم منسي التسمية، فبقي على أصل الإباحة. أو يقول: فيها دليل على إباحته من حيث مفهوم تخصيص النهي بما هو فسق، فما ليس بفسق ليس بحرام. وهذا النظر يستد إذا لم تكن الميتة متناولة في هذه الآية. وأما إذا أثبت أنها مرادة، تعين صرف الفسق إلى الآكل والمأكول، وكان الضمير من قوله (وإنه) عائداً إلى المصدر المنهي عنه، أو إلى الموصول. وحينئذ يندرج المنسي في النهي ولا يستقيم، على أن الميتة مندرجة كاندراج المنسي؛ لأن الوجه الذي به تندرج الميتة هو الوجه الذي به يندرج المنسي، إذ يكون الفسق إما للأكل، وإما للمأكول نقلاً من الأكل، ولا ينصرف إلى غير ذلك، لأن الميتة لم =

بنسيان أو عمد.

قلت: قد تأوله هؤلاء بالميتة، وبما ذكر غير اسم الله عليه[1]؛ كقوله: ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، ﴿لَيُوحُونَ﴾: ليوسوسون، ﴿إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾: من المشركين، ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾: بقولهم: ولا تأكلوا مما قتله الله، وبهذا يرجع تأويل من تأوله بالميتة، ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾: لأنّ من اتبع غير الله ـ تعالى ـ في دينه، فقد أشرك به، ومن حق ذي البصيرة في دينه ألاَّ يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان، لما يرى في الآية من التشديد العظيم، وإن كان أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ مرخصاً في النسيان دون العمد، ومالك، والشافعي، رحمهما الله فيهما.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتًا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورًا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٍ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ١٢٣﴾

مثل الذي هداه الله بعد الضلالة، ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق، والمبطل، والمهتدي، والضال، بمن كان ميتًا، فأحياه الله، وجعل له نوراً يمشي به في الناس مستضيئاً به، فيميز بعضهم من بعض، ويفصل بين حلاهم، ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها، ولا يتخلص ومعنى قوله: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٍ مِّنۡهَا﴾/ ٢٢٦ب: كمن صفته هذه وهي قوله: ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٍ مِّنۡهَا﴾ بمعنى: هو في الظلمات ليس بخارج منها؛ كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٌ﴾ [محمد: ١٥]، أي: صفتها هذه، وهي قوله: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٌ﴾ [محمد: ١٥] ﴿زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾: أي

= يفعل المكلف فيها فعلاً يسمى فسقاً سوى الأكل، والمنسي تسميتها لا يستقيم أن يسمى الذبح فيها فسقاً لأجل النسيان، فيتعين صرفه إلى الأكل. ومن ثم قوي عند الزمخشري تعميم التحريم حتى في المنسي، لأنه يرى أن الميتة مرادة من الآية ولا بد؛ إذ هي سبب نزول الآية. والتحقيق أن العام الظاهر متى ورد على سبب خاص كان نصاً في السبب ظاهراً باقياً على ظهوره فيما عداه. وإذا ثبت اندراج الميتة لزم اندراج المنسي كما تقدم. وحينئذ يضطر مبيح المنسي إلى مخصص، فيتمسك بقوله عليه الصلاة والسلام «ذكر الله على قلب كل مؤمن من سمى أو لم يسم» وكان الناسي ذاكراً حكماً وإن لم يكن ذاكراً وجوداً، وهذا عند التحقيق ليس بتخصيص، ولكن منع لاندراج الناسي في العموم وسنده الحديث المذكور. ويؤيد بأن العام الوارد على سبب خاص وإن قوي تناوله للسبب حتى ينهض الظاهر فيه نصا، إلا أنه ضعيف التناول لما عداه حتى ينحط عن أمالي الظواهر فيه، ويكتفي من معارضته بما لا يكتفي به منه لولا السبب، وهذا البحث متطلع بفنون شتى على نكت بديعة، والله الموفق للصواب.

(١) قوله: «وبما ذكر غير اسم الله عليه» لعله «اسم غير الله».

زينه الشيطان، أو الله ـ عزّ وعلا ـ على قوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾؛ ويدل عليه قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾، يعني: وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها، كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها لذلك، ومعناه: خليناهم ليمكروا[1]، وما كففناهم عن المكر، وخص الأكابر؛ لأنهم هم الحاملون على الضلال، والماكرون بالناس؛ كقوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، وقرىء: أكبر مجرميها، على قولك: هم أكبر قومهم، وأكابر قومهم: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ لأنّ مكرهم يحيق بهم، وهذه تسلية لرسول الله ـ ﷺ ـ وتقديم موعد بالنصرة عليهم، روي أن الوليد بن المغيرة قال: لو كانت النبوّة حقًّا، لكنت أولى بها منك، لأني أكبر منك سنًّا، وأكثر منك مالاً. وروي أن أبا جهل قال: زاحمنا بني عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبيّ يوحى إليه، والله لا نرضى به، ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه؛ فنزلت، ونحوها قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ [المدثر: ٥٢].

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾: كلام مستأنف للإنكار عليهم وألاّ يصطفي للنبوّة إلا من علم أنه يصلح لها، وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم، ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: من أكابرها، ﴿صَغَارٌ﴾: وقماءة[2] بعد كبرهم وعظمتهم، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: في الدّارين من الأسر والقتل، وعذاب النار.

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ﴾: أن يلطف به، ولا يريد أن يلطف إلا بمن له لطف، ﴿يَشْرَحْ

---

(١) قوله: «ومعناه خليناهم ليمكروا» أوله بذلك لأنه تعالى لا يخلق الشر عند المعتزلة ويخلقه كالخير عند أهل السنة، وكذا قوله تعالى ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ ...﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾.

(٢) قوله: و«قماءة» أي: ذل.

صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾: يلطف به حتى يرغب في الإسلام، وتسكن إليه نفسه، ويحب الدخول فيه، ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾: أن يخذله ويخليه وشأنه[1]، وهو الذي لا لطف له، ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾: يمنعه ألطافه، حتى يقسو قلبه، وينبو عن قبول الحق، وينسدّ فلا يدخله الإيمان، وقرىء: (ضيقاً): بالتخفيف والتشديد، (حرجاً): بالكسر، وحرجاً ـ بالفتح ـ وصفاً بالمصدر: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: كأنما يزاول أمراً غير ممكن؛ لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع، ويبعد من الاستطاعة، وتضيق عنه المقدرة.

وقرىء: «يصعد»، وأصله «يتصعد».

وقرأ عبد الله: «يتصعد، ويصاعد»، وأصله: «يتصاعد، ويصعد»، من «صعد»، ويصعد من أصعد، ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ يعني: الخذلان ومنع التوفيق، وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب، أو أراد الفعل المؤدّي إلى الرجس، وهو العذاب من الارتجاس، وهو الاضطراب، ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾: وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة/ ٢٢٧أ وعادته في التوفيق والخذلان، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾: عادلاً مطرداً، وانتصابه على أنه حال مؤكدة؛ كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [فاطر: ٣١] ﴿لَهُمْ﴾: لقوم يذكرون، ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾: دار الله، يعني: الجنة أضافها إلى نفسه؛ تعظيماً لها، أو دار السلام من كل آفة وكدر[2]،

---

(١) قوله: «أن يخذله ويخليه وشأنه» فسر الإضلال بذلك، لأنه تعالى لا يفعل الشر عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فيفعله كالخير، وكذا يقال في قوله: «يمنعه ألطافه».

(٢) وقد بين علماء البلاغة أن فائدة الإضافة تأتي من قبيل المضاف إليه وخلاصة ذلك:
١ ـ أن المتكلم قد يجد الإضافة تجعل المعنى حاضراً في ذهن السامع فتكون الطريق الأخصر كقول الشاعر [من الطويل]:

هواي مع الركب اليمانين مصعد   جنيب، وجثماني بمكة موثق

والشاهد «هواي» فالإضافة أفادت أنه يتحدث عن «حبيبة» ـ مهوية، وهذا أخصر من الذي أهواه، والمقام ضيق لا يساعد التطويل، والشاعر حبيس في مكة، والخبر على هذا للتأسف والتحسر.
٢ ـ وقد تفيد التعظيم وهذا ما نراه في قوله ـ تعالى ـ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ لأن الإضافة إلى التعظيم تفيد التفخيم، وعلى هذا النمط جاءت إضافات «الآية ١ النمل» منها: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣] والآية التي صدر بها المبحث «دار السلام».
٣ ـ وكما تفيد التعظيم تفيد ضده التحقير والاستهزاء بالمخاطب كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [النحل: ٢٧].
فقوله ـ سبحانه ـ ﴿شُرَكَآءِىَ﴾ توبيخ لهم واستهزاء بهم، وهذا ما ذكره الكشاف في الآية.
٤ ـ وقد تفيد التنبيه إلى أمر مهم كالطاعة مثلا كقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] فإضافة الولد إليها ينبهها إلى ما يجب عليها نحوه، وكذلك الوالد «بولده» وقد يكون التشبيه إلى أن الله هو ـ وحده ـ المحاسب فيجب على العبد أن يهيء نفسه للقاء مولاه كما في قوله ـ تعالى ـ ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: في ضمانه، كما تقول: لفلان عندي حق لا ينسى، أو ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها؛ كقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾: مواليهم ومحبهم، أو: «ناصرهم على أعدائهم»، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: بسبب أعمالهم، أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: منصوب بمحذوف، أي: واذكر يوم نحشرهم، أو: ويوم نحشرهم، قلنا: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾، أو: ويوم نحشرهم، وقلنا: يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته، والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم، والجن هم الشياطين، ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: أضللتم منهم كثيراً، أو جعلتموهم أتباعكم، فحشر معكم منهم الجم الغفير، كما تقول: استكثر الأمير من الجنود، واستكثر فلان من الأشياع، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: الذين أطاعوهم، واستمعوا إلى وسوستهم، ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي: انتفع الإنس بالشياطين؛ حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها، وانتفع الجن بالإنس؛ حيث أطاعوهم، وساعدوهم على مرادهم، وشهوتهم في إغوائهم، وقيل: استمتاع الإنس بالجن ما في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، وأن الرجل كان إذا نزل وادياً، وخاف، قال: أعوذ بربّ هذا الوادي، يعني به: كبير الجن، واستمتاع الجن بالإنس: اعتراف الإنس لهم بأنهم يقدرون على الدفع عنهم، وإجارتهم لهم، ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾: يعنون: «يوم البعث»، وهذا الكلام اعتراف بما كان

= ٥ ـ وقد تفيد معنى «الاستحقاق» وهذا ما تراه في قوله ـ تعالى ـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ [الزلزلة: ١] والمعنى: الزلزال التي تستحقه في المشيئة الإلهية، وهو الشديد الذي ليس بعده زلزال كما نقول أكرم العالم إكرامه.

٦ ـ وقد تفيد الإضافة التهويل، كما في قوله ـ تعالى ـ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ [ق: ٢٠] فحينما يسمع الإنسان «يوم الوعيد» يهتز وجلا مما سيكون فيه وهكذا كلمات آيات هذا الكتاب المجيد رأيت في إضافاته العجب العجاب.

ينظر الإيضاح للقزويني مع تحقيق خفاجى ٢/ ٤٢ وما بعدها. والبلاغة القرآنية في تفسير الكشاف لأبي موسى ٣٦٣ وما بعدها، والنسفي ٢/ ١٦، والشهاب على البيضاوي ٤/ ٢٧٦، والفتوحات الإلهية للجمل على الجلالين ٢/ ٤١، ومفاتيح الغيب للرازي ٦/ ٣٤٥، ورح المعاني للألوسي ٧/ ١٧٨، وفتح القدير للشوكاني ٥/ ٧٦، والقرطبي ٣/ ٥٣٠، وتفسير أبي السعود ٢/ ٢٠٥.

منهم من طاعة الشياطين، واتباع الهوى، والتكذيب بالبعث، واستسلام لربهم، وتحسر على حالهم، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ أي: يخلدون في عذاب النار الأبد كله[١]، إلا ما شاء الله، إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير، فقد روي أنهم يدخلون وادياً فيه من الزمهرير، ما يميز بعض أوصالهم من بعض، فيتعاوون، ويطلبون الردّ إلى الجحيم، أو يكون من قول الموتور[٢] الذي ظفر بواتره، ولم يزل يحرق عليه أنيابه، وقد طلب إليه أن ينفس عن خناقه، أهلكني الله إن نفست عنك إلا إذا شئت، وقد علم أنه لا يشاء إلا التشفي منه بأقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد، فيكون قوله: «إلا إذا شئت»، من أشد الوعيد، مع تهكم بالموعد؛ لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه إطماع، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: لا يفعل شيئاً إلا بموجب الحكمة، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأن الكفار يستوجبون عذاب الأبد.

---

(١) قال محمود: «معنى هذا الاستثناء أنهم يخلدون في عذاب النار الأبد كله... إلخ» قال أحمد: قد ثبت خلود الكفار في العذاب ثبوتاً قطعيا، فمن ثم اعتنى العلماء بالكلام على الاستثناء في هذه الآية وفي أختها في سورة هود، فذهب بعضهم إلى أنها شاملة لعصاة الموحدين وللكفار، والمستثنى العصاة لأنهم لا يخلدون، وهذا تأويل أهل السنة. وقد غلط الزمخشري في إنكاره في آية هود وتناهى إلى ما نعوذ بالله منه، فقدح في عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه راوي الحديث الشاهد لهذا التأويل، ونحن نبرأ إلى الله تعالى من القدح في مثل عبد الله، وهو من جلة الصحابة رضوان الله عليهم وفقهائهم وزهادهم. وذهب بعضهم إلى أن هذا الاستثناء محدود بمشيئة رفع العذاب، أي مخلدون إلا أن يشاء الله لو شاء. وفائدته إظهار القدرة والإعلان بأن خلودهم إنما كان لأن الله تعالى قد شاءه، وكان من الجائز العقلي في مشيئته أن لا يعذبهم، ولو عذبهم لا يخلدهم، وأن ذلك ليس بأمر واجب عليه وإنما هو مقتضى مشيئته وإرادته عز وجل. وفيها على هذا الوجه دفع في صدر المعتزلة الذين يزعمون أن تخليد الكفار واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة، وأنه لا يجوز في العقل أن يشاء خلاف ذلك. وذهب الزجاج إلى وجه لطيف إنما يظهر بالبسط فقال: المراد ـ والله أعلم ـ إلا ما شاء من زيادة العذاب، ولم يبين وجه استقامة الاستثناء، والمستثنى على هذا التأويل لم يغاير المستثنى منه في الحكم، ونحن نبينه فنقول: العذاب ـ والعياذ بالله ـ على درجات متفاوتة، فكأن المراد أنهم مخلدون في جنس العذاب، إلا ما شاء ربك من زيادة تبلغ الغاية تنتهي إلى أقصى النهاية، حتى تكاد لبلوغها الغاية ومباينتها لأنواع العذاب في الشدة تعد ليس من جنس العذاب وخارجة عنه، والشيء إذا بلغ الغاية عندهم عبروا عنه بالضد كما تقدم في التعبير عن كثرة الفعل برب وقد، وهما موضوعان لضرر الكثرة من القلة، وذلك أمر يعتاد في لغة العرب. وقد حام أبو الطيب حوله فقال [من الطويل]:

لقد جدت حتى كاد يبخل حاتم ... إلى المنتهى ومن السرور يكاد

فكان هؤلاء إذا بلغوا إلى غاية العذاب ونهاية الشدة فقد وصلوا إلى الحد الذي يكاد أن يخرج من اسم العذاب المطلق، حتى يسوغ معاملته في التعبير بمعاملة المغاير، وهو وجه حسن لا يكاد يفهم من كلام الزجاج إلا بعد هذا البسط. وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنه ما يؤيده، والله الموفق.

(٢) قوله: «قول الموتور» الموتور: المظلوم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾: نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضاً كما فعل الشياطين، وغواة/ ٢٢٧ب الإنس، أو يجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة، وقرناءهم كما كانوا في الدنيا، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، واختلف في أن الجن هل بعث إليهم رسل منهم، فتعلق بعضهم بظاهر الآية، ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين أن يبعث إليهم رسول من جنسهم؛ لأنهم به آنس وله آلف، وقال آخرون: الرسل من الإنس خاصة؛ وإنما قيل رسل منكم؛ لأنه لما جُمع الثقلان في الخطاب، صحَّ ذلك، وإن كان من أحدهما؛ كقوله ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ **[الرحمن: ٢٢]**، وقيل: أراد رسل الرسل من الجنّ إليهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ **[الأحقاف: ٢٩]**، وعن الكلبي: كانت الرسل قبل أن يبعث محمد ـ ﷺ ـ يبعثون إلى الإنس، ورسول الله ـ ﷺ ـ بعث إلى الإنس والجن، ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾: حكاية لتصديقهم، وإيجابهم، قوله: (ألم يأتكم)؛ لأن الهمزة الداخلة على نفي إتيان الرسل للإنكار، فكان تقريراً لهم، وقولهم: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾؛ إقرار منهم بأن حجة الله لازمة لهم، وأنهم محجوجون بها.

فإن قلت: ما لهم مقرّين في هذه الآية جاحدين في قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ **[الأنعام: ٢٣]**؟

قلت: تتفاوت الأحوال، والمواطن في ذلك اليوم المتطاول، فيقرّون في بعضها، ويجحدون في بعضها، أو أريد شهادة أيديهم، وأرجلهم، وجلودهم حين يختم على أفواههم.

فإن قلت: لم كرّر ذكر شهادتهم على أنفسهم؟

قلت: الأولى: حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون؟

والثانية: ذمّ لهم، وتخطئة لرأيهم، ووصف لقلة نظرهم لأنفسهم، وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة، وكان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم

بالكفر، والاستسلام لربهم، واستيجاب عذابه؛ وإنما قال ذلك تحذيراً للسامعين من مثل حالهم.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ (١٣١) وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)﴾

﴿وَذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم، وإنذارهم سوء العاقبة، وهو خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر ذلك، و﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾: تعليل، أي: لأمر ما قصصناه عليك؛ لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم، على أن «أن» هي التي تنصب الأفعال، ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة، على معنى: لأن الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم، ولك أن تجعله بدلاً من ذلك؛ كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ [الحجر: ٦٦]، ﴿بِظُلْمٍ﴾: بسبب ظلم قدموا عليه، أو ظالماً، على أنه لو أهلكهم وهم غافلون، لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظلماً، وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح، ﴿وَلِكُلٍّ﴾: من المكلفين، ﴿ٱلدَّرَجَٰتِ﴾: منازل، ﴿مِّمَّا عَمِلُوٓا۟﴾: من جزاء أعمالهم، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: بساه عنه يخفى عليه مقاديره، وأحواله/ ٢٢٨أ، وما يستحق عليه من الأجر.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ (١٣٣) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (١٣٤)﴾

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾: عن عباده وعن عبادتهم، ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾: يترحم عليهم بالتكليف؛ ليعرّضهم للمنافع الدائمة، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: أيها العصاة، ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾: من الخلق المطيع، ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾: من أولاد قوم آخرين، لم يكونوا على مثل صفتكم، وهم أهل سفينة نوح، عليه السلام.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (١٣٥)﴾

«المكانة»: تكون مصدراً، يقال: مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن، وبمعنى المكان، يقال: مكان ومكانة، ومقام ومقامة، وقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾، يحتمل: اعملوا على تمكنكم من أمركم، وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، أو اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها، يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله: على مكانتك يا فلان، أي: اثبت

على ما أنت عليه لا تنحرف عنه، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ أي: عامل على مكانتي التي أنا عليها، والمعنى: اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي؛ فإني ثابت على الإسلام، وعلى مصابرتكم، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: أينا تكون له العاقبة المحمودة، وطريقة هذا الأمر طريقة قوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وهي «التخلية»، والتسجيل على المأمور[١] بأنه لا يأتي منه إلا الشر، فكأنه مأمور به، وهو واجب عليه حتم ليس له أن يتفصى عنه، ويعمل بخلافه.

فإن قلت: ما موضع ﴿من﴾؟

قلت الرفع إذا كان بمعنى: «أي»، وعلق عنه فعل العلم، أو النصب إذا كان بمعنى: «الذي»، و﴿عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾: العاقبة الحسنى التي خلق الله ـ تعالى ـ هذه الدار لها، وهذا طريق من الإنذار لطيف المسلك، فيه إنصاف في المقال، وأدب حسن، مع تضمن شدّة الوعيد، والوثوق بأنّ المنذر محق والمنذر مبطل.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله، وأشياء منها لآلهتهم، فإذا رأوا ما جعلوه لله زاكياً نامياً يزيد في نفسه خيراً، رجعوا فجعلوه للآلهة، وإذا زكا ما جعلوه للأصنام، تركوه لها، واعتلوا بأنّ الله غنيّ؛ وإنما ذاك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها، وقوله: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي؛ لأنه هو الذي ذرأه وزكاه، ولا يرد إلى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية، ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ وقرىء بالضم، أي: قد زعموا أنه لله، والله لم يأمرهم بذلك، ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك؛ لأنهم أشركوا بين الله وبين أصنامهم في القربة، ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: لا يصل إلى الوجوه التي كانوا يصرفونه إليها من قرى الضيفان، والتصدق على المساكين، ﴿فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ﴾: من إنفاق عليها بذبح النسائك عندها، والإجراء على سدنتها ونحو ذلك، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: في إيثار آلهتهم على الله ـ تعالى ـ وعملهم ما لم يشرع لهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

---

(١) قوله: «والتسجيل على المأمور» في الصحاح «السجل» الصك. وقد سجل الحاكم تسجيلاً. وفيه أيضاً: هي مسجلة للبر والفاجر. قال الأصمعي: أي مرسلة، يقال: أسجلت الكلام، أي أرسلته.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثل ذلك التزيين، وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين/ ٢٢٨ب الله - تعالى - والآلهة، أو ومثل ذلك التزيين البليغ[١]، الذي هو علم من الشياطين، والمعنى: أن شركاءهم من الشياطين، أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم[٢]

---

(١) قوله: «ومثل ذلك التزيين البليغ الذي» لعله التزيين الذي.

(٢) قال محمود: «المعنى أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم... إلخ» قال أحمد رحمه الله: لقد ركب المصنف في هذا الفصل متن عمياء، وتاه في تيهاء، وأنا أبرأ إلى الله وأبرئ حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به؛ فإنه تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً، لا نقلاً وسماعاً فلذلك غلط ابن عامر في قراءته هذه، وأخذ يبين أن وجه غلطه رؤيته الياء ثابتة في شركائهم، فاستدل بذلك على أنه مجرور، وتعين عنده نصب أولادهم بالقياس، إذ لا يضاف المصدر إلى أمرين معاً فقرأه منصوباً، قال المصنف: وكانت له مندوحة عن نصبه إلى جره بالإضافة وإبدال الشركاء منه، وكان ذلك أولى مما ارتكبه يعني ابن عامر من الفصل بين المضاف والمضاف إليه الذي يسمج في الشعر فضلاً عن النثر فضلاً عن المعجز. فهذا كله كما ترى ظن من الزمخشري أن ابن عامر قرأ قراءته هذه رأياً منه، وكان الصواب خلافه والفصيح سواه، ولم يعلم الزمخشري أن هذه القراءة بنصب الأولاد والفصل بين المضاف والمضاف إليه، بها يعلم ضرورة أن النبي ﷺ قرأها على جبريل كما أنزلها عليه كذلك، ثم تلاها النبي ﷺ على عدد التواتر من الأئمة، ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقرؤون بها خلفاً عن سلف، إلى أن انتهت إلى ابن عامر فقرأها أيضاً كما سمعها. فهذا معتقد أهل الحق في جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملة وتفصيلاً عن أفصح من نطق بالضاد ﷺ. فإذا علمت العقيدة الصحيحة فلامبالاة بعدها بقول الزمخشري، ولا بقول أمثاله ممن لحن ابن عامر، فإن المنكر عليه إنما أنكر ما ثبت أنه براء منه قطعاً وضرورة. ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل الشأنين، أعني علم القراءة وعلم الأصول، ولا يعد من ذوي الفنين المذكورين، لخيف عليه الخروج من ربقة الدين. وأنه على هذا العذر لفي عهدة خطرة وزلة منكرة تزيد على زلة من ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة فيها ما ليس متواتراً، فإن هذا القائل لم يثبتها بغير النقل. وغايته أنه ادعى أن نقلها لا يشترط فيه التواتر. وأما الزمخشري فظن أنها تثبت بالرأي غير موقوفة على النقل. وهذا لم يقل به أحد من المسلمين. وما حمله على هذا الخيال إلا التغالي في اعتقاد اطراد الأقيسة النحوية، فظنها قطعية حتى يرد ما خالفها، ثم إذا تنزل معه على اطراد القياس الذي ادعاه مطرداً، فقراءة ابن عامر هذه لا تخالفه. وذلك أن الفصل بين المضاف والمضاف إليه وإن كان عسراً، إلا أن المصدر إذا أضيف إلى معموله فهو مقدر بالفعل، وبهذا التقدير عمل، وهو إن لم تكن إضافته غير محضة، إلا أنه شبه بما إضافته غير محضة حتى قال بعض النحاة: إن إضافته ليست محضة لذلك. فالحاصل أن اتصاله بالمضاف إليه ليس كاتصال غيره. وقد جاء الفصل بين المضاف غير المصدر وبين المضاف إليه بالظرف، فلا أقل من أن يتميز المصدر على غيره لما بيناه من انفكاكه في التقدير وعدم توغله في الاتصال بأن يفصل بينه وبين المضاف إليه بما ليس أجنبيا عنه، وكأنه بالتقدير فكه بالفعل، ثم قدم المفعول على الفاعل وأضافه إلى الفاعل وبقي المفعول مكانه حين الفك، ويسهل ذلك أيضاً تغاير حال المصدر، إذ تارة يضاف إلى الفاعل وتارة يضاف إلى المفعول. وقد التزم بعضهم اختصاص الجواز بالفصل بالمفعول بينه وبين الفاعل لوقوعه في غير مرتبته، إذ ينوي به التأخير، فكأنه لم يفصل، كما جاز تقدم المضمر على الظاهر إذا حل في غير رتبته، لأن النية به التأخير. وأنشد أبو عبيدة [من الطويل]: =

بالوأد، أو بنحرهم للآلهة، وكان الرجل في الجاهلية يحلف: لئن ولد له كذا غلاماً، لينحرنّ أحدهم، كما حلف عبد المطلب.

وقرىء: «زين»، على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم، ونصب: (قتل أولادهم) وزين، على البناء للمفعول الذي هو القتل، ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين، كأنه قيل: لمَّا قيل: «زين لهم» قتل أولادهم مَنْ زينه؟

فقيل: زينه لهم شركاؤهم، وأما قراءة ابن عامر: «قتلُ أولاَدهم شركائِهم» برفع القتل ونصب الأولاد، وجرّ الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر، لكان سمجاً مردوداً؛ كما سمج وردّ: [من مجزوء الكامل].

.... زَجَّ الْقَلُوصَ أَبِي مَزَادَهْ[1]

فكيف به في الكلام المنثور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته، والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجرِّ الأولاد والشركاء ـ لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم ـ لوجد في ذلك مندوحة عن هذا

= فداسهم دوس الحصاد الدائس

وأنشد أيضاً:

يفركن حب السنبل الكنافج ... بالقاع فرك القطن المحالج

ففصل كما ترى بين المصدر وبين الفاعل بالمفعول. ومما يقوي عدم توغله في الإضافة جواز العطف على موضع مخفوضه رفعاً ونصباً، فهذه كلها نكت مؤيدة بقواعد منظرة بشواهد من أقيسة العربية؛ تجمع شمل القوانين النحوية لهذه القراءة، وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية، بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة. وهذا القدر كاف إن شاء الله في الجمع بينهما والله الموفق. وما أجريناه في أدراج الكلام من تقريب إضافة المصدر من غير المحضة، إنما أردنا انضمامه إلى غيره من الوجوه التي يدل باجتماعها على أن الفصل غير منكر في إضافته، ولا مستبعد من القياس، ولم يفرده في الدلالة المذكورة إذ المتفق على عدم تمحضها لا يسوغ فيها الفصل، فلا يمكن استقلال الوجه المذكور بالدلالة، والله الموفق.

(1) فزججتها بمزجة ... زج القلوص أبي مزاده

الزج: الطعن: والمزجة: الرمح القصير، لأنه آلة للزج. والقلوص: الناقة الشابة، وهو مفعول فاصل بين المضاف والمضاف إليه شذوذاً. يقول: فطعنت الناقة أو الجماعة برمح قصير، كطعن أبي مزادة القلوص في السير.

ينظر: الإنصاف ٢/٤٢٧، وتخليص الشواهد ص ٨٢، وخزانة الأدب ٤/ ٤١٥، ٤١٦، ٤١٨، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، والخصائص ٢/ ٤٠٦، وشرح الأشموني ٢/ ٣٢٧، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١٨٩، والكتاب ١/ ١٧٦، ومجالس ثعلب ص ١٥٢، والمقاصد النحويّة ٣/ ٤٦٨، والمقرب ١/ ٥٤.

الارتكاب، ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: ليهلكوهم بالإغواء، ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: وليخلطو عليهم، ويشبهوه، ودينهم: ما كانوا عليه من دين إسماعيل ـ عليه السلام ـ حتى زلوا عنه إلى الشرك.

وقيل: دينهم الذي وجب أن يكونوا عليه.

وقيل: معناه وليوقعوهم في دين ملتبس.

فإن قلت: ما معنى اللام؟

قلت: إن كان التزيين من الشياطين، فهي على حقيقة التعليل، وإن كان من السدنة، فعلى معنى الصيرورة، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: مشيئة قسر، ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾: لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل، أو لما فعل الشياطين، أو السدنة التزيين، أو الإرداء، أو اللبس، أو جميع ذلك، إن جعلت الضمير جارياً مجرى اسم الإشارة، ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: وما يفترونه من الإفك. أو وافتراؤهم.

﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨)﴾

﴿حِجْرٌ﴾: فعل بمعنى: مفعول كالذبح، والطحن، ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع؛ لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات[(١)]، وقرأ الحسن وقتادة: (حُجر): بضم الحاء، وقرأ ابن عباس: «حرج»، وهو من التضييق، وكانوا إذا عينوا أشياء من حرثهم، وأنعامهم لآلهتهم، قالوا: ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ﴾ يعنون خدم الأوثان، والرجال دون النساء، ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: وهي البحائر، والسوائب، والحوامي، ﴿وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: في الذبح، وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام.

وقيل: لا يحجون عليها، ولا يلبون على ظهورها، والمعنى: أنهم قسموا أنعامهم، فقالوا: هذه أنعام حجر، وأنعام محرّمة الظهور، وهذه أنعام لا يذكر عليها/ ٢٢٩أ اسم الله، فجعلوها أجناساً بهواهم، ونسبوا ذلك التجنيس إلى الله، ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾ أي: فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ وانتصابه على أنه

---

(١) قال السمين الحلبي: قلت: يعني بكون حكمه حكم الأسماء: أنه في الأصل مصدر لا صفة، فالاسم هنا يراد به المصدر، وهو مقابل الصفة. انتهى. الدر المصون.

مفعول له، أو حال، أو مصدر مؤكد؛ لأن قولهم ذلك في معنى الافتراء.

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾

كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب: ما ولد منها حيًّا، فهو خالص للذكور، لا تأكل منه الإناث، وما ولد منها ميتًا اشترك فيه الذكور والإناث، وأنث، ﴿خَالِصَةٌ﴾: للحمل على المعنى؛ لأنّ «ما» في معنى الأجنة[1] وذكر، ﴿مُحَرَّمٌ﴾: للحمل على اللفظ؛ ونظيره: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ﴾ [محمد: ١٦]، ويجوز أن تكون التاء للمبالغة مثلها في رواية الشعر، وأن تكون مصدراً وقع موقع الخالص، كالعاقبة، أي: ذو خالصة؛ ويدل عليه قراءة من قرأ: «خالصةً» بالنصب، على أنّ قوله: ﴿لِّذُكُورِنَا﴾: هو الخبر، وخالصة: مصدر مؤكد، ولا يجوز أن يكون حالاً متقدمة؛ لأن المجرور لا يتقدم عليه حاله، وقرأ ابن عباس: «خالصة» على الإضافة، وفي مصحف عبد الله: «خالص»، ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾: وإن يكن ما في بطونها ميتة.

وقرىء: «وإن تكن»، بالتأنيث، على: وإن تكن الأجنة ميتة.

وقرأ أهل مكة: «وإن تكن ميتة» بالتأنيث، والرفع على كان التامّة، وتذكير الضمير في قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾؛ لأن الميتة لكل ميت ذكر أو أنثى؛ فكأنه قيل: «وإن يكن ميت فهم فيه شركاء»، ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أي: جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله تعالى ﴿لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: ١١٦].

---

(١) قال محمود: «وأنث خالصة للحمل على المعنى لأن ما في معنى الأجنة... إلخ» قال أحمد: ليسا سواء، لأنه في الآية الأولى رجوع إلى اللفظ بعد المعنى وفيه إجمال، وبينهما بون اقتضى أن أنكر جماعة من متأخري الفن وقوعه في الكتاب العزيز، وادعوا أن جميع ما ورد فيه يعود على المعنى بعد اللفظ، وقد التزم غيرهم إجازة ذلك، وعدوا في الكتاب العزيز منة موضعين يمكن صرف الكلام فيهما إلى غير الموصول. وعلى الجملة فالحمل على اللفظ بعد المعنى قليل وغيره أولى ما وجد إليه سبيل. وقد ذكر المصنف وجهين آخرين سوى ذلك فقال: ويجوز أن تكون الهاء للمبالغة مثلها في رواية الشعر، وأن يكون مصدراً وقع موقع الخالص كالعافية؛ أي ذو خالصة. ويدل عليه قراءة من قرأ «خالصة» بالنصب، على أن قوله: (لذكورنا) هو الخبر، و(خالصة) مصدر مؤكد. ولا يجوز أن يكون حالاً متعدمة؛ لأن المجرور لا يتقدم عليه حاله، ولقد أحسن في الاحتراز بمنع الحال من المجرور حتى يتعين المصدر.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

نزلت في ربيعة، ومضر، والسرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر ﴿سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ لخفة أحلامهم، وجهلهم بأنّ الله هو رازق أولادهم، لا هم.

وقرىء: (قتّلوا): بالتشديد، ﴿مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾: من البحائر والسوائب وغيرها.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾

﴿أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾: من الكروم، ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾: مسموكات[1]، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾: متروكات، على وجه الأرض لم تعرّش.

وقيل: «المعروشات»: ما في الأرياف والعمران مما غرسه الناس، واهتموا به فعرّشوه، «وغير معروشات»: مما أنبته وحشيًّا في البراري والجبال، فهو غير معروش، يقال: عرّشت الكرم، إذا جعلت له دعائم، وسمكاً تعطف عليه القضبان، وسقف البيت: عرّشه، ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾: في اللون، والطعم، والحجم، والرائحة.

وقرىء: «أُكْلُهُ»: بالضم والسكون، وهو ثمره الذي يؤكل، والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه؛ لكونه معطوفاً عليه، ومختلفاً، حال مقدّرة؛ لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك؛ كقوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. وقرىء: «ثمره» بضمتين.

فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾، وقد علم أنه إذا لم يثمر لم يؤكل منه؟

قلت: لمّا أبيح لهم الأكل من ثمره.

قيل: إذا أثمر؛ ليعلم أن أول وقت الإباحة، وقت إطلاع الشجر الثمر؛ لئلا يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك وأينع/ ٢٢٩ب، ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾: الآية مكية، والزكاة إنما فرضت بالمدينة، فأريد بالحق ما كان يتصدّق به على المساكين يوم الحصاد، وكان ذلك واجباً حتى نسخه افتراض العشر، ونصف العشر.

وقيل: مدنية، والحق هو الزكاة المفروضة، ومعناه: واعزموا على إيتاء الحق،

---

(١) قوله: «مسموكات» أي: مرفوعات. وفي الصحاح «سمك الله السماء» رفعها. والسمك: السقف.

واقصدوه، واهتموا به يوم الحصاد، حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء، ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾: في الصدقة؛ كما روي عن ثابت بن قيس بن شماس أنه صرم خمسمائة نخلة، ففرّق ثمرها كله، ولم يدخل منه شيئاً إلى منزله، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾: عطف على جنات، أي: وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال، وما يفرش للذبح، أو ينسج من وبره، وصوفه، وشعره الفرش.

وقيل: «الحمولة»: الكبار التي تصلح للحمل، «والفرش»: الصغار، كالفصلان، والعجاجيل، والغنم؛ لأنها دانية من الأرض للطافة أجرامها، مثل الفرش المفروش عليها، «ولا تتبعوا خطوات الشيطان»: في التحليل والتحريم من عند أنفسكم، كما فعل أهل الجاهلية، ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾: بدل من حمولة وفرشاً، ﴿ٱثْنَيْنِ﴾: زوجين اثنين، يريد الذكر والأنثى، كـ «الجمل، والناقة، والثور، والبقرة، والكبش، والنعجة، والتيس، والعنز» والواحد إذا كان وحده فهو فرد، فإذا كان معه غيره من جنسه، سمي كل واحد منها زوجاً، وهما زوجان؛ بدليل قوله: ﴿خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾؛ والدليل عليه(١)، قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾؛ ثم فسرها بقوله: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾، ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾، ونحو تسميتهم الفرد بالزوج، بشرط أن يكون معه آخر من جنسه: تسميتهم الزجاجة كأساً بشرط أن يكون فيها خمر، و«الضأن، والمعز» جمع «ضائن، وماعز»، كـ «تاجر، وتجر»، وقرئا بفتح العين، وقرأ أبيّ: «ومن المعزى» وقرىء: «اثنان»، على الابتداء.

الهمزة في ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾: للإنكار، والمراد بالذكرين: الذكر من الضأن، والذكر من

---

(١) قوله: «والدليل عليه»؛ عبارة النسفي: ويدل عليه.

المعز، وبالانثيين: الأنثى من الضأن، والأنثى من المعز، على طريق الجنسية، والمعنى: إنكار أن يحرّم الله ـ تعالى ـ من جنس الغنم ضأنها، ومعزها شيئاً من نوعي ذكورها وإناثها، ولا مما تحمل إناث الجنسين؛ وكذلك الذكران من جنسي الإبل والبقر، والإنثيان منهما وما تحمل إناثهما، وذلك أنهم كانوا يحرّمون ذكورة الأنعام[1] تارة، وإناثها تارة، وأولادهما كيفما كانت ذكوراً وإناثاً، أو مختلطة تارة، وكانوا يقولون: قد حرّمها الله، فأنكر ذلك عليهم، ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ أخبروني بأمر معلوم من جهة الله ـ تعالى ـ يدل على تحريم ما حرّمتم، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: في أنّ الله حرّمه ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾: بل أكنتم شهداء، ومعنى/ ٢٣٠ أ «الهمزة»: «الإنكار»، يعني: أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم؟ وذكر المشاهدة على مذهبهم؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول، وهم يقولون: الله حرّم هذا الذي نحرّمه، فتهكم بهم في قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾، على معنى: أعرفتم التوصية به مشاهدين؛ لأنكم لا تؤمنون بالرسل، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: فنسب إليه تحريم ما لم يحرّم، ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ﴾: وهو «عمرو بن لحى بن قمعة» الذي بحر البحائر، وسيب السوائب.

﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥)﴾

فإن قلت: كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه، ولم يوال بينه؟

قلت: قد وقع الفاصل بينهما؛ اعتراضاً غير أجنبي من المعدود؛ وذلك أن الله ـ عزّ وجلّ ـ منّ على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم، فاعترض بالاحتجاج على من حرّمها، والاحتجاج على من حرّمها؛ تأكيد، وتسديد للتحليل، والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد، ﴿فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: تنبيه على أنّ التحريم إنما يثبت بوحي الله ـ تعالى ـ وشرعه؛ لا بهوى الأنفس، ﴿مُحَرَّمًا﴾: طعاماً محرّماً من المطاعم التي حرّمتموها، ﴿إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾: إلا أن يكون الشيء المحرّم ميتة، ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ أي: مصبوباً سائلاً، كالدم في العروق، لا كالكبد والطحال، وقد رخص في دم العروق بعد الذبح، ﴿أَوْ فِسْقًا﴾: عطف على المنصوب قبله، سمي ما أهلّ به لغير الله فسقاً؛ لتوغله في باب الفسق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]

---

(١) قوله: «ذكورة الأنعام» يجمع الذكر على ذكارة كحجارة، وذكور وذكران. هذا ما في الصحاح، لكن عبارة النسفي كعبارة المصنف، فحرر.

و«أُهِلَّ»: صفة له منصوبة المحل، ويجوز أن يكون مفعولاً له من أهلّ، أي: أهلّ لغير الله به فسقاً.

فإن قلت: فعلام تعطف: ﴿أُهِلَّ﴾؟ وإلام يرجع الضمير في: ﴿بِهِۦ﴾ على هذا القول؟

قلت: يعطف على يكون، ويرجع الضمير إلى ما يرجع إليه المستكنّ في يكون[1]، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾: فمن دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرّمات، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: على مضطر مثله تارك لمواساته، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: متجاوز قدر حاجته من تناوله، ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لا يؤاخذه.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

---

(١) قال السمين الحلبي: «وهذا إعراب يتكلف جدا، وتركيب ـ على هذا الإعراب ـ خارجٌ عن الفصاحة، وغير جائز على قراءة من قرأ: «إلاّ أن تكونَ مَيْتَةٌ» بالرفع، فيبقى الضمير في «به» ليس له ما يعود عليه، ولا يجوز أن يتكلف محذوف حتى يعود الضمير عليه، فيكون التقدير: أو شيء أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ به؛ لأن مثل هذا لا يجوز إلاّ في ضرورة الشعر». قُلْتُ: يعني بذلك أنه لا يحذف الموصوف والصفة جملة، إلاّ إذا كان في الكلام «مِنْ» التبعيضية. كقولهم: «مِنّا ظَعَنَ ومِنّا أَقَامَ»، أي: مِنّ فَرِيقٌ ظَعَنَ ومِنّا فريقٌ أَقَامَ، فإن لم تكن فيه «مِنْ» كان ضرورة، كقوله [من الرجز]:

تَرْمِي بِكَفَّيْ كَانَ مِنْ أَرْمَى البَشَرْ

أي: بِكَفّيْ رَجُلٍ، وهذا رأي بعضهم، وأما غيره فيقول: متى دَلّ دليل على الموصوف حذف مطلقاً، فقد يجوز أن يرى الزمخشري هذا الرأي. وقوله: «فإنّه» الهاء فيها خلاف، والظاهر عودها على «لَحْمَ» المضاف لـ «خنزير». وقال ابن حزم: «إنّها تعود على «خنزير»؛ لأنه أقرب مذكور. ورُجّح الأول بأن «اللحم» هو المُحدث عنه، والخنزير جاء بعرضية الإضافة إليه، ألا ترى أنك إذا قلت: «رأيت غلامَ زَيْدٍ فأكرمته» أن الهاء تعود على «الغلام»؛ لأنه المحدث عنه المقصود بالإخبار عنه، لا على «زيد»، لأنه غير مقصود. ورُجّحَ الثاني بأن التحريم المضاف للخنزير ليس مختصا بلحمه، بل شحمه وشعره وعظمه وظِلْفه كذلك، فإذا أعدنا الضمير على «خنزير» كان وافياً بهذا المقصود، وإذا أعدنا على «لحم» لم يكن في الآية تعرض لتحريم ما عدا اللحم مما ذكر. وقد أجيب عنه بأنه إنما ذكر اللحم دون غيره، وإنْ كان غَيْرُهُ مقصوداً بالتحريم، لأنه أهم ما فيه، وأكثر ما يقصد منه اللحم، كما ذلك في غيره من الحيوانات، وعلى هذا فلا مفهوم لتخصيص اللحم بالذكر، ولو سُلّم فإنه يكون من باب مفهوم اللقب، وهو ضعيف جدا. وقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ إمّا على المبالغة، بأن جعل نفس الرجس، أو على حذف مضاف، وله نظائر. انتهى. الدر المصون.

«ذو الظفر»: ما له أصبع من دابة أو طائر، وكان بعض ذات الظفر حلالاً لهم، فلما ظلموا حرّم ذلك عليهم، فعمّ التحريم كل ذي ظفر؛ بدليل قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾، كقولك: من زيد أخذت ماله، تريد بالإضافة زيادة الربط، والمعنى: أنه حرّم عليهم لحم كل ذي ظفر، وشحمه، وكل شيء منه، وترك البقر، والغنم على التحليل، لم يحزم منهما إلا الشحوم الخالصة، وهي الثروب[١]، وشحوم الكلى، وقوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾، يعني: إلا ما اشتمل على الظهور، والجنوب من السحقة[٢]، ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾: أو اشتمل على الأمعاء، ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: وهو شحم الإلية، وقيل: (الحوايا): عطف على شحومهما/ ٢٣٠ب، و«أو» بمنزلتها في قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين، ﴿وَذَٰلِكَ﴾: الجزاء، ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾: وهو تحريم الطيبات، ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾: بسبب ظلمهم[٣]، ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه، كما لا نخلف ما وعدناه أهل الطاعة، فلما عصوا، وبغوا، ألحقنا بهم الوعيد، وأحللنا بهم العقاب، ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾: في ذلك، وزعموا أن الله واسع الرحمة، وأنه لا يؤاخذ بالبغي، ويخلف الوعيد جوداً وكرماً، ﴿فَقُل﴾: لهم، ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾: لأهل طاعته، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾: مع سعة رحمته، ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: فلا تغترّ برجاء رحمته عن خوف نقمته.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

---

(١) قوله: «الثروب» هي شحوم رقيقة قد غشيت الكرش والأمعاء، كذا في الصحاح.

(٢) قوله: «من السحقة» السحقة: الشحمة الملتزقة بالجلد على الظهر من الكتف إلى الورك، نقله في الصحاح.

(٣) قال محمود: معناه ذلك الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم... إلخ، قال أحمد: هذه الآية وردت فيمن كفر وافترى على الله ووعيد الكافر باتفاق واقع به غير مردود عنه. وأهل السنة وإن قالوا: يجوز العفو عن العاصي الموحد، فلا يقولون إن ذلك حتم، ولا يلزمهم ذلك، لأن الله تعالى حيث توعد المؤمنين العصاة، علق حلول الوعيد بهم بالمشيئة، وأخبر أنه يغفر لمن يشاء منهم، فمن ثم اعتقدنا أن كل موحد عاص في المشيئة، وحيث أطلق وعيدهم في بعض الظواهر فهو محمول على المقيد، فلا يلزمهم حينئذ اعتقاد الخلف في الخبر. والزمخشري إنما يدندن حول إلزامهم ذلك وأنى له.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾: إخبار بما سوف يقولونه[1]، ولما قالوه قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [النحل: ٣٥] يعنون بكفرهم وتمردهم[2]: أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله وإرادته، ولولا مشيئته، لم يكن شيء من ذلك؛ كمذهب المجبرة بعينه[3]، ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: جاءوا

---

(١) قال محمود: «هذا إخبار بما سوف يقولونه... إلخ» قال أحمد: وفائدته توطين النفس على الجواب ومكافحتهم بالرد وإعداد الحجة قبل أوانها، كما قال ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

(٢) عاد كلامه. قال: فلما وقع ذلك منهم قال ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ يعنون بكفرهم... إلخ» قال أحمد رحمه الله: قد تقدم أيضاً الكلام على هذه الآية، وأوضحنا أن الرد عليهم، إنما كان لاعتقادهم أنهم مسلوبون اختيارهم وقدرتهم، وأن إشراكهم إنما صدر منهم على وجه الاضطرار، وزعموا أنهم يقيمون الحجة على الله ورسله بذلك، فرد الله قولهم وكذبهم في دعواهم عدم الاختيار لأنفسهم، وشبههم بمن اغتر قبلهم بهذا الخيال فكذب الرسل وأشرك بالله واعتمد على أنه إنما يفعل ذلك كله بمشيئة الله ورام إفحام الرسل بهذه الشبهة، ثم بين الله تعالى أنهم لا حجة لهم في ذلك، وأن الحجة البالغة له لا لهم بقوله ﴿ألا لله الحجة البالغة﴾ ثم أوضح تعالى أن كل شيء واقع بمشيئته، وأنه لم يشأ منهم إلا ما صدر عنهم، وأنه لو شاء منهم الهداية لاهتدوا أجمعون، بقوله ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ والمقصود من ذلك أن يتمحض وجه الرد عليهم، ويتخلص عقيدة نفوذ المشيئة وعموم تعلقها بكل كائن عن الرد، وينصرف الرد إلى دعواهم بسلب الاختيار لأنفسهم وإلى إقامتهم الحجة بذلك خاصة. وإذا تدبرت هذه وجدتها كافية في الرد على من زعم من أهل القبلة أن العبد لا اختيار له ولا قدرة ألبتة، بل هو مجبور على أفعاله مقهور عليها، وهم الفرقة المعروفون بالمجبرة. والمصنف يغالط في الحقائق فيسمي أهل السنة مجبرة وإن أثبتوا للعبد اختياراً وقدرة، لأنهم يسلبون تأثير قدرة العبد ويجعلونها مقارنة لأفعاله الاختيارية، مميزة بينها وبين أفعاله القسرية، فمن هذه الجهة سوى بينهم وبين المجبرة، ويجعله لقباً عامًا لأهل السنة. وجماع الرد على المجبرة الذين ميزناهم عن أهل السنة في قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ـ إلى قوله ـ قل لله الحجة البالغة﴾ وتتمة الآية رد صراح على طائفة الاعتزال القائلين بأن الله تعالى شاء الهداية منهم أجمعين، فلم تقع من أكثرهم. ووجه الرد أن «لو» إذا دخلت على فعل مثبت نفته، فيقتضي ذلك أن الله تعالى لما قال ﴿فَلَوْ شَآءَ﴾ لم يكن الواقع أنه شاء هدايتهم، ولو شاءها لوقعت، فهذا تصريح ببطلان زعمهم ومحل عقدهم، فإذا ثبت اشتمال الآية على رد عقيدة الطائفتين المذكورتين المجبرة في أولها والمعتزلة في آخرها، فاعلم أنها جامعة لعقيدة السنة منطبقة عليها، فإن أولها كما بينا يثبت للعبد اختياراً وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره في المخالفة والعصيان، وآخرها يثبت نفوذ مشيئة الله في العبد، وأن جميع أفعاله على وفق المشيئة الإلهية خيراً أو غيره، وذلك عين عقيدتهم، فإنهم كما يثبتون للعبد مشيئة وقدرة، يسلبون تأثيرها ويعتقدون أن ثبوتهما قاطع لحجته ملزم له بالطاعة على وفق اختياره، ويثبتون نفوذ مشيئة الله أيضاً وقدرته في أفعال عباده، فهم كما رأيت تبع للكتاب العزيز، يثبتون ما أثبت، وينفون ما نفى، مؤيدون بالعقل والنقل، والله الموفق.

(٣) قوله: «كمذهب المجبرة بعينه» يعني أهل السنة، من أن كل كائن فهو مراد له تعالى ولو شرا. وتحقيق الفرق بينه وبين قول المشركين في علم التوحيد، ويكفي فيه أن قولهم من باب التهكم، كما قالوا لما قيل لهم ﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾.

بالتكذيب المطلق؛ لأنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ ركب في العقول، وأنزل في الكتب ما دل على غناه، وبراءته من مشيئة القبائح، وإرادتها، والرسل أخبروا بذلك، فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته، فقد كذب التكذيب كله، وهو تكذيب الله، وكتبه، ورسله، ونبذ أدلة العقل، والسمع وراء ظهره، ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾: حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾: من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم، ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾: وهذا من التهكم، والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: في قولكم هذا، ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾: تقدّرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون، وقرىء: «كَذَلِكَ كَذَبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ»: بالتخفيف، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ يعني: فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله، فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم[1]، ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: منكم ومن مخالفيكم في الدين، فإن تعليقكم دينكم بمشيئة الله، يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم ـ أيضاً ـ بمشيئته، فتوالوهم ولا تعادوهم، وتوافقوهم ولا تخالفوهم؛ لأنّ المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿هَلُمَّ﴾: يستوي فيه الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث، عند الحجازيين، وبنو تميم تؤنث وتجمع، والمعنى: «هاتوا شهداءكم وقرّبوهم».

فإن قلت: كيف أمره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أنّ الله حرم ما زعموه محرماً، ثم أمره بألاّ يشهد معهم؟

قلت: أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل؛ ليلزمهم الحجة، ويلقمهم الحجر، ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء، لتساوي أقدام الشاهدين، والمشهود/ ٢٣١أ لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به، وقوله: ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ يعني: فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم؛ لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم، وكان واحداً منهم، ﴿ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا﴾: من وضع

---

(١) قوله: «على قود مذهبكم» لعله من قاد الفرس ونحوه قوداً، إذا جره بسهولة، أي على طبق مذهبكم، أي على مقتضاه وما يؤدي إليه.

الظاهر موضع المضمر؛ للدلالة على أنّ من كذب بآيات الله، وعدل به غيره، فهو متبع للهوى لا غير؛ لأنه لو اتبع الدليل، لم يكن إلا مصدقاً بالآيات موحداً لله، تعالى.

فإن قلت: هلا قيل: قل هلم شهداء يشهدون أنّ الله حرّم هذا؟[1] وأي فرق بينه وبين المنزل؟

قلت: المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم، وكان المشهود لهم يقلدونهم، ويثقون بهم، ويعتضدون بشهادتهم؛ ليهدم ما يقومون به «ليحق الحق ويبطل الباطل»، فأضيفت الشهداء لذلك، وجيء «بالذين»؛ للدلالة على أنهم شهداء معروفون، موسومون بالشهادة لهم، وبنصرة مذهبهم؛ والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾، ولو قيل: هلم شهداء يشهدون، لكان معناه: هاتوا أناساً يشهدون بتحريم ذلك، فكان الظاهر طلب شهداء بالحق، وذلك ليس بالغرض، ويناقضه قوله تعالى: ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾.

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

«تعال»: من الخاص الذي صار عامًا، وأصله: أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه، ثم كثر، واتسع فيه حتى عمّ، و﴿مَا حَرَّمَ﴾: منصوب بفعل التلاوة، أي: أتل الذي حرمه ربكم، أو يحرم بمعنى: قل: أيّ شيء حرّم ربكم؟ لأن التلاوة من القول، و«أن» في ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ﴾: مفسرة و«لا»: للنهي.

فإن قلت: هلا قلت: هي التي تنصب الفعل، وجعلت «ألاّ تشركوا» بدلاً من «ما حرم»؟

قلت: وجب أن يكون «لا تشركوا»، و«لا تقربوا»، و«لا تقتلوا»، و«لا تتبعوا السبل»:

---

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت: هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل... إلخ» قال أحمد رحمه الله: ووجه مناقضته له أنه لو قيل على خلاف المنزل، وهو قوله: هلم بشهداء يشهدون، يفهم أن الطالب للشهداء ليس على تحقيق من أن ثم شهداء، كما يقول الحاكم للمدعي: هات بينة تشهد بذلك، فهو لا يتحقق أن للمدعي بينة، ثم يكون قوله: ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ تحقيقاً لأن ثم شهداء، فالجمع بينهما متناقض كما ترى، والله الموفق.

نواهي لانعطاف الأوامر عليها، وهي قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؛ لأن التقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً، (وأوفوا)، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾.

فإن قلت: فما تصنع بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فيمن قرأ بالفتح؛ وإنما يستقيم عطفه على ألاّ تشركوا، إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل، حتى يكون المعنى: أتل عليكم نفي الإشراك والتوحيد، وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيماً؟

قلت: أجعل قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣] علة للاتباع بتقدير اللام؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)﴾ [الجن: ١٨] بمعنى: ولأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، والدليل عليه القراءة بالكسر، كأنه قيل: «واتبعوا صراطي؛ لأنه مستقيم»، أو: «واتبعوا صراطي؛ إنه مستقيم».

فإن قلت: إذا جعلت: «أن»: مفسرة لفعل التلاوة، وهو معلق بما حرم ربكم،/ ٢٣١ب وجب أن يكون ما بعده منهيًا عنه محرماً كله، كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي، فما تصنع بالأوامر؟

قلت: لما وردت هذه الأوامر مع النواهي، وتقدمهنّ جميعاً فعل التحريم، واشتركن في الدخول تحت حكمه، علم أن التحريم راجع إلى أضدادها، وهي الإساءة إلى الوالدين، وبخس الكيل والميزان، وترك العدل في القول، ونكث عهد الله، ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾: من أجل فقر ومن خشيته؛ كقوله تعالى: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: مثل قوله: ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]. ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: كالقصاص، والقتل على الردّة، والرجم.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)﴾

﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم، وهي حفظه، وتثميره، والمعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشدّه فادفعوه إليه، ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالسوية والعدل، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: إلا ما يسعها ولا تعجز عنه؛ وإنما اتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك؛ لأن مراعاة الحدّ من القسط الذي لا زيادة فيه، ولا نقصان مما يجري فيه الحرج، فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفوّ عنه، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾: ولو كان المقول له، أو عليه في شهادة، أو غيرها من أهل قرابة القاتل، فما ينبغي أن يزيد في

القول أو ينقص؛ كقوله: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

وقرىء: «وأَنْ هذا صراطي مستقيماً»، بتخفيف: «أن» وأصله: «وأنه هذا صراطي»، على أن الهاء ضمير الشأن والحديث، وقرأ الأعمش: «وهذا صراطي». وفي مصحف عبد الله: «وهذا صراط ربكم»، وفي مصحف أبيّ: «وهذا صراط ربك»، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾: الطرق المختلفة في الدين، من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾: فتفرقكم أيادي سبًا، ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾: عن صراط الله المستقيم، وهو دين الإسلام.

وقرىء: «فتفرق» بإدغام التاء، وروى أبو وائل عن ابن مسعود، عن النبي - ﷺ -: أنه خط خطًّا، ثم قال: «هٰذَا سَبِيلُ الرُّشْدِ»، ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ خُطُوطاً ثُمَّ قَالَ: هٰذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ تَلاَ هٰذِهِ الآيَة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ (٥٩٠)، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: هذه الآيات محكمات، لم ينسخهنّ شيء من جميع الكتب.

وقيل: إنهنّ أمّ الكتاب، من عمل بهنّ دخل الجنة، ومن تركهنّ دخل النار، وعن كعب الأحبار: والذي نفس كعب بيده، إنّ هذه الآيات لأول شيء في التوراة.

فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾.

قلت: على (وصاكم به).

فإن قلت: كيف صح عطفه عليه بـ «ثم»، والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل؟

قلت: هذه التوصية قديمة، لم تزل توصاها كل أمّة على لسان نبيهم، كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: محكمات، لم ينسخهنّ شيء من جميع/ ٢٣٢أ الكتب؛ فكأنه

---

٥٩٠ - أخرجه النّسائي في تفسيره (١/ ٤٨٥) رقم (١٩٤)، وأحمد (١/ ٤٣٥ - ٤٦٥)، والطيالسي رقم (٢٤٤)، والطبري في تفسيره (٥/ ٣٩٧) رقم (١٤١٧٣)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» رقم (١٧)، وابن نصر في «السُّنَّة» رقم (١١)، والبزار في مسنده (رقم ٢٢١٠ - كشف)، والدارمي (١/ ٦٧ - ٦٨): باب في كراهية أخذ الرأي، وابن حِبان رقم (١٧٤١ - ١٧٤٢)، (٢/ ٣١٨) وصححه، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٤٤٦) رقم (٤٥٣) إلى أبي يَعْلى الموصلي في مسنده.
قال الحافظ: أخرجه النّسائي، وابن حِبان، والحاكم، وأحمد، وإسحاق، والبزار، وأبو يعلى من طريق عاصم وغيره عن أبي وائل. انتهى.

قيل: ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديماً وحديثاً.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿ثُمَّ﴾: أعظم من ذلك أنّا، ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: وأنزلنا هذا الكتاب المبارك.

وقيل: هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٤٩]، ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾: تماماً للكرامة والنعمة، على الذي أحسن، على من كان محسناً، صالحاً، يريد جنس المحسنين؛ وتدل عليه قراءة عبد الله: «على الذين أحسنوا»، أو أراد به موسى ـ عليه السلام ـ أي: تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ، وفي كل ما أمر به، أو تماماً على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع، من أحسن الشيء إذا أجاد معرفته، أي: زيادة على علمه على وجه التتميم.

وقرأ يحيى بن يعمر: «على الذي أحسنُ»، بالرفع، أي: على الذي هو أحسن، بحذف المبتدأ، كقراءة من قرأ: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٦] بالرفع أي: على الدين، الذي هو أحسن دين وأرضاه، أو آتينا موسى الكتاب تماماً، أي: تامّاً كاملاً، على أحسن ما تكون عليه الكتب، أي: على الوجه والطريق الذي هو أحسن، وهو معنى قول الكلبي: «أتمّ له الكتاب على أحسنه».

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾: كراهة أن تقولوا، ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾: يريدون أهل التوراة، وأهل الإنجيل، ﴿وَإِن كُنَّا﴾ هي إن المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، والأصل: وإنه كنا عن دراستهم غافلين، على أن الهاء ضمير الشأن، ﴿عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: عن قراءتهم، أي: لم نعرف مثل دراستهم، ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾: لحدّة أذهاننا، وثقابة أفهامنا، وغزارة حفظنا لأيام العرب، ووقائعها، وخطبها، وأشعارها، وأسجاعها، وأمثالها، على أنا أمّيون.

وقرئ: «أن يقولوا» أو «يقولوا»، بالياء، ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: تبكيت لهم، وهو على قراءة من قرأ: «يقولوا» على لفظ الغيبة أحسن؛ لما فيه من الالتفات، والمعنى: إن صدّقتكم فيما كنتم تعدّون من أنفسكم، فقد جاءكم بينة من ربكم، فحذف الشرط، وهو من أحاسن الحذوف، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: بعد ما عرف صحتها وصدقها، أو تمكن من معرفة ذلك، ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: الناس فضلّ وأضلّ، ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [**النحل**: ٨٨].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨)﴾

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: ملائكة الموت، أو العذاب، ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾: أو يأتي كل آيات ربك؛ بدليل قوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾؛ يريد آيات القيامة والهلاك الكلي، وبعض الآيات، أشراط الساعة، كطلوع الشمس من مغربها، وغير ذلك، وعن البراء بن عازب: كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله ـ ﷺ ـ/ ٢٣٢ب فقال: «مَا تَتَذَاكَرُونَ؟ فَقُلْنَا: نَتَذَاكَرُ السَّاعَةَ، قَالَ: إِنَّها لاَ تَقُومُ حَتَّىٰ تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: الدخان، ودابة الأرض، وخسفاً بالمغرب، وخسفاً بالمشرق، وخسفاً بجزيرة العرب، والدجال، وطُلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى، وناراً تخرج من عدن» (٥٩١). ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾: صفة لقوله: «نفساً»، وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾: عطف على آمنت، والمعنى أنّ أشراط الساعة إذا جاءت، وهي آيات ملجئة مضطرّة، ذهب أوان التكليف عندها، فلم ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدّمة إيمانها من قبل ظهور الآيات، أو مقدّمة الإيمان غير كاسبة في إيمانها خيراً، فلم يفرّق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت[1] في

---

٥٩١ ـ أخرجه مسلم (٩/ ٢٥٤ ـ ٢٥٦ ـ النووي): كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب في الآيات التي تكون قبل الساعة حديث (٣٩ ـ ٤٠/ ٢٩٠١)، من طريق حذيفة ابن أُسيد الغفاري قال: أطلعنا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة... فذكره. وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٤٤٧) رقم (٤٥٤): غريب من حديث البراء.
قال الحافظ: لم أجده، لكن في مسلم عن حذيفة نحوه. انتهى.

---

(١) قال محمود: «فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت... إلخ» قال أحمد رحمه الله: هو =

غير وقت الإيمان، وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكسب خيراً، ليعلم أنَّ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: جمع بين قرينتين، لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن الأخرى، حتى يفوز صاحبهما ويسعد، وإلا فالشقوة والهلاك، ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: وعيد.

وقرىء: «أن يأتيهم الملائكة»، بالياء، والتاء، وقرأ ابن سيرين: «لا تنفع»، بالتاء؛ لكون الإيمان مضافاً إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه؛ كقولك: ذهبت بعض أصابعه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (١٥٩)﴾

﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾: اختلفوا فيه، كما اختلفت اليهود والنصارى، وفي الحديث: «ٱفْتَرَقَتِ اليَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي الْهَاوِيَةِ إِلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ النَّاجِيَةُ، وَٱفْتَرَقَتِ النَّصَارَى ٱثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي الهَاوِيَةِ إِلاَّ وَاحِدَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي الهَاوِيَةِ إِلاَّ وَاحِدَةً» (٥٩٢) وقيل: فرّقوا دينهم، فآمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

---

٥٩٢ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ١٩٧ ـ ١٩٨) كتاب السُّنَّة: باب شرح السُّنَّة حديث (٤٥٩٦)، والتِّرمذي (٥/ ٢٥) كتاب الإيمان: باب ما جاء في افتراق هذه الأمة حديث (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣٢١) كتاب الفتن: باب افتراق الأمم حديث (٣٩٩١)، وأحمد (٢/ ٣٣٢) وابن حِبان (١٨٣٤ ـ موارد)، والحاكم (١/ ٦، ١٢٨)، وأبو يعلى (١٠/ ٣١٧) رقم (٥٩١٠)، والآجري في «الشريعة» (١/ ٢٥)؛ كلهم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً وقال التِّرمذي: حسن صحيح.
وقال الحاكم في الموضع الأول: صحيح على شرط مسلم، وقال: احتج مسلم بمحمد بن عمرو وتعقبه الذهبي، فقال: ما احتج مسلم بمحمد بن عمرو منفرداً، بل بانضمامه إلى غيره اهـ. قلت: وهو الصواب إن شاء الله والعجب من الذهبي ـ رحمه الله ـ بعد أن قال ذلك في محمد بن عمرو، =

= يروم الاستدلال على صحة عقيدته في أن الكافر والعاصي سواء في الخلود بهذه الآية، إذ سوى بينهما في عدم الانتفاع بما يستدركانه بعد ظهور الآيات، ولا يتم له ذلك، فإن ذلك الكلام اشتمل على النوع المعروف من علم البيان والبلاغة باللف. وأصل الكلام. يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد، ولا نفساً لم تكسب في إنمائها خيراً قبل ما تكسبه من الخير بعد؛ إلا أنه لف الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً بلاغة واختصاراً وإعجازاً: أراد أن يثبت أن ذلك هو الأصل، فهو غير مخالف لقواعد السنة، فإنا نقول: لا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير وإن نفع الإيمان المتقدم في السلامة من الخلود؛ فهذا بأن يدل على رد الاعتزال، أجدر من أن يدل له. والله الموفق.

وقرىء: «فَارقوا دينهم» أي: تركوه، ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾: فرقاً، كل فرقة تشيع إماماً لها،

= وتعقب الحاكم في تصحيحه على شرط مسلم نجده وافق الحاكم على هذا التصحيح في موضع آخر من المستدرك (١/ ١٢٨).

والحديث صححه أيضاً العلامة أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» (٨٣٧٧)، فقال: إسناده صحيح.

وفي الباب عن جماعة من الأصحاب، وهم أنس بن مالك، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن عوف، وعوف بن مالك، وأبو أُمامة، وجابر.

حديث أنس بن مالك:

وله طرق:

الطريق الأول:

أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٢٢) كتاب الفتن، باب افتراق الأمم حديث (٣٩٩٣) من طريق قتادة عن أنس مرفوعاً.

وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح رجاله ثقات.

الطريق الثاني:

أخرجه أبو يعلى (٧/ ١٥٤ ـ ١٥٦) رقم (٤١٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٥٢) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (١٤٨)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٦٥) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً مطولاً ومختصراً وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٢٩)، وقال: رواه أبو يعلى ويزيد الرقاشي ضعفه الجمهور، وفيه توثيق ولين، وبقية رجاله رجال الصحيح.

الطريق الثالث:

أخرجه أحمد (٣/ ١٢٠) من طريق زياد بن عبد الله النميري عن أنس به.

الطريق الرابع:

أخرجه أحمد (٣/ ١٤٥) من طريق ابن لهيعة، ثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس ابن مالك.

وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة.

الطريق الخامس:

أخرجه الآجري في «الشريعة» (١/ ١٦) وابن بطة في «الإبانة» (٢٦٩) من طريق زيد بن أسلم عن أنس.

حديث معاوية بن أبي سفيان:

أخرجه أبو داود (٤/ ١٩٨) كتاب السُّنَّة: باب شرح السُّنَّة ـ حديث (٤٥٩٧)، والدارمي (٢/ ٢٤١) كتاب السير: باب في افتراق هذه الأمة، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والحاكم (١/ ١٢٨)، والآجري في «الشريعة» (١/ ١٨)؛ كلهم من طريق صفوان عن أزهر بن عبد الله الهوزني عن أبي عامر عبد الله بن لحى عن معاوية بن أبي سفيان به.

ـ حديث عمرو بن عوف:

أخرجه الحاكم (١/ ١٢٨).

ـ حديث عوف بن مالك:

أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٢٢) كتاب الفتن، باب افتراق الأمم حديث (٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم في =

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: من السؤال عنهم، وعن تفرقهم، وقيل: من عقابهم، وقيل: هي منسوخة بآية السيف.

﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)﴾

﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾: على إقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف، تقديره: عشر حسنات أمثالها.

= «السُّنَّة» (٦٣) من طريق عباد بن يوسف ثنا صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك مرفوعاً.

- حديث أبي أُمامة:

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨) رقم (٨٠٥١) من طريق أبي غالب عن أبي أُمامة مطولاً، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٣٧)، وقال: قلت رواه ابن ماجه والتِّرمذي باختصار. رواه الطبراني ورجاله ثقات. اهـ.

والحديث ذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٣/ ٨٦ ـ ٨٧) رقم (٢٩٥٤)، وعزاه للحارث بن أبي أسامة في مسنده.

- حديث جابر:

أخرجه بحشل في «تاريخ واسط»؛ كما في «تخريج الزيلعي» (١/ ٤٥٠).

- حديث سعد بن أبي وقاص:

عزاه الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٤٤٨) إلى أبي بكر بن أبي شيبة في مسنده.

قال الحافظ:

أخرجه أصحاب السنن إلا النَّسائي من رواية محمد بن عمرو عن أبي هريرة، دون «كلها» إلى آخر ما في المواضع، لكن عند أبي داود في الأخيرة: «ثنتان وسبعون في النار. وواحدة في الجنة»، وللتِّرمذي: «كلهم في النار، إلا ملة واحدة. وهي الناجية، وافترقت النصارى ثنتين وسبعين فرقة. كلها في الهاوية إلا واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» وأخرجه ابن حِبان والحاكم. ورواه الطبراني من حديث عوف بن مالك كذلك، إلا أنه قال: «فرقة في الجنة وثنتان وسبعون في النار. قيل: من هي؟ قال: الجماعة»، ومن حديث أبي أُمامة في الأوسط، بلفظ: «كلها في النار إلا السواد الأعظم»، ولأبي نعيم وابن مردويه من حديث زيد بن أسلم عن أنس نحوه. والبزار والبيهقي في المدخل من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص نحوه.

وأخرجه أسلم بن سهل الواسطي في تاريخه من حديث جابر مثله. وبيّن أن السائل عن ذلك عمر ابن الخطاب، وفي إسناده راو لم يُسَمّ، وفي الباب عن سعد بن أبي وقاص عند ابن أبي شيبة، وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، وعن معاوية أخرجه أبو داود وأحمد والحاكم، وإسناده حسن، واتفقت هذه الطرق على العدد المذكور أولاً: وخالفهم كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده لجعله قوم موسى سبعين فرقة وقوم عيسى إحدى وسبعين، وهذه الأمة اثنين وسبعين. وغير في كل منها كلها فقال: «إلا واحدة»، وقال في الأخيرة: «الإسلام وجماعة» أخرجه الطبراني والحاكم. انتهى.

وقرىء: «عشر أمثالها»، برفعهما جميعاً على الوصف، وهذا أقل ما وعد من الإضعاف، وقد وعد بالواحد سبعمائة، ووعد ثواباً بغير حساب، ومضاعفة الحسنات فضل، ومكافأة السيئات عدل، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا ينقص من ثوابهم، ولا يزاد على عقابهم.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾

﴿دِينًا﴾: نصب على البدل من محل ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾؛ لأنّ معناه: هداني صراطاً؛ بدليل قوله: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾، و«القيم»: فيعل، من قام، كسيد من ساد، وهو أبلغ من القائم.

وقرىء: «قيماً»، والقيم: مصدر بمعنى القيام/ ٢٣٣أ وصف به، و﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: عطف بيان، و﴿حَنِيفًا﴾: حال من «إبراهيم».

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: وعبادتي وتقرّبي كله، وقيل: «وذبحي»، وجمع بين الصلاة، والذبح، كما في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾، وقيل: صلاتي، وحجي من مناسك الحج، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾: وما آتيه في حياتي، وما أموت عليه من الإيمان، والعمل الصالح، ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خالصة لوجهه، ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾: من الإخلاص، ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ لأن إسلام كل نبيّ متقدّم لإسلام أمّته.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾: جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم، والهمزة للإنكار، أي: منكر أن أبغي رباً غيره، ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾: فكل من دونه مربوب، ليس في الوجود من له الربوبية غيره؛ كما قال: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ [الزمر: ٦٤]، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾: جواب عن قولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۗ

﴿جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ لأن محمداً ـ ﷺ ـ خاتم النبيين، فخلفت أمّته سائر الأمم، أو جعلهم يخلف بعضهم بعضاً؛ أو هم خلفاء الله في أرضه يملكونها، ويتصرفون فيها، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾: في الشرف والرزق، ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: من نعمة المال والجاه، كيف تشكرون تلك النعمة، وكيف يصنع الشريف بالوضيع، والحرّ بالعبد، والغني بالفقير، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾: لمن كفر نعمته، ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾: لمن قام يشكرها، ووصف العقاب بالسرعة، لأن ما هو آت قريب.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ «أُنزِلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً يُشَيِّعُهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، هُمْ زجلٌ بِالتَسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ، فَمَنْ قَرَأَ الأَنْعَامَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَغْفَرَ أُولَئِكَ السَّبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ بِعَدَدِ كُلِّ آيَةٍ مِنْ سُورَةِ الأَنْعَامِ يَوْمًا وَلَيْلَةً» (٥٩٣).

---

٥٩٣ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٤٥٠) حديث (٤٥٦) إلى الثعلبي في تفسيره، وعزاه إلى الطبراني في معجمه الصغير؛ كما عزاه إلى الواحدي في تفسيره الوسيط.
وينظر حديث رقم (٣٤٦).
قال الحافظ:
سبقت طرقه في سورة آل عمران. وله طريق أخرى أخرجها الثعلبي من حديث أُبَيّ بن كعب بتمامه. وفيه أبو عصمة. وهو متهم بالكذب. وأوله عند الطبراني في الصغير في ترجمة إبراهيم بن نائلة من حديث ابن عمر إلى قوله: «والتحميد»، وفيه يوسف بن عطية، وهو ضعيف، وأخرجه عنه ابن مردويه في تفسيره وأبو نعيم في الحلية. انتهى.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

مَكِّيَّةٌ، غَيْرُ ثَمَانِ آيَاتٍ: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ...﴾، إِلَىٰ: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ...﴾ وَهِيَ مَائَتَانِ وَسِتُّ آيَاتٍ [نَزَلَتْ بَعْدَ ص]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓصٓ (١) كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾

﴿كِتَٰبٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي: هو كتاب، و﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: صفة له، والمراد بالكتاب السورة: ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أي: شك منه[1]؛ كقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤]، وسمي الشك حرجاً؛ لأن الشاك ضيق الصدر حرجه، كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه، أي: لا تشك في أنه منزل من الله، ولا تحرج من تبليغه[2]؛ لأنه كان يخاف قومه، وتكذيبهم له، وإعراضهم عنه وأذاهم، فكان يضيق صدره من الأداء، ولا ينبسط له، فأمّنه الله ونهاه عن المبالاة بهم.

فإن قلت/ ٢٣٣ب: بم تعلق قوله: ﴿لِتُنذِرَ﴾؟

---

(١) قال محمود: «الحرج: الشك... إلخ» قال أحمد: ويشهد له قوله تعالى ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ ولهذه النكتة ميز إمام الحرمين بين العلم والاعتقاد الصحيح، بأن «العقد» ربط الفكر بمعتقد. و«الاعتقاد» افتعال منه، والعلم يشعر بانحلال العقود وهو الانشراح والتبلج والثقة. وما أحسن تنبيهه بقوله: والاعتقاد افتعال منه. يريد: إذا كان العقد مبايناً للعلم، فما ظنك بالاعتقاد؛ لأن صيغة الافتعال أبلغ معنى. ومنه الاعتماد والاحتمال. ومن ثم ورد في الخير «كسب» وفي نقيضه «اكتسب» لأن النفوس في الشهوات والمخالفات واتباع الأهواء أجدر منها في الطاعات وقمع الأغراض، وعلى ذلك جاء ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ وإن كان «العلم» من «الأعلم» المأخوذ من «العلمة» بالتحريك، وهي انشراح الشفة وانشقاقها؛ فالذي ذكره الإمام حينئذ نهاية في نوعه، والله الموفق.

(٢) عاد كلامه. قال: «أو ولا تحرج من تبليغه، لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له... إلخ» قال أحمد: ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ...﴾ الآية.

قلت: بـ «أنزل»، أي: أنزل إليك لإنذارك به أو بالنهي؛ لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم، وكذلك إذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الإنذار؛ لأن صاحب اليقين جسور متوكل على ربه، متكل على عصمته.

فإن قلت: فما محل ذكرى؟ قلت: يحتمل الحركات الثلاث، النصب بإضمار فعلها، كأنه قيل: لتنذر به وتذكر تذكيراً؛ لأن الذكرى اسم بمعنى التذكير، والرفع عطفاً على كتاب، أو بأنه خبر مبتدأ محذوف، والجر للعطف على محل أن تنذر، أي: للإنذار وللذكر.

فإن قلت: النهي في قوله: «فلا يكن» متوجه[1] إلى الحرج فما وجهه؟

قلت: هو من قولهم: لا أرينك ههنا.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾: من القرآن والسنة، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾: من دون الله، ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أي: ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والإنس، فيحملوكم على عبادة الأوثان، والأهواء، والبدع، ويضلوكم عن دين الله، وما أنزل إليكم، وأمركم باتباعه، وعن الحسن: يا ابن آدم، أمرت باتباع كتاب الله، وسنة محمد ـ ﷺ ـ والله ما نزلت آية إلا وهو يحب أن تعلم فيم نزلت، وما معناها؟ وقرأ مالك بن دينار: «ولا تبتغوا»، من الابتغاء، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾، ويجوز أن يكون الضمير في: «من دونه»: لما أنزل، على: ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره، وقرىء: تذكرون، بحذف التاء، ويتذكرون، بالياء، و«قليلاً»: نصب يتذكرون، أي: تذكرون تذكراً قليلاً، و(ما) مزيدة؛ لتوكيد القلة.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿فَجَآءَهَا﴾: فجاء أهلها، ﴿بَيَٰتًا﴾: مصدر واقع موقع الحال، بمعنى بائتين، يقال: بات بياتاً حسناً، وبيتة حسنة، وقوله: ﴿هُمْ قَآئِلُونَ﴾: حال معطوفة[2] على «بياتاً»، كأنه

---

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه إلى الحرج، فما وجهه؟ قلت: هو من قولهم لا أرينك ههنا» قال أحمد: يريد أن الحرج منهي في الآية ظاهراً والمراد النهي عنه، والله أعلم.

(٢) عاد كلامه. قال: «وقوله ﴿هُمْ قَآئِلُونَ﴾ حال معطوفة على «بياتاً» كأنه قيل، لجاءهم... إلخ» قال أحمد: الاكتفاء بالضمير في الجملة الاسمية الواقعة حالاً ضعيف. والأفصح دخول الواو؛ كما =

قيل: فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين.

فإن قلت: هل يقدر حذف المضاف الذي هو الأهل قبل: ﴿قَرْيَةٍ﴾، أو قبل الضمير في ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾؟

قلت: إنما يقدّر المضاف للحاجة ولا حاجة؛ فإنّ القرية تهلك كما يهلك أهلها، وإنما قدّرناه قبل الضمير في: ﴿فَجَآءَهَا﴾ لقوله: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾.

فإن قلت: لا يقال: جاءني زيد هو فارس، بغير واو، فما بال قوله ﴿هُمْ قَآئِلُونَ﴾؟

قلت: قدّر بعض النحويين الواو محذوفة، ورده الزجاج، وقال: لو قلت: جاءني زيد راجلاً، أو هو فارس، أو جاءني زيد هو فارس، لم يحتج فيه إلى واو؛ لأن الذكر قد عاد إلى الأول، والصحيح: أنها إذا عطفت على حال قبلها، حذفت الواو استثقالاً، لاجتماع حرفي عطف؛ لأنّ واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل، فقولك: جاءني زيد راجلاً أو هو فارس/ ٢٣٤أ، كلام فصيح وارد على حدّه، وأمّا: جاءني زيد هو فارس، فخبيث.

= اختاره الزمخشري. وأما الزجّاج وغيره فيجعلون أحد الأمرين كافياً في الاسمية، إما الواو وإما الضمير. وأما قول الزمخشري: إن الجملة المعطوفة إنما حذفت منها واو الحال كراهية لاجتماعها وهي واو عطف أيضاً مع مثلها، ففيه نظر. وذلك أن واو الحال لا بد أن تمتاز عن واو العطف بمزية. ألا تراها تصحب الجملة الاسمية عقيب الفعلية في قولك جاءني زيد وهو راكب، ولو كانت عاطفة مجردة لاستقبح توسطها بين المتغايرين وإن لم يكن قبيحاً، فالأصح خلافه، فلما رأيتها تتوسط بينهما والكلام حينئذ هو الأفصح أو المتعين، علمت أنها ممتازة بمعنى وخاصية عن واو العطف، وإذا ثبت امتيازها عن العاطفة، فلا غرو في اجتماعها معها، وإن كان فيها معنى العطف مضافاً إلى تلك الخاصية. فأما أن تسلبه حينئذ لإغناء العاطف عنها، أو تستمر عليه، كما تجتمع الواو. ولكن لما فيها من زيادة معنى الاستدراك في مثل قوله ﴿وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ فعلى هذا كان من الممكن أن تجتمع واو الحال مع العاطف بلا كراهية، والذي يدل على ذلك أنك لو قلت: سبح الله وأنت راكع، أو وأنت ساجد؛ لكان فصيحاً لا خبث فيه ولا كراهة، فالتحقيق ـ والله أعلم ـ في الجملة المعطوفة على الحال: أن المصحح لوقوعها حالاً من غير واو، هو العاطف؛ إذ يقتضي مشاركة الجملة الثانية لما عطفت عليه في الحال، فيستغني عن واو الحال، كما أنك تعطف على المقسم به فتدخله في حكم القسم من غير واو موقعة في مثل ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ وفي مثل ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝١٦ وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧﴾ ولو قلت في غير التلاوة: وبالليل إذا عسعس، لجاز، ولكن يستغنى عن تكرار حرف القسم لنيابة العاطف منابه. فهذا والله أعلم سبب استغناء الجملة المعطوفة على الحال عن الواو المصححة للحالية، فالحاصل من هذا أنك إن أتيت بواو الحال مصاحباً للعاطف، لم تخرج عن حد الفصاحة إلى الاستثقال، بل أفدت تأكيداً. وإن لم تأت بها فكذلك في الفصاحة مع إفادة الاختصار، والله الموفق للصواب.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ والإهلاك إنما هو بعد مجيء البأس؟

قلت: معناه: أردنا إهلاكها؛ كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦]، وإنما خصّ هذان الوقتان: وقت البيات، ووقت القيلولة؛ لأنهما وقت الغفلة والدعة، فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع، وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر، وقوم شعيب وقت القيلولة.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٥﴾

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾: ما كانوا يدعونه من دينهم، وينتحلونه من مذهبهم إلا اعترافهم ببطلانه وفساده، وقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: فيما كنا عليه، ويجوز: فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا؛ لأنه لا مستغاث من الله بغيره، ومن قولهم دعواهم: «يا لكعب»، ويجوز، فما كان دعواهم ربهم إلا اعترافهم، لعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم، وأن لات حين دعاء، فلا يزيدون على ذمّ أنفسهم، وتحسرهم على ما كان منهم، «ودعواهم»: نصب خبر لكان، و﴿أَن قَالُوا﴾: رفع اسم له، ويجوز العكس.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ۝٧﴾

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾: «أرسل»: مسند إلى الجار والمجرور وهو «إليهم»، ومعناه: فلنسألنّ المرسل إليهم وهم الأمم، يسألهم عما أجابوا عنه رسلهم، كما قال: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾ [القصص: ٦٥]، ويسأل المرسلين عما أجيبوا به، كما قال: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]، ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾: على الرسل، والمرسل إليهم ما كان منهم، ﴿بِعِلْمٍ﴾: عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة، وأقوالهم وأفعالهم، ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾: عنهم وعما وجد منهم.

فإن قلت: فإذا كان عالماً بذلك، وكان يقصه عليهم، فما معنى سؤالهم؟

قلت: معناه: التوبيخ، والتقريع، والتقرير إذا فاهوا به بألسنتهم، وشهد عليهم أنبياؤهم.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ يعني: وزن الأعمال، والتمييز بين راجحها، وخفيفها، ورفعه على الابتداء، وخبره: «يومئذ»، و«الحق»: صفته، أي: والوزن يوم يسأل الله الأمم[1]، ورسلهم الوزن الحق، أي: العدل، وقرىء: «القسط»، واختلف في كيفية الوزن، فقيل: توزن صحف الأعمال بميزان له لسان وكفتان، تنظر إليه الخلائق؛ تأكيداً للحجة، وإظهاراً للنصفة، وقطعاً للمعذرة، كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم، وتشهد بها عليهم أيديهم، وأرجلهم، وجلودهم، وتشهد عليهم الأنبياء، والملائكة، والأشهاد، وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب.

وقيل: هي عبارة عن القضاء السويّ والحكم العادل، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: جمع ميزان أو موزون، أي: فمن رجحت أعماله الموزونة التي لها وزن رقدر، وهي الحسنات، أو ما توزن به حسناتهم، وعن الحسن: وحقّ لميزان توضع فيه الحسنات أن يثقل/ ٢٣٤ب، وحق لميزان توضع فيه السيئات أن يخف، ﴿بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾: يكذبون بها ظلماً؛ كقوله: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٠٣].

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً، أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾: جمع معيشة، وهي ما يعاش به من المطاعم، والمشارب، وغيرها، وما يتوصل به إلى ذلك، والوجه: تصريح الياء، وعن ابن عامر: أنه همز، على التشبيه بصحائف.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ يعني: خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصوّر، ثم صورناه بعد ذلك؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ . . .﴾ الآية ﴿مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: ممن سجد لآدم.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾

---

(١) قوله: «أي والوزن يوم يسأل الله الأمم» هذا إنما ينبني على أن يومئذ متعلق بالوزن، والحق خبر. أما على ما قاله، فالتقدير: ويوم يسأل إلخ، ويمكن أن مراده: والوزن كائن يوم يسأل الله الأمم ورسلهم، أي الوزن الحق، وكان الأقرب: أي والوزن الحق يوم يسأل. . . إلخ.

﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾: «لا» في: (أن لا تسجد): صلة؛ بدليل قوله: «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي»، ومثلها: (لئلا يعلم أهل الكتاب)، بمعنى: ليعلم.

فإن قلت: ما فائدة زيادتها؟

قلت: توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه، وتحقيقه، كأنه قيل: ليتحقق علم أهل الكتاب، وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك؟ ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ لأن أمري لك بالسجود أوجبه عليك إيجاباً وأحتمه عليك، حتماً لا بدّ لك منه.

فإن قلت: لم سأله عن المانع من السجود، وقد علم ما منعه؟

قلت: للتوبيخ، ولإظهار معاندته، وكفره، وافتخاره بأصله، وازدرائه بأصل آدم، وأنه خالف أمر ربه معتقداً أنه غير واجب عليه، لما رأى أنّ سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب.

فإن قلت: كيف يكون قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ جواباً لما منعك، وإنما الجواب أن يقول: منعني كذا؟

قلت: قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم، وبعلة فضله عليه، وهو أنّ أصله من نار، وأصل آدم من طين، فعلم منه الجواب وزيادة عليه، وهي إنكار للأمر، واستبعاد أن يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله، كأنه يقول: من كان على هذه الصفة، كان مستبعداً أن يؤمر بما أمر به.

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة، إلى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين، ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾: فما يصح لك، ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: وتعصى، ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: من أهل الصغار، والهوان على الله، وعلى أوليائه؛ لتكبرك، كما تقول للرجل: قم صاغراً، إذا أهنته، وفي ضدّه: قم راشداً؛ وذلك أنه لما أظهر الاستكبار ألبس الصغار، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: من تواضع لله رفع الله حكمته[1]، وقال: انتعش أنعشك الله، ومن تكبر وعدا طوره، وهصه[2] الله إلى الأرض (٥٩٤).

---

٥٩٤ ـ أخرجه ابن أبي شيبة (٧/٩٦) رقم (٣٤٤٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٨١٤٠) عن عمر =

---

(١) قوله: «رفع الله حكمته» في الصحاح: حكمة اللجام ما أحاط بالحنك.

(٢) قوله: «وهصه الله إلى الأرض»، وهصه: أي غمزه إلى الأرض. والوهص: كسر الشيء الرخو =

﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥﴾

فإن قلت: لم أجيب إلى استنظاره، وإنما استنظر ليفسد عباده ويغويهم؟[1]

قلت/ ٢٣٥أ: في ذلك من ابتلاء العباد، وفي مخالفته من أعظم الثواب، وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف، وأنواع الملاذ والملاهي، وما ركب في الأنفس من الشهوات؛ ليمتحن بها عباده.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝١٧﴾

﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: فبسبب إغوائك إياي لأقعدنّ لهم، وهو تكليفه إياه ما وقع به في الغي، ولم يثبت كما ثبتت الملائكة، مع كونهم أفضل منه، ومن آدم أنفساً ومناصب[2]، وعن الأصم: أمرتني بالسجود، فحملني الأنف على معصيتك، والمعنى: فبسبب وقوعي

= وقد ورد بعضه مرفوعاً من حديث ابن عباس، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩) رقم (١٢٩٣٩) من طريق علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك: ضع حكمته». وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٥) وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده حسن.

قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه. حدثنا أبو خالد الأحمر وعبد الله بن إدريس وسفيان ابن عتبة عن ابن عجلان عن بكير بن الأشج عن معمر بن أبي حية عن عبيد الله بن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال: قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال: انتعش أنعشك الله. فهو في نفسه صغير، وفي أنفس الناس كبير. وإن العبد إذا تعظم وعدا طوره، وضعه الله إلى الأرض. وقال: اخْسَأْ خسأك الله فهو في نفسه كبير وفي أنفس الناس صغير، لهو أحقر عندهم من خنزير»، وأخرجه البيهقي في الشُّعَب من طريق علي بن المديني عن سفيان. وقد روي بعضه مرفوعاً، أخرجه الدارقطني في العلل من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «ما من آدمي إلا وملك آخذ بحكمته. فإذا رفع نفسه قيل للملك: ضع حكمتك ـ وإذا وضع نفسه قيل للملك: ارفع حكمتك، قال: لا يثبت. فيه علي بن زيد وهو ضعيف. انتهى.

= وشدة الوطء على الأرض، كذا في الصحاح.

(١) قال محمود: «فإن قلت: لم أجيب إلى استنظاره، وإنما استنظر ليفسد عباده... إلخ» قال أحمد: وهذا السؤال إنما يورده ويلتزم الجواب عنه القدرية الذين يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح في أفعاله. وأما أهل السنة فقد أصغوا حق الإصغاء إلى قوله تعالى ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ فلا يورد أحد منهم هذا السؤال ولا يجيب عنه من يورده، والله الموفق.

(٢) قوله: «ومن آدم أنفساً ومناصب» هذا عند المعتزلة، أما عند أهل السنة فآدم أفضل منهم.

في الغيّ، لأجتهدن في إغوائهم[1] حتى يفسدوا بسببي، كما فسدت بسببهم.

فإن قلت: بـم تعلقت الباء؛ فإنَّ تعلقها بلأقعدنّ يصدّ عنه لام القسم، لا تقول: والله بزيد لأمرّنّ؟

قلت: تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره: فبما أغويتني أقسم بالله لأقعدنّ، أي: فبسبب إغوائك أقسم[2]، ويجوز أن تكون الباء للقسم، أي: فأقسم بإغوائك لأقعدن، وإنما أقسم بالإغواء؛ لأنه كان تكليفاً، والتكليف من أحسن أفعال الله؛ لكونه تعريضاً لسعادة الأبد، فكان جديراً بأن يقسم به، ومن تكاذيب المجبرة، ما حكوه[3] عن طاوس

---

(١) قال محمود: «والمعنى: فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي... إلخ» قال أحمد: تحت كلام الزمخشري هذا نزغتان من الاعتزال خفيتان:
إحداهما: تحريفه الإغواء إلى التكليف، لأنه يعتقد أن الله تعالى لم يغوه، أي لم يخلق له الغي بناء على قاعدة التحسين. والتقبيح والصلاح والأصلح، فيضطره اعتقاده إلى حمل الإغواء على تكليفه بالسجود، لأنه كان سبباً في غيه. وكثيراً ما يؤول أفعال الله تعالى إذا أسندها إلى ذاته حقيقة إلى التسبب، ويجعل ذلك من مجاز السببية، لأن الفعل له ملابسات بالفاعل والمفعول والزمان والمكان والسبب، فإسناده إلى الفاعل حقيقة، وإسناده إلى بقيتها مجاز ويجعل الفعل مسنداً إلى الله ـ تعالى ـ لأنه مسببه لا أنه فاعله. وقد استدل على ذلك فيما سلف بقول مالك بن دينار لرجل رآه مقيداً محبوساً في مال عليه: هذه وضعت القيود في رجليك، وأشار إلى سلة فيها أخبصة وألوان مختلفة رآها عند المسجون، أي اعتناؤك بهذه الأطعمة كان سبباً في تبذير المال الذي آل بك إلى وضع القيود في رجليك. فعلى هذا يروم حمل هذه الآية، يعني بما كلفتني من التكليف الذي كان سبباً في خلقي الغي لنفسي لأقعدن، فيجعل إبليس هو الفاعل في الحقيقة. وأما إسناد الفعل إلى الله تعالى فمجاز. هذه إحدى النزغتين.
والأخرى: جعله التكليف من جملة الأفعال، لأنه يزعم أن كلام الله تعالى محدث من جملة أفعاله، لا صفة من صفاته، والتكليف من الكلام، فهاتان زلتان جمع القدرية بينهما. وإبليس لعنه الله لم يرض واحدة منهما، لأنه نسب الإغواء إلى الله تعالى، إذ هو خالق كل شيء، فما الظن بطائفة ترضى لنفسها من خفي الشرك ما لم يسبق به إبليس؟ نعوذ بالله من التعرض لسخط الله.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وما ذكره من أن اللام تصد عن تعلق الباء بـ «لَأَقْعُدَنَّ» ليس حكماً مجمعاً عليه، بل في ذلك خلاف قلت: أما الخلاف فنعم، لكنه خلاف ضعيف لا يعتد به أبو القاسم، والشيخ نفسه قد قال ـ عند قوله تعالى: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ﴾ في قراءة من كسر اللام في «لِمَنْ» ـ: «إنَّ ذلك لا يجيزه الجمهور». وسيأتي لك مبيناً إن شاء الله تعالى. انتهى. الدر المصون.

(٣) قوله: «ومن تكاذيب المجبرة ما حكوه» يعني أهل السنة. وسماهم المعتزلة بذلك. لقولهم: إن خالق أفعال العباد ولو قبيحة هو الله تعالى، فيكون العبد مجبوراً فيها؛ فكيف يصح تكليفه؟!. ولكنهم أثبتوا للعبد الكسب في أفعاله، ولذلك صح تكليفه. أما الجبر المنافي للتكليف، فهو أن لا يكون للعبد دخل في فعله أصلاً، بحيث يكون كالريشة المعلقة في الهواء؛ وبه قالت المجبرة الحقيقية، كما هو مذكور في أواخر المواقف.

أنه كان في المسجد الحرام، فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمي بالقدر، فجلس إليه، فقال له طاوس: تقوم أو تقام، فقام الرجل، فقيل له: أتقول هذا لرجل فقيه؟ فقال: إبليس أفقه منه، قال: «رب بما أغويتني»، وهذا يقول: أنا أغوي نفسي، وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على إضافة القبائح إلى الله سبحانه، أن لفقوا الأكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين[(١)]، وقيل: «ما»: للاستفهام؛ كأنه قيل: بأي شيء أغويتني؟ ثم ابتدأ لأقعدنّ، وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على «ما» الاستفهامية، قليل شاذ، وأصل «الغي» الفساد، ومنه: غوى الفصيل، إذا بشم، والبشم: فساد في المعدة، لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم: لأعترضن لهم على طريق الإسلام، كما يعترض العدوّ على الطريق، ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف؛ كقوله: [من الكامل]

.... كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ[(٢)]

وشبهه الزجاج بقولهم: ضرب زيد للظهر والبطن، أي: على الظهر والبطن، وعن رسول الله - ﷺ -: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقَةٍ: قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ لَهُ: تَدَعُ دِينَ آبَائِكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ، فَقَالَ لَهُ: تَدَعُ دِيَارَكَ وَتَتَغَرَّبُ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهَادِ فَقَالَ لَهُ: تُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَيُقْسَمُ مَالُكَ وَتُنْكَحُ امْرَأَتُكَ،

---

(١) عاد كلامه. قال: «ومن تكاذيب المجبرة: ما حكوه عن طاوس أنه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمي بالقدر، فجلس إليه فقال له طاوس تقوم أو تقام؟ فقام الرجل. فقيل له: أتقول هذا لرجل فقيه؟ فقال: إبليس أفقه منه، قال رب بما أغويتني. وهذا يقول: أنا أغوي نفسي. انتهى كلام طاوس على زعمهم. وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على إضافة القبائح إلى الله سبحانه وتعالى أن لفقوا الأكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين» انتهى كلامه. قال أحمد: وإنما أوردت مثل هذا من كلامه وإن كان غير محتاج إلى التنبيه على فساده وحيده عن العقائد الصحيحة لتبلج الحجة في وجوب الرد عليه وتعينه على من هداه الله إليه. ولقد صدق طاوس رضي الله عنه. وأما قول الزمخشري في أهل السنة الذين سماهم مجبرة أنهم يتهالكون في نسبة القبائح إلى الله تعالى، فحاصله: أنهم يخلصون التوحيد حتى لا يؤمنون بخالق غير الله، ولكي يصدقوا قوله تعالى متمدحاً ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا كالقدرية الذين هم يتهالكون حتى هم يشركون ويحرفون الكلم عن مواضعه، فيؤولون الفاعل بالمسبب، فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون، والله الموفق للصواب.

(٢) لدن بهز الكف يعسل متنه ... فيه كما عسل الطريق الثعلب

لساعدة بن جؤية، يصف رمحاً بأنه لين يضطرب صلبه في الكف بسبب هزه، فلا يبس فيه، كما عسل أي اضطرب الثعلب في الطريق، فحذف الجار من الثاني للضرورة، واغتفر لذكره في الأولى. وفي عسل معنى الدخول بسرعة.
ينظر: ديوان الهذليين ١/ ٩٠١، الكتاب ١/ ١٦، الخصائص ٣/ ٣١٩، أمالي ابن الشجري ١/ ٤٢، الهمع ١/ ٢٠٠، الدرر ١/ ١٦٩، الدر المصون ٣/ ٢٤٢.

فَعَصَاهُ فَقَاتَلَ (٥٩٥) ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم﴾: من الجهات الأربع، التي يأتي منها العدوّ في الغالب، وهذا مثل لوسوسته/ ٢٣٥ ب إليهم، وتسويله ما أمكنه وقدر عليه؛ كقوله: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

فإن قلت: كيف قيل: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ بحرف الابتداء، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ بحرف المجاوزة؟

قلت: المفعول فيه عدّي إليه الفعل، نحو تعديته إلى المفعول به، فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك، اختلفت في هذا، وكانت لغة تؤخذ، ولا تقاس، وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط، فلما سمعناهم يقولون: جلس عن يمينه، وعلى يمينه، وعن شماله، وعلى شماله، قلنا: معنى: «على يمينه»: أنه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه، ومعنى: «عن يمينه»: أنه جلس متجافياً عن صاحب اليمين، منحرفاً عنه، غير ملاصق له، ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره، كما ذكرنا في: «تعال»، ونحوه من المفعول به قولهم: «رميت عن القوس»، وعلى القوس، ومن القوس؛ لأنّ السهم يبعد عنها، ويستعليها إذا وضع على كبدها للرمي، ويبتدىء الرمي منها؛ كذلك قالوا: جلس بين يديه، وخلفه، بمعنى فيه؛ لأنهما ظرفان للفعل، ومن بين يديه ومن خلفه؛ لأن الفعل يقع في بعض الجهتين، كما تقول: جئته من الليل، تريد بعض الليل.

وعن شقيق: ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربع مراصد: من بين يديّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، أمّا من بين يدي فيقول: لا تخف؛ فإن الله غفور رحيم، فأقرأ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [طه: ٨٢]، وأمّا من خلفي: فيخوّفني الضيعة على مخلفي، فأقرأ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وأمّا من قبل يميني: فيأتيني من قبل الثناء، فأقرأ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢] وأمّا من قبل شمالي، فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾: قاله تظنيناً؛ بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠]، وقيل:

---

٥٩٥ ـ أخرجه النّسائي (٦/ ٢١): كتاب الجهاد باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد، وأحمد (٣/ ٤٨٣)، والطبراني في معجمه الكبير (٧/ ١٣٨)، حديث (٦٥٥٨)، وابن حِبان (١٠/ ٤٥٣) حديث (٤٥٩٣).

قال الحافظ: أخرجه النّسائي وأحمد وابن حِبان وأبو يَعلى والطبراني من حديث سبرة بن الفاكه وابن أبي الفاكه به وأتم منه.

(تنبيهان) أحدهما: قوله: «بأطرقة» ضبطه ثابت في الدلائل بكسر الراء، بمثناه، وبضم الراء وبهاء.

ثانيهما: قوله «بأطرته» وقع عند الطيبي، رواه النّسائي من حديث سبرة بن معبد وهو وهم. انتهى.

سمعه من الملائكة بإخبار الله - تعالى - لهم.

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ مَذْءُومًا﴾: من: ذأمه إذا ذمّه، وقرأ الزهري: «مذوماً» بالتخفيف، مثل مسول في مسئول، واللام في: ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ﴾: موطئة للقسم، و﴿ لَأَمْلَأَنَّ﴾: جوابه، وهو سادّ مسدّ جواب الشرط، ﴿ مِنكُمْ﴾: منك ومنهم، فغلب ضمير المخاطب؛ كما في قوله: ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، وروى عصمة عن عاصم: «لِمن تبعك»، بكسر اللام، بمعنى: لمن تبعك منهم هذا الوعيد، وهو قوله: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، على أن «لأملأنّ»: في محل الابتداء، و«لمن تبعك»: خبره.

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾: وقلنا يا آدم، وقرىء: هذي الشجرة، والأصل الياء، والهاء بدل منها، ويقال: «وسوس»، إذ اتكلم كلاماً خفيًّا يكرره، ومنه وسوس الحليّ، وهو فعل غير متعدّ، كولولت المرأة ووعوع الذئب، ورجل موسوس/ ٢٣٦أ بكسر الواو - ولا يقال موسوس بالفتح، ولكن موسوس له، وموسوس إليه، وهو الذي تلقى إليه الوسوسة، ومعنى: وسوس له: فعل الوسوسة لأجله، ووسوس إليه: ألقاها إليه، ﴿ لِيُبْدِىَ﴾: جعل ذلك غرضاً له ليسوءهما إذا رأيا ما يؤثران ستره ألاّ يطلع عليه مكشوفاً؛ وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور[1]، وأنه لم يزل مستهجناً في الطباع مستقبحاً في العقول.

---

(١) قال محمود: «فيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور... إلخ» قال أحمد: وفي هذه الكلمات أيضاً جنوح إلى قاعدة الاعتزال في أمرين، أحدهما: قوله إن كشف العورة لم يزل مستقبحاً في العقول، فإنه ينشأ عن اعتقاده أن القبح والتحسين بالعقل وإن جاز أن يصدر هذا الكلام من المعتقد لعقيدة السنة، إلا أنه لا يريد به ظاهره، إذ التحسين والتقبيح إنما يدركان بالشرع والسمع لا بالعقل. ومعنى هذا الإطلاق ولو صدر من سني: أن العقل يدرك المعنى الذي لأجله حسن الشرع الستر وقبح الكشف. الأمر الثاني: استدلاله على تفضيل الملائكة على الأنبياء وقد =

فإن قلت: ما للواو المضمومة في: ﴿وُرِيَ﴾ لم تقلب همزة كما قلت في أو يصل؟

قلت: لأن الثانية مدّة كألف وارى، وقد جاء في قراءة عبد الله: «أورى»، بالقلب، ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾: إلا كراهة أن تكونا ملكين، وفيه دليل على أن الملكية بالمنظر الأعلى، وأن البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا، وقرىء: «مِلكين»، بكسر اللام؛ كقوله: ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]. ﴿مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾: من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين، وقرىء: «من سوأتهما»، بالتوحيد، «وسوّاتهما»، بالواو المشدّدة، ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾: وأقسم لهما، ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

فإن قلت: المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك[1]، تقول: قاسمت فلاناً حالفته، وتقاسما تحالفا، ومنه قوله تعالى: ﴿تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ [النمل: ٤٩].

قلت: كأنه قال لهما: أقسم لكما إني لمن الناصحين، وقال له: أتقسم بالله إنك لمن الناصحين؟ فجعل ذلك مقاسمة بينهم، أو أقسم لهما بالنصيحة، وأقسما له بقبولها[2]، أو أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة، لأنه اجتهد فيه اجتهاد المقاسم، ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ فنزلهما إلى الأكل من الشجرة، ﴿بِغُرُورٍ﴾: بما غرهما به من القسم بالله، وعن قتادة: وإنما يخدع المؤمن بالله، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنه كان إذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة، أعتقه، فكان عبيده يفعلون ذلك؛ طلباً للعتق، فقيل له: إنهم يخدعونك، فقال:

----

٥٩٦ ـ أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) من طريق عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر به. وأخرجه أيضاً ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٢٥ ـ ١٢٦) من طريق عبد =

= مضى أن ذلك معتقد المعتزلة وإن كان بعض أهل السنة قد مال إليه، والجواب ممن يعتقد تفضيل الأنبياء أنه لا يلزم من اعتقاد إبليس ذلك ووسوسته بأن الملائكة أفضل أن يكون الأمر كذلك في علم الله تعالى. ألا ترى إبليس لعنه الله قد أخبر أن الله تعالى منعهما من الشجرة حتى لا يخلدا أو لا يكونا ملكين؟ وهو في ذلك كاذب مبطل، فلادليل فيه، إذ ليس في الآية ما يوجب تقرير الله تعالى لإبليس على ذلك ولا تصديقه فيه، بل ختمت الآية بما يدل على أنه كذب لهما وغرهما، إذ قال الله تعالى عنه ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ فلعل تفضيله الملكية على النبوة من جملة غروره، والله أعلم.

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت: المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك... إلخ» قال أحمد: ويكون في الكلام حينئذ لف، لأن آدم وحواء عليهما السلام لا يقسمان له بلفظ المتكلم، ولكن بالخطاب، فجعل القسم من الجانبين كلاماً واحداً مضافاً لإبليس.

(٢) عاد كلامه. قال: «أو أقسم لهما على النصيحة وأقسما له على قبولها» قال أحمد: وهذا التأويل يتم لوجود المقاسمة عن ذكر المقسم عليه. وأما حيث جعل المقسم عليه هو النصيحة لا غير، فيبعد التأويل المذكور؛ إلا أن يحمل الأمر على أنه سمى قبول النصيحة نصيحة للمشاكلة والمقابلة، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ أنه سمى التزام موسى للوفاء والحضور للميعاد ميعاداً، فأسند التعبير بالمفاعلة، والله أعلم.

من خدعنا بالله انخدعنا له (٥٩٦)، ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾: وجدا طعمها آخذين في الأكل منها، وقيل: «الشجرة» هي «السنبلة»، وقيل: «شجرة الكرم» ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي: تهافت عنهما اللباس، فظهرت لهما عوراتهما، وكانا لا يريانها من أنفسهما، ولا أحدهما من الآخر، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ما رأيت منه، ولا رأى مني (٥٩٧).

وعن سعيد بن جبير: كان لباسهما من جنس الأظفار.

وعن وهب: كان لباسهما نوراً يحول بينهما وبين النظر، ويقال: طفق بفعل كذا،

= العزيز بن أبي رواد به.

قال الحافظ: أخرجه ابن سعد من رواية نافع قال: «كان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه ـ وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه. فربما شمر أحدهم فيلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه. فيقول له أصحابه. فذكره. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من هذا الوجه. انتهى.

٥٩٧ ـ عزاه الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/٤٥٨) إلى أبي يعلى في مسنده، ومن طريقه ابن الجوزي في الوفا ولفظه: «ما أتى رسول الله ﷺ أحداً من نسائه إلا متقنعاً يرخي الثوب على رأسه، ولا رأيته من رسول الله ﷺ ولا رآه مني».
وضعفه الحافظ في «تخريج الكشاف».
وللحديث طريق آخر عن عائشة:
أخرجه الدارقطني في «غرائب مالك» من طريق محمد بن كامل بن ميمون الزيات ثنا زيد بن الحسن ثنا مالك بن أنس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «ما نظرت إلى فرج رسول الله ﷺ ولا نظر إلى فرجي قط».
قال الدارقطني: محمد بن كامل وزيد بن حسن ضعيفان، ولا يصح هذا عن مالك ولا عن الزهري.
ينظر «تخريج الكشاف» للزيلعي (١/٤٥٨).
وله طريق ثالث عن عائشة:
أخرجه ابن ماجه (١/٢١٧) كتاب الطهارة: باب النهي أن يرى عورة أخيه حديث (٦٦٢)، والتِّرمذي في «الشمائل المحمدية» (٣٦٠) من طريق موسى بن عبد الله بن يزيد عن مولى لعائشة عن عائشة قالت: «ما نظرت أو ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط».
وإسناده ضعيف. لجهالة مولى عائشة.
قال الحافظ: أخرجه أبو يعلى من رواية كامل أبي العلاء عن أبي صالح ـ رواه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قالت عائشة «ما أتى رسول الله ﷺ أحداً من نسائه إلا متقنعاً مرخي الثوب على رأسه، وما رأيته من رسول الله ﷺ . ولا رآه مني ـ تعني الفرج» إسناده ضعيف. وروى التِّرمذي وابن ماجه وأحمد وابن أبي شيبة من رواية عبد الله بن يزيد عن مولى عائشة قالت: «ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط» وروى الدارقطني في غرائب مالك عن الزهري ورواه الطبراني في الصغير من رواية أنس عن عائشة مثله ـ وزاد: «ولا نظر إلى فرجي قط»، وفي إسناده زيد بن الحسن عن مالك. وهو ضعيف. وقال: لا يصح هذا عن مالك ولا عن الزهري. وروى الطبراني في الصغير من رواية أنس عن عائشة نحوه. وفي إسناده بركة بن محمد الحلبي، وهو متروك. انتهى.

بمعنى: جعل يفعل كذا، وقرأ أبو السمال: و«طفقاً» بالفتح، ﴿يَخْصِفَانِ﴾: ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها، كما يخصف النمل، بأن تجعل طرقة على طرقة، وتوثق بالسيور، وقرأ الحسن: «يخِصّفان»، بكسر الخاء وتشديد الصاد، وأصله «يختصفان»، وقرأ الزهري: «يُخصفان»، من أخصف، وهو منقول من خصف، أي: يخصفان أنفسهما، وقرىء/ ٢٣٦ب: «يخصفان»، من خصَّف بالتشديد ﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: قيل: كان ورق التين، ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾: عتاب من الله ـ تعالى ـ وتوبيخ، وتنبيه على الخطأ؛ حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة إبليس، وروي: أنه قال لآدم: «ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة؟» فقال: بلى وعزتك، ولكن ما ظننت أنّ أحداً من خلقك يحلف بك كاذباً. قال: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش إلا كدّاً»، فأهبط وعلم صنعة الحديد، وأمر بالحرث فحرث، وسقى، وحصد، وداس، وذرى، وطحن، وعجن، وخبز.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٢٣)﴾

وسمّيا ذنبهما وإن كان صغيراً، مغفوراً، ظلماً لأنفسهما[1]، وقالا: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: على عادة الأولياء، والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات، واستصغارهم العظيم من الحسنات.

﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥)﴾

﴿ٱهْبِطُواْ﴾: الخطاب لآدم، وحواء، وإبليس، و﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: في موضع الحال، أي: متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه، ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾: استقرار، أو موضع استقرار، ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: وانتفاع بعيش إلى انقضاء آجالكم، وعن ثابت البناني: لما أهبط آدم وحضرته الوفاة، أحاطت به الملائكة، فجعلت حواء تدور حولهم، فقال لها: خلي ملائكة ربي، فإنما أصابني الذي أصابني فيك، فلما توفي، غسلته الملائكة بماء، وسدر، وتراً،

---

(١) قال محمود: «سميا ذنبهما ظلماً وإن كان صغيراً مغفوراً... إلخ» قال أحمد: وهذا أيضاً اعتزال خفي، لأنهم يزعمون أن اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر وإن لم يتب العبد منها. فهذا معنى قول الزمخشري: وإن كان صغيراً مغفوراً. وإنما وسمت هذا الاعتزال بالخفاء، لأن هذا الكلام يستقيم وروده عن أهل السنة، لكنهم يعنون بكونه مغفوراً: أن الله تعالى تفضل بغفرانه، ولو شاء لآخذ به وإن كان الأنبياء معصومين من الكبائر، لا كما يزعمه المعتزلة من وجوب مغفرته، والله الموفق.

وحنطته، وكفنته في وتر من الثياب، وحفروا له ولحدوا، ودفنوه بسرنديب بأرض الهند، وقالوا لبنيه: هذه سنتكم بعده.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ۝٢٦﴾

جعل ما في الأرض منزلاً من السماء؛ لأنه قضى ثم وكتب، ومنه: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾، والريش لباس الزينة، استعير من ريش الطير؛ لأنه لباسه وزينته، أي: أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يواري سوآتكم، ولباساً يزينكم؛ لأن الزينة غرض صحيح، كما قال: ﴿لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ﴾ [النحل: ٨]. ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ﴾ [النحل: ٦]، وقرأ عثمان ـ رضي الله عنه ـ: «ورياشاً»، جمع ريش، كشعب وشعاب، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾: ولباس الورع، والخشية من الله ـ تعالى ـ وارتفاعه على الابتداء، وخبره إمّا الجملة التي هي: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾، كأنه قيل: ولباس التقوى هو خير؛ لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر، وأمّا المفرد الذي هو خير؛ وذلك صفة للمبتدأ، كأنه قيل: ولباس التقوى المشار إليه خير، ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى، أو أن تكون إشارة إلى اللباس المواري للسوأة؛ لأنّ مواراة السوأة من التقوى، تفضيلاً له على لباس الزينة، وقيل: لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف، أي: وهو لباس التقوى، ثم قيل: ذلك خير، وفي قراءة عبد الله وأبيّ: «ولباس التقوى خير»، وقيل: المراد/ ٢٣٧أ بلباس التقوى: ما يلبس من الدروع، والجواشن، والمغافر[1]، وغيرها مما يتقى به في الحروب، وقرىء: «ولباسَ التقوى»، بالنصب عطفاً على «لباساً» و«ريشاً»، ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: الدالة على فضله ورحمته على عباده، يعني: إنزال اللباس، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾: فيعرفوا عظيم النعمة فيه، وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت، وخصف الورق عليها؛ إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأنّ التستر باب عظيم من أبواب التقوى.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٧﴾

---

(١) قوله: «الجواشن والمغافر» الجواشن: هي ما ينسج من الدروع على قدر الصدر. والمغافر: ما ينسج منها على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة.

﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: لا يمتحننكم بألاّ تدخلوا الجنة، كما محن أبويكم بأنْ أخرجهما منها، ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾: حال، أي: أخرجهما نازعاً لباسهما، بأن كان سبباً في أن نزع عنهما، ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ﴾: تعليل للنهي، وتحذير من فتنته، بأنه بمنزلة العدوّ المداجي[1]، يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون، وعن مالك بن دينار: إنّ عدواً يراك، ولا تراه، لشديد المؤنة إلا من عصم الله، ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾: وجنوده من الشياطين، وفيه دليل بين أن الجنّ لا يرون[2]، ولا يظهرون للإنس، وأن إظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم، وأن زعم من يدّعي رؤيتهم زور، ومخرقة، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: خلينا بينهم وبينهم[3] لم نكفهم عنهم حتى تولوهم، وأطاعوهم فيما سوّلوا لهم من الكفر والمعاصي، وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول.

فإن قلت: علام عطف «وقبيله»؟

قلت: على الضميرفي «يراكم» المؤكد بـ «هو» والضمير في «أنه» للشأن والحديث، وقرأ اليزيدي: (وقبيله): بالنصب، وفيه وجهان: أن يعطفه على اسم «إن»، وأن تكون بمعنى «مع»، وإذا عطفه على اسم «إن»، وهو الضمير في أنه، كان راجعاً إلى إبليس.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

الفاحشة: ما تبالغ في قبحه من الذنوب، أي: إذا فعلوها اعتذروا بأن آباؤهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم، وبأنّ الله تعالى أمرهم بأن يفعلوها، وكلاهما باطل من العذر[4]؛

---

(١) قوله: «العدو المداجي» في الصحاح «المداجاة» المداراة. يقال: داجيته، إذا، داريته، كأنك سائرته العداوة.

(٢) قال محمود: «وفيه دليل بين أنهم لا يرون... إلخ» قال أحمد: أين يذهب به عما ورد في الحديث الصحيح، من اعتراض إبليس رأسهم ومقدمهم للنبي ﷺ يروم أن يشغله عن صلاته، حتى أمكنه الله منه فأخذه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فدغنه وأراد أن يربطه إلى سارية من سواري المسجد يلعب به الصبيان، حتى ذكر دعوة سليمان عليه السلام فتركه. وإذا جاز ذلك للنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان جائزاً لأولياء الله والمتبعين لسنة رسول الله ﷺ كرامة، لكن الزمخشري يصده عن ذلك جحده لكرامة الأولياء، لأنه عقيدة إخوانه، إذ الكرامة إنما يؤتاها الولي الصادق، فكيف ينالها من يشك في إسلامه، فإنهم لفي عذر من جحدها والتكذيب بها. رزقنا الله الإيمان بالكرامات إن لم نكن لها أهلاً، والله الموفق.

(٣) قوله: «أي خلينا بينهم وبينهم» فسر الجعل بذلك؛ لأنه تعالى لا يخلق الشر عند المعتزلة. وعند أهل السنة يخلقه كالخير.

(٤) قال محمود: «وكلاهما باطل من العذر لأن أحدهما... إلخ» قال أحمد: وهذا أيضاً من الاعتزال الخفي، وغرضه أن يمهد قاعدة التحسين والتقبيح، ومراعاة الصلاح والأصلح، واستحالة مخالفة =

لأن أحدهما تقليد، والتقليد ليس بطريق للعلم.

والثاني: افتراء على الله، وإلحاد في صفاته، كانوا يقولون: لو كره الله منا ما نفعله، لنقلنا عنه، وعن الحسن: إن الله ـ تعالى ـ بعث محمداً ـ ﷺ ـ إلى العرب، وهم قدرية مجبرة[1]، يحملون ذنوبهم على الله؛ وتصديقه قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾؛ لأن فعل القبيح مستحيل عليه[2]؛ لعدم الداعي، ووجود الصارف، فكيف يأمر بفعله، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: إنكار لإضافتهم القبيح إليه، وشهادة على أن مبنى قولهم على الجهل المفرط، وقيل: المراد بالفاحشة: طوافهم بالبيت عراة.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل، وبما قام/ ٢٣٧ب في النفوس أنه مستقيم حسن عند كل مميز، وقيل: بالتوحيد، ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ وقل: «أقيموا وجوهكم» أي: اقصدوا عبادته مستقيمين إليها، غير عادلين إلى غيرها، ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: في كل وقت سجود، أو في كل مكان سجود، وهو الصلاة، ﴿وَٱدْعُوهُ﴾: واعبدوه، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الطاعة، مبتغين بها وجه الله خالصاً، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾: كما أنشأكم ابتداء يعيدكم؛ احتجّ عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق، والمعنى: أنه يعيدكم، فيجازيكم على أعمالكم، فأخلصوا له العبادة.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾: وهم الذين أسلموا، أي: وفقهم للإيمان، ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾: أي كلمة الضلالة، وعلم الله أنهم يضلون ولا يهتدون، وانتصاب قوله:

= ذلك على الله تعالى، ولا يتم من ذلك غرض؛ لأن المنكر عليهم: دعواهم أن الله تعالى أمرهم بالفحشاء، وهم كاذبون في هذه الدعوى، ولا يلزم من سلب الأمر الإرادة، لأن الله تعالى يأمر بما لا يريد، ويريد ما لا يأمر به.

(١) قوله: «وهم قدرية مجبرة»، أي: كالمجبرة يعني أهل السنة، لقولهم: إن الله يريد الشر كالخير، والإرادة هي الأمر عند المعتزلة، لكنها غيره عند أهل السنة، فالفحشاء بإرادته تعالى، لكنه لا يأمر بها. وتحقيقه في التوحيد.

(٢) قوله: «فعل القبيح مستحيل عليه» يريد أن الله لا يريد فعل القبيح؛ وهي عقيدة المعتزلة. أما عند أهل السنة فالله يريد القبيح والحسن «ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن».

﴿وَفَرِيقًا﴾: بفعل مضمر يفسره ما بعده، كأنه قيل: وخذل فريقاً حق عليهم الضلالة، ﴿إِنَّهُمُ﴾: إنّ الفريق الذي حقّ عليهم الضلالة، ﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به؛ وهذا دليل على أن علم الله لا أثر له في ضلالهم، وأنهم هم الضالون باختيارهم، وتوليهم الشياطين دون الله.

﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾

﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾ أي: ريشكم، ولباس زينتكم، ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: كلما صليتم أو طفتم، وكانوا يطوفون عراة، وعن طاوس، لم يأمرهم بالحرير، والديباج؛ وإنما كان أحدكم يطوف عرياناً ويدع ثيابه وراء المسجد، وإن طاف وهي عليه، ضرب، وانتزعت عنه، لأنهم قالوا: لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها، وقيل: تفاؤلاً ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب، وقيل: الزينة المشط، وقيل: الطيب، والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة، وكان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتاً، ولا يأكلون دسماً يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: فإنا أحق أن نفعل، فقيل لهم: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان: سرف، ومخيلة (٥٩٨)، ويحكى أنّ الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأبدان، وعلم الأديان، فقال له: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه، قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾، فقال النصراني: ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب؟ فقال: قد جمع رسولنا ـ ﷺ ـ الطب في ألفاظ يسيرة، قال: وما هي؟ قال: قوله: «المَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ، وَالْحَمِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ، وَأَعْطِ كُلَّ بَدَنٍ مَا عَوَّدْتَهُ» فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً (٥٩٩).

---

٥٩٨ ـ علقه البخاري موقوفاً على ابن عباس (١٠/ ٢٦٤) كتاب اللباس: باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾، قال الحافظ: ووصله ابن أبي شيبة والدينوري.
وأخرجه النّسائي في السنن الكبرى (٢/ ٤١) حديث (٢٣٤٠)، وابن ماجه (٢/ ١١٩٢): كتاب اللباس: باب البس ما شئت، ما أخطأك سرف أو مخيلة، حديث (٣٦٠٥)، وأحمد (٢/ ١٨١، و١٨٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٣٥) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً إلى النبي ﷺ.
قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة حدثنا سفيان عن إبراهيم بن ميسرة عن عطاء وطاوس عنه بهذا؛ لكن قال: «خلتان». وروى النّسائي وابن ماجه وأحمد والحاكم من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم تخالطوا إسرافاً ولا مخيلة». انتهى.
٥٩٩ ـ ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٤٦٠) وقال: غريب جدا.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿زِينَةَ ٱللَّهِ﴾: من الثياب، وكل ما يتجمل به، ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾: المستلذات من المآكل والمشارب، ومعنى الاستفهام في من: إنكار تحريم هذه الأشياء/ ٢٣٨أ، قيل: كانوا إذا أحرموا حرّموا الشاة، وما يخرج منها من لحمها، وشحمها، ولبنها، ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ غير خالصة لهم؛ لأنّ المشركين شركاؤهم فيها، ﴿خَالِصَةً﴾: لهم، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: لا يشركهم فيها أحد.

فإن قلت: هلا قيل: «هي للذين آمنوا ولغيرهم».

قلت: لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة، وأن الكفرة تبع لهم؛ كقوله تعالى: ﴿ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار﴾ [البقرة: ١٣٦] وقرىء: «خالصة» بالنصب على الحال، وبالرفع على أنها خبر بعد خبر.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: ما تفاحش قبحه، أي: تزايد، وقيل: هي ما يتعلق بالفروج، ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾: عام لكل ذنب، وقيل: شرب الخمر، ﴿وَٱلْبَغْيَ﴾: الظلم والكبر، أفرده بالذكر؛ كما قال: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠]. ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: فيه تهكم؛ لأنه لا يجوز أن ينزل برهاناً بأن يشرك به غيره[1]، ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: وأن

= وقال الحافظ: لم أجد له إسناداً.
قال الحافظ: لم أجده، وروى العقيلي في الضعفاء من رواية إبراهيم بن جريج الرهاوي عن زيد بن أبي أنيسة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ـ رفعه: «المعدة حوض البدن. والعروق إليها واردة: فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة، وإذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم»، وقال: حديث باطل لا أصل له. وقال الدارقطني لا يصح ولا يعرف من كلام النبي ﷺ لسند إبراهيم بن جريج غير هذا وكان طبيباً، فجعل له إسناداً». انتهى.

---

(١) قال محمود: «في هذا تهكم؛ لأنه لا يجوز أن ينزل برهاناً بأن يشرك به غيره، قال أحمد: وإنما يعني التهكم منه لأن الكلام جرى مجرى ماله سلطان، إلا أنه لم ينزل؛ لأنه إنما نفى تنزيل السلطان به ولم ينف أن يكون له سلطان، وكان أصل الكلام: وأن تشركوا بالله ما لا سلطان به فينزل فيكون على طريقة [من الطويل]:
على لا حب لا يهتدي بمناره ....

تتقوّلوا عليه، وتفتروا الكذب من التحريم وغيره.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم، وقرىء: «فإذا جاء آجالهم»، وقال: ﴿سَاعَةً﴾؛ لأنها أقل الأوقات في استعمال الناس، يقول المستعجل لصاحبه: في ساعة، يريد أقصر وقت وأقربه.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: هي «إن»: الشرطية ضمت إليها «ما» مؤكدة لمعنى الشرط؛ ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة.

فإن قلت: فما جزاء هذا الشرط؟

قلت: الفاء وما بعده من الشرط والجزاء، والمعنى: فمن اتقى وأصلح منكم، والذين كذبوا منكم.

وقرىء: «تأتينكم»، بالتاء.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾: فمن أشنع ظلماً ممن تقوّل على الله ما لم يقله، أو كذب ما قاله، ﴿أُولَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: مما كتب لهم من الأرزاق، والأعمار، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾: حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له، أي: إلى وقت وفاتهم، وهي: «حتى» التي يبتدأ بعدها الكلام، والكلام ههنا الجملة الشرطية، وهي إذا جاءتهم رسلنا قالوا، و﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾: حال من الرسل، أي: متوفيهم، والرسل: ملك الموت وأعوانه، «وما»: وقعت موصولة بأين في خط المصحف، وكان حقها أن تفصل؛ لأنها موصولة بمعنى: أين الآلهة الذين تدعون، ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾: غابوا عنا، فلا نراهم، ولا ننتفع بهم؛ اعترافاً منهم بأنهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه، وأنهم لم يحمدوه في العاقبة.

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟﴾ أي: يقول الله ـ تعالى ـ يوم القيامة لأولئك الذين قال فيهم: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٣٧]، وهم كفار العرب، ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾: في موضع الحال، أي: كائنين في جملة أمم، وفي غمارهم مصاحبين لهم، أي: ادخلوا في النار مع أمم، ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾: وتقدّم زمانهم زمانكم، ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾: التي ضلت بالاقتداء بها، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا﴾/ ٢٣٨ب أي: «تداركوا» بمعنى: تلاحقوا واجتمعوا في النار، ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾: منزلة، وهي الأتباع، والسفلة، ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾: منزلة وهي القادة والرؤس، ومعنى «لأولاهم»: لأجل أولاهم؛ لأن خطابهم مع الله لا معهم، ﴿عَذَابًا ضِعْفًا﴾: مضاعفاً ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾؛ لأنّ كلاً من القادة والأتباع كانوا ضالين مضلين، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾: قرىء بالياء والتاء، ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾: عطفوا هذا الكلام على قول الله ـ تعالى ـ للسفلة، «لكل ضعف»، أي: فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا، وأنا متساوون في استحقاق الضعف، ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: من قول القادة، أو من قول الله لهم جميعاً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾: لا يصعد لهم عمل صالح، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [المطففين: ١٨].

وقيل: إنّ الجنة في السماء، فالمعنى: لا يؤذن لهم في صعود السماء، ولا يطرّق لهم إليها ليدخلوا الجنة.

وقيل: لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين.

وقيل: لا تنزل عليهم البركة، ولا يغاثون، «بفتحنا أبواب السماء، وقرىء: «لا تفتّح»، بالتشديد، ولا «يفتح» بالياء، «ولا تفتح»، بالتاء، والبناء للفاعل، ونصب

الأبواب، على أنّ الفعل للآيات، وبالياء على أن الفعل لله، عز وجل.

وقرأ ابن عباس: «الجمل»، بوزن القمل، وسعيد بن جبير: «الجمل»، بوزن النغر.

وقرىء: «الجمل»: بوزن القفل، و«الجمل»: بوزن النصب، و«الجمل»: بوزن الحبل، ومعناها: القلس الغيظ؛ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: إنّ الله أحسن تشبيهاً من أن يشبه بالجمل، يعني: أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة والبعير لا يناسبه، إلا أن قراءة العامّة أوقع؛ لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك، يقال: أضيق من خرت الإبرة، وقالوا للدليل الماهر: خرّيت، للاهتداء به في المضايق المشبهة بأخرات الإبر، و«الجمل»: مثل في عظم الجرم، قال: [من البسيط]

.... جِسْمُ الْجِمَالِ وَأَحْلامُ الْعَصَافِيرِ[1]

إن الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الأجسام، فقيل: لا يدخلون الجنة، حتى يكون ما لا يكون أبداً من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع، في ثقب الإبرة.

وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل؟ فقال: زوج الناقة؛ استجهالاً للسائل، وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف.

وقرىء: ﴿فِى سَمِّ﴾: بالحركات الثلاث، وقرأ عبد الله: «في سم المخيط»، والخياط والمخيط كالحزام والمحزم: ما يخاط به وهو الإبرة، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثل ذلك الجزاء

---

(١) حار بن عمرو ألا أحلام تزجركم ... عنا وأنتم من الجوف الجماخير
لا بأس بالقوم من طول ومن عظم ... جسم الجمال وأحلام العصافير
كأنهم قصب جوف أسافله ... مثقب نفخت فيه الأعاصير
لحسان. و«حار» مرخم حارث، مبنى على الضم؛ لأنه منادى حذف قبله ياء النداء. و«الأحلام» جمع حلم بالضم: العقول. و«الجوف» بالضم: جمع أجوف، أي واسع الجوف. و«الجماخير» جمع جمخور؛ أي عظيم الجسم. يقول: كيف لا يكون لكم أحلام وأنتم عظام الأجرام، ثم بين ذلك بقوله: لا بأس ولا ضرر يعتري هؤلاء من جهة الطول والغلظ، يعني: لا نقص بهم من ذلك. وفيه تهكم بهم. أو لا يستنكفون من ذلك فهم أحقاء به، أو لا بأس يعتريك بسبب القوم من أجل طولهم وغلظهم فأجسامهم كأجسام الجمال، وعقولهم كعقول العصافير إن كان لها عقول، يعني أنه لا عقل لهم. ويروى «جسم البغال» وشبههم في فراغ أجوافهم من العقل والشجاعة بالقصب: إذا انشقت أجواف أسافله فأعاليه أكثر. وشبه منافذ حواسهم بثقوبه الخالية عن الحس. و«الأعاصير» جمع إعصار، وهي ريح تهب مستديرة ذاهبة نحو السماء. واستعار النفخ لإدخالها الهواء فيه بقوة كالنفخ. وفي القافية الإقواء، لاختلاف حركة الروي بالكسر والضم.
ينظر: الكتاب (٢/ ٧٤)، الخزانة (٤/ ٧٢)، الدر المصون (٣/ ٢٦٩).

الفظيع، ﴿نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ﴾: ليؤذن أن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب، وأن كلّ من أجرم عوقب، وقد كرره فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الظَّٰلِمِينَ﴾؛ لأن كلّ مجرم ظالم لنفسه، ﴿مِهَادٌ﴾: فراش، ﴿غَوَاشٍ﴾: أغطية.

وقرىء: «غواش». بالرفع/ ٢٣٩أ؛ كقوله تعالى: ﴿وله الجوار المنشآت﴾ [الرحمن: ٢٤] في قراءة عبد الله.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٤٢)﴾

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: جملة معترضة بين المبتدأ والخبر؛ للترغيب في اكتساب ما لا يكتنه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع، وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان، والعمل الصالح، وقرأ الأعمش: «لا تكلف نفس».

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَىٰنَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)﴾

من كان في قلبه غل على أخيه في الدنيا، نزع منه، فسلمت قلوبهم، وطهرت، ولم يكن بينهم إلا التوادّ والتعاطف، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: إني لأرجو أن أكون أنا، وعثمان، وطلحة، والزبير، منهم (٦٠٠)، ﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ أي: وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم، وهو الإيمان، والعمل الصالح، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ﴾: اللام: لتوكيد النفي[1]،

---

٦٠٠ ـ أخرجه الطبري (٥/ ٤٩٣) رقم (١٤٦٦٨)، وأخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٤) رقم (٣٧٨٢١) من طريق ربعي بن حراش عن علي.
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٨٤) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن علي به.
قال الحافظ: أخرجه ابن سعد من رواية جعفر بن محمد عن أبيه. والطبري من رواية معمر عن قتادة عن علي وكلاهما منقطع. وفي ابن أبي شيبة من رواية ربعي عن علي. وهو متصل. انتهى.

---

(١) قال محمود: اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم... إلخ» قال أحمد: وهذه تكفح وجوه القدرية بالرد، فإنها شاهدة شهادة تامة مؤكدة باللام على أن المهتدي من خلق الله له الهدى، وأن غير ذلك محال أن يكون، فلا يهتدي إلا من هدى الله، ولو لم يهده لم يهتد، وأما القدرية فيزعمون أن كل مهتد خلق لنفسه الهدى، فهو إذاً مهتد وإن لم يهده الله، إذ هدى الله للعبد خلق الهدى له ـ وفي زعمهم أن الله تعالى لم يخلق لأحد من المهتدين الهدى، ولا يتوقف ذلك على =

ويعنون: وما كان يستقيم أن نكون مهتدين، لولا هداية الله وتوفيقه، وفي مصاحف أهل الشام: «ما كنا لنهتدي» بغير واو، على أنها جملة موضحة للأولى، ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾: فكان لنا لطفاً وتنبيهاً على الاهتداء، فاهتدينا، يقولون ذلك سروراً، واغتباطاً بما نالوا، وتلذذاً بالتكلم به لا تقرباً وتعبداً؛ كما نرى من رزق خيراً في الدنيا، يتكلم بنحو ذلك، ولا يتمالك ألاّ يقوله للفرح، لا للقربة، ﴿أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾: أن مخففة من الثقيلة، تقديره: ونودوا بأنه تلكم الجنة، ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾: والضمير ضمير الشأن، والحديث أو تكون بمعنى أي؛ لأنّ المناداة من القول، كأنه قيل: وقيل لهم: «أي تلكم الجنة أورثتموها»[(١)] ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بسبب أعمالكم لا بالتفضل، كما تقول المبطلة[(٢)].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

= خلقه ـ تعالى الله عما يقولون ـ ولما فطن الزمخشري لذلك، جرى على عادته في تحريف الهدى من الله تعالى إلى اللطف الذي بسببه يخلق العبد الاهتداء لنفسه، فأنصف من نفسك واعرض قول القائل: المهتدي من اهتدى بنفسه من غير أن يهديه الله ـ أي يخلق له الهدى، على قوله تعالى حكاية عن قول الموحدين في دار الحق ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ وانظر تباين هذين القولين، أعني قول المعتزلي في الدنيا، وقول الموحد في الآخرة في مقعد صدق. واختر لنفسك أي الفريقين تقتدي به، وما أراك ـ والخطاب لكل عاقل تعدل بهذا القول المحكي عن أولياء الله في دار السلام منوهاً به في الكتاب العزيز، قول قدري ضال تذبذب مع هواه وتعصبه في دار الغرور والزوال، نسأل الله حسن المآب والمآل.

(١) عاد كلامه. قال: «وقوله تعالى ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المراد بسبب أعمالكم، لا بالتفضل كما تقول المبطلة» قال أحمد: يعني بالمبطلة قوماً سمعوا قوله عليه الصلاة والسلام «لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل الله وبرحمته. قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة» فقالوا صدق رسول الله ﷺ، وهؤلاء هم أهل السنة. قيل لهم: فما معنى قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾؟ قالوا: الله تفضل بأن جعل الجنة جزاء العمل، فضلاً منه ورحمة، لا أن ذلك مستحق عليه وواجب للعباد وجوب الديون التي لا اختيار في أدائها، جمعا بين الدليلين على وجه يطابق دليل العقل، الدال على أن الله تعالى يستحيل أن يجب عليه شيء، فانظر أيها المنصف، هل تجد في هذا الكلام من الباطل ما يوجب أن يلقب أصحابه بالمبطلة؟ وحاكم نفسك إليها، ثم إذا وضح أنهم برآء في هذا البر، فاعرضه على قوم زعموا أنهم يستحقون على الله تعالى حقا بأعمالهم التي لا ينتفع بوجودها ولا يتضرر بتركها ـ تعالى وتقدس عن ذلك ـ ويطلقون القول بلسان الجراءة أن الجنة ونعيمها أقطاعهم بحق مستحق على الله تعالى لا تفضل له عليهم فيه. بل هو بمثابة دين تقاضاه بعض الناس من مديانه. وانظر أي الفريقين المذكورين أحق بلقب المبطلة، والسلام.

(٢) قوله: «كما تقول المبطلة» يريد أهل السنة القائلين: دخولها بالفضل، واقتسامها بالأعمال، كما في الحديث.

«أن» في ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾: يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة، وأن تكون مفسرة كالتي سبقت آنفاً، وكذلك: ﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، وإنما قالوا لهم ذلك، اغتباطاً بحالهم، وشماتة بأصحاب النار، وزيادة في غمهم؛ لتكون حكايته لطفاً لمن سمعها؛ وكذلك قول المؤذن بينهم: لعنة الله على الظالمين، وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع أهل الجنة، وأهل النار.

وقرىء: «أَنَّ لعنة الله»، بالتشديد، والنصب.

وقرأ الأعمش: «إن لعنة الله»، بكسر «إن» على إرادة القول، أو على إجراء «أذّن» مجرى «قال».

فإن قلت: هلا قيل: «ما وعدكم ربكم»، كما قيل: «ما وعدنا[1] ربنا؟».

قلت: حذف ذلك تخفيفاً لدلالة وعدنا عليه، ولقائل أن يقول: أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث، والحساب، والثواب، والعقاب، وسائر أحوال القيامة؛ لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع، ولأن الموعود كله مما ساءهم، وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم؛ فأطلق لذلك[2].

---

(١) عاد كلامه: قال: فإن قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا... إلخ» قال أحمد: ولقائل أن يقول: ولو ذكر المفعول حسب ذكره في الأول فقيل: فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا، لكان الفصل مطلقاً أيضاً باعتبار الموعود به، لأنه لم يذكر، فكان يتناول كل موجود من البعث والحساب والعقاب، الذي هو أنواع من جملتها التحسر على نعيم أهل الجنة، فليس ذلك خاصا بحذف المفعول الواقع على الموعودين، فالوجه أن حذفه إيجاز وتخفيف واستغناء عنه بالأول. والله أعلم.

(٢) قال السمين الحلبي: قُلْتُ: قوله: «ولقائل.... إلى آخره» هذا الجواب لا يطابق سؤاله؛ لأن المدعي حذف المفعول الأول، وهو ضمير المخاطبين، والجواب وقع بالمفعول الثاني الذي هو: الحساب والعقاب وسائر الأحوال، فهذا إنما يناسب لو سئل عن حذف المفعول الثاني، لا المفعول الأول. و «نَعَمْ» حرف جواب كَأَجَلْ وإي وَجَيْرَ وبَلَى. ونقيضتها «لا». و «نَعَمْ» تكون لتصديق الإخبار، أو إعلام استخبار، أو وعد طالب. وقد يجاب بها النفي المقرون باستفهام، وهو قليل جدا، كقوله [من الوافر]:

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرو ... وإيّانا، فَذَاكَ بِنَا تَدَانِي؟
نَعَمْ، وَتَرَى الهِلاَلَ كما أَرَاهُ ... ويَعْلُوهَا النَّهَارُ كما عَلاَنِي

فأجاب قوله: «أَلَيْسَ» بـ «نَعَمْ»، وكان من حقهِ أن يقول: «بَلَى»، ولذلك يُرْوَى عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ لو قالوا: نَعَمْ لكفروا وفيه بحث يأتي إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى قريباً. وتكسر عينها، وبها قرأ الكسائي والأعمش ويحيى بن وثاب، وهي لغة كنانة، وطعن أبو حاتم عليها، وقال: «ليس الكسر بمعروف». واحتج الكسائي لقراءته بما يُحْكَى عن عمر بن الخطاب أنه سأل قوماً، فقالوا: نَعَمْ، بالفتح، فقال: «أَمّا النَّعَم فالإبل، فقولوا: نَعِم». أي بالكسر. قال أبو عُبَيْد: «ولم نَرَ العَرَبَ يعرفون ما رووه عن عمر، ونراه مولداً». قُلْتُ: هذا طعن في المتواتر، فلا =

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾؛ يعني: بين الجنة والنار، أو بين الفريقين، وهو السور المذكور في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: ١٣]. ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾: وعلى أعراف الحجاب، وهو السور المضروب بين الجنة والنار، وهي أعاليه، جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك، ﴿رِجَالٌ﴾: من المسلمين من آخرهم دخولاً في الجنة؛ لقصور/ ٢٣٩ب أعمالهم، كأنهم المرجون لأمر الله، يحبسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في دخول الجنة، ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾: من زمر السعداء والأشقياء، ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾: بعلامتهم التي أعلمهم الله ـ تعالى ـ بها، يلهمهم الله ذلك، أو تعرّفهم الملائكة.

﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾

إذا نظروا إلى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم، ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ﴾: ورأوا ما هم فيه من العذاب، استعاذوا بالله، وفزعوا إلى رحمته ألاّ يجعلهم معهم، ونادوا رجالاً من رءوس الكفرة يقولون لهم: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾: إشارة لهم إلى أهل الجنة، الذين كان الرؤساء يستهينون بهم، ويحتقرونهم؛ لفقرهم، وقلة حظوظهم من الدنيا، وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة، ﴿ٱدْخُلُوا

= يقبل. وتبدل عينها حاء، وهي لغة فاشية، كما تُبْدَلُ حاءُ «حَتَّى» عيناً. وقوله: «بَيْنَهُمْ» يجوز أن يكون منصوباً بـ «أَذَّنَ»، أو بـ «مُؤَذِّنٌ»، وأن يكون متعلقاً بمحذوف، على أنه صفة لـ «مُؤَذِّنٌ». قال مكي ـ عند إجازته هذا الوجه ـ: «ولكن لا يعمل «أَنْ» في «مُؤَذِّنٌ»، إذ قد نعته؛ يعني أن قوله: «أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ» لا يجوز أن تكون معمولة لـ «مُؤَذِّنٌ»، لأنه موصوف، واسم الفاعل متى وصف لم يعمل. قُلْتُ: هذا يوهم أنا إذا لم نجعل «بَيْنَهُم» نعتاً لـ «مُؤَذِّنٌ» جاز أن يعمل في «أَنْ»، وليس الأمر كذلك، لأنك لو قلت: «ضرب ضَارِبٌ زَيْداً»، فإنك تنصب «زيداً» بـ «ضَرَبَ»، لا بـ «ضَارِب»، لكني قد رأيت الواحدي أجاز ما أجاز مكي من كون «مُؤَذِّنٌ» عاملاً في «أَنْ»، وإذا وصفته امتنع ذلك، وفيه ما تقدم، وهو حسن. و «أن» يجوز أن تكون المُفَسِّرة، وأن تكون المخففة، والجملة الاسمية بعدها الخبر، فلا حاجة هنا لفاصل. وقرأ الأخوان وابن عامر والبزي: «أَنَّ» بفتح الهمزة وتشديد النون، ونصب «اللعنة» على أنها اسمها، و«عَلَى الظَّالِمِينَ» خبرها، وكذلك في النور ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ خفَّفَ «أَنَّ» ورفع «اللعنة» نافعٌ وحده والباقون بالتشديد والنصب. وقرأ عصمة عن الأعمش «إِنَّ» بالكسر والتشديد، وذلك إمّا على إضمار القول عند البصريين، وإمّا على إجراء النداء مُجْرَى القول عند الكوفيين. انتهى. الدر المصون.

﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾: يقال لأصحاب الأعراف: «ادخلوا الجنة»، وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف، وينظروا إلى الفريقين، ويعرفوهم بسيماهم، ويقولوا ما يقولون؛ وفائدة ذلك بيان أن الجزاء على قدر الأعمال، وأن التقدّم والتأخر على حسنها، وأن أحداً لا يسبق عند الله إلا بسبقه في العمل، ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه، وليرغب السامعون في حال السابقين، ويحرصوا على إحراز قصبتهم، وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر، فيرتدع المسيء عن إساءته، ويزيد المحسن في إحسانه، وليعلم أنّ العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملاً، وقوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾: فيه أن صارفاً يصرف أبصارهم؛ لينظروا، فيستعيذوا، ويوبخوا.

وقرأ الأعمش: و«إذا قلبت أبصارهم».

وقرىء: «أدخلوا الجنة»، على البناء للمفعول.

وقرأ عكرمة: دخلوا الجنة.

فإن قلت: كيف لاءم هاتين القراءتين قوله: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾؟

قلت: تأويله: «أدخلوا»، أو دخلوا الجنة مقولاً لهم: «لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون».

فإن قلت: ما محل قوله: لم يدخلوها وهم يطمعون؟

قلت: لا محل له؛ لأنه استئناف، كأن سائلاً سأل عن حال أصحاب الأعراف، فقيل: لم يدخلوها وهم يطمعون، يعني: حالهم أنّ دخولهم الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة، فلم يدخلوها؛ لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا، ويجوز أن يكون له محل، بأن يقع صفة لرجال، ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾: المال، أو كثرتكم، واجتماعكم، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: واستكباركم عن الحق وعلى الناس.

وقرىء: تستكثرون، من الكثرة.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا﴾: فيه دليل على أن الجنة فوق النار، ﴿أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: من غيره

من الأشربة؛ لدخوله في حكم الإفاضة، ويجوز أن يراد/ ٢٤٠أ: أو ألقوا علينا مما رزقكم الله، من الطعام، والفاكهة؛ كقوله: [من الرجز]

عَلَفْتُهَا تِبْناً وَمَاءً بَارِداً[١] ....

وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة إليه حيرة في أمرهم، كما يفعل المضطر الممتحن، ﴿حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: منعهم شراب الجنة، وطعامها، كما يمنع المكلف ما يحرّم عليه ويحظر؛ كقوله: [من الطويل]

حَرَامٌ عَلَىٰ عَيْنَيَّ أَنْ تَطْعَمَ الْكَرَىٰ[٢] ....

﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾: نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير، لا يذكرونهم به، ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾: كما فعلوا بلقائه فعل الناسين، فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

---

(١) لما حططت الرحل عنها وارداً ... علفتها تبناً وماء باردا

يقول: لما حططت الرحل عن الناقة حال كوني وارداً للماء، علفتها تبناً وسقيتها ماء بارداً، على حذف العامل في ماء. ويحتمل أن المعنى: ناولتها تبناً وماء على التجوز في العلف، وذلك لأن الماء لا يكون معلوفاً لها. ويجوز أن يكون مفعولاً معه، أي: علفتها تبناً مصاحباً للماء، فلا يلزم أن يكون الماء معلوفاً، ومنعه لأن الماء لا يصاحب التبن في العلف، فيه نظر؛ لجواز أنه وضع لها التبن ووضع لها ماء معه، لتتناول ما شاءت. ورواية الفراء هكذا:

علفتها تبناً وماء بارداً ... حتى شتت همالة عيناها

وشتوت بموضع كذا: أقمت به زمن الشتاء، أي حتى كانت زمن الشتاء همالة: أي كثيرة الدموع عيناها؛ فهمالة: نصب على الحال، وعيناها: فاعل به. ويروى: حتى غدت، وحتى بدت.

البيت ينظر: مشاهد الإنصاف ٢/ ٨٥، حاشية الشهاب ٤/ ١٧٢، الدر المصون ٣/ ٢٧٨.

(٢) حرام على عيني أن تطعم الكرى ... وأن ترقآ حتى ألاقيك يا هند

«الكرى» النعاس، وهو أول النوم. يقال: كرى يكرى كرى، من باب تعب إذا نعس. وشبه بالمطعوم على طريق المكنية. و«أن تطعما» أي تذوقا تخييل. ورقأ الدمع والدم ـ بالهمز ـ: سكن. وإسناده للعين مجاز عقلي، لأنه للدمع. ويحتمل أنه استعار ترقآ لتغمضا، لأن فيه سكون الجفون. يقول: ممتنع على المكلف، ففيه استعارة تصريحية حتى ألاقيك يا هند، وأنال من نوالك. وفي النداء معنى التفجع.

﴿فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: عالمين كيف نفصل أحكامه، ومواعظه، وقصصه، وسائر معانيه، حتى جاء حكيماً قيمًا غير ذي عوج.

وقرأ ابن محيصن: «فضلناه»، بالضاد المعجمة، بمعنى: فضلناه على جميع الكتب، عالمين أنه أهل للتفضيل عليها، و﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾: حال من منصوب «فصلناه»، كما أن على علم حال من مرفوعه، ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾: إلا عاقبة أمره، وما يؤول إليه من تبين صدقه، وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد، ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: تبين وصحّ أنهم جاؤا بالحق، ﴿نُرَدُّ﴾: جملة معطوفة على الجملة التي قبلها، داخلة معها في حكم الاستفهام؛ كأنه قيل: هل لنا من شفعاء، أو هل نردّ، ورافعه وقوعه موقعاً يصلح للإسم، كما تقول ابتداء: هل يضرب زيد؟ ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه، فلا يقدّر: هل يشفع لنا شافع أو نردّ.

وقرأ ابن أبي إسحاق: «أو نردّ»، بالنصب عطفاً على «فيشفعوا لنا»، أو تكون «أو» بمعنى «حتى أنّ» أي: يشفعوا لنا حتى نردّ فنعمل، وقرأ الحسن بنصب: «نردَّ»، ورفع «فنعملُ» بمعنى: فنحن نعمل.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾، وقرىء «يغشّى» بالتشديد، أي: يلحق الليل النهار، والنهار بالليل يحتملهما جميعاً؛ والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس: «يغشى الليلَ النهارُ»، بفتح الياء، «ونصب الليل»، «ورفع النهار»[1]، أي: يدرك النهار الليل، ويطلبه حثيثاً، حسن الملاءمة لقراءة حميد، ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾: بمشيئته، وتصريفه، وهو متعلق بمسخرات، أي: خلقهن جاريات بمقتضى حكمته، وتدبيره، وكما يريد أن يصرفها سمي ذلك أمراً على التشبيه، كأنهنّ مأمورات بذلك.

وقرىء: «والشمس والقمر والنجوم مسخرات»، بالرفع، ولما ذكر أنه خلقهنّ

---

(١) قال السمين الحلبي: وقد روى الزمخشري قراءة حُمَيْد، كما رواها أبو الفتح، فإنه قال: «يُغَشِّى» بالتشديد، أي: يَلحِقَ اللّيْلَ بالنهار، أو النَّهارَ باللّيْل، يحتملهما جميعاً، والدليل على الثاني قراءة حُمَيْد بن قيس «يَغْشَى» بفتح الياء، ونصب «الليل»، ورفع «النهار» انتهى. وفيما قاله أبو القاسم نظر، لما ذكرت لك من أن الآية الكريمة مما يجب فيها تقديم الفاعل المعنوي، وكأن أبا القاسم تبع أبا الفتح في ذلك، فلم يلتفت إلى هذه القاعدة المذكورة سهواً. انتهى. الدر المصون.

مسخرات بأمره قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ أي: هو الذي خلق الأشياء كلها، وهو الذي صرفها على حسب إرادته.

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾: نصب على الحال، أي: ذوي تضرع وخفية، وكذلك خوفاً، وطمعاً، والتضرع تفعل من الضراعة[1]، وهو الذل، أي تذللاً وتملقاً.

وقرىء: «وخفية»[2] وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: إنّ الله يعلم القلب التقي، والدعاء الخفي، إن كان/ ٢٤٠ب الرجل لقد جمع القرآن، وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير، ولا يشعر الناس به، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة، وعنده الزور، وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم؛ وذلك أنّ الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ وقد أثنى على زكريا، فقال: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾﴾ [مريم: ٣]، وبين دعوة السر، ودعوة العلانية سبعون ضعفاً، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ أي:

---

(١) قال محمود: «التضرع تفعل من الضراعة وهي الذل... إلخ» قال أحمد: وحسبك في تعين الأسرار في الدعاء اقترانه بالتضرع في الآية. فالإخلال به كالإخلال بالضراعة إلى الله في الدعاء وإن دعاء لا تضرع فيه ولا خشوع لقليل الجدوى «فكذلك دعاء لا خفية ولا وقار يصحبه وترى كثيراً من أهل زمانك يعتمدون الصراخ والصياح في الدعاء، خصوصاً في الجوامع حتى يعظم اللغط ويشتد، وتستد المسامع وتستد، ويهتز الداعي بالناس، ولا يعلم أنه جمع بين بدعتين: رفع الصوت في الدعاء، وفي المسجد. وربما حصلت للعوام حينئذ رقة، لا تحصل مع خفض الصوت ورعاية سمت الوقار وسلوك السنة الثابتة بالآثار، وما هي إلا رقة شبيهة بالرقة العارضة للنساء والأطفال، ليست خارجة عن صميم الفؤاد، لأنها لو كانت من أصل لكانت عند اتباع السنة في الدعاء وفي خفض الصوت به أوفر وأوفى وأزكى، فما أكثر التباس الباطل بالحق على عقول كثير من الخلق، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

(٢) قوله: «وقرئ: وخفية» لعل هذه بالكسر.

المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره، وعن ابن جريج: هو رفع الصوت بالدعاء، وعنه: الصياح في الدعاء مكروه وبدعة، وقيل: هو الإسهاب في الدعاء، وعن النبي ـ ﷺ ـ: «سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ، وَحَسْبُ الْمَرْءِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ» (٦٠١) ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ كقوله: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [طه: ٨٢]. وإنما ذكر: (قريب) على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم، أو لأنه صفة موصوف محذوف، أي: شيء قريب، أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى: «مفعول» كما شبه ذاك به، فقيل: قتلاء وأسراء، أو على أنه بزنة المصدر، الذي هو النقيض والضغيب[1]، أو لأنّ تأنيث الرحمة غير حقيقي.

قرىء: «نشراً» وهو مصدر نشر، وانتصابه: إمّا لأن أرسل ونشر متقاربان، فكأنه قيل: نشرها نشراً، وإمّا على الحال بمعنى منتشرات، و«نشراً» جمع نشور، و«نشراً» تخفيف نشر، كرسل ورسل.

وقرأ مسروق: «نشراً»، بمعنى: منشورات، فعل بمعنى مفعول، كنقض وحسب، ومنه قولهم: «ضم نشره»، وبشراً جمع بشير، وبشراً بتخفيفه، وبشراً ـ بفتح الباء ـ مصدر من بشره بمعنى بشره، أي: باشرات، وبشرى، ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: أمام رحمته، وهي

---

٦٠١ ـ أخرجه أبو داود (٢/ ٧٧) كتاب الصلاة: باب الدعاء حديث (١٤٨٠)، وأحمد (١/ ١٧٢، ١٨٣)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٨٨)، والطبراني في «الدعاء» (٥٥، ٥٦) من حديث سعد بن أبي وقاص به.
قال الحافظ:
أخرجه أبو يعلى من رواية شعبة عن زياد بن مهران عن قيس بن عنان عن مولى لسعد بن سعد سمع ابناً له يقول: «اللهم إني أسألك الجنة وغرفها وكذا وكذا. وأعوذ بك من النار وأغلالها وكذا وكذا. فقال: لقد سألت الله خيراً وتعوذت به من شر كثير. وإني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: سيكون قوم يعتدون في الدعاء وبحسبك أن تقول: اللهم إني أسألك الجنة ـ الخبر ـ وقال في آخره: لا أدري قوله: وبحسبك إلى آخره من قول سعد أو من قول النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم.
ورواه أبو داود الطيالسي والبيهقي في الدعوات من طريقه. عن سعد بسنده، إلا أنه قال: «وبحسبك أن تقول: اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم، وفي الباب عن عبد الله بن معقل أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حِبان والحاكم. انتهى.

---

(١) قوله: «هو النقيض والضغيب» النقيض: هو صوت العقاب وصوت المحمل، والضغيب: صوت الأرنب.

الغيث الذي هو من أتمّ النعم، وأجلها، وأحسنها أثراً، ﴿أَقَلَّتْ﴾: حملت ورفعت، واشتقاق الإقلال من القلة؛ لأنّ الرافع المطيق يرى الذي يرفعه قليلاً، ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾: سحائب ثقالاً بالماء، جمع سحابة، ﴿سُقْنَٰهُ﴾: الضمير للسحاب على اللفظ، ولو حمل على المعنى كالثقال لأنث، كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل: ثقيلاً، ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: لأجل بلد ليس فيه حيًّا ولسقيه.

وقرىء: «ميت»، ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾: بالبلد، أو بالسحاب، أو بالسوق، وكذلك: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ . . . كَذَٰلِكَ﴾: مثل/ ٢٤١أ ذلك الإخراج، وهو إخراج الثمرات، ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فيؤدّيكم التذكر إلى أنه لا فرق بين الإخراجين، إذ كل واحد منهما إعادة للشيء بعد إنشائه، ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: الأرض العذاة الكريمة التربة، ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾: الأرض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾: بتيسيره، وهو في موضع الحال، كأنه قيل: يخرج نباته حسناً وافياً؛ لأنه واقع في مقابلة ﴿نَكِدًا﴾، والنكد الذي لا خير فيه. وقرىء: يخرج نباته، أي: يخرجه البلد وينبته. وقوله: «والذي خبث»: صفة لـ «البلد»، ومعناه: والبلد الخبيث لا يخرج نباته إلا نكداً، فحذف المضاف الذي هو النبات، وأقيم المضاف إليه الذي هو الراجع إلى البلد مقامه، إلا أنه كان مجروراً بارزاً، فانقلب مرفوعاً مستكناً؛ لوقوعه موقع الفاعل، أو يقدّر: و«نبات الذي خبث».

وقرىء: «نكداً»، بفتح الكاف على المصدر، أي: ذا نكد، ونكداً، بإسكانها للتخفيف؛ كقوله: نزه عن الريب، بمعنى: نزه، وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ، والتنبيه من المكلفين، ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك، وعن مجاهد: آدم وذرّيته منهم خبيث وطيب.

وعن قتادة: المؤمن سمع كتاب الله، فوعاه بعقله، وانتفع به، كالأرض الطيبة أصابها الغيث فأنبتت، والكافر بخلاف ذلك، وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر، وإنزاله بالبلد الميت، وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذكر التصريف، ﴿نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾: نردّدها ونكرّرها، ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾: نعمة الله وهم المؤمنون، ليفكروا فيها ويعتبروا بها.

وقرىء: «يصرف»، بالياء، أي: يصرفها الله.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾: جواب قسم محذوف.

فإن قُلْتَ: ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام، إلا مع «قد»، وقَلَّ عنهم؛ نحو قوله: [من الطويل]

حَـلَـفْـتُ لَـهَـا بِـاللهِ حِـلْـفَـةَ فَـاجِـرٍ   لَـنَـامُـوا.............[1]

قلت: إنما كان ذلك؛ لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيداً للجملة المقسم عليها، التي هي جوابها، فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى «قد» عند استماع المخاطب كلمة القسم.

قيل: أرسل نوح ـ عليه السلام ـ وهو ابن خمسين سنة، وكان نجاراً، وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، وأخنوخ اسم إدريس النبي عليه السلام.

---

(١) فقالت سباك الله إنك فاضحي   ألست ترى السمار والنار أحوالي
حلفت لها بالله حلفة فاجر   لناموا فما إن من حديث ولا صالِ
فأصبحت معشوقاً وأصبح بعلها   عليه قتام كاسف الظن والبال
يغط غطيط البكر شد خناقه   ليقتلني والمرء ليس بقتال
أيقتلني والمشرفي مضاجعي   ومسنونة زرق كأنياب أغوال

لامرئ القيس. يقول: ضجرت محبوبتي سلمى حين ترقبتها ليلاً مع أن الرقباء حولها. والسمار: جمع سامر، بمعنى المتحدث ليلاً. وأحوال: جمع حول، بمعنى جانب، فيفيد كثرة الناس وانتشارهم في جوانبها. والمنقول أنه على صورة الجمع وليس جمعاً، وكذا تثنيته، لأنه حول الشيء وحوليه وأحواله وأحواليه وحواله وحواليه، كلها بمعنى جانبه المحيط به، ويمكن أن يراد بالمفرد: مطلق الجانب مجازاً، فيثنى ويجمع حقيقة، والكثير في الماضي المجاب به القسم قرنه بقد، بل قيل: إن لم توجد فيه قدرت قيل، لأن الجواب مظنة للتوقع الذي هو معنى «قد» لسماع القسم أولاً. و«إن» و«من» زائدتان للتوكيد، والحديث: بمعنى المتحدث ليطابق ما بعده. والصالي: المصطلي بالنار. وهاهنا حذف دل عليه المقام. أي فسمحت فنلت منها مرادي، فأعجبتها فأصبحت معشوقاً وقد كنت عاشقاً، وأصبح زوجها عليه قتام: وهو الغبار وسواد الوجه، كاسف الظن: منعكسه، فهو مجاز. وكاسف البال: حزين القلب، أو سيء الحال. والغطيط: ارتفاع صوت النفس عند الخنق والنعاس ونحو ذلك. والبكر: الفتى من الإبل. والخناق: حبل يخنق به كالحزام لما يتحزم به، والإسار لما يربط به الأسير. وقوله: ليس بقتال، أي كما يزعم أنه شجاع. والمشرفي: السيف، نسبة إلى مشارف جمع مشرف كجعفر، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف وشبهه بالمضاجع لامتداده بجانبه وملازمته له، والمسنونة النبال: المحددة الأطراف. والزرق: جمع زرقاء، الصافيات اللون. وشبهها بأنياب الأغوال في حدة الأطراف، واستبشاع كل عند النفوس. وهذا لا يستلزم وجود الغول ورؤية نابها، وإن زعمته العرب.
ينظر ديوانه ص ٣٢، والأزهيّة ص ٥٢، والجنى الداني ص ١٣٥، وخزانة الأدب ١٠/ ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٧٩، والدرر ٢/ ١٠٦، ٤/ ٢٣١، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ٣٧٤، ٣٩٣، ٤٠٢، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٤١، ٤٩٤، وشرح المفصّل لابن يعيش ٩/ ٢٠، ٩٧، ولسان العرب (حلف)، وبلا نسبة في جواهر الأدب ص ٧٧، ورصف المباني ص ١١٠، ومغني اللبيب ١/ ١٧٣، وهمع الهوامع ١/ ١٢٤، ٢/ ٤٢.

وقرىء: «غيره»، بالحركات الثلاث، فالرفع على المحل؛ كأنه قيل: ما لكم إله غيره، والجر على اللفظ، والنصب على الاستثناء، بمعنى: ما لكم من إله إلا إياه؛ كقولك: ما في الدار من أحد إلا زيد أو غير زيد.

فإن قلت: فما موقع الجملتين بعد قوله: «اعبدوا الله»؟

قلت: الأولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة.

والثانية: بيان للداعي إلى عبادته؛ لأنه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه/ ٢٤١ب من دون الله، واليوم العظيم: يوم القيامة، أو يوم نزول العذاب عليهم، وهو الطوفان.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢)﴾

﴿ٱلْمَلَأُ﴾: الأشراف والسادة، وقيل: الرجال ليس معهم نساء، ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: في ذهاب عن طريق الصواب والحق، ومعنى الرؤية: رؤية القلب.

فإن قلت: لم قال: ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾، ولم يقل: ضلال[1] كما قالوا؟

قلت: الضلالة أخصّ من الضلال، فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه؛ كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال، كما لو قيل لك: ألك تمر، فقلت: مالي تمرة.

فإن قلت: كيف وقع قوله ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ﴾ استدراكاً للانتفاء عن الضلالة؟

قلت: كونه رسولاً من الله، مبلغاً رسالاته، ناصحاً، في معنى كونه على الصراط المستقيم، فصحّ لذلك أن يكون استدراكاً للانتفاء عن الضلالة.

وقرىء: «أبلغكم»، بالتخفيف.

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال... إلخ»؟ قال أحمد: تعليله كون نفيها أبلغ من نفي الضلال بأنها أخص منه، غير مستقيم والله أعلم، فإن نفى الأخص أعم من نفي الأعم، فلا يستلزمه ضرورة أن الأعم لا يستلزم الأخص، بخلاف العكس. ألا تراك إذا قلت: هذا ليس بإنسان، لم يستلزم ذلك أن لا يكون حيواناً. ولو قلت: هذا ليس بحيوان، لاستلزم أن لا يكون إنساناً، فنفي الأعم كما ترى أبلغ من نفي الأخص. والتحقيق في الجواب أن يقال: الضلالة أدنى من الضلال وأقل، لأنها لا تطلق إلا على الفعلة الواحدة منه. وأما الضلال فينطلق على القليل والكثير من جنسه، ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى، لا من حيث كونه أخص، وهو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، والله أعلم.

فإن قلت: كيف موقع قوله: «أبلغكم»[1]؟

قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون كلاماً مستأنفاً بياناً لكونه رسول رب العالمين.

والثاني: أن يكـن صفة لـ «رسول».

فإن قلت: كيف جاز أن يكون صفة، والرسول لفظه لفظ الغائب؟

قلت: جاز ذلك؛ لأن الرسول وقع خبراً عن ضمير المخاطب، وكان معناه: كما قال: [من الرجز]

أنا الذي سمّتني أمي حيدرة[2]

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف موقع قوله (أبلغكم)؟ قلت فيه وجهان... إلخ» قال أحمد: وقد استدرك ابن جنى قول أبي الطيب:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي

عدولاً عن لفظ الغيبة لو كان إلى أدبه، وهذه الآية والرجز العلوي كفيلان بتحسين ما ارتكبه أبو الطيب.

(٢) أنا الذي سمتني أمي حيدره ... كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره ... أضربكم ضرباً يبين الفقره

للإمام علي - رضي الله عنه - حين بارز مرحبا اليهودي يوم خيبر، فقال مرحبا [من الرجز]:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلتهب

فأجابه علي بذلك «وكانت أمه فاطمة بنت أسد سمته كاسم أبيها، لأن «حيدرة» من أسماء الأسد، فلما حضر أبو طالب سماه عليا. وسمى الأسد «حيدرة» لشدة انحداره على من يصول عليه. والليث: اسم جامد له، واشتقوا منه، لايثه إذا عامله معاملة الليث. والغابة: بيته الذي يغيب فيه. والسندرة: اسم امرأة كانت تبيع البر وتوفي الكيل، أو مكيال كبير. وكان الظاهر أن يقول: الذي سمته أمه ليطابق الضمير مرجعه وهو الموصول في الغيبة. ولكن أتى بضمير المتكلم ذهاباً إلى المعنى. وحسنه تقدم ضمير المتكلم، أي أنا الشجاع الذي ظهرت على أمارة الشجاعة من صغري، فسمتني أمي باسم الأسد، ولا أكذبها في ظنها، وأنا كليث غابات منظرته كريهة لعبوسي في وجه عدوي، ثم قال: أو في الأعداء، أي أعطيهم عطاء وافياً. وكيل السندرة: نصب به على المفعول المطلق، أو بمقدر: أي أكيل لهم مثل كيل تلك المرأة في الوفاء، أو أعطيهم بالصاع الصغير كيل المكيال الكبير. ويروى: أوفيهم بالسيف. وهذا من باب الاستعارة التمثيلية التهكمية، شبه هيئة إيصاله الطعان إلى الأعداء بكثرة في مقابلة مكروه يفرط منهم. بهيئة إيصال البر بالكيل في مقابلة ثمنه، وإن كان البر محبوباً والطعن مكروهاً، والتفت مفسراً ذلك بقوله أضربكم ضرباً يبين، أي يفصل الفقرة: جمعها فقار، وفقرات. وهي عظام الظهر، وقد علمت خيبر، أي أهلها. وشاكي السلاح. حاده وثلمه. يجوز أنه نعت مرحب. ويجوز أنه خبر بعد خبر. وبطل مجرب: خبر بعد خبر لا غير. واستعار الالتهاب لاشتداد الحروب على طريق التصريح.

ينظر ديوانه ص ٧٧، ولسان العرب (حدر)، (سندر)، وتاج العروس (غيب)، (قسر)، وأساس =

﴿رسالات ربي﴾: ما أوحى إليّ في الأوقات المتطاولة، أو في المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي، والمواعظ والزواجر، والبشائر والنذائر، ويجوز أن يريد رسالاته إليه وإلى الأنبياء قبله من صحف جدّه إدريس، وهي ثلاثون صحيفة، ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة، ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾: يقال: نصحته، ونصحت له، وفي زيادة اللام مبالغة، ودلالة على إمحاض النصيحة، وأنها وقعت خالصة للمنصوح له، مقصوداً بها جانبه لا غير، فرب نصيحة ينتفع بها الناصح، فيقصد النفعين جميعاً، ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله ـ تعالى ـ ورسله ـ عليهم السلام ـ ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من صفات الله وأحواله، يعني: قدرته الباهرة، وشدّة بطشه على أعدائه، وأن بأسه لا يردّ عن القوم المجرمين.

وقيل: لم يسمعوا بقوم حلّ بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله إليه، أو أراد: وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها قد أوحى إليّ بها.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ الهمزة: للإنكار، والواو: للعطف، والمعطوف عليه محذوف، كأنه قيل: أكذبتم وعجبتم، ﴿أَن جَاءَكُمْ﴾: من أن جاءكم، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: موعظة، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾: على لسان رجل منكم؛ كقوله: ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، وذلك أنهم يتعجبون من نبوّة نوح ـ عليه السلام ـ ويقولون: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين، يعنون إرسال البشر، ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة/ ٢٤٢أ، ﴿لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا﴾: ليحذركم عاقبة الكفر، وليوجد منكم التقوى، وهي الخشية، بسبب الإنذار، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ قيل: كانوا أربعين رجلاً، وأربعين امرأة.

وقيل: تسعة، بنوه: سام، وحام، ويافث، وستة ممن آمن به.

= البلاغة (قسر)، وأدب الكاتب ص ٧١، وخزانة الأدب ٦/ ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧، والدرر ١/ ٢٨٠، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٢/ ٢٩٤، ٦/ ٩٠، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٠٧٨، وهمع الهوامع ١/ ٨٦.

فإن قلت: ﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾ بم يتعلق؟

قلت: هو متعلق بمعه، كأنه قيل: والذين استقروا معه في الفلك أو صحبوه في الفلك، ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء، أي: أنجيناهم في السفينة من الطوفان، ﴿عَمِينَ﴾: عمي القلوب غير مستبصرين.

وقرىء: «عامين»، والفرق بين العميّ والعاميّ، أن «العمي» يدل على عمى ثابت، و«العامي» على عمى حادث؛ ونحوه قوله ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢].

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿أَخَاهُمْ﴾: واحداً منهم، من قولك: يا أخا العرب، للواحد منهم، وإنما جعل واحداً منهم؛ لأنهم أفهم عن رجل منهم، وأعرف بحاله في صدقه وأمانته، وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وأخاهم: عطف على نوحا، و﴿هُودًا﴾: عطف بيان له.

فإن قلت: لم حذف العاطف من قوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾، ولم يقل: «فقال» كما في قصة نوح[(١)]؟

قلت: هو على تقدير سؤال سائل قال: فما قال لهم هود؟ فقيل: قال يا قوم، اعبدوا الله، وكذلك: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾.

فإن قلت: لم وصف الملأ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ دون الملأ من قوم نوح؟

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: لم حذف العاطف من فوله تعالى في قصة هود هذه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾ ولم يقل (فقال)؟ قلت لأنه أخرج الكلام جواباً عن سؤال سائل، كأنه قيل: فما قال هود حينئذ؟ قيل: قال يا قوم، وكذلك قال الملأ، قال أحمد: وحذف العاطف من المقاولة. ألا ترى قوله في سورة الشراء حكاية عن تقاول موسى ـ عليه السلام ـ وفرعون، كيف أسقط ذكر العاطف منه على كثرة الأقوال المعددة فيها. والسر في ذلك ـ والله أعلم ـ أن العاطف ينتظم الجمل حتى يصيرها كالجملة الواحدة «فاجتنب لإرادة استقلال كل واحدة منها في معناها» والله أعلم.

قلت: كان في أشراف قوم هود من آمن به، منهم مرثد بن سعد الذي أسلم، وكان يكتم إسلامه، فأريدت التفرقة بالوصف، ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن[1]؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ﴾ [المؤمنون: ٣٣]، ويجوز أن يكون وصفاً وارداً للذمّ لا غير، ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾: في خفة حلم وسخافة عقل؛ حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر، وجعلت السفاهة ظرفاً على طريق المجاز: أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها، وفي إجابة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ من نسبهم إلى الضلال والسفاهة، بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم، والإغضاء، وترك المقابلة، بما قالوا لهم، مع علمهم بأنّ خصومهم أضلّ الناس وأسفههم ـ أدب حسن وخلق عظيم، وحكاية الله ـ عزّ وجلّ ـ ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضون عنهم، ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ أي: عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة، فما حقي أن أُتهم، أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه، أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه، ﴿خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي: خلفتموه في الأرض، أو جعلكم ملوكاً في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم، ﴿فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾: فيما خلق من أجرامكم ذهاباً في الطول/ ٢٤٢ب والبدانة.

قيل: كان أقصرهم ستين ذراعاً، وأطولهم مائة ذراع، ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾: في استخلافكم، وبسطة أجرامكم، وما سواهما من عطاياه، وواحد الآلاء «إلى» نحو: إني وإناء، وضلع وأضلاع، وعنب وأعناب.

فإن قلت: «إذ» في قوله: ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾، ما وجه انتصابه؟

قلت: هو مفعول به، وليس بظرف، أي: اذكروا وقت استخلافكم.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا

---

(١) قال السمين الحلبي: وفيه نظر؛ لقوله تعالى: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. ويحتمل أن حال مخاطبة نوح لقوم لم يؤمن منهم أحد بعد، ثم آمنوا بخلاف قصة هود، فإنه حال الخطاب كان فيهم مؤمن، ويحتملُ أن يكون صفة لمجرد الذم من غير قصد تمييز بها. انتهى. الدر المصون.

﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾: أنكروا، واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة، وترك دين الآباء، في اتخاذ الأصنام شركاء معه، حبًّا لما نشأوا عليه، وألفاً لما صادفوا آباءهم يتدينون به.

فإن قلت: ما معنى المجيء في قوله: ﴿أَجِئْتَنَا﴾؟

قلت: فيه أوجه؛ أن يكون لهود ـ عليه السلام ـ مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه، كما كان يفعل رسول الله ـ ﷺ ـ بحراء قبل المبعث (٦٠٢) فلما أوحي إليه، جاء قومه يدعوهم، وأن يريدوا به الاستهزاء؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنّ الله ـ تعالى ـ لا يرسل إلا الملائكة، فكأنهم قالوا: أجئتنا من السماء كما يجيء الملك، وألاّ يريدوا حقيقة المجيء، ولكن التعرّض بذلك والقصد، كما يقال: ذهب يشتمني، ولا يراد حقيقة الذهاب، كأنهم قالوا: أقصدتنا لنعبد الله وحده، وتعرّضت لنا بتكليف ذلك؟ ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: استعجال منهم للعذاب، ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ أي: حق عليكم ووجب، أو قد نزل عليكم، جعل المتوقع الذي بدّ من نزوله بمنزلة الواقع؛ ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب: قد كان ذلك، وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور، وهو طفل، فجاء يبكي، فقال له: يا بني مالك، قال: لسعني طوير كأنه ملتف في بردى حبرة(١)، فضمّه إلى صدره، وقال له: يا بني، قد قلت الشعر، والرجس: العذاب من الارتجاس، وهو الاضطراب، ﴿فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾: في أسماء ليس تحتها مسميات؛ لأنكم تسمونها آلهة، ومعنى الإلهية فيها معدوم محال وجوده؛ وهذا كقوله تعالى: ﴿مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾، ومعنى: ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾: سميتم بها من: سميته زيداً، «وقطعُ دابرهم»: استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم، وقصتهم أن «عاداً» قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت، وكانت لهم أصنام يعبدونها: صداء، وصمود، والهباء، فبعث الله إليهم هوداً نبيًّا، وكان من أوسطهم وأفضلهم حسباً، فكذبوه، وازدادوا عتوًّا وتجبراً، فأمسك الله عنهم القطر ثلاث

---

٦٠٢ ـ أخرجه البخاري (٨/ ٥٨٥): كتاب التفسير حديث (٤٩٥٣)، ومسلم (١/ ٤٧٤ ـ النووي) باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث (٢٥٢/ ١٦٠).

قال الحافظ: متفق عليه من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ في بدء الوحي: «وكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه حتى فجأة الوحي وهو بغار حراء». انتهى.

---

(١) قوله: «في بردي حبرة» حبرة ـ كعنبة ـ: برد يماني. اهـ صحاح.

سنين حتى جهدوا، وكان الناس إذا نزل بهم بلاء، طلبوا إلى الله ـ تعالى ـ الفرج منه عند بيته المحرّم مسلمهم ومشركهم، وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وسيدهم/ ٢٤٣أ معاوية بن بكر، فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلاً، منهم قيل بن عنز، ومرثد بن سعد، الذي كان يكتم إسلامه، فلما قدموا، نزلوا على معاوية بن بكر، وهو بظاهر مكة خارجاً عن الحرم، فأنزلهم، وأكرمهم، وكانوا أخواله وأصهاره، فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر، وتغنيهم الجرادتان، ـ قينتان كانتا لمعاوية ـ فلما رأى طول مقامهم، وذهولهم باللهو عما قدموا له، أهمه ذلك، وقال: قد هلك أخوالي، وأصهاري، وهؤلاء على ما هم عليه، وكان يستحي أن يكلمهم؛ خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه، فذكر ذلك للقينتين، فقالتا: قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله؛ فقال معاوية: [من الوافر]

أَلاَ يَا قَيْلُ وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْ ... لَعَلَّ اللهَ يَسْقِينَا غَمَامَا

فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ إِنَّ عَاداً ... قَدَ امْسَوْا مَا يُبِينُونَ الْكَلاَمَا(١)

---

(١) ألا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يسقينا غماما

فيسقي أرض عاد إن عادا ... قد امسوا ما يبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس نرجو ... لها الشيخ الكبير ولا الغلاما

وقد كانت نساؤهم بخير ... فقد أمست نساؤهم عيامى

وإن الوحش يأتيهم جهارا ... فلا يخشى لعادي سهاما

وأنتم ههنا فيما اشتهيتم ... نهاركم وليلكم التماما

فقبح وفدكم من وفد قوم ... ولا لقوا التحية والسلاما

لمعاوية بن بكر. وروى أن عادا بعثوا من قومهم: قيل بن عنز، ونعيم بن هزالة، ومرثد بن سعد بن عفير، وجلهمة بن الحلس خال معاوية بن بكر، ولقمان بن عاد، كل منهم مع نفر من رهطة ليدعوا الله بالسقيا عند الكعبة، فنزلوا عند معاوية بن بكر فأكرمهم وبعث إليهم الجرادتين لتغنيا لهم ـ وهما قينتان مغنيتان أول من غنى في نساء العرب ـ فنسوا قومهم من كثرة اللهو والطرب. فقال معاوية: هلك أخوالي، ولو قلت لهم شيئاً ظنوا بي بخلاً. فأنشأ هذا، وأمر الجرادتين بغنائه لهم. والهينمة: صوت خفي لا يفهم. والمراد بها دعاء الله بالسقيا. ويسقينا غماما: أي ماء غمام. ما يبينون الكلام، لضعفهم من العطش. فليس نرجو، أي ليس نحن نرجو لها أي لعاد. ويروى «به» أي بسبب العطش. وحق الرواية «بها» أي في أرض عاد. الشيخ ولا الغلام. والغيمة؛ شدة الشهوة إلى اللبن. والمراد بها مطلق الفاقة. والعيامى: جمع عيم بالتشديد، أي رثيثة الحال، وأصله عيائم، فقلب إلى عيامى، كما روي أيامى، وهو جمع أيم، وأصله أيائم، أي فاقدات الأزواج. فالمعنى على التشبيه. ويجوز أن المراد: نساءكم التي تركتموهن كأنهن بلا أزواج هناك. وتكرير النساء للاستعطاف عليهن. والعادي: نسبة لعاد، وكانوا الغلاظ الشداد. والوحش: اسم جنس جمعي، واحده وحشي، كأنس وإنسي، وترك وتركي. فيذكر باعتبار لفظه، ويؤنث باعتبار جمعيته. وروي «بهما» ونهاركم: نصب على الظرف. و«من وفد قوم» تمييز مقترن بمن، والسلام عطف على =

فلما غنتا به، قالوا: إن قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم، وقد أبطأتم عليهم، فادخلوا الحرم، واستسقوا لقومكم، فقال لهم مرثد بن سعد: والله، لا تسقون بدعائكم، ولكن إن أطعتم نبيكم، وتبتم إلى الله، سقيتم، وأظهر إسلامه، فقالوا لمعاوية: احبس عنا مرثداً، لا يقدمنّ معنا مكة؛ فإنه قد اتبع دين هود، وترك ديننا، ثم دخلوا مكة، فقال: قيل اللهم، اسق عاداً ما كنت تسقيهم، فأنش الله ـ تعالى ـ سحابات ثلاثاً بيضاء، وحمراء، وسوداء، ثم ناداه مناد من السماء: يا قيل، اختر لنفسك ولقومك، فقال: اخترت السوداء؛ فإنها أكثرهنّ ماء، فخرجت على عاد من وادٍ لهم يقال له: المغيث، فاستبشروا بها، وقالوا: هذا عارض ممطرنا، فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم، ونجا هود والمؤمنون معه، فأتوا مكة، فعبدوا الله فيها حتى ماتوا.

فإن قلت: ما فائدة نفي الإيمان عنهم في قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ مع إثبات التكذيب بآيات الله؟

قلت: هو تعريض بمن آمن منهم كـ «مرثد بن سعد»، ومن نجا مع هود ـ عليه السلام ـ كأنه قال: وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم، ليؤذن أنّ الهلاك خص المكذبين، ونجى الله المؤمنين.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ

= التحية، وفيه تورية لأنه يشير إلى انقطاع الكلام، كما أن المجتمعين يأتيان به عند المفارقة. فلما سمع القوم ذلك انطلقوا إلى الكعبة، فلحقهم مرثد بن سعد وكان مؤمناً فأخروه، فدعا الله تعالى لنفسه لا للقوم. وقال قيل: اللهم إن كان هود صادقاً فاسقنا، فأنشأ سحابة بيضاء وسحابة حمراء وسحابة سوداء. ثم نودي: يا قيل، اختر أيها شئت. فقال: أما البيضاء فجفل، وأما الحمراء فعارض. وأما السوداء فهيطل، فاختارها فنودي. قد اخترت رماداً أرمداً، لا يبقى من عاد أحداً، لا والداً ولا ولدا. فسارت السوداء إلى عاد فأهلكتهم. وجاء لقمان بن عاد بعد أن فرغوا من دعواتهم فقال: اللهم إني جئتك وحدي، فأعطني سؤلي. وسأل عمر سبعة أنسر، وكان عمر النسر ثمانين سنة، فكان يأخذ النسر من وكره فلا يزال عنده حتى يموت، وكان آخر نسوره اسمه: لبد، فلما مات مات. ثم إن ذلك كان قبل وجود مكة وزمزم، لأنهما إنما وجدا في زمن إبراهيم وإسماعيل. فلعل معاوية بن بكر كان سكنه قريباً من موضع مكة، لا في نفس موضعها، لأنه إذا ذاك لا سكن فيه ولا ماء.

قرىء: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾، بمنع الصرف بتأويل القبيلة، وإلى ثمود بالصرف بتأويل الحيّ، أو باعتبار الأصل؛ لأنه اسم أبيهم الأكبر، وهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، وقيل: سميت «ثمود» لقلة مائها، من الثمد وهو الماء القليل، وكانت مساكنهم الحجر بين الشام والحجاز إلى وادي القرى، ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ﴾: آية ظاهرة، وشاهد على صحة نبوّتي، وكأنه قيل: ما هذه البينة؟ فقال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾، وآية نصب على الحال، والعامل فيها: ما دل عليه اسم/ ٢٤٣ب الإشارة من معنى الفعل، كأنه قيل: أشير إليها آية، «ولكم»: بيان لمن هي له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود؛ لأنهم عاينوها، وسائر الناس أخبروا عنها، وليس الخبر كالمعاينة، كأنه قال: لكم خصوصاً؛ وإنما أضيفت إلى اسم الله؛ تعظيماً لها، وتفخيماً لشأنها، وأنها جاءت من عنده مكوّنة من غير، فحل وطروقة آية من آياته، كما تقول: آية الله، وروي أن عاداً لما أهلكت عمرت ثمود بلادها، وخلفوهم في الأرض، وكثروا، وعمروا، أعماراً طوالاً، حتى أن الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته، فنحتوا البيوت من الجبال، وكانوا في سعة ورخاء من العيش، فعتوا على الله، وأفسدوا في الأرض، وعبدوا الأوثان، فبعث الله ـ تعالى ـ إليهم صالحاً ـ عليه السلام ـ وكانوا قوماً عرباً، وصالح من أوسطهم نسباً، فدعاهم إلى الله ـ تعالى ـ فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون، فحذرهم، وأنذرهم، فسألوه آية، فقال: أية آية تريدون؟ قالوا: تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة، فتدعوا إلهك، وندعو آلهتنا، فإن استجيب لك اتبعناك، وإن استجيب لنا اتبعتنا، فقال صالح: نعم، فخرج معهم، ودعوا أوثانهم، وسألوها الاستجابة فلم تجبهم، ثم قال سيدهم ـ جندع بن عمرو، وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل، يقال لها: «الكاثبة» أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة، جوفاء، وبراء ـ والمخترجة التي شاكلت البخت ـ فإن فعلت صدّقناك وأجبناك، فأخذ صالح ـ عليه السلام ـ عليهم المواثيق، لئن فعلت ذلك لتؤمننّ ولتصدّقنّ، قالوا: نعم، فصلى ودعا ربه، فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها، فانصدعت عن ناقة، عشراء، جوفاء، وبراء، كما وصفوا، لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله ـ تعالى ـ وعظماؤهم ينظرون، ثم نتجت ولداً مثلها في العظم، فآمن به جندع، ورهط من قومه، ومنع أعقابهم ناس من رؤوسهم أن يؤمنوا، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر، وتشرب الماء، وكانت ترد غبا، فإذا كان يومها، وضعت رأسها في البئر، فما ترفعه حتى تشرب كلّ ماء فيها، ثم تتفحج[1]، فيحتلبون ما شاءوا حتى تمتلىء

---

(١) قوله: «ثم تتفحج» أي تفرج ما بين رجليها.

أوانيهم، فيشربون، ويدخرون.

قال أبو موسى الأشعري: أتيت أرض ثمود، فذرعت مصدر الناقة، فوجدته ستين ذراعاً، وكانت الناقة إذا وقع الحرّ، تصيفت بظهر الوادي، فتهرب منها أنعامهم، فتهبط إلى بطنه، وإذا وقع البرد، تشتت بطن الوادي، فتهرب مواشيهم إلى ظهره، فشق ذلك عليهم، وزينت عقرها لهم امرأتان: عنيزة أمّ غنم، وصدقة بنت المختار ـ لما أضرّت به من مواشيهما/ ٢٤٤أ وكانتا كثيرتي المواشي ـ فعقروها، واقتسموا لحمها وطبخوه، فانطلق سقبها حتى رقي جبلاً اسمه: «قارة» فرغى ثلاثاً، وكان صالح قال لهم: أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب، فلم يقدروا عليه، وانفجت[1] الصخرة بعد رغائه فدخلها، فقال لهم صالح: تصبحون غداً، ووجوهكم مصفرّة، وبعد غد ووجوهكم محمرة، واليوم الثالث ووجوهكم مسودّة، ثم يصبحكم العذاب، فلما رأوا العلامات، طلبوا أن يقتلوه، فأنجاه الله إلى أرض فلسطين، ولما كان اليوم الرابع، وارتفع الضحى، تحنطوا بالصبر، وتكفنوا بالأنطاع، فأتتهم صيحة من السماء، فتقطعت قلوبهم فهلكوا، ﴿تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأرض أرض الله، والناقة ناقة الله، فذروها تأكل في أرض ربها، فليست الأرض لكم، ولا ما فيها من النبات من إنباتكم، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: لا تضربوها، ولا تطردوها، ولا تريبوها بشيء من الأذى؛ إكراماً لآية الله، ويروى: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ حين مرَّ بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه: «لاَ يَدْخُلَنَّ أَحَدٌ مُنْكُمْ القَرْيَةَ، وَلاَ تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا، وَلاَ تَدْخُلُوا عَلَىٰ هَؤُلاَءِ المُعَذَّبِينَ إلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَهُمْ (٦٠٣) وقال ـ ﷺ ـ: «يَا عَلِيُّ، أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الأَوَّلِينَ»؟ قَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «عَاقِرُ نَاقَةِ صَالِحٍ، أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الآخَرِينَ»؟ قَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «قَاتِلُكَ» (٦٠٤).

---

٦٠٣ ـ أخرجه البخاري (١/ ٦٣١): كتاب الصلاة: باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، حديث (٤٣٣) وأطرافه في (٣٣٨٠، ٣٣٨١، ٤٤١٩، ٤٤٢٠، ٤٧٠٢)، ومسلم (٩/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ـ النووي) كتاب الزهد والرقائق: باب: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين، حديث (٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠/ ٢٩٨٠).

قال الحافظ: متفق عليه من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ من طرق. انتهى.

٦٠٤ ـ روي من حديث عمار بن ياسر، ومن حديث جابر بن سمرة، ومن حديث صهيب، ومن حديث علي.

أما حديث عمار:

فأخرجه النّسائي في سننه الكبرى (٥/ ١٥٣) رقم (٨٥٣٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٢ ـ =

---

(١) قوله: «وانفجت الصخرة» أي: انفتحت.

وقرأ أبو جعفر في رواية: «تأكل في أرض الله»، وهو في موضع الحال بمعنى: «آكلة»، ﴿وَبَوَّأَكُمْ﴾: ونزلكم، والمباءة: المنزل، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: في أرض الحجر بين الحجاز والشام، ﴿مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي: تبنونها من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص[1]، واللبن، والآجر.

وقرأ الحسن: «وتنحَتون» بفتح الحاء، «وتنحاتون» بإشباع الفتحة؛ كقوله: [من الكامل]

يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَىٰ أَسِيلٍ حُرَّةٍ[2] ....

= ١٣)، وأحمد (٤/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤)، والحاكم (٣/ ١٤٠ ـ ١٤١) وابن هشام في سيرته (٢/ ٢٥٣).

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وأما حديث جابر بن سمرة:

فأخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٢/ ٢٤٧) رقم (٢٠٣٧)، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٤٦٥) رقم (٤٦٧) إلى النسائي في كتاب الكنى، وإلى أبي نعيم في كتابه دلائل النبوة.

وأما حديث صهيب:

فقد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٣٩)، وقال: رواه الطبراني وأبو يعلى وفيه رشدين بن سعد وقد وثق، وبقية رجاله ثقات.

وأما حديث علي:

فقد عزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٤٦٦) رقم (٤٦٧) إلى ابن مردويه في تفسيره.

قال الحافظ:

أخرجه ابن إسحاق في المغازي: حدثني يزيد بن محمد بن خيثم عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خيثم والد يزيد المذكور عن عمار بن ياسر قال: «كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة العُسرة إلى أن قال: فقال: يا علي، ألا أخبرك بأشقى الناس: رجلين؟ قال: بلى يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «ثمود الذي عقر الناقة»، والذي يضربك يا علي على هذه وأشار إلى رأسه ـ حتى يبل هذه ـ ووضع يده على لحيته»، ومن هذا الوجه أخرجه النَّسائي في الخصائص والحاكم والطبري والبيهقي في الدلائل. وفي الباب عن جابر بن سمرة أخرجه الطبراني وعن صهيب أخرجه أبو يعلى والطبراني. وعن علي أخرجه ابن مردويه في تفسير والشمس وضحاها (تنبيه) في رواية المذكورين: «أن النبي ﷺ سأل عليا، فقال له في الأول: عاقر الناقة، قال: صدقت. وقال في الثانية: «لا علم لي»، وفي رواية جابر بن سمرة، «الله أعلم». انتهى.

---

(١) قوله: «من الرهص» هو الصخر الثابت في أسفل الحائط. اهـ من الصحاح.

(٢) وكان ربا أو كحيلا معقدا ... حش الوقود به جوانب قمقم
ينباع من ذفرى أسيل حرة ... زيافة مثل الفنيق المكرم

لعنترة بن شداد العبسي من معلقته، يصف عرق ناقته من السير، فشبه بالرب. وهو العصير والطلاء. أو بالكحيل وهو القطران المنعقد بالنار على جوانب القمقم. وأعقدت الدواء: أغليته حتى خثر. وحش الوقود: أشعله وأوقده. وهو هنا مبني للمجهول، وأصل «ينباع» ينبع، فتولدت الألف =

فإن قلت: علام انتصب: ﴿بُيُوتًا﴾؟

قلت: على الحال؛ كما تقول: خط هذا الثوب قميصاً، وابر هذه القصبة قلماً، وهي من الحال المقدّرة؛ لأن الجبل لا يكون بيتاً في حال النحت، ولا الثوب، ولا القصبة قميصاً، وقلماً في حال الخياطة والبري، وقيل: كانوا يسكنون السهول في الصيف، والجبال في الشتاء.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾: للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم، و﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾: بدل من الذين استضعفوا.

فإن قلت: الضمير في «منهم» راجع إلى ماذا[1]؟

= للإشباع، والذفرى: نقرة منخفضة جنب الأذن، إذا طال سير البعير انفتح من وسطها جلدة وارتفعت وسال منها العرق في النقرة، وهي المشبهة بالقمقم سابقاً. وقيل الذفرى أصل الأذن. والأسيل: الناقة المستقيمة الخلق، من قولهم: خد أسيل، وكف أسيل، وحر كل شيء: خالصه. زيافة: كثيرة الزيف وهو التبختر في السير. والفنيق: فحل الإبل المكرم بإعفائه عن العمل لأجل الضراب، فالمكرم: نعت مفسر. ويروى المكدم بالدال. ويقال: كدمه إذا عضه. وأما أكدمه فلم أقف عليها، ولعلها لغة قليلة. والمكدم اسم مفعول منها، أي الذي كدمته الفحول وعضته فأثرت فيه لتنقب جلدها من أثر الرحل والركض. وروي: من ذفرى غضوب جسرة، أي شديدة الغضب صلبة موثقة الخلق. وقيل «ينباع» وزنه «ينفعل» من البوع، وهو طي المسافة البعيدة، ولا معنى له في البيت.

ينظر ديوانه ص ٢٠٤، وخزانة الأدب ١/ ١٢٢، ٨/ ٣٧٣، ١١/ ١٨٣، والخصائص ٣/ ١٢١، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ٣٣٨، ٢/ ٧١٩، ولسان العرب (عقب) (بوع)، (نبع)، والإنصاف ١/ ٢٦، وشرح شواهد الشافية ص ٢٤، والمحتسب ١/ ٢٥٨، ٣٤٠، الخصائص ٣/ ١٩٣، ٢١٣، ومجالس ثعلب ٢/ ٥٣٩، والمحتسب ١/ ٧٨، ١٦٦، ٢٥٨، وشرح شافية ابن الحاجب ١/ ٧٠، ٢/ ٨٤، ورصف المباني ص ١١، والدر المصون ٢/ ٢٠٥.

(١) قال محمود: «إن قلت الضمير في منهم راجع إلى ماذا؟ قلت: إلى قومه... إلخ» قال أحمد: فقوله: (لمن) على الأول بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة. وعلى الثاني بدل بعض من كل.

قلت: إلى (قومه)، أو إلى: (الذين استضعفوا).

فإن قلت: هل لاختلاف المرجعين أثر في اختلاف المعنى؟

قلت: نعم؛ وذلك/ ٢٤٤ب أن الراجع إذا رجع إلى قومه فقد جعل (من آمن) مفسراً لمن استضعف منهم، فدل أن استضعافهم كان مقصوراً على المؤمنين، وإذا رجع إلى الذين استضعفوا، لم يكن الاستضعاف مقصوراً عليهم، ودلّ أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين، ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: شيء قالوه على سبيل الطنز والسخرية؛ كما تقول للمجسمة: أتعلمون أن الله فوق العرش؟

فإن قلت: كيف صحّ قولهم: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ جواباً عنه[1]؟

قلت: سألوهم عن العلم بإرساله، فجعلوا إرساله أمراً معلوماً مكشوفاً مسلماً، لا يدخله ريب، كأنهم قالوا: العلم بإرساله، وبما أرسل به ما لا كلام فيه[2]، ولا شبهة تدخله؛ لوضوحه وإنارته، وإنما الكلام في وجوب الإيمان به، فنخبركم أنا به مؤمنون؛ ولذلك كان جواب الكفرة: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[3]، فوضعوا: (آمنتم به): موضع (أرسل به)؛ ردًا لما جعله المؤمنون معلوماً وأخذوه مسلماً، ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾: أسند العقر إلى جميعهم؛ لأنه كان برضاهم، وإن لم يباشره إلا بعضهم، وقد يقال للقبيلة الضخمة: أنتم فعلتم كذا، وما فعله إلا واحد منهم، وعتوا عن أمر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين، وأمر ربهم: ما أمر به على لسان صالح ـ عليه السلام ـ من قوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١١٣] أو شأن ربهم وهو دينه، ويجوز أن يكون المعنى: وصدر عتوّهم عن أمر ربهم، كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوّهم، ونحو عن هذه ما في قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: أرادوا من العذاب، وإنما جاز الإطلاق؛ لأنه كان معلوماً، واستعجالهم له لتكذيبهم به، ولذلك

---

(١) عاد كلامه. قال محمود: «فإن قلت كيف وقع قولهم إنا بما أرسل به مؤمنون جواباً... إلخ» قال أحمد: وقولهم (إنا به مؤمنون) ليس إخباراً عن وجوب الإيمان به، بل عن امتثال الواجب والعمل به، ونحن قد امتثلنا.

(٢) قوله: «ما لا كلام فيه» لعله: مما لا كلام فيه.

(٣) عاد كلامه. قال محمود: «ولذلك كان جواب الكفرة إنا بالذي... إلخ» قال أحمد: ولو طابقوا بين الكلامين لكان مقتضى المطابقة أن يقولوا: إنا بما أرسل به كافرون، ولكن أبوا ذلك حذراً مما في ظاهره من إثباتهم لرسالته وهم يجحدونها. وقد يصدر مثل ذلك على سبيل التهكم، كما قال فرعون ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ فأثبت إرساله تهكماً، وليس هذا موضع التهكم، فإن الغرض إخبار كل واحد من الفريقين المؤمنين والمكذبين عن حاله، فلهذا خلص الكافرون قولهم عن إشعار الإيمان بالرسالة احتياطاً للكفر وغلوا في الإصرار.

علقوه بما هم به كافرون، وهو كونه من المرسلين، ﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾: الصيحة التي زلزلت لها الأرض، واضطربوا لها، ﴿فِي دَارِهِمْ﴾: في بلادهم، أو في مساكنهم، ﴿جَٰثِمِينَ﴾: هامدين لا يتحركون موتى، يقال: الناس جثم، أي: قعود، لا حراك بهم، ولا ينبسون نبسة، ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها (٦٠٥)، وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى، وعن

---

٦٠٥ ـ روي من حديث ابن عباس، ومن حديث أبي الدرداء ومن حديث العرباض بن سارية، ومن حديث أبي ثعلبة الخشني، ومن حديث أنس بن مالك، ومن حديث أبي هريرة، ومن حديث جابر.
أما حديث ابن عباس:
أخرجه البخاري (١٠/ ٩٣): كتاب الأشربة: باب الشرب من فم السقاء، حديث (٥٦٢٩) مختصراً، وأبو داود (٢/ ٣٦٢): كتاب الأشربة: باب الشراب مِنْ فَيِّ السقاء، حديث (٣٧١٩)، و(٢/ ٣٧٩): كتاب الأطعمة: باب النهي عن أكل الجلالة وألبانها؛ حديث (٣٧٨٦)، والتِّرمذي (٤/ ٢٧٠): كتاب الأطعمة: باب ما جاء في أكل لحوم الجلالة وألبانها، حديث (١٨٢٥)، والنَّسائي (٧/ ٢٤٠): كتاب الضحايا: باب النهي عن لبن الجلالة، وابن خزيمة (٤/ ١٤٦) حديث (٢٥٥٢)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٢٦ ـ ٢٤١ ـ ٢٩٣ ـ ٣٢١ ـ ٣٣٩).
وأما حديث أبي الدرداء:
فأخرجه التِّرمذي (٤/ ٧١): كتاب الأطعمة باب ما جاء في كراهية أكل المصبورة، حديث (١٤٧٣)، وأحمد (٦/ ٤٤٥)، وقال التِّرمذي: هذا حديث غريب.
وأما حديث العرباض بن سارية:
فأخرجه التِّرمذي (٤/ ٧١): كتاب الأطعمة: باب ما جاء في كراهية أكل المصبورة، حديث (١٤٧٤)، وأحمد (٤/ ١٢٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٥).
وسكت عنه التِّرمذي.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وأما حديث أبي ثعلبة الخشني.
أخرجه النَّسائي (٧/ ٢٠١): «كتاب الصيد والذبائح باب تحريم أكل السباع، والدارمي (٢/ ٨٤ ـ ٨٥): كتاب الأضاحي: باب ما لا يؤكل من السباع، وأحمد (٤/ ١٩٤).
وأما حديث أنس بن مالك:
فأخرجه البزار كما في «تخريج الكشاف» (١/ ٤٦٨) «للزيلعي» بلفظ: أن النبي ﷺ نهى عن المجثمة والجلالة والشرب من فيّ السقاء.
وأما حديث أبي هريرة:
فأخرجه التِّرمذي (٤/ ٧٤): كتاب الأطعمة: باب ما جاء في كراهية كل ذي ناب وذي مخلب، حديث (١٤٧٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥).
وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٤٦٨) إلى ابن أبي شيبة في مسنده.
وأما حديث جابر:
عزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٤٦٨): إلى ابن أبي شيبة في مسنده، وإلى البزار في مسنده.
قال الحافظ:
أما النهي فرواه أصحاب السُّنن وابن حِبان والحاكم من حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس: «أن =

جابر أنّ النبي ـ ﷺ ـ لما مر بالحجر قال: «لاَ تَسْأَلُوا الآيَاتِ؛ فَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ كَانَ فِي حَرَمِ اللهِ» قَالُوا: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: ذَاكَ «أَبُو رِغَالَ» فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ (٦٠٦)، وروي أنّ صالحاً كان بعثه إلى قوم فخالف أمره، وروي أنه ـ عليه السلام ـ مرّ بقبر «أبي رغال» فقال: «أتدرون من هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فذكر قصة أبي رغال، وأنه دفن ههنا/ ٢٤٥أ، ودفن معه غصن من ذهب»، فابتدروه، وبحثوا عنه بأسيافهم، فاستخرجوا الغصن (٦٠٧)، ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: الظاهر أنه كان مشاهداً لما جرى عليهم، وأنه تولى عنهم بعدما أبصرهم جاثمين، تولي مغتمّ متحسر على ما فاته من إيمانهم، يتحزن لهم، ويقول: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ﴾: بذلت فيكم، وسعي، ولم آل جهداً في إبلاغكم، والنصيحة لكم، ولكنكم: ﴿لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، ويجوز أن يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم، منكر لإصرارهم، حين رأى العلامات قبل نزول العذاب، وروي أنّ عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء، ونزل بهم العذاب يوم السبت، وروي أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي، فالتفت، فرأى الدخان ساطعاً، فعلم أنهم قد هلكوا، وكانوا ألفاً وخمسمائة دار؛ وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم.

= رسول الله ﷺ ينهى عن الشرب مِنْ فَيّ السقاء وعن ركوب الجلالة، وعن المجثمة»، ورواه البزار من طريق الوراق عن قتادة عن أنس مثله ـ وكذا قال، وأخرجه البزار وقال: إسناده حسن، ومن حديث القرناص بن سارية: «أن رسول الله ﷺ نهى عن المجثمة» أخرجه الترمذي، وحسنه من رواية سعيد بن المسيب عن أبي الدرداء قال: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل المجثمة وهي التي تضرب بالنبل». انتهى.

٦٠٦ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤١)، والبزار في مسنده (٢/ ٣٥٦) رقم (١٨٤٤)، وابن حِبان (١٤/ ٧٧) رقم (٦١٩٧)، وأحمد (٣/ ٢٩٦)، والطبري في تفسيره (٥/ ٥٣٥ ـ ٥٣٦) رقم (١٤٨٢٤) وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٣٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٨٣).
قال الحافظ:
أخرجه ابن حِبان والحاكم وأحمد وإسحاق والطبري من رواية عبد الله بن عثمان بن خيثمة عن أبي الزبير عن جابر ـ وزاد: «في غزوة تبوك»، فقام فخطب الناس! انتهى.

٦٠٧ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ١٨١ ـ ١٨٢): كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب نبش القبور العادية يكون فيها المسال، حديث (٣٠٨٨)، وابن حِبان (١٤/ ٧٨ ـ ٧٩) رقم (٦١٩٨) وعبد الرزاق (٢٠٩٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ١٥٦) وفي «دلائل النبوة» (٦/ ٢٩٧، ٧/ ٢٩٧).
قال الحافظ:
أخرجه أبو داود وابن حِبان والطبراني والبيهقي وأبو نعيم في الدلائل من رواية بحير بن أبي بحير عن عبد الله بن عمرو بن العاص ولفظه: «فابتدره الناس فاستخرجوا الغصن»، وأما قوله: «فبحثوا عنه بأسيافهم»، فأخرجه عبد الرزاق عن معمر مرسلاً. انتهى.

فإن قلت: كيف صحّ خطاب الموتى وقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾؟

قلت: قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت، وكان قد نصحه حيًا فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه في التهلكه: يا أخي، كم نصحتك، وكم قلت لك، فلم تقبل مني؟

وقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: حكاية حال ماضية.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَلُوطًا﴾: وأرسلنا لوطاً، و﴿وإِذْ﴾: ظرف لأرسلنا، أو «واذكر لوطاً» و«إذ» بدل منه، بمعنى: واذكر وقت، ﴿قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: أتفعلون السيئة المتمادية في القبح، ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾: ما عملها قبلكم، والباء للتعدية من قولك: سبقته بالكرة، إذا ضربتها قبله، ومنه قوله ـ عليه السلام ـ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكاشَةُ» (٦٠٨) ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: «من» الأولى: زائدة؛ لتوكيد النفي، وإفادة معنى الاستغراق، والثانية: للتبعيض.

فإن قلت: ما موقع هذه الجملة؟

قلت: هي جملة مستأنفة، أنكر عليهم أوّلاً بقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾، ثم وبخهم

---

٦٠٨ ـ أخرجه البخاري (١١/ ٣١٢): كتاب الرقاق: باب: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، حديث (٦٤٧٢)، ومسلم (٢/ ٩٢ ـ ٩٣ ـ النووي) كتاب الإيمان: باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث (٣٧٤/ ٢٢٠) من طريق عبد الله بن عباس به.
وأخرجه مسلم (٢/ ٩٠ ـ ٩١ ـ النووي): كتاب الإيمان: باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث (٣٦٧ ـ ٣٦٨/ ٢١٦) من طريق أبي هريرة به.
وأخرجه مسلم (٢/ ٩١ ـ النووي): كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث (٣٧١ ـ ٣٧٢/ ٢١٨) من طريق عمران بن حصين به.
وأخرجه أبو يَعلى (٩/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) رقم (٥٣٣٩)، وابن حِبان (٢٦٤٤ ـ موارد)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٦ ـ ٧) رقم (٩٧٦٦، ٩٧٦٧، ٩٧٦٩)، من طريق قتادة عن الحسن عن عمران عن عبد الله بن مسعود به.
قال الحافظ: متفق عليه من حديث ابن عباس في قصته. ولمسلم من حديث أبي هريرة نحوه. ومن حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه. انتهى.

عليها، فقال: أنتم أوّل من عملها، أو على أنه جواب لسؤال مقدّر؛ كأنهم قالوا: لم لا نأتيها؟ فقال: ما سبقكم بها أحد، فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾: بيان لقوله: «أتأتون الفاحشة»، والهمزة مثلها في «أتأتون»: للإنكار، والتعظيم.

وقرىء: «إنكم»، على الإخبار المستأنف «لتأتون الرجال»، من: أتى المرأة إذا غشيها ﴿شَهْوَةً﴾: مفعول له، أي: للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرّد الشهوة من غير داع آخر، ولا ذم أعظم منه؛ لأنه وصف لهم بالبهيمية، أنه لا داعي لهم من جهة العقل ألبتة، كطلب النسل، ونحوه، أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة، غير ملتفتين إلى السماجة، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح، وتدعو إلى اتباع الشهوات، وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف، وتجاوز الحدود في كل شيء، فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة، حتى تجاوزوا/ ٢٤٥ب المعتاد إلى غير المعتاد، ونحوه: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦]، ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ يعني: ما أجابوه بما يكون جواباً عما كلمهم به لوط ـ عليه السلام ـ من إنكار الفاحشة، وتعظيم أمرها، ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشر كله، ولكنهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته، من الأمر بإخراجه، ومن معه من المؤمنين من قريتهم، ضجراً بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم، وقولهم: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: سخرية بهم، وبتطهرهم من الفواحش، وافتخاراً بما كانوا فيه من القذارة، كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعدوا عنا هذا المتقشف[1]، وأريحونا من هذا المتزهد، ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾: ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين[2]، ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: من الذين غبروا في ديارهم، أي: بقوا فهلكوا، والتذكير لتغليب الذكور على الإناث، وكانت كافرة موالية لأهل سدوم، وروي أنها التفتت فأصابها حجر فماتت.

وقيل: كانت المؤتفكة خمس مدائن.

وقيل: كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة، فأمطر الله عليهم الكبريت والنار.

وقيل: خسف بالمقيمين منهم، وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم.

وقيل: أمطر عليهم ثم خسف بهم، وروي أن تاجراً منهم كان في الحرم، فوقف له الحجر أربعين يوماً حتى قضى تجارته، وخرج من الحرم فوقع عليه.

---

(١) قوله: «أبعدوا عنا هذا المتقشف» المنقشف: هو الذي يتبلغ بالقوت وبالمرقع، من القشف: وهو التغير من الشمس أو الفقر اهـ.

(٢) قوله: «من ذويه أو من المؤمنين» يعني أقاربه وامرأته.

فإن قلت: أي فرق بين مطر وأمطر؟

قلت: يقال مطرتهم السماء وواد ممطور[1]، وفي نوابغ الكلم: حرى غير ممطور، حري أن يكون غير ممطور[2]، ومعنى «مطرتهم»: أصابتهم بالمطر؛ كقولهم: غاثتهم، ووبلتهم، وجادتهم، ورهمتهم، ويقال: أمطرت عليهم كذا، بمعنى: أرسلته عليهم إرسال المطر، ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، ومعنى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: وأرسلنا عليهم نوعاً من المطر عجيباً، يعني: الحجارة؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ [النمل: ٥٨].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

كان يقال لشعيب ـ عليه السلام ـ خطيب الأنبياء؛ لحسن مراجعته قومه، وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين، ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: معجزة شاهدة بصحة نبوّتي أوجبت عليكم الإيمان بي، والأخذ بما آمركم به، والانتهاء عما أنهاكم عنه، فأوفوا ولا تبخسوا.

---

(١) قال محمود: «يقال مطرتهم السماء وواد ممطور. . . إلخ» قال أحمد: مقصود المصنف الرد على من قول: مطرت السماء في الخير، وأمطرت في الشر. ويتوهم أنها تفرقة وضعية، فبين أن أمطرت: معناه أرسلت شيئاً على نحو المطر وإن لم يكن ماء، حتى لو أرسل الله من السماء أنواعاً من الخيرات والأرزاق مثلاً كالمن والسلوى، لجاز أن يقال فيه: أمطرت السماء خيرات، أي أرسلتها إرسال المطر. فليس للشر خصوصية في هذه الصيغة الرباعية، ولكن اتفق أن السماء لم ترسل شيئاً سوى المطر إلا وكان عذاباً، فظن الواقع اتفاقاً مقصوداً في الوضع فنبه على تحقيق الأمر فيه وأحسن وأجمل.

(٢) قوله: «حري غير ممطور حري أن يكون غير ممطور» حري الأول بمعنى ناحية وجانب. والثاني بمعنى جدير وحقيق. وممطور الأول بمعنى مصاب بالمطر. والثاني بمعنى مذهوب فيه. كذا يؤخذ من الصحاح.

فإن قلت: ما كانت معجزته؟

قلت: قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة؛ لقوله: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، ولأنه لا بدّ لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه، وإلا لم تصح دعواه، وكان متنبئاً، لا نبيًا، غير أنّ معجزته لم تذكر في القرآن، كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا ـ ﷺ ـ فيه، ومن معجزات شعيب ـ عليه السلام: ما روي من محاربة عصى موسى ـ عليه السلام ـ التنين[1]، حين دفع إليه غنمه، وولادة الغنم الدرع، خاصة حين وعده أن تكون له الدرع من أولادها/ ٢٤٦أ، ووقوع عصى آدم ـ عليه السلام ـ على يده في المرات السبع، وغير ذلك من الآيات؛ لأنّ هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى ـ عليه السلام ـ فكانت معجزات لشعيب.

فإن قلت: كيف قيل: ﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾، وهلا قيل: المكيال والميزان، كما في سورة هود، عليه السلام؟

قلت: أريد بالكيل: آلة الكيل، وهو «المكيال»، أو سمي ما يكال به بالكيل، كما قيل: العيش، لما يعاش به، أو أريد: فأوفوا الكيل ووزن الميزان، ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر، ويقال: بخسته حقه: إذا نقصته إياه، ومنه قيل للمكس: «البخس»، وفي أمثالهم: تحسبها حمقاء، وهي باخس، وقيل: ﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾؛ لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم، أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئاً، إلا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين، وروي أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد، وقالوا: هي زيوف فقطعوها قطاعاً، ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفاً ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾: بعد الإصلاح فيها، أي: لا تفسدوا فيها بعدما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم، وإضافته كإضافة قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] بمعنى: بل مكركم في الليل والنهار، أو بعد إصلاح أهلها على حذف المضاف، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل، والميزان، وترك البخس، والإفساد في الأرض، أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه، ومعنى: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني: في الإنسانية وحسن الأحدوثة، وما تطلبونه من التكسب والتربح؛ لأن الناس أرغب في متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والسوية، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم، ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾: ولا تقتدوا بالشيطان في قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، فتقعدوا بكل صراط، أي: بكل منهاج من مناهج الدين؛

---

(١) قوله: «التنين» هو ضرب من الحيات سود الرءوس بيض سائر الأبدان اهـ.

والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ومحل (توعدون)، وما عطف عليه: النصب على الحال، أي: ولا تقعدوا موعدين وصادّين عن سبيل الله، وباغيها عوجاً.

فإن قلت: صراط الحق واحد، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فكيف قيل: بكل صراط؟

قلت: صراط الحق واحد، ولكنه يتشعب إلى معارف، وحدود، وأحكام كثيرة مختلفة، فكانوا إذا رأوا أحداً يشرع في شيء منها أوعدوه وصدّوه.

فإن قلت: إلام يرجع الضمير في ﴿ءَامَنَ بِهِۦ﴾؟

قلت: إلى كل صراط، تقديره: توعدون من آمن به، وتصدّون عنه، فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير؛ زيادة في تقبيح أمرهم، ودلالة على عظم ما يصدّون عنه.

وقيل: كانوا يجلسون على الطرق والمراصد/ ٢٤٦ب، فيقولون لمن مرّ بهم: إن شعيباً كذاب، فلا يفتننكم عن دينكم، كما كان يفعل قريش بمكة.

وقيل: كانوا يقطعون الطرق.

وقيل: كانوا عشارين، ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: وتطلبون لسبيل الله عوجاً، أي: تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة، لتصدّوهم عن سلوكها والدخول فيها، أو يكون تهكماً بهم، وأنهم يطلبون لها ما هو محال؛ لأنّ طريق الحق لا يعوج، ﴿وَٱذْكُرُوٓا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾: إذ مفعول به غير ظرف، أي: واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلاً عددكم، ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾: الله، ووفر عددكم.

قيل: إن مدين بن إبراهيم تزوّج بنت لوط، فولدت، فرمى الله في نسلها بالبركة، والنماء، فكثروا وفشوا، ويجوز إذ كنتم مقلين فقراء فكثركم، فجعلكم مكثرين موسرين، أو كنتم أقلة أذلة، فأعزكم بكثرة العدد والعدد، ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم؛ كقوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وكانوا قريبي العهد مما أصاب المؤتفكة، ﴿فَٱصْبِرُوا﴾: فتربصوا وانتظروا، ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ أي: بين الفريقين، بأن ينصر المحقين على المبطلين، ويظهرهم عليهم، وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم، كقوله ﴿فَتَرَبَّصُوٓا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ أو هو عظة للمؤمنين وحثّ على الصبر، واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم، ويجوز أن يكون خطاباً للفريقين، أي: ليصبر المؤمنون على أذى الكفار، وليصبر الكفار على ما

يسوءهم من إيمان من آمن منهم، حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ لأنّ حكمه حق وعدل، لا يخاف فيه الحيف.

﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾

أي: ليكوننّ أحد الأمرين: إمّا إخراجكم، وإمّا عودكم في الكفر.

فإن قلت: كيف خاطبوا شعيباً ـ عليه السلام ـ بالعود[1] في الكفر في قولهم: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾، وكيف أجابهم بقوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾، والأنبياء ـ عليهم السلام ـ لا يجوز عليهم من الصغائر إلا ما ليس فيه تنفير، فضلاً عن الكبائر، فضلاً عن الكفر؟

قلت: لما قالوا: «لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك»، فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم، قالوا: لتعودنّ، فغلبوا الجماعة على الواحد، فجعلوهم عائدين جميعاً؛ إجراء للكلام على حكم التغليب، وعلى ذلك أجرى شعيب ـ عليه السلام ـ جوابه، فقال: إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها، وهو يريد عود

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف خاطبوا شعيباً بصيغة العود... إلخ» قال أحمد: والزمخشري بنى هذا الكلام على أن صيغة العود تستدعي رجوع العائد إلى حال كان عليها قبل. والتحقيق في الجواب عن السؤال المذكور مع اقتضاء العود لذلك: أن هذا الفعل وإن استعمل كذلك، إلا أنه كثيراً ما يرد بمعنى صار. وحينئذ يجوز أن يكون أخاً لكان ولا يستدعي الرجوع إلى حالة سابقة، بل عكس ذلك وهو الانتقال من حال سابقة إلى حالة مؤتنفة مثل صار، وكأنهم قالوا ـ والله أعلم ـ: لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتصيرن كفاراً مثلنا. وحينئذ يندفع السؤال. أو يسلم استعمال العود بمعنى الرجوع إلى أمر سابق. ويجاب عن ذلك بمثل الجواب عن قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ والإخراج يستدعي دخولاً سابقاً فيما وقع الإخراج منه، ونحن نعلم أن المؤمن الناشئ في الإيمان لم يدخل قط في ظلمة الكفر ولا كان فيها. وكذلك الكافر الأصلي لم يدخل قط في نور الإيمان ولا كان فيه، ولكن لما كان الإيمان والكفر من الأفعال الاختيارية التي خلق الله العبد متيسراً لكل واحد منهما متمكناً منه لو أراده. فعبر عن تمكن المؤمن من الكفر ثم عدوله عنه إلى الإيمان إخباراً بالإخراج من الظلمات إلى النور. توفيقاً من الله له ولطفاً به. وبالعكس في حق الكافر، وقد مضى نظير هذا النظر عند قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ وهو من المجاز المعبر فيه عن السبب بالمسبب. وفائدة اختياره في هذه المواضع تحقيق التمكن والاختيار لإقامة حجة الله على عباده، والله أعلم.

قومه، إلا أنه نظم نفسه في جملتهم، وإن كان بريئاً من ذلك؛ إجراء لكلامه على حكم التغليب.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، والله ـ تعالى ـ متعال أن يشاء ردّة المؤمنين[1]، وعودهم/ ٢٤٧أ في الكفر[2]؟

قلت: معناه إلا أن يشاء الله خذلاننا ومنعنا الألطاف، لعلمه أنها لا تنفع فينا، وتكون عبثاً، والعبث: قبيح لا يفعله الحكيم، والدليل عليه قوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، أي: هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون، فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحوّل، وقلوبهم كيف تتقلب، وكيف تقسو بعد الرقة، وتمرض بعد الصحة، وترجع إلى الكفر بعد الإيمان، ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: في أن يثبتنا على الإيمان، ويوفقنا لازدياد الإيقان، ويجوز أن يكون قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: حسماً لطمعهم[3] في العود؛ لأن مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة[4]، ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾: الهمزة: للاستفهام، والواو: واو الحال، تقديره: أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا، ومع كوننا كارهين، وما يكون لنا، وما ينبغي لنا، وما يصح لنا، ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾: احكم بيننا، و«الفتاحة»: الحكومة، أو أظهر أمرنا حتى يتفتح ما بيننا، ﴿وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾: وينكشف بأن تنزل عليهم عذاباً يتبين معه أنهم على الباطل، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾؛ كقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠].

فإن قلت: كيف أسلوب قوله: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾؟

---

(١) قوله: «والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين» أي تنزه عن أن يشاء... إلخ، على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يريد الشر. أما عند أهل السنة فيريده كالخير.

(٢) قال محمود: «إن قلت: الله تعالى مقدس عن أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم إلى الكفر... إلخ». قال أحمد: وهذا السؤال كما ترى مفرع على القاعدة الفاسدة، في اعتقاد وجوب رعاية الصلاح والأصلح، وهو غير موجه على قاعدة السنة، فظاهر الآية هو المعول عليه لا يجوز تأويله ولا تبديله. وأما استدلال الزمخشري على صحة تأويله بقوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فمن احتيالاته في التأويلات الباطلة، يعضدها ويتبع الشبه ويلفقها. وموقع قوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ الاعتراف بالقصور عن علم العاقبة والاطلاع على الأمور الغائبة، فإن العود إلى الكفر جائز في قدرة الله أن يقع من العبد، ولو وقع فبقدرة الله ومشيئته المغيبة عن خلقه، فالحذر قائم والخوف لازم، ولكن لمن وفقه الله تعالى للعقيدة الصحيحة والإيمان السالم، والله الموفق. ونظيره قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ لما رد الأمر إلى المشيئة وهي مغيبة مجد الله تعالى بالانفراد بعلم الغائبات، والله أعلم.

(٣) عاد كلامه. قال: ويجوز أن يكون المراد حسم طمعهم... إلخ، قال أحمد: وهذا من الطراز الأول، فألحقه به، وسحقاً سحقاً.

(٤) قوله: «محال خارج عن الحكمة» مبني على مذهب المعتزلة أيضاً.

قلت: هو إخبار مقيد بالشرط، وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون كلاماً مستأنفاً فيه معنى التعجب، كأنهم قالوا: ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام؛ لأنّ المرتد أبلغ في الافتراء من الكافر؛ لأنّ الكافر مُفْتَرٍ على الله الكذب؛ حيث يزعم أنّ لله ندًا ولا ندّ له، والمرتدّ مثله في ذلك وزائد عليه؛ حيث يزعم أنه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل.

والثاني: أن يكون قسماً على تقدير حذف اللام، بمعنى: والله لقد افترينا على الله كذباً.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٩١) ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ (٩٢) ﴾

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي: أشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الإيمان، ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: لاستبدالكم الضلالة بالهدى؛ كقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، وقيل: تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف؛ لأنه ينهاكم عنهما، ويحملكم على الإيفاء والتسوية.

فإن قلت: ما جواب القسم الذي وطأته اللام في: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾، وجواب الشرط؟

قلت: قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾، سادّ مسدّ الجوابين[1]، ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا﴾: مبتدأ خبره، ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾، وكذلك: ﴿كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص، كأنه قيل: الذين اتبعوا شعيباً قد أنجاهم الله، الذين كذبوا شعيباً هم

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «والذي قاله النحويون: إنّ جواب الشرط محذوف؛ لدلالة جواب القسم عليه، ولذلك وجب مضي فعل الشرط، فإنْ عنى بأنه سادٌ مسدَّهما: أنه اجتزئ بذكره عن ذكر جواب الشرط، فهو قريب، وإنْ عنى من حيث الصناعةُ النحويةُ، فليس كما زعم، لأن الجملة يمتنع ألاّ يكون لها محل من الإعراب، وأن يكون لها محل من الإعراب». قُلْتُ: قد تقدمت هذه المسألة مراراً، واعتراض الشيخ عليه، وتقدم الجواب عنه، فلا أعيده اكتفاء بما تقدم. ويعني الشيخ بقوله: لأن الجملة يمتنع ألاّ يكون لها محل من الإعراب إلى آخره: «أنها من حيث كونُها جواباً للشرط يستدعي أن يكون لها محل من الإعراب، وهو الجزم، ومن حيث كونها جواباً للقسم يستدعي ألا يكون لها محل؛ إذ الجملة التي هي جواب القسم لا محل لها، لأنها من الجمل المستأنفة المبتدأ بها، وقد تقرر أن الجملة الابتدائية لا محل لها. انتهى. الدر المصون.

المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا؛ كأن لم يقيموا في دارهم؛ لأن الذين اتبعوا شعيباً قد أنجاهم الله ﴿الذين كذبوا شعيباً﴾ هم المخصوصون بالخسران العظيم، دون أتباعه/ ٢٤٧ب فإنهم الرابحون، وفي هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير: مبالغة في ردّ مقالة الملإ لأشياعهم، وتسفيه لرأيهم، واستهزاء بنصحهم لقومهم، واستعظام لما جرى عليهم.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

الأسى: شدّة الحزن؛ قال العجاج: [من الرجز]

وَانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِنْ فَرْطِ الأَسَىٰ

اشتدّ حزنه على قومه، ثم أنكر على نفسه، فقال: فكيف يشتدّ حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم؛ لكفرهم، واستحقاقهم ما نزل بهم، ويجوز أن يريد: لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ، والنصيحة، والتحذير مما حلّ بكم، فلم تسمعوا قولي، ولم تصدقوني، فكيف آسى عليكم؟ يعني: أنه لا يأسى عليهم؛ لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى.

وقرأ يحيى بن وثاب: «فكيف إيسى»، بكسر الهمزة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: بالبؤس والفقر، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: بالضر، والمرض؛ لاستكبارهم عن اتباع نبيهم، وتعززهم عليه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: ليتضرعوا، ويتذللوا، ويحطوا أردية الكبر والعزة، ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ أي: أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء، والمحنة، والرخاء، والصحة، والسعة؛ كقوله ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [**الأعراف**: ١٦٨]، ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾: كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم، من قولهم: عفا النبات، وعفا الشحم والوبر: إذا كثرت؛ ومنه قوله ـ ﷺ ـ: «وَأَعْفُوا اللِّحَىٰ» (٦٠٩).

وقال الحطيئة: [من الطويل]

بِمُسْتَأْسِدِ الْقِرْيَانِ عَافٍ نَبَاتُهُ[1] ....

---

٦٠٩ ـ تقدم في سورة البقرة. انتهى.

---

(١) فإن نظرت يوماً بمؤخر عينها إلى علم في الغور قالت أبعد =

وقال: [من الوافر]

وَلٰكِنَّا نَعُضُّ السَّيْفَ مِنْهَا ... بِأَسْوَقَ عَافِيَاتِ الشَّحْمِ كُومِ(1)

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ يعني: وأبطرتهم النعمة، وأشروا، فقالوا: هذه عادة الدهر، يعاقب في الناس بين الضراء والسراء، وقد مس آباءنا نحو ذلك، وما هو بابتلاء من الله لعباده، فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات إلا أن نأخذهم بالعذاب،

= بأرض ترى فرخ الحبارى كأنها ... بها راكب موف على ظهر قردد
بمستأسد القريان عاف نباته ... تساقطني والرحل من صوت هدد

للحطيئة. ومؤخر العين ـ كمؤمن ـ: جانبها. والعلم: الجبل والعلامة في الطريق. والغور: الموضع الغائر المنخفض. وقالت له «أبعد» مجاز عن تركها إياه بسرعة، فيبعد عنها. والحبارى: طير يهوى الجبال، وفرخها يسمي النهار. وفرخ الكروان يسمي الليل. والموفي: المشرف. والقردد ـ كهدهد ـ المكان الغليظ المرتفع. والمستأسد: النبات القوي الغليظ الطويل، كما سمي السبع أسداً لقوته. والقريان ـ بالضم ـ جمع قرى كفعيل: مجرى الماء الذي يجمعه إلى الروض. والعافي الكثير، يصف ناقته بسرعة السير وأنها لخوفها في ذلك الطريق لا تتمكن من تمام النظر إلى أعلامه، فإذا لمحت فيه شبحاً أسرعت مبعدة عنه في أرض مجهل، كأن فرخ الحبارى فيها راكب مشرف فوق مكان مرتفع. وقوله: «بمستأسد» بدل من قوله: «بأرض، أو متعلق بتساقطني. والمعنى: أنه لا فرق عندها بين الحزن والسهل في نبات الغدران حال كثرته» ترميني مع رحلها لسرعة سيرها من خوفها من صوت هدهد واحد. وعلى الأول، تساقطني حال من فاعل «قالت» أو جواب الشرط، وقالت له: أبعد، صفة علم. وعبر بالتساقط، لأن المعنى: كلما تمكنت حركتني، حتى أكاد أسقط.

ينظر: ديوانه (١٩)، الدر المصون (٣/ ٣٠٧).

(1) إذا ما درها لم يقر ضيفا ... ضمن له قراه من الشحوم
فلا تتجاوز العضلات منها ... إلى البكر المعازب والكزوم
ولكنا نعضّ السيف منها ... بأسوق عافيات الشحم كوم

للبيد بن ربيعة العامري. يقول: إذا لم يكف در النوق في قرى الضيف، كان قراه من شحومها، فأسند القرى إلى اللبن لأنه آلته أو سببه. وإسناد الضمان إلى نوق الإبل مجاز أيضاً، لأنها محل المضمون. والفعلان في الحقيقة لمالك الإبل. والمراد: أنها معدة لذلك إما بلبنها أو شحمها. والعضلة: الحسنة السمينة. والبكر: الفتي من الإبل ذكراً أو أنثى. والمعازب المهزول، من عزب إذا أبعد. والمعزابة والمعزاب: الذي طالت عزوبته وبعده؛ لعدم نسله أو لبعده عن البيوت، فكأنه بمعنى المباعد في الأصل، ثم أريد به المهزول مجازاً. والكزم بالزاي القصر. ومنه: كزم ككتف. وأكزم وكزما، فالكزوم كصبور القصيرة. وقيل المسنة التي قصر مشفرها الأسفل عن الأعلى. أو التي لم يبق لها سن من الهرم. وكزمه أيضاً إذا كسره بمقدم فمه. ويجوز أن المعازب بالفتح جمع: معزاب أو معزابة، فيكون البكر مستعملاً في معنى الجمع، أي لا تترك الوسط السمان من الإبل ذاهبين إلى الصغار المهازيل والمسنات البالغات في الهرم، ولكنا نجعل السيف يعض منها، بأسوق جمع ساق مضاف إلى عافيات، أي: كثيرات الشحم لتركها من العمل سنة أو سنتين. والكوم جمع كوماء، أي: عظيمات الأسنمة مرتفعاتها.

ينظر: ديوانه ١٨٦، اللسان (عطل)، (عفا)، الدر المصون ٣/ ٣٠٨.

﴿فَأَخَذْنَـٰهُم﴾: أشد الأخذ وأفظعه، وهو أخذهم فجأة من غير شعور منهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾

اللام في القرى: إشارة إلى القرى التي دل عليها قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾ [الأعراف: ٩٤]، كأنه قال: ولو أنّ أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا، ﴿ءَامَنُواْ﴾: بدل كفرهم، ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾: المعاصي مكان ارتكابها، ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لآتيناهم بالخير من كل وجه، وقيل: أراد المطر والنبات، ﴿وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم﴾: بسوء كسبهم، ويجوز أن تكون اللام في القرى للجنس.

فإن قلت: ما معنى فتح البركات عليهم؟

قلت: تيسيرها عليهم كما ييسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها، ومنه قولهم: فتحت على القارىء، إذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾

«البيات»: يكون بمعنى البيتوتة، يقال: بات بياتاً؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَـٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، وقد يكون بمعنى التبييت، كالسلام بمعنى التسليم، يقال: بيته العدو/ ٢٤٨أ بياتاً، فيجوز أن يراد: أن يأتيهم بأسنا بائتين، أو وقت بيات، أو مبيتاً، أو مبيتين، أو يكون بمعنى تبييتاً، كأنه قيل: أن يبيتهم بأسنا بياتاً، و﴿ضُحًى﴾: نصب على الظرف، يقال: أتانا ضحى، وضحيا، وضحاء، والضحى ـ في الأصل ـ: اسم لضوء الشمس إذا أشرقت، وارتفعت، والفاء والواو في: ﴿أَفَأَمِنَ﴾، و﴿أَوَ أَمِنَ﴾: حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار.

فإن قلت: ما المعطوف عليه؟ ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو؟

قلت: المعطوف عليه قوله: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ إلى ﴿يكسبون﴾ وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنما عطف بالفاء؛ لأنّ المعنى: فعلوا، وصنعوا، فأخذناهم بغتة، أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً، وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى؟

وقرىء: «أو أمن»، على العطف بـ «أو»، ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون.

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٩٩)﴾

فإن قلت: فلم رجع فعطف بالفاء قوله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ﴾؟

قلت: هو تكرير لقوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾، ومكر الله: استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر، ولاستدراجه، فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله، كالمحارب الذي يخاف من عدوّه الكمين، والبيات، والغيلة، وعن الربيع بن خثيم، أن ابنته قالت له: مالي أرى الناس ينامون، ولا أراك تنام، فقال: يا بنتاه، إنّ أباك يخاف البيات، أراد قوله: ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾ [الأعراف: ٩٧].

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)﴾

إذا قرىء: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ بالياء، كان ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾: مرفوعاً بأنه فاعله، بمعنى: أو لم يهد للذين يخلفون، من خلا قبلهم في ديارهم، ويرثون أرضهم هذا الشأن، وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم، كما أصبنا من قبلهم، وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا المورّثين، وإذا قرىء بالنون، فهو منصوب؛ كأنه قيل: أو لم يهد الله للوارثين هذا الشأن، بمعنى: أو لم نبين لهم أنا، ﴿لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ﴾: كما أصبنا من قبلهم، وإنما عدّي فعل الهداية باللام؛ لأنه بمعنى التبيين.

فإن قلت: بم تعلق قوله تعالى: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[1]؟

---

(١) قال محمود: «إن قلت بم يتعلق قوله ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾... إلخ» قال أحمد: بل يجوز والله عطفه عليه، ولا يلزم أن يكون المخاطبون موصوفين بالطبع، ولا يضرهم إن كانوا كفاراً أو مقترفين للذنوب، فليس الطبع من لوازم اقتراف الذنب ولا بد، إذ الطبع هو التمادي على الكفر والإصرار والغلو في التصميم، حتى يكون الموصوف به مأيوساً من قبوله للحق. ولا يلزم أن يكون كل كافر بهذه المثابة. بل إن الكافر يهدد من تماديه على كفرهم بأن يطبع الله على قلبه، فلا يؤمن أبداً، وهو مقتضى العطف على أصبناهم، فتكون الآية قد هددتهم بأمرين، أحدهما: الإصابة ببعض ذنوبهم، والآخر الطبع على قلوبهم. وهذا الثاني أشد من الأول، وهو أيضاً نوع من الإصابة بالذنوب أو العقوبة عليها، ولكنه أنكى العذاب وأبلغ صنوف العقاب. وكثيراً ما يعاقب الله على الذنب بالإيقاع في ذنب أكبر منه وعلى الكفر بزيادة التصميم عليه والغلو فيه، كما قال تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كما زادت المؤمنين إيماناً إلى إيمانهم. وهذا النوع من الثواب والعقاب مناسب لما كان سبباً فيه وجزاء عليه، فثواب الإيمان إيمان وثواب الكفر كفر. وإنما الزمخشري يحاذر من هذا الوجه دخول الطبع في مشيئة الله تعالى. وذلك عنده محال؛ لأنه قبيح والله عنه متعال، وأنى يتم الفرار من الحق. وكم من آية صرحت بوقوع الطبع من الله، فضلاً عن تعلق المشيئة به.

قلت: فيه أوجه: أن يكون معطوفاً على ما دلّ عليه معنى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾؛ كأنه قيل: يغفلون عن الهداية، ونطبع على قلوبهم، أو على يرثون الأرض، أو يكون منقطعاً بمعنى: ونحن نطبع على قلوبهم.

فإن قلت: هل يجوز أن يكون: «ونطبع» بمعنى «وطبعنا»، كما: (لو نشاء) بمعنى: لو شئنا، ويعطف على أصبناهم؟

قلت: لا يساعد عليه المعنى؛ لأن القوم كانوا مطبوعاً على قلوبهم، موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها، وهذا التفسير يؤدي إلى خلوهم عن هذه الصفة، وأن الله ـ تعالى ـ لو شاء لاتصفوا بها.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٠١)﴾

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾/ ٢٤٨ب؛ كقوله: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢] في أنه مبتدأ، وخبر، وحال، ويجوز أن يكون: (القرى): صفة لـ (تلك)، و(نقص): خبراً وأن يكون: (القرى نقص): خبراً بعد خبر.

فإن قلت: ما معنى: (تلك القرى) حتى يكون كلاماً مفيداً؟

قلت: هو مفيد، ولكن بشرط التقييد بالحال، كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك: هو الرجل الكريم.

فإن قلت: ما معنى الإخبار عن القرى بنقص عليك من أنبائها؟

قلت: معناه: أنّ تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها، ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك، ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾؛ عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل مجيء الرسل، أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أوّلاً حين جاءتهم الرسل، أي: استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرّين، لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم، وتتابع الآيات، ومعنى اللام: تأكيد النفي، وأنّ الإيمان كان منافياً لحالهم في التصميم على الكفر، وعن مجاهد: هو كقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ (١٠٢)﴾

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾: الضمير للناس على الإطلاق، أي: وما وجدنا لأكثر الناس من عهد، يعني: أنّ أكثرهم نقض عهد الله، وميثاقه في الإيمان والتقوى، ﴿وَإِن وَجَدْنَآ﴾: وإنّ الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين، خارجين عن الطاعة مارقين، والآية: اعتراض[(١)]، ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين، وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضرّ ومخافة، لئن أنجيتنا لنؤمننّ، ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى ـ عليه السلام ـ: لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك، إلى قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ **[الأعراف: ١٣٥]**، والوجود بمعنى: العلم من قولك: وجدت زيداً ذا الحفاظ؛ بدليل دخول «إن» المخففة، واللام الفارقة، ولا يسوغ ذلك إلا في المبتدأ والخبر، والأفعال الداخلة عليهما.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾: الضمير للرسل في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ **[الأعراف: ١٠١]**، أو للأمم، ﴿فَظَلَمُوا۟﴾: فكفروا بآياتنا، أجرى الظلم مجرى الكفر؛ لأنهما من واد واحد، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ **[لقمان: ١٣]**، أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدّوهم عنها، وآذوا من آمن بها؛ ولأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان، كان كفرهم بها ظلماً؛ فلذلك قيل: فظلموا بها، أي: كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه، وهو موضع الإيمان، يقال لملوك مصر: «الفراعنة»، كما يقال لملوك فارس: «الأكاسرة»، فكأنه قال: يا ملك مصر، وكان اسمه «قابوس»، وقيل: «الوليد بن مصعب بن الريان»، ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾: فيه أربع قراءات، المشهورة: «وحقيق/ ٢٤٩أ عليّ أن لا أقول»[(٢)]، وهي قراءة نافع، «وحقيق أن لا أقول»، وهي قراءة عبد الله، و«حقيق بأن لا

---

(١) قال السمين الحلبي: وفيه نظر؛ لأنه إذا كان الأول عاما، ثم ذُكر شيء يندرج فيه ما بعده وما قبله، كيف يُجعَل ذلك العام معترضاً بين الخاصين، وأيضاً فالنحويون إنما يُعَرِّفون الاعتراض فيما اعترض به بين متلازمين، إلا أن أهل البيان عندهم الاعتراض أعم من ذلك، حتى إذا أتى بشيء بين شيئين مذكورين في قصة واحدة سموه اعتراضاً. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «فيه أربع قراءات، المشهورة: وحقيق عليّ أن لا أقول. . . إلخ» قال أحمد: القلب يستعمل في اللغة على وجهين، أحدهما: قلب الحقيقة إلى المجاز لوجه من المبالغة كقوله [من الطويل]:

. . . . وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وكقوله [من البسيط]:

قد صرح السر عن كتمان ما ابتذلت وضع المحاجن بالمهرية الدقن =

أقول» وهي قراءة أبيّ، وفي المشهورة إشكال، ولا تخلو من وجوه.

أحدها: أن تكون مما يقلب من الكلام لأمن الإلباس؛ كقوله [من الطويل]

.... وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ [(١)]

ومعناه: وتشقى الضياطرة بالرماح، «وحقيق عليّ أن لا أقول»، وهي قراءة نافع.

= فالحقيقة أن الضياطرة تشقى بالرماح، والمهرية تبتذل بالمحاجن، فعدل عن ذلك تنبيهاً على أن الرماح قدتنفصل وتنقصف في أجوافهم، فعبر عن ذلك بالشقاء، وأن المحاجن كثيراً ما ترفع وتوضع وتستعمل في ضرب المهرية، وربما تمزقت عن ذلك فجعل ذلك ابتذالاً لها، وقد حام أبو الطيب حول هذا النوع كثيراً في أمثال قوله [من البسيط]:

والسيف يشقى كما تشقى الضلوع به ... وللسيوف كما للناس آجال

والمراد بشقاء السيف: انقطاعه في أضلاع المضروب، كما صرح بذلك في قوله [من الطويل]:

طوال الردينيات يقصفها دمي ... وبيض السريجيات يقطعها لحمي

الوجه الثاني: قلب معرى عن هذا المعنى البليغ، ولذلك لا يستفصح، كقولهم: خرق الثوب المسمار وأشباهه، وعلى الوجه الأول الأفصح جاءت الآية على هذه القراءة، وهو الوجه الرابع من وجوه الزمخشري، وفي طيه من المبالغة ما نبهت عليه. وأما الوجه الثاني وهو «أن ما لزمك فقد لزمته» ففيه نظر من حيث أن اللزوم قد يكون من أحد الطرفين دون الآخر، ولزوم موسى عليه السلام لقول الحق من هذا النمط، وأما الوجه الثالث فلا يلائم بين القراءتين، وقد ذكر لها وجه خامس: وهو أن يكون «على» بمعنى الباء، ونقل «رميت على القوس» بمعنى رميت بالقوس، وهو وجه حسن ملائم، والله أعلم. ويشهد له قراءة أبي: حقيق بأن لا أقول.

(١) كذبتم وبيت الله حين تعالجوا ... قوادم حرب لا تلين ولا تمري

نزلت بخيل لا هوادة بينها ... وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

لخداش بن زهير، يقول لقومه: كذبتم وحق بيت الله: في دعواكم إمكان الصلح، وهذا يعلم ضمناً من قوله: «حين تعالجوا، أو استعار الكذب للخطأ في الظن أو الرأي، أي أخطأتم في ممارستكم الجماعات القادمات الحرب لأجل الصلح. ويشبه أن يكون قوله: «تعالجوا» محرفاً، وأصله بالصاد والحاء بدل العين والجيم، وعلى كل فحذف نونه للوزن أو للتخفيف، و«لا تلين» صفة قوادم. وأمرت الناقة: در لبنها، شبه الرضاء بالصلح بأمر الناقة. على طريق التصريح، ثم نفاه وبين ذلك بقوله: «نزلت بخيل» أي في أصحاب خيل. ويحتمل أن الخيل مجاز عن الفرسان، أو كناية عنهم. وروي «وتلحق خيل» فهو عطف على «لا تلين» أي: وتسرع خيل منها. والهوادة: الصلح والبقية من القوم يرجى بها صلاحهم، والمعنى أنهم لا يرجى صلحهم. وتشقى: أي تتعب الرماح بسبب الضياطرة، وهو من باب القلب لا من اللبس. والمعنى: وتشقى الضياطرة بالرماح. والضيطر: الضخم الجبان. وقياس جمعه ضياطير، إلا أنه عوض الهاء من الياء. والحمر عند العرب: كناية عن العجم، لأنها تصف الحسن بالأخضر، والقبيح بالأحمر. والمعنى: تتعب ضياطرتهم من حمل رماحهم. ويجوز أن المراد من طعن رماحنا. ويحتمل أن لا قلب، وأنه بالغ في ضخمهم، حتى كأن الرماح تتعب من طعنهم، لكن الأول هو المنقول. والمعنى: لا تصالحوهم بل نحاربهم.

ينظر: الأضداد ١٥٣، لسان العرب (ضطر)، أمالي المرتضى ١/ ٤٦٦، سر صناعة الإعراب ١/ ٣٢٣، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٠٣، الدر المصون ٣/ ٣١٤.

والثاني: أنّ ما لزمك فقد لزمته، فلما كان قول الحق حقيقاً عليه، كان هو حقيقاً على قول الحق، أي: لازماً له.

والثالث: أن يضمن: (حقيق) معنى حريص، كما ضمن: «هيجني» معنى ذكرني في بيت الكتاب.

والرابع ـ وهو الأوجه ـ الأدخل في نكت القرآن: أن يعرق موسى[1] في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام، لا سيما وقد روي أنّ عدو الله فرعون قال له ـ لما قال: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾، كذبت، فيقول: أنا حقيق على قول الحق، أي: واجب عليّ قول الحق أن أكون أنا قائله، والقائم به، ولا يرضى إلا بمثلي ناطقاً به، ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: فخلهم حتى يذهبوا معي، راجعين إلى الأرض المقدّسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم، وذلك أن يوسف ـ عليه السلام ـ لما توفي، وانقرضت الأسباط، غلب فرعون نسلهم، واستعبدهم، فأنقذهم الله بموسى ـ عليه السلام ـ وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة عام.

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

فإن قلت: كيف قال له: ﴿فَأْتِ بِهَا﴾ بعد قوله: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾؟

قلت: معناه إن كنت جئت من عند من أرسلك بآية، فأتني بها، وأحضرها عندي، لتصح دعواك، ويثبت صدقك، ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان، وروي أنه كان ثعباناً ذكراً، أشعر، فاغراً فاه[2]، بين لحييه ثمانون ذراعاً، وضع لحيه الأسفل في الأرض، ولحيه الأعلى على سور القصر، ثم توجه نحو فرعون ليأخذه، فوثب فرعون من سريره، وهرب، وأحدث، ولم يكن أحدث قبل ذلك، وهرب الناس وصاحوا، وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً، قتل بعضهم بعضاً، ودخل فرعون البيت وصاح: يا موسى، خذه، وأنا أؤمن بك، وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذه موسى فعاد عصى.

فإن قلت: بم يتعلق: ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾؟

---

(١) قوله: «أن يعرق موسى» لعله: يغرق بالمعجمة. وفي الصحاح. أغرق النازع في القوس، أي استوفى مدها.

(٢) قوله: «فاغراً فاه» أي فاتحاً فاه.

قلت: يتعلق بـ «بيضاء»، والمعنى: فإذا هي بيضاء للنظارة، ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضها بياضاً عجيباً، خارجاً عن العادة، يجتمع الناس للنظر إليه، كما تجتمع النظارة للعجائب؛ وذلك ما يروى أنه أرى فرعون يده وقال: ما هذه؟ قال: يدك، ثم أدخلها جيبه، وعليه/ ٢٤٩ب مدرعة صوف ونزعها، فإذا هي بيضاء بياضاً نورانياً، غلب شعاعها شعاع الشمس، وكان موسى ـ عليه السلام ـ آدم شديد الأدمة.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: عالم بالسحر، ماهر فيه، قد أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه، حتى خيل إليهم العصى حية، والآدم أبيض.

فإن قلت: قد عزى هذا الكلام إلى فرعون في سورة الشعراء، وأنه قاله للملإ وعزى ههنا إليهم.

قلت: قد قاله هو، وقالوه هم، فحكى قوله ثم وقولهم ههنا، أو قاله ابتداء فتلقته منه الملأ، فقالوه لأعقابهم، أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ، كما يفعل الملوك: يرى الواحد منهم الرأي، فيكلم به من يليه من الخاصة، ثم تبلغه الخاصة العامة، والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم: ﴿أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم﴾، وقرىء: «سحار»، أي: يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة، أو بخير منه، وكانت هذه مؤامرة مع القبط، وقولهم: (فماذا تأمرون): من أمرته فأمرني بكذا، إذا شاورته، فأشار عليك برأي، وقيل: فماذا تأمرون؟ من كلام فرعون، قاله للملأ لما قالوا له: إن هذا لساحر عليم، يريد أن يخرجكم، كأنه قيل: فماذا تأمرون؟ قالوا: أرجئه وأخاه، ومعنى أرجئه وأخاه: أخرهما، وأصدرهما عنك، حتى ترى رأيك فيهما، وتدبر أمرهما، وقيل: احبسهما، وقرىء: «أرجئه»، بالهمزة، «وأرجه»، من أرجأه وأرجاه.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾

فإن قلت: هلا قيل: وجاء السحرة فرعون فقالوا؟

قلت: هو على تقدير سائل سأل: ما قالوا إذ جاؤوه؟ فأجيب بقوله: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا

﴿لَأَجۡرًا﴾ أي: جُعلا على الغلبة، وقرىء: «إن لنا لأجراً»، على الإخبار، وإثبات الأجر العظيم، وإيجابه؛ كأنهم قالوا: لا بد لنا من أجر، والتنكير للتعظيم؛ كقول العرب: إنّ له لإبلاً، وإنّ له لغنماً، يقصدون الكثرة.

فإن قلت: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾، ما الذي عطف عليه؟

قلت: هو معطوف على محذوف سدّ مسدّه حرف الإيجاب؛ كأنه قال إيجاباً لقولهم: إن لنا لأجراً، نعم إن لكم لأجراً، وإنكم لمن المقرّبين، أراد: إني لأقتصر بكم على الثواب وحده، وإنّ لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب، وهو التقريب والتعظيم؛ لأنّ المثاب إنما يتهنأ بما يصل إليه ويغتبط به إذا نال معه الكرامة والرفعة.

وروي أنه قال لهم: تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج، وروي أنه دعا برؤساء السحرة، ومعلميهم، فقال لهم: ما صنعتم؟ قالوا: قد علمنا سحراً لا يطيقه سحرة أهل الأرض، إلا أن يكون أمراً من السماء؛ فإنه لا طاقة لنا به، وروي أنهم كانوا ثمانين ألفاً، وقيل: سبعين ألفاً، وقيل: بضعة وثلاثين ألفاً، واختلفت الروايات، فمن مقل ومن مكثر، وقيل: كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى، وقيل: قال فرعون: لا نغالب موسى إلا بما هو منه، يعني السحر.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

تخييرهم/ ٢٥٠أ إياه أدب حسن راعوه معه، كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين، قبل أن يتخاوضوا في الجدال، والمتصارعين قبل أن يتآخذوا للصراع، وقولهم: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾: فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل، وتعريف الخبر، أو تعريف الخبر، وإقحام الفصل، وقد سوّغ لهم موسى ما تراغبوا فيه؛ ازدراء لشأنهم، وقلة مبالاة بهم، وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي، وأنّ المعجزة لن يغلبها سحر أبداً، ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾: أروها بالحيل والشعوذة[1]، وخيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه؛ كقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا

---

(١) قال محمود: «معناه أروها بالحيل والشعوذة... إلخ» قال أحمد: معتقد المعتزلة إنكار وجود =

تَسۡعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]. روي أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً، وخشباً طوالاً، فإذا هي أمثال الحيات، قد ملأت الأرض، وركب بعضها بعضاً، ﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾: وأرهبوهم إرهاباً شديداً، كأنهم استدعوا رهبتهم، ﴿بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾: في باب السحر، روي أنهم لونوا حبالهم وخشبهم، وجعلوا فيها ما يوهم الحركة، قيل: جعلوا فيها الزئبق ﴿مَا يَأۡفِكُونَ﴾: «ما» موصولة أو مصدرية، بمعنى: ما يأفكونه، أي: يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزوّرونه، أو إفكهم، تسمية للمأفوك بالإفك، روي أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب، والحبال، ورفعها موسى، فرجعت عصى كما كانت، وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة، أو فرّقها أجزاء لطيفة، قالت للسحرة: لو كان هذا سحراً، لبقيت حبالنا وعصينا، ﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ﴾: فحصل وثبت، ومن بدع التفاسير: «فوقع قلوبهم» أي: فأثر فيها من قولهم، قاس وقيع، ﴿وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ﴾: وصاروا أذلاء مبهوتين، ﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾[(1)]: وخرّوا سجداً، كأنما

= السحر والشياطين والجن في خبط طويل لهم. ومعتقد أهل السنة إقرارها الظواهر على ما هي عليه، لأن العقل لا يحيل وجود ذلك. وقد ورد السمع بوقوعه، فوجب الإقرار بوجوده، ولا يمنع عند أهل السنة أن يرقى الساحر في الهواء، ويستدق فيتولج في الكوة الضيقة، ولا يمنع أن يفعل الله عند إرشاد الساحر ما يستأثر الاقتدار عليه، وذلك واقع بقدرة الله ـ تعالى ـ عند إرشاد الساحر. هذا هو الحق والمعتقد الصدق، وإنما أجريت هذا الفصل لأن كلام الزمخشري لا يخلو من رمز إلى إنكاره، إلا أن هذا النص القاطع بوقوعه يلجمه عن التصريح بالدفاع وكشف القناع، ولا يدعه التصميم على اعتقاد المعتزلة من التنفيس عما في نفسه، فيسميه شعوذة وحيلة. وبالقطع يعلم أن الشعوذة لا تعلم في يد ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ حتى بكوعها، ولا تؤثر في سيد البشر حتى يخيل إليه أنه يأتي نساءه وهو لا يأتيهن. وقد ورد ذلك وأمثاله مستفيضاً واقعاً، فالعمدة أن كل واقع فبقدرة الله تعالى، فلا يمتنع أن يوقع تعالى بقدرته عند إرشاد الساحر أعاجيب يضل بها من يشاء ويهدي من يشاء، والله الموفق.

(١) عند قوله ـ تعالى ـ ﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ۝١١٩ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝١٢٠﴾ نلاحظ استعمال الفعل «ألقى» بالبناء للمجهول والمفسر العلامة له مبحث دقيق في استعمالات الأفعال ومقاماتها وخلاصة ذلك:
أن الأفعال: ماض، مضارع، أمر، وأهم هذه الأفعال هو المضارع لأن له زمنين الحال والاستقبال، وله صورتان عند النحاة: الإعراب والبناء، أما الماضي والأمر فلهما زمان واحد وحالة واحدة عند أرباب النحو وهي البناء.
وقد اهتم البلاغيون بهذه الصيغ ومواقعها في صورة الكلام. فلا يليق بالمقام إلا ما يناسبه، فلا يوضع الماضي موضع المضارع إلا لنكتة بلاغية، والعكس كذلك.
وكذلك إذا استعملت صيغة الماضي ثلاثين مرة ورباعية أو خماسية مرة أخرى فذلك لتولد المعاني التي يدعو إليها المقام ويقتضيها سياق الكلام، وهذه عجالة يعدها تطبيق على بعض الآيات من خلال كلام المفسر العلامة في النقاط الآتية:
١ ـ صيغة المضارع تعطينا صورة الحدث حاضراً أمامك مصوراً تراه العين وتسمعه الأذن إذا كان المقام يقتضي ذلك كقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ۝١٨﴾ [ص: ١٨] فانظر إلى الفعل «يسبحن» ودلالته على حدوث التسبيح شيئاً فشيئاً. =

ألقاهم ملق؛ لشدّة خرورهم، وقيل: لم يتمالكوا مما رأوا، فكأنهم ألقوا، وعن قتادة:

= هذا، وعلينا أن نقف مع قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: ١٩]. فالطيران بصف الأجنحة دائماً ولهذا جاء المعنى بالاسم، والقبض طارئ متجدد فجاء بالمضارع، فلكل كلمة موقعها على المعنى المقصود، فالآية وصف صادق لحال الطير في طيرانه.

٢ ـ قد يأتي المضارع لكان ليفيد حكاية الحال الماضية واستحضار الصورة، لأن الفعل له خصوصية وتميز، فكأنه حاصل ماضياً وحالاً ومستقبلاً، وهذا ما لحظه المفسر العلامة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾ [فاطر: ٩] فانظر إلى الفعل «أرسل» الماضي ثم يأتي المضارع «تثير» لاستحضار صورة الإثارة لأن السحاب لا يقع منذ الغيب إلا بعد إثارته بالرياح وتحركه إلى أماكن الإغاثة، وجاء الفعل «فسقناه» بالماضي ليفيد التوكيد على رحمة الله بعباده، ونسب السوق إليه لذلك فهذا الفسق يبين الأفعال ـ أرسل، تثير، فسقناه، لا بد منه لتتم الصورة المرادة.

ويلحظ هذا الاستعمال في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ فعند التكذيب جاء الماضي «كذبتم» وعند القتل يأتي المضارع «تقتلون» لتنطيع الأمر.

٣ ـ ويأتي المضارع مرة أخرى موقع الماضي ليفيد الاستمرار في الحدث بمعونة المقام مع الفارق بين معنى الاستمرار في الاسم ومثله في المضارع هنا، وهذا ما نراه عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧] ففي قوله: «لو يطيعكم» استمرار عدم طاعته، فلا قصد لماض ولا لاستقبال.

ويتضح هذا المعنى ـ أيضاً ـ في قوله ـ سبحانه ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥] فالصدود منهم مستمر دائم وقد يلحظ فرق بين الاستمرارين في الآيتين لأن الصدَّ لا تتخلله فترات انقطاع بخلاف الطاعة لهم من رسوله الله ﷺ.

وهذا ما نراه أيضاً عند قوله ـ تعالى ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣] فالخضرة متجددة باقية زماناً بعد زمان.

مع دراسة الأفعال وصيغتها المضارعية من خلال الآيات نلحظ أسراراً في هذا الكتاب المعجز.

٥ ـ صيغة «الماضي» تفيد الوقوع والتحقق، والقرآن الكريم حينما يختار صيغة ويؤثرها على أخرى ليعطينا أن هذه الصيغة لها دلالة لا تؤدي بسواها؛ فصيغة «فعّل» بتشديد العين تدل على التدرج والتنجيم كما فهم المفسر العلامة عند قوله ـ تعالى ـ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] فهذا رد على قولهم ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ وكان الجواب ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢] وجواب سورة البقرة بهذا الفعل «نزلنا» يفيد أنهم لو وقفوا أمام سورة منه لعجزوا أن يأتوا بمثلها فكيف بالقرآن جميعه، بهذا يفيد المفسرون.

ويفرق بين صيغة «فعَل» «وافتعل» في قوله ـ تعالى ـ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فالكسب في الخير لا يحتاج إلى جهد لأنه يتفق مع الإنسان بطبيعته، وأما الاكتساب فإن النفس الأمارة بالسوء تميل إليه، ثم يحاول المرء بكل ما يستطيع أن يصل إليه، ولهذا كان الشر اكتساباً، فالأولى «كسبت» والثانية «اكتسبت» ليفيد كل ما يحتاج إليه مقامه.

٦ ـ الفعل المبني للمجهول له مواقعه الأدبية، وانظر إليه في قصة نبي الله موسى مع السحرة الذين اجتلبهم فرعون فسحرهم، وأكد لهم عطاءه إن كانوا هم الغالبين، فلما رأوا آية موسى واستيقنوها خروا سجداً ـ سبحانه ـ ويصور القرآن هذه المفاجأة وهذه السرعة في الانقياد والتسليم فيقول ـ =

كانوا أول النهار كفاراً سحرة، وفي آخره شهداء بررة، وعن الحسن. تراه ولد في الإسلام، ونشأ بين المسلمين، يبيع دينه بكذا وكذا، وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر، بذلوا أنفسهم لله.

= سبحانه ـ: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأعراف ١١٨ ـ ١٢٠] فانظر إلى هذا الأمر الوارد في صورة المبني للمجهول «وألقى»، فهذا الفعل يدل على أنه كأنه جاءهم أمر وإلغاء ملق لشدة خرورهم، ويستوحي المفسر هذا البناء بمعناه من قوله ـ تعالى ـ ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: ٤٤] وهذه الآية بين فيها المفسر العلامة ما في الأفعال الماضية المبنية للمفعول من دلالة على الجلال والكبرياء وأن فاعلها قادر قاهر، وهو واحد لا شريك له، وهو الله وحده يفعل ذلك.

٧ ـ وقد يأتي الفعل الماضي بعد أفعال مضارعة أمراً هاما يلفت النظر إلى هؤلاء الفاعلين، وهذا ما أبرزه المفسر عند قوله ـ تعالى ـ ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة: ٢].

فالأفعال: «يثقفوكم، يكونوا، ويبسطوا» مضارعة تفيد التصوير للحرث، ثم الفعل ماضياً مبنيا للمعلوم «وودوا» دون «يودوا» لأنهم يريدون أن يلحقوا بكم كل مضار الحياة، ولكنهم يريدون أن ترتدوا كفارا قبل كل هذه المضار لأن ضرر الدين أسبق هذه المضار، والعدو يختار لعدوه أعز شيء لديه فيحاول طعنه فيه. ولهذا السر جاء «وودوا لو تكفرون» بهذه الصيغة.

وقد يقع الماضي موضع المضارع ليفيد تحقق الوقوع كقوله ـ تعالى ـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ وهذا الفتح لم يأت بعد ولكنه يريد بيان تحققه.

بهذا البيان يكون بعث الأفعال في هذا التفسير قد أخذ إشارة بلاغية لمعرفة مكامن المعاني في ظلال المباني، والبحث في جميع أفعال القرآن في مواقعها لبيان أسرارها في حاجة إلى درس متأن طويل ليخرج لنا زادا طيباً لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكوراً، والحمد لله...

هذا وللإمام عبد القاهر كلام نفيس في نحو هذا الموقع، ويعيده كلما سنحت الفرصة وجاء المقام بأسلوب آخر للبيان والتوكيد، فيقول:

«وإذا قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها.

ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض...».

«ينظر دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني ـ تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ١٢٣ وما بعدها. والبلاغة القرآنية لأبي موسى ٢٧٩ وما بعدها، والمطول للسعد ١٧١ وما بعدها، والإيضاح للقزويني بتحقيق خفاجي ٢/١٣٣، ١٣٤، والمنهاج الواضح في البلاغة لحامد عوني ٨٤، وحاشية السيد الشريف على المطول ٣٧٥، وفتح القدير للشوكاني ١/٤٤، والفتوحات الإلهية للجمل ٣/٦٠، وروح المعاني للألوسي ١٦/٨٩، ٩٠، ومفاتيح الغيب ١٠/٤٤٢: ٤٥٢ وتفسير أبي السعود ٢/٢٨٥.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: على الإخبار، أي: فعلتم هذا الفعل الشنيع، توبيخاً لهم وتقريعاً.

وقرىء: «أآمنتم»، بحرف الاستفهام، ومعناه: الإنكار، والإستبعاد، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: إن صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصحراء، قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم، وهو أن تخرجوا منها القبط وتسكنوها بني إسرائيل، وكان هذا الكلام من فرعون؛ تمويهاً على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان، وروي أن موسى ـ عليه السلام ـ قال للساحر الأكبر: أتؤمن بي إن غلبتك؟ قال: لآتين بسحر لا يغلبه سحر، وإن غلبتني/ ٢٥٠ب لأؤمنن بك، وفرعون يسمع، فلذلك قال ما قال، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: وعيد أجمله ثم فصله بقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾، وقرىء: «لأَقْطَعَنَّ» بالتخفيف، وكذلك: ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾، ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: من كل شق طرفاً، وقيل: إن أوّل من قطع من خلاف وصلب لفرعون.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾: فيه أوجه، أن يريدوا: إنا لا نبالي بالموت، لانقلابنا إلى لقاء ربنا، ورحمته، وخلاصنا منك، ومن لقائك، أو ننقلب إلى الله يوم الجزاء، فيثيبنا على شدائد القطع والصلب، أو إنا جميعاً ـ يعنون أنفسهم ـ وفرعون ننقلب إلى الله فيحكم بيننا، أو إنا لا محالة ميتون منقلبون إلى الله، فما تقدر أن تفعل بنا إلا ما لا بد لنا منه، ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾: وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله، أرادوا: وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها، وهو الإيمان؛ ومنه قوله [من الطويل]:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ[1] ....

---

(١) على عرفات للطعان عوابس ... بهن كلوم بين دام وجالب
إذا استنزلوا للطعن عنهن أرقلوا ... إلى الموت إرقال الجمال المصاعب
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب
للنابغة الذبياني يصف فرساناً على أفراس عارقات صابرات عوابس كوالح، فيهن جروح رطبة بالدم، وأخر يابسة، عليها جلبة، أي قشرة. وإذا التحم القتال واقتضى الحال نزولهم عن الخيل، أسرعوا نازلين عنهن بائعين أعمارهم، كإسراع الجمال المصاعب، جمع مصعب. تقول: أصعبت الجمل إذا تركته عن العمل حتى صار صعباً شديداً. والفلول انثلامات في حد السيف. والقراع: المضاربة. =

﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: هب لنا صبراً واسعاً وأكثره علينا، حتى يفيض علينا ويغمرنا، كما يفرغ الماء فراغاً، وعن بعض السلف: إن أحدكم ليفرغ على أخيه ذنوباً ثم يقول: قد مازحتك، أي: يغمره بالحياء والخجل، أو صب علينا ما يطهرنا من أوضار الآثام، وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون؛ لأنهم علموا أنهم إذا استقاموا وصبروا، كان ذلك مطهرة لهم، ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾: ثابتين على الإسلام.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَيَذَرَكَ﴾: عطف على: (يفسدوا)؛ لأنه إذا تركهم ولم يمنعهم، وكان ذلك مؤدّياً إلى ما دعوه فساداً، وإلى تركه، وترك آلهته، فكأنه تركهم لذلك، أو هو جواب للاستفهام بالواو، كما يجاب بالفاء؛ نحو قول الحطيئة [من الوافر]:

أَلَمْ أَكُ جَارَكُمْ وَيَكُونَ بَيْنِي ... وَبَيْنَكُمُ المَوَدَّةُ وَالإِخَاءُ[1]

والنصب بإضمار «أن» تقديره: أيكون منك ترك موسى، ويكون تركه إياك وآلهتك.

وقرىء: «ويذرك وآلهتك» بالرفع عطفاً على أتذر موسى، بمعنى: أتذره وأيذرك، يعني: تطلق له ذلك، أو يكون مستأنفاً أو حالاً على معنى: أتذره، وهو يذرك وآلهتك.

وقرأ الحسن: «ويذرك» بالجزم، كأنه قيل: يفسدوا، كما قرىء: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾؛ كأنه قيل: أصدّق، وقرأ أنس ـ رضي الله عنه ـ: «ونذرك»، بالنون والنصب، أي: يصرفنا عن عبادتك فنذرها.

وقرىء: ويذرك وإلاهتك، أي: عبادتك، وروي أنهم قالوا له ذلك؛ لأنه وافق السحرة على الإيمان ستمائة ألف نفس، فأرادوا بالفساد في الأرض ذلك، وخافوا أن يغلبوا على الملك، وقيل: صنع فرعون لقومه أصناماً وأمرهم أن يعبدوها؛ تقرباً إليه، كما يعبد عبدة الأصنام الأصنام، ويقولون: ليقربونا إلى الله زلفى، ولذلك قال: «أنا ربكم

= والكتائب: الجماعات، والبيت من استتباع المدح بما يشبه الذم، أي إن كانت فلول السيف من ذلك عيباً، فأثبته، وهي ليست عيباً فلا عيب فيهم قط. وهو مبالغة في المدح.

ينظر ديوانه ص ٤٤، والأزهيّة ص ١٨٠، وإصلاح المنطق ص ٢٤، وخزانة الأدب ٣/ ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٤، والدرر ٣/ ١٧٣، وشرح شواهد المغني ص ٣٤٩، والكتاب ٢/ ٣٢٦، ومعاهد التنصيص ٣/ ١٠٧، وهمع الهوامع ١/ ٢٣٢، وبلا نسبة في الصاحبي في فقه اللغة ص ٢٦٧، ولسان العرب (قرع)، (فلل)، ومغني اللبيب ص ١١٤.

(١) تقدم شرح هذا الشاهد.

الأعلى»، ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾/ ٢٥١أ يعني: سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الأبناء، ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر، وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا، وأن غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا واستيلائنا، ولئلا يتوهم العامة أنه هو المولود الذي أخبر المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده، فيثبطهم ذلك عن طاعتنا، ويدعوهم إلى اتباعه، وأنه منتظر بعد.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: قال لهم ذلك ـ حين قال فرعون: سنقتل أبناءهم فجزعوا منه وتضجروا ـ يسكنهم، وتسليهم، ويعدهم النصرة عليهم، ويذكر لهم ما وعد الله بني إسرائيل من إهلاك القبط، وتوريثهم أرضهم وديارهم.

فإن قلت: لم أخليت هذه الجملة عن الواو، وأدخلت على التي قبلها؟

قلت: هي جملة مبتدأة مستأنفة، وأمّا: (وقال الملأ): فمعطوفة على ما سبقها من قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾: يجوز أن تكون اللام للعهد، ويراد أرض مصر خاصة؛ كقوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزمر: ٧٤] وأن تكون للجنس فيتناول أرض مصر؛ لأنها من جنس الأرض، كما قال ضمرة: إنما المرء بأصغريه، فأراد بالمرء الجنس، وغرضه أن يتناوله تناولاً أولياً، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط، وأن المشيئة متناولة لهم، وقرأ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾: بالنصب: أبيّ وابن مسعود، عطفاً على الأرض.

﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾: يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى ـ عليه السلام ـ إلى أن استنبىء، وإعادته عليهم بعد ذلك، وما كانوا يستعبدون به، ويمتهنون فيه من أنواع الخدم، والمهن، ويمسون به من العذاب، ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾: تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل، وكشف عنه، وهو إهلاك فرعون، واستخلافهم بعده في أرض مصر، ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: فيرى الكائن منكم من العمل حسنه، وقبيحه، وشكر النعمة، وكفرانها، ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم، وعن عمرو بن عبيد ـ رحمه الله ـ أنه دخل على المنصور قبل الخلافة، وعلى مائدته رغيف أو رغيفان، فطلب زيادة لعمرو فلم توجد، فقرأ عمرو هذه الآية، ثم دخل عليه بعد ما استخلف، فذكر له ذلك، وقال: قد بقي فينظر كيف تعملون.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿بِٱلسِّنِينَ﴾: بسني القحط، و«السنة»: من الأسماء الغالبة كالدابة، والنجم، ونحو ذلك، وقد اشتقوا منها، فقالوا: أسنت القوم، بمعنى: أقحطوا، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أما «السنون» فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم، وأمّا «نقص الثمرات»: فكان في أمصارهم، وعن كعب: يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمرة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: فيتنبهوا على أن ذلك لإصرارهم/ ٢٥١ب على الكفر[١]، وتكذيبهم لآيات الله، ولأن الناس في حال الشدّة أضرع خدوداً، وألين أعطافاً، وأرق أفئدة، وقيل: عاش فرعون أربعمائة سنة، ولم ير مكروهاً في ثلثمائة وعشرين سنة، ولو أصابه في تلك المدّة، وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية.

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾: من الخصب والرخاء، ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾: أي: هذه مختصة بنا، ونحن مستحقوها، ولم نزل في النعمة والرفاهية، واللام مثلها في قولك؛ الجل للفرس، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: من ضيقة وجدب، ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾: يتطيروا بهم، ويتشاءموا، ويقولوا: هذه بشؤمهم، ولولا مكانهم لما أصابتنا، كما قالت الكفرة لرسول الله ـ ﷺ ـ: هذه من عندك.

فإن قلت: كيف قيل؟ فإذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة[٢]، وإن تصبهم سيئة بإنّ وتنكير السيئة؟

قلت: لأنّ جنس الحسنة، وقوعه كالواجب؛ لكثرته واتساعه، وأمّا السيئة فلا تقع إلا في الندرة، ولا يقع إلا شيء منها؛ ومنه قول بعضهم: قد عددت أيام البلاء، فهل عددت أيام الرخاء؟ ﴿طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: سبب خيرهم، وشرهم عند الله، وهو حكمه ومشيئته،

---

(١) قال محمود: «معنى لعلهم يذكرون: يتنبهون لأن ذلك كان لإصرارهم... إلخ» قال أحمد: دلت اللام على دعواهم استحقاق الحسنة. وأما دعوى اختصاصها بهم حتى لا يشركهم فيها أحد فدل عليه تقدير الخبر الذي هو لنا، وقد علمت طريقة المصنف في إسناده الحصر من تقديم ما حقه أن يؤخر كالمفعول والخبر ونحوه.

(٢) عاد كلامه. قال: فإن قلت: «كيف قيل فإذا جاءتهم الحسنة... إلخ» قال أحمد: وقد ورد: ﴿ إِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ فلم يراع فرق ما بينهما، ولعل بين سياق الآيتين اختلافاً أوجب في كل واحد منهما ما ذكر فيه.

والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة، وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، ويجوز أن يكون معناه: ألا إنما سبب شؤمهم عند الله، وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لأجله، ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله سبحانه: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا . . .﴾ [غافر: ٤٦]، الآية، ولا طائر أشأم من هذا.

وقرأ الحسن: «إنما طيركم عند الله»، وهو اسم لجمع طائر غير تكسير، ونظيره، التجر، والركب، وعند أبي الحسن: هو تكسير.

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿وَمَهْمَا﴾: هي ما المضمنة معنى الجزاء(١)، ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء

---

(١) قال محمود: «مهما هي «ما» المضمنة معنى الجزاء ضمت إليها «ما» المزيدة المؤكدة للجزاء. . . إلخ» قال أحمد: والذي عده أولاً من كلام سيبويه، وسنذكره: قال سيبويه: وسألت الخليل عن مهما فقال: هي «ما» أدخلت معها «ما»، بلغو بمنزلتها مع متى، إذا قلت: متى ما تأتني حدثتك. انتهى كلام سيبويه. وكأن هذا القائل ـ والله أعلم ـ اغتر بتشبيه الخليل لها بمتى ما، فظنها في معناها. وإنما شبه الخليل بالثانية من مهما في لحاقها زائدة مؤكدة للأولى بما اللاحقة لمتى. عاد كلام سيبويه قال: ولكنهم استقبحوا تكرير لفظ واحد، فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى انتهى نقله عن الخليل. قال سيبويه: ويجوز أن تكون كإذ ضمت إليها ما انتهى كلامه. قال أحمد: ومعنى تشبيه سيبويه لها بإذما أن الجزاء بجملة الكلمة لا بالجزء الأول منها خاصة وإلا لكان عين مذهب الخليل. والذي يحقق ذلك أن سيبويه قال أول هذا الباب: وأما «حيث» و«إذ» فلا يجازى بهما حتى يضم إليهما ما، فتصير إذ مع ما بمنزلة إنما وكأنما، وليست ما فيهما بلغو، ولكن كل واحدة منهما مع ما بمنزلة حرف واحد، فانظر قوله: وليست ما فيهما بلغو، يعني ليست زائدة مؤكدة، ولكن لها حظ في اقتضاء الجزاء حتى لا يفيده إلا اجتماع جزئي الكلمة ويبقى وراء ذلك نظر في أن سيبويه هل أراد أن «ما» ضمت إلى «مه» التي هي الصوت، أو إلى «ما» الجزائية. والظاهر من مراده أن انضمامها إلى الصوت، لأنها لو كانت منضمة إلى «ما» الجزائية، لكانت مستقلة بإفادة الجزاء قبل انضمام «ما» إليها، ولا تكون مثل إذا وحيث، ولا يكون تنظير سيبويه مطابقاً. وهذا الذي فهمه ابن طاهر وتبعه فيه تلميذه ابن خروف. وعزا ابن خروف هذا المذهب إلى سيبويه، ورد قول ابن بابشاذ أن هذا المذهب للخليل خاصة، وقد تواطأ ابن بابشاذ والزمخشري على نفي هذا المذهب عن سيبويه، وإعزائه إلى غيره. وأظهر ما قوى به مذهب الخليل ـ والله أعلم ـ أن هذه الكلمة استعملت في الاستفهام حسب استعمالها في الجزاء وأنشدوا [من الرجز]:

مهما لي الليلة مهما ليه ... أودى بنعلي وسرباليه

أراد: مالي الليلة، ولا إشكال ههنا أنها «ما» الاستفهامية كررت تأكيداً، كما يقولون: لا لا، ونعم نعم، ثم استكره تكرار اللفظ بعينه، فقلبت ألف الأولى هاء. وقد جاء قلب الاستفهامية وإن لم يكن =

في قولك: متى ما تخرج أخرج، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّكُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾: إلا أنّ الألف قلبت هاء استثقالاً لتكرير المتجانسين، وهو المذهب السديد البصري، ومن الناس من زعم أن «مه»: هي الصوت الذي يصوت به الكاف، و«ما» للجزاء، كأنه قيل: كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين.

فإن قلت: ما محل مهما؟

قلت: الرفع بمعنى: أيما شيء تأتنا به، أو النصب، بمعنى: أيما شيء تحضرنا[١] تأتنا به، ومن آية: تبيين لمهما، والضميران في (به) و(بها): راجعان إلى مهما، إلا أنّ أحدهما ذكر على اللفظ، والثاني آنث على المعنى؛ لأنه في معنى الآية؛ ونحوه قول زهير [من الطويل]:

[وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ امْرِىءٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَىٰ عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ[٢]

وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية، فيضعها غير موضعها، ويحسب مهما بمعنى متى ما، ويقول مهما جئتني/ ٢٥٢أ أعطيتك، وهذا من وضعه، وليس من كلام واضع العربية في شيء، ثم يذهب فيفسر: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾: بمعنى الوقت، فيلحد في آيات الله، وهو لا يشعر، وهذا وأمثاله مما يوجب الجثوّ

= تكرار، فهو معه أجدر. وإذا وضح أن «مهما» الواقعة في الاستفهام أصلها «ما» مكررة، كان ذلك أوضح دليل على أن الواقعة في الجزاء كذلك، والاستشهاد بالنظائر أميز حجج العربية، والله أعلم. وأما رد الزمخشري على من زعم أنها بمعنى «متى ما» فرد صحيح، والآية أصدق شاهد على رده، فإن الضمير المجرور فيها عائد إلى مهما حتماً، وقد اتصل به مفسراً له قوله (من آية) دل على أن الضمير واقع على الآية، فلزم وقوع «مهما» عليها ضرورة إيجاد المرجع في المضمر ومظهره، فذهاب هذا القائل إلى إيقاع «مهما» على الوقت زاعماً أنها بمعنى «متى ما» ذهاب عن الصواب. وعذر الزمخشري واضح في الرد على تسجيله وإغلاظ النكير عليه، وتفويق سهام التشنيع إليه. فتأمل هذا الفصل، ففيه إنارة للسبيل، وشفاء للغليل، والله الموفق.

(١) قوله: «أيما شيء تحضرنا» لعله تحضر فقط.

(٢) لزهير بن أبي سلمى من معلقته. ومهما: اسم شرط بمعنى أي شيء على المختار، فلذلك يعود عليه الضمير، ثم إن كان المراد به مؤنثاً كما هنا، فتارة يعود عليه الضمير مذكراً باعتبار اللفظ كما في قوله: «يكن» وتارة مؤنثاً باعتبار المعنى كما في قوله: «وإن خالها» ولم يجعل هذا عائداً على الخليقة، لأن «مهما» هو المحدث عنه، و«من خليقة» بيان له. ولما بين بالمؤنث حسن تأنيث ضميره بعد بيانه. يقول: أي طبيعة وسجية تكون في الإنسان تعلم للناس بأماراتها، وإن ظنها خافية عليهم.
ينظر: ديوانه ص (٣٢)، الجنى الداني ص (٦١٢)، الدرر (٤/ ١٨٤)، (٥/ ٨٢)، شرح وشواهد المغني ص (٣٨٦)، (٧٣٨)، (٧٤٣)، وشرح قطر الندى ص (٣٧)، ومغني اللبيب ص (٣٣٠)، شرح الأشموني (٣/ ٥٧٩)، همع الهوامع (٢/ ٣٥، ٥٨).

بين يدي الناظر في كتاب سيبويه.

فإن قلت: كيف سموها آية، ثم قالوا لتسحرنا بها؟

قلت: ما سموها آية لاعتقادهم أنها آية؛ وإنما سموها اعتباراً لتسمية موسى، وقصدوا بذلك الاستهزاء، والتلهي، ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾: ما طاف بهم، وغلبهم من مطر أو سيل، قيل: طغى الماء فوق حروثهم، وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة، لا يرون شمساً ولا قمراً، ولا يقدر أحدهم أن يخرج من داره، وقيل: أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون، وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة، فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، فمن جلس غرق، ولم تدخل بيوت بني إسرائيل قطرة، وفاض الماء على وجه أرضهم، وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف، ودام عليهم سبعة أيام، وعن أبي قلابة: «الطوفان»: الجدري، وأهو أوّل عذاب وقع فيهم، فبقي في الأرض، وقيل: هو «الموتان»[1] وقيل: الطاعون، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك، فدعا فرفع عنهم، فما آمنوا، فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد بمثله، فأقاموا شهراً، فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم، ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب، وسقوف البيوت، والثياب، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء، ففزعوا إلى موسى ووعدوه التوبة، فكشف عنهم بعد سبعة أيام: خرج موسى ـ عليه السلام ـ إلى الفضاء، فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب، فرجع الجراد إلى النواحي التي جاء منها، فقالوا: ما نحن بتاركي ديننا فأقاموا شهراً، فسلط الله عليهم القُمَّلَ، وهو الحنان في قول أبي عبيدة كبار القردان، وقيل: الدبا، وهو أولاد الجراد، قيل: نبات أجنحتها، وقيل: البراغيث، وعن سعيد بن جبير: السوس، فأكل ما أبقاه الجراد، ولحس الأرض، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه، وكان يأكل أحدهم طعاماً فيمتلىء قملاً، وكان يخرج أحدهم عشرة أجربة إلى الرحى فلا يرد منها إلا يسيراً، وعن سعيد بن جبير، أنه كان إلى جنبهم كثيب أعفر، فضربه موسى بعصاه، فصار قملاً، فأخذت في أبشارهم، وأشعارهم، وأشفار عيونهم وحواجبهم، ولزم جلودهم كأنه الجدري، فصاحوا، وصرخوا، وفزعوا إلى موسى، فرفع عنهم، فقالوا: قد تحققنا الآن أنك ساحر، وعزة فرعون لا نصدقك أبداً، فأرسل الله عليهم بعد شهر الضفادع، فدخلت بيوتهم، وامتلأت منها آنيتهم وأطعمتهم، ولا يكشف أحد شيئاً من ثوب، ولا طعام، ولا شراب إلا وجد فيه الضفادع، وكان الرجل إذا أراد أن يتكلم، وثبت/ ٢٥٢ب الضفدع إلى فيه، وكانت

---

(١) قوله: «وقيل هو الموتان» في الصحاح: الموتان ـ بالضم: موت يقع في الماشية. وفيه أيضاً: الطاعون الموت الوحي من الوباء. وفيه: الوحي، على فعيل: السريع.

تمتلىء منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد، وكانت تقذف بأنفسها في القدور وهي تغلي، وفي التنانير وهي تفور، فشكوا إلى موسى، وقالوا: ارحمنا هذه المرة، فما بقي إلا أن نتوب التوبة النصوح ولا نعود، فأخذ عليهم العهود، ودعا فكشف الله عنهم، ثم نقضوا العهد، فأرسل الله عليهم الدم، فصارت مياههم دماً، فشكوا إلى فرعون، فقال: إنه سحركم فكان يجمع بين القبطي والإسرائيلي على إناء واحد، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء، وما يلي القبطي دماً، ويستقيان من ماء واحد، فيخرج للقبطي الدم، وللإسرائيلي الماء، حتى إن المرأة القبطية تقول لجارتها الإسرائيلية: اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ، فيصير الماء في فيها دماً، وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك، فكان يمص الأشجار الرطبة، فإذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحاً أجاجاً، وعن سعيد بن المسيب: سال عليهم النيل دماً، وقيل: سلط الله عليهم الرعاف، وروي أنّ موسى ـ عليه السلام ـ مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات، وروي أنه لما أراهم اليد، والعصا، ونقص النفوس، والثمرات، قال: يا رب، إنّ عبدك هذا قد علا في الأرض، فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة، ولقومي عظة، ولمن بعدي آية، فيحنئذ بعث الله عليهم الطوفان، ثم الجراد، ثم ما بعده من النقم؛ وقرأ الحسن: «والقَمْلُ»، بفتح القاف وسكون الميم، يريد «القمل» المَعروف، ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: نصب على الحال، ومعنى مفصلات: مبينات، ظاهرات، لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره، وأنها عبرة لهم، ونقمة على كفرهم، أو فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه أحوالهم، وينظر أيستقيمون على ما وعدوا من أنفسهم، أم ينكثون؛ إلزاماً للحجة عليهم؟

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ﴾: ما مصدرية، والمعنى بعهده عندك وهو النبوّة، والباء إمّا أن تتعلق بقوله: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ على وجهين: أحدهما أسعفنا إلى ما نطلب إليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوّة، أو ادع الله لنا متوسلاً إليه بعهده عندك، وإمّا أن يكون قسماً مجاباً بلنؤمنن، أي: أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك، ﴿﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ إلى حد من الزمن هم بالغوه، لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم، ما تقدم لهم من الإمهال، وكشف العذاب إلى حلوله. ﴿إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾:

جواب «لما»، يعني: فلما كشفناه عنهم فاجاؤا النكث، وبادروا لم يؤخروه، ولكن كما كشف عنهم نكثوا، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: فأردنا الانتقام منهم، ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾، «واليم»: البحر الذي لا يدرك قعره، وقيل/ ٢٥٣أ: هو لجة البحر ومعظم مائه، واشتقاقه من التيمم؛ لأن المستنفعين به يقصدونه، ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات، وغفلتهم عنها، وقلة فكرهم فيها.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾: هم بنو إسرائيل، كان يستضعفهم فرعون وقومه، والأرض: أرض مصر والشام، ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة، وتصرفوا كيف شاءوا في أطرافها، ونواحيها الشرقية والغربية، ﴿بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالخصب وسعة الأرزاق ﴿كلمت ربك الحسنى﴾ قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، إلى قوله: ﴿مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾ والحسنى: تأنيث الأحسن صفة للكلمة، ومعنى «تمت على بني إسرائيل»: مضت عليهم، واستمرت من قولك: تَمَّ على الأمر إذا مضى عليه، ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾: بسبب صبرهم، وحسبك به حاثاً على الصبر، ودالاً على أنّ من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه، ومن قابله بالصبر، وانتظار النصر ضمن الله له الفرج، وعن الحسن: عجبت ممن خف كيف خف، وقد سمع قوله، وتلا الآية، ومعنى «خف»: طاش جزعاً وقلة صبر، ولم يرزن رزانة أولى الصبر، وقرأ عاصم في رواية: «وتمت كلمات ربك الحسنى»؛ ونظيره: ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾: ما كانوا يعملون، ويسوّون من العمارات وبناء القصور، ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾: من الجنات، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١]: أو وما كانوا يرفعون من الأبنية المشيدة في السماء، كصرح هامان وغيره.

وقرىء: «يعرشون»، بالكسر والضم، وذكر اليزيدي أن الكسر أفصح، وبلغني أنه قرأ بعض الناس: «يغرسون»، من غرس الأشجار، وما أحسبه إلا تصحيفاً منه.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

وهذا آخر ما اختصّ الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله، وظلمهم،

ومعاصيهم ثم أتبعه اقتصاص نبأ بني إسرائيل وما أحدثوه ـ بعد إنقاذهم من ملكة فرعون واستعباده، ومعاينتهم الآيات العظام، ومجاوزتهم البحر ـ من عبادة البقر، وطلب رؤية الله جهرة، وغير ذلك من أنواع الكفر والمعاصي، وليعلم حال الإنسان، وأنه كما وصفه ظلوم، كفار، جهول، كنود، إلا من عصمه الله، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وليسلي رسول الله ـ ﷺ ـ مما رأى من بني إسرائيل بالمدينة، وروي أنه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله ـ تعالى ـ فرعون وقومه، فصاموه شكراً لله، تعالى، ﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: فمرّوا عليهم، ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾: يواظبون على عبادتها ويلازمونها، قال ابن جريج: كانت تماثيل بقر: وذلك أوّل شأن العجل، وقيل: كانوا قوماً من لخم، وقيل: كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى ـ عليه السلام ـ بقتالهم،/ ٢٥٣ب وقرىء: «وجوّزنا»، بمعنى أجزنا، يقال: أجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه؛ كقولك: أعلاه وعلاه وعالاه؛ وقرىء: «يعكُفون»، بضم الكاف وكسرها ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾: صنماً نعكف عليه، ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾: أصنام يعكفون عليها، و«ما» كافة للكاف؛ ولذلك وقعت الجملة بعدها، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أنّ يهوديًا قال له: اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجفّ ماؤه، فقال: قلتم: اجعل لنا إلهاً قبل أن تجفّ أقدامكم، ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى، فوصفهم بالجهل المطلق وأكده؛ لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع، ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: عبدة تلك التماثيل، ﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾: مدمّر مكسر ما هم فيه، من قولهم: إناء متبر، إذا كان فضاضاً[1]، ويقال لكسار الذهب: التبر، قوله: يتبر الله، ويهدم دينهم الذي هم عليه على يديّ، ويحطم أصنامهم هذه ويتركها رضاضاً، ﴿وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: ما عملوا شيئاً من عبادتها فيما سلف إلا وهو باطل، مضمحل، لا ينتفعون به، وإن كان في زعمهم تقرباً إلى الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، وفي إيقاع (هؤلاء) اسماً لإن، وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبراً لها وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار، وأنه لا يعدوهم ألبتة، وأنه لهم ضربة لازب، ليحذرهم عاقبة ما طلبوا، ويبغض إليهم ما أحبوا، ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا﴾: أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبوداً، وهو فعل بكم ما فعل دون غيره، من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحداً غيركم، لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره، ومعنى الهمزة: الإنكار والتعجب من طلبتهم ـ مع كونهم مغمورين في نعمة الله ـ عبادة غير الله.

---

(١) قوله: «فضاضا» أي فتاتا كالرضاض. أفاده الصحاح.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: يبغونكم شدّة العذاب، من سام السلعة إذا طلبها.

فإن قلت: ما محل يسومونكم؟

قلت: هو استئناف لا محلّ له، ويجوز أن يكون حالاً من المخاطبين أو من آل فرعون، و﴿ذَٰلِكَ مِن﴾: إشارة إلى الإنجاء أو إلى العذاب، «والبلاء»: النعمة أو المحنة، وقرىء: يقتلون، بالتخفيف.

﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

وروي أن موسى ـ عليه السلام ـ وعد بني إسرائيل، وهو بمصر إن أهلك الله عدوّهم، أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما هلك فرعون، سأل مُوسى ربه الكتاب، فأمره بصوم ثلاثين يوماً، وهو شهر ذي القعدة، فلما أتم الثلاثين، أنكر خلوف فيه فسوك، فقالت الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك.

وقيل: أوحى الله ـ تعالى ـ إليه: أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي/ ٢٥٤أ من ريح المسك، فأمره الله ـ تعالى ـ أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك.

وقيل: أمره الله أن يصوم ثلاثين يوماً، وأن يعمل فيها بما يقرّبه من الله، ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها، ولقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة، وفصلها ههنا، و﴿مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾: ما وقته له من الوقت وضربه له، و﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: نصب على الحال، أي: تمّ بالغاً هذا العدد(١)، و﴿وَهَٰرُونَ﴾: عطف بيان لأخيه.

وقرىء: بالضم على النداء، ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾: كن خليفتي فيهم، ﴿وَأَصْلِحْ﴾: وكن

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «فعلى هذا لا تكون الحال «أربعين»، بل الحال هذا المحذوف، فينافي قوله». قلتُ: لا تنافي فيه؛ لأن النحاة لم يزالوا ينسبون الحكم للمعمول الباقي بعد حذف عامله المنوب عنه، وله شواهد منها: زيد في الدار، أو عندك، فيقولون: الجار والظرف خبر، والخبر في الحقيقة إنما هو الحدث المقدر العامل فيهما، وكذا يقولون: جاء زيد بثيابه، فـ ثيابه حال، والحال إنما هو العامل فيه إلى غير ذلك. وقدره الفارسي بـ «معدوداً»، قال: كقولك: تمّ القومُ عشرينَ رجلاً، أي: «معدودين هذا العدد». وهو تقدير حسن. انتهى. الدر المصون.

مصلحاً، أو: وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل، ومن دعاك منهم إلى الإفساد، فلا تتبعه ولا تطعه.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿لِمِيقَٰتِنَا﴾: لوقتنا الذي وقتنا له وحدّدنا، ومعنى «اللام»: الاختصاص، فكأنه قيل: واختص مجيئه بميقاتنا، كما تقول: أتيته لعشر خلون من الشهر، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: من غير واسطة[1]، كما يكلم الملك، وتكليمه: أن يخلق الكلام[2] منطوقاً به في بعض الأجرام، كما خلقه مخطوطاً في اللوح، وروي: أن موسى ـ عليه السلام ـ كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: كلمه أربعين يوماً، وأربعين ليلة، وكتب له الألواح. وقيل: إنما كلمه في أول الأربعين، ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾: ثاني مفعولي «أرني» محذوف[3]، أي: أرني نفسك أنظر إليك.

---

(١) قال محمود: «معناه كلمة من غير واسطة... إلخ» قال أحمد: وهذا تصريح منه بخلق الكلام، كما هو معتقد المعتزلة، والذي يخص به هذه الآية من وجوه الرد عليه: أنها سيقت مساق الامتنان على موسى باصطفاء الله له وتخصيصه إياه بتكليمه، وكذلك قال تعالى بعد آيات منها ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ فلو كان تكليم الله له بمعنى خلق الحروف والأصوات في بعض الأجرام واستماع موسى لذلك، لكان كل أحد يساوي موسى عليه السلام في ذلك، بل كان آحاد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام آثر بهذه المزية وأحق بالخصوصية من موسى عليه السلام؛ لأنهم سمعوا الكلام على الوجه المذكور من أفضل الأجرام وأزكاها خلقاً في رسول الله ﷺ، وكانت مزيتهم أظهر وخصوصيتهم أوفر. ونحن نعلم ضرورة من سياق هذه الآية تمييز موسى عليه الصلاة والسلام بهذه المزية، فلا يحمل لذلك إلا اعتقاد أنه سمع الكلام القديم القائم بذات الله سبحانه وتعالى بلا واسطة دليل عليه من حروف ولا غيرها، وكما أجزنا من المعقول أن ترى ذات الباري سبحانه وتعالى وإن لم يكن جسماً، فكذلك نجيز أن يسمع كلامه وإن لم يكن حرفاً ولا صوتاً. والكلام في هذه العقيدة طويل، والشوط بطين. وهذه النكتة هي الخاصة بهذه الآية، والله الموفق.

(٢) قوله: «وتكليمه أن يخلق الكلام» هذا على مذهب المعتزلة: أن كلامه تعالى ألفاظ يخلقها الله في بعض الأجرام. أما على مذهب أهل السنة، فإن كلامه تعالى صفة قديمة قائمة بذاته، فتكليمه لعبده أن يكشف له عنها، كما تقرر في علم التوحيد.

(٣) عاد كلامه. قال: «وقوله أرني أنظر إليك محذوف المفعول الأول مذكور الثاني، والتقدير أرني نفسك أنظر إليك... إلخ» قال أحمد: ما أشد ما اضطرب كلامه في هذه الآية، لأن غرضه أن يدحض الحق بالضلالة، ويشين بكفه وجه الغزالة، هيهات قد تبين الصبح لذي عينين، فالحق أبلج لا يمازجه ريب إلا عند ذي رين. أما حظ المعقول من إجازة رؤية الله تعالى فوظيفة علم الكلام، =

فإن قلت: الرؤية عين النظر، فكيف قيل: أرني أنظر إليك؟

قلت: معنى أرني نفسك، اجعلني متمكناً من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك.

فإن قلت: فكيف قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ولم يقل: «لن تنظر إليّ»، لقوله: (أنظر إليك)؟

قلت: لما قال: (أرني) بمعنى: أجعلني متمكناً من الرؤية التي هي الإدراك، علم أن الطلبة هي الرؤية[(١)]، لا النظر الذي لا إدراك معه، فقيل: «لن تراني»، ولم يقل: «لن تنظر إليّ».

فإن قلت: كيف طلب موسى ـ عليه السلام ـ ذلك ـ وهو من أعلم الناس بالله وما يجوز عليه وما لا يجوز، وبتعاليه عن الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواس، وذلك إنما يصحّ فيما كان في جهة، وما ليس بجسم، ولا عرض، فمحال أن يكون في جهة، ومنعُ المجبرة إحالته[(٢)] في العقول غير لازم؛ لأنه ليس بأوّل مكابرتهم وارتكابهم، وكيف يكون

= وأخصر وجه في إجادة ذلك: أن الوجود مصحح الرؤية، بدليل أن جواز الرؤية حكم يستدعي مصححاً. وقد شمل الجواز الجوهر والعرض، ولا جامع بينهما يمكن جعله مصححاً سوى الوجود، وإذا كان الوجود هو المصحح فقد صحت رؤيته تعالى لوجوده. وأما استبعاد أن يرى ما ليس في جهة فأمر وهمي مثله عرض للمعطلة فعميت بصائرهم، حتى أنكروا موجوداً لا في جهة، ومن اتبع الأوهام اغتسق مهامه الضلال وهام، ولو كانت الرؤية تتوقف على جهة المرئي لكانت المعرفة تتوقف على جهة المعروف، ولا خلاف أنه سبحانه يعرف لا في جهة، فكذلك يرى لا في جهة، فالحق أن موسى عليه السلام إنما طلب الرؤية لنفسه، لعلمه بجواز ذلك على الله تعالى، والقدرية يجبرهم الطمع ويجرؤهم حتى يروموا أن يجعلوا موسى عليه السلام كان على معتقدهم، وما هم حينئذ إلا ممن آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً، وأما قوله عليه السلام: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ تبرياً من أفاعيلهم وتسفيهاً لهم وتضليلاً لرأيهم، فلا راحة للقدرية في الاستشهاد به على إنكار موسى عليه السلام لجواز الرؤية، فإن الذي كان الإهلاك بسببه إنما هو عبادة العجل في قول أكثر المفسرين ثم. وإن كان السبب طلبهم للرؤية، فليس لأنها غير جائزة على الله. ولكن لأن الله تعالى أخبر أنها لا تقع في دار الدنيا والخبر صدق، وذلك بعد سؤال موسى للرؤية فلما سألوا وقد سمعوا الخبر بعدم وقوعها، كان طلبهم خلاف المعلوم تكذيباً للخبر، فمن ثم سفههم موسى عليه السلام وتبرأ من طلب ما أخبر الله أنه لا يقع ثم، ولو كان سؤالهم الرؤية قبل إخبار الله تعالى بعدم وقوعها، فإنما سفههم موسى عليه السلام لاقتراحهم على الله هذه الآية الخاصة، وتوقيفهم الإيمان عليها حيث قالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) ألا ترى أن قولهم ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ إنما سألوا فيه جائزاً، ومع ذلك قرعوا به لاقتراحهم على الله ما لا يتوقف وجوب الإيمان عليه، فهذه المباحث الثلاثة توضح لك سوء نظر الزمخشري بعين الهوى وعمايته عن سبيل الهدى، والله الموفق.

(١) قوله: «أن الطلبة هي الرؤية» في الصحاح «الطلبة» بكسر اللام: ما طلبته من شيء.

(٢) قوله: «ومنع المجبرة إحالته» يعني أهل السنة، حيث ذهبوا إلى جواز رؤيته تعالى ومنعوا اشتراط =

طالبه وقد قال ـ حين أخذت الرجفة الذين قالوا: أرنا الله جهرة ـ ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ إلى قوله: ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾: فتبرأ من فعلهم، ودعاهم سفهاء وضلالا ـ؟

قلت: ما كان طلب الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالاً، وتبرأ من فعلهم، وليلقمهم الحجر؛ وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ، ونبههم على الحق، فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا: لا بدَّ، ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك، وهو قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾: ليتيقنوا/ ٢٥٤ب وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة؛ فلذلك قال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾.

فإن قلت: فهلا قال: أرهم ينظروا إليك[1]؟

قلت: لأنّ الله سبحانه إنما كلم موسى ـ عليه السلام ـ وهم يسمعون، فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه، كما أسمعه كلامه فسمعوه معه؛ إرادة مبنية على قياس فاسد؛ فلذلك قال موسى: «أرني أنظر إليك»، ولأنه إذا زجر عما طلب، وأنكر عليه في نبوّته واختصاصه وزلفته عند الله ـ تعالى ـ وقيل له: لن يكون ذلك، كان غيره أولى بالإنكار، ولأنّ الرسول إمام أمته، فكان ما يخاطب به أو ما يخاطب راجعاً إليهم، وقوله: ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾، وما فيه من معنى المقابلة[2] التي هي محض التشبيه

= كون المرئي في جهة. قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ والجائز قد ينتفي في بعض الأوقات ويقع في بعض. والحديث كما سيأتي «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» ومحل الكلام علم الكلام.

(١) عاد كلامه. قال: فإن قلت: هلا قال أرهم ينظروا إليك... إلخ»؟ قال أحمد: وهذا الكلام الآخر من الطراز الأول، وأقرب شاهد على رده أنه لو كان طلب الرؤية لهم حتى إذا سمعوا منع الله تعالى لها أيقنوا أنها ممتنعة لكان طلبها عبثاً غير مفيد لهذا الغرض، لأن هؤلاء لا يخلو أمرهم. إما أن يكونوا مؤمنين بموسى، أو كفاراً به، فإن كانوا مؤمنين به، فإخباره إياهم بأن الله تعالى لا يرى ولا يجوز عليه ذلك، كاف في حصول المقصود من غير حاجة إلى أن يسأل موسى عليه السلام من الله أن يريه ذاته، على علم بأن ذلك محال. وإن كانوا كفاراً بموسى عليه السلام فلا يحصل الغرض من ذلك أيضاً؛ لأن الله تعالى إذا منعه مسؤوله من الرؤية، فإنما يثبت ذلك لهم بقول موسى عن الله تعالى أنه منعه ذلك، وهم كفار بموسى عليه السلام، فكيف يفيدهم غيره عن الله بامتناع ذلك؟ فهذا أوضح مصداق؛ لأن موسى عليه السلام إنما طلب الرؤية لنفسه اعتقاداً لجوازها على الله تعالى، فأخبره الله أن ذلك لا يقع في الدنيا إن كان جائزاً.

(٢) عاد كلامه: قال: «وقوله أنظر إليك وما فيه من معنى المقابلة... إلخ» قال أحمد: ودعواه أن النظر يستلزم الجسمية قد سلف ردها. وأما تنزيهه موسى عليه السلام بنسبة اعتقاد استحالة الرؤية إليه فهو غني عنه. وأما إقناعه في تفضيله برجحانه عليه السلام في العلم بالله وبصفاته على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبي الهذيل والشيخين، فهو نقص عن منصبه العلي، وأقل العوام المقلدين لأهل السنة، راجح عند الله على أصحاب البدع والأهواء، وإن ملؤا الأرض نفاقاً، وشحنوا =

والتجسيم، دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم، وجل صاحب الجمل أن يجعل الله منظوراً إليه، مقابلاً بحاسة النظر، فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله ـ تعالى ـ من واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، والنظام، وأبي الهذيل والشيخين، وجميع المتكلمين؟

فإن قلت: ما معنى: (لن)؟

قلت: تأكيد النفي الذي تعطيه: «لا»[1]، وذلك أن: «لا» تنفي المستقبل، تقول: لا أفعل غداً، فإذا أكدت نفيها، قلت: لن أفعل غداً، والمعنى: أنّ فعله ينافي حالي؛ كقوله: ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾: نفي للرؤية فيما يستقبل، ولن تراني تأكيد وبيان؛ لأنّ المنفي مناف لصفاته.

فإن قلت: كيف اتصل الاستدراك في قوله: ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ بما قبله؟

قلت: اتصل به على معنى أنّ النظر إليّ محال، فلاتطلبه، لكن عليك بنظر آخر: وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك، وبمن طلبت الرؤية لأجلهم، كيف أفعل به، وكيف أجعله دكًا بسبب طلبك الرؤية؟ لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره، كأنه ـ عزّ وعلا ـ حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد[2] إليه في قوله: ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: ٩٠، ٩١]، ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾: كما كان مستقراً ثابتاً ذاهباً[3] في جهاته، ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي﴾: تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار

= مصنفاتهم عناداً لأهل السنة وشقاقاً، فكيف بكليم الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت ما معنى لن؟ قلت تأكيد النفي الذي تعطيه لا... إلخ» قال أحمد: «لن» كما قال تشارك «لا» في النفي وتمتاز بمزية تأكيده. وأما استنباط الزمخشري من ذلك منافاة الرؤية لحال الباري عز وجل، ثم إطلاق الحال على الله تعالى مما يستحرز عنه. واستشهاده على أن «لن» تشعر باستحالة المنفي بها عقلاً، مردود كثيراً بكثير من الآي، كقوله تعالى ﴿قُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ فذلك لا يحيل خروجهم عقلاً، و﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾، ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾. فهذه كلها جائزات عقلاً، لولا أن الخبر منع من وقوعها، فالرؤية كذلك.

(٢) عاد كلامه. قال: «ثم حقق تعالى عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد... إلخ» قال أحمد: نسبة جواز الرؤية إلى الله تعالى عند الزمخشري كنسبة الولد إليه، وهذا مفرع على المعتقد السالف بطلانه، وليس له في هذا الفصل وظيفة إلا تتبع الشبه لامتناع الرؤية، تلقفها من كل فج. والحق أن دك الجبل إنما كان لأن الله عز وجل أظهر له آية من ملكوت السماء. ولا تستقر الدنيا لإظهار شيء من ملكوت السماء. وهذا هو المأثور عن السلف في هذه الآية. ومعناه عند أبي الحسن رحمه الله فعل فعلاً سماه تجلياً، وكان الغضب إما لأنهم طلبوا رؤية جسمانية في جهة، وإما لأنهم كتموا الخبر. بأنه لا يرى في الدنيا، وإما لأنهم كفروا بالاقتراح أو بالمجموع.

(٣) عاد كلامه: قال: «ومعنى فإن استقر مكانه: فإن ثبت كما كان ذاهباً... إلخ» قال أحمد: وهذا من =

الجبل مكانه حين يدكه دكًا ويسويه بالأرض، وهذا كلام مدمج بعضه في بعض، وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع؛ ألا ترى كيف تخلص من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك؟ ثم كيف بني الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية؟ أعني قوله: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾: فلما ظهر له اقتداره وتصدى له أمره وإرادته، ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ أي: مدكوكاً مصدر بمعنى مفعول كضرب الأمير، والدكّ والدقّ أخوان، كالشك والشق، وقرىء: «دكاء»،/ ٢٥٥أ والدكاء: اسم للرابية الناشزة من الأرض، كالدكة أو أرضاً دكاء مستوية، ومنه قولهم: ناقة دكاء متواضعة السنام، وعن الشعبي: قال لي الربيع بن خثيم: ابسط يدك دكاء، أي: مدّها مستوية، وقرأ يحيى بن وثاب: دكًا، أي: قطعاً، «دكًا»: جمع: دكاء، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾: من هول ما رأى، وصعق من باب: فعلته ففعل، يقال: صعقته فصعق، وأصله: من الصاعقة، ويقال لها: «الصاقعة»، من صقعه إذا ضربه على رأسه، ومعناه: خرّ مغشياً عليه غشية كالموت، وروي أنّ الملائكة مرّت عليه وهو مغشي عليه[1]، فجعلوا يلكزونه بأرجلهم، ويقولون: يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة؟ ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾: من صعقته، ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾: أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها، ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾: من طلب الرؤية، ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: بأنك لست بمرئيّ ولا مدرك بشيء من الحواس.

فإن قلت: فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته، فممّ تاب[2]؟

= حيل القدرية في إحالة الرؤية يقولون: قد علقها الله على شرط محال وهو استقرار الجبل حال دكه، والمعلق على المحال محال. وهذه حيلة باطلة، فإن المعلق عليه استقرار الجبل من حيث هو استقرار، وذلك ممكن جائز، وتعلق العلم بأنه لا يستقر له، لا يرفع إمكان استقراره، وتعلق العلم لا يغير المعلوم ولا ينقل حكمه من إمكان إلى امتناع ولا العكس. وحينئذ يتوجه دليلاً لأهل السنة فنقول: استقرار الجبل ممكن، وقد علق عليه وقوع الرؤية، والمعلق على الممكن ممكن، والمعتزلة يعتقدون أن خلاف المعلوم لا يجوز أن يكون مقدوراً ونحن نقول مقدورا، ولكن ما تعلقت المشيئة بإيجاده. وقولنا أقعد بالآداب، وأسعد بالإجلال في الخطاب.

(١) عاد كلامه: قال: «ومعنى وخر موسى صعقاً: وخر مغشيا عليه غشية كالموت وروي أن الملائكة مرت عليه... إلخ» قال أحمد: وهذه حكاية إنما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عوناً وظهراً على المعتقد الفاسد. والوجه التورك بالغلط على ناقلها وتنزيه الملائكة عليهم السلام من إهانة موسى كليم الله بالوكز بالرجل والغمص في الخطاب.

(٢) عاد كلامه: قال: «فإن قلت إن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب... إلخ»؟ قال أحمد: أما دك الجبل، فقد سلف الكلام على سره. وأما تسبيح موسى عليه السلام فلما تبين له من أن العلم قد سبق بعدم وقوع الرؤية في الدنيا، والله تعالى مقدس عن وقوع خلاف معلومه وعن الخلف في خبره الحق وقوله الصدق، فلما تبين أن مطلوبه كان خلاف المعلوم سبح الله وقدس علمه وخبره عن الخلف. وأما التوبة في حق الأنبياء فلا تستلزم كونها عن ذنب، لأن منصبهم =

قلت: من إجرائه تلك المقالة العظيمة، وإن كان لغرض صحيح على لسانه، من غير إذن فيه من الله ـ تعالى ـ فانظر إلى إعظام الله ـ تعالى ـ أمر الرؤية في هذه الآية، وكيف أرجف الجبل بطالبها وجعله دكًّا، وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان[1] ذلك؛ مبالغة على إعظام الأمر، وكيف سبح ربه ملتجئاً إليه، وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه، وقال: أنا أول المؤمنين، ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة[2]، كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً، ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة؛ فإنه من منصوبات أشياخهم؛ والقول ما قال بعض العدلية[3] فيهم [من الكامل]:

لَـجَـمَـاعَـةٌ سَـمَّـوْا هَـوَاهُـمْ سُـنَّـةً وَجَـمَـاعَـةٌ حُـمُـرٌ لَـعَـمْـرِي مُـوكَـفَـهْ
قَـدْ شَـبَّـهُـوهُ بِـخَـلْـقِـهِ وَتَـخَـوَّفُـوا شَـنْـعَ الْـوَرَىٰ فَـتَـسَـتَّـرُوا بِـالْـبَـلْـكَـفَـهْ[4]

وتفسير آخر: وهو أن يريد بقوله: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ عرّفني نفسك تعريفاً واضحاً جلياً، كأنها إراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك، ﴿أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾: أعرفك معرفة اضطرار؛ كأني أنظر إليك، كما جاء في الحديث: «سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ» (٦١٠) بمعنى: ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كإبصاركم

---

٦١٠ ـ أخرجه البخاري (٢/ ٤٠): كتاب مواقيت الصلاة: باب فضل صلاة العصر، حديث (٥٥٤)، =

= الجليل ينبغي أن يكون منزهاً مبرأ من كل ما ينحط به، ولا شك أن التوقف في سؤال الرؤية عن الإذن كان أكمل. وقد ورد: سيئات المقربين حسنات الأبرار.

(١) قوله: «ولم يخل كليمه من نفيان ذلك» قوله: «نفيان» هو ما يتطاير من قطر المطر، وقطر الدلو، ومن الرمل عند الوطء، ومن الصوف عند النفش، ونحو ذلك. كذا في شرح المعلقات للعلامة الزوزني.

(٢) عاد كلامه. قال: «ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة... إلخ» قال أحمد رحمه الله: وقد انتقل الزمخشري في هذا الفصل إلى ما تسمعه من هجاء أهل السنة. ولولا الاستناد بحسان بن ثابت الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وشاعره والمنافح عنه وروح القدس معه، لقلنا لهؤلاء المتلقبين بالعدلية وبالناجين سلاماً، ولكن كما نافح حسان عن رسول الله ﷺ أعداءه، فنحن ننافح عن أصحاب سنة رسول الله ﷺ أعداءهم فنقول [من الطويل]:

وجـمـاعـة كـفـروا بـرؤيـة ربـهـم حـقـاً ووعـد الله مـا لـن يـخـلـفـه
وتـلـقـبـوا عـدلـيـة قـلـنـا: أجـل عـدلـوا بـربـهـم فـحـسـبـهـمـو سفـه
وتـلـقـبـوا الـنـاجـيـن كـلا إنـهـم إن لـم يكونوا في لظى فعلى شفه

(٣) قوله: «والقول ما قال بعض العدلية» غفر الله للمصنف ما لوث به لسانه وقلبه في ذكر هذه الأبيات.

(٤) للزمخشري في أهل السنة، أي هم جماعة سموا هوى أنفسهم سنة، ولكن من عرف أن مستند المعتزلة العقل، ومستند الجماعة النقل عرف الهوى من الهدى. وحمر أي كالحمر. موكفة: أي موضوع عليها الإكاف، مبالغة في التشبيه. قد شبهوه: أي الله عز وجل بخلقه حيث قالوا: إنه يرى =

القمر إذا امتلأ واستوى، ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ أي: لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة، ولن تحتمل قوّتك تلك الآية المضطرة، ولكن انظر إلى الجبل، فإني أورد عليه، وأظهر له آية من تلك الآيات، فإن ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع، فسوف تثبت لها وتطيقها، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته، ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: لعظم ما رأى، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: مما اقترحت/ ٢٥٥ب وتجاسرت، ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بعظمتك وجلالك، وأن شيئاً لا يقوم لبطشك وبأسك.

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم، ﴿بِرِسَـٰلَـٰتِى﴾ وهي: أسفار التوارة، ﴿وَبِكَلَـٰمِى﴾: وبتكليمي إياك، ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾: ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾: على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم، وقيل: خرّ موسى صعقاً يوم عرفة، وأعطي التوراة يوم النحر.

فإن قلت: كيف قيل: اصطفيتك على الناس وكان هَارُون مصطفى مثله ونبيًّا؟

قلت: أجل، ولكنه كان تابعاً له ردءاً ووزيراً، والكليم: هو موسى ـ عليه السلام ـ والأصيل في حمل الرسالة.

= وأطرافه في: (٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦)، ومسلم (٣/ ١٤٣ ـ ١٤٤ ـ النووي): كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما حديث (٢١١ ـ ٢١٢/ ٦٣٣) من طريق جرير بن عبد الله وأخرجه البخاري (١٣/ ٤٣٠): كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، حديث (٧٤٣٧)، ومسلم (٢/ ٢١ ـ ٢٢ ـ النووي): كتاب الإيمان: باب معرفة طريق الرؤية، حديث (٢٩٩ ـ ٣٠٠/ ١٨٢) من طريق أبي هريرة به.

وأخرجه البخاري (١٣/ ٤٣١): كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ حديث (٧٤٣٩)، ومسلم (٢/ ٢٤ ـ ٢٥ ـ النووي) كتاب الإيمان: باب معرفة طريق الرؤية، حديث (٣٠٢ ـ ٣٠٣/ ١٨٣) من طريق أبي سعيد الخدري به.

قال الحافظ: متفق عليه من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر. فقال: أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ـ الحديث» وللبخاري من رواية: «إنكم سترون ربكم عياناً»، واتفقا عليه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة بمعناه. انتهى.

= بالعين، فخافوا تشنيع الناس عليهم فتستروا بقولهم: إنه يرى بلا كيف. فالبلكفة منحوتة من ذلك.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

ذكروا في عدد الألواح، وفي جوهرها، وطولها أنها كانت عشرة ألواح، وقيل: سبعة، وقيل: لوحين، وأنها كانت من زمرّد جاء بها جبريل عليه السلام وقيل: من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء، وقيل: أمر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له، فقطعها بيده وشقها بأصابعه، وعن الحسن: كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة، وأن طولها كان عشرة أذرع، وقوله: ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: في محل النصب مفعول كتبنا، و﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾: بدل منه، والمعنى: كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام، وقيل: أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير، يقرأ الجزأ منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى، ويوشع، وعزير، وعيسى عليهم السلام، وعن مقاتل: كتب في الألواح: «إني أنا الله الرحمن الرحيم، لا تشركوا بي شيئاً، ولا تقطعوا السبيل، ولا تحلفوا باسمي كاذبين؛ فإنّ من حلف باسمي كاذباً فلا أزكيه، ولا تقتلوا، ولا تزنوا، ولا تعقوا الوالدين، ﴿فَخُذْهَا﴾، فقلنا له: خذها، عطفاً على كتبنا، ويجوز أن يكون بدلاً من قوله: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾، والضمير في (خذها): للألواح، أو لكل شيء؛ لأنه في معنى الأشياء، أو الرسالات، أو للتوراة، ومعنى ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجدّ وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل، ﴿يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ أي: فيها ما هو حسن وأحسن، كالاقتصاص، والعفو، والانتصار، والصبر، فمرهم أن يحملوا على أنفسهم في الأخذ بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]، وقيل: يأخذوا بما هو واجب أو ندب؛ لأنه أحسن من المباح، ويجوز أن يراد: يأخذوا بما أمروا به، دون ما نهوا عنه، على قولك: الصيف أحرّ من الشتاء، ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: يريد دار فرعون وقومه وهي مصر، كيف أقفرت منهم، ودمّروا لفسقهم، لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم، وقيل: منازل عاد، وثمود، والقرون الذين/ ٢٥٦أ أهلكهم الله، لفسقهم في ممرّكم عليها في أسفاركم، وقيل: دار الفاسقين: نار جهنم.

وقرأ الحسن: «سأوريكم»، وهي لغة فاشية بالحجاز، يقال: أورني كذا، وأوريته، ووجهه أن تكون من أوريت الزند، كأن المعنى: بينه لي وأنره لأستبينه.

وقرىء: «سأورثكم»، وهي قراءة حسنة يصححها قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾: بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم، فلايفكرون فيها ولا يعتبرون بها؛ غفلة وانهماكاً فيما يشغلهم عنها من شهواتهم، وعن الفضيل بن عياض: ذكر لنا عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «إِذَا عَظَّمَتْ أُمَّتِي الدُّنْيَا نُزِعَ عَنْهَا هَيْبَةُ الإِسْلَامِ، وَإِذَا تَرَكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ حُرِمَتْ بَرَكَةُ الْوَحْيِ» (٦١١)، وقيل: سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى، بأن جمع لها السحرة، فأبى الله إلا علو الحق وانتكاس الباطل، ويجوز: سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها، وتسميتها سحراً بإهلاكهم، وفيه إنذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات؛ لتكبرهم وكفرهم بها؛ لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم، ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: فيه وجهان: أن يكون حالاً بمعنى يتكبرون غير محقين؛ لأنّ التكبر بالحق لله وحده، وأن يكون صلة لفعل التكبر، أي: يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم، ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾: من الآيات المنزلة عليهم، ﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾: وقرأ مالك بن دينار: «وإن يُرُوا» بضم الياء، وقرىء: «سبيل الرشد»، و«الرشد»، و«الرشاد»؛ كقولهم: السقم، والسّقم، والسقام، وما أسفه من ركب المفازة، فإن رأى طريقاً مستقيماً أعرض عنه وتركه، وإن رأى معتسفاً مرديًا أخذ فيه وسلكه، ففاعل نحو ذلك في دينه أسفه، ﴿ذَٰلِكَ﴾: في محل الرفع أو النصب على معنى: ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف بسببه، ﴿وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به، أي: ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها، ومن إضافة المصدر إلى الظرف بمعنى: ولقاء ما وعد الله في الآخرة.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا

---

٦١١ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٤٧٣): لم أجده عن الفضيل بن عياض.
وعزاه إلى الحكيم التّرمذي في «نوادر الأصول» قال الحافظ ابن حجر: وفي إسناده البختري بن عبيد وهو ضعيف.
قال الحافظ:
لم أجده من هذا الوجه، وأخرجه الحكيم التّرمذي في نوادره من حديث أبي هريرة مثله، وزاد: «وإذا تسابت أمتي سقطت من أعين الناس»، ذكره في الخامس والسبعين بعد المائة.
وفي إسناده البختري بن عبيد. وهو ضعيف. انتهى.

يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد فراقه إياهم إلى الطور.

فإن قلت: لم قيل: واتخذ قوم موسى عجلاً، والمتخذ هو السامري؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن ينسب الفعل إليهم؛ لأن رجلاً منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم، كما يقال: بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا، والقائل والفاعل واحد؛ ولأنهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به، فكأنهم أجمعوا عليه.

والثاني: أن يراد واتخذوه إلهاً وعبدوه، وقرىء: (من حُليهم) بضم الحاء والتشديد، جمع حلي/ ٢٥٦ب، كثدي وثديّ، و«من حِلِيِّهم» - بالكسر - للإتباع كدلي؛ و«من حِلْيِهِم»، على التوحيد، والحلى: اسم لما يتحسن به من الذهب والفضة.

فإن قلت: لم قال: من حليهم، ولم يكن الحليّ لهم، إنما كانت عواري في أيديهم؟

قلت: الإضافة تكون بأدنى ملابسة؛ وكونها عواري في أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين، كما ملكوا غيرها من أملاكهم؛ ألا ترى إلى قوله - عزّ وعـــلا -: ﴿فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الشعراء: ٥٧، ٥٨، ٥٩]، ﴿جَسَدًا﴾: بدناً ذا لحم ودم كسائر الأجساد، و«الخوار»: صوت البقر، قال الحسن: إنّ السامري قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل - عليه السلام - يوم قطع البحر، فقذفه في العجل، فكان عجلاً له خوار، وقرأ علي - رضي الله عنه -: «جؤار»، بالجيم والهمزة، من جأر إذا صاح، وانتصاب جسداً على البدل من: (عجلاً)، ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾: حين اتخذوه إلهاً أنه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل، حتى لا يختاروه على من «لو كان البحر مداداً لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته»، وهو الذي هدى الخلق إلى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الأدلة، وبما أنزل في كتبه، ثم ابتدأ فقال: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾، أي: أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر المنكر، ﴿وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾: واضعين كل شيء في غير موضعه، فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم، ولا أوّل مناكيرهم، ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾: ولما اشتدّ ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل؛ لأنّ من شأن من اشتدّ ندمه وحسرته أن يعض يده غمًّا، فتصير يده مسقوطاً فيها؛ لأن فاه قد وقع فيها، و(سقط): مسند إلى: (في أيديهم)، وهو من باب الكناية، وقرأ أبو

السميفع: سقط في أيديهم، على تسمية الفاعل، أي: وقع العض فيها، وقال الزجاج: معناه سقط الندم في أيديهم، أي: في قلوبهم وأنفسهم، كما يقال: حصل في يده مكروه، وإن كان محالاً أن يكون في اليد؛ تشبيهاً لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين، ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾: وتبينوا ضلالهم تبيناً كأنهم أبصروه بعيونهم.

وقرىء: «لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا»، بالتاء، وربنا، بالنصب على النداء، وهذا كلام التائبين؛ كما قال آدم وحواء ـ عليهما السلام ـ: «وإن لم تغفر لنا وترحمنا».

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

الأسف: الشديد الغضب، ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾، وقيل: هو الحزين، ﴿خَلَفْتُمُونِى﴾: قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي، وهذا الخطاب: إما أن يكون لعبدة العجل من السامري وأشياعه، أو لوجوه بني إسرائيل، وهم هارون ـ عليه السلام ـ والمؤمنون منه؛ ويدل عليه قوله: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ [الأعراف: ١٤٢]، والمعنى: بئسما خلفتموني؛ حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله، أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله.

فإن قلت: أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم؟

قلت: الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني، والمخصوص/ ٢٥٧أ بالذم محذوف تقديره: بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم.

فإن قلت: أي معنى لقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ بعد قوله: ﴿خَلَفْتُمُونِى﴾؟

قلت: معناه من بعد ما رأيتم مني، من توحيد الله، ونفي الشركاء عنه، وإخلاص العبادة له، أو من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد، وأكفهم عما طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر، حين قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه؛ ونحوه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. أي: من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة، يقال: عجل عن الأمر إذا تركه غير تام، ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره، ويضمن معنى سبق فيعدّى تعديته، فيقال: عجلت الأمر، والمعنى: أعجلتم عن أمر ربكم، وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به، فبنيتم الأمر على أن الميعاد قد

بلغ آخره ولم أرجع إليكم، فحدَّثتم أنفسكم بموتي، فغيرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم، وروي أنّ السامري قال لهم ـ حين أخرج لهم العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى ـ: إن موسى لن يرجع، وإنه قد مات، وروي أنهم عدّوا عشرين يوماً بلياليها فجعلوها أربعين، ثم أحدثوا ما أحدثوا، ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾: وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدّة الضجر عند استماعه حديث العجل؛ غضباً لله وحمية لدينه، وكان في نفسه حديداً شديد الغضب، وكان هارون ألين منه جانباً، ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى، وروي أن التوراة كانت سبعة أسباع، فلما ألقى الألواح، تكسرت، فرفع منها ستة أسباعها وبقي منها سبع واحد، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة، ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعر رأسه، ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾: بذؤابته، وذلك لشدّة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزه وذهب بفطنته، وظناً بأخيه أنه فرط في الكف، ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ قرىء بالفتح؛ تشبيهاً بخمسة عشر، وبالكسر على طرح ياء الإضافة، «وابن أمي» بالياء، «وابن إمِّ»، بكسر الهمزة والميم، وقيل: كان أخاه لأبيه وأمّه، فإن صح، فإنما أضافه إلى الأم؛ إشارة إلى أنهما من بطن واحد، وذلك أدعى إلى العطف والرقة، وأعظم للحق الواجب؛ ولأنها كانت مؤمنة فاعتدّ بنسبها، ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها، ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾ يعني: أنه لم يأل جهداً في كفهم بالوعظ والإنذار، وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق إلا أن يقتلوه، ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾: فلا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي والإساءة إليّ، وقرىء: «فلا يشمت بي الأعداء»، على نهي الأعداء عن الشماتة، والمراد ألاَّ يحل به ما يشمتون به/ ٢٥٧ب لأجله، ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: ولا تجعلني في موجدتك عليّ وعقوبتك لي قريناً لهم وصاحباً، أو: ولا تعتقد أني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم، لما اعتذر إليه أخوه وذكر له شماتة الأعداء، ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾: ليرضي أخاه، ويظهر لأهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم. واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه، ولأخيه أن عسى فرط في حسن الخلافة، وطلب ألاَّ يتفرقا عن رحمته، ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ الغضب: ما أمروا به من قتل أنفسهم، والذلة: خروجهم من ديارهم؛ لأنّ ذل الغربة مثل مضروب.

وقيل: هو ما نال أبناءهم، وهم بنو قريظة والنضير، من غضب الله ـ تعالى ـ بالقتل

والجلاء، ومن الذلة بضرب الجزية، ﴿ٱلْمُفْتَرِينَ﴾: المتكذبين على الله، ولا فرية أعظم من قول السامري: هذا إلهكم وإله موسى، ويجوز أن يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها، ويراد: سينالهم غضب في الآخرة، وذلة في الحياة الدنيا، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣)﴾

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: من الكفر والمعاصي كلها، ﴿ثُمَّ تَابُوا۟﴾: ثم رجعوا، ﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾: إلى الله واعتذروا إليه، ﴿وَءَامَنُوٓا۟﴾: وأخلصوا الإيمان، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: من بعد تلك العظائم، ﴿لَغَفُورٌ﴾: لستور عليهم محاء لما كان منهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾: منعم عليهم بالجنة، وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم، عظم جنايتهم[١] أولاً ثم أردفها تعظيم رحمته؛ ليعلم أن الذنوب وإن جلت وعظمت، فإن عفوه وكرمه أعظم وأجل، ولكن لا بدّ من حفظ الشريطة، وهي وجوب التوبة[٢] والإنابة، وما وراءه طمع فارغ، وأشعبية باردة[٣]، لا يلتفت إليها حازم.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤)﴾

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾[٤]: هذا مثل؛ كأن الغضب كان يغريه[٥] على ما

---

(١) قال محمود: «عظم جناية متخذي العجل أولاً، ثم أردفها بحكم عام... إلخ» قال أحمد: يعرض بوجوب وعيد الفساق وأن مغفرة الذنب بدون التوبة منه من المحال الممتنع، وقد تقدم عد ذلك من الأهواء والبدع، بل الحق أن المغفرة لما عدا الشرك موكولة إلى المشيئة، غير ممتنعة عقلاً، ثم واقعة نقلاً، والله الموفق.

(٢) قوله: «من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة» مذهب المعتزلة أن الكبيرة لا تغفر إلا بالتوبة. ومذهب أهل السنة أنها قد تغفر بمجرد الفضل.

(٣) قوله: «وأشعبية باردة» خصلة منسوبة إلى أشعب، وهو رجل كان طماعاً. ويضرب به المثل في الطمع، كما في الصحاح.

(٤) قوله ـ تعالى ـ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾... الآية. بين المفسر أن في الفعل «سكت» مجاز عن الانقطاع، وتمثيل له بالسكوت، والبلاغيون في هذا المضمار قد حققوا معنى هذا المجاز من جميع جهاته، ونقف بسبيل الآية في النقاط التالية:

١ ـ الاستعارة: طلب إعارة الشيء أي أخذه ممن يقوم عليه، وفعله استعار واصطلاحاً: «استعمال الكلمة أو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي» وبهذا التحديد نارت الاستعارة الكناية وبهذا المفهوم أخذ البلاغيون يقسمون الاستعارة من =

فعل، ويقول له: قل لقومك كذا، وألق الألواح، وجرّ برأس أخيك إليك، فترك النطق

= جهة اللفظ المحذوف والمذكور إلى تصريحية ومكنية، وينظرون في اللفظ المستعار وقسموها إلى أصلية وتبعية، وقد حرى المفسر العلامة على هذا المنحى، ويبينون أسرار الاستعارة وحسنها وحيوتها.

٢ ـ وقفوا عند الاستعارات المكنية كقوله ـ تعالى ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧] وبينوا أن النقض يكون للجهل، ولأن عهد الله شبيه به صحت الاستعارة إلا أنه حذف المشبه به بعد استعارته للمشبه في النفس ثم رمز إليه «أي الجهل» بشيء من لوازمه وهو ينقضون، وأسند هذا اللازم للمشبه. وقد بين المفسر العلامة سر هذا المجاز وهذا الاصطلاح «الاستعارة» لم يكن معروفاً عند العلماء أيام الزمخشري، ولكنه عرف فيما بعد، إلا أن التقسيمات عرفت عندهم بأسماء لم تحدد، فلما كان العهد بعد الزمخشري ثم الاصطلاح على أسماء هذه التقسيمات إلى يومنا هذا، وقد عرف اصطلاح الاستعارة بالكناية في كتاب «نهاية الإيجاز» وهو مما كتب بعد الكشاف بما يقرب من قرن وقد بين الزمخشري قرينة المكنية كما بين أنها قد تكون استعارة تصريحيه باعتبار آخر ومعلوم أن قرينة المكنية استعارة تخييلية، وقد بين السيد الشريف في حاشيته على المطول مراد الزمخشري وناقش ذلك.

وحسن الاستعارة المكنية يكمن في جعل الشيء مصوراً بما يعجب، فيصور الحياة في الجماد، ويجسد المعاني، ويشخصها كأظفار المنية، ويد الشمال، وأنف العشيرة، وهذا التصوير له سره في النفوس وأثره في العقول، والذي يثبت هذا الأثر أن هذه القرائن على معانيها الحقيقية فحينما نسمع: شجاع يفترس أقرانه، تصورنا أن هذا الشجاع في صورة الأسد، وشكله، وضخامته، وقوته، فهذا هو السر في جمال الاستعارة بالكناية، ولهذا إذا صرفنا الافتراس إلى المعنى المجازي أي شدة القتل مثلاً فقد ضعف المعنى في النفس ويسير المفسر العلامة على هذا الاتجاه والفهم في آيات القرآن، ولهذا نراه يكرر هذا في قوله ـ تعالى ـ ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ [الفرقان: ٥٣]، وقال فيها الزمخشري «وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة».

٣ ـ ويأتي إلى الاستعارة التبعية في قوله ـ تعالى ـ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ فيبين أن الغضب كإنسان يدفعه إلى ما فعل ويقول له كما شرح المفسر.

والملحوظ أن المفسر لم يوضح الأقسام مفصلة لأن ذلك قد كان في أول الأمر، وجاءت التفريعات البلاغية عند السكاكي ومن والاه.

٤ ـ وقد بين الاستعارة في المصادر، وأوضحها عند قوله ـ تعالى ـ ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف: ٤٥] والمقصود: انظر في أديانهم حتى ترى أن الله هو المعبود بحق ولا إله إلا هو، فالسؤال واقع مجازاً، وهذا ما وقع للشعراء من مساءلة الديار والأطلال والدوارس.

٥ ـ وقد عرف المفسر الاستعارة في الحرف عند قوله ـ تعالى ـ:
﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

وبين المفسر أن اللام في «ليكون» للتعليل، ولكن ما بعدها لم يكن حقيقة العلة، بل ما صار إليه الأمر، ولهذا عرفت فيما بعد «بلام العاقبة والصيرورة»، ولهذا وقف عندها الزمخشري وبين أن اللام خرجت عن حقيقتها خروج الأسد إلى معنى الرجل الشجاع.

وقد شرح المفسر العلامة هذا الخروج شرحاً دقيقاً، وطبق هذا على قوله ـ سبحانه ـ ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٨٤]. =

بذلك، وقطع الإغراء، ولم يستحسن هذه الكلمة، ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم، وذوق صحيح إلا لذلك؛ ولأنه من قبيل شعب البلاغة، وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة: «ولما سكن عن موسى الغضب»، لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة، وطرفاً من تلك الروعة.

وقرىء: «ولما سُكِتَ»، و«أسكت»، أي: أسكته الله، أو أخوه باعتذاره إليه وتنصله، والمعنى: ولما طفىء غضبه، ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾: التي ألقاها، ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾: وفيما نسخ منها، أي: كتب؛ «والنسخة»: فعلة، بمعنى: مفعول، كالخطبة، ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾: دخلت اللام لتقدم المفعول؛ لأن تأخر الفعل عن مفعوله/ ٢٥٨ب يكسبه ضعفاً؛ ونحوه: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، وتقول: لك ضربت.

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن

= وهل تجري الاستعارة في الحرف أو في مدخول الحرف؟ في كلامه الاتجاهان كما هما الآن.
٦ ـ وقد تعرض للاستعارة الأصلية عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ فكلمة «إصراً» إستعارة للتكاليف الشرعية الشاقة التي كانت على بني إسرائيل كما بين «والآية هي الأخيرة ٢٨٦ من سورة البقرة» ويأتي المفسر العلامة إلى قوله ـ تعالى ـ ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فينظر إلى كلمة «مرض» بإمعان فيراها مرة حقيقة ومرة مجازاً وكلاهما محتمل.
٧ ـ وفي النهاية أقول يكفي الزمخشري ومن تبعه هذه اللفتات الفنية، وهذه الإشارات البلاغية، فإنها تدل على قدرة فائقة في الفهم الرائق، والغوص وراء الدقائق ولا مشاحة في الاصطلاح، فالأسماء ميسورة، والمقصود المسميات المرادة، ودائماً أرى أبا السعود يأخذ من كلام الزمخشري إما بلفظه أو بمعناه ويضيف ما أفاد من سواه أو فتح الله به عليه ـ فالله هو الفتاح العليم.
«يراجع مفتاح العلوم للسكاكي ١٧٢ وما بعدها والإيضاح للقزويني وحواشي شيخنا الخفاجي عليه ١٢/٥ وما بعدها، والمطول للسعد ٣٥٢ وما بعدها وزهر الربيع في المعاني والبيان والبديع للحملاوي ١٢٢ وما بعدها، ودروس تطبيقية د. فتحي فريد ٦٨ وما بعدها ـ ط. الأولى ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٢ م والبلاغة القرآنية لأبي موسى ٤٩٦ وما بعدها.
ومن البلاغة العربية في نور القرآن والسنة النبوية لفتحي حجازي وزميله ١٨٢ وما بعدها، وتفسير أبي السعود ٢/ ٣٠٠.

(٥) قال محمود: «هذا مثل، كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وخذ برأس أخيك... إلخ» قال أحمد: وهو من النمط الذي قدمته من قلب الحقيقة إلى المجاز، وكان الأصل: ولما سكت موسى عن الغضب، ولذلك عده بعض أهل العربية من المقلوب، وسلكه في نمط خرق الثوب المسمار. والتحقيق أنه ليس منه وأن هذا القلب أشرف وأفصح، لأنه بماله على معنى بليغ وهو أن الغضب كان متمكناً من موسى حتى كان كأنه يصرفه في أوامره، وكل ما وقع منه حينئذ فعن الغضب صادر، حتى كأنه هو الذي أمره به. ومثل هذه النكتة الحسناء لا تلقى في خرق الثوب المسمار، بل هي موجودة في قوله تعالى ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ على خلاف قراءة نافع. وقد تقدم ذلك آنفاً، والله الموفق.

﴿تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿واختار موسى قومه﴾ أي من قومه، فحذف الجار وأوصل الفعل؛ كقوله [من الطويل]:

وَمِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً .... (١)

قيل: اختار من اثني عشر سبطاً، من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين، فقال: ليتخلف منكم رجلان، فتشاحوا، فقال: إن لمن قعد منكم مثل أجر من خرج، فقعد كالب ويوشع، وروي أنه لم يصب إلا ستين شيخاً، فأوحى الله ـ تعالى ـ إليه أن تختار من الشبان عشرة، فاختارهم فأصبحوا شيوخاً، وقيل: كانوا أبناء ما عدا العشرين، ولم يتجاوزوا الأربعين، قد ذهب عنهم الجهل والصبا، فأمرهم موسى أن يصوموا، ويتطهروا، ويطهروا ثيابهم، ثم خرج بهم إلى طور سينا لميقات ربه، وكان أمره ربه أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل، فلما دنا موسى من الجبل، وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى ودخل فيه، وقال للقوم: ادنوا، فدنوا، حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجداً، فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل، ولا تفعل، ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه، فطلبوا الرؤية فوعظهم، وزجرهم، وأنكر عليهم، فقالوا: يا موسى، لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فقال: رب أرني أنظر إليك، يريد: أن يسمعوا الرد والإنكار من جهته، فأجيب: بـ «لن تراني» ورجف بهم الجبل فصعقوا، ولما كانت

---

(١) ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجوداً إذا هب الرياح الزعازع

المعنى: ومنا الذي اختاره الناس من بين الرجال، فالرجال نصب على نزع الخافض. وسماحة: تمييز لبيان جهة الاختيار. وجوداً عطف عليه، إذا هب الرياح، كناية عن دخول الشتاء، فتهيج الرياح الزعازع، أي الشديدة المحركة للأشياء، وإذا جاد زمن انقطاع الميرة، فكيف بالصيف.

البيت للفرزدق ينظر: ديوانه ١/ ٤١٨، والكتاب ١/ ٣٩، والمقتضب ٤/ ٣٣١، والأشباه والنظائر ٢/ ٣٣١، وخزانة الأدب ٩/ ١١٣، ٥/ ١١٥، ١٢٣، ١٢٤، والدرر ٢/ ٢٩١ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٢٤، وشرح شواهد المغني ١/ ١٢ ولسان العرب «خير»، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٥١، وهمع الهوامع ١/ ١٦٢ والدر المصون ١/ ٣٥١.

الرجفة، ﴿قال﴾ موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰيَ﴾، وهذا تمنٍّ منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية، كما يقول النادم على الأمر إذا رأى سوء المغبة: لو شاء الله، لأهلكني قبل هذا، ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ يعني: أتهلكنا جميعاً، يعني: نفسه وإياهم؛ لأنه إنما طلب الرؤية زجراً للسفهاء، وهم طلبوها سفهاً وجهلاً، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك، فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالاً فاسداً، حتى افتتنوا وضلوا، ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾، تضلّ بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك، وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت، وجعل ذلك إضلالاً من الله وهدى منه؛ لأن محنته لما كانت سبباً[(١)]، لأن ضلوا، واهتدوا، فكأنه أضلهم بها، وهداهم على الاتساع في الكلام، ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: مولانا القائم بأمورنا، ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا﴾: وأثبت لنا واقسم، ﴿فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: عافية، وحياة طيبة، وتوفيقاً في الطاعة، ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾: الجنة، ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾: تبنا إليك، وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب، والهود: جمع هائد، وهو التائب؛ ولبعضهم [من المجتث]

يَا رَاكِبَ/ ٢٥٨ب الذَّنْبِ هُدْهُدْ وَاسْجُدْ كَأَنَّكَ هُدْهُدْ[(٢)]

وقرأ أبو وجرة السعدي: «هِدنا إليك»، بكسر الهاء، من هاده يهيده إذا حرّكه وأماله، ويحتمل أمرين: أن يكون مبنياً للفاعل والمفعول، بمعنى: حركنا إليك أنفسنا وأملناها أو حرّكنا إليك وأملنا على تقدير: فعلنا؛ كقولك: عدت يا مريض بكسر العين، فعلت من العيادة، ويجوز: عدت بالإشمام، وعدت، بإخلاص الضمة فيمن قال: عود المريض، وقول القول، ويجوز على هذه اللغة أن يكون (هدنا): بالضم، فعلنا من هاده يهيده، ﴿عَذَابِىٓ﴾: من حاله وصفته أني، ﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ أي: من وجب عليّ في الحكمة[(٣)] تعذيبه، ولم يكن في العفو عنه مساغ؛ لكونه مفسدة، وأمّا: (رحمتي): فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شيء، ما من مسلم، ولا كافر، ولا مطيع، ولا عاص، إلا وهو متقلب في نعمتي، وقرأ الحسن: «من أساء»، من الإساءة، فسأكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من أمّة محمد ـ ﷺ ـ الذين

---

(١) قوله: «لأن محنته لما كانت سبباً» صرف الكلام عن ظاهره؛ لأنه تعالى لا يخلق الشر عندهم. أما على مذهب أهل السنة فلا حاجة إلى ذلك.

(٢) للزمخشري، شبه ملازمته للذنب بملازمة الراكب للمركوب. وهاد يهود، إذا تاب ورجع. وهد: أمر منه، وكرر للتوكيد. ثم قال: واسجد كأنك هدهد، فشبهه به لكثرة ما يطرق برأسه إلى الأرض لا في السرعة، فالمعنى: أسجد كثيراً.
ينظر روح المعاني ٩/ ٧٦، وحاشية الشهاب ٤/ ٢٢٤ والدر المصون ٣/ ٣٥٢.

(٣) قوله: «أي من وجب علي في الحكمة» هذا عند المعتزلة. وأما أهل السنة فلا يجب على الله تعالى عندهم شيء.

هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون؛ لا يكفرون بشيء منها، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾: الذي نوحي إليه كتاباً مختصاً به وهو: «القرآن»؛ ﴿ٱلنَّبِيَّ﴾: صاحب المعجزات، ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُ﴾: يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل، ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ . . . وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة، كالشحوم وغيرها، أو ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح، وما خلى كسبه من السحت، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: ما يستخبث من نحو الدم، والميتة، ولحم الخنزير، وما أهلّ لغير الله به أو ما خبث في الحكم، كالربا، والرشوة، وغيرهما من المكاسب الخبيثة، «الإصر»: الثقل الذي يأصر صاحبه، أي: يحبسه من الحراك، لثقله، وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته، نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم، وكذلك الأغلال، مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة، نحو: بت القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأً من غير شرع الدية، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب، وإحراق الغنائم، وتحريم العروق في اللحم، وتحريم السبت، وعن عطاء: كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلي، لبسوا المسوح، وغلوا أيديهم إلى أعناقهم، وربما ثقب الرجل ترقوته، وجعل فيها طرف السلسلة، وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة، وقرىء: «آصارهم»، على الجمع، ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدوّ، وقرىء: بالتخفيف، وأصل العزر: المنع، ومنه: التعزير للضرب دون الحدّ؛ لأنه منع عن معاودة القبيح؛ ألا ترى إلى/ ٢٥٩أ تسمية الحدّ، والحدّ: هو المنع، و﴿ٱلنُّورَ﴾: القرآن.

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾، وإنما أنزل مع جبريل؟ قلت: معناه أنزل مع نبوّته؛ لأنّ استنباءه كان مصحوباً بالقرآن مشفوعاً به، ويجوز أن يعلق باتبعوا، أي: واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي، والعمل بسنته، وبما أمر به ونهي عنه، أو: واتبعوا القرآن، كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه.

فإن قلت: كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى ـ عليه السلام ـ ودعائه؟

قلت: لما دعا لنفسه ولبني إسرائيل، أجيب بما هو منطو على توبيخ بني إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله ـ تعالى ـ وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى، وعرّض بذلك في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٨]، وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله ـ ﷺ ـ وما جاء به كـ «عبد الله بن سلام» وغيره من أهل الكتابين؛ لطفاً لهم، وترغيباً في إخلاص الإيمان، والعمل الصالح، وفي أن يحشروا معهم، ولا يفرّق بينهم، وبين أعقابهم عن رحمة الله[1] التي وسعت كل شيء.

---

(١) قوله: «عن رحمة الله» لعله «في رحمة الله». أو ضمن التفريق معنى الإبعاد، فعدى بعن.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴿١٥٨﴾﴾

﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، قيل: بعث كل رسول إلى قومه خاصة، وبعث محمد ـ ﷺ ـ إلى كافة الإنس، وكافة الجن، «وجميعاً»: نصب على الحال من إليكم.

فإن قلت: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ما محله؟

قلت: الأحسن أن يكون منتصباً بإضمار أعني؛ وهو الذي يسمى النصب على المدح. ويجوز أن يكون جرًا على الوصف، وإن حيل بين الصفة والموصوف بقوله: «إليكم»، ﴿إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والأرض، وكذلك: ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، وفي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: بيان للجملة قبلها؛ لأنّ من ملك العالم، كان هو الإله على الحقيقة، وفي يحيي ويميت: بيان لاختصاصه بالإلهية؛ لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره، ﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: وما أنزل عليه، وعلى من تقدّمه من الرسل من كتبه ووحيه.

وقرىء: «وكلمته» على الإفراد، وهي: «القرآن»، أو أراد جنس ما كلم به، وعن مجاهد: أراد عيسى ابن مريم.

وقيل: هي الكلمة التي تكوّن منها عيسى وجميع خلقه، وهي قوله: (كن)، وإنما قيل: إن عيسى كلمة الله، فخص بهذا الإسم؛ لأنه لم يكن؛ لكونه سبب غير الكلمة، ولم يكن من نطفة تمنى، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إرادة أن تهتدوا.

فإن قلت: هلا قيل: فآمنوا بالله وبي، بعد قوله: إني رسول الله إليكم؟

قلت: عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر، لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة، وليعلم أنّ الذي وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته، كائناً من كان، أنا أو غيري؛ إظهاراً للنصفة، وتفادياً/ ٢٥٩ب من العصبية لنفسه.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴿١٥٩﴾﴾

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ هم: المؤمنون التائبون من بني إسرائيل؛ لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين، وارتابوا، حتى أقدموا على العظيمتين: عبادة العجل، واستجازة رؤية الله

ـ تعالى ،ذكر أنّ منهم أمة موقنين، ثابتين، يهدون الناس بكلمة الحق، ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم، وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون، أو أراد الذين وصفهم من أدرك النبي ـ ﷺ ـ وآمن به من أعقابهم.

وقيل: إنّ بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم، وكفروا، وكانوا اثني عشر سبطاً تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا، وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين إخوانهم، ففتح الله لهم نفقاً في الأرض، فساروا فيه سنة ونصفاً حتى خرجوا من وراء الصين، وهم هنالك حنفاء مسلمون، يستقبلون قبلتنا، وذكر عن النبي ـ ﷺ ـ أن جبريل ذهب به ليلة الإسراء نحوهم، فكلمهم، فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تكلمون؟ قالوا: لا، قال: هذا محمد النبي الأمي، فآمنوا به وقالوا: يا رسول الله، إن موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد، فليقرأ عليه مني السلام، فردّ محمد على موسى ـ عليهما السلام ـ ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة، ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة، وأمرهم أن يقيموا مكانهم، وكانوا يسبتون، فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت، وعن مسروق، قرىء: بين يدي عبد الله، فقال رجل: إني منهم، فقال عبد الله ـ يعني: لمن كان في مجلسه من المؤمنين ـ: وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيئاً من يهدي بالحق وبه يعدل.

وقيل: لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها، كانوا معذورين، وهذا من باب الفرض والتقدير، وإلا فقد طار الخبر بشريعة محمد ـ ﷺ ـ إلى كل أفق، وتغلغل في كل نفق، ولم يبق الله أهل مدر، ولا وبر، ولا سهل، ولا جبل، ولا برّ، ولا بحر في مشارق الأرض ومغاربها، إلا وقد ألقاه إليهم، وملأ به مسامعهم، وألزمهم به الحجة، وهو سائلهم عنه يوم القيامة.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ وصيرناهم قطعاً، أيّ فرقاً، وميزنا بعضهم من بعض؛ لقلة الألفة بينهم.

وقرىء: «وقَطَعناهم» بالتخفيف، ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾؛ كقولك: اثنتي عشرة قبيلة، «والأسباط»: أولاد الولد، جمع سبط، وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولداً من ولد يعقوب، عليه السلامُ.

فإن قلت: مميز ما عدا العشرة مفرد، فما وجه مجيئه مجموعاً؟ وهلا قيل: اثني عشر سبطاً؟

قلت: لو قيل ذلك لم يكن تحقيقاً لأن المراد (٢٦٠/أ): وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة، وكل قبيلة أسباط لا سبط، فوضع أسباطاً موضع قبيلة؛ ونظيره [من الرجز]:

بَـيْـنَ رِمَـاحَـيْ مَـالِـكٍ وَنَـهْـشَـلِ[1]

﴿وأُمَمًا﴾: بدل من اثنتي عشرة، بمعنى: وقطعناهم أمماً؛ لأنّ كل أسباط كانت أمة عظيمة، وجماعة كثيفة العدد، وكل واحدة كانت تؤمّ خلاف ما تؤمّه الأخرى، لا تكاد تأتلف.

وقرىء: «اثنتي عشِرة» بكسر الشين، ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾: فانفجرت، والمعنى واحد، وهو الانفتاح بسعة وكثرة، قال العجاج [من الرجز]:

وَكِـيـفَ غَـرْبَـىْ دَالِـجٍ تَـبَـجَّـسَـا[2]

---

(١) تبقلت في أول التبقل ... بين رماحي مالك ونهشل
في حبة حرف وحمض هيكل ... مستأسد ذبانه في عيطل
يقلن للرائد: أعشبت انزل

لأبي النجم، يصف رمكة باعتيادها الحروب واقتحامها المكاره من أول أمرها. يقال: تبقلت الغنم وغيرها: رعت البقل وهو النبات الرطب. شبه اقتحام تلك الفرس للحروب من صغرها حتى اعتادتها برعي الدابة للكلأ واعتيادها عليه، بجامع التمرن والاعتياد والسهولة، بل والاستلذاذ، ثم استعار التبقل لذلك على طريق التصريحية، وبلغ في ذلك حيث أسند الفعل إليها، كأنه لا دخل له فيه. ويروى: من أول التبقل، بين رماحي مالك ونهشل: أي بين رماح مالك بن ضبعة ورماح نهشل بن دارم من أمراء العرب، فثنى الرماح دلالة على التنويع والتمايز. وقال أبو حنيفة: الحبة بالكسر اليبس المنكسر المتراكم. وقال الأزهري: هي البذور الساقطة مع الأوراق في آخر الصيف والحرف: اليابسة الدقيقة. والحمض نوع من النبات. والهيكل: الطويل الضخم. والمستأسد: الطويل الغليظ أيضاً. وذبان جمع ذباب، كغربان وغراب. والعيطل ـ بالعين المهملة ـ: الأصوات المختلطة. والرائد: هو الذي يتقدم القوم لطلب الخصب. يقلن، أي الذبان. وأعشب الرجل: وجد العشب، وصف النبات بالكثرة والالتفاف حتى كثر ذبابه وصارت له أصوات مختلطة، فكان يدعو الرائد ويحمله على النزول في هذا المكان عند سماع صوته، فاستعار القول لذلك على سبيل التصريح. وروي: مستأسد أذنابه في عيطل. تقول للرائد، فالأذناب جمع ذنب، أي أطرافه تصوت بالريح بقول ذلك النبات والمجاز كما تقدم. هذا، وحق الرواية: بين رماكي مالك ونهشل. والرمكة: الأنثى من البراذين والخيل، وجمعها رماك وأرماك ورمكات، كثمرة وثمار وأثمار وثمرات. يصف فرسه بأنها رعت البقل حقيقة مع تلك الخيول والبراذين؛ فلا مجاز هنا.
ينظر: العمدة ٢/ ٤١٣، الخزانة ٢/ ٣٩٠، الدر المصون ٣/ ٣٥٧.

(١) وانحلبت عيناه من فرط الأسى ... وكيف غربي دالج تبجّسا

فرط الأسى: شدة الحزن. والوكيف: مصدر نصب بانحلبت؛ لأن معناه: وكفت. والغرب: الدلو =

فإن قلت: فهلا قيل: فضرب فانبجست؟

قلت: لعدم الإلباس، وليجعل الإنبجاس مسبباً عن الإيحاء بضرب الحجر؛ للدلالة على أنّ الموحى إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر، وأنه من انتفاء الشك عنه، بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به، من قوله: ﴿كُلُّ أُنَاسٍ﴾: نظير قوله: اثنتي عشرة أسباطاً، يريد كل أمّة من تلك الأمم الثنتي عشرة، «والأناس»: اسم جمع غير تكسير، نحو، رخال، وثناء، وتوام[1]، وأخوات لها، ويجوز أن يقال: إن الأصل الكسر والتكسير، والضمة بدل من الكسرة؛ كما أبدلت في نحو: سكارى، وغيارى[2]، من الفتحة[3]، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾: وجعلناه ظليلاً عليهم في التيه، و﴿وَكُلُوا﴾: على إرادة القول، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم، ولكن كانوا يضرون أنفسهم، ويرجع وبال ظلمهم إليهم.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا

= العظيم. والدالج: من يأخذ الدلو من البئر فيفرغه في الحوض. والتبجس. اتساع الانفجار. يقول: انصبت دموع عينيه من شدة الحزن، كانصباب دلوي رجل مفرغ لها في الحوض تفجرا بسعة. وفيه تشبيه العينين بالغربين.

ينظر: ديوانه (١/ ١٨٥)، ومقاييس اللغة (١/ ١٩٩)، وأساس البلاغة (بجس)، و(كف)، وكتاب العين (٥/ ٤١٣)، لسان العرب (بجس)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٥٩٩).

(١) قوله: «ونحو رخال وتناء وتؤام» رخال: هي الإناث من أولاد الضأن. والتناء: القاطنون بالبلد. والتؤام ـ بالمد ـ واحده توأم، وزان كوكب. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قوله: «نحو سكارى وغيارى» غار الرجل على أهله فهو غيور. وجمعه غير وغيران. وجمعه غيارى وغيارى، كذا في الصحاح.

(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولا يجوز ما قال؛ لوجهين، أحدهما: أنه لم يُنْطَق بـ «إناس» بكسر الهمزة، فيكون جمع تكسير، حتى تكون الضمة بدلاً من الكسرة، بخلاف «سُكَارى» و «غُيَارى» فإنّ القياس فيه «فَعَالى» بفتح فاء الكلمة وهو مسموع فيهما. والثاني: أن «سُكَارَى، وغُيَارَى، وعُجَالَى» وما ورد من نحوها ليست الضمة فيه بدلاً من الفتحة، بل نص سيبويه في كتابه على أنه جمع تكسير أصل، كما أن «فُعَالَى» جمع تكسير أصل، وإنْ كان لا ينقاس الضم كما ينقاس الفتح. قال سيبويه ـ في حد تكسير الصفات ـ: «وقد يكسِّرون بعض هذا على «فُعَالى» وذلك قول بعضهم: عُجَالَى، وسُكَارَى». وقال سيبويه ـ في الأبنية أيضاً ـ: «ويكون «فُعَالى» في الاسم، نحو: حُبَارى، وسُمَانَى، ولُبَادَى. ولا يكون وصفاً إلا أن يكسَّرَ عليه الواحد للجمع، نحو: سُكَارَى، وعُجَالى». فهذان نصان من سيبويه على أنه جمع تكسير. وإذا كان جمع تكسير أصلاً لم يسغ أن يدعى أن أصله «فعالى» وأنه أبدلت الحركة فيه. وذهب المبرد إلى أنه اسم جمع أعني فعالى بضم الفاء وليس بجمع تكسير، فالزمخشري لم يذهب إلى ما ذهب إليه سيبويه، ولا إلى ما ذهب إليه المبرد، لأنه عند المبرد اسم جمع، فالضمة في فائه أصل، ليست بدلاً من الفتحة، بل أحدث قولاً ثالثاً انتهى». انتهى. الدر المصون.

ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾: واذكر إذ قيل لهم؛ والقرية: بيت المقدس.

فإن قلت: كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة؟

قلت: لا بأس باختلاف العبارتين، إذا لم يكن هناك تناقض، ولا تناقض بين قوله: «اسكنوا هذه القرية وكلوا منها»، وبين قوله: «فكلوا»، لأنهم إذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للأكل منها، فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها، وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها، فهم جامعون في الإيجاد بينهم، وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته، وقوله: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: موعد بشيئين: بالغفران، وبالزيادة؛ وطرح الواو لا يخلّ بذلك؛ لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل: وماذا بعد الغفران؟ فقيل له: سنزيد المحسنين؛ وكذلك زيادة: ﴿مِنْهُمْ﴾: زيادة بيان، وأرسلنا، وأنزلنا، و﴿يَظْلِمُونَ﴾: ويفسقون من واد واحد.

وقرىء: «يغفر لكم خطيئاتكم»، و«تغفر لكم خطاياكم»، وخطيئاتكم، وخطيئتكم، على البناء للمفعول.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾

﴿وسلهم﴾: وسل اليهود، وقرىء: «واسألهم»، وهذا السؤال معناه: التقرير، والتقريع، بقديم كفرهم، وتجاوزهم حدود الله، والإعلام بأنّ هذا من علومهم التي لا تعلم إلا بكتاب أو وحي، فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم، علم أنه من جهة٢٦٠/ ب الوحي، ونظيره: همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك: أعدوتم في السبت؟ والقرية: أيلة، وقيل: مدين، وقيل: طبرية، والعرب تسمى المدينة قرية، عن أبي عمرو بن العلاء، ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج، يعني: رجلين من أهل المدن،

﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾: قريبة منه راكبة لشاطئه، ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: إذ يتجاوزون حدّ الله فيه، وهو اصطيادهم في يوم السبت، وقد نهوا عنه.

وقرىء: «يَعدّون»، بمعنى: يعتدون، أدغمت التاء في الدال، ونقلت حركتها إلى العين» و«يُعدّون» من الإعداد، وكانوا يعدّون آلات الصيد يوم السبت، وهم مأمورون بألاّ يشتغلوا فيه بغير العبادة، والسبت: مصدر سبتت اليهود، إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد، فمعناه: يعدون في تعظيم هذا اليوم؛ كذلك قوله: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾، معناه: يوم تعظيمهم أمر السبت؛ ويدل عليه قوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾، قراءة عمر بن عبد العزيز: «يوم إسباتهم».

وقرىء: «لا يسبُتون»، بضم الباء، وقرأ علي: «لا يُسبتون» بضم الياء، من أسبتوا، وعن الحسن: «لا يسبتون» على البناء للمفعول، أي: لا يدار عليهم السبت، ولا يؤمرون بأن يسبتوا.

فإن قلت: إذ يعدون، وإذ تأتيهم، ما محلهما من الإعراب؟

قلت: أمّا الأول: فمجرور بدل من القرية، والمراد بالقرية: أهلها؛ كأنه قيل: واسألهم عن أهل القرية، وقت عدوانهم في السبت، وهو من بدل الاشتمال، ويجوز أن يكون منصوباً بكانت، أو بحاضرة، وأما الثاني: فمنصوب بيعدون، ويجوز أن يكون بدلاً بعد بدل، والحيتان: السمك، وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة، ﴿شُرَّعًا﴾: ظاهرة على وجه الماء، وعن الحسن: تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض، يقال: شرع علينا فلان إذا دنا منا وأشرف علينا، وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا، ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾ أي: مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم، ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾: معطوف على إذ يعدون، وحكمه حكمه في الإعراب، ﴿أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾: جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم، حتى أيسوا من قبولهم، لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم، ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أي: مخترمهم، ومطهر الأرض منهم، ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: لتماديهم في الشر؛ وإنما قالوا ذلك، لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم، ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: موعظتنا إبلاء عذر إلى الله، ولئلا ننسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: ولطمعنا في أن يتقوا بعض الاتقاء، وقرىء: (معذرة) بالنصب، أي: وعظناهم/ ٢٦١أ معذرة إلى ربكم، أو اعتذرنا معذرة، ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ يعني: أهل القرية، فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون، ترك الناسي لما ينساه، ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا﴾: الظالمين الراكبين للمنكر.

فإن قلت: الأمة الذين قالوا: (لم تعظون)، من أي الفريقين هم؟ أمن فريق الناجين أم المعذبين؟

قلت: من فريق الناجين؛ لأنهم من فريق الناهين، وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه؛ حيث لم يروا فيه غرضاً صحيحاً لعلمهم بحال القوم، وإذا علم الناهي حال المنهي، وأن النهي لا يؤثر فيه، سقط عنه النهي، وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث؛ ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين على المآصر[1]، والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه، كان ذلك عبثاً منك؛ ولم يكن إلا سبباً للتلهي بك، وأما الآخرون: فإنما لم يعرضوا عنهم، إمّا: لأن بأسهم لم يستحكم كما استحكم بأس الأولين، ولم يخبروهم كما خبروهم، أو لفرط حرصهم وجدّهم في أمرهم كما وصف الله ـ تعالى ـ رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف: ٦]، وقيل: الأمة هم الموعوظون؛ لما وعظوا قالوا للواعظين: لم تعظون منا قوماً تزعمون أنّ الله مهلكهم أو معذبهم؟

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: يا ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا: لم تعظون قوماً؟

قال عكرمة: فقلت: جعلني الله فداك؛ ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه، وخالفوهم وقالوا: لم تعظون قوماً الله مهلكهم، فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا، وعن الحسن: نجت فرقتان، وهلكت فرقة، وهم الذين أخذوا الحيتان، وروي أنّ اليهود أُمروا باليوم الذي أُمرنا به، وهو يوم الجمعة، فتركوه واختاروا يوم السبت، فابتلوا به، وحرّم عليهم فيه الصيد، وأمروا بتعظيمه، فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً، بيضاً، سماناً، كأنها المخاض، لا يرى الماء من كثرتها، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، فكانوا كذلك برهة من الدهر، ثم جاءهم إبليس، فقال لهم: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت، فاتخذوا حياضاً تسوقون الحيتان إليها يوم السبت، فلا تقدر على الخروج منها، وتأخذونها يوم الأحد، وأخذ رجل منهم حوتاً، وربط في ذنبه خيطاً إلى خشبة في الساحل، ثم شواه يوم الأحد، فوجد جاره ريح السمك، فتطلع في تنوره، فقال له: إني أرى الله سيعذبك، فلما لم يره عذب، أخذ في السبت القابل حوتين، فلما رأوا أنّ العذاب لا يعاجلهم، صادوا، وأكلوا، وملحوا، وباعوا، وكانوا نحواً من سبعين ألفاً، فصار أهل القرية أثلاثاً، ثلث نهوا وكانوا نحواً من اثني عشر ألفاً، وثلث قالوا/ ٢٦١ب: لم تعظون قوماً؟ وثلث: هم أصحاب

---

(١) قوله: «على المآصر» المآصر هي المحابس، من أصره الله حبسه. كذا في الصحاح.

الخطيئة، فلما لم ينتهوا، قال المسلمون: إنا لا نساكنكم، فقسموا القرية بجدار: للمسلمين باب، وللمعتدين باب، ولعنهم داود ـ عليه السلام ـ فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم، ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن للناس شأناً، فعلوا الجدار فنظروا، فإذا هم قردة، ففتحوا الباب، ودخلوا عليهم، فعرفت القرود أنسباءها من الإنس، والإنس لا يعرفون أنسباءهم من القرود، فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه، ويبكي، فيقول: ألم ننهك؟ فيقول برأسه: بلى، وقيل: صار الشباب قردة، والشيوخ خنازير، وعن الحسن: أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها، أثقلها خزياً في الدنيا، وأطولها عذاباً في الآخرة، هاه وايم الله، ما حوتٌ أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم، ولكن الله جعل موعداً، والساعة أدهى وأمرّ، ﴿بَئِيسٍ﴾: شديد، يقال: بؤس ببؤس بأساً، اذا اشتدّ، فهو بئيس.

وقرىء: «بَئِسٍ». بوزن حَذِر، «وبيس» على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء، كما قال: كبد في كبد. وبيس على قلب الهمزة ياء، كذيب في ذئب، وبيئس على فيعل، بكسر الهمزة وفتحها. «وبيس»، بوزن ريس، على قلب همزة بيئس ياء، وإدغام الياء فيها، و«بيس» على تخفيف بيس، كهين في هين، وبائس على فاعل، ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ﴾: فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه؛ كقوله: ﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾، ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً﴾: عبارة عن مسخهم قردة؛ كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ عذبهم أولاً بعذاب شديد، فعتوا بعد ذلك فمسخهم، وقيل: فلما عتوا، تكرير لقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾ والعذاب البئيس: هو المسخ.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: عزم ربك، وهو تفعل من الإيذان، وهو الإعلام؛ لأنّ العازم على الأمر يحدّث نفسه به، ويؤذنها بفعله، وأجرى مجرى فعل القسم؛ كعلم الله، وشهد الله؛ ولذلك أجيب بما يجاب به القسم، وهو قوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾، والمعنى: وإذ حتم ربك وكتب على نفسه، ليبعثنّ على اليهود، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِۗ﴾: فكانوا يؤدّون الجزية إلى المجوس، إلى أن بعث الله محمداً ـ ﷺ ـ فضربها عليهم، فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر، ومعنى: «ليبعثنّ عليهم» ليسلطنّ عليهم؛ كقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥].

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾: وفرقناهم فيها، فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم، ﴿ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ ﴾: الذين آمنوا منهم بالمدينة، أو الذين وراء الصين، ﴿ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ﴾: ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه، وهم الكفرة والفسقة.

فإن قلت: ما محل دون ذلك؟

قلت: الرفع، وهو صفة لموصوف محذوف، معناه: ومنهم ناس منحطون عن الصلاح؛ ونحوه: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾، بمعنى: وما منا أحد إلا له مقام، ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾: بالنعم، والنقم، ﴿ لَعَلَّهُمْ ﴾: ينتهون فينيبون، ﴿ فَخَلَفَ ﴾: من بعد المذكورين، ﴿ خَلْفٌ ﴾: وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ، ﴿ وَرِثُوا الْكِتَابَ ﴾: التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم. يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم، ولا يعملون بها، ﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ ﴾ أي: حطام هذا الشيء الأدنى، يريد الدنيا وما يتمتع به منها، وفي قوله: (هذا الأدنى): تخسيس وتحقير، والأدنى: إما من الدنوّ بمعنى القرب؛ لأنه عاجل قريب، وإما من دنوّ الحال وسقوطها وقلتها، والمراد: ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام على تحريف الكلم للتسهيل على العامة، ﴿ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾: لا يؤاخذنا الله بما أخذنا، وفاعل: (سيغفر) الجار والمجرور، وهو: (لنا)، ويجوز أن يكون الأخذ الذي هو مصدر يأخذون، ﴿ وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾: الواو: للحال، أي: يرجون المغفرة، وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم، غير تائبين، وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة، والمصر لا غفران له، ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ ﴾ يعني: قوله في التوراة: من ارتكب ذنباً عظيماً؛ فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة، ﴿ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾: في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب، والذي عليه المجبرة(١)، هو مذهب اليهود بعينه كما ترى، وعن مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ: يأتي على الناس زمان إن قصروا عما أمروا به، قالوا: سيغفر لنا؛ لأنا لم نشرك بالله شيئاً، كل أمرهم إلى الطمع، خيارهم فيهم المداهنة، فهؤلاء من هذه الأمّة أشباه الذين ذكرهم الله،

(١) قوله: «في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة» يعني أهل السنة، ومذهبهم تجويز المغفرة بمجرد الفضل، لا الطمع فيها مع الإصرار على المعصية.

وتلا الآية، ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾: من ذلك العرض الخسيس، ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: الرشا ومحارم الله.

وقرىء: «ورّثوا الكتاب»، «وألا تقولوا»، بالتاء، «وادّارسوا»، بمعنى: تدارسوا، «وأفلا تعقلون»، بالياء والتاء.

فإن قلت: ما موقع قوله: ﴿أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾؟

قلت: هو عطف بيان لميثاق الكتاب، ومعنى: «ميثاق الكتاب»، الميثاق المذكور في الكتاب، وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب، وافتراء على الله، وتقوّل عليه ما ليس بحق، وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان: (أن لا يقولوا): مفعولاً له، ومعناه: لئلا يقولوا، ويجوز أن تكون: (أن): مفسرة، و(لا تقولوا): نهياً، كأنه قيل: ألم يقل لهم: لا تقولوا على الله إلا الحق؟

فإن قلت: علام عطف قوله: (ودرسوا ما فيه)؟

قلت: على ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم﴾؛ لأنه تقرير، فكأنه قيل: أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون مرفوعاً بالابتداء، وخبره: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾، والمعنى: إنا لا نضيع أجرهم؛ لأنّ المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب؛ كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠]، والثاني: أن يكون مجروراً عطفاً على الذين يتقون،/ ٢٦٢ب ويكون قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾: اعتراضاً.

وقرىء: «يمسكون»، بالتشديد؛ وتنصره قراءة أبيّ: «والذين مسكوا بالكتاب».

فإن قلت: التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة، ومنها إقامة الصلاة، فكيف أفردت؟

قلت: إظهاراً لمزية الصلاة؛ لكونها عماد الدين، وفارقة بين الكفر والإيمان، وقرأ ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «والذين استمسكوا بالكتاب».

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾: قلعناه ورفعناه؛ كقوله: ﴿ورفعنا فوقهم الطور﴾، ومنه: نتق

السقاء، إذا نفضه ليقتلع الزبدة منه، والظلة: كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب، وقرىء: بالطاء، من أطل عليه إذا أشرف، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ﴾: وعلموا أنه ساقط عليهم، وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة؛ لغلظها وثقلها، فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم، وكان فرسخاً في فرسخ، وقيل لهم: إن قبلتموها بما فيها، وإلا ليقعن عليكم، فلما نظروا إلى الجبل، خرَّ كل رجل منهم ساجداً على حاجبه الأيسر، وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً من سقوطه؛ فلذلك لا ترى يهوديًّا يسجد إلا على حاجبه الأيسر، ويقولون: هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة، ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله، لم يبق جبل، ولا شجر، ولا حجر إلا اهتز؛ فلذلك لا ترى يهوديًّا تقرأ عليه التوراة إلا اهتز وأنغض لها رأسه[1]، ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾: على إرادة القول، أي: وقلنا خذوا ما آتيناكم، أو قائلين: خذوا ما آتيناكم من الكتاب، ﴿بِقُوَّةٍ﴾: وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه، ﴿وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾: من الأوامر، والنواهي، ولا تنسوه، أو واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه، ويجوز أن يراد: خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوّة إن كنتم تطيقونه؛ كقوله: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُواْ﴾ [الرحمن: ٣٣]، ﴿وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾: من الدلالة على القدرة الباهرة والإنذار، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: ما أنتم عليه، وقرأ ابن مسعود: «وتذكروا»، وقرىء: «واذّكروا»، بمعنى: وتذكروا.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾: بدل من بني آدم بدل البعض من الكل، ومعنى أخذ ذرّياتهم من ظهورهم: إخراجهم من أصلابهم نسلاً وإشهادهم على أنفسهم، وقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾: من باب التمثيل والتخييل[2]! ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته

---

(١) قوله: «وأنغض لها رأسه» أي حرك رأسه كالمتعجب. أفاده الصحاح.

(٢) قال محمود: «هذا من باب التمثيل والتخييل... إلخ» قال أحمد: إطلاق التمثيل أحسن، وقد ورد الشرع به. وأما إطلاقه التخييل على كلام الله تعالى فمردود، ولم يرد به سمع، وقد كثر إنكارنا عليه لهذه اللفظة. ثم إن القاعدة مستقرة على أن الظاهر ما لم يخالف المعقول يجب إقراره على ما هو عليه، فلذلك أقره الأكثرون على ظاهره وحقيقته ولم يجعلوه مثالاً. وأما كيفية الإخراج والمخاطبة فالله أعلم بذلك.

ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم، وبصائرهم التي ركبها فيهم، وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم، وقررهم، وقال لهم: ألست بربكم؟ وكأنهم قالوا: بلى، أنت ربنا، شهدنا على أنفسنا، وأقررنا بوحدانيتك، وباب التمثيل واسع في كلام الله - تعالى - ورسوله - عليه السلام - وفي كلام العرب، ونظيره قوله تعالى/ ٢٦٣أ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠]، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقوله [من الرجز]:

إِذْ قَالَتِ الأَنْسَاعُ لِلْبَطْنِ: ٱلْحَقِي(١)

[ومن الرجز]:

قَالَتْ لَهُ رِيحُ الصَّبَا: قَرْقَارِ(٢)

ومعلوم أنه لا قول نم، وإنما هو تمثيل، وتصوير للمعنى، ﴿أَن تَقُولُوا﴾: مفعول له، أي: فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول، كراهة ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾: لم ننبه عليه، ﴿أَوْ﴾: كراهة أن: ﴿تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ

---

(١) مر شرح هذا الشاهد عند تفسير آية ١١٧ من سورة البقرة فراجعه هناك إن شئت اهـ.

(٣) قالت له ريح الصبا قرقار   واختلط المعروف بالإنكار

لأبي النجم العجلي. و«قرقار» اسم فعل بمعنى قرقر: أمر للسحاب لتنزيله منزلة العاقل، أي: صوت بالرعد. هذا قول سيبويه. وقال المبرد تبعاً للمازني: هو حكاية صوت الرعد، وهو على كل مبني على الكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين، لكنه على الأول متحمل للضمير، فهو مركب. وعلى الثاني: لا ضمير فيه، فهو مفرد، لكن فيه أن حكاية الأصوات لا تفيد حثا ولا زجراً. وهنا يفيد الحث لقرينة المقام ولا فعل لها، وهذا له فعل. يقال: قرقرت الدجاجة إذا صوتت، إلا أن يقال إن المعنى: صوت يا رعد قرقار. وقولهم: قرقرت الدجاجة، مأخوذ من قرقار، كما أخذوا العياط من عيط بكسرتين بينهما سكون، حكاية لصوت المتلاعبين. واختلط يحتمل أنه أمر وهو أنسب بما قبله. ويحتمل أنه ماض. والمراد بالإنكار المنكر، ولا قول للريح. وإنما شبهها حيث تسوق السحاب بمن يصح منه القول، على طريق المكنية والقول تخييل. ويجوز أن يستعار القول لصوت السحاب، على طريق التصريح. ويجوز أنه من باب الكناية. وعلى هذا النحو قوله في ناقة صالح: فأتاها أحيمر كأخي السهم بغضب، فقال كوني عقيراً. وصرف الممنوع للضرورة. وأضاف الملقى لغير الملقى، ليدل على الملازمة لوجه شبه العاقر بالمبهم. أي قالت الصبا للسحاب: قرقر بالرعد. واختلط الأماكن التي اعتدت سقيها بالتي كنت لا تبلغها بالسقي، أي سو بين الجميع فيه. ويحتمل أن المعروف المطر والمنكر الرعد والبرق والصواعق، أي افعل الجميع على أنه ماض، فهو عطف على قالت. وليس من قول الريح. وعليه فيجوز أيضاً رفع المعروف، ويكون الفعل لازماً. وهذا البيت من أبيات الكتاب.

ينظر: الكتاب (٣/ ٢٧٦)، وشرح المفصل لابن يعيش (٤/ ٥١)، والأشموني (٣/ ١٦٠)، الدر المصون (٣/ ٣٧١).

﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: فاقتدينا بهم؛ لأن نصب الأدلة على التوحيد، وما نبهوا عليه قائم معهم، فلا عذر لهم في الإعراض عنه، والإقبال على التقليد، والاقتداء بالآباء، كما لا عذر لآبائهم في الشرك ـ وأدلة التوحيد منصوبة لهم.

فإن قلت: بنو آدم وذرّياتهم من هم[1]؟

قلت: عنى ببني آدم: أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله؛ حيث قالوا: عزير ابن الله، وبذرّياتهم: الذين كانوا في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ من أخلافهم المقتدين بآبائهم؛ والدليل على أنها في المشركين وأولادهم: قوله: ﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ﴾ والدليل على أنها في اليهود: الآيات التي عطفت عليها هي، والتي عطفت عليها، وهي على نمطها وأسلوبها؛ وذلك قوله: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ﴾، ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾، ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ﴾، ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٥]. ﴿أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ أي: كانوا السبب في شركنا؛ لتأسيسهم الشرك، وتقدّمهم فيه، وتركه سنة لنا، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثل ذلك التفصيل البليغ، ﴿نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: لهم، ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: وإرادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها.

وقرىء: «ذريتهم»، على التوحيد، «وأن يقولوا»: بالياء.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾: على اليهود، ﴿نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾: هو عالم من علماء بني إسرائيل، وقيل: من الكنعانيين، اسمه «بلعم بن باعوراء» أوتي علم بعض كتب الله، ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾: من الآيات، بأن كفر بها، ونبذها وراء ظهره، ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: فلحقه الشيطان، وأدركه، وصار قريناً له، أو: فأتبعه خطواته.

وقرىء: «فاتبعه»، بمعنى: فتبعه، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾: فصار من الضالين الكافرين، روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى، ومن معه، فأبى، وقال: كيف

---

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت بنو آدم وذرياتهم من هم... إلخ»؟ قال أحمد: والأظهر أنها شاملة لجملة بني آدم فتدخل اليهود في عمومها، لأن كل واحد من بني آدم يصدق عليه الأمران جميعاً أنه ابن آدم وأنه ذريته، ولا يخرج من هذا إلا آدم عليه السلام، وإنما لم يذكر لظهوره، ولا يخلو الكلام عن النوع المسمى في فن البلاغة باللف اختصاراً وإيجازاً.

أدعو على من معه الملائكة، فألحوا عليه، ولم يزالوا به حتى فعل، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾: لعظمناه، ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات، ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: مال إلى الدنيا، ورغب فيها، وقيل: مال إلى السفالة.

فإن قلت: كيف علق رفعه بمشيئة الله ـ تعالى ـ ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع؟

قلت: المعنى: ولو لزم/ ٢٦٣ب العمل بالآيات، ولم ينسلخ منها، لرفعناه بها، وذلك أن مشيئة الله ـ تعالى ـ رفعه تابعة؛ للزومه الآيات، فذكرت المشيئة، والمراد: ما هي تابعة له ومسببة عنه، كأنه قيل: ولو لزمها لرفعناه بها؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله، فوجب أن يكون: (ولو شئنا)، في معنى ما هو فعله، ولو كان الكلام على ظاهره، لوجب أن يقال: ولو شئنا لرفعناه، ولكنا لم نشأ، ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾: فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة، كصفة الكلب في أخس أحواله، وأذلها، وهي حال دوام اللهث[1] به واتصاله، سواء حمل عليه ـ أي: شدّ عليه، وهيج فطرد ـ أو ترك غير متعرّض له بالحمل عليه؛ وذلك أنّ سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هيج منه وحرّك، وإلا لم يلهث، والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعاً، وكان حق الكلام أن يقال: ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض، فحططناه، ووضعنا منزلته، فوضع قوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾: موضع حططناه أبلغ حط؛ لأنّ تمثيله بالكلب في أخس أحواله، وأذلها في معنى ذلك، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: الكلب منقطع الفؤاد، يلهث إن حمل عليه، أو لم يحمل عليه، وقيل: معناه إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال، كالكلب إن طردته فسعى لهث، وإن تركته على حاله لهث.

فإن قلت: ما محل الجملة الشرطية؟

قلت: النصب على الحال؛ كأنه قيل: كمثل الكلب ذليلاً دائم الذلة لاهثاً في الحالتين، وقيل: لما دعا بلعم على موسى ـ عليه السلام ـ خرج لسانه فوقع على صدره، وجعل يلهث كما يلهث الكلب، ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: من اليهود بعد ما قرؤا نعت رسول الله ـ ﷺ ـ في التوراة، وذكر القرآن المعجز وما فيه، وبشروا الناس

---

(١) قوله: «دوام اللهث به» في الصحاح لهث الكلب إذا خرج لسانه من التعب أو العطش. وقوله تعالى ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ لأنك إذا حملت على الكلب نبح وولى هارباً. وإن تركته شد عليك ونبح، فيتعب نفسه في الحالين فيعتريه عند ذلك ما يعتريه عند العطش من إخراج اللسان.

باقتراب مبعثه، وكانوا يستفتحون به، ﴿فَٱقْصُصِ﴾: قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فيحذرون مثل عاقبته، إذ ساروا نحو سيرته، وزاغوا شبه زيغه، ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي، فيزدادوا إيقاناً بك، وتزداد الحجة لزوماً لهم.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾: أي: مثل القوم، أو ساء أصحاب مثل القوم، وقرأ الجحدري: ساء مثل القوم»، ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾: إما أن يكون معطوفاً على كذبوا، فيدخل في حيز الصلة بمعنى: الذين جمعوا بين التكذيب، بآيات الله، وظلم أنفسهم، وإما أن يكون كلاماً منقطعاً عن الصلة، بمعنى: وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب، وتقديم المفعول به للاختصاص؛ كأنه قيل: وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدّها إلى غيرها.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾: حمل على اللفظ، و﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾: حمل على المعنى.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾/ ٢٦٤أ: هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم، وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق، ولا ينظرون بأعينهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار، ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر، كأنهم عدموا فهم القلوب، وإبصار العيون، واستماع الآذان، وجعلهم ـ لإعراقهم[1] في الكفر، وشدّة شكائمهم فيه، وأنه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار ـ مخلوقين للنار؛ دلالة على توغلهم في الموجبات، وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار؛ ومنه كتاب عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى خالد بن الوليد: بلغني أن أهل الشام اتخذوا لك دلوكاً[2] عجن تخمر، وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار (٦١٢)، ويقال لمن كان عريقاً في بعض الأمور: ما خلق فلان إلا لكذا،

---

٦١٢ ـ عزاه الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٤٧٣) إلى أبي عبيد القاسم بن سلام في «غريب الحديث».
قال الحافظ: أخرجه أبو عبيد في غريبه: حدثني إسماعيل بن عياش عن حميد بن ربيعة عن سليمان. =

---

(١) قوله: «لإعراقهم» يقال أعرق الشجر والنبات ـ بالعين المهملة ـ إذا امتدت عروقه في الأرض. وأغرق النازع في القوس ـ بالمعجمة ـ أي استوفى مدها اهـ من الصحاح.
(٢) قوله: «دلوكاً» في الصحاح: الدلوك ما يدلك به من طيب وغيره.

والمراد: وصف حال اليهود[1] في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله ـ ﷺ ـ مع علمهم أنه النبي الموعود، وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم، كأنهم خلقوا للنار، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: في عدم الفقه، والنظر للاعتبار، والاستماع للتدبر، ﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾: من الأنعام، عن الفقه، والاعتبار، والتدبر، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾: الكاملون في الغفلة، وقيل: الأنعام تبصر منافعها ومضارّها فتلزم بعض ما تبصره، وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: التي هي أحسن الأسماء[2]؛ لأنها تدل على معان حسنة، من تمجيد وتقديس، وغير ذلك، ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾: فسموه بتلك الأسماء، ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾: واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها، فيسمونه بغير الأسماء الحسنى؛ وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه، كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم[3]: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، يا نخيّ، أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى، نحو أن يقولوا: يا ألله، ولا يقولوا: يا رحمن، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ﴾ [الإسراء: ١١٠] ويجوز أن يراد: لله الأوصاف الحسنى[4]، وهي الوصف بالعدل، والخير، والإحسان، وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها، وذروا الذين

= قال الحافظ: أخرجه أبو عبيد في غريبه: حدثني إسماعيل بن عياش عن حميد بن ربيعة عن سليمان بن موسى: أن عمر كتب إلى خالد ـ فذكره منقطعاً. انتهى.

---

(١) قوله: «والمراد وصف حال اليهود» إنما فسره بذلك لأنه تعالى يجب عليه الأصلح للعبد عند المعتزلة، وخلقه لجهنم ليس أصلح له. وعند أهل السنة لا يجب عليه شيء.

(٢) قال محمود: «معنى الحسنى التي هي أحسن الأسماء... إلخ» قال أحمد: أي مما يجوز عليه وإن لم يرد إطلاقه شرعاً، كالشريف والعارف، ونحو ذلك.

(٣) قال محمود: «كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم... إلخ» قال أحمد: وفي هذا التأويل بعد، لأن ترك الدعاء ببعض الأسماء لا يطلق عليه إلحاد في العرف، وإنما يطلق على فعل لا على ترك، ولكن يتميز عن الوجه السالف بأنه أضاف الأسماء الملحد فيها إلى ذاته، وهذا أدل على الرحمن منه على مثل أبيض الوجه ونحوه، فإن هذا ليس من أسمائه، إلا أن يقال: أضافه إليه تنزيلاً على زعمهم.

(٤) قال محمود: «ويجوز أن يراد: لله الأوصاف الحسنى، وهي الوصف بالعدل والخير... إلخ» قال أحمد: لا يدع حشو العقائد الفاسدة في غير موضع يسعها، فإن يكن المراد الأوصاف، فالحسنى منها وصف الله بعموم القدرة والانفراد بالمخلوقات، حتى لا يشرك معه عباده في خلق أفعالهم. =

يلحدون[1] في أوصافه، فيصفونه بمشيئة القبائح، وخلق الفحشاء، والمنكر، وبما يدخل في التشبيه، كالرؤية، ونحوها، وقيل: إلحادهم في أسمائه: تسميتهم[2] الأصنام: آلهة، واشتقاقهم اللات من الله، والعزى من العزيز.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾

لما قال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا﴾ فأخبر أنّ كثيراً من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار، أتبعه قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾، وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه كان يقول إذا قرأها: «هٰذِهِ لَكُمْ، وَقَدْ أُعْطِيَ الْقَوْمَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِثْلُهَا» (٦١٣)، ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾/ ٢٦٤ب، وعنه ـ ﷺ ـ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْماً عَلَى الْحَقِّ حَتَّىٰ يَنْزِلَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ» (٦١٤)، وعن الكلبي: هم الذين آمنوا من أهل الكتاب، وقيل: هم العلماء، والدعاة إلى الدين.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾

---

٦١٣ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٧٢)، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٤٧٤) رقم (٤٧٧) إلى الثعالبي في تفسيره.
قال الحافظ:
ذكره الثعلبي عن قتادة وابن جريج. وإسناده إليهما مذكور في أول كتابه. انتهى.

٦١٤ ـ أخرجه أحمد في مسنده: (٤/ ٤٢٩ و٤٣٤ و٤٣٧) عن عمران بن حصين به.
وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده: (٤/ ٥٩ ـ ٦٠) رقم (٣١٣/ ٢٠٧٨)، وأحمد (٣/ ٣٤٥ ـ ٣٨٤) عن جابر فذكره.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٧٢)، وعزاه الزيلعي (١/ ٤٧٤) رقم (٤٧٨) إلى البخاري في تاريخه الأوسط في ترجمة عبيد الله الطفاوي عن جابر به.
كما عزاه إلى الثعلبي في تفسيره عن الربيع بن أنس به. =

= ويعظم الله تعالى بأنه لا يسأل عما يفعل، وأن كل قضائه عدل، وأنه لا يجب عليه رعاية ما يتوهمه الخلق مصلحة بعقولهم، وأن وعده الصدق وقوله الحق. وقد وعد رؤيته فوجب وقوعها، إلى غير ذلك من أوصافه الجليلة، وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيجحدونها، ثم يزعمون أنه لا تشمل قدرته المخلوقات، بل هي مقسومة بينه وبين عباده، ويوجبون عليه رعاية ما يتوهمونه مصلحة، ويحجرون واسعاً من مغفرته وعفوه وكرمه على الخطائين من موحديه، إلى غير ذلك من الإلحاد المعروف بالطائفة المتلقبين عدلية، المزكين لأنفسهم وهو أعلم بمن اتقى.

(١) قوله: «وذر الذين يلحدون» يريد أهل السنة القائلين: كل كائن فهو مراد ومخلوق له تعالى ولو شرا، وتجوز رؤيته، خلافاً للمعتزلة في كل ذلك، كما تقرر في محله.

(٢) قال محمود: «وقيل إلحادهم في أسمائه: تسميتهم. . . إلخ» قال أحمد: وهذا تفسير حسن ملائم، والله أعلم.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

الاستدراج: استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد، أو الاستنزال درجة بعد درجة؛ قال الأعشى [من الطويل]:

فَلَوْ كُنْتَ فِي جُبٍّ ثَمَانِينَ قَامَةً وَرُقِّيتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ
لَيَسْتَدْرِجَنْكَ الْقَوْلُ حَتَّى تَهُرَّهُ وَتَعْلَمَ أَنِّي عَنْكُمُ غَيْرُ مُفْحَمِ[1]

ومنه: درج الصبي إذا قارب بين خطاه، وأدرج الكتاب: طواه شيئاً بعد شيء، ودرج القوم: مات بعضهم في أثر بعض، ومعنى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: سنستدنيهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم، ويضاعف عقابهم، ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما يراد بهم، وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغيّ، فكلما جدّد عليهم نعمة، ازدادوا بطراً، وجدّدوا معصية، فيتدرّجون في المعاصي بسبب ترادف النعم، ظانين أنّ مواترة النعم أثرة من الله وتقريب؛ وإنما هي خذلان منه وتبعيد، فهو استدراج الله تعالى، نعوذ بالله منه، ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: عطف على (سنستدرجهم)، وهو داخل في حكم السين، ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: سماه كيداً؛ لأنه شبيه بالكيد؛ من حيث أنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان، ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾: بمحمد ـ ﷺ ـ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: من جنون، وكانوا يقولون، شاعر مجنون، وعن قتادة أنّ النبي ـ ﷺ ـ علا الصفا، فدعاهم فخذاً فخذاً، يحذرهم بأس الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يهوّت[2] إلى الصباح (٦١٥) ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾: نظر استدلال،

= قال الحافظ:

ذكره الثعلبي عن الربيع بن أنس: «وإسناده إليه في أول كتابه. رواه أحمد من حديث عمران بن حصين بلفظ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى يأتي أمر الله، وينزل عيسى بن مريم»، وفي تاريخ البخاري عن عبيدالله الطفاوي عن جابر نحوه، ورواه أبو يعلى من وجه آخر، وزاد: «فيقول إمامهم: تقدم يا روح الله، فيقول: أنتم أحق، أمر أكرم الله به هذه الأمة». انتهى.

٦١٥ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ١٣٤ ـ ١٣٥) رقم (١٥٤٧٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٧٣) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن قتادة به. وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٤٧٥) رقم (٤٨٠) إلى الثعالبي في تفسيره. =

---

(١) تقدم.
وينظران في ديوانه ١٨٢، الكتاب ٢/ ٢٨ مجاز القرآن ١/ ٣٠٢، ابن يعيش ٢/ ٧٤، الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٣٢، اللسان؛ سبب: درج الدر المصون ٣/ ٣٧٦.

(٢) قوله: «بات يهوت» أي يصيح.

﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فيما تدلان عليه من عظم الملك، والملكوت: الملك العظيم، ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾: وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء، من أجناس لا يحصرها العدد، ولا يحيط بها الوصف، ﴿وَأَنْ عَسَىٰ﴾: «أنْ» مخففة من الثقيلة، والأصل: أنه عسى، على أن الضمير ضمير الشأن، والمعنى: أو لم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى، ﴿أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾: ولعلهم يموتون عما قريب، فيسارعوا إلى النظر، وطلب الحق، وما ينجيهم، قبل مغافصة الأجل[1]، وحلول العقاب، ويجوز أن يراد باقتراب الأجل: اقتراب الساعة، ويكون من «كان» التي فيها ضمير الشأن.

فإن قلت: بم يتعلق قوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾؟

قلت: بقوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾، كأنه قيل: لعلّ أجلهم قد اقترب، فما لهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن قبل الفوت، وماذا ينتظرون بعد وضوح الحقّ، وبأيّ حديث أحقّ منه يريدون أن يؤمنوا.

﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦)﴾

قرىء: ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾، بالياء والنون، والرفع على الاستئناف/ ٢٦٥أ، ويذرهم، بالياء، والجزم، عطفاً على محل، ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾، كأنه قيل: من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: قيل إن قوماً من اليهود قالوا: يا محمد، أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيًا؛ فإنا نعلم متى هي، وكان ذلك امتحاناً منهم، مع علمهم أن الله ـ تعالى ـ قد استأثر بعلمها، وقيل: السائلون قريش، و﴿السَّاعَةِ﴾: من الأسماء الغالبة، كالنجم للثريًا، وسميت القيامة بالساعة؛ لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها، أو على العكس لطولها، أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق، ﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى: متى، وقيل: اشتقاقه من أيّ

= قال الحافظ: أخرجه الطبري بإسناد صحيح إلى قتادة قال: «ذكر لنا ـ فذكره. فأنزل الله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ . . . الآية﴾ انتهى.

(١) قوله: «قبل مغافصة الأجل» أي أخذه إياهم على حين غفلة. اهـ من الصحاح.

فعلان منه؛ لأن معناه: أيّ وقت، وأي فعل، من أويت إليه؛ لأن البعض آوٍ إلى الكل متساند إليه، قاله ابن جنى، وأبى أن يكون من «أين»؛ لأنه زمان، و«أين»: مكان، وقرأ السلمي: «إِيان»، بكسر الهمزة(1)، ﴿مُرْسَنٰهَا﴾: إرساؤها، أو وقت إرسائها؛ أي إثباتها وإقرارها، وكل شيء ثقيل رسوّه ثباته واستقراره، ومنه: رسى الجبل، وأرسى السفينة، والمرسى: الأنجر الذي ترسى به، ولا أثقل من الساعة؛ بدليل قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والمعنى: متى يرسيها الله، ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ أي: علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به، لم يخبر به أحداً من ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل، يكاد يخفيها من نفسه؛ ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية، كما أخفى الأجل الخاص، وهو وقت الموت لذلك، ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا تزال خفية، لا يظهر أمرها، ولا يكشف خفاء علمها، إلا هو وحده إذا جاء بها في وقتها بغتة، لا يجليها(2) بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه؛ لاستمرار الخفاء بها على غيره إلى وقت وقوعها، ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة، وبودّه أن يتجلى له علمها، وشق عليه خفاؤها، وثقل عليه، أو ثقلت فيها؛ لأن أهلها يتوقعونها، ويخافون شدائدها وأهوالها، أو لأن كل شيء لا يطيقها، ولا يقوم لها، فهي ثقيلة فيها، ﴿إِلَّا بَغْتَةً﴾: إلا فجأة على غفلة منكم، وعن النبي ـ ﷺ ـ «إِنَّ السَّاعَةَ تُهِيجُ بِالنَّاسِ وَالرَّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضَهُ(3)، وَالرَّجُلُ يَسْقِي مَاشِيَتَهُ، وَالرَّجُلُ يُقَوِّمُ سِلْعَتَهُ فِي سُوقِهِ، وَالرَّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ» (٦١٦)، ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾: كأنك عالم بها، وحقيقته: كأنك بليغ في السؤال عنها(4)؛ لأن من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه، استحكم علمه فيه

---

٦١٦ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٦/١٣٨) رقم (١٥٤٩٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٧٤)، وعزاه لابن جرير وعبد بن حميد وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٤٧٦) رقم (٤٨٠) إلى الثعالبي في تفسيره.
قال الحافظ: أخرجه الطبري بالإسناد المذكور إلى قتادة قال ذكر لنا ـ فذكره، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رفعه: «لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن. . . ـ الحديث». انتهى.

---

(١) قوله: «وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة» في الصحاح «أيان» سؤال عن زمان و«إيان» بكسر الهمزة لغة سليم. وبه قرأ السلمي (إيان يبعثون) (ع).

(٢) قوله: «بغتة لا يجليها» لعله: وقيل لا يجليها، بل لعله «أو لا يجليها» (ع).

(٣) قوله: «والرجل يصلح حوضه» في البخاري: يليط حوضه. وروى «يلوط» أي يصلحه اهـ.

(٤) قال محمود: «معناه كأنك بليغ في السؤال عنها. . . إلخ» قال أحمد وفي هذا النوع من التكرير نكتة لا تلقى إلا في الكتاب العزيز، وهو أجل من أن يشارك فيها، وذاك أن المعهود في أمثال هذا التكرير أن الكلام إذا بني على مقصد، واعترض في أثنائه عارض فأريد الرجوع لتتميم المقصد =

ورصن[1]، وهذا التركيب معناه المبالغة، ومنه: إحفاء الشارب، واحتفاء البقل: استئصاله، وأحفى في المسألة، إذا ألحف[2]، وحفى بفلان وتحفى به: بالغ في البرّ به، وعن مجاهد: استحفيت عنها السؤال حتى علمت.

وقرأ ابن مسعود: «كأنك حفيّ بها»، أي: عالم بها، بليغ في العلم/ ٢٦٥ب بها، وقيل: (عنها): متعلق بيسألونك، أي: يسألونك عنها كأنك حفيّ، أي: عالم بها، وقيل: إن قريشاً قالوا له: إن بيننا وبينك قرابة، فقل لنا متى الساعة؟ فقيل: يسألونك عنها كأنك حفيّ تتحفى بهم، فتختصهم بتعليم وقتها، لأجل القرابة، وتزوي علمها عن غيرهم، ولو أخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في إخبارك به، لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص؛ كسائر ما أوحي إليك، وقيل: «كأنك حفيّ بالسؤال عنها تحبه وتؤثره»، يعني: أنك تكره السؤال عنها؛ لأنها من علم الغيب الذي استأثر الله به، ولم يؤته أحداً من خلقه.

= الأول وقد بعد عهده، طرى بذكر المقصد الأول لتتصل نهايته ببدايته، وقد تقدم لذلك في الكتاب العزيز أمثال، وسيأتي وهذا منها، فإنه لما ابتدأ الكلام بقوله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ ثم اعترض ذكر الجواب المضمن في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ إلى قوله (بغتة) أريد تتميم سؤالهم عنها بوجه من الإنكار عليهم، وهو المضمن في قوله ﴿كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾ وهو شديد التعلق بالسؤال، وقد بعد عهده فطرى ذكره تطرية عامة، ولا نراه أبداً يطري إلا بنوع من الإجمال كالتذكرة للأول مستغنى عن تفصيله بما تقدم، فمن ثم قيل (يسألونك) ولم يذكر المسؤول عنه وهو الساعة، اكتفاء بما تقدم، فلما كرر السؤال لهذه الفائدة كرر الجواب أيضاً مجملاً فقال ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ ويلاحظ هذا في تلخيص الكلام بعد بسطه. ومن أدق ما وقفت عليه العرب في هذا النمط من التكرير لأجل بعد العهد تطرية للذكر قوله [من الرجز]:

عجل لنا هذا وألحقنا بذا الـ شحم إنا قد مللناه بجل

أي فقط، فذكر الألف واللام خاتمة للأول من الرجزين، ثم لما استفتح الرجز الثاني استبعد العهد بالأولى، فطرى ذكرها وأبقى الأولى في مكانها. ومن ثم استدل ابن جني على أن ما كان من الرجز على ثلاثة أجزاء فهو بيت كامل وليس بنصف، كما ذهب إليه أبو الحسن، قال: ولو كان بيتاً واحداً لم يكن عهد الأولى متباعداً، فلم يكن محتاجاً إلى تكريرها. ألا ترى أن عبيداً لما جاء بقصيدة طويلة الأبيات وجعل آخر المصراع الأول أل، لم يعدها أول المصراع الثاني، لأنها بيت واحد، فلم ير عهدها بعيداً. وذلك قوله [من الرمل]:

يا خليلي أربعا واستخبرا الـ منزل الدارس من أهل الحلال
مثل سحق البرد عني بعدك الـ قطر مغناه وتأويب الشمال

ثم استرسل فيها كذلك بضعة عشر بيتاً، فانظر هذه النكتة كيف بالغت العرب في رعايتها حتى عدت القريب بعيداً والمتقاصر مديداً، فتأملها فإنها تحفة إنما تنفق عند الحذاق الأعيان في صناعتي العربية والبيان، والله المستعان.

(١) قوله: «ورصن» أي: ثبت وتمكن اهـ (ع).
(٢) قوله: «إذا ألحف» أي ألح وعنف اهـ (ع).

فإن قلت: لم كرر يسألونك، وإنما علمها عند الله؟

قلت: للتأكيد، ولما جاء به من زيادة قوله: ﴿كأنك حفي عنها﴾، وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة، منهم: محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ـ رحمهما الله ـ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنه العالم بها، وأنه المختص بالعلم بها.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى﴾: هو إظهار للعبودية، والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب، أي: أنا عبد ضعيف، لا أملك لنفسي اجتلاب نفع، ولا دفع ضرر، كما المماليك والعبيد، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ﴾: ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني، ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾: لكانت حالي على خلاف ما هي عليه، من استكثار الخير، واستغزار المنافع، واجتناب السوء والمضارّ، حتى لا يمسني شيء منها، ولم أكن غالباً، مرة ومغلوباً أخرى في الحروب، ورابحاً وخاسراً في التجارات، ومصيباً مخطئاً في التدابير، ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا﴾: عبد أرسلت نذيراً وبشيراً، وما من شأني أني أعلم الغيب، ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يجوز أن يتعلق بالنذير، والبشير جميعاً؛ لأن النذارة والبشارة إنما تنفعان فيهم، أو يتعلق بالبشير وحده، ويكون المتعلق بالنذير محذوفاً، أي: إلا نذير للكافرين، وبشير لقوم يؤمنون.

﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾

﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: وهي نفس آدم، عليه السلام، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: وهي حواء، خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه، أو من جنسها؛ كقوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الشورى: ١١]. ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليطمئن إليها، ويميل ولا تنفر؛ لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس، وإذا كانت بعضاً منه، كان السكون والمحبة أبلغ، كما يسكن الإنسان إلى ولده، ويحبه محبة نفسه، لكونه بضعة منه.

وقال: (ليسكن): فذكر بعد ما أنث في قوله: واحدة منها زوجها، ذهاباً إلى معنى النفس؛ ليبين أن المراد بها آدم، ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها، فكان

التذكير أحسن طباقاً للمعنى، والتغشي: كناية عن الجماع، وكذلك الغشيان والإتيان، ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾: خف عليها، ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى، ولم تستثقله كما يستثقلنه، وقد تسمع/ ٢٦٦أ بعضهن تقول في ولدها: ما كان أخفه على كبدي حين حملته، ﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦ﴾: فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج، ولا إزلاق[(١)]، وقيل: ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ يعني: النطفة، (فمرت به): فقامت به وقعدت، وقرأ ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «فاستمرت به»، وقرأ يحيى بن يعمر: «فمرت به»، بالتخفيف، وقرأ غيره: «فمارت به»، من المرية؛ كقوله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ [النجم: ١٢] وأفتمرونه. ومعناه: فوقع في نفسها ظن الحمل، فارتأبت به، ﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾ حان وقت ثقل حملها؛ كقولك: أقربت[(٢)]، وقرىء: «أُثقلت»، على البناء للمفعول: أي أثقلها الحمل (دعوا الله ربهما) دعا آدم وحواء ربهما، ومالك أمرهما الذي هو الحقيقي بأن يدعى ويلتجأ إليه، فقالا: ﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا﴾: لئن وهبت لنا. ﴿صالحاً﴾: ولداً سوياً قد صلح بدنه وبرىء[(٣)]، وقيل: ولداً ذكراً؛ لأن الذكورة من الصلاح والجودة، والضمير في: ﴿ءَاتَيۡتَنَا﴾، و﴿لَنَكُونَنَّ﴾: لهما، ولكل من يتناسل من ذرّيتهما[(٤)]، ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾: ما طلباه من الولد الصالح السويّ، ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ أي: جعل أولادهما له شركاء، على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك: ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ أي: آتى أولادهما؛ وقد دلّ على ذلك بقوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾؛ حيث جمع الضمير، وآدم وحواء بريئان من الشرك، ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله: تسميتهم أولادهم بعبد العزى، وعبد مناة[(٥)]،

---

(١) قوله: «من غير إخداج ولا إزلاق» إخداج: أي نقصان. ولا إزلاق: أي إسقاط.

(٢) قوله: «كقولك أقربت» أي قرب ولادها (ع).

(٣) قوله: «وبرئ» لعله: وبرئ من الآفات (ع).

(٤) قال محمود: «الضمير في (آتيتنا) و(لنكونن) لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما. . . إلخ» قال أحمد: وأسلم من هذين التفسيرين وأقرب ـ والله أعلم ـ أن يكون المراد جنسي الذكر والأنثى، لا يقصد فيه إلى معين، وكان المعنى ـ والله أعلم ـ خلقكم جنساً واحداً، وجعل أزواجكم منكم أيضاً لتسكنوا إليهن، فلما تغشى الجنس الذي هو الذكر الجنس الآخر الذي هو الأنثى جرى من هذين الجنسين كيت وكيت. وإنما نسب هذه المقالة إلى الجنس وإن كان فيهم الموحدون، لأن المشركين منهم ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ و﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾، ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢﴾ كما أنه كذلك على التفسير الأول أضاف الشرك إلى أولاد آدم وحواء وهو واقع من بعضهم وعلى التفسير الثاني أضافه إلى قصي وعقبة، والمراد البعض؛ فهذا السؤال وارد على التأويلات الثلاثة، وجوابه واحد ويسلم هذا الثالث من حذف المضاف المضطر إليه في التأويل الأول. ومما ينصرف إلى التأويل الثاني من استبعاد تخصيص قصي بهذا الأمر المشترك في الجنس، وهو جعل زوجته منه وكون المراد بذلك أن يسكن إليها لأن ذلك عام في الجنس، والله أعلم.

(٥) قوله: «وعبد مناة» في النسفي: وعبد مناف (ع).

وعبد شمس، وما أشبه ذلك، مكان عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الرحيم، ووجه آخر، وهو: أن يكون الخطاب لقريش، الذين كانوا في عهد رسول الله - ﷺ - وهم آل قصى؛ ألا ترى إلى قوله في قصة أم مَعْبَدٍ (٦١٧) [من الطويل]:

فَـيَـا لَـقُـصَـيٍّ مَـا زَوَى اللهُ عَـنْـكُـمُ ... بِـهِ مِـنْ فَـخَـارٍ لاَ يُـبَـارَىٰ وَسُـؤْدَدِ(١)

----

٦١٧ - أخرجه الحاكم (٣/ ٩ - ١٠)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» ص (٢٤٤ - ٢٤٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٩٤)؛ كلهم من طريق حبيش بن خالد به.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه أيضاً الطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ١٢٣ - ١٢٤) رقم (٦٥١٠)، وأخرجه الحاكم (٣/ ١١) من حديث أبي معبد الخزاعي.

وسكت عنه.

قال الحافظ: هذا طرف من حديث أم معبد في هجرة النبي ﷺ . وقد أخرجه الحاكم مطولاً. من حديثها وحديث أخيها حبيش بن خالد. ومن حديث زوجها أبي معبد، وطريق أم معبد رويناها في الغيلانيات. وفي الطبراني وفي الدلائل لأبي نعيم والبيهقي. انتهى.

---

(٢)

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم ترحلا ... فيا فوز من أمسى رفيق محمد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم ... به من فخار لا يباري وسؤدد

ليهن بني سعد مقام فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

لرجل من الجن، سمعوا صوته بمكة ولم يروا شخصه، حين خرج رسول الله ﷺ من مكة مع أبي بكر مهاجراً وجهل أهلها خبرهما بعد خروجهما من الغار. ويروى «جزاية» بالتاء كهداية. ويروى «قالا» بدل «حلا» والمعنى متقارب، إلا أن الثاني خاص بالاستراحة في منتصف النهار. و«خيمتي» نصب على التوسع بحذف حرف الجر و«أم معبد» امرأة من بني سعد نزلا عندها بالبر والخير. ذكر بعضهم أن اسمها عاتكة بنت خالد الخزاعية و«يالقصي» أصله «يا آل قصي» فخفف وقد اختلف فيها، فقيل: أصلها يا آل قصي أيضاً. وقيل: هي حرف جر، فقيل زائد. وقيل أصلي متعلق بيا عند سيبويه، وبالفعل الذي نابت عنه عند ابن جني «وما» استفهامية، والمعنى: يا آل قصي، أتدرون ما قبضه الله ومنعه بخروج رسول الله من بينكم من فخار لا يضاهى ومن شرف عظيم؟ وفي هذا الاستفهام معنى التعجب والاستعظام، حتى كأن المستفهم عنه لا يعرف كنهه. ويجوز أن اللام للتعجب، و«ما» موصول بدل من «قصي». ويجوز أن اللام للاستغاثة، كأنه استغاث بهم لعلهم يتداركون ما فاتهم. وساد في قومه: شرف، ومصدره السؤدد، بالهمز وضم الدال، وبالواو فتفتح داله كما هنا. والأصل: السود - بالضم - كالحسن، فزيدت الدال للإلحاق يبرفع وجندب. و«ليهن» مجزوم بلام الأمر، والمقصود الدعاء. و«مقام» فاعل، و«بنى» مفعول. يقال: هنأه الطعام ونحوه، بالهمز: إذا نفعه وحمدت عاقبته عنده، وهو من بابي نفع وضرب، ويبدل همزه بما يناسب ما قبله، وقد يحذف البدل كما هنا، كأنه أصلي، لكن الحذف عامي. والمرصد والمرصاد: الطريق يرصد فيه الرصد. وقوله: «للمؤمنين» فيه حث على الهجرة.

البيت للفرزدق. ينظر: ديوانه ١/ ١٧٣، الكتاب ٢/ ٢٣٤، الهمع ١/ ٢٠٠، الشذور ٢٣٥، الدرر ١/ ١٦٩، الدر المصون ١/ ٢٣١.

ويراد: هو الذي خلقكم من نفس قصيّ، وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية؛ ليسكن إليها، فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السويّ جعلا له شركاء فيما آتاهما؛ حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف، وعبد العزى، وعبد قصيّ، وعبد الدار، وجعل الضمير في: (يشركون) لهما، ولأعقابهما، الذين اقتدوا بهما في الشرك، وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه، وقرىء: «شركا»، أي: ذوي شرك وهم الشركاء، أو أحدثا لله شركاً في الولد.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾

أجريت الأصنام مجرى أولي العلم في قوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، بناء على اعتقادهم فيها، وتسميتهم إياها آلهة، والمعنى: أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله، وهم يخلقون؟ لأن الله ـ عزّ وجلّ ـ خالقهم، أو لا يقدر على اختلاق شيء؛ لأنه جماد، وهم يخلقون؛ لأن عبدتهم يختلقونهم، فهم أعجز من عبدتهم، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾: لعبدتهم، ﴿نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾: فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث، بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم، ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾: وإن تدعوا هذه الأصنام/ ٢٦٦ب ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: إلى ما هو هدى ورشاد، وإلى أن يهدوكم، والمعنى: وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى، لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم، ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله؛ ويدل عليه قوله: ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾: أم صمتم عن دعائهم، في أنه لا فلاح معهم.

فإن قلت: هلا قيل: أم صمتم؟ ولم وضعت الجملة الإسمية موضع الفعلية؟

قلت: لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر، دعوا الله دون أصنامهم؛ كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾، فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم، فقيل: إن دعوتموهم، لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم، وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله، ﴿عباد أمثالكم﴾، وقوله: ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: استهزاء بهم، أي: قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء

عقلاء، فإن ثبت ذلك، فهم عباد أمثالكم، لا تفاضل بينكم، ثم أبطل أن يكونوا عباداً أمثالهم فقال: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ وقيل: عباد أمثالكم مملوكون أمثالكم، وقرأ سعيد بن جبير: «إِنْ الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم» بتخفيف «إن»، ونصب «عباداً أمثالكم»، والمعنى: ما الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم، على إعمال: «إن» النافية عمل «ما»: الحجازية، ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾: واستعينوا بهم في عداوتي، ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾: جميعاً أنتم وشركاؤكم، ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾: فإني لا أبالي بكم، ولا يقول هذا إلا واثق بعصمة الله، وكانوا قد خوّفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك، كما قال قوم هود له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ قال لهم: ﴿أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٥].

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ﴾ أي: ناصري عليكم الله، ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الذي أوحى إليَّ كتابه وأعزني برسالته، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾، ومن عادته أن ينصر الصالحين مِنْ عباده وأنبيائه، ولا يخذلهم.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: يشبهون الناظرين إليك؛ لأنهم صوّروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: وهم لا يدركون المرئي.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿ٱلْعَفْوَ﴾: ضد الجهد، أي: خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم، وتسهل من غير كلفة، ولا تداقهم، ولا تطلب منهم الجهد، وما يشق عليهم؛ حتى لا ينفروا؛ كقوله ـ ﷺ ـ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا» (٦١٨) قال [من الطويل]:

---

٦١٨ ـ أخرجه البخاري (١/ ١٩٦): كتاب العلم: باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، حديث (٦٩) وطرفه في (٦١٢٥)، ومسلم (٦/ ٢٨٣ ـ النووي) كتاب الجهاد والسّير؛ باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، حديث (٨/ ١٧٣٤). من طريق أنس بن مالك فذكره.
قال الحافظ: متفق عليه من حديث أنس أتم منه. انتهى.

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلاَ تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ(1)

وقيل: خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم؛ وذلك قبل نزول آية الزكاة، فلما نزلت، أمر أن يأخذهم بها طوعاً أو كرهاً، والعرف: المعروف والجميل من الأفعال، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: ولا تكافىء السفهاء بمثل سفههم، ولا تمارهم، واحلم عنهم، وأغض على ما يسوؤك منهم، وقيل: لما نزلت الآية، سأل «جبريل»، فقال: لا أدري حتى أسأل، ثم رجع، فقال: «يا محمد، إن ربك أمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك» (٦١٩) وعن جعفر الصادق: أمر الله نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم/ ٢٦٧أ الأخلاق منها.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)﴾

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾: وإما ينخسنك منه نخس، بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: ولا تطعه، النزغ والنسغ: الغرز والنخس، كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي، وجعل النزغ نازغاً، كما قيل: جدّ جدّه، وروي أنها لما نزلت، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كَيْفَ يَا رَبِّ وَالْغَضَبُ» (٦٢٠)، فنزل: ﴿وَإِمَّا

---

٦١٩ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ١٥٤) رقم (١٥٥٥٨ ـ ١٥٥٥٩)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٨٠)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٤٧٧) رقم (٤٨٢) إلى ابن مردويه في تفسيره.
قال الحافظ:
أخرجه الطبري من طريق سفيان بن عُيينة عن أبي المرادي قال: لما أنزل الله فذكره وهذا منقطع. وأخرجه ابن مردويه موصولاً من حديث جابر، ومن حديث قيس بن سعد. وزاد في أوله: «لما نظر رسول الله ﷺ إلى حمزة قال: والله لأمثلن بسبعين منهم. فجاء جبريل بهذه الآية، فذكر الحديث»، وفي مسند أحمد عن عقبة بن عامر «أن النبي ﷺ قال له: يا عقبة، ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا: أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وغفل الطيبي فقال في حديث الأصل: رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر. انتهى.
٦٢٠ ـ أخرجه الطبري (٦/ ١٥٥) رقم (١٥٥٦٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٨٣)، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٤٨١) رقم (٤٨٤) إلى الثعالبي في تفسيره، وإلى الواحدي في تفسيره الوسيط.
قال الحافظ: أخرجه الطبري من رواية ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم «لما نزلت» فذكره مفصلاً. انتهى.

---

(١) تقدم.

يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ﴾، ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان: اعتراء الغضب؛ كقول أبي بكر - رضي الله عنه -: إنّ لي شيطاناً يعتريني (٦٢١)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ (٢٠١) وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ (٢٠٢)﴾

﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: لمة منه مصدر؛ من قولهم: طاف به الخيال يطيف طيفاً؛ قال [من الكامل]:

أَنَّىٰ أَلَمَّ بِكَ الْخَيَالُ يُطِيفُ[1] ....

أو هو تخفيف طيف فيعل، من طاف يطيف كلين، أو من طاف يطوف كهين، وقرىء: «طائف»، وهو يحتمل الأمرين - أيضاً - وهذا تأكيد، وتقرير لما تقدم من وجوب الإستعاذة بالله عند نزغ الشيطان، وأنّ المتقين هذه عادتهم: إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان، وإلمام بوسوسته: ﴿تَذَكَّرُواْ﴾، ما أمر الله به، ونهى عنه، فأبصروا السداد، ودفعوا ما وسوس به

---

٦٢١ - عزاه الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٤٨٢) وعزاه إلى إسحاق بن راهويه بسنده إلى الحسن عن أبي بكر الصديق، وأخرجه أيضاً الزيلعي بإسناده عن الحسن عن أبي بكر.
قال الحافظ:
أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده. وابن سعد في الطبقات قالا: حدثنا وهب بن جرير حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن يقول: «خطب أبو بكر - رضي الله عنه - يوماً. فقال: أما والله، ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً. ولوددت أن فيكم من يكفيني أفرط، وأن أعمل فيكم بسنة رسول الله ﷺ إذ لا أقوم لها، إن رسول الله ﷺ كان يعتصم بالوحي. وكان معه ملك. وإن لي شيطاناً يعتريني. فإذا غضبت فاجتنبوني الحديث، رواه عبد الرزاق عن معمر عن رجل عن الحسن نحوه. ورويناه في جزء الأنصاري من طريق أبي هلال عن الحسن قال: «لما استخلف أبو بكر بدأ بكلام والله ما تكلم به أحد غيره» فذكر نحوه. انتهى.

---

(١) أنى ألم به الخيال يطيف ... ومطافه بك ذكرة وشغوف
لكعب بن زهير. وأنى: استفهام تعجبي بمعنى كيف، أو من أين. وألم: أي نزل للزيارة. والخيال: ما يراه النائم. وطاف به الخيال يطيف طيفاً ومطافاً: أقبل عليه. وطاف حوله يطوف طوافاً وطوفانا: حام عليه ودار حوله، ويكنى به عن اللمس. وقوله: «يطيف»جملة حالية مؤكدة أو مؤسسة. ومطافه: أي طيفه هو سبب التذكر ووصول الحب لشغاف القلب، فأقام المسبب مقام السبب، وعبر عن نفسه أولاً بضمير الغيبة، وثانياً بالخطاب. على طريق الالتفات فراراً من شبهة التكرار. وروى بك بالخطاب.
ينظر: ديوانه (٨٤)، والطبري ١٣/ ٣٣٥، اللسان «ذكر» والكشاف ٢/ ١٣٩، والبحر ٤/ ٤٤٥ والدر المصون ٣/ ٣٨٨.

إليهم، ولم يتبعوه أنفسهم، وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين، فإن الشياطين يمدونهم في الغي، أي: يكونون مدداً لهم فيه ويعضدونهم، وقرىء: «يُمدّونهم» من الإمداد، «ويمادّونهم» بمعنى: يعاونونهم، ﴿ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا، وقوله: ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾؛ كقوله [من البسيط]:

قَـوْمٌ إِذَا الْـخَـيْـلُ جَـالُـوا فِـي كَـوَاثِـبِـهَـا (1) ....

في أنّ الخبر جار على ما هو له، ويجوز أن يراد بالإخوان: الشياطين، ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين، فيكون الخبر جارياً على ما هو له؛ والأوّل أوجه؛ لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا.

فإن قلت: لم جمع الضمير في إخوانهم والشيطان مفرد؟

قلت: المراد به الجنس؛ كقوله: ﴿ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾

اجتبى الشيء، بمعنى جباه لنفسه أي جمعه؛ كقولك: اجتمعه، أو جبى إليه فاجتباه: أي أخذه؛ كقولك: جليت إليه العروس فاجتلاها، ومعنى: ﴿ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾: هلا اجتمعتها، افتعالاً من عند نفسك؛ لأنهم كانوا يقولون: ﴿ ما هذا إلا إفك مفتري﴾ [سبأ: ٤٣]، أو هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة؟ ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى﴾: ولست بمفتعل للآيات، أو لست بمقترح لها، ﴿ هَـٰذَا بَصَآئِرُ﴾: هذا القرآن بصائر، ﴿ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: حجج بنية يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمي، أو هو بمنزلة بصائر القلوب.

---

(1) قوم إذا الخيل جالوا في كواثبها ... فوارس الخيل لا ميل ولا قدم
«الخيل» الأفراس. و«الكاثبة» للفرس القربوس، وللبعير الغارب، وللرجل الكاهل. وللحمار السيسيا. و«الميل» جمع أميل، وهو الذي لا يثبت على ظهر فرسه. والقدم: جمع أقدم، وهو اللئيم الضعيف. أو جمع قدم بالسكون بمعناه. وضمير «جالوا» للقوم، فجرى الخبر على غير ما هو له. أي إذا الخيل جالوا هم في سروجها وما يبرز الضمير هكذا، لأن محل وجوبه في الصفة لا الفعل، أو لأمن اللبس، لأن الواو ضمير العقلاء. فإن قيل: إن «إذا» لا تضاف إلا للجملة الفعلية، فالخيل فاعل فعل محذوف. أجيب بمنع أنها لا تضاف إلا للفعلية، وبأن ذلك في الشرطية لا الظرفية كما هنا. وقيل: يحتمل على بعد أن الخيل بمعنى الفرسان، وضمير كواثبها للأفراس المدلول عليها بذكر الخيل: أي قوم إذا الفرسان جالوا في كواثب الأفراس، فوارس الخيل، ثابتون عليها لا مائلون عن ظهورها، ولا عاجزون كأن أيديهم مغلولة.
البيت لزياد بن منقذ ينظر: المحتسب ١/ ٢٩١، والبحر المحيط ٤/ ٤٤٧، والصحاح واللسان «قزم» والدر المصون ٣/ ٣٨٩.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾: ظاهره وجوب الاستماع، والإنصات وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة، وقيل: كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت، ثم صار سنة في غير الصلاة أن ينصت القوم إذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن، وقيل: معناه: وإذا تلا/ ٢٦٧ب عليكم الرسول القرآن عند نزوله، فاستمعوا له، وقيل: معنى «فاستمعوا له»: فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾: هو عامّ في الأذكار من قراءة القرآن، والدعاء، والتسبيح، والتهليل، وغير ذلك، ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾: متضرعاً وخائفاً، ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾: ومتكلماً كلاماً دون الجهر؛ لأنّ الإخفاء أدخل في الإخلاص، وأقرب إلى حسن التفكر، ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾: لفضل هذين الوقتين، أو أراد الدوام، ومعنى بالغدوّ: بأوقات الغدوّ، وهي الغدوات، وقرىء: «والإيصال»، من آصل إذا دخل في الأصيل، كأقصر وأعتم[1]، وهو مطابق للغدوّ، ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾: من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: هم الملائكة ـ صلوات الله عليهم ـ ومعنى (عند): دنوّ الزلفة، والقرب من رحمة الله ـ تعالى ـ وفضله؛ لتوفرهم على طاعته، وابتغاء مرضاته، ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾: ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره، وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الأَعْرَافِ جَعَلَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِبْلِيسَ سِتْراً، وَكَانَ آدَمُ شَفِيعاً لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٦٢٢)

---

٦٢٢ ـ تقدم تخريجه وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة.
وينظر حديث (٣٤٦).
قال الحافظ: ذكرت أسانيده في تفسير آل عمران، وسيأتي في آخر الكتاب. انتهى.

---

(١) قوله: «كأقصر وأعتم» أقصر: أي دخل في القصر أي العشي، وأعتم: دخل في العتمة، أي وقت العشاء. أفاده الصحاح (ع).

سُورَةُ الأَنْفَالِ

مدنية؛ [إلاَّ من آيَةِ ٣٠ إِلَىٰ غَايَةِ آيَةِ ٣٦ فَمكِّيَةٌ]

وَهِيَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ آيَةً [نَزَلَتْ بَعْدَ البَقَرَةِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

النفل: الغنيمة؛ لأنها من فضل الله ـ تعالى ـ وعطائه؛ قال لبيد [من الرمل]:

إِنَّ تَقْوَىٰ رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ[1] ....

---

(١) إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي وعجل
أحمد الله فلا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضل

للبيد بن ربيعة العامري، شبه الثواب الذي وعده الله عباده على التقوى بالنفل ـ بالتحريك ـ وهو ما يعده الإمام المجاهد تحريضاً على اقتحام الحرب فاستعار النفل له على طريق التصريحية وأخبر به عن التقوى لأنها سببه. ويجوز استعارة النفل للتقوى بجامع النفع، وبإذن الله وتسهيله. ريثي: أي بطني، وعجل: أي سرعتي، فحذفت ياء الإضافة للوزن، فلا ند: أي لا مثل له، بيديه: أي بقدرته التي هي كالآلة في أفعاله تعالى كاليدين لأفعالنا. ويحتمل أنه شبه خزائنه سبحانه باليد فيها شيء، لسهولة تصرفه فيما فيها واختصاصه به، فالباء بمعنى في. وتثنية اليد للمبالغة في التشبيه. ولا مانع من جعله ترشيحاً للاستعارة على الوجهين. «ما شاء فعل» أي ما أراده فعله، وبين ذلك بقوله: «من هداه طرق الخير اهتدى» حتماً حال كونه طيب الشأن. ومن شاء إضلاله أضله حتماً، أي تركه ونفسه ومنعه لطفه، حتى يضل حال كونه كاسف البال أي حزين القلب في العاقبة، فهي حال منتظرة «أو سيئ الحال والشأن، وهذا محذوف معلوم من المقابلة بما قبله.

ينظر ديوانه (١٣٩)، تأويل المشكل (١٣٠)، مجاز القرآن (١/ ٢٤٠)، الطبري (١٣/ ٣٦٦)، =

والنفل ما ينفله الغازي، أي: يعطاه زائداً على سهمه من المغنم، وهو أن يقول الإمام تحريضاً على البلاء في الحرب: من قتل قتيلاً فله سلبه، أو قال لسرية: ما أصبتم فهو لكم، أو فلكم نصفه أو ربعه، ولا يخمس النفل، ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه، وعند الشافعي ـ رحمه الله ـ في أحد قوليه: لا يلزم، ولقد وقع الاختلاف بين المسلمين في غنائم بدر، وفي قسمتها، فسألوا رسول الله ـ ﷺ ـ كيف تقسم، ولمن الحكم في قسمتها؟ أللمهاجرين أم للأنصار؟ أم لهم جميعاً؟ فقيل له: قل لهم: هي لرسول الله ـ ﷺ ـ (٦٢٣) وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء، ليس لأحد غيره فيها حكم، وقيل: شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينفله، فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين، فلما يسر الله لهم الفتح، اختلفوا فيما بينهم، وتنازعوا، فقال الشبان: نحن المقاتلون، وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات: كنا ردءاً لكم، وفئة تنحازون إليها إن انهزمتم (٦٢٤)، وقال لرسول الله ـ ﷺ ـ: المغنم قليل، والناس كثير، وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك؛ فنزلت، وعن سعد بن أبي وقاص: قتل أخي عمير يوم بدر، فقتلت به سعيد بن العاص[1]، وأخذت سيفه فأعجبني/ ٢٦٨أ، فجئت به إلى رسول

---

٦٢٣ ـ أخرجه ابن حِبان في صحيحه (١١/ ١٩٣ ـ ١٩٤) رقم (٤٨٥٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٥)، وأحمد مختصراً (٥/ ٣١٨ و٣١٩ و٣٢٠ و٣٢٢ ـ ٣٢٣) والبيهقي (٦/ ٢٩٢)، والطبري في تفسيره (٦/ ١٧٢) رقم (١٥٦٦٦ ـ ١٥٦٦٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩٢).

قال الحافظ: أخرجه أحمد، وإسحاق، وابن حِبان، والحاكم من حديث أبي أُمامة عن عبادة بن الصامت. قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدنا معه بدرا. فالتقى الناس. فهزم الله العدو. فذكر الحديث في اختلافهم في قسمة الغنائم. قال: فنزلت: ويسألونك عن الأنفال ـ الآية. فقسمها النبي ﷺ بين المسلمين. انتهى.

٦٢٤ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ٧٧): كتاب الجهاد: باب في النفل، حديث (٢٧٣٧ ـ ٢٧٣٨ ـ ٢٧٣٩)، والنَّسائي في التفسير (١/ ٥١٥) حديث (٢١٧)، وابن حِبان (١١/ ٤٩٠) رقم (٥٠٩٣)، والحاكم (٢/ ١٣١ ـ ١٣٢)، والطبري في تفسيره (٦/ ١٧١ ـ ١٧٢) رقم (١٥٦٦٢ ـ ١٥٦٦٣ ـ ١٥٦٦٤ ـ ١٥٦٦٥)، والبيهقي (٦/ ٢٩١ ـ ٢٩٢)، وفي «دلائل النبوة»: (٣/ ١٣٥)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩٣).

قال الحافظ: أخرجه أبو داود، والنَّسائي، وابن حِبان، والحاكم من رواية داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى مكان كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا. فتسارع إليه الشبان وثبت الشيوخ تحت الرايات ـ الحديث» قلت: وأما قوله: «حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين» فليس في هذا الحديث. انتهى.

= القرطبي (٧/ ٣٦١)، لسان العرب (نفل)، معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٦٤)، تاج العروس (نفل)، الدر المصون (٣/ ٣٩٢).

(١) (قوله فقتلت به سعيد بن العاص) في حواشي البيضاوي: أنه العاص بن سعيد (ع).

الله ـ ﷺ ـ فقلت: إنّ الله قد شفى صدري من المشركين، فهب لي هذا السيف، فقال: ليس هذا لي ولا لك، اطرحه في القبض[1] فطرحته وبي مالا يعلمه إلا الله ـ تعالى ـ من قتل أخي، وأخذ سلبي، .فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني رسول الله ـ ﷺ ـ وقد أنزلت سورة الأنفال، فقال: «يَا سَعْدُ، إِنَّكَ سَأَلْتَنِي السَّيْفَ وَلَيْسَ لِي، وَإِنَّهُ قَدْ صَارَ لِي فَاْذْهَبْ فَخُذْهُ» (٦٢٥)، وعن عبادة بن الصامت: نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر، حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا، فجعله لرسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ فقسمه بين المسلمين على السواء، وكان في ذلك تقوى الله، وطاعة رسوله، وإصلاح ذات البين (٦٢٦)، وقرأ ابن محيصن: «يسألونك علنفال»، بحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على اللام، وإدغام نون عن في اللام، وقرأ ابن مسعود: «يسألونك الأنفال»، أي: يسألك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال.

فإن قلت: ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾؟

قلت: معناه أنّ حكمها مختص بالله ورسوله، يأمر الله بقسمتها، على ما تقتضيه حكمته، ويمتثل الرسول أمر الله فيها، وليس الأمر في قسمتها مفوّضاً إلى رأي أحد، والمراد: أنّ الذي اقتضته حكمة الله، وأمر به رسوله: أن يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات، فيقاسموهم على السوية، ولا يستأثروا بما شرط لهم؛ فإنهم إن فعلوا، لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في الاختلاف والتخاصم، وكونوا متحدين متآخين في الله، ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ

---

٦٢٥ ـ أخرجه أحمد (١/ ١٧٨ ـ ١٨١ ـ ١٨٥ ـ ١٨٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٢)، والبيهقي في سننه (٦/ ٢٩١)، والطبري في تفسيره (٦/ ١٧٢ ـ ١٧٣) رقم (١٥٦٦٨ ـ ١٥٦٦٩ ـ ١٥٦٧٠ ـ ١٥٦٧١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩٢).

وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ٩) رقم (٤٨٩) إلى الواحدي في أسباب النزول، وإلى الحازمي في كتابه الناسخ والمنسوخ، وإلى ابن مردويه في تفسيره.

قال الحافظ: أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، وأبو شيبة، وأبو عبيد في الأموال: وسعيد بن منصور؛ كلهم قال: حدثنا أبو معاوية عن الشيباني عن محمد بن عبيد بن أبي عون عنه قال أبو عبيد: كذا يقول: سعيد بن العاص. والصواب العاص بن سعيد. وفي روايتهم: فقلت سعيد بن العاص لم يقولوا به. انتهى.

٦٢٦ ـ أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ١٣٦)، وأحمد (٥/ ٣٢٢)، والطبري في تفسيره (٦/ ١٧٢) رقم (١٥٦٦٧).

قال الحافظ: أخرجه أحمد، وإسحاق، والطبري من طريق ابن إسحاق عن عبد الرحمن عن الحارث عن سليمان بن مكحول عن أبي أُمامة عنه به. انتهى.

---

(١) قوله: «في القبض» القبض ـ كسبب ـ: المال المقبوض (ع).

﴿بَيْنِكُمْ﴾: وتآسوا، وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم، وعن عطاء: كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال: اقسموا غنائمكم بالعدل، فقالوا: قد أكلنا وأنفقنا، فقال: ليردّ بعضكم على بعض.

فإن قلت: ما حقيقة قوله: (ذات بينكم)؟

قلت: أحوال بينكم، يعني: ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق؛ كقوله: (بذات الصدور)، وهي مضمراتها، لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها: ذات البين؛ كقولهم: اسقني ذا إنائك، يريدون ما في الإناء من الشراب، وقد جعل التقوى، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله، من لوازم الإيمان وموجباته؛ ليعلمهم أنّ كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها، ومعنى قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن كنتم كاملي الإيمان، واللام في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾: إشارة إليهم، أي: إنما الكاملو الإيمان من صفتهم كيت وكيت؛ والدليل عليه قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾. ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فزعت، وعن أمّ الدرداء: الوجل في القلب كاحتراق السعفة[1]، أما/ ٢٦٨ب تجد له قشعريرة؟ قال: بلى، قالت: فادع الله؛ فإنّ الدعاء يذهبه، يعني: فزعت لذكره؛ استعظاماً له، وتهيباً من جلاله، وعزّة سلطانه، وبطشه بالعصاة، وعقابه، وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]؛ لأن ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه، وقيل: هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له: اتق الله فينزع، وقرىء: «وجلت»، بالفتح، وهي لغة نحو: «وبق»، في: «وبق»[2]، وفي قراءة عبد الله: «فرقت»، ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾؛ ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة في نفس؛ لأن تظاهر الأدلة، أقوى للمدلول عليه، وأثبت لقدمه، وقد حمل على زيادة العمل، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «الإيمان سبع وسبعون شعبة، أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» (٦٢٧). وعن عمر بن عبد

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

٦٢٧ ـ أخرجه البخاري (١/ ٧٥): كتاب الإيمان: باب أمور الإيمان، حديث (٩)، ومسلم (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ـ النووي): كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسول الله ﷺ رسولاً فهو مؤمن، وإن ارتكب المعاصي الكبائر، حديث (٥٧ ـ ٥٨/ ٣٥)، وأبو داود (٤/ ٢١٩): كتاب السُّنَّة: باب في رد الإرجاء، حديث (٤٦٧٦)، والتّرمذي (٥/ ١٠): كتاب الإيمان: باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، حديث (٢٦١٤)، والنّسائي (٨/ ١١٠): كتاب الإيمان وشرائعه، باب ذكر شُعَب الإيمان، وابن ماجه (١/ ٢٢). المقدمة: باب من =

---

(١) قوله: «كاحتراق السعفة» أي غصن النخلة، كما في الصحاح (ع).
(٢) قوله: «نحو وبق في وبق... إلخ» وبق: أي هلك. وفرقت: خافت (ع).

العزيز ـ رضي الله عنه ـ: «إن للإيمان سنناً، وفرائض، وشرائع، فمن استكملها، استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها، لم يستكمل الإيمان»، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: ولا يفوّضون أمورهم إلى غير ربهم، لا يخشون ولا يرجون إلا إياه، جمع بين أعمال القلوب من الخشية، والإخلاص، والتوكل، وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة، ﴿حَقًّا﴾: صفة للمصدر المحذوف، أي: أولئك هم المؤمنون إيماناً حقًّا؛ أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ كقولك: هو عبد الله حقًّا، أي: حق ذلك حقًّا، وعن الحسن أنّ رجلاً سأله: أمؤمن أنت؟ قال: الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والجنة، والنار، والبعث، والحساب، فأنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾، فوالله، لا أدري أمنهم أنا أم لا، وعن الثوري: من زعم أنه مؤمن بالله حقًّا، ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة، فقد آمن بنصف الآية، وهذا إلزام منه، يعني: كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقًّا، فلا يقطع بأنه مؤمن حقًّا، وبهذا تعلق من يستثني في الإيمان، وكان أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ ممن لا يستثني فيه، وحكى عنه أنه قال لقتادة: لم تستثني في إيمانك؟ قال: اتباعاً لإبراهيم ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة ٢٦٠]، فقال له: هلا اقتديت به في قوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]؟ ﴿دَرَجَاتٌ﴾: شرف، وكرامة، وعلوّ منزلة، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: وتجاوز لسيئاتهم، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: نعيم الجنة، يعني: لهم منافع حسنة، دائمة على سبيل التعظيم، وهذا معنى الثواب.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾: فيه وجهان[1]، أحدهما: أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر

= الإيمان، حديث (٥٧)، وأحمد (٢/ ٤١٤)، وابن حِبان في صحيحه (١/ ٣٨٤) رقم (١٦٦).

قال الحافظ: أخرجه مسلم وأصحاب السنن، وابن حِبان برواية أبي صالح عن أبي هريرة. وهو في البخاري باختصار. انتهى.

---

(١) قال محمود: «في «كما» وجهان، أحدهما: أن يرتفع محل الكاف... إلخ» قال أحمد: وكان جدي أبو العباس أحمد الفقيه الوزير ـ رحمه الله ـ يذكر في معنى الآية وجهاً أوجه من هذين، وهو أن المراد تشبيه اختصاصه عليه السلام بالأنفال، وتفويض أمرها إلى حكمه من حيث الإثابة والجزاء، بإخراجه من بيته مطيعاً لله تعالى سامعاً لأمره راضياً بحكمه على كراهة المؤمنين لذلك في الطاعة، فشبه الله تعالى ثوابه بهذه المزية بطاعته المرضية، فكما بلغت طاعته الغاية في نوع الطاعات، فكذلك بلغت إثابة الله له الغاية في جنس المثوبات. وجماع هذا المعنى هو المشار إليه =

مبتدأ محذوف تقديره، هذه الحال كحال إخراجك، يعني: أنّ حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة، مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب/ ٢٦٩أ.

والثاني: أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدّر في قوله: ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، أي: الأنفال استقرّت لله والرسول، وثبتت مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون، و﴿مِنۢ بَيْتِكَ﴾: يريد بيته بالمدينة، أو المدينة نفسها؛ لأنها مهاجره ومسكنه، فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: إخراجاً ملتبساً بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾: في موضع الحال، أي: أخرجك في حال كراهتهم؛ وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة[1]، معها أربعون راكباً، منهم: أبو سفيان، وعمرو بن العاص، وعمرو بن هشام، فأخبر جبريل رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبر المسلمين، فأعجبهم تلقي العير؛ لكثرة الخير، وقلة القوم، فلما خرجوا، بلغ أهل مكة خبر خروجهم، فنادى أبو جهل فوق الكعبة: يا أهل مكة، النجاء، النجاء على كل صعب وذلول، عيركم أموالكم، إن أصابها محمد، لن تفلحوا بعدها أبداً، وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا، فقالت لأخيها: إني رأيت عجباً، رأيت كأنّ ملكاً نزل من السماء، فأخذ صخرة من الجبل، ثم حلق بها، فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة، فحدّث بها العباس، فقال أبو جهل: ما يرضى رجالهم أن يتنبئوا حتى تتنبأ نساؤهم، فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير، في المثل السائر: لا في العير، ولا في النفير، فقيل له: إنّ العير أخذت طريق الساحل ونجت، فارجع بالناس إلى مكة، فقال: لا والله، لا يكون ذلك أبداً حتى ننحر الجزور، ونشرب الخمور، ونقيم القينات، والمعازف ببدر، فيتسامع جميع العرب بمخرجنا، وإن محمداً لم يصب العير، وإنا قد أعضضناه[2]، فمضى بهم إلى بدر ـ وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة ـ فنزل جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: يا محمد، إن الله وعدكم إحدى الطائفتين: إمّا العير، وإمّا قريشاً، فاستشار النبي

= بقوله عليه الصلاة والسلام «الأجر على قدر النصب» ولك على هذا المعنى أن تجعل الكاف مرفوعة ومنصوبة على حسب التقدير، والله الموفق.

(١) هذه القصة منتزعة من سيرة ابن هشام إلا قوله: «إن في أهل العير عمرو بن هشام فإن عمرو بن هشام هو أبو جهل ولم يكن في العير، وإنما كان في النفير وأخرجه الطبري من قول ابن إسحاق، وبعضه عن ابن عباس وعن عروة وعن السدي بتقديم وتأخير وزيادة ونقص وفي مغازي الواقدي عن محمود بن لبيد بعضه. وعن سعيد بن المسيب بعضه.

(٢) قوله: «وإنا قد أعضضناه» في الصحاح: أعضضته الشيء فعضه. وفي الحديث «فأعضوه بهن أبيه» ويقال: أعضضته سيفي، أي ضربته به. وأعض القوم. أكلت إبلهم العض، وهو بالضم علف الأمصار، وبالكسر الشوك الصغير (ع).

ـ ﷺ ـ أصحابه، وقال: ما تقولون، إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول، فالعير أحب إليكم أم النفير؟ قالوا: بل العير أحب إلينا من لقاء العدوّ، فتغير وجه رسول الله ـ ﷺ ـ: ثم ردّد عليهم، فقال: «إِنَّ العِيرَ قَدْ مَضَتْ عَلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ، وَهٰذَا أَبُو جَهْلٍ قَدْ أَقْبَلَ»، فقالوا: يا رسول الله، عليك بالعير، ودع العدوّ، فقام عند غضب النبي ـ ﷺ ـ أبو بكر، وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فأحسنا، ثم قام سعد بن عبادة، فقال: انظر أمرك فامض، فوالله، لو سرت إلى عدن أبين[1]، ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قال المقداد بن عمرو: يا رسول الله، امض لما أمرك الله؛/ ٢٦٩ب فإنا معك حيثما أحببت، لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، ما دامت عين منا تطرف، فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ ثم قال: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّها النَّاسُ» وَهُوَ يُرِيدُ الأَنْصَارَ ـ لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة: إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمامنا، نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا، فكان النبي ـ ﷺ ـ يتخوّف ألاّ تكون الأنصار لا ترى[2] عليهم نصرته إلا على عدوّ دهمه بالمدينة، فقام سعد بن معاذ، فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أَجَلْ»، قال: قد آمنا بك وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته، لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله، ففرح رسول الله ـ ﷺ ـ وبسطه قول سعد، ثم قال: «سِيرُوا عَلَىٰ بَرَكَةِ اللهِ وَأَبشِرِوا؛ فَإِنَّ اللهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَينِ، وَاللهِ، لَكَأَنِّي الآنَ أَنْظُرُ إِلَىٰ مَصَارِعِ الْقَوْمِ» (٦٢٨)، وروي أنه قيل لرسول الله ـ ﷺ ـ حين فرغ من بدر: عليك بالعير، ليس دونها شيء، فناداه العباس، وهو في وثاقه: لا يصلح، فقال له النبي ـ ﷺ ـ «لِمَ»؟ قال: لأنّ الله وعدك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدك (٦٢٩)، وكانت الكراهة من بعضهم

---

٦٢٨ ـ أخرجه ابن هشام في سيرته (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) رقم (٧٢٨)، والطبري في تفسيره (٦/ ١٨٤ ـ ١٨٥) رقم (١٥٧٣٢ ـ ١٥٧٣٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٠١ ـ ٣٠٢).

٦٢٩ ـ أخرجه التِّرمذي (٥/ ٢٦٩): كتاب تفسير القرآن: باب: ومن سورة الأنفال، حديث (٣٠٨٠)، =

---

(١) قوله: «إلى عدن أبين» في الصحاح: أبين اسم رجل نسب إليه عدن، فقيل: عدن أبين (ع).

(٢) قوله: «يتخوف أن لا تكون الأنصار لاترى» لعله «أن تكون» أو لعله «الأنصار ترى» وبالجملة فأحد الحرفين يغني عن الآخر (ع).

لقوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾

والحق الذي جادلوا فيه رسول الله ـ ﷺ ـ: تلقي النفير؛ لإيثارهم عليه تلقي العير، ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾: بعد إعلام رسول الله ـ ﷺ ـ بأنهم ينصرون؛ وجدالهم: قولهم ما كان خروجنا إلا للعير، وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب؟ وذلك لكراهتهم القتال، ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم، وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة، بحال من يعتل إلى القتل[١]، ويساق على الصغار إلى الموت المتيقن، وهو مشاهد لأسبابه، ناظر إليها لا يشك فيها، وقيل: كان خوفهم، لقلة العدد، وأنهم كانوا رجالة، وروي أنه ما كان فيهم إلا فارسان.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿إذ﴾: منصوب بإضمار اذكر؛ و﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾: بدل من إحدى الطائفتين، والطائفتان: العير، والنفير، ﴿غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾: العير؛ لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارساً، والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدّتهم، والشوكة: الحدّة، مستعارة/ ٢٧٠أ من واحدة الشوك، ويقال: شوك القنا لشباها[٢]، ومنها قولهم: شائك السلاح، أي: تتمنون أن تكون لكم العير، لأنها الطائفة التي لا حدّة لها ولا شدّة، ولا تريدون الطائفة الأخرى، ﴿أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾: أن يثبته ويعليه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة، وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة، وبما قضى من أسرهم، وقتلهم، وطرحهم في قليب بدر، والدابر الآخر: فاعل من دبر، إذا أدبر، ومنه: دابرة الطائر، وقطع الدابر: عبارة عن الاستئصال، يعني: أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور[٣]، وألاَّ تلقوا ما يرزؤكم

= وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٥٥).

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٠٨).
قال الحافظ: أخرجه التِّرمذي وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والبزار وابن حِبان والحاكم من رواية إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ انتهى.

---

(١) قوله: «بحال من يعتل إلى القتل» أي يجذب جذباً عنيفاً. أفاده الصحاح.
(٢) قوله: «شوك القنا لشباها» شباه كل شيء: حد طرفه، والجمع شبا وشبوات، كذا في الصحاح. فشباها جمع مضاف لضمير القنا (ع).
(٣) قال محمود: «يعني أنكم تريدون العاجلة وسفاسف الأمور... إلخ» قال أحمد: والتحقيق في التمييز بين الكلامين أن الأول ذكر الإرادة فيه مطلقة غير مقيدة بالواقعة الخاصة، كأنه قيل: وتودون =

في أبدانكم وأحوالكم[1]، والله ـ عزّ وجلّ ـ يريد معالي الأمور، وما يرجع إلى عمارة الدين، ونصرة الحق، وعلوّ الكلمة، والفوز في الدارين، وشتان ما بين المرادين؛ ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة، وكسر قوّتهم بضعفكم، وغلب كثرتهم بقلتكم، وأعزّكم وأذلهم، وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها، وقرىء: «بكلمته»، على التوحيد.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾

فإن قلت: بم يتعلق قوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾؟

قلت: بمحذوف تقديره: ليحق الحق، ويبطل الباطل فعل ذلك، ما فعله إلا لهما، وهو إثبات الإسلام وإظهاره، وإبطال الكفر ومحقه.

فإن قلت: أليس هذا تكريراً؟

قلت: لا؛ لأنّ المعنيين متباينان؛ وذلك أنّ الأوّل تمييز بين الإرادتين، وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم، ونصرتهم عليها، وأنه ما نصرهم، ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض، ويجب أن يقدّر المحذوف متأخراً؛ حتى يفيد معنى الاختصاص فينطبق عليه المعنى، وقيل: قد تعلق بيقطع.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾

فإن قلت: بم يتعلق: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾؟

قلت: هو بدل من: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾، وقيل: بقوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [**الأنفال**: ٨]، واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بدّ من القتال، طفقوا يدعون الله ويقولون: أي ربنا، انصرنا على عدوّك، يا غياث المستغيثين، أغثنا، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ نظر إلى المشركين وهم ألف، وإلى أصحابه وهم ثلثمائة، فاستقبل القبلة، ومدّ يديه يدعو: «اللَّهُمَّ، أَنجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هٰذِهِ العِصَابَةُ، لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» ـ فما زال كذلك حتى سقط رداؤه، فأخذه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فألقاه على منكبه، والتزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك؛ فإنه سينجز لك ما

= أن غير ذات الشوكة تكون لكم، ومن شأن الله تعالى إرادة تحقيق الحق وتمحيق الكفر على الإطلاق، ولإرادته أن يحق الحق ويبطل الباطل خصكم بذات الشوكة، فبين الكلامين عموم وخصوص، وإطلاق وتقييد. وفي ذلك ما لا يخفى من المبالغة في تأكيد المعنى بذكره على وجهين: إطلاق، وتقييد. والله أعلم.

(١) قوله: «وأحوالكم» لعله وأموالكم (ع).

وعدك (٦٣٠) ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾: أصله: بأني ممدكم، فحذف الجار، وسلط عليه استجاب فنصب محله، وعن أبي عمرو أنه قرأ: (إني ممدكم): بالكسر، على إرادة القول، أو على إجراء استجاب مجرى، (قال)؛ لأنّ الاستجابة من القول.

فإن قلت: هل قاتلت الملائكة يوم بدر؟

قلت: اختلف فيه، فقيل: نزل جبريل في/ ٢٧٠ب يوم بدر في خمسمائة ملك على الميمنة، وفيها أبو بكر، وميكائيل في خمسمائة على الميسرة، وفيها عليّ بن أبي طالب في صور الرجال، عليهم ثياب بيض، وعمائم بيض، وقد أرخوا أذنابها بين أكتافهم، فقاتلت، وقيل: قاتلت يوم بدر، ولم تقاتل يوم الأحزاب، ويوم حنين، وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود: من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع، ولا نرى شخصاً؟ قال: من الملائكة، فقال أبو جهل: هم غلبونا لا أنتم، وروي أنّ رجلاً من المسلمين بينما هو يشتد في أثر رجل من المشركين، إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه، فنظر إلى المشرك قد خرَّ مستلقياً وشقّ وجهه، فحدث الأنصاري رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «صَدَقْتَ، ذَاكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ» (٦٣١) وعن أبي داود المازني: تبعت رجلاً من المشركين لأضربه يوم بدر، فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي (٦٣٢) وقيل: لم يقاتلوا؛ وإنما كانوا يكثرون السواد، ويثبتون المؤمنين، وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم، فإنّ جبريل ـ عليه السلام ـ أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط، وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة، وقرىء: (مردَفين): بكسر الدال وفتحها، من قولك: ردفه إذا تبعه، ومنه قوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧٢]، بمعنى: ردفكم، وأردفته إياه: إذا أتبعته، ويقال: أردفته؛ كقولك: أتبعته، إذا جئت بعده، فلا يخلو المكسور الدال من أن

---

٦٣٠ ـ أخرجه مسلم (٦/ ٣٢٧): كتاب الجهاد والسّير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، حديث (٥٨/ ١٧٦٣)، والتِّرمذي (٥/ ٢٦٩): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الأنفال، حديث (٣٠٨١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ١٨٨) رقم (١٥٧٤٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٠٨).
قال الحافظ:
أخرجه مسلم من رواية ابن عباس عن عمر ـ رضي الله عنه. انتهى.
٦٣١ ـ ينظر الحديث السابق.
قال الحافظ: هذا طرف من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في الذي قبله. انتهى.
٦٣٢ ـ أخرجه ابن هشام في سيرته (٢/ ٢٩٧). رقم (٧٦١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٥٦).
قال الحافظ: أخرجه ابن إسحاق في المغازي: حدثني أبي عن رجال من بني مازن عن أبي داود المازني ـ فذكره؛ ومن طريقه أخرجه إسحاق والطبري وغيرهما. انتهى.

يكون بمعنى متبعين، أو متبعين، فإن كان بمعنى: متبعين[1]، فلا يخلو من أن يكون بمعنى: متبعين بعضهم بعضاً، أو متبعين بعضهم لبعض، أو بمعنى: متبعين إياهم المؤمنين، أي: يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم، أو متبعين لهم يشيعونهم، ويقدمونهم بين أيديهم، وهم على ساقتهم؛ ليكونوا على أعينهم وحفظهم، أو بمعنى: متبعين أنفسهم ملائكة آخرين، أو متبعين غيرهم من الملائكة؛ ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، ومن قرأ: (مردفين): بالفتح، فهو بمعنى: متبعين أو متبعين، وقرىء: «مِردفين»، بكسر الراء، وضمها وتشديد الدال، وأصله «مرتدفين»، أي: مترادفين أو متبعين، من ارتدفه، فأدغمت تاء الافتعال في الدال، فالتقى ساكنان، فحرّكت الراء بالكسر على الأصل، أو على إتباع الدال، وبالضم على إتباع الميم، وعن السدي: «بآلاف من الملائكة»، على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران.

فإن قلت: فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد، ولم يفسر المردفين بإرداف الملائكة ملائكة آخرين، والمرادفين بارتدافهم غيرهم؟

قلت: بأنّ المراد بالألف من قاتل منهم، أو الوجوه منهم الذين من سواهم/ ٢٧١أ أتباع لهم.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

فإن قلت: إلام يرجع الضمير في: ﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾؟

قلت: إلى قوله: ﴿أَنِّى مُمِدُّكُم﴾؛ لأن المعنى: فاستجاب لكم بإمدادكم.

فإن قلت: ففيمن قرأ بالكسر؟

قلت: إلى قوله: ﴿أَنِّى مُمِدُّكُم﴾؛ لأنه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول، ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي يدل عليه ممدّكم، ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾: إلا بشارة لكم بالنصر، كالسكينة لبني إسرائيل، يعني: أنكم استغثتم، وتضرعتم لقلتكم وذلتكم، فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر، وتسكيناً منكم، وربطاً على قلوبكم، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، يريد: ولا تحسبوا النصر من الملائكة؛ فإن الناصر: هو الله، لكم وللملائكة، أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله، والمنصور من نصره الله.

---

(١) قوله: «فإن كان بمعنى متبعين» يقرأ هذا بالتسكين، ولم يذكر مقابله وهو ما كان بمعنى متبعين بالتشديد (ع).

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾: بدل ثان من (اذ يعدكم)، أو منصوب بالنصر، أو بما في: ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، من معنى الفعل، أو بما جعله الله، أو بإضمار اذكر، وقرىء: «يغشيكم» بالتخفيف والتشديد[1]، ونصب «النعاسَ»، والضمير لله ـ عزّ وجلّ ـ و﴿أَمَنَةً﴾: مفعول له.

فإن قلت: أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحداً؟

قلت: بلى، ولكن لما كان معنى «يغشاكم النعاس»، تنعسون، انتصب أمنة على أن النعاس والأمنة لهم، والمعنى: إذ تنعسون أمنة بمعنى أمناً، أي: لأمنكم، و﴿مِّنْهُ﴾: صفة لها، أي: أمنة حاصلة لكم من الله، عزّ وجلّ.

فإن قلت: فعلى غير هذه القراءة[2]؟

قلت: يجوز أن تكون الأمنة بمعنى: الإيمان، أي: ينعسكم إيماناً منه، أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمناً.

فإن قلت: هل يجوز أن ينتصب على أنّ الأمنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم؟

أي: يغشاكم النعاس لأمنه على أن إسناد الأمن إلى النعاس إسناد مجازى، وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة، أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ألاَّ يقدم على غشيانكم، وإنما غشيكم أمنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل؟

---

(١) قال محمود: «وقرئ (إذ يغشيكم) بالتخفيف والتشديد... إلخ» قال أحمد: ومثل هذا النظر يجري عند قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ لأن فاعل الإراءة هو الله عز وجل، وفاعل الخوف والطمع هم، وقد انتصبا مفعولاً لهما فالجواب: أنه لما كان الله تعالى إذا أراهم البرق رأوه، كانوا فاعلين في المعنى وكان المعنى وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفاً وطعماً، فهذا مثل آية الأنفال، فإن المفعول في المعنى فاعل. وسيأتي مزيد بحث في هذه النكتة. وقد جرى القلم بتعجيلها ههنا، وذلك أن لقائل أن يقول: فاعل يغشى النعاس إياهم هو الله تعالى، وهو فاعل الأمنة أيضاً وخالقها وحينئذ يتحد فاعل الفعل والعلة يرتفع السؤال ويزول الإشكال على قواعد السنة التي تقتضي نسبة أفعال الخلق إلى الله تعالى على أنه خالقها ومبدعها، ولمورد السؤال أن يقول المعتبر أن يكون فاعل الفعل متصفاً بالعلة كما هو متصف بالفعل، والباري عز وجل. إن كان خالق الأمنة للعبد وكان بها آمناً فالعبد هو الفاعل اللغوي وإن كان الله تعالى هو الفاعل حقيقة وعقيدة، وحينئذ يفتقر السؤال إلى الجواب السالف والله الموفق.

(٢) عاد كلامه: قال: «فإن قلت فعلى غير هذه القراءة قلت كذلك... إلخ» قال أحمد: وجه حسن بشرط الأدب في إسقاط لفظة التخييل، وقد تقدمت له أمثالها.

قلت: لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله، وله فيه نظائر، وقد ألم به مَنْ قال [من الوافر]:

يَـهَـابُ الـنَّـوْمُ أَنْ يَـغْـشَـىٰ عُـيُـونـاً   تَـهَـابُـكَ فَـهْـوَ نَـفَّـارٌ شَـرُودُ(١)

وقرىء: (أمْنة): بسكون الميم، ونظير: «أمن أمنة» «حيي حياة»، ونحو: «أمن أمنة»، «رحم رحمة»، والمعنى: أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم، فلما طامن الله قلوبهم، وأمنهم، رقدوا، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: النعاس في القتال: أمنة من الله، وفي الصلاة: وسوسة من الشيطان (٦٣٣)، ﴿وَيُنَزِّلُ﴾: قرىء بالتخفيف والتثقيل، وقرأ الشعبي: «ما ليطهركم به»: قال ابن جنى: «ما» موصولة وصلتها حرف الجر بما جره؛ فكأنه قال: ما للطهور، و﴿رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: وسوسته إليهم، وتخويفه/ ٢٧١ب إياهم من العطش، وقيل: الجنابة؛ لأنها من تخييله، وقرىء: «رجس الشيطان»؛ وذلك أن إبليس تمثل لهم، وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء؛ ونزل المسلمون في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء، وناموا فاحتلم أكثرهم، فقال لهم: أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق، وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة، وقد عطشتم، ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش، فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا، وساقوا بقيتكم إلى مكة، فحزنوا حزناً شديداً وأشفقوا؛ فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ المطر؛ فمطروا ليلاً حتى جرى الوادي، واتخذ رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه الحياض على عدوة الوادي، وسقوا الركاب، واغتسلوا

---

٦٣٣ ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٤٩٩) رقم (٤٢١٩)، وفي تفسيره (٢/ ٢٥٦)، والطبري في تفسيره (٦/ ١٩٢) رقم (١٥٧٧١)، والطبراني في معجمه (٩/ ٣٣٣) رقم (٩٤٥١ ـ ٩٤٥٢)، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ١٥) رقم (٤٩٧) إلى ابن أبي شيبة في مصنفه في أول الجهاد وإلى الثعلبي في تفسيره، عن ابن مسعود وليس عن عبد الله بن عباس؛ كما وَهِمَ الزمخشري.
قال الحافظ: لم أجده عن ابن عباس. والظاهر أنه تحرف، وإنما هو ابن مسعود؛ كذا ذكره الثعلبي. وأخرجه عبد الرزاق والطبري. وكذا ابن أبي شيبة والطبراني كلهم من حديث ابن مسعود موقوفاً. انتهى.

---

(١) للزمخشري، يقول: يخاف النوم أن يغزو عيوناً تخافك فالنوم كثير النفار والشرود، شبهه بحيوان أن يصح منه الخوف على طريق المكنية. وقوله فهو نفار شرود: تفريع للترشيح. ونسبة الخوف للعيون مجاز عقلي.
ينظر: الألوسي ١٧٦/٩، حاشية الشهاب ٢٥٨/٤، الإنصاف ١٥٩/٢، البحر المحيط ٤٦٢/٤، الدر المصون ٣/ ٤٠٢.

وتوضؤوا، وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام، وزالت وسوسة الشيطان، وطابت النفوس (٦٣٤)، والضمير في (به): للماء، ويجوز أن يكون للربط؛ لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجراءة، ثبتت القدم في مواطن القتال.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِذْ يُوحِي﴾: يجوز أن يكون بدلاً ثالثاً من: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾، وأن ينتصب بيثبت، ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾: مفعول يوحي، وقرىء: «إني»، بالكسر على إرادة القول، أو على إجراء يوحي مجرى يقول؛ كقوله: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾، والمعنى: أني معينكم على التثبيت فثبتوهم، وقوله: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟﴾: يجوز أن يكون تفسيراً لقوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟﴾، ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة، ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم، واجتماعهما غاية النصرة، ويجوز أن يكون غير تفسير، وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم، وتصحّ عزائمهم، ونياتهم في القتال، وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدّون بالملائكة، وقيل: كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول: إني سمعت المشركين يقولون: والله، لئن حملوا علينا لننكشفنّ، ويمشي بين الصفين فيقول: أبشروا؛ فإن الله ناصركم؛ لأنكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه، وقرىء: ﴿الرعب﴾: بالتثقيل، ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾: أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح؛ لأنها مفاصل، فكان إيقاع الضرب فيها حزا وتطييراً للرؤس، وقيل: أراد الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق، يعني: ضرب الهام، قال [من الوافر]:

.... وَأَضْـرِبُ هَـامَـةَ الْـبَـطَـلِ الْـمُـشِـيـحِ (١)

[ومن البسيط]:

غَـشَّـيْـتُـهُ وَهْـوَ فِـي جَـأْوَاءَ بَـاسِـلَـةٍ عَـضْـباً أَصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فَٱنْفَلَقَا (٢)

---

٦٣٤ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ١٩٤) رقم (١٥٧٨٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١١).
وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ١٥ ـ ١٦) إلى البيهقي، وأبي نعيم في كتابيهما «دلائل النبوة»، وإلى الثعلبي وابن مردويه في تفسيريهما.

---

(١) عجز بيت لعمرو بن الإطنابة وصدره:
وإحـامـي عـلـى الـمـكـروه نـفـسـي ....
ينظر: الشذور (٣٤٥)، معجم الشعراء (٨) والعمدة لابن رشيق ١/ ٢٩ واللسان (شيح) والدر المصون ٣/ ٤٠٤.

(٢) وفـارس فـي غـمـار الـمـوت مـنـغـمـس إذا تـألـى عـلـى مـكـروهـة صـدقـا =

والبنان: الأصابع، يريد الأطراف، والمعنى: فاضربوا المقاتل والشوي؛ لأنّ الضرب إما واقع على مقتل أو غير مقتل، فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معاً، ويجوز أن يكون قوله: (سألقي)، إلى قوله: (كل بنان)، عقيب/ ٢٧٢أ قوله: ﴿فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ تلقيناً للملائكة ما يثبتونهم به، كأنه قال: قولوا لهم قولي: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾، أو كأنهم قالوا: كيف نثبتهم؟ فقيل: قولوا لهم قولي: (سألقي)، فالضاربون على هذا هم المؤمنون.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل، ومحله الرفع على الإبتداء و﴿بِأَنَّهُمْ﴾: خبره، أي: ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم، والمشاقة: مشتقة من الشق؛ لأن كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه، وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة، فقلت: لأن هذا في عدوة وذاك في عدوة، كما قيل: المخاصمة والمشاقة؛ لأن هذا في خصم، أي: في جانب، وذاك في خصم، وهذا في شق، وذاك في شق، والكاف في (ذلك)؛ لخطاب الرسول ـ عليه السلام ـ أو لخطاب كل واحد، وفي ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ للكفرة، على طريقة الالتفات، ومحل (ذلكم): الرفع على ذلكم العقاب، أو العقاب ذلكم، ﴿فَذُوقُوهُ﴾: ويجوز أن يكون نصباً على: عليكم ذلكم فذوقوه؛ كقولك: زيداً فاضربه، ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾: عطف على ذلكم في وجهيه، أو نصب على أن الواو بمعنى: مع، والمعنى: ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في

= غشيته وهو في جأواء باسلة ... عضبًا أصاب سواء الرأس فانفلقا

لبلعا بن قيس الكناني والغمر الماء الكثير فشبه الموت بسيل عظيم على سبيل الكناية. والغمار والانغماس فيه تخييل. ويجوز أن تستعار الغمار لأهوال الموت على طريق التصريحية. ويحتمل أن تستعار لجيش ذلك الفارس على طريق التصريحية أيضاً. وأضافه للموت لأنه ينشأ عنها والانغماس ترشيح. «إذا تألى» أي حلف «على مكروهة» أي حرب «صدق» أي بر في يمينه «غشيته» ألحقت به والحال أنه «في جأواء» أي كتيبة عظيمة اسودت أو اخضرت بكثرة السلاح والدروع، من الجوة مثل الحوة، أو من الجؤوة مثل الحمرة، وهي هي بشرط أن يرهقها سواد. وقيل السواد يرهقه خضرة لصدأ دروعها «باسلة» أي مانعة عابسة. ويجوز أن الجأواء الدرع الصدئة. وعضبا: مفعول غشيته، أي سيفاً قاطعاً «أصاب» أي طلب ونال «سواء» أي وسط الرأس «فانفلق» الرأس أو وسطه، مدح قرنه مع ظفره به، ليدل على بلوغه غاية الشجاعة.

ينظر الخزانة ٦/ ٥٥٦، والبحر المحيط ٤/ ٤٦٤، وابن يعيش ١/ ٨، وشرح الحماسة ١/ ٦٠، والدر المصون ٣/ ٤٠٤.

الآخرة، فوضع الظاهر موضع الضمير، وقرأ الحسن: «وإن للكافرين» بالكسر.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿زَحْفًا﴾: حال من الذين كفروا، والزحف: الجيش الدهم[1]، الذي يرى لكثرته كأنه يزحف، أي: يدب دبيباً، من زحف الصبي إذا دب على إسته قليلاً قليلاً، سمي بالمصدر والجمع زحوف، والمعنى: إذا لقيتموهم للقتال، وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفرّوا، فضلاً أن تدانوهم في العدد أو تساووهم، أو حال من الفريقين، أي: إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم، أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين، حين تولوا مدبرين، وهم زحف من الزحوف اثني عشر ألفاً، وتقدمة[2] نهى لهم عن الفرار يومئذ، وفي قوله: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾: أمارة عليه، ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾: هو الكرّ بعد الفرّ، يخيل عدوّه أنه منهزم ثم يعطف عليه، وهو باب من خدع الحرب ومكايدها، ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾: أو منحازاً، ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ: خرجت سرية وأنا فيهم ففرّوا، فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت، فقلت: يا رسول الله، نحن الفرّارون، فقال: «بَلْ أَنْتُمُ العَكَّارُونَ[3] وَأَنَا فِئَتُكُمْ» (٦٣٥) وانهزم رجل من القادسية، فأتى المدينة إلى عمر ـ رضي

---

٦٣٥ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ٤٦): كتاب الجهاد: باب في التولي يوم الزحف (٢٦٤٧)، والتِّرمذي (٥/ ٢١٥): كتاب الجهاد: باب ما جاء في الفرار من الزحف، حديث (١٧١٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٢)، وأحمد (٢/ ٧٠ ـ ٨٦ ـ ١٠٠ ـ ١١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٧٦ ـ ٧٧)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٥٧) والحميدي في مسنده (٢/ ٣٠٢) حديث (٦٨٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١٥)، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في الأدب المفرد وأبي داود والتِّرمذي وحسنه، وابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر.

قال الحافظ: أخرجه أبو داود، والتِّرمذي، والبخاري في الأدب المفرد من رواية يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر ـ رضي الله عنهما. وكذا أخرجه أحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة، وأبو يَعلى، والبزار في مسانيدهم. قال التِّرمذي: لا نعرفه إلا من رواية يزيد بن أبي زياد. انتهى.

---

(١) قوله: «الجيش الدهم» هو العدد الكثير، والدهمة: السواد، كذا في الصحاح (ع).
(٢) قوله و«تقدمة نهى لهم» لعله عطف على المعنى، أي: إشعاراً وتقدمة نهي (ع).
(٣) قوله: «بل أنتم العكارون» من عكر إذا عطف وكر. أفاده الصحاح.

الله عنه ـ فقال: يا أمير المؤمنين، هلكت، فررت من الزحف، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنا فئتك (٦٣٦)؛ وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: إنّ الفرار من الزحف من أكبر الكبائر:

فإن قلت: بم انتصب: (إلا متحرفا)؟

قلت: على الحال، وإلا لغو، أو على الاستثناء من المولين، أي: ومن يولهم إلا رجلاً منهم متحرّفاً أو متحيزاً[1]، وقرأ الحسن: (دبْره): بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل؛ لأنه من حاز يحوز، فبناء متفعل منه متحوّز/ ٢٧٢ب.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

لما كسروا أهل مكة، وقتلوا، وأسروا، أقبلوا على التفاخر، فكان القائل يقول: قتلت وأسرت، ولما طلعت قريش قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «هٰذِهِ قُرَيْشُ قَدْ جَاءَتْ[2] بِخُيَلَائِهَا

---

٦٣٦ ـ أخرجه ابن أبي شيبة من طريق منصور عن إبراهيم قال: فر رجل. . . فذكره.
كما قال الحافظ في «تخريج الكشاف» انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: قال الشيخ: «لا يريد بقوله: «و «إلاّ» «لَغو» أنها زائدة، بل يريد أن العامل وهو «يُوَلِّهِمْ» وَصَلَ لما بعدها، كقولهم ـ في «لا» من نحو: «جئتُ بلا زادٍ» ـ: إنها لَغْوٌ. وفي الحقيقة هي استثناء من حال محذوفة، والتقدير: ومن يُوَلِّهِمْ ملتبساً بأية حالة إلاّ في حال كذا، وإن لم تُقَدَّر حال عامة محذوفة لم يصح دخول «إلاّ»؛ لأن الشرط عندهم واجب، والواجب حكمه ألا تدخل «إلاّ» فيه، لا في المفعول، ولا في غيره من الفضلات، لأنه استثناء مفرغ، والمفرغ لا يكون في الواجب، إنما يكون مع النفي، أو النهي، أو المؤول بهما، فإن جاء ما ظاهره خلاف ذلك يؤول». قلت: قوله: «لا في المفعول، ولا في غيره من الفضلات لا حاجة إليه، لأن الاستثناء المفرغ لا يدخل في الإيجاب مطلقاً، سواء كان ما بعد «إلاّ» فضلةً أم عمدة، فذكر الفضلة والمفعول يوهم جوازه في غيرهما». وقال ابن عطية: «وأما الاستثناء فهو من المُوَلِّين الذين تضمنهم «مَنْ». فجعل نصبه على الاستثناء». وقال جماعة. «إن الاستثناء من أنواع التولي». وقد رُدَّ هذا بأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون التركيب: إلا تحيزاً أو تحرفاً. والتَّحَيُّزُ والتَحَوُّز الانضمام، وتَحَوَّزَتِ الحَيَّةُ: انطَوَتْ. وحُزْتُ الشيء: ضممته. والحَوْزَةُ: ما يضم الأشياء. ووزن «مُتَحَيِّز»: «مُتَفَيْعِل»، والأصل مُتَحَيْوِز، فاجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء بعدها، كـ «مَيِّت»، ولا يجوز أن يكون «مُتَفَعِّلاً»، لأنه لو كان كذا لكان «متحوِّزاً». فأما مُتَحَوِّز فـ «مُتَفَعِّل». انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «ولما جاءت قريش قال عليه الصلاة والسلام: هذه قريش جاءت. . . إلخ» قال أحمد رحمه الله: أوضح مصداق في التمييز بين الحقيقة والمجاز. ألا تراك تقول للبليد: ليس بحمار، ويصدق عليه مع صدق قولك فيه على سبيل التجوز إنه حمار، فإذا ثبت لك أن من مميزات المجاز =

وَفَخْرِهَا يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَا وَعَدْتَنِي»، فَأَتَاه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فقال ـ لما التقى الجمعان ـ لعلي ـ رضي الله عنه ـ: «أَعْطِنِي قَبْضَةً مِنْ حَصْبَاءِ الوَادِي، فَرَمَىٰ بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ وَقال: شَاهَتِ الوُجُوهُ»، فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه، فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسروهم (٦٣٧)، فقيل لهم: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾، والفاء: جواب شرط محذوف تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم[1]، ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾؛ لأنه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم،

---

٦٣٧ ـ أخرجه ابن هشام في سيرته (٢/٢٧٨ ـ ٢٧٩ ـ ٢٨٠) رقم (٧٣٤ و٧٣٧)، والبيهقي (٣/ ١١٠) في دلائل النبوة، والطبري في تفسيره (٦/ ٢٠٣) رقم (١٥٨٣٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١٧)، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١٩/٢) رقم (٥٠٠) إلى الواقدي في المغازي، وإلى ابن مردويه في تفسيره.

قال الحافظ:

قال الطيبي لم يذكر أحد من أئمة الحديث أن هذه الرمية كانت ببدر، ثم حديث سلمة بن الأكوع. قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حُنينا فذكر القصة، وهو تعقيب غير مُرض، فقد روى الواقدي في المغازي عن ابن أبي الزهري عن الزهري عن عروة بن الزبير قال: «لما رأى رسول الله ﷺ قريشاً فذكر نحوه إلى قوله: ما وعدتني» وروى الطبري من وجه آخر عن هشام بن عروة عن عروة قال: «لما ورد رسول الله ﷺ بدراً قال: فزعموا أنه قال: هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك، اللهم إني أسألك ما وعدتني. فلما أقبلوا استقتلوا فحثا في وجوههم فهزمهم الله تعالى»، وروى الطبري من رواية علي بن أبي طلحة قال: «رفع رسول الله ﷺ يده يوم بدر»، فقال:

يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً. فأمره جبريل فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم. فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخره وفمه تراب. فولوا مدبرين»، وعنده أيضاً من طريق أسباط عن السدي: «أن رسول الله ﷺ قال لعلي يوم بدر: أعطني حصباء من الأرض. فناوله حصا عليه تراب، فرمى به في وجوه القوم، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينه من ذلك التراب، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم. وأنزل الله: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ـ الآية﴾. وروى الواقدي في المغازي أيضاً من طريق حكيم بن حزام في قصة بدر قال: قام رسول الله ﷺ، فأخذ كفا من الحصباء فرماهم بها، وقال: شاهت الوجوه. فما بقي منهم أحد إلا امتلأ وجهه وعيناه فانهزم أعداء الله، والمسلمون يقتلون ويأسرون. وأخرجه الطبري من وجه آخر عن حكيم بن حزام نحوه دون ما في آخره. انتهى.

= صدق سلبه بخلاف الحقيقة، فافهم أن هذه الآية تكفح وجوه القدرية بالرد، وذلك أن الله تعالى أثبت الفعل للخلق ونفاه عنهم، ولا محمل لذلك إلا أن ثبوته لهم مجاز، والفاعل والخالق حقيقة هو الله تعالى، فأثبته لهم مجازاً، ونفاه عنهم حقيقة. وإياك أن تعرج على تنكيس الزمخشري في تأويل الآية، فإنه نظر أعوج، وباطل مخلج، والحق أبلج، والله الموفق بكرمه.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وليست جواباً، بل لربط الكلام بعضه ببعض». انتهى. الدر المصون.

وشاء النصر والظفر، وقوّى قلوبكم، وأذهب عنها الفزع والجزع، ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾: أنت يا محمد، ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ يعني: أنّ الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة؛ لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر، ولكنها كانت رمية الله؛ حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، فأثبت الرمية لرسول الله ـ ﷺ ـ لأنّ صورتها وجدت منه، ونفاها عنه؛ لأنّ أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل الله ـ عزّ وجلّ ـ فكأنّ الله هو فاعل الرمية على الحقيقة، وكأنها لم توجد من الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أصلاً، وقرىء: «ولكن الله قتلهم، ولكن الله رمى»، بتخفيف «لكن»، ورفع ما بعده، ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: وليعطيهم، ﴿بَلَآءً حَسَنًا﴾: عطاء جميلاً؛ قال زهير [من الطويل]:

.... فَأَبْلاهُمَا خَيْرَ الْبَلاءِ الَّذِي يَبْلُو[1]

والمعنى: وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل، وما فعله إلا لذلك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾: بأحوالهم.

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: إشارة إلى البلاء الحسن، ومحله الرفع، أي: الغرض ذلكم، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾: معطوف على ذلكم، يعني: أن الغرض إبلاء المؤمنين، وتوهين كيد الكافرين، وقرىء: «مُوهِّن»، بالتشديد، وقرىء على الإضافة، وعلى الأصل الذي هو التنوين والإعمال.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾: خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم؛ وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهمّ، انصر أقرانا للضيف، وأوصلنا للرحم، وأفكنا للعاني، إن كان محمد على حق فانصره، وإن كنا على حق

---

(١) جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم ... وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو
يقول: كافأ الله بإحسانه إليهما ما فعلاه بكم من الإحسان. وأبلى: مضمن معنى أعطى. يقال: بلاه الله وأبلاه وابتلاه، بمعنى اختبره. والاسم: البلاء. ويجيء بمعنى النقمة وبمعنى النعمة كما هنا. وأعطاهما خير نعمته التي يبلوها الناس ويختبرهم بإعطائها.
ينظر ديوانه (١٠٩)، معاني القرآن للزجاج (١/ ١٠٢)، الطبري (٢/ ٤٩)، لسان العرب (بلا)، تهذيب اللغة (١٥/ ٣٩٠)، مقاييس اللغة (١٤/ ٣٢٢)، المخصص (٣/ ١٠٢، ١٣/ ٢٨٢)، مجمل اللغة (١/ ١٦٣)، الدر المصون (١/ ٢٢٠).

فانصرنا، وروي أنهم قالوا: اللهمّ، انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين، وأكرم الحزبين، وروي أنّ أبا جهل قال يوم بدر: اللهمّ أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم، أي: فأهلكه، وقيل: (إن تستفتحوا): خطاب للمؤمنين، ﴿وَإِن تَنتَهُوا﴾: خطاب للكافرين، يعني: وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله ـ ﷺ ـ، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: وأسلم، ﴿وَإِن تَعُودُوا﴾: لمحاربته، ﴿نَعُدْ﴾: لنصرته عليكم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾: قرىء بالفتح على: ولأنّ الله معين المؤمنين كان ذلك/٢٧٣أ، وقرىء بالكسر، وهذه أوجه؛ ويعضدها قراءة ابن مسعود: «والله مع المؤمنين»، وقرىء: «ولن يغني عنكم»، بالياء للفصل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١) ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)﴾

﴿وَلَا تَوَلَّوْا﴾: قرىء بطرح إحدى التاءين وإدغامها، والضمير في: ﴿عَنْهُ﴾، لرسول الله ـ ﷺ ـ لأنّ المعنى: وأطيعوا رسول الله؛ كقوله: «الله ورسوله أحق أن يرضوه»، ولأنّ طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد، ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾: فكأن رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما؛ كقولك: الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان، ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة، أي: ولا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله وأنتم تسمعونه، أو ولا تتولوا عن رسول الله ـ ﷺ ـ ولا تخالفوه، ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي: تصدقون؛ لأنكم مؤمنون لستم كالصمّ المكذبين من الكفرة، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي: ادّعوا السماع، ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾؛ لأنهم ليسوا بمصدّقين فكأنهم غير سامعين، والمعنى: أنكم تصدّقون بالقرآن والنبوّة، فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها؛ كان تصديقكم كلا تصديق، وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن، ثم قال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ أي: إنّ شر من يدب على وجه الأرض، أو إنّ شرّ البهائم الذين هم صمّ عن الحق لا يعقلونه، جعلهم من جنس البهائم، ثم جعلهم شرّها، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ﴾: في هؤلاء الصم البكم، ﴿خَيْرًا﴾ أي: انتفاعاً باللطف، ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾: للطف بهم[1]، حتى يسمعوا

(١) قال محمود: «يعني: ولو علم الله أن اللطف ينفع في هؤلاء... إلخ» قال أحمد رحمه الله: إطلاق القول بأن الله تعالى يلطف بالعبد فلا ينفع لطفه مردود، فإن اللطف هو إسداء الجميل والإلطاف به، واسمه اللطيف من ذلك، فإذا أسدى الجميل إلى العبد بأن أسمعه إسماع لطيف به، فتلك الغاية المرجوة ومعنى اللطف به على هذا: أن يخلق في قلبه قبول الحق وحسن الإصغاء إليه والاهتداء به، ولكن لا يتم ذلك على عقيدة الاعتزال والرأي الفاسد في خلق الأفعال، لأن مقتضاها أن العبد =

سماع المصدقين، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا﴾، عنه، يعني: ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف؛ فلذلك منعهم ألطافه، أو: ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك، وكذبوا ولم يستقيموا، وقيل: هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان: مصعب بن عمير، وسويد بن حرملة: كانوا يقولون: نحن صم بُكم عُمي عما جاء به محمد، لا نسمعه ولا نجيبه، فقتلوا جميعاً بأحد، وكانوا أصحاب اللواء، وعن ابن جريج: هم المنافقون، وعن الحسن: أهل الكتاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾: وحد الضمير كما وحده فيما قبله؛ لأن استجابة رسول الله - ﷺ - كاستجابته، وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد، والمراد بالاستجابة، الطاعة، والامتثال، وبالدعوة: البعث والتحريض، وروى أبو هريرة أن النبي - ﷺ - مرّ على باب أبيّ بن كعب، فناداه وهو في الصلاة، فعجل في صلاته ثم جاء فقال: «مَا مَنَعَكَ عَنْ إِجَابَتِي؟ قَالَ: كُنتُ أُصَلِّي، قَالَ: أَلَمْ تُخْبَرْ فِيمَا أُوحِيَ إِلي: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾، قَالَ: لاَ جَرَمَ لا تَدْعُونِي إلا أجبتك (٦٣٨)، وفيه قولان، أحدهما: إن هذا مما اختص به

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

٦٣٨ - أخرجه الترمذي (٥/ ١٥٥): كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، حديث (٢٨٧٥)، والنسائي (٢/ ١٣٩): كتاب الإفتتاح: باب تأويل قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ٢١) رقم (٥٠١) إلى ابن مردويه في تفسيره.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي والنسائي دون قوله: لا جرم إلى آخره وأخرجه ابن مردويه من الوجه الذي أخرجه منه الترمذي، وفي آخره قال: «إني لاجرم يا رسول الله لا تدعوني إلا أجبتك وإن كنت أصلي»، وفي الباب عن أبي سعيد بن الحكم، أخرجه البخاري بغير هذا السياق واقتصر عليه الطيبي. انتهى.

= هو الذي يخلق لنفسه قبول الحق والهداية وحسن الاستماع والإصغاء، وأن الله تعالى لا يشارك العبد في خلق ذلك، بل الذي ينسب إلى الله تعالى إرادة الهداية من جميع الخلق، ولا يلزم حصول مراده على العموم - تعالى الله عما يقولون - ثم ولو تنزل متنزل على هذه القاعدة لما استقام تأويل الزمخشري أيضاً، فإن حاصله: ولو علم الله فيهم خيراً للطف بهم، ولو لطف بهم لما انتفعوا باللطف، فيلزم عدم انتفاعهم باللطف على تقدير علم الله الخير فيهم، وهذا غير مستقيم لما يلزم عليه من وقوع خلاف المعلوم لله تعالى، وذلك محال عقلاً، فلا يرتفع الإشكال إلا بتقدير الإسماع الواقع جواباً أولاً، خلاف الأسماع الواقع شرطاً ثانياً، كيلا يتكرر الوسط فيلزم المحال المذكور. وأقرب وجه في اختلاف الإسماعين: أن يراد بالأول: ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم إسماعاً يخلق لهم به الهداية والقبول، ولو أسمعهم لا على أنه يخلق لهم الاهتداء، بل إسماعاً مجرداً من ذلك، لتولوا وهم معرضون. فهذا هو الوجه في تأويل الآية، والله الموفق.

رسول الله ـ ﷺ ـ.

والثاني: أن دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير، وإذا وقع مثله للمصلي، فله أن يقطع صلاته، ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: من علوم الديانات والشرائع؛ لأن العلم حياة، كما أنّ الجهل موت؛ ولبعضهم [من المنسرح]:

لاَ تُعْجِبَنَّ الْجَهُولَ حُلَّتُهُ فَذَاكَ مَيْتٌ/ ٢٧٣ب وَثَوْبُهُ كَفَنُ[١]

وقيل لمجاهدة الكفار؛ لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم؛ كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] وقيل للشهادة؛ لقوله: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ يعني: أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها[٢]، وهي التمكن من إخلاص القلب، ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليماً كما يريده الله، فاغتنموا هذه الفرصة، وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: فيثيبكم على حسب سلامة القلوب، وإخلاص الطاعة، وقيل: معناه: إنّ الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه، ويغير نياته ومقاصده، ويبدله بالخوف أمناً، وبالأمن خوفاً وبالذكر نسياناً، وبالنسيان ذكراً، وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى، فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب[٣] من أفعال القلوب فلا، والمجبرة على أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر، وبينه وبين الكفر إذا آمن، تعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيراً، وقيل: معناه: أنه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله، لا يخفى عليه شيء من ضمائره، فكأنه

---

(١) للزمخشري، نهي للجهول عن العجب والخيلاء بثيابه، لأنه كالميت في عدم النفع وعدم الإدراك، ويلزم من ذلك أن ثوبه الذي يعجب به كالكفن، حيث اشتمل على جسم لا إدراك فيه ولا نفع. والميت هنا بالتخفيف.
ينظر البحر المحيط (٤/ ٥٠٣)، اللسان (روح)، التنبيه والإيضاح (١/ ٢٤٠)، مجمل اللغة (٢/ ٤٤١)، وللسليك بن السلكة من ديوانه ص (٥٠) والشعر والشعراء ص (٣٧٣)، جمهرة الأمثال (١/ ١٣٠)، عيون الأخيار ١/ ٢٧١، ومجمع ٢/ ١١، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٢/ ٤٦٤). الدر المصون (٣/ ٤٤٦).

(٢) قال محمود: «معناه أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها... إلخ» قال أحمد رحمه الله: نعم، هذا عقد أهل السنة الذي استعار لهم لقب المجبرة، وهو العقد الحق المؤسس على التقوى وتفويض المخلوقات كلها إلى الواحد الحق خالق الخلق، فإن كان ذلك ظلماً فأنا بريء من الطائفة المتسمية بالعدلية، إصراراً على هذا الرأي الباطل والمعتقد الماحل، والله الموفق.

(٣) قوله: «فأما ما يثاب العبد عليه... إلخ» المسألة هنا من فروع مسألة خلق أفعال العباد الاختيارية، فعند المعتزلة أن المريد الخالق لها هو العبد، وإذا صح تكليفه لظهور اختياره. وعند أهل السنة أن المريد الخالق لها هو الله تعالى. وإنما صح تكليف العبد لما له فيها من الكسب، وهو اختيار بعضها على بعض بشهادة الوجدان، خلافاً للجبرية القائلين بالجبر المحض، ومحله التوحيد.

بينه وبين قلبه، وقرىء: «بين المرء» بتشديد الراء، ووجهه أنه قد حذف الهمزة، وألقى حركتها على الراء، كالخب، ثم نوى الوقف على لغة من يقول: مررت بعمر.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فِتْنَةً﴾: ذنباً، قيل: هو إقرار المنكر بين أظهرهم؛ وقيل: افتراق الكلمة، وقيل: (فتنة): عذاباً، وقوله: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾: لا يخلو من أن يكون جواباً للأمر، أو نهياً بعد أمر، أو صفة لفتنة، فإذا كان جواباً، فالمعنى: إن إصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى أن علماء بني إسرائيل نهوا عن المنكر تعذيراً(١)، فعمهم الله بالعذاب، وإذا كانت نهياً بعد أمر فكأنه قيل: واحذروا ذنباً أو عقاباً، ثم قيل: لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة، وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول؛ كأنه قيل: واتقوا فتنة مقولاً فيها لا تصيبنّ؛ ونظيره قوله [من الرجز]:

حَتَّىٰ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطْ   جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطّ(٢)

---

(١) قوله نهوا عن المنكر تعذيراً. التعذير في الأمر: التقصير فيه اهـ صحاح (ع).

(٢) بتنا بحسان ومعزاة يئط   يلحس أذنيه وحينا يمتخط
ما زلت أسعى فيهمو وأختبط   حتى إذا جن الظلام واختلط
جاءوا بمذق هل رأيت الذيب قط؟

لأحمد الرجاز. وقيل: إنه للعجاج، يصف رجلاً بالبخل. وبات بالقوم: إذا نزل بهم ليلاً. والأط: صوت الجوف. والمعز ـ محركة ومسكنة ـ والمعيز، والأمعوز، والمعزى: خلاف الضأن من الغنم. فهو اسم جمع، وتأنيث المعزى لغة. والاختباط: تطلب المعروف من غير اهتداء. يقول: نزلنا عند حسان ليلاً، والحال أن معزاه جائعة هزيلة، فالأطيط كناية عن الأول، والامتخاط كناية عن الثاني، ويجوز أن ذلك كناية عن كثرة المعز عنده، ولبخله قراهم بالمذق بعد مدة كان يمكنه أن يذبح لهم فيها شاة، وهذا أنسب بما بعده، وضمير أذنيه يحتمل عوده على المعزى لأنه مذكر عند الأكثر، ويجوز أنه عائد لحسان، وهو ذم شنيع. وفيهم: أي في حيه. وجن النبت: طال. والليل: أظلم. والذباب: كثرت أصواته. والظلام: كثر واختلط وتراكم بعضه فوق بعض بحيث لا يتخلله نور. والمذق: المزج. والمراد به لبن مخلوط بماء. ويروى: بمذق ـ بالكسر ـ: وهو ذلك اللبن. ويروى: جاؤوا بضيح، بمعجمة فمثناة تحتية فمهملة، بمعنى المذق، إلا أنه رقيق، و«هل رأيت» استفهام تقريري والجملة صفة لمذق، أي مذق مقول فيه ذلك، والمراد تشبيه المذق بالذيب في الكدرة، فكني بالاستفهام عن ذلك، لأن من أراد إخطار الشيء بالبال ورسمه في الخيال يستفهم عنه، فكأنه قال له هل رأيته؟ فقال نعم، قال: إن اللبن مثله، لكن حذف هذا كله واستغنى بالاستفهام عنه. وقط: ظرف مبني على الضم، وسكن للوقف.

أي: بمذق مقول فيه هذا القول؛ لأنه سمار فيه لون الورقة[1] التي هي لون الذئب، ويعضد المعنى الأخير قراءة ابن مسعود: «لتصيبنّ»، على جواب القسم المحذوف، وعن الحسن: نزلت في عليّ، وعمار، وطلحة، والزبير، وهو يوم الجمل خاصة، قال الزبير: نزلت فينا وقرأناها زماناً، وما أرانا من أهلها، فإذا نحن المعنيون بها، وعن السدي: نزلت في أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل، وروي: «أن الزبير كان يساير النبي - ﷺ - يوماً، إذ أقبل عليّ - رضي الله عنه - فضحك إليه الزبير، فقال رسول الله - ﷺ -: «كَيْفَ حُبُّكَ لِعَلِيّ؟ فَقَالَ: يَا رسول/ ٢٧٤أ الله، بأبي أنت وأمي، إني أحبه كحبي لوالدي أو أشدّ حبًّا، قال: فَكَيْفَ أَنْتَ إِذَا سِرْتَ إِلَيْهِ تُقَاتِلُهُ» (٦٣٩).

فإن قلت: كيف جاز أن يدخل النون المؤكدة في جواب الأمر؟

قلت: لأنّ فيه معنى النهي، إذا قلت: انزل عن الدابة لا تطرحك؛ فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبنّ ولا يحطمنكم.

فإن قلت: فما معنى (من) في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ﴾؟

قلت: التبعيض على الوجه الأوّل؛ والتبيين على الثاني؛ لأنّ المعنى: لا تصيبنكم

---

٦٣٩ - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤١٤ - ٤١٥).
وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١/ ٢٢) رقم (٥٠٢) إلى ابن أبي شيبة في مسنده.
قال الحافظ: لم أجده هكذا، وإنما رواه ابن أبي شيبة من طريق الأسود بن قيس حدثني من رأى الزبير يعقص الخيل فناداه علي: يا أبا عبد الله، فأقبل حتى التقت أعناق دوابهما، فقال له علي: أنشدك الله، أتذكر يوم أتانا رسول الله ﷺ وأنا أناجيك فقال: أتناجيه؟ والله ليقاتلنك وهو لك ظالم قال: فضرب الزبير وجه دابته فانصرف، «وروى البيهقي في الدلائل من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الديلمي عن أبيه قال: «لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير، ودنت الصفوف بعضها من بعض خرج علي فنادى: ادعوا لي الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال علي - رضي الله عنهما -: يا زبير، نشدتك الله، أتذكر يوم مر بنا رسول الله ﷺ ونحن بمكان كذا وكذا فقال: يا زبير، أتحب علياً؟ فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمتي وعلي قريبي؟ قال: أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم؟ قال، بلى، ولكني نسيته، وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن قتادة قال: «لما ولى الزبير يوم الجمل بلغ عليا فقال: لو كان يعلم أنه على حق ما ولى وذلك أن النبي ﷺ لقيه في سقيفة بني ساعدة فقال: أتحبه يا زبير؟ قال: وما يمنعني؟ قال: فكيف بك إذا قاتلته». انتهى.

= ينظر: أمالي الزجاجي (٢٣٧)، والمغني ١/ ٢٤٦، والمقرب ١/ ٢٢٠، والخزانة ٢/ ١٠٩، والدرر ٢/ ١٤٨ والهمع ٢/ ١١٧، وأوضح المسالك ٣/ ٣١٠، والأشموني ٣/ ٦٤، ٢١٩، والعين ٤/ ٦١، والإنصاف ١/ ١١٥، والارتشاف ٢/ ٨٣١، والدر المصون ٣/ ٤١١.

(١) قوله: «لأنه سمار فيه لون الورقة» قوله: «سمار» هو - بالفتح - لبن رقيق. وتسمير اللبن. ترقيقه بالماء. والورقة: بياض يضرب إلى سواد وإلى خضرة اهـ صحاح (ع).

خاصة على ظلمكم؛ لأن الظلم أقبح منكم من سائر الناس[1].

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِذْ أَنتُمْ﴾: نصبه على أنه مفعول به مذكور لا ظرف، أي: اذكروا وقت كونكم أقلة أذلة مستضعفين، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش، ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾؛ لأن الناس كانوا جميعاً لهم أعداء منافين مضادّين، ﴿فآواكم﴾: إلى المدينة، ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾: بمظاهرة الأنصار، وبإمداد الملائكة يوم بدر، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من الغنائم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: إرادة أن تشكروا هذه النعم، وعن قتادة: كان هذا الحيّ من العرب أذلّ الناس، وأشقاهم عيشاً، وأعراهم جلداً، وأبينهم ضلالاً، يؤكلون ولا يأكلون، فمكن الله لهم في البلاد، ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكاً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾

معنى الخون: النقص، كما أن معنى الوفاء التمام، ومنه: تخوّنه، إذا تنقصه، ثم استعمل في ضدّ الأمانة والوفاء؛ لأنك إذاخنت الرجل في شيء، فقد أدخلت عليه النقصان فيه، وقد استعير فقيل: خان الدلو الكرب، وخان المشتار السبب[2]؛ لأنه إذا انقطع به فكأنه لم يف له، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾، والمعنى: لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه، ورسوله بألاّ تستنوا به، و﴿أَمَانَاتِكُمْ﴾؛ فيما بينكم بألاّ تحفظوها، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: تبعة. ذلك ووباله، وقيل: وأنتم تعلمون أنكم تخونون، يعني: أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو، وقيل: وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن، وروي أن نبي الله ـ ﷺ ـ حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة[3]، فسألوا

---

(١) قوله: «أقبح منكم من سائر الناس، لعله منه من سائر الناس (ع).

(٢) قوله: «خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب. قوله: «الكرب» حبل يشد في رأس الدلو. والمشتار مجتني العسل. والسبب: الحبل اهـ صحاح (ع).

(٣) أخرجه الثعلبي عن الكلبي بغير سند، لكن سنده إليه في أول الكتاب. وقد روى ابن إسحاق في المغازي: حدثنا إسحاق بن يسار عن عبد بن كعب السلمي «أن رسول الله ﷺ حاصرهم ـ يعني قريظة ـ خمساً وعشرين ليلة ـ فذكر القصة بطولها ـ إلى أن قال: ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر فذكر قصة مختصرة. وأخرجها البيهقي في الدلائل من طريق سعيد بن المسيب في قصة طويلة ـ فذكر نحو ما هنا. وهكذا ذكرها عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: كان أبو لبابة ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في تبوك. فربط نفسه بسارية فذكر القصة» وأخرجه الواقدي عن معمر عن =

الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام، فأبى رسول الله ـ ﷺ ـ إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحاً لهم؛ لأنّ عياله وماله في أيديهم، فبعثه إليهم فقالوا له: ما ترى، هل ننزل على حكم سعد؟ فأشار إلى حلقه إنه الذبح، قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله؛ فنزلت، فشدّ نفسه على سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ، فمكث سبعة أيام حتى خر مغشياً/ ٢٧٤ب عليه ثم تاب الله عليه، فقيل له: قد تيب عليك فحل نفسك، فقال: لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله ـ ﷺ ـ هو الذي يحلني، فجاءه فحله بيده فقال: إنّ من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال ـ ﷺ ـ: يجزيك الثلث أن تتصدّق به (٦٤٠)، وعن المغيرة: نزلت في قتل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وقيل: (أماناتكم)؛ ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده.

فإن قلت: (وتخونوا): جزم هو أم نصب؟

قلت: يحتمل أن يكون جزماً داخلاً في حكم النهي، وأن يكون نصباً بإضمار «أن»؛ كقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [البقرة: ٤٢]، وقرأ مجاهد: «وتخونوا أمانتكم»، على التوحيد.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

جعل الأموال والأولاد فتنة؛ لأنهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب، أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده، ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: فعليكم أن تنوطوا بطلبه وبما تؤدي إليه هممكم، وتزهدوا في الدنيا، ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد؛ حتى تورّطوا أنفسكم من أجلهما؛ كقوله: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ

---

٦٤٠ ـ أخرجه ابن هشام في سيرته (٣/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) رقم (١٣٨١ ـ ١٣٨٢ ـ ١٣٨٤ ـ ١٣٨٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦) رقم (٩٧٤٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٢٠)، رقم (١٥٩٣٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٣).
وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ٢٥) إلى الثعلبي في تفسيره، وإلى الواقدي في كتاب المغازي.

= الزهري عن ابن كعب بن مالك مثله.
(تنبيه) تسمية أبي لبابة مروان لم أره إلا من هذه الرواية. ومدة حصار بني قريظة المحفوظ فيها ما قاله ابن إسحاق.

﴿ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ [الكهف: ٤٦]، وقيل: هي من جملة ما نزل في أبي لبابة، وما فرط منه لأجل ماله وولده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾

﴿فُرۡقَانٗا﴾: نصراً؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الكفر بإذلال حزبه، والإسلام بإعزاز أهله؛ ومنه قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] أو بياناً وظهوراً يشهر أمركم، ويبث صيتكم، وآثاركم في أقطار الأرض، من قولهم: (بت أفعل كذا) حتى سطع الفرقان: أي طلع الفجر، أو مخرجاً من الشبهات وتوفيقاً وشرحاً للصدور، أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان، وفضلاً ومزية في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾

لما فتح الله عليه، ذكره مكر قريش به حين كان بمكة؛ ليشكر نعمة الله ـ عزّ وجلّ ـ في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم، وما أتاح الله له من حسن العاقبة، والمعنى: واذكر إذ يمكرون بك وذلك أن قريشاً ـ لما أسلمت الأنصار وبايعوه ـ فرقوا أن يتفاقم أمره[1]، فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره، فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ، وقال: أنا شيخ من نجد، ما أنا من تهامة، دخلت مكة فسمعت باجتماعكم، فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً، فقال أبو البختري: رأيي أن تحبسوه في بيت، وتشدّوا وثاقه، وتسدوا بابه غير كوّة يلقون إليه طعامه وشرابه منها، وتتربصوا به ريب المنون، فقال إبليس: بئس الرأي، يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم، فقال هشام بن عمرو: رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم، فلا يضركم ما صنع واسترحتم، فقال إبليس: بئس الرأي، يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم، فقال أبو جهل: أنا أرى أن تأخذوا من كل/ ٢٧٥أ بطن غلاماً وتعطوه سيفاً صارماً، فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم، فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا، فقال الشيخ ـ لعنه الله ـ: صدق هذا الفتى، هو أجودكم رأياً، فتفرقوا على رأي أبي جهل مجتمعين على قتله، فأخبر جبريل ـ عليه السلام ـ رسول الله ـ ﷺ ـ وأمره ألاّ يبيت في مضجعه، وأذن الله له في الهجرة، فأمر علياً ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) «فرقوا أن يتفاقم أمره» أي خافوا أن يعظم أمره. اهـ صحاح (ع).

فنام في مضجعه، وقال له: «اتَّشِحْ بِبُرْدَتِي؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلَصَ إِلَيْكَ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ» وباتوا مترصدين، فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه، فأبصروا عليًّا فبهتوا وخيب الله ـ عزّ وجلّ ـ سعيهم، واقتصوا أثره، فأبطل الله مكرهم (٦٤١) ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: ليسجنوك، أو يوثقوك، أو يثخنوك بالضرب والجرح، من قولهم: ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح، وفلان مثبت وجعاً، وقرىء: «ليثبتوك»، بالتشديد، وقرأ النخعي: «ليبيتوك»، من البيات، وعن ابن عباس: «ليقيدوك»، وهو دليل لمن فسره بالإيثاق، ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾: ويخفون المكايد له، ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾: ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أي: مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيراً، أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل، ولا يصيب إلا بما هو مستوجب.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾: نفاجة منهم وصلف[1] تحت الراعدة؛ فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة، وإلا فما منعهم إن كانوا مستطيعين أن يشاؤوا غلبة من

---

٦٤١ ـ أخرجه ابن هشام في سيرته (٢/ ١٠٠ ـ ١٠١) رقم (٥٠٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧ ـ ٤٦٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٨٤) رقم (٩٧٤٣)، والطبري في تفسيره (٦/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) رقم (١٥٩٧٩ ـ ١٥٩٨٢ ـ ١٥٩٨٣)، وذكره السيوطي في تفسيره (٣/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦).
قال الحافظ: القصة أخرجها ابن إسحاق في المغازي: حدثني من لا أتهم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: «لما اجتمعت قريش في دار الندوة، وتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ اعترضهم إبليس في هيئة شيخ فذكره مطولاً»، وأخرجه الطبري وأبو نعيم في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح. وليس في أوله أن ذلك بسبب الأنصار. وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة قال: «لما كثر المسلمون ـ فذكر معناها. ووصلها الواقدي عن معمر بذكر عائشة قال: وعن ابن أبي خيثمة عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس نحوه. انتهى.

---

(١) قوله: «نفاجة منهم وصلف الخ» «نفاجة» أي تكبر. و«الصلف» مجاوزة الحد كبرا. و«الراعدة» السحابة. وهذا مثل يضرب للرجل يتوعد ثم لا يقوم به. والقدح المعلي: أحد سهام الميسر يخرج للغالب اهـ صحاح (ع).

تحدّاهم وقرعهم بالعجز، حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه، مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا في باب البيان خاصة، وأن يماتنهم واحد، فيتعللوا بامتناع المشيئة، ومع ما علم وظهر ظهور الشمس، من حرصهم على أن يقهروا رسول الله ـ ﷺ ـ وتهالكهم على أن يغمروه[1]، وقيل: قائله النضر بن الحَارث المقتول صبراً، حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون: لو شئت لقلت مثل هذا، وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم أن هذا مثل ذاك، وأنه من جملة تلك الأساطير، وهو القائل: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾، وهذا أسلوب من الجحود بليغ، يعني: إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل، كما فعلت بأصحاب الفيل، أو بعذاب آخر، ومراده نفي كونه حقًّا، وإذا انتفى كونه حقًّا لم يستوجب منكره عذاباً فكان تعليق العذاب بكونه حقًّا مع اعتقاد أنه ليس بحق؛ كتعليقه بالمحال في قولك: إن كان الباطل حقًّا، فأمطر علينا حجارة، وقوله: ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾: تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين: هذا هو الحق، وقرأ الأعمش: (هو الحقُّ) بالرفع، على أن/ ٢٧٥ب هو مبتدأ غير فصل، وهو في القراءة الأولى فصل، ويقال: أمطرت السماء؛ كقولك: أنجمت وأسبلت[2]، ومطرت؛ كقولك: هتنت وهتلت، وقد كثر الإمطار في معنى العذاب.

فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؟ والأمطار لا تكون إلامنها.

قلت: كأنه يريد أن يقال: فأمطر علينا السجيل، وهي الحجارة المسوّمة للعذاب، فوضع: (حجارة من السماء): موضع السجيل، كما تقول: صب عليه مسرودة من حديد، تريد درعاً، ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: بنوع آخر من جنس العذاب الأليم، يعني: أن أمطار السجيل بعض العذاب الأليم، فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه، وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! قال: أجهل من قومي قومك، قالوا لرسول الله ـ ﷺ ـ حين دعاهم إلى الحق: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾، ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحق فاهدنا له، اللام لتأكيد النفي، والدلالة على أنّ تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة؛ لأن عادة الله وقضية حكمته ألاّ يعذب قوماً عذاب استئصال، ما دام نبيهم بين أظهرهم، وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم؛ والدليل على هذا الإشعار قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾، وإنما يصح هذا بعد إثبات التعذيب، كأنه قال: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم،

---

(١) قوله: «على أن يغمروه» يقال للرجل: غمره القوم، إذا علوه شرفاً، كذا في الصحاح (ع).
(٢) قوله: «أنجمت وأسبلت الخ» أنجمت: أي انكشفت نجومها. وأسبلت: أمطرت. وهتنت وهتلت: تتابع مطرها. اهـ صحاح (ع).

وهو معذبهم إذا فارقتهم، وما لهم ألاّ يعذبهم، ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: في موضع الحال، ومعناه: نفي الاستغفار عنهم، أي: ولو كانوا ممن يؤمن، ويستغفر من الكفر لما عذبهم؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود:١١٧]، ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون، ولا يتوقع ذلك منهم، وقيل: معناه: وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر، وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله ـ ﷺ ـ من المستضعفين، ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾: وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم، يعني: لا حظّ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة، وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدّون عن المسجد الحرام كما صدّوا رسول الله ـ ﷺ ـ عام الحديبية، وإخراجهم رسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين من الصدّ، وكانوا يقولون: نحن ولاة البيت والحرم، فنصدّ من نشاء، وندخل من نشاء، ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾: وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه، ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾: من المسلمين ليس كل مسلم أيضاً ممن يصلح لأن يلي أمره؛ إنما يستأهل ولايته من كان برًّا تقيًّا، فكيف بالكفرة عبدة الأصنام، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة،/ ٢٧٦أ أو أراد بالأكثر: الجميع، كما يراد بالقلة: العدم.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

المكاء: فعال بوزن الثغاء والرغاء[(١)]، من مكا يمكو إذا صفر، ومنه المكاء، كأنه سمي بذلك؛ لكثرة مكائه، وأصله: الصفة، نحو الوضاء والفراء، وقرئ: «مكاً» بالقصر، ونظيرهما: البكي والبكاء، والتصدية: التصفيق، تفعلة من الصدى أو من صدّ يصدّ[(٢)]، ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧] وقرأ الأعمش: «وما كان صلاتهم»، بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه.

فإن قلت: ما وجه هذا الكلام؟

قلت: هو نحو من قوله [من الطويل]:

وَمَا كُنْتُ أَخْشَىٰ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ ... أَدَاهِمَ سُوداً أَوْ مُحَدْرَجَةً سُمْرَا[(٣)]

---

(١) قوله: «بوزن الثغاء والرغاء» الثغاء: صوت الغنم. والرغاء: صوت الإبل. والمكاء ـ بالتشديد ـ: طائر وجمعه مكاكي اهـ صحاح (ع).

(٢) قوله: «أو من صد يصد» في الصحاح: صد يصد ويصد صديداً: أي ضج (ع).

(٣) للفرزدق. «والأدهم» في الأصل الأسود. ثم غلب على الحبة السوداء، ثم سمي به القيد الحديد. «والمحدرج» المفتول: أي ما كنت. أظن أن يكون عطاؤه قيوداً سوداً، أو سياطاً مفتولة سمراً =

والمعنى أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء، ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة؛ وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة: الرجال والنساء، وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون، وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله - ﷺ - في صلاته يخلطون عليه، ﴿فَذُوقُوا﴾: عذاب القتل والأسر يوم بدر؛ بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧)﴾

قيل: نزلت في المطعمين يوم بدر، كان يطعم كل واحد منهم كلّ يوم عشر جزائر، وقيل: قالوا لكل من كان له تجارة في العير: أعينوا بهذا المال على حرب محمد؛ لعلنا ندرك منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر، وقيل: نزلت في أبي سفيان، وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من العرب؛ وأنفق عليهم أربعين أوقية، والأوقية: اثنان وأربعون مثقالاً، ﴿لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: كان غرضهم في الإنفاق الصدّ عن اتباع محمد وهو سبيل الله، وإن لم يكن عندهم كذلك، ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: كان غرضهم في الإنفاق الصدّ عن اتباع محمد وهو سبيل الله، وإن لم يكن عندهم كذلك، ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: تكون عاقبة إنفاقها ندماً وحسرة، فكأنّ ذاتها تصير ندماً وتنقلب حسرة، ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾: آخر الأمر، وإن كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالاً قبل ذلك فيرجعون طلقاء[1]، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: والكافرون منهم، ﴿إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾؛ لأنّ منهم من أسلم وحسن إسلامه، ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾: الفريق الخبيث من الكفار، ﴿مِنَ﴾: الفريق، ﴿الطَّيِّبِ﴾: من المؤمنين، فيجعل الفريق، ﴿الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾: عبارة عن الجمع والضم، حتى يتراكبوا؛ كقوله تعالى: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٢] يعني:

= حقيقة. أو وصفها بذلك لقبحها، كما يصفون الحسن بالأخضر. ويروى «حمرا» فوضع القيود والسياط موضع العطاء، ووضع الشاعر الرجاء موضع الظن، وأطلق العطاء على العقاب مجازاً، وعرض بذلك إلى أنه كان يرجو العطا. ويروى:

أخاف زياداً أن يكون ....

ينظر ديوانه ١/ ٢٧٧، والبحر ٣/ ٩٠، والدر المصون ٢/ ٢٣٥.

(١) قوله: «فيرجعون طلقاء» في الصحاح «الطليق» الأسير الذي أطلق عنه إساره وخلي سبيله (ع).

لفرط ازدحامهم، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى الفريق الخبيث، وقيل: ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله ـ ﷺ ـ من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون كأبي بكر وعثمان في نصرته، (فيركمه): فيجعله في جهنم في جملة ما يعذّبون به؛ كقوله: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥]، واللام على هذا متعلقة بقوله: ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: ٣٦]، وعلى الأوّل/ ٢٧٦ب، وأولئك: إشارة إلى الذين كفروا، وقرىء: «ليميز» على التخفيف.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: من أبي سفيان وأصحابه، أي: قل لأجلهم هذا القول وهو: ﴿إِن يَنتَهُوا۟﴾، ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل: إن تنتهوا يغفر لكم، وهي قراءة ابن مسعود؛ ونحوه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]، خاطبوا به غيرهم لأجلهم ليسمعوه، أي: إن ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله ـ ﷺ ـ وقتاله بالدخول في الإسلام، ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾: لهم من العداوة، ﴿وَإِن يَعُودُوا۟﴾: لقتاله، ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر، أو: فقد مضت سنة الذين تحزّبوا على أنبيائهم من الأمم فدمّروا، فليتوقعوا مثل ذلك إن لم ينتهوا، وقيل: معناه: أنّ الكفار إذا انتهوا عن الكفر، وأسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي، وخرجوا منها كما تنسلّ الشعرة من العجين، ومنه قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «الإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ» (٦٤٢) وقالوا: الحربي إذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط، وأما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله، وتبقى عليه حقوق الآدميين؛ وبه احتجّ

---

٦٤٢ ـ أخرجه مسلم كتاب الإيمان: باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج حديث (١٩٢/ ١٢١). وأحمد (٤/ ٢٠٥)، وأبو عوانة (١/ ٧٠) من طريق يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة عن عمرو بن العاص به.
ولفظ مسلم: «الإسلام يهدم ما كان قبله».
قال الحافظ: أخرجه مسلم من رواية عبد الرحمن بن أسامة عن عمرو بن العاص في قصة. وفيها هذا لكن بلفظ: «يهدم ما قبله» قال النووي: غلط كثير من الفقهاء فذكره بلفظ: «يجب ما قبله» ويروى: «يحت» بالمهملة والمثناة اهـ. وقد رواه الطبري من هذا الوجه، بلفظ: «إن الإسلام يجب ما كان قبله»، وأخرجه ابن إسحاق في المغازي من طريق حبيب بن أبي أُويس الثقفي حدثني عمرو بن العاص من فيه إلى في قال: «لما جئت أريد الإسلام فذكر القصة. وفيها يا عمرو، إن الإسلام يَجُبُّ ما قبله. والهجرة تَجُبُّ ما كان قبلها»، ومن هذا الوجه أخرجه أحمد وإسحاق والبيهقي في الدلائل. وأخرجه ابن سعد في خالد بن الوليد من طريق المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: قال خالد بن الوليد... فذكر قصة إسلامه وفيها: «إن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله»، =

أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ في أنّ المرتدّ إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردّة، وقبلها؛ وفسر: ﴿وَإِن يَعُودُوا﴾: بالارتداد، وقرىء: ﴿يُغْفَرَ لَهُم﴾، على أن الضمير لله ـ عزّ وجلّ ـ.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠)﴾

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: إلى ألاّ يوجد فيهم شرك قط، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾: ويضمحل عنهم كل دين باطل، ويبقى فيهم دين الإسلام وحده، ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾: عن الكفر وأسلموا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: يثيبهم على توبتهم وإسلامهم، وقرىء: «تعملون»، بالتاء، فيكون المعنى: فإن الله بما تعملون من الجهاد في سبيله، والدعوة إلى دينه، والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام، ﴿بَصِيرٌ﴾: يجازيكم عليه أحسن الجزاء، ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾: ولم ينتهوا، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: ناصركم ومعينكم، فثقوا بولايته ونصرته.

﴿۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١)﴾

﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ ما: موصولة، و﴿مِّن شَيْءٍ﴾: بيانه، قيل: من شيء حتى الخيط والمخيط، ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ﴾: مبتدأ خبره محذوف، تقديره: فحق، أو فواجب أن لله خمسه، وروى الجعفي عن أبي عمرو؛ «فإن لله» بالكسر؛ وتقويه قراءة النخعي: «فلله خمسه»، والمشهورة آكد وأثبت للإيجاب، كأنه قيل: فلا بد من ثبات الخمس فيه، لا سبيل إلى الإخلاف به والتفريط فيه، من حيث إنه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات؛ كقولك: ثابت واجب حق لازم، وما أشبه ذلك، كان أقوى لإيجابه من النص على واحد، وقرىء: خمسه بالسكون.

فإن قلت: كيف قسمة الخمس؟

قلت: عند أبي/ ٢٧٧أ حنيفة ـ رحمه الله ـ أنها كانت في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ على

= وفي ترجمة المغيرة بن شعبة من رواية يعقوب بن عتبة عن المغيرة. فذكر قصة إسلامه. وفيها ذلك. وفي ترجمة هبار بن الأسود من حديث جبير بن مطعم في قصة إسلام هبار. وفيه: «والإسلام يَجُبُّ ما كان قبله»، وفي أسانيد الثلاثة الواقدي. انتهى.

خمسة أسهم: سهم لرسول الله ـ ﷺ ـ وسهم لذوي قرباء من بني هاشم وبني المطلب، دون بني عبد شمس وبني نوفل، استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة، لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم ـ رضي الله عنهما ـ أنهما قالا لرسول الله ـ ﷺ ـ: هؤلاء إخوتك بنو هاشم، لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم، أرأيت إخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا، وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة، فقال ـ ﷺ ـ: «إِنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُونَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ إِسْلاَم؛ إِنَّما بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو المُطَّلَبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ» (٦٤٣) وشبك بين أصابعه، وثلاثة أسهم: لليتامى والمساكين، وابن السبيل، وأمّا بعد رسول الله ـ ﷺ ـ فسهمه ساقط بموته، وكذلك سهم ذوي القربى؛ وإنما يعطون لفقرهم، فهم أسوة سائر الفقراء، ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وأمّا عند الشافعي ـ رحمه الله ـ فيقسم على خمسة أسهم: سهم لرسول الله ـ ﷺ ـ يصرف: إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين: كعدّة الغزاة من السلاح والكراع[1] ونحو ذلك، وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم: يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين، والباقي للفرق الثلاث، وعند مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ: الأمر فيه مفوّض إلى اجتهاد الإمام؛ إن رأى قسمه بين هؤلاء، وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض، وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم.

فإن قلت: ما معنى ذكر الله ـ عزّ وجلّ ـ وعطف الرسول وغيره عليه[2].

---

٦٤٣ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٢٨١): كتاب فرض الخُمس، حديث (٣١٤٠)، وطرفاه في (٣٥٠٢، ٤٢٢٩)، وأبو داود (٣/ ١٤٥): كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في بيان مواضع قسم الخُمس وسهم ذي القربى، حديث (٢٩٧٨ ـ ٢٩٧٩ ـ ٢٩٨٠)، والنّسائي (٧/ ١٣٠): كتاب قسم الفيء، وابن ماجه (٢/ ٩٦١): كتاب الجهاد: باب قسمة الخُمس، حديث (٢٨٨١) وأحمد (٤/ ٨١ ـ ٨٣).
قال الحافظ: أخرجه أبو داود والنّسائي وابن ماجه من طريق سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم بتمامه، وهو في الصحيح دون قوله: «لم يفارقوني». انتهى.

---

(١) قوله: «من السلاح والكراع» الكراع: هو اسم جمع للخيل اهـ صحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه... إلخ» قال أحمد: لأن مالكاً رضي الله عنه لا يرى ذكر الوجوه المذكورة لبيان أنه لا يصرف فيما سواها، وليس لأن يتملكاها ولا على التحديد حتى لا يجوز الاقتصار على بعض الوجوه دون بعض، بل الأمر عنده موكول إلى نظر الإمام فيصرف الخمس في مصالح المسلمين ومن جملتها قرابته عليه الصلاة والسلام، ولا تحديد عنده في ذلك ألبتة، وهذا التأويل الثالث ينطبق على مذهبه، وبيان ذلك أن المراد حينئذ بذكر الله تعالى بيان أن الخمس يصرف في وجوه التقربات لله تعالى غير مقيد، ثم تخصيص الوجوه المذكورة بعد ليس تحديداً، ولكن تنبيهاً على فضلها والتخصيص لقصد التفصيل بعد التعميم لا يرفع حكم العموم الأول، بل هو قار على حاله، كما أن العموم ثابت للملائكة وإن خص جبريل وميكال، بعده، والله تعالى أعلم.

قلت: يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول، لرسول الله ـ ﷺ ـ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، وأن يراد بذكره إيجاب سهم سادس يصرف إلى وجه من وجوه القرب، وأن يراد بقوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾: أن من حق الخمس أن يكون متقرّباً به إليه لا غير، ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة، تفضيلاً لها على غيرها؛ كقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، فعلى الاحتمال الأول: مذهب الإمامين، وعلى الثاني: ما قال أبو العالية: أنه يقسم على ستة أسهم: سهم الله تعالى، يصرف إلى رتاج الكعبة[1]، وعنه: كان رسول الله ـ ﷺ ـ يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه، فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة، وهو سهم الله تعالى، ثم يقسم ما بقي على خمسة (٦٤٤)، وقيل إن سهم الله ـ تعالى ـ لبيت المال، وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه كان على ستة أسهم: لله وللرسول سهمان، وسهم لأقاربه حتى قبض، فأجرى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الخمس على ثلاثة، وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء، وروي أن أبا بكر رضي الله عنه ـ منع بني هاشم الخمس، وقال: إنما لكم أن يعطى فقيركم، ويزوّج أيمكم، ويخدم من لا خادم له منكم، فأما الغني منكم: فهو بمنزلة ابن سبيل، غنيّ لا يعطى من الصدقة شيئاً؛ ولا يتيم/ ٢٧٧ب موسر، وعن زيد بن علي ـ رضي الله عنه ـ: كذلك قال، ليس لنا أن نبني منه قصوراً، ولا أن نركب منه البراذين، وقيل: الخمس كله للقرابة، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قيل له: إنّ الله تعالى قال: ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ فقال: أيتامنا ومساكيننا، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ في سهم رسول الله ـ ﷺ ـ: أنه لولي الأمر من بعده، وعن الكلبي ـ رضي الله عنه ـ: أنّ الآية

- - - - - - - - - - - - - - - - -

٦٤٤ ـ أخرجه أبو داود في كتابه المراسيل (ص ٢٧٥) رقم (٣٧٤)، باب ما جاء في قسمة الخمس. وذكر المزي في «تهذيب الكمال» (٢١/ ٥٣١ ـ ٥٣٢) هذا الحديث في ترجمة عمر بن هشام القبطي، فقال: روي عن: عبد الله بن داود الخُريبي، عن أبي جعفر الرازي... ثم قال روي عنه: أبو داود في المراسيل هذا الحديث الواحد، وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٥٠) رقم (١٦١١٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٦).

قال الحافظ: أخرجه أبو داود في كتاب المراسيل من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية. قال: «كان النبي ﷺ إذا أتى بالغنيمة قسمها خمسة أقسام، ثم يقبض بيده قبضة من الخمس أجمع ثم يقول: هذه للكعبة. ثم يقول: لا تجعلوا لله نصيباً فإن لله الآخرة والدنيا، ثم يأخذ سهماً لنفسه وسهماً لذي القربى وسهماً لليتامى، وسهماً للمساكين، وسهماً لابن السبيل، أخرجه أبو عبيدة في الأموال، والطبري من هذا الوجه. انتهى.

---

(١) قوله: «يصرف إلى رتاج الكعبة» في الصحاح «الرتج» بالتحريك: الباب العظيم، وكذلك الرتاج. ومنه: رتاج الكعبة (ع).

نزلت ببدر. وقال الواقدي: كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال، على رأس عشرين شهراً من الهجرة.

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾؟

قلت: بمحذوف يدل عليه: (واعلموا)، المعنى: إن كنتم آمنتم بالله، فاعلموا أنّ الخمس من الغنيمة يجب التقرب به، فاقطعوا عنه أطماعكم، واقتنعوا بالأخماس الأربعة، وليس المراد بالعلم المجرّد، ولكنه العلم المضمن بالعمل، والطاعة لأمر الله تعالى؛ لأنّ العلم المجرّد يستوي فيه المؤمن والكافر، ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾: معطوف على (بالله)، أي: إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل، ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: وقرىء: «عبدنا»؛ كقوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠]، بضمتين، ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾: يوم بدر، و﴿ٱلْجَمْعَانِ﴾: الفريقان من المسلمين والكافرين، والمراد: ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: يقدر على أن ينصر القليل على الكثير، والذليل على العزيز، كما فعل بكم ذلك اليوم.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِذْ﴾: بدل من يوم الفرقان، والعدوة: شط الوادي بالكسر والضم والفتح، وقرىء: «بهنّ» وبالعدية، على قلب الواو ياء؛ لأنّ بينها وبين الكسرة حاجزاً غير حصين كما في الصبية، والدنيا والقصوى: تأنيث الأدنى والأقصى.

فإن قلت: كلتاهما «فعلى» من بنات الواو، فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو؟

قلت: القياس هو قلب الواو ياء كالعليا، وأما القصوى: فكالقود في مجيئه على الأصل، وقد جاء القصيا، إلا أنّ استعمال القصوى أكثر، كما كثر استعمال: «استصوب» مع مجيء: «استصاب» و«أغيلت» مع: «أغالت»[1]، والعدوة الدنيا: مما يلي المدينة، والقصوى مما يلي مكة، ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: يعني الركب الأربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل، وأسفل: نصب على الظرف، معناه: مكاناً أسفل من مكانكم، وهو مرفوع المحل؛ لأنه خبر للمبتدأ.

---

(١) قوله: «وأغيلت مع أغالت» أغيلت: أي أرضعت وهو موطوءة. أفاده الصحاح (ع).

فإن قلت: ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين، «وأن العير كانت أسفل منهم[(١)]»؟

قلت: الفائدة فيه: الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدوّ وشوكته، وتكامل عدّته، وتمهد أسباب الغلبة له، وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم[(٢)]، وأنّ غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعاً من الله سبحانه، ودليلاً على أنّ ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوّته وباهر قدرته؛ وذلك أنّ العدوة القصوى التي/ ٢٧٨أ أناخ بها المشركون كان فيها الماء، وكانت أرضاً لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار[(٣)] تسوخ فيها الأرجل، ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة، وكانت العير وراء ظهور العدوّ مع كثرة عددهم، فكانت الحماية دونها، تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم؛ ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم، ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال، وألاّ يتركوا وراءهم ما يحدّثون أنفسهم بالانحياز إليه، فيجمع ذلك قلوبهم، ويضبط هممهم، ويوطن نفوسهم، على ألاّ يبرحوا مواطنهم، ولا يخلوا مراكزهم، ويبذلوا منتهى نجدتهم، وقصارى شدّتهم، وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر؛ ليقضي أمراً كان مفعولاً، من إعزاز دينه، وإعلاء كلمته؛ حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة غير مبينة، حتى خرجوا ليأخذوا الغير راغبين في الخروج، وشخص بقريش[(٤)] مرغوبين مما بلغهم من تعرّض رسول الله - ﷺ - لأموالهم، حتى نفروا ليمنعوا عيرهم، وسبب الأسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا، وهؤلاء بالعدوة القصوى، ووراءهم العير يحامون عليها، حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾: أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال، لخالف بعضكم بعضاً فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد، وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله - ﷺ - والمسلمين، فلم يتفق لكم من التلاقي في ما وفقه الله وسبب له، ﴿لِيَقْضِيَ﴾: متعلق بمحذوف، أي: ليقضي أمراً كان واجباً أن يفعل، وهو نصر أوليائه، وقهر أعدائه دبر ذلك، وقوله: ﴿لِيَهْلِكَ﴾: بدل منه، واستعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام، أي: ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة، لا عن مخالجة شبهة، حتى لا تبقى له على الله حجة، ويصدر إسلام من أسلم - أيضاً - عن يقين، وعلم بأنه دين

---

(١) قال محمود: «إن قلت ما فائدة ذكر مركز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم... إلخ» قال أحمد: وهذا الفصل من خواص حسنات الزمخشري وتنقيبه عن أسرار الكتاب العزيز.

(٢) قوله: «والتياث أمرهم» أي اختلاط أمرهم اهـ صحاح (ع).

(٣) قوله: «وهي خبار» أي رخوة ذات جحرة. اهـ صحاح (ع).

(٤) قوله: «وشخص بقريش» يقال للرجل إذا ورد عليه أمر أقلقه: شخص به. اهـ صحاح (ع).

الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغرّ المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابراً لنفسه، مغالطاً لها، وقرىء: «ليهلك»، بفتح اللام، و﴿حيّ﴾، بإظهار التضعيف، ﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: يعلم كيف يدبر أموركم، ويسوي مصالحكم، أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه، وبإيمان من آمن وثوابه.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إذ يريكهم الله﴾: نصبه بإضمار اذكر، أو هو بدل ثان من يوم الفرقان، أو متعلق بقوله: ﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك، ﴿فِى مَنَامِكَ﴾: في رؤياك، وذلك أن الله ـ عزّ وجلّ ـ أراه إياهم في رؤياه قليلاً، فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتاً لهم، وتشجيعاً على عدوهم، وعن الحسن/ ٢٧٨ب: في منامك: في عينك؛ لأنها مكان النوم، كما قيل للقطيفة[1]: المنامة؛ لأنه ينام فيها، وهذا تفسير فيه تعسف، وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن، وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته، ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾: لجبنتم وهبتم الإقدام، ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ﴾: في الرأي؛ وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم، وترجحتم بين الثبات والفرار، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ أي: عصم، وأنعم بالسلامة من الفشل، والتنازع، والاختلاف، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: يعلم ما سيكون فيها من الجراءة، والجبن، والصبر، والجزع.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾: الضميران مفعولان، يعني: وإذ يبصركم إياهم، و﴿قَلِيلًا﴾: نصب على الحال؛ وإنما قللهم في أعينهم تصديقاً لرؤية رسول الله ـ ﷺ ـ وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدّوا ويثبتوا، قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً منهم فقلنا له: كم كنتم؟ قال: ألفاً (٦٤٥)، ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾: حتى قال قائل منهم: إنما هم أكلة جزور.

---

٦٤٥ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٥٩) رقم (١٦١٧١)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٣٤٢)، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ٣١ ـ ٣٢) إلى إسحاق بن راهويه في مسنده، وإلى ابن مردويه في تفسيره.
قال الحافظ: قال إسحاق في مسنده: أخبرنا عمرو بن محمد، يحيى بن آدم قال: حدثنا إسرائيل. =

---

(١) قوله: «للقطيفة» هي دثار مخمل. اهـ صحاح (ع).

فإن قلت: الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر، فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم؟

قلت: قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء، ثم كثرهم فيها بعده ليجترؤا عليهم؛ قلة مبالاة بهم، ثم تفجؤهم الكثرة فيبهتوا، ويهابوا، وتفل شوكتهم[(١)] حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم؛ وذلك قوله: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣] ولئلا يستعدوا لهم، وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أوّلاً وكثرتهم آخراً.

فإن قلت: بأي طريق يبصرون الكثير قليلاً[(٢)]؟

قلت: بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير، كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين، قيل لبعضهم: إن الأحول يرى الواحد اثنين، وكان بين يديه ديك واحد فقال: مالي لا أرى هذين الديكين أربعة؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: إذا حاربتم جماعة من الكفار، وترك أن يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار، واللقاء اسم للقتال غالب، ﴿فَٱثْبُتُواْ﴾: لقتالهم ولا تفرّوا، ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾: في مواطن الحرب مستظهرين بذكره، مستنصرين به، داعين له على عدوكم: اللهم، اخذلهم، اللهم، اقطع دابرهم، ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة، وفيه إشعار بأنّ على العبد ألاّ يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلباً وأكثر ما يكون همًّا، وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك، وإن كانت متوزعة عن غيره، وناهيك بما

= عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود. فذكره، ومن هذا الوجه أخرجه الطبري وابن أبي حاتم. انتهى.

---

(١) قوله: «وتفل شوكتهم» أي تكسر. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قال محمود: «إن قلت بأي طريق يبصرون الكثير قليلاً... إلخ» قال أحمد: وفي هذا دليل بين على أن الله تعالى هو الذي يخلق الإدراك في الحاسة غير موقوف على سبب من مقابلة أو قرب أو ارتفاع حجب أو غير ذلك؛ إذ لو كانت هذه الأسباب موجبة للرؤية عقلاً لما أمكن أن يستر عنهم البعض وقد أدركوا البعض، والسبب الموجب مشترك، فعلى هذا يجوز أن يخلق الإدراك مع اجتماعها، فلا ربط إذا بين الرؤية ونفيها في مقدرة الله تعالى، وهي رادة على القدرية المنكرين لرؤية الله تعالى، بناء على اعتبار هذه الأسباب في حصول الإدراك عقلاً، وأنها تستلزم الجسمية؛ إذ المقابلة والقرب وارتفاع الحجب إنما تتأتى في جسم، فهذه الآية حسبهم في إبطال زعمهم، ولكنهم يمرون عليها. وهم عنها معرضون، والله الموفق.

في خطب أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في أيام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج ـ من البلاغة، والبيان، ولطائف المعاني/ ٢٧٩أ، وبليغات المواعظ، والنصائح ـ دليلاً على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل، وإن تفاقم الأمر، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟﴾: قرىء بتشديد النون، ﴿فَتَفْشَلُوا۟﴾: منصوب بإضمار «أن»؛ أو مجزوم لدخوله في حكم النهي، وتدل على التقديرين قراءة من قرأ، ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: بالتاء والنصب، وقراءة من قرأ: ويذهب ريحكم، بالياء والجزم، والريح: الدولة، شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها، فقيل: هبت رياح فلان، إذا دالت له الدولة ونفذ أمره؛ ومنه قوله [من البسيط]:

يَا صَاحِبَيَّ أَلاَ لاَ حَيَّ بِالْوَادِي ... إلاَّ عَبِيدٌ قُعُودٌ بَيْنَ أَذْوَادِ
أَتُنْظِرَانِ قَلِيلاً رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ ... أَمْ تَعْدُوَانِ فَإنَّ الرِّيحَ لِلْعَادِي؟[1]

وقيل: لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله ـ تعالى ـ وفي الحديث: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» (٦٤٦).

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾

حذرهم ـ بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي ـ نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله ـ ﷺ ـ من فشلهم وذهاب ريحهم، ﴿كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾: هم أهل مكة،

---

٦٤٦ ـ أخرجه البخاري (٢/ ٦٠٤): كتاب الاستسقاء: باب قول النبي ﷺ: «نُصرت بالصبا»، حديث (١٠٣٥)، وأطرافه في (٣٢٠٥، ٣٣٤٣، ٤١٠٥)، ومسلم (٣/ ٢٨٧ ـ الأبي) كتاب صلاة الاستسقاء: باب في ريح الصبا والدبور، حديث (١٧/ ٩٠٠).
قال الحافظ: متفق عليه من طريق مجاهد عن ابن عباس. انتهى.

---

(١) لسليك بن سلكة، مر مع صاحبيه بجوف مراد واد باليمن فوجدوا إبلاً قد ملأته، فقال لهما: أتنظراني هنا حتى آتي الرعاء فأعلم خبر الحي أقريب أم بعيد، فلم يزل يلاطفهم حتى أخبروه بمكان الحي، فإذا هم بعيد، فقال لهم: ألا أغنيكم؟ قالوا: بلى، فتغنى بأعلى صوته بالبيتين، فأتاه صاحباه فاستاقوا الإبل، وآم بالمد. قيل: جمع إماء جمع أمة. وقيل: هو أيضاً جمع أمة، فأصله أأمو كأذرع جمع ذراع. وعلى الثاني أأمو أيضاً، كآكم جمع اكمة، لأن أمة أصله أموة فأبدلت الهمزة الثانية في الجمع ألفاً وقلبت الواو ياء لتطرفها. والهمزة كسرة لمناسبتها، ثم أعل إعلال قاض. وروي بدله «قعود» والذود من الإبل: من ثلاثة إلى عشرة. وأتنظران، من أنظرته إذا أخرته. والريث: التأخر والتواني، وهو نصب على البدلية من قليلاً. أو على الظرفية. ويجوز قراءة أتنظران، من نظره إذا انتظره. فريث. يجوز أنه مفعول به. و«وتعدوان» من العدو، وهو السرعة السير، أو من العدوان، وهو تعدي الحد. واستعار الريح للدولة والأمر النافذ بجامع النفوذ من كل. ويروى «تغدوان» و«للغادي» بالغين المعجمة: أي أم تسرعان إلي، فإن الظفر للمسرع. وفيه دلالة على أن السرعة أرجح من التأخر.

حين خرجوا لحماية العير، فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة: أن ارجعوا فقد سلمت عيركم، فأبى أبو جهل، وقال: حتى نقدم بدراً نشرب بها الخمور، وتعزف علينا القيان[(١)]، ونطعم بها من حضرنا من العرب؛ فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم، فوافوها، فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان، فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم، وأن يكونوا من أهل التقوى[(٢)]، والكآبة، والحزن من خشية الله ـ عزّ وجلّ ـ مخلصين أعمالهم لله.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿و﴾: اذكر، ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾: التي عملوها في معاداة رسول الله ـ ﷺ ـ ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون، وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم، فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم، أي: بطل كيده حين نزلت جنود الله؛ وكذا عن الحسن ـ رحمه الله ـ: كان ذلك على سبيل الوسوسة، ولم يتمثل لهم، وقيل: لما اجتمعت قريش على السير، ذكرت الذي بينها وبين بني كنانة من الحرب، فكان ذلك يثنيهم، فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني ـ وكان من أشرافهم ـ في جند من الشياطين معه راية، وقال: لا غالب لكم اليوم، وإني مجيركم من بني كنانة، فلما رأى الملائكة تنزل، نكص وقيل: كانت يده في يد الحارث بن هشام، فلما نكص قال له الحارث: إلى أين؟ أتخذلنا في هذه الحال؟ فقال: إني أرى ما لا ترون، ودفع في صدر الحارث وانطلق، وانهزموا، فلما بلغوا مكة، قالوا: هزم الناس سراقة، فبلغ ذلك سراقة، فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان، وفي الحديث: وما رؤي إبليس/ ٢٧٩ب يوماً أصغر، ولا أدحر[(٣)]، ولا أغيظ، من يوم عرفة، لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رؤي يوم بدر (٦٤٧).

---

٦٤٧ ـ أخرجه مالك في «الموطأ»: (١/ ٤٢٢) كتاب الحج: باب جامع الحج، حديث (٢٤٥) مرسلاً، =

---

(١) قوله: «وتعزف علينا القيان» تلعب بالملاهي وتغني والقينة الأمة مغنية أو غير مغنية والجمع القيان والقين الحداد والجمع القيون وكل عبد هو عند العرب قين وقان الشيء يقينه قيناً إذا أصلحه وزينه أفاده الصحاح (ع).

(٢) قوله: «وأن يكونوا من أهل التقوى» لعله: وأن لا يكونوا. أو لعله بأن يكونوا (ع).

(٣) قوله: «ولا أدحر» الدحور: الطرد والإبعاد، اهـ صحاح (ع).

فإن قلت: هلا قيل: لا غالباً لكم كما يقال: لا ضارباً زيداً عندنا؟

قلت: لو كان (لكم): مفعولاً لغالب؛ بمعنى: لا غالباً إياكم، لكان الأمر كما قلت؛ لكنه خبر تقديره: لا غالب كائن لكم.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: بالمدينة، ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: يجوز أن يكون من صفة المنافقين، وأن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام، وعن الحسن: هم المشركون، ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾: يعنون أنّ المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوّون به وينصرون من أجله، فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف، ثم قال جواباً لهم: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: ولو عاينت وشاهدت؛ لأن «لو» تردّ المضارع إلى معنى الماضي؛ كما تردّ «إن» الماضي إلى معنى الاستقبال، و﴿إِذْ﴾: نصب على الظرف، وقرىء: «يتوفى»، بالياء والتاء، و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: رفعها بالفعل، و﴿يَضْرِبُونَ﴾: حال منهم، ويجوز أن يكون في: (يتوفى): ضمير الله ـ عزّ وجلّ ـ و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: مرفوعة بالابتداء، و﴿يَضْرِبُونَ﴾: خبر، وعن مجاهد: وأدبارهم: أستاههم، ولكن الله كريم يكنى، وإنما خصوهما بالضرب؛ لأنّ الخزي والنكال في ضربهما أشدّه، وبلغني عن أهل الصين أن عقوبة الزاني عندهم أن يصبر، ثم يعطى الرجل القوي البطش شيئاً عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة

= وعبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٣٧٨) رقم (٨١٢٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٦١) رقم (٤٠٦٩)، والطبري في تفسيره (٦/ ٢٦٥)، رقم (١٦٢٠٤)، وعزاه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٢/ ٣٢) رقم (٥١٠) إلى الثعلبي في تفسيره.

قال الحافظ: أخرجه مالك في الموطأ من رواية طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلاً، ومن طريق مالك أخرجه عبد الرزاق والطبري، والبيهقي في الشعب، وانفرد أبو النضر بن إسماعيل بن إبراهيم العجلي عن مالك. فقال عن طلحة عن أبيه قال ابن عبد البر: الصواب مرسل. (تنبيه) هو طلحة ابن بكير، وكريز مصغر، ووقع في المناسك للنووي طلحة بن عبد الله أحد العشرة، وهو وهم بيّن. انتهى.

وله مقبض، فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوّته فيجمد في مكانه، وقيل: يضربون ما أقبل منهم وما أدبر، ﴿وذوقوا﴾: معطوف على (يضربون) على إرادة القول، أي: ويقولون: ذوقوا، ﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ أي: مقدمة عذاب النار، أو: وذوقوا عذاب الآخرة، بشارة لهم به، وقيل: كانت معهم مقامع من حديد، كلما ضربوا بها، التهبت النار، أو: ويقال لهم يوم القيامة: ذوقوا، وجواب (لو): محذوف، أي: لرأيت أمراً فظيعاً منكراً ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾: يحتمل أن يكون من كلام الله، ومن كلام الملائكة، و(ذلك): رفع بالابتداء، و(بما قدمت): خبره، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: عطف عليه، أي: ذلك العذاب بسببين: بسبب كفركم ومعاصيكم، وبأن الله: ﴿لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾؛ لأن تعذيب الكفار من العدل كإثابة المؤمنين، وقيل: ظلام للتكثير لأجل العبيد[1]، أو لأن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق، لكان المعذب بمثله ظلاماً بليغ الظلم متفاقمه.

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

الكاف في محل الرفع، أي: دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون، ودأبهم: عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه، أي: داوموا عليه وواظبوا،/ ٢٨٠أ و﴿كَفَرُواْ﴾: تفسير لدأب آل فرعون، و﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما حل بهم، يعني: ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم ينبغ له ولم يصحّ في حكمته أن يغير نعمته عند قوم، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا﴾: بهم من الحال.

فإن قلت: فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم؟ ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة.

قلت: كما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة، تغير الحال المسخوطة إلى أسخط منها، وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام، فلما بعث إليهم بالآيات البينات فكذبوه، وعادوه، وتحزبوا عليه، ساعين في إراقة دمه، غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت، فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لما يقول مكذبو الرسل، ﴿عَلِيمٞ﴾: بما يفعلون، ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾: تكرير للتأكيد، وفي

---

(١) قال محمود: «وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد. . . إلخ» قال أحمد: وبهذه النكتة يجاب عن قول القائل نفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى، فلم عدل عن الأبلغ. والمراد تنزيه الله تعالى وهو جدير بالمبالغة، فهذان الجوابان عتيدان في هذا السؤال.

قوله: ﴿بآيات ربهم﴾: زيادة؛ دلالة على كفران النعم، وجحود الحق، وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب، ﴿وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ﴾: وكلهم من غرقى القبط، وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أصروا على الكفر ولجوا فيه، فلا يتوقع منهم إيمان وهم بنو قريظة، عاهدهم رسول الله ـ ﷺ ـ ألاّ يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح، وقالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق، وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم، ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾: بدل من الذين كفروا، أي: الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب؛ لأن شر الناس: الكفار، وشر الكفار: المصرون منهم، وشر المصرين: الناكثون للعهود، ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾: لا يخافون عاقبة الغدر، ولا يبالون ما فيه من العار والنار، ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ﴾: فإما تصادفنهم وتظفرنّ بهم، ﴿فشرّد بهم من خلفهم﴾: ففرق عن محاربتك، ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم، من وراءهم من الكفرة، حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد؛ اعتباراً بهم واتعاظاً بحالهم، وقرأ ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «فشرذ»، بالذال المعجمة، بمعنى: ففرق، وكأنه مقلوب «شذر» من قولهم: «ذهبوا شذر مذر[1]»، ومنه: الشذر: المتلقط من المعدن لتفرّقه، وقرأ أبو حيوة: من خلفهم، ومعناه: فافعل التشريد من ورائهم؛ لأنه إذا شرد الذين وراءهم، فقد فعل التشريد في الوراء وأوقعه فيه؛ لأن الوراء جهة المشردين، فإذا جعل الوراء ظرفاً للتشريد، فقد دلّ على تشريد من فيه، فلم يبق فرق بين القراءتين، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: لعل المشردين من ورائهم يتعظون.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾: معاهدين، ﴿خِيَانَةً﴾: ونكثاً بأمارات تلوح لك، ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾: فاطرح إليهم العهد، ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: على طريق مستو قصد؛ وذلك أن تظهر/ لهم نبذ العهد، وتخبرهم إخباراً مكشوفاً بيناً أنك قطعت ما بينك وبينهم، ولا تناجزهم الحرب

(١) قوله: «وكأنه مقلوب شذر، من قولهم ذهبوا «شذر مذر» بفتحات، أي في كل وجهة. اهـ صحاح (ع).

وهم على توهم بقاء العهد، فيكون ذلك خيانة منك، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾: فلا يكن منك إخفاء نكث العهد، والخداع، وقيل: على استواء في العلم بنقض العهد، وقيل: على استواء في العداوة، والجار والمجرور في موضع الحال؛ كأنه قيل: فانبذ إليهم ثابتاً على طريق قصد سوي، أو حاصلين على استواء في العلم أو العداوة، على أنها حال من النابذ والمنبوذ إليهم معاً.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩)﴾

﴿سَبَقُوا﴾: أفلتوا وفاتوا من أن يظفر بهم، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم، وقرىء: «أَنهم»، بالفتح، بمعنى: لأنهم، كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل، إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف، والمفتوحة تعليل صريح، وقرىء: «يعجِّزون»، بالتشديد، وقرأ ابن محيصن: «يعجزونِ»، بكسر النون، وقرأ الأعمش: «ولا تحسبِ الذين كفروا»، بكسر الباء وبفتحها، على حذف النون الخفيفة، وقرأ حمزة: «ولا يحسبن» بالياء على أن الفعل للذين كفروا، وقيل فيه: أصله أن سبقوا، فحذفت «أن»؛ كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ [الروم: ٢٤] واستدل عليه بقراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أنهم سبقوا، وقيل: وقع الفعل على أنهم لا يعجزون، على أن «لا»: صلة، وسبقوا في محل الحال، بمعنى: سابقين، أي: مفلتين هاربين، وقيل: معناه: ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا، فحذف الضمير؛ لكونه مفهوماً، وقيل: «ولا يحسبن» قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا، وهذه الأقاويل كلها متمحلة، وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة[1]، وعن الزهري أنها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)﴾

---

(١) قال السمين الحلبي: ـ وقد رد عليه جماعة هذا القول، وقالوا: «لم ينفرد بها حمزة، بل وافقه عليها من قراء السبعة ابن عامر أسنُّ القراء وأعلاهم إسناداً، وعاصم في رواية حفص، ثم هي قراءة أبي جعفر المدنيّ شيخ نافع، وأبي عبد الرحمن السُّلَمِيّ، وابن محيصن، وعيسى، والأعمش، والحسن البصري، وأبي رجاء، وطلحة، وابن أبي ليلى». وقد رد الشيخ عليه أيضاً أن «لا يَحْسَبَنَّ» واقع على «أنهم لا يُعْجِزُونَ» وتكون «لا» صلة، بأنه لا يتأتى على قراءة حمزة، فإن حمزة يقرأ بكسر الهمزة». يعني: فكيف تليتم قراءة حمزة على هذا التخريج؟ قلت: هو لم يلتزم التخريج على قراءة حمزة في الموضعين، أعني: «لا يَحْسَبَنَّ» وقوله: «إِنَّهم لا يُعجزُونَ»، حتى تلزمه ما ذكر. انتهى. الدر المصون.

﴿مِّن قُوَّةٍ﴾: من كل ما يتقوّى به في الحرب من عددها، وعن عقبة بن عامر(١): سمعت رسول الله - ﷺ - يقول على المنبر: «أَلاَ إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيَ» ح قالها ثلاثاً (٦٤٨)، ومات عقبة عن سبعين قوساً في سبيل الله، وعن عكرمة: هي الحصون، والرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة، ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال، وقرأ الحسن: «ومن رُبط الخيل»، بضم الباء وسكونها جمع رباط، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾: تخصيصاً للخيل من بين ما يتقوى به؛ كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] وعن ابن سيرين - رحمه الله - أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون؟ فقال: يشتري به الخيل، فترابط في سبيل الله ويغزي عليها، فقيل: له إنما أوصى في الحصون؛ فقال: ألم تسمع قول الشاعر [من الكامل]:

.... أَنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لاَ مَدَرُ الْقُرَىٰ(٢)

---

٦٤٨ - أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٢) كتاب الإمارة: باب فضل الرمي والحث عليه حديث (١٦٧/ ١٩١٧)، وأبو داود (٢/ ١٧) كتاب الجهاد: باب في الرمي حديث (٢٥١٤) وابن ماجه (٢/ ٩٤٠) كتاب الجهاد: «باب الرمي في سبيل الله» حديث (٢٨١٣)، وأحمد (٤/ ١٥٧)، وأبو يَعلى (٣/ ٢٨٣) رقم (١٧٤٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٤٤) رقم (٤٢٩٩)؛ كلهم من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي علي ثمامة بن شفي عن عقبة بن عامر به.
وأخرجه الدارمي (٢/ ٢٠٤) كتاب الجهاد: باب في فضل الرمي والأمر به، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (٤/ ٤٤) رقم (٤٢٩٨)؛ كلاهما من طريق سعيد بن أبي أيوب ثنا يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير مرثد بن عبد الله عن عقبة به.
وأخرجه التِّرمذي (٥/ ٢٧٠ - ٢٧١) كتاب التفسير: باب ومن سورة الأنفال حديث (٣٠٨٣) من طريق صالح بن كيسان عن رجل لم يُسمه عن عقبة بن عامر.
والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٧)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم القراب في كتاب «فضل الرمي».
قال الحافظ: أخرجه مسلم أتم منه. انتهى.

---

(١) قال محمود: «القوة الرمي، روى عقبة بن عامر أنها الرمي... إلخ» قال أحمد: والمطابق للرمي أن يكون الرباط على بابه مصدراً، والله أعلم، وهو حسبي ونعم الوكيل.

(٢) ولقد علمت على تجنبي الردى ... أن الحصون الخيل لا مدر القرى
لأشعر الجعفي، يقول: ولقد تيقنت مع أني متجنب للردى أن الحصون المانعة منه هي الخيل وآلات الحرب لا البناء، كالقلاع التي في القرى. وأتى بقوله: «على تجنبي الردى» لدفع توهم أنه رجل يلقي بنفسه إلى التهلكة فلذلك يحب الحرب، فهو من باب الاحتراس. ويروى: على توقي الردى - بتشديد الياء - أي: مع أني أتوقى الهلاك. قال رجل لعبيد الله بن الحسن: إن أبي أوصى بثلث ماله للحصون. قال: اذهب فاشتر به خيلاً. قال: إنما ذكر الحصون. فقال: أما سمعت قول الأشعر. فأنشد البيت.

﴿تُرۡهِبُونَ﴾: قرىء بالتخفيف والتشديد، وقرأ ابن عباس ومجاهد ـ رضي الله عنهما ـ: «تخزون» والضمير في: (به): راجع إلى ما استطعتم، ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾: هم أهل مكة، ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ﴾: هم اليهود، وقيل: المنافقون، وعن السدي: هم أهل فارس/ ٢٨١أ، وقيل: كفرة الجن، وجاء في الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَقْرَبُ صَاحِبَ فَرَسٍ وَلاَ دَاراً فِيهَا فَرَسٌ عَتِيقٌ» (٦٤٩)، وروي أن صهيل الخيل يرهب الجن.

﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

جنح له وإليه: إذا مال، والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب، قال: [البسيط]

السِّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيتَ بِهِ ... وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرَعُ[1]

وقرىء: بفتح السين وكسرها، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩] وعن مجاهد بقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، والصحيح: أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم، وليس بحتم أن يقاتلوا أبداً، أو يجابوا إلى الهدنة أبداً، وقرأ الأشهب العقيلي: «فَاجْنُحْ» بضم النون، ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾: ولا تخف من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم؛ فإنّ الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم، قال مجاهد: يريد قريظة.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ

---

٦٤٩ ـ أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٧/ ١٨٩) رقم (٥٠٦)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/ ٣٠٢) رقم (٣٧٨٦)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٣٤) إلى ابن عدي في الكامل، وإلى الواحدي في أسباب النزول، وإلى ابن مردويه في تفسيره.
قال الحافظ: لم أجده هكذا، وروى ابن سعد والطبراني وابن عدي من رواية سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده. رفعه في قوله عز وجل: ﴿وآخرين من دونهم - الآية﴾ قال: هم الجن، ولن يختل الشيطان إنساناً في داره فرس عتيق، وأعله ابن عدي بسعيد بن سنان، وضعفه عن أبي معين، وغيره، وله شاهد من رواية الوضين بن عطاء عن سليمان بن موسى مرسلاً، ولابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال: هو الشيطان، لا يقرب ناصية فرس، وإسناده واه. وقوله: «روي أن صهيل الخيل يطرد الجن» لم أجده. انتهى.

= لعبد الرحمن بن حسان في خزانة الأدب ٤/ ٤٧١، والدرر ٤/ ٦٠، والكتاب ٣/ ١٥٣، ولسعيد بن عبد الرحمن بن حسان في شرح أبيات سيبويه ٢/ ١٦٨، ولبعض المحدثين في العقد الفريد ٣/ ٢٠، وبلا نسبة في تخليص الشواهد ص ٤١٨، وهمع الهوامع ٢/ ٣.

(١) مر شرح هذا الشاهد بالجزء الأول عند تفسير آية ٢٠٨ من سورة البقرة فراجعه إن شئت اهـ.

بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُۚ﴾ فإن محسبك الله؛ قال جرير [من الكامل]:

إنِّي وَجَدْتُ مِنَ المَكَارِمِ حَسْبَكُمْ   أَنْ تَلْبَسُوا خَزَّ الثِّيَابِ وَتَشْبَعُوا[1]

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ﴾: التأليف بين قلوب من بعث إليهم رسول الله ـ ﷺ ـ من الآيات الباهرة؛ لأنّ العرب ـ لما فيهم من الحمية والعصبية، والانطواء على الضغينة في أدنى شيء وإلقائه بين أعينهم إلى أن ينتقموا ـ لا يكاد يأتلف منهم قلبان، ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله ـ ﷺ ـ واتحدوا، وأنشؤوا يرمون عن قوس واحدة؛ وذلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم، وأحدث بينهم من التحاب والتوادّ، وأماط عنهم من التباغض والتماقت، وكلفهم من الحب في الله، والبغض في الله، ولا يقدر على ذلك إلا من يملك القلوب، فهو يقلبها كما شاء، ويصنع فيها ما أراد، وقيل: هم الأوس والخزرج، كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك سادتهم، ورؤساءهم، ودق جماجمهم، ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى، وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس، وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته أختها وتكرهه وتنفر عنه، فأنساهم الله ـ تعالى ـ ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة، وتصافوا، وصاروا أنصاراً، وعادوا أعواناً، وما ذاك إلا بلطيف صنعه وبليغ قدرته.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾: الواو بمعنى: مع وما بعده منصوب، تقول: حسبك وزيداً درهم، ولا تجرّ؛ لأنّ عطف الظاهر المجرور على المكنيّ ممتنع؛ قال: [الطويل]

....   فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ[2]

---

(١) إني وجدت من المكارم حسبكم   أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
فإذا تذوكرت المكارم مرة   في مجلس أنتم به فتقنعوا
لجرير، أي: إني وجدت كافيكم من المكارم لبس الخز من الثياب والشبع من الطعام والشراب، وجعلهما من المكارم تهكماً بهم. أو على زعمهم، أو المعنى: مغنيكم عنها هاتان الخصلتان، فمن للبدل، أو المعنى: إن كان ذلك من المكارم فهو كافيكم لمبالغتكم فيه. ويروى: حر الثياب، بمهملتين، أي جيدها. وتذوكرت: مبني للمجهول، أي: فإذا تذاكر الناس بالمكارم ولو مرة واحدة فغطوا وجوهكم حياء كالنساء فلستم من المكارم في شيء.

(٢) إذا كانت الهيجاء واشتقت العصا   فحسبك والضحاك سيف مهند
يقول: إذا وجدت الحرب وافترقت العصبة ووقع الخلاف وظهر الشر فيكفيك مع الضحاك سيف مطبق من حديد الهند، فانشقاق العصا تمثيل لوقوع الخلاف وظهور الشر. وحسب: اسم فعل =

والمعنى: كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصراً[1] أو يكون في محل الرفع، أي: كفاك الله وكفاك المؤمنون، وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: نزلت في إسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ وعن سعيد بن جبير أنه أسلم مع النبي ـ ﷺ ـ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة/ ٢٨١ب ثم أسلم عمر؛ فنزلت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

التحريض: المبالغة في الحث على الأمر من الحرض، وهو أن ينهكه المرض، ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت، أو أن تسميه حرضاً؛ وتقول له: ما أراك إلا حرضاً في هذا الأمر وممرضاً فيه، ليهيجه ويحرّك منه، ويقال: حركه، وحرضه، وحرصه، وحرشه، وحربه، بمعنى، وقرىء: «حرص»، بالصاد غير المعجمة، حكاها الأخفش، من الحرص، وهذه عدة من الله، وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا، غلبوا عشرة

= بمعنى يكفي. والكاف مفعوله. والضحاك مفعول معه. وسيف فاعله. والجمهور على أنه صفة مشبهة بمعنى كافي مبتدأ، والكاف مضاف إليه. وسيف خبره. والضحاك مفعول لمحذوف، أي يكفي لأن الصفة المشبهة لا تنصب المفعول معه. وروي الضحاك بالجر، أي: وحسب الضحاك، وبالرفع على إنابته مناب «حسب» المحذوف. والواو للمعية على الأول، وللعطف على غيره ويروى: عضب مهند. والعضب: السيف القاطع.

ينظر: ذيل الأمالي (١٤٠)، خزانة الأدب ٧/ ٥٨١، سمط اللآلي (٨٩٩)، شرح الأشموني ١/ ٢٢٤، شرح شواهد الإيضاح ٣٧٤، شرح شواهد المغني ٢/ ٩٠٠، شرح المفصل ٢/ ٥١، لسان العرب (هيج)، (عصا)، مغني اللبيب ٢/ ٥٦٣، المقاصد النحوية ٣/ ٨٤، القرطبي ١/ ٢٨٥، الدر المصون ١/ ٢٣٧. فتح القدير ١/ ٥٠٢.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا مخالف كلام سيبويه؛ فإن قال: «حَسْبُكَ وزيداً دِرْهم، لما كان فيه معنى: كفاك، وقبح أن يحملوه على المضمر دون الفعل، كأنه قال: حَسْبُكَ ويُحْسِبُ أخاك درهم». ثم قال: وفي ذلك الفعل المضمر ضمير يعود على «الدرهم»، والنية بـ «الدرهم» التقديم، فيكون من عطف الجمل. ولا يجوز أن يكون من باب الإعمال، لأن طلب المبتدأ للخبر وعمله فيه ليس من قبيل طلب الفعل، أو ما جرى مَجْراه، ولا عمله، فلا يتوهم ذلك فيه». قلت: وقد سبق الزمخشري إلى كونه مفعولاً معه الزجاج، إلا أنه جعل «حسب» اسم فعل، فإنه قال: «حسب: اسم فعل، والكاف نصب، والواو بمعنى مع». وعلى هذا يكون «اللَّهُ» فاعلاً، وعلى هذا التقدير يجوز في «وَمَنْ» أن يكون معطوفاً على الكاف، لأنها مفعول باسم الفعل، لا مجرور، لأن اسم الفعل لا يضاف. انتهى. الدر المصون.

أمثالهم من الكفار بعون الله ـ تعالى ـ وتأييده، ثم قال: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي: بسبب أنَّ الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم، فيقل ثباتهم، ويعدمون؛ لجهلهم بالله نصرته، ويستحقون خذلانه، خلاف من يقاتل على بصيرة، ومعه ما يستوجب به النصر والإظهار من الله تعالى، وعن ابن جريج: كان عليهم ألاَّ يفروا، ويثبت الواحد منهم للعشرة، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ بعث حمزة ـ رضي الله عنه ـ في ثلاثين راكباً، فلقي أبا جهل في ثلثمائة راكب، قيل: بم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه؛ وذلك بعد مدّة طويلة، فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين، وقيل: كان فيهم قلة في الابتداء، ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف، وقرىء: «ضعفاً»، بالفتح والضم، كالمكث والمكث، والفقر والفقر، «وضعفاً»: جمع ضعيف، وقرىء: الفعل المسند إلى المائة بالتاء والياء في الموضعين، والمراد بالضعف: الضعف في البدن، وقيل: في البصيرة والاستقامة في الدين، وكانوا متفاوتين في ذلك.

فإن قلت: لِمَ كرَّر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لأكثر منها مرّتين قبل التخفيف وبعده؟

قلت: للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت؛ لأن الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف؛ وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

وقرىء: «للنبي»، على التعريف، «وأسارى»، «ويثّخن»، بالتشديد، ومعنى الإثخان: كثرة القتل والمبالغة فيه، من قولهم: أثخنته الجراحات: إذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة، وأثخنه المرض: إذا أثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة، يعني: حتى يذل الكفر ويضعفه بإشاعة القتل في أهله، ويعز الإسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر، ثم الأسر بعد ذلك، ومعنى: ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صح له وما استقام، وكان هذا يوم بدر، فلما كثر المسلمون نزل: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]، وروي أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ أتى بسبعين أسيراً فيهم العباس عمه، وعقيل بن أبي طالب، فاستشار أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فيهم فقال: قومك وأهلك استبقهم لعلّ الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك، وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: كذبوك وأخرجوك/ ٢٨٢أ فقدّمهم واضرب أعناقهم؛ فإنّ هؤلاء أئمة الكفر، وإن الله أغناك عن الفداء: مكن عليًا من عقيل، وحمزة

من العباس، ومكني من فلان لنسيب له، فلنضرب أعناقهم، فقال ـ ﷺ ـ: «إِنَّ اللهَ لَيُلَيِّنَ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّىٰ تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللهَ لَيُشَدِّدُ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّىٰ تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الحِجَارَةِ، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وَمِثْلَكَ يَا عُمَر مِثْلِ نُوحٍ، قَالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾، ثم قال لأصحابه: أَنْتُمُ اليَوْمَ عَالَةٌ فَلاَ يَفْلِتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلاَّ بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبِ عُنُقٍ». وروي أنه قال لهم: «إِنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمُوهُمْ، وَٱسْتُشْهِدَ مِنْكُمْ بِعِدَّتِهِمْ» فقالوا: بل نأخذ الفداء، فاستشهدوا بأحد، وكان فداء الأساري عشرين أوقية، وفداء العباس أربعين أوقية (٦٥٠)، وعن محمد بن سيرين: كان فداؤهم مائة أوقية، والأوقية: أربعون درهماً وستة دنانير (٦٥١)، وروي أنهم لما أخذوا الفداء، نزلت الآية، فدخل عمر على رسول الله ـ

---

٦٥٠ ـ أخرجه مسلم (٦/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ـ النووي) كتاب الجهاد والسير: باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، حديث (٥٨/ ١٧٦٣)، وأخرجه أبو داود (٣/ ٦١): كتاب الجهاد: باب في فداء الأسير بالمال، حديث (٢٦٩٠) والترمذي (٥/ ٢٦٩): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الأنفال، حديث (٣٠٨١) من حديث عمر بنحوه.
وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) رقم (١٦٣٠٨)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) عن عبد الله بن عباس عن عمر به.
وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤)، والطبري في تفسيره (٦/ ٢٨٧) رقم (١٦٣٠٧) من طريق عبد الله بن مسعود عن عمر به.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٣٦) رقم (٥١٣) إلى ابن مردويه في تفسيره إلى الواحدي في أسباب النزول.
قال الحافظ: قوله: «وروي أنه قال لهم: إن شئتم قتلتم وإن شئتم فأديتموهم، واستشهد منكم بعدتهم: فقالوا: بلى. فأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد» أخرجه الطبري من طريق أشعث بن سواد عن محمد بن سيرين عن عبيدة هو ابن عمرو قال: «أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين، فقال رسول الله ﷺ اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء. فتتقوا به على عدوكم، ويقتل منكم سبعين، أو تقتلوهم، فقالوا: بل نأخذ الفدية منهم ويقتل منا سبعون، قال: فأخذوا منهم الفدية، وقتل سبعون، ورواه ابن مردويه موصولاً من طريق ابن عون. عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي، وزاد فيه: قال: «وكان آخر السبعين ثابت بن قيس بن شماس»، وروى الواقدي في المغازي من طريق يحيى بن أبي كثير. عن علي. قال: «أتى جبريل النبي ﷺ يوم بدر فخيره في الأسرى. أن يضرب أعناقهم. أو يأخذ منهم الفداء ويستشهد منكم من قابل عدتهم. الحديث مع ضعفه وهو منقطع. انتهى.
٦٥١ ـ أخرجه الطبري من طريق عبيدة بن عمر قال: كان فداء أسارى بدر مئة أوقية، و«الأوقية» أربعون درهماً، ومن الدنانير ستة دنانير (٦/ ٢٨٩) رقم (١٦٣١٨).
قال الحافظ: قوله: «وكان فداء الأسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية، والأوقية أربعون درهماً وستة دنانير». أما كون الفداء كان عشرين أوقية. فروى الطبري من طريق عبيدة بن عمر قال: «كان فداء أسارى بدر مائة أوقية والأوقية أربعون درهماً، ومن الدنانير ستة دنانير. وأما فداء =

ﷺ - فإذا هو وأبو بكر يبكيان، فقال: يا رسول الله، أخبرني، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت، فقال: «أَبْكِي عَلَى أَصْحَابِكَ فِي أَخْذِهِمُ الفِدَاءَ، وَلَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ عَذَابَهُمْ أَدْنَىٰ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةَ - لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ» (٦٥٢) وروي أنه قال: «لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمَا نَجَا مِنْهُ غَيْرُ عُمَرُ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - لِقَوْلِهِ: كَانَ الإِثْخَانُ فِي القَتْلِ أَحَبُّ إِلَيَّ» (٦٥٣). ﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾: حطامها؛ سمي بذلك لأنه حدث قليل اللبث، يريد: الفداء، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَۗ﴾ يعني: ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان في القتل، وقرىء: «يريدون»، بالياء، وقرأ بعضهم: «والله يريد الآخرةِ»، بجرّ الآخرة على حذف المضاف، وإبقاء المضاف إليه على حاله؛ كقوله [من المتقارب]:

أَكُلَّ ٱمْرِىءٍ تَحْسَبِينَ ٱمْرَأً ... وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا(١)

= العباس - رضي الله عنه - فروى ابن مردويه من طريق علي وابن عباس، قال: كان العباس يوم بدر أسيراً فافتدى نفسه بأربعين أوقية ذهب»، وروى ابن مردويه. من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «لما كان يوم بدر أسر سبعون فجعل عليهم رسول الله ﷺ أربعين أوقية ذهباً، وجعل على عمه العباس مائة أوقية: وعلى عقيل ثمانين، فقال: للقرابة صنعت هذا. الحديث. انتهى.

٦٥٢ - أخرجه أحمد (١/ ٣٠ - ٣١)، والطبري (٦/ ٢٨٧) رقم (١٦٣٠٧) من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود.
وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه منقطع.
قال الحافظ: أخرجه أحمد والطبري. من رواية الأعمش عن عمر بن سمرة عن أبي عبيدة عن عبد الله فذكره مطولاً. انتهى.

٦٥٣ - أخرجه الطبري (٦/ ٢٩١) رقم (١٦٣٣٣ - ١٦٣٣٤) وعزاه الزيلعي إلى الثعلبي والبغوي في تفسيريهما؛ كما عزاه إلى الواقدي في كتابه المغازي (٢/ ٣٩) رقم (٥١٤).
قال الحافظ:
أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق قال: «لم يكن أحد من المؤمنين ممن حضر بدراً إلا أحب الغنائم غير عمر بن الخطاب؛ فإنه جعل لا يلقى أسيراً إلا ضرب عنقه، وقال سعد بن معاذ: يا رسول الله الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال، فقال رسول الله ﷺ: «لو نزل من السماء عذاب لما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ»، ورواه الواقدي في المغازي من وجه آخر منقطع بمعناه. وروى ابن مردويه من حديث ابن عمر رفعه: «لو نزل العذاب. ما أفلت منه إلا ابن الخطاب». انتهى.

---

(١) لأبي دؤاد. وقيل لحارثة بن حمران الإيادي، وهو من أبيات الكتاب. والهمزة للاستفهام الإنكاري، يخاطب امرأة، أو نفسه، أي: لا تحسبي أن كل رجل رجل كامل، ولا تحسبي أن كل نار تتوقد في الليل نار متوقدة لقرى الضيفان، يعني أن الرجل هو الكريم الشجاع، والنار هي نار القرى لا غير. وحذف المضاف مع بقاء المضاف إليه على حالة الإضافة مطرد، إذا عطف على مثله ليدل عليه كما =

ومعناه: والله يريد عرض الآخرة، على التقابل، يعني: ثوابها، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: يغلب أولياءه على أعدائه، ويتمكنون منهم قتلاً وأسراً ويطلق لهم الفداء، ولكنه: ﴿حَكِيمٌ﴾، يؤخر ذلك إلى أن يكثروا ويعزوا وهم يعجلون، ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾: لولا حكم منه سبق إثباته في اللوح، وهو أنه لا يعاقب أحد بخطأ، وكان هذا خطأ في الاجتهاد؛ لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سبباً في إسلامهم وتوبتهم، وأنّ فداءهم يتقوّى به على الجهاد في سبيل الله، وخفي عليهم أن قتلهم أعز للإسلام، وأهيب لمن وراءهم، وأفل لشوكتهم، وقيل: كتابه أنه سيحل لهم الفدية التي أخذوها، وقيل: إن أهل بدر مغفور لهم، وقيل: إنه لا يعذب قوماً إلا بعد تأكيد الحجة، وتقديم النهي، ولم يتقدم نهي عن ذلك، ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾/ ٢٨٢ب: روي أنهم أمسكوا عن الغنائم، ولم يمدّوا أيديهم إليها؛ فنزلت، وقيل: هو إباحة للفداء؛ لأنه من جملة الغنائم، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

فإن قلت: ما معنى الفاء؟

قلت: التسبيب، والسبب محذوف، معناه: قد أبحت لكم الغنائم، فكلوا مما غنمتم، و«حلالاً»: نصب على الحال من المغنوم، أو صفة للمصدر، أي: أكلاً حلالاً، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ معناه: أنكم إذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه، غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾

= هنا، وإلا فهو سماعي، بل مطرد عند الكوفيين ولو بغير عطف. ونار مجرور بمضاف محذوف؛ ولا يصح عطفه على امرئ. وعطف المنصوب على المنصوب لئلا يلزم العطف على معمولي عاملين مختلفين، وهما «كل» و«تحسبين» وهو ممنوع عند سيبويه ومن وافقه.

لأبي دؤاد في ديوانه ص ٣٥٣، والأصمعيات ص ١٩١، وأمالي ابن الحاجب ١/ ١٣٤، ٢٩٧، وخزانة الأدب ٩/ ٥٩٢، ١٠/ ٤٨١، والدرر ٥/ ٣٩، وشرح التصريح ٢/ ٥٦، وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٩٩، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٠٠، وشرح عمدة الحافظ ص ٥٠٠، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٢٦، والكتاب ١/ ٦٦، والمقاصد النحويّة ٣/ ٤٤٥، ولعدي بن زيد في ملحق ديوانه ص ١٩٩، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨/ ٤٩، والإنصاف ٢/ ٤٧٣، وأوضح المسالك ٣/ ١٦٩، وخزانة الأدب ٤/ ٤١٧، ٧/ ١٨٠، ورصف المباني ص ٣٤٨، وشرح الأشموني ٢/ ٣٢٥، وشرح ابن عقيل ص ٣٩٩، وشرح المفصل ٣/ ٧٩، ١٤٢، ٨/ ٥٢، ٩/ ١٠٥، والمحتسب ١/ ٢٨١، ومغني اللبيب ١/ ٢٩٠، والمقرب ١/ ٢٣٧، وهمع الهوامع ٢/ ٥٢.

﴿فِيٓ أَيۡدِيكُم﴾: في ملكتكم، كأن أيديكم قابضة عليهم، وقرىء: «من الأسرى»، ﴿فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾: خلوص إيمان وصحة نية، ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾: من الفداء، إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه، أو يثيبكم في الآخرة، وفي قراءة الأعمش: «يثبكم خيراً»، وعن العباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كنت مسلماً، لكنهم استكرهوني، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إِنْ يَكُنْ مَا تَذْكُرُهُ حَقًّا فَاللهُ يَجْزِيكَ» فأما ظاهر أمرك، فقد كان علينا (٦٥٤) وكان أحد الذين ضمنوا إطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك. وروي أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال للعباس: «افد ابني أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، فقال: يا محمد، تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت، فقال له: «فَأَيْنَ الذَّهَبُ الَّذِي دَفَعْتَهُ إِلَىٰ أُمِّ الفَضْلِ وَقْتَ خُرُوجِكَ مِنْ مَكَّةَ وَقُلْتَ لَهَا: لاَ أَدْرِي مَا يُصِيبَنِي فِي وَجْهِيَ هٰذَا، فَإِنْ حَدَثَ بِي حَدَثٌ فَهُوَ لَكِ وَلِعَبْدِ اللهِ وَعُبَيْدِ اللهِ وَالْفَضْلِ»، فقال العباس: وما يدريك؟ قال: «أَخْبَرَنِي بِهِ رَبِّي» قال العباس: فأنا أشهد أنك صادق، وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، والله لم يطلع عليه أحد إلا الله، ولقد دفعته إليها في سواد الليل، ولقد كنت مرتاباً في أمرك، فأمّا إذ أخبرتني بذلك فلا ريب، قال العباس ـ رضي الله عنه ـ: فأبدلني الله خيراً من ذلك، لي الآن عشرون عبداً، إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً، وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي (٦٥٥)، وروي أنه قدم على رسول الله ـ ﷺ ـ مال البحرين ثمانون ألفاً، فتوضأ لصلاة الظهر، وما صلى حتى فرقه، وأمر العباس أن يأخذ منه ما قدر على حمله، وكان يقول: هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة (٦٥٦)، وقرأ الحسن وشيبة: «مما أخذ منكم»، على البناء للفاعل.

---

٦٥٤ ـ ينظر الحديث القادم.
قال الحافظ: أخرجه ابن إسحاق في المغازي، والحاكم من طريقه ـ حدثني يحيى بن عباد عن أبيه عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة من فداء أسرهم، وبعثت زينب من فداء أبي العاص.
قال العباس: يا رسول الله، إني كنت مسلماً. فذكره. انتهى.

٦٥٥ ـ أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٣/ ٣٢٤)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، وأبو نعيم في دلائل النبوة ص (٣٥٩)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٤٢) إلى ابن مردويه في تفسيره في سورة الفرقان.
قال الحافظ: هو الذي قبله بتمامه بالإسناد المذكور. ورواه أبو نعيم في الدلائل من طريق إسحاق: حدثني بعض أصحابنا عن مقسم عن ابن عباس، بمعناه مطولاً. ورواه ابن مردويه من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس بمعناه، وفيه محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف، وقوله: «وكان العباس أحد الذين ضمنوا إطعام بدر، وخرج بالذهب لذلك» لم أجد هذا.

٦٥٦ ـ أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٣/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والطبري في تفسيره (٦/ ٢٩٢) رقم (١٦٣٣٧)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٣٦٩)، وعزاه الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٤٢) إلى الثعلبي في تفسيره عن قتادة به.

﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾: نكث ما بايعوك عليه من الإسلام، والردّة واستحباب دين آبائهم، ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾: في كفرهم به، ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه، ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾: كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن أعادوا الخيانة، وقيل: المراد بالخيانة: منع ما ضمنوا من الفداء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾

الذين هاجروا، أي: فارقوا أوطانهم، وقومهم؛ حبًّا لله ورسوله/ ٢٨٣أ: هم المهاجرون، والذين آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم: هم الأنصار، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: يتولى بعضهم بعضاً في الميراث، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات، حتى نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقرىء: «من ولايتهم»، بالفتح والكسر، أي: من توليهم في الميراث، ووجه الكسر أن تولي بعضهم بعضاً شبه بالعمل والصناعة؛ كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمراً ويباشر عملاً، ﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾: فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين، ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: منهم، ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم﴾: عهد فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم؛ لأنهم لا يبتدؤون بالقتال، إذ الميثاق مانع من ذلك.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: ظاهره إثبات الموالاة بينهم؛ كقوله تعالى في المسلمين: ﴿أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ومعناه: نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا، وموارثتهم، وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم، وإن كانوا أقارب، وأن يتركوا

= قال الحافظ: أخرجه الطبري حدثنا بشرين بن معاذ حدثنا يزيد. حدثنا سعد بن أبي عروبة. عن قتادة هكذا. وروى الحاكم في فضائل العباس من طريق سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال. عن أبي موسى: «أن العلاء بن الحضرمي بعث إلى رسول الله ﷺ من البحرين بثمانين ألفاً فأمر بها فنثرت على الحصير، ونودي بالصلاة. . . الحديث». انتهى.

يتوارثون بعضهم بعضاً ثم قال: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾ أي: إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضاً حتى في التوارث، تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة القرابة، ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار، ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة، لأنّ المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك، كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً، وقرىء: «كثير» بالثاء.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ (٧٤) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ (٧٥)﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾؛ لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه، بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن، ومفارقة الأهل، والانسلاخ من المال، لأجل الدين، وليس بتكرار؛ لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم، والشهادة لهم[1]، مع الموعد الكريم، والأولى للأمر بالتواصل، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾: يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة؛ كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، ألحقهم بهم، وجعلهم منهم؛ تفضلاً منه، وترغيباً، ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾: أولو القرابات أو أولى بالتوارث، وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة، ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾: تعالى في حكمه وقسمته، وقيل: في اللوح، وقيل: في القرآن، وهو آية المواريث؛ وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ على توريث ذوي الأرحام.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الأَنْفَالِ وَبَرَاءَةَ فَأَنَا شَفِيعٌ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَشَاهِدٌ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ النِّفَاقِ وَأُعْطِيَ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ كُلِّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ، وَكَانَ العَرْشُ وَحَمَلَتُهُ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا» (٦٥٧).

---

٦٥٧ ـ أخرجه الواحدي في تفسيره (٢/٤٤٣)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٤٣) إلى الثعلبي، وابن مردويه في تفسيريهما.
وانظر حديث (٣٤٦).
قال الحافظ: ذكرت أسانيده في تفسير آل عمران. انتهى.

---

(١) قوله: «والشهادة لهم» لعله: والشهادة لهم بالإيمان (ع).

الكشاف

عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري
(٤٦٧-٥٣٨ هـ)

تحقيق وتعليق ودراسة

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود
الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه
الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي
أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

الجزء الثالث

مكتبة العبيكان

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب. ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس ٤٦٥٠١٢٩

الكشاف

سُورَةُ التَّوْبَةِ

مَدَنِيَّةٌ [إلاَّ الآيَتَيْنِ الأَخِيرَتَيْنِ فَمَكِّيَّتَانِ]

وَآيَاتُهَا ١٣٠ وَقِيلَ ١٢٩ [نَزَلَتْ بَعْدَ المَائِدَةِ]

لها عدة أسماء: براءة التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة/ ٢٨٣ب، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدة، سورة العذاب، لأنّ فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق أي: تبرىء منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث[١] عنها، وتثيرها، وتحفر عنها، وتفضحهم، وتنكلهم، وتشرد بهم، وتخزيهم، وتدمدم عليهم، وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ: إنكم تسمونها سورة التوبة؛ وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه.

فإن قلت: هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور؟

قلت: سأل عن ذلك عبد الله بن عباس عثمان ـ رضي الله عنهما ـ فقال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ كان إذا نزلت عليه السورة أو الآية، قال: «اْجعَلُوهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُذْكَرُ فِيهِ كَذَا وَكَذَا» وتوفي رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يبين لنا أين نضعها، وكانت قصتها شبيهة بقصتها؛[٢] فلذلك قرنت بينهما، وكانتا تدعيان القرينتين (٦٥٨)، وعن أبي كعب: إنما

---

٦٥٨ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) كتاب الصلاة: باب من جهر بها، حديث (٧٨٦ ـ ٧٨٧)، والتِّرمذي (٥/ ٢٧٢): كتاب تفسير القرآن: باب: ومن سورة التوبة، حديث (٣٠٨٦)، والنّسائي في فضائل القرآن (٣٢)، وأحمد (١/ ٥٧ و٦٩) وابن أبي داود في «المصاحف» ص (٣٩)، والبيهقي في سُننه الكبرى (٢/ ٤٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٢١ و٣٣٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وابن حِبان (١/ ٢٣٢) رقم (٤٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٥٢ ـ ١٥٣) وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٤٨) إلى إسحاق بن راهويه، وأبي يَعلى الموصلي، والبزار في مسانيدهم، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٧٥)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر والنحاس في ناسخه، وإلى أبي الشيخ وإلى ابن مردويه في تفسيره. =

---

(١) قوله: «تبحث» لعله أي تبحث (ع).

(٢) قوله: «شبيهة بقصتها» هذا الضمير للأنفال، بدليل التشبيه، وإن لم يجر لها ذكر هنا. وعبارة الخازن ولم يبين لنا أين نضعها، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت التوبة من آخر ما نزل من القرآن، وكانت قصتها... إلخ (ع).

توهموا ذلك؛ لأنّ في الأنفال: ذكر العهود، وفي براءة: نبذ العهود، وسئل ابن عيينة ـ رضي الله عنه ـ فقال: اسم الله سلام وأمان، فلا يكتب في النبذ والمحاربة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤]، قيل: فإنّ النبي ـ ﷺ ـ قد كتب إلى أهل الحرب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال: إنما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ إليهم؛ ألا تراه يقول: «سلام على من اتبع الهدى» (٦٥٩) فمن دعي إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ فأجاب، ودعي[1] إلى الجزية فأجاب، فقد اتبع الهدى، وأمّا النبذ، فإنما هو البراءة واللعنة، وأهل الحرب لا يسلم عليهم، ولا يقال: لا تفرق ولا تخف، ومترس[2]، ولا بأس: هذا أمان كله، وقيل: سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة، كلتاهما نزلت في القتال، تعدّان السابعة من الطول[3]، وهي سبع وما بعدها المئون، وهذا قول ظاهر؛ لأنهما معاً مائتان وست، فهما بمنزلة إحدى الطول، وقد اختلف أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فقال بعضهم: الأنفال وبراءة سورة واحدة. وقال بعضهم: هما سورتان، فتركت بينهما فرجة لقول من قال: هما سورتان، وتركت: بسم الله الرحمن الرحيم؛ لقول من قال: هما سورة واحدة.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٢﴾

= قال الحافظ: أخرجه أصحاب السنن، وابن حِبان وأحمد وإسحاق وأبو يَعلى والبزار. من طريق يوسف بن مهران. ويزيد الفارسي. عن ابن عباس. قال: «سألت عثمان بن عفان، ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثين، فقرنتم بينهما، فذكر الحديث بطوله سوى قوله: وكانتا تدعيان القرينتين، فلم يذكرها إلا إسحاق. . انتهى.

٦٥٩ ـ أخرجه البخاري (١/ ٤٦): كتاب بدء الوحي حديث (٧)، ومسلم (٦/ ٣٤٦ ـ النووي) كتاب الجهاد والسِّير: باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، حديث (٧٤/ ١٧٧٣)، وأبو داود (٤/ ٣٣٥) كتاب الأدب: باب كيف يكتب إلى الذمي، حديث (٥١٣٦)، والتِّرمذي (ح ٥/ ٦٩) كتاب الإستئذان: باب ما جاء كيف يكتب إلى أهل الشرك، حديث (٢٧١٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس عن أبي سفيان، فذكره.

قال الحافظ: هو في حديث ابن عباس الطويل عن أبي سفيان وهو متفق عليه. وفيه: فقرأ الكتاب: «فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. . .» الحديث. انتهى.

---

(١) قوله: «ودعى» لعله: أو دعى (ع).

(٢) قوله: «ومترس» بفتح الميم والتاء وسكون الراء: فارسي، معناه: أمان (ع).

(٣) قوله: «من الطول» الطول ـ بكسر ففتح ـ بمعنى الطويلة. أفاده الصحاح. وعبارة غيره: الطوال.

﴿بَرَآءَةٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه براءة، و﴿مِّنَ﴾: لابتداء الغاية، متعلق بمحذوف، وليس بصلة؛ كما في قولك: برئت من الدين، والمعنى: هذه براءة واصلة من الله ورسوله، ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾: كما يقال: كتاب من فلان إلى فلان، ويجوز أن يكون: (براءة): مبتدأ؛ لتخصيصها بصفتها، والخبر: (إلى الذين عاهدتم)؛ كما تقول: رجل من بني تميم في الدار، وقرىء: (براءةً): بالنصب، على: اسمعوا براءة، وقرأ أهل نجران: (من الله): بكسر النون، والوجه الفتح مع لام التعريف؛ لكثرته، والمعنى: أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه[1] منبوذ إليهم.

فإن قلت/ ٢٨٤أ: لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين؟

قلت: قد أذن الله في معاهدة المشركين أوّلاً، فاتفق المسلمون مع رسول الله ـ ﷺ ـ وعاهدوهم، فلما نقضوا العهد، أوجب الله ـ تعالى ـ النبذ إليهم، فخوطب المسلمون بما نجدّد من ذلك، فقيل لهم: اعلموا أنّ الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين، وروي أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب، فنكثوا إلا ناساً منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد إلى الناكثين، وأمروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاؤوا لا يتعرّض لهم، وهي الأشهر الحرم في قوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ [التوبة: ٥]، وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها، وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان، وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد، فأمّر رسول الله ـ ﷺ ـ أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ على موسم سنة تسع، ثم أتبعه عليًا ـ رضي الله عنه ـ راكب العضباء، ليقرأها على أهل الموسم، فقيل له: لو بعثت بها إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ؟ فقال: لا يؤدي عني إلا رجل مني، فلما دنا عليّ سمع أبو بكر الرغاء، فوقف، وقال: هذا رغاء ناقة رسول الله ـ ﷺ ـ فلما لحقه قال: أمير أو مأمور؟ قال: مأمور، وروي أنّ أبا بكر لما كان ببعض الطريق، هبط جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: يا محمد، لا يبلغنّ رسالتك إلا رجل منك، فأرسل عليًا، فرجع أبو بكر ـ رضي الله عنهما ـ إلى رسول الله ـ

---

(١) قال محمود معناه: «أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين. . . إلخ» قال أحمد: ووراه ما ذكره سر آخر هو المرعي، والله أعلم. وذلك أن نسبة العهد إلى الله ورسوله في مقام نسب إليه النبذ من المشركين، لا تحسن شرعاً. ألا ترى إلى وصية رسول الله ﷺ لأمراء السرايا حيث يقول لهم: وإذا نزلت بحصن فطلبوا النزول على حكم الله فأنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أصادفت حكم الله فيهم أو لا؟ وإن طلبوا ذمة الله فأنزلهم على ذمتك، فلأن تخفر ذمتك خير من أن تخفر ذمة الله. فانظر إلى أمره عليه الصلاة والسلام بتوقير ذمة الله مخافة أن تخفر وإن كان لم يحصل بعد ذلك الأمر المتوقع، فتوقير عهد الله وقد تحقق من المشركين النكث، وقد تبرأ من الله ورسوله بأن لا ينسب العهد المنبوذ إلى الله أحرى وأجدر، فلذلك نسب العهد إلى المسلمين دون البراءة منه، والله أعلم.

ﷺ ـ فقال: يا رسول الله، أشيء نزل من السماء، قال: نَعَمْ، فَسِرْ وَأَنْتَ عَلَى المَوْسِمِ، وَعَلِيٌّ يُنَادِي بالآي». فلما كان قبل التروية، خطب أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وحدثهم عن مناسكهم، وقام علي ـ رضي الله عنه ـ يوم النحر عند جمرة العقبة، فقال: يا أيها الناس، إني رسول رسول الله إليكم، فقالوا: بماذا؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية (٦٦٠)، وعن مجاهد ـ رضي الله عنه ـ ثلاث عشرة آية، ثم قال: أمرت بأربع: ألاً يقرب البيت بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة، وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده، فقالوا: عند ذلك يا علي، أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا، وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن بالرماح وضرب بالسيوف، وقيل: إنما أمر ألاً يبلغ عنه إلا رجل منه، لأنّ العرب عادتها في نقض عهودها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها، فلو تولاه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لجاز أن يقولوا: هذا

---

٦٦٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٥٠) غريب، وفي سيرة ابن هشام بعضه في غزوة تبوك، وكذا في دلائل النبوة للبيهقي، وكذا في تفسير الطبري أ.هـ.
وأخرجه ابن هشام في سيرته (٤/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) رقم (١٩١١)، والبيهقي في «دلائل النبوة»: (٥/ ٢٩٣ ـ ٢٩٥)، والطبري في تفسيره (٦/ ٣٠٧) رقم (١٦٣٩١) بسنده عن ابن إسحاق مرسلاً.
وأخرجه أبو يَعلى الموصلي في مسنده (١/ ١٠٠) رقم (١٠٤)، ورواه أحمد في مسنده (١/ ٣) بهذا الإسناد من طريق وكيع بن الجراح، ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يثيع، عن أبي بكر الصديق أن النبي ﷺ بعثه ببراءة إلى أهل مكة... فذكره، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٤١ ـ ٢٤٢)، وقال: في الصحيح بعضه ـ رواه أحمد ورجاله ثقات.
قال الحافظ:
(قلت): هذا ملفق من مواضع. فصدره مذكور في مغازي ابن إسحاق. وقوله: «وهم بنو ضمرة وبنو كنانة أي الذين نكثوا إلا من استثنى منهم كما يفهم من ظاهره. وسيأتي بيان ذلك قريباً بعد أحاديث؛ وذلك أن العهد كان في سنة ست والنكث ونزولها والفتح في سنة ثمان؛ كما سيأتي بعد قليل: أن المدة التي بلا نكث كانت ثمانية عشر شهراً. فعلى هذا كان أول النكث. في شهر ربيع الآخر سنة ثمان هذا هو التحقيق في النقل، وأما قوله: «وكان الأمير بها أي في سنة ثمان على مكة وعلى الحج. فهذا ذكره الواقدي في المغازي. وأما قوله: «فأمر أبو بكر على موسم سنة تسع إلى آخره»، فهو في الصحيح من حديث أبي هريرة بمعناه.
وأما قوله: وأتبعه علياً فرواه أحمد، وأبو يَعلى من رواية أبي إسحاق عن يزيد بن منيع عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ «أن النبي ﷺ بعثه ببراءة إلى أهل مكة. فذكر الحديث وفيه فسار ثلاثاً، ثم قال لعلي: الحقه ورد على أبا بكر وبلغها قال ففعل، فلما قدم أبو بكر بكى، وقال: يا رسول الله حدث في شيء؟ قال: ما حدث فيك إلا خير. لكنني أمرت أن لا يبلغ إلا أنا أو رجل مني»، وفي المستدرك من طريق جميع بن عمير: «أتيت ابن عمر فسألته عن علي فانتهرني، ثم قال: ألا أحدثك عن علي إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر وعمر ببراءة إلى أهل مكة فانطلقا فإذا هما براكب فقالا: من هذا؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب، فقال: يا أبا بكر هات الكتاب، الحديث. وروى.... انتهى.

خلاف ما يعرف فينا من نقض العهود، فأزيحت علتهم بتولية ذلك عليًا ـ رضي الله عنه ـ.

فإن قلت: الأشهر الأربعة ما هي؟

قلت: عن الزهري ـ رضي الله عنه ـ أنّ براءة نزلت في شوال، فهي أربعة أشهر: شوّال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، وقيل: هي عشرون من ذي الحجة، والمحرّم، وصفر، وشهر ربيع الأوّل، وعشر من شهر/ ٢٨٤ب ربيع الآخر، وكانت حرماً؛ لأنهم أُومنوا فيها، وحرّم قتلهم وقتالهم، أو على التغليب؛ لأنّ ذا الحجة والمحرّم منها، وقيل: لعشر من ذي القعدة إلى عشر من ربيع الأول؛ لأنّ الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم، ثم صار في السنة الثانية من ذي الحجة.

فإن قلت: ما وجه إطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الأشهر الحرم، وقد صانها الله تعالى عن ذلك؟

قلت: قالوا: قد نسخ وجوب الصيانة وأبيح قتال المشركين فيها، ﴿غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾: لا تفوتونه وإن أمهلكم، وهو مخزيكم، أي: مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب.

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾

﴿وَأَذَانٌ﴾: ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين، ثم الجملة معطوفة على مثلها، ولا وجه لقول من قال: إنه معطوف على براءة، كما لا يقال: عمرو معطوف على زيد، في قولك: زيد قائم، وعمرو قاعد، و«الأذان»: بمعنى: الإيذان، وهو الإعلام، كما أنّ الأمان والعطاء بمعنى: الإيمان والإعطاء.

فإن قلت: أي فرق بين معنى الجملة الأولى والثانية؟

قلت: تلك إخبار بثبوت البراءة، وهذه إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت.

فإن قلت: لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس؟

قلت: لأنّ البراءة: مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم، وأمّا الأذان: فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد، ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث، ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾: يوم عرفة، وقيل: يوم النحر؛ لأنّ فيه تمام الحج ومعظم أفعاله، من الطواف، والنحر، والحلق، والرمي، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنّ رجلاً أخذ بلجام دابته فقال:

ما الحج الأكبر؟ قال: يومك هذا، خل عن دابتي (٦٦١)، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع، فقال: «هٰذَا يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ» (٦٦٢) ووصف الحج بالأكبر؛ لأنّ العمرة تسمى الحج الأصغر، أو جعل الوقوف بعرفة هو الحج الأكبر؛ لأنه معظم واجباته؛ لأنه إذا فات فات الحج، وكذلك إن أريد به يوم النحر؛ لأن ما يفعل فيه معظم أفعال الحج ـ فهو الحج الأكبر، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: سمي يوم الحج الأكبر؛ لاجتماع المسلمين والمشركين

---

٦٦١ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٣١٢) رقم (١٦٤١٩)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٥١) رقم (٥٢٢) إلى ابن أبي شيبة في مصنفه في الحج.
قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة والطبري من رواية شعبة عن الحاكم عن يحيى بن الجزار عن علي: «أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبانة، فجاء رجل فأخذ بلجام دابته، وسأله عن الحج الأكبر فقال: هو يومك هذا، خل سبيلها. انتهى.

٦٦٢ ـ أخرجه البخاري (٤/ ٤٠٢): كتاب الحج: باب الخطبة أيام منى، حديث (١٧٤٢)، وأطرافه في (٤٤٠٣ ـ ٦٠٤٣ ـ ٦١٦٦ ـ ٦٧٨٥ ـ ٦٨٦٨ ـ ٧٠٧٧)، وأبو داود (٢/ ١٩٥): كتاب الحج: باب يوم الحج الأكبر، حديث (١٩٤٥). وابن ماجه (٢/ ١٠١٦): كتاب المناسك: باب رمي الجمار أيام التشريق، حديث (٣٠٥٨)، والبيهقي (٥/ ١٣٩) في السنن الكبرى، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، وأكثر هذا المتن مخرج في الصحيحين إلا قوله: «إن يوم الحج الأكبر يوم النحر سنة»، فإن الأقاويل فيه عن الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم ـ على خلاف بينهم فيه، فمنهم من قال: يوم عرفة، ومنهم من قال: يوم النحر، وابن سعد في «الطبقات الكبرى»: (٢/ ١٤٠)، والطبراني في «المعجم الصغير»: (٢/ ١١٩)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٨/ ٢٧٤) في ترجمة سعيد بن عبد العزيز، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣١٥) رقم (١٦٤٦١)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٣٨١) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه عن عبد الله بن عمر به.
وأخرجه التِّرمذي (٣/ ٢٨٢): كتاب الحج: باب ما جاء في يوم الحج الأكبر، حديث (٩٥٧) مرفوعاً عن علي به.
و(٣/ ٢٨٢) كتاب الحج باب ما جاء في يوم الحج الأكبر، حديث (٩٥٨) موقوفاً، وقال: وهذا أصح من الحديث الأول. و(٥/ ٢٧٤): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة التوبة حديث (٣٠٨٨) مرفوعاً عن علي به، وحديث (٣٠٨٩) موقوفاً.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٥٣) إلى أبي نعيم في تاريخ أصبهان.
قال الحافظ:
أخرجه البخاري تعليقاً وأبو داود والحاكم من رواية هشام بن الغاز عن نافع عن ابن عمر مطولاً، ورواه الطبراني والطبري وأبو نعيم في الحلية وابن أبي حاتم مختصراً من طريق سعيد بن عبد العزيز عن نافع عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «أن رسول الله ﷺ رمى الجمرة يوم النحر. وقال: هذا يوم الحج الأكبر»، وفي الباب عن علي ـ رضي الله عنه، أخرجه التِّرمذي مرفوعاً وموقوفاً. وعن ابن أبي أوفى عند الطبراني. وعن ابن مسعود في تاريخ أصبهان لأبي نعيم في ترجمة عمر بن هارون. انتهى.

فيه، وموافقته لأعياد أهل الكتاب، ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده، فعظم على قلب كل مؤمن وكافر، حذفت الباء التي هي صلة الأذان تخفيفاً، وقرىء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: بالكسر؛ لأنّ الآذان في معنى القول، ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾: عطف على المنوي في: ﴿بَرِيٓءٌ﴾، أو على محل: «إن» المكسورة واسمها، وقرىء: بالنصب، عطفاً على اسم: «إن»، أو لأنّ الواو بمعنى مع، أي: برىء معه منهم، وبالجرّ على الجوار، وقيل: على القسم؛ كقوله: لعمرك، ويحكى أن أعرابيًا سمع رجلاً يقرؤها، فقال: إن كان الله بريئاً من رسوله، فأنا منه برىء، فلببه الرجل إلى عمر، فحكى الأعرابي قراءته، فعندها أمر عمر ـ رضي الله عنه ـ بتعلم العربية، (٦٦٣) ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾: من الكفر والغدر، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: عن التوبة، أو ثبتم على التولي والإعراض/ ٢٨٥أ عن الإسلام، والوفاء، فاعلموا أنكم غير سابقين الله تعالى، ولا فائتين أخذه وعقابه.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾

فإن قلت: ممّ استثنى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم﴾[(١)]؟

---

٦٦٣ ـ ذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/٣٨٣)، وعزاه إلى أبي بكر محمد بن القادم الأنباري في كتابه «الوقف والابتداء»، وابن عساكر في تاريخه عن أبي مليكة ـ رضي الله عنه ـ قال: قدم أعرابي في زمان عمر ـ رضي الله عنه ـ. . . فذكره.

قال الحافظ:

لم أجده بإسناده وذكره القرطبي في التذكرة عن ابن أبي مليكة قال: قدم أعرابي في زمن عمر فذكره أتم منه، وزاد في آخره: وأمر بأبي الأسود، فوضع النحو اهـ، والمشهور أن الذي أمر أبا الأسود بوضع النحو علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت مم هذا الاستثناء قلت وجهه أن يكون مستثنى. . . إلخ» قال أحمد: ويجوز أن يكون قوله فسيحوا خطاباً من الله تعالى للمشركين غير مضمر قبله القول، ويكون الاستثناء على هذا من قوله إلى الذين عاهدتم، كأنه قيل براءة من الله ورسوله إلى المعاهدين لا الباقين على العهد، فأتموا إليهم أيها المسلمون عهدهم، ويكون فيه خروج من خطاب المسلمين في قوله ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم﴾ إلى خطاب المشركين في قوله (فسيحوا) ثم التفات من التكلم إلى الغيبة بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ وأن الله وأصله واعلموا أنكم غير معجزي وأني، وفي هذا الالتفات بعد الالتفات الأول افتنان في أساليب البلاغة وتفخيم للشأن وتعظيم للأمر ثم يتلو هذا الالتفات العود إلى خطاب المسلمين بقوله: إلا الذين عاهدتم ثم لم ينقصوكم فأتموا، وكل هذا من حسنات الفصاحة وإنما بعث الزمخشري على تقدير القول قبل (فسيحوا) مراعاة أن يطابق قوله فأتموا، إذا المخاطب على هذا التقدير المسلمون أولاً وثانياً ولا يكون فيه شيء من الالتفاتات المبنية على التأويل الذي ذكرناه، وكلا الوجهين ممتاز بنوع مَن البلاغة وطرف من الفصاحة، والله أعلم.

قلت: وجهه أن يكون مستثنى من قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]؛ لأن الكلام خطاب للمسلمين، ومعناه: براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فقولوا لهم: سيحوا، إلا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا إليهم عهدهم «والاستثناء» بمعنى: الاستدراك، وكأنه قيل: بعد أن أمروا في الناكثين، ولكن الذين لم ينكثوا فأتموا عليهم عهدهم، ولا تجروهم مجراهم، ولا تجعلوا الوفيَّ كالغادر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعني: أن قضية التقوى ألاَّ يسوّى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك، ﴿لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾: لم يقتلوا منكم أحداً ولم يضروكم قط، ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ﴾: ولم يعاونوا، ﴿عَلَيْكُمْ﴾: عدوّاً، كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله ـ ﷺ ـ وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعيُّ على رسول الله ـ ﷺ ـ فأنشد [من الرجز]:

لاَهُــمَّ إِنِّــي نَــاشِــدٌ مُــحَــمَّــدَا	حِــلْــفَ أَبِــيــنَــا وَأَبِــيــكَ الأَتْــلَــدَا
إِنَّ قُــرَيْــشــاً أَخْــلَــفُــوكَ الْــمَــوْعِــدَا	وَنَــقَّــضُــوا ذِمَــامَــكَ الْــمُــؤَكَّــدَا
هُــمْ بَــيَّــتُــونَــا بِــالْــحَــطِــيــمِ هُــجَّــدَا	وَقَــتَّــلُــونَــا رُكَّــعــاً وَسُــجَّــدَا[1]

---

(١)

إن قـريـشـاً أخـلـفـوك الـمـوعـدا	ونـقـضـوا ذمـامـك الـمـؤكـدا
وزعـمـوا أن لـسـت تـنـجـي أحـدا	وهــم أذل وأقــل عــددا
هـم بـيـتـونـا فـي الـحـطـيـم هـجـدا	وقـتـلـونـا ركـعـا وسـجـدا
فـانـصـر هـداك الله نـصـراً أعـتـدا	وادع عـبـاد الله يـأتـوا مـددا
فـيـهـم رسـول الله قـد تـجـردا	في فيلق كالبحر يجري مزبدا
أبيض مثل الشمس يسمو صعدا	إن شيم خطب وجهه تربدا

لعمرو بن سلام الخزاعي. لما خرج رسول الله ﷺ من مكة أعانت قريش بني بكر على حرب بني خزاعة، ففزع عمرو إليه بالمدينة وأنشده ذلك، فقال ﷺ: لا نصرت إن لم أنصركم. و«لاهم» أصله اللهم، خفف وأظهر في مقام الإضمار للدلالة على التعظيم والتهييج لما أراده. والحلف: العهد. والأتلد: الأقدم. والتفت إلى الخطاب للاستعطاف. وجعله كالأب لهم لمراعاته مصالحهم. وعطف بثمة للترتيب في الإخبار ونزع إليه كناية عن نقض العهد. و«الذمام» العهد. وقيل: جمع ذمة بمعنى العهد أيضاً. وروي «ميثاقك». وأذل، وأقل، بمعنى أذلاء قليلون، فليس مفيداً للزيادة. ويجوز أنه على بابه بالنظر لزعمهم، أي: أذل وأقل مما زعموا فيك وفي قومك. و«الحطيم» معروف، كانوا في الجاهلية يحلفون فيه فيحطم الكاذب. ويروى «بالأتير» والأتير: الطريق، وواحده وتيرة. وهو هنا اسم ماء لخزاعة بأسفل مكة. و«الهجد» جمع هاجد، وهو المتيقظ من النوم للعبادة. و«العتيد» الحاضر، يقال: عتده تعتيداً، وأعتده إعتاداً: هيأه وأحضره، فهو عتيد وأعتد. وفيه جعل اسم التفضيل بمعنى المفعول، فلعله من عتد إذا حضر. والأصل أعده إعداداً فأبدلت الدال تاء، و«هداك الله» جملة اعتراضية دعائية. و«المدد» الزيادة: أي يأتوا زيادة لنا تعيننا على أعدائنا. وفي الإضافة إلى الله تهييج لهم. و«الفيلق» الجيش المزدحم المتكاثف. كالبحر في الكثرة وسرعة السير. و«المزبد» المخرج للرغوة من شدة السير والغليان. «يسمو» يعلو «صعداً» أي صعوداً. «إن شيم» أي رؤي. وروي بالمهملة: أي أحق، «تربد» أي تغير وصار مغيراً كلون الرماد. =

فقال عليه الصلاة والسلام: «لاَ نُصِرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْكُمْ» (٦٦٤) وقرىء: «لم ينقضوكم»، بالضاد معجمة، أي: لم ينقضوا عهدكم، ومعنى: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾: فأدّوه إليهم تاماً كاملاً، قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: بقي لحيٍّ من كنانة من عهدهم تسعة أشهر، فأتمّ إليهم عهدهم.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾

انسلخ الشهر؛ كقولك: انجرد الشهر، وسنة جرداء، و﴿ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾: التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا، ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ يعني: الذين نقضوكم وظاهروا عليكم، ﴿حيث وجدتموهم﴾: من حلّ أو حرم، ﴿وَخُذُوهُمۡ﴾: وأْسروهم، والأخيذ: الأسير، ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾، وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام، ﴿كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾: كل ممرّ ومجتاز[1]،

---

٦٦٤ ـ أخرجه ابن هشام في سيرته (٤/ ١٠ و ١١) رقم (١٦٥٠ ـ ١٦٥٤ ـ ١٦٥٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٦ ـ ٧)، وفي «السنن الكبرى»: (٩/ ٢٣٤)، والطبراني في معجمه الكبير (٢٠/ ٩) رقم (١٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٠٠ ـ ٤٠١). المغازي: باب فتح مكة رقم (٣٦٩٠٢) عن عكرمة مرسلاً، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٣١٦)، ورواه ابن زنجويه في كتاب الأموال عن عكرمة مرسلاً، وذكر القصة والشعر، ورواه الواقدي في كتاب المغازي مطولاً، فذكر القصة والشعر مرسلاً عن جماعة كثيرة؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٥٥ ـ ٥٦).
قال الحافظ: أخرجه ابن إسحاق في المغازي والبيهقي في الدلائل من طريقه. قال: حدثني الزهري عن عروة بن الزبير عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قالا: «كان في صلح رسول الله ﷺ يوم الحديبية، فذكر القصة مطولة وفيها الشعر. وفيها، فنكثوا في الهدنة نحو سبعة أو ثمانية عشر شهراً. وروى الطبراني من طريق علي بن الحسين حدثتني ميمونة بنت الحارث قالت: «كان بين النبي ﷺ وبين قريش، فذكرت القصة والشعر. وأوردها الواقدي في المغازي مطولاً من طرق ثم قال: حدثني عبد الحميد بن جعفر عن عمران بن أبي أنس عن ابن عباس. قال: قام رسول الله ﷺ وهو يجر طرف ردائه ويقول: «يا عمرو لا نصرت إن لم أنصر بني كعب مما أنصر منه نفسي». انتهى.

= والغضب عند نزول المكروه أمارة الشجاعة. وهذا كان سبب فتح مكة.
ينظر تاج العروس: (وتر).

(١) قال محمود: «المرصد المجاز والممر... إلخ» قال أحمد: ويكون انتصابه دون جره من الاتساع؛ لأن المرصد ظرف مختص، والأصل قصور الفعل عن نسبه، ويكون مثل قوله في الاتساع [من المنسرح]:

.... كما عسل الطريق الثعلب =

ترصدونهم به، وانتصابه على الظرف؛ كقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾: فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر، أو: فكفوا عنهم ولا تتعرّضوا لهم؛ كقوله [من البسيط]:

خَلِّ السَّبِيلَ لِمَنْ يَبْنِي الْمَنَارَ بِهِ[1] ....

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: دعوهم وإتيان المسجد الحرام، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿أَحَدٌ﴾: مرتفع بفعل الشرط مضمراً يفسره الظاهر، تقديره: وإن استجارك أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء؛ لأنّ «إن» من عوامل الفعل لا تدخل على غيره، والمعنى: وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر، لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق،

= ويحتمل ـ والله أعلم ـ أن يكون مرصد مصدراً؛ لأن صيغة اسم الزمان والمكان والمصدر من فعلة واحدة، فعلى هذا يكون منصوباً نصباً أصليا؛ لأن اقعدوا في معنى ارصدوا، كأنه قيل: وارصدوهم كلّ مرصد؛ إلا أن الظرفية يقويها قوله ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ فيقتضيها قصد المطابقة بين ظرفي المكان، والله أعلم.

(١) خل السبيل لمن يبني المنار به ... وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر
قد خفت يا ابن التي ماتت منافقة ... من خبث برزة ألاَّ ينزل المطر

لجرير يهجو عمر بن لجأ التميمي. ويروى: خل الطريق. ومنار الطريق: حدوده. يقول له: اترك سبيل المعالي لمن يبني الأعلام فيه ويقيم شعائره ويبين حدوده. شبه الخصال الحميدة بالطريق الجادة بجامع الوصول بكل إلى المراد وعدم الميل عن كل على سبيل التصريحية، وبناء المنار ترشيح: والمراد به: إقامة الشعائر الجميلة وتحسين شأنها لتتبعها الناس. أو نصب دلائل على الكرم لتهتدي إليه العفاة. وبرزة هي أم عمر، وقيل: الأرض الواسعة. وعليه فمنع صرفه ضرورة، ولكن البيت الثاني يؤيد ما قلنا، أي اخرج بأمك القبيحة إلى ما ألجأك إليه القدر الأزلي، وهو ما انطبعت عليه من الخصال الخسيسة. والمراد بالأمر في الموضعين: بيان حاله التي هو عليها لا حقيقة الأمر. ويحتمل أن الأول أمر بترك التفاخر، فتكون صورة الأمر للثاني للمشاكلة، أو بمعنى طلب اعترافه بحال نفسه. وجعله النحويون من قبيل التحذير ومثلوا به لذكر عامل المحذر منه، وهو يزيد على مجرد الأمر بالتخلية بأن بينه وبين ذلك السبيل منافرة حتى صح تحذيره منه. وخفت بضم التاء، ولكن فتحها أبلغ في الهجو. وتكرير اسم برزة للتنكير والتعبير بها، أي أنها شؤم على الناس يخاف منها الجدب.

ينظر ديوانه ١/ ٢١١، وشرح التصريح ٢/ ١٩٥، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٨٦، والكتاب ١/ ٢٥٤، ولسان العرب (برز)، والمقاصد النحويّة ٤/ ٣٠٧، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/ ٧٨، والرد على النحاة ص ٧٥، وشرح الأشموني ٢/ ٤٨١، وشرح المفصل ٢/ ٣٠.

فاستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن، وتبين[1] ما بعثت له فأمّنه ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾: ويتدبره/ ٢٨٥ب ويطلع على حقيقة الأمر، ﴿ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ﴾: بعد ذلك داره التي يأمن فيها إن لم يسلم، ثم قاتله إن شئت من غير غدر ولا خيانة، وهذا الحكم ثابت في كل وقت، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: هي محكمة إلى يوم القيامة، وعن سعيد بن جبير: جاء رجل من المشركين إلى عليّ ـ رضي الله عنه ـ فقال: إن أراد الرجل منا أن يأتي محمداً بعد انقضاء هذا الأجل يسمع كلام الله، أو يأتيه لحاجة قتل؟ قال: لا؛ لأن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾ وعن السدّي والضحاك ـ رضي الله عنهما ـ: هي منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]. ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي ذلك الأمر، يعني: الأمر بالإجارة في قوله: (فأجره)، ﴿بـ﴾ سبب، ﴿أنهم﴾: قوم جهلة، ﴿لَّا يَعۡلَمُونَ﴾: ما الإسلام وما حقيقة ما تدعو إليه، فلا بدّ من إعطائهم الأمان، حتى يسمعوا ويفهموا الحق.

﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَـٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٧ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَـٰسِقُونَ ۝٨﴾

﴿كَيۡفَ﴾: استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد؛ لأن يكون للمشركين عهد عند رسول الله ـ ﷺ ـ وهم أضداد وغرة صدورهم[2]، يعني: محال أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك، ولا تحدثوا به نفوسكم، ولا تفكروا في قتلهم، ثم استدرك ذلك بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمۡ﴾ أي: ولكن الذين عاهدتم منهم، ﴿عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾: ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة، فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم، ﴿فَمَا ٱسۡتَقَـٰمُواْ لَكُمۡ﴾: على العهد، ﴿فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ﴾: على مثله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ يعني: أن التربص بهم من أعمال المتقين، ﴿كَيۡفَ﴾: تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد[3]، وحذف الفعل؛ لكونه معلوماً؛ كما قال [من الطويل]:

---

(١) قوله: «وتبين» لعله «ويتبين» عطفاً على يسمع (ع).

(٢) قوله: «وغرة صدورهم» أي ملتهبة من الغيظ (ع).

(٣) قال محمود: «كيف تكرار لاستبعاد ثبات. . . إلخ» قال أحمد السر في تكرار كيف ـ والله أعلم ـ أنه لما ذكره أولاً لاستبعاد ثبات عهدهم عند الله ولم يذكر إذ ذاك سبب البعد للغاية باستثناء الباقين على العهد وطال الكلام. أعيدت «كيف» تطرية للذكر، وليأخذ بعض الكلام بحجزة بعض، فلم يقصد مجرد التكرار. بل هذا السر الذي انطوى عليه، وقد تقدمت له أمثال، والله الموفق.

وَخَبَّرْتُمَانِي أَنَّمَا الْمَوْتُ بِالْقُرَىٰ فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةٌ وَقَلِيبُ[1]؟!

يريد: فكيف مات، أي: كيف يكون لهم عهد ﴿وَ﴾: حالهم أنهم، ﴿وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق، لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم، ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا﴾: لا يراعوا حلفاً، وقيل: قرابة؛ وأنشد لحسان ـ رضي الله عنه ـ [من الوافر]:

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأَلِ النَّعَامِ[2]

وقيل: (إلا): إلهاً، وقرىء: «إيلا»، بمعناه، وقيل: جبرئيل، وجبرئل، من ذلك، وقيل: منه اشتق الآل بمعنى القرابة، كما اشتقت الرحم من الرحمن، والوجه أن اشتقاق الإلّ بمعنى: الحلف؛ لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا، رفعوا به أصواتهم وشهروه، من الأل وهو الجؤار، وله أليل: أي: أنين، يرفع به صوته [من البسيط]:

... ... دَعَتْ أَلَلَيْهَا......

إذا ولولت[3]، ثم قيل لكل عهد وميثاق: إلّ، وسميت به القرابة؛ لأن القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق، ﴿يُرْضُونَكُم﴾: كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن، مقرّر لاستبعاد الثبات منهم على العهد، وإباء القلوب مخالفة ما فيها من

---

(1) لعمر أبي إن البعيد الذي مضى وإن الذي يأتي غداً لقريب
وخبرتماني أنما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب

لكعب الغنوي في مرثية أخيه. و«الهضبة» الصخرة العظيمة. وجعل الخطاب لاثنين على عادة العرب ولو لم يوجدا. وإنما بالكسر على الحكاية. أو بالفتح على المفعولية: أي وأخبر شماني أن الموت والوباء في القرى فقط، فكيف تدعيان ذلك وقد مات أخي في هذه البرية. أو كيف مات أخي فيها. والقليب: البئر لأنه قلب ترابه من بطن الأرض إلى ظهرها. وهاتا: إشارة للبرية. ويجوز أنها للهضبة: أي وهذا قليب.
ينظر الكتاب (٣/ ٤٨٧)، المقتضب (٢/ ٢٨٧)، شرح المفصل لابن يعيش (٣/ ١٣٦)، الأصمعيات (٩٧)، البحر المحيط (٥/ ١٣)، الدر المصون (٣/ ٤٤٦).

(2) لحسان بن ثابت. والإل ـ بالكسر ـ الحلف والعهد والقرابة. والسقب: حوار الناقة. والرأل: ولد النعام. يقول: وحياتك إن قرابتك من قريش بعيدة أو معدومة، كقرابة ولد الناقة من ولد النعام. ويروى: كآل السيف. والوجه أنه تحريف.
ينظر ديوانه (ص ١٠٥)، لسان العرب (ألل)، ديوان الأدب (٤/ ١٥٥)، كتاب الجيم (٣/ ٢٢٦)، تاج العروس (ألل)، بلا نسبة في مقياس اللغة ١/ ٢١، كتاب العين ٨/ ٣٦١، المخصص (٣/ ١٥١)، الدر المصون (٣/ ٤٤٧).

(3) قوله: «ودعت ألليها: إذا ولولت» في الصحاح: وأما قول الكميت يمدح رجلاً:
وأنت ما أنت في غبراء مظلمة إذا دعت ألليها الكاعب الفضل
فيجوز أن يريد الألل، ثم ثنى كأنه يريد صوتاً يعد صوت. اهـ (ع).

الأضغان، لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِقُونَ﴾: متمرّدون خلعاء لا مروءة تزعهم[1]، ولا شمائل/ ٢٨٦أ مرضية تردعهم، كما يوجد ذلك في بعض الكفرة، من التفادي عن الكذب والنكث، والتعفف عما يثلم العرض ويجرّ أحدوثة السوء.

﴿ٱشْتَرَوْا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿ٱشْتَرَوْا﴾: استبدلوا، ﴿بآيات الله﴾: بالقرآن والإسلام، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: وهو اتباع الأهواء والشهوات، ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: فعدلوا عنه أو صرفوا غيرهم، وقيل: هم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم، ﴿هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾: المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة.

﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿فَإِن تَابُوا﴾: عن الكفر ونقض العهد، ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾: فهم إخوانكم على حذف المبتدأ؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: ونبينها، وهذا اعتراض، كأنه قيل: وإن من تأمّل تفصيلها فهو العالم بعثاً وتحريضاً على تأمّل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين، وعلى المحافظة عليها.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَطَعَنُوا فِى دِينِكُمْ﴾: وثلبوه وعابوه، ﴿فَقَٰتِلُوٓا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾: فقاتلوهم، فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم؛ إشعاراً بأنهم إذ نكثوا في حال الشرك تمرّداً، وطغياناً، وطرحاً لعادات الكرام الأوفياء من العرب، ثم آمنوا، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصاروا إخواناً للمسلمين في الدين، ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام، ونكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان، والوفاء بالعهود، وقعدوا يطعنون في دين الله، ويقولون: ليس دين محمد بشيء، فهم أئمة الكفر، وذوو الرياسة والتقدّم فيه، لا يشق كافر غبارهم، وقالوا: إذا طعن الذمي في دين الإسلام طعناً ظاهراً، جاز قتله؛ لأن العهد معقود معه على ألاّ يطعن، فإذا طعن، فقد نكث عهده وخرج من الذمّة، ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾: جمع يمين، وقرىء:

---

(١) قوله: «لا مروءة تزعهم» أي تكفهم. اهـ صحاح (ع).

لا إيمان لهم، أي: لا إسلام لهم، أو: لا يعطون الأمان بعد الردّة والنكث، ولا سبيل إليه.

فإن قلت: كيف أثبت لهم الأيمان في قوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾ ثم نفاها عنهم؟

قلت: أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال: لا أيمان لهم على الحقيقة، وأيمانهم ليست بأيمان؛ وبه استشهد أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ على أن يمين الكافر لا تكون يميناً، وعند الشافعي ـ رحمه الله ـ: يمينهم يمين، وقال: معناه أنهم لا يوفون بها؛ بدليل أنه وصفها بالنكث، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾: متعلق بقوله: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ أي: ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم أن تكون المقاتلة سبباً في انتهائهم عما هم عليه، وهذا من غاية كرمه، وفضله، وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد.

فإن قلت: كيف لفظ أئمة؟

قلت: همزة بعدها همزة بين بين، أي: بين مخرج الهمزة والياء[1]، وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة، وإن لم تكن بمقبولة عند البصريين؛ وأما التصريح بالياء، فليس بقراءة، ولا يجوز أن تكون قراءة، ومن صرح بها فهو لاحن محرف[2].

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ﴾: دخلت الهمزة على: (لا تقاتلون)؛ تقريراً بانتفاء المقاتلة، ومعناه: الحض عليها/ ٢٨٦ب على سبيل المبالغة، ﴿نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾: التي حلفوها في المعاهدة، ﴿وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾: من مكة حين تشاوروا في أمره بدار الندوة، حتى أذن الله ـ

---

(١) قوله: «بين مخرج الهمزة والياء»: لعله «مخرجي الهمزة والياء» (ع).

(٢) قال السمين الحلبي: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو «أئمة» بهمزتين ثانيتهما مُسَهَّلة بين بينَ ولا ألفَ بينهما. والكوفيون وابن ذكوان عن ابن عامر بتخفيفهما من غير إدخال ألف بينهما، وهشام كذلك إلا أن أدْخَلَ بينهما ألفاً. هذا هو المشهور بين القراء السبعة. ونقل الشيخ عن نافع ومَنْ معه، أنهم يُبْدلون الثانية ياء صريحة، وأنه قد نُقِلَ عن نافع المدُّ بينهما، أي بين الهمزة والياء.
قال الشيخ: «وذلك دأبُه في تلحين المقرئين، وكيف تكون لحناً، وقد قرأ بها رأسُ النحاة البصريين، أبو عمرو بن العلاء، وقارئ أهلِ مكة ابنُ كثير، وقارئ أهل المدينة نافع؟». قلت: لا يُنْقَم على الزمخشري شيءٌ فإنه إنما قال إنها غير مقبولة عند البصريين، ولا يلزم من ذلك أنه لا يَقْبلها، غاية ما في الباب، أنه نقَل عن غيره. وأمَّا التصريحُ بالياء، فإنه معذورٌ فيه لأنه كما قَدَّمْتُ لك، إنما اشتُهِر بين القراء التسهيلُ بين بين لا الإبدال المحض، حتى إن الشاطبي جعل ذلك مذهباً للنحويين لا للقراء، فالزمخشري إنما اختار مذهب القراء لا مذهب النحاة في هذه اللفظة. انتهى. الدر المصون.

تعالى ـ له في الهجرة، فخرج بنفسه، ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة؛ لأن رسول الله ـ ﷺ ـ جاءهم أولاً بالكتاب المنير وتحدّاهم به، فعدلوا عن المعارضة؛ لعجزهم عنها إلى القتال، فهم البادئون بالقتال، والبادىء أظلم، فما يمنعكم من أن تقاتلوهم بمثله، وأن تصدموهم بالشر كما صدموكم؟ وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها، ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها، ويقرر أن من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد وإخراج الرسول، والبدء بالقتال من غير موجب، حقيق بألاّ تترك مصادمته، وأن يوبخ من فرط فيها، ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾؛ تقرير بالخشية منهم، وتوبيخ عليها، ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾: فتقاتلوا أعداءه، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني: أن قضية الإيمان الصحيح ألاّ يخشى المؤمن إلا ربه؛ ولا يبالي بمن سواه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

لما وبخهم الله على ترك القتال، جرّد لهم الأمر به فقال: ﴿قَاتِلُوهُمْ﴾، ووعدهم ـ ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم ـ أنه يعذبهم بأيديهم قتلاً، ويخزيهم أسراً، ويوليهم النصر والغلبة عليهم، ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ﴾: طائفة[1] من المؤمنين، وهم خزاعة، قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: هم بطون من اليمن وسبأ، قدموا مكة فأسلموا، فلقوا من أهلها أذى شديداً، فبعثوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ يشكون إليه، فقال: «أَبْشِرُوا؛ فَإِنَّ الفَرَجَ قَرِيبٌ» ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ﴾: قلوبكم[2]؛ لما لقيتم منهم من المكروه، وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها؛ فكان ذلك دليلاً على صدق رسول الله ـ ﷺ ـ وصحة نبوّته، ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾: ابتداء كلام، وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره، وكان ذلك ـ أيضاً ـ فقد أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم، وقرىء: و«يتوبَ» بالنصب بإضمار: «أن»، ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر من طريق المعنى، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: يعلم ما سيكون، كما يعلم ما قد كان: ﴿حَكِيمٌ﴾، لا يفعل إلا ما اقتضته الحكمة.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا

---

(١) قوله: «ويشف صدور طائفة» هذا لفظ التلاوة، والأنسب ويشفي، عطفاً على ﴿يعذبهم بأيديهم﴾ لأنه من جملة الوعد (ع).

(٢) قوله: «ويذهب غيظ قلوبكم» التلاوة (غيظ قلوبهم) ولعل بعض الناسخين فهم أنه من البشرى، فغيره بلفظ الخطاب. والمتجه (غيظ قلوبهم) لما لقوا، ثم قوله (ويذهب) بالرفع عطف على يعذبهم بأيديكم؛ لأنه من جملة الوعد كما سيشير إليه (ع).

﴿رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَمْ﴾: منقطعة، ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان، والمعنى: أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه، حتى يتبين الخلص منكم، وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله، ولم يتخذوا وليجة، أي: بطانة، من الذين يضادّون رسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين ـ رضوان الله عليهم ـ ﴿وَلَمَّا﴾ معناها: التوقع، وقد دلت على أن تبين ذلك، وإيضاحه متوقع كائن، وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين، وقوله: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا﴾: معطوف على جاهدوا، داخل في حيز الصلة؛ كأنه قيل: ولما يعلم الله المجاهدين/ ٢٨٧أ منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله، والوليجة: فعيلة من ولج، كالدخيلة من دخل، والمراد بنفي العلم: نفي المعلوم؛ كقول القائل: ما علم الله مني ما قيل: فيّ، يريد: ما وجد ذلك مني.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾: ما صح لهم وما استقام، ﴿أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ يعني: المسجد الحرام، لقوله: ﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان:

أحدهما: أن يراد المسجد الحرام؛ وإنما قيل: مساجد؛ لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها، فعامره كعامر جميع المساجد، ولأن كل بقعة منه مسجد.

والثاني: أن يراد جنس المساجد، وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها، دخل تحت ذلك ألاّ يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد؛ لأنّ طريقته طريقة الكناية؛ كما لو قلت: فلان لا يقرأ كتب الله، كنت أنفي لقراءته القرآن من تصريحك بذلك، و﴿شَٰهِدِينَ﴾: حال من الواو في: (يعمروا)، والمعنى: ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين: عمارة متعبدات الله، مع الكفر بالله وبعبادته، ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر: ظهور كفرهم، وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت، وكانوا يطوفون عراة ويقولون: لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي، وكلما طافوا بها شوطاً سجدوا لها، وقيل: هو قولهم: لبيك، لا شريك لك، إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، وقيل: قد أقبل المهاجرون والأنصار على أسارى بدر فعيروهم بالشرك، فطفق عليّ ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يوبخ العباس بقتال رسول الله ـ ﷺ ـ وقطيعة الرحم، وأغلظ له في القول، فقال العباس: تذكرون مساوينا، وتكتمون محاسننا، فقال: أو لكم محاسن؟ قالوا: نعم، ونحن أفضل منكم أجراً: إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب

الكعبة، ونسقي الحجيج، ونفك العاني؛ فنزلت، ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾: التي هي العمارة، والحجابة، والسقاية، وفك العناة، وإذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال[1] الثابتة الصحيحة إذا تعقبها، فما ظنك بالمقارن، وإلى ذلك أشار في قوله: (شاهدين)؛ حيث جعله حالاً عنهم، ودل على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة؛ وذلك محال غير مستقيم.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾: وقرىء بالتوحيد، أي: إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتداً بها، والعمارة تتناول رمّ ما استرمّ منها، وقمها وتنظيفها، وتنويرها بالمصابيح، وتعظيمها، واعتيادها للعبادة والذكر، ومن الذكر درس العلم، بل هو أجله وأعظمه، وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلاً عن فضول الحديث، وعن النبي ـ ﷺ ـ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ الْمَسَاجِدَ فَيَقْعُدُونَ فِيهَا حَلَقاً[2]، ذِكْرُهُمُ/ ٢٨٧ب الدُّنْيَا وَحُبُّ الدُّنْيَا، لاَ تُجَالِسُوهُمْ؛ فَلَيْسَ للهِ بِهِمْ حَاجَةٌ» (٦٦٥)، وفي

---

٦٦٥ ـ أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٤٥) رقم (١٠٤٥٢)، وابن حِبان في المجروحين (١/ ١٩٩) في ترجمة بزيع، وابن عدي في الكامل (٢/ ٤٩٣).
كلهم من طريق بزيع أبي الخليل الخصاف عن الأعمش عن شفيق بن سلمة عن ابن مسعود فذكره.
وبزيع قال ابن حِبان: يأتي عن الثقات بأشياء موضوعة كأنه المعتمد لها.
وذكره الهيثمي في الجمع (٢/ ٢٧)، ونسبه إلى الطبراني، وقال: فيه بزيع أبو الخليل ونُسب إلى الوضع. وللحديث شاهد آخر أخرجه ابن حِبان (١٥/ ١٦٢ ـ ١٦٣) رقم (٦٧٦١) من طريق عيسى ابن يونس عن الأعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود فذكره.
وللحديث شاهد من طريق أنس بن مالك أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قال الحافظ: أخرجه الطبراني من رواية أبي وائل عن ابن مسعود رفعه: «سيكون في آخر الزمان قوم يجلسون المساجد حلقاً حلقاً، مناهم الدنيا لا تجالسوهم. فليس لله فيهم حاجة»، وفيه بزيع أبو الخليل راويه عن الأعمش عنه وهو متروك، وقال الدارقطني: إنه تفرد به، وفيه نظر. فقد أخرجه ابن حِبان في صحيحه من طريق عيسى بن يونس عن الأعمش بلفظ: «سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم ليس لله فيهم حاجة»، وفي الباب عن أنس رفعه: «يأتي على الناس زمان يتحلقون في مساجدهم، وليس همتهم إلا الدنيا لا تجالسوهم فليس لله فيهم =

---

(١) قال محمود: «إذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال... إلخ» قال أحمد: كلام صحيح إلا قوله: «إن الكبيرة تهدم الأعمال، فإنه تفريع على قاعدة المعتزلة، والحق خلافها.
(٢) قوله: «فيقعدون فيها حلقاً» في نسخة: فيعدون. وفي أخرى: فيغدون. وليحرر (ع).

الحديث: «الْحَدِيثُ فِي الْمَسْجِدِ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ البَهِيمَةُ الحَشِيشَ» (٦٦٦) وقال عليه السلام: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: «إِنَّ بُيُوتِي فِي أَرْضِي المَسَاجِدَ، وَإِنَّ زُوَّارِي فِيهَا عُمَّارُهَا، فَطُوبَىٰ لِعَبْدٍ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ زَارَنِي فِي بَيْتِي، فَحَقٌّ عَلَى المَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ» (٦٦٧) وعنه عليه السلام: «مَنْ أَلِفَ المَسْجِدَ أَلِفَهُ اللهُ» (٦٦٨)، وقال عليه السلام: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسَاجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيْمَانِ» (٦٦٩)، وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ: من

= حاجة»، أخرجه الحاكم من طريق الثوري عن عوف عن الحسن عنه. انتهى.

٦٦٦ ـ قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١/ ١٥٢) رقم (٣٩٦): لم أقف له على أصل.
قال الحافظ: يأتي في لقمان.

٦٦٧ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٥٧): غريب ا.هـ. وأخرجه الطبراني في معجمه (٦/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) رقم (٦١٣٩) من طريق يحيى بن إسحاق التستري عن عامر بن سيار وعن سعيد بن زَرْبِي عن ثابت عن أبي عثمان عن سلمان، فذكره بنحوه.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٤) وقال: رواه الطبراني في الكبير وأحد إسناديه رجاله رجال الصحيح.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٣٩٢)، وعزاه إلى عبد الرزاق وابن جرير في تفسيريهما، وإلى البيهقي في شُعب الإيمان عن عمرو بن ميمون الأودي ـ رضي الله عنه ـ قال: أخبرنا أصحاب رسول الله ﷺ . . . فذكره.
قال الحافظ: لم أجده هكذا، وفي الطبراني: عن سلمان عن النبي ﷺ : «من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر لله، وحق على المزور أن يكرم زائره»، وروى عبد الرزاق ومن طريقه الطبري عن معمر عن ابن إسحاق عن عمرو بن ميمون. قال: «وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن بيوت الله في الأرض المساجد، وإن حقاً على الله أن يكرم من زاره فيها»، ومن هذا الوجه. أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد. انتهى.

٦٦٨ ـ أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»: (٧/ ١٩٧) رقم (٦٣٧٩)، وابن عديّ في الكامل: (٤/ ١٤٧٠) من حديث عبد الله بن لهيعة، عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري فذكره.
ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٢/ ٢٦) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه ابن لهيعة وفيه كلام وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٥٨): أعله ابن عدي في الكامل بابن لهيعة، ونقل ضعفه عن النَّسائي وابن معين، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن سعيد وغيرهم، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٣٩٢).
قال الحافظ: أخرجه ابن عديّ: والطبراني في الأوسط من رواية ابن لهيعة عن دراج بن الهيثم عن أبي سعيد به. انتهى.

٦٦٩ ـ أخرجه التِّرمذي (٥/ ١٢) كتاب الإيمان: باب ما جاء في حرمة الصلاة حديث (٢٦١٧) وفي (٥/ ٢٧٧) كتاب التفسير: باب ومن سورة التوبة حديث (٣٠٩٣) وابن ماجه (١/ ٢٦٣) كتاب المساجد: باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة حديث (٨٠٢) وأحمد (٣/ ٦٨) والدارمي (١/ ٢٧٨) كتاب الصلاة: باب المحافظة على الصلوات، وابن خزيمة (٢/ ٣٧٩) رقم (١٥٠٢) وابن حِبان (١٧٢١) والحاكم (٢/ ٣٣٢) والبيهقي (٣/ ٦٦) كتاب الصلاة باب فضل المساجد، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٢٧) كلهم من طريق عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد =

أسرج في مسجد سراجاً، لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه (٦٧٠).

فإن قلت: هلا ذكر الإيمان برسول الله ـ ﷺ ـ؟

قلت: لما علم وشهر أن الإيمان بالله ـ تعالى ـ قرينته الإيمان بالرسول ـ ﷺ ـ لاشتمال كلمة الشهادة، والأذان، والإقامة، وغيرها، عليهما مقترنين، مزدوجين، كأنهما شيء واحد، غير منفك أحدهما عن صاحبه، انطوى تحت ذكر الإيمان بالله ـ تعالى ـ الإيمان بالرسول ـ عليه السلام ـ وقيل: دلّ عليه بذكر إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

= الخدري به.

وقال التِّرمذي: حديث غريب حسن.

وصححه ابن خزيمة وابن حِبان والحاكم والذهبي وأخرجه أحمد (٣/٧٦) وعبد بن حميد في «المنتخب» (ص ٢٨٩) رقم (٩٢٣) عن الحسن بن موسى ثنا ابن لهيعة عن دراج به.

والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٩١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

وقال ابن عديّ: هو منكر وعبد الملك مجهول وأقره ابن الجوزي في «الموضوعات».

ـ حديث ابن عباس:

أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٤٦٦) ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٤٤ ـ ١٤٥) من طريق سوار بن مصعب عن ثابت عن مقسم عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ «من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه».

وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ قال أحمد ويحيى والنَّسائي: سوار بن مصعب متروك الحديث، وقال يحيى: ليس بثقة ولا يكتب حديثه. وقال أيضاً: وقد عمل جماعة من المتصوفة والمتزهدين على هذا الحديث الذي لا يثبت، وانفردوا في بيت الخلوة أربعين يوماً، وامتنعوا عن أكل الخبز، وكان بعضهم يأكل الفواكه ويتناول الأشياء التي تتضاعف قيمتها على قيمة الخبز، ثم يخرج بعد الأربعين فيهذي ويتخيل إليه أنه يتكلم بالحكمة، ولو كان الحديث صحيحاً؛ فإن الإخلاص يتعلق بقصد القلب لا بفعل البدن فلله العلم. اهـ.

قال الحافظ: أخرجه التِّرمذي وابن ماجه. وابن حِبان. والحاكم من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد. انتهى.

٦٧٠ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤)، وعزاه إلى سليم الرازي في الترغيب عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال فذكره، كما عزاه إلى الطبراني في مسند الشاميين عن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فذكره بنحوه مرفوعاً إلى النبي ﷺ .

قال الحافظ:

رواه الحارث بن أسامة من رواية الحكم بن سفلة العبدي. عن أنس ـ رضي الله عنه ـ: «من أسرج في مسجد سراجاً لم يزل مرفوعاً»، ومن طريق الحارث أخرجه سليم الرازي في كتاب الترغيب، وفي الطبراني في مسند الشاميين من حديث علي بن أبي طالب رفعه. «من علق قنديلاً في مسجد صلى عليه سبعون ألف ملك ـ الحديث بمعناه». انتهى.

فإن قلت: كيف قيل: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، والمؤمن يخشى المحاذير، ولا يتمالك ألاّ يخشاها؟

قلت: هي الخشية والتقوى في أبواب الدين، وألاّ يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف، وإذا اعترضه أمران: أحدهما: حق الله، والآخر: حق نفسه، أن يخاف الله، فيؤثر حق الله على حق نفسه، وقيل: كانوا يخشون الأصنام، ويرجونها، فأريد نفي تلك الخشية عنهم، ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء[1]، وحسم لأطماعهم من الانتفاع[2]، بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها، وأملوا عاقبتها، بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى، اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل، فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى، وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى.

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

السقاية والعمارة: مصدران من سقى وعمر، كالصيانة والوقاية، ولا بد من مضاف محذوف تقديره: ﴿أَجَعَلْتُمْ﴾: أهل، ﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾: وتصدقه قراءة ابن الزبير، وأبي وجزة السعدي[3] ـ وكان من القراء ـ: سقاة الحاج، وعمرة المسجد الحرام، والمعنى: إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين؛ وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة، وأن يسوى بينهم، ويجعل تسويتهم ظلماً بعد ظلمهم بالكفر، وروي أن المشركين قالوا لليهود: نحن سقاة الحجيج، وعمار المسجد الحرام، أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه؟ فقالت لهم اليهود: أنتم أفضل، وقيل: إن عليًّا: ـ رضي الله عنه ـ قال للعباس: يا عمّ، ألا تهاجرون، ألا تلحقون برسول الله ـ ﷺ ـ فقال: ألست في أفضل من الهجرة: أسقي حاجّ بيت الله، وأعمر المسجد الحرام، فلما نزلت، قال العباس/ ٢٨٨أ: ما أراني إلا تارك سقايتنا، فقال عليه السلام: «أَقِيمُوا عَلَى سِقَايَتِكُمْ؛ فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا خَيْراً» (٦٧١).

---

٦٧١ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) عن معمر عن الحسن فذكره. =

---

(١) قال محمود: «في هذه الآية تبعيد للمشركين. . . إلخ» قال أحمد: وأكثرهم يقول إن «عسى» من الله واجبة بناء منهم على أن استعمالها غير مصروفة للمخاطبين، والحق فيما قال الزمخشري، ولكن الخطاب مصروف إليهم أي فحال هؤلاء المؤمنين حال مرجوة، والعاقبة عند الله معلومة، ولله عاقبة الأمور.

(٢) قوله: «من الانتفاع» لعله «في»كعبارة النسفي (ع).

(٣) قوله: «وأبي وجزة السعدي» في الصحاح: أنه شاعر ومحدث (ع).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾﴾

هم ﴿أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾: من أهل السقاية والعمارة عندكم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾: لا أنتم، والمختصون بالفوز دونكم، قرىء: (يبشرهم): بالتخفيف والتثقيل، وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرّف، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: هي في المهاجرين خاصة (٦٧١ مكرر).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

وكان قبل فتح مكة من آمن لم يتمّ إيمانه إلا بأن يهاجر، ويصارم أقاربه الكفرة، ويقطع موالاتهم، فقالوا: يا رسول الله، إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا، وذهبت تجارتنا، وهلكت أموالنا، وخربت ديارنا، وبقينا ضائعين؛ فنزلت، فهاجروا، فجعل الرجل يأتيه ابنه، أو أبوه، أو أخوه، أو بعض أقاربه، فلا يلتفت إليه، ولا ينزله، ولا ينفق عليه، ثم رخص لهم بعد ذلك، وقيل: نزلت في التسعة الذين ارتدّوا، ولحقوا بمكة، فنهى الله ـ تعالى ـ عن موالاتهم (٦٧٢)، وعن النبي ـ ﷺ ـ: «لاَ

= والثعلبي في تفسيره، والواحدي في أسباب النزول؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٦٠).
قال الحافظ: ذكره الثعلبي عن الحسن بغير إسناد، لكن سنده إليه في أول الكتاب في تفسير عبد الرزاق عن معمر عن عمر، وهو ابن عبيد عن الحسن قال: «نزلت في علي والعباس، عثمان وشيبة تكلموا في ذلك. فقال العباس: ما أراني إلا تاركاً سقايتنا. فقال رسول الله ﷺ فذكره. انتهى.

٦٧١ ـ مكرر: أخرجه الثعلبي من رواية جويبر عن الضحاك عنه.

٦٧٢ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٦٠):
الأول: ذكره الثعلبي في تفسيره، عن جويبر، عن الضحاك عن ابن عباس قال: «لما أمر الله تعالى المؤمنين بالهجرة، وكان قبل فتح مكة من آمن لا يتم إيمانه... إلى آخره».
الثاني: حكاه عن مقاتل قال: نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الإسلام، ولحقوا بمكة، فنهاه الله تعالى عن ولايتهم، وسنده إليهما في أول كتابه.
قال الحافظ: ذكره الثعلبي أيضاً عن مقاتل، وسنده إليه في أول الكتاب. انتهى.

يَطْعَمْ أَحَدُكُمْ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّىٰ يُحِبَّ فِي اللهِ وَيَبْغَضَ فِي اللهِ: حَتَّى يُحِبَّ فِي اللهِ أَبْعَدَ النَّاسِ، وَيَبْغَضَ فِي اللهِ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ» (٦٧٣)، وقرىء: «عشيرتكم»، «وعشيراتكم»، وقرأ الحسن: وعشائركم ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ وعيد، عن ابن عباس: هو فتح مكة، وعن الحسن: هي عقوبة عاجلة أو آجلة، وهذه آية شديدة، لا ترى أشدّ منها؛ كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين، واضطراب حبل اليقين، فلينصف أورع الناس، وأتقاهم من نفسه، هل يجد عنده من التصلب في ذات الله، والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء، والأبناء، والإخوان، والعشائر، والمال، والمساكن، وجميع حظوظ الدنيا، ويتجرّد منها لأجله؟ أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته، فلا يدري أي طرفيه أطول؟ ويغويه الشيطان عن أجلّ حظ من حظوظ الدين، فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره؟

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

---

٦٧٣ ـ قاله الزيلعي في تخريج الكشاف: (٢/ ٦١): غريب.
وقال ابن حجر: لم أجده بهذا اللفظ.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٩٤) عن عمرو بن الحمق؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله، فإذا أحب لله... الحديث، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه رشدين وهو ضعيف، وأخرجه أبو داود (٤/ ٢٢٠): كتاب السنة: باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث (٤٦٨١)، والطبراني في معجمه (٨/ ١٥٩) رقم (٧٦١٣) و(٨/ ٢٠٨) رقم (٧٧٣٦) من طرق عن يحيى بن الحارث عن القاسم، عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ـ فقد استكمل الإيمان... الحديث».
وقال الهيثمي (١/ ٩٥): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه صدقة بن عبد الله السمين، ضعفه البخاري وأحمد وغيرهما، وقال أبو حاتم: محله الصدق.
وللحديث شاهد من طريق معاذ بن أنس عن النبي ﷺ نحوه سواه، أخرجه أبو يَعلى الموصلي في مسنده؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٦١).
قال الحافظ: لم أجده بهذا اللفظ، وفي الطبراني عن عمرو بن الحمق أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله»، وفي إسناده رشد بن سعد. وهو ضعيف؛ وفي الباب عن أبي أمامة رواه أبو داود. وعن معاذ بن أنس رواه أبو يَعلى وغيره. انتهى.

مواطن الحرب: مقاماتها، ومواقفها[1]، قال [من الطويل]:

وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلاَيَ طُحْتَ كَمَا هَوَىٰ ... بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِي[2]

---

(١) قال محمود: «مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها. . . إلخ» قال أحمد: لا مانع ـ والله أعلم ـ من عطف الظرفين المكاني والزماني أحدهما على الآخر، كعطف أحد المفعولين على الآخر والفعل واحد، إذ يجوز أن تقول ضرب زيد عمراً في المسجد ويوم الجمعة، كما تقول: ضربت زيداً وعمراً، ولا يحتاج إلى إضمار فعل جديد غير الأول، هذا مع أنه لا بد من تغاير الفعلين الواقعين بالمفعولين في الحقيقة، فإنك إذا قلت: أضرب زيداً اليوم وعمراً غداً. لم يشك في أن الضربين متغايران بتغاير الظرفين، ومع ذلك الفعل واحد في الصناعة. فعلى هذا يجوز في الآية. والله أعلم ـ بقاء كل واحد من الظرفين على حاله غير مؤول إلى الآخر، على أن الزمخشري أوجب تعدد الفعل وتقدير ناصب لظرف الزمان غير الفعل الأول. وإن كانا عنده جميعاً زمانين، لعلة أن كثرتهم لم تكن ثابتة في جميع المواطن. يريد: ولو ذهبت إلى اتحاد الناصب للزم ذلك، وهذا غير لازم. ألا تراك لو قلت: أضرب زيداً حين يقوم وحين يقعد، لكان الناصب للظرفين واحداً وهما متغايران، وإنما يمتنع عمل الفعل الواحد في ظرفي زمان مختلفين عند عدم العطف المتوسط بينهما، والله أعلم.

(٢)
تكاشرني كرهاً كأنك ناصح ... وعينك تبدي أن صدرك لي دوي
لسانك ماذي وعينك علقم ... وشرك مبسوط وخيرك منطوي
فليت كفافاً كان خيرك كله ... وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوي
وكم موطن لولاي طحت كما هوى ... بأجرامه من قلة النيق منهوي
جمعت وفحشًا غيبة ونميمة ... ثلاث خصال لست عنها بمرعوي

ليزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي. والمكاشرة: المضاحكة، واختارها في التعبير إشارة إلى أنها ليست مضاحكة حقيقة يوافقها القلب، وإنما هي إظهار الأسنان فقط أمامه ليريه أنه ناصح الرجل كمرض فسد قلبه، ودوي أي خالص المودة ودوي صدره أيضاً حقد، فهو دوي بالتخفيف كعمي، أو التشديد كغني، على فعل أو فعيل، وعلى التشديد فتخفيفه للوزن. و«الماذي» عسل النحل لأنه يمذى منها، وتسمى الخمرة ماذية لسهولتها. و«العلقم» الحنظل وكل شجر مر وكل شيء مر، أي لسانك كالعسل في حلاوة الكلام. وعينك كالعلقم في كراهية النفس ونفرتها عن كل، حيث تنظر لي نظر الحسود المغتاظ، وشبه الشر والخير ببساطين على سبيل المكنية، والبسط والطي تخييل. واسم ليت ضمير الشأن أو ضمير المخاطب محذوفاً، وخيرك اسم كان، وكفافاً خبرها. وشرك عطف على خيرك. ويجوز أنه من باب التنازع عمّن أجازه في الحروف، لأن «ليت» مقتضية للعمل في خيرك، و«كان» مقتضية للعمل فيه، فأعمل فيه الثاني وحذف ضميره من الأول، لأنه وإن كان عمدة، مشبهة للفضلة في نصبه، وكما أجاز حذفه الكوفيون في باب كان وباب ظن، نعلمه من مفسره، أي: فليت الحال والشأن كان خيرك كله وشرك، كفافا: بالفتح، أي مغنيا كافياً لك عني، ولو كسر «كفافا» على أنه مفاعلة من الكف لجاز، ويكون المصدر بمعنى اسم الفاعل، مبالغة: أي كافا لك، أو منكفاً عني ما دام «مرتو» يرتوي الماء، أي: يستقيه، يعني دائماً، وكم: خبرية للتكثير، أي كثير من مواطن الحرب لولا وجودي لطحت بكسر الطاء وضمها من باب باع، وقال: أي هلكت فيها كما هوى منهو، أي سقط ساقط من قلة النيق. ويروى: قنة النيق، والمعنى واحد، أي: من رأس الجبل العالي، ومذهب سيبويه أن «لولا» حرف جر إذا وليها ضمير نصب. ومذهب =

وامتناعه من الصرف؛ لأنه جمع، وعلى صيغة لم يأت عليها واحد، والمواطن الكثيرة: وقعات بدر، وقريظة، والنضير، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة.

فإن قلت: كيف عطف الزمان والمكان وهو: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ على المواطن؟

قلت: معناه وموطن يوم حنين، أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين، ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين، على أنّ الواجب أن يكون يوم حنين منصوباً بفعل مضمر لا بهذا الظاهر، وموجب ذلك أنّ قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾: بدل من يوم حنين، فلو/ ٢٨٨ب جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح؛ لأنّ كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن[1]، ولم يكونوا كثيراً في جميعها، فبقي أن يكون ناصبه فعلاً خاصاً به، إلا إذا نصبت: «إذ» بإضمار: «اذكر»، وحنين: واد بين مكة والطائف، كانت فيه الوقعة بين المسلمين، وهم اثنا عشر ألفاً، الذين حضروا فتح مكة، منضماً إليهم ألفان من الطلقاء، وبين هوازن وثقيف، وهم أربعة آلاف، فيمن ضامّهم من إمداد سائر العرب، فكان الجمّ الغفير، فلما التقوا، قال رجل من المسلمين: لن نغلب اليوم من قلة، فساءت رسول الله ـ ﷺ ـ وقيل: قائلها رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وقيل: أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ[2] وذلك قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥]، فاقتتلوا قتالاً شديداً

= الأخفش أنه وضع ضمير النصب موضع ضمير الرفع على الابتداء، وأنكر المبرد وروده، وهو محجوج بهذا. وقال أبو علي الفارسي: الفعل ومطاوعه قد يكونان لازمين معاً، كهوى وانهوى، وغوى وانغوى، بدليل نحو هذا البيت. وحمله الجمهور على الضرورة. والقياس: هاو وغاو. وبعضهم على أنهما مطاوعان لأهديته وأغويته، لكن مطاوعه: انفعل لأفعل شاذة، ولو قيل: انهوى مطاوع لهوى به لجاز. لكنه ليس قياسيا، ثم قال له: جمعت غيبة ونميمة وفحشا، فقدم المعطوف للضرورة. وجعله ابن جني مفعولاً معه، وأجاز تقديمه على مصاحبه ممسكاً بذلك، ويمكن أن يكون ضرورة أيضاً. وفيه إشارة من أول وهلة إلى إرادة التعدد والتكثير وثلاث خصال بدل مما قبله، ولست عنها: أي لست بمنزجر عنها، فقدم المعمول للاهتمام، والياء في القافية للإطلاق.

ينظر الكتاب (٢/ ٣٧٤)، المقرب (١/ ١٩٣)، شرح المفصل لابن يعيش (٣/ ١١٨)، الدر المصون (٣/ ٤٥٧).

(١) قوله: «لم تعجبهم في جميع تلك المواطن» إنما يلزم كون كثرتهم أعجبتهم في جميعها. مع أنه خلاف الواقع لو جعل ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ بدلاً من المواطن أيضاً، فتدبر (ع).

(٢) لم أجده بهذا السياق وقوله: إن رسول الله ﷺ قالها: قد ورد أنه قال «لن تغلب اثنا عشر ألفاً عن قلة» في حديث غير هذا. وأما هذا فإن كان المصنف وقع على شيء من ذلك فما كان قوله: «وأدركتهم كلمة الإعجاب بالكثرة ونزل عنهم. . . إلى آخره» بلائق. وأما قوله: «وقيل قالها أبو بكر» فلم أقف عليه وقوله: «ومن هوازن وثقيف وفي أربعة آلاف غلام مسح» والصواب أن هوازن وثقيفاً كانوا من المشركين والذي في مسلم من حديث العباس «شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ـ فذكرت القصة، وفيها تغير ونقص عما ساقه المصنف وليس فيها «فخذا فخذا» وإنما فيه «أن عباساً نادى أصحاب السمرة ونادى أصحاب الشجرة. قال فعطوا عطف البقرة على أولادها، وروى يونس =

وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة، وزلّ عنهم أن الله هو الناصر، لا كثرة الجنود، فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة، وبقي رسول الله ـ ﷺ ـ وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل، ليس معه إلا عمه العباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ آخذ بلجام دابته، وأبو سفيان ابن الحارث ابن عمه، وناهيك بهذه الوحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه[1] ـ ﷺ ـ وما هي إلا من آيات النبوّة، وقال: يا رب، ائتني بما وعدتني، وقال ـ ﷺ ـ للعباس ـ وكان صيتاً: صيح بِالنَّاسِ، فَنَادِي الأَنْصَارَ فَخْذاً فَخْذاً، ثُمَّ نَادِي: يَا أَصْحَابَ الشَّجَرَةِ، يَا أَصْحَابَ البَقَرَةِ» ح، فكرّوا عنقاً واحداً[2]، وهم يقولون: لبيك لبيك، ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق، فنظر رسول الله ـ ﷺ ـ إلى قتال المسلمين فقال: «هٰذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسَ» ح، ثم أخذ كفًّا من تراب فرماهم به، ثم قال: «انْهَزِمُوا وَرَبِّ الكَعْبَةِ فَانْهَزَمُوا» قال العباس: لكأني أنظر إلى رسول الله ـ ﷺ ـ يركض خلفهم على بغلته (٦٧٤) ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ ما: مصدرية، والباء: بمعنى: مع، أي: مع رحبها[3]، وحقيقته ملتبسة برحبها، على أنّ الجارّ والمجرور في موضع الحال؛ كقولك: دخلت عليه بثياب السفر، أي: ملتبساً بها لم أحلها، تعني: مع ثياب السفر، والمعنى: لا تجدون موضعاً تستصلحونه لهربكم إليه، ونجاتكم لفرط الرعب، فكأنها ضاقت عليكم، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾: ثم انهزمتم، ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾: رحمته التي سكنوا بها وآمنوا، ﴿وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: الذين انهزموا، وقيل: هم الذين ثبتوا مع رسول الله ـ ﷺ ـ حين وقع الهرب، ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا﴾ يعني: الملائكة، وكانوا ثمانية آلاف، وقيل: خمسة آلاف، وقيل: ستة عشر ألفاً، ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بالقتل والأسر، وسبي النساء والذراري، ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ أي: يسلم بعد ذلك ناس منهم، وروي أنّ ناساً منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله ـ ﷺ ـ على الإسلام، وقالوا: يا رسول الله، أنت/ ٢٨٩أ خير الناس، وأبرّ الناس، وقد سبي

---

٦٧٤ ـ أخرجه مسلم (٦/ ٣٥٥): كتاب الجهاد والسير: باب في غزوة حنين، حديث (٧٦/ ١٧٧٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ١٣٧ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩).

= بن بكر في زيادة المغازي عن أبي جعفر الرازي بن الربيع يعني ابن أنس «أن رجلاً قال يوم حنين: لن نغلب اليوم من قلة. فشق ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله ـ وذكر الآية قال الربيع وكانوا اثني عشر ألفاً منهم ألفان من أهل مكة.

(١) قوله: «ورباطة جأشه» الجأش: رواع القلب عند الفزع. ورابط الجأش: من يربط نفسه عن الفرار لشجاعته (ع).

(٢) قوله: «عنقاً واحداً» ويقال هم عنق إليك أي مائلون إليك كذا في الصحاح (ع).

(٣) قوله: «مع رحبها» في الصحاح «الرحب» بالضم: السعة (ع).

أهلونا وأولادنا، وأخذت أموالنا، قيل: سبي يومئذ ستة آلاف نفس، وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى، فقال: «إِنَّ عِنْدِي مَا تَرَوْنَ، إِنَّ خَيْرَ القَوْلِ أَصْدَقُهُ، اخْتَارُوا: إِمَّا ذَرَارِيكُمْ وَنِسَاءكُمْ، وَإِمَّا أَمْوَالَكُمْ» ح. قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً، فقام رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: إِنَّ هٰؤُلاَءِ جَاؤُوا مُسْلِمِينَ، وَإِنَّا خَيَّرْنَاهُمْ بَيْنَ الذَّرَارِيَ وَالأَمْوَالِ فَلَمْ يَعْدِلُوا بِالأَحْسَابِ شَيْئاً، فَمَنْ كَانَ بيدِهِ شَيْءٌ وَطَابَتْ نَفْسُهُ أَنْ يَرُدَّهُ فَشَأْنُهُ، وَمَنْ لاَ فَلْيُعْطِنَا وَلْيَكُنْ قَرْضاً عَلَيْنَا حَتَّىٰ نُصِيبَ شَيْئاً فَنُعْطِيَهُ مَكَانَهُ» ح قالوا: رضينا وسلمنا، فقال: «إِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلَّ فِيكُمْ مَنْ لاَ يَرْضَىٰ، فَمُروا عُرَفَاءَكُمْ فَلْيَرْفَعُوا ذٰلِكَ إِلَيْنَا» فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا (٦٧٥).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

النجس: مصدر، يقال: نجس نجساً، وقذر قذراً، ومعناه: ذوو نجس؛ لأنَّ معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، ولأنهم لا يتطهرون، ولا يغتسلون، ولا يجتنبون النجاسات، فهي ملابسة لهم، أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها، مبالغة في وصفهم بها، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير، وعن الحسن: «من

---

٦٧٥ ـ أخرجه البخاري (٥/ ٢٥٢): كتاب الوكالة: باب إذا وهب شيئاً لوكيل أو شفيع قوم جاز، حديث (٢٣٠٧ ـ ٢٣٠٨) وأطرافهما في: (٢٥٣٩ ـ ٢٥٨٤ ـ ٢٦٠٧، ٣١٣١، ٤٣١٨، ٧١٧٦، ٢٥٤٠، ٢٥٨٥، ٢٦٠٨، ٣١٣٢، ٤٣١٩، ٧١٧٧) من طريق عروة عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة، فذكراه.
وأخرجه أبو داود (٣/ ٦٣): كتاب الجهاد: باب في فداء الأسير بالمال، حديث (٢٦٩٤) مختصراً، والنَّسائي (٦/ ٢٦٣): كتاب الهبة: باب هبة المشاع، حديث (٣٦٩٠)، وأحمد (٢/ ١٨٤ ـ ٢١٨)، والطبراني في معجمه الكبير (٥/ ٢٧٠) رقم (٥٣٠٤)، وابن هشام في سيرته (٤/ ١٤٤ ـ ١٤٥) رقم (١٨٢٣ ـ ١٨٢٤ ـ ١٨٢٥) والبيهقي في الدلائل (٥/ ١٩٤ ـ ١٩٥).
كلهم من طريق ابن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، فذكره. وعبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ـ ٣٨١) رقم (٩٧٤١) من طريق معمر عن الزهري عن كثير بن العباس بن عبد المطلب عن أبيه فذكره. وذكره الثعلبي عن أنس بلفظ المصنف من غير سند؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٦٥).
قال الحافظ: ذكره الثعلبي بغير سند، وهذه القصة قد ذكرها ابن إسحاق في المغازي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بطوله، وذكرها البخاري من رواية الزهري عن عروة عن المسور ومروان، ورواها الطبري وغيره من رواية زهير بن حرب، وفيه الشعر الذي أنشده زهير. انتهى.

صافح مشركاً توضأ»، وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين، وقرىء: «نِجْس»، بكسر النون وسكون الجيم، على تقدير حذف الموصوف، كأنه قيل: إنما المشركون جنس نجس، أو ضرب نجس، وأكثر ما جاء تابعاً لرجس، وهو تخفيف نجس، نحو: كبد، في كبد، ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾: فلا يحجوا، ولا يعتمروا، كما كانوا يفعلون في الجاهلية، ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾: بعد حج عامهم هذا، وهو عام تسع من الهجرة حين أمّر أبو بكر على الموسم؛ وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه، ويدل عليه قول عليّ ـ كرم الله وجهه ـ حين نادى ببراءة: ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك، ولا يمنعون من دخول الحرم، والمسجد الحرام، وسائر المساجد عندهم، وعند الشافعي: يمنعون من المسجد الحرام خاصة، وعند مالك: يمنعون منه ومن غيره من المساجد، وعن عطاء ـ رضي الله عنه ـ أن المراد بالمسجد الحرام: الحرم، وأن على المسلمين ألاَّ يمكنوهم من دخوله، ونهيُ المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه[1]، وقيل: المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام، والقيام بمصالحه، ويعزلوا عن ذلك، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي: فقراً بسبب منع المشركين من الحج، وما كان لكم في قدومهم عليكم من الأرفاق والمكاسب، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: من عطائه أو من تفضله بوجه آخر، فأرسل السماء عليهم مدراراً، فأغزر بها خيرهم وأكثر ميرهم، وأسلم أهل تبالة وجرش[2]، فحملوا إلى مكة الطعام وما يعاش به،/ ٢٨٩ب فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف، وقال: من أين تأكلون؟ فأمرهم الله بقتال أهل الكتاب وأغناهم بالجزية، وقيل: بفتح البلاد والغنائم، وقرىء: عائلة، بمعنى المصدر كالعافية، أو حالاً عائلة، ومعنى قوله: ﴿إِن شَآءَ﴾: الله، إن أوجبت الحكمة إغناءكم، وكان مصلحة لكم في دينكم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾: بأحوالكم، ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يعطي ولا يمنع إلا عن حكمة وصواب.

---

(١) قال محمود: «هذا النهي راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه» قال أحمد: وقد يستدل به من يقول: إن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، وخصوصاً بالمناهي، فإن ظاهر الآية توجه النهي إلى المشركين، إلا أنه بعيد، لأن المعلوم من المشركين أنهم لا ينزجرون بهذا النهي، والمقصود تطهير المسجد الحرام بإبعادهم عنه، فلا يحصل هذا المقصود إلا بنهي المسلمين عن تمكينهم من قربانه، ويرشد إلى أن المخاطب في الحقيقة المسلمين، تصدير الكلام بخطابهم في قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ وتضمينه نصا بخطابهم بقوله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وكثيراً ما يتوجه النهي على من المراد خلافه، وعلى ما المراد خلافه إذا كانت ثم ملازمة، كقوله: لا أرينك ههنا، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، والله أعلم.

(٢) قوله: «وأكثر ميرهم... إلخ» المير: إطعام الطعام. ويقال: بلد باليمن. وجرش: موضع منه أيضاً. أفاده الصحاح (ع).

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: بيان للذين مع ما في حيزه، نفى عنهم الإيمان بالله؛ لأنّ اليهود مثنية والنصارى مثلثة، وإيمانهم باليوم الآخر؛ لأنهم فيه على خلاف ما يجب، وتحريم ما حرم الله ورسوله؛ لأنهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة، وعن أبي روق: لا يعملون بما في التوراة والإنجيل؛ وأن يدينوا دين الحق، وأن يعتقدوا دين الإسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل، وقيل: دين الله، يقال: فلان يدين بكذا، إذا اتخذه دينه ومعتقده، سميت جزية؛ لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه، أي: يقضوه، أو لأنهم يجزون بها من منّ عليهم بالإعفاء عن القتل، ﴿عَن يَدٍ﴾: إما أن يراد يد المعطي أو الآخذ[1]، فمعناه: على إرادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد، أي: عن يد مؤاتية غير ممتنعة[2]؛ لأنّ من أبى وامتنع لم يعط يده، بخلاف المطيع المنقاد؛ ولذلك قالوا: أعطى بيده، إذا انقاد وأصحب[3]؛ ألا ترى إلى قولهم: نزع يده عن الطاعة، كما يقال: خلع ربقة الطاعة عن عنقه، أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقداً غير نسيئة، لا مبعوثاً على يد أحد، ولكن عن يد المعطي إلى يد الآخذ، وأما على إرادة يد الآخذ، فمعناه: حتى يعطوها[4] عن يد قاهرة مستولية، أو عن إنعام عليهم؛ لأن قبول الجزية منهم، وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم، ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أي: تؤخذ منهم على الصغار والذل، وهو أن يأتي بها بنفسه ماشياً غير راكب، ويسلمها وهو قائم، والمتسلم جالس، وأن يتلتل تلتلة[5]، ويؤخذ بتلبيبه، ويقال له: أدّ الجزية، وإن كان يؤدّيها ويزخ في قفاه، وتسقط بالإسلام عند أبي حنيفة، ولا يسقط به خراج الأرض، واختلف فيمن تضرب عليه، فعند أبي حنيفة: تضرب على كل كافر من ذمي، ومجوسي، وصابىء، وحربي، إلا على مشركي العرب وحدهم، روى الزهري أن رسول الله ـ ﷺ ـ صالح عبدة

---

(١) قال محمود: «إما أن يراد يد المعطي أو الآخذ. . . إلخ» قال أحمد: فيكون كاليد في قوله عليه السلام «لا تبيعوا الذهب. . . إلى قوله إلا يداً بيد».

(٢) قوله: «أي عن يد مؤاتية غير ممتنعة» في الصحاح: آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة، إذا وافقته وطاوعته. والعامة تقول: واتيته (ع).

(٣) قوله: «وأصحب» أي سهل بعد صعوبة. انتهى صحاح (ع).

(٤) عاد كلامه قال: «وإن أريد به الآخذ فمعناه حتى يعطوها. . . إلخ» قال أحمد: وهذا الوجه أملأ بالفائدة، والله أعلم.

(٥) قوله: «وأن يتلتل تلتلة» أي يزعزع ويزلزل. وقوله: «يزخ» أي يدفع كما في الصحاح (ع).

الأوثان على الجزية، إلا من كان من العرب وقال لأهل مكة: «هَلْ لَكُمْ فِي كَلِمَةٍ إِذَا قُلْتُمُوهَا دَانَتْ لَكُمْ بِهَا العَرَبُ وَأَدَّتْ إِلَيْكُمُ العَجَمُ الجِزْيَةَ» (٦٧٦) وعند الشافعي: لا تؤخذ من مشركي/ ٢٩٠أ العجم، والمأخوذ عند أبي حنيفة في أوّل كل سنة من الفقير الذي له كسب: اثنا عشر درهماً، ومن المتوسط في الغنى: ضعفها، ومن المكثر: ضعف الضعف ثمانية وأربعون، ولا تؤخذ من فقير لا كسب له، وعند الشافعي: يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار، فقيراً كان أو غنيًا، كان له كسب أو لم يكن.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾: مبتدأ وخبر؛ كقوله: المسيح ابن الله، وعزير: اسم أعجمي، كعازر، وعيزار، وعزرائيل، ولعجمته وتعريفه: امتنع صرفه، ومن نوّن، فقد جعله عربيًا، وأما قول من قال: سقوط التنوين لالتقاء الساكنين؛ كقراءة من قرأ (أحد الله)، أو لأنّ الابن وقع وصفاً، والخبر محذوف، وهو معبودنا، فتمحل عنه مندوحة، وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة، وما هو بقول كلهم، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: جاء رسول الله ـ ﷺ ـ سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا ذلك (٦٧٧)، وقيل: قاله فنحاص، وسبب هذا القول: أنّ اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى ـ عليه السلام ـ فرفع الله عنهم التوراة، ومحاها من قلوبهم، فخرج عزير، وهو غلام يسيح في الأرض، فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ: فقال له: إلى أين تذهب؟ قال: أطلب العلم فحفظه التوراة، فأملاها عليهم عن ظهر لسانه، لا يخرم حرفاً، فقالوا: ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام إلا لأنه ابنه، والدليل على أن هذا القول

---

٦٧٦ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٢) عن معمر عن الزهري، أن النبي ﷺ صالح عبدة الأوثان على الجزية، إلا من كان من العرب منهم، وقبل الجزية من أهل البحرين، وكانوا مجوساً.
قال الزيلعي في تخريج الكشاف: (٢/ ٦٥) كأنه حديث مركب، فالأول: رواه عبد الرزاق في تفسيره. أ.هـ وسكت الزيلعي عن الثاني.
قال الحافظ: أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: أخبرنا معمر عن الزهري بهذا، وزاد «وقيل: الجزية من البحرين وكان مجوساً». انتهى.

٦٧٧ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) رقم (١٦٦٣٥ ـ ١٦٦٣٦)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٤١٣ و٤١٤)، وعزاه إلى ابن إسحاق وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس به.
قال الحافظ: قلت: أورد المخرج منضما إلى الذي قبله، ولم يذكر من أخرجه، والصواب: أنه حديث آخر أخرجه. انتهى.

كان فيهم: أن الآية تليت عليهم، فما أنكروا ولا كذبوا، مع تهالكهم على التكذيب.

فإن قلت: كل قول يقال بالفم فما معنى قوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد أنه قول لا يعضده برهان، فما هو إلا لفظ يفوهون به، فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معان؛ وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم، ومعناه مؤثر في القلب، وما لا معنى له مقول بالفم لا غير.

والثاني: أن يراد بالقول المذهب؛ كقولهم: قول أبي حنيفة، يريدون مذهبه وما يقول به، كأنه قيل: ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم؛ لأنه لا حجة معه، ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب؛ وذلك أنهم إذا اعترفوا أنه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد، ﴿يضاهون﴾: لا بدّ فيه من حذف مضاف تقديره: يضاهي قولهم قولهم، ثم حذف المضاف، وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه، فانقلب مرفوعاً، والمعنى: أن الذين كانوا في عهد رسول الله - ﷺ - من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم، يعني: أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث، أو يضاهي قول المشركين: الملائكة بنات الله تعالى الله عنه - وقيل: الضمير للنصارى، أي: يضاهي قولهم: المسيح ابن الله، قول اليهود: عزير ابن الله؛ لأنهم أقدم منهم، وقرىء: «يضاهؤن» بالهمز من قولهم: امرأة ضهيأ على فعيل، وهي التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيض وهمزتها[1] مزيدة كما في عرقىء، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: هم أحقاء بأن يقال/ ٢٩٠ب لهم هذا؛ تعجباً من شناعة قولهم، كما يقال لقوم ركبوا شنعاء: قاتلهم الله ما أعجب فعلهم، ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يصرفون عن الحق؟

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾

اتخاذهم أرباباً: أنهم أطاعوهم في الأمر بالمعاصي، وتحليل ما حرم الله، وتحريم ما حلله، كما تطاع الأرباب في أوامرهم، ونحوه: تسمية أتباع الشيطان فيما يوسوس به عباده، بل كانوا يعبدون الجن، ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ [مريم: ٤٤]، وعن عديّ بن حاتم - رضي الله عنه -: انتهيت إلى رسول الله - ﷺ - وفي عنقي صليب من ذهب، فقال:

---

(١) قوله: «أنها لا تحيض وهمزتها مزيدة» هذا لا يناسب قوله: «على فعيل» فلعله «أو همزة... إلخ» (ع).

«أَلَيْسُوا يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَهُ فَتُحِلُّونَهُ» ح؟ قلت: بلى، قال: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ» (٦٧٨) وعن فضيل ـ رضي الله عنه ـ: ما أبالي أطعت مخلوقاً في معصية الخالق، أو صليت لغير القبلة، وأمّا المسيح فحين جعلوه ابناً لله، فقد أهلوه للعبادة؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: ٨١]، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾: أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص في الإنجيل والمسيح ـ عليه السلام ـ: أنه من يشرك بالله، فقد حرّم الله عليه الجنة، ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيه له عن الإشراك به، واستبعاد له، ويجوز أن يكون الضمير في: (وما أمروا): للمتخذين أرباباً، أي: وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب إلا ليعبدوا الله ويوحدوه، فكيف يصح أن يكونوا أرباباً وهم مأمورون مستعبدون مثلهم؟

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوّة محمد ـ ﷺ ـ بالتكذيب، بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق، يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى في الإشراق أو الإيضاءة، ليطفئه بنفخه ويطمسه، ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾: ليظهر الرسول ـ عليه السلام ـ ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: على أهل الأديان كلهم، أو ليظهر دين الحق على كل دين.

فإن قلت: كيف جاز، أبى الله إلا كذا، ولا يقال: كرهت أو أبغضت إلا زيداً[1]؟

---

٦٧٨ ـ أخرجه التّرمذي (٣٠٩٥).
وتفرد به دون أصحاب الستة.
وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب عن عطيف بن أعين، وعطيف ليس بالمعروف.
قال الحافظ: الواقدي من طريق عامر بن سعد عن عديّ بن حاتم بهذا، وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عن عطاء بن يسار عن عديّ بن حاتم، ورواه التّرمذي من طريق مصعب بن سعد عن عديّ بن حاتم بهذا وأتم منه، إلا قوله: «فتلك عبادتهم»، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب عن عطيف بن أعين، وعطيف ليس بمعروف، وأخرجه ابن أبي شيبة والطبراني والطبري وأبو يَعلى من هذا الوجه رواه البيهقي في المدخل كذلك، وزاد: «فتلك عبادتهم». انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف جاز أبىٰ الله إلا كذا ولا يقال كرهت... إلخ» قال أحمد: ولا يقال على هذا إن الإباء عدم الإرادة. فكما صح الإيجاب بعد نفي الإرادة، فينبغي أن يصح بعدما هو في =

قلت: قد أجرى: «أبى» مجرى: «لم يرد»؛ ألا ترى كيف قوبل: ﴿يريدون أن يطفئوا﴾ بقوله: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾، وكيف أوقع موقع، ولا يريد الله إلا أن: (يتمّ نوره).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)﴾

معنى أكل الأموال على وجهين: إما أن يستعار الأكل للأخذ؛ ألا ترى إلى قولهم: أخذ الطعام وتناوله، وإمّا على أن الأموال يؤكل بها فهي سبب الأكل؛ ومنه قوله [من الرجز]:

إِنَّ لَنَا أَحْمِرَةً عِجَافَا ... يَأْكُلْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِكَافَا[1]

يريد: علفاً يشترى بثمن إكاف، ومعنى أكلهم بالباطل: أنهم كانوا يأخذون الرشا في الأحكام، والتخفيف والمسامحة في الشرائع، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾: يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان؛ للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم: أخذ البراطيل، وكنز الأموال، والضنّ بها عن الإنفاق في سبيل الخير، ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين، ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى؛ تغليظاً/ ٢٩١ أ، ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت، ومن لا يعطي منكم طيب ماله: سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم، وقيل: نسخت الزكاة آية الكنز، وقيل: هي ثابتة؛ وإنما عنى بترك الإنفاق في سبيل الله منع الزكاة، وعن النبي ـ ﷺ ـ: «مَا أَدَّىٰ زَكَاتَهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ وَإِنْ كَانَ بَاطِناً، وَمَا بَلَغَ أَنْ يُزَكِّي فَلَمْ يُزَكَّ فَهُوَ كَنْزٌ وَإِنْ كَانَ ظَاهِراً» (٦٧٩)،

---

٦٧٩ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٦٦): غريب بهذا اللفظ.

وقد أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٤/ ٨٣) مرفوعاً بمعناه من حديث محمد بن كثير عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كل ما أدى زكاته فليس بكنز، وإن كان مدفوناً تحت الأرض، وكل ما لا يؤدى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً».

وقال البيهقي: ليس هذا بمحفوظ، وإنما المشهور عن سفيان عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر موقوفاً.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٧) عن ابن عمر مرفوعاً إلى النبي ﷺ بنحو حديث =

= معناها مطلقاً، لأنا نقول لوجود حرف النفي أثر في تصحيح مجيء حرف الإيجاب بعد فلا يلزم ذلك، والله أعلم.

(١) مر شرح هذا الشاهد بالجزء الأول عند تفسير آية ١٧٦ من سورة البقرة فراجعه إن شئت اهـ.

وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنّ رجلاً سأله عن أرض له باعها، فقال: أحرز مالك الذي أخذت، احفر له تحت فراش امرأتك، قال: أليس بكنز؟ قال: ما أدّى زكاته فليس بكنز (٦٨٠)، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: كل ما أدّيت زكاته، فليس بكنز، وإن كان تحت سبع أرضين، وما لم يؤدّ زكاته، فهو الذي ذكر الله ـ تعالى ـ وإن كان على ظهر الأرض (٦٨١).

فإن قلت: فما تصنع بما روى سالم بن الجعد ـ رضي الله عنه ـ أنها لما نزلت، قال

= البيهقي، وقال الهيثمي: هو في الصّحيح بنحوه، ولكنه موقوفاً على ابن عمر ـ رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سويد بن عبد العزيز وهو ضعيف.

وله شاهد من حديث أم سلمة:
أخرجه أبو داود (٢/ ٩٥): كتاب الزكاة: باب الكنز ما هو؟ وزكاة الحلى، حديث (١٥٦٤) من طريق ثابت بن عجلان عن عطاء عن أم سلمة قالت: كنت ألبس أوضاحاً من ذهب، فقلت: يا رسول الله، أكنز هو؟ فقال: ما بلغ أن تؤدي زكاته فزكي ـ فليس بكنز».
قال الحافظ: أخرجه البيهقي من طريق محمد بن جبير عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ: «كل ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً، وكل ما لا يؤدى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً». قال البيهقي: ليس هذا بمحفوظ، والمشهور عن سفيان بن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قوله. ورواه الطبراني في الأوسط وابن مردويه وابن عديّ من طريق سويد بن عبد العزيز عن عبيد الله بسنده مرفوعاً، ولفظه: «كل مال وإن كان تحت سبع أرضين يؤدى زكاته فليس بكنز، وكل مال لا يؤدى زكاته وإن كان ظاهراً فهو كنز». قال ابن عديّ: وفيه سويد وغيره يرويه موقوفاً والموقوف رواه عبد الرزاق عن عبيد الله العمري موقوفاً، والشافعي عن ابن عيينة: عن ابن عجلان عن نافع نحوه، وفي الباب عن أم سلمة قالت: «جئت ألبس أوضاحاً من ذهب، فقلت: يا رسول الله، أكنز هو؟ فقال: ما بلغ الذي يؤدي زكاته فليس بكنز» أخرجه أبو داود والحاكم. انتهى.

٦٨٠ ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤/ ١٠٨) رقم (٧١٤٦) عن ابن جريج عن يعقوب بن عبد الله بن الأشج عن بُسر بن سعيد؛ أن رجلاً باع رجلاً حائطاً له... فذكره.
وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في الزكاة عن ابن عيينة عن ابن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد أن عمر سأل رجلاً عن أرض باعها فقال له... الحديث؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٦٨).
قال الحافظ: أخرجه عبد الرزاق من طريق بشر بن سعيد؛ أن رجلاً باع حائطاً أو مالاً بمال عظيم، فقال له عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: أحسن موضع هذا المال ـ الحديث»، ورواه ابن أبي شيبة من طريق أخرى عن سعيد بن أبي سعيد أن عمر سأل رجلاً. فذكره. انتهى.

٦٨١ ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤/ ١٠٧) رقم (٧١٤١) موقوفاً على ابن عمر من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر. وكذلك الشافعي في مسنده (١/ ٢٢٣) رقم (٦١٢) عن ابن عيينة عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر، فذكر نحوه موقوفاً على ابن عمر.
والبيهقي في سننه الكبرى (٤/ ٨٢) عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر فذكر نحوه موقوفاً على ابن عمر، وقال البيهقي: هذا هو الصحيح موقوف، وكذلك رواه جماعة عن نافع، وجماعة عن عبد الله بن عمر وقد رواه سويد بن عبد العزيز وليس بالقوي عن عبد الله بن عمر مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ أ.هـ وانظر الحديث قبل السابق.
والطبري في تفسيره (٦/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) رقم (١٦٦٦٤ ـ ١٦٦٦٥ ـ ١٦٦٦٦ ـ ١٦٦٦٧) من طرق =

رسول الله ـ ﷺ ـ: «تَبًّا لِلذَّهَبِ تَبًّا لِلْفِضَّةِ» ح قالها ثلاثاً، فقالوا له: أيّ مال نتخذ؟ قال: «لساناً ذاكراً، وقلباً خاشعاً، وزوجةً تعين أحدكم على دينه» (٦٨٢)، وبقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «مَنْ تَرَكَ صَفْرَاءَ أَوْ بَيْضَاءَ كُوِيَ بِهَا (٦٨٣)، وتوفي رجل فوجد في مئزره

= عن ابن عمر موقوفاً عليه.

قال الحافظ: تقدم الكلام عليه. انتهى.

٦٨٢ ـ أخرجه التِّرمذي (٥/ ٢٧٧): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة التوبة، حديث (٣٠٩٥) وابن ماجه (١/ ٥٩٦): كتاب النكاح: باب أفضل النساء، حديث (١٨٥٦)، وأحمد في مسنده: (٥/ ٢٧٨ ـ ٢٨٢) كلهم من طرق عن سالم من أبي الجعد عن ثوبان به قال التِّرمذي: هذا حديث حسن. سألت محمد بن إسماعيل فقلت له: سالم بن أبي الجعد سمع من ثوبان؟ فقال: لا. فقلت له: ممن سمع من أصحاب النبي ﷺ؟ قال: سمع من جابر بن عبد الله وأنس بن مالك، وذكر غير واحد من أصحاب النبي ﷺ أ.هـ.

وأخرجه الطبري في تفسيره عن ثوبان (٦/ ٣٥٩) رقم (١٦٦٧٧) وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٦٩) إلى الطبراني في معجميه الأوسط والصغير؛ كما عزاه إلى الواحدي في أسباب النزول.

وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٣) فلم يذكر فيه ثوبان، وكذلك الطبري في تفسيره (٦/ ٣٥٩) رقم (١٦٦٧٦ ـ ١٦٦٧٨) عن سالم بن أبي الجعد عن عمر به.

قال الحافظ: كذا ذكره مرسلاً. وهو معروف من رواية سالم بن ثوبان أخرجه الطبري والطبراني في الأوسط من طريق موئل بن إسماعيل عن الثوري عن الأعمش ومنصور وعمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان بهذا، ورواه التِّرمذي وأحمد في الزهد من رواية إسرائيل عن منصور ومده به، وليس فيه: «تبا للذهب تبا للفضة، بل فيه: فقال بعض أصحابه: «لو علمنا أي المال خير فنتخذه» قال البخاري وغيره: سالم لم يسمع من ثوبان، ورواه ابن ماجه وأحمد وأبو نعيم في الحلية من رواية عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبيه عن سالم عن ثوبان قال: «لما نزلت قالوا: فأي المال نتخذ؟ قال عمر: فأنا أعلم لكم ذلك فأوضع على بعيره فأدرك النبي ﷺ وأنا في أثره فقال: يا رسول الله أي المال نتخذ؟ـ الحديث»، وفي الباب عن علي أخرجه عبد الرزاق عن الثوري عن أبي حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن سبرة عنه، وعن بريدة أخرجه ابن مردويه من رواية الحكم بن ظهير عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه. وعن بعض الصحابة أخرجه أحمد من رواية سعيد عن سالم بن عطية عن عبد الله بن عطية عن عبد الله بن أبي الهذيل حدثني صاحب لي أن رسول الله ﷺ قال: «تبا للذهب تبا للفضة»، فحدثني صاحبي أنه انطلق مع عمر، فقال: يا رسول الله. فذكر نحوه. انتهى.

٦٨٣ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٧١): روى من حديث أبي ذر، ومن حديث أبي أمامة أ.هـ.

فحديث أبي ذر:

أخرجه الطبري في تفسيره: (٦/ ٣٥٩)، رقم (١٦٦٧٥)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٤٢٠)، والبخاري في تاريخه الوسط وابن مردويه في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٧٢).

أما حديث أبي أمامة:

أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٨/ ١٦٨) رقم (٧٦٣٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٢٨)، وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه بقية وهو مدلس. =

دينار، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كيَّةٌ»، وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران، فقال «كيَّتَانِ» (٦٨٤).

قلت: كان هذا قبل أن تفرض الزكاة، فأمّا بعد فرض الزكاة، فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالاً من حيث أذن له فيه، ويؤدّي عنه ما أوجب عليه فيه، ثم يعاقبه، ولقد كان كثير من الصحابة كـ «عبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وعبيد الله» ـ رضي الله عنهم ـ يقتنون الأموال، ويتصرفون فيها، وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية؛ لأنّ

= وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٤٢٠)، وعزاه إلى ابن مردويه في تفسيره.
قال الحافظ:
أخرجه البخاري في التاريخ والطبري وابن مردويه من طريق عبد الله بن عبد الواحد الثقفي عن أبي النجيب الشامي: «كان نعل سيف أبي هريرة من فضة، فنهاه عنه أبو ذر، وقال: إن رسول الله ﷺ قال: من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها» وفي الباب عن أبي أمامة، أخرجه الطبراني بلفظ: «ما من عبد يموت فيترك صفراء أو بيضاء إلا كوي بها»، وعن ثوبان أخرجه ابن مردويه والطبراني في مسند الشاميين من رواية أرطأة بن المنذر عن ابن عامر عنه، بلفظ: «ما من أحد يترك صفراء أو بيضاء من ذهب أو فضة إلا جعل صفائح ثم كوي بها». انتهى.

٦٨٤ ـ أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢ و٢٥٣ و٢٥٨)، والطبراني في معجمه (٨/ ١٤٨) رقم (٧٥٧٣ ـ ٧٥٧٤)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٤)، والطبري في تفسيره (٦/ ٣٥٩) رقم (١٦٦٧٩)، وذكره الهيثمي في المجمع (٣/ ١٢٨) و(١٠/ ٢٤٣)؛ كلهم من طرق عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة به.
قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٤٣): رواه أحمد بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح غير شهر ابن حوشب وقد وثق أ.هـ ولم ينسبه الهيثمي إلى الطبراني.
وقال في: (٣/ ١٢٨): رواه الطبراني في الكبير، وبعض طرقه رجاله رجال الصحيح غير شهر بن حوشب وهو ثقة وفيه كلام.
وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٣١٠) برقم (٨٠٠٨) عن شعبة عن عبد الرحمن بن العداء عن أبي أمامة به، وله شاهد من حديث ابن مسعود:
أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥ و٤١٢ و٤١٥ و٤٢١)، وأبو يَعلى (٨/ ٤١٥ ـ ٤١٦) رقم (٤٩٩٧) من طرق عن عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود به، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٣)، وقال: رواه أحمد وأبو يَعلى ورجالهما رجال الصّحيح غير عاصم بن بهدلة وقد وثق.
وأخرجه أحمد (١/ ٤٥٧)، وأبو يَعلى: (٨/ ٤٥١ ـ ٤٥٢) رقم (٥٠٣٧)، وابن حِبان (٨/ ٥٤) رقم (٣٢٦٣)؛ كلهم من طرق عن حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود به.
وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٤٣)، وقال: رواه أحمد وأبو يَعلى والبزار، وفيه عاصم بن بهدلة، وقد وثقه غير واحد، وبقية رجاله رجال الصحيح.
قال الحافظ: أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، وأبو يَعلى، والطبراني، والطبري من طريق شهر بن حوشب عن أبي أمامة بلفظ مروة في الموضعين. ورواه ابن حِبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بالشطر الثاني. انتهى.

الإعراض اختيار للأفضل، وإلا دخل في الورع والزهد في الدنيا، والاقتناء مباح موسع لا يذمّ صاحبه، ولكل شيء حدّ، وما روي عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: أربعة آلاف فما دونها نفقة، فما زاد فهو كنز (٦٨٥): كلام في الأفضل.

فإن قلت: لم قيل: ولا ينفقونها، وقد ذكر شيئان؟

قلت: ذهاباً بالضمير إلى المعنى دون اللفظ؛ لأن كل واحد منهما جملة وافية، وعدة كثيرة، ودنانير ودراهم، فهو كقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩]، وقيل: ذهب به إلى الكنوز، وقيل: إلى الأموال، وقيل: معناه: ولا ينفقونها والذهب[١]؛ كما أن معنى قوله [من الطويل]:

.... فَــإِنِّــي وَقَــيَّــارٌ بِــهَــا لَــغَــرِيــبُ[٢]

وقيار كذلك.

فإن قلت: لم خصا بالذكر من بين سائر الأموال؟

قلت: لأنهما قانون التمول وأثمان الأشياء، ولا يكنزهما إلا من فضل عن حاجته، ومن كثر عنده حتى يكنزهما، لم يعدم سائر أجناس المال، فكان ذكر كنزهما دليلاً على ما سواهما.

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾؟ وهلا قيل: تحمى، من قولك: حمى الميسم[٣] وأحميته، ولا تقول: أحميت على الحديد؟

قلت:/ ٢٩١ب معناه أن النار تحمى عليها، أي: توقد ذات حمى وحرّ شديد، من قوله: (نار حامية)، ولو قيل: يوم تحمى، لم يعط هذا المعنى.

فإن قلت: فإذا كان الإحماء للنار، فلم ذكر الفعل؟

قلت: لأنه مسند إلى الجار والمجرور، أصله: يوم تحمى النار عليها، فلما حذفت

---

٦٨٥ ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠٩/٤) رقم (٧١٥٠)، والطبري في تفسيره: (٣٥٨/٦) رقم (١٦٦٧٢ ـ ١٦٦٧٣).

وذكره الثعلبي والبغوي في تفسيريهما؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٧٣/٢).

قال الحافظ: أخرجه عبد الرزاق والطبري بإسناده الحاضر، عن علي ـ رضي الله عنه ـ قبل بحديثين. انتهى.

---

(١) قوله: «والذهب» لعله و«الذهب كذلك» (ع).

(٢) تقدم.

(٣) قال محمود: «إن قلت: هلا قيل تحمى، كما يقال: حمى الميسم وأحميته... إلخ» قال أحمد: وفي هذا الفصل دقائق إعراب يشوب حسنها إغراب، والله الموفق.

النار قيل: يحمى عليها؛ لانتقال الإسناد عن النار إلى عليها، كما تقول: رفعت القصة إلى الأمير، فإن لم تذكر القصة، قلت: رفع إلى الأمير، وعن ابن عامر أنه قرأ: «تحمى»، بالتاء، وقرأ أبو حيوة: «فيكوى» بالياء.

فإن قلت: لم خصت هذه الأعضاء؟

قلت: لأنهم لم يطلبوا بأموالهم ـ حيث لم ينفقوها في سبيل الله ـ إلا الأغراض الدنيوية، من وجاهة عند الناس، وتقدّم، وأن يكون ماء وجوههم مصوناً عندهم، يتلقون بالجميل، ويحيون بالإكرام، ويبجلون ويحتشمون، ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم، ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم؛ كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم، لا يخطرون ببالهم قول رسول الله ـ ﷺ ـ: «ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ» (٦٨٦)، وقيل: لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمهم وإياه مجلس زوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم، وقيل: معناه يكون على الجهات الأربع مقاديمهم، ومآخيرهم، وجنوبهم، ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾: على إرادة القول، وقوله: ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: كنزتموه لتنتفع به نفوسكم، وتلتذ وتحصل لها الأغراض التي حامت حولها، وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم، ﴿فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾، وقرىء: «تكنُزون»، بضم النون، أي: وبال المال الذي كنتم تكنزونه، أو: وبال كونكم كانزين.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: فيما أثبته، وأوجبه من حكمه ورآه حكمة وصواباً، وقيل: في

---

٦٨٦ ـ أخرجه مسلم (٤/ ٩٨): كتاب الزكاة: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث (٥٣/ ١٠٠٦)، وابن ماجه (١/ ٢٩٩): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، حديث (٩٢٧) من حديث أبي ذر، فذكره.
وأخرجه البخاري (٢/ ٣٧٨): كتاب الآذان: باب الذكر بعد الصلاة، حديث (٨٤٣) وطرفه في (٦٣٢٩) من حديث أبي هريرة به.
وأخرجه أبو داود (٢/ ٨٢) كتاب الصلاة: باب التسبيح بالحصى من حديث أبي هريرة وأبي ذر معاً.
قال الحافظ: أخرجه مسلم من طريق أبي الأسود عن أبي ذر: «أن أناساً من أصحاب النبي ﷺ: قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ـ الحديث. انتهى.

اللوح، ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: ثلاثة سرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، وواحد فرد، وهو رجب، ومنه قوله ـ عليه السلام ـ في خطبته في حجة الوداع: «أَلاَ إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ ٱسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ» (٦٨٧) السنة اثنا عشر شهراً: منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، والمعنى: رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه، وعاد الحج في ذي الحجة، وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية، وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة، وكانت حجة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ قبلها في ذي القعدة، ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ يعني: أنّ تحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم، دين إبراهيم وإسماعيل، وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما، وكانوا يعظمون الأشهر الحرم، ويحرمون القتال فيها، حتى لو لقي الرجل قاتل/ ٢٩٢أ أبيه أو أخيه لم يهجه، وسموا رجباً: الأصم ومنصل الأسنة، حتى أحدثت النسيء فغيروا، ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ﴾: في الحرم، ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا تجعلوا حرامها حلالاً، وعن عطاء: تالله، ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم، ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا، وما نسخت، وعن عطاء الخراساني ـ رضي الله عنه ـ: حلت القتال في الأشهر الحرم براءة من الله ورسوله؛ وقيل: معناه: لا تأثموا فيهن، بياناً لعظم حرمتهن، كما عظم أشهر الحج

---

٦٨٧ ـ أخرجه البخاري (١/ ١٩٠) كتاب العلم: باب قول النبي ﷺ «رب مبلّغ أوعى من سامع» حديث (٦٧)، (١/ ٢٤٠) كتاب العلم: باب ليبلّغ العلم الشاهد الغائب حديث (١٠٥) (٤/ ٦٧٠) كتاب الحج: باب الخطبة أيام منى حديث (١٧٤١)، (٦/ ٣٣٨) كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في سبع أرضين حديث (٣١٩٧)، (٧/ ٧١١) كتاب المغازي: باب حجة الوداع حديث (٤٤٠٦)، (١٠/ ١٠) كتاب الأضاحي: باب الأضحى يوم النحر حديث (٥٥٥٠)، (١٣/ ٢٩) كتاب الفتن: باب قول النبي ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» حديث (٧٠٧٨)، (١٣/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤) كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة) حديث (٧٤٤٧).
ومسلم (٣/ ١٣٠٥ ـ ١٣٠٧) كتاب القسامة: باب تغليظ تحريم الدماء حديث (٢٩، ٣٠، ٣١/ ١٦٧٩) وأبو داود (١/ ٥٩٩) كتاب المناسك: باب الأشهر الحرم حديث (١٩٤٨) وابن ماجه مختصراً (١/ ٨٥) المقدمة: باب من بلغ علماً حديث (٢٣٣) وأحمد (٥/ ٣٧، ٤٥، ٤٩) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٨٣٣) والبيهقي (٥/ ١٤٠) كتاب الحج: باب الخطبة يوم النحر، كلهم من طريق محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه مرفوعاً.
تنبيه: سقط من إسناد ابن الجارود أبي بكرة ولعله سهو من طابع أو ناسخ مرفوع محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ.
وعبد الرحمن ليس هو القائل وليست له صحبة.
قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي بكرة وفي الباب عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أخرجه الطبري من رواية موسى بن عبيدة عن صدقة بن يسار عنه بلفظ المصنف، وهو ضعيف. وعن ابن عباس أخرجه ابن مردويه. انتهى.

بقوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ . . . الآية [البقرة: ١٩٧]، وإن كان ذلك محرماً في سائر الشهور، ﴿كَآفَّةً﴾: حال من الفاعل أو المفعول، ﴿مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: ناصر لهم، حثهم على التقوى بضمان النصر لأهلها.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٣٧)﴾

والنسيء: تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر؛ وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات، فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون، شق عليهم ترك المحاربة، فيحلونه ويحرمون مكانه شهراً آخر، حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم، فكانوا يحرمون من شق شهور العام أربعة أشهر؛ وذلك قوله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي: ليوافقوا العدّة التي هي الأربعة، ولا يخالفوها، وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين، وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر؛ ليتسع لهم الوقت؛ ولذلك قال عز وعلا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ يعني: من غير زيادة زادوها، والضمير في: يحلونه، ويحرمونه للنسيء، أي: إذا أحلوا شهراً من الأشهر الحرم عاماً، رجعوا فحرموه في العام القابل، وروي أنه حدث ذلك في كنانة؛ لأنهم كانوا فقراء محاويج إلى الغارة، وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعاً في الجاهلية، وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته: إنّ آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه، ثم يقوم في القابل فيقول: إن آهلتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه، جعل النسيء زيادة في الكفر؛ لأن الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفراً، فزادتهم رجساً إلى رجسهم، كما أن المؤمن إذا أحدث الطاعة ازداد إيماناً، ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقرىء: (يضل): على البناء للمفعول، و(يَضَل): بفتح الياء والضاد، و(يضل): على أن الفعل لله ـ عزّ وجلّ ـ وقرأ الزهري: «ليوطئوا» بالتشديد والنسيء: مصدر نسأه إذا أخره، يقال: نسأه، نسأ، ونساء، ونسيئاً؛ كقولك: مسه، مساً، ومساساً، ومسيساً، وقرىء بهنّ جميعاً، وقرىء: «النسى»، بوزن الندى، و«النسي» بوزن النهي، وهما تخفيف النسيء والنسء.

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾؟

قلت: معناه فيحلوا بمواطأة العدّة وحدها من غير تخصيص ما حرّم الله من القتال، أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها/ ٢٩٢ ب، ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾: خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾ أي: لا يلطف بهم بل يخذلهم، وقرىء:

«زين لهم سوء أعمالهم»، على البناء للفاعل، وهو الله، - عزّ وجلّ -.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾: تثاقلتم، وبه قرأ الأعمش، أي: تباطأتم وتقاعستم، وضمن معنى الميل والإخلاد فعدى بإلى، والمعنى: ملتم إلى الدنيا وشهواتها، وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه؛ ونحوه: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقيل: ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم، وقرىء: «اثاقلتم»؟ على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ.

فإن قلت: فما العامل في: «إذا»، وحرف الاستفهام مانعة أن يعمل فيه(١)؟

قلت: ما دلّ عليه قوله: (اثاقلتم)، أو ما في: (مالكم) من معنى الفعل، كأنه قيل: ما تصنعون إذا قيل لكم كما تعمله في الحال إذا قلت: مالك قائماً، وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف، استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو، فشق عليهم، وقيل: ما خرج رسول الله - ﷺ - في غزوة إلا ورّى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك (٦٨٨)؛ ليستعدّ الناس تمام العدة، ﴿مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي:

---

٦٨٨ - أخرجه البخاري (٨/ ٤٥٢): كتاب المغازي: باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾، حديث (٤٤١٨)، ومسلم (٩/ ١٠٠ - النووي): كتاب التوبة: باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث (٥٣/ ٢٧٦٩)، والترمذي (٥/ ٢٨١): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة التوبة حديث (٣١٠٢) مختصراً عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه فذكره. =

---

(١) قوله: «وحرف الاستفهام» لعله: وأحرف الاستفهام، بدليل قوله: «مانعة». وقوله: «أن يعمل فيه» لعله: أن يعمل فيه «اثاقلتم».

بدل الآخرة؛ كقوله: ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً﴾ [الزخرف: ٦٠]، ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾: في جنب الآخرة، ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟﴾: سخط عظيم على المتثاقلين[1]؛ حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين، وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوماً آخرين خيراً منهم وأطوع، وأنه غني عنهم في نصرة دينه، لا يقدح تثاقلهم فيها شيئاً، وقيل: الضمير للرسول، أي: ولا تضروه؛ لأنّ الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره، ووعد الله كائن لا محالة، وقيل: يريد بقوله: (قوما غيركم): أهل اليمن، وقيل: أبناء فارس، والظاهر مستغن عن التخصيص.

فإن قلت: كيف يكون قوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ جواباً للشرط؟

قلت: فيه وجهان.

أحدهما: إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من الواحد، فدلّ بقوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ على أنه ينصره في المستقبل، كما نصره في ذلك الوقت.

والثاني: أنه أوجب له النصرة وجعله منصوراً في ذلك الوقت، فلن يخذل من بعده، وأسند الإخراج إلى الكفار، كما أسند إليهم في قوله: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣]؛ لأنهم حين هموا بإخراجه، أذن الله له في الخروج، فكأنهم أخرجوه، ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾: أحد اثنين؛ كقوله: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٤]، وهما رسول الله ـ ﷺ ـ وأبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يروى أنّ جبريل ـ عليه السلام ـ لما أمره بالخروج، قال: من يخرج معي؟ قال: أبو بكر، وانتصابه على الحال، وقرىء: «ثاني اثنين»، بالسكون، و﴿إِذْ هُمَا﴾: بدل من إذ أخرجه، والغار: ثقب في أعلى ثور، وهو جبل في يمين مكة/ ٢٩٣أ على مسيرة ساعة، مكثا فيه ثلاثاً، ﴿إِذْ يَقُولُ﴾: بدل ثان، قيل: طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ـ فقال: إن تصب اليوم ذهب دين الله، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا» (٦٨٩)، وقيل: لما دخلا الغار، بعث الله ـ تعالى ـ حمامتين فباضتا في

= قال الحافظ: متفق عليه من حديث كعب بن مالك. انتهى.

٦٨٩ ـ قال ابن حجر: لم أجده هكذا. أ.هـ والحديث أخرجه البخاري (٧/ ٣٥٥): كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة رضي الله عنه، =

---

(١) قال محمود: «في هذه الآية سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم عذاباً أليماً... إلخ» قال أحمد: ويقرب إعادة الضمير إلى الرسول أن الضمير في قوله (إلا تنصروه) عقيب ذلك عائد إليه اتفاقاً، والله أعلم.

أسفله، والعنكبوت فنسجت عليه (٦٩٠)، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «اللَّهُمَّ، أَعْمِ أَبْصَارَهُمْ» (٦٩١)، فجعلوا يتردّدون حول الغار ولا يفطنون، وقد أخذ الله بأبصارهم عنه، وقالوا: من أنكر صحبة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقد كفر؛ لإنكاره كلام الله، وليس ذلك لسائر الصحابة، ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾: ما ألقى في قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه، والجنود: الملائكة يوم بدر، والأحزاب وحنين، وكلمة الذين كفروا: دعوتهم إلى الكفر، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾: دعوته إلى الإسلام، وقرىء: ﴿وَكَلِمَةَ ٱللَّهِ﴾: بالنصب، والرفع أوجه، و﴿هي﴾: فصل أو مبتدأ، وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلوّ، وأنها المختصة به دون سائر الكلم، ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾: خفافاً في النفور لنشاطكم له، وثقالاً عنه لمشقته عليكم، أو خفافاً؛ لقلة عيالكم وأذيالكم، وثقالاً؛ لكثرتها، أو خفافاً

= حديث (٣٦٥٣)، وطرفاه في (٣٩٢٢، ٤٦٦٣)، ومسلم (٨/ ١٦٠ ـ النووي): كتاب فضائل الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، حديث (١/ ٢٣٨١)، والتِّرمذي (٥/ ٢٧٨): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة التوبة، حديث (٣٠٩٦)، كلهم من طريق همام عن ثابت عن أنس عن أبي بكر به.

وقال التِّرمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، إنما يعرف من حديث همام تفرد به، وقد روى هذا الحديث حِبان بن هلال، وغير واحد عن همام نحو هذا.

قال الحافظ: لم أجده هكذا. وفي الصحيحين عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال: «نظرت إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن في الغار. فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا. فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما. انتهى.

٦٩٠ ـ أخرجه البزار (٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠) رقم (١٧٤١).

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٥٥ ـ ٥٦) وقال: رواه البزار والطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم.

وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٧٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٨١ ـ ٤٨٢)، وأبو نعيم في دلائل النبوة ص (٢٣٤).

كلهم من طريق أبي مصعب المكي قال: أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يحدثون أن النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله سبحانه وتعالى شجرة فنبت على وجه الغار... الحديث».

وله شاهد من حديث ابن عباس:

أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٨٩) رقم (٩٧٤٣).

قال الحافظ: أخرجه البزار من طريق عوف بن عمرو عن أبي مصعب المكي: سمعت أنس بن مالك وغيره: «أن النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله تعالى صخرة فثبتت في وجه النبي ﷺ فسترته، وأمر العنكبوت فنسجت في وجهه فسترته. وأمر حَمَامَتَينِ وحشيتين فوقفتا بفم الغار... الحديث» انتهى.

٦٩١ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٧٧): قوله ـ عليه السلام ـ: «اللهم أعم أبصارهم»، لم أجده. وقال ابن حجر: لم أجده. انتهى.

من السلاح وثقالاً منه، أو ركباناً ومشاة، أو شباباً وشيوخاً، أو مهازيل وسماناً، أو صحاحاً ومراضاً، وعن ابن أمّ مكتوم أنه قال لرسول الله ـ ﷺ ـ: أعليَّ أن أنفر؟ قال: نَعَمْ، حتى نزل قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧] (٦٩٢)، وعن ابن عباس: نسخت بقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة: ٩١] وعن صفوان بن عمرو: كنت والياً على حمص، فلقيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو، فقلت: يا عمّ، لقد أعذر الله إليك، فرفع حاجبيه، وقال: يابن أخي، استنفرنا الله خفافاً وثقالاً، إلا أنه من يحبه الله يبتله، وعن الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو، وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل صاحب ضرر، فقال: استنفرنا الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع، ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾: إيجاب للجهاد بهما إن أمكن، أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

العرض: ما عرض لك من منافع الدنيا، يقال: الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر؛ أي: لو كان ما دعوا إليه غنماً قريباً سهل المنال، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: وسطاً مقارباً، ﴿ٱلشُّقَّةُ﴾: المسافة الشاطة الشاقة، وقرأ عيسى بن عمر: «بعِدَت عليهم الشِّقة»، بكسر العين والشين؛ ومنه قوله [من الطويل]:

يَـقُـولُـونَ لاَ تَـبْـعَـدْ وَهُـمْ يَـدْفِـنُـونَـهُ وَلاَ بُـعْـدَ إِلاَّ مَـا تُـوَارِي الـصَّـفَـائِـحُ[1]

﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلق بسيحلفون، أو هو من جملة كلامهم، والقول مراد في الوجهين، أي: سيحلفون، يعني: المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون/ ٢٩٣ب بالله، ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾: أو سيحلفون بالله يقولون: لو استطعنا، وقوله:

---

٦٩٢ ـ تقدم تخريجه برقم (٤٥٨).

---

(١) يقال «بعد» ككرم وتعب، ومصدرهما: البعد بفتحتين، وبضم فسكون. وقد اشتهر باب تعب في معنى الهلاك، ولا تبعد ـ بالفتح ـ كلمة جارية على لسانهم عند المصيبة، دالة على تناهي الجزع، ولا بعد: معناه لا بعد إلا بعد ما تواريه الصفائح. أو ولا ذو بعد إلا ما تواريه. أو لا بعيد إلا ما تواريه، على أن المصدر بمعنى الوصف. واستعمل «ما» في العاقل، لأن المراد بها الوصف. أو المراد بها الأجسام والأشباح مجردة عن الإدراكات والأرواح. والصفائح: أحجار عراض يسقف بها القبر، أي البعيد، حقيقته هو ما يستره القبر، كناية عن موته.
ينظر البيت في الدر المصون ٤/ ١٠٣.

(لخرجنا): سدّ مسدّ جوابي القسم ولو جميعاً، والإخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم، وقد كان من جملة المعجزات، ومعنى الاستطاعة: استطاعة العدّة، أو استطاعة الأبدان، كأنهم تمارضوا، وقرىء: لو استطعنا، بضم الواو تشبيهاً لها بواو الجمع في قوله: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ [الجمعة: ٧]، ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: إما أن يكون، بدلاً من سيحلفون، أو حالاً بمعنى: مهلكين، والمعنى: أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب، وما يحلفون عليه من التخلف، ويحتمل أن يكون حالاً من قوله: (لخرجنا) أي: لخرجنا معكم، وإن أهلكنا أنفسنا، وألقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة، وجاء به على لفظ الغائب؛ لأنه مخبر عنهم؛ ألا ترى أنه لو قيل: سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا، لكان سديداً، يقال: حلف بالله ليفعلنّ ولأفعلنّ، فالغيبة على حكم الإخبار، والتكلم على الحكاية.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾: كناية عن الجناية؛ لأنّ العفو رادف لها[١]، ومعناه: أخطأت وبئس ما فعلت[٢]، و﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾: بيان لما كنى عنه بالعفو، ومعناه: مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ﴾: من صدق في عذره ممن كذب فيه، وقيل: شيئان فعلهما رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه من الأسارى فعاتبه الله، تعالى.

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾: ليس من عادة المؤمنين[٣] أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، وكان

---

(١) قال محمود: «هذا كناية عن الجناية، لأن العفو رادف لها. . . إلخ» قال أحمد رحمه الله: ليس له أن يفسر هذه الآية بهذا التفسير، وهو بين أحد أمرين: إما أن لا يكون هو المراد. وإما أن يكون هو المراد، ولكن قد أجل الله نبيه الكريم عن مخاطبته بصريح العتب، وخصوصاً في حق المصطفى عليه الصلاة والسلام، فالزمخشري على كلا التقديرين ذاهل عما يجب من حقه عليه الصلاة والسلام. ولقد أحسن من قال هذه الآية: إن من لطف الله تعالى بنبيه أن بدأه بالعفو قبل العتب، ولو قال له ابتداء: لم أذنت لهم؟ لتفطر قلبه عليه الصلاة والسلام، فمثل هذا الأدب يجب احتذاؤه في حق سيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام.

(٢) قوله: «ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت» خاطب الله رسوله خطاب الرقة والرأفة، وفسره المصنف بخطاب الغلظة والقسوة، وشتان مابينهما.

(٣) عاد كلامه: قال: وقوله ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا﴾ =

الخلص من المهاجرين والأنصار يقولون: لا نستأذن النبي أبداً، ولنجاهدنّ أبداً معه بأموالنا وأنفسنا، ومعنى: ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ في أن يجاهدوا، أو كراهة أن يجاهدوا، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾: شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين، وعدة لهم بأجزل الثواب.

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ يعني: المنافقين، وكانوا تسعة وثلاثين رجلاً، ﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾: عبارة عن التحير؛ لأن التردّد ديدن المتحير، كما أنّ الثبات والاستقرار ديدن المستبصر، قرىء: «عُدَّهُ»، بمعنى: «عُدَّتَهُ»؛ فعل بالعُدَّةِ ما فعل بالعِدَّةِ مَنْ قَالَ: [الطويل]

وَأَخْـلَـفُـوكَ عِـدَ الأَمْـرِ الَّـذِي وَعَـدُوا[1]

من حذف تاء التأنيث، وتعويض المضاف إليه منها، وقرىء: «عِدَّة»، بكسر العين بغير إضافة، وعدّه بإضافة.

فإن قلت: كيف موقع حرف الاستدراك؟

قلت: لما كان قوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ﴾: معطياً معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو، قيل: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾، كأنه قيل: ما خرجوا، ولكن تثبطوا عن الخروج؛ لكراهة انبعاثهم؛ كما تقول: ما أحسن إليّ زيد، ولكن أساء إليّ، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾:

= ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾... الآية قال: معناه ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا... إلخ» قال أحمد: وهذا الأدب يجب أن يقتفى مطلقاً، فلا يليق بالمرء أن يستأذن أخاه في أن يسدي إليه معروفاً، ولا بالمضيف أن يستأذن ضيفه في أن يقدم إليه طعاماً؛ فإن الاستئذان في أمثال هذه المواطن أمارة التكلف والتكره، وصلوات الله على خليله وسلامه لقد بلغ من كرمه وأدبه مع ضيوفه، إنه كان لا يتعاطى شيئاً من أسباب التهيؤ للضيافة بمرأى منهم، فلذلك مدحه الله تعالى على لسان رسوله ﷺ بهذه الخلة الجميلة والآداب الجليلة، فقال تعالى ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ أي ذهب على خفاء منهم كيلا يشعروا به، والمهتم بأمر ضيفه بمرأى منه ربما يعد كالمستأذن له في الضيافة، فهذا من الآداب التي ينبغي أن يتمسك بها ذوو المروءة وأولو الفتوة، وأشد من الاستئذان في الخروج للجهاد ونصرة الدين التثاقل عن المبادرة إليه بعد الحض عليه والمناداة، وأسوأ أحوال المتثاقل ـ وقد دعي الناس إلى الغزاة ـ أن يكون متمسكاً بشعبة من النفاق نعوذ بالله من التعرف لسطخه.

(١) تقدم.

فكسلهم، وخذلهم، وضعف رغبتهم في الانبعاث/ ٢٩٤أ، ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا﴾: جعل إلقاء الله في قلوبهم كراهة الخروج أمراً بالقعود، وقيل: هو قول الشيطان بالوسوسة، وقيل: هو قولهم لأنفسهم، وقيل: هو إذن رسول الله ـ ﷺ ـ لهم في القعود.

فإن قلت: كيف جاز أن يوقع الله ـ تعالى ـ في نفوسهم كراهة الخروج إلى الغزو وهي قبيحة، وتعالى الله عن إلهام القبيح(١)؟

قلت: خروجهم كان مفسدة؛ لقوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ فكان إيقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسناً ومصلحة.

فإن قلت: فلم خطأ رسول الله ـ ﷺ ـ في الإذن لهم فيما هو مصلحة؟

قلت: لأنّ إذن رسول الله ـ ﷺ ـ لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها إلا بعد القفول بإعلام الله تعالى؛ ولكن لأنهم استأذنوه في ذلك واعتذروا إليه، فكان عليه أن يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوّز في قبولها، فمن ثم أتاه العتاب، ويجوز أن يكون في ترك رسول الله ـ ﷺ ـ الإذن لهم مع تثبيط الله إياهم مصلحة أخرى، فبإذنه لهم فقدت تلك المصلحة، وذلك أنهم إذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا، وكان قعودهم بغير إذن من رسول الله ـ ﷺ ـ قامت عليهم الحجة، ولم تبق لهم معذرة، ولقد تدارك الله ذلك؛ حيث هتك أستارهم، وكشف أسرارهم، وشهد عليهم بالنفاق، وأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾(٢)؟

قلت: هو ذمّ لهم وتعجيز، وإلحاق بالنساء، والصبيان، والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت، وهم القاعدون، والخالفون، والخوالف، ويبينه قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٨٧]. ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾: جنس من الاستثناء المنقطع في شيء

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف جاز أن يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج للغزو... إلخ» قال أحمد: وهذا الفصل من كلامه مبني على قاعدتين فاسدتين: إيجاب مراعاة المصالح على الله تعالى، والتحسين والتقبيح. وقد تكرر بطلان ذلك فاحذره. واعلم أن معتقد أهل السنة أن الله تعالى ألقى كراهة الخروج في قلوبهم، لأنه أراد شقاوتهم، وانضاف إلى ذلك إرادة راحة المخلصين من مرافقتهم؛ إذ الأمر ليس شرطاً في نفوذ المشيئة، والله الموفق.

(٢) عاد كلامه: قال: «فإن قلت فما معنى قوله مع القاعدين... إلخ» قال أحمد: وهذا من تنبيهاته الحسنة، ونزيده بسطاً فنقول: لو قيل اقعدوا مقتصراً عليه، لم يفد سوى أمرهم بالقعود، وكذلك: كونوا مع القاعدين، ولا تحصل هذه الفائدة مع إلحاقهم بهؤلاء الأصناف الموصوفين عند الناس بالتخلف والتقاعد، الموسومين بهذه السمة، إلا من عبارة الآية، ولعن الله فرعون: لقد بالغ في توعد موسى عليه السلام بقوله: لأجعلنك من المسجونين، ولم يقل: لأجعلنك مسجوناً، لمثل هذه النكتة من المبالغة.

كما يقولون؛ لأن الاستثناء المنقطع هو: أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه؛ كقولك: ما زادوكم خيراً إلا خبالاً، والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور، وإذا لم يذكر، وقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء، فكان استثناء متصلاً؛ لأنّ الخبال بعض أعمّ العام، كأنه قيل: ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً، والخبال، الفساد والشرّ، ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾: ولسعوا بينكم بالتضريب[1]، والنمائم، وإفساد ذات البين؛ يقال: وضع البعير وضعاً إذا أسرع وأوضعته أنا، والمعنى: ولأوضع ركائبهم بينكم، والمراد: الإسراع بالتمائم؛ لأنّ الراكب أسرع من الماشي، وقرأ ابن الزبير ـ رضي الله عنه ـ: «ولأرقصوا»، من رقصت الناقة رقصاً إذا أسرعت وأرقصتها؛ قال [من الكامل]:

.... وَالرَّاقِصَاتِ إِلَىٰ مِنًى فَالْغَبْغَبِ[2]

وقرىء: «ولأوفضوا».

فإن قلت: كيف خطّ في المصحف: «ولا أوضعوا»، بزيادة ألف؟

قلت: كانت الفتحة تكتب ألفاً قبل الخط العربي، والخط العربي اخترع قريباً من نزول القرآن، وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطباع، فكتبوا صورة الهمزة ألفاً، وفتحتها ألفاً/ ٢٩٤ب أخرى، ونحو: أولا أذبحنه، ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾: يحاولون أن يفتنوكم، بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم، ويفسدوا نياتكم في مغزاكم، ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ أي: نمامون، يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم، أو فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم، ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾ أي: العنت، ونصب الغوائل، والسعي في تشتيت شملك، وتفريق أصحابك عنك، كما فعل عبد الله بن أبيّ يوم أحد، حين انصرف بمن معه، وعن ابن جريج ـ رضي الله عنه ـ: وقفوا لرسول الله ـ ﷺ ـ على الثنية ليلة العقبة، وهم اثنا عشر رجلاً ليفتكوا به، ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل غزوة تبوك، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾: ودبروا لك الحيل والمكايد، ودوّروا الآراء في إبطال أمرك، وقرىء: «وقلبوا» بالتخفيف، ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾: وهو تأييدك ونصرك، ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: وغلب دينه وعلا شرعه.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿ائْذَن لِّي﴾: في القعود، ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾: ولا توقعني في الفتنة وهي الإثم، بألاّ تأذن

---

(١) قوله: «بالتضريب» أي بالإغراء (ع).

(٢) ينظر البحر المحيط (٥/ ٥٠)، اللسان «غبب»؛ معجم البلدان (٤/ ١٨٦) «الغبغب»، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٢/ ٦٠)، وتاج العروس (غبب)، الدر المصون (٣/ ٤٧٠).

لي؛ فإني إن تخلفت بغير إذنك، أثمت، وقيل: ولا تلقني في الهلكة؛ فإني إذاخرجت معك، هلك مالي، وعيالي، وقيل: قال الجدّ بن قيس: قد علمت الأنصار أني مستهتر بالنساء[1]، فلا تفتني ببنات الأصفر، يعني: نساء الروم؛ ولكني أعينك بمال فاتركني، وقرىء: «ولا تفتني»، من أفتنه، ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ أي: إنّ الفتنة هي التي سقطوا فيها، وهي فتنة التخلف، وفي مصحف أبيّ ـ رضي الله عنه ـ: «سقط»؛ لأنّ: «من» موحد اللفظ مجموع المعنى، ﴿لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني: أنها تحيط بهم يوم القيامة، أو هي محيطة بهم الآن؛ لأنّ أسباب الإحاطة معهم فكأنهم في وسطها.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ (٥٠)﴾

﴿إِن تُصِبْكَ﴾: في بعض الغزوات، ﴿حَسَنَةٌ﴾: ظفر وغنيمة، ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: نكبة وشدّة في بعضها نحو ما جرى في يوم أحد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك، و﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ أي: أمرنا الذي نحن متسمون به، من الحذر، والتيقظ، والعمل بالحزم، ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل ما وقع، وتولوا عن مقام التحدّث بذلك، والاجتماع له إلى أهاليهم، ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾: مسرورون، وقيل: تولوا: أعرضوا عن رسول الله ـ ﷺ ـ.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (٥١)﴾

قرأ ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «قل هل يصيبنا»، وقرأ طلحة ـ رضي الله عنه ـ: «هل يصيبنا»، بتشديد الياء، ووجهه أن يكون: «يفيعل»، لا «يفعل»؛ لأنه من بنات الواو؛ كقولهم: الصواب، وصاب السهم يصوب، ومصاوب[2]، في جمع مصيبة، فحق: «يفعل»، منه: «يصوّب»؛ ألا ترى إلى قولهم: صوّب رأيه، إلا أن يكون من لغة من يقول: صاب السهم يصيب، ومن قوله[3]: أسهمي الصائبات والصيب، واللام في قوله: ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾؛ مفيد ةمعنى الاختصاص؛ كأنه قيل: لن يصيبنا إلا ما اختصنا الله به بإثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة؛ ألا ترى/ ٢٩٥أ إلى قوله: ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾

---

(١) قوله: «إني مستهتر» أي مولع لا أبالي بما يقال في شأني انتهى (ع).

(٢) قوله: «ومصاوب» في الصحاح: أجمعت العرب على همز المصائب، وأصله الواو كأنهم شبهوا الأصلي بالزائد، ويجمع أيضاً على مصاوب، وهو الأصل (ع).

(٣) قوله: «ومن قوله» لعله: ومنه. أو لعله: ومنها. وفي الصحاح: صاب السهم القرطاس يصيبه صيباً لغة في أصابه (ع).

أي: الذي يتولانا ونتولاه؛ «ذلك بأنّ الله مولى الذين آمنوا وأنّ الكافرين لا مولى لهم»، [محمد: ١١]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: وحق المؤمنين ألاّ يتوكلوا على غير الله، فليفعلوا ما هو حقهم.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: إلا إحدى العاقبتين، اللتين كل واحدة منهما هي حسن العواقب، وهما: النصرة، والشهادة، ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾: إحدى السوأتين[١]، من العواقب، إمّا: ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ وهو قارعة من السماء، كما نزلت على عاد وثمود، ﴿أَوْ﴾: بعذاب ﴿بِأَيْدِينَا﴾ وهو القتل على الكفر، ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾: بنا ما ذكرنا من عواقبنا، ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾: ما هو عاقبتكم، فلا بدّ أن يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه.

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿أَنفِقُواْ﴾: يعني في سبيل الله، ووجوه البر، ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: نصب على الحال، أي: طائعين أو مكرهين.

فإن قلت: كيف أمرهم بالإنفاق ثم قال: ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾؟

قلت: هو أمر في معنى الخبر[٢]؛ كقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ

---

(١) قوله: «إحدى السوأتين» لعله: السأويين (ع).

(٢) قلنا: «الأمر» بحث قرآني وقف عنده علماء الفقه والبيان، وأخذوا منه الفقه واجبهُ ومندوبه والمباح منه، أما البيانيون فقد أخذوا منه صورته ومعناه ومراميه في أساليب القرآن، ولهذا سأقف مع المفسر العلامة في صورة الأمر كله ليتجلى لنا مقاصد الأمر في كتاب الله بحسب ما بين المفسر العلامة، وسأسير في المبحث بهذا الترتيب:

١ ـ تعريف الأمر عند البلاغيين هكذا: هو: «طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء» وقد أفاد الزمخشري بقوله: «طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه» بأنه قد يدل الأمر بطريق المقام على معان أخرى، وقد استطاع المفسر العلامة استنباط ما استطاع بفكره الثاقب من خلال دراسة مقامات الأمر في القرآن الكريم.

٢ ـ من هذه المعاني التي أوردها العلامة ما يأتي:

التهكم: كقوله ـ سبحانه ـ ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] فهذا الطلب «وادعو» من الشهداء الجمادات دليل على غاية التهكم بهم.

التبكيت: وقد ورد في قوله ـ تعالى ـ ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] فهذا طلب مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ [مريم: ٧٥]، ومعناه: لن يتقبل منكم أنفقتم طوعاً أو كرهاً؛ ونحوه قوله تعالى:

= **الاستهزاء**: كما في قوله - تعالى - ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]. والمعنى: إن كنتم رجالاً فادفعوا أسباب الموت عنكم.

طلب الثبات: كقوله - تعالى - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] فالعبادة من المؤمنين حاصلة فطلبها دليل على أن المراد: اثبتوا وزيدوا.

الإباحة: كما ورد في قوله - تعالى - ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ﴾ [المائدة: ٢] فقد كان محظوراً أيام الإحرام، فإذا حل المحرم أباح الله له الاصطياد.

الحيرة والاضطراب في حال الشدة: كقوله - تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ [الأعراف: ٥٠] فهم قد يئسوا من طلب الماء لكنهم من حيرتهم يطلبون كما يفعل المضطر، فهو يطلب ما لا طلب فيه له.

الاستعجال: كما في قوله - عز شأنه - ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ فهذا استعجال منهم للعذاب.

الدعاء: كقوله - سبحانه - ﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ﴾ فهذا دعاء عليهم بالهلاك من الغيظ [والآية من آل عمران: ١١٩].

ومن الدعاء بالواقع لا محالة تضرُّعًا وتذللا لله ما جاء في قوله - تعالى - ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمۡوَٰلًا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] فهذا الدعاء: «ليضلوا» - «اطمس» - «واشدد» من باب الخضوع لله رب العالمين لأن ذلك دافع لا محالة بهم، وقد أبدع الزمخشري في بيان هذا المعنى عند شرحه للآية.

الترغيب في المأمور به، وهذا يتحقق في مقام يأتي فيه النهي عن نقيصه أولاً، ثم يأتي الأمر **لزيادة الترغيب والبعث عليه**، وهذا واضح عند قوله - سبحانه -:

﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ [هود: ٧٤ - ٨٥] وهذا البيان أفاده الزمخشري في موضعه.

٣ - قد يأتي الأمر بصورة الخبر لسر بلاغي يراد كما في قوله - تعالى -: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء: ٧٦] ومعناه: قاتلوا في سبيل الله والسر وراء هذا الخبر المقيد للأمر أن الله - سبحانه - أراد أن يلفت المسلم إلى أنه قد امتثل فصار خبراً أخبر عنه بهذه الصورة، وهذا ما تراه في قوله - تعالى - أيضاً -: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ﴾ [الصف: ١١].

٤ - وقد تعكس هذه الطريقة فيكون النظم بصورة الأمر، والمراد الخبر بحسب السياق والقرائن وذلك أيضاً لسر يراد في المعنى المقصود ومن ذلك:

الإشارة إلى التسوية بين فعل المأمور به وعدمه، وفيه دليل على نهاية السخط أو الرضا **فالأول** كقوله - تعالى - ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ﴾ وهي الآية التي صورتها في هذا المبحث، والمعنى فيه خبر وهو: لن يتقبل منكم الإنفاق طائعين أو مكرهين، وهذا المعنى - أيضاً - يلاحظ عند قول الله - سبحانه - ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٠].

والثاني: وهو ما يدل على غاية الرضا كقول كثير عزة [من الطويل]:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة... ....

فالإساءة والإحسان متساويان فهو في غاية الرضوان، وقد بين هذا الزمخشري عند الآية.

وقد تأتي هذه الطريقة من باب **إهانة المأمور**، وأنه لا يلتفت إلى فعله كقوله - تعالى -: ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ﴾ [الإسراء: ١٠٧]. فالمعنى أنهم لا شأن لهم وأن خيراً منهم قد آمنوا وصدقوا =

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾؛ وقوله [من الطويل]:

= وعملوا صالحاً وهم العلماء...

ويأتي الأمر لإفادة أنه حتم واجب لا شيء غيره كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨٢] ومعناه: فيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً جزاء لهم بأفعالهم.

٥ ـ وقد يعبر القرآن عن حدث وقع بصيغة الأمر لمغزى كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] والمغزى فيه: الدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله وإرادته، وهذا خارج عن العادة كأنهم أمروا فامتثلوا.

٦ ـ قد يفيد الأمر التعظيم والتشريف وهذا إذا كان الأمر يفيد العموم كما قوله ـ تعالى ـ ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ....﴾ [البقرة: ٢٥] فالخطاب يجوز فيه أن يكون لرسول الله ـ صلوات الله عليه ـ وأن يكون لكل أحد يبشر تشريفاً وتفخيماً، وهذا من الطرق العجيبة في الأمر.

٧ ـ من خصائص الأمر أن يقع عقبه ما يحث عليه ويدعو إليه، وقد أورد العلامة الزمخشري هذا المعنى عند قوله ـ تعالى ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾... فكأنه أراد لعباده أن يتقوه من باب أنه خلقهم بقدرته، وأمرهم بيده، وأن يتقوه في الحقوق التي بينهم لأنهم شجرة واحدة، وهذا ما أورده العلامة المفسر وبينه.

٨ ـ هناك معانٍ للأمر أفادها المفسرون ومنها:

التكوين والتمثيل ويسمى «التسخير» ومعناه أنه أمر تكويني لا امتناع فيه كقوله ـ تعالى ـ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠] وهذا ما لحظه الزمخشري كما في التعليق «٥» إلا أن الشوكاني ـ رحمه الله ـ أضاف شيئاً آخر وهو «الحث والتشجيع لما أمر الله لأن الأمر في كل الشؤون لله وحده لا شريك له.

الثبات والإقامة: وقد لمح المفسرون هذا في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد ـ ﷺ ـ ١٩] وقد مر هذا المعنى لكن آثرنا ذكره لأن المفسرين قد داروا هذا الأمر ولهم فيه كلام، ولكن المعنى الذي ذكرت هو الواضح البين.

التعجيز: وهذا معنى يراه المفسرون عند قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] ومعناه: لن تستطيعوا.

التواضع وحسن الأدب: وقد فهم الشوكاني هذا المعنى عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [طه: ١٢] ولهذا قال: «أمره الله ـ سبحانه ـ بخلع نعليه؛ لأن ذلك أبلغ في التواضع، وأقرب إلى التشريف والتكريم وحسن التأدب».

هذا، والمعاني في كتاب الله ـ سبحانه ـ وفيرة، ومن تأمل الأمر القرآني في جميع آيات الكتاب مع مراعاة ملابسات الآيات وقرائن السياقات، والمقامات يرى من الأسرار والفتوحات الشيء الوفير، وفي هذا القدر المتواضع إشارة وكفاية، ومن أراد الغاية فعليه بمراجعة كلام أولي النهى من المحققين مفسرين وبلاغيين، والله من وراء القصد.

ينظر شروح التلخيص ٢/٣٠٨، ٣٠٩ وما بعدها، والبلاغة القرآنية لأبي موسى ٣٦٨ وما بعدها، علم المعاني في تفسير فتح القدير للشوكاني فتحي حجازي ٢/ ٦٤٠، وما بعدها، والنفس ١/ ٨٤، وفتح القدير للشوكاني ٢/٣٨٨، مفاتيح الغيب للرازي ٨/١١٨، وروح المعاني للألوسي ١/ ٢٦٥، والبحر المحيط لأبي حيان ١/ ٢٢١، ٤/ ٣٢٥، الإيضاح للقزويني ٣/ ٨٨ وما بعدها، والمطول لسعد الدين التفتازاني ٢٣٩ وما بعدها، ومفتاح العلوم للسكاكي ١٥٢.

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لاَ مَلُومَةً[1] ....

أي: لن يغفر الله لهم، استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، ولا نلومك - أسأت إلينا أم أحسنت.

فإن قلت: متى يجوز نحو هذا؟

قلت: إذا دلّ الكلام عليه، كما جاز عكسه في قولك: رحم الله زيداً وغفر له.

فإن قلت: لم فعل ذلك؟

قلت: لنكتة فيه، وهي أنّ كثيراً كأنه يقول لعزة: امتحني لطف محلك عندي وقوّة محبّتي لك، وعامليني بالإساءة، والإحسان، وانظري هل بتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة؟ وفي معناه قول القائل [من الطويل]:

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ قُمْتَ بِالسَّيْفِ عَامِداً ... لِتَضْرِبَهُ لَمْ يَسْتَغِشَّكَ فِي الْوُدِّ[2]

وكذلك المعنى: أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم؟ واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم، وانظر هل ترى اختلافاً بين حال الاستغفار وتركه؟

فإن قلت: ما الغرض في نفي التقبل؟ أهو ترك رسول الله - ﷺ - تقبله منهم وردّه عليهم ما يبذلون منه؟ أم هو كونه غير مقبول عند الله - تعالى - ذاهباً هباء لا ثواب له؟

قلت: يحتمل الأمرين جميعاً، وقوله: ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ معناه: طائعين من غير إلزام من الله ورسوله، أو ملزمين، وسمي الإلزام إكراهاً؛ لأنهم منافقون، فكان إلزامهم الإنفاق

---

(١) أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت

لكثير صاحب عزة، يقول: امتحنيني في المحبة، وعامليني بالإساءة والإحسان، وانظري هل يتغير حالي، وافعلي ما يجبرك زوجك عليه من شتمي، كما يأتي في كلامه، ولا تتحرجي عنه فإنه مثل إحسانك، ولهذا ذكر الإحسان والمعنى: لا لوم ولا بغض، سواء أسأت أو أحسنت، فالأمر بمعنى الخبر، ثم التفت وقال: ليست عزة ملومة عندنا ولا مبغضة إن تبغضت، أي تكلفت البغض لنا وأظهرته. ويجوز أن المعنى: لا ملومة أنت ولا مقلية، فالالتفات في قوله: «إن تبغضت؛ فقط.

ينظر ديوانه (١٠١)، أمالي ابن الشجري (١/ ٤٩)، التهذيب، اللسان (حسن)، الدر المصون (٣/ ٤٧٢).

(٢) أخوك الذي إن قمت بالسيف عامداً ... لتضربه لم يستغشك في الود

ولو جئت تبغي كفه لتبينها ... تبادر إشفاقاً عليك من الرد

يرى أنه في الود وانٍ مقصر ... على أنه قد زاد فيه عن الجهد

روي يستفشك «بالشين بدل الثاء. والمعنى متقارب. والسين والتاء للعد، أي لم يعدك خائناً مضراً. وتبينها تقطعها. والإشفاق: الخوف. والواني: المتواني. يقول: إن أخاك الصدق هو الذي لو قصدته بالمكاره لم يعدها غشا منك في المودة، بل يبادرك بكل ما طلبته خوفاً عليك من أذى المنع، يظن أو يعتقد أنه مقصر في الود، مع أنه جاوز فيه الحد، وتكلف غير طاقته.

ينظر الدر المصون (٣/ ٤٧٢).

شاقًّا عليهم كالإكراه، أو طائعين من غير إكراه من رؤسائكم؛ لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه، أو مكرهين من جهتهم، وروي أنها نزلت في الجدّ بن قيس؛ حين تخلف عن غزوة تبوك، وقال لرسول الله ـ ﷺ ـ: هذا مالي أعينك به فاتركني، ﴿إِنَّكُمْ﴾: تعليل لردّ إنفاقهم، والمراد بالفسق: التمرّد والعتوّ.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: فاعل منع، «وهم»، و«أن تقبل»: مفعولاه/ ٢٩٥ب، وقرىء: «أن تقبل»، بالتاء والياء على البناء للمفعول، ونفقاتهم، ونفقتهم، على الجمع والتوحيد، وقرأ السلمي: «أن يقبل منهم نفقاتهم»، على أن الفعل لله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿كُسَالَىٰ﴾: بالضم والفتح، جمع كسلان؛ نحو: سكارى، وغيارى، في جمع سكران، وغيران؛ وكسلهم لأنهم لا يرجون بصلاتهم ثواباً، ولا يخشون بتركها عقاباً فهي ثقيلة عليهم؛ كقوله تعالى: ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة: ٤٥]، وقرأت في بعض الأخبار أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ كره للمؤمن أن يقول: «كسلت»، كأنه ذهب إلى هذه الآية؛ فإنّ الكسل من صفات المنافقين، فما ينبغي أن يسنده المؤمن إلى نفسه (٦٩٣).

فإن قلت: الكراهية خلاف الطواعية، وقد جعلهم الله ـ تعالى ـ طائعين في قوله: ﴿طَوْعًا﴾ ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون.

قلت: المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله ـ ﷺ ـ أو من رؤسائهم، وما طوعهم ذاك إلا عن كراهية واضطرار، لا عن رغبة واختيار.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

الإعجاب بالشيء: أن يسرّ به سرور راض به متعجب من حسنه، والمعنى: فلا تستحسن، ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه: ١٣١]، فإن الله تعالى إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب، بأن عرّضه للتغنم والسبي، وبلاهم فيه بالآفات والمصائب، وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير، وهم كارهون له على رغم أنوفهم، وأذاقهم أنواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية أولادهم.

---

٦٩٣ ـ تقدم في أواخر البقرة.

فإن قلت: إن صح تعليق التعذيب[1] بإرادة الله تعالى، فما بال زهوق أنفسهم ﴿وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾؟

قلت: المراد: الاستدراج بالنعم؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، كأنه قيل: ويريد أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كافرون، ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿لمنكم﴾ لمن: جملة المسلمين، ﴿يَفْرَقُونَ﴾: يخافون القتل، وما يفعل بالمشركين، فيتظاهرون بالإسلام تقية، ﴿مَلْجَـًٔا﴾: مكاناً يلتجئون إليه متحصنين به من رأس جبل، أو قلعة، أو جزيرة، ﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾: أو غيرانا، وقرىء بضم الميم، من أغار الرجل وغار، إذا دخل الغور، وقيل: هو تعدية غار الشيء وأغرته أنا، يعني: أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم، ويجوز أن يكون من: أغار الثعلب، إذا أسرع، بمعنى: مهارب، ومفارّ، ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: أو نفقاً يندسون فيه وينجحرون، وهو مفتعل من الدخول، وقرىء: «مدخلاً» من دخل، «ومدخلاً» من أدخل: مكاناً يدخلون فيه أنفسهم، وقرأ أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: «متدخلاً»، وقرىء: «لو ألوا إليه» لالتجؤوا إليه ﴿يَجْمَحُونَ﴾: يسرعون إسراعاً لا يردّهم شيء، من الفرس الجموح، وهو الذي إذا حمل لم يردّه اللجام، وقرا أنس ـ رضي الله عنه ـ: «يجمزون»، فسئل؟ فقال: يجمحون ويجمزون ويشتدّون[2] واحد.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿يَلْمِزُكَ﴾: يعيبك/ ٢٩٦أ في قسمة الصدقات ويطعن عليك، قيل: هم المؤلفة قلوبهم، وقيل: هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج، كان رسول الله ـ ﷺ ـ يقسم غنائم حنين، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال صلوات الله عليه وسلامه: «وَيْلَكَ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ فَمَنْ يَعْدِلُ» (٦٩٤) وقيل: هو أبو الجواظ، من المنافقين، قال: ألا ترون إلى صاحبكم!

---

٦٩٤ ـ أخرجه البخاري (١٤/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦): كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك =

---

(١) قوله: «فإن قلت إن صح تعليق... إلخ» مبني على أنه تعالى لا يريد الشر؛ وهو مذهب المعتزلة. وعند أهل السنة: أنه يريده كالخير (ع).

(٢) قوله: «ويجمزون ويشتدون» فيقال: جمز بالجيم يجمز بالكسر: أسرع، وحمز بالحاء يحمز بضمها: اشتد اهـ صحاح فتدبر (ع).

إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم، وهو يزعم أنه يعدل، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لاَ أَبَا لَكَ أَمَا كَانَ مُوسَىٰ رَاعِياً، أَمَا كَانَ دَاوُدُ رَاعِياً» فلما ذهب قال عليه الصلاة والسلام: «ٱحْذَرُوا هٰذَا وَأَصْحَابَهُ؛ فَإِنَّهُمْ مُنَافِقُونَ» ح (٦٩٥)، وقرىء: «يلمزُك» بالضم، و«يلمزك» و«يلامزك»، التثقيل والبناء على المفاعلة؛ مبالغة في اللمز، ثم وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم، لا للدين وما فيه صلاح أهله؛ لأن رسول الله ـ ﷺ ـ استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه، وإذا للمفاجأة، أي: وإن لم يعطوا منها فاجؤوا للسخط.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

جواب «لو»: محذوف تقديره: ولو أنهم رضوا لكان خيراً لهم، والمعنى: ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم، وإن قلّ نصيبهم، وقالوا كفانا فضل الله وصنعه، وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا الله غنيمة أخرى، فيؤتينا رسول الله ـ ﷺ ـ أكثر مما آتانا اليوم، ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: في أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون.

﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾: قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها[1]، لا يتجاوزها إلى غيرها؛ كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم؛ ونحوه

= قتال الخوارج للتألف، ولئلا ينفر الناس عنه، حديث (٦٩٣٣)، ومسلم (٤/ ١٧٣ ـ ١٧٤ ـ النووي): كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث (١٤٨/ ١٠٦٤).

قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي سعيد، واللفظ للبخاري؛ ولهما: «إذا جاء ذو الحويصرة»، وهو المحفوظ. انتهى.

٦٩٥ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٧٩): غريب.

وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

---

(١) قال محمود: «هذا قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها إلخ» قال أحمد: وهو مذهب مالك رضي الله عنه، والقول بوجوب صرفها إلى جميع الأصناف حتى لا يجوز ترك صنف واحد منها أخذا من إشعار اللام بالتمليك كما ذهب إليه الشافعي لا يساعده السياق فإن الآية مصدرة بكلمة الحصر الدالة على أن غيرهم لا يستحق فيها نصيباً فهذا هو الغرض الذي سبقت له فلا اقتضاء فيها لما سواه والله أعلم.

قولك: إنما الخلافة لقريش، تريد: لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها، وأن تصرف إلى بعضها، وعليه مذهب أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ وعن حذيفة، وابن عباس، وغيرهما، من الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم ـ أنهم قالوا: في أي صنف منها وضعتها أجزأك، وعن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: لو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب إليّ، وعند الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: لا بدّ من صرفها إلى الأصناف الثمانية، وعن عكرمة ـ رضي الله عنه ـ: أنها تفرّق في الأصناف الثمانية، وعن الزهري أنه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الأصناف الثمانية، ﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾: السعاة الذين يقبضونها، ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: أشراف من العرب كان رسول الله ـ ﷺ ـ يستألفهم على أن يسلموا فيرضخ لهم شيئاً منها حين كان في المسلمين قلة، «والرقاب»: المكاتبون يعانون منها، وقيل: الأسارى، وقيل: تبتاع الرقاب فتعتق، ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾: الذين ركبتهم الديون، ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب، وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا، ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم، ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر المنقطع عن ماله فهو/ ٢٩٦ب فقير؛ حيث هو غنيّ حيث ماله، ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾: في معنى المصدر المؤكد؛ لأنّ قوله: «إنما الصدقات للفقراء»، معناه: فرض الله الصدقات لهم، وقرىء: «فريضة» بالرفع على: تلك فريضة.

فإن قلت: لم عدل عن اللام إلى «في» في الأربعة الأخيرة[1]؟

---

(١) عاد كلامه: قال: «فإن قلت لم عدل عن اللام إلى في في الأربعة الأخيرة. . . إلخ» قال أحمد: وثم سر آخر هو أظهر وأقرب وذلك أن الأصناف الأربعة الأوائل ملاك لما عساه يدفع إليهم، وإنما يأخذونه ملكاً، فكان دخول اللام لائقاً بهم. وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم، بل ولا يصرف إليهم. ولكن في مصالح تتعلق بهم، فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون، فليس نصيبهم مصروفاً إلى أيديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم، وإنما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به، وكذلك العاملون إنما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصاً لذممهم لالهم. وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك. وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجاً في سبيل الله، وإنما أفرد بالذكر تنبيهاً على خصوصيته، مع أنه مجرد من الحرفين جميعاً، وعطفه على المجرور باللام ممكن، ولكنه على القريب منه أقرب والله أعلم. وكان جدي أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير استنبط من تغاير الحرفين المذكورين وجهاً في الاستدلال لمالك على أن الغرض بيان المصرف، واللام لذلك لام الملك، فيقول: متعلق الجار الواقع خبراً عن الصدقات محذوف، فيتعين تقديره، فأما أن يكون التقدير: إنما الصدقات مصروفة للفقراء، كقول مالك: أو مملوكة للفقراء، كقول الشافعي؛ لكن الأول متعين، لأنه تقدير يكتفى به في الحرفين جميعاً يصح تعلق اللام به وفي معاً، فيصح أن تقول: هذا الشيء مصروف في كذا وكذا، بخلاف تقديره مملوكة، فإنه إنما يلتئم مع اللام، وعند الانتهاء إلى «في» يحتاج إلى تقدير =

قلت: للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره؛ لأنّ «في» للوعاء، فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات، ويجعلوا مظنة لها ومصباً، وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر، وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ، ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة؛ وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال، وتكرير «في» في قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين.

فإن قلت: فكيف وقعت هذه الآية في تضاعف ذكر المنافقين ومكايدهم؟

قلت: دل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقت خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم؛ حسماً لأطماعهم، وإشعاراً باستيجابهم الحرمان، وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها، فما لهم ومالها؟ وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها، صلوات الله عليه وسلامه؟

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

الأذن: الرجل الذي يصدق كل ما يسمع[(١)]، ويقبل قول كل أحد، سمي بالجارحة التي هي آلة السماع؛ كأنّ جملته أذنٌ سامعة؛ ونظيره قولهم للربيئة[(٢)]: عين، وإيذاؤهم له: هو قولهم فيه (هو أذن)، وأذن خير؛ كقولك: رجل صدق، تريد الجودة والصلاح، كأنه قيل: نعم هو أذن ولكن نعم الأذن، ويجوز أن يريد: هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله، وليس بأذن في غير ذلك؛ ودلّ عليه قراءة حمزة: (ورحمة) بالجرّ عطفاً عليه، أي: هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله، ثم فسر كونه أذن خير بأنه يصدق بالله، لما قام عنده من الأدلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والأنصار، وهو رحمة لمن آمن منكم، أي: أظهر الإيمان أيها المنافقون؛ حيث يسمع منكم ويقبل إيمانكم الظاهر، ولا يكشف أسراركم، ولا يفضحكم، ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين؛ مراعاة لما رأى الله من المصلحة في الإبقاء عليكم، فهو أذن كما قلتم، إلا أنه أذن خير لكم، لا أذن سوء فسلم لهم قولهم فيه، لا أنه فسر بما هو مدح له وثناء

= مصروفة ليلتئم بها، فتقديره من اللام عام التعلق، شامل الصحة، متعين، والله الموفق.

(١) قال محمود: «الأذن: الرجل الذي يصدق كل ما يسمع... سمي الرجل بالجارحة التي هي آلة السماع... إلخ» قال أحمد: لا شيء أبلغ من الرد عليهم بهذا الوجه لأنه في الأول إطماع لهم بالموافقة، ثم كر على طمعهم بالحسم وأعقبهم في تنقصه باليأس منه؛ ويضاهي هذا من مستعملات الفقهاء: القول بالموجب، لأن في أوله إطماعاً للخصم بالتسليم، ثم بتا للطمع على قرب، ولا شيء أقطع من الأطماع ثم اليأس يتلوه ويعقبه، والله الموفق.

(٢) قوله: «للربيئة» في الصحاح: الربيئة الطليعة (ع).

عليه، وإن كانوا قصدوا به المذمّة والتقصير بفطنته وشهامته، وأنه من أهل سلامة القلوب والغرّة، وقيل: إن جماعة منهم ذمّوه ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ وبلغه ذلك، فاشتغلت قلوبهم، فقال بعضهم: لا عليكم؛ فإنما هو أذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فأذن، ونحن نأتيه ونعتذر إليه فيسمع عذرنا ـ أيضاً ـ فيرضى، فقيل: هو أذن خير لكم، وقرىء: «أذن/٢٩٧أ خير لكم»، على أن أذن خبر مبتدأ محذوف، وخير كذلك، أي: هو أذن هو خير لكم، يعني: إن كان كما تقولون فهو خير لكم؛ لأنه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم[1]، وقرأ نافع بتخفيف الذال.

فإن قلت: لم عدّي فعل الإيمان بالباء إلى الله تعالى، وإلى المؤمنين باللام؟

قلت: لأنه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به، فعدّي بالباء، وقصد السماع من المؤمنين، وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدّقه؛ لكونهم صادقين عنده، فعدّي باللام؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، ما أنباه[2] عن الباء؛ ونحوه: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ [يونس: ٨٣]، ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: ٧١].

فإن قلت: ما وجه قراءة ابن أبي عبلة: «ورحمة» بالنصب؟

قلت: هي علة معللها محذوف تقديره: ورحمة لكم يأذن لكم؛ فحذف لأنّ قوله: ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ يدل عليه.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾: الخطاب للمسلمين، وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن، أو يتخلفون عن الجهاد، ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم، ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم، فقيل لهم: إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق، وإنما وحد الضمير؛ لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله ـ ﷺ ـ فكانا في حكم مرضيّ واحد؛ كقولك: إحسان زيد وإجماله نعشني وجبر مني، أو: والله أحق أن يرضوه، ورسوله كذلك.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ

---

(١) قوله: «على سوء دخلتكم» أي مذمتكم. وفي الصحاح أن دخلة الرجل بالضم: باطن أمره اهـ، ولعلها غلبت في المذمة (ع).

(٢) قوله: «ما أنباه عن الباء ونحوه» أي: ما أبعده (ع).

المحادّة مفاعلة من الحدّ كالمشاقة من الشقّ، ﴿فَأَنَّ لَهُۥ﴾: على حذف الخبر، أي: فحق أن له ﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾، وقيل: معناه: فله، وأنّ: تكرير؛ لأن في قوله: ﴿أَنَّهُۥ﴾: تأكيداً، ويجوز أن يكون: (فأن له): معطوفاً على أنه، على أن جواب: (من) محذوف تقديره: ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له[1] نار جهنم، وقرىء: «ألم تعلموا» بالتاء.

﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤﴾

كانوا يستهزؤن بالإسلام وأهله، وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم؛ حتى قال بعضهم: الله، لا أرانا إلا شر خلق الله، لوددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة، وألاّ ينزل فينا شيء يفضحنا، والضمير في: «عليهم» وتنبئهم للمؤمنين، «وفي قلوبهم»: للمنافقين، وصحّ ذلك، لأن المعنى يقود إليه، ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين؛ لأن السورة إذا نزلت في معناهم، فهي نازلة عليهم، ومعنى: «تنبئهم بما في قلوبهم»، كأنها تقول لهم: في قلوبكم كيت وكيت، يعني: أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها، وقيل: معنى يحذر: الأمر بالحذر، أي: ليحذر المنافقون.

فإن قلت: الحذر واقع على إنزال السورة في قوله: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ/ ٢٩٧/ب عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ﴾، فما معنى قوله: ﴿مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ﴾؟

قلت: معناه: محصل مبرز إنزال السورة، أو أنّ الله مظهر ما كنتم تحذرونه، أي: تحذرون إظهاره من نفاقكم.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾

بينا رسول الله - ﷺ - يسير في غزوة تبوك، وركب من المنافقين يسيرون بين يديه،

---

(١) قال السمين الحلبي: وقد رد الشيخ على الزمخشري قوله بأنهم نصوا على أنه إذا حذف جواب الشرط لزم أن يكون فعل الشرط ماضياً أو مضارعاً مقروناً بـ «لم».
والجواب على قوله محذوف، وفعل الشرط مضارع غير مقترن بـ «لم»، وأيضاً فإنا نجد الكلام تاما بدون هذا الذي قدره. وقد نُقل عن سيبويه أنه قال: «الثانية بدل من الأولى»، وهذا لا يصح عن سيبويه فإنه ضعيف أو ممتنع. انتهى. الدر المصون.

فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتتح قصور الشام وحصونه، هيهات هيهات، فأطلع الله نبيه ـ عليه السلام ـ على ذلك، فقال: «ٱحْبِسُوا عَلَيَّ الرَّكْبَ»، فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا، فقالوا: يا نبي الله، لا، والله، ما كنا في شيء من أمرك، ولا من أمر أصحابك، ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب؛ ليقصر بعضنا على بعض السفر (٦٩٦) ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾: لم يعبأ باعتذارهم؛ لأنهم كانوا كاذبين فيه، فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم، وبأنه موجود منهم، حتى وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء؛ حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير؛ وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته، ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ﴾: لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة؛ فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سركم، ﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾: قد ظهر كفركم باستهزائكم، ﴿بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾: بعد إظهاركم الإيمان، ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾: بإحداثهم التوبة وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق، ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾: مصرين على النفاق غير تائبين منه، أو: إن نعف عن طائفة منكم، لم يؤذوا رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يستهزؤا فلم نعذبهم في العاجل، نعذب في العاجل طائفة بأنهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله ـ ﷺ ـ مستهزئين، وقرأ مجاهد: «إن تعف عن طائفة» على البناء للمفعول مع التأنيث، والوجه التذكير؛ لأن المسند إليه الظرف، كما تقول: سير بالدابة، ولا تقول: سيرت بالدابة؛ ولكنه ذهب إلى المعنى، كأنه قيل: إن ترحم طائف فأنث لذلك وهو غريب، والجيد قراءة العامّة: «إن يعف عن طائفة»، بالتذكير، وتعذب طائفة، بالتأنيث، وقرىء: «إن يعف عن طائفة يعذب طائفة»، على البناء للفاعل، وهو الله ـ عزّ وجلّ ـ.

﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أريد به: نفي أن يكونوا من المؤمنين، وتكذيبهم في قولهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦]، وتقرير قوله: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦]، ثم وصفهم بما يدل على مضادّة حالهم لحال المؤمنين، ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾، بالكفر

---

٦٩٦ ـ أخرجه الطبري في تفسيره: (٦/ ٤٠٩) رقم (١٦٩٣٠ و١٦٩٣١)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٤٥٦)، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ؛ كلهم عن قتادة به.
قال الحافظ: ذكره الواحدي عن قتادة بغير سند، ووصله الطبري. انتهى.

والمعاصي، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾: عن الإيمان والطاعات، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ شحّاً بالمبارّ، والصدقات، والإنفاق في سبيل الله، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أغفلوا ذكره، ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: فتركهم من رحمته وفضله، ﴿هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾: هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير، وكفى المسلم زاجراً أن يلم/ ٢٩٨أ بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم، وإذ كره رسول الله ـ ﷺ ـ للمسلم أن يقول: كسلت (٦٩٧)؛ لأن المنافقين وصفوا بالكسل في قوله: (كسالى)، فما ظنك بالفسق؟ ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾: مقدّرين الخلود، ﴿هِىَ حَسْبُهُمْ﴾: دلالة على عظم عذابها، وأنه لا شيء أبلغ منه، وأنه بحيث لا يزاد عليه، نعوذ بالله من سخطه وعذابه ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وأهانهم من التعذيب، وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين، كما عظم أهل الجنة، وألحقهم بالملائكة[1] المكرمين، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار، مقيم دائم كعذاب النار، ويجوز أن يريد: ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه، وهو ما يقاسونه من تعب النفاق، والظاهر المخالف للباطن؛ خوفاً من المسلمين، وما يحذرونه أبداً من الفضيحة، ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم.

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَـٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الكاف محلها رفع على: أنتم مثل الذين من قبلكم، أو نصب على: فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم، وهو أنكم استمتعم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا؛ ونحوه قول النمر [من السريع]:

.... كَـالْـيَـوْمِ مَـطْـلُـوبـاً وَلاَ طَـلَـبَـا[2]

---

٦٩٧ ـ قال الحافظ: تقدم تخريجه في أواخر سورة البقرة. انتهى.

---

(١) قوله: «وألحقهم بالملائكة» مبني على مذهب المعتزلة، من تفضيل الملك على البشر (ع).

(٢) حتى إذا الكلاب قال لها ... كاليوم مطلوباً ولا طلبا
لأوس بن حجر. وقيل: للنمربن تولب، وفيه حذف لا يستقيم إلا به، أي قال لها: لم أنظر كاليوم مطلوباً، والضمير لكلبة الصيد. والكلاب: معلم الكلاب أو الصياد بها، أي ليس المطلوب والطلب في هذا اليوم مثلهما في غيره بل أعظم، ولعل المراد بالطلب الطالب، ثم يحتمل أن هذا مقول =

بإضمار «لم أر»، وقوله: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾: تفسير لتشبيههم بهم، وتمثيل فعلهم بفعلهم. والخلاق: النصيب، وهو ما خلق للإنسان، أي: قدّر من خير، كما قيل له: «قسم»؛ لأنه قسم، ونصيب؛ لأنه نصب، أي: أثبت، والخوض: الدخول في الباطل واللهو، ﴿كَالَّذِى خَاضُوٓاْ﴾: كالفوج الذي خاضوا، وكالخوض الذي خاضوه. فإن قلت أنى فائدة في قوله: ﴿فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلَاقِهِمْ﴾ وقوله: ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ﴾ مغن عنه كما أغنى قوله: ﴿كَالَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ على أن يقال: وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا؟

قلت: فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها، والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة، وأن يخسس أمر الاستمتاع، ويهجن أمر الرضى به، ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم، كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول: أنت مثل فرعون، كان يقتل بغير جرم، ويعذب، ويعسف، وأنت تفعل مثل فعله، وأما: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓاْ﴾: فمعطوف على ما قبله مستند إليه مستغن باستناده إليه عن تلك التقدمة، ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: نقيض قوله: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُۥ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٢].

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾: وأهل مدين، وهم قوم شعيب، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾: مدائن قوم لوط، وقيل: قريات قوم لوط، وهود، وصالح،/ ٢٩٨ب وائتفاكهنّ: انقلاب أحوالهنّ عن الخير إلى الشر، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: فما صحّ منه أن يظلمهم، وهو حكيم، لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم، ولكن ظلموا أنفسهم؛ حيث كفروا به فاستحقوا عقابه.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

= القول، ويحتمل أنه جواب إذا ومقول القول محذوف، إشارة إلى سرعتها: أي قال لها: اذهبي مثلاً.

ينظر ديوانه (٣)، شرح المفصل (١/ ١٢٥)، أمالي الشجري (١/ ٣٦١)، أمالي المرتضى (٢/ ٧٣)، بلا نسبة من أمالي ابن الحاجب (ص ٤٤٠)، الدر المصون (٣/ ٤٨٢).

﴿فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾: في مقابلة قوله في المنافقين، (بعضهم من بعض) ﴿سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾: السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد، كما تؤكد الوعيد في قولك: سأنتقم منك يوماً، تعني: أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك، ونحوه: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: ٥]. ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۚ﴾ [النساء: ١٧٣]. ﴿عزيزٌ﴾: غالب على كل شيء قادر عليه، فهو يقدر على الثواب والعقاب، ﴿حَكِيمٌ﴾: واضع كلاً موضعه على حسب الاستحقاق، ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾: عن الحسن: قصوراً من اللؤلؤ، والياقوت الأحمر، والزبرجد، و(عدن): علم؛ بدليل قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [مريم: ٦١] ويدل عليه ما روى أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ «عَدْنٌ دَارُ اللهِ الَّتِي لَمْ تَرَهَا عَيْنٌ وَلَمْ تَخْطُرْ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، لاَ يَسْكُنُهَا غَيْرُ ثَلاَثَةٍ: النَّبِيُّونَ، وَالصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: طُوبَىٰ لِمَنْ دَخَلَكِ» (٦٩٨) وقيل: هي مدينة في الجنة، وقيل: نهر جناته على حافاته، ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ﴾: وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله؛ لأنّ رضاه هو سبب كل فوز وسعادة، ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته، والكرامة أكبر أصناف الثواب؛ ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه، فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم، وإنما تتهنأ له برضاه، كما إذا علم بسخطته تنغصت عليه، ولم يجد لها لذة وإن عظمت، وسمعت بعض أولي الهمة البعيدة والنفس المرّة[(١)] من مشايخنا يقول: لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي إلى شيء مما وعد الله في دار الكرامة، كما تطمح وتنازع إلى رضاه عني، وأن أحشر في زمرة المهديين المرضيين عنده، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما وعد الله، أو إلى الرضوان: أي هو ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، وحده دون ما يعدّه الناس فوزاً، وروي: «أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ لأَهْلِ

---

٦٩٨ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره»: (٦/ ٤١٧) رقم (١٦٩٥٩)، والبزّار في مسنده، والدارقطني في كتابه المؤتلف والمختلف؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٧٩) رقم (٥٥٥)؛ كما عزاه الزيلعي إلى ابن مردويه في تفسيره (٢/ ٨٠).
قال الحافظ: أخرجه البزار من طريق زياد بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عنه، وقال: لا نعلمه إلا من هذا الوجه، وزيادة لا يعلم، وروى عنه غير الليث وأخرجه الطبراني والدارقطني في المؤتلف وابن مردويه من هذا الوجه. انتهى.

---

(١) قوله: «والنفس المرة» أي القوية الشديدة العقل، من المرة بالكسر، وهي القوة وشدة العقل، كما في الصحاح (ع).

الجَنَّةِ هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَىٰ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذٰلِكَ؟ قَالُوا: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذٰلِكَ؟ قَالَ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَداً» (٦٩٩).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾: بالسيف، ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: بالحجة[1]، ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: في الجهادين جميعاً، ولا تحابهم، وكل من وقف منه على فساد في العقيدة، فهذا الحكم ثابت فيه، يجاهد بالحجة، وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها، عن ابن مسعود: «إن لم يستطع بيده فبلسانه/ ٢٩٩أ، فإن لم يستطع فليكفهرّ في وجهه[2]، فإن لم يستطع فبقلبه (٧٠٠)، يريد الكراهة، والبغضاء، والتبرأ منه، وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على إقامة الحدود عليهم إذا تعاطوا أسبابها.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

أقام رسول الله ـ ﷺ ـ في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران، ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم، منهم الجلاس بن سويد، فقال الجلاس: والله، لئن كان

---

٦٩٩ ـ أخرجه البخاري (١٣/ ٢٣٤): كتاب الرقاق باب: صفة الجنة والنار، حديث (٦٥٤٩)، ومسلم (٩/ ١٨٤ ـ النووي): كتاب الجنة. وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، فلا يسخط عليهم أبداً، حديث (٩/ ٢٨٢٩) والترمذي (٤/ ٦٨٩)، كتاب صفة الجنة، حديث (٢٥٥٥).

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي سعيد. انتهى.

٧٠٠ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره»: (٦/ ٤١٩) رقم (١٦٩٧٦)، وابن مردويه في تفسيره؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٨١). وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٤٦٢) بنحوه.

كلهم عن ابن مسعود به.

قال الحافظ: أخرجه الطبري وابن مردويه من رواية عمرو بن أبي جندب عنه. انتهى.

---

(١) قال محمود: «معناه جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة... إلخ» قال أحمد: والحمد لله الذي أنطقه بالحجة لنا في إغلاظنا عليه أحيانا، والله الموفق.

(٢) قوله: «فليكفهر في وجهه» في الصحاح «اكفهر الرجل» إذا عبس (ع).

ما يقول محمد حقًّا لإخواننا الذين خلفناهم، وهم ساداتنا وأشرافنا، فنحن شر من الحمير، فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس: أجل، والله إنّ محمداً لصادق، وأنت شرّ من الحمار، وبلغ ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ فاستحضر فحلف بالله ما قال، فرفع عامر يده، فقال: «اللهم، أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب، وتكذيب الصادق[1]: فنزلت، ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾: فقال الجلاس: يا رسول الله، لقد عرض الله عليّ التوبة، والله لقد قلته وصدق عامر، فتاب الجلاس، وحسنت توبته (٧٠١)، ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾: وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام، ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾: وهو الفتك برسول الله ـ ﷺ ـ وذلك عند مرجعه من تبوك: تواثق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل، فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها، وحذيفة خلفها يسوقها، فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح، فالتفت فإذا قوم متلثمون، فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله، فهربوا (٧٠٢) وقيل:

---

٧٠١ ـ أخرجه ابن هشام في سيرته (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨) رقم (٥٦٤).
وابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ٢٧٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٨٠ ـ ٢٨١ ـ ٢٨٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠/ ٤٦ ـ ٤٧) رقم (١٨٣٠٣)، والطبري في تفسيره: (٦/ ٤٢١) رقم (١٦٩٨٢ ـ ١٦٩٨٣ ـ ١٦٩٨٤).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٤٦٣)، وذكره الثعلبي ثم البغوي في تفسيريهما؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٨٢).
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي عن الكلبي بغير سند لكن سنده إليه أول الكتاب. وروى ابن سعد وعبد الرزاق والطبري من رواية هشام بن عروة عن أبيه قال: كانت أم عمير بنت سعيد عند الجلاس بن سويد. فقال الجلاس بن سويد في غزوة تبوك: إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير. فقال له عامر بن قيس الأنصاري، وهو ابن عمه ـ فذكره. وكذا ذكره موسى بن عقبة في المغازي ليس فيه، كانت أم عمير إلى آخره، بل أوله في قصة تبوك إلى أن قال: وقال الجلاس حين سمع ما أنزل الله في المنافقين. انتهى.
٧٠٢ ـ أخرجه أحمد في مسنده: (٥/ ٤٥٣)، من طريق يزيد بن هارون عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل به.
وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٦٠ ـ ٢٦١) من طريق محمد بن إسحاق عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة بن اليمان.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١/ ١١٥)، وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.
وأخرجه البزار بنحوه (٢/ ٣٥٧) من طريق محمد بن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل عن حذيفة به. =

---

(١) قوله: «تصديق الكاذب وتكذيب الصادق» لعله تصديق الصادق وتكذيب الكاذب. ويمكن أنه جعل نفسه كاذباً، والجلاس صادقاً، لأنه مقتضى ظاهر الحلف (ع).

همَّ المنافقون بقتل عامر؛ لردّه على الجلاس، وقيل: أرادوا أن يتوّجوا عبد الله بن أبيّ، وإن لم يرض رسول الله، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾: وما أنكروا وما عابوا، ﴿إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة في ضنك من العيش، لا يركبون الخيل، ولا يحوزون الغنيمة، فأثروا بالغنائم، وقتل للجلاس مولى، فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ بديته اثني عشر ألفاً فاستغنى، ﴿فَإِن يَتُوبُواْ﴾: هي الآية التي تاب عندها الجلاس، ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾: بالقتل والنار.

﴿۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ٧٧﴾

روي أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يَا ثَعْلَبَةُ، قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لاَ تُطِيْقُهُ» فراجعه، وقال: والذي بعثك بالحق، لئن رزقني الله مالاً لأعطينّ كل ذي حق حقه، فدعا له، فاتخذ غنماً فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة، فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة، فسأل عنه رسول الله ـ ﷺ ـ فقيل: كثر ماله/ ٢٩٩ب حتى لا يسعه واد، قال: «يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةُ» فبعث رسول الله ـ ﷺ ـ مصدّقين لأخذ الصدقات، فاستقبلهما الناس بصدقاتهم، ومرّا

= وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٤٦٥).
قال الحافظ:
أخرجه أحمد من حديث أبي الطفيل قال: «لما قفل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً ينادي: لا يأخذن العقبة أحد، فإن رسول الله ﷺ يسير وحده، فكان النبي ﷺ يسير وحذيفة رضي الله عنه يقود به، وعمار ـ رضي الله عنه ـ يسوق به. فأقبل رهط متلثمين على الرواحل حتى غشوا النبي ﷺ، فرجع عمار فضرب وجوه الرواحل. فقال النبي ﷺ لحذيفة: قدقد ـ فلحقه عمار فقال: سق سق حتى أناخ. فقال لعمار: هل تعرف القوم فقال: لا، كانوا متلثمين. وقد عرفت علمة الرواحل. فقال: أتدري ما أرادوا برسول الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. فقال: أرادوا أن يمكروا برسول الله فطرحوه من العقبة. فلما كان بعد ذلك وقع بين عمار ـ رضي الله عنه ـ وبين رجل منهم شيء مما يكون بين الناس. فقال: أنشدكم الله، كم أصحاب العقبة الذين أرادوا أن يمكروا برسول الله ﷺ. فقال: ترى أنهم أربعة عشر، فإن كنت فيهم فهم خمسة عشر، ومن هذا الوجه رواه الطبراني والبزار، وقال: روي من طريق عن حذيفة وهذا أحسنها وأصلحها إسناداً. ورواه ابن إسحاق في المغازي، ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة بن اليمان قال: كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به. وعمار ـ رضي الله عنه ـ يسوق الناقة حتى إذا كنا بالعقبة، وإذا اثنى عشر راكباً قد اعترضوه فيها قال: فانتهت إلى رسول الله ﷺ فصرخ بهم؛ فولوا مدبرين. انتهى.

بثعلبة، فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ـ ﷺ ـ الذي فيه الفرائض، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، وقال: ارجعا حتى أرى رأيي، فلما رجعا، قال لهما رسول الله ـ ﷺ ـ قبل أن يكلماه: يا ويح ثعلبة، مرّتين؛ فنزلت، فجاءه ثعلبة بالصدقة، فقال: إنّ الله منعني أن أقبل منك، فجعل التراب على رأسه، فقال: هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني، فقبض رسول الله ـ ﷺ ـ فجاء بها إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فلم يقبلها، وجاء بها إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ في خلافته فلم يقبلها، وهلك في زمان عثمان ـ رضي الله عنه ـ (٧٠٣) وقرىء: ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ﴾: بالنون الخفيفة فيهما، ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: يريد الحج، ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾: عن الحسن وقتادة ـ رضي الله عنهما ـ: أنّ الضمير: للبخل، يعني: فأورثهم البخل، ﴿نِفَاقًا﴾: متمكناً، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ لأنه كان سبباً فيه وداعياً إليه، والظاهر أن الضمير لله ـ عزّ وجلّ ـ والمعنى: فخذلهم حتى نافقوا[1]، وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها إلى أن يموتوا بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدّق، والصلاح، وكونهم كاذبين، ومنه: جعل خلف الوعد ثلث النفاق، وقرىء: «يكذّبون»، بالتشديد، و«ألم تعلموا»، بالتاء عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾

---

٧٠٣ ـ أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»: (٢٨٩: ٢٩٢)، وفي «شعب الإيمان»: (٤/ ٧٩ ـ ٨٠) رقم (٤٣٥٧)، وأخرجه الطبراني كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤ ـ ٣٥).
والواحدي في «تفسيره الوسيط»: (٢/ ٥١٣ ـ ٥١٤)، والطبري في «تفسيره»: (٦/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦) رقم (١٧٠٠٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٤٦٧) وعزاه إلى الحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والعسكري في الأمثال، وابن منده والباوردي وأبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن مردويه وابن عساكر عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ فذكره.
قال البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٨٠):
وفي إسناد هذا الحديث نظر، وهو مشهور فيما بين أهل التفسير والله أعلم.
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٥):
فيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك.
وقال ابن حجر العسقلاني في تخريجه لأحاديث الكشاف أخرجه الطبراني والبيهقي في الدلائل والشعب وابن أبي حاتم والطبري وابن مردويه؛ كلهم من طريق علي بن زيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أمامة. وهذا إسناد ضعيف جدا. فقال السهيلي عن ابن إسحاق ثعلبة بن حاطب قمر البدريين. وعن ابن إسحاق أيضاً في المنافقين وذكر هذه الآية التي نزلت فيه. فلعلهما اثنان. انتهى.

---

(١) قوله: «والمعنى فخذلهم حتى نافقوا» فسره بذلك على مذهب المعتزلة، من أنه تعالى لا يخلق الشر (ع).

﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾: ما أسرّوه من النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه، وما يتناجَون به فيما بينهم من المطاعن في الدين، تسمية الصدقة جزية وتدبير منعها.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾: محله النصب أو الرفع على الذمّ، ويجوز أن يكون في محل الجرّ بدلاً من الضمير في سرهم ونجواهم، وقرىء: «يُلمزون»، بالضم، ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾: المتطوّعين المتبرعين، روي أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ حثّ على الصدقة، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب، وقيل: بأربعة آلاف درهم، وقال: كان لي ثمانية آلاف، فأقرضت ربي أربعة، وأمسكت أربعة لعيالي، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيمَا أَعْطَيْتَ وَفِيمَا أَمْسَكْتَ» فبارك الله له، حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً، وتصدّق عاصم بن عديّ بمائة وسق من تمر، وجاء أبو عقيل الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ بصاع من تمر، فقال: بت ليلتي أجرّ بالجرير[1] على صاعين، فتركت صاعاً لعيالي، وجئت بصاع، فأمره رسول الله ـ ﷺ ـ أن ينثره على الصدقات، فلمزهم المنافقون، وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلاّ رياء، وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل، ولكنه أحب أن يذكر بنفسه/ ٣٠٠أ ليعطي من الصدقات (٧٠٤)؛

---

٧٠٤ ـ أخرجه البزار من طريقين؛ كما في «مجمع الزوائد»: (٧/ ٣٥) عن أبي سلمة وعن أبي هريرة به.
وأخرجه الطبراني عن أبي عقيل؛ كما في مجمع الزوائد (٧/ ٣٥ ـ ٣٦)، فذكره.
ومن طريق أبي عقيل أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٤٣٢) رقم (١٧٠٢٩).
وعبد الرزاق في تفسيره: (٢/ ٢٨٣)، والطبري في تفسيره (٦/ ٤٣١) رقم (١٧٠٢٤)، والواحدي في تفسيره: (٢/ ٥١٤)؛ كلهم من طريق قتادة به.
وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٤٣٠) رقم (١٧٠١٨ ـ ١٧٠١٩) من طريق ابن عباس به، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٤٦٩) عن أبي هريرة، وعزاه إلى البزار وابن أبي حاتم وابن مردويه.
كما ذكره السيوطي في «الدر المنثور». (٣/ ٤٧٠) عن أبي عقيل، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والبغوي والطبراني في معجمه، وأبي الشيخ وابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة؛ كما ذكره السيوطي في «الدر»: (٣/ ٤٧٠) عن ابن عباس وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٥) فيما رواه عن أبي سلمة وعن أبي هريرة:
رواه البزار من طريقين إحداهما متصلة عن أبي هريرة، والأخرى عن أبي سلمة مرسلة، قال: ولم نسمع أحداً أسنده من حديث عمر بن أبي سلمة إلا طالوت بن عبادة، وفيه عمر بن أبي سلمة وثقه =

---

(١) قوله: «بالجرير» وهو حبل البعير. ويروى: أجر بالجرير الماء كذبهان من أجر. (ع)

فنزلت، ﴿إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: إلا طاقتهم، قرىء: بالفتح والضم، ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾؛ كقوله: الله يستهزىء بهم في أنه خبر غير دعاء؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠)﴾

سأل عبد الله بن عبد الله بن أبيّ رسول الله ـ ﷺ ـ وكان رجلاً صالحاً ـ أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل؛ فنزلت، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إِنَّ اللهَ قَدْ رَخَّصَ لِي فَسَأَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ» (٧٠٥)؛ فنزلت، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: وقد

= العجلي وأبو خيثمة وابن حبان، وضعفه شعبة وغيره، وبقية رجالهما ثقات. أ.هـ.

كما قال الهيثمي (٣٦/٧) فيما رواه عن أبي عقيل: رواه الطبراني ورجاله ثقات، إلا أن خالد بن يسار لم أجد من وثقه ولا جرحه. أ.هـ.

قال الحافظ:

أخرجه ابن مردويه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين ـ الآية﴾ قال: جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية. من ذهب إلى رسول الله ﷺ وجاء رجل من الأنصار بصاع من تمر. فقال بعض المنافقين: والله ما جاء عبد الرحمن بن عوف بما جاء به إلا رياء، وإن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع. ومن طريق عطية العوفي. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «خرج رسول الله ﷺ يوماً إلى الناس، فنادى فيهم: أن اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم، وجاء رجل بصاع من تمر. فقال: يا رسول الله بت ليلتي أجر بالجرير ـ الحديث. وجاء عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله، مالي ثمانية آلاف، فأربعة آلاف لي، وأربعة آلاف أقرضها ربي فذكره». وقال عبد الرزاق في تفسيره أخبرنا معمر عن قتادة قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله. وكان له ثمانية آلاف دينار. فتصدق بأربعة آلاف دينار. فقال أناس من المنافقين: إن عبد الرحمن لعظيم الرياء. فقال الله عز وجل: ﴿الذين يلمزون المطوعين﴾، وكان لرجل من الأنصار صاعان من تمر. فجاء بأحدهما. فقال أناس من المنافقين: إن كان الله لغنيا عن صاع هذا. فقال الله عز وجل: ﴿إلا جهدهم﴾، وروى البزار من رواية عمر بن أبي مسلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تصدقوا فإني أريد أن أبعث بعثاً، فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله، عندي أربعة آلاف درهم؛ ألفان أقرضها ربي وألفان لعيالي ـ الحديث»، وفيه: «وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين من تمر، أخرجه عن طالوت بن عبادة عن أبي عوانة عنه، وقال: تفرد طالوت بوصله ثم رواه عن أبي كامل عن أبي عوانة، ومن طريقه ابن مردويه، وفي المغازي بأربعة آلاف، وقام عاصم بن عدي فتصدق بمائة وسق من تمر فألقاه في الصدقة فتضاحكوا به وقالوا: إن الله لغني عن صاع أبي عقيل» انتهى، وقصة أبي عقيل أخرجها إبراهيم الحربي والطبراني والطبري من رواية خالد بن يسار عن ابن أبي عقيل عن أبيه قال: «بت أجر الجرير على ظهري على صاعين من تمر ـ الحديث»، وفي إسناده موسى بن عبدة وهو ضعيف، قلت: قصة أبي عقيل أخرجها البخاري من حديث أبي مسعود الأنصاري باختصار، وفيه: «جاء إنسان آخر بأكثر من ذلك» وفي رواية: بشيء كثير. انتهى.

٧٠٥ ـ قال ابن حجر: لم أجده بهذا السياق، وأصله في المتفق عليه عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ

ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر[1]، كأنه قيل: لن يغفر الله لهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، وإن فيه معنى الشرط، وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الأمر، والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير؛ قال عليّ بن أبي طالب، عليه السلام [من الرجز]:

لأَصْبَحَنَّ الْعَاصِيَ ابْنَ الْعَاصِي سَبْعِينَ أَلْفاً عَاقِدِي النَّوَاصِي[2]

= أ.هـ والحديث أخرجه البخاري (٩/ ٢٣٢).

كتاب التفسير: باب قوله تعالى: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾، حديث (٤٦٧٠)، ومسلم (٨/ ١٧٦ ـ النووي): كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عمر ـ رضي الله عنه ـ، حديث (٢٥/ ٢٤٠٠)، عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر، فذكره.
قال الحافظ: لم أجده بهذا السياق وأصله في المتفق عليه عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه»، فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام يصلي عليه فأخذ عمر ـ رضي الله عنه ـ بثوبه فقال: أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه، فقال: إنما خيرني فقال: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم... الآية﴾، وسأزيده على السبعين فصلى عليه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً﴾ فتركت الصلاة عليهم. لفظ مسلم. انتهى.

---

(١) قال محمود: «قد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر... إلخ» قال أحمد: وما يدعيه الزمخشري في هذا وأمثاله من محذوف هو المقصود بالأمر وهذا واقع موقعه، كقول كثير عزة «أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة» كأنه يقول لها: امتحني محلك عندي وقوة محبتي لك، وعامليني بالإساءة والإحسان، وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة أو محسنة؟ وكذلك معنى الآية ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وانظر هل يغفر لهم في حالتي الاستغفار وتركه؟ وهل يتفاوت الحالان أو لا؟ قال أحمد: وقد ورد بصيغة الخبر في الآية الأخرى في قوله تعالى ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾.

(٢) لأصبحن العاصي ابن العاصي سبعين ألفاً عاقدي النواصي
مستحقبين حلق الدلاص قد جنبوا الخيل مع القلاص
آساد محل حين لا مناص

لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في عمرو بن العاص. وصبحه: سقاه الصبوح وقت الصباح. ويروى «لأصحبن» من الصحبة ولعله تحريف. شبه إنالة المكروه بإنالة المحبوب على سبيل التهكم، فهو استعارة تصريحية تهكمية. ويجوز أنه شبه الفرسان لإتيانهم صباحاً بالصبوح على سبيل المكنية التهكمية. ولأصبحن: تخييل. وسبعين ألفاً: مفعول ثان. والمراد به الكثرة. والعاقدين: جمع عاقد، والمراد: نواصي خيلهم أو أطراف عمائمهم من خلفهم أو شعور رؤوسهم. وعقد الناصية من أمارات الشجاعة والإشاحة في القتال. والحقاب: ما تلفه المرأة على وسطها، ويطلق على ذات وسطها. والحقيبة: خرج صغير خلف الراكب. والحلق ـ بالكسر ـ: جمع حلقة. والدلاص: الدرع الملساء المضيئة، يوصف به الواحد والجمع. فالمعنى: أنهم لابسو الدروع. أو لا شيء في حقائبهم غيرها. والقلاص فتيات الإبل: أي جمعوا بين النوعين، وجعلهم كآساد =

فإن قلت: كيف خفي على رسول الله ـ ﷺ ـ وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام[1] وتمثيلاته، والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار، كيف وقد تلاه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال: «قَدْ رَخَّصَ لِي رَبِّي فَسَأَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ» ح.

قلت: لم يخف عليه ذلك؛ ولكنه خيل بما قال؛ إظهاراً لغاية رحمته، ورأفته على من بعث إليه؛ كقول إبراهيم، عليه السلام: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وفي إظهار النبي ـ ﷺ ـ الرأفة والرحمة: لطف لأمّته، ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿الْمُخَلَّفُونَ﴾: الذين استأذنوا رسول الله ـ ﷺ ـ من المنافقين، فأذن لهم، وخلفهم في المدينة في غزوة تبوك، أو الذين خلفهم كسلهم، ونفاقهم والشيطان، ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾: بقعودهم عن الغزو، ﴿خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾: خلفه، يقال: أقام خلاف الحي، بمعنى: بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم؛ وتشهد له قراءة أبي حيوية: خلف رسول الله، وقيل: هو بمعنى المخالفة؛ لأنهم خالفوه؛ حيث قعدوا ونهض، وانتصابه على أنه مفعول له أو حال، أي: قعدوا لمخالفته أو مخالفين له، ﴿أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾: تعريض بالمؤمنين، وبتحملهم المشاق العظام، لوجه الله تعالى، وبما فعلوا من بذل أموالهم، وأرواحهم في سبيل الله تعالى، وإيثارهم ذلك على الدعة والخفض، وكره ذلك المنافقون، وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي الإيقان؟ ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾: استجهال لهم؛ لأن من تصوّن من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصوّن في مشقة

= المحل، أي الجدب؛ ليفيد أنهم جياع وعطاش إلى لحوم الأعداء ودمائهم، وحق اسم «لا» أن يبنى على الفتح، فيجوز أنه كسره للقافية. والأوجه أنه الاسم بمعنى غير كما في الصحاح، أو حين غير مناص، أو بني على الكسر لنية الإضافة. وشبهه بنزال، أو هو مجرور بمن الاستغراقية مقدرة كما مر في «ولات أوان» ويجوز ـ على بعد ـ أن يكون في الكلام مضاف محذوف، أي لا حين ولا وقت مناص، أي تأخر عن الحرب، ويمكن أن «لا» زائدة بين المتضايفين، كما في «بئر لا حور سري» أي حين مناص الفرسان وفرارهم.

ينظر ديوانه ص (١١٥)؛ وبلا نسبة في المقتضب (٢/ ٢٠٠).

(١) عاد كلامه: قال: «فإن قلت كيف خفي على رسول الله ﷺ وهو أفصح من نطق بالضاد. . . إلخ» قال أحمد: وقد أنكر القاضي رضي الله عنه حديث الاستغفار ولم يصححه، وتغالى قوم في قبوله حتى إنهم اتخذوه عمدة في مفهوم المخالفة، وبنوه على أنه عليه السلام فهم من تحديد نفي الغفران بالسبعين ثبوت الغفران بالزائد عليه، وذلك سبب إنكار القاضي عليهم.

الأبد، كان أجهل من كل جاهل؛ لبعضهم [من الطويل]:

مَسَرَّةُ أَحْقَابٍ تَلَقَّيْتُ بَعْدَهَا ... مَسَاءَةَ يَوْمٍ أَرْيُهَا شَبَهُ الصَّابِ
فَكَيْفَ بِأَنْ تَلْقَى مَسَرَّةَ سَاعَةٍ ... وَرَاءَ تَقَضِّيهَا مَسَاءَةُ أَحْقَابِ[1]

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

معناه: فسيضحكون قليلاً، ويبكون كثيراً، ﴿جَزَآءً﴾/ ٣٠٠ب: إلا أنه أخرج على لفظ الأمر؛ للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره، يروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا، لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

وإنما قال: ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾؛ لأنّ منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف، أو اعتذر بعذر صحيح، وقيل: لم يكن المخلفون كلهم منافقين، فأراد بالطائفة: المنافقين منهم؛ ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ يعني: إلى غزوة بعد غزوة تبوك، و﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: هي الخروج إلى غزوة تبوك، وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق، بخلاف غيرهم من المتخلفين، ﴿مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾: قد مرّ تفسيره؛ قرأ مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ: مع الخلفين، على قصر الخالفين؛

فإن قلت: (مرة) نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل، فلم ذكر اسم التفضيل المضاف إليها، وهو دال على واحدة من المرات؟

قلت: أكثر اللغتين: هند أكبر النساء، وهي أكبرهنّ، ثم إنّ قولك: هي كبرى امرأة، لا تكاد تعثر عليه، ولكن هي أكبر امرأة، وأول مرة، وآخر مرة، وعن قتادة: ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلاً قيل فيهم ما قيل.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

---

(١) للزمخشري. و«الأحقاب» الأزمان الكثيرة المتتابعة، جمع حقب بالضم بمعنى الدهر. و«الأري» العسل. و«الشبه» المثل. و«الصاب» نبت مر الطعم. وقيل: هو الحنظل يقول إن مسرة أزمان كثيرة ترى بعدها مساءة يوم واحد، حالها الشبيه بالعسل هو في الحقيقة شبيه بالحنظل، فكيف الحال بعكس ذلك؟
ينظر التفسير الكبير ١٤٩/١٦، ١٥٠، والبحر المحيط ٧٩/٥، والدر المصون ٤٨٨/٣.

روي أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ كان يقوم على قبور المنافقين، ويدعو لهم، فلما مرض ـ رأس النفاق ـ عبد الله بن أبيّ بعث إليه ليأتيه، فلما دخل عليه، قال: أهلكك حب اليهود، فقال: يا رسول الله، بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني[1] (٧٠٦)، وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده، ويصلي عليه، فلما مات دعاه ابنه حباب إلى جنازته، فسأله عن اسمه، فقال: أنت عبد الله بن عبد الله، الحباب اسم شيطان (٧٠٧)، فلما همّ بالصلاة عليه، قال له عمر: أتصلي على عدوّ الله؛ فنزلت (٧٠٨) وقيل: أراد أن يصلي عليه فجذبه جبريل (٧٠٩).

---

٧٠٦ ـ أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٤١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٨٥) من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن عروة بن الزبير عن أسامة بن زيد به.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
وزاد البيهقي في رواية أخرى عن الواقدي (٥/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) ثم قال: يا رسول الله، ليس هذا بحين عتاب هو الموت فإذا مت فاحضر غسلي... الحديث».

٧٠٧ ـ قوله ﷺ «الحباب اسم شيطان» أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٤٣٤) رقم (١٧٠٣٩)، و(٦/ ٤٣٥) رقم (١٧٠٤٤)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٤٠٨، ٤٠٩) رقم (٢٢٦).

٧٠٨ ـ قول عمر: ﴿أتصلي على عدو الله﴾ فقد تقدم تخريجه قبل ذلك بحديثين.
قال الحافظ: لم أجده هكذا، فأما أوله وهو: «كان يقوم... إلى آخره». وأما قصة عبد الله: ففي الجائز من المستدرك من طريق ابن إسحاق حدثني الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد قال: «دخل رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي ليعوده في مرضه الذي مات فيه. فلما عرف فيه الموت قال له: أما والله إن كنت لأنهاك عن حب يهود، فقال: قد أبغضتهم. فما نفعه، فلما مات أتاه ابنه فقال: قد مات فأعطني قميصك أكفنه فيه، فنزع ـ عليه الصلاة والسلام ـ قميصه فأعطاه إياه» وأما قوله: «بعثت إليك لتستغفر لي لا لتوبخني»، فزاده الطبراني من طريق معمر عن قتادة قال: «أرسل عبد الله بن أبي وهو مريض إلى النبي ﷺ، فلما دخل عليه قال له النبي ﷺ: أهلكك حب يهود. قال: يا رسول الله، أرسلت إليك لتستغفر لي ولم أرسل إليك لتوبخني، وسأله قميصه أن يكفن فيه، فأعطاه إياه فاستغفر له ومات فكفنه في قميصه، ونفث في جلده ودلاه في قبره، فأنزل فقال: «ليس هذا بحين عتاب. هو الموت، فإن مت فاحضر غسلي وأعطني قميصك أكفن فيه فأعطاه ثم قال: وصل علي واستغفر لي»، وفي رواية له فقال له ابنه ـ وكان يقال له: الحباب، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله يا رسول الله: أعطه قميصك الذي يلي جلدك» وأما قوله: «الحباب اسم شيطان» فرواه ابن سعد والطبري من طريق عروة وغيره قال: «لما ثقل عبد الله بن أبي انطلق ابنه فقال: إن أبي احتضر، وأحب أن تشهده وتصلي عليه، فقال له النبي ﷺ: ما اسمك؟ قال: الحباب بن عبد الله قال: بلى، أنت عبد الله، إن الحباب اسم شيطان، قال: فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وصلى عليه، وأما قول عمر فقد قدمنا أنه في الصحيحين. انتهى.

٧٠٩ ـ حديث جبريل أخرجه أبو يَعلى الموصلي في مسنده (٧/ ١٤٤ ـ ١٤٥) رقم (٤١١٢). والطبري في تفسيره (٦/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠) رقم (١٧٠٦٨) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس به، وذكره الهيثمي في =

---

(١) قوله: «لا لتؤنبني» أي تعنفني باللوم.

فإن قلت: كيف جازت له تكرمة المنافق، وتكفينه في قميصه؟

قلت: كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له؛ وذلك أن العباس ـ رضي الله عنه ـ عم رسول الله ـ ﷺ ـ لما أخذ أسيراً ببدر لم يجدوا له قميصاً، وكان رجلاً طوالاً[1]، فكساه عبد الله قميصه (٧١٠) وقال له المشركون يوم الحديبية: إنا لا نأذن لمحمد[2] ولكنا نأذن لك، فقال: لا، إن لي في رسول الله أسوة حسنة (٧١١) فشكر رسول الله ـ ﷺ ـ له ذلك، وإجابة له إلى مسألته إياه، فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يرد سائلاً، وكان يتوفر على دواعي المروءة، ويعمل بعادات الكرام، وإكراماً لابنه الرجل الصالح، فقد روي أنه قال له: أسألك أن تكفنه في بعض قمصانك، وأن تقوم على قبره، لا يشمت به الأعداء (٧١٢)، وعلماً بأن تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره، فلا فرق بينه وبين غيره من الأكفان، وليكون/ ٣٠١أ إلباسه إياه لطفاً لغيره، فقد روي أنه قيل له: لم وجهت إليه

= مجمع الزوائد (٣/ ٤٥): وقال: رواه أبو يَعلى، وفيه يزيد الرقاشي وفيه كلام وقد وثق.

قال الحافظ: أخرجه أبو يَعلى من رواية يزيد الرقاشي عن أنس «أن رسول الله ﷺ أراد أن يصلي على عبد الله بن أبيّ، فأخذ جبريل بثوبه. وقال: «ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره» ويزيد ضعيف. انتهى.

٧١٠ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٢٥١): كتاب الجهاد والسير: باب الكسوة للأسارى، حديث (٣٠٠٨)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣١) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وهو وهم منه ـ رحمه الله.

قال الحافظ:

أخرجه البخاري من رواية عمرو بن دينار سمع جابراً «لما كان يوم بدر أتى بالأسارى وأتى بالعباس، ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي ﷺ قميصاً. فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه. قال ابن عتبة كانت له عند النبي ﷺ يد فأحب أن يكافئه. ورواه الحاكم في المستدرك من حديث جابر، وأدرج فيه الكلام الأخير. انتهى.

٧١١ ـ أخرجه الواقدي في المغازي؛ كما في «تخريج الكشاف» للحافظ ابن حجر.

قال الحافظ: أخرجه الواقدي في المغازي: حدثنا جابر بن سليم عن صفوان بن عثمان «قال: «كانت قريش يوم الحديبية أرسلت إلىَ عبد الله بن أبي: إن أحببت أن تدخل فتطوف فافعل. وابنه جالس عنده. فقال له ابنه: يا أبت اذكر الله أن تطوف بالبيت قبل رسول الله ﷺ فأبى ابن أبي، وقال: لا أطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ فبلغ رسول الله ﷺ كلامه فسر. انتهى.

٧١٢ ـ قال ابن حجر: لم أجده وأصل سؤال ابنه في الصحيح كما تقدم. انتهى.

---

(١) قوله: «وكان رجلاً طوالاً» في الصحاح: الطوال ـ بالضم: الطويل (ع).

(٢) قوله: «إنا لا نأذن لمحمد» أي في دخوله مكة (ع).

بقميصك وهو كافر؟ فقال: «إِنَّ قَمِيصِي لَنْ يُغْنِيَ عَنْهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً، وَإِنِّي أُؤَمِّلُ فِي اللهِ أَنْ يَدْخُلَ فِي الإِسْلاَمِ كَثِيرٌ بِهٰذَا السَّبَبِ» (٧١٣).. فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله ـ ﷺ ـ (٧١٤) وكذلك ترحمه، واستغفاره، كان للدعاء إلى التراحم والتعاطف؛ لأنهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان وباطنه على خلاف ذلك، دعا المسلم إلى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتماً عليه.

فإن قلت: فكيف جازت الصلاة عليه؟

قلت: لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم، وكانوا يجرون مجرى المسلمين؛ لظاهر إيمانهم، لما في ذلك من المصلحة، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: ما أدري ما هذه الصلاة، إلا أني أعلم أن رسول الله ـ ﷺ ـ لا يخادع (٧١٥) ﴿مَّاتَ﴾: صفة لأحد؛ وإنما قيل: مات، وماتوا بلفظ الماضي ـ والمعنى على الاستقبال ـ على تقدير الكون والوجود؛ لأنه كائن موجود لا محالة، ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا﴾: تعليل للنهي، وقد أعيد قوله: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ﴾؛ لأنّ تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده، وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه، وأن يعتقد أن العمل به مهمّ يفتقر إلى فضل عناية به، لا سيما إذا تراخى ما بين النزولين فأشبه الشيء الذي أهم صاحبه، فهو يرجع إليه في أثناء حديثه، ويتخلص إليه؛ وإنما أعيد هذا المعنى؛ لقوته فيما يجب أن يحذر منه.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ

----

٧١٣ ـ قال ابن حجر: لم أره هكذا. اهـ. وأصله ما أخرجه الطبري من رواية معمر عن قتادة (٦/ ٤٤٠) رقم (١٧٠٧٣) قال: ذكر لنا النبي ﷺ كله في ذلك. فقال: «وما يغني عنه قميصي من الله، وإني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه».
قال الحافظ:
لم أره هكذا، وأصله أخرجه الطبري من رواية معمر عن قتادة قال ذكر لنا أن النبي ﷺ كله في ذلك. فقال: وما يغني عنه قميصي من الله، وإني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه». انتهى.

٧١٤ ـ قال ابن حجر:
لم أره هكذا إلا في مرسل قتادة الذي قبله. انتهى.

٧١٥ ـ أخرجه ابن مردويه في تفسيره من حديث سنيد بن داود كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٩٣).
قال الحافظ:
أخرجه سعيد بن داود في تفسيره من طريقه. قال حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني الحكم بن أبان سمع عكرمة عن عباس قال «لما مرض عبد الله بن أبي مرضه الذي مات فيه قال للنبي ﷺ امنن علي فكفني في قميصك وصل علي قال: فكفنه في قميصه وصلى عليه. قال ابن عباس: والله ما أدري ما هذه الصلاة كانت: فالله أعلم، وما خادع محمداً إنسان قط». انتهى.

ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

يجوز أن يراد السورة بتمامها، وأن يراد بعضها في قوله: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾، كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه، وقيل هي براءة؛ لأنّ فيها الأمر بالإيمان والجهاد، ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟﴾: هي أن المفسرة، ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ﴾: ذوو الفضل والسعة، من طال عليه طولاً ﴿مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾: مع الذين لهم علة وعذر في التخلف، ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: ما في الجهاد من الفوز والسعادة، وما في التخلف من الشقاء والهلاك، ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ﴾ أي: إن تخلف هؤلاء فقد نهد[1] إلى الغزو من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقداً؛ كقوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ [الأنعام: ٨٩]، ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [فصلت: ٣٨]. ﴿ٱلْخَيْرَٰتُ﴾: تتناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ، وقيل: الحور؛ لقوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ﴾ [الرحمن: ٧٠].

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾

﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾: من عذر في الأمر، إذا قصر فيه وتوانى ولم يجدّ، وحقيقته أنه يوهم أن له عذراً فيما يفعل؛ ولا عذر له، أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين، ويجوز في العربية كسر العين؛ لالتقاء الساكنين، وضمها لإتباع الميم، ولكن لم تثبت بهما قراءة، وهم الذين يعتذرون بالباطل؛ كقوله: يعتذرون إليكم/ ٣٠١ب إذا رجعتم إليهم، وقرىء: «المعذرون»، بالتخفيف، وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه، قيل: هم أسد، وغطفان، قالوا: إن لنا عيالاً، وإن بنا جهداً فائذن لنا في التخلف، وقيل: هم رهط عامر بن الطفيل، قالوا: إن غزونا معك أغارت أعراب طيّ على أهالينا ومواشينا، فقال ـ ﷺ ـ: «سَيُغْنِينِي اللهُ عَنْكُمْ» ح وعن مجاهد: نفر من غفار، اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى، وعن قتادة: اعتذروا بالكذب، وقرىء: «المعَّذرون» بتشديد العين والذال، من تعذر بمعنى: اعتذر، وهذا غير صحيح؛ لأنّ التاء لا تدغم في العين إدغامها في الطاء والزاي والصاد، في المطوّعين، وأزكى وأصدق، وقيل: أريد المتعذرون بالصحة، وبه

---

(١) قوله: «فقد نهد» أي نهض، كما في الصحاح (ع).

فسر المعذرون والمعذرون، على قراءة ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: الذين لم يفرطوا في العذر، ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: هم منافقو الأعراب الذين لم يجيؤوا ولم يعتذروا، وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان، وقرأ أبيّ: «كذبوا»، بالتشديد، ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ﴾ من الأعراب، ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: في الدنيا بالقتل، وفي الآخرة بالنار.

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿ٱلضُّعَفَآءِ﴾: الهرمي والزمني، والذين لا يجدون: الفقراء، وقيل: هم مزينة، وجهينة، وبنو عذرة، والنصح لله ورسوله: الإيمان بهما، وطاعتهما في السر والعلن، وتوليهما؛ والحب والبغض فيهما، كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه، ﴿عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: على المعذورين الناصحين، ومعنى: لا سبيل عليهم: لا جناح عليهم، ولا طريق للعاتب عليهم، ﴿قُلۡتَ لَآ أَجِدُ﴾: حال من الكاف في: (أتوك)، وقد قبله مضمرة؛ كما قيل في قوله: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ أي: إذا ما أتوك قائلاً لا أجد، ﴿تَوَلَّواْ﴾: ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في أبدانهم استطاعة، والذين عدموا آلة الخروج، والذين سألوا المعونة فلم يجدوها، وقيل: «المستحملون»: أبو موسى الأشعري وأصحابه، وقيل: البكاؤون، وهم ستة نفر من الأنصار، ﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾؛ كقولك: تفيض دمعاً، وهو أبلغ من يفيض دمعها؛ لأنّ العين جعلت كأن كلها دمع فائض، و«من»: للبيان؛ كقولك: أفديك من رجل، ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز، ﴿أَلَّا يَجِدُواْ﴾: لئلا يجدوا، ومحله نصب على أنه مفعول له، وناصبه المفعول له الذي هو حزناً.

﴿۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾

فإن قلت: ﴿رضوا﴾ ما موقعه؟

قلت: هو استئناف، كأنه قيل: ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء؟ فقيل: رضوا بالدناءة، والضعة، والانتظام في جملة الخوالف، ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: أن السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله تعالى إياهم.

فإن قلت: فهل يجوز/ ٣٠٢أ أن يكون قوله: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ﴾ ٱستئنافاً مثله، كأنه قيل: إذا ما أتوك لتحملهم تولوا، فقيل: ما لهم تولوا باكين؟ فقيل: قلت: لا أجد ما أحملكم عليه، إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض، ﴿قُلْتَ﴾: نعم ويحسن، ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾: علة للنهي عن الاعتذار؛ لأن غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به، فإذا علم أنه مكذب وجب عليه الإخلال[1]، وقوله: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾: علة لانتفاء تصديقهم؛ لأنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد، لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾: أتنيبون أم تثبتون على كفركم، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾: إليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية، فيجازيكم على حسب ذلك.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾: فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم، ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾: فأعطوهم طلبتهم، ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: تعليل لترك معاتبتهم، يعني: أنّ المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم؛ إنما يعاتب الأديب ذو البشرة، والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه، ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار، وأما هؤلاء: فأرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم، ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ يعني: وكفتهم النار عتاباً وتوبيخاً، فلا تتكلفوا عتابهم.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ﴾: أي: غرضهم في الحلف بالله طلب رضاهم لينفعهم ذلك في دنياهم، ﴿فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ﴾: فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطاً عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها، وقيل: إنما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم، قيل: هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما، وكانوا ثمانين رجلاً منافقين فقال النبي ـ ﷺ ـ حين قدم المدينة: «لاَ تُجالِسُوهُمْ وَلاَ

---

(١) قوله: «وجب عليه الإخلال» أي الترك. يقال: أخل الرجل بمركزه، إذا تركه (ع).

تُكَلِّمُوهُمْ» وقيل: جاء عبد الله بن أبيّ يحلف ألاَّ يتخلف عنه أبداً.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

﴿ٱلْأَعْرَابِ﴾: أهل البدو، ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾: من أهل الحضر؛ لجفائهم، وقسوتهم، وتوحشهم، ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة، ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟﴾، وأحق بجهل حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام، ومنه قوله ـ ﷺ ـ: «إِنَّ الجَفَاءَ وَالقَسْوَةَ فِي الفَدَّادِينَ»[1] (٧١٦) ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يصيب به مسيئهم، ومحسنهم، ومخطئهم، ومصيبهم من عقابه وثوابه.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

﴿مَغْرَمًا﴾: غرامة وخسراناً، والغرامة: ما ينفقه الرجل وليس يلزمه؛ لأنه لا ينفق إلا تقية من المسلمين ورياء، لا لوجه الله ـ عزّ وجلّ ـ وابتغاء المثوبة عنده، ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾: دوائر الزمان. دوله وعقبه[2]، لتذهب غلبتكم عليه ليتخلص من إعطاء الصدقة،

---

٧١٦ ـ أخرجه البخاري (٨/ ٤٣٤): كتاب المغازي: باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، حديث (٤٣٨٧)، ومسلم (١/ ٣٠٥ ـ النووي): كتاب الإيمان: باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه، حديث (٨١/ ٥١).

قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري في أثناء حديث فيه «وإن الجفاء وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل» كذا للبخاري ولمسلم «إن القسوة وغلظ القلوب». انتهى.

---

(١) قوله: «والقسوة في الفدادين» الفدادين: هم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم. ورجل فداد: شديد الفديد، وهو الصوت: أفاده الصحاح (ع).

(٢) قال أحمد: «دوائر الزمان: دوله، وعقبه لتذهب غلبتكم عليه... إلخ» قال أحمد: وفي آية براءة مزيد على مناسبة الدعاء لحال المدعو عليهم ولقولهم، وذلك أن الذي نسب إليهم تربص الدوائر مطلقاً والذي دعى عليهم به دائرة السوء على التقييد بأسوأ الدوائر لا على الإطلاق، والله الموفق.

/ ٣٠٢ب﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ﴾: دعاء معترض، دعى عليهم بنحو ما دعوا به؛ كقوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقرىء: «السُّوء» بالضم، وهو العذاب، كما قيل له سيئة، «والسَّوء» بالفتح، وهو ذمّ للدائرة؛ كقولك: رجل سوء، في نقيض قولك: رجل صدق؛ لأنَّ من دارت عليه ذامّ لها، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة، ﴿عَلِيمٌ﴾: بما يضمرون، وقيل: هم أعراب أسد، وغطفان، وتميم، ﴿قُرُبَٰتٍ﴾: مفعول ثان ليتخذ، والمعنى: أنّ ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾؛ لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم؛ كقوله: «اللَّهُمَّ، صَلِّ عَلَىٰ آلِ أَبِي أَوْفَىٰ» (٧١٧) وقال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [التوبة: ١٠٣]، فلما كان ما ينفق سبباً لذلك قيل: يتخذ ما ينفق قربات وصلوات، ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾: شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد، من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف، مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه؛ وكذلك: ﴿سَيُدۡخِلُهُمُ﴾، وما في السين من تحقيق الوعد، وما أدل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين، وأن الصدقة منه بمكان[1] إذا خلصت النية من صاحبها، وقرىء: (قربة): بضم الراء، وقيل: هم عبد الله، وذو البجادين، ورهطه.

---

٧١٧ ـ أخرجه البخاري (٤/ ٤٢٣) كتاب الزكاة: باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة حديث (١٤٩٧) ومسلم (٢/ ٥٦) كتاب الزكاة باب الدعاء لمن أتى بصدقته حديث (١٧٦/ ١٠٧٨) وأبو داود (١/ ٤٩٩) كتاب الزكاة: باب دعاء المصدق لأهل الصدقة حديث (١٥٩٠) والنَّسائي (٥/ ٣١) كتاب الزكاة: باب صلاة الإمام على صاحب الصدقة رقم (٢٤٥٩) وابن ماجه (١/ ٥٧٢) كتاب الزكاة باب ما يقال عند إخراج الزكاة حديث (١٧٩٦) وأحمد (٤/ ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٨١، ٣٨٢) والطيالسي (١/ ١٧٦ ـ منحة) رقم (٨٣٣) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤/ ١٦٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٩٦) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٢٣٥) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٣٦١) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٠) رقم (١١) والبيهقي (٤/ ١٥٧) كتاب الزكاة والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٣١٤ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة قال: اللهم صل عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى.
قال الحافظ: متفق عليه من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهم صل عليه فأتى أبو أوفى بصدقة. فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى» انتهى.

---

(١) قال محمود: «ما أدل هذا الكلام على أن الصدقة من الله بمكان... إلخ» قال أحمد: وللقدرية كما علمت مذهب في أن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر، وأنه مخلد في النار وإن كان موحداً، وغرض الزمخشري أن يجعل الفسق الذي وسم به المنافق هو الذي يوسم به الموحد، حتى يكون استحقاقهما للخلود واحداً. فاحذره، والله أعلم.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٠٠﴾

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾: هم الذين صلوا إلى القبلتين، وقيل: الذين شهدوا بدراً، وعن الشعبي: من بايع بالحديبية، وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين، ﴿وَ﴾ من ﴿وَٱلۡأَنصَارِ﴾: أهل بيعة العقبة الأولى، وكانوا سبعة نفر، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين، والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن، وقرأ عمر - رضي الله عنه -: «والأنصارُ» بالرفع عطفاً على السابقون (٧١٨)، وعن عمر أنه كان يرى أنّ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ بغير واو صفة للأنصار، حتى قال له زيد: إنه بالواو، فقال: ائتوني بأبيّ، فقال: تصديق ذلك في أول الجمعة، (وآخرين منهم): وأوسط الحشر، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر: ١٠] وآخر الأنفال، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وروي أنه سمع رجلاً يقرؤه بالواو، فقال: من أقرأك؟ قال: أبيّ، فدعاه فقال: أقرأنيه رسول الله - ﷺ - وإنك لتبيع القرظ بالبقيع، قال: صدقت، وإن شئت قلت: شهدنا وغبتم، ونصرنا وخذلتم، وآوينا وطردتم، ومن ثم قال عمر: لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا (٧١٩)، وارتفع السابقون بالابتداء، وخبره: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ

---

٧١٨ - قال الحافظ في «تخريج الكشاف»:
لم أره هكذا. انتهى.

٧١٩ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٩٦):
رواه الطبري بنقص يسير من طريقين. أ.هـ وقال ابن حجر:
لم أره هكذا. أ.هـ.
والحديث أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٤٥٥) رقم (١٧١٣١) من طريق أبي أحمد عن أبي معشر عن محمد بن كعب فذكره. و(٦/ ٤٥٥) رقم (١٧١٣٢) من طريق الحسن بن عطية عن أبي معشر عن محمد بن كعب فذكره. وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٤٨٣) وعزاه إلى أبي الشيخ.
وأخرجه ابن مردويه في تفسيره من حديث حبيب بن الشهيد عن عمرو بن عامر عن عمر بن الخطاب نحوه؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٩٦).
قال الحافظ: لم أره هكذا، وفي الطبري من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب قال: «مر عمر ابن الخطاب برجل يقرأ: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار»، فأخذ عمر بيده. وقال: من أقرأك هذا؟ قال: أبي بن كعب فقال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه. فلما جاء عمر: قال أنت أقرأت هذا هذه الآية؟ قال: نعم، وسمعتها من رسول الله ﷺ قال: لقد كنت أرى أنا رقعنا رقعة لا يبلغها أحد بعدنا، فقال أبي: تصديق ذلك في أول سورة الجمعة وفي سورة الحشر وفي الأنفال، فذكرها. وروى ابن مردويه من طريق حبيب بن الشهيد عن عمرو بن عامر عن عمر بن الخطاب: «فذكر نحوه وفيه: فقال أبي: لقد أقرأنيها رسول الله ﷺ وأنت تبيع الحبط، فقال عمر: نعم إذن. انتهى.

عَنۡهُمۡ﴾، ومعناه: رضي عنهم لأعمالهم، ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾: لما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية/ ٣٠٣أ، وفي مصاحف أهل مكة: تجري من تحتها، وهي قراءة ابن كثير، وفي سائر المصاحف: تحتها، بغير «من».

﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ١٠١﴾

﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم﴾ يعني: حول بلدتكم وهي المدينة، ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾: وهم جهينة، وأسلم، وأشجع، وغفار، كانوا نازلين حولها، ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ﴾: عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم، ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدّرت: ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق، على أنّ ﴿مَرَدُواْ﴾: صفة موصوف محذوف؛ كقوله [من الوافر]:

أَنَـــا ٱبْـــنُ جَـــلاَ. . . . .

وعلى الوجه الأوّل لا يخلو من أن يكون كلاماً مبتدأ، أو صفة لـ «منافقون»، فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره، ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: تمهروا فيه، من مرن فلان عمله، ومرد عليه: إذا درب به وضرى، حتى لان عليه ومهر فيه، ودلّ على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله: ﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡ﴾ أي يخفون عليك مع فطنتك[1]، وشهامتك، وصدق

---

(١) أنـا ابـن جـلا وطـلاع الـثـنـايـا ... مـتـى أضـع الـعـمـامـة تـعـرفـونـي
ومـاذا تـبـتـغـي الـشـعـراء مـنـي ... وقـد جـاوزت حـد الأربـعـيـن؟
لسحيم بن وثيل الرياحي، كان عبداً حبشيا، فاتهم ببنت مولاه. فقتله. وقيل للمثقب العبدي، ونسب البيت الأول للعرجي. وجلا: صفة لمحذوف، أي ابن رجل جلاً واتضح أمره بالشجاعة، فالفعل لازم. أو جلاغمة الحرب وكشف همها، فهو متعد، وحذف المنعوت هنا ضرورة، لأنه لا يطرد إلا إذا صلح النعت لمباشرة العامل، أو كان المنعوت بعض اسم مجرور بمن، أو في كما مر، وإضافة «طلاع» لما بعده لفظية، فلا تفيده تعريفاً. وتوسيط الواو بين النعوت لتوكيد ربطها بالمنعوت. والثنايا: العقبات الصعبة. استعارها لعظائم الأمور على سبيل التصريح، والطلوع ترشيح «متى أضع» بيضة الحرب على رأسي «تعرفوني» كناية عن نزول الحرب فتثبت شجاعته. وروي «تدري» بدل «تبتغي» وهو افتعال من الدراية، أي: ماذا تستعلم الشعراء مني، والحال أني جاوزت حد الأربعين سنة، وكسر نون الجمع لغة. ويجوز أنه جر بالكسر على لغة من يعربه كالحين.
ينظر الكتاب (٣/ ٢٠٧)، مجالس ثعلب (١/ ١٧٦)، الأصمعيات (١/ ٢٨٣)، شرح المفصل لابن يعيش (١/ ٦١)، المغني (١/ ١٦٠)، الهمع (١/ ٣٠)، الأشموني (٣/ ٢٦٠)، التصريح (٢/ ٢٢١)، الدر المصون (٣/ ٤٩٨).

(٢) قال محمود: «معناه أنه مع شهامتك وفطنتك وصدق فراستك يخفون حالهم عليك. . . إلخ» قال أحمد: وكأن قوله تعالى ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ توطئة لتقرير خفاء حالهم عنه عليه الصلاة والسلام =

فراستك، لفرط تنوّقهم[1] في تحامي ما يشكك في أمرهم، ثم قال: ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ أي: لا يعلمهم إلا الله، ولا يطلع على سرهم غيره؛ لأنهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم إبطاناً، ويبرزون لك ظاهراً كظاهر المخلصين من المؤمنين، لا تشك معه في إيمانهم؛ وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا به، فلهم فيه اليد الطولى، ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قيل: هما: القتل، وعذاب القبر، وقيل: الفضيحة، وعذاب القبر، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنهم اختلفوا في هاتين المرّتين، فقال: قام رسول الله ـ ﷺ[2] ـ خطيباً يوم الجمعة فقال: «اُخْرُجْ يَا فُلاَنُ؛ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ، اُخْرُجْ يَا فُلاَنُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ» (٧٢٠) فأخرج ناساً وفضحهم؛ فهذا العذاب الأوّل، والثاني عذاب القبر، وعن الحسن: أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم، ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: إلى عذاب النار.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم، ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين، وكانوا ثلاثة، أبو لبابة مروان بن عبد المنذر، وأوس بن ثعلبة، ووديعة بن حزام[3]، وقيل: كانوا عشرة، فسبعة منهم أوثقوا

---

٧٢٠ ـ أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٤٤١ ـ ٤٤٢) رقم (٧٩٦).
وذكره الهيثمي في الزوائد (٧/ ٣٧) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقري وهو ضعيف».
وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٤٥٧) رقم (١٧١٣٧) وابن مردويه والثعلبي في تفسيريهما كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٩٧).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٤٨٦)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فذكره.
قال الحافظ: أخرجه الطبري وابن مردويه والطبراني في الأوسط من طريق السدي عن أبي مالك عن ابن عباس بهذا إلى قوله: «وفضحهم»، وزاد: «لم يكن عمر بن الخطاب شهد تلك الجمعة لحاجة كانت له، فلقيهم عمر فاختبأ منهم، ثم دخل المسجد فقال له رجل: يا عمر أبشر، فقد فضح الله المنافقين اليوم. فهذا العذاب الأول، والعذاب الثاني عذاب القبر». انتهى.

= لما لهم من الخبرة في النفاق والضراوة به والله أعلم.

(١) قوله: «لفرط تنوقهم» أي تأنفهم. أفاده الصحاح (ع).
(٢) قوله: «فقال قام رسول الله ﷺ» أن القائل هو ابن عباس (ع).
(٣) قوله: «روي أن الذين اعترفوا بذنوبهم كانوا ثلاثة: أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة، ووديعة بن حزام» لم أجده.

أنفسهم: بلغهم ما نزل في المتخلفين فأيقنوا بالهلاك، فأوثقوا أنفسهم على سواري المسجد، فقدم رسول الله ـ ﷺ ـ فدخل المسجد فصلى ركعتين ـ وكانت عادته ـ ﷺ ـ كلما قدم من سفر ـ فرآهم موثقين، فسأل عنهم، فذكر له أنهم أقسموا ألاً يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله ـ ﷺ ـ هو الذي يحلهم، فقال: وأنا أقسم ألاً أحلهم حتى أومر فيهم؛ فنزلت، فأطلقهم وعذرهم، فقالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا التي خلفتنا/ ٣٠٣ب عنك فتصدق بها وطهرنا، فقال: «مَا أُمِرْتُ أَنْ آخُذَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئاً»؛ فنزلت: خذ من أموالهم (٧٢١) ﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: خروجاً إلى الجهاد، ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾: تخلفا عنه، عن الحسن وعن الكلبي: التوبة والإثم.

فإن قلت: قد جعل كل واحد منهما مخلوطاً فما المخلوط به(١)؟

قلت: كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به؛ لأنّ المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر؛ كقولك: خلطت الماء واللبن، تريد: خلطت كل واحد منهما بصاحبه، وفيه ما ليس في قولك: خلطت الماء باللبن؛ لأنك جعلت الماء مخلوطاً، واللبن مخلوطاً به، وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما؛ كأنك قلت: خلطت الماء باللبن، واللبن بالماء، ويجوز أن يكون من قولهم: بعت الشاء شاة ودرهماً، بمعنى: شاة بدرهم.

---

٧٢١ ـ أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة (٥/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فذكره.
وأخرجه ابن مردويه في تفسيره؛ كما في تخريج الكشاف؛ والزيلعي (٢/ ٩٨).
قال الحافظ: أخرجه البيهقي في الدلائل وابن مردويه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم ـ الآية﴾ كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فلما حضر رجوع النبي ﷺ أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد ـ الحديث». انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطاً فما المخلوط به... إلخ» قال أحمد: والتحقيق في هذا أنك إذا قلت خلطت الماء باللبن فالمصرح به في هذا الكلام أن الماء المخلوط واللبن مخلوط به، والمدلول عليه لزوماً لا تصريحاً كون الماء مخلوطاً به واللبن مخلوطاً، وإذا قلت: خلطت الماء واللبن، فالمصرح به جعل كل واحد منهما مخلوطاً. وأما ما خلط به كل واحد منهما فغير مصرح به، بل من اللازم أن كل واحد منهما مخلوط به. ويحتمل أن يكون قرينة أو غيره، فقول الزمخشري: «إن قولك خلطت الماء واللبن يفيد ما يفيده مع الباء وزيادة» ليس كذلك، فالظاهر في الآية ـ والله أعلم ـ أن العدول عن الباء إنما كان لتضمين الخلط معنى العمل، كأنه قيل: عملوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ثم انضاف إلى العمل معنى الخلط فعبر عنهما معاً به، والله أعلم.

فإن قلت: كيف قيل: ﴿أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، وما ذكرت توبتهم؟

قلت: إذا ذكر اعترافهم بذنوبهم، وهو دليل على التوبة، فقد ذكرت توبتهم.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾: صفة لصدقة، وقرىء: تطهرهم، من أطهره بمعنى طهره، وتطهرهم، بالجزم جواباً للأمر، ولم يقرأ: (وتزكيهم)، إلا بإثبات الياء، والتاء في (تطهرهم) للخطاب أو لغيبة المؤنث، والتزكية: مبالغة في التطهير وزيادة فيه، أو بمعنى الإنماء والبركة في المال، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم، والسنة أن يدعو المصدّق لصاحب الصدقة[1] إذا أخذها، وعن الشافعي ـ رحمه الله ـ: أحب أن يقول الوالي عند أخذ الصدقة: أجرك الله فيما أعطيت، وجعله طهوراً، وبارك لك فيما أبقيت، وقرىء: «إنّ صلاتك»، على التوحيد[2]، ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: يسكنون إليه وتطمئنّ قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بما في ضمائرهم، والغم من الندم لما فرط منهم.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

قرىء: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾: بالياء والتاء، وفيه وجهان.

أحدهما: أن يراد المتوب عليهم، يعني: ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾: إذا صحت، ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية، وهو للتخصيص والتأكيد، وأن الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين.

وقيل: معنى التخصيص في هو: أن ذلك ليس إلى رسول الله ـ ﷺ ـ إنما الله سبحانه، والذي يقبل التوبة ويردّها، فاقصدوه بها ووجهوها إليه.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

---

(١) قوله: «يدعو المصدق لصاحب الصدقة» المصدق اسم فاعل: الذي يأخذ الصدقات، أفاده الصحاح (ع).

(٢) قوله: «وقرئ إن صلاتك على التوحيد» بدل قراءة صلواتك على الجمع (ع).

﴿وَقُلِ﴾: لهؤلاء التائبين، ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾؛ فإن عملكم لا يخفى ـ خيراً كان أو شراً ـ على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم.

والثاني: أن يراد غير التائبين؛ ترغيباً لهم في التوبة، فقد روي أنهم لما تيب عليهم، قال الذين لم يتوبوا: هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا/ ٣٠٤أ، لا يكلمون، ولا يجالسون، فما لهم فنزلت.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾؟

قلت: هو مجاز عن قبوله لها، وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «إن الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل أن تقع في يد السائل (٧٢٢)، والمعنى: أنه يتقبلها ويضاعف عليها، وقوله: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾: وعيد لهم، وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

قرىء: «مرجون، ومرجؤون» من أرجيته، وأرجأته: إذا أخرته، ومنه المرجئة، يعني: وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم، ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾: إن بقوا على الإصرار ولم يتوبوا، ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: إن تابوا، وهم ثلاثة: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن

---

٧٢٢ ـ أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١١٤) رقم (٨٥٧١)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٨٧)، من طريق سفيان الثوري عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن قتادة المازني عن عبد الله بن مسعود به.
وله شاهد من حديث فضالة بن عبيد:
أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨١) من طريق ثور عن وهب بن منبه عن كعب عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه فذكره.
وله شاهد أيضاً من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمين، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل؛ كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله».
أخرجه البخاري (٣/ ٢٤): كتاب الزكاة: باب لا يقبل الله صدقة من غلول، ولا يقبل إلا من كسب طيب؛ لقوله تعالى: ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم﴾، حديث (١٤١٠) وطرفه في (٧٤٣٠)، ومسلم (٤/ ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ النووي) كتاب الزكاة: باب قبول الصدقة عن الكسب الطيب وتربيتها، حديث (٦٣/ ١٠١٤)، والتِّرمذي (٣/ ٤٠): كتاب الزكاة: باب ما جاء في فضل الصدقة، حديث (٦٦١)، والنَّسائي (٥/ ٥٧): كتاب الزكاة: باب الصدقة من غلول، وابن ماجه (١/ ٥٩٠): كتاب الزكاة: باب فضل الصدقة، حديث (١٨٤٢). من حديث أبي هريرة مرفوعاً.
قال الحافظ: أخرجه عبد الرزاق والطبراني من طريق عبد الله بن قتادة المحاربي عنه. وفي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ إلا أخذها الرحمن بيمينه... الحديث. انتهى.

الربيع: أمر رسول الله ـ ﷺ ـ أصحابه ألاّ يسلموا عليهم، ولا يكلموهم، ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شدّ أنفسهم على السواري، وإظهار الجزع والغم، فلما علموا أنّ أحداً لا ينظر إليهم، فوّضوا أمرهم إلى الله تعالى، وأخلصوا نياتهم، ونصحت توبتهم، فرحمهم الله (٧٢٣). ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: وفي قراءة عبد الله: «غفور رحيم»، وإمّا للعباد، أي: خافوا عليهم[1] العذاب، وأرجوا لهم الرحمة.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

في مصاحف أهل المدينة والشام: «الذين اتخذوا» بغير واو؛ لأنها قصة على حيالها، وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم، روي أنّ بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ أن يأتيهم، فأتاهم، فصلى فيه، فحسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف، وقالوا: نبني مسجداً ونرسل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ يصلي فيه، ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام؛ ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم، وهو الذي سماه رسول الله ـ ﷺ ـ الفاسق، وقال لرسول الله ـ ﷺ ـ يوم أحد: «لا أَجِدُ قَوْماً يُقَاتِلُونَكَ إِلاَّ قَاتَلْتُكَ مَعَهُمْ». فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن، خرج هارباً إلى الشام، وأرسل إلى المنافقين، أن استعدّوا بما استطعتم من قوة وسلاح؛ فإني ذاهب إلى قيصر، وآت بجنود ومخرج محمداً وأصحابه من المدينة، فبنوا مسجداً بجنب مسجد قباء، وقالوا للنبي ـ ﷺ ـ: بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية، ونحن نحب أن يصلي لنا فيه، وتدعو لنا بالبركة، فقال ـ ﷺ ـ: «إِنِّي عَلَىٰ جَنَاحِ سَفَرٍ وَحَالِ شُغْلٍ، وَإِذَا قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللهُ ـ صَلَّيْنَا فِيهِ»، فلما قفل من غزوة تبوك، سألوه إتيان المسجد؛ فنزلت عليه، فدعا بمالك بن الدخشم، ومعن بن عدي، وعامر بن السكن، ووحشي قاتل حمزة، فقال لهم: «انْطَلِقُوا

---

٧٢٣ ـ قال ابن حجر:

لم أجده بهذا السياق. والقصة في الصحيحين من حديث كعب بن مالك. أ.هـ

والحديث تقدّم تخريجه.

---

(١) قوله: «وإما للعباد أي خافوا عليهم» عبارة النسفي: وإما للشك وهو راجع إلى العباد (ع).

إِلَىٰ هَٰذَا ٱلْمَسْجِدِ ٱلظَّالِمِ/ ٣٠٤ب أَهْلُهُ فَٱهْدِمُوهُ وَٱحْرِقُوهُ» ح ففعلوا، وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة، ومات أبو عامر بالشام بقنسرين (٧٢٤)، ﴿ضِرَارًا﴾: مضارّة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة، ﴿وَكُفْرًا﴾: وتقوية للنفاق، ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص[1] بهم، فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم، ﴿وَإِرْصَادًا﴾: وإعداداً، (لِـ) أجل، ﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ

---

٧٢٤ ـ قال ابن حجر: لم أجده بهذا السياق، إلا في الثعلبي بلا إسناد، وليس صدره بصحيح؛ فإن مسجد قباء كان قد أسس والنبي ﷺ بقباء أول ما هاجر، وبُنى مسجد الضرار، وكان في غزوة تبوك، فبينهما تسع سنين. أ.هـ.

أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٤٦٩) رقم (١٧٢٠٠) مرسلاً من طريق ابن إسحاق من رواية الزهري ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم.

وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) من طريق ابن إسحاق، وقال: وذكر محمد بن إسحاق في الأوراق التي لم أجد سماعاً فيها من كتاب المغازي عن ثقةٍ من بني عمرو بن عوف.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٤٩٥) من طريق أبي رهم كلثوم بن الحصين الغفاري ـ رضي الله عنه ـ، وعزاه إلى ابن إسحاق وابن مردويه.

وأخرجه ابن هشام في سيرته (٤/ ٢٠٢) رقم (١٨٩١) من طريق ابن إسحاق به.

وذكره الثعلبي بلفظ المصنف بتمامه من غير سند ولا راو، وذكره الواحدي في أسباب النزول وعزاه للمفسرين؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٠١).

كما عزاه الزيلعي لابن مردويه في تفسيره.

وانظر: تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٠١ ـ ١٠٢).

قال الحافظ: قوله «وإما للعباد أي خافوا عليهم

لم أجده بهذا السياق إلا في الثعلبي بلا إسناد، وليس صدره بصحيح فإن مسجد قباء كان قد أسس والنبي ﷺ بقباء أول ما هاجر وبُني مسجد الضرار وكان في غزوة تبوك فبينهما تسع سنين لكن روى ابن مردويه من طريق محمد بن سعد العوفي عن أبيه عن عمه عن أبيه عن جده عطية بن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما بنى رسول الله ﷺ مسجد قباء خرج رجال فيهم عرج جد عبد الله بن حنيف ووديعة بن حزام ومشجع بن حارثة فبنوا مسجداً ـ الحديث من قوله «فبنوا مسجداً إلى مسجد قباء إلى آخره» ذكره ابن إسحاق في المغازي والطبري من طريقه عن الزهري ويزيد بن رومان وغيرهما قالوا: أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذي أوان بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد الضرار قد أتوه وهو متجهز لغزوة تبوك ـ الحديث» ولم يذكر في الذين أرسلوا إلى هدمه سوى مالك بن الدخشم ومعن بن عدي لم يذكر وحشيا قاتل حمزة وعامر ابن السكن ورواه ابن مردويه من طريق ابن إسحاق قال: ذكر الزهري عن ابن أكيمة الليثي عن ابن أخي رهم أنه سمع أبا رهم الغفاري فذكر نحوه.

وأما كونهم بنوه بسبب أبي عامر فرواه ابن مردويه من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه.

---

(١) قوله: «فيغتص» أي يمتلئ اهـ (ع).

﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: وهو الراهب: أعدوه له ليصلي فيه، ويظهر على رسول الله ـ ﷺ ـ وقيل: كل مسجد بني مباهاة، أو رياء، وسمعة، أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيب، فهو لاحق بمسجد الضرار، وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر، فقيل له: مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد، فقال: لا أحب أن أصلي فيه؛ فإنه بني على ضرار، وكل مسجد بني على ضرار، أو رياء، أو سمعة، فإنّ أصله ينتهي إلى المسجد الذي بني ضراراً، وعن عطاء: لما فتح الله ـ تعالى ـ الأمصار على يد عمر ـ رضي الله عنه ـ أمر المسلمين أن يبنوا المساجد، وألاَّ يتخذوا في مدينة مسجدين يضارّ أحدهما صاحبه.

فإن قلت: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾، ما محله من الإعراب؟

قلت: محله: النصب على الاختصاص؛ كقوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وقيل: هو مبتدأ خبره محذوف، معناه: وفيمن وصفنا الذين اتخذوا؛ كقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: ٣٨].

فإن قلت: بم يتصل قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾؟

قلت: باتخذوا، أي: اتخذوا مسجداً من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف، ﴿إِنْ أَرَدْنَآ﴾: ما أردنا ببناء هذا المسجد ﴿إِلَّا﴾: الخصلة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾، أو: الإرادة الحسنى، وهي: الصلاة، وذكر الله، والتوسعة على المصلين، ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قيل: هو مسجد قباء، أسسه رسول الله ـ ﷺ ـ وصلى فيه أيام مقامه بقباء، وهي: يوم الإثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وخرج يوم الجمعة، وهو أولى؛ لأنّ الموازنة بين مسجدي قباء أوقع، وقيل: هو مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ بالمدينة، وعن أبي سعيد الخدري: سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن المسجد الذي أسس على التقوى؟ فأخذ حصباء فضرب بها الأرض، وقال: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هٰذَا مَسْجِدُ المَدِينَةِ» (٧٢٥). ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: من أول يوم من أيام وجوده، ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ قيل: لما نزلت، مشى رسول الله ـ ﷺ ـ ومعه المهاجرون، حتى وقف على باب مسجد قباء، فإذا الأنصار جلوس، فقال: «أَمُؤْمِنُونَ أَنْتُمْ؟» فَسَكَتَ القَوْمُ، ثُمَّ أَعَادَهَا، فَقَالَ عُمَرُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَمُؤْمِنُونَ وَأَنَا مَعَهُمْ، فَقَالَ ـ ﷺ ـ: أَتَرْضَوْنَ بِالقَضَاءِ/ ٣٠٥أ؟» قَالُوا نَعَمْ، قَالَ: أَتَصْبِرُونَ عَلَى البَلاَءِ؟

---

٧٢٥ ـ أخرجه مسلم (٥/ ١٨١ ـ النووي): كتاب الحج: باب لا تشد الرحال إلا في ثلاثة مساجد، حديث (٥١٤/ ١٣٩٨)، والترمذي (٥/ ٢٨٠): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة التوبة، حديث (٣٠٩٩) من طريق عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه به.
وبنحو معناه مختصراً أخرجه النسائي (٢/ ٣٦) كتاب المساجد: باب ذكر المسجد الذي أسس على التقوى من طريق ابن أبي سعيد الخدري عن أبيه فذكره.
قال الحافظ: رواه مسلم بلفظه. انتهى.

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَتَشْكُرُونَ فِي الرَّخَاءِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ـ ﷺ ـ: مُؤْمِنُونَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، فَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، إِنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَدْ أَثْنَىٰ عَلَيْكُمْ فَمَا الَّذِي تَصْنَعُونَ عِنْدَ الْوُضُوءِ وَعِنْدَ الغَائِطِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نُتْبِعُ الغَائِطَ الأَحْجَارَ الثَّلاثَةِ، ثُمَّ نُتْبِعُ الأَحْجَارَ المَاءَ، فَتَلاَ النَّبِيُّ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ (٧٢٦) وقرىء: «أن يَطَّهروا»، بالإدغام، وقيل: هو عام في التطهر من النجاسات كلها، وقيل: كانوا لا ينامون الليل على الجنابة، ويتبعون الماء أثر البول، وعن الحسن: هو التطهر من الذنوب بالتوبة، وقيل: يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم، فحموا عن آخرهم.

فإن قلت: ما معنى المحبتين؟

قلت: محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه، ويحرصون عليه، حرص المحب للشيء المشتهى له على إيثاره، ومحبة الله ـ تعالى ـ إياهم: أنه يرضى عنهم، ويحسن إليهم، كما يفعل المحب بمحبوبه.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

قرىء: «أَسس بنيانه»، «وأُسس بنيانه»، على البناء للفاعل والمفعول، «وأسس بنيانه»، جمع أساس، على الإضافة، «وأساس بنيانه»، بالفتح والكسر: جمع أس، «وآساس بنيانه» على أفعال، جمع أس ـ أيضاً ـ وأس بنيانه، والمعنى: أفمن أسس بنيان دينه[1] على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه، ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ﴾: أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد، وأرخاها، وأقلها بقاء، وهو الباطل، والنفاق الذي مثله مثل ﴿شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾: في قلة الثبات والاستمساك، وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى؛ لأنه جعل مجازاً عما ينافي التقوى.

---

٧٢٦ ـ قال ابن حجر: وكأنه ملفق من حديثين.

ذكر المخرج أولهما من الطبراني في الأوسط قال: حدثنا الهيثم بن خلف الدوري بسنده إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «دخل رسول الله ﷺ على عمر ومعه أناس، فقال: أمؤمنون أنتم؟ فسكتوا ثلاث مرات، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ يا رسول الله، نؤمن بما أتيتنا به ونحمد الله في الرخاء، ونصبر في البلاء، ونرضى بالقضاء، فقال: مؤمنون ورب الكعبة» انتهى، وهذا فيه من المخالفة بين السياقين ما لا يخفى، وأما الثاني، فروى ابن مردويه من طريق ابن عباس بنحوه. أ.هـ.

والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط (١٠/ ١٩٤) حديث (٩٤٢٣).

---

(١) قوله: «فمن أسس بنيان دينه» هذا كما في الحديث «بني الإسلام على خمس» (ع).

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾؟

قلت: لما جعل الجرف الهائر مجازاً عن الباطل، قيل: فانهار به في نار جهنم، على معنى: فطاح به الباطل في نار جهنم، إلا أنه رشح المجاز فجيء بلفظ «الانهيار» الذي هو للجرف؛ وليصور أنّ المبطل كأنه أسس بنياناً على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها؛ والشفا: الحرف والشفير، وجرف الوادي: جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهياً، «والهار»: الهائر، وهو المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط، ووزنه: فعل، قصر عن فاعل، كخلف من خالف، ونظيره: شاك وصات، في شائك وصائت، وألفه ليست بألف فاعل؛ إنما هي عينه، وأصله هور، وشوك، وصوت، ولا ترى أبلغ من هذا الكلام، ولا أدلّ على حقيقة الباطل؛ وكنه أمره، وقرىء: «جرْف»، بسكون الراء، .

فإن قلت: فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر: «على تقوىً من الله»، بالتنوين؟

قلت: قد جعل الألف للإلحاق لا للتأنيث، كتترى فيمن نوّن، ألحقها بجعفر، وفي مصحف أبيّ: «فانهارت به قواعده»، وقيل: حفرت بقعة من مسجد الضرار/ ٣٠٥ب فرؤي الدخان يخرج منه، وروي أن مجمع بن حارثة كان إمامهم في مسجد الضرار، فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته أن يأذن لمجمع فيؤمّهم في مسجدهم، فقال: لا، ولا نعمة عين، أليس بإمام مسجد الضرار؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا تعجل عليّ، فوالله، لقد صليت بهم، والله يعلم أني لا أعلم ما أضمروا فيه، ولو علمت ما صليت معهم فيه، كنت غلاماً قارئاً للقرآن، وكانوا شيوخاً لا يقرؤون من القرآن شيئاً، فعذره، وصدّقه، وأمره بالصلاة بقومه.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿رِيبَةً﴾: شكًّا في الدين ونفاقاً، وكان القوم منافقين؛ وإنما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم؛ كما قال عزّ وجلّ: ﴿ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ فلما هدمه رسول الله ـ ﷺ ـ ازدادوا ـ لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم ـ تصميماً على النفاق ومقتاً للإسلام، فمعنى قوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾: لا يزال هدمه سبب شكّ، ونفاق زائد على شكهم، ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحلّ أثره، ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾: قطعاً وتفرّق أجزاء، فحينئذ يسلون عنه، وأمّا ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة، فيجوز أن يكون ذكر التقطيع[1]؛ تصويراً لحال زوال الريبة عنها، ويجوز

(١) قوله: «فيجوز أن يكون ذكر التقطيع» على قراءة (تقطع) بالتشديد، مبنيا للمفعول (ع).

أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار.

وقرىء: يقطع»، بالياء، «وتقطع»، بالتخفيف، «وتَقطع»، بفتح التاء، بمعنى: تتقطع، وتقطع قلوبهم، على أن الخطاب للرسول، أي: إلا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم، وقرأ الحسن: «إلى أن»، وفي قراءة عبد الله: «ولو قطعت قلوبهم»، وعن طلحة: «ولو قطعت قلوبهم» على خطاب الرسول أو كل مخاطب، وقيل: معناه: إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشروى[1]، وروي: تاجرهم فأغلى لهم الثمن، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ فجعل لهم الصفقتين جميعاً، وعن الحسن: أنفساً هو خلقها وأموالاً هو رزقها، وروي أن الأنصار حين بايعوه على العقبة، قال عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: أشترط لربي: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي: أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، قال: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: لكم الجنة، قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل (٧٢٧)، ومرّ برسول الله ـ ﷺ ـ أعرابيّ وهو يقرؤها فقال: كلام من؟ قال: كلام الله، قال: بيع والله مربح، لا نقيله ولا نستقيله، فخرج إلى الغزو فاستشهد (٧٢٨)، ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾: فيه معنى

---

٧٢٧ ـ أخرجه الطبري في تفسيره: (٦/ ٤٨٢) رقم (١٧٢٨٤).
والواحدي في تفسيره: (٢/ ٥٢٦)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٠١).
قال الحافظ: أخرجه الطبري من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي، وغيره قال: «لما بايعت الأنصار ليلة العقبة فذكره. انتهى.

٧٢٨ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٠٥): ذكره الثعلبي عن الحسن، قال: مر أعرابي بالنبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم...﴾ إلى آخرها فقال: كلام من هذا؟ قال: «كلام الله»، قال: بيع والله مربح... إلى آخره، وسنده إلى الحسن في أول كتابه.
قال الحافظ: ذكره الثعلبي هكذا بلا سند عن البصري مرسلاً، لكن سنده إلى الحسن البصري أول =

---

(١) قوله: «في سبيله بالشروى» كالجدوى. في الصحاح والوشاح هي المثل. والظن أنها هنا اسم للاشتراء.

الأمر؛ كقوله: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١١]/ ٣٠٦أ وقرىء: «فيقتلون ويقتلون» على بناء الأوّل للفاعل، والثاني للمفعول، وعلى العكس، ﴿وَعْدًا﴾: مصدر مؤكد، أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبته ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾، كما أثبته في القرآن، ثم قال: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّ إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم، فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه القبيح قط، ولا ترى ترغيباً في الجهاد أحسن منه وأبلغ؟

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾: رفع على المدح، أي: هم التائبون، يعني: المؤمنين المذكورين؛ ويدل عليه قراءة عبد الله وأبيّ ـ رضي الله عنهما ـ: «التائبين»، بالياء إلى: «والحافظين»، نصباً على المدح، ويجوز أن يكون جرًّا صفة للمؤمنين، وجوّز الزجاج أن يكون مبتدأ، خبره محذوف، أي التائبون العابدون من أهل الجنة ـ أيضاً ـ وإن لم يجاهدوا كقوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥] وقيل: هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون، ويجوز أن يكون مبتدأ، وخيره العابدون، وما بعده خبر بعد خبر، أي: التائبون من الكفر على الحقيقة، الجامعون لهذه الخصال، وعن الحسن: هم الذين تابوا من الشرك، وتبرؤوا من النفاق؛ و﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾: الذين عبدوا الله وحده، وأخصلوا له العبادة، وحرصوا عليها، و﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم، وقيل: هم طلبة العلم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾

= كتابه. قلت: أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق أبي شيبة عن عطاء الخراساني عن جابر: «نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو في المسجد: ﴿إن الله اشترى﴾، فكبر الناس في المسجد، فأقبل رجل من الأنصار. فقال: أنزلت هذه الآية؟ فقال: نعم. فقال بيع رابح. لا نقيل ولا نستقيل»، وأخرجه عبد بن حميد: حدثنا إبراهيم هو ابن عبد الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة: «لما نزلت هذه الآية: ﴿إن الله اشترى...﴾ قال رجل من الأنصار: يا لها بيعة، ما أربحها. والله لا نقيل ولا نستقيل»، وأخرجه الطبري من طريق محمد بن كعب وغيره قالوا: قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ : «اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً. وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك، فما لنا؟ قال: الجنة، قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل». انتهى.

قيل: قال ـ ﷺ ـ لعمه أبي طالب: «أَنْتَ أَعْظَمُ النَّاسِ عَلَيَّ حَقًّا، وَأَحْسَنُهُمْ عِنْدِي يَدَاً، فَقُلْ كَلِمَةً تَجِبُ لَكَ بِهَا شَفَاعَتِي، فَأَبَىٰ، فَقَالَ: لاَ أَزَالُ أَسْتَغْفِرُ لَكَ مَا لَمْ أُنهَ عَنْهُ (٧٢٩) فنزلت.

وقيل: لما افتتح مكة، سأل أي أبويه أحدث به عهداً؟ فقيل: أمك آمنة، فزار قبرها بالأبواء، ثم قام مستعبراً فقال: إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي؛ فنزلت، وهذا أصح؛ لأنّ موت أبي طالب كان قبل الهجرة، وهذا آخر ما نزل بالمدينة، وقيل: استغفر لأبيه، وقيل: قال المسلمون: ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا، وذوي قرابتنا، وقد استغفر إبراهيم لأبيه، وهذا محمد يستغفر لعمه، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾: ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ لأنهم ماتوا على الشرك.

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

قرأ طلحة: «ما استغفر إبراهيم لأبيه»، وعنه: «وما يستغفر إبراهيم»؛ على حكاية الحال الماضية، ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ أي: وعدها إبراهيم أباه، وهو قوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤]، ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية: «وعدها أباه».

فإن قلت: كيف خفي على إبراهيم أن الاستغفار/ ٣٠٦ب للكافر غير جائز حتى وعده؟

قلت: يجوز أن يظن أنه ما دام يرجى منه الإيمان، جاز الاستغفار له، على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما علم بالوحي؛ لأن العقل يجوّز أن يغفر الله للكافر؛ ألا ترى إلى قوله ـ عليه السلام ـ لعمه: «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ» ح وعن الحسن: قيل لرسول الله

---

٧٢٩ ـ أخرجه البخاري (٣/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧): كتاب الجنائز: باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، حديث (١٣٦٠)، وأطرافه في: ٣٨٨٤، ٤٦٧٥ ـ ٤٧٧٢، ٦٦٨١)، ومسلم (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ـ النووي) كتاب الإيمان: باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، ما لم يشرع في النزع، وهو الغرغرة ونسخ جواز الاستغفار للمشركين، والدليل على أن من مات على الشرك، فهو في أصحاب الجحيم، ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل، حديث (٣٩/ ٢٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وهذا وهم من الحاكم، فالحديث أخرجه البخاري ومسلم.

قال الحافظ: متفق عليه من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه في حديث، وعقل الحاكم فاستدركه. انتهى.

ـ ﷺ ـ: إن فلاناً يستغفر لآبائه المشركين، فقال: «وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُ لَهُمْ» (٧٣٠) فنزلت وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: رأيت رجلاً يستغفر لأبويه، وهما: مشركان، فقلت له، فقال: أليس قد استغفر إبراهيم (٧٣١).

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾؟

قلت: معناه: فلما تبين له من جهة الوحي أنه لن يؤمن وأنه يموت كافراً وانقطع رجاؤه عنه، قطع استغفاره؛ فهو كقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾، ﴿لَأَوَّٰهٌ﴾: فعال، من أوه كلأل من اللؤلؤ، وهو الذي يكثر التأوه، ومعناه: أنه لفرط ترحمه، ورقته، وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر، ويستغفر له، مع شكاسته عليه[1]، وقوله: «لأرجمنك».

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾

يعني: ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهي عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام، ولا يسميهم ضلالاً، ولا يخذلهم إلا إذا أقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم أنه واجب الاتقاء والاجتناب، وأما قبل العلم والبيان، فلا سبيل عليهم، كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل

---

٧٣٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٠٦): غريب، وذكره الثعلبي عن قتادة لا عن الحسن.
وقال ابن حجر: لم أجده. انتهى.

٧٣١ ـ أخرجه التِّرمذي (٥/ ٢٨١): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة التوبة، حديث (٣١٠١)، والنَّسائي (٤/ ٩١): كتاب الجنائز: باب النهي عن الاستغفار للمشركين، وأحمد في مسنده: (١/ ٩٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٥)، وأبو يَعلى في مسنده: (١/ ٢٨٠) رقم (٣٣٥)، و(١/ ٤٥٨) رقم (٦١٩)، والطبري في تفسيره: (٦/ ٤٩٠) رقم (١٧٣٤٨).
قال التِّرمذي: هذا حديث حسن.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٠٥)، وعزاه إلى الطيالسي وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان والضياء في المختارة عن علي به.
قال الحافظ: أخرجه التِّرمذي والنَّسائي والحاكم وأحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبزار من طريق أبي الخليل عن علي قال: «سمعت رجلاً يستغر لأبويه ـ الحديث» انتهى.

---

(١) قوله: «مع شكاسته عليه» أي صعوبته. وفي الصحاح: رجل شكس ـ بالتسكين ـ أي صعب الخلق (ع).

التحريم؛ وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه، وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي أن يغفل عنها، وهي: أنّ المهديَّ للإسلام إذا أقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الإضلال، والمراد بما يتقون: ما يجب اتقاؤه للنهي، فأما ما يعلم بالعقل[1] كالصدق[2] في الخبر، وردّ الوديعة فغير موقوف على التوقيف.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾؛ كقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، وهو بعث للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والأنصار، وإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله، وأن صفة التوابين الأوّابين صفة الأنبياء، كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح، وقيل: معناه: تاب الله عليه من إذنه للمنافقين في التخلف عنه؛ كقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة: ٤٣]. ﴿فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾: في وقتها، والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق، كما استعملت الغداة والعشية واليوم [من الطويل]:

غَدَاةَ طَفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ/ ٣٠٧أ ....[3]

---

(١) قال محمود: «فأما ما يدرك حظره بالعقل... إلخ» قال أحمد: هذا تفريع على قاعدة التحسين والتقبيح، وأن العقل حاكم، والشرع كاشف لما غمض عليه، تابع لمقتضاه. وهذه القاعدة قد سبق بطلانها في غير ما موضع، والله الموفق.

(٢) قوله: «فأما ما يعلم بالعقل كالصدق» مبني على مذهب المعتزلة أن الحكم يعلم بالعقل وعند أهل السنة لا حكم قبل الشرع (ع).

(٣) غداة طفت علماء بكر بن وائل ... وعاجت صدور الخيل شطر تميم

المراد بالغداة مطلق الزمن ليناسب المدح. طفت ـ بالفاء ـ علت وارتفعت. ويروى بالغين، والمراد: العلو أيضاً. وعلماء: أصله على الماء، والمراد: ارتفع قدرهم في العز والمجد وانخفض غيرهم، كما يرتفع الشيء على وجه الماء ويرسب الآخر. أو المعنى: أنهم طغوا بالغين على أطغى شيء كالماء، فالماء طاغ على الناس وهم طاغون عليه. وفيه دلالة على الشجاعة. وبكر بن وائل: اسم أبي قبيلة سميت هي باسمه. والوائل: أصله السابق الملتجئ. وعاجت: أي أمالت صدور خيلها. وإيقاع الموج على الصدور، لأن السير والتحول من جهة إلى أخرى يظهران بها. وشطر: أي جهة قبيلة تميم.

البيت لقطري بن الفجاءة ينظر ديوانه ص (١٧٤)، الوساطة (٤٥٠)، ابن الشجري ١/ ٩٧، البحر ٥/ ١١٠، معاني الفراء ٢/ ٣٧٧، شرح شواهد الشافية ٤٩٨، أسرار العربية ص (٤٢٩)، شرح المفصل ١٠/ ١٥٤، ١٥٥، الحماسة ١/ ٢٢١، الدر المصون ٣/ ٥٠٩.

[ومن الطويل]:

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً   عَشِيَّةَ قَارَعْنَا جُذَامَ وَحِمْيَرَا[1]

[ومن الطويل]:

إِذَا جَاءَ يَوْماً وَارِثِي يَبْتَغِي الْغِنَىٰ   يَجِدْ جُمْعَ كَفٍّ غَيْرَ مَلأَىٰ وَلاَ صِفْرِ[2]

---

(١) وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة   عشية قارعنا جذام وحميرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه   ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

لزفر بن الحرث الكلابي من التابعين شهد وقعة صفين وغيرها. ويقال في المثل: ما كل بيضاء شحمة، ولا كل سوداء تمرة فما هنا تلميح له. والمراد بالعشية: مطلق الزمن لا آخر النهار فقط، لدلالة المقام على ذلك. والمقارعة: المضاربة بالرماح والسيوف. ويروى: ليالي لاقينا. وجذام: اسم قبيلة سميت به، وهي من اليمن كانت تنزل جبال حسمى، يقال: هي أول ما انحسر عنه الطوفان لارتفاعها. وحمير: أبو قبيلة أيضاً سميت باسمه. ويروى: جذاماً، بالتنوين للضرورة. والنبع: شجر تتخذ منه الرماح. يقول: كنا ظننا أنهم ضعفاء نظفر بهم كغيرهم. فقوله: «كل بيضاء شحمة» استعارة تمثيلية لذلك. وعشية: نصب بحسبنا، فلما التقت الرماح بيننا أبت أن تتكسر. وشبهها بما يصح منه الإباء على طريق الكناية. وأبت تخييل، وبعد ذلك فهو كناية عن قوة القبيلتين وعدم انخذالهما. وقيل: إنه يصفهما بالكرم وحسن القرى. فيكون الكلام كله بما فيه من المجاز والكناية، منقول من هيئة التقاء الصفوف في الحرب إلى هيئة التقاء الضيفان مع المضياف وعدم عجزه عن قراهم على طريق التمثيل، لكن العشية على حقيقتها. ومع توجيهنا له بذلك، يبعده قوله: «حسبنا كل بيضاء شحمة» وهو قول من لم يقف على بقية القصيدة، فإنها مصرحة بأن المعنى محاربتهم إياهم ومكافأتهم لهم.

ينظر الحماسة ١/ ١٥٥، المغني ٢/ ٦٣٦، العيني ٢/ ٣٨٢، التصريح ١/ ٢٤٩، شرح الألفية لابن الناظم ١٩٧. المقاصد النحوية ٢/ ٣٨٢، أوضح المسالك ٢/ ٤٣، الدر المصون ٣/ ٥٠٩.

(٢) إذا جاء يوماً وارثي يبتغي الغِنَىٰ   يجد جمع كف غير ملأى ولا صفر
يجد فرساً مثل العنان وصارمًا   حساماً إذا ما هز لم يرض بالهبر
وأسمر خطيًّا كأن كعوبه   نوى القسب قد أربى ذراعاً على العشر

لحاتم الطائي. والمراد باليوم: مطلق الزمن، بخلاف النهار فإنه خاص بالمحدود الطرفين، وهكذا غالب استعمال العرب، والمراد بالغنى: التركة، لأنها سببه. وجمع الكف ـ بالضم ـ: الكف المقبوضة، فهو من إضافة الصفة للموصوف. والملأى: الممتلئة. وصفر الرجل ـ بالكسر ـ وأصفر فهو مصفر: افتقر. والصفر ـ بالضم، وقيل بالكسر ـ: الخالي. والصارم: السيف القاطع. وحسم الشيء: قطعه بالحسام الشديد القطع. ويطلق على الحديد الحد. والهبر: قطع بضعة كثيرة من اللحم. والسمرة: لون بين البياض والأدمة. والخط: موضع تنسب له الرماح الجيدة. والكعب: ما بين العقدتين. والقسب: نوع من التمر صلب النوى. وربا الشيء وأربى: زاد، وقد تقلب باؤه ميماً، كما روي: قد أرمى. وذراعاً: تمييز، أي زاد ذراعاً على العشر الأذرع، فيكون مقداره أحد عشر ذراعاً، والجملة وصف لأسمر. ويحتمل أنها حال من النوى، أي: زاد النوى حال كونه مقدار ذراع على العشر من النوى، فذراعاً حال في ضمن الحال وإذا أشبهت كعوبه النوى في هذه الحالة، فكل ذراع منه يزيد على عشرة كعوب. ويجوز أن ذراعاً تمييز محول عن الفاعل، أي: زاد كل =

والعسرة: حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر: يعتقب العشرة على بعير واحد، وفي عسرة من الزاد: تزودوا التمر المدود، والشعير المسوّس، والإهالة الزنخة[1]، وبلغت بهم الشدّة أن اقتسم التمرة اثنان، وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء، وفي عسرة من الماء، حتى نحروا الإبل، واعتصروا فروثها، وفي شدّة زمان، من حمارّة القيظ، ومن الجدب، والقحط، والضيقة الشديدة، ﴿كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾: عن الثبات على الإيمان، أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه، وفي «كاد»: ضمير الشأن، وشبهه سيبويه بقولهم: ليس خلق الله مثله، وقرىء: «يزيغ»، بالياء، وفي قراءة عبد الله: «من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم»، يريد المتخلفين من المؤمنين، كأبي لبابة وأمثاله، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: تكرير للتوكيد، ويجوز أن يكون الضمير للفريق: تاب عليهم لكيدودتهم.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

﴿ٱلثَّلَٰثَةِ﴾: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، ومعنى: ﴿خُلِّفُواْ﴾: خلفوا عن الغزو، وقيل: عن أبي لبابة وأصحابه؛ حيث تيب عليهم بعدهم، وقرىء: (خلفوا) أي: خلفوا الغازين بالمدينة، أو فسدوا من الخالفة وخلوف الفم[2]، وقرأ جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ: «خالفوا»، وقرأ الأعمش: «وعلى الثلاثة المخلفين»، ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾: برحبها، أي: مع سعتها، وهو مثل للحيرة في أمرهم؛ كأنهم لا يجدون فيها

= ذراع من هذا الأسمر على عشرة كعوب. يقول: إذا طلب وارثي تركتي يجد أشياء حقيقة بأن يقبض عليها بالكف حرصاً عليها، فقوله: «جمع كف» كناية عن ذلك غير ممتلئة عند من يحب المال، وغير خالية عند ملاقي الأبطال، ويجد الثاني بدل من الأول. وشبه فرسه بالعنان في الضمور والمكانة إذا هز أي حرك، كناية عن الضرب به، وشبهه بمن يصح منه الرضا على طريق الكناية ولم يرض تخييل: أي يجد فرساً ضامراً وسيفاً قاطعاً ورمحاً طويلاً أو صلباً. وجزم المضارع في جواب إذا وهو قليل.

ينظر الديوان (٤٦).

ينظر البحر ٥/١١١، الدر المصون ٣/٥٠٩.

(١) قوله: «والإهالة الزنخة، أي الدهن المنتن. وحمارّة القيظ بتشديد الراء شدة حره اهـ من الصحاح (ع).

(٢) قوله: «أو فسدوا من الخالفة وخلوف الفم» الخالفة: الذي لا خير فيه. وخلوف الفم: تغيره: اهـ من الصحاح (ع).

مكاناً يقرّون فيه قلقاً وجزعاً مما هم فيه، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: قلوبهم، لا يسعها أنس ولا سرور؛ لأنها حرجت من فرط الوحشة والغمّ، ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: وعلموا، ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ﴾: سخط، ﴿ٱللَّهِ إِلَّآ﴾: إلى استغفاره، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾: ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرّة بعد أخرى، ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا، وليتوبوا ـ أيضاً ـ فيما يستقبل إن فرطت منهم خطيئة، علماً منهم أن الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة، روي أن ناساً من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله ـ ﷺ ـ منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به، عن الحسن: بلغني أنه كان لأحدهم حائط كان خيراً من مائة ألف درهم، فقال: يا حائطاه، ما خلفني إلا ظلك وانتظار ثمرك، اذهب فأنت في سبيل الله، ولم يكن لآخر إلا أهله، فقال: يا أهلاه، ما بطأني ولا خلفني إلا الضنّ بك لا جرم، والله لأكابدنّ المفاوز حتى ألحق برسول الله، فركب ولحق به، ولم يكن لآخر إلا نفسه لا أهل ولا مال، فقال: يا نفس، ما خلفني إلا حب الحياة لك، والله، لأكابدنّ الشدائد حتى ألحق برسول الله، فتأبط زاده ولحق به، قال الحسن: كذلك/ ٣٠٧ب والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها، وعن أبي ذرّ الغفاري: أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله ـ ﷺ ـ ماشياً، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لما رأى سواده: «كُنْ أَبَا ذَرٍّ، فَقَالَ النَّاسُ: هُوَ ذَاكَ، فَقَالَ: رَحِمَ اللهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ» (٧٣٢)، وعن أبي خيثمة أنه بلغ بستانه، وكانت له امرأة حسناء، فرشت له في الظل، وبسطت له الحصير، وقربت إليه الرطب، والماء البارد، فنظر فقال: ظل ظليل، ورطب يانع، وماء بارد، وامرأة حسناء، ورسول الله ـ ﷺ ـ في الضحّ والريح، ما هذا بخير، فقام فرحل ناقته، وأخذ سيفه ورمحه، ومرّ كالريح، فمدّ رسول الله ـ ﷺ ـ طرفه إلى الطريق، فإذا براكب يزهاه السراب، فقال: كن أبا خيثمة فكانه، ففرح به رسول الله ـ ﷺ ـ واستغفر له (٧٣٣)، ومنهم من بقي لم يلحق به، منهم الثلاثة، قال كعب: لما قفل

---

٧٣٢ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك: (٣/ ٥٠ ـ ٥١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والبيهقي في دلائل النبوة: (٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٢)، وابن هشام في سيرته (٤/ ١٩٣) رقم (١٨٧٩).
كلهم عن ابن إسحاق عن بريدة عن ابن كعب عن ابن مسعود به.
أخرجه ابن إسحاق في المغازي والحاكم، والبيهقي في الدلائل، قال: حدثني بريدة بن سفيان عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن مسعود قال: «لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلف ـ فذكره مطولاً» انتهى.

٧٣٣ ـ أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣)، وابن هشام في سيرته (٤/ ١٨٧ ـ ١٨٨) رقم (١٨٧٠).
قال الحافظ:
أخرجه ابن سعد بهذا بغير سند، وذكره الواقدي في المغازي: حدثنا محمد بن رفاعة بن ثعلبة بن =

رسول الله ـ ﷺ ـ سلمت عليه فردّ علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال: «لَيْتَ شِعْرِيَ مَا خَلَّفَ كَعْباً؟ فَقِيلَ لَهُ: مَا خَلَّفَهُ إلاَّ حُسْنُ بُرْدَيْهِ وَالنَّظَر فِي عَطْفَيْهِ، فَقَالَ: مَعَاذَ اللهِ، مَا أَعْلَمُ إلاَّ فَضْلاً وَإِسْلاَماً» ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة، فتنكر لنا الناس، ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد، فلما مضت أربعون ليلة، أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقربهنّ، فلما تمت خمسون ليلة إذا أنا بنداء من ذروة سلع[1]: أبشر يا كعب بن مالك، فخررت ساجداً، وكنت كما وصفني ربي، و﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾: وتتابعت البشارة، فلبست ثوبي، وانطلقت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمين، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني، وقال: لتهنك توبة الله عليك، فلن أنساها لطلحة، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يستنير استنارة القمر: «أَبْشِرْ يَا كَعْبُ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» ثم تلا علينا الآية (٧٣٤)، وعن أبي بكر الورّاق أنه سئل عن التوبة النصوح؟ فقال: أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت، وتضيق عليه نفسه؛ كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ

= أبي مالك عن أبيه عن جده قال: سألت زيد بن ثابت عن غزوة تبوك. فذكر القصة الطويلة، وفيه: وكان أبو خيثمة ويسمى عبد الله بن خيثمة ـ السالمي رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ عشرة أيام، حتى دخل على امرأتين له في يوم حار ـ فذكره وأخرجه ابن إسحاق في المغازي والحاكم والبيهقي من طريقه قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم: «أن أبا خيثمة سالم ـ فذكره. وله طريق أخرى عند الطبراني من طريق إبراهيم بن سعد بن خيثمة حدثنا أبي عن أبيه قال: تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، حتى مضى رسول الله ﷺ فدخلت حائطاً ـ فذكر الحديث نحوه»، وفي الصحيحين في حديث كعب بن مالك الطويل: «فلما بلغ تبوك قال النبي ﷺ: ما فعل كعب بن مالك فذكر الحديث وفيه: فبينما هم كذلك إذا هم برجل يزول به السراب. فقال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كن أبا خيثمة فإذا هو أبو خيثمة. انتهى.

٧٣٤ ـ تقدم تخريجه.

قال الحافظ: متفق عليه من حديث عبد الله بن كعب بن مالك مطولاً، وقال فيه: فقال رجل من بني سلمة حبسه برداه فقال معاذ بن جبل: بئسما قلت ـ الحديث» قال المخرج: الوهم فيه من المصنف. وأخرجه أحمد وفيه: فقال رجل من قومي: يا رسول الله، فلقه برداه والنظر من عطفيه» وأفاد الواقدي في المغازي: أن الذي قال ذلك عبد الله بن قيس. انتهى.

---

(١) قوله: «من ذروة سلع» سلع هو جبل بالمدينة اهـ من الصحاح (ع).

﴿ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وقرىء: «من الصادقين» وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولاً وعملاً، أو الذين صدقوا في إيمانهم ومعاهدتهم لله ورسوله على الطاعة من قوله: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقيل: هم الثلاثة، أي: كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب، أي: كونوا مع المهاجرين والأنصار، ووافقوهم وانتظموا في جملتهم، واصدقوا مثل صدقهم، وقيل: لمن تخلف/ ٣٠٨أ من الطلقاء عن غزوة تبوك، وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: ولا يصلح الكذب في جدّ ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجزه، اقرؤوا إن شئتم: «وكونوا مع الصادقين» (٧٣٥) فهل فيها من رخصة؟ ﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾: أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء، وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط، وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه، علماً بأنها أعزُّ نفس عند الله وأكرمها عليه، فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدّة وهول، وجب على سائر الأنفس أن تتهافت[(١)] فيما تعرضت له، ولا يكترث لها أصحابها، ولا يقيموا لها وزناً،

---

٧٣٥ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (١/١٢٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، وإنما تواترت الروايات بتوفيق أكثر هذه الكلمات، فإن صح سنده؛ فإنه صحيح على شرطهما. أ.هـ
وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/٢٠١) رقم (٤٧٨٧) كلاهما من طريق أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود به.
وأخرجه الواحدي في تفسيره (٢/٥٣٣)، والطبري في تفسيره (٦/٥٠٩ ـ ٥١٠) رقم (١٧٤٧٠)؛ كلاهما من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود موقوفاً ولم يرفعه، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/٥١٧) وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عديّ وأبي الشيخ وابن مردويه عن عبد الله بن مسعود به.
وأخرجه الثعلبي في تفسيره، وإسحاق بن راهويه في مسنده؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١١٢).
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي من رواية وهب بن جرير عن شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبيه، موقوفاً، وكذا أخرجه إسحاق في مسنده عن وهب، ورواه البيهقي في الشعب مختصراً. ورواه الحاكم مرفوعاً، من رواية أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رفعه: «لا يصلح الكذب من جد ولا هزل، ولا أن يعد الرجل ابنه ثم لا ينجزه». انتهى.

---

(١) قوله: «تتهافت» أي تتساقط (ع).

وتكون أخف شيء عليهم وأهونه، فضلاً عن أن يربئوا[1] بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها، ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه، وهذا نهي بليغ، مع تقبيح لأمرهم، وتوبيخ لهم عليه، وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما دل عليه قوله: «ما كان لهم أن يتخلفوا»، من وجوب مشايعته؛ كأنه قيل ذلك الوجوب، (بـ) سبب: ﴿أنهم لا يصيبهم﴾: شيء من عطش، ولا تعب، ولا مجاعة في طريق الجهاد، ولا يدوسون مكاناً من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم وأرجلهم، ولا يتصرفون في أرضهم تصرفاً يغيظهم ويضيق صدورهم، ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾: ولا يرزؤونهم شيئاً بقتل، أو أسر، أو غنيمة، أو هزيمة، أو غير ذلك، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾: واستوجبوا الثواب، ونيل الزلفى عند الله؛ وذلك مما يوجب المشايعة، ويجوز أن يراد بالوطء الإيقاع والإبادة، لا الوطء بالأقدام والحوافر؛ كقوله ـ عليه السلام ـ: «آخِرُ وَطْأَةٍ وَطِئَهَا الله بوجٍ»[2] (٧٣٦)، والموطىء إمّا مصدر كالمورد، وإمّا مكان، فإن كان مكاناً فمعنى يغيظ الكفّار: يغيظهم وطؤه، والنيل ـ أيضاً ـ يجوز أن يكون مصدراً مؤكداً، وأن يكون بمعنى المنيل، ويقال: نال منه إذا رزأه ونقصه، وهو عام في كل ما يسوؤهم وينكبهم ويلحق بهم ضررًا، وفيه دليل على أن من قصد خيراً، كان سعيه فيه مشكوراً من قيام، وقعود، ومشي، وكلام، وغير ذلك، وكذلك الشر، وبهذه الآية استشهد أصحاب أبي حنيفة أنّ

---

٧٣٦ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف: (٢/ ١١٣): روي من حديث يَعلى بن مرة، ومن حديث خولة:
أ. هـ أما حديث يَعلى بن مرة:
فأخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٧٢)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٧٥) رقم (٧٠٤) عن يَعلى بن مرة به.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٥٧) وقال: رواه أحمد والطبراني، إلا أنه قال: آخر وطأة وطئها رب العالمين. ورجالهما ثقات.
وأما حديث خولة: فأخرجه التِّرمذي (٤/ ٣١٧): كتاب البر والصلة: باب ما جاء في حب الولد، حديث (١٩١٠)، ولم يذكر التِّرمذي فيه الوطأة، وقال: لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعاً من خولة.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٥٧) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات إلا أن عمر بن عبد العزيز لا أعلم له سماعاً من خولة.
قال الحافظ: أخرجه أحمد وابن سعد والطبراني والبيهقي في الأسماء من حديث يَعلى بن مرة الثقفي في أثناء حديث، وأخرجه إسحاق والبيهقي أيضاً والطبراني من رواية عمر بن عبد العزيز قال: زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم. انتهى.

---

(١) قوله: «يربئوا» أي يرتفعوا. اهـ من الصحاح (ع).
(٢) قوله: «بوج» هي بلد بالطائف اهـ صحاح (ع).

المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك لنا الجيش في الغنيمة؛ لأنّ وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم، ولقد أسهم النبي ـ ﷺ ـ لابني عامر، وقد قدما بعد تقضي الحرب (٧٣٧)، وأمدّ أبو بكر الصّديق ـ رضي الله عنه ـ المهاجر بن أبي أمية، وزياد بن أبي لبيد بعكرمة بن أبي جهل مع خمسمائة نفس، فلحقوا بعد ما فتحوا فأسهم لهم (٧٣٨)، عند الشافعي: لا يشارك المدد الغانمين/ ٣٠٨ب، وقرأ عبيد بن عمير: «ظماء» بالمدّ، يقال: ظميء ظماءة وظماء، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾: ولو تمرة، ولو علاقة سوط ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ مثل ما أنفق عثمان ـ رضي الله عنه ـ في جيش العسرة ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ أي: أرضاً في ذهابهم ومجيئهم، والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذاً للسيل، وهو في الأصل: «فاعل» من ودى إذا سال، ومنه الودي، وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الأرض، يقولون: لا تصلّ في وادي غيرك، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾: ذلك من الإنفاق وقطع الوادي، ويجوز أن يرجع الضمير فيه إلى عمل صالح، وقوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾: متعلق بكتب، أي: أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء.

﴿۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)﴾

اللام: لتأكيد النفي، ومعناه أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن[1].

---

٧٣٧ ـ والحديث أخرجه البخاري (٦/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦): كتاب فرض الخمس: باب: ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين...، حديث (٣١٣٦) وأطرافه في (٣٨٧٦، ٤٢٣٠، ٤٢٣٣)، ومسلم (٨/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ـ النووي): كتاب فضائل الصحابة: باب: من فضائل جعفر بن أبي طالب، وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم ـ رضي الله عنهم ـ حديث (١٦٩/ ٢٥٠٢).
قال ابن حجر: لم أره هكذا، وقد عزاه الطيبي لأبي داود والتّرمذي، وفي الصحيحين عن أبي موسى: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وإخوان لي أنا أصغرهم... الحديث. أ.هـ. وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١١٤):
وذهل الطيبي فعزاه لأبي داود والتِّرمذي فقط. أ.هـ.

٧٣٨ ـ أخرجه ابن أبي شيبة؛ كما في «تخريج الكشاف» لابن حجر:
قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب: «أن أبا بكر بعث عكرمة بن أبي جهل ممداً للمهاجرين أبي أمية، وزياد بن أسد. فانتهوا إلى القوم وقد فتح عليهم. قال: فأشركهم في الغنيمة» رواه الواقدي في المغازي: حدثنا إسماعيل ابن إبراهيم عن عقبة عن الحرث بن فضيل قال: لما جاء كتاب زياد بن لبيد ـ فذكر نحوه انتهى.

---

(١) قال محمود: «معناه أن نفير الكافة لطلب العلم غير ممكن... إلخ». قال أحمد: قوله ﴿وَمَا كَانَ =

وفيه أنه لو صح وأمكن ولم يؤدّ إلى مفسدة لوجب، لوجوب التفقه على الكافة، ولأنّ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾: فحين لم يمكن نفير الكافة، ولم يكن مصلحة، فهلا نفر، ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ أي: من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير، ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾: ليتكلفوا الفقاهة فيه، ويتجشموا المشاق في أخذها وتحصيلها، ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾: وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه: إنذار قومهم، وإرشادهم، والنصيحة لهم، لا ما ينتحيه الفقهاء من الأغراض الخسيسة ويؤمّونها من المقاصد الركيكة، من التصدّر، والترؤس، والتبسط في البلاد، والتشبه بالظلمة في ملابسهم، ومراكبهم، ومنافسة بعضهم بعضاً، وفشوّ داء الضرائر بينهم، وانقلاب حماليق أحدهم[1] إذا لمح ببصره مدرسة لآخر، أو شرذمة جثوا بين يديه، وتهالكه على أن يكون موطأ العقب دون الناس كلهم؛ فما أبعد هؤلاء من قوله عزّ وجل: ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾: إرادة أن يحذروا الله فيعملوا عملاً صالحاً، ووجه آخر، وهو: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ كان إذا بعث بعثاً ـ بعد غزوة تبوك وبعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد ـ استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير، وانقطعوا جميعاً عن استماع الوحي والتفقه في الدين، فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون، حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر؛ لأن الجدال بالحجة أعظم أثراً من الجلاد بالسيف، وقوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا﴾: الضمير فيه: للفرق الباقية بعد الطواف، النافرة من بينهم، ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾: ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما/ ٣٠٩أ حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم، وعلى الأوّل الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ

= ﴿الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ على التفسير الأول: أمر لا نهي. وعلى الثاني: خبر والمراد به النهي، لأنه في الأول راجع إلى تنفير أهل البوادي إلى المدينة للتفقه، وهذا لو أمكن الجميع فعله لكان جائزاً أو واجباً، وإن لم يمكن وجب على بعضهم القيام عن باقيهم على طريق وجوب الكفاية. وأما في الثاني فلأن المؤمنين نفروا من المدينة للجهاد أجمعين وكان ذلك ممكناً بل واقعاً، فنهوا عن إطراح التفقه بالكلية وأمروا به أمر كفاية والله أعلم. قال أحمد: ولا أجد في تأخري عن حضور الغزاة عذراً إلا صرف الهمة لتحذير هذا المصنف، فإني تفقهت في أصل الدين وقواعد العقائد مؤيداً بآيات الكتاب العزيز مع ما اشتمل عليه من صيانة حوزتها من مكايد أهل البدع والأهواء، وأنا مع ذلك أرجو من الله حسن التوجه بلغنا الله الخير، ووفقنا لما يرضيه، وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

(١) قوله: «وانقلاب حماليق أحدهم» الحماليق: هي ما يسوده الكحل من باطن الجفن. وقيل: ما غطته الأجفان من بياض المقلة. اهـ من الصحاح (ع).

﴿يَلُونَكُم﴾: يقربون منكم، والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم[1]، ولكن الأقرب فالأقرب أوجب؛ ونظيره: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وقد حارب رسول الله ـ ﷺ ـ قومه، ثم غيرهم من عرب الحجاز، ثم غزا الشام، وقيل: هم قريظة، والنضير، وفدك، وخيبر، وقيل: الروم؛ لأنهم كانوا يسكنون الشام، والشام أقرب إلى المدينة من العراق وغيره، وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم، ما لم يضطر إليهم أهل ناحية أخرى، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه سئل عن قتال الديلم؟ فقال: عليك بالروم، وقرىء: (غلظة) بالحركات الثلاث، فالغلظة كالشدّة، والغلظة كالضغطة، والغلظة كالسخطة، ونحوه، ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [التحريم: ٩]، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدّة العداوة، والعنف في القتل والأسر، ومنه: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢]. ﴿مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوّه.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝١٢٥﴾

﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾: فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ﴾: السورة، ﴿إِيمَٰنًاۚ﴾: إنكاراً واستهزاء بالمؤمنين، واعتقادهم زيادة الإيمان: بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به، وأيكم: مرفوع بالابتداء، وقرأ عبيد بن عمير: «أيكم»، بالفتح على إضمار فعل يفسره، (زادته): تقديره: «أيكم زادت زادته هذه إيمانا»، ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾؛ لأنها أزيد لليقين والثبات، وأثلج للصدر، أو: «فزادتهم عملاً»، فإن زيادة العمل زيادة في الإيمان؛ لأنّ الإيمان يقع على الاعتقاد والعمل، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾: كفراً مضموماً إلى كفرهم؛ لأنهم كلما جدّدوا بتجديد الله الوحي كفراً ونفاقاً، ازداد كفرهم، واستحكم، وتضاعف عقابهم.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ

---

(١) قال أحمد: «القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم... إلخ» قال أحمد: يتعين القتال على أحد فريقين: إما من نزل بهم عدو وفيهم قوة عليه، ثم على من قرب منهم حتى يكتفوا. وإما من عينهم الإمام لذلك وإن بعدت بهم الدار. وإذا أوجب الله على هذه الأمة القتال وإزعاج العدو من دياره وإخراجه من قراره، فوجوبه وقد نزل العدو بدار الإسلام أجدر.

﴿يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

قرىء: «أو لا يرون»، بالياء والتاء، ﴿يُفْتَنُونَ﴾: يبتلون بالمرض، والقحط، وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون، ولا يتوبون عن نفاقهم، ولا يذكرون، ولا يعتبرون، ولا ينظرون في أمرهم، أو يبتلون في الجهاد مع رسول الله ـ ﷺ ـ ويعاينون أمره، وما ينزل الله عليه من نصرته، وتأييده، أو يفتنهم الشيطان، فيكذبون، وينقضون العهود مع رسول الله ـ ﷺ ـ فيقتلهم وينكل بهم، ثم لا ينزجرون، ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: تغامزوا بالعيون إنكاراً للوحي[1]، وسخرية به قائلين: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ من المسلمين لننصرف؛ فإنا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك، فنخاف الافتضاح بينهم، أو ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذاً يقولون: هل يراكم من أحد، وقيل: معناه: إذا ما أنزلت سورة في عيب المناقين/ ٣٠٩ب ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾: دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان من الانشراح، ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: لا يتدبرون حتى يفقهوا.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: من جنسكم، ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم، ثم ذكر مايتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: شديد عليه شاق ـ لكونه بعضاً منكم ـ عنتكم ولقاؤكم المكروه، فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: حتى لا يخرج أحد منكم عن اتباعه، والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: منكم ومن غيركم، ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وقرىء: «من

---

(١) قال محمود: «معناه تغامزوا بالعيون إنكاراً للوحي... إلخ» قال أحمد: يحتمل الدعاء كما فسره. ويحتمل الإخبار بأن الله صرف قلوبهم أي منعها من تلقي الحق بالقبول، ولكن الزمخشري يفر من جعله خبراً لأن صرف القلوب عن الحق لا يجوز على الله تعالى عنده، بناء على قاعدة الصلاح والأصلح، ولا يزال يؤول الظاهر إذا اقتضى ذلك كما مر له في قوله ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فلما احتملت هذه الآية الدعاء والخبر على حد سواء، تعين عنده جعلها دعاء، ثم في هذا الدعاء مناسبة الفعل الصادر منهم وهو الانصراف، كقوله (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم) وكقوله ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾.

أنفسكم»، أي: من أشرفكم وأفضلكم، وقيل: هي قراءة رسول الله - ﷺ - وفاطمة، وعائشة - رضي الله عنهما - وقيل: لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله - ﷺ - في قوله: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك، فاستعن، وفوّض إليه؛ فهو كافيك معرّتهم[1]، ولا يضرونك، وهو ناصرك عليهم، وقرىء: (العظيمُ): بالرفع، وعن ابن عباس - رضي الله عنه -: العرش لا يقدر أحد قدره، وعن أبيّ بن كعب: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].

عن رسول الله - ﷺ -: «مَا نَزَلَ عَلَيَّ القُرْآنُ إلاَّ آيَةً آيَةً وَحَرْفاً حَرْفاً، مَا خَلاَ سُورَةَ بَرَاءَة وَقُلْ هُوَ الله أَحَدٌ؛ فَإِنَّهُمَا أُنْزِلَتَا عَلَيَّ وَمَعَهُمَا سَبْعُونَ أَلْفَ صَفٍّ مِنَ المَلاَئِكَةِ» (٧٣٩).

---

٧٣٩ - تقدم تخريجه وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة، وينظر حديث رقم (٣٤٦).
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي من حديث عائشة بإسناد واه. انتهى.

---

(١) قوله: «فهو كافيك معرتهم» المعرة: الإثم، كذا في الصحاح (ع).

سُورَةُ يُونُسَ

مَكِّيَّةٌ، [إلاَّ الآياتِ ٤٠ و٩٤ و٩٥ و٩٦ فَمَدَنِيَّةٌ]

وَهِيَ مَائَةٌ وَتِسْعُ آيَاتٍ [نَزَلَتْ بَعْدَ الإِسْرَاءِ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ (٢)﴾

﴿الٓر﴾: تعديد للحروف على طريق التحدي، و﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة، و﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: ذو الحكمة؛ لاشتماله عليها، ونطقه بها، أو وصف بصفة محدثة؛ قال الأعشى [من الكامل]:

وَغَرِيبَةٍ تَأْتِي المُلُوكَ حَكِيمَةٍ ... قَدْ قُلْتُهَا لِيُقَالَ: مَنْ ذَا قَالَهَا؟[١]

الهمزة لإنكار التعجب والتعجيب منه، و﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾: اسم كان، وعجباً: خبرها، وقرأ ابن مسعود: عجب، فجعله اسماً وهو نكرة و(أن أوحينا): خبراً وهو معرفة؛ كقوله [من الوافر]:

.... يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ[٢]

---

(١) للأعشى. أي: ورب قصيدة غريبة حكيمة ناطقة بالحكمة دالة عليها، أو حكيم قائلها، فهو من الإسناد للسبب، لأنها سبب في وصف قائلها بالحكمة. قد قلتها ليتعجب الناس ويقولوا من هذا الشاعر البليغ الذي قالها. وذا: اسم إشارة في لغة الحجاز، واسم موصول في لغة طيء، وهي أقرب هنا، فجملة «قالها» صلة الموصول.
ينظر: ديوانه (٧)، القرطبي (٨/ ٣٠٥)، الهمع (١/ ٨٤)، الدرر (١/ ٥٩).

(٢) كأن سبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء
على أنيابها أو طعمُ غض ... من التفاح هصره اجتناء
لحسان بن ثابت قبل تحريم الخمر. والسلافة: أول ما يسيل من ماء العنب. ويروى «سبيئة» أي مشتراة: يقال: سبأ الخمر كنصر، إذا اشتراها. ويروى خبيئة: أي مصونة في الخابية. وبيت رأس: =

والأجود أن تكون «كان»: تامة، وأن أوحينا بدلاً من عجب.

فإن قلت: فما معنى اللام في قوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾؟ وما هو الفرق بينه وبين قولك: أكان عند الناس عجباً؟

قلت: معناه: أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها، ونصبوه علماً لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وإنكارهم، وليس في عند الناس هذا المعنى، والذي تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر، وأن يكون رجلاً من أفناء رجالهم[1]، دون عظيم من عظمائهم، فقد كانوا يقولون/ ٣١٠أ: العجب أنّ الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب، وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنار، ويبشر بالجنة، وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب؛ لأنّ الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشر مثلهم، وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥]، وإرسال الفقير أو اليتيم ليس بعجب ـ أيضاً ـ لأنّ الله تعالى إنما يختار من استحق الاختيار؛ لجمعه أسباب الاستقلال بما اختير له من النبوّة، والغنى والتقدّم في الدنيا ليس من تلك الأسباب في شيء، ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾ [سبأ: ٣٧]، والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى، فكيف يكون عجباً؟ إنما العجب العجيب، والمنكر في العقول: تعطيل الجزاء، ﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾: أن: هي المفسرة؛ لأنّ الإيحاء فيه معنى القول، ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة، وأصله: أنه أنذر الناس، على معنى: أن الشأن قولنا أنذر الناس، و﴿أَنَّ لَهُمْ﴾: الباء معه محذوف، ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ

= قرية بالشام. وقيل المراد بالرأس الرئيس، وشرابها أطيب من غيره، و«مزاجها» خبر يكون مع أنه معرفة. و«عسل» اسمها مع أنه نكرة، وكان القياس العكس فقلب للضرورة. وجوزه ابن مالك في معمول «كان» و«إن» فلا قلب. وقال الفارسي: إن انتصاب مزاجها على الظرفية المجازية. وروي برفع الكلمات الثلاث، على أن اسم كان ضمير الشأن. وقول ابن السيد: بزيادة «كان» هنا: غير مرضٍ؛ لأن زيادة المضارع لا ترتكب إلا عند الضرورة، ويروى بنصب العسل فقط، فهو خبر ورفع ماءٌ. بتقدير: وخالطها ماء. وجملة الكون صفة سلافة. وعلى أنيابها: خبر «كأن» المشددة. والمزاج: ما يمزج به غيره. والمراد بالأنياب: الثغر كله. والغض: الطري الرطب. والهصر: عطف الغصن وإمالته إليك من غير إبانة لتجني ثمره. والتهصير: مبالغة فيه. وروي «الجناء» بدل «الاجتناء». وهو بالقصر مصدر. لكن مد هنا ضرورة. وإسناد التهصير إلى ذلك مجار عقلي، من باب الإسناد للسبب. وإيقاعه على التفاح على تقدير مضاف، أي: هصر غصنه. ويروى: أو طعم غصن، فلا تجوز في تهصيره. لكن إضافة طعم إليه على تقدير مضاف. أي طعم ثمر غصن. شبه ريقها بالخمر الجيدة وطعمه بطعم تفاح ميل غصنه الجاني ليجتنيه، إشارة إلى أنه مجني الآن لم يمض عليه شيء من الزمان، وتلويحاً لتشبيه محبوبته بالأغصان في الرقة واللين والميلان.

ينظر: ديوانه (٥٩)، والكتاب (١/ ٢٣)، والمغني (٥٠٥)، والهمع (١/ ١١٩)، والدرر (١/ ٨٨).

(١) قوله: «من أفناء رجالهم» في الصحاح: يقال هو من أفناء الناس، إذا لم يعلم ممن هو (ع).

﴿رَبِّهِمْ﴾ أي: سابقة وفضلاً ومنزلة رفيعة[1].

فإن قلت: لم سميت السابقة قدماً؟

قلت: لما كان السعي والسبق بالقدم، سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدماً، كما سميت النعمة يداً؛ لأنها تعطى باليد، وباعاً؛ لأنّ صاحبها يبوع بها، فقيل: لفلان قدم في الخير، وإضافته إلى صدق؛ دلالة على زيادة فضل، وأنه من السوابق العظيمة، وقيل: مقام صدق، ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: إن هذا الكتاب وما جاء به محمد ﴿لَسِحْرٌ﴾: ومن قرأ: «لساحر»؛ فهذا إشارة إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو دليل عجزهم واعترافهم به، وإن كانوا كاذبين في تسميته سحراً، وفي قراءة أبيّ: «ما هذا إلا سحر».

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿يُدَبِّرُ﴾: يقضي، ويقدر على حسب مقتضى الحكمة، ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في أدبار الأمور وعواقبها؛ لئلا يلقاه ما يكره آخراً، و﴿ٱلْأَمْرَ﴾: أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والأرض والعرش.

فإن قلت: ما موقع هذه الجملة؟

قلت: قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه، وملكه بخلق السموات والأرض، مع بسطتها واتساعها في وقت يسير، وبالاستواء على العرش، وأتبعها هذه الجملة؛ لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره؛ وكذلك قوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾: دليل على العزة والكبرياء؛ كقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ: ١٨]، و﴿ذَٰلِكُمُ﴾: إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة، أي: ذلك العظيم[2] الموصوف بما وصف به هو ربكم، وهو الذي يستحق منكم العبادة، ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾: وحده/ ٣١٠ب، ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان، فضلاً عن جماد لا يضر ولا ينفع، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فإن أدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما

---

(١) قال محمود: «أي سابقة وفضلاً ومنزلة رفيعة... إلخ» قال أحمد: ولم يرد في سابقة السوء تسميتها قدماً، إما لأن المجاز لا يطرد، وإما أن يكون مطرداً ولكن غلب العرف على قصرها كما يغلب في الحقيقة، والله أعلم.

(٢) قوله: «ذلك العظيم» لعله ذلكم (ع).

أنتم عليه، ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: لا ترجعون في العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه، ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾: مصدر مؤكد لقوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، و﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد؛ لقوله: ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٦]، ﴿إنه يبدأ الخلق ثم يعيده﴾: استئناف، معناه: التعليل لوجوب المرجع إليه، وهو: أنّ الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم، وقرىء: «أنه يبدؤ الخلق»، بمعنى: لأنه، أو هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله، أي: وعد الله وعداً بدأ الخلق ثم إعادته، والمعنى: إعادة الخلق بعد بدئه، وقرىء: وعد الله، على لفظ الفعل، «ويبدىء»، من أبدأ، ويجوز أن يكون مرفوعاً بما نصب حقًّا، أي: حقّ حقًّا بدأ الخلق؛ كقوله [من الطويل]:

أَحَقًّا عِبَادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ جَائِيًا ... وَلاَ ذَاهِبًا إِلاَّ عَلَيَّ رَقِيبُ[1]

وقرىء: حق أنه يبدؤ الخلق؛ كقولك: حق أنّ زيداً منطلق، ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل، وهو متعلق بيجزي، والمعنى: ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم، أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا، ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحاً؛ لأنّ الشرك ظلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] والعصاة: ظلام أنفسهم، وهذا أوجه؛ لمقابلة قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

الياء في ﴿ضِيَاءً﴾: منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها، وقرىء: «ضئاء» بهمزتين بينهما ألف على القلب، بتقديم اللام على العين، كما قيل في عاق: «عقا»، والضياء أقوى من النور، ﴿وَقَدَّرَهُ﴾: وقدّر القمر، والمعنى: وقدّر مسيره، ﴿مَنَازِلَ﴾: أو قدّره ذا منازل؛ كقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩]. ﴿وَالْحِسَابَ﴾: وحساب الأوقات من الشهور والأيام والليالي، ﴿ذلك﴾: إشارة إلى المذكور، أي: ما خلقه إلا ملتبساً بالحق

---

(١) أحقا عباد الله أن لست جائياً ... ولا ذاهباً إلا علي رقيب
ولا زائراً فرداً ولا في جماعة ... من الناس إلا قيل: أنت مريب

لعبد الله بن الدمينة الخثعمي. وقيل: لقيس بن الملوح. قال المرزوقي: أحقا انتصب عند سيبويه على الظرفية، كأنه قال: أفي الحق ذلك، لأنهم كثيرا ما يقولون: أفي الحق كذا. وعند المبرد على المفعولية المطلقة، أي أحق ذلك حقا، لأنه مصدر، وعباد الله: منادى. وروي: أن لست وارداً ولا صادراً. والمعنى واحد. والرقيب: المانع من لقاء الحبيب. ويجوز أن يراد به ما في قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ أي مناظر حاضر أو قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾.
ينظر: ديوانه ص (١٠٣)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص (١٣٦٤)، وشرح الأشموني (٢/ ٣٠٢)، والبحر (٥/ ١٢٤)، والطبري (١٥/ ٢١).

الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثاً، وقرىء: «يفصل»، بالياء.

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾

خصّ المتقين؛ لأنهم يحذرون العاقبة، فيدعوهم الحذر إلى النظر والتدبر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يتوقعونه أصلاً، ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم، المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق، أو لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء، أو لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يخاف، ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: من الآخرة، وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي؛ كقوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨]. ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾: وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها، فبنوا شديداً، وأمّلوا بعيداً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾: يسدّدهم بسبب إيمانهم للاستقامة[(١)] على سلوك السبيل المؤدّي إلى/ ٣١١أ الثواب؛ ولذلك جعل: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: بياناً له وتفسيراً؛ لأنّ التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها، ويجوز أن يريد يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢]، ومنه الحديث: «إِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صُوِّرَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا عَمَلُكَ، فَيَكُونُ لَهُ نُوراً وَقَائِداً إِلَى الجَنَّةِ، وَالكَافِرُ إِذَا خَرَجَ مِنْ

---

(١) قال محمود: «معناه يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة... إلخ» قال أحمد: هو يقرر بذلك زعمه في أن شرط دخول الجنة العمل الصالح، وأن من لم يعمل مخلد في النار كالكافر، وأنى له ذلك وقد جعل الله سبب الهداية إلى الجنة مطلق الإيمان، فقال ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ وقول الزمخشري «أن المراد إضافة العمل» لا ينتهض عن حيز الدعوى، فإن الله لم يعلل بغير الإيمان وإن جرى لغيره ذكر أو لا فلا يلزم إجراؤه ثانياً ولا محوج إليه. وشبهته أن الإيمان المجهول سببٌ مضاف إلى ضمير الصالحين، فيلزم أخذ الصلاح قيداً في التسبب، وهو ممنوع؛ فإن الضمير إنما يعود على الذوات لا باعتبار الصفات وقد تقدمت لهذه المباحثة أمثال وأشكال، والله الموفق.

قَبْرِهِ صُوِّرَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةٍ سَيِّئَةٍ فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا عَمَلُكَ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ النَّارَ» (٧٤٠).

فإن قلت: فلقد دلت هذه الآية على أنّ الإيمان الذي يستحق به العبد الهداية، والتوفيق، والنور ويوم القيامة، هو إيمان مقيد، وهو الإيمان المقرون بالعمل الصالح، والإيمان الذي لم يقرن بالعمل الصالح، فصاحبه لا توفيق له ولا نور، قلت: الأمر كذلك؛ ألا ترى كيف أوقع الصلة مجموعاً فيها بين الإيمان والعمل، كأنه قال: إنّ الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، ثم قال: بإيمانهم، أي: بإيمانهم هذا المضموم إليه العمل الصالح، وهو بين واضح لا شبهة فيه، ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾: دعاؤهم؛ لأن «اللهمّ»: نداء لله، ومعناه: اللهمّ، إنا نسبحك؛ كقول القانت في دعاء القنوت: اللهمّ، إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، ويجوز أن يراد بالدعاء: العبادة، ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: على معنى أَنْ لاَ تكليف في الجنة ولا عبادة، وما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه، وذلك ليس بعبادة؛ إنما يلهمونه فينطقون به تلذذاً بلا كلفة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾، ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾: وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح، ﴿أَنِ﴾: يقولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ومعنى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾: أنّ بعضهم يحيي بعضاً بالسلام، وقيل: هي تحية الملائكة إياهم، إضافة للمصدر إلى المفعول، وقيل: تحية الله لهم، «وأن» هي المخففة من الثقيلة، وأصله: «أنه الحمد لله»، على أن الضمير للشأن؛ كقوله [من البسيط]:

.... أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَىٰ وَيَنْتَعِلُ[(١)]

---

٧٤٠ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١١٧) رقم (٣٤٦٣٢)، من طريق أبي خالد الأحمر عن عمرو ابن قيس عن عطية عن ابن عمر موقوفاً. وأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٣٤) رقم (١٧٥٧٣)، من طريق بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة مرفوعاً. ومن طريق الطبري ذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٣٨)، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة به.
ونقله الثعلبي عن مجاهد ومقاتل عن النبي ﷺ، وسنده إليهما في أول كتابه؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١١٩).
قال الحافظ: أخرجه الطبري من طريق سعيد عن قتادة قال: بلغنا أن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا أخرج من قبره ـ فذكره»، وروى ابن أبي شيبة من طريق عمرو بن قيس عن عطية عن ابن عمر قال: «يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره عمله في أحسن صورة. فذكر نحوه بتمامه ـ انتهى.

---

(١) وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني ... شاو مشل شلول شلشل شول
في فتية كسيوف الهند قد علموا ... أن هالك كل من يحفى وينتعل
للأعشى ميمون بن قيس. والحانوت: محل البيع والشراء. والمراد: محل بيع الطعام والشراب. =

وقرىء: «أَنَّ الحمدَ لله»، بالتشديد، ونصب الحمد.

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾

أصله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾: تعجيله لهم الخير، فوضع ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾: موضع تعجيله لهم الخير[1]؛ إشعاراً بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم، حتى كأنّ استعجالهم بالخير تعجيل لهم، والمراد: أهل مكة، وقولهم: فأمطر علينا حجارة من السماء، يعني: ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه، ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: لأميتوا وأهلكوا، وقرىء: «لقضي إليهم أجلهم»، على البناء للفاعل، وهو الله ـ عزّ وجلّ ـ وتنصره قراءة عبد الله: «لقضينا إليهم أجلهم».

فإن قلت: فكيف اتصل به قوله: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾/ ٣١١ب وما معناه؟

قلت: قوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ﴾: متضمن معنى نفي التعجيل؛ كأنه قيل: ولا نعجل

= يتبعني شاو: أي غلام يشوي اللحم. مشل: أي مسرع. شلول: خفيف في العمل: شلشل: بالضم، أي ماض في الخدمة وقضاء الحوائج: شول ـ ككتف ـ خفيف في العمل. وقيل: مخرج للحم من القدر. في فتية: أي حال كوني مع فتيان كسيوف الهند في إنفاذ العزائم في المكارم. أو في بياض الوجوه وتهللها. والأول أنسب بقوله: قد علموا أنه، أي الحال والشأن. هالك وفان كل حاف: غير لابس للنعل، ومنتعل: لابس له، وهما كناية عن الفقير والغني، وإذا استويا في الغنى فلا معنى للبخل الذي لا يوجب البقاء. ويجوز أنهما كناية عن جميع الناس مبالغة في التعميم.
ينظر ديوانه ص ١٠٩، والأزهية ص ٦٤، والإنصاف ص ١٩٩، وتخليص الشواهد ص ٣٨٢، وخزانة الأدب ٥/ ٤٢٦، ٨/ ٣٩٠، ١٠/ ٣٩٣، ١١/ ٣٥٣، ٣٥٤، والدرر ٢/ ١٩٤، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٧٦، والكتاب ٢/ ١٣٧، ٣/ ٧٤، ١٦٤، ٤٥٤، والمحتسب ١/ ٣٠٨، ومغني اللبيب ١/ ٣١٤، والمقاصد النحوية ٢/ ٢٨٧، والمنصف ٣/ ١٢٩، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١٠/ ٣٩١، ورصف المباني ص ١١٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ٧١، والمقتضب ٣/ ٩، وهمع الهوامع ١/ ١٤٢.

(١) قال محمود: «فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير... إلخ» قال أحمد: وهذا أيضاً من تنبيهات الزمخشري الحسنة التي تقوم على دقة نظره شاهدة وبينة، ولا يكاد وضع المصدر مؤكداً أو مقارناً لغير فعله في الكتاب العزيز يخلو من مثل هذه الفائدة الجليلة. والنحاة غايتهم أن يقولوا في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ أنه أجرى المصدر على الفعل مقدراً عدم الزيادة. أو هذا المصدر لفعل دل عليه المذكور تقديره: نبتم نباتاً، ولا يزيدون على ذلك، وإذا راجع الفطن قريحته وناجى فكرته، هل قرن المصدر في كتاب الله بغير فعله لفائدة أو لا ـ تسور بلطف النظر على مثل هذه الفوائد العلية مراتبها، فالفائدة ـ والله أعلم ـ في اقتران قوله (نباتاً) بقوله (أنبتكم) التنبيه على تحتم نفوذ القدرة في المقدور، وسرعة إمضاء حكمها حتى كان إنبات الله لهم نفس نباتهم أي إذا وجد من الله الإنبات وجد لهم النبات حتماً فكان أحد الأمرين عين الآخر فقرن به والله أعلم.

لهم الشر، ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم، ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ أي: فنمهلهم، ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم؛ إلزاماً للحجة عليهم.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾: في موضع الحال؛ بدليل عطف الحالين عليه، أي: دعانا مضطجعاً، ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾.

فإن قلت: فما فائدة ذكر هذه الأحوال؟

قلت: معناه: أنّ المضرور لا يزال داعياً لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر، فهو يدعونا في حالاته كلها ـ إن كان منبطحاً عاجز النهض[١] متخاذل النوء[٢]، أو كان قاعداً لا يقدر على القيم، أو كان قائماً لا يطيق المشي والمضطرب ـ إلى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة[٣] بتمامها، ويجوز أن يراد أن من المضرورين من هو أشدّ حالاً وهو صاحب الفراش، ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود، ومنهم المستطيع للقيام، وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء؛ لأنّ الإنسان للجنس، ﴿مَرَّ﴾ أي: مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر، ونسي حال الجهد، أو مرّ عن موقف الإبتهال والتضرع لا يرجع إليه، كأنه لا عهد له به، ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ﴾: كأنه لم يدعنا، خفف وحذف ضمير الشأن؛ قال [من الهزج]:

.... كَــأَنْ ثَــدْيَــاهُ حُــقَّــانِ[٤]

---

(١) قوله: «عاجز النهض» نهض نهضاً ونهوضاً: قام (ع).

(٢) قوله: «متخاذل النوء» في الصحاح: ناء ينوء نوءاً إذا نهض بجهد ومشقة (ع).

(٣) قوله: «والمسحة» في الصحاح: وعلى فلان مسحة من جمال (ع).

(٤) ونــحــر مــشــرق الــلــون ... كــأن ثــديــاه حــقــان

أي: ورب نحر. ويروى بالرفع عطفاً على شيء تقدم، أي ولها. والنحر: موضع القلادة من الصدر. ويروى: وصدر مشرق، أي أبيض مضيء. ويروى: وصدر مشرق النحر. ويروى: ووجه مشرق اللون، وكأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. وقال أبو حيان: لا حاجة للإضمار عند الإهمال. وروي: كأن ثدييه بالإعمال مع التخفيف وهو قليل. وإضافة الثديين لضمير النحر للملابسة ولضمير الوجه على تقدير مضاف» أي: ثديا صاحبته. والحقان: تثنية حق وهو ما يعمل من العاج ونحوه، يوضع فيه أعز الأشياء. وقيل تثنية حقة، وحذفت منه التاء.

ينظر الإنصاف ١/١٩٧، وأوضح المسالك ١/٣٧٨، ولسان العرب (أنن)، والكتاب ٢/١٣٥، وخزانة الأدب ١٠/٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٤، والدرر ٢/١٩٩، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/٨٢، وشرح التصريح ١/١٣٤، وشرح شذور الذهب ص ٣٦٩، وتخليص الشواهد =

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك التزيين، ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾: زين الشيطان بوسوسته أو الله بخذلانه وتخليته، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: من الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿لَمَّا﴾: ظرف لأهلكنا، والواو في ﴿وَجَاءَتْهُمْ﴾: للحال، أي: ظلموا بالتكذيب، وقد جاءتهم رسلهم بالحجج، والشواهد على صدقهم وهي المعجزات، وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: يجوز أن يكون عطفاً على ظلموا؛ وأن يكون اعتراضاً، واللام لتأكيد النفي، يعني: وما كانوا يؤمنون حقًّا؛ تأكيداً لنفي إيمانهم، وأن الله قد علم منهم أنهم يصرون على كفرهم، وأن الإيمان مستبعد منهم، والمعنى: أن السبب في إهلاكهم تكذيب الرسل، وعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثه الرسل، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الجزاء، يعني: الإهلاك، ﴿نَجْزِي﴾: كل مجرم، وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله ـ ﷺ ـ وقرىء: «يجزي»، بالياء، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ﴾: الخطاب للذين بعث إليهم محمد ـ ﷺ ـ أي: استخلفناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكنا، ﴿لِنَنظُرَ﴾: أتعملون خيراً أم شراً فنعاملكم على حسب عملكم، و﴿كَيْفَ﴾: في محل النصب بتعملون لا ينتظر؛ لأنّ معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدّم عليه عامله.

فإن قلت: كيف جاز النظر على الله ـ تعالى ـ وفيه معنى المقابلة(١)؟

قلت: هو مستعار للعلم المحقق، الذي هو العلم بالشيء/ ٣١٢أ موجوداً شبه بنظر الناظر، وعيان المعاين في تحققه.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ

= ص ٣٨٩، والجني الداني ص ٥٧٥، وشرح ابن عقيل ص ١٩٧، وشرح قطر الندى ص ١٥٨، وشرح الأشموني ١/ ١٤٧، والمقاصد النحوية ٢/ ٣٠٥، والمنصف ٣/ ١٢٠٨، وهمع الهوامع ١/ ١٤٣، والدر المصون ٢/ ٣٩٠.

(١) قال محمود: «إن قلت كيف جاز النظر على الله تعالى... إلخ» قال أحمد: وكنت أحسب أن الزمخشري يقتصر على إنكار رؤية العبد لله تعالى، فضم إلى ذلك إنكار رؤية الله، والجمع بين هذين النزغتين عقيدة طائفة من القدرية، يقولون: إن الله لا يرى ولا يُرى، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً. وتقدم إبطال دعواهم أن النظر يستلزم المقابلة والجسمية فلا نعيده، والله الموفق.

﴿عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾

غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين، فقالوا: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ﴾: آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك، ﴿أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾: بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة، وتسقط ذكر الآلهة وذمّ عبادتها، فأمر بأن يجيب عن التبديل؛ لأنه داخل تحت قدرة الإنسان، وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل، وأن يسقط ذكر الآلهة، وأما الإتيان بقرآن آخر، فغير مقدور عليه للإنسان، ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾: ما ينبغي لي وما يحل؛ كقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾[المائدة: ١١٦]. ﴿أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾: من قبل نفسي، وقرىء: بفتح التاء من غير[1] أن يأمرني بذلك ربي، ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ﴾: لا آتي ولا أذر شيئاً من نحو ذلك، إلا متبعاً لوحي الله وأوامره، إن نسخت آية تبعت النسخ، وإن بدِّلت آية مكان آية تبعت التبديل، وليس إليّ تبديل ولا نسخ، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾: بالتبديل والنسخ من عند نفسي: ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

فإن قلت: أما ظهر وتبين لهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن حتى قالوا: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ﴾؟

قلت: بلى، ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز، وكانوا يقولون: لو نشاء لقلنا مثل هذا، ويقولون: افترى على الله كذباً، فينسبونه إلى الرسول، ويزعمونه قادراً عليه وعلى مثله، مع علمهم بأنّ العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها إذا عجزوا عنه، كان الواحد منهم أعجز.

فإن قلت: لعلهم أرادوا: «ائت بقرآن غير هذا أو بدّله»، من جهة الوحي كما أتيت بالقرآن من جهته، وأراد بقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾: ما يتسهل لي وما يمكنني أن أبدّله.

قلت: يردّه قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾.

فإن قلت: فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم في هذا الاقتراح؟

قلت: الكيد والمكر، أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن، ففيه أنه من عندك وأنك قادر على مثله، فأبدل مكانه آخر، وأما اقتراح التبديل والتغيير، فللطمع ولاختبار الحال، وأنه إن وجد منه تبديل، فإمّا أن يهلكه الله فينجو منه، أو لا يهلكه فيسخروا منه، ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحاً لافترائه على الله.

﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦﴾

---

(١) قوله: «من غير» لعله «أي من غير» (ع).

﴿لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه أمراً عجيباً خارجاً عن العادات، وهو: أن يخرج رجل أُمي لم يتعلم، ولم يستمع، ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره، ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليهم كتاباً فصيحاً، يبهر كل كلام فصيح، ويعلو على كل منثور ومنظوم، مشحوناً بعلوم من علوم الأصول والفروع، وأخبار مما كان وما يكون، ناطقاً بالغيوب التي لا يعلمها إلا الله، وقد بلغ/ ٣١٢ب بين ظهرانيكم[1] أربعين سنة تطلعون على أحواله، ولا يخفى عليكم شيء من أسراره، وما سمعتم منه حرفاً من ذلك، ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به، ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾: ولا أعلمكم به على لساني، وقرأ الحسن: «ولا أدراتكم به»، على لغة من يقول: أعطاته وأرضاته، في معنى: أعطيته وأرضيته؛ وتعضده قراءة ابن عباس: «ولا أنذرتكم به»، ورواه الفراء «ولا أدرأتكم به»، وبالهمز، وفيه وجهان:

أحدهما: أن تقلب الألف همزة، كما قيل: لبأت بالحج، ورثأت الميت وحلأت[2] السويق؛ وذلك لأنّ الألف والهمزة من واد واحد؛ ألا ترى أنّ الألف إذا مستها الحركة انقلبت همزة.

والثاني: أن يكون من درأته إذا دفعته، وأدرأته إذا جعلته دارئاً، والمعنى: ولاجعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني، وعن ابن كثير: «ولأدراكم به»، بلام الابتداء؛ لإثبات الإدراء، ومعناه: لو شاء الله، ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري؛ ولكنه يمنّ على من يشاء من عباده، فخصني بهذه الكرامة، ورآني لها أهلاً دون سائر الناس، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾، وقرىء: (عمراً) بالسكون، يعني: فقد أقمت فيما بينكم يافعاً وكهلاً، فلم تعرفوني متعاطياً شيئاً من نحوه ولا قدرت عليه، ولا كنت متواصفاً بعلم وبيان فتتهموني باختراعه، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتعلموا أنه ليس إلا من الله لا من مثلي، وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم: «ائت بقرآن غير هذا» من إضافة الافتراء إليه.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: يحتمل أن يريد: افتراء المشركين على الله في قولهم: إنه ذو شريك وذو ولد، وأن يكون تفادياً مما أضافوه إليه من الافتراء.

---

(١) قوله: «ظهرانيكم» في الصحاح: ظهرانيهم ـ بفتح النون (ع).
(٢) قوله: «وحلأت» أي جعلته حلواً (ع).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: الأوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضر، وقيل: إن عبدوها لم تنفعهم، وإن تركوا عبادتها لم تضرهم، ومن حق المعبود أن يكون مثيباً على الطاعة، معاقباً على المعصية، وكان أهل الطائف: يعبدون اللات، وأهل مكة: العزى، ومناة، وهبل، وأسافا، ونائلة، ﴿و﴾: كانوا ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾: وعن النضر بن الحارث: إذا كان يوم القيامة، شفعت لي اللات والعزى، ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾: أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده، وهو إنباء بما ليس بالمعلوم لله، وإذا لم يكن معلوماً له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات، لم يكن شيئاً؛ لأن الشيء ما يعلم ويخبر عنه، فكان خبراً ليس له مخبر عنه.

فإن قلت: كيف أنبأوا الله بذلك؟

قلت: هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام، وإعلام بأنّ الذي أنبؤوا به باطل غير منطو تحت الصحة، فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل/ ٣١٣أ بما لا يعلمه، وقرىء: «أتنبؤون»، بالتخفيف، وقوله: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾: تأكيد لنفيه؛ لأنّ ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم، ﴿تُشْرِكُونَ﴾: قرىء بالتاء والياء، وما: موصولة أو مصدرية، أي: عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم؛ وذلك في عهد آدم إلى أن قتل قابيل هابيل، وقيل: بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين دياراً، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة، ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: عاجلاً فيما اختلفوا فيه، ولميز المحق من المبطل، وسبق كلمته بالتأخير؛ لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف، وتلك دار ثواب وعقاب، وقالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: أرادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها، وكانوا

لا يعتدّون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة، التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها، وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر، بديعة غريبة في الآيات، دقيقة المسلك من بين المعجزات، وجعلوا نزولها كلا نزول، وكأنه لم ينزل عليه آية قط، حتى قالوا: لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه؛ وذلك لفرط عنادهم، وتماديهم في التمرّد وانهماكهم في الغيّ؛ ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي: هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به، يعني؛ أنّ الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو، ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾: نزول ما اقترحتموه، ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾: لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾

سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون، ثم رحمهم بالحيا، فلما رحمهم، طفقوا يطعنون في آيات الله، ويعادون رسول الله ـ ﷺ ـ ويكيدونه؛ و«إذا» الأولى: للشرط، والآخرة: جوابها، وهي للمفاجأة، والمكر: إخفاء الكيد وطيه، من الجارية الممكورة المطوية الخلق، ومعنى ﴿مَسَّتْهُمْ﴾: خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم.

فإن قلت: ما وصفهم بسرعة المكر، فكيف صح قوله: ﴿أَسْرَعُ مَكْرًا﴾؟

قلت: بلى، دلت على ذلك كلمة المفاجأة؛ كأنه قال: وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا وقوع المكر منهم، وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رءوسهم من مس الضراء، ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم، والمعنى: أن الله ـ تعالى ـ دبر عقابكم، وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام، ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ﴾: إعلام بأنّ ما تظنونه خافياً مطوياً لا يخفى على الله، وهو منتقم منكم، وقرىء: «يمكرون»، بالتاء والياء، وقيل: مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا، وعن أبي هريرة: «إنّ الله ليصبح/ ٣١٣ب القوم بالنعمة ويمسيهم بها، فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون: مطرنا بنوء كذا» (٧٤١).

---

٧٤١ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١١/ ٦٦٢): هكذا رواه المصنف موقوفاً، وهو مرفوع، رواه إسحاق بن راهويه في مسنده، والطبري في تفسيره في سورة الواقعة، ومن طريق الطبري رواه الثعلبي؛ كلهم من حديث محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى ليصبح عباده بالنعمة، أو ليمسيهم بها، فيصبح قوم بها كافرين، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا» أ.هـ. والحديث أخرجه الطبري (١١/ ٦٦٢) رقم (٣٣٥٦١).

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قرأ زيد بن ثابت: «ينشركم»، ومثله قوله: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠]، ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠].

فإن قلت: كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر[1]، والتسيير في البحر إنما هو بالكون في الفلك؟

قلت: لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر، ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد «حتى» بما في حيزها، كأنه قيل: يسيركم حتى إذا وقعت هذه

= قال الحافظ:
أخرجه إسحاق والطبري: والثعلبي من طريق ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم، اليمني عن أبي سلمة عن أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى ليصبح عباده بالنعمة أو ليمسيهم بها، فيصبح بها قوم كافرون، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا» قال محمد: فذكرت الحديث لسعيد بن المسيّب فقال: ونحن سمعناه من أبي هريرة. ولمسلم من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً: «قال الله تعالى: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق بها كافرين، يقولون: الكوكب وبالكوكب مطرنا». انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية... إلخ» قال أحمد: وهذه أيضاً من نكته التي لا يكتنه حسنها، وقد مر لي قبل الوقوف عليها مثل هذا النظر بعينه في توأمتها، وذلك عند قوله تعالى ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ وقد استدل الزمخشري بها لأبي حنيفة في أن الصغير يبتلى قبل البلوغ بأن يسلم إليه قدر من المال يمتحن فيه، خلافاً لمالك، فإنه لا يرى الابتلاء قبل البلوغ قال الزمخشري: ووجه الاستدلال أن الله تعالى جعل البلوغ غاية الابتلاء، فيلزم وقوع الابتلاء قبله ضرورة كونه مغيا به. واعترضت هذا الاستدلال فيما سلف بأن المجعول غاية هو حمله ما في حيز «حتى» من البلوغ مقروناً بإيناس الرشد، وهذا المجموع هو الذي يلزم وقوعه بعد الابتلاء، ولا يلزم من ذلك أن يقع كل واحد من مفرديه بعد الإبتلاء، بل من الممكن أن يقع أحدهما قبل والآخر بعد، فلا يحصل المجموع إلا بعد الإبتلاء. ويوضح ذلك هذه الآية، فإنه تعالى جعل غاية تسييرهم في الفلك كونهم فيها، مضافاً إلى ما ذكر معه. ونحن نعلم أن كونهم في الفلك ـ وذلك أحد ما جعل غاية ـ متقدم على التسيير وإن كان المجموع واقعاً، كوقوع الحادثة بجملتها بعد الكون في الفلك والله أعلم. وإنما بسطت القول هنا لفواته ثم، فجدد بما مضى عهداً.

الحادثة، وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف، وتراكم الأمواج، والظنّ للهلاك[1]، والدعاء بالإنجاء.

فإن قلت: ما جواب «إذا»؟ قلت: جاءتها، فإن قلت: فدعوا؟ قلت: بدل من ظنوا؛ لأنّ دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به، فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح، فإن قلت: ما وجه قراءة أمّ الدرداء: «في الفلكي»، بزيادة ياء النسب؟ قلت: قيل: هما زائدتان كما في الخارجي والأحمري، ويجوز أن يراد به اللجّ والماء الغمر الذي لا تجري الفلك إلا فيه، والضمير في ﴿ جَرَيْنَ﴾: للفلك؛ لأنه جمع فلك كالأسد، في فعل أخي فعل[2]، وفي قراءة أمّ الدرداء: «للفلك»، أيضاً؛ لأنّ الفلكي يدلّ عليه، ﴿جَآءَتْهَا﴾: جاءت الريح الطيبة، أي: تلقتها، وقيل: الضمير للفلك، ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من جميع أمكنة الموج، ﴿أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: أهلكوا جعل إحاطة العدوّ بالحي مثلاً في الهلاك، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: من غير إشراك به؛ لأنهم لا يدعون حينئذ غيره معه، ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا﴾: على إرادة القول، أو لأن: (دعوا): من جملة القول، ﴿يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يفسدون فيها، ويعبثون متراقين في ذلك، ممعنين فيه، من قولك: بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، والبغي لا يكون بحق؟

قلت: بلى، وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة، وهدم دورهم، وإحراق زروعهم، وقطع أشجارهم، (٧٤٢) كما فعل رسول الله ـ ﷺ ـ ببني قريظة، قرىء: «متاع

---

٧٤٢ ـ أخرجه البخاري (٨/ ٦٧): كتاب المغازي: باب حديث بني النضير، حديث (٤٠٢٨)، ومسلم (٦/ ٣٣٤ ـ النووي): كتاب الجهاد والسير: باب إجلاء اليهود من الحجاز، حديث (٦٢/ ١٧٦٦) وأبو داود (٣/ ١٥٧): كتاب الخراج والإمارة والفيء، حديث (٣٠٠٥).
كلهم من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر به.
قال الحافظ: متفق على معناه من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ انتهى.

---

(١) قوله: «والظن للهلاك» عبارة النسفي: بالهلاك (ع).
(٢) قوله: «كالأسد في فعل» أي كما جاء «فعل» بالضم في «فعل» بفتحتين، كأسد في أسد، جاز مجيء «فعل» بالضم في فعل «بالضم» كفلك في فلك، وذلك لأن «فعلاً بفتحتين و«فعلاً» بالضم أخوان، لأنهما يشتركان في الشيء الواحد، كالعرب والعرب والعجم والعجم، والرهب والرهب. فما جاز في أحدهما لا يمنع في الآخر، وقد جاز «فعل» بالضم في «فعل» بالفتح، فليجز «فعل» بالضم في «فعل» بالضم، لأنهما أخوات. كذا في الصحاح، فتأمله.

الحياة الدنيا»، بالنصب.

فإن قلت: ما الفرق بين القراءتين؟

قلت: إذا رفعت كان المتاع خبراً للمبتدأ الذي هو: (بغيكم)، و﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾: صلته؛ كقوله: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ [القصص: ٧٦]، ومعناه: إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم، يعني: بغى بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها، وإذا نصبت: فـ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ خبر غير صلة، معناه: إنما بغيكم وبال على أنفسكم، و﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: في موضع المصدر المؤكد، كأنه قيل: تتمتعون متاع الحياة الدنيا، ويجوز أن يكون الرفع على: هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام، وعن النبي - ﷺ - أنه قال: «لاَ تَمْكُرْ وَلاَ تُعِنْ مَاكِراً، وَلاَ تَبْغِ وَلاَ تُعِنْ بَاغِياً، وَلاَ تَنْكِثْ وَلاَ تُعِنْ نَاكِثاً» (٧٤٣)، وكان يتلوها، وعنه عليه الصلاة والسلام: «أَسْرَعُ الخَيْرِ ثَوَاباً صِلَةُ الرَّحِمِ، وَأَعْجَلُ الشَّرِّ عِقَاباً البَغْيُ وَاليَمِينُ الفَاجِرَةُ» (٧٤٤) وروي: «ثِنْتَانِ يُعَجِّلُهُمَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي الدُّنْيَا: البَغْيُ،

---

٧٤٣ - أخرجه ابن المبارك في كتابه «الزهد والرقائق» (ص ٢٥٢) رقم (٧٢٥)، من طريق يونس بن يزيد عن الزهري مرسلاً قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: لا تمكر ولا تُعن ماكراً؛ فإن الله يقول: ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾، ولا تبغ ولا تُعنْ باغياً؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾، ولا تنكث ولا تُعن ناكثاً فإن الله تعالى يقول: ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾.

وأخرج الحاكم بعضه في مستدركه (٣٣٨/٢) عن عيينة بن عبد الرحمن الغطفاني سمعت أبي يحدث عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تبغ ولا تعن باغياً، فإن الله يقول: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾.

وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه أ.هـ. وعن الحاكم أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٨٥) رقم (٦٦٧١).

ومن طريق ابن المبارك رواه الثعلبي في تفسيره في سورة فاطر؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٢١).

قال الحافظ:

أخرجه ابن المبارك في الزهد: أخبرنا يونس بن يزيد عن الزهري: قال «بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: لا تمكر ولا تعن ماكراً، فإن الله تعالى يقول: ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ ولا تبغ ولا تعن باغياً فإن الله تعالى يقول: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾؛ ولا تنكث ولا تعن ناكثاً، فإن الله تعالى يقول: ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾، وفي مستدرك الحاكم بعضه من حديث أبي بكرة مرفوعاً: «لا تبغ ولا تعن باغياً فإن الله تعالى يقول: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ انتهى.

٧٤٤ - أخرجه ابن ماجه (١٤٠٨/٢): كتاب الزهد: باب البغي، حديث (٤٢١٢)، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ١٠ - ١١) رقم (٤٥١١٢) كلاهما من طريق معاوية بن إسحاق عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين به.

وله شاهد من حديث أبي بكرة:

أخرجه أبو داود (٤/ ٢٧٦): كتاب الأدب: باب في النهي عن البغي، حديث (٤٩٠٢)، والترمذي =

وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ» (٧٤٥)، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «لو بغى جبل على جبل لدك الباغي» (٧٤٦)، وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه [من البسيط]:

= (٤/ ٦٦٤ ـ ٦٦٥): : كتاب صفة القيامة، حديث (٢٥١١)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٨): كتاب الزهد: باب البغي، حديث (٤٢١١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٦) و(٤/ ١٦٢ ـ ١٦٣)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه اهـ. والبخاري في الأدب المفرد ص (٢٨) برقم (٦٧)؛ كلهم من طريق عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكرة به.

وأخرجه إسحاق بن راهويه في «مسنده»، والثعلبي في تفسيره كلاهما عن مكحول به؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٢٢).

قال الحافظ:

أخرجه إسحاق في مسنده عن جرير عن برد بن بسار عن مكحول رفعه: وأعجل الخير قراباً صلة الرحم، وأعجل الشر عقاباً البغي واليمين الفاجرة، تدع الديار بلاقع، ولأبي يعلى من حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين رفعته، «أسرع الخير ثواباً صلة الرحم. وأسر الشر عقوبة البغي». انتهى.

٧٤٥ ـ أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٥٩١)، وذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٢٢)، وعزاه إلى إسحاق بن راهويه، والطبراني في معجمه.

قال الحافظ:

أخرجه إسحاق في مسنده، والطبراني من حديث عبد الله بن أبي بكرة عن أبيه. والبخاري في الأدب المفرد من رواية بكار بن عبد العزيز عن أبيه عن جده رفعه: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا البغي وعقوق الوالدين، فإنه يعجل لصاحبه في الدنيا قبل الموت». انتهى.

٧٤٦ ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (٥/ ٢٩١) رقم (٦٦٩٣) عن الأصم عن محمد بن إسحاق قال: «لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهماً دكّا».

قال البيهقي: تابعه فطر عن أبي يحيى القتات. وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية»: (٢/ ٧٧٧) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: لو بغى جبل على جبل لخر الجبل الذي بغى عليه.

قال ابن عديّ: هذا حديث باطل عن ابن أبي ذئب لم يروه غير إسماعيل، وكان يحدث عن الثقات بالبواطيل، وقال ابن حِبان: كان يروي الموضوعات من الثقات لا يحل الرواية عنه. أ.هـ.

وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية أيضاً (٢/ ٧٧٧) عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: لو بغى جبل على جبل لجعله الله دكّا.

قال أبو حاتم: كتبت عنه نحو خمس مائة حديث كلها موضوعة، ولعله قد وضع على الأئمة أكثر من ثلاثة آلاف حديث.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٤٤) وعزاه إلى ابن مردويه عن كل من ابن عباس وابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

وأخرجه ابن المبارك في كتاب «البر والصلة»؛ والبخاري في الأدب المفرد؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٢٣) عن ابن عباس موقوفاً.

قال الحافظ:

أخرجه البخاري في الأدب حدثنا أبو نعيم حدثنا قطر بن خليفة عن أبي يحيى القتات: سمعت =

يَا صَاحِبَ الْبَغْيِ إِنَّ الْبَغْيَ مَصْرَعَةٌ ... فَارْبَعْ فَخَيْرُ فَعَالِ الْمَرْءِ أَعْدَلُهُ
فَلَوْ بَغَىٰ جَبَلٌ يَوْماً عَلَىٰ جَبَلٍ ... لَانْدَكَّ مِنْهُ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ(١)

وعن محمد بن كعب: «ثلاث من كنّ فيه كنّ عليه: البغي، والنكث، والمكر»، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

هذا من التشبيه المركب، شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها، وانقراض نعيمها بعد الإقبال، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعد ما التف وتكاثف، وزين الأرض بخضرته ورفيفه(٢)، ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾: فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً، ﴿أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾: كلام فصيح: جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس، إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون، فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين، وأصل: (ازّينت): تزينت، فأدغم، وبالأصل قرأ عبد الله، وقرىء: «وأزينت»، أي: أفعلت، من غير إعلال الفعل كأغيلت، أي: صارت ذات زينة، «وازيانت»، بوزن ابياضت، ﴿قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾: متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها، رافعون لغلتها، ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾: وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم، ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾: فجعلنا زرعها، ﴿حَصِيدًا﴾: شبيهاً بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله، ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾:

= مجاهداً عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ موقوفاً. ورواه ابن المبارك في الزهد عن قطر عن يحيى عن مجاهد مرسلاً. ورواه البيهقي في الشعب من طريق الأعمش عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس. ورواه ابن مردويه عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أخرجه ابن حِبان في الضعفاء في ترجمة أحمد بن الفضل. وقال: إنه كان يضع الحديث. انتهى.

(١) كان المأمون بن الرشيد يتمثل بهما في بغي أخيه عليه، وكرر لفظ البغي تنفيراً عنه، وشبهه بالمصرعة لأن صاحبه يرتبك فيه في العاقبة وربما هلك، وربع يربع، إذا لم يتجاوز قدر نفسه. فاربع: أي الزم قدرك واعدل في فعلك. والفعال ـ بالفتح ـ: غالب في فعل الخير. والمراد هنا مطلق الفعل، أي: فخير عمل المرء أقومه، فلو بغى جبل على جبل يوماً من الأيام لعوقب واندك منه أعاليه. ويلزم منه اندكاك أسافله. وهذا عقد قول ابن عباس رضي الله عنهما: لو بغى جبل على جبل لدك الباغي.

(٢) قوله: «ورفيفه» أي يرمقه وتلألؤه. وشجر رفيف: إذا تندت أوراقه، كذا في الصحاح (ع).

كأن لم يغن زرعها، أي: لم ينبت[1] على حذف المضاف في هذه المواضع لا بدّ منه، وإلا لم يستقم المعنى، وقرأ الحسن: «كأن لم يغن»، بالياء على أنّ الضمير للمضاف المحذوف، الذي هو الزرع، وعن مروان أنه قرأ على المنبر: «كأن لم تتغن بالأمس»؛ من قول الأعشى [من المتقارب]:

.... طَويلَ الثَّواءِ طَويلَ التَّغَنّ[2]

والأمس: مثل في الوقت القريب؛ كأنه قيل: كأن لم تغن آنفاً.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾: الجنة، أضافها إلى اسمه؛ تعظيماً لها، وقيل: السلام: السلامة؛ لأنّ أهلها سالمون من كل مكروه، وقيل: لفشوّ السلام بينهم، وتسليم الملائكة عليهم، ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة ٢٦]، ﴿وَيَهْدِى﴾: ويوفق، ﴿مَن يَشَآءُ﴾: وهم الذين علم أنّ اللطف يجدي عليهم؛ لأنّ مشيئته تابعة لحكمته، ومعناه: يدعو العباد كلهم إلى دار السلام، ولا يدخلها إلا المهديون.

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: المثوبة الحسنى، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: وما يزيد على المثوبة وهي التفضل؛

---

(١) قوله: «أي لم ينبت» لعله لم يثبت. وفي الصحاح: غني بالمكان أي أقام، وغني أي عاش.

(٢) وكنت امرأ زمناً بالعراق ... طويل الثواء طويل التغن
فأنبئت قيساً ولم آته ... على نأيه ساد أهل اليمن
فجئتك مرتاد ما أخبروا ... ولولا الذي خبروا لم ترن

للأعشى، يستمنح قيس بن معد يكرب ويقول: وكنت رجلاً طويل الثواء في العراق، طويل التغني فيه دهراً طويلاً»، فزمناً: ظرف. ويجوز قراءته: زمناً، كحذر: أي هرم. والثواء: الإقامة. وغني بالمكان يغنى، كرضي يرضى: أقام ومكث. وقد يقال: تغنى تغنياً كترضى ترضياً، إذا تمكث وتلبث. فالتغني ـ بالتشديد ـ: مصدر حذفت لامه عند الوقف وإن كان حذفها قليلاً فأنبئت قيساً والحال أني لم أجئه: مع أنه ناء أي بعيد عني، أي مع بعده ساد أهل اليمن بجوده وكرمه على أهل الأرض، فجملة «ساد» في محل المفعول الثاني، ثم بعد ما قدم المدح التفت إلى خطابه بقوله: فجئتك مرتاداً ومتعرفاً ومتطلباً لما أخبروا به من كرمك وجودك، وإضافة مرتاد للموصول لا تفيده التعريف؛ لأنها إضافة الوصف لمعموله لفظيا، فصح وقوعه حالاً، ولولا الذي خبروني به لم تنظرني عندك ولم أجئ إليك. وروي: ولم أبله، من بلاه يبلوه إذا اختبره. وروي خبر أهل اليمن أي أنبئته والحال أني لو أختبره أفضل أهل اليمن، فجئتك مختبراً لحالك.
ينظر: ديوانه ص (٢٥).

ويدل/ ٣١٤ب عليه قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٨]، وعن عليّ - رضي الله عنه -: الزيادة: غرفة من لؤلؤة واحدة، وعن ابن عباس - رضي الله عنه -: «الحسنى»: الحسنة، والزيادة: عشر أمثالها، وعن الحسن - رضي الله عنه -: «عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف»، وعن مجاهد - رضي الله عنه -: «الزيادة: مغفرة من الله ورضوان»، وعن يزيد بن شجرة: «الزيادة: أن تمرّ السحابة بأهل الجنة فتقول: ما تريدون أن أمطركم؟ فلا يريدون شيئاً إلا أمطرتهم، وزعمت المشبهة والمجبرة[١] أن الزيادة النظر إلى وجه الله - تعالى -[٢] وجاءت بحديث مرقوع[٣]: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ نُودُوا: أَنْ يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيُكْشَفُ الحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللهِ، مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ شَيْئاً هُوَ أَحَبّ إِلَيهِمْ مِنْهُ» (٧٤٧) ﴿وَلَا يَرْهَقُ

---

٧٤٧ - أخرجه مسلم (٢/ ١٩ - ٢٠ - النووي): كتاب الإيمان: باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربّهم سبحانه وتعالى حديث (١٨/ ٢٩٧) والتِّرمذي (٤/ ٦٨٧): كتاب صفة الجنة: باب ما جاء في رؤية الرَّب تبارك وتعالى، حديث (٢٥٥٢)، وقال: هذا حديث إنما أسنده حماد بن سلمة ورفعه، وابن ماجه (١/ ٦٧) المقدمة، حديث (١٨٧).

كلهم من طريق ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي ﷺ به.

قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٢٤):

والعجب أن التِّرمذي لما روى هذا الحديث في كتابه، لم يحسنه ولم يصححه ولا قال: وفي الباب عن أحد من الصحابة، وإنما قال: هكذا رفعه حماد بن سلمة، وقد رواه سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قوله، لم يذكر فيه عن صهيب، عن النبي ﷺ أ.هـ. =

---

(١) قوله: «وزعمت المشبهة والمجبرة» يريد أهل السنة القائلين بجواز رؤيته تعالى ووقوعها في الآخرة، خلاف المعتزلة في ذلك (ع).

(٢) ذكر محمود في الزيادة تفاسير كثيرة، ثم قال: «وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى... إلخ». قال أحمد: نسبة تفسير الزيادة برؤية الله تعالى إلى زعم أهل السنة الملقبين عنده بالمشبهة والمجبرة: مرور على ديدنه المعروف في التكذيب بما لم يحط به علماً، وهذا التفسير مستفيض منقول عن جملة الصحابة، والحديث المروي فيه مدون في الصحاح متفق على صحته، وقد جعل أهل السنة جاؤوا به من عند أنفسهم، ومن قبل قال المصرون على الكفر لسيد البشر وصاحب السنة: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، حملاً له على أنه جاء به من عنده، فلأهل السنة إذاً أسوة بصاحبها، ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، فابتلاء الحق بالباطل قديم، والله الموفق. وإن في قوله تعالى على أثر ذلك ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ مصداقاً لصحة هذا التفسير، فإن فيه تنبيهاً على إكرام وجوههم بالنظر إلى وجه الله تعالى فجدير بهم ألا يرهق وجوههم قتر البعد ولا ذلة الحجاب، عكس المحرومين المحجوبين فإن وجوههم مرهقة بقتر الطرد وذلة البعد. نسأل الله الكفاية. فأولئك يغشى وجوههم أنوار المشاهدة، وهؤلاء يغشى وجوههم كقطع الليل المظلم، منهم شقي وسعيد.

(٣) قوله: «بحديث مرقوع بالقاف، أي مفترى، كذا قيل. وهو في مقابلة المرفوع بالفاء، أي المضاف إلى النبي ﷺ».

﴿وُجُوهَهُمْ﴾: لا يغشاها، ﴿قَتَرٌ﴾: غبرة فيها سواد، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: ولا أثر هوان وكسوف بال، والمعنى: لا يرهقهم ما يرهق أهل النار إذكاراً بما ينقذهم منه برحمته؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ [عبس: ٤١]، ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

فإن قلت: ما وجه قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾، وكيف يتلاءم؟

قلت: لا يخلو، إمّا أن يكون: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا﴾: معطوفاً على قوله: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾؛ كأنه قيل: وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها، وإمّا: أن يقدّر: وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى: جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها، وهذا أوجه من الأول؛ لأنّ في الأوّل عطفاً على عاملين، وإن كان الأخفش يجيزه، وفي هذا دليل على أنّ المراد بالزيادة الفضل؛ لأنه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله، ودل ثمة بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله، وقرىء: «يرهقهم ذلة»، بالياء، ﴿مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي: لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه، ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين، ﴿مُظْلِمًا﴾: حال من الله، ومن قرأ (قطعاً) بالسكون من قوله: (بقطع من الليل)، جعله صفة له؛ وتعضده قراءة أبيّ بن كعب: «كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم».

فإن قلت: إذا جعلت مظلماً حالاً من الليل، فما العامل فيه؟

قلت: لا يخلو إمّا أن يكون: (أغشيت) من قبل إن (من الليل): صفة لقوله: (قطعاً)، فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة، وأما: أن يكون معنى الفعل في: (من الليل)[1].

= قال الحافظ:

قال الطيبي: قوله «مرفوع» هو عنده بالقاف، أي مرقع معدي. وهو عند أهل السنة بالفاء اهـ. وقد أخرجه مسلم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب. ورواه الترمذي وقال: كذا رفعه حماد بن سلمة. وقد رواه سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قوله. انتهى. وفي الباب عن أبي موسى مرفوعاً أخرجه الطبراني في مسند الشاميين. وللطبري. وعن ابن عمر وأنس أخرجهما ابن مردويه بإسنادين ضعيفين. وعن أبي بكر الصديق أخرجه إسحاق في مسنده من رواية عامر بن سعد عنه. وعن ابن عباس وعلى أخرجهما ابن مردويه أيضاً. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «أما الوجه الأول فهو بعيد، لأن الأصل أن يكون العامل في =

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿مَكَانَكُمْ﴾: الزموا مكانكم، لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم(١)، و﴿أَنتُمْ﴾: أكد به الضمير في مكانكم؛ لسدّه مسدّ قوله: الزموا، ﴿وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾: عطف عليه، وقرىء: (وشركاءكم) على أنّ الواو بمعنى: مع، والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل؛ ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: ففرّقنا بينهم، وقطعنا أقرانهم، والوصل(٢) التي كانت بينهم في الدنيا، أو: فباعدنا بينهم بعد/ ٣١٥أ الجمع بينهم في الموقف، وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم؛

= الحال هو العامل في ذي الحال، والعامل في «مِنَ اللَّيْلِ» هو الاستقرار «وأَغْشِيَتْ» عامل في قوله: «قِطَعاً» الموصوف بقوله: «مِنَ اللَّيْلِ» فاختلفا، فلذلك كان الوجه الأخير قطعاً مستقرة من الليل أو كائنة من الليل في حال إظلامه». قُلْتُ: ولا يَغنِي الزمخشري بقوله: إنّ العامل «أُغْشِيَتْ» إلا أنّ الموصوف وهو قِطَعاً» معمول لـ «أُغْشِيَتْ»، والعامل في الموصوف هو عامل في الصفة، والصفة هي «مِنَ اللَّيْلِ» فهي معمولة لـ «أُغْشِيَتْ»، وهي صاحبة الحال، والعامل في الحال هو العامل في ذي الحال فجاء من ذلك أن العامل في الحال هو العامل في صاحبها بهذه الطريقة، ويجوز أن يكون «قِطَعَاً» جمع: قِطْعَةٍ أي: اسم جنس فيجوز حينئذٍ وصفه بالتذكير نحو «نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ»، والتأنيث نحو: «نَخْلٍ خَاوِيَةٍ»، وأما قراءة الباقين فقال مكي وغيره: «إن مُظْلِماً». حال من «اللَّيْلِ» فقط، ولا يجوز أن يكون صفة لـ «قِطَعاً» ولا حالاً منه، ولا من الضمير في «مِنَ اللَّيْلِ»، لأنه كان يجب أن يُقالَ فيه: مُظْلِمَة قُلْتُ: يعنون أن الموصوف حينئذٍ جمع، وكذا صاحب الحال، فتجب المطابقة، وأجاز بعضهم ما منعه هؤلاء وقالوا: جاز ذلك، لأنه في معنى الكثير، وهذا فيه تَعَسفٌ، وقرأ أُبَيٌّ: «تَغْشَى وُجُوهَهُمْ قِطَعٌ» بالرفع «مُظْلمٌ» وقرأ ابن أبي عبلة كذلك، إلا أنه فتح الطاء وإذا جعلت «مُظْلِماً» نعتاً لـ «قِطَعاً» فتكون قد قدمت النعت غير الصريح على الصريح، قال ابن عطية: فإذا كان نعتاً يعني: «مُظْلِماً» نعتاً لـ «قِطَعٌ» فكان حقه أن يكون قبل الجملة، ولكن قد يجيء بعد هذا وتقدير الجملة: قطعاً استقر من الليل مظلماً على نحو قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾. انتهى. الدر المصون.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وتقديره له بـ «الزموا» ليس بجيد، إذ لو كان كذلك لتعدى كما يتعدى ما ناب هذا عنه، فإنّ اسم الفعل يعامل معاملة مسماه، ولذلك لما قدروا «عَلَيْكَ» بمعنى: الزم عدوه تعديته نحو: «عَلَيْكَ زَيْداً» وعند الحوفي: «مَكَانَكُمْ» نصب بإضمار فعل، أي: «الزموا مكانكم أو اثبتوا». قُلْتُ: فالزمخشري قد سبق بهذا التفسير، والعذر لمن فسّره بذلك أنه قصد تفسير المعنى، وكذلك فسره أبو البقاء فقال: «مَكَانَكُمْ» ظرف مبني لوقوعه موقع الأمر، أي: «الزموا». وهذا الذي ذكره من كونه مبنيا فيه خلاف للنحويين منهم من ذهب إلى ما ذكر، ومنهم من ذهب إلى أنها حركة إعراب، وهذان الوجهان مبنيان على خلاف في أسماء الأفعال هل لها محل من الإعراب أو لا؟ فإنْ قُلْنا: لها محل كانت حركات الظرف حركات إعراب، وإن قُلْنَا لا موضع لها كانت حركات بناء، انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «أقرانهم» مفرده «قرن» بالتحريك وهو حبل يقرن به البعيران، كما في الصحاح. قوله: «والوصل» مفرده «وصلة» أي اتصال وذريعة، كما في الصحاح أيضاً (ع).

كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ [غافر: ٧٣، ٧٤]. وقرىء: فزايلنا بينهم؛ كقولك: صاعر خدّه وصعره، وكالمته وكلمته، ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾: إنما كنتم تعبدون الشياطين؛ حيث أمروكم أن تتخذوا لله أنداداً فأطعتموهم.

﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِن كُنَّا﴾: هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، وهم: الملائكة، والمسيح، ومن عبدوه من دون الله من أولي العقل، وقيل: الأصنام ينطقها الله ـ عزّ وجلّ ـ تشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم، ﴿هُنَالِكَ﴾: في ذلك المقام وفي ذلك الموقف، أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان، ﴿تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ﴾: تختبر وتذوق، ﴿مَّا أَسْلَفَتْ﴾: من العمل فتعرف كيف هو، أقبيح أم حسن؛ أنافع أم ضارّ، أمقبول أم مردود؟ كما يختبر الرجل الشيء ويتعرّفه ليكتنه حاله؛ ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق: ٩]، وعن عاصم: «نبلو كلَّ نفس»، بالنون ونصب كل، أي نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل، فنعرف حالها بمعرفة حال عملها: إن كان حسناً فهي سعيدة، وإن كان سيئاً فهي شقية، والمعنى: نفعل بها فعل الخابر؛ كقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء، وهو العذاب: كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر، وقرىء: «تتلو»، أي: تتبع ما أسلفت؛ لأنَّ عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار، أو تقرأ في صحيفتها ما قدّمت من خير أو شر، ﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾: ربهم الصادق ربوبيته؛ لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة، أو: الذي يتولى حسابهم وثوابهم، العدل الذي لا يظلم أحداً، وقرىء: «الحقَّ»، بالفتح على تأكيد قوله: ﴿رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾؛ كقولك: هذا عبد الله الحق لا الباطل، أو على المدح؛ كقولك: الحمد لله أهل الحمد، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله، أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: يرزقكم منهما جميعاً[1]، لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته، ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾: من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحدّ الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة، أو من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال، وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء بكلاءته وحفظه، ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: ومن يلي تدبير أمر العالم كله، جاء بالعموم بعد الخصوص، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أفلا تقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه/ ٣١٥ب فيما أنتم بصدده من الضلال، ﴿فَذَٰلِكُمُ﴾: إشارة إلى من هذه قدرته وأفعاله، ﴿رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ربوبيته ثباتاً لا ريب فيه لمن حقق النظر، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ يعني: أن الحق والضلال، لا واسطة بينهما؛ فمن تخطى الحق، وقع في الضلال، ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾: عن الحق إلى الضلال، وعن التوحيد إلى الشرك، وعن السعادة إلى الشقاء، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الحق، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: كما حق وثبت أنّ الحق بعده الضلال، أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق؛ فكذلك حقت كلمة ربك، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟﴾: أي: تمرّدوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه، و﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بدل من الكلمة، أي: حق عليهم انتفاء الإيمان، وعلم الله منهم ذلك، أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان، وأن إيمانهم غير كائن، أو: أراد بالكلمة: العدة بالعذاب، وأنهم لا يؤمنون تعليل، بمعنى: لأنهم لا يؤمنون.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

فإن قلت: كيف قيل لهم: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، وهم غير معترفين بالإعادة؟

قلت: قد وضعت إعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما إن رفعه دافع كان مكابراً؛ رادّاً للظاهر البين، الذي لا مدخل للشبهة فيه؛ دلالة على أنهم في إنكارهم لها منكرون أمراً مسلماً معترفاً بصحته عند العقلاء، وقال لنبيه ـ ﷺ ـ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾،

---

(١) قال محمود: «معناه أي من يرزقكم منهما جميعاً. . . إلخ» قال أحمد: وهذه الآية كافحة لوجوه القدرية الزاعمين أن الأرزاق منقسمة، فمنها ما رزقه الله للعبد وهو الحلال، ومنها ما رزقه العبد لنفسه وهو الحرام وهذه الآية ناعية عليهم هذا الشرك الخفي لو سمعوا ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

فأمره بأن ينوب عنهم في الجواب، يعني: أنه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم، يقال: هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين، ويقال: هدى بنفسه بمعنى: اهتدى، كما يقال: شرى بمعنى: اشترى؛ ومنه قوله: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾[1]، وقرىء: «لا يهدّي» بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال، والأصل: «يهتدي»، فأدغم، وفتحت الهاء بحركة التاء، أو كسرت؛ لالتقاء الساكنين، وقد كسرت الياء؛ لاتباع ما بعدها، وقرىء: «إلا أن يهدي» من هداه وهدّاه للمبالغة، ومنه قولهم: تهدي، ومعناه: أن الله وحده هو الذي يهدي للحق، بما ركب في المكلفين من العقول، وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي نصبها لهم، وبما لطف بهم، ووفقهم، وألهمهم؛ وأخطر ببالهم، ووقفهم على الشرائع؛ فهل من شركائكم الذين جعلتم أنداداً لله أحد من أشرفهم كـ «الملائكة، والمسيح، وعزير»، يهدي إلى الحق مثل هداية الله، ثم قال: أفمن يهدي إلى الحق هذه الهداية أحق بالاتباع، أم الذي لا يهدي، أي: لا يهتدي بنفسه، أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله، وقيل: معناه: أم من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه، ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾: إلا أن ينقل، أو لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيواناً مكلفاً فيهديه، ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: بالباطل؛ حيث تزعمون/ ٣١٦ أ أنهم أنداداً لله.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾: في إقرارهم بالله، ﴿إِلَّا ظَنًّاۚ﴾؛ لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم، ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ﴾: في معرفة الله، ﴿لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: وهو العلم، ﴿شَيْـًٔاۚ﴾، وقيل: وما يتبع أكثرهم في قولهم للأصنام أنها آلهة، وأنها شفعاء عند الله إلا الظن، والمراد بالأكثر: الجميع، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ﴾: وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء، وقرىء: «تفعلون»، بالتاء.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ

---

(١) قوله ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ من قولهم: هدي بنفسه. أم من لا يهدي، كيرمي. وقوله: بفتح الهاء... إلخ: بقيت القراءة بكسرها مع التشديد، وقد أشار إليها بقوله: «أو كسرت» والقراءة كيرمي لحمزة وعلي. وبالفتح مع التشديد للمكي والشامي. وبالكسر معه لعاصم. والأصل: يهتدي. وهي قراءة عبد الله، أفاده النسفي (ع).

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤٠﴾

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ﴾: افتراء، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن﴾: كان ﴿تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾، وهو: ما تقدمه من الكتب المنزلة؛ لأنه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ [فاطر: ٣١]، وقرىء: «ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب»، على: ولكن هو تصديق وتفصيل، ومعنى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ﴾: وما صحّ وما استقام، وكان محالاً أن يكون مثله في علو أمره وإعجازه مفتري ﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: وتبيين ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع، من قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٤].

فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؟

قلت: هو داخل في حيز الاستدراك؛ كأنه قال: ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً منتفياً عنه الريب كائناً من رب العالمين، ويجوز أن يراد: ولكن كان تصديقاً من رب العالمين، وتفصيلاً منه لا ريب في ذلك، فيكون: (من رب العالمين): متعلقاً بتصديق وتفصيل، أو يكون: (لا ريب فيه): اعتراضاً، كما تقول: زيد لا شكّ فيه كريم، ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾: بل أيقولون اختلقه، على أن الهمزة تقرير لإلزام الحجة عليهم، أو إنكار لقولهم واستبعاد، والمعنيان متقاربان ﴿قُلۡ﴾: إن كان الأمر كما تزعمون، ﴿فَأۡتُواْ﴾: أنتم على وجه الافتراء، ﴿بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾: فأنتم مثلي في العربية والفصاحة، ومعنى: (بسورة مثله) أي: شبيهة به في البلاغة وحسن النظم، وقرىء: «بسورة مثله»، على الإضافة، أي: بسورة كتاب مثله، ﴿وَٱدۡعُواْ﴾: من دون الله، ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾: من خلقه للاستعانة به على الإتيان بمثله، يعني: أنّ الله وحده هو القادر على أن يأتي بمثله لا يقدر على ذلك أحد غيره، فلا تستعينوه وحده، ثم استعينوا بكل من دونه، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: أنه افتراء، ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ﴾: بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن، وفاجؤوه في بديهة السماع قبل أن يفقهوه، ويعلموا كنه أمره، وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه؛ وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم؛ وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم، كالناشىء على التقليد من الحشوية، إذا أحسّ بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه ـ وإن كانت أضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة ـ أنكرها ما في أوّل وهلة،/ ٣١٦ب واشمأز منها قبل أن يَحس إدراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة أو فساد؛ لأنه لم يشعر قلبه إلا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب.

فإن قلت: ما معنى التوقع في قوله: ﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾؟

قلت: معناه: أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل[١]؛ تقليدا للآباء، وكذبوه بعد التدبر؛ تمرداً وعناداً، فذمّهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به، وجاء بكلمة التوقع؛ ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه، وإعجازه لما كرّر عليهم التحدّي، ورازوا قواهم[٢] في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله، فكذبوا به بغياً وحسداً، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك التكذيب، ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: قبل النظر في معجزات الأنبياء، وقبل تدبرها من غير إنصاف من أنفسهم، ولكن قلدوا الآباء وعاندوا، وقيل: هو في الذين كذبوا وهم شاكون، ويجوز أن يكون معنى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾: ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب، أي: عاقبته، حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق، يعني: أنه كتاب معجز من جهتين: من جهة إعجاز نظمه، ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب، فتسرّعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حدّ الإعجاز، وقبل أن يخبروا أخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه، ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: يصدق به في نفسه، ويعلم أنه حق، ولكنه يعاند بالتكذيب، ومنهم: من يشكّ فيه لا يصدق به، أو يكون للاستقبال، أي: ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصرّ، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾: بالمعاندين، أو المصرين.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾: وإن تموا على تكذيبك[٣]، ويئست من إجابتهم، فتبرأ منهم وخلهم فقد أعذرت؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ﴾ [الشعراء: ٢١٦]، وقيل: هي منسوخة بآية السيف.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ﴾[٤]: معناه: ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن،

---

(١) قال محمود: «معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل... إلخ» قال أحمد: وكان التكذيب قبل الإحاطة بعلمه ربما يوهم عذراً ما للمكذب، فجاءت كلمة لما مشعرة بأنهم قد أحاطوا بعلمه حتى تنحسم أعذارهم ويتحقق شقاؤهم، والله أعلم.

(٢) قوله: «ورازوا قواهم» أي جربوها وخبروها. أفاده الصحاح (ع).

(٣) قوله: «وإن تموا على تكذيبك» أي مضوا عليه ولم يرجعوا عنه. أفاده الصحاح (ع).

(٤) يقول ـ سبحانه ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ﴾... نقول: هذا الأسلوب وهو حديث الاستفهام من

وعلمت الشرائع، ولكنهم لا يعون ولا يقبلون، وناس ينظرون إليك، ويعاينون أدلة

= أقوى الأساليب الإنشائية الواردة في القرآن الحكيم، ولذا وجب في هذه التعليقات أن نحدد مسارات تكون منارات للسالكين، وإرشادات للباحثين، فنقول وبالله التوفيق:

١ ـ **تعريف** الاستفهام عند اللغويين: هو طلب الفهم، أي معرفتك الشيء بالقلب، أو فهمه الأمر، وفهمه إياه، وجعله يفهمه، واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فافهمته، وفهمته تفهيماً. «وهذا كله من لسان العرب ونحوه مادة: فهم».

وأما في الاصطلاح فكما قال السعد في مطوله: «وهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع النسبة بين الشيئين أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور».

وبالمقارنة بين المعنيين نلاحظ اتصالاً وثيقاً.

وقد وزع البلاغيون الأدوات على النحو التالي:

١ ـ ما يكون للتصور والتصديق وهو «الهمزة» وحدها.

٢ ـ ما يكون للتصديق فقط وهو «هل» وحدها.

٣ ـ ما يكون للتصور فقط وهو «تسع أدوات على التوالي: من، ما، أي، كم، متى، أين، أنى، أيان، كيف».

وسنذكر المعاني الواردة في القرآن الكريم بهذه الأدوات مع ملاحظة أن الاستفهام الحقيقي لم يقع إلا حكاية عن العباد، وأما ما ورد عن الله مباشرة فله معانٍ تستطيع أن تكشف عنها بطريق المقام، ورعاية مدارج الأساليب، وسأضع لهذه المعاني رؤوساً تكون باباً يلج منه الدارسون، والباحثون.

٢ ـ **المعنى الحقيقي**: وقد رأينا هذا المعنى مع «هل» في قوله ـ تعالى ـ:

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة: ١١٢].

فهذا الاستفهام تراه على طريق طلب الفهم وهو المعنى الاصطلاحي لأنه حكاية ـ عن الحواريين وما أرادوه من نبيهم عيسى ابن مريم عليهما السلام.

وفي الآية كلام طويل وأخذ ورد، ولكل وجهة هو موليها، ومن أراد الغاية فعليه بأسفار العلوم في البلاغة والتفسير، وهاك بعضها:

«المطول للسعد ٢٢٦، الإيضاح للقزويني بتحقيق خفاجي عليه ٣/ ٥٨، وعقود الجمان في المعاني والبيان للسيوطي مع شرح المرشدي عليه ١/ ١٧٤، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٣/ ٣٠٠، والفتوحات الإلهية للجمل على الجلالين ١/ ٥٤٢، وحاشية الصاوي على الجلالين ١/ ٢٧٤، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ١٧، وتفسير أبي السعود ٢/ ٤٩٧ وما بعدها».

٣ ـ **المعاني المجازية** تتوالد هذه المعاني مفرعة على المعنى الحقيقي بمعونة المقام، وقرائن الأحوال، ومتتبعات التراكيب يقول السكاكي ـ رحمه الله ـ تعالى ـ: واعلم أن هذه الكلمات كثيراً ما يتولد منها أمثال ما سبق ـ أي من كلامه ـ بمعونة قرائن الأحوال، فيقال: ما هنا؟، ومن هذا؟ المجرد الاستخفاف والتحقير، وما لي؟ للتعجب وسأحاول بقدر جهدي أن أقف مع هذه المعاني على النحو التالي:

التقدير وهو: حمل المخاطب على الإقرار والإذعان بمضمون الجملة وإلجائه إلى ذلك» وهذا تحديد السعد، وهو التعريف اللغوي ـ أيضاً ـ.

ويأتي هذا المعنى مع: الهمزة، هل، من، ما، أي، كيف والأمثلة على التوالي: يقول ـ سبحانه ـ =

الصدق، وأعلام النبوّة، ولكنهم لا يصدقون، ثم قال: أتطمع أنك تقدر على إسماع

= ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣] يقول ـ عز شأنه ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦] فهذا الاستفهام ـ هل عسيتم ـ لتقرير ما هو متوقع عنده، والإشعار بأنه كائن واعتنى بذلك المعنى بواسطة الشرط كما أفاده الشوكاني ـ رحمه الله ـ ويقول ـ جل جلاله ـ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦] فهذا النظم القرآني فيه أمر لرسول الله ﷺ أن يقررهم بمن رب السموات والأرض، فسكتوا حذراً من الإلزام فكان الجواب من رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ نيابة عنهم: الله.

ويقول ـ عز من قائل ـ ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧]. والقصد من السؤال: تقرير هذا الشأن ليقول: هي عصاي حتى إذا حدثت المعجزة بعد التثبت منها نبه إلى حاله الجديد، وأنه أصبح رسول الله.

ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس: ١٧، ١٨، ١٩] والمغزى في هذا الاستفهام: التقرير ليخضع له، وليعبده حق عبادته.

ويقول ـ جل جلاله ـ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٢، ٤٣، ٤٤] فهذا الختام بطريق الاستفهام يحمل معنى. التقرير وهو معانٍ أخرى كالتسلية لرسول الله ـ ﷺ ـ والعظة، والوعد والوعيد.

وفي هذه الآيات ونظائرها مباحث قوية منشورة في كتب التفسير «ينظر فتح القدير ١/ ٢٦٤، ٢/ ١١٧، ٥/ ٨٧، ٣٤٤، ٣/ ٣٥٧، ٧٤، ٣٦، ٥/ ٣٨٤، ٤٥٨، ٤٥٦، تفسير ابن كثير ١/ ٣٠٠، النسفي ٢/ ١٢، الشهاب على البيضاوي ٢/ ٣٢٨، الرازي ٦/ ١٨٤».

الإنكار: وهو الجحود، وقد عرفه البلاغيون بأنه الأمر الذي ينفيه المتكلم، فإذا سمع قول الله ـ سبحانه ـ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠] علم أن معناها: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان في الثواب، ففي هذا النفي إنكار أن يكون جزاء الإحسان غير الإحسان.

ومع هذا النفي والإنكار ترى معاني أخرى تلمح من خلال المقام، والدارس لها تلوح له المعاني التي يتبناها المقام ولا يتم بدونها القصد من الكلام.

وقد ورد هذا المعنى مع الأدوات الآتية:

الهمزة ـ هل ـ من ـ ما ـ كيف ـ متى والأمثلة لها من القرآن هكذا:

١ ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢] «وأم هذه منقطعة، وفيها معنى الهمزة التي للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده، وفي الآية كلام للمفسرين يراجع في محله.

ومع هذا المعنى تراهم يذكرون المعاني الدائرة في فلكه كالاستبعاد، والتسلية لرسول الله ﷺ والثبات، والوعد والوعيد...

٢ ـ ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ حتى قوله ـ تعالى ـ ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٣، ١٥٤] والتقدير: ما لنا شيء من الأمر، وبهذا ترى الإنكار واضحاً في قولهم الذي أخبر به رب العالمين الخبير بما في نفوسهم، وعلى هذا =

الصم، ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم؛ لأنّ الأصم العاقل ربما تفرّس واستدل إذا

= يكون الاستفهام للإنكار، والقائلون هم المنافقون وإفادة الجملة الاسمية للثبوت والاستمرار يقوي هذا الإنكار. وقد جعله «أي الاستفهام» استرشاديا من الحاضرين جمع من المفسرين وعلى رأسهم العلامة الألوسي في روح المعاني.

وبعضهم جعله استفهاماً حقيقيا بدليل أن الجواب بالإثبات حيث جاء على هذا النحو «قل إن الأمر كله لله» وترى هذا لأبي حيان، ورده الألوسي بأنه خلاف الظاهر، والجواب المذكور إثبات للنصر على أتم وجه وأبلغه.

ومع هذا الإنكار تشم رائحة «التمني» ولا مانع من جمع المعاني إذا تحملها النظم، والقرآن حمال أوجه.

٣ ـ ويقول ـ سبحانه ـ ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [النساء: ١٠٩].

والأداءة «من» أفادت «الإنكار» في الأسلوبين ومعه «التوبيخ» لهؤلاء المجادلين عن غيرهم بالباطل في الدنيا، فمن ذا الذي يدافع عنهم يوم يقوم الأشهاد؟ وهذا ما فهمه الشوكاني وتستطيع مراجعة معاني هذه الأدوات «الهمزة ـ هل ـ من» في المراجع الآتية:

فتح القدير للشوكاني ١/٥١١، ١/٣٩١، ٢/٤٨٥، ٤٨٦، ومختار الصحاح مادة (نكر) واللسان: مادة (هلل)، ومغني اللبيب لابن هشام وحاشية الأمير عليه ٢/٢٧، والمطول للسعد ٢٣٨، وروح المعاني للألوسي ٢/١٠٣، ١٠٤، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٢/٢٩٩، ومفاتيح الغيب للرازي ٣/٢٨٢.

٤ ـ ويقول ـ عز وجل ـ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

فهذا الاستفهام بطريق «ما» للإنكار بمعنى ما المانع لكم من أكل ما سميتم عليه وقد أحله الله لكم؟، فالإنكار ينصب على عدم الأكل مما ذبح ذبحاً شرعيا، وقد فصل الله ما هو محرم منها ما عدا حال الاضطرار فإن الأخذ بأخف الضررين واجب مشروع، وذلك فضل الله الكريم على عباده الضعفاء.

وقد أكد الإنكار بالجملة الحالية ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

وقد جعل العلامة القرطبي في تفسيره هذا الاستفهام للتقرير، وليس بظاهر، فما ذكره الشوكاني عن كونه للإنكار أحكم، وهذا ما وافق عليه كثير من المفسرين، وأضاف أبو حيان أن يفيد أمراً آخر وهو «التوبيخ» على عدم الأكل من الحلال.

وخلاصة ما في الآية: أن الاستفهام للإنكار وهو التوبيخ وقد يفيد التقرير وغيره مما يتحمله المقام.

وقد جاء **الإنكار** يتضمن **النهي** في قوله ـ عز شأنه ـ:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يونس: ٥٠] فهذا الإنكار المفاد من الآية يحمل معنى «لا تستعجلوه فإنه آت» وهو نهي.

٥ ـ ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨] فهذا الاستفهام المصور بالأداة «**كيف**» للإنكار والتعجب، لأن الله ـ جلت حكمته ـ قد أحياهم من عدم وأنعم عليهم بعد عُدْم، وأماتهم في نهاية آجالهم، ثم يحييهم للحساب والجزاء فكيف يكفرون بعد كل هذا؟، فهذا كله يفيد: الإنكار والتعجيب، ومعه التوبيخ، والاستبعاد، وفي الآية مبالغة، بحسب المقام.

٦ ـ وهذا إنكار بالأداة «متى» في قول الله ـ سبحانه ـ: =

وقع في صماخه دويّ الصوت، فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعاً فقد تمّ الأمر،

= ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [يونس: ٤٨] ومقام الآية للإنكار، لأن القائلين هم الكفار الذين إذا هددهم رسول الله ﷺ بنزول العذاب يقولون: متى هذا الوعد؟ إنكاراً واستيعاداً وقدحاً في نبوة النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

وفي هذا **الاستفهام** مع ما سبق: **استعجال** للوعيد، **واستهزاء** بهم، وقيل إنه على سبيل **التكذيب** لرسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

وخلاصة هذا كله: إن الاستفهام يفيد الإنكار ولا مانع من تحمل معانٍ أخرى تنبع من المقام وتدور في فلك الإنكار، ومن يراجع الاستفهام في كتاب الله مع الغوص في بحار معانيه يؤتيه الله ـ سبحانه ـ فتحاً عجيباً.

«ينظر فتح القدير ٢/١٥٦، ٤٥١، ١/٥٩، ٢/٤٤٩، ١/٤٤١، والنسفي ٢/٣٠، ٣١، ١/٣٨، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٤/١١٩، وروح المعاني للألوسي ٨/١٤، ١٠/١٢٩، ١٣١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/٢٥٩٣، والبحر المحيط لأبي حيان ٤/٢١١ ومفاتيح الغيب للرازي ٨/٣٧٦».

التوبيخ والتهكم:

يقال: وبخ فلان فلاناً: هدده ولامه وأنبه كما يفهم من اللغة وهو المقصود بلاغة ويقال: تهكم به: استهزأ به، وبهذا يكون التوبيخ والتهكم متقاربين في المعنى، ولهذا نرى التعبير بهما في المباحث البلاغية فيقال ـ كما هو عند المفسرين، هذا توبيخ لهم وتهكم بهم. وهذا المعنى ينتشر في القرآن الكريم انتشاراً واسعاً حتى رأى المفسرون أنه أوسع المعاني انتشاراً في أساليب الإنشاء؛ ذلك أنه يعالج النفوس المريضة، ويهذب الطبائع الغليظة وهذا ما يناسب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقد استعمل في هذا المقصود مجموعة من أدوات الاستفهام، ودخل فيه من أساليب الإنشاء الأخرى الأمر، والنهي، والنداء.

أما أدوات الاستفهام التي استعملت للتوبيخ والتهكم فهاك عن التوالي بعد الهمزة: هل، من، ما، كم، كيف، متى، أين، أيان. فلم يسقط من أدوات الاستفهام إلا «أنى» التي معناها: كيف أو من أين، فقد سقطت لفظاً لا معنى، وهذا المفهوم في هذا المعنى يفيد أن هذا المقصد له تأثيره التام على النفوس وطب القلوب في كثير من المقامات.

هذا، ونظراً لاتساع هذا البحث سأورد مثالاً من كثير من الآيات لكل أداة على الترتيب السابق.

فالتوبيخ بالهمزة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤] وقد بين العلماء في الآية أن الاستفهام **للتوبيخ** ومعه **التعجب والإنكار، والتقرير مع المبالغة** وإن كان الباحث يرى التقرير غير ظاهر خلافاً لبنية المعاني التي يتسع لها المقام والكلام. وقد يأتي مع التوبيخ التعجيز كقوله ـ سبحانه ـ:

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾ [ص: ١٠] ففي الحديث معهم **توبيخ** على ما يقولون **وتعجيز** لهم بما طلب منهم ولا يستطيعون.

أما **التوبيخ بهل** فتراه في قول الله ـ سبحانه ـ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩١] فقوله ـ جلت حكمته ـ «فهل أنتم منتهون» يفيد الزجر البليغ بالاستفهام ليس =

واتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم إلى العمي ـ وهو فقد البصر ـ فقد

= التوبيخي، ولهذا قال سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ لما سمع هذه الآية: «انتهينا» وقد رأى المفسرون بعد البحث المتأني في الآية هذه المعاني:
١ ـ إفادة الأمر والمعنى: انتهوا.
٢ ـ المبادرة إلى الانتهاء وسرعة التنفيذ.
٣ ـ التقريع والتوبيخ.
٤ ـ الزجر والتحذير مع تحريك العقل لفهم هذا الأمر.
ومن أراد المزيد فعليه بالمراجع الآتية:
«ينظر النسفي ١/٣٠١، حاشية الشهاب على البيضاوي ٢/ ٢٨٠، الفتوحات الإلهية للجمل ١/ ٥٢٣، روح المعاني للألوسي ٧/١٧، حاشية الصاوي على الجلالين ١/ ٢٦٤، ٢٦٥، مفاتيح الغيب للرازي ٦/١٢٩، وما بعدها، لسان العرب مادة (وبخ ـ هكم) وفتح القدير للشوكاني ٢/ ٧٤.
والتوبيخ بمن كما في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف: ٥].
فهذا الاستفهام «بمن» يفيد: التقريع والتوبيخ، ويرى بعض الأعلام ومنهم أبو السعود أنه يفيد **الإنكار** عليهم لهذا الدعاء للأصنام وأن أحداً يساويهم في هذا الضلال ولا مانع من المعاني البلاغية التي تتحملها الآية فالقرآن حمال أوجه، ولا تزاحم بين الأسرار وقد يرى في آية أخرى معنى التعريض، وهذا واضح عند قوله ـ تعالى ـ:
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠] فهذا الاستفهام بحسب توجيه الخطاب يتحمل المعاني الآتية:
١ ـ ذم أهل الكتاب لأنهم كتموا حال الأنبياء، ودعوا لما هو مخالف لهم.
٢ ـ توبيخهم على كتمانهم صفة خاتم النبيين.
٣ ـ لو توجه هذا الكلام للمسلمين لكان تقريعاً لهم إذا كتموا هذه الشهادة، وفيه **تعريض** بأهل الكتاب.
والتوبيخ بما في قوله ـ سبحانه ـ يحدثنا عن بني إسرائيل:
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١] فهذا الاستفهام الخاتم للآية تذييل يفيد معاني كثيرة، وخلاصتها كما هو مثبوث في كلام العلماء: أن الاستفهام يفيد: **التوبيخ، والتهديد، والتكذيب** في ادعاء قولهم: «نؤمن».
وقد يأتي مع التوبيخ: التعجيب والتشنيع كما في ختام الآية:
﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٥﴾ [يونس: ٣٥].
ويأتي **التوبيخ بأي** الاستفهامية في قوله ـ تعالى ـ:
﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥﴾ [الأعراف: ١٨٥].
ومع التوبيخ البين معانٍ أخرى لحظها العلماء وهي: **التعريض، والوعد، والوعيد ويأتي التوبيخ بكم** كقوله ـ تعالى ـ:
﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢١١﴾ [البقرة: ٢١١].

البصيرة؛ لأنّ الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس . . . .

= فهذا الاستفهام «بكم» الاستفهامية تفيد: **التقريع والتوبيخ مع التقرير**، ويصح أن تكون خبرية لإفادة التكثير في الآيات فإذا لم يؤمنوا مع كثرتها كان ذلك دليلاً على شدة كفرهم، وهذا توبيخ لهم - أيضاً - من هذا السبيل.

«ينظر فتح القدير ٥/ ١٤، ١/ ١٤٨، ١١٣، ٢/ ٤٤٥، ٢/ ٢٧٢، ٥/ ١١٧، ١/ ٢١٢، والنسفي ٤/ ١٤٠، ٢/ ٨٨، ١/ ١٠٥، ومفاتيح الغيب للرازي ١٤/ ١٩٥، ٧/ ٣٨٣، ٣/ ٢٦١، ٢٦٢، روح المعاني للألوسي ١/ ٢٣٤، ٣٢٥، ٩/ ١٢٩، ٢/ ٩٩، حاشية الشهاب ٢/ ٢٠٥، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٥٢٨، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ١٢٦».

ويأتي **التوبيخ بكيف** كقوله - تعالى -:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] والتوبيخ للكفار لأنه في يوم القيامة لا يجد هؤلاء شهيداً لهم مع وجود شهداء للمؤمنين، ولهذا المعنى بكى رسول الله ﷺ حينما سمع الآية من سيدنا عبد الله بن مسعود وقد بحث المفسرون بذوقهم هذا الاستفهام، ولكل وجهة، وجملة ما حصلته منهم أن هذا الاستفهام بمعونة المقام يفيد: **التوبيخ، والتفخيم والتهويل، والتبشير** لرسول الله - صلوات الله عليه وسلامه - كما أن فيه **وعداً** للمؤمنين، **ووعيداً** للكافرين.

ويأتي **التوبيخ بمتى الاستفهامية** كقوله - سبحانه -:

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾ الآيات إلى قوله - سبحانه - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء ٤٩، ٥٠، ٥١] وهو **استهزاء منهم وسخرية**، وفيه **إنكار وتعجيب واستبعاد**، ولكل مقام معنى يناسبه.

ونرى هذا المعنى مع «**أين**» كقوله - تعالى -:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنعام: ٢٢] ووجه التوبيخ أن معبوداتهم غابت عنهم في تلك الحال أو حاضرة ولكنهم لا ينتفعون بها فوجودها كالعدم.

وقد لمح الزمخشري في الآية معنى **التحسير** لأن المقام فيه خزي لهم، وهذا التحسير يتولد من التوبيخ، وبهذا يفيد الاستفهام: التوبيخ ويدور معه التحسير.

ويأتي هذا المغزي مع «**أيان**» في قوله - تعالى -:

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾﴾ [الذاريات ١٠، ١١، ١٢] فهذا الاستفهام **للاستهزاء والتكذيب** ومن أراد المزيد فعليه بمراجعة المصنفات الباحثة في معاني القرآن ككتب التفسير والبلاغة خصوصاً التي تعنى باستخراج درر كتاب الله الحكيم ومن أهمها هذه المراجع:

«فتح القدير للشوكاني ١/ ٤٦٧، ٣/ ٨٤، ٨٥، ٢/ ١٠٧، ٥/ ٨٤ وينظر روح المعاني للألوسي ففيه كفاية وغناء ٥/ ٣٣، ٣٤، ١٥/ ٩٢، ٧/ ١٢١، ١٢٢، والنسفي ١/ ٢٢٦، ٢/ ٣١٧، ٢/ ٧، وسنن الترمذي مراجعة: عبد الرحمن عثمان ٤/ ٣٠٤، ٣٠٥، ففيه أبواب تفسير القرآن. ومفاتيح الغيب للرازي ٥/ ٢١٧، ١٠/ ١١، ١٢، ٦/ ٢٥٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٨٦٢، ١٨٦٣، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٤/ ٣٩ والإيضاح للقزويني مع حواشي ٣/ ٧٣ وما بعدها، والمطول للسعد ٢٣٥ وما بعدها، ومفتاح العلوم للسكاكي ١٥٠ وما بعدها، والبلاغة القرآنية لمحمد أبي موسى ٣٥٦ وما بعدها، وعقود الجمان في المعاني والبيان للسيوطي متناً وشرحاً ومعه شرح المرشدي ١/ ١٨٥ وما بعدها».

التفخيم: أي تفخيم المستفهم عنه كذا جاء قوله - تعالى - ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾﴾ [النبأ: ١] والمعنى =

= فيه: عن أي شيء يتساءلون؟ أي هو أمر عظيم له حظره، وقد بين المفسر هذا شافياً.

الاستبعاد: وهذا ما لمحه المفسرون في قوله ـ سبحانه ـ حكاية عن زوجة نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ إذ قالت: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ [هود: ٧٢] وهو استبعاد من جهة العادة التي طبع الله الناس عليها، ولهذا أنكرت الملائكة عليها تعجبها «أتعجبين من أمر الله».

المبالغة في طلب الفعل والحض عليه: وقد أورد هذا المعنى الزمخشري عند قوله ـ تعالى ـ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ وقد بينت ما في الآية آنفاً.

التعيير: وهذا ما ورد في قوله ـ تعالى ـ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] لأنهم أهل كتاب وعلم فكيف يبغون هذا الحكم؟.

التعجب: وهذا ما يلمح في قوله ـ سبحانه ـ ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣] لأنه قد أوضح الله لهم الحكم في التوراة فكيف يبغون تحكيمك؟ إفادة **إن المستفهم عن أمره مشهور** ذائع كما في قوله ـ تعالى ـ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ [ص: ٢١] وفيه تشويق إلى سماع هذا النبأ.

الاستبطاء: وهذا ما لمحه العلماء في قوله ـ تعالى ـ حكاية ـ عن اجتماع سحرة فرعون والناس معهم ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشعراء: ٣٩، ٤٠] فهذا الاستفهام فيه استبطاء لهم في الاجتماع، والمراد منه استعجالهم وحثهم على المسارعة.

لفت المسؤول إلى المسؤول ليتبينه تمهيداً الإحداث أمر عظيم فيه كما في قوله ـ سبحانه لنبيه موسى ـ عليه السلام ـ ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧] فالقصد إلى بيان عظمة المولى ـ عز وجل ـ في هذه العصا وهي خشبة يابسة من قلبها حية بقدرته جل وعلا ـ، وهذا ما يفعله السحرة، لكن شتان بين قدرة القادر، وفعل الساحر العاجز. وهناك معانٍ أخرى في حاجة إلى فحص كلام المولى في مقاماته المختلفة، ومن أراد المراجعة فعليه بالمصنفات التي جمعت الاستفهام في القرآن الكريم، وفي ذلك رسائل جامعية في جامعة الأزهر وسواها.

وبعد أن بينت بعض المعاني المجازية أقول: هل أشار الزمخشري إلى وجه تحصيل هذه المعاني من أدوات الاستفهام؟ وكيف دلت هذه الأدوات عليها؟ بطريق الحقيقة أم بالمجاز أم بطريق أنها من مستتبعات التراكيب؟

والحقيقة أننا لا نجد جواباً شافياً عند الزمخشري، وقد تعسف المتأخرون في العلاقات بين الاستفهام بأداته والمعنى المراد كما بيناه.

والعلامة الزمخشري كان دائماً يقصد إلى المعنى المراد ولا يلتفت إلى وجه الاستعمال.

«يراجع البلاغة القرآنية د. محمد أبو موسى ٣٥٦ وما بعدها» كما تنظر المراجع السابقة بصفحاتها.

هذا ما كان من أمر الاستفهام في معناه الحقيقي وما يرمز إليه من معانٍ مجازية جاءت من طبيعة المقام ومستتبعات التراكيب، وفيما سردته إشارة لما أراد الغاية والهداية، وفي المراجعات فوائد ومهمات، أما جواب الاستفهام فقد ركزه العلامة أبو موسى في مصنفه البلاغة القرآنية بصورة لطيفة موجزة مغنية، وخلاصة ذلك في النقاط الآتية:

١ ـ يأتي الجواب غير مباشر لملاحظة دقيقة كالزيادة والتعميم عما يتطلبه السؤال في مقام الابتهاج والافتخار، وهذا ما لحظه الزمخشري عند قوله ـ سبحانه ـ:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء: ٧٠، ٧١] وكان يكفي في الجواب: أصناما كما جاء الجواب في قوله ـ تعالى ـ: =

ويتظنن[1]، وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء، يعني: أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا، كالصمّ والعمي الذين لا بصائر لهم ولا عقول، وقوله: ﴿أَفَأَنتَ . . . أَفَأَنتَ﴾[2]: دلالة على أنه لا يقدر على إسماعهم وهدايتهم إلا الله ـ عزّ وجلّ ـ بالقسر والإلجاء، كما لا يقدر على ردّ الأصم والأعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل، إلا هو وحده.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ أي: لا ينقصهم شيئاً مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وإنزال/ ٣١٧أ الكتب، ولكنهم يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب؛ ويجوز: أن يكون وعيداً للمكذبين، يعني: أن ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب، ولا يظلمهم الله به، ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سبباً فيه.

= ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] ولكن المولى القدير الخبير أتى بما تكنه صدورهم وعبرت عنهم أفواههم.

٢ ـ وقد يأتي الجواب مؤكداً على أحد معاني السؤال تاركاً سواه كما في قوله ـ تعالى ـ:
﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طـه: ٨٣، ٨٤] فالسؤال عن سبب العجلة وجوابه بنحو، طلب زيادة.
رضاك ـ مثلاً ـ، ولكن الجواب جاء بهذا النظم لبيان العذر والعلة، وأنه لم يوجد منه تقدم كبير وإنما هو كتقدم رأس الوفد، ثم جاء جواب السؤال ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

٣ ـ وقد يكون في الجواب تهديد لينطبق على ما في السؤال من إنكار، ويلحظ هذا في قوله ـ سبحانه ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ [سبأ: ٢٩، ٣٠] فهم منكرون البعث متهكمون بقولهم هذا، فلا أن يكون الجواب قويا واقعاً لباطلهم.

٤ ـ وقد يكون الجواب غير ما في السؤال، لأن السؤال عن شيء واضح مشهور، ثم ينبني على هذا الجواب كلام يوجبه المقام، ولهذا يكون ذكر الكلام بهذا الطريق توكيد لجواب السؤال وتقرير له ويتضح هذا في قوله ـ تعالى ـ:
﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥] والجواب العادي لهذا السؤال: مرسل، ولكنهم جعلوا هذا الجواب معلوماً لا يحتاج إلى بيان وإنما الكلام الذي يجب أن يعلموه هو: إنا آمنا به، ولهذا جاء جواب الكثرة عليهم «إنا بالذي آمنتم به كافرون» فوضعوا «آمنتم به» موضع «أرسل به» لأنهم حولوا البيان إلى ما يجب.

هذا ما كان من أمر الجواب للسؤال القرآني وأسراره، والمدقق يلاحظ أنماطاً بلاغية عجيبة؛ لأن الذي نظم آيات القرآن هو العليم بأسرار النفوس، الخبير بما تنطوي عليه الصدور، ونحن بتوفيق الله لنا نصل إلى بعض هذه المعاني، فالقرآن لا تنتهي عجائبه، ولا يخلق على كثرة التزداد، وصدق رب العالمين إذ يقول فينا:
﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]
«يراجع البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري د. محمد أبو موسى ٣٦٦ وما بعدها».

(١) قوله: «ويتظنن» أي يعمل ظنه. أفاده الصحاح (ع).

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾: يستقربون وقت لبثهم في الدنيا، وقيل: في القبور؛ لهول ما يرون، ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ﴾: يعرف بعضهم بعضاً، كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً؛ وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم؛ لشدّة الأمر عليهم.

فإن قلت: (كأن لم يلبثوا)، و(يتعارفون)، كيف موقعهما؟

قلت أما الأولى: فحال من «هم»، أي: يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة، وأما الثانية: فإما أن تتعلق بالظرف، وإما أن تكون مبينة؛ لقوله: «كأن لم يلبثوا إلا ساعة»؛ لأنّ التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكراً ﴿قَدْ خَسِرَ﴾: على إرادة القول، أي: يتعارفون بينهم قائلين ذلك، أو هي شهادة من الله ـ تعالى ـ على خسرانهم، والمعنى: أنهم وضعوا في تجارتهم[1] وبيعهم الإيمان بالكفر، ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾: للتجارة عارفين بها، وهو استئناف فيه معنى التعجب، كأنه قيل: ما أخسرهم!.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: جواب نتوفينك، وجواب نرينك محذوف، كأنه قيل: وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك، أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة.

فإن قلت: الله شهيد على ما يفعلون في الدارين، فما معنى ثم؟

قلت: ذكرت الشهادة، والمراد: مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب، كأنه قال: ثم الله معاقب على ما يفعلون، وقرأ ابن أبي عبلة: «ثَمَّ»، بالفتح، أي: هنالك، ويجوز أن يراد: أنّ الله مؤدّ شهادته على أفعالهم يوم القيامة؛ حين ينطق جلودهم، وألسنتهم، وأيديهم، وأرجلهم، شاهدة عليهم.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌۖ﴾: يبعث إليهم؛ لينبههم على التوحيد، ويدعوهم إلى دين الحق، ﴿فَإِذَا جَآءَ﴾: هم ﴿رَسُولُهُمْ﴾: بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه، ﴿قضي بينهم﴾ أي: بين النبي ومكذبيه، ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل، فأنجى الرسول وعذب المكذبون؛ كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، أو لكل أمّة من الأمم يوم القيامة رسولَ تنسب إليه وتدعى به، فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان؛ كقوله تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ

---

(١) قوله: «وضعوا في تجارتهم» في الصحاح: وضع الرجل في تجارته وأوضع ـ على ما لم يسم فاعله ـ وضعاً فيهما، أي خسر (ع).

بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: استعجال لما وعدوا من العذاب استبعاداً له، ﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا﴾: من مرض أو فقر، ﴿وَلَا نَفْعًا﴾: من صحة أو غنى، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: استثناء منقطع: أي: ولكن ما شاء الله من ذلك كائن، فكيف أملك لكم الضرر وجلب العذاب؟ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ يعني: أن عذابكم له أجل مضروب عند الله، وحدّ محدود من الزمان، ﴿إِذَا جَآءَ﴾: ذلك الوقت أنجز وعدكم لا محالة، فلا تستعجلوا، وقرأ ابن سيرين/ ٣١٧ب: «فإذا جاء آجالهم».

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿بَيَٰتًا﴾: نصب على الظرف، بمعنى وقت بيات.

فإن قلت: هلا قيل: ليلاً أو نهاراً؟

قلت: لأنه أريد: إن أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون، كما يبيت العدو المباغت، والبيات بمعنى: التبييت، كالسلام بمعنى: التسليم، وكذلك قوله: ﴿نَهَارًا﴾ معناه: في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب؛ ونحوه: ﴿بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧]، ﴿ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الأعراف: ٩٨]، الضمير في ﴿مِنْهُ﴾: للعذاب، والمعنى: أن العذاب كله مكروه مرّ المذاق موجب للنفار، فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال، ويجوز أن يكون معناه: التعجب؛ كأنه قيل: أي شيء هول شديد[1] يستعجلون منه، ويجب أن تكون «من»: للبيان في هذا الوجه، وقيل: الضمير في (منه): لله تعالى.

فإن قلت: بم تعلق الاستفهام؟ وأين جواب الشرط؟

قلت: تعلق بأرأيتم؛ لأنّ المعنى: أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون، وجواب الشرط محذوف، وهو: تندموا على الاستعجال، أو تعرفوا الخطأ فيه.

---

(١) قوله: «أي شيء هول شديد» لعله أي شيء أتى هولاً شديداً.

فإن قلت: فهلا قيل: ماذا تستعجلون منه[1]؟

قلت: أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام؛ لأنّ من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه، ويهلك فزعاً من مجيئه وإن أبطأ، فضلاً أن يستعجله، ويجوز أن يكون: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: جواباً للشرط؛ كقولك: إن أتيتك ماذا تطعمني؟ ثم تتعلق الجملة بأرأيتم، وأن يكون: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ جواب الشرط، و﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: اعتراضاً، والمعنى: إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان، ودخول حرف الاستفهام على ثم، كدخوله على الواو والفاء في قوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الأعراف: ٩٧]، ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الأعراف: ٩٨]. ﴿الآنَ﴾: على إرادة القول، أي: قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: آلآن آمنتم به، ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ يعني: وقد كنتم به تكذبون؛ لأنّ استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار، وقرىء: «آلان»، بحذف الهمزة التي بعد اللام، وإلقاء حركتها على اللام، ﴿ثم قيل للذين ظلموا﴾: عطف على «قيل» المضمر قبل «آلآن».

﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿ويستنبئونك﴾: ويستخبرونك فيقولون، ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾: وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء، وقرأ الأعمش: «آلحق هو»، وهو أدخل في الاستهزاء؛ لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل؛ وذلك أنّ اللام للجنس، فكأنه قيل: أهو الحق لا الباطل؟ أو أهو الذي سميتموه الحق، والضمير للعذاب الموعود، و﴿إي﴾ بمعنى: «نعم» في القسم خاصة، كما كان «هل» بمعنى: «قد» في الاستفهام خاصة، وسمعتهم يقولون في التصديق: «إيوَ»، فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بفائتين العذاب، وهو لاحق بهم لا محالة.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿ظَلَمَتْ﴾: صفة لنفس على: ولو أنّ لكل نفس ظالمة، ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ما في

---

(١) قال محمود: «إن قلت هلا قيل ماذا تستعجلون منه... إلخ»؟ قال أحمد: وفي هذا النوع البليغ نكتتان، إحداهما: وضع الظاهر مكان المضمر. والأخرى: ذكر الظاهر بصيغة زائدة مناسبة للمصدر، وكلاهما مستقل بوجه من البلاغة والمبالغة، والله أعلم.

الدنيا اليوم من خزائنها، وأموالها، وجميع منافعها على كثرتها، ﴿لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦٓۗ﴾: لجعلته فدية لها، يقال: فداه فافتدى، ويقال: افتداه/ ٣١٨أ - أيضاً - بمعنى: فداه، ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ﴾؛ لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم، وعاينوا من شدّة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم، فلم يطيقوا عنده بكاء، ولا صراخاً، ولا ما يفعله الجازع، سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب؛ كما ترى المقدّم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب، ويغلب حتى لا ينبس بكلمة[1]، ويبقى جامداً مبهوتاً، وقيل: أسرّ رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم، حياء منهم وخوفاً من توبيخهم، وقيل: أسروها أخلصوها، إما لأن إخفاءها إخلاصها، وإما من قولهم: سرّ الشيء، لخالصه، وفيه تهكم بهم وبأخطائهم وقت إخلاص الندامة، وقيل: أسروا الندامة: أظهروها، من قولهم: أسر الشيء وأشره إذا أظهره، وليس هناك تجلد، ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم﴾ أي: بين الظالمين والمظلومين، دل على ذلك ذكر الظلم، ثم أتبع ذلك الإعلام بأنّ له الملك كله؛ وأنه المثيب المعاقب، وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق، وهو القادر على الإحياء والإماتة، لا يقدر عليهما غيره، وإلى حسابه وجزائه المرجع، ليعلم أن الأمر كذلك، فيخاف ويرجى، ولا يغتر به المغترون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ (٥٧) قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ (٥٨)﴾

﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ﴾ أي: قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد، ﴿وَ﴾: هو ﴿شِفَآءٞ﴾ أي: دواء، ﴿لِّمَا فِي﴾: صدوركم من العقائد الفاسدة، ودعاء إلى الحق، ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾: لمن آمن به منكم، أصل الكلام: بفضل الله وبرحمته فليفرحوا، فبذلك فليفرحوا؛ والتكرير للتأكيد والتقرير، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا، فحذف أحد الفعلين؛ لدلالة المذكور عليه، والفاء داخلة لمعنى الشرط؛ كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح؛ فإنه لا مفروح به أحق منهما، ويجوز أن يراد: بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا، ويجوز أن يراد: قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته، فبذلك: فبمجيئها فليفرحوا، وقرىء: «فلتفرحوا»، بالتاء وهو الأصل والقياس[2]، وهي قراءة رسول الله - ﷺ - فيما روي،

---

(١) قوله: «لا ينبس بكلمة» أي لا يتكلم. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «إنها لغة قليلة» يعني: أن القياس أن يؤمر المخاطب بصيغة (أفعل) وبهذا الأصل، قرأ أُبي «فافرحوا» وهي في مصحفه كذلك، وهذه قاعدة كلية، وهي: أن الأمر باللام يكثر في الغائب والمخاطب المبني للمفعول، مثال الأول: «ليقم زيد» وكالآية الكريمة =

وعنه: «لِتَأْخُذُوا مَضَاجِعَكُمْ» (٧٤٨) قالها في بعض الغزوات، وفي قراءة أبيّ: «فافرحوا»، ﴿هُوَ﴾: راجع إلى ذلك، وقرىء: «مما تجمعون»، بالياء والتاء، وعن أبيّ بن كعب أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تلا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾؛ فقال: «بكتاب الله والإسلام» (٧٤٩)، وقيل: «فضله»: الإسلام، «ورحمته»: ما وعد عليه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿أَرَءَيْتُم﴾: أخبروني، و﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: «ما» في موضع النصب بأنزل، أو بأرأيتم، في معنى: أخبرونيه، ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ أي: أنزله الله رزقاً حلالاً كله فبعضتموه، وقلتم: هذا حلال وهذا حرام؛ كقولهم: ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام: ١٣٨]، ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩]، ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾: متعلق بأرأيتم، وقل: تكرير للتوكيد، والمعنى: أخبروني: آلله أذن لكم في التحليل/ ٣١٨ب والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه، أم تتكذبون على الله في نسبة ذلك

---

٧٤٨ ـ أخرجه التِّرمذي (٣٢٣٥)، وأحمد (٥/ ٢٤٣) من طريق مالك بن يخامر السكسكي عن معاذ بن جبل مرفوعاً، وهو حديث طويل.
وقال الحافظ: هذا طرف من حديث أخرجه التِّرمذي من حديث معاذ بن جبل قال: «أبطأ عنا رسول الله ﷺ في صلاة الفجر حتى كادت الشمس تطلع، ثم خرج فأقيمت الصلاة، فصلى بنا صلاة تجوزها، فلمّا سلّم قال: كما أنتم على مصاعكم ـ الحديث» انتهى.

٧٤٩ ـ أخرجه الطبري في تفسيره: (٦/ ٥٦٨) موقوفاً على أبي سعيد الخدري رقم (١٧٦٨٣)، وهلال بن يساف رقم (١٧٦٨٥ ـ ١٧٦٨٦ ـ ١٧٦٨٧ ـ ١٧٦٨٨) و(٦/ ٥٦٩) موقوفاً أيضاً على قتادة رقم (١٧٦٩٠)، والحسن رقم (١٧٦٩١)، ومجاهد رقم (١٧٦٩٢)، وابن عباس رقم (١٧٦٩٥)، وزيد ابن أسلم رقم (١٧٦٩٩ ـ ١٧٧٠٠).
وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه موقوفاً على الخدري وعلي وابن عباس؛ كما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان موقوفاً على ابن عباس؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٢٨)، وعزاه أيضاً إلى ابن مردويه في تفسيره.
قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله﴾ فذكره. وعن ابن سعيد كذلك أخرجه الطبري، وروى ابن مردويه من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «قل بفضل الله وبرحمته» قال: بفضل الله القرآن وبرحمته أن جعلكم من الملة». انتهى.

= في قراءة الجمهور. انتهى. الدر المصون.

(١) قوله: «لتأخذوا مضاجعكم» لعل الرواية «مصافكم» (ع).

إليه، ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار، وأم منقطعة بمعنى: بل أتفترون على الله، تقريراً للافتراء، وكفى بهذه الآية زاجرة زجراً بليغاً عن التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام، وباعثة على وجوب الاحتياط فيه، وألاَّ يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان، ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت، وإلا فهو مفتر على الله، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: منصوب بالظنّ، وهو ظنّ واقع فيه، يعني: أي شيء ظنّ المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة، وهو وعيد عظيم؛ حيث أبهم أمره، وقرأ عيسى بن عمر: «وما ظنّ»، على لفظ الفعل، ومعناه: وأي ظنّ ظنوا يوم القيمة، وجيء به على لفظ الماضي؛ لأنه كائن فكأن قد كان، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ حيث أنعم عليهم بالعقل، ورحمهم بالوحي، وتعليم الحلال والحرام، ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾: «ما» نافية، والخطاب لرسول الله ـ ﷺ ـ «والشأن»: الأمر، وأصله: الهمز، بمعنى: القصد، من شأنت شأنه إذا قصدت قصده، والضمير في: ﴿مِنْهُ﴾: للشأن؛ لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله ـ ﷺ ـ بل هو معظم شأنه، أو للتنزيل، كأنه قيل: وما تتلو من التنزيل من قرآن؛ لأنّ كلّ جزء منه قرآن، والإضمار قبل الذكر تفخيم له، أو لله ـ عزّ وجلّ ـ وما ﴿تَعْمَلُونَ﴾: أنتم جميعاً، ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾: أيّ عمل كان، ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾: شاهدين رقباء نحصي عليكم، ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه، ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾: قرىء بالضم والكسر: «وما يبعد، وما يغيب»، ومنه: الروض العازب، ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾: القراءة بالنصب والرفع، والوجه النصب على نفي الجنس، والرفع على الابتداء؛ ليكون كلاماً برأسه، وفي العطف على محل: ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾، أو على لفظ: (مثقال ذرّة)، فتحاً في موضع الجرّ؛ لامتناع الصرف: إشكال، لأنّ قولك: «لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب» مشكل.

فإن قلت: لم قدّمت الأرض على السماء، بخلاف قوله في سورة سبأ: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]؟

قلت: حق السماء أن تقدم على الأرض، ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم، ووصل بذلك قوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾: لاءم ذلك أن قدّم الأرض على السماء، على أنّ العطف بالواو حكمه حكم التثنية.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾: الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة، وقد فسر ذلك في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، فهو توليهم إياه، ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: فهو توليه إياهم، وعن سعيد بن جبير أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ/ ٣١٩أ سُئل: من أولياء الله؟ فقال: «هُم الَّذِينَ يُذْكَرُ الله بِرُؤْيَتِهِمْ» (٧٥٠) يعني: السمت والهيئة، وعن ابن

---

٧٥٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٢٨): هكذا ذكره المصنف مرسلاً، وقد رُوِي مرسلاً ومسنداً. أ. هـ.

قلتُ: وروى أيضاً موقوفاً.

فالمسند:

أخرجه النَّسائي في تفسيره لسورة يونس (١/ ٥٧١) رقم (٢٥٥)، وابن المبارك في كتابه «الزهد والرقائق»: (ص٧٢) رقم (٢١٨)، والطبراني في «الكبير»: (١٢/ ١٣) رقم (١٢٣٢٥)، والواحدي في تفسيره (٢/ ٥٥٢).

كلهم من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٩) وقال: رواه الطبراني عن شيخه الفضل بن أبي روح ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. أ. هـ.

كما ذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٥٦)، وزاد نسبته لأبي الشيخ وابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس مرفوعاً.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٢٨) إلى الحكيم التِّرمذي في نوادر الأصول والبزار في مسنده.

وأمّا المرسل:

فأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»: (٧/ ٧٩) رقم (٣٤٣٣٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٦) و(٧/ ٢٣١)، والطبري في تفسيره (٦/ ٥٧٥) رقم (١٧٧٢٣)، وابن المبارك في الزهد ص (٧٢) رقم (٢١٧)، وابن مردويه في تفسيره؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٢٩).

كلهم من طرق مختلفة عن سعيد بن جبير مرسلاً.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٥٦)، وزاد نسبته لأبي الشيخ عن سعيد بن جبير مرسلاً.

وأما الموقوف:

فأخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٧٥) رقم (١٧٧١٨) بسنده عن مقسم وسعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً. وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٥٦)، وزاد نسبته إلى الطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس موقوفاً.

وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت يزيد:

أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٧٩): كتاب الزهد: باب مَنْ لا يُؤبه له، حديث (٤١١٩)، وأحمد (٦/ ٤٥٩)، وعبد بن حميد (ص ٤٥٧) رقم (١٥٨٠ ـ منتخب) والطبراني في الكبير (٢٤/ =

عباس ـ رضي الله عنه ـ: الإخبات والسكينة، وقيل: هم المتحابون في الله، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: سمعت النبيّ ـ ﷺ ـ يقول «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ عِباداً مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ» قالوا: يا رسول الله، خَبِّرْنَا مَنْ هُمْ، وَمَا أَعْمَالُهُمْ؟ فَلَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ، قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللهِ عَلَىٰ غَيْرِ أَرْحَام بَيْنَهُمْ وَلا أَمْوَالٍ يَتَعَاطُونَهَا، فَوَاللهِ، إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ» ثم قرأ الآية (٧٥١)، (الذين آمنوا): نصب أو

= ١٦٧ ـ ١٦٨) رقم (٤٢٣ ـ ٤٢٤ ـ ٤٢٥)؛ كلهم من طرق عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أن النبي ﷺ . . . الحديث. وقال البوصيري في «الزوائد»: (٣/ ٢٧٣): هذا إسناد حسن وشهر بن حوشب وسويد بن سعيد مختلف فيهما، وباقي رجال الإسناد ثقات. أ.هـ.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٩٦) بعد أن نسبه لأحمد وحده: وفيه شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد، وبقية رجال أحد أسانيده رجال الصحيح. أ.هـ والحديث ذكره السيوطي في «الدر»: (٣/ ٥٥٧)، وزاد نسبته للحكيم التِّرمذي وابن مردويه عن أسماء بنت يزيد به وله شاهد آخر من حديث عبد الرحمن بن غنم مرفوعاً:

أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٧) عن سفيان عن ابن أبي الحسين عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي ﷺ: «خيار عباد الله الذين إذ رُئوا ذُكر الله، وشرار عباد الله المشّاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة، الباغون البراء العنت».

وعبد الرحمن بن غنم مختلف في صحبته، وذكره العجلي في كبار ثقات التابعين.

وله شاهد آخر من حديث عمرو بن الجموح مرفوعاً:

أخرجه أحمد (١/ ٤٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٦)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١/ ٩٢)، وقال: «وفيه رشدين بن سعد، وهو منقطع ضعيف».

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٥٧)، وزاد نسبته إلى الحكيم التِّرمذي.

قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة من رواية أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة عنه به، وابن مردويه من طريق يحيى الحمامي عن يعقوب السهمي عن جعفر كذلك ووصله، والبزار من رواية محمد بن سعيد بن سابق عن يعقوب يذكر ابن عباس. قال: سئل رسول الله ﷺ عن الأولياء قال: الذين إذا رئوا ذكر الله. قال البزار: رواه غير محمد عن يعقوب بغير ابن عباس. انتهى.

٧٥١ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ٢٨٨): كتاب البيوع: باب في الرهن، حديث (٣٥٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٤٨٦) رقم (٨٩٩٨ ـ ٨٩٩٩)، ثم قال: وأبو زرعة عن عمر مرسل أ.هـ. والطبري في تفسيره (٦/ ٥٧٦) رقم (١٧٧٢٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥)، والواحدي في تفسيره (٢/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣)، وإسحاق بن راهويه في مسنده، وأبي القاسم الأصبهاني في كتابه الترغيب والترهيب؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٣٠).

كلهم من طريق عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن عمر بن الخطاب، فذكره.

وقد روي هذا الحديث من حديث أبي هريرة، وأبي مالك الأشعري، وابن عمر، والعلاء بن زياد، وأنس، وأبي الدرداء. =

رفع على المدح، أو على وصف الأولياء، أو على الابتداء والخبر لهم البشرى، والبشرى

= فحديث أبي هريرة:
أخرجه النَّسائي في التفسير (١/ ٥٧٤)، وابن حِبان في صحيحه (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) رقم (٥٧٣)، وأبو يعلى في مسنده: «(١٠/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦) حديث (٦١١٠)، والطبري في تفسيره (٦/ ٥٧٥) رقم (١٧٧٢٨) كلهم من طريق عمارة بن القعقاع عن أبي زُرعة عن أبي هريرة به.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة به.
وأما حديث أبي مالك الأشعري:
أخرجه أحمد (٥/ ٣٤١ ـ ٣٤٢ ـ ٣٤٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (٦/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧) رقم (٩٠٠١)، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) رقم (٦٨٤٢)، وابن المبارك في «الزهد»: ص (٢٤٨ ـ ٢٤٩) رقم (٧١٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٠١) رقم (٢٠٣٢٤)، والطبراني في الكبير (٣/ ٣٢٩) رقم (٣٤٣٣)، والطبري في تفسيره (٦/ ٥٧٦) رقم (١٧٧٣٠)؛ كلهم من طريق ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن أبي مالك الأشعري به.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٩)، وقال: رواه أحمد كله، والطبراني بنحوه. . . ورجاله وثقوا. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٥٨)، وزاد نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي مالك الأشعري به.
وأما حديث ابن عمر:
فأخرجه الحاكم في مستدركه: (٤/ ١٧٠، ١٧١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٥٧).
وأما حديث العلاء بن زياد:
فأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي: (٢/ ١٣١).
وقال ابن حجر: وعن العلاء بن زياد مرسلاً، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٥٩).
وأما حديث أنس:
فأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (١/ ٣٦٧) رقم (٤٠٩)، وقال ابن حجر: وفيه واقد بن سلامة عن يزيد الرقاشي، وهما ضعيفان.
وأخرجه ابن عديّ في الكامل، والعقيلي في الضعفاء وأعلاه بواقد، قال ابن عديّ: لم يصح حديثه، ونقل العقيلي عن البخاري نحوه، قال: ولا يتابع عليه إلا من طريق يقاربه؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٣١).
وأما حديث أبي الدرداء:
فذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٠)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه من لم أعرفهم.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه إسحاق بن راهويه والطبري، وأبو نعيم في أوائل الحلية، والبيهقي في الشعب من رواية جرير عن عمارة بن غزية عن أبي زرعة عن عمر به. قال البيهقي: أبو زرعة عن عمر مرسل.
ورواه ابن مردويه من وجه آخر يذكر أبي هريرة بين أبي زرعة وعمر، ورواه النَّسائي وابن حِبان من =

في الدنيا: ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه، وعن النبيّ ـ ﷺ ـ: هي «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا المُسْلِمُ أَوْ تُرَىٰ لَهُ» (٧٥٢)، وعنه عليه الصلاة والسلام: «ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ وَبَقِيَتِ المُبَشِّرَاتُ» (٧٥٣) وقيل: هي محبة الناس له والذكر الحسن، وعن أبي ذر:

= وجه آخر عن أبي زرعة عن أبي هريرة. فلم يذكر عمر. وفي الباب عن أنس أخرجه ابن عديّ والعقيلي، والبيهقي في الشعب أيضاً في العاشر منه، وفيه واقد بن سلامة عن يزيد الرقاشي. وهما ضعيفان. وعن أبي الدرداء أخرجه الطبراني وفيه فرج بن فضالة وهو ساقط. وعن أبي مالك الأشعري. أخرجه عبد الرزاق ومن طريقه الطبراني والبيهقي وفيه شهر بن حوشب، وعن ابن عمر أخرجه الحاكم من رواية زياد بن خيثمة عنه. وعن العلاء بن زياد مرسلاً. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه. انتهى.

٧٥٢ ـ أخرجه التِّرمذي (٢٢٧٥) وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٨٣): كتاب تعبير الرؤيا: باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، حديث (٣٨٩٨)، والدارمي (٢/ ١٢٣): كتاب الرؤيا: باب في قوله تعالى «لهم البشرى في الحياة الدنيا»، وأحمد (٥/ ٣١٥، ٣٢١) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن عبادة بن الصامت به.

وأخرجه التِّرمذي (٢٢٧٣)، وأخرجه أحمد (٦/ ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٢)، والحميدي (٢/ ١٩٣)، حديث (٣٩١، ٣٩٢)، من طريق عطاء بن يسار، عن رجل من أهل مصر، عن أبي الدرداء به.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه التِّرمذي وابن ماجه، والحاكم والبيهقي وأحمد، وإسحاق من طريق أبي سلمة عن عبادة بن الصامت قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾، قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، رجاله ثقات: إلا أنه معلول؛ فإن أبا سلمة لم يسمع من عبادة، وقد أخرجه التِّرمذي والحاكم أيضاً عن أبي سلمة قال: نبئت عن عبادة، وله طريق أخرى عند ابن مردويه من رواية حميد بن عبد الرحمن المرسي عن عبادة. وأخرجه التِّرمذي أيضاً وأحمد وإسحاق وابن أبي شيبة، وأبو يعلى والطبراني والبيهقي من طريق عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر: سألت أبا الدرداء عن قول الله تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾، قال: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، زاد بعضهم: «وفي الآخرة الجنة» قال ابن أبي حاتم عن أبيه: هذا الرجل لا يعرف. وفي الباب عن ابن مسعود أخرجه ابن مردويه بلفظ: «سألت رسول الله ﷺ فذكر مثل حديث عبادة»، وعن جابر بن عبد الله بن رباب أخرجه البزار، وابن عديّ ومن طريق الكلبي عن أبي صالح عنه مرفوعاً في قوله تعالى: (لهم البشرى). الحديث.

وعن جابر أخرجه ابن مردويه من رواية جابر الجعفي عن أبي جعفر عن جابر. قال: جابر هذا هو ابن رباب. كذا قال فأخطأ. وقد أخرجه من وجه آخر عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أبي هريرة، أخرجه الطبري وابن مردويه من رواية عمار بن محمد عن الأعمش عن أبي صالح عنه.

قيل: انفرد به عمار. لكن أخرجه النَّسائي في الكنى من رواية إسحاق بن عبد الرحمن بن عمر: أن الأعمش حدثه، فذكره. وقال: أبو إسحاق لا أعرفه. والحديث خطأ. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه النَّسائي، وأبو يعلى من رواية دراج عن عبد الرحمن بن جبير عنه. وزاد: «الرؤيا جزء من تسعة وأربعين جزءاً من النبوة». انتهى.

٧٥٣ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٣٥)؛ رُوِي من حديث حذيفة بن أسيد، ومن حديث أبي =

قلت لرسول الله ـ ﷺ ـ: الرجل يعمل العمل لله، ويحبه الناس، فقال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ» (٧٥٤)، وعن عطاء: لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة، قال الله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠]،

= الطفيل ومن حديث أم كرز الكعبية. أهـ.
أما حديث حذيفة بن أسيد:
أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٠٠) رقم (٣٠٥١)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٧/ ١٧٦)، وقال: رواه الطبراني والبزار، ورجال الطبراني ثقات. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٠)، وعزاه إلى ابن مردويه وأما حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة:
فأخرجه أحمد في مسنده: (٥/ ٤٥٤)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٣٥) إلى البخاري في تاريخه الوسط في باب العين المهملة في ترجمة عثمان بن عبيد، وإلى الطبراني في معجمه، وإلى أبي يعلى الموصلي في مسنده.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٠)، وعزاه إلى سعيد بن منصور وأحمد وابن مردويه عن أبي الطفيل عامر بن واثلة به، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٧٦)، وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات. أ.هـ.
وأما حديث أم كرز الكعبية:
فأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٨٣)، كتاب تعبير الرؤيا: باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، حديث (٣٨٩٦)، وأحمد (٦/ ٣٨١)، والدارمي (٢/ ١٢٣): كتاب الرؤيا: باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات، والحميدي (١/ ١٦٧) رقم (٣٤٨)، وابن حِبان (١٣/ ٤١١) رقم (٦٠٤٧)، والطبري في تفسيره (٦/ ٥٧٩) رقم (١٧٧٤٧).
كلهم من حديث سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي زيد عن أبيه عن سباع بن ثابت عن أم كرز الكعبية به. وذكره البوصيري في «الزوائد» (١/ ١٤٢)، وقال: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.
وللحديث شواهد أيضاً من طريق عائشة وأبي هريرة وابن عباس.
فأما حديث عائشة:
فأخرجه أحمد (٦/ ١٢٩) من طريق سعيد بن عبد الرحمن الجمحي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٠) وزاد نسبته إلا ابن مردويه.
وأما حديث أبي هريرة:
فأخرجه البخاري (١٤/ ٤٠١): كتاب التعبير، باب المبشرات، حديث (٦٩٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٢/ ٨٨)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٩١ ـ بتحقيقنا) رقم (٣١٦٥)؛ كلهم من طريق الزهري عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة بنحوه مرفوعاً، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦١).
وأما حديث ابن عباس:
فأخرجه ابن حِبان (١٣/ ٤١٠ ـ ٤١١) رقم (٦٠٤٥ ـ ٦٠٤٦) بنحوه.
٧٥٤ ـ أخرجه مسلم (٨/ ٤٣٨ ـ النووي): كتاب البر والصلة والآداب، حديث (١٦٦/ ٢٦٤٢)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٢): كتاب الزهد: باب الثناء الحسن، حديث (٤٢٢٥) كلاهما من طريق أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر به.
قال الحافظ: في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم بلفظ: «فتحبه وتحمده الناس عليه» انتهى.

وأمّا البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة، وما يرون من بياض وجوههم، وإعطاء الصحائف بأيمانهم، وما يقرؤون منها، وغير ذلك من البشارات، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده؛ كقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩]، و﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين، وكلتا الجملتين اعتراض.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾، وقرىء: «ولا يحزنك»، من أحزنه، ﴿قَوْلُهُمْ﴾: تكذيبهم لك، وتهديدهم، وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك، وسائر ما يتكلمون به في شأنك، ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾: استئناف بمعنى: التعليل، كأنه قيل: مالي لا أحزن؟ فقيل: إنّ العزة لله جميعاً، أي: إن الغلبة والقهر في ملكة الله جميعاً، لا يملك أحد شيئاً منها لاهم ولا غيرهم، فهو يغلبهم وينصرك عليهم، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]. وقرأ أبو حيوة: «أن العزة»، بالفتح، بمعنى: لأن العزة على صريح التعليل، ومن جعله بدلاً من قولهم ثم أنكره، فالمنكر هو تخريجه، لا ما أنكر من القراءة به، ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: يسمع ما يقولون، ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه، وهو مكافئهم بذلك.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان؛ وإنما خصهم، ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له في ملكته فهم عبيد كلهم، وهو سبحانه وتعالى ربهم/ ٣١٩ب ولا يصلح أحد منهم للربوبية، ولا أن يكون شريكاً له فيها، فما وراءهم مما لا يعقل أحق ألَا يكون له ندًا وشريكاً، وليدلّ على أنّ من اتخذ غيره رباً من ملك أو إنسي فضلاً عن صنم أو غير ذلك، فهو مبطل، تابع لما أدّى إليه التقليد وترك النظر، ومعنى: «وما يتبعون شركاء»، أي: وما يتبعون حقيقة الشركاء، وإن كانوا يسمونها: شركاء؛ لأنّ شركة الله في الربوبية محال، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا﴾: ظنهم أنها شركاء، ﴿وَإِنْ هم إلا يخرصون﴾: يحزرون، ويقدرون أن تكون شركاء تقديراً باطلاً، ويجوز أن يكون: (وما يتبع): في معنى الاستفهام، يعني: وأي شيء يتبعون، و(شركاء): على هذا نصب بيدعون، وعلى الأوّل بيتبع، وكان حقه، وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء

شركاء، فاقتصر على أحدهما؛ لدلالة[1]، ويجوز أن تكون «ما»: موصولة معطوفة على: «من»؛ كأنه قيل: والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، أي: وله شركاؤهم، وقرأ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «تدعون»، بالتاء، ووجهه أن يحمل: (وما يتبع) على الاستفهام، أي: وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين، يعني: أنهم يتبعون الله ويطيعونه، فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم؟ كقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] ثم صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقال: إن يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن، ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

ثم نبه على عظيم قدرته، ونعمته: الشاملة لعباده التي يستحق بها أن يوحدوه بالعبادة؛ بأنه جعل لهم الليل مظلماً ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردّد في المعاش، والنهار مضيئاً يبصرون فيه مطالب أرزاقهم، ومكاسبهم، ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: سماع معتبر مذّكر.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيه له عن اتخاذ الولد، وتعجب من كلمتهم الحمقاء، ﴿هو الغني﴾: علة لنفي الولد؛ لأنّ ما يطلب به الولد من يلد، وما يطلبه له السبب في كله الحاجة، فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيًا، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ أحد منهم ولداً، ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَٰذَا﴾: ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله: (إن عندكم) على أن يجعل القول مكاناً للسلطان؛ كقولك: ما عندكم بأرضكم موز، كأنه قيل: إن عندكم فيما تقولون سلطان، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين، فدلّ على أنّ كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس يعلم.

---

(١) قال السمين الحلبي: وهذا الذي ذكره الزمخشري قد ردّه مكي بن أبي طالب وأبو البقاء، أما مكي فقال: انتصب «شركاء» بـ «يدعون» ومفعول «يتبع» قام مقامه «إن يتبعون إلا الظن» لأنه هو، ولا ينتصب الشركاء بـ «يتبع»، لأنك تنفي عنهم ذلك والله قد أخبر به عنهم. انتهى. الدر المصون.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: بإضافة الولد إليه، ﴿مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: افتراؤهم/ ٣٢٠أ هذا منفعة قليلة في الدنيا؛ وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي - ﷺ - بالتظاهر به، ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده.

﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿كَبُرَ عَلَيْكُم﴾: عظم عليكم وشق وثقل، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، ويقال: تعاظمه الأمر، ﴿مَّقَامِى﴾: مكاني، يعني: نفسه، كما تقول: فعلت كذا لمكان فلان، وفلان ثقيل الظل، ومنه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ بمعنى: خاف ربه، أو قيامي[(١)] ومكثي بين أظهركم مدداً طوالاً ألف سنة إلا خمسين عاماً، أو مقامي[(٢)] وتذكيري؛ لأنهم كانوا إذا وعظواالجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم؛ ليكون مكانهم بيناً وكلامهم مسموعاً، كما يحكى عن عيسى - صلوات الله عليه - أنه كان يعظ الحواريين قائماً وهم قعود، ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾: من أجمع الأمر وأزمعه، إذا نواه وعزم عليه؛ قال [من الكامل]:

.... هَلْ أَغْدُوَنْ يَوْماً وَأَمْرِيَ مُجْمَعُ؟[(٣)]

---

(١) قوله: «أو قيامي ومكثي» لعله أو مقامي بالضم (ع).

(٢) قوله: «أو مقامي وتذكيري» لعل هذا أو قيامي (ع).

(٣) يا ليت شعري والحوادث جمة ... هل أغدون يوماً وأمري مجمع

قوله: «والحوادث جمة» أي كثيرة. جملة اعتراضية. وأغدون: مؤكد بالنون الخفيفة. وأمري مجمع: أي منوي مجزوم بامتثاله. أو المعنى: وشملي مجتمع بعد تفرقه، وهي جملة حالية مغنية عن خبر أغدون. أو خبرها. وزيدت الواو لتوكيد الربط. وأجمع يتعلق بالمعقول، وجمع يتعلق بالمحسوس.

ينظر: إصلاح المنطق ص ٢٦٣، وأمالي المرتضى ١/ ٥٥٩، والخصائص ٢/ ١٣٦، والدرر ٤/ ٢٠، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨١١، ولسان العرب (جمع)، ١٤/ ٣٥٧ (رمى)، ومغني اللبيب ٢/ =

والواو بمعنى: «مع»، يعني: فأجمعوا أمركم مع شركائكم، وقرأ الحسن: «وشركاؤكم» بالرفع، عطفاً على الضمير المتصل، وجاز من غير تأكيد بالمنفصل؛ لقيام الفاصل مقامه؛ لطول الكلام، كما تقول: اضرب زيداً وعمرو، وقرىء: «فاجمعوا» من الجمع، وشركاءكم: نصب للعطف على المفعول، أو لأنّ الواو بمعنى: «مع»، وفي قراءة أبيّ: فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم.

فإن قلت: كيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء؟

قلت: على وجه التهكم؛ كقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾ [**الأعراف**: ١٩٥].

فإن قلت: ما معنى الأمرين؟ أمرهم الذي يجمعونه، وأمرهم الذي لا يكون عليهم غمة؟

قلت: أمّا الأمر الأوّل: فالقصد إلى إهلاكه، يعني: فأجمعوا ما تريدون من إهلاكي واحتشدوا فيه، وابذلوا وسعكم في كيدي؛ وإنما قال ذلك إظهاراً لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته إياه، وأنهم لن يجدوا إليه سبيلاً.

وأما الثاني ففيه وجهان:

أحدهما: أن يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم، يعني: ثم أهلكوني؛ لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة، أي: غمًّا وهمًّا، والغم والغمة: كالكرب والكربة.

والثاني: أن يراد به ما أريد بالأمر الأول، والغمة السترة من غمه إذا ستره؛ ومنها قوله عليه السلام: «وَلاَ غُمَّةَ فِي فَرَائِضِ اللهِ» (٧٥٥) أي: لا تستر، ولكن يجاهر بها، يعني: ولا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستوراً[(١)] عليكم ولكن مكشوفاً مشهوراً تجاهرونني به، ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ﴾: ذلك الأمر الذي تريدون بي، أي: أدوا إليَّ قطعه وتصحيحه؛ كقوله

---

٧٥٥ ـ ذكره القاضي عياض في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»: (١/ ٩٩ ـ ١٠٠) في فصل فصاحته ﷺ.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

هو طرف من حديث وائل بن حجر في كتاب النبي ﷺ إلى الأقيال، وفيه: «ولا يوْصم في الدين ولا غمة في فرائض الله»، وقال: الغمة السترة، أي لا تستر في فرائض الله، بل ظاهر بها. انتهى.

= ٣٨٨، ونوادر أبي زيد ص ١٣٣، وهمع الهوامع ١/ ٢٤٧، وتاج العروس (جمع)، وتهذيب اللغة ١/ ٣٩٦.

(١) قوله: «مستوراً عليكم» لعله أراد ملتبساً، فلذا قال عليكم، كما أشار إليه النسفي (ع).

تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦]، أو أدّوا إليّ ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه، ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾: ولا تمهلوني، وقرىء: «ثم أفضوا إليّ»، بالفاء، بمعنى: ثم انتهوا إليّ بشرّكم، وقيل: هو من أفضى الرجل إذا خرج إلى الفضاء، أي: أصحروا به إليّ وأبرزوه لي، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: فإن أعرضتم عن تذكيري ونصيحتي/ ٣٢٠ب، ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾: فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لأجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظتكم، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾: وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة، أي: ما نصحتكم إلا لوجه الله، لا لغرض من أغراض الدنيا، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١]: الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئاً، ولا يطلبون به دنيا، يريد: أن ذلك مقتضى الإسلام، والذي كل مسلم مأمور به، والمراد: أن يجعل الحجة لازمة لهم ويبرىء ساحته، فذكر أن توليهم لم يكن تفريط منه في سوق الأمر معهم على الطريق الذي يجب أن يساق عليه؛ وإنما ذلك لعنادهم وتمرّدهم لا غير، ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: فتموا على تكذيبه[1]، وكان تكذيبهم له في آخر المدّة المتطاولة كتكذيبهم في أوّلها؛ وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾: يخلفون الهالكين بالغرق، ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: تعظيم لما جرى عليهم، وتحذير لمن أنذرهم رسول الله ـ ﷺ ـ عن مثله، وتسلية له.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد نوح، ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ يعني: هوداً، وصالحاً، وإبراهيم، ولوطاً، وشعيباً، ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم، ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾: فما كان إيمانهم إلا ممتنعاً كالمحال لشدّة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه، ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾: يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق، فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها، كأن لم يبعث إليهم أحد، ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾: مثل ذلك الطبع المحكم نطبع، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم؛ لأنّ الخذلان يتبعه؛ ألا ترى كيف أسند إليهم الاعتداء ووصفهم به.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ

---

(١) قوله: «فتموا على تكذيبه» أي استمروا. أفاده الصحاح (ع).

﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿من بعدهم﴾: من بعد الرسل، ﴿بآياتنا﴾: بالآيات التسع، ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: عن قبولها، وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها، ويتعظموا عن تقبلها، ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: كفاراً ذوي آثام عظام؛ فلذلك استكبروا عنها، واجترؤوا على ردّها، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾: فلما عرفوا أنه هو الحق، وأنه من عند الله، لا من قبل موسى وهارون، ﴿قَالُوٓا۟﴾: لحبهم الشهوات، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: وهم يعلمون أنّ الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس إلا تمويهاً وباطلاً.

فإن قلت: هم قطعوا بقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ على أنه سحر(١)، فكيف قيل لهم: أتقولون أسحر هذا؟

قلت: فيه أوجه: أن يكون معنى قوله: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾: أتعيبونه وتطعنون فيه، وكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه، من قولهم: فلان يخاف القالة، وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه؛ ونحو القول: الذكر، في قوله: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، ثم قال: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾، فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه، وأن يحذف مفعول: أتقولون، وهو ما دل عليه قولهم، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: كأنه قيل/ ٣٢١أ: أتقولون ما تقولون، يعني: قولهم: إن هذا لسحر مبين، ثم قيل: أسحر هذا؟ وأن يكون جملة قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾: حكاية لكلامهم، كأنهم قالوا: أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح، ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾: كما قال موسى للسحرة: «ما جئتم به السحر، إنّ الله سيبطله»، ﴿لِتَلْفِتَنَا﴾: لتصرفنا، واللفت والفتل: أخوان، ومطاوعهما الالتفات والانفتال، ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾، يعنون: عبادة الأصنام، ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ أي: الملك؛ لأنّ الملوك موصوفون بالكبر؛ ولذلك قيل للملك: الجبار، ووصف بالصيد والشوس؛ ولذلك وصف ابن الرقيات مصعباً في قوله [من الخفيف]:

مُلْكُهُ مُلْكُ رَأْفَةٍ لَيْسَ فِيهِ ... جَبَرُوتٌ مِنْهُ وَلاَ كِبْرِيَاءُ(٢)

---

(١) قال محمود: «إن قلت هم قطعوا بقولهم إن هذا لسحر مبين على أنه سحر... إلخ» قال أحمد: وفي الفرق بين الوجهين غموض، وإيضاحه أن القول على الوجه الأول وقع كناية عن العيب، فلا يتقاضى مفعولاً وفي الثاني على أنه يطلب مفعولاً والله أعلم.

(٢) لعبد الله بن قيس الرقيات. وقيل: لقيس الرقيات يمدح مصعباً، سمي قيس الرقيات لأنه اتفق له أنه تزوج عدة نسوة، كل منهن تسمى رقية. وملك: وصف كحذر، فلذلك نصب «ملك رأفة» على المصدر. وروي «ملكه ملك» على المبتدأ والخبر. وضمير «فيه» للمصدر، أي: ليس في ملكه =

ينفي ما عليه الملوك من ذلك، ويجوز أن يقصدوا ذمّهما، وأنهما إن ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا؛ كما قال القبطي لموسى ـ عليه السلام ـ: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدّقين لكما فيما جئتما به، وقرىء: «يطبع»، و«يكون لكما»، بالياء.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿مَا جِئْتُم بِهِ﴾: ما موصولة واقعة مبتدأ، و﴿ٱلسِّحْرُ﴾: خبر، أي: الذي جئتم به هو السحر [1] لا الذي سماه فرعون وقومه سحراً من آيات الله، وقرىء: «آلسحر»، على

= جبروت منه، أي من مصعب. ويحتمل أن الضميرين له. والجبروت: مبالغة في الجبر والقهر، أي: ليس فيه ذلك كغيره، فهو أعظم الملوك.

(١) قال محمود: «ما موصولة مبتدأ، والسحر خبر أي الذي جئتم به... إلخ» قال أحمد: وليس المراد في القراءة الأولى الإخبار بأن ما جاؤوا به سحر خاصة، ولكن مع تنزيه ما جاء به عن كونه سحراً. وإنما يستفاد ذلك مما في هذا النظم المخصوص من إفادة الحصر، ولو مرت بخاطر الإمام أبي المعالي في مسألة تحريمه التكبير لم يعدل عن الاستشهاد بها على إفادة هذا النظم الحصر، فإنا نعلم أن موسى عليه السلام حيث أطلقه فإنما أراد إضافة السحر إلى ما جاؤوا به محصوراً فيه، حتى لا يتعدى إلى الحق الذي جاء به هو منه شيء. وأما القراءة الثانية ففيها ـ والله أعلم ـ إرشاد إلى أن قول موسى عليه السلام أو لا ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ حكاية لقولهم، ويكون ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ هو الذي قالوه، ولا يناقض ذلك حكاية الله عنهم أنهم قالوا ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وذلك إما لأنهم قالوا الأمرين جميعاً: بدؤوا بالاستفهام على سبيل الاستهتار بالحق والاستهزاء بكونه حقا، والاستهزاء بالحق إنكار له، بل قد يكون الاستفهام في بعض المواطن أبت من الإخبار. ألا ترى أنهم يقولون في قوله: آأنت أم سالم، أبلغ في البت من قوله: مخبراً أنت أم سالم؟ ثم ثنوا بصيغة الخبر الخاصة ببت الإنكار ودعوى أنه سحر فقالوا: إن هذا لسحر مبين، فحكى الله تعالى عنهم هذا القول الثاني، ووبخهم موسى على قولهم الأول. ومعنى العبارتين ومآلهما واحد. وإما أن لا يكونوا قالوا سوى (أسحر هذا) على سبيل الإنكار حسبما تقدم، فحكاه الله تعالى عنهم بمآله، لأنه يعلم أن مرادهم من الاستفهام الإنكار وبت القول أنه سحر. وحكى موسى عليه السلام قولهم بلفظه، ولم يؤده بعبارة أخرى. وحكاية القصص المتلوة في الكتاب العزيز بصيغ مختلفة لا محمل لها سوى أنها معان منقولة إلى اللغة العربية، فيترجم عنها بالألفاظ المترادفة المتساوية المعاني. وحاصل هذا البحث: أن قول موسى عليه السلام ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ إنما حكي فيه قولهم، ويرشد إلى ذلك أنه كافأهم عندما أتوا بالسحر بمثل مقالتهم مستفهماً، فقال: ما جئتم به السحر؟ على قراءة الاستفهام قرضاً بوفاء على السواء، والذي يحقق لك أن الاستفهام والإخبار في مثل هذا المعنى مؤداهما واحد: أن الله تعالى حكى قول موسى عليه السلام ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ على الوجهين: الخبر الاستفهام، على ما اقتضته القراءتان، وهو قول واحد دل على أن مؤدى =

الاستفهام، فعلى هذه القراءة «ما»: استفهامية، أي: أيّ شيء جئتم به، أهو السحر؟ وقرأ عبد الله: «ما جئتم به سحر»، وقرأ أبيّ: «ما أتيتم به سحر»، والمعنى: لا ما أتيت به، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾: سيمحقه أو يظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة، ﴿لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: لا يثبته ولا يديمه، ولكن يسلط عليه الدمار، ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ﴾: ويثبته، ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بأوامره وقضاياه، وقرىء: «بكلمته»، بأمره ومشيئته.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٍ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾: في أوّل أمره، ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾: إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل، كأنه قيل: إلا أولاد من أولاد قومه؛ وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه؛ خوفاً من فرعون، وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف، وقيل: الضمير في قومه لفرعون، والذرية: مؤمن آل فرعون، وآسية: امرأته، وخازنه، وامرأة خازنه، وماشطته.

فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: ﴿وَمَلَإِيْهِمۡ﴾؟

قلت: إلى فرعون، بمعنى: آل فرعون، كما يقال: ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له، ويجوز أن يرجع إلى الذرية، أي: على خوف من فرعون، وخوف من أشراف بني إسرائيل؛ لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم، ويدل عليه قوله: ﴿أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ﴾: يريد أن يعذبهم، ﴿وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: لغالب فيها قاهر، ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾: في الظلم والفساد، وفي الكبر والعتوّ، بادعائه الربوبية.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾: صدقتم به وبآياته، ﴿فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾: فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون، ثم شرط في التوكل الإسلام، وهو أن يسلموا/ ٣٢١ب نفوسهم لله، أي: يجعلوها له سالمة خالصة لا حظّ للشيطان فيها؛ لأن التوكل لا يكون مع التخليط، ونظيره في الكلام: إن ضربك زيد فاضربه، إن كانت بك قوّة، ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا﴾: إنما

= الأمرين واحد ضرورة صدق الخبر. وإنما حمل الزمخشري على تأويل القول بالتعييب، أو إضمار مفعول تقولون. استشكالاً لوقوع الاستفهام محكيا بالقول، والمحكي أولاً عنهم الخبر. وقد أوضحنا أنه لا تنافر ولا تنافي بين الأمرين، فشد بهذا الفصل عرى التمسك، فإنه من دقائق النكت. والله الموفق.

قالوا ذلك؛ لأنّ القوم كانوا مخلصين، لا جرم أنّ الله سبحانه قبل توكلهم، وأجاب دعاءهم، ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه، وجعلهم خلفاء في أرضه، فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض إليه، فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص، ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾: موضع فتنة لهم، أي: عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا، أو فتنة لهم يفتتنون بنا ويقولون: لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾

تبوّأ المكان: اتخذه مباءة؛ كقولك: توطنه، إذا اتخذه وطناً، والمعنى: اجعلا بمصر بيوتاً من بيوته[1] مباءة لقومكما ومرجعاً يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه، ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ﴾: تلك ﴿قِبْلَةً﴾ أي: مساجد متوجهة نحو القبلة، وهي: الكعبة، وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة، وكانوا في أوّل أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة؛ لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم، كما كان المؤمنون على ذلك في أوّل الإسلام بمكة.

فإن قلت: كيف نوّع الخطاب، فثنى أوّلاً، ثم جمع، ثم وحد آخراً؟

قلت: خوطب موسى وهَارون ـ عليهما السلام ـ أن يتبوّءا لقومهما بيوتاً، ويختاراها للعبادة؛ وذلك مما يفوّض إلى الأنبياء، ثم سيق الخطاب عامًّا لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها؛ لأنّ ذلك واجب على الجمهور، ثم خص موسى ـ عليه السلام ـ بالبشارة التي هي الغرض؛ تعظيماً لها وللمبشر بها.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾

الزينة: ما يتزين به من لباس، أو حلي، أو فرش، أو أثاث، أو غير ذلك، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب، وفضة، وزبرجد، وياقوت».

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾؟

---

(١) قوله: «بمصر بيوتاً من بيوته» لعل الضمير لمصر (ع).

قلت: هو دعاء بلفظ الأمر[1]؛ كقوله: (ربنا اطمس)، (واشدد)، وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكرّراً وردّد عليهم النصائح والمواعظ زماناً طويلاً، وحذرهم عذاب الله وانتقامه، وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين، ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفراً، وعلى الإنذار إلا استكباراً، وعن النصيحة[2] إلا نبوّا، ولم يبق له مطمع فيهم، وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال، وأنّ إيمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة، أو علم ذلك بوحي من الله ـ اشتد غضبه عليهم، وأفرط مقته وكراهته لحالهم، فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره، كما تقول: لعن الله إبليس، وأخزى الله الكفرة، مع علمك أنه لا يكون غير ذلك، وليشهد عليهم/ ٣٢٢أ بأنه لم يبق له فيهم حيلة، وأنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون[3] فيه، كأنه قال: ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال، وليكونوا ضلالاً[4]، وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما عليّ منهم، هم أحق بذلك وأحق، كما يقوله الأب المشفق لولده الشاطر إذا ما لم يقبل منه؛ حسرة على ما فاته من قبول نصيحته، وحرداً[5] عليه، لا أن يريد خلاعته واتباعه هواه، ومعنى الشدّ على القلوب، الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان، ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾: جواب للدعاء الذي هو: «اشدد»، أو دعاء بلفظ النهي، وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل، على أنهم جعلوا نعمة الله سبباً في الضلال، فكأنهم أوتوها ليضلوا، وقوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾: عطف على ليضلوا، وقوله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: دعاء معترض بين المعطوف

---

(١) قال محمود: «قلت هو دعاء بلفظ الأمر... إلخ» قال أحمد: وهذا من اعتزاله الخفي الذي هو أدق من دبيب النمل، يكاد الاطلاع عليه أن يكون كشفاً. ووجه ذلك أنه علم أن الظاهر بل والباطن أن اللام للتعليل؛ وأن الفعل منصوب بها، ومعنى ذلك إخبار موسى عليه السلام بأن الله إنما أمدهم بالزينة والأموال وما يتبعهما من النعم استدراجاً ليزدادوا إثماً وضلالة، كما أخبر تعالى عن أمثالهم بقوله ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ وهذا المعنى منتظم على جعل اللام للتعليل، والزمخشري بنى على القاعدة الفاسدة في استحالة ذلك على الله تعالى، لاعتقاده أن من الجور أن يملي لهم في الضلالة ويعاقبهم عليها، فهو متبتل لما يرد من الآيات بعمل الحيلة في تأويلها وردها إلى معتقده وجعلها تبعاً له، كما تقدم له في تأويل قوله (ليزدادوا إثماً) وكأين من آية غراء رام أن يسترغرتها ويطفىء نورها بأمثال هذه التأويلات الرديئة لفظاً وعقداً، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ثم لا يسعه إلا أن يحمل موسى عليه السلام على أمثال هذه المعتقدات، ولقد برأه الله وكان عند الله وجيهاً.

(٢) قوله: «وعن النصيحة» لعله وعلى (ع).

(٣) قوله: «يتسكعون» في الصحاح: «التسكع» التمادي في الباطل (ع).

(٤) قوله: «وليكونوا ضلالاً» هذا على قراءة (ليضلوا) بفتح الياء. والقراءة المشهورة (ليضلوا) بضمها. وعبارة النسفي: ليضلوا الناس عن طاعتك اهـ (ع).

(٥) قوله: «وحرداً عليه» في الصحاح: الحرد ـ بالتحريك: الغضب (ع).

والمعطوف عليه، وقرأ الفضل الرقاشي: «أئنك آتيت؟» على الاستفهام، و«اطمس» بضمّ الميم.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

قرئ: دعواتكما، قيل: كان موسى يدعو وهارون يؤمّن، ويجوز أن يكونا جميعاً يدعوان، والمعنى: إنّ دعاءكما مستجاب، وما طلبتما كائن ولكن في وقته، ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾: فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في إلزام الحجة، فقد لبث نوح ـ عليه السلام ـ في قومه ألف عام إلا قليلاً ولا تستعجلا، قال ابن جريج: فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة، ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تتبعا طريق الجهلة بعبادة الله في تعليقه الأمور بالمصالح، ولا تعجلا؛ فإن العجلة ليست بمصلحة، وهذا كما قال لنوح ـ عليه السلام ـ ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، وقرىء: «ولا تتبعانِ»، بالنون الخفيفة، وكسرها؛ لالتقاء الساكنين تشبيهاً بنون التثنية، وبتخفيف التاء من تبع.

﴿۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

قرأ الحسن: «وجوزنا» من أجاز المكان وجوزه وجاوزه، وليس من جوز الذي في بيت الأعشى [من الكامل]:

وَإِذَا تَجَوَّزْنَا حِبَالَ قَبِيلَةٍ[1] ....

لأنه لو كان منه لكان حقه أن يقال: «وجوّزنا بني إسرائيل في البحر»؛ كما قال [من الطويل]:

---

(١) وإذا تجوزنا حبال قبيلة أخذت من الأخرى إليك حبالاً

للأعشى. وشبه عهود الأمان التي يأخذها من القبيلة يتوثق ويتوصل بها إلى أخرى بالحبال، بجامع التوثق بكل على طريق التصريحية. أي: وإذا تجشمنا مجاوزة عهود قبيلة وتكلفنا مجاوزة محل أمانها؛ فإيقاع التجوز على الحبال: مجاز عقلي، أخذت ناقتي من القبيلة الأخرى حال كونها ذاهبة إليك حبالاً، أي عهوداً للتوصل للقبيلة الأخرى، وهكذا. وإسناد الأخذ لها مجاز عقلي، ويكفي في الملابسة مجاورتها له حين الفعل. وإنما أسنده إليها للمبالغة، وتخييل أنها تعرف الممدوح وفضله، فهي المسامرة إليه بنفسها. وروي يجوزها. وجبال بالجيم، فمعنى أخذت: قطعت من أرض القبيلة الأخرى بالسير إليك جبالاً غير تلك. وعلى كل، ففيه دليل على صعوبة الطريق.
ينظر البيت في ديوانه (٦٥)، وتأويل مشكل القرآن ٤٦٥، ومجاز القرآن ١/١٠١، واللسان (حبل)، ومجمل اللغة ١/٢٦٢، وزاد المسير ١/٤٣٣، وتاج العروس ٧/٢٧٠، وتهذيب اللغة ٥/٧٨، والدر المصون ٢/١٧٧.

.... كَمَا جَوَّزَ السَّكِّيَّ فِي الْبَابِ فَيْتَقُ[(١)]

﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾: فلحقهم، يقال: تبعته حتى أتبعته، وقرأ الحسن: «وعدوّا»[(٢)]، وقرئ: أنه بالفتح على حذف الياء التي هي صلة الإيمان؛ وإنه بالكسر على الاستئناف بدلاً من آمنت، كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصاً على القبول، ثم لم يقبل منه؛ حيث أخطأ وقته، وقاله حين لم يبق له اختيار قط، وكانت المرّة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف.

﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿ءَآلْـَٔنَ﴾: أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق[(٣)]، وأيست من نفسك، قيل: قال ذلك حين ألجمه الغرق يعني حين أوشك أن يغرق، وقيل: قاله بعد أن غرق في نفسه، والذي يحكى أنه حين قال: (آمنت)، أخذ جبريل من حال البحر[(٤)]، فدسه في فيه (٧٥٦)، فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم أنّ إيمانه/ ٣٢٢ب لا

---

٧٥٦ ـ أخرجه التِّرمذي (٥/ ٢٨٧): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة يونس، حديث (٣١٠٨)، والنَّسائي في التفسير (١/ ٥٧٨)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٤٠ ـ ٣٤٠) والحاكم في مستدركه (١/ =

---

(١) ولا بد من جاز يجيز سبيلها ... كما جوز السكي في الباب فيتق
للأعشى يصف مفازة الغزل فيها الملحق عن بني عكاظ كما يأتي قريباً. يقول: ولا بد لمريد قطعها من جاز: أي قريب منها يعين المسافر على سلوك سبيلها. وجازه يجوزه: سلكه. وأجازه يجيزه: أسلكه. وكذا جوزه يجوزه بالتشديد فيهما. والسكي: المسمار، نسبة للسك، وهو تضبيب الباب وتسميره. والفيتق: النجار؛ لأنه يفتق الخشب بالمسمار. ويروى: كما سلك السكي، أي: لا بعد من معين، ينفذه فيها كما أنفذ النجار المسمار في الباب. وعبر بالماضي ليدل على أن المشبه به معهود للسامع.
ينظر البيت في ديوانه ص ٢٧٣، ولسان العرب (فتق)، (سكك)، وتهذيب اللغة ٩/ ٦٣، ٤٣١، وكتاب الجيم ٣/ ٦٦، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٧١، وكتاب العين ٥/ ٢٧٢، وتاج العروس (فتق)، (سكك)، وبلا نسبة في المخصّص ٥/ ١٣٢، ١٠/ ٢٥، ١٢/ ٢٦١.

(٢) قوله: «وقرأ الحسن وعدوا» في الصحاح: عدا عدواً وعدواً وعداء اهـ. وقد مر في قوله تعالى ﴿فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًا﴾ (ع).

(٣) قال محمود: «معناه أتؤمن الساعة في وقت اضطرارك حين أدركك الغرق... إلخ» قال أحمد: ولقد أنكر منكراً، وغضب لله ولملائكته كما يجب لهم، والله الموفق.

(٤) قوله: «من حال البحر قدسه» أي طينه الأسود. أفاده الصحاح. وفي الحديث «قال جبريل يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه» كذا في الخازن (ع).

ينفعه، وأمّا ما يضم إليه من قولهم: خشية أن تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين[1] لله

= ٥٧)، (٢/ ٣٤٠)، (٤/ ٢٤٩) وصححه، وابن حِبان في صحيحه (رقم ١٧٤٥ ـ موارد)، والطيالسي في منحة المعبود (٢/ ٨٤) رقم (٢٣٠٧)، والطبري في تفسيره (٦/ ٦٠٥) رقم (١٧٨٧٢ ـ ١٧٨٧٣ ـ ١٧٨٧٦)، وإسحاق بن راهويه والبزار في مسنديهما؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٣٨).

كلهم من طرق عن شعبة عن عديّ بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قال التِّرمذي (٥/ ٢٨٧): هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقال الحاكم (٢/ ٣٤٠): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس».

وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٦٨)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس به.

وله طريق آخر عن ابن عباس:

أخرجه التِّرمذي (٥/ ٢٨٧): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة يونس، حديث (٣١٠٧)، وأحمد (١/ ٢٤٥ ـ ٣٠٩)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٢١٦) رقم (١٢٩٣٢)، وعبد بن حميد ص (٢٢٢) رقم (٦٦٤ ـ منتخب)، والطبري في تفسيره (٦/ ٦٠٥) رقم (١٧٨٧٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ١٠٢) رقم (٤٢٠٨) كلهم من طرق عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس به.

قال التِّرمذي: هذا حديث حسن.

وذكر السيوطي في «الدر المنثور»: (٣/ ٥٦٨)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس به.

وأخرجه الطبري أيضاً في تفسيره عن ابن عباس موقوفاً:

فأخرجه الطبري (٦/ ٦٠٦) رقم (١٧٨٧٩، ١٧٨٨١)، من طرق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً.

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة:

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (٧/ ٤٥) رقم (٩٣٩٣)، والطبري في تفسيره (٦/ ٦٠٥) رقم (١٧٨٧٤)، والسهمي في: «تاريخ جرجان» ص (١٠٦) رقم (٣٠٦)، وابن مردويه وابن أبي حاتم في تفاسيرهم؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٣٩)؛

كلهم من طريق حكّام بن سَلْم عن عنبسة عن كثير بن زاذان عن أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه.

وله شاهد أيضاً من حديث ابن عمر:

أخرجه ابن مردويه في تفسيره؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٣٩) من طريق نصر بن محمد بن سليمان بن أبي ضمرة السلمي عن أبيه عن عبد الله بن أبي قيس عن ابن عمر مرفوعاً نحو حديث أبي هريرة. =

---

(١) قوله: «الباهتين لله» في الصحاح «بهته» إذا قال عليه ما لم يفعله (ع).

وملائكته، وفيه جهالتان: إحداهما: أنّ الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس، فحال البحر لا يمنعه، والأخرى: أنّ من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر، فهو كافر؛

= وذكره المتقى الهندي في: «كنز العمال» (٢/ ٢٥) رقم (٢٩٩٦)، وزاد نسبته لابن عساكر عن ابن عمر به.
وله شاهد أيضاً من حديث أبي أمامة:
ذكره السيوطي في: «الدر المنثور» (٣/ ٥٦٩)، وعزاه إلى أبي الشيخ عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ به.
قال الحافظ:
قوله «والذي يحكي»... إلى قوله: «لأن الرضا بالكفر كفر»، هذا إفراط منه في الجهل بالمنقول والغض من أهله. فإن الحديث صحيح الزيادات، وقد أخرجه التِّرمذي وصححه، والنِّسائي وابن حِبان والحاكم وإسحاق والبزار وأبو داود والطيالسي؛ كلهم من رواية شعبة عن عديّ بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه أحدهما إلى النبي ﷺ قال: «إن جبريل كان يدس في فم فرعون الطين مخافة أن يقول: لا إله إلا الله فيرحمه الله» لفظ التِّرمذي والباقين. نحوه، وله طريق أخرى أخرجها أحمد وإسحاق وعبد بن حميد والبزار والطبراني من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس، بلفظ: «لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، قال جبريل: يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ الطين من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة، وله طريق أخرى أخرجها يحيى بن عبد الحميد الحمائي في مسنده عن أبي خالد الأحمر عن عمرو بن يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال جبريل ـ عليه السلام ـ للنبي ﷺ: وذكر فرعون «فلقد رأيتني وأنا لأكبر فمه بالحمأة مخافة أن تدركه الرحمة، وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه الطبري وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب في السادس والخمسين، وابن مردويه من طريق عتبة بن سعيد عن كثير بن زاذان عن أبي حازم عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: قال لي جبريل: «لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في في فرعون؛ مخافة أن يقول ربي الله، فتدركه رحمة الله»، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول قال لي جبريل: يا محمد ما غضب ربك على أحد غضبه على فرعون إذ قال: ما علمت لكم من إله غيري. وإذ نادى فقال: أنا ربكم الأعلى. فلما أدركه الغرق استغاث وأقبلت أحشو فاه؛ مخافة أن تدركه الرحمة» أخرجه الطبراني وابن مردويه من رواية محمد بن سليمان بن أبي ضمرة عن عبد الله بن أبي قيس عنه.
قلت: وأما الوجهان اللذان ذكرهما الزمخشري، فللحديث توجيه وجيه، لا يلزم منه ما ذكره الزمخشري؛ وذلك أن فرعون كان كافراً كفر عناد؛ ألا ترى إلى قصته حيث توقف النيل، وكيف توجه منفرداً وأظهر أنه مخلص، فأجرى له النيل، ثم تمادى على طغيانه وكفره، فخشي جبريل أن يعاود تلك العادة فيظهر الإخلاص بلسانه، فتدركه رحمة الله فيؤخره في الدنيا، فيستمر على غيه وطغيانه؛ فدس في فمه الطين؛ ليمنعه التكلم بما يقتضي ذلك، هذا وجه الحديث. ولا يلزم منه جهل ولا رضا بكفر، بل الجهل كل الجهل ممن اعترض على المنقول الصحيح برأيه الفاسد، وأيضاً فإيمانه في تلك الحالة على تقدير أنه كان صدقاً بقلبه لا يقبل؛ لأنه وقع في حال الاضطرار؛ ولذلك عقب في الآية بقوله تعالى: ﴿الآن وقد عصيت قبل﴾، وفيه إشارة في قوله تعالى: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾. انتهى.

لأن الرضا بالكفر كفر ﴿مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: من الضالين المضلين عن الإيمان؛ كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]، وروي أنّ جبريل ـ عليه السلام ـ أتاه بفتيا: ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته، فكفر نعمته، وجحد حقه، وادّعى السيادة دونه؟ فكتب فرعون فيه: يقول أبو العباس الوليد بن مصعب: جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه أن يغرق في البحر، فلما ألجمه الغرق، ناوله جبريل خطه فعرفه (٧٥٧)، ﴿نُنَجِّيكَ﴾: بالتشديد والتخفيف: نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر، وقيل: نلقيك بنجوة من الأرض، وقرئ: «ننحيك»، بالحاء: نلقيك بناحية مما يلي البحر؛ وذلك أنه طرح بعد الغرق بجانب البحر، قال كعب: رماه الماء إلى الساحل كأنه ثور، ﴿بِبَدَنِكَ﴾: في موضع الحال، أي: في الحال التي لا روح فيك، وإنما أنت بدن، أو ببدنك كاملاً سويًا لم ينقص منه شيء ولم يتغير، أو عرياناً لست إلا بدناً من غير لباس، أو بدرعك؛ قال عمرو بن معد يكرب [من الوافر]:

أَعَاذِلُ شِكَّتِي بَدَنِي وَسَيْفِي وَكُلُّ مُقَلِّصٍ سَلِسِ الْقِيَادِ[1]

وكانت له درع من ذهب يعرف بها، وقرأ أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: «بأبدانكَ» وهو على وجهين: إما أن يكون مثل قولهم: هوى بأجرامه، يعني: ببدنك كله وافياً بأجزائه، أو يريد: بدروعك كأنه كان مظاهراً بينها، ﴿لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾: لمن وراءك من الناس علامة، وهم بنو إسرائيل، وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأناً من أن يغرق، وروي أنهم قالوا: ما مات فرعون، ولا يموت أبداً. وقيل: أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدّقوه، فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه، وكأن مطرحه كان على ممرّ من بني إسرائيل حتى قيل: لمن خلفك، وقيل: (لمن خلفك): لمن يأتي بعدك من القرون، ومعنى كونه آية: أن تظهر للناس عبوديته ومهانته، وأنّ ما كان يدّعيه من الربوبية باطل محال، وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره إلى ما ترون لعصيانه ربه ـ عزّ وجلّ ـ فما الظنّ بغيره، أو لتكون عبرة تعتبر بها الأمم بعدك، فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه إذا سمعوا

---

٧٥٧ ـ ذكره القرطبي في تفسيره (٨/ ٢٤١ ـ ٢٤٢).

---

(١) لعمرو بن معد يكرب، وكانت له درع من ذهب تعرفه بها العرب. يقول: يا عاذلة، إن سلاحي درعي وسيفي وفرسي المكتنز اللحم المدبج الخلق. وقيل: المقلص الطويل القوائم الهين القود. ويروى: سهل القياد. والمعنى واحد. وإطلاق البدن على الدرع في الأصل مجاز علاقته المجاورة أو المحلية، وأتى بأداة العموم في الفرس لأنه الذي يكثر تغييره.
ينظر: ديوانه (٦٠)، والبحر المحيط (٥/ ١٨٩).

بحالك وبهوانك على الله، وقرئ: «لمن خلقك»، بالقاف، أي: لتكون لخالقك آية كسائر آياته، ويجوز أن يراد: ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين ـ لئلا يشتبه على الناس أمرك، ولئلا يقولوا ـ لادعائك/ ٣٢٣أ العظمة إنّ مثله لا يغرق ولا يموت ـ آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره، وليعلموا أنَّ ذلك تعمد منه لإماطة الشبهة في أمرك.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: منزلاً صالحاً مرضيًا وهو مصر والشام، ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾: في دينهم وما تشعبوا فيه شعباً إلا من بعد ما قرؤوا التوراة، وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة، وعلموا أن الاختلاف فيه تفرّق عنه، وقيل: هو العلم بمحمد ﷺ واختلاف بني إسرائيل، وهم أهل الكتاب، اختلافهم في صفته ونعته، وأنه هو أم ليس به، بعد ما جاءهم العلم والبيان أنه هو لم يرتابوا فيه، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ [الأنعام: ٢٠].

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾

فإن قلت: كيف قال لرسول الله ﷺ ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾: مع قوله في الكفرة: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠][(١)].

قلت: فرق عظيم بين قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ بإثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق، وبين قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ بمعنى: الفرض والتمثيل، كأنه قيل: فإن وقع لك شك مثلاً، وخيل لك الشيطان خيالاً منه تقديراً، ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، والمعنى: أن الله ـ عزّ وجلّ ـ قدم ذكر بني إسرائيل وهم قرأة الكتاب،

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف قال له عليه السلام: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ مع قوله في الكفرة ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾... إلخ؟ قال أحمد: ولو قال هذا المفسر: إن نفي الشك عنه عليه الصلاة والسلام توطئة لأمره بالسؤال لتقوم حجته على المسؤولين لا ليستفيد بسؤالهم علماً لمزيد تعين الإبراء بقوله له ﴿قل لمن ما في السموات والأرض قل لله﴾ فأمر بالسؤال والجواب جميعاً ـ لكان أقوم وأسلم، والله أعلم.

ووصفهم بأنّ العلم قد جاءهم؛ لأنّ أمر رسول الله ﷺ مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوّة محمد ـ عليه السلام ـ ويبالغ في ذلك، فقال: فإن وقع لك شك فرضاً وتقديراً ـ وسبيل من خالجته شبهة في الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها، إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته، وإما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق، فسل علماء أهل الكتاب، يعني: أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك وقتلها علماً بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءاتهم فضلاً عن غيرك، فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله، لا وصف رسول الله بالشك فيه، ثم قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: ثبت عندك بالآيات، والبراهين القاطعة، أنّ ما أتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله، ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والإلهاب؛ كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٨٦ ـ ٨٧]، ولزيادة التثبيت والعصمة؛ ولذلك قال عليه السلام عند نزوله: «لاَ أَشُكُّ وَلاَ أَسْأَلُ بَلْ أَشْهَدُ أَنَّهُ الحَقُّ» (٧٥٨) وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: لا والله، ما شك طرفة عين، ولا سأل أحداً منهم، وقيل: خوطب رسول الله ﷺ والمراد خطاب أمته/ ٣٢٣ب، ومعناه: فإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم؛ كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وقيل: الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك؛ كقول العرب: إذا عز أخوك فهن، وقيل: «إن» للنفي، أي: فما كنت في شك فاسأل، يعني: لا نأمرك بالسؤال؛ لأنك شاك، ولكن لتزداد يقيناً، كما ازداد إبراهيم ـ عليه السلام ـ بمعاينة إحياء الموتى، وقرئ: «فاسأل الذين يقرؤون الكتب».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح، وأخبر به

---

٧٥٨ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨)، والطبري في تفسيره (٦/ ٦١٠) رقم (١٧٩٠٧ ـ ١٧٩٠٨) كلاهما عن معمر عن قتادة به.
وذكره السيوطي في: «الدر المنثور» (٣/ ٥٧١).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق، ومن طريق الطبري عن معمر عن قتادة في هذه الآية، قال: بلغنا أن النبي ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل» انتهى.

الملائكة أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره، وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدّر ومراد[1]، تعالى الله عن ذلك.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ﴾: فهلا كانت، ﴿قَرْيَةٌ﴾: واحدة من القرى التي أهلكناها، تابت عن الكفر، وأخلصت الإيمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف، ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بمخنقه، ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾: بأن يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار، وقرأ أبيّ، وعبد الله: «فهلا كانت»، ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾: استثناء من القرى؛ لأنّ المراد أهاليها، وهو استثناء منقطع، بمعنى: ولكن قوم يونس لما آمنوا، ويجوز أن يكون متصلاً، والجملة في معنى النفي؛ كأنه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس، وانتصابه على أصل الاستثناء، وقرئ بالرفع على البدل؛ هكذا روي عن الجرمي والكسائي، روي أن يونس ـ عليه السلام ـ بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه، فذهب عنهم مغاضباً، فلما فقدوه خافوا نزول العذاب، فلبسوا المسوح، وعجوا[2] أربعين ليلة، وقيل: قال لهم يونس: «إن أجلكم أربعون ليلة»، فقالوا: إن رأينا أسباب الهلاك، آمنا بك، فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً، ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم، ويسوّد سطوحهم، فلبسوا المسوح، وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم، وصبيانهم، ودوابهم، وفرّقوا بين النساء والصبيان، وبين الدواب وأولادها، فحنّ بعضها على بعض، وعلت الأصوات والعجيج، وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا، فرحمهم الله وكشف عنهم، وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة، وعن ابن مسعود: بلغ من توبتهم أن ترادّوا المظالم، حتى إنّ الرجل كان يقتلع الحجر، وقد وضع عليه أساس بنائه فيردّه، وقيل: خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا: قد نزل بنا العذاب فما ترى؟ فقال لهم: قولوا: «يا حيّ حين لا حيّ، ويا حيّ محي الموتى، ويا حيّ لا إله إلا أنت» فقالوها، فكشف عنهم، وعن الفضيل بن عياض: قالوا: «اللهم، إن ذنوبنا قد عظمت وجلت، وأنت أعظم منها وأجل، افعل بنا ما أنت أهله، ولا تفعل بنا ما نحن أهله».

---

(١) قوله: «لا كتابة مقدر ومراد» مبني على مذهب المعتزلة أن الله لا يريد الشر. وذهب أهل السنة إلى أنه تعالى يريد كل كائن خيراً كان أو شرا (ع).

(٢) قوله: «وعجوا» أي رفعوا أصواتهم. أفاده الصحاح (ع).

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾: مشيئة القسر[1] والإلجاء[2]، ﴿لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾: على وجه الإحاطة والشمول، ﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين على الإيمان/ ٣٢٤أ مطبقين عليه لا يختلفون فيه؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ يعني: إنما يقدر على إكراههم واضطرارهم إلى الإيمان هو لا أنت؛ وإيلاء الاسم حرف الاستفهام؛ للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه؛ وإنما الشأن في المكره من هو؟ وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه؛ لأنه هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرّون عنده إلى الإيمان؛ وذلك غير مستطاع للبشر.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾ يعني: من النفوس التي علم أنها تؤمن، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بتسهيله، وهو منح الألطاف، ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: قابل الإذن بالرجس، وهو الخذلان[3]، والنفس المعلوم إيمانها بالذين لا يعقلون، وهم المصرون على الكفر، كقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، وسمي الخذلان: «رجساً» وهو العذاب؛ لأنه سببه، وقرىء: «الرجز»، بالزاي، وقرئ: «ونجعل»، بالنون.

---

(١) قوله: «مشيئة القسر» هذا مذهب المعتزلة، وذلك أنهم أوجبوا على الله الصلاح والأصلح، وإيمان الكل أصلح، لكن الآية تخالف مذهبهم فقالوا: إنه تعالى أراد إيمان الكل إرادة تخيير للعباد، فلم يلزم وقوع المراد، ولو أراده إرادة إجبار لوقع، وأهل السنة لم يوجبوا على الله شيئاً، ولزوم وقوع المراد لا ينافي تخيير العباد، لما لهم من الكسب في أفعالهم الاختيارية وإن كان فاعلها في الحقيقة هو الله، كما تقرر في التوحيد.

(٢) قال محمود: «المراد مشيئة القسر والإلجاء» قال أحمد: وهذا من دسه الاعتزال مخلساً، وخلط الباطل بالحق مدلساً. ولما علم أن الآية تقتضي عدم مشيئة الله تعالى لإيمان الخلق بصيغة الكلية، وأنه إنما شاء ذلك ممن آمن لا ممن كفر ـ إذ مقتضى «لولا» امتناع، وكان ذلك راد لمعتقده الفاسد، إذ يزعمون أن الله تعالى شاء الإيمان من جميع أهل الأرض، فلم يؤمن إلا بعضهم ـ أخذ يحرف مشيئة الإيمان إلى مشيئة القسر والإلجاء، ليتم له أن المشيئة المرادة في الآية لم تقع؛ إلا أنا نوافقه على أن الله تعالى ما قسر الخلق ولا سلب اختيارهم، بل أمرهم بالإيمان وخلق لهم اختياراً له وقصداً، وهذا كما ترى لا يعد في التأويل. بل هو أجدر بالتعطيل، فوجب رده وإقرار الظاهر على حاله، نعوذ بالله من زيغ الشيطان وإضلاله، والله الموفق.

(٣) قوله: «وهو الخذلان» تأويل الرجس بالخذلان على مذهب المعتزلة، وعلى مذهب أهل السنة لا حاجة إلى تأويله (ع).

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من الآيات والعبر، ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾: والرسل المنذرون، أو الإنذارات، ﴿عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يتوقع إيمانهم، وهم الذين لا يعقلون، وقرئ: «وما يغني»، بالياء، و«ما»: نافية، أو استفهامية.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾: وقائع الله ـ تعالى ـ فيهم، كما يقال: «أيام العرب»: لوقائعها، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾: معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله: ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾ كأنه قيل: نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا، على حكاية الأحوال الماضية، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: ومن آمن معهم، كذلك ﴿نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم، ونهلك المشركين. و﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾: اعتراض، يعني: حقّ ذلك علينا حقًّا، وقرئ: «ننجّ»، بالتشديد.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: يا أهل مكة، ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾: وصحته وسداده، فهذا ديني فاسمعوا وصفه، واعرضوه على عقولكم، وانظروا فيه بعين الإنصاف، لتعلموا أنه دين لا مدخل فيه للشك، وهو أني لا أعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو إلهكم وخالقكم، ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾: وإنما وصفه بالتوفي، ليريهم أنه الحقيق بأن يخاف ويتقى، فيعبد دون ما لا يقدر على شيء، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: أن الله أمرني بذلك، بما ركب فيّ من العقل، وبما أوحى إليّ في كتابه، وقيل: معناه: إن كنتم في شك من ديني ومما أنا عليه ـ أثبت عليه أم أتركه وأوافقكم ـ فلا تحدّثوا أنفسكم بالمحال ولا تشكوا في أمري، واقطعوا غنى أطماعكم، واعلموا أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله، ولا أختار الضلالة على الهدى؛ كقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ [الكافرون: ١ ـ ٢]، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ﴾ أصله: بأن أكون، فحذف الجار، وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف: الجارّة مع: «إن»، و«أن»، وأن يكون من الحذف غير المطرد، وهو قوله: أمرتك الخير فاصدع/ ٣٢٤ب بما تؤمر.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾

فإن قلت: عطفُ قوله: ﴿وَأَنْ أَقِمْ﴾ على: (أن أكون): فيه إشكال؛ لأنّ «أن»: لا تخلو من أن تكون التي للعبارة، أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر، فلا يصح أن تكون للعبارة، وإن كان الأمر مما يتضمن معنى القول؛ لأنّ عطفها على الموصولة يأبى ذلك، والقول بكونها موصولة مثل الأولى، لا يساعد عليه لفظ الأمر، وهو: (أقم)، لأنّ الصلة حقها أن تكون جملة تحتمل الصدق والكذب.

قلت: قد سوّغ سيبويه أن توصل: «أن» بالأمر والنهي، وشبه ذلك بقولهم: أنت الذي تفعل، على الخطاب؛ لأنّ الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر، والأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال، (أقم وجهك): استقم إليه، ولا تلتفت يميناً ولا شمالاً، و﴿حَنِيفًا﴾: حال من الدين، أو من الوجه.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ معناه: فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرّك، فكنى عنه بالفعل إيجازاً، ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إذاً: جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدّر، كأنّ سائلاً سأل عن تبعة عبادة الأوثان، وجعل من الظالمين؛ لأنه لا ظلم أعظم من الشرك، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾

أتبع النهي عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر، أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ هو الضارّ النافع، الذي إن أصابك بضرّ لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد، فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك إن أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من فضله وإحسانه، فكيف بالأوثان؟ فهو الحقيق إذاً بأن توجه إليه العبادة دونها، وهو أبلغ من قوله: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٨].

فإن قلت: لم ذكر المس في أحدهما، والإرادة في الثاني؟

قلت: كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعاً: الإرادة، والإصابة في كل واحد من الضرّ والخير، وأنه لا رادّ لما يريده منهما، ولا مزيل لما يصيب به منهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المسّ وهو الإصابة في أحدهما، والإرادة في الآخر؛ ليدلّ بما ذكر على ما ترك، على أنه قد ذكر الإصابة بالخير في قوله تعالى: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ والمراد

بالمشيئة: مشيئة المصلحة.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾: فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة، فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره إلا نفسه، ومن آثر الضلال فما ضرّ إلا نفسه، واللام وعلى: دلا على معنى النفع والضر، وكل إليهم الأمر بعد إبانة الحق وإزاحة العلل، وفيه حث على إيثار الهدى وإطراح الضلال مع ذلك، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظ موكول إليّ أمركم وحملكم على ما أريد؛ إنما أنا بشير ونذير.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وَٱصْبِرْ﴾: على دعوتهم، واحتمال أذاهم، وإعراضهم، ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾/ ٣٢٥أ: لك بالنصرة عليهم والغلبة، وروي أنها لما نزلت جمع رسول الله ﷺ الأنصار، فقال: «إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي» (٧٥٩) يعني: أني أُمرت في هذه الآية

---

٧٥٩ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٤٠): غريب بهذا اللفظ، وهو في تفسير الثعلبي، عن أنس بغير سند، أ.ه. وفي الصحيحين عن عبد الله بن بن زيد بن عاصم:
أخرجه البخاري (٨/ ٣٦٩): كتاب المغازي: باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمانٍ، حديث (٤٣٣٠) وطرفه في (٧٢٤٥)، ومسلم (٤/ ١٦٦ ـ ١٦٧ ـ النووي): كتاب الزكاة: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، حديث (١٣٩/ ١٠٦١) كلاهما من طريق عمرو بن يحيى بن عمارة عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد بن عاصم به وله شاهد أيضاً من حديث أسيد بن حضير:
أخرجه البخاري (١٤/ ٤٩٤): كتاب افتن: باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، حديث (٧٠٥٧)، ومسلم (٦/ ٤٧٦ ـ النووي): كتاب الإمارة: باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم، حديث (٤٨/ ١٨٤٥)، والتِّرمذي (٤/ ٤٨٢): كتاب الفتن: باب في الأثرة وما جاء فيه، حديث (٢١٨٩)، والنَّسائي (٨/ ٢٢٤): كتاب آداب القضاة، باب ترك استعمالٰ من يحرص على القضاء؛ كلهم من طريق قتادة عن أنس بن مالك عن أسيد بن حضير به. قال التِّرمذي: وهذا حديث حسن صحيح.
قال ابن حجر تعليقاً على حديث أسيد بن حضير: ومن حديث أسيد بن حضير ليس فيه كون الآية سبب ذلك، بل سببه قسمة غنائم حنين أ.هـ وله طريق آخر عن أسيد بن حضير:
أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٧٩) من طريق يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك عن أسيد بن حضير به.
وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قال الحافظ: ذكره الثعلبي عن أنس بغير سند. والقصة المذكورة متفق عليها من حديث عبد الله بن زيد في أثناء حديث، ومن حديث أسيد بن حضير، ليس فيه كون الآية سبب ذلك، بل سببه قسمة =

بالصبر على ما سامتني الكفرة، فصبرت، فاصبروا أنتم على ما يسومكم الأمراء الجورة، قال أنس: فلم نصبر، وروي أنّ أبا قتادة تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الأنصار، ثم دخل عليه من بعد، فقال له: مالك لم تتلقنا؟ قال: لم تكن عندنا دواب، قال: فأين النواضح؟ قال: قطعناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر، وقد قال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، إِنَّكُمْ سَتَلْقُونَ بعْدِي أَثَرَةً» ح، قال معاوية: فماذا قال؟ قال: «فَاْصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقُونِي» ح، قال: فاصبر؛ قال: إذن نصبر. (٧٦٠) فقال عبد الرحمنِ بْنُ حَسّان [من الوافر]:

أَلاَ أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبِ ... أَمِيرَ الظَّالِمِينَ نَثَا كَلامِي
بِأَنَّا صَابِرُونَ فَمُنْظِرُوكُمْ ... إِلَىٰ يَوْمِ التَّغَابُنِ وَالْخِصَامِ[1]

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ يُونُس أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ مَنْ صَدَّقَ بِيُونُسَ وَكَذَّبَ بِهِ، وَبِعَدَدِ مَنْ غَرِقَ مَعَ فِرْعَونَ» (٧٦١).

= غنائم حنين. انتهى.

٧٦٠ ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (٦/ ٥٦ ـ ٥٧) رقم (٧٤٨٨) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب؛ أن معاوية لما قدم المدينة... الحديث».
وأخرجه إسحاق بن راهويه والحاكم في مستدركه؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ١٤١).
قال الحافظ: أخرجه إسحاق بن راهويه. ومن طريقه الحاكم والبيهقي عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل؛ أن معاوية لما قدم المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري: فقال معاوية: تلقانا الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار، فما يمنعكم أن تلقوني؟ قال: لم تكن لنا دواب، فقال معاوية: فأين النواضح. قال أبو قتادة. عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر. ثم قال أبو قتادة: إن رسول الله ﷺ قال: أما إنكم سترون بعدي أثرة. قال معاوية: فما أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر حتى نلقاه. قال: فاصبروا حتى تلقوه. فقال عبد الرحمن بن حسان حين بلغه ذلك ـ فذكر البيتين. وقال: يا أمير المؤمنين. انتهى.

٧٦١ ـ تقدم وينظر حديث (٣٤٦).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: تقدم إسناده في آل عمران. ويأتي في آخر القرآن. انتهى.

---

(١) لعبد الرحمن بن حسان، حين دخل معاوية بن أبي سفيان بن حرب المدينة، فتلقته الأنصار وتخلف أبو قتادة، ثم دخل عليه فقال له: مالك تخلفت؟ فقال: لم يكن عندنا دواب. قال: فأين النواضح؟ قال: قطعناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر، وقد قال ﷺ: يا معشر الأنصار ستلقون بعدي أثرة. قال معاوية، فماذا قال؟ قال: فاصبروا حتى تلقوني. قال: فاصبروا. قال: إذاً نصبر. والثناء يقال للخير، وقد يقال للشر. والنثا: خاص بالشر. وروي «نثا كلامي» ومنظروكم: ممهلوكم. أي أنت وقومك. والتغابن: ظهور الغبن للعمال في تجارات الأعمال. والخصام: المخاصمة والمجادلة، أي إلى يوم القيامة.

سُورَةُ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مَكِّيَّةٌ [إلاَّ الآيَاتِ ١٢ و١٧ و١١٤ فَمَدَنِيَّةٌ]

وهي مائةٌ وثلاثٌ وعشرون آية [نزلت بعد سورة يونس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾

﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: نظمت نظماً رصيناً محكماً، لا يقع فيه نقض ولا خلل، كالبناء المحكم المرصف، ويجوز أن يكون نقلاً بالهمزة، من «حكُم»: بضم الكاف، إذا صار حكيماً، أي: جعلت حكيمة؛ كقوله تعالى: ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ٢]، وقيل: منعت من الفساد، من قولهم: أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحَكَمَةَ لتمنعها من الجماح؛ قال جرير [من الكامل]:

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا[1]

وعن قتادة: أُحكمت من الباطل، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ كما تفصل القلائد بالفرائد، من دلائل التوحيد، والأحكام، والمواعظ، والقصص، أو جعلت فصولاً، سورة سورة، وآية آية، وفرقت في التنزيل، ولم تنزل جملة واحدة، أو فصل فيها ما يحتاج إليه العباد، أي: بين ولخص، وقرئ: ﴿أَحْكَمْتُ ءَايَٰتِهِۥ ثُمَّ فَصَّلْتُ﴾ أي: أحكمتها أنا ثم فصلتها، وعن عكرمة والضحاك: «ثم فصلت» أي: فرّقت بين الحق والباطل.

فإن قلت: ما معنى ثم؟

قلت: ليس معناها التراخي في الوقت، ولكن في الحال، كما تقول: هي محكمة أحسن الإحكام، ثم مفصلة أحسن التفصيل. وفلان كريم الأصل، ثم كريم الفعل،

---

(١) لجرير، يقول: يا بني حنيفة «امنعوا سفهاءكم عني كما تمنع الدابة بالحكمة، فإن غضبي عليكم شديد. وفيه ضرب من التهديد، فخوفه عليهم كناية عن ذلك. وأن أغضب: مفعول أخاف، عليكم غضبي.

ينظر ديوانه (٥٠)، اللسان: حكم، الدر المصون (١/ ١٨٤).

وكتاب: خبر مبتدأ محذوف، وأحكمت: صفة له، وقوله: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ صفة ثانية. ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر، وأن يكون صلة لأحكمت وفصلت، أي: من عنده إحكامها وتفصيلها، وفيه طباق حسن؛ لأنَّ المعنى: أحكمها حكيم وفصلها، أي: بينها وشرحها/ ٣٢٥ب خبير عالم بكيفيات الأمور.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾: مفعول له على معنى: لئلا تعبدوا، أو تكون «أن»: مفسرة؛ لأنّ في تفصيل الآيات معنى القول، كأنه قيل: قال: لا تعبدوا إلا الله، أو أمركم ألاَّ تعبدوا إلا الله، ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ﴾ أي: أمركم بالتوحيد والاستغفار، ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ منقطعاً عما قبله على لسان النبي ﷺ إغراء منه على اختصاص الله بالعبادة؛ ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ كأنه قال: ترك عبادة غير الله، إنني لكم منه نذير؛ كقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ والضمير في (منه): لله ـ عزّ وجلّ ـ أي: إنني لكم نذير وبشير من جهته؛ كقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أو هي صلة لنذير، أي: أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتم، وأبشركم بثوابه إن آمنتم.

فإن قلت: ما معنى ثم في قوله: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾؟

قلت: معناه استغفروا من الشرك، ثم ارجعوا إليه بالطاعة، أو استغفروا، والاستغفار: توبة، ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها؛ كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ فصلت: ٣٠]، ﴿يُمَتِّعْكُم﴾: يطوّل نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية، من عيشة واسعة، ونعمة متتابعة، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى أن يتوفاكم؛ كقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ النحل: ٩٧]، ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾: ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل، وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه، أو فضله في الثواب، والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات، ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: وإن تتولوا، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾: هو يوم القيامة، وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل، وبين عذاب اليوم الكبير بأن مرجعهم إلى من هو قادر على كل شيء، فكان قادراً على أشدّ ما أراد من عذابهم لا يعجزه، وقرئ: «وإن تُولوا»، من ولي.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾

﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾: يزورّون عن الحق وينحرفون عنه؛ لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره، ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه، ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ يعني: ويريدون ليستخفوا من الله، فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم، ونظير إضمار يريدون ـ لقود المعنى[1] إلى إضماره ـ الإضمار في قوله تعالى: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣]، معناه: فضرب فانفلق، ومعنى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: ويزيدون الاستخفاء[2] حين يستغشون ثيابهم ـ أيضاً ـ كراهة لاستماع كلام الله تعالى؛ كقول نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: ٧]، ثم قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يعني: أنه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم، فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء، والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم، ونفاقهم غير نافق عنده، روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله ﷺ المحبة، وله منطق حلو، وحسن سياق للحديث، فكان يعجب رسول الله/ ٣٢٦أ ﷺ مجالسته ومحادثته، وهو يضمر خلاف ما يظهر، وقيل: نزلت في المنافقين، وقرئ: «تثنوني صدورهم»، واثنونى: «افعوعل» من الثني، كاحلولي من الحلاوة، وهو بناء مبالغة، قرئ: بالتاء والياء، وعن ابن عباس: «لتثنونى»، وقرئ: «تثنونّ» وأصله: «تثنونن» «تفعوعل» من الثن[3] وهو ما هش وضعف من الكلأ، يريد: مطاوعة صدورهم للثني، كما ينثني الهش من النبات، أو أراد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم، وقرئ: «تثنئن»، من اثنأن: «افعأل» منه، ثم همز كما قيل: ابيأضت، وادهأمت، وقرئ: «تثنوي»، بوزن ترعوى.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾

فإن قلت: كيف قال: ﴿عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ بلفظ الوجوب[4] وإنما هو تفضل؟

---

(١) قوله: «القود المعنى» أي لتأدية المعنى (ع).

(٢) قوله: «ويزيدون الاستخفاء» الظاهر أن هذا هو الخبر عن قوله: ومعنى ألا حين الخ. كما قال أولاً، يعني ويريدون (ع).

(٣) قوله: «من الثن» في الصحاح «الثن» بالكسر: يبس الحشيش.

(٤) قال محمود: «إن قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب... إلخ» قال أحمد: كل ما يسديه الله تعالى من رزق لبهيمة أو مكلف في الدنيا أو ثواب في الآخرة، فذلك كله فضل ولا واجب على الله تعالى، وإن ورد مثل هذه الصيغة فمحمول على أن الله ـ عز وجل ـ لما وعدهم فضله ـ ووعده خبر، وخبره صدق ـ وجب وقوع الموعود: أي يستحيل في العقل أن لا يقع. للزوم الخلف في خبر الصادق، فعبر عن ذلك بما يعبر به عن وجوب التكليف، وبينهما هذا الفرق المذكور. هذه

قلت: هو تفضل إلا أنه لما ضمن أن يتفضل به عليهم، رجع التفضل واجباً كنذور العباد، والمستقرّ: مكانه من الأرض ومسكنه، والمستودع؛ حيث كان مودعاً قبل الاستقرار، من صلب، أو رحم، أو بيضة، ﴿كل﴾: كل واحد من الدواب، ورزقها، ومستقرّها، ومستودعها في اللوح، يعني: ذكرها مكتوب فيه مبين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ أي: ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض، وارتفاعه فوقها إلا الماء، وفيه دليل على أنّ العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض، وقيل: وكان الماء[1] على متن الريح، والله أعلم بذلك، وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته، وكلما ازدادت الأجرام، كانت أحوج إليه وإلى إمساكه، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: متعلق بخلق، أي: خلقهن لحكمة بالغة، وهي أن يجعلها مساكن لعباده، وينعم عليهم فيها بفنون النعم، ويكلفهم الطاعات، واجتناب: المعاصي، فمن شكر وأطاع أثابه، ومن كفر وعصى عاقبه، ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال: ليبلوكم، يريد: ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم كيف تعملون.

فإن قلت: كيف جاز تعليق فعل البلوى؟

قلت: لما في الاختبار من معنى العلم؛ لأنه طريق إليه فهو ملابس له، كما تقول: انظر أيهم أحسن وجهاً واسمع أيهم أحسن صوتاً؛ لأنّ النظر والاستماع من طريق العلم.

فإن قلت: كيف قيل: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، وأعمال المؤمنين هي التي تتفاوت إلى حسن وأحسن، فأمّا أعمال المؤمنين والكافرين: فتفاوتها إلى حسن وقبيح؟

قلت: الذين هم أحسن عملاً هم المتقون، وهم الذين استبقوا إلى تحصيل ما هو غرض الله من عباده، فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم؛ تشريفاً لهم، وتنبيهاً على مكانهم منه، وليكون ذلك لطفاً للسامعين، وترغيباً في حيازة فضلهم، وعن النبي ﷺ:

= قاعدة أهل الحق. وقد مر الكلام عليها عند قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾، والله الموفق.

(١) قوله: «وقيل: وكان الماء» لعله «كان» بدون واو. ويمكن أن المعنى كان عرشه على الماء وكان الماء (ع).

لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَأَوْرَع عَنْ مَحَارِمِ الله، وَأَسْرَع فِي طَاعَةِ الله» (٧٦٢)، قرئ: «ولئن قلت إنكم مبعوثون»، بفتح الهمزة، ووجهه أن يكون من قولهم: ائت السوق/ ٣٢٦ب عنك تشتري لنا لحماً، وأنك تشتري بمعنى علك، أي: ولئن قلت لهم: لعلكم مبعوثون، بمعنى: توقعوا بعثكم وظنوه، ولا تبتوا القول بإنكاره، لقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: باتين القول ببطلانه، ويجوز أن تضمن: «قلت» معنى: «ذكرت»، ومعنى قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أنّ السحر أمر باطل، وأن بطلانه كبطلان السحر؛ تشبيهاً له به، أو أشاروا[1] بهذا إلى القرآن؛ لأنّ القرآن هو الناطق بالبعث، فإذا جعلوه سحراً، فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره، وقرئ: «إن هذا إلا ساحر»، يريدون الرسول، والساحر: كاذب مبطل.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿ٱلْعَذَابَ﴾: عذاب الآخرة، وقيل: عذاب يوم بدر، وعن ابن عباس: قتل جبريل المستهزئين، ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾: إلى جماعة من الأوقات، ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾: ما يمنعه من النزول؛ استعجالاً له على وجه التكذيب والاستهزاء، و﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾: منصوب بخبر ليس، ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس، وذلك أنه إذا جاز تقديم معمول خبرها عليها، كان ذلك دليلاً على جواز تقديم خبرها؛ إذ المعمول تابع للعامل، فلا يقع إلا حيث يقع العامل، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: وأحاط بهم، ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: العذاب الذي كانوا به يستعجلون، وإنما وضع يستهزئون موضع يستعجلون؛ لأنّ استعجالهم كان على جهة الاستهزاء. والمعنى: ويحيق بهم إلا أنه جاء على عادة الله في أخباره.

---

٧٦٢ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/٧) رقم (١٨٠٠٣) من طريق داود بن المحبر عن عبد الواحد بن زيد عن كليب بن وائل عن عبد الله بن عمر به.
وأخرجه الثعلبي في تفسيره، وداود بن المحبر في كتابه «العقل»؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (١٤٥/٢).
قال الحافظ: أخرجه داود بن المحبر في كتاب العقل، والحرث في مسنده عنه، والطبري وابن مردويه من طريقه عن عبد الواحد بن زيد عن كليب بن وائل عن ابن عمر، وداود ساقط. وأخرجه ابن مردويه أيضاً من طريق محمد بن أمرس عن سليمان بن عيسى عن الثوري عن كليب كذلك، وإسناده أسقط من الأول. انتهى.

---

(١) قوله: «أو أشاروا بهذا» لعله: وأشاروا (ع).

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: للجنس، ﴿رَحْمَةً﴾: نعمة من صحة وأمن وجدة، ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾: ثم سلبنا تلك النعمة، ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾: شديد اليأس من أن تعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة، قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر، ولا تسليم لقضائه، ولا استرجاع، ﴿كَفُورٌ﴾: عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نَسَّاءٌ له، ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ أي: المصائب التي ساءتني، ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾: أشر بطر، ﴿فَخُورٌ﴾: على الناس بما أذاقه الله من نعمائه، قد شغله الفرح والفخر عن الشكر، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾: آمنوا، فإنّ عادتهم إن نالتهم رحمة أن يشكروا، وإن زالت عنهم نعمة أن يصبروا.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾

كانوا يقترحون عليه آيات تعنتاً لا استرشاداً؛ لأنهم لو كانوا مسترشدين، لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم، ومن اقتراحاتهم، ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾: وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات، فكاد يضيق صدر رسول الله ﷺ أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه، فحرّك الله منه وهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردّهم، واستهزائهم، واقتراحهم، بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ أي: لعلك تترك أن تلقيه إليهم، وتبلغه إياهم؛ مخافة ردّهم له وتهاونهم به، ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾: بأن تتلوه عليهم، ﴿أَن يَقُولُوا۟﴾: مخافة أن يقولوا/ ٣٢٧أ، ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾ أي: هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة، ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه، ثم قال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ أي: ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه، ولا عليك ردّوا أو تهاونوا أو اقترحوا، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾: يحفظ ما يقولون، وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل، فتوكل عليه، وكل أمرك إليه، وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح، غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم.

فإن قلت: لم عدل عن ضيق إلى ضائق؟

قلت: ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت؛ لأنّ رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدراً، ومثله قولك: زيد سيد وجواد، تريد: السيادة والجود الثابتين المستقرّين، فإذا

أردت الحدوث قلت: سائد، وجائد، ونحوه، كانوا قوماً عامين في بعض القراءات، وقول السمهري العكلي [من الطويل]:

بِمَنْزِلَةٍ أَمَّا اللَّئِيمُ فَسَامِنٌ ... بِهَا وَكِرَامُ النَّاسِ بَادٍ شُحُوبُهَا[1]

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾

(أم): منقطعة، والضمير في: ﴿افْتَرَاهُ﴾ لما يوحى إليك، تحداهم أوّلاً بعشر سور، ثم بسورة واحدة، كما يقول المخابر في الخط لصاحبه: اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب، فإذا تبين له العجز عن مثل خطه، قال: قد اقتصرت منك على سطر واحد، ﴿مِثْلِهِ﴾ بمعنى: أمثاله، ذهاباً إلى مماثلة كل واحدة منها له، ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾: صفة لعشر سور، لما قالوا: افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك، وليس من عند الله، قاودهم[2] على دعواهم، وأرخي معهم العنان، وقال: هبوا أني اختلقته من عند نفسي، ولم يوح إليّ، وأنّ الأمر كما قلتم، فأتوا أنتم ـ أيضاً ـ بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم، فأنتم عرب: فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام.

فإن قلت: كيف يكون ما يأتون به مثله، وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى؟

قلت: معناه: مثله في حسن البيان والنظم وإن كان مفترى.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

فإن قلت: ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله: ﴿لَكُمْ فَاعْلَمُوا﴾ بعد قوله: ﴿قُلْ﴾؟

قلت: معناه: فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين؛ لأنّ رسول الله ﷺ والمؤمنين كانوا يتحدّونهم، وقد قال في موضع آخر: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ﴾ [القصص: ٥٠]، ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله ﷺ؛ كقوله [الطويل]:

---

(١) للعكلي. والشحوب تغير اللون. وأنشده أبو زيد شاهداً على أن الشحوب في لغة بني كلاب الهزال، وهو أنسب بالمقابلة لقوله بمنزلة مجدبة صفتها أنها. أما اللئيم الذي همه بطنه، فهو سامن فيها لكثرة أكله. وأما كرام الناس فهم متغيرون فيها مهازيل، لأنهم يطعمون ولا يطعمون. و«فاعل» من سمن شاذ، وقياسه «فعيل».

ينظر: البحر المحيط (٥/ ٢٠٧)، روح المعاني (١٢/ ١٩)، الدر المصون (٤/ ٨٣).

(٢) قوله: «قاودهم» ضمن معنى وافقهم وسايرهم (ع).

ووجه آخر: وهو أن يكون الخطاب للمشركين، والضمير في: (لم يستجيبوا): لمن استطعتم، يعني: فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه، وأن طاقتهم أقصر من أن تبلغه، ﴿فَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ أي: أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله، من نظم معجز للخلق، وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه، ﴿و﴾: اعلموا عند ذلك، ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا﴾: الله وحده، وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾/ ٣٢٧ب: مبايعون بالإسلام بعد هذه الحجة القاطعة، وهذا وجه حسن مطرد، ومن جعل الخطاب للمسلمين، فمعناه: فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه، وازدادوا يقيناً وثبات قدم على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد، ومعنى: (فهل أنتم مسلمون): فهل أنتم مخلصون؟

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾: نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية، كاملة، من غير بخس في الدنيا، وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق، وقيل: هم أهل الرياء، يقال للقراء منهم: أردت أن يقال: فلان قارئ، فقد قيل ذلك، ولمن وصل الرحم وتصدّق: فعلت حتى يقال، فقيل: ولمن قاتل فقتل: قاتلت حتى يقال فلان جريء، فقد قيل: وعن أنس بن مالك: هم اليهود والنصارى، إن أعطوا سائلاً أو وصلوا رحماً، عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن، وقيل: هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله ﷺ فأسهم لهم في الغنائم، وقرئ: «يوفّ»، بالياء على أن الفعل لله ـ عزّ وجلّ ـ «وتوفَّ إليهم أعمالهم» بالتاء، على البناء للمفعول، وفي قراءة الحسن: «نوفي»، بالتخفيف، وإثبات الياء؛ لأنّ الشرط وقع ماضياً؛ كقوله [من البسيط]:

.... يَـقُـولُ: لاَ غَـائِـبٌ مَـالِـي وَلاَ حَـرِمُ(٢)

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا﴾: وحبط في الآخرة ما صنعوه، أو صنيعهم، يعني: لم يكن له ثواب؛ لأنهم لم يريدوا به الآخرة؛ إنما أرادوا به الدنيا، وقد وفى إليهم ما أرادوا،

---

(١) تقدم.
(٢) تقدم.

﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: كان عملهم في نفسه باطلاً؛ لأنه لم يعمل لوجه صحيح، والعمل الباطل لا ثواب له، وقرىء: «وبطل» على الفعل، وعن عاصم: «وباطلاً» بالنصب، وفيه وجهان: أن تكون ما إبهامية، وينتصب بيعملون، ومعناه: وباطلاً، أي: باطل كانوا يعملون، وأن تكون بمعنى المصدر على: وبطل بطلاناً ما كانوا يعملون.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: معناه: أمن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة[1]، أي: لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم، يريد أنّ بين الفريقين تفاوتاً بعيداً، وتبايناً بيناً، وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره، كان على بينة، ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: على برهان من الله، وبيان أنّ دين الإسلام حق وهو دليل العقل، ﴿وَيَتْلُوهُ﴾: ويتبع ذلك البرهان، ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أي: شاهد يشهد بصحته، وهو القرآن، (منه): من الله، أو شاهد من القرآن، فقد تقدّم ذكره آنفاً، ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾: ومن قبل القرآن، ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: وهو التوراة، أي: ويتلو ذلك البرهان ـ أيضاً ـ من قبل القرآن كتاب موسى، وقرئ: «كتابَ موسى» بالنصب، ومعناه: كان على بينة من ربه، وهو الدليل على أنّ القرآن/ ٣٢٨أ حق، (ويتلوه): ويقرأ القرآن، (شاهد منه): شاهد ممن كان على بينة؛ كقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ [الأحقاف: ١٠]، ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: ويتلو من قبل القرآن والتوراة، ﴿إِمَامًا﴾: كتاباً مؤتمًا به في الدين قدوة فيه ﴿وَرَحْمَةً﴾ ونعمة عظيمة على المنزل إليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني من كان على بينة، ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: يؤمون بالقرآن، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ يعني: أهل مكة، ومن ضامهم من المتحزّبين على رسول الله ﷺ ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾، وقرئ: «مُرية»، بالضم، وهما الشك، ﴿مِّنْهُ﴾: من القرآن أو من الموعد.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا

---

(١) قوله: «فمن كان على بينة» عبارة النسفي: كمن كان. وعبارة الخازن: أفمن كان على بينة من ربه، أي كمن كان يريد. . . إلخ (ع).

كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ (٢٠) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٢١) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ (٢٢) ﴾

﴿يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: يحبسون في الموقف، وتعرض أعمالهم، ويشهد عليهم، ﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولداً وشريكاً، ويقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: فواخزياه، ووافضيحتاه، والأشهاد: جمع شاهد أو شهيد، كأصحاب أو أشراف، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة، أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالإرتداد، وهم الثانية؛ لتأكيد كفرهم بالآخرة، واختصاصهم به، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ما كانوا يعجزون الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم، وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه، ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم، وهو من كلام الأشهاد، ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾، وقرئ: «يضعف»، ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ أراد أنهم لفرط تصامّهم عن استماع الحق وكراهتهم له، كأنهم لا يستطيعون السمع[1]، ولعل بعض المجبرة[2] يتوثب إذا عثر عليه فيوعوع[3] به على أهل العدل، كأنه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان: هذا كلام لا أستطيع أن أسمعه، وهذا مما يمجه سمعي، ويحتمل أن يريد بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: أنهم جعلوا آلهتهم أولياء من دون الله، وولايتها ليست بشيء، فما كان لهم في الحقيقة من

---

(١) قال محمود: «أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم. . . إلخ» قال أحمد: أهل الحق وإن نفوا تأثير استطاعة العبد وخلصوا الخلق لقدرة الخالق عز وجل، لا ينفون استطاعة العبد نفسها ولا ما يجده من نفسه من الفرق حالة الحركات القسرية والاختيارية، وإنما الذي ينفي الاستطاعة جملة هم المجبرة حقيقة لا أهل السنة. والحق مع الزمخشري في هذا الموضع إلا في غفلته حيث يقول: فيوعوع بها على أهل العدل، يعني الآية المذكورة. وهذه سقطة عظيمة، وهب أن المجبر غلط في الاستدلال بالآية على معتقده، فكيف يستجيز أن يطلق على إيراده الآية وعوعة، وإنما تلا كتاب الله تعالى غير أن خطأه في تصحيح معتقده الباطل به. وما الزمخشري إلا يتسامح كثيراً فيما يجب من الآداب للكتاب العزيز، وإنما يليق التسامح إذا كان يفسر شعر امرئ القيس أو الحارث بن حلزة. وأما أدب القرآن فيضيق عن أسهل من ذلك، والله الموفق.

(٢) قوله: «ولعل بعض المجبرة» إن كان مراده بهم أهل السنة كعادته، فهم لا يسلبون عن العبد الاستطاعة في الفعل، بل يثبتون له الكسب والاستطاعة مع الفعل، وإن كان مراده القائلين بالجبر المحض وأن العبد كالريشة المعلقة في الهواء فلا ضير. ونقل الخازن عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال: أخبر الله تعالى أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فإنه قال: ما كانوا يستطيعون السمع، وهو طاعته. وما كانوا يبصرون. وأما في الآخرة فإنه قال ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾.

(٣) قوله: «فيوعوع به» في الصحاح: الوعوعة صوت الذئب.

أولياء، ثم بين نفي كونهم أولياء بقوله: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾ فكيف يصلحون للولاية؟ وقوله: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾: اعتراض بوعيد، ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله، فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران أعظم منه، وهو أنهم خسروا أنفسهم، ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾: وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو: ﴿مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: من الآلهة وشفاعتها، ﴿لَا جَرَمَ﴾: فسر في مكان آخر، ﴿هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾: لا ترى أحداً أبين خسراناً منهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾: واطمأنوا إليه، وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الأرض المطمئنة؛ ومنه قولهم للشيء: الدنيء/ ٣٢٨ب الخبيت؛ قال [من الخفيف]:

يَنْفَعُ الطَّيِّبُ الْقَلِيلُ مِنَ الرِّزْ ... قِ وَلاَ يَنْفَعُ الْكَثِيرُ الْخَبِيتُ[(١)]

وقيل: التاء فيه بدل من الثاء.

﴿۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع[(٢)]، وهو من اللف والطباق، وفيه معنيان: أن يشبه الفريق تشبيهين اثنين، كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب، وأن يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم، أو الذي جمع بين البصر والسمع[(٣)]، على أن تكون الواو في: (والأصم)، وفي: (والسميع): لعطف الصفة على الصفة؛ كقوله [من السريع]:

.... الصَّابِحِ فَالْغَانِمِ فَالآيِبِ[(٤)]

---

(١) تقدم.

(٢) قال محمود: «شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع إلى قوله أن تكون الواو... إلخ» قال أحمد: بخلافها على الوجه الأول، فإنها لعطف الموصوف على الموصوف. وأما تنظيره الآية بتشبيه امرئ القيس في كونه شبه تشبيهين اثنين ففيه نظر. فإن امرأ القيس شبه كل واحد من الرطب واليابس تشبيهاً واحداً، والآية على التفسير الأول شبهت كل واحد من الكافر والمؤمن تشبيهين، وإنما ينظر ببيت امرىء القيس على الوجه الثاني، فإن مقتضاه أن كل واحد منهما شبه تشبيهاً واحداً، ولكن في صفتين متعددتين، والأمر في ذلك قريب، والله أعلم.

(٣) قوله: «أو الذي جمع بين البصر والسمع» لعله: والذي (ع).

(٤) تقدم.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ يعني: الفريقين، ﴿مثلاً﴾: تشبيهاً.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾

أي: أرسلنا نوحاً بأني لكم نذير، ومعناه: أرسلناه ملتبساً بهذا الكلام، وهو قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بالكسر، فلما اتصل به الجارّ، فتح كما فتح في: (كأن) والمعنى: على الكسر، وهو قولك: إنّ زيداً كالأسد، وقرئ: بالكسر على إرادة القول، ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾: بدل من: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: أرسلناه بألاً تعبدوا، ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾، أو تكون: «أن»: مفسرة، متعلقة بأرسلنا أو بنذير، ووصف اليوم بأليم من الإسناد المجازي لوقوع الألم فيه.

فإن قلت: فإذا وصف به العذاب؟

قلت: مجازي مثله؛ لأنّ الأليم في الحقيقة هو المعذب، ونظيرهما قولك: نهارك صائم، وجدّ جدّه.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ٱلْمَلَأُ﴾: الأشراف من قولهم: فلان مليء بكذا، إذا كان مطيقاً له، وقد ملؤوا بالأمر؛ لأنهم ملؤوا بكفايات الأمور، واضطلعوا بها وبتدبيرها، أو لأنهم يتمالؤون، أي: يتظاهرون ويتساندون، أو لأنهم يملئون القلوب هيبة والمجالس أبهة[1]، أو لأنهم ملاء بالأحلام والآراء الصائبة، ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾: تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة[2]، وأنّ الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر، لجعلها فيهم، فقالوا: هب أنك واحد من الملأ ومواز لهم في المنزلة، فما جعلك أحق منهم؟ ألا ترى إلى قولهم: وما نرى لكم علينا من فضل، أو أرادوا أنه كان ينبغي أن يكون ملكاً لا بشر، والأراذل جمع الأرذل؛

---

(١) قوله: «والمجالس أبهة» كسكرة: عظمة (ع).

(٢) قال محمود: «هو تعريض بأنهم كانوا أحق منه بالنبوة... إلخ» قال أحمد: ويحتمل في الوجهين أن يكون المراد أول الرأي. ولكنه ترك الهمز استثقالاً؛ إلا أن يكون القارئ بها ياء ليس من مذهبه تسهيل الهمز، والمعنيان متقاربان، وقد زعم هؤلاء أن يحجوا نوحاً بمن اتبعه من وجهين، أحدهما: أن المتبعين أراذل ليسوا قدوه ولا أسوة. والثاني: أنهم مع ذلك لم يترووا في اتباعه. ولا أمعنوا الفكرة في صحة ما جاء به، وإنما بادروا إلى ذلك من غير فكرة ولا روية. وغرض هؤلاء أن لا يقوم عليهم حجة بأن منهم من صدقه وآمن به، والله أعلم.

كقوله: ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣] «أحاسنكم أخلاقاً»، وقرئ: «بادي الرأي»، بالهمز وغير الهمز، بمعنى: اتبعوك أوّل الرأي أو ظاهر الرأي، وانتصابه على الظرف، أصله: وقت حدوث أوّل رأيهم، أو وقت حدوث ظاهر رأيهم، فحذف ذلك، وأقيم المضاف إليه مقامه، أرادوا: أنّ اتباعهم لك إنما هو شيء عنّ لهم بديهة من غير روية ونظر؛ وإنما استرذلوا المؤمنين لفقرهم، وتأخرهم في الأسباب الدنيوية؛ لأنهم كانوا جهالاً ما كانوا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، فكان الأشرف عندهم من له جاه ومال، كما ترى أكثر المتسمين بالإسلام يعتقدون ذلك، ويبنون عليه/ ٣٢٩أ إكرامهم وإهانتهم، ولقد زلّ عنهم أن التقدّم في الدنيا لا يقرب أحداً من الله وإنما يبعده، ولا يرفعه بل يضعه، فضلاً أن يجعله سبباً في الاختيار للنبوّة والتأهيل لها، على أن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا، مزهدين فيها، مصغرين لشأنها وشأن من أخلد إليها، فما أبعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله، والتشرف بما هو ضعة عند الله، ﴿مِن فَضْلٍ﴾: من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوّة، ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾: فيما تدّعونه

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: على برهان، ﴿مِّن رَّبِّي﴾: وشاهد منه يشهد بصحة دعواي، ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾: بإيتاء البينة على أن البينة في نفسها هي الرحمة، ويجوز أن يريد بالبينة: المعجزة، وبالرحمة: النبوّة.

فإن قلت: فقوله: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾: ظاهر على الوجه الأوّل، فما وجهه على الوجه الثاني؟ وحقه أن يقال فعميتا؟

قلت: الوجه: أن يقدّر فعميت بعد البينة، وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة؛ ومعنى «عميت»: خفيت، وقرئ: «فعميت» بمعنى: أخفيت، وفي قراءة أبي: فعماها عليكم.

فإن قلت: فما حقيقته؟

قلت: حقيقته: أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء؛ لأنّ الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره، فمعنى «فعميت عليكم البينة» فلم تهدكم، كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد.

فإن قلت: فما معنى قراءة أبيّ؟

قلت: المعنى: أنهم صمموا على الإعراض عنها فخلاهم الله[1] وتصميمهم، فجعلت تلك التخلية تعمية منه؛ والدليل عليه قوله: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ يعني: أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها، وأنتم تكرهونها ولا تختارونها، ولا إكراه في الدين؟ وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعاً، ويجوز أن يكون الثاني منفصلاً؛ كقولك: أنلزمكم إياها، ونحوه: (فسيكفيكهم الله)، ويجوز: فسيكفيك إياهم، وحكي عن أبي عمرو إسكان الميم، ووجهه أنّ الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة، فظنها الراوي سكوناً، والإسكان الصريح: لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين؛ لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر، والضمير في قوله: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: راجع إلى قوله لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢٥، ٢٦]، وقرئ: و«ما أنا بطارد الذين آمنوا»، بالتنوين على الأصل.

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾؟

قلت: معناه: أنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم، أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان صحيح ثابت، كما ظهر لي منهم وما أعرف غيره منهم، أو على خلال ذلك مما تقرفونهم به[2] من بناء إيمانهم على بادئ الرأي من غير نظر وتفكر،/ ٣٢٩ب وما عليّ أن أشق عن قلوبهم وأتعرّف سر ذلك منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون؛ ونحوه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم . . .﴾ الآية [الأنعام: ٥٢]، أو هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة، ﴿تَجْهَلُونَ﴾: تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل؛ من قوله [من الوافر]:

أَلا لا يَـجْـهَـلَـنْ أَحَـدٌ عَـلَـيْـنَـا ....[3]

---

(١) قوله: «فخلاهم الله» لم يفسره بمعنى أخفاها، لأن الله لا يفعل الشر عند المعتزلة، وعند أهل السنة يفعل كل ممكن (ع).

(٢) قوله: «ذلك مما تقرفونهم به» أي ترمونهم وتعيبونهم. أفاده الصحاح (ع).

(٣) ألا لا يـجـهـلـن أحـد عـلـيـنـا   فـنـجـهـل فـوق جـهـل الـجـاهـلـيـنـا
لعمرو بن كلثوم من معلقته، و«ألا» استفتاحية تفيد التوكيد ـ و«لا» ناهية. والنون لتوكيد النهي.
أي: لا يسفهن أحد علينا ويبدأنا بالشر، ونجهل: نصب بأن مضمرة بعد فاء السببية لأنه بعد النهي. =

أو تجهلون بلقاء ربكم، أو تجهلون أنهم خير منكم، ﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾: من يمنعني من انتقامه، ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾: وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به، أنفة من أن يكونوا معهم على سواء، ﴿أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾: معطوف على: ﴿عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾، أي: لا أقول عندي خزائن الله، ولا أقول: أنا أعلم الغيب، ومعناه: لا أقول لكم: عندي خزائن الله فأدعي فضلاً عليكم في الغنى، حتى تجحدوا فضلي بقولكم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾، ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني إلى الكذب والافتراء، أو حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم، ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾: حتى تقولوا لي ما أنت إلا بشر مثلنا، ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أن الله لن يؤتيهم خيراً في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه، كما تقولون؛ مساعدة لكم ونزولاً على هواكم، ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: إن قلت شيئاً من ذلك، والازدراء: افتعال من زرى عليه إذا عابه، وأزرى به: قصر به، يقال: ازدرته عينه، واقتحمته عينه.

﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾: معناه: أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته؛ كقولك: جاد فلان فأكثر وأطاب، ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: من العذاب المعجل.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ أي: ليس الإتيان بالعذاب إليّ؛ إنما هو إلى من كفرتم به وعصيتموه، ﴿إِن شَآءَ﴾ يعني: إن اقتضت حكمته أن يعجله لكم، وقرأ ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «فأكثرت جدلنا».

فإن قلت: ما وجه ترادف هذين الشرطين؟[1]

= وسمي جزاء الجهل جهلاً مشاكلة، أي: فنجازيه فوق فعله بنا، أو فوق جهل كل جاهل وزيادة عليه.

البيت من معلقته المشهورة ينظر: شرح المعلقات السبع للزوزني (١٠٢)، والتبيان في علم المعاني والسريع والبيان (٣٤٨)، والبحر (١/١٨٦)، القرطبي (١/١٤٥) والدر المصون (١/١٢٦).

(١) قال محمود: «إن قلت: ما وجه ترادف هذين الشرطين... إلخ» قال أحمد: ونظير هذه الآية من مسائل الفقهاء قول القائل: أنت طالق إن شربت إن أكلت. وهي المترجمة بمسألة اعتراض الشرط على الشرط. والمنقول عن الشافعية أنها إن شربت ثم أكلت لم يحنث. وإن أكلت ثم شربت =

قلت: قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾: جزاؤه ما دلّ عليه قوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ﴾، وهذا الدال في حكم ما دلّ عليه، فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك: إن أحسنت إليّ أحسنت إليك إن أمكنني.

فإن قلت: فما معنى قوله:[1] ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾؟

قلت: إذا عرف الله من الكافر الإصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه، سمي ذلك إغواء وإضلالاً، كما أنه إذا عرف منه أنه يتوب ويرعوي فلطف به: سمي إرشاداً وهداية، وقيل: ﴿أَن يُغْوِيَكُمْ﴾: أن يهلككم من غوى الفصيل غوًى، إذا بشم فهلك[2]، ومعناه: أنكم إذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله، ومواعظه، وسائر ألطافه، كيف ينفعكم نصحي؟ ﴿فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾: وإجرامي بلفظ المصدر/ ٣٣٠أ والجمع؛ كقوله: والله يعلم إسرارهم وأسرارهم؛ ونحو: جرم وأجرام، قفل وأقفال؛ وينصر الجمع أن فسره الأولون بآثامي، والمعنى: إن صح وثبت أني افتريته، فعليّ عقوبة إجرامي، أي: افترائي، وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عني وتتألبوا عليّ[3]، ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ﴾ يعني: ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه، ومعنى: ﴿مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾؛ من إجرامكم في إسناد الافتراء إليّ فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿لَن يُؤْمِنَ﴾: إقناط من إيمانهم، وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع، ﴿إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾: إلا من قد وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه، وقد للتوقع وقد أصابت محزها، ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزن حزن بائس مستكين؛ قال [من البسيط]:

مَا يَقْسِمُ اللهُ فَاقْبَلْ غَيْرَ مُبْتَئِسٍ ... مِنْهُ وَأَقْعُدْ كَرِيماً نَاعِمَ الْبَالِ[4]

= حنث. وهذا الفرق مبناه على جعل الجزاء للشرط الآخر، أي للذي يليه، ثم جعلهما معاً جزاء للشرط المتوسط، ولذلك سر في العربية لا نطول بذكره وعليه أعرب الزمخشري هذه الآية كما رأيت، والله أعلم.

(١) قوله: «فإن قلت فما معنى... إلخ» السؤال وجوابه مبني على مذهب المعتزلة: أن الله لا يخلق الشر. أما على مذهب أهل السنة فالإغواء على ظاهره: خلق الغي ـ أي الضلال ـ في القلب (ع).

(٢) قوله: «إذا بشم فهلك» في الصحاح «البشم» التخم. يقال: بشمت من الطعام ـ بالكسر. وبشم الفصيل من كثرة شرب اللبن (ع).

(٣) قوله: «وتتألبوا علي» أي تتجمعوا. أفاده الصحاح (ع).

(٤) لحسان، يقال: ابتأس إذا حزن من كثرة وقوع البأس والمكاره به. والبال القلب أو الشأن. يقول: =

والمعنى: فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك، وإيذائك، ومعاداتك، فقد حان وقت الانتقام لك منهم، ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: في موضع الحال، بمعنى: اصنعها محفوظاً، وحقيقته: ملتبساً بأعيننا، كأن الله معه أعيناً تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصواب، وألاَّ يحول بينه[1] وبين عمله أحد من أعدائه، و﴿وَوَحْيِنَا﴾: وأنا نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «لم يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر»، ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: ولا تدعني في شأن قومك، واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك، ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: إنهم محكوم عليهم بالإغراق، وقد وجب ذلك، وقضي به القضاء، وجف القلم، فلا سبيل إلى كفه؛ كقوله: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ [هود: ٧٦].

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾: حكاية حال ماضية، ﴿سَخِرُوا مِنْهُ﴾: ومن عمله السفينة، وكان يعملها في برية بهماء[2] في أبعد موضع من الماء، وفي وقت عزَّ الماء فيه عزة شديدة، فكانوا يتضاحكون ويقولون له: يا نوح، صرت نجاراً بعد ما كنت نبيًّا، ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ يعني: في المستقبل، ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾: منا الساعة، أي: نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة، وقيل: إن تستجهلونا فيما نصنع، فإنا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرّض لسخط الله وعذابه، فأنتم أولى بالاستجهال منا، أو: إن تستجهلونا، فإنا نستجهلكم في استجهالكم؛ لأنكم لا تستجهلون إلا عن جهل بحقيقة الأمر، وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق، وروي أنّ نوحاً ـ عليه السلام ـ اتخذ السفينة في سنتين، وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وكانت من خشب الساج،

= ما يقسمه الله لك من نعمة أو نقمة فاقبله حال كونك غير متحزن منه، أي مما قسمه الله لك. واقعد كريماً غير مهان طيب الحال والشأن، أو مستريح القلب من نصب الدنيا. وروي: وأقعد بقطع الهمزة، من أقعد المتعدي، فكريماً حال على الأول، ومفعول على الثاني، وفيه تجريد.

ينظر: ديوانه ص ١٤٧، ولسان العرب (بأس)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٦١، وتاج العروس (بأس)، وأساس البلاغة (بأس)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ٣٢٨، والمخصّص ١٢/ ٣١٧.

(١) قوله: «وأن لا يحول بينه» لعله: وأن يحول (ع).

(٢) قوله: «برية بهماء» أي لا يهتدي فيها الطريق. ويقال: الممر أبهم، وكذا الرجل الشجاع أبهم، كذا في الصحاح.

وجعل لها ثلاثة بطون، فحمل في البطن الأسفل: الوحوش، والسباع، والهوام، وفي البطن الأوسط: الدواب/ ٣٣٠ب، والأنعام، وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد، وحمل معه جسد آدم ـ عليه السلام ـ وجعله معترضاً بين الرجال والنساء، وعن الحسن: كان طولها ألفاً ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة، وقيل: إنّ الحواريين قالوا لعيسى ـ عليه السلام ـ: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدّثنا عنها، فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب، فأخذ كفًّا من ذلك التراب، فقال: «أتدرون من هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا كعب بن حام، قال: فضرب الكثيب[1] بعصاه فقال: قم بإذن الله، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب، فقال له عيسى ـ عليه السلام ـ: هكذا أهلكت؟ قال: لا، مت وأنا شاب، ولكنني ظننت أنها الساعة فمن ثمت شبت، قال: حدّثنا عن سفينة نوح، قال: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات، طبقة للدواب والوحوش، وطبقة للإنس، وطبقة للطير، ثم قال له: عد بإذن الله كما كنت، فعاد تراباً، ﴿مَن يَأْتِيهِ﴾: في محل النصب بتعلمون، أي: فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه، ويعني به إياهم، ويريد بالعذاب: عذاب الدنيا، وهو الغرق، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾: حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه، ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: وهو عذاب الآخرة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ﴾: هي التي يبتدأ بعدها الكلام، دخلت على الجملة من الشرط والجزاء.

فإن قلت: وقعت غاية لماذا؟

قلت: لقوله: «ويصنع الفلك»، أي: وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد.

فإن قلت: فإذا اتصلت: «حتى» بيصنع، فما تصنع بما بينهما من الكلام؟

قلت: هو حال من يصنع، كأنه قال: يصنعها والحال أنه كلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه.

فإن قلت: فما جواب كلما؟

قلت: أنت بين أمرين: إما أن تجعل: (سخروا): جواباً، و(قال): استئنافاً، على

---

(١) قوله: «قال فضرب الكثيب» أي راوي هذه القصة، لكنه غير معلوم (ع).

تقدير سؤال سائل، أو تجعل: (سخروا)، بدلاً من (مرّ)، أو صفة: (لملأ)، و(قال): جواباً، ﴿وَأَهْلَكَ﴾: عطف على اثنين، وكذلك: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾: يعني: واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم، واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار، وما سبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر، لا لتقديره عليه[1] وإرادته به ـ تعالى الله عنه ذلك ـ قال الضحاك: أراد ابنه وامرأته، ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كَانُوا ثَمَانِيَةً: نُوحٌ وَأَهْلُهُ، وَبَنُوهُ الثَّلاثَةُ، وَنِسَاؤُهُمْ» (٧٦٣)، وعن محمد بن إسحاق: كانوا عشرة: خمسة رجال وخمس نسوة، وقيل: كانوا اثنين وسبعين رجلاً وامرأة، وأولاد نوح: سام، وحام، ويافث، ونساؤهم، فالجميع ثمانية وسبعون: نصفهم رجال، ونصفهم نساء، ويجوز أن يكون كلاماً واحداً وكلامين، فالكلام الواحد: أن يتصل: (بسم الله): باركبوا حالاً من الواو، بمعنى: اركبوا فيها مسمين الله/ ١٣٣١أ، أو قائلين: بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها، إما لأن المجرى والمرسى للوقت، وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء، حذف منهما الوقت المضاف؛ كقولهم: خفوق النجم، ومقدم الحاج، ويجوز أن يراد مكاناً الإجراء والإرساء، وانتصابهما بما في: (بسم الله): من معنى الفعل، أو بما فيه من إرادة القول، والكلامان: أن يكون: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا﴾: جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة، أي: بسم الله إجراؤها وإرساؤها، يروى أنه كان إذا أراد أن تجري قال: بسم الله فجرت، وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله فرست، ويجوز أن يقحم الاسم[2]؛ كقوله [من الطويل]:

... ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا ....[3]

---

٧٦٣ ـ أخرجه قال الزيلعي في تخريج الكشاف: (٢/ ١٤٦): غريب. أ.هـ وقال ابن حجر: لم أره مرفوعاً. وذكره الطبري بإسناد عن قتادة قال: ذكر لنا أن لم يتم في السفينة إلا نوح وامرأته وبنوه الثلاثة ونساؤهم. فجمعهم ثمانية. أ.هـ أخرجه الطبري (٧/ ٤٢) رقم (١٨١٨٩) موقوفاً على قتادة.
قال الحافظ: لم أره مرفوعاً. وذكره الطبري بإسناد عن قتادة قال: ذكر لنا أن لم يتم في السفينة إلا نوح وامرأته وبنوه الثلاثة ونساؤهم؛ فجميعهم ثمانية. انتهى.

---

(١) قوله: «يختار الكفر لا لتقديره عليه» هذا على مذهب المعتزلة من عدم سبق القضاء والقدر على الشر وعدم إرادته، ولكن مذهب أهل السنة أن كل ممكن مسبوق بالقضاء والقدر والإرادة ولو شراً (ع).

(٢) قال محمود: «ويجوز أن يقحم الاسم... إلخ» قال أحمد: نفور من اعتقاد أن الاسم هو المسمى، ولو اعتقد ذلك لما جعله مقحماً، والله أعلم.

(٣)
تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر؟
فإن حان يوماً أن يموت أبوكما ... فلا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا: هو المرء الذي لا صديقه ... أهان ولا خان الأمين ولا غدر
=

ويراد: بالله إجراؤها وإرساؤها، أي: بقدرته وأمره، وقرئ: ﴿مجراها ومرساها﴾: بفتح الميم، من جرى ورسى، إما مصدرين، أو وقتين، أو مكانين، وقرأ مجاهد: «مجريها ومرسيها»، بلفظ اسم الفاعل، مجروري المحل، صفتين لله.

فإن قلت: ما معنى قولك: جملة مقتضبة؟

قلت: معناه: أن نوحاً ـ عليه السلام ـ أمرهم بالركوب، ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله، أو بأمره وقدرته، ويحتمل أن تكون غير مقتضبة بأن تكون في موضع الحال؛ كقوله [من الوافر]:

وَجَاءُونَا بِهِمْ سَكَرٌ عَلَينَا .... (1)

= إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

للبيد بن ربيعة العامري، يوصي ابنتيه أسماء ويسرة. وتمنى: ماض، أو مضارع حذف منه إحدى التاءين، والاستفهام إنكاري وهو كناية عن تحتم الموت. ويوماً: ظرف لحان. والمراد به: مطلق الزمن. وأن يموت: فاعل. وخمش وجهه خمشاً: جرحه بأظفاره، أي: لا تبالغا في الجزع حتى تفعلا ذلك، ووقف على شعر منصوب بصورة المرفوع على لغة، نهاهما عن الجزع وأمرهما بعد مناقبه. وصديقه: مفعول مقدم، وإلى الحول: متعلق بقولا، ولفظ «اسم» مقحم بين ثم ولفظ السلام، لأنه أراد تحيتهما بهذا اللفظ بخصوصه وإن أفاد غيره معناه. وقيل: أقحمه إشارة إلى أنه لا أمان لهما بعد موته، وفي «ثم» إيماء إلى أنه لم يسلم الآن، وإنما ذلك بعد الحول، والمراد أنه لا يخطر ببالهما ولا يحزنا عليه بعد ذلك، فعبر عنه بسلام المودعة الذي يلزمه الافتراق، والافتراق يلزمه عدم التذكر عادة. ويحتمل أن المراد الدلالة على أن الوصية قد تمت، ثم قال: ومن يبك مصابه حولاً كاملاً فقد أبلغ في العذر، كأنه يعتذر عن سكوته بأنه أدى ما عليه، أي: وأنتم كذلك.

ينظر ديوانه ص ٢١٤، الأغاني ١٣/ ٤٠، خزانة الأدب ٤/٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٢، الخصائص ٣/ ٢٩، لسان العرب (غدر)، شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١٤، العقد الفريد ٢/ ٧٨، ٣/ ٥٧، بغية الوعاة ١/ ٤٢٩، الدرر ٥/ ١٥، المقاصد النحوية ٣/ ٣٧٥، المنصف ٣/ ١٣٥، الأشباه والنظائر ٧/ ٩٦، شرح الأشموني ٢/ ٣٠٧، شرح عمدة الحافظ ص ٥٠٧، والمقرب ١/ ٢١٣، همع الهوامع ٢/ ٤٩، ١٥٨، بلا نسبة في أمالي الزجاجي ص ٦٣، شرح ديوان الحماسة ٢/ ٨٩٤، تأويل المشكل ٢٥٥، مجاز القرآن ١/ ١٦، الطبري ١/ ٨٠، النكت والعيون ١/ ٤٧، الدرر ١/ ٥٢، فتح القدير ٢/ ٤٠٩.

(1) وَجَاءُونا بهم سكر علينا ... فأجلى القوم والسكران صاحي

السكر والسكر: كالبعد والبعد، و«بهم سكر» جملة حالية. و«علينا» متعلق بسكر: أي جاءنا القوم غضاباً علينا، فانكشفوا عن مكان الحرب ومضوا عنه. والحال أن السكران منهم مفلق من سكره. ويروى «فأجلى اليوم» أي زال ومضى، أو انكشفت ظلمة الحرب في ذلك اليوم: أي لم يلبثوا إلا هو والحال أن الذي كان سكران صاح من سكره، لعلمه أنه ليس أهلاً لذلك، فأجلى هنا لازم.

وهو لعتي بن مالك العقيليّ في تهذيب إصلاح المنطق ص ٢٣٣، وبلا نسبة في لسان العرب (سكر)، وديوان الأدب ٢/ ٢٣٣، وتهذيب اللغة ١٠/ ٥٦، وإصلاح المنطق ص ٨٧، وتاج العروس (سكر)، وأساس البلاغة (سكر).

فلا تكون كلاماً برأسه، ولكن فضلة من فضلات الكلام الأوّل، وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك، كأنه قيل: اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى: التقدير؛ كقوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته إياكم، لما نجاكم.

﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ۝٤٣﴾

فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ﴾؟

قلت: بمحذوف دلّ عليه: ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾؛ كأنه قيل: فركبوا فيها يقولون: بسم الله، ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ﴾ أي: تجري وهم فيها، ﴿فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾: يريد موج الطوفان، شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها.

فإن قلت: الموج: ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره[1]، وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والأرض، وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة، فما معنى جريها في الموج؟

قلت: كان ذلك قبل التطبيق، وقبل أن يغمر الطوفان الجبال؛ ألا ترى إلى قول ابنه: «سآوي. إلى جبل يعصمني من الماء». قيل: كان اسم ابنه: كنعان، وقيل: يام، وقرأ علي ـ رضي الله عنه ـ: «ابنها»، والضمير لامرأته، وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير: «ابنه»، بفتح الهاء، يريدان ابنها، فاكتفيا بالفتحة عن الألف، وبه ينصر مذهب الحسن، قال قتادة: سألته؟ فقال: والله ما كان ابنه، فقلت: إنّ الله حكى عنه: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [هود: ٤٥]، وأنت تقول: لم يكن ابنه، وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه، فقال: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب، واستدل بقوله: (من أهلي)، ولم يقل: مني، ولنسبته إلى أمّه وجهان:

أحدهما/ ٣٣١ب: أن يكون ربيباً له، كعمر بن أبي سلمة لرسول الله ﷺ وأن يكون لغير رشدة، وهذه غضاضة عصمت منها الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وقرأ السدي: «ونادى نوح ابناه»، على الندبة والترثي، أي: قال: يا ابناه، والمعزل: مفعل، من عزله عنه إذا نحاه وأبعده، يعني: وكان في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين، وقيل:

---

(١) قوله: «عند اضطرابه وزخيره» في الصحاح «زخر الوادي» إذا امتد جدا وارتفع. ومنه يقال: بحر زاخر.

كان في معزل عن دين أبيه، ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ قرئ بكسر الياء؛ اقتصاراً عليه من ياء الإضافة، وبالفتح اقتصاراً عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة في قولك: يا بنيا، أو سقطت الياء والألف؛ لالتقاء الساكنين؛ لأنّ الراء بعدهما ساكنة، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾: إلا الراحم وهو الله تعالى[1]، أو لا عاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله، أي: إلا مكان من رحم الله من المؤمنين، وكان لهم غفوراً رحيماً في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود: ٤١]، وذلك أنه لما جعل الجبل عاصماً من الماء، قال له: لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد، وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم، يعني: السفينة، وقيل: «لا عاصم»، بمعنى لا ذا عصمة إلا من رحمه الله؛ كقوله: ﴿مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ [الطارق: ٦]، و﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٢١] وقيل: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾: استثناء منقطع، كأنه قيل: ولكن من رحمه الله فهو المعصوم؛ كقوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ [النساء: ١٥٧]، وقرئ: ﴿إِلَّا مَن رُّحِمَۚ﴾: على البناء للمفعول.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤﴾

نداء الأرض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز[2] على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات، وهو قوله: ﴿يَٰٓأَرۡضُ﴾، و﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾، ثم

---

(١) قال محمود: «المراد إلا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم... إلخ» قال أحمد: والاحتمالات الممكنة أربعة: لا عاصم إلا راحم، ولا معصوم إلا مرحوم، ولا عاصم إلا مرحوم، ولا معصوم إلا راحم. فالأولان استثناء من الجنس، والآخران من غير الجنس. وزاد الزمخشري خامساً؛ وهو لا عاصم إلا مرحوم، على أنه من الجنس بتأويل حذف المضاف، تقديره: لا مكان عاصم إلا مكان مرحوم. والمارد بالنفي التعريض بعدم عصمة الجبل، وبالمثبت التعريض بعصمة السفينة والكل جائز، وبعضها أقرب من بعض، والله أعلم.

(٢) قال محمود: «نداء الأرض والسماء بما ينادي به العاقل... إلخ» قال أحمد: ومن هذا النمط في السكوت عن ذكر الموصوف اكتفاء بصفاته لانفراده بها السكوت عن ذكر الأوصاف أحياناً، اكتفاء بذكر الموصوف لتبينه بها وتوحده فيها، وأنه متى ذكر مكانها قد ذكرت بذكره في مثل قوله ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ الآية. والمراد: وهو الله الموصوف بصفات الكمال المشهور بها في العالمين. ومنه [من الرجز]:

أنا أبو النجم وشعري شعري

ولقد تحيل الشعراء على التعلق بأذيال هذه المعاني اللطيفة، فقال أبو الطيّب يمدح عضد الدولة [من الرجز]:

لا تحمدنها واحمدن هماما ... إذ لم يسم حامد سواكا

يعني لا تمدح نفسك فإنك المنفرد بالممادح، حتى إذا ذكرت ولم يسم المعنى بها لم يسبق إلى ذهن أحد غيرك لتفردك بها.

أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله: ﴿ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾، و﴿أَقْلِعِى﴾: من الدلالة على الاقتدار العظيم، وأن السموات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه، كأنها عقلاء مميزون، قد عرفوا عظمته، وجلالته، وثوابه، وعقابه، وقدرته على كل مقدور، وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له، والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث، فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء، والبلع: عبارة عن النشف، والإقلاع: الإمساك، يقال: أقلع المطر وأقلعت الحمى، ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾: من غاضه إذا نقصه، ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: وأنجز ما وعد الله نوحاً من هلاك قومه، ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾: واستقرّت السفينة، ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾: وهو جبل بالموصل، ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ يقال: بعد بعداً وبعداً، إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك؛ ولذلك اختص بدعاء السوء، ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء، وأنّ تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل/ ٣٣٢أ قادر، وتكوين مكون قاهر، وأنّ فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله، فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره: يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، ولا أن يقضي ذلك الأمر الهائل غيره، ولا أن تستوي السفينة على متن الجودي، وتستقر عليه إلا بتسويته وإقراره، ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم، لا لتجانس الكلمتين، وهما قوله: (ابلعي)، و: (أقلعي)؛ وذلك، وإن كان لا يخلى الكلام من حسن، فهو كغير الملتفت إليه بإزاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور، وعن قتادة: استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب، وكانت في الماء خمسين ومائة يوم، واستقرّت بهم على الجودي شهراً، وهبط بهم يوم عاشوراء، وروي أنها مرت بالبيت، فطافت به سبعاً، وقد أعتقه الله من الغرق، وروي أنّ نوحاً صام يوم الهبوط، وأمر من معه فصاموا شكراً لله تعالى.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٤٦)﴾

نداؤه ربه: دعاؤه له، وهو قوله: ﴿رَبِّ﴾، مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله.

فإن قلت: فإذا كان النداء هو قوله: (رب)، فكيف عطف: (قال رب) على: (نادى) بالفاء؟

قلت: أريد بالنداء إرادة النداء، ولو أريد النداء نفسه لجاء، كما جاء قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ

﴿رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ﴾ [مريم: ٣، ٤] بغير فاء، ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ أي: بعض أهلي؛ لأنه كان ابنه من صلبه، أو كان ربيباً له فهو بعض أهله، ﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾: وأن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في إنجازه والوفاء به، وقد وعدتني أن تنجي أهلي، فما بال ولدي؟ ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ أي: أعلم الحكام وأعدلهم[١]؛ لأنه لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل، ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب أقضى القضاة، ومعناه: أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر، ويجوز أن يكون من الحكمة، على أن يبني من الحكمة حاكم بمعنى: النسبة كما قيل: دارع من الدرع، وحائض وطالق على مذهب الخليل، ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ تعليل لانتفاء كونه من أهله. وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب. وأنّ نسيبك في دينك ومعتقدك من الأباعد في المنصب[٢] وإن كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك. ومن لم يكن على دينك ـ وإن كان أمس أقاربك رحماً ـ فهو أبعد بعيد منك، وجعلت ذاته عملاً غير صالح، مبالغة في ذمّه، كقولها [من البسيط]:

.... فَـإِنَّـمَـا هِـيَ إِقْـبَـالٌ وَإِدْبَـارُ[٣]

وقيل: الضمير: لنداء نوح، أي: إنّ نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك.

فإن قلت: فهلا قيل: إنه عمل فاسد[٤]؟

---

(١) قال محمود: «قال أي أعلم الحكام وأعدلهم، لأنه لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم... إلخ» قال أحمد: ثم حدث بعد الزمخشري ترفع عن أقضى القضاة إلى قاضي القضاة، والذي تلاحظوا به في ارتفاع هذه الثانية على الأولى: أن الأولى تقتضي مشاركة القضاة لأقضاهم في الوصف، وأن يزاد عليهم، فترفعوا أن يشركهم أحد في وصفهم ممن دونهم في المنصب، فعدلوا عما يشاركه فيه إلى ما ليس كذلك، فأفردوا رئيسهم بتلقيبه بقاضي القضاة: أي هو الذي يقضي بين القضاة ولا يشاركهم منهم أحد في وصفه، وجعلوا الذي يليه في الرتبة أقضى القضاة إلا أنهم إنما يعنون قاضي قضاة زمانه أو إقليمه. وإذا جاز أن يطلق على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أقضى قضاة الصحابة في زمانه كما أطلقه عليه النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال «أقضاكم علي» فدخل في المخاطبين القضاة وغيرهم، فلا حرج إن شاء الله أن يطلق على أعدل قضاة الزمان أو الإقليم وأعلمهم: قاضي القضاة، وأقضى القضاة، أي قضاة زمانه وبلده، وكل قرن ناجم في زمن فهو شبيه زمن فيه بدا هذا اللقب.

(٢) قوله: «من الأباعد في المنصب» لعله تحريف، وأصله في النسب (ع).

(٣) تقدم.

(٤) قال محمود: «فهلا قيل: إنه عمل فاسد قلت لما نفاه عن أهله نفي عنه... إلخ» قال أحمد: ولهذا المعنى والله أعلم قيل له عليه الصلاة والسلام ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤﴾ وإن كان مأموراً بالإنذار على العموم، ولكن لما كانت أهلية النبي عليه الصلاة والسلام مظنة الاتكال والفتور عن العمل، خص أهله بالإنذار إيذاناً بذلك، والله أعلم. ولهذا لما نزلت أنذرهم النبي ﷺ وقال: إني لا أملك لكم من الله شيئاً، أو قال ذلك كل واحد منهم بخصوصه.

قلت: لما نفاه عن أهله، نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقي معها لفظ المنفي، وآذن بذلك أنه إنما أنجى/ ٣٣٢ب من أنجى من أهله لصلاحهم، لا لأنهم أهلك وأقاربك، وإنّ هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوّتك؛ كقوله: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [التحريم: ١٠]، وقرئ: عمل غير صالح أي عمل عملاً غير صالح. وقرئ: «فلا تسئلنّ»، بكسر النون بغير ياء الإضافة، وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء، يعني: فلا تلتمس مني ملتمساً أو التماساً لا تعلم أصواب هو أم غير صواب، حتى تقف على كنهه، وذكر المسألة دليل على أنّ النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه.

فإن قلت: لم سمي نداؤه سؤالاً ولا سؤال فيه؟

قلت: قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وإن لم يصرح به؛ لأنه إذا ذكر الموعد بنجاة أهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز، وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلاً وغباوة، ووعظه ألاّ يعود إليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين.

فإن قلت: قد وعده أن ينجي أهله، وما كان عنده[1] أن ابنه ليس منهم ديناً، فلما أشفى على الغرق، تشابه عليه الأمر؛ لأن العدة قد سبقت له، وقد عرف الله حكيماً لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد، فطلب إماطة الشبهة وطلبُ إماطة الشبهة واجب، فلم زجر وسمي سؤاله جهلاً؟

قلت: إن الله ـ عز وعلا ـ قدّم له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم، فكان عليه أن يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب للعذاب؛ لكونه غير صالح، وأن كلهم ليسوا بناجين، وألاّ تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أنه من

---

(١) قال محمود: «فإن قلت قد وعده الله أن ينجي أهله وما كان عنده... إلخ» قال أحمد: وفي كلام الزمخشري ما يدل على أنه يعتقد أن نوحاً عليه السلام صدر منه ما أوجب نسبة الجهل إليه ومعاتبته على ذلك، وليس الأمر كما تخيله الزمخشري، ونحن نوضح الحق في الآية منزلاً على نصها مع تنزيه نوح عليه السلام مما توهم الزمخشري نسبته إليه فنقول: لما وعد نوح أولاً تنجية أهله إلا من سبق عليه القول منهم ولم يكن كاشفاً لحال ابنه المذكور ولا مطلعاً على باطن أمره بل معتقداً بظاهر الحال أنه مؤمن، بقي على التمسك بصيغة العموم للأهلية الثابتة ولم يعارضها يقين في كفر ابنه حتى يخرج من الأهل ويدخل في المستثنين، فسأل الله فيه بناء على ذلك، فتبين له أنه في علمه من المستثنين، وأنه هو لا علم له بذلك، فلذلك سأل فيه، وهذا بأن يكون إبانة عذر أولى منه أن يكون عتباً، فإن نوحاً عليه السلام لا يكلفه الله علماً استأثر به غيباً. وأما قوله ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فالمراد منه النهي عن وقوع السؤال في المستقبل بعد أن أعلمه الله باطن أمره، وأنه إن وقع في المستقبل في السؤال كان من الجاهلين. والغرض من ذلك تقديم ما يبقيه عليه السلام على سمة العصمة، والموعظة لا تستدعي وقوع ذنب، بل المقصد منها أن لا يقع الذنب في الاستقبال، ولذلك مثل عليه الصلاة والسلام ذلك، واستعاذ بالله أن يقع منه ما نهى عنه والله أعلم.

المستثنين لا من المستثنى منهم، فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب ألاَّ يشتبه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾

﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾: من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته؛ تأدباً بأدبك، واتعاظاً بموعظتك، ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾: ما فرط مني من ذلك، ﴿وَتَرْحَمْنِيٓ﴾: بالتوبة عليّ، ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: أعمالاً.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤٨﴾

وقرئ: «يا نوح اهبط»، بضم الباء، ﴿بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾: مسلماً محفوظاً من جهتنا، أو مسلماً عليك مكرّماً، ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾: ومباركاً عليك، والبركات الخيرات النامية، وقرئ: «وبركة»، على التوحيد، ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾: يحتمل أن تكون من للبيان، فيراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة؛ لأنهم كانوا جماعات، أو قيل لهم أمم؛ لأنّ الأمم تتشعب منهم، وأن تكون لإبداء الغاية، أي: على أمم ناشئة ممن معك، وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه، وقوله: ﴿وَأُمَمٌ﴾: رفع بالابتداء، و﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾: صفة، والخبر محذوف تقديره: وممن معك أمم سنمتعهم؛ وإنما حذف؛ لأنّ قوله: (ممن معك) يدل عليه، والمعنى: أنّ السلام منا، والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون ممن معك، وممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار، وكان نوح ـ عليه/ ٣٣٣أ السلام ـ أبا الأنبياء، والخلق بعد الطوفان منه، وممن كان معه في السفينة، وعن كعب بن محمد القرظي: دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر، وعن ابن زيد: هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلاً، منهم من رحم، ومنهم من عذب، وقيل: المراد بالأمم الممتعة: قوم: هود، وصالح، ولوط، وشعيب.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٤٩﴾

﴿تِلْكَ﴾: إشارة إلى قصة نوح ـ عليه السلام ـ ومحلها الرفع على الابتداء، والجمل بعدها أخبار، أي: تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك، مجهولة عندك وعند قومك، ﴿مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ﴾: من قبل إيحائي إليك وإخبارك بها، أو من قبل هذا العلم الذي

كسبته بالوحي، أو: من قبل هذا الوقت، ﴿فَاصْبِرْ﴾: على تبليغ الرسالة وأذى قومك، كما صبر نوح، وتوقع في العاقبة لك، ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه، ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾: في الفوز والنصر والغلبة: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقوله: ﴿وَلَا قَوْمُكَ﴾: معناه: إنّ قومك الذين أنت منهم على كثرتهم، ووفور عددهم، إذ لم يكن ذلك شأنهم، ولا سمعوه، ولا عرفوه، فكيف برجل منهم كما تقول: لم يعرف هذا عبد الله ولا أهل بلده.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿أَخَاهُمْ﴾: واحداً منهم، وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحاً، و﴿هُودًا﴾: عطف بيان؛ و﴿غَيْرُهُ﴾ بالرفع: صفة على محل الجار والمجرور، وقرئ: «غيرِه»، بالجرّ صفة على اللفظ، ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾: تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء، ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول؛ لأنّ شأنهم النصيحة، والنصيحة لا يمحصها، ولا يمحضها إلا حسم المطامع، وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: إذ تردّون نصيحة من لا يطلب عليها أجراً إلا من الله، وهو ثواب الآخرة، ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك، قيل: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾: آمنوا به، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: من عبادة غيره؛ لأن التوبة لا تصلح إلا بعد الإيمان، «والمدرار»: الكثير الدرور، كالمغزار؛ وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان، وترغيبهم فيه، بكثرة المطر، وزيادة القوّة؛ لأنّ القوم كانوا أصحاب زروع، وبساتين، وعمارات، حرّاصاً عليها أشد الحرص، فكانوا أحوج شيء إلى الماء، وكانوا مدلين[1] بما أوتوا من شدّة القوّة، والبطش، والبأس، والنجدة، مستحرزين بها من العدوّ، مهيبين في كل ناحية، وقيل: أراد القوّة في المال، وقيل: القوّة على النكاح، وقيل: حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم، وعن الحسن بن عليّ ـ رضي الله عنهما ـ أنه وفد على معاوية، فلما خرج، تبعه بعض حجابه، فقال: إني رجل ذو مال ولا يولد لي، فعلمني شيئاً لعلّ الله يرزقني ولداً، فقال: عليك بالاستغفار، فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة، فولد له عشر بنين، فبلغ/ ٣٣٣ب ذلك معاوية، فقال: هلا سألته ممَّ قال ذلك، فوفد وفدة أخرى، فسأله

---

(١) قوله: «وكانوا مدلين» من الدل. وفي الصحاح: الدل قريب من الهدى، وهما من السكينة والوقار (ع).

الرجل؟ فقال: ألم تسمع قول هود ـ عليه السلام ـ: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾، وقول نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾، ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾: ولا تعرضوا عني، وعما أدعوكم إليه وأُرغبكم فيه، ﴿مُجْرِمِينَ﴾: مصرّين على إجرامكم وآثامكم.

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: كذب منهم وجحود، كما قالت قريش لرسول الله ﷺ ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [يونس: ٢٠]، مع فوت آياته الحصر، ﴿عَن قَوْلِكَ﴾: حال من الضمير في تاركي آلهتنا، كأنه قيل: وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم إليه؛ إقناطاً له من الإجابة.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿اعْتَرَاكَ﴾: مفعول نقول، وإلا لغو، والمعنى: ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء، أي: خبلك ومسك بجنون لسبك إياها، وصدّك عنها وعداوتك لها، مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء، فمن ثم تتكلم بكلام المجانين، وتهذي بهذيان المبرسمين[(١)]، وليس بعجب من أولئك أن يسموا التوبة والاستغفار خبلاً وجنوناً وهم عاد أعلام الكفر، وأوتاد الشرك؛ وإنما العجب من قوم من المتظاهرين بالإسلام، سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنوناً، والمنيب إلى ربه مخبلاً، ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه في أيام جاهليته من الموادّة؛ وما ذاك إلا لعرق من الإلحاد أبى إلا أن ينبض، وضب من الزندقة[(٢)] أراد أن يطلع رأسه، وقد دلت أجوبتهم المتقدّمة على أنّ القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد، لا يبالون بالبهت[(٣)]، ولا يلتفتون إلى النصح، ولا تلين شكيمتهم للرشد، وهذا الأخير دال على جهل مفرط وبله متناه؛ حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم، ولعلهم حين أجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب، من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمّة عطاشاً إلى إراقة دمه، يرمونه عن قوس واحدة؛ وذلك لثقته بربه، وأنه يعصمه منهم، فلا تنشب فيه مخالبهم؛ ونحو ذلك قال نوح ـ عليه السلام ـ

---

(١) قوله: «المبرسمين» في الصحاح «البرسام» علة معروفة (ع).

(٢) قوله: «وضب من الزندقة» في الصحاح «الضب» الحقد. والضب: واحد ضباب النخل، وهو طلعه (ع).

(٣) قوله: «لا يبالون بالبهت» رمي الشخص بما ليس فيه (ع).

لقومه: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]، أكد براءته من آلهتهم، وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة الله وشهادة العباد، فيقول الرجل: الله شهيد على أني لا أفعل كذا، ويقول لقومه: كونوا شهداء على أني لا أفعله.

فإن قلت: هلا قيل: إني أشهد الله وأشهدكم؟[١]

قلت: لأنّ إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشدّ معاقده، وأمّا إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم، ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب، فعدل به عن لفظ الأوّل لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة/ ٣٣٤أ، كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه. اشهد على أني لا أحبك؛ تهكماً به، واستهانة بحاله، ﴿مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ﴾: من إشراككم آلهة من دونه، أو مما تشركونه من آلهة من دونه، أي: أنتم تجعلونها شركاء له، ولم يجعلها هو شركاء، ولم ينزل بذلك سلطاناً، ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾: أنتم وآلهتكم أعجل ما تفعلون، من غير إنظار؛ فإني لا أبالي بكم وبكيدكم، ولا أخاف معزتكم وإن تعاونتم عليّ، وأنتم الأقوياء الشداد، فكيف تضرني آلهتكم وما هي إلا جماد لا تضرّ ولا تنفع، وكيف تنتقم مني إذا نلت منها وصددت عن عبادتها، بأن تخبلني وتذهب بعقلي؟

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾

ولما ذكر توكله على الله، وثقته بحفظه، وكلاءته من كيدهم، وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم، من كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه، والأخذ بنواصيها، تمثيل لذلك، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: يريد أنه على طريق الحق والعدل في ملكه، لا يفوته ظالم، ولا يضيع عنده معتصم به، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: فإن تتولوا.

---

(١) قال محمود: «إن قلت هلا قيل أشهد الله وأشهدكم... إلخ» قال أحمد: وتلخيص ما قاله أن صيغة الخبر لا تحتمل سوى الإخبار بوقوع الإشهاد منه، فلما كان إشهاده لله واقعاً محققاً عبر عنه بصيغة الخبر. لأنه إشهاد صحيح ثابت، وعبر في جانبهم بصيغة الأمر التي تتضمن الاستهانة بدينهم وقلة المبالاة به، وهو مراده في هذا المقام معهم. ويحتمل أن يكون إشهاده لهم حقيقة، والغرض إقامة الحجة عليهم، وإنما عدل إلى صيغة الأمر عن صيغة الخبر؛ للتمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم، بأن يعبر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر التي هي أجل وأوقر للمخاطب من صيغة الأمر، والله الموفق للصواب.

فإن قلت: الإبلاغ كان قبل التولي، فكيف وقع جزاء للشرط؟

قلت: معناه: فإن تتولوا، لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ، وكنتم محجوجين بأنّ ما أرسلت به إليكم قد بلغكم، فأبيتم إلا تكذيب الرسالة، وعداوة الرسول، ﴿وَيَسْتَخْلِفُ﴾: كلام مستأنف، يريد: ويهلككم الله، ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم، ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ﴾: بتوليكم، ﴿شَيْئًا﴾: من ضرر قط؛ لأنه لا يجوز عليه المضارّ والمنافع؛ وإنما تضرون أنفسكم، وفي قراءة عبد الله: «ويستخلف»، بالجزم، وكذلك: «ولا تضروه»، عطفاً على محل: ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم﴾، والمعنى: إن يتولوا، يعذرني، ويستخلف قوماً غيركم، ولا تضروا إلا أنفسكم، ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ أي: رقيب عليه مهيمن، فما تخفى عليه أعمالكم، ولا يغفل عن مؤاخذتكم، أو من كان رقيباً على الأشياء كلها، حافظاً لها، وكانت مفتقرة إلى حفظه من المضارّ، لم يضر مثله مثلكم.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ قيل: كانوا أربعة آلاف.

فإن قلت: ما معنى تكرير التنجية؟

قلت: ذكر أولاً أنه حين أهلك عدوهم، نجاهم، ثم قال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ على معنى: وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ؛ وذلك أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ بعث عليه السموم، فكانت تدخل في أنوفهم، وتخرج من أدبارهم، فتقطعهم عضواً عضواً، وقيل: أراد بالثانية: التنجية من عذاب الآخرة، ولا عذاب أغلظ منه وأشدّ، وقوله: «برحمة منا»، يريد: بسبب الإيمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق له.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾: إشارة إلى قبورهم وآثارهم، كأنه قال: سيحوا في الأرض، فانظروا إليها واعتبروا، ثم استأنف وصف أحوالهم فقال: ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾/ ٣٣٤ب؛ لأنهم إذا عصوا رسولهم، فقد عصوا جميع رسل الله، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ قيل: لم يرسل إليهم إلا هود وحده، ﴿كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾، يريد: رؤساءهم، وكبراءهم، ودعاتهم إلى تكذيب الرسل، ومعنى اتباع أمرهم: طاعتهم، ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل، جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين، تكبهم على وجوههم في عذاب الله، و﴿أَلَا﴾: وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم؛ تهويل لأمرهم وتفظيع له، وبعث على الاعتبار بهم، والحذر من مثل حالهم.

فإن قلت: ﴿بُعْدًا﴾ دعاء بالهلاك، فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم؟

قلت: معناه: الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له؛ ألا ترى إلى قوله [من المديد]:

إِخْـوَتِـي لا تَـبْـعَـدُوا أَبَـداً   وَبَـلَـى وَاللهِ قَـدْ بَـعِـدُوا[1]

﴿قَوْمِ هُودٍ﴾: عطف بيان لعاد.

فإن قلت: ما الفائدة في هذا البيان[2]، والبيان حاصل بدونه؟

قلت: الفائدة فيه: أن يوسموا بهذه الدعوة وسماً، وتجعل فيهم أمراً محققاً، لا شبهة فيه بوجه من الوجوه، ولأنّ عاداً عادان: الأولى: القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم، والأخرى: إرم.

﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ

---

(١) إخـوتـي لا تـبـعـدوا أبـداً   وبـلـي والله قـد بـعـدوا
مـا أمـرّ الـعـيـش بـعـدكـم   كـل عـيـش بـعـدكـم نـكـد
لـيـت شـعـري كـيـف شـربـكـم؟   إن شـربـي بـعـدكـم ثـمـد

لفاطمة بنت الأحجم الخزاعية. وتقول العرب: بعد بالضم في ضد القرب، وبالكسر في الهلاك، ومضارع الأول مضموم، ومضارع الثاني مفتوح. وما في البيت منه. وما أمر: تعجب، وشبهت العيش وهو الحياة أو ما يعاش به بشيء مر على طريق المكنية، وإثبات المرارة تخييل. أو استعارتها للنقص على طريق التصريحية. والنكد: العسر الضيق المنغص. والثمد: الماء القليل الذي لا مادة له فينقطع سريعاً. ورجل مثمود، إذا كثر عليه السؤال من العلم أو المال حتى نفد ما عنده. والمعنى: أن سروري بعدكم منقطع كالماء القليل، وعبرت بذلك لمشاكلة ما قبله. ويروى لها بعد البيت الأول:

لـو تـمـلـتـهـم عـشـيـرتـهـم   لاقـتـنـاء الـعـز أو ولـدوا
هـان مـن بـعـض الـرزيـة أو   هـان مـن بـعـض الـذي أجـد
كـل مـا حـي وإن أمـروا   واردو الـحـوض الـذي وردوا

ومعنى تملتهم: عاشوا معهم مليا من الزمان، وأقحمت «من» مع إغباء «بعض» عنها، للدلالة على تبغيض البغض. و«ما» مقحمة، بني كل حي مبالغة في العموم. وأمروا بالكسر: كثروا. والحوض: تمثيل للموت.

ينظر: شرح شواهد المغني (٢/ ٥٤٣)، ومغني اللبيب (١/ ١٩٨)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص (٩١٢).

(١) قال محمود: «إن قلت ما الفائدة في هذا البيان وجعل قوم هود عطف بيان على عاد... إلخ» قال أحمد: فيه أيضاً فائدتان جليلتان، إحداهما: النسبة بذكر هود الذي إنما استحقوا الهلاك بسببه على موجب الدعاء عليهم، وكأنه قيل: عاد قوم هود الذي كذبوه، والأخرى تناسب الآي بذلك، فإن قبلها ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ وقبل ذلك حفيظ وغليظ، وغير ذلك مما هو على وزن فعيل المناسب لفعول في القوافي، والله أعلم.

فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: لم ينشئكم منها إلا هو، ولم يستعمركم فيها غيره، وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب، ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: وأمركم بالعمارة، والعمارة: متنوعة إلى واجب، وندب، ومباح، ومكروه، وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار، وغرس الأشجار، وعمروا الأعمار الطوال، مع ما كان فيهم من عسف الرعايا، فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم، فأوحى إليه: إنهم عمروا بلادي، فعاش فيها عبادي، وعن معاوية بن أبي سفيان أنه أخذ في إحياء الأرض في آخر أمره، فقيل له، فقال: ما حملني عليه إلا قول القائل [من البسيط]:

لَيْسَ الفَتَىٰ بِفَتًى لاَ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... وَلاَ تَكُونُ لَهُ فِي الأَرْضِ آثَارُ(١)

وقيل: «استعمركم من العمر»، نحو: استبقاكم من البقاء، وقد جعل من العمرى، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون استعمر في معنى: أعمر؛ كقولك: استهلكه في معنى أهلكه، ومعناه: أعمركم فيها دياركم، ثم هو وارثها منكم عند انقضاء أعماركم.

والثاني: أن يكون بمعنى: جعلكم معمرين دياركم فيها؛ لأنّ الرجل إذا ورّث داره من بعده، فكأنما أعمره إياها؛ لأنه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره، ﴿قَرِيبٌ﴾: داني الرحمة

---

(١) قوله: «بفتى» خبر ليس. و«لا يستضاء به» صفته. ويجوز أنه حال من الفتى الأول، شبهه في حسن الرأي وهداية المستشير بسراج منير. ويمكن أن شبهه بكوكب في السماء، ليقابل الأرض بعده. والجامع ما مر. ويجوز أن الجامع أنه يكشف غمة الفقر، كما أن المشبه به يكشف ظلمة الليل، وعلى كل حال فالاستضاءة تخييل. روي أنه قيل لمعاوية: لم أكثرت من حفر الأنهار وغرس الأشجار وإحياء القفار؟ فقال: ما حملني عليه إلا هذا البيت، فالآثار هي ما كان يفعله. ويحتمل أنها المكارم الموجبة للثناء بعد الفناء.

سهل المطلب، ﴿مُّجِيبٌ﴾: لمن دعاه وسأله، ﴿فِينَا﴾: فيما بيننا، ﴿مَرْجُوًّا﴾: كانت تلوح فيك مخايل الخير، وأمارات الرشد، فكنا نرجوك لننتفع بك، وتكون مشاوراً في الأمور، ومسترشداً في التدابير، فلما نطقت بهذا القول، انقطع رجاؤنا عنك، وعلمنا أن لا خير فيك، وعن ابن عباس: فاضلاً خيراً نقدّمك على جميعنا، وقيل: كنا نرجو أن تدخل في ديننا، وتوافقنا على/ ٣٣٥أ ما نحن عليه، ﴿يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: حكاية حال ماضية، ﴿مُرِيبٍ﴾: من أرابه إذا أوقعه في الريبة، وهي قلق النفس، وانتفاء الطمأنينة باليقين، أو من «أراب الرجل»: إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازي، قيل: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: بحرف الشك، وكان على يقين أنه على بينة؛ لأنّ خطابه للجاحدين، فكأنه قال: قدّروا أني على بينة من ربي، وأني نبيّ على الحقيقة، وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره، فمن يمنعني من عذاب الله؟ ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾: إذن حينئذ[1]، ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ يعني: تخسرون أعمالي وتبطلونها، أو: فما تزيدونني بما تقولون لي، وتحملونني عليه غير أن أخسركم، أي: أنسبكم إلى الخسران، وأقول لكم: إنكم خاسرون، ﴿ءَايَةً﴾: نصب على الحال، قد عمل فيها ما دلّ عليه اسم الإشارة من معنى الفعل.

فإن قلت: فبم يتعلق: ﴿لَكُمْ﴾؟

قلت: بآية حالاً منها متقدّمة؛ لأنها لو تأخرت، لكانت صفة لها، فلما تقدمت، انتصبت على الحال، ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء إلا يسيراً؛ وذلك ثلاثة أيام ثم يقع عليكم، ﴿تَمَتَّعُوا﴾: استمتعوا بالعيش، ﴿فِي دَارِكُمْ﴾: في بلدكم، وتسمى البلاد: الديار؛ لأنه يدار فيها، أي: يتصرف، يقال: ديار بكر، لبلادهم، وتقول العرب الذين حوالي مكة: نحن من عرب الدار، يريدون: من عرب البلد، وقيل: في دار الدنيا، وقيل: عقروها يوم الأربعاء، وهلكوا يوم السبت، ﴿غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾: غير مكذوب فيه، فاتسع في الظرف بحذف الحرف، وإجرائه مجرى المفعول به؛ كقولك: يوم مشهود؛ من قوله [من الطويل]:

وَيَــــوْمٍ شَـــهِـــدْنَـــاهُ... ....[2]

---

(١) قوله: «إذن حينئذ» لعل إحداهما مزيدة (ع).

(٢) ويوم شهدناه سليماً وعامراً   قليل سوى الطعن النهال نوافله

يقول: ورب يوم شهدنا فيه، فحذف الجار وأوصل الضمير بالفعل، فصار الفعل كأنه متعد لمفعولين: الأول الضمير، والثاني: سليماً، أي قبيلتهما «قليل» صفة ليوم. و«نوافله» فاعل به، وقلة الغنائم لأن قومه لا تراعي حيازتها. أو المعنى أن أعداءه لا ينالون من قومه إلا الطعن، تهكماً بهم، فالاستثناء متصل. ويجوز أنه منقطع. ووصف المفرد بالجمع باعتبار أنواعه أو مراته، فهو متعدد أيضاً. والنهال: جمع ناهل، أي ريان أو عطشان على التشبيه هنا، فهو من الأضداد، ووصف =

أو على المجاز، كأنه قيل للوعد: نفى بك، فإذا وفى به، فقد صدق ولم يكذب، أو وعد غير كذب، على أنّ المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول، وكالمصدوقة بمعنى: الصدق، ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾: قرئ مفتوح الميم؛ لأنه مضاف إلى إذ، وهو غير متمكن؛ كقوله [من الطويل]:

عَلَىٰ حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا ....(1)

فإن قلت: علام عطف؟

قلت: على نجينا؛ لأنّ تقديره: ونجيناهم من خزي يومئذ، كما قال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨] على: وكانت التنجية من خزي يومئذ، أي: من ذله، ومهانته، وفضيحته، ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه، ويجوز أن يريد بيومئذ: يوم القيامة، كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة، وقرئ: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ﴾، و(لثمود): كلاهما بالصرف وامتناعه، فالصرف للذهاب إلى الحيّ أو الأب الأكبر، ومنعه للتعريف والتأنيث، بمعنى: القبيلة.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾

= الطعن بأنه ناهل مجاز عقلي؛ لأن الذي يوصف به الرمح أو الفارس. والمعنى: أنهم يتشفون من غيظ قلوبهم بذلك الطعن.

البيت لرجل من بني عامر في الدرر ٣/ ٩٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٤٦، ولسان العرب (جزى)، الأشباه والنظائر ١/ ٣٨، وخزانة الأدب ٧/ ١٨١، ٨/ ٢٠٢ و١٠/ ١٧٤، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٨٨، مغني اللبيب ٢/ ٥٠٣، والمقتضب ٣/ ١٠٥، والمقرّب ١/ ١٤٧، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٣، وأمالي ابن الشجري ١/ ٦، الكامل ٢١ والدر المصون ١/ ٢١٤.

(١) على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت: ألما أصح والشيب وازع؟

للنابغة الذبياني، وبنى حين على الفتح لإضافته إلى مبني، وشبه المشيب بمن يصح معه العتاب على طريق المكنية والعتاب تخييل، ويحتمل أن إيقاع العتاب على المشيب مجاز عقلي. والمعنى: عاتبت نفسي زمن الشيب على الصبا، أي الميل إلى الهوى كما يفعل الشبان. وقوله: «فقلت» بيان للعتاب، أي: إلى الآن لم أفق من سكرة الصبا، والحال أن الشيب زاجراً لي عن موجب العتاب، والاستفهام توبيخي: أي لا ينبغي ذلك، ووزعته فاتزع: كففته فامتنع؛ فالوازع الذي يصلح الصف ويمنعه عن الاعوجاج، وأوزعني: ألهمني ما يصلح شأني.

ينظر شرح المفصل ١/ ٤٥٨، وشرح الأشموني ٢/ ٢٥٦، شرح شواهد المغني ٢/ ٨١٦ و٨٨٣، والدر المصون ٢/ ١٧.

﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾

﴿رُسُلُنَآ﴾: يريد الملائكة، عن ابن عباس: جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ وملكان معه، وقيل: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وقيل: كانوا تسعة، وعن السدي: أحد عشر/ ٣٣٥ب، ﴿بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾: هي البشارة بالولد، وقيل: بهلاك قوم لوط، والظاهر الولد، ﴿سَلَٰمٗاۖ﴾: سلمنا عليك سلاماً، ﴿سَلَٰمٞۖ﴾: أمركم سلام، وقرئ: «فقالوا سلما قال سلم»، بمعنى: السلام، وقيل: «سلم وسلام»، كحرم وحرام؛ وأنشد [من الطويل]:

مَرَرْنَا فَقُلْنَا: إِيهِ سِلْمٌ فَسَلَّمَتْ كَمَا اكْتَلَّ بِالبَرْقِ الْغَمَامُ اللَّوَائِحُ[(١)]

﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾: فما لبث في المجيء به، بل عجل فيه، أو: فما لبث مجيئه، والعجل: ولد البقرة، ويسعى الحسيل والخبش بلغة أهل السراة، وكان مال إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ البقر، ﴿حَنِيذٖ﴾: مشويّ بالرضف[(٢)] في أخدود، وقيل: (حنيذ): يقطر دسمه، من حنذت الفرس، إذا ألقيت عليها الجل حتى تقطر عرقاً؛ ويدل عليه: ﴿بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ **[الذاريات: ٢٦]**، يقال: نكره، وأنكره، واستنكره، ومنكور: قليل في كلامهم، وكذلك: أنا أنكرك، ولكن منكر، ومستنكر، وأنكرك، قال الأعشى: [البسيط]

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ مِنَ الْحَوَادِثِ إِلاَّ الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا[(٣)]

قيل: كان ينزل في طرف من الأرض، فخاف أن يرويدوا به مكروهاً[(٤)]، وقيل: كانت

---

(١) لذي الرمة غيلان بن عقبة، يقول: مررنا بديار المحبوبة ميّ، فقلنا إيه، أي حدثي واستأنسي، فأسرنا سلم، أي سلامة وأنس، فسلمت علينا ولمعت ثناياها وغابت بسرعة، كما لمع الغمام بلمعان البرق وغاب البرق بسرعة. واكتل اكتلالاً: لمع لمعاناً واللوائح الظواهر: صفة للغمام، لتعدده معنى.
ينظر البيت في البحر المحيط ٥/ ٢٤٢، ومعاني الفراء ٢/ ٢١، وروح المعاني ١٢/ ٩٤، والطبري ١٥/ ٣٨٣، واللسان (سلم)، والدر المصون ٤/ ١١٢.

(٢) قوله: «مشوي بالرضف» أي الحجارة المحماة، كما في الصحاح (ع).

(٣) للأعشى. ويقال: أنكره ونكره: جهله ونفر منه: أي جهلتني المحبوبة، وما كان الذي أنكرته من الحوادث إلا الشيب والصلع وهو انحسار شعر الرأس. وقيل: إن أبا عبيدة سمع بشاراً ينكر نسبة هذا البيت للأعشى ويقول: إنه مصنوع عليه لا يشبه كلامه، فتعجب أبو عبيدة من فطنته، كأنه صح عنده إنكاره.
ينظر ديوانه (١٣٧)، والمحتسب ٢/ ٢٩٨، والخصائص ٣/ ٣١٠، ومجاز القرآن ١/ ٢٩٣، والبحر المحيط ٥/ ٢٤٢، وروح المعاني ١٢/ ٩٠، والتهذيب ١٠/ ١٩١، وإعراب النحاس ٢/ ٢٩٢، والدر المصون ٤/ ١١٣، الموشح ٥٢، الصحاح (نكر)، التاج (نكر)، الأغاني ١٦/ ١٨.

(٤) قال محمود: «قيل إنه كان ينزل في طرف من الأرض فخاف أن يريدوا به مكروهاً. . . . إلخ» قال أحمد: وقد وردت قصة إبراهيم هذه في ثلاثة مواضع: هذا أحدها، وهو دال على أنه إنما أوجس =

عادتهم أنه إذا مسّ من يطرقهم طعامهم أمنوه وإلا خافوه، والظاهر: أنه أحسّ بأنهم ملائكة، ونكرهم؛ لأنه تخوّف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه، أو لتعذيب قومه؛ ألا ترى إلى قولهم: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ وإنما يقال هذا لمن عرفهم، ولم يعرف فيم أرسلوا، (فأوجس): فأضمر[1]؛ وإنما قالوا: (لا تخف)؛ لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه، أو عرفوه بتعريف الله، أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب للخوف؛ لأنهم كانوا لا ينزلون إلا بعذاب، ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ قيل: كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم، وقيل: كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم، وفي مصحف عبد الله: «وامرأته قائمة» وهو قاعد، ﴿فَضَحِكَتْ﴾: سروراً بزوال الخيفة[2]، أو بهلاك أهل الخبائث، أو: كان ضحكها ضحك إنكار؛ لغفلتهم، وقد أظلهم العذاب، وقيل: كانت تقول لإبراهيم: اضمم لوطاً ابن أخيك إليك؛ فإني أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب، فضحكت سروراً لما أتى الأمر على ما توهمت، وقيل: ضحكت فحاضت، وقرأ محمد بن زياد الأعرابي: (فضحكت) بفتح الحاء، ﴿يَعْقُوبَ﴾: رفع بالابتداء، كأنه قيل: ومن وراء إسحاق يعقوب مولود أو موجود، أي: من بعده، وقيل: الوراء: ولد الولد، وعن الشعبي أنه قيل له: أهذا ابنك؟ فقال: نعم، من الوراء، وكان ولد ولده، وقرئ: (يعقوب): بالنصب، كأنه قيل: «ووهبنا لها إسْحَاق»، ومن وراء إسْحَاق يعقوب؛ على طريقة قوله [من الطويل]:

لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلاَ نَاعِبٍ.........[3]

= منهم خيفة لعلمه أنهم ملائكة وعدم علمه فيم جاؤوا. الثاني: في الحجر قوله ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۝٥١﴾ إلى قوله ﴿لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ فلم يطمئنوا بإعلامه أنهم ملائكة، ولكن بأنهم يبشرون له، فدل على استشعارهم أنه علم كونهم ملائكة ووجل مما جاؤوا فيه. الثالث: في الذاريات ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ﴾ فهو أيضاً كذلك. وأما لوط فلم يشعر أنهم ملائكة حتى أعلموه بذلك. ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ فأول ما أعلموا به أنهم رسل، فالفرق بين هذه الآية وبين آي إبراهيم، مصداق لأن إبراهيم علم كونهم ملائكة ولوطاً لم يعلم ذلك، ولا يبعد من فضل إبراهيم على لوط أن يبعد على فراسته أن يعلم أنهم ملائكة دون لوط عليهما السلام.

(١) عاد كلامه. قال: «ومعنى أوجس أضمر وإنما قالوا لا تخف لأنهم رأوا أثر الخوف... إلخ» قال أحمد: وهذا التأويل وهم فيه الزمخشري والله أعلم، لأنهم إنما علموا خوفه ووجله بإخباره إياهم بذلك، ويدل عليه قوله تعالى في آية أخرى ﴿قال إنا منكم وجلون قالوا لا توجل﴾ والقصة واحدة. والله الموفق للصواب.

(٢) عاد كلامه. قال: «وضحك زوجته لأنها سرت بذهاب الخيفة... إلخ» قال أحمد: ويبعد هذا التأويل أنها قالت بعد (يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب) فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت، إذ لا عجب في حمل من تحيض، والحيض في العادة مهماز على إمكان الحمل، والله الموفق.

(٣) تقدم.

الألف في: ﴿يَوَيْلَتَىٰٓ﴾: مبدلة من ياء الإضافة، وكذلك في: «يا لهفاً»، و«يا عجباً»، وقرأ الحسن: «يا ويلتي»، بالياء على الأصل، و﴿شَيْخًا﴾: نصب بما دلّ عليه اسم الإشارة، وقرئ شيخ، على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا بعلي هو شيخ، أو بعلي: بدل من المبتدأ، وشيخ: خبر، أو يكونان معاً خبرين، قيل: بشرت ولها ثمان وتسعون سنة، ولإبراهيم مائة/ ٣٣٦أ وعشرون سنة، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: أن يولد ولد من هرمين، وهو استبعاد من حيث العادة التي أجراها الله؛ وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها فـ ﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنها كانت في بيت الآيات، ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات، فكان عليها أن تتوقر، ولا يزدهيها[1] ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة، وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب، وإلى ذلك أشارت الملائكة ـ صلوات الله عليهم ـ في قولهم: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة، ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوّة، فليست بمكان عجب، وأمر الله: قدرته وحكمته، وقوله: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾: كلام مستأنف علل به إنكار التعجب، كأنه قيل: إياك والتعجب؛ فإنّ أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم، وقيل: «الرحمة النبوة»، والبركات الأسباط من بني إسرائيل؛ لأنّ الأنبياء منهم، وكلهم من ولد إبراهيم، ﴿حَمِيدٌ﴾: فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده، ﴿مَّجِيدٌ﴾: كريم كثير الإحسان إليهم، وأهل البيت: نصب على النداء أو على الاختصاص؛ لأن (أهل البيت): مدح لهم؛ إذ المراد: أهل بيت خليل الرحمن.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾

(الروع): ما أوجس من الخيفة، حين نكر أضيافه، والمعنى: أنه لما اطمأن قلبه بعد الخرف وملئ سروراً بسبب البشرى بدل الغم، فرغ للمجادلة.

فإن قلت: أين جواب لما؟

قلت: هو محذوف كما حذف قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ [يوسف: ١٥]، وقوله: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾: كلام مستأنف دال على الجواب، وتقديره: اجترأ على خطابنا، أو فطن لمجادلتنا، أو قال: كيت وكيت، ثم ابتدأ فقال: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ وقيل في: (يجادلنا)، هو: جواب لما؛ وإنما جيء به مضارعاً لحكاية الحال، وقيل: إن «لما» ترد المضارع إلى معنى الماضي، كما ترد «إن»: الماضي إلى معنى الاستقبال، وقيل: معناه:

---

(١) قوله: «ولا يزدهيها» في الصحاح: زهاه وازدهاه: استخفه وتهاون به (ع).

أخذ يجادلنا، وأقبل يجادلنا، والمعنى: يجادل رسلنا، ومجادلته إياهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١]، فقال: أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلاً من المؤمنين أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا، قال: فثلاثون؟ قالوا: لا، حتى بلغ العشرة، قالوا: لا، قال: أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا، فعند ذلك قال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: ٣٢]، ﴿قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ٣٢]، ﴿فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾: في معناهم، وعن ابن عباس: قالوا له: إن كان فيها خمسة يصلون، رفع عنهم العذاب، وعن قتادة: ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير[1]، وقيل: كان فيها أربعة آلاف ألف إنسان، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: غير عجول على كل من/ ٣٣٦ب أساء إليه، ﴿أَوَّٰهٌ﴾: كثير التأوّه من الذنوب، ﴿مُّنِيبٌ﴾: تائب راجع إلى الله بما يحب ويرضى، وهذه الصفات دالة على رقة القلب، والرأفة، والرحمة، فبين أنّ ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب، ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة، والإنابة كما حمله على الاستغفار لأبيه.

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾: على إرادة القول، أي: قالت له الملائكة، ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾: الجدال، وإن كانت الرحمة ديدنك، فلا فائدة فيه، ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: وهو قضاؤه، وحكمه الذي لا يصدر إلا عن صواب وحكمة، والعذاب نازل بالقوم لا محالة، لا مردّ به بجدال، ولا دعاء، ولا غير ذلك.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾

كانت مساءة لوط وضيق ذرعه؛ لأنه حسب أنهم إنس، فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم، روي أنّ الله تعالى قال لهم: «لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات»، فلما مشى معهم منطلقاً بهم إلى منزله، قال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملاً، يقول ذلك أربع مرات، فدخلوا معه منزله، ولم يعلم بذلك أحد، فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها، يقال: يوم عصيب، وعصوصب، إذا كان شديداً من قولك: عصبه، إذا شدّه.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَ

---

(١) قوله: «عشرة فيهم خير» لعله عشرة يصلون.

﴿يُهْرَعُونَ﴾: يسرعون كأنما يدفعون دفعاً، ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها، فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها؛ فلذلك جاؤوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء، وقيل: معناه: وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾؛ أراد أن يقي أضيافه ببناته؛ وذلك غاية الكرم، وأراد: هؤلاء بناتي فتزوّجوهنّ، وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزاً، كما زوّج رسول الله ﷺ ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن وائل قبل الوحي، وهما كافران (٧٦٤)، وقيل: كان لهم سيدان مطاعان، فأراد أن يزوجهما ابنتيه: وقرأ ابن مروان: «هنّ أطهر لكم»، بالنصب، وضعفه سيبويه، وقال: احتبى ابن مروان في لحنه، وعن أبي عمرو بن العلاء: من قرأ: (هن أطهر): بالنصب فقد تربع في لحنه؛ وذلك أنّ انتصابه على أن يجعل حالاً قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل، كقوله: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]، أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر، كأنه قيل: خذوا هؤلاء، وبناتي: بدل، ويعمل هذا المضمر في الحال، و(هنّ): فصل، وهذا لا يجوز؛ لأنّ الفصل مختص بالوقوع بين جزأي الجملة، ولا يقع بين الحال وذي الحال، وقد خرّج له وجه لا يكون

---

٧٦٤ ـ أخرجه الطبراني في معجمه (٢٢/ ٤٢٦) رقم (١٠٥٠)، وابن هشام في سيرته (٢/ ٣٢٣) رقم (٨٠٩)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة»: ص (٣٤٣ ـ ٣٤٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة»: (٢/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩)؛ وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٩/ ٢١٨ ـ ٢١٩)، وقال: رواه الطبراني وإسناده منقطع.
قال الحافظ:
قوله «وضيق ذرعه» في الصحاح: يقال ضقت بالأمر ذرعاً، إذا لم تعلقه ولم تقر عليه. وأصل الذرع إنما هو بسط اليد؛ فكأنك تريد: مددت يدي إليه فلم تنله.
قلت: قوله «أبو العاص بن وائل» غلط فاحش، وإنما هو أبو العاص بن الربيع، ليس في نسبته من اسمه وائل. وكأنه انتقل ذهنه إلى العاص بن وائل السهمي والد عمرو وليس له في هذه القضية مدخل، وأما قصة تزويج أبي العاص بن الربيع بنت رسول الله ﷺ وكذا عتبة بن أبي لهب فذكرها ابن إسحاق في المغازي والطبراني من طريقه قال: كان أبو العاص بن الربيع من رجال مكة مالاً وأمانة، وكانت خديجة خالته. فسألت خديجة رسول الله ﷺ أن يزوجه بزينب وكان لا يخالفها؛ وذلك قبل أن ينزل عليه، فلما أكرم الله نبيه ﷺ بالنبوة آمنت خديجة وبناته، وثبت أبو العاص على شركه. قال: وكان رسول الله ﷺ قد زوج عتبة بن أبي لهب بنته رقية. فلما دعا قريشاً إلى أمرين قال بعضهم لبعض: قد فرغتم محمداً من همه بناته. فردوهن عليه فمشوا إلى أبي العاص. فأبى عليهم. ثم مشوا إلى عتبة بن أبي لهب. ففارق رقية. وزوجوه بنت سعيد بن العاص. فتزوجها بعدة عثمان بن عفان. فذكر قصة أبي العاص وأسره ببدر»، وروى البيهقي في الدلائل من طريق قتادة: «أن النبي ﷺ زوج ابنته أم كلثوم في الجاهلية عتبة ابن أبي لهب. ورقية أخاه. فلما جاء الإسلام أمر أبو لهب ولديه فطلقا البنتين. انتهى.

(هنّ) فيه فصلاً؛ وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ، و(بناتي هنّ): جملة في موضع خبر المبتدأ؛/ ٣٣٧ أ كقولك: هذا أخي هو، ويكون: (أطهر): حالاً، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: بإيثارهنّ عليهم، ﴿ولا تخزون﴾: ولا تهينوني، ولا تفضحوني، من الخزي، أو: ولا تخجلوني، من الخزاية وهي الحياء، ﴿فِي ضَيْفِي﴾: في حق ضيوفي؛ فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره، فقد خزي الرجل؛ وذلك من عَراقة الكرم وأصالة المروءة، ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾: رجل واحد يهتدي إلى سبيل الحق وفعل الجميل، والكف عن السوء، وقرئ: «ولا تخزون»، بطرح الياء، ويجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم، وإظهاراً لشدّة امتعاضه[1] مما أوردوا عليه؛ طمعاً في أن يستحيوا منه، ويرقوا له إذا سمعوا ذلك، فيتركوا له ضيوفه، مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده، وعندهم ألاّ مناكحة بينه وبينهم، ومن ثمّ: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ﴾: مستشهدين بعلمه، ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾؛ لأنك لا ترى مناكحتنا، وما هو إلا عرض سابريّ[2]، وقيل: لما اتخذوا إتيان الذكران مذهباً وديناً لتواطؤهم عليه، كان عندهم أنه هو الحق، وأنّ نكاح الإناث من الباطل؛ فلذلك قالوا: ما لنا في بناتك من حق قط؛ لأنّ نكاح الإناث أمر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه، ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعة، والغرض نفي الشهوة، ﴿لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾: عنوا إتيان الذكور، وما لهم فيه من الشهوة.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾

جواب «لو»: محذوف؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]، يعني: لو أنّ لي بكم قوّة، لفعلت بكم وصنعت، يقال: مالي به قوّة، ومالي به طاقة؛ ونحوه: ﴿لَا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النمل: ٣٧]، ومالي به يدان؛ لأنه في معنى: لا أضطلع به ولا أستقلّ به، والمعنى: لو قويت عليكم بنفسي، أو أويت إلى قويّ أستند إليه وأتمنع به فيحميني منكم، فشبه القويّ العزيز بالركن من الجبل في شدّته ومنعته؛ ولذلك قالت الملائكة؛ وقد وجدت عليه ـ: إنّ ركنك لشديد، وقال النبي ﷺ «رَحِمَ الله أَخِي لُوطاً، كَانَ يَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ» (٧٦٥) وقرئ: (أو آوي): بالنصب بإضمار «أن»، كأنه قيل:

---

٧٦٥ ـ أخرجه البخاري (٩/٦١): كتاب التفسير: باب قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف =

---

(١) قوله: «لشدة امتعاضه» امتعض من الأمر: غضب منه وشق عليه، كذا في الصحاح (ع).

(٢) قوله: «وما هو إلا عرض سابري» عرض سابري بفتح العين: نوع من الثياب رقيق، منسوب إلى سابور من الأكاسرة، كذا بهامش. وفي الصحاح: عرضت له الشيء. أي أظهرته له وأبرزته إليه. يقال: عرضت له ثوباً مكان حقه. وفي المثل: عرض سابري؛ لأنه ثوب جيد يشترى بأول عرض ولا يبالغ فيه.

لو أن لي بكم قوّة أو أويا؛ كقولها [من الوافر]:

لَـلُـبْـسُ عَـبَـاءَةٍ وَتَـقَـرَّ عَـيْـنِـي .... (1)

وقرئ: (إلى ركن): بضمتين، وروي أنه أغلق بابه حين جاءوا أو جعل يرادّهم ما حكى الله عنه ويجادلهم، فتسوّروا الجدار.

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81)﴾

= تحيي الموتى﴾، حديث (4537)، ومسلم (1/ 460 ـ النووي): كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، حديث (238/ 151)، ومسلم أيضاً (8/ 134 ـ النووي): كتاب الفضائل: باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ، حديث (152/ 151)، وابن ماجه (2/ 1335) كتاب الفتن: باب الصبر على البلاء، حديث (4026)؛ كلهم من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة به.
قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث.

---

(1) لـبـيـت تـخـفـق الأرواح فـيـه ... أحـب إلـي مـن قـصـر مـنـيـف
ولـبـس عـبـاءة وتـقـر عـيـنـي ... أحـب إلـي مـن لـبـس الـشـفـوف
لميسون بنت بحدل الكلبية أم يزيد بن معاوية، ضاق صدرها من عشرة معاوية فقال: أنت اليوم في ملك لا تدرين قدره، وكنت قبله في العباءة، فقالت ذلك، أي: لبيت الشعر تضطرب الرياح فيه، أحب إلي من قصر عال مرتفع، من أناف إنافة: ارتفع. ومن العرب من يقول: أرياح في جمع ريح، خوف الاشتباه بجمع روح، كأعياد في عيد، خوف الاشتباه بالعود. ولبس: عطف على ما قبله. ورواية «للبس» على أنه هو المبتدأ تحريف وإن كثرت. ولبس عباءة خشنة من الصوف وقرة عيني مع ذلك وسروري، أحب إلي من لبس الشفوف وسخونة عيني وحزني. والشفوف ـ جمع شف ـ: الرقيق من الثياب، كأنه لا يحجب ما وراءه. وشف يشف شفوفاً. نحل جسمه. وشفه يشفه بالكسر شفا: نحله.
ينظر خزانة الأدب 8/ 503، 504، والدرر 4/ 90، وشرح التصريح 2/ 244، ولسان العرب (مسن)، والمقاصد النحوية 4/ 397، ومغني اللبيب 1/ 267، وشرح شواهد المغني 2/ 653، والمحتسب 1/ 326، وسرّ صناعة الإعراب 1/ 273، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي 1477، وشرح شذور الذهب ص 405، وشرح شواهد الإيضاح ص 250، والكتاب 3/ 45، والمقتضب 2/ 27، وشرح الأشموني 3/ 571، وشرح المفصل 7/ 25، وشرح عمدة الحافظ ص 344، وشرح ابن عقيل ص 576، وشرح قطر الندى ص 265، وخزانة الأدب 8/ 523، والرد على النحاة ص 128، والأشباه والنظائر 4/ 277، وأوضح المسالك 4/ 192، والجنى الداني ص 157، ورصف المباني ص 423، والصاحبي في فقه اللغة ص 112، 118، والدر المصون 1/ 355، فتح القدير 2/ 53.

فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب، قالوا: يا لوط، إن ركنك لشديد، ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾: فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب فدخلوا، فاستأذن جبريل ـ عليه السلام ـ ربه في عقوبتهم، فأذن له، فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه ـ وله جناحان وعليه وشاح من درّ منظوم، وهو براق الثنايا ـ فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم، كما قال الله/ ٣٣٧ب تعالى: ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ [القمر: ٣٧]، فصاروا لا يعرفون الطريق؛ فخرجوا وهم يقولون: النجاة النجاة، فإن في بيت لوط قوماً سحرة، ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾: جملة موضحة للتي قبلها؛ لأنهم إذا كانوا رسل الله، لم يصلوا إليه، ولم يقدروا على ضرره، قرئ: ﴿فَأَسۡرِ﴾: بالقطع والوصل، و﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾: بالرفع والنصب، وروي أنه قال لهم: متى موعد هلاكهم؟ قالوا: الصبح، فقال: أريد أسرع من ذلك، فقالوا: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾، وقرئ: ﴿ٱلصُّبُحُ﴾: بضمتين.

فإن قلت: ما وجه قراءة من قرأ: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ بالنصب؟

قلت: استثناها من قوله: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾؛ والدليل عليه قراءة عبد الله: «فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك»، ويجوز أن ينتصب عن لا يلتفت، على أصل الاستثناء، وإن كان الفصيح هو البدل، أعني قراءة من قرأ بالرفع، فأبدلها عن أحد، وفي إخراجها مع أهله روايتان: روي أنه أخرجها معهم، وأمر ألاّ يلتفت منهم أحد إلا هي، فلما سمعت، هدّة العذاب التفت، وقالت: يا قوماه، فأدركها حجر فقتلها، وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها؛ فإن هواها إليهم، فلم يسر بها، واختلاف القراءتين؛ لاختلاف الروايتين.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾

﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾: جعل جبريل جناحه في أسفلها، ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب، وصياح الديكة، ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم، ﴿مِّن سِجِّيلٖ﴾ قيل: هي كلمة معربة من سنككل؛ بدليل قوله: «حجارة من طين»، وقيل: «هي من أسجله»؛ إذا أرسله؛ لأنها ترسل على الظالمين؛ ويدل عليه قوله: ﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ﴾ [الذاريات: ٣٣]، وقيل: مما كتب الله أن يعذب به من السجل، وسجل لفلان، ﴿مَّنضُودٖ﴾[1]: نضد في السماء نضداً معدًّا للعذاب، وقيل: يرسل بعضه في أثر بعض متتابعاً، ﴿مُّسَوَّمَةً﴾: معلمة للعذاب، وعن الحسن: كانت معلمة ببياض وحمرة، وقيل: عليها سيما يعلم بها أنها ليست من حجارة الأرض، وقيل: مكتوب على كل واحد: اسم

---

(١) قوله: «منضود» في الصحاح: نضد متاعه ينضده بالكسر نضداً، أي: وضع بعضه فوق بعض (ع).

من يرمي به، ﴿وَمَا هِيَ﴾: من كل ظالم ببعيد، وفيه وعيد لأهل مكة، وعن رسول الله ﷺ أنه سأل جبريل، عليه السلام؟ فقال: يعني ظالمي أمّتك، ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة (٧٦٦)، وقيل: الضمير: للقرى، أي: هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم، ﴿بِبَعِيدٍ﴾: بشيء بعيد، ويجوز أن يراد: وما هي بمكان بعيد؛ لأنها وإن كانت في السماء وهي مكان بعيد، إلا أنها إذا هوت منها فهي أسرع شيء لحوقاً بالمرمى، فكأنها بمكان قريب منه.

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦)﴾

﴿إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ يريد: بثروة واسعة، تغنيكم عن التطفيف، أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون، أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه،/ ٣٣٨أ، كقول مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا﴾ [غافر: ٢٩]، ﴿يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾: مهلك من قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: ٤٢]، وأصله: من إحاطة العدوّ.

فإن قلت: وصف العذاب بالإحاطة أبلغ، أم وصف اليوم بها؟

قلت: بل وصف اليوم بها؛ لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث، فإذا أحاط بعذابه، فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه.

فإن قلت: النهي عن النقصان أمر بالإيفاء[1]، فما فائدة قوله أوفوا؟

قلت: نهوا أولاً عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان؛ لأنّ في

---

٧٦٦ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٤٨): غريب، وذكره الثعلبي عن أنس من غير سند. وقال ابن حجر: ذكره الثعلبي عن أنس بغير سند. انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت النهي عن النقصان أمر بالإيفاء... إلخ» قال أحمد: ولمن قال إن الأمر بالشيء ليس نهياً عن ضده أن يستدل بهذه الآية، فإن الأمر لو كان عين النهي عن الضد، لكان وروده عقيبه تكراراً. وفي كلام الزمخشري ما يدل على أنه وهم، فاعتقد أن النهي في الآية قبل الأمر، وذلك سهو وغفلة، وكل مأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم: وأما قوله: إن الإيفاء حسن في العقول، فتفريع على قاعدة التحسين والتقبيح، وقد سبق بطلانها، وبينا أن التحسين والتقبيح موظفان من الشرع، ولا مجال للعقل في حكم سمعي.

التصريح بالقبيح نعياً على المنهي وتعبيراً له، ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول مصرحاً بلفظه؛ لزيادة ترغيب فيه، وبعث عليه، وجيء به مقيداً بالقسط، أي: ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية، من غير زيادة ولا نقصان، أمراً بما هو الواجب؛ لأن ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب إليه، وفيه توقيف على أنّ الموفي عليه أن ينوي بالوفاء بالقسط؛ لأنّ الإيفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل، فهذه ثلاث فوائد.

البخس: الهضم والنقص، ويقال للمكس: البخس؛ قال زهير [من الطويل]:

.... وَفِي كُلِّ مَا بَاعَ امْرؤٌ مَكْسُ دِرْهَمِ[1]

وروي: مكس درهم، وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئاً، كما تفعل السماسرة، أو كانوا يمكسون الناس، أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء، فنهوا عن ذلك، والعثي في الأرض نحو السرقة، والغارة، وقطع السبيل، ويجوز أن يجعل التطفيف والبخس عثياً منهم في الأرض، ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾: ما يبقى لكم من الحلال[2] بعد التنزه عما هو حرام عليكم، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بشرط أن تؤمنوا؛ وإنما خوطبوا بترك التطفيف، والبخس، والفساد في الأرض، وهم كفرة بشرط الإيمان.

فإن قلت: بقية الله خير للكفرة؛ لأنهم يسلمون معها من تبعة البخس[3] والتطفيف،

---

(١) أفي كل أسواق العراق إتاوة؟! وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم
ألا تستحي منا ملوك وتتقي محارمنا لا تتقي الدم بالدم
لزهير. وقيل: لجابر بن حيي التغلبي، والاستفهام للتعجب أو للتوبيخ، والإتاوة كالكتابة: الرشوة والجعالة: يقال: أتوته أأتوه أتوا وإتاوة: أعطيته الخراج، فهي في الأصل مصدر. والمكس: ما يأخذه العشار. ويروى «بخس درهم» أي نقص درهم، وكان أهل العراق يفعلون ذلك في أسواقهم مع العرب وغيرهم، فقال زهير: لا ينبغي ذلك. و«ألا» في الأصل مركبة من همزة الاستفهام التوبيخي ولا النافية، فصارت أداة تحضيض. ويقال: استحيا واستحى كما هنا، بنقل حركة الياء إلى الحاء وحذفها، أي: لتستح منا الملوك، وتتوقى عقوبة التعرض لمحارمنا وأموالنا، لئلا تتوقى القتل منا لهم بقتلنا لبعضهم، أي لئلا ترجع إلا بذلك، أو لئلا ترجع إلا بذلك، أو لئلا تتوقى أخذ الدم بدل الدم. وروي «ألا يستحي منا المليك ويتقي» إلى آخره، وهو لغة في الملك، والمراد به ملك العراق.
ينظر: شرح اختيارات المفضل ص ٩٥١، ولسان العرب (بوا)، (مكس)، والكتاب ٣/ ٩٥، الدر المصون ١/ ١٦٢، فتح القدير ١/ ١٥٥.

(٢) قال محمود: «بقية الله ما يبقى لكم من الحلال... إلخ» قال أحمد: المنقول عن المعتزلة أن الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة، لا نهيا ولا أمراً، وقد جوز بعضهم خطابهم بالنهي. وهذه الآية تدل على أنهم مخاطبون في حال الكفر بشرط الإيمان، وقد قررها الزمخشري على ذلك.

(٣) عاد كلامه. قال: «فإن قلت بقية الله خير للكفرة لأنهم يسلمون معها من تبعة البخس... إلخ» قال أحمد: وهذا أيضاً من إقرار الزمخشري للآية على ظاهرها، ومعنى السؤال: أن الكفار إذا قدرنا =

فلم شرط الإيمان؟

قلت: لظهور فائدتها مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب، وخفاء فائدتها مع فقده؛ لانغماس صاحبها في غمرات الكفر، وفي ذلك استعظام للإيمان، وتنبيه على جلالة شأنه، ويجوز أن يراد: إن كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم، وأنصح به إياكم، ويجوز أن يراد: ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير[1] لكم؛ كقوله: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٤٦]، وإضافة البقية إلى الله من حيث إنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه، وأمّا الحرام، فلا يضاف إلى الله ولا يسمى رزقاً[2]، وإذا أريد بها الطاعة فكما تقول: طاعة الله، وقرئ: «تقية الله»، بالتاء، وهي تقواه، ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها؛ وإنما بعثت مبلغاً ومنبهاً على الخير وناصحاً، وقد أعذرت حين أنذرت.

﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾

كان شعيب ـ عليه السلام ـ كثير الصلوات/ ٣٣٨ب، وكان قومه إذا رأوه يصلي، تغامزوا وتضاحكوا، فقصدوا بقولهم؛ ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾: السخرية والهزء ـ والصلاة وإن جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز، كما كانت ناهية في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وأن يقال: إنّ الصلاة تأمر بالجميل والمعروف، كما يقال: تدعو إليه وتبعث عليه ـ إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز[3]، وجعلوا الصلاة

= خطابهم بالفروع، انتفعوا باجتناب المنهيات في الدار الآخرة؛ لأن ثمرة الخلاف في مسألة خطاب الكفار إنما تظهر في الدار الآخرة، وإذا كانوا ينتفعون بذلك فلا معنى لاشتراط الإيمان والحال مع وجوده وعدمه في الانتفاع بالامتثال سواء. ومعنى الجواب: أن ظهور الانتفاع بالامتثال إنما يتحقق مع الإيمان، وأما مع الكفر فهم مخلدون في العذاب، فإنما تظهر الفائدة على خفاء في تحقيق مأمن العذاب، والله الموفق.

(١) عاد كلامه. قال: «ويجوز أن يراد ما يبقى لكم من الطاعات عند الله... إلخ» قال أحمد: قد تقدم أن عقيدة أهل السنة: أن لا خالق ولا رازق إلا الله، إيماناً بقوله ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾ وإذا كان الرزق عبارة عن كل ما يقيم به الخلق بنيتهم، لزم اندراج الحرام في هذا الإطلاق عقداً وحقيقة. وأما إطلاق القول بإضافته على الخصوص إلى الله تعالى، فأمر خارج عن الاعتقاد راجع إلى الاتباع، والله الموفق.

(٢) قوله: «ولا يسمى رزقاً» هذا مذهب المعتزلة وأما مذهب أهل السنة فالرزق ما ينتفع به ولو حراماً (ع).

(٣) قوله: «مساق الطنز» في الصحاح: الطنز السخرية. وطنز يطنز فهو طناز، وأظنه مولداً أو معرباً اهـ (ع).

آمرة على سبيل التهكم بصلاته، وأرادوا أنّ هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لا وجه لصحته، وأنّ مثله لا يدعوك إليه داعي عقل، ولا يأمرك به آمر فطنة، فلم يبق إلا أن يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان، وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك، وعندهم أنها من باب الجنون، ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الأقوال والأفعال، ومعنى تأمرك: ﴿أَن نَّتْرُكَ﴾: تأمرك بتكليف أن نترك[1]، ﴿مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾: لحذف المضاف الذي هو التكليف، لأنّ الإنسان لا يؤمر بفعل غيره، وقرئ: ﴿أصلاتك﴾: بالتوحيد، وقرأ ابن أبي عبلة: «أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء»، بتاء الخطاب فيهما، وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس، والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير، وقيل: كان ينهاهم عن حذف الدراهم[2] والدنانير وتقطيمها، وأرادوا بقولهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾: نسبته إلى غاية السفه والغيّ، فعكسوا ليتهكموا به، كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبضّ حجره[3]، فيقال له: لو أبصرك حاتم لسجد لك، وقيل: معناه: إنك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك، يعنون أنّ ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ﴾ أي: من لدنه، ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾، وهو ما رزقه من النبوّة والحكمة، وقيل: (رزقاً حسناً): حلالاً طيباً من غير بخس ولا تطفيف.

---

(١) قال محمود: «معناه تأمرك بتكليف أن نترك ما يعبد آباؤنا إلى قوله بتاء الخطاب فيهما» قال أحمد: فعلى هذه القراءة يكون (أن نفعل) معطوفاً على أن نترك، وعلى المشهور: لا يجوز ذلك والله أعلم لاستحالة المعنى، فيتعين العطف فيها على (ما يعبد) كأنهم قالوا: أصلواتك تأمرك أن نترك عبادة آبائنا أو معبود آبائنا، على أنها مصدرية أو موصولة، ثم قالوا: أو أن نفعل، أي أو أن ترك فعلنا في أموالنا ما نشاء، هذه لطيفة فتنبه لها، ولا حاجة إلى إضمار الزمخشري لمضاف تقديره: تأمرك بتكليف أن نترك، واحتجاجه لذلك بأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره إذاً والمسألة فرع من فروع خلق الأفعال، ومع ذلك كله فتقدير المضاف في الآية متوجه ليس بناء على القراءة المذكورة، ولكن لأن عرف التخاطب في مثله يقتضي ذلك، والله أعلم.

(٢) قوله: «عن حذف الدراهم» الذي في الصحاح: حذفت من شعري ومن ذنب الدابة، أي: أخذت اهـ (ع).

(٣) قوله: «لا يبض حجره» في الصحاح: بض الماء بضيضاً: سال قليلاً قليلاً. وفي المثل: ما يبض حجره، أي ما تندى صفاته (ع).

فإن قلت: أين جواب: (أرأيتم)، وما له لم يثبت كما أثبت في قصة نوح ولوط؟

قلت: جوابه محذوف؛ وإنما لم يثبت، لأنّ إثباته في القصتين دلّ على مكانه، ومعنى الكلام ينادي عليه، والمعنى: أخبروني إن كنت على حجة واضحة، ويقين من ربي، وكنت نبيًّا على الحقيقة، أيصح لي ألاَّ آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي؟ والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك؟، يقال: خالفني فلان إلى كذا: إذا قصده وأنت مولٍ عنه، وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده، ويلقاك الرجل صادراً عن الماء فتسأله عن صاحبه؟ فيقول: خالفني إلى الماء، يريد أنه قد ذهب إليه وارداً وأنا ذاهب عنه صادراً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾: يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم/ ٣٣٩ أ التي نهيتكم عنها، لأستبد بها دونكم، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾: ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي، ونصيحتي، وأمري بالمعروف، ونهيي عن المنكر، ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾: ظرف، أي: مدّة استطاعتي[1] للإصلاح، وما دمت متمكناً منه لا آلو فيه جهداً، أو بدل من الإصلاح، أي: المقدار الذي استطعته منه، ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف على قولك: إلا الإصلاح: إصلاح ما استطعت، أو مفعول له؛ كقوله: [من المتقارب]:

ضَعِيفُ النِّكَايَةِ أَعْدَاءَهُ ....[2]

أي: ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾:

---

(١) قال محمود: «ما استطعت ظرف أي مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكناً منه، ويجوز أن يكون على حذف مضاف تقديره إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت، أو يكون مفعولاً للمصدر كقوله: «ضعيف النكاية أعداءه» قال أحمد: والظاهر أنه ظرف. كهو في قوله ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ وأما جعله مفعولاً للمصدر وقد عرف بالألف واللام فبعيد؛ لأن إعمال المصدر المعرف في المفعول الصريح ليس بذاك. قالوا: ولم يوجد في القرآن عاملاً في مفعول صريح ولا في غيره إلا في قوله ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ فأعمله في الجار والعدول عن إقفاء الإعراب إلى وجوه وهي ممكنة عنيدة متعين خصوصاً في أفصح الكلام. والله أعلم.

(٢) ضعيف النكاية أعداءه يخال الفرار يراخي الأجل

نكأ القرح نكأ بالهمز: جرحه بعد اندماله، ونكى العدو نكاية: قتله وجرحه. وأعداءه: مفعول النكاية. وعمل المصدر المقرون بأل كما هنا نادر. يخال: أي يظن الهرب من العدو يطيل الأجل من جبنه.

ينظر أوضح المسالك ٣/ ٣٠٨، وخزانة الأدب ٨/ ١٢٧، والدرر ٥/ ٢٥٢، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٩٤، وشرح الأشموني ١/ ٣٣٣، وشرح التصريح ٢/ ٦٣، وشرح شذور الذهب ص ٤٩٦، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٣٦، وشرح ابن عقيل ص ٤١١، وشرح المفصل لابن يعيش ٦/ ٥٩، ٦٤، والكتاب ١/ ١٩٢، والمقرب ١/ ١٣١، والمنصف ٣/ ٧١، وهمع الهوامع ٢/ ٩٣.

وما كوني موفقاً لإصابة الحق فيما آتي وأذر، ووقوعه موافقاً لرضا الله إلا بمعونته وتأييده، والمعنى: أنه استوفق ربه في إمضاء الأمر على سننه، وطلب منه التأييد والإظهار على عدوّه، وفي ضمنه تهديد للكفار، وحسم لأطماعهم فيه.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾

«جرم»: مثل كسب في تعديه إلى مفعول واحد، وإلى معفولين تقول: جرم ذنباً وكسبه، وجرمته ذنباً وكسبته إياه؛ قال [من الكامل]:

.... جَرِمَتْ فَزَارَةُ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا[1]

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم﴾ أي: لا يكسبنكم شقاقي إصابة العذاب، وقرأ ابن كثير بضم الياء، من أجرمته ذنباً، إذا جعلته جارماً له، أي: كاسباً، وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد، كما نقل: أكسبه المال، من كسب المال، وكما لا فرق بين كسبته مالاً وأكسبته إياه؛ فكذلك لا فرق بين جرمته ذنباً وأجرمته إياه، والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما، إلا أن المشهورة أفصح لفظاً، كما إن كسبته مالاً أفصح من أكسبته، والمراد بالفصاحة: أنه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور، وهم له أكثر استعمالاً، وقرأ أبو حيوة، ورويت عن نافع: (مثلَ ما أصاب)، بالفتح؛ لإضافته إلى غير متمكن؛ كقوله [من البسيط]:

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ ....[2]

---

(1) ولقد طعنت أبا عيينة طعنة ... جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

لزيادة بن أسماء. ويقال: جرم ذنباً إذا اكتسبه. وجرم النخل: قطعه. وجرمته كذا: إذا أكسبته إياه أو حملته عليه. يقول: طعنت ذلك الرجل الفزاري طعنة قتلته. «جرمت فزارة» أي حق لها بعدها الغضب، أو اكتسبت فزارة بعدها الغضب فقط، واشتهر الرفع عنهم؛ لكن قال الجوهري «فزارة» مفعول أول، أي: أحقتهم الغضب، أو أكسبتهم إياه، أو حملتهم على أن يغضبوا بعدها، فهو على إسقاط الخافض.

ينظر لسان العرب (جرم)، وله أو لعطية بن عفيف في خزانة الأدب ١٠/ ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١٣٦، ولرجل من فزارة في الكتاب ٣/ ١٣٨، وبلا نسبة في أدب الكتاب ص ٦٢، والاشتقاق ص ١٩٠، وجمهرة اللغة ص ٤٦٥، وجواهر الأدب ص ٣٥٥.

(2) ثم ارعويت وقد طال الوقوف بنا ... فيها فصرت إلى وجناء شملال

تعطيك مشياً وإرقالاً ودأداة ... إذا تسربلت الآكام بالآل

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت ... حمامة فوق غصن ذات أوقال =

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ يعني: أنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم، فهم أقرب الهالكين منكم، أو لا يبعدون منكم في الكفر، والمساوى، وما يستحق به الهلاك.

فإن قلت: ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه أو معناه(1)؟

قلت: إما أن يراد: وما إهلاكهم ببعيد، أو ما هم بشيء بعيد أو بزمان أو مكان بعيد، ويجوز أن يسوي في قريب وبعيد، وقليل وكثير، بين المذكر والمؤنث؛ لورودها على زنة المصادر التي هي: الصهيل، والنهيق، ونحوهما، ﴿رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾: عظيم الرحمة للتائبين، فاعل بهم ما يفعل البليغ المودّة بمن يودّه، من الإحسان والإجمال.

﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ

= لأبي قيس بن رفاعة يصف ناقته. وقوله: «فيها» أي في دار المحبوبة. والوجناء: الشديدة الصلبة. والشملال: الخفيفة السريعة. والإرقال والدأدأة: نوعان من السير، وقد شبه استتار الآكام وهي الجبال الصغيرة بالآل، وهو السراب الذي يرى في الهاجرة أبيض يشبه الماء في جريانه على وجه الأرض، بالتسربل وهو لبس السرابيل: أي الثياب على طريق التصريحية، ثم وصفها بحدة الفؤاد وهو محمود عندهم، أو بحنينها إلى وطنها، وعطفها لما سمعت صوت الحمامة. والشرب - بالكسر: - النصيب من الماء. وبالضم المصدر. والأوقال: جمع وقل كجبل وهي الحجارة، أو البقايا التي بقيت في جذع الشجرة بعد تقليم بعض أغصانها، بارزة يمكن الارتقاء عليها. يقول: لم يمنع نصيبها من الماء عنها، أو لم يمنعها من شربها الماء. ففيه قلب على الثاني وغير فاعل لأنه تضرع إليه العامل، وبني على الفتح لإضافته إلى مبنى، واستعار النطق لتغريد الحمامة على سبيل التصريحية، وكأنها كانت داخل الغصون فسمعت الناقة صوتها ولم ترها ففزعت. أو كانت على غصن من الشجرة فكان تغريدها مطرباً لذيذاً، فحنت الناقة إلى وطنها. وذات أوقال: وصف لغصن؛ لأنه جمع غصن كما قيل في فلك، المفرد والجمع باعتبار التغير التقديري. ويجوز أن يقرأ بإضافة غصن إلى ذات، والمعنى: غصن أرض أو شجرة ذات أوقال، لكن الأول أحسن في الوزن. وقد روي: في غصون ذات أوقال، أي: ذات قطع بارزة بعد التعليم، فتكون مشوهة المنظر توجب النفرة والوحشة، أو صاحبة أحجار، فتكون أنضر حيث ترى مخضرة وسط أرض قفرة، أو لتكون في غير محلها فتوجب حنين الناقة إلى محلها أو فزعها لغرابة ذلك. وقيل: إنه جمع «وقل» بالسكون، وهو شجر المقل. وقيل: يجوز أنه من وقل كوعد إذا صعد، أي ذات ارتفاعات.
ينظر البيت في ديوانه ص (٨٥)، جمهرة اللغة ص (١٣١٦)، خزانة الأدب ٣/ ٤٠٦، ٤٠٧، الدرر ٣/ ١٥٠، ولأبي قيس بن رفاعة في شرح أبيات سيبويه ٢/ ١٨٠، شرح شواهد المغني ١/ ٤٥٨، شرح المفصل ٣/ ٨٠، الأدب ٦/ ٥٣٢، ٥٥٢، ٥٥٣، سرّ صناعة الإعراب٢/ ٥٠٧، شرح التصريح ١/ ١٥، شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٨١، ٨/ ١٣٥، الكتاب ٢/ ٣٢٩، لسان العرب (نطق)، (وقل)، مغني اللبيب ١/ ١٥٩، همع الهوامع ١/ ٢١٩، الدر المصون ٣/ ١٢٧.

(1) قوله: «على ما يقتضيه قوم من حمله» وذلك بأن يعامل معاملة المؤنث، نحو ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ أو معاملة جمع الذكور، نحو ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ لأن الأول مقتضى حمله على لفظه، كما سيأتي في سورة الشعراء، من أن القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة، والثاني مقتضى =

إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾

﴿مَا نَفْقَهُ﴾: ما نفهم، ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾؛ لأنهم كانوا لا يلقون إليه أذهانهم؛ رغبة عنه، وكراهية له؛ كقوله/ ٣٣٩ب: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]، أو كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه، فكأنهم لم يفقهوه، وقالوا ذلك على وجه الاستهانة به، كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه: ما أدري ما تقول، أو جعلوا كلامه هذياناً وتخليطاً، لا ينفعهم كثير منه، وكيف لا ينفعهم كلامه وهو خطيب الأنبياء، وقيل: كان ألثغ، ﴿فِينَا ضَعِيفًا﴾: لا قوة لك، ولا عز فيما بيننا[1]، فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروهاً، وعن الحسن: (ضعيفاً): مهيناً، وقيل: (ضعيفاً): أعمى، وحمير تسمي المكفوف: ضعيفاً، كما يسمى ضريراً، وليس بسديد؛ لأنّ (فينا): يأباه؛ ألا ترى أنه لو قيل: إنا لنراك فينا أعمى، لم يكن كلاماً؛ لأن الأعمى، أعمى فيهم وفي غيرهم؛ ولذلك قللوا قومه؛ حيث جعلوهم رهطاً، والرهط: من الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إلى السبعة؛ وإنما قالوا: ولولاهم؛ احتراماً لهم، واعتداداً بهم؛ لأنهم كانوا على ملتهم، لا خوفاً من شوكتهم وعزتهم، ﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾: لقتلناك شرّ قتلة، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ أي: لا تعزّ علينا ولا تكرم، حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم؛ وإنما يعزّ علينا رهطك؛ لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا، وقد دلّ إيلاء ضميره حرف النفي على أنّ الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل، كأنه قيل: وما أنت علينا بعزيز، بل رهطك هم الأعزة علينا؛ ولذلك قال في جوابهم: ﴿أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾، ولو قيل: وما عززت علينا، لم يصح هذا الجواب.

فإن قلت: فالكلام واقع فيه، وفي رهطه، وأنهم الأعزة عليهم دونه، فكيف صح قوله: ﴿أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾؟

قلت: تهاونهم به ـ وهو نبيّ الله ـ تهاون بالله، فحين عز عليهم رهطه دونه، كان رهطه أعز عليهم من الله، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: ونسيتموه، وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر

= حمله على معناه وهو ظاهر (ع).

(١) قال محمود: «معنى قولهم ضعيفاً، أي: لا قوة لك ولا عز فيما بيننا... إلخ» قال أحمد: وهذا من محاسن نكته الدالة على أنه كان مليا بالحذاقة في علم البيان والله المستعان.

لا يعبأ به، والظهريّ: منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب، ونظيره قولهم في النسبة إلى أمس: أمسيّ، ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: قد أحاط بأعمالكم علماً، فلا يخفى عليه شيء منها، ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾: لا تخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان، يقال: مكان ومكانة، ومقام ومقامة، أو تكون مصدراً من مكن مكانة فهو مكين، والمعنى: اعملوا قارّين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي، أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها، ﴿إِنِّي عَٰمِلٞ﴾: على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني، ﴿مَن يَأۡتِيهِ﴾: يجوز أن تكون (من): استفهامية، معلقة لفعل العلم عن عمله فيها؛ كأنه قيل: سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه، وأينا هو كاذب، وأن تكون/ ٣٤٠ أ موصولة قد عمل فيها، كأنه قيل: سوف تعلمون الشقيّ الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب.

فإن قلت: أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في: (سوف تعلمون)؟

قلت: إدخال الفاء: وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها: وصل خفي تقديريّ بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدّر، كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون، فوصل تارة بالفاء، وتارة بالاستئناف؛ للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان، تتكاثر محاسنه، ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾: وانتظروا العاقبة، وما أقول لكم: ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ أي: منتظر، والرقيب بمعنى: الراقب، من رقبه، كالضريب والصريم بمعنى: الضارب، والصارم، أو بمعنى: المراقب، كالعشير والنديم، أو بمعنى: المرتقب، كالفقير، والرفيع، بمعنى: المفتقر والمرتفع.

فإن قلت: قد ذكر عملهم على مكانتهم[1]، وعمله على مكانته، ثم أتبعه ذكر عاقبة

---

(١) قال محمود: «إن قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم... إلخ» قال أحمد: والظاهر ـ والله أعلم ـ أن الكلامين جميعاً لهم، فالأول وهو قوله ﴿مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ مضمن ذكر جرمهم الذي يجازون به وهو الكذب، ويكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد، كما تقول لمن تهدده: ستعلم من يهان ومن يعاقب، وإنما يعني المخاطب في الكلامين، فإذا ثبت صرف الكلامين إليهم لم يخل ذلك من دلالة على ذكر عاقبته هو، لأن أحد الفريقين إذا كان مبطلاً فالآخر هو المحق قطعاً، فذكره لإحدى العاقبتين صريحاً يفهم ذكر الأخرى تعريضاً والتعريض كما علمت في كثير من مواضعه أبلغ وأوقع من التصريح، وهذا منه، والذي يدل على أن الكلامين لهما وأن عاقبة أمر شعيب لم تذكر، استغناء عنها بذكر عاقبتهم، كما بيناه في الآية التي في أول هذه السورة، وهي قوله تعالى ﴿قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخؤون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ ألا تراه كيف اكتفى بذلك عن أن يقول: ومن هو على خلاف ذلك، وكذلك قوله في سورة الأنعام ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾ فذكر هناك أيضاً إحدى العاقبتين، لأن المراد بهذه العاقبة عاقبة الخير، =

العاملين منه ومنهم، فكان القياس أن يقول: من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق، حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين، ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم؟

قلت: القياس ما ذكرت، ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذباً قال: ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ يعني: في زعمكم ودعواكم؛ تجهيلاً لهم.

فإن قلت: ما بال ساقتي قصة[1] عاد، وقصة مدين جاءتا بالواو، والساقتان الوسطيان بالفاء؟

قلت: قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد؛ وذلك قوله: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [هود: ٨١]، ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥]، فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب، كما تقول: وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت، وأما الأخريان: فلم تقعا بتلك المثابة؛ وإنما وقعتا مبتدأتين، فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة، الجاثم: اللازم لمكانه لا يريم، كاللابد[2]، يعني: أن جبريل صاح بهم صيحة، فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصاً[3]، ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا﴾: كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين، البعد: بمعنى: البعد، وهو الهلاك، كالرشد بمعنى: الرشد؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿كَمَا بَعِدَتْ﴾؟ وقرأ السلمي: «بعُدت»، بضم العين، والمعنى في البناءين واحد، وهو نقيض القرب، إلا أنهم أرادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره، فغيروا البناء، كما فرقوا بين ضماني الخير والشر، فقالوا: وعد وأوعد، وقراءة السلمى جاءت على الأصل اعتباراً لمعنى البعد من غير تخصيص، كما يقال: ذهب فلان ومضى، في معنى الموت، وقيل: معناه: بعداً لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿بآياتنا وسلطان مبين﴾/ ٣٤٠ب: فيه وجهان: أن يراد أنّ هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوّته، وأن يراد بالسلطان المبين: العصا؛ لأنها أبهرها، ﴿وَمَآ أَمْرُ

= ومتى أطلقت فلا يعني إلا ذلك. كقوله ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ واستغنى عن ذكر مقابلتها، والله أعلم. فتأمل هذا الفصل فإنه تحفة لمن همه نظم درر الكتاب العزيز، وضم بعضها إلى بعض، والله الموفق للصواب.

(١) قوله: «ساقتي قصة» في الصحاح: ساقة الجيش مؤخره اهـ. ومثله ساقة القصة هنا (ع).
(٢) قوله: «كاللابد» أي المتلبد اللاصق بالأرض، أفاده الصحاح (ع).
(٣) قوله: «بحيث هو قعصا» في الصحاح: يقال مات فلان قعصاً، إذا أصابته ضربة فمات مكانه (ع).

﴿فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾: تجهيل لمتبعيه؛ حيث شايعوه على أمره، وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل؛ وذلك أنه ادّعى الإلهية، وهو بشر مثلهم، وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد، ومثله بمعزل من الإلهية ذاتاً وأفعالاً، فاتبعوه وسلموا له دعواه، وتتابعوا على طاعته، والأمر الرشيد: الذي فيه رشد، أي: وما في أمره رشد إنما هو غيّ صريح وضلال ظاهر مكشوف؛ وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم، لا من يضلهم ويغويهم، وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى ـ عليه السلام ـ وعلموا أن معه الرشد والحق، ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط، ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ﴾ أي: كما كان قدوة لهم في الضلال، كذلك يتقدّمهم إلى النار وهم يتبعونه، ويجوز أن يريد بقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾: وما أمره بصالح حميد العاقبة، ويكون قوله: (يقدم قومه): تفسيراً لذلك وإيضاحاً، أي: كيف يرشد أمر من هذه عاقبته، والرشد مستعمل في كل ما يحمد ويرتضي، كما استعمل الغيّ في كل ما يذم ويتسخط، ويقال: قدمه بمنى تقدّمه، ومنه: قادمة الرحل، كما يقال: قدمه بمعنى تقدّمه، ومنه مقدّمة الجيش، وأقدم بمعنى تقدّم. ومنه مقدّم العين.

فإن قلت: هلا قيل: يقدم قومه فيوردهم؟ ولم جيء بلفظ الماضي؟

قلت: لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به؛ فكأنه قيل: يقدّمهم فيوردهم النار لا محالة، و﴿ٱلْوِرْدُ﴾: المورود، و﴿ٱلْمَوْرُودُ﴾: الذي وردوه، شبه بالفارط الذي يتقدّم الواردة إلى الماء، وشبه أتباعه بالواردة، ثم قيل: بئس الورد الذي يردونه النار؛ لأنّ الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد، والنار ضدّه، ﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ﴾: في هذه الدنيا، ﴿لَعْنَةً﴾ أي: يلعنون في الدنيا، ويلعنون في الآخرة، ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾: رفدهم، أي: بئس العون المعان؛ وذلك أنّ اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له، وقد رفدت باللعنة في الآخرة، وقيل: بئس العطاء المعطى.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ، ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾: خبر بعد خبر، أي: ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك، ﴿مِنْهَا﴾: الضمير للقرى، أي: بعضها باق وبعضها عافى الأثر، كالزرع القائم على ساقه والذي حصد.

فإن قلت: ما محل هذه الجملة؟

قلت: هي مستأنفة لا محل لها، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾: بإهلاكنا/ ٣٤١أ إياهم، ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بارتكاب ما به أهلكوا، ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾: فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله، ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون، وهي حكاية حال ماضية، و﴿لما﴾: منصوب بما أغنت، ﴿أَمْرُ رَبِّكَ﴾: عذابه ونقمته، ﴿تتبيب﴾: تخسير، يقال: تبّ إذا خسر، وتببه غيره، إذا أوقعه في الخسران.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾

محل الكاف: الرفع، تقديره: ومثل ذلك الأخذ، ﴿أَخْذُ رَبِّكَ﴾: والنصب فيمن قرأ: «وكذلك أخذ ربك»، بلفظ الفعل، وقرئ: «إذ أخذ القرى»، ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾: حال من القرى، ﴿أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾: وجيع صعب على المأخوذ، وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها، بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه، فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد، فيبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣)﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما قص الله من قصص الأمم الهالكة بذنوبهم، ﴿لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ﴾: لعبرة له؛ لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالمجرمين في الدنيا، وما هو إلا أنموذج مما أعدّ لهم في الآخرة، فإذا رأى عظمه وشدّته، اعتبر به عظم العذاب الموعود، فيكون له عبرة وعظة ولطفاً في زيادة التقوى، والخشية من الله تعالى، ونحوه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ (٢٦)﴾ [النازعات: ٢٦]. ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى يوم القيامة؛ لأنّ عذاب الآخرة دلّ عليه، و﴿ٱلنَّاسُ﴾: رفع باسم المفعول الذي هو مجموع، كما يرفع بفعله إذا قلت: يجمع له الناس.

فإن قلت: لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله؟[1]

قلت: لما في اسم المفعول من دلالة[2] على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه يوم لا بدّ من أن يكون ميعاداً مضروباً لجمع الناس له، وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة، وهو أثبت

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم عدل عن الفعل إلى اسم المفعول... إلخ» قال أحمد: ولهذا السر ورد قوله تعالى ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق، والطير محشورة﴾ فاستعمل الفعل حيث يليق به، واسم المفعول حيث يحسن استعماله أيضاً... إلخ.

(٢) قوله: «من دلالة» عبارة النسفي: دلالته (ع).

ـ أيضاً ـ لإسناد الجمع إلى الناس، وأنهم لا ينفكون منه؛ ونظيره قول المتهدد: إنك لمنهوب مالك محروب قومك، فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩] تعثر على صحة ما قلت لك، ومعنى يجمعون له: يجمعون لما فيه من الحساب، والثواب، والعقاب، ﴿يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾: مشهود فيه، فاتسع في الظرف[1] بإجرائه مجرى المفعول به؛ كقوله [من الطويل]:

وَيَـوْمٍ شَـهِـدْنَـاهُ سُـلَـيْـمـاً وَعَـامِـراً ....[2]

أي: يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد، والمراد بالمشهود: الذي كثر شاهدوه، ومنه قولهم: لفلان مجلس مشهود، وطعام محضور، قال [من البسيط]:

.... فِي مَحْفِلٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودِ[3]

فإن قلت: فما منعك أن تجعل اليوم مشهوداً في نفسه دون أن تجعله مشهوداً فيه، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]؟

قلت: الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام، فإن جعلته مشهوداً في نفسه، فسائر الأيام كذلك مشهودات كلها، ولكن يجعل مشهوداً فيه حتى يحصل/ ٣٤١ب التميز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهوداً فيه دونها، ولم يجز أن يكون مشهوداً في نفسه؛ لأنّ سائر أيام الأسبوع مثله يشهدها كل من يشهده؛ وكذلك قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾: الشهر منتصب ظرفاً لا مفعولاً به، وكذلك الضمير في: (فليصمه)، والمعنى: فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه، يعني: فمن كان

---

(١) قال محمود: «المراد مشهود فيه فاتسع في الظرف... إلخ» قال أحمد: يكون المشهود الذي هو المفعول به مسكوتاً عنه مبهماً، ومن الإبهام ما يكون تفخيماً، وهذا مكانه.

(٢) تقدم.

(٣)
من للخصوم إذا جد الضجاج بهم ... بعد ابن سعد ومن للضمر القود
ومشهد قد كفيت الغائبين به ... في محفل من نواصي القوم مشهود
فرجته بلسان غير ملتبس ... عند الحفاظ وقلب غير مزءود

لأم قيس الضبية. وضج ضجيجاً وضجاجاً: صاح. وضج البعير من الحمل: تعب من ثقله، والضمر بالتشديد: جمع ضامر. وفرس أقود: طويل العنق. ورجل أقود: يقبل بوجهه ولا ينثني. والقود: جمعه. ومشهد: عطف على الخصوم. ويجوز جره برب، أي مجلس كفيت فيه الغائبين عنه بالتكلم عنهم بين محفل من رؤساء الناس وأشرافهم، فالنواصي: استعارة لهم. وفرجته، فككت كربته، وكشفت غمته بكلام واضح الدلالة صادر عن قلب مطمئن غير خائف عند الحفاظ، أي غيرة الخصوم ومحافظة كل منهم على رأيه أو المغاضبة. ويقال: أحفظه إحفاظاً إذا أغضبه. ينظر: لسان العرب (نصو)، وتاج العروس (نصو)، وأساس البلاغة (نصو).

منكم مقيماً حاضراً لوطنه في شهر رمضان، فليصم فيه، ولو نصبته مفعولاً، فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر، لا يشهده المقيم، ويغيب عنه المسافر:

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾

الأجل: يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها، فيقولون: انتهى الأجل، وبلغ الأجل آخره، ويقولون: حل الأجل، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٤]، يراد: آخر مدة التأجيل، والعدّ إنما هو للمدّة لا لغايتها ومنتهاها، فمعنى قوله: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾: إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف، وقرئ: «وما يؤخره بالياء».

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾

قرئ: ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾: بغير ياء، ونحوه قولهم: لا أدر، حكاه الخليل وسيبويه، وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل.

فإن قلت: فاعل يأتي ما هو؟

قلت: الله ـ عزّ وجلّ ـ كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، وتعضده قراءة: «وما يؤخره»، بالياء، وقوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾، ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم؛ كقوله تعالى: ﴿أن تأتيهم الساعة﴾.

فإن قلت: بما انتصب الظرف؟

قلت: إمّا أن ينتصب بلا تكلم، وإما بإضمار «اذكر»، وإمّا بالانتهاء المحذوف في قوله: ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ أي: ينتهي الأجل يوم يأتي.

فإن قلت: فإذا جعلت الفاعل ضمير اليوم، فقد جعلت اليوم وقتاً لإتيان اليوم وحدّدت الشيء بنفسه.

قلت: المراد إتيان هوله وشدائده، ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾: لا تتكلم، وهو نظير قوله: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ: ٢١].

فإن قلت: كيف يوفق بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] وقوله تعالى: ﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

قلت: ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن، ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم، وفي بعضها يكفون عن الكلام، فلا يؤذن لهم، وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون، وفي بعضها: يختم على أفواههم، وتتكلم أيديهم، وتشهد أرجلهم، ﴿فَمِنْهُمْ﴾ الضمير: لأهل

الموقف، ولم يذكروا؛ لأنّ ذلك معلوم، ولأنّ قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾: يدل عليه، وقد مرّ ذكر الناس في قوله: ﴿مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ [هود: ١٠٣]، والشقي الذي وجبت له النار لإساءته، والسعيد الذي وجبت له الجنة لإحسانه.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾

قراءة العامّة بفتح الشين، وعن الحسن: (شقوا): بالضم، كما قرئ: (سعدوا)، والزفير: إخراج النفس، والشهيق: ردّه؛ قال الشَّمّاخ [من من الطويل]:

بَعِيدُ مَدَى التَّطْرِيبِ أَوَّلُ صَوْتِهِ ... زَفِيرٌ وَيَتْلُوهُ شَهِيقٌ مُحَشْرَجُ[1]

﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد، والدليل على أن لها سموات وأرضاً. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٣٨]؛ وقوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤]؛ ولأنه لا بدّ لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم: إمّا سماء يخلقها الله، أو يظلهم العرش، وكل ما أظلك فهو سماء.

والثاني: أن يكون عبارة عن التأييد ونفي الانقطاع، كقول العرب: ما دام تعار، وما أقام ثبير، وما لاح كوكب، وغير ذلك من كلمات التأبيد.

فإن قلت: فما معنى: الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في الأبد من غير استثناء؟

قلت: هو استثناء من الخلود في عذاب النار، ومن الخلود في نعيم الجنة؛ وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده، بل يعذبون بالزمهرير بأنواع من العذاب سوى عذاب النار، وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسوءه لهم وإهانته إياهم، وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعاً منهم، وهو رضوان الله، كما قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو، فهو المراد بالاستثناء، والدليل عليه

---

(١) للشماخ يصف حمار وحشي. والمدى: المسافة والغاية. والتطريب: ترديد الصوت وترخيمه. والزفير: إخراج النفس بشدة. والمحشرج اسم مفعول: الصوت الذي يردده في حلقه وصدره.

قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ومعنى قوله في مقابلته: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب، كما يعطى أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له، فتأمّله؛ فإن القرآن يفسر بعضه بعضاً، ولا يخدعنك عنه قول المجبرة[1]، إن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة، فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم، ويسجل بافترائهم، وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض الثوابت[2]، عن عبد الله بن عمرو بن العاص: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد (٧٦٧)؛ وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً، وقد بلغني أن من الضلال من اغترّ بهذا الحديث، فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار، وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين ـ زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه ـ وتنبيهاً على أن نعقل عنه، ولئن صح هذا عن ابن العاص، فمعناه: أنهم يخرجون من حرّ النار إلى برد الزمهرير؛ فذلك خلوّ جهنم وصفق أبوابها، وأقول: ما كان لابن عمرو في سيفيه، ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث.

---

٧٦٧ ـ أخرجه البزار، كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/١٤٨) من طريق الطيالسي ثنا شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو بن العاص موقوفاً، وقد ورد هذا مرفوعاً من حديث أنس.
أخرجه ابن عديّ في «الكامل»؛ كما في «تخريج الكشاف» (٢/١٤٨ ـ ١٤٩) من طريق العلاء بن زيد الثقفي عن أنس مرفوعاً.
وأعله بالعلاء بن زيد وقال: هو منكر الحديث.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
الحديث أخرجه البزار قال: حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: «يأتي على النار زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد. يعني من الموحدين»، كذا فيه ورجاله ثقات. والتفسير لا أدري ممن هو، وهو أولى من تفسير المصنف، ويؤيده ما رواه ابن عديّ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «ليأتين على جهنم يوم تصفق أبوابها، ما فيها من أمة محمد أحد»، وفي الباب عن أبي أمامة رفعه: «يأتي على جهنم يوما ما فيها من بني آدم أحد، تخفق أبوابها، يعني من الموحدين»، وأما الحديث الذي أخرجه الحارث بن أبي أمامة في مسنده من طريق الحسن عن عمرو رفعه: «إن جهنم تخلو حتى ينبت فيها الجرجير»، فهو منقطع. ومراسيل الحسن عندهم واهية؛ لأنه كان يأخذ من كل أحد. فإن كان محفوظاً فعلى التأويل الأول. والله أعلم. انتهى.

---

(١) قوله: «ولا يخدعنك عنه قول المجبرة» يريد أهل السنة. أما المعتزلة فيقولون: فاعل الكبيرة واسطة بين المؤمن والكافر وخلوده في النار أبدي، وتحقيق بطلانه في علم التوحيد (ع).
(٢) قوله: «لما روى لهم بعض النوابت» في الصحاح: إن بني فلان لنابتة شر. والنوابت من الأحداث الأغمار (ع).

﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: غير مقطوع،/ ٣٤٢ب ولكنه ممتدّ إلى غير نهاية؛ كقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: ٢٥]. لما قصّ قصص عبدة الأوثان، وذكر ما أحلّ بهم من نقمه، وما أعدّ لهم من عذابه، قال: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم، وتعرّضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله ﷺ وعده بالانتقام منهم ووعيداً لهم، ثم قال: ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ يريد: أن حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين، وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزلنّ بهم مثله، وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية، و«ما»: في مما، وكما: يجوز أن تكون مصدرية وموصولة، أي: من عبادتهم، وكعبادتهم، أو مما يعبدون من الأوثان، ومثل ما يعبدون منها، ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ أي: حظهم من العذاب[1]، كما وفينا آباءهم أنصباءهم.

فإن قلت: كيف نصب: ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ حالاً عن النصيب الموفى؟

قلت: يجوز أن يوفى وهو ناقص، ويوفى وهو كامل؛ ألا تراك تقول: وفيته شطر حقه، وثلث حقه، وحقه كاملاً وناقصاً.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾

﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: آمن به قوم وكفر به قوم، كما اختلف في القرآن، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ يعني: كلمة الإنظار إلى يوم القيامة، ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: بين قوم موسى أو قومك، وهذه من جملة التسلية، أيضاً.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾

---

(١) قال محمود: «أي حظهم من العذاب، وإنما نصب غير منقوص حالاً من النصيب الموفى، لأنه يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل. ألا تراك تقول: وفيته شطر حقه وحقه كاملاً» قال أحمد: وهم والله أعلم، فإن التوفية تستلزم عدم نقصان الموفى كاملاً كان أو ناقصاً، فقولك: وفيته نصف حقه يستلزم عدم نقصانه، فما وجه انتصابه حالاً عنه؟ والأوجه أن يقال: استعملت التوفية بمعنى الإعطاء، كما استعمل التوفي بمعنى الأخذ. ومن قال: أعطيت فلاناً حقه. كان جديراً أن يؤكده بقوله: «غير منقوص» والله أعلم.

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾: التنوين عوض من المضاف إليه، يعني: وإنّ كلهم، وإنّ جميع المختلفين فيه، ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾: جواب قسم محذوف، واللام في (لما): موطئة للقسم، و(ما): مزيدة، والمعنى: وإنّ جميعهم والله ليوفينهم، ﴿رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾: من حسن وقبيح وإيمان وجحود، وقرئ: وإن كلا بالتخفيف على إعمال المخففة عمل الثقيلة؛ اعتباراً لأصلها الذي هو التثقيل، وقرأ أبيّ: «وإن كل لما ليوفينهم»، على أنّ إن نافية، ولما بمعنى: إلا، وقراءة عبد الله مفسرة لها، وإن كل إلا ليوفينهم، وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم: «وإن كلا لما ليوفينهم»، بالتنوين؛ كقوله: ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: ١٩] والمعنى: وإن كلا ملمومين، بمعنى: مجموعين؛ كأنه قيل: وإنّ كلا جميعاً؛ كقوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٧٣].

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾: فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادّة الحق، غير عادل عنها، ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾: معطوف على المستتر في استقم؛ وإنما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه، والمعنى: فاستقم أنت، وليستقم من تاب على الكفر، وآمن معك، ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾: ولا تخرجوا عن حدود الله، ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: عالم فهو مجازيكم به، فاتقوه، وعن ابن عباس: ما نزلت على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية كانت أشدّ ولا أشقّ عليه/ ٣٤٣أ من هذه الآية، ولهذا قال: «شيبتني هود والواقعة وأخواتهما» (٧٦٨). وروي أنّ أصحابه قالوا له: لقد أسرع فيك الشيب، فقال:

---

٧٦٨ ـ تفرد به التِّرمذي (٣٢٩٧) دون أصحاب الكتب الستة، وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٧٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقد توسع الدارقطني في «العلل» (١/ ١٩٣ ـ ٢١١) في الكلام على هذا الحديث فليراجع.
قال الحافظ:
وفي الترمذي من حديث شيبان عن أبي إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: «يا رسول الله، قد شبت، قال: قد شيبتني هود والواقعة والمرسلات، وعم يتساءلون. وإذا الشمس كورت» وقال: حسن غريب. وأخرجه البزار من هذا الوجه. وقال: اختلف فيه على أبي إسحاق، فقال شيبان كذا. وقال علي بن صالح: عن أبي إسحاق عن أبي حجية قال: وقال زكريا عن أبي إسحاق عن مسروق أن أبا بكر قال: وأطال الدارقطني في ذكر علله واختلاف طرقه في أوائل كتاب العلل ـ ورواه البيهقي في الدلائل من رواية عطية بن سعيد قال: قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، لقد أسرع إليك الشيب. فقال: شيبتني هود وأخواتها: الواقعة، وعَمّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت، وأخرجه ابن سعد وابن عديّ من رواية يزيد الرقاشي عن أنس. وفيه: «الواقعة، والقارعة، وسأل، وإذا الشمس كورت». انتهى.

«شَيَّبَتْنِي هُودُ» (٧٦٩) وعن بعضهم: رأيت رسول الله ﷺ في النوم، فقلت له: روي عنك أنك قلت: شيبتني هود، فقال: «نعم»، فقلت: ما الذي شيبك منها؟ أقصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال: «لا»، ولكن قوله ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾. وعن جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ (فاستقم كما أمرت)، قال: افتقرْ إلى الله بصحة العزم.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

قرئ: «ولا تركنوا»، بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء، وعن أبي عمرو: بكسر التاء، وفتح الكاف، على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة إلا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم؛ ونحوه قراءة من قرأ: (فتِمسكم النار): بكسر التاء، وقرأ ابن أبي عبلة: «ولا تركنوا»، على البناء للمفعول، من أركنه إذا أماله، والنهي متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم ومجالستهم، وزيارتهم، ومداهنتهم، والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيي بزيهم، ومدّ العين إلى زهرتهم، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم؛ وتأمّل قوله: (ولا تركنوا): فإن الركون هو الميل اليسير، وقوله: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: إلى الذين وجد منهم الظلم، ولم يقل: إلى الظالمين، وحكي أنّ الموفق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه، فلما أفاق قيل له، فقال: هذا فيمن ركن إلى من ظلم، فكيف بالظالم؟. وعن الحسن ـ رحمه الله ـ: جعل الله الدين بين لاءين: ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ [طه: ٨١]، ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟﴾، ولما خالط الزهري السلاطين، كتب إليه أخ له في الدين: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك: أصبحت شيخاً كبيراً، وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء؛ قال الله سبحانه: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، واعلم أنّ أيسر ما ارتكبت وأخفّ ما احتملت: أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغي بدنوّك ممن لم يؤدّ حقًّا، ولم يترك باطلاً، حين أدناك اتخذوك قطباً تدور عليك رحى باطلهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلماً يصعدون فيك إلى ضلالهم، يُدخلون الشكّ بك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خرّبوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك(١) من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟

---

٧٦٩ ـ ينظر الحديث السابق.

---

(١) قوله: «وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك» لعل هنا سقطاً تقديره: في جنب ما أعطوك، وما أقل ما أصلحوا لك في جنب ما أفسدوا. . . إلخ» (ع).

﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩]، فإنك تعامل من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك فقد دخله سقم، وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في/ ٣٤٣ب السماء، والسلام.

وقال سفيان: في جهنم واد لا يسكنه إلا القرّاء الزائرون للملوك، وعن الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملاً، وعن محمد بن مسلمة: الذباب على العذرة، أحسن من قارئ على باب هؤلاء، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِالبَقَاءِ، فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فِي أَرْضِهِ» (٧٧٠). ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية، هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا، فقيل له: يموت؟ فقال: دعه يموت، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: حال من قوله: (فتمسكم) أي: فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال، ومعناه: وما لكم من دون الله من أنصار يقدرون على منعكم من عذابه، لا يقدر على منعكم منه غيره، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: ثم لا ينصركم هو؛ لأنه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الإبقاء عليكم.

فإن قلت: فما معنى ثم؟

قلت: معناها: الاستبعاد؛ لأنّ النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾: غدوة وعشية، ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: وساعات من الليل، وهي ساعاته القريبة من آخر النهار، من أزلفه إذا قربه وازدلف إليه، وصلاة الغدوة: الفجر، وصلاة العشية: الظهر والعصر؛ لأنّ ما بعد الزوال عشيّ، وصلاة الزلف: المغرب والعشاء،

---

٧٧٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١٥١): غريب مرفوعاً، وذكره الغزالي كذلك مرفوعاً في موضعين من كتابه إحياء علوم الدين. أ.هـ. والحديث أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: (٧/ ٥٣ ـ ٥٤) رقم (٩٤٣٢) عن عبد الله بن عمر الرقي عن يونس بن عبيد سمعت الحسن يقول: «من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يُعصى الله في أرضه».
وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٤٦) من قول سفيان الثوري، في ترجمته فذكره.
وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين: (٢/ ٨٧)، (٢/ ١٤٤) مرفوعاً به.
قال الحافظ: قد رواه البيهقي في السادس والستين من الشعب من رواية يونس بن عبد عن الحسن من قولة. وذكره أبو نعيم في الحلية من قول سفيان الثوري. انتهى.

وانتصاب طرفي النهار على الظرف؛ لأنهما مضافان إلى الوقت؛ كقولك: أقمت عنده جميع النهار، وأتيته نصف النهار، وأوله، وآخره، تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه؛ ونحوه: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ [طه: ١٣٠]، وقرئ: «وزُلُفا»؛ بضمتين، «وزلْفا». بسكون اللام، «وزلفى»: بوزن قربى، فالزلف: جمع زلفة، كظلم في ظلمة، والزلف بالسكون: نحو بسرة وبسر، والزلف بضمتين نحو: بسر في بسر، والزلفى بمعنى: الزلفة، كما أن القربى بمعنى القربة: وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل، وقيل: «وزلفا من الليل»: وقرباً من الليل، وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة، أي: أقم الصلاة طرفي النهار، وأقم زلفاً من الليل، على معنى: وأقم صلاة تتقرّب بها إلى الله - عزّ وجلّ - في بعض الليل، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد تكفير الصغائر بالطاعات، وفي الحديث: «إِنَّ الصَّلاةَ إِلَى الصَّلاةِ كَفَّارَةٌ مَا بَيْنَهُمَا مَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِر» (٧٧١).

والثاني: «إن الحسنات يذهبن السيئات»: بأن يكن لطفاً في تركها؛ كقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقيل: نزلت في أبي اليسر عمرو ابن غزية الأنصاري كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته، فقال لها: إن في البيت أجود من هذا التمر، فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها، فقالت له: اتق الله، فتركها وندم، فأتى رسول الله ﷺ/ ٣٤٤أ فأخبره بما فعل، فقال ﷺ «أَنْتَظِرُ أَمْرَ رَبِّي، فَلَمَّا صَلَّىٰ صَلاَةَ الْعَصْرِ، نَزَلَتْ، فَقَالَ: نَعَمْ، ٱذْهَبْ؛ فَإِنَّهَا كَفَّارَةٌ لِمَا عَمِلْتَ» ح، وروي أنه أتى أبا بكر فأخبره، فقال: استر على نفسك وتب إلى الله، فأتى عمر - رضي الله عنه - فقال له مثل ذلك، ثم أتى رسول الله ﷺ فنزلت، فقال عمر: أهذا له خاصة أم للناس عامة؟ فقال: بل

---

٧٧١ - أخرجه مسلم (أبي) [٢/ ٢٥]: كتاب الطهارة: باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة و...، حديث (١٤/ ٢٣٣). والترمذي (٢١٤) وأخرجه ابن ماجه (١/ ٣٤٥): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب في فضل الجمعة، حديث (١٠٨٦).
وابن خزيمة (١/ ١٦٢): كتاب الصلاة: باب ذكر الدليل على أن الصلوات الخمس إنما تكفّر صغائر الذنوب دون كبائرها، حديث (٣١٤). و(٣/ ١٥٨): في جماع أبواب الأذان والخطبة في الجمعة: باب ذكر الخبر المفسر للأخبار المجملة التي ذكرتها في الأبواب المتقدمة، حديث (١٨١٤).
وأخرجه أحمد (٢/ ٤٨٤).
قال الحافظ: أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة رفعه: «الصلاة المكتوبة إلى الصلاة المكتوبة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر». انتهى.

للناس عامة، وروي أنّ رسول الله ﷺ قال له: تَوَضَّأْ وُضُوءاً حَسَناً وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ»، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (٧٧٢)، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾، فما بعده:

---

٧٧٢ ـ أخرجه التِّرمذي (٥/ ٢٩٢): كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة هود، حديث (٣١١٥)، والنَّسائي في تفسيره: (١/ ٥٩٤)، وقال التِّرمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وأبو اليسر هو كعب بن عمرو.
قال: وروى شريك عن عثمان عن عبد الله هذا الحديث مثل رواية قيس بن الربيع. وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٣٤) رقم (١٨٦٩٧ ـ ١٨٦٩٨)، والطبراني في الكبير (١٩/ ١٦٥) رقم (٣٧١): كلهم من حديث قيس بن الربيع عن عثمان بن عبد الله بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبي اليسر. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٣٨)، وزاد نسبته للبزار وابن مردويه عن أبي اليسر به. وللحديث شاهد من حديث ابن مسعود: أخرجه البخاري (٢/ ١٨٩): كتاب مواقيت الصلاة باب الصلاة كفارة، حديث (٥٢٦) و(٩/ ٢٦٠): كتاب التفسير، باب: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل، إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ حديث (٤٦٨٧)، وذكره تعليقاً في ترجمة باب (٢٦) من كتاب الحدود (١٤/ ٩٣)، ومسلم (٩/ ٩١ ـ ٩٢ ـ النووي): كتاب التوبة باب قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ حديث (٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١/ ٢٧٦٣)، والتِّرمذي (٥/ ٢٩١): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة هود، رقم (٣١١٤)، وابن ماجه (١/ ٤٤٧): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء أن الصلاة كفارة، رقم (١٣٩٨) و(٢/ ١٤٢١): كتاب الزهد: باب ذكر التوبة، رقم (٤٢٥٤)، والطبري في تفسيره (٧/ ١٣٢) رقم (١٨٦٨٩).
كلهم من طريق سليمان التيمي عن أبي عثمان عن ابن مسعود به.
وأخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ١٣١) رقم (١٨٦٨١ ـ ١٨٦٨٢) من طريق سماك عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن عبد الله بن مسعود به. وله شاهد أيضاً من حديث معاذ بن جبل: أخرجه الدارقطني في السنن (١/ ١٣٤): كتاب الطهارة باب صفة ما ينقض الوضوء، وما روي في الملامسة والقبلة، والبيهقي في «سننه الكبرى» (١/ ١٢٥)، والحاكم في «المستدرك»: (١/ ١٣٥) وسكت عنه، والواحدي في تفسيره: (٢/ ٥٩٤)، والطبري في تفسيره (٧/ ١٣٣) رقم (١٨٦٩٥)؛ كلهم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل به.
وذكره السيوطي في الدر المنثور: (٣/ ٦٣٨) وزاد نسبته إلى أحمد والتِّرمذي والنَّسائي وأبي الشيخ وابن مردويه عن معاذ بن جبل نحوه.
قال الحافظ:
كان في الأصل أبو اليسر عمرو بن غزية وهو غلط. وإنما هو أبو اليسر كعب بن عمرو. وكذا هو في كتب أسماء الصحابة. وإنما تبع المصنف الثعلبي فإنه قال: كذلك نزلت في عمرو بن غزية الأنصاري. والحديث عند التِّرمذي والنَّسائي والبزار والطبراني والطبري من رواية عثمان بن عبد الله ابن موهب عن موسى بن طلحة بن أبي اليسر بن عمرو قال: أتتني امرأة تبتاع تمراً ـ فقلت لها: في البيت تمر أطيب من هذا فدخلت معي في البيت. فأهويت إليها فقبلتها. فقالت: اتق الله. فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له: فقال استر على نفسك وتب. فأتيت عمر فقال مثل ذلك. فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فأطرق طويلاً حتى أوحي إليه: (أقم الصلاة... الآية) قال ابن أبي اليسر: أتيته فقرأها علي. فقال أصحابه: يا رسول الله، ألهذا خاصة أم للناس عامة؟ فقال: بل للناس عامة. =

﴿ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾: عظة للمتعظين.

﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾

ثم كرّ إلى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير، وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله؛ كأنه قال: وعليك بما هو أهمّ مما ذكرت به وأحق بالتوصية، وهو الصبر على امتثال ما أمرت به، والانتهاء عما نهيت عنه، فلا يتم شيء منه إلا به، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: جاء بما هو مشتمل على الاستقامة، وإقامة الصلوات، والانتهاء عن الطغيان، والركون إلى الظالمين، والصبر، وغير ذلك من الحسنات.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: فهلا كان، وقد حكوا عن الخليل: كل: «لولا» في القرآن، فمعناها: «هلا»، إلا التي في الصافات، وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات، ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ [القلم: ٤٩]، ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ [الفتح: ٢٥]، ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: ٧٤] ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾: أولو فضل وخير، وسمي الفضل والجودة بقية؛ لأنّ الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله، فصار مثلاً في الجودة والفضل، ويقال: فلان من بقية القوم، أي: من خيارهم؛ وبه فسر بَيتُ الحماسة [من البسيط]:

إِنْ تُـذْنِـبُـوا ثُـمَّ يَـأْتِـيـنِـي بَـقِـيَّـتُـكُـمْ .... (1)

= وفي رواية لأحمد فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، أله وحده أم للناس كافة؟» وللدارقطني والحاكم والبيهقي من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ أنه كان قاعداً عند النبي ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله، ما تقول في رجل أصاب من امرأة لا تحل له، فلم يدع شيئاً يأتيه الرجل من امرأته إلا أصاب منها غير أنه لم يجامعها. فقال له النبي ﷺ توضأ وضوءاً حسناً ثم صل. فأنزل الله تعالى الآية. فقال معاذ: أهي له خاصة أم للمسلمين عامة؟ قال: بل للمسلمين عامة. وأصل الحديث في الصحيحين عن ابن مسعود، وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها دون أن أمسها وأنا هذا فاقض فِيّ ما شئت. فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت على نفسك، ولم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً فانطلق الرجل فأتبعه النبي ﷺ رجلاً. فدعاه فتلا عليه: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار... الآية﴾، فقال رجل من القوم: يا رسول الله أله خاصة أم للناس؟ فقال: بل للناس كافة». انتهى.

(1) يـأيـهـا الـراكـب الـمـزجـي مـطـيـتـه   سـائـل بـنـي أسـد مـا هـذه الـصـوت؟ =

ومنه قولهم: في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا، ويجوز أن تكون البقية بمعنى: البقوى، كالتقية بمعنى: التقوى، أي: فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه، وقرئ: «أولو بقية»: بوزن لقية، من بقاه يبقيه إذا راقبه وانتظره ومنه: «بقينا رسول الله ﷺ (٧٧٣)، والبقية المرة من مصدره، والمعنى: فلو كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله، كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: استثناء منقطع، معناه: ولكن قليلاً ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد، وسائرهم تاركون للنهي، و(من) في: ﴿مِّمَّنْ أَنجَيْنَا﴾: حقها أن تكون للبيان، لا للتبعيض؛ لأن النجاة إنما هي للناهين وحدهم؛ بدليل قوله تعالى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأعراف: ١٦٥].

فإن قلت: هل لوقوع هذا/ ٣٤٤ب الاستثناء متصلاً وجه يحمل عليه؟

قلت: إن جعلته متصلاً على ما عليه ظاهر الكلام، كان المعنى فاسداً؛ لأنه يكون تحضيضاً لأولي البقية على النهي عن الفساد، إلا للقليل من الناجين منهم كما تقول: هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم، تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن، وإن قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم، فكأنه قيل: ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلاً، كان استثناء متصلاً ومعنى صحيحاً، وكان انتصابه على أصل الاستثناء، وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل، ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟

---

٧٧٣ ـ أخرجه أبو داود (١/ ١١٤): كتاب الصلاة: باب في وقت العشاء الآخرة، حديث (٤٢١) من طريق عاصم بن حميد السكوني عن معاذ بن جبل به.
قال الحافظ: أخرجه أبو داود من حديث معاذ قال «لقينا رسول الله ﷺ في صلاة العتمة فتأخر حتى ظن الظان أنه ليس بخارج... الحديث» انتهى.

= وقل لهم: بادروا بالعذر والتمسوا ... قولاً يبرئكم إني أنا الموت
إن تذنبوا ثم يأتيني بقيتكم ... فما عليّ بذنب عندكم فوت

لروشيد بن كثير الطائي. وزجاه ـ بالتخفيف والتشديد ـ وأزجاه: ساقه. وأراد بالصوت: الصيحة أو القصة التي بلغته عنه، وأخبر عن نفسه بالموت مبالغة. وبقية القوم: خيارهم، وتأتي مصدراً بمعنى البقوي، كالتقية بمعنى التقوى. والمعنى على الأول. إن تذنبوا ثم يأتيني أماثلكم يعتذرون عنكم فلا فوت، ولا بأس عليّ بسبب ذنب غيركم. وعلى الثاني: ثم يأتيني منكم ذو الإبقاء على أنفسهم، يقولون: لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، فكذلك. ويجوز أن المعنى: إن تجتمعوا علي للمحاربة أو للاعتذار، فلا تفوتني مؤاخذتكم بل لا بد منها. وإثبات الياء في «يأتيني» للإشباع، لكن الأخير غير مناسب لقوله: «بادروا بالعذر».
ينظر: لسان العرب (بقى)، والمحتسب (١/ ١٩٦).

﴿فِيهِ﴾: أراد بالذين ظلموا: تاركي النهي عن المنكرات، أي: لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعقدوا هممهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف، من حب الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء، ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم، وقرأ أبو عمرو في رواية الجعفي، «واتبع الذين ظلموا»، يعني: واتبعوا جزاء ما أترفوا فيه، ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة: أنهم اتبعوا جزاء إترافهم، وهذا معنى قويّ لتقدم الإنجاء، كأنه قيل: إلا قليلاً ممن أنجينا منهم وهلك السائر.

فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؟

قلت: إن كان معناه: واتبعوا: الشهوات، كان معطوفاً على مضمر؛ لأنّ المعنى: إلا قليلاً ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد، واتبع الذين ظلموا شهواتهم، فهو عطف على نهوا، وإن كان معناه: واتبعوا جزاء الإتراف، فالواو للحال، كأنه قيل: أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم.

فإن قلت: فقوله: ﴿وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾؟

قلت: على أترفوا، أي: اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين؛ لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام، أو أريد بالإجرام إغفالهم للشكر، أو على اتبعوا، أي: اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك، ويجوز أن يكون اعتراضاً وحكماً عليهم بأنهم قوم مجرمون.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿وَكَانَ﴾ بمعنى: صح واستقام، واللام لتأكيد النفي، و﴿بِظُلْمٍ﴾: حال من الفاعل، والمعنى: واستحال في الحكمة أن يهلك الله القرى ظالماً لها، ﴿وَأَهْلُهَا﴾: قوم، ﴿مُصْلِحُونَ﴾: تنزيهاً لذاته عن الظلم، وإيذاناً بأن إهلاك المصلحين من الظلم، وقيل: الظلم الشرك، ومعناه: أنه لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون، يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون إلى شركهم فساداً آخر.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يعني: لاضطرهم إلى أن يكونوا أهل أمّة واحدة، أي: ملة واحدة، وهي ملة الإسلام؛ كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، وهذا الكلام يتضمن/ ٣٤٥أ نفي الاضطرار، وأنه لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق، ولكنه

مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف، فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل، فاختلفوا؛ فلذلك قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ إلا ناساً هداهم الله ولطف بهم، فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه، ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأوّل وتضمنه، يعني: ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم، ليثيب مختار الحق بحسن اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾، وهي قوله للملائكة: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾؛ لعلمه بكثرة من يختار الباطل.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿وَكُلًّا﴾: التنوين فيه عوض من المضاف إليه كأنه قيل: وكل نبأ، ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾، و﴿مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ﴾: بيان لكل، ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: بدل من كلا، ويجوز أن يكون المعنى: كل اقتصاص نقصّ عليك، على معنى: وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقصّ عليك، يعني: على الأساليب المختلقة، و(ما نثبت به): مفعول نقصّ، ومعنى تثبيت فؤاده: زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه؛ لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم، ﴿وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ﴾ أي: في هذه السورة، أو في هذه الأنباء المقتصة فيها ما هو حق، ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: من أهل مكة وغيرهم: ﴿اعْمَلُوا﴾: على حالكم، وجهتكم التي أنتم عليها، ﴿إِنَّا عَامِلُونَ وَانتَظِرُوا﴾: بنا الدوائر، ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة بأشباهكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لا تخفى عليه خافية مما يجري فيهما، فلا تخفى عليه أعمالكم، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾: فلا بدّ أن يرجع إليه أمرهم وأمرك، فينتقم لك منهم، ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾؛ فإنه كافيك وكافلك، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، وقرئ: «تعملون»، بالتاء، أي: أنت وهم على تغليب المخاطب.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ هُودٍ أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ مَنْ صَدَّقَ بِنُوحٍ وَمَنْ كَذَّبَ بِهِ، وَهُودٍ، وَصَالِحٍ، وَشُعَيْبٍ، وَلُوطٍ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَىٰ، وَكَانَ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ مِنَ السُّعَدَاءِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ ذَلِكَ» (٧٧٤).

---

٧٧٤ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
قال الحافظ: تقدم إسناده في آل عمران، ويأتي في آخر الكتاب. انتهى.

سُورَةُ يُوسُفَ

مَكِّيَّةٌ [إلاَّ الآيَاتِ ١ و٢ و٣ و٧ فَمَدَنِيَّةٌ]

وهي مائةٌ وإحدى عشرةَ آيَةً [نزلت بعد سورة هود]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (١) إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ (٣)﴾

﴿تِلْكَ﴾: إشارة إلى آيات السورة، و﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: السورة، أي: تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم، أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله، لا من عند البشر، أو الواضحة التي لا نشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم، أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف، فقد روي أن علماء اليهود. قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمداً، لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن قصة يوسف، ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه: ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾، وسمي بعض القرآن قرآناً؛ لأنّ القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [فصلت: ٤٤]. ﴿ٱلْقَصَصِ﴾ على وجهين: يكون مصدراً بمعنى: الاقتصاص، تقول: قصّ الحديث يقصه قصصاً؛ كقولك: شله يشله شللاً، إذا طرده، ويكون: «فعلاً» بمعنى: «مفعول»، كالنفض والحسب؛ ونحوه: النبأ والخبر: في معنى المنبأ به والمخبر به، ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر، كالخلق والصيد، وإن أريد المصدر، فمعناه: نحن نقص عليك أحسن القصص، ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: بإيحائنا إليك هذه السورة، على أن يكون أحسن منصوباً نصب المصدر؛ لإضافته إليه، ويكون المقصوص محذوفاً؛ لأنّ قوله: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾: مغن عنه، ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص/ ١٦٥أ، كأنه قيل: نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك، والمراد بأحسن الاقتصاص: أنه اقتصّ على أبدع طريقة وأعجب أسلوب؛ ألا ترى أنّ هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ، ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقارباً؛ لاقتصاصه في القرآن، وإن

أريد بالقصص المقصوص، فمعناه: نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث؛ وإنما كان أحسنه لما يتضمن من العبر، والنكت، والحكم، والعجائب، التي ليست في غيرها[1]، والظاهر: أنه أحسن ما يقتص في بابه، كما يقال في الرجل: هو أعلم الناس وأفضلهم، يراد في فنه.

فإن قلت: ممّ اشتقاق القصص؟

قلت: من قصّ أثره إذا اتبعه؛ لأنّ الذي يقصّ الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً، كما يقال: تلا القرآن، إذا قرأه؛ لأنه يتلو، أي: يتبع ما حفظ منه آية بعد آية، ﴿وَإِن كُنتَ﴾: إن مخففة من الثقيلة، واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية، والضمير في ﴿قَبْلِهِۦ﴾: راجع إلى قوله: «ما أوحينا»، والمعنى: وإنّ الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عنه، أي: من الجاهلين به، ما كان لك فيه علم قط، ولا طرق سمعك طرف منه.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾: بدل من أحسن القصص، وهو من بدل الاشتمال؛ لأن الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص، فإذا قصَّ وقته فقد قص، أو بإضمار: «اذكر»، ويوسف اسم عبراني، وقيل عربي وليس بصحيح؛ لأنه لو كان عربيًا لانصرف؛ لخلوّه عن سبب آخر سوى التعريف.

فإن قلت: فما تقول فيمن قرأ: (يوسِف) بكسر السين، أو: (يوسَف) بفتحها، هل يجوز على قراءته أن يقال: «هو عربي»؛ لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول من آسف؛ وإنما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل؟

قلت: لا؛ لأنّ القراءة المشهورة قامت بالشهادة، على أن الكلمة أعجمية، فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى، ونحو يوسف: يونس، رويت فيه هذه اللغات الثلاث، ولا يقال: هو عربي؛ لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس، وعن النبي ﷺ: «إِذَا قِيلَ: مَنِ الكَرِيمُ؟ فَقُولُوا: الكَرِيمُ ٱبْنُ الكَرِيمِ ٱبْنُ الكَرِيمِ ٱبْنُ الكَرِيمِ: يُوسُفُ بْنِ يَعْقُوبَ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ» (٧٧٥)، ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: قرئ بالحركات الثلاث.

---

٧٧٥ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٣) كتاب تفسير القرآن باب: ومن سورة يوسف حديث (٣١١٦)، والنسائي =

---

(١) قوله: «ليست في غيرها» لعله «في غيره» كعبارة النسفي (ع).

فإن قلت: ما هذه التاء؟

قلت: تاء تأنيث وقعت عوضاً من ياء الإضافة، والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف.

فإن قلت: كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر؟

قلت: كما جاز نحو قولك: حمامة ذكر، وشاة ذكر، ورجل ربعة، وغلام يفعة.

فإن قلت: فلم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة؟

قلت: لأنَّ التأنيث والإضافة يتناسبان في أنّ كل واحد منهما زيادة مضمومة إلى الإسم في آخره.

فإن قلت: فما هذه الكسرة؟

قلت: هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك: يا أبي، قد زحلقت إلى التاء؛ لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ما قبلها مفتوحاً.

فإن قلت: فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء، وتبقى التاء ساكنة؟

قلت: امتنع ذلك فيها؛ لأنها اسم، والأسماء: حقها التحريك؛ لأصالتها في الإعراب؛ وإما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرّك تخفيفاً؛ لأنها حرف لين، وأما التاء: فحرف صحيح نحو كاف الضمير، فلزم تحريكها.

فإن قلت: يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوّض منه؛

= في «التفسير» رقم (٢٧٤) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٠٥)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، والطبري في تفسيره (٢/ ٥٣)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (٢/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧)؛ كلهم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً وقال التِّرمذي: حديث حسن. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وللحديث شاهد من حديث ابن عمر أخرجه البخاري (٦/ ٤٨٠) كتاب أحاديث الأنبياء باب: أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت رقم (٣٣٨٢)، وذكره في كتاب التفسير (٨/ ٢١٢) باب: ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق رقم (٤٦٨٨).
قال الحافظ: أخرجه التِّرمذي والنَّسائي والحاكم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكريم ابن الكريم. . . إلى آخره» وفي البخاري عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الكريم بن الكريم إلى آخره»، وهو في المتفق عليه عن أبي هريرة لكن بلفظ: «سُئل النبي ﷺ: أي الناس أكرم؟ فقال: أكرمهم عند الله أتقاهم. قالوا: يا رسول الله، ليس عن هذا نسألك. قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله». انتهى.

لأنها في حكم الياء، إذا قلت: يا غلام، فكما لا يجوز: «يا أبتي»، لا يجوز: «يا أبت».

قلت: الياء والكسرة قبلها شيءان، والتاء عوض من أحد الشيئين، وهو الياء والكسرة غير متعرض لها، فلا يجمع بين العوض والمعوض منه، إلا إذا جمع بين التاء والياء لا غير؛ ألا ترى إلى قولهم: «يا أبتا» مع كون الألف فيه بدلاً من التاء، كيف جاز الجمع بينها وبين التاء، ولم يعد ذلك جمعاً بين العوض والمعوّض منه، فالكسرة أبعد من ذلك.

فإن قلت: فقد دلت الكسرة في: «يا غلام» على الإضافة؛ لأنها قرينة الياء ولصيقتها.

فإن دلت على مثل ذلك في: «يا أبت»، فالتاء المعوّضة لغو: وجودها كعدمها.

قلت: بل حالها مع التاء كحالها مع الياء إذا قلت يا أبي.

فإن قلت: فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها؟

قلت: أما من فتح فقد حذف الألف من: «يا أبتا»، واستبقى الفتحة قبلها، كما فعل من حذف الياء في: «يا غلام»، ويجوز أن يقال: حركها بحركة الباء المعوض منها في قولك: «يا أبي»، وأما من ضم، فقد رأى اسماً في آخره تاء تأنيث، فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء فقال: «يا أبت»، كما تقول: «يا تبة»[1]، من غير اعتبار؛ لكونها عوضاً من ياء الإضافة، وقرئ: «إني رأيت»: بتحريك الياء، وأحد عشر: بسكون العين؛ تخفيفاً لتوالي المتحركات فيما هو في ختم اسم واحد، وكذا إلى تسعة عشر، إلا اثني عشر؛ لئلا يلتقي ساكنان، ورأيت من الرؤيا، لا من الرؤية؛ لأنَّ ما ذكره معلوم أنه منام؛ لأنّ الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة، لكانت آية عظيمة ليعقوب ـ عليه السلام ـ ولما خفيت عليه وعلى الناس.

فإن قلت: ما أسماء تلك الكواكب؟

قلت: رَوَىٰ جَابِرُ أَنَّ يَهُودِيًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ النُّجُومِ الَّتِي رَآهُنَّ يُوسُف، فَسَكَتَ رسول الله ﷺ: فنزيل جبريل فأخبره بذلك، فقال النبي ﷺ لِلْيَهُودِيِّ: «إِنْ أَخْبَرْتُكَ هَلْ تُسْلِم»؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «جَريان، والطارق، والذيال، وقابس، وعمودان، والفليق، والمصبح، والضروح، والفرغ، ووثاب، وذو الكتفين، رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له». فقال

---

(١) قوله: «كما تقول ياتبة» بكسر التاء وتشديد الباء: الحالة الشديدة. وفي نسخة: يا ابنة، كذا بهامش الأصل (ع).

اليهودي: إي والله، إنها لأسماؤها (٧٧٦). وقيل: الشمس والقمر أبواه، وقيل: أبوه وخالته، والكواكب: إخوته، وعن وهب أنّ يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أنّ إحدى عشرة عصا طوالاً كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدارة، وإذا عصا صغير تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها، فوصف ذلك لأبيه، فقال: إياك أن تذكر هذا لإخوتك، ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة: الشمس والقمر والكواكب تسجد له، فقصها على/ ١٦٥ب أبيه، فقال له: لا تقصها عليهم، فيبغوا لك الغوائل، وقيل: كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة، وقيل: ثمانون. فإن قلت لم أخر الشمس والقمر؟ قلت: أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص؛ بياناً لفضلهما، واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع، كما أخر جبريل وميكائيل عن الملائكة، ثم عطفهما عليها لذلك، ويجوز أن تكون الواو بمعنى: مع، أي: رأيت الكواكب مع الشمس والقمر.

فإن قلت: ما معنى تكرار رأيت؟[1].

---

٧٧٦ ـ أخرجه الحاكم (٤/٣٩٦) من طريق أسباط بن نصر عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر ابن عبد الله به.
وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي، وأخرجه العقيلي (١/٢٥٩)، وابن حِبان في «المجروحين» (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١)، والبزار وأبو يعلى والبيهقي في «الدلائل»، وكذا أبو نعيم؛ كما في «تخريج الكشاف» (٢/١٦٠)، من طريق الحكم بن ظهير الفزاري عن السدي بالإسناد السابق. وقال البزار: لا نعلم يرويه إلا جابر ولا طريقا عنه إلا هذا الطريق، والحكم بن ظهير ليس بالقوي. وقد روى عنه جماعة من أهل العلم. أ.هـ. قلت: وقول البزار: متعقب بإسناد الحاكم فقد توبع الحكم.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٦)، وعزاه إلى سعيد بن منصور والبزار وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي وابن حِبان في «الضعفاء وأبي الشيخ والحاكم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً» في «دلائل النبوة».
قال الحافظ:
أخرجه الحاكم من طريق أسباط عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال «جاء بستان اليهودي إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، هل تعرف النجوم التي رآها يوسف فسجدن له؟ فسكت... الحديث» ولم يذكر فيهن الشمس والقمر وقال: رآها يوسف محيطة بأكتاف السماء ساجدة له، وزاد: فقصها على أبيه فقال له: إن هذا أمر قد تشتت وسيجمعه الله بعد»، رواه أبو يعلى والبزار والبيهقي وأبو نعيم في الدلائل والطبراني وأبو حاتم في رواية الحاكم بن زهير عن السدي نحوه، وذكره العقيلي من حديثه، وقال: لا يثبت. وقال البزار: لا نعلم له طريقاً إلا =

---

(١) قال محمود: «إن قلت ما معنى تكرار رأيت... إلخ» قال أحمد: وأحسن من ذلك أن الكلام طال بين الفعل. الحال، فطرى ذكر الفعل لمناسبة الحال وهي المقصودة، إذ الآية في السجود كانت، والله أعلم.

قلت: ليس بتكرار؛ إنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له، كأن يعقوب ـ عليه السلام ـ قال له عند قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾: كيف رأيتها سائلاً عن حال رؤيتها؟ فقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

فإن قلت: فلم أجريت مجرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين؟

قلت: لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود، أجرى عليها حكمهم، كأنها عاقلة، وهذا كثير شائع في كلامهم، أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه، فيعطى حكماً من أحكامه؛ إظهاراً لأثر الملابسة والمقاربة.

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾

عرف يعقوب ـ عليه السلام ـ دلالة الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغاً من الحكمة، ويصطفيه للنبوّة، وينعم عليه بشرف الدارين، كما فعل بآبائه، فخاف عليه حسد الإخوة وبغيهم، والرؤيا بمعنى: الرؤية؛ إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة، فرق بينهما بحرفي التأنيث، كما قيل: القربة والقربى، وقرئ: «روياك»، وبقلب الهمزة واواً، وسمع الكسائي: رُيَّاك ورِيَّاك: بالإدغام وضم الراء وكسرها، وهي ضعيفة؛ لأن الواو في تقدير الهمزة، فلا يقوى إدغامها كما لم يقو الإدغام في قولهم: «اتزر»: من الإزار، و«اتجر»: من الأجر، ﴿فَيَكِيدُوا﴾: منصوب بإضمار: «أن»، والمعنى: إن قصصتها عليهم كادوك.

فإن قلت: هلا قيل: فيكيدوك، كما قيل: فكيدوني؟

قلت: ضمن معنى فعل يتعدى باللام؛ ليفيد معنى فعل الكيد، مع إفادة معنى الفعل المضمن، فيكون آكد وأبلغ في التخويف؛ وذلك نحو: فيحتالوا لك؛ ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر، ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء، ولقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شرّ، ليورّط من يحمله، ولا يؤمن أن يحملهم على مثله، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: ومثل ذلك الاجتباء، ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ يعني:

= هكذا. والحاكم ليس بقوي، وكذا قال البيهقي: إنّ الحاكم تفرد به. وغفل عن طريق شيخ الحاكم، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات. وأعله بالحاكم. وطريق الحاكم يدفع على الحكم وذكر ابن أبي حاتم في العلل عن أبي زرعة؛ أنه قال: حديث منكر. انتهى.

وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن، كذلك يجتبيك ربك لأمور عظام، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾: كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه، كأنه قيل: وهو يعملك ويتمّ نعمته عليك، والاجتباء: الاصطفاء، افتعال من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك، وجبيت الماء في الحوض: جمعته، والأحاديث: الرؤيا؛ لأنّ الرؤيا إمّا حديث نفس أو ملك أو شيطان، وتأويلها. عبارتها وتفسيرها، وكان يوسف ـ عليه السلام ـ أعبر الناس للرؤيا، وأصحهم عبارة لها، ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث: معاني كتب الله وسنن الأنبياء، وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها، يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها، وسميت: أحاديث؛ لأنه يحدث بها عن الله ورسله، فيقال: قال الله، وقال الرسول كذا وكذا؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المرسلات: ٥٠]، ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]: وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة، ومعنى إتمام النعمة عليهم: أنه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة؛ بأن جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكاً، ونقلهم عنها إلى الدرجات العلا في الجنة، وقيل: أتمها على إبراهيم بالخلة، والإنجاء من النار، ومن ذبح الولد، وعلى إِسْحَاق بإنجائه من الذبح، وفدائه بذبح عظيم، وبإخراج يعقوب والأسباط من صلبه، وقيل: علم يعقوب أنّ يوسف يكون نبيًّا وإخوته أنبياء؛ استدلالاً بضوء الكواكب؛ فلذلك قال: ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٦]، وقيل: لما بلغت الرؤيا إخوة يوسف، حسدوه، وقالوا: ما رضي أن سجد له إخوته حتى سجد له أبواه، وقيل: كان يعقوب مؤثراً له بزيادة المحبة والشفقة؛ لصغره، ولما يرى فيه من المخايل، وكان إخوته يحسدونه، فلما رأى الرؤيا، ضاعف له المحبة، فكان يضمه كل ساعة إلى صدره ولا يصبر عنه، فتبالغ فيهم الحسد، وقيل: لما قص رؤياه على يعقوب، قال: هذا أمر مشتت يجمع الله لك بعد دهر طويل، وآل يعقوب: أهله، وهم نسله وغيرهم، وأصل آل: أهل؛ بدليل تصغيره على أُهَيل، إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له خطر، يقال: آل النبي، وآل الملك، ولا يقال: آل الحائك، ولا آل الحجام، ولكن أهلهما، وأراد بالأبوين: الجد، وأبا الجد؛ لأنهما في حكم الأب في الأصالة، ومن ثم يقولون: ابن فلان، وإن كان بينه وبين فلان عدّة، و﴿إبراهيم وإسحاق﴾: عطف بيان لأبويك، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾: يعلم من يحق له الاجتباء، ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يتم نعمته إلا على من يستحقها.

﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ أي: في قصتهم وحديثهم، ﴿ءَايَٰتٌ﴾: علامات، ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء، ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: لمن سأل عن قصتهم وعرفها، وقيل: آيات

على نبوّة محمد ﷺ للذين سألوه من اليهود عنها، فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب، وقرئ: «آية»، وفي بعض المصاحف: «عبرة»، وقيل: إنما قص الله تعالى على النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ خبر يوسف وبغي إخوته عليه، لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به، وقيل: أساميهم: يهوذا، وروبيل، وشمعون، ولاوى، وربالون، ويشجر، ودينة، ودان، ونفتالي، وجاد، وآشر: السبعة الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب، والأربعة الآخرون من سريتين: زلفة، وبلهة، فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل، فولدت بنيامين ويوسف.

﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾

﴿ليوسف﴾ اللام: للابتداء، وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة، أرادوا أنّ زيادة محبته لهما أمر ثابت[1] لا شبهة فيه، ﴿وَأَخُوهُ﴾ هو: بنيامين؛ وإنما قالوا: أخوه، وهم جميعاً إخوته؛/١٦٦أ لأنّ أمّهما كانت واحدة، وقيل: ﴿أَحَبُّ﴾: في الاثنين؛ لأن أفعل من لا يفرّق فيه بين الواحد وما فوقه، ولا بين المذكر والمؤنث إذا كان معه: «من»، ولا بد من الفرق مع لام التعريف، وإذا أضيف جاز الأمران، والواو في: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: واو الحال، يعني: أنه يفضلهما في المحبة علينا، وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة، ونحن جماعة عشرة رجال كفأة نقوم بمرافقه، فنحن أحقّ بزيادة المحبة منهما، لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك، والعصبة والعصابة: العشرة فصاعداً، وقيل: إلى الأربعين؛ سموا بذلك

---

(١) قال محمود: «اللام للتوكيد، دخلت للأشعار بأن زيادة محبة أبيهم لهما أمر ثابت... إلخ» قال أحمد: وهذه تؤيد قراءة ابن مروان ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ﴾ بالنصب. وقد قال سيبويه فيها: احتبى ابن مروان في لحنه، أي تمكن. وحيث تأيدت بقراءة أمير المؤمنين كرم الله وجهه، فلا بد من التماس المحمل الصحيح لها وليس ذلك ببعيد إن شاء الله فنقول: لو قالوا «ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن نحن» على طريقة [من الرجز]:

أنـا أبـو الـنـجـم وشـعـري شـعـري

ونحو: أنا أنا وأنت أنت. لم يكن في فصاحته مقال: وقد علمت أن معنى أنا أنا: أي أنا الموصوف بالأوصاف الشهيرة التي استغنى عن ذكرها، فلا بعد والحالة هذه في حذف الخبر، لمساواته المبتدأ وعدم زيادته عليه لفظاً، وراحة من تكرار اللفظ بعينه، والسياق يرشد إلى المحذوف، وإذا كان كذلك فقول القائلين ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ﴾ معناه: ونحن نحن، ولكن استغنوا عن الخبر للسر الذي ذكرناه، فقولهم: (نحن) كلام تام بالتقدير المذكور، فلا غرو في وقوع الحال بعده، وهذا بعينه يجري في قوله ﴿هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ فقوله (هن) في حكم الكلام التام. والمراد: هؤلاء بناتي هن المشهورات بالأوصاف الحميدة الظاهرة. وأصل الكلام: هن هن، فوقع الحال بعد التمام، والله أعلم.

لانهم جماعة تعصب بهم الأمور ويستكفون النوائب، وروى النزال بن سبرة عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: «ونحن عصبةً»؛ بالنصب، وقيل: معناه: ونحن نجتمع عصبة، وعن ابن الأنباري: هذا كما تقول العرب؛ إنما العامري: عمته، أي: يتعهد عمته.

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾: من جملة ما حكى بعد قوله: «إذ قالوا»؛ كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾، وقيل: الآمر بالقتل شمعون، وقيل: دان، والباقين: كانوا راضين، فجعلوا آمرين، ﴿أَرْضًا﴾: أرضاً منكورة، مجهولة، بعيدة من العمران، وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف، ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة، ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم، والمراد: سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم إياها، فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم؛ لأنّ الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه، ويجوز أن يراد بالوجه الذات، كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقيل: (يخل لكم): يفرغ لكم من الشغل بيوسف، ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد يوسف، أي: من بعد كفايته بالقتل أو التغريب، أو يرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا، ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾: تائبين إلى الله مما جنيتم عليه، أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه، أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلوّ وجه أبيكم، و﴿وَتَكُونُوا۟﴾؛ إمّا مجزوم عطفاً على: (يخل لكم)، أو منصوب بإضمار: «أن والواو» بمعنى: مع؛ كقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [البقرة: ٤٢].

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾: هو يهوذا، وكان أحسنهم فيه رأياً، وهو الذي قال: فلن أبرح الأرض، قال لهم: القتل عظيم، ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله؛ قال المُنَخّل [من الطويل]:

وَإِنْ أَنَا يَوْماً غَيَّبَتْنِي غَيَابَتِي ... فَسِيرُوا بِسَيْرِي فِي الْعَشِيرَةِ وَالأَهْلِ[(١)]

---

(١) للمنخل. والغيابة: ما غاب عن الناظر من أسفل البئر ونحوه. يقول: وإن غيبتني مقبرتي، كناية عن موته، فسيروا بسيري، أي فانعوني وسيروا بذكر خصالي، على عادة العرب إذا مات منها رئيس. ويحتمل أنه يوصي أقاربه بالخير، وأنهم يسيرون بمثل سيره، ويفعلون كفعله في جيرانه وقرابته.
ينظر البيت في روح المعاني ١٢/١٩٢، ومجاز القرآن ١/٣٠٢، ومعجم الشعراء ٣٨٨، والبحر =

أراد غيابة حفرته التي يدفن فيها، وقرئ: «غيابات»: على الجمع، و«غيابات»: بالتشديد، وقرأ الجحدري: «غيبة»، والجب: البئر لم تطو؛ لأن الأرض تجبّ جبًّا لا غير، ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾: يأخذه بعض السيارة بعض الأقوام الذين يسيرون في الطريق، وقرئ: «تلتقطه»: بالتاء على المعنى؛ لأنّ بعض السيارة سيارة؛ كقوله [من الطويل]:

.... كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ[1]

ومنه: ذهبت بعض أصابعه، ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم، فهذا هو الرأي.

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا﴾، قرئ بإظهار النونين، وبالإدغام بإشمام وبغير إشمام، و: تيمنا: بكسر التاء مع الإدغام، والمعنى: لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه؟ وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة[2]، وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم، وفيه دليل على أنه أحسّ منهم بما أوجب ألَا يأمنهم عليه، ﴿يَرْتَعْ﴾: يتسع في أكل الفواكه وغيرها، وأصل الرتعة: الخصب والسعة، وقرئ: «يرتع»: من ارتعى يرتعي، وقرئ: «يرتع ويلعب»: بالياء، ويرتع: من ارتع ماشيته، وقرأ العلاء بن سيابة: «يرتع» بكسر العين، و«يلعب»: بالرفع على الابتداء.

فإن قلت: كيف استجاز لهم يعقوب ـ عليه السلام ـ اللعب؟

قلت: كان لعبهم الاستباق والانتضال، ليضروا أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدوّ لا للهو؛ بدليل قوله: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: ١٧]؛ وإنما سموه لعباً؛ لأنه في صورته.

﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿لَيَحْزُنُنِىٓ﴾: اللام: لام الابتداء؛ كقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [النحل: ١٢٤]. ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة، اعتذر إليهم بشيئين:

= المحيط ٥/ ٢٨٥، ومعجم المرزباني (٣٨٨)، والمؤتلف (٢٧١)، والقرطبي ٥/ ١٩٤، والمحرر ٩/ ٢٥٤، والدر المصون ٤/ ١٥٨.

(١) تقدم.

(٢) قوله: «ما يدل على خلاف النصيحة والمقة» أي المحبة. وقد ومقه يمقه، بالكسر فيهما: أي أحبه، فهو وامق، كذا في الصحاح (ع).

أحدهما: أنّ ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه؛ لأنه كان لا يصبر عنه ساعة.

والثاني: خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه[1] برعيهم ولعبهم، أو قلّ به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم، وقيل: رأى في النوم أنّ الذئب قد شدّ على يوسف فكان يحذره، فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة، وفي أمثالهم: «البلاء موكل بالمنطق»، وقرئ: (الذئب): بالهمزة على الأصل وبالتخفيف، وقيل: اشتقاقه من «تذاءبت الريح»: إذا أتت من كل جهة:

﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾

القسم محذوف تقديره: والله، ﴿لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾: واللام موطئة للقسم، وقوله: ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾: جواب للقسم، مجزئ عن جزاء الشرط، والواو في (ونحن عصبة): واو الحال، حلفوا له: لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم ـ وحالهم أنهم عشرة رجال، بمثلهم تعصب الأمور وتكفى الخطوب ـ إنهم إذاً لقوم خاسرون، أي: هالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً، أو مستحقون أن يهلكوا؛ لأنه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم، أو مستحقون، لأن يدعي عليهم بالخسارة والدّمار، وأن يقال: خسرهم الله، ودمرهم: حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون، وقيل: إن لم نقدر على حفظ بعضنا، فقد هلكت مواشينا إذاً وخسرناها.

فإن قلت: قد اعتذر إليهم بعذرين، فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر؟

قلت: هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الأمرّين[2] فأعاروه آذاناً صمًّا ولم يعبؤوا به.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾

---

(١) قال محمود: «اعتذر لهم بأمرين: أحدهما حزنه لمفارقته، والثاني خوفه عليه من الذئب إذا غفلوا عنه... إلخ» قال أحمد: وكان أشغل الأمرين لقلبه خوف الذئب عليه، لأنه مظنة هلاكه. وأما حزنه لمفارقته ريثما يرتع ويلعب ويعود سالماً إليه عما قليل، فأمر سهل؛ فكأنهم لم يشتغلوا إلا بتأمينه وتطمينه من أشد الأمرين عليه، والله أعلم.

(٢) قوله: «ويذيقهم الأمرين، الأمرين ـ بنون الجمع ـ: الدواهي، كذا بهامش. وفي الصحاح: الأمران: الفقر والهرم. وفيه أيضاً: الأمر: المصارين يجتمع فيها الفرث. قال الشاعر:

فلا تهد الأمر وما يليه ... ولا تهدن معروق العظام

وقال أبو زيد: لقيت منه الأمرين، بنون الجمع: وهي الدواهي اهـ (ع).

﴿أَن يَجْعَلُوهُ﴾: مفعول، (أجمعوا): من قولك: أجمع الأمر وأزمعه، ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾، وقرئ: «في غيابات الجب»: قيل: هو بئر بيت المقدس، وقيل: بأرض الأردنّ، وقيل: بين مصر/ ١٦٦ب ومدين، وقيل: على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب، وجواب «لما»: محذوف، ومعناه: فعلوا به ما فعلوا من الأذى، فقد روي أنهم لما برزوا به إلى البرّية أظهروا له العداوة، وأخذوا يهنونه ويضربونه، وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب، حتى كادوا يقتلونه، فجعل يصيح: يا أبتاه، لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الإماء، فقال يهوذا: أما أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه؟ فلما أرادوا إلقاءه في الجب تعلق بثيابهم، فنزعوها من يده، فتعلق بحائط البئر، فربطوا يديه، ونزعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه، ردّوا عليّ قميصي أتوارى به، وإنما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم، فقالوا له: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك، ودلوه في البئر، فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت، وكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي، فنادوه، فظنّ أنها رحمة أدركتهم، فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا، وكان يهوذا يأتيه بالطعام، ويروى أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين ألقي في النار، وجرّد عن ثيابه، أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فدفعه إبراهيم إلى إسْحَاق، وإسْحَاق إلى يعقوب، فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف، فجاء جبريل فأخرجه وألبسه إياه، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ قيل: أُوحي إليه في الصغر كما أُوحي إلى يحيى وعيسى، وقيل: كان إذ ذاك مدركاً، وعن الحسن: كان له سبع عشرة سنة، ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾: وإنما أُوحي إليه ليؤنس في الظلمة والوحشة، ويبشر بما يؤول إليه أمره، ومعناه: لتتخلصن مما أنت فيه، ولتحدّثن إخوتك بما فعلوا بك، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أنك يوسف؛ لعلوّ شأنك وكبرياء سلطانك، وبعد حالك عن أوهامهم، ولطول العهد المبدّل للهيئات والأشكال، وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتازين فعرفهم وهم له منكرون، دعا بالصواع فوضعه على يده، ثم نقره فطنّ فقال: إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف، وكان يدنيه دونكم، وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب، وقلتم لأبيكم: أكله الذئب، وبعتموه بثمن بخس، ويجوز أن يتعلق: (وهم لا يشعرون) بقوله: (وأوحينا): على أنا آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة، وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش لا أنس له، وقرئ: «لننبئنهم»: بالنون على أنه وعيد لهم، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: متعلق بأوحينا لا غير.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

وعن الحسن: «عشيًّا»: على تصغير عشيّ، يقال: لقيته عشيًّا وعشياناً[1]، وأصيلاً وأصيلاناً، ورواه ابن جنى: «عُشي»: بضم العين والقصر، وقال: «عشوا» من البكاء، وروي أن امرأة حاكمت إلى شريح فبكت، فقال له الشعبي: يا أبا أمية، أما تراها تبكي؟ فقال: قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة: ولا ينبغي لأحد أن يقضي إلا بما أمر أن يقضي به من السنة المرضية، وروي أنه لما سمع صوتهم[2] فزع، وقال: مالكم يا بنيّ؟ هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فمالكم وأين يوسف؟ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ أي: نتسابق، والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل، والارتماء والترامي، وغير ذلك، والمعنى: نتسابق في العدو أو في الرمي، وجاء في التفسير: ننتضل، ﴿بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾: بمصدّق لنا، ﴿وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾: ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة؛ لشدّة محبتك ليوسف، فكيف وأنت سيء الظن بنا، غير واثق بقولنا؟

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾

﴿بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾: ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة، كأنه نفس الكذب وعينه، كما يقال للكذاب: هو الكذب بعينه، والزور بذاته؛ ونحوه [من الطويل]:

.... فَهُنَّ بِهِ جُودٌ وَأَنْتُمْ بِهِ بُخْلُ[3]

وقرئ: «كذباً»: نصباً على الحال، بمعنى: جاؤوا به كاذبين، ويجوز أن يكون مفعولاً له، وقرأت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «كدب»؛ بالدال غير المعجمة، أي: كدر، وقيل: «طرى»، وقال ابن جنى: أصله من الكدب، وهو الفوف البياض[4]، الذي يخرج على أظفار الأحداث، كأنه دم قد أثر في قميصه، روي أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها، وزلّ

---

(١) قوله: «يقال: لقيته عشيا وعشياناً» وهذا لو حذفت نونه صار عشيا، كقراءة الحسن (ع).

(٢) قال محمود: «روي أنه لما سمع أصواتهم قال: يا بني، هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا لا... إلخ» قال أحمد: وقواه على اتهامهم أنهم ادعوا الوجه الخاص الذي خاف يعقوب عليه السلام هلاكه بسببه أولاً أكل الذئب إياه، فاتهمهم أن يكونوا تلقفوا العذر من قوله لهم ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ وكثيراً ما الأعذار الباطلة من قلق في المخاطب المعتذر إليه، حتى كان بعض أمراء المؤمنين يلقنون السارق الإنكار.

(٣) ينظر: أساس البلاغة (جود).

(٤) قوله: «وهو الفوف البياض» عبارة الصحاح: الفوف البياض الذي يكون في أظفار الأحداث اهـ. فجعل البياض خبراً عن الفوف وتفسيراً له، فلعله هنا: أي البياض (ع).

عنهم أن يمزقوه، وروي أنّ يعقوب لما سمع بخبر يوسف، صاح بأعلى صوته، وقال: أين القميص؟ فأخذه رألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص، وقال: تالله، ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا، أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه، وقيل: كان في قميص يوسف ثلاث آيات: كان دليلاً ليعقوب على كذبهم، وألقاه على وجهه فارتد بصيراً، ودليلاً على براءة يوسف حين قدّ من دبر.

فإن قلت: (على قميصه) ما محله؟

قلت: محله: النصب على الظرف؛ كأنه قيل: وجاءوا فوق قميصه بدم، كما تقول: جاء على جماله بأحمال.

فإن قلت: هل يجوز أن تكون حالاً متقدمة؟

قلت: لا؛ لأنّ حال المجرور لا تتقدم عليه[1] ﴿سَوَّلَتْ﴾: سهلت من السول وهو الاسترخاء، أي: سهلت، ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: عظيماً ارتكبتموه من يوسف، وهوّنته في أعينكم، استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص، أو أُوحي إليه بأنهم قصدوه، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: خبر أو مبتدأ؛ لكونه موصوفاً، أي: فأمري صبر جميل، أو فصبر جميل أمثل، وفي قراءة أبيّ: «فصبراً جميلاً»، والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع: «أنه الذي لا شكوى فيه إلى الخلق» (٧٧٧)؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿إنما أشكو بثي

---

٧٧٧ ـ أخرجه الطبري (٧/ ١٦٣) رقم (١٨٨٣، ١٨٨٤).
قال الحافظ:
أخرجه الطبري من طريق حيان بن أبي حثلة قال: سُئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿فصبر جميل﴾، =

---

(١) قال السمين الحلبي: وهذا الذي ردَّ به الزمخشري أحد قولي النحاة، وقد صحح جماعة جوازه وأنشدوا [من الطويل]:
.... فَلَنْ يذهبوا فَزغاً بِقَتْلِ حِبَالِ
وقال الشيخ: «ولا يساعد المعنى على نصب «عَلَى» على الظرف بمعنى: فوق، لأن العامل فيه إذ ذاك «جَاءوا» وليس الفرق ظرفاً لهم، بل يستحيل أن يكون ظرفاً لهم». وهذا الردُّ هو الذي رددت به على الحوفي قوله: إن «عَلَى» متعلقة بـ«جَاءوا». ثم قال الشيخ: وأما المثال الذي ذكره الزمخشري، وهو: «جَاءَ على جِمَاله بأحمالٍ» فيمكن أن يكون ظرفاً للجائي، لأنه يمكن الظرف فيه باعتبار تبدله من جَمَلٍ إلى جَمَلٍ، ويكون بأحمال في موضع الحال، أي: مضموماً بأحمال. انتهى. الدر المصون.

وحزني إلى الله﴾ [يوسف: ٨٦]، وقيل: لا أعايشكم على كآبة الوجه، بل أكون لكم كما كنت، وقيل: سقط حاجباً يعقوب على عينيه، فكان يرفعهما بعصابة، فقيل له: ما هذا؟ فقال: طول الزمان، وكثرة الأحزان، فأوحى الله تعالى إليه: يا يعقوب، أتشكوني؟ قال: يا رب؛ خطيئة، فاغفرها لي، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ أي: أستعينه ﴿عَلَىٰ﴾: احتمال ﴿مَا تَصِفُونَ﴾: من هلاك يوسف، والصبر على الرزء فيه.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر؛ وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف/ ١٦٧أ في الجب، فأخطئوا الطريق فنزلوا قريباً منه، وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة، وقيل: كان ماؤها ملحاً، فعذب حين ألقى فيه يوسف، ﴿فَأَرْسَلُوا۟﴾: رجلاً يقال له: مالك بن ذعر الخزاعي، ليطلب لهم الماء، والوارد: الذي يرد الماء ليستقي للقوم، ﴿يَـٰبُشْرَىٰ﴾: نادى البشرى، كأنه يقول: تعالي، فهذا من آونتك، وقرئ: «يا بشراي»: على إضافتها إلى نفسه، وفي قراءة الحسن وغيره: «يا بشرى»: بالياء مكان الألف، جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الإضافة، وهي لغة للعرب مشهورة سمعت أهل السروات يقولون في دعائهم: يا سيدي ومولىّ، وعن نافع: «يا بشراي»: بالسكون، وليس بالوجه؛ لما فيه من التقاء الساكنين على غير حدّه، إلا أن يقصد الوقف، وقيل: لما أدلى دلوه، أي: أرسلها في الجب، تعلق يوسف بالحبل، فلما خرج، إذا هو بغلام أحسن ما يكون، فقال: يا بشراي، ﴿هَـٰذَا غُلَـٰمٌ﴾، وقيل: ذهب به، فلما دنا من أصحابه، صاح بذلك يبشرهم به، ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾: الضمير: للوارد وأصحابه: أخفوه من الرفقة، وقيل: أخفوا أمره ووجدانهم له في الجب، وقالوا لهم: دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر، وعن ابن عباس أنّ الضمير لإخوة يوسف (٧٧٨). وأنهم قالوا للرفقة: هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا، وسكت يوسف؛ مخافة أن يقتلوه، و﴿بِضَـٰعَةً﴾: نصب على الحال، أي: أخفوه متاعاً للتجارة، والبضاعة: ما بضع من المال للتجارة، أي: قطع ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: لم يخف عليه أسرارهم، وهو وعيد لهم؛ حيث استبضعوا ما ليس لهم، أو: والله عليم بما يعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع.

= قال: صبر لا شكوى فيه. من بث لم يصبر» هذا مرسل. انتهى.

٧٧٨ ـ أخرجه الطبري (٧/ ١٦٦) رقم (١٨٩٠٨).

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَشَرَوْهُ﴾: وباعوه، ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: مبخوس ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً، أو زيف ناقص العيار، ﴿دَرَاهِمَ﴾: لا دنانير، ﴿مَعْدُودَةٍ﴾: قليلة[1]، تعدّ عدًّا، ولا توزن؛ لأنهم كانوا لا يزنون إلا ما بلغ الأوقية، وهي الأربعون، ويعدّون ما دونها، وقيل: للقليلة معدودة؛ لأنّ الكثيرة يمتنع من عدّها؛ لكثرتها، وعن ابن عباس: كانت عشرين درهماً (٧٧٩)، وعن السدي: اثنين وعشرين (٧٨٠). ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾: ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن[2]؛ لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء: متهاون به لا يبالي بما باعه، ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أوّل مساوم بأوكس الثمن، ويجوز أن يكون معنى: (وشروه): واشتروه، يعني: الرفقة من إخوته، ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾؛ لأنهم اعتقدوا أنه آبق، فخافوا أن يخطروا بمالهم فيه، ويروى أنّ إخوته اتبعوهم يقولون لهم: استوثقوا منه لا يأبق، وقوله: (فيه): ليس من صلة (الزاهدين)؛ لأنّ الصلة لا تتقدّم على الموصول؛ ألا تراك لا تقول: وكانوا زيداً من الضاربين؛ وإنما هو بيان، كأنه قيل: في أي شيء زهدوا؟ فقال: زهدوا فيه.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾ قيل: هو قطفير أو أطفير، وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر، والملك يومئذ: الريان بن الوليد، رجل من العماليق، وقد آمن بيوسف، ومات في حياة يوسف، فملك بعده قابوس بن مصعب، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى، واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة، وقام في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره ريان بن الوليد وهو

---

٧٧٩ ـ أخرجه الطبري (٧/ ١٧٠) رقم (١٨٩٣٥).

٧٨٠ ـ أخرجه الطبري (٧/ ١٧٠) رقم (١٨٩٣٦) بنحوه.

---

(١) قال محمود: «المعدودة كناية عن القليلة... إلخ» قال أحمد: ومن التعبير عن القلة بالعدد: الدعوة المأثورة على الكفرة: «اللهم أحصهم عدداً، واستأصلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً» فالمدعو به وإن كان إحصاؤهم عدداً في الظاهر، إلا أن هذا ليس مراداً لأن الله تعالى أحصى كل شيء عدداً وأحاط به علماً، فلا بد من مقصود وراء ذلك وهو لازم العدد وذلك القلة، فلما كان كل قليل معدوداً وكل كثير غير معدود، دعى عليهم بالقلة وعبر عنها بلازمها وهو الإحصاء. والله أعلم.

(٢) قوله: «فبيعه بما طف من الثمن» أي قل. وفي الصحاح: الطفيف القليل (ع).

ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل: كان الملك في أيامه فرعون موسى، عاش أربعمائة سنة؛ بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤]، وقيل: فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف، وقيل: اشتراه العزيز بعشرين ديناراً وزوجي نعل وثوبين أبيضين، وقيل: أدخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه؛ حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً وورقاً وحريراً، فابتاعه قطفير بذلك المبلغ، ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾: اجعلي منزله ومقامه عندنا كريماً، أي: حسناً مرضياً؛ بدليل قوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف: ٢٣]، والمراد: تفقديه بالإحسان وتعهديه بحسن الملكة، حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا، ساكنة في كنفنا، ويقال للرجل: كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل به من رجل أو امرأة، يراد: هل تطيب نفسك بثوائك عنده، وهل يراعي حق نزولك به، واللام في (لامرأته): متعلقة بقال، لا باشتراه، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾: لعله إذا تدرّب وراض الأمور وفهم مجاريها، نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله، فينفعنا فيه بكفايته وأمانته، أو نتبناه ونقيمه مقام الولد، وكان قطفير عقيماً لا يولد له، وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك، وقيل: أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف، فقال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [يوسف: ٢٣]، والمرأة التي أتت موسى وقالت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦] وأبو بكر حين استخلف عمر ـ رضي الله عنهما ـ وروي أنه سأله عن نفسه، فأخبره بنسبه فعرفه، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى ما تقدّم من إنجائه، وعطف قلب العزيز عليه، والكاف: منصوب تقديره: ومثل ذلك الإنجاء والعطف، ﴿مَكَّنَّا﴾: له، أي: كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز؛ كذلك مكنا له في أرض مصر، وجعلناه ملكاً يتصرف فيها بأمره ونهيه، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: كان ذلك الإنجاء والتمكين؛ لأنّ غرضنا ليس إلا ما تحمد عاقبته من علم وعمل، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾: على أمر نفسه: لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي، أو على أمر يوسف يدبره لا يكله إلى غيره، قد أراد إخوته به ما أرادوا، ولم يكن إلا ما أراد الله ودبره، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الأمر كله بيد الله.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

قيل في الأشدّ: ثماني عشرة، وعشرون، وثلاث وثلاثون، وأربعون، وقيل: أقصاه ثنتان وستون، ﴿حُكْمًا﴾: حكمة، وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه، وقيل: حكماً بين الناس وفقهاً، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: تنبيه على أنه كان محسناً في عمله، متقياً/ ١٦٧ب في عنفوان أمره، وأنّ الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه، وعن الحسن:

من أحسن عبادة ربه في شيبته، آتاه الله الحكمة في اكتهاله.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

المراودة: مفاعلة، من راد يرود إذا جاء وذهب، كأن المعنى: خادعته عن نفسه، أي: فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه، وهي عبارة عن التحمل لمواقعته إياها، ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ قيل: كانت سبعة، وقرئ: (هيت): بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء، وبناؤه كبناء أين، وعيط، وهيت كجير، وهيت كحيث، وهئت بمعنى: تهيأت، يقال: هاء يهيء، كجاء تجيء: إذا تهيأ، وهيئت لك، واللام من صلة الفعل، وأما في الأصوات فللبيان[1]؛ كأنه قيل: لك أقول هذا، كما تقول: هلم لك، ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أعوذ بالله معاذاً، ﴿إِنَّهُۥ﴾: إن الشأن والحديث، ﴿رَبِّىٓ﴾: سيدي ومالكي، يريد قطفير، ﴿أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾: حين قال لك: أكرمي مثواه، فما جزاؤه أن أخلفه في أهله سوء الخلافة وأخونه فيهم، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الذين يجازون الحسن بالسيء، وقيل: أراد الزناة؛ لأنهم ظالمون أنفسهم، وقيل: أراد الله تعالى؛ لأنه مسبب الأسباب.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

همّ بالأمر: إذا قصده وعزم عليه؛ قال [من الطويل]:

هَـمَـمْـتُ وَلَـمْ أَفْـعَـلْ وَكِـدْتُ وَلَـيْـتَـنِـي ... تَـرَكْـتُ عَـلَـىٰ عُـثْـمـانَ تَـبْـكِـي حَـلائِـلُـهْ[2]

---

(١) قوله: «وأما في الأصوات فللبيان» في الصحاح: هيت به وهوت به، أي صاح به ودعاه. وفيه أيضاً قولهم «هيت لك» أي هلم لك وفيه. هلم يا رجل ـ بفتح الميم ـ: بمعنى تعال (ع).

(٢) لعمير بن ضابئ البرجمي، دخل على عثمان وهو مقتول فوطئ بطنه وكسر ضلعه وقال: عزمت على قتل عثمان ولم أقتله، وكدت أن أفعل وليتني قتلته. وكنى عن ذلك بقوله: «تركت على عثمان تبكي حلائله» وهو من باب التنازع. وأصله: تركت على عثمان حلائله تبكي فجعل حلائله فاعلاً. وحذف مفعول تركت الأول لعلمه من الكلام، ولأنه فضلة وهي لا تضمر في هذا الباب. والمعنى ليتني قتلته فصيرت نساءه تبكي عليه، ودخل هذا الرجل على الحجاج وقال: يا أمير المؤمنين: أنا شيخ ضعيف، وخرج اسمي في هذا البعث، فاقبل ابني بديلاً عني فقبله منه وخرج فقال عتبة بن سعيد: أيها الأمير، هذا هو الذي فعل بعثمان كذا وكذا، فقال: ردوه علي، فقال له: أيها الشيخ، هلا بعثت إلى عثمان أمير المؤمنين بديلاً يوم الدار؟ إن في قتلك صلاحاً، يا حرسي، اضربا عنقه. أمر الحرس بقتله وخاطبه خطاب المثنى على لغة الحرس الذين نسب المخاطب إليهم هذا. وقيل: =

ومنه قولك: لا أفعل ذلك ولا كيداً ولا همًّا، أي: ولا أكاد أن أفعله كيداً، ولا أهم بفعله همًّا: حكاه سيبويه، ومنه: الهمام، وهو الذي إذا همّ بأمر أمضاه ولم ينكل عنه، وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ معناه: ولقد همت بمخالطته، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: وهمّ بمخالطتها، ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾: جوابه محذوف، تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لخالطها؛ فحذف؛ لأنّ قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ يدل عليه؛ كقولك: هممت بقتله لولا أني خفت الله، معناه: لولا أني خفت الله.

فإن قلت: كيف جاز على نبيّ الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصدٌ إليها؟

قلت: المراد أنّ نفسه مالت إلى المخالطة، ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه[1]؛ ميلاً يشبه الهم به والقصد إليه، وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم، وهو يكسر ما به ويردّه بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم، ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى همًّا لشدّته، لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالامتناع؛ لأن استعظام الصبر على الابتلاء، على حسب عظم الابتلاء وشدته، ولو كان همه كهمها عن عزيمة، لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين، ويجوز أن يريد بقوله: (وهمّ بها): وشارف أن يهم بها، كما يقول الرجل: قتلته لو لم أخف الله، يريد مشارفة القتل ومشافهته[2]، كأنه شرع فيه.

فإن قلت: قوله: (وهم بها): داخل تحت حكم القسم في قوله: (ولقد همت به): أم هو خارج منه؟

قلت: الأمران جائزان، ومن حق القارئ إذا قدّر خروجه من حكم القسم وجعله كلاماً برأسه أن يقف على قوله: (ولقد همت به)، ويبتدئ قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾، وفيه ـ أيضاً ـ إشعار بالفرق بين الهمين.

فإن قلت: لم جعلت جواب «لولا» محذوفاً يدل عليه: «هم بها»، وهلا جعلته هو الجواب مقدماً؟

= إن القصة مع ضابئ نفسه، وإن عثمان كان حبسه في هجوه بني نهشل، فلما قتل عثمان أفلت وفعل به ذلك.

ينظر: حماسة البحتري ص ١١، خزانة الأدب (٩/ ٣٢٣، ٣٢٧)، الشعر والشعراء ١/ ٣٥٨، لسان العرب (قير)، معاهد التنصيص (١/ ١٨٧).

(١) قوله: «وقرمه» أي شدة شهوته، أفاده الصحاح.

(٢) قوله: «مشافهته» لعله: ومشابهته.

قلت: لأن لولا لا يتقدم عليها جوابها، من قبل أنه في حكم الشرط، وللشرط صدر الكلام، وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة، ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض، وأما حذف بعضها إذا دلّ الدليل عليه فجائز.

فإن قلت: فلم جعلت «لولا» متعلقة «بهمّ بها» وحده، ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾؛ لأن الهمّ لا يتعلق بالجواهر، ولكن بالمعاني، فلا بدّ من تقدير المخالطة، والمخالطة لا تكون إلا من اثنين معاً، فكأنه قيل: ولقد هما بالمخالطة لولا أن منع مانع أحدهما؟

قلت: نعم ما قلت، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل؛ حيث قال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾، فكان إغفاله إلغاء له، فوجب أن يكون التقدير: ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها، على أنّ المراد بالمخالطتين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه، وتوصله إلى ما هو حظه من قضاء شهوته منها، «لولا أن رأى برهان ربه»، فترك التوصل إلى حظه من الشهوة؛ فلذلك كانت: «لولا»: حقيقة بأن تعلق بـ «هَمَّ بها» وحده، وقد فسر همّ يوسف بأنه حل الهميان، وجلس منها مجلس المجامع، وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع، وهي مستلقية على قفاها، وفسر البرهان بأنه سمع صوتاً: إياك وإياها، فلم يكترث له، فسمعه ثانياً فلم يعمل به، فسمع ثالثاً: أعرضْ عنها، فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضًا على أنملته، وقيل: ضرب بيده في صدره، فخرجت شهوته من أنامله، وقيل: كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولداً إلا يوسف؛ فإنه ولد له أحد عشر ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين همّ، وقيل: صيح به: يا يوسف، لا تكن كالطائر: كان له ريش، فلما زنى قعد لا ريش له، وقيل: بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم، مكتوب فيها: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾، فلم ينصرف، ثم رأى فيها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾، فلم ينته، ثم رأى فيها: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فلم ينجع فيه، فقال الله لجبريل ـ عليه السلام ـ: أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبريل وهو يقول: يا يوسف، أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء؟ وقيل: رأى تمثال العزيز، وقيل: قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسترته وقالت: أستحي منه أن يرانا،/
١٦٨أ فقال يوسف: استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر، ولا أستحي من السميع البصير، العليم بذوات الصدور، وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر[1] الذين دينهم بهت الله تعالى وأنبيائه، وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل، ولو

(١) قوله: «مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى» يريد بهم أهل السنة، ويريد بأهل =

وجدت من يوسف ـ عليه السلام ـ أدنى زلة، لنعيت عليه، وذكرت توبته واستغفاره، كما نعيت على آدم زلته، وعلى داود، وعلى نوح، وعلى أيوب، وعلى ذي النون، وذكرت توبتهم واستغفارهم، كيف وقد أثنى عليه وسمي مخلصاً، فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوّة والعزم، ناظراً في دليل التحريم ووجه القبح، حتى استحق من الله الثناء فيما أَنزل من كتب الأولين، ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها، ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته، وضرب سورة كاملة عليها، ليجعل له لسان صدق في الآخرين، كما جعله لجدّه الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة، وطيب الإزار، والتثبت في مواقف العثار، فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدّي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من أنبياء الله، في القعود بين شعب الزانية، وفي حل تكته للوقوع عليها، وفي أن ينهاه ربه بثلاث كرّات، ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن، وبالتوبيخ العظيم، وبالوعيد الشديد، وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه، وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل، ولا ينتهي، ولا ينتبه، حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره، ولو أن أوقح الزناة، وأشطرهم، وأحدهم حدقة، وأصلحهم وجهاً لقي بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا، لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرّك، فيا له من مذهب ما أفحشه! ومن ضلال ما أبينه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف: منصوب المحل، أي: مثل ذلك التثبيت ثبتناه، أو مرفوعه، أي: الأمر مثل ذلك، ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾: من خيانة السيد، ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾: من الزنا، ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: الذين أخلصوا دينهم لله، وبالفتح، الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم، ويجوز أن يريد بالسوء: مقدّمات الفاحشة، من القبلة والنظر بشهوة، ونحو ذلك، وقوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ معناه: بعض عبادنا، أي: هو مخلص من جملة المخلصين، أو هو ناشئ منهم؛ لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ [ص: ٤٦].

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن

= العدل المعتزلة. وبهت الشخص: نسبه إلى قبيح لم يفعله، ولولا أن ذلك دائر بين السلف لما أوردوه (ع).

﴿كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾: وتسابقا إلى الباب، على حذف الجارّ وإيصال الفعل؛ كقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ **[الأعراف: ١٥٥]** على تضمين: «استبقا» معنى: «ابتدرا»، نفر منها يوسف، فأسرع يريد الباب ليخرج، وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج.

فإن قلت: كيف وحد الباب، وقد جمعه في قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾؟

قلت: أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار، فقد روى كعب أنه لما هرب يوسف، جعل فراش القفل[١] يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب، ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ اجتذبته من خلفه فانقد، أي: انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه، ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾: وصادفا بعلها وهو قطفير، تقول المرأة لبعلها: سيدي، وقيل: إنما لم يقل: سيدهما؛ لأنّ ملك يوسف لم يصح، فلم يكن سيداً له على الحقيقة، قيل: ألفياه مقبلاً: يريد أن يدخل، وقيل: جالساً مع ابن عمّ للمرأة، لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة، وهي مغتاظة على يوسف إذ لم يؤاتها[٢]، جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها، وهما: تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف، وتخويفه طمعاً في أن يؤاتيها؛ خيفة منها ومن مكرها، وكرهاً لما أيست من مؤاتاته طوعاً؛ ألا ترى إلى قولها: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ﴾ **[يوسف: ٣٢]**، و«ما»: نافية، أي: ليس جزاؤه إلا السجن، ويجوز أن تكون استفهامية، بمعنى: أي شيء إلا السجن؟ كما تقول: من في الدار إلا زيد.

فإن قلت: كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف، وإنه أراد بها سوءا؟[٣] قلت:

---

(١) قوله: «فراشة القفل» وما ينشب فيه. يقال أقفل فأفرش (ع).

(٢) قوله: «إذ لم يؤاتها» في الصحاح: وتقول آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة، إذا وافقته وطاوعته. والعامة تقول: واتيته (ع).

(٣) قال محمود: «إن قلت: لم قالت ما قالت غير مصرحة بذكر يوسف... إلخ» قال أحمد: أو أظهرت بهذا الإجمال الحياء والحشمة أن تقول لبعلها: هذا أراد بي سوءا ولذلك أيضاً كنت بالسوء عما أضمرته من الهناة مبالغة في المكر والكيد، وإبعاد للتهمة عنها بتوقي ما يشعر منها بالتبرج والقحة، وعلى الضد من مقصودها وإن وافق ملاحظتها بحشمة الإجمال: قول ابنة شعيب تمدح موسى عليه السلام فيما حكى الله عنها ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ ولم تقل: إنه قوي أمين، حياء من التعيين وحشمة وخفراً، ولكن هذه إنما بعثها على هذا الأدب شيمة الحياء. وامرأة العزيز إنما بعثها على هذا الأدب شيمة الحياء. وامرأة العزيز إنما بعثها عليه التكلف والاستعمال لذلك الغرض الفاسد من المكر، والله أعلم.

قصدت العموم، وأنّ كل من أراد بأهلك سوءاً فحقه أن يسجن أو يعذب؛ لأن ذلك أبلغ فيما قصدته من تخويف يوسف، وقيل: العذاب الأليم: الضرب بالسياط، ولما أغرت به وعرّضته للسجن والعذاب، وجب عليه الدفع عن نفسه، فقال: ﴿هِىَ رَٰوَدَتۡنِى عَن نَّفۡسِىۚ﴾، ولولا ذلك لكتم عليها، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ قيل: كان ابن عمّ لها؛ إنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها؛ لتكون أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف، وأنفى للتهمة عنه، وقيل: هو الذي كان جالساً مع زوجها لدى الباب، وقيل: كان حكيماً يرجع إليه الملك ويستشيره، ويجوز أن يكون بعض أهلها كان في الدار، فبصر بها من حيث لا تشعر، فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق، وقيل: كان ابن خال لها صبيًا في المهد، وعن النبي ﷺ: «تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ: ٱبْنُ مَاشِطَةِ فِرْعَونَ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى» (٧٨١).

فإن قلت: لم سمي قوله: شهادة، وما هو بلفظ الشهادة؟[1]

---

٧٨١ ـ أخرجه الحاكم (٢/٤٩٦ ـ ٤٩٧)، وأحمد (١/٣١٠)، والبزار (١/٣٧ ـ ٣٨) رقم (٥٤)، والبيهقي (٢/٣٨٩)، والطبري (٧/١٩١) رقم (١٩١٠٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٦) عن ابن عباس.
وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة.
أخرجه الحاكم (٢/٥٩٥).
قال الحافظ:
أخرجه الحاكم وابن حِبان وأحمد وابن أبي شيبة والبزار وأبو يعلى. والطبري والبيهقي في السادس عشر من الشُعب، كلهم من رواية حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ رفعه: «لما أسرى بي مرت رائحة طيبة ـ الحديث» فيه قصة الماشطة، وفي آخره قال رسول الله ﷺ: «تكلم في المهد أربعة، وهم صغار: هذا، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم»، وفي الحاكم أيضاً من رواية مسلم بن إبراهيم عن جريج بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رفعه: «لم يتكلم في المهد إلا أربعة وهم صغار: عيسى، وشاهد يوسف. وصاحب جريج، وابن ماشطة فرعون»، وذكره بلفظ ثلاثة. وذكر الثالث ابن المرأة التي ألقيت في النار. فخشيت على ولدها فكلمها» وفي الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم وصاحب جريج وصبي كان يرضع فمر رجل راكب على دابة. . .» الحديث اقتصر الطيبي على هذا الأخذ فلم يصب، وبهذا الاعتبار صاروا خمسة، وروى الثعلبي عن الضحاك؛ أنهم ستة زادهم يحيى بن زكريا. انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة. . . إلخ»؟ قال أحمد: مهما قدره من ذلك في اتباعه لها، يحتمل مثله في اتباعها له، فإنها إنما تقد قميصه من قبل بتقدير أن يكون اجتذبها حتى صارا متقابلين فدفعته عن نفسها، وهذا بعينه يحتمل إذا كانت هي التابعة أن تكون اجتذبته حتى صارا متقابلين، ثم جذبت قميصه إليها من قبل، بل ههنا أظهر؛ لأن الموجب لقد القميص غالباً الجذب لا الدفع.

قلت: لما أدّى مؤدّى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف، وبطل قولها سمي شهادة.

فإن قلت: الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة؟

قلت: لأنها قول من القول، أو على إرادة القول، كأنه قيل: وشهد شاهد، فقال: إن كان قميصه.

فإن قلت: إن دل قدّ قميصه من دبر على أنها كاذبة وأنها هي التي تبعته واجتبذت ثوبه إليها فقدّته، فمن أين دل قدّه من قبل على أنها صادقة، وأنه كان تابعها؟ قلت: من وجهين:

أحدهما: أنه إذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه/ ١٦٨ب من قدّامه بالدفع.

والثاني: أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه[1]، وقرئ: «من

---

(١) عاد كلامه. قال: «والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فينقد» قال أحمد: وهذا بعينه محتمل لو كانت هي التابعة وهو فار منها فانقد قميصه في إسراعه للفرار، والله أعلم. فليس كلام الزمخشري في هذا الفصل بذاك. والحق ـ والله ولي التوفيق ـ أن الشاهد المذكور إن كان صبيا في المهد كما ورد في بعض الحديث، فالآية في مجرد كلامه قبل أوانه، حتى لو قال: صدق يوسف وكذبت، لكفى برهاناً على صدقه عليه السلام، كما كان مجرد إخبار عيسى عليه السلام في المهد برهاناً على صدق مريم، فلا تبقى المناسبة بين الأمارة المنصوبة وما رتب عليها؛ لأن العمدة في الدلالة نصبها لا مناسبتها، وإن كان الشاهد بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر، فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له وإقامة الحق كما ذكر الزمخشري. فهذا والله أعلم كان من حقه أن يصرح بما رأى فيصدق يوسف ويكذبها، ولكنه أراد أن لا يكون هو الفاضح لها، ووثق بأن انقطاع قميصه إنما كان من دبر فنصبه أمارة لصدقه وكذبها، ثم ذكر القسم الآخر وهو قده من قبل، على علم بأنه لم ينقد من قبل حتى ينفي عن نفسه التهمة في الشهادة وقصد الفضيحة، وينصفهما جميعاً فيذكر أمارة على صدقها المعلوم نفيه، كما ذكر أمارة على صدقه المعلوم وجرده، ومن ثم قدم أمارة صدقها على أمارة صدقه في الذكر، إزاحة للتهمة ووثوقاً بأن الأمارة الثانية هي الواقعة، فلا يضره تأخيرها. وهذه اللطيفة بعينها ـ والله أعلم ـ هو التي راعاها مؤمن آل فرعون في قوله ﴿وإن يك كاذباً عليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ فقدم قسم الكذب على قسم الصدق إزاحة للتهمة التي خشي أن تتطرق إليه في حق موسى عليه السلام، ووثوقاً بأن القسم الثاني وهو صدقه هو الواقع. فلا يضره تأخيره في الذكر لهذه الفائدة. ومن ثم قال ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ ولم يقل: كل ما يعدكم تعريضاً بأنه معهم عليه، وأنه حريص على أن يبخسه حقه، وينحو هذا النحو تأخير يوسف عليه السلام لكشف وعاء أخيه؛ لأنه لو بدأ به لفطنوا أنه هو الذي أمر بوضع السقاية فيه، والله أعلم. فقصد هذا الشاهد الأمارة الآخرة فقط. والمناسبة فيها محققة. وأما الأمارة الأولى فليست مقصودة، وإنما ذكرها توطئة كما تقدم. فلم يلتمس لها مناسبة جلية صحيحة على اليقين، وإنما هي كالفرض والتقدير والله أعلم. وكأنه قال: إن كان قميصه قد من قبل فهي صادقة. =

قبل»، «ومن دبر»: بالضم على مذهب الغايات، والمعنى: من قبل القميص ومن دبره، وأما التنكير، فمعناه: من جهة يقال لها: قبل، ومن جهة يقال لها: دبر، وعن ابن أبي إسحاق أنه قرأ: «من قبل»، و«من دبر»: بالفتح، كأنه جعلهما علمين للجهتين، فمنعهما الصرف؛ للعلمية والتأنيث، وقرئا[1]: بسكون العين.

فإن قلت: كيف جاز الجمع بين: «إن» الذي هو للاستقبال، وبين: «كان»؟

قلت: لأنّ المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قدّ؛ ونحوه كقولك: إن أحسنت إليّ، فقد أحسنت إليك من قبل، لمن يمتن عليك بإحسانه، تريد: إن تمتن عليّ أمتنّ عليك، ﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ يعني: قطفير، وعلم براءة يوسف وصدقه، وكذبها ﴿قَالَ إِنَّهُۥ﴾: إن قولك: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾[2]: أو إنّ الأمر، وهو طمعها في يوسف ﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾: الخطاب لها ولأمتها؛ وإنما استعظم كيد النساء؛ لأنه وإن كان في الرجال، إلا أنّ النساء ألطف كيداً، وأنفذ حيلة، ولهنّ في ذلك نيقة[3]، ورفق؛ وبذلك يغلبن الرجال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤]، والقصريات من بينهنّ معهنّ ما ليس مع غيرهنّ من البوائق[4]، وعن بعض العلماء: أنا أخاف من النساء أكثر ما أخاف من الشيطان؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، وقال للنساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، ﴿يُوسُفُ﴾: حذف منه حرف النداء؛ لأنه منادى قريب، مفاطن للحديث، وفيه تقريب له، وتلطيف لمحله، ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾: الأمر، واكتمه، ولا

= لكنه يعلم انتفاء الأمارة المذكورة، فعلق صدقها على محال وهو وجود قده من قبل حالة، فهذا التقرير هو الصواب والحق اللباب، والله الموفق. وأما إن كان الشاهد الحكيم الذي كان الملك يرجع إليه ويستشيره كما ورد في بعض التفاسير، فلا بد من التماس المناسبة في الطرفين لأنها عهدة الحكيم. وأقرب وجه في المناسبة أن قد القميص من دبر دليل على إدباره عنها، وقده من قبل دليل على إقباله عليها بوجهه، والله أعلم.

(١) قوله: «وقرئا» أي: قبل ودبر، قوله: «بسكون العين»: أي الباء.

(٢) قال محمود: «الضمير راجع إلى قولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءا. . . إلخ» قال أحمد: وفيما قاله هذا العالم نظر، لأن الآية التي ذكر فيها كيد الشيطان من قول الله تعالى غير محكي. وأما هذه الآية فكيد النساء فيها من قول العزيز، ولكن حكاه الله تعالى عنه فيحتمل حكايته عنه أن يكون تصحيحاً له، ويحتمل أن لا يكون المراد تصويبه، وأيضاً فإن كيد الشيطان مذكور في الآية مقابلاً لكيد الله تعالى، فكان ضعيفاً بالنسبة إليه. ألا ترى أول الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ وأيضاً فإن الكيد الذي يتعاطاه النساء وغيرهن مستفاد من الشيطان بوسوسته وتسويله وشواهد الشرع قائمة على ذلك، فلا يتصور حينئذ أن يكون كيدهن أعظم من كيده، والله أعلم.

(٣) قوله: «نيقة» اسم للتأنق في الأمر. أفاده الصحاح (ع).

(٤) قوله: «مع غيرهن من البوائق» أي الدواهي. أفاده الصحاح (ع).

تحدّث به ﴿وَٱسْتَغْفِرِى﴾ أنت ﴿لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ من جملة القوم المتعمدين للذنب. يقال: خطىء، إذا أذنب متعمداً؛ وإنما قال: ﴿مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾: بلفظ التذكير؛ تغليباً للذكور على الإناث، وما كان العزيز إلا رجلاً حليماً، وروي أنه كان قليل الغيرة.

﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾: وقال جماعة من النساء وكنّ خمساً: امرأة الساقي، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب، والنسوة: اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة؛ ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث، وفيه لغتان: كسر النون وضمها، ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: في مصر، ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾: يردن قطفير، والعزيز: الملك بلسان العرب، ﴿فَتَىٰهَا﴾: غلامها، يقال: فتاي وفتاتي، أي: غلامي وجاريتي، ﴿شَغَفَهَا﴾: خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد؛ والشغاف: حجاب القلب، وقيل: جلدة رقيقة يقال لها: لسان القلب؛ قال النابغة [من الطويل]:

وَقَــدْ حَــالَ هَــمٌّ دُونَ ذٰلِــكَ وَالِــجٌ ... مَـكَـانَ الـشَّـغَـافِ تَـبْـتَـغِـيـهِ الأَصَـابِـعُ[1]

---

(١) وقـد حـال هـم دون ذلـك والـج ... مكـان الـشـغـاف تـبـتـغـيـه الأصـابـع
وعـيـد أبـي قـابـوس فـي غـيـر كـنـهـه ... أتـانـي ودونـي راكـش فـالـضـواجـع
للنابغة، يعتذر إلى النعمان ملك العرب عما قذفه به الواشون، أي وقد حال هم دون التغزل في المحبوبة وغيره من اللذات «والج» داخل مكان الشغاف. ويروى «ولوج الشغاف» أي كولوجه، والشغاف: داء في القلب جهة اليمين تخرجه الأطباء بأصابعهم، فتبتغيه الأصابع: من صفته على أنه حال منه. وقيل: حجاب القلب، أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب، فتبتغيه: صفة للهم، وشبه الأصابع بمن يصح منه الطلب على طريق المكنية والابتغاء تخييل، ثم إنه شبه الهم المعقول بمحسوس وبالغ في ذلك حتى ادعى أن الأصابع تفتش عليه فلا تجده لشدة ولوجه وكمونه في القلب. أو تلمسه وتريد إخراجه. وبين الهم بقوله: وعيد النعمان أبي قابوس وتهديده حال كونه في غير كنهه وحقيقته، أي: لم يبلغني بكماله. أو لأنه بلا سبب حصل مني، بل افترى الوشاة علي كذباً جاءني. ودوني: أي أمامي هذين الموضعين وهما مسافة بعيدة، ومع ذلك أدركني الخوف أو بعد المسافة، دلالة على غضب الملك عليه غضباً شديداً.
ينظر: البيت في ديوانه ٧٩، والعيني ٣/ ٤٠٩، ومعاني الزجاج ٣/ ١٠٥، ومجاز القرآن ١/ ٣٠٨، =

وقرئ: «شعفها»؛ بالعين، من شعف البعير إذا هنأه[1] فأحرقه بالقطران؛ قال [من الطويل]:

.... كَمَا شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي[2]

و﴿حُبًّا﴾: نصب على التميز، ﴿لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: في خطأٍ وبُعدٍ عن طريق الصواب، ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾: باغتيابهنّ، وسوء قالنهنّ، وقولهنّ: امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها، وسمي الاغتياب مكراً؛ لأنه في خفية وحالي غيبة، كما يخفي الماكر مكره، وقيل: كانت استكتمتهنّ سرّها فأفشينه عليها، ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: دعتهنّ، قيل: دعت أربعين امرأة منهنّ الخمس المذكورات، ﴿وأعتدت لهن متكأ﴾: ما يتكئن عليه من نمارق، قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهنّ متكئات والسكاكين في أيديهنّ: أن يدهشن[3] ويبهتن عند رؤيته، ويشغلن عن نفوسهنّ فتقع أيديهنّ على أيديهنّ فيقطعنها؛ لأن المتكئ إذا بهت لشيء وقعت يده على يده، ولا يبعد أن تقصد الجمع بين المكر به وبهنّ، فتضع الخناجر في أيديهنّ ليقطعن أيديهنّ، فتبكتهنّ بالحجة، ولتهول يوسف من مكرها إذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات في أيديهنّ الخناجر، وتوهمه أنهنّ يثبن عليه، وقيل: متكأ: مجلس طعام؛ لأنهم كانوا يتكون للطعام، والشراب، والحديث، كعادة المترفين؛ ولذلك: «نهي أن يأكل الرجل متكئاً» (٧٨٢)، وآتتهنّ السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن، وقيل: (متكأ):

---

٧٨٢ ـ أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ١٣٣) رقم (٢٤٤٤٦) من حديث جابر، وللحديث شاهد من حديث ابن مسعود.

= وسمط اللآلئ ٤٨٩، وأمالي القالي ١/ ٢٠٥، والخزانة ١/ ٤٣٠، وأدب الكاتب ١١٨، والقرطبي ٥/ ٢٣٣، والدر المصون ٤/ ١٧٣، والتاج (شغف).

(١) قوله: «إذا هنأه» في الصحاح «هنأت البعير» إذا طلبته بالهناء. وهو القطران (ع).

(٢) أتقتلني وقد شغفت فؤادها ... كما شعف المهنؤة الرجل الطالي؟
لامرئ القيس، والاستفهام للإنكار والاستبعاد، أو للتعجب. وشعف الجمل: إذا أحرقه بالقطران المغلي على النار، وهنأه: دهنه بذلك القطران، فأطلق الشعف وأريد منه مطلق الإحراق، ثم أريد منه الإحراق بالعشق مجازاً مرسلاً ليصح التشبيه في قوله: كما أحرق الإبل المدهونة الداهن لها. وإن كان شغفت بالغين المعجمة فالمعنى: أصبت شغاف قلبها بالحب، وهو حجاب القلب أو لسانه أو حبة سوداء في وسطه، كما شغف: أي أخاف الإبل المدهونة وراع قلبها الرجل الداهن لها. لأنها تخافه في الأول. وقيل: شبه حبها باستلذاذ الإبل لذلك الطلي بعد دهنها به.
ينظر: ديوانه ١٤٢، وشرح ديوان الحماسة ٤/ ١٦٢٤، المحتسب ١/ ٣٣٩، والطبري ١٦/ ٦٧، والقرطبي ٩/ ١٧٧، وفتح القدير ٣/ ٢٥، والدر المصون ٤/ ١٧٣.

(٢) قوله: «يدهشن» أي يتحيرن. أفاده الصحاح.

طعاماً؛ من قولك: اتكأنا عند فلان: طعمنا[1]، على سبيل الكناية؛ لأن من دعوته ليطعم عندك، اتخذت له تكأة يتكىء عليها؛ قال جميل [من الخفيف]:

فَظَلِلْنَا بِنِعْمَةٍ وَاتَّكَأْنَا وَشَرِبْنَا الْحَلالَ مِنْ قُلَلِهْ[2]

وعن مجاهد: (متكأ): طعاماً يحزّ حزّاً؛ كأن المعنى يعتمد بالسكين؛ لأنّ القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين، وقرئ: «متّكا»: بغير همز، وعن الحسن: «متكاء»: بالمدّ، كأنه مفتعال؛ وذلك لإشباع فتحة الكاف؛ كقوله [من الوافر]:

.... بِمُنْتَزَاحِ[3]

= أخرجه الطبراني (١٠/ ١٢٤) رقم (١٠٠٨٧).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن ابن الزبير عن جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يأكل أحدنا بشماله وبأن يأكل متكئاً»، وفي الطبري من حديث ابن مسعود: «نهى رسول الله ﷺ عن صومين وصلاتين ولباسين ومطعمين وبيعتين» ومنكحين ـ إلى أن قال: وأما المطعمان فأن يأكل الرجل بشماله ويمينه صحيح. وأن يأكل متكئاً، إسناده جيد. وله في الأوسط وفي مسند الشاميين من حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تأكل متكئاً. ولا تتخط رقاب الناس يوم الجمعة»، وأعله ابن حِبان في الضعفاء بزريق بن عبد الله رواية عن عمرو بن الأسود عن أبي الدرداء.
وفي الباب عن ابن أبي إهاب. أخرجه البزار بلفظ: «نهى أن تأكل متكئين». انتهى.

---

(١) قوله: «طعمنا» لعله «أي طعمنا». (ع)

(٢) لحميد بن ثور. وقيل لجميل بن معمر. وظل يظل من باب علم. يقول: فظللنا في نعمة أو ملتبسين بنعمة. واتكأنا: أصله أو تكأنا فتاؤه الأولى واو: أي اتخذنا متكأ اضطجعنا عليه، وشربنا الشراب الحلال يعني النبيذ، من قلله: جمع قلة، وهي الجرة العظيمة. ففي ذكر القلل دلالة على التوسع في الشرب وعدم التحجر فيه.
ينظر: البيت في ديوانه (٦٩)، وشواهد المغني (١٢٦)، وتأويل المشكل (١٨١)، والقرطبي ٩/ ١٧٨، وروح المعاني ٢/ ٢٢٨، واللسان (قلل)، والخزانة ٤/ ١٩٩، وأساس البلاغة ٢/ ٢٧٣، وشرح شواهد المغني للسيوطي (١٢٦)، والأغاني ٧/ ٧٩، وشرح شواهد المغني ٥/ ٢٧٢، والدر المصون، ٤/ ١٧٤، فتح القدير ٣/ ٢٣.

(٣) قوله: «بمنتزاح» هو من قول الشاعر:
وأنت من الغوائل حين ترمي وعن ذم الرجال بمنتزاح
والبيت لابن هرمة يرثي ابنه. والغوائل: الحوادث التي تغتال النفوس وتهلكها. ونزح: إذا بعد، والمنتزح: اسم لمكان البعد، وأشبعت فتحته فتولدت منها الألف كقولهم: ينباع في ينبع، وعقراب في عقرب.
ينظر: ديوانه (٩٢)، الأشباه والنظائر ٢/ ٣٠، والخصائص ٢/ ١٠٦، ٣/ ١٢١، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٥، ٢/ ٧١٩، وشرح شواهد الشافية ص ٢٥، ولسان العرب (ترح)، والمحتسب ١/ ١١٦، ٣٤٠، خزانة الأدب ٧/ ٥٥٧، والدر المصون ٢/ ٢٠٥.

بمعنى: بمنتزح؛ ونحوه [من الكامل]:

يَـــــنْـــبَـــاعُ........ .... (١)

بمعنى: ينبع، وقرئ: «مُتْكاً»: وهو الأترج؛ وأنشد [من الطويل]:

فَـأَهْـدَتْ مَـتْـكَـةً لِـبَـنِـي أَبِـيـهَـا   تَـخُـبُّ بِـهَـا الـعَـثَـمْـثَـمَـةُ الْـوَقَـاحُ (٢)

وكانت أهدت أترجة على ناقة، وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في سننه أنها شقت بنصفين، وحملا كالعدلين على جمل، وقيل: الزماورد(٣)، وعن وهب: أترجاً وموزاً وبطيخاً، وقيل: أعتدت لهنّ ما يقطع، من متك الشيء بمعنى: بتكه إذا قطعه، وقرأ الأعرج: (متكأ): مفعلاً، من تكئ يتكأ، إذا اتكأ، ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾: أعظمنه، وهبن ذلك الحسن الرائع، والجمال الفائق، قيل: كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء، وعن النبي ﷺ: «مَرَرْتُ بِيُوسُفَ اللَّيْلَةَ الَّتِي عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ فَقَالَ: «يُوسُف»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: «كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» (٧٨٣)، وقيل: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر، يرى تلألؤ وجهه على الجدران، كما يرى نور الشمس من الماء عليها، وقيل: ما كان أحد يستطيع وصف يوسف، وقيل/ ١٦٩أ: كان يشبه آدم يوم خلقه ربه، وقيل: ورث الجمال من جدّته سارة، وقيل: أكبرن بمعنى: حضن، والهاء: للسكت، يقال: أكبرت المرأة إذا حاضت، وحقيقته: دخلت في الكبر؛ لأنها بالحيض تخرج من حدّ الصغر إلى حدّ الكبر؛ وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله [من الطويل]:

---

٧٨٣ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٥٧١).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه الثعلبي من رواية أبي هارون العبدي عن أبي سعيد، وأخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل وابن مردويه من هذا الوجه مطولاً. انتهى.

---

(١) قوله: «ينباع» هو من قول الشاعر:
ينباع من ذفرى أسيل حرة   زيافة مثل الفنيق المكدم
وقد مر شرح هذا البيت في سورة الأعراف بهذا الجزء فراجعه إن شئت اهـ.
(٢) المتكة: الأترجة، وكأنه التي ذكر أبو داود في سننه أنها شقت نصفين وحملت على ناقة. والخبب: نوع من السير. والعثمثمة: الصلبة. والوقاح ـ بالفتح ـ: شديدة وقع الخف على الأرض.
ينظر: البيت في روح المعاني ١٢/ ٢٨٨، والدر المصون ٤/ ١٧٤.
(٣) قوله: «الزماورد» هو الرقاق المحشو باللحم (ع).

خَفِ اللَّهَ وَاسْتُرْ ذَا الْجَمَالَ بِبُرْقُعٍ ... فَإِنْ لُحْتَ حَاضَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ[1]

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ جرحنها، كما تقول: كنت أقطع اللحم فقطعت يدي، تريد: جرحتها
﴿حَشَ﴾ كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء، تقول: أساء القوم حاشا زيدٍ؛ قال:
[من الكامل]:

حَاشَا أَبَا ثَوْبَانَ إِنَّ..... ....
.................بِهِ ... ضَنًّا عَنِ الْمَلْحَاةِ وَالشَّتْمِ

وهي حرف من حروف الجر، فوضعت موضع التنزيه والبراءة، فمعنى: «حاشا الله»: براءة الله وتنزيه الله، وهي قراءة ابن مسعود، على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة، ومن قرأ: «حاشا لله»؛ فنحو قولك: سقيا لك؛ كأنه قال: براءة، ثم قال: لله؛ لبيان من يبرأ وينزه، والدليل على تنزيل «حاشا»: منزلة المصدر: قراءة أبي السمال: (حاشا لله): بالتنوين، وقراءة أبي عمرو: (حاش لله): بحذف الألف الآخرة، وقراءة الأعمش: (حشا لله): بحذف الألف الأولى، وقرئ: (حاش لله): بسكون الشين، على أن الفتحة تبعت الألف في الإسقاط، وهي: ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده، وقرئ: «حاشا الإله».

---

(١) لأبي الطيب، يقول: اتق واستر هذا الجمال الذي في وجهك ببرقع، لأنك إن ظهرت حاضت العواتق، أي خيار النساء وهن في خدورهن، لما ينظرن من جمالك. ولاح يلوح: ظهر يظهر.
ينظر: البيت في ديوانه ٢/ ٣٤٩، وروح المعاني ١٢/ ٢٢٩، والبحر المحيط ٥/ ٣٠٣، والدر المصون ٤/ ١٧٥.

(٢) حاشا أبي ثوبان إن أبا ... ثوبان ليس ببكمة فدم
عمرو بن عبد الله إن به ... ضنا عن الملحاة والشتم
للمنقذ بن الطماح وهو الجميح الأسدي. وحاشا: كلمة تبرئة وتنزيه واقعة موقع المصدر مضافة لما بعدها، كسبحان الله. ويجوز أنها حاشا الاستثنائية، وهي حرف جر عند الأكثر. ورواه الضبي: حاشا أبا ثوبان بالنصب، فهو فعل، واحتمال لغة القصر ضعيف لشهرة لغة الإعراب بالحروف. وعلى الأول فبناؤها لمشابهتها للحرفية لفظاً ومعنى. وبكم الرجل ـ كتعب ـ: إذا عجز عن الكلام. وقدم كسهل وظرف، إذا عجز عن الحجة كأن فمه مسدود. والضن ـ بالكسر ـ: البخل. والملحاة: مفعلة، من لحاه إذا لامه. واللحاء ـ كالرداء ـ مفاعلة من اللحن والعذل، من لحوت العود إذا قشرته. وتكرير أبي ثوبان لتعظيمه والتنويه باسمه، ليس ببكمة بالضم، أي ذي بكمة، أي: ليس بأبكم، ولا فدم: أي عاجز عن الكلام. وعمرو: قيل إنه بدل من أبي ثوبان، فقوله: إن أبا ثوبان إلخ: جملة اعتراضية مبينة لوجه التنزيه. وفي قوله: إن به ضنا، بيان لوجه سكوته عن مؤاخذة اللئام. والمعنى: إن به امتناعاً وتنزهاً عن اللؤم والشتم.
ينظر: المحتسب ١/ ٣٤١، المفضليات ٣٦٧، مجاز القرآن ١/ ٣١٠، وشرح المفصل ٨/ ٤٧، الدرر ١/ ١٩٦، ١/ ٨٤ الإنصاف ١/ ٢٨٠، البحر المحيط ٥/ ٣٠٠، اللسان «حاشا» الأصمعيات ص ٣٦٧، الجنى الداني ص ٥٦٢، والمقاصد النحوية ٣/ ١٢٩، والدر المصون ٤/ ١٧٦، وله أو لسبرة بن عمرو الأسدي في خزانة الأدب ٤/ ١٨٢، وهمع الهوامع ١/ ٢٣٢.

فإن قلت: فلم جاز في حاشا لله أن لا ينون بعد إجرائه مجرى: براءة لله؟

قلت: مراعاة لأصله الذي هو الحرفية؛ ألا ترى إلى قولهم: جلست من عن يمينه كيف تركوا: «عن» غير معرب على أصله؟ وعلى[1] في قوله [من الطويل]:

غَـــدَتْ مِـــنْ عَـــلَـــيْـــهِ... ....

منقلب الألف إلى الياء مع الضمير؟ والمعنى: تنزيه الله ـ تعالى ـ من صفات العجز، والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله، وأما قوله: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾: فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله، ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾: نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه[2]؛ لما عليه محاسن الصور، وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم؛ وذلك لأن الله ـ عزّ وجلّ ـ ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك، كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان؛ ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما، وما ركز ذلك فيها إلا؛ لأنّ الحقيقة كذلك، كما ركز في الطباع ألاّ أدخل في الشر من الشياطين، ولا أجمع للخير من الملائكة، إلا ما عليه الفئة الخاسئة[3] المجبرة من تفضيل الإنسان على الملك، وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق، وجحودهم للعلوم الضرورية، ومكابرتهم في كل باب، وإعمال: «ما» عمل: «ليس» هي اللغة القدمى الحجازية[4]، وبها ورد القرآن؛ ومنها قوله تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢]، ومن قرأ على سليقته من بني تميم، قرأ: (بشر): بالرفع، وهي في قراءة ابن مسعود، وقرئ: «ما هذا بشري»، أي: ما هو بعبد مملوك لئيم، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: تقول: هذا بشري، أي: حاصل بشري، بمعنى: هذا

---

(١) قوله: «على أصله وعلى في قوله» عطفه يحتاج إلى تكلف، أي: وإلى قوله:

غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها ....

كيف ترك على في قوله. ويمكن أن التقدير: ألا ترى إلى قولهم إلخ وعلى في قوله أي: وألا ترى على... إلخ.

(٢) قال محمود: «نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه... إلخ» قال أحمد: تقدم القول في مسألة التفضيل شافياً، والزمخشري لا يدعه التعصب للمعتقد الفاسد أن يحمله على مثل هذه المشافهات، يرمي بها أهل الحق فينسب إليهم الإجبار والخسار والمكابرة في الضروريات وجحد الحقائق تعكيساً، وهذا كله هم برآء منه، وحسبه من المقابلة بذلك خطؤه في اعتقاد أن تفضيل الملك عند قائله ليس ضرورياً ولا عقلياً نظريا، ولكن سمعيا، وقد قنع في الاستدلال على هذه العقيدة بالضرورة التي ادعى أنها مركوزة في الطباع، ثم حكم بأن كل مركوز في الطباع حق، وخصوصاً والكلام في طباع النساء القائلات: ما هذا بشراً. وإذا كان كل مركوز في الطباع حقا، فما ركز فيها حب الشهوات وإيثار العاجلة وجميع أمهات الذنوب مركوز في الطباع، أفيكون ذلك حقا إلا عند ناظر بعين الهوى، أعشى في سبيل الهدى، والله ولي التوفيق.

(٣) قوله: «إلا ما عليه الفئة الخاسئة» يريد أهل السنة، وقد أساء في تعصبه للمعتزلة فعفا الله عنه (ع).

(٤) قوله: «ليس هي اللغة القدمى الحجازية» بمعنى القديمة، لكن لم يذكرها في الصحاح (ع).

مشري، وتقول: هذا لك بشري أم بكري؟ والقراءة: هي الأولى؛ لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك، ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ﴾: ولم تقل: فهذا وهو حاضر[١]؛ رفعاً لمنزلته في الحسن، واستحقاق أن يحب ويفتتن به، وربئاً بحاله واستبعاداً لمحله، ويجوز أن يكون إشارة إلى المعنى بقولهنّ: عشقت عبدها الكنعاني، تقول: هو ذلك العبد الكنعاني الذي صوّرتن في أنفسكنّ، ثم لمتنني فيه، تعني: أنكن لم تصوّرنه بحق صورته، ولو صوّرتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به، الاستعصام: بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ، والتحفظ الشديد، كأنه في عصمة، وهو يجتهد في الاستزادة منها؛ ونحوه: استمسك واستوسع الفتق، واستجمع الرأي، واستفحل الخطب[٢]؛ وهذا بيان لما كان من يوسف ـ عليه السلام ـ لا مزيد عليه، وبرهان لا شيء أنور منه، على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهمّ والبرهان.

فإن قلت: الضمير في: ﴿ءَامُرُهُۥ﴾: راجع إلى الموصول، أم إلى يوسف؟

قلت: بل إلى الموصول، والمعنى: ما آمر به؛ فحذف الجار كما في قولك: أمرتك الخير، ويجوز أن تجعل «ما»: مصدرية، فيرجع إلى يوسف، ومعناه: ولئن لم يفعل أمري إياه، أي: موجب أمري ومقتضاه، قرئ: (وليكونا): بالتشديد والتخفيف، والتخفيف أولى؛ لأنّ النون كتبت في المصحف ألفاً على حكم الوقف؛ وذلك لا يكون إلا في الخفيفة.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ

---

(١) قال محمود: «لم لم تقل فهذا وهو حاضر... إلخ» قال أحمد: وبهذا أجبت عما أورده من السؤال في قوله تعالى أول البقرة ﴿ألم ذلك الكتاب﴾ لما جعل الإشارة إلى الحروف المذكورة فقال: إن قلت كيف أشار إليها وهي قريبة كما يشار إلى البعيد، وأجاب هو بأن كل متقض بعيد، وأجبت أنا بأن الإشارة بذلك إلى بعد منزلة هذا الكتاب بالنسبة إلى كتب الله تعالى.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «والذي ذكره التصريفيون في «اسْتَعْصَمَ»: أنه موافق لـ«اعْتَصَمَ» فـ«اسْتَفْعَلَ» فيه موافق لِـ«افْتَعَلَ»، وهذا أجود من جعل «اسْتَفْعَلَ» فيه للطلب، لأن «اعْتَصَمَ» يدل على وجود اعتصامه، وطلب العصمة لا يدل على حصولها، وأما أنه بناء مبالغة يدل على الاجتهاد في الاستزادة من العصمة، فلم يذكر التصريفيون هذا المعنى لـ«اسْتَفْعَلَ»، وأما اسْتَمْسَكَ واسْتَوْسَعَ واسْتجمع الرأي فـ«اسْتَفْعَلَ» فيه لموافقة «افتعل» والمعنى: امتسك واتسع واجتمع، وأما اسْتَفْحَلَ الْخَطْبُ فـ«اسْتَفْعَلَ» فيه موافقة لـ«تَفَعَّلَ»، أي تَفَحَّل الْخَطْبُ، نحو: «اسْتَكْبَرَ وَتَكَبَّر». وقرأ العامة بتخفيف نون «وليكونا» ويقفون عليها بالألف إجراء لها مجرى التنوين، ولذلك يحذفونها بعد ضمة أو كسرة، نحو: «هَلْ تقومون، وَهَلْ تَقُومِينَ»، في: «هل تقومُنَّ»، وهَلْ تَقُومِنَّ، والنون الموجودة في الوقف نون الرفع، رجعوا بها عند عدم ما يقتضي حذفها. انتهى. الدر المصون.

﴿ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾

(السجن): بالفتح على المصدر، وقال: ﴿يَدْعُونَنِيٓ﴾: على إسناد الدعوة إليهنّ جميعاً؛ لأنهنّ تنصحن له وزينّ له مطاوعتها، وقلن له: إياك وإلقاء نفسك في السجن والصغار، فالتجأ إلى ربه عند ذلك، وقال: «ربِّ، نزولُ السجن أحبّ إلي من ركوب المعصية».

فإن قلت: نزول السجن مشقة على النفس شديدة، وما دعونه إليه لذة عظيمة، فكيف كانت المشقة أحبّ إليه من اللذة؟

قلت: كانت أحبّ إليه وآثر عنده؛ نظراً في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله، وفي قبح المعصية، وفي عاقبة كل واحدة منهما، لا نظراً في مشتهى النفس ومكروهها، ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ﴾: فزع منه إلى ألطاف الله وعصمته، كعادة الأنبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر، لا أن يطلب منه الإجبار على التعفف والإلجاء إليه، ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أمل إليهنّ، والصبوة: الميل إلى الهوى، ومنها: الصبا؛ لأنّ النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها، وقرئ: أصب إليهنّ؛ من الصبابة، ﴿مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: من الذين لا يعملون بما يعلمون؛ لأنّ من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء، أو من السفهاء؛ لأنّ الحكيم لا يفعل القبيح؛ وإنما ذكر الاستجابة ولم/ ١٦٩ب يتقدّم الدعاء؛ لأنّ قوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى﴾: فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف، ﴿السميع﴾: لدعوات الملتجئين إليه، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بأحوالهم وما يصلحهم.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿بَدَا لَهُم﴾: فاعله مضمر؛ لدلالة ما يفسره عليه، وهو: «ليسجننه»، والمعنى: بدا لهم بداء، أي: ظهر لهم رأي ليسجننه، والضمير في (لهم): للعزيز وأهله، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ﴾، وهي الشواهد على براءته، وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها، وفتلها منه في الذروة والغارب[1]، وكان مطواعة لها وجميلاً ذلولاً زمامه في يدها، حتى أنساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه، وإلحاق الصغار به كما أوعدته به؛ وذلك لما أيست من طاعته لها، أو لطمعها في أن يذلله السجن ويسخره لها؛ وفي قراءة الحسن: «لتسجننه»: بالتاء على الخطاب: خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه، أو العزيز وحده على وجه التعظيم، ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى زمان، كأنها اقترحت أن يسجن زماناً حتى تبصر ما يكون

(١) قوله: «وفتلها منه في الذروة» أي دورانها من وراء خديعته. أفاده الصحاح (ع).

منه، وفي قراءة ابن مسعود: «عتى حين»، وهي لغة هذيل، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رجلاً يقرأ: (عتى حين)، فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: «إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيًا، وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام».

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾

«مع»: يدل على معنى الصحبة واستحداثها، تقول: خرجت مع الأمير، تريد مصاحباً له، فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له، ﴿فَتَيَانِۖ﴾: عبدان للملك: خبازه وشرابيه: رقي إليه أنهما يسمانه[1]، فأمر بهما إلى السجن، فأدخلا ساعة أدخل يوسف ـ عليه السلام ـ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾ يعني: في المنام، وهي حكاية حال ماضية، ﴿أَعْصِرُ خَمْرًاۖ﴾ يعني: عنباً، تسمية للعنب بما يؤول إليه، وقيل: الخمر ـ بلغة عمان ـ: اسم للعنب، وفي قراءة ابن مسعود: أعصر عنباً، ﴿مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: من الذين يحسنون عبارة الرؤية، أي: يجيدونها، رأياه يقصّ عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤوّلها له، فقالا له ذلك، أو من العلماء؛ لأنهما سمعاه يذكر للناس ما علما به أنه عالم، أو من المحسنين إلى أهل السجن، فأحسن إلينا بأن تفرّج عنا الغمة بتأويل ما رأينا إن كانت لك يد في تأويل الرؤيا، روي أنه كان إذا مرض رجل منهم قام عليه، وإذا أضاق وسع له، وإذا احتاج جمع له، وعن قتادة: كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم، فجعل يقول: أبشروا، اصبروا تؤجروا؛ إنّ لهذا لأجراً، فقالوا: بارك الله عليك، ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك! لقد بورك لنا في جوارك، فمن أنت يا فتى؟ قال: «أنا: يوسف ابن صفيّ الله يعقوب ابن ذبيح الله إسحاق ابن خليل الله إبراهيم، فقال له عامل السجن: لو استطعت خليت سبيلك، ولكني أحسن جوارك، فكن في أي بيوت السجن شئت، وروي أن الفتيين قالا له: إنا لنحبك من حين رأيناك، فقال: أنشدكم بالله ألاّ تحباني، فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل عليّ من حبه بلاء، لقد أحبتني عمتي فدخل عليّ من حبها بلاء، ثم أحبني أبي فدخل عليّ من حبه بلاء، ثم أحبتني زوجة صاحبي فدخل عليّ من حبها بلاء، فلا تحباني ـ بارك الله فيكما ـ وعن الشعبي أنهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي: إني أراني في بستان، فإذا بأصل حبلة[2] عليها ثلاثة عناقيد من عنب، فقطفتها وعصرتها في كأس

(١) قوله: «رقى إليه أنهما يسمانه» في الصحاح: رقى إليه الكلام ترقية، أي: رفع إليه (ع).

(٢) قوله: «فإذا بأصل حبلة» في الصحاح «الحبلة» بالضم: ثمر العضاه. وفيه «العضاه» كل شجر يعظم وله شوك والحبلة ـ بالتحريك ـ: القضيب من الكرم. وفيه أيضاً: سلة الخبز معروفة (ع).

الملك، وسقيته، وقال الخباز: إني أراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة، وإذا سباع الطير تنهش منها.

فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: (نبئنا بتأويله)؟

قلت: إلى ما قصا عليه، والضمير، يجري مجرى اسم الإشارة في نحوه؛ كأنه قيل: نبئنا بتأويل ذلك.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

لما استعبراه ووصفاه بالإحسان، افترص ذلك[1]، فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء، وهو الإخبار بالغيب، وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما، ويقول: اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت، فيجدانه كما أخبرهما، وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد، ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما، ويقبح إليهما الشرك بالله، وهذه طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة، إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية، والإرشاد، والموعظة، والنصيحة أولاً، ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك، وفيه أنّ العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده ـ وغرضه أن يقتبس منه، وينتفع به في الدين ـ لم يكن من باب التزكية، ﴿بِتَأْوِيلِهِۦ﴾: ببيان ماهيته وكيفيته؛ لأنّ ذلك يشبه تفسير المشكل والإعراب عن معناه، ﴿ذَٰلِكُمَا﴾: إشارة لهما إلى التأويل، أي: ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات، ﴿مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾: وأوحى به إليّ ولم أقله عن تكهن وتنجم، ﴿إِنِّى تَرَكْتُ﴾: يجوز أن يكون كلاماً مبتدأ، وأن يكون تعليلاً لما قبله، أي: علمني ذلك وأوحى إليّ؛ لأني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين، وهي الملة الحنيفية، وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون: أهل مصر، ومن كان الفتيان على دينهم، وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون بالآخرة، وأنّ غيرهم كانوا قوماً مؤمنين بها[2]، وهم الذين على ملة إبراهيم؛ ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيهاً على ما هم عليه من

---

(١) قوله: «افترص ذلك» أي اتخذه فرصة، أي نوبة وحظا ونصيباً، أفاده الصحاح (ع).

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وليست «هم» عندنا تدل على الخصوص» قلت: لم يقل الزمخشري إنّ «هم» تدل على الخصوص، وإنما قال: تكرير «هم» للدلالة، فالتكرير هو الذي أفاد الخصوص، وهو معنى حسن فهمه أهل البيان. انتهى. الدر المصون.

الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء، ويجوز أن يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين أودعوه السجن، بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته، وأنّ ذلك ما لا يقدم عليه إلا من هو شديد الكفر بالجزاء؛ وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوّة بعد أن عرّفهما أنه نبيّ يوحى إليه، بما ذكر من إخباره بالغيوب؛ ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله، ﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾: ما صحّ لنا معشر الأنبياء، ﴿أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ﴾ أي: شيء كان من ملك أو جنيّ أو إنسيّ/ ١٧٠أ، فضلاً أن نشرك به صنماً لا يسمع ولا يبصر، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾: التوحيد، ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: على الرسل وعلى المرسل إليهم؛ لأنهم نبهوهم عليه وأرشدوهم إليه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: المبعوث إليهم، ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾: فضل الله فيشركون ولا يتنبهون، وقيل: إنَّ ذلك من فضل الله علينا؛ لأنه نصب لنا الأدلة التي ننظر فيها ونستدلّ بها، وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس من غير تفاوت، ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعاً لأهوائهم، فيبقون كافرين غير شاكرين.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ يريد: يا صاحبيَّ في السجن، فأضافهما إلى السجن كما تقول: يا سارق الليلة، فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة؛ فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب؛ وإنما المصحوب غيره وهو يوسف ـ عليه السلام ـ ونحوه قولك لصاحبيك: يا صاحبي الصدق، فتضيفهما إلى الصدق، ولا تريد أنهما صحبا الصدق، ولكن كما تقول: رجلا صدق، وسميتهما صاحبين؛ لأنهما صحباك، ويجوز أن يريد: يا ساكني السجن؛ كقوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠]، ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾: يريد التفرّق في العدد والتكاثر، يقول: أأن تكون لكما أرباب شتى، يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا، ﴿خَيْرٌ﴾: لكما، ﴿أَمِ﴾: أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية، بل هو ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾: الغالب، وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام، ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: خطاب لهما، ولمن على دينهما من أهل مصر، ﴿إِلَّآ أَسْمَآءً﴾ يعني: أنكم سميتم ما لا يستحق الإلهية آلهة، ثم طفقتم تعبدونها؛ فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها، ومعنى ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾: سميتم بها، يقال: سميته بزيد، وسميته زيداً، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي: بتسميتها، ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾: من حجة، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾: في أمر العبادة والدين، ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾: ثم بين ما حكم به فقال: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾:

الثابت الذي دلت عليه البراهين.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾: يريد الشرابي، ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ﴾: سيده، وقرأ عكرمة: «فيسقي ربه»، أي: يسقي ما يروي به على البناء للمفعول، روي أنه قال للأوّل: ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده، وأما القضبان الثلاثة: فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن، ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه، وقال للثاني: ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل، ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: قطع وتم ما، ﴿تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾: فيه من أمركما وشأنكما.

فإن قلت: ما استفتيا في أمر واحد، بل في أمرين مختلفين، فما وجه التوحيد؟

قلت: المراد بالأمر: ما اتهما به من سمّ الملك وما سجنا من أجله، وظنا أنّ ما رأياه في معنى ما نزل بهما، فكأنهما كانا يستفتيانه في الأمر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة أم هلاك، فقال لهما: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان، أي: ما يجرّ إليه من العاقبة، وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر، وقيل: جحدا، وقالا: ما رأينا شيئاً، على ما روي أنهما تحالما له، فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ﴾ الظانّ: هو يوسف، إن كان تأويله بطريق الاجتهاد، وإن كان بطريق الوحي: فالظان هو الشرابي، ويكون الظنّ بمعنى: اليقين[1]، ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾: صفني عند الملك بصفتي، وقص عليه قصتي؛ لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة، ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: فأنسي الشرابي، ﴿ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾: أن يذكره لربه، وقيل: فأنسي يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره، ﴿بِضۡعَ سِنِينَ﴾: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، وأكثر الأقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين.

---

(١) قال السمين الحلبي: قُلْتُ: يعني أنه إن كان الظن على بابه فلا يستقيم إسناده إلى يوسف، إلا أن يكون تأويله بطريقة الاجتهاد لأنه متى كان بطريق الوحي كان يقيناً فينسب الظن حينئذٍ للشرابي لا له عليه السّلام، وأما إذا كان الظن بمعنى اليقين فتصح نسبته إلى يوسف، وإنِ كان تأويله بطريق الوحي، وهو حسن وإلى كون الظن على بابه وهو مسند ليوسف إن كان تأويله بطريق الاجتهاد، ذهب قتادة فإنه قال: الظن هنا على بابه، لأن عِبَارة الرؤيا ظَنٌّ. انتهى. الدر المصون.

فإن قلت: كيف يقدر الشيطان على الإنسان؟

قلت: يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان، حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره، وأما الإنساء ابتداء فلا يقدر عليه إلا الله، عز وجل، ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

فإن قلت: ما وجه إضافة الذكر إلى ربه إذا أريد به الملك؟ وما هي بإضافة المصدر إلى الفاعل ولا إلى المفعول؟

قلت: قد لابسه في قولك: «فأنساه الشيطان ذكر ربه»، أو: عند ربه فجازت إضافته إليه؛ لأنّ الإضافة تكون بأدنى ملابسة، أو على تقدير: فأنساه الشيطان ذكر إخبار ربه، فحذف المضاف الذي هو الإخبار.

فإن قلت: لم أنكر على يوسف الاستغاثة بغير الله في كشف ما كان فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقال حكاية عن عيسى، عليه السلام، ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، وفي الحديث: «الله في عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ المُسْلِم» (٧٨٤) «مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً فَرَّجَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ الآخِرَةِ» وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنّ رسول الله ﷺ لم يأخذه النوم ليلة من الليالي، وكان يطلب من يحرسه، حتى جاء سعد فسمعت غطيطه (٧٨٥)، وهل ذلك إلا مثل التداوي بالأدوية

---

٧٨٤ ـ أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤) كتاب الذكر والدعاء: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن حديث (٣٨/ ٢٦٩٩) والتِّرمذي (٤/ ٢٦) كتاب الحدود: باب ما جاء في الستر على المسلم حديث (١٤٢٥)، (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) كتاب البر والصلة: باب ما جاء في السترة على المسلم حديث (١٩٣٠) وأبو داود (٢/ ٧٠٤) كتاب الأدب: باب في المعونة للمسلم حديث (٤٩٤٦) وابن ماجه (١/ ٨٢) المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم حديث (٢٢٥) وأحمد (٢/ ٢٠٢) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١١٩) والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٢١ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً.
قال النووي في «شرح مسلم» (٩/ ٢٨).
ومعنى (نَفَّس الكُربة): أزالها.
وفيه: فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك، وفضل الستر على المسلمين، وقد سبق تفصيله، وفضل إنظار المعسر، وفضل المشي في طلب العلم، ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعي، بشرط أن يقصد به وجه الله تعالى، وإن كان هذا شرطاً في كل عبادة، لكن عادة العلماء يقيدون هذه المسألة به، لكونه قد يتساهل فيه بعض الناس، ويغفل عنه بعض المبتدئين ونحوهم.
وقال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث. انتهى.
٧٨٥ ـ أخرجه البخاري (١٣/ ٢٣٢) كتاب التمني باب قوله ﷺ: «ليت كذا وكذا»، ومسلم (٨/ ١٩٥، =

والتموي بالاشربة والأطعمة، وإن كان ذلك؛ لأنّ الملك كان كافراً، فلا خلاف في جواز أن يستعان بالكفار في دفع الظلم، والغرق، والحرق، ونحو ذلك من المضارّ؟

قلت: كما اصطفى الله ـ تعالى ـ الأنبياء على خليقته، فقد اصطفى لهم أحسن الأمور، وأفضلها، وأولاها، والأحسن والأولى بالنبي ألاّ يكل أمره إذا ابتلي ببلاء إلا إلى ربه، ولا يعتضد إلا به، خصوصاً إذا كان المعتضد به كافراً؛ لئلا يشمت به الكفار، ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا، وعن الحسن: أنه كان يبكي إذا قرأها ويقول: نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

لما دنا فرج يوسف، رأى ملك مصر «الريان بن الوليد» رؤيا عجيبة هالته: رأى سبع/ ١٧٠ب بقرات سمان خرجن من نهر يابس، وسبع بقرات عجاف، فابتلعت العجاف السمان، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها، وسبعاً أخر يابسات قد استحصدت وأدركت، فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها، فاستعبرها، فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها، ﴿سِمَانٍ﴾: جمع سمين وسمينة، وكذلك رجال ونسوة كرام.

فإن قلت: هل من فرق بين إيقاع: (سمان) صفة للمميز وهو: (بقرات) دون المميز، وهو: (سبع)، وأن يقال: سبع بقرات سماناً؟

قلت: إذا أوقعتها صفة لبقرات، فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات، وهي السمان منهنّ لا بجنسهنّ، ولو وصفت بها السبع، لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها، ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن.

فإن قلت: هلا قيل: سبع عجاف على الإضافة؟

قلت: التمييز موضوع لبيان الجنس، والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده.

= ١٩٦) نووي كتاب فضائل الصحابة باب في فضل سعد رقم (٢٤١٠) والحاكم (٣/ ٥٠١).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

متفق عليه من طريق عبد الله بن عامر بن ربيعة عنها بلفظ: «أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة، قال: وسمعت صوت السلاح، فقال: رسول الله ﷺ من هذا؟ قال: سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله جئت أحرسك فقالت عائشة: فنام حتى سمعت غطيطه، وغفل الحاكم فاستدركه... انتهى.

فإن قلت: فقد يقولون: ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب.

قلت: الفارس، والصاحب، والراكب، ونحوها: صفات جرت مجرى الأسماء، فأخذت حكمها، وجاز فيها ما لم يجز في غيرها؛ ألا تراك لا تقول: عندي ثلاثة ضخام وأربعة غلاظ.

فإن قلت: ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا إشكال فيه؛ ألا ترى أنه لم يقل: بقرات سبع عجاف؛ لوقوع العلم بأنّ المراد البقرات؟

قلت: ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل، وقد وقع الاستغناء بقولك: (سبع عجاف)، عما تقترحه من التمييز بالوصف، والعجف: الهزال الذي ليس بعده، والسبب في وقوع «عجاف»: جمعاً «العجفاء»، وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال: حمله على سمان؛ لأنه نقيضه، ومن دأبهم حمل النظير على النظير، والنقيض على النقيض.

فإن قلت: هل في الآية دليل على أنّ السنبلات اليابسة كانت سبعاً كالخضر؟

قلت: الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر، فوجب أن يتناول معنى الأُخر السبع، ويكون قوله: (وأخر يابسات)، بمعنى: وسبعاً أخر.

فإن قلت: هل يجوز أن يعطف قوله: (وأخر يابسات) على (سنبلات خضر)، فيكون مجرور المحل؟

قلت: يؤدي إلى تدافع، وهو أن عطفها على: (سنبلات خضر) يقتضي أن تدخل في حكمها فتكون معها مميزاً للسبع المذكورة، ولفظ الأخر يقتضي أن تكون غير السبع، بيانه: أنك تقول: عندي سبعة رجال قيام وقعود: بالجرّ، فيصح؛ لأنك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود، على أنّ بعضهم قيام وبعضهم قعود، فلو قلت: عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود، تدافع ففسد، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾: كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء، واللام في قوله: ﴿لِلرُّءْيَا﴾: إما أن تكون للبيان؛ كقوله: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]، وإما أن تدخل؛ لأنّ العامل إذا تقدّم عليه معموله، لم يكن في قوّته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه، فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل، إذا قلت: هو عابر للرؤيا، لانحطاطه عن الفعل في القوة، ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان؛ كما تقول: كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلاً به متمكناً منه، و﴿تَعْبُرُونَ﴾: خبر آخر، أو حال، وأن يضمن: (تعبرون) معنى: فعل يتعدى باللام، كأنه قيل: إن كنتم تنتدبون لعبارة

الرؤيا، وحقيقة: «عبرت الرؤيا»: ذكرت عاقبتها وآخر أمرها، كما تقول: عبرت النهر، إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره[1]؛ ونحوه: أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها، وعبرت الرؤيا: بالتخفيف، هو الذي اعتمده الأثبات، ورأيتهم ينكرون «عبرت»: بالتشديد والتعبير والمعبر، وقد عَثَرْتُ على بيت أنشده المبرِّد في كتاب الكامل لبعض الأعراب [من السريع]:

رَأَيْتُ رُؤْيَا ثُمَّ عَبَّرْتُهَا وَكُنْتُ لِلأَحْلامِ عَبَّارَا[2]

﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾: تخاليطها وأباطيلها، وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان، وأصل الأضغاث: ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد: ضغث؛ فاستعيرت لذلك، والإضافة بمعنى: «من» أي: أضغاث من أحلام، والمعنى: هي أضغاث أحلام.

فإن قلت: ما هو إلا حلم واحد، فلم قالوا: أضغاث أحلام فجمعوا؟

قلت: هو كما تقول: فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز، لمن لا يركب إلا فرساً واحداً وما له إلا عمامة فردة، تزيداً في الوصف، فهؤلاء - أيضاً - تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان، فجعلوه أضغاث أحلام، ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾: إما أن يريدوا بالأحلام: المنامات الباطلة[3]

---

(١) قوله: «آخر عرضه وهو عبره» في الصحاح: «عبر النهر، وعبر شطره وجانبه (ع).

(٢) أنشده المبرد في كتابه. والرؤيا - بالألف: مصدر رأى المنامية، ويقل مجيئه بالتاء. ومصدر البصرية بالعكس، وعبرت الرؤيا - بالتخفيف وبالتضعيف كما هنا -: ذكرت عاقبتها وأدركت غايتها كأولتها. إذا ذكرت مآلها ومرجعها. والأحلام: جمع حلم بالضم، وهو ما يراه النائم. والعبار: مبالغة في المعبر أو في العابر، واللام تزاد في المعمول لتقوية العامل إذا ضعف بالتأخر، أو بكونه فرعاً عن الفعل، وقد اجتمع الأمران ههنا فزيدت اللام.
ينظر: البيت في روح المعاني ١٢/ ٢٥٠، والبحر ٥/ ٣١١، والتاج (عبر)، والدر المصون ٤/ ١٨٧.

(٣) قال محمود: «يحتمل أن يكون مرادهم بالأحلام المنامات... إلخ» قال أحمد: وهذا هو الظاهر، وحمل الكلام على الأول يصيره من وادي [من الطويل]:

على لا حب لا يهتدي بمناره ....

كأنهم قالوا: ولا تأويل للأحلام الباطلة فنكون به عالمين. وقول الملك لهم أولاً ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ دليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها، لأنه أتى بكلمة الشك، وجاء اعترافهم بالقصور مطابقاً لشك الملك الذي أخرجه مخرج استفهامهم عن كونهم عالمين بالرؤيا أولاً. وقول الفتى: أنا أنبئكم بتأويله - إلى قوله - لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون: دليل أيضاً على ذلك. والله أعلم.

خاصة، فيقولوا: ليس لها عندنا تأويل، فإن التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة، وإما أن يعترفوا بقصور علمهم، وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحارير[1].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾

قرئ: ﴿وَٱدَّكَرَ﴾: بالدال، وهو الفصيح، وعن الحسن: «واذكر»: بالذال المعجمة، والأصل: تذكر، أي: تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه، ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: بعد مدّة طويلة؛ وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملأ تأويلها، تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه، وطلبه إليه أن يذكره عند الملك، وقرأ الأشهب العقيلي: (بعد إمّة): بكسر الهمزة، والإمّة: النعمة؛ قال عدي [من الخفيف]:

ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالإِمْـ ... ـمَةِ وَارَتْهُمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ[2]

أي: بعد ما أنعم عليه بالنجاة، وقرئ: (بعد أمه): بعد نسيان[3]، يقال: أمه يأمه أمها، إذا نسي، ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ[4]، ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾: أنا أخبركم

---

(١) قوله: «بنحارير» جمع نحرير وهو العالم المتقن، كما في الصحاح (ع).

(٢) أين كسرى كسرى الملوك أبوسا ... سان؟ بل أين قبله سابور؟
ثم بعد الفلاح والملك والإمـ ... ـمة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جَفْـ ... ـف فألوت به الصبا والدبور

لعدي بن زيد. وكسرى وساسان وسابور: أسماء ملوك وساسان: هو أبو الأكاسرة. ويروى: أنو شروان، بدل أبو ساسان؛ فهو كلمة واحدة. وكسرى الثاني بدل من الأول، مضاف لما بعده؛ كما يقال: ملك الملوك، وهو فارسي معرب، وأصله خسرو، فغيرته العربية. وإن كان عربياً مأخوذاً من الكسر؛ فالمعنى أنه كان يكسر شوكة الملوك، وما بعده عطف بيان له وقبله متعلق بمحذوف حال من سابور وفي «بل» دلالة على أن سابور أعظم منهما. وثم ـ بالفتح ـ ظرف خبر لمحذوف أي هم ثم. وإن ضمت فهي عاطفة على محذوف، أي أفلحوا ثم بعد الفلاح، أي البقاء أو الفوز والملك. وروي بدله «الرشد». والإمة ـ بالكسر ـ: النعمة، وبالضم: الجيش العظيم. وارتهم: أي سترتهم قبورهم في ذلك المكان، كناية عن موتهم، فيدفنون في باطن الأرض بعد عظمتهم على وجهها، ثم شبههم بالورق الذي جف فاختلفت به الصبا والدبور، فهذه نظيرة كذا وهذه نظيرة كذا، فألوت بمعنى التوت، أو بمعنى: أوقعت به اللي، يعني تطاول بهم الزمان حتى تفتتت عظامهم وصارت كذلك.
ينظر: ديوانه (٨٩)، مثلثات قطرب /٤٥، الرازي ١٨/ ١٥٢، فصيح ثعلب ٦٥، شواهد المغني للبغدادي ٤/ ٤٢، ٤٧، ابن الشجري ١/ ٩١، الشعر والشعراء ١/ ٢٢٥، الأغاني ١/ ٢١٥، ١٢٦، وحماسة البحتري ١٢٢، تاريخ الطبري ٢/ ٥٠، ٦٨، اللسان: أم، الدر المصون ٤/ ١٨٨.

(٣) قوله: «قرئ بعد أمه بعد نسيان» لعله أي بعد (ع).

(٤) قوله: «ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ» بمعنى أثم من الخطأ بالكسر، وهو الإثم. أفاده الصحاح (ع).

به عمن/ ١٧١أ عنده علمه، وفي قراءة الحسن: أنا آتيكم بتأويله، ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾: فابعثوني إليه لأسأله، ومروني باستعباره، وعن ابن عباس: لم يكن السجن في المدينة.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

المعنى: فأرسلوه إلى يوسف، فأتاه فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: أيها البليغ في الصدق؛ وإنما قال له ذلك لأنه ذاق أحواله، وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه؛ حيث جاء كما أوّل؛ ولذلك كلمه كلام محترز فقال: ﴿لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ لأنه ليس على يقين من الرجوع؛ فربما اخترم دونه، ولا من علمهم فربما لم يعلموا، أو معنى: (لعلهم يعلمون): لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم، فيطلبوك ويخلصوك من محنتك.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿تَزْرَعُونَ﴾: خبر في معنى الأمر؛ كقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ﴾ [الصف: ١١]؛ وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر؛ للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به، فيجعل كأنه يوجد، فهو يخبر عنه، والدليل على كونه في معنى الأمر قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾(١)، ﴿دَأَبًا﴾: بسكون الهمزة وتحريكها، وهما مصدرا: دأب في العمل، وهو حال من المأمورين، أي دائبين: إمّا على تدأبون دأباً، وإمّا على إيقاع المصدر حالاً، بمعنى: ذوي دأب، ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾؛ لئلا يتسوس، و﴿يَأْكُلْنَ﴾: من الإسناد المجازي: جعل أكل

= قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا على عادته في نسبته الخطأ إلى القراء». قلت: لم ينسب هو إليهم خطأ، وإنما حكى أن بعضهم خطّأ هذا القارئ فإنه قال: «خطِّئ» بلفظ ما لم يسمّ فاعله، ولم يقل فقد أخطأ على أنه إذا صح أن من ذكره قرأ بذلك فلا سبيل إلى الخطأ إليه ألبتة. انتهى. الدر المصون.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولا يدل الأمر بتركه في سنبله على أنّ «تزرعون» في معنى: ازرعوا، بل «تزرعون»، إخبار غيب وأما «فذروه» فهو أمر إشارة بما ينبغي أن يفعلوه». قلت: هذا هو الظاهر ولا مدخل لأمره لهم بالزراعة، لأنهم يزرعون على عادتهم أمرهم أو لم يأمرهم، وإنما يحتاج إلى الأمر، فيما لم يكن من عادة الإنسان أن يفعله كتركه «في سنبله». انتهى الدر المصون.

أهلهنّ مسنداً إليهنّ، ﴿تُحْصِنُونَ﴾: تحرزون وتخبؤون، ﴿يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾: من الغوث أو من الغيث، يقال: غيثت البلاد، إذا مطرت؛ ومنه قول الأعرابية: غثنا ما شئنا، ﴿يَعْصِرُونَ﴾: بالياء والتاء: يعصرون العنب والزيتون والسمسم، وقيل: يحلبون الضروع، وقرئ: «يعصرون»: على البناء للمفعول، من عصره إذا أنجاه، وهو مطابق للإغاثة، ويجوز أن يكون المبني للفاعل بمعنى: ينجون، كأنه قيل: فيه يغاث الناس وفيه يغيثون أنفسهم، أي: يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضاً، وقيل: (يعصرون): يمطرون، من أعصرت السحابة، وفيه وجهان: إمّا أن يضمن أعصرت معنى مطرت، فيعدّى تعديته، وإمّا أن يقال: الأصل أعصرت عليهم، فحذف الجار وأوصل الفعل، تأوّل البقرات السمان، والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب، والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأنّ العام الثامن يجيء مباركاً خصيباً، كثير الخير، غزير النعم؛ وذلك من جهة الوحي، وعن قتادة: زاده الله علم سنة.

فإن قلت: معلوم أنّ السنين المجدبة إذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب، وإلا لم توصف بالانتهاء، فلم قلت: إنّ علم ذلك من جهة الوحي؟

قلت: ذلك معلوم علماً مطلقاً لا مفصلاً، وقوله: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: تفصيل لحال العام؛ وذلك لا يعلم إلا بالوحي.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾

إنما تأنى وتثبت في إجابة الملك[1]، وقدّم سؤال النسوة؛ ليظهر براءة ساحته عما

---

(١) قال محمود: «إنما تأنى وتثبت في إجابة الملك تظهر براءة ساحته عما قرف به... الخ» قال أحمد: ولقد مدحه النبي ﷺ على هذه الأناة بقوله: ولو لبثت في السجن بعض ما لبث يوسف لأجبت الداعي، وكان في طيّ هذه المدحة بالأناة والتثبت تنزيهه وتبرئته مما لعله يسبق إلى الوهم من أنه هم بزليخا هما يؤاخذ به، لأنه إذا صبر وتثبت فيما له أن لا يصبر فيه وهو الخروج من السجن، مع أن الدواعي متوفرة على الخروج منه، فلأن يصبر فيما عليه أن يصبر فيه من الهم أولى وأجدر، والله أعلم.

قرف[1] به وسجن فيه؛ لئلا يتسلق به الحاسدون[2] إلى تقبيح أمره عنده، ويجعلوه سلماً إلى حط منزلته لديه، ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم، وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكف شرّه، وفيه دليل على أنّ الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها؛ قال عليه السلام: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يَقِفَنَّ مَوَاقِفَ التُّهَم[3]» ومنه قال رسول الله ﷺ للمارّين به في معتكفه وعنده بعض نسائه ـ: «هِيَ فُلانَةٌ» (٧٨٦) اتقاء للتهمة، وعن النبي ﷺ: «لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَكَرَمِهِ وَصَبْرِهِ ـ وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ ـ حِينَ سُئِلَ عَنِ البَقَرَاتِ العِجَافِ وَالسِّمَانِ، وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ مَا أَخْبَرْتُهُمْ حَتَّىٰ أَشْتَرِطَ أَنْ يُخْرِجُونِي، وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْهُ حِينَ أَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ، وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ وَلَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ، لأَسْرَعْتُ الإِجَابَةَ وَبَادَرْتُهُمُ البَابَ وَلَما ٱبْتَغَيْتُ الْعُذْرَ، إِنْ كَانَ لَحَلِيماً ذَا أَنَاةٍ» (٧٨٧)، وإنما قال: سل الملك عن حال النسوة،

---

٧٨٦ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨) كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده حديث رقم (٣٢٨١)، ومسلم (٧/ ٤١١) نووي كتاب السلام باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً حديث رقم (٢١٧٥)، وأبو داود (٢/ ٣٣٢) كتاب الصوم باب المعتكف يدخل البيت لحاجته، (٤/ ٢٩٨، ٢٩٩) «كتاب الأدب» «باب في حسن الظن» حديث رقم (٤٩٩٤)، وأحمد (٦/ ٣٣٧)، وابن ماجه (١/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦) «كتاب الصيام» باب في المعتكف يزوره أهله في المسجد حديث رقم (١٧٧٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٢١ ـ ٣٢٢)، باب المعتكف يخرج إلى باب المسجد، (٤/ ٣٢٤) «باب المرأة تزور زوجها في اعتكافه»، والبغوي في شرح السنة (٧/ ٣٩٧) «كتاب الرقاق» باب فتنة الشيطان حديث رقم (٤١٠٣).

قال الحافظ:

متفق عليه من حديث علي بن الحسين عن صفية بنت حيي قالت: كان رسول الله ﷺ يعتكف فأتيته أزوره ليلاً فحدثته، ثم قمت فانقلبت فقام معي ليقلبني. وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار. فلما رأياه أسرعا. فقال: على رسلكما، إنها صفية ـ الحديث» انتهى.

٧٨٧ ـ أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١١/ ٢٤٩) حديث رقم (١١٦٤٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٢)، وقال: رواه الطبراني وفيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي وهو متروك، وأخرجه الطبري (٧/ ٢٣٣) رقم (١٩٤١٠).

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة.

أخرجه الطبري (٧/ ٢٣٢) حديث رقم (١٩٤٠٣).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه عبد الرزاق والطبري من طريقه عن ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة بهذا بدون قوله: «إن كان لحليما ذا أناة» وصله إسحاق من رواية إبراهيم بن يزيد الجوزي عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس بمعناه، وزاد: ولولا الكلمة التي قالها ما لبث في السجن حتى يبتغي الفرج من عند =

---

(١) قوله: «عما قرف به إلخ» أي اتهم به. والتسلق: التوسل (ع).

(٢) يأتي في الأحزاب.

ولم يقل: سله أن يفتش عن شأنهن؛ لأنّ السؤال مما يهيج الإنسان ويحركه للبحث عما سئل عنه، فأراد أن يورد عليه السؤال ليجدّ في التفتيش عن حقيقة القصة وفصّ الحديث[1]؛ حتى يتبين له براءته بياناً مكشوفاً يتميز فيه الحق من الباطل، وقرئ: (النُّسوة): بضم النون، ومن كرمه، وحسن أدبه: أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به، وتسببت فيه من السجن والعذاب، واقتصر على ذكر المقطعات أيديهنّ، ﴿إِنَّ رَبِّي﴾: إنّ الله تعالى ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: أراد أنه كيد عظيم، لا يعلمه إلا الله، لبعد غوره، أو استشهد بعلم الله على أنهنّ كدنه، وأنه بريء مما قرف به، أو أراد الوعيد لهنّ، أي: هو عليم بكيدهنّ فمجازيهنّ عليه، ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾: ما شأنكنّ ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ﴾: هل وجدتنّ منه ميلاً إليكنّ، ﴿قلن حاش لله﴾: تعجباً من عفته، وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها، ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: ثبت واستقرّ، وقرئ: (حصحص): على البناء للمفعول، وهو من حصحص البعير: إذا ألقى ثفناته[2] للإناخة؛ قال [من الطويل]:

فَحَصْحَصَ فِي صُمِّ الصَّفَا ثَفِنَاتِهِ ... وَنَاءَ بِسَلْمَىٰ نَوْءَةً ثُمَّ صَمَّمَا[3]

ولا مزيد على شهادتهنّ له بالبراءة والنزاهة[4]، واعترافهنّ على أنفسهنّ بأنه لم يتعلق

= غير الله ـ يعني قوله: ﴿اذكرني عند ربك﴾، وأخرجه الطبراني وابن مردويه من طريق إسحاق. وأما قوله: «إن كان لحليما ذا أناة»، فأخرج الطبري من رواية أبي إسحاق عن رجل لم يسم عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يرحم الله يوسف، لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل إلي لخرجت سريعاً، إن كان لحليما ذا أناة»، ورواه ابن مردويه من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري، وعن الأعرج عن أبي هريرة. انتهى.

---

(١) قوله: «وفص الحديث» في الصحاح «فص الأمر» مفصله (ع).
(٢) قوله: «ألقى ثفناته للإناخة» هي ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ وغلظ كالركبتين وغيرهما، كذا في الصحاح (ع).
(٣) لحميد بن ثور يصف بعيراً بأنه ألقى في الحجارة الصلبة أعضاءه التي يبرك عليها عند الإناخة، والصم جمع صماء أو أصم أي صلب. وناء: أي قام متثاقلاً بسلمى محبوبتي نوأة ونهضة واحدة لم يتردد، ثم صمم وعزم على السير. وروي أن سمرة بن جندب أتي برجل عنين، فاشترى له جارية من بيت المال وأدخلها معه ليلة، فلما أصبح قال له: ما صنعت؟ قال: فعلت حتى حصحصت فيه، فسألها فقالت: لم يصنع شيئاً. فقال: خل سبيلها.
ينظر: ديوانه (١٩)، الألوسي ١٢/٢٥٩، اللسان: ص م م، حصص. الدر المصون ٤/١٩١.
(٤) قال محمود: «لا مزيد على شهادتهن له بالبراءة واعترافهن على أنفسهن... إلخ» قال أحمد: الصحيح من مذاهب أهل السنة تنزيه الأنبياء عن الكبائر والصغائر جميعاً، وتتبع الآي المشعرة بوقوع الصغائر بالتأويل. وذهب منهم طائفة مع القدرية إلى تجويز الصغائر عليهم، بشرط أن لا تكون منفرة. والصحيح عندنا في قصة يوسف عليه السلام أنه مبرأ عن الوقوع فيما يؤاخذ به، وإن =

بشيء مما قرفته به؛ لأنهنّ خصومه، وإذا اعترف الخصم بأنّ صاحبه على الحق وهو على الباطل، لم يبق لأحد مقال؛ وقالت المجبرة والحشوية[1]: نحن قد بقي لنا مقال، ولا بدّ لنا من أن ندق في فروة من ثبتت نزاهته.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾: من كلام يوسف[2]، أي: ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة؛ ليعلم العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾: بظهر الغيب في حرمته، ومحل: ﴿بِالْغَيْبِ﴾: الحال[3]، من الفاعل أو المفعول، على معنى: وأنا غائب عنه، خفي عن عينه، أو وهو غائب عني، خفي عن عيني، ويجوز أن يكون ظرفاً، أي: بمكان الغيب، وهو الخفاء والاستتار وراء الأبواب السبعة المغلقة، ﴿و﴾: ليعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: لا ينفذه ولا يسدّده، وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها،/ ١٧١ب وبه في خيانته أمانة الله، حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه، ويجوز أن يكون تأكيداً لأمانته، وأنه لو كان خائناً، لما هدى الله كيده ولا سدّده.

﴿۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه؛ لئلا يكون لها مزكياً وبحالها في الأمانة معجباً ومفتخراً، كما قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ» (٧٨٨) وليبين أنّ ما فيه من

---

٧٨٨ ـ ورد ذلك من حديث جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وعبد الله بن سلام. =

= الوقف عند قوله ﴿هَمَّتْ بِهِ﴾ ثم يبتدأ ﴿وهم بها. لولا أن رأى برهان ربه﴾ كما تقوله. قتلت زيداً لولا أنني أخاف الله، فلا يكون الهم واقعاً لوجود المانع منه، وهو رؤية البرهان. فإن كان الزمخشري يعرض بأهل السنة فقد بينا معتقدهم، وإن كان يعرض بالمجبرة والحشوية حقيقة، فشأنه وإياهم.

(١) قوله: و«قالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا من أن ندق في فروة» يريد أهل السنة وقوله نحن قد بقي لنا إلخ يعني أن حالهم في تفسير الهم والبرهان يمثل بذلك. والفروة: جلدة الرأس (ع).

(٢) عاد كلامه. قال: «وقوله ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ الخ: من كلام يوسف عليه السلام والمعنى أن ذلك الجد في ظهور البراءة ليعلم... إلخ» قال أحمد: وإرادته لعموم الأحوال أدخل في تنزيهه، وأدل على أن الغرض بهذا الكلام التواضع منه والتبري من تزكية النفس، فهو أدل على هذا المعنى من حمله على الحادثة الخاصة والله أعلم (ع).

(٣) قوله: «ومحل بالغيب الحال من الفاعل» لعله محل الحال أو النصب على الحال.

الأمانة ليس به وحده؛ وإنما هو بتوفيق الله، ولطفه، وعصمته، فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾: من الزلل، وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها، ولا يخلو، إمّا أن يريد في هذه الحادثة، لما ذكرنا من الهمّ الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية، لا عن طريق القصد والعزم، وإمّا أن يريد به عموم الأحوال، ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾: أراد الجنس،

= فأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم ٤/ ١٧٨٢ في الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٣/ ٢٢٧٨)، وأبو داود ٢/ ٦٣٠ في السنة، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (٤٦٧٣). وأحمد ٢/ ٥٤٠ والبغوي في شرح السنة ٧/ ١١ برقم (٣٥١٩) عنه مرفوعاً. «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة. وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع».

وأما حديث أبي سعيد الخدري فرواه التِّرمذي ٥/ ٢٨٨ في التفسير، باب «ومن سورة بني إسرائيل» (٣١٤٨)، وفي المناقب، باب في فضل النبي ﷺ (٣٦١٥)، وابن ماجه ٢/ ١٤٤٠ في الزهد، باب ذكر الشفاعة (٤٣٠٨) عنه مرفوعاً «أنا سيد ولد آدم ولا فخر...» فذكره بنحو حديث أبي هريرة ورواه التِّرمذي في الموضع الأول مطولاً.

وقال في الموضعين: هذا حديث حسن صحيح.

وأما حديث أنس فرواه أحمد ٣/ ١٤٤ ـ ١٤٥، والدارمي ١/ ٢٧ ـ ٢٨ في المقدمة، باب ما أُعطي النبي ﷺ من الفضل، وأبو يَعلى واللفظ له (٤٣٠٥)، عنه مرفوعاً «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر، ولواء الحمد بيدي ولا فخر».

وأما حديث عبد الله بن سلام فرواه أبو يَعلى (٧٤٩٣)، وابن حِبان (٢١٢٧ ـ موارد) من طريق عمرو الناقد حدثنا عمرو بن عثمان الكلابي حدثنا موسى بن أعين عن معمر بن راشد عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شغاف عنه مرفوعاً.

وذكره الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٥٧ وقال: رواه أبو يَعلى والطبراني، وفيه عمرو بن عثمان الكلابي، وثقه ابن حِبان على ضعفه وبقية رجاله ثقات.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، دون قوله: «ولا فخر»، وذكره بإثباتها أبو نعيم في الدلائل، من رواية سهيل عن أبيه عنه في أثناء حديث. ورواه ابن أبي عاصم في الآداب له من حديث عائشة بإثباتها. وأخرجه ابن حِبان من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وواثلة وأبي بكر الصديق. ورواه التِّرمذي من رواية أبي نضرة عن أبي سعيد بلفظ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر...» الحديث وقال: حسن. ورواه بعضهم عن أبي نضرة بن عامر. وهو عند أحمد وأبي يَعلى وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل. وهما من طريق أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس على منبر البصرة فذكره. ولحديث ابن عباس طريق آخر أخرجها الدارقطني في الأفراد من رواية خارجة بن مصعب. وهو ضعيف عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وأخرى عن ابن مردويه في أثناء حديث الإسراء بإسناد واه. وفي الباب عن عبادة بن الصامت عند الحاكم وإسناده منقطع، وعن أنس عن البزار. وفيه مبارك بن سحيمة. وهو متروك، وعند أبي يَعلى، وفيه زيادة بن ميمون البختري، وعن عبد الله بن سلام أخرجه أبو يَعلى والطبراني من رواية بشر بن شغاف عنه. وهو معلول. والمحفوظ عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو. وعن جابر أخرجه الحاكم. وفيه القاسم بن محمد بن عبد الله بن عقيل. وهو متروك. انتهى.

أي: إنّ هذا الجنس يأمر بالسوء، ويحمل عليه بما فيه من الشهوات، ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾: إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة، ويجوز أن يكون: (ما رحم): في معنى: الزمن، أي: إلا وقت رحمة ربي، يعني: أنها أمّارة بالسوء في كل وقت وأوان، إلا وقت العصمة، ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً، أي: ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة؛ كقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ [يس: ٤٤]، وقيل معناه: ذلك ليعلم أني لم أخنه؛ لأنّ المعصية خيانة، وقيل: هو من كلام امرأة العزيز[(١)]، أي: ذلك الذي قلت: ليعلم يوسف أني لم أخنه، ولم أكذب عليه في حال الغيبة، وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه، وما أبرىء نفسي مع ذلك من الخيانة؛ فإني قد خنته حين قرفته[(٢)]، وقلت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن وأودعته السجن ـ تريد الاعتذار مما كان منها ـ إنّ كل نفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي: إلا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت.

فإن قلت: كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك؟

قلت: كفى بالمعنى دليلاً قائداً[(٣)] إلى أن يجعل من كلامه؛ ونحوه قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ كلام فرعون ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٠٩ ـ ١١٠] بسحره، ثم قال ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم، وعن ابن جريج: هذا من تقديم القرآن وتأخيره، ذهب إلى أن: (ذلك ليعلم): متصل بقوله: ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠]، ولقد لفقت المبطلة[(٤)] روايات مصنوعة[(٥)]؛ فزعموا أن يوسف حين قال: ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾: قال له جبريل: ولا حين

---

(١) عاد كلامه. قال: «وقيل ذلك كله كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت. . . إلخ» قال أحمد: وإنما يجري الكلام على هذا الوجه إذا ألجأ إليه محوج، كقوله ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ إذ لا يمكن جعله من قول الملأ بوجهه، فتعين أن يصرف الضمير عنه إلى فرعون. وأما هذه الآية فهي تتلو قوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ إلى ما قبل ذلك من الضمائر العائدة إلى يوسف عليه السلام قطعاً، ولا ضرورة تدعو إلى حمل الضمير في (ليعلم) على العزيز وجعله من كلام يوسف، وقد تضمنته الآية المصدرة بقول زليخا، وذلك قوله ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ وفي سياق الآية ما يرشد إلى أن هذا القول جرى منها ويوسف عليه السلام بعد في السجن لم يحضر إلى الملك، وأنه لما تحتمت براءته بقولها بعث يخرجه من السجن، فذلك قوله ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾.

(٢) قوله: «حين قرفته» أي اتهمته (ع).

(٣) قوله: «دليلاً قائداً» أي مؤدياً (ع).

(٤) قوله: «ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة» يريد أهل السنة الذين سماهم المجبرة فيما مر (ع).

(٥) عاد كلامه. قال: «ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة. . . إلخ» قال أحمد: ولقد صدق في التوريك على نقله هذه الزيادات بالبهت، وذلك شأن المبطلة من كل طائفة، كما لفقت القدرية على =

هممت بها، وقالت له امرأة العزيز: ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف؛ وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله[١].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾

يقال: استخلصه واستخصه، إذا جعله خالصاً لنفسه وخاصاً به، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾: وشاهد منه ما لم يحتسب، ﴿قَالَ﴾: أيها الصديق، ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانة ومنزلة، ﴿أَمِينٌ﴾: مؤتمن على كل شيء، روي أنّ الرسول جاءه فقال: أجب الملك، فخرج من السجن ودعا لأهله، «اللهم، أعطف عليهم قلوب الأخيار، ولا تعمّ عليهم الأخبار، فهم أعلم الناس بالأخبار في الواقعات»، وكتب على باب السجن: هذه منازل البلوى[٢]، وقبور الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء، ثم اغتسل وتنظف من درن السجن، ولبس ثياباً جدداً[٣]، فلما دخل على الملك، قال: «اللهمّ، إني أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره، ثم سلم عليه، ودعا له بالعبرانية، فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي، وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، فكلمه بها، فأجابه بجميعها، فتعجب منه، وقال: أيها الصدّيق، إني أحب أن أسمع رؤياي منك، فقال: رأيت بقرات فوصف لونهنّ وأحوالهنّ ومكان خروجهنّ، ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك لا يخرم منها حرفاً، وقال له: من حقك أن تجمع الطعام في الأهراء[٤]، فيأتيك الخلق من النواحي يمتارون منك، ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾: ولّني خزائن أرضك، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾: أمين أحفظ ما تستحفظنيه، عالم بوجوه التصرف؛ وصفاً لنفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه؛ وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى، وإقامة الحق، وبسط

= قصة موسى حين طلب الرؤية وخر صعقاً أن الملائكة جعلت تلكزه بأرجلها وتقول: يا ابن النساء الحيض طمعت في رؤية رب العزة، كل ذلك ليتم لهم غرضهم في أنه طلب محالاً في العقول على الله تعالى، ويحق الله الحق بكلماته ويبطل الباطل، والله الموفق.

(١) قوله: «وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله» أي اتهامهم بما لم يفعله. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قوله: «البلوى» عبارة النسفي البلواء (ع).

(٣) قوله: «ولبس ثياباً جدداً» في الصحاح: جديد وجدد، كسرير وسرر (ع).

(٤) قوله: «أن تجمع الطعام في الأهراء» كذا عبارة النسفي أيضاً ولكنه ليس في الصحاح بل الذي فيه هرأه البرد يهرأه هرأ أي اشتد عليه حتى كاد يقتله وهرئ المال وهرئ القوم فهم مهرؤون اهـ فأصل الإهراء مواضع يشتد فيها البرد (ع).

العدل، والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أنّ أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية؛ ابتغاء وجه الله، لا لحب الملك والدنيا، وعن النبي ﷺ: «رَحِمَ الله أَخِي يُوسُفَ، لَوْ لَمْ يَقُلِ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ، لاَسْتَعْمَلَهُ مِنْ سَاعَتِهِ، وَلَكِنَّهُ أَخَّرَ ذٰلِكَ سَنَةً» (٧٨٩).

فإن قلت: كيف جاز أن يتولى عملاً من يد كافر، ويكون تبعاً له، وتحت أمره وطاعته؟

قلت: روى مجاهد أنه كان قد أسلم، وعن قتادة: هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائر، وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه، وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق، فله أن يستظهر به، وقيل: كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى، فكان في حكم التابع له والمطيع.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثل ذلك التمكين الظاهر، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾: في أرض مصر، روي أنها كانت أربعين فرسخاً في أربعين، ﴿يتبوأ منها حيث يشاء﴾: قرئ: بالنون والباء، أي: كل مكان أراد أن يتخذه منزلاً ومتبوّأ له؛ لم يمنع منه؛ لاستيلائه على جميعها ودخوله تحت ملكته وسلطانه، روي أنّ الملك توّجه، وختمه بخاتمه، ورداه بسيفه، ووضع له سريراً من ذهب مكللاً بالدرّ والياقوت، روي أنه قال له: أمّا السرير: فأشدّ به ملكك، وأما الخاتم: فأدبر به/ ١٧٢أ أمرك، وأمّا التاج: فليس من لباسي ولا لباس آبائي، فقال: قد وضعته إجلالاً لك، وإقراراً بفضلك، فجلس على السرير وهانت له الملوك، وفوّض الملك إليه أمره، وعزل قطفير، ثم مات بعده، فزوّجه الملك امرأته زليخا، فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيراً مما طلبت؟ فوجدها عذراء، فولدت له ولدين: إفراثيم وميشا، وأقام العدل

---

٧٨٩ ـ أخرجه الواحدي في «الوسيط» (٢/٦١٨ ـ بتحقيقنا) أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد الثقفي نا مخلد بن جعفر نا الحسن بن علوية نا إسماعيل بن عيسى نا إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً.
وقال الحافظ في «تخريج الكشاف»:
أخرجه الثعلبي عن ابن عباس من رواية إسحاق بن بشير عن جويبر عن الضحاك عنه، وهذا إسناد ساقط. انتهى.

بمصر، وأحبته الرجال والنساء، وأسلم على يديه الملك، وكثير من الناس، وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها، ثم بالحلي والجواهر، ثم بالدواب، ثم بالضياع والعقار، ثم برقابهم حتى استرقهم جميعاً، فقالوا: والله، ما رأينا كاليوم ملكاً أجلّ ولا أعظم منه، فقال للملك: كيف رأيت صنع الله بي فيما خوّلني فما ترى؟ قال: الرأي رأيك، قال: فإني أشهد الله وأشهدك أني أعتقت أهل مصر عن آخرهم، ورددت عليهم أملاكهم، وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير؛ تقسيطاً بين الناس، وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب أرض مصر، فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين، ﴿بِرَحْمَتِنَا﴾: بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم، ﴿مَن نَّشَآءُ﴾: من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك، ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أن نأجرهم في الدنيا.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾: لهم، قال سفيان بن عيينة: المؤمن: يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة، والفاجر: يعجل له الخير في الدنيا، وما له في الآخرة من خلاق، وتلا هذه الآية.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

لم يعرفوه؛ لطول العهد[1]، ومفارقته إياهم في سنّ الحداثة، ولاعتقادهم أنه قد هلك، ولذهابه عن أوهامهم؛ لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه، ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله. التي فارقوه عليها طريحاً في البئر، مشرياً بدراهم معدودة، حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم، ولأنّ الملك مما يبدّل الزيّ ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف، وقيل: رأوه على زيّ فرعون[2]: عليه ثياب الحرير، جالساً على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج، فما خطر ببالهم أنه هو، وقيل: ما رأوه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب، وما وقفوا إلا حيث يقف طلاب الحوائج؛ وإنما عرفهم؛ لأنه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريباً من زيهم إذ

(١) قال محمود: «إنما أنكروه لبعد العهد وتغيير الصورة... إلخ» قال أحمد: وتوارد القادمين في دخولهم عليه ومعرفته لهم عند ذلك، تدل على أن مجرد دخولهم عليه استعقبته المعرفة بلا مهلة، والله أعلم.

(٢) قوله: «وقيل رأوه على زي فرعون» إن أريد فرعون موسى، فلم يكن قد وجد. وعبارة الخازن: زي ملوك مصر عليه ثياب .. إلخ (ع).

ذاك، ولأنّ همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم، فكان يتأمّل ويتفطن، وعن الحسن: ما عرفهم حتى تعرّفوا له.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أي: أصلحهم بعدّتهم، وهي عدّة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافرون، وأوقر ركائبهم بما جاؤوا من الميرة، وقرئ: (بجهازهم): بكسر الجيم، ﴿قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾: لا بد من مقدمة سبقت له معهم، حتى اجتر القول هذه المسألة، روي أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية، قال لهم: أخبروني من أنتم وما شأنكم؟ فإني أنكركم، قالوا: نحن قوم من أهل الشام رعاة، أصابنا الجهد فجئنا نمتار، فقال: لعلكم جئتم عيوناً تنظرون عورة بلادي؟ قالوا: معاذ الله، نحن إخوة بنو أب واحد، وهو شيخ صدّيق نبي من الأنبياء، اسمه: يعقوب، قال: كم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر، فهلك منا واحد، قال: فكم أنتم ههنا؟ قالوا: عشرة، قال: فأين الأخ الحادي عشر؟ قالوا: هو عند أبيه يتسلى به من الهالك، قال: فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون وأنّ الذي تقولون حق؟ قالوا: إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم، وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم، فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون ـ وكان أحسنهم رأياً في يوسف ـ فخلفوه عنده، وكان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم، ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون داخلاً في حكم الجزاء مجزوماً، عطفاً على محل قوله: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾ كأنه قيل: فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا، وأن يكون بمعنى النهي.

﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: سنخادعه عنه، وسنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده، ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾: وإنا لقادرون على ذلك لانتعايى به، أو: وإنا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾، وقرئ: (لفتيته)، وهما جمع فتى، كإخوة وإخوان في أخ، و«فعلة»:

للقلة، و«فعلان»: للكثرة، أي: لغلمانه الكيالين، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾: لعلهم يعرفون حق ردّها وحق التكرّم بإعطاء البدلين، ﴿إِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾: وفرغوا ظروفهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا، وكانت بضاعتهم النعال والأدم، وقيل: تخوّف ألاّ يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به، وقيل: لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمناً، وقيل: علم أن ديانتهم تحملهم على ردّ البضاعة لا يستحلون إمساكها فيرجعون لأجلها، وقيل: معنى ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعلهم يردّونها.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣)﴾

﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ يريدون: قول يوسف، فإن لم تأتوني به، فلا كيل لكم عندي؛ لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل، ﴿نَكْتَلْ﴾: نرفع المانع من الكيل، ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه، وقرئ: (يكتل)، بمعنى: يكتل، أخونا، فينضم اكتياله إلى اكتيالنا، أو يكن سبباً للاكتيال، فإن امتناعه بسببه.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤)﴾

﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ يريد: أنكم قلتم في يوسف، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: كما تقولونه في أخيه، ثم خنتم بضمانكم، فما يؤمنني من مثل ذلك، ثم قال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾: فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم، و(حافظاً): تمييز؛ كقولك: هو خيرهم رجلاً، ولله درّه فارساً، ويجوز أن يكون حالاً، وقرئ: (حفظاً)، وقرأ الأعمش: فالله خير حافظ، وقرأ أبو هريرة: خير الحافظين، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: فأرجو أن ينعم عليّ بحفظه ولا يجمع علي/ ١٧٢ب مصيبتين.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥)﴾

وقرئ: (ردت إلينا): بالكسر، على أن كسرة الدال المدغمة نقلت إلى الراء، كما في: قيل وبيع، وحكى قطرب ضرب زيد، على نقل كسرة الراء فيمن سكنها إلى الضاد، ﴿مَا نَبْغِي﴾: للنفي، أي: ما نبغي في القول، وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك وإكرامه، وكانوا قالوا له: إنا قدمنا على خير رجل، أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من

آل يعقوب ما أكرمنا كرامته، أو ما نبتغي شيئاً وراء ما فعل بنا من الإحسان، أو على الاستفهام، بمعنى: أي شيء نطلب وراء هذا؟ وفي قراءة ابن مسعود: «ما تبغي»: بالتاء على مخاطبة يعقوب، معناه: أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان، أو من الشاهد على صدقنا؟ وقيل: معناه: ما نريد منك بضاعة أخرى، وقوله: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: جملة مستأنفة موضحة لقوله: (ما نبغي)، والجمل بعدها معطوفة عليها، على معنى: إن بضاعتنا ردّت إلينا، فنستظهر بها، ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: في رجوعنا إلى الملك، ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: فما يصيبه شيء مما تخافه، ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائداً على أوساق أباعرنا، فأي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا ونوسع ذات أيدينا؟ وإنما قالوا: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: لما ذكرنا أنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط.

فإن قلت: هذا إذا فسرت البغي بالطلب، فأما إذا فسرته بالكذب والتزيد في القول، كانت الجملة الأولى وهي قوله: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: بياناً لصدقهم، وانتفاء التزيد عن قيلهم، فما تصنع بالجمل البواقي؟

قلت: أعطفها على قوله: (ما نبغي): على معنى: لا نبغي فيما نقول، ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: ونفعل كيت وكيت، ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ؛ كقولك: وينبغي أن نمير أهلنا، كما تقول: سعيت في حاجة فلان، واجتهدت في تحصيل غرضه، ويجب أن أسعى، وينبغي لي ألا أقصر، ويجوز أن يراد: ما نبغي، وما ننطق إلا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع أخينا، ثم قالوا: هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع؛ بياناً لأنهم لا يبغون في رأيهم وأنهم مصيبون فيه، وهو وجه حسن واضح، ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ أي: ذلك مكيل قليل لا يكفينا، يعنون: ما يكال لهم، فأرادوا أن يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم، أو يكون ذلك إشارة إلى كيل بعير، أي: ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا إليه الملك ولا يضايقنا فيه، أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه، ويجوز أن يكون من كلام يعقوب، وأن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد؛ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ [يوسف: ٥٢][١].

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾

(١) قوله: «كقوله ذلك ليعلم» هل المراد أن جواز كونه من كلام يعقوب، لأن المعنى يؤدي إليه، كما جاز في قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ كونه من كلام يوسف؛ لأن المعنى يقود إليه، فتدبر (ع).

﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ﴾: مناف لحالي[1] - وقد رأيت منكم ما رأيت - إرساله معكم، ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله، أراد أن يحلفوا له بالله؛ وإنما جعل الحلف بالله موثقاً منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدّد، وقد أذن الله في ذلك فهو إذن منه، ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ﴾: جواب اليمين؛ لأن المعنى: حتى تحلفوا لتأتنني به، ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلا أن تغلبوا[2] فلم تطيقوا الإتيان به، أو إلا أن تهلكوا.

فإن قلت: أخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه إشكال؟

قلت: (أن يحاط بكم): مفعول له، والكلام المثبت الذي هو قوله: (لتأتنني به) في تأويل النفي، معناه: لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم، أي: لا تمتنعون منه لعلة من العلل إلا لعلة واحدة: وهي أن يحاط بكم، فهو استثناء من أعم العام في المفعول له، والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي وحده، فلا بد من تأويله بالنفي؛ ونظيره من الإثبات المتأوّل بمعنى النفي قولهم: أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت، تريد: ما أطلب منك إلا الفعل، ﴿عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾: من طلب الموثق وإعطائه، ﴿وَكِيلٌ﴾: رقيب مطلع.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

---

(١) قال محمود: «معناه أن إرساله معكم مناف... إلخ» قال أحمد: لن للنفي المؤكد. وأما قول الزمخشري في المنافاة له، فله وراء ذلك غرض إنما يطلع عليه من قتل كلامه علماً، وذلك أنه اعتمد في إحالة الرؤية على الله تعالى، على أن قوله تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ معناه أن الرؤية منافية لحالي، وجعل هذه المنافاة من مقتضى (لن) ثم التزم ذلك في هذه اللفظة حيثما وقعت، كل ذلك لتمرن الأذهان على أن هذا مقتضى (لن) وقد سبق وجه الرد عليه في ذلك.

(٢) عاد كلامه. قال: «وقوله ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ معناه إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان... إلخ» قال أحمد: وإنما اختص هذا النوع من الاستثناء بالنفي، لأن المستثنى منه مسكوت عنه، والنفي عام، إذ يلزم من نفي الإتيان مثلاً نفي جميع العوارض اللاحقة به ضرورة، فكأنه لعمومه مقرون بذكر المستثنى منه، ولا كذلك الإتيان؛ فإنه لا إشعار له بعموم الأحوال؛ لأنه لا يتوقف إلا على أحدها، والله أعلم. ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر، وهو قولهم «البلاء موكل بالمنطق» فإن يعقوب عليه السلام قال أولاً في حق يوسف: وأخاف أن يأكله الذئب، فابتلي من ناحية هذا القول. وقال ههنا ثانياً: إلا أن يحاط بكم، أي تغلبوا عليه، فابتلي أيضاً بذلك، وأحيط بهم، وغلبوا عليه.

وإنما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد؛ لأنهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة[(١)]، اشتهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم، فكانوا مظنة لطموح الأبصار إليهم من بين الوفود، وأن يشار إليهم بالأصابع، وقال هؤلاء أضياف الملك، انظروا إليهم ما أحسنهم من فتيان، وما أحقهم بالإكرام، لأمر مّا أكرمهم الملك، وقرّبهم، وفضلهم على الوافدين عليه، فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة، فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم في الصدور، فيصيبهم ما يسوؤهم؛ ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرّة الأولى؛ لأنهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس.

فإن قلت: هل للإصابة بالعين وجه تصحّ عليه؟

قلت: يجوز أن يحدث الله ـ عزّ وجلّ ـ عند النظر إلى الشيء والإعجاب به، نقصاناً فيه وخللاً من بعض الوجوه، ويكون ذلك ابتلاء من الله، وامتحاناً لعباده، ليتميز المحققون من أهل الحشو[(٢)]، فيقول المحقق: هذا فعل الله، ويقول الحشوي: هو أثر العين؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣١]، الآية، وعن النبي ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ يَعُوذ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ فَيَقُولُ: أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ... مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ» (٧٩٠)، ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾ يعني: إن أراد الله بكم سوءاً، لم ينفعكم، ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق، وهو مصيبكم لا محالة، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، ثم قال: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي: متفرقين، ﴿مَّا

---

٧٩٠ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٦١) كتاب أحاديث الأنبياء باب (١٠) حديث (٣٣٧١) وأبو داود (٤/ ٢٣٥) كتاب السنة: باب في القرآن حديث (٤٧٣٧) والترمذي (٤/ ٣٩٦) كتاب الطب: باب (١٨) حديث (٢٠٦٠) والنّسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٠٦، ١٠٠٧) وابن ماجه (٢/ ١١٦٤) كتاب الطب: باب ما عوذ به النبي ﷺ حديث (٣٥٢٥) وأحمد (١/ ٢٣٦، ٢٧٠) وابن أبي شيبة (٧/ ٤٨، ١٠/ ٣١٥) وابن حِبان (١٠١٢، ١٠١٣) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً.
وقال التِّرمذي: حسن صحيح.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه البخاري وأصحاب السنن من رواية المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هذا وأتم منه. انتهى.

---

(١) قوله: «كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة اشتهرهم» في الصحاح: الشارة: اللباس والهيئة. وفيه. اشتهر الأمر، أي وضح. ولفلان فضيلة اشتهرها الناس (ع).
(٢) قوله: «ليتميز المحققون من أهل الحشو» إن كان مراده أهل السنة، فهم يقولون: تأثير العين من قبيل ربط الأسباب بالمسببات، كربط النار بالإحراق، فالسبب مؤثر في الظاهر، والله هو الفاعل في الحقيقة. قال النسفي: وأنكر الجبائي العين اهـ وهو من مشايخ المعتزلة (ع).

﴿كَانَ يُغْنِي عَنْهُم﴾: رأي يعقوب ودخولهم متفرّقين شيئاً قط؛ حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرّقهم، من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك، وأخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله، وتضاعف المصيبة على أبيهم، ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾: استثناء منقطع، على معنى: ولكن حاجة، ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾: وهي شفقته عليهم، وإظهارها/ ١٧٣أ بما قاله لهم ووصاهم به، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ﴾ يعني قوله: (وما أُغني عنكم)، وعلمه بأن القدر لا يغني عنه الحذر.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: ضم إليه بنيامين، وروي أنهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناك به، فقال لهم: أحسنتم وأصبتم، وستجدون ذلك عندي، فأنزلهم وأكرمهم، ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة، فبقي بنيامين وحده، فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حيًا لأجلسني معه، فقال يوسف: بقي أخوكم وحيداً، فأجلسه معه على مائدته وجعل يواكله، قال: أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتاً، وهذا لا ثاني له فيكون معي، فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح، وسأله عن ولده؟ فقال: لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك، فقال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال: من يجد أخاً مثلك، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف، وقام إليه، وعانقه، وقال له: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾: يوسف، ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزن، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: بنا فيما مضى؛ فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير، ولا تعلمهم بما أعلمتك، وعن ابن عباس: تعرّف إليه، وعن وهب: إنما قال له: أنا أخوك بدل أخيك المفقود، فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد أمنتهم، وروي أنه قال له: أنا لا أفارقك، قال: قد علمت اغتمام والدي بي، فإذا حبستك ازداد غمه، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما لا يجمل، قال: لا أبالي فافعل ما بدا لك، قال: فإني أدس صاعي في رحلك، ثم أنادي عليك بأنك قد سرقته، ليتهيأ لي ردّك بعد تسريحك معهم، قال: افعل.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾

﴿ٱلسِّقَايَةَ﴾: مشربة يسقى بها وهي الصواع، قيل: كان يسقى بها الملك، ثم جعلت صاعاً يكال به، وقيل: كانت الدواب تسقى بها ويكال بها، وقيل: كانت إناء مستطيلاً يشبه المكوك، وقيل: هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الأعاجم، وقيل: كانت من فضة مموّهة بالذهب، وقيل: كانت من ذهب، وقيل: كانت مرصعة بالجواهر، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: ثم نادى مناد، يقال: آذنه أعلمه، وأذن: أكثر الإعلام، ومنه المؤذن؛ لكثرة ذلك منه، روي: أنهم ارتحلوا، وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا، ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا، ثم قيل لهم ذلك، والعير: الإبل التي عليها الأحمال؛ لأنها تعير: أي: تذهب وتجيء، وقيل: هي قافلة الحمير، ثم كثر حتى قيل لكل قافلة: عير، كأنها جمع عير، وأصلها: فعل كسقف وسقف، فعل به ما فعل ببيض وعيد[1]، والمراد: أصحاب العير؛ كقوله: يا خيل الله اركني، وقرأ ابن مسعود: «وجعل السقاية»: على حذف جواب لما، كأنه قيل: فلما جهزهم بجهازهم، وجعل السقاية في رحل أخيه، أمهلهم حتى انطلقوا، ثم أذن مؤذن، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: «تفقدون»: من أفقدته إذا وجدته فقيداً، وقرئ: صواع، وصاع، وصوع، وصوع: بفتح الصاد وضمها، والعين معجمة وغير معجمة، ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾: يقوله المؤذن، يريد: وأنا بحمل البعير كفيل، أؤدّيه إلى من جاء به، وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿تَٱللَّهِ﴾: قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم؛ وإنما قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم﴾: فاستشهدوا بعلمهم، لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرّتي مجيئهم ومداخلتهم للملك، ولأنهم دخلوا وأفواه رواحلهم مكعومة[2]؛ لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد من أهل السوق، ولأنهم ردّوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم، ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾: وما كنا قط نوصف بالسرقة، وهي منافية لحالنا.

﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ الضمير: للصواع، أي: فما جزاء سرقته، ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾: في

---

(١) قوله: «ما فعل ببيض وعيد» لعله: وغيد، بإعجام الغين، وهو جمع غيداء أي ناعمة. أو أغيد، بمعنى وسنان مائل العنق، كذا في الصحاح، فليحرر لفظ المصنف (ع).

(٢) قوله: «وأفواه رواحلهم مكعومة» يقال: كعمت البعير، إذا شددت فمه بالكعام، وهو شيء يجعل في فم البعير عند هياجه، كذا في الصحاح. (ع)

جحودكم وادّعائكم البراءة منه، ﴿قَالُوا جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ﴾ أي: جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله، وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترقّ سنة؛ فلذلك استفتوا في جزائه، وقولهم: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾: تقرير للحكم، أي: فأخذ السارق نفسه وهو جزاؤه لا غير؛ كقولك: حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه، فذلك حقه، أي: فهو حقه؛ لتقرّر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه[1]، ويجوز أن يكون: (جزاؤه): مبتدأ، والجملة الشرطية كما هي خبره، على إقامة الظاهر فيها مقام المضمر، والأصل: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو، فوضع الجزاء موضع هو، كما تقول لصاحبك: من أخو زيد؟ فيقول لك: أخوه من يقعد إلى جنبه، فهو هو، يرجع الضمير الأوّل: إلى من، والثاني: إلى الأخ، ثم نقول: «فهو أخوه»: مقيماً للمظهر مقام المضمر، ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف، أي: المسؤول عنه جزاؤه، ثم أفتوا بقولهم: من وجد في رحله فهو جزاؤه، كما يقول: من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم، ثم يقول: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾[2] [المائدة: ٩٥].

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾: قيل: قال لهم من وكل بهم: لا بدّ من تفتيش أوعيتكم، فانصرف بهم إلى يوسف، فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين؛ لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه، فقال: ما أظنّ هذا أخذ شيئاً، فقالوا: والله، لا تتركه حتى تنظر في رحله؛ فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا، فاستخرجوه منه، وقرأ الحسن: «وعاء أخيه»: بضم الواو، وهي لغة، وقرأ سعيد بن جبير: «إعاء أخيه»: بقلب الواو همزة.

فإن قلت: لم ذكر ضمير الصواع مرّات ثم أنّثه؟

---

(١) قوله: «من استحقاقه وتلزمه. ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ» سيذكر أن حكم السارق في دين ملك مصر: أن يغرم مثلي ما أخذ، لا أن يلزم ويستعبد (ع).

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهو متكلف، إذ تصير الجملة من قوله: «المسؤول عنه جزاؤه»، على هذا التقدير ليس فيه كبير فائدة، إذ قد علم من قوله: «فَمَا جَزَاؤُهُ»، أنَّ الشيء المسؤول عنه جزاء سرقته، فأي فائدة في نطقهم بذلك، وكذلك القول في المثال الذي مثل به من قول المستفتي». قُلْتُ: قوله: «ليس فيه كبير فائدة» ممنوع، بل فيه فائدة الإضمار المذكور في علم البيان، وفي القرآن أمثال ذلك. انتهى. الدر المصون.

قلت: قالوا: رجع بالتأنيث على السقاية، أو أنث الصواع؛ لأنه يذكر ويؤنث، ولعلّ يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعاً، فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية، وفيما يتصل بهم منه صواعاً، ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا﴾: مثل ذلك الكيد العظيم كدنا، ﴿قَالَ يُوسُفُ﴾ يعني: علمناه إياه وأوحينا به إليه، ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾: تفسير للكيد وبيان له؛ لأنه كان في دين ملك مصر، وما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ، لا أن يلزم ويستعبد، ﴿إلا أن يشاء الله﴾/ ١٧٣ب أي: ما كان يأخذه إلا بمشيئة الله وإذنه فيه، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾: في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه، وقرئ: «يرفع»: بالياء، ودرجات بالتنوين، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: فوقه أرفع درجة منه في علمه، أو فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم، وهو الله عز وعلا.

فإن قلت: ما أذن الله فيه يجب أن يكون حسناً، فمن أي وجه حسن هذا الكيد؟ وما هو إلا بهتان، وتسريق لمن لم يسرق، وتكذيب لمن لم يكذب، وهو قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾، ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾؟

قلت: هو في صورة البهتان، وليس ببهتان في الحقيقة؛ لأنّ قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾: تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف، وقيل: كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف، وقوله: (إن كنتم كاذبين)؛ فرض لانتفاء براءتهم، وفرض التكذيب لا يكون تكذيباً، على أنه لو صرَّح لهم بالتكذيب، كما صرّح لهم بالتسريق، لكان له وجه؛ لأنهم كانوا كاذبين في قولهم: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾، هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية؛ كقوله ـ تعالى ـ لأيوب ـ عليه السلام ـ: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص: ٤٤]، ليتخلص من جلدها ولا يحنث، وكقول إبراهيم ـ عليه السلام ـ: هي أختي؛ لتسلم من يد الكافر، وما الشرائع كلها إلا مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفاسد، وقد علم الله ـ تعالى ـ في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة، فجعلها سلماً وذريعة إليها، فكانت حسنة جميلة، وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا.

﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿أَخٌ لَّهُۥ﴾: أرادوا يوسف؛ روي أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين، نكس إخوته رؤوسهم حياء، وأقبلوا عليه وقالوا له: ما الذي صنعت؟ فضحتنا وسوّدت وجوهنا، يا بني راحيل، ما يزال لنا منكم بلاء، متى أخذت هذا الصاع؟ فقال: بنو راحيل الذين لا

يزال منكم عليهم البلاء، ذهبتم بأخي فأهلكتموه، ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم، واختلف فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة، فقيل: كان أخذ في صباه صنماً لجدّه أبي أمّه، فكسره، وألقاه بين الجيف في الطريق، وقيل: دخل كنيسة فأخذ تمثالاً صغيراً من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه، وقيل: كانت في المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل، وقيل: كانت لإبراهيم ـ عليه السلام ـ منطقة يتوارثها أكابر ولده، فورثها إسحاق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده، فحضنت يوسف ـ وهي عمته ـ بعد وفاة أمّه، وكانت لا تصبر عنه، فلما شبّ، أراد يعقوب أن ينتزعه منها، فعمدت إلى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه، وقالت: فقدت منطقة إسحاق. فانظروا من أخذها، فوجدوها محزومة على يوسف، فقالت: إنه لي سلم أفعل به ما شئت، فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت، ﴿فَأَسَرَّهَا﴾: إضمار على شريطة التفسير، تفسيره: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ وإنما أنث لأنّ قوله: (أنتم شر مكاناً): جملة أو كلمة، على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة، كأنه قيل: فأسرّ الجملة أو الكلمة التي هي قوله: ﴿أنت شرٌ مكاناً﴾، والمعنى: قال في نفسه: أنتم شر مكاناً؛ لأنّ قوله: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: بدل من أسرَّها، وفي قراءة ابن مسعود: «فأسرّه»: على التذكير، يريد القول أو الكلام، ومعنى: (شر مكاناً): أنتم شر منزلة في السرق؛ لأنكم سارقون بالصحة، لسرقتكم أخاكم من أبيكم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: يعلم أنه لم يصح لي ولا لأخي سرقة، وليس الأمر كما تصفون.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾

استعطفوه بإذكارهم إياه حق أبيهم يعقوب، وأنه شيخ كبير السنّ أو كبير القدر، وأنّ بنيامين أحب إليه منهم، وكانوا قد أخبروه بأن ولداً له قد هلك وهو عليه ثكلان[1]، وأنه مستأنس بأخيه، ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾: فخذه بدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد، ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: إلينا فأتمم إحسانك، أو من عادتك الإحسان فاجْرِ على عادتك ولا تغيرها.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾: هو كلام موجه، ظاهره: أنه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد

---

(١) قوله: «قد هلك وهو عليه ثكلان» أي حزين أسيف على فقد ولده (ع).

الصواع في رحله واستعباده، فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلماً في مذهبكم، فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم، وباطنه: إنّ الله أمرني وأوحى إليّ بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة أو لمصالح جمة علمها في ذلك، فلو أخذت غير من أمرني بأخذه كنت ظالماً وعاملاً على خلاف الوحي، ومعنى: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ﴾: نعوذ بالله معاذاً من أن نأخذ، فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من، و﴿إِذًا﴾: جواب لهم وجزاء؛[1] لأن المعنى: إن أخذنا بدله ظلمنا.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْـَٔسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿اسْتَيْـَٔسُوا﴾: يئسوا، وزيادة السين والتاء في المبالغة؛ نحو: ما مرّ في استعصم، و«النجي»: على معنيين: يكون بمعنى: المناجي، كالعشير والسمير بمعنى: المعاشر والمسامر؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]؛ وبمعنى المصدر الذي هو التناجي، كما قيل: النجوى، بمعناه، ومنه قيل: قوم نجي، كما قيل: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ [الإسراء: ١٧]؛ تنزيلاً للمصدر منزلة الأوصاف، ويجوز أن يقال: هم نجي؛ كما قيل: هم صديق؛ لأنه بزنة المصادر وجمع أنجية؛ قال [من الرجز]:

إِنِّــي إِذَا مَــا الْــقَــوْمُ كَــانُــوا أَنْــجِــيَــهْ[2]

---

(١) قوله: «وإذاً جواب لهم وجزاء» أي لقولهم ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ (ع).

(٢) إنـي إذا مـا الـقـوم كـانـوا أنـجـيـه — واضـطـرب القـوم اضـطـراب الأرشـيـه
وشـد فـوق بـعـضـهـم بـالأرويـه — هـنـاك أوصـيـنـي ولا تـوصـي بـيـه

من أبيات الحماسة. و«ما» زائدة. والأنجية. جمع نجي بمعنى المناجي، كالسمير والجليس والعشير، بمعنى المفاعل. أو النجي: مصدر كالدوي والأزيز والنشيج والنئيج والصهيل، كلها أنواع من الصوت، فيكون على حد «زيد عدل» ولو قلت: إنه جمع نجاء مصدر ناجاه، كقتال مصدر قاتله لجاز، وكان كالأرشية جمع رشاء وهو حبل الاستقاء، والأروية جمع رواء وهو حبل الارتواء والاستقاء أيضاً، أي: كانوا فرقاً متناجين ومتشاورين فيما نزل بهم واضطربوا قياماً وقعوداً وذهاباً وإياباً، كاضطراب الأرشية على الماء. ويروى: واضطربت أعناقهم كالأرشية. وشد: مبني للمجهول، أي: شد بعضهم بعضاً وشمره وحزمه بحبال الاستقاء، كناية عن استعدادهم للحرب. ويبعد كونه كناية عن الاستعداد للاستقاء في الزمن الجدب هناك، أي: في ذلك الزمان أو المكان. قيل: أو فيهما أكون شجاعاً صبوراً، فأوصيني بغيري ولا توصي غيري بيه. وظاهر البيت جواز الإخبار عن اسم إن بجملة إنشائية وليس كذلك، بل هو على التأويل كما ترى. والخطاب لمؤنثة. ويجوز: أنه لمذكر. وثبوت الياء في الفعلين للإشباع. والهاء في «بيه» للسكت. فهذا كناية عن =

ومعنى ﴿وَأَخْلَصُواْ﴾: اعتزلوا وانفردوا عن الناس، خالصين لا يخالطهم سواهم، ﴿نَجِيًّا﴾: ذوي نجوى، أو فوجاً نجيا، أي: مناجياً لمناجاة بعضهم بعضاً، وأحسن منه أنهم تمحضوا تناجياً؛ لاستجماعهم لذلك، وإفاضتهم فيه بجدّ واهتمام، كأنهم في أنفسهم صورة التناجي وحقيقته، وكان تناجيهم في تدبير أمرهم، على أيّ صفة يذهبون؟ وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم؟ كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب، فاحتاجوا إلى التشاور، ﴿كَبِيرُهُمْ﴾: في السنّ وهو روبيل، وقيل: رئيسهم وهو شمعون، وقيل: كبيرهم في العقل والرأي وهو يهوذا، ﴿مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾: فيه وجوه: أن تكون «ما»: صلة،/ ١٧٤أ أي: ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف، ولم تحفظوا عهد أبيكم، وأن تكون مصدرية، على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف، وهو (من قبل)، ومعناه: ووقع من قبل تفريطكم في يوسف، أو النصب عطفاً على مفعول: (ألم تعلموا)، وهو: (أن أباكم)؛ كأنه قيل: ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقاً وتفريطكم من قبل في يوسف[1]، وأن تكون موصولة بمعنى: ومن قبل هذا ما فرطتموه، أي: قدّمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة، ومحله: الرفع أو النصب على الوجهين، ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾: فلن أفارق أرض مصر، ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾: في الانصراف إليه؛ ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾:

= شجاعته وتجلده. أو كناية عن كرمه على البعد.

البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي. ينظر: اللسان والصحاح «نجا»، أساس البلاغة ٤٤٨، وجمهرة اللغة ص ٢٣٥، ٨٠٩، وخزانة الأدب ١٠/ ٢٤٧، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٦٥٦، وشرح شواهد المغني ٩١٤، المغني ٢/ ٥٨٥، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٢٥، وروح المعاني ١٣/ ٣٥، ومعاني الزجاج ٣/ ١٢٤، والبحر المحيط ٥/ ٣٣١، والدر المصون ٤/ ٢٠٥.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا الذي ذهبا إليه ليس بجيد، لأنَّ فيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف الذي هو على حرف واحد، وبين المعطوف، فصار نظير» ضربتُ زيداً وبسيفٍ عمراً وقد زَعَمَ أبو علي الفارسي: «أنه لا يجوز ذلك إلاَّ في ضرورة شعر». قُلْتُ: أيضاً هذا الردُّ سبقه إليه أبو البقاء، ولم يرتضه، فقال: وقيل هو ضعيف، لأن فيه الفصل بين حرف العطف والمعطوف، وقد بينا في سورة النساء أن هذا ليس بشيء. قُلْتُ: يعني أن منع الفصل بين حرف العطف والمعطوف ليس بشيء. وقد تقدم إيضاح ذلك وتقريره في سورة النساء كما أشار إليه أبو البقاء.

ثم قال الشيخ: وأما تقدير الزمخشري: «وتفريطكم من قبل في يوسف، فلا يجوز، لأن فيه تقديم معمول المصدر المنحل بحرف مصدري والفعل عليه، وهو لا يجوز». قُلْتُ: ليس في تقدير الزمخشري شيء من ذلك لأنه لما صرح بالمقدر أخر الجارين والمجرورين عن لفظ المصدر المقدر، كما ترى، وكذا هو في سائر النسخ، وكذا ما نقله الشيخ عنه بخطه، فأين تقديم المعمول على المصدر؟، ولو رد عليه وعلى ابن عطية بأنه يلزم من ذلك تقديم معمول الصلة على الموصول لكان ردا واضحاً، فإنَّ «مِنْ قَبْلُ» متعلق بـ«فَرَّطتُمْ» وقد تقدم على «مَا» المصدرية، وفيه خلاف مشهور. انتهى. الدر المصون».

بالخروج منها، أو بالانتصاف ممن أخذ أخي، أو بخلاصه من يده بسبب من الأسباب، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ لأنه لا يحكم أبداً إلا بالعدل والحق.

﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾

وقرئ: (سُرِّق) أي: نسب إلى السرقة، ﴿وَمَا شَهِدْنَآ﴾: عليه بالسرقة، ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾: من سرقته[1] وتيقناه؛ لأنّ الصواع استخرج من وعائه ولا شيء أبين من هذا، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾: وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق[2]، أو ما علمنا أنك تصاب به كما أصبت بيوسف ومن قرأ: (سرِّق)، فمعناه: وما شهدنا إلا بقدر ما علمنا من التسريق، وما كنا للغيب: للأمر الخفي حافظين، أسرق بالصحة أم دسّ الصاع في رحله ولم يشعر.

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾

﴿ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾: هي مصر، أي: أرسل إلى أهلها فسلهم عن كنه القصة، ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾: وأصحاب العير، وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب، وقيل: من أهل صنعاء، معناه: فرجعوا إلى أبيهم، فقالوا له ما قال لهم أخوهم: فـ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ

---

(١) قال محمود: «معناه وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بما علمناه من سرقته... إلخ» قال أحمد: إما أن يكون مقتضى شرعهم حينئذ أن مجرد وجود الشيء بيد المدعى عليه بعد إنكاره يوجب له أحكام السارق فيكون العلم على ظاهره إذاً. وإما أن لا يكون كذلك، فهذا القدر من مجرد وجوده في رحله لا يوجب علم كونه سارقاً. وغايته أن يفيد ظنا بيناً، فيكون المراد بالعلم ههنا الظن. وقد ورد مثله، ويكون قولهم ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ تنبيهاً على أن مستندهم فيما قالوه ظن بمقتضى ظاهر الحال. وأما كشف باطن الأمر الموجب للعمل فليسوا يدعونه عليه.

(٢) عاد كلامه. قال: «وقولهم ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ معناه: وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق... إلخ» قال أحمد: وإنما تلتئم القراءتان على التأويل الذي ذكرته، وهو أنهم إنما أضافوا إليه السرقة ظنا بمقتضى ظاهر الحال، واحترزوا أن يعتقد أنهم علموا ذلك حقيقة فقالوا: وما كنا للغيب حافظين فالقراءتان على التأويل المذكور يقتضيان تبرئتهم من دعوى العلم الجازم عليه. وأما على غيره من التأويلات المذكورة فلا تنتظم القراءتان لأن مقتضى الأولى الجزم عليه بالسرقة علماً. ومقتضى الثانية التبري من الجزم، والله أعلم.

﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: أردتموه(1)، وإلا فما أدرى ذلك الرجل أنّ السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم، ﴿بِهِمْ جَمِيعًا﴾: بيوسف وأخيه وروبيل أو غيره، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بحالي في الحزن والأسف، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي لم يبتلني بذلك إلا لحكمة ومصلحة.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: وأعرض عنهم؛ كراهة لما جاؤوا به، ﴿يا أسفي﴾: أضاف الأسف وهو أشدّ الحزن والحسرة إلى نفسه، والألف بدل من ياء الإضافة، والتجانس بين لفظتي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعاً غير متعمل فيملح ويبدع، ونحوه: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [النمل: ٢٢]، ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [النمل: ٢٢]، ﴿من سبإ بنبإ﴾(2) [النمل: ٢٢] وعن النبي ﷺ: «لَمْ تُعْطَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ ـ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ـ عِنْدَ المُصِيبَةِ إِلا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (٧٩١)، ألا ترى إلى

---

٧٩١ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢٧)، والطبري في تفسيره (٧/ ٢٧٥) رقم (١٩٦٦٤)، =

---

(١) قال محمود: «إن هذا شيء أردتموه... إلخ» قال أحمد: وهذا من الزمخشري إسلاف جواب عن سؤال، كأن قائلاً يقول: هم في الوقعة الأولى سولت لهم أنفسهم أمراً بلا مراء، وأما في هذه الوقعة الثانية فلم يتعمدوا في حق بنيامين سوءاً، ولا أخبروا أباهم إلا بالواقع على جليته وما تركوه بمصر إلا مغلوبين عن استصحابه، فما وجه قوله ثانياً ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ كما قال لهم أولاً، وإذا ورد السؤال على هذا التقرير فلا بد من زيد بسط في الجواب فنقول: كانوا عند يعقوب عليه السلام حينئذ متهمين، وهم قمن باتهامه لما أسلفوه في حق يوسف عليه السلام وقامت عنده قرينة تؤكد التهمة وتقويها، وهي أخذ الملك له في السرقة، ولم يكن ذلك إلا من دين يعقوب وحده لا من دين غيره من الناس ولا من عادتهم، وإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ تنبيهاً من الله تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم، فعلم أن الملك إنما فعل ذلك بفتواهم له به، وظن أنهم أفتوه بذلك بعد ظهور السرقة تعمداً ليتخلف أخوهم، وكان الواقع أنهم استفتوا من قبل أن يدعى عليهم السرقة، فذكروا ما عندهم، ولم يشعروا أن المقصود إلزامهم بما قالوا واتهام من هو بحيث تتطرق التهمة إليه لا حرج فيه، وخصوصاً فيما يرجع إلى الوالد من الولد. ويحتمل ـ والله أعلم ـ أن يكون الوجه الذي سوغ له هذا القول في حقهم أنهم جعلوا مجرد وجود الصواع في رحل من يوجد في رحله سرقة، من غير أن يحيلوا الحكم على ثبوت كونه سارقاً بوجه معلوم، وهذا في شرعنا لا يثبت السرقة على من ادعيت عليه، فإن كان شرعهم مثل شرعنا في ذلك ففتواهم إذاً غير محررة، وهو إشعار بأنهم كانوا حراصاً على ثبوت السرقة عليه، ويؤكد ذلك قولهم ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ يؤكدون بذلك ثبوت السرقة عليه، والله أعلم. وقوله لهم (بل سولت لكم أنفسكم أمراً) واقع بمكانه من حالهم، وإن كان شرعهم يقتضي ذلك مخالفاً لشرعنا، فالعمدة على الجواب الأول، والله المستعان.

(٢) قال السمين الحلبي: قلت: ويسمى هذا النوع «تجنيس التصريف»، وهو أن تشترك الكلمتان في =

يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع؛ وإنما قال يا أسفي».

فإن قلت: كيف تأسف على يوسف دون أخيه ودون الثالث، والرزء الأحدث أشدّ على النفس وأظهر أثراً؟

قلت: هو دليل على تمادي أسفه على يوسف، وأنه لم يقع فائت عنده موقعه، وأنّ الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا [من الطويل]:

فلم تنسني أوفى المصيبات بعده ....[1]

ولأنّ الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده، فكان الأسف عليه أسفاً على من لحق به، ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ﴾: إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر، قيل: قد عمي بصره، وقيل: كان يدرك إدراكاً ضعيفاً، قرئ: «من الحزن»، «ومن الحزن»، الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض،

= والبيهقي في شعب الإيمان (٧/١١٧) رقم (٩٦٩١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٤٠) حديث رقم (١٢٤١١).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الثعلبي من حديث محمد بن سعيد الهادي عن إسحاق بن الربيع بن سفيان بن زياد المعصفري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بهذا مرفوعاً، وأخرجه الطبراني في الدعاء من وجه آخر عن سفيان بن زياد. ورواه: عبد الرزاق من طريق الطبري عن الثوري عن سفيان عن زياد المعصفري عن سعيد بن جبير، أقول: وكذا رواه البيهقي في الشعب من رواية أبي عامر عن الثوري قال: ورفعه بعض الضعفاء وليس بشيء. انتهى.

= لفظ ويفرق بينهما بحرف ليس في الأخرى. انتهى الدر المصون.

(١) تعزيت عن أوفى بغيلان بعده عزاء وجفن العين ملآن مترع
فلم تنسني أوفى المصيبات بعده ولكن نكاء القرح بالقرح أوجع

لهشام بن عقبة العذري، يرثي أخاه ذي الرمة، واسمه غيلان بن عقبة. ويرثي أوفى بن دلهم. وقيل: يرثي أخويه. يقول: تعزيت أي تسليت عن أوفى بموت غيلان بعده، أي نابني ما يوجب النسيان الأول ولم أنسه، والحال أن جفن عيني ممتلئ بالدموع. أو المعنى: تكلفت التسلي فلم أقدر. ويقال: أترع الحوض إذا ملأه بالماء في المترع توكيد.ويجوز تشبيه الجفن بالحوض على طريق المكنية والإتراع تخييل، فلم تنسني أوفى المصيبات التي أصابتني بعده موت أخي غيلان، ولكن زادتني حزناً على حزني. والقرح: الجرح إذا اندمل ويبست جلبته. والنكاء: كشط تلك الجلبة. ويروى: ولكن نكأ بتشديد النون. والنكأ: التي منها وزن الضرب، فشبه حال مصيبته الأولى التي طرأ عليها غيرها فزادها بحال ذلك الجرح على سبيل التمثيلية، أي: ولكن نكأ القرح أوجع به من الحالة الأولى. وأظهر محل المضمر لإظهار التوجع والتفجع. أو المعنى: ولكن نكأ القرح الأول بقرح غيره أوجع بالإنسان مما كان، فبالقرح متغلق بأوجع، أو بنكاء.
ينظر: أساس البلاغة (نكأ)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ص ١١٠٥).

فكأنه حدث من الحزن، قيل: ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب، وعن رسول الله ﷺ أنه سأل جبريل ـ عليه السلام ـ: «مَا بَلَغَ مِنْ وَجْدِ يَعْقُوبَ عَلَى يُوسُفَ؟ قَالَ: وَجْدَ سَبْعِينَ ثَكْلَى، قَالَ: فَمَا كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ؟ قَالَ: أَجْرُ مائَة شَهِيدٍ، وَمَا سَاءَ ظَنُّهُ بِالله سَاعَةً قَطُّ» (٧٩٢).

فإن قلت: كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ؟

قلت: الإنسان مجبول على ألاَّ يملك نفسه عند الشدائد من الحزن؛ ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم، وقال: «القَلْبُ يَجْزَعُ، وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ، وَلا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ، وَإِنَّا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ» (٧٩٣)؛ وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة، ولطم الصدور والوجوه، وتمزيق الثياب، وعن النبي ﷺ أنه بكى على ولد بعض بناته، وهو يجود بنفسه، فقيل: يا رسول الله، تبكي وقد نهيتنا عن البكاء؟ فقال: «مَا نَهَيْتُكُم عَنِ الْبُكَاءِ؛ وَإِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ: صَوْتٌ عِنْدَ الفَرَحِ، وَصَوْتٌ عِنْدَ التَّرَحِ» (٧٩٤)؛ وعن الحسن أنه بكى على ولد أو غيره، فقيل له في ذلك، فقال: ما

---

٧٩٢ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٢٨١) رقم (١٩٧٢٤).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده مرفوعاً. وأخرجه الطبري من رواية عيسى بن يزيد عن الحسن البصري أنه قيل له: ما بلغ.. فذكره.

٧٩٣ ـ أخرجه البخاري (٣/ ٢٠٦) «كتاب الجنائز» «باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون» حديث رقم (١٣٠٣)، ومسلم (٨/ ٨٢) نووي «كتاب الفضائل»، «باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه حديث رقم (٢٣١٥).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
متفق عليه من حديث أنس.

٧٩٤ ـ أخرجه التِّرمذي (٣/ ٣١٨) «كتاب الجنائز»، «باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت»، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٢٩) حديث رقم (٩٧٣٧).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
قال المخرج عزاه الطيبي إلى الصحيحين فلم يصب. ولم يرد هذا في ولد بعض بناته، وإنما ورد في ولده إبراهيم؛ كما أخرجه التِّرمذي وابن أبي شيبة وإسحاق وعبد بن حميد وغيرهما من حديث جابر. وأخرجه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف نحوه. والذي ورد في بعض بناته متفق عليه من حديث أسامة، وفيه: «ففاضت عيناه فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده»، قلت: والأول إنما هو بلفظ: «قال عبد الرحمن بن عوف: أتبكي، أو لم تكن نهيت عن البكاء؟ قال: لا، ولكن نهيت عن صوتين أحمقين: صوت عند مصيبة، وخمش وجوه، ورنة شيطان، وشق جيوب. وصوت نغمة لعب ولهو ومزامير شيطان». انتهى.

رأيت الله جعل الحزن عاراً على يعقوب، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: فهو مملوء من الغيظ[1] على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم، فعيل بمعنى: مفعول؛ بدليل قوله: (وهو مكظوم): من كظم السقاء إذا شدّه على ملئه، والكظم بفتح الظاء: مخرج النفس، يقال: أخذ بأكظامه.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿تَفْتَؤُا۟﴾ أراد: لا تفتؤ، فحذف حرف النفي؛ لأنه لا يلتبس بالإثبات؛ لأنه لو كان إثباتاً لم يكن بدّ من اللام والنون؛ ونحوه [من الطويل]:

فَـقُـلْـتُ: يَـمِـيـنَ الله أَبْـرَحُ قَـاعِـداً ....[2]

ومعنى (لا تفتؤ): لا تزال، وعن مجاهد: لا تفتر من حبه، كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين؛ يقال: ما فتئ يفعل؛ قال أوس [من الطويل]:

فَـمَـا فَـتِـئَـتْ خَـيْـلٌ تَـثُـوبُ وَتَـدَّعِـي وَيَـلْـحَـقُ مِـنْـهَـا لاَحِـقٌ وَتَـقَـطَّـعُ[3]

---

(١) قوله: «فهو مملوء من الغيظ» أي الغضب الكامن. أفاده الصحاح. قوله: «ولا يظهر ما يسوؤهم» أي لما صنعوا بيوسف وأخيه (ع).

(٢) سـمـوت إلـيـهـا بـعـد مـا نـام أهـلـهـا سمو حباب الماء حالاً على حال
فـقـلـت: يـمـيـن الله أبـرح قـاعـداً ولـو قـطـعـوا رأسي لـديـك وأوصالي

لامرئ القيس. يقول: سموت إلى محبوبتي سلمى بعد نوم أهلها، ولم يسمع لي أحد صوتاً، ولم تشعر بي هي إلا وأنا عندها، كسمو حباب الماء فوقه بسهولة. وحباب الماء ـ بالضم: اسم لثعبان الماء. وحباب الماء ـ بالفتح ـ: فقاقعه التي تعلوه. وقوله: «حالاً على حال» واقع موقع الحال المؤكدة للتشبيه، أي: حالاً منطبقاً على حال ومساوياً له، كقولك «سواء بسواء» وههنا حذف، أي: فخوفتني بالقوم، فقلت: يمين الله أبرح، أي: لا أبرح قاعداً. وحذف «لا» النافية للمضارع بعد القسم كثير لأمن اللبس، ولأنه لولا تقديرها لوجب اقتران الفعل بلام جواب القسم أو بنون التوكيد أو بهما. ويمين: نصب بمحذوف، أي أحلف يمين الله، فهو كالمصدر النائب عن فعله. وبقية القصة تقدمت.

ينظر: ديوانه (١٢٥)، شواهد الكتاب ٣/ ٥٠٤، وأوضح المسالك ١/ ١٦٣، والخصائص ٢/ ٢٨٤، والدرر ٢/ ٤٢، والدر المصون ١/ ٤٦٢، فتح القدير ٣/ ٥٠.

(٣) لأوس بن حجر، وكنى بالخيل عن أصحابها. ويقال: ثاب وثوب، إذا لوح بطرف ثوبه عند النداء من بعيد. وتدعي: تفتعل من الدعاء أي يدعو بعضهم بعضاً. ويحتمل أن تثوب بمعنى ترجع، أي تذهب وترجع. ومعنى «تدعي» تلاحق وينتسب بعضها إلى بعض مجازاً، فيجوز أن الخيل حقيقة. أو شبه الخيل بالناس على طريق المكنية، والادعاء بمعنى التنادي تخييل، وهذان الوجهان أنسب بقوله: «ويلحق» أي يسبق منها سابق. وتقطع: أي تتقطع وينقطع بعضها عن بعض قطعاً قطعاً، فهي تجتمع وتفترق: صور الحرب من أولها إلى آخرها في هذا البيت، أي: فما زالت الخيل تفعل كذلك حتى انتهت الحرب.

ينظر: ديوانه (٥٨)، مجاز القرآن ١/ ٣١٦، والجمهرة ٣/ ٢٨٧، تفسير غريب القرآن ٢٢١، البحر ٥/ ٣٢٤، الطبري ١٣/ ٢٨، الدر المصون ٤/ ٢٠٩.

﴿حَرَضًا﴾: مشفياً على الهلاك مرضاً، وأحرضه المرض، ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث؛ لأنه مصدر، والصفة: حَرِض: بكسر الراء، ونحوهما: دنف ودنف، وجاءت القراءة بهما جميعاً، وقرأ الحسن: «حرضاً»: بضمتين؛ ونحوه في الصفات: رجل جنب وغرب.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

البث: أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه، فيبثه إلى الناس، أي: ينشره، ومنه: باثه أمره، وأبثه/ ١٧٤ب إياه، ومعنى ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ﴾: إني لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم؛ إنما أشكو إلى ربي داعياً له وملتجئاً إليه، فخلوني وشكايتي، وهذا معنى توليه عنهم، أي: فتولى عنهم إلى الله والشكاية إليه، وقيل: دخل على يعقوب جارٌ له فقال: يا يعقوب، قد تهشمت، وفنيت، وبلغت من السن ما بلغ أبوك! فقال: هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من همّ يوسف، فأوحى الله إليه: يا يعقوب، أتشكوني إلى خلقي؟ قال: يا رب، خطيئة أخطأتها فاغفر لي، فغفر له، فكان بعد ذلك إذا سئل قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾. وروي أنه أوحى إلى يعقوب: إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة، فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه، وإن أحب خلقي إليّ الأنبياء، ثم المساكين، فاصنع طعاماً وادع عليه المساكين، وقيل: اشترى جارية مع ولدها، فباع ولدها فبكت حتى عميت، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب، وروي أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله: هل قبضت روح يوسف؟ فقال: لا والله هو حيّ فاطلبه، وقرأ الحسن: «وَحَزَني»: بفتحتين، «وحُزُني»: بضمتين: قتادة.

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: فتعرّفوا منهما وتطلبوا خبرهما، وقرئ: بالجيم، كما قرئ بهما في الحجرات، وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة، ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ [آل عمران: ٥٢] ومن الجس، وهو: الطلب، ومنه قالوا لمشاعر الإنسان: الحواس، والجواس، ﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾: من فرجه وتنفيسه، وقرأ الحسن وقتادة: «من روح الله»: بالضم، أي: من رحمته التي يحيا بها العباد.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿الضُّرُّ﴾: الهزال من الشدّة والجوع، ﴿مُزۡجَىٰةٖ﴾: مدفوعة يدفعها كل تاجر؛ رغبة عنها واحتقاراً لها، من أزجيته إذا دفعته وطردته، والريح تزجي السحاب، قيل: كانت من متاع الأعراب صوفاً وسمناً، وقيل: الصنوبر وحبة الخضراء، وقيل: سويق المقل والأقط، وقيل: دراهم زيوفاً لا تؤخذ إلا بوضيعة، ﴿فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ﴾: الذي هو حقنا، ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾: وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة، أو زدنا على حقنا، فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة؛ لأنّ الصدقات محظورة على الأنبياء، وقيل: كانت تحل لغير نبينا، وسئل ابن عيينة عن ذلك؟ فقال: ألم تسمع: (وتصدّق علينا) أراد: أنها كانت حلالاً لهم، والظاهر أنهم تمسكنوا له، وطلبوا إليه أن يتصدّق عليهم، ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم، فلم يتمالك أن عرّفهم نفسه، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾: شاهد لذلك لذكر الله وجزائه، والصدقة: العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله، ومنه قول الحسن ـ لمن سمعه يقول: اللهم تصدق عليّ: ـ إن الله تعالى لا يتصدق؛ إنما يتصدق الذي يبتغي الثواب، قل: اللهم، أعطني، أو تفضل عليّ، أو ارحمني.

﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩﴾

﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم﴾: أتاهم من جهة الدين وكان حليماً موفقاً[(١)]، فكلمهم مستفهماً عن وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب، فقال: هل علمتم قبح: ﴿مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾: لا تعلمون قبحه؛ فلذلك أقدمتم عليه، يعني: هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه، لأنّ علم القبح يدعو إلى الاستقباح، والاستقباح يجرّ إلى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم، وتنصحاً لهم في الدين، لا معاتبة وتثريباً؛ إيثاراً لحق الله على حق نفسه، في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب، وينفث المصدور[(٢)]، ويتشفى المغيظ المحنق، ويدرك ثأره الموتور، فلله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها[(٣)]، ولله حصا عقولهم ما أرزنها وأرجحها، وقيل: لم يرد نفي العلم عنهم؛ لأنهم كانوا علماء، ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل[(٤)]، سماهم جاهلين، وقيل: معناه: إذ

---

(١) قال محمود: «أتاهم من جهة الدين وكان حليماً موفقاً، فكلمهم مستفهماً عن معرفة وجه القبح. . . إلخ» قال أحمد: ومن تلطفه بهم قوله ﴿إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ كالاعتذار عنهم، لأن فعل القبيح على جهل بمقدار قبحه أسهل من فعله على علم، وهم لو ضربوا في طرق الاعتذار لم يلفوا عذراً كهذا، ألا ترى أن موسى عليه السلام لما اعتذر عن نفسه لم يزد على أن قال: فعلتها إذاً وأنا من الضالين.

(٢) قوله: «وينفث المصدور. . . إلخ» المصدور: الذي يشتكي صدره. والمحنق: المغيظ. والموتور: الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، كذا في الصحاح (ع).

(٣) قوله: «ما أوطأها وأسجحها» أي ما أسهلها وما أرفقها، أفاده الصحاح. وفيه: فلان ذو حصاة، أي ذو عقل ولب، فحصا عقولهم: إضافة بيانية (ع).

(٤) قوله: «ولا يقدم عليه إلا جاهل» لعله عطف على المعنى لأن قوله: «لم يفعلوا. . . إلخ» بمعنى =

أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة، روي أنهم لما قالوا: مسنا وأهلنا الضر، وتضرعوا إليه: ارفضت عيناه، ثم قال هذا القول، وقيل: أدوا إليه كتاب يعقوب: من يعقوب إسرائيل الله بن إسْحَاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله، إلى عزيز مصر، أما بعد: فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء، أما جدّي فشدّت يداه ورجلاه، ورمي به في النار ليحرق، فنجاه الله وجعلت النار عليه برداً وسلاماً، وأما أبي: فوضع السكين على قفاه ليقتل، ففداه الله، وأمّا أنا فكان لي ابن وكان أحبَّ أولادي إليّ، فذهب به إخوته إلى البرية، ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم، وقالوا: قد أكله الذئب، فذهبت عيناي من بكائي عليه، ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمّه وكنت أتسلى به، فذهبوا به ثم رجعوا، وقالوا: إنه سرق، وأنك حبسته لذلك، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته عليّ وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك، والسلام»، فلما قرأ يوسف الكتاب، لم يتمالك وعيل صبره، فقال لهم ذلك، وروي أنه لما قرأ الكتاب، بكى وكتب الجواب: اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا.

فإن قلت: ما فعلهم بأخيه؟

قلت: تعريضهم إياه للغم والثكل[1] بإفراده عن أخيه لأبيه وأمّه، وجفاؤهم به، حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحداً منهم إلا كلام الذليل للعزيز، وإيذاؤهم له بأنواع الأذى.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾

قرئ: (أئنك): على الاستفهام، «وأنك»: على الإيجاب، وفي قراءة أبيّ: «أئنك أو أنت يوسف»: على معنى: أئنك يوسف أو أنت يوسف، فحذف الأوّل لدلالة الثاني عليه، وهذا كلام متعجب/ ١٧٥أ مستغرب لما يسمع، فهو يكرر الاستثبات.

فإن قلت: كيف عرفوه؟

قلت: رأوا في روائه[2] وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو، مع علمهم

= فعلوا مالا يقتضيه العلم (ع).

والثكل: فقدان المرأة ولدها، كما في الصحاح. والمراد هنا الحزن (ع).

قوله: «قلت رأوا في روائه» بالضم، أي منظره. أفاده الصحاح (ع).

بأنّ ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم، لا عن بعض أعزاء مصر، وقيل: تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم، وقيل: ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها، تشبه الشامة البيضاء.

فإن قلت: قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه؟ على أن أخاه كان معلوماً لهم.

قلت: لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه، ﴿مَن يَتَّقِ﴾: من يخف الله وعقابه، ﴿وَيَصۡبِرۡ﴾: عن المعاصي وعلى الطاعات، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ﴾: أجرهم، فوضع المحسنين موضع الضمير؛ لاشتماله على المتقين والصابرين، ﴿لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ أي: فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين، وإنّ شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم، لم نتق ولم نصبر، لا جرم أنّ الله أعزّك بالملك وأذلنا بالتمكن بين يديك، ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ﴾: لا تأنيب عليكم ولا عتب، وأصل التثريب: من الثرب، وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش، ومعناه: إزالة الثرب، كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع[1]؛ لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده، فضرب مثلاً للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه.

فإن قلت: بم تعلق اليوم؟[2].

قلت: بالتثريب، أو بالمقدر في: (عليكم)، من معنى الاستقرار، أو بيغفر، والمعنى: لا أثربكم اليوم، وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب، فما ظنكم بغيره من الأيام، ثم ابتدأ فقال: ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾: فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم، يقال: غفر الله لك، ويغفر الله لك: على لفظ الماضي والمضارع جميعاً، ومنه قول المشمت: «يهديكم الله ويصلح بالكم»، و(اليوم يغفر الله لكم): بشارة بعاجل غفران الله، لما تجدّد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم، وروي أن رسول الله ﷺ أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح، فقال لقريش: «مَا تَرُونَنِي فَاعِلاً بِكُمْ؟» قَالُوا: نَظُنُّ خَيْراً، أَخٌ كَرِيمٌ وَٱبْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، وقد

---

(١) قوله: «والقرع» في الصحاح «القرع» بالتحريك: بثر أبيض، يخرج بالنصال. والتقريع: معالجة الفصيل من القرع، ينزع ذلك منه (ع).

(٢) قال: «فإن قلت بم تعلق اليوم في قوله ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ ... إلخ»؟ قال أحمد: وهذا المعنى إنما يتوجه على الإعراب الأول وهو الأوجه. ألا ترى إلى قولهم بعد ذلك ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ وقوله (سوف أستغفر لكم ربي) دل على أنهم كانوا بعد في عهدة الذنب، ولو كان متعلقاً بيغفر للزم أن يقطعوا بغفران ذنبهم حينئذ بأخبار النبي الصديق. ويحتمل أن يقال: إنما أراد مغفرة ما يرجع إلى حقه دون حق أبيه، إذ الإثم كان مشتركاً بينهما، والله أعلم.

قدرت، فقال: «أَقُولُ مَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ» (٧٩٥)، وروي أنّ أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس: إذا أتيت الرسول فاتل عليه: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾، ففعل، فقال رسول الله ﷺ «غَفَرَ الله لَكَ وَلِمَنْ عَلَّمَكَ» (٧٩٦). ويروى أن إخوته لما عرفوه وأرسلوا إليه: إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشية، ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك، فقال يوسف: إنّ أهل مصر وإن ملكت فيهم، فإنهم ينظرون إليّ بالعين الأولى، ويقولون: سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ، ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون؛ حيث علم الناس أنكم إخوتي، وأني من حفدة إبراهيم، ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾ قيل: هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة، أمره جبريل ـ عليه السلام ـ أن يرسله إليه؛ فإنّ فيه ريح الجنة، لا يقع على مبتلي ولا سقيم إلا عوفي، ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾: يصر بصيراً؛ كقولك: جاء البناء محكماً، بمعنى: صار، ويشهد له: (فارتدّ بصيراً)، أو: يأت إليّ وهو بصير؛ وينصره قوله: ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: يأتني أبي، ويأتني آله جميعاً، وقيل: يهوذا هو الحامل، قال: أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخاً بالدم إليه، فأفرحه كما أحزنته، وقيل: حمله وهو حاف حاسر[1] من مصر إلى كنعان، وبينهما مسيرة ثمانين فرسخاً.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾: خرجت من عريش مصر، يقال: فصل من البلد فصولاً: إذا انفصل

---

٧٩٥ ـ أخرجه النّسائي (٦/ ٣٨٢) رقم (١١٢٩٨)، وذكره البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٥٨)، وأخرجه ابن هشام في السيرة (٤/ ٣٤) رقم (١٦٨١).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه النّسائي والبيهقي من رواية ثابت عن عبد الرحمن بن رباح عن أبي هريرة وأتم منه، وأخرجه الثعلبي من رواية سمعان عن عطاء عن ابن عباس بهذا اللفظ وأتم منه، وكذا ذكره ابن إسحاق عن بعض أهل العلم، وقال فيه: «قدرت فاسمح»، وكذا أخرجه الواقدي في المغازي من حديث برة بنت تجراة، ورواه أبو عبيد في الأموال عن إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبدالرحمن بن أبي حسين. انتهى.
٧٩٦ ـ أخرجه ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار وقال: غريب جدا.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده.

---

(١) قوله: «وهو حاف حاسر» أي لا مغفر له ولا درع، أفاده الصحاح (ع).

منه وجاوز حيطانه، وقرأ ابن عباس: فلما انفصل العير، ﴿قَالَ﴾: لولد ولده ومن حوله من قومه: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾: أوجده الله ريح القميص؛ حين أقبل من مسيرة ثمان، والتفنيد: النسبة إلى الفند، وهو الخرف وإنكار العقل من هرم، يقال: شيخ مفند، ولا يقال عجوز مفندة؛ لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها، والمعنى: لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني، ﴿لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾: لفي ذهابك عن الصواب قدماً في إفراط محبتك ليوسف، ولهجك بذكره، ورجائك للقائه، وكان عندهم أنه قد مات، ﴿أَلْقَاهُ﴾: طرح البشير القميص على وجه يعقوب، أو ألقاه يعقوب، ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾: فرجع بصيراً، يقال: ردّه فارتد، وارتده إذا ارتجعه، ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ يعني: قوله: (إني لأجد ريح يوسف)، أو قوله: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾، وقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾: كلام مبتدأ لم يقع عليه القول، ولك أن توقعه عليه وتريد قوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، روي: أنه سأل البشير كيف يوسف؟ فقال: هو ملك مصر، فقال: ما أصنع بالملك؟ على أي دين تركته؟ قال: على دين الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ قيل: أخر الاستغفار إلى وقت السحر، وقيل: إلى ليلة الجمعة؛ ليتعمد به وقت الإجابة، وقيل: ليتعرّف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها، وقيل: أراد الدوام على الاستغفار لهم، فقد روي أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة، وقيل: قام إلى الصلاة في وقت السحر، فلما فرغ رفع يديه وقال: اللهمّ، اغفر لي جزعي على يوسف، وقلة صبري عنه، واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيهم، فأوحى إليه: إنّ الله قد غفر لك ولهم أجمعين، وروي أنهم قالوا له وقد علتهم الكآبة: ما يغني عنا عفوكما إن لم يعف عنا ربنا، فإن لم يوح إليك بالعفو، فلا قرّت لنا عين أبداً، / ١٧٥ب فاستقبل الشيخ القبلة قائماً يدعو، وقام يوسف خلفه يؤمّن، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة، حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: «إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك، وعقد مواثيقهم بعدك على النبوّة، وقد اختلف في استنبائهم.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي

حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ قيل: وجه يوسف إلى أبيه جهازاً ومائتي راحلة ليتجهز إليه بمن معه، وخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم، فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا، فنظر إلى الخيل والناس فقال: يا يهوذا، أهذا فرعون مصر؟ قال: لا، هذا ولدك، فلما لقيه، قال يعقوب ـ عليه السلام ـ: السلام عليك يا مذهب الأحزان، وقيل: إن يوسف قال له لما التقيا: يا أبت، بكيت عليّ حتى ذهب بصرك، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ فقال: بلى، ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك، وقيل: إنّ يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون، ما بين رجل وامرأة، وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلاً سوى الذرية والهرمى، وكانت الذرّية ألف ألف ومائتي ألف، ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: ضمهما إليه واعتنقهما، قال ابن أبي إسْحاق: كانت أمّه تحيى، وقيل: هما أبوه وخالته، ماتت أمّه فتزوّجها وجعلها أحد الأبوين؛ لأنّ الرابة تدعى أمّا؛ لقيامها مقام الأمّ، أو لأنّ الخالة أمّ كما أنّ العم أب، ومنه قوله: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾.

فإن قلت: ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر؟

قلت: كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب[1] أو بيت ثم، فدخلوا عليه وضمّ إليه أبويه، ثم قال لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾، ولما دخل مصر، وجلس في مجلسه مستوياً على سريره واجتمعوا إليه، أكرم أبويه فرفعهما على السرير، ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ﴾ يعني: الإخوة الأحد عشر والأبوين، ﴿سُجَّدًا﴾، ويجوز أن يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال، فأمر أن يرفع إليه أبواه، فدخلا عليه القبة، فآواهما إليه بالضم والاعتناق وقرّبهما منه، وقال بعد ذلك: ادخلوا مصر.

فإن قلت: بم تعلقت المشيئة؟

قلت: بالدخول مكيفاً بالأمن؛ لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم، فكأنه قيل لهم: اسلموا وأمنوا في دخولكم إن شاء الله، ونظيره قولك للغازي: ارجع سالماً غانماً إن شاء الله، فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقاً، ولكن مقيداً بالسلامة والغنيمة، مكيفاً بهما، والتقدير: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين، ثم حذف الجزاء؛ لدلالة الكلام عليه، ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال، ومن بدع التفاسير أن

---

(١) قوله: «في مضرب» عبارة النسفي: مضرب خيمة (ع).

قوله: (إن شاء الله): من باب التقديم والتأخير، وأن موضعها ما بعد قوله: ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ﴾: في كلام يعقوب، وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره.

فإن قلت: كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله؟

قلت: كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة، كالقيام، والمصافحة، وتقبيل اليد، ونحوها مما جرت عليه عادة الناس، من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير، وقيل: ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه، وخرورهم سجداً يأباه، وقيل: معناه: وخرّوا لأجل يوسف سجداً لله شكراً، وهذا ـ أيضاً ـ فيه نبوة، يقال: أحسن إليه وبه؛ وكذلك أساء إليه وبه؛ قال [من الطويل]:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لاَ مَلُومَةً ....[1]

﴿مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾: من البادية؛ لأنهم كانوا أهل عمد، وأصحاب مواش، ينتقلون في المياه والمناجع، ﴿نَّزَغَ﴾: أفسد بيننا وأغرى، وأصله: من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري، يقال: نزغه ونسغه: إذا نخسه، ﴿لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُ﴾: لطيف التدبير لأجله، رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب، وروي أن يوسف أخذ بيد يعقوب، فطاف به في خزائنه، فأدخله خزائن الورق والذهب، وخزائن الحليّ، وخزائن الثياب، وخزائن السلاح، وغير ذلك، فلما أدخله خزانة القراطيس، قال: يا بنيّ، ما أعقك: عندك هذه القراطيس، وما كتبت إليّ على ثمان مراحل؟ قال: أمرني جبريل، قال: أو ما تسأله؟ قال: أنت أبسط إليه مني فسله، قال جبريل ـ عليه السلام ـ: الله تعالى أمرني بذلك لقولك: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ قال: فهلا خفتني؟ وروي أن يعقوب أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم مات، وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحاق، فمضى بنفسه ودفنه ثمة، ثم عاد إلى مصر، وعاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة، فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له، طلبت نفسه الملك الدائم الخالد، فتاقت نفسه إليه فتمنى الموت، وقيل: ما تمناه نبيّ قبله ولا بعده، فتوفاه الله طيباً طاهراً، فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه: كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال، فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقاً من مرمر وجعلوه فيه، ودفنوه في النيل بمكان يمرّ عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعاً واحداً[2]، وولد له: إفراثيم وميشا، وولد لإفراثيم نون، ولنون يوشع فتى موسى، ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر، ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم

---

(١) تقدم.

(٢) قوله: «ليكونوا كلهم فيه شرعاً واحداً» في الصحاح: الناس في هذا الأمر شرع، أي سواء، يحرك ويسكن (ع).

على بقايا دين يوسف وآبائه، إلى أن بعث الله موسى، ﷺ.

﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

«من» في: ﴿مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾، و﴿مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: للتبعيض؛ لأنه لم يعط إلا بعض ملك الدنيا، أو بعض ملك مصر وبعض التأويل، ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾: أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين، وبوصل الملك الفاني بالملك الباقي، ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾: طلب للوفاة على حال الإسلام، ولأن يختم له بالخير/ ١٧٦أ والحسنى، كما قال يعقوب لولده: ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ويجوز أن يكون تمنياً للموت على ما قيل: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من آبائي أو على العموم، وعن عمر بن عبد العزيز: أنّ ميمون بن مهران بات عنده، فرآه كثير البكاء والمسألة للموت، فقال له: صنع الله على يديك خيراً كثيراً: أحييت سنناً، وأمت بدعاً، وفي حياتك خير وراحة للمسلمين، فقال: أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقرّ الله عينه وجمع له أمره، قال: «توفني مسلماً وألحقني بالصالحين».

فإن قلت: علام انتصب فاطر السموات؟

قلت: على أنه وصف لقوله: (رب)؛ كقولك: أخا زيد حسن الوجه، أو على النداء.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف، والخطاب لرسول الله ﷺ ومحله الابتداء، وقوله: ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: خبر إنّ، ويجوز أن يكون اسماً موصولاً بمعنى: الذي، و﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: صلته و(نوحيه): الخبر، والمعنى: أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي؛ لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم، وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر؛ كقوله: ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾، وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه؛ لأنه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه، ولا لقي فيها أحداً ولا سمع منه، ولم يكن من علم قومه، فإذا أخبر به وقصّ هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته، لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي، فإذا أنكروه تهكم بهم، وقيل لهم: قد علمتم يا مكابرة، أنه لم يكن مشاهداً لمن مضى من القرون الخالية، ونحوه: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤]، ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: بيوسف، ويبغون له الغوائل.

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾: يريد العموم؛ كقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أراد أهل مكة، أي: وما هم بمؤمنين، ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾: وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم، ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾: على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى، كما يعطي حملة الأحاديث والأخبار، ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾: عظة من الله، ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: عامة، وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله.

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿مِّنۡ ءَايَةٖ﴾: من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده، ﴿يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾: ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها، وقرئ: (والأرض): بالرفع على الابتداء، ويمرون عليها: خبره، وقرأ السدّي: (والأرض): بالنصب على: ويطؤون الأرض يمرّون عليها، وفي مصحف عبد الله: «والأرض يمشون عليها»: برفع الأرض، والمراد: ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر.

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم﴾: في إقراره بالله، وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض، إلا وهو مشرك بعبادته الوثن، وعن الحسن: هم أهل الكتاب، معهم شرك وإيمان، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هم الذين يشبهون الله بخلقه.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿غَٰشِيَةٞ﴾: نقمة تغشاهم، وقيل: ما يغمرهم من العذاب ويجللهم، وقيل: الصواعق.

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾: هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي، والسبيل والطريق: يذكران ويؤنثان، ثم فسر سبيله بقوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، أي: ادعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء، و﴿أَنَا۠﴾: تأكيد للمستتر في: (أدعو)، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾: عطف عليه، يريد: أدعو إليها أنا، ويدعو إليها من اتبعني، ويجوز أن يكون: (أنا): مبتدأ، و(على بصيرة): خبراً مقدّماً، و(من اتبعني): عطفاً على (أنا): إخباراً مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان، لا على هوى، ويجوز أن يكون (على بصيرة): حالاً

من (أدعو): عاملة الرفع في: (أنا ومن اتبعني)، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: وأنزهه من الشركاء[1].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩)﴾

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾: لا ملائكة؛ لأنهم كانوا يقولون: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد ليست فيهم امرأة، وقيل: في سجاح المتنبئة [من البسيط]:

.... وَلَمْ تَزَلْ أَنْبِيَاءُ اللهِ ذُكْرَانَا[2]

وقرئ: «نوحي إليهم»: بالنون[3]، ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾؛ لأنهم أعلم وأحلم، وأهل البوادي فيهم الجهل، والجفاء والقسوة، ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: ولدار الساعة، أو الحال الآخرة، ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾: للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه، وقرئ: «أفلا تعقلون»: بالتاء والياء.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ (١١٠)﴾

---

(١) قوله: «وأنزهه من الشركاء» لعله «عن» (ع).

(٢)
أضحت نبيتنا أنثى نساء بها ... ولم تزل أنبياء الله ذكرانا
فلعنة الله والأقوام كلهم ... على سجاح ومن بالإفك أغرانا
أعني مسيلمة الكذاب لا سقيت ... أصداؤه ماء مزن حيثما كانا

لقيس بن عاصم. ويروى: نطيف بها، بدل نساء بها. وطاف به يطوف: دار حوله. وطاف به يطيف: أتى عليه ونزل به. وهذا مبني للمجهول منه، عطف على أضحت. ويروى بدل الشطر الأول، فما سمعت بأنثى قط أرسلها، فالفاعل ضمير الله وإن لم يتقدم له مرجع لظهوره. ويروى بدل الثاني: وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا. وسجاح: علم امرأة من سجح إذا سمح وعفا، وهي بنت المنذر، كانت شريفة في قومها بني حنيفة، فادعت النبوة، ثم تزوجت بمسيلمة الكذاب فاتبعه قومها، ثم حاربه أبو بكر رضي الله عنه فقتل على يدي وحشي قاتل حمزة، فأسلمت بعده وحسن إسلامها. ويروى «باللؤم» بدل الإفك. ولا سقيت: جملة دعائية. والأصداء: جمع صدي، وهو ذكر البوم: كانت العرب تزعم أن عظام رأس القتيل تصير بومة تزقو وتصيح: أدركوني أدركوني، حتى يؤخذ بثأره، وهي هنا مجاز عن جثته كلها. والمزن واحده مزنة وهو السحاب، أي: اللهم اجعل قبره حارا عليه لا يناله غيث.

(٣) قوله: «وقرئ ﴿نُوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ بالنون مبنيا للمعلوم؛ فتكون القراءة الأصلية بالياء، مبنيا للمجهول (ع).

﴿حَتَّىٰٓ﴾: متعلقة بمحذوف دلّ عليه الكلام، كأنه قيل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾: فتراخى نصرهم حتى استيأسوا عن النصر، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ أي: كذبتهم أنفسهم[1]، حين حدّثتهم بأنهم ينصرون، أو رجاؤهم لقولهم: رجاء صادق، ورجاء كاذب، والمعنى: أنّ مدّة التكذيب والعداوة من الكفار، وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت، حتى استشعروا القنوط، وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا، فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر[2]، وقال: كانوا بشراً، وتلا قوله: ﴿وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٢١٤]، فإن صح هذا عن ابن عباس، فقد أراد بالظنّ: ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية، وأمّا الظن الذي هو ترجح أحد الجائزين على الآخر، فغير جائز على رجل من المسلمين، فما بال رسل الله/ ١٧٦ب الذين هم أعرف الناس بربهم، وأنه متعال عن خلف الميعاد، منزه عن كل قبيح؟ وقيل: وظن المرسل إليهم أنّ الرسل قد كذبوا، أي: أخلفوا، أو: وظنّ المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل، أي: كذبتهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم ولم يصدّقوهم فيه، وقرئ: «كذبوا»: بالتشديد على: وظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم، وقرأ مجاهد: «كَذَبوا»: بالتخفيف، على البناء للفاعل، على: وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة، إمّا على تأويل ابن عباس، وإمّا على أنّ قومهم إذا لم يروا لموعدهم أثراً قالوا لهم: إنكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم، أو وظنّ المرسل إليهم أنّ الرسل قد كذبوا، ولو قرئ بهذا مشدّداً، لكان معناه: وظنّ الرسل أن قومهم كذبوهم في موعدهم، قرئ: «فننجي»: بالتخفيف والتشديد، من أنجاه ونجاه، «وفنجى»: على لفظ الماضي المبني للمفعول، وقرأ ابن محيصن: «فنجا»، والمراد بـ ﴿مَن نَّشَآءُۖ﴾: المؤمنون؛ لأنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم، وقد بين ذلك بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾

---

(١) قال محمود: «معناه يئسوا من النصر وظنوا أن أنفسهم كذبتهم... إلخ» قال أحمد: ولا يلزم أن يكون الله وعدهم بالنصر في الدنيا، بل كانوا يظنون ذلك ويرجونه لا عن إخبار ووحي.

(٢) عاد كلامه. قال: «ونقل عن ابن عباس أنه قال: فظنوا حين ضعفوا وغلبوا... إلخ» قال أحمد: وهذا أيضاً تأويل حسن ينظم بين القراءتين؛ لأن ظن الأمم كذب رسلهم تكذيب لهم، فيؤدي مؤدى قراءة التشديد.

الضمير في ﴿قَصَصِهِمْ﴾: للرسل؛ وينصره قراءة من قرأ: ﴿فِي قِصَصِهِمْ﴾: بكسر القاف، وقيل: هو راجع إلى يوسف وإخوته.

فإن قلت: فإلام يرجع الضمير في: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ فيمن قرأ بالكسر؟

قلت: إلى القرآن، أي: ما كان القرآن حديثاً يفترى، ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: قبله من الكتب السماوية، ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه في الدين؛ لأنه القانون الذي يستند إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل، وانتصاب ما نصب بعد: (لكن): للعطف على خبر كان، وقرئ: (ذلك): بالرفع على: ولكن هو تصديق الذي بين يديه.

عن رسول الله ﷺ: «عَلِّمُوا أَرِقَّاءَكُمْ سُورَةَ يُوسُفَ؛ فَإِنَّهُ أَيُّمَا مُسْلِمٍ تَلاهَا وَعَلَّمَها أَهْلَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ هَوَّنَ اللهُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَأَعْطَاهُ الْقُوَّةَ أَلا يَحْسِدَ مُسْلِماً» (٧٩٧).

---

٧٩٧ ـ ذكره ابن كثير في تفسيره (٤٦٦/٢) في تفسير سورة يوسف، وقال الزيلعي: رواه الثعالبي في تفسيره عن أُبَيّ بن كعب وهو حديث ضعيف، وعزاه الزيلعي لابن مردويه في تفسيره بسنديه المذكورين في آل عمران، وللواحدي في تفسيره الوسيط بسنده المذكور في سورة يونس، وينظر حديث (٣٤٦).
وقال الحافظ: تقدم إسناده في تفسير آل عمران وهو في آخر آل عمران، وفي آخر الكتاب أيضاً. انتهى.

سُورَةُ الرَّعْدِ

[مَدَنِيَّةٌ، وَقِيلَ] مُخْتَلَفٌ فِيهَا

وَهِيَ ثَلاثٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً [نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ مُحَمَّدٍ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾: إشارة إلى آيات السورة، والمراد بالكتاب السورة، أي: تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، من القرآن كله، هو: ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الذي لا مزيد عليه، لا هذه السورة وحدها، وفي أسلوب هذا الكلام قول الأنمارية: هم كالحلقة[1] المفرعة، لا يدرى أين طرفاها؟ تريد الكملة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، و﴿ٱلَّذِى﴾: خبره؛ بدليل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾، ويجوز أن يكون صفة، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: خبر بعد خبر؛ وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات، ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك، وقيل: هي صفة لعمد، ويعضده قراءة أبيّ: «ترونه»، وقرئ: «عمد»: بضمتين، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يدبر أمر ملكوته وربوبيته، ﴿يُفَصِّلُ﴾: آياته في كتبه المنزلة، ﴿لَعَلَّكُم تُوقِنُونَ﴾: بالجزاء، وبأن هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع إليه، وقرأ الحسن: «ندبر»: بالنون، ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين مدّها، ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت، وقيل: أراد بالزوجين: الأسود والأبيض، والحلو والحامض، والصغير والكبير، وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة، ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: يلبسه

---

(١) قوله: «الأنمارية هم كالحلقة» أي في أولادها (ع).

مكانه، فيصير أسود مظلماً بعد ما كان أبيض منيراً، وقرئ: «يغشى»: بالتشديد.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: بقاع مختلفة، مع كونها متجاورة متلاصقة، طيبة إلى سبخة، وكريمة إلى زهيدة[1]، وصلبة إلى رخوة، وصالحة للزرع لا للشجر إلى أخرى على عكسها، مع انتظامها جميعاً في جنس الأرضية؛ وذلك دليل على قادر مريد، موقع لأفعاله على وجه دون وجه، وكذلك الزروع والكروم والنخيل النابتة في هذه القطع، مختلفة الأجناس والأنواع، وهي تسقى بماء واحد، وتراها متغايرة الثمر في الأشكال والألوان والطعوم والروائح، متفاضلة فيها، وفي بعض المصاحف: «قطعاً متجاورات» على: وجعل، وقرئ: «وجنات»: بالنصب للعطف على زوجين، أو بالجرّ على كل الثمرات، وقرئ: «وزرع ونخيل»: بالجرّ عطفاً على أعناب أو جنات، والصنوان: جمع صنو، وهي النخلة لها رأسان، وأصلهما واحد، وقرئ بالضم، والكسر: لغة أهل الحجاز، والضم: لغة بني تميم وقيس، ﴿تُسْقَىٰ﴾: بالتاء والياء، ﴿وَنُفَضِّلُ﴾: بالنون، وبالياء: على البناء للفاعل والمفعول جميعاً، ﴿فِي ٱلْأُكُلِ﴾: بضم الكاف وسكونها.

﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾: يا محمد من قولهم في إنكار البعث، فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه؛ لأن من قدر على إنشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهنّ، كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره، فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب، ﴿أَءِذَا كُنَّا﴾: إلى آخر قولهم: يجوز أن يكون في محل الرفع بدلاً من قولهم، وأن يكون منصوباً بالقول، وإذا نصب بما دل عليه قوله: ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾: أولئك الكاملون المتمادون في كفرهم، ﴿وَأُولَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾/ ١٧٧أ: وصف بالإصرار؛ كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾؛ ونحوه [من البسيط]:

.... لَـهُـمْ عَـنِ الـرُّشْـدِ أَغْـلَالٌ وَأَقْـيَـادُ[2]

(١) قوله: «زهيدة» في الصحاح: واد زهيد قليل الأخذ للماء، وأرض زهاد: أي لا تسيل إلا عن مطر كثير (ع).

(١) ضلوا وإن سبيل الغي مقصدهم لـهـم عـن الـرشـد أغـلال وأقـيـاد

أو هو من جملة الوعيد.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾

﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: بالنقمة قبل العافية، والإحسان إليهم بالإمهال؛ وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب؛ استهزاء منهم بإنذارهم، ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين، فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا، والمثلة: العقوبة: بوزن السمرة، والمثلة لما بين[1] العقاب والمعاقب عليه من المماثلة، (وجزاء سيئة سيئة مثلها)، ويقال: أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه، والمثال: القصاص، وقرئ: (المثلات): بضمتين لإتباع الفاء العين، «والمَثْلات»: بفتح الميم وسكون الثاء، كما يقال: السمرة[2]، و«المُثْلات»: بضم الميم وسكون الثاء، تخفيف المثلات بضمتين، والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات[3]، ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي: مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب، ومحله الحال، بمعنى: ظالمين لأنفسهم[4] وفيه أوجه: أن يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر، أو الكبائر بشرط التوبة، أو يريد بالمغفرة الستر والإمهال، وروي أنها لما نزلت قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لَوْلا عَفْوُ الله وَتَجَاوُزُهُ مَا هَنَأَ أَحَدٌ العَيْشَ، وَلَوْلاَ وَعِيدُهُ وَعِقَابُهُ لاتَّكَلَ كُلُّ أَحَدٍ» (٧٩٨).

---

٧٩٨ ـ عزاه الزيلعي لابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن المسيب، وللثعالبي في تفسيره وهو مرسل، وللواحدي في تفسيره الوسيط. ينظر «تخريج الكشاف» (٢/ ١٨٣).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن أبي حاتم والثعلبي من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب: لما نزلت: ﴿وإن ربك لذو مغفرة...﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ ... فذكره.

= سبيل الغي: مجاز عما هم عليه من الأحوال الخبيثة. والغل: ما تشد به اليد إلى العنق والقيد للرجلين «وهما مجاز عن الغفلة واتباع رأي النفس». يقول: سلكوا طريق الهوى وتركوا طريق الهدى.
ينظر: البحر المحيط ٣٥٩/٥، والألوسي ١٣/ ١٠٥، والرازي: ١٩/ ١٠.

(١) قوله: «المثلة لما بين» عبارة النسفي «والمثلة العقوبة لما بين... إلخ» (ع).

(٢) قوله: «كما يقال السمرة» لعله السمرة والسمرات (ع).

(٣) قوله: «كركبة وركبات» في الصحاح الركبة معروفة وجمع القلة ركبات وركبات وركبات. وفي هامشه عن مرتضى: أي بسكون الكاف وضمها وفتحها، والراء مضمومة فيهن (ع).

(٤) قال محمود: «ومحل على ظلمهم الحال بمعنى ظالمين لأنفسهم... إلخ» قال أحمد: والوجه الحق بقاء الوعد على إطلاقه إلا حيث دل الدليل على التقييد في غير الموحد، فإن ظلمه أعني =

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾: لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله ﷺ عناداً، فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى، من انقلاب العصا حية، وإحياء الموتى، فقيل لرسول الله ﷺ: إنما أنت رجل أرسلت منذراً ومخوّفاً لهم من سوء العاقبة، وناصحاً كغيرك من الرسل، وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر، وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت، والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوة بها لا تفاوت بينها، والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: من الأنبياء يهديهم إلى الدين، ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية، وبآية خص بها، ولم يجعل الأنبياء شرعاً واحداً[1] في آيات مخصوصة، ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى: أنهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات ويعاندون، فلا يهمنك ذلك؛ إنما أنت منذر، فما عليك إلا أن تنذر لا أن تثبت الإيمان في صدورهم، ولست بقادر عليه، ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالإلجاء، وهو الله تعالى، ولقد دل بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الأشياء على قضاء حكمته أن إعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره: أمر مدبر بالعلم النافذ مقدّر بالحكمة الربانية، ولو علم في إجابتهم إلى مقترحهم خيراً ومصلحة، لأجابهم إليه، وأما على الوجه الثاني: فقد دل به على أن من هذه قدرته وهذا علمه، هو القادر وحده على هدايتهم، العالم بأي طريق يهديهم، ولا سبيل إلى ذلك لغيره.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: يحتمل أن يكون كلاماً مستأنفاً، وأن يكون المعنى: هو الله؛ تفسيراً لهاد على الوجه الأخير، ثم ابتدئ فقيل: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾، «وما» في (ما تحمل)، (وما تغيض)، (وما تزداد) إما: موصولة، وإما: مصدرية، فإن كانت موصولة، فالمعنى: أنه يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو، من ذكورة وأنوثة، وتمام وخداج[2]، وحسن وقبح، وطول وقصر، وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبة،

= شركه لا يغفر وما عدا الشرك فغفرانه في المشيئة. والزمخشري يبني على عقيدته التي وضح فسادها، في استحالة الغفران لصاحب الكبائر وإن كان موحداً إلا بالتوبة، فيقيد مطلقاً، ويحجر واسعاً، والله الموفق.

(١) قوله: «ولم يجعل الأنبياء شرعاً واحداً» أي سواء، كذا في الصحاح (ع).

(٢) قوله: «خداج» في الصحاح: خدجت الناقة خداجاً: ألقت ولدها قبل تمام الأيام، فهي خادج، وهو خديج، وأخدجت: إذا جاءت به ناقص الخلق، فهو مخدج، وهو مخدج اهـ (ع).

ويعلم ما تغيضه الأرحام: أي تنقصه، يقال: غاض الماء وغضته أنا، ومنه قوله تعالى؛ ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: ٤٤]، وما تزداده: أي: تأخذه زائداً، تقول: أخذت منه حقي، وازددت منه كذا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾، ويقال: زدته فزاد بنفسه وازداد، ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد؛ فإنها تشتمل على واحد، وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة، ويروى أن شريكاً كان رابع أربعة في بطن أمه، ومنه جسد الولد؛ فإنه كان يكون تاما ومخدجاً، ومنه مدة ولادته؛ فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة، وإلى أربع عند الشافعي، وإلى خمس عند مالك، وقيل: إنّ الضحاك ولد لسنتين، وهرم بن حيان بقي في بطن أمّه أربع سنين؛ ولذلك سمي هرماً، ومنه الدم؛ فإنه يقل ويكثر، وإن كانت مصدرية، فالمعنى: أنه يعلم حمل كل أنثى، ويعلم غيض الأرحام وازديادها، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ومن أوقاته وأحواله، ويجوز أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته، فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها، على أنّ الفعلين غير متعدّيين؛ ويعضده قول الحسن: الغيضوضة أن تضع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك، والازدياد أن تزيد على تسعة أشهر، وعنه: الغيض الذي يكون سقطاً لغير تمام، والازدياد ما ولد لتمام، ﴿بِمِقْدَارٍ﴾: بقدر وحدّ لا يجاوزه ولا ينقص عنه؛ كقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: العظيم الشأن الذي كل شيء دونه، ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾: المستعلي على كل شيء بقدرته، أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾

﴿وَسَارِبٌۢ﴾: ذاهب في سربه ـ بالفتح ـ أي: في طريقه ووجهه، يقال: سرب في الأرض سروباً، والمعنى: سواء عنده من استخفى: أي طلب الخفاء في مختبإ بالليل: في ظلمته، ومن يضطرب في الطرقات ظاهراً بالنهار يبصره كل أحد/ ١٧٧ب.

فإن قلت: كان حق العبارة أن يقال: ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار[(١)]، حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب، وإلا فقد تناول واحداً هو

(١) قال محمود: «إن قلت كان من حق الكلام أن يقال: ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار. . . إلخ» قال أحمد: فمقتضى السؤال الذي أورده الزمخشري أن تكون الواو عاطفة لإحدى الصفتين على الأخرى، ومقتضى ما أجاب به أن يعطف أحد الموصوفين على الآخر، وتحتمل الآية وجها آخر: وهو أن يكون الموصول محذوفاً وصلته باقية. والمعنى: ومن هو مستخف بالليل ومن =

مستخف وسارب.

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أنّ قوله: (وسارب): عطف على (من هو مستخف)، لا على (مستخف).

والثاني: أنه عطف على (مستخف)؛ إلا أن (من): في معنى الاثنين؛ كقوله [من الطويل]:

.... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ[1]

كأنه قيل: سواء منكم اثنان: مستخف بالليل، وسارب بالنهار، والضمير في ﴿لَهُۥ﴾: مردود على (من)؛ كأنه قيل: لمن أسرّ ومن جهر، ومن استخفى ومن سرب، ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾: جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته، والأصل: معتقبات، فأدغمت التاء في القاف؛ كقوله: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ [التوبة: ٩٠]، بمعنى: المتعذرون،

= هو سارب بالنهار، وحذف الموصول المعطوف وبقاء صلته شائع، وخصوصاً وقد تكرر الموصول في الآية ثلاثاً، ومنه قوله تعالى ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ والأصل: ولا ما يفعل بكم، وإلا كان حرف النفي دخيلاً في غير موضعه؛ لأن الجملة الثانية لو قدرت داخلة في صلة الأول بواسطة العاطف لم يكن للنهي موقع، وإنما صحب في الأول الموصول لا الصلة. ومنه [من الوافر]:

فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء

أي ومن يمدحه وينصره، والله أعلم

(١) فبت أقد الزاد بيني وبينه ... على ضوء نار مرة ودخان

فقلت له لما تكشر ضاحكاً ... وقائم سيفي من يدي بمكان

تعال فإن عاهدتني لا تخونني ... نكن مثل من ياذئب يصطحبان

أأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما ... أخيين كانا أرضعا بلبان؟

للفرزدق، يصف ذئباً أتاه في مفازة فبات يقطع الزاد ويقسمه بينه وبينه، حال كونهما مشرفين على ضوء نار تارة وعلى دخانها أخرى، دلالة على تكرر إيقادها. وتكشر: أبدى أنيابه كالضاحك. وقائم سيفي: أي والحال أن مقبض سيفي بمكان عظيم من يدي، دلالة على الحرص والجراءة. تعال: أي أقبل إلي نتعاهد. ويروى تعش أي كل العشاء، فإن عاهدتني بعد ذلك والتزمت أنك لا تخونني: نكن مثل من يصطحبان يا ذئب. ومعنى «من» مثنى، فعاد عليه الرابط كذلك. والنداء. اعتراض بين الصلة والموصول. وأأنت: استفهام توبيخي. وتكرير النداء فيه نوع توبيخ أيضاً. وأخيين: مصغر أخوين. واللبان: لبن المرأة خاصة. شبه الذئب والغدر بتوءمين نشآ معاً من صغرهما ترضعهما أم واحدة، دلالة على كمال التلازم والتآلف. وتسمية الذئب امرأ، مبنية على تنزيله منزلة العاقل المصحح لخطابه. وشبههما بالأخوين من نوع الإنسان، كما دل على ذلك لفظ اللبان؛ لأن التآلف فيه أكمل وأظهر منه في غيره.

ينظر: ديوانه (٦٢٨)، والكتاب ٢/ ٤١٦، وابن الشجري ٢/ ١١٣، والخصائص ٢/ ٤٢٢، والعيني ١/ ٤٦١، والهمع ١/ ٨٧، وابن يعيش ٢/ ١٣٢، و١٣٤، والأشموني ١/ ١٥٧، والمحتسب ١/ ٢١٩، ٢/ ١٤٥، والجمل (٣٤٣)، والدرر ١/ ٦٤ ـ ٦٥، والمغني (٤٠٤)، وارتشاف العزب ١/ ٥٣٩، ورغبة الآمل ٤/ ٥٥، والدر المصون ٢/ ٦٥.

ويجوز «معِقبات»؛ بكسر العين ولم يقرأ به[1]، أو هو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه، كما يقال: قفاه؛ لأنّ بعضهم يعقب بعضاً، أو: لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه، ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: هما صفتان جميعاً[2]، وليس (من أمر الله): بصلة للحفظ، كأنه قيل: له معقبات من أمر الله، أو يحفظونه من أجل أمر الله، أي: من أجل أنّ الله أمرهم بحفظه، والدليل عليه قراءة علي ـ رضي الله عنه ـ وابن عباس، وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة: «يحفظونه بأمر الله»، أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب، بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب؛ كقوله: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢]، وقيل: المعقبات الحرس والجلاوزة[3] حول السلطان، يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله، أي: من قضاياه ونوازله، أو على التهكم به، وقرئ: «له معاقيب»: جمع معقب أو معقبة، والياء عوض من حذف إحدى القافين في التكسير[4]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: من العافية والنعمة، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾: من الحال الجميلة بكثرة المعاصي، ﴿مِن وَالٍ﴾: ممن يلي أمرهم، ويدفع عنهم.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: لا يصح أن يكونا مفعولاً لهما[5]؛ لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا وَهْمٌ فاحشٌ. لا تدغم التاء في القاف ولا القاف في التاء، لا من كلمة ولا من كلمتين. وقد نَصَّ التصريفيون على أن القاف والكاف كل منهما يدغم في الآخر، ولا يدغمان في غيرهما، ولا يدغم غيرهما فيهما. وأما تشبيهه بقوله: «وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ» فلا يتعين أن يكون أصله المعتذرون، وقد تقدم توجيهه وأنه لا يتعين ذلك فيه. وأما قوله: «ويجوز» مِعِقِّبات بكسر العين فهذا لا يجوز، لأنه بناه على أن أصله: معتقبات فأدغمت التاء في القاف، وقد بينا أن ذلك وهم فاحش. انتهى. الدر المصون.

(٢) عاد كلامه.، ومعنى قوله ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ هما صفتان جميعاً وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له... إلخ» قال أحمد: وحقيقة هذا الوجه أنهم يحفظونه من الأمر الذي علم الله أنه يدفعه عنه بسبب دعائهم. ولولا هذا السبب لكان في علم الله أن النقمة تحل عليه؛ لأن الله عز وجل يعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون، وسع ربنا كل شيء علماً.

(٣) قوله: «والجلاوزة» في الصحاح «الجلواز» الشرطي، والجمع الجلاوزة (ع).

(٤) قال السمين الحلبي: ويوضح هذا ما قاله ابن جني فإنه قال: مَعَاقيب تكسير مُعْقِب كـ«مُطعم، ومطاعيم، ومُقدم، ومقاديم» فكأن «مُعْقِباً» جمع على مَعَاقِبَه، ثم جُعلت الياء في «مَعَاقِيب» عوضاً من الهاء المحذوفة في «مَعَاقِبَة». انتهى. الدرالمصون.

(٥) قال محمود: «خوفاً وطمعاً لا يصح أن يكون مفعولاً لهما لأنهما ليسا بفعل... إلخ» قال أحمد: أو مفعولاً لهما، على أن المفعول له في مثل هذا الفعل فاعل في المعنى، لأنه إذا أراهم فقد رأوا،

المعلل إلا على تقدير حذف المضاف، أي: إرادة خوف وطمع، أو على معنى إخافة وإطماعاً، ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق، كأنه في نفسه خوف وطمع، أو على: ذا خوف وذا طمع، أو من المخاطبين، أي: خائفين وطامعين، ومعنى الخوف والطمع: أنّ وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق، ويطمع في الغيث؛ قال أبو الطيب: [الطويل]

فَتىً كَالسَّحَابِ الْجُونِ تُخْشَىٰ وَتُرْتَجَىٰ ... وَيُرْجَى الْحَيَا مِنْهَا وَيُخْشَى الصَّوَاعِقُ[1]

وقيل: يخاف المطر من له فيه ضرر، كالمسافر، ومن له في جرينه التمر والزبيب، ومن له بيت يكف[2]، ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر، ويطمع فيه من له فيه نفع، ويحيا به، ﴿ٱلسَّحَابَ﴾: اسم الجنس، والواحدة سحابة، و﴿ٱلثِّقَالَ﴾: جمع ثقيلة؛ لأنك تقول: سحابة ثقيلة، وسحاب ثقال، كما تقول: امرأة كريمة، ونساء كرام، وهي الثقال بالماء، ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾: ويسبح سامع الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له، أي: يضجون بسبحان الله والحمد لله، وعن النبي ﷺ أنه كان يقول: «سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ» (٧٩٩) وعن علي - رضي الله عنه -: سبحان من سبحت له، وإذا اشتدّ الرعد، قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ لاَ تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلاَ تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذٰلِكَ» (٨٠٠)، وعن ابن عباس أنّ اليهود سألت النبي ﷺ عن الرعد ما هو؟ فقال: «مَلَكٌ

---

٧٩٩ - أخرجه الطبري (٧/ ٣٦٠) رقم (٢٠٢٦٠)، والبخاري في كتاب الأدب المفرد رقم (٧٢٢)، وعزاه الزيلعي للطبراني في كتاب الدعاء موقوفاً على كعب بن مالك، وللثعالبي عن أبي عن النبي ﷺ من غير سند.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه الطبري من رواية إسرائيل عن ليث عن رجل عن أبي هريرة رفعه، «أنه كان إذا سمع الرعد قال: سبحان من يسبح الرعد بحمده» ورواه البخاري في الأدب المفرد، موقوفاً على كعب بن مالك. انتهى.
٨٠٠ - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص ٢١٢) رقم (٧٢٨)، والتّرمذي (٥/ ٥٠٣) كتاب =

= والأصل: وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفاً وطمعاً، أي: ترقبونه وتتراؤونه، تارة لأجل الخوف وتارة لأجل الطمع، والله أعلم.

(١) يقول: هو فتى شجاع جواد، يخشى شره، ويرجى خيره، فهو كالسحاب الأسود. والجون: الأسود: ويطلق على الأبيض. ورواه ابن جني بالضم ليكون جمعاً، أي السود المظلمات؛ لأن السحاب جمع في المعنى. يرتجي الحياء: أي المطر، منها. ونخشى صواعقها، وهي قطع النار التي تنزل منها.
ينظر: البيت في ديوانه (٦٩)، والعمدة ١/ ٣٨، والبحر ٥/ ٣٦٦، والرازي ٥/ ٣٧٣، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٦٤، والدر المصون ٤/ ٣٣٤.

(٢) قوله: «ومن له بيت يكف» وكف البيت يكف: قطر يقطر، كذا في الصحاح (ع).

مِنَ المَلائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ[1] مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ» (٨٠١)، وعن الحسن: خلق من خلق الله ليس بملك، ومن بدع المتصوّفة: الرعد صعقات الملائكة، والبرق: زفرات أفئدتهم، والمطر: بكاؤهم، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾: ويسبح الملائكة من هيبته وإجلاله، ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده، وما دلّ على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال: ﴿وَهُمْ﴾ يعني: الذين كفروا، وكذّبوا رسول الله، وأنكروا آياته، ﴿يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾؛ حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، ويردّون الوحدانية باتخاذ الشركاء والأنداد، ويجعلونه بعض الأجسام المتوالدة بقولهم: ﴿الملائكة بنات الله﴾ فهذا جدالهم بالباطل؛ كقولهم: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: ٥]، وقيل: الواو للحال، أي: فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم؛ وذلك أنّ أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله ﷺ حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله، فرمى الله عامراً بغدّة كغدّة البعير[2]، وموت في بيت سلولية، وأرسل على أربد صاعقة فقتلته؛ :

= الدعوات: باب ما يقول إذا سمع الرعد حديث (٣٤٥٠)، والنّسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٥/ ٤١٧)، وأحمد (٢/ ١٠٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٣)، والدولابي في «الكنى» (٢/ ١١٧)، وأبو يَعلى (٩/ ٣٨٠ ـ ٣٨١) رقم (٥٥٠٧) من طريق أبي مطر عن سالم عن أبيه به.

وقال التّرمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه التّرمذي والنّسائي وأحمد وأبو يَعلى والحاكم من رواية: الحجاج بن أرطأة عن أبي مضر عن ابن عبد الله عن أبيه قال التّرمذي: غريب. انتهى.

٨٠١ ـ أخرجه التّرمذي (٥/ ٢٩٤) كتاب التفسير: باب ومن سورة الرعد حديث (٣١١٧)، والنّسائي كما في الكبرى؛ كما في تحفة الأشراف (٤/ ٣٩٤)، وأحمد (١/ ٢٧٤)، وابن منده في التوحيد (١/ ١٦٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٦٥) من طريق بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبكير بن شهاب قال الحافظ: مقبول.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه التّرمذي والنّسائي وأحمد من رواية بكر بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: أخبرنا يا أبا القاسم عن الرعد. فذكره ـ وزاد: قالوا: فما هذا الصوت قال: زجره للسحاب قالوا: صدقت»، وفي الطبراني والأوسط من رواية أبي عمران الكوفي عن ابن جريج وعن عطاء عن جابر أن خزيمة بن ثابت وليس بالأنصاري «سأل النبي ﷺ عن الرعد. فقال: هو ملك بيده مخراق إذ رفع برق وإذا زجر رعدت وإذا ضرب صعقت». انتهى.

---

(١) قوله: «معه مخاريق من نار» في الصحاح المخراق: منديل يلف ليضرب به (ع).

(٢) قوله: «بغدة كغدة البعير» في الصحاح: غدة البعير: طاعونه (ع).

أخبرنا عن ربنا، أمن نحاس هو أم من حديد؟ (٨٠٢) ﴿ٱلْمِحَالِ﴾: المماحلة، وهي شدّة المماكرة والمكايدة، ومنه: تمحل لكذا، إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه، ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان، ومنه الحديث: وَلاَ تَجْعَلْهُ عَلَيْنَا مَاحِلاً مُصَدَّقاً» (٨٠٣)؛ وقال الأعشى:/ ١٧٨أ [من الخفيف]:

فَـرْعُ نَـبْـعٍ يَـهْـشُ فِـي غُـصُـنِ الْـمَـجْـ ... ـدِ غَـزِيـرُ الـنَّـدَىٰ شَـدِيـدُ الْـمِـحَـالِ[1]

----

٨٠٢ ـ أخرجه النّسائي في تفسيره (١/ ٦١١) تفسير سورة الرعد، والطبري في تفسيره (١٣/ ٨٤) والطبراني في الأوسط(٣/ ٢٨٦) رقم (٢٦٢٣)، والواحدي في الأسباب (٢٠٥)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣)، وأبو يَعلى في مسنده (٦/ ٨٩) رقم (٣٣٤٢)، ولم يسق لفظه كلهم من حديث ابن أبي سارة عن ثابت عن أنس.
وأخرجه أبو يَعلى في مسنده (٦/ ٨٧ ـ ٨٨) رقم (٣٣٤١)، والبزار في كشف الأستار رقم (٢٢٢١)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٢٨٣)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٦٩٢)؛ كلهم من طريق ديلم بن غزوان عن ثابت عن أنس ـ به. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٢) ورواه أبو يَعلى والبزار بنحوه، إلا أنه قال: «إلى رجل من فراعنة العرب...» وبنحو هذا رواه الطبراني في الأوسط، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٣/ ٥٢) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه عن أنس بن مالك ـ به.
وللحديث شاهد أخرجه الطبري(١٣/ ٨٤).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وأخرجه الطبراني وابن مردويه عنه من رواية زيد بن أسلم عن عطاء عنه: «أن أربد بن قيس وعامر ابن الطفيل قدما المدينة ـ فذكر الحديث مطولاً»، وأخرجه النّسائي والطبري والعقيلي، وأبو يَعلى من رواية علي بن أبي سارة عن ثابت عن أنس قال: «بعث رسول الله ﷺ رجلاً إلى رجل من خزاعة العرب فقال: ادعه قال: يا رسول الله، هو أخي من ذلك. قال: اذهب فادعه. فأتاه. فقال: إن رسول الله ﷺ يدعوك. قال: وما الله؟ أمن ذهب هو أو من فضة، أم من نحاس ـ الحديث. وفيه: فأنزل الله تعالى: ﴿ويرسل الصواعق... الآية﴾، قال العقيلي: لا مانع على حديثه إلا ممن هو دونه. وقد رواه البزار والبيهقي في الدلائل من رواية ديلم بن غزوان عن ثابت نحوه. انتهى.
٨٠٣ ـ قال الزيلعي: غريب بهذا اللفظ والذي وجدته في الحديث المرفوع: «القرآن شافع مشفع، وما حل مصدق»، روي من حديث جابر وأنس، وعن معقل بن يسار ومن حديث ابن مسعود.
فحديث جابر: أخرجه ابن حِبان (١/ ٣٣١) حديث رقم (١٢٤)، والبزار (١/ ٧٨) رقم (١٢٢).
وحديث معقل بن يسار ذكره الهيثمي (١/ ١٧٤)، وحديث ابن مسعود: أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨)، الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٤١) رقم (٨٦٥٥)، عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٧٢) رقم (٦٠١٠)، والبزار كما في كشف الأستار (١/ ٧٧) رقم (١٢١).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: قلت: الذي من الحديث والقرآن شافع وما حل مصدق. أخرجه ابن حِبان من رواية أبي سفيان عن جابر والحاكم من حديث معقل بن يسار، والطبراني من حديث ابن مسعود عن أنس. أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن. انتهى.

---

(١) فرع كل شيء أعلاه. والنبع: شجر تتخذ منه القسي. والهش من كل شيء: ما فيه رخاوة وليونة. =

والمعنى: أنه شديد المكر والكيد لأعدائه، يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون، وقرأ الأعرج بفتح الميم، على أنه مفعل، من حال يحول محالاً إذا احتال، ومنه: أحول من ذئب، أي: أشدّ حيلة، ويجوز أن يكون المعنى: شديد الفقار[١]، ويكون مثلاً في القوة والقدرة كما جاء: فساعد الله أشدّ، وموساه أحدّ؛ لأن الحيوان إذا اشتدّ محاله، كان منعوتاً بشدّة القوّة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره؛ ألا ترى إلى قولهم: فقرته الفواقر؟ وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه[٢].

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أن تضاف الدعوة إلى الحق[٣] الذي هو نقيض الباطل، كما تضاف الكلمة إليه في قولك: كلمة الحق؛ للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به، وأنها بمعزل من الباطل، والمعنى: أن الله ـ سبحانه ـ يدعى فيستجيب الدعوة، ويعطي الداعي سؤاله إن كان مصلحة له، فكانت دعوة ملابسة للحق؛ لكونه حقيقاً بأن يوجه إليه الدعاء؛ لما في

= وهش إليه، من باب تعب وضرب: ضحك وانبسط إليه، أي هو كفرع النبع في العلو وللصلابة في الحروب. وشبه المجد بشجرة طيبة على طريق المكنية، فإضافة الغصن إليه تخييل لذلك. ويحتمل أنه شبه قومه بأغصان الشجرة المثمرة على طريق التصريحية، وإضافتها للمجد قرينة على ذلك. وفيها دلالة على أن المجد منهم كالثمر من الأغصان، غزير الندى كثير العطاء شديد المحال، أي المماحلة والمكايدة، وهو كالتفسير للتشبيه الأول، وغزير الندى كالتفسير للثاني، وهو من بديع الكلام.

ينظر: البيت في ديوانه (١٤١)، ومجاز القرآن ١/ ٣٢٥، واللسان (محل)، والطبري ١٦/ ٤٩٥ والقرطبي ٩/ ١٩٧، وروح المعاني ١٣/ ١٢٣، وجمهرة أشعار العرب ١/ ٢٢٢، والتهذيب ٥/ ٩٢، والدر المصون ٤/ ٣٣٤.

(١) قوله: «ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقار» في الصحاح: والمحالة أيضاً: الفقارة، وفيه «الفقارة» واحدة فقار الظهر (ع).

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وهذا الوجه الثاني لا يظهر، لأن مآله إلى تقدير: لله دعوة الله، كما تقول: «لزيد دعوة زيد». وهذا التركيب لا يصح. قال السمين: وأين هذا مما قاله الزمخشري حتى يرد عليه به؟. انتهى. الدر المصون.

(٣) قال محمود: «فيه وجهان: أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق... إلخ» قال أحمد: دس تحت تأويل الأول نبذة من الاعتزال على وجه الاختزال. فحجر واسعاً من لطف الله واستجابته أدعية عباده، وحتم رعاية المصالح، وجعل معنى إضافة الدعوة إلى الحق التباسها بالمصلحة، وقد انكشف الغطاء وتبين أن الله تعالى لا تعلل أفعاله ولا تقف استجابته على الشرط المذكور، وغرضنا إيقاظ المطالع لهذه المواضع من غفلة يتحيز بها إلى بدعة وضلالة، والله الموفق.

دعوته من الجدوى والنفع، بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه.

والثاني: أن تضاف إلى الحق الذي هو الله ـ عز وعلا ـ على معنى: دعوة المدعوّ الحق الذي يسمع فيجيب، وعن الحسن: الحق هو الله، وكلّ دعاء إليه دعوة الحق.

فإن قلت: ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله[1]؟

قلت: أما على قصة أربد فظاهر؛ لأن إصابته بالصاعقة محال من الله، ومكرٌ به من حيث لم يشعر، وقد دعا رسول الله ﷺ على صاحبه بقوله: «اللَّهُمَّ اخْسِفْهُمَا بِمَا شِئْتَ» فَأُجِيبَ فِيهِمَا (٨٠٤)، فكانت الدعوة دعوة حق، وأما على الأوّل: فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم، وإجابة دعوة رسول الله ﷺ أن دعا عليهم فيهم، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: والآلهة الذين يدعوهم الكفار، ﴿مِن﴾: دون الله، ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾: من طلباتهم، ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ﴾: إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه، أي: كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه، والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه، ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه؛ وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم، ولا يستطيع إجابتهم، ولا يقدر على نفعهم، وقيل: شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه، فبسطهما ناشراً أصابعه، فلم تلق كفاه منه شيئاً ولم يبلغ طلبته من شربه.

وقرئ: «تدعون»: بالتاء، كباسط كفيه، بالتنوين، ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: إلا في ضياع لا منفعة فيه؛ لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم، وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ أي: ينقادون لإحداث ما أراده فيهم من أفعاله، شاؤوا أو أبوا، لا يقدرون أن يمتنعوا عليه، وتنقاد له، ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾: أيضاً؛ حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص، والفيء والزوال، وقرئ: «بالغدو والإيصال»: من آصلوا: إذا دخلوا في الأصيل.

---

٨٠٤ ـ قال الزيلعي: ذكره الواحدي في أسباب النزول حديث أربد وعامر عن ابن عباس من غير سند.
وينظر «تخريج الكشاف» (١٨٨/٢ ـ ١٨٩).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
ذكره الواحدي في الأسباب عن ابن عباس في القصة المذكورة. ولم أره فيها من الطريقتين المتقدمتين عن رواية الكلبي وغيره. انتهى.

---

(١) قوله: «اتصال هذين الوصفين بما قبله» عبارة النسفي: واتصال ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ و﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ بما قبله (ع).

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: حكاية لاعترافهم، وتأكيد له عليهم، لأنه إذا قال لهم: من رب السموات والأرض، لم يكن لهم بدّ من أن يقولوا: الله؛ كقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٦ ـ ٨٧]، وهذا كما يقول المناظر لصاحبه: أهذا قولك، فإذا قال: هذا قولي، قال: هذا قولك، فيحكي إقراره تقريراً له عليه واستيثاقاً منه، ثم يقول له: فيلزمك على هذا القول كيت وكيت، ويجوز أن يكون تلقيناً، أي: إن كعوا عن الجواب[١] فلقنهم؛ فإنهم يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه، ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء، فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم، وإقراركم سبب الإشراك، ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضرراً، فكيف يستطيعونه لغيرهم، وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب؟ فما أبين ضلالتكم! ﴿أَمْ جَعَلُوا۟﴾: بل اجعلوا، ومعنى الهمزة: الإنكار[٢]، و﴿خَلَقُوا۟﴾: صفة لشركاء، يعني: أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله، ﴿فَتَشَٰبَهَ﴾: عليهم خلق الله وخلقهم، حتى يقولوا: قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه، فاستحقوا العبادة، فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد، إذ لا فرق بين خالق وخالق؛ ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق، فضلاً أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾:

---

(١) قوله: «أي: إن كعوا عن الجواب» أي امتنعوا جبناً أو احتبسوا. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قال محمود: «أم مقدرة ببل والهمزة ومعناها ههنا الإنكار. . . إلخ» قال أحمد: وفي قوله تعالى ﴿خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾ في سياق الإنكار تهكم بهم؛ لأن غير الله لا يخلق خلقاً ألبتة، لا بطريق المشابهة والمساواة لله ـ تقدس عن التشبيه ـ ولا بطريق الانحطاط والقصور، فقد كان يكفي في الإنكار عليهم أن الشركاء التي اتخذوها لا تخلق مطلقاً، ولكن جاء في قوله تعالى (كخلقه) تهكم يزيد الإنكار تأكيداً. والزمخشري لا يطيق التنبيه على هذه النكتة مع كونه أفطن من أن تستتر عنه؛ لأن معتقده أن غير الله يخلق وهم العبيد يخلقون أفعالهم على زعمه، ولكن لا يخلقون كخلق الله؛ لأن الله تعالى يخلق الجواهر والأعراض، والعبيد لا يخلقون سوى أفعالهم لا غير. وفي قوله عز من قائل ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ إلقام لأفواه المشركين الأولين، ثم لأفواه التابعة لهم في هذه الضلالة كالقدرية، فإن الله تعالى بت هذه ألبتة أن كل شيء يصدق عليه أنه مخلوق جوهراً كان أو عرضاً، فعلاً لعبيده أو غيره، فالله خالقه، فلا يبقى بقية يحتمل معها الاشتراك إلا عند كل أثيم أفاك، يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم، فلأمر ما تقاصر لسان الزمخشري عند هذه الآية وقرن شقاشقه، والله الموفق.

لا خالق غير الله، ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق، فلا يكون له شريك في العبادة، ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾: المتوحد بالربوبية، ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾: لا يغالب، وما عداه مربوب ومقهور.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾

هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه، كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلاً لهما، فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء، فتسيل به أودية الناس، فيحيون به، وينفعهم أنواع المنافع، وبالفلز الذي ينتفعون به[1] في صوغ الحليّ منه، واتخاذ الأواني والآلات المختلفة، ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به، وأن ذلك/ ١٧٨ب ماكث في الأرض، باق بقاء ظاهراً، يثبت الماء في منافعه، وتبقى آثاره في العيون والبئار والجبوب، والثمار التي تنبت به مما يدّخر ويكنز، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة، وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة، بزبد السيل الذي يرمى به، وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب.

فإن قلت: لم نكرت الأودية؟

قلت: لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع، فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿بِقَدَرِهَا﴾؟

قلت: بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضارّ؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [الرعد: ١٧]؛ لأنه ضرب المطر مثلاً للحق، فوجب أن يكون مطراً خالصاً للنفع، خالياً من المضرة، ولا يكون كبعض الأمطار والسيول الجواحف[2].

فإن قلت: فما فائدة قوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ﴾: قلت: الفائدة فيه كالفائدة بقوله (بقدرها)، لأنه جمع الماء والفلز في النفع في قوله: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾؛ لأن المعنى: وأما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الإنتفاع مما يوقد عليه ويذاب، وهو الحلية والمتاع، وقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ﴾: عبارة جامعة لأنواع الفلز، مع

---

(١) قوله: «وبالفلز الذي ينتفعون به»، في الصحاح «الفلز» بالكسر وتشديد الزاي: ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الأرض اهـ فليحرر، ولعله ما يبقيه الكير... إلخ (ع).

(٢) قوله: «السيول الجواحف» في الصحاح «سيل جحاف» بالضم: إذا جرف كل شيء وذهب به (ع).

إظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به، كما هو هجيري الملوك؛ نحو ما جاء في ذكر الآجر: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القصص: ٣٨]، و«من» لابتداء الغاية، أي: ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء، أو للتبعيض بمعنى: وبعضه زبداً رابياً منفخاً مرتفعاً على وجه السيل، أي: يرمى به، وجفأت القدر بزبدها، وأجفأ السيل وأجفل، وفي قراءة رؤبة بن العجاج: «جفالاً»، وعن أبي حاتم: لا يقرأ بقراءة رؤبة؛ لأنه كان يأكل الفأر، وقرئ: «يوقدون»: بالياء، أي: يوقد الناس.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾: اللام متعلقة بيضرب، أي: كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا، وللكافرين الذين لم يستجيبوا، أي: هما مثلاً الفريقين، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: صفة لمصدر استجابوا، أي: استجابوا الاستجابة الحسنى، وقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم﴾: كلام مبتدأ في ذكر ما أعدّ لغير المستجيبين، وقيل: قد تم الكلام عند قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]، وما بعده كلام مستأنف، والحسنى: مبتدأ، خبره: (للذين استجابوا)، والمعنى: لهم المثوبة الحسنى، وهي الجنة، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟﴾: مبتدأ خبره: «لو» مع ما في حيزه و﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: المناقشة فيه، وعن النخعي: أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء.

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾﴾

دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾؛ لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أنّ حال من علم، ﴿إنما أنزل إليك من ربك الحق﴾: فاستجاب؛ بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب، كبعد ما بين الزبد والماء، والخبث والإبريز، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ أي: الذين عملوا على قضيات عقولهم؛ فنظروا واستبصروا.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: مبتدأ، و﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: خبره؛ كقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ... أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ [الرعد: ٢٥]، ويجوز أن يكون صفة لأولي الألباب، والأوّل أوجه، وعهد الله: ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الرعد: ٢٠]. ﴿وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾: ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه: من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد، تعميم بعد تخصيص، ﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾: من الأرحام والقرابات، ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: بالإحسان إليهم على حسب الطاقة، ونصرتهم، والذب عنهم، والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم، وإفشاء السلام عليهم، وعيادة مرضاهم، وشهود جنائزهم، ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر، وكل ما تعلق منهم بسبب، حتى الهرة والدجاجة، وعن الفضيل بن عياض أنّ جماعة دخلوا عليه بمكة فقال: من أين أنتم؟ قالوا: من أهل خراسان، قال: اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم، واعلموا أنّ العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: يخشون وعيده كله، ﴿وَيَخَافُونَ﴾: خصوصاً ﴿سُوءَ الْحِسَابِ﴾: فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا، ﴿صَبَرُوا﴾: مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكليف، ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ﴾: الله؛ لا ليقال: ما أصبره وأحمله للنوازل، وأوقره عند الزلازل، ولا لئلا يعاب بالجزع، ولئلا يشمت به الأعداء؛ كقوله [من الطويل]:

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ .... (١)

ولا لأنه لا طائل تحت الهلع، ولا مردّ فيه للفائت؛ كقوله [من مجزوء الكامل]:

---

(١) وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع
وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع

لأبي ذؤيب خويلد بن خالد المخزومي، يرثي بنيه. روي أن معاوية مرض، فعاده الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال: كحلوني وألبسوني عمامتي، وأظهر القوة وأنشد له البيت الثاني، فأجابه الحسن بغتة بالأول. وشبه المنية بالسبع على طريق المكنية. وإنشاب الأظفار: تخييل. ومني له: قدر له. والمنية: الموت لأنه مقدر. والإنشاب: الغرز والتعليق. ألفيت: أي وجدت كل تميمة لا تنفع، وهي ما يعلق على الولدان خوف الجن والحسد. وتجلدي: أي تصبري وتصلبي. مبتدأ. وأريهم: خبره، أي أظهر لهم به أني لا أتضعضع وأتخشع وأضعف لأجل ريب الدهر، أي حدثانه الطارئ من حيث لا أشعر.

ينظر: شرح أشعار الهذليين (ص ١٠)، لسان العرب (ضعع)، مقاييس اللغة (٣/ ٣٥٥)، كتاب العين (١/ ٧٢)، مجمل اللغة (٣/ ٢٧٦)، تاج العروس (ضعع).

مَـــا إنْ جَـــزِعْـــتُ وَلاَ هَـــلَـــعْـــ ـــتُ وَلاَ يَـــرُدُّ بُـــكَـــآيَ زَنْـــدَا[1]

وكل عمل له وجوه يعمل عليها، فعلى المؤمن أن ينوي منها ما به كان حسناً عند الله، وإلا لم يستحق به ثواباً، وكان فعلاً كلا فعل، ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾/ ١٧٩أ: من الحلال؛ لأنّ الحرام لا يكون رزقاً[2]، ولا يسند إلى الله[3]، ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: يتناول النوافل؛ لأنها في السر أفضل، والفرائض؛ لوجوب المجاهرة بها نفياً للتهمة، ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: ويدفعونها، عن ابن عباس: يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم، وعن الحسن: إذا حرموا أعطوا، وإذا ظلموا عفوا، وإذا قطعوا وصلوا، وعن ابن كيسان: إذا أذنبوا تابوا، وقيل: إذا رأوا منكراً أمروا بتغييره، ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: عاقبة الدنيا، وهي:

---

(١) لـــيـــس الـــجـــمـــال بـــمـــئـــزر ... فـــاعـــلـــم وإن رديـــت بـــردا
إن الـــجـــمـــال مـــعـــادن ... ومـــنـــاقـــب أورثـــن مـــجـــدا
أعـــددن لـــلـــحـــدثـــان ســـا ... بـــغـــة وعـــداء عـــلـــنـــدى
نـــهـــداً وذا شـــطـــب يـــقـــد ... الـــبـــيـــض والأبـــدان قـــدا
كـــم مـــن أخ لـــي صـــالـــح ... بـــوأتـــه بـــيـــدي لـــحـــدا
مـــا إن هـــلـــعـــت ولا جـــز ... عـــت ولا يـــرد بـــكـــاي زنـــدا

لعمرو بن معد يكرب. يقول: ليس الجمال بفاخر الثياب. وفاعلم: اعتراض. والخطاب لغير معين، أي ليس كذلك وإن ألبستها والبرد، ثوب سابغ يرتدي به إن الجمال خصال حميدة أكسبت أصحابها الشرف. والحدثان: مكروه الدهر المنقلب. والسابغة الدرع، وكانت له درع من ذهب. والعداء: الفرس الكثير العدو. والعلندى ـ بالفتح ـ: الغليظ الشديد السريع. وشيء علند: صلب ـ واعلندى البعير: اشتد. والنهد: الضخم الطويل. والشطب ـ بالضم ـ: طرائق السيف. والأبدان: الدروع القصيرة، وإذا قطع البيضة والبدن مع أنهما من الحديد، قطع غيرهما بالأولى: مدح نفسه بالشجاعة، ثم بالصبر فقال: كثير من إخواني أنزلتهم اللحود بيدي، ومع ذلك ما جزعت لا قليلاً ولا كثيراً فإن زائدة. والهلع: شدة الجزع. وفي الحديث «من شر ما أوتي العبد: شح هالع، وجبن خالع» أي يهلع فيه وكأنه يخلع فؤاده. وتزند فلان. ضاق بالجواب وغضب. والمزند: مثل في الشيء. ويقال للحقير: زندان في مرقعة، فالزند: الشيء الحقير. ويروى: زيداً، بالياء، على أنه زيد بن الخطاب أخو عمر رضي الله عنه، كان صديقاً له في الجاهلية. ويروى: وهل يرد بكائي؟ أي: لم أجزع، لعلمي أنه لا ينفع.

ينظر: ديوانه (ص ٨٢)، حماسة البحتري ص (١٢٨)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص (١٧٩).

(٢) قوله: «لأن الحرام لا يكون رزقاً» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فيكون رزقاً كالحلال (ع).

(٣) قال محمود: «المراد مما رزقناهم من الحلال، لأن الحرام لا يكون رزقاً ولا يسند إلى الله تعالى» قال أحمد: الحق أن لا رازق إلا الله ﴿إن الله هو الرازق ذو القوة المتين﴾ كما أنه لا خالق إلا الله ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ فإذا اقتضى العقل والسمع جميعاً أن لا رازق إلا الله فأي مقال بعد ذلك يبقى للقدري الزاعم أن أكثر العبيد يرزقون أنفسهم لأن الغالب الحرام وهو مع ذلك مصمم على معتقده الفاسد لا يدعه ولا تكفه القوارع السمعية والعقلية ولا تردعه فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون.

الجنة؛ لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها[1]، و﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾: بدل من عقبى الدار، وقرئ: «فَنَعم»: بفتح النون، والأصل: نعم، فمن كسر النون فلنقل كسرة العين إليها، ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل، وقرئ: (يدخلونها): على البناء للمفعول، وقرأ ابن أبي عبلة (صلح): بضم اللام، والفتح أفصح، أعلم أنَّ الأنساب لا تنفع إذا تجردت من الأعمال الصالحة، وآباؤهم جمع أبوي كل واحد منهم؛ فكأنه قيل: من آبائهم وأمهاتهم، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾: في موضع الحال؛ لأنَّ المعنى: قائلين سلام عليكم، أو مسلمين.

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾؟

قلت: بمحذوف تقديره: هذا بما صبرتم، يعنون: هذا الثواب بسبب صبركم، أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر، ومتاعبه هذه الملاذ والنعم، والمعنى: لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة؛ كقوله [من الطويل]:

.... بِمَا قَدْ أَرَىٰ فِيهَا أَوَانِسَ بُدَّنَا[2]

وعن النبي ﷺ أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»[3] (٨٠٥) ويجوز أن يتعلق بسلام، أي: نسلم عليكم

---

٨٠٥ ـ أخرجه الطبري (٧/ ٣٧٧) رقم (٢٠٣٤٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤) رقم (٦٧١٦).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

---

(١) قال محمود: «المراد عاقبة الدنيا ومرجع أهلها... إلخ» قال أحمد: قد تكرر مجيء العاقبة المطلقة مثل ﴿وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار﴾، ﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾. ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ والمراد في جميع ذلك: عقبى الخير والسعادة، والزمخشري يستنبط من تكرار مجيء العاقبة المطلقة والمراد عاقبة الخير أنها هي التي أرادها الله فهي الأصل والعاقبة الأخرى لما لم تكن مرادة بل عارضة على خلاف المراد والأصل لم يكن من حقها أن يعبر عنها إلا بتقييد يفهمها كقوله ﴿وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ كل ذلك من الزمخشري تهالك على أن ينسب إلى الله إرادة ما لم يقع ومشيئة ما لم يكن مصادمة لما أنطق الله به ألسنة حملة الشريعة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وليس في مجيء ذلك على الإطلاق ما يعين أنه الأصل باعتبار الإرادة، ففعله الأصل باعتبار الأمر، ونحن نقول: إن المؤدي إلى حمد العاقبة مأمور به، والمؤدي إلى سوئها منهي عنه، فمن ثم كانت عاقبة الخير هي الأصل، والله الموفق.

(٢) أرى الوحش ترعى اليوم في ساحة الحمى ... بما قد أرى فيها أوانس بدنا
يقول: أرى الوحش ترعى في ساحة الحمى في هذا الزمان، بدل ما كنت أرى فيها الأحبة، فقد أرى: حكاية حال ماضية، وقد لتقريبها. والأوانس: جمع آنسة. والبدن: جمع بادنة، أي سمينة البدن.

ونكرمكم بصبركم.

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول، ﴿سُوءُ الدَّارِ﴾: يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا؛ لأنه في مقابلة عقبى الدار، ويجوز أن يراد بالدار: جهنم، وبسوئها: عذابها.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ أي: الله وحده هو يبسط الرزق، ويقدره دون غيره، وهو الذي بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم، ﴿وَفَرِحُوا﴾: بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم، ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة، وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نزراً يتمتع به كعجالة الراكب، وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾

فإن قلت: كيف طابق قولهم: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ قوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾؟

قلت: هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم؛ وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول الله ﷺ لم يؤتها نبيّ قبله، وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية، فإذا جحدوها ولم يعتدّوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط، كان موضعاً للتعجب والاستنكار، فكأنه قيل لهم: ما أعظم عنادكم، وما أشد تصميمكم على كفركم: إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم، وشدّة الشكيمة في الكفر، فلا سبيل إلى اهتدائهم، وإن أنزلت كل آية، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ﴾: كان على خلاف صفتكم،

= أخرجه عبد الرزاق والطبري من رواية سهل بن أبي صالح عن محمد بن إبراهيم التيمي قال: كان النبي ﷺ فذكره، وزاد كان أبو بكر وعمر وعثمان يفعلون ذلك. انتهى.

﴿أَنَابَ﴾: أقبل إلى الحق، وحقيقته دخل في نوبة الخير، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بدل من (من أناب)، ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته؛ كقوله: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، أو تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته، أو تطمئن بالقرآن؛ لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: مبتدأ، و﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾: خبره، ويجوز أن يكون بدلاً من القلوب، على تقدير حذف المضاف، أي: تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا، وطوبى مصدر من طاب، كبشرى وزلفى، ومعنى: «طوبى لك»: أصبت خيراً وطيباً، ومحلها النصب أو الرفع؛ كقولك: طيباً لك، وطيب لك، وسلاماً لك، وسلام لك، والقراءة في قوله: (وحسن مآب): بالرفع والنصب، تدلك على محليها، واللام في (لهم): للبيان مثلها في سقيا لك، والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها، كموقن وموسر، وقرأ مكوزة الأعرابي: «طيبي لهم»: فكسر الطاء لتسلم الياء، كما قيل: بيض ومعيشة.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾: مثل ذلك الإرسال أرسلناك، يعني: أرسلناك إرسالاً له شأن وفضل على سائر الإرسالات، ثم فسر كيف أرسله فقال: ﴿فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ أي: أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة، فهي آخر الأمم، وأنت خاتم الأنبياء، ﴿لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾: وحال هؤلاء أنهم يكفرون، ﴿بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾: بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء، وما بهم من نعمة فمنه، فكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم، وإنزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم، ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى﴾: الواحد المتعالي عن الشركاء، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: في نصرتي عليكم، ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾: جوابه محذوف/ ١٧٩ب؛ كما تقول لغلامك: لو أني قمت إليك، وتترك الجواب، والمعنى: ولو أن قرآناً ﴿سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾: عن مقارّها، وزعزعت عن مضاجعها، ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾: حتى تتصدع وتتزايل قطعاً، ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: فتسمع

وتجيب، لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف؛ كما قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، هذا يعضد ما فسرت به قوله: ﴿لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ [الحشر: ٢١]، من إرادة تعظيم ما أوحي إلى رسول الله ﷺ من القرآن، وقيل: معناه: ولو أن قرآناً وقع به، تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، وتكليم الموتى، وتنبيههم، لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه؛ كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الأنعام: ١١١]، الآية، وقيل: إن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله ﷺ: «سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع، كما سخرت لداود ـ عليه السلام ـ إن كنت نبيًا كما تزعم، فلست بأهون على الله من داود، وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع في يومنا، فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان ـ عليه السلام ـ أو ابعث لنا به رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا: منهم قصي بن كلاب[1]؛ فنزلت (٨٠٦)، ومعنى تقطيع الأرض على هذا: قطعها بالسير ومجاوزتها، وعن الفراء: هو متعلق بما قبله، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن، ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾: وما بينهما اعتراض، وليس ببعيد من السداد، وقيل: ﴿قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾: شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً، ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾: على معنيين.

أحدهما: بل لله القدرة على كل شيء، وهو قادر على الآيات التي اقترحوها؛ إلا أنَّ علمه بأنَّ إظهارها مفسدة يصرفه.

---

٨٠٦ ـ قال الزيلعي غريب بهذا اللفظ. تخريج الكشاف (٢/ ١٩٠).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
لم أجده بهذا السياق، وقد روى ابن ربيعة عن أبي أسامة عن مجالد عن الشعبي قال: قالت قريش للنبي ﷺ: «إن كنت نبيا كما تزعم فباعد بين جبلي مكة ـ أحسبها هذين مسيرة أربعة أيام أو خمسة حتى نزرع فيها ونرعى، وابعث لنا آباءنا من الموتى حتى يكلمونا ويخبرون أنك نبي»، أو احملنا إلى الشام، أو إلى اليمن، أو إلى الحيرة، حتى نذهب ونجيء في ليلة كما زعمت أنك فعلت. فأنزل الله تعالى: ﴿ولو أن قرآناً ـ الآية﴾، وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عطية بن أبي سعيد قال: قالوا لمحمد ﷺ «لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فنحرث فيها، أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه الريح»، وروى أبو يَعلى من حديث الزبير بن العوام يقول: «لما نزلت: «وأنذر عشيرتك الأقربين» صاح رسول الله ﷺ: يا آل قريش، فجاءته قريش. فحذرهم وأنذرهم فقالوا: تزعم أنك نبي، وأن سليمان سخر له الريح والجبال، وأن موسى سخر له البحر، وأن عيسى كان يحيي الموتى. فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال وتنفجر لنا الأرض أنهاراً، فنتخذها محارث فنزرع ونأكل، أوادع الله أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا أوادع الله أن يُصير هذه الصخرة التي بجنبك ذهباً فننحت منها ويغنينا، قال: فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي. فلما سرى عنه قال: والذي نفسي بيده، لقد أعطاني ما سألتم ولو شئت كان، ولكن أخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم يعذبكم. فنزلت». انتهى.

والثاني: بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان، وهو قادر على الإلجاء لولا أنه بني أمر التكليف على الاختيار؛ ويعضده قوله: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ٣١]، يعني: مشيئة الإلجاء والقسر[(١)]، ﴿لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾، ومعنى: (أفلم ييئس): أفلم يعلم، قيل: هي لغة قوم من النخع، وقيل: إنما استعمل اليأس بمعنى: العلم، لتضمنه معناه؛ لأنّ اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون، كما استعمل الرجاء في معنى: الخوف، والنسيان في معنى: الترك لتضمن ذلك؛ قال سُحَيم بن وُثَيلٍ الرِّيَاحِيُّ [من الطويل]:

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَيْسِرُونَنِي: أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ[(٢)]

ويدل عليه أن عليًا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا: «أفلم يتبين»، وهو تفسير: (أفلم ييئس)، وقيل: إنما كتبه الكاتب، وهو ناعس مستوى السيئات؛ وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتي الإمام، وكان متقلباً في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيْمنين عليه، لا يغفلون عن جلائله ودقائقه، خصوصاً عن القانون الذي إليه المرجع، والقاعدة التي عليها البناء، وهذه والله فرية ما فيها مرية، ويجوز أن يتعلق (أن لو يشاء) بآمنوا، على: أو لم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولهداهم، ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾: من كفرهم وسوء أعمالهم، ﴿قَارِعَةٌ﴾: داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا، والمصائب في نفوسهم، وأولادهم وأموالهم، ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾: القارعة، ﴿قَرِيبًا﴾: منهم فيفزعون، ويضطربون، ويتطاير إليهم شرارها، ويتعدى إليهم شرورها، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾: وهو موتهم، أو القيامة، وقيل: ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله ﷺ من العداوة والتكذيب قارعة؛ لأنّ رسول الله ﷺ كان لا يزال يبعث السرايا، فتغير حول مكة وتختطف منهم، وتصيب من مواشيهم (٨٠٧)، أو تحل أنت يا محمد قريباً من دارهم

---

٨٠٧ ـ قال ابن حجر: هو موجود في المغازي لابن إسحاق، والوادي، وطبقات ابن سعد في عدة سرايا منها سرية زيد بن حارثة ليلقى عير قريش وغيرها. وينظر «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٩٠ ـ ١٩٥).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

قلت: موجود في المغازي لابن إسحاق، والواقدي، وطبقات ابن سعد في عدة سرايا؛ منها سرية زيد بن حارثة ليلقي عير قريش وسرية على الحر بن سعد بن بكر وغيرهما. انتهى.

---

(١) قوله: «أن لو يشاء الله يعني مشيئة الإلجاء» هذا عند المعتزلة دون أهل السنة (ع).

(٢) تقدم.

بجيشك، كما حل بالحديبية، حتى يأتي وعد الله، وهو فتح مكة، وكان الله قد وعده ذلك.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾

الإملاء: الإمهال، وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن، كالبهيمة يملى لها في المرعى، وهذا وعيد لهم، وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله ﷺ استهزاء به وتسلية له.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾: احتجاج عليهم في إشراكهم بالله، يعني: أفا الله الذي هو قائم رقيب، ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾: صالحة أو طالحة، ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: يعلم خيره وشره، ويعدّ لكل جزاءه، كمن ليس كذلك، ويجوز أن يقدّر ما يقع خبراً للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا، وتمثيله: أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه، ﴿وَجَعَلُوا۟﴾: له، وهو الله الذي يستحق العبادة وحده، ﴿شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم، ثم قال: ﴿أم تنبئونه﴾: على أم المنقطعة؛ كقولك للرجل: قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف، ومعناه: بل أتنبؤونه بشركاء[1]، لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض، فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم، والمراد نفي أن يكون له شركاء، ونحوه: ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض﴾ ﴿أم بظاهر من القول﴾/ ١٨٠أ: بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة؛ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: ٩]، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾، وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة[2] التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق

---

(١) قال محمود: «معناه بل أتنبئونه بشركاء... إلخ» قال أحمد: وحقيقة هذا النفي أنهم ليسوا بشركاء، وأن الله لا يعلمهم كذلك، لأنهم ليسوا كذلك وإن كانت لهم ذوات ثابتة يعلمها الله، إلا أنها مربوبة حادثة لا آلهة معبودة، ولكن مجيء النفي على هذا السنن المتلو بديع، لا تكنه بلاغته وبراعته، ولو أتى الكلام على الأصل غير محلى بهذا التصريف البديع لكان: وجعلوا لله شركاء وما هم بشركاء، فلم يكن بهذا الموقع الذي اقتضته التلاوة.

(٢) عاد كلامه. قال: «وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها... إلخ» قال أحمد: هذه الخاتمة كلمة حق أراد بها باطلاً، لأنه يعرض فيها بخلق القرآن فتنبه لها، وما أسرع المطالع لهذا =

ذلق: أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه، فتبارك الله أحسن الخالقين، وقرئ: (أتنبئونه): بالتخفيف، ﴿مَكْرُهُمْ﴾: كيدهم للإسلام بشركهم، ﴿وَصُدُّوا﴾: قرئ بالحركات الثلاث، وقرأ ابن أبي إسحاق: «وصدّ»: بالتنوين، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: ومن يخذله لعلمه أنه لا يهتدي، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: فما له من أحد يقدر على هدايته، ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: وهو ما ينالهم من القتل والأسر وسائر المحن، ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر؛ ولذلك سماه عذاباً، ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: وما لهم من حافظ من عذابه، أو مالهم من جهته واق من رحمته.

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾: صفتها التي هي في غرابة المثل، وارتفاعه بالابتداء، والخبر محذوف على مذهب سيبويه، أي: فيما قصصناه عليكم مثل الجنة، وقال غيره: الخبر: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، كما تقول: صفة زيد أسمر، وقال الزجاج: معناه: مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار، على حذف الموصوف تمثيلاً لما غاب عنا بما نشاهد، وقرأ علي ـ رضي الله عنه ـ: «أمثال الجنة»: على الجمع، أي: صفاتها، ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾؛ كقوله: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: ٣٣]، ﴿وَظِلُّهَا﴾: دائم لا ينسخ، كما ينسخ في الدنيا بالشمس.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: يريد من أسلم من اليهود، كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما، ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً: أربعون بنجران، واثنان وثلاثون بأرض الحبشة، وثمانية من أهل اليمن، هؤلاء: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾، يعني: ومن أحزابهم، وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة، نحو: كعب بن الأشرف وأصحابه، والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما، ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾؛ لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص، وبعض الأحكام والمعاني هو ثابت في كتبهم غير محرف، وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام، ونعت رسول الله ﷺ وغير ذلك مما حرّفوه وبدّلوه من الشرائع.

= الفصل أن يمر على لسانه وقلبه ويستحسنه وهو غافل عما تحته، لولا هذا التنبيه والإيقاظ، والله أعلم.

فإن قلت: كيف اتصل قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ بما قبله؟

قلت: هو جواب للمنكرين معناه: قل إنما أمرت فيما أنزل إليّ بأن أعبد الله ولا أشرك به، فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده، فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وألاّ يشرك به، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقرأ نافع في رواية أبي خليد: «ولا أشركُ»: بالرفع على الاستئناف كأنه قال: وأنا أشرك به، ويجوز أن يكون في موضع الحال على معنى: أمرت أن أعبد الله غير مشرك به، ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟﴾: خصوصاً لا أدعو إلى غيره، ﴿وَإِلَيْهِ﴾: لا إلى غيره مرجعي، وأنتم تقولون مثل ذلك، فلا معنى لإنكاركم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾: ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأموراً فيه، بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه، والإنذار بدار الجزاء، ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: حكمة عربية مترجمة بلسان العرب، وانتصابه على الحال، كانوا يدعون رسول الله ﷺ إلى أمور يوافقهم عليها منها: أن يصلي إلى قبلتهم بعد ما حوّله الله عنها، فقيل له: لئن تابعتهم على دين ما هو إلا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة، خذلك الله فلا ينصرك ناصر، وأهلكك فلا يقيك منه واق، وهذا من باب الإلهاب والتهييج، والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه، وألاّ يزلّ زالّ عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة، وإلا فكان رسول الله ﷺ من شدّة الشكيمة بمكان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾

كانوا يعيبونه بالزواج والولاد، كما كانوا يقولون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، وكانوا يقترحون عليه الآيات، وينكرون النسخ، فقيل: كان الرسل قبله بشراً مثله ذوي أزواج وذرية، وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم، ولا يأتون بما يقترح عليهم، والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات؛ فلكل وقت حكم يكتب على العباد، أي: يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم، ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: ينسخ ما يستصوب نسخه، ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته، أو يتركه غير منسوخ، وقيل: يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة؛ لأنهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل، ﴿وَيُثْبِتُ﴾: غيره، وقيل: يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة، ويثبت إيمانهم وطاعتهم، وقيل: يمحو بعض

الخلائق ويثبت بعضاً من الأناسي، وسائر الحيوان والنبات، والأشجار وصفاتها وأحوالها، والكلام في نحو هذا واسع المجال، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ؛ لأنّ كل كائن مكتوب فيه، وقرئ: «ويثبت».

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾: وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم، وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم، أو توفيناك قبل ذلك، فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب، وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم، فلا يهمنك إعراضهم، ولا تستعجل بعذابهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾: أرض الكفر، ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾: بما نفتح على المسلمين من بلادهم، فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام؛ وذلك من آيات النصرة والغلبة، ونحوه: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ [الأنبياء: ٤٤]، ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤]، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣]، والمعنى: عليك بالبلاغ الذي/ ١٨٠ب حملته، ولا تهتم بما وراء ذلك، فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر، ولا يضجرك تأخره؛ فإن ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر، وقرئ: «ننقصها»؛ بالتشديد، ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ﴾: لا رادّ لحكمه، والمعقب: الذي يكرّ على الشيء فيبطله، وحقيقته: الذي يعقبه، أي: يقفيه بالردّ والإبطال، ومنه قيل لصاحب الحق: معقّب؛ لأنه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب؛ قال لبيد [من الطويل]:

.... طَلَبُ الْمُعَقِّبِ حَقَّهُ الْمَظْلُومُ[1]

---

(١) حتى تهجر في الرواح وهاجها   طلب المعقب حقه المظلوم

للبيد بن ربيعة، يصف حمار وحش خرج في الهاجرة وراء أتانه، وهاجها: أي بعثها على السير ونشطها لسرعة سيره في طلبها، كما يطلب المعقب المظلوم حقه ودينه ممن هو عليه، فالمظلوم بالرفع صفة للمعقب، لأنه فاعل في المعنى. ومعناه الذي رجع إلى حقه الذي كان أعطاه للمدين، فكأنه رجع على عقبه، أو لأنه يعقب المدين ويتبعه.

ينظر: ديوانه (١٥٥)، الإنصاف ١/ ٢٣٢، معاني الفراء ٢/ ٦٦، وابن الشجري ١/ ٢٢٨، أوضح المسالك ١/ ٢٢٠، البحر المحيط ٥/ ٣٩٠، شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٤٦، الهمع ٢/ ١٤٥، الدرر ١/ ١٤١، التصريح ١/ ٢٧٨، الأشموني ٢/ ٤٧.

والمعنى: أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال، وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس، ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا.

فإن قلت: ما محل قوله: «لا معقب لحكمه»؟

قلت: هو جملة محلها النصب على الحال، كأنه قيل: والله يحكم نافذاً حكمه؛ كما تقول: جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة، تريد حاسراً.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٢)﴾

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: وصفهم بالمكر، ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره، فقال: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾: ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار﴾؛ لأنّ من علم ما تكسب كل نفس، وأعدّ لها جزاءها فهو المكر كله؛ لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون، وهم في غفلة مما يراد بهم، وقرئ: «الكفار»، و«الكافرون»، «والذين كفروا»، و«الكفر»: أي أهله، والمراد بالكافر الجنس: وقرأ جناح ابن حبيش: «وسيعلم الكافر»، من أعلمه، أي: سيخبره.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)﴾

﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: لما أظهر من الأدلة على رسالتي، ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: والذي عنده علم القرآن[1]، وما ألف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر، وقيل: ومن هو من علماء أهل الكتاب[2] الذين أسلموا؛ لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم، وقيل: هو الله ـ عز وعلا[3] ـ والكتاب: اللوح المحفوظ، وعن الحسن: لا والله، ما يعني إلا

= لسان العرب ٦١٤/١، خزانة الأدب ٢٤٢/٢، شرح شواهد الإيضاح ص ١٣٣، المقاصد النحوية ٥١٢/٣، الدر المصون ٢٤٧/٤.

(١) قال محمود: «المراد والذي عنده علم القرآن... إلخ» قال أحمد: فيكون المراد حينئذ: جنس المؤمنين.

(٢) قال محمود: «وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم، قال أحمد: فالكتاب على التأويل الأول مراد به القرآن خاصة، وعلى الثاني جنس الكتب المتقدمة عليه.

(٣) قال محمود: «وقيل هو الله عز وجل، والكتاب، اللوح المحفوظ. وعن الحسن: لا والله ما يعني إلا الله والمعنى: كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ إلا هو، شهيداً بيني وبينكم. وتعضده قراءة من قرأ ﴿وَمِنْ عِندِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ على من الجارة» قال أحمد: وإنما =

الله، والمعنى: كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح إلا هو، شهيداً بيني وبينكم؛ وتعضده قراءة من قرأ: «ومن عنده علم الكتاب»، على من الجارّة، أي: ومن لدنه علم الكتاب؛ لأن علم من علمه من فضله ولطفه، وقرئ: «ومِنْ عنده علم الكتاب»: على من الجارّة، «وعلم»؛ على البناء للمفعول، وقرئ: «وبمن عنده علم الكتاب».

فإن قلت: بم ارتفع علم الكتاب؟

قلت: في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدّر في الظرف، فيكون فاعلاً؛ لأنّ الظرف إذا وقع صلة أوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول، فعمل عمل الفعل؛ كقولك: مررت بالذي في الدار أخوه، فأخوه فاعل؛ كما تقول: بالذي استقرّ في الدار أخوه، وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الرَّعْدِ أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بِوَزْنِ كُلِّ سَحَابٍ مَضَىٰ وَكُلِّ سَحَابٍ يَكُونُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَبُعِثَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الْمُوَفِّينَ بِعَهْدِ اللهِ» (٨٠٨).

---

٨٠٨ ـ عزاه الزيلعي للثعالبي عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ فذكره، وعزاه لابن مردويه في تفسيره، كما تقدم إسناده في آل عمران، والواحدي في تفسيره الوسيط، وينظر حديث (٣٤٦).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

تقدم إسناده في آل عمران. انتهى.

= قدر الزمخشري في المعطوف عليه اسم الله بالذي يستحق العبادة، حذراً من عطف الصفة على الموصوف، وعدولاً إلى أنه عطف إحدى الصفتين على الأخرى تقديراً وإنما أخذ الحصر حيث يقول: ومن لا يعلم علم الكتاب إلا هو من أنه قدم الخبر الذي هو عنده على مبتدئه، وشأن الزمخشري أخذ الحصر من التقديم، والله الموفق للصواب.

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

مَكِّيَّةٌ، [إِلاَّ آيَتَي ٢٨ و٢٩ فَمَدَنِيَّتَانِ]

وَآيَاتُهَا ٥٢ [نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ نُوحٍ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾

﴿كِتَٰبٌ﴾: هو كتاب، يعني: السورة، وقرئ: «ليخرج الناس»، والظلمات والنور: استعارتان للضلال والهدى، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بتسهيله وتيسيره، مستعار من الإذن الذي هو تسهيل للحجاب؛ وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾: بدل من قوله: «إلى النور» بتكرير العامل؛ كقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥]، ويجوز أن يكون على وجه الاستئناف؛ كأنه قيل: إلى أي نور؟ فقيل: إلى صراط العزيز الحميد، وقوله: ﴿ٱللَّهِ﴾: عطف بيان للعزيز الحميد؛ لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام؛ لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة، كما غلب النجم في الثريا[١]، وقرئ بالرفع على: هو الله، الويل: نقيض الوأل، وهو النجاة اسم معنى، كالهلاك؛ إلا أنه لا يشتق منه فعل؛ إنما يقال: ويلاً له، فينصب نصب المصادر، ثم يرفع رفعها؛ لإفادة معنى الثبات، فيقال: ويل له؛ كقوله: «سلام عليك»، ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعد الكافرين بالويل.

فإن قلت: ما وجه اتصال قوله: ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ بالويل؟

قلت: لأنّ المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد، ويضجون منه، ويقولون: يا

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا التعليل لا يتم إلا أن يكون أصله الإلّه، ثم فُعل فيه ما تقدم أول هذا الموضوع». انتهى. الدر المصون.

ويلاه؛ كقوله: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]، ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾: مبتدأ خبره: أولئك في ضلال بعيد، ويجوز أن يكون مجروراً صفة للكافرين، ومنصوباً على الذمّ، أو مرفوعاً على أعني الذين يستحبون أو هم الذين يستحبون، والاستحباب: الإيثار والاختيار، وهو استفعال من المحبة؛ لأنّ المؤثر للشيء على غيره، كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحبّ إليها وأفضل عندها من الآخر، وقرأ الحسن: «ويصدّون»: بضم الياء، وكسر الصاد، يقال: صدّه عن كذا، وأَصَدَّهُ؛ قال [من الطويل]:

أُنَاسٌ أَصَدُّوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ عَنْهُمُ .... (١)

والهمزة فيه داخلة على صدّ صدوداً، لتنقله من غير التعدّي إلى التعدّي، وأما صدّه، فموضوع على التعدية كمنعه، وليست بفصيحة كأوقفه؛ لأنّ الفصحاء استغنوا بصدّه ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: ويطلبون لسبيل الله زيغاً واعوجاجاً، وأن يدلوا الناس على أنها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية،/ ١٨١أ والأصل: ويبغون لها، فحذف الجار وأوصل الفعل، ﴿فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ أي: ضلوا عن طريق الحق، ووقفوا دونه بمراحل.

فإن قلت: فما معنى وصف الضلال بالبعد؟

قلت: هو من الإسناد المجازي، والبعد في الحقيقة للضالّ؛ لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق، فوصف به فعله، كما تقول: جدّ جدّه، ويجوز أن يراد: في ضلال ذي بعد، أو فيه بعد؛ لأنّ الضالّ قد يضلّ عن الطريق مكاناً قريباً وبعيداً.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾

---

(١) أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم   صدود السوافي في أنوف الحوايم
لذي الرمة، أنشده عنه الفراء، يقال: صده عن كذا، ولغة كلب: أصده عنه إذا منعه، فوضع الصدود موضع الإصداد. والسوافي ـ بالفاء ـ: الرياح، لأنها تسفو التراب. وقيل: هي بالقاف جمع ساق أو ساقية، وهي فوق الجدول. والحوايم: الجمال العطاش؛ لأنها تحوم حول الماء جمع حايم، ويطلق على طير إذا اشتد عطشه حام حول الماء، فإذا ناله سقط ريشه فيغرق فيه. وجمعه حوايم أيضاً. ويجوز أن يراد هنا، أو الجبال لأنها لارتفاعها تشرف من بعد كأنها حايمة، أو لأن الطير يحوم فوقها فنسبة الفعل إليها مجاز لأنها محله، يقول: قوم منعوا الناس عن أنفسهم بالسيف لمنع الرياح وضربها في أنوف الجمال، أو في أعالي الجبال، أو كمنع السقاة إبل غيرهم عن إبلهم في السقي، أو كمنع الأنهار لبعد مائها الإبل العطاش أو الطيور العطاش عن الشرب، لأن الطيور تخاف الغرق فيه. ويروى: عن أنوف الحوايم. وفيه تشبيه الأعداء بالعطاش وأصحاب السيوف، أو السيوف بالرياح ضمناً.
ينظر: الدر المصون (٤/ ٢٥١).

﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ أي: ليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه، فلا يكون لهم حجة على الله[1]، ولا يقولوا: لم نفهم ما خوطبنا به؛ كما قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [فصلت: ٤٤].

فإن قلت: لم يبعث رسول الله ﷺ إلى العرب وحدهم؛ وإنما بعث إلى الناس جميعاً، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، بل إلى الثقلين، وهم على ألسنة مختلفة، فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة، وإن لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية، لم تكن للعرب حجة، أيضاً؟

قلت: لا يخلو، إمّا أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها، فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة؛ لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل، فبقي أن ينزل بلسان واحد، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول؛ لأنهم أقرب إليه، فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر، قامت التراجم ببيانه وتفهيمه، كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمّة من أمم العجم، مع ما في ذلك من اتفاق أهل البلاد المتباعدة، والأقطار المتنازحة[2]، والأمم المتخلفة، والأجيال المتفاوتة، على كتاب واحد، واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه، وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد، وما يتكاثر في إتعاب النفوس وكدّ القرائح فيه، من القرب والطاعات المفضية إلى جزيل الثواب، ولأنه أبعد من التحريف والتبديل، وأسلم من التنازع والاختلاف، ولأنه لو نزل بألسنة الثقلين كلها ـ مع اختلافها وكثرتها، وكان مستقلا بصفة الإعجاز في كل واحد منها، وكلم الرسول العربيّ كل أمّة بلسانها كما كلم أمّته التي هو منها يتلوه عليهم معجزاً ـ لكان ذلك أمراً قريباً من الإلجاء، ومعنى: (بلسان قومه): بلغة قومه، وقرئ: «بلسن قومه»، واللسن واللسان: كالريش والرياش، بمعنى: اللغة، وقرئ: «بلسن قومه»: بضم اللام والسين مضمومة أو ساكنة، وهو جمع لسان، كعماد وعمد وعمد على التخفيف، وقيل: الضمير في قومه

---

(١) قال محمود: «أي ليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة... إلخ» قال أحمد: جميع الفصل مرضي، لكن في هذه الخاتمة نظر، لأن فيها إشعاراً بأن إعجاز القرآن من حيث اللغة العربية خاصة يتقاصر عن إعجازه، لو قدر منزل بكل لسان، حتى إنه لو ينزل بجميع اللغات لبلغ من الوضوح إلى حد يكاد أن يكون إلجاء إلى الإيمان به، وهذا فيه نظر، والقول به غير متعين؛ لأن المعجز يفيد العلم بصدق من ظهر على يده، ومتى حصل العلم لم يكن بين علم وعلم تفاوت ولا ترجيح، فلو نزل القرآن بجميع اللغات، لكان العلم الحاصل منه وقد نزل بلغة واحدة، هو العلم الحاصل منه لو نزل بالجميع، لا تفاوت ولا ترجيح بين العلمين، هذا هو التحقيق، والله أعلم. والزمخشري يبني في كثير من كلامه على أن العلوم تتفاوت وتنقسم إلى جلي وأجلى، وهو من الحق بمعزل، وإنما ظن ذلك طائفة ظاهرية، والله الموفق.

(٢) قوله: «والأقطار المتنازحة» أي المتباعدة جدا. أفاده الصحاح (ع).

لمحمد ﷺ ورووه عن الضحاك، وأن الكتب كلها نزلت بالعربية، ثم أدّاها كل نبيّ بلغة قومه، وليس بصحيح؛ لأنّ قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب، فيؤدّي إلى أن الله أنزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب، وهذا معنى فاسد، ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾؛ كقوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]؛ لأنّ الله لا يضلّ إلا من يعلم أنه لن يؤمن، ولا يهدي إلا من يعلم أنه يؤمن، والمراد بالإضلال: التخلية ومنع الألطاف[(١)]، وبالهداية: التوفيق واللطف، فكان ذلك كناية عن الكفر والإيمان، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: فلا يغلب على مشيئته، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: فلا يخذل إلا أهل الخذلان، ولا يلطف إلا بأهل اللطف.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾

﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾ بمعنى: أي أخرج؛ لأنّ الإرسال فيه معنى القول، كأنه قيل: أرسلناه وقلنا له: أخرج، ويجوز أن تكون أن الناصبة للفعل؛ وإنما صلح أن توصل بفعل الأمر؛ لأنّ الغرض وصلها بما تكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل والأمر، وغيره سواء في الفعلية، والدليل على جواز أن تكون الناصبة للفعل: قولهم أوعز إليه بأن افعل، فأدخلوا عليها حرف الجر؛ وكذلك التقدير بأن أخرج قومك، ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾: وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم: قوم نوح، وعاد، وثمود، ومنه أيام العرب؛ لحروبها وملاحمها، كيوم ذي قار، ويوم الفجار، ويوم قضة وغيرها، وهو الظاهر، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نعماؤه وبلاؤه، فأمّا نعماؤه: فإنه ظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، وفلق لهم البحر، وأمّا بلاؤه: فإهلاك القرون، ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه، فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم، أو أفاض عليهم من النعم، تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر، وقيل: أراد لكل مؤمن؛ لأنّ الشكر والصبر من سجاياهم؛ تنبيهاً عليهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾

---

(١) قوله: «والمراد بالإضلال التخلية ومنع الألطاف» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فخلق الضلال في القلب، لأن الله لا يخلق الشر عند المعتزلة، ويخلقه كالخير عند أهل السنة (ع).

﴿إِذْ أَنجَىٰكُم﴾: ظرف للنعمة بمعنى الإنعام، أي: إنعامه عليكم ذلك الوقت.

فإن قلت: هل يجوز أن ينتصب بعليكم؟

قلت: لا يخلو من أن يكون صلة للنعمة بمعنى الإنعام، أو غير صلة إذا أردت بالنعمة العطية، فإذا كان صلة لم يعمل فيه، وإذا كان غير صلة، بمعنى: اذكروا نعمة الله مستقرّة عليكم عمل فيه، ويتبين[1] الفرق بين الوجهين أنك إذا قلت: نعمة الله عليكم، فإن جعلته صلة، لم يكن كلاماً حتى تقول فائضة أو نحوها، وإلا كان كلاماً، ويجوز أن يكون «إذ»: بدلاً من نعمة الله، أي: اذكروا وقت إنجائكم، وهومن بدل الاشتمال.

فإن قلت: في سورة البقرة: (يذبحون)، وفي الأعراف: (يقتلون)، وههنا: ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ مع الواو، فما الفرق؟

قلت: الفرق: أنّ التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له، وحيث أثبت جعل التذبيح؛ لأنه أوفى على جنس العذاب، وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر.

فإن قلت: كيف كان فعل/ ١٨١ب آل فرعون بلاء من ربهم؟

قلت: تمكينهم وإمهالهم، حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله، ووجه آخر وهو: أن ذلك إشارة إلى الإنجاء وهو بلاء عظيم، والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعاً، قال تعالى: ﴿ونبولكم بالشر والخير فتنة﴾ [الأنبياء: ٣٥]؛ وقال زهير [من الطويل]:

.... فَأَبْلاهُمَا خَيْرَ البَلاءِ الَّذِي يَبْلُو[2]

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: من جملة ما قال موسى لقومه، وانتصابه للعطف على قوله: ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٢٠]، كأنه قيل: وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم، واذكروا حين تأذن ربكم، ومعنى تأذن ربكم: أذن ربكم، ونظير تأذن وأذن: توعد وأوعد، تفضل وأفضل، ولا بدّ في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل، كأنه قيل: وإذ أذن ربكم إيذاناً بليغاً تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه، والمعنى: وإذ تأذن ربكم فقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾، أو أجرى (تأذن): مجرى؛ قال: لأنه ضرب من القول، وفي قراءة ابن مسعود: «وإذ قال ربكم لئن شكرتم»، أي: لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح،

---

(١) قوله: «ويتبين» لعله: وتبيين (ع).

(٢) تقدم.

﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: نعمة إلى نعمة، ولأضاعفن لكم ما آتيتكم، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾: وغمطتم[1] ما أنعمت به عليكم، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾: لمن كفر نعمتي.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾: إن كفرتم أنتم يا بني إسرائيل والناس كلهم؛ فإنما ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بدّ لكم منه وأنتم إليه محاويج، والله غني عن شكركم، ﴿حميدٌ﴾: مستوجب للحمد بكثرة أنعمه وأياديه، وإن لم يحمده الحامدون.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾: جملة من مبتدأ وخبر، وقعت اعتراضاً[2]: أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح، و﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾: اعتراض، والمعنى: أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون، وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: كذب النسابون، يعني: أنهم يدّعون علم الأنساب، وقد نفى الله علمها عن العباد، ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾: فعضوها غيظاً وضجراً مما جاءت به الرسل[3]؛ كقوله: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾، أو ضحكاً واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه، أو وأشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ أي: هذا جوابنا

---

(١) قوله: «وغمطتم ما أنعمت به عليكم» في الصحاح «غمط الشيء» بطره وحقره (ع).

(٢) قال السمين الحلبي: وردَّ عليه الشيخ بأن الاعتراض إنما يكون بين جزئين، أحدهما يطلب الآخر، ولذلك لما أعرب الزمخشري «والَّذِين» مبتدأ، و«لاَ يَعْلَمُهُمْ» خبره، قال: «والجملة من المبتدأ والخبر اعتراض». واعترضه الشيخ أيضاً بما تقدم، ويمكن أن يجاب عنه في الموضعين: بأن الزمخشري يمكن أن يعتقد أن «جَاءَتْهُمْ» حال مما تقدم، فيكون الاعتراض واقعاً بين الحال وصاحبها وهذا كلام صحيح. انتهى. الدر المصون.

(٣) قال محمود: «معناه عضوها غيظاً وضجراً مما جاءت به الرسل. . . إلخ» قال أحمد: وأقوى هذه الوجوه هذا الوجه الذي نبه المصنف على اختصاصه بالقوة، وإنما كان كذلك لأن إقناطهم الرسل من الإيمان قولاً وفعلاً بوضع اليد في الفم، هو المناسب لحسدهم في الكفر. وتصدير العبارة بالحرف المؤكد ومواجهة الرسل بضمائر الخطاب وإعادة ذلك مبالغة في التأكيد وليس السياق بمناسب للضحك ولا الغيظ ولا لتصميت الرسل كمناسبته لإقناطهم من القبول. ألا ترى أنهم لما أعادوا للرسل القول ولم ينكروا عليهم عودهم إلى المجادلة، دل على أنهم لم يسكتوهم أولاً، ولا كان غرضهم ذلك، والله أعلم.

لكم ليس عندنا غيره، إقناطاً لهم من التصديق؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ وهذا قول قوي، أو وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء: أطبقوا أفواهكم واسكتوا، أو ردّوها في أفواه الأنبياء يشيرون لهم إلى السكون، أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون، وقيل: الأيدي، جمع: يد، وهي النعمة بمعنى: الأيادي، أي: ردوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم، وما أوحى إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم؛ لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها، فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل، ﴿مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ﴾: من الإيمان بالله، وقرئ: «تدعونا»: بإدغام النون، ﴿مُرِيبٖ﴾: موقع في الريبة أو ذي ريبة، من أرابه، وأراب[1] الرجل، وهي قلق النفس وألاّ تطمئن إلى الأمر.

﴿۞قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝١٠﴾

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾: أدخلت همزة الإنكار على الظرف؛ لأن الكلام ليس في الشك؛ إنما هو في المشكوك فيه، وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه، ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ أي: يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم أو يدعوكم لأجل المغفرة؛ كقوله: دعوته لينصرني، ودعوته ليأكل معي؛ وقال [من المتقارب]:

دَعَـوْتُ ـ لِـمَـا نَـابَـنِـي ـ مِـسْـوَراً   فَـلَـبَّـىٰ فَـلَـبَّـىٰ يَـدَيْ مِـسْـوَرِ[2]

---

(١) قوله: «وأراب الرجل» لعله: أو أراب (ع).

(٢) لأعرابي من بني أسد. ولبى: بمعنى أجاب، ورسمه ابن حبيب بالألف وإن كان يائياً للفرق بينه وبين المثنى بعده. ولبى من الأسماء اللازمة للإضافة إلى الضمير، وشذ إضافته للظاهر كما هنا، من لب بالمكان لبا أقام به والمراد ملازمة إجابته إجابة بعد إجابة لا اثنين فقط، وهو منصوب على المصدرية بفعل محذوف. هذا مذهب سيبويه. وزعم يونس أنه مفرد مقصور، قلبت ألفه مع الضمير ياء كلدى وعلى، فرد عليه سيبويه بأنه لو كان كذلك لم تنقلب ألفه مع الظاهر ياء كلدى وعلى، لكنهم لما أضافوه للظاهر قلبوها ياء كما في البيت. يقول: دعوت مسوراً لما أصابني، فأجابني فلبى يديه، أي أجاب الله دعاءه إجابة بعد إجابة، وأقحم اليدين لأنهما يرفعان عند الدعاء، فكأنهما المجابتان؛ أو لأن نصره حصل بهما، ففيه إشارة إلى أنه أنقذه. وقيل: إنه دعاه ليغرم عنه الدية، فأجابه، فذكر يديه لأنه بذل بهما. قيل: وكانت عادة العرب ذلك فنهى عنه. روي عن رسول الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: إذا دعا أحدكم أخاه فقال: لبيك، فلا يقولن لبى يديك، وليقل أجابك الله بما تحب.

ينظر: الدرر ٣/ ٦٨، شرح التصريح ٢/ ٣٨، شرح شواهد المغني ٢/ ٩١٠، لسان العرب (لبى)، =

فإن قلت: ما معنى التبعيض في قوله: من ذنوبكم؟

قلت: ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين؛ كقوله: ﴿وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح: ٣، ٤]، ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١]، وقال في خطاب المؤمنين: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، إلى أن قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الصف: ١٢]، وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء، وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين، ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد، وقيل: أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله، بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى وقت قد سماه الله وبين مقداره، يبلغكموه إن آمنتم، وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت، ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾: ما أنتم، ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: لا فضل بيننا وبينكم، ولا فضل لكم علينا، فلم تخصون بالنبوّة[1] دوننا، ولو أرسل الله إلى البشر رسلاً، لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة[2]، ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحجة بينة، وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج؛ وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتاً ولجاجاً.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: تسليم لقولهم، وأنهم بشر مثلهم، يعنون: أنهم مثلهم في البشرية وحدها، فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم؛ ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعاً

= المقاصد النحوية ٣/ ٣٨١، وأوضح المسالك ٣/ ١٢٣، خزانة الأدب ٢/ ٩٢، ٩٣، سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٤٧، شرح أبيات سيبويه ١/ ٣٧٩، شرح الأشموني ٢/ ٣١٢، شرح ابن عقيل ص (٣٨٣، ٣٨٥)، الكتاب ١/ ٣٥٢، المحتسب ١/ ٧٨، ٢/ ٢٣، مغني اللبيب ٢/ ٥٧٨، همع الهوامع ١/ ١٩٠، الدر المصون ٣/ ٦٣.

(١) عاد كلامه. قال: «وقولهم إن أنتم إلا بشر مثلنا: معناه فلم تخصون بالنبوة دوننا؟ ولو أرسل الله إلى البشر رسلاً لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة»؟ قال أحمد: ومن تهالكه على الانتصار لاعتقاده تفضيل الملائكة على الرسل من البشر، يستعين حتى يحمل الكفار على أنهم كانوا يعتقدون كمعتقد القدرية في تفضيل الملك على الرسول، لأنه يدعي ذلك أمراً مركوزاً في الطباع معلوماً ضرورة، والله الموفق.

(٢) قوله: «لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة» هذا على مذهب المعتزلة، أما عند أهل السنة فبعض البشر أفضل (ع).

منهم، واقتصروا على قولهم: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: بالنبوّة؛ لأنه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة إلا وهم أهل لاختصاصهم بها، لخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أرادوا أن الإتيان بالآية التي اقترحتموها ليس إلينا ولا في استطاعتنا، وما هو إلا أمر يتعلق/ ١٨٢أ بمشيئة الله، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل، وقصدوا به أنفسهم قصداً أوليًا وأمروها به، كأنهم قالوا: ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ ومعناه: وأيّ عذر لنا في أن لا نتوكل عليه، ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا﴾: وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه، وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين.

فإن قلت: كيف كرّر الأمر بالتوكل[1]؟

قلت: الأول لاستحداث التوكل، وقوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ معناه: فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدّم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

﴿لَنُخْرِجَنَّكُم﴾، ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: ليكونن أحد الأمرين لا محالة، إما إخراجكم، وإما عودكم حالفين[2] على ذلك.

فإن قلت: كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها.

قلت: معاذ الله، ولكن العود بمعنى: الصيرورة، وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار، ولكن عاد، ما عدت أراه عادلاً يكلمني، ما عاد لفلان مال، أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن به، فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد، ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: حكاية تقتضي إضمار القول، أو إجراء الإيحاء مجرى القول؛ لأنه ضرب منه، وقرأ أبو حيوة: «ليهلكنّ»، «وليسكننكم»: بالياء اعتباراً لأوحى، وأن لفظه لفظ الغيبة؛ ونحوه قولك: أقسم زيد ليخرجن ولأخرجن، والمراد بالأرض، أرض الظالمين وديارهم؛ ونحوه: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف كرر ذلك بعد قوله ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾... إلخ» قال أحمد: وبهذا يخرج عن وادي «من قتل قتيلاً فله سلبه» والله أعلم.

(٢) قوله: «حالفين» حال من فاعل قال: وعبارة النسفي «وحلفوا» (ع).

﴿وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٧]، وعن النبي ﷺ: «مَنْ آذَىٰ جَارَهُ وَرَّثَهُ الله دَارَهُ» (٨٠٩)، ولقد عاينت هذا في مدة قريبة: كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي أنها منها ويؤذيني فيه، فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته، فنظرت يوماً إلى أبناء خالي يتردّدون فيها ويدخلون في دورها، ويخرجون، ويأمرون وينهون، فذكرت قول رسول الله ﷺ وحدّثتهم به، وسجدنا شكراً لله، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما قضى به الله من إهلاك الظالمين، وإسكان المؤمنين ديارهم، أي: ذلك الأمر حق، ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾: موقفي وهو موقف الحساب؛ لأنه موقف الله الذي يقف[1] فيه عباده يوم القيامة، أو على إقحام المقام، وقيل: خاف قيامي عليه وحفظي لأعماله، والمعنى: أنّ ذلك حق للمتقين؛ كقوله: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾: واستنصروا الله على أعدائهم، ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]: أو استحكموا الله، وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة؛ كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وهو معطوف على: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ وقرئ: «واستفتحوا»: بلفظ الأمر، وعطفه على: (لنهلكنّ)، أي: أوحى إليهم ربهم، وقال لهم: لنهلكنّ، وقال لهم: استفتحوا، ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معناه: فنصروا وظفروا وأفلحوا، وخاب كل جبار عنيد، وهم قومهم، وقيل: واستفتح الكفار على الرسل، ظنًّا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل، وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه، ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾: من بين يديه، قال [من الوافر]:

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ ... يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ[2]

---

٨٠٩ ـ بيض له الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/١٩٩)، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

---

(١) قوله: «يقف فيه عباده» في الصحاح: يتعدى ولا يتعدى (ع).

(٢)
يؤرقني اكتئاب أبي نمير ... فقلبي من كآبته كئيب
فقلت له: هداك الله مهلاً ... وخير القول ذو اللب المصيب
عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

لهدبة بن خشرم العذري. ويروى: خرشم، وكان مسجوناً للقتل. والتأريق: التسهير، والاكتئاب: الانكسار وتغير اللون من الحزن، والكآبة كذلك. وأبو نمير كان صديقاً له، فزاره ذلك السجن =

وهذا وصف حاله وهو في الدنيا؛ لأنه مرصد لجهنم، فكأنها بين يديه وهو على شفيرها، أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف.

فإن قلت: علام عطف: ﴿وَيُسْقَىٰ﴾؟

قلت: على محذوف تقديره: من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد، كأنه أشد عذابها، فخصص بالذكر مع قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾.

فإن قلت: ما وجه قوله تعالى: ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾؟

قلت: صديد عطف بيان لماء، قال: (ويسقى من ماء)، فأبهمه إبهاماً، ثم بينه بقوله: (صديد)، وهو ما يسيل من جلود أهل النار، ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: يتكلف جرعه، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾: دخل كاد للمبالغة، يعني: ولا يقارب أن يسيغه، فكيف تكون الإساغة؛ كقوله: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠]، أي: لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها؟ ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: كأنّ أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه[1] وأحاطت به من جميع الجهات، تفظيعاً لما يصيبه من الآلام، وقيل: (من كل مكان): من جسده حتى من إبهام رجله، وقيل: من أصل كل شعرة، ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾: ومن بين يديه، ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي: في كل وقت يستقبله يتلقى عذاباً أشدّ مما قبله وأغلظ، وعن الفضيل: هو قطع

= وحزن عليه. ومهلاً: مصدر بدل من اللفظ بفعله. وخبر القول: جملة اعتراضية في أثناء مقول القول. واللب: العقل. وعسى الكرب: تتمة مقول القول. ويروى: أمسيت، بالضم والفتح. وقال الجوهري «وراء» يأتي بمعنى خلف، وقد يأتي بمعنى قدام، فهو من الأضداد اهـ؛ لأنه ما وراء الشخص بجرمه عن نفسه أو عن غيره، ومواراته عن نفسه لا يمكن إلا في الخلف، فكثر فيه. أو هو مكان المواراة مطلقاً، وهو في الخلف أكثر. واسم «يكون» ضمير الكرب، ووراءه متعلق بمحذوف خبر ليكون، و«فرج» فاعل بالظرف. ويجوز أن «فرج» مبتدأ و«وراءه» متعلق بمحذوف خبر له، والجملة خبر ليكون، ويجب كون المحذوف كوناً تاما لا ناقصاً؛ لئلا يحتاج إلى تقدير محذوف أيضاً، فيتسلسل التقدير، ولم يجعل «فرج» مرفوع بيكون؛ لأن خبر أفعال المقاربة لا يرفع الأجنبي عن أسمائها. وجملة «يكون» خبر ليس، وتجريد خبرها من «أن» قليل أي عسى أن يحصل الفرج بعد الكرب.

ينظر خزانة الأدب ٩/ ٣٢٨، ٣٣٠، وشرح أبيات سيبويه ١/ ١٤٢، والدرر ٢/ ١٤٥، وشرح التصريح ١/ ٢٠٦، وشرح شواهد الإيضاح ص ٩٧، وشرح شواهد المغني ص ٤٤٣، والكتاب ٣/ ١٥٩، واللمع ص ٢٢٥، والمقاصد النحوية ٢/ ١٨٤، وأسرار العربية ص ١٢٨، وأوضح المسالك ١/ ٣١٢، وتخليص الشواهد ص ٣٢٦، وخزانة الأدب ٩/ ٣١٦، والجنى الداني ص ٤٦٢، وشرح ابن عقيل ص ١٦٥، وشرح عمدة الحافظ ص ٨١٦، والمقرب ١/ ٩٨، وشرح المفصل ٧/ ١١٧، ١٢١، ومغني اللبيب ص ١٥٢، والمقتضب ٣/ ٧٠، وهمع الهوامع ١/ ١٣٠ والدر المصون ١/ ٥٢٦.

(١) قوله: «قد تألبت عليه» أي تجمعت. أفاده الصحاح (ع).

الأنفاس وحبسها في الأجساد، ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أي: استمطروا ـ والفتح المطر ـ في سني القحط التي أرسلت عليهم بدعوة رسول الله ﷺ فلم يسقوا؛ فذكر سبحانه ذلك، وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد، وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر، وهو صديد أهل النار، واستفتحوا ـ على هذا التفسير ـ: كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ۝١٨﴾

هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه، تقديره: وفيما يقص عليك، ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ﴾: والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله: ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ﴾: جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول: كيف مثلهم؟ فقيل/ ١٨٢ب: أعمالهم كرماد، ويجوز أن يكون المعنى: مثل أعمال الذين كفروا بربهم، أو هذه الجملة خبراً للمبتدأ، أي: صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد؛ كقولك: صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول، أو يكون أعمالهم بدلاً من: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على تقدير: مثل أعمالهم، وكرماد: الخبر، وقرئ: «الرياح»، ﴿فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾: جعل العصف لليوم، وهو لما فيه، وهو الريح أو الرياح؛ كقولك: يوم ماطر وليلة ساكرة؛ وإنما السكور لريحها[1]، وقرئ: «في يوم عاصف»: بالإضافة، وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم، من صلة الأرحام وعتق الرقاب، وفداء الأساري، وعقر الإبل للأضياف، وإغاثة الملهوفين، والإجازة، وغير ذلك من صنائعهم، شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثوراً لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به، وكونها لوجه: برماد طيرته الريح العاصف، ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾: يوم القيامة، ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾: من أعمالهم، ﴿عَلَىٰ شَيۡءٖۚ﴾ أي: لا يرون له أثراً من ثواب، كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾: إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب، كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾: إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب، ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾: بالحكمة والغرض الصحيح[2]، والأمر العظيم، ولم يخلقها عبثاً ولا شهوة.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٩﴾

---

(١) قوله: «وإنما السكور لريحها» في الصحاح: سكرت الريح، تسكر سكوراً: سكنت بعد الهبوب (ع).

(٢) قال محمود: «معناه خلقها بالحكمة والغرض الصحيح... إلخ» قال أحمد: وهذا من اعتزاله الخفي وقد تقدمت أمثاله.

وقرئ: «خالق السموات والأرض»، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي: هو قادر على أن يعدم الناس، ويخلق مكانهم خلقاً آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم؛ إعلاماً منه باقتداره على إعدام الموجود، وإيجاد المعدوم، يقدر على الشيء وجنس ضده، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾: بمتعذر، بل هو هين عليه يسير[1]؛ لأنه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور، فإذا خلص له الداعي إلى شيء وانتفى الصارف، تكوّن من غير توقف: كتحريك أصبعك إذا دعاك إليه داع ولم يعترض دونه صارف؛ وهذه الآيات بيان لإبعادهم في الضلال وعظيم خطئهم في الكفر بالله؛ لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة، وأنه هو الحقيق بأن يعبد، ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء.

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ﴾: ويبرزون يوم القيامة؛ وإنما جيء به بلفظ الماضي؛ لأنّ ما أخبر به عزّ وعلا لصدقه كأنه قد كان ووجد؛ ونحوه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ **[الأعراف: ٤٤]**، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: ونظائر له، ومعنى بروزهم لله ـ والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له ـ: أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش، ويظنون أن ذلك خاف على الله، فإذا كان يوم القيامة، انكشفوا لله عند أنفسهم، وعلموا أنّ الله لا يخفى عليه خافية، أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه.

فإن قلت: لم كتب: ﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾: بواو قبل الهمزة؟

قلت: كتب على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو؛ ونظيره: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ **[الشعراء: ١٩٧]**، والضعفاء: الأتباع والعوام، والذي استكبروا: ساداتهم وكبراؤهم، الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء وأتباعهم، ﴿تَبَعًا﴾: تابعين: جمع تابع على تبع؛ كقولهم: خادم وخدم، وغائب

---

(١) عاد كلامه. قال: معناه وما ذلك على الله بعزيز، أي: هين عليه، لأنه قادر بالذات... إلخ...
قال أحمد: وهذا اعتزال صراح لم يتقنع في إبرازه، وما أبشع قوله عن الله جل جلاله، خلص له الداعي وأمضى الصارف، وما أنباه عن سمع المحققين العارفين بآداب الله تعالى وبما يجب في حق جلاله، وقد تقدم ما فيه كفاية.

وغيب[1]، أو ذوي تبع، والتبع: الأتباع، يقال: تبعه تبعاً.

فإن قلت: أي فرق بين من في: ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾، وبينه في: ﴿مِن شَيْءٍ﴾؟

قلت: الأولى: للتبيين، والثانية: للتبعيض، كأنه قيل: هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله، ويجوز أن تكونا للتبعيض معاً، بمعنى: هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله، أي: بعض بعض عذاب الله؟

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾؟

قلت: الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخاً لهم[2]، وعتاباً على استتباعهم واستغوائهم، وقولهم: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾: من باب التبكيت؛ لأنهم قد علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم، فأجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم: بأن الله لو هداهم إلى الإيمان لهدوهم، ولم يضلوهم، إما موركين الذنب[3] في ضلالهم وإضلالهم على الله، كما حكى الله عنهم وقالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥]، يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا؛ ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [المجادلة: ١٨]، وإما أن يكون المعنى: لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا، لهديناكم إلى الإيمان، وقيل: معناه: لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم، أي: لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة، كما سلكنا بكم طريق الهلكة،

---

(١) قوله: «خادم وخدم وغائب وغيب» في الصحاح: وإنما ثبتت فيه الياء في التحريك، لأنه شبه بصيد وإن كان جمعاً، وصيد مصدر قولك «بعير أصيد» لأنه يجوز أن ينوى به المصدر (ع).

(٢) قال محمود: «الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخاً لهم... إلخ» قال أحمد: لما استشعر دلالة الآية لعقيدة السنة المشتملة على أن الله تعالى مهما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن هداية المشركين مما لم يشأه، ولو شاءها لاهتدوا. وإنما تنشأ هذه الدلالة من إيراد هذا الكلام عن الكفار في دار الحق حين حقت لهم الحقائق وانكشف الغطاء. والمقصود من اقتصاصه: إنذار أمثالهم في الدنيا، وتحذيرهم من الحسرة والندم في الآخرة إذا حق عليهم العذاب واعترفوا بالحق وقالوا القول المذكور، وهذا يرشد إلى أنه كلام صحيح المعنى، فلما فطن الزمخشري لذلك شرع في تقرير تخطئتهم في هذا القول في الآخرة كما خطأهم في الدنيا، ليتم له اعتقاد أن الله يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء، ومن ذلك هداية الكفار فإن الله تعالى يشاؤها في الدنيا، لكنها لم تكن. وأنى له ذلك، وسياق الآية يصوب الكلام المذكور وينذر الغافلين عنه في الدنيا، ويحذرهم من التورط فيما يؤدي إلى هذا الندم، حيث لا ينفع ويجر إلى هذه الحسرة، إذ لا ينجع، كما أورد كلام الشيطان عقيب ذلك حين يعترف بالحق في دار الحق، وحيث لا ينفعه إيمانه، فيقول: إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم... إلخ. وإنما سيق تحذيراً وإنذاراً اتفاقاً، والله الموفق.

(٣) قوله: «موركين الذنب» في الصحاح: ورك فلان ذنبه على غيره، أي: قرفه به اهـ، أي: اتهمه به (ع).

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾: مستويان علينا الجزع والصبر، والهمزة وأم للتسوية؛ ونحوه: ﴿فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ [الطور: ١٦]. وروي أنهم يقولون: تعالوا نجزع، فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم، فيقولون: تعالوا نصبر، فيصبرون كذلك ثم يقولون: سواء علينا.

فإن قلت: كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله؟

قلت: اتصاله به من حيث أنّ عتابهم لهم كان جزعاً مما هم فيه، فقالوا: سواء علينا أجزعنا أم صبرنا، يريدون: أنفسهم وإياهم، لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها، يقولون: ما هذا الجزع والتوبيخ، ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والأمر من ذلك أطمّ، أو لما قالوا: لو هدانا الله طريق النجاة لأغنينا عنكم وأنجيناكم، أتبعوه الإقناط من/ ١٨٣أ النجاة فقالوا: ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ أي: منجى ومهرب، جزعنا أم صبرنا، ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعاً، كأنه قيل: قالوا: جميعاً: سواء علينا؛ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ﴾ [يوسف: ٥٢]، والمحيص: يكون مصدراً، كالمغيب والمشيب، ومكاناً، كالمبيت والمصيف، ويقال: حاص عنه وجاض، بمعنى واحد.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾

﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: لما قطع الأمر وفرغ منه، وهو الحساب، وتصادر الفريقين ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر النار، وروي أنّ الشيطان يقوم عند ذلك خطيباً[1] في الأشقياء

---

(١) قال محمود: «روي أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيباً... إلخ» قال أحمد: قد حمل قول الكفار في الآية الأولى على إبطال الانتحال، لأنه لا يلائم معتقده، واستشهد على أن الكذب حينئذ غير ممتنع ولا متعذر بقوله تعالى ﴿فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ﴾ ثم لما ظن أن قول الشيطان هذا يلائم معتقده، اجتهد في الاستدلال على تصويبه وتصحيحه وإن كان قائله الشيطان؛ كل ذلك منه اتباع للهوى حيثما توجه وأية سلك. ونحن معاشر أهل السنة الملقبين، عنده بالمجبرة نقول: إن الله تعالى إنما أورد هذا الكلام غير راد له، ولا مخطىء فيه الشيطان، كما اقتص كلام الكفار في الآية الأولى كذلك. ونحن نعتقد أن الملامة إنما تتوجه على المكلف وأما الله تعالى فمقدس عن ذلك. وحجته البالغة، وقضاؤه الحق. وذلك أنا نعترف بما خلقه الله تعالى للعبد من الاختيار الذي يجده من نفسه عند تجاذب طرفي الأفعال الإرادية ضرورة؛ وبذلك قامت الحجة له على خلقه، وإن سلبنا =

من الجنّ والإنس فيقول ذلك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾: وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم، ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾: خلاف ذلك، ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصي وألجئكم إليها، ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾: إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني، وليس الدعاء من جنس السلطان؛ ولكنه كقولك: ما تحيتهم إلا الضرب، ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾؛ حيث اغتررتم بي وأطعتموني إذ دعوتكم، ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم، وهذا دليل على أنّ الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه[1]، وليس من الله إلا التمكين، ولا من الشيطان إلا التزيين، ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقال: فلا تلوموني ولا أنفسكم؛ فإنّ الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه.

فإن قلت: قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به.

قلت: لو كان هذا القول منه باطلاً، لبين الله بطلانه، وأظهر إنكاره، على أنه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ كيف أتى فيه بالحق والصدق، وفي قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾، وهو مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢]، ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾: لا ينجي بعضنا بعضاً من عذاب الله ولا يغيثه، والإصراخ: الإغاثة، وقرئ: «بمصرخيِّ»: بكسر الياء، وهي ضعيفة؛ واستشهدوا لها ببيت مجهول [من الرجز]:

قَالَ لَهَا: هَلْ لَكِ يَاتَا فِيِّ؟ قَالَتْ لَهُ: مَا أَنْتَ بِالمَرْضِيِّ[2]

= عن قدرة الخلق تأثيرها في الفعل، فلا تناقض إذاً بين عقيدة السنة وبين صرف الملامة إلى المكلف، والله الموفق.

(١) قوله: «يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه» هذا مذهب المعتزلة، وقوله: «المجبرة» يعني أهل السنة، ومذهبهم أن الله هو الخالق لأسباب السعادة وأسباب الشقاوة، لكن العبد له فيها الكسب. ومن هذا يتوجه عليه اللوم، خلافاً للمعتزلة في قولهم: إن العبد هو الخالق لها، وهو الذي يحصل لنفسه. وتحقيقه في علم التوحيد (ع).

(٢) قال لها: هل لك يا تا فيّ؟ قالت له: ما أنت بالمرضي
ماض إذا ما هم بالمضي

قائله مجهول. وتا: اسم إشارة، أي: هل لك يا هذه المرأة رغبة في. وأصل ياء المتكلم السكون، فإن حركت فبالفتح، لكن لما التقت هنا ساكنة مع الياء قبلها ساغ كسرها، على الأصل في التخلص من التقاء الساكنين. وقالت: استئناف، كأنه قيل له: فماذا قالت؟ فقال: قالت له لست مرضياً، فإنك رجل ماض في كل أمرتهمّ فيه، فماض: خبر لمبتدأ محذوف. والجملة: استئناف جواب للسؤال عن علة عدم الرضا. وعبر بضمير الغيبة في قوله: هم نظراء للخير. ويجوز تقدير المبتدأ =

وكأنه قدّر ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة، فحرّكها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين، ولكنه غير صحيح؛ لأنَّ ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة؛ حيث قبلها ألف في نحو عصاي، فما بالها وقبلها ياء؟

فإن قلت: جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح؛ لأجل الإدغام، فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن، فحرّكت بالكسر على الأصل.

قلت: هذا قياس حسن، ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات، «ما» في: ﴿بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾: مصدرية، و﴿مِن قَبۡلُ﴾: متعلقة بأشركتموني، يعني: كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم، أي: في الدنيا؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ [فاطر: ١٤]، ومعنى كفره بإشراكهم إياه: تبرؤه منه واستنكاره له، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ [الممتحنة: ٤] وقيل: (من قبل): يتعلق بكفرت، وما: موصولة، أي: كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه، وهو الله ـ عزّ وجلّ ـ تقول: شركت زيداً، فإذا نقلت بالهمزة قلت: أشركنيه فلان، أي: جعلني له شريكاً، ونحو «ما» هذه «ما» في قولهم: سبحان ما سخركنّ لنا، ومعنى إشراكهم الشيطان بالله: طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان[1] وغيرها، وهذا آخر قول إبليس، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: قول الله ـ عزّ وجلّ ـ ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس؛ وإنما حكى الله ـ عزّ وعلا ـ ما سيقوله في ذلك الوقت؛ ليكون لطفاً للسامعين في النظر لعاقبتهم، والاستعداد لما لا بدّ لهم من الوصول إليه، وأن يتصوّروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما يقول، فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم، وقرئ: «فلا يلوموني»: بالياء على طريقة الالتفات؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢].

﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾

وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد: «وأدخل الذين آمنوا»[2]: على فعل المتكلم، بمعنى:

= لفظ «هو» فيكون التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة، دلالة على الإعراض عنه، وذكر السبب لغيره.
البيت للأغلب العجلي في ديوانه ص ١٦٩، حاشية يس (٢/ ٦٠)، خزانة الأدب (٤/ ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٧)، وبلا نسبة في شرح عمدة الحافظ (ص ٥١٣)، المحتسب (٢/ ٤٩).

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ومَنْ منع ذلك جعل» «سبحان» علماً للتسبيح، كما جعل «برّة» علماً للمبرّة. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد: وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم. . . إلخ» قال =

وأدخل أنا، وهذا دليل على: أنه من قول الله، لا من قول إبليس، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: متعلق بأدخل، أي: أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره.

فإن قلت: فيم يتعلق في القراءة الأخرى، وقولك: وأدخلهم أنا بإذن ربهم، كلام غير ملتئم؟

قلت: الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بما بعده، أي: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾: بإذن ربهم، يعني: أن الملائكة يحيونهم بإذن ربهم.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)﴾

قرئ: ﴿أَلَمْ تَرْ﴾: ساكنة الراء، كما قرئ: «من يتق»، وفيه ضعف، ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾: اعتمد مثلاً ووضعه، و﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: نصب بمضمر، أي: جعل كلمة طيبة، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، وهو تفسير لقوله: (ضرب الله مثلاً)؛ كقولك: شرّف الأمير زيداً: كساه حلة، وحمله على فرس، ويجوز أن ينتصب (مثلاً)، و(كلمة): بضرب، أي: ضرب كلمة طيبة مثلاً، بمعنى: جعلها مثلاً، ثم قال: (كشجرة طيبة): على أنها خبر مبتدأ محذوف، بمعنى: هي كشجرة طيبة، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يعني: في الأرض، ضارب بعروقه فيها، ﴿وَفَرْعُهَا﴾: وأعلاها ورأسها، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، ويجوز أن يريد: وفروعها، على الاكتفاء بلفظ الجنس، وقرأ أنس بن مالك: «كشجرة طيبة ثابت أصلها»./ ١٨٣ب

فإن قلت: أيّ فرق بين القراءتين؟

قلت: قراءة الجماعة أقوى معنى؛ لأنّ في قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة، وإذا قلت: مررت برجل أبوه قائم، فهو أقوى معنى من قولك: مررت برجل قائم أبوه؛ لأنّ المخبر عنه إنما هو الأب لا رجل، والكلمة الطيبة: كلمة التوحيد، وقيل: كل كلمة حسنة كالتسبيحة، والتحميدة، والاستغفار، والتوبة، والدعوة، وعن ابن عباس: شهادة أن

= أحمد: فإن قلت: ما الذي صرف الزمخشري عن حمله على الالتفات من التكلم إلى الغيبة، وألجأه إلى تعليقه بما بعده، وقد كانت له في ذلك مندوحة، والالتفات على هذا الوجه كثير مستفيض. ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ ثم قال ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ ولم يقل تنزيلاً منا. قلت: لأمر ما صرف الكلام عن هذا الوجه، وهو أن ظاهر (أدخل) بلفظ المتكلم، يشعر بأن إدخالهم الجنة لم يكن بواسطة، بل من الله تعالى مباشرة، وظاهر الإذن يشعر بإضافة الدخول إلى الواسطة، فبينهما تنافر، ولكن يحسن عندي أن يعلق بخالدين، والخلود غير الدخول، فلا تنافر، والله أعلم.

لا إله إلا الله، وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار، كالنخلة، وشجرة التين، والعنب، والرمّان، وغير ذلك، وعن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم: «إِنَّ اللهَ ضَرَبَ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ شَجْرَةً فَأَخْبِرُونِي مَا هِيَ» ح، فوقع الناس في شجر البوادي، وكنت صبيًّا، فوقع في قلبي أنها النخلة، فهبت رسول الله ﷺ أن أقولها وأنا أصغر القوم، وروي: فمنعني مكان عمر واستحييت، فقال لي عمر: يا بنيّ، لو كنت قلتها لكانت أحبّ إليّ من حمر النعم، ثم قال رسول الله ﷺ: «أَلا إِنَّهَا النَّخْلَةُ» (٨١٠). وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: شجرة في الجنة، وقوله: (في السماء) معناه: في جهة العلوّ والصعود، ولم يرد المظلة؛ كقولك في الجبل: طويل في السماء: تريد ارتفاعه وشموخه، ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾: تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لإثمارها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: بتيسير خالقها وتكوينه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝٢٦﴾

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: كمثل شجرة خبيثة، أي: صفتها كصفتها، وقرئ: «ومثل كلمة بالنصب»: عطفاً على كلمة طيبة، والكلمة الخبيثة: كلمة الشرك، وقيل: كل كلمة قبيحة، وأمّا الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث(١)، ونحو ذلك، وقوله: ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾: في مقابلة قوله: (أصلها ثابت)، ومعنى: ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾: استؤصلت، وحقيقة الاجتثاث: أخذ الجثة كلها، ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ أي: استقرار، يقال: قرّ الشيء قراراً؛ كقولك: ثبت ثباتاً، شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة، فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى إنما يضمحل عن قريب لبطلانه، من قولهم: الباطل لجلج(٢)، وعن قتادة أنه قيل لبعض العلماء: ما تقول في كلمة خبيثة؟ فقال: ما

---

٨١٠ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٤٨١) كتاب الأطعمة باب أكل الجمار حديث رقم (٥٤٤٤)، ومسلم (٩/ ١٦٧ ـ ١٦٨) نووي، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب مثل المؤمن حديث رقم (٢٨١١).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
متفق عليه وله ألفاظ. انتهى.

---

(١) قوله: «والكشوث» في الصحاح الكشوت نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض. قال الشاعر [من البسيط]:
هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ... ولا نسيم ولا ظل ولا ثمرُ (ع)
(٢) قوله: «من قولهم: الباطل لجلج» في الصحاح: الحق أبلج، والباطل لجلج، أي: يردد من غير أن ينفذ (ع).

أعلم لها في الأرض مستقرًا، ولا في السماء مصعداً، إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾: الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه، فاعتقده واطمأنت إليه نفسه، وتثبيتهم به في الدنيا: أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا، كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود، والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد، وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما، وتثبيتهم في الآخرة، أنهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم، لم يتلعثموا ولم يبهتوا، ولم تحيرهم أهوال الحشر، وقيل: معناه: الثبات عند سؤال القبر، وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح المؤمن فقال: «ثُمَّ يُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فِي قَبْرِهِ وَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله، وَدِينِيَ الإِسْلاَمُ، وَنَبِيِي مُحَمَّد، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ: يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ[1]» (٨١١)، ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم؛ وإنما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم، كما قلد المشركون آباءهم فقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]، وإضلالهم في الدنيا أنهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أوّل شيء، وهم في الآخرة أضل وأذل، ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: ما توجبه الحكمة؛ لأن مشيئة الله تابعة للحكمة، من تثبيت المؤمنين وتأييدهم، وعصمتهم عند

---

٨١١ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ٢١٣) كتاب الجنائز باب الجلوس عند القبر حديث (٣٢١٢) من طريق المنهال ابن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
هذا طرف من حديث له طويل، أخرجه أبو داود وأبو عوانة والحاكم وأحمد وابن راهويه وابن أبي شيبة وأبو يَعلى من رواية سعد بن عبيدة عند البخاري مرفوعاً في قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ قال: نزلت في عذاب القبر: يقال له: من ربك وما دينك؟ فيقول: ربي الله. ونبيي محمد ﷺ، وذلك قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا. . . الآية﴾. انتهى.

---

(١) قوله: «القول الثابت الذي ثبت بالحجة» لما فسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد والخبيثة بكلمة الشرك، فالمتجه تفسير القول الثابت بقول «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وإضلال الظالمين بإبقائهم على كلمة الشرك، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وأما التمسك بالحجة وتقليد الشيوخ فبعيد عن السياق. وفيه رد على أهل السنة المكتفين بالتقليد في تحقق الإيمان (ع).

ثباتهم وعزمهم، ومن إضلال الظالمين وخذلانهم، والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: شكر نعمة الله، ﴿كُفْرًا﴾؛ لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفراً، فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلاً؛ ونحوه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢] أي: شكر رزقكم؛ حيث وضعتم التكذيب موضعه، ووجه آخر: وهو أنهم بدلوا نفس النعمة كفراً على أنهم لما كفروا سلبوها، فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر، حاصلاً لهم الكفر بدل النعمة[(١)]، وهم أهل مكة: أسكنهم الله حرمه، وجعلهم قوّام بيته، وأكرمهم بمحمد ﷺ فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم، أو أصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لإيلافهم الرحلتين، فكفروا نعمته، فضربهم بالقحط سبع سنين، فحصل لهم الكفر بدل النعمة؛ كذلك حين أسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقاً في أعناقهم، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: هم الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية: فمتعوا حتى حين، وقيل: هم متنصرة العرب: جبلة بن الأيهم وأصحابه، ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ﴾: ممن تابعهم على الكفر، ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: دار الهلاك، وعطف: ﴿جَهَنَّمَ﴾ على دار البوار عطف بيان، قرئ: (ليضلوا): بفتح الياء وضمها.

فان قلت: الضلال والإضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الأنداد، فما معنى اللام؟

قلت: لما كان الضلال والإضلال نتيجة اتخاذ الأنداد،/ ١٨٤أ كما كان الإكرام في قولك: جئتك لتكرمني، نتيجة المجيء، دخلته اللام وإن لم يكن غرضاً، على طريق التشبيه والتقريب، ﴿تَمَتَّعُوا۟﴾: إيذان بأنهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر، وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه، مأمورون به، قد أمرهم آمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لأنفسهم أمراً دونه، وهو أمر الشهوة، والمعنى: إن دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لأمر الشهوة، ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، ويجوز أن يراد الخذلان والتخلية؛ ونحوه: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾

---

(١) قال السمين الحلبي: وعلى هذا فلا يحتاج إلى حذف مضاف على هذا. انتهى. الدر المصون.

المقول محذوف[1]، لأن جواب (قل): يدل عليه؛ وتقديره: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أقيموا الصلاة وأنفقوا، ﴿يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟﴾: وجوزوا أن يكون يقيموا وينفقوا، بمعنى: ليقيموا ولينفقوا، ويكون هذا هو المقول، قالوا: وإنما جاز حذف اللام؛ لأنّ الأمر الذي هو (قل): عوض منه، ولو قيل: يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام، لم يجز.

فإن قلت: علام انتصب: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾؟

قلت: على الحال، أي: ذوي سرّ وعلانية، بمعنى: مسرين ومعلنين، أو على الظرف، أي وقتي سر وعلانية، أو على المصدر، أي: إنفاق سر وإنفاق علانية، المعنى: إخفاء المتطوع به من الصدقات والإعلان بالواجب، والخلال: المخالة.

فإن قلت: كيف طابق الأمر بالإنفاق وصف اليوم بأنه: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾[2]؟

قلت: من قبل أنّ الناس يخرجون أموالهم في عقود المعاوضات، فيعطون بدلاً ليأخذوا مثله، وفي المكارمات ومهاداة الأصدقاء ليستجروا بهداياهم أمثالها أو خيراً منها، وأمّا الإنفاق لوجه الله خالصاً؛ كقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ١٩، ٢٠] فلا يفعله إلا المؤمنون الخلص، فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال، أي: لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة، ولا بما ينفقون به أموالهم من المعاوضات والمكارمات؛ وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله، وقرئ: «لا بيع فيه ولا خلال»، بالرفع.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا

---

(١) قال محمود: «المقول محذوف. . . إلخ» قال أحمد: وفي هذا الإعراب نظر، لأن الجواب حينئذ يكون خبراً من الله تعالى، بأنه إن قال لهم هذا القول امتثلوا مقتضاه فأقاموا الصلاة وأنفقوا، لكنهم قد قيل لهم فلم يمتثل كثير منهم، وخبر الله تعالى يجل عن الخلف، وهذه النكتة هي الباعثة لكثير من المعربين على العدول عن هذا الوجه من الإعراب مع تبادره فيما ذكر بادي الرأي، ويمكن تصحيحه بحمل العام على الغالب لا على الاستغراق، ويقوى بوجهين لطيفين، أحدهما: أن هذا النظم لم يرد إلا لموصوف بالإيمان الحق المنوه بإيمانه عند الأمر، كهذه الآية وكقوله ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، ﴿وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ الثاني: تكرر مجيئه لموصوفين بأنهم عباد الله المشرفون بإضافتهم إلى اسم الله، وقد قالوا إن لفظ العباد لم يرد في الكتاب العزيز إلا مدحة للمؤمنين، وخصوصاً إذا انضاف إليه تعالى إضافة التشريف، فالحاصل من ذلك أن المأمور في هذه الآي من هو بصدد الامتثال وفي حيز المسارعة للطاعة، فالخبر في أمثالهم حق وصدق، إما على العموم إن أريد، أو على الغالب، والله أعلم.

(٢) قوله: «بأنه لا بيع فيه ولا خلال» هذه القراءة بالبناء على الفتح (ع).

لَكُمُ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، و﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾: خبره، و﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: بيان للزرق، أي: أخرج به رزقاً هو ثمرات، ويجوز أن يكون: (من الثمرات): مفعول أخرج، و﴿رِزْقًا﴾: حالاً من المفعول، أو نصباً على المصدر من أخرج؛ لأنه في معنى رزق، ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: بقوله كن، ﴿دَآئِبَيْنِ﴾: يدأبان في سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمات، وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض، والأبدان والنبات، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم[1]، ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾: من للتبعيض، أي: آتاكم بعض جميع ما سألتموه؛ نظراً في مصالحكم، وقرئ: «من كلٍّ بالتنوين»، وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال، أي: آتاكم من جميع ذلك غير سائليه، ويجوز أن تكون (ما): موصولة، على: وآتاكم من ذلك ما احتجتم إليه ولم تصلح أحوالكم ومعايشكم إلا به، فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال، ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾: لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها؛ هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال، وأمّا التفصيل: فلا يقدر عليه ولا يعلمه إلا الله، ﴿لَظَلُومٌ﴾: يظلم النعمة بإغفال شكرها، ﴿كَفَّارٌ﴾: شديد الكفران لها، وقيل: ظلوم في الشدّة يشكو ويجزع، كفار في النعمة يجمع ويمنع، والإنسان للجنس، فيتناول الإخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ يعني: البلد الحرام، زاده الله أمناً، وكفاه كل باغ وظالم، وأجاب فيه دعوة خليله إبراهيم، عليه السلام، ﴿ءَامِنًا﴾: ذا أمن.

فإن قلت: أي فرق بين قوله: ﴿ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾، وبين قوله: ﴿ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾؟

قلت: قد سأل في الأوّل أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وفي الثاني: أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد

---

(١) قوله: «وسباتكم» في الصحاح: السبات النوم، وأصله الراحة، ومن قوله تعالى (وجعلنا نومكم سباتاً) (ع).

مخوف، فاجعله آمناً، ﴿وَٱجۡنُبۡنِي﴾، وقرئ: «وأجنبني»، وفيه ثلاث لغات: جنبه الشر، وجنبه، وأجنبه؛ فأهل الحجاز يقولون: «جنبني شره»: بالتشديد، وأهل نجد: «جنبني وأجنبني»، والمعنى: ثبتنا وأدمنا على اجتناب عبادتها، ﴿وَبَنِيَّ﴾: أراد بنيه من صلبه، وسئل ابن عيينة: كيف عبدت العرب الأصنام؟ فقال: ما عبد أحد من ولد إسماعيل صنماً؛ واحتج بقوله: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ﴾، ﴿أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾؛ إنما كانت أنصاب حجارة لكل قوم، قالوا: البيت حجر، فحيثما نصبنا حجراً فهو بمنزلة البيت، فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار، فاستحب أن يقال: طاف بالبيت، ولا يقال: دار بالبيت، ﴿إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾: فأعوذ بك أن تعصمني[1]، وبنيَّ من ذلك؛ وإنما جعلن مضلات؛ لأنّ الناس ضلوا بسببهنّ، فكأنهنّ أضللنهم، كما تقول: فتنتهم الدنيا وغرّتهم، أي: افتتنوا بها واغتروا بسببها، ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾: على ملتي وكان حنيفاً مسلماً مثلي، ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ﴾ أي: هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي، وكذلك قوله: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» (٨١٢)، أي: ليس بعض المؤمنين، على أنّ الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم،

---

٨١٢ ـ أخرجه مسلم (١/ ٣٤٨ ـ الأبي) كتاب الإيمان: باب قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا» حديث (١٦٤/ ١٠٢)، وأبو داود (٢/ ٢٩٤) كتاب البيوع: باب في النهي عن الغش حديث (٣٤٥٢)، والترمذي (٣/ ٥٩٧) كتاب البيوع: باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع حديث (١٣١٥)، وابن ماجه (٢/ ٧٤٩) كتاب التجارات: باب النهي عن الغش حديث (٢٢٢٤)، وأبو عوانة (١/ ٥٧)، وأحمد (٢/ ٢٤٢)، والحميدي (٢/ ٤٤٧) رقم (١٠٣٣)، وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٥٦٤)، وابن حِبان (٤٩٠٥ ـ الإحسان)، وابن منده في «الإيمان» رقم (٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ١٣٤)، والحاكم (٢/ ٨ ـ ٩)، والبيهقي (٥/ ٣٢٠) كتاب البيوع، كلهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة به وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. قلت: وقد وهم رحمه الله في ذلك فالحديث في صحيح مسلم كما تقدم في التخريج. وللحديث شواهد من حديث ابن عمر وأبي بردة بن نيار وابن مسعود والحارث بن سويد وقيس بن أبي غرزة وأبي الحمراء وعائشة.

ـ حديث ابن عمر:

أخرجه أحمد (٢/ ٥٠) والبزار (٢/ ٨٢ ـ كشف) رقم (١٢٥٥) من طريق أبي معشر عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «من غشنا فليس منا» والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٨٨) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني في «الأوسط» وفيه أبو معشر وهو صدوق وضعفه جماعة.

وللحديث طريق آخر عن ابن عمر

أخرجه الدارمي (٢/ ٢٤٨) كتاب البيوع: باب في النهي عن الغش، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٥١) من طريق يحيى بن المتوكل ثنا القاسم بن عبيد الله عن عمه سالم بن عبد الله عن ابن عمر =

---

(١) قوله: «فأعوذ بك أن تعصمني» لعله أن لا تعصمني (ع).

﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: تغفر له ما سلف منه من عصياني إذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي، وقيل: معناه: ومن عصاني فيما دون الشرك.

= به. ويحيى بن المتوكل قال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٣٥٦) ضعيف.

ـ حديث أبي بردة بن نيار:
أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٦) والبزار (١/ ٦٨ ـ كشف) رقم (٦٨) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٩٨) رقم (٥٢١) وابن أبي شيبة (٧/ ٢٩٠) كلهم من طريق جميع بن عمير عن عمه يعني أبا بردة مرفوعاً.
وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٣١): رواه البزار وفيه جميع بن عمير وثقه أبو حاتم وضعفه البخاري وغيره.
ـ حديث ابن مسعود:
أخرجه ابن حِبان (٥٦٧) والطبراني في «الكبير» (١٠٢٣٤) وفي «الصغير» (١/ ٢٦١) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٨٨ ـ ١٨٩) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢٥٣) كلهم من طريق عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من غشنا فليس منا، والمكر والخديعة في النار».
ـ حديث الحارث بن سويد:
أخرجه الحاكم (٢/ ٩).
ـ حديث قيس بن أبي غرزة:
أخرجه أبو يَعلى (٢/ ٢٣٣) رقم (٩٣٣) من طريق الحكم بن عتيبة عن قيس بن أبي غرزة مرفوعاً بلفظ: «من غش المسلمين فليس منهم».
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٨٢) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات وذكره الحافظ في «المطالب العالية» (١٣٦١) وعزاه إلى أبي يَعلى.
ـ حديث أبي الحمراء:
أخرجه ابن ماجه (٢/ ٧٤٩) كتاب التجارات: باب النهي عن الغش حديث (٢٢٢٥) من طريق أبي داود عن أبي الحمراء به مرفوعاً.
وأبو داود هو نفيع بن الحارث الأعمى متروك كَذّبه ابن معين وغيره.
ـ حديث عائشة:
أخرجه البزار (٢/ ٨٣ ـ كشف) رقم (١٢٥٦) وقال البزار: لا نعلمه عن عائشة إلا بهذا الإسناد والحديث ذكره الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٨١) وقال: ورجاله ثقات.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وابن حِبان من حديث ابن مسعود وإسحاق والبزار من حديث ابن عمر. والبخاري في التاريخ. والطبراني في الأوسط من حديث البراء. والبزار من حديث عائشة. وابن أبي شيبة من حديث أبي الحمراء. والحاكم من رواية عمير بن سعيد النخعي وابن أبي شيبة من رواية جميع بن عمير عن خالد بن برزة، والطبراني من حديث أبي موسى، والبيهقي في الشعب من طريق حسين بن عبد الله بن ضمرة عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كذلك أخرجه البيهقي في الشعب، وأخرجه الطبراني من هذا الوجه. فلم يذكر عليا. وأخرجه أبو نعيم عن أنس وعن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي ربيعة عن جده به. انتهى.

﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾: بعض أولادي، وهم/ ١٨٤ب إسماعيل ومن ولد منه، ﴿بِوَادٍ﴾: هو وادي مكة، ﴿غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾: لا يكون فيه شيء من زرع قط؛ كقوله: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ [الزمر: ٢٨]، بمعنى: لا يوجد فيه اعوجاج، ما فيه إلا الاستقامة لا غير، وقيل: للبيت المحرم، لأنّ الله حرم التعرض له والتهاون به، وجعل ما حوله حرماً لمكانه، أو لأنه لم يزل ممنعاً عزيزاً يهابه كل جبار، كالشيء المحرم الذي حقه أن يجتنب، أو لأنه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكه، أو لأنه حرّم على الطوفان، أي: منع منه، كما سمي عتيقاً؛ لأنه أعتق منه فلم يستول عليه، ﴿لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: اللام متعلقة بأسكنت، أي: ما أسكنتهم هذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق، إلا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم، ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك، متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع، مستسعدين بجوارك الكريم، متقربين إليك بالعكوف عند بيتك، والطواف به، والركوع والسجود حوله، مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك، ﴿أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: أفئدة من أفئدة الناس، ومن للتبعيض؛ ويدل عليه ما روي عن مجاهد: لو قال أفئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم، وقيل: لو لم يقل (من): لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند، ويجوز أن يكون (من): للابتداء؛ كقولك: «القلب مني سقيم» تريد: قلبي، فكأنه قيل: أفئدة ناس؛ وإنما نكرت المضاف إليه في هذا التمثيل لتنكير أفئدة؛ لأنها في الآية نكرة ليتناول بعض الأفئدة[1]، وقرئ: «آفدة»: بوزن عاقدة، وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون من القلب كقولك: آدر، في أدؤر، والثاني: أن يكون اسم فاعلة من أفدت الرحلة إذا عجلت، أي: جماعة أو جماعات يرتحلون إليهم ويعجلون نحوهم، وقرئ: «أفدة»، وفيه وجهان: أن تطرح الهمزة للتخفيف، وإن كان الوجه أن تخفف بإخراجها بين بين، وأن يكون من أفد ﴿تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾: تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقاً ونزاعاً؛ من قوله [من الكامل]:

.... يَـهْـوِي مَـخَـارِمَـهَـا هُـوِيَّ الأَجْـدَلِ[2]

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولا يظهر كونها للغاية، لأنه ليس لنا فعل يبتدأ فيه بغاية ينتهي إليها، إذ لا يصح جعل ابتداء الأفئدة من الناس»، انتهى. الدر المصون.

(٢)
فإذا نبذت له الحصاة رأيته ... ينزو لوقعتها طمور الأخيل
وإذا يهب من المنام رأيته ... كرتوب كعب الساق ليس بزمل
وإذا رميت به الفجاج رأيته ... يهوي مخارمها هوي الأجدل
=

وقرئ: «تَهْوِي إليهم»، على البناء للمفعول، من هوى إليه وأهواه غيره، وتهوى إليهم، من هوى يهوي إذا أحب، ضمن معنى تنزع فعدّى تعديته، ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: مع سكناهم وادياً ما فيه شيء منها، بأن تجلب إليهم من البلاد، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾: النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم[1] ولا شجر ولا ماء، لا جرم أن الله ـ عزّ وجلّ ـ أجاب دعوته، فجعله حرماً آمناً تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنه، ثم فضله في وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف، وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثماراً، وفي أي: بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الأعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع، وهي اجتماع البواكير والفواكه[2] المختلفة الأزمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد، وليس ذلك من آياته بعجيب ـ متعنا الله بسكنى حرمه ـ ووفقنا لشكر نعمه، وأدام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ ورزقنا طرفاً من سلامة ذلك القلب السليم.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ (٣٨) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ (٣٩)﴾

النداء المكرر دليل التضرع واللجأ إلى الله تعالى، ﴿إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾: تعلم السرَّ كما تعلم العلن علماً لا تفاوت فيه؛ لأنّ غيباً من الغيوب لا يحتجب عنك،

= وإذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل

لأبي كبير الهذلي، يصف تأبط شرا بالتيقظ والشجاعة، يقول: إذا رميت له الحصاة مجرباً له هل هو نائم أو صاح، ينزو: أي يثب بسرعة، طمور الأخيل: أي وثوب الأخيل، أي ينهض كنهوضه: وهو طير تتشاءم منه العرب، وأصله من التخيل، وقيل من الخيلاء. ورتب رتوباً: انتصب انتصاباً وارتفع ارتفاعاً، أي: رأيته يرتفع عن الأرض كارتفاع كعب الساق. والزمل والزمال والزميل ـ بتشديد الميم فيها ـ: هو الضعيف الملتف بثيابه، ثم قال: وإذا قذفته في نواحي الأمكنة المتسعة، رأيته يهوي مخارمها، أي: يسرع في سلوك مسالكها الضيقة، كهوي الأجدل وهو الصقر، أي كإسراعه في الطيران. ويروى: الجندل وهو الحجر. والأسرة: خطوط الجبهة جمع سرار. والعارض: السحاب المعترض في الأفق. والمتهلل: اللامع، أو المرتفع الذي سيمطر. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كنت قاعدة أغزل عند رسول الله ﷺ وهو يخصف نعله، فتحضر جبينه عرقاً، فتولد في عيني نوراً، فجعلت أنظر إليه فقال: ما تنظرين؟ فقلت له ذلك، وقلت: أما والله لو رآك الهذلي لعلم أنك أحق بشعره، فقال: وما قال؟ قلت: وإذا نظرت... البيت. فوضع ما في يده وقام فقبل ما بين عيني وقال: جزاك الله خيراً، ما سررت كسروري بكلامك.

ينظر: ديوان الهذليين (٢/ ٩٤)، البحر المحيط (٥/ ٤٢٩)، اللسان «خرم»، الدر المصون (٤/ ٢٧٤).

(١) قوله: «في واد يباب ليس فيه نجم» أي خراب. والنجم: نبات لا ساق له، كذا في الصحاح (ع).

(٢) قوله: «وهي اجتماع البواكير والفواكه» الباكورة: أول الفاكهة، كما في الصحاح (ع).

والمعنى: أنك أعلم بأحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا منا، وأنت أرحم بنا وأنصح لنا منا بأنفسنا ولها، فلا حاجة إلى الدعاء والطلب؛ وإنما ندعوك إظهاراً للعبودية لك، وتخشعاً لعظمتك، وتذللاً لعزتك، وافتقاراً إلى ما عندك، واستعجالاً لنيل أياديك، وولهاً إلى رحمتك، وكما يتملق العبد بين يدي سيده؛ رغبة في إصابة معروفه، مع توفر السيد على حسن الملكة، وعن بعضهم: أنه رفع حاجته إلى كريم فأبطأ عليه النجح، فأراد أن يذكره فقال: مثلك لا يذكر استقصاراً ولا توهماً للغفلة عن حوائج السائلين، ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ألاَّ يتكلم فيها، وقيل: ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة، وما نعلن من البكاء والدعاء، وقيل: ما نخفي من كآبة الافتراق، وما نعلن: يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع: إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله أكلكم، قالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا نخشى، تركتنا إلى كاف، ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾: من كلام الله ـ عزّ وجلّ ـ تصديقاً لإبراهيم ـ عليه السلام ـ كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، أو من كلام إبراهيم، يعني: وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيْب من شيء في كل مكان، «ومن»: للاستغراق، كأنه قيل: وما يخفى عليه شيء ما، (على) في قوله: ﴿عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾، بمعنى: مع؛ كقوله [من المنسرح]:

إِنِّـي عَـلَـىٰ مَـا تَـرَيْـنَ مِـنْ كِـبَـرِي ... أَعْـلَـمُ مِـنْ حَـيْـثُ تُـؤْكَـلُ الْـكَـتِـفُ[1]

وهو في موضع الحال، معناه: وهب لي وأنا كبير وفي حال الكبر، روي أنّ إسماعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد له إسْحَاق، وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة، وقد روي أنه ولد له إسماعيل لأربع وستين، وإسْحَاق لتسعين، وعن سعيد بن جبير: لم يولد لإبراهيم إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة، وإنما ذكر/ ١٨٥أ حال الكبر؛ لأنّ المنة بهبة الولد فيها أعظم، من حيث إنها حال وقوع اليأس من الولادة، والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجلّ النعم وأحلاها في نفس الظافر، ولأنّ الولادة في تلك السنّ العالية كانت آية لإبراهيم، ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: كان قد دعا ربه وسأله الولد، فقال: رب هب لي من الصالحين، فشكر لله ما أكرمه به من إجابته.

---

(١) ترين: أصله ترأيين كتفعلين، نقلت فتحة الهمزة إلى الراء، ثم حذفت وحذفت الياء الأولى بعد قلبها ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها. يقول: إني مع ما تنظرينه من كبري وهرمي الموجب للخرف عادة، عارف بالأمور متيقظ لها. وكنى عن ذلك بقوله: أعرف من أين تؤكل الكتف، أي: أعرف جواب هذا الاستفهام، ويروى: من حيث، فلعل من زائدة. قال بعضهم: تؤكل الكتف من أسفلها وبشق أكلها من أعلاها، وهو مثل يضرب للمجرب المتفطن للأمور.
ينظر: البحر (٥/ ٤٣٤)، روح المعاني (١٣/ ٢٤٢)، بلا نسبة في تاج العروس (كتف)، ولقيس بن الخطيم في ديوانه (ص ٢٣٩)، الدر المصون (٤/ ٢٧٥).

فإن قلت: الله تعالى يسمع كل دعاء، أجابه أو لم يجبه.

قلت: هو من قولك: سمع الملك كلام فلان إذا اعتد به وقبله، ومنه: سمع الله لمن حمده، وفي الحديث: «مَا أَذِنَ الله لِشَيْءٍ كَإِذْنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّىٰ بِالْقُرْآنِ»[1] (٨١٣).

فإن قلت: ما هذه الإضافة إضافة السميع إلى الدعاء؟

قلت: إضافة الصفة إلى مفعولها، وأصله: لسميع الدعاء، وقد ذكر سيبويه فعيلاً في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل؛ كقولك: هذا ضروب زيداً، وضراب أخاه، ومنحار إبله، وحذر أموراً، ورحيم أباه، ويجوز أن يكون من إضافة فعيل إلى فاعله، ويجعل دعاء الله سميعاً على الإسناد المجازي، والمراد: سماع الله.

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾: وبعض ذريتي، عطفاً على المنصوب في اجعلني؛ وإنما بعض لأنه علم بإعلام الله أنه يكون في ذرّيته كفار؛ وذلك قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. ﴿وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ أي: عبادتي، ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم ٤٨]، في قراءة أبيّ: «ولأبويّ». وقرأ سعيد بن جبير: «ولوالدي»: على الإفراد، يعني: أباه، وقرأ الحسن بن علي - رضي الله عنهما -: ولولديّ، يعني: إسماعيل وإسحاق. وقرئ: «لوُلدي»: بضم الواو، والولد بمعنى: الولد، كالعدم والعدم، وقيل: جمع ولد، كأسد في أسد، وفي بعض المصاحف: «ولذرّيتي».

فإن قلت: كيف جاز له أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين؟

قلت: هو من مجوّزات العقل[2]، لا يعلم امتناع جوازه إلا بالتوقيف، وقيل: أراد بوالديه آدم وحواء، وقيل: بشرط الإسلام، ويأباه قوله: ﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾

---

٨١٣ - أخرجه البخاري (١٣/٥١٨) كتاب التوحيد باب قول النبي ﷺ: الماهر بالقرآن حديث (٢٥٤٤)، ومسلم (١/٥٤٥) كتاب صلاة المسافرين: باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن حديث (٢٣٣/ ٧٩٢)، من حديث أبي هريرة.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - انتهى.

---

(١) قوله: «كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن» في الصحاح: كإذنه لمن يتغنى... إلخ (ع).

(٢) قوله: «هو من مجوزات العقل» يعني على مذهب المعتزلة أن العقل قد يدرك الحكم بدون شرع، ومذهب أهل السنة أن لا حكم قبل الشرع حتى يدرك بدونه، فافهم (ع).

[الممتحنة: ٤]؛ لأنه لو شرط الإسلام، لكان استغفاراً صحيحاً لا مقال فيه، فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بإبراهيم، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ أي: يثبت، وهو مستعار من قيام القائم على الرجل؛ والدليل عليه قولهم: قامت الحرب على ساقها، ونحوه قولهم: ترجلت الشمس: إذا أشرقت وثبت ضوؤها، كأنها قامت على رجل، ويجوز أن يسند إلى الحساب قيام أهله إسناداً مجازيًّا، أو يكون مثل: (واسئل القرية)، وعن مجاهد: قد استجاب الله له فيما سأل، فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته، وجعل البلد آمناً، ورزق أهله من الثمرات، وجعله إماماً، وجعل في ذريته من يقيم الصلاة، وأراه مناسكه، وتاب عليه، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: كانت الطائف من أرض فلسطين، فلما قال إبراهيم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، الآية، رفعها الله فوضعها؛ حيث وضعها رزقاً للحرم.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾

فإن قلت: يتعالى الله عن السهو والغفلة، فكيف يحسبه رسول الله ﷺ وهو أعلم الناس به غافلاً حتى قيل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾؟

قلت: إن كان خطاباً لرسول الله ﷺ ففيه وجهان:

أحدهما: التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلاً؛ كقوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥]. ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص: ٨٨]، كما جاء في الأمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦].

والثاني: أنّ المراد بالنهي عن حسبانه غافلاً، الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون، لا يخفى عليه منه شيء، وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣] يريد الوعيد، ويجوز أن يراد: ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون، ولكن معاملة الرقيب عليهم، المحاسب على النقير والقطمير، وإن كان خطاباً لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلاً، لجهله بصفاته، فلا سؤال فيه، وعن ابن عيينة: تسلية للمظلوم وتهديد للظالم، فقيل له: من قال هذا؟ فغضب وقال: إنما قاله من علمه، وقرئ: «يؤخرهم»: بالنون والياء، ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: أبصارهم لا تقرّ في أماكنها من هول ما ترى، ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين إلى الداعي، وقيل: الإهطاع أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه لا تطرف، ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾: رافعيها، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم، أي: لا يطرفون، ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة

غير تحريك للأجفان، أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم، الهواء: الخلاء الذي لم تشغله الأجرام، فوصف به فقيل: قلب فلان هواء: إذا كان جباناً لا قوّة في قلبه ولا جرأة؛ ويقال للأحمق ـ أيضاً ـ: قلبه هواء؛ قال زهير [من الوافر]:

.... مِـنَ الـظُّـلْـمَـانِ جُـؤْجُـؤُهُ هَـوَاءُ[1]

لأنّ النعام مثل في الجبن والحمق؛ وقال حسان [من الوافر]:

.... فَـأَنْـتَ مُـجَـوَّفٌ نَـخْـبٌ هَـوَاءُ[2]

---

(١) كأن الرحل منها فوق صعل ... من الظلمان جؤجؤه هواءُ
أصك مصلم الأذنين أجنى ... له بالسن تنُّوم وآء
لزهير بن أبي سلمى يصف ناقته. والصعل: المنجرد شعر الرأس والصغير الرأس. والظلمان: جمع ظليم وهو ولد النعام، والجؤجؤ: الصدر. والهواء: الخالي الفارغ. وجعل صدره فارغاً ليكون أسرع في السير إلى طعامه. والأصك: الذي تصطك ركبتاه عند المشي لطول رجليه. وصلمه: قطعه. والتصليم: مبالغة. ويقال: أجنى الثمر إذا أدرك، وأجنت الأرض: كثر كلؤها وخصبها. والسن، المكان المستوي واسم موضع بعينه. والتنوم ـ وزن تنور ـ: شجر تنفلق كمامه عن حب صغير تأكله أهل البادية، يغلب على لونه السواد. قيل: وهو شجر الشهدانج. والآء: جنس من الشجر واحده آءة. وقيل: ثمر ذلك الشجر يطلق على نوع من الصوت: والتنوم: فاعل أجني، أي كثر له في ذلك المكان هذان النوعان.
ينظر: ديوانه ص ٦٣، ولسان العرب: (أوأ)، (هوا)، ومقاييس اللغة: ٦/ ١٥، والمخصص: ٣/ ٦٤، ١٥/ ١٢٠، ومجمل اللغة ٤/ ٤٥٥، وتاج العروس (أوأ) (هوى).

(٢) ألا أبلغ أبا سفيان عني ... فأنت مجوف نخب هواء
بأن سيوفنا تركت عبيداً ... وعبد الدار سادتها الإماء
هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء
فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء
فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
لحسان يهجو أبا سفيان قبل إسلامه. وإلا للتنبيه، والمأمور بالإبلاغ غير معين، وكان الظن أن يقول: فإنه، أي: أبا سفيان، لكن خاطبه بالذم لأنه أغيظ. ويجوز أن المأمور أبو سفيان، فهو منادى يحذف حرف النداء. والمجوف والنخب والهواء: خالي الجوف، أو فارغ القلب من العقل والشجاعة. وروي بدل هذا الشطر «مغلغلة فقد برح الخفاء» والمغلغلة: الحارة من الغلة بالضم، وهي شدة العطش والحرارة. وقيل: المنقولة من مكان لآخر، وبرح كسمع: ذهب وزال. وقيل: ظهر واتضح من براح الأرض وهو البارز منها، فالخفا بمعنى التستر أو السر. وإسناد الترك للسيوف مجاز عقلي، لأنها آلة للفعل. وعبيد بالتصغير قبيلة، وكذلك عبد الدار، وسادتها مبتدأ. والإماء خبره، والجملة في محل المفعول الثاني لتركت، أي صيرت عبيداً لا سادة لها إلا النساء، وصيرت عبد الدار كذلك، يعني: أننا أفنينا رجالهما الرؤساء الأشراف، فأشرافهما النساء لا غير، بل يجوز أنهم سواء الحرائر أيضاً، فلم يبق إلا الرقائق. وأتهجوه: استفهام توبيخي، والواو بعده للحال، أي: لا ينبغي ذلك شر وخير، من قبيل أفعل التفضيل، واختصا بحذف همزتهما تخفيفاً لكثرة =

وعن ابن جريج: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾: صفر من الخير خاوية منه، وقال أبو عبيدة: جوف لا عقول لهم.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾: مفعول ثان لأنذر، وهو يوم القيامة، ومعنى ﴿أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: ردّنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحدّ من الزمان قريب، نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك، واتباع رسلك، أو أريد باليوم: يوم هلاكهم/ ١٨٥ب بالعذاب العاجل، أو يوم موتهم معذبين بشدّة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى، وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب؛ كقوله: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ [المنافقون: ١٠]، ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم﴾: على إرادة القول، وفيه وجهان: أن يقولوا ذلك بطراً وأشراً، ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه، وأن يقولوه بلسان الحال؛ حيث بنوا

= استعمالهما، لكن المراد بهما هنا أصل الوصف لا الزيادة فيه والشر أبو سفيان، والجملة دعائية، دعا عليه بأن يكون فداءً لرسول الله ﷺ، وأبرزه في صورة الإبهام لأجل الإنصاف في الكلام، ولذلك لما سمعه الحاضرون قالوا: هذا نصف بيت قالته العرب، فعليك بالإنصاف وأمن يهجو: استفهام إنكاري، أي ليس من يهجوه منكم ومن يمدحه وينصره منا مستويين. ويحتمل أن الهمزة للتنبيه، أو للنداء، والمنادى محذوف، أي: يا قوم أبي سفيان إن الذي يهجو رسول الله منكم والذي يمدحه وينصره منكم مستويان في عدم الاكتراث بهما وروي: فمن، ولا بد من تقدير، أي: من يهجوه ويخذله منكم ليقابل الخذلان النصر كالهجو والمدح، ثم إن في هذا دليلاً على جواز حذف الموصول، وقد أجازه الكوفيون والأخفش، وتبعهم أبو مالك، وشرط كونه معطوفاً على موصول آخر كما هنا. وقوله: ووالده، أي والد أمي. ويروى: ووالدتي. والوقاء: ما يتوقى به المكروه. كالترس وزن الحزام والرباط للمفعول به الفعل، فهو إما بمعنى اسم مفعول أو اسم الآلة. ورأيت في كلام الزمخشري ما يفيد تسمية هذا الوزن باسم المفعول. وفي الهمع ما يفيد أنه جاء شاذا من أوزان الآلة، كأراث لما تؤرث به النار، أي تضرم به، وسراد لما يسرد به، أي يحزز به. ولما سمع ﷺ قوله: «وعند الله في ذلك الجزاء» قال: جزاك الله الجنة بإحسان. ولما سمع قوله: «فإن أبي» قال: وقاك الله حر النار يا حسان. وتقريره ﷺ على المكافأة بالذم، يدل على الجواز.

ينظر: ديوانه ص ٧٥، ولسان العرب: (جوف)، (هوا)، وكتاب العين ٤/ ١٠٤، وتهذيب اللغة ٦/ ٤٩٢، ١١/ ٢٠٩، وأساس البلاغة ص ٧٠ (جوف)، وتاج العروس (برج)، (جوف)، والمخصص ١٥/ ١٢٠، وديوان الأدب: ٣/ ١٣٨.

شديداً وأمّلوا بعيداً، و﴿مَا لَكُم﴾: جواب القسم؛ وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله: (أقسمتم)، ولو حكى لفظ المقسمين لقيل: مالنا، ﴿مِّن زَوَالٍ﴾، والمعنى: أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء، وقيل: لا تنتقلون إلى دار أخرى يعني: كفرهم بالبعث؛ كقوله: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ [النحل: ٣٨]، يقال: سكن الدار وسكن فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥]؛ لأنّ السكنى من السكون الذي هو اللبث، والأصل: تعدّيه بفي؛ كقولك: قرّ في الدار وغني فيها وأقام فيها، ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل: سكن الدار كما قيل: تبوّأها وأوطنها، ويجوز أن يكون: سكنوا[١]، من السكون، أي: قرّوا فيها واطمأنوا طيبي النفوس، سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد، لا يحدّثونها بما لقي الأوّلون من أيام الله، وكيف كان عاقبة ظلمهم، فيعتبروا ويرتدعوا، ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾: بالإخبار والمشاهدة، ﴿كَيْفَ﴾: أهلكناهم وانتقمنا منهم، وقرئ: «ونبين لكم»: بالنون، ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ أي: صفات ما فعلوا، وما فعل بهم، وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم، ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ﴾ أي: مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم، ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾: لا يخلو إمّا أن يكون مضافاً إلى الفاعل كالأوّل، على معنى: ومكتوب عند الله مكرهم، فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه، أو يكون مضافاً إلى المفعول على معنى: وعند الله مكرهم الذي يمكرهم[٢] به، وهو عذابهم[٣] الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون، ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾: وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة، فضرب زوال الجبال منه مثلاً لتفاقمه وشدته، أي: وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال، معدًّا لذلك، وقد جعلت إن نافية واللام مؤكدة لها؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والمعنى: ومحال أن تزول الجبال بمكرهم، على أنّ الجبال مثل لآيات الله وشرائعه؛ لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتاً وتمكناً؛ وتنصره قراءة ابن مسعود: «وما كان مكرهم»، وقرئ: «لتزول»: بلام الابتداء، على: وإن كان مكرهم من الشدّة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع

---

(١) قوله: «ويجوز أن يكون سكنوا» لعله: سكنتم. (ع)

(٢) قوله: «وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به» الذي في الصحاح المكر: الاحتيال والخديعة، وقد مكر به. والمكر أيضاً: المغرة، وقد مكره فامتكر، أي خضبه فاختضب اهـ، وهو يفيد أن المكر بمعنى الاحتيال لا يتعدى بنفسه، فتدبر (ع).

(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا لا يصح إلا إن كان «مكر» يتعدى بنفسه، كما قال هو إذ قدّر: يمكرهم به. والمحفوظ أن «مكر» لا يتعدى إلى مفعول به بنفسه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وتقول: «زيد ممكور به» ولا يحفظ «زيد ممكور بسبب كذا»». انتهى. الدر المصون.

من أماكنها، وقرأ علي وعمر ـ رضي الله عنهما ـ: وإن كاد مكرهم، ﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ يعني: قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٥١].

فإن قلت: هلا قيل: مخلف رسله وعده؟ ولم قدم المفعول الثاني على الأوّل[1]؟

قلت: قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً؛ كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١]، ثم قال: (رسله): ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً ـ وليس من شأنه إخلاف المواعيد ـ كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته؟ وقرئ: «مخلف وعده رسله»: بجرّ الرسل، ونصب الوعد، وهذه في الضعف كمن قرأ: ﴿قتل أولادهم وشركائهم﴾ [الأنعام: ١٣٧]. ﴿عَزِيزٌ﴾: غالب لا يماكر، ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: لأوليائه من أعدائه.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ﴾: انتصابه على البدل من يوم يأتيهم، أو على الظرف للانتقام، والمعنى: يوم تبدّل هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً أخرى غير هذه المعروفة؛ وكذلك السموات، والتبديل: التغيير، وقد يكون في الذوات؛ كقولك: بدلت الدراهم دنانير، ومنه: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، و﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ: ١٦] وفي الأوصاف؛ كقولك: بدلت الحلقة خاتماً، إذا أذبتها وسويتها خاتماً، فنقلتها من شكل إلى شكل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]، واختلف في تبديل الأرض والسموات، فقيل: تبدّل أوصافها فتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها، وتسوّى فلا يرى فيها عوج ولا أمت، وعن ابن عباس: هي تلك الأرض وإنما تغير؛ وأنشد [من الطويل]:

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم قدم المفعول الثاني على الأول. . . إلخ»؟ قال أحمد: وفيما قاله نظر؛ لأن الفعل متى تقيد بمفعول انقطع إطلاقه، فليس تقديم الوعد في الآية دليلاً على إطلاق الفعل باعتبار الموعود، حتى يكون ذكر الرسل بائناً كالأجنبي من الإطلاق الأول، ولا فرق في المعنى الذي ذكره بين تقديم ذكر الرسل وتأخيره ولا يفيد تقديم المفعول الثاني إلا الإيذان بالعناية في مقصود المتكلم والأمر بهذه المثابة في الآية، لأنها وردت في سياق الإنذار والتهديد للظالمين بما توعدهم الله تعالى به على ألسنة الرسل، فالمهم في التهديد ذكر الوعيد. وأما كونه على ألسنة الرسل فذلك أمر لا يقف التخويف عليه ولا بد، حتى لو فرض التوعد من الله تعالى على غير لسان رسول، لكان الخوف منه حسيباً كافياً، والله أعلم.

وَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَهِدْتَهُمْ وَلاَ الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْلَمُ(1)

وتبدّل السماء بانتثار كواكبها، وكسوف شمسها، وخسوف قمرها، وانشقاقها، وكونها أبواباً، وقيل: يخلق بدلها أرض وسموات أخر، وعن ابن مسعود وأنس: يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة، وعن علي - رضي الله عنه -: تبدّل أرضاً من فضة، وسموات من ذهب، وعن الضحاك: أرضاً من فضة بيضاء كالصحائف، وقرئ: «يوم نبدّل الأرض»: بالنون(2).

فإن قلت: كيف قال: ﴿ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾؟

قلت: هو كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]؛ لأنّ الملك إذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعازّ فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار، كان الأمر في غاية الصعوبة والشدّة، ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: قرن بعضهم مع بعض، أو مع الشياطين، أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغللين، وقوله: ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾: إما أن يتعلق بمقرّنين، أي: يقرنون في الأصفاد، وإمّا أن لا يتعلق به، فيكون المعنى: مقرّنين مصفدين، والأصفاد: القيود، وقيل: الأغلال؛/ ١٨٦أ وأنشد لسلامة بن جندل [من الوافر]:

وَزَيْدُ الْخَيْلِ قَدْ لاَقَى صِفَاداً يَعَضُّ بِسَاعِدٍ وَبِعَظْمِ سَاقِ(3)

القطران: فيه ثلاثة لغات: قَطران، وقِطران، وقِطْران: بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء، وهو ما يتحلب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ، فتهنأ به الإبل الجربى، فيحرق الجرب بحرّه وحدّته، والجلد، وقد تبلغ حرارته الجوف، ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار، وقد يستسرج به، وهو أسود اللون منتن الريح، فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص، لتجتمع عليهم الأربع: لذع القطران، وحرقته، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، ونتن الريح، على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين، وكل ما وعده الله أو وعد به في الآخرة، فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره، وكأنه ما عندنا منه إلا الأسامي والمسميات ثمة، فبكرمه الواسع

---

(1) يقول: ليس الناس اليوم هم الناس الذين عهدتهم سابقاً، لفناء الأحياء من بينهم، وليست الدار اليوم هي الدار التي كنت تعلمها، لتبدل أحوالها وتغير أوصافها.
ينظر: مجالس ثعلب (١/ ٤٩)، روح المعاني (١٣/ ٢٥٤)، الدر المصون (٤/ ٢٨١).

(2) قوله: «وقرئ نبدل الأرض بالنون» لعله ونصب الأرض والسموات، فلتحرر القراءة (ع).

(3) لسلامة بن جندل. وزيد الخيل: هو الذي سماه النبي ﷺ زيد الخير. قد لاقى: أي نال من أعدائه صفاداً، أي قيداً وغلا. واستعار العض لقرص الصفاد اليابس الصلب على طريق التصريحية. والباء للإلصاق، وأقحم لفظ العظم للمبالغة في العض حتى وصل العظم.

نعوذ من سخطه، ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه، وقرئ: «من قطرآن»، والقطر: النحاس أو الصفر المذاب، «والآني»: المتناهي حرّه، ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٢٤]، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨]؛ لأن الوجه أعز موضع في ظاهر البدن وأشرفه، كالقلب في باطنه؛ ولذلك قال: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [القمر: ٧]، وقرئ: «وتغشى وجوههم»: بمعنى: تتغشى، أي: يفعل بالمجرمين ما يفعل، ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ﴾: مجرمة، ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾: أو كل نفس من مجرمة ومطيعة؛ لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾: كفاية في التذكير والموعظة، يعني: بهذا ما وصفه من قوله: (ولا تحسبن) إلى قوله: (سريع الحساب)، ﴿وَلِيُنذَرُوا۟﴾: معطوف على محذوف، أي: لينصحوا ولينذروا، ﴿به﴾: بهذا البلاغ، وقرئ: «ولِيَنذروا»: بفتح الياء: من نذر به إذا علمه[1] واستعدّله، ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به، دعتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد؛ لأنّ الخشية أمّ الخير كله.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ إِبْرَاهِيمَ أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ عَشْر حَسَنَاتٍ بعَدَد كُلِّ مَنْ عَبَدَ الأَصْنَامَ وَعَدَدِ مَنْ لَمْ يَعْبُدْ» (٨١٤).

---

٨١٤ ـ تقدم تخريجه وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة، وقد تكلمنا عليه وعلى أسانيده عند الحديث رقم (٣٤٦).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
يأتي تخريجه في آخر الكتاب. انتهى.

---

(١) قوله: «من نذر به إذا علمه» في الصحاح: نذر القوم بالعدو ـ بكسر الذال ـ إذا علموا (ع).

سُورَةُ الحِجْرِ
مَكِّيَّةٌ [إِلاَّ آيَةَ ٨٧ فَمَدَنِيَّةٌ]
وَهِيَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ آيَةً [نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ يُوسُفَ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات. والكتاب، والقرآن المبين: السورة. وتنكير القرآن للتفخيم. والمعنى: تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وأي قرآن مبين، كأنه قيل: الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾

قرئ: «ربما»، «وربتما»: بالتشديد، «ورُبَما»، «ورَبَما»: بالضم والفتح مع التخفيف.

فإن قلت: لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي؟

قلت: لأن المترقب في إخبار الله ـ تعالى ـ بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه، فكأنه قيل: «ربما ودّ».

فإن قلت: متى تكون ودادتهم؟

قلت: عند الموت، أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين، وقيل: إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار، وهذا ـ أيضاً ـ باب من الودادة.

فإن قلت: فما معنى التقليل؟[1].

---

(١) قال محمود: «إن قلت: ما معنى تقليل ودادتهم... إلخ»؟ قال أحمد: لا شك أن العرب تعبر عن المعنى بما يؤدي عكس مقصوده كثيراً، ومنه قوله [من البسيط]:

قد أترك القرن مصفرا أنامله ....

وإنما يمتدح بالإكثار من ذلك، وقد عبر بقد المفيدة للتقليل، ومنه والله أعلم. ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ والمقصود توبيخهم على أذاهم لموسى عليه السلام على توفر علمهم برسالته =

قلت: هو وارد على مذهب العرب في قولهم: لعلك ستندم على فعلك، وربما ندم الإنسان على ما فعل، ولا يشكون في تندمه، ولا يقصدون تقليله؛ ولكنهم أرادوا: لو كان الندم مشكوكاً فيه أو كان قليلاً لحق عليك ألاَّ تفعل هذا الفعل؛ لأنّ العقلاء يتحرّزون من التعرّض للغم المظنون، كما يتحرّزون من المتيقن ومن القليل منه، كما من الكثير؛ وكذلك المعنى في الآية: لو كانوا يودّون الإسلام مرة واحدة، فبالحري أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودّونه في كل ساعة، ﴿لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾: حكاية ودادتهم؛ وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم؛ كقولك: حلف بالله ليفعلنّ، ولو قيل: حلف بالله لأفعلنّ، ولو كنا مسلمين، لكان حسناً سديداً، وقيل: تدهشهم أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين، فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا؛ فلذلك قلل، ﴿ذَرْهُمْ﴾ يعني: اقطع طمعك من ارعوائهم، ودعهم عن النهي عما هم عليه والصدّ عنه بالتذكرة والنصيحة، وخلهم: ﴿يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾: بدنياهم[1] وتنفيذ شهواتهم، ويشغلهم أملهم وتوقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال، ألاَّ يلقوا في العاقبة إلا خيراً، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: سوء صنيعهم، والغرض الإيذان بأنهم من أهل الخذلان، وأنهم لا يجيء منهم إلا ما هم فيه، وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ إلا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ، ولا سبيل إلى اتعاظهم قبل ذلك، فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته، وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً في العاقبة، وفيه إلزام للحجة ومبالغة في الإنذار وإعذار فيه، وفيه تنبيه على أن إيثار التلذذ والتنعم وما يؤدّي إليه طول الأمل، وهذه هجيري أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين، وعن بعضهم: التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين/ ١٨٦ب.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾﴾

= ومناصحته لهم، وقد اختلف توجيه علماء البيان لذلك، فمنهم من وجهه بما ذكره الزمخشري آنفاً من التنبيه بالأدنى على الأعلى، ومنهم من وجهه بأن المقصود في ذلك الإيذان بأن المعنى قد بلغ الغاية حتى كاد أن يرجع إلى الضد، وذلك شأن كل ما انتهى لنهايته أن يعود إلى عكسه. وقد أفصح أبو الطيب ذلك بقوله [من الكامل]:

ولجدت حتى كدت تبخل حائلاً ... للمنتهي ومن السرور بكاء

وكلا هذين الوجهين يحمل الكلام على المبالغة بنوع من الإيقاظ إليها، والعمدة في ذلك على سياق الكلام، لأنه إذا اقتضى مثلاً تكثيراً، فدخلت فيه عبارة يشعر ظاهرها بالتقليل استيقظ السامع بأن المراد المبالغة على إحدى الطريقتين المذكورتين، والله أعلم.

(١) قوله: «ويتمتعوا بدنياهم» في الصحاح: سميت الدنيا لدنوها، والجمع دنا، مثل الكبرى والكبر، والصغرى والصغر (ع).

﴿وَلَهَا كِتَابٌ﴾: جملة واقعة صفة لقرية، والقياس ألاَّ يتوسط الواو بينهما؛ كما في قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ [الشعراء: ٢٠٨]، وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، كما يقال في الحال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني وعليه ثوب[١]، كتاب ﴿مَعْلُومٌ﴾: مكتوب معلوم، وهو أجلها الذي كتب في اللوح وبين؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: في موضع كتابها، وأنث الأمة أوّلاً ثم ذكرها آخراً، حملاً على اللفظ، والمعنى: وقال: ﴿وَمَا يَسْتَـْخِرُونَ﴾: بحذف «عنه»؛ لأنه معلوم.

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾

قرأ الأعمش: «يا أيها الذي ألقى عليه الذكر»[٢]، وكأن هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء، كما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، وكيف يقرّون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون، والتعكيس في كلامهم للاستهزاء، والتهكم مذهب واسع، وقد جاء في كتاب الله في مواضع، منها: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤﴾ [هود: ٨٧]، ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، وقد يوجد كثيراً في كلام العجم، والمعنى: إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أنّ الله نزل عليك الذكر.

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٧﴾

«لو»: ركبت مع: «لا»، و«ما»: لمعنيين: معنى امتناع الشيء لوجود غيره، ومعنى

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولا نعلم أحداً قاله من النحويين. وفي محفوظي أن ابن جني سبقهما إلى ذلك».
ثم قال الشيخ: «وهو مبني على جواز أن ما بعد «إلاّ» يكون صفة»، وقد منعوا ذلك. قال الأخفش: «لا يفصل بين الصفة والموصوف بـ«إلا» ثم قال: وأما نحو: «ما جاءني رجل إلا راكب»، على تقدير: إلا رجل راكب. ففيه قبح لجعلك الصفة كالاسم، وقال أبو علي: تقول: «ما مررتُ بأحدٍ إلا قائماً». قائماً حال، ولا تقول: «إلا قائم، لأنّ «إلا» لا تعترض بين الصفة والموصوف». وقال ابن مالك ـ وقد ذكر ما ذهب إليه الزمخشري في قوله: «ما مررتُ بأحدٍ إلا زَيْدٌ خَيْرٌ منه» أنّ الجملة بعد «إلا» صفة لـ«أَحَدٍ»: إنه مذهب لا يعرف لبصري ولا كوفي، فلا يلتفت إليه، وأبطل قوله: «إنّ الواو توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف». قُلْتُ: قول الزمخشري قوي من حيث القياس، فإنّ الصفة كالحال في المعنى، وإن كان بينهما فرق من بعض الوجوه، فكما أن الواو تدخل على الجملة الواقعة حالاً، كذلك تدخل عليها واقعة صفة ويقويه أيضاً ما نظّر به من الآية الأخرى في قوله: ﴿مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾. ويقويه أيضاً قراءة ابن أبي عبلة المتقدمة. وقال منذر بن سعيد: «هذه الواو هي التي تعطي أن الحالة التي بعدها في اللفظ هي في الزمن قبل الحالة التي قبل الواو، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «الذي ألقى عليه الذكر» لعله: إليه (ع).

التحضيض، وأما «هل»: فلم تركب إلا مع «لا»: وحدها للتحضيض؛ قال ابن مُقْبِلٍ [من البسيط]:

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عِبْتُكُمَا ... بِبَعْضِ مَا فِيكُمَا إِذْ عِبْتُمَا عَوَرِي[1]

والمعنى: هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على إنذارك؛ كقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧]، أو: هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقاً كما كانت تأتي الأمم المكذبة برسلها؟

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾

قرئ: «تنزل»: بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل، وننزل الملائكة: بالنون ونصب الملائكة، ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلا تنزلاً ملتبساً بالحكمة والمصلحة، ولا حكمة في أن تأتيكم عياناً تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي ﷺ لأنكم حينئذ مصدّقون عن اضطرار، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقيل: الحق الوحي أو العذاب، و﴿إِذًا﴾: جواب وجزاء؛ لأنه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾: رد لإنكارهم واستهزائهم[2] في قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [الحجر: ٦]؛ ولذلك قال: إنا نحن، فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد ﷺ وبين يديه ومن خلفه رصد، حتى نزل وبلغ محفوظاً من الشياطين، وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة؛ فإنه لم يتول حفظها؛ وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغياً فكان التحريف، ولم يكل القرآن إلى غير حفظه.

---

(١) لابن مقبل، ولولا ولوما: أصلهما «لو» التي تفيد امتناع الشيء لامتناع غيره، فركبت مع «لا» و«ما» النافيتين. فأفادت معهما امتناع الشيء لوجود غيره، لأن نفي النفي إثبات، فإن لم يكن لها جواب أفادت معهما في المضارع للتحضيض، وفي غيره التنديم أو التوبيخ، يقول: لولا الحياء موجود، ولوما الدين موجود لعبتكما ببعض ما فيكما من العيوب، لأنكما عبتماني بعوري، أو عددتموه عيباً.

(٢) قال محمود: «هذا رد لإنكارهم واستهزائهم... إلخ» قال أحمد: ويحتمل أن يراد حفظه مما يشينه من تناقض واختلاف لا يخلو عنه الكلام المفترى، وذلك أيضاً من الدليل على أنه من عند الله، كما قال تعالى في آية أخرى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.

فإن قلت: فحين كان قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾: ردًا لإنكارهم واستهزائهم، فكيف اتصل به قوله: ﴿وإنا له لحافظون﴾؟

قلت: قد جعل ذلك دليلاً على أنه منزل من عنده آية؛ لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية، لتطرق عليه الزيادة والنقصان، كما يتطرق على كل كلام سواه، وقيل: الضمير في (له): لرسول الله ﷺ كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾: في فرقهم وطوائفهم، والشيعة: الفرقة، إذا اتفقوا على مذهب وطريقة، ومعنى أرسلناه فيهم: نبأناه فيهم وجعلناه رسولاً فيما بينهم، ﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾: حكاية حال ماضية؛ لأنّ «ما»: لا تدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال، ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

يقال: سلكت الخيط في الإبرة، وأسلكته إذا أدخلته فيها ونظمته، وقرئ: «نسلكه»، للذكر، أي: مثل ذلك السلك، ونحوه: نسلك الذكر في: ﴿قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ على معنى: أنه يلقيه في قلوبهم[1] مكذباً مستهزءاً به غير مقبول، كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك إليها فقلت: كذلك أنزلها باللئام، تعني: مثل هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية،

---

(١) قال محمود: «معناه يلقيه في قلوبهم مكذباً به... إلخ» قال أحمد: والمراد والله أعلم إقامة الحجة على المكذبين بأن الله تعالى سلك القرآن في قلوبهم وأدخله في سويدائها، كما سلك ذلك في قلوب المؤمنين المصدقين، فكذب به هؤلاء وصدق به هؤلاء كل على علم وفهم، ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة﴾ ولئلا يكون للكفار على الله حجة بأنهم ما فهموا وجوه الإعجاز كما فهمها من آمن، فأعلمهم الله تعالى من الآن وهم في مهلة وإمكان أنهم ما كفروا إلا على علم معاندين باغين غير معذورين، والله أعلم. ولذلك عقبه الله تعالى بقوله ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ أي هؤلاء فهموا القرآن وعلموا وجوه إعجازه، وولج ذلك في قلوبهم ووقر، ولكنهم قوم سجيتهم العناد وشيمتهم اللدد، حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وأدعاها إلى الإيمان بضرورة المشاهدة، وذلك بأن يفتح لهم باباً في السماء ويعرج بهم إليه حتى يدخلوا منه نهاراً. وإلى ذلك الإشارة بقوله (فظلوا) لأن الظلول إنما يكون نهاراً، لقالوا بعد هذا الإيضاح العظيم المكشوف: إنما سكرت أبصارنا وسحرنا محمد، وما هذه إلا خيالات لا حقائق تحتها، فأسجل عليهم بذلك أنهم لا عذر لهم في التكذيب من عدم سماع ووعي ووصول إلى القلوب، وفهم كما فهم غيرهم من المصدقين لأن ذلك كله حاصل لهم وإنما بهم العناد واللدد والإصرار لا غير والله أعلم.

ومحل قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: النصب على الحال، أي: غير مؤمن به، أو هو بيان لقوله: (كذلك نسلكه)، ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم، وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾

قرئ: ﴿يَعْرُجُونَ﴾: بالضم والكسر، و﴿سُكِّرَتْ﴾: حيرت أو حبست من الإبصار، من السكر أو السكر، وقرئ: «سكرت»: بالتخفيف(١) أي: حبست كما يحبس النهر من الجري، وقرئ: «سكرت»: من السكر، أي: حارت كما يحار السكران، والمعنى: أنّ هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد: أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء، ويسر لهم معراج يصعدون فيه إليها، ورأوا من العيان ما رأوا، لقالوا: هو شيء نتخايله لا حقيقة له، ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك، وقيل: الضمير للملائكة، أي: لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عياناً لقالوا ذلك، وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون، وقال: إنما؛ ليدل على أنهم يبتون/ ١٨٧أ القول بأنّ ذلك ليس إلا تسكيراً للأبصار.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿مَنِ ٱسْتَرَقَ﴾: في محل النصب على الاستثناء، وعن ابن عباس: أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها، ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر للمبصرين، ﴿مَّوْزُونٍ﴾: وزن بميزان الحكمة، وقدّر بمقدار تقتضيه، لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان، أو له وزن وقدر في أبواب النعمة والمنفعة، وقيل: ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها، ﴿مَعَٰيِشَ﴾: بياء صريحة، بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما؛ فإن تصريح الياء فيها خطأ، والصواب: الهمزة، أو إخراج الياء بين بين، وقد قرئ: «معائش»: بالهمزة على التشبيه، ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾: عطف على معايش، أو على محل لكم؛ كأنه قيل:

---

(١) قوله: «وقرئ (سكرت) بالتخفيف»: لعل هذا من السكر بالفتح كما أن ما يأتي من السكر بالضم (ع).

وجعلنا لكم فيها معايش، وجعلنا لكم من لستم له برازقين، أو: وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين، وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون؛ فإنّ الله هو الرزاق، يرزقهم وإياهم، ويدخل فيه الأنعام والدواب وكل ما بتلك المثابة، مما الله رازقه، وقد سبق إلى ظنهم أنهم هم الرازقون، ولا يجوز أن يكون مجروراً عطفاً على الضمير المجرور في: (لكم)؛ لأنه لا يعطف على الضمير المجرور.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾

ذكر الخزائن تمثيل، والمعنى: وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به، وما نعطيه إلا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلحة له؛ فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَوَاقِحَ﴾: فيه قولان: أحدهما: أنّ الريح لاقح إذا جاءت بخير، من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير: ريح عقيم، والثاني: أن اللواقح بمعنى: الملاقح؛ كما قال [من الطويل]:

.... وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ[1]

---

(١) لِيُبْكَ يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح

لضرار بن نهشل يرثي أخاه يزيد بن نهشل. وقيل غير ذلك. وليبك: مبني للمفعول، واللام للطلب، ويزيد نائب الفاعل، وضارع فاعل لفعل محذوف، وفي الكلام سؤال مقدر، كأنه قيل: من يبكيه؟ فقيل يبكيه ضارع وهو الذليل، ومختبط وهو السائل، كأنه يختبط أبواب المسئولين. وما مصدرية، وتطيح تهلك. وقال الجوهري: طوحته الطوايح قذفته القواذف، ولا يقال: المطوحات، وهو من النوادر، والقياس المطيحات من أطاح. أو المطوحات من طوح. وقال الأصمعي: هو جمع طائحة. يقال: ذهبت طائحة من العرب أي طائفة منها. أي: يبكيه المختبط من أجل إهلاك الطوائح ماله، فمما متعلق بمختبط. وقيل: يجوز تعلقه بالفعل المقدر، كقوله الخصومة. ونقل العصام عن العارف الرومي: أن يزيد منادى، وحرف النداء محذوف، وضارع نائب الفاعل؛ لأن الضارع والمختبط أحق بالبكاء عليهما بعد يزيد الذي كان يغيثهما. وروي ليبك يزيد بالبناء للفاعل ونصب يزيد، فضارع فاعل للفعل المذكور، ولو ضم يزيد على النداء لجاز هنا أيضاً، أي: ليبك عليك يا يزيد ضارع ومختبط.

وهو للحارث بن نهيك في خزانة الأدب ١/٣٠٣، وشرح شواهد الإيضاح ص ٩٤، وشرح المفصل لابن يعيش ١/٨٠، والكتاب ١/٢٨٨، وللبيد بن ربيعة في ملحق ديوانه ص٣٦٢، ولنهشل بن حريّ في خزانة الأدب ١/٣٠٣، ولضرار بن نهشل في الدرر ٢/٢٨٦، ومعاهد التنصيص ١/٢٠٢، وللحارث بن ضرار في شرح أبيات سيبويه ١/١١٠، ولنهشل، أو للحارث، أو لضرار، أو لمزرد بن ضرار، أو للمهلهل في المقاصد النحويّة ٢/٤٥٤، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ =

يريد المطاوح جمع مطيحة، وقرئ: «وأرسلنا الريح»: على تأويل الجنس، ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾: فجعلناه لكم سقياً. ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾: نفى عنهم ما أثبته لنفسه في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١]، كأنه قال: نحن الخازنون للماء، على معنى: نحن القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها، وما أنتم عليه بقادرين: دلالة على عظيم قدرته وإظهاراً لعجزهم.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ أي: الباقون بعد هلاك الخلق كله، وقيل للباقي: «وارث»: استعارة من وارث الميت؛ لأنه يبقى بعد فنائه، ومنه قوله ﷺ في دعائه: «وَٱجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا» (٨١٥)، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا﴾: من استقدم ولادة وموتاً، ومن تأخر من الأوّلين والآخرين، أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد، أو من تقدم في الإسلام وسبق إلى الطاعة ومن تأخر، وقيل: المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين، وروي أن امرأة حسناء

---

٨١٥ ـ أخرجه التِّرمذي (٥/٥٢٨) كتاب الدعوات باب (٨٠) حديث رقم (٣٥٠٢)، وقال التِّرمذي: هذا حديث حسن غريب، والنِّسائي (٦/١٠٧) كتاب «عمل اليوم والليلة» باب ١١٥ حديث رقم (١٠٢٣٤).
وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة.
أخرجه الحاكم (٢/١٤٢). وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه التِّرمذي والنِّسائي والبزار. والحاكم من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات: اللهم اقسم لنا من خشيتك ـ الحديث»، وفيه: «واجعله الوارث منا». قال التِّرمذي: حديث حسن وقال البزار: تفرد به عبد الله ابن رواحة. وهو واهي الحديث، وأخرج من رواية حبيب بن أبي ثابت عن عروة عن عائشة: «أنه ﷺ كان يقول: اللهم عافني في جسدي، وعافني في بصري، واجعله الوارث مني»، وأخرجه أبو يَعلى أيضاً، وفي التِّرمذي والحاكم من حديث أبي هريرة قال: «كان من دعاء النبي ﷺ: اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني»، وفي الطبراني والأوسط عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ﷺ يدعو» فذكر مثله. انتهى.

= ٣٤٥، ٧/ ٢٤، وأمالي ابن الحاجب ص ٤٤٧، ٧٨٩، وأوضح المسالك ٢/ ٩٣، وتخليص الشواهد ص ٤٧٨، وخزانة الأدب ٨/ ١٣٩، والخصائص ٢/ ٣٥٢، ٤٢٤، وشرح الأشموني ١/ ١٧١، وشرح المفصل لابن يعيش ١/ ٨٠، والشعر والشعراء ص ١٠٥، ١٠٦ والكتاب ١/ ٣٦٦، ٣٩٨، ولسان العرب (طوح)، والمحتسب ١/ ٢٣٠، ومغني اللبيب ص ٦٢٠، والمقتضب ٣/ ٢٨٢.

كانت في المصليات خلف رسول الله ﷺ فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر إليها، وبعض يستأخر ليبصرها؛ فنزلت (٨١٦) ﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: هو وحده القادر على حشرهم، والعالم بحصرهم مع إفراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: باهر الحكمة واسع العلم، يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب، وقد أحاط علماً بكل شيء.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

الصلصال: الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ، وإذا طبخ فهو فخار، قالوا: إذا توهمت في صوته مدّاً فهو صليل، وإن توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة، وقيل: هو تضعيف: «صل»: إذا أنتن، والحمأ: الطين الأسود المتغير، والمسنون: المصوّر، من سنة الوجه[1]، وقيل: المصبوب المفرغ، أي: أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في أمثلتها، وقيل: المنتن، من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به، فالذي يسيل بينهما سنين، ولا يكون إلا منتناً، ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾: صفة لصلصال، أي: خلقه من صلصال كائن من حمأ وحق، ﴿مَّسْنُونٍ﴾ بمعنى: مصور، أن يكون صفة لصلصال، كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف، فيبس حتى إذا نقر صلصل، ثم غيره بعد ذلك إلى جوهر آخر، ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾: للجن كآدم للناس، وقيل: هو إبليس، وقرأ الحسن وعمرو بن

---

٨١٦ - أخرجه التِّرمذي (٥/ ٢٩٦) كتاب تفسير القرآن باب (١٦) حديث رقم (٣١٢٢)، والنَّسائي (١/ ٣٠٢) كتاب الإمامة والجماعة باب المنفرد خلف الصف حديث رقم (٩٤٢)، (٦/ ٣٧٤) كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ حديث رقم (١١٢٧٣)، وابن ماجه (١/ ٣٣٢) حديث رقم (١٠٤٦)، أحمد (١/ ٣٠٥)، ابن خزيمة (٣/ ٩٦) حديث رقم (١٦٩٦)، البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٧٠) حديث رقم (٥٤٤٢)، والحاكم (٢/ ٣٥٣)، والطبري في تفسيره (٧/ ٥٠٩) رقم (٢١١٣٦).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه التِّرمذي والنَّسائي وابن ماجه وابن حِبان والحاكم وأبو يَعلى وأحمد والبزار والطبري وابن أبي حاتم من رواية أبي الجوزاء أوس بن عبد الله عن ابن عباس قال «كانت امرأة حسناء من أحسن الناس تصلي خلف رسول الله ﷺ وكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لأن لا يراها، أو يستأخر بعضهم حتى يكون في الصف الآخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه. فأنزل الله هذه الآية. قال البزار: لا نعلم رواه ابن عباس ولا له طريق إلا هذه وقال التِّرمذي: رُوي عن أبي الجوزاء مرسلاً، وهو أشبه. انتهى.

---

(١) قوله: «من سنة الوجه» في الصحاح: سنة الوجه صورته (ع).

عبيد: «والجأن»؛ بالهمز، ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾: من نار الحرّ الشديد النافذ في المسام، قيل: هذه السموم جزء من سبعين جزء من سموم النار التي خلق الله منها الجانّ.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾: واذكر وقت قوله: ﴿سَوَّيْتُهُۥ﴾: عدلت خلقته، وأكملتها، وهيأتها لنفخ الروح فيها، ومعنى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾: وأحييته، وليس ثمة نفخ ولا منفوخ؛ وإنما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه، واستثنى إبليس من الملائكة؛ لأنه كان بينهم مأموراً معهم بالسجود، فغلب اسم الملائكة، ثم استثنى بعد التغليب؛ كقولك: رأيتهم إلا هنداً، و﴿أَبَىٰٓ﴾: استئناف على تقدير قول قائل يقول: هلا سجد؟ فقيل: أبى ذلك واستكبر عنه، وقيل: معناه: ولكن إبليس أبى، حرف الجر مع «أن»: محذوف، وتقديره: ﴿مَا لَكَ﴾ في ﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ بمعنى: أيّ غرض لك في إبائك السجود، وأي داع لك إليه، اللام في ﴿لِّأَسْجُدَ﴾: لتأكيد النفي، ومعناه: لا يصحّ مني وينافي حالي، ويستحيل أن أسجد لبشر، ﴿رَجِيمٌ﴾: شيطان من الذين يرجمون بالشهب، أو مطرود من رحمة الله؛ لأن من يطرد يرجم بالحجارة، ومعناه: ملعون؛ لأن اللعن هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها، والضمير في (منها): راجع إلى الجنة أو السماء، أو إلى جملة الملائكة، وضرب يوم الدين حدا للعنة، إما لأنه غاية يضربها الناس في كلامهم؛ كقوله/ ١٨٧ب: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٨]: في التأبيد، وإما أن يراد أنك مذموم مدعوّ عليك باللعن في السموات والأرض إلى يوم الدين، من غير أن تعذب، فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه، و(يوم الدين)، و(يوم يبعثون)، و(يوم الوقت المعلوم): في معنى واحد، ولكن خولف بين العبارات سلوكاً بالكلام طريقة البلاغة، وقيل: إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت؛ لأنه لا يموت يوم البعث أحد، فلم يجب إلى

ذلك، وأنظر إلى آخر أيام التكليف، ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء: للقسم، و«ما»: مصدرية وجواب القسم ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾ المعنى: أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم، ومعنى إغوائه إياه: تسببيه لغيه، بأن أمره بالسجود لآدم ـ عليه السلام ـ فأفضى ذلك إلى غيه، وما الأمر بالسجود إلا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله، ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك، والله تعالى بريء من غيه[1] ومن إرادته والرضا به؛ ونحو قوله: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: في أنه إقسام، إلا أن أحدهما إقسام بصفته والثاني إقسام بفعله، وقد فرق الفقهاء بينهما، ويجوز ألاّ يكون قسماً، ويقدر قسم محذوف، ويكون المعنى: بسبب تسبيبك لإغوائي أقسم لأفعلنّ بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لإغوائهم، بأن أزين لهم المعاصي وأوسوس إليهم ما يكون سبب هلاكهم، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: في الدنيا التي هي دار الغرور؛ كقوله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦] أو أراد أني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو في السماء، فأنا عليّ التزيين لأولاده في الأرض أقدر، أو أراد: لأجعلنّ مكان التزيين عندهم الأرض، ولأوقعن تزييني فيها، أي: لأزيننها في أعينهم ولأحدّثنهم بأنّ الزينة في الدنيا وحدها، حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا إليها دونها؛ ونحوه [من الطويل]:

.... يَجْرَحْ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي[2]

---

(١) قوله: «والله تعالى بريء من غيه» هذا على مذهب المعتزلة: أن الله لا يريد الشر ولا يخلقه. ومذهب أهل السنة: أن كل كائن فهو يخلقه تعالى وإرادته، خيراً كان أو شرا، وإن كان لا يرضى الشر من العبد، وتفصيله في التوحيد.

(٢)
فما لائم يوماً أخ وهو صادق ... إخائي ولا اعتلت على ضيفها إبلي
إذا كان فيها الرسل لم تأت دونه ... فصالي ولو كانت عجافاً ولا أهلي
وإن تعتذر بالمحل عن ذي ضروعها ... إلى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي

لذي الرمة يمدح نفسه، والإخاء مصدر آخاه، كالوفاق مصدر وافقه، والصحاب مصدر صاحبه، وزنا ومعنى. يقول: وما لام أخ من يوم أي في يوم. وعبر بمن لإشعارها بالاستغراق. أي: لم نلم، والحال أنه صادق في لومه، أو في أخوته مصاحبة لي معه، وقصر الإخاء للوزن، وضمن لام معنى عاب؛ فعداه إليه. ويجوز أن إيقاع اللوم عليه مجاز عقلي؛ لأن الإخاء كأنه محل اللوم، ولا اعتلت أي أبدت لضيفها علة في التأخر عن قراه، وإسناد الفعل للإبل وإضافة الضيف إليها لأنها محل قراه، وذلك كناية عن غاية كرمه، ويجوز أن إسناد الفعل إليها مجاز عقلي، لأنها سبب في اعتلال صاحبها للضيف عنها إذا كان بخيلاً، وإضافة الضيف إليها ترشيح لذلك. ويحتمل أنه شبه الإبل بالكرماء على طريق المكنية، فذلك تخييل، وبين عدم الاعتلال بقوله: «إذا كان فيها الرسل» وهو اللبن القليل، ويطلق على الجمل السهل، لم تأت دونه: أي قريباً من اللبن. فصالي: جمع فصيل، وهو ولد الناقة. ونفى قربها كناية عن نفي ارتضاعها له، ولو كانت عجافاً: أي مهازيل، ولا أهلي: ولا جياعاً، وإن تعتذر الإبل بالمحل والجدب، عن ذي ضروعها: كناية عن اللبن، لأنه ملازم للضروع يجرح نصلي: أي سيفي أو سهمي في عراقيبها، وهي بمنزلة الركب للإنسان، =

استثنى المخلصين؛ لأنه علم أنّ كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه، أي: ﴿هذا﴾ طريق حق، ﴿عَلَيَّ﴾: أن أراعيه، وهو ألاّ يكون لك سلطان على عبادي، إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته، وقرئ: «عليّ»، وهو من علو الشرف والفضل، ﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾ الضمير: للغاوين، وقيل: أبواب النار أطباقها وأدراكها، فأعلاها للموحدين، والثاني: لليهود، والثالث: للنصارى، والرابع: للصابئين، والخامس: للمجوس، والسادس: للمشركين، والسابع: للمنافقين، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: إن جهنم لمن ادعى الربوبية، ولظى: «لعبدة النار، والحطمة: لعبدة الأصنام وسقر: لليهود، والسعير: للنصارى، والجحيم: للصابئين، والهاوية: للموحدين، وقرئ: «جزء»: بالتخفيف والتثقيل، وقرأ الزهري: «جزّ»؛ بالتشديد؛ كأنه حذف الهمزة، وألقى حركتها على الزاي؛ كقولك: خبّ في خبء، ثم وقف عليه بالتشديد؛ كقولهم: الرجل، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

المتقي على الإطلاق: من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: اتقوا الكفر والفواحش، ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها، ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾: على إرادة القول، وقرأ الحسن: «أدخلوها» ﴿بِسَلَٰمٍ﴾: سالمين أو مسلماً عليكم: تسلم عليكم الملائكة، الغل: الحقد الكامن في القلب، من الغل في جوفه وتغلغل، أي: إن كان لأحدهم في الدنيا غلّ على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم، وعن الحارث الأعور: كنت جالساً عنده إذ جاء ابن طلحة فقال له عليّ: مرحباً بك يا ابن أخي، أما والله إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ فقال له قائل: كلا، الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان واحد، فقال: فلمن هذه الآية لا أمّ لك

= وإسناد الاعتذار إليها مجاز، وكذلك إسناد الجرح للنصل، لأنه آلته. ومعنى الجرح في العراقيب: أنه يجعلها مكاناً معدا له، ولو قال: يجرح عراقيبها، لفات ذلك المعنى: وقيل: ضمنه معنى يعثو أي يفسد، وكانت عادة العرب أن يفصدوا الإبل ويجمعوا دماءها ويضعوها على النار فتصير كالكبد، ويقرون بها الضيفان في الجدب، فحرمه الله: ويجوز أنه كناية عن نحرها، لأنهم كانوا يعقرون الجمل الصعب قبل نحره ليسهل عليهم، وهذا هو الذي يقتضيه مقام المدح.

ينظر: ديوانه ص ١٥٦، وأساس البلاغة (عذر)، وخزانة الأدب ٢/ ١٢٨، وشرح المفصل لابن يعيش، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/ ٢٥١، وخزانة الأدب ١٠/ ٢٣٣، ومغني اللبيب ٢/ ٥٢١.

(٨١٧)؟ وقيل: معناه: طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة، ونزع منها كل غل، وألقى فيها التوادّ والتحاب، و﴿إِخْوَانًا﴾: نصب على الحال، و﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾: كذلك، وعن مجاهد: تدور بهم الأسرة حيثما داروا، فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين.

﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)﴾

لما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه، ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾: تقريراً لما ذكر، وتمكيناً له في النفوس، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: غفور لمن تاب، وعذابه لمن لم يتب، وعطف ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾: على نبئ عبادي، ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين، ويتحققوا عنده أنّ عذابه هو العذاب الأليم.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)﴾

﴿سَلَامًا﴾ أي: نسلم عليك سلاماً، أو سلمت سلاماً، ﴿وَجِلُونَ﴾: خائفون، وكان خوفه لامتناعهم من الأكل، وقيل: لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت، وقرأ الحسن: «لا

---

٨١٧ ـ أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢١٠)، والطبراني في الأوسط وابن مردويه وابن سعد في الطبقات؛ كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٢١٢)؛ كلهم من طريق الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب به، وأخرجه الحاكم (٣/ ٣٧٦) من طريق أبي حبيبة مولى لطلحة قال: دخل عمران بن طلحة على علي... الحديث وصححه.

وأخرجه أيضاً (٢/ ٣٥٣) من طريق ربعي بن حراشن. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الطبراني في الأوسط والعقيلي وابن سعد من طريق الحارث الأعور قال: كنت عند علي بن أبي طالب إذ جاءه عمران بن طلحة فذكره. وفيه: «فقال الحارث ـ يعني الراوي ـ: الله أجل وأعدل من ذلك، وله طريق أخرى أخرجها الحاكم من طريق ربعي بن خراشن قال: «إني لعند علي جالس إذ جاءه ابن طلحة، فسلم عليه فرحب به، فقال: ترحب بي يا أمير المؤمنين، وقد قتلت والدي، وأخذت مالي؟ قال: أما مالك فهو معزول في بيت المال، أعد إليه فخذه، وأما أبوك فإني أرجو أن أكون أنا وأبوك من الذي قال الله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل ـ الآية﴾ فقال رجل من همدان: فذكره. ورواه الحاكم أيضاً والطبري من طريق أبي حبيبة مولى طلحة قال: دخل عمران ابن طلحة على علي ـ رضي الله عنه ـ وذكر نحوه. انتهى.

توجل»: بضم التاء من أوجله يوجله إذا أخافه، وقرئ: «لا تأجل»؛ «ولا تواجل»: من واجله بمعنى: أوجله، وقرئ: (نبشرك): بفتح النون والتخفيف، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾: استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل: أرادوا أنك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل، يعني ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي﴾: مع مس الكبر، بأن يولد لي، أي: أن الولادة أمر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر، ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ هي: ما الاستفهامية، دخلها معنى التعجب، كأنه قال: فبأي أعجوبة تبشروني، آو أراد: أنكم تبشرونني بما هو غير متصوّر في العادة، فبأي شيء تبشرون، يعني/ ١٨٨أ: لا تبشرونني في الحقيقة بشيء؛ لأنّ البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء، ويجوز ألاّ يكون صلة لبشر، ويكون سؤالاً عن الوجه والطريقة، يعني: بأي طريقة تبشرونني بالولد، والبشارة به لا طريقة لها في العادة، وقوله: ﴿بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: يحتمل أن تكون الباء فيه صلة، أي: بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه، أو بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده، وأنه قادر على أن يوجد ولداً من غير أبوين، فكيف من شيخ فانٍ وعجوز عاقر، وقرئ: «تبشرون»: بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع، والأصل: تبشرونن وتبشرونّ[1]. بإدغام نون الجمع في نون العماد، وقرئ: «من القنطين» من قنط يقنط، وقرئ: «ومَنْ يَقْنِطُ»؛ بالحركات الثلاث في النون، أراد: ومن يقنط من رحمة ربه إلا المخطئون طريق الصواب، أو إلا الكافرون؛ كقوله: ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، يعني: لم أستنكر ذلك قنوطاً من رحمته، ولكن استبعاداً له في العادة التي أجراها الله.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

فإن قلت قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾: استثناء متصل أو منقطع؟[2].

قلت: لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم، فيكون منقطعاً؛ لأنّ القوم موصوفون بالإجرام، فاختلف لذلك الجنسان وأن يكون استثناء من الضمير في مجرمين، فيكون متصلاً؛ كأنه قيل: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم، كما قال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا

(١) قوله: «وتبشرون» بكسر النون والتشديد. قاله النسفي (ع).

(٢) قال محمود: «إن قلت هل الاستثناء الأول متصل... إلخ» قال أحمد: وجعله الأول منقطعاً أولى وأمكن، وذلك أن في استثنائهم من الضمير العائد على قوم منكرين بعداً، من حيث إن موقع الاستثناء إخراج ما لولاه لدخل المستثنى في حكم الأول، وهذا الدخول متعذر من التنكير، ولذلك قلما تجد النكرة يستثنى منها إلا في سياق نفي، لأنها حينئذ أعم، فيتحقق الدخول لولا الاستثناء، ومن ثم لم يحسن رأيت قوماً إلا زيداً وحسن ما رأيت أحداً إلا زيداً، والله أعلم.

﴿غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٦﴾.

فإن قلت: فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين؟

قلت: نعم؛ وذلك أنّ آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال، وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة، ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلاً، ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين، كإرسال الحجر أو السهم أو المرميّ، في أنه في معنى التعذيب والإهلاك، كأنه قيل: إنا أهلكنا قوماً مجرمين، ولكن آل لوط أنجيناهم، وأمّا في المتصل: فهم داخلون في حكم الإرسال، وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء، فلا يكون الإرسال مخلصاً[1] بمعنى: الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول.

فإن قلت: فقوله: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ بم يتعلق على الوجهين؟

قلت: إذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر «لكنّ» في الاتصال بآل لوط؛ لأنّ المعنى: لكن آل لوط منجون، وإذا اتصل كان كلاماً مستأنفاً، كأنّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال لهم: فما حال آل لوط، فقالوا: إنا لمنجوهم.

فإن قلت: فقوله: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ ممّ استثني، وهل هو استثناء من استثناء؟

قلت: استثني من الضمير المجرور في قوله: (لمنجوهم)، وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء؛ لأنّ الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه، وأن يقال: أهلكناهم إلا آل لوط، إلا امرأته، كما اتحد الحكم في قول المطلق: أنت طالق ثلاثاً. إلا اثنتين، إلا واحدة، وفي قول المقرّ: لفلان عليّ عشرة دراهم، إلا ثلاثة، إلا درهماً، فأمّا في الآية فقد اختلف الحكمان؛ لأنّ (إلا آل لوط): متعلق بأرسلنا، أو بمجرمين، و(إلا امرأته): قد تعلق بمنجوهم، فأنى يكون استثناء من استثناء، وقرئ: (لمنجوهم): بالتخفيف والتثقيل.

فإن قلت: لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله: ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[2]،

---

(١) قوله: «فلا يكون الإرسال مخلصاً» لعله: مختصا (ع).

(٢) عاد كلامه. قال محمود: «فإن قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ إلخ» قال أحمد: وهذه أيضاً من دفائنه الاعتزالية في جحد القضاء والقدر، واعتقاد أن الأمر أنف، لأنهم لا يعتقدون أن الله تعالى مريد لأكثر أفعال عبيده من معصية ومباح ونحوهما ولا مقدر لها على العبيد، بمعنى أنه مريد لأكثر أفعال عبيده من معصية ومباح ونحوهما ولا مقدر لها على العبيد، بمعنى أنه مريد ولكنه عالم بما سيفعلونه على خلاف مشيئته وإرادته، فالتقدير عندهم هو العلم لا الإرادة، ثم استدل على أن التقدير هو العلم بتقدير فعله عن العمل، وذلك من خواص فعل العلم وأخواته، فانظر إلى بعد غوره ودقة فطنته في ابتغاء آية يلفقها ويعاند بها البراهين الواضح =

والتعليق من خصائص أفعال القلوب؟

قلت: فلم أسند الملائكة فعل التقدير ـ وهو لله وحده ـ إلى أنفسهم، ولم يقولوا: قدّر الله؟

قلت: لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لأحد غيرهم، كما يقول خاصة الملك: دبرنا كذا وأمرنا بكذا، والمدبر والآمر هو الملك لا هم؛ وإنما يظهرون بذلك اختصاصهم وأنهم لا يتميزون عنه، وقرئ: «قَدَرنا»: بالتخفيف.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٦٢) قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦)﴾

﴿مُّنكَرُونَ﴾ أي: تنكركم نفسي وتنفر منكم، فأخاف أن تطرقوني بشرّ؛ بدليل قوله: ﴿بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: ما جئناك بما تنكرنا لأجله، بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوّك، وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله، فيمترون فيه ويكذبونك، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: باليقين من عذابهم، ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: في الإخبار بنزوله بهم، وقرئ: «فأسر»: بقطع الهمزة ووصلها، من أسرى وسرى، وروى صاحب الإقليد: فسر من السير والقطع في آخر الليل؛ قال [من الخفيف]:

افْتَحِي الْبَابَ وَانْظُرِي فِي النُّجُومِ ... كَمْ عَلَيْنَا مِنْ قِطْعِ لَيْلٍ بَهِيمِ[(١)]

= فلقها، وفي كلامه شاهد على رده، فإن التقدير عنده مضمن معنى العلم، ومن شأن الفعل المضمن معنى آخر: أن يبقى على معناه الأصلي، مضافاً إليه المعنى الطارئ فيفيدهما جميعاً، فالتقدير إذاً كما أفاد العلم الطارئ يفيد الإرادة أصلاً ووضعاً. والله أعلم؛ على أن من الناس من جعل قوله تعالى ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ من كلامه تعالى غير محكي عن الملائكة، وهو الظاهر؛ فإن الذي يجعله من قول الملائكة يحتاج في نسبتهم التقدير إلى أنفسهم إلى تأويل، ويجعله من باب قول خواص الملك: دبرنا كذا، وأمرنا بكذا، وإنما يعنون دبر الملك وأمر، وبذلك أوله الزمخشري. وإن كان أصله لا يحتاج معه إلى التأويل، لأنه إذا جعل قدرنا بمعنى علمنا إنها لمن الغابرين، فلا غرو في علم الملائكة ذلك بإخبار الله تعالى إياهم به، وإنما يحتاج إلى التأويل: من جعل قدرنا بمعنى أردنا وقضينا وجعله من قول الملائكة، والله أعلم.

(١) يقول لصاحبته وكان يحب طول الليل ويدعيه: افتحي باب البيت وانظري وتأملي في النجوم، أمالت جهة الغرب أم لا؟ وكم: يحتمل أنها خبرية للتكثير، ويحتمل أنها استفهامية، ثم يحتمل أنها مستأنفة، ويحتمل أن الفعل قبلها معلق عن العمل في لفظها لأن لها الصدارة. والمراد من هذا الأمر طلب إخباره بما تعلمه بعد النظر من جواب الاستفهام المذكور. وقطع الليل: ظلمته. وقال في =

وقيل: هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل.

فإن قلت: ما معنى: أمره باتباع أدبارهم[1] ونهيهم عن الالتفات؟

قلت: قد بعث الله الهلاك على قومه، ونجاه وأهله إجابة لدعوته عليهم، وخرج مهاجراً فلم يكن له بدّ من الاجتهاد في شكر الله وإدامة ذكره وتفريغ باله لذلك، فأمر بأن يقدّمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه، وليكون مطلعاً عليهم وعلى أحوالهم، فلا تفرط منهم التفاتة احتشاماً منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة، ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب، وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدّم سربه ويفوت به، ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب[2] فيرقوا لهم، وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة[3] ويطيبوها عن مساكنهم، ويمضوا قدماً[4] غير ملتفتين إلى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه/ ١٨٨ب فلا يزال يلوي إليه أخادعه؛ كما قال [من الطويل]:

تَـلَـفَّـتُ نَـحْـوَ الـحَـيِّ حَـتَّـىٰ وَجَـدْتُـنِـي　　　وَجِـعْـتُ مِـنَ الإِصْـغَـاءِ لِـيـتـاً وَأَخْـدَعَـا[5]

= الصحاح: ظلمة آخره، والمراد به هنا جزء الليل. والبهيم: شديد الظلام لانبهام الأشياء فيه، ووصفه بذلك ملائم للمقام.
ينظر: لسان العرب (قطع)، وتاج العروس (قطع)، وديوان الأدب (١/ ١٨٨)، وكتاب العين (١/ ١٣٩).

(١) قال محمود: «إن قلت: ما معنى أمره باتباع أدبارهم... إلخ» قال أحمد: ولبعض هذه المقاصد عاتب الله تعالى نبيه موسى عليه السلام حيث تقدم قومه فقال ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣﴾ والله أعلم.

(٢) عاد كلامه. قال: «وإنما نهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب... إلخ» قال أحمد: ولقد شملت هذه الآية على وجازتها آداب المسافرين لمهم ديني أو دنيوي، من الآمر والمأمور والتابع والمتبوع ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾.

(٣) قوله: «وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم» لعل فيه تقديماً، والأصل: على المهاجرة عن مساكنهم ويطيبوها، فليحرر (ع).

(٤) قوله: «ويمضوا قدماً» في الصحاح «مضى قدماء بضم الدال: لم يعرج ولم ينثن (ع).

(٥) ولـمـا رأيـت الـبـشـر أعـرض دونـنـا　　　وحـالـت بـنـات الـشـوق يـحـنـن نـزعـا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها　　　عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تـلـفـت نـحـو الـحـي حتى وجدتني　　　وجـعـت من الإصـغـاء لـيـتـا وأخـدعـا

للصمة بن عبد الله بن طفيل بن الحرث، والبشر: السرور وما به السرور، وأعرض: ظهر أمامنا، وحالت ـ بالمهملة ـ أي صارت حائلاً بيننا وبين البشر ومنعتنا عنه، وبكت: جواب لما، وخص اليسرى أولاً؛ لأنه كان أعور. ويروى: جالت، بالجيم أي حامت خواطر القلب الناشئة من الشوق في قلبي، حال كونها تحن إلى المحبوبة، نازعات شائقات إليها، يقال: نزع نزوعاً إذا مال قلبه واشتاق إلى حبه. والنزع: جمع نازع، فشبه الخواطر بالبنات على طريق التصريحية، لتولدها من =

أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف؛ لأنّ من يلتفت لا بدّ له في ذلك من أدنى وقفة، ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: قيل: هو مصر، وعدّي (وامضوا) إلى (حيث): تعديته إلى الظرف المبهم؛ لأن (حيث): مبهم في الأمكنة، وكذلك الضمير في (تؤمرون)، وعدي (قضينا) بإلى؛ لأنه ضمن معنى: أوحينا، كأنه قيل: وأوحينا إليه مقضيا مبتوتاً، وفسر ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾: بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾، وفي إبهامه وتفسيره وتفخيم للأمر وتعظيم له، وقرأ الأعمش: «إن»: بالكسر على الاستئناف، كأن قائلاً قال: أخبرنا عن ذلك الأمر، فقال: إنّ دابر هؤلاء، وفي قراءة ابن مسعود: «وقلنا إنّ دابر هؤلاء»، ودابرهم: آخرهم، يعني: يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾: أهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور، مستبشرين بالملائكة، ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾: بفضيحة ضيفي؛ لأنّ من أسيء إلى ضيفه أو جاره فقد أسيء إليه، كما أن من أكرم من يتصل به فقد أُكرم، ﴿ولا تخرون﴾: ولا تذلونِ بإذلال ضيفي، من الخزي وهو الهوان، أو ولا تشوّروا[1] بي، من الخزاية وهي الحياء، ﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عن أن تجير منهم أحداً، أو تدفع عنهم، أو تمنع بيننا وبينهم؛ فإنهم كانوا يتعرّضون لكل أحد، وكان يقوم ﷺ بالنهي عن المنكر، والحجر بينهم وبين المتعرّض له، فأوعدوه

= الشوق وإثبات الجولان والحنين، والنزوع ترشيح؛ لأن الأول خاص بالمحسوس، والأخيران بالمدرك. وإسناد الحنين والنزوع إليها مجاز عقلي؛ لأنهما في الحقيقة لمحلها وهو القلب، بل الشخص وهو سببها. والجهل ضد الحلم. أسبلتا: سالت دموعهما، وإسناد البكاء للعين مجازاً، ومعناه دمعت عيني، فيجوز تشبيهها بالإنسان على طريق المكنية، وزجرها ترشيح، وجهلها وحلمها تخييل، وتلفت: أي أكثرت الالتفات جهة الحي، حتى وجع ليتي وأخدعي. يقال: وجع وجعاً كتعب تعباً. والليت ـ بالكسر ـ: صفحة العنق. والأخدع: عرق فيها، وهما تمييزان محولان عن الفاعل، وذلك مبالغة في كثرة التلفت.

ينظر: لسان العرب (وجع)، وأساس البلاغة (لفت).

(١) قوله: «ولا تشوروا بي» في الصحاح «الشوار» فرج المرأة والرجل. ومنه قيل: شور به، أي كأنه أبدى عورته (ع).

وقالوا: لئن لم تنته يا لوط لتكوننّ من المخرجين، وقيل: عن ضيافة الناس وإنزالهم، وكانوا نهوه أن يضيف أحداً قط، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾: إشارة إلى النساء؛ لأنّ كل أمّة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته، فكأنه قال لهم: هؤلاء بناتي فانكحوهنّ، وخلوا بنيّ فلا تتعرضوا لهم، ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾: شك في قبولهم لقوله، كأنه قال: إن فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون، وقيل: إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرّم، ﴿لَعَمۡرُكَ﴾: على إرادة القول، أي: قالت الملائكة للوط ـ عليه السلام ـ: لعمرك، ﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ﴾ أي: غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزه مبين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم، من ترك البنين إلى البنات، ﴿يَعۡمَهُونَ﴾: يتحيرون، فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك؟ وقيل: الخطاب لرسول الله ﷺ وأنه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له، والعمر والعمر واحد؛ إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف فيه؛ وذلك لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم؛ ولذلك حذفوا الخبر، وتقديره: لعمرك مما أقسم به، كما حذفوا الفعل في قولك: بالله، وقرئ: في سكرهم وفي سكراتهم، ﴿ٱلصَّيۡحَةُ﴾: صيحة جبريل ـ عليه السلام ـ ﴿مُشۡرِقِينَ﴾: داخلين في الشروق، وهو بزوغ الشمس، ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ قيل: من طين، عليه كتاب من السجل؛ ودليله قوله تعالى: ﴿حجارة من طين مسوّمة عند ربك﴾ [الذاريات: ٣٣؟٣٤]، أي: معلمة بكتاب، ﴿لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾: للمتفرّسين المتأملين، وحقيقة المتوسمين: النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء، يقال: توسمت في فلان كذا، أي: عرفت وسمه فيه، والضمير في (عاليها سافلها): لقرى قوم لوط، ﴿وَإِنَّهَا﴾: وإنّ هذه القرى يعني: آثارها ﴿لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ﴾: ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد، وهم يبصرون تلك الآثار، وهو تنبيه لقريش؛ كقوله: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧﴾ [الصافات: ١٣٧].

﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ٧٨ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ٧٩﴾

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ قوم شعيب، ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يعني: قرى قوم لوط والأيكة، وقيل: الضمير للأيكة ومدين، لأنّ شعيباً كان مبعوثاً إليهما، فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما ﴿لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾: لبطريق واضح، والإمام: اسم لما يؤتم به، فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه؛ لأنها مما يؤتم به.

﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٨٠ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٨١ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ٨٣ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٤﴾

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾: ثمود، والحجر: واديهم، وهو بين المدينة والشام، ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: بتكذيبهم صالحاً؛ لأنّ من كذب واحداً منهم فكأنما كذبهم جميعاً، أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين، كما قيل: الخبيبون في ابن الزبير وأصحابه، وعن جابر: مررنا مع النبي ﷺ على الحجر فقال لنا: «لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إلا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، حَذَراً أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ هَؤُلاءِ» ثم زجر النبي ﷺ راحلته فأسرع حتى خلفها (٨١٨)، ﴿ءَامِنِينَ﴾: لوثاقة البيوت، واستحكامها من أن تتهدم ويتداعى بنيانها، ومن نقب اللصوص ومن الأعداء وحوادث الدهر، أو آمنين من عذاب الله يحسبون أنّ الجبال تحميهم منه، ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: من بناء البيوت الوثيقة والأموال والعدد.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلا خلقاً ملتبساً بالحق والحكمة، لا باطلاً وعبثاً، أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال، ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾: وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك، ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيآتهم؛ فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك، ﴿فَٱصْفَحِ﴾: فأعرض عنهم، واحتمل ما تلقى منهم إعراضاً جميلاً بحلم وإغضاء، وقيل: هو منسوخ بآية السيف، ويجوز أن يراد به المخالقة[1] فلا يكون منسوخاً.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾: الذي خلقك وخلقهم، وهو ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بحالك وحالهم، فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم،/ ١٨٩أ أو إن ربك هو الذي خلقكم وعلم

---

٨١٨ ـ قال الزيلعي: غريب من حديث جابر، وقال الحافظ: لم أجده من حديث جابر، وللحديث شاهد من حديث ابن عمر.
أخرجه مسلم (٩/٣٣٧) نووي كتاب الزهد والرقائق باب «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم» حديث رقم (٢٩٨٠).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
لم أجده من حديث جابر، وهو في الصحيح من حديث ابن عمر بهذا اللفظ دون قوله: «ناقته»، وفي رواية: إن ذلك كان في غزوة تبوك. انتهى.

---

(١) قوله: «يراد به المخالقة» أي المعاملة بحسن الخلق. وفي الصحاح: يقال خالص المؤمن، وخالق الفاجر اهـ (ع).

ما هو الأصلح لكم، وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح، وفي مصحف أبيّ وعثمان: «إن ربك هو الخالق» وهو يصلح للقليل والكثير، والخلاق للكثير لا غير؛ كقولك: قطع الثياب، وقطع الثوب والثياب.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿سَبْعًا﴾: سبع آيات وهي الفاتحة، أو سبع سور وهي: الطوال، واختلف في السابعة فقيل: الأنفال وبراءة؛ لأنهما في حكم سورة واحدة؛ ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية، وقيل: سورة يونس، وقيل: هي: آل حم، أو سبع صحائف وهي الأسباع، و﴿ٱلْمَثَانِى﴾: من التثنية وهي التكرير؛ لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها، أو من الثناء، لاشتمالها على ما هو ثناء على الله، الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية، وأمّا السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك، ولما فيها من الثناء، كأنها تثني على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى، و«من»: إما للبيان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال، وللبيان إذا أردت الأسباع، ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثاني؛ لأنها تثني عليه، ولما فيها من المواعظ المكررة، ويكون القرآن بعضها.

فإن قلت: كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع، وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه؟

قلت: إذا عنى بالسبع الفاتحة أو الطوال، فما وراءهنّ ينطلق عليه اسم القرآن؛ لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣]، يعني: سورة يوسف، وإذا عنيت الأسباع فالمعنى: ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم، أي: الجامع لهذين النعتين، وهو الثناء أو التثنية والعظم.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾

أي: لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمنّ له، ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: أصنافاً من الكفار.

فإن قلت: كيف وصل هذا بما قبله؟[1].

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف وصل هذا بما قبله... إلخ»؟ قال أحمد: وهذا هو الصواب في معنى الحديث، وقد حمله كثير من العلماء على الغناء، وادعى هؤلاء أن «تغنى» إنما يبني من الغناء =

قلت: يقول لرسوله ﷺ: «قَدْ أُوتِيت النِّعْمَةُ العُظْمَىٰ الَّتِي كُلُّ نِعْمَةٍ وَإِنْ عَظُمَتْ فَهِيَ إِلَيْهَا حَقِيرَةٌ ضَئِيلَةٌ، وَهِيَ الْقُرْآنُ العَظِيمُ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَغْنِي بِهِ، وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَتَاعِ الدُّنْيَا»، ومنه الحديث: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» (٨١٩)، وحديث أبي بكر: «من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي، فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً» (٨٢٠)، وقيل: وافت من بصري وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير،

---

٨١٩ ـ أخرجه البخاري (١٣/ ٥١٠) كتاب التوحيد باب: قوله تعالى ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾. رقم (٧٥٢٧)، وأبو داود (١/ ٤٦٤) كتاب الصلاة، باب: استحباب الترتيل في القراءة رقم: (١٤٦٩ ـ ١٤٧٠ ـ ١٤٧١).
والبيهقي (٢/ ٥٤) كتاب الصلاة، باب: كيف قراءة المصلي، (١٠/ ٢٢٩) كتاب الشهادات، باب: تحسين الصوت بالقرآن والذكر، أحمد في «المسند» (١/ ١٧٢ ـ ١٧٥ ـ ١٧٩). والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٦٩، ٥٧٠) كتاب: فضائل القرآن، والحميدي في «المسند» (١/ ٤١)، رقم (٧٦ ـ ٧٧)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٤/ ٢١٠)، وعبد الرزاق (٢/ ٤٨٣) رقم: (٤١٧٠ ـ ٤١٧١).
وذكرهُ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٤٠) الترغيب في تعاهد القرآن وتحسين الصوت به رقم (٢١٤٨) والبغوي في «شرح السُّنة» (٣/ ٣٣) كتاب فضائل القرآن باب: التغني بالقرآن رقم: (١٢١١) والهندي في «كنز العمال» (١/ ٦٠٥ ـ ٦٠٩) رقم (٢٧٦٩ ـ ٢٧٩٧) والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٤٩).
قال الحافظ:
أخرجه البخاري من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة، وفي الباب عن سعد وأبي لُبابة عند أبي داود. قال المخرج ذهل النووي وقبله المنذري، ثم الطيبي فعزوه لأبي داود ولم يعزوه للبخاري، وأخطأ القرطبي فعزاه لمسلم لا للبخاري، ولم يذكره صاحب جامع الأصول، وعزاه الحاكم للشيخين والذي في الصحيحين حديث أبي هريرة: «ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به».
(فائدة) قال البيهقي في السنن في كتاب الشهادات: أخبرنا الحاكم عن أبي الأصم سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: ليس منا من لم يتغن بالقرآن. فقال له رجل: يستغن؟ قال: ليس هذا معناه، أي معناه يقرأه تحزينا. انتهى.
٨٢٠ ـ قال الزيلعي: غريب من حديث أبي بكر، وعزاه الزيلعي لإسحاق بن راهويه في مسنده، ومن طريق ابن راهويه رواه الطبراني في معجمه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. ينظر «تخريج الكشاف» (٢/ ٢١٨).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
لم أجده عن أبي بكر وأخرجه ابن عدي في ترجمة حمزة النصيلي عن زيد بن رفيع عن أبي عبيدة عن ابن مسعود رفعه: «من تعلم القرآن فظن أن أحداً أغنى منه فقد حقر عظيماً وعظم صغيراً»، =

= الممدود لا من الغنى المقصور، وأن فعله استغنى خاصة، وقد وجدت بناء تغنى من الغنى المقصور في الحديث الصحيح في الخيل. وأما التي هي ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا، وإنما هذا من الغنى المقصور قطعاً واتفاقاً، وهو مصدر تغني، فدل ذلك على أنه مستعمل من البناءين جميعاً على خلاف دعوى المخالف، والله الموفق.

فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر الأمتعة، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوّينا بها، ولأنفقناها في سبيل الله، فقال لهم الله ـ عز وعلا ـ: «لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تتمنّ أموالهم ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا فيتقوّى بمكانهم الإسلام وينتعش بهم المؤمنون، وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم، وطب نفساً عن إيمان الأغنياء والأقوياء، ﴿وَقُلْ﴾: لهم ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾: أنذركم ببيان وبرهان أنّ عذاب الله نازل بكم.

﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿كَمَا أَنزَلْنَا﴾؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن يتعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ أي: أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾؛ حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم: بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مخالف لهما، فاقتسموه إلى حق وباطل، وعضوه[1]، وقيل: كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم: سورة البقرة لي، ويقول الآخر: سورة آل عمران لي، ويجوز أن يراد بالقرآن: ما يقرؤونه من كتبهم، وقد اقتسموه بتحريفهم، وبأنّ اليهود أقرّت ببعض التوراة وكذبت ببعض، والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم، وقولهم: سحر وشعر وأساطير، بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم.

والثاني: أن يتعلق بقوله: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ أي: وأنذر قريشاً مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين، يعني: اليهود، وهو ما جرى على قريظة والنضير، جعل المتوقع بمنزلة الواقع، وهو من الإعجاز؛ لأنه إخبار بما سيكون وقد كان، ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوباً بالنذير، أي: أنذر المعضين الذين يجزؤون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير، مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم، فقعدوا في كل مدخل متفرّقين لينفروا الناس عن الإيمان

= وحمزة اتهموه بالوضع. وأخرجه إسحاق والطبري من حديث عبد الله بن عمر بلفظ: «من أُعطي القرآن فرأى أن أحداً أُعطي أفضل مما أُعطي فقد عظم ما صغر الله وصغر ما عظمه الله» ـ الحديث. انتهى.

---

(١) قوله: «وعضوه» في الصحاح: عضيت الشاة تعضية، إذا جزأتها أعضاء. وعضيت الشيء تعضية، إذا فرقته (ع).

برسول الله ﷺ يقول بعضهم: لا تغتروا بالخارج منا؛ فإنه ساحر، ويقول الآخر: كذاب، والآخر: شاعر، فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات، كالوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب وغيرهم، أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا ـ صالحاً ـ عليه السلام ـ والاقتسام بمعنى: التقاسم.

فإن قلت: إذا علقت قوله: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾ بقوله: (ولقد آتيناك): فما معنى توسط (لاتمدّنّ) إلى آخره بينهما؟

قلت: لما كان ذلك تسلية لرسول الله ﷺ عن تكذيبهم وعداوتهم، اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية، من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم، ومن الأمر بأن يقبل بمجامعه على المؤمنين (عضين) أجزاء، جمع عضة، وأصلها عِضْوَة فِعْلَة: من عضى/ ١٨٩ب الشاة إذا جعلها أعضاء؛ قال رؤبة [من الرجز]:

وَلَيْسَ دِينُ اللهِ بِالْمُعَضَّى

وقيل: هي فعلة، من عضهته إذا بهته[1]، وعن عكرمة: العضة: السحر، بلغة قريش، يقولون للساحر: عاضهة، ولعن النبي ﷺ العاضهة والمستعضهة (٨٢١)، نقصانها على الأوّل: واو، وعلى الثاني: هاء.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾: عبارة عن الوعيد، وقيل: يسألهم سؤال تقريع، وعن أبي العالية: يسأل العباد عن خلتين: عما كانوا يعبدون، وماذا أجابوا المرسلين.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾: فاجهر به وأظهره، يقال: صدع بالحجة: إذا تكلم بها جهاراً؛

---

٨٢١ ـ أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٤/ ٣٦٧) من طريق زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس به.
وأخرجه أبو يَعلى من هذا الطريق؛ كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ٢١٨).
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه أبو يَعلى وابن عدي من حديث ابن عباس، وفي إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام وهما ضعيفان، وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية عن ابن جريج عن عطاء. انتهى.

---

(١) قوله: «إذا بهته» أي اتهمته (ع).

كقولك: صرح بها، من الصديع وهو الفجر، والصدع في الزجاجة: الإبانة، وقيل: (فاصدع) فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر، والمعنى: بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجارّ؛ كقوله [من البسيط]:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ....(١)

ويجوز أن تكون (ما): مصدرية، أي: بأمرك مصدر من المبني للمفعول.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

عن عروة بن الزبير في المستهزئين: هم خمسة نفر ذوو أسنان وشرف: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، والحارث بن الطلاطلة، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: ماتوا كلهم قبل بدر، قال جبريل ـ عليه السلام ـ للنبي ﷺ: أمرت أن أكفيكهم، فأومأ إلى ساق الوليد فمرّ بنبال فتعلق بثوبه سهم، فلم ينعطف؛ تعظماً لأخذه، فأصاب عرقاً في عقبه فقطعه فمات، وأومأ إلى أخمص العاص بن وائل، فدخلت فيها شوكة، فقال: لدغت لدغت وانتفخت رجله، حتى صارت كالرحى ومات، وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب، فعمي، وأشار إلى أنف الحارث بن قيس، فامتخط قيحاً فمات، وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة، فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (٨٢٢).

---

٨٢٢ ـ أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣١٦) عن ابن عباس، وابن هشام في سيرته (٢/ ٢٠) عن ابن إسحاق. =

---

(١)
فقال لي قول ذي رأي ومقدرة ... محرر نزه خال من الريب
أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ... فقد تركتك ذا مال وذا نشب

لخفاف بن ندبة، وقيل: لعباس بن مرداس. وقيل: لعمرو بن معد يكرب. وقيل: لإياس بن موسى، والمقدرة: مثلث الدال: القوة، والمحرر النزه ـ كحذر ـ: الخالص من الغش. والريب، أي الشبه، وهو نعت لذي رأي. ولو جعلته نعتاً للرأي لكان فيه الفصل بين النعت والمنعوت بالعطف. ويجوز رفعه على أنه نعت مقطوع للقول. والنشب: المال الأصل صامتاً أو ناطقاً، فهو من عطف الخاص على العام. ويروى: ذا نسب، بالمهملة: أي نسب عظيم، وأمر: يتعدى للثاني بالباء. ويقال: أمرتك الخير على التوسع، أو تضمين التكليف، وجمعهما الشاعر في البيت.
البيت للعباس بن مرداس. ينظر: ديوانه ٤٧، قصيدة رقم ٢، ص ٣١، المقتضب، ٢/ ٣٥، الكتاب ١/ ٣٧، المحتسب ١/ ٥١، أمالي ابن الشجري ١/ ١٦٥، الهمع ٢/ ٨٢، الدرر ٢/ ١٠٦، شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٤٢، ٨/ ٥٠، الخزانة ١/ ٣٣٩، الشذور ٣٦٩، المغني ١/ ٣١٥، ونسب البيت إلى خفاف بن ندبة وهو في ملحقات ديوانه ص١٢١، ونص (أمرتك الرسن) ونسب لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وهو في ديوانه ٦٣، الأصول ١/ ١٧٨، شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٣٠٥، الدرر ٢/ ١٠٦، الدر ١/ ١٣٣.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾: من أقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن، ﴿فَسَبِّحْ﴾: فافزع فيما نابك إلى الله، والفزع إلى الله: هو الذكر الدائم وكثرة السجود، يكفك ويكشف عنك الغم، ودم على عبادة ربك، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي: الموت، أي: ما دمت حيًا فلا تخل بالعبادة، وعن النبي ﷺ: أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة (٨٢٣).

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الحِجْرِ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَالمُسْتَهْزِئِينَ بِمُحَمَّدٍ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (٨٢٤).

= وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
لم أجده بهذا السياق. وأخرجه الطبراني في معجمه. وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل لهما. وابن مردويه كلهم من طريق جعفر بن إياس عن سعيد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾، قال: هم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والأسود ابن المطلب، وأبو زمعة والحرث بن عيطل السهمي، قال: أتاه جبريل فشكاهم إليه. فأراه الوليد ابن المغيرة فأومأ جبريل إلى أكحله. فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته. فساق الحديث. قال: فأما الوليد بن المغيرة فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له فأصاب أكحله فقطعها. وأما الأسود بن المطلب فعمي. وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها. وأما العاص بن وائل فركب إلى الطائف فربط به حماره على شبرقة يعني شوكة. فدخلت في أخمص قدمه فقتلته. وأما الحرث بن عيطل فأخذه ألم الأصفر في بطنه حتى خرج خرءه من فيه فمات منها». انتهى.

٨٢٣ ـ قال الحافظ:
تقدم في البقرة. انتهى.

٨٢٤ ـ أخرجه الواحدي في تفسيره الوسيط (٣/٣٨)، وعزاه الزيلعي للثعالبي، وابن مردويه في تفسيره بسنده في آل عمران. وينظر حديث رقم (٣٤٦).
قال الحافظ:
رواه الثعلبي من طريق أبي الخليل عن علي بن زيد عن زر بن حبيش عن أُبي بن كعب، وقد تقدمت أسانيده في آخر آل عمران. انتهى.

سُورَةُ النَّحْلِ

مَكِّيَّةٌ، غَيرُ ثَلاَث آيَاتٍ فِي آخِرِهَا
وَتُسَمَّىٰ سُورَةُ النِّعَم، وَهِيَ مَائَة وَثَمَان وَعِشْرُون آيَةً
[نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الكَهْفِ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)﴾

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر؛ استهزاء وتكذيباً بالوعد، فقيل لهم: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: الذي هو بمنزلة الآتي الواقع، وإن كان منتظراً لقرب وقوعه، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: روي أنه لما نزلت: (اقتربت الساعة) قال الكفار فيما بينهم: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت، فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن، فلما تأخرت قالوا: ما نرى شيئاً؛ فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، فأشفقوا وانتظروا قربها، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد، ما نرى شيئاً مما تخوفنا به؛ فنزلت: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، فوثب رسول الله ﷺ ورفع الناس رءوسهم؛ فنزلت: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: فاطمأنوا، وقرئ: «تستعجلوه»: بالتاء والياء، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تبرأ ـ عزّ وجلّ ـ عن أن يكون له شريك، وأن تكون آلهتهم له شركاء، أو عن إشراكهم، على أنّ «ما»: موصولة أو مصدرية.

فإن قلت: كيف اتصل هذا باستعجالهم؟

قلت: لأنّ استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك، وقرئ: «تشركون»: بالتاء والياء.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ (٢)﴾

قرئ: (ينزل): بالتخفيف والتشديد، وقرئ: (تنزل الملائكة) أي: تتنزل، ﴿بِٱلرُّوحِ مِنْ

﴿أَمْرِهِۦ﴾: بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه، أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد، و﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟﴾: بدل من الروح، أي: ينزلهم بأن أنذروا، وتقديره: بأنه أنذروا، أي: بأن الشأن أقول لكم أنذروا، أو تكون «أن»: مفسرة؛ لأنّ تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول، ومعنى أنذروا: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾: اعلموا بأنّ الأمر ذلك، من نذرت بكذا إذا علمته، والمعنى: يقول لهم: أعلموا الناس قولي لا إله إلا أنا ﴿فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾

ثم دلّ على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر، مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه، وما لا بدّ له منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وجرّ أثقاله وسائر حاجاته، وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلائقه؛ ومثله متعال عن أن يشرك به غيره، وقرئ: «تشركون»: بالتاء والياء، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾، فيه معنيان:

أحدهما: فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة، بعد ما كان نطفة من منيّ جماداً لا حس به ولا حركة؛ دلالة على قدرته.

والثاني: فإذا هو خصيم لربه، منكر على خالقه، قائل: من يحيي العظام وهي رميم؛ وصفاً للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل، والتمادي في كفران النعمة، وقيل: نزلت في أبيّ بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أترى الله يحيي هذا بعدما قد رمّ؟ (٨٢٥).

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾/ ١٩٠أ: الأزواج الثمانية، وأكثر ما تقع على الإبل، وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر، كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ [يس: ٣٩]، ويجوز أن يعطف على الإنسان، أي: خلق الإنسان والأنعام، ثم قال: ﴿خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ﴾ أي: ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان، والدفء: اسم ما يدفأ به، كما أنّ الملء اسم ما يملأ به، وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر، وقرئ: «دفّ»: بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على

---

٨٢٥ ـ قال الحافظ:

سيأتي في سورة يس. انتهى.

الفاء، ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ هي: نسلها ودرّها وغير ذلك.

فإن قلت: تقديم الظرف في قوله: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ مؤذن بالاختصاص، وقد يؤكل من غيرها.

قلت: الأكل منها هو الأصل[1] الذي يعتمده الناس في معايشهم، وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتدّ به وكالجاري مجرى التفكه، ويحتمل أن طعمتكم منها؛ لأنكم تحرثون بالبقر فالحبّ والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون بإكراء الإبل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾

منّ الله بالتجمل بها كما منّ بالانتفاع بها؛ لأنه من أغراض أصحاب المواشي، بل هو من معاظمها؛ لأنّ الرعيان إذا روّحوها بالعشي وسرحوها بالغداة ـ فزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية، وتجاوب فيها الثغاء والرغاء[2] ـ أنست أهلها وفرحت أربابها، وأجلتهم في عيون الناظرين إليها، وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس؛ ونحوه: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨]، ﴿يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦].

فإن قلت: لم قدّمت الإراحة على التسريح؟

قلت: لأنّ الجمال في الإراحة أظهر، إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع، ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها، وقرأ عكرمة: «حينا تريحون وحينا تسرحون»: على أن (تريحون وتسرحون): وصف للحين، والمعنى: تريحون فيه وتسرحون فيه؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ﴾.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾

قرئ: «بشق الأنفس»: بكسر الشين وفتحها، وقيل: هما لغتان في معنى المشقة، وبينهما فرق: وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقًّا، وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع، وأما الشق فالنصف، كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد.

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم قدم المجرور وأجاب بأن الأكل منها هو الأصل... إلخ»؟ قال أحمد: ومدار هذا التقرير على أن تقديم معمول الفعل يوجب حصره فيه فكأنه قال وإنما تأكلون منها.

(٢) قوله: «وتجاوب فيها الثغاء والرغاء» الثغاء صوت الشاء والمعز وما شاكلهما. والرغاء صوت ذوات الخف، كذا في الصحاح.

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾: كأنهم كانوا زماناً يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الإبل أثقالهم.

قلت: معناه: وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الإبل إلا بجهد أنفسكم، لا أنهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة.

فإن قلت: كيف طابق قوله: ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ قوله: (وتحمل أثقالكم)، وهلا قيل: لم تكونوا حامليها إليه[(١)]؟

قلت: طباقه من حيث إن معناه: وتحمل أثقالكم إلى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة، فضلاً أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم، ويجوز أن يكون المعنى: لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس، وقيل: أثقالكم أجرامكم، وعن عكرمة: البلد مكة، ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾: عطف على الأنعام، أي: وخلق هؤلاء للركوب والزينة، وقد احتج على حرمة أكل لحومهن بأن علل خلقها بالركوب والزينة، ولم يذكر الأكل بعد ما ذكره في الأنعام.

فإن قلت: لم انتصب ﴿وَزِينَةً﴾؟

قلت: لأنه مفعول له، وهو معطوف على محل لتركبوها.

فإن قلت: فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد[(٢)]؟

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم... إلخ»؟ قال أحمد: ويحتمل أن يكون المراد تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس واستغنى بذكر البلوغ عن ذكر حملها لأن العادة أن المسافر لا يستغني عن أثقال يستصحبها والمعنى الأول أعلى، والله أعلم.

(٢) قال محمود: «إن قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سن واحد... إلخ»؟ قال أحمد: يعني فجاز أن ينتصب مجرداً من لام التعليل لأنه فعل فاعل الفعل الأول، ويعينه اقتران الركوب باللام لأنه فعل المخاطبين، ومتى لم يتحد الفاعل تعين لحاق اللام، وفي هذا الجواب نظر، فإن لقائل أن يقول: كان من الممكن مجيئهما معاً باللام فيأتيان على سنن واحد. ولا غرو في ذلك فالسؤال قائم، والجواب العتيد عنه: أن المقصود المعتبر الأصلي في هذه الأصناف هو الركوب. وأما التزين بها فأمر تابع غير مقصود قصد الركوب «فاقترن المقصود المهم باللام المفيدة التعليل، تنبيهاً على أنه أهم الغرضين وأقوى السببين وتجرد التزين منها تنبيهاً على تبعيته أو قصوره عن الركوب، والله أعلم.

قلت: لأنّ الركوب فعل المخاطبين، وأما الزينة: ففعل الزائن وهو الخالق، وقرئ: «لتركبوها زينة»: بغير واو، أي: وخلقها زينة لتركبوها، أو تجعل زينة حالاً منها، أي: وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: يجوز أن يريد به: ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمنّ علينا بذكره كما منّ بالأشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته، ويجوز أن يخبرنا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به، ليزيدنا دلالة على اقتداره بالإخبار بذلك، وإن طوى عنا علمه لحكمة له في طيه، وقد حمل على ما خلق في الجنة النار، مما لم يبلغه وهم أحد، ولا خطر على قلبه.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾

المراد بالسبيل: الجنس؛ ولذلك أضاف إليها القصد وقال: (ومنها جائر)، والقصد مصدر بمعنى: الفاعل وهو القاصد، يقال: سبيل قصد وقاصد، أي: مستقيم، كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه، ومعنى قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: أن هداية الطريق الموصل[١] إلى الحق واجبة عليه[٢]؛ كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾ [الليل: ١٢].

فإن قلت: لم غير أسلوب الكلام في قوله: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾؟

قلت: ليعلم ما يجوز إضافته إليه من السبيلين وما لا يجوز، ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة[٣] لقيل: وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر، وقرأ عبد الله:

---

(١) قال محمود: «ومعناه أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة... إلخ» قال أحمد: أين يذهب به عن تتمة الآية. وذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ولو كان الأمر كما تزعم القدرية لكان الكلام: وقد هداكم أجمعين. وما كأنهم إلا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فإن ذهبوا إلى تأويل الهداية بالقسر والإلجاء، فما كأنهم إلا يحرفون الكلم من بعد مواضعه. وأما المخالفة بين الأسلوبين، فلأن سياق الكلام لإقامة حجة الله تعالى على الخلق بأنه بين السبيل القاصد والجائر، وهدى قوماً اختاروا الهدى، وأضل قوماً اختاروا الضلالة لأنفسهم. وقد تقدم في غير ما موضع أن كل فعل صدر على يد العبد فله اعتباران، هو من حيث كونه موجوداً. مخلوق لله تعالى ومضاف إليه بهذا الاعتبار، هو من حيث كونه مقترناً باختيار العبد له وبتأتيه له وتيسره عليه يضاف إلى العبد، وأن تعدد هذين الاعتبارين ثابت في كل فعل، فناسب إقامة الحجة على العباد إضافة الهداية إلى الله تعالى باعتبار خلقه لها، وإضافة الضلال إلى العبد باعتبار اختياره له، والحاصل أنه ذكر في كل واحد من الفعلين نسبة غير النسبة المذكورة في الآخر، ليناسب ذلك إقامة الحجة ﴿ألا لله الحجة البالغة﴾ والله الموفق للصواب.

(٢) قوله: «الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه» هذا مذهب المعتزلة ولا وجوب عليه تعالى عند أهل السنة، بل ذلك فضل منه تعالى؛ لكن الكريم يبرز الوعد بالخير في صورة الواجب (ع).

(٣) قوله: «ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقيل: وعلى الله قصد السبيل» يعني أهل السنّة من أنه تعالى يخلق الشرّ كالخير. وقوله: «لقيل» إلخ: الملازمة ممنوعة لأن الكريم يحب الخير دون الشر، وإن كان كل منهما من عنده (قل كل من عند الله). (ع).

«ومنكم جائر»، يعني: ومنكم جائر جار عن القصد بسوء اختياره، والله بريء منه، ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: قسراً وإلجاء[1]

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾

﴿لكم﴾: متعلق بأنزل، أو بشراب؛ خبراً له، والشراب ما يشرب، ﴿شَجَرٌ﴾ يعني: الشجر الذي ترعاه المواشي، وفي حديث عكرمة: لا تأكلوا ثمن الشجر؛ فإنه سحت (٨٢٦)، يعني: الكلأ، ﴿تُسِيمُونَ﴾: من سامت الماشية إذا رعت، فهي سائمة، وأسامها صاحبها، وهو من السومة وهي العلامة؛ لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض، وقرئ: «ينبت»: بالياء والنون.

فإن قلت: لم قيل: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾/ ١٩٠ب؟

قلت: لأنّ كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة؛ وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة، ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته، والآية: الدلالة الواضحة، وعن بعضهم: «يُنَبِّت»: بالتشديد، وقرأ أبيّ بن كعب: «ينبتُ لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب»: بالرفع.

---

٨٢٦ ـ قال الزيلعي: غريب.

وبمعناه ما رواه عبد الرزاق في مُصنفه، عن وهب بن منبه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا السُحت»، قالوا: وما السحت يا رسول الله؟ قال: «بيع الشجر وثمن الخمر، وإجارة الأمة المساحقة». وذكره عبد الحق في أحكامه، في البيوع من جهة عبد الرزاق، وقال: هذا مرسل، وحديث عكرمة أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال موقوفاً عليه.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه أبو عبيد في الأصول عنه موقوفاً وزاد نحوه، وروى عبد الرزاق من طريق وهب بن منبه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا السحت قالوا: وما السحت؟ قال: بيع الشجر وثمن الخمر وإجارة الأمة المساحقة». انتهى.

---

(١) قوله: «ولو شاء لهداكم أجمعين قسراً وإلجاء» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فإنه لو شاء لهدى الكل اختياراً، وذلك أن المعتزلة أوجبوا على الله الصلاح، وهداية الكل صلاح؛ فظاهر الآية يخالف مذهبهم. ولذا قالوا: إنه أراد هداية الكل، لكن إرادة لا تنافي تخيير العبد، لئلا يبطل تكليفه. وهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد. وأهل السنة لم يوجبوا على الله تعالى شيئاً، وكل ما أراده الله لا بد من وقوعه. وهذه الإرادة لا تنافي اختيار العبد عندهم لما تقرر له من الكسب، كما بين في علم التوحيد (ع).

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾

قرئت كلها بالنصب على: وجعل النجوم مسخرات، أو على أنّ معنى تسخيرها للناس: تصييرها نافعة لهم؛ حيث يسكنون بالليل، ويبتغون من فضله بالنهار، ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر، ويهتدون بالنجوم، فكأنه قيل: ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره، ويجوز أن يكون المعنى: أنه سخرها أنواعاً من التسخير جمع مسخر، بمعنى: تسخير، من قولك: سخره الله مسخراً؛ كقولك: سرحه مسرحاً، كأنه قيل: وسخرها لكم تسخيرات بأمره، وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما، ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر، وقرئ: «والنجوم مسخرات»: بالرفع، وما قبله بالنصب، وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: فجمع الآية، وذكر العقل؛ لأنّ الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة، وأبين شهادة للكبرياء والعظمة.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾: معطوف على الليل والنهار، يعني: ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾: هو السمك، ووصفه بالطراءة؛[1] لأنّ الفساد يسرع إليه[2]، فيسارع إلى أكله خيفة للفساد عليه.

فإن قلت: ما بال الفقهاء قالوا: إذا حلف الرجل لا يأكل لحماً. فأكل سمكاً، لم يحنث، والله ـ تعالى ـ سماه لحماً كما ترى؟

قلت: مبني الإيمان على العادة، وعادة الناس إذا ذكر اللحم على الإطلاق ألاّ يفهم منه السمك، وإذا قال الرجل لغلامه: اشتر بهذه الدراهم لحماً فجاء بالسمك، كان حقيقاً بالإنكار، ومثاله: أن الله ـ تعالى ـ سمى الكافر دابة في قوله: إن شرّ الدواب عند الله

---

(١) قوله: «بالطراءة» في الصحاح: طرو اللحم. وطرى طراوة وطراء وطراة (ع).

(٢) عاد كلامه. قال: «هو السمك، ووصفه بالطراءة لأن الفساد يسرع إليه... إلخ» قال أحمد: فكأن ذلك تعليم لأكله وإرشاد إلى أنه لا ينبغي أن يتناول إلا طريا. والأطباء يقولون: إن تناوله بعد ذهاب طراوته أضر شيء يكون، والله أعلم.

الذين كفروا، فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافراً لم يحنث، ﴿حِلْيَةً﴾: هي اللؤلؤ والمرجان[1]، والمراد بلبسهم: لبس نسائهم؛ لأنهنّ من جملتهم، ولأنهنّ إنما يتزينّ بها من أجلهم، فكأنها زينتهم ولباسهم، المخر: شق الماء بحيزومها، وعن الفراء: هو صوت جري الفلك بالرياح، وابتغاء الفضل: التجارة.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهة أن يميل بكم وتضطرب، والمائد: الذي يدار به إذا ركب البحر، قيل: خلق الله الأرض فجعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هي بمقرّ أحد على ظهرها، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال، لم تدر الملائكة ممّ خلقت، ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾: وجعل فيها أنهاراً؛ لأنّ: (ألقى): فيه معنى: جعل؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ: ٦، ٧]، ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾: هي معالم الطرق وكل ما تستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك، والمراد بالنجم: الجنس؛ كقولك: كثر الدرهم في أيدي الناس، وعن السدي: هو الثريا، والفرقدان، وبنات نعش، والجدي، وقرأ الحسن: «وبالنُّجم»: بضمتين، وبضمة وسكون، وهو جمع نجم، كرهن ورهن، والسكون تخفيف، وقيل: حذف الواو من النجوم تخفيفاً.

فإن قلت: قوله: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: مخرج عن سنن الخطاب، مقدم فيه؛ (النجم)، مقحم فيه (هم)، كأنه قيل: وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون، فمن المراد بـ (هم)؟

قلت: كأنه أراد قريشاً: كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم، وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم، فكان الشكر أوجب عليهم، والاعتبار ألزم لهم، فخصصوا.

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾

فإن قلت: (من لا يخلق) أريد به الأصنام[2]، فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم؟

---

(١) قال محمود: «الحلية هي اللؤلؤ والمرجان... إلخ» قال أحمد: لله در مالك رضي الله عنه حيث جعل للزوج الحجر على زوجته فيما له بال من مالها، وذلك مقدر بالزائد على الثلث لحقه فيه بالتجمل، فانظر إلى مكنة حظ الرجال من مال النساء ومن زينتهن، حتى جعل المرأة من مالها وزينتها حلية له، فعبر عن حظه في لبسها بلبسه، كما يعبر عن حظها سواء، مؤيداً بالحديث المروي في الباب، والله أعلم.

(٢) قال محمود: «إن قلت من لا يخلق أريد به الأصنام... إلخ» قال أحمد: وهو تحوم على أن العباد يخلقون أفعالهم، وأن المراد إظهار التفاوت بين من يخلق منهم ومن لا يخلق كالعاجزين والزمنى، =

قلت: فيه أوجه:

أحدها: أنهم سموها آلهة وعبدوها، فأجروها مجرى أولي العلم؛ ألا ترى إلى قوله على أثره: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [النحل: ٢٠].

والثاني: المشاكلة بينه وبين من يخلق.

والثالث: أن يكون المعنى أنّ من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم، فكيف بما لا علم عنده؛ كقوله: ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، يعني: أنّ الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب؛ لأنّ هؤلاء أحياء وهم أموات، فكيف تصح لهم العبادة؟ لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصحّ أن يعبدوا.

فإن قلت: هو إلزام للذين عبدوا الأوثان[1]، وسموها آلهة؛ تشبيهاً بالله، فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق، فكان حق الإلزام أن يقال لهم: أفمن لا يخلق كمن يخلق؟

قلت: حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسوّوا بينه وبينه، فقد جعلوا الله ـ تعالى ـ من جنس المخلوقات وشبيهاً بها، فأنكر عليهم ذلك بقوله: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾: لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم، فضلاً أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر، أتبع ذلك ما عدّد من نعمه تنبيهاً على أنّ وراءها ما لا ينحصر ولا ينعدّ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؛ حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾: من أعمالكم، وهو: وعيد.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾

= حتى يثبت التفاوت بين من يخلق منهم وبين الأصنام بطريق الأولى، ولقد تمكن منه الطمع حتى اعتقد أنه يثبت خلق العبد لأفعاله بتنزيله الآية على هذا التأويل، ويتمنى له تم لو ذلك. [من البسيط]:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ....

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيهاً بالله تعالى وكان من حق الإلزام... إلخ» قال أحمد: وقد تقدم الكلام في ذلك عند قوله تعالى ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾ فجدد بها عهداً.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾: والآلهة الذين يدعوهم الكفار، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وقرئ: «بالتاء»، وقرئ: «يدعون»: على البناء للمفعول، نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث، وأثبت لهم/ ١٩١أ صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب، ومعنى: ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ﴾: أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات، أي غير جائز عليها الموت كالحيّ الذي لا يموت، وأمرهم على العكس من ذلك، والضمير في (يبعثون): للداعين، أي: لا يشعرون متى تبعث عبدتهم، وفيه تهكم بالمشركين وأنّ آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم، فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم، وفيه دلالة على أنه لا بدّ من البعث وأنه من لوازم التكليف، ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى: أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير، وهم لا يقدرون على نحو ذلك، فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها، غير أحياء يعني: أنّ من الأموات ما يعقب موته حياة، كالنطف التي ينشئها الله حيواناً، وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها، وأمّا الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة؛ وذلك أعرق في موتها، ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ أي: وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تهكماً بحالها؛ لأنّ شعور الجماد محال[1]، فكيف بشعور ما لا يعلمه حيّ إلا الحيّ القيوم سبحانه، ووجه ثالث: وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة، وكان ناس منهم يعبدونهم، وأنهم أموات، أي: لا بدّ لهم من الموت، غير أحياء: غير باقية حياتهم، وما يشعرون: ولا علم لهم بوقت بعثهم، وقرئ: «إيان»: بكسر الهمزة.

﴿إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾ يعني: أنه قد ثبت بما تقدّم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره، وأنها له وحده لا شريك له فيها، فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها: استمرارهم على شركهم، وأنّ قلوبهم منكرة للوحدانية، وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها، ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾: سرّهم وعلانيتهم فيجازيهم، وهو وعيد، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾: يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين، ويجوز أن يعمّ كل مستكبر، ويدخل هؤلاء تحت عمومه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ

---

(١) قوله: «لأن شعور الجماد محال» أي شعوره بما يشعر به الحيوان محال، فكيف بشعوره بما لا يعلمه حيوان وإنما يعلمه الحي القيوم، وهو وقت البعث. ولعل في عبارة المصنف سقطاً تقديره: شعور الجماد بما يشعر به الحيوان (ع).

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿مَّاذَآ﴾: منصوب بأنزل، بمعنى: أي شيء، ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾: أو مرفوع بالابتداء، بمعنى: أيّ شيء أنزله ربكم، فإذا نصبت فمعنى: ﴿أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ما يدّعون نزوله أساطير الأوّلين، وإذا رفعته فالمعنى: المنزل أساطير الأوّلين؛ كقوله: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] فيمن رفع.

فإن قلت: هو كلام متناقض؛ لأنه لا يكون منزل ربهم وأساطير؟

قلت: هو على السخرية؛ كقوله: إنّ رسولكم[١] وهو كلام بعضهم لبعض، أو قول المسلمين لهم، وقيل: هو قول المقتسمين: الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله ﷺ إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله ﷺ قالوا أحاديث الأوّلين وأباطيلهم، ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ﴾ أي: قالوا ذلك إضلالاً للناس وصدّاً عن رسول الله ﷺ فحملوا أوزار ضلالهم، ﴿كَامِلَةً﴾: وبعض أوزار من ضلّ بضلالهم، وهو وزر الإضلال؛ لأن المضلّ والضال شريكان: هذا يضله، وهذا يطاوعه على إضلاله، فيتحاملان الوزر، ومعنى اللام: التعليل من غير أن يكون غرضاً؛ كقولك: خرجت من البلد مخافة الشر، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: حال من المفعول أي: يضلون من لا يعلم أنهم ضلال؛ وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم؛ لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

القواعد: أساطين البناء التي تعمده، وقيل: الأساس، وهذا تمثيل، يعني: أنهم سوّوا منصوبات ليمكروا[٢] بها الله ورسوله، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات، كحال قوم بنوا بنياناً وعمدوه بالأساطين، فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت، فسقط عليهم

(١) قوله: «على السخرية كقوله إن رسولكم» لعله: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون (ع).
(٢) قوله: «ليمكروا بها الله ورسوله» لعل تعدية فعل المكر إلى مفعول لتضمنه معنى الخديعة (ع).

السقف وهلكوا؛ ونحوه: من حفر لأخيه جبًّا وقع فيه منكبًا، وقيل: هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع، وقيل فرسخان، فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا، ومعنى إتيان الله: إتيان أمره، ﴿مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: من جهة القواعد، ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون، وقرئ: «فأتى الله بيتهم»، «فخرّ عليهم السقف»: بضمتين، ﴿يُخْزِيهِمْ﴾: يذلهم بعذاب الخزي، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ يعني: هذا لهم في الدنيا، ثم العذاب في الآخرة، ﴿شُرَكَآءِىَ﴾: على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم، ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم، ﴿تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾: تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم، وقرئ: «تشاقون»: بكسر النون، بمعنى: تشاقونني؛ لأنّ مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: هم الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم، فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم؛ يقولون ذلك شماتة بهم، وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفاً لمن سمعه، وقيل: هم الملائكة، قرئ: «تتوفاهم»: بالتاء والياء، وقرئ: «الذين توفاهم»: بإدغام التاء في التاء، ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾: فسالموا وأخبتوا، وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر، وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾، وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان، فردّ عليهم أولو العلم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: فهو يجازيكم عليه، وهذا ـ أيضاً ـ من الشماتة وكذلك: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾.

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ (٣١) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢)﴾

﴿خَيْرًا﴾ أنزل خيراً.

فإن قلت: لم نصب هذا ورفع الأول؟

قلت: فصلاً بين جواب المقرّ وجواب الجاحد، يعني: أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا، وأطبقوا الجواب على السؤال بيناً مكشوفاً مفعولاً للإنزال، فقالوا: خيراً، أي: أنزل خيراً، وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال/ ١٩١ب فقالوا: هو أساطير الأوّلين، وليس من الإنزال في شيء، وروي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف، وقالوا: إن لم تلقه كان خيراً لك، فيقول: أنا شرّ وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه،

فيلقى أصحاب رسول الله ﷺ فيخبرونه بصدقه، وأنه نبيّ مبعوث، فهم الذين قالوا خيراً، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾، وما بعده بدل من «خيراً»؛ حكاية لقوله الذين اتقوا، أي: قالوا هذا القول، فقدّم عليه تسميته خيراً ثم حكاه، ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ عدة للقائلين، ويجعل قولهم من جملة إحسانهم ويحمدوا عليه، ﴿حَسَنَةٌ﴾: مكافأة في الدنيا بإحسانهم، ولهم في الآخرة ما هو خير منها؛ كقوله: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨]. ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾: دار الآخرة، فحذف المخصوص بالمدح لتقدّم ذكره، و﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: خبر مبتدأ محذوف، ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح: ﴿طَيِّبِينَ﴾: طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي؛ لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم، ﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ﴾: قيل: إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال: السلام عليك يا وليّ الله، الله يقرأ عليك السلام، وبشره بالجنة.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤)﴾

﴿تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: قرئ بالتاء والياء، يعني: أن تأتيهم لقبض الأرواح، و﴿أَمْرُ رَبِّكَ﴾: العذاب المستأصل، أو القيامة، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب، ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾: بتدميرهم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾؛ لأنهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير، ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾: جزاء سيئات أعمالهم، أو هو كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٣٥)﴾

هذا من جملة ما عدّد من أصناف كفرهم وعنادهم، من شركهم بالله وإنكار وحدانيته بعد قيام الحجج وإنكار البعث واستعجاله؛ استهزاء منهم به وتكذيبهم الرسول، وشقاقهم، واستكبارهم عن قبول الحق، يعني: أنهم أشركوا بالله وحرّموا ما أحل الله، من البحيرة والسائبة وغيرهما، ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا: لو شاء لم نفعل، وهذا مذهب المجبرة بعينه[1]، ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: أشركوا وحرموا

(١) قوله: «وقالوا لو شاء الله لم نفعل، وهذا مذهب المجبرة بعينه» يعني أهل السنة، وليس كما قال، =

حلال الله[1]، فلما نبهوا على قبح فعلهم ورّكوه على ربهم[2]، ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ﴾: إلا أن يبلغوا الحق، وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان، ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله ـ تعالى ـ من أفعال العباد، وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم واختيارهم، والله ـ تعالى ـ باعثهم على جميلها وموفقهم له، وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾

ولقد أمدّ إبطال قدر السوء ومشيئة الشر بأنه ما من أمة إلا وقد بعث فيهم رسولاً يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادة الله، وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي: لطف به؛ لأنه عرفه من أهل اللطف، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ

= بل قاله المشركون استهزاء، وأهل السنة اعتقاداً، كما أفاده النسفي. وكل ما شاءه الله كان، وما لم يشأ لم يكن، شرا كان أو خيراً. وكل أمر بقضائه تعالى وقدره، شرا كان أو خيراً. وهو الخالق لأفعال العباد وإن كانت بكسبهم واختيارهم، خلافاً للمعتزلة في جميع ذلك، كما أطال به فيما سيأتي هنا انتصاراً للمعتزلة (ع).

(1) قال محمود: «يعني أنهم أشركوا بالله وحرموا ما أحل الله... إلخ» قال أحمد: قد تكرر منه مثل هذا الفصل في أخت الآية المتقدمة في سورة الأنعام، وقد قدمنا حينئذ ما فيه مقنع إن شاء الله، والذي زاده هنا يثبت معتقده على زعمه بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ ووجه تمسكه به أن الله تعالى قسم العبادة إلى قسمين: مأمور به ومنهي عنه. والأمر والنهي عند المصنف راجعان إلى المشيئة بناء على زعم القدرية في إنكار كلام النفس وحمل الاقتضاء على الإرادة، فالحاصل حينئذ من هذه التتمة أن الله شاء عبادة الخلق له وشاء اجتنابهم عبادة الطاغوت، ولم يشأ منهم أن يشركوا به، وأخبر بهذه المشيئة على لسان كل رسول بعثه إلى أمة من الأمم، فجاءت التتمة مترجمة عن معنى صدر الآية، مؤكدة بمقتضاها. هذا هو الذي زاده المصنف ههنا، وقد بينا أن مبناه على إنكار كلام النفس الثابت قطعاً، فهو باطل جزماً. والعجب أن الله تعالى أوضح في الآيتين جميعاً أن الذي أنكره من القائلين ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ إنما هو احتجاجهم على الله تعالى بمشيئته التي لا حجة لهم فيها، مع ما خلق لهم من الاختيار بقوله ههنا ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ وبقوله في آخر آية الأنعام ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فتبين أنه هو الذي شاء منهم الإشراك والضلالة، ولو شاء هدايتهم أجمعين لاهتدوا عن آخرهم. وحصل من هذا البيان: صرف الإنكار عليهم إلى غير نسبة المشيئة لله تعالى، وذلك هو الذي قدمناه في إقامتهم الحجة على الله بمشيئته، مع أن حجتهم في ذلك داحضة، ولله عليهم الحجة البالغة الواضحة، والله الموفق.

(2) قوله: «وركوه على ربهم» أي اتهموه به.

﴿ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ أي: ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف؛ لأنه عرفه مصمماً على الكفر لا يأتي منه خير، ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ﴾: ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في أني لا أقدّر الشر ولا أشاؤه؛ حيث أفعل ما أفعل بالأشرار.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله ﷺ على إيمانهم، وعرّفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة، وأنه ﴿لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ أي: لا يلطف ممن يخذل؛ لأنه عبث، والله تعالى متعال عن العبث؛ لأنه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه، وقرئ: «لا يُهدَى»[١]، أي: لا تقدر أنت ولا أحد على هدايته وقد خذله الله، وقوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: دليل على أنّ المراد بالإضلال: الخذلان الذي هو نقيض النصرة، ويجوز أن يكون: (لا يهدي) بمعنى: لا يهتدي، يقال: هداه الله فهدي، وفي قراءة أبيّ: «فإنّ الله لا هادي لمن يضل»، «ولمن أضلّ»[٢]، وهي معاضدة لمن قرأ: ﴿لَا يَهْدِي﴾: على البناء للمفعول، وفي قراءة عبد الله: «يهدي»: بإدغام تاء يهتدي، وهي معاضدة للأولى، وقرئ: (يضل): بالفتح، وقرأ النخعي: «إن تحرَص»: بفتح الراء، وهي لغية.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾: معطوف على: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾؛ إيذاناً بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان، حقيقتان بأن تحكيا وتدوّنا: توريك ذنوبهم على مشيئة[٣] الله، وإنكارهم البعث مقسمين عليه، و﴿بَلَىٰ﴾: إثبات لما بعد النفي، أي: بلى يبعثهم، ووعد الله: مصدر مؤكد لما دلّ عليه بلى؛ لأن يبعث موعد من الله، وبين أنّ الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب[٤] على الله؛ لأنهم يقولون: لا يجب على الله شيء، لا ثواب عامل ولا غيره من

---

(١) قوله: «وقرئ لا يهدى» بالبناء للمجهول، كما أفاده النسفي (ع).

(٢) قوله: «وفي قراءة أبي: فإن الله لا هادي لمن يضل ولمن أضل» ظاهره أن هذه قراءة أخرى لأبي. فليحرر.

(٣) قوله: «توريك ذنوبهم على مشيئة الله» أي نسبة ذنوبهم إلى مشيئته تعالى واتهامها بها.

(٤) قوله: «أو أنه وعد واجب على الله... إلخ» الكلام في الكفار. وعرض فيه المصنف بأهل السنة تعصباً للمعتزلة في قولهم بوجوب الصلاح عليه تعالى فافهم (ع).

مواجب الحكمة، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: متعلق بما دل عليه «بلى» أي: يبعثهم ليبين لهم، والضمير: لمن يموت، وهو عام للمؤمنين والكافرين، والذي اختلفوا فيه هو الحق، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ﴾: كذبوا في قولهم: لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء، وفي قولهم: لا يبعث الله من يموت، وقيل: يجوز أن يتعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ أي: بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه، وأنهم كانوا على الضلالة قبله، مفترين على الله الكذب.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قَوْلُنَا﴾: مبتدأ، و﴿أَن نَّقُولَ﴾: خبره، ﴿كُن فَيَكُونُ﴾: من كان التامة التي بمعنى: الحدوث والوجود،/ ١٩٢أ أي: إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له: احدث، فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف، وهذا مثل لأنّ مراداً لا يمتنع عليه، وأنّ وجوده عند إرادته تعالى غير متوقف، كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممتثل، ولا قول: ثم، والمعنى: أنّ إيجاد كل مقدور على الله ـ تعالى ـ بهذه السهولة، فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات، وقرئ: «فيكون»: عطفاً على: (نقول).

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾: هم رسول الله ﷺ وأصحابه، ظلمهم أهل مكة ففرّوا بدينهم إلى الله، منهم: من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين، ومنهم: من هاجر إلى المدينة، وقيل: هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله ﷺ وكلما خرجوا تبعوهم فردّوهم، منهم: بلال، وصهيب، وخباب، وعمار، وعن صهيب أنه قال لهم: أنا رجل كبير، إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضرّكم، فافتدى منهم بماله وهاجر، فلما رآه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ قال له: ربح البيع يا صهيب، وقال له عمر: نعم، الرجل صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه، وهو ثناء عظيم: يريد لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه[1]، فكيف: ﴿فِى ٱللَّهِ﴾: في حقه ولوجهه، ﴿حَسَنَةً﴾: صفة للمصدر، أي: لنبوأنهم تبوئة حسنة، وفي قراءة علي ـ رضي الله عنه ـ: «لنثوّينهم»، ومعناه: أثوأة حسنة، وقيل: لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة، وهي الغلبة على

---

(١) قوله: «لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه فكيف» أي فكيف لا يطيعه. وقد خلقها لمن عصى (ع).

أهل مكة الذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبة، وعلى أهل المشرق والمغرب، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاء، قال: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك ربك في الدنيا، وما ذخر لك في الآخرة أكثر، وقيل: لنبوّأنهم مباءة حسنة، وهي: المدينة؛ حيث آواهم أهلها ونصروهم، ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ الضمير: للكفار، أي: لو علموا أنّ الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة، لرغبوا في دينهم، ويجوز أن يرجع الضمير إلى المهاجرين، أي: لو كانوا يعلمون ذلك، لزادوا في اجتهادهم وصبرهم، ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على: هم الذين صبروا، أو: أعني الذين صبروا، وكلاهما مدح، أي: صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب، فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم، وعلى المجاهدة، وبذل الأرواح في سبيل الله.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قالت قريش: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فقيل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: على ألسنة الملائكة، ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: وهم أهل الكتاب؛ ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشراً.

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؟

قلت: له متعلقات شتى، فإما أن يتعلق بما أرسلنا داخلاً تحت حكم الاستثناء مع رجالاً، أي: وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات؛ كقولك: ما ضربت إلا زيداً بالسوط؛ لأن أصله: ضرب زيداً بالسوط وإما: برجالاً، صف له: أي: رجالاً ملتبسين بالبينات، وإما بأرسلنا مضمراً؛ كأنما قيل: بم أرسلوا؟ فقلت: «بالبينات»، فهو على كلامين، والأوّل على كلام واحد، وإما بيوحى، أي: يوحى إليهم بالبينات، وإما: بلا تعلمون، على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام؛ كقول الأجير: إن كنت عملت لك فأعطني حقي، وقوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: اعتراض على الوجوه المتقدّمة، وأهل الذكر: أهل الكتاب، وقيل: للكتاب الذكر؛ لأنه موعظة وتنبيه للغافلين، ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: ما نزل الله إليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: وإرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ

﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: المكرات السيئات، وهم أهل مكة، وما مكروا به رسول الله، ﷺ[1]، ﴿فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾: متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم، ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: متخوفين، وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيتخوّفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون، وهو خلاف قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وقيل: هو من قولك: تخوفنه وتخونته، إذا تنقصته؛ قال زهير [من البسيط]:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[2]

أي: يأخذهم على أن يتنقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال على المنبر: ما تقولون فيها؟ فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا: التخوّف: التنقص، قال: فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا، وأنشد البيت، فقال عمر: أيها الناس، عليكم بديوانكم لا يضل، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم، ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ حيث يحلم عنكم، ولا يعاجلكم مع استحقاقكم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قرئ: «أو لم يروا»، «ويتفيؤا»: بالياء والتاء، و(ما): موصولة بخلق الله، وهو مبهم

---

(١) قوله: «وما مكروا به رسول الله ﷺ» ضمن المكر معنى الخداع، فعدى إلى المفعول (ع).

(٢) لأبي كبير الهذلي. وقيل لزهير. والتخوف: التنقص شيئاً فشيئاً. والتامك: السنام المرتفع. والقرد: الذي أكله القراد من كثرة أسفارها. أو الذي تنقب وفسد من الرحل في السفر. والنبعة: واحدة النبع، وهو شجر تتخذ منه القسي. ويروى: ظهر النبعة. والسفن: المبرد الحديد الذي ينحت به الخشب، يقول: تنقص رحلها سنامها المرتفع الذي تنقب من كثرة السفر، كما تنقص المبرد عود النبعة. وفيه تشبيه بها في الصلابة. وروي أن عمر قال على المنبر: ما تقولون في قوله تعالى ﴿أو يأخذكم على تخوف﴾ فسكتوا، فقال شيخ من هذيل: هذه لغتنا، التخوف: التنقص، وأنشد البيت، فقال عمر: عليكم بديوانكم لا تضلوا. قالوا: وما دايواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم.
البيت لابن مقبل في ملحق ديوانه ص ٤٠٥، ولسان العرب (خوف)، وتهذيب اللغة ٧/ ٥٩٤، ١٣/ ٤، ولذي الرمّة في ملحق ديوانه ص ١٩١٧، ولسان العرب (سفن)، ولذي الرمّة أو لابن مقبل في تاج العروس (سفن)، ولزهير في أساس البلاغة (خوف)، وليس في ديوانه، ولعبد الله بن عجلان النهدي في تاج العروس (خوف)، ولقعنب ابن أم صاحب في سمط اللآلي ص ٧٣٨، وبلا نسبة في المخصّص ١٣/ ٢٧٧، وتاج العروس (خوف)، وأمالي القالي ٢/ ١١٢.

بيانه، ﴿مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾، واليمين: بمعنى الأيمان، و﴿سُجَّدًا﴾: حال من الظلال، ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: حال من الضمير في ظلاله؛ لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل، وجمع بالواو؛ لأن الدخور من أوصاف العقلاء، أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب، والمعنى: أو لم يروا إلى ما خلق الله من الإجرام التي لها/ ١٩٢ب ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها، أي: عن جانبي كل واحد منها، وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء، أي: ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله، غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ، والأجرام في أنفسها داخرة ـ أيضاً ـ صاغرة منقادة لأفعال الله فيها، لا تمتنع.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾

﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: يجوز أن يكون بياناً لما في السموات وما في الأرض جميعاً، على أنّ في السموات خلقاً لله يدبون فيها كما يدب الأناسي في الأرض، وأن يكون بياناً لما في الأرض وحده، ويراد بما في السموات: الخلق الذي يقال له: الروح، وأن يكون بياناً لما في الأرض وحده، ويراد بما في السموات: الملائكة، وكرّر ذكرهم على معنى: والملائكة خصوصاً من بين الساجدين؛ لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم، ويجوز أن يراد بما في السموات: ملائكتهنّ، وبقوله والملائكة: ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم.

فإن قلت: سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم[1]، فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد؟

قلت: المراد بسجود المكلفين: طاعتهم وعبادتهم، وبسجود غيرهم: انقياده لإرادة الله وأنها غير ممتنعة عليها، وكلا السجودين يجمعها معنى الانقياد فلم يختلفا؛ فلذلك جاز

---

(١) قال محمود: «إن قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم، فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد... إلخ»؟ قال أحمد: وهذا ما يتمسك به لمن اختار تناول اللفظ الواحد لحقيقته ومجازه شمولاً ولم يرد ذلك متناقضاً، فإن السجود يتناول هل المكلف حقيقة يتناول حال غير المكلف بطريق مجاز التشبيه، وقد أريد جميعاً من الآية، والزمخشري ينكر ذلك في مواضع مررت عليها من كتابه، هذا وظاهر مراده ههنا أن السجود عبارة عن قدر مشترك بين فعل المكلف وحال غير المكلف، وهو عدم الامتناع عند القدرية، وغرضه من ذلك أن يكون اللفظ متواطئاً فيهما جميعاً، ليسلم من الجمع بين الحقيقة والمجاز، لأنه يأبى ذلك، ولا يتم له هذا المقصد في الآية ـ والله أعلم ـ لأن كونها آية سجدة يدل على أن المراد من السجود المذكور فيها منسوباً للمكلفين هو الفعل الخاص المتعارف شرعاً، الذي يكون ذكره سبباً لفعلة سببية معتادة في عزائم السجود، لا القدر الأعم المشترك، والله أعلم.

أن يعبر عنهما بلفظ واحد.

فإن قلت: فهلا جيء بمن دون «ما»: تغليباً للعقلاء من الدواب على غيرهم؟

قلت: لأنه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب، فكان متناولاً للعقلاء خاصة، فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم، إرادة العموم، ﴿يَخَافُونَ﴾: يجوز أن يكون حالاً من الضمير[1] في (لا يستكبرون)، أي: لا يستكبرون خائفين، وأن يكون بياناً لنفي الاستكبار وتأكيداً له؛ لأنّ من خاف الله لم يستكبر عن عبادته، ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾: إن علقته بيخافون، فمعناه: يخافونه أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم، وإن علقته بربهم حالاً منه فمعناه: يخافون ربهم عالياً لهم قاهراً؛ كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦١]، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾: وفيه دليل على أنّ الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي والوعد والوعيد كسائرالمكلفين، وأنهم بين الخوف والرجاء.

﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾

فإن قلت: إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين، فقالوا عندي رجال ثلاثة وأفراس أربعة؛ لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص، وأما رجل ورجلان وفرس وفرسان، فمعدودان فيهما دلالة على العدد، فلا حاجة إلى أن يقال: رجل واحد ورجلان اثنان، فما وجه قوله إلهين اثنين[2]؟

قلت: الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين: على الجنسية والعدد المخصوص، فإذا أريدت الدلالة على أنّ المعنيّ به منهما، والذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده، فدل به على القصد إليه والعناية به؛ ألا ترى أنك لو قلت: إنما هو إله، ولم تؤكده بواحد: لم يحسن، وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية، ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾: نقل للكلام عن الغيبة إلى التكلم؛ وجاز لأنّ الغالب هو المتكلم، وهو من طريقة الالتفات، وهو أبلغ في الترهيب من قوله: وإياه فارهبوه، ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم.

﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾

---

(١) قال محمود: «يجوز أن يكون حالاً من الضمير... إلخ» قال أحمد: هذا الثاني هو الوجه ليس الأول، وأما الحال فيعطي انتقالاً، ويوهم تقيد العدم استكبارهم، مع أن الواقع أو عدم استكبارهم مطلق غير مقيد بحال، والله الموفق.

(٢) قال محمود: «إن قلت ما فائدة قوله اثنين مع إغناء التثنية عن ذلك... إلخ» قال أحمد: وهذا الفصل من حسناته التي لا يدافع عنها، والله الموفق.

﴿ٱلدِّينُ﴾: الطاعة، ﴿وَاصِبًا﴾: حال عمل فيه الظرف، والواصب: الواجب الثابت؛ لأنّ كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه، ويجوز أن يكون من الوصب، أي: وله الدين ذا كلفة ومشقة؛ ولذلك سمي تكليفاً، أو: وله الجزاء ثابتاً دائماً سرمداً لا يزول، يعني: الثواب والعقاب.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾: وأيّ شيء حل بكم، أو اتصل بكم من نعمة، فهو من الله، ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾: فما تتضرعون إلا إليه، والجُؤار: رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة؛ قال الأعشى يصف راهباً [من المتقارب]:

يُـرَاوِحُ مِـنْ صَـلَـوَاتِ الْـمَـلِـيـ ـكِ طَـوْراً سُـجُـوداً وَطَـوْراً جُـؤَارَا(١)

وقرئ: «تجرون»: بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم، وقرأ قتادة: كاشف الضرّ على: فاعل بمعنى فعل، وهو أقوى من كشف؛ لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾؟

قلت: يجوز أن يكون الخطاب في قوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ عاماً، ويريد بالفريق: فريق الكفرة، وأن يكون الخطاب للمشركين، ومنكم للبيان، لا للتبعيض، كأنه قال: فإذا فريق كافر، وهم أنتم، ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر؛ كقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢]، ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: من نعمة الكشف عنهم، كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة، ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: تخلية ووعيد، وقرئ: «فيمتعوا»: بالياء مبنيا للمفعول، عطفاً على: (ليكفروا)، ويجوز أن يكون: ليكفروا

---

(١) ومـا آبـلـي عـلـى هـيـكـل بـنـاه وصـلـب فـيـه وصـارا
يـراوح مـن صـلـوات الـمـلـيـ ـك طـوراً سـجـوداً وطـوراً جـؤارا
بـأعـظـم مـنـك تـقـى فـي الـحـسـاب إذا الـنـسـمـات نـفـضـن الـغـبـارا

للأعشى. والآبلي: الراهب، نسبة إلى آبل وهو قيم البيعة. والهيكل: بيت الصنم. وصلب: أي صور الصليب. وألف صارا للإطلاق. ويراوح: خبره، وإن لزم عليه التضمين مراعاة لجزالة المعنى، والمراوحة في العمل: الانتقال من حالة إلى أخرى. والصلوات: الدعوات. والسجود: الانخفاض والخشوع. والجؤار: رفع الصوت بالدعاء. وبأعظم: خبر آبلي. وتقى: تمييز. يقول ليس الراهب العاكف على هيكله الذي صور فيه الصليب، وصار يتابع ويتنقل من بعض دعوات الله إلى بعض، فتارة يسجد سجوداً، وتارة يجأر جؤاراً، تقاه أعظم من تقاك يوم الحساب إذا قام الناس من قبورهم، فنفضهم الغبار كناية عن ذلك.

فيمتعوا، من الأمر الوارد في معنى: الخذلان والتخلية؛ واللام: لام الأمر.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦)﴾

﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لآلهتهم، ومعنى: لا يعلمونها: أنهم يسمونها آلهة، ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله، وليس كذلك؛ وحقيقتها أنها جماد لا يضر ولا ينفع، فهم إذاً جاهلون بها، وقيل: الضمير في (لا يعلمون): للآلهة، أي: لأشياء غير موصوفة بالعلم، ولا تشعر أجعلوا لها نصيباً في أنعامهم وزروعهم أم لا؟ وكانوا يجعلون لهم ذلك تقرباً إليهم/١٩٣ أ، ﴿لَتُسْأَلُنَّ﴾: وعيد، ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: من الإفك في زعمكم أنها آلهة، وأنها أهل للتقرب إليها.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)﴾

كانت خزاعة وكنانة تقول: الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيه لذاته من نسبة الوالد إليه، أو تعجب من قولهم: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني: البنين، ويجوز في: (ما يشتهون): الرفع على الابتداء، والنصب على أن يكون معطوفاً على البنات، أي: وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور، و﴿ظَلَّ﴾ بمعنى: صار[1]، كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى: الصيرورة، ويجوز أن يجيء ظل؛ لأن أكثر الوضع يتفق بالليل، فيظل نهاره مغتما مربد الوجه[2] من الكآبة والحياء من الناس، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوء حنقاً على المرأة، ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾: يستخفي منهم، ﴿مِن﴾: أجل، ﴿سُوءِ﴾: المبشر به، ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر أيمسك ما بشر به، ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: على هوان وذل، ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾: أم يئده[3]، وقرئ: «أيمسكها على هون أم يدسها»: على التأنيث، وقرئ: «على هوان» ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله، ويجعلون لأنفسهم من هو على عكس هذا الوصف.

---

(١) قال محمود: «ظل بمعنى صار» قال أحمد: وجاز أن يراد الظلول نهاراً لقصد المبالغة في وصفهم بالعناد والإصرار وأنهم لو عرجوا نهاراً في الوقت الذي لا يتغابى على البصر فيه شيء إلى السماء لتمادوا على كفرهم وتكذيبهم، والله أعلم.

(٢) قوله: «ويجوز أن يجيء ظل... إلخ» قال أحمد: أي يرد ويستعمل في الآية بمعناه الأصلي، وهو اتصاف الشيء بصفة نهاراً فقط، لأن أكثر الوضع... إلخ. ومربد الوجه: متعبسه من الغضب، كما يفيده الصحاح (ع).

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾: صفة السوء: وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق، وإقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: وهو الغني عن العالمين، والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿بِظُلْمِهِم﴾: بكفرهم ومعاصيهم، ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي: على الأرض، ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: قط ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين، وعن أبي هريرة: أنه سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضرّ إلا نفسه، فقال: بلى والله، حتى أنّ الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم (٨٢٧)، وعن ابن مسعود: كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم (٨٢٨)، أو من دابة ظالمة، وعن ابن عباس، (من دابة): من مشرك يدب عليها، وقيل: لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء.

---

٨٢٧ ـ أخرجه الطبري (٧/ ٦٠١) رقم (٢١٦٦٩)، البيهقي في الشعب (٦/ ٥٤) حديث رقم (٧٤٧٩).
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه الطبري والبيهقي في الشعب التاسع والأربعين، وفي إسناده محمد بن جابر التمامي وهو متروك. انتهى.

٨٢٨ ـ أخرجه الطبري (٧/ ٦٠١) رقم (٢١٦٧١)، الحاكم (٢/ ٤٢٨).
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم والطبراني من طريق أبي الأحوص قال: قرأ ابن مسعود: ولو يؤاخذ الله الناس ـ الآية قال: كاد الجعل يعذب في حجره بذنب ابن آدم. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «قوله معطوفان على محل «لِتُبَيِّنَ» ليس بصحيح، لأن محله ليس نصباً، فيعطف منصوباً ألَا ترى أنه لو نصبه لم يجز لاختلاف الفاعل». قُلتُ: الزمخشري لم يجعل النصب لأجل العطف على المحل، إنما جعله بوصول الفعل إليهما. لاتحاد الفاعل كما صَرَّحَ به فيما حكيته عنه آنِفاً، وإنما جعل العطف لأجل التشريك في العِلِّيَّةِ لا غير، يعني أنهما علتان، كما أن «لُتَبَيِّنَ» عِلَّةٌ. ولئن سلمنا أنه نصب عطفاً على المحل، فلا يضر ذلك. قوله: «لأنَّ محله ليس نصباً» ممنوع، وهذا ما لا خلاف فيه، من أن محل الجار والمجرور النصب، لأنه فضلة إلاَّ أنْ يقوم مقام مرفوع، ألا ترى إلى تخريجهم قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ في قراءة النصب على العطف على محل «برُؤُوسِكُمْ» ويجيزون «مررت بزيد وعمراً»، على خلاف في ذلك بالنسبة إلى القياس وعدمه، لا في أصل المسألة، وهذا بحث حَسنُ تركه المردود عليه. انتهى. الدر المصون.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾: لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم، ومن الاستخفاف برسلهم[1]، والتهاون برسالاتهم، ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ﴾: مع ذلك، ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾: عند الله؛ كقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوي اليسار: كيف تكون يوم القيامة إذا قال الله تعالى: هاتوا ما دفع إلى السلاطين وأعوانهم، فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة، وإذا قال: هاتوا ما دفع إليّ فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له، أما تستحي من ذلك الموقف؟ وقرأ هذه الآية، وعن مجاهد: أنّ لهم الحسنى، هو قول قريش: لنا البنون، وأن لهم الحسنى: بدل من الكذب، وقرئ: (الكذب): جمع كذوب، صفة للألسنة، ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ قرئ: مفتوح الراء ومكسورها مخففاً ومشدّداً، فالمفتوح بمعنى: مقدّمون إلى النار معجلون إليها، من أفرطت فلاناً، وفرّطته في طلب الماء، إذا قدمته، وقيل: منسيون متروكون، من أفرطت فلاناً خلفي إذا خلفته ونسيته، والمكسور المخفف، من الإفراط في المعاصي، والمشدّد، من التفريط في الطاعات وما يلزمهم.

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾: حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها، أو فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا، ومعنى (وليهم): قرينهم وبئس القرين، أو يجعل: (فهو وليهم اليوم): حكاية للحال الآتية، وهي حال كونهم معذبين في النار، أي: فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره، نفياً للناصر لهم على أبلغ الوجوه، ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش، أنه زين للكفار قبلهم أعمالهم، فهو ولي وهؤلاء؛ لأنهم منهم، ويجوز أن يكون على حذف المضاف، أي: فهو ولي أمثالهم اليوم.

---

(١) قال محمود: «المراد بما يكرهونه البنات، وشركاء في رياستهم، واستخفاف برسلهم... إلخ» قال أحمد: ونقيض هؤلاء من إذا أعجبه شيء من ماله جعله لله، بل إذا أحب أمة له أعتقها، وإذا اشتهى طعاماً قدم إليه تصدق به على حبه، وإنما ينقل مثل هذا عن السلف الصالح من الصحابة، كابن عمر ونظرائه ومن تابعهم فيها، ويجعلون لله ما يشتهون. اللهم إن لم ننل رتبة أوليائك فأنلنا محبتهم، فمن أحب قوماً حشر معهم.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾: معطوفان على محل، (لتبين): إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما؛ لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب، ودخل اللام على لتبين، لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل؛ وإنما ينتصب مفعولاً له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل، والذي اختلفوا فيه: البعث؛ لأنه كان فيهم من يؤمن به، ومنهم عبد المطلب، وأشياء من التحريم والتحليل والإنكار والإقرار، ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: سماع إنصاف وتدبر؛ لأنّ من لم يسمع بقلبه؛ فكأنه أصم لا يسمع.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

ذكر سيبويه الأنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال؛ كقولهم: ثوب أكياش؛ ولذلك رجع الضمير إليه مفرداً، وأمّا (في بطونها): في سورة المؤمنين؛ فلأنّ معناه: الجمع، ويجوز أن يقال في الأنعام وجهان، أحدهما: أن يكون تكثير نعم[1] كأجبال في جبل، وأن يكون اسماً مفرداً مقتضياً لمعنى الجمع كنعم، فإذا ذكر فكما يذكر «نعم» في قوله [من الرجز]:

فِي كُلِّ عَامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ ... يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وَتَنْتِجُونَهُ[2]

---

(١) قوله: «أن يكون تكثير نعم» لعله «تكسير» بالسين (ع).

(٢) في كل عام نعم تحوونه ... يلقحه قوم وتنتجونه
أربابه نوكي فلا يحمونه ... ولا يلاقون طعانا دونه
أنعم الأبناء تحسبونه؟ ... هيهات هيهات لما ترجونه

لصبي من بني أسد اسمه قيس بن الحصين الحارثي. والنعم: اسم جمع يعامل معاملة المفرد. وقد يراعى معناه فيعامل كالجمع. والأنعام عده سيبويه من المفردات المبنية على أفعال، كأخلاق وأمشاج، فيعامل بالتذكير تارة اعتباراً بلفظه، وبالتأنيث أخرى اعتباراً بمعناه. وقيل: هو جمع نعم كأسباب وسبب، والكلام تحسر وتحزن في صورة الأخبار، ويحتمل تقدير همزة الاستفهام التوبيخي أو التعجبي قبل في، أي: أفي كل عام تفعلون ذلك. ورُوي: أكل عام، بالاستفهام. وكل: نصب على الظرفية. وفيه الأخبار بالزمان عن اسم العين وهو نعم. إما لأنه يشبه المعنى لتجدده كل عام كما قاله ابن مالك وغيره في مثله. أو على تقدير مضاف كما ذهب إليه جمهور البصريين، أي: نهب نعم. وجملة تحوونه: صفة نعم، ويجوز أنها خبره، وكل عام: ظرف لتحوونه، وقدم لأنه =

وإذا أنث ففيه وجهان: أنه تكسير نعم، وأنه في معنى الجمع[1]، وقرئ: ﴿نُّسۡقِيكُمْ﴾:

= محط الاستفهام. وعليه فالمسوغ للابتداء بنعم وقوعه في حيز الاستفهام. أو تقديم معمول الخبر عليه لأنه كتقديم الخبر. يلقحه قوم أي يطلقون فحوله على إناثه فتحمل عندهم. وتنتجونه أنتم: أي تستولدونه عندكم، كناية عن نهبه منهم. والأرباب الأصحاب. والنوكى: جمع أنوك كحمقى جمع أحمق وزنا ومعنى. والطعان: المطاعنة بالرماح، أي: لا يحاربون أمامه ويصبرون للحرب. وقوله أنعم: استفهام إنكاري توبيخي، أي: لا تحسبوا نعمنا نعم أولئك الحمقى الضعاف. وهيهات بمعنى بعد، وكرره للتوكيد وقطع الأطماع. وقوله: «لما ترجونه» متعلق بمحذوف، أي: أقول ذلك لما ترجونه، واللام فيه لتبيين الفاعل. ويجوز أنها زائدة فيه، والرجا: الطمع، ويجوز أنه الظن.

لقيس بن حصين في خزانة الأدب ١/ ٤٠٩، والكتاب ١/ ١٢٩، ولصبي من بني سعد قيل إنه قيس بن الحصين في المقاصد النحوية ١/ ٥٢٩، ولحصين بن زيد في شرح أبيات سيبويه ١/ ١١٩، ولرجل ضبي في الأغاني ١٦/ ٢٥٦، وبلا نسبة في لسان العرب (أبل)، (نعم)، والأشباه والنظائر ٣/ ١٠٢، والإنصاف ص ٦٢، وتخليص الشواهد ص ١٩١، والرد على النحاة ص ١٢٠، واللمع في العربية ص ١١٣، والمخصص.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: أما ما ذكره عن سيبويه ففي كتابه في: «هذا بابُ ما كان على مثال مَفَاعِل ومفاعيل»، ما نَصُّه: «وَأمَّا أَجْمَالٌ وفُلُوسٌ» فإنها تنصرف وما أشبهها؛ لأنها ضارعت الواحِدَ ألاَ تَرَى أَنَّكَ تقول: أَقْوَالٌ وأَقَاوِيل، وأَعْرَابٌ وأَعَارِيب، وَأيْدٍ وَأيَادٍ. فهذه الأحرف تخرج إلى مثال مَفَاعِل وَمَفَاعِيل، كما يُخْرَجُ إليه الواحد إذا كُثِّر للجمع، وأما مَفَاعِل ومفاعيل فلا يكسر، فَلاَ يخرج الجمعُ إلى بناءٍ غير هذا؛ لأنَّ هذا البناء هو الغاية، فلما ضارعت الواحد صُرِفت». ثم قال: «وكذلك الفُعولُ لو كُسِّرت، مثل الفُلُوس، لأنْ تُجْمَع جميعاً لأخرجته إلى فَعَائِلَ، كما تقول جَدودٌ وجَدَائدُ، ورَكوبٌ ورَكَائبُ. ولو فعلت ذلك بـ«مفَاعِلَ، وَمَفَاعيلَ» لم تجاوز هذا البناء. ويقوي ذلك أن بعض العرب تقول أَبِيٌ للواحد، فيضُمُّ الألف، وأمَّا أَفْعَالٌ فقد يقع للواحد، من العرب من يقول: هو الأنْعَامُ، قال الله عز وجل: ﴿نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ وقال أبو الخطاب: «سمعتُ مِن العَرَبِ مَنْ يقول: هَذَا ثَوْبٌ أَكْيَاشٌ». قال: «والذي ذكر سيبويه هو الفرق بين مَفَاعِلَ وَمَفَاعِيلَ، وبين أَفْعَال وفُعُول، وإن كان الجميع أبنية للجمع، من حيث إنّ مفاعل ومفاعيل لا يجمعان، وأَفْعَالاً وفُعُولاً قد يخرجان إلى بناء يشبه مَفاعِلَ أو مَفَاعِيلَ، فَلَمَّا كَانَا قد يخرجان إلى ذلك انصرفا، ولم ينصرف مَفَاعِلَ وَمَفَاعِيلَ لشبه ذَيْنك بالمفرد من حيثُ إنّه يمكن جمعهما، وامتناع هذين مِنْ الجمع ثُمّ قَوِيَ شبههما بالمفرد بأنَّ بعض العرب يقول في أُتِيّ» أُتي بضم الهمزة، يعني أنه قد جاء نادراً «فُعُول» من غير المصدر للمفرد، وبأن بَعْضَ العرب قد يوقع أفعالاً للمفرد من حيث أفرد الضمير، فيقول: «هو الأنْعَامُ»، وإنما ذلك على سبيل المجاز؛ لأن الأَنْعَامَ في معنى النَّعَم، والنَّعَمُ مُفْرَدٌ كما قال [من الوافر]:

تَـرَكْـنَـا الْـخَـيْـلَ والـنَّـعَـمَ الـمُـفَـدَّى ... وَقُـلْـنَـا لِـلـنِّـسَـاءِ: بِـهَـا. أَقِـيـمِـي.

وذلك قال سيبويه: «وإنما أفعال فقد يقع للواحد». فقوله: «قد يقع للواحد» دليل على أنه ليس ذلك بالوضع، فقول الزمخشري: «أنه ذكره في الأسماء المفردة على أفعال» تحريف في اللفظ. وفهم عن سيبويه ما لم يرده، ويدل على ما قلناه أن سيبويه حين ذكر أبنية الأسماء المفردة نصَّ على أنَّ أَفْعَالاً ليس من أبنيتها. قال سيبويه في باب ما لحقته الزيادة من بنات الثلاثة: «وليس في الكلام» «أُفعيلٌ»، ولا أُفعولٌ، ولا أَفْعَال، ولا أَفعيل، ولا أفعال. إلا أن تُكَسِّرَ عليه اسماً للجمع». قال: «فهذا نصٌّ منه على أنَّ «أفعالاً» لا يكون في الأسماء المفردة». قُلْتُ: الذي ذكره الزمخشري هو =

بالفتح والضم، وهو استئناف، كأنه قيل: كيف العبرة، فقيل نسقيكم، ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ﴾ أي: يخلق الله اللبن وسيطاً بين الفرث والدم يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة، بل هو خالص من ذلك كله، قيل: إذا أكلت البهيمة العلف فاستقرّ في كرشها طبخته، فكان أسفله فرثاً، وأوسطه لبناً، وأعلاه دماً، والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها، فتجري الدم في العروق، واللبن في الضرع، وتبقي الفرث في الكرش ـ فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته/ ١٩٣ب لمن تفكر وتأمّل ـ وسئل شقيق عن الإخلاص؟ فقال: تمييز العمل من العيوب، كتمييز اللبن من بين فرث ودم، ﴿سَآئِغٗا﴾: سهل المرور في الحلق، ويقال: لم يغص أحد باللبن قط، وقرئ: «سيغاً»: بالتشديد. «وسيغاً»؛ بالتخفيف، كهين ولين.

فإن قلت: أي فرق بين «من» الأولى والثانية؟

قلت: الأولى للتبعيض؛ لأن اللبن بعض ما في بطونها؛ كقولك: أخذت من مال زيد ثوباً، والثانية: لابتداء الغاية؛ لأن بين الفرث والدم مكان الإسقاء الذي منه يبتدأ، فهو صلة لنسقيكم؛ كقولك: سقيته من الحوض، ويجوز أن يكون حالاً من قوله: (لبناً): مقدماً عليه، فيتعلق بمحذوف، أي: كائناً من بين فرث ودم؛ ألا ترى أنه لو تأخر فقيل: لبناً من بين فرث ودم كان صفة له؛ وإنما قدم لأنه موضع العبرة، فهو قمن بالتقديم، وقد احتج بعض من يرى أن المني طاهر على من جعله نجساً، لجريه في مسلك البول بهذه الآية، وأنه ليس بمستنكر أن يسلك مسلك البول وهو طاهر، كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهراً.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ﴾؟

قلت: بمحذوف تقديره: ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب، أي: من عصيرها؛ وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه، وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا﴾: بيان وكشف عن كنه الإسقاء، أو يتعلق بتتخذون، ومنه من تكرير الظرف للتوكيد؛ كقولك: زيد في الدار فيها، ويجوز أن يكون: (تتخذون): صفة موصوف محذوف؛ كقوله [من الرجز]:

= ظاهر عبارة سيبويه، وهو كافٍ في تسويغ عود الضمير مفرداً، وإن كان «أفعال» قد يقع موقع الواحد مجازاً، فإن ذلك ليس بضائر فيما نحن بصدده، ولم يحرف لفظه، ولم يفهم عنه غير مراده، لما ذكرته من هذا المعنى الذي قصده، وقيل: إنما ذُكِّر الضمير، لأنه يعود على البعض، وهو الإناث. لأن الذكور لا ألبان لها، فكأن العبرة هي في بعض الأنعام. انتهى. الدر المصون.

. . . . بِـكَـفَّـيْ كَـانَ مِـنْ أَرْمَـى الْـبَـشَـرْ[1]

تقديره: ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً؛ لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر.

فإن قلت: فإلام يرجع الضمير في منه إذا جعلته ظرفاً مكرّراً؟

قلت: إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ إلى الأهل المحذوف، والسكر: الخمر، سميت بالمصدر من سَكِرَ سُكْراً أو سَكَراً؛ نحو: رَشِدَ رُشْداً ورَشَداً؛ قال [من الوافر]:

وَجَـاءُونَـا بِـهِـمْ سَـكَـرٌ عَـلَـيْـنَـا فَـأَجْـلَـى الـيَـوْمَ وَالـسَّـكْـرَانُ صَـاحِـي[2]

وفيه وجهان: أحدهما: أن تكون منسوخة، وممن قال بنسخها: الشعبي والنخعي، والثاني: أن يجمع بين العتاب والمنة، وقيل: السكر: النبيذ، وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه، ثم يترك حتى يشتدّ، وهو حلال عند أبي حنيفة إلى حدّ السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله ﷺ: «الخَمْرُ حَرَامٌ لِعَيْنِهَا وَالسَّكَرُ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ» (٨٢٩)، وبأخبار جمة، ولقد صنف شيخنا أبو علي الجبائي ـ قدّس الله روحه ـ غير كتاب في

---

٨٢٩ ـ أخرجه العقيلي في الضعفاء (٤/ ١٢٤) عن علي مرفوعاً، وأخرجه النّسائي (٨/ ٣٢١) رقم (٥٦٨٣، =

---

(١) مـالـك عـنـدي غـيـر سـوط وحـجـر وغـيـر كـبـداء شـديـدة الـوتـر
جـادت بـكـفـي كـان مـن أرمـى الـبـشـر

السوط: آلة للضرب، معمولة من الجلد. وكبداء صفة لمحذوف، أي قوس كبداء غليظة الكبد، أي المقبض. وقيل: واسعته. والوتر: حبل تشد به القوس. وجادت: صارت جيدة. ويروى بدله: ترمى. وشبه الرمي لها مجاز عقلي. وكفي مضاف لمحذوف قامت صفته في اللفظ مقامه، وهي جملة «كان» وحذف المنعوت الأول مطرد، والثاني ضرورة؛ لأنه لا يجوز حذف المنعوت إلا إذا كان بعض اسم مجرور بمن أو «في»، أو صلح نعته لمباشرة العامل. و«كان» هنا ليس للمضي، بل لمجرد الثبوت والدوام، أي: بكفي رجل متصف بأنه دائماً من أشد الناس رمياً، يعني نفسه. ففيه تجريد. يقول لعدوه: ليس لك عندي غير هذه الأشياء، وهو ضرب من التهديد والتقريع: هدده بالسوط عند القرب، وبالحجر عند المفارقة، وبالسهم عند البعد: ويروى «سهم» بدل سوط، فيضيع الترتيب.

ينظر: الخصائص (٢/ ٣٦٧)، وابن يعيش (٣/ ٥٩)، والإنصاف (١١/ ١١٥)، والمغني (١/ ١٦٠)، والتصريح (٢/ ١١٩)، خزانة الأدب (٥/ ٦٥)، الدرر (٦/ ٢٢)، شرح الأشموني ٢/ ٤٠١، شرح المفصل (٣/ ٦٢)، لسان العرب (كون)، (منن)، مجالس ثعلب (٣/ ٥١٣)، المحتسب ٢/ ٢٢٧، المقاصد النحوية (٤/ ٦٦)، المقتضب (٢/ ٣٩)، المقرب (١/ ٢٢٧)، همع الهوامع (٢/ ١٢٠)، تاج العروس (كون، منن) الدر المصون (٣/ ٢٠٦).

(١) تقدم.

تحليل النبيذ، فلما شيخ[١] وأخذت منه السنّ العالية قيل له: لو شربت منه ما تتقوى به، فأبى. فقيل له: فقد صنفت في تحليله، فقال: تناولته الدعارة[٢] فسمج في المروءة، وقيل: السكر: الطُّعم[٣]؛ وأنشد [امن الرجز]:

جَـعَـلْـتُ أَعْـرَاضَ الـكِـرَامِ سَـكَـرَا

أي: تنقلت بأعراضهم[٤]، وقيل: هو من الخمر، وإنه إذا ابترك[٥] في أعراض الناس، فكأنه تخمر بها، والرزق الحسن: الخل، والرب، والتمر، والزبيب، وغير ذلك، ويجوز أن يجعل السكر رزقاً حسناً، كأنه قيل: تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الإيحاء إلى النحل: إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به، لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه، وإلا فنيقتها[٦] في صنعتها، ولطفها في تدبير أمرها، وإصابتها فيما يصلحها، دلائل بينة شاهدة على أنّ الله أودعها علماً بذلك وفطنها، كما أولى أولي العقول عقولهم، وقرأ يحيى بن وثاب: (إلى النحل): بفتحتين، وهو مذكر كالنخل، وتأنيثه على المعنى: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى﴾ هي: أنّ المفسرة؛ لأنّ الإيحاء فيه معنى القول، وقرئ: ﴿بُيُوتًا﴾: بكسر الباء لأجل الياء، و﴿يَعْرِشُونَ﴾: بكسر الراء وضمها، يرفعون من سقوف البيوت، وقيل: ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي

= ٥٦٨٤) من حديث ابن عباس مرفوعاً.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه النَّسائي من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً، ورواه العقيلي من وجه آخر عن علي مرفوعاً وفيه محمد بن الفرات الكوفي وهو منكر الحديث. انتهى.

---

(١) قوله: «فلما شيخ وأخذت منه السن العالية» في الصحاح: شاخ الرجل يشيخ شيخاً بالتحريك، وشيخ تشييخاً: أي شاخ (ع).
(٢) قوله: «فقال تناولته الدعارة» في الصحاح: الدعارة الفسق والخبث (ع).
(٣) قوله: «وقيل السكر الطعم» في الصحاح: الطعم بالضم: الطعام (ع).
(٤) قوله: «أي تنقلت بأعراضهم» في الصحاح: النقل بالضم ما ينتقل به على الشراب (ع).
(٥) قوله: «وإنه إذا ابترك» في الصحاح: ابترك، أي أسرع في العدو وجد (ع).
(٦) قوله: «وإلا فنيقتها» أي تأنقها. أفاده الصحاح (ع).

تتعسل فيها، والضمير في (يعرشون): للناس.

فإن قلت: ما معنى «من» في قوله: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾، وهلا قيل في الجبال وفي الشجر؟

قلت: أريد معنى البعضية، وألاّ تبنى بيوتها[1] في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها، ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: إحاطة بالثمرات التي تجرسها النحل[2]، وتعتاد أكلها، أي: أبني البيوت، ثم كلي من كل ثمرة تشتهينها، فإذا أكلتها: ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾ أي: الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل، أو: فاسلكي ما أكلت في سبل ربك، أي: في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المرّ عسلاً من أجوافك ومنافذ مآكلك، أو: إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك، فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك، لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها، فقد بلغني أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر إلى البلد البعيد في طلب النجعة، أو أراد بقوله: (ثم كلي) ثم اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك، ﴿ذُلُلًا﴾: جمع ذلول، وهي: حال من السبل؛ لأنّ الله ذللها لها ووطأها وسهلها؛ كقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الملك: ١٥]، أو من الضمير في (فاسلكي) أي: وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة،/ ١٩٤أ ﴿شَرَابٌ﴾: يريد العسل؛ لأنه مما يشرب: ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾: منه أبيض وأسود وأصفر وأحمر، ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾؛ لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة، وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل، وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض، كما أن كل دواء كذلك، وتنكيره: إمّا لتعظيم الشفاء الذي فيه، أو: لأن فيه بعض الشفاء، وكلاهما محتمل، وعن النبي ﷺ أن رجلاً جاء إليه فقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: «ٱذْهَبْ وَٱسْقِهِ العَسَلَ» فذهب ثم رجع فقال: قد سقيته فما نفع، فقال: «ٱذْهَبْ وَٱسْقِهِ عَسَلاً» فقد صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فشفاه الله فبرأ؛ كأنما أنشط من عقال،

---

(١) قال محمود: «قلت أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها... إلخ» قال أحمد: ويتزين هذا المعنى الذي نبه عليه الزمخشري في تبعيض «من» المتعلقة باتخاذ البيوت بإطلاق الأكل، كأنه تعالى وكل الأكل إلى شهوتها واختيارها فلم يحجر عليها فيه وإن حجر عليها في البيوت وأمرت باتخاذها في بعض المواضع دون بعض؛ لأن مصلحة الأكل على الإطلاق باستمراء مشتهاها منه. وأما البيوت فلاتحصل مصلحتها في كل موضع. ولهذا المعنى دخلت ثم لتفاوت الأمر بين الحجر عليها في اتخاذ البيوت والإطلاق لها في تناول الثمرات، كما تقول: راع الحلال فيما تأكله، ثم كل أي شيء شئت، فتوسط ثم لتفاوت الحجر والإطلاق، فسبحان اللطيف الخبير.

(٢) قوله: «بالثمرات التي تجرسها النحل» في الصحاح «الجرس» الصوت الخفي، وجرست النحل العرفط إذا أكلته. وفيه أيضاً «العرفط» شجر من العضاه. وفيه «العضاه» كل شجر يعظم وله شوك (ع).

(٨٣٠) وعن عبد الله بن مسعود: العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور، فعليكم بالشفاءين: القرآن والعسل، (٨٣١) ومن بدع تأويلات الرافضة: أن المراد بالنحل: عليّ وقومه، وعن بعضهم أنه قال عند المهدي: إنما النحل: بنو هاشم، يخرج من

---

٨٣٠ ـ أخرجه البخاري (١٠/ ١٤٦) «كتاب الطب، باب الدواء بالعسل حديث رقم (٥٦٨٤)، ومسلم (٧/ ٤٦٠) نووي كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل حديث رقم (٢٢١٧)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ٢٤٩)، كتاب الطب والرقي باب المداواة بالعسل، والحاكم (٤/ ٤٠٢).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
متفق عليه من حديث أبي سعيد وغفل الحاكم فاستدركه.

٨٣١ ـ رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٢٦) (٣٠٠١٩ ـ ٣٠٠٢٠) من طريقين:
الأولى: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة عن الأسود قال: قال عبد الله: «عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل».
الثانية: حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال «العسل...»
قلت: وقع في المطبوع من «المصنف» «عن أبي إسحاق عن أبي الأسود»، وليس كذلك إنما هو أبو الأحوص؛ كما يأتي تحقيقه.
وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ١١٤٢) ـ كتاب الطب (٣١) ـ باب العسل (٧) (٣٤٥٢)، وابن عدي في الكامل في ترجمة زيد بن الحباب (٣/ ١٠٦٥)، (٣/ ١٢٥٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٠٠) ـ كتاب الطب.
وأبو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري (٧/ ١٣٣). والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٣٨٥).
كلهم من طريق زيد بن الحباب، ثنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالشفاءين...» فذكره مرفوعاً. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وقال أبو نعيم: غريب من حديث الثوري تفرد به عنه زيد بن الحباب. وزيد بن الحباب هذا قال فيه الحافظ في التقريب (١/ ٢٧٣): صدوق يخطئ في حديث الثوري. قلت: وأخرجه موقوفاً أيضاً الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٠٠) من طريق وكيع عن سفيان به، والطبراني في «معجمه الكبير» (٩/ ٢٥٢) (٩٠٧٦) من طريق أبي الأحوص عن أبي إسحاق به، والدارقطني في العلل (٥/ ٣٢٣) من طريق يحيى عن سفيان عن أبي إسحاق به.
وقال: ووقفه يحيى القطان وأبو حذيفة عن الثوري وهو الصحيح.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
لم أره هكذا. وفي الكامل لابن عدي من رواية لابن إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله رفعه: «عليكم بالشفاءين: العسل شفاء من كل داء. والقرآن شفاء لما في الصدور»، وقال: لم يرفعه عن وكيع عن الثوري إلا سفيان بن وكيع. قال: ورواه زيد بن الحباب عن الثوري أيضاً مرفوعاً اهـ.
وأخرجه ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم من رواية زيد بن الحباب بهذا الإسناد مرفوعاً بلفظ: «عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن»، وابن أبي شيبة عن وكيع مرفوعاً ولفظه: «العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور»، ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم والثعلبي أيضاً. قال ابن أبي شيبة: وحدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن حيبة عن الأسود عن عبد الله قال: «عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل». انتهى.

بطونهم العلم، فقال له رجل: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور، فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: إلى أخسه وأحقره، وهو خمس وسبعون سنة عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ وتسعون سنة عن قتادة؛ لأنه لا عمر أسوأ حالاً من عمر الهرم، ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾: ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان، وأن يعلم شيئاً ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه، وقيل: لئلا يعقل من بعد عقله الأوّل شيئاً، وقيل: لئلا يعلم زيادة علم على علمه.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾

أي: جعلكم متفاوتين في الرزق، فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم وإخوانكم، فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم، حتى تتساووا في الملبس والمطعم، كما يحكى عن أبي ذرّ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِنَّمَا هُمْ إِخْوَانُكُمْ، فَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تُطْعِمُونَ» (٨٣٢) فما رؤي عبده عبد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت، ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: فجعل ذلك من جملة جحود النعمة، وقيل: هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء، فقال لهم: أنتم لا تسوّون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم، ولا تجعلونهم فيه شركاء، ولا ترضون ذلك لأنفسكم،

---

٨٣٢ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/٨٣) ـ كتاب الأدب (٧٨) باب ما ينهى عن السباب واللعن (٤٤) ـ حديث رقم (٦٠٥٠). ومسلم (٦/١٤٦ ـ نووي) كتاب الأيمان (٢٧) ـ باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه (١٠) حديث رقم (٣٨) (١٦٦١).
وأبو داود (٤/٣٤٠) ـ كتاب الأدب ـ باب في حق المملوك ـ (٥١٥٧)، والترمذي (٤/٣٣٤) ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في الإحسان إلى الخدم ـ (١٩٤٥)، وابن ماجه (٢/١٢١٦) ـ كتاب الأدب (٣٣) ـ باب الإحسان إلى المماليك (١٠) (٣٦٩٠)، وأحمد في المسند (٥/١٥٨ ـ ١٦١)؛
كلهم من حديث المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر وعليه صلة وعلى غلامه مثلها... الحديث.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
متفق عليه وأخرجه أصحاب السنن. انتهى.
وعن الزيادة المشار إليها عقب الحديث قال: لم أره.

فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء، وقيل: المعنى: أنّ الموالي والمماليك أنا رازقهم جميعاً، فهم في رزقي سواء، فلا تحسبن الموالي أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئاً من الرزق؛ فإنما ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم، وقرئ: «يجحدون»: بالتاء والياء.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: من جنسكم، وقيل: هو خلق حواء من ضلع آدم، والحفدة: جمع حافد، وهو الذي يحفد، أي: يسرع في الطاعة والخدمة، ومنه قول القانت: وإليك نسعى ونحفد؛ وقال [من الكامل]:

حَفَدَ الْوَلَائِدُ بَيْنَهُنَّ وَأُسْلِمَتْ ... بِأَكُفِّهِنَّ أَزِمَّةُ الأَجْمَالِ[1]

واختلف فيهم فقيل: هم الأختان على البنات[2]؛ وقيل: أولاد الأولاد، وقيل: أولاد المرأة من الزوج الأوّل، وقيل المعنى: وجعل لكم حفدة، أي: خدماً يحفدون في مصالحكم ويعينونكم، ويجوز أن يراد بالحفدة: البنون أنفسهم؛ كقوله: ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، كأنه قيل: وجعل لكم منهنّ أولاداً هم بنون وهم حافدون، أي: جامعون بين الأمرين، ﴿مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: يريد بعضها؛ لأنّ كل الطيبات في الجنة، وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها، ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ وهو: ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها، وما هو إلا وهم باطل لم يتوصلوا إليه بدليل ولا أمارة، فليس لهم إيمان إلا به، كأنه شيء معلوم مستيقن، ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز: هم كافرون بها منكرون لها، كما ينكر المحال الذي لا يتصوره العقول، وقيل: الباطل ما يسوّل لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما، ونعمة الله: ما أحل لهم.

---

(١) يقول: حفد من باب ضرب، أي أسرع الولائد: جمع وليد وهي البنت الصغيرة، بينهن: أي بين النساء الطاعنات. وأسلمت: مبني للمجهول، أي تركت في أكف الظعائن والولائد. أزمة الأجمال: جمع زمام، وذلك دليل على حفظهن وصونهن، حتى لا يتخلل ركبهن إلا الولائد.
البيت للفرزدق، ينظر زيادات الطبعة الأولى من جمهرة اللغة ص (٥٠٤)، لجميل بثينة في ملحق ديوانه ص (٢٤٦)، بلا نسبة في لسان العرب (حفد)، جمهرة اللغة ص (٥٠٤)، كتاب العين (٣/ ١٨٥).

(٢) قوله: «فقيل هم الأختان على البنات» في الصحاح: الحفدة الأعوان والخدم. وفيه أيضاً: الختن بالتحريك كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ، وهم الأختان، كذا عند العرب وأما عند العامة فختن الرجل زوج ابنته اهـ فلعله أيضاً ضمن الأختان معنى الأعوان أو الخلفاء فعداه بعلى. وفي الخازن عن ابن مسعود: الحفدة أختان الرجل على بناته (ع).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾

الرزق يكون بمعنى: المصدر، وبمعنى: ما يرزق، فإن أردت المصدر نصبت به ﴿شَيْـًٔا﴾؛ كأي: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾ [البلد: ١٤، ١٥] على: لا يملك أن يرزق شيئاً، وإن أردت المرزوق كان شيئاً بدلاً منه، بمعنى: قليلاً، ويجوز أن يكون تأكيداً للا يملك: أي لا يملك شيئاً من الملك، و﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: صل للرزق إن كان مصدراً بمعنى: لا يرزق من السموات مطراً، ولا من الأرض نباتاً، أو صفة إن كان اسماً لما يرزق، والضمير في ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: لما؛ لأنه في معنى: الآلهة، بعد ما قيل: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾: على اللفظ، ويجوز أن يكون للكفار، يعني: ولا يستطيع هؤلاء - مع أنهم أحياء متصرفون أولو ألباب - من ذلك شيئاً، فكيف بالجماد الذي لا حس به؟

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بعد قوله: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾؟ وهل هما إلا شيء واحد؟

قلت: ليس في (لا يستطيعون): تقدير راجع؛ وإنما المعنى: لا يملكون أن يرزقوا، منفية عنهم أصلاً؛ لأنهم موات، إلا أن يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة للتوكيد أو يراد: أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه، ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾: تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به[1]؛ لأن من يضرب الأمثال مشبه حالاً بحال، وقصة بقصة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾: كنه ما تفعلون وعظمه،/ ١٩٤ب وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم؛ لأنّ العقاب على مقدار الإثم، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: كنهه وكنه عقابه؛ فذاك هو الذي جرّكم إليه وجرأكم عليه، فهو تعليل للنهي عن الشرك، ويجوز أن يراد: فلا تضربوا لله الأمثال، إنّ الله يعلم كيف يضرب الأمثال، وأنتم لا تعلمون.

---

(١) قال محمود: «تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به... إلخ» قال أحمد: فعلى تفسيره الأول يكون حموله (لله) متعلقاً بالأمثال، كأنه قيل: فلا تمثلوا الله ولا تشبهوه. وعلى الثاني يكون متعلقاً بالفعل الذي هو تضربوا، كأنه قيل: فلا تمثلوا لله الأمثال، فإن ضرب المثل إنما يستعمل من العالم لغير العالم، ليبين له ما خفي عنه، والله تعالى هو العالم وأنتم لا تعلمون، فتمثيل غير العالم للعالم عكس للحقيقة، والله أعلم.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

ثم علمهم كيف تضرب فقال: مثلكم في إشراككم بالله الأوثان: مثل من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف، وبين حرّ مالك قد رزقه الله مالاً فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء.

فإن قلت: لم قال: ﴿مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾[1]، وكل عبد مملوك، وغير قادر على التصرف؟

قلت: أما ذكر المملوك: فليميز من الحرّ؛ لأن اسم العبد يقع عليهما جميعاً؛ لأنهما من عباد الله، وأما ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له؛ لأنهما يقدران على التصرف، واختلفوا في العبد، هل يصح له ملك؟ والمذهب الظاهر أنه لا يصحّ له.

---

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت لم قال مملوكاً لا يقدر على شيء... إلخ» قال أحمد: والقول بصحة ملكه هو مذهب الإمام مالك رضي الله عنه. وفي هذه الآية له معتصم، لأن الله تعالى مثل بالمملوك لأنه مظنة العجز وعدم الملك والتصرف غالباً، ثم أفصح عن المعنى المقصود: وهو أن هذا المملوك ليس بمن اتفق أن ملكه سيده فملك وقدر، بل هو على الأصل المعهود في المماليك عاجز غير قادر، ولو لم يكن ملك العبد متصوراً ومعهوداً شرعاً وعرفاً، لكان قوله تعالى ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ كالتكرار لما فهم من قوله ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ وقول القائل يقول إنه احتراز من المكاتب، بعيد من فصاحة القرآن: فإنه لو كان العبد لا يصح منه ملك ألبتة إلا في حال الكتابة، لكانت إرادته حينئذ من إطلاق اللفظ، كالألغاز الذي لا يعهد مثله في بيان القرآن واستيلائه على صنوف البلاغة. ومثل هذا أنكره الإمام أبو المعالي على من حمل قوله عليه السلام: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها» على المكاتبة لبعد القصد إليها على شذوذها. وأما الاحتراز به عن المأذون له فينبني على القول بأن المراد بعدم القدرة عدم المكنة من التصرف، وإن لم يكن المأذون له مالكاً عند هذا القائل. وهذا بعيد عن مطابقة قوله ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ فإنها توجب أن يكون المراد بقوله ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لا يملك شيئاً من الرزق، كما تقول في الحر المفلس: فلان لا يقدر على شيء، أي لا يملك شيئاً يقدر على التصرف فيه. فتلخص من هذا البحث أن في الآية مجالاً لنصرة مذهب مالك، وإن كان لقائل أن يقول: هذه الصفة لازمة كالإيضاح لفائدة ضرب المثل بالمملوك، كأنه قيل: وإنما ضربنا المثل بالمملوك؛ لأن صفته اللازمة له وسمته المعروفة به، أنه لا يقدر على شيء. أي لا يصح منه ملك، وكثيراً ما يجيء الحال والصفة لا يقصد بواحد منهما تقييد ولا تخصيص، ولكن إيضاح وتفسير. ومن ذلك قوله تعالى ﴿ومن يدع مع الله تعالى، لا برهان له به﴾ فقوله لا برهان له به. لا يقصد به تمييز له سوى (الله) من (إله) لأن كل مدعو إلهاً غير الله تعالى، لا برهان به. وإنما أريد أن عدم البرهان من لوازم دعاء إله غير الله تعالى، فهذا أقصى ما يمكن أن ينتصر به للقائل بعدم صحة ملك العبد. ولنا أن نقول في دفعه أن الأصل في الصفة والحال وشبههما التخصيص والتقييد. وأما الوارد من ذلك لازماً فنادر على خلاف الأصل، والله الموفق.

فإن قلت: (من) في قوله: ﴿وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ﴾ ما هي؟

قلت: الظاهر أنها موصوفة، كأنه قيل: وحراً رزقناه؛ ليطابق عبداً، ولا يمتنع أن تكون موصولة.

فإن قلت: لم قيل: ﴿يَسْتَوُۥنَ﴾ على الجمع؟

قلت: معناه: هل يستوي الأحرار والعبيد؟

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

الأبكم: الذي ولد أخرس، فلا يَفهم ولا يُفهم، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ أي: ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾: حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم، لم ينفع ولم يأت بنجح، ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن﴾: هو سليم الحواس نفاعاً ذو كفايات، مع رشد وديانة، فهو: ﴿يَأْتِى أَمْرُ﴾: الناس ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾، والخير، ﴿وَهُوَ﴾: في نفسه ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: على سيرة صالحة ودين قويم، وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية، وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع، وقرئ: «أينما يوجه»: بمعنى: أينما يتوجه، من قولهم: أينما أوجه ألق سعداً، وقرأ ابن مسعود: «أينما يوجه»: على البناء للمفعول.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: يختصّ به علم ما غاب فيهما عن العباد، وخفي عليهم علمه، أو أراد بغيب السموات والأرض: يوم القيامة، على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم، ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ أي: هو عند الله وإن تراخى، كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه: هو كلمح البصر أو هو أقرب، إذا بالغتم في استقرابه؛ ونحوه قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧]، أي: هو عنده دان وهو عندكم بعيد، وقيل: المعنى: أن إقامة الساعة، وإماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين والآخرين، يكون في أقرب وقت وأوحاه[١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق؛ لأنه بعض المقدورات، ثم دل على قدرته بما بعده.

---

(١) قوله: «وأوحاه» أي: وأسرعه. أفاده الصحاح (ع).

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قرئ: ﴿أُمَّهَـٰتِكُمْ﴾: بضم الهمزة وكسرها، والهاء مزيدة في أمات، كما زيدت في أراق، فقيل: أهراق، وشذت زيادتها في الواحدة؛ قال [من الرجز]:

أُمَّهَتِي خِنْدِفُ وَٱلْيَاسُ أَبِي[1]

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾: في موضع الحال، ومعناه: غير عالمين شيئاً من حق المنعم الذي خلقكم في البطون، وسوّاكم وصوّركم، ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ معناه: وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به، من شكر المنعم وعبادته، والقيام بحقوقه، والترقي إلى ما يسعدكم، والأفئدة في فؤاد، كالأغربة في غراب، وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة، والقلة إذا لم يرد في السماع غيرها، كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير، فجرت ذلك المجرى.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾

قرئ: «لم يروا»: بالتاء والياء، (مسخرات): مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية[2] لذلك، والجوّ: الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلوّ

---

(١) إني لدى الحرب رخي اللبب ... معتزم الصولة عالي النسب
أمهتي خندف والياس أبي

لقصي بن كلاب بن مرة جد النبي ﷺ. ورخي اللبب. رحب الصدر واسع البال. واللبب في الأصل جبل في صدر المطية يمنع الرحلة من الاستئخار، أطلق على ذلك للمجاورة. ومعتزم: مصمم. والصولة: تجشم المكروه واقتحامه. وزيادة الهاء في أمهة شاذ. وخندف، بكسر الخاء والدال: امرأة إلياس بن مضر، وهذا لقبها، واسمها ليلى. والخندفة: مشية كالهرولة. وإطلاق الأم والأب على الجدة والجد: مجاز لمطلق الأصالة.

ينظر: خزانة الأدب ٧/ ٣٧٩، والدرر: ١/ ٨٣، وسمط اللآلي ص ٩٥، وشرح شواهد الشافية ص ٣٠١، ولسان العرب: (سلك)، (أمه)، والمقاصد النحوية: ٤/ ٥٦٥، وديوان الأدب: ٤/ ١٧٥، ٣/ ٤١٩، وتاج العروس (هول)، (أمم)، وأمالي القالي: ٢/ ٣٠١، وسر صناعة الإعراب: ٢/ ٥٦٤، وشرح التصريح: ٢/ ٣٦٢، وشرح المفصل لابن يعيش: ١٠/ ٤، والمحتسب: ٢/ ٢٢٤، والممتنع في التصريف: ١/ ٢١٧، وهمع الهوامع: ١/ ٢٣، وتهذيب اللغة: ٦/ ٤٧٥، ١٥/ ٦٣١، وجمهرة اللغة ص ١٠٨٤، ١٣٠٨، والمخصص: ١٣/ ١٧١.

(٢) قوله: «والأسباب المواتية لذلك» في الصحاح آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته والعامة تقول: واتيته (ع).

والسكاك[1] أبعد منه، واللوح مثله: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾: في قبضهن وبسطهن ووقوفهن، ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾: بقدرته.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾

﴿مِّنۢ بُيُوتِكُمْ﴾: التي تسكنونها من الحجر والمدر والأخبية وغيرها، والسكن: فعل بمعنى: مفعول، وهو ما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو إلف، ﴿بُيُوتًا﴾: هي القباب والأبنية من الأدم والأنطاع، ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل، ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ أي: يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها[2]، ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها، أو هي خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر جميعاً، على أنّ اليوم بمعنى: الوقت، ﴿وَمَتَٰعًا﴾: وشيئاً ينتفع به، ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى أن تقضوا منه أوطاركم، أو إلى أن يبلى ويفنى، أو إلى أن تموتوا، وقرئ: «يوم ظعنكم»: بالسكون.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿مِّمَّا خَلَقَ﴾: من الشجرة وسائر المستظلات، ﴿أَكْنَٰنًا﴾: جمع كنّ، وهو ما يستكنّ به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف، ﴿سَرَٰبِيلَ﴾: هي القمصان والثياب من الصوف والكتان[3] والقطن وغيرها، ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾: لم يذكر البرد؛ لأنّ الوقاية من الحرّ أهمّ عندهم، وقلما يهمهم البرد؛ لكونه يسيراً محتملاً، وقيل: ما يقي من الحرّ يقي من البرد[4]، فدل ذكر الحرّ على البرد، ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يريد:

---

(١) قوله: «والسكاك أبعد منه» في الصحاح السكاك والسكاكة الهواء الذي يلاقي أعنان السماء وفيه أيضاً أعنان السماء صفائحها وما اعترض من أقطارها. والعنان بالفتح السحاب (ع).

(٢) قال محمود: «المراد يخف عليكم حملها ونقلها. . . إلخ» قال أحمد: والتفسير الأول أولى؛ لأن ظهور المنة في خفتها إنما يتحقق في حال السفر. وأما المستوطن فغير مثقل، وما أحسن قول الزمخشري في يوم إقامتكم: أن المراد خفة ضربها وسهولة ذلك عليهم، والله أعلم.

(٣) قال محمود: «هي القمصان والثياب من الصوف والكتان وغيرها. . . إلخ» قال أحمد: يعني عند العرب وخصوصاً قطان الحجاز، وهم الأصل في هذا الخطاب.

(٤) عاد كلامه. قال: «وقيل إن ما يقي الحر يقي البرد فدل ذكره عليه» قال أحمد: والأول أظهر. ألا =

الدروع والجواشن[1] والسربال عامّ يقع على كل ما كان من حديد وغيره، ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ أي: تنظرون في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له، وقرئ: «تسلمون»: من السلامة، أي: تشركون فتسلمون من العذاب، أو تسلم قلوبكم/ ١٩٥أ من الشرك، وقيل: تسلمون من الجراح بلبس الدروع.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما أدّيت ما وجب عليك من التبليغ، فذكر سبب العذر، وهو البلاغ؛ ليدل على المسبب، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: التي عددناها؛ حيث يعترفون بها وأنها من الله، ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾: بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم: هي من الله، ولكنها بشفاعة آلهتنا، وقيل: إنكارهم قولهم ورثناها من آبائنا. وقيل: قولهم لولا فلان ما أصبت كذا لبعض نعم الله؛ وإنما لا يجوز التكلم بنحو هذا إذا لم يعتقد أنها من الله وأنه أجراها على يد فلان وجعله سبباً في نيلها، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: الجاحدون غير المعترفين، وقيل: (نعمة الله): نبوّة محمد عليه السلام ـ كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عناداً وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم.

فإن قلت: ما معنى: ثم؟

قلت: الدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة؛ لأنّ حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿شَهِيدًا﴾: نبيهاً يشهد لهم وعليهم بالإيمان والتصديق، والكفر والتكذيب، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: في الاعتذار، والمعنى: لا حجة لهم، فدل بترك الإذن على أن لا حجة لهم ولا عذر، وكذا عن الحسن، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: ولا هم يسترضون، أي: لا يقال لهم أرضوا ربكم؛ لأن الآخرة ليست بدار عمل.

= ترى إلى تقديم المنة بالظلال التي تقي من الضحا، في قوله تعالى ﴿جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ فدل على أن الأهم عند المخاطبين وقاية الحر، فامتن الله عليهم بأعظم نعمه موقعاً عندهم. وقول القائل «إن ما يقي الحر يقي البرد» مشهود عليه بالعرف، فإن الذي يتقى به الحر من القمصان رقيقها ورفيعها، وليس ذلك من لبوس البرد، بل لو لبس الإنسان في كل واحد من الفصلين ـ القيظ والبرد ـ لباس الآخر، يعد من الثقلاء.

(١) قوله: «والجواشن» في الصحاح: الجوشن الصدر. والجوشن الدرع (ع).

فإن قلت: فما معنى ثم هذه؟

قلت: معناها: أنهم يمنون[1] بعد شهادة الأنبياء بما هو أطم منها، وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة، وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره: واذكر يوم نبعث، أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه، وكذلك إذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾؛ كقوله: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنبياء: ٤٠].

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

إن أرادوا بالشركاء آلهتهم، فمعنى: ﴿شُرَكَآؤُنَا﴾: آلهتنا التي دعوناها شركاء، وإن أرادوا الشياطين، فلأنهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغيّ، و﴿نَدْعُوا۟﴾ بمعنى: نعبد.

فإن قلت: لم قالوا: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، وكانوا يعبدونهم على الصحة؟

قلت: لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، والدليل عليه قول الملائكة: ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ يعنون: أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن، فهم المعبودون دوننا، أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة؛ تنزيهاً لله من الشريك، وإن أريد بالشركاء: الشياطين، جاز أن يكون «كاذبين» في قولهم: (إنكم لكاذبون)، كما يقول الشيطان: إني كفرت بما أشركتموني من قبل، ﴿وَأَلْقَوْا۟﴾ يعني: الذين ظلموا، وإلقاء السلم: الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾، وبطل عنهم: ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: من أن لله شركاء، وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: في أنفسهم، وحملوا غيرهم على الكفر: يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم، وقيل: في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها[2] أربعين خريفاً، وقيل: يخرجون من النار إلى

---

(١) قوله: «يمنون» في الصحاح: منوته ومنيته إذا ابتليته (ع).

(٢) قوله: «حمتها» حمة العقرب بالتخفيف، والهاء عوض عن اللام وهي سمها. وأما حمة الحر، =

الزمهرير فيبادرون من شدة برده إلى النار، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾: بكونهم مفسدين الناس بصدّهم عن سبيل الله.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: نبيهم؛ لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾: يا محمد، ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: على أمتك، ﴿تِبْيَٰنًا﴾: بياناً بليغاً ونظير «تبيان»؛ «تلقاء» في كسر أوله، وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن.

فإن قلت: كيف كان القرآن تبياناً ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾؟

قلت: المعنى: أنه بين كل شيء من أمور الدين؛ حيث كان نصًا على بعضها وإحالة على السنة؛ حيث أمر فيه باتباع رسول الله ﷺ وطاعته، وقيل: وما ينطق عن الهوى، وحثا على الإجماع في قوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقد رضي رسول الله ﷺ لأمته اتباع أصحابه، والاقتداء بآثارهم في قوله ﷺ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ» (٨٣٣)، وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق القياس والاجتهاد، فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد، مستندة إلى تبيان الكتاب، فمن ثمّ كان تبياناً لكل شيء.

---

٨٣٣ ـ أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٢٥) وابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٨٢) وابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (١/ ١٤٦) من طريق سلام بن سليمان ثنا الحارث بن غصين عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر به.
قال ابن عبد البر: هذا إسناد لا تقوم به حجة؛ لأن الحارث بن غصين مجهول.
وقال ابن حزم: هذه رواية ساقطة، أبو سفيان ضعيف والحارث بن غصين هذا هو أبو وهب الثقفي وسلام بن سليمان يروي الأحاديث الموضوعة وهذا منها بلاشك.
وقال الحافظ: حديث غريب... وأخرجه ابن عبد البر من هذا الوجه وقال: هذا إسناد لا تقوم به حجة والحارث مجهول قلت ـ أي الحافظ ـ: الآفة فيه من الراوي عنه وإلا فالحارث ذكره ابن حِبان في الثقات وقال: روى عنه حسين الجعفي اهـ وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ص ٢٥٠، ٢٥١) رقم (٧٨٣) وابن عديّ في «الكامل» (٢/ ٧٨٥ ـ ٧٨٦) كلاهما من طريق أبي شهاب عن حمزة الجزري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «مثل أصحابي مثل النجوم يهتدى به فأيهم أخذتم بقوله اهتديتم».
وذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٢٤) معلقاً عن أبي شهاب به وقال: وهذا إسناد لا يصح ولا يرويه عن نافع من يحتج به.
وقال ابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٨٣): فقد ظهر أن هذه الرواية لا تثبت أصلاً، بل لا شك أنها

= فبالتشديد، وهي معظمه، أفاده الصحاح (ع).

= مكذوبة لأن الله تعالى يقول في صفة نبيه ﷺ: (وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى) [النجم ٣، ٤]. . . أهـ.

ومن طريق عبد بن حميد أخرجه الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (١/ ١٤٥) وقال: هذا حديث غريب وذكره ابن عبد البر في كتاب بيان العلم عن أبي شهاب بسنده وقال: هذا إسناد ضعيف الراوي له عن نافع لا يحتج به قلت: هو متفق على تركه بل قال ابن عديّ: إنه يضع. أهـ. وأخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٣/ ١٠٥٧) والبيهقي في «المدخل» (١٥١) وابن عساكر (٦/ ٥ ـ تهذيب) من طريق نعيم بن حماد ثنا عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد ابن المسيب عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي عما يختلف فيه أصحابي من بعديّ فقال: يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم بعضها أضوأ من بعض فمن أخذ بشيء مما اختلفوا فيه فهو عندي على هذا».

قال الحافظ في «تخريج أحاديث المختصر» (١/ ١٤٧): هذا حديث غريب. . . وزيد العَمي بفتح المهملة وتشديد الميم وابنه أضعف منه، وقد سُئل البزار عن هذا الحديث فقال: لا يصح هذا الكلام عن النبي ﷺ وقد رواه عبد الرحيم مرة أخرى فقال عن أبيه عن ابن عمر. . . ا.هـ وأخرجه البيهقي في «المدخل» (١٥٢) والخطيب في «الكفاية» (ص ـ ٤٨) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس بلفظ: «إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيها أخذتم به اهتديتم» قال الحافظ في «تخريج المختصر» (١/ ١٤٦): وجويبر ضعيف جدا والضحاك لم يلق ابن عباس.

وأخرجه البيهقي في «المدخل» أيضاً (١٥٣) من طريق جويبر عن جواب بن عبد الله عن النبي ﷺ.

وهو مرسل أو معضل كما قال الحافظ.

وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٤٦) من طريق جعفر بن عبد الواحد قال: قال لنا وهب ابن جرير بن حازم عن أبيه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مثل أصحابي مثل النجوم من اقتدى بشيء منها اهتدى». وجعفر بن عبد الواحد كذاب كذبه غير واحد. فذكره برهان الدين الحلبي في «كتابه الكشف الحثيث عمن رمى بوضع الحديث (ص ١٢٧) رقم: (١٩٧) وقال: قال الدارقطني: يضع الحديث، وساق له ابن عديّ أحاديث وقال: كلها بواطيل وبعضها سرقه من قوم انتهى ونقل ابن الجوزي عن ابن عديّ أنه متهم بوضع الحديث ذكر ذلك في غير مكان من الموضوعات.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الدارقطني في المؤتلف من رواية سلام بن سليم عن الحرث بن غصن عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعاً. وسلام ضعيف. وأخرجه في غرائب مالك من طريق حميد بن زيد عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر في أثناء حديث: وفيه: «فبأي قول أصحابي أخذتم اهتديتم، إنما مثل أصحابي مثل النجم من أخذ بنجم منها اهتدى»، وقال: لا يثبت عن مالك. ورواته دون مالك مجهولون. ورواه عبد بن حميد، والدارقطني في الفضائل من حديث حمزة الحريري عن نافع عن ابن عمر. وحمزة اتهموه بالوضع. ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة، وفيه جعفر بن عبد الواحد الهاشمي وقد كذبوه. ورواه ابن طاهر من رواية بشر ابن الحسين عن الزبير بن عديّ عن أنس. وبشر كان متهماً أيضاً. وأخرجه البيهقي في المدخل من =

العدل هو الواجب[1]؛ لأن الله ـ تعالى ـ عدل فيه على عباده[2]، فجعل ما فرضه عليهم واقعاً تحت طاقتهم، ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾: الندب؛ وإنما علق أمره بهما جميعاً؛ لأنّ الفرض لا بدّ من أن يقع فيه تفريط[3] فيجبره الندب؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ لمن علمه الفرائض فقال: والله لا زدت فيها ولا نقصت ـ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» (٨٣٤)، فعقد الفلاح

= رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس وجويبر متروك. ومن رواية جويبر أيضاً عن حواب بن عبد الله مرفوعاً وهو مرسل، قال البيهقي: هذا المتن مشهور وأسانيده كلها ضعيفة. وروى في المدخل أيضاً عن عمر ورفعه: «سألت ربي فيما يختلف فيه أصحابي من بعديّ. فأوحي إليّ: يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء، بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشيء مما هو عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى»، وفي إسناده عبد الرحيم بن زيد السهمي، وهو متروك. انتهى.

٨٣٤ ـ أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٧٥/ ٩٤) ـ كتاب قصر الصلاة في السفر (٩) ـ باب جامع الترغيب في الصلاة، والبخاري في صحيحه (١/ ١٤٦) ـ كتاب الإيمان (١) ـ باب الزكاة من الإسلام (٣٤) ـ (٤٦)، ومسلم (١/ ١٩٨ ـ نووي) ـ كتاب الإيمان (١) ـ باب بيان الصلوات (٢) ـ (٨/ ١١)، وأبو داود (١/ ١٠٦) ـ كتاب الصلاة ـ حديث رقم (٣٩١)، والنّسائي (١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) ـ كتاب الصلاة ـ باب لم رضت في اليوم والليلة ـ (٤٥٨)، والدارمي (١/ ٣٧٠) ـ كتاب الصلاة ـ باب «في الوتر»، وابن خزيمة (٢/ ١٥٨) حديث رقم (٣٠٦)، وأحمد (١/ ١٦٢)، والبيهقي في =

---

(١) قال محمود: «العدل: الواجب. والإحسان: الندب» قال أحمد: وفي جمعهما تحت الأمر ما يدل لمن قال إن صيغة الأمر ـ أعني هذه المبنية من الهمزة والميم والراء لا صيغة أفعل ـ تتناول القبيلين بطريق التواطؤ وموضعها القدر المشترك بينهما من الطلب والله أعلم.

(٢) عاد كلامه. قال: «وإنما كان الواجب عدلاً لأن الله تعالى عدل فيه على عباده... إلخ» قال أحمد: وهذه وليجة من الاعتزال. ومعتقد المعتزلة استحالة تكليف ما لا يطاق لأنه ظلم وجور، وذلك على الله محال. والحق والسنة أن كل قضاء الله عدل، وأن تكليف ما لا يطاق جائز عليه وعدل منه ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسألون﴾ بل التكاليف كلها على خلاف الاستطاعة، على مقتضى توحيد أهل السنة، المعتقدين أن كل موجود بقدرة الله تعالى حدث ووجد، لا شريك له في ملكه، وكيف يكون شريكه عبداً مسخراً في قبضة ملكه، هذا هو التوحيد المحض. وإذا كان العبد مكلفاً بما هو من فعل الله، فهذا عين التكليف بما لا يطاق، ولكن ذلك عدل من الله تعالى، وحجته البالغة قائمة على المكلف بما خلقه له من التأتي والتيسر في الأفعال الاختيارية التي هي محال التكاليف.

(٣) عاد كلامه. قال: «وإنما قرنهما في الأمر، لأن الفرض لا يخلو من خلل وتفريط يجبره الندب... إلخ» قال أحمد: وهذه نكتة حسنة يجاب بها عن قول القائل: لم حكم عليه الصلاة والسلام بفلاح المصر على ترك السنن، فيقال: المحكوم بفلاحه لأجله إنما هو الصدق في سلامة الفرائض من خلل النقص والزيادة، والله أعلم.

بشرط الصدق والسلامة من التفريط، وقال ﷺ: «ٱسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا» (٨٣٥). فما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل، والفواحش: ما جاوز حدود الله،

= الكبرى (٢/٤٦٦)، من طرق عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول. . .

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
متفق عليه من رواية طلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضي الله عنهم.

٨٣٥ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة هم:
ثوبان، جابر، عبد الله بن عمرو بن العاص، سلمة بن الأكوع، أبو أمامة.
ـ أما حديث ثوبان:
فأخرجه أحمد (٥/٢٨٦ ـ ٢٧٧)، وابن ماجه (١/١٠١) كتاب الطهارة وسننها ـ باب المحافظة على الوضوء (٢٧٧)، والحاكم في مستدركه (١/١٣٠)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٨٢ و٤٥٧)، والطبراني في «الصغير» (٢/٨٨)، والدارمي في سننه (١/١٦٨)، والخطيب في تاريخه (١/٢٩٣)، والطيالسي في مسنده (١/ ٢٩ ـ منحة) (٤٦)، من طرق عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان مرفوعاً: «استقيموا ولن تحصوا. . .» وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ولست أعرف له علة يعلل بمثلها ووافقه الذهبي.
قلت: وفي ذلك نظر، فإن سالم بن أبي الجعد لم يسمع من ثوبان كما قرر ذلك عدد من أهل العلم فعند التِّرمذي في جامعه (٥/٢٧٨) (٣٠٩٤) قال: سألت محمد بن إسماعيل فقلت له: سالم ابن أبي الجعد سمع من ثوبان؟ فقال: لا. . . وقال محمد بن يحيى الذهلي: سمعت أحمد بن حنبل ـ وذكر أحاديث سالم بن أبي الجعد عن ثوبان، فقال: لم يسمع سالم من ثوبان ولم يلقه، وبينهما معدان بن أبي طلحة، وليست هذه الأحاديث بصحاح. تهذيب الكمال (١٠/ ١٣٢) ترجمة (٢١٤٢). وقد صرح بذلك البوصيري في «الزوائد» (١/ ١٢٢).
قلت: وللحديث طريق آخر عن ثوبان:
أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٢)، والدارمي (١/ ١٦٨) كتاب الوضوء: باب ما جاء في الطهور، وابن حِبان (١٦٤ ـ موارد)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٠١) رقم (١٤٤٤)، والبيهقي (١/ ٤٥٧) كتاب الطهارة: باب خير أعمالكم الصلاة، من طريق الوليد بن مسلم ثنا ابن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي كبشة السلولي عن ثوبان به. وقع عند الطبراني «أبو كبشة السولي» وهو تصحيف واسمه «أبو كبشة السلولي» انظر تهذيب الكمال (٣٤/ ٢١٥) ترجمة (٧٥٨٣) والوليد بن مسلم مدلس، وقد عنعن ـ ووجدت تصريحه بالتحديث عند ابن حِبان في صحيحه (٣/ ٣١١) (١٠٣٧) بلفظ «سددوا وقاربوا. . .» وابن ثوبان اسمه عبد الرحمن وهو حسن الحديث، والحديث أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٣٤) ـ كتاب الطهارة ـ باب جامع الوضوء ـ بلاغاً وقال ابن عبد البر في التقصي: هذا يستند ويتصل من حديث ثوبان عن النبي ﷺ من طرق صحاح.
ـ وأما حديث جابر فأخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ١٣٠) من طريق محمد بن خازم عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعاً. . .
ـ وأما حديث عبد الله بن عمرو:
فأخرجه ابن ماجه (١/ ١٠٢) ـ كتاب الطهارة ـ باب المحافظة على الوضوء ـ (٢٧٨)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٥٠٤) (٢٧١٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (١/ ١٤) (٣٦) مختصراً، كلهم من طريق =

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: ما تنكره العقول[1]، ﴿وَٱلْبَغْيِ﴾: طلب التطاول بالظلم[2]، وحين أسقطت من الخطب[3] لعنة الملاعين على أمير المؤمنين عليّ ـ رضي الله عنه ـ أقيمت هذه الآية

= ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف، علته ليث بن أبي سليم.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٣٣) (٦٨٠) لإسحاق بن راهويه والبزار والطبراني في معجمه ـ ونقل عن البزار قوله: لا نعلمه يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد.

ـ وحديث سلمة بن الأكوع:

أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٨) (٦٢٧٠)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٦٨) كلاهما من طريق محمد بن عمر الوادي عن موسى بن محمد بن إبراهيم أنه سمع إياس بن سلمة بن الأكوع يحدث عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ . . . فذكره.

ومحمد بن عمر الواقدي متروك مع سعة علمه، وموسى بن محمد لا يتابع؛ لما قال العقيلي، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٥٣): رواه الطبراني في الكبير عن محمد بن عبادة عن أبيه، ولم أجد من ترجمه. أهـ.

قلت: وليس في إسناده عند الطبراني محمد بن عبادة هذا.

ـ وحديث أبي أمامة: أخرجه ابن ماجه (١/ ١٠٢) ـ كتاب الطهارة وسننها ـ باب المحافظة على الوضوء ـ (٢٧٩) حدثنا محمد بن يحيى. ثنا ابن أبي مريم ثنا يحيى بن أيوب حدثني إسحاق بن أسيد عن أبي حفص الدمشقي عن أبي أمامة يرفع الحديث. . .

وقال البوصيري في الزوائد (٢/ ١٢٣) هذا إسناد ضعيف لضعف تابعيه، وقال البيهقي: أبو حفص هذا مجهول، تهذيب الكمال (٣٣/ ٢٥٣) (٧٣٢١)، وقال الذهبي في الميزان (٤/ الترجمة ١٠١١٠): لا يعرف أبداً. وقال الحافظ ابن حجر (٢/ ٤١٣) (٦٠): مجهول.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن ماجه، والحاكم، وأحمد، وابن أبي شيبة، والدارمي، وأبو يعلى من رواية سالم بن أبي الجعد عن ثوبان. وهو منقطع. ورواه ابن حِبان، والطبراني من وجه آخر عن ثوبان، ورواه الحاكم من رواية الأعمش عن أبي سفيان عن جابر، ورواه الطبراني. والعقيلي من حديث سلمة بن الأكوع وفيه الواقدي، وأخرجه ابن أبي شيبة وإسحاق والبزار والطبراني عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو. وليث ضعيف وأشار البزار إلى أنه تفرد به. انتهى.

(١) عاد كلامه. قال: «والفواحش ما جاوز حدود الله، والمنكر ما تنكره العقول» قال أحمد: وهذه أيضاً لفتة إلى الاعتزال، ولو قال: والمنكر ما أنكره الشرع لوافق الحق. ولكنه لا يدع بدعة المعتزلة في التحسين والتقبيح بالعقل، والله الموفق.

(٢) عاد كلامه. قال: «والبغي طلب التطاول بالظلم» قال أحمد: وأصل موضوعه الطلب، ومن ابتغاء وجه الله، ابتغاء مرضاة الله، ولكن صار مطلق خاصا بطلب الظلم عرفاً.

(٣) عاد كلامه. قال: «وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. . . إلخ» قال أحمد: ولعل المعوض بهذه الآية عن تلك الهناة، لاحظ التطبيق بين ذكر النهي عن البغي فيها، وبين الحديث الوارد: في أن المناصب لعلي باغ، حيث يقول عليه =

مقامها، ولعمري، إنها كانت فاحشة ومنكراً وبغياً، ضاعف الله لمن سنها غضباً ونكالاً وخزياً، إجابة لدعوة نبيه: «وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ» (٨٣٦)، وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون.

---

٨٣٦ ـ قلت هذا حديث صحيح متواتر، وقد رواه جمع كبير من الصحابة هم:

١) **زيد بن أرقم أخرجه النَّسائي في** الكبرى (٥/ ١٣٠ ـ ١٣١) ـ كتاب الخصائص ـ حديث رقم (٨٤٦٤ و٨٤٦٨)، وأحمد (١/ ١١٨)، والحاكم في مستدركه (٣/ ١٠٩)، وابن أبي عاصم في السنة (ص ٦٠٦/ ١٣٦٥)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ١٦٦) (٤٩٦٩)؛ كلهم من طريق سليمان الأعمش قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله ﷺ عن حجة الوداع...

وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» وأقره الذهبي. قلت: وحبيب بن أبي ثابت وهو أبو يحيى الكوفي ثقة فقيه جليل، ولكنه كثير الإرسال والتدليس، كما قال الحافظ في التقريب (١/ ١٤٨) وقد عنعن هنا وتابع حبيب... فطر بن خليفة عن أبي الطفيل قال...

أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٠)، وابن حِبان في صحيحه (١٥/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) (٦٩٣١)، وفي الموارد أيضاً (٧/ ١٣٨ ـ ١٣٩) (٢٢٠٥)، والبزار (٣/ ١٩١ ـ ١٩٢) (٢٥٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (ص ٦٠٦/ ١٣٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ١٦٥ ـ ١٦٦) (٤٩٦٨)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٠٧): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة»، وأخرجه التِّرمذي (٥/ ٦٣٣) ـ كتاب المناقب (٥٠) ـ باب مناقب علي ـ (٣٧١٣) من طريق شعبة عن سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم شك شعبة عن النبي ﷺ قال «من كنت مولاه...».

وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد (٤/ ٣٦٨ ـ ٣٧٢)، (٥/ ٣٧٠)، والطبراني (٤٩٨٣، ٤٩٨٥، ٤٩٨٦، ٥٠٥٨، ٥٠٥٩، ٥٠٩٢) من طرق عن زيد بن أرقم به.

٢) **البراء بن عازب:**

أخرجه النَّسائي (٥/ ١٣٢) ـ كتاب الخصائص ـ حديث رقم (٨٤٧٣) من طريق عمران بن أبان قال: حدثنا شريك: فقلت لأبي إسحاق: هل سمعت البراء بن عازب... قلت: وشريك بن عبد الله القاضي كثير الخطأ، وعمران بن أبان هو أبو موسى الطحان الواسطي: ضعيف الحديث كما في التقريب (٢/ ٨٢)، وأخرجه أحمد (٤/ ٢٨١)، وابن ماجه في سننه (١/ ٤٣) ـ المقدمة ـ فضل علي ابن أبي طالب (١١٦) كلاهما من طريق حماد بن سلمة أنا علي بن زيد عن عديّ بن ثابت عن البراء بن عازب قال «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر...

وقال البوصيري في الزوائد (١/ ٦٩) هذا إسناد ضعيف.

٣) **سعد بن أبي وقاص:** أخرجه النَّسائي (٥/ ١٣١) ـ كتاب الخصائص ـ (٨٤٦٨) من طريق عبد الواحد بن أيمن عن أبيه أن سعداً قال: قال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه، فعلي مولاه» وابن ماجه (١/ ٤٥) المقدمة (١٢١) من طريق عبد الرحمن بن سابط عن سعد... والحاكم في المستدرك (٣/ ١١٦) من طريق مسلم الملائي عن خيثمة بن عبد الرحمن قال: سمعت سعد بن =

= الصلاة والسلام لعمار وكان من حزب علي: تقتلك الفئة الباغية، والله أعلم، فقتل مع علي يوم صفين.

= مالك... وقال الذهبي: سكت الحاكم عن تصحيحه، ومسلم متروك.
قلت: وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٣٥): ـ رواه النّسائي ـ من طرق ثلاثة دائرة على المهاجر بن مسمار، عن عائشة بنت سعد عن سعد... ولم أجده في النّسائي من هذا الطريق، وإنما وجدته فقط من الطريق الذي ذكرناه آنفا والله أعلم.
٤) حديث بريدة:
أخرجه النّسائي (٥/ ١٣٠) ـ كتاب الخصائص (٨٤٦٥ و٨٤٦٦ و٤٨٦٧)، وأحمد (٥/ ٣٥٠) من طريق أبي معاوية حدثنا الأعمش، عن سعد بن عبيدة عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «من كنت مولاه...»، والبزار (٣/ ١٨٨) (٢٥٣٥) من طريق محمد بن المثنى حدثنا أبو معاوية به، وأحمد (٥/ ٣٥٨، ٣٦١) من طريق وكيع عن الأعمش به، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٤٧) والحاكم (٣/ ١١٠) من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين، وأخرجه عبد الرزاق (٢٢٥١١) برقم (٢٠٣٨٨) عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال: لما بعث النبي ﷺ عليا إلى اليمن، خرج بريدة الأسلمي معه... ومن طريق عبد الرزاق أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٢٩) (٣٤٨)، وأخرجه أيضاً في «الصغير» (١/ ٧١) من طريق... عبد الرزاق أنبأنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاووس عن بريدة بن الحصيب عن النبي ﷺ...
وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٣) من طريق سفيان بن عيينة به وقال «غريب من حديث طاووس لم نكتبه إلا من هذا الوجه».
٥) حديث أبي هريرة:
أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١١/ ٣٠٧) (٦٤٢٣)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٦٨ ـ ٦٧) (١١١٥)، وقال: لم يرو هذا الحديث عن إدريس إلا عكرمة، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٠٩): رواه أبو يعلى والبزار بنحوه والطبراني في الأوسط وفي أحد إسنادي البزار رجل غير مسمى، وبقية رجاله ثقات في الآخر، وفي إسناد أبي يعلى داود بن يزيد وهو ضعيف» أهـ.
٦) حديث أبي أيوب:
أخرجه أحمد (٥/ ٤١٩) والطبراني في الكبير (٤/ ١٧٣) (٤٠٥٢، ٤٠٥٣، ٤٠٥٤) وقال الهيثمي في المجمع (١٠٧١٩). ورجال أحمد ثقات.
٧) جرير بن عبد الله أخرجه الطبري في «الكبير» (٢/ ٣٥٧) (٢٥٠٥)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٠٩): وفيه بشر بن حرب وهو لين ومن لم أعرفه أيضاً، وللحديث طرق أخرى كثيرة، جمع طائفة منها الهيثمي في المجمع (٩/ ١٠٦ ـ ١١٢)، والحديث ذكره السيوطي في الأزهار المتناثرة عن ثمانية عشر نفساً، وأورده الكتاني في نظم المتناثر كتاب المناقب، والزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة (ص ٢٠٥) وقال: رواه من الصحابة واحد وعشرون نفساً وذكرهم، وقال الحافظ في الفتح (٧/ ٤٣٨) ـ كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب علي ـ وأما حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقد أخرجه الترمذي والنّسائي، وهو كثير الطرق جدا، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان أ.هـ.
وانظر الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٣٤ و٢٤٤) فقد استوعب كثيراً من طرقه.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
هذا طرف من حديث غدير خم الوارد في فضل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وقد أخرجه =

عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

عهد الله: هي البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾/ ١٩٥ب [الفتح: ١٠]، ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟﴾: أيمان البيعة، ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي: بعد توثيقها باسم الله، وأكد ووكد: لغتان فصيحتان، والأصل: الواو، والهمزة: بدل، ﴿كَفِيلًا﴾: شاهداً ورقيباً؛ لأن الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾: في نقض الأيمان كالمرأة التي أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته، ﴿أَنكَـٰثًا﴾: جمع نكث، وهو ما ينكث فتله، قيل: هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء، اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهنّ فينقضن ما غزلن، ﴿تَتَّخِذُونَ﴾: حال

= النَّسائي، وابن حِبان، والحاكم من رواية الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن الطفيل عن زيد بن أرقم، وفيه هذا اللفظ، ورواه النَّسائي أيضاً من رواية شريك: قلت لأبي إسحاق: أسمعت البراء يحدث عن رسول الله ﷺ؟ قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: نعم. وأخرجه ابن أبي شيبة، وأبو يعلى، والبزار من وجه آخر، عن شريك، عن إدريس بن يزيد الأشددي، عن أبيه، عن أبي هريرة، وتابعه عكرمة بن إبراهيم عن إدريس عند الطبراني، ورواه الطبري أيضاً من طريق سليمان بن قرم عن أبي إسحاق عن حبشي بن جنادة. وأخرجه النَّسائي أيضاً من طريق مهاجر بن مسمار عن عائشة بنت سعد عن أبيها أن النبي ﷺ: «أخذ بيد علي يوم غدير خم فقال: من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وأخرجه الحاكم من رواية مسلم الملائي عن خثمة بن عبد الرحمن عن سعد بن مالك نحوه. وفي الباب عن ابن عمر أخرجه الطبراني من طريق عطية عنه، والبزار من طريق جميل بن عمارة، عن سالم عن أبيه، وعن أنس وغيره أخرجه الطبراني في الصغير من رواية طلحة بن مصرف عن عميرة بن سعد قال: شهدت عليا على المنبر ناشد الصحابة: من سمعه يقول يوم غدير خم ما قال؟ فقام اثنا عشرة، منهم أبو هريرة، وأبو سعيد، وأنس، وعن جرير أخرجه الطبراني مطولاً: وعن طلحة أخرجه الحاكم من رواية رفاعة بن إياس العمي عن أبيه عن جده قال: «كنا مع علي يوم الجمل فبعث إلى طلحة فقال له: أنشدنك الله، ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول ـ فذكره. فقال: نعم. قال: فلم تقاتلني؟ قال: لم أذكره وانصرف طلحة» وعن جابر أخرجه أبو يعلى، والطبراني في مسند الشاميين من طريق ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن قبيصة بن ذؤيب وأبي سلمة عن جابر، وعن حذيفة بن أسيد أخرجه الطبراني وجمع ابن عقدة طرف حديث غدير خم، فأخرجه من رواية جماعة آخرين من الصحابة مع هؤلاء: منهم عمار بن ياسر، والعباس وابنه، والحسن بن علي والحسين بن علي، وعبد الله بن جعفر، وسلمان الفارسي، وسمرة بن جندب، وسلمة بن الأكوع، وزيد بن حارثة، وأبو رافع، وزيد بن ثابت الأنصاري، ويعلى بن مرة وآخرون. انتهى.

و﴿دَخَلًا﴾: أحد مفعولي اتخذ، يعني: ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلاً ﴿بَيْنَكُمْ﴾ أي: مفسدة ودغلا[1]، ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: بسبب أن تكون أمة، يعني: جماعة قريش، ﴿هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ هي: أزيد عدداً وأوفر مالاً، من أمة من جماعة المؤمنين، ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾: الضمير لقوله: أن تكون أمة؛ لأنه في معنى: المصدر، أي: إنما يختبركم بكونهم أربى؛ لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله ﷺ أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوّتهم، وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم؟ ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾: إنذار وتحذير من مخالفة ملة الإسلام.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: حنيفة مسلمة على طريق الإلجاء والاضطرار[2]، وهو قادر على ذلك، ﴿وَلَٰكِن﴾: الحكمة اقتضت أن يضلّ، ﴿مَن يَشَاءُ﴾: وهو أن يخذل من علم أنه يختار[3] الكفر ويصمم عليه، ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾: وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الإيمان، يعني: أنه بنى الأمر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان، والثواب والعقاب، ولم يبنه على الإجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك؛ وحققه بقوله: ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ولو كان هو المضطرّ إلى الضلال[4] والاهتداء، لما أثبت لهم عملاً يسألون عنه[5].

---

(١) قوله: «ودغلاً» في الصحاح «الدغل» بالتحريك: الفساد، مثل الدخل (ع).

(٢) قال محمود: «معناه على طريقة الإلجاء والقسر» قال أحمد: وهذا تفسير اعتزالي قد قدم أمثاله في أخوات هذه الآية، وغرضه الفرار من الحق المستفاد من تعليق المشيئة بلو، الدالة على أن مشيئة الله تعالى لإيمان الخلق كلهم ما وقعت، وأنه إنما شاء منهم الافتراق والاختلاف، فإيمان وكفر، وتصدق وتكذيب كما وقع منهم، ولو شاء شمولهم بالإيمان لوقع، فيصادم الزمخشري هذا النص ويقول: قد شاء جعلهم أمة واحدة حنيفة مسلمة، ولكن لم يقع مراده. فإذا قيل له: فعلام تحمل المشيئة في الآية؟ قال: على مشيئة إيمانهم قسراً لا اختياراً، وهذه المشيئة لم تقع اتفاقاً.

(٣) قوله: «وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة، فالإضلال: خلق الضلال في القلب؛ لأنه يجوز على الله خلق الشر عندهم دون المعتزلة، كما بين في محله (ع).

(٤) قوله: «ولو كان هو المضطر إلى الضلال» على معنى اسم الفاعل، أي الذي يضطر العباد ويلجئهم. وقوله: «لما أثبت... إلخ» مسلم، ولكنه لم يضطرهم ولم يلجئهم ولو كان هو الخالق لأعمالهم في الحقيقة، لما لهم فيها من الكسب كما قرره أهل السنة في علم التوحيد، فلينظر (ع).

(٥) عاد كلامه. قال محمود: «ومما يدل على أن الله لم يبن الأمر على الإجبار وإنما بناه على الاختيار قوله تعالى ﴿ولتسئلن عما كنتم تعملون﴾ ولو كان هو المضطر للهداية والضلال لما أثبت لهم ما =

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾﴾

ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً بينهم؛ تأكيداً عليهم، وإظهاراً لعظم ما يركب منه، ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾: فتزلّ أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها، ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾: في الدنيا بصدودكم، ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: وخروجكم من الدين، أو بصدّكم غيركم؛ لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدّوا، لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها، ﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: في الآخرة.

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾

كان قوماً ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان ـ لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين، وإيذائهم لهم، ولما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد ـ أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله ﷺ فثبتهم الله، ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾: ولا تستبدلوا، ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾: وبيعة رسول الله ﷺ ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾: عرضاً من الدنيا يسيراً، وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم إن رجعوا، ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من إظهاركم وتغنيمكم، ومن ثواب الآخرة: ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾.

﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿مَا عِندَكُمۡ﴾: من أعراض الدنيا، ﴿يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من خزائن رحمته، ﴿بَاقٖۗ﴾: لا ينفد، وقرئ: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ﴾: بالنون والياء، ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾: على أذى المشركين ومشاقّ الإسلام.

فإن قلت: لم وحدت القدم ونكرت[1]؟

= يسألون عنه» قال أحمد: أما أهل السنة الذين يسميهم المصنف مجبرة فهم من الإجبار بمعزل، لأنهم يثبتون للعبد قدرة واختياراً وأفعالاً، وهم مع ذلك يوحدون الله حق توحيده، فيجعلون قدرته تعالى هي الموجدة والمؤثرة، وقدرة العبد مقارنة فحسب، تمييزاً بين الاختياري والقسري وتقوم بها حجة الله على عبده، والله الموفق.

(١) قال محمود: «إن قلت لم وحدت القدم ونكرت... إلخ» قال أحمد: ومن جنس إفادة التنكير ههنا للتقليل: إفادته له في قوله تعالى ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ وفي قوله عز وجل ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ فنكر الأذن والنفس تقليلاً للواعي من الناس لما يقضي بسداده، وللناظر من الخلق في أمر معاده، والله الموفق.

قلت: لاستعظام أن تزلّ واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه، فكيف بأقدام كثيرة؟

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

فإن قلت: ﴿مَنْ﴾ متناول في نفسه للذكر والأنثى، فما معنى تبيينه بهما؟

قلت: هو مبهم صالح على الإطلاق للنوعين، إلا أنه إذا ذكر كان الظاهر تناوله للمذكور، فقيل: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾: على التبيين؛ ليعمّ الموعد النوعين جميعاً، ﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ يعني: في الدنيا وهو الظاهر؛ لقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: وعده الله ثواب الدنيا والآخرة؛ كقوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨]، وذلك أنّ المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يعيش عيشاً طيباً إن كان موسراً، فلا مقال فيه، وإن كان معسراً، فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله، وأمّا الفاجر فأمره على العكس: إن كان معسراً فلا إشكال في أمره، وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: الحياة الطيبة: الرزق الحلال، وعن الحسن: القناعة، وعن قتادة: يعني: في الجنة، وقيل: هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه، وصل به قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: إيذاناً بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب، والمعنى: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ؛ كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وكقولك: إذا أكلت فسمّ الله.

فإن قلت: لم عبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل؟

قلت: لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل وعلى حسبه، فكان منه بسبب قويّ وملابسة ظاهرة، وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: قرأت على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال لي: «يَا ٱبْنَ أُمِّ عَبْدٍ، قُلْ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، هٰكَذَا أَقْرَأَنِيه جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ عَنِ القَلَمِ عَنِ اللَّوْحِ

المَخفُوظِ» (٨٣٧)، ﴿لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾ أي: تسلط وولاية على أولياء الله، يعني: انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه/ ١٩٦أ فيما يريد منهم من اتباع خطواته، ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ﴾: على من يتولاه ويطيعه، ﴿بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾: الضمير يرجع إلى ربهم، ويجوز أن يرجع إلى الشيطان، على معنى: بسببه وغروره ووسوسته.

﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

تبديل الآية مكان الآية: هو النسخ، والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع؛ لأنها مصالح وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم، وخلافه مصلحة، والله ـ تعالى ـ عالم بالمصالح والمفاسد، فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته، وهذا معنى قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ﴾، وجدوا مدخلاً للطعن فطعنوا؛ وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ، وكانوا يقولون: إن محمداً يسخر من أصحابه: يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً، فيأتيهم بما هو أهون، ولقد افتروا، فقد كان ينسخ الأشق بالأهون، والأهون بالأشق، والأهون بالأهون، والأشق بالأشق؛ لأنّ الغرض المصلحة، لا الهوان والمشقة.

فإن قلت: هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن القرآن إنما ينسخ بمثله، ولا يصح بغيره من السنة والإجماع والقياس؟

قلت: فيه أن قرآناً ينسخ بمثله، وليس فيه نفي نسخه بغيره، على أن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في إيجاب العلم، فنسخه بها كنسخه بمثله، وأمّا الإجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها، فلا يصح نسخ القرآن بها.

﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

في (ينزل) و﴿نَزَّلَهُۥ﴾: وما فيهما من التنزيل شيئاً فشيئاً على حسب الحوادث والمصالح: إشارة إلى أن التبديل من باب المصالح كالتنزيل، وأن ترك النسخ بمنزلة إنزاله

---

٨٣٧ ـ أخرجه الواحدي في تفسير الوسيط (٨٤١٣) من طريق الثعلبي مسلسلاً، وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/٣٠٩) (٨٥) وعزاه لابن النجار من طريق هناد النسفي الشافعي مسلسلاً.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
رواه الثعلبي مسلسلاً عن شيخة أبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي إلى ابن مسعود، ورواه الواحدي من الوسيط عن الثعلبي. . . انتهى.

دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة، و﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾: جبريل ـ عليه السلام ـ أضيف إلى القدس وهو الطهر، كما يقال: حاتم الجود وزيد الخير، والمراد: الروح المقدّس، وحاتم الجواد، وزيد الخير، والمقدّس: المطهر من المآثم، وقرئ: بضم الدال وسكونها، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: في موضع الحال، أي: نزله ملتبساً بالحكمة، يعني: أن النسخ من جملة الحق، ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: ليبلوهم بالنسخ، حتى إذا قالوا فيه: هو الحق من ربنا والحكمة، حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب، على أن الله حكيم فلا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾: مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت، والتقدير: تثبيتاً لهم وإرشاداً وبشارة، وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم، وقرئ: «ليثبت»: بالتخفيف.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

أرادوا بالبشر: غلاماً كان لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن إسلامه، اسمه: عائش أو يعيش، وكان صاحب كتب، وقيل: هو جبر: غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي، وقيل: عبدان: جبر ويسار، كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل، فكان رسول الله ﷺ إذا مرّ وقف عليهما يسمع ما يقرآن، فقالوا: يعلمانه فقيل لأحدهما، فقال: بل هو يعلمني، وقيل: هو سلمان الفارسي، واللسان: اللغة، يقال: ألحد القبر ولحده، وهو ملحد وملحود، إذا أمال حفره عن الاستقامة، فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن استقامة، فقالوا: ألحد فلان في قوله، وألحد في دينه، ومنه الملحد؛ لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها، لم يمله عن دين إلى دين، والمعنى: لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان، ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾: غير بين، ﴿وَهَٰذَا﴾: القرآن، ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾: ذو بيان وفصاحة ردّاً لقولهم وإبطالاً لطعنهم، وقرئ: (يلحدون): بفتح الياء والحاء، وفي قراءة الحسن: اللسان الذي يلحدون إليه بتعريف اللسان.

فإن قلت: الجملة التي هي قوله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ ما محلها؟

قلت: لا محل لها؛ لأنها مستأنفة جواب لقولهم؛ ومثله قوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] بعد قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى

﴿ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ۝١٠٥﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون، ﴿لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ لا يلطف بهم؛ لأنهم من أهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة، لا من أهل اللطف والثواب، ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ﴾: ردّ لقولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرٍۢ﴾، يعني: إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن؛ لأنه لا يترقب عقاباً عليه، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى قريش، ﴿هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ أي: هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون، أو إلى الذين لا يؤمنون، أي: أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب؛ لأنّ تكذيب آيات الله أعظم الكذب، أو أولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء، لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين، أو أولئك هم الكاذبون في قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرٍۢ﴾ [النحل: ١٠١].

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ۝١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝١٠٩﴾

﴿مَن كَفَرَ﴾: بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله، على أن يجعل: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾: اعتراضاً بين البدل والمبدل منه، والمعنى: إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه، واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء، ثم قال: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ أي: طاب به نفساً واعتقده، ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: ويجوز أن يكون بدلاً من المبتدأ الذي هو: (أولئك) على: ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون، أو من الخبر الذي هو الكاذبون، على: وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه، ويجوز أن ينتصب على الذمّ، وقد جوّزوا أن يكون: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾: شرطاً مبتدأً، ويحذف جوابه؛ لأنّ جواب: (من شرح): دال عليه، كأنه قيل: من كفر بالله فعليهم غضب، إلا من أكره، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب، روي أنّ ناساً من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه/ ١٩٦ب، وكان فيهم من أكره، فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان، منهم: عمار، وأبواه ـ ياسر وسمية ـ وصهيب، وبلال، وخباب، وسالم: عذبوا، فأمّا سمية: فقد ربطت بين بعيرين ووجىء في قبلها بحربة، وقالوا: إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت، وقتل ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام، وأما عمار: فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً، فقيل: يا رسول الله،

إن عماراً كفر، فقال: «كَلاَّ، إِنَّ عَمَّاراً مُلِئَ إِيمَاناً مِنْ قَرْنِهِ إِلَىٰ قَدَمِهِ، وَٱخْتَلَطَ الإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ» ح فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه، وقال: «مَالَكَ! إِنْ عَادُوا لَكَ فَعُدْ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ»، ومنهم جبر مولى الحضرمي، أكرهه سيده، فكفر، ثم أسلم مولاه وأسلم، وحسن إسلامهما، وهاجرا (٨٣٨).

فإن قلت: أي الأمرين أفضل، أفعل عمار أم فعل أبويه؟

قلت: بل فعل أبويه؛ لأنّ في ترك التقية والصبر على القتل إعزازاً للإسلام وقد روي أنّ مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: فما تقول فيّ؟ قال: أنت ـ أيضاً ـ فخلاه، وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: فما تقول فيّ؟ قال: أنا أصمّ، فأعاد عليه ثلاثاً، فأعاد جوابه، فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أَمَّا الأَوَّلُ: فَقَدْ أَخَذَ بِرُخْصَةِ الله، وَأَمَّا الثَّانِي: فَقَدْ صَدَعَ بِالْحَقِّ فَهَنِيئاً لَهُ» (٨٣٩). ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى الوعيد، وأنّ الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب

---

٨٣٨ ـ ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٨٦) من حديث ابن عباس، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٤٦) للواحدي في أسباب النزول والثعلبي في تفسيره، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٧) ـ كتاب التفسير ـ سورة النحل، وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن (٨/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) ـ كتاب المرتد ـ باب المكره على الردة، وأخرجه في «الدلائل» أيضاً (٤/ ٣٠١ ـ ٤٠٤)؛ وابن سعد في الطبقات (٣/ ١/ ١٧٨)، وقوله ﷺ: «إن عماراً» إلى قوله «قدمة» أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٩) في ترجمة «عمار بن ياسر».

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

هكذا أورده الثعلبي عن ابن عباس بغير سند، وروى الحاكم من حديث زر عن ابن مسعود قال: «أول من أظهر إسلامه سبعة: فذكرهم إلى أن قال: فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد ـ الحديث» ورواه ابن سعد من طريق منصور عن مجاهد قال: «أول من أظهر فذكر مثله ـ وزاد فجاء أبو جهل يشتم سمية ويرفث ثم طعنها فقتلها. فهي أول شهيد في الإسلام. قلت: قوله ﷺ: «إن عماراً مليء إيماناً» رواه . . . وقوله «اختلط الإيمان بلحمه ودمه» رواه . . . وقوله «إن عادوا لك فعدلهم» رواه . . . . انتهى.

٨٣٩ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٤٧٣) (٣٣٠٣٧) حدثنا ابن علية عن يونس عن الحسن أن عيوناً لمسلمة أخذوا رجلين. . . وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٦٢) عن معمر قال: سمعت أن لمسيلمة. . . فذكره قلت: وهذا إسناد معضل.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن أبي شيبة قال: حدثنا إسماعيل بن علية، عن يونس، عن الحسن «أن عيوناً لمسيلمة أخذوا رجلين من المسلمين فأتوه بهما، فقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ فأهوى إلى أذنيه وقال: إني أصم، فأعاد عليه، فقال مثله، فأمر بقتله. وقال للآخر: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم، فأرسله. فأتى النبي ﷺ فقال: هلكت. فقال: وما شأنك؟ فأخبره بقصته وقصة صاحبه فقال: أما صاحبك فمضى على إيمانه. وأما أنت فأخذت بالرخصة. وأخرجه عبد الرزاق في التفسير عن =

استحبابهم الدنيا على الآخرة، واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم، ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾: الكاملون في الغفلة، الذين لا أحد أغفل منهم؛ لأنّ الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَـٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾: دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك، وهم عمار وأصحابه، ومعنى: إنّ ربك لهم، أنه لهم لا عليهم، بمعنى: أنه وليهم وناصرهم لا عدوّهم وخاذلهم، كما يكون الملك للرجل لا عليه، فيكون محميًّا منفوعاً غير مضرور، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾: بالعذاب والإكراه على الكفر، وقرئ: (فتنوا): على البناء للفاعل، أي: بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي وأشباهه، ﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾: من بعد هذه الأفعال وهي الهجرة والجهاد والصبر، ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾: منصوب برحيم. أو بإضمار اذكر.

فإن قلت: ما معنى النفس المضافة إلى النفس؟

قلت: يقال لعين الشيء وذاته نفسه، وفي نقيضه غيره، والنفس الجملة كما هي، فالنفس الأولى: هي الجملة، والثانية: عينها وذاتها، فكأنها قيل: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره، كل يقول: نفسي نفسي، ومعنى المجادلة عنها: الاعتذار عنها؛ كقوله: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]. ونحو ذلك.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي: جعل القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة، فكفروا وتولوا؛ فأنزل الله بهم نقمته، فيجوز أن تراد قرية مقدرة على

= معمر قال: سمعت أن مسيلمة أخذ رجلين فذكره بنحوه. وذكر الواحدي في المغازي أن اسم المقتول: حبيب بن زيد عم عباد بن تميم، واسم الآخر: عبد الله بن وهب الأسلمي. قال: وكان في الساقة. وذكروا أنه قطعه عضواً عضواً وأحرقه بالنار.

هذه الصفة، وأن تكون في قرى الأوّلين قرية كانت هذه حالها، فضربها الله مثلاً لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها، ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾: لا يزعجها خوف؛ لأن الطمأنينة مع الأمن، والانزعاج والقلق مع الخوف، ﴿رَغَدًا﴾: واسعاً، والأنعم: جمع نعمة، على ترك الاعتداد بالتاء، كدرع وأدرع، أو جمع نعم، كبؤس وأبؤس، وفي الحديث، نادى منادي النبي ﷺ بالموسم بمنى: «إِنَّهَا أَيَّامُ طَعْمٍ وَنِعَمٍ فَلاَ تَصُومُوا» (٨٤٠).

فإن قلت: الإذاقة واللباس استعارتان، فما وجه صحتهما؟ والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار، فما وجه صحة إيقاعها عليه[1]؟

---

٨٤٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٢٤٨) غريب جدا، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا.

---

(١) قال محمود: «إن قلت الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحة إيقاع الإذاقة على اللباس... إلخ»؟ قال أحمد: وهذا الفصل من كلامه يستحق على علماء البيان أن يكتبوه بذوب التبر لا بالحبر، وقد نظر إليهما جميعاً في قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ فاستعير الشراء لاختيارهم الضلالة على الهدى، وقد كانوا متمكنين من اختياره عليها، ثم جاء ملاحظاً للشراء المستعار قوله ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ فاستعمل التجارة والربح ليناسب ذلك لاستعارة الشراء، ثم جاء ملاحظاً للحقيقة الأصلية المستعار لها قوله ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فإنه مجرد عن الاستعارة، إذ لو قيل أولئك الذين ضلوا وما كانوا مهتدين، لكان الكلام حقيقة معرى عن ثوب الإستعارة والنظر إلى المستعار في بابه، كترشيح المجاز في بابه. ومنه [من الوافر]:

إذا الشيطان قصع في قفاها ... تنفقناه بالحبل التؤام

فجعل الشيطان في قفاها قاصعاً ثم نافقاً، ثم جعله مستخرجاً بالحبل المحكم المثنى كما يستخرج الحيوان من جحره، والشوط في هذا الفن البديع فطين، والله الموفق. انتهى.
من قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.
استعارة في «الإذاقة واللباس» وقد بين المفسر العلامة هذه الاستعارة بما لها وما عليها.
ولكن ما معنى الترشيح والتجريد؟
الترشيح: ذكر ملائم المستعار منه أي المعنى الحقيقي وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦].
فقوله سبحانه: «اشتروا» استعارة للاستبدال ثم مضى على هذا المعنى فذكر «ربحت» و«تجارتهم» وبهذا يكون قد نظر إلى المستعار منه.
وفي الترشيح تقوية لأنه تصور للمستعار له كأنه داخل في دائرة المستعار منه بهذا الترشيح.
وبهذه التقوية تكون المبالغة، ولهذا كان مبناه التناسي للتشبيه، وعلينا أن ننظر في الآية السابقة، وكذلك قول أبي تمام [من المتقارب]:

ويصعد حتى يظن الجهول ... بأن له حاجة في السماء.

التجريد: عكس الترشيح أي الإتيان بما يلائم المستعار له ومنه الآية التي في صدر البحث.
يقول القزويني ـ رحمه الله ـ:
قال ـ أذاقها ـ ولم يقل ـ كساها ـ فإن المراد بالإذاقة أصابتهم بما استعير له اللباس، كأنه قال: =

قلت: أما الإذاقة: فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة؛ لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمسّ الناس منها، فيقولون: ذاق فلان البؤس والضر، وأذاقه العذاب: شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ والبشع[(١)]، وأما اللباس: فقد شبه به؛ لاشتماله على اللابس: ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث، وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف، فلأنه لما وقع عبارة: «عما يغشى منهما» ويلابس، فكأنه قيل: فأذاقه ما غشيهم من الجوع والخوف، ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الإحاطة بهما، فإن الاستنكار لا يقع إلا لمن فقدهما:

أحدهما: أن ينظروا فيه المستعار له، كما نظر إليه ههنا؛ ونحوه قول كُثَيِّرَ [من الكامل]:

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً   غَلِقَتْ لِضِحْكَتِهِ رِقَابُ المَالِ[(٢)]

= «فأصابها الله بلباس الجوع والخوف»، ثم ذكر كلام الزمخشري في الآية ثم أورد اعتراضاً فقال: «فإن قيل: الترشيخ أبلغ من التجريد فهلا قيل: فكساها الله لباس الجوع والخوف؟ قلنا: لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس، فكان في الإذاقة إشعار بشدة الإصابة بخلاف الكسوة.

فإن قيل: «لِم لَم يقل ـ فأذاقها الله طعم الجوع والخوف؟ قلنا لأن الطعم وإن لاءم الإذاقة فهو مفوت لما يفيده لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عمّ أثرهما جميع البدن عموم الملابس»
فإذا لم يوجد الملائم أصلاً أو وجد ملائم للمستعار منه وللمستعار له فالمجاز «الاستعارة» تكون مطلقة، وقد جعلها البلاغيون قسماً ثالثاً لهذا التقسيم باعتبار الملائم الخارجي ومثالها: «عندي أسد».
هذا، وكلام الزمخشري في هذا الملائم يشعر بأن هذا الفن من أجمل الفنون وأبلغها، وإنه يبلغ من الحسن والرونق ـ إذا وقع موقعه ـ ما لا تراه لسواه، وينظر كلامه في آية البقرة المرشحة وسواء كان الترشيح للمجاز المفرد أو المركب
والترشيح عند الزمخشري وتبعه أبو السعود من لف نحوهم لا يكون استعارة، وهو كلام صحيح لأن مبنى هذا على التقوية التي لا تكون إلا بالحقيقة كما صدرت نحوه أول الكلام.
والعلامة المفسر قد بين هذه المعاني كلها في عرضه للآيات التي يرد منها الاستعارة بهذا المفهوم الذي عرضته، والله الموفق للصواب.
«ينظر الإيضاح ٥/ ٩٩ وما بعدها، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ٥٠٢ وما بعدها والمفتاح للسكاكي ١٨٢، والمطول للسعد ٣٧٧ وما بعدها. وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٢٠٠، وروح المعاني للألوسي ١٤/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(١) قوله: «بما يدرك من الطعم المر والبشع» عبارة غيره: طعم المر والبشع، ولعله المر البشع بدون واو (ع).

(٢) لكثير. والغمر: الكثير. وشبه العطاء بالرداء، لأنه يصون عرض صاحبه أو يستر فقر السائل، فاستعاره له على سبيل التصريحية وإضافة الغمر إليه تجريد، لأنه يلائم المشبه. هذا وقد يقال الغمر، يطلق على الماء الذي يغمر قامة المنغمس فيه، فيجوز أنه يشبه العطاء من حيث صونه عرض صاحبه بالرداء، فيكون استعارة مصرحة، وتكون إضافة الغمر إليه من إضافة المشبه به =

استعارة الرداء للمعروف؛ لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف[1] والنوال، لا صفة الرداء، نظر إلى المستعار له.

والثاني: أن ينظروا فيه إلى المستعار؛ كقوله [من الوافر]:

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرٍو ... رُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرِو بْنِ بَكْرِ
لِيَ الشَّطْرُ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي ... وَدُونَكَ فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرِ[2]

أراد بردائه سيفه، ثم قال: فاعتجر منه بشطر، فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار، ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقيل: فكساهم لباس الجوع والخوف، ولقال كثير: ضافي الرداء إذا تبسم ضاحكاً، ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: في حال/ ١٩٧أ التباسهم بالظلم؛ كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨]، نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة، وقرئ: (والخوف): عطفاً على اللباس، أو على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أصله: ولباس الخوف، وقرئ: «لباس الخوف والجوع».

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أوتيت به من كفرها: وسوء صنيعها، وصل

= للمشبه، بجامع عموم كل ونفعه، والقرينة على كل ذلك قوله: إذا تبسم. شارعاً في الضحك. غلقت لضحكته رقاب المال: يقال: غلق الرجل إذا ضجر وغضب، وغلق الرهن إذا ملكه المرتهن ولم يقدر صاحبه على فكه، وكانت تلك عادتهم. فالمعنى: إذا ضحك غضبت الأموال لعلمها أنها ستؤخذ ويملكها غيره، أو ثبتت في أيدي السائلين وملوكها. ورقاب المال: مجاز مرسل، أي أعيانه.

ينظر: ديوانه ص ٢٨٨، ولسان العرب (غمر) (ضحك) (ردى)، وتهذيب اللغة ٨/ ١٢٨.

(١) قوله: «ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف» في الصحاح الغمر الماء الكثير. وفيه «الاعتجار» لف العمامة على الرأس، وفيه «الضافي» السابغ (ع).

(٢) استعار المنازعة لتسببه في امتداد السيف إليه حتى توسط بينهما، كالشيء يتجاذبه اثنان. واستعار الرداء للسيف بجامع حفظ كل لصاحبه وعدم الاستغناء عنه. والاعتجار ترشيح، ومعناه: التعمم أو التلفع، فهو ملائم للرداء. ويحتمل أن التركيب كله من باب التمثيل. وعبد عمرو: فاعل. ورويدك: اسم فعل، بمعنى أمهل، والكاف حرف خطاب، قاله الجوهري. وبالنظر لأصله فهو مصدر، والكاف مضاف إليه، وفيه التفات. وبكر: أبو قبيلة. والشطر الذي ملكته يمينه: هو مقبض السيف. ودونك: اسم فعل بمعنى خذ، أي خذه فتلفع منه بالشطر الآخر وهو صدره، والأمر للإباحة، وفيه نوع تهكم.

بذلك بالفاء في قوله: ﴿فَكُلُوا﴾: صدّهم عن أفعال الجاهلية، ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها، بأن أمرهم بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب، وشكر إنعامه بذلك، وقال: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ يعني: تطيعون، أو: إن صحّ زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة؛ لأنها شفعاؤكم عنده، ثم عدد عليهم محرمات الله، ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وجهالاتهم، دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧)﴾

وانتصاب ﴿الْكَذِبَ﴾: بلا تقولوا، على: ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩]، من غير استناد ذلك الوصف إلى وحي من الله أو إلى قياس مستند إليه، واللام مثلها في قولك: ولا تقولوا لما أحل الله هو حرام، وقوله: ﴿هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾: بدل من الكذب، ويجوز أن يتعلق بـ «تصف» على إرادة القول، أي: ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم، فتقول هذا حلال وهذا حرام، ولك أن تنصب الكذب بـ «تصف»، وتجعل «ما»: مصدرية، وتعلق: (هذا حلال وهذا حرام): بلا تقولوا، على: ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب، أي: لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواهكم، لا لأجل حجة وبينة؛ ولكن قول ساذج ودعوى فارغة.

فإن قلت: ما معنى وصف ألسنتهم الكذب؟

قلت: هو من فصيح الكلام وبليغه، جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه، فإذا نطقت به ألسنتهم، فقد حلت الكذب بحليته وصوّرته بصورته؛ كقولهم: وجهها يصف الجمال، وعينها تصف السحر، وقرئ: (الكذب): بالجرّ صفة لما المصدرية، كأنه قيل: لوصفها الكذب، بمعنى: الكاذب؛ كقوله تعالى: (بدم كذب)، والمراد بالوصف: وصفها البهائم بالحل والحرمة، وقرئ: (الكذب): جمع كذوب بالرفع؛ صفة للألسنة، وبالنصب على الشتم، أو بمعنى: الكلم الكواذب، أو هو جمع الكذاب من قولك: كذب كذاباً: ذكره ابن جني، واللام في ﴿لِّتَفْتَرُوا﴾: من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض، ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي: منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨)﴾

﴿مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ يعني: في سورة الأنعام.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾

﴿بِجَهَالَةٍ﴾: في موضع الحال، أي: عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه، أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم، ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾: من بعد التوبة.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿كَانَ أُمَّةً﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أنه كان وحده أمّة من الأمم[1]؛ لكماله في جميع صفات الخير؛ كقوله [من السريع]

لَـيْـسَ عَـلَـى الله بِـمُـسْـتَـنْـكَـرٍ ... أَنْ يَـجْـمَـعَ الْـعَـالَـمَ فِـي وَاحِـدِ[2]

وعن مجاهد: كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار.

والثاني: أن يكون أمّة بمعنى: مأموم، أي: يؤمّه الناس ليأخذوا منه الخير، أو بمعنى: مؤتمر به كالرحلة[3] والنخبة، وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى: مفعول،

---

(١) قال محمود: «في قوله أمة وجهان، أحدهما: أنه كان وحده أمة من الأمم... إلخ» قال أحمد: ويقوي هذا الثاني قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي كان أمة تؤمه الناس ليقتبسوا منه الخيرات ويقتفوا بآثاره المباركات، حتى أنت على جلالة قدرك قد أوحينا إليك أن اتبع ملته ووافق سيرته، والله أعلم.

(٢)
قــولا لــهــرون إمــام الــهــدى ... عند احتفال المجلس الحاشد
أنــت عــلــى مــا بــك مــن قــدرة ... فلست مثل الفضل بالوجد
لــيــس عــلــى الله بــمــســتــنــكــر ... أن يجمع العالم في واحد

لأبي نواس يعطف هرون الرشيد على الفضل البرمكي حين توعده بالقتل، غيرة منه لما سمع من نهايته في الكرم، وخاطب الاثنين تأسياً بعادة العرب، والاحتفال: الاجتماع. والحاشد الجامع، وعلى بمعنى مع. أي: أنت مع كونك في غاية الاقتدار لست واجداً مثل الفضل في العالم كله، ودخلت الفاء في خبر المبتدأ لما فيه خبره من رائحة الشرط، أي: وإن كنت قادراً، ودخلت الباء في خبر ليس لتوكيد النفي، واستدل على ذلك بقوله: ليس مستنكراً على الله جمعه خصال العالم كلها في رجل واحد كالفضل، هذا ما يتبادر منه ظاهر النظم، لكنه خلاف مقتضى مقام الاستعطاف، فالمعنى فلا يكن منك غيرة من الفضل، فإن كرمه بعض صفاتك، فإن الله قادر على جمع صفات العالم كلها فيك، وقد فعل. ويروى: من الله بدل على الله. ويروى: بمستبدع، بدل بمستنكر. ينظر ديوانه (١/ ٣٤٩)، وشرح قطر الندى ص ١١٤.

(٣) قوله: «كالرحلة» في الصحاح «الرحلة» بالضم: الوجه الذي تريده، وبالكسر: الارتحال (ع).

فيكون مثل قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الأشجعي عن ابن مسعود أنه قال: إنّ معاذاً كان أمّة قانتاً لله، فقلت: غلطت؛ إنما هو إبراهيم، فقال: الأمّة: الذي يعلم الخير، والقانت المطيع لله ورسوله، وكان معاذ كذلك (٨٤١)، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال ـ حين قيل له: ألا تستخلف؟ ـ: لو كان أبو عبيدة حيًا لاستخلفته، ولو كان معاذ حيًا لاستخلفته، ولو كان سالم حيًا لاستخلفته؛ فإني سمعت رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ يقول: «أَبُو عُبَيْدَةَ أَمِينُ هٰذِهِ الأُمَّةِ، وَمعَاذُ أُمَّةٌ قَانِتٌ لله، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلا الْمُرْسَلُونَ، وَسَالِمٌ شَدِيدُ الحُبِّ لله، لَوْ كَانَ لاَ يَخَافُ الله لَمْ يَعْصِهِ» (٨٤٢)، وهو ذلك المعنى، أي: كان

---

٨٤١ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٦٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٦١) (٢١٩٨٤)، والحاكم في مستدركه (٣/ ٢٧٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٧٠ ـ ٧١) (٩٩٤٣ و٩٩٤٤) من طرق عن فراس عن الشعبي عن مسروق قال: قرئت عند ابن مسعود ﴿إن إبراهيم كان...﴾
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
قلت: وفراس هو ابن يحيى أبو يحيى الخارفي الكوفي المُكْتِب، وثقه أحمد، ويحيى بن معين، والنَّسائي، والعجلي وآخرون. وقال علي ابن المديني عن يحيى بن سعيد القطان: ما أنكرت من حديثه إلا حديث الاستبراء... واحتج به الجماعة وحديثه في الاستبراء لم يخرجه الشيخان. راجع تهذيب الكمال (٢٣/ ١٥٢) (٤٧١٢) وأخرجه أيضاً الحاكم (٣/ ٢٧١ ـ ٢٧٢)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٧٢) (٩٩٤٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٦٠) (٢١٩٧٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٠)، من طريق إسماعيل بن علية عن منصور بن عبد الرحمن عن الشعبي حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود: إن معاذاً كان أمة... وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥٢)... رواه الطبراني بأسانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه الطبراني والحاكم وأبو نعيم في الحلية، من رواية علية عن منصور عن عبد الرحمن عن الشعبي حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود، فذكره. لكن ليس فيه: فقلت له: «غلطت» بل فيه فقيل له: إن إبراهيم. وفيه: «وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير. وكان مطيعاً لله ورسوله»، ورواه الحاكم أيضاً من رواية شعبة عن فراس، عن الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله قال: «إن معاذاً كان أمة قانتاً لله» فقال رجل من أشجع يقال له: فروة بن نوفل: إنما ذاك إبراهيم. فقال عبد الله: إنا كنا نشبهه بإبراهيم ـ الحديث» وأخرجه عبد الرزاق. ومن طريق الحاكم قال: أخبرنا الثوري عن فراس نحوه. انتهى.

٨٤٢ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٥٠)، وقال ابن حجر: لم أجده. قلت: وبعض فقرات الحديث صحيحة. قوله: «أبو عبيدة أمين هذه الأمة».
أخرجه البخاري (٧/ ١١٦) كتاب فضائل الصحابة باب مناقب أبي عبيدة حديث (٣٧٤٤) وفي (٧/ ٦٩٦) كتاب المغازي: باب قصة أهل نجران حديث (٤٣٨٢) وفي (١٣/ ٢٤٥) كتاب أخبار الآحاد: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد... حديث (٧٢٥٥)، ومسلم (٤/ ١٨٨١) كتاب فضائل الصحابة: باب فضل أبي عبيدة بن الجراح حديث (٥٣/ ٢٤١٩)، والتِّرمذي (٥/ ٦٦٥) كتاب =

إماماً في الدين؛ لأنّ الأئمة معلمو الخير، والقانت: القائم بما أمره الله، والحنيف: المائل إلى ملة الإسلام غير الزائل عنه، ونفي عنه الشرك؛ تكذيباً لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم، ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾: روي أنه كان لا يتغدّى إلا مع ضيف، فلم يجد ذات يوم ضيفاً، فأخر غداءه، فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر، فدعاهم إلى الطعام فخيلوا له أنّ بهم جذاماً؟ فقال: الآن وجبت مواكلتكم شكراً لله على أنه عافاني وابتلاكم، ﴿ٱجْتَبَٰهُ﴾: اختصه واصطفاه للنبوّة، ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إلى ملة الإسلام، ﴿حَسَنَةً﴾: عن قتادة: هي تنويه الله بذكره، حتى ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه، وقيل: الأموال والأولاد، وقيل: قول المصلي منا: كما صليت على إبراهيم، ﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: لمن أهل الجنة.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: في «ثم»: هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله[1] ﷺ وإجلال محله، والإيذان بأنّ أشرف ما أوتي خليل الله إبراهيم من الكرامة، وأجلّ ما أولي من النعمة: اتباع رسول الله ﷺ ملته، من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها.

= المناقب: باب مناقب معاذ بن جبل... حديث (٣٧٩١)، وأحمد (٣/ ١٣٣، ١٨٩، ٢٤٥، ٢٨١)، وأبو يعلى (٥/ ١٩٠) رقم (٢٨٠٨)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١/ ٢٩٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٧٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٧/ ٢١٤ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس مرفوعاً بلفظ: «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح» وقال الترمذي: حسن صحيح.

وأخرجه مسلم (٤/ ١٨٨١) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح حديث (٥٤/ ٢٤١٩) وأحمد (٣/ ١٢٥، ١٤٦، ١٧٥، ٢١٢، ٢٨٦) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس به.

قال الحافظ: لم أجده. انتهى.

---

(١) عاد كلامه. قال محمود: «وفي ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة محمد ﷺ... إلخ» قال أحمد: وإنما تفيد ذلك ثم لأنها في أصل وضعها لتراخي المعطوف عليه في الزمان، ثم استعملت في تراخيه عنه في علو المرتبة بحيث يكون المعطوف أعلى رتبة وأشمخ محلا مما عطف عليه، فكأنه بعد أن عدد مناقب الخليل عليه السلام قال تعالى: وههنا ما هو أعلى من ذلك كله قدراً وأرفع رتبة وأبعد رفعة، وهو أن النبي الأمي الذي هو سيد البشر متبع لملة إبراهيم، مأمور باتباعه بالوحي، متلو أمره بذلك في القرآن العظيم. ففي ذلك تعظيم لهما جميعاً، لكن نصيب النبي ﷺ من هذا التعظيم أوفر وأكبر على ما مهدناه، والله الموفق للصواب.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿ٱلسَّبْتُ﴾: مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها، والمعنى: إنما جعل وبال السبت وهو المسخ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾: واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرّموه تارة، وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه، والمعنى في ذكر ذلك، نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بأنعم الله مثلاً،/ ١٩٧ب وغير ما ذكر، وهو الإنذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لأوامره والخالعين ربقة طاعته.

فإن قلت: ما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعاً محلين أو محرّمين؟

قلت: معناه: أنه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرّمين أخرى، ووجه آخر: وهو أنّ موسى ـ عليه السلام ـ أمرهم أن يجعلوا في الأسبوع يوماً للعبادة وأن يكون يوم الجمعة، فأبوا عليه وقالوا: نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت، إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة، فهذا اختلافهم في السبت؛ لأن بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة، فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه، فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة، فكانوا لا يصيدون فيه، وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك، وهو يحكم ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه، ومعنى: «جعل السبت»: فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه، وقرئ: «إنما جعل السبت»: على البناء للفاعل، وقرأ عبد الله: «إنا أنزلنا السبت».

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: إلى الإسلام، ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾: بالمقالة المحكمة الصحيحة؛ وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة، ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ﴾: وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها، ويجوز أن يريد القرآن، أي: ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة، ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ﴾: بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، من غير فظاظة ولا تعنيف، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾: بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة، ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل، وكأنك تضرب منه في حديد بارد.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

سمي الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة، والمعنى: إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه، فقابلوه بمثله، ولا تزيدوا عليه، وقرئ: «وإن عقبتم فعقبوا» أي: وإن قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم، روي أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد: بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم، ما تركوا أحداً غير ممثول به إلا حنظلة بن الراهب، فوقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد مثل به، وروي: فرآه مبقور البطن فقال: «أما والذي أحلف به، لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك» (٨٤٣)؛ فنزلت، فكفر عن يمينه وكفّ

---

٨٤٣ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٥٠) (٦٨٨): غريب بهذا اللفظ وذكره الثعلبي هكذا من غير سند.

قلت: وقصة حمزة وردت عن:

ـ أبي هريرة:

أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٩٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٨٨)، كلهم من طريق صالح المري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة، وسكت عنه الحاكم: وقال الذهبي صالح واه، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٢٢) وقال: رواه البزار والطبراني، وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف».

قلت: وتحرف في المطبوع من «المجمع» «صالح بن بشير المري» إلى «صالح بن بشير المزني» والصحيح ما أثبتناه. والله المستعان.

والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٥٥) وابن المنذر وابن مردويه.

ـ عبد الله بن عباس:

أخرجه الدارقطني في سننه (٤/ ١١٨) من حديث إسماعيل بن عياش عن عبد الملك بن أبي عتبة أو غيره عن الحكم بن عتيبة عن مجاهد عن ابن عباس. . . فذكره، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٩٧ ـ ١٩٨) من طريق أبي بكر بن عباس عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس به، وسكت عنه الحاكم ـ وقال الذهبي: سمعه أبو بكر بن عياش من يزيد وليسا بمعتمدين. وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٦٢) (١١٠٥٠ و ١١٠٥١) من طريقين عن الحكم بن عتيبة عن مجاهد عن ابن عباس به.

قلت: وكلا الطريقين عند الطبراني فيهما ضعف.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الثعلبي بغير سند. وقصة حمزة أخرجها البزار والطبراني من رواية سليمان التيمي عن ابن عثمان عن أبي هريرة: «أن النبي ﷺ نظر يوم أُحد إلى حمزة وقد قُتل ومُثل به، فرأى منظراً لم يرَ قط أوجع لقلبه منه»، وذكر باقي الحديث أتم مما ذكره هنا ورواية صالح سهو عن سليمان، وصالح ضعيف، وله طريق أخرى أخرجها الدارقطني من رواية إسماعيل بن عباس قال: «لما انصرف =

عما أراده، ولا خلاف في تحريم المثلة، وقد وردت الأخبار بالنهي عنها (٨٤٤) حتى

= المشركون عن قتلي أُحد فرأى رسول الله ﷺ بعمه حمزة منظراً أساءه، وقد شق بطنه واصطلم أنفه - فذكر القصة « فيها: لأمثلن مكانه بسبعين رجلاً. وذكر الصلاة عليه وعلى القتلى. قال: فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة - الآية) فصبر ولم يمثل بأحد» قال الدارقطني: تفرد به إسماعيل وهو ضعيف عن غير الشاميين. قلت: وأما أول الكلام فذكره. انتهى.

٨٤٤ - ورد من حديث جماعة منهم: عمران بن الحصين، سمرة بن جُندب، وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن يزيد الأنصاري وأنس وبريدة والمغيرة بن شعبة وأسماء بنت أبي بكر وعلي بن أبي طالب وابن عباس وصفوان بن عسال وجرير بن عبد الله البجلي وأبو موسى الأشعري وأبو أيوب الأنصاري وزيد بن خالد الجهني ويَعلى بن مرة والحكم بن عمير وعائذ بن قرط وعمر بن الخطاب.

- أما حديث عمران:

أخرجه أبو داود الطيالسي (ص ١١٢) حديث (٨٣٦) والخطيب في التاريخ (٣٠٧/٧) من طريق الحسن عن عمران بن حصين قال: «قلما خطبنا رسول الله ﷺ خطبة إلا أمرنا فيها بالصدقة ونهانا عن المثلة» وقال: إن من المثلة أن ينذر أن يخرم أنفه ومن المثلة أن ينذر أن يحج ماشياً، فإذا نذر أحدكم أن يحج ماشياً فليهد هدياً وليركب. وهذا الإسناد منقطع. الحسن لم يسمع هذا الحديث من عمران وأخرجه ابن أبي شيبة (٤٢٣/٩): كتاب الديات - باب المثلة في القتل حديث (٧٩٨٤) وأحمد (٤٢٨/٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٢٤٢/٨) وأبو داود (١٢٠/٣) كتاب الجهاد - باب في النهي عن المثلة - حديث (٢٦٦٧) والبيهقي (٦٩/٩) كتاب السير - باب قتل المشركين بعد الأسار بضرب الأعناق دون المثلة. كلهم من رواية قتادة عن الحسن عن الهياج بن عمران عن عمران بن حصين قال: «كان رسول الله ﷺ يحثنا على الصدقة وينهانا عن المثلة. واللفظ لأبي داود وقال أحمد: كان يحث في خطبته على الصدقة وينهى عن المثلة.

- وحديث سمرة:

أخرجه أحمد (١٢/٥، ٢٠) وأبو داود (١٢٠/٣)، كتاب الجهاد باب في النهي عن المثلة حديث (٢٦٦٧) والبيهقي (٦٩/٩) من قتادة عن الحسن عن الهياج بن عمران البرجمي أن عمران أبق له غلام فجعل لله عليه لئن قدر عليه ليقطعنَّ يده فأرسلني لأسأل له فأتيت سمرة بن جندب فسألته فقال: «كان رسول الله يحثنا على الصدقة وينهانا عن المثلة» فأتيت عمران بن حصين فسألته فقال مثل ذلك.

- وحديث ابن عمر:

أخرجه أحمد (١٣/٢، ١٠٣) والبخاري (٦٤٣/٩) كتاب الذبائح والصيد باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة حديث (٥٥١٥) والحاكم (٢٣٤/٤): كتاب الذبائح - باب النهي عن مثلة الحيوان. والبيهقي (٨٧/٩): كتاب السير - باب تحريم قتل ماله روح إلا بأن يذبح فيؤكل. من طريق سعيد بن جبير عن ابن عمر قال: «لعن رسول الله ﷺ من مثل الحيوان».

وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين يخرجاه بهذه السياقة ووهم في ذلك فإنه عند البخاري بهذا اللفظ.

- وحديث عبد الله بن يزيد:

أخرجه البخاري (٦٤٣/٩)، كتاب الذبائح والصيد - باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة - حديث (٥٥١٦) والبيهقي (٦٩/٩) كتاب السير - باب قتل المشركين بعد الأسار بضرب الأعناق =

بالكلب العقور، إما أن رجع الضمير في ﴿فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ﴾ إلى صبرهم وهو مصدر

= دون المثلة وأحمد (٤/ ٣٠٧) عنه «أن رسول الله ﷺ نهى عن النهبة والمثلة».

ـ حديث أنس:

أخرجه النَّسائي (٧/ ١٠١) كتاب تحريم الدم ـ باب النهي عن المثلة. من طريق عبد الصمد ثنا هشام عن قتادة عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يحث في خطبته على الصدقة وينهى عن المثلة» ورواه أبو داود (٤/ ٥٣٥) كتاب الحدود ـ باب ما جاء في المحاربة حديث (٤٣٦٨) والبيهقي (٩/ ٦٩) كتاب السير ـ باب قتل المشركين بعد الأسار.. من رواية ابن أبي عدي عن هشام عن قتادة عن أنس في قصة العرنيين وقال في آخره (ثم نهى عن المثلة).

ورواه البخاري (٧/ ٤٥٨): كتاب المغازي ـ باب قصة عكل وعرينة حديث (٤١٩٢) طريق يزيد بن زريع ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بالقصة وفي آخره قال قتادة «وبلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة».

قال الحافظ في الفتح (٧/ ٤٥٨، ٤٥٩) وتبين بهذا أن في الحديث الذي أخرجه النَّسائي من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث عن هشام عن قتادة عن أنس إدراجاً وأن هذا القدر من الحديث لم يسنده قتادة عن أنس وإنما ذكره بلاغاً ولما نشط لذكر إسناده ساقه بوسائط إلى النبي ﷺ.

ـ حديث بريدة:

أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٨) ومسلم (٣/ ١٣٥٧): كتاب الجهاد. باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث حديث (٣/ ١٧٣١) وأبو داود (٣/ ٨٣): كتاب الجهاد ـ باب في دعاء المشركين حديث (١٦١٢) والتِّرمذي (٣/ ٨٥) كتاب السير. باب ما جاء في وصية النبي ﷺ في القتال حديث (١٦٦٦). وابن ماجه (٢/ ٩٥٣): كتاب الجهاد ـ باب وصية الإمام ـ حديث (٢٨٥٨) والبيهقي (٩/ ٦٩): كتاب السير ـ باب قتل المشركين بعد الأسار بضرب الأعناق دون المثلة. عنه قال «كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً»

وقال التِّرمذي حسن صحيح.

ـ حديث المغيرة:

أخرجه ابن أبي شيبة (٩/ ٤٢١): كتاب الديات ـ باب المثلة في القتل ـ حديث (٧٩٧٩) وأحمد (٤/ ٢٤٦) والطبراني كما في مجمع الزوائد (٦/ ٢٤٨) عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن المثلة».

ـ حديث أسماء بنت أبي بكر:

أخرجه الطبراني كما في المجمع (٦/ ٢٥٢) عنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن المثلة».

وقال الهيثمي ورجاله ثقات

ـ وحديث علي:

رواه الطبراني كما في المجمع (٦/ ٢٥٢) ولفظه «سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن المثلة ولو بالكلب العقور». وقال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده منقطع.

وحديث ابن عباس تقدم.

ـ وحديث صفوان بن عسال:

أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٠) وابن ماجه (٢/ ٩٥٣): كتاب الجهاد ـ باب وصية الإمام ـ حديث (٢٨٥٧). =

صبرتم، ويراد بالصابرين: المخاطبون، أي: ولئن صبرتم لصبركم خير لكم، فوضع

= من طريق عبيد الله بن خليفة عن صفوان بن عسال قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فقال: سيروا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً».
وذكره البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٤٢١) وقال: هذا إسناد حسن.
ـ حديث جرير:
أخرجه أبو يَعلى (١٣/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤) رقم (٧٥٠٥) والطبراني في الكبير (٢/ ٢١٣) رقم (٢٣٠٤) وفي الصغير (١/ ٤٤ ـ ٤٥) من طريق ابن لهيعة عن عبد ربه بن سعيد عن سلمة بن كهيل عن شقيق بن سلمة عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كان النبي ﷺ إذا بعث سرية قال: باسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تحثلوا ولا تقتلوا الولدان.
قال الطبراني: لا يروى عن جرير إلا بهذا الإسناد تفرد به ابن لهيعة.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٢٠) وقال: رواه أبو يَعلى والطبراني في الثلاثة وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات وله طريق في «الكبير» ضعيفه ا.هـ قلت: وهذا الطريق أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣٠٥) وفيه عبد الغفار بن القاسم أبو مريم وهو متروك.
والحديث ذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٢/ ١٥٠) رقم (٩٦٠) وعزاه إلى أبي يَعلى. وقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٥١ ـ ١٥٢) رقم (١٩٤٨): سألت أبي عن حديث رواه أبو هارون البكاء عن ابن لهيعة عن عبد ربه بن سعيد عن سلمة بن كهيل عن شقيق بن سلمة عن جرير قال: كان رسول الله ﷺ إذا بايع بايع على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والسمع والطاعة لله ولرسوله والنصح لكل مسلم وإذا بعث سرية قال بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان. قال أبي ليس لهذا الحديث أصل بالعراق وهو حديث منكر.
وحديث أبي موسى الأشعري.
أخرجه البزار (٢/ ٢٦٧) رقم (١٦٧٤) والطبراني في «الصغير» (١/ ١٨٧) من طريق أحمد بن عثمان ابن حكيم الأودي ثنا عثمان بن سعيد المري ثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قال: اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً. وقال الطبراني: لم يروه عن أبي إسحق إلا إسرائيل ولا عنه إلا عثمان تفرد به أحمد بن عثمان بن حكيم.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٢٠) وقال: رواه البزار والطبراني في الصغير والكبير ورجال البزار رجال الصحيح غير عثمان بن سعيد المسري وهو ثقة.
ـ حديث أبي أيوب:
أخرجه الطبراني كما في المجمع (٦/ ٢٥٣) من حديث يعقوب بن إسحاق الحضرمي ثنا شعبة بن عدي بن ثابت عن عبد الله بن يزيد الخطمي عن أبي أيوب الأنصاري قال: «نهى رسول الله ﷺ عن النهبة والمثلة» وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح.
ـ حديث زيد بن خالد:
أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٦/ ٢٤٩) من رواية ابن أبي ذئب عن مولى الجهينة عن عبد الرحمن بن زيد بن خالد عن أبيه عن النبي ﷺ «أنه نهى عن النهبة والمثلة»
وقال الهيثيم: وفيه رواه لم يسم.
ـ حديث يَعلى بن مرة: =

الصابرون موضع الضمير؛ ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد، أو وصفهم بالصفة التي تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة، وإما أن يرجع إلى جنس الصبر ـ وقد دل عليه صبرتم ـ ويراد بالصابرين جنسهم، كأنه قيل: وللصبر خير للصابرين؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ثم قال لرسوله ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ﴾: أنت فعزم عليه بالصبر، ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ أي: بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على الكافرين؛ كقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]، أو على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون، ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ﴾، وقرئ: «ولا تكن في ضيق»، أي: ولا يضيقن صدرك من مكرهم، والضيق: تخفيف الضيق، أي: في أمر ضيق، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدرين، كالقيل والقول، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ أي: هو وليّ الذين اجتنبوا المعاصي، ﴿و﴾ ولي ﴿الذين هم محسنون﴾: في أعمالهم، وعن هرم بن حيان أنه قيل له حين احتضر: أوص، فقال: إنما الوصية من المال ولا مال لي، وأوصيكم بخواتم سورة النحل.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ النَّحْلِ لَمْ يُحَاسِبْهُ الله بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَإِنْ مَاتَ فِي يَوْمِ تَلاهَا أَوْ لَيْلَته، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ كَالَّذِي مَاتَ وَأَحْسَنَ الوَصِيَّة» (٨٤٥).

= رواه أحمد (٤/١٧٣) قال: حدثنا عفان ثنا وهيب ثنا عطاء بن السائب عن يَعلى بن مرة النقعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «قال الله عز وجل لا تمثلوا بعبادي».
ورواه الطبراني من هذا الوجه أيضاً من رواية عطاء بن السائب كما في المجمع (٦/٢٥١) وقال: عطاء بن السائب اختلط حديث الحكم بن عمير وعائذ بن قرط.
رواه الطبراني في الكبير عنهما قالا قال رسول الله ﷺ: «لا تمثلوا بشيء من خلق الله فيه الروح».
وقال الهيثمي (٦/٢٥٢): رواه الطبراني وفيه سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك.
ـ وحديث عمر:
رواه الطبراني في الصغير (١/٢٣٣): قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عيسى المعدي أبو عبد الرحمن ثنا عبد الله بن يزيد ثنا إسماعيل بن حكيم الخزاعي ثنا يونس بن عبيد عن الحسن عن عمران بن حصين قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «خطبنا رسول الله ﷺ فأمرنا بالصدقة ونهانا عن المثلة» قال الطبراني لم يروه عن الحسن عن عمران عن عمر إلا يونس بن عبيد ولا عنه إلا إسماعيل تفرد به عبد الله بن عمر بن يزيد، ورواه هشيم وغيره عن يونس عن الحسن عن عمران فقط.
وقال الهيثمي في المجمع (٦/٢٥٢) رواه الطبراني في الصغير وفيه من لم أعرفه.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
قلت روي ذلك عن جماعة من الصحابة.

٨٤٥ ـ ينظر حديث رقم (٣٤٦).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
رواه الثعلبي وابن مردويه وقد تقدم سنده في آل عمران.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

مَكِّيَّةٌ [إلاَّ الآيَاتِ ٢٦ و٣٢ و٣٣ و٥٧، وَمِنْ آيةِ ٧٣ إِلَىٰ غَايَةِ آيَةِ ٨٠ فَمَدَنِيَّةٌ] وَآيَاتُهَا ١١١ [نَزَلَتْ بَعْدَ القَصَصِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①﴾

﴿سُبْحَانَ﴾: علم للتسبيح كعثمان للرجل، وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره، تقديره: أسبح الله سبحان، ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسدّه، ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله[١]، و﴿أَسْرَىٰ﴾: وسرى لغتان، و﴿لَيْلًا﴾: نصب على الظرف.

فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى: ذكر الليل[٢]؟

---

(١) قوله: «القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله» يريد بهم أهل السنة القائلين بأنه تعالى هو الخالق لجميع الحوادث من أفعال العباد وغيرها، خيراً كانت أو شرا، خلافاً للمعتزلة في قولهم: إن العبد هو الخالق لفعل نفسه حتى يكون مقدوراً له، فيصح تكليفه به، ولكن استند أهل السنة لمثل قوله تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ وهذا لا ينافي اختيار العباد في أفعالهم، لأنهم أثبتوا لهم الكسب فيها، كما تقرر في علم التوحيد (ع).

(٢) قال محمود: «فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى ذكر الليل... إلخ»؟ قال أحمد: وقد قرن الإسراء بالليل في موضع لا يليق الجواب عنه بهذا، كقوله ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ وكقوله تعالى ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾ فالظاهر ـ والله أعلم ـ أن الغرض من ذكر الليل وإن كان الإسراء يفيده تصوير السير بصورته في ذهن السامع، وكأن الإسراء لما دل على أمرين، أحدهما: السير، والآخر: كونه ليلاً. أريد إفراد أحدهما بالذكر تثبيتاً في نفس المخاطب، وتنبيهاً على أنه مقصود بالذكر. ونظيره في إفراد أحد ما دل عليه اللفظ المتقدم مضموماً لغيره قوله تعالى ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فالاسم الحامل للتثنية دال عليها وعلى الجنسية، وكذلك المفرد، فأريد التنبيه لأن أحد المعنيين وهو التثنية مراد مقصود، وكذلك أريد الإيقاظ؛ لأن الوحدانية هي المقصودة في قوله ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ ولو اقتصر على قوله (إنما هو إله﴾ لأوهم أن المهم إثبات الإلهية له، والغرض من الكلام ليس إلا الإثبات للوحدانية، والله أعلم.

قلت: أراد بقوله: (ليلاً) بلفظ التنكير: تقليل مدّة الإسراء، وأنه أسري به في بعض الليل من مكة إلى الشأم مسيرة أربعين ليلة؛ وذلك أنّ التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية؛ ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة: «من الليل»، أي: بعض الليل؛ كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً﴾ [الإسراء: ٧٩]، يعني: الأمر بالقيام في بعض الليل، واختلف في المكان الذي أسري منه فقيل: هو المسجد الحرام بعينه، وهو الظاهر، وروي عن النبي ﷺ: «بَيْنَا أَنَا فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ فِي الحجْرِ عِنْدَ البَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَاليَقْظَانِ إِذْ أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِالبُرَاقِ» (٨٤٦)، وقيل: أسري به من دار أم هانىء بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام: الحرم؛ لإحاطته بالمسجد والتباسه به، وعن ابن/ ١٩٨أ عباس: الحرم كله مسجد، وروي أنه كان نائماً في بيت أم هانىء بعد صلاة العشاء فأسري به[1] ورجع من ليلته، وقص القصة على أم هانىء، وقال: «مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج إلى المسجد فتشبثت أم هانىء بثوبه فقال: مالك؟ قالت: أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم، قال: وإن كذبوني، فخرج فجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول الله ﷺ بحديث الإسراء، فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي، هلم فحدّثهم، فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً، وارتد ناس ممن كان قد آمن به، وسعى رجال إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال: إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أتصدقه على ذلك؟ قال: إني لأصدقه على أبعد من ذلك (٨٤٧)؛ فسمي الصدّيق، وفيهم من

---

٨٤٦ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٤٥) ـ كتاب بدء الخلق (٥٩) ـ باب ذكر الملائكة عليهم السلام (٦) ـ (٣٢٠٧). ومسلم (١/ ٤٩٠ ـ نووي) ـ كتاب الإيمان (١) ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ (٢٦٤) والتّرمذي (٥/ ٤٤٢) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ سورة «ألم نشرح» (٣٣٤٦) مختصراً والنّسائي (١/ ٢١٧) ـ كتاب الصلاة (٥) ـ باب فرض الصلاة ـ (٤٤٨). وفي الكبرى (١/ ١٣٨) ـ كتاب الصلاة الأول (٢) ـ باب فرض الصلاة (١) ـ (٣١٣) وابن خزيمة في صحيحه (١/ ١٥٣) ـ كتاب الصلاة ـ باب بدء فرض الصلوات الخمس (٣٠١).
وقال الحافظ في الكشاف: متفق عليه من حديث مالك بن صعصعة مطولاً. انتهى.

٨٤٧ ـ قال الحافظ ابن حجر: ذكره الثعلبي عن ابن عباس بغير سند، وكأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه.
وأخرجه النّسائي في الكبرى (٦/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨) ـ كتاب التفسير ـ سورة الإسراء ـ (١١٢٨٥) من طريق عوف بن أبي جميلة عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس مرفوعاً «لما كان ليلة أسري..»
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٧٦ ـ ٧٧) ـ كتاب معرفة الصحابة ـ من حديث عائشة وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤٣٢) (١٠٥٩)، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٦٦ ـ ١٦٧) كلاهما من حديث أم هانئ من طرق مختلفة. وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٥٨) لأبي يَعلى الموصلي في مسنده ولم أجده، فلعله من المفقود ـ والله المستعان ـ.
ونقل الزيلعي عن ابن دحية في كتابه المسمى «بالتنوير في مولد السراج المنير» قال: وقد ورد =

سافر إلى ماثمّ، فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس، فطفق ينظر إليه وينعته لهم، فقالوا: أمّا النعت فقد أصاب، فقالوا: أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها، وقال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس، يقدمها جمل أورق، فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية، فقال قائل منهم: هذه والله الشمس قد شرقت، فقال آخر: وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد، ثم لم يؤمنوا وقالوا: ما هذا إلا سحر مبين، وقد عرج به إلى السماء في تلك الليلة، وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشاً ـ أيضاً ـ بما رأى في السماء من العجائب، وأنه لقي الأنبياء، وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى، واختلفوا في وقت الإسراء، فقيل: كان قبل الهجرة بسنة، وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعث، واختلف في أنه كان في اليقظة أم في المنام، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: «والله، ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن عرج بروحه» (٨٤٨)، وعن معاوية: إنما عرج بروحه، وعن الحسن: كان في المنام رؤيا رآها، وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك، والمسجد الأقصى: بيت المقدس؛ لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد، ﴿بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾: يريد بركات الدين والدنيا؛ لأنه متعبد الأنبياء من وقت موسى ومهبط الوحي، وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة، وقرأ الحسن: «ليريه»: بالياء، ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم، فقيل: أسرى ثم باركنا ثم ليريه، على قراءة الحسن: «ثم من آياتنا»، «ثم إنه هو»، وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال محمد ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾: بأفعاله، العالم بتهذبها وخلوصها، فيكرمه ويقرّبه على حسب ذلك.

= حديث الإسراء من رواية عمر بن الخطاب، وعلي، وابن مسعود، وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس، وشداد بن أوس، وأبي بن كعب، وعبد الرحمن بن قرط، وأبي حبة، وأبي ليلى الأنصاري، وعبد الله بن عمرو، وجابر الأنصاري وحذيفة وبريدة، وأبي أيوب، وأبي أمامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء، وصهيب الرومي وعائشة وأختها أسماء، وأم هاني. منهم من رواه بطوله ومنهم من اختصره. أ.هـ

٨٤٨ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٦) (٢٢٠٣٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٨٨) لابن إسحاق، وذكره ابن هشام في سيرته (٢/ ٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١١٠).
قلت: وهذا متن منكر، فقد صحت الروايات المرفوعة والموقوفة بالإسراء جسداً وروحاً.
وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف:
ذكره الثعلبي عن ابن عباس بغير سند، وكأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، ثم رأيته من رواية جرير عن الضحاك عن ابن عباس. أخرجه الحاكم والبيهقي عنه، لكن لم يسبق لفظه. وقد رواه النّسائي باختصار عن هذا من رواية عوف عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس، وأورده ابن سعد وأبو يَعلى والطبراني من حديث أم هانئ مطولاً. انتهى.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾: قرئ بالياء على: «لئلا يتخذوا»، وبالتاء على: أي لا تتخذوا؛ كقولك: كتبت إليه أن أفعل كذا، ﴿وَكِيلًا﴾: ربا تكلون إليه أموركم، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾: نصب على الاختصاص، وقيل: على النداء فيمن قرأ: ﴿لا تتخذوا﴾: بالتاء على النهي، يعني: قلنا لهم: لا تتخذوا من دوني وكيلاً يا ذرية من حملنا، ﴿مَعَ نُوحٍ﴾: وقد يجعل (وكيلاً ذرية من حملنا) مفعولي تتخذوا، أي: لا تجعلوهم أرباباً؛ كقوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠] ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير ـ عليهم السلام ـ وقرئ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾: بالرفع بدلاً من واو (تتخذوا)، وقرأ زيد بن ثابت: «ذِرية»: بكسر الذال، وروي عنه أنه قد فسرها يولد الولد، ذكرهم الله النعمة في إنجاء آبائهم من الغرق، ﴿إِنَّهُۥ﴾: إن نوحاً ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: قيل: كان إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء أجاعني، وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني، ولو شاء أظمأني، وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذي كساني، ولو شاء أعراني، وإذا احتذى قال: الحمد لله الذي حذاني، ولو شاء أحفاني، وإذا قضى حاجته قال: الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية، ولو شاء حبسه، وروي أنه كان إذا أراد الإفطار، عرض طعامه على من آمن به، فإن وجده محتاجاً آثره به.

فإن قلت: قوله: «إنه كان عبداً شكوراً» ما وجه ملاءمته لما قبله؟

قلت: كأنه قيل: لا تتخذوا من دوني وكيلاً، ولا تشركوا بي؛ لأن نوحاً ـ عليه السلام ـ كان عبداً شكوراً، وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه، فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم، ويجوز أن يكون تعليلاً لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح، فهم متصلون به، فاستأهلوا لذلك الإختصاص، ويجوز أن يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾: وأوحينا إليهم وحياً مقضياً، أي: مقطوعاً مبتوتاً بأنهم يفسدون في الأرض لا محالة، ويعلون، أي: يتعظمون ويبغون، ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في

التوراة، و﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾: جواب قسم محذوف، ويجوز أن يجري القضاء المبتوت مجرى القسم، فيكون (لتفسدن): جواباً له، كأنه قال: وأقسمنا لتفسدن، وقرئ: «لتفسدنّ»، على البناء للمفعول، «ولتَفسدن»: بفتح التاء من فسد، ﴿مَرَّتَيْنِ﴾: أولاهما: قتل زكريا وحبس أرميا حين أنذرهم سخط الله، والآخرة: قتل يحيي بن زكريا وقصد قتل عيسى ابن مريم، ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾: وقرئ: «عبيداً لنا»، وأكثر ما يقال: عباد الله وعبيد الناس: سنحاريب وجنوده[1]، وقيل بختنصر، وعن ابن عباس: جالوت: قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة، وخربوا المسجد، وسبوا منهم سبعين ألفاً.

فإن قلت: كيف جاز أن يبعث الله الكفرة[2] على ذلك ويسلطهم عليه[3]؟

قلت: معناه: خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم، على أنّ الله ـ عزّ وعلا ـ أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه؛ فهو كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام: ١٢٩] وكقول الداعي،/ ١٩٨ب وخالف بين كلمهم، وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد إليهم، فتخريب المسجد، وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم، وقرأ طلحة: (فحاسوا): بالحاء وقرئ: «فجوّسوا»، وخلل الديار.

فإن قلت: ما معنى: ﴿وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾؟

قلت: معناه وعد عقاب أولاهما ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ يعني: وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا﴾ أي: الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو، قيل هي قتل بختنصر، واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم، ورجوع الملك إليهم، وقيل: هي قتل داود جالوت، ﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: مما كنتم، والتنفير، من ينفر مع الرجل من قومه، وقيل: جمع نفر كالعبيد والمعيز.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾

---

(١) قوله: «سنحاريب وجنوده» كان ملك بابل، وبختنصر هو ابن ابنه، وكان من كتابه. كذا في الخازن (ع).

(٢) قوله: «فإن قلت كيف حاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك» مبني على أنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريده. وهو مذهب المعتزلة. وعند أهل السنة كل كائن فهو فعله ومراده ولو شرا، فلا سؤال (ع).

(٣) قال محمود: «إن قلت كيف جاز أن يبعث الله الكفرة... إلخ» قال أحمد: هذا السؤال إنما يتوجه على قدري يوجب على الله تعالى بزعمه رعاية ما يتوهمه بعقله مصلحة. وأما السني إذا سئل هذا السؤال أجاب عنه بقوله: ﴿لا يسئل عما يفعل﴾ والله الموفق.

أي: الإحسان والإساءة: كلاهما مختص بأنفسكم، لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه، وتلاها، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ﴾: المرّة ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: بعثناهم[1]، ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾: حذف لدلالة ذكره أوّلاً عليه، ومعنى ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾: ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها؛ كقوله: ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المائدة: ٢٧] وقرئ: «ليسوء» والضمير لله تعالى؛ أو للوعد، أو للبعث، «ولنسوء»: بالنون، وفي قراءة عليّ: «لنسوأنّ»، «وليسو أنّ» وقرئ: «لنسو أن»: بالنون الخفيفة، واللام في ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ﴾: على هذا متعلق بمحذوف، وهو: وبعثناهم ليدخلوا، ولنسوأن: جواب إذا جاء، ﴿مَا عَلَوۡاْ﴾: مفعول ليتبروا، أي: ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه، أو بمعنى: مدة علوّهم.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ﴾: بعد المرّة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي، ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ﴾: مرة ثالثة؛ ﴿عُدۡنَاۚ﴾: إلى عقوبتكم وقد عادوا، فأعاد الله إليهم النقمة، بتسليط الأكاسرة وضرب الأتاوة عليهم، وعن الحسن عادوا فبعث الله محمداً، فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون، وعن قتادة: ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحيّ من العرب، فهم منهم في عذاب إلى يوم القيامة، ﴿وَجَعَلۡنَا﴾: محصر وحصير، وعن الحسن: بساطاً كما يبسط الحصير المرمول[2].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾: للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدّها، أو للملة، أو للطريقة، وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف، لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه، وقرئ: «ويبشر»: بالتخفيف.

---

(١) قوله: «﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ﴾ المرة (الآخرة) بعثناهم: أي عبادنا وهم في هذه المرة؛ الفرس والروم، بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خروش. حتى دخل الشام بجنود فقتل وسبى. حتى كاد يفني بني إسرائيل، وبقي منهم بقايا حتى كثروا، وكانت لهم الرياسة في بيت المقدس إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث فسلط الله عليهم ططوس بن أسبيانوس الرومي فخرب بلادهم وطردهم عنها، وبقي بيت المقدس خراباً إلى خلافة عمر بن الخطاب، فعمره المسلمون بأمره. اهـ من الخازن (ع).

(٢) قوله: «كما يبسط الحصير المرمول» أي المنسوج، أفاده الصحاح (ع).

فإن قلت: كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة؟

قلت: كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي، وإما مشرك؛ وإنما حدث أصحاب المنزلة[1] بين المنزلتين بعد ذلك.

فإن قلت: علام عطف: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟

قلت: على ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾: على معنى: أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين: بثوابهم، وبعقاب أعدائهم، ويجوز أن يراد: ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

أي: ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله، كما يدعوه لهم بالخير؛ كقوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾ يونس: ١١]. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾: يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله، لا يتأنى فيه تأني المتبصر، وعن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه دفع إلى سودة بنت زمعة أسيراً، فأقبل يئن بالليل، فقالت له: مالك تئن؟ فشكا ألم[2] القدّ، فأرخت من كتافه، فلما نامت، أخرج يده وهرب، فلما أصبح النبي ﷺ دعا به فأعلم بشأنه، فقال ﷺ «اللَّهُمَّ اقْطَعْ يَدَيْهَا» فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة، وأن يقطع الله يديها، فقال النبي ﷺ: «إِنِّي سَأَلْتُ الله أَنْ يَجْعَلَ لَعْنَتِي وَدُعَائِي عَلَىٰ مَنْ لا يَسْتَحِقُّ مِنْ أَهْلِي رَحْمَةً لأَنِّي بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ البَشَرُ فَلْتَرُدَّ سَوْدَةُ يَدَيْهَا» (٨٤٩) ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر، وأنه يدعو بالعذاب استهزاء

---

٨٤٩ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٠): غريب من حديث سودة. وقال ابن حجر: لم أجده من هذه الجهة. قلت: وأخرج أحمد في المسند (٣/ ١٤١) ثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني ثابت البناني حدثني أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ دفع إلى حفصة ابنة عمر رجلاً فقال احتفظي به... فذكر الحديث.
وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٦٩ - ٢٧٠): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح وأخرجه البيهقي في الكبرى (٩/ ٨٩) - كتاب السير - باب الأسير يوثق - من حديث عائشة أن النبي ﷺ دخل عليها بأسير وعندها نسوة... وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف، للواقدي في كتاب المغازي.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
لم أجده من هذه الجهة، وقد أخرجه الواقدي في المغازي من رواية ذكوان عن عائشة «أن النبي ﷺ دخل عليها بأسير، وقال لها: احتفظي به. قالت: فلهوت مع امرأة فخرج ولم أشعر. فدخل يسأل عنه فقلت: والله ما أدري. فقال: قطع الله يدك، فذكر نحو ما تقدم. ورويناه في الجزء =

---

(١) قوله: «وإنما حدث أصحاب المنزلة» يعني الفسقة. وإثبات الواسطة مذهب المعتزلة دون أهل السنة، فإن الفسق لا يزيل الإيمان عندهم (ع).

(٢) قوله: «فشكا ألم القد» في الصحاح «القد» بالكسر: سير يقد من جلد غير مدبوغ (ع).

ويستعجل به، كما يدعو بالخير إذا مسته الشدّة، وكان الإنسان عجولاً، يعني: أن العذاب آتيه لا محالة، فما هذا الاستعجال، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية، فأجيب له، فضربت عنقه صبراً.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما، فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين، كإضافة العدد إلى المعدود، أي: فمحونا الآية التي هي الليل، وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة.

والثاني: أن يراد: وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين، يريد الشمس والقمر، فمحونا آية الليل، أي: جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلماً، لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحوّ، وجعلنا النهار مبصراً، أي: تبصر فيه الأشياء وتستبان، أو فمحونا آية الليل: التي هي القمر؛ حيث لم يخلق لها شعاعاً كشعاع الشمس، فترى به الأشياء رؤية بينة، وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء، ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: لتتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة أعمالكم والتصرف في معايشكم، ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟﴾: باختلاف الجديدين، ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾: جنس، ﴿وَٱلْحِسَابَ﴾: وما تحتاجون إليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حسبان الأوقات، ولتعطلت الأمور، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾: مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم، ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾: بيناه بياناً غير ملتبس، فأزحنا عللكم؛ وما تركنا لكم حجة علينا.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾: عمله، وقد حققنا القول فيه في سورة النمل، وعن ابن عيينة: هو من قولك: طار له سهم، إذا خرج، يعني: ألزمناه ما طار من عمله، والمعنى أنّ عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا يفك عنه، ومنه مثل العرب: تقلدها طوق الحمامة، وقولهم:

= التاسع من حديث المخلص تخريج البقال. قال: حدثنا ابن أبي داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ذكوان بهذا. انتهى.

الموت/١٩٩أ في الرقاب، وهذا ربقة في رقبته، عن الحسن: يا ابن آدم، بسطت لك صحيفة إذا بعثت قلدتها في عنقك، وقرئ ﴿فِي عُنُقِهِۦ﴾: بسكون النون، وقرئ: ﴿وَنُخْرِجُ﴾: بالنون، و «يخرج»: بالياء، والضمير لله ـ عز وجل ـ ويخرج، على البناء للمفعول، ويخرج من خرج، والضمير للطائر، أي: يخرج الطائر كتاباً، وانتصاب: ﴿كِتَٰبًا﴾: على الحال، وقرئ: «يلقَّاه»: بالتشديد مبنياً للمفعول، و ﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾: صفتان للكتاب، أو (يلقاه): صفة و (منشوراً): حال من يلقاه، ﴿ٱقْرَأْ﴾: على إرادة القول، وعن قتادة: يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً، و ﴿بِنَفْسِكَ﴾: فاعل كفى، و ﴿حَسِيبًا﴾: تمييز، وهو بمعنى: حاسب كضريب القداح بمعنى: ضاربها، وصريم بمعنى: صارم: ذكرهما سيبويه، وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا، ويجوز أن يكون بمعنى: الكافي وضع موضع الشهيد فعدى بعلى؛ لأن الشاهد يكفي المدّعي ما أهمه.

فإن قلت: لم ذكر حسيباً؟

قلت: لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير؛ لأن الغالب أن هذه الأمور يتولاها الرجال، فكأنه قيل: كفى بنفسك رجلاً حسيباً، ويجوز أن يتأول النفس بالشخص، كما يقال: ثلاثة أنفس، وكان الحسن إذا قرأها قال: يا ابن آدم، أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

أي: كل نفس حاملة وزراً؛ فإنما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾: وما صح منا صحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب[1] قوماً إلا بعد أن ﴿نَبْعَثَ﴾: إليهم ﴿رَسُولًا﴾: فتلزمهم الحجة.

فإن قلت: الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل؛ لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف

---

(١) قال محمود: «معناه وما صح مناصحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب قوماً حتى تلزمهم الحجة ببعث الرسول... إلخ» قال أحمد: وهذا السؤال أيضاً إنما يتوجه على قدري يزعم أن العقل يرشد إلى وجوب النظر وإلى كثير من أحكام الله تعالى، وإن لم يبعث رسول فيكلف بعقله ويرتب على ترك امتثال التكليف استيجاب العذاب، إذ العقل كاف عندهم في إيجاب المعرفة بل في جميع الأحكام، بناء على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين. وأما السني فلا يتوجه عليه هذا السؤال، فإن العقل عنده شرط في وجوب عموم الأحكام، ولا تكليف عنده قبل ورود الشرائع وبعث الأنبياء، وحينئذ يثبت الحكم وتقوم الحجة، كما أنبأت عنه هذه الآية التي يروم الزمخشري تحريفها فتعتاص عليه وتسد طرق الحبل بين يديه، لأنه الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نعم العقل عمدة في حصول المعرفة لا في وجوبها، وبين الحصول والوجوب بون بعيد، والله الموفق.

الله، وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه، واستيجابهم العذاب؛ لإغفالهم النظر فيما معهم، وكفرهم لذلك، لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف، والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان.

قلت: بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة؛ لئلا يقولوا: كنا غافلين، فلولا بعثت إلينا رسولاً ينبهنا على النظر في أدلة العقل.

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ﴾: وإذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إمهالهم إلا قليل، أمرناهم[(١)] ﴿فَفَسَقُوا۟﴾ أي: أمرناهم بالفسق ففعلوا، والأمر مجاز؛ لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم: افسقوا، وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازاً[(٢)]، ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبًّا، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك؛ لتسبب إيلاء النعمة فيه؛ وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبر، كما خلقهم أصحاء أقوياء، وأقدرهم على الخير والشر، وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق، فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم.

فإن قلت: هلا زعمت أن معناه: أمرناهم بالطاعة ففسقوا؟

قلت: لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز، فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه؛ وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا يدل عليه، وهو كلام مستفيض، يقال: أمرته فقام، وأمرته، فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة، ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب، ولا يلزم على هذا قولهم: أمرته فعصاني، أو فلم يمتثل أمري؛ لأن ذلك مناف للأمر مناقض له، ولا يكون ما يناقض الأمر مأموراً به، فكان محالاً أن يقصد أصلاً حتى يجعل دالاً على المأمور به، فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي؛ لأن من يتكلم بهذا الكلام فإنه لا ينوي لأمره مأموراً به، وكأنه يقول: كان مني أمر فلم تكن منه طاعة، كما أن من يقول: فلان يعطي ويمنع، ويأمر وينهى، غير قاصد إلى مفعول.

---

(١) قوله: «أمرناهم ففسقوا» في النسفي: أمرنا مترفيها: متنعميها وجبابرتها (ع).

(٢) قال محمود: «حقيقة أمرهم أن يقول لهم: افسقوا. ولا يكون هذا، فبقي أن يكون مجازاً. . . إلخ» قال أحمد: نص حسن إلا قوله أنهم خولوا النعم ليشكروا، فإنه فرعه، على قاعدة وجوب إرادة الله تعالى للطاعة. والحق أنهم خولوها وأمروا بالشكر، ففسقوا وكفروا على خلاف الأمر، والأمر غير الإرادة على قاعدة أهل الحق، والله الموفق.

فإن قلت: هلا كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء، وإنما يأمر بالقصد والخير؛ دليلاً على أن المراد أمرناهم بالخير ففسقوا؟

قلت: لا يصح ذلك؛ لأن قوله (ففسقوا): يدافعه، فكأنك أظهرت شيئاً وأنت تدعي إضمار خلافه فكان صرف الأمر إلى المجاز هو الوجه ونظير «أمر»: شاء، في أن مفعوله استفاض في الحذف لدلالة ما بعده عليه، تقول: لو شاء لأحسن إليك، ولو شاء لأساء إليك، تريد: لو شاء الإحسان ولو شاء الإساءة، فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت ـ وقلت: قد دلت حال من أسندت إليه المشيئة أنه من أهل الإحسان أو من أهل الإساءة، فاترك الظاهر المنطوق به وأضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة ـ لم تكن على سداد، وقد فسر بعضهم (أمرنا): بكثرنا، وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل، كثبرته فثبر، وفي الحديث: «خَيْرُ المَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ وَمَهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ»(١) (٨٥٠) أي: كثيرة النتاج، وروي أن رجلاً من المشركين قال لرسول الله ﷺ: إني أرى أمرك هذا حقيراً، فقال ﷺ: «إِنَّهُ سَيَأْمُرُ» (٨٥١). أي: سيكثر وسيكبر.

---

٨٥٠ ـ أخرجه أحمد (٣/٤٦٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/١٠٧) (٦٤٧٠ ـ ٦٤٧١)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/٤٣٨ ـ ٤٣٩) (١٤٠٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٥/٢٦١): رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف (٢/ ٦٥٥): أخرجه أحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة، والحارث، والطبراني، أبو عبيد من رواية مسلم بن بديل عن إياس بن زهير، عن سويد، عن النبي ﷺ فذكره. قال ابن إسحاق: ومعه النضر بن شميل وغيره يرفعه. أ. هـ قال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة، والحارث، والطبراني، وأبو عبيدة من رواية مسلم بن بديل، عن إياس بن زهير، عن سويد بن هبيرة، عن النبي ﷺ قال: «خير مال المرء مهرة مأمورة أو سكة مهرة: قال ابن إسحاق: ومعه النضر بن شميل وغيره يرفعه. انتهى.

٨٥١ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٢):
غريب جدا، ولو استشهد المصنف بحديث الصحيحين، لكان أولى؛ أخرجاه في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، وفيه قال أبو سفيان: فلما خرجنا قلت لأصحابي: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر، والله ما زلت مستيقناً أن أمره سيظهر حتى أدخل الله قلبي الإسلام... الحديث بطوله.
والمصنف استدل بهذا الحديث والذي قبله لمن فسر قوله «أمرنا مترفيها» بمعنى: كثرنا. أخرجاه عن ابن عباس، عن أبي سفيان.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده. انتهى.

---

(١) قوله: «كثبرته فثبر، وفي الحديث خير المال سكة مأبورة» في الصحاح «ثبرته» أي حبسته. وفيه «السكة» الطريقة من النخل. وفيه «أبر نخلة» أي لقحه وأصلحه (ع).

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۢ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

وقرئ: «آمرنا»: من أمر وأمره غيره، وأمرنا بمعنى: أمرنا، أو من أمر إمارة، وأمره الله، أي: جعلناهم أمراء وسلطناهم، ﴿كم﴾: مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: بيان لكم وتمييز له، كما يميز العدد بالجنس، يعني: عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً، ونبه بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾: على أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير، وأنه عالم بها ومعاقب عليها.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

من كانت ١٩٩/ ب العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة[1]، تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد، فقيد الأمر تقييدين، أحدهما: تقييد المعجل بمشيئته، والثاني: تقييد المعجل له بإرادته، وهكذا الحال: ترى كثيراً من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون إلا بعضاً منه، وكثيراً منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه، فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة، وأما المؤمن التقى، فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة، فما يبالي: أوتي حظاً من الدنيا أو لم يؤت، فإن أوتي فيها وإلا فربما كان الفقر خيراً له وأعون على مراده، وقوله: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾: بدل من له، وهو بدل البعض من الكل؛ لأن الضمير يرجع إلى: «من»، وهو في معنى الكثرة، وقرئ: «يشاء»، وقيل: الضمير لله تعالى، فلا فرق إذاً بين القراءتين في المعنى، ويجوز أن يكون للعبد، على أن للعبد ما يشاء من الدنيا، وأن ذلك لواحد من الدهماء[2] يريد به الله ذلك، وقيل: هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة، كالمنافق، والمرائي، والمهاجر للدنيا، والمجاهد للغنيمة والذكر، كما قال ﷺ: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ ٱمْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» ح (٨٥٢) ﴿مَّدْحُورًا﴾: مطروداً من رحمة الله،

---

٨٥٢ ـ أخرجه البخاري (١/ ٩) كتاب بدء الوحي: باب كيف كان بدء الوحي حديث (١)، (٥/ ١٩٠)، =

---

(١) قال محمود: «أي من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة... إلخ» قال أحمد: ومثل ذلك التقييد ورد في الآية الأخرى، وهو قوله تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ فأدخل «من» المبعضة على حرث الدنيا. ونحل الطالب حرث الآخرة مراده، وزاد عليه.

(٢) قوله: «لواحد من الدهماء» في الصحاح «دهماء الناس» جماعتهم (ع).

﴿سَعْيَهَا﴾: حقها من السعي وكفاءها من الأعمال الصالحة، اشترط ثلاث شرائط في كون

= كتاب العتق: باب الخطأ والنسيان حديث (٢٥٢٩)، (٧/ ٢٦٧)، كتاب مناقب الأنصار: باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة حديث (٣٨٩٨)، (٩/ ١٧) كتاب النكاح: باب من هاجر أو عمل خيراً لتزوج امرأة فله ما نوى حديث (٥٠٧٠)، (١١/ ٥٨٠)، كتاب الأيمان والنذور: باب النية في الأيمان حديث (٦٦٨٩)، (١٢/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣)، كتاب الحيل: باب من ترك الحيل حديث (٦٩٥٣)، ومسلم (٣/ ١٥١٥) كتاب الإمارة: باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات حديث (١٥٥/ ١٩٠٧)، وأبو داود (٢/ ٦٥١) كتاب الطلاق: باب فيما عنى به الطلاق والنيات حديث (٢٢٠١)، والنَّسائي (١/ ٥٨ ـ ٥٩) كتاب الطهارة: باب النية في الوضوء، والتِّرمذي (٤/ ١٧٩) كتاب فضائل الجهاد: باب ما جاء فيمن يقاتل رياء حديث (١٦٤٧)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٣) كتاب الزهد باب النية حديث (٤٢٢٧)، وأحمد (١/ ٢٥، ٤٣)، والحميدي (١/ ١٦ ـ ١٧) رقم (٢٨)، وأبو داود الطيالسي (٢/ ٢٧ ـ منحة) رقم (١٩٩٧)، وابن خزيمة (١/ ٧٣ ـ ٧٤) رقم (١٤٢)، وابن حِبان (٣٨٨، ٣٨٩ ـ الإحسان)، وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٦٤)، وابن المبارك في الزهد (ص ـ ٦٢، ٦٣)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (ص ـ ١٠١) رقم (٢٠٦)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٤٤٠) رقم (٨٧١)، ووكيع في «الزهد» رقم (٣٥١)، وابن المنذر في «الأوسط» (١/ ٣٦٩)، وابن أبي حاتم في «مقدمة الجرح والتعديل» (ص ـ ٢١٣)، والدارقطني (١/ ٥٠ ـ ٥١) كتاب الطهارة: باب النية حديث (١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٩٦) كتاب الطلاق: باب طلاق المكره، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٤٢) وفي «تاريخ أصبهان» (٢/ ١١٥، ٢٢٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٤٠٣ ـ تهذيب)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١، ٢، ١١٧٢، ١١٧٣)، وابن حزم في «المحلى» (١/ ٧٣)، والبيهقي (١/ ٤١) كتاب الطهارة: باب النية في الطهارة، وفي «معرفة السنن والآثار» (١/ ١٥٢)، و«شعب الإيمان» (٥/ ٣٣٦) رقم (٦٨٣٧) و«الاعتقاد» رقم (٢٥٤) وفي «الزهد الكبير» (ص ـ ١٣٢) رقم (٢٤١) وفي «الآداب» رقم (١١٣٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٢٤٤، ٦/ ١٥٣، ٩/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦)، والقاضي عياض في الإلماع (ص ـ ٥٤ ـ ٥٥) باب ما يلزم من إخلاص النية في طلب الحديث وانتقاد ما يؤخذ عنه، وابن جميع في «معجم شيوخه» (ص ـ ١١٧) رقم (٦٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٥٤ ـ بتحقيقنا)، والرافعي في «تاريخ قزوين» (٤/ ٧٧)، والنووي في «الأذكار» (ص ـ ٣٣)، والذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٧٧٤)، والحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (٢/ ٢٤٢، ٢٤٣) كلهم من طريق يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص عن عمر ابن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإن لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» قال التِّرمذي: هذا حديث حسن صحيح. إ.هـ

وقال أبو نعيم: هذا الحديث من صحاح الأحاديث وعيونها. إ.هـ وقال ابن عساكر: هذا حديث صحيح من حديث أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب، وثابت من حديث علقمة بن وقاص الليثي، لم يروه عنه غير أبي عبد الله محمد بن إبراهيم التيمي، واشتهر عنه برواية أبي سعد يحيى ابن سعيد بن قيس الأنصاري، المدني القاضي، وهو ممن انفرد به كل واحد من هؤلاء عن صاحبه ورواه عن يحيى العدد الكثير والجم الغفير. أ.هـ

قال الحافظ في «التلخيص» (١/ ٥٥): وقال الحافظ أبو سعيد محمد بن علي الخشاب: رواه عن =

السعي مشكوراً: إرادة الآخرة بأن يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور، والسعي فيما

= يحيى بن سعيد نحو من مائتين وخمسين إنساناً، وقال الحافظ أبو موسى: سمعت عبد الجليل بن أحمد في المذاكرة يقول: قال أبو إسماعيل الهروي عبد الله بن محمد الأنصاري: كتبت هذا الحديث عن سبعمائة نفر من أصحاب يحيى بن سعيد. قلت ـ أي الحافظ ـ تتبعه من الكتب والأجزاء حتى مررت على أكثر من ثلاثة آلاف جزء فما استطعت أن أكمل له سبعين طريقاً. وقال البزار، والخطابي، وأبو علي بن السكن، ومحمد بن عتاب، وابن الجوزي وغيرهم: إنه لا يصح عن النبي ﷺ إلا عن عمر بن الخطاب... إ.هـ.

قلت: وقد روى هذا الحديث غير يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم؛ أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٣٦) من طريق الربيع بن زياد أبو عمرو الضبي، عن محمد بن عمرو، عن محمد ابن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص، عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» قال ابن عدي: وهذا الأصل فيه يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم، وقد رواه عن يحيى أئمة الناس، وأما عن محمد بن عمرو عن محمد بن إبراهيم لم يروه عنه غير الربيع بن زياد، وقد روى الربيع بن زياد عن غير محمد بن عمرو من أهل المدينة بأحاديث لا يتابع عليها إ.هـ.

وفي الباب عن جماعة من الصحابة؛ وهم أبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وعلي بن أبي طالب، وأبو هريرة، وهزال بن يزيد الأسلمي.

١ ـ حديث أبي سعيد الخدري

أخرجه الخليلي في «الإرشاد» (١/ ٢٣٣)، والدارقطني في «غرائب مالك»، والحاكم في «تاريخ نيسابور» كما في «تخريج أحاديث المختصر» لابن حجر (٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٤٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٧٧٣) كلهم من طريق عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ثنا مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات. ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». قال الخليلي: وعبد المجيد قد أخطأ في هذا الحديث الذي يرويه عن مالك في الحديث الذي يرويه مالك والخلق عن يحيى بن سعيد الأنصاري، وهو غير محفوظ من حديث زيد بن أسلم بوجه أ.هـ.

وقال الدارقطني: تفرد به عبد المجيد عن مالك أ.هـ. وقال أبو نعيم: غريب من حديث مالك عن زيد، تفرد به عبد المجيد ومشهوره، وصحيحه ما في الموطأ مالك عن يحيى بن سعيد أ.هـ. وقد حكم ببطلان هذا الطريق أبو حاتم الرازي فقال ولده في «العلل» (١/ ١٣١) رقم (٣٦٢): سئل أبي عن حديث رواه نوح بن حبيب، عن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» فقال أبي: هذا حديث باطل لا أصل له؛ إنما هو مالك عن يحيى بن سعيد، عن محمد ابن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص، عن عمر عن النبي ﷺ أ.هـ.

وقد أخرجه الحافظ بن حجر في «تخريج المختصر» (٢/ ٢٤٧) من طريق عبد المجيد بن عبد العزيز عن مالك عن زيد... به. وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقال أيضاً: وعبد المجيد وثقه أحمد، وابن معين، والنَّسائي، وتكلم فيه أبو حاتم، والدارقطني، وقيل: إن هذا مما أخطأ فيه على مالك، والمحفوظ عن ماك عن يحيى بن سعيد بالسند المعروف المتقدم» أ.هـ. =

كلف من الفعل والترك، والإيمان الصحيح الثابت، وعن بعض المتقدمين: من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت، ونية صادقة، وعمل مصيب، وتلا هذه الآية،

= قلت: وقد حاول بعضهم إلصاق الخطأ بنوح بن حبيب الراوي عن عبد المجيد كالبزار مثلاً. فقال الزيلعي في «نصب الراية» (١/٣٠٢): وقال ـ يعني البزار؛ في مسند الخدري: حديث روي عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال:
١ ـ الأعمال بالنية» أخطأ فيه نوح بن حبيب، ولم يتابع عليه، وليس له أصل عن أبي سعيد أ.هـ.
قلت: وفي كلام البزار نظر؛ أما إن الحديث ليس له أصل عن أبي سعيد فهذا صواب، أما إلصاق الخطأ بنوح بن حبيب ودعواه أنه تفرد به ولم يتابع عليه، فهنا الخطأ؛ فقد توبع نوح بن حبيب على هذا الحديث؛ تابعه إثنان وهما إبراهيم بن محمد بن مروان بن هشام عند الدارقطني في «غرائب مالك» وعلى بن الحسن الذهلي عند الحاكم في «تاريخ نيسابور» ينظر «تخريج المختصر» لابن حجر (٢/٢٤٧ ـ ٢٤٨).
ومنه نعلم أن نوحاً لم يتفرد به، بل تابعه اثنان، وأن الذي تفرد به هو عبد المجيد بن عبد العزيز ابن أبي رواد، وهو الذي أخطأ في الحديث.
٢ ـ حديث أنس بن مالك:
أخرجه ابن عساكر في أماليه؛ كما في «تخريج المختصر» لابن حجر (٢/٢٤٦) وقال الحافظ: وفي سنده ضعف. وقال الحافظ العراقي في «طرح التثريب» (٢/٤): رواه ابن عساكر من رواية يحيى ابن سعيد، عن محمد بن إبراهيم، عن أنس بن مالك، وقال: هذا حديث غريب جدا، والمحفوظ حديث عمر.
٣ ـ حديث أبي هريرة:
قال العراقي في «طرح التثريب» (٢/٤): رواه الرشيد العطار في بعض تخاريجه، وهو وهم أيضاً.
وقال ابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (٢/٢٤٦): أخرجه الرشيد العطار في فوائده بسند ضعيف.
٤ ـ حديث علي بن أبي طالب:
قال الحافظ العراقي في «طرح التثريب» (٢/٤): رواه محمد بن ياسر الجياني في نسخة من طريق أهل البيت، إسنادها ضعيف. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (٢/٢٤٦): أخرجه أبو علي بن الأشعث، وهو واهٍ جدا.
٥ ـ حديث هزال بن يزيد الأسلمي:
أخرجه الحاكم في «تاريخ نيسابور» كما في «تخريج أحاديث المختصر» (٢/٢٤٨) في ترجمة أبي بكر محمد بن أحمد بن بالويه، من طريق محمد بن يونس، عن روح بن عبادة، عن شعبة، عن محمد بن المنكدر، عن ابن هزال، عن أبيه عن النبي ﷺ . . . فذكره قال الحاكم: ذكرته لأبي على الحافظ، فأنكره جدا، وقال لي: قل لأبي بكر لا يحدث به بعد هذا. إ.هـ.
قال الحافظ: محمد بن يونس شيخه هو الكديمي، وهو معروف بالضعف، والمحفوظ بالسند المذكور قصة ماعز، فلعله دخل عليه حديث في حديث، وهزال هو ابن يزيد الأسلمي وهو صحابي معروف، واسم ابنه نعيم، وهو مختلف في صحبته إ.هـ.
قلت: مما سبق تبين أن حديث «إنما الأعمال بالنيات» لم يصح إلا من حديث عمر، قال الحافظ في الكشاف: متفق عليه من حديث عمر. انتهى.

وشكر الله: الثواب على الطاعة.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿كُلًّا﴾: كل واحد من الفريقين، والتنوين عوض من المضاف إليه، ﴿نُّمِدُّ﴾ هم: نزيدهم من عطائنا، ونجعل الآنف منه مدداً للسالف لا نقطعه، فنرزق المطيع والعاصي جميعاً على وجه التفضل، ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾: وفضله ﴿مَحْظُورًا﴾ أي: ممنوعاً، لا يمنعه من عاص لعصيانه.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

﴿ٱنظُرْ﴾: بعين الاعتبار ﴿كَيْفَ﴾: جعلناهم متفاوتين في التفضل، وفي الآخرة التفاوت أكبر؛ لأنها ثواب وأعواض وتفضل، وكلها متفاوتة، وروي أن قوماً من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر ـ رضي الله عنه ـ فخرج الإذن لبلال وصهيب، فشق على أبي سفيان، فقال سهيل بن عمرو: إنما أتينا من قبلنا، إنهم دعوا ودعينا يعني إلى الإسلام، فأسرعوا وأبطأنا، وهذا باب عمر، فكيف التفاوت في الآخرة؛ ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر، وقرئ: «وأكثر تفضيلاً»، وعن بعضهم: أيها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا، أما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي أكبر وأفضل؟

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَتَقْعُدَ﴾: من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت، كأنها حربة بمعنى: صارت، يعني: فتصير جامعاً على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من إلهك، والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكاً له.

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾: وأمر أمراً مقطوعاً به، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾: أن مفسرة ولا تعبدوا نهي، أو بألاَّ تعبدوا؛ ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾: وأحسنوا بالوالدين إحساناً، أو بأن تحسنوا بالوالدين إحساناً، وقرئ: «وأوصى»، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: و «وصى»، وعن بعض ولد معاذ بن جبل: «وقضاء ربك»، ولا يجوز أن يتعلق الباء في بالوالدين بالإحسان؛ لأن

المصدر لا يتقدم عليه صلته، ﴿إِمَّا﴾: هي «إن» الشرطية زيدت عليها «ما»؛ تأكيداً لها؛ ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل، ولو أفردت «إن»: لم يصح دخولها، لا تقول: إن تكرمن زيداً يكرمك، ولكن إما تكرمنه، و ﴿أَحَدُهُمَآ﴾: فاعل يبلغنّ، وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من ألف. الضمير الراجع إلى الوالدين، و ﴿كِلَاهُمَا﴾: عطف على أحدهما فاعلاً وبدلاً.

فإن قلت: لو قيل إما يبلغان كلاهما، كان كلاهما توكيداً لا بدلاً، فما لك زعمت أنه بدل؟

قلت: لأنه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيداً للاثنين، فانتظم في حكمه، فوجب أن يكون مثله.

فإن قلت: لو أريد توكيد التثنية لقيل: كلاهما، فحسب، فلما قيل: أحدهما أو كلاهما، علم أن التوكيد غير مراد، فكان بدلاً مثل الأول، ﴿أف﴾: صوت يدل على تضجر، وقرئ: «أف»: بالحركات الثلاث منوناً وغير منون: الكسر على أصل البناء، والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم، والضم إتباع كمنذ.

فإن قلت: ما معنى عندك؟

قلت: هو أن يكبرا ويعجزا، وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره، فهما عنده في بيته وكنفه؛ وذلك أشق عليه وأشد احتمالاً وصبراً، وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة، فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال، حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما: أف، فضلاً عما يزيد عليه، ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما؛ حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده، ونظمهما في سلك القضاء بهما معاً، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته، ومع أحوال / ٢٠٠ أ لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في استطاعة، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك، والنهي والنهر والنهم: أخوات، ﴿وَقُل لَّهُمَا﴾: بدل التأفيف والنهر، ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾: جميلاً، كما يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة، وقيل: هو أن يقول: يا أبتاه، يا أماه، كما قال ابراهيم لأبيه: يا أبت، مع كفره، ولا يدعوهما بأسمائهما؛ فإنه من الجفاء وسوء الأدب وعادة الدعار[1]، قالوا: ولا بأس به في غير

---

(١) قوله: «وسوء الأدب وعادة الدعار» من الدعارة وهي الفسق والخبث والفساد. كذا في الصحاح (ع).

وجهه، كما قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: نحلني أبو بكر كذا (٨٥٣). وقرئ: «جناح الذل»، والذل: بالضم والكسر.

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون المعنى: واخفض لهما جناحك؛ كما قال: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، فأضافه إلى الذل أو الذل، كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى: واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول.

والثاني: أن تجعل لذله أو لذله لهما جناحاً خفيضاً، كما جعل لبيد للشمال[1] يداً، وللقوة زماماً، مبالغة في التذلل والتواضع لهما، ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما؛ لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس، ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية، واجعل ذلك ذلك لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك.

فإن قلت: الاسترحام لهما إنمايصح إذا كانا مسلمين.

قلت: وإذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الإيمان؛ وأن يدعو الله لهما بالهداية والإرشاد، ومن الناس من قال: كان الدعاء للكفار جائزاً ثم نسخ، وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت، فقال: كل ذلك واصل إليه، ولا شيء أنفع له من الاستغفار، ولو كان شيء أفضل منه لأمركم به في الأبوين، ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين، وعن النبي ﷺ: «رِضَا اللَّه فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخطهُ فِي سَخَطِهِمَا» (٨٥٤) وروي: «يَفْعَلُ البَارُّ مَا يَشَاءُ أَنْ يَفْعَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَيَفْعَلُ العَاقُّ مَا يَشَاءُ أَنْ يَفْعَلَ فَلَنْ

---

٨٥٣ ـ يأتي تخريجه في سورة «فاطر»، وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه في الموطأ عن الزهري، عن عائشة قالت: «إن أبا بكر كان نحلني جداد عشرين من ماله بالعالية فلما حضرته الوفاة، قال: ما من الناس أحب إليّ منك». انتهى.

٨٥٤ ـ أخرجه التِّرمذي (٤/ ٣١٠) ـ كتاب البر والصلة (٢٨) ـ باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين ـ (١٨٩٩)، وابن حِبان في صحيحه (٢/ ١٧٢) (٤٢٩)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) (٣٣١٨)، كلهم من طريق خالد بن الحارث، عن شعبة، عن يَعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «رضى الرب. . .» الحديث فذكره مرفوعاً وأخرجه التِّرمذي (٤/ ٣١١)، والبخاري في الأدب المفرد (ص ١١) حديث رقم (٢)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ٤٢٩) (٣٣١٧) من طرق، عن شعبة، عن يَعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر موقوفاً. =

---

(١) قوله: «كما جعل لبيد للشمال يداً» في قوله [من الكامل]:

وغـداة ريـح قـد كـشـفـت وقـرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها (ع).

يَدْخُلَ الجَنَّةَ» (٨٥٥)، وروى سعيد بن المسيب: إن البار لا يموت ميتة سوء، وقال رجل لرسول الله ﷺ: إن أبويّ بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر، فهل قضيتهما؟ قال: لا؛ فإنهما كان يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك، وأنتِ تفعل ذلك وأنت تريد موتهما (٨٥٦)، وشكا رجل إلى رسول الله أباه وأنه يأخذ ماله، فدعا به فإذا شيخ

= وقال التِّرمذي: وهذا أصح ـ أي الموقوف ـ وهكذا روى أصحاب شعبة عن شعبة، عن يَعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو موقوفاً ولا نعلم أحداً رفعه غير خالد بن الحارث، عن شعبة، وخالد بن الحارث ثقة مأمون. قلت: وفي كلام التِّرمذي نظر؛ فقد وجدت متابعات لـ «خالد بن الحارث»، فأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٥١ ـ ١٥٢) من طريق عبد الرحمن بن مهدي ثنا شعبة عن يَعلى بن عطاء به، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٧٧) (٧٨٢٩ ـ ٧٨٣) من طريقين: الأولى: من طريق القاسم بن سليم الصواف، قال: شهدت الواسطيين أبا بسطام شعبة بن الحجاج، وأبا معاوية هشيم بن بشير يحدثان عن يَعلى بن عطاء عن أبيه به.

الثانية: من طريق الحسين بن الوليد نا شعبة عن يَعلى بن عطاء عن أبيه به.

وقال البيهقي: ورويناه أيضاً من حديث خالد بن الحارث وأبي إسحاق الفزاري وزيد بن أبي الزرقا وغيرهم مرفوعاً، ورواه آدم بن أبي إياس ومسلم بن إبراهيم، وجماعة عن شعبة موقوفاً. إ.هـ.

وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (٢/ ٣٦٦) (١٨٦٥) من طريق عصمة بن محمد بن فضالة بن عبيد الأنصاري، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عن النبي ﷺ قال..

وقال البزار: لا نعلم رواه عن يحيى بن سعيد إلا عصمة، وعصمة هذا قال فيه الهيثمي في المجمع (٨/ ١٣٩): متروك، وله طريق أخرى عند أبي نعيم في الحلية (٨/ ٢١٥).

ـ قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه التِّرمذي عن عبد الله بن عمرو قال: روى من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة مرفوعاً وكذا أخرجه الطبراني، والبيهقي من رواية القاسم بن سليم عن شعبة مرفوعاً. وللبيهقي أيضاً من رواية الحسين بن الوليد عن شعبة مرفوعاً. قال وروينا أيضاً من رواية أبي إسحاق الفزاري وزيد بن أبي الرها وغيرهم مرفوعاً. ورواية أبي إسحاق عند أبي يَعلى. وقال البخاري. في الأدب المفرد: حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة فذكره موقوفاً. وفي الباب عن ابن عمر أخرجه البزار وقال: تفرد به عصمة بن محمد الأنصاري عن يحيى بن سعيد. انتهى.

٨٥٥ ـ أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢١٥ ـ ٢١٦) في ترجمة أبي العباس الطوسي، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٥) للثعلبي في تفسيره من حديث أحمد بن غالب غلام الخليل بن أحمد ثنا محمد بن سلام السلمي ثنا محمد بن سماك الكوفي، عن حامد بن شريح، عن عطاء عن عائشة.

وقال ابن حجر: فيه أحمد بن محمد بن غالب غلام خليل، وهو كذاب. والحديث ذكره الهندي في كنز العمال (١٦/ ٤٧٦) (٤٥٥٢٨) وعزاه للحاكم في تاريخه.

ـ قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من طريق محمد بن السماك عن عابد بن شريح عن عطاء عن عائشة. وفيه أحمد بن محمد بن غالب غلام الخليل. وهو كذاب، ولكن رواه أبو نعيم في الحلية من وجه آخر عن سحنون السماك بلفظ «فإني أغفر لك» وبلفظ «فإني لا أغفر لك» انتهى.

٨٥٦ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٥) (١ـ٧)، وقال ابن حجر، لم أجده.

يتوكأ على عصا، فسأله فقال: إنه كان ضعيفاً وأنا قوي، وفقيراً وأنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قوي، وأنا فقير وهو غني، ويبخل عليّ بماله؛ فبكى ـ رسول الله ﷺ ـ: وقال: «مَا مِنْ حَجَرٍ وَلاَ مَدَرٍ يَسْمَعُ هٰذَا إِلاَّ بَكَىٰ»، ثم قال للولد: «أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ، أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ» (٨٥٧)، وشكا إليه آخر سوء خلق أمه فقال: «لَمْ تَكُنْ سَيِّئَةَ الْخُلُقِ حِينَ حَمَلَتْكَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ؟ قال: إنها سيئة الخلق، قال: «لَمْ تَكُنْ كَذٰلِكَ حِينَ أَرْضَعَتْكَ حَوْلَيْنِ»؟ قال: إنها سيئة الخلق، قال: «لَمْ تَكُنْ كَذٰلِكَ حِينَ أَسْهَرَتْ لَكَ لَيْلَهَا وَأَظْمَأَتْ نَهَارَهَا؟» قال: لقد جازيتها، قال: «مَا فَعَلْتَ؟» قال: حججت بها على عاتقي، قال: «مَا جَزَيْتَهَا وَلَوْ طَلْقَةً»[1] (٨٥٨). وعن ابن عمر أنه رأى رجلاً في الطواف يحمل أمه، ويقول [من الرجز]:

إِنِّي لَهَا مَطِيَّةٌ لا تُذعَرُ ... إِذَا الرِّكَابُ نَفَرَتْ لاَ تَنْفِرُ
مَا حَمَلَتْ وأَرْضَعَتْنِي أَكْثَرُ ... اللَّهُ رَبِّي ذُو الجَلالِ الأَكْبَرُ[2]

تظنني جازيتها يا ابن عمر[3]؟ قال: لا، ولو زفرة واحدة (٨٥٩)، وعنه عليه الصلاة والسلام: «إِيَّاكُمْ وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ؛ فَإِنَّ الجَنَّةَ تُوجَدُ رِيحُهَا مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ، وَلاَ يَجِدُ رِيحَهَا عَاقٌ وَلاَ قَاطِعُ رَحِمٍ وَلاَ شَيْخٌ زَانٍ، وَلاَ جَارٌّ إِزَارَهُ خُيَلاَءَ؛ إِنَّ الْكِبْرِيَاءَ لِلَّهِ رَبِّ

---

٨٥٧ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٦) (٧٠٢)، وقال ابن حجر لم أجده. ثم قال: قلت: أخرجه البغوي في معجم الصحابة من طريق. وبيض له ولم يعزه، ولم يخرجه.

٨٥٨ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٦) (٧٠٣)، وقال ابن حجر: لم أجده.

٨٥٩ ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ١٢) حديث رقم (١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٠٩) (٧٩٢٦)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٧) لابن المبارك في كتاب البر والصلة ـ كلهم من طريق شعبة عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال: كان ابن عمر. . .
وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن المبارك في البر والصلة: أخبرنا سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال: كان ابن عمر يطوف بالبيت فرأى رجلاً ـ فذكره. وهذا إسناد صحيح، وأخرجه البيهقي في الشعب في الخامس والخمسين، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد عن آدم عن سعيد مختصراً. انتهى.

---

(١) قوله: «قال ما جزيتها ولو طلقة» في الصحاح الطلق وجع الولادة اهـ فالطلقة المرة منه (ع).
(٢) أنشده ابن عمر عن رجل يحمل أمه في الحج: شبه نفسه بالمطية تشبيهاً بليغاً، و«إذا الركاب نفرت» صفة لها، يعني أنه خافض لها جناح الذل من الرحمة، ولا يسأم منها كغيره، فإن حملها إياه وإرضاعها إياه أكثر من بره بها، وذعر يذعر كتعب يتعب: خاف وفزع، والمراد لازم الفزع والنفرة وهو الجزع والضجر وعدم إقراره على ظهره، ثم كبر لأنه شعار الحج من يوم النحر إلى آخر أيام التشريق.
(٣) قوله: «تظنني جازيتها يا ابن عمر» لعله ثم قال تظنني (ع).

الْعَالَمِينَ» (٨٦٠)، وقال الفقهاء: لا يذهب بأبيه إلى البيعة[1]، وإذا بعث إليه منها ليحمله فعل، ولا يناوله الخمر، ويأخذ الإناء منه إذا شربها، وعن أبي يوسف: إذا أمره أن يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير أوقد، وعن حذيفة أنه استأذن النبي ﷺ في قتل أبيه وهو في صف المشركين، فقال: دعه يليه غيرك (٨٦١)، وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال: ألاَّ تقوم إلى خدمتهما عن كسل، وسئل بعضهم فقال: ألاَّ ترفع صوتك عليهما، ولا تنظر شزراً إليهما[2]، ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن، وأن تترحم عليهما ما عاشا، وتدعو لهما إذا ماتا، وتقوم بخدمة أودّائهما من بعدهما، فعن النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ البرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ» (٨٦٢).

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾: بما في ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير، ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾: قاصدين الصلاح والبر، ثم فرطت منكم ـ في حال الغضب، وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر، أو لحمية الإسلام ـ هنة تؤدي إلى أذاهما، ثم أنبتم إلى الله واستغفرتم منها؛ فإن الله غفور، ﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾: للتوابين، وعن

---

٨٦٠ ـ أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ٢١٤٩) من حديث محمد بن الفرات عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي مرفوعاً «احذروا البغي...» وأعله بمحمد بن الفرات، وضعفه عن البخاري والنسائي وابن معين، ووافقهم، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣١٠) (٥٦٦٠) من طريق جابر الجعفي، عن أبي جعفر بن علي بن حسين عن جابر بن عبد الله... وجابر الجعفي هو أبو عبد الله الكوفي ضعيف؛ كما قال الحافظ في التقريب (١/ ١٢٣).

ـ وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن عدي من رواية محمد بن الفرات عن أبي إسحاق عن الحرث عن علي بهذا وأتم منه. وفيه مسيرة خمسمائة بدل ألف. ورواه الطبراني في الأوسط من طريق جابر الجعفي عن أبي جعفر عن جابر بن عبد الله فذكره بلفظ «ألف عام» وجابر ومحمد ابن الفرات متروكان. انتهى.

٨٦١ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٦٨) (٧٠٦)، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده، ولا يصح عن والد حذيفة أنه كان في صف المشركين؛ فإنه استشهد بأحد مع المسلمين بأيدي المسلمين خطأ. وهم يحسبونه من الكفار، كما في صحيح البخاري، لكن نحو القصة المذكورة، وردت لأبي عبيدة بن الجارح. إ. هـ.

٨٦٢ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٣٥١ ـ نووي) ـ كتا البر والصلة والآداب (٤٥) باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما (٤) (٢٥٥٢) (١٣)، من حديث ابن عمر، وفيه قصة.

ـ قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً، وفيه قصة. انتهى.

---

(١) قوله: «لا يذهب بأبيه إلى البيعة» في الصحاح: البيعة بالكسر للنصارى (ع).

(٢) قوله: «ولا تنظر شزراً إليهما» هو نظر الغضبان بمؤخر العين، كذا في الصحاح (ع).

سعيد بن جبير: هي في البادرة تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير، وعن سعيد بن المسيب: الأواب الرجل كلما أذنب بادر بالتوبة، ويجوز أن يكون هذا عامًّا لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها، ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته، لوروده / ٢٠٠ ب على أثره.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾: وصى بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما، وأن يؤتوا حقهم: وحقهم إذا كانوا محارم كالأبوين والولد، وفقراء عاجزين عن الكسب، وكان الرجل موسراً: أن ينفق عليهم عند أبي حنيفة، والشافعي لا يرى النفقة إلا على الولد والوالدين فحسب، وإن كانوا مياسير، أو لم يكونوا محارم: كأبناء العم، فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك، ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعني: وآت هؤلاء حقهم من الزكاة؛ وهذا دليل على أن المراد بما يؤتى ذوي القرابة من الحق: هو تعهدهم بالمال، وقيل: أراد بذي القربى أقرباء رسول الله ﷺ.

التبذير: تفريق المال فيما لا ينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف، وكانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها في الفخر والسمعة، وتذكر ذلك في أشعارها، فأمر الله بالنفقة في وجوهها بما يقرب منه ويزلف، وعن عبد الله: هو إنفاق المال في غير حقه، وعن مجاهد: لو أنفق مدا في باطل كان تبذيراً وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر، فقال له صاحبه: لا خير في السرف، فقال: لا سرف في الخير، وعن عبد الله بن عمرو: مر رسول الله ﷺ بسعد وهو يتوضأ فقال: «مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ»؟ قال: أوفي الوضوء سرف؟ قال: «نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ» ح (٨٦٣) ﴿إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾: أمثالهم

---

٨٦٣ ـ أخرجه ابن ماجه (١/ ١٤٧) ـ كتاب الطهارة وسننها (١) ـ باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه (٤٨) (٤٢٥)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٠) (٢٧٨٨) ـ باب في الطهارات (٢٠) ـ كلهم من طريق ابن لهيعة عن حيي بن عبد الله المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ مر بعد. . . وقال البوصيري في الزوائد (١/ ١٧٣) إسناده ضعيف؛ لضعف حيي بن عبد الله وعبد الله بن لهيعة. والحديث عزاه الزيلعي وابن حجر لأبي يعلى الموصلي في مسنده، ولم أجده، فلعله من المفقود لا سيما أنه من مسند عبد الله بن عمرو، وهو مفقود، والله أعلم.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن ماجه وأبو يعلى والبيهقي من حديثه. وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف. انتهى.

في الشرارة وهي غاية المذمة؛ لأنه لا شر من الشيطان، أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم؛ لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف، أو هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد، ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾: فما ينبغي أن يطاع؛ فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله، وقرأ الحسن: إخوان الشيطان.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد، ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾: فلا تتركهم غير مجابين إذا سألوك، وكان النبي ﷺ إذا سئل شيئاً وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء (٨٦٤). قوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ إما أن يتعلق بجواب الشرط مقدماً عليه، أي: فقل لهم قولاً سهلاً ليناً وعدهم وعداً جميلاً؛ رحمة لهم وتطييباً لقلوبهم، ابتغاء رحمة من ربك، أي: ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم، وإما أن يتعلق بالشرط، أي: وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك، فسمى الرزق رحمة، فردهم رداً جميلاً، فوضع الابتغاء موضع الفقد؛ لأن فاقد الرزق مبتغ له، فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسبباً عنه، فوضع المسبب موضع السبب، ويجوز أن يكون معنى: (وإما تعرضنّ عنهم)؛ وإن لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة، ولا يريد الإعراض بالوجه كناية بالإعراض عن ذلك؛ لأن من أبي أن يعطى: أعرض بوجهه، يقال: يسر الأمر وعسر، مثل سعد الرجل ونحس[1] فهو مفعول، وقيل: معناه: فقل لهم رزقنا الله، وإياكم من فضله، على أنه دعاء لهم ييسر

---

٨٦٤ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٠): غريب. قلت: وأخرج ابن حبان في (١١/ ١٦٦) (٤٨٣٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٠)، من طريق حماد بن سلمة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان. . . الحديث وفيه «وكان لا يسئل شيئاً إلا أعطاه أو سكت».
وعند الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧) (٧٧٦٣) من حديث علي قال: «كان النبي ﷺ إذا سُئل شيئاً فأراد أن يفعله قال: نعم. وإذا أراد ألا يفعل سكت. . .» وفيه قصة طويلة. قال الحافظ ابن حجر: وإسناده ضعيف.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن حبان والحاكم عن أنس: قال كان النبي ﷺ لا يسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت. وفيه قصة وفي الطبراني الأوسط عن علي ـ رضي الله عنه ـ «كان النبي ﷺ إذا سئل شيئاً فأراد أن يفعله قال: نعم. وإذا أراد ألا يفعل سكت ولم يقل قط لشيء: لا. فذكر قصة، وإسناده ضعيف. انتهى.

---

(١) قوله: «مثل سعد الرجل ونحس» في الصحاح: سعل الرجل بالكسر فهو سعيد: مثل سلم فهو سليم. وسعد بالضم فهو مسعود (ع).

عليهم فقرهم؛ كأن معناه: قولاً ذا ميسور، وهو اليسر[1]، أي: دعاء فيه يسر.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾

هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف، وأمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والتقتير، ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾: فتصير ملوما عند الله؛ لأن المسرف غير مرضي عنده وعند الناس، يقول المحتاج: أعطى فلاناً وحرمني، ويقول المستغني: ما يحسن تدبير أمر المعيشة، وعند نفسك: إذا احتجت فندمت على ما فعلت، ﴿مَّحْسُورًا﴾: منقطعاً بك لا شيء عندك، من حسرة السفر إذا بلغ منه وحسره بالمسألة، وعن جابر: بينا رسول الله ﷺ جالس أتاه صبي فقال: إن أمي تستكسيك درعاً، فقال: «مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ يَظْهَرُ، فَعُدْ إِلَيْنَا»، فذهب إلى أمه فقالت له قل له: إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك، فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عرياناً، وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة (٨٦٥). وقيل: أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة بن حصن[2]؛ فجاء عباس بن مرداس، وأنشأ يقول [من المتقارب]:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي ونَهْبَ الْعُبَيْـ ... ـدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ والأَقْرَعِ؟
وَمَا كَانَ حِصْنٌ ولا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ جَدِّيَ فِي مَجْمَعِ
ومَا كُنْتُ دونَ امرِئٍ مِنْهُمَا ... ومَنْ تَضَعِ اليَوْمَ لا يُرْفَعِ[3]

فقال: يا أبا بكر، اقطع لسانه عني، أعطه مائة من الإبل (٨٦٦)؛ فنزلت.

---

٨٦٥ - بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧١) (٧١٠)، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. قلت: ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٣٦) عن جابر بدون إسناد. انتهى.

٨٦٦ - أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٦٥) - كتاب الزكاة (١٢) - باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام =

---

(١) قوله: «قولاً ذا ميسور وهو اليسر» في الصحاح: المعسور ضد الميسور. وهما مصدران. وقال سيبويه: هما صفتان (ع).

(٢) قوله: «مائة من الإبل وعيينة بن حصن» لعل بعده سقطاً تقديره: مائة.

(٣) للعباس بن مرداس رضي الله عنه يخاطب النبي ﷺ، روي أنه أعطى كلا من الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الإبل تأليفاً لقلوبهما، فأنشأ العباس ذلك، فرفعه أبو بكر للنبي ﷺ فقال: اقطعوا عني لسانه، ففزع وفزع أناس وإنما أراد إعطاءه تأليفاً لقلبه أيضاً. والاستفهام للتعجب. ويحتمل أنه للإنكار، لكنه بعيد من الصحابي، أي: أتقسم نهبي ونهب العبيد فرسي بين هذين، والحال أن أبويهما ما كانا يفوقان أبي مرداس بمنع الصرف للضرورة. وقد يروى «العبيد» مصغراً. ويروى بدله «جدي» ويروى «شيخي في مجمع» من مجامع الحرب، وأنا لست أقل من واحد منهما، فنحن سواء أصلاً وفرعاً، فكيف تفاوت بيننا الآن؟ مع أن من تخفض قدره لا يرتفع عمره. وروي «منهمو» أي من الأربعة. وروي «ومن يخفض» مبنيا للمجهول. وفي ذكر حصن وحابس بعد عيينة والأقرع: لف ونشر مرتب.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

ثم سلى رسول الله ﷺ عما كان يرهقه من الإضافة، بأن ذلك ليس لهوان منك عليه، ولا لبخل به عليك؛ ولكن لأن مشيئته في بسط الأرزاق وقدرها[1] تابعة للحكمة والمصلحة، ويجوز أن يريد أن البسط والقبض إنما هما من أمر الله الذي الخزائن في يده، أما العبيد فعليهم أن يقتصدوا، ويحتمل أنه ـ عز وعلا ـ بسط لعباده أو قبض؛ فأنه يراعي أوسط الحالين، لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده، ولا بالمقبوض عليه أقصى مكروهه، فاستنوا بسنته.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

قتلهم أولادهم: هو وأدهم بناتهم[2]، كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهي الإملاق، فنهاهم الله وضمن لهم أرزاقهم، وقرئ (خشية): بكسر الخاء، وقرئ / ٢٠١ ا (خطأ) وهو الإثم، يقال: خطيء خطأ، كأثم إثماً، وخطأ وهو ضد الصواب، اسم من أخطأ، وقيل: هو والخطأ كالحذر والحذر، و «خطأ» بالكسر والمد، و «خطاء» بالفتح والمد، و «خطأ» بالفتح والسكون، وعن الحسن: «خطا» بالفتح وحذف الهمزة كالخب، وعن أبي رجاء: بكسر الخاء غير مهموز.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَٰحِشَةً﴾: قبيحة زائدة على حد القبح، ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾: وبئس طريقاً طريقه، وهو

= (٤٦) (١٠٦٠/١٣٧) والبيهقي في دلائل النبوة (١٧٨/٥ ـ ١٧٩)؛ وابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٠٦) وقال ابن حجر: وكذا ذكره موسى بن عقبة والواقدي وابن سعد، وليس في شيء من فوقهم أن المخاطب بذلك كان أبا بكر.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه مسلم من رواية عتبة بن رفاعة بن رافع عن رافع بن خديج قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم مائة من الإبل. وأعطي عباس بن مرداس دون ذلك. فقال عباس ـ فذكر الشعر. قال: فأتم له رسول الله ﷺ مائة» وأخرجه ابن إسحاق في المغازي حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيره ـ فذكر القصة وقال في آخرها: اذهبوا فاقطعوا لسانه. فزادوه حتى رضي» وكذا ذكره موسى بن عقبة والواقدي وابن سعد، وليس في شيء من عرقهم أن المخاطب بذلك كان أبا بكر. انتهى.

---

(١) قوله: «في بسط الأرزاق وقدرها» أي تضييقها. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قوله: «هو وأدهم بناتهم» وأد البنت: دفنها في القبر وهي حية، كما في الصحاح (ع).

أن تغصب على غيرك امرأته أو أخته أو بنته من غير سبب، والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله[1].

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلا بإحدى ثلاث: إلا بأن تكفر؛ أو تقتل مؤمناً عمداً، أو تزني بعد إحصان، ﴿مَظْلُومًا﴾: غير راكب واحدة منهن، ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾: الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه، فإن لم يكن له ولي فالسلطان وليه، ﴿سُلْطَٰنًا﴾: تسلطاً على القاتل في الاقتصاص منه، أو حجة يثب بها عليه، ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ الضمير: للولي، أي: فلا يقتل غير القاتل، ولا اثنين والقاتل واحد، كعادة الجاهلية: كان إذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة، حتى قال مهلهل حين قتل بحير بن الحارث بن عباد: بؤ بشسع نعل كليب[2]؛ وقال [من الرجز]:

كُلُّ قَتِيلٍ فِي كُلَيْبَ غُرَّهْ ... حَتَّى يَنَالَ القَتْلُ آلَ مُرَّهْ[3]

وكانوا يقتلون غير القاتل إذا لم يكن بواء، وقيل: الإسراف المثلة، وقرأ أبو مسلم صاحب الدولة: «فلا يسرف»: بالرفع على أنه خبر في معنى الأمر، وفيه مبالغة ليست في الأمر، وعن مجاهد: أن الضمير للقاتل الأول، وقرئ: «فلا تسرف»: على خطاب الولي أو قاتل المظلوم، وفي قراءة أبيّ: «فلا تسرفوا»، ردّه على: ولا تقتلوا؛ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾: الضمير إما للولي، يعني: حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك، وبأن الله قد نصره[4] بمعونة السلطان. وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق، فلا يبغ ما وراء حقه، وإما للمظلوم؛ لأن الله ناصره، وحيث أوجب القصاص بقتله، وينصره في الآخرة بالثواب، وإما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله؛ فإنه منصور بإيجاب القصاص على المسرف.

---

(١) قوله: «وهو الصهر الذي شرعه الله» أي التزوج. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قوله: «بؤ بشسع نعل كليب» في الصحاح يقال بؤ به أي كن ممن يقتل به وفيه البواء: السواء. وفيه الشسع: واحد شسوع النعل التي تشد إلى زمامها. وفيه الغرة: العبد أو الأمة (ع).

(٣) الغرة: الرقيق، يعني: كل قتيل قتلناه في هذه القبيلة ليس كفوأ لمن قتلوه منا، حتى يصل قتلنا آل مرة فهم كفؤه.
ينظر: جمهرة اللغة ص (١٢٤)، الأغاني (٥/ ٥٢)، وبلا نسبة في لسان العرب (غرر)، تاج العروس (غرر)، مقاييس اللغة (٤/ ٣٨١)، (كتاب العين (٤/ ٣٤٧).

(٤) قوله: «وبأن الله قد نصره» لعله أو أن (ع).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: بالخصلة أو الطريقة التي هي أحسن، وهي حفظه عليه وتثميره، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ أي: مطلوباً يطلب من المعاهد ألاّ يضيعه ويفي به[1]، ويجوز أن يكون تخييلاً، كأنه يقال للعهد: لم نكثت؟ وهلا وفى بك؟ تبكيتاً للناكث، كما يقال للموؤدة: «بأي ذنب قتلت؟» ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤولاً.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾

وقرئ: ﴿بِالْقِسْطَاسِ﴾: بالضم والكسر، وهو القرسطون[2]، وقيل: كل ميزان صغر أو كبر من موازين الدراهم وغيرها، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: وأحسن عاقبة، وهو تفعيل، من آل إذا رجع، وهو ما يؤول إليه.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَلَا تَقْفُ﴾: ولا تتبع، وقرئ: «ولا تقف»، يقال: قفا أثره وقافه، ومنه: القافة، يعني: ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول أو فعل، كمن يتبع مسلكاً لا يدري أنه يوصله إلى مقصده فهو ضال، والمراد: النهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم، وأن يعمل بما لا يعلم، ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولاً ظاهراً؛ لأنه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده، وعن ابن الحنفية: شهادة الزور، وعن الحسن: لا تقف أخاك المسلم إذا مر بك، فتقول: هذا يفعل كذا، ورأيته يفعل، وسمعته، ولم تر ولم تسمع، وقيل: القفو شبيه بالعضيهة[3]، ومنه الحديث: «مَنْ قَفَى مُؤْمِناً بِمَا لَيْسَ فِيهِ حَبَسَهُ اللَّهُ فِي رَدْغَةِ الْخَبَالِ[4] حتَّى يَأْتِيَ بِالْمَخْرَجِ» (٨٦٧)؛ وأنشد [من الطويل]:

---

٨٦٧ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٢) (٧١٢)، وقال ابن حجر: لم أره بهذا اللفظ مرفوعاً. =

---

(١) قال محمود: «أي يطلب من المعاهد أن يفي به ولا ينكثه... إلخ» قال أحمد: كلام حسن إلا لفظة التخييل فقد تقدم إنكارها عليه، وينبغي أن يعوض بالتمثيل. والظاهر التأويل الأول، ويكون المجرور الذي هو «عنه» حذف تخفيفاً، وقد ذكر في بقية الآية ﴿كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ والله أعلم. وبعضد تأويل سؤال العهد نفسه على وجه التمثيل وقوف الرحم بين يدي الله وسؤالها فيمن وصلها وقطعها. وقد ورد ذلك في الحديث الصحيح، والله الموفق.

(٢) قوله: «بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون» أي القبان، كذا في النسفي (ع).

(٣) قوله: «وقيل القفو شبيه بالعضيهة» في الصحاح العضيهة البهيتة، وهي الإفك والبهتان (ع).

(٤) قوله: «حبسه الله في ردغة الخبال» في الصحاح الردغة ـ بالتحريك ـ: الماء والطين والوحل الشديد =

= قلت: وأخرج أبو داود في سننه (٣/ ٣٠٥) ـ كتاب الأقضية ـ باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها ـ (٣٥٩٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧)، كلاهما من طريق عمارة بن غزية عن يحيى بن راشد عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ من حالت شفاعته. . .» وفيه «ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، حبس في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج مما قال».

وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قلت: وفي ذلك نظر؛ فإن «عمارة بن غزية» وثقه أحمد وأبو زرعة والعجلي، وقال: يحيى بن معين: صالح، وقال أبو حاتم: ما بحديثه بأس، كان صدوقاً. وقال النسائي: ليس به بأس، فالحديث حسن فحسب، والله تعالى أعلم.

فائدة: وقع تصحيف في المستدرك في اسم الصحابي، فوقع هناك «عبد الله بن عمرو» وكذلك عند الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٣) وابن حجر وليس كذلك، وإنما هو «عبد الله بن عمر»؛ فإن يحيى بن راشد لم يرو عن عبد الله بن عمرو ألبتة، وإنما يروى عن «عبد الله بن عمر» راجع تهذيب الكمال (٣١/ ٢٩٨) (٦٨٢٢). وله شاهد عند الطبراني في الكبير (١٢/ ٣٨٨) (١٣٤٣٥) من حديث ابن عمر أيضاً مرفوعاً: «من قال سبحان الله والحمد لله. . . وفيه: «ومن بهت مؤمناً أو مؤمنة حبسه الله في ردغة الخبال يوم القيامة حتى يخرج مما قال، وليس بخارج».

قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٩٤): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجالهما رجال الصحيح، غير محمد بن منصور الطوسي وهو ثقة. ووجدته عند أحمد أيضاً في المسند (٢/ ٨٢) من حديث ابن عمر مرفوعاً: «ومن قفى مؤمناً أو مؤمنة، حبسه الله في ردغة الخبال. . .» وفي الباب حديث معاذ بن أنس. أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد (ص ٢٣٩/ ٦٨٦) من طريق يحيى بن أيوب، عن عبد الله بن سليمان أن إسماعيل بن يحيى المعافري أخبره عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ . . فذكره.

ومن طريق ابن المبارك أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٤٤١). والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٩٤) (٤٣٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٠٩) (٧٦٣١)، وإسماعيل بن يحيى المعافري قال الحافظ في التقريب (١/ ٧٥): مجهول. ويحيى بن أيوب قال الحافظ: صدوق ربما أخطأ. وعبد الله بن سليمان قال الحافظ: صدوق يخطىء.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

لم أره بهذا اللفظ مرفوعاً؛ وإنما ذكره أبو عبيد في الغريب من قول حسان بن عطية، فقال: حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عنه بهذا. وروى أحمد والطبراني من رواية معاذ بن أنس ـ رفعه: «من قفا مؤمناً بما ليس فيه يريد شينه به، حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال» وفي مسند الشاميين للطبراني من طريق مطر الوراق، عن عطاء الخراساني، عن نافع، عن ابن عمر: «من قذف مؤمناً أو مؤمنة، حبس في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج» وهو عند أبي داود من رواية يحيى بن راشد عن ابن عمر بلفظ: «من قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج. وهو يخرج مما قال» وأخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه: «من قال في مؤمن ما ليس فيه، حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج». انتهى.

وكذلك الردغة بالتسكين. وفيه الخبال: العناء والفساد وأما الذي في الحديث من قفا مؤمناً بما ليس فيه وقفه الله تعالى في ردغة الخبال حتى يجيء بالمخرج منه، فيقال: هو صديد أهل النار.

(١) يصف نساء بأنهن جميلات مثل الدمى، جمع دمية بالضم، وهو الصنم والصورة من العاج المرصعة =

أي: التقاذف، وقال الكميت [من الوافر]:

ولاَ أَرْمِـي الـبَـرِيَّ بِـغَـيْـرِ ذَنْـبٍ   ولاَ أَقْـفُـو الـحَـوَاصِـنَ إنْ قُـفِـيـنَـا[1]

وقد استدل به سبطل الاجتهاد ولم يصح؛ لأن ذلك نوع من العلم، فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم، وأمر بالعمل به، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد؛ كقوله [من الكامل]:

....   والـعَـيْـشَ بَـعْـدَ أُولـئِـكَ الأَيَّـامِ[2]

= بالجواهر والشم؛ جمع شماء كحمر وحمراء، والعرانين: الأنوف، أي مرتفعات الأنوف كناية عن شرفهن وارتفاع قدرهن. أو كناية عن كونهن كرائم حرائر؛ لأن انخفاض الأنف خاص بالعبيد والإماء. وشبههن بالبيوت. وشبه الحياء بقوم يسكنونها على طريق المكنية والسكنى تخييل لذلك، وهو كناية ومبالغة في ملازمة الحياء لهن، لا يشعن: أي لا يظهرن التقافي، أي المتابعة بالقذف، من قفوته إذا اتبعته بالغيبة. وفي إشاعته: كناية عن نفيه، لأنها لازمة له، حيث إنه لا يكون إلا بين اثنين فأكثر.

(1) يقال: حصنت المرأة بالضم حصانة، فهي حاصن وحصناء وحصان. والحواصن: جمع حاصن: أي عفت فهي عفيفة، يقول: لا أتهم البريء بشيء زور، بل بذنب محقق. والظاهر أن هذا في معنى الاستثناء المنقطع؛ لأن البريء ما دام بريئاً لا ذنب له، ولا أتبع العفائف وأتكلم فيهن بفحش ما دمن عفائف إن قفاهن الناس، فتكلموا فيهن فكيف إذا لم يتكلم فيهن أحد؟.

(2)
لـولا مـراقـبـة الـعـيـون أريـنـنـا   مـقـل الـمـهـا وسـوالـف الآرام
هـل يـنـهـيـنـك أن قـتـلـن مـرقـشـاً   أو مـا فـعـلـن بـعـروة بـن حـزام؟
ذم الـمـنـازل بـعـد مـنـزلـة الـلـوى   والـعـيـش بـعـد أولـئـك الأيـام

لجرير بن عطية يخاطب نفسه على طريق التجريد، يقول: لولا مراقبة النساء للعيون، أي الرقباء المتطلعين علينا، لبرزن لنا وأريننا عيونهن التي هي كعيون بقر الوحش، فمقل المها: استعارة مصرحة، وكذلك سوالف الآرام. والسالفة: مقدم العنق وصفحته. والآرام: جمع رئم بالكسر والهمز، وهو الغزال الأبيض، وأصله «أرآم» بهمز ممدود بعد الراء وزن أحمال، فقلب إلى ما قبلها. ويجوز أنه جمع ريم بالفتح وهو الغزال الأبيض، فهمز وقلب. وهل بمعنى قد. أو للتقرير. أي: أنه ينهاك عنهن مقتلهن مرقشاً العاشق المشهور. أو فعلهن بعروة العاشق أيضاً. وذم: فعل أمر، كأنه تذكر محبوبته في تلك الديار وتلك الأيام، فقال: ذم المنازل كلها حال كونها بعد، أي: غير منزلة اللوى. أو بعد مجاوزتك منزلة اللوى بلازم. واللوى: موضع بعينه من الرمل الملتوي، وذم الحياة كلها بعد حياتنا في تلك الأيام، أو ذم مدة الحياة كلها بعد تلك الأيام السابقة، وأشار لها بما للعقلاء لعظمتها عنده، ولأن تخصصه بالعقلاء طارئ في الاستعمال كما قيل ويجوز أن بعد ظرف المنازل وللعيش وبعض النحاة جعل «ذم» مبنيا للمجهول، وما بعده مرفوع به على النيابة.

ينظر: ديوانه ص ٩٩٠ (وفيه «الأقوام» مكان «الأيام»)، وتخليص الشواهد ص ١٢٣، وخزانة الأدب ٥/ ٤٣٠، وشرح التصريح ١/ ١٢٨، وشرح شواهد الشافية ص ١٦٧، وشرح المفصل لابن يعيش، ولسان العرب (أولى)، والمقاصد النحويّة ١/ ٤٠٨، وبلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ١٣٤، وشرح الأشموني ١/ ٦٣، وشرح ابن عقيل ص ٧٢، والمقتضب ١/ ١٨٥.

و ﴿عَنْهُ﴾: في موضع الرفع بالفاعلية؛ أي: كل واحد منها كان مسؤولاً عنه، فمسؤول: مسند إلى الجار والمجرور، كالمغضوب في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، يقال للإنسان: لم سمعت ما لم يحل لك سماعه، ولم نظرت إلى ما لم يحل لك النظر إليه، ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه؟ وقرئ: (والفَوَاد): بفتح الفاء والواو، قلبت الهمزة واواً بعد الضمة في الفؤاد؛ ثم استصحب القلب مع الفتح.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿مَرَحًا﴾: حال، أي: ذا مرح، وقرئ: (مرِحاً)، وفضل الأخفش المصدر على اسم الفاعل؛ لما فيه من التأكيد، ﴿لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾: لن تجعل فيها خرقاً[1] بدوسك لها وشدة وطأتك، وقرئ: «لن تخرُق»؛ بضم الراء، ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾: بتطاولك، وهو تهكم بالمختال، قرئ: «سيئة وسيئه»، على إضافة سيء إلى ضمير كل، و «سيئاً» في بعض المصاحف، و «سيئات»، وفي قراءة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: «كان شأنه».

فإن قلت: كيف قيل: سيئه مع قوله مكروهاً؟

قلت: السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات، فلا اعتبار بتأنيثه، ولا فرق بين من قرأ سيئة وسيئاً؛ ألا تراك تقول: الزنا سيئة، كما تقول: السرقة سيئة، ٢٠١ ب فلا تفرق بين إسنادها إلى مذكر ومؤنث.

فإن قلت: فما ذكر من الخصال بعضها سيء وبعضها حسن؛ ولذلك قرأ من قرأ: (سيئه): بالإضافة، فما وجه من قرأ سيئة؟

قلت: كل ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما تقدم من قوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾: إلى هذه الغاية؛

---

(١) قال محمود: «معناه لن تجعل فيها خرقاً... إلخ» قال أحمد: وفي هذا التهكم والتقريع لمن يعتاد هذه المشية كفاية في الانزجار عنها، ولقد حفظ الله عوام زماننا عن هذه المشية، وتورط فيها قراؤنا وفقهاؤنا، بينا أحدهم قد عرف مسألتين أو أجلس بين يديه طالبين، أو شدا طرفاً من رياسة الدنيا، إذ هو يتبختر في مشيه ويترجع، ولا يرى أنه يطاول الجبال، ولكن يحك بيافوخه عنان السماء، كأنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون، وماذا يفيده أن يقرأ القرآن أو يقرأ عليه، وقلبه عن تدبره على مراحل، والله ولي التوفيق.

وسماه حكمة لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه، وعن ابن عباس: هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى، أولها؛ لا تجعل مع الله إلهاً آخر، قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ [الأعراف: ١٤٥] وهي عشر آيات في التوراة، ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك؛ لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها، ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه، وإن بذ فيها الحكماء[1] وحك بيافوخه السماء، وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم، وهم عن دين الله أضل من النعم.

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾: خطاب للذين قالوا: (الملائكة بنات الله)، والهمزة للإنكار، يعني: أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون، لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه، واتخذ أدونهم وهي البنات؟ وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم؛ فإن العبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب، ويكون أردأها وأدونها للسادات، ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾: بإضافتكم إليه الأولاد وهي خاصة بالأجسام، ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم؛ حيث تجعلون له ما تكرهون، ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم[2] أدون خلق الله وهم الإناث.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: يجوز أن يزيد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات؛ لأنه مما صرفه وكرر ذكره، والمعنى: ولقد صرفنا القول في هذا المعنى، أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكاناً للتكرير، ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد، «ولقد صرفناه»، يعني: هذا المعنى في مواضع من التنزيل، فترك الضمير؛ لأنه معلوم، وقرئ: «صرفنا»: بالتخفيف، وكذلك، ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾؛ قرئ مشدداً ومخففاً، أي: كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم، ﴿فما يزيدهم إلا نفورا﴾: عن الحق وقلة طمأنينة إليه، وعن سفيان: كان إذا قرأها قال: زادني لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾

---

(١) قوله: «وإن بذ فيها الحكماء» في الصحاح «بذه» غلبه وفاقه (ع).

(٢) قوله: «وهم أعلى خلق الله وأشرفهم» هذا على مذهب المعتزلة. أما عند أهل السنة فبعض البشر أفضل من الملاك (ع).

قرئ: «كما تقولون»؛ بالتاء والياء، و ﴿فَإِذًا﴾: دالة على أن ما بعدها، وهو (لابتغوا): جواب عن مقالة المشركين وجزاء لـ «لو»، ومعنى ﴿لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلاً بالمغالبة، كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض؛ كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقيل: لتقربوا إليه؛ كقوله: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) [الإسراء: ٥٧]. ﴿وَتَعَالَىٰ﴾: في معنى: تعالياً، والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة، ومعنى وصف العلو بالكبر: المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)﴾

والمراد أنها تسبح له بلسان الحال[(١)]؛ حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته، فكأنها تنطلق بذلك؛ وكأنها تنزه الله ـ عز وجل ـ مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها.

فإن قلت: فما تصنع بقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وهذا التسبيح مفقوه معلوم؟

قلت: الخطاب للمشركين، وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات والأرض قالوا: الله؛ إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم، فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا؛ لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه، فإذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق.

فإن قلت: من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة[(٢)] والثقلان، وقد عطفوا

---

(١) قال محمود: «المراد تسبيحها بلسان الحال من حيث تدل على الصانع... إلخ» قال أحمد: ولقائل أن يقول: فما يصنع بقوله ﴿كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ وهو لا يغفر للمشركين ولا يتجاوز عن جهلهم وكفرهم وإشراكهم، وإنما يخاطب بهاتين الصفتين المؤمنون، والظاهر أن المخاطب المؤمنون. وأما عدم فقهنا للتسبيح الصادر من الجمادات، فكأنه ـ والله أعلم ـ من عدم العمل بمقتضى ذلك، فإن الإنسان لو تيقظ حق التيقظ إلى أن النملة والبعوضة وكل ذرة من ذرات الكون تسبح الله وتنزهه وتشهد بجلاله وكبريائه وقهره، وعمر خاطره بهذا الفهم، لكان ذلك يشغله عن القوت فضلاً عن فضول الكلام والأفعال، والعاكف على الغيبة التي هي فاكهتنا في زماننا هذا، لو استشعر حال إفاضته فيها أن كل ذرة وجوهر من ذرات لسانه الذي يلقلقه في سخط الله تعالى عليه، مشغولة مملوءة بتقديس الله تعالى وتسبيحه وتخويف عقابه وإرهاب جبروته، وتيقظ لذلك حق التيقظ، لكاد أن لا يتكلم بقية عمره، فالظاهر والله أعلم أن الآية إنما وردت خطاباً على الغالب في أحوال الغافلين وإن كانوا مؤمنين، والله الموفق. فالحمد لله الذي كان حليماً غفوراً.

(٢) عاد كلامه. قال: إن قلت «من فيهن يسبحون حقيقة وهم الملائكة... إلخ» قال أحمد: وقد تقدم نقلي عنه أنه يأبى حمل اللفظ على حقيقته ومجازه دفعة واحدة عند آية السجدة في النحل، ولكن ظهر من كلامه ثم جعل السجود عبارة عن الانقياد وعدم الامتناع على القدرة، ليكون متناولاً =

على السموات والأرض، فما وجهه؟

قلت: التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه، وإلا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾: حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾: ذا ستر؛ كقولهم: سيل مفعم ذو إفعام، وقيل: هو حجاب لا يرى فهو مستور، ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب، فهو مستور بغيره، أو حجاب يستر أن يبصر، فكيف يبصر المحتجب به، وهذه حكاية لما كانوا يقولونه: (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) **[فصلت: ٥]** كأنه قال: وإذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: كراهة أن يفقهوه، أو لأن قوله: (وجعلنا على قلوبهم أكنة): فيه معنى المنع من الفقه، فكأنه قيل: ومنعناهم أن يفقهوه، يقال: وحد يحد وحدا وحدة؛ نحو: وعد يعدو عدا وعدة، و ﴿وَحْدَهُۥ﴾: من باب رجع عوده على بدئه، وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد الحال، أصله: يحدو حده بمعنى واحداً؛ وحده، والنفور: مصدر، بمعنى: التولية، أو جمع نافر كقاعد وقعود، أي: يحبون أن تذكر معه آلهتهم؛ لأنهم مشركون، فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا، ﴿بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾: من الهزوء بك وبالقرآن، ومن اللغو: كان يقوم عن يمينه إذا قرأ رجلان من عبد الدار، ورجلان منهم عن يساره، فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار، و (به): في موضع / ٢٠٢ ا الحال؛ كما تقول: يستمعون بالهزوء، أي: هازئين، و ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾: نصب بأعلم، أي: أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون، ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾: وبما يتناجون به، إذ هم ذوو نجوى، ﴿إِذْ يَقُولُ﴾: بدل من إذ هم، ﴿مَّسْحُورًا﴾: سحر فجنّ، وقيل: هو من السحر وهو الرئة، أي: هو بشر مثلكم، ﴿ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾: مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون، ﴿فَضَلُّوا۟﴾: في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقاً يسلكه فلا يقدر عليه، فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع.

= للمكلفين وغير المكلفين بطريق التواطؤ، وقد يكون أراد ثم المجاز، والله الموفق.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾﴾

لما قالوا: أئذا كنا عظاماً قيل لهم: ﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾: فرد قوله: كونوا، على قولهم: كنا، كأنه قيل: كونوا حجارة أو حديداً ولا تكونوا عظاماً؛ فإنه يقدر على إحيائكم، والمعنى: أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم، ويرده إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحي وغضاضته بعدما كنتم عظاماً يابسة، مع أن العظام بعض أجزاء الحي، بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره، فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى حالتها الأولى، ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر ـ وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديداً مع أن طباعها الجسارة والصلابة ـ لكان قادراً أن يردكم إلى حال الحياة، ﴿أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ﴾ يعني: أو خلقاً مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه؛ فإنه يحييه، وقيل: ما يكبر في صدورهم الموت، وقيل: السموات والأرض، ﴿فسينغضون﴾: فسيحركونها نحوك تعجباً واستهزاء.

﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾﴾

والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز، والمعنى: يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون؛ وقوله ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾: حال منهم، أي: حامدين، وهي مبالغة في انقيادهم للبعث؛ كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويتمنع، ستركبه وأنت حامد شاكر، يعني: أنك تحمل عليه وتقسر قسراً حتى أنك تلين لين المسمح[1] الراغب فيه الحامد عليه، وعن سعيد بن جبير: ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، ﴿وَتَظُنُّونَ﴾: وترون الهول؛ فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا، وتحسبونها يوماً أو بعض يوم، وعن قتادة: تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَقُل لِّعِبَادِي﴾: وقل للمؤمنين، ﴿يَقُولُواْ﴾: للمشركين الكلمة ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾: وألين

---

(١) قوله: «المسمح» في الصحاح «أسمحت قروفته» أي ذلت نفسه وتابعته على الأمر (ع).

ولا يخاشنوهم؛ كقوله: وجادلهم بالتي هي أحسن، وفسر التي هي أحسن بقوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾، يعني: يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها، ولا يقولوا لهم: إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر، وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾: اعتراض، يعني: يلقي بينهم الفساد، ويغري بعضهم على بعض؛ ليقع بينهم المشارة والمشاقة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ أي: ربًّا موكولاً إليك أمرهم تقسرهم على الإسلام وتجبرهم عليه؛ وإنما أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة؛ وذلك قبل نزول آية السيف، وقيل: نزلت في عمر ـ رضي الله عنه ـ: شتمه رجل فأمره الله بالعفو، وقيل: أفرط إيذاء المشركين للمسلمين، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت، وقيل: الكلمة التي هي أحسن: أن يقولوا يهديكم الله، يرحمكم الله، وقرأ طلحة: «ينزغ»، بالكسر، وهما لغتان، نحو: يعرشون ويعرشون(١).

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٥)﴾

هو رد على أهل مكة في إنكارهم واستبعادهم أن يكون يتيم أبي طالب نبيًا، وأن تكون العراة الجوّع أصحابه، كصهيب وبلال وخباب وغيرهم، دون أن يكون ذلك في بعض أكابرهم وصناديدهم، يعني: وربك أعلم بمن في السموات والأرض وبأحوالهم ومقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم، وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: إشارة إلى تفضيل رسول الله ﷺ وقوله: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾: دلالة على وجه تفضيله، وهو أنه خاتم الأنبياء، وأن أمته خير الأمم؛ لأن ذلك مكتوب في زبور داود؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وهم محمد وأمته.

فإن قلت: هلا عرّف الزبور كما عرّف في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾؟.

قلت: يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس، والفضل وفضل، وأن يريد: وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب، وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله ﷺ من الزبور، فسمى ذلك زبوراً؛ لأنه بعض الزبور، كما سمى بعض القرآن قرآناً.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَٰئِكَ

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولو مثل بـ«يَنطِحُ»، و«يَنْطَحُ» وكأنه يعني من حيث إن لام كل منهما حرف حلق، وليس بطائل. انتهى. الدر المصون.

﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾﴾

هم الملائكة، وقيل: عيسى ابن مريم، وعزير، وقيل: نفر من الجن؛ عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا، أي: ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب، ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر أو يبدلوه، و ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ، و ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾: صفته، و ﴿يَبۡتَغُونَ﴾: خبره، يعني أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة إلى الله تعالى، و ﴿أَيُّهُمۡ﴾: بدل من واو يبتغون، وأي: موصولة، أي: يبتغي من هو أقرب منهم وأزلق الوسيلة إلى الله، فكيف بغير الأقرب، أو ضمن يبتغون / ٢٠٢ ب الوسيلة معنى: يحرصون، فكأنه قيل: يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله؛ وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح، ويرجون، ويخافون، كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة؟ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ﴾: حقيقاً بأن يحذره كل أحد من ملك مقرّب ونبيّ مرسل، فضلاً عن غيرهم.

﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٥٨﴾﴾

﴿نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا﴾: بالموت والاستئصال، ﴿أَوۡ مُعَذِّبُوهَا﴾: بالقتل وأنواع العذاب، وقيل: الهلاك للصالحة، والعذاب للطالحة، وعن مقاتل: وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها: أما مكة فيخربها الحبشة، وتهلك المدينة بالجوع، والبصرة بالغرق، والكوفة بالترك، والجبال بالصواعق والرواجف، وأما خراسان فعذابها ضروب، ثم ذكرها بلداً بلداً، ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: في اللوح المحفوظ.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾﴾

استعير المنع لترك إرسال الآيات من أجل صارف الحكمة، و «أن» الأولى منصوبة، والثانية مرفوعة، تقديره: وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين، والمراد: الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن إحياء الموتى وغير ذلك، وعادة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال، فالمعنى: وما صرفنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود، وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك، وقالوا: هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها، واستوجبوا العذاب المستأصل، وقد عزمنا أن نؤخر

أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة، ثم ذكر من تلك الآيات ـ التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا ـ واحدة: وهي ناقة صالح؛ لأن آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم، ﴿مُبْصِرَةً﴾: بينة، وقرئ: «مبصرة»: بفتح الميم، ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾: فكفروا بها، ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَـٰتِ﴾: إن أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى: لا نرسلها، ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾: من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له، فإن لم يخافوا وقع عليهم، وإن أراد غيرها فالمعنى: وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفاً وإنذاراً بعذاب الآخرة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾: واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش، يعني: بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم؛ وذلك قوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: ٤٥]، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢] وغير ذلك، فجعله كأن قد كان ووجد، فقال: أحاط بالناس على عادته في إخباره، وحين تزاحف الفريقان يوم بدر والنبي ﷺ في العريش مع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ كان يدعو ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ» ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ» (٨٦٨) ولعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه، فقد كان يقول حين ورد ماء بدر: «واللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ» (٨٦٩)، وهو يومىء إلى الأرض ويقول:

---

٨٦٨ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٤): غريب بهذا اللفظ. وقال ابن حجر: لم أجده هكذا.
قلت: وأخرج البخاري بعضه في صحيحه (٨/ ١٣) ـ كتاب المغازي (٦٤) باب قول الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم...﴾ حديث رقم (٣٩٥٣) من حديث ابن عباس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «اللهم أَنشُدُكَ عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تُعبد» فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك...
لم أجده هكذا، فأما أوله ففي البخاري عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبته يوم بدر: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعد اليوم». فأخذ أبو بكر بيده وقال: حسبك فخرج وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ انتهى.

٨٦٩ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٦/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) ـ كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب غزوة بدر (٣٠) حديث رقم (٨٣/ ١٧٧٩) من حديث أنس قال: إن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان وفيه «هذا مصرع فلان» قال: ويضع يده على الأرض، ههنا وههنا. قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
=

«هَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ، هَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ»، فتَسامعت قريش بما أوحي إلى رسول الله ﷺ من أمر يوم بدر وما أري في منامه من مصارعهم، فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله: «إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الأَثِيمِ»[1] جعلوها سخرية وقالوا: إن محمداً يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة، ثم يقول: ينبت فيها الشجر، وما قدر الله حق قدره. من قال ذلك، وما أنكروا أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار! فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل، إذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالماً لا تعمل فيه النار، وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر بإحماء النار فلا تضرها، ثم أقرب من ذلك أنه خلق في كل شجرة ناراً فلا تحرقها، فما أنكروا أن يخلق[2] في النار شجرة لا تحرقها، والمعنى: أن الآيات إنما يرسل بها تخويفاً للعباد، وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر، فما كان ما ﴿أَرَيْنَاكَ﴾: منه في منامك بعد الوحي إليك، ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾: لهم؛ حيث اتخذوه سخريًا وخوّفوا بعذاب الآخرة وشجرة الزقوم فما أثر فيهم، ثم قال فيهم: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ أي: نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة، ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾: التخويف ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾: فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات، وقيل: الرؤيا: هي الإسراء[3]، وبه تعلق من يقول: كان الإسراء في المنام، ومن قال: كان في اليقظة، فسر الرؤيا بالرؤية، وقيل: إنما سماها رؤيا على قول المكذبين؛ حيث قالوا له: لعلها رؤيا رأيتها، وخيال خيل إليك؛ استبعاداً منهم، كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة؛ نحو قوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾، ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾، ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩] وقيل: هي رؤياه أنه سيدخل مكة، وقيل: رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة.

= أخرجه مسلم من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان، ويضع يده على الأرض ههنا». قال: فما ماط أحد عن موضع يده. انتهى.

---

(١) قال محمود: «افتتانهم بالشجرة أنهم حين سمعوا بقوله؛ إن شجرة الزقوم... إلخ» قال أحمد: والعمدة في ذلك أن النار لا تؤثر إحراقاً في شيء، ولكن الله تعالى أجرى العادة أنه يخلق الحرق عند ملاقاة جسم النار لبعض الأجسام، فإذا كان ذلك من فعل الله لا من فعل النار فلله تعالى أن لا يفعل الحرق في الشجرة التي في أصل الجحيم.

(٢) قوله: «فما أنكروا أن يخلق» عبارة النسفي: فجاز أن يخلق (ع).

(٣) عاد كلامه. قال: «وأما الرؤيا فقيل الإسراء، وتعلق من جعله مناماً بهذه الآية. وقيل: إنما سماها رؤيا على زعم المكذبين... إلخ» قال أحمد: ويبعد ذلك قوله تعالى ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ وقوله ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ والله أعلم.

فإن قلت: أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن؟

قلت: لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة؛ لأن الشجرة لا ذنب لها/ ٢٠٣ أ. حتى تلعن على الحقيقة؛ وإنما وصفت بلعن أصحابها على المجاز، وقيل: وصفها الله باللعن؛ لأن اللعن الإبعاد من الرحمة، وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة، وقيل: تقول العرب لكل طعام مكروه ضار: ملعون، وسألت بعضهم فقال: نعم الطعام الملعون: القشب الممحوق[1]. وعن ابن عباس: هي الكشوت التي تتلوى بالشجر يجعل في الشراب، وقيل: أبو جهل، وقرئ: «والشجرة الملعونة»: بالرفع، على أنها مبتدأ محذوف الخبر، كأنه قيل: والشجرة الملعونة في القرآن كذلك.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿طِينًا﴾: حال، إما من الموصول والعامل فيه: أسجد، على: أأسجد له وهو طين، أي: أصله طين، أو من الراجع إليه من الصلة على: أأسجد لمن كان في وقت خلقه طيناً، ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾: الكاف: للخطاب، و﴿هَٰذَا﴾: مفعول به، والمعنى: أخبرني عن هذا، ﴿الذي كرمته﴾ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أي: فضلته، لم كرمته عليّ وأنا خير منه؟ فاختصر الكلام بحذف ذلك، ثم ابتدأ فقال: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾: واللام: موطئة للقسم المحذوف، ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾: لأستأصلنهم بالإغواء، من احتنك الجراد الأرض: إذا جرد ما عليها أكلاً، وهو من الحنك؛ ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم: أحنك الشاتين، أي: أكلهما.

فإن قلت: من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو الغيب؟

قلت: إما أن سمعه من الملائكة وقد أخبرهم الله به، أو خرجه من قولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها، أو نظر إليه فتوسم في مخايله أنه خلق شهواني، وقيل: قال ذلك لما

---

(١) قوله: «الطعام الملعون القشب الممحوق» الخلط الضار يمزج بالطعام أو الشراب كالسم. والممحوق المذاب حتى يذهب عينه. أفاده الصحاح. وفيه «الكشوث» نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض، قال الشاعر:

هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ... ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر (ع)

عملت وسوسته في آدم، والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة، ﴿ٱذۡهَبۡ﴾: ليس من الذهاب للذي هو نقيض المجيء؛ إنما معناه: امض لشأنك الذي اخترته خذلاناً وتخلية، وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله: ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ﴾، كما قال موسى ـ عليه السلام ـ للسامري: ﴿فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾ [طه: ٩٧].

فإن قلت: أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى من تبعك؟

قلت: بلى؛ ولكن التقدير: فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك، ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل: جزاؤكم، ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات، وانتصب: ﴿جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا﴾، بما في ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ﴾ من معنى: تجازون، أو بإضمار تجازون، أو على الحال؛ لأن الجزاء موصوف بالموفور، والموفور الموفر، يقال: فر لصاحبك عرضه فرة.

استفزّه: استخفه، والفز: الخفيف، ﴿وَأَجۡلِبۡ﴾: من الجلبة وهي الصياح[1]، والخيل: الخيالة، ومنه قول النبي ﷺ: «يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي» (٨٧٠)، والرجل: اسم جمع للراجل؛

---

٨٧٠ ـ أخرجه الحازمي في كتابه «الناسخ والمنسوخ» (ص ٤٦٦) ـ باب المثلة ونسخها من طريق حمزة عن عبد الكريم، وسئل عن أبوال الإبل فقال: حدثني سعيد بن جبير عن المحاربين فقال: كان ناس أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: نبايعك على الإسلام فبايعوه وهم كذبة... وذكر قصة وفيها فأمر رسول الله ﷺ فنودي في الناس «يا خيل الله اركبي فركبوا لا ينتظر فارس فارساً...».
والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٨٦ ـ ١٨٧) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) موقوفاً على علي بن أبي طالب. وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وعزاه ابن حجر في تخريج الكشاف لابن عائذ في المغازي عن الوليد بن مسلم عن سعيد ابن بشير عن قتادة قال: «بعث رسول الله ﷺ يعني يوم قريظة يوم الأحزاب منادياً ينادي «يا خيل الله اركبي» وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٥) للواقدي في كتاب الردة من قول خالد بن الوليد. وقال: وعجيب من السهيلي كيف عزا هذه اللفظة لمسلم، ذكره في الروض الآنف، في أول غزوة حنين... وقال: وأما أبو داود فإنه قال في كتاب الجهاد في سننه ـ باب النداء عند النفير «يا/خيل الله اركبي» ثم روى بسنده عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ سمى خيلنا، خيل الله» وفيه نظر لمن تأمله. فقال ابن حجر: فكأنه لم يتجه له مطابقة الحديث للترجمة، وهو ظاهر هنا؛ لأن المراد صحة هذه الإضافة.
أخرجه أبو الشيخ في الناسخ والمنسوخ من طريق أبي حمزة السكري عن عبد الكريم: حدثني سعيد بن جبير عن قصة المحاربين قال: «كان ناس أتوا النبي ﷺ فقالوا: نبايعك على الإسلام ـ =

---

(١) قوله: «من الجلبة وهي الصياح» في الصحاح: جلب على فرسه وأجلب عليه: صاح به من خلفه واستحثه للسبق اهـ (ع).

ونظيره: الركب والصحب، وقرئ: «ورجلك»؛ على أن فعلاً بمعنى: فاعل، نحو: تعب وتاعب، ومعناه: وجمعك الرجل، وتضم جيمه ـ أيضاً ـ فيكون مثل حدث وحدث، وندس وندس[١]، وأخوات لهما، يقال: رجل رجل، وقرئ: «ورجالك، ورجالك».

فإن قلت: ما معنى: استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله؟

قلت: هو كلام ورد مورد التمثيل، مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوّت بهم صوتاً يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم، وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم، وقيل: بصوته: بدعائه إلى الشر، وخيله ورجله: كل راكب وماش من أهل العيث[٢]، وقيل: يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال، وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما، كالربا والمكاسب المحرّمة، والبحيرة والسائبة، والإنفاق في الفسوق، والإسراف، ومنع الزكاة، والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام، ودعوى ولد بغير سبب، والتسمية بعبد العزى وعبد الحارث، والتهويد والتنصير، والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة، وغير ذلك، ﴿وَعِدْهُمْ﴾: المواعيد الكاذبة[٣]، من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة،

= وذكر القصة وفيها فأمر النبي ﷺ فنودي في الناس: يا خيل الله اركبي: فركبوا، لا ينتظر فارس فارساً. وروى ابن عائذ في المغازي عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة قال: بعث رسول الله ﷺ يعني يوم قريظة يوم الأحزاب منادياً ينادي: يا خيل الله اركبي» وعزا السهيلي في الروض في غزوة حنين هذه اللفظة في صحيح مسلم. فينظر فيه. وقال أبو داود في السنن: باب النداء عند النفير: يا خيل الله اركبي، وساق في الباب حديث سمرة بن جندب «أن النبي ﷺ سمى خيلنا خيل الله» قلت: أشكل هذا على المخرج فقال: فيه نظر لمن تأمله. فكأنه لم يتجه له مطابقة الحديث للترجمة. وهو ظاهر هنا؛ لأن المراد صحة هذه الإضافة. وقد وردت عن علي وخالد بن الوليد؛ ففي المستدرك للحاكم في قصة أويس من حديث أبي نضرة عن أسيد بن جابر، فذكر القصة، فقال في آخرها: فنادى علي: يا خيل الله اركبي» وفي الردة للواقدي من رواية عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد أن خالد بن الوليد قال لأصحابه يوم اليمامة: «يا خيل الله اركبي، فركبوا وساروا إلى بني حنيفة» انتهى.

---

(١) قوله: «مثل حدث وحدث، وندس وندس» في الصحاح: رجل حدث وحدث، بضم الدال وكسرها أي حسن الحديث. وفيه: رجل ندس وندس، أي: فهم (ع).

(٢) قوله: «العيث» في الصحاح «العيث» الإفساد (ع).

(٣) قال محمود: «المراد وعدهم المواعيد الكاذبة... إلخ» قال أحمد: وهذا من تجري المصنف على السنة ومتبعيها، فإنه جعل المغفرة المقرونة بالمشيئة وإن لم تكن توبة للمؤمنين من مواعيد الشيطان، مع العلم بأنها ثابتة بقواطع القرآن وعداً من الرحمن، وكذلك الشفاعة المتفق عليها بين أهل السنة =

وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها، والاتكال على الرحمة، وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمماً[1]، وإيثار العاجل على الآجل، ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾: يريد الصالحين، ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أي: لا تقدر أن تغويهم، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾: لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك؛ ونحوه قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٣].

فإن قلت: كيف جاز أن يأمر الله إبليس بأن يتسلط على عباده مغويًّا مضلاً، داعياً إلى الشر، صادًّا عن الخير؟

قلت: هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية، كما قال للعصاة: اعملوا ما شئتم.

﴿رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿يُزْجِي﴾: يجري ويسير، والضر: خوف الغرق، ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾: ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده؛ فإنكم لا تذكرون سواه، ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم، ولا تخطرون ببالكم أن غيره يقدر على إغاثتكم، أو لم يهتد لإنقاذكم أحد غيره من سائر المدعوين، ويجوز أن يراد: ضل من تدعون/ ٢٠٣ ب من الآلهة عن إغاثتكم، ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده[2] على الاستثناء المنقطع.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾: الهمزة: للإنكار، والفاء: للعطف على محذوف تقديره: أنجوتم فأمنتم،

= والجماعة التي وعد بها الصادق المصدوق، وميزه الله تعالى بها على كل مخلوق، من مواعيد الشيطان الباطلة وأمانيه الماحلة. اللهم ارزقنا الشفاعة، واحشرنا في زمرة السنة والجماعة.

(١) قوله: «بعد أن يصيروا حمماً» في الصحاح: الحمم: الرماد والفحم: الواحدة حممة، ثم ما أفاده من توقف المغفرة على التوبة وعدم الشفاعة في الكبائر، وعدم خروج أهلها من النار بعد احتراقهم هو مذهب المعتزلة. وأهل السنة على خلاف ذلك، كما تقرر في علم التوحيد (ع).

(٢) قوله: «ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده» كأنه تكرار، وأسقطه الخازن في عبارته (ع).

فحملكم ذلك على الإعراض.

فإن قلت: بم انتصب ﴿جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾؟

قلت: بيخسف مفعولاً به، كالأرض في قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾، و (بكم): حال، والمعنى: أن يخسف جانب البر، أي: يقلبه وأنتم عليه.

فإن قلت: فما معنى ذكر الجانب؟

قلت: معناه: أن الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء، وله في كل جانب براً كان أو بحراً سبب مرصد من أسباب الهلكة، ليس جانب البحر وحده مختصاً بذلك؛ بل إن كان الغرق في جانب البحر، ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف؛ لأنه تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء، فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر، فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان، ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: وهي: الريح التي تحصب، أي: ترمي بالحصباء، يعني: أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف، أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها، فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر، ﴿وَكِيلًا﴾: من يتوكل بصرف ذلك عنكم، ﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾: أن يقوّي دواعيكم، ويوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم، فينتقم منكم بأن يرسل: ﴿عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾: وهي: الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد، كأنها تتقصف أي: تتكسر، وقيل: التي لا تمر بشيء إلا قصفته، ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾: وقرئ بالتاء، أي: الريح، وبالنون، وكذلك: نخسف، ونرسل، ونعيدكم، قرئت بالياء والنون، التبيع: المطالب، من قوله: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: مطالبة؛ قال الشماخ [من الوافر]:

.... كَمَا لاَذَ الغَرِيمُ مِنَ التَّبِيعِ[1]

يقال: فلان على فلان تبيع بحقه، أي مصيطر عليه مطالب له بحقه. والمعنى: أنا نفعل ما نفعل بهم، ثم لا تجد أحداً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً منا ودركاً للثأر من جهتنا. وهذا نحو قوله ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾. ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفرانكم النعمة، يريد: إعراضهم حين نجاهم.

---

(١) يلوذ ثعالب الشرقين منها كما لاذ الغريم من التبيع
للشماخ، يصف عقاباً تهرب منها ثعالب الشرقين، وهو اسم موضع، أو جهة الجنوب وجهة الشمال، كالمشرقين، كما لاذ: أي هرب والتجأ، الغريم: أي المدين، من التبيع: أي الدائن المطالب.
ينظر: ديوانه ص ٢٢٧، ولسان العرب (تبع).

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

قيل في تكرمة ابن آدم: كرمه الله بالعقل، والنطق، والتمييز، والخط، والصورة الحسنة، والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، وقيل: بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم، وقيل: كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم، وعن الرشيد: أنه أحضر طعاماً فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف، فقال له: جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾: جعلنا لهم أصابع يأكلون بها، فأحضرت الملاعق فردّها وأكل بأصابعه، ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾: هو ما سوى الملائكة[1]، وحسب بني آدم تفضيلاً أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم، والعجب من المجبرة كيف عكسوا[2] في كل شيء وكابروا، حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الإنسان على الملك؛ وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم، وعلموا أين أسكنهم، وأنى قربهم، وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة انبيائه من أممهم، ثم جرهم فرط التعصب عليهم إلى أن لفقوا أقوالاً وأخباراً منهم: «قالت الملائكة[3]: ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك، فأعطناه في الآخرة، فقال: وعزتي وجلالي، لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له:

---

(١) قال محمود: «المراد فضلناهم على ما سوى الملائكة... إلخ» قال أحمد: وقد بلغ إلى حد من السفه يوجب الحد، ولسنا لمساجلته إلا من حيث العلم، لا من حيث السفه. والقدر الذي تختص به هذه الآية أن حمل كثير على الجميع غير مستبعد ولا مستنكر. ألا ترى أنه ورد حمل القليل على العدم. والزمخشري يختار ذلك في قوله تعالى ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وأشباهه كثير. وقد لمح الشاعر ذلك في قوله [من الطويل]:

قـلـيـل بـهـا الأصـوات إلا بـغـامـهـا

أي لا أصوات بها، ولنا أن نبقيه على ما هو عليه، ونقول: إن المخلوق قسمان: بنو آدم أحدهما وغيرهم من جميع المخلوقين القسم الآخر، ولا شك أن غيرهم أكثر منهم وإن لم يكونوا أكثر منهم كثيراً، فمعنى قوله ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ أي على غيرهم من جميع المخلوقين، وتلك الأغيار كثير بلا مراء، وذلك مرادف لقولك: وفضلناهم على جميع من عداهم ممن خلقنا، فظاهر الآية إذاً مع الأشعرية الذين سماهم مجبرة، وتمشدق في سبهم وشقشق العبارات في ثلبهم، وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، والله ولي التوفيق والتسديد.

(٢) قوله: «والعجب من المجبرة كيف عكسوا» يعني أهل السنة. وقوله: «تفضيل الإنسان» يعنون المؤمن. ويدل لمذهبهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ وأما الذين كفروا فهم شر البرية، ودعوى العكس من فرط التعصب للمعتزلة (ع).

(٣) قوله: «قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا» صدره كما في الخازن. لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة، وقوله: «خلقت بيدي» في الخازن: ونفخت فيه من روحي (ع).

كن فكان (٨٧١)، ورووا عن أبي هريرة أنه قال: لمؤمن[١] أكرم على الله من الملائكة

---

٨٧١ ـ ورد من حديث ابن عمر وجابر بن عبد الله:
ـ أما حديث ابن عمر، فأخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٩٩ ـ ١٠٠) (٦١٦٩) من طريقة طلحة بن زيد عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا...» وقال: لم يرو هذا الحديث عن صفوان بن سليم إلا طلحة بن زيد...» قلت: وقع تصحيف في المطبوع من الأوسط «عبد الله بن عمرو» بدلاً من «عبد الله بن عمر» وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٦) وابن حجر للطبراني في الكبير وقال ابن حجر: ورجاله ثقات. وله شاهد عند عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٨٢) أنا معمر عن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم...﴾ الآية: قال: قالت الملائكة... فذكره موقوفاً عليه، وقال الدارقطني في علله: روى عبد المجيد بن أبي رواد عن معمر، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «قالت الملائكة...» فذكره وقال: وقد رواه سريج بن يونس عن عبد المجيد فوقفه وهو أصح. أ.هـ.
ـ ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية كذلك، وقال: هذا حديث لا يصح، وكان الحميدي يتكلم في عبد المجيد، وقال ابن حبان: يقلب الأخبار ويروي المناكير عن المشاهير؛ فاستحق الترك.
ـ وأما حديث جابر، فأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، والطبراني في مسند الشاميين؛ كما في «تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٢٧٧).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه الطبراني في الأوسط من طريق محمد بن ماهان: حدثنا طلحة بن زيد، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة قالت: رب، أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها، ويشربون، ويلبسون، ونحن نسبح بحمدك، لا نأكل، ولا نشرب، ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة. قال: لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن، فكان» قال: لم يروه عن صفوان إلا طلحة وأبو غسان تفرد به طلحة محمد بن ماهان. وعن أبي غسان حجاج الأعور؛ أخرج طريق حجاج في المعجم الكبير ورجاله ثقات. وله شاهد عند عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن زيد بن أسلم قال: قالت الملائكة فذكر نحوه موقوفاً عليه. وقال الدارقطني في العلل: روى عبد المجيد بن أبي داود، عن معمر، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عمر. فذكر نحوه قال: ورواه شريح بن يونس عن عبد المجيدموقوفاً، وهو أصح، وله شاهد آخر أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، والبيهقي في الأسماء والصفات من رواية عبد ربه بن صالح عن عروة بن رويح أنه سمعه يحدث عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم وذريته، قالت الملائكة: يا رب خلقتهم يأكلون، ويشربون، وينكحون، ويركبون، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة. فقال تعالى: لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان» ومنها ما رواه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده» البيهقي في الشعب. من رواية حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة موقوفاً.
وأخرجه ابن ماجه من هذه الطريق موقوفاً. وأبو المهزم متروك: وله شاهد أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من رواية عبيد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ماشيء أكرم على الله =

---

(١) قوله: «قال لمؤمن أكرم على الملائكة» في الخازن: المؤمن (ع).

الذين عنده (٨٧٢)، ومن ارتكابهم أنهم فسروا: (كثيراً) بمعنى: «جميع» في هذه الآية، وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم: وفضلناهم على جميع ممن خلقنا، على أن معنى قولهم: «على جميع ممن خلقنا»: أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم، ولكنهم لا يشعرون، فانظر إلى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الأعلى، كأنّ جبريل ـ عليه السلام ـ غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط، فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم[1].

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾

قرئ: «يدعو»: بالياء والنون، ويدعى كل أناس، على البناء للمفعول، وقرأ الحسن: «يدعوا كل أناس»: على قلب الألف واواً في لغة من يقول: افعوا، والظرف نصب بإضمار

= يوم القيامة من بني آدم. قيل: ولا الملائكة. قال: ولا الملائكة. الملائكة مجبورون كالشمس والقمر» قال البيهقي: تفرد به عبيد الله بن تمام يروي أحاديث معاوية وهو ضعيف. انتهى.

٨٧٢ ـ روي موقوفاً ومرفوعاً.

أما المرفوع: فأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٠١ ـ ١٣٠٢) ـ كتاب الفتن (٣٦ ـ باب المسلمون في ذمة الله عز وجل (٦) (٣٩٤٧)، وابن حبان في كتاب الضعفاء (٣/ ٩٩)، كلاهما من طريق الوليد بن مسلم قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: سمعت أبا المهزم. سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول، فذكره. وفي الزوائد للبوصيري (٣/ ٢٢٧): إسناد ضعيف؛ لضعف يزيد بن سفيان.

قال ابن حبان في «يزيد بن سفيان»: كان ممن يهم ويخطئ فيما يروى، فلما كثر في روايته مخالفة الأثبات، خرج عن حد العدالة. قد تركه شعبة. وضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم، وقال النسائي: متروك. ينظر تهذيب الكمال (٣٤/ ٣٢٨) وعزاه الهيثمي في المجمع (١/ ٨٧) للطبراني في الأوسط وقال: فيه أبو المهزم وهو متروك.

وأما الموقوف:

فأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٧٤) (١٥٢)، وقال: كذا رواه أبو المهزم عن أبي هريرة موقوفاً وأبو المهزم متروك. وله شاهد أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ١٧٤) (١٥٣) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٠٣) (٤٨٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٤٥) كلهم من طريق عبيد الله ابن تمام السلمي، عن خالد الحذاء، عن بشر بن شغاف، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً. «ما من شيء أكرم على الله من ابن آدم...».

قال ابن الجوزي: حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ؛ قال الدارقطني: عبيد الله بن تمام يروي أحاديث مقلوبة، وهو ضعيف، وقال ابن حبان: لا يحتج بخبره، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٨٧): رواه الطبراني في الكبير وفيه عبيد الله بن تمام وهو ضعيف.

---

(١) قوله: «فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم» في الصحاح «السخيمة» الضغينة والموجدة في النفس (ع).

اذكر، ويجوز أن يقال: إنها علامة الجمع؛ كما في: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: ٣]، والرفع مقدر كما في: يدعى، ولم يؤت بالنون؛ قلة مبالاة بها؛ لأنها غير ضمير، ليست إلا علامة، ﴿بِإِمَـٰمِهِمْ﴾: بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين، أو كتاب، أو دين[1]، فيقال: يا أتباع فلان، يا أهل دين كذا وكتاب كذا، وقيل: بكتاب أعمالهم، فيقال: يا أصحاب كتاب الخير، ويا أصحاب كتاب الشر، وفي قراءة الحسن: «بكتابهم»، ومن بدع التفاسير: أن الإمام جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم، وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الأباء رعاية حق عيسى ـ عليه السلام ـ وإظهار شرف الحسن والحسين، وألاَّ يفتضح أولاد الزنا، وليت/ ٢٠٤ أ شعري أيهما أبدع؟ أصحة لفظة أم بهاء حكمته[2]؟ ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾: من هؤلاء المدعوين، ﴿كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ﴾ قيل: أولئك؛ لأن من أوتي في معنى الجمع.

فإن قلت: لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم؟ كأن أصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم.

قلت: بلى، ولكن إذا اطلعوا على ما في كتابهم، أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته، والاعتراف بمساويه، أمام التنكيل به والانتقام منه، من الحياء والخجل والانخزال، وحبسة اللسان، والتتعتع، والعجز عن إقامة حروف الكلام، والذهاب عن تسوية القول، فكأن قراءتهم كلا قراءة، وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك، لا جرم أنهم يقرؤون كتابهم أحسن قراءة وأبينها، ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارىء لأهل المحشر: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ﴾، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء؛ كقوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٠]، ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

﴿وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

---

(١) قال محمود: «بإمامهم معناه بمن ائتموا به من نبي أو كتاب أو دين... إلخ» قال أحمد: ولقد استبدع بدعاً لفظاً ومعنى، فإن جمع الأم المعروف أمهات، أما رعاية عيسى عليه السلام بذكر أمهات الخلائق ليذكر بأمه، فيستدعي أن خلق عيسى من غير أب غميزة في منصبه، وذلك عكس الحقيقة، فإن خلقه من غير أب كان آية له، وشرفاً في حقه، والله أعلم.

(٢) قال السمين الحلبي: «قلت: وهو معذور، لأن «أمّاً» لا تجمع على «إمام» هذا قول من لا يعرف الصناعة، ولا لغة العرب، وأما ما ذكروه من المعنى فإن الله تعالى نادى عيسى باسمه مضافاً لأمه في عدة مواضع من قوله: ﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ وأخبر عنه كذلك نحو: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، وفي ذلك غضاضة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ـ وكرّم الله وجهه ـ قوله: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ يجوز أن تكون شرطية، وأن تكون موصولة، والفاء لشبهه بالشرط، وحمل على اللفظ أولاً، في ذلك قوله: «أوتي كتابه بيمينه»، فأفرد، وعلى المعنى ثانياً في قوله: «فأولئك» فجمع. انتهى. الدر المصون.

معناه: ومن كان في الدنيا أعمى، فهو في الآخرة أعمى كذلك، ﴿وأضل سبيلا﴾: من الأعمى، والأعمى: مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته، لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة: أما في الدنيا فلفقد النظر، وأما في الآخرة؛ فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه، وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى: التفضيل[1]، ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول: مما لا، والثاني مفخماً[2]؛ لأن أفعل التفضيل تمامه بمن، فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام[3]؛ كقولك: أعمالكم، وأما الأول: فلم يتعلق به شيء، فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

روي أن ثقيفاً قالت للنبي ﷺ: لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب: لا نعشر، ولا نحشر، ولا نجبى[4] في صلاتنا، وكل ربًا لنا فهو لنا، وكل ربًا علينا فهو موضوع عنا، وأن تمتعنا باللات سنة، ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول، وأن تمنع من قصد وادينا وجّ فعضد شجره، فإذا سألتك العرب: لم فعلت ذلك؟ فقل: إن الله أمرني به، وجاءوا بكتابهم فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف: لا يعشرون ولا يحشرون، فقالوا: ولا يجبون، فسكت رسول الله ﷺ ثم قالوا للكاتب: اكتب: ولا يجبون، والكاتب ينظر إلى رسول الله، فقام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فسل سيفه، وقال: أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف، أسعر الله قلوبكم ناراً، فقالوا: لسنا نكلم إياك؛ إنما نكلم محمداً (٨٧٣)؛ فنزلت، وروي أن قريشاً قالوا له:

---

٨٧٣ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٩)، وقال ابن حجر: لم أجده، وذكره الثعلبي عن ابن =

---

(١) عاد كلامه. قال: «وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل... إلخ» قال أحمد: أي لأنه من عمي القلب لا من عمي البصر، فجاز أن ينبني منه أفعل.

(٢) عاد كلامه. قال: «ومن ثم أمال أبو عمرو الأولى وفخم الثانية... إلخ» قال أحمد: يحتمل أن تكون هذه الآية قسيمة الأولى، أي: فمن أوتي كتابه بيمينه فهو الذي يبصره ويقرؤه، ومن كان في الدنيا أعمى غير مبصر في نفسه ولا ناظر في معاده، فهو في الآخرة كذلك غير مبصر في كتابه، بل أعمى عنه أو أشد عمى مما كان في الدنيا على اختلاف التأويلين، والله أعلم.

(٣) قوله: «الواقعة في وسط الكلام» لعله الكلمة، كعبارة النسفي (ع).

(٤) قوله: «لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي» في الصحاح «التجبية» أن يقوم الإنسان قيام الراكع. وقال أبو عبيدة: تكون في حالين، أحدهما: أن يضع يديه على ركبتيه، والآخر ينكب على وجهه باركاً وهو السجود، وفيه «وجّ» بلد الطائف: وفيه أيضاً: عضدت الشجر، أي قطعته (ع).

اجعل آية رحمة آية عذاب، وآية عذاب آية رحمة، حتى نؤمن بك؛ فنزلت، ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ﴾: إن مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، والمعنى: أن الشأن قاربوا أن يفتنوك، أي: يخدعوك فاتنين، ﴿عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾: من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا، ﴿لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا﴾: لتقول علينا ما لم نقل، يعني: ما أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيداً والوعيد وعداً، وما اقترحته ثقيف من أن يضيف إلى الله ما لم ينزله عليه، ﴿وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ﴾ أي: ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك ﴿خَلِيلٗا﴾، ولكنت لهم وليًّا، وخرجت من ولايتي، ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ﴾: ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا، ﴿لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ﴾: لقاربت أن تميل إلى خدعهم ومكرهم، وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت، وفي ذلك لطف للمؤمنين، ﴿إِذٗا﴾: لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة، ﴿لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ﴾ أي: لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين.

فإن قلت: كيف حقيقة هذا الكلام؟

قلت: أصله: لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات؛ لأن العذاب عذابان: عذاب في الممات، وهو عذاب القبر، وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار، والضعف يوصف به، نحو قوله: ﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨]، بمعنى: مضاعفاً، فكان أصل الكلام: لأذقناك عذاباً ضعفاً في الحياة، وعذاباً ضعفاً في الممات(١)، ثم حذف الموصوف

= عباس من غير سند. انتهى.

---

(١) قال محمود: المراد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات... إلخ» قال أحمد: أما تقليل الكيدودة فالذي ينبغي أن يحمل عليه كونه الواقع في علم الله تعالى؛ لأن الله عز وجل يعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فعلم تعالى أن الركون الذي كاد يحصل منه عليه السلام وإن كان ما حصل أمر قليل وخطب يسير، فذلك إخبار من الله تعالى عن الواقع في علمه تقديراً، فلا يليق أن يحمل على المبالغة والتنبيه. فإن ذلك لا يكون في الإخبار. ألا ترى أنه لو كان الواقع كيدودة ركون كثير، لكان تقليله خلفاً في الخبر، ولا ينكر أن الذنب يعظم بحسب فاعله على ما ورد: حسنات الأبرار سيئات المقربين. وأما نقل الزمخشري عن مشايخه استعظام نسبة الفواحش والقبائح إلى الله عز وجل، فلقد استعظموا عظيماً حق على كل مسلم أن يستفظعه، ولكنهم جهلوا باعتقاد القبح وصفاً ذاتيا للقبح، فلزمهم على ذلك أن كل فعل استقبح من العبد استقبح من الله تعالى، وهم غالطون في ذلك، فمعنى كون الفعل قبيحاً أن الله تعالى نهى عنه عبده، وإن كان لله تعالى أن يفعله، وهو حسن بالنسبة إليه ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ ألا ترى أن الملك يصح منه أن يستقبح من عبده أن يجلس على كرسي الملك، ونهاه عن ذلك، ولا يستقبح ذلك من نفسه، بل هو منه حسن جميل. ولقد كان لمشايخه شغل باستعظام ما لزمهم من الإشراك، عن استعظام غيره مما هو توحيد محض وإيمان صرف، ولكنهم زين لهم سوء اعتقادهم فرأوه حسناً، والله الموفق.

وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف، ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل: ضعف الحياة وضعف الممات، كما لو قيل: لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات، ويجوز أن يراد بضعف الحياة: عذاب الحياة الدنيا، وبضعف الممات: ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار، والمعنى: لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا، وما نؤخره لما بعد الموت، وفي ذكر الكيدودة وتقليلها، مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين ـ دليل بين على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته، ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد[1] ـ رضوان الله عليهم ـ نسبة المجبرة القبائح إلى الله ـ تعالى عن ذلك علوًا كبيراً ـ وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته، وسبب موجب لغضبه ونكاله، فعلى المؤمن إذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها، فهي جديرة بالتدبر، وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله، وعن النبي ﷺ أنها لما نزلت كان يقول: «اللَّهُمَّ لاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»/ ٢٠٤ ب (٨٧٤).

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَإِن كَادُواْ﴾: وإن كاد أهل مكة، ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾: ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم، ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: من أرض مكة، ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ﴾: لا يبقون بعد إخراجك، ﴿إِلَّا﴾: زماناً ﴿قَلِيلًا﴾: فإن الله مهلكهم وكان كما قال، فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل، وقيل: معناه: ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم، ولم يخرجوه، بل هاجر بأمر ربه، وقيل: من أرض العرب، وقيل: من أرض المدينة؛ وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم، فاجتمعوا إليه، وقالوا: يا أبا القاسم، إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر إبراهيم، فلو خرجت إلى الشام لآمنا بك واتبعناك، وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم، فإن كنت رسول الله فالله مانعك منهم، فعسكر رسول الله ـ ﷺ على أميال من المدينة، وقيل: بذي الحليفة، حتى يجتمع إليه أصحابه، ويراه الناس عازماً على الخروج إلى الشام، لحرصه على دخول

---

٨٧٤ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٧٩) للثعلبي في تفسيره عن قتادة مرسلاً، وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: لم أجده، وذكره الثعلبي عن قتادة مرسلاً. انتهى.

---

(١) قوله: «ومن ثم استعظم مشايخ العدل» يعني المعتزلة. ويريد بالمجبرة: أهل السنة. حيث قالوا: إن الخير والشر كلاهما من عند الله يخلقه وإرادته، ولو كان من فعل العبد ظاهراً (ع).

الناس في دين الله (٨٧٥)؛ فنزلت، فرجع، وقرئ: «لا يلبثون»، وفي قراءة أبيّ: «لا يلبثوا» على إعمال «إذا».

فإن قلت: ما وجه القراءتين؟

قلت: أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل، وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد، والفعل في خبر كاد واقع موقع الإسم، وأما قراءة أبيّ، ففيها الجملة برأسها التي هي: «إذاً لا يلبثوا»، عطف على جملة قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾، وقرئ: «خلافك»[1]؛ قال [من الكامل]:

عَفَتِ الدِّيارُ خلافَهمْ فكأنَّما ... بَسَطَ الشَّواطِبُ بينهُنَّ حَصِيرا[2]

أي بعدهم ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ يعني: أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم، فسنة الله أن يهلكهم، ونصبت نصب المصدر المؤكد، أي: سن الله ذلك سنة.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾

دلكت الشمس: غربت، وقيل: زالت، وروي عن النبي ﷺ: «أَتانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ حِينَ زَالتِ الشَّمْسُ، فصلَّى بِي الظّهْر» (٨٧٦). واشتقاقه من

---

٨٧٥ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٨٠)، وقال ابن حجر: لم أجده، وذكره السهيلي في الروض عن عبد المجيد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم «أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، إن كنت صادقاً أنك نبي، فالحق بالشام... فذكر نحوه.. لكن قال: فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام. فلمّا بلغ تبوك أنزل الله تعالى ـ فذكره وزاد: وأمره بالرجوع، وقال: «فيها محياك ومماتك ومنها تبعث» وحديث عبد الرحمن بن غنم عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٥٣) لابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل وابن عساكر.

٨٧٦ ـ أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ٤٠١) (٥١٨) من طريق أيوب بن عتبة، عن أبي بكر ابن أبي عمرو بن حزم، عن عروة بن الزبير عن ابن أبي مسعود الأنصاري، عن أبيه أن جبريل ـ عليه السلام ـ أتى رسول الله ﷺ حين دلكت الشمس... وقال: وأيوب بن عتبة ليس بالقوي وأخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ١٢٥) (٢٢٥٨١) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٦٣) (٧٢٤) مطولاً. وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٨١) لابن مردويه في تفسيره، وعزاه ابن حجر: لإسحاق في مسنده. كلهم من طريق يحيى بن سعيد، حدثني أبو بكر بن حزم، عن أبي =

---

(١) قوله: «وقرئ خلافك» كانت القراءة التي سبق تفسيرها: خلفك.

(٢) عفت: درست وهلكت، خلافهم: أي بعدهم. والشواطب: النساء يشققن شطب النخل: أي سعفه الأخضر، يعملنه حصيراً: يصف ديارهم بعدهم بدروسها وكثرة قمامتها لعدم كنسها.

الدلك؛ لأن الإنسان يدلك عينه عند النظر إليها، فإن كان الدلوك الزوال، فالآية جامعة للصلوات الخمس، وإن كان الغروب، فقد خرجت منها الظهر والعصر، والغسق: الظلمة، وهو وقت صلاة العشاء، ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: صلاة الفجر، سميت قرآناً وهو القراءة؛ لأنها ركن، كما سميت ركوعاً وسجوداً وقنوتاً، وهي حجة على ابن علية والأصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن، ﴿مَشْهُودًا﴾: يشهده ملائكة الليل والنهار، ينزل هؤلاء، ويصعد هؤلاء؛ فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار، أو يشهده الكثير من المصلين في العادة، أو من حقه أن يكون مشهوداً بالجماعة الكثيرة، ويجوز أن يكون: (وقرآن الفجر): حثًا على طول القراءة في صلاة الفجر؛ لكونها مكثوراً عليها؛ ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب؛ ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة، ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾: وعليك بعض الليل، ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾: والتهجد: ترك الهجود للصلاة؛ ونحوه: التأثم والتحرج، ويقال ـ أيضاً ـ في النوم: تهجد، ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس، وضع نافلة موضع تهجداً؛ لأن التهجد عبادة زائدة، فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد، والمعنى: أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك؛ لأنه تطوع لهم، ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: نصب على الظرف، أي: عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاماً محموداً، أو ضمن يبعثك معنى: يقيمك، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى: أن يبعثك ذا مقام محمود، ومعنى المقام المحمود: المقام الذي يحمده القائم فيه، وكل من رآه وعرفه، وهو مطلق في كل ما يجب الحمد من أنواع الكرامات، وقيل:

= مسعود الأنصاري.. فذكره وقال ابن حجر: وهذ منقطع. قلت: وذلك؛ لأن أبا بكر لم يسمع من أبي مسعود.

وبمعناه ما أخرجه البزار في مسنده (٢٢٢٧) من حديث عمر بن قيس، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «دلوك الشمس زوالها» وقال: إنما يروى هذا الحديث موقوفاً على ابن عمر، ولم يسنده عن الزهري إلاعمر بن قيس، وكان لَيّن الحديث. أ.هـ.
وأخرج الطبري في تفسيره (٨/ ١٢٥) (٢٢٥٨٣) من حديث جابر بن عبد الله قال: دعوت نبي الله ﷺ ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي، ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي ﷺ فقال: «اخرج يا أبا بكر، قد دلكت الشمس».
وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه البيهقي من طريق أيوب بن عتبة، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عروة، عن ابن مسعود قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ حين دلكت الشمس ـ يعني حين زالت ـ فقال: قم فصل، فقام فصلّى الظهر» قال إسحاق في مسنده: حدثنا بشر بن عمر حدثنا سليمان بن بلال حدثنا يحيى بن سعيد حدثني أبو بكر بن حزم عن أبي مسعود قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له: قم فصل. وذلك لدلوك الشمس حين مالت. فقام فصلى الظهر أربعاً. ومن هذا الوجه أخرجه ابن مردويه. وهذا منقطع. انتهى.

المراد: الشفاعة، وهي نوع واحد مما يتناوله، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: مقام يحمدك فيه الأولون والآخرون، وتشرف فيه على جميع الخلائق: تسأل فتعطى، وتشفع فتشفع، ليس أحد إلا تحت لوائك، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ فيهِ لأُمَّتِي» (٨٧٧). وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد، فلا تتكلم نفس، فأول

---

٨٧٧ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة: فورد من حديث

١ ـ أبو هريرة، أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٣) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ باب «ومن سورة بني إسرائيل» ـ (٣١٣٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٤٤ ـ ٤٧٨)، والواحدي في تفسير الوسيط (٣/ ١٢٢)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٨٤) لابن أبي شيبة في مسنده، وابن مردويه في تفسيره كلهم من طريق داود بن يزيد الزَّغَافِرِيِّ عن أبيه، عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ ... قال الترمذي: حديث حسن، وداود الزغافري هو داود الأودي بن يزيد بن عبد الله قلت: وداود بن يزيد هو أبو يزيد الكوفي الأعرج، قال الحافظ في التقريب (١/ ٢٣٥): ضعيف.

٢ ـ وفي الباب حديث أنس

أخرجه البخاري في صحيحه (١٥/ ٣٨٣) ـ كتاب التوحيد (٩٧) ـ باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (٢٤) (٧٤٤٠) معلقاً.

٣ ـ وعن ابن عمر

وهو عند البخاري أيضاً (٩/ ٣١٦) ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ باب قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ (٤٧١٨).

٤ ـ وعن ابن مسعود

أخرجه النسائي في التفسير (٦/ ٣٨٢) (١١٢٩٦) مختصراً، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٩٦: ٤٩٨) مطولاً، كلاهما من طريق سلمة بن كهيل ثنا أبو الزعراء عن عبد الله بن مسعود قال... وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. قلت: وفي ذلك نظر، فإن أبا الزعراء ـ واسمه عبد الله بن هانئ الكندي ـ لم يرو عنه إلا سلمة بن كهيل. قال البخاري في التاريخ الكبير (٥/ الترجمة ٧٢٠): لا يتابع في حديثه. وذكره العقيلي في الضعفاء وقال: سمع ابن مسعود، وفيه كلام ليس في حديث الناس، وساق له حديث الشفاعة بطوله، ووثقه العجلي وابن سعد. تهذيب الكمال (١٦/ ٢٤٠) وأخرج أحمد في المسند (١/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥) كتاب التفسير. كلاهما من طريق علي بن الحكم، عن عثمان بن عمير، عن إبراهيم، عن علقمة والأسود، وعن ابن مسعود، وعند الحاكم، عن عثمان، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: «جاء ابنا مليكة إلى النبي... فذكره». وفيه قال النبي ﷺ: «ما شاء الله ربي، وما أطعمني فيه، وإني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة»... وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعثمان بن عمير هو ابن اليقظان. وتعقبه الذهبي فقال: «لا والله، فعثمان ضعفه الدارقطني، والباقون ثقات.

قلت: وقع تصحيف في المطبوع من تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٢٨٣)، فوقع «عثمان بن عمر أبي القطان» والصحيح ما تقدم.

٥ ـ حديث كعب بن مالك:

أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٣) ـ كتاب التفسير، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. =

مدعو محمد ﷺ فيقول: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالشرّ لَيسَ إِلَيْكَ، وَالْمَهديُّ مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدَكَ بَيْنَ يَدَيكَ وَبِكَ وَإِلَيكَ، لاَ مَلْجأَ وَلاَ منجى مِنكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتعَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ» (٨٧٨)[1]. قال: فهذا قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]

= ٦ ـ حديث جابر

أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٥٠) ـ كتاب الإيمان (١) ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٨٤) (٣٢٠) عن يزيد الفقير، قال: كنت قد شغفني رأي... وفيه ـ قال جابر ـ «فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام...».

٧ ـ وحديث أبي سعيد الخدري

أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) (٣١٤٨)، وابن ماجه (٢/ ١٤٤٠) ـ كتاب الزهد (٣٧) ـ باب ذكر الشفاعة (٣٧) (٤٣٠٨)، كلاهما من حديث علي بن زيد بن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله... وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قلت: وتصحيح الترمذي فيه نظر؛ فإن علي بن زيد بن جُدعان ضعيف. التقريب (٢/ ٣٧).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، والترمذي من طريق داود بن يزيد الأودي، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ وسئل عنه فقال: «هي الشفاعة» وفي الباب عن أنس عند البخاري في التوحيد، وعن ابن عمر عنده في الزكاة. وعن ابن مسعود عند النسائي والحاكم، وله طريق آخر عند أحمد والحاكم مطولاً. وعن كعب بن مالك عند الحاكم. وأصله عند مسلم وعن جابر عند أحمد والحاكم، واختلف في وصله وإرساله على الزهري. عن علي بن الحسين. وعن أبي سعيد عند الترمذي، وابن ماجه، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند ابن مردويه مطولاً. وعن سعد بن أبي وقاص عند ابن مردويه من رواية محمد بن الحسن عن أبي حنيفة، عن عبد العزيز بن ربيع، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: «سئل النبي ﷺ عن المقام المحمود فقال: هو الشفاعة». انتهى.

٨٧٨ ـ أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣٨١) ـ كتاب التفسير ـ (١١٢٩٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ٢٢٨ ـ منحة) (٢٨٠٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٧٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣١٩) (٣١٧٤٤)، والبزار كما في كشف الأستار (٤/ ١٦٧) والبيهقي في البعث والنشور (ص ١٣٤/ ٢١١)، والطبري في تفسيره (٨/ ١٣٢) (٢٢٦٣١) كلهم من طرق عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة بن اليمان موقوفاً قال: يجمع الناس في صعيد واحد فلاتكلم نفس...» وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة، إنما أخرج مسلم حديث أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن خراش ليخرجن من النار فقط. ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٨٠): رواه البزار موقوفاً، ورجاله رجال الصحيح.

وأخرجه الحاكم (٤/ ٥٧٣) من طريق ليث بن أبي سليم عن أبي إسحاق به مرفوعاً دون قول حذيفة: «فذلك المقام المحمود» وعزاه الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٨٠) للطبراني في الأوسط، وقال: وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة =

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

قرئ: «مدخل ومخرج»: بالضم والفتح، بمعنى: المصدر، ومعنى الفتح: أدخلني فأدخل مدخل صدق، أي: أدخلي القبر مدخل صدق: إدخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيئات، وأخرجني منه عند البعث إخراجاً مرضيًا، ملقى بالكرامة، آمناً من السخط، يدل عليه ذكره على أثر ذكر البعث، وقيل: نزلت حين أمر بالهجرة ـ يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة ـ، وقيل: إدخاله مكة ظاهراً عليها بالفتح، وإخراجه منها آمناً من المشركين، وقيل: إدخاله الغار وإخراجه منه سالماً، وقيل: إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر ـ وهو النبوة ـ وإخراجه منه مؤدياً لما كلفه من غير تفريط، وقيل: الطاعة، وقيل: هو عام في كل/ ٢٠٥ أ ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان، ﴿سُلْطَانًا﴾: حجة تنصرني على من خالفني، أو ملكاً. وعزًّا قويًا ناصراً للإسلام على الكفر مظهراً له عليه، فأجيبت دعوته بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [النور: ٥٥]، ﴿ليستخلفهم في الأرض﴾ ووعده لينزعن ملك فارس والروم، فيجعله له، وعنه ﷺ: أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة، وقال: «انْطَلِقْ فَقَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ» ح، فكان شديداً على المريب، ليناً على المؤمن، وقال: «لاَ وَاللَّهِ، لاَ أَعْلَمُ مُتَخَلِّفاً يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلاَةِ فِي جَمَاعَةٍ إِلاَّ ضربْتُ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلاَةِ إِلاَّ مُنَافِقٍ». فقال أهل مكة: يا رسول الله، لقد استعملت على

= (ص ٣٦٧/ رقم ٧٨٩) من طريق حماد بن سلمة عن عبد الله بن المختار عن أبي إسحاق به مرفوعاً.

قال ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٢١٧) سألت أبي عن حديث رواه حماد بن سلمة عن عبد الله بن المختار، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة، عن النبي فذكره. قال: قال أبي: لا يرفع هذا الحديث إلا عبد الله بن المختار، وموقوفه أصح. قلت: قوله «لا يرفع هذا الحديث إلا عبد الله بن المختار» فيه نظر؛ لما تقدم من رواية ليث بن أبي سليم، فقد رفعه. وعزاه الحافظ في المطالب العالية (٤/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧) لمسدد ولابن أبي عمر، وأخرجه أيضاً ابن المنذر، وابن مردويه، والخطيب في المتفق، والمفترق كما في الدر (٤/ ٣٥٧).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه النسائي، والحاكم، وابن أبي شيبة، والطبري، وأبو يعلى، والبزار، وأبو نعيم في ترجمة حذيفة في الحلية؛ كلهم من طريق شعبة وإسرائيل، كلاهما عن أبي إسحاق سمعت عتبة بن زفر يقول: سمعت حذيفة يقول: «يجمع الناس» فذكره. انتهى.

أهل الله عتاب بن أسيد أعرابيًا جافياً، فقال ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ فِيما يَرى النَّائِمُ كَأَنَّ عِتَابَ بْن أُسَيْدٍ أَتَى بَابَ الجنَّةِ، فَأَخَذَ بِحلقةِ البَابِ فَقَلْقلهَا قُلْقَالاً شَدِيداً حتَّى فتحَ لَهُ فَدَخَلَهَا، فَأَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلاَمَ لِنُصْرَتِهِ المُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ يُرِيدُ ظُلمَهُمْ؛ فذلِكَ السُّلْطانُ النَّصيرُ» (٨٧٩).

كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً صنم كل قوم بحيالهم، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانت لقبائل العرب يحجون إليها وينحرون لها، فشكا البيت إلى الله ـ عز وجل ـ فقال: أي رب، حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك فأوحى الله إلى البيت: إني سأحدث لك نوبة جديدة، فأملأك خدوداً سجداً، يدفون إليك دفيف النسور[1]، يحنون إليك حنين الطير إلى بيضها، لهم عجيج حولك بالتلبية. ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل ـ عليه السلام ـ لرسول الله ﷺ: خذ مخصرتك ثم ألقها، فجعل يأتي صنماً صنماً، وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعاً، وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة، وكان من قوارير صفر، فقال: يا علي، ارم به، فحمله رسول الله ﷺ حتى صعد فرمى به فكسره، فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون: ما رأينا رجلاً أسحر من محمد ﷺ (٨٨٠) وشكاية البيت

---

٨٧٩ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٨٦) للثعلبي بإسناده إلى الكلبي، وابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي بإسناده عن الكلبي. قال: (سلطاناً مضيراً) عتاب ابن أسيد استعمله رسول الله ﷺ على أهل مكة، فذكره سواه، وأخرجه ابن مردويه من طريق إسماعيل بن خليفة الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. دون هذا الحديث. انتهى.

٨٨٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٨٧) غريب. وقال ابن حجر: لم أجده، قلت: وأخرج النسائي في الكبرى (٥/ ١٤٢) ـ كتاب الخصائص ـ (٨٥٠٧)، وأحمد في المسند (١/ ٨٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٧)، وعزاه الزيلعي لإسحاق بن راهويه في مسنده؛ كلهم من طريق نعيم بن حكيم ثنا أبو مريم، علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «انطلقت مع رسول الله ﷺ حتى أتينا الكعبة...» فذكره. وليس فيه عند النسائي. أن ذلك كان في فتح مكة ولا تلاوة الآية. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله إسناده «صحيح والمتن منكر» وأورده الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٦) ونسبه لأحمد وابنه، وأبي يعلى، والبزار. وقال: ورجال الجميع ثقات. قلت: وفي تصحيح الحاكم للحديث والذهبي للإسناد، نظر؛
فإن: نعيم بن حكيم: قال فيه النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن خراش: صدوق لا بأس به، ووثقه العجلي ويحيى بن معين في رواية. وقال ابن حجر في التهذيب: ونقل الساجي عن ابن معين تضعيفه، وقال الأزدي أحاديثه مناكير... لا يقوم حديثه (١٠/ ٤٥٨)، وقال ابن حجر في التقريب =

---

(١) قوله: «يدفون إليك دفيف النسور» في الصحاح «الدفيف» الدبيب. وهو السير اللين، وفيه «العج» رفع الصوت، وقد عج يعج عجيجاً (ع).

والوحي إليه: تمثيل وتخييل، ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: ذهب وهلك، من قولهم: زهقت نفسه، إذا خرجت، والحق: الإسلام، والباطل: الشرك، ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾: كان مضمحلاً غير ثابت في كل وقت.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)﴾

﴿وَنُنَزِّلُ﴾: قرئ بالتخفيف والتشديد، ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾: من للتبيين؛ كقوله: من الأوثان، أو للتبعيض، أي: كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين، يزدادون به إيماناً، ويستصلحون به دينهم، فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى، وعن النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالقُرآنِ فَلاَ شَفَاهُ اللَّهُ» (٨٨١)، ولا يزداد به الكافرون ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: نقصاناً؛ لتكذيبهم به وكفرهم؛ كقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥].

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا (٨٣) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا (٨٤)﴾

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾: بالصحة والسعة، ﴿أَعْرَضَ﴾: عن ذكر الله، كأنه مستغن عنه مستبد بنفسه، ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: تأكيد للإعراض؛ لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه، والنأي بالجانب: أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره، وأراد الاستكبار؛ لأن ذلك من

= (٢/ ٣٠٥) صدوق له أوهام، وأما أبو مريم، وهو الثقفي واسمه قيس المدائني: قال الدارقطني: مجهول؛ كما في التهذيب (١٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) وقال ابن حجر في التقريب (٢/ ٤٧١) أبو مريم الثقفي اسمه قيس المدائني مجهول، ووثقه الذهبي في الكاشف (٣/ ٣٧٦) (ت ٣٧٩).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: قال لم أجده. وروى النسائي والحاكم من طريق ابن أبي مريم عن علي. قال: «انطلقت مع النبي ﷺ حتى أتينا الكعبة فقال لي: اجلس، فجلست. وصعد على منكبي فنهضت به فذكر الحديث» وليس فيه أن ذلك كان في فتح مكة. ولا تلاوة الآية وروى النسائي. انتهى.

٨٨١ ـ عزاه الزيلعي (٢/ ٢٨٨) وابن حجر في تخريج الكشاف للثعلبي. قلت: وذكره الهندي في كنز العمال (١٠/ ٩) (٢٨١٠٦) من حديث أبي هريرة، وعزاه للدارقطني في الأفراد، وله شاهد من حديث رجاء الغنوي عزاه الهندي في الكنز لابن القانع: وقال المناوي في فيض القدير (١/ ٤٩١) ـ رجاء الغنوي ـ واسمه منبه بن سعد بن قيس غيلان. . . وقد أشار الذهبي في تاريخ الصحابة إلى عدم صحة هذا الخبر. فقال في ترجمة رجاء هذا: له صحبة، نزل بالبصرة وله حديث لا يصح في فضل القرآن. أ. هـ.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من طريق أحمد بن الحرث الغساني. حدثنا ساكنة بنت الجعد، قالت: سمعت رجاء الغنوي يقول: قال رسول الله ﷺ . فذكره. انتهى.

عادة المستكبرين، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل، ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾: شديد اليأس من روح الله، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقرئ: «وناء بجانبه»: بتقديم اللام على العين؛ كقولهم: «راء» في: «رأى»، ويجوز أن يكون من «ناء» بمعنى: «نهض»، ﴿قُلْ كُلٌّ﴾: أحد، ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي: على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة، من قولهم: «طريق ذو شواكل»، وهي: الطرق التي تتشعب منه؛ والدليل عليه قوله: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ أي: أسدّ مذهباً وطريقة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

الأكثر على أنه الروح الذي في الحيوان، سألوه عن حقيقته، فأخبر أنه من أمر الله، أي: مما استأثر بعلمه، وعن ابن أبي بريدة: لقد مضى النبي ﷺ وما يعلم الروح (٨٨٢)، وقيل: هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك، وقيل: جبريل ـ عليه السلام ـ وقيل: القرآن، و﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي: من وحيه وكلامه، ليس من كلام البشر، بعثت اليهود إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح؛ فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبيّ، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي، فبين لهم القصتين، وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة، فندموا على سؤالهم (٨٨٣)، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾:

---

٨٨٢ ـ ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣٦) وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٦٧) (٤٠٧) من طريق صالح بن حيّان عن عبد الله بن بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما تبلغ الجن والإنس والملائكة...» قلت وهذا إسناد ضعيف؛ فإن صالحاً هذا ضعيف كما في التقريب والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٦٢) لابن أبي حاتم.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: ذكره الواحدي في الوسيط عن عبد الله بن بريدة بهذا في حديث لم يسبق إسناده. انتهى.

٨٨٣ ـ أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٦٩، ٢٧١) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس «أن مشركي قريش بعثوا...» وذكره ابن هشام في سيرته (١/ ٣٧٨) (٢٨٦) عن ابن إسحاق، وأورده القرطبي في تفسيره (١٠/ ٢٢٥) وكذا ابن كثير في البداية (٣/ ٥٢، ٥٣) قلت: وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق. والرواية الصحيحة في شأن سؤال النبي عن الروح ليس فيها ذكر لمشركي مكة.
أخرجها البخاري في صحيحه (١٥/ ١٩٤) ـ كتاب الاعتصام بالسنة (٩٦) ـ باب ما يكره من كثرة السؤال (٣) ـ حديث رقم (٧٢٩٧)، ومسلم (٩/ ١٥٠) ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) ـ باب سؤال اليهود النبي عن الروح (٤) ـ حديث رقم (٢٧٩٤)، والترمذي (٥/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ حديث رقم (٣١٤١) والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٨٣) ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تعالى ﴿ويسألونك عن الروح﴾ (١١٢٩٩)؛ كلهم من طريق إبراهيم عن علقمة عن عبد =

الخطاب عام، وروي أن رسول الله ﷺ لما قال لهم ذلك، قالوا: نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه؟ فقال: بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلاً، فقالوا: ما أعجب شأنك: ساعة تقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، وساعة تقول هذا (٨٨٤)؛ فنزلت: (ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام) [لقمان: ٢٧]، وليس ما قالوه بلازم؛ لأن القلة والكثرة تدوران مع الإضافة، فيوصف الشيء بالقلة مضافاً إلى ما فوقه، وبالكثرة مضافاً إلى ما تحته، فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها؛ إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله فهي قليلة، وقيل: هو خطاب لليهود خاصة؛ لأنهم قالوا للنبي ﷺ: قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة، وقد تلوت: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾، فقيل لهم: إن علم التوراة قليل في جنب علم الله.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾: جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط، واللام الداخلة على إن موطئة للقسم، والمعنى: إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور/ ٢٠٥ ب والمصاحف، فلم نترك له أثراً وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ﴾: بعد

= الله بن مسعود قال: . . . فذكر الحديث.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
لم أجده هكذا. وذكره ابن هشام في السيرة عن زياد عن أبي إسحاق. وكذا أخرجه البيهقي في الدلائل من طريقه: «أن أهل مكة بعثوا رهطاً منهم إلى اليهود يسألونهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث. فإذا عرفها فهو نبي: سلوه عن أقوام ذهبوا في الأرض فلم يدر ما صنعوا. . . القصة بطولها». انتهى.

٨٨٤ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ١٤٣) (٢٢٦٨٧)، من طريق محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار قال: نزلت بمكة ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾. . . وأخرجه أيضاً (١٠/ ٢٢١) (٢٨١٤٨) من طريق ابن إسحاق قال: ثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ وأورده ابن كثير (٣/ ٤٥١) عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس به، وعزاه في الدر المنثور (٤/ ٣٦١) لابن مردويه في تفسيره، وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٩٠) ذكره الثعلبي في سورة لقمان هكذا من غير سند.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
ذكره الثعلبي في تفسير «لقمان» بغير سند ولا راوٍ، وروى ابن مردويه من طريق علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن عكرمة، لا أعلمه إلا عن ابن عباس. قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قالت اليهود: أوتينا علماً كثيراً. أوتينا التوراة ومن يؤت التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزل الله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر﴾».

الذهاب ﴿بِهِ﴾: من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظاً مستوراً، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك، كأن رحمته تتوكل عليه بالرد، أو يكون على الاستثناء المنقطع، بمعنى: ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به، وهذا امتنان من الله - تعالى - ببقاء القرآن محفوظاً بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه، فعلى كل ذي علم ألاَّ يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما، وهما: منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره، ومنته عليه في بقاء المحفوظ، وعن ابن مسعود: إن أول ما تفقدون من دينكم: الأمانة، وآخر ما تفقدون: الصلاة، وليصلين قوم ولا دين لهم، وإن هذا القرآن تصبحون يوماً وما فيكم منه شيء، فقال رجل: كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم؟ فقال: يسرى عليه ليلاً فيصبح الناس منه فقراء، ترفع المصاحف، وينزع ما في القلوب (٨٨٥).

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿لَا يَأْتُونَ﴾: جواب قسم محذوف، ولولا اللام الموطئة؛ لجاز أن يكون جواباً للشرط؛ كقوله: [من البسيط]:

.... يَقُولُ لاَ غَائِبٌ مَالِي ولاَ حَرِمُ[1]

لأن الشرط وقع ماضياً، أي: لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه، وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله،

---

٨٨٥ - أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٦٣) (٥٩٨١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٤٥) (٣٠١٩٣) - كتاب فضائل القرآن، وأخرجه أيضاً (٧/ ٥٠٥) (٣٧٥٨٥) - كتاب الفتن، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٥٣) (٨٧٠٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٢٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٤) - كتاب الفتن؛ كلهم من طريق عبد العزيز بن رفيع عن شداد بن معقل قال: سمعت ابن مسعود يقول: «إن أول ما تفقدون...» وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٣٢ - ٣٣٣): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، غير شداد بن معقل وهو ثقة.
قال الحافظ بن حجرفي تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق ومن طريقه الطبراني، وأخرجه ابن أبي شيبة وابن مردويه كلهم من طريق شداد بن معقل، عن عبد الله بن مسعود وزاد في آخره: ثم قرأ عبد الله: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾. انتهى.

---

(١) تقدم.

والعجب من النوابت[١] ومن زعمهم أن القرآن قديم[٢] مع اعترافهم بأنه معجز[٣]؛ وإنما يكون العجز حيث تكون القدرة، فيقال: الله قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه، وأما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم، فلا يقال للفاعل: قد عجز عنه، ولا هو معجز، ولو قيل ذلك، لجاز وصف الله بالعجز؛ لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال، إلا أن يكابروا فيقولوا: هو قادر على المحال، فإن رأس مالهم[٤]: المكابرة وقلب الحقائق.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: رددنا وكررنا، ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: من كل معنى، هو كالمثل في غرابته وحسنه، والكفور: الجحود.

فإن قلت: كيف جاز: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، ولم يجز: ضربت إلا زيداً؟

قلت: لأن أبى متأول بالنفي، كأنه قيل: فلم يرضوا إلا كفورا.

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

---

(١) قوله: «النوابت» في الصحاح «النوابت من الأحداث» الأغمار. وفيه: رجل غمر: لم يجرب (ع).

(٢) قال محمود: «والعجب من النوابت ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز... إلخ» قال أحمد: ومما يدلك على حيد المصنف عن سنن المنصف أنه تدلس على الضعفة في مثل هذه المسألة التي طبقت طبق الأرض ظهوراً وشيوعاً، ومع ذلك يرضى لنفسه أن يتجاهل فيها عن معتقد القوم، وذلك أن عقيدة أهل السنة أن مدلول العبارات صفة قديمة قائمة بذات الباري تعالى، يطلق عليها قرآن، ويطلق أيضاً على أدلتها وهي هذه الكلمات الفصيحة والآي الكريمة قرآن، وأن المعجز عندهم الدليل لا المدلول، لكنهم يتحرزون من إطلاق القول بأنه مخلوق لوجهين، أحدهما: أنه إطلاق موهم. والثاني: أن السلف الصالح كفوا عنه فاقتفوا آثارهم واقتبسوا أنوارهم. وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية إيهام غيره مما لا يجوز اعتقاده، فلا ربط بين الاعتقاد والإطلاق، ولا كرامة لمعتقد ذلك والمتعنت بإلزامه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(٣) قوله: «ومن زعمهم أن القرآن قديم» يريد بهم أهل السنة حيث يقولون: إن القرآن قديم، لكن لا بمعنى اللفظ الذي يسمعه بعضنا من بعض، فإن هذا حادث بل بمعنى كلام الله الذي هو صفة له قائمة بذاته تعالى، فهذا هو القديم، كعلمه تعالى وإرادته (ع).

(٤) قوله: «فإن رأس مالهم المكابرة» ليس كما قال غفر الله له، بل رأس مالهم التمسك بالكتاب والسنة، وتحري الحقائق (ع).

لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا، أخذوا يتعللون باقتراح الآيات: فعل المبهوت المحجوج المتعثر في أذيال الحيرة، فقالوا: لن نؤمن لك حتى.. وحتى ﴿تَفْجُرَ﴾: تفتح، وقرئ: «تفجر»: بالتخفيف، ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾: يعنون: أرض مكة، ﴿يَنْبُوعًا﴾: عيناً غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع، «يفعول»: من نبع الماء، كيعبوب من عب الماء، ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾ يعنون: قول الله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سبأ: ٩]. قرئ: «كسفاً»: بسكون السين جمع كسفة، كسدرة وسدر، وبفتحه، ﴿قَبِيلًا﴾: كفيلاً بما تقول شاهداً بصحته، والمعنى: أو تأتي بالله قبيلاً، وبالملائكة قبيلاً؛ كقوله [من الطويل]:

...... كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدي بَرِيًّا ....[1]

[ومن الطويل]:

.... فَإِنّي وقَيَّارٌ بِها لَغَرِيبُ[2]

أو مقابلاً، كالعشير بمعنى: المعاشر؛ ونحوه: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، أو جماعة حالاً من الملائكة، ﴿مِّن زُخْرُفٍ﴾: من ذهب، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: في معارج السماء، فحذف المضاف، يقال: رقى في السلم وفي الدرجة، ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾: ولن نؤمن لأجل رقيك، ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾: من السماء فيه تصديقك، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قال عبد الله بن أبي أمية: لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلماً، ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، ثم تأتي معك بصك منشور، معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات إلا العناد

---

(١) رماني بأمر كنت منه ووالدي بريًا ومن جول الطوى رماني

للفرزدق. يقول قذفني بأمر أنا بريء منه ووالدي، فكان: مجردة عن المضي، وحذف خبر الوالد للدلالة عليه، والعطف من عطف الجمل. وبريا: في نية التقديم، فلم يلزم تقدم شيء من المعطوف عليه على المعطوف: هذا رأي الجمهور. وأجاز بعضهم أن «والدي» عطف على اسم كان، فيكون «بريا» خبره، وخبر اسمها محذوفاً أو بالعكس، والعطف من عطف المفردات. ويجوز أن «بريا» خبر عنهما؛ لأن فعيلاً يقال للواحد والمتعدد، لموازنته المصدر: كصهيل وضجيج ونحيب ونسيب، وإن كان استعماله كذلك بمعنى فاعل قليلاً. وجول الطوى ـ بالضم ـ: جانب البئر المطوي. والمعنى: أنه رماني بأمر يرجع عليه هو، كأنه رماني وهو في أسفل البئر بحجر فيرجع عليه، كناية عن مكافأته بأمر أعظم مما رماه به. ويجوز أن الأمر الذي رماه به متصف به الرامي، وهو أنسب بالتشبيه. ويروى من أجل الطوى. فليحرر.

ينظر: ديوانه (ص ١٨٧)، الدرر (٢/ ٦٢)، شرح أبيات سيبويه (١/ ٢٤٩)، الكتاب (١/ ٧٥)، لسان العرب (حول).

(٢) تقدم.

واللجاج، ولو جاءتهم كل آية لقالوا: هذا سحر؛ كما قال عز وجل: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ [الأنعام: ٧] ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحجر: ١٤] وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه ـ بل هي أعظم ـ لم يكن إلى تبصرتهم سبيل، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى﴾، وقرئ: «قال سبحان ربي»، أي: قال الرسول، و (سبحان ربي): تعجب من اقتراحاتهم عليه، ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا﴾: رسولاً كسائر الرسل، ﴿وَبُشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مثلهم، وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات، فليس أمر الآيات إلي؛ إنما هو إلى الله فما بالكم تتخيرونها عليّ.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿أن﴾ الأولى نصب مفعول ثان لمنع، والثانية رفع فاعل له، و ﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾: الوحي، أي: وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ إلا شبهة تلجلجت في صدورهم، وهي: إنكارهم أن يرسل الله البشر، والهمزة في ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ﴾: للإنكار، وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله؛ لأن قضية حكمته ألاَّ يرسل ملك الوحي إلى أمثاله، أو إلى الأنبياء، ثم قرر ذلك بأنه: ﴿لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ﴾: على أقدامهم كما يمشي الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء[1]، فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه، ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾: ساكنين في الأرض قارّين، ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾: يعلمهم الخير ويهديهم المراشد، فأما الإنس فما هم بهذه المثابة؛ إنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوة، فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم.

فإن قلت: هل يجوز أن يكون بشراً وملكاً، منصوبين على الحال من رسولاً؟ قلت: وجه حسن، والمعنى له أجوب.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾/ ٢٠٦أ: على أني بلغت ما أرسلت به إليكم، وأنكم كذبتم وعاندتم، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ﴾: المنذرين والمنذرين، ﴿خَبِيرًۢا﴾: عالماً بأحوالهم، فهو

---

(١) قال محمود: «معناه لو كانوا يمشون مشي الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء... إلخ» قال أحمد: وقد اشتمل كلامه هذا على جواب حسن عن سؤال مقدر، وهو قول القائل: إن مجرد وجود الملائكة في الأرض يناسب إرسال الملك إليهم، فما فائدة هذه الزيادة؟ فيكون جوابه ما تقدم، والله الموفق.

مجازيهم، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ ووعيد للكفرة، وشهيداً: تمييز أو حال.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾: ومن يوفقه ويلطف به، ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾؛ لأنه لا يلطف إلا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه، ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾: ومن يخذل، ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾: أنصاراً، ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾؛ كقوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨] وقيل لرسول الله ﷺ: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدامِهِمْ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يمشِيهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ» (٨٨٦)، ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾: كما كانوا في الدنيا، لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق، ويتصامون عن استماعه، فهم في الآخرة كذلك: لا يبصرون ما يقرّ أعينهم، ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم[1]، ولا ينطقون بما يقبل منهم، ومن كان في هذه أعمى فهو في

---

٨٨٦ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٥) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ حديث رقم (٣١٤٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٦٣)، والبيهقي في البعث والنشور (ص ٧٢/ ١١١) مختصراً. وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٩٠) لإسحاق بن راهويه والبزار؛ كلهم من طريق علي بن زيد، عن أوس بن أوس، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف. . .».
وقال الترمذي: حديث حسن. قلت: «وليس كذلك؛ فإن فيه علي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف، ولكن للحديث شواهد، فأخرج البخاري في صحيحه (٩/ ٤٣٧) ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ حديث رقم (٤٧٦٠)، ومسلم (٩/ ١٦٣) ـ كتاب صفات المناقين وأحكامهم (٥٠) ـ حديث رقم (٢٨٠٦) عن أنس بن مالك أن رجلاً: قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا، قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة».
وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه الترمذي، وأحمد، وإسحاق، والبزار من حديث أبي هريرة بهذا في حديث. وفيه علي بن مرثد وهو ضعيف. قال البزار: لا نعلمه من حديث أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، ورواه ابن مردويه من رواية أبي داود نفيع عن أنس مثله، وأصله في الصحيحين عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»؟
قوله «ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم» الذي في الصحاح: لذذت الشيء ـ بالكسر ـ: وجدته لذيذاً. انتهى.

---

(١) قوله: «ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم» الذي في الصحاح: لذذت الشيء ـ بالكسر ـ: وجدته لذيذاً (ع).

الآخرة أعمى، ويجوز أن يحشروا مؤفي الحواس من الموقف إلى النار بعد الحساب، فقد أخبر عنهم في موضع آخر أنهم يقرؤون ويتكلمون، ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ﴾: كلما أكلت جلودهم ولحومهم وأفنتها فسكن لهبها، بدلوا غيرها، فرجعت ملتهبة مستعرة، كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها، لا يزالون على الإفناء والإعادة، ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث؛ ولأنه أدخل في الانتقام من الجاحد؛ وقد دل على ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم﴾ إلى قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا﴾.

﴿۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٩٩﴾﴾

فإن قلت: علام عطف قوله: (وجعل لهم أجلاً)؟

قلت: على قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾؛ لأن المعنى: قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس؛ لأنهم ليسوا بأشد خلقاً منهن، كما قال: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النازعات: ٢٧] ﴿وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ﴾: وهو الموت أو القيامة، فأبوا مع وضوح الدليل إلا جحوداً.

﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾﴾

(لو): حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء، فلا بد من فعل بعدها في: ﴿لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ﴾، وتقديره: لو تملكون تملكون، فأضمر تملك إضماراً على شريطة التفسير، وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل، وهو: أنتم؛ لسقوط ما يتصل به من اللفظ، فأنتم: فاعل الفعل المضمر، وتملكون: تفسيره، وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب، فأما ما يقتضيه علم البيان، فهو: أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص، وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ؛ ونحوه قول حاتم:

لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي

وقول المتلمس [من الطويل]:

ولَوْ غيرُ أَخوَالي أَرادوا نَقِيصتي[1] ....

---

(١) ولو غير إخواني أرادوا نقيصتي ... جمعت لهم فوق العرانين ميسما
وهل كنت إلا مثل قاطع كفه ... بكف له أخرى عليه تقدما؟
للمتلمس خال طرفة بن العبد، و«لو» من حروف الشرط، فمتى كان في حيزها فعل فهي أحق به، =

وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر، برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر، ورحمة الله: رزقه وسائر نعمه على خلقه، ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم، وقيل: هو لأهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والأنهار وغيرها، وأنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لبخلوا بها، ﴿قَتُورًا﴾: ضيقاً بخيلاً.

فإن قلت: هل يقدر (لأمسكتم): مفعول؟

قلت: لا؛ لأن معناه: لبخلتم، من قولك للبخيل: ممسك.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والحجر، والبحر، والطور الذي نتقه على بني إسرائيل (٨٨٧)، وعن الحسن: الطوفان، والسنون، ونقص الثمرات: مكان الحجر، والبحر، والطور (٨٨٨)، وعن عمر بن عبد العزيز أنه سأل محمد بن كعب، فذكر اللسان والطمس[(١)]، فقال له عمر: كيف يكون الفقيه إلا هكذا، أخرج يا غلام ذلك الجراب، فأخرجه فنفضه، فإذا بيض مكسور بنصفين، وجوز مكسور، وفوم[(٢)] وحمص وعدس، كلها حجارة، وعن صفوان بن عسال أن بعض اليهود سأل النبي ﷺ عن ذلك، فقال: «أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسى:

---

٨٨٧ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٩٠ ـ ٣٩١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٥٥) (٢٢٧٣٨)، من طرق عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله «تسع آيات بينات»... وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٧٠) لـ «سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم».

٨٨٨ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٩١)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٣٩١).

= فغير إخواني فاعل لمحذوف يفسره المذكور، أي: ولو أراد غير إخواني. ويروى: أخوالي، نقيصتي: أي ظلمي، لو سمهم بالذل وسماً ظاهراً، كأنه فوق الأنوف، وخصها لأنها لا تخفى. والميسم: آلة الوسم بالنار، والمراد أثره وهو السمة. وهل: استفهام إنكاري، أي: لو كافأت إخواني لا أكون إلا مثل من قطع كفه بكفه الأخرى، والكف يذكر ويؤنث؛ فلذلك وصفه بأنه تقدم على الكف الآخر واعتدى عليه ووصفه بأخرى. والمقابلة بين الكفين تؤيد رواية إخواني بالنون.
وهو للمتلمس في ديوانه ص٢٩، والأصمعيات ص ٢٤٥، وخزانة الأدب ١٠/ ٥٩ واللامات ص ١٢٨، وبلا نسبة في تذكرة النحاة ص ٤٩٠، ولسان العرب (نقص)، (وسم)، والمقتضب ٣/ ٧٧.

(١) قوله: «فذكر اللسان والطمس» لعله العقدة التي كانت بلسانه فحلها كما عده الخازن. وأما الطمس: فهو إجابة دعائه في قوله ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ ويشير إلى ذلك ذكر ما في الجواب (ع).

(٢) قوله: «وفوم» في الصحاح «الفوم» الثوم. ويقال له: الحنطة (ع).

أَنْ قُلْ لبنِي إِسْرَائيل: لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً، وَلاَ تسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، ولاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتي حَرَّم اللَّهُ إلاَّ بِالْحَقِّ، وَلاَ تَسْحَرُوا، وَلاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلاَ تمْشُوا بِبريءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقتُله، وَلاَ تَقْذِفُوا مُحصَنَةً، ولاَ تَفِرّوا منَ الزَّحْفِ، وَأَنْتُمْ يَا يَهُود خَاصَّةً لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ» (٨٨٩). ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: فقلنا له: سل بني إسرائيل، أي: سلهم من فرعون[1] وقل له: أرسل معي بني إسرائيل، أو: سلهم عن إيمانهم وعن حال دينهم، أو: سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك؛ وتدل عليه قراءة رسول الله ﷺ: «فسال بَني إِسْرَائيلَ»: على لفظ الماضي بغير همز، وهي لغة قريش، وقيل: فسل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل، وهم: عبد الله بن سلام، وأصحابه عن الآيات؛ ليزدادوا يقيناً وطمأنينة قلب؛ لأن الأدلة إذا تظاهرت، كان ذلك أقوى وأثبت؛ كقول إبراهيم: (ولكن

---

٨٨٩ ـ أخرجه الترمذي(٥/ ٣٠٥) ـ كتاب التفسير (٤٨) ـ باب «ومن سورة بني إسرائيل» (٣١٤٤)، والنسائي(٧/ ١١١) ـ كتاب تحريم الدم (٣٧) ـ باب السحر (١٨) (٤٠٧٨)، وابن ماجه (٢/ ١٢٢١) ـ كتاب الأدب (٣٣) ـ باب الرجل يقبل يد الرجل (١٦) (٣٧٠٥)، مختصراً. وأحمد في مسنده (٤/ ٢٣٩ و٢٤٠)، والحاكم في مستدركه (١/ ٩)، والطبراني في الكبير (٨/ ٨٣ ـ ٨٤) (٧٣٩٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٥٦ ـ ١٥٧) (٢٢٧٤٧) (٢٢٧٤٩) وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ٦٩ ـ ٧٠) (٢٢٤٢)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٩٧ ـ ٩٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٦٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٢٨) (٣٦٥٤٣)؛ كلهم من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال: أن يهوديين قال: أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله. . . وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: حديث صحيح لا نعرف له علة بوجه من الوجوه، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
قلت: وهذا التصحيح فيه نظر؛ فإن «عبد الله بن سلمة» وهو المُرَادي الكوفي أبو عالية؛ قال البخاري: لا يتابع في حديثه، وقال أبو حاتم: تعرف وتُنكر، وقال الدارقطني في السنن (٢/ ١٢١) ضعيف، وقال ابن عديّ: أرجو أنه لا بأس به، وقال الذهبي في الكاشف. صويلح وقال العجلي تابعي ثقة، وقال ابن حجر في التقريب: صدوق تغير حفظه. والظاهر ـ والله أعلم ـ أن الحديث أعلى درجاته أنه حسن، والعلم عند الله تعالى. قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٩٣). . . والحديث فيه إشكالات.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، وأحمد، وإسحاق، وأبو يعلى، والطبراني: كلهم من رواية عبد الله بن سلام عن صفوان بن عسال أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله، فقال: لا تقل له نبي، فإن سمعك صارت له أربعة أعين. فأتيا النبي ﷺ فسألاه. فذكر الحديث. ولم يقل أحد منهم «أوحى إلى موسى أن قل لبني إسرائيل» والباقي سواء. عبد الله بن سلام كبر، فساء حفظه، وكان المسؤول عنه العشر كلمات؛ لأن عددها عشرة لا التسع آيات، لأن العشر وصايا كهذه، والتسع حجج على فرعون وقومه. انتهى.

---

(١) قوله: «سلهم من فرعون» يعني اطلبهم منه (ع).

ليطمئن قلبي).

فإن قلت: بم تعلق: ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾؟

قلت: أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف، أي: فقلنا لهم: سلهم حين جاءهم، أو بسأل في القراءة الثانية، وأما على الأخير: فبآتينا، أو بإضمار اذكر، أو يخبروك، ومعنى (إذ جاءهم): إذ جاء آباءهم، ﴿مَسْحُورًا﴾: سحرت فخولط عقلك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾: يا فرعون، ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الآيات إلا الله، عز وجل، ﴿بَصَآئِرَ﴾: بينات / ٢٠٦ ب مكشوفات، ولكنك معاند مكابر؛ ونحوه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقرئ: (علمتُ): بالضم، على معنى: إني لست بمسحور كما وصفتني، بل أنا عالم بصحة الأمر، وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والأرض، ثم قارع ظنه بظنه، كأنه قال: إن ظننتني مسحوراً فأنا أظنك؛ ﴿مَثْبُورًا﴾: هالكاً، وظني أصح من ظنك؛ لأن له أمارة ظاهرة، وهي: إنكارك ما عرفت صحته؛ ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها، وأما ظنك: فكذب بحت؛ لأن قولك مع علمك بصحة أمري: إني لأظنك مسحوراً: قول كذاب؛ وقال الفرّاء: (مثبوراً): مصروفاً عن الخير مطبوعاً على قلبك، من قولهم: ما ثبرك عن هذا؟ أي: ما منعك وصرفك؟ وقرأ أبيّ بن كعب: «وإن إخالك يا فرعون لمثبوراً»: على: إن المخففة واللام الفارقة، ﴿فَأَرَادَ﴾: فرعون أن يستخف موسى وقومه من أرض مصر ويخرجهم منها، أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال، فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه مع قبطه، ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾: التي أراد فرعون أن يستفزكم منها، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعني: قيام الساعة، ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: جمعاً مختلطين إياكم وإياهم، ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم وأشقيائكم، واللفيف: الجماعات من قبائل شتى.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾: وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله، وما نزل إلا ملتبساً بالحق والحكمة؛ لاشتماله على الهداية إلى كل خير، أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق، محفوظاً بالرصد من الملائكة، وما نزل على الرسول إلا محفوظاً بهم من تخليط

الشياطين، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾: إلا لتبشرهم بالجنة، وتنذرهم من النار، ليس إليك وراء ذلك شيء، من إكراه على الدين أو نحو ذلك.

﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦﴾

﴿وَقُرۡءَانٗا﴾: منصوب بفعل يفسره ﴿فَرَقۡنَٰهُ﴾، وقرأه أبيّ: «فرّقناه»: بالتشديد، أي: جعلنا نزوله مفرّقاً منجماً، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قرأ مشدداً وقال: لم ينزل في يومين أو ثلاثة، بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة، يعني: أن فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب، ﴿عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾: بالفتح والضم: على مهل وتؤدة وتثبت، ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾: على حسب الحوادث.

﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ١٠٩﴾

﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ﴾: أمر بالإعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم، ألاَّ يكترث بهم وبإيمانهم وبامتناعهم عنه؛ وأنهم إن لم يدخلوا في الإيمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك، فإن خيراً منهم وأفضل ـ وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع ـ قد آمنوا به وصدقوه، وثبت عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم، فإذا تلي عليهم خرّوا سجداً وسبحوا الله؛ تعظيماً لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة، وبشر به من بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه، وهو المراد بالوعد في قوله: ﴿إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا . . . وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ أي: يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين.

فإن قلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ تعليل لماذا؟

قلت: يجوز أن يكون تعليلاً لقوله: ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ﴾، وأن يكون تعليلاً لقل على سبيل التسلية لرسول الله ﷺ وتطييب نفسه، كأنه قيل: تسلّ عن إيمان الجهلة بإيمان العلماء، وعلى الأول: إن لم تؤمنوا به لقد آمن[1] به من هو خير منكم.

فإن قلت: ما معنى الخرور للذقن؟

قلت: السقوط على الوجه؛ وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين؛ لأن الساجد أول

---

(١) قوله: «لقد آمن» لعله «فقد» (ع).

ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن.

فإن قلت: حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت: خرّ على وجهه وعلى ذقنه، فما معنى اللام في خرّ لذقنه ولوجهه؟ قال [من الوافر]:

. . . . فخرَّ صَريعاً للْيديْنِ ولِلْفَمِ[1]

قلت: معناه: جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به؛ لأن اللام للاختصاص.

فإن قلت: لم كرّر يخرون للأذقان؟

قلت: لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين، وخرورهم في حال كونهم باكين.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١١٠)﴾

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ سمعه أبو جهل يقول: يا الله يا رحمن، فقال: إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر، وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إنك لتقل ذكر الرحمن، وقد أكثر الله في التوراة هذا الإسم؛ فنزلت، والدعاء بمعنى: التسمية، لا بمعنى: النداء، وهو يتعدى إلى مفعولين، تقول: دعوته زيداً، ثم يترك أحدهما؛ استغناء عنه فيقال: دعوت زيداً، والله والرحمن، المراد بهما: الإسم، لا المسمى، وأو للتخيير،

---

(١) فيوم الكلاب قد أزالت رماحنا ... شرحبيل إذ آلى ألية مقسم
لينتزعن أرماحنا فأزاله ... أبو حنش عن ظهر شنقاء صلدم
تناوله بالرمح ثم انثنى له ... فخر صريعاً لليدين وللفم

لجابر الثعلبي. وقيل: البيت الثالث لشريح العبسي. وقيل: لزهير. والكلاب بالضم اسم موضع الواقعة. وآلى: أي حلف. والشنقاء: الطويلة من الخيل. والصلدم ـ بكسر المهملتين ـ: القوية. ويروى: ثم اثّنى له. وأصله: انثنى، فأدغمت النون بعد قلبها ثاء في الثاء. ولو قرىء: ثم ائتني، من أتاني وتمهل لجاز. ويروى: دلفت له بالرمح من تحت بزه. ويروى: شققت له بالرمح جيب قميصه. ولعل اختلاف الروايات لاختلاف القائل. والتناول: الأخذ، فالمعنى: لحقه فطعنه بالرمح، كأنه أخذه، ثم انثنى له: أي طعنه مرة أخرى، فسقط مطروحاً، وجعل ذلك ليديه وفمه؛ لأنها التي يستقبل بها الأرض أولاً حين سقوطه على وجهه، واللام هنا بمعنى على كما ذكره النحاة، وإن أنكره النحاس. ودلف دلفاً كتعب تعباً: إذا تقدم بسرعة وقارب بين خطاه. وجيب قميصه: كناية عن صدره؛ لأنه إذا شق طوق القميص بالرمح فقد شق الصدر.

وهو لجابر بن حني في شرح اختيارات المفضل ص ٩٥٥، وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٦٢، وللأشعث الكندي في الأزهية ص ٢٨٨، ولربيعة بن مكدم في الأغاني ١٦/ ٣٢، ولعصام بن المقشعر في معجم الشعراء ص ٢٧٠، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٥١١. والجنى الداني ص ١٠١ ورصف المباني ص ٢٢١، وشرح الأشموني ٢/ ٢٩١، ومغني اللبيب ١/ ٢١٢.

فمعنى: ﴿ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾: سموا بهذا الإسم أو بهذا، واذكروا إما هذا وإما هذا، والتنوين في ﴿أَيًّا﴾: عوض من المضاف إليه، و﴿ما﴾: صلة للإبهام المؤكد لما في أيّ، أي: أيّ هذين الإسمين سميتم وذكرتم، ﴿فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: والضمير في (فله): ليس براجع إلى أحد الإسمين المذكورين، ولكن إلى مسماهما وهو ذاته تعالى؛ لأن التسمية للذات لا للإسم، والمعنى: أيًا ما تدعوا فهو حسن، فوضع موضعه قوله: (فله الأسماء الحسنى)؛ لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الإسمان؛ لأنهما منها، ومعنى كونهما أحسن الأسماء، أنها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم، ﴿بصلاتك﴾: بقراءة صلاتك على حذف المضاف؛ لأنه لا يلبس، من قبل أن الجهر، والمخافتة: صفتان تعتقبان/٢٠٧ أ على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله ﷺ يرفع صوته بقراءته، فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا، فأمر بأن يخفض من صوته، والمعنى: ولا تجهر حتى تسمع المشركين، ﴿وَلَا تُخَافِتۡ﴾: حتى لا تسمع من خلفك، ﴿وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ﴾: الجهر والمخافتة، ﴿سَبِيلٗا﴾: وسطاً، وروي أنّ أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته، ويقول: أناجي ربي وقد علم حاجتي، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يرفع صوته ويقول: أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان، فأمر أبا بكر أن يرفع قليلاً وعمر أن يخفض (٨٩٠) قليلاً، وقيل: معناه: ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها، وابتغ

---

٨٩٠ ـ ورد من حديث أبي قتادة، وأبي هريرة وعلي.

ـ أما حديث أبي قتادة:

فأخرجه أبو داود (٢/ ٣٧) ـ كتاب الصلاة ـ باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل حديث رقم (١٣٢٩)، والترمذي (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) ـ كتاب أبواب الصلاة ـ باب ما جاء في قراءة الليل ـ (٤٤٧)، والحاكم في مستدركه (١/ ٣١٠) ـ كتاب صلاة التطوع، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠) (١١٦١)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٦ ـ ٧) (٧٣٣)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٥٢٨) (٢٦١٢) وقال هذا مرسل وقد رويناه موصولاً من حديث أبي قتادة كلهم من طريق يحيى بن إسحاق السيلحيني قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة أن النبي ﷺ مر بأبي بكر وهو يصلي. . . وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: حديث غريب، وإنما أسنده يحيى بن إسحاق عن حماد بن سلمة، وأكثر الناس إنما رَوَوْا هذا الحديث عن ثابت عن عبد الله بن رباح مرسلاً.

وقال ابن أبي حاتم في علله: سألت أبي عن حديث رواه يحيى بن إسحاق السيلحيني، عن حماد، عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة أن النبي ـ صلى العشاء. . . فذكر الحديث فقال أبي: أخطأ فيه السيلحيني، والصحيح، عن عبد الله بن رباح أن النبي ﷺ مرسلاً. قلت: ويحيى بن إسحاق البجلي أبو زكريا، ويقال: أبو بكر السَّيلحيني، قال أحمد بن حنبل: شيخ صالح ثقة، سمع من الشاميين ومن ابن لهيعة، وهو صدوق، وقال يحيى بن معين: صدوق المسكين، وقال الذهبي في الكاشف: ثقة، وقال ابن حجر في التقريب: صدوق.

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة: =

بين ذلك سبيلاً: بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار، وقيل: (بصلاتك): بدعائك، وذهب قوم إلى أن الآية منسوخة بقوله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وابتغاء السبيل: مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾

﴿وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾: ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به، أو لم يوال أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته.

فإن قلت: كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد[(١)]؟

قلت: لأن من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة، فهو الذي يستحق جنس الحمد، وكان النبي ﷺ إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية (٨٩١).

= أخرجه أبو داود في سننه (٢/ ٣٧ ـ ٣٨) (١٣٣٠) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ .. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٢٨) (٢٦١٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٦٩) (٢٢٨٣٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٧٤) لسعيد بن منصور وابن المنذر عن محمد ابن سيرين قال: نبئت أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ كان إذا قرأ خفض... وله شاهد آخر من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ.
أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٠٩) ورجاله ثقات.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم من رواية يحيى بن إسحاق السيلحيني عن حماد، عن ثابت، عن عبد الله بن رباح، عن أبي قتادة بمعناه. وليس فيه قوله «قد علم حاجتي» وفيه أن كلام كل منهما كان لما سأله النبي ﷺ عن ذلك؛ قال الترمذي: رواه أكثر الناس فلم يذكروا أبا قتادة. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه لفظاً: فيه يحيى بن إسحاق، والصواب مرسلاً، وفي الباب عن علي أخرجه البيهقي في الشعب. وعن أبي هريرة أخرجه أبو داود من رواية محمد بن عمرو. وعن أبي سلمة عنه مختصراً. وأخرجه الطبري من رواية محمد بن سيرين قال «نبئت أن أبا بكر فذكره» وقال فيه: أناجي ربي وقد علم حاجتي. انتهى.
٨٩١ ـ أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤/ ٣٣٤) (٧٩٧٦) عن ابن عيينة، عن عبد الكريم أبي أمة. قال: =

---

(١) قال محمود: «إن قلت: كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك... إلخ» قال أحمد: وقد لاحظ الزمخشري ههنا ما أغفله عند قوله تعالى ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ وقد رددت هذا الوجه فيما تقدم، بأن هذه الجملة لا يليق اقترانها بكلمة التحميد ولا تناسبها، فإنك لو قلت ابتداء: الحمد لله الذي الذين كفروا به يعدلون، لم يكن مناسباً، والله أعلم.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ بَنِي إِسرائِيلَ فرقَّ قَلْبُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الوَالِدَيْنِ كَانَ لَهُ قِنْطَارٌ فِي الجنَّةِ، والْقِنْطَارُ: أَلْفُ أَوْقِيَةٌ وَمَائَتَا أَوْقِيَةٍ»، رزقنا الله بفضله العميم وإحسانه الجسيم (٨٩٢).

= كان رسول الله ﷺ يعلم الغلام... وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٥٣) ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب في الصبيان متى يتعلمون القرآن ـ (٣٠٢٧٩) حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الكريم، عن عمرو بن شعيب قال: كان الغلام إذا أفصح من بني عبد المطلب علمه النبي ﷺ .. وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ كما في الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٧٧).

وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق. قالا: أخبرنا ابن عيينة عن عبد الكريم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. انتهى.

٨٩٢ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

سُورَةُ الكَهفِ

مكّيَّةٌ [إلاَّ آية ٣٨ ومِنْ آية ٨٣ إلَى غَايَةِ آيَةِ ١٠١ فمدَنِيَّةٌ]

وَآيَاتُها ١١٠ [نزَلَتْ بعْدَ الغاشِيَةِ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) ﴾

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم، وهي نعمة الإسلام، وما أنزل على عبده محمد ﷺ من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم، ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾: ولم يجعل له شيئاً من العوج قط، والعوج في المعاني: كالعوج في الأعيان، والمراد: نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه، وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة فيه.

فإن قلت: بم انتصب: ﴿قَيِّمًا﴾؟

قلت: الأحسن أن ينتصب بمضمر ولا يجعل حالاً من الكتاب؛ لأن قوله: (ولم يجعل): معطوف على «أنزل»، فهو داخل في حيز الصلة، فجاعله حالاً من الكتاب، فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة، وتقديره: ولم يجعل له عوضاً جعله قيماً؛ لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة.

فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الآخر؟

قلت: فائدته: التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح، وقيل: قيماً على سائر الكتب: مصدقاً لها، شاهداً بصحتها، وقيل: قيماً بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع، وقرئ «قيماً»، «أنذر»: متعد إلى

مفعولين؛ كقوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا﴾ [النبأ: ٤٠] فاقتصر على أحدهما، وأصله: ﴿لِّيُنذِرَ﴾: الذين كفروا، ﴿بَأۡسٗا شَدِيدٗا﴾: والبأس من قوله: (بعذاب بئيس)، وقد بؤس العذاب، وبؤس الرجل بأساً وبآسة، ﴿مِّن لَّدُنۡهُ﴾: صادراً من عنده، وقرئ: «من لدْنِه»: بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون، ﴿وَيُبَشِّرَ﴾: بالتخفيف والتثقيل.

فإن قلت: لم اقتصر على أحد مفعولي أنذر؟

قلت: قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق إليه، فوجب الاقتصار عليه؛ والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ۝٤﴾: متعلقاً بالمنذرين من غير ذكر المنذر به، كما ذكر المبشر به في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا﴾: استغناء بتقدم ذكره، والأجر الحسن: الجنة، ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ﴾ أي: بالولد أو باتخاذه، يعني: أن قولهم هذا لم يصدر عن علم، ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء، وقد اشتملته[1] آباؤهم من الشيطان وتسويله.

فإن قلت: اتخاذ الله ولداً في نفسه محال، فكيف قيل: ما لهم به من علم[2]؟

قلت: معناه: ما لهم به من علم؛ لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه، وإما لأنه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به، قرئ: «كبرت كلمة»، وكلمة: بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية، والنصب أقوى وأبلغ، وفيه معنى التعجب؛ كأنه قيل: ما أكبرها كلمة، و ﴿تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ﴾: صفة للكلمة تفيد استعظاماً لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم، فإن كثيراً مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوّهوا به ويطلقوا به ألسنتهم، بل يكظمون عليه تشوّراً[3] من إظهاره، فكيف بمثل هذا المنكر؟ وقرئ: «كبْرت» بسكون الباء مع إشمام الضمة.

فإن قلت: إلام يرجع الضمير في كبرت؟

---

(١) قوله: «وقد اشتملته» لعله: استملته، بإهمال السين وسكون الميم (ع).

(٢) قال محمود: «إن قلت اتخاذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل لهم... إلخ» قال أحمد: قد مضى له في قوله تعالى ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ أن ذلك وارد على سبيل التهكم، وإلا فلا سلطان على الشرك حتى ينزل. ونظيره:

ولا يـرى الـضـب بـهـا يـنـجـحـر

وقد قدمت حينئذ أن الكلام وارد على سبيل الحقيقة والأصل، وأن نفي إنزال السلطان تارة يكون لاستحالة إنزاله ووجوده، وتارة يكون، لأنه لم يقع وإن كان ممكناً، والله أعلم.

(٣) قوله: «تشورا من إظهاره» أي تباعدا من إظهاره، كأنه عورة. وفي الصحاح «الشوار» الفرج. ومنه قيل: شور به، كأنه أبدى عورته (ع).

قلت: إلى قولهم: (اتخذ الله ولداً)، وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾

شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم، برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم / ٢٠٧ ب وتلهفاً على فراقهم، وقرئ: «باخع نفسك»: على الأصل، وعلى الإضافة: أي قاتلها ومهلكها، وهو للاستقبال فيمن قرأ: «إن لم يؤمنوا»، وللمضي فيمن قرأ: «أن لم يؤمنوا»، بمعنى: لأن لم يؤمنوا ﴿بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: بالقرآن، ﴿أَسَفًا﴾: مفعول له، أي: لفرط الحزن، ويجوز أن يكون حالاً، والأسف: المبالغة في الحزن والغضب، يقال: رجل أسف وأسيف.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾

﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها، ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: وحسن العمل: الزهد فيها وترك الاغترار بها، ثم زهد في الميل إليها بقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾: من هذه الزينة، ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ يعني: مثل أرض بيضاء لا نبات فيها، بعد أن كانت خضراء معشبة، في إزالة بهجته، وإماطة حسنة، وإبطال ما به كان زينة: من إماتة الحيوان، وتجفيف النبات والأشجار، ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض مما خلق[1] فوقها من الأجناس التي لا حصر لها، وإزالة ذلك كله كأن لم يكن، ثم قال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يعني: أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة، والكهف: الغار الواسع في الجبل، ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾: اسم كلبهم؛ قال أمية بن أبي الصلت [من الطويل]:

وَلَيْسَ بِهَا إلاَّ الرَّقِيمُ مُجاوِراً وَصِيدَهُم وَالْقَوْمُ فِي الْكَهفِ هُمَّدُ[2]

(١) قوله: «مما خلق» لعله بما «خلق» (ع).

(٢) لأمية بن أبي الصلت، والرقيم: كلب أصحاب الكهف. والوصيد: فناء البيت وبابه وعتبته، والبيت يحتملها. والهمد: جمع هامد، أي: راقد. والقوم: عطف على الرقيم. يقول: ليس في تلك الصحراء إلا الكلب حال كونه مجاوراً لفناء غارهم، وإلا لقوم حال كونهم رقوداً في الكهف: أي الغار.

وقيل: هو لوح من رصاص، رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف، وقيل: إن الناس رقموا حديثهم نقراً في الجبل، وقيل: هو الوادي الذي فيه الكهف، وقيل: الجبل، وقيل: قريتهم، وقيل: مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين، ﴿كَانُوا﴾: آية، ﴿عَجَبًا﴾: من آياتنا وصفاً بالمصدر، أو على: ذات عجب، ﴿مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي: رحمة من خزائن رحمتك، وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء؛ ﴿وهيء لنا من أمرنا﴾: الذي نحن عليه من مفارقة الكفار، ﴿رَشَدًا﴾: حتى نكون بسببه راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا رشداً كله؛ كقولك: رأيت منك أسداً، ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ ءَاذَانِهِمْ﴾ أي: ضربنا عليها حجاباً من أن تسمع، يعني: أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات، كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه، فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال: بنى على امرأته، يريدون: بنى عليها القبة، ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾: ذوات عدد، فيحتمل أن يريد الكثرة وأن يريد القلة؛ لأن الكثير قليل عنده؛ كقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال الزجاج: إذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج أن يعدّ، وإذا كثر احتاج إلى أن يعد.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

﴿أي﴾: يتضمن معنى الاستفهام، فعلق عنه ﴿لِنَعْلَمَ﴾: فلم يعمل فيه، وقرئ: «ليعلم»، وهو معلق عنه ـ أيضاً ـ لأن ارتفاعه بالابتداء لا بإسناد «يعلم» إليه، وفاعل «يعلم»: مضمون الجملة، كما أنه مفعول «نعلم»، ﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: المختلفين منهم في مدة لبثهم؛ لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك؛ وذلك قوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٤] وكان الذين قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم: هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول، أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم، و ﴿أَحْصَىٰ﴾: فعل ماض، أي: أيهم ضبط[1]، ﴿أَمَدًا﴾: لأوقات لبثهم.

فإن قلت: فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل؟

قلت: ليس بالوجه السديد؛ وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس؛ ونحو: «أعدى من الجرب»، و «أفلس من ابن المذلق»: شاذ، والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع، فكيف به؟ ولأن (أمدا) لا يخلو: إما أن ينتصب بأفعل[2]، فأفعل لا يعمل،

---

(١) قال محمود: أحصى فعل ماض، أي: لنعلم أيهم ضبط أمداً... إلخ» قال أحمد: وقد جعل بعض النحاة بناء أفعل من المزيد فيه الهمز قياساً، وادعى ذلك مذهباً لسيبويه، وعلله بأن بناءه منه لا يغير نظم الكلمة، وإنما هو تعويض همزة بهمزة.

(٢) عاد كلامه. قال: «وأيضاً فلو كان للتفضيل لم يخل انتصاب أمداً إما بأفعل... إلخ» قال أحمد: =

وإما أن ينصب بلبثوا، فلا يسد عليه المعنى، فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه أحصى؛ كما أضمر في قوله [من الطويل]:

.... وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ القَوانِسَا[1]

على: نضرب القوانس، فقد أبعدت المتناول وهو قريب؛ حيث أبيت أن يكون أحصى فعلاً، ثم رجعت مضطرًا إلى تقديره وإضماره.

= ولقائل أن ينصبه على التمييز، كانتصاب العدد تمييزاً في قوله تعالى ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ ويعضد حمله على أفعل التفضيل وروده في نظير الواقعة واختلاف الأحزاب في مقدار اللبث، وذلك في قوله تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ فأمثلهم طريقة: هو أحصاهم لما لبثوا عدداً. وكلا الوجهين جائز، والله أعلم.

(١) فلم أر مثل الحي حياً مصبحاً ... ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
أكر وأحمي للحقيقة منهم ... وأضرب منا بالسيوف القوانسا
إذا ما شددنا شدة نصبوا لنا ... صدور المذاكي والرماح المداعسا
إذا الخيل حالت عن صريع نكرها ... عليهم فما يرجعن إلا عوابسا

للعباس بن مرداس السلمي، والحي بنو زبيد من اليمن. وأكر: أشد كراً. وأحمي: أشد حماية. والحقيقة: ما يستحق الذب عنه من عرض ومال. والقوانس: جمع قونس، وهو أعلى بيضة الفارس وأعلى رأس الفرس. والمذاكي: الخيل العناق العتاق التي أتى عليها بعد قروحها سنة، جمع المذاكي اسم مفعول. والمداعس: الرماح الصم التي يطعن بها. والدعس بالتحريك الأثر، والمداعسة المطاعنة. والمدعس: الرمح الأصم الذي يطعن به. ويروى: جالت، بدل حالت أي: مالت إلى جول بالجيم أي ناحية. وأما الحول بالحاء فهو التحول. والصريع: الطريح على الأرض، ونكرها: نرجعها. والعوابس: كالحات الوجوه من الجري في الغبار. وحيا مصبحاً، أي: مأتيا في الصباح مفعول. ومثل الحي: حال، على أن رأى بصرية. أو مفعول ثان، على أنها علمية، وأكر: بدل من حيا، ولا يصح جعله صفة أو مفعول ثان؛ لأنك لو قلت: ما رأيت مثل زيد رجلاً أفضل منه لم يستقم المعنى إلا على البدلية؛ لأن المماثلة تنافي المفاضلة، إلا أن تكون المماثلة في صفة والمفاضلة في أخرى، فلامانع منه حينئذ. وأضرب: أفعل تفضيل، بدل من فوارس على ما تقدم، فهو لف ونشر مرتب. وأفعل التفضيل لا يعمل النصب في المفعول به، بل حكى الإجماع على ذلك، فالقوانص نصب بمحذوف، أي: يضرب القوانس أي الرؤوس، لكن قال محمد بن مسعود في كتابه البديع: غلط من قال: إن اسم التفضيل لا ينصب المفعول به، واستشهد بهذا البيت وغيره. وبين مدح الفريقين بقوله: إذا شددنا عليهم مرة قابلونا بالخيل العتاق والرماح الجيدة، فهم شجعان. وبقوله: إذا مالت خيلنا أو تحولت عن قتيل منا، نرجعها عليهم لأجل الثأر، فما ترجع إلا كوالح، فنحن أشجع منهم.

ينظر: ديوانه ص ٦٩، والأصمعيات ص ٢٠٥، وحماسة البحتري ص ٤٨، وخزانة الأدب ٨/ ٣١٩، ٣٢١، وشرح التصريح ١/ ٣٣٩، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٤٤١، ١٧٠٠، ولسان العرب (قنس)، ونوادر أبي زيد ص ٥٩، خزانة الأدب ٧/ ٢١٠، والأشباه والنظائر ١/ ٣٤٤، ٤/ ٧٩، وأمالي ابن الحاجب ١/ ٤٦٠، وشرح الأشموني ١/ ٢٩١، ومغني اللبيب ص ٢/ ٦١٨، الكشاف ٤/ ٤٢٩، الدر المصون ١/ ١٨٠.

فإن قلت: كيف جعل الله ـ تعالى ـ العلم بإحصائهم المدة غرضاً في الضرب على آذانهم؟

قلت: الله ـ عز وجل ـ لم يزل عالماً بذلك؛ وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم، ليزدادوا إيماناً واعتباراً، ويكون لطفاً لمؤمني زمانهم، وآية بينة لكفاره.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾: بالتوفيق والتثبيت، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: وقويناها بالصبر على هجر الأوطان والنعيم، والفرار بالدين إلى بعض الغيران، وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام، ﴿إِذْ قَامُوا۟﴾: بين يدي الجبار وهو دقيانوس، من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم، ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . . . شَطَطًا﴾: قولاً ذا شطط، وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه، من شط: إذا بعد، ومنه: أشط في السوم وفي غيره، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مبتدأ، و ﴿قَوْمُنَا﴾: عطف بيان، ﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾: خبر، وهو إخبار في معنى: إنكار، ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾: هلا يأتون على عبادتهم، فحذف المضاف، ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾: وهو تبكيت؛ لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال، وهو دليل على فساد التقليد، وأنه/ ٢٠٨ أ لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت، ﴿أفترى على الله كذبا﴾: بنسبة الشريك إليه.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وإذ اعتزلتموهم﴾: خطاب من بعضهم لبعض، حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم، ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾: نصب، عطف على الضمير، يعني: وإذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم، ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾: يجوز أن يكون استثناء متصلاً، على ما روي: أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة، وأن يكون منقطعاً، وقيل: هو كلام معترض إخبار من الله ـ تعالى ـ عن الفئة أنهم لم يعبدوا غير الله، ﴿مِّرْفَقًا﴾: قرئ بفتح الميم وكسرها، وهو ما يرتفق به: أي ينتفع، إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم، لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم، وإما أن يخبرهم به نبيّ في عصرهم؛ وإما أن يكون بعضهم نبيًا.

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿تَّزَٰوَرُ﴾ أي: تمايل، أصله: تتزاور، فخفف بإدغام التاء في الزاي أو حذفها، وقد قرئ بهما، وقرئ: تزور، وتزوار: بوزن تحمرّ وتحمار، وكلها من الزور وهو الميل؛ ومنه: زاره إذا مال إليه، والزور: الميل عن الصدق، ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾: جهة اليمين، وحقيقتها: الجهة المسماة باليمين، ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾: تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم؛ قال ذو الرمة [من الطويل]:

إلَى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أَقْوازَ مُشْرِفٍ شِمَالاً وعَنْ أَيْمانِهِنَّ الفَوَارِسُ[1]

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: وهم في متسع من الكهف، والمعنى: أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها، مع أنهم في مكان واسع منفتح معرّض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم، وقيل: في متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار، ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما صنعه الله بهم - من ازورار الشمس وقرصنها طالعة وغاربة - آية من آياته، يعني: أنّ ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم؛ اختصاصاً لهم بالكرامة، وقيل: باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش، فهم في مقنأة[2] أبداً، ومعنى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أن شأنهم

---

(١) نظرت بجرعاء السبية نظرة ضحى وسواد العين في الماء شامس
إلى ظعن يقرضن أقواز مشرف شمالاً وعن أيمانهن الفوارس
لذي الرمة. وجرعاء السبية: اسم موضع، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الفاعل. وضحى: ظرف، وسواد العين... إلخ. جملة حالية، في الماء، أي: الدمع شامس، أي كثير الحركة والاضطراب. يقال: شمس الفرس والرجل شموساً، إذا ساء خلقه، والظعينة: المرأة في الهودج أو المطية عليها امرأة أو لا، أو الهودج فيه امرأة أو لا. والجمع ظعن وظعن وأظعان وظعاني ويقرضن أي يقطعن. وأقواز مشرف: أعالي جبل مشرف. ويروى أجواز جمع جوز بمعنى المجاز والطريق، أي: يفصلنه عنهن، وشمالاً: جهة الشمال، والفوارس: اسم موضع، وجعله جمع فارس، كما قيل: تبعده المقابلة.
ينظر: ديوانه ص ١١٢، ولسان العرب (قوز)، (فرس)، (قرض) وكتاب العين ٥/ ٥٠، وتهذيب اللغة ٨/ ٣٤٢، وأساس البلاغة (قرض)، وتاج العروس (قوز)، (فرس)، ١٩/ ١٥، وتهذيب اللغة ٩/ ٢٣٨، المخصص ١٢/ ١١٤، وديوان الأدب: ٢/ ١٦٨.

(٢) قوله: «فهم في مقنأة» في الصحاح: قال أبو عمرو «المقنأة، والمقنؤة» الذي لا تطلع عليه الشمس. وقال: غير مقناة. ومقنوة. بغير همز: نقيض المضحاة (ع).

وحديثهم من آيات الله، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾: ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم، فلطف بهم وأعانهم، وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة، وأن كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي أصاب الفلاح، واهتدى إلى السعادة، ومن تعرّض للخذلان، فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾: بكسر السين وفتحها: خطاب لكل أحد، والأيقاظ: جمع يقظ، كأنكاد في نكد، قيل: عيونهم مفتحة وهم نيام، فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظاً، وقيل: لكثرة تقلبهم، وقيل: لهم تقلبتان في السنة، وقيل: تقلبة واحدة في يوم عاشوراء، وقرئ: «ويقلبهم»: بالياء، والضمير لله تعالى، وقرئ: «وتقلبهم»: على المصدر منصوباً، وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾؛ كأنه قيل: وترى وتشاهد تقلبهم، وقرأ جعفر الصادق: «وكالبهم»، أي: وصاحب كلبهم، ﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾: حكاية حال ماضية؛ لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي، وإضافته إذا أضيف حقيقية معرفة؛ كغلام زيد، إلا إذا نويت حكاية الحال الماضية، والوصيد: الفناء، وقيل: العتبة، وقيل: الباب، وأنشد [من الطويل]:

بِأَرْضِ فَضَاءٍ لاَ يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَيَّ ومَعْرُوفِي بِهَا غَيرُ مُنْكَرِ[1]

وقرئ: «ولملّئت»: بتشديد اللام للمبالغة، وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء، و ﴿رُعْبًا﴾: بالتخفيف والتثقيل، وهو الخوف الذي يرعب الصدر، أي: يملؤه؛ وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة، وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم، وقيل: لوحشة مكانهم، وعن معاوية أنه غزا الروم فمرّ بالكهف، فقال: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقال له ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: ليس لك ذلك، قد منع الله ـ تعالى ـ منه من هو خير منك، فقال: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم، فبعث ناساً وقال لهم: اذهبوا فانظروا، ففعلوا، فلما دخلوا الكهف بعث الله

---

(١) لزهير. والوصيد: الفناء والباب والعتبة. يقول: نزلت في أرض خالية من البناء، تصلني فيها الضيفان والقفاة، ليس فيها بناء له وصيد. فيسد علي فتنحجب عني الضيفان كأهل الحضر، فنفي السد كناية عن نفي الوصيد من أصله، وإحساني بها معروف لا ينكره أحد من الناس.
ينظر: تاج العروس (فضل).
ينظر: في ديوانه ١٠٧ والدرر ٥/ ٢٤٤، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٨٤، ولسان العرب (رجم)، وشرح قطر الندى ص ٢٦٢، وهمع الهوامع ٢/ ٩٢، الخزانة ٣/ ١٠، الدر المصون ١/ ٤٩.

عليهم ريحاً فأحرقتهم (٨٩٣)، وقرئ: «لو اطلعت»: بضم الواو.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم؛ إذكاراً بقدرته على الإنامة والبعث جميعاً؛ ليسأل بعضهم بعضاً ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم، فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ـ تعالى ـ ويزدادوا يقيناً، ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكرموا به، ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: جواب مبني على غالب الظن، وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب، وأنه لا يكون كذباً وإن جاز أن يكون خطأ، ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾: إنكار عليهم من بعضهم، وأن الله أعلم بمدة لبثهم، كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله أن المدة متطاولة، وأنّ مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله، وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال، فظنوا أنهم في يومهم، فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك.

فإن قلت: كيف وصلوا قولهم: ﴿فَٱبْعَثُوٓا﴾ بتذاكر حديث المدة؟

قلت/ ٢٠٨ب: كأنهم قالوا: ربكم أعلم بذلك؛ لا طريق لكم إلى علمه، فخذوا في شيء آخر مما يهمكم، والورق: الفضة، مضروبة كانت أو غير مضروبة، ومنه الحديث أن عرفجة أصيب أنفه يوم الكلاب[1] فاتخذ أنفاً من ورق فأنتن، فأمره رسول الله ﷺ أن يتخذ أنفاً من ذهب (٨٩٤)، وقرئ: «بوَرْقكم»: بسكون الراء والواو مفتوحة أو مكسورة، وقرأ

---

٨٩٣ ـ أخرجه الواحدي في تفسيره (٣/ ١٤٠)، وذكره الحافظ ابن حجر في تخريجه على الكشاف، وقال: أخرجه ابن أبي حاتم وعبيد بن محمد، وأبو بكر بن أبي شيبة من رواية يعلى بن مسلم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس، وإسناده صحيح.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي حاتم، وعبيد بن محمد، وأبو بكر بن أبي شيبة من رواية يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وإسناده صحيح. انتهى.

٨٩٤ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ٩٢): كتاب الخاتم: باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب، حديث (٤٢٣٣)، والترمذي (٤/ ٢٤٠): كتاب اللباس: باب ما جاء في شد الأسنان بالذهب، حديث (١٧٧٠)، =

---

(١) قوله: «يوم الكلاب» في وقعة الكلاب، وهو بالضم: اسم ماء كانت عنده الواقعة، أفاده الصحاح (ع).

ابن كثير: «بورِقكم»: بكسر الراء وإدغام القاف في الكاف، وعن ابن محيصن أنه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم، وهذا غير جائز؛ لالتقاء الساكنين لا على حده، وقيل: المدينة طرسوس، قالوا: وتزوّدهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم: دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله، دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات؛ ومنه قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه ـ: أوثق عليك نفقتك (٨٩٥)، وما حكي عن بعض صعاليك العلماء[١] أنه كان شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت الله، وتعولم منه ذلك، فكانت مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج أتوه فبذلوا له أن يحجوا به وألحوا عليه، فيعتذر إليهم ويحمد إليهم بذلهم، فإذا انفضوا عنه قال لمن عنده: ما لهذا السفر إلا شيآن: شدّ الهميان، والتوكل على الرحمن، ﴿أيها﴾ أيّ: أهلها، فحذف الأهل؛ كما في قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾: أحلّ وأطيب وأكثر وأرخص، ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: وليتكلف اللطف والنيقة[٢] فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن، أو في أمر التخفي حتى لا يعرف، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: يعني: ولا يفعلنّ ما يؤدي من

= والنسائي (٨/ ١٦٣ ـ ١٦٤): كتاب الزينة: باب من أصيب أنفه هل يتخذ أنفاً من ذهب، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٣)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٥/ ٢٣). كلهم من طرق عن عبد الرحمن بن طرفة عن جده عرفجة بن أسعد فذكره.

قال الترمذي (٤/ ٢٤١): هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث عبد الرحمن بن طرفة، وقد روى سلم بن زرير عن عبد الرحمن بن طرفة، نحو حديث أبي الأشهب، وقد روى غير واحد من أهل العلم أنهم شدوا أسنانهم بالذهب، وفي هذا الحديث حجة لهم وقال عبد الرحمن بن مهدي: سلم بن وزير وهو وهم، وأبو سعيد الصنعاني اسمه محمد بن ميسر.

وأخرجه أحمد (٥/ ٢٣) عن عبد الرحمن بن طرفة بن عرفجة عن أبيه عن جده فذكره. وأخرجه أبو داود (٤/ ٩٢): كتاب الخاتم: باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب، حديث (٤٢٣٢) وأحمد في مسنده (٤/ ٣٤٢)، (٥/ ٢٣) من طرق عن عبد الرحمن بن طرفة بن عرفجة بن أسعد أن جده عرفجة بن أسعد أصيب أنفه.. فذكره مرسلاً.

وأخرجه أبو داود (٤/ ٩٢): كتاب الخاتم: باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب، حديث (٤٢٣٤) عن عبد الرحمن بن طرفة بن عرفجة بن أسعد عن أبيه عن جده، فذكر معناه مرسلاً.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أصحاب السنن من رواية عبد الرحمن بن طرفة. عن عرفجة. وفي رواية بعضهم «أن عرفجة».

٨٩٥ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب المناسك كما في تخريج الكشاف (٢/ ٣٠٢) وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح عنهما بذلك. انتهى.

---

(١) قوله: «عن بعض صعاليك العلماء» أي فقرائهم (ع).

(٢) قوله: «والنيقة» أي: الإتقان (ع).

غير قصد منه إلى الشعور بنا، فسمى ذلك إشعاراً منه بهم؛ لأنه سبب فيه الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾: راجع إلى الأهل المقدر في (أيها): ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم أخبث القتلة وهي الرجم، وكانت عادتهم، ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ﴾: أو يدخلوكم، ﴿فِي مِلَّتِهِمْ﴾: بالإكراه العنيف ويصيروكم إليها، والعود في معنى: الصيرورة أكثر شيء في كلامهم، يقولون: ما عدت أفعل كذا، يريدون ابتداء الفعل، ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾: إن دخلتم في دينهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وكما أنمناهم وبعثناهم، لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم، ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم، ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: وهو البعث؛ لأن حالهم في نومتهم وانتباهتهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث، و ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾: متعلق بأعثرنا، أي: أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث، فكان بعضهم يقول: تبعث الأرواح دون الأجساد، وبعضهم يقول: تبعث الأجساد مع الأرواح؛ ليرتفع الخلاف، وليتبين أنّ الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت، ﴿فَقَالُواْ﴾: حين توفى الله أصحاب الكهف، ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ أي: على باب كهفهم؛ لئلا يتطرق إليهم الناس ضناً بتربتهم، ومحافظة عليها، كما حفظت تربة رسول الله ﷺ بالحظيرة، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم، ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾: على باب الكهف، ﴿مَّسْجِدًا﴾: يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم، وقيل: «إذ يتنازعون بينهم أمرهم» أي: يتذاكر الناس بينهم أمر أصحاب الكهف، ويتكلمون في قصتهم وما أظهر الله من الآية فيهم، أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا، كيف يخفون مكانهم؟ وكيف يسدّون الطريق إليهم؟ فقالوا: ابنوا على باب كهفهم بنياناً، روي أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكرهوا على عبادتها، وممن شدد في ذلك دقيانوس، فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل، فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه، ثم هربوا إلى الكهف ومرّوا بكلب فتبعهم فطردوه، فأنطقه الله فقال: ما تريدون مني، أنا أحب أحباء الله، فناموا وأنا أحرسكم، وقيل: مرّوا براع معه كلب فتبعهم[1] على دينهم، ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون

---

(١) قوله: «وقيل: مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم» لعل بعده سقطاً تقديره: وتبعهم الكلب، كما في الخازن (ع).

الله فيه، ثم ضرب الله على آذانهم، وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن، وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين، فدخل الملك بيته، وأغلق بابه، ولبس مسحاً، وجلس على رماد، وسأل ربه أن يبين لهم الحق، فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سدّ به فم الكهف؛ ليتخذه حظيرة لغنمه، ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس: اتهموه بأنه وجد كنزاً، فذهبوا به إلى الملك فقصّ عليه القصة، فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم، وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث، ثم قالت الفتية للملك: نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس، ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم، فألقى الملك عليهم ثيابه، وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب، فرآهم في المنام كارهين للذهب، فجعلها من الساج، وبنى على باب الكهف مسجداً، ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ﴾: من كلام/ ٢٠٩ أ المتنازعين؛ كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم، فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا: ربهم أعلم بهم، أو هو من كلام الله ـ عز وجل ـ ردّ لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين، أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿سَيَقُولُونَ﴾: الضمير: لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله ﷺ من أهل الكتاب والمؤمنين، سألوا رسول الله ﷺ عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم؛ فنزلت، إخباراً بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم، وأنّ المصيب منهم من يقول: سبعة وثامنهم كلبهم، قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أنا من أولئك القليل، وروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد وكان يعقوبيًا: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وكان نسطوريًا: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين؛ وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله ﷺ عن لسان جبريل ـ عليه السلام ـ وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: هم سبعة نفر أسماؤهم: يمليخا، ومكشليتيا، ومشلينيا: هؤلاء أصحاب يمين الملك، وكان عن يساره: مرنوش، ودبرنوش، وشادنوش، وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره، والسابع: الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس، واسم مدينتهم: أفسوس، واسم كلبهم: قطمير.

فإن قلت: لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين؟

قلت: فيه وجهان: أن تدخل الآخرين في حكم السين؛ كما تقول: قد أكرم وأنعم، تريد: معنى التوقع في الفعلين جميعاً؛ وأن تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له، ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾: رمياً بالخبر الخفي وإتياناً به؛ كقوله: (ويقذفون بالغيب) [سبأ: ٥٣] أي: يأتون به، أو وضع الرجم موضع الظنّ، فكأنه قيل: ظناً بالغيب؛ لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظنّ، حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين؛ ألا ترى إلى قول زهير [من الطويل]:

.... وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المرَجَّمِ(١)

أي: المظنون، وقرئ: «ثلاث رابعهم»: بإدغام التاء في تاء التأنيث، و ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي: هم ثلاثة، وكذلك: ﴿خَمۡسَةٌ﴾، و ﴿سَبۡعَةٌ﴾، و ﴿رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾: جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة؛ وكذلك: ﴿سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾؛ ﴿وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾.

فإن قلت: فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة، ولم دخلت عليها دون الأوّلين(٢)؟

---

(١) وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم
لزهير من معلقته، ينهي عبساً وذبيان عن القتال. يقول: ليست الحرب إلا التي علمتموها وجربتموها، وشبهها بمطعوم مكروه على طريق الكناية والذوق تخييل، وما هو: أي الحديث عن الحرب، ولما كان الضمير عائداً على المصدر في المعنى صح تعلق المجرور به، ويبعد تعلقه بما بعده. والترجيم: الرمي بالرجام وهي الحجارة الصغار، استعير لإلقاء الكلام بلا روية ولا فكر على طريق التصريحية.

(٢) قال محمود: إن قلت «لم دخلت الواو في الجملة الأخيرة... إلخ»؟ قال أحمد: وهو الصواب، لا كمن يقول: إنها واو الثمانية فإن ذلك أمر لا يستقر لمثبته قدم، ويعدون مع هذه الواو في قوله في الجنة ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ بخلاف أبواب النار، فإنه قال فيها ﴿فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ قالوا: لأن أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة. وهب أن في اللغة واواً تصحب الثمانية فتختص بها، فأين ذكر العدد في أبواب الجنة حتى ينتهي إلى الثامن فتصحبه الواو، وربما عدوا من ذلك ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ وهو الثامن من قوله (التائبون) وهذا أيضاً مردود بأن الواو إنما اقترنت بهذه الصفة، لتربط بينها وبين الأولى التي هي الآمرون بالمعروف، لما بينهما من التناسب والربط. ألا ترى اقترانهما في جميع مصادرهما ومواردهما، كقوله ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ وكقوله ﴿وامر بالمعروف وانه عن المنكر﴾ وربما عد بعضهم من ذلك الواو في قوله ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ لأنه وجدها مع الثامن، وهذا غلط فاحش، فإن هذه واو التقسيم، ولو ذهبت تحذفها فنقول: ثيبات أبكاراً، لم يستد الكلام، فقد وضح أن الواو في جميع هذه المواضع المعدودة واردة لغير ما زعمه هؤلاء، والله الموفق.

قلت: هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤﴾ [الحجر: ٤]، وفائدتها: تأكيد لصوق الصفة بالموصوف؛ والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: سبعة وثامنهم كلبهم، قالوه عن ثبات علم، وطمأنينة نفس، ولم يرجموا بالظن كما غيرهم، والدليل عليه أنّ الله ـ سبحانه ـ اتبع القولين الأولين قوله: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾، وأتبع القول الثالث قوله: (ما يعلمهم إلا قليل)، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: حين وقعت الواو انقطعت العدّة، أي: لم يبق بعدها عدة عادّ يلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات، وقيل: إلا قليل من أهل الكتاب، والضمير في (سيقولون): على هذا لأهل الكتاب خاصة، أي: سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا، ولا علم بذلك إلا في قليل منهم، وأكثرهم على ظنّ وتخمين، ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ﴾: فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه، وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد، من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الردّ عليهم؛ كما قال: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ﴾: ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال متعنت له، حتى يقول شيئاً فتردّه عليه وتزيف ما عنده؛ لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة، ولا سؤال مسترشد؛ لأن الله قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ۝٢٤﴾

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ﴾: ولا تقولنّ لأجل شيء تعزم عليه، ﴿إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ﴾: الشيء، ﴿غَدًا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان، ولم يرد الغد خاصة، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾: متعلق بالنهي لا بقوله: إني فاعل؛ لأنه لو قال: إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله، كان معناه: إلا أن تعترض مشيئة الله دون[1] فعله؛ وذلك مما لا مدخل فيه للنهي، وتعلقه بالنهي على وجهين:

---

(١) قال محمود: «كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله... إلخ» قال أحمد: ولا بد من حمل الكلام على أحد الوجهين المذكورين، ولولا ذلك لكان المعنى على الظاهر ببادئ الرأي: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله أن تقول هذا القول، وليس الغرض ذلك، وإنما الغرض النهي عن هذا القول إلا مقروناً بقول المشيئة، وليت شعري ما معنى قول الزمخشري في تفسير الآية، كأن المعنى: إلا أن تعترض المشيئة دونه، معتقداً أن مشيئة الله تعالى لا تعترض على فعل أحد، فكم شاء من الأفعال فتركت، وكم شاء من التروك ففعلت على زعم القدرية، فلا معنى على =

أحدهما: ولا تقولنّ ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله، بأن يأذن لك فيه.

والثاني: ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله، أي: إلا بمشيئة الله، وهو في موضع الحال، يعني: إلا ملتبساً بمشيئة الله قائلاً: إن شاء الله، وفيه وجه ثالث، وهو: أن يكون (إن شاء الله)[1] في معنى كلمة تأبيد، كأنه قيل: ولا تقولنه أبداً؛ ونحوه قوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٨٩]؛ لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله، وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن الروح، وعن أصحاب الكهف / ٢٠٩ ب، وذي القرنين، فسألوه، فقال: ائتوني غداً أخبركم ولم يستثن، فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ أي: مشيئة ربك، وقل: إن شاء الله، إذا فرط منك نسيان لذلك، والمعنى: إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر[2]، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: ولو بعد سنة ما لم تحنث، وعن سعيد بن جبير: ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة، وعن طاوس: هو على ثنياه[3] ما دام في مجلسه، وعن الحسن نحوه، وعن عطاء: يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة، وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولاً، ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ في الاستثناء المنفصل، فاستحضره لينكر عليه: فقال أبو حنيفة: هذا يرجع عليك؛ إنك لتأخذ البيعة بالأيمان، أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك؟ فاستحسن كلامه ورضي عنه (٨٩٦)، ويجوز أن يكون المعنى: واذكر[4] ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء؛ تشديداً في البعث

---

٨٩٦ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٣) من حديث الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: . . . فذكره، وقال الحاكم وكان الأعمش يأخذ بها، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أ.هـ. وأخرجه الطبراني في معجمه الوسط كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٣٠٣).

= أصلهم الفاسد لتعليق الفعل بالمشيئة قولاً وهو غير متعلق بها وقوعاً، حتى أن قول القائل: لا أفعل كذا إلا أن يشاء الله أن أفعله: كذب وخلف بتقدير فعله إذا كان من قبيل المباح، لأن الله تعالى لا يشاؤه على زعمهم الفاسد، فما أبعد عقدهم من قواعد الشرع فسحقاً سحقاً.

(١) قوله: «إن شاء الله» لعله أن يشاء الله (ع).

(٢) عاد كلامه. قال: «وقوله ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أي كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها، فتداركها بالذكر. وعن ابن عباس: ولو بعد سنة ما لم تحنث إلى قوله: وعند عامة الفقهاء. . . إلخ» قال أحمد: أما ظاهر الآية فمقتضاه الأمر بتدارك المشيئة متى ذكرت ولو بعد الطول. وأما حلها لليمين حينئذ فلا دليل عليه منها، والله أعلم.

(٣) قوله: «هو على ثنياه» في الصحاح «الثنيا» بالضم: الاسم من الاستثناء (ع).

(٤) قال محمود: «ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح. . . إلخ» قال أحمد: ويؤيد هذا التأويل =

على الاهتمام بها، وقيل: واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به؛ وقيل: واذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي، وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها، و ﴿هَٰذَا﴾: إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف، ومعناه: لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبيّ صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشداً من نبأ أصحاب الكهف، وقد فعل ذلك؛ حيث آتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدلّ، والظاهر أن يكون المعنى: إذا نسيت شيئاً فاذكر ربك، وذكر ربك عند نسيانه أن تقول: عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه، ﴿رَشَدًا﴾: وأدنى خيراً ومنفعة، ولعل النسيان كان خيرة؛ كقوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦].

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين﴾: يريد لبثهم فيه أحياء مضروباً على آذانهم هذه المدة، وهو بيان لما أجمل في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾، ومعنى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾: أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم، والحق ما أخبرك الله به، وعن قتادة: أنه حكاية لكلام أهل الكتاب، و (قل الله أعلم): رد عليهم، وقال في حرف عبد الله: وقالوا لبثوا، وسنين: عطف بيان لثلثمائة، وقرئ: «ثلثمائة سنين»: بالإضافة، على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز؛ كقوله: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣]، وفي قراءة أبيّ: «ثلثمائة سنة»، ﴿تِسْعًا﴾: تسع سنين؛ لأن ما قبله يدل عليه، وقرأ الحسن: «تسعاً»: بالفتح، ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والأرض وخفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده العالم به، وجاء بما دل على التعجب من إدراكه المسموعات والمبصرات؛ للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حدّ ما عليه إدراك السامعين والمبصرين؛ لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها، كما يدرك أكبرها حجماً وأكثفها جرماً، ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر، ﴿مَا لَهُم﴾ الضمير: لأهل السموات والأرض، ﴿مِن وَلِىٍّ﴾: من متول لأمورهم، ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ﴾: في قضائه، ﴿أَحَدًا﴾: منهم، وقرأ الحسن: «ولا تشرك»: بالتاء والجزم على النهي.

= بقوله تعالى أول القصة ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ فافتتح ذكر القصة بتقليل شأنها وإنكار عده من عجائب آيات الله، ثم ختمها بأمره عليه الصلاة والسلام بطلب ما هو أرشد وأدخل في الآية والله أعلم.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾

كانوا يقولون له: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، فقيل له: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾: من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل، فلا مبدل لكلمات ربك، أي: لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها؛ إنما يقدر على ذلك هو وحده، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النحل: ١٠]، ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾: ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾

وقال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله ﷺ: نحِّ هؤلاء الموالى الذين كأن ريحهم ريح الضأن، وهم: صهيب، وعمار، وخباب، وغيرهم من فقراء المسلمين، حتى نجالسك، كما قال قوم نوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]؛ فنزلت: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: واحبسها معهم وثبتها؛ قال أبو ذؤيب [من الكامل]:

فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لِذَلِكَ حُرَّةً تَرْسُو إِذَا نَفْسُ الجَبَانِ تَطَلَّعُ[1]

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾: دائبين على الدعاء في كل وقت، وقيل: المراد: صلاة الفجر والعصر، وقرئ: «بالغدوة»، و «بالغداة»: أجود؛ لأن غدوة علم في أكثر الاستعمال، وإدخال اللام على تأويل التنكير؛ كما قال [من الطويل]:

.... وَالزَّيْدُ زَيْدُ المَعَارِكِ[2]

---

(١) لأبي ذؤيب في مرثية بنيه، وصبرت: أي حبست نفساً عارفة لذلك البلاء، وضمن عارفة معنى صابرة فعداه باللام، جسرة: أي قوية صلبة. ويروى: حرة، بضم الحاء، أي جيدة. ترسو: تطمئن وتسكن، إذا تطلع نفس الجبان وتجزع كأنها تريد الفرار وأصله تتطلع، حذف منه إحدى التاءين تخفيفاً.
نسب هذا البيت لعنترة ينظر: ديوانه (٤٩). وينظر: البحر المحيط ٥/ ٢٢٥ واللسان (صبر) وروح المعاني ١٢/ ٥٧، والتهذيب ٢/ ٣٤٤، والدر المصون ٤/ ١٠٠.

(٢) وقد كان منهم حاجب وابن أمه أبو جندل والزيد زيد المعارك
دخلت «أل» المعرفة على «زيد» وهو علم لتأويله بالمسمى بزيد، ولذلك أضافه للمعارك، أي أمكنة الحروب. يقول: وقد كان من هؤلاء القوم حاجب بن لقيط بن زرارة وابن أمه، أي أخوه أبو جندل والمسمى يزيد، المعد للحروب. وفيه إشارة إلى أنه يعرف بذلك فيما بين الناس.

ونحوه قليل في كلامهم، يقال: عداه إذا جاوزه ومنه قولهم، عدا طوره، وجاءني القوم عدا زيداً؛ وإنما عدى بعن؛ لتضمين عدا معنى نبا وعلا، في قولك: نبت عنه عينه وعلت عنه عينه: إذا اقتحمته ولم تعلق به.

فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين؟ وهلا قيل: ولا تعدهم عيناك، أو لا تعل عيناك عنهم؟

قلت: الغرض فيه: إعطاء مجموع معنيين؛ وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ؛ ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم؟ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي: ولا تضموها إليها آكلين لها، وقرئ: «ولا تعد عينيك»، «ولا تعدّ عينيك»[(١)]: من أعداه وعدّاه نقلاً بالهمزة وتثقيل الحشو؛ ومنه قوله [من البسيط]:

فَـعَـدِّ عَـمَّـا تَـرَى إِذْ لاَ ارْتِـجَـاعَ لَـهُ .... [(٢)]

---

(١) قال السمين الحلبي: وردّ عليهما الشيخ: بأنه لو كان تعديه في هاتين القراءتين بالهمزة، أو التضعيف لتعدي لاثنين، لأنه قبل ذلك متعد لواحد بنفسه. وقد أقر الزمخشري بذلك، حيث قال: «يقال: عَدّاه إذا جاوزه، وإنما عُدّي بـ«عَنْ» لتضمنه معنى: عَلا، ونَبَا، فحينئذٍ يكون «أَفْعَل، وفَعَل» مما وافقا المجرد» وهو اعتراض حسن. قوله: «تُرِيدُ» جملة حالية، ويجوز أن يكون فاعل «تُرِيدُ» المخاطب، أي: تريد أنت، ويجوز أن يكون ضمير العينين، وإنما وُحّدَ، لأنهما متلازمان يجوز أن يخبر عنهما خبر الواحد.

قال الشيخ: وصاحب الحال أنْ قدر عيناك، فكأن يكون التركيب تريدان. «قُلْتُ: غَفَلَ عَن القاعدة، التي ذكرتها من أن الشيئين المتلازمين يجوز أن يخبر عنهما إخبار الواحد. ثم قال: وإن قدّر الكاف فمجيء الحال من المجرور بالإضافة مثل هذا فيه الإشكال، لاختلاف العامل في الحال وذي الحال، وقد أجاز ذلك بعضهم إذا كان المضاف جزءاً أو كالجزء، وحسن ذلك أن المقصود نَهْيُهُ هو - عليه السلام - وإنما جيء بقوله: «عيناك» والمقصود هو، لأنهما بهما يكون المراعاة للشخص والملفت له. قُلْتُ: وقد ظهر لي وجه حسن لم أرَ غَيْرِي ذكرهُ وهو: أن يكون «تَعْدُ» مسنداً لضمير المخاطب ﷺ و«عَيْنَاكَ» بدل من الضمير بدل بعض من كل، و«تُرِيدُ» على وجهيها من كونها حالاً من «عَيْنَاكَ»، أو من الضمير في «تَعْدُ»، إلاَّ إن جعلها حالاً من الضمير في «لاَ تَعْدُ» ضَعفاً، من حيث إنَّ مراعاة المبدل منه، بعد ذكر البدل قليل جدا، تقول: الجاريةُ حُسْنُهَا فَاتِنٌ، ولا يجوز: فَاتِنَةٌ. انتهى. الدر المصون.

(٢) فـعـد عـمـا تـرى إذ لا ارتـجـاع لـه ... وانـم الـقـتـود عـلـى عـيـرانـة أجـد

للنابغة الذبياني. ونما ينمى نمياً: زاد وارتفع. ونماه ينميه نمياً: رفعه وزاده. ونما ينمو نموا من باب دخل. ونماه ينموه نموا أيضاً، لكن الواوي قليل. والقتود: جمع أقتاد، جمع قتد: وهي عيدان الرحل بلا أداة. والعيرانة: الشبيهة بالعير في سرعة السير. والأجد: الصلبة الموثقة الخلق. يقول: انصرف عما ترى من آثار الديار، أو عما تظن رجوعه؛ لأنه لا تدارك له أو لا رجوع له، وارفع عيدان الرحل على ناقة سريعة صلبة، كناية عن أمره بالسفر؛ لأن شد الرحال لا يكون إلا له. =

لأن معناه: فعد همك عما ترى، نهي رسول الله ﷺ أن يزدري بفقراء المؤمنين، وأن تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحاً إلى زيّ الأغنياء وحسن شارتهم[1]، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: في موضع الحال، ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾/ ٢١٠أ: من جعلنا قلبه غافلا[2] عن الذكر بالخذلان[3]، أو وجدناه غافلا عنه؛ كقولك: أجبنته وأفحمته[4] وأبخلته، إذا وجدته كذلك، أو من أغفل إبله إذا تركها[5] بغير سمة، أي: لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان وقد أبطل الله توهم المجبرة[6] بقوله: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾، وقرئ: «أغفلنا قلبه»، بإسناد الفعل إلى القلب على معنى: حسبنا قلبه غافلين؛ من أغفلته إذا وجدته غافلاً، ﴿فُرُطًا﴾: متقدماً للحق والصواب[7]، نابذاً له وراء ظهره من قولهم: «فرس فرط»: متقدم للخيل.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

= ينظر: ديوانه ص (١٦)، ولسان العرب (قتد)، (نمى)، كتاب العين (٢/ ٢١٥)، مقاييس اللغة (١/ ٦٢) (٤/ ٢٥١)، تهذيب اللغة (١٥/ ٥١٧)، تاج العروس (قتد) (نمى)، الدر المصون (٤/ ٤٤٩).

(١) قوله: «وحسن شارتهم» في الصحاح: الشوار والشارة: اللباس والهيئة (ع).

(٢) قال محمود: «معناه جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر... إلخ» قال أحمد: هو يشمر للهرب من الحق، وهو أن المراد خلقنا له، وجدير به أن يشمر في اتباع هواه، فإن حمل «أغفل» على بابه صرفه إلى الخذلان، وإلا أخرجه بالكلية عن بابه إلى باب أفعل للمصادفة، ولا يتجرأ على تفسير فعل أسنده الله إلى ذاته بالمصادفة إلى تفهيم وجدان الشيء بغتة عن جهل سابق وعدم علم.

(٣) قوله: «غافلاً عن الذكر بالخذلان» يتحاشى بذلك عن خلق الغفلة في قلبه؛ لأن الله لا يخلق الشر عند المعتزلة، وأهل السنة على خلاف ذلك كما أشار إليه بقوله: توهم المجبرة. ثم إن اتباعه هواه لا ينافي خلق الله الغفلة في قلبه، لجواز أن يكون ذلك ناشئاً عن الغفلة (ع).

(٤) قوله: «كقولك أجبنته وأفحمته» في الصحاح «أفحمته» وجدته مفحماً لا يقول الشعر (ع).

(٥) عاد كلامه. قال: «ويجوز أن يكون المعنى من أغفل إبله إذا... إلخ» قال أحمد: وهذا التأويل فيه رقة حاشية ولطافة معنى، وغرضه منه الخلاص مما قدمناه، لأنه وإن أبى خلق الله للغفلة في القلب فلا يأبى عدم كتب الإيمان، وإنما غرضنا التنبيه على أن مقصد الزمخشري الحيد عن القاعدة المتقدمة، والتأويل إنما يصار إليه إذا اعتاص الظاهر وهو عندنا ممكن، فوجب الاعتصام به، والله الموفق.

(٦) عاد كلامه. قال: «وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله: واتبع هواه» قال أحمد: قد تقدم في غير ما موضع أن أهل السنة يضيفون فعل العبد إلى الله تعالى من حيث كونه مخلوقاً له، وإلى العبد من حيث كونه مقروناً بقدرته واختياره، ولا تنافي بين الإضافتين، فبراهين السنة تتبعه أينما سلك وأية توجه، فلامحيص له عنها بوجه.

(٧) قوله: «متقدماً للحق والصواب» أي سابق له ومجاوز له، وفي الصحاح: أمر فرط، أي مجاوز فيه الحد. ومنه قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾: الحق خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: جاء الحق وزاحت العلل[1]، فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك، وجيء بلفظ الأمر والتخيير؛ لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء، فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين، شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق، وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط، وبيت مسردق: ذو سرادق، وقيل: هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار، وقيل: حائط من نار يطيف بهم[2]، ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾؛ كقوله [من الكامل]:

....فَـأُعْـتِـبُـوا بِـالـصَّـيْـلَـمِ[3]

وفيه تهكم، والمهل: ما أذيب من جواهر الأرض، وقيل: درديّ الزيت، ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾: إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته، عن النبي ﷺ: «هُوَ كعُكْرِ الزيتِ (٨٩٧)، فَإِذَا قَرَّبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ»، ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾: ذلك، ﴿وَسَآءَتْ﴾: النار،

---

٨٩٧ ـ أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٤ ـ ٧٠٥): كتاب صفة جهنم: باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، حديث (٢٥٨١)، و(٥/ ٤٢٦): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة سأل سائل، حديث (٣٣٢٢)، من طريق رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري به. وقال الترمذي (٤/ ٧٠٥): هذا حديث لانعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد، ورشدين قد تكلم فيه. وقال أيضاً في (٥/ ٤٢٦): هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين.
وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٥١٤ ـ ٥١٥) رقم (٧٤٧٣) والحاكم في «المستدرك»: (٢/ ٥٠١) كلهم من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأخرجه أحمد (٣/ ٧٠ ـ ٧١)، وأبو يعلى (٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢١) رقم (١٣٧٥/ ٤٠١) من طريق الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٠٠) وزاد نسبته إلى سعيد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان. وفي الباب عن أبي أمامة:
أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٥)، والترمذي (٤/ ٧٠٥ ـ ٧٠٦) كتاب صفة جهنم: باب ما جاء في صفة شراب أهل النار حديث (٢٥٨٣)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٠٦) رقم (٧٤٦٠)، كلهم من طريق صفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بسر عن أبي أمامة به. قال الترمذي (٤/ ٧٠٥ ـ ٧٠٦): هذا =

---

(١) قوله: «والمعنى جاء الحق وزاحت العلل» في الصحاح «زاح الشيء» بعد وذهب. وأزحت علته فزاحت (ع).
(٢) قوله: «يطيف بهم» الذي يفيده الصحاح: طاف يطوف حول الشيء: دار حوله، وطاف يطيف بالشيء: جاءه وألم به، فتدبر.
(٣) تقدم.

﴿مُرْتَفَقًا﴾: متكأ من المرفق؛ وهذا لمشاكلة قوله: (وحسنت مرتفقا)، وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء، إلا أن يكون من قوله [من البسيط]:

إِنّي أَرِقْتُ فَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقاً ... كَأَنَّ عَيْنِيَ فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحُ[1]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾: خبر إن، و ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾: اعتراض، ولك أن تجعل: (إنا لا نضيع)، و (أولئك): خبرين معاً، أو تجعل: (أولئك): كلاماً مستأنفاً بياناً للأجر المبهم.

فإن قلت: إذا جعلت: (إنا لا نضيع): خبراً، فأين الضمير الراجع منه إلى المبتدأ؟

قلت: ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: ينتظمهما معنى واحد، فقام: (من أحسن): مقام الضمير، أو أردت: من أحسن عملاً منهم، فكان كقولك: السمن منوان بدرهم، من الأولى؛ للابتداء، والثانية: للتبيين، وتنكير: ﴿أَسَاوِرَ﴾؛ لإبهام أمرها في الحسن، وجمع بين السندس: وهو ما رقّ من الديباج، وبين الاستبرق: وهو

= حديث غريب، وهكذا قال محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن بسر، ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث. وقد روى صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ غير هذا الحديث، وعبد الله بن بسر له أخ قد سمع من النبي ﷺ وأخته قد سمعت من النبي ﷺ، وعبيد الله بن بسر الذي روى عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث، رجل آخر ليس بصاحب.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي من طريق رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد واستغربه، وقال: لا يعرف إلا من حديث رشدين ابن سعد وتعقب قوله: بأن أحمد وأبا يعلى أخرجاه من طريق ابن لهيعة عن دراج، وبأن ابن حبان والحاكم أخرجاه من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث. انتهى.

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي. ويروى بدل الشطر الأول: مقام الخلي وبت الليل مشتجراً. والارتفاق: الاتكاء على المرفق مع نصب الساعد. والاشتجار: وضع اليد تحت الشجر وهو ما بين اللحيين والاتكاء عليها، وهي هيئة المتحزن المتحسر. والأرق؛ السهر. والصاب: نبت مر كالحنظل. والمذبوح: المشقوق. وهو كناية عن البكاء وانصباب الدموع.
ينظر: شرح أشعار الهذليين ص ١٢٠، ولسان العرب (صوب)، (شجر)، (حرف)، والتنبيه والإيضاح ١/ ١٠٦، وتاج العروس (شجر)، ومجمل اللغة ٣/ ٢٥٤، وتهذيب اللغة ٤/ ٤٧١، ٤٧٤، وأساس البلاغة (ذبح)، وللهذلي في تاج العروس (صوب)، وبلا نسبة في لسان العرب (ذبح)، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٤٧، ٣٢٧، وديوان الأدب ٢/ ٤٠٢، وتاج العروس (ذبح).

الغليظ منه، جمعاً بين النوعين، وخص الاتكاء؛ لأنه هيئة المنعمين والملوك على أسرتهم.

﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ أي: ومثل حال الكافرين والمؤمنين، بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل: أحدهما كافر اسمه: قطروس، والآخر مؤمن اسمه: يهوذا، وقيل: هما المذكوران في سورة «والصافات»، في قوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾، ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار، فتشاطراها، فاشترى الكافر أرضاً بألف، فقال المؤمن: اللهم، إن أخي اشترى أرضاً بألف دينار، وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة بألف، فتصدّق به، ثم بنى أخوه داراً بألف، فقال: اللهم، إني أشتري منك داراً في الجنة بألف، فتصدّق به، ثم تزوّج أخوه امرأة بألف، فقال: اللهم، إني جعلت ألفاً صداقاً للحوار، ثم اشترى أخوه خدماً ومتاعاً بألف، فقال: اللهم، إني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف، فتصدّق به، ثم أصابته حاجة، فجلس لأخيه على طريقه، فمرّ به في حشمه، فتعرض له، فطرده ووبخه على التصدق بماله، وقيل: هما مثل لأخوين من بني مخزوم: مؤمن وهو: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأشد، وكان زوج أمّ سلمة قبل رسول الله ﷺ وكافر وهو: الأسود بن عبد الأشد، ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾: بستانين من كروم، ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾: وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين، وهذا مما يؤثره الدهاقين[1] في كرومهم: أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة، يقال: حفوه: إذا أطافوا به، وحففته بهم، أي: جعلتهم حافين حوله، وهو متعدّ إلى مفعول واحد، فتزيده الباء مفعولاً ثانياً؛ كقولك: غشيه، وغشيته به، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾: جعلناها أرضاً جامعة للأقوات والفواكه، ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها، مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق، ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص، ثم بما وهو أصل الخير ومادّته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به، وهو السيح بالنهر الجاري فيها، والأكل: الثمر، وقرئ بضم الكاف، ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾: ولم تنقص، وآتت: حمل على اللفظ؛ لأن (كلتا) لفظه لفظ مفرد، ولو قيل: آتتا على المعنى، لجاز. وقرئ: وفجرنا، على التخفيف. وقرأ عبد الله: كل الجنتين آتى أكله بردّ الضمير على كل، ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ أي:

---

(١) قوله: «الدهاقين» أحده دهقان (ع).

أنواع من المال، من ثمر ماله[1] إذا كثر، وعن مجاهد: الذهب والفضة، أي: كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الدثرة[2] من الذهب والفضة وغيرهما، وكان وافر اليسار من كل وجه، متمكناً من عمارة الأرض كيف شاء، ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يعني: أنصاراً وحشماً، وقيل: أولاداً ذكوراً؛ لأنهم ينفرون معه دون الإناث، يحاوره: يراجعه الكلام، من حار يحور إذا رجع، وسألته فما أحار كلمة.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

يعني: قطروس أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه.

فإن قلت: فلم أفرد الجنة بعد التثنية؟

قلت / ٢١٠ ب: معناه: ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها، يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون، فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير، ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه، معرّض بذلك نفسه لسخط الله، وهو أفحش الظلم، إخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته؛ لطول أمله واستيلاء الحرص عليه، وتمادي غفلته، واغتراره بالمهلة، وإطراحه النظر في عواقب أمثاله، وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم، فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه، ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾: إقسام منه على أنه إن ردّ إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير، وكما يزعم صاحبه، ليجدنّ في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا؛ تطمعاً وتمنياً على الله، وادّعاء لكرامته عليه ومكانته عنده، وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئهاله، وأنّ معه هذا الاستحقاق أينما توجه؛ كقوله: ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾، وقرئ: «خيراً منهما»؛ ردًّا على الجنتين، ﴿مُنقَلَبًا﴾: مرجعاً وعاقبة، وانتصابه على التمييز، أي: منقلب تلك، خير من منقلب هذه؛ لأنها فانية وتلك باقية.

---

(١) قوله: «من ثمر ماله» الذي في الصحاح: أن الثمر جمع ثمار، ككتب وكتاب. وأن الثمر أيضاً: المال المثمر، ويخفف ويثقل. وأثمر الرجل: إذا كثر ماله، وثمر الله ماله، أي: كثره. وعبارة الخازن: وكان له ثمر. قرئ بالفتح جمع ثمرة، وقرئ بالضم وهو الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما. وفي النسفي: له ثمر، وأحيط بثمره بفتح الميم والثاء، وبضم الثاء وسكون الميم، وبضمهما (ع).

(٢) قوله: «الأموال الدثرة» الكثيرة. أفاده الصحاح (ع).

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي: خلق أصلك، لأن خلق أصله سبب في خلقه، فكان خلقه خلقاً له، ﴿سَوَّىٰكَ﴾: عدلك وكملك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال، جعله كافراً بالله جاحداً لأنعمه؛ لشكه في البعث، كما يكون المكذب بالرسول ﷺ كافراً

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ أصله: لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن، فتلاقت النونان فكان الإدغام؛ ونحوه قول القائل [من الطويل]:

وتَـرْمِـيـنَـنـي بِـالـطَّـرْفِ أَيْ أَنْـتَ مُـذْنِـبٌ وتَـقْـلِـيـنَـنـي لـكِـنَّ إِيَّـاكِ لاَ أَقْـلِـي[1]

أي: لكن أنا لا أقليك وهو ضمير الشأن، والشأن الله ربي، والجملة خبر أنا، والراجع منها إليه: ياء الضمير، وقرأ ابن عامر بإثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعاً، وحسن ذلك وقوع الألف عوضاً من حذف الهمزة، وغيره لا يثبتها إلا في الوقف، وعن أبي عمرو أنه وقف بالهاء: لكنه، وقرئ: «لكن هو الله ربي»: بسكون النون وطرح أنا، وقرأ أبيّ بن كعب: «لكن أنا»: على الأصل، وفي قراءة عبد الله: لكن أنا لا إله إلا هو ربي.

فإن قلت: هو استدراك لماذا؟

قلت: لقوله: (أكفرت) قال لأخيه: أنت كافر بالله؛ لكني مؤمن موحد، كما تقول: زيد غائب، لكن عمراً حاضر.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا

---

(١) يقول: وترمينني يا محبوبة بطرفك، أي: تشيرين إلي به. فالرمي: استعارة مصرحة، لأنه شبه إطلاق البصر بإطلاق الحجر. ويجوز أن الباء للآلة، فالمرمي محذوف فسره بقوله: أي أنت مذنب، فأي تفسيرية، يعني أن ما رمته به هو ادعاؤها أنه مذنب. وقلاه يقليه، وقليه يقلاه. وقد يقال: قلاه يقلاه بمعنى بغضه أشد البغض، ولكن أصله: ولكن أنا، فنقلت حركة الهمزة إلى النون ثم حذفت، ثم أدغمت النون في النون بعدها، وحذفت الألف الأخيرة في الرسم كاللفظ. ولو أجري الوصل مجرى الوقف لثبتت، وقدم المفعول وهو «إياك» للاهتمام ببراءتها من قلاء وتخصيصها بذلك دون غيرها من النساء.
ينظر: تذكرة النحاة ص ٢٣، والجنى الداني ص ٢٣٣، وجواهر الأدب ص ٢١٨، ٤١١، وخزانة الأدب ١١/٢٥٥، ٢٩٩، والدرر ٤/٣١، ٥/١٢١، وشرح شواهد المغني ١/٢٣٤، ٢/٨٢٨، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/١٤١، ومغني اللبيب ١/٧٦، وهمع الهوامع ١/٢٤٨، ٢/٧١.

وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾

﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: يجوز أن تكون (ما): موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره: الأمر ما شاء الله، أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف، بمعنى: أي شيء شاء الله كان، ونظيرها في حذف الجواب (لو) في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾، والمعنى: هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر: ما شاء الله؛ اعترافاً بأنها وكلّ خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله، وأن أمرها بيده: إن شاء تركها عامرة، وإن شاء خرّبها، وقلت: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾؛ إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته وتأييده، إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى، وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم حائطه أيام الرطب، فيدخل من شاء، وكان إذا دخله ردّد هذه الآية حتى يخرج، من قرأ (أقلّ): بالنصب، فقد جعل أنا فَصْلاً، ومن رفع جعله مبتدأ وأقلّه خبره، والجملة مفعولاً ثانياً لترني. وفي قوله: ﴿وَوَلَدًا﴾؛ نصرة لمن فسر النفر بالأولاد في قوله: (وأعز نفرا)، والمعنى: إن ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى، فيرزقني لإيماني جنة، ﴿خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾: ويسلبك لكفرك نعمته ويخرّب بستانك، والحسبان: مصدر كالغفران والبطلان، بمعنى: الحساب، أي: مقداراً قدره الله وحسبه، وهو الحكم بتخريبها، وقال الزجاج: عذاب حسبان؛ وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك، وقيل: حسباناً مرامى الواحدة حسبانة وهي الصواعق، ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾: أرضاً بيضاء، يزلق عليها لملامستها زلقاً، و﴿غَوْرًا﴾: كلاهما وصف بالمصدر.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَأُحِيطَ﴾: به عبارة عن إهلاكه، وأصله: من أحاط به العدو؛ لأنه إذا أحاط به، فقد ملكه واستولى عليه، ثم استعمل في كل إهلاك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]؛ ومثله قولهم: أتى عليه، إذا أهلكه، من أتى عليهم العدو: إذا جاءهم مستعلياً عليهم، وتقليب الكفين: كناية عن الندم والتحسر؛ لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن، كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد، ولأنه في معنى الندم عدّي تعديته بعلى، كأنه قيل: فأصبح يندم ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي: أنفق في عمارتها، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يعني: أنّ كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض، وسقطت فوقها الكروم، قيل: أرسل الله

عليها ناراً فأكلتها، ﴿يَٰلَيۡتَنِي﴾: تذكر موعظة أخيه، فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه، فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه، ويجوز أن يكون توبة من الشرك، وندماً على ما كان منه، ودخولاً في الإيمان، وقرئ: (ولم يكن): بالياء والتاء، وحمل (ينصرونه): على المعنى دون/ ٢١١ ب اللفظ؛ كقوله: ﴿فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم﴾ [آل عمران: ١٣].

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟

قلت: معناه: يقدرون على نصرته من دون الله، أي: هو وحده القادر على نصرته، لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل، ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾: وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله.

﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾﴾

﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ﴾: بالفتح: النصرة والتولي، وبالكسر: السلطان والملك، وقد قرئ بهما. والمعنى هنالك، أي: في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده، لا يملكها غيره، ولا يستطيعها أحد سواه؛ تقريراً لقوله: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٤٣]، أو: هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه، أو: في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطرّ، يعني: أنّ قوله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾: كلمة ألجىء إليها فقالها جزعاً مما دهاه من شؤم كفره، ولولا ذلك لم يقلها، ويجوز أن يكون المعنى: هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم، ويشفي صدورهم من أعدائهم، يعني: أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن، وصدّق قوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، ويعضده قوله: ﴿خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ أي: لأوليائه، وقيل: (هنالك): إشارة إلى الآخرة، أي: في تلك الدار الولاية لله؛ كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾، وقرئ: (الحق): بالرفع والجر صفة للولاية والله[(١)]، وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد؛ كقولك: هذا عبد الله الحق لا الباطل، وهي قراءة حسنة فصيحة، وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم، وقرئ: (عقبا): بضم القاف

---

(١) قال محمود: «قرئ بالرفع والجر صفة للولاية والله تعالى... إلخ» قال أحمد: وقد تقدم الإنكار عليه في مثل هذا القول فإنه يوهم أن القراءات موكولة إلى رأي الفصحاء واجتهاد البلغاء، فتتفاوت في الفصاحة لتفاوتهم فيها، وهذا منكر شنيع. والحق: أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه فوعاه متصلاً بفلق إليه ﷺ منزلاً كذلك من السماء، فلاوقع لفصاحة الفصيح، وإنما هو ناقل كغيره، ولكن الزمخشري لا يفوته الثناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة، فإن عمرو بن عبيد أول مصمم على إنكار القدر وهلم جرا إلى سائر البدع الاعتزالية، فمن ثم أثنى عليه.

وسكونها، وعقبي على فعلى، وكلها بمعنى: العاقبة.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾: فالتفّ بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضاً، وقيل: نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف[١] رفيفاً؛ وكان حق اللفظ على هذا التفسير: فاختلط بنبات الأرض، ووجه صحته: أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه، والهشيم: ما تهشم وتحطم، الواحدة هشيمة، وقرئ: «تذروه الريح»، وعن ابن عباس: «تذريه الرياح»: من أذرى: شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء؛ بحال النبات يكون أخضر وارفاً[٢]، ثم يهيج، فتطيره الرياح كأن لم يكن، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾: من الإنشاء والإفناء: ﴿مُّقْتَدِرًا﴾.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان، وتفنى عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا، وقيل: هي الصلوات الخمس، وقيل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وعن قتادة: كل ما أريد به وجه الله، ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ أي: ما يتعلق بها من الثواب، وما يتعلق بها من الأمل؛ لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله، ويصيبه في الآخرة.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾

قرئ: «تسير»: من سيرت، «ونسير»، من سيرنا، «وتسير»: من سارت، أي: تسير في الجو، أو يذهب بها، بأن تجعل هباء منبثًا، وقرئ: «وترى الأرض»: على البناء للمفعول، ﴿بَارِزَةً﴾: ليس عليها ما يسترها مما كان عليها، ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾: وجمعناهم إلى الموقف، وقرئ: «فلم نغادر»: بالنون والياء، يقال: غادره وأغدره: إذا تركه، ومنه

---

(١) قوله: «ورف رفيفاً» في الصحاح: رف لونه رفا ورفيفاً: برق وتلألأ. وشجر رفيف: إذا تندت أوراقه (ع).

(٢) قوله: «بحال النبات يكون أخضر وارفاً» في الصحاح: ورف النبت، أي: اهتز من نضارته، فهو وارف، أي: ناضر رفاف شديد الخضرة (ع).

الغدر: ترك الوفاء، والغدير: ما غادره السيل، وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان، ﴿صَفًّا﴾: مصطفين ظاهرين، يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحداً، ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ أي: قلنا لهم: لقد جئتمونا، وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير، ويجوز أن ينصب بإضمار اذكر، والمعنى: لقد بعثناكم كما أنشأناكم، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وقيل: جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أوّلاً؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٤]. فإن قلت: لم جيء بحشرناهم ماضياً بعد نسير وترى؟

قلت: للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز؛ ليعاينوا تلك الأهوال العظائم، كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك، ﴿مَّوْعِدًا﴾: وقتاً لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: للجنس وهو صحف الأعمال، ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾: ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات، ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾: هنة صغيرة ولا كبيرة، وهي عبارة عن الإحاطة، يعني: لا يترك شيئاً من المعاصي إلا أحصاه، أي: أحصاها كلها، كما تقول: ما أعطاني قليلاً ولا كثيراً؛ لأن الأشياء إما صغار وإما كبار، ويجوز أن يريد: وإما كان عندهم صغائر وكبائر، وقيل: لم يجتنبوا الكبائر، فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة، وعن ابن عباس: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: القهقهة، وعن سعيد بن جبير: الصغيرة: المسيس، والكبيرة: الزنا، وعن الفضيل: كان إذا قرأها قال: ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر، ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾: إلا ضبطها وحصرها، ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾: في الصحف: «عتيداً»، أو جزاء ما عملوا، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾: فيكتب عليه ما لم يعمل، أو يزيد في عقاب المستحق، أو يعذبه بغير جرم، كما يزعم من ظلم الله[1] في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾

---

(١) قوله: «كما يزعم من ظلم الله» لعله بالتشديد، أي: نسب إليه الظلم (ع).

﴿كَانُوا﴾/ ٢١١ب: كلام مستأنف[١]، جار مجرى التقليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأن قائلاً قال: ما له لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن، ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: والفاء للتسبيب ـ أيضاً ـ جعل كونه من الجن سبباً في فسقه؛ لأنه لو كان ملكاً كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله؛ لأنّ الملائكة معصومون البتّة، لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس؛ كما قال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٧]، وهذا الكلام المعترض تعمد من الله ـ تعالى ـ لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم، فما أبعد البون بين ما تعمده الله، وبين قول من ضادّه وزعم أنه كان ملكاً ورئيساً على الملائكة، فعصى، فلعن ومسخ شيطاناً، ثم ورّكه[٢] على ابن عباس، ومعنى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: خرج عما أمره به ربه من السجود؛ قال [من الرجز]:

فَـوَاسِـقـاً عَـنْ قَـصْـدِهَـا جَـوَائِـرَا[٣]

أو صار فاسقاً كافراً بسبب أمر ربه الذي هو قوله: ﴿ٱسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾: الهمزة: للإنكار، والتعجب، كأنه قيل: أعقيب ما وجد منه تتخذونه، ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾: وتستبدلونهم بي، بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله، فأطاعه بدل طاعته، ﴿ما أشهدتهم﴾، وقرئ: «ما أشهدناهم»، يعني: أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة؛ وإنما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية، فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لأعتضد بهم في خلقها[٤]، ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: ولا أشهدت بعضهم خلق بعض؛ كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ بمعنى: وما كنت متخذهم، ﴿عَضُدًا﴾ أي: أعوانا، فوضع المضلين موضع الضمير ذمًّا لهم بالإضلال، فإذا لم يكونوا عضداً لي في الخلق، فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة؟ وقرئ: «وما كنت»: بالفتح: الخطاب لرسول الله ﷺ والمعنى: وما صح لك الاعتضاد بهم، وما ينبغي لك أن تعتز بهم، وقرأ علي ـ رضي الله عنه ـ: وما كنت متخذاً المضلين، بالتنوين على الأصل، وقرأ الحسن: «عضْداً»: بسكون الضاد، ونقل ضمتها إلى العين، وقرئ: «عضْداً»: بالفتح وسكون

---

(١) قال محمود: «قوله تعالى كان من الجن مستأنف تعليل لفسوقه. . . إلخ» قال أحمد: والحق معه في هذا الفصل غير أن قوله: «تعمده الله تعالى» لفظة لا تروق ولا تليق، فإن التعمد إنما يوصف به عرفاً من يفعل في بعض الأحيان خطأ وفي بعضها تعمداً، فاجتنابها في حق الله تعالى واجب، والله الموفق.

(٢) قوله: «ثم ورّكه» أي اتهمه به (ع).

(٣) تقدم.

(٤) قوله: «لأعتضد بهم في خلقها» أي لأستعين بهم (ع).

الضاد، «وعضداً»: بضمتين، «وعضداً»: بفتحتين: جمع عاضد، كخادم وخدم، وراصداً ورصد، من عضده: إذا قواه وأعانه.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿يَقُولُ﴾: بالياء والنون، وإضافة الشركاء إليه على زعمهم؛ توبيخاً لهم وأراد الجن، والموبق: المهلك، من وبق يبق وبوقاً، ووبق يوبق وبقاً: إذا هلك، وأوبقه غيره، ويجوز أن يكون مصدراً كالمورد والموعد، يعني: وجعلنا بينهم وادياً من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركاً يهلكون فيه جميعاً، وعن الحسن: (موبقا): عداوة، والمعنى: عداوة هي في شدتها هلاك؛ كقوله: لا يكن حبك كلفاً، ولا بغضك تلفاً، وقال الفراء: البين: الوصل، أي: وجلعنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة، ويجوز أن يريد: الملائكة، وعزيراً، وعيسى، ومريم، وبالموبق: البرزخ البعيد، أي: وجعلنا بينهم أمداً بعيداً تهلك فيه الأشواط لفرط بعده؛ لأنهم في قعر جهنم، وهم في أعلى الجنان، ﴿فَظَنُّوا﴾: فأيقنوا، ﴿مُّوَاقِعُوهَا﴾: مخالطوها واقعون فيها، ﴿مَصْرِفًا﴾: معدلاً؛ قال [من الكامل]:

أَزُهَيْرَ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفِ ....[1]

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحداً بعد واحد؛ خصومة ومماراة بالباطل، وانتصاب: (جدلا) على التمييز، يعني: أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء، ونحوه: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾

---

(١) أزهير هل عن شيبة من مصرف ... أم لا خلود لباذل متكلف
لأبي كبير الهذلي. والهمزة للنداء. وزهير ترخيم زهيرة اسم امرأة. والاستفهام إنكاري، أي: لا انصراف عن الشيب أو لا مهرب ولا مفر منه. وأم للإضراب الانتقالي والاستفهام الإنكاري، أي: بل لا ينتفي خلود الكريم الباذل لما عنده المتكلف غير طاقته في قرى الضيفان؛ لأن البذل لا يمنع الخلود كأنها كانت لامته على البذل مع الشيب والعقر، فأجابها بذلك. وفيه دلالة على غاية الكرم.
ينظر: شرح أشعار الهذليين ص (١٠٨٩)، ولسان العرب (٩/ ٤٤)، (صرف)، (٩/ ٣٠٧)، (كلف)، وتاج العروس (١٥/ ٢٣١) (عزز)، (٢٣/ ١٣٢) (حرف).

﴿أن﴾: الأولى: نصب، والثانية: رفع، وقبلها مضاف محذوف تقديره: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾: الإيمان والاستغفار، ﴿إِلَّآ﴾: انتظار، ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: وهي الإهلاك، ﴿أَوْ﴾: انتظار أن ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يعني: عذاب الآخرة، ﴿قُبُلًا﴾: عياناً، وقرئ: (قبلا): أنواعاً[1]: جمع قبيل، و (قبلا): بفتحتين: مستقبلاً.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾: ليزيلوا ويبطلوا، من إدحاض القدم، وهو إزلاقها وإزالتها عن موطئها، ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾: يجوز أن تكون (ما): موصولة، ويكون الراجع من الصلة محذوفاً، أي: وما أنذروه من العذاب، أو مصدرية بمعنى: وإنذارهم، وقرئ: «هزأ»: بالسكون، أي: اتخذوها موضع استهزاء، وجدالهم: قولهم للرسل، ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾ [المؤمنون: ٢٤]، وما أشبه ذلك.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: بالقرآن؛ ولذلك رجع إليها الضمير مذكراً في قوله: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر، ﴿وَنَسِىَ﴾: عاقبة، ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: من الكفر والمعاصي، غير مفكر فيها ولا ناظر في أنّ المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء، ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم، وجمع بعد الإفراد حملاً على لفظ من، ومعناه: ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓا۟﴾: فلا يكون منهم اهتداء البتة، كأنه محال منهم لشدة تصميمهم، ﴿أَبَدًا﴾: مدة التكليف كلها، و ﴿إِذًا﴾: جزاء وجواب، فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول، بمعنى: أنهم/ ٢١٢ أ جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سبباً في انتفائه، وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله: ما لي لا أدعوهم حرصاً على إسلامهم؟ فقيل: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟﴾.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾

---

(١) قوله: «قبلا عياناً. وقرئ قبلاً أنواعاً» هذه القراءة بكسر ففتح. والثانية بضمتين، كما يفيده الصحاح (ع).

﴿ٱلْغَفُورُ﴾: البليغ المغفرة، ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾: الموصوف بالرحمة، ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة أهل مكة عاجلاً من غير إمهال، مع إفراطهم في عداوة رسول الله ﷺ ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾: وهو يوم بدر، ﴿لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾: منجى ولا ملجأ، يقال: «وأل» إذا نجا، و «وأل إليه»: إذا لجأ إليه.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يريد: قرى الأوّلين من ثمود وقوم لوط وغيرهم: أشار لهم إليها ليعتبروا، (تلك): مبتدأ، و (القرى): صفة؛ لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس، و ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾: خبر، ويجوز أن يكون: (تلك القرى): نصباً بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير، والمعنى: وتلك أصحاب القرى أهلكناهم، ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾: مثل ظلم أهل مكة، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾: وضربنا لإهلاكهم وقتاً معلوماً لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر، والمهلك: الإهلاك ووقته، وقرئ: (لمهلكهم): بفتح الميم، واللام مفتوحة أو مكسورة، أي: لهلاكهم أو وقت هلاكهم، والموعد: وقت، أو مصدر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿لِفَتَىٰهُ﴾: لعبده، وفي الحديث: ليقل أحدكم: فتايَ وفتاتي، ولا يقل: عبدي وأمتي (٨٩٨)، وقيل: هو يوشع ابن نون؛ وإنما قيل: فتاه؛ لأنه كان يخدمه ويتبعه،

---

٨٩٨ ـ أخرجه البخاري (٥/ ٤٨٥): كتاب العتق: باب كراهية التطاول على الرقيق، وقوله: عبدي أو أمتي، حديث (٢٥٥٢)، ومسلم (٨/ ٩ ـ النووي) كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، حديث (١٥/ ٢٢٤٩) وأبو داود (٤/ ٢٩٤): كتاب الأدب: باب لا يقول المملوك «ربي» و«ربتي»، حديث (٤٩٧٥)، والنسائي في «سننه الكبرى»: (٦/ ٦٩): كتاب عمل اليوم والليلة: باب النهي عن أن يقول الرجل لجاريته أمتي ولغلامه عبدي، حديث (١٠٠٧٠)، وباب النهي عن أن يقول المملوك لمالكه: مولاي حديث (١٠٠٧١ ـ ١٠٠٧٢) كلهم من طرق مختلفة عن أبي هريرة ﭬ.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه به وأتمّ منه. انتهى.

وقيل: كان يأخذ منه العلم.

فإن قلت: ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ إن كان بمعنى: لا أزول ـ من برح المكان ـ فقد دل على الإقامة لا على السفر، وإن كان بمعنى: لا أزال، فلا بد من الخبر.

قلت: هو بمعنى: لا أزال، وقد حذف الخبر؛ لأن الحال والكلام معاً يدلان عليه، أما الحال فلأنها كانت حال سفر، وأما الكلام فلأن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ غاية مضروبة تستدعى ما هي غاية له، فلا بد أن يكون المعنى: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى: لا يبرح مسيري حتى أبلغ، على أن حتى أبلغ هو الخبر، فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم، فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم، وهو وجه لطيف، ويجوز أن يكون المعنى: لا أبرح ما أنا عليه، بمعنى: ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ، كما تقول: لا أبرح المكان، ومجمع البحرين: المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر ـ عليهما السلام ـ وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق، وقيل: طنجة، وقيل: أفريقية، ومن بدع التفاسير: أن البحرين موسى والخضر؛ لأنهما كانا بحرين في العلم، وقرئ (مجمع): بكسر الميم، وهي في الشذوذ من يفعل، كالمشرق والمطلع من يفعل، ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾: أو أسير زماناً طويلاً، والحقب ثمانون سنة، وروي أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط، أمره الله أن يذكر قومه النعمة، فقام فيهم خطيباً فذكر نعمة الله وقال: إنه اصطفى نبيكم وكلمه، فقالوا له: قد علمنا هذا، فأي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه حين لم يردّ العلم إلى الله، فأوحى إليه: بل أعلم منك عبدٌ لي عند مجمع البحرين وهو الخضر، وكان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى ـ عليه السلام ـ وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر، وبقي إلى أيام موسى، وقيل: إن موسى سأل ربه: أيّ عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني، قال: فأيّ عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال: فأيُّ عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه، عسى أن يصيب كلمة تدل على هدى، أو ترده عن ردى، فقال: إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه، قال: أعلم منك الخضر، قال: أين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة، قال: يا رب، كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتل، فحيث فقدته فهو هناك، فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني، فذهبا يمشيان، فرقد موسى، فاضطرب الحوت ووقع في البحر، فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت، فأخبره فتاه بوقوعه في البحر، فأتيا الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوبه، فسلم عليه موسى، فقال: وأنى بأرضنا السلام، فعرّفه نفسه، فقال: يا موسى، أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا، فلما ركبا السفينة

جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء، فقال الخضر: ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر، ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ أي: نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة على الظفر بالطلبة، وقيل: نسي يوشع أن يقدمه، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء، وقيل: كان الحوت سمكة مملوحة، وقيل: إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل، فنزلا ليلة على شاطىء عين تسمى عين الحياة، ونام موسى، فلما أصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت، وروي: أنهما أكلا منها، وقيل: توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش، ووقع في الماء ﴿سَرَبًا﴾: أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه/ ٢١٢ب مثل الطاق، وحصل منه في مثل السرب[١] معجزة لموسى أو للخضر، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: الموعد، وهو: الصخرة؛ لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه، ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى في حياته ووقوعه في البحر، وقيل: سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر، وألقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد، ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك، فتذكر الحوت وطلبه؛ وقوله: ﴿مِن سَفَرِنَا هَٰذَا﴾: إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة.

فإن قلت: كيف نسي يوشع ذلك، ومثله لا ينسى[٢]؛ لكونه أمارة لهما على الطلبة التي تناهضاً من أجلها، ولكونه معجزتين ثنتين، وهما: حياة السمكة المملوحة المأكول منها ـ وقيل: ما كانت إلا شق سمكة ـ وقياء الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه، ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد، وحتى طلب موسى ـ عليه السلام ـ الحوت؟

قلت: قد شغله الشيطان بوساوسه، فذهب بفكره كل مذهب، حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضرى بمشاهدة أمثاله عند موسى ـ عليه السلام ـ من العجائب،

---

(١) قوله: «في مثل السرب» في الصحاح «السرب» بيت في الأرض. تقول منه. انسرب الوحش في سربه. وانسرب الثعلب في جحره (ع).

(٢) قال محمود: «إن قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى. . . إلخ»؟ قال أحمد: وقد ورد في الحديث: أن موسى عليه السلام لم ينصب ولم يقل لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، إلا منذ جاوز الموضع الذي حده الله تعالى له، فلعل الحكمة في إنساء الله تعالى ليوشع أن يتيقظ موسى عليه السلام لمنة الله تعالى على المسافر في طاعة وطلب علم، بالتيسير عليه وحمل الأعباء عنه، وتلك سنة الله الجارية في حق من صحت له نية في عبادة من العبادات: أن ييسرها ويحمل عنه مؤنتها، ويتكفل به ما دام على تلك الحالة، وموقع الإيقاظ أنه وجد بين حالة سفره للموعد وحالة مجاوزته بونا بيناً، والله أعلم. وإن كان موسى عليه السلام متيقظاً لذلك، فالمطلوب إيقاظ غيره من أمته، بل من أمة محمد عليه الصلاة والسلام إذا قص عليهم القصة، فما أورد الله تعالى قصص أنبيائه ليسمر بها الناس، ولكن ليشمر الخلق لتدبرها واقتباس أنوارها ومنافعها عاجلاً وآجلاً، والله أعلم.

واستأنس بإخوانه فأعان الإلف[1] على قلة الاهتمام، ﴿أَرَءَيْتَ﴾ بمعنى: أخبرني.

فإن قلت: ما وجه التئام هذا الكلام؟ فإن كل واحد من: (أرأيت)، و ﴿إِذْ أَوَيْنَآ﴾، و﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾: لا متعلق له؟

قلت: لما طلب موسى ـ عليه السلام ـ الحوت، ذكر يوشع ما رأى منه، وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية، فدهش وطفق يسأل موسى ـ عليه السلام ـ عن سبب ذلك، كأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة؟ فإني نسيت الحوت، فحذف ذلك، وقيل: هي الصخرة التي دون نهر الزيت، و ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾: بدل من الهاء في: (أنسانيه)، أي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان، وفي قراءة عبد الله: «أن أذكركه»، و﴿عَجَبًا﴾: ثاني مفعولي اتخذ؛ مثل: (سربا)، يعني: واتخذ سبيله سبيلاً عجباً، وهو كونه شبيه السرب، أو قال: عجباً في آخر كلامه؛ تعجباً من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين، وقوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾: اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، وقيل: إن (عجبا): حكاية لتعجب موسى ـ عليه السلام ـ وليس بذاك، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى اتخاذه سبيلاً، أي: ذلك الذي كنا نطلب؛ لأنه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر ـ عليه السلام ـ وقرئ ﴿نَبْغِ﴾: بغير ياء في الوصل، وإثباتها أحسن؛ وهي قراءة أبي عمرو، وأما الوقف، فالأكثر فيه طرح الياء؛ اتباعاً لخط المصحف، ﴿فَٱرْتَدَّا﴾: فرجعا في أدراجهما[2]، ﴿قَصَصًا﴾: يقصان قصصاً، أي: يتبعان آثارهما اتباعاً، أو فارتدا مقتصين، ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: هي الوحي والنبوة، ﴿مِن لَّدُنَّا﴾: مما يختص بنا من العلم، وهو الإخبار عن الغيوب.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿رَشَدًا﴾: قرئ بفتحتين، وبضمة وسكون، أي: علماً ذا رشد، أرشد به في ديني.

فإن قلت: أما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه ـ كما قيل ـ موسى بن ميشا، لا موسى بن عمران؛ لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه في أبواب الدين؟

قلت: لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبيّ مثله؛ وإنما بغض منه أن يأخذه ممن دونه، وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس: إن نوفاً ابن امرأة كعب يزعم أنّ الخضر

---

(١) قوله: «فأعان الإلف على قلة الاهتمام» لعل المراد إلف يوشع، لرؤيته العجائب عند موسى (ع).

(٢) قوله: «فرجعا في أدراجهما» الدرج: الطريق، والجمع الأدراج. ومنه قولهم: رجعت أدراجي، أي: رجعت في الطريق الذي جئت منه، كذا في الصحاح (ع).

ليس بصاحب موسى، وأنّ موسى هو: موسى بن ميشا، فقال: كذب عدوّ الله (٨٩٩).

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾

نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد[1]، كأنها مما لا يصح ولا يستقيم، وعلل ذلك بأنه يتولى أموراً هي في ظاهرها مناكير، والرجل الصالح ـ فكيف إذا كان نبيًّا ـ لا يتمالك أن يشمئز ويتمعض ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار، و ﴿خُبْرًا﴾: تمييز، أي: لم يحط به خبرك بمعنى: لم تخبره، فنصبه نصب المصدر.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿ولا أعصي﴾: في محل النصب، عطف على: (صابراً)، أي: ستجدني صابراً وغير عاص، أولاً في محل؛ عطفاً على ستجدني، رجا موسى ـ عليه السلام ـ لحرصه على العلم وازدياده، أن يستطيع معه صبراً بعد إفصاح الخضر عن حقيقة الأمر، فوعده بالصبر معلقاً بمشيئة الله، علماً منه بشدة الأمر وصعوبته، وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق، هذا مع علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافرة إليه واتباعه واقتباسه العلم منه، بريّ من أن يباشر ما فيه غميزة في الدين، وأنه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل، فكيف إذا لم يعلم.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾

---

٨٩٩ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٩١): كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، حديث (٣٤٠١)، ومسلم (٨/ ١٤٨ ـ النووي) كتاب الفضائل: باب من فضائل الخضر عليه السلام حديث (١٧٠/ ٢٣٨٠)، والترمذي (٥/ ٣٠٩) كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الكهف، حديث (٣١٤٩) كلهم من طريق عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم أن موسى... الحديث. وأخرجه محمد بن إسحاق في سيرته كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٣٠٤).

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن إسحاق في المغازي عن الحسن بن عمارة عن الحاكم عن سعيد بن جبير بهذا ـ وساق قصّته كلها في الصحيحين بغير هذا اللفظ من رواية عمرو بن دينار عن سعيد. انتهى.

---

(١) قال محمود: «نفي الاستطاعة على وجه التأكيد... إلخ» قال أحمد: ومما يدل على أن موسى عليه السلام إنما حمله على المبادرة بالإنكار الالتهاب والحمية للحق: أنه قال حين خرق السفينة: أخرقتها لتغرق أهلها، ولم يقل لتغرقنا، فنسي نفسه واشتغل بغيره، في الحالة التي كل أحد فيها يقول نفسي نفسي، لا يلوي على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق؛ فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قرئ ﴿فَلَا تَسْئَلْنِي﴾: بالنون الثقيلة، يعني: فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً ـ وقد علمت أنه صحيح إلا أنه غبي عليك وجه صحته فحميت[1]، وأنكرت في نفسك ـ ألاَّ تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه، حتى أكون أنا الفاتح عليك، وهذا من آداب المتعلم مع العالم، والمتبوع مع التابع.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿فَانطَلَقَا﴾: على ساحل البحر يطلبان السفينة، فلما ركبا، قال أهلها: هما من اللصوص، وأمروهما بالخروج، فقال صاحب السفينة: أرى وجوه الأنبياء، وقيل: عرفوا / ٢١٣ ا الخضر فحملوهما بغير نول؛ فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء، فجعل موسى يسدُّ الخرق بثيابه ويقول: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾، وقرئ: «لتغرّق»، بالتشديد، و «ليغرق أهلها»: من غرق وأهلها مرفوع، ﴿جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾: أتيت شيئاً عظيماً، من أمر الأمر: إذا عظم؛ قال [من الرجز]:

دَاهِــــيَــــةً دَهْــــيَــــاءَ إِدًّا إِمْــــرًا[2]

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿بِمَا نَسِيتُ﴾: بالذي نسيته، أو بشيء نسيته، أو بنسياني: أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي، أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان، يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار، وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب، مع التوصل إلى الغرض؛ كقول ابراهيم: هذه أختي، وإني سقيم، أو أراد بالنسيان: الترك، أي: لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة، يقال: رهقه إذا غشيه، وأرهقه إياه، أي: ولا تغشني، ﴿عُسْرًا﴾: من أمري، وهو اتباعه إياه، يعني: ولا تعسر عليّ متابعتك، ويسرها عليّ بالإغضاء وترك المناقشة، وقرئ: «عُسُرا»: بضمتين.

---

(١) قوله: «فحميت» في الصحاح «حميت عليه» بالكسر. غضبت (ع).

(٢) لقد لقي الأقوام مني نكرا ... داهية دهياء إدا إمرا

النكر: المنكر. والداهية: الحادثة المكروهة من شدائد الدهر. والدهياء: مبالغة في شدتها. والإد: المنكر كل الإنكار. والأمر: الشيء العظيم. يقال: إمر الشيء ـ بالكسر ـ: عظم، يصف نفسه بشدة النكاية للأعداء. ويجوز أن الكلام من قبيل التجريد.

ينظر: لسان العرب (٤/ ٣٣) (أمر)، وتاج العروس (١٠/ ٧٥) (أمر).

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ قيل: كان قتله فتل عنقه، وقيل: ضرب برأسه الحائط، وعن سعيد بن جبير: أضجعه ثم ذبحه بالسكين.

فإن قلت: لم قيل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ بغير فاء؟ و (حتى إذا لقيا غلاماً فقتله): بالفاء؟

قلت: جعل خرقها جزاء الشرط، وجعل قتله من جملة الشرط معطوفاً عليه، والجزاء: (قال أقتلت).

فإن قلت: فلم خولف بينهما؟

قلت: لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب، وقد تعقب القتل لقاء الغلام، وقرئ: «زاكية»، و «زكية»، وهي الطاهرة من الذنوب، إما لأنها طاهرة عنده؛ لأنه لم يرها قد أذنبت، وإما لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث، ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يعني: لم تقتل نفساً فيقتص منها، وعن ابن عباس أن نجدة الحروري كتب إليه: كيف جاز قتله، وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل الولدان؟ فكتب إليه: إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (٩٠٠) ﴿نُّكْرًا﴾، وقرئ بضمتين، وهو المنكر، وقيل: النكر أقل من الإمر؛ لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة، وقيل: معناه: جئت شيئاً أنكر من الأول؛ لأن ذلك كان خرقاً يمكن تداركه بالسد، وهذا لا سبيل إلى تداركه.

فإن قلت: ما معنى زيادة: ﴿لك﴾؟

قلت: زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية، والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية.

---

٩٠٠ ـ أخرجه مسلم (٣/ ١٤٤٤ ـ ١٤٤٥) كتاب الجهاد: باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم حديث (١٣٧/ ١٨١٢) من طريق يزيد بن هرمز قال: كتب نجدة بن عامر إلى ابن عباس يسأله عن العبد والمرأة يحضران المغنم هل يقسم لهما. . . الحديث.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرج أبو يعلى نحوه، وقال في آخره: «وكان لك ذلك» وفي رواية له: «فقلت ولكنك لا تعلم» فاجتنبهم وأصله في مسلم بغير هذا السياق. وأوله: كتب نجدة بن عامر إلى ابن عباس يسأله عن قتل الولدان ـ الحديث» وفيه: «وسألتني عن قتل الولدان، فإن رسول الله ﷺ لم يقتلهم إلا أن يعلم منهم ما علم صاحب موسى من الغلام الذي قتله. انتهى.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿بَعْدَهَا﴾: بعد هذه الكرة أو المسألة، ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾: فلا تقاربني، وإن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك، وقرئ: (فلا تصحبني): فلا تكن صاحبي، وقرئ: (فلا تصحبني) أي: فلا تصحبني إياك ولا تجعلني صاحبك، ﴿مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾: قد أعذرت، وقرئ: «لدُني»: بتخفيف النون، و «لدْنِي»: بسكون الدال وكسر النون؛ كقولهم في عضد: عضد، وعن رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ أَخِي مُوسَى اسْتَحْيَا فَقَالَ ذلك (٩٠١)، وقَالَ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَخِي مُوسَى، لَوْ لَبِثَ مَعَ صَاحِبِهِ لأَبْصَرَ أَعْجَبَ الأَعَاجِيبِ[1]» (٩٠٢).

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾: هي أنطاكية، وقيل: الأبلة، وهي أبعد أرض الله من السماء، ﴿أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾، وقرئ: «يضيفوهما»، يقال: ضافه إذا كان له ضيفاً، وحقيقته: مال إليه، من ضاف السهم عن الغرض؛ ونظيره: زاره، من الإزورار، وأضافه وضيفه: أنزله وجعله ضيفه، وعن النبي ﷺ: «كَانُوا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِئاماً»[2] (٩٠٣). وقيل: شر القرى التي لا

---

٩٠١ ـ أخرجه ابن مردويه في «تفسيره» كما في تخريج الكشاف (٢/ ٣٠٥) من طريق داود بن أبي هند عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن مردويه من رواية داود بن أبي هند، عن عبد الله بن عمير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكر القصة. وفيها: «رحمة الله علينا وعلى موسى استحيا عند ذلك. فقال: ﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ـ الآية﴾. انتهى.

٩٠٢ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ٣٣) كتاب الحروف والقراءات حديث (٣٩٨٤)، والترمذي (٥/ ٤٦٣) كتاب الدعاء: باب ما جاء أن الداعي يبدأ بنفسه حديث (٣٣٨٥) مختصراً، والنسائي في «التفسير» (٣٣٠)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢١٩) رقم (٩٢٧٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨٦)، والحاكم (٢/ ٥٧٤) من طريق أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب به، وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٣٠)، وزاد نسبته لابن مردويه.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان ومن رواية حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبيّ. في أثناء حديث وأصله من مسلم. انتهى.

٩٠٣ ـ ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٠٧)، وعزاه للنسائي، وتقدم في صحيح مسلم: فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية لئاماً فطافا في المجلس. . =

يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه، ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾: استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة، كما استعير الهمّ والعزم لذلك؛ قال الراعي [من الكامل]:

فِي مَهْمَهٍ قَلِقَتْ بِهِ هَامَاتُهَا ... قَلَقَ الفُئُوسِ إِذَا أَرَدْنَ نُصُولاَ(١)

وقال [من الوافر]:

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ ... وَيَعْدِلُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ(٢)

وقال حسان [من الخفيف]:

إِنَّ دَهْراً يَلِفُّ شَمْلِي بِجُمْلٍ ... لَزَمَانٌ يَهُمُّ بِالإِحْسَانِ(٣)

وسمعت من يقول: عزم السراج أن يطفأ، وطلب أن يطفأ، وإذا كان القول، والنطق، والشكاية، والصدق، والكذب، والسكوت، والتمرد، والإباء، والعزة، والطواعية، وغير ذلك، مستعارة للجماد ولما لا يعقل، فما بال الإرادة؟ قال [من الرجز]:

إِذْ قَالَتِ الأَنْسَاعُ لِلْبَطْنِ الْحَقِي(٤)

= قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه النسائي من رواية إسرائيل عن ابن إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فأبوا أن يضيفوهما﴾ قال: «كانوا أهل قرية لئاماً» وهو في مسلم بلفظ: «فانطلقا حتى أتيا أهل قرية لئاماً». انتهى.

---

(١) للراعي يصف الإبل بأنها في مهمه: أي مفازة، قلقت: أي تحركت فيه هاماتها: أي رؤوسها. قلق الفؤوس: أي كتحرك الفؤوس جمع فأس وهي آلة الحفر، إذا أردن: أي الفؤوس، نصولاً: أي قرن منه، فالأرد مجاز مرسل، ونصولها: خروج الحديدة من المقبض. والنصول في كل شيء: الخروج، والإنصال: الإخراج، ولقد شبه رؤوس الإبل مع أعناقها بالفؤوس.
ينظر: ديوانه ص (٢٢٢)، ولسان العرب (٣/ ١٨٩) (رود).

(٢) الإرادة هنا مجاز عن التوجه. ويجوز أن الإسناد مجاز، لأن المريد صاحب الرمح. والأوجه أنه شبه الرمح بإنسان على طريق المكنية، وإسناد الإرادة والعدول إليه تخييل، أي: يريد أن يشرب من صدر أبي براء، لا من دماء هؤلاء.
ينظر: لسان العرب (٣/ ١٨٩) (رود).

(٣) لحسان بن ثابت، ولففت الشيء: طويته وأدرجته، من باب رد. والشمل. المتفرق، ويطلق على المجتمع من الأمور. وجمل: اسم محبوبته. ويروى: بسعدى. يقول: إن الدهر الذي يجمع شملي بمحبوبتي لدهر يهم بالإحسان ويريده، وهم من باب رد أيضاً، أي: دهر يريد الإحسان لا الإساءة كعادة الدهر، فشبه الزمان بإنسان يصح منه إرادة الإحسان على طريق المكنية، والهم تخييل. ويحتمل أن إسناد الهم له مجاز عقلي كإسناد اللف، وهما في الحقيقة لله.
ينظر: لسان العرب (٤/ ٢٩٣) (دهر)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٩٢)، وديوان الأدب (١/ ١٠٧)، وتاج العروس (١١/ ٣٤٦) (دهر).

(٤) تقدم.

[ومن الرجز]:

تَـقُـولُ سِـنِّـي لِـلـنَّـوَاةِ طِـنِّـي

[ومن البسيط]:

.... لاَ يَنْطِقُ اللَّهْوُ حَتَّى يَنْطِقَ العُودُ[1]

[ومن الكامل]:

.... وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ[2]

[ومن الطويل]:

فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقاً وَهْوَ صَادِقِي ....[3]

(ولما سكت عن موسى الغضب)[4] [من الطويل]:

.... تَمَرَّدَ مَارِدٌ وعَزَّ الأَبْلَقُ[5]

ولبعضهم: [ومن الكامل]:

---

(١) فاستنطق العود قد طال السكوت به ... لا ينطق اللهو حتى ينطق العود
لأبي نواس، شبه صوت العود على وجه الاستقامة والحسن بالنطق بالغناء على طريق التصريحية. أو شبه العود بإنسان على طريق المكنية والنطق تخييل، والسين والتاء للطلب، والسكوت ترشيح لذلك؛ لأنه ضد التكلف. والمراد بنطق اللهو زيادته وحسنه، فهو من باب المشاكلة، وهل هي حقيقة أو مجاز أو كناية أو قسم رابع؟ خلاف بين القوم بين في البيان.

(٢) فازور من وقع القنا بلبانه ... وشكا إلي بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلمي
لعنترة بن شداد من معلقته، يصف فرسه بأنه ازور أي مال من وقوع الرماح بلبانه، وهو موضع اللبب من صدره، وشبهه بالعاقل على طريق المكنية والشكاية تخييل، والعبرة: البكاء. والحمحمة: صوت الصهيل يشبه الحنين، لو كان يعلم ما هي المحاورة والمخاطبة لاشتكى إليّ وخاطبني حقيقة، وإنما يشكو إلي بالعبرة والتحمحم فقط. وفسره بقوله: ولكان مكلماً لي لو علم الكلام، وذلك مبالغة في شدة الحرب.

(٣) لهفي على القوم الذين تجمعوا ... بذي السيد لم يلقوا علياً ولا عمرا
فإن يك ظني صادقاً وهو صادقي ... بشملة يحبسهم بها محبساً وعرا
لكنز أم شملة بن برد المنقري، وذو السيد ـ بالكسر ـ: موضع المعركة، والسيد: الذئب. وقولها «وهو صادقي» اعتراض. وبشملة: متعلق بظني. تقول: يا تلهفي على القوم الذين اجتمعوا في ذلك الموضع ولم يلاقهم أحد هذين الفارسين، فقتلوا برداً أبا شملة. فإن يك ظني به صادقاً مع أن عادته يصدقني، يحبسهم شملة في تلك المعركة حبساً صعباً فيأخذ ثأر أبيه. ويجوز أن محبساً ظرف يدل من بها. وشبهت الظن بمن يصح منه الصدق في الخبر على طريق الكناية، والصدق تخييل لذلك. أو المعنى: فإن يك ظني مطابقاً للواقع.

(٤) وقد قالت الزبا لحصن سموءل ... تمرد مارد وعز الأبلق
مارد: هو حصن دومة الجندل. والأبلق: حصن سموأل، قصدتهما الزبا ملكة الجزيرة فاستصعبا =

يَـأْبَـى عَـلَـى أَجْـفَـانِـهِ إِغْـفَـاءَهُ هَـمٌّ إِذَا انْـقَـادَ الـهُـمُـومُ تَـمَـرَّدَا[1]

[ومن الكامل]:

أَبَـتِ الـرَّوَادِفُ وَالـثُّـدِيُّ لِـقُـمْـصِـهَـا مَـسَّ الـبُـطُـونِ وَأَنْ تَـمَـسَّ ظُـهُـورَا[2]

(قالتا أتينا طائعين): ولقد بلغني أن بعض المحرفين لكلام الله ـ تعالى ـ ممن لا يعلم، كان يجعل الضمير للخضر؛ لأن ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم، أراه أعلى الكلام طبقة أدناه منزلة، فتمحل ليردّه إلى / ٢١٣ ب ما هو عنده أصح وأفصح، وعنده أن ما كان أبعد من المجاز كان أدخل في الإعجاز، وانقض: إذا أسرع سقوطه، من انقضاض الطائر وهو يفعل، مطاوع قضضته، وقيل: افعلّ من النقض، كاحمرّ من الحمرة، وقرئ: «أن ينقض» من النقض، و «أن ينقاص»؛ من انقاصت السن إذا انشقت طولا؛ قال ذو الرمة [من البسيط]:

= عليها، فقالت ذلك، وصار يضرب مثلاً. وقوله: لحصن سموأل، أي: ولحصن دومة الجندل. تمرد: صار أملس ناعماً، ومرد مردا ومرودة، إذا كان أملس لا شعر فيه والمكان لا نبات فيه، أو تمرد بمعنى تشيطن، وفعل أهله فعل المردة من الجن، فهو لا يستطيع أحد طلوعه. وعز إن كان مضارعه بضم العين كان متعدياً بمعنى غالب، وإن كان بكسرها كان لازماً بمعنى امتنع. والمعنى: أنها لم تقدر على بلوغ مرادها منهما لشجاعة أهلهما.

(١) للزمخشري. والهم: ما يهتم به، وهو فاعل. والإغفاء: النوم الخفيف، وهو مفعول، وذلك مجاز عن تسبب الهم في منع النوم. وانقياد الهموم: مجاز عن سكونها، وتمرد الهم مجاز عن تزايده وكثرة خطوره بالبال. أو شبه الهموم بحيوانات يصح منها الانقياد والتمرد على طريق المكنية، والتمرد ضد الانقياد، وهما تخييل.

(٢) أبـت الـروادف والـثـدي لـقـمـصـهـا مـس الـبـطـون وأن تـمـس ظـهـورا
وإذا الـريـاح مـع الـعـشـي تـنـاوحـت نـبـهـن حـاسـدة وهـجـن غـيـورا

الإباء: المنع الاختياري فشبه الروادف والثدي لكبرها بمن يصح منه ذلك على طريق المكنية والإباء تخييل. والأقرب أنه مجاز مرسل، والمراد به مطلق المنع، والكلام بعد ذلك كناية عن نهود ثدييها وكبر ردفيها وضمور خصريها. وفيه لف ونشر غير مرتب، لأن مس البطون يرجع للثدي، ومس الظهور يرجع للروادف. وعبر بالجمع عن غيره مجازاً. أو اعتبر الأجزاء، فالتجوز في مفرد الجمع. والثدي بالتشديد: جمع ثدي بالتخفيف. والقمص: جمع قميص. وتناوح الجبلان. تقابلا، فالمراد بالتناوح: التقابل، بحيث يجيء بعض الرياح من أمامها وبعضه من خلفها، فتظهر روادفها ونهودها وتلتصق الثياب بخصرها فيظهر ضموره، فتنبه الحاسدة لها، ويهيج الغيور لكراهة ذلك من الرياح. وهاج الشيء: هام، وهاجه: هيمه، وهيجه: هيمه. وما هنا من الوسط. ويجوز أنه شبه على طريق المكنية. أو شبه أصواتها اللينة بالتناوح على طريق التصريحية، ثم جعل ذلك كناية عن تقابلها لأنها إنما يكون لها أصوات إذا تقابلت فاضطربت، ومع: بمعنى في.
البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة في الشعر المنسوب إليه (٤٩٢) وفي الحماسة (٢/ ٩٣) ورصف المباني ص (٤٣٢).

.... مِنْقَاصٌ وَمُنْكَثِبُ[1]

بالصاد غير معجمة، ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾، قيل: أقامه بيده، وقيل: مسحه بيده فقام واستوى، وقيل: أقامه بعمود عمده به، وقيل: نقضه وبناه، وقيل: كان طول الجدار في السماء مائة ذراع، كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم، وقد لزتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة، فلم يجدا مواسياً؛ فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، وطلبت على عملك جعلاً حتى ننتعش ونستدفع به الضرورة، وقرئ: «لتخذت»، والتاء في «تخذ»: أصل كما في تبع، واتخذ افتعل منه، كاتبع من تبع، وليس من الأخذ في شيء.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾

فإن قلت: ﴿هَٰذَا﴾: إشارة إلى ماذا؟

قلت: قد تصوّر فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى ـ عليه السلام ـ: «إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، فأشار إليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه، كما تقول: هذا أخوك، فلا يكون «هذا»: إشارة إلى غير الأخ، ويجوز أن يكون إشارة إلى السؤال الثالث، أي: هذا الاعتراض سبب الفراق، والأصل: هذا فراق بيني وبينك، وقد قرأ به ابن أبي عبلة، فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾

﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ قيل: كانت لعشرة إخوة، خمسة منهم زمنى، وخمسة يعملون في البحر، ﴿وَرَآءَهُم﴾: أمامهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وقيل: خلفهم، وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره، فأعلم الله به الخضر وهو: «جلندي»[2].

---

(١) يغشى الكناس بروقيه ويهدمه   من هائل الرمل منقاص ومنكثب

لذي الرمة يصف ثوراً وحشيا. والكناس: بيت الوحش. وروقاه: قرناه. والمنقاص ـ كالمختار ـ: المتساقط من جانب طول الكناس. والمنكثب ـ بالمثلثة ـ: المجتمع. وروي: منقاض، بالمعجمة. والمعنى واحد، أي: يحفر الكناس بقرنيه، ليستتر من المطر، ويهدمه المتساقط المجتمع من الرمل الرخو الهايل.

ينظر: ديوانه ص ٨٨، وأساس البلاغة (قيص)، وجمهرة أشعار العرب ص ٩٥٧، وتاج العروس (قيص)، وبلا نسبة في كتاب العين ٥/ ١٨٥.

(٢) قوله: «وهو جلندي»: في الخازن: وكان اسمه الجلندي الأزدي، وكان كافراً. وقيل: كان اسمه حرد بن برد (ع).

فإن قلت: قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب[1]، فلم قدّم عليه؟

قلت: النية به التأخير، وإنما قدم للعناية، ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده؛ ولكن مع كونها للمساكين، فكان بمنزلة قولك: زيد ظني مقيم، وقيل في قراءة أبيّ وعبد الله: «كل سفينة صالحة».

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

وقرأ الجحدري: «وكان أبواه مؤمنان»، على أن «كان»: فيه ضمير الشأن، ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾: فخفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين؛ طغياناً عليهما، وكفراً؛ لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه، ويلحق بهما شراً وبلاء، أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره، فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر، أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله، فيرتدا بسببه، ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان، وإنما خشي الخضر منه ذلك؛ لأن الله ـ تعالى ـ أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره، وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته، وفي قراءة أبيّ: «فخاف ربك»، والمعنى: فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره، ويجوز أن يكون قوله: (فخشينا): حكاية لقول الله تعالى، بمعنى: فكرهنا؛ كقوله: (لأهب لك)، وقرئ: «يبدّلهما»: بالتشديد، والزكاة: الطهارة والنقاء من الذنوب، والرحم: الرحمة

---

(١) قال محمود: «إن قلت قوله ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مسبب عن خوف الغصب عليها... إلخ» قال أحمد: وكأنه جعل السبب في إعابتها كونها لمساكين، ثم بين مناسبة هذا السبب للمسبب بذكر عادة الملك في غصب السفن، وهذا هو حد الترتيب في التعليل أن يرتب الحكم على السبب ثم يوضح المناسبة فيما بعد، فلا يحتاج إلى جعله مقدماً والنية تأخيره، والله أعلم. ولقد تأملت من فصاحة هذه الآي والمخالفة بينها في الأسلوب عجباً. ألا تراه في الأولى أسند الفعل إلى ضميره خاصة بقوله ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وأسنده في الثانية إلى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله ﴿فأردنا أن يبد لهما وبهما﴾ ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ ولعل إسناد الأول إلى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله تعالى، لأن المراد ثم عيب، فتأدب ثم نسب الإعابة إلى نفسه. وإما إسناد الثاني إلى الضمير المذكور، فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك: أمرنا بكذا، أو دبرنا كذا، وإنما يعنون أمر الملك ودبر، ويدل على ذلك قوله في الثالثة ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ فانظر كيف تغايرت هذه الأساليب ولم تأت على نمط واحد مكرر يمجها السمع وينبو عنها، ثم انفجرت هذه المخالفة على رعاية الأسرار المذكورة، فسبحان اللطيف الخبير.

والعطف، وروي أنه ولدت لهما جارية تزوّجها نبي، فولدت نبيًّا هدى الله على يديه أمة من الأمم، وقيل: ولدت سبعين نبيًّا، وقيل: أبدلهما ابنا مؤمناً مثلهما، قيل: اسما الغلامين: أصرم، وصريم، والغلام المقتول: اسمه الحسين، واختلف في الكنز، فقيل: مال مدفون من ذهب وفضة (٩٠٤)، وقيل: لوح من ذهب مكتوب فيه: عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله (٩٠٥)، وقيل: صحف فيها

---

٩٠٤ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣١٣) كتاب التفسير: باب ومن سورة الكهف حديث (٣١٥٢)، والحاكم (٢/ ٣٦٩) من طريق يزيد بن يوسف عن يزيد بن يزيد بن جابر عن مكحول عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعاً وقال الترمذي: حديث غريب. وقال الحاكم: صحيح.
وتعقبه الذهبي فقال: يزيد بن يوسف متروك، وإن كان حديثه أشبه ما روي في تفسير الكنز، والحديث ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٠٧) وعزاه أيضاً للطبراني في معجمه والبزار، ونقل قول البزار: إسناده حسن، ويزيد بن يوسف ليس به بأس، ومن قبله وبعده ثقات أ.هـ.
قلت: وكلام البزار ـ رحمه الله ـ فيه نظر؛ فالجمهور على تضعيف هذا الرجل، وقال الذهبي في «الكاشف» (٣/ ٢٨٨): واه، وقال في «ديوان الضعفاء» (٤٧٥٤): تركوه. وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٣٧٢): ضعيف. وينظر «تهذيب التهذيب» (١١/ ٣٧٣).
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه الترمذي، والحاكم، والبزار، والطبراني، وابن عديّ من طريق مكحول، عن أم الدرداء عن أبي الدرداء، وفيه يزيد بن الصنعاني وهو ضعيف.
٩٠٥ ـ رُوي هذا مرفوعاً، وموقوفاً. أما المرفوع فأخرجه البزار كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٠٧)، وقال: لا نعلمه يروى عن أبي ذر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد. وورد مرفوعاً أيضاً من حديث أنس بن مالك أخرجه الواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٦٢ ـ بتحقيقنا) من طريق ضرار بن صرد ثنا محمد بن مروان ثنا أبان عن أنس به مرفوعاً. قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: وأبان والسُّدِّيُّ الصغير متروكان. ومن طريق محمد بن مروان السدي أخرجه ابن شاهين في كتاب الجنائز؛ كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٠٩) وورد مرفوعاً أيضاً من حديث علي بن أبي طالب أخرجه ابن مردويه؛ كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٠٨) أما الموقوف:
فورد عن ابن عباس، أخرجه الطبراني في «الدعاء» كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٠٨) من طريق رشدين بن سعد عن أبي حازم عن ابن عباس موقوفاً، وله طريق آخر أخرجه الدارقطني في غرائب مالك. من طريق محمد بن صالح بن فيروز عن مالك عن نافع عن ابن عمر سئل ابن عباس به.
وقال الدارقطني: هذا باطل عن مالك وجعفر بن محمد ومحمد بن صالح مجهولان.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه البزار من رواية ابن حجيرة عن أبي ذر مرفوعاً بهذا، وأتم منه، وقال: لا نعلمه عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد. وروى الدارقطني في غرائب مالك من طريق محمد بن صالح بن فيروز، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر قال: «سئل ابن عباس عن الكنز. فذكره ـ وقال: هذا باطل عن مالك. وروى ابن عديّ. من رواية أبين بن سفيان والطبراني في الدعاء، من رواية رشدين بن سعد =

علم، والظاهر لإطلاقه: أنه مال، وعن قتادة: أحل الكنز لمن قبلنا وحرّم علينا، وحرّمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا: أراد قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾. ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾: اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما، وعن جعفر بن محمد الصادق: كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء، وعن الحسين بن علي ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين؟ قال: بصلاح أبيهما، قال: فأبي وجدّي خير منه، فقال: قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون، ﴿رَحۡمَةٗ﴾: مفعول له، أو مصدر منصوب بأراد ربك؛ لأنه في معنى: رحمهما، ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ﴾: وما فعلت ما رأيت، ﴿عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾: عن اجتهادي ورأيي؛ وإنما فعلته بأمر الله.

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۖ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾﴾.

ذو القرنين: هو الإسكندر الذي ملك الدنيا، قيل: ملكها مؤمنان: ذو القرنين، وسليمان، وكافران: نمروذ، وبختنصر (٩٠٦)، وكان بعد نمروذ، واختلف فيه، فقيل: كان عبداً صالحاً، ملكه الله الأرض، وأعطاه العلم والحكمة، وألبسه الهيبة، وسخر له النور والظلمة، فإذا سرى يهديه النور من أمامه، وتحوطه الظلمة من ورائه، وقيل: نبيًّا، وقيل: ملكاً من الملائكة، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رجلاً يقول: يا ذا القرنين، فقال: اللهم، غفراً ما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: سخر له السحاب، ومدّت له الأسباب، وبسط له

= كلاهما عن أبي حازم عن ابن عباس نحوه، وعن علي مثل لفظ المصنف أخرجه البيهقي في الشعب من رواية جويبر عن الضحاك، عن النزال بن سبرة عنه. وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عن علي مرفوعاً. ورواه ابن شاهين في الجنائز. والواحدي من رواية محمد بن مروان السدي الصغير: عن أبان عن أنس مرفوعاً أيضاً. وأبان والسدي الصغير متروكان. انتهى.

٩٠٦ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣٠٩/٢): رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الفضائل بسنده عن مجاهد.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد. قال: «لم يملك الأرض منها إلا أربعة: مؤمنان، وكافران فذكره». انتهى.

النور، وسئل عنه، فقال: أحبه الله فأحبه / ٢١٤ أ، وسأله ابن الكوّا: ما ذو القرنين؟ أملك أم نبيّ؟ فقال: ليس بملك ولا نبيّ، ولكن كان عبداً صالحاً، ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات، ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله، قيل: كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى، وعن النبي ﷺ: «سُمّي ذَا القَرْنَيْنِ لأَنَّهُ طَافَ قَرْنَي الدُّنْيَا» (٩٠٧). يعني: جانبيها شرقها وغربها، وقيل: كان له قرنان، أي: ضفيرتان، وقيل: انقرض في وقته قرنان من الناس، وعن وهب: لأنه ملك الروم وفارس، وروى: الروم والترك، وعنه: كانت صفحتا رأسه من نحاس، وقيل: كان لتاجه قرنان، وقيل: كان على رأسه ما يشبه القرنين، ويجوز أن يلقب بذلك؛ لشجاعته، كما يسمى الشجاع: كبشاً؛ لأنه ينطح أقرانه، وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره، والسائلون: هم اليهود، سألوه على جهة الامتحان، وقيل: سأله أبو جهل وأشياعه، والخطاب في: ﴿عَلَيْكُم﴾: لأحد الفريقين، ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: من أسباب كل شيء، أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه، ﴿سَبَبًا﴾: طريقاً موصلاً إليه، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة، فأراد بلوغ المغرب، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾: يوصله إليه حتى بلغ؛ وكذلك أراد المشرق، فأتبع سبباً، وأراد بلوغ السدّين فاتبع سبباً، وقرئ: «فأتبع»، قرئ: «حمئة»: من حمئت البئر: إذا صار فيها الحمأة، وحامية بمعنى: حارّة، وعن أبي ذر: كنت رديف رسول الله ـ ﷺ على جمل، فرأى الشمس حين غابت، فقال: «يَا أَبَا ذرّ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ هٰذِهِ؟» فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فَإِنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ» ح (٩٠٨)، وهي قراءة ابن مسعود، وطلحة، وابن

---

٩٠٧ ـ قال الزيلعي (٢/٣٠٩): غريب. ورواه الدارقطني في كتاب «المؤتلف والمختلف» من قول الزهري، فقال: حدثنا مسلم بن عبد الله الحسيني ثنا الخضر بن داود ثنا الزبير بن بكار ثنا إبراهيم ابن المنذر ثنا عبد العزيز بن عمران عن سليمان بن أسيد عن الزهري قال: إنما سمي ذا القرنين؛ لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها فسمي ذا القرنين. أ. هـ.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
لم أجده مرفوعاً، وإنما رواه الدارقطني في المؤتلف. من رواية عبد العزيز بن عمران. عن سليمان ابن أسيد عن الزهري قال: إنما سمي ذا القرنين؛ لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها. انتهى.

٩٠٨ ـ قال الحافظ بن حجر: كذا في نسخ الكشاف: على جمل، والذي في كتب الحديث على حمار ولم يصرح فيه بالإرداف. أ. هـ. والحديث أخرجه أبو داود (٤/٣٧) كتاب الحروف والقراءات: باب (١) حديث (٤٠٠٢) والحاكم (٢/٢٤٤) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
كذا في نسخ الكشاف «على جمل». والذي في كتب الحديث «على حمار» ولم يصرح فيه =

عمر، وابن عمرو، والحسن، وقرأ ابن عباس: «حمئة»، وكان ابن عباس عند معاوية، فقرأ معاوية: «حامية»، فقال ابن عباس: حمئة، فقال معاوية لعبد الله بن عمرو: كيف تقرأ؟ قال: كما يقرأ أمير المؤمنين، ثم وجه إلى كعب الأحبار، كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطين، كذلك نجده في التوراة، وروي: في ثأط، فوافق قول ابن عباس، وكان ثمة رجل، فأنشد قول تبع [من الكامل]:

فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ مَآبِهَا ... فِي عَيْنِ ذِي خُلُبٍ وَثَأْطٍ حَرْمَدِ[1]

أي: في عين ماء ذي طين وحمإ أسود، ولا تنافي بين الحمئة والحامية، فجائز أن

= بالإرداف. عن أبي داود، والحاكم من طريق الحكم بن عيينة عن إبراهيم التيمي عن أبيه، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنت مع رسول الله ﷺ وهو على حمار، والشمس عند غروبها فقال: «هل تدري أين تغرب هذه»؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تغرب في عين حامية» زاد الحاكم: «غير مهموزة». ورواه ابن أبي شيبة، وأحمد وأبو يعلى، والبزار، وزاد: «وتنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش، فإذا كان خروجها أذن الله لها وإذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها، فيقول. اطلعي من حيث غربت. فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها» وقال تفرد به سفيان بن حسين عن الحاكم. ورواه الجماعة عن إبراهيم التيمي. وهو في الصحيحين دون قوله «تغرب في عين حامية» وأوله «كنت مع النبي ﷺ جالساً» الحديث. انتهى.

---

(١) قد كان ذو القرنين جدي مسلماً ... ملكاً تدين له الملوك وتسجد
بلغ المغارب والمشارق يبتغي ... أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغار الشمس عند مآبها ... في عين ذي خلب وثأط حرمد

لتبع الأكبر اليماني المذكور في القرآن، يفتخر بجده اسكندر ذي القرنين بن فيلسوف اليوناني. ويروى: مرءاً، بدل جدي. وتدين أي تنقاد. وروي بدله: «علا في الأرض غير مفند» أي غير مكذب، فلا عيب في القافية والخلب ـ بضمتين ـ: الحمأة وهي الطين. والثأط: الحمأة المختلطة بالماء، فتزيد رطوبة وتفسد. والحرمد: الطين الأسود. مدح ذا القرنين ثم قال: إنه بلغ مواضع غروب الشمس ومواضع شروقها، يبتغي من الله أسباباً توصله لمقصده، فرأى محلى غيار الشمس عند مآبها، أي رجوعها إليه. ويروى مآب الشمس عند مغيبها: أي غيبوبتها. وفي عين: متعلق بغار. أو بمحذوف، أي: رآها تغرب في عين. ويجوز أنه حال من المغار؛ لأن العين أوسع منه، أي في عين ماء ذي طين أسود مختلط بماء، وهذا موافق لظاهر الآية. وأولها أبو علي الجبائي بأن ذلك على سبيل التخييل، كما أن من لم ير الشاطئ الغربي من البحر المتسع يرى الشمس تغرب فيه، وفي الحقيقة تغرب في ظلمة وراء الأبيض، لأن الأرض كروية.
وهو لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص ٢٦، ولسان العرب (حرمد)، (ثأط)، ومقاييس اللغة ١/ ١٥٤، وتهذيب اللغة ٧/٤١٨، وتاج العروس (أوب)، (حرمد)، (ثأط)، ولتبّع في تاج العروس (خلب)، ولسان العرب (أوب)، (خلب)، (حرمد)، و كتاب العين ٤/ ٢٧٠، ٨/٤١٧، وتهذيب اللغة ٥/ ٣٣٠، ١٤/ ٥، ١٥/ ٦٠٧، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ٣٩٨، وجمهرة اللغة ص ١١٤٠.

تكون العين جامعة للوصفين جميعاً، كانوا كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام، فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم، فقال: أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك؛ فذلك هو المعذب في الدارين، ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ﴾: ما يقتضيه الإيمان، ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وقيل: خيره بين القتل والأسر، وسماه إحساناً في مقابلة القتل، (فله جزاء الحسنى): فله أن يجازي المثوبة الحسنى، أو فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة، وقرئ: «فله جزاء الحسنى»، أي: فله الفعلة الحسنى جزاء، وعن قتادة: كان يطبخ من كفر في القدور، وهو العذاب النكر، ومن آمن أعطاء وكساه، ﴿مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: لا نأمره بالصعب الشاق، ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك، وتقديره: «ذا يسر»؛ كقوله: ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾، وقرئ: «يُسُراً»: بضمتين.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾

وقرئ: مطلع، بفتح اللام وهو مصدر، والمعنى: بلغ مكان مطلع الشمس؛ كقوله [من الطويل]:

كَأَنَّ مَجَرَّ الرَّامِسَاتِ ذُيُولَهَا ....[1]

يريد: كأن آثار مجر الرامسات؛ ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ قيل: هم الزنج، والستر: الأبنية؛ وعن كعب: أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب؛ فإذا طلعت الشمس دخلوها، فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم، وعن بعضهم: خرجت حتى جاوزت الصين، فسألت عن هؤلاء فقيل: بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة، فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس

---

(١) كأن مجر الرامسات ذيولها ... عليه قضيم نمقته الصوانع
للنابغة، والمجر ليس مكان الجر، وإنما هو مصدر بمعنى الجر، لأنه لو كان اسم مكان لما عمل النصب، ثم يجب تقدير مضاف ليصح الإخبار عنه بأنه قضيم أي موضع مجر، أي كان المحل الذي تجر الرياح الرامسات ذيولها عليه قضيم، أي جلد أبيض نمقته وحسنته الصوانع للكتابة. وسميت الرياح رامسات من الرمس أي التغييب؛ لأنها تحمل التراب وتلقيه على الآثار فيدفنها. واستعار الذيول لما يلي الأرض من الرياح على طريق التصريح. ويجوز أن تشبه الرياح بنساء لثيابهن ذيول طويلة يجررنها على الأرض، والذيول تخييل.
ينظر: ديوانه ص ٣١، وجمهرة اللغة ص ٩٧٧، وخزانة الأدب ٢/ ٤٥٣، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٧٤، وشرح شواهد الشافية ص ١٠٦، وشرح المفصّل لابن يعيش ٦/ ١١٠، ١١١، ولسان العرب، (ذيل)، (قضم)، وتاج العروس (نمق)، (ذيل)، (قضم)، وبلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب ٢/ ١٦، وشرح عمدة الحافظ ص ٧٣٣.

الأخرى، ومعي صاحب يعرف لسانهم، فقالوا له: جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس؟ قال: فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة[1]، فغشى عليّ، ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت، فأدخلونا سرباً لهم، فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم، وقيل: الستر: اللباس، وعن مجاهد: من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: أمر ذي القرنين كذلك، أي: كما وصفناه تعظيماً لأمره، ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾: من الجنود والآلات وأسباب الملك، ﴿خُبْرًا﴾: تكثيراً لذلك، وقيل: لم نجعل لهم من دونها ستراً مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس، والثياب من كل صنف، وقيل: بلغ مطلع الشمس مثل ذلك، أي: كما بلغ مغربها، وقيل: تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم، يعني: أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر، وإحسانه إلى من آمن منهم.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾: بين الجبلين، وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما، قرئ: بالضم والفتح، وقيل: ما كان من خلق الله ـ تعالى ـ فهو مضموم، وما كان من عمل العباد فهو مفتوح؛ لأن السد بالضم فعل بمعنى: مفعول، أي: هو مما فعله الله تعالى وخلقه، والسد ـ بالفتح ـ: مصدر حدث يحدثه الناس، وانتصب (بين): على أنه مفعول به مبلوغ، كما انجرّ على الإضافة في قوله: (هذا فراق بيني وبينك)، وكما ارتفع في قوله: (لقد تقطع بينكم)؛ لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً، وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق، ﴿مِن دُونِهِمَا قَوْمًا﴾: هم الترك ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة، ونحوها كما يفهم البكم، وقرئ: يفقهون، أي: لا يفهمون السامع / ٢١٤ ب كلامهم ولا يبينونه؛ لأن لغتهم غريبة مجهولة.

﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

---

(١) قوله: «إذ سمعنا كهيئة الصلصلة» في الصحاح «الصلة» واحدة الصلال، وهي القطع من الأمطار المتفرقة يقع منها الشيء بعد الشيء، وصلصلة اللجام: صوته إذا ضوعف (ع).

﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: اسمان أعجميان؛ بدليل منع الصرف، وقرئا: مهموزين، وقرأ رؤبة: آجوج وماجوج، وهما من ولد يافث، وقيل: يأجوج من الترك، ومأجوج من الجيل والديلم[1]، ﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: كانوا يأكلون الناس، وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه، وكانوا يلقون منهم قتلاً وأذى شديداً، وعن النبي ﷺ في صفتهم: «لاَ يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَلْفِ ذَكَرٍ مِنْ صُلْبِهِ، كُلُّهُمْ قَدْ حَمَلَ السِّلاَحَ» (٩٠٩). وقيل: هم على صنفين، طوال مفرطو الطول، وقصار مفرطو القصر، قرئ: «خرجا»، و «خراجا»، أي: جعلا نخرجه من

---

٩٠٩ ـ أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٦/ ٣٤)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٦٦ ـ بتحقيقنا)، والطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٩)، وابن مردويه والثعلبي كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣١١)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٠٦)؛ كلهم من طريق يحيى بن سعيد، عن محمد بن إسحاق عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة مرفوعاً، وقال ابن عديّ: هذا حديث منكر موضوع، ومحمد بن إسحاق هذا ليس هو صاحب المغازي، وإنما هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن عكاشة بن محيصن الأسدي. وقال ابن الجوزي: ومحمد بن إسحاق هو العكاشي قال يحيى بن معين: كذاب. وقال الدارقطني: يضع الحديث.

قال الحافظ بن حجر في «تخريج الكشاف» وذكره ابن الجوزي من هذا الوجه في الموضوعات، فلم يصب؛ فإن له طريقاً أخرى في صحيح ابن حبان عن ابن مسعود. أ. هـ. أما الشاهد الذي ذكره الحافظ فأخرجه ابن حبان (١٩٠٧ ـ موارد) من طريق زيد بن أبي أنبسة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن ابن مسعود مرفوعاً. وله شاهد آخر من حديث أوس. أخرجه النسائي في «التفسير» (٣٥٣).

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن عديّ، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه، والثعلبي وغيرهم من رواية يحيى بن سعيد، عن محمد بن إسحاق، عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة قال: «سألت النبي ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقال: يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعة آلاف لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح» قال ابن عديّ: هذا موضوع. ومحمد بن إسحاق هذا ليس هو صاحب المغازي، وإنما هو العكاش وذكره ابن الجوزي في الموضوعات من هذا الوجه، فلم يصب، فإن له طريقاً أخرى؛ ففي صحيح ابن حبان عن ابن مسعود مرفوعاً: «إن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفاً» وفي النسائي عن عمرو بن أوس عن أبيه رفعه: «أن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاؤوا. ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً. وفي المستدرك عن عبد الله بن عمرو رفعه: «إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولن يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً» انتهى.

---

(١) قوله: «من الجيل والديلم» كذا عبارة النسفي أيضاً، ولعله «من جيل الديلم» وفي الصحاح: جيل من الناس، أي: صنف، الترك جيل، والروم جيل. وفيه: الديلم جيل من الناس (ع).

أموالنا؛ ونظيرهما: النول والنوال، وقرئ: «سدا»، و «سدا»: بالفتح والضم.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾

﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾: ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار، خير مما تبذلون لي من الخراج، فلا حاجة بي إليه، كما قال سليمان، صلوات الله عليه: (فما آتاني الله خير مما آتاكم)، قرئ بالإدغام وبفكه، ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل، وبالآلات، ﴿رَدْمًا﴾: حاجزاً حصيناً موثقاً، والردم: أكبر من السد، من قولهم: ثوب مردم، رقاع فوق رقاع، قيل: حفر الأساس[1] حتى بلغ الماء، وجعل الأساس من الصخر. والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد، بينهما الحطب[2] والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار، صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلداً، وقيل: بعد ما بين السدين مائة فرسخ، وقرئ: «سوّى»، و «سووي»، وعن رسول الله ﷺ أنّ رجلاً أخبره به فقال: كيف رأيته؟ قال: «كالْبَرْدِ[3] المُحْبِرِ طَرِيقة سَوْدَاء وَطَرِيقَة حَمْرَاءَ». قال: «قد رأيته» (٩١٠) والصدفان ـ بفتحتين ـ: جانبا الجبلين؛ لأنهما يتصادفان أي: يتقابلان، وقرئ:

---

٩١٠ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلاً، وأخرجه أيضاً ابن مردويه، والطبراني في «مسند الشاميين»، والبزار كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣). =

---

(١) قوله: «قيل حفر الأساس» لعله: للأساس (ع).

(٢) قوله: «بينهما الحطب» لعله: بينها (ع).

(٣) أخرجه الطبري من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. قال «ذكر لنا أن رجلاً قال: يا رسول الله، قد رأيت سد يأجوج ومأجوج. قال انعته لي قال: كالبرد المحبر. طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته» ورواه ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة عن سعيد عن قتادة عن رجل من أهل المدينة. أنه قال للنبي ﷺ، رأيت الردم فذكر نحوه، ورواه الطبراني في مسند الشاميين. وابن مردويه عنه من رواية سعيد بن بشير عن قتادة عن رجل عن أبي بكرة الثقفي «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فذكر نحوه، لكن قال «طريقة حمراء من نحاس: وطريقة سوداء من حديد» وأخرج البزار من وجه آخر عن يوسف بن أبي مريم الحنفي. قال «بينما أنا قاعد مع أبي بكرة إذ جاء رجل فسلم عليه. فقال له أبو بكرة من أنت؟ قال تعلم رجلاً أتى النبي ﷺ فأخبره أنه رأى الردم. فقال له أبو بكرة: وأنت هو؟ قال: نعم. قال: اجلس حدثنا. قال: انطلقت حتى أتيت أرضاً ليس لهم إلا الحديد يعلمونه». فذكر القصة والحديث. وقال: لا نعلم له رواية عن النبي ﷺ غير أبي بكرة.

«الصدفين»؛ بضمتين، و «الصدفين»: بضمة وسكون، و «الصدفين»: بفتحة وضمة، والقطر: النحاس المذاب؛ لأنه يقطر، و ﴿قِطْرًا﴾: منصوب بأفرغ، وتقديره: آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً، فحذف الأول، لدلالة الثاني عليه، وقرئ: قال: ائتوني، أي: جيئوني، ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ﴾: بحذف التاء للخفة؛ لأن التاء قريبة المخرج من الطاء، وقرئ: «فما اصطاعوا»: بقلب السين صاداً، وأما من قرأ بإدغام التاء في الطاء، فملاق بين ساكنين على غير الحد، ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾: أن يعلوه، أي: لا حيلة لهم فيه من صعود، لارتفاعه وانملاسه، ولا نقب لصلابته وثخانته.

﴿قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

﴿بِهَـٰذَا﴾: إشارة إلى السد، أي: هذا السد نعمة من الله، و: ﴿رَحْمَةٌ﴾: على عباده، أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾: يعني: فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي جعل السد، ﴿دَكَّآءَ﴾ أي: مدكوكاً مبسوطاً مسوّى بالأرض، وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندك، ومنه: الجمل الأدك: المنبسط السنام، وقرئ: دكاء، بالمد، أي: أرضاً مستوية، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾: آخر حكاية قول ذي القرنين.

﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَتَرَكْنَا﴾: وجعلنا، ﴿بَعْضَهُمْ﴾: بعض الخلق، ﴿يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ أي: يضطربون ويختلطون-إنسهم وجنهم حيارى، ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج، وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد، وروي: يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الشجر، ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس،

= أخرجه الطبري من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. قال «ذكر لنا أن رجلاً قال: يا رسول الله، قد رأيت سد يأجوج ومأجوج. قال انعته لي قال، كالبرد المحبر. طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته، ورواه ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة عن سعيد عن قتادة عن رجل من أهل المدينة. أنه قال للنبي ﷺ، رأيت الردم فذكر نحوه، ورواه الطبراني في مسند الشاميين. وابن مردويه عنه من رواية سعيد بن بشير عن قتادة عن رجل عن أبي بكرة الثقفي «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فذكر نحوه، لكن قال طريقة حمراء من نحاس: وطريقة سوداء من حديد» وأخرج البزار من وجه آخر عن يوسف بن أبي مريم الحنفي. قال «بينما أنا قاعد مع أبي بكرة إذ جاء رجل فسلّم عليه. فقال له أبو بكرة من أنت «قال تعلم رجلاً أتى النبي ﷺ فأخبره أنه رأى الردم. فقال له أبو بكرة: وأنت هو؟ قال: نعم. قال: اجلس حدثنا. قال: انطلقت حتى أتيت أرضاً ليس لهم إلا الحديد يعلمونه. فذكر القصة والحديث. وقال: لا نعلم له رواية عن النبي ﷺ غير أبي بكرة.
قوله «ثم يبعث الله نغفا في أقفائهم» أي دودا، أفاده الصحاح.

ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس، ثم يبعث الله نغفاً في أقفائهم[1] فيدخل في آذانهم فيموتون.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾: وبرّزناها لهم فرأوها وشاهدوها، ﴿عن ذكري﴾: عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتعظيم، أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها؛ ونحوه: صم بكم عمي، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ يعني: وكانوا صماً عنه، إلا أنه أبلغ؛ لأنّ الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به، وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم[2]، فلا استطاعة بهم للسمع.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾: هم الملائكة، يعني: أنهم لا يكونون لهم أولياء؛ كما حكى عنهم: ﴿سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾، وقرأ ابن مسعود: أفظن الذين كفروا، وقراءة علي ـ رضي الله عنه ـ: «أفحسب الذين كفروا»، أي: أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر، أو على الفعل والفاعل؛ لأن اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل؛ كقولك: «أقائم الزيدان»، والمعنى: أنّ ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا، وهي قراءة محكمة جيدة، النزل: ما يقام للنزيل وهو الضيف، ونحوه: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾: ضاع وبطل وهم الرهبان، عن علي ـ رضي الله عنه ـ (٩١١) كقوله: ﴿عاملة ناصبة﴾ [الغاشية: ٣] وعن مجاهد: أهل الكتاب، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: أن

---

٩١١ ـ ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٤٥٦) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

---

(١) قوله: «ثم يبعث الله نغفاً في أقفائهم» أي دوداً، أفاده الصحاح (ع).
(٢) قوله: «كأنهم أصميت أسماعهم» في الصحاح في مادة صمم: أصمه الله فصم. وفي مادة صما بالألف: أصميت الصيد إذا رميته فقتلته، فقوله: أصميت، لعله بمعنى أهلكت بالمرة بحيث لا يمكن أن تسمع (ع).

ابن الكوّا سأله عنهم؟ فقال: منهم أهل حروراء (٩١٢)، وعن أبي سعيد الخدري: يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئاً، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾: فنزدري بهم، ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار، وقيل: لا يقام لهم ميزان؛ لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين، وقرئ: «فلا يقيم»: بالياء.

فإن قلت: الذين ضل سعيهم في أي محل هو؟

قلت: الأوجه أن يكون في محل الرفع، على: هم الذين ضل سعيهم؛ لأنه جواب عن السؤال، ويجوز أن يكون نصباً على الذم، أو جرا على البدل، ﴿جَهَنَّمُ﴾: عطف بيان لقوله: (جزاؤهم)[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾

الحول: التحول، يقال: حال من مكانه حولاً؛ كقولك: عادني حبها عوداً، يعني: لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانيهم، وهذه غاية الوصف؛ لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامح للطرف إلى أرفع منه، ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

المداد: اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط، ويقال: السماد مداد الأرض، والمعنى: لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مداداً لها، والمراد بالبحر: الجنس، ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾: الكلمات، ﴿وَلَوْ جِئْنَا﴾: بمثل البحر مداداً لنفد ـ أيضاً ـ والكلمات غير نافدة، و ﴿مَدَدًا﴾: تمييز؛ كقولك: لي مثله رجلاً، والمدد مثل المداد، وهو ما يمدّ به، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: بمثله مداداً، وقرأ الأعوج: «مِدداً»: بكسر الميم، جمع: مدّة، وهي: ما يستمده الكاتب فيكتب به، وقرئ:

---

٩١٢ ـ ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٤٥٦) وعزاه لابن مردويه.

---

(١) قوله: «عطف بيان لقوله جزاؤهم الحول» كذا في النسفي أيضاً، لكن المتجه أنه بيان لقوله (ذلك) الذي هو إشارة لما مر في قوله ﴿إنا اعتدنا جهنم للكافرين﴾ (ع).

«ينفد»: بالياء، وقيل: قال حييّ بن أخطب: في كتابكم، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ثم تقرؤون: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]؛ فنزلت، يعني: أن ذلك خير كثير، ولكنه قطرة من بحر كلمات الله.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه، وأن يلقاه لقاء رضا وقبول، وقد فسرنا اللقاء، أو: أفمن كان يخاف سوء لقائه، والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة: أن لا يرائي بعمله وأن لا يبتغي به إلا وجه ربه خالصاً لا يخلط به غيره. وقيل: نزلت في جندب بن زهير قال للنبي ﷺ: «إني أعمل العمل، فإذا اطلع عليه سرني، فقال: إن الله لا يقبل ماشورك فيه» (٩١٣). وروي أنه قال: «لك أجران: أجر السر، وأجر العلانية» (٩١٤)، وذلك إذا قصد أن يقتدي به، وعنه ﷺ: «اتقوا الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء» (٩١٥). عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكهف من

---

٩١٣ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣١٣) غريب. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (٦٠٤).

٩١٤ ـ أخرجه الترمذي (٤/ ٥٩٤) كتاب الزهد: باب عمل البر حديث (٢٣٨٤) وابن ماجه (٢/ ١٤١٢) كتاب الزهد: باب الثناء الحسن حديث (٤٢٢٦) والطيالسي (٢/ ٢٨ ـ منحة) رقم (١٩٩٩) وابن حبان (٦٥٥ ـ موارد) وابن عديّ في «الكامل» (٣/ ١٢٠٠) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وقد روى الأعمش وغيره عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن النبي ﷺ مرسلاً وأصحاب الأعمش لم يذكروا فيه عن أبي هريرة. أ.هـ. وصححه ابن حبان. وله شاهد من حديث أبي مسعود الأنصاري أخرجه الطبراني كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣١٤). وشاهد آخر من حديث أبي ذر. أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ١١٢).

٩١٥ ـ أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨) من حديث محمود بن لبيد.

قال الزيلعي: رواه أبو القاسم الأصبهاني في كتابه الترغيب والترهيب، من حديث أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه: ثنا دعلج بن أحمد، ثنا حامد بن محمد، ثنا سريج بن يونس، ثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ... ذكره سواء.

وبهذا الإسناد رواه الثعلبي في تفسيره سواء. ورواه ابن مردويه في تفسيره في سورة الرعد: ثنا دعلج بن أحمد به سنداً ومتناً، وكذلك رواه في هذه السورة.

وروى أيضاً: حدثنا سليمان بن أحمد ـ هو الطبراني ـ: ثنا أحمد بن حماد بن رغبة، ثنا سعيد بن أبي مريم، ثنا ابن لهيعة، عن عمارة بن غزية، عن يعلى بن شداد بن أوس، عن أبيه قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر.

وروى الدارقطني في غرائب مالك، من حديث عبد الرحمن بن محمد بن سلام: ثنا إسحاق بن عيسى الطباع، عن مالك بن أنس، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عاصم بن عمرو بن قتادة، عن محمود بن لبيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا =

آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه. ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء» (٩١٩) وعنه ﷺ: «من قرأ عند مضجعه (قل إنما أنا بشر مثلكم) كان له من مضجعه نور يتلألأ إلى مكة، حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم، وإن كان مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور، حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ» (٩١٧) / ١ / ٢١٥ أ والله أعلم.

= رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء». انتهى. ثم قال: غريب من حديث مالك، تفرد به إسحاق الطباع، وهو ثقة، ولا أعلم رواه عنه غير عبد الرحمن بن محمد بن سلام، وهو من الثقات. انتهى.

ورواه أحمد: ثنا يونس، ثنا ليث، عن يزيد بن الهاد، عن عمرو بن أبي عمرو به.

ورواه البيهقي في شعب الإيمان، في الباب الخامس والأربعين، من حديث ابن أبي مريم: ثنا ابن أبي الزناد، عن عمرو بن أبي عمرو به».

٩١٦ ـ أخرجه أحمد (٣/٤٣٩) من حديث معاذ بن أنس. وفي سنده ابن لهيعة.

وأخرجه أيضاً ابن السني في «عمل اليوم والليلة» والبغوي والطبراني والثعلبي وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٢/٣١٦).

٩١٧ ـ أخرجه البزار (٣١٠٨ ـ كشف) من حديث عمر بن الخطاب. وأخرجه أيضاً إسحاق بن راهويه والثعلبي وابن مردويه.

الكشاف

عن

حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل

في وجوه التأويل

للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري

(٤٦٧-٥٣٨ هـ)

تحقيق وتعليق ودراسة

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود   الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي

أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

الجزء الرابع

مكتبة العبيكان

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب. ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس ٤٦٥٠١٢٩

الكشاف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ مَرۡيَمَ

مَكِّيَّةٌ [إلاَّ آيَتَيْ ٥٨ و٧١ فَمَدَنِيَّتَانِ] وَآيَاتُها ٩٨ [نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ فَاطِرٍ]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣﴾

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾: قرأ بفتح الهاء[١] وكسر الياء: حمزة، وبكسرهما: عاصم، وبضمهما: الحسن، وقرأ الحسن ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾ أي: هذا المتلوّ من القرآن ذكر رحمة ربك، وقرئ: «ذكر»: على الأمر[٢]، راعى سنة الله في إخفاء دعوته؛ لأنّ الجهر والإخفاء عند الله سيان، فكان الإخفاء أولى؛ لأنه أبعد من الرياء وأدخل في الإخلاص، وعن الحسن: نداء لا رياء فيه، أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبرة والشيخوخة[٣]، أو أسره من مواليه الذين خافهم، أو خفت صوته لضعفه وهرمه، كما جاء في صفة الشيخ: صوته خفات، وسمعه تارات، واختلف في سنّ زكريا ـ عليه السلام ـ فقيل: ستون، وخمس وستون، وسبعون، وخمس وسبعون، وخمس وثمانون.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤﴾

قرئ (وهن): بالحركات الثلاث؛ وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو

---

(١) قوله «كهيعص قرأ بفتح الهاء» عبارة النسفي. قرأ علي ويحيى بكسر الهاء والياء، ونافع بين الفتح والكسر، وإلى الفتح أقرب. وأبو عمرو بكسر الهاء. وفتح الياء. وحمزة بعكسه. وغيرهم بفتحهما (ع).

(٢) قوله «وقرأ الحسن (ذكر رحمة ربك) أي هذا إلخ» يحتاج إلى تحرير، فإن الرفع قراءة الجمهور. وقوله «ذكر على الأمر» أي و(رحمة ربك) بالنصب. (ع).

(٣) قوله «في إبان الكبرة والشيخوخة» في الصحاح: الكبر في السن، والاسم الكبرة بالفتح. وفيه أيضاً: شاخ الرجل يشيخ شيخاً بالتحريك: جاء على أصله، وشيخوخة اهـ. وليس فيه شيوخة. وفيه أيضاً: إبان الشيء بالكسر والتشديد: وقته وأوانه. (ع).

أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته؛ ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ووحده؛ لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية، وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن، ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها، إدغام السين في الشين عن أبي عمرو، شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوّه فيه وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته، وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزاً ولم يضف الرأس: اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا؛ فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة، توسل إلى الله بما سلف له من الاستجابة، وعن بعضهم أن محتاجاً سأله وقال: أنا الذي أحسنت إليّ وقت كذا، فقال: مرحباً بمن توسل بنا إلينا، وقضى حاجته.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾

كان مواليه ـ وهم عصبته إخوته وبنو عمه ـ شرار بني إسرائيل، فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدّلوه، وألاّ يحسنوا الخلافة على أمته، فطلب عقباً من صلبه صالحاً يقتدي به في إحياء الدين ويرتسم مراسمه فيه ﴿مِن وَرَآءِى﴾: بعد موتي، وقرأ ابن كثير: «من وراي»: بالقصر، وهذا الظرف لا يتعلق بخفت؛ لفساد المعنى، ولكن بمحذوف، أو بمعنى: الولاية في الموالي، أي: خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي، أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي، وقرأ عثمان، ومحمد بن علي، وعلي بن الحسين ـ رضي الله عنهم ـ: «خفت الموالي من ورائي»، وهذا على معنيين:

أحدهما: أن يكون (ورائي) بمعنى: خلفي وبعدي، فيتعلق الظرف بالموالي، أي: قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين، فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بوليّ يرزقه.

والثاني: أن يكون بمعنى: قدامي، فيتعلق بـ «خفت»، ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا، ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد، ﴿مِن لَّدُنكَ﴾: تأكيد لكونه وليًّا مرضيًّا، بكونه مضافاً إلى الله ـ تعالى ـ وصادراً من عنده، وإلا ـ فهب لي ولياً يرثني ـ: كاف، أو أراد اختراعاً منك بلا سبب؛ لأني وامرأتي لا نصلح للولادة، ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ﴾: الجزم جواب الدعاء، والرفع صفة؛ ونحوه: ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [القصص: ٣٤] وعن ابن عباس والجحدري: «يرثني وارث آل يعقوب»: نصب على الحال، وعن الجحدري: «أويرث»: على تصغير: وارث، وقال: غليم صغير، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ وجماعة: «وارث

من آل يعقوب»، أي: يرثني به وارث، ويسمى: التجريد في علم البيان، والمراد بالإرث: إرث الشرع والعلم؛ لأنّ الأنبياء لا تورّث المال، وقيل: يرثني الحبورة وكان حبراً، ويرث من آل يعقوب الملك، يقال: ورثته وورثت منه لغتان، وقيل: «من» للتبعيض لا للتعدية؛ لأنّ آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء، وكان زكريا ـ عليه السلام ـ من نسل يعقوب بن إسحاق، وقيل: هو يعقوب بن ماتان أخو زكريا، وقيل: يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾

﴿سَمِيًّا﴾: لم يسمّ أحد بيحيى قبله، وهذا شاهد على أنّ الأسامي السنع جديرة بالأثرة، وإياها كانت العرب تنتحي في التسمية؛ لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز، حتى قال القائل في مدح قوم [من الكامل]:

سُنْعُ الأَسَامِي مُسْبِلِي أُزُرٍ حُمْرٍ تَمَسُّ الأَرْضَ بِالْهُدْبِ /٢/٢أ[1]

وقال رؤبة للنسابة البكري ـ وقد سأله عن نسبه ـ: أنا ابن العجاج، فقال: قصرت وعرفت، وقيل: مثلاً وشبيها عن مجاهد؛ كقوله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]؛ وإنما قيل للمثل: «سَميّ»؛ لأنّ كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير، فكل واحد منهما سميّ لصاحبه؛ ونحو: «يحيى» في أسمائهم: «يعمر، ويعيش» إن كانت التسمية عربية، وقد سموا بيموت ـ أيضاً ـ وهو يموت بن المزرع، قالوا: لم يكن له مثل في أنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط، وأنه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر، وأنه كان حصوراً.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾

أي: كانت على صفة العقر: حين أنا شاب وكهل، فما رزقت الولد لاختلال أحد السببين، أفحين اختل السببان جميعاً أُرزقه؟

---

(١) يقال سنع الرجل كظرف، فهو سنيع أي جميل، وأسنع، والمرأة سنعاء، وسنع جمع أسنع: أي أسماؤهم حسنة، فهي أنبه وأنوه وأنزه عن النبز، والحمر: صفة الأزر، وتمس: صفة أخرى لها. وهدب الشيء: طرفه، والمناسب للمعنى أن المراد به الجمع، ويمكن أن يكون ضمنه مفرداً كقفل، وجمعا كفلك. ويجوز أنه اسم جمع، ولذلك جاء في واحده هدبة، ومس الأرض بالأطراف: كناية عن طولها، بل عن غناهم وثروتهم اللازم له ذلك.

فإن قلت: لم طلب أولاً وهو وامرأته على صفة العتيّ والعقر[1]، فلما أسعف بطلبته استبعد واستعجب؟

قلت: ليجاب بما أجيب به، فيزداد المؤمنون إيقاناً ويرتدع المبطلون، وإلا فمعتقد زكريا أولاً وآخراً كان على منهاج واحد: في أنّ الله غني عن الأسباب، أي: بلغت عتياً، وهو: اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل[2]، يقال: عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن في السن العالية، أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيًّا، وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين، وكذلك صليًّا، وابن مسعود بفتحهما[3]، وقرأ أبيّ ومجاهد: «عسيا»[4].

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف رفع، أي: الأمر كذلك تصديق له، ثم ابتدأ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾: أو نصب بقال، وذلك إشارة إلى مبهم يفسره ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾؛ ونحوه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر: ٦٦] وقرأ الحسن: «وهو علي هين»، ولا يخرج هذا إلا على الوجه الأول، أي: الأمر كما قلت، وهو على ذلك يهون علي. ووجه آخر: وهو أن يشار بذلك إلى ما تقدم من وعد الله، لا إلى قول زكريا، و«قال»: محذوف في كلتا القراءتين، أي: قال هو عليّ هين، قال وهو عليّ هين؛ وإن شئت لم تنوه؛ لأن الله هو المخاطب، والمعنى: أنه قال ذلك ووعده، وقوله الحق: ﴿شَيْـًٔا﴾؛ لأن المعدوم ليس بشيء، أو شيئاً يعتد به[5]؛ كقولهم: عجبت: من لا شيء، وقوله [من البسيط]:

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم طلب أولاً وهو وامرأته على صفة العتي... إلخ» قال أحمد: وفيما أجاب به نظر؛ لأنه التزم أن زكريا استبعد ما وعده الله عز وجل بوقوعه، ولا يجوز للنبي النطق بما لا يسوغ، لمثل هذه الفائدة التي عينها الزمخشري ويمكن حصولها بدونه، فالظاهر في الجواب ـ والله أعلم ـ أن طلبة زكريا إنما كانت ولدا من حيث الجملة، وبحسب ذلك أجيب، وليس في الإجابة ما يدل على أنه يولد له وهو هرم، ولا أنه من زوجته وهي عاقر، فاحتمل عنده أن يكون الموعود وهما بهذه الحالة، واحتمل أن تعاد لهما قوتهما وشبابهما، كما فعل الله ذلك لغيرهما. أو أن يكون الولد من غير زوجته العاقر، فاستبعد الولد منهما وهما بحالهما، فاستخبر أيكون وهما كذلك، فقيل: كذلك، أي: يكون الولد وأنتما كذلك، فقد انصرف الأبعاد إلى عين الموعود فزال الإشكال. والله أعلم.

(٢) قوله «كالعود القاحل» أي اليابس، كذا في الصحاح. (ع)

(٣) قوله «بفتحهما» لعله بفتحها. (ع)

(٤) قوله «عسياً» في الصحاح: عسى الشيخ يعسو عسياً: ولى وكبر، مثل عتا. (ع)

(٥) قال محمود: «إنما قيل ذلك لأن المعدوم ليس بشيء أو شيئاً يعتد به... إلخ» قال أحمد: فسر أولاً على ظاهر النفي الصرف وهو الحق، لأن المعدوم ليس شيئاً قطعاً، خلافاً للمعتزلة في قولهم: =

. . . . إِذَا رَأَىٰ غَـيْـرَ شَـيْءٍ ظَـنَّـهُ رَجُـلا[1]

وقرأ الأعمش والكسائي وابن وثاب: «خلقناك».

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾﴾

أي: اجعل لي علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به، قال: علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه، وأنت سليم الجوارح سويّ الخلق، ما بك خرس ولا بكم، دل ذكر الليالي هنا، والأيام في آل عمران، على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن. ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾

أوحى: أشار عن مجاهد؛ ويشهد له: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]، وعن ابن عباس: كتب لهم على الأرض، ﴿سَبِّحُوا۟﴾: صلوا، أو على الظاهر، وأن: هي المفسرة.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾

أي: خذ التوراة بحد واستظهار بالتوفيق والتأييد ﴿ٱلْحُكْمَ﴾: الحكمة؛ ومنه [من البسيط]:

= إن المعدوم الممكن شيء. ومن ثم كافح الزمخشري عن البقاء على التفسير الأول إلى الثاني بوجه من التأويل يلائم معتقد المعتزلة. فجعل المنفي الشيئية المعتد بها، وإن كانت الشيئية المطلقة ثابتة عنده للمعدوم، والحق بقاء الظاهر في نصابه.

(١) وضاقت الأرض حتى كان هاربهم ... إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

يقول: وضاقت الأرض على أعدائنا؛ لأن كل مسلك يريدونه يظنون أحداً منا فيه فيرجعون، فاستعير الضيق الحسي لذلك على طريق التصريح، حتى كان الهارب منهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً منا، فيرجع خوفاً، والشيء هو الموجود وغيره هو المعدوم، ولكن استعير للشيء الحقير التافه لعدم الاعتداد بكل على طريق التصريح، وذلك ليصح وقوع الرؤية عليه.

(٢) واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت ... إلى حمام سراع وارد الثمد

قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنا ونصفه فقد

فحسبوه فألفوه كما وجدت ... ستًا وستين لم تنقص ولم تزد

للنابغة واسمه زياد، يخاطب النعمان بن المنذر، والفتاة: زرقاء اليمامة التي يضرب بها المثل في حدة البصر، نظرت إلى حمام مسرع إلى الماء فقالت: ليت الحمام ليه. إلى حمامتيه. ونصفه قديه. ثم الحمام ميه. فوقع في شبكة صياد، فوجدوه ستاً وستين حمامة، ونصفه ثلاثة وثلاثون، فإذا ضم الكل إلى حمامتها صار مائة، والحمام: كل ذي طوق من الطيور. وسراع: جمع سريع، وصفه به؛ لأنه جمع في المعنى، وبوارد لأنه مفرد في اللفظ: ويروى «شراع» بالشين المشالة جمع شارع. والثمد: الماء القليل. وروي الحمام ونصفه بالرفع. على إهمال ليتما. وبالنصب على إعمالها؛ لأن «ما» زائدة لا كافة، وإلا وجب الإهمال. وروي «أو نصفه» فـ «أو» بمعنى الواو، =

وَٱحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ...[1] . . . .

يقال: حكم حكماً كحلم، وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس، وقيل: دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبي، فقال: ما للعب خلقنا، عن الضحاك، وعن معمر: العقل، وقيل: النبوّة؛ لأنّ الله أحكم عقله في صباه وأوحى إليه.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَحَنَانًا﴾: رحمة لأبويه وغيرهما، وتعطفاً وشفقة؛ أنشد سيبويه [من الطويل]:

وَقَالَتْ: حَنَانٌ مَا أَتَى بِكَ هٰهُنَا ... أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالحَيِّ عَارِفُ[2]؟

= والكلام على تقدير مضاف؛ لأنها تمنت أن يكون هذا الحمام ومقدار نصفه لها. وإلى حمامتنا: متعلق بمحذوف، أي: منضما إليها. وقد: اسم بمعنى حسب، أضيفت إلى ياء المتكلم بغير نون الوقاية، كما يقال: حسبي: ويحتمل أن الياء حرف إطلاق، فلا إضافة ولكنها متعينة في كلام زرقاء، والهاء فيه للسكت، وهو يرجح الإضافة في كلام النابغة، والفاء فيه زائدة لتحسين اللفظ كفاء فقط، وكلاهما بمعنى انته، وكأنها فاء الجواب، أي: إذا بلغت هذا الحد فانته كما أفاده السعد في مطوله، وحبسوه ينبغي تشديده ليسلم الشعر من الخبل، وهو نوع من الزحاف يقبح دخوله هنا. ويروى «حسبوه» بتقديم السين على الباء.

ينظر: ديوانه ٢٣/ الكتاب ١/١٦٨، شرح أبيات سيبويه ١/٣٣، الحيوان ٣/٢٢١، الدرر ١/٢١٧، ٢/٢٠٦، لسان العرب (حكم)، (حمم)، أدب الكاتب ٢٥، شرح التصريح ١/٢٢٥، البحر المحيط ٤/٣٣٠، الدر المصون ٣/٢٩٢.

(١) وأحدث عهد من أمينة نظرة ... على جانب العلياء إذ أنا واقف

فقالت حنان: ما أتى بك هاهنا ... أذو نسب أم أنت بالحي عارف؟

لمنذر بن درهم الكلبي، يقول: وأقرب عهد: أي لقاء ورؤية لأمينة محبوبتي تصغير آمنة، هو نظرة مني لها بجانب تلك البقعة، إذ أنا واقف هناك: أي حين وقوفي بها. وفيه إشعار بأنه كان واقفاً يترقب رؤيتها، فلما رأته هي قالت له: حنان أي: أمري حنان ورحمة لك، وهو من المواضع التي يجب فيها حذف المبتدأ؛ لنيابة الخبر عن الفعل؛ لأنه مصدر محول عن النصب. وقولها «ما أتى بك هاهنا» استفهام تعجبي. أذو نسب: أي أأنت ذو نسب أم أنت عارف بهذا الحي؟ ويجوز أن «أذو نسب» بدل من ما الاستفهامية: أي الذي حملك على المجيء هنا أو الذي دلك عليه صاحب قرابة من الحي أي معرفتك به؟ ويجوز أن الاستفهام حقيقي حكته على لسان غيرها. لتلقنه الجواب بقولها: أذو نسب... إلخ، مع معرفتها سبب مجيئه وهو حبها، ربما يسأله أحد من أهلها فيجيبه بأحد هذين الجوابين.

ينظر البيت في خزانة الأدب ٢/١١٢؛ وشرح أبيات سيبويه ١/٢٣٥، وبلا نسبة في أمالي الزجاجي ص١٣١، وأوضح المسالك ١/٢١٧، والدرر اللوامع ٣/٦٦، وشرح الأشموني ١/١٠٦، وشرح التصريح ١/١٧٧، وشرح عمدة الحافظ ص١٩٠، وشرح المفصل ١/١١٨، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٥٥، والكتاب ١/٣٢٠، ٣٤٩، ولسان العرب (حنن)، والمقاصد النحوية ١/٥٣٩، والمقتضب ٣/٢٢٥، وهمع الهوامع ١/١٨٩.

وقيل: حنانا من الله عليه، وحنّ في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة، وقيل لله «حنان»، كما قيل: «رحيم» على سبيل الاستعارة، والزكاة: الطهارة، وقيل: الصدقة أي: يتعطف على الناس ويتصدّق عليهم.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

سلم الله عليه في هذه الأحوال، قال ابن عيينة: إنها أوحش المواطن.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾

﴿إِذِ﴾: بدل من ﴿مَرْيَمَ﴾: بدل الاشتمال؛ لأنّ الأحيان مشتملة على ما فيها، وفي أنّ المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا؛ لوقوع هذه القصة العجيبة فيه، والانتباذ: الاعتزال والانفراد، تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس، أو من دارها معتزلة عن الناس، وقيل: قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو بشيء يسترها، وكان موضعها المسجد، فإذا حاضت تحوّلت إلى بيت خالتها، فإذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينا هي في مغتسلها، أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد، وضيء الوجه، جعد الشعر، سويّ الخلق، لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئاً، أو حسن الصورة مستوي الخلق؛ وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ٢/ ٢ب ولو بدا لها في الصورة الملكية، لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه، ودلّ على عفافها وورعها أنها تعوّذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن، وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبراً لعفتها، وقيل: كانت في منزل زوج أختها زكريا، ولها محراب على حدة تسكنه، وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها الباب، فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها، فانفجر السقف لها، فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك، وقيل: قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس، وقيل: إنّ النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكاناً شرقيًا، الروح: جبريل؛ لأنّ الدين يحيا به وبوحيه، أو سماه الله روحه: على المجاز؛ محبة له وتقريباً، كما تقول لحبيبك: أنت روحي، وقرأ أبو حيوة: «روحنا»: بالفتح؛ لأنه سبب لما في رَوح العباد، وإصابة الرَّوح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ **[الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩]** أو؛ لأنه من المقرّبين، وهم: الموعودون بالروح، أي: مقرّبنا وذا روحنا.

﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾

أرادت إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به، فإني عائذة به منك؛ كقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٦].

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾

أي: إنما أنا رسول من استعذت به، ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾: لأكون سبباً في هبة الغلام بالنفخ في الدرع[1]، وفي بعض المصاحف: إنما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك، أو هي حكاية لقول الله تعالى.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾

جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال؛ لأنه كناية عنه؛ كقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣]، والزنا ليس كذلك؛ إنما يقال فيه: فَجَرَ بها وخبث بها وما أشبه ذلك، وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب، والبغيّ: الفاجرة التي تبغي الرجال، وهي فعول عند المبرد «بغوي»، فأدغمت الواو في الياء، وقال ابن جني في كتاب التمام: هي فعيل، ولو كانت فعولاً لقيل: «بغوّ»، كما قيل: فلان نهوّ عن المنكر، ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً﴾: تعليل معلله محذوف، أي: ولنجلعه آية للناس فعلنا ذلك، أو هو معطوف على تعليل مضمر، أي: لنبين به قدرتنا ولنجعله آية؛ ونحوه: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية: ٢٢]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ﴾ [يوسف: ٥٦]، ﴿مَّقْضِيًّا﴾: مقدّراً مسطوراً في اللوح لا بدّ لك من جريه عليك، أو كان أمراً حقيقاً بأن يكون ويقضى؛ لكونه آية ورحمة، والمراد بالآية: العبرة والبرهان على قدرة الله، وبالرحمة: الشرائع والألطاف، وما كان سبباً في قوّة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح، فهو جدير بالتكوين.

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾

عن ابن عباس: فاطمأنت إلى قوله، فدنا منها، فنفخ في جيب درعها، فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت، وقيل: كانت مدّة الحمل ستة أشهر، وعن عطاء وأبي العالية والضحاك: سبعة أشهر، وقيل: ثمانية، ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: حملته في ساعة، وصوّر في ساعة، ووضعته في ساعة، حين زالت

---

(١) قوله «في الدرع» في الصحاح «درع المرأة قميصها». (ع)

الشمس من يومها، وعن ابن عباس: كانت مدة الحمل ساعة واحدة، كما حملته نبذته، وقيل: حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة، وقيل: بنت عشر، وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل، وقالوا: ما من مولود إلا يستهلّ غيره[1]، ﴿فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ﴾ أي: اعتزلت وهو في بطنها؛ كقوله [من الوافر]:

. . . . تَـدُوسُ بِـنَـا الْـجَـمَـاجِـمَ وَالـتَّـرِيـبَـا[2]

أي: تدوس الجماجم ونحن على ظهورها؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، أي: تنبت ودهنها فيها: الجار والمجرور في موضع الحال، ﴿قَصِيًّا﴾: بعيداً من أهلها وراء الجبل، وقيل: أقصى الدار، وقيل: كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف، فلما قيل: حملت من الزنا، خاف عليها قتل الملك، فهرب بها، فلما كان ببعض الطريق حدّثته نفسه بأن يقتلها، فأتاه جبريل فقال: إنه من روح القدس فلا تقتلها، فتركها.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾﴾

﴿فَأَجَآءَهَا﴾: أجاء: منقول من جاء، إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى: الإلجاء، ألا تراك تقول: جئت المكان وأجاءنيه زيد، كما تقول: بلغته وأبلغنيه؛ ونظيره: «آتى»؛ حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء، ولم تقل: أتيت المكان وآتانيه فلان، قرأ ابن كثير في رواية: ﴿ٱلۡمَخَاضُ﴾: بالكسر، يقال: مخضت الحامل مخاضاً ومخاضاً، وهو تمخض الولد في بطنها[3].

طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة، وكان الوقت شتاء، والتعريف لا يخلو: إمّا أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق، كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس، فإذا قيل: جذع ٢/٣أ النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل، وإمّا أن يكون تعريف الجنس، أي: جذع هذه الشجرة خاصة، كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو حرسة النفساء الموافقة لها، ولأن النخلة أقل شيء صبراً على البرد، وثمارها إنما هي من جمارها، فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها وألجأها إليها، قرئ: ﴿مت﴾: بالضم والكسر، يقال: مات يموت،

---

(١) قوله «ما من مولود إلا يستهل غيره» في الصحاح «استهل الصبي» أي صاح عند الولادة. (ع)

(٢) تقدم شرح هذا الشاهد عند تفسير آية ٥٠ من سورة البقرة فراجعه إن شئت اهـ.

(٣) قوله «وهو تمخض الولد في بطنها» في الصحاح «تمخض اللبن واستمخض» أي تحرك في الممخضة، وكذلك الولد إذا تحرك في بطن الحامل. (ع)

ومات يمات، النسيّ: ما من حقه أن يطرح وينسى، كخرقة الطامث ونحوها، كالذبح: اسم ما من شأنه أن يذبح في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٧]، وعن يونس: العرب إذا ارتحلوا عن الدار قالوا: انظروا أنساءكم، أي: الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ[(١)]، تمنت لو كانت شيئاً تافهاً لا يؤبه له، من شأنه وحقه أن ينسى في العادة، وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه؛ وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشوّر[(٢)] من الناس على حكم العادة البشرية، لا كراهة لحكم الله، أو لشدّة التكليف عليها إذا بهتوها[(٣)]، وهي عارفة ببراءة الساحة وبضدّ ما قرفت به، من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام؛ لأنه مقام دحض قلما تثبت عليه الأقدام: أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم، ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيباً يعاب به ويعنف بسببه، أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها، وقرأ ابن وثاب والأعمش وحمزة وحفص: (نسياً): بالفتح، قال الفراء: هما لغتان كالوتر والوتر، والجسر والجسر، ويجوز أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل، وقرأ محمد بن كعب القرظي: (نسأ): بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء، ينسؤه أهله لقلته ونزارته، وقرأ الأعمش: (منسيا): بالكسر على الاتباع، كالمغيرة والمنخر.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾

﴿مِن تَحْتِهَآ﴾: هو جبريل ـ عليه السلام ـ قيل: كان يقبل الولد كالمقابلة، وقيل: هو عيسى، وهي قراءة عاصم وأبي عمرو، وقيل: (تحتها): أسفل من مكانها؛ كقوله: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [طه: ٧٦]وقيل: كان أسفل منها تحت الأكمة، فصاح بها: ﴿وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص: (من تحتها)، وفي ناداها ضمير الملك أو عيسى، وعن قتادة: الضمير في تحتها للنخلة، وقرأ زرّ وعلقمة: «فخاطبها من تحتها».

سئل النبي ـ ﷺ ـ عن السري، فقال: «هُوَ الْجَدْوَلُ» (٩١٨) ؛ قال لبيد [من الكامل]:

---

٩١٨ ـ أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (ص ١٤٢)، وابن عدي في «الكامل» (٦/٢٣٩٨) من طريق معاوية بن يحيى الصدفي عن أبي سنان سعيد بن سنان الشيباني عن أبي إسحاق عن البراء بن =

---

(١) قوله «والشظاظ» في الصحاح «الشظاظ» العود الذي يدخل في عروة الجوالق. وفيه «الجوالق» وعاء. (ع)

(٢) قوله «من فرط الحيا، والتشور من الناس» خوف إظهار العورة. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «إذا بهتوها وهي عارفة. . . إلخ» اتهموها بما ليس فيها. وقرفت: اتهمت. (ع)

= عازب مرفوعا.

وقال الطبراني: لم يرفعه عن أبي إسحاق إلا أبو سنان.
وأعله ابن عدي بمعاوية بن يحيى الصدفي، ونقل تضعيفه عن النسائي، وابن المديني، وابن معين.
وقد خالف شعبة أبا سنان في هذا الحديث فرواه عن أبي إسحاق عن البراء موقوفاً.
أخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٣)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وعلقه البخاري في صحيحه (٧/ ١٤٧) فقال: وقال وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء موقوفاً.
وأخرجه ابن مردويه والطبري من طريق إسرائيل به موقوفاً.
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٦ ـ ٧) من طريق الثوري عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب موقوفاً.
وللحديث شاهد من حديث ابن عمر.
أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٣٤٦) رقم (١٣٣٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٤٦)؛ كلاهما من طريق يحيى بن عبد الله البابلي ثنا أيوب بن نهيك عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ: إن السري الذي قال الله عز وجل ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾: نهر أخرجه الله لتشرب منه.
وقال أبو نعيم: غريب من حديث عكرمة لم يروه عنه إلا أيوب بن نهيك ولا عنه فيما أعلم إلا يحيى اهـ وقال الزيلعي في تخريج «الكشاف» (٢/ ٣٢٢): وهو حديث غريب وأيوب بن نهيك هذا هو الحلبي. قال أبو حاتم: ضعيف، وقال أبو زرعة: منكر الحديث اهـ والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٨)، وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه يحيى بن عبد الله البابلي وهو ضعيف.
قال الحافظ: أخرجه الطبراني في الصغير، وابن عدي من رواية أبي سنان سعيد بن سنان عن أبي إسحاق عن البراء عن النبي ـ ﷺ ـ في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾، قال: السري النهر.
قال الطبراني: لم يرفعه عن أبي إسحاق إلا أبو سنان رواه عنه معاوية بن يحيى وهو ضعيف، وأخرجه عبد الرزاق عن الثوري عن أبي إسحاق عن البراء. موقوفاً، وكذا ذكره البخاري تعليقاً عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق. ورواه ابن مردويه من طريق آدم عن إسرائيل كذلك. وأخرجه الحاكم من وجه آخر عن أبي إسحاق موقوفاً، وفي الباب عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «إن السري الذي قال الله تعالى لمريم: نهر أخرجه الله لتشرب منه، أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية في ترجمة عكرمة عن ابن عمر. ورواية عن أيوب بن نهيك. ضعفه أبو حاتم وأبو زرعة. انتهى.

---

(١) فمضى وقدمها وكانت عادة ... منه إذا هي عردت أقدامها
فتوسطا عرض السري فصدعا ... مسجورة متجاوراً قلامها
للبيد من معلقته، يصف حماراً وحشياً بأنه مضى خلف أتانة نحو الماء وقدمها أمامه. وأقدامها: اسم كان، وألحقه التاء لاكتساب الأقدام التأنيث من الضمير المضاف إليه. وقيل: لأنه بمعنى =

وقيل: هو من السرو[1]، والمراد: عيسى، وعن الحسن: كان والله عبداً سريًا.

فإن قلت: ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب؟

قلت: لم تقع التسلية بهما من حيث أنهما طعام وشراب؛ ولكن من حيث أنهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة، وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل، وأن لها أموراً إلهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا، حتى يتبين لهم أنّ ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها.

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾

﴿تُسَٰقِطۡ﴾: فيه تسع قراءات: تساقط: بإدغام التاء، وتتساقط: بإظهار التاءين، وتساقط: بطرح الثانية، ويساقط: بالياء وإدغام التاء، وتساقط، وتسقط، ويسقط، وتسقط، ويسقط: التاء للنخلة، والياء للجذع، ورطباً: تمييز، أو مفعول على حسب القراءة، وعن المبرد: جواز انتصابه بهزيّ وليس بذاك، والباء في: (بجذع النخلة): صلة للتأكيد؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، أو: على معنى: افعلي الهزّ به؛ كقوله[من الطويل]: يَجْرَحْ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي[2]

قالوا: التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت، وكذلك التحنيك، وقالوا: كان من العجوة، وقيل: ما للنفساء خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل، وقيل: إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب، عن طلحة بن سليمان: (جِنيا): بكسر الجيم للإتباع، أي: جمعنا لك في السريّ والرطب فائدتين، إحداهما: الأكل والشرب، والثانية: سلوة الصدر؛ لكونهما معجزتين، وهو معنى قوله ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ أي: وطيبي

= التقدمة التي هي مصدر قدمها المضاعف كالتقديم. وعادة خبر كان و«إذا هي عردت» بالتضعيف أي: تأخرت وجبنت، «فتوسطا» أي: الحمار والأتان، «عرض السرى» أي: ناحية النهر الصغير وجانبه، «فصدعا» أي: شقّا عيناً مسجورة مملوءة، وكان المقام للإضمار، فأظهر ليتأتى الوصف. أو للتجربة، أو العين من النهر، وليست هي هو وهذا أوجه. والقلام ـ كرمان ـ: القاقلي، وقيل مطلق النبات، وتجاوزه: كناية عن كثرته.

ينظر البيت في ديوانه ص ٣٠٧، ولسان العرب (سجر)، (عرض)، (صدع)، (قلم)، وتهذيب اللغة ٩/ ١٨١، وجمهرة اللغة ص ٧٤٧، ٩٧٤، وتاج العروس (عرض)، (صدع)، وكتاب العين ١/ ٢٧٦، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٧٥، ومجمل اللغة ٣/ ٤٧٠، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٤٥٧.

(١) قوله «وقيل هو من «السرو» في الصحاح «السرو» سخاء في مروءة. (ع)

(٢) تقدم شرح هذا الشاهد.

نفساً ولا تغتمي وارفضي عنك ما أحزنك وأهمك، وقرئ: (وقرّي) بالكسر لغة نجد، (فإمّا ترئن): بالهمز: ابن الرومي، عن أبي عمرو: وهذا من لغة من يقول: لبأت بالحج، وحلأت السويق[1]، وذلك لتآخ بين الهمز وحرف اللين في الإبدال، ﴿صَوْمًا﴾: صمتاً، وفي مصحف عبد الله: «صمتاً»، وعن أنس بن مالك مثله، وقيل: «صياماً»، إلا أنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم، وقد نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن صوم الصمت(٩١٩)؛ لأنه نسخ في أمته، أمرها الله بأن تنذر الصوم؛ لئلا تشرع مع البشر المنهمين ٢/ ٣ب لها في الكلام لمعنيين:

أحدهما: أن عيسى ـ صلوات الله عليه ـ يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها.

والثاني: كراهة مجادلة السفهاء ومثاقلتهم، وفيه أن السكوت عن السفيه واجب، ومن أذل الناس: سفيه لم يجد مسافها، قيل: أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة، وقيل: سوغ لها ذلك بالنطق، ﴿إِنسِيًّا﴾ أي: أكلم الملائكة دون الإنس.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾

الفريّ: البديع، وهو من فرى الجلد، ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾: كان أخاها من أبيها من أمثل بني إسرائيل، وقيل: هو أخو موسى ـ صلوات الله عليهما ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ: «إِنَّمَا عَنُوا هَارُونَ النَّبِيَّ» (٩٢٠)، وكانت من أعقابه في طبقة الإخوة، بينها وبينه ألف سنة وأكثر،

---

٩١٩ ـ ورد من حديث علي بن أبي طالب مرفوعاً بلفظ «لا يتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلى ليل».
وقد تقدم تخريجه في سورة النساء.
ويراجع شواهده هناك.
قال الحافظ: لم أره هكذا، وأخرج عبد الرزاق من حديث جابر بلفظ: «لا صمت يوم إلى الليل»، وفيه حزام بن عثمان وهو ضعيف، ولأبي داود من حديث علي مثله. وقد تقدم في تفسير النساء. انتهى.

٩٢٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٣٢٣): غريب وذكره الثعلبي هكذا من غير سند.
قال الحافظ: لم أجده هكذا إلا عند الثعلبي بغير سند، ورواه الطبري عن السدي. وقوله ليس بصحيح؛ فإن عند مسلم والنسائي والترمذي عن المغيرة بن شعبة. قال: «بعثني النبي ـ ﷺ ـ إلى نجران، فقالوا لي: أرأيتم شيئا يقرأونه: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾، وبين موسى وعيسى ما شاء الله من السنين، فلم أدر ما أجيبهم فقال لي النبي ـ ﷺ ـ: «هلا أخبرتهم أنهم كان يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين من قبلهم، وروى الطبري من طريق ابن سيرين، «نبئت أن كعباً قال: إن قوله تعالى: =

---

(١) قوله «يقول لبأت بالحج وحلأت السويق» والكثير: لبيت بالحج، وحليت السويق، أي: جعلته حلوا. (ع)

وعن السدي: كانت من أولاده؛ وإنما قيل: يا أخت هَارون، كما يقال: يا أخا همدان، أي: يا واحداً منهم، وقيل: رجل صالح أو طالح في زمانها، شبهوها به، أي: كنت عندنا مثله في الصلاح، أو شتموها به، ولم ترد إخوة النسب، ذكر أن هارون الصالح تبع جنازته أربعون ألفاً، كلهم يسمى هارون؛ تبركاً به وباسمه، فقالوا: كنا نشبهك بهارون هذا، وقرأ عمر بن لجاء التيمي: (ما كان أباك امرؤ سوء)، وقيل: احتمل يوسف النجار مريم وابنها إلى غار، فلبثوا فيه أربعين يوماً حتى تعلت من نفاسها[1]، ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق، فقال: يا أماه، أبشري؛ فإني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك، وقيل: هموا برجمها حتى تكلم عيسى ـ عليه السلام ـ فتركوها.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي: هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه، وقيل: كان المستنطق لعيسى زكريا ـ عليه السلام ـ وعن السدي: لما أشارت إليه، غضبوا وقالوا: لسخريتها بنا أشدّ علينا من زناها، وروي أنه كان يرضع، فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه، واتكأ على يساره وأشار بسبابته، وقيل: كلمهم بذلك، ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصبيان، و﴿كَانَ﴾: لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده، وهو ههنا لقريبه خاصة، والدال عليه مبنى الكلام، وأنه مسوق للتعجب، ووجه آخر: أن يكون (نكلم): حكاية حال ماضية، أي: كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبياً في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

أنطقه الله أوّلاً بأنه عبد الله ردًّا لقول النصارى، و«الكتاب»: هو الإنجيل، واختلفوا في نبوّته، فقيل: أعطيها في طفوليته: أكمل الله عقله، واستنبأه طفلاً نظراً في ظاهر الآية،

= ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ ليس بهارون أخي موسى، فقالت له عائشة: «كذبت. فقال لها: يا أم المؤمنين إن كان النبي ـ ﷺ ـ قال: فهو أعلم، وإلا فأنا أجد بينهما ستمائة سنة». انتهى.

---

(١) قوله «حتى تعلت من نفاسها» في الصحاح «تعلى» أي علا في مهلة. وتعلت المرأة من نفاسها: أي سلمت، وتعلى الرجل من علته. (ع)

وقيل: معناه: إن ذلك سبق في قضائه، أو جعل الاتي لا محالة كأنه قد وجد، ﴿مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾: عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «نَفَاعاً حَيْثُ كُنْتَ» (٩٢١)، وقيل: معلماً للخير، وقرئ: ﴿وَبَرًّا﴾: عن أبي نهيك، جعل ذاته براً لفرط بره، أو نصبه بفعل في معنى أوصاني، وهو كلفني؛ لأن أوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد، ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ قيل: أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله؛ كقولك: جاءنا رجل، فكان من فعل الرجل كذا، والمعنى: ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إليّ، والصحيح: أن يكون هذا التعريف تعريضاً باللعنة على متهمي مريم ـ عليها السلام ـ وأعدائها من اليهود، وتحقيقه أن اللام للجنس، فإذا قال: وجنس السلام عليّ خاصة فقد عرض بأن ضدّه عليكم؛ ونظيره قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه:٤٧] يعني: أنّ العذاب على من كذب وتولى، وكان المقام مقام مناكرة وعناد، فهو مئنة لنحو هذا من التعريض.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

قرأ عاصم وابن عامر: (قول الحق) بالنصب، وعن ابن مسعود: قال الحق، وقال الله، وعن الحسن: «قُول الحق» بضم القاف، وكذلك في الأنعام: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣] والقول والقال والقول بمعنى واحد، كالرهب والرهب والرهب، وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر، أو بدل، أو خبر مبتدأ محذوف، وأما انتصابه فعلى المدح إن فسر بكلمة الله، وعلى أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة إن أريد قول الثبات والصدق؛ كقوله: هو عبد الله حقًّا، والحق لا الباطل؛ وإنما قيل لعيسى: «كلمة الله»، و: «قول الحق»؛ لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها، وهي قوله: (كن) من غير واسطة أب؛ تسمية للمسبب باسم السبب، كما سمى العشب بالسماء، والشحم بالندا، ويحتمل إذا أريد بقول الحق: عيسى، أن يكون الحق اسم الله ـ عزّ وجل ـ، وأن يكون بمعنى: الثبات والصدق؛ ويعضده قوله: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: أمره حق يقين وهم فيه شاكون، ﴿يَمْتَرُونَ﴾: يشكون، والمرية: الشك، أو يتمارون ٢/ ٤أ: يتلاحون[1]، قالت اليهود: ساحر كذاب،

---

٩٢١ ـ أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٥) من طريق شعيب بن محمد الكوفي ثنا هشيم بن بشير عن يونس عن الحسن عن أبي هريرة به.
وقال أبو نعيم: غريب من حديث يونس تفرد به هشيم وعنه شعيب.
وأخرجه أيضاً ابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٢٤)، قال الحافظ: أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة يونس بن عبيد عن الحسن عن أبي هريرة بهذا وأتم منه. وقال تفرد به هشيم عن يونس، وعنه شعيب بن محمد الكوفي، ورواه ابن مردويه من هذا الوجه. انتهى.

---

(١) قوله «يتلاحون» التلاحي بمعنى التنازع كما في الصحاح. وعبارة النسفي: أو يختلفون، من المراء، =

وقالت النصارى: ابن الله وثالث ثلاثة، وقرأ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «تمترون». على الخطاب، وعن أبيّ بن كعب: «قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون».

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾

كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه، وأنه مما لا يتأتى ولا يتصور في العقول وليس بمقدور عليه؛ إذ من المحال غير المستقيم أن تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد، ثم بين إحالة ذلك بأن من إذا أراد شيئاً من الأجناس كلها أوجده بكن، كان منزهاً من شبه الحيوان الوالد، والقول ههنا مجاز، ومعناه: أنّ إرادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف، فشبه ذلك بأمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور الممتثل.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قرأ المدنيون وأبو عمرو بفتح أن، ومعناه: ولأنه ربي وربكم فاعبدوه؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [**الجن**: ١٨]، والأستار وأبو عبيد بالكسر على الابتداء، وفي حرف أبيّ: «إن الله»: بالكسر بغير واو، و«بأن الله»، أي: بسبب ذلك[1] فاعبدوه.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿الْأَحْزَابُ﴾: اليهود والنصارى: عن الكلبي، وقيل: النصارى، لتحزبهم ثلاث فرق: نسطورية، ويعقوبية، وملكانية، وعن الحسن: الذين تحزبوا على الأنبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس، ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة، أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف، أو من وقت الشهود، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم، وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الأعمال، أو من مكان الشهادة أو وقتها، وقيل: هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

= فقالت اليهود... إلخ. (ع)

(١) قوله: «وبأن الله أي بسبب ذلك» لعله: أي بأن الله. ويمكن أنه عطف على أن الله، ويكون في حرف أبي القراءتان. (ع)

لا يوصف الله تعالى بالتعجب، وإنما المراد أن أسماعهم وأبصارهم يومئذٍ جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صمًّا وعميًا في الدنيا، وقيل: معناه: التهديد بما سيسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم، أوقع الظاهر، أعني: الظالمين موقع الضمير، إشعاراً بأن لا ظلم أشد من ظلمهم؛ حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم، والمراد بالضلال المبين: إغفال النظر والاستماع، ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار، وعن النبي ﷺ أنه سئل عنه، أي: عن قضاء الأمر، فقال: «حِينَ يُذْبَحُ الكَبْشُ وَالفَرِيقَانِ يَنْظُرَانِ» (٩٢٢)، وإذ: بدل من يوم الحسرة، أو منصوب بالحسرة، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: متعلق بقوله: «في ضلال مبين»: عن الحسن،

---

٩٢٢ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٢٥): غريب بهذا اللفظ.
وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا .اهـ
وقد ورد حديث آخر في معناه عن عدد من الصحابة، وهم أبو سعيد الخدري وابن عمر وأبو هريرة وأنس.
حديث أبي سعيد:
أخرجه البخاري (٩/ ٣٥٤) كتاب التفسير: باب: (وأنذرهم يوم الحسرة) حديث (٤٧٣٠)، ومسلم (٤/ ٢١٨٨ ـ ٢١٨٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون حديث (٤٠، ٤١/ ٢٨٤٩)، والترمذي (٥/ ٣١٥ ـ ٣١٦) كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة مريم حديث (٣١٥٦)، والنسائي في «تفسيره» (١٣٣٣)، وأحمد (٣/ ٩)، وأبو يعلى (٢/ ٣٦٤) رقم (١١٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣٥٠) رقم (٣٨٧)؛ كلهم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ «يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار. . .» الحديث.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٩)، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.
حديث ابن عمر:
أخرجه البخاري (١١/ ٤٢٣) كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار حديث (٦٥٤٨)، ومسلم (٤/ ٢١٨٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها حديث (٤٣/ ٢٨٥٠)، وأحمد (٢/ ١١٨).
حديث أبي هريرة:
أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٤٧) كتاب الزهد باب صفة النار حديث (٤٣٢٧)، وأحمد (٢/ ٢٦١)، وابن حبان (٢٦١٤ ـ موارد)، والحاكم (١/ ٨٣)؛ كلهم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.
قلت: محمد بن عمرو لم يحتج به مسلم، بل روى له متابعه، وقال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وقد أخرج البخاري بعضه من هذا الوجه اهـ. والحديث ذكره المنذري في «الترغيب» (٤/ ٥٦٤)، وقال: رواه ابن ماجه بإسناد جيد. =

وأنذرهم: اعتراض، أو هو متعلق بأنذرهم، أي: وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين، يحتمل أنه يميتهم ويخرب ديارهم، وأنه يفني أجسادهم ويفني الأرض ويذهب بها.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)﴾

الصدّيق: من أبنية المبالغة، ونظيره: الضحيك والنطيق، والمراد: فرط صدقه وكثرة ما صدّق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله، وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل، أي: كان مصدقاً بجميع الأنبياء وكتبهم، وكان نبيًّا في نفسه؛ كقوله تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧)﴾ **[الصافات: ٣٧]** أو: كان بليغاً في الصدق؛ لأن ملاك أمر النبوة الصدق، ومصدق الله بآياته ومعجزاته حريّ أن يكون كذلك، وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين المبدل منه وبدله، أعني: إبراهيم، و﴿إِذْ قَالَ﴾: نحو قولك: رأيت زيداً، ونعم الرجل أخوك، ويجوز أن يتعلق إذ بـ«كأن» أو بـ«صديقاً نبيًّا»، أي: كان جامعاً لخصائص الصديقين والأنبياء، حين خاطب أباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم؛ كقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾ **[الشعراء: ٦٩]**، وإلا فالله ـ عزّ وجل ـ هو ذاكره ومورده في تنزيله، التاء في ﴿يَا أَبَتِ﴾: عوض من ياء الإضافة،

= وللحديث إسناد آخر.
أخرجه النسائي في «التفسير» (٣٣٧) من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٩)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.
حديث أنس بن مالك:
أخرجه أبو يعلى (٥/ ٢٧٨) رقم (٢٨٩٨)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٨)، وقال: رواه أبو يعلى، والطبراني في الأوسط بنحوه والبزار، ورجالهم رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة.
قال الحافظ: لم أجده هكذا. وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح» الحديث، وفيه: وكلهم قد رآه فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر﴾ الآية، وأخرجاه عن ابن عمر نحوه دون قراءة الآية. وفي الباب عن أبي هريرة عند ابن حبان والحاكم والنسائي. وأخرجه البخاري دون ذكر الذبح. وأخرجه أبو يعلى والبزار من حديث أنس. وفي آخره: «فيأمن هؤلاء، وينقطع رجاء هؤلاء». انتهى.

ولا يقال: يا أبتي؛ لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه، وقيل: يا أبتا؛ لكون الألف بدلاً من الياء، وشبه ذلك سيبويه بأينق، وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة، انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورّطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي ٢/ ٤ب عصا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة: كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق[1]، مع استعمال المجاملة، واللطف، والرفق، واللين، والأدب الجميل، والخلق الحسن؛ منتصحاً في ذلك بنصيحة ربه ـ عز وعلا ـ. حدّث أبو هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَوْحَى اللَّهُ إِلىٰ إِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: إِنَّكَ خَلِيلِي، حَسِّنْ خُلُقَكَ وَلَوْ مَعَ الكُفَّارِ، تَدْخُلْ مَدَاخِلَ الأَبْرَارِ ـ فَإِنَّ كَلِمتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ: أُظِلُّهُ تَحتَ عَرْشِي، وأُسْكِنُهُ حَظِيرَةَ القُدْسِ، وأُدْنِيهِ مِنْ جِوَارِي» ٩٢٣ح، وذلك أنه طلب منه أولاً العلة في خطئة طلب منبه على تماديه، موقظ لإفراطه وتناهيه؛ لأن المعبود لو كان حيًّا مميزاً، سميعاً بصيراً، مقتدراً على الثواب والعقاب، نافعاً ضارًّا، إلا أنه بعض الخلق: لاستخفّ عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية، ولسجل عليه بالغيّ المبين والظلم العظيم، وإن كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٨٠] وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم، فلا تحق إلا لمن

---

٩٢٣ ـ أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٤٣٢)، والطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٦١) رقم (٦٥٠٢) من طريق مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي عن أبي أمية بن يعلى عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة به.
وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن سعيد المقبري إلا أبو أمية بن يعلى تفرد به مؤمل بن عبد الرحمن ولا يروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ إلا بهذا الإسناد اهـ.
وأعله ابن عدي بمؤمل بن عبد الرحمن، وقال: عامة حديثه غير محفوظ.
وضعفه أيضاً الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»، فقال: وفيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي عن أبي أمية بن يعلى الثقفي وهما ضعيفان.
وله طريق آخر عند الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٢٦) للزيلعي، من طريق عمر بن أبي عمر عن أبي هريرة مرفوعاً.
وقال الزيلعي: وهذا معضل.
قال الحافظ: أخرجه الطبراني في الأوسط، وابن عدي، والحكيم والترمذي في «النوادر» من حديث أبي هريرة، وفيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي عن أبي أمية بن يعلى الثقفي وهما ضعيفان. انتهى.

---

(١) قوله «في أحسن اتساق وساقه أرشق» في الصحاح: «الاتساق» الانتظام، وفيه أيضاً «رجل رشيق» أي: حسن القد لطيفه. (ع)

له غاية الإنعام: وهو الخالق الرازق، المحيي المميت، المثيب المعاقب، الذي منه أصول النعم وفروعها، فإذا وجهت إلى غيره ـ وتعالى علوًّا كبيراً أن تكون هذه الصفة لغيره ـ لم يكن إلا ظلماً وعتوًّا وغيًّا وكفراً وجحوداً، وخروجاً عن الصحيح النير إلى الفاسد المظلم، فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور؟ فلا يسمع ـ يا عابده ـ ذكرك له وثناءك عليه، ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له، فضلاً أن يغني عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه، أو تسنح لك حاجة فيكفيكها، ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقاً به متلطفاً، فلم يسم أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك؛ وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف، وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك، فاتبعني أُنجك من أن تضل وتتيه، ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه: بأن الشيطان ـ الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده، وهو عدوّك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك وخزي ونكال وعدوّ أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم ـ هو الذي ورّطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك، فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان، إلا أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لإمعانه في الإخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره، ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لآدم وذرّيته، كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه، ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره[1] ما هو فيه من التبعة والوبال، ولم يخل ذلك من حسن الأدب؛ حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به، ولكنه قال: «أخاف أن يمسك عذاب»، فذكر الخوف والمس ونكر العذاب، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب؛ وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه، وسماه الله تعالى: المشهود له[2] بالفوز العظيم؛ حيث قال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]؛ فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله، أكبر من العذاب نفسه وأعظم، وصدّر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾؛ توسلاً إليه واستعطافاً، فـ(ما) في: ﴿مَا لَا يَسْمَعُ﴾، و﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾: يجوز أن تكون موصولة وموصوفة، والمفعول في: (لا يسمع ولا يبصر): منسي غير منوي؛ كقولك: ليس به استماع ولا إبصار، ﴿شَيْـًٔا﴾: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون في موضع المصدر، أي: شيئاً من الغناء، ويجوز أن يقدر نحوه

---

(١) قوله: «وبما يجره» لعله وما يجره، فيكون عطفاً على سوء العاقبة. (ع)

(٢) قوله: «وسماه الله تعالى المشهود له» لعله «مشهود له بأن رضوانه أكبر من الثواب» فليحرر. (ع)

مع الفعلين السابقين.

والثاني: أن يكون مفعولاً به من قولهم: أغن عني وجهك، ﴿إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾: فيه تجدد العلم عنده.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾

لما أطلعه على سماجة صورة أمره، وهدم مذهبه بالحجج القاطعة، وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات، أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد، فناداه باسمه، ولم يقابل (يا أبت): بيا بنيّ، وقدّم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾؛ لأنه كان أهمّ عنده وهو عنده أعنى، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد، وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله ﷺ عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه، ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾: لأرمينك بلساني، يريد: الشتم والذمّ، ومنه (الرجيم): المرميّ باللعن، أو لأقتلنك، من رجم الزاني، أو: لأطردنك رمياً بالحجارة، وأصل الرجم: الرمي بالرجام[1]، ﴿مَلِيًّا﴾: زماناً طويلاً من الملاوة، أو: مليًّا بالذهاب عني، والهجران قبل أن أثخنك بالضرب، حتى لا تقدر أن تبرح، يقال: فلان مليّ بكذا،: إذا كان مطيقاً له مضطلعاً به.

فإن قلت: علام عطف (واهجرني) ٢/ ٥أ؟

قلت: على معطوف عليه محذوف يدل عليه: (لأرجمنك) أي: فاحذرني واهجرني؛ لأن (لأرجمنك): تهديد وتقريع.

﴿قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾

﴿قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ﴾: سلام توديع ومتاركة؛ كقوله تعالى: ﴿لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه، ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له؛ ألا ترى أنه وعده الاستغفار.

فإن قلت: كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده[2] ذلك؟

---

(١) قوله «وأصل الرجم الرمي بالرجام» أي الحجارة الضخام؛ كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: لم استغفر لأبيه وهو كافر. . . الخ» قال أحمد: وهذه لمظ من الاعتزال، مستطيرة من شرور شر قاعدة التحسين والتقبيح. والحق أن العقل لا مدخل له في أن يحكم بحكم الله تعالى قبل ورود الشرع به، ثم لم يوف الزمخشري بها؛ فإنه جعل العقل يسوغ =

قلت: قالوا: أراد اشتراط التوبة عن الكفر، كما ترد الأوامر والنواحي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الإيمان، وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة، ويراد اشتراط الوضوء والنصاب، وقالوا: إنما استغفر له بقوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الشعراء: ٨٦]؛ لأنه وعده أن يؤمن؛ واستشهدوا عليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، ولقائل أن يقول: إنّ الذي منع من الاستغفار للكافر إنما هو السمع، فأمّا القضية العقلية فلا تأباه، فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع، بناء على قضية العقل؛ والذي يدل على صحته قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤]، فلو كان شرطاً للإيمان لم يكن مستنكراً ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة، وأمّا: ﴿عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ فالواعد هو إبراهيم لا آزر، أي: ما قال: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾ إلا عن قوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ وتشهد له قراءة حماد الراوية: وعدها أباه، والله أعلم، ﴿حَفِيًّا﴾ الحفيّ: البليغ في البر والإلطاف، حفى به وتحفى به، ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾: أراد بالاعتزال المهاجرة إلى الشام، المراد بالدعاء: العبادة؛ لأنه منها ومن وسائطها، ومنه قوله ﷺ «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ» (٩٢٤)؛ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٩]، ويجوز أن يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء، عرّض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]، مع التواضع لله بكلمة (عسى)، وما فيه من هضم النفس.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا

---

٩٢٤ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٤، ٣٧٥) كتاب تفسير القرآن: باب «ومن سورة المؤمن» رقم (٣٢٤٧)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٨) كتاب الدعاء: باب «فضل الدعاء» رقم (٣٨٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٦٧ ـ ٢٧١ ـ ٢٧٦ ـ ٢٧٧)، والطيالسي (١/ ٢٥٣) كتاب الأذكار والدعوات: باب «ما جاء في فضل الدعاء وآدابه» رقم (١٢٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩١) كتاب الدعاء، وابن حبان (٨/ ١٣٢) باب «ما جاء في فضل الدعاء» رقم (٢٣٩٦).
قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد رواه شعبة وجرير عن منصور عن ذر.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قال الحافظ: أخرجه أبو داود وبقية أصحاب السنن وابن حبان والحاكم من حديث النعمان بن بشير. وأخرجه أحمد وإسحاق وابن أبي شعبة وأبو يعلى والبزار والطبراني وابن أبي حاتم والطبري من حديثه، وأخرجه ابن مردويه من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ. انتهى.

= الاستغفار، وجعل الشرع مانعاً منه، ولا يتصور هذا على قاعدتهم المهدمة، كما لا يتصور ورود الشرع بما يخالف العقل في الإلهيات، نعم قد يحكم الشرع بما لا يظهر العقل عندهم خلافه، وأما ما يظهر العقل خلافه فلا.

﴿ لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾

ما خسر على الله أحد ترك الكفار الفسقة لوجهه، فعوّضه أولاداً مؤمنين أنبياء، ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾: هي النبوّة عن الحسن، وعن الكلبي: المال والولد، وتكون عامّة في كل خير ديني ودنيوي أوتوه، لسان الصدق: الثناء الحسن، وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية؛ قال [من البسيط]:

إنّـي أتـتـنـي لِـسَـانٌ لاَ أُسَـرُّ بِـهَـا . . . . (1)

يريد الرسالة، ولسان العرب: لغتهم وكلامهم، استجاب الله دعوته: (واجعل لي لسان صدق في الآخرين)، فصيره قدوة حتى ادّعاه أهل الأديان كلهم، وقال عز وجل: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ **[الحج: ٧٨]**، و﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ **[النحل: ١٢٣]**، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ **[النحل: ١٢٣]**، وأعطى ذلك ذرّيته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم، كما أعلى ذكره وأثنى عليه.

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾

المخلص ـ بالكسر ـ: الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء، أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله، وبالفتح: الذي أخلصه الله، الرسول: الذي معه كتاب من الأنبياء، والنبيّ: الذي ينبئ عن الله ـ عز وجل ـ وإن لم يكن معه كتاب، كيوشع.

﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾

الأيمن من اليمين، أي: من ناحيته اليمنى، أو من اليمن صفة للطور، أو للجانب، شبهه بمن قرّبه بعض العظماء للمناجاة؛ حيث كلمه بغير واسطة ملك، وعن أبي العالية:

---

(1) إنـي أتـتـنـي لـسـان لا أسـر بـه ... مـن عـلـو لا كـذب فـيـه ولا سـخـر
فـجـاشـت الـنـفـس لـمـا جـاء فـلـهـم ... وراكـب جـاء مـن تـثـلـيـث مـعـتـمـر
للأعشى الباهلي، لما جاء الناعي بقتل المنتشر أخيه، عبر باللسان عن الكلام مجازاً؛ لأنه آلته. وأنث الفعل لتأويل الفاعل بالكلمة أو الرسالة، وذكر فيما بعد نظراً للظاهر، من علو بالبناء على الفتح، أي: من أعلى نجد. والسخر: مصدر سخر كتعب. وجاشت القدر: غلت وارتفع ما فيها. والتجوز بالجيشان عن حرارة القلب مشهور والفل: الفئة. وتثليث: اسم موضع ممنوع من الصرف. وراكب: عطف على «فلهم»، و«معتمر» نعته، وجاء الثاني بدل.
ينظر إصلاح المنطق ص ٢٦، والأصمعيات ص ٨٨، وأمالي المرتضى ٢/ ٢٠، وجمهرة اللغة ص ٩٥٠، ١٣٠٩، وخزانة الأدب ٦/ ٥١١، وسمط اللآلي ص ٧٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٩٠، ولسان العرب (سخر)، (لسن)، والمؤتلف والمختلف ص ١٤، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١/ ١٩١، ٤/ ١٥٦، ولسان العرب (علا).

قرّبه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾

﴿مِن رَّحْمَتِنَا﴾: من أجل رحمتنا له، وترأفنا عليه: وهبنا له هارون، أو بعض رحمتنا، كما في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ [مريم: ٥٣]. و﴿أَخَاهُ﴾: على هذا الوجه بدل، و﴿هَٰرُونَ﴾: عطف بيان[1]: كقولك: رأيت رجلاً أخاك زيداً، وكان هارون أكبر من موسى، فوقعت الهبة على معاضدته ومؤازرته كذا عن ابن عباس، رضي الله عنه.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

ذكر إسماعيل ـ عليه السلام ـ بصدق الوعد وإن كان ذلك موجوداً في غيره من الأنبياء؛ تشريفاً له وإكراماً، كالتلقيب بنحو: الحليم، والأوّاه، والصدّيق؛ ولأنه المشهور المتواصف من خصاله، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أنه وعد صاحباً له أن ينتظره في مكان، فانتظره سنة، وناهيك أنه وعد في نفسه الصبر على الذبح فوفى؛ حيث قال: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّٰبِرِينَ﴾ [الكهف: ٩٩]، كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم، ؛ ولأنهم أولى من سائر الناس، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]؛ ألا ترى أنهم أحق بالتصدّق عليهم، فالإحسان الديني أولى، وقيل: ﴿أَهْلَهُۥ﴾: أمته كلهم من القرابة وغيرهم؛ لأنّ أمم النبيين في عداد أهاليهم، وفيه أنّ من حق الصالح ألاّ يألو نصحاً للأجانب فضلاً عن الأقارب ٢/ ٥ب والمتصلين به، وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في شيء من ذلك.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

قيل: سمي إدريس؛ لكثرة دراسته كتاب الله ـ عزّ وجل ـ وكان اسمه أخنوخ، وهو غير صحيح؛ لأنه لو كان أفعيلاً من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية، فكان منصرفاً، فامتناعه من الصرف دليل العجمة؛ وكذلك إبليس أعجمي، وليس من الإبلاس كما يزعمون، ولا يعقوب من العقب، ولا إسرائيل بإسرال كما زعم ابن السكيت، ومن

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: الظاهر أن «أخاه» مفعول «وهبنا» ولا ترادف «من» بعضاً، فتبدل «أخاه» منها. انتهى. الدر المصون.

لم يحقق ولم يتدرّب بالصناعة، كثرت منه أمثال هذه الهنات، ويجوز أن يكون معنى ﴿إِدْرِيسَ﴾: في تلك اللغة قريباً من ذلك، فحسبه الراوي مشتقاً من الدرس، المكان العلي: شرف النبوّة والزلفى عند الله، وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب، وأوّل من خاط الثياب ولبسها، وكانوا يلبسون الجلود، وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ يرفعه إنه رفع إلى السماء الرابعة (٩٢٥)، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهماـ: إلى السماء السادسة (٩٢٦)، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة، وعن النابغة الجعدي: أنه لما أنشد عند رسول الله ﷺ الشعر الذي آخره [من الطويل]:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاؤُنَا ... وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذٰلِكَ مَظْهَرَا[(١)]

---

٩٢٥ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣١٦) كتاب التفسير: باب ومن سورة مريم حديث (٣١٥٧) من طريق شيبان عن قتادة عن أنس.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة وهمام، وغير واحد عن قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة عن النبي ـ ﷺ ـ حديث المعراج بطوله، وهذا عندنا مختصر من ذاك.

والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٩٤)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه.

تنبيه: وقع في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٢٨)، و«الدر المنثور» أن الترمذي صحح هذا الحديث، وفي نسختنا وقع تحسينه فقط.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي من رواية شيبان عن قتادة عن أنس بهذا. وقال: هو عندي مختصر من حديث الإسراء الذي رواه سعيد، وهمام عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة. انتهى.

٩٢٦ ـ ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٩٤)، وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه، وأخرجه الطبري في «تفسيره» من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

وينظر تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٣٢٨).

قال الحافظ: أخرجه الطبري وابن مردويه من رواية عطية عنه. انتهى.

---

(١) ولا خير في حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا
بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

للنابغة الجعدي، أنشده أمام رسول الله ﷺ فقال: إلى أين يا أبا ليلى؟ قال: إلى الجنة بك يا رسول الله، فقال: لا يفضض الله فاك. فعمر فوق مائتي عام، وكان إذا سقطت له سن نبت بدلها. والحلم: الأناة والعقل. والبادرة: الكلمة تصدر حال الغضب. وشبه الحلم بالماء على طريق المكنية. والصفاء والتكدير: تخييل، والمراد بالجهل: عجلة الإقدام على عظائم الأمور. والإيراد جعل الشيء وارداً. والاصدار: جعله صادراً. والمراد تسبب في وجوده وإعظامه وفي تحقيره وإعدامه. ويحتمل أنه شبه الأمر المعضل بحيوان يورده صاحبه إلى الماء تارة ويرجعه أخرى، على طريق المكنية، والإيراد والإصدار. تخييل. ويجوز أن فاعل أورد ضمير الجهل، وفاعل أصدر ضمير الحليم، أي: إذا تسبب الجهل والشجاعة في أمر خطأ أرجعه الحليم وأبطله، فلا بد من =

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إِلَىٰ أَيْنَ يَا أَبَا لَيْلَى!» قال: إلى الجنة (٩٢٧).

---

٩٢٧ ـ أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٥١)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ٣٤٤)، وفي «أخبار أصبهان» (١/ ٧٤) من طريق يعلى بن الأشدق عن النابغة فذكره.

ومن هذا الوجه ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٦/ ٣١١ ـ بتحقيقنا)، وعزاه للبزار والحسن بن سفيان في مسنديهما، وأبي نعيم في أخبار أصبهان والشيرازي في الألقاب، كلهم من طريق يعلى بن الأشدق وقال: وهو ساقط الحديث.

وقال الحافظ في الإصابة (٦/ ٣١١ ـ ٣١٢).

قال أبو نُعَيم: رواه عن يعلى جماعةٌ منهم هاشم بن القاسم الحرَّاني، وأبو بكر الباهليّ، وعروة العِرقيّ، لكنّه تُوبع؛ فقد وقعت لنا قصةٌ في غريب الحديث للخطابيّ؛ وفي كتاب العلم للمرهبيّ وغيرهما، من طريق مهاجر بن سليم، عن عبد الله بن جراد: سمعت نابغة بني جعدة يقول: أنشدت النبيّ ﷺ قولي: عَلَونا السماء... البيت؛ فغضب وقال: «أَيْنَ المَظْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَى»؟ قلت: الجنة. قال: «أَجَلْ إن شَاءَ الله». ثم قال: أَنْشِدني من قولك. فأنشدته البيتين: ولا خَيْر في حلم، فقال لي: «أَجَدْتَ، لا يَفْضُض الله فَاكَ». فرأيتُ أسنانه كالبرد المنهل، ما انفصمت له سنٌّ ولا انفلتت.

ورويناه في المؤتلف والمختلف لِلّدارقُطْنِيّ، وفي الصحابة لابن السكن، وفي غيرهما من طريق الرَّحال ابن المنذر: حدثني أبي، عن أبيه كرز بن أسامة، وكانت له وفادة مع النابغة الجعديّ، فذكرها بنحوه، ورويناها في الأربعين البلدانية للسلفي، من طريق أبي عمرو بن العلاء، عن نصر بن عاصم الليثيّ، عن أبيه: سمعتُ النابغة يقول: أتيتُ رسول الله ﷺ فأنشدته قولي: أتيت رسول الله... البيت، وبعده: بلغنا السماء... البيت؛ فقال: «إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا لَيْلَى»؟ قال: إلى الجنة. فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ شَاءَ الله»... فلما أنشدته ولا خَيْرَ في جهل... البيت: ولا خير في حلم... البيت ـ فقال لي: «صَدَقْتَ لاَ يَفْضُض الله فَاكَ» فبقي عمره أحسن الناس ثغراً كلما سقطت سنٌّ عادت أخرى؛ وكان معمَّراً.

ورويناه في مسند الحارث بن أبي أسامة، من طريق الحسن بن عبيد الله العنبريّ، قال: حدّثني مَنْ سمع النابغة الجعدي يقول: أتيتُ رسولَ الله ﷺ فأنشدته [من الطويل]:

وَإِنَّـا لَـقَـومٌ مَـا نُـعَـوِّدُ خَـيْـلَـنَـا ... إِذَا مَـا الـتَـقَـيْـنَـا أَنْ تَـحِـيـدَ وَتَـنْـفِـرَا

وَنُـنْـكِـرُ يَـوْمَ الـرَّوْعِ أَلْـوَانَ خَـيْـلِـنَـا ... مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى نَحْسَبَ الجَوْنَ أَشْقَرَا

وَلَـيْـسَ بِـمَـعْـرُوفٍ لَـنَـا أَنْ نَـرُدَّهَـا ... صِـحَـاحـاً وَلاَ مُـسْـتَـنْـكَـرًا أَنْ تُـعَـقَّـرَا =

= اجتماع الحلم والجراءة معاً حتى يكمل الرجل. ومجدنا وسناؤنا بالرفع بدلاً من فاعل بلغنا. وقيل: هما مفعولان فهما بالنصب. وانظر ما وجهه، ولعله أنهما ظرفان اعتباريان، أي: بلغنا السماء في المجد والسناء. أو بدلان من السماء، بأن شبههما بها، ثم أطلقها عليهما وأبدلهما منها، وهو أوجه من الظرفية. ولو قيل على النصب: أنهما تمييزان. كان وجيها، لكنه على رأي الكوفيين القائلين بجوازه معرفة، ولما ادعى بلوغ السماء بنى عليه ما يبني على المحسوس فقال: وإنا لنرجو مظهرا فوق ذلك.

ينظر: خزانة الأدب (٣/ ١٦٩)، (٧/ ٤١٩)، وشرح التصريح (٢/ ١٦١)، ولسان العرب (٤/ ٥٢٣ ـ ٥٢٩)، والمقاصد النحوية (٤/ ١٩٣)، وأوضح المسالك (٣/ ٤٠٦)، وشرح الأشموني (٢/ ٤٣٩).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ۩ (٥٨)﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى المذكورين في السورة من لدن زكريا إلى إدريس ـ عليه السلام ـ و«من» في ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر سورة الفتح: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ لأن جميع الأنبياء منعم عليهم، ومن الثانية للتبعيض، وكان إدريس من ذرية آدم لقربه منه؛ لأنه جد أبي نوح، وإبراهيم ـ عليه السلام ـ: من ذرية من حمل مع نوح؛ لأنه من ذرية سام بن نوح، وإسماعيل: من ذرية إبراهيم، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى: من ذرية إسرائيل؛ وكذلك عيسى؛ لأنّ مريم من ذرّيته، ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا﴾: يحتمل العطف على من الأولى والثانية، إن جعلت الذين خبراً لأولئك كان ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ﴾: كلاماً مستأنفاً، وإن جعلته صفة له كان خبراً، قرأ شبل بن عباد المكي: «يتلى»: بالتذكير؛ لأن التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل، البكي: جمع باك، كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد، وعن رسول الله ﷺ: «اُتْلُوا القُرْآنَ وَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا» (٩٢٨)، وعن صالح المري ـ رضي الله عنه ـ: قرأت القرآن

= بَـلَـغْـنَـا الـسَّـمَـاءَ.......... .... البيت.

وبقية القصيدة نحوه.

ورويناها مسلسلة بالشعراء مِنْ رواية دعبل بن علي الشّاعر، عن أبي نواس، عن والبة بن الحباب، عن الفرزدق، عن الطرماح، عن النّابغة؛ وهي في كتاب الشّعراء لأبي زُرعة الرّازي المتأخر.

قال الحافظ: أخرجه البزار، وأبو نعيم، والبيهقي في الدلائل لها من طريق يعلى بن الأشرف عنه، وله طريق أخرى عند البيهقي وذكر القصيدة. انتهى.

٩٢٨ ـ أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٢٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب في حسن الصوت بالقرآن حديث (١٣٣٧)، وأبو يعلى (٢/ ٤٩ ـ ٥٠) رقم (٦٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣١)، كلهم من طريق الوليد بن مسلم ثنا أبو رافع عن ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن السائب عن سعد بن أبي وقاص به.

قال البوصيري في الزوائد: في إسناده أبو رافع اسمه إسماعيل بن رافع ضعيف متروك. وللحديث طريق آخر.

أخرجه إسحاق بن راهويه والبزار كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) من طريق عبد الرحمن بن أبي بكر عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن السائب عن سعد قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «اقرءوا القرآن وابكوا؛ فإن لم تبكوا فتباكوا». وقال البزار: لا نعلمه عن سعد إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وعبد الرحمن بن أبي بكر هذا لين الحديث.

قال الحافظ: أخرجه إسحاق والبزار من طريق عبد الرحمن بن أبي مليكة عن ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن السائب عن سعيد بلفظ: «إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ـ الحديث» ومن هذا الوجه أخرجه أبو يعلى والحارث. والبيهقي في الشعب، وإسماعيل أيضاً لين. انتهى.

على رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: «هٰذِهِ القِرَاءَةُ يَا صَالِحُ، فَأَيْنَ البُكَاءُ؟»، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إذا قرأتم سجدة سبحان، فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه، وعن رسول الله ﷺ «إِنَّ القُرْآنَ أُنزِلَ بِحُزْنٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَتَحَازَنُوا» (٩٢٩)، وقالوا: يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها؛ فإن قرأ آية تنزيل السجدة، قال: اللهم: اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك، وأعوذ بك من أن أكون من المستكبرين عن أمرك، وإن قرأ سجدة سبحان، قال: اللهم، اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك، وإن قرأ هذه، قال: اللهم، اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين، الساجدين لك، الباكين عند تلاوة آياتك.

﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾

خلفه: إذا عقبه، ثم قيل في عقب الخير: «خلف»: بالفتح، وفي عقب السوء: خلف: بالسكون، كما قالوا: «وعد» في ضمان الخير، و«وعيد»: في ضمان الشر، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: هم اليهود؛ تركوا الصلاة المفروضة، وشربوا الخمر، واستحلوا نكاح الأخت من الأب، وعن إبراهيم ومجاهد ـ رضي الله عنهما ـ: أضاعوها

---

٩٢٩ ـ أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٩٦) من طريق إسماعيل بن سيف ثنا عوين بن عمرو أخو رباح القيسي ثنا الجريري عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا القرآن بحزن فإنه نزل بالحزن».
واستغربه أبو نعيم.
وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٤٢٧) رقم (٢٩٢٣) من طريق إسماعيل بن سيف به وقال: لم يرو هذا الحديث عن سعيد إلا عوين تفرد به إسماعيل.
والحديث ذكره الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٧٣)، وقال: رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن سيف وهو ضعيف.
تنبيه: عزا هذا الحديث الحافظ الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٣٠) إلى أبي يعلى ولم أجده في مسند أبي يعلى المطبوع، ثم وجدت الحافظ ابن حجر ذكر هذا الحديث في «المطالب العالية» (٣٤٩٨)، وعزاه لأبي يعلى أيضاً فلعل الحديث في مسنده الكبير.
وللحديث شاهد من حديث ابن عباس.
أخرجه ابن مردويه في «تفسيره» كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٣٠) حدثنا عبد الباقي بن قانع ثنا محمد بن يونس ثنا أبو زيد سعيد بن أوس ثنا قيس بن الربيع عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القرآن نزل بحزن فاقرءوه بحزن».
ومحمد بن يونس هو الكديمي ضعيف.
قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه من حديث ابن عباس بلفظ: «فاقرءوه بحزن» وإسناده ضعيف. ورواه أبو يعلى والعقيلي. وأبو نعيم في ترجمة رباح بن عمرو، والعبسي من حديث أبي بريدة عن أبيه بلفظ: «اقرءوا القرآن بحزن فإنه نزل بحزن». انتهى.

بالتأخير، وينصر الأول قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ يعني: الكفار، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ في قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: من بنى الشديد، وركب المنظور، ولبس المشهور، وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ: هو في هذه الأمة، وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك ـ رضي الله عنهم ـ: الصلوات: بالجمع.

كل شر عند العرب: غيّ، وكل خير: رشاد؛ قال المرقش [من الطويل]:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً تَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ ... وَمَنْ يَغْوَ لاَ يَعْدَمْ عَلَى الْغَيِّ لاَئِمَا[1]

وعن الزجاج: جزاء غيّ؛ كقوله تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] أي: مجازاة أثام، أو غيًا عن طريق الجنة، وقيل: «غيّ»: واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها، وقرأ الأخفش: (يلقون).

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾

قرئ: «يدخلون»، و«يدخلون»، أي: لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه، بل يضاعف لهم؛ بياناً لأن تقدّم الكفر لا يضرهم إذا تابوا من ذلك، من قولك: ما ظلمك أن تفعل كذا، بمعنى: ما منعك، أو لا يظلمون ألبتة، أي؛ شيئاً من الظلم.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾

لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها؛ كقولك: أبصرت دارك القاعة والعلالي، و«عدن»: معرفة علم، بمعنى: العدن، وهو الإقامة، كما جعلوا: فينة،

---

(١) أمن حلم أصبحت تنكت واجمًا؟ ... وقد تعتري الأحلام من كان نائما
فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

للمرقش الأصغر صاحب فاطمة بنت المنذر، والأكبر عم الأصغر وعم طرفة، وهو صاحب أسماء، والاستفهام للتوبيخ، والحلم ـ بضمتين ـ: ما يراه النائم. والنكت: التخطيط والنقر في الأرض بأصبع، أو عود، كما يفعل المهموم المتفكر. والواجم: الحزين، والواو للحال، أي: والحال أن أضغاث الأحلام قد تعتري النائم، فكان مجردة عن المعنى، فمن يلق: أي يصادف خيراً في أفعاله، يحمد الناس فعله، أو شأنه. وإيقاع الحمد عليه لأنه سببه، ومن يفعل غيا لا يعدم لائماً يلومه على غيه. وقيل: أراد بالخير الغنى، وبالغي: الفقر، ويبعده مقام اللوم وعدم مناسبته لما قبله، وغوى يغوي: من باب ضرب: انهمك في الجهل، وعدم يعدم ـ من باب علم ـ: فقده.
للمرقش الأصغر في ديوانه ص ٥٦٥، ولسان العرب (غوى)، وشرح اختيارات المفضل ص ١١٠٤، وتاج العروس (غوي)، وبلا نسبة في كتاب العين ٢/ ٢٣٨، ومقاييس اللغة ٤/ ١٩٢، ٣٩٩، والمخصّص ٦/ ١٧٠، ١٣/ ٧٦.

وسحر، وأمس ـ فيمن لم يصرفه ـ: أعلاماً لمعاني ٢/٦٦أ: الفينة[1]، والسحر، والأمس، فجرى مجرى العدن لذلك، أو هو علم لأرض الجنة؛ لكونها مكان إقامة، ولولا ذلك لما ساغ الإبدال؛ لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة، ولما ساغ وصفها بالتي، وقرئ: «جنات عدن»، و«جنة عدن»: بالرفع على الابتداء، أي: وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة، أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها، أو بتصديق الغيب والإيمان به، قيل في ﴿مَأْتِيًّا﴾: مفعول، بمعنى: فاعل، والوجه أنّ الوعد هو الجنة وهم يأتونها، أو هو من قولك: أتى إليه إحساناً، أي: كان وعده مفعولاً منجزاً.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾

اللغو: فضول الكلام وما لا طائل تحته، وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه؛ حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها، وما أحسن قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥]، نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا، أي: إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغواً، فلا يسمعون لغواً إلا ذلك، فهو من وادي قوله [من الطويل]:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ[2]

أو لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة، على الاستثناء المنقطع[3]؛ أو لأن معنى: السلام هو: الدعاء بالسلامة[4]، ودار السلام: هي دار السلامة، وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء، فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث،

---

(١) قوله «لمعاني الفينة» في الصحاح «لقيته الفينة بعد الفينة» أي الحين بعد الحين. وإن شئت حذفت الألف واللام فقلت: لقيته فينة، كما قالوا: لقيته الندري، وفي ندري. (ع).

(٢) تقدم شرح هذا الشاهد عند تفسير آية ١٢٧ من سورة الأعراف من الجزء الثاني فراجعه إن شئت اهـ.

(٣) قال محمود: «يجوز أن يكون من قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

وأن يكون استثناء منقطعاً» قال أحمد: والفرق بين الوجهين أنه جعل الفلول عيباً على سبيل التجوز، بتاً لنفي العيب بالكلية، كأنه يقول: إن كان فلول السيوف من القراع عيباً فإنهم ذوو عيب، معناه: وإن لم يكن عيباً فليس فيهم عيب ألبتة؛ لأنه لا شيء سوى هذا، فهو بعد هذا التجوز والفرض استثناء متصل.

(٤) عاد كلامه. قال: «ويجوز أن يكون متصلاً على أن يكون السلام هو الدعاء بالسلامة. . . إلخ» قال أحمد: وهذا يجعله من المتصل على أصل الحقيقة، لا كالأول الناشئ عن المجاز. وفي هذا الباب بعد؛ لأنه يقتضي البت بأن الجنة يسمع فيها لغو وفضول، وحاش لله، فلا غول فيها ولا لغو.

لولا ما فيه من فائدة الإكرام.

من الناس من يأكل الوجبة[1]، ومنهم من يأكل متى وجد ـ وهي عادة المنهومين، ومنهم من يتغدى ويتعشى ـ وهي العادة الوسطى المحمودة، ولا يكون ثم ليل ولا نهار، ولكن على التقدير؛ ولأن المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء، وقيل: أراد دوام الرزق ودروره، كما تقول: أنا عند فلان صباحاً ومساء وبكرة وعشيًّا، يريد: الديمومة، ولا تقصد الوقتين المعلومين.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾

﴿نُورِثُ﴾، وقرئ: «نورّث»، استعارة، أي: نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورّث، ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة، فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورّث الوارث المال من المتوفى، وقيل: أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾: حكاية قول جبريل ـ صلوات الله عليه ـ حين استبطأه رسول الله ﷺ روي أنه احتبس أربعين يوماً، وقيل: خمسة عشر يوماً؛ وذلك حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه، فشق ذلك عليه مشقة شديدة، وقال المشركون: ودّعه ربه وقلاه، فلما نزل جبريل ـ عليه السلام ـ قال له النبي ﷺ: «أَبْطَأْتَ حَتَّىٰ سَاءَ ظَنِّي وَٱشْتَقْتُ إِلَيْكَ». قال: إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور، إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست، وأنزل الله ـ سبحانه ـ هذه الآية وسورة الضحى (٩٣٠)، والتنزل على معنيين: معنى النزول على مهل، ومعنى النزول على

---

٩٣٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف: رواه ابن إسحاق في سيرته بنقص يسير .اهـ.
وأخرجه ابن هشام في سيرته (١/٣٧٨: ٣٨١) رقم (٢٨٦ ـ ٢٨٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة»: (٢/٢٦٩ ـ ٢٧١) بسنده عن ابن إسحاق، وقال: «حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، ومن طريق ابن إسحاق، رواه أبو نعيم في دلائل النبوة، كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/٣٣١)، ورواه أيضاً من طريق الكلبي: عن أبي صالح، عن ابن عباس فذكر نحوه، =

---

(١) قوله «من الناس من يأكل الوجبة» أي يأكل كل يوم وليلة مرة. وقد وجب نفسه ترجيباً إذا عودها ذلك؛ كذا في الصحاح. (ع)

الإطلاق؛ كقوله [من الطويل]:

فَلَسْتَ لإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ[1]

= وفيه قال: «فأبطأ جبريل عن النبي ـ ﷺ ـ خمسة عشر يوماً لا يأتيه لتركه الاستثناء... الحديث.

كما أخرجه الواحدي في تفسيره (٣/ ١٨٩)، وعزاه الزيلعي إلى الثعلبي في تفسيره، وإلى الواحدي في أسباب النزول.

قال الحافظ: ذكره الثعلبي عن عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي. فقالوا: احتبس، فذكره سواء، وكأنه ملفق عندهم، فقد ذكره ابن إسحاق في السيرة، قال: حدثني شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس «أن قريشاً جاءوا فقالوا: يا محمد. أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ـ فذكر القصة ـ وفيها فمكث فيما يذكرون خمسة عشر ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك، وصار لا يأتيه جبريل. فذكره بتغير وزيادة ونقص. ورواه أبو نعيم في الدلائل من طريقه، ومن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نحوه، وقال أبطأ عنه خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء. انتهى.

---

(١) تعاليت أن تعزى إلى الإنس جلة ولـلإنس من يعزوك فهو كذوب
فلست بإنسي ولكن ملأكا تنزل من جو السماء يصوب

لرجل من عبد القيس، يمدح النعمان بن المنذر. وقيل: لأبي وجزة يمدح عبد الله بن الزبير. وتعزى: أي تنسب، والجلة ـ بالضم ـ: وعاء التمر، وبالكسر: الجماعة العظيمة، جمع جليل، وبالفتح: البعرة، وهو تمييز محول من نائب عن الفاعل، أي: تعاليت عن أن ينسب وعاؤك أي: أصلك إلى الإنس. وقوله: وللإنس من يعزوك، فيه تقديم معمول الصلة على الموصول. والمشهور منعه؛ لأنهم يتوسعون في الظروف، وزيدت الفاء في خبر الموصول لأنه يشبه الشرط، ولو جعل شرطاً لكان فيه إثبات حرف العلة بعد الجازم للضرورة. والملأك معفل، بتقديم العين من الألوكة بالفتح وهي الرسالة، وقال أبو عبيدة: هو مفعل على اسم المكان، من لأك إذا أرسل، ولعله جاء على مفعل لتصوير أن الرسول مكان الرسالة. وقال ابن كيسان: هو فعأل من الملك، فالهمزة زائدة، وعلى كل يخفف بالنقل فيقال فيه تلك. والصوب: القصد أو الميل عند النزول، ونصب ملأكا لأنه اسم لكن، وما بعده صفته، أي: ولكن ملأكا نازلاً من السماء أنت. وفيه: أن المحدث عنه الممدوح لا الملك، ويمكن أنه قلب للمبالغة كما قالوه في التشبيه المقلوب. ويحتمل أن تقديره: ولكنك كنت ملأكا، وفيه بعد. والأوجه رواية الصحاح:

فلست لإنسي ولكن لملأك

أي: فلست منسوباً لإنسي ولكن لملك، وبالغ في ذلك حتى جعله نازلاً من جهة السماء، يصوب: أي يقصد إلى جهة.

في صلة ديوانه ص ١١٨، ولمتمم بن نويرة في ديوانه ص ٨٧، وشرح أشعار الهذليين ١/ ٢٢٢، ولرجل من عبد القيس، أو لأبي وجزة، أو لعلقمة في المقاصد النحوية ٤/ ٥٣٢، ولرجل من عبد القيس يقال: إنه النعمان، أو لأبي وجزة في لسان العرب (ملك)، وبلا نسبة في الأزهية ص ٢٥٢، والأشباه والنظائر ٨/ ٦٩، والاشتقاق ص ٢٦، وإصلاح المنطق ص ٧١، وأمالي ابن الحاجب ص ٨٤٣، وجمهرة اللغة ص ٩٨٢، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٣٤٦، وشرح شواهد الشافية ص ٢٨٧، والكتاب ٤/ ٣٨٠، ولسان العرب (صوب)، (ألك) (لأك)، (ملك)، والمنصف ٢/ ١٠٢.

لأنه مطاوع نزل، ونزل يكون بمعنى: أنزل، وبمعنى: التدريج، واللائق بهذا الموضع هو: النزول على مهل، والمراد: أن نزولنا في الأحايين وَقْتًا غِبٌّ وقت ليس إلا بأمر الله، وعلى ما يراه صواباً وحكمة، وله ما قدامنا، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: من الجهات والأماكن، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان إلا بأمر المليك: ومشيئته، وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون، وما يحدث ويتجدد من الأحوال، لا يجوز عليه الغفلة والنسيان، فأنى لنا أن نتقلب في ملوكته إلا إذا رأى ذلك مصلحة وحكمة، وأطلق لنا الإذن فيه، وقيل: ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة، وما بين ذلك: ما بين النفختين وهو أربعون سنة، وقيل: ما مضى من أعمارنا وما غبر منها، والحال التي نحن فيها، وقيل: ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا، وقيل: الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا، والسماء التي وراءنا، وما بين السماء والأرض، والمعنى: أنه المحيط بكل شيء، لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة، فكيف نقدم على فعل نحدثه إلا صادراً عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه، وقيل: معنى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: وما كان تاركاً لك؛ كقوله تعالى: ﴿ وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ٣]، أي: ما كان امتناع النزول إلا لامتناع الأمر به، ٢/٦ب وأما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه إياك، ولكن لتوقفه على المصلحة، وقيل: هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة، أي: وما ننزل الجنة إلا بأن من الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها، وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة، اللاطف في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها، ثم قال الله تعالى ـ تقريراً لقولهم ـ: وما كان ربك نسيًّا لأعمال العاملين، غافلاً عما يجب أن يثابوا به، وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء والأرض وما بينهما؟ ثم قال لرسوله ـ ﷺ ـ: فحين عرفته على هذه الصفة، فأقبل على العمل واعبده: يثبك كما أثاب غيرك من المتقين، وقرأ الأعرج ـ رضي الله عنه ـ: «وما يتنزل»: بالياء على الحكاية عن جبريل ـ عليه السلام ـ والضمير: للوحي، وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: إلا بقول ربك: يجب أن يكون الخلاف في النسي مثله في البغي.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: بدل من ربك، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هو رب السموات والأرض، ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾؛ كقوله [من الطويل]:

وَقَائِلَةٍ خَوْلَانُ فَانْكِحْ فَتَاتَهُمْ . . . . (١)

---

(١) وقائلة خولان فانكح فتاتهم   وأكرومة الحيين خلو كما هيا =

وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: من كلام المتقين، وما بعده من كلام رب العزة.

فإن قلت: هلا عدى: ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾: بعلى التي هي صلته؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

قلت: لأن العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب: اصطبر لقرنك: أي اثبت له فيما يورد عليك من شداته أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق، فاثبت لها ولا تهن، ولا يضق صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك الأغاليط، وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك، أي: لم يسم شيء بالله قط، وكانوا يقولون لأصنامهم: آلهة، والعزى: إله، وأما الذي عوض فيه الألف واللام من الهمزة، فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لا يُسَمّىٰ أحد الرحمن غيره (٩٣١)، ووجه آخر: هل تعلم من سمى باسمه على الحق دون

---

٩٣١ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٥) كتاب التفسير وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».
وذكره الواحدي في تفسيره (٣/ ١٨٩)، وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٠٣).

=

= شاعره مجهول. أي: ورب قائلة. وخولان بالفتح اسم قبيلة باليمن، وهو مبتدأ خبره ما بعده، والفاء زائدة فيه على رأي الأخفش والفراء، ومنع سيبويه زيادتها هنا: لأن المبتدأ لم يشبه الشرط، فخبره محذوف، أي: خولان كرام فانكح أي تزوج فتاتهم، أو هو خبر لمحذوف، أي: هؤلاء خولان المعروفون بالكرم، تتزوج بفتاتهم. وبني «أكرومة» من الكرم للدلالة على كثرة الكرم، كما أن أعجوبة من التعجب للدلالة على كثرته، والجملة حالية، فيحتمل أنها مانعة من نكاح الفتاة، أي: قالت لي ذلك، والحال أن أكرومة الحيين أي كريمة حي أبي وحي أمي؛ خلو بالضم: خالية من الأرواح كما كانت، فهي أولى من الفتاة بالزواج لقرابتها مني. ويحتمل أنها داعية إليه، فالمعنى: قالت لي ذلك والحال أن الفتاة التي هي أكرومة الحيين، أي حي أبيها وحي أمها من خولان، على ما هي عليه من البكارة، أو من الخلو من الأزواج لم تتزوج أحداً قبلي، فهي حقيقة بأن أتزوجها لكرم طرفيها، فعلم أن الكاف بمعنى على. ويجوز أن يشبه حالها الآن بحالها فيما مضى. فالكاف على أصلها. ويحتمل أن الواو للعطف، أي: قالت ذلك، وقالت: إنها خالية لم يطمثها أحد قبلك، فهي حقيقة بالزواج لذلك، لكنه بعيد.
ينظر الأزهية ص ٢٤٣، أوضح المسالك ٢/ ١٦٣، الجنى الداني ص ٧١، خزانة الأدب ١/ ٣١٥، ٤٥٥، ٤/ ٣٦٩، ٨/ ١٩، ١١/ ٣٦٧ الدرر ٢/ ٣٦، الرد على النحاة ص١٠٤، رصف المباني ص ٣٨٦، شرح أبيات سيبويه ١/ ٤١٣، شرح الأشموني ١/ ١٨٩، شرح التصريح ١/ ٢٩٩، شرح شواهد الإيضاح ص ٨٦، شرح شواهد المغني ١/ ٤٦٨، ٢/ ٨٧٣، شرح المفصل لابن يعيش ١/ ١٠٠، ٨/ ٩٥، الكتاب ١/ ١٣٩، ١٤٣، لسان العرب (غلا)، المقاصد النحوية ٢/ ٥٢٩، همع الهوامع ١/ ١١٠ العين ٢/ ٥٢٩، الدرر ١/ ٧٩، الدر المصون ٢/ ٥٢٢.

الباطل؛ لأن التسمية على الباطل في كونها غير معتدّ بها كلا تسمية، وقيل: مثلاً وشبيهاً، أي: إذا صح أن لا معبود يوجه إليه العباد العبادة إلا هو وحده، لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾

يحتمل أن يراد بالإنسان الجنس بأسره، وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة.

فإن قلت: لم جازت إرادة الأناسي كلهم، وكلهم غير قائلين ذلك؟

قلت: لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم، صح إسناده إلى جميعهم، كما يقولون: بنو فلان قتلوا فلانا؛ وإنما القاتل رجل منهم؛ قال الفرزدق [من الطويل]:

فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ ... نَبَا بِيَدَيْ وَرْقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدِ[1]

فقد أسند الضرب إلى بني عبس مع قوله: «نبا بيدي ورقاء»، وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي.

فإن قلت: بم انتصب: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾، وانتصابه بأخرج ممتنع لأجل اللام، لا تقول: اليوم لزيد قائم؟

قلت: بفعل مضمر يدل عليه المذكور.

فإن قلت: لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى: الحال، فكيف جامعت حرف الاستقبال[2]؟

= وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان.

---

(١) للفرزدق وهذا لقبه، واسمه همام أو هميم، يريد: ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي. أمره سليمان بن عبد الملك بضرب أعناق بعض أسرى الروم، وأعطاه سيفاً لا يقطع فقال: بل أضربهم بسيف أبي رغوان مجاشع، يعني نفسه، فضرب عنق خالد فانحرف السيف وارتفع عن المضرب، فضحكوا منه. ونسب السيف والضرب إلى بني عبس مع أنهما لواحد منهم، تعظيماً لهما وتفخيماً. وجعله في اليدين إشارة إلى أنه كان مجمعاً أمره وحازماً عزمه غير متهاون... والمعنى: أن الحذر لا ينفع من القدر كما وقع لورقاء، مع أنه في غاية الحرص، لا سيما أمام الملك. ويجوز أنه يريد ذم بني عبس.

(٢) قال محمود: «إن قلت كيف اجتمعت اللام وهي للحال مع حرف الاستقبال... الخ» قال أحمد: =

قلت: لم تجامعها إلا مخلصة للتوكيد، كما أخلصت الهمزة في: يا ألله: للتعويض، واضمحل عنها معنى التعريف[1]، و«ما» في ﴿إِذَا مَا﴾: للتوكيد ـ أيضاً ـ فكأنهم قالوا: أحقاً أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك؟ على وجه الاستنكار والاستبعاد، والمراد: الخروج من الأرض، أو من حال الفناء، أو هو من قولهم: خرج فلان عالماً، وخرج شجاعاً: إذا كان نادراً في ذلك، يريد: سأخرج حيًّا نادراً على سبيل التهزؤ، وقرأ الحسن وأبو حيوة: لسوف أخرج، وعن طلحة بن مصرف ـ رضي الله عنه ـ: لسأخرج؛ كقراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: ولسيعطيك، وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة، ومنه جاء إنكارهم، فهو كقولك: للمسيء إلى المحسن: أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه: الواو عطفت ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ على ﴿وَيَقُولُ﴾، ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف، يعني: أيقول ذاك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر الأخرى[2]؛ فإن تلك أعجب

= ولاعتقاد تناقض الحرفين: منع الكوفيين اجتماعهما. وإنما جردت اللام من معناها لتلائم «سوف» دون أن تجرد سوف لتلائم اللام؛ لأنه لو عكس هذا للغت سوف، إذ لا معنى لها سوى الاستقبال. وأما اللام إذا جردت من الحال بقي لها التوكيد، فلم تلغ، فتعين، والله أعلم.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وما ذكر من أنَّ اللام تعطي الحال مخالف فيه»، فعلى مذهب مَنْ لا يرى ذلك يسقط السؤال، وأما قوله: «كما أخلصت الهمزة» فليس ذلك إلاَّ على مذهب من يزعم أن أصله: إلَه، وأما مَنْ يزعم أَنَّ أصله لاَهِ، فلا تكون الهمزة فيه للتعويض إذ لم يحذف منه شيء، ولو قلنا إنَّ أصله: إلَه وحذفت فاء الكلمة لم يتعين أنَّ الهمزة فيه في النداء للتعويض؛ إذ لو كانت عوضاً عن المحذوف لثبت دائماً في النداء وغيره، ولما جاز حذفها في النداء، قالوا: «يا لَلَّهُ بحذفها وقد نصُّوا على أَنَّ قطع همزة الوصل في النداء شاذ» انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «ذكر الله الإنسان النشأة الأولى ليعترف بالأخرى. . . إلخ» قال أحمد: مذهب أهل السنة أن إعادة المعدوم جائزة عقلاً، ثم واقعة نقلاً. والمعتزلة وإن وافقت على ذلك، إلا أنها تزعم أن المعدوم له ذات ثابتة في العدم، يقضي عليها بأنها شيء فليس عندهم عدم صرف ونفي محض قبل الوجود ولا بعده، فكأنهم لولا ذلك لقالوا بقول الفلاسفة الذين هم مختصرهم، ولأنكروا إعادة المعدوم كما أنكره القدماء. وعقيدة أهل السنة هي المطابقة للآية؛ لأن النشأة الأولى لم يتقدمها وجود، ولأن المنشأ ابتداء لم يكن شيئاً قبل ذلك. وأما النشأة الثانية فقد تقدمها وجود، وكان المنشأ قبلها شيئاً في زمان وجوده، ثم عدم وبطلت شيئيته، فظهر فرق ما بين النشأتين كما نطق به القرآن. وأما المعتزلة فإن قالوا: إن الأجسام يعدمها الله ثم يوجدها، فقد قالوا الحق، لكن لا يتم على أصلهم فرق بين النشأتين؛ لأن المعدوم فيهما كان شيئاً قبل النشأة، فإن قالوا: لا تنعدم الأجسام، وإنما تتفرق ثم تجمع كما صرح به الزمخشري: لأنه تفطن لأن القول بأن الأجسام تنعدم ثم يوجدها الله تعالى مع القول بأن المعدوم شيء ـ يبطل الفرق بين النشأتين ولم يطق ذلك، وقد نطق به القرآن فالتزم أن الأجسام لا تنعدم ليتم له الفرق بين النشأة الثانية ـ وإنما هي على هذا التقرير جمع وتأليف لموجود ـ وبين النشأة الأولى التي هي إيجاد معدوم، فتنبه لبعد غوره، ولكن هرب من القطر فوقع تحت الميزاب، فهو والحالة هذه كالمستغيث من الرمضاء بالنار، والله ولي =

وأغرب وأدل على قدرة الخالق؛ حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود، ثم أوقع التأليف مشحوناً بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها، من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف، ولكن اختراعاً وإبداعاً من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته، وأما الثانية: فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه، وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة الباقية وتركيبها، وردها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾: دليل على هذا المعنى؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ ٢/ ٧أ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، على أن رب العزة سواء عليه النشأتان، لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل، ولا يحتاج إلى احتذاء على مثال: ولا استعانة بحكيم، ولا نظر في مقياس، ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في بحر معاندته، وكشفاً عن صفحة جهله، القراء كلهم على: (لا يذكر): بالتشديد إلا نافعاً وابن عامر وعاصما ـ رضي الله عنهم ـ فقد خففوا، وفي حرف أبيّ: يتذكر، ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾

في إقسام الله ـ تعالى ـ باسمه ـ تقدست أسماؤه ـ مضافاً إلى رسول الله ﷺ: تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه، كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٣] والواو في: ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾: يجوز أن تكون للعطف، وبمعنى: مع، وهي بمعنى: «مع» أوقع، والمعنى: أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم، يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة.

فإن قلت: هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة، فإن أريد الأناسي على العموم[١]

= التوفيق. ومعنى تفريق الله تعالى بين النشأتين: أن الجاحد متهافت لأنه اعترف بالأولى وهي أصعب بالنسبة إلى قياس العقل، وأنكر الثانية وهي أسهل وأهون؛ لأن ذلك راجع إلى قدرته تعالى؛ فإن الكل لدى قدرة الله تعالى هين على سواء.

(١) عاد كلامه. قال: «والإنسان يحتمل أن يراد به العموم... الخ» قال أحمد: التبست عليه إرادة العموم بتناول العموم وبينهما بَوْنٌ، ومن ثم خلت عبارته هذه عن التحرز والصون، فصرح بأن الله تعالى أراد بالإنسان العموم، ومعنى إرادة العموم: أن يريد الله تعالى نسبة كلمة الشك والكفر إلى كل فرد من أفراد الإنسان، ومعاذ الله. وقد صرح الزمخشري بأن الناطق بكلمة الشك بعض الجنس، ففي العبارة خلل كما ترى. والعبارة الصحيحة أن يقال: يحتمل أن يكون التعريف جنسيا، فيكون عهديا، فيكون اللفظ من أول وهلة خاصا، والله أعلم.

فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين؟

قلت: إذا حشر جميع الناس حشراً واحداً وفيهمو الكفرة مقرونين بالشياطين، فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة.

فإن قلت: هلا عزل السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء؟

قلت: لم يفرّق بينهم وبينهم في المحشر، وأحضروا؛ حيث تجاثوا حول جهنم، وأوردوا معهم النار؛ ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم، فيزدادوا لذلك غبطة إلى غبطة وسروراً إلى سرور، ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم، فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم.

فإن قلت: ما معنى: إحضارهم جثيا؟

قلت: أما إذا فسر الإنسان بالخصوص، فالمعنى: أنهم يقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلاً[1] على حالهم التي كانوا عليها في الموقف، جثاة على ركبهم، غير مشاة على أقدامهم؛ وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨]، على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات، من تجاثي أهلها على الركب؛ لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبا وخلاف الطمأنينة، أو لما يدهمهم من شدّة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم، فيحبون على ركبهم حبواً، وإن فسر بالعموم، فالمعنى: أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم، على أن جثيًا: حال مقدرة، كما كانوا في الموقف متجاثين؛ لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب، والمراد بالشيعة ـ وهي: «فعلة» كفرقة وفتية ـ الطائفة التي شاعت[2]، أي: تبعت غاوياً من الغواة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]، يريد: نمتاز من كل طائفة من طوائف الغيّ والفساد أعصاهم فأعصاهم، وأعتاهم فأعتاهم، فإذا اجتمعوا، طرحناهم في النار على الترتيب، نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم، أو أراد بالذين هم أولى به صليًا: المنتزعين كما هم، كأنه قال: ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء، وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين، ودركاتهم أسفل، وعذابهم أشدّ، ويجوز أن يريد بأشدّهم عتيًا: رؤساء الشيع وأئمتهم؛ لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالاً ومضلين، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]، ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]،

---

(١) قوله «عتلا» العتل: الجذب العنيف. أفاده الصحاح. (ع)
(٢) قوله «شاعت» في الصحاح: شاعه شياعا: تبعه. (ع)

واختلف في إعراب: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾، فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية، تقديره: لننزعنّ الذين يقال فيهم أيهم أشد، وسيبويه على أنه مبني على الضم، لسقوط صدر الجملة التي هي صلته، حتى لو جيء به لأعرب، وقيل: أيهم هو أشد، ويجوز أن يكون النزع واقعاً على: ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾؛ كقوله سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ [مريم: ٢٥]، أي: لننزعن بعض كل شيعة، فكأنّ قائلاً قال: من هم؟ فقيل: أيهم أشد عتيًا[١]، وأيهم أشد: بالنصب عن طلحة بن مصرف، وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء.

فإن قلت: بم يتعلق على والباء؛ فإنّ تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه؟

قلت: هما للبيان لا الصلة، أو يتعلقان بأفعل، أي: عتوّهم أشد على الرحمن، وصليهم أولى بالنار؛ كقولهم: هو أشد على خصمه، وهو أولى بكذا.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾: التفات إلى الإنسان، يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة ـ رضي الله عنهما ـ: «وإن منهم»، أو خطاب للناس[٢] من غير التفات إلى المذكور، فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود: دخولهم فيها وهي جامدة، فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: يردونها كأنها إهالة، وروى دواية[٣]، وعن جابر بن عبد الله؛ أنه سأل رسول الله ـ ﷺ ـ عن ذلك؟ فقال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الجَنَّةَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا تكلف ما لا حاجة إليه، وادعاء إضمار غير محتاج إليه، وجعل ما ظاهره أنه جملة واحدة جملتين». وحكى أبو البقاء عن الأخفش، والكسائي أنه مفعول «لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ»، و«مِنْ» مزيدة، قال: «وهما يجيزان زيادة «مِنْ» و«أَيُّ» استفهام»، أي: لننزعن كل شيعة، وهذا يخالف في المعنى تخريج الجمهور، فَإِنَّ تخريجهم يؤدي إلى التبعيض، وهذا يؤدي إلى العموم، إلاَّ أَنْ تجعل «مِنْ» لابتداء الغاية، لا للتبعيض، فيتفق التخريجان. وذهب الكسائي إلى أَنَّ معنى «لَنَنْزِعَنَّ» لننادين فعومل معاملته، فلم يعمل في «أَيُّ». انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «يحتمل أن يكون استئنافاً خطاباً للناس، ويحتمل أن يكون التفاتاً». قال أحمد: احتمال الالتفات مفرع على إرادة العموم من الأول، فيكون المخاطبون أولا هم المخاطبين ثانياً؛ إلا أن الخطاب الأول بلفظ الغيبة، والثاني بلفظ الحضور، وأما إذا بنينا على أن الأول إنما أريد منه خصوص على التقديرين جميعاً، فالثاني ليس التفاتاً، وإنما هو عدول إلى خطاب العامة عن خطاب خاص لقوم معينين، والله أعلم.

(٣) قوله «كأنها إهالة وروي دواية» في الصحاح «الإهالة» الودك. وفيه أيضاً «الدواية» الجليدة التي يوضع فيها اللبن والمرق. (ع)

أَلَيْسَ قَدْ وَعَدَنَا ٢/ ٧ب رَبُّنا أَنْ نَرِدَ النَّارَ؟ فَيُقَالُ لَهُمْ: قَدْ وَرَدْتُمُوهَا وَهِيَ جَامِدَةٌ» (٩٣٢)، وعنه ـ رضي الله عنه ـ أنه سئل عن هذه الآية؟ فقال: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يقول: «الوُرُودُ: الدُّخُولُ، لاَ يَبْقَىٰ بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ إِلاَّ دَخَلَهَا، فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَرْداً وَسَلاَماً؛ كَمَا كَانَتْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، حَتَّىٰ إِنَّ لِلنَّارِ ضَجِيجاً مِنْ بَرْدِهَا» (٩٣٣)، وأما قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، فالمراد: عن عذابها، وعن ابن مسعود والحسن وقتادة: هو الجواز على الصراط؛ لأنّ الصراط ممدود عليها، وعن ابن عباس: قد يرد الشيء الشيء ولا يدخله؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، ووردت القافلة البلد، وإن لم تدخله ولكن قربت منه، وعن مجاهد: ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا، لقوله ـ عليه السلام ـ: «الحُمَّىٰ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ» (٩٣٤)، وفي الحديث: «الحُمَّىٰ

---

٩٣٢ ـ قال الزيلعي (٢/ ٣٣٢) في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٣٣٢): «غريب لم أجده إلا من قول خالد بن معدان».
وعزاه الزيلعي لإسحاق بن راهويه في مسنده ومن طريقه أبو نعيم في الحلية، ولأبي عبيد القاسم بن سلام في غريبه، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن المبارك في الزهد.
وذكره الواحدي في التفسير (٣/ ١٩١ ـ ١٩٢)؛ كلهم من حديثي خالد بن معدان. قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٢٩): «رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى بن يونس، ولم أجد من ذكره، وبقية رجاله ثقات، ورجاله رجال الصحيح» اهـ.
قال الحافظ: روي عن جابر هكذا. قلت المحفوظ عن جابر ما سيأتي بعد. وروى ابن إسحاق وأبو عبيد في الغريب وابن المبارك في الزهد من طريق ومعه خالد بن معدان. قال: «إذا جاز المؤمنون الصراط نادى بعضهم بعضاً: «ألم يعدنا ربنا» ولم يذكره الواحدي والبغوي إلا من هذا الوجه. انتهى.

٩٣٣ ـ أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٨)، والحاكم في المستدرك كتاب الأهوال (٤/ ٥٨٧)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ٢٦٣) في الأصل السادس عشر، والبيهقي في الشعب (١/ ٣٣٦) رقم (٣٧٠).
قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥٨): «رواه أحمد ورجاله ثقات»، وذكره الواحدي في التفسير (٣/ ١٩١)، وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٠٥)، وعزاه أيضا لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث. وعزاه الزيلعي أيضاً للنسائي في الكنى، وأبي يعلى، وابن أبي شيبة في مسنديهما.
قال الحافظ: رواه أحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد. قالوا: حدثنا سليمان بن حرب، وأخرجه أبو يعلى، والنسائي في الكنى، والبيهقي في الشعب في باب النار، والحكيم في النوادر. السادس عشر، كلهم من طريق سليمان. قال: حدثنا أبو صالح غالب بن سليمان عن كثير بن زياد عن أبي سمية قال: «اختلفنا في الورود»، فسألنا جابراً فذكر الحديث أتم منه، وخالفهم كلهم الحاكم فرواه من طريق سليمان بهذا الإسناد فقال: عن سمية الأزدية عن عبد الرحمن بن شيبة بدل أبي سمية عن جابر. انتهى.

٩٣٤ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٣٣٠) كتاب بدء الخلق، باب صفة النار حديث (٣٢٦٣)، ومسلم (٤/ ١٧٣٢) كتاب السلام: باب: لكل داء دواء حديث (٢٢١٠) من حديث عائشة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: =

حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ» (٩٣٥)، ويجوز أن يراد بالورود: جثوّهم حولها، وإن أريد الكفار خاصة، فالمعنى بين.

= «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء».

وورد من حديث ابن عمر وابن عباس.
أما حديث ابن عمر: فأخرجه البخاري (١١/ ٣٢٦) كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم حديث (٥٧٢٣)، ومسلم (٧/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠ ـ نووي) كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي حديث (٢٢٠٩).
وابن ماجه (٢/ ١١٥٠) كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء حديث (٣٤٧٢).
ومالك في الموطأ (٢/ ٩٤٥) في العين، باب الغسل بالماء من الحمى، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٤٣١) رقم (٦٠٦٦ ـ ٦٠٦٧)، وأحمد (٢/ ٢١ ـ ٨٥)، والبيهقي (١/ ٢٢٥). والطبراني (١٢/ ٣٦٠) رقم (٣٣٣٤٢).
وأما حديث ابن عباس: قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم».
رواه البخاري (٦/ ٤٨٠) كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة حديث (٣٢٦١).
وأحمد (١/ ٢٩١)، وابن حبان (١٣/ ٤٣١) رقم (٦٠٦٨)، والحاكم (٤/ ٢٠٠).
وأبو يعلى في مسنده (٥/ ١١٨ ـ ١١٩) رقم (٢٧٣٢)، والطبراني (١٢/ ٢٢٩) رقم (١٢٩٦٧).
قال الحافظ: متفق عليه من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ انتهى.

٩٣٥ ـ روي من حديث أبي هريرة، وأنس، وعائشة، وأبي ريحانة، وأبي أمامة، وعثمان بن عفان، وابن مسعود، وسعد بن معاذ.
أما حديث أبي هريرة: فرواه ابن ماجه (٢/ ١١٤٩) كتاب الطب، باب الحمى حديث (٣٤٧٠)، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد عن إسماعيل بن عبيد الله عن أبي صالح الأشعري عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ أنه عاد مريضاً ومعه أبو هريرة من وعك كان به فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أبشر فإن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا، لتكون حظه من النار في الآخرة».
وهو عند الترمذي (٤/ ٤١٢) كتاب الطب، باب ٣٥(٢٠٨٨) والحاكم (١/ ٣٤٥)، والبيهقي في الشعب (٧/ ١٦١) رقم (٩٨٤٤)، وأبي نعيم في الحلية (٦/ ٨٦).
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» اهـ.
وأما حديث أنس: فرواه الطبراني في الأوسط (٨/ ٢٦٦) (٧٥٣٦) حدثنا محمد بن إبراهيم العسال قال: حدثنا سليمان بن داود الشاذكوني قال: حدثنا عبيس بن ميمون قال: حدثني قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الحمى حظ المؤمن من النار».
ثم قال: لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا عبيس بن ميمون تفرد به الشاذكوني.
وأما حديث عائشة: فأخرجه البزار (١/ ٣٦٤) رقم (٧٦٥ ـ كشف) حدثنا محمد بن موسى الواسطي ثنا عثمان بن مخلد ثنا هشيم عن المغيرة عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «الحمى حظ كل مؤمن من النار».
ثم قال البزار: «لا نعلم أسنده عن هشيم إلاَّ عثمان».
قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠٩): «رواه البزار وإسناده حسن» اهـ. =

الحتم: مصدر حتم الأمر إذا أوجبه، فسمى به الموجب؛ كقولهم: خلق الله، وضرب الأمير، أي: كان ورودهم واجباً على الله، أوجبه على نفسه وقضى به، وعزم على ألاّ

= وأما حديث أبي ريحانة: قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الحمى من فيح جهنم وهي نصيب المؤمن من النار».

أخرجه البيهقي في الشعب (٧/ ١٦١ ـ ١٦٢) رقم (٩٨٤٦)، قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠٩): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه شهر بن حوشب وفيه كلام ووثقه جماعة» اهـ.

وأما حديث أبي أمامة: فرواه أحمد في المسند (٥/ ٢٥٢) حدثنا يزيد هو ابن هارون أنا محمد بن مطرف عن أبي الحصين عن أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «الحمى من كيد جهنم، فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار».

ورواه أيضاً في المسند (٥/ ٢٦٤). والطبراني في الكبير (٨/ ١١٠) رقم (٧٤٦٨). قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠٨): «رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه أبو حصين الفلسطيني، ولم أر له راوياً غير محمد بن مطرف» اهـ.

وأما حديث عثمان: فرواه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٨٧) ترجمة (٨٥٧) عبد الله بن عمران القرشي، قال: حدثناه الحسين بن إسحاق التستري قال: حدثنا علي بن بحر القطان قال: حدثنا فضل بن حماد الواسطي قال: حدثنا عبد الله بن عمران القرشي قال: حدثنا مالك بن دينار عن معبد الجهني عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الحمى حظ كل مؤمن في الدنيا من النار».

وقال: إسناده غير محفوظ والمتن معروف بغير هذا الإسناد وقد روي في هذا أحاديث مختلفة في الألفاظ بأسانيد صالحة» اهـ.

وأما حديث عبد الله بن مسعود: فرواه القضاعي في مسند الشهاب رقم (٦٢)، أخبرنا محمد بن الحسين الموصلي ثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان ثنا صالح بن أحمد الهروي ثنا أحمد بن راشد الهلالي ثنا حمد بن عبد الرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن الحسن بن عمرو عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الحمى حظ كل مؤمن من النار، وحمى ليلة يكفر خطايا سنةٍ مُجَرَّمَةٍ».

وأما حديث سعد بن معاذ: فرواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٢٢) في ترجمة سعد بن معاذ قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال: أخبرنا إسماعيل بن مسلم العبدي قال: أخبرنا أبو المتوكل؛ أن نبي الله ـ ﷺ ـ ذكر الحمى فقال: «من كانت به فهي حظه من النار، فسألها سعد بن معاذ ربه فلزمته، فلم تفارقه حتى فارق الدنيا» اهـ.

قال الحافظ: أخرجه البزار عن عائشة بهذا. وقال: تفرد برفعه عثمان بن مخلد عن هشيم بن مغيرة عن إبراهيم عن الأسود عنها. وقال الدارقطني: عثمان لا بأس به، لكن خولف في رفع هذا الحديث، فرواه ببدل عن هشيم موقوفاً. قلت: وقد روي مرفوعاً من وجه آخر. أخرجه القضاعي في مسند الشهاب من طريق أحمد بن رشد الهلالي عن حميد بن عبد الرحمن الروالي عن الحسن بن صالح عن الحسن بن عمرو عن إبراهيم به. وزاد «وحمى ليلة تكفر خطايا سنة»، في الباب عن أبي هريرة عن ابن ماجه والحاكم، وعن أبي ريحانة عند الطبراني، وعن أبي أمامة عند أحمد. وعن عثمان عند العقيلي، وعن سعد بن معاذ عند ابن سعد في الطبقات، وعن أنس عند الطبراني بالأوسط، وكلها ضعيفة وهي بمعناه لا بلفظه. انتهى.

يكون غيره، قرئ: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُمْ﴾، و«ننجي»، و«ينجي وينجى»: على ما لم يسم فاعله، إن أريد الجنس بأسره فهو ظاهر، وإن أريد الكفرة وحدهم فمعنى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾: أنّ المتقين يساقون إلى الجنة عقيب ورود الكفار، لا أنهم يواردونهم ثم يتخلصون، وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن أبي ليلى: «ثم ننجي»: بفتح الثاء، أي: هناك، وقوله: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾: دليل على أنّ المراد بالورود والجثوّ حواليها، وأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد تجاثيهم، وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: مرتلات الألفاظ، ملخصات المعاني، مبينات المقاصد: إما محكمات أو متشابهات، قد تبعها البيان بالمحكمات، أو بتبيين الرسول قولاً أو فعلاً، أو ظاهرات الإعجاز تحدّى بها فلم يقدر على معارضتها، أو حججاً وبراهين، والوجه أن تكون حالاً مؤكدة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]؛ لأن آيات الله لا تكون إلا واضحة وحججاً ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: يحتمل أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به، وأنهم يفوهون به لأجلهم وفي معناهم، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١]، قرأ ابن كثير: (مُقاما): بالضم، وهو موضع الإقامة والمنزل، والباقون: بالفتح وهو موضع القيام، والمراد: المكان والموضع، والنديّ: المجلس ومجتمع القوم، وحيث ينتدون[1]، والمعنى: أنهم إذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا؛ وذلك مبلغهم من العلم، قالوا: أيّ الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أوفر حظًّا من الدنيا حتى يجعل ذلك عياراً على الفضل والنقص، والرفعة والضعة، ويروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة، ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَكَمْ﴾: مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و﴿مِّن﴾: تبيين لإبهامها، أي: كثيراً من القرون أهلكنا، وكان أهل عصر قرن لمن بعدهم؛ لأنهم يتقدمونهم، و﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾: في محل النصب

---

(١) قوله «حيث ينتدون» في الصحاح «ندوت» أي حضرت الندي. وانتديت: مثله. (ع)

صفة لكم؛ ألا ترى أنك لو تركت: (هم): لم يكن لك بدّ من نصب (أحسن): على الوصفية.

الأثاث: متاع البيت، وقيل: هو ماجد من الفرش، والخرثي: ما ليس منها؛ وأنشد الحسن بن علي الطوسي [من البسيط]:

تَقَادَمَ الْعَهْدُ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ بِنَا دَهْراً وَصَارَ أَثَاثُ الْبَيْتِ خُرْثِيَّا[1]

قرئ على خمسة أوجه ﴿وَرِءْيًا﴾ وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول، من رأيت. و(ريئا)، على القلب؛ كقولهم: راء في رأى، و(ريا)؛ على قلب الهمزة ياء والإدغام، أو من الريّ الذي هو النعمة والترفه، من قولهم: ريان من النعيم، و«ريا»: على حذف الهمزة رأساً، ووجهه أن يخفف المقلوب وهو «ريئا» بحذف همزته وإلقاء حركته على الياء الساكنة قبلها، و(زيا)، واشتقاقه من الزيّ وهو الجمع؛ لأن الزيّ محاسن مجموعة، والمعنى: أحسن من هؤلاء.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾

أي: مدّ له الرحمن، يعني: أمهله وأملى له في العمر، فأخرج على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك، وأنه مفعول لا محالة، كالمأمور به الممتثل، لتقطع معاذير الضال، ويقال له يوم القيامة: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]، أو كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، أو ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ﴾ [مريم: ٧٥]، في معنى: الدعاء، بأن يمهله الله وينفس في مدّة حياته، في هذه الآية وجهان:

أحدهما: أن تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها، والآيتان ١/٨أ اعتراض بينهما، أي قالوا: أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ أي: لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين، ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾: في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً وإظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم، وإما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال، فحينئذٍ يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ما قدروه، وأنهم شر مكاناً وأضعف جنداً، لا خير مقاماً

---

(١) أثاث البيت: أمتعته ولوازمه: والخرثي كالكرسي: العتيق من ذلك، يقول: تقادم وتطاول بنا اللقاء من أم الوليد، أي: تباعد زمنه. فدهرا: تمييز. ويجوز أنه ظرف، أي: تباعد عهد اللقاء من محبوبتي زمناً طويلاً وصار متاع البيت عتيقاً قديماً. وفيه تحسر على عدم اللقاء.

وأحسن نديًا، وأن المؤمنين على خلاف صفتهم.

والثاني: أن تتصل بما يليها، والمعنى: أن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم، والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم، وبأن الألطاف لا تنفع فيهم وليسوا من أهلها، والمراد بالضلالة: ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم إلى القول الذي قالوه، ولا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها.

فإن قلت: حتى هذه ما هي؟

قلت: هي التي تحكي بعدها الجمل؛ ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله: ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: في مقابلة ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾؛ لأن مقامهم هو مكانهم ومسكنهم، والنديّ: المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم، والجند: هم الأنصار والأعوان.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَيَزِيدُ﴾: معطوف على موضع فليمدد؛ لأنه واقع موقع الخبر، تقديره: من كان في الضلالة مدّ أو يمدّ له الرحمن[1]، ويزيد: أي يزيد في ضلال الضال بخذلانه، ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه، ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: أعمال الآخرة كلها، وقيل: الصلوات، وقيل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر، أي هي ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾: من مفاخرات الكفار، ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي: مرجعاً وعاقبة، أو منفعة، من قولهم: ليس لهذا الأمر مردّ:

وَهَلْ يَرُدُّ بُكايَ زَنْدَا[2]

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا يصح أن يكون «وَيَزِيدُ» معطوفاً على «فَلْيَمْدُدْ» سواء كان دعاء أم خبراً بصورة الأمر؛ لأنه في موضع الخبر إنْ كانت «مَنْ» موصولة، أو في موضع الجواب إنْ كانت «مَنْ» شرطية. وعلى كِلاَ التقديرين فالجملة من قوله: «وَيَزِيدُ الله الَّذِينَ اهْتَدُوا هُدًى» عارية من ضمير يعود على من يربط جملة الخبر بالمبتدأ، أو جملة الشرط بالجزاء الذي هو «فَلْيَمْدُدْ»، و«ما» عطف عليه؛ لأنَّ المعطوف على الخبر خبر، والمعطوف على جملة الجزاء جزاء، وإذا كانت أداة الشرط اسماً لا ظرفاً تعين أن يكون في جملة الجزاء ضميره، أو ما يقوم مقامه، وكذا في الجملة المعطوفة عليها». قلت: وقد ذكر أبو البقاء أيضاً كما ذكر الزمخشري. وقد يُجَابُ عَمَّا قَالاَه: بأنا نختار على هذا التقدير أن تكون «مَنْ» شرطية، قوله: «لا بد من ضمير يعود اسم الشرط غير الظرف» ممنوع؛ لأنَّ فيه خلافاً قدمت تحقيقه، وما يستدل؛ عليه في سورة البقرة، فقد يكون الزمخشري وأبو البقاء من القائلين: بأنه لا يشترط. انتهى. الدر المصون.

(٢) تقدم.

فإن قلت: كيف قيل خير ثواباً كأنّ لمفاخراتهم ثواباً، حتى يجعل ثواب الصالحات خيراً منه؟ قلت: كأنه قيل: ثوابهم النار؛ على طريقة قوله [من الطويل]:

فَأعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ(١)

وقوله [من الكامل]:

شَجْعَاءَ جِرَّتُهَا الذَّمِيلُ تَلُوكُهُ أُصُلاً إِذَا رَاحَ الْمَطِيُّ غِرَاثَا(٢)

وقوله [من الوافر]:

. . . . تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ(٣)

ثم بنى عليه خير ثواباً، وفيه ضرب من التهكم الذي هو أغيظ للمتهدد من أن يقال له: عقابك النار.

فإن قلت: فما وجه التفضيل في الخير كأنّ لمفاخرهم شركاً فيه؟

قلت: هذا من وجيز كلامهم، يقولون: الصيف أحرّ من الشتاء، أي: أبلغ من الشتاء في برده.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقاً إلى الإحاطة بها علماً وصحة الخبر عنها، استعملوا «أرأيت» في معنى: «أخبر»، والفاء جاءت لإفادة معناها الذي هو التعقيب، كأنه قال: أخبر ـ أيضاً ـ بقصة هذا الكافر، واذكر حديثه عقيب حديث أولئك، ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ من قولهم: أطلع الجبل: إذا ارتقى إلى أعلاه وطلع(٤) الثنية، قال جرير [من الكامل]:

---

(١) تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الأول فراجعه إن شئت اهـ .

(٢) الشجع: سرعة نقل القوائم. والشجعاء: السريعة السير. والجرة ـ بالكسر ـ: ما يجتره البعير من كرشه يمضغه. والذميل: نوع من السير. واللوك: المضغ. والأصل: جمع أصيل، وهو من العصر للغروب، والرواح: من الظهر إليه. والغراث: الجياع يصف ناقته بسرعة السير، وشبه السير عندها بجرتها، بجامع سرعة الحركة وانطباع الناقة واستلذاذها لكل. وجعلها تبرزه شيئاً فشيئاً كالجرة للمبالغة. وفيه دلالة على خلو بطنها من العلف إذا لاح، أي: إذا كان غيرها لا يجد قوة على السير، فالغرث: استعارة. ويجوز أن المعنى أنها سريعة في السير ولو كانت جائعة كغيرها من المطايا، فالغرث حقيقته.

(٣) تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الأول عند تفسير §ية ١٠ من سورة البقرة فراجعه إن شئت اهـ .

(٤) قوله «وطلع الثنية» في الصحاح «طلع الجبل» بالكسر: علوته. (ع)

ويقولون: مرّ مطلعاً لذلك الأمر، أي: عالياً له مالكاً له، ولاختيار هذه الكلمة شأن، يقول: أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار، والمعنى: أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقين: إما علم الغيب، وإما عهد من عالم الغيب، فبأيهما توصل إلى ذلك؟ قرأ حمزة والكسائي: «ولدا»، وهو جمع ولد، كأسد في أسد، أو بمعنى: الولد كالعرب في العرب، وعن يحيى بن يعمر: «ولدا»: بالكسر، وقيل في العهد: كلمة الشهادة، وعن قتادة: هل له عمل صالح قدّمه فهو يرجو بذلك ما يقول؟ وعن الكلبي: هل عهد الله إليه أنه يؤتيه ذلك؟ عن الحسن ـ رحمه الله ـ: نزلت في الوليد بن المغيرة، والمشهور أنها في العاصي بن وائل، قال خباب بن الأرت: كان لي عليه دين فاقتضيته، فقال: لا والله حتى تكفر بمحمد، قلت: لا والله لا أكفر بمحمد حيًا ولا ميتاً ولا حين تبعث، قال: فإني إذا مت بعثت؟ قلت: نعم، قال: إذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك (٩٣٦)، وقيل: صاغ له خباب حليًا فاقتضاه الأجر، فقال: إنكم تزعمون أنكم تبعثون، وأن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً، فأنا أقضيك ثم؛ فإني أوتى مالاً وولداً حينئذٍ، و﴿كَلَّآ﴾:

---

٩٣٦ ـ أخرجه البخاري (٥/ ٢١٣) كتاب الإجارة، باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب؟ حديث (٢٢٧٥) ومسلم (٩/ ١٥١ ـ نووي) كتاب صفات المنافقين، باب سؤال اليهود النبي ـ ﷺ ـ عن الروح حديث (٢٧٩٥)، والترمذي (٥/ ٣١٨) كتاب تفسير القرآن، باب من سورة مريم حديث (٣١٦٢).
والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٩٥) كتاب التفسير حديث (١١٣٢٢)، والطبري في التفسير (٨/ ٣٧٥) رقم (٢٣٨٩٩)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٢٠٧).
قال الحافظ: متفق عليه من طريق مسروق عن خباب أتم منه.

---

(١) إنـي إذا مـضـر عـلـيّ تـحـدثـت لاقيـت مـطـلـع الـجـبـال وعـورا

لجرير. ومضر: اسم قبيلة صرف للضرورة، ومطلع ـ بتشديد الطاء ـ: اسم مكان على صورة المفعول، من اطلع المشدد، وأصله: اطتلع، بتاء الافتعال، قلبت طاء وأدغمت فيها ما قبلها، وهو نصب على الظرفية. والوعور: جمع وعر، أي: صعب مفعول لاقيت، أو المفعول هو مطلع. ووعوراً: حال، لا سيما على رواية فتح واوه على أنه صيغة مبالغة، يقول: إذا تقولت على مضر ما لا أرتضيه. أو تكلمت في قتلي، وجدت في مطالع الجبال أشياء صعابا فأعجز عن الهرب. أو المعنى: أنه يقتحم الصعاب ولا يبالي بها ويهرب منهم. وعلى الحالية: لاقيت مطلع الجبال حال كونه أماكن صعبة، والمطلع متعدد لإضافته لمتعدد، وعلى فتح الواو فظاهر.
ينظر: ديوانه ص (٢٢٩)، ولسان العرب (طلع)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٧١، ٤/ ٤٣٠)، وأساس البلاغة (طلع)، وتاج العروس (طلع).

ردع وتنبيه على الخطأ، أي: هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه.

فإن قلت: كيف قيل: ﴿سَنَكْتُبُ﴾: بسين التسويف، وهو كما قاله كتب من غير تأخير، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله؛ على طريقة قوله [من الطويل]:

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَئِيمَةٌ . . . . [1]

أي: تبين وعلم بالانتساب أني لست بابن لئيمة.

والثاني: أن المتوعد يقول للجاني: سوف أنتقم منك، يعني: أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر، فجرّد ههنا لمعنى الوعيد، ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ٢/٨ب أي: نطوّل له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزئون، أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد، يقال: مده وأمده بمعنى؛ وتدل عليه قراءة عليّ بن أبي طالب: «ونمد له»: بالضم، وأكد ذلك بالمصدر؛ وذلك من فرط غضب الله، نعوذ به من التعرّض لما نستوجب به غضبه، ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ أي: نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه، والمعنى مسمى ما يقول، ومعنى: ﴿مَا يَقُولُ﴾، وهو المال والولد، يقول الرجل: أنا أملك كذا، فتقول له: ولي فوق ما تقول، ويحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله في الدنيا مالاً وولداً، وبلغت به أشعبيته[2] أن تألى على ذلك في قوله: ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾؛ لأنه جواب قسم مضمر، ومن يتأل على الله يكذبه، فيقول الله ـ عز

---

(١) رمتني عن قوس العدو وباعدت ... عبيدة زاد الله ما بيننا بعدا
إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ... ولم تجدي من أن تقري بها بدا

لزائد بن صعصعة النقعسي، كانت له امرأة اسمها عبيدة فطمحت عليه وكانت أمها سرية، فعرض لها بذلك، يقول: رمتني بأمر قبيح كأنه نبلة صادرة عن قوس العدو، أو أبعدتني عنها بعد النبلة عن القوس: أي تسببت في ذلك وبالغت في بعد الرمي، و«زاد الله» جملة دعائية، ثم قال: إذا أظهرنا نسبنا يتبين أني لم تلدني لئيمة بخلافك، ولم تجدي مفراً ولا غنى من إقرارك بتلك القضية. ويجوز أن المعنى: أنه لا بد من إقرارك بأمك اللئيمة، وعلم مرجع الضمير من ذكر المقابلة وهو أمه، وهذا أدق في التبكيت. ويروى: به، أي: بذلك النسب. وفي الالتفات من الغيبة إلى الخطاب نوع من التشنيع والتوبيخ، كأنه عجب الناس أولا من حالها، ثم التفت يبكتها بلؤم أمها وأنها رقيقة.
ينظر: حاشية الأمير على المغني (١/ ٢٥)، وجواهر الأدب ص (٢٠٥) وشرح شذور الذهب ص (٤٤٠)، وشرح شواهد المغني ص (٨٩)، ومغني اللبيب ص (٢٦).

(٢) قوله «أشعبيته» في الصحاح «أشعب» اسم رجل كان طماعا. وفي المثل: أطمع من أشعب اهـ. ومنه: أخذت الأشعبية، بمعنى: خصلة أشعب، وهي الطمع. (ع)

وجل ـ: هب أنا أعطيناه ما اشتهاه، إما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فرداً غداً بلا مال ولا ولد؛ كقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ . . .﴾ الآية [الأنعام: ٩٤]، فما يجدي عليه تمنيه وتأليه، ويحتمل أن هذا القول؛ إنما يقوله ما دام حيًا، فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله، ويأتينا رافضاً له منفرداً عنه غير قائل له، أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه، بل نثبته في صحيفة لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به، ﴿وَيَأْتِينَا﴾: على فقره ومسكنته، ﴿فَرْدًا﴾: من المال والولد، لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه، فيجتمع عليه الخطبان: تبعة قوله ووباله، وفقد المطموع فيه، فرداً على الوجه الأول: حال مقدرة؛ نحو: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]؛ لأنه وغيره سواء في إتيانه فرداً حين يأتي، ثم يتفاوتون بعد ذلك.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾

أي: ليتعززوا بآلهتهم؛ حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصاراً ينقذونهم من العذاب، و﴿كَلَّا﴾: ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة، وقرأ ابن نهيك: (كلا)، ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم؛ كقولك: زيداً مررت بغلامه، وفي محتسب ابن جني: «كلا» بفتح الكاف والتنوين، وزعم أن معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا، ولقائل أن يقول: إن صحت هذه الرواية، فهي كلا التي هي للردع، قلب الواقف عليها ألفها نوناً كما في قواريراً، والضمير في (سيكفرون): للآلهة، أي: سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون: والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النحل: ٨٦]، أو للمشركين: أي: ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣]، ﴿عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: في مقابلة: ﴿لَهُمْ عِزًّا﴾، والمراد: ضدّ العز وهو الذل والهوان، أي: يكونون عليهم ضداً لما قصدوه وأرادوه، كأنه قيل: ويكونون عليهم ذلاً، لا لهم عزًّا أو يكونون عليهم عوناً، والضدّ: العون، يقال: من أضدادكم، أي: أعوانكم وكأن العون سمي ضدًّا؛ لأنه يضاد عدوك وينافيه بإعانته لك عليه.

فإن قلت: لم وحد؟

قلت: وحد توحيده قوله ـ عليه السلام ـ: «وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ» (٩٣٧)، لاتفاق

---

٩٣٧ ـ تقدم. قال الحافظ: هذا طرف من حديث لعلي ـ رضي الله عنه، أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد =

كلمتهم وأنهم كشيء واحد؛ لفرط تضامنهم وتوافقهم، ومعنى كون الآلهة عوناً عليهم: أنهم وقود النار وحصب جهنم؛ ولأنهم عذبوا بسبب عبادتها وإن رجعت الواو في سيكفرون ويكونون إلى المشركين؛ فإن المعنى: ويكونون عليهم ـ أي أعداءهم ـ ضدًّا، أي: كفرة بهم، بعد أن كانوا يعبدونها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾

الأز، والهزّ، والاستفزاز: أخوات، ومعناها: التهييج وشدة الإزعاج، أي: تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات، والمعنى: خلينا بينهم وبينهم[1] ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسراً، والمراد تعجيب رسول الله ـ ﷺ ـ بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار، وأقاويلهم، وملاحتهم، ومعاندتهم للرسل، واستهزاؤهم بالدين: من تماديهم في الغيّ وإفراطهم في العناد، وتصميمهم على الكفر، واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشكّ عنه، وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسوّل لهم.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

عجلت عليه بكذا: إذا استعجلته منه، أي: لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ويبيدوا، حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم، وتطهر الأرض بقطع دابرهم، فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم إلا إيام محصورة وأنفاس معدودة، كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ **[الأحقاف: ٣٥]**، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ **[الأحقاف: ٣٥]**، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أنه كان إذا قرأها بكى، وقال: آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد: فراق أهلك، آخر العدد: دخول قبرك، وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرأها، فقال: إذا كانت

= وإسحاق والحاكم من طريق قيس بن عباد عن علي ـ رضي الله عنه ـ «أنه أخرج من قراب سيفه كتاباً عهد إليه رسول الله ـ ﷺ ـ فإذا فيه. وذكره. وفيه هذا»، وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس رفعه قال: «المسلمون تتكافأ دماؤهم. وهم يد على من سواهم ـ الحديث»، وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد والبزار، والطبراني من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده نحوه، وعن عبد الله بن عمر، أخرجه ابن حبان. وعن معقل ابن يسار أخرجه ابن ماجه. انتهى.

---

(١) قوله: «والمعنى خلينا بينهم وبينهم» هذا هو الموافق لمذهب المعتزلة. من أنه تعالى لا يفعل الشر. أما على مذهب أهل السنة من أنه تعالى يفعل الشر كالخير، فالمناسب: سلطناهم عليهم. (ع)

الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفد.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾

نصب ﴿يَوْمَ﴾: بمضمر، أي: يوم ﴿نَحْشُرُ﴾، ونسوق: نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف، أو اذكر يوم نحشر، ويجوز أن ينتصب بلا يملكون، ذكر المتقون بلفظ التبجيل، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه ٢/٩أ وكرامته، كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكنهم على نوق رحالها ذهب، وعلى نجائب سروجها ياقوت (٩٣٨).

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾

وذكر الكافرون بأنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء. والورود: العطاش لأنّ من يرد الماء لا يرده إلا لعطش وحقيقة الورد: المسير إلى الماء، قال [من الرجز]:

رِدِي رِدِي وِرْدَ قَطَاةٍ صَمَّا كُدْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا[1]

---

٩٣٨ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٧) في التفسير، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٣٧) رقم (٣٤٠١٤)، وابن جرير في التفسير (٨/ ٣٨٠) رقم (٢٣٩٢٩)، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٦)، وذكره البغوي (٣/ ٢٠٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٠٨)، وعزاه لعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث.
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥٨) تفسير سورة مريم: «رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف» .اهـ.
قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند، والطبري، وابن أبي حاتم من رواية عبد الرحمن بن إسحاق بن النعمان بن سعد بن علي نحوه، وأخرجه ابن أبي داود في كتاب البعث من هذا الوجه مرفوعاً. ورواه ابن عدي من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً أيضا. انتهى.

---

(١) يخاطب ناقته. وردي: أمر من الورود، وتكريره للتوكيد. والورد: اسم مصدر منه أيضاً، أو اسم للماء المورود، أي: ردي الماء كورود قطاة صماء لا تسمع صوت القانص فلا تنفر عن الماء: والكدر ـ بالضم ـ نوع من القطا رمادي اللون. والكدرية: نسبة إليه، من نسبة الجزئي إلى كليه، وهذه الياء هي الفارقة بين اسم الجنس وواحده، كروم وورومي. وفيه تشبيه ناقته ضمنا بالقطاة في الخفة والسرعة. وصما والما: بالقصر، فإن رويا بالمد والسكون على أن الشعر من مشطور المنسرح الموقوف، فمحله حرف الألف.
ينظر: شواهد البحر (٦/ ٢١٧)، وروح المعاني (١٦/ ١٣٦)، الدر المصون (٤/ ٥٢٦).

فسمي به الواردون. وقرأ الحسن: يحشر المتقون، ويساق المجرمون.

﴿لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾

الواو في: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ إن جعل ضميراً[١] فهو للعباد، ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين؛ لأنهم على هذه القسمة، ويجوز أن تكون علامة للجمع، كالتي في: «أكلوني البراغيث»، والفاعل: ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾؛ لأنه في معنى الجمع[٢]، ومحل: (من اتخذ): رفع على البدل، أو على الفاعلية، ويجوز أن ينتصب على تقدير حذف المضاف، أي: إلا شفاعة من اتخذ، والمراد: لا يملكون أن يشفع لهم، واتخاذ العهد: الاستظهار بالإيمان والعمل، وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَّخِذَ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً» ح قَالُوا: وَكَيْفَ ذٰلِكَ؟ قَالَ: «يَقُولُ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، إنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ أَنْتَ، وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي تُقَرِّبْنِي مِنَ الشَّرِّ وَتُبَاعِدْنِي مِنَ الْخَيْرِ، وَأَنِّي لاَ أَثِقُ إِلاَّ بِرَحْمَتِكَ، فَاْجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْداً تُوَفِّينِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعَاد» فَإِذَا قَالَ ذٰلِكَ طُبِعَ عَلَيْهِ بِطَابَعٍ، وَوُضِعَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ الَّذِينَ لَهُمْ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدٌ، فَيَدْخُلُونَ

---

(١) قال محمود: «يحتمل أن تكون الواو في لا يملكون ضميراً... إلخ» قال أحمد: وفي هذا الوجه تعسف من حيث أنه إذا جعله علامة لمن فقد كشف معناها وأفصح بأنها متناولة جمعا، ثم أعاد على لفظها بالإفراد ضمير اتخذ، ففيه الإعادة على لفظها بعد الإعادة على معناها بما يخالف ذلك، وهو مستنكر عندهم لأنه إجمال بعد إيضاح. وذلك تعكيس في طريق البلاغة، وإنما محجتها الواضحة الإيضاح بعد الإجمال. والواو على إعرابه، وإن لم تكن عائدة على من إلا أنها كاشفة لمعناها كشف الضمير العائد له، فتنبه لهذا العقد؛ فإنه أروج من النقد [من الطويل]:

.... وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

(٢) قال السمين الحلبي: وفيه بعد، وكأنه قيل: لا يملك الشفاعة إلاَّ المتخذون عهداً. قال الشيخ: ولا ينبغي حَمْلُ القرآن على هذه اللغة القليلة مع وضوح جعل الواو ضميراً، وقد قال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور: إنها لغة ضعيفة». قُلْتُ: قد قالوا ذلك في قوله تعالى: ﴿عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ فلهذا الموضع بهما أسوة. ثم قال الشيخ: وأيضاً فالألف والواو والنون التي تكون علامات لا ضمائر لا يحفظ ما يجيء بعدها فاعلاً إلاَّ بصريح الجمع، وصريح التثنية أو العطف أما أن يأتي بلفظ مفرد، ويطلق على جمع أو مثنى، فيحتاج في إثبات مثل ذلك إلى نقل، وأما عود الضمائر مثناة أو مجموعة على مفرد في اللفظ يراد به المثنى والمجموع فمسموع معروف في لسان العرب، على أنه يمكن قياس هذه العَلاَمات على تلك الضمائر، ولكن الأحوط ألاَّ يقال إلاَّ بسماعٍ. انتهى. الدر المصون.

الْجَنَّةَ، (٩٣٩) وقيل: كلمة الشهادة، أو يكون من: «عهد الأمير إلى فلان بكذا»: إذا أمره به، أي: لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها؛ وتعضده مواضع في التنزيل: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾﴾

قرئ: (إدًا): بالكسر والفتح، قال ابن خالويه: الإدّ والأدّ: العجب، وقيل: العظيم المنكر، والإدّة: الشدّة، وأدنى الأمر وآدني: أثقلني وعظم عليّ إدّا، ﴿يكاد﴾: قراءة الكسائي ونافع بالياء، وقرئ: ﴿ينفطرن﴾[1]: الانفطار من فطره إذا شقه، والتفطر: من فطره إذا شققه وكرر الفعل فيه، وقرأ ابن مسعود: «ينصدعن»، أي: تهد هدًا، أو مهدودة، أو مفعول له، أي: لأنها تدّ.

فإن قلت: ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال؟ ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات؟

قلت: فيه وجهان:

---

٩٣٩ ـ قال الزيلعي (٢/ ٣٣٩): «غريب مرفوعاً، ولم أجده إلا موقوفاً» اهـ.
والموقوف رواه الحاكم (٢/ ٣٧٧) في التفسير، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٩) رقم (٨٩١٨)، وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥١٠)، وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وابن مردويه. وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف لأبي عبد الله الترمذي في نوادر الأصول.
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي قال: روى أبو وائل عن عبد الله بن مسعود ـ فذكره بتمامه، وروى ابن مردويه في تفسير الأحزاب من طريق عوف بن عبد الله عن رجل من بني حليم عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «العهد أن تقول: اللهم فاطر السموات والأرض ـ الحديث أصغر مما ذكر» ورواه الحاكم من وجه آخر عن عون عن ابن ماجه، عن الأسود، عن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ قال: قال: الله تعالى يقول يوم القيامة: من كان له عندي عهد فليقم، قال: فقلنا: فعلمنا يا أبا عبد الرحمن قال: فاقرؤوا: اللهم فاطر السموات والأرض ـ فذكره مختصرا، وفي الباب عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر في السادس والسبعين بعد المائة. انتهى.

---

(١) قوله: «وقرئ ينفطرن» يفيد أن القراءة المشهورة يتفطرن» بالتاء. (ع)

أحدهما: أن الله سبحانه يقول: كدت أفعل هذا بالسموات والأرض[1] والجبال عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تفوّه بها، لولا حلمي ووقاري، وأني لا أعجل بالعقوبة كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١].

والثاني: أن يكون استعظاماً للكلمة، وتهويلاً من فظاعتها، وتصويراً لأثرها في الدين وهدمها لأركانه وقواعده، وأن مثال ذلك الأثر في المحسوسات: أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخرّ، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾، وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة، وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله، والتعرّض لسخطه، وتنبيه على عظم ما قالوا، في ﴿أَن دَعَوْا﴾: ثلاثة أوجه: أن يكون مجروراً بدلاً من الهاء في منه، كقوله [من الطويل]:

عَلَىٰ حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِماً ... عَلَىٰ جُودِهِ لَضَنَّ بِالْمَاءِ حَاتِمُ[2]

ومنصوباً بتقدير سقوط اللام وإفضاء الفعل، أي: هذا لأن دعوا، علل الخرور بالهدّ، والهدّ بدعاء الولد للرحمن، ومرفوعاً بأنه فاعل هدًّا، أي: هدها دعاء الولد للرحمن، وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة أنه هو الرحمن وحده، لا يستحق هذا الاسم غيره، من قبل أنّ أصول النعم وفروعها منه: خلق العالمين، وخلق لهم جميع ما معهم؛ كما قال بعضهم: فلينكشف عن بصرك غطاؤه، فأنت وجميع ما عندك عطاؤه، فمن أضاف إليه ولداً، فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن، هو من دعا بمعنى: سمى المتعدي إلى مفعولين، فاقتصر على أحدهما الذي هو الثاني؛ طلباً للعموم والإحاطة بكل ما دعي له ولداً، أو من دعا بمعنى: نسب، الذي مطاوعه ما في قوله

---

(١) قال محمود: «معناه: كدت أهدّ السموات وأفطر الأرض... إلخ» قال أحمد: ويظهر لي وراءها معنى آخر والله أعلم؛ وذلك أن الله تعالى قد استعار لدلاتها على وجوده عز وجل موصوفاً بصفات الكمال الواجبة له، أن جعلها تسبح بحمده. قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] ومما دلت عليه السموات والأرض والجبال بل وكل ذرة من ذراتها: أن الله تعالى مقدس عن نسبة الولد إليه [من المتقارب]:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

فالمعتقد نسبة الولد إلى الله تعالى قد عطل دلالة هذه الموجودات على تنزيه الله وتقديسه، فاستعير لإبطال ما فيها من روح الدلالة التي خلقت لأجلها، إبطال صورها بالهد والانفطار والانشقاق «فسبحان من قسم عباده، فجعل العباد، تستلذ فتسبح بتسبيح داود، يكاد ينهد لمقاله من هو عن باب التوفيق مطرود مردود».

(٢) تقدم.

ـ عليه السلام ـ: «مَنِ ٱدَّعىٰ إِلَىٰ غَيْرِ ٩/٢ ب مَوَالِيهِ» (٩٤٠)؛ وقول الشاعر [من البسيط]:

إِنَّـا بَـنِـي نَـهْـشَـلٍ لاَ نَـدَّعِـي لأَبٍ . . . .[1]

أي: لا ننتسب إليه.

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾

انبغي: مطاوع، «بغي»: إذا طلب، أي: ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلاً؛ لأنه محال غير داخل تحت الصحة، أما الولادة المعروفة: فلا مقال في استحالتها، وأما التبني: فلا يكون إلا فيما هو من جنس المتبني، وليس للقديم سبحانه جنس، تعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيراً.

﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿مَن﴾ موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة، وقوعها بعد رب في قوله [من الرمل]:

رُبَّ مَـنْ أَنْـضَـجْـتُ غَـيْـظـاً صَـدْرَهُ . . . .[2]

---

٩٤٠ ـ تقدم في البقرة من حديث علي وهو غريب بهذا اللفظ؛ كما قال الزيلعي.
قال الحافظ: لم أره بلفظ «من ادعى» وإنما هو عند مسلم بلفظ «انتمى» أخرجه من حديث علي بن أبي طالب رفعه «من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه ـ الحديث». انتهى.

---

(١)
إنـا بـنـي نـهـشـل لا نـدعـى لأب ... عـنـه ولا هـو بـالأبـنـاء يـشـريـنـا
يـكـفـيـه إن نـحـن مـتـنـا أن يـسـر بـنـا ... وهـو إذا ذكـر الآبـاء يـكـفـيـنـا

لبشامة بن حزن النهشلي، ويقال: ادعى فلان في بني هاشم ولهم وإليهم، أي: انتسب إليهم وادعى عنهم إذا انتسب لغيرهم. وعدل عنهم يقول: إنا لا ننتسب لأب غير نهشل، وبني نهشل: نصب على الاختصاص يفيد المدح ولا هو يشرينا، أي يبيعنا ويستبدلنا بأبناء غيرنا، ثم قال: يكفيه منا سروره بنا إن متنا ولحقناه، حيث أوجبنا له ولنا الثناء الجميل من شجاعتنا وحسن خصالنا. و«إن» بمعنى «إذا» لأن الموت لا شك فيه. ويروى «أن يسب» بباء، ولعل معناه: لا مسبة له غير موتنا في القتال، يعني: إن كان ذلك مسبة وليس كذلك، ويمكن أن تعبيره بالكفاية ليفيد أنه مستغن عن المدح من جهة أبنائه عند التفاخر. وعند عد مآثر الآباء لا نحتاج لغيره، فننتسب له لنشرف بشرفه.
ينظر الشذور ٦٧٤، والحماسة ١٠٢/١، والمؤتلف ٦٦، والكامل ٦٥، وابن يعيش ١٠١/٦ ورغبة الآمال ٦٦/٢، والدر المصون ٤٣/٢.

(٢)
رب مـن أنـضـجـت غـيـظـاً قـلـبـه ... قـد تـمـنـى لـي مـوتًـا لـم يـطـع
ويـرانـي كـالـشـجـا فـي حـلـقـه ... عـسـرًا مـخـرجـه مـا يـنـتـزع
لـم يـضـرنـي غـيـر أن يـحـسـدنـي ... فـهـو يـزقـو مـثـل مـا يـزقـو الـضـوع =

وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة: (آتِ الرحمنَ): على أصله قبل الإضافة، الإحصاء: الحصر والضبط، يعني: حصرهم بعلمه وأحاط بهم، ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾: الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير أنهم أولاد الله، كانوا بين كفرين، أحدهما: القول بأن الرحمن يصح أن يكون والداً، والثاني: إشراك الذين زعموهم لله أولاداً في عبادته، كما يخدم الناس أبناء الملوك خدمتهم لآبائهم، فهدم الله الكفر الأول فيما تقدم من الآيات، ثم عقبه بهدم الكفر الآخر، والمعنى: ما من معبود لهم في السماوات والأرض من الملائكة ومن الناس إلا وهو يأتي الرحمن، أي: يأوي إليه ويلتجئ إلى ربوبيته عبداً منقاداً مطيعاً خاشعاً خاشياً راجياً، كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم، لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وكلهم متقلبون في ملوكته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم ويحمل أمورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم، لا يفوته شيء من أحوالهم، وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم براء منهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا (٩٦)﴾

قرأ جناح بن حبيش: ﴿وُدًّا﴾: بالكسر، والمعنى: سيحدث لهم في القلوب مودّة ويزرعها لهم فيها من غير تودّد منهم ولا تعرّض للأسباب التي توجب الود ويكتسب بها

= ويحييني إذا لاقيته وإذا يخلو له لحمي رتع

لسويد بن أبي كاهل اليشكري، ويتعين أن «من» نكرة موصوفة، لأن رب لا تجر إلا النكرة، ونضج اللحم والعنب ونحوهما نضجا فهو نضيج وناضج: أدرك وبلغ أوانه واستوى، أي: رب شخص طبخت قلبه من حر غيظه منى ولم يطع، أي لا يستطاع تحمل سببه. والشجا: ما نشب في الحلق من عظم ونحوه، وعسراً إلخ: حال منه. ومخرجه أي خروجه مرفوع بالوصف، لم يضرني شيئاً من الضرر غير الحسد، من ضاره يضيره ضيراً إذا ضره، فهو يزقو أي: يصيح مثل صياح الضوع: وهو ذكر البوم، وكثر تشبيه العرض المطعون فيه باللحم المأكول على طريق التصريحية، ثم شبهه الشاعر بالمرعى المخصب ترتع فيه البهائم. أو شبه المغتاب ببهيمة في المرعى على طريق المكنية والرتع تخييل. ويحتمل استعارته للأكل الملائم للحم، ثم للطعن الملائم للعرض على طريق التصريح، أي: إذا يخلو له عرضي اغتاب كما يريد.

ينظر: خزانة الأدب ٦/٢٣/٢٥٢، والدرر ١/٣٠٢، والأغاني ١٣/٢٩٨ وشرح اختيارات المفضل ص ٩٠١، وشرح شواهد المغني ٢/٧٤٠، والشعر والشعراء ١/٤٢٨، شرح الأشموني ٢/٧٠، وشرح شذور الذهب ص ١٧٠، وشرح المفصل ٤/١١، ومغني اللبيب ١/٣٢٨، الأمالي الشجرية ٢/١٦٩، معاني القرآن للأخفش ١/١٩٠، مجاز القرآن ٢/٤١، المفضليات ١٩٨، الهمع ١/٩٢، ٢/٢٦، الدرر ١/١١٠.

الناس مودات القلوب، من قرابة أو صداقة أو اصطناع بمبرة أو غير ذلك؛ وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصاً منه لأوليائه بكرامة خاصة، كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة؛ إعظاماً لهم وإجلالاً لمكانهم، والسين: إما لأن السورة مكية، وكان المؤمنون حينئذٍ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ـ تعالى ـ ذلك إذا دجا الإسلام، وإما: أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم، وروي أنّ النبي ـ ﷺ ـ قال لعلي ـ رضي الله عنه ـ: «يَا عَلِيُّ، قُلِ: اللَّهُمَّ، ٱجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْداً، وَٱجْعَلْ لِي فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ مَوَدَّةً» (٩٤١)؛ فأنزل الله هذه الآية، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني: يحبهم الله ويحببهم إلى خلقه، وعن رسول الله ـ ﷺ ـ: «يَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: يَا جِبْرِيلُ، قَدْ أَحْبَبْتُ فُلاَناً فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَناً فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَضَعُ لَهُ المَحَبَّةَ فِي أَهْلِ الأَرْضِ» (٩٤٢)، وعن قتادة: ما أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾

هذه خاتمة السورة ومقطعها، فكأنه قال: بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر؛ فإنما

---

٩٤١ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٣٤١).
رواه الثعلبي: أخبرنا عبد الخالق أنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن الصراف ببغداد ثنا أبو جعفر الحسن بن علي الفارسي ثنا إسحاق بن بشر الكوفي ثنا خالد بن يزيد عن حمزة الزيات عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء بن عازب. قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ لعلي بن أبي طالب: «يا علي، قل: اللهم اجعل لي عندك عهدا، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة» فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾.
وعزاه أيضاً لابن مردويه والطبراني في جزء جمعه من أحاديث حمزة الزيات، وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥١٢)، وعزاه لابن مردويه والديلمي.
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والطبراني في مسند حمزة الزيات، وابن مردويه من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ وفيه إسحاق بن بشر عن خالد بن زيد، وهما متروكان. انتهى.

٩٤٢ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٧) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة عليهم السلام حديث (٣٢٠٩) وأطرافه في (٦٠٤٠، ٧٤٨٥)، ومسلم (٨/ ٤٣٣ ـ نووي) كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده حديث (٢٦٣٧)، والترمذي (٥/ ٣١٨) التفسير من سورة مريم حديث (٣١٦١)، وعبد الرزاق (١٠/ ٤٥٠) رقم (١٩٦٧٣)، وأحمد (٢/ ٤١٣، ٥١٤)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٨٥ ـ ٨٦) رقم (٣٦٤ ـ ٣٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٤١).
قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة بمعناه. انتهى.

أنزلناه ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك وهو اللسان العربي المبين، وسهلناه وفصلناه، ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ﴾: وتنذر، واللدّ: الشداد الخصومة بالباطل، الآخذون في كل لديد؛ أي: في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم، يريد أهل مكة.

وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾: تخويف لهم وإنذار، وقرئ: ﴿تُحِسُّ﴾: من حسه إذا شعر به، ومنه: الحواس والمحسوسات، وقرأ حنظلة: ﴿تَسْمَعُ﴾: مضارع: أسمعت، والركز: الصوت الخفي، ومنه: ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض، والركاز: المال المدفون.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ مَرْيَمَ، أُعْطِيَ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، بِعَدَدِ مَنْ كَذَّبَ زَكَرِيَّا وَصَدَّقَ بِهِ، وَيَحْيَىٰ، وَمَرْيَمَ، وَعِيسَىٰ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَمُوسَىٰ، وَهَارُونَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِدْرِيسَ، وَعَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَد مَنْ دَعَا اللَّهَ فِي الدُّنْيَا وَبِعَدَدِ مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ» (٩٤٣).

---

٩٤٣ ـ تقدم تخريجه وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة وينظر حديث (٣٤٦).
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي. انتهى.

سُورَةُ طه

مَكِّيَّةٌ [إلاَّ آيَتَيْ ١٣٠ و١٣١ فَمَدَنِيَّتَانِ]
وَهِيَ ١٣٥ آيَةً [نَزَلَتْ بَعْدَ مَرْيَمَ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾

﴿طه ﴿١﴾﴾: أبو عمرو؛ فخم الطاء لاستعلائها، وأمال الهاء وفخمها ابن كثير وابن عامر على الأصل، والباقون أمالوهما، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: «طه»، وفسر بأنه أمر بالوطء، وأن النبي ـ ﷺ ـ كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه، فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معاً (٩٤٤). وأن الأصل طأ، فقلبت همزته هاء، أو قلبت ألفاً في يطأ فيمن قال

---

٩٤٤ ـ أخرجه البزار رقم (٢٢٣٢ ـ كشف) حدثنا محمد بن إسحاق البغدادي ثنا عبيد الله بن موسى ثنا كيسان أبو عمر عن يزيد بن بلال عن علي قال: كان النبي ـ ﷺ ـ يراوح بين قدميه يقدم على كل رجل حتى نزلت: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾.
ذكره السيوطي في الدر (٤/٥١٦) وحسن إسناده قال الهيثمي (٧/٥٩) في المجمع، «رواه البزار وفيه يزيد بن بلال قال البخاري: فيه نظر، وكيسان أبو عمرو وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين، وبقية رجاله رجال الصحيح».
وأخرجه البيهقي في الشعب (٢/١٨٦) رقم (١٤٩٧) أخبرنا أبو علي الروذباري أنا الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي ثنا أبو يحيى عن أبي مسرة ثنا خلاد بن يحيى ثنا محمد بن زياد السكري ثنا ميمون بن مهران عن ابن عباس أن النبي ـ ﷺ ـ أول ما أنزل عليه الوحي كان يقوم على صدر قدميه فأنزل الله عز وجل: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾.
ذكره السيوطي في الدر (٤/٥١٦)، وعزاه لابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.
قال الحافظ: أخرجه عبد بن حميد في تفسيره قال: حدثنا هاشم بن القاسم بن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس قال: كان النبي ـ ﷺ ـ قام على رجل ورفع الأخرى، فأنزل الله: «طه» يعني طأ الأرض» وروى ابن مردويه من طريق قيس بن الربيع، عن قطر بن خليفة، عن منذر الثوري عن محمد بن الحنفية، عن علي: «لما نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾﴾ قام الليل كله حتى ورمت قدماه، فجعل يرفع رجلاً ويضع الأخرى، فهبط عليه جبريل، قال: «طه طأ الأرض بقدميك يا محمد»
وأخرجه البزار من وجه آخر عن علي: «كان النبي ـ ﷺ ـ يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل =

[من الكامل]: :

. . . . لاَ هَـنَـاكَ الْـمَـرْتَـعُ[1]

ثم بنى عليه الأمر، والهاء للسكت ٢/ ١٠أ، ويجوز أن يكتفي بشطري الاسمين، وهما: الدالان بلفظهما على المسميين، والله أعلم بصحة ما يقال: إن «طاها»: في لغة عك[2] في معنى: يا رجل، ولعل عكا تصرفوا في: «يا هذا» كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء، فقالوا في «يا»: «طا»، واختصروا هذا فاقتصروا على ها، وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به [من البسيط]:

إِنَّ السَّـفَـاهَـةَ طَـاهَـا فـي خَـلاَئِـقِـكُـمْ لاَ قَـدَّسَ الـلَّـهُ أَخْـلاَقَ الْـمَـلاَعِـيـنِ[3]

حتى نزلت ﴿طه مَآ أَنزَلْنَا . . .الآية﴾ ومن طريق نهشل، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله تعالى: (طه) قال: «إن رسول الله - ﷺ - ربما قرأ القرآن إذا صلى، فقام على رجل واحدة، فأنزل الله طأها برجليك» وأخرجه البيهقي في الشعب الرابع عشر من وجه آخر عن ميمون بن مهران عن ابن عباس «أن النبي - ﷺ - أول ما أنزل عليه الوحي كان يقوم على صدور قدميه إذا صلى. فأنزل الله (طه). انتهى.

---

(١) نـزع ابـن بـشـر وابـن عـمـرو قـبـلـه وأخـو هـراة لـمـثـلـهـا يـتـوقـع
راحـت بـمـسـلـمـة الـبـغـال عـشـيـة فـارعـى فـزارة لاهـنـاك الـمـرتـع

للفرزدق، يهجو عمرو بن زهرة الفزاري، وقد ولي العراق بعد عبد الملك بن بشر بن مروان، وكان على البصرة ومحمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة، وكان على الكوفة. يقول: ذهب ابن بشر وابن عمرو، وأخو هراة أي صاحبها وواليها. وهراة من بلاد العراق أيضاً. يتوقع: أي يترقب وينتظر مثل حاله من قبله. راحت، وروي: مضت، أي ذهبت البغال بمسلمة بن عبد الملك كما يفيد شرح المراح، وكان يمنع بني فزارة من الرعي في أرض العراق، ففر إلى الشام وترك الملك، فارعى يا فزارة ما شئت يخاطب القبيلة بذلك، وإشارة إلى أنه كان محرماً عليهم، فأبيح بعد مسلمة. وارعى: بفتح العين وسكون الياء؛ لأن مضارعه مفتوح العين. ولا هناك المرتع: دعا عليهم. يقال: هناك الطعام ومراك، بتخفيف الهمز: انهضم في بطنك وأراحك ونفعك، فإذا انفرد الثاني قلت: أمراك الطعام، وتخفيف الهمزة بقلبها ألفاً: صرفه كما هنا شاذ، وقياس تخفيفها في مثل هذا جعلها بين بين لعدم سكون ما قبلها.

(٢) قوله «في لغة عك» في الصحاح عك بن عدنان أخو معد وهو اليوم في اليمن. (ع)

(٣) السفاهة: الجهل والحمق والخفة. و«طه» في لغة عك، معناه يا هذا، فكأنهم قلبوا الياء طاء وحذفوا ذا. قال الزمخشري: ولا يخفى التصنع في البيت. والخلائق: الطبائع، ودعا عليهم بأن الله لا يطهر أرواحهم. ووضع المظهر موضع المضمر لزيادة الذم والتشنيع. وقيل: للدلالة على سبب الدعاء، أي: فإنهم ملعونون، ولعل معناه: فإنهم مستحقين للعن وفاعلون سببه.
ينظر: حاشية الشهاب (٦/ ١٧٨)، والطبري (١٦/ ١٣٦)، ومجمع البيان (٤/ ٢)، والفخر الرازي (٢٢/ ٣)، والبحر (٦/ ٢٤٤)، والدر المصون (٥/ ٣).

والأقوال الثلاثة في الفواتح، أعني: التي قدمتها في أول الكاشف عن حقائق التنزيل، هي التي يعوّل عليها الألِبّاء المتقنون، ﴿مَآ أَنزَلۡنَا﴾: إن جعلت ﴿طه ١﴾: تعديداً لأسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام، وإن جعلتها اسماً للسورة احتملت أن تكون خبراً عنها، وهي في موضع المبتدأ، و﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾: ظاهر أوقع موقع الضمير؛ لأنها قرآن، وأن يكون جواباً لها وهي قسم، وقرئ: «ما نزل عليك القرآن» ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾: لتتعب، بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسرك على أن يؤمنوا؛ كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ [الشعراء: ٣]، والشقاء يجيء في معنى: التعب، ومنه المثل: أشقى من رائض مهر، أي: ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر، ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة، بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة، وقيل: إن أبا جهل والنضر بن الحارث، قالا له: إنك شقي؛ لأنك تركت دين آبائك، فأريد ردّ ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز، والسبب في درك كل سعادة، وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها، وروي أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ صلى بالليل حتى اسمغدت[1] قدماه، فقال له جبريل ـ عليه السلام ـ: أبق على نفسك؛ فإن لها عليك حقاً (٩٤٥)، أي: ما أنزلناه لتنهك نفسك

---

٩٤٥ ـ قال الحافظ: لم أره هكذا، وفي الدعوات الكبير للبيهقي عن عائشة قالت: لما كانت ليلة النصف من شعبان ـ فذكر حديثاً طويلاً ـ وفيه: فما زال يصلي قائماً وقاعدا حتى أصبح وحتى اسمغدت قدماه، فقمت أغمزها ـ الحديث وليس فيه كلام جبريل.

وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٣٤٨) فقال:

«روى البيهقي في كتاب الدعوات الكبير: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو صالح خلف بن محمد ثنى صالح بن محمد الحافظ ثنا محمد بن عباد حدثني حاتم بن إسماعيل المدني عن نصر بن كثير عن يحيى بن سعيد عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: لما كانت ليلة النصف من شعبان انسل رسول الله ـ ﷺ ـ من مرطي ثم قالت: والله، ما كان مرطنا من خزّ ولا قز، ولا كرسف، ولا كتان، ولا صوف قلنا: سبحان الله! فمن أي شيء؟ قالت: إن كان سداه لشعراً وإن كانت لحمته لمن وبر الإبل قالت: فخشيت أن يكون أتى بعض نسائه فقمت ألتمسه في البيت فتقع قدمه على قدمي وهو ساجد فحفظت من قوله: «سجد لك سوادي وآمن لك فؤادي أبوء لك بالنعم، واعترف لك بالذنوب، ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» قالت: فما زال رسول الله ـ ﷺ ـ يصلي قائماً وقاعداً حتى أصبح وحتى اسمغدت قدماه، فقمت اغمزها وأقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أتعبت نفسك أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة، «أفلا أكون عبداً شكوراً».

قال الحافظ: لم أره هكذا. وفي الدعوات الكبير للبيهقي عن عائشة، قالت: «لما كانت ليلة النصف من شعبان، فذكر حديثاً طويلاً ـ وفيه: فما زال يصلي قائماً وقاعداً حتى أصبح وحتى اسمغدت قدماه. فقمت أغمزها ـ الحديث. انتهى.

---

(١) قوله «حتى اسمغدت» بالغين المعجمة، أي: تورمت. أفاده الصحاح. (ع)

بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة، وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة، وكل واحد من (لتشقى)، و(تذكرة): علة للفعل، إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام؛ لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية، والثاني: جاز قطع اللام عنه، ونصبه؛ لاستجماعه الشرائط.

فإن قلت: أما يجوز أن تقول: ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى؛ كقوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾؟ [الحجرات: ٢] قلت: بلى، ولكنها نصبة طارئة، كالنصبة في: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾، وأما النصبة في تذكرة، فهي كالتي في: ضربت زيداً؛ لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها.

فإن قلت: هل يجوز أن يكون (تذكرة): بدلاً من محل: (لتشقى)؟

قلت: لا؛ لاختلاف الجنسين، ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي «إلا» فيه بمعنى: «لكن»[(١)]، ويحتمل أن يكون المعنى: إنا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل[(٢)] متاعب التبليغ، ومقاولة العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوّة، وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة، وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالاً ومفعولاً له، ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾: لمن يؤول أمره إلى الخشية، ولمن يعلم الله منه أنه يبدل بالكفر إيماناً وبالقسوة خشية، في نصب: ﴿تَنزِيلًا﴾ وجوه: أن يكون بدلاً من تذكرة إذا جعل حالاً، لا إذا كان مفعولاً له؛ لأن الشيء لا يعلل بنفسه، وأن ينصب بنزل مضمراً، وأن ينصب بأنزلنا؛ لأن معنى: ما أنزلناه إلا تذكرة: أنزلناه تذكرة، وأن ينصب على المدح والاختصاص، وأن ينصب بيخشى مفعولاً به، أي: أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله، وهو معنى حسن وإعراب بين، وقرئ: «تنزيل»: بالرفع على خبر مبتدأ محذوف، ما بعد (تنزيلا) إلى قوله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ تعظيم وتفخيم لشأن المنزل، لنسبته إلى من هذه أفعاله وصفاته، ولا يخلو من أن يكون متعلقه إما: (تنزيلاً) نفسه فيقع

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: يعني باختلاف الجنسين أن نصب التذكرة نصبة صحيحة ليست بعارضة والنصبة التي تكون في «لتشقى» بعد نزع الخافض نصبة عارضة والذي يقول: إنه ليس له محل ألبتة فيتوهم البدل منه. قلت: مراد الزمخشري باختلاف الجنسين إلا ما ذكرته عن الفارسي رداً على الزجاج وأي أثر لاختلاف النصبتين في ذلك؟. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «ويحتمل أن يكون المعنى إنا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل... إلخ» قال أحمد: وفي هذا الوجه الثاني بعد؛ فإن فيه إثبات كون الشقاء سبباً في نزوله عكس الأول وإن لم تكن اللام سببية فكانت للصيرورة مثلاً ولم يكن فيه ما جرت عادة الله تعالى به مع نبيه ﷺ من نهيه عن الشقاء والحزن عليهم وضيق الصدر بهم، وكان مضمون هذه الآية متبايناً عن قوله تعالى ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾، ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ﴾ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ وأمثاله كثيرة فالظاهر والله أعلم هو التأويل الأول.

صلة له، وإما محذوفا فيقع صفة له.

فإن قلت: ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب؟

قلت: غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة، ومنها أنّ هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة، ومنها أنه قال أولاً: (أنزلنا)، ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع، ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين، ويجوز أن يكون: (أنزلنا): حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه، وصف السموات بالعلا: دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ (٥) لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ (٦)﴾

قرئ: (الرحمن): مجروراً صفة لمن خلق والرفع أحسن؛ لأنه إما أن يكون رفعاً على المدح على تقدير: هو الرحمن، وإما: أن يكون مبتدأ مشاراً بلامه إلى من خلق.

فإن قلت: الجملة التي هي ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾: ما محلها ـ إذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح؟

قلت: إذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير، وإن رفعت جاز أن تكون كذلك، وأن تكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ؛ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك، جعلوه كناية عن الملك فقالوا: استوى فلان على العرش، يريدون: ملك وإن لم يقعد على السرير ألبتة، وقالوه ـ أيضاً ـ لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ٢/ ١٠ب ملك في مؤدّاه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر؛ ونحوه قولك: يد فلان مبسوطة، ويد فلان مغلولة، بمعنى: أنه جواد أو بخيل، لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت، حتى أنّ من لم يبسط يده قط: بالنوال أو لم تكن له يد رأساً قيل فيه: يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم: هو جواد؛ ومنه قول الله ـ عز وجل ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، أي: هو بخيل، ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ أي: هو جواد، من غير تصوّر يد ولا غل ولا بسط، والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام، ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾: ما تحت سبع الأرضين، عن محمد بن كعب (٩٤٦) وعن السدي: هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة (٩٤٧).

---

٩٤٦ ـ أخرجه ابن جرير (٨/ ٣٩٢) رقم (٢٤٠٠٤) وذكر السيوطي هذا القول عن محمد بن كعب في الدر (٤/ ٥١٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

٩٤٧ ـ ذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥١٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾

أي: يعلم ما أسررته إلى غيرك وأخفى من ذلك، وهو ما أخطرته ببالك، أو ما أسررته في نفسك، ﴿وَأَخۡفَى﴾: منه وهو ما ستسره فيها، وعن بعضهم: أن أخفى فعل[1]، يعني: أنه يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلمه؛ هو كقوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾، وليس بذاك.

فإن قلت: كيف طابق الجزاء الشرط؟

قلت: معناه: وإن تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره، فاعلم أنه غني عن جهرك، فإما أن يكون نهياً عن الجهر؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وإما تعليماً للعباد أنّ الجهر ليس لإسماع الله؛ وإنما هو لغرض آخر، ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: تأنيث الأحسن، وصفت بها الأسماء؛ لأنّ حكمها حكم المؤنث؛ كقولك: الجماعة الحسنى، ومثلها: ﴿مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، و﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾ [طه: ٢٣]، والذي فضلت به أسماؤه في الحسن سائر الأسماء: دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية، والأفعال التي هي النهاية في الحسن.

﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠﴾

قفاه بقصة موسى ـ عليه السلام ـ ليتأسى به في تحمل أعباء النبوّة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد؛ حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود، يجوز أن ينتصب: ﴿إِذۡ﴾: ظرفاً للحديث؛ لأنه حدث، أو لمضمر، أي: حين ﴿رَءَا نَارٗا﴾: كان كيت وكيت، أو مفعولاً لا ذكر استأذن موسى شعيباً ـ عليهما السلام ـ في الخروج إلى أمه

---

(١) قال محمود: «هو أفعل التفضيل، ومنهم من قال إن أخفى فعل ماض. . . إلخ» قال أحمد: لا يخفى أن جعله فعلاً قاصر لفظاً ومعنى: أما لفظاً فإنه يلزم منه عطف الجملة الفعلية على الإسمية إن كان المعطوف عليه الجملة الكبرى، أو عطف الماضي على المضارع إن كان المعطوف عليه الصغرى، وكلاهما دون الأحسن. وأما معنى: إن المقصود الحض على ترك الجهر بإسقاط فائدته من حيث أن الله تعالى يعلم السر وما هو أخفى منه، فكيف يبقى للجهر فائدة وكلاهما على هذا التأويل مناسب لترك الجهر. وأما إذا جعل فعلا فيخرج عن مقصود السياق وإن اشتمل على فائدة أخرى، وليس هذا كقوله تعالى ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾ لأن بين السياقين اختلافاً، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وخرج بأهله، فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة، وقد ضلّ الطريق وتفرّقت ماشيته ولا ماء عنده، وقدح فصلد زنده[1]، فرأى النار عند ذلك، قيل: كانت ليلة جمعة، ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾: أقيموا في مكانكم، الإيناس: الإبصار البين الذي لا شبهة فيه، ومنه إنسان العين؛ لأنه يتبين به الشيء، والإنس: لظهورهم، كما قيل: الجنّ لاستتارهم، وقيل: هو إبصار ما يؤنس به؛ لما وجد منه الإيناس فكان مقطوعاً متيقناً، حققه لهم بكلمة: «إنّ»؛ ليوطن أنفسهم، ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين، بنى الأمر فيهما على الرجاء والطمع وقال ﴿لَّعَلِّيٓ﴾ ولم يقطع فيقول: إني ﴿ءَاتِيكُم﴾ لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به، القبس: النار المقتبسة في رأس عود أو فتيلة أو غيرهما، ومنه قيل: المقبسة، لما يقتبس فيه من سعفة أو نحوها، ﴿هُدٗى﴾ أي: قوماً يهدونني الطريق أو ينفعونني بهداهم في أبواب الدين، عن مجاهد وقتادة؛ وذلك لأنّ أفكار الأبرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع أحوالهم لا يشغلهم عنها شاغل، والمعنى: ذوي هدى، أو إذا وجد الهداة فقد وجد الهدى، ومعنى الاستعلاء في: ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾: أنّ أهل النار يستعلون المكان القريب منها، كما قال سيبويه في مررت بزيد: أنه لصوق بمكان يقرب من زيد، أو لأنّ المصطلين بها والمستمتعين بها إذا تكنفوها قياماً وقعوداً كانوا مشرفين عليها؛ ومنه قول الأعشى [من الطويل]:

. . . . وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَىٰ وَالْمُحَلِّقُ[2]

---

(١) قوله «فصلد زنده» في الصحاح «صلد الزند» إذا صوت ولم يخرج نارا. (ع)

(٢)
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة   إلى ضوء نار في يفاع يخرق
تشب لمقرورين يصطليانها   وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لبان ثدي أم تقاسما   بأسحم داج عوض لا نتفرق

للأعشى يمدح المحلق ـ بكسر اللام ـ سمي بذلك لأن بعيره عضه في وجهه فبقي أثر العضة مثل الحلقة، وهو من بني عكاظ، كان فقيراً وله عشر بنات لا يرغب فيهن أحد لفقرهن، فانعزل بهن إلى بعض المهامه فنزل به الأعشى فنحر له ناقته ولم يكن عنده غيرها وأحسن قراه، فعظم عند الأعشى، فلما أصبح واستوى على راحلته قال له: ألك حاجة؟ قال: نعم، أن تسير بذكري في بني عكاظ، لعل أحداً يرغب في بناتي فقد مسهن العنس. فمدحه في عكاظ فلم يلبث حتى خطبت بناته، ولاحت: لمحت وتشوفت. واليفاع: المشرف من الأرض. يخرق: أي يخترق ذلك الضوء وينتشر في الأرض. ويروى: تحرق، بالحاء المهملة. والضمير للنار. وتشب: مبني للمجهول.، يقال: شببت النار أشبها شباً وشبوباً: أوقدتها. والمقروران: اللذان أصابهما القر، أي: البرد، وأراد بهما الندى والمحلق، يعني أنه هو وكرمه ملازمان لنار القرى ملازمة المقرور لنار التدفؤ، وبين ذلك بقوله: وبات على النار الندى والمحلق. ويجوز أن الأعشى أراد نفسه والمحلق، لكن الأول أوقع في المدح، ومعنى كونهما عليها: أنهما على جانبيها ولأن المتدفئ يكون أعلى منها بحيث يمد يده فوقها. وعطف المحلق على الندى دلالة على أنهما متلازمان متقارنان. وبين ذلك بقوله: =

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾

قرأ أبو عمرو وابن كثير (أني): بالفتح، أي: نودي بأني، ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، وكسر الباقون، أي: نودي، فقيل: يا موسى، أو لأنّ النداء ضرب من القول فعومل معاملته، تكرير الضمير في: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾؛ لتوكيد الدلالة، وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة، روي أنه لما نودي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾، قال: من المتكلم؟ فقال له الله ـ عز وجل ـ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، وأن إبليس وسوس إليه قال: لعلك تسمع كلام شيطان، فقال: أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع جهاتي الست، وأسمعه بجميع أعضائي، وروي أنه حين انتهى رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد[1]، وسمع تسبيح الملائكة، ورأى نوراً عظيماً، فخاف وبهت، فألقيت عليه السكينة ثم نودي، وكانت الشجرة عوسجة، وروي: كلما دنا أو بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت، وعن ابن إسحاق: لما دنا استأخرت عنه، فلما رأى ذلك، رجع وأوجس في نفسه خيفة، فلما أراد الرجعة دنت منه، ثم كلم، قيل: أمر بخلع النعلين؛ لأنهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة (٩٤٨)، وقيل: ليباشر الوادي بقدميه متبركاً به، وقيل: لأن

---

٩٤٨ ـ أخرجه ابن جرير عن قتادة (٨/ ٣٩٧) رقم (٢٤٠٣٢ ـ ٢٤٠٣٣) وعزاه السيوطي في الدر (٤/ ٥٢٢) لابن أبي حاتم عن الزهري.

وروى الحاكم (٢/ ٣٧٩) كتاب التفسير أخبرنا الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق أنبأ محمد بن غالب ثنا عمر بن حفص بن غياث. ثنا أبي وخلف بن خليفة عن حميد بن قيس عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يوم كلم الله موسى كانت =

= رضيعي لبان، وهو حال منهما، شبههما بالتوأمين دلالة على غاية التلازم حتى في الرحم بل وقبله. واللبان: لبن المرأة خاصة، وهو مضاف إلى ثدي أم، وتنوينها للإفراد وإضافته له؛ لأنه منه. ويجوز تنوينه. فثدي: بدل منه. والأسحم: الأسود الداجي المظلم. أي تحالفا كما هو رواية أيضاً في ليل مظلم. أو في الرحم المظلم. وعوض: ظرف مستقبل، نصب بما بعده. لا نتفرق: جواب التحالف، وكنى بذلك كله عن شدة التلازم بينه وبين الكرم.

ينظر: ديوانه (١٢١)، والمغني (١٠١)، واللسان (حلق)، والبحر (٨/ ٤٥١)، والدر المصون (٦/ ٥٠٣).

(١) قوله: «كأنها نار بيضاء تتقد... إلخ» عبارة الخازن «أطافت بها نار... إلخ» وعبارة النسفي بدل قوله: «رأى شجرة... إلخ»: «وجد ناراً بيضاء تتوقد في شجرة خضراء من أعلاها إلى أسفلها وكانت شجرة العناب أو العوسج». (ع)

الحفوة تواضع لله، ومن ثم طاف السلف ٢/ ١١أ بالكعبة حافين، ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه، وكان إذا ندر منه الدخول متنعلاً تصدق، والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة، وتعظيم لها، وتشريف لقدسها، وروي أنه خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادي، ﴿طُوًى﴾: بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة، وقيل: مرتين؛ نحو: ثنى[1]، أي: نودي نداءين أو قدس الوادي كرة بعد كرة، ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾: اصطفيتك للنبوة، وقرأ حمزة: «وإنا اخترناك»، ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: للذي يوحى، أو للوحي، تعلق اللام باستمع، أو باخترتك[2]، ﴿لِذِكْرِيٓ﴾: لتذكرني؛ فإن ذكري أن أعبد ويصلى لي، أو لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار عن مجاهد، أو: لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها، أو لأن أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق، أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لإخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضاً آخر، أو لتكون لي ذاكراً غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وأفكارهم به، كما قال: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، أو لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، . واللام مثلها في قولك: جئتك لوقت كذا، وكان ذلك لست ليال خلون، وقوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]، وقد حمل على ذكر الصلاة بعد

= عليه جبة صوف وكساء صوف، وسراويل صوف وكمه صوف، ونعلاه من جلد حمار غير ذكي».

وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

وتعقبه الذهبي بقوله: بل ليس على شرط البخاري، وإنما غره أن في الإسناد حميد بن قيس كذا وهو خطأ إنما هو حميد الأعرج الكوفي ابن علي أو ابن عمار أحد المتروكين فظنه المكي الصادق» اهـ.

قال الحافظ: لم أره هكذا، وفي الترمذي والحاكم عن عبد الله بن مسعود رفعه: «يوم كلم الله موسى، كان عليه جبة صوف ونعلاه من جلد حمار ميت، غير ذكي». انتهى.

---

(١) قوله «وقيل مرتين نحو ثنى» في الصحاح: وقال يعني بعضهم في قوله تعالى: ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ طوى مرتين، أي قدس. وفيه أيضاً «الثنى» مقصور: الأمر يعاد مرتين اهـ. فلعل أصل عبارته أيضاً: وقيل طوى مرتين يعني قدس وطهر مرتين. وظاهر العبارة أن طوى مثل ثنى بمعنى مرتين، أي: نودي موسى مرتين، أو قدس الوادي مرتين فهو منصوب بنودي أو بالمقدس. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: وقد رد الشيخ هذا، بأن قال: ولا يجوز التعليق باخترتك؛ لأنه من باب الإعمال فكان يجب أن يختار إعادة الضمير مع الثاني فكان يكون فاستمع له لما يوحي فدل على أنه من باب إعمال الثاني، قال السمين: الزمخشري عني التعليق المعنوي، من حيث الصلاحية، وأما تقدير الصناعة فلم يَعْنه، و«مَا» يجوز أن تكون مصدرية وبمعنى «الذي» أي فاستمع للوحي أو للذي يوحى». انتهى. الدر المصون.

نسيانها من قوله ـ عليه السلام ـ: «مَنْ نَامَ عَنْ صَلاَةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا» (٩٤٩)، وكان حق العبارة أن يقال: لذكرها، كما قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إِذَا ذَكَرَهَا» ح، ومن يتمحل له يقول: إذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله، أو بتقدير حذف المضاف، أي: لذكر صلاتي، أو لأن الذكر والنسيان من الله ـ عز وجل ـ في الحقيقة، وقرأ رسول الله ـ ﷺ ـ: «للذكرى».

---

٩٤٩ ـ أخرجه البخاري (٢/ ٧٠) كتاب المواقيت: باب من نسي صلاة. . . (٥٩٧)، ومسلم (١/ ٤٧٧) كتاب المساجد: باب قضاء الصلاة الفائتة (٣١٤/ ٦٨٤)، وأبو داود (١/ ١٧٤) كتاب الصلاة: باب من نام عن صلاة أو نسيها (٤٤٢)، والترمذي (١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦) كتاب الصلاة: باب ما جاء في الرجل ينسى الصلاة (١٧٨)، والنسائي (١/ ٢٩٣) كتاب المواقيت: باب فيمن نسي الصلاة (٦١٣)، وابن ماجه (١/ ٢٢٧) كتاب الصلاة: باب من نام عن الصلاة أو نسيها (٦٩٥ ـ ٦٩٦)، والدارمي (١/ ٢٨٠) كتاب الصلاة: باب من نام عن صلاة أو نسيها، وأبو عوانة (٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦١)، وابن أبي شيبة (١/ ١٨٩)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ٢٣٠)، وأحمد (٣/ ٢١٦ ـ ٢٤٣ ـ ٢٦٧ ـ ٢٨٢)، والبيهقي (٢/ ٢١٨)، وابن خزيمة (٢/ ٩٧) رقم (٩٩٣). من طرق عن قتادة عن أنس مرفوعاً.

ولفظ مسلم: «من نسي صلاة أو نام عنها، فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها» ولفظ البخاري: «من نسي صلاة فليصل إذا ذكر لا كفارة لها إلا ذلك» وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة.

أخرجه مسلم (١/ ٤٧١) كتاب المساجد: باب قضاء الصلاة الفائتة (٣٠٩/ ٦٨٠)، وأبو داود (١/ ١٧٢) كتاب الصلاة: باب من نام عن صلاة أو نسيها (٤٣٥)، والنسائي (١/ ٢٩٦)، كتاب المواقيت) باب إعادة من نام عن الصلاة لوقتها من الغد، وابن ماجه (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) كتاب الصلاة: باب من نام عن الصلاة أو نسيها (٦٩٧)، وأبو عوانة (٢/ ٢٥٣)، والبيهقي (٢/ ٢١٧) من طرق عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ وللحديث شاهد آخر من حديث سمرة.

أخرجه أحمد (٥/ ٢٢) من طريق بشر بن حرب عن سمرة قال: بشر أحسبه مرفوعاً: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها»، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٢٦) وقال: وبشر بن حرب ضعفه ابن المديني وجماعة ووثقه ابن عدي وقال لم أر له حديثاً منكراً ا.هـ وقال الحافظ في «التقريب» (١/ ٩٨): بشر بن حرب الأزدي أبو عمرو الندبي: صدوق فيه لين.

وفي الباب أيضاً عن أبي بكرة.

أخرجه البزار (١/ ١٩٩ ـ كشف) رقم (٣٩٤) من طريق إسماعيل بن علية عن عيينة عن أبيه عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من نسي صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها».

قال البزار: لا نعلمه عن أبي بكرة إلا من هذا الوجه ولم يحدث به عن ابن علية إلا أحمد بن المقدام.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٢٧) وقال: رواه البزار ورجاله موثقون.

قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة في قصة النوم عن الصلاة. وفي آخره: من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها؛ فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾، وفي رواية: (للذكرى) وهو أيضاً متفق عليه من حديث أنس مرفوعاً بلفظ: «من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها» زاد البخاري في رواية: «أقم الصلاة لذكري». انتهى.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾

أي: أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية[1]؛ لفرط إرادتي إخفاءها، ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به، وقيل: معناه: أكاد أخفيها من نفسي، ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف، ومحذوف لا دليل عليه مطرح، والذي غرهم منه أن في مصحف أبي: «أكاد أخفيها من نفسي»، وفي بعض المصاحف: «أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها»، وعن أبي الدرداء وسعيد بن جبير: «أخفيها»: بالفتح: من خفاه إذا أظهره، أي: قرب إظهارها؛ كقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، وقد جاء في بعض اللغات: «أخفاه»: بمعنى خفاه؛ وبه فسر بيت امرئ القيس [من المتقارب]:

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لاَنُخْفِهِ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لاَ نَقْعُدِ[2]

فأكاد أخفيها محتمل للمعنيين، ﴿لِتُجْزَىٰ﴾: متعلق بآتية، ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾: بسعيها.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

أي: لا يصدنك عن تصديقها، والضمير: للقيامة، ويجوز أن يكون للصلاة.

فإن قلت: العبارة لنهي من لا يؤمن عن صدّ موسى، والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق، فكيف صلحت هذه العبارة لأداء هذا المقصود؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب، فذكر السبب ليدل على المسبب.

والثاني: أن صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته، فذكر

---

(١) قال محمود: «معناه قاربت ألاَّ أقول: هي آتية... إلخ» قال أحمد: ولا يقنع في رد هذا التأويل بالهوينا، فإنه بين الفساد، وذلك أن خفاءها عن الله تعالى محال عقلاً، فكيف يوصف المحال العقلي بقرب الوقوع. وأحسن ما في محامل الآية ما ذكره الأستاذ أبو علي حيث قال: المراد أكاد أزيل خفاءها، أي: أظهرها، إذ الخفاء الغطاء، وهو أيضاً ما تجعله المرأة فوق ثيابها يسترها، ثم تقول العرب: أخفيته. إذا أزلت خفاءه، كما تقول أشكيته وأعتبته، إذا أزلت شكايته وعتبه، وحينئذٍ يلتئم القراءتان: أعني فتح الهمزة وضمها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٢) يقال: خفاه، إذا كتمه. وخفاه أيضاً: أظهره، وما هنا منه. والمعنى: إن تكتموا الضغائن التي بيننا نكتمها نحن أيضاً ولا نظهرها. شبه الضغينة والعداوة بالداء بجامع نشأة الضرر عن كل على طريق التصريحية. وشبه الحرب بحيوان على طريق المكنية، والبعث تخييل. أو استعمل البعث في التسبب مجازاً مرسلاً أو استعارة تصريحية. والمعنى: وإن تظهروا البغضاء وتوقدوا الهيجاء نغلبكم كما تعلمون منا.
ينظر: ديوانه ص (١٨٦)، ولسان العرب (خفا)، وتاج العروس (خفي)، وتهذيب اللغة (٧/ ٥٩٥).

المسبب ليدل على السبب؛ كقولهم: لا أرينك ههنا، المراد: نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته؛ وذلك سبب رؤيته إياه، فكان ذكر المسبب دليلاً على السبب، كأنه قيل: فكن شديد الشكيمة صليب المعجم[1]، حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدك عما أنت عليه، يعني: أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير؛ إذ لا شيء أطم على الكفرة، ولا هم أشد له نكيراً من البعث، فلا يهولنك وفور دهمائهم ولا عظم سوادهم، ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك، واعلم أنهم وإن كثروا تلك الكثرة، فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه، لا البرهان وتدبره، وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل، وزجر بليغ عن التقليد، وإنذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾؛ كقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]، في انتصاب الحال، بمعنى: الإشارة، ويجوز أن تكون: ﴿تِلْكَ﴾: اسماً موصولاً صلته ﴿بِيَمِينِكَ﴾؛ إنما سأله ليريه عظم ما يخترعه ـ عز وعلا ـ في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة[2]، وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه، وينبهه على قدرته الباهرة؛ ونظيره أن يريك الزرّاد زبرة من حديد ويقول لك: ما هي؟ فتقول: زبرة حديد، ثم يريك بعد أيام لبوساً مسرداً فيقول لك: هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب الصنعة وأنيق السرد، قرأ ابن أبي إسحاق: «عصيّ»: على لغة هذيل؛ ومثله: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ [يوسف: ١٩]، أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه، فقلبوا الألف إلى أخت الكسرة، وقرأ الحسن: عصاي: بكسر الياء؛ لالتقاء الساكنين، وهو مثل قراءة حمزة: ﴿بِمُصْرِخِىَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وعن ابن أبي إسحاق: سكون الياء، ﴿أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾: أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة[3]، هش الورق: خبطه، أي: أخبطه على رءوس غنمي تأكله، وعن لقمان بن عاد ٢/ ١١ب: أكلت حقًّا وابن لبون وجذع، وهشة نخب وسيلاً دفع، والحمد لله من غير شبع، سمعته من غير واحد من العرب، ونخب: واد قريب من الطائف كثير السدر، وفي قراءة النخعي: «أهش»، وكلاهما من هش الخبز يهش: إذا كان ينكسر لهشاشته، وعن عكرمة: أهس بالسين، أي:

---

(١) قوله «صليب المعجم» في الصحاح عجمت العود: إذا عضضته لتعلم صلابته من خوره. ورجل صلب المعجم: إذا كان عزيز النفس. (ع)

(٢) قوله «حية نضناضة» أي تحرك لسانها في فمها. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «الطفرة» أي الوثبة. (ع)

أنحى عليها زاجراً لها، والهس: زجر الغنم، ذكر على التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا، كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال: ما هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان؛ ليكون جوابه مطابقاً للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه، ويجوز أن يريد ـ عزّ وجل ـ أن يعدّد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها، ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة، كأنه يقول له: أين أنت عن هذه المنفعة العظمى، والمأربة الكبرى، المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتدّ بها وتحتفل بشأنها، وقالوا: إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته، وقالوا: إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه، وقالوا: انقطع لسانه بالهيبة فأجمل، وقالوا: اسم العصا نبعة، وقيل في المآرب: كانت ذات شعبتين ومحجن، فإذا طال الغصن حناه بالمحجن، وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين، وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها، وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين[1] على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظلّ، وإذا قصر رشاؤه وصله بها، وكان يقاتل بها السباع عن غنمه، وقيل: كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلواً، وتكونان شمعتين بالليل، وإذا ظهر عدوّ حاربت عنه، وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت، وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه، ويركزها فينبع الماء، فإذا رفعها نضب، وكانت تقيه الهوام.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠﴾

السعي: المشي بسرعة وخفة حركة.

فإن قلت: كيف ذكرت بألفاظ مختلفة: بالحية، والجان، والثعبان؟

قلت: أمّا الحية: فاسم جنس، يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير، وأمّا الثعبان والجان: فبينهما تناف؛ لأن الثعبان العظيم من الحيات، والجان الدقيق، وفي ذلك وجهان:

أحدهما: أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة، ثم تتورّم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعباناً، فأريد بالجان أوّل حالها، وبالثعبان مآلها.

الثاني: أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان؛ والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠]، وقيل: كان لها عرف كعرف الفرس، وقيل: كان بين لحييها أربعون ذراعاً.

---

(١) قوله: «عرض الزندين» في الصحاح «الزند» العود الذي يقدح به النار وهو الأعلى والزند السفلى فيها ثقب وهي الأنثى فإذا اجتمعا قيل: زندان ولم يقل زندتان، والجمع زناد وأزند وأزناد. (ع)

لما رأى ذلك الأمر العجيب الهائل، ملكه من الفزع والنفاز ما يملك البشر عند الأهوال والمخاوف، وعن ابن عباس: انقلبت ثعباناً ذكراً يبتلع الصخر والشجر، فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر، وعن بعضهم: إنما خافها؛ لأنه عرف ما لقي آدم منها، وقيل: لما قال له ربه: ﴿وَلَا تَخَفْ﴾: بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحيها، السيرة من السير: كالركبة من الركوب، يقال: سار فلان سيرة حسنة، ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب والطريقة، وقيل: سير الأوّلين، فيجوز أن ينتصب على الظرف، أي: سنعيدها في طريقتها الأولى، أي: في حال ما كانت عصا، وأن يكون «أعاد»: منقولاً من «عاده»، بمعنى: عاد إليه، ومنه بيت زهير [من الوافر]:

. . . . وَعَـــادَكَ أَنْ تُـــلاَقِـــيَـــهَـــا عِـــدَاءُ[1]

فيتعدى إلى مفعولين، ووجه ثالث حسن: وهو أن يكون: ﴿سَنُعِيدُهَا﴾: مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها، بمعنى: أنها أنشئت أوّل ما أنشئت عصا، ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية، فسنعيدها بعد ذهابها كما أنشأناها أوّلاً، ونصب سيرتها بفعل مضمر، أي: تسير سيرتها الأولى، يعني: سنعيدها سائرة سيرتها الأولى؛ حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها.

---

(١) فـصـرم حـبـلـهـا إذ صـرمـتـه   وعـادك أن تـلاقـيـهـا عـداء

لزهير. أي: اقطع مودتها حيث قطعت مودتك، شبه المودة بالحبل على طريق الاستعارة التصريحية، والتصريم ترشيح وتقوية للتشبيه. وعادك: يحتمل أنه من عاد إذا رجع، فالمعنى: رجعك وردك، يحتمل أنه مقلوب من عداه إذا صرفه، كما في «ناء» مقلوب «نأى» فالمعنى صرفك. قال أبو عمير: وعادك بمعنى شغلك. وقال الأصمعي: بمعنى عاد إليك، وبمعنى صرفك. ومن المعلوم أن الفعل إذا كان لازماً تعدى بالهمزة إلى المفعول قياساً، وإذا تعدى بنفسه إلى مفعول واحد تعدى بدخول الهمزة عليه إلى مفعولين. واختلف هل هو قياس أو سماعي؟ وأعاد منه، فيجري فيه ما ذكر، وأما تعديته إلى أن تلاقيها أيضاً فهو بإسقاط الخافض توسعا. والعداء: الشغل أو البعد، ويطلق على الجور. من عدا عليه. قال الجوهري: العداء ـ بالفتح ـ الظلم، ويجوز كسره بمعنى المانع، لأن العداء هو ما يعدى به أي يصرف به. كاللواذ لما يلاذ به. والرباط لما يربط به. والمعنى: اقطع مودتها حيث قطعت مودتك. وصرفك عن ملاقاتها صارف عظيم، ونسبة الصرف إليه مجاز عقلي من قبيل الإسناد إلى السبب أو الآلة. ويحتمل أن أصله «عدا» بالكسر والقصر جمع عدو. فمد للضرورة، أي: منعك الأعداء عن لقائها فالإسناد حقيقي.
في ديوانه ص ٦٢، ولسان العرب (عدا)، وكتاب العين ٨/ ٢٥١، والمخصص ١٦/ ٢٢، وكتاب الجيم ٢/ ٣٣٧، وتهذيب اللغة ٣/ ١١٣، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٥٠.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾

قيل لكل ناحيتين: جناحان، كجناحي العسكر لمجنبتيه، وجناحا الإنسان: جنباه، والأصل المستعار منه جناحا الطائر، سميا جناحين، لأنه يجنحهما عند الطيران، والمراد: إلى جنبك تحت العضد؛ دل على ذلك قوله: ﴿تَخْرُجْ﴾، السوء: الرداءة والقبح في كل شيء، فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوأة، وكان جذيمة صاحب الزباء[1] أبرص فكنوا عنه بالأبرش[2]، والبرص: أبغض شيء إلى العرب، وبهم عنه نفرة عظيمة، وأسماعهم لاسمه مجاجة، فكان جديراً بأن يكنى عنه، ولا نرى أحسن ولا ألطف ولا أحز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه، يروى أنه كان آدم أخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يعشى البصر، ﴿بَيْضَآءَ﴾، و﴿ءَايَةً﴾: حالان معاً، و﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: «من» صلة لبيضاء، كما تقول: ابيضت من غير سوء، وفي نصب: (آية): وجه آخر، وهو: أن يكون بإضمار نحو: خذ، ودونك، وما أشبه ذلك؛ حذف لدلالة الكلام، وقد تعلق بهذا المحذوف، ﴿لِنُرِيَكَ﴾ ٢/ ١٢ أي: خذ هذه الآية ـ أيضاً ـ بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى، أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا، أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك.

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي ـ لعنه الله ـ عرف أنه كلف أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش[3] رابط وصدر فسيح، فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه، ويجعله حليماً حمولاً، يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات، وأن يسهل عليه في

---

(١) قوله: «وكان جذيمة صاحب الزباء، جذيمة ملك الحيرة والزباء ملكة الجزيرة كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «فكنوا عنه بالأبرش» في الصحاح البرش في الفرس فقط صغار تخالف سائر لونه والفرس أبرش. (ع)

(٣) قوله: «ذو جأش» في الصحاح يقال: فلان رابط الجأش أي يربط نفسه عن الفرار لشجاعته. (ع)

الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشئون ومقاساة جلائل الخطوب.

فإن قلت: (لي) في قوله: ﴿أَشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾، ما جدواه[1] والكلام بدونه مستتب[2]؟

قلت: قد أبهم الكلام أولاً، فقيل: اشرح لي ويسر لي، فعلم أن ثم مشروحاً وميسراً، ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما، فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره، من أن يقول: اشرح صدري، ويسر أمرى على الإيضاح الساذج؛ لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل، عن ابن عباس: كان في لسانه رتة[3] لما روى من حديث الجمرة (٩٥٠)، ويروى أن يده احترقت، وأن فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ،

---

٩٥٠ ـ قال الزيلعي (٢/ ٣٥١): غريب عن ابن عباس.
وقال الحافظ: لم أره هكذا وإنما وقع في حديث الفتون الطويل الذي أخرجه النسائي وغيره».
وحديث الفتون هذا أخرجه النسائي في التفسير (٢/ ٤١) (٣٤٦) وفيه: «قالت: أجعل بيني وبينك أمراً يعرف فيه الحق، ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن إليه، فإن بطش باللؤلؤ واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين، وهو يعقل، فقرب ذلك إليه فتناول الجمرتين فنزعوهما منه مخافة أن يحرق يديه... الحديث بطوله».
وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٥/ ١٠ ـ ٢٩) رقم (٢٦١٨) وابن جرير (٨/ ٤١٥ ـ ٤١٧) رقم (٢٤١٣١). وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٣٠)، وعزاه لابن أبي عمر العدني في مسنده، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.
وروى الحاكم (٢/ ٥٧٥) في التاريخ قصة موسى وفرعون عن وهب بن منبه وفيه: «إن شئت اجعل في هذا الطشت جمرة وذهباً، فانظر على أيهما يقبض، فأمر فرعون بذلك، فلما مد موسى يده ليقبض على الذهب قبض الملك الموكل به على يده فردها إلى الجمرة، فقبض عليها موسى فألقاها =

---

(١) قال محمود: «إن قلت: ما فائدة لي والكلام مستتب بدونها... إلخ» قال أحمد: ويحتمل عندي والله أعلم أن تكون فائدتها الاعتراف بأن منفعة شرح الصدر راجعة إليه وعائدة عليه؛ فإن الله عز وجل لا ينتفع بإرساله ولا يستعين بشرح صدره، تعالى وتقدس، على خلاف رسول الملك إذا طلب منه أن يريح عليه فإنما يطلب منه ما يعود نفعه على مرسله، ويحصل له غرضه من رسالته، والله أعلم.
(٢) قوله: «مستتب» في الصحاح: استتب الأمر تهيأ واستقام. (ع)
(٣) قوله: «كان في لسانه رتة» في الصحاح «الرتة» بالضم: العجمة في الكلام. وحديث الجمرة: أن موسى كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب، فضرب به رأسه، فغضب وهمّ بقتله، فقالت له امرأته. إنه صبي لا يعقل وجربه إن شئت، فجاءت بطشتين في أحدهما جمر وفي الآخر جوهر، فمد موسى يده إلى الجوهر، فحولها جبريل إلى الجمر فوضع جمرة في فمه فاحترق لسانه. (ع)

ولما دعاه قال: إلى أي رب تدعوني؟ قال: إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها، وعن بعضهم: إنما لم تبرأ يده؛ لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة، واختلف في زوال العقدة بكمالها، فقيل: ذهب بعضها وبقي بعضها؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]، وكان في لسان الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ رتة، فقال رسول الله ﷺ: ورثها من عمه موسى (٩٥١)، وقيل: زالت بكمالها؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦]، وفي تنكير العقدة ـ وإن لم يقل عقدة لساني ـ: أنه طلب حل بعضها؛ إرادة أن يفهم عنه فهما جيداً، ولم يطلب الفصاحة الكاملة، و﴿مِّن لِّسَانِى﴾: صفة للعقدة، كأنه قيل: عقدة من عقد لساني.

الوزير: من الوزر؛ لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه، أو من الوزر[1]؛ لأن الملك يعتصم برأيه ويلجىء إليه أموره، أو من المؤازره وهي المعاونة، عن الأصمعي قال: وكان القياس أزيرا، فقلبت الهمزة إلى الواو، ووجه قلبها أنّ فعيلاً جاء في معنى: مفاعل مجيئاً صالحاً؛ كقولهم: عشير، وجليس، وقعيد، وخليل، وصديق، ونديم، فلما قلبت في أخيه قلبت فيه، وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز، ونظراً إلى يوازر وأخواته، وإلى الموازرة، ﴿وَزِيرًا﴾، و﴿هَـٰرُونَ﴾: مفعولا قوله: ﴿وَٱجْعَل﴾، قدم ثانيهما على أولهما؛ عناية بأمر الوزارة، أو ﴿لِّى وَزِيرًا﴾: مفعولاه، وهارون عطف بيان للوزير، و﴿أَخِى﴾: في الوجهين بدل من هارون، وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحسن[2]، قرءوا جميعاً:

= في فيه ثم قذفها حين وجد حرارتها، فقالت آسية لفرعون: ألم أقل لك إنه لا يعقل شيئاً ولا يعلمه، وكف عنه فرعون وصدقها وكان أمر بقتله».

قال الحافظ: لم أره هكذا، وإنما وقع في حديث القنوت الطويل الذي أخرجه النسائي وغيره من طريق القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير: «سألت ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن قوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا﴾ ـ فذكره بطوله في أربع ورقات ـ فذكر فيه قصة آسية وفرعون. وقولها: قرب إليه جمرتين ولؤلؤتين، وأنه أخذ الجمرتين فانتزعتهما منه مخافة أن يحرقا يده، وهذا يدل على أنه لم يرفعهما إلى فيه. وهو أصح ما ورد في ذلك. وروى الحاكم من طريق وهب بن منبه فذكر قصة وفيها قالت: جربه. إن شئت اجعل في هذا جمرة وذهباً فانظر أيهما يقبض. قال: فأخذ الجمرة وألقاها في فيه ثم قذفها حين وجد حرارتها» ويقال: إن العقدة التي كانت في لسان موسى من أثر تلك الجمرة التي التقمها. انتهى.

٩٥١ ـ قال الحافظ: لم أجده. انتهى.

وقال الزيلعي (١/ ٣٥٢): «غريب جداً».

---

(١) قوله «الوزير من الوزر» أي الثقل. وقوله «أو من الوزر» أي الملجأ. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ويبعد فيه عطف البيان؛ لأن عطف البيان الأكثر فيه أن يكون =

﴿ٱشۡدُدۡ﴾، ﴿وَأَشۡرِكۡهُ﴾: على الدعاء، وابن عامر وحده: «اشدُد»، و«أُشركه»: على الجواب، وفي مصحف ابن مسعود: «أخي واشدد»، وعن أبي بن كعب: «أشركه في أمري»، «واشدد به أزري»، ويجوز فيمن قرأ على لفظ الأمر: أن يجعل: (أخي) مرفوعاً على الابتداء، و(اشدد به): خبره، ويوقف على: (هارون)، الأزر: القوة، وأزره: قواه، أي: اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك، فإن التعاون ـ لأنه مهيج الرغبات ـ يتزايد به الخير ويتكاثر، ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ٣٥﴾ أي: عالماً بأحوالنا وبأن التعاضد مما يصلحنا، وأن هارون نعم المعين والشادّ لعضدي، بأنه أكبر مني سنًّا وأفصح لساناً.

﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾

السؤل: الطلبة، فعل بمعنى: مفعول؛ كقولك: خبز، بمعنى: مخبوز، وأكل، بمعنى: مأكول.

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾

الوحي إلى أم موسى: إما أن يكون على لسان نبيّ في وقتها؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [**المائدة**: ١١١]، أو يبعث إليها ملكاً لا على وجه النبوة، كما بعث إلى مريم، أو يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه، أو يلهمها؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [**النحل**: ٦٨]، أي: أوحينا إليها أمراً لا سبيل إلى التوصل إليه ولا إلى العلم به إلا بالوحي، وفيه مصلحة دينية فوجب أن يوحى ولا يخل به، أي: هو مما يوحى لا محالة وهو أمر عظيم، مثله يحق بأن يوحى (أن): هي المفسرة؛ لأن الوحي بمعنى: القول، القذف

= الأول دونه في الشهرة وهذا بالعكس، قلت: لم يرد الزمخشري أن أخي عطف بيان لهارون حتى يقول الشيخ إن الأول وهو هارون أشهر من الثاني وهو أخي إنما عنى الزمخشري أنه عطف بيان أيضاً لـ ﴿وَزِيرٗا﴾ ولذلك قال أخي ولا بد من الإتيان بلفظه ليُعرف أنه لم يرد إلا ما ذكرته قال: وزيراً هارون مفعولاً قوله: «اجعل» أو: لي وزيراً مفعولاً، وهارون عطف بيان لوزير، وأخي في الوجهين بدل من هارون، وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحسن، فقوله آخر تعيّن أن يكون عطف بيان لما جعل عنه عطف بيان قبل ذلك وجوّز الزمخشري في أخي أن يرتفع بالابتداء، ويكون خبره الجملة من قوله: «اشدد به» وذلك على قراءة الجمهور له بصفة الدعاء، وعلى هذا فالوقف على هارون وقرأ ابن عامر اشدُدْ» بفتح الهمزة للمضارعة وجزم الفعل جواباً للأمر و«أُشرِكه» بضم الهمزة للمضارعة وجزم الفعل نسقاً على ما قبله. انتهى. الدر المصون.

مستعمل في معنى الإلقاء والوضع؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢]، وكذلك الرمي؛ قال [من الطويل]:

غُلاَمٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعاً . . . . (١)

أي: حصل فيه الحسن ووضعه فيه، والضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت: فيه هجنة؛ ٢/١٢ب لما يؤدي إليه من تنافر النظم.

فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت، وكذلك الملقى إلى الساحل.

قلت: ما ضرك لو قلت: المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت؛ حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدّي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر؛ لما كانت مشيئة الله تعالى وإرادته ألاَّ تخطئ جرية ماء اليم الوصول به إلى الساحل وألقاه إليه، سلك في ذلك سبيل المجاز، وجعل اليم كأنه ذو تمييز، أمر بذلك ليطيع الأمر يمتثل رسمه، فقيل: ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ

---

(١) رآني على ما بي عميلة فاشتكى ... إلى ماله حالي فواسى وما هجر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه ... تردى رداء سابغ الذيل واتزر
غلام رماه الله بالحسن يافعاً ... له سيمياء لا تشق على البصر
كأن الثريا علقت فوق نحره ... وفي أنفه الشعرا وفي خده القمر

لأسيد بن عنقاء الفزاري، كان من أكبر أهل زمانه وأعلمهم بالأدب، فطال به عمره ونكبه دهره، فلقيه عميلة الفزاري فسلم عليه وقال: ما أصارك يا عم إلى ما أرى؟ فقال: بخل مثلك بماله، وصون وجهي عن مسألة الناس. فقال: لئن بقيت إلى غد لأغيرن ما بك، فلما كان وقت السحر سمع رغاء الإبل وصهيل الخيل تحت الأموال. فقال: ما هذا؟ قالوا: عميلة شطر ماله بينك وبينه، فأنشأ يقول ذلك. وشبه ماله بعاقر على طريق المكنية. والشكوى إليه تخييل. وضمير واسى، بمعنى: أعطى لعميلة. ويجوز أنه للمال، بناء على التشبيه السابق. وثياب المجد مجاز عن المكارم والإحسان على طريق التصريح، واستعارتها ترشيح. ومعناه أخذها من أربابها وذهابها من أصحابها، وذلك كله كناية عن بخل ذوي الأموال. وسابغ الذيل: طويله. واتزر: لبس الإزار. ويقرأ بتشديد التاء. ويجوز فتحها مع همزة ساكنة قبلها على الأصل والمجاز كما تقدم. وذلك كناية عن كثرة جوده، ويجوز أن المعنى لما رأى الناس تفتخر بمفاخر غيرهم فقط صنع هو المكارم بنفسه لنفسه، ورماه الله بالحسن: وضعه فيه بكثرة، كأنه قذفه فيه بغير حساب. واليافع: الشاب وهو حال. والسيمياء: العلامة لا تشق على البصر كناية عن ظهورها فلا تحتاج إلى تأمل، كظهور الكواكب. والنحر: أعلى الصدر وأسفل العنق. والشعرا: نجم كثير الضوء. والبيت الثاني بيان للأول. وروي «حباه الله» وروي «علقت في جبينه» وروي: «وفي جيده القمر» وحباه: أعطاه. والجيد: العنق، وهذه الرواية أقعد.
ينظر البيت في لسان العرب (سوم) وتاج العروس (سوم)، وبلا نسبة في لسان العرب (سوم)، وتهذيب اللغة ١٣/١١٢، والمخصّص ١٦/١٦.

﴿بِٱلسَّاحِلِ﴾، روي أنها جعلت في التابوت قطناً محلوجاً، فوضعته فيه وجصصته وقيرته، ثم ألقته في اليم، وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير، فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت، فأمر به فأخرج ففتح، فإذا صبي أصبح الناس وجهاً، فأحبه عدوّ الله حبًّا شديداً لا يتمالك أن يصبر عنه، وظاهر اللفظ أنّ البحر ألقاه بساحله وهو شاطئه؛ لأنّ الماء يسحله، أي: يقشره، وقذف به ثمة فالتقط من الساحل، إلا أن يكون قد ألقاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون، ثم أداه النهر إلى حيث البركة، ﴿لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾: لا يخلو إما أن يتعلق بألقيت، فيكون المعنى على: أني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب، وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة، أي: محبة حاصلة أو واقعة مني، قد ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها؛ فلذلك أحبك فرعونه وكل من أبصرك، روي أنه كانت على وجهه مسحة جمال، وفي عينيه ملاحة، لا يكاد يصبر عنه من رآه، ﴿عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾: لتربي ويحسن إليك وأنا مراعيك وراقبك، كما يراعي الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به، وتقول للصانع: اصنع هذا على عيني أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي، ولتصنع: معطوف على علة مضمرة، مثل: ليتعطف عليك وترأم[1]، ونحوه، أو حذف معلله، أي: ولتصنع فعلت ذلك، وقرئ: «ولِتصنَعْ»، و«لْتصنع» بكسر اللام وسكونها، والجزم على أنه أمر، وقرئ: «ولتَصنع»: بفتح التاء والنصب، أي: وليكون عملك وتصرفك على عين مني.

﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾﴾

العامل في ﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ﴾[2]، (ألقيت)، أو (تصنع)، ويجوز أن يكون بدلاً من: (إذ أوحينا).

فإن قلت: كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان؟

قلت: كما يصح ـ وإن اتسع الوقت وتباعد طرفاه ـ أن يقول لك الرجل: لقيت فلانا سنة كذا، فتقول: وأنا لقيته إذ ذاك، وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها، يروى أن

---

(١) قوله «وترأم» أي تحب وتؤلف. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «العامل في (إذ تمشي) ألقيت أو تصنع... إلخ» قال أحمد: والمعنى يوجب عمل (ولتصنع) فيه لأن معنى صنيعه على عين الله عز وجل: تربيته مكلوءاً بكلاءته مصوناً بحفظه، وزمان تربيته على هذه الحالة: هو زمان رده إلى أمه المشفقة الحنانة. وأما إلقاء المحبة عليه، فقيل: ذلك أول ما أخذه فرعون وأحبه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره، فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها؛ وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت: هل أدلكم؟ فجاءت بالأمّ، فقبل ثديها، ويروى أن آسية استوهبته من فرعون وتبنته، وهي التي أشفقت عليه وطلبت له المراضع.

هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي، قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة: اغتم بسبب القتل؛ خوفاً من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون، فغفر الله له باستغفاره حين قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، ونجاه من فرعون أن ينشب فيه أظفاره حين هاجر به إلى مدين، ﴿فُتُونًا﴾: يجوز أن يكون مصدراً على فعول في المتعدّي، كالثبور والشكور والكفور، وجمع فتن أو فتنة، على ترك الاعتداد بتاء التأنيث، كحجوز وبدور، في حجزة وبدرة، أي: فتناك ضروباً من الفتن، سأل سعيد بن جبير ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ فقال: خلصناك من محنة بعد محنة: ولد في عام كان يقتل فيه الولدان، فهذه فتنة يا ابن جبير، وألقته أمّه في البحر، وهمّ فرعون بقتله، وقتل قبطيًا، وأجر نفسه عشر سنين، وضلّ الطريق، وتفرّقت غنمه في ليلة مظلمة، وكان يقول عند كل واحدة: فهذه فتنة يا ابن جبير، والفتنة: المحنة، وكل ما يشق على الإنسان، وكل ما يبتلي الله به عباده: فتنة؛ قال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿خَمِدِينَ﴾: على ثماني مراحل من مصر، وعن وهب: أنه لبث عند شعيب ثمانياً وعشرين سنة، منها مهر ابنته، وقضى أوفى الأجلين، أي: سبق في قضائي وقدري أن أكلمك وأستنبئك، وفي وقت بعينه قد وقته لذلك، فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر، وقيل: على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء، وهو رأس أربعين سنة، هذا تمثيل لما خوّله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم، مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص؛ أهلا لئلا يكون أحد أقرب منزلة منه إليه، ولا ألطف محلاً، فيصطنعه بالكرامة والأثرة، ويستخلصه لنفسه، ولا يبصر ولا يسمع إلا بعينه وأذنه، ولا يأتمن على مكنون سره إلا سواء ضميره[1] ٢/١٣أ.

﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾

الونى: الفتور والتقصير، وقرئ: «تنيا»: بكسر حرف المضارعة للاتباع، أي: لا تنسياني ولا أزال منكما على ذكر حيثما تقلبتما، واتخذا ذكري جناحاً تصيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني، معتقدين أن أمراً من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكري، ويجوز

---

(١) قوله «سواء ضميره» في الصحاح «سواء الشيء»: وسطه. (ع)

أن يريد بالذكر: تبليغ الرسالة؛ فإنَّ الذكر يقع على سائر العبادات، وتبليغ الرسالة من أجلها وأعظمها، فكان جديراً بأن يطلق عليه اسم الذكر، روي أن الله ـ تعالى ـ أوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى، وقيل: سمع بمقبله، وقيل: ألهم ذلك، قرئ: (لينا): بالتخفيف والقول اللين؛ نحو قوله تعالى: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٨ ـ ١٩]، لأنّ ظاهره الاستفهام والمشورة، وعرض ما فيه من الفوز العظيم، وقيل: عداه شباباً لا يهرم بعده، وملكاً لا ينزع منه إلا بالموت، وأن تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته، وقيل: لا تجبهاه بما يكره، وألطفا له في القول[١]؛ لما له من حق تربية موسى، ولما ثبت له من مثل حق الأبوّة، وقيل: كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث: أبو العباس، وأبو الوليد، وأبو مرّة، والترجي لهما، أي: اذهبا على رجائكما وطمعكما، وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه، فهو يجتهد بطوقه، ويحتشد[٢] بأقصى وسعه، وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة، ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [القصص: ٤٧]، أي: يتذكر ويتأمّل فيبذل النصفة من نفسه والإذعان للحق، ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾: أن يكون الأمر كما تصفان، فيجرّه إنكاره إلى الهلكة.

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾

فرط: سبق وتقدّم، ومنه الفارط: الذي يتقدّم الواردة، وفرس فرط: يسبق الخيل، أي: نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها، وقرئ ﴿يَفْرُطَ﴾: من أفرطه غيره إذا حمله على العجلة، خافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب[٣] من شيطان، أو من جبروته واستكباره وادّعائه الربوبية، أو من حبه الرياسة، أو من قومه القبط المتمرّدين الذين حكى عنهم ربّ العزة: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦ﴾ [المؤمنون: ٣٣]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦ﴾ [المؤمنون: ٣٣]، وقرئ: «يفرط»؛ من الإفراط في الأذية، أي: نخاف أن يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة، أو يجاوز الحدّ في معاقبتنا إن لم يعاجل؛ بناء على ما عرفا وجرّبا من شرارته وعتوّه، ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾: بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي؛ لجرأته عليك

---

(١) قوله: «وقيل: لاتجبهاه بما يكره» في الصحاح «جبهته بالمكروه» إذا استقبلته به، وفيه «اللطف في العمل» الرفق به. (ع)

(٢) قوله: «ويحتشد بأقصى وسعه» أي يستعد ويتأهب. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قال محمود: «معنى يفرط علينا يعجل بعقوبتنا... إلخ» قال أحمد: وإذا روعي في الأدب إطلاق هذه اللفظة عن مجرور بها، فلا يبعد أن يراعى في الأدب بالاعتراف بتقلد منة الله عز وجلّ زيادة المجرور في قوله ﴿ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ كما قدمته آنفاً والله أعلم.

وقسوة قبله، وفي المجيء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز: باب من حسن الأدب وتحاش عن التفوّه بالعظيمة.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

﴿مَعَكُمَآ﴾ أي: حافظكما وناصركما، ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾: ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل، فأفعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما، فجائز أن يقدّر أقوالكم وأفعالكم، وجائز ألاّ يقدّر شيء، وكأنه قيل: أنا حافظ لكما وناصر سامع مبصر، وإذا كان الحافظ والناصر كذلك، تمّ الحفظ وصحت النصرة، وذهبت المبالاة بالعدوّ، كانت بنو إسرائيل في ملكة فرعون والقبط، يعذبونهم بتكليف الأعمال الصعبة: من الحفر والبناء ونقل الحجارة، والسخرة في كل شيء، مع قتل الولدان، واستخدام النساء، ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾: جملة جارية من الجملة الأولى، وهي: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ **[طه: ٤٧]**، مجرى البيان والتفسير؛ لأنّ دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها التي هي المجيء بالآية؛ إنما وحد قوله: (بآية)، ولم يثن ومعه آيتان؛ لأنّ المراد في هذا الموضع: تثبيت الدعوى ببرهانها، فكأنه قال: قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة؛ وكذلك ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ **[الأعراف: ١٠٥]**، ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ **[الشعراء: ١٥٤]**، ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ **[الشعراء: ٣٠]**، يريد: وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين، وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾

خاطب الاثنين، ووجه النداء إلى أحدهما وهو موسى، لأنه الأصل في النبوة، وهارون وزيره وتابعه، ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته[1] على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه؛ لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى؛ ويدل عليه قوله: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ **[الزخرف: ٥٢]**، ﴿خَلْقَهُۥ﴾: أول مفعولي أعطى، أي: أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به، أو ثانيهما، أي: أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به، كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع؛ وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان: كل

---

(١) قوله «يحمله خبثه ودعارته» أي فساده وفسقه. (ع)

واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة، غير ناب عنه، أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة، حيث جعل الحصان والحجر[1] زوجين، والبعير والناقة، والرجل والمرأة، فلم يزاوج منها شيئاً غير جنسه وما هو على خلاف خلقه، وقرئ: «خلقه»: صفة للمضاف أو للمضاف إليه، أي: كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه، ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي: عرّف كيف يرتفق بما أعطى، وكيف يتوصل ٢/١٣ب إليه، ولله درّ هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه، وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالباً للحق.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾

سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون، وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد، فأجابه بأنّ هذا سؤال عن الغيب، وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو، وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب، وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ، لا يجوز على الله أن يخطئ شيئاً أو ينساه، يقال: ضللت الشيء: إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له؛ كقولك: ضللت الطريق والمنزل، وقرئ: «يضل»: من أضله إذا ضيعه، وعن ابن عباس: لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه، ولا يترك من وحده حتى يجازيه، ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في إحاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم، فتعنت وقال: ما تقول في سوالف القرون، وتمادي كثرتهم، وتباعد أطراف عددهم، كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم؟ فأجاب: بأنّ كل كائن محبط به علمه، وهو مثبت عنده في كتاب، ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان، كما يجوزان عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل، أي: لا يضل كما تضل أنت، ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة، ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾: مرفوع صفة لربي، أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح؛ وهذا من مظانه ومجازه، ﴿مَهْدًا﴾: قراءة أهل الكوفة، أي: مهدها مهداً، أو يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي، ﴿وَسَلَكَ﴾: من قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدثر: ٤٢]، ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ [الشعراء: ٢٠٠]، ﴿نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ١٢]، أي: حصل لكم فيها سبلاً ووسطها بين الجبال والأودية والبراري، ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾: انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع، لما ذكرت من

---

(١) قوله «والحجر» بكسر الحاء وسكون الجيم: الأنثى من الخيل. اهـ مصححه.

الافتنان[١]، والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره، وتذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته، لا يمتنع شيء على إرادته؛ ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧]، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠]، وفيه تخصيص ـ أيضاً ـ بأنا نحن نقدر على مثل هذا، ولا يدخل تحت قدرة أحد، ﴿أَزْوَٰجًا﴾: أصنافاً؛ سميت بذلك لأنها مزدوجة ومقترنة بعضها مع بعض، ﴿شَتَّىٰ﴾: صفة للأزواج، جمع شتيت، كمريض ومرضي، ويجوز أن يكون صفة للنبات، والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت، فاستوى فيه الواحد والجمع، يعني: أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل، بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم، قالوا: من نعمته ـ عز وعلا ـ أن أرزاق العباد إنما تحصل بعمل الأنعام، وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله، أي: قائلين ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟﴾: حال من الضمير في: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾، المعنى: أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها، مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها.

﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

أراد بخلقهم من الأرض خلق أصلهم هو آدم ـ عليه السلام ـ منها، وقيل: إن الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبدّدها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معاً، وأراد بإخراجهم منها أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب، ويردّهم كما كانوا أحياء، ويخرجهم إلى المحشر ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣]، عدّد الله

---

(١) قال محمود «هذا من باب الالتفات. . . . إلخ» قال أحمد: الالتفات إنما يكون في كلام المتكلم الواحد، يصرف كلامه على وجوه شتى، وما نحن فيه ليس من ذلك؛ فإن الله تعالى حكى عن موسى ـ عليه السلام ـ قوله لفرعون: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ ثم قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ إلى قوله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ إما أن يجعل من قول موسى فيكون من باب قول خواص الملك: أمرنا وعمرنا، وإنما يريدون الملك، وليس هذا بالتفات. وإما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله: ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ثم ابتدأ الله تعالى وصف ذاته بصفات إنعامه على خلقه، فليس التفاتاً أيضاً، وإنما هو انتقال من حكاية إلى إنشاء خطاب، وعلى هذا التأويل ينبغي للقارئ أن يقف وقيفة عند قوله: ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ليستقر بانتهاء الحكاية. ويحتمل وجهاً آخر: وهو أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجاً من نبات شتى﴾ فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير إلى ذاته؛ لأن الحاكي هو المحكي في كلام موسى، فمرجع الضميرين واحد، وهذا الوجه وجه حسن دقيق الحاشية، وهذا أقرب الوجوه إلى الالتفات، لكن الزمخشري لم يعنه، والله أعلم.

عليهم ما علق بالأرض من مرافقهم؛ حيث جعلها لهم فراشاً ومهاداً يتقلبون عليها، وسوّى لهم فيها مسالك يتردّدون فيها كيف شاءوا، وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم، وهي أصلهم الذي منه تفرعوا، وأمهم التي منها ولدوا، ثم هي كفاتهم إذا ماتوا[1]، ومن ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «تَمَسَّحُوا بِالأَرْضِ، فَإِنَّهَا بِكُمْ بَرَّةٌ» (٩٥٢).

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝٥٦﴾

﴿أَرَيْنَٰهُ﴾: بصرناه أو عرفناه صحتها ويقناه بها؛ وإنما كذب لظلمه؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٢]، وفي قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ وجهان:

أحدهما: أن يحذى بهذا التعريف الإضافي حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها[2]، أعني: أنها كانت لا تعطي إلا تعريف العهد، والإشارة إلى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى ـ عليه السلام ـ: العصا، واليد، وفلق البحر، والحجر، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ونتق الجبل.

والثاني: أن يكون موسى قد أراه آياته وعدّد عليه ما أوتيه غيره من الأنبياء من آياتهم

---

٩٥٢ ـ أخرجه الطبراني في الصغير (١/١٤٨) حدثنا حملة بن محمد الغزي بمدينة غزة حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي حدثنا محمد بن يوسف الفريابي حدثنا سفيان عن عوف عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «تمسحوا بالأرض؛ فإنها بكم برة».
وقال لم يروه عن سفيان إلا الفريابي، ومن طريقه رواه القضاعي في مسند الشهاب (٧٠٤)، وأخرج القضاعي في مسند الشهاب وابن أبي شيبة في المصنف (١/١٤٩) كتاب الطهارات، باب ما يجزىء الرجل في تيممه حديث (١٧٠٧) عن أبي عثمان النهدي عن النبي ـ ﷺ ـ قال: بلغني أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «تمسحوا بها؛ فإنها بكم برة ـ يعني الأرض» هكذا مرسلاً.
قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة عن علية عن عوف عن ابن عثمان به مرسلاً. وأخرجه الطبراني في الصغير من رواية الفريابي عن الثوري عن عوف. وصله بذكر سلمان قال ابن طاهر: المرسل أولى بالصواب. انتهى.

---

(١) قوله «ثم هي كفاتهم إذا ماتوا» أي موضعهم الذي يضمون فيه. أفاده الصحاح. (ع)
(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وفيه بعد لأن الإخبار بالشيء لا يسمى رؤية له الإعجاز بعيد وقيل: بل الرؤية هنا رؤية قلبية وأيد ذلك بأنه لم يكن أراه إلا اليد والعصا فقط ومن جوّز استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه أو إعمال المشترك في معنييه يجيز أن يراد المعنيان جميعاً وتأكيد الآيات بكلها يدل على إرادة العموم لأنهم قالوا: فائدة التوكيد بكل وأخواتها رفع توهم وضع الأخص موضع الأعم فلا يدعي أنه أراد بالآيات آيات مخصوصة وهذا يتمشى على أن الرؤية قلبية ويراد بالآيات ما يدل على وحدانية الله وصدق المبلغ. انتهى. الدر المصون.

ومعجزاتهم، وهو نبيّ صادق، لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به، فكذبها جميعاً، ﴿وَأَبَىٰ﴾: أن يقبل شيئاً منها، وقيل: فكذب الآيات وأبى قبول الحق.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ (٥٧)﴾

يلوح من جيب قوله: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾: أن فرائصه كانت ترعد خوفاً مما ٢/ ١٤أ جاء به موسى ـ عليه السلام ـ لعلمه وإيقانه أنه على الحق، وأن المحق لو أراد قود الجبال لانقادت وأن مثله لا يخذل ولا يقل ناصره، وأنه غالبه على ملكه لا محالة، وقوله: (بسحرك): تعلل وتحير، وإلا فكيف يخفى عليه أن ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ (٦٠)﴾

لا يخلو الموعد في قوله: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ من أن يجعل زماناً أو مكاناً أو مصدراً، فإن جعلته زماناً نظراً في أن قوله تعالى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾: مطابق له، لزمك شيئان: أن تجعل الزمان مخلفاً، وأن يعضل عليك ناصب مكاناً: وإن جعلته مكاناً؛ لقوله تعالى: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: ٥٨]، لزمك(١) ـ أيضاً ـ أن توقع الإخلاف على المكان، وألاّ

---

(١) قال محمود «إن جعلت موعداً الأول اسم مكان ليطابق قوله مكاناً سوى لزمك... إلخ» قال أحمد: وفي إعماله وقد وصف بقوله ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ بعد، إلا أن تجعل: الجملة معترضة، فهو مع ذلك لا يخلو من بعد، من حيث أن وقوع الجملة عقيب النكرة بحيزها، الشأن أن تكون صفة، والله أعلم. ويحتمل عندي وجه آخر أخصر وأسلم: وهو أن يجعل موعداً اسم مكان فيطابق مكاناً، ويكون بدلاً منه، ويطابق الجواب بالزمان بالتقرير الذي ذكره ويبقى عود الضمير، فتقول: هو والحال هذه عائد على المصدر المفهوم من اسم المكان: لأن حروفه فيه. والموعد إذا كان اسم مكان فحاصله مكان وعد، كما إذا كان اسم زمان فحاصله زمان وعد. وإذا جاز رجوع الضمير إلى ما دلت قوة الكلام عليه وإن لم يكن منطوقاً به بوجه، فرجوعه إلى ما هو كالمنطوق به أولى. ومما يحقق ذلك أنهم قالوا: من صدق كان خيراً له. يعنون: كان الصدق خيراً له، فأعادوا الضمير على المصدر وقدروه منطوقاً به للنطق بالفعل الذي هو مشتق منه. وإذا أوضح ذلك فاسم المكان مشتق من المصدر اشتقاق الفعل منه، فالنطق به كاف في إعادة الضمير على مصدره والله أعلم. وعلى هذين التأويلين يكون جواب موسى ـ عليه السلام ـ من جوامع كلم الأنبياء؛ لأنه سئل أن يواعدهم مكاناً فعلم أنهم لا بد أن يسألوه مواعدة على زمان أيضاً، فأسلف الجواب عنه وضمنها جواباً مفرداً، ولقائل أن يقول: إن كان المسئول منه المواعدة على المكان فلم أجاب بالزمان الذي لم يسئل عنه صريحاً، وجعل جواب ما سئل عنه مضمناً. وجوابه ـ والله أعلم ـ أن يقال: اكتفى بقرينة =

يطابق قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ [طه: ٥٩]، وقراءة الحسن غير مطابقة له مكاناً وزماناً جميعاً؛ لأنه قرأ: (يوم الزينة): بالنصب، فبقي أن يجعل مصدراً، بمعنى: الوعد، ويقدر: مضاف محذوف، أي: مكان موعد، ويجعل الضمير في (نخلفه): للموعد، و(مكانا): بدل من المكان المحذوف.

فإن قلت: فكيف طابقه قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾، ولا بد من أن تجعله زماناً، والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان؟

قلت: هو مطابق معنى، وإن لم يطابق لفظاً؛ لأنهم لا بدّ لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه، مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم، فبذكر الزمان علم المكان، وأما قراءة الحسن: فالموعد فيها مصدر لا غير، والمعنى: إنجاز وعدكم يوم الزينة، وطباق هذا ـ أيضاً ـ من طريق المعنى، ويجوز ألاَّ يقدر مضاف محذوف، ويكون المعنى: اجعل بيننا وبينك وعداً لا نخلفه.

فإن قلت: فبم ينتصب مكاناً؟

قلت: بالمصدر، أو بفعل يدل عليه المصدر.

فإن قلت: فكيف يطابقه الجواب؟

قلت: أما على قراءة الحسن فظاهر، وأما على قراءة العامة فعلى تقدير: وعدكم وعد يوم الزينة، ويجوز على قراءة الحسن أن يكون: (موعدكم): مبتدأ، بمعنى: الرقت، و(ضحى): خبره، على نية التعريف فيه؛ لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه، وقيل: في يوم الزينة: يوم عاشوراء، ويوم النيروذ[1]، ويوم عيد كان لهم في كل عام، ويوم كانوا يتخذون فيه سوقاً ويتزينون ذلك اليوم، قرئ: ﴿نُخْلِفُهُ﴾: بالرفع على الوصف للموعد، وبالجزم على جواب الأمر، وقرئ: ﴿سُوًى﴾، وسوى: بالكسر والضم، ومنوناً وغير منون، ومعناه: منصفاً بيننا[2]، وبينك عن مجاهد، وهو من الاستواء؛ لأنّ المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها، ومن لم ينون فوجهه أن يجري الوصل مجرى الوقف، قرئ: ﴿وإن تحشر الناس﴾: بالتاء والياء، يريد: وأن تحشر يا فرعون، وأن يحشر اليوم، ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة إما على العادة التي يخاطب بها الملوك، أو خاطب القوم بقوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾، وجعل: ﴿يُحْشَرَ﴾: لفرعون، ومحل: ﴿وَأَن

= السؤال عن صريح الجواب. وأما ما لم يسئل عنه فلو ضمنه لم يفهم قصده إليه؛ إذ لا قرينة تدل عليه والله أعلم.

(١) قوله «ويوم النيروذ» لعله النيروز بالزاي كعبارة غيره. (ع)

(٢) قوله «منصفاً بيننا» أي وسطا، كما في الصحاح. (ع)

﴿يُحْشَرَ﴾: الرفع أو الجرّ، عطفاً على اليوم أو الزينة؛ وإنما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر[1] وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد وفي المجمع الغاص، لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق، ويكل حدّ المبطلين وأشياعهم، ويكثر المحدث بذلك الأمر العلم في كل بدو وحضر، ويشيع في جميع أهل الوبر والمدر.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١)﴾

﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا تدعوا آياته ومعجزاته سحراً، قرئ: ﴿فَيَسْحِتَكُم﴾، والسحت: لغة أهل الحجاز، والإسحات: لغة أهل نجد وبني تميم؛ ومنه قول الفرزدق [من الطويل]:

. . . . إلاَّ مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ

في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية إعرابه[2].

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ (٦٢) قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ (٦٤)﴾

عن ابن عباس: إن نجواهم: إن غلبنا موسى اتبعناه، وعن قتادة: إن كان ساحراً فسنغلبه، وإن كان من السماء فله أمر، وعن وهب لما قال: ﴿وَيْلَكُمْ﴾. . . الآية، قالوا: ما هذا بقول ساحر، والظاهر أنهم تشاوروا في السر، وتجاذبوا أهداب القول، ثم قالوا: إن هذان لساحران، فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره؛ خوفاً من غلبتهما، وتثبيطاً للناس عن اتباعهما، قرأ أبو عمرو: (إن هذين لساحران): على الجهة الظاهرة المكشوفة، وابن كثير وحفص: إن هذان لساحران، على قولك: إن زيد لمنطلق، واللام

---

(١) قوله «وكبت الكافر» أي إذلاله. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية إعرابه» هو قوله:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع   من المال إلا مسحتًا أو مجلفُ

والمسحت: المهلك. والمجلف: الذي أخذ من جوانبه، كما في الصحاح. (ع)

ينظر البيت في جمهرة اللغة ص ٣٨٦، ١٢٥٩، وخزانة الأدب ١/ ٢٣٧، ٨/ ٥٤٣، والخصائص ١/ ٩٩، ولسان العرب (سحت)، (جلف) (ودع)، وبلا نسبة في الإنصاف ١/ ١٨٨، وجمهرة اللغة ص ٤٨٧، وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٧٩، وشرح المفصل ١/ ٣١، ١٠/ ١٠٣، والمحتسب ١/ ١٨٠، ٢/ ٣٦٥.

هي الفارقة بين إن النافية والمخففة من الثقيلة، وقرأ أبيّ: «إن ذان إلا ساحران»، وقرأ ابن مسعود: «أن هذان ساحران»: بفتح أن وبغير لام، بدل من النجوى[1]، وقيل في القراءة المشهورة: (إن هذان لساحران) هي لغة بلحارث بن كعب، جعلوا الاسم المثنى نحو الأسماء التي آخرها ألف، كعصا وسعدى، فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب، وقال بعضهم: (أن) بمعنى: نعم، و(ساحران): خبر مبتدأ محذوف، واللام داخلة على الجملة تقديره: لهما ساحران، وقد أعجب به أبو إسحاق سموا مذهبهم الطريقة: ﴿ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾، والسنة: الفضلى، وكل حزب بما لديهم فرحون، وقيل: أرادوا أهل طريقتهم المثلى، وهم: بنو إسرائيل؛ لقول موسى: ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: ٤٧]، وقيل: «الطريقة»: اسم لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم، يقال: هم ٢/ ١٤ب طريقة قومهم، ويقال للواحد ـ أيضاً ـ: هو طريقة قومه، ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾، يعضده قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠] وقرئ: (فأجمعوا كيدكم) أي: أزمعوه واجعلوه مجمعاً عليه، حتى لا تختلفوا ولا يخلف عنه واحد منكم، كالمسألة المجمع عليها، أمروا بأن يأتوا صفًّا؛ لأنه أهيب في صدور الرائين، وروي أنهم كانوا سبعين ألفاً مع كل واحد منهم حبل وعصا، وقد أقبلوا إقبالة واحدة، وعن أبي عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى؛ لأن الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين، ووجه صحته أن يقع علماً لمصلى بعينه، فأمروا بأن يأتوه، أو يراد: ائتوا مصلى من المصليات، ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾: اعتراض، يعني: وقد فاز من غلب[2].

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ۝٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ۝٦٦﴾

﴿أَن﴾: مع ما بعده إما منصوب بفعل مضمر، أو مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف، معناه: اختر أحد الأمرين، أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا، وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه، وتواضع له وخفض جناح، وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم[3]،

---

(١) قال السمين الحلبي: وفيه نظر لأن الاعتراض بالجملة القولية بين البدل والمبدل منه لا يصح، وأيضاً فإن الجملة القولية مفسرة للنجوى في قراءة العامة وكذا قاله الزمخشري أولاً فكيف يصح أن يجعل أن هذان ساحران بدلاً من النجوى؟ انتهى. الدر المصون.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ وهذا تفسير معنى لا تفسر إعراب، وتفسير الإعراب إما أن تختار الإلقاء. انتهى الدر المصون.

(٣) قال محمود: «لقد ألهمهم الله حسن الأدب مع موسى عليه السلام في تخييره وإعطاء النصفة من أنفسهم» قال أحمد: وقبل ذلك تأدبوا معه بقولهم ﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه﴾ ففوضوا ضرب الموعد إليه، وكما ألهم الله عز وجل موسى ههنا أن يجعلهم مبتدلين بما معهم ليكون إلقاؤه =

وكأن الله ـ عز وعلا ـ ألهمهم ذلك، وعلم موسى ـ صلوات الله عليه ـ اختيار إلقائهم أولاً، مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب، حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر، ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم، فإذا فعلوا، أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه، وسلط المعجزة على السحر فمحقته، وكانت آية نيرة للناظرين، وعبرة بينة للمعتبرين، يقال: في (إذا) هذه: إذا المفاجأة، والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى: الوقت، الطالبة ناصباً لها وجملة تضاف إليها، خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً، وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير، فتقدير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾: ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم، وهذا تمثيل، والمعنى: على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي[1]، وقرئ: (عصيهم): بالضم وهو الأصل، والكسر اتباع؛ ونحوه: دُليّ ودِليّ، وقُسيّ وقِسيّ، وقرئ: (تخيل): على إسناده

= العصا بعد قذفا بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق. كذلك ألهمه من الأول أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم، ليكون الحق أبلج على رءوس الأشهاد، فيكون أفصح لكيدهم وأهتك لستر حرمهم، والله أعلم.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ قوله إنَّها زمانية قَوْلٌ مَرْجُوحٌ وهو مذهب الرياشي وقوله الطالبة ناصباً صحيح، وقوله وجملة تضاف إليها ليس صحيحاً عِنْدَ بَعْضِ أَصْحَابِنا، لأنها إمَّا أنْ تَكُونَ هي خبر المبتدأ وإما أن تكون معمولة لخبر المبتدأ وإذا كان كذلك استحال أنْ تُضَافَ إلى الجملةِ، لأنَّها إما إنْ تكون بعض الجملة أَوْ مَعْمُولَة لِبَعْضِها فلا يُمْكِنُ الإضَافَة، وقوله خُصَّتْ في بعض المواضع إلخ قد بيَّنا الناصب لها وقوله والجملة بعدها ابتدائية لا غير، هذا الحصر ليس بصحيح بل جَوَّزَ الأخفشُ على أنَّ الجملة الفعلية المقترنَة بِقَدْ تَقَعُ بَعْدَهَا، نحو خَرَجْتُ فَإِذَا قَدْ ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْراً وهي على ذلك مسألة الاشتغال نحو خَرَجْتُ فَإِذَا زَيْدٌ قَدْ ضَرَبَه عَمْرُو فَرُفِعَ زَيْدٌ ونَصْبِهِ على الاشتغال، وقوله والمعنى على مفاجأته حِبَالُهم وعِصِيُّهُمْ مخيلة إليه السعي، فهذا عكس ما قدر بل المعنى على مفاجأة حبالهم وعصيهم إياه فإذا قلت خَرَجْتُ فإذَا السَّبُعُ فالمعنى أنّه فَاجأَنِي السبُعُ وهَجَمَ ظهُوره، انتهى مَا رَدَّ به قوله.

وما رد به عليه غير لازم له، لأنه رَدَّ عليه بقول بعض النحاة وهو لا يلتزم ذلك القول حتى يرد به عليه لا سيما إذا كانَ المشهورُ غَيْرَهُ ومقصوره تفسير المعنى، قال أبو البقاء الفاء جواب ما حذف وتقديره فَأَلْقَوْا فإذَا، «فَإِذَا» في هذا ظرف مكان العامل فيه «فَأَلْقَوْا» وفي هذا نظر لأنَّ أَلْقَوْا هذا لمقدر لا يطلب جواباً حتى يقول إلغاء جوابه، بل كان ينبغي أن يقول الفاء عاطفة هذه الجملة الفجائية على جملة أخرى مقدرة، وقوله ظرف مكان هذا مذهب المبرد وظاهر قول سيبويه أيضاً وإن كَانَ المشهورُ بقاءَهَا على الزمان وقوله إنَّ العامل فيها فَأَلْقَوْا لا يجوز لأن الفاء تمنع من ذلك، هذا كلام الشيخ ثم قال بعده ولأنَّ إذَا هذه إنَّما هي معمولة لخبر المبتدأ الذي هو حبالهم وعصيهم إنْ لم يجعلها هي في مواضع الخبر، لأنه يجوز أن يكون الخبر يخيل ويجوز أن يكون إذا «ويُخَيَّلُ» في موضع الحال وهذا نظير خرجت فَإِذَا الأسدُ رَابِضٌ وَرَابضاً، فإذا رَفَعْتَ رَابضاً كانت إذَا مَعْمُولة له والتقدير فبالحضرة الأسدُ رَابِضٍ أو في المكان وإذا نصبت كانت إذا جرًّا ولذلك يكتفي بها وبالمرفوع بعدها كلاماً، نحو خَرَجتُ فإذا الأسدُ. انتهى. الدر المصون.

إلى ضمير الحبال والعصي، وإبدال قوله: ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾: من الضمير بدل الاشتمال؛ كقولك: أعجبني زيد كرمه، وتخيل على كون الحبال والعصيّ مخيلة سعيها، وتخيل بمعنى: تتخيل، وطريقه طريق تخيل، ونخيل: على أنّ الله ـ تعالى ـ هو المخيل للمحنة والابتلاء، يروى أنهم لطخوها بالزئبق، فلما ضربت عليها الشمس، اضطربت واهتزت، فخيلت ذلك.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾

إيجاس الخوف: إضمار شيء منه، وكذلك توجس الصوت: تسمع نبأة يسيرة[1] منه؛ وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية، وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله، وقيل: خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: فيه تقرير لغلبته وقهره، وتوكيد بالاستئناف، وبكلمة التشديد، وبتكرير الضمير، وبلام التعريف، وبلفظ العلوّ، وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل، وقوله: ﴿مَا فِي يَمِينِكَ﴾، ولم يقل: عصاك[2]: جائز أن يكون تصغيراً لها، أي: لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم، وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك؛ فإنه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها، وصغره وعظمها، وجائز أن يكون تعظيماً لها[3]، أي: لا تحتفل بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة؛ فإن في يمينك شيئاً أعظم منها

---

(١) قوله «نبأة يسيرة» في الصحاح «النبأة»: الصوت الخفي. (ع)

(٢) قال محمود: «وقال ما في يمينك ولم يقل عصاك... إلخ» قال أحمد: وإنما المقصود بتحقيرها في جنب القدرة تحقير كيد السحرة بطريق الأولى؛ لأنها إذا كانت أعظم منه وهي حقيرة في جانب قدرة الله تعالى، فما الظن بكيدهم وقد تلقفته هذه الحقيرة الضئيلة؟ ولأصحاب البلاغة طريق في علو المدح بتعظيم جيش عدو الممدوح، ليلزم من ذلك تعظيم جيش الممدوح وقد قهره واستولى عليه، فصغر الله أمر العصا ليلزم منه تصغير كيد السحرة الداحض بها في طرفة عين.

(٣) عاد كلامه. قال محمود: «ويجوز أن يكون تعظيماً لأمرها إذ فيه تثبيت لقلب موسى على النصر» قال أحمد: وههنا لطيفة: وهو أنه تلقى من هذا النظم أولاً قصد التحقير، وثانياً قصد التعظيم، فلا بد من نكتة تناسب الأمرين وتلك ـ والله أعلم ـ هي إرادة المذكور مبهماً، لأن ما في يمينك أبهم من عصاك، وللعرب مذهب في التنكير والإبهام والإجمال، تسلكه مرة لتحقير شأن ما أبهمته وأنه عند الناطق به أهون من أن يخصه ويوضحه، ومرة لتعظيم شأنه وليؤذن أنه من عناية المتكلم والسامع بمكان يعني فيه الرمز والإشارة، فهذا هو الوجه في إسعاده بهما جميعاً. وعندي في الآية وجه سوى قصد التعظيم والتحقير والله أعلم، وهو أن موسى عليه السلام أول ما علم أن العصا آية من الله تعالى عند ما سأله عنها بقوله تعالى ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ ثم أظهر له تعالى آيتها، فلما دخل وقت الحاجة إلى ظهور الآية منها قال تعالى ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذي قال الله تعالى له ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ وقد أظهر له آيتها، فيكون ذلك تنبيهاً له وتأنيساً =

كلها، وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره عنده، فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها، وقرئ: (تلقف): بالرفع على الاستئناف، أو على الحال، أي ألقها متلقفة، وقرئ: «تلقف»: بالتخفيف[1]، ﴿صَنَعُوٓاْ﴾: ههنا بمعنى: زوّروا وافتعلوا؛ كقوله تعالى: ﴿تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧]، قرئ: (كيد ساحر): بالرفع والنصب، فمن رفع فعلى أنّ (ما): موصولة، ومن نصب فعلى أنها كافة، وقرئ: «كيد سحر»: بمعنى: ذي سحر، أو ذوي سحر، أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته، أو بين الكيد[2]؛ لأنه يكون سحراً وغير سحر، كما تبين المائة بدرهم؛ ونحوه: علم فقه، وعلم نحو.

فإن قلت: لم وحد ساحر ولم يجمع؟

قلت: لأنّ القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية، لا إلى معنى العدد، فلو جمع، لخيل أنّ المقصود هو العدد؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي: هذا الجنس.

فإن قلت: فلم نكر أوّلاً وعرف ثانياً؟

قلت: إنما نكر من أجل تنكير المضاف، لا من أجل تنكيره في نفسه؛ كقول العجاج [من الرجز]:

فِي سَعْيِ دُنْيَا طَالَمَا قَدْ مَدَّتِ[3]

= حيث خوطب بما عهد أن يخاطب به وقت ظهور آيتها، وذلك مقام يناسب التأنيس والتثبيت، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ۝٦٧﴾، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) قوله «وقرىء تلقف بالتخفيف» عبارة النسفي: تلقف بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف: حفص، وتلقف: ابن ذكوان. الباقون: تلقف، فليحرر. (ع)

(٢) قوله «أو بين الكيد» لعله بعده سقطاً تقديره «بالسحر». (ع)

(٣) الحمد لله الذي استقلت بإذنه السماء*واطمأنت بإذنه الأرض وما تعنت*أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت والجاعل الغيث غياث الأمت *والجامع الناس ليوم البعث بعد الممات وهو محيي الموت يوم ترى النفوس ما أعدت

من نزل إذا الأمور غبت ... في سعي دنيا طالما تعنت

استقلت: ارتفعت. واطمأنت: انخفضت. وفي الشعر التضمين. والتعنت: الإتعاب أو التأخر والتثاقل، من العنا وهو التعب. وأوحى لها: ألهمها. والثبت: جمع ثابت، والوقف على هاء التأنيث، كالأمت بالتاء قليل. والموت: جمع مائت. والنزل: ما يعد للضيف، استعارة لما يقدمه الإنسان من الأعمال. وغبت: بلغت غبها رغايتها. وفي سعي: متعلق به. أو بتعنت بعده، أي: تعبت أو أتعبت. وضمن على المعنى الأول للنفوس، وعلى الثاني للدنيا، ونكرها لتنكير السعي دلالة على التقليل. أي في سعي دنيوي قليل.

للعجاج في ديوانه ١/ ٤١٠، وخزانة الأدب ٨/ ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، وشرح شواهد الإيضاح ص ٣٥٠، وشرح المفصل ٦/ ١٠٠، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٨/ ٣١٦، والمخصّص ١٥/ ١٩٣.

وفي حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ: «لاَ فِي أَمْرِ دُنْيَا وَلاَ فِي أَمْرِ آخِرَةَ» (٩٥٣)، المراد تنكير الأمر، كأنه قيل: إن ما صنعوا كيد سحري، وفي سعي دنيوي، وأمر دنيوي وآخري؛ ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾؛ كقولهم: حيث سير، وأية سلك، وأينما كان.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾

سبحان الله، ما أعجب أمرهم! قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود؛ ثم ألقوا رءوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين[1] وروي أنهم لم يرفعوا رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها، وعن عكرمة: لما خروا سجداً أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ ٢/ ١٥أ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾

﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾: لعظيمكم، يريد: أنه أسحرهم وأعلاهم درجة في صناعتهم، أو لمعلمكم؛ من قول أهل مكة للمعلم: أمرني كبيري، وقال لي كبيري: كذا، يريدون: معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء، قرئ: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ﴾: و«لأصلبنّ»: بالتخفيف، والقطع من خلاف: أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى؛ لأنّ كل واحد من العضوين خالف الآخر، بأن هذا يد وذاك رجل، وهذا يمين وذاك شمال، و«من»: لابتداء الغاية؛ لأن القطع مبتدأ وناشيء من مخالفة العضو العضو، لا من وفاقه إياه، ومحل الجار

---

٩٥٣ ـ قال الحافظ: «ذكره صاحب النهاية بغير إسناد وفي الباب عن ابن مسعود» اهـ.
قلت وهو في النهاية (٢/ ٣٤٠) بلفظ: «لا يجيئن أحدكم يوم القيامة سبهللاً».
أما أثر ابن مسعود فرواه الطبراني في الكبير (٩/ ١٠٦) رقم (٨٥٣٨) موقوفاً بلفظ: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا من عمل دنيا ولا آخرة».
وفي رواية رقم (٨٥٣٩) «إني لأمقت....» وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٣٥٣) لأبي نعيم في الحلية وابن المبارك في الزهد.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٦٦): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات».

---

(١) قال محمود: «سبحان من فرق بين الإلقاءين إلقاءهم حبالهم وعصيهم... إلخ» قال أحمد: وفي تكرير لفظ الإلقاء والعدول عن مثل: فسجد السحرة، إيقاظ السامع لألطاف الله تعالى في نقله عباده من غاية الكفر والعناد إلى نهاية الإيمان والسداد، وهذا الإيقاظ لا يحصل على الوجه إلى هذا القصد إلا بتكرير لفظ واحد على معنيين متناقضين، وهو يناسب ما قدمته آنفاً في إيجاز الخطاب في قوله ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ فتأمله فإن الحق حسن متناسب، والله الموفق.

والمجرور النصب على الحال، أي: لأقطعنها مختلفات؛ لأنها إذا خالف بعضها بعضاً فقد اتصفت بالاختلاف، شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه؛ فلذلك قيل: ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾، ﴿أَيُّنَآ﴾: يريد: نفسه لعنه الله وموسى - صلوات الله عليه - بدليل قوله: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾، واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله تعالى؛ كقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١] وفيه نفاجة[1] باقتداره وقهره، وما ألفه وضرى به: من تعذيب الناس بأنواع العذاب، وتوضيع لموسى - عليه السلام - واستضعاف له مع الهزء به؛ لأن موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء.

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾: عطف على ما جاءنا أو قسم، قرئ: ﴿تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾، ووجهها أن الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف، فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به؛ كقولك في «صمت يوم الجمعة»: «صيم يوم الجمعة»، وروي أن السحرة - يعني رءوسهم - كانوا اثنين وسبعين: الاثنان من القبط، والسائر من بني إسرائيل، وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر، وروي أنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً ففعل، فوجدوه تحرسه عصاه، فقالوا: ما هذا بسحر الساحر؛ لأن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى إلا أن يعارضوه، ﴿تَزَكَّىٰ﴾: تطهر من أدناس الذنوب، وعن ابن عباس: قال: لا إله إلا الله، قيل: في هذه الآيات الثلاث: هي حكاية قولهم، وقيل: خبر من الله، لا على وجه الحكاية.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾: فاجعل لهم؛ من قولهم: ضرب له في ماله سهماً، وضرب

---

(١) قوله «وفيه نفاجة» في الصحاح «رجل نفاج» إذا كان صاحب فخر وكبر. (ع)

اللبن: عمله، اليبس: مصدر وصف به، يقال: يبس يبساً ويبساً[(١)]؛ ونحوهما: العدم والعدم، ومن ثم وصف به المؤنث، فقيل؛ شاتنا يبس، وناقتنا يبس: إذا جف لبنها، وقرئ: «يبسا»، و«يابسا»، ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففاً عن اليبس، أو صفة على فعل، أو جمع يابس، كصاحب وصحب، وصف به الواحد تأكيداً؛ كقوله [من الوافر]:

. . . . وَمِـعًـى جِـيَـاعـا[(٢)]

جعله لفرط جوعه كجماعة جياع ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾: حال من الضمير في ﴿فَٱضۡرِبۡ﴾ وقرئ: «لا تخف»: على الجواب، وقرأ أبو حيوة: ﴿دَرَكٗا﴾: بالسكون، والدرك والدرك: اسمان من الإدراك، أي: لا يدركك فرعون وجنوده لا يلحقونك، في ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ﴾: إذا قرئ: «لا تخف»: ثلاثة أوجه: أن يستأنف، كأنه قيل: وأنت لا تخشى، أي: ومن شأنك أنك آمن لا تخشى، وألاً تكون الألف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل، ولكن: زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة؛ كقوله: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]، ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠]، وأن يكون مثله قوله [من الطويل]:

. . . . كَأَنْ لَمْ تَرَىٰ قَبْلِي أَسِيراً يَمَانِيَا[(٣)]

---

(١) قال محمود: «قرىء بسكون الباء وبفتحها. . . إلخ» قال أحمد: ووجه آخر وهو أن قدر كل جزء من أجزاء الطريق طريقاً، وقد كانت بهذه المثابة لأنها كانت اثني عشر طريقاً لكل سبط طريق، والله أعلم.

(٢) كأن قتود رحلي حين ضمت ... حوالب غرزًا ومعًى جياعا
على وحشية خذلت خلوج ... وكان لها طلا طفل فضاعا
فكرَّت تبتغيه فصادفته ... على دمه ومصرعه السباعا

للقطامي في مدح زفر بن الحارث الكلابي. والقتود: عيدان الرحل: جمع أقتاد: جمع قتد، والحالبان عرقان يكتنفان السرة. والغرز: جمع غارز ـ بتقديم الراء ـ قليلات اللبن، ضد الغزر بتقديم الزاي. والمعي: مجرى الطعام في البطن من الحوايا. وصفه بصورة الجمع ـ وهو جياعا ـ مبالغة. والمعنى: جائعاً. وهذا كناية عن هزال الناقة من شدة السير. وفيه إيماء لفقره وفاقته. و«على وحشية» خبر كان. والوحشية: الظبية. وخذلت: صفتها، أي: تركها سرب الظباء. وخلوج: صفة أخرى. وخلج واختلج: اضطرب وذهب. وخلجه واختلجه: انتزعه واجتذبه. والخلوج: التي اختلج ولدها من الظباء أو الإبل. أو التي اختلج قلبها لعدم رؤيته. والطلاء: ولد الظبية ونحوها من ذوات الظلف، طفل: أي صغير، فكرت: رجعت بسرعة تطلبه. والسباع: بدل إضرابي انتقالي من ضمير صادفته. أو نصب بمضمر دل عليه صادفته، أي: صادفت السباع واقفة على دمه ومصرعه، أي: محل طرحه على الأرض، شبه الناقة بها في تلك الحال لسرعتها ويقظتها. ينظر البيت في ديوانه ص ٤١، والأشباه والنظائر ٤/١٩٨، وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٢٩، ولسان العرب (غرز)، ١٥/٢٨٧ (معي)، وتاج العروس (غرز)، (معا).

(٣) وتضحك مني شيخة عبشمية ... كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا
وظل نساء الحي حولي ركدًا ... يراودن مني ما تريد نسائيا

لعبد يغوث بن وقاص الحارثي: أسر يوم الكلاب في بني تميم، فقال قصيدة يذكر فيها حاله منها =

﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾: من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة، أي: غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله، وقرئ: فغشاهم من اليم ما غشاهم، والتغشية: التغطية، وفاعل غشاهم: إما الله سبحانه، أو ما غشاهم، أو فرعون؛ لأنه الذي ورّط جنوده وتسبب لهلاكهم، وقوله: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾: تهكم به[1]، في قوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر، وإهلاك آل فرعون، وقيل: هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله - ﷺ - منّ الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الأوّل، أي: قلنا: يا بني إسرائيل، وحذف القول كثير في القرآن، وقرئ: ﴿أنجيتكم﴾

= ذلك. والشيخة: العجوز. والعبشمية: المنسوبة لعبد شمس. وهو باب من النحت. وأثبت الألف في «ترى» مع أنه مجزوم لضرورة الوزن، أو للاتساع. وقيل إنها عين الفعل. وأصله ترأى حذفت لامه للجزم. ونقلت حركة الهمزة للراء، وأبدلت الفاء. وحكى إعمال «لم» للنصب. وحكى أيضاً إهمالها. وقياس النسبة إلى «يمن»: «يمني» لكنهم حذفوا إحدى ياءي النسب، وعوضوا عنها الألف، وكان الذي يقوده صبيا، فسألته: من أنت؟ فقال: سيد القوم، فضحكت منه. والركد - كركع -: جمع راكدة، أي مقيمة لا تذهب من عنده. والمراودة: مفاعلة من راد يرود إذا تعرف حال المكان متطلبا للخصب، وهو قريب من معنى أراد يريد، أي: يتطلبن مني بلطف واختبار: هل أرضى أو لا؟ الشيء الذي تريده نسائي مني، وهو الجماع.

ينظر البيت في الأغاني ١٦/٢٥٨، وخزانة الأدب ٢/١٩٦، ٢٠٢، وسرّ صناعة الإعراب ١/٧٦، وشرح اختيارات المفضّل ص ٧٦٨، وشرح شواهد الإيضاح ص ٤١٤، وشرح شواهد المغني ٢/٦٧٥، ولسان العرب (هذذ)، (قدر)، (شمس)، ومغني اللبيب ١/٢٧٧، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/١٥، وشرح الأشموني ١/٤٦، وشرح المفصل ٥/٩٧، ١٠/١٠٧، والمحتسب ١/٦٩.

(١) قال محمود: «إنما قيل وما هدى تهكماً به» قال أحمد: فإن قلت: التهكم أن يأتي بعبارة والمقصود عكس مقتضاها، كقولهم: إنك لأنت الحليم الرشيد، وغرضهم وصفه بضد هذين الوصفين. وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ فمضمونه هو الواقع، فهو حينئذٍ مجرد إخبار عن عدم هدايته لقومه. قلت: هو كذلك، ولكن العرف مثل ما هدى زيد عمراً ثبوت كون زيد عالماً بطريق الهداية، مهتدياً في نفسه، ولكنه لم يهد عمرا. وفرعون أضل الضالين في نفسه، فكيف يتوهم أنه يهدي غيره. وتحقيق ذلك: أن قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ كاف في الإخبار بعدم هدايته لهم مع مزيد إضلاله إياهم، فإن من لا يهدي قد لا يضل، فيكون كفافا. وإذا تحقق غناء الأول في الإخبار، تعين كون الثاني لمعنى سواه، وهو التهكم. والله أعلم.

إلى ﴿رزقتكم﴾، وعلى لفظ الوعد والمواعدة، وقرئ: ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾: بالجر على الجوار؛ نحو: «جحر ضب خرب»، ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم، وفيما واعد موسى ـ صلوات الله عليه ـ من المناجاة بجانب الطور، وكتب التوراة في الألواح؛ وإنما عدى المواعدة إليهم لأنها لابستهم واتصلت بهم؛ حيث كانت لنبيهم ونقبائهم، وإليهم ٢/ ١٥ب رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم، وفيما أفاض عليهم من سائر نعمه وأرزاقه، طغيانهم في النعمة: أن يتعدّوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها، وأن ينفقوها في المعاصي، وأن يزووا حقوق الفقراء فيها، وأن يسرفوا في إنفاقها، وأن يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا، قرئ: ﴿فَيَحِلَّ﴾، وعن عبد الله: «لا يحلن»[1]، ﴿وَمَن يَحْلِلْ﴾: المكسور في معنى: الوجوب، من حل الدين يحل: إذا وجب أداؤه، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٩٦]، والمضموم في معنى النزول، وغضب الله عقوباته[2]؛ ولذلك وصف بالنزول، ﴿هَوَىٰ﴾: هلك، وأصله: أن يسقط من جبل فيهلك.

قالت: [من مجزوء الوافر]

هَــوَىٰ مِــنْ رَأْسِ مَــرْقَــبَــةٍ ... فَــفُــتِّــتَ تَــحْــتَــهَــا كَــبِــدُهْ[3]

---

(١) قوله «قرىء فيحل وعن عبد الله... إلخ» يفيد أن القراءة المشهورة: فيحل. ومن يحلل ـ بالكسر. ولتحرر قراءة (لا يحلن) هل هي بالكسر أو بالضم. (ع)

(٢) قال محمود: «الغضب عقوبة الله تعالى لهم... إلخ» قال أحمد: لا يسعه أن يحمل الغضب إلا على العقوبة لأنه ينفي صفة الإرادة في جملة ما ينفونه من صفات الكمال، وأما على قاعدة السنة فيجوز أن يكون المراد من الغضب إرادة العقوبة، فيكون من أوصاف الذات. ويحتمل أن يراد به معاملتهم بما يعامل به من غضب عليه شاهداً، فيكون من صفات الأفعال. وأما وصفه بالحلول فلا يتأتى حمله على الإرادة، ويكون بمنزلة قوله عليه الصلاة والسلام (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا) على التأويل المعروف. أو عبر عن حلول أثر الإرادة بحلولها تعبيراً عن الأثر بالمؤثر، كما يقول الناظر إلى عجيب من مخلوقات الله تعالى: انظر إلى قدرة الله يعني أثر القدرة لا نفسها، والله أعلم.

(٣)
هوى ابني من على شرف ... يهول عقابه صعده
هوى من رأس مرقبة ... ففتت تحتها كبده
ألام على تبكّيه ... وألمسه فلا أجده
وكيف يلام محزون ... كسير فاته ولده ؟!

لأعرابي، يقول: سقط ابني من فوق جبل عال. فعلى بمعنى فوق، ولو قرىء: على، بالضم ـ جمع علية ـ لجاز، أي: سقط عن ذرى جبل عال، فالشرف: مصدر مستعمل في الوصف مجاز. يهول: أي يخيف، عقابه: ارتفاعه. وصعد ـ بالكسر ـ صعدا ـ بفتحتين وضمتين ـ صعوداً: ارتفع، والضمير للعقاب أو للشرف، فهو من إضافة المصدر لفاعله، ويجوز أنه من إضافته لمفعوله، أي: صعوده عليه. وخص العقاب، لأنه أشد الطير صعوداً، لا سيما عقاب ذلك الجبل العارف به. =

ويقولون: هوت أمّه، أو سقط سقوطاً لا نهوض بعده.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

الاهتداء: هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠]، وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في «جاءني زيد ثم عمرو» أعني: أنّ منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه؛ لأنها أعلى منها وأفضل.

﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾ أي شيء عجل بك عنهم على سبيل الإنكار، وكان قد مضى مع النقباء إلى الطور على الموعد المضروب، ثم تقدمهم شوقاً إلى كلام ربه وتنجز ما وعد به؛ بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب إلى رضا الله تعالى، وزل عنه أنه ـ عز وجل ـ ما وقت أفعاله إلا نظراً إلى دواعي الحكمة، وعلماً بالمصالح المتعلقة بكل وقت، فالمراد بالقوم: النقباء، وليس لقول من جوز أن يراد جميع قومه، وأن يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح، يأباه قوله: ﴿هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾، وعن أبي عمرو ويعقوب: «إثري»: بالكسر، وعن عيسى بن عمر: «أثرى»: بالضم، وعنه ـ أيضاً ـ: «أولى بالقصر»، والإثر: أفصح من الأثر، وأما الأثر فمسموع في فرند السيف[1] مدوّن في الأصول، يقال: إثر السيف وأثره، وهو بمعنى: الأثر غريب.

فإن قلت: (ما أعجلك) سؤال عن سبب العجلة[2]، فكان الذي ينطبق عليه من

= وكرر «هوى» لإظهار التحزن، أي: سقط من رأس ثنية عالية يرقب فيها الرقيب، فمزقت كبده تحتها، أي: بجانبها، فكيف ببقية جسمه. ويروى: ففزت بتشديد الزاي بمعنى فزعت. وروي «ففرت» بتشديد الراء، وأصله: فريت. وهذه لغة طيء. يقولون: المرأة دعت في دعيت. والدار بنت في بنيت، ثم قال: يلومني الناس على البكاء مع أنني ألمسه، من باب قتل وضرب، أي: أريد لمسه فلا أجده، وكيف يلام حزين هرم يئس من رجوع ولده إليه، أو من أوان التوالد. وقيل: إن القائل أم القتيل، لكن يروى بعد البيت الأول:

فـــلا أم فـــتـــبـــكـــيـــه	ولا أخـــت فـــتـــفـــتـــقـــده
هـــوى عـــن صـــخـــرة صـــلـــد	فـــفـــرت تـــحـــتـــهـــا كـــبـــده

إلى آخره...

(١) قوله «فرند السيف» أي ربده ووشيه، كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: سئل عن سبب العجلة... إلخ» قال أحمد: وإنما أراد الله تعالى بسؤاله عن سبب العجلة وهو أعلم: أن يعلم موسى أدب السفر، وهو أنه ينبغي تأخير رئيس القوم عنهم =

الجواب أن يقال: طلب زيادة رضاك أو الشوق إلى كلامك وتنجز موعدك، وقوله: ﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ كما ترى غير منطبق عليه.

قلت: قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين، أحدهما: إنكار العجلة في نفسها، والثاني: السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه، فكان أهمّ الأمرين إلى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه، فاعتل بأنه لم يوجد مني إلا تقدّم يسير، مثله لا يعتدّ به في العادة ولا يحتفل به، وليس بيني وبين من سبقته إلا مسافة قريبة يتقدّم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم، ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾، ولقائل أن يقول: حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله، فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾

أراد بالقوم المفتونين: الذين خلفهم مع هارون، وكانوا ستمائة ألف، ما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفا.

فإن قلت: في القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة، وحسبوها أربعين مع أيامها، وقالوا: قد أكملنا العدة، ثم كان أمر العجل بعد ذلك، فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾؟

قلت: قد أخبر الله ـ تعالى ـ عن الفتنة المترقبة، بلفظ الموجودة الكائنة على عادته، أو افترص السامري غيبته، فعزم على إضلالهم غب انطلاقه، وأخذ في تدبير ذلك، فكان بدء الفتنة موجوداً، قرئ: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾، أي: وهو أشدّهم ضلالاً؛ لأنه ضال مضل، وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها: السامرة، وقيل: السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم، وقيل: كان من أهل باجرما، وقيل: كان علجاً من كرمان، واسمه: موسى بن ظفر، وكان منافقاً قد أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ

= في المسير ليكون نظره محيطاً بطائفته ونافذاً فيهم ومهيمنا عليهم. وهذا المعنى لا يحصل في تقدمه عليهم، ألا ترى الله عز وجل كيف علم هذا الأدب لوطا فقال: ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ فأمره أن يكون أخيرهم. على أن موسى عليه السلام إنما أغفل هذا الأمر مبادرة إلى رضا الله عز وجل، ومسارعة إلى الميعاد، وذلك شأن الموعود بما يسره، يود لو ركب إليه أجنحة الطير، ولا أسر من مواعدة الله تعالى له ﷺ.

عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾

الأسف: الشديد الغضب، ومنه قوله ـ عليه السلام ـ في موت الفجأة: «رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَأَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْكَافِرِ» (٩٥٤)، وقيل: الحزين.

فإن قلت: متى رجع إلى قومه؟

قلت: بعد ما استوفى الأربعين: ذا القعدة، وعشر ذي الحجة، وعدهم الله ـ سبحانه ـ أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور، ولا وعد أحسن من ذاك وأجمل، حكى لنا أنها كانت ألف سورة كل سورة ألف آية، يحمل أسفارها سبعون جملاً، ﴿ٱلْعَهْدُ﴾: الزمان، يريد: مدة مفارقته لهم، يقال: طال عهدي بك، أي: طال زماني بسبب مفارقتك، وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الإيمان، فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل، ﴿بِمَلْكِنَا﴾ ٢/١٦أ: قرئ بالحركات الثلاث، أي: ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا، أي: لو ملكنا أمرنا وخلينا وراءنا لما أخلفناه، ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده، أي: حملنا

---

٩٥٤ ـ أخرجه أحمد في المسند (١٣٦/٦) ثنا وكيع ثنا عبيد الله بن الوليد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن عائشة قالت: «سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن موت الفجأة فقال: راحة للمؤمن وأخذة أسف للفاجر».

ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٥٩٨/٣) رقم (٦٧٨١)، وقال الهيثمي في المجمع (٣٢١/٢): «رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه قصة، وفيه عبيد الله بن الوليد الرصافي وهو متروك».

ورواه عبد الرزاق (٥٩٦/٣) رقم (٦٧٧٦) وابن أبي شيبة في المصنف (٤٨/٣) رقم (١٢٠٠٥) عن ابن مسعود موقوفاً. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٨/٣) رقم (١٢٠٠٧) عن عبد الله بن مسعود وعائشة موقوفا.

وأخرجه أبو داود (٢٠٥/٢) كتاب الجنائز، باب في موت الفجأة حديث (٣١١٠) مرفوعاً وموقوفاً بلفظ «موت الفجأة أخذة أسف».

وأخرجه ابن أبي شيبة (٤٨/٣) رقم (١٢٠١٠) حدثنا غندر، عن شعبة، عن منصور، عن تميم بن سلمة، عن عبيد بن خالد، عن رجل من أصحاب محمد ـ ﷺ ـ في موت الفجأة قال: أخذه أسف.

قال الحافظ: أخرجه أحمد من طريق عبد الله بن عبيد بن عمير عن عائشة: «سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن موت الفجأة ـ فذكره وله طريق أخرى عند عبد الرزاق مرفوعة، وفيها يحيى بن العلاء الرازي وهو ضعيف. ورواه هو وابن أبي شيبة والطبراني من حديثهما موقوفاً، وعن ابن مسعود أيضاً موقوفاً. وفي الباب عن أنس في الجنائز لابن شاهين وعن عبيد بن خالد عند أبي داود بلفظ «موت الفجأة أخذة أسف». انتهى.

أحمالاً من حليّ القبط التي استعرناها منهم، أو أرادوا بالأوزار: أنها آثام وتبعات؛ لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب، وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي، على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذٍ، ﴿فَقَذَفْنَهَا﴾: في نار السامري، التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحليّ، وقرئ: حملنا، ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾: أراهم أنه يلقى حليًا في يده مثل ما ألقوا؛ وإنما ألقى التربة التي أخذها من موطىء حيزوم فرس جبريل، أوحى إليه وليه الشيطان أنها إذا خالطت مواتا صار حيوانا، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾: السامري من الحفرة عجلاً خلقه الله من الحليّ التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل.

فإن قلت: كيف أثرت تلك التربة في إحياء الموات؟

قلت: أما يصحّ أن يؤثر الله ـ سبحانه ـ روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات، وهي: أن يباشر فرسه بحافره تربة إذا لاقت تلك التربة جماداً أنشأه الله إن شاء عند مباشرته حيواناً؛ ألا ترى كيف أنشأ المسيح من غير أب عند نفخه في الدرع.

فإن قلت: فلم خلق الله العجل من الحليّ حتى صار فتنة لبني إسرائيل[1] وضلالاً؟

قلت: ليس بأوّل محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين، ومن عجب من خلق العجل، فليكن من خلق إبليس أعجب، والمراد بقوله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾: هو خلق العجل للامتحان، أي: امتحناهم بخلق العجل، وحملهم السامري على الضلال، وأوقعهم فيه حين قال لهم: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾: أي: فنسي موسى أن يطلبه ههنا، وذهب يطلبه عند الطور، أو فنسي السامري: أي ترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾

﴿يَرْجِعُ﴾: من رفعه فعلى أنّ أن مخففة من الثقيلة، ومن نصب فعلى أنها الناصبة

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم خلق الله العجل فتنة لهم» قال أحمد: هذا السؤال وجوابه تقدما له في أول سورة الأعراف. وقد أوضحنا أن الله تعالى إنما تعبدنا بالبحث عن علل أحكامه لا علل أفعاله. وجواب هذا السؤال في قوله تعالى: ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ فهذا الأمر جائز. وقد أخبر الله تعالى بوقوعه فلا نبتغي وراء ذلك سبيلا، لكن الزمخشري تقتضي قاعدته في وجوب رعاية المصالح على الله تعالى وتحتم هداية الخلق عليه: أن يؤول ذلك ويحرفه. فذرهم وما يفترون.

للأفعال، ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل أن يقول لهم السامري ما قال، كأنهم أوّل ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه، فقبل أن ينطق السامري بادرهم هارون ـ عليه السلام ـ بقوله: ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾.

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي (٩٣)﴾

لا مزيدة، والمعنى: ما منعك أن تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي؟ وهلا قاتلت من كفر بمن آمن؟ ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا؟ أو مالك لم تلحقني.

﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي (٩٤)﴾

قرئ: ﴿بِلِحۡيَتِي﴾: بفتح اللام[1]، وهي لغة أهل الحجاز، كان موسى ـ صلوات الله عليه ـ رجلاً حديداً مجبولاً على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء، شديد الغضب لله ولدينه، فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلاً من دون الله بعد ما رأوا من الآيات العظام، أن ألقى ألواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة؛ غضباً لله واستنكافاً وحمية، وعنف بأخيه وخليفته على قومه، فأقبل عليه إقبال العدوّ المكاشف قابضاً على شعر رأسه ـ وكان أفرع[2] ـ وعلى شعر وجهه يجرّه إليه، أي: لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا، فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك، المتلافي برأيك، وخشيت عتابك على إطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء[3]، ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها.

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي (٩٦)﴾

الخطب: مصدر خطب الأمر إذا طلبه، فإذا قيل لمن يفعل شيئاً: ما خطبك؟ فمعناه: ما طلبك له؟ قرئ: ﴿بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ﴾: بالكسر[4]، والمعنى: علمت ما لم تعلموه، وفطنت ما لم تفطنوا له، قرأ الحسن: (قبضة): بضم القاف، وهي اسم

---

(١) قوله «قرىء بلحيتي بفتح اللام» والقراءة المشهورة: بالكسر. (ع)
(٢) قوله «وكان أفرع» أي تام الشعر. أفاده الصحاح. (ع)
(٣) قوله «وحفظ الدهماء» أي الجماعة. أفاده الصحاح. (ع)
(٤) قوله «وقرىء بصرت بما لم يبصروا به بالكسر» والقراءة المشهورة بالضم. وقرىء: تبصروا به. =

المقبوض، كالغرفة والمضغة، وأما القبضة فالمرة من القبض، وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر، كضرب الأمير، وقرأ ـ أيضاً ـ: فقبصت قبصة، بالصاد المهملة، الضاد: بجميع الكف، والصاد: بأطراف الأصابع؛ ونحوهما: الخضم، والقضم: الخاء بجميع الفم، والقاف بمقدمه، قرأ ابن مسعود: من أثر فرس الرسول.

فإن قلت: لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس؟

قلت: حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور، أرسل الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة؛ ليذهب به، فأبصره السامري فقال: إنّ لهذا شأناً، فقبض قبضة من تربة موطئه، فلما سأله موسى عن قصته قال: قبضت من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول الميعاد، ولعله لم يعرف أنه جبريل.

﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ ٢/ ١٦ب لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾

عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش؛ وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعاً كليًا، وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضاً، وإذا اتفق أن يماس أحداً رجلاً أو امرأة، حم الماس والممسوس، فتحامى الناس وتحاموه، وكان يصيح: لا مساس، وعاد في الناس أوحش من القاتل اللاجىء إلى الحرم، ومن الوحشي النافر في البرية، ويقال: إن قومه باق فيهم ذلك إلى اليوم، وقرئ: ﴿لَا مِسَاسَ﴾: بوزن فجار؛ ونحوه قولهم في الظباء، إذا وردت الماء: فلا عباب، وإن فقدته: فلا أباب، وهي أعلام للمسة والعبة والأبة، وهي المرة من الأب وهو الطلب، ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ أي: لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض، ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا، فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة؛ ذلك هو الخسران المبين، وقرئ: «لن تخلفه»، وهذا من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفاً؛ قال الأعشى: [من الكامل]

أَثْــوَىٰ وَأَقْــصَــرَ لَــيْــلَــهُ لِــيُــزَوَّدَا　　　فَـمَـضَـىٰ وَأَخْـلَـفَ مِنْ قُـتَيلَـةَ مَـوْعِـدَا[1]

= بالتاء: وعبارة النسفي: وبالتاء حمزة وعلي، ولعلها سقطت هنا سهواً من الناسخ، فليحرر. (ع)

(١) أثـوى وأقـصـر لـيـلـه لـيـزودا　　　فمضت وأخلف من قتيلة موعداً
ومـضـى لـحـاجـتـه وأصـبـح حـبـلـه　　　خـلـقـاً وكـان بـحـالـة لـن يـنـكـدا
للأعشى. وأقصر عن الشيء: أقلع عنه وامتنع منه. وأقصره: وجده قصيراً. وروي «قصر» بالتشديد. وروي «ليله» بالإضافة إلى الضمير، لكن الذي في ديوان الأعشى «ليلة» بالتاء. وثوى =

وعن ابن مسعود: «نخلفه»: بالنون، أي: لن يخلفه الله، كأنه حكى قوله عز وجل كما مر في ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ [مريم: ١٩]، ﴿ظَلْتَ﴾ وظلت، وظللت والأصل: ظللت، فحذفوا اللام الأولى، ونقلوا حركتها إلى الظاء، ومنهم من لم ينقل: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾، ولنحرقنه ولنحرقنه، وفي حرف ابن مسعود: «لنذبحنه»، و«لنحرقنه»، و«لنحرقنه»: القراءتان من الإحراق، وذكر أبو على الفارسي في لنحرقنه أنه يجوز أن يكون حرّق مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد، وعليه القراءة الثالثة، وهي قراءة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه (لننسفنه): بكسر السين وضمها، وهذه عقوبة ثالثة، وهي: إبطال ما افتتن به وفتن، وإهدار سعيه، وهدم مكره: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤].

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

قرأ طلحة: الله الذي لا إله إلا هو الرحمن رب العرش، ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾، وعن مجاهد وقتادة: «وسع»، ووجهه: أن وسع متعدّ إلى مفعول واحد، وهو كل شيء، وأمّا: (علما): فانتصابه على التمييز، وهو في المعنى فاعل، فلما ثقل نقل إلى التعدية إلى مفعولين، فنصبهما معاً على المفعولية؛ لأنّ المميز فاعل في المعنى، كما تقول في «خاف زيد عمراً»: خوفت زيداً عمراً، فترد بالنقل ما كان فاعلاً مفعولاً.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾

الكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾: منصوب المحل؛ وهذا موعد من الله ـ عزّ وجل ـ لرسوله ـ ﷺ ـ أي: مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون، نقصّ عليك من سائر أخبار الأمم وقصصهم وأحوالهم، تكثيراً لبيناتك؛ وزيادة في معجزاتك، وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة، وتتأكد الحجة على من عاند

= بالمكان: أقام به، وأثوى به: لغة فيه، ويستعمل متعدياً أيضاً. يقول: إنه قطع السفر، وأقام بربع قتيلة، ووجد ليله قصيراً لتزوره بالوصال، أو امتنع من السفر لذلك، فمضى الليل على الأول، أو مضت الليلة على الثاني. وجزالة المعنى تشهد له. وأخلف الموعد من قتيلة، أي: وجده خلفاً، فسافر كما كان إلى حاجته، واستعار الحبل للوداد أو للطمع فيه على طريق التصريحية والخلق ترشيح، أي: يئس من مودته، وكان الحبل أو العاشق بحالة حسنة، هي أنه لن ينكدا، أي لن يتنغص، ولن يتكدر، ولن يتعسر شأنه، وزوال النعمة بعد نوالها يشق على النفس، وخلق ـ بالضم ـ فهو خلق، كحسن، وهو في الأصل مصدر. وينكد كيتعب.

ينظر ديوانه ص ٢٧٧، ولسان العرب: ٩/ ٧٤، ١٤/ ١٢٦، ومقاييس اللغة: ١/ ٣٩٣، ومجمل اللغة: ٢/ ٢١٣، وديوان الأدب: ٤/ ١٠٩، وتهذيب اللغة: ١٥/ ١٦٧، وتاج العروس. (خلف)، (سوى).

وكابر، وأن هذا الذكر الذي آتيناك، يعني: القرآن، مشتملاً على هذه الأقاصيص والأخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار؛ لذكر عظيم وقرآن كريم، فيه النجاة والسعادة لمن أقبل عليه، ومن أعرض عنه فقد هلك وشقي، يريد بالوزر: العقوبة الثقيلة الباهظة؛ سماها وزراً تشبيهاً في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح[1] الحامل، وينقض ظهره، ويلقى عليه بهره[2]، أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم، وقرئ: «يُحمَّل» وجمع، ﴿خَٰلِدِينَ﴾ على المعنى؛ لأنّ «من» معلق متناول لغير معرض واحد، وتوحيد الضمير في أعرض وما بعده للحمل على اللفظ؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [الجن: ٢٣]، ﴿فِيهِۖ﴾ أي: في ذلك الوزر، أو في احتماله، ﴿سَآءَ﴾: في حكم بئس، والضمير الذي فيه يجب أن يكون مبهماً يفسره؛ ﴿حِمۡلٗا﴾: والمخصوص بالذم محذوف؛ لدلالة الوزر السابق عليه، تقديره: ساء حملاً وزرهم، كما حذف في قوله تعالى: ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]: أيوب هو المخصوص بالمدح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ أي: وساءت مصيرا جهنم.

فإن قلت: اللام في: (لهم) ما هي؟ وبم تتعلق؟

قلت: هي للبيان، كما في (هيت لك).

فإن قلت: ما أنكرت[3] أن يكون في ساء ضمير الوزر؟

قلت: لا يصح أن يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم.

فإن قلت: فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس، وليكن ساء الذي منه قوله تعالى: ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. بمعنى: أهم وأحزن؟

قلت: كفاك صادًا عنه أن يؤول كلام الله إلى قولك: وأحزن الوزر لهم يوم القيامة حملاً؛ وذلك بعد أن تخرج عن عهدة هذا اللام وعهدة هذا المنصوب.

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ﴿١٠٤﴾﴾

أسند النفخ إلى الآمريه فيمن قرأ: «ننفخ»: بالنون، أو لأن الملائكة المقرّبين وإسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة، فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه أن يسند ما يتولونه إلى ذاته تعالى، وقرئ: «ينفخ»: بلفظ ما لم يسم فاعله، و«ينفخ»،

---

(١) قوله «يفدح الحامل» أي يثقله. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «بهره» أي غلبته. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «ما أنكرت» لعله «لم أنكرت». (ع)

و«يحشر»: بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله ـ عز وجل ـ أو لإسرافيل ـ عليه السلام ـ وأما يحشر المجرمون فلم يقرأ به إلا الحسن، وقرئ: (في الصور): بفتح الواو جمع صورة، وفي الصور: قولان، أحدهما: أنه بمعنى: الصور، وهذه القراءة. تدل عليه، والثاني: أنه القرن، قيل: في الزرق قولان.

أحدهما: أن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب؛ لأنّ الروم أعداؤهم وهم ٢/١٧أ زرق العيون؛ ولذلك قالوا في صفة العدوّ: أسود الكبد، أصهب السبال، أزرق العين.

والثاني: أنّ المراد: العمي؛ لأنّ حدقة من يذهب نور بصره تزراق، تخافتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول، يستقصرون مدّة لبثهم في الدنيا: إما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر؛ لأنّ أيام السرور قصار، وإما لأنها ذهبت عنهم وتقضت، والذاهب وإن طالت مدّته قصير بالانتهاء، ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت: «أطال الله بقاءك»: «كفى بالانتهاء قصرا» وإما لاستطالتهم الآخرة، وأنها أبد سرمد يستقصر إليها عمر الدنيا، ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة، وقد استرجح الله قول من يكون أشدّ تقاولاً منهم في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣)﴾ [المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٣]، وقيل: المراد لبثهم في القبور، ويعضده قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥)﴾ [الروم: ٥٥]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧)﴾

﴿يَنسِفُهَا﴾: يجعلها كالرمل، ثم يرسل عليها الرياح فتفرّقها كما يذرى الطعام، ﴿فَيَذَرُهَا﴾[1]، أي: فيذر مقارّها ومراكزها، أو يجعل الضمير للأرض، وإن لم يجر لها ذكر؛ كقوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

فإن قلت: قد فرّقوا بين العوج والعوج، فقالوا: العوج بالكسر: في المعاني، والعوج بالفتح: في الأعيان، والأرض عين، فكيف صح فيها المكسور العين؟

---

(١) قوله تعالى ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦)﴾ في الصحاح: أن كلا من القاع والصفصف بمعنى المستوى من الأرض، فكأن الصفصف تأكيد. (ع)

قلت: اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة، ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون؛ وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسوّيتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة، واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط، ثم استطلعت رأي المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية؛ لعثر فيها على عوج في غير موضع، لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي، فنفى الله ـ عزّ وعلا ـ ذلك العوج الذي دقّ ولطف عن الإدراك، اللهمّ إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة؛ وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعاني، فقيل فيه: عوج بالكسر، الأمت: النتوّ اليسير، يقال: مدّ حبله حتى ما فيه أمت.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾

أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ نسفت، ويجوز أن يكون بدلاً بعد بدل من يوم القيامة[(١)]، والمراد: الداعي إلى المحشر، قالوا: هو إسرافيل قائماً على صخرة بيت المقدس يدعو الناس، فيقبلون من كل أوب إلى صوبه لا يعدلون، ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لا يعوجّ له مدعوّ، بل يستوون إليه من غير انحراف متبعين لصوته، أي: خفضت الأصوات من شدة الفزع وخفتت[(٢)]، ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾: وهو الركز الخفي، ومنه الحروف المهموسة، وقيل: هو من همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت، أي: لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر، ﴿مَنْ﴾: يصلح أن يكون مرفوعاً ومنصوباً، فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف، أي: لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من، ﴿أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، والنصب على المفعولية، ومعنى أذن له: ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ﴾: لأجله، أي: أذن للشافع ورضي قوله لأجله، ونحو هذه اللام اللام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [**الأحقاف**: ١١].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾

أي يعلم ما تقدّمهم من الأحوال وما يستقبلونه، ولا يحيطون بمعلوماته علما.

---

(١) قال السمين الحلبي: وفيه نظر للفصل الكبير وأيضاً فإنه يبقى يتبعون غير مرتبط بما قبله، وبه يفوت المعنى والتقدير يوم إذا نسفت الجبال. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «وخفتت» في الصحاح «خفت الصوت» سكن. (ع)

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾

المراد بالوجوه: وجوه العصاة، وأنهم إذا عاينوا ـ يوم القيامة ـ الخيبة والشقوة وسوء الحساب، صارت وجوههم عانية، أي: ذليلة خاشعة، مثل وجوه العناة وهم الأسارى؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك: ٢٧]، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القيامة: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ [طه: ١١١]، وما بعده اعتراض؛ كقولك: خابوا وخسروا، وكلّ من ظلم فهو خائب خاسر.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾

الظلم: أن يأخذ من صاحبه فوق حقه، والهضم: أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له، كصفة المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، أي: فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم؛ لأنه لم يظلم ولم يهضم، وقرئ: «فلا يخف»: على النهي.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: عطف على (كذلك نقص)، أي: ومثل ذلك الإنزال، وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد[1] أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة، مكرّرين فيه آيات الوعيد، ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي أو فعل الخير والطاعة، والذكر ـ كما ذكرنا ـ: يطلق على الطاعة والعبادة، وقرئ ٢/١٧ب: نحدث وتحدث، بالنون والتاء، أي: تحدث أنت، وسكن بعضهم الثاء للتخفيف؛ كما في: [من السريع]

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ ... إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلاَ وَاغِلِ[2]

---

(١) قال محمود: «معناه وكما أنزلنا عليك هذه الآيات المضمنة للوعيد... إلخ» قال أحمد: الصواب في تفسيرها: ليكونوا على رجاء التقوى والتذكر، وإلا فلو أراد الله من جميعهم التقوى لوقعت. وقد تقدمت أمثالها. والعجب أنه نقل عن سيبويه في تفسير لعل أول هذه السورة عند قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ أن معناه: كونا على رجائكما، ثم رجع عن ذلك ههنا: لأن المعتقد الفاسد يحذوه إلى هذا التأويل الباطل، والله الموفق.

(٢) حلت لي الخمر وكنت امرءًا ... عن شربها في شغل شاغل
اليوم أشربْ غير مستحقب ... إثمًا من الله ولا واغل
لامرىء القيس، كان حلف لا يشرب الخمر حتى يقتل بني أسد الذين قتلوا أباه حجرا، فلما قتل جماعة منهم قال: حلت لي الخمر بعد أن كانت حراما علي وكنت في شغل شاغل لي عن شربها، فاليوم حين أخذت الثأر أشرب، وكان حقه الرفع لعدم الجازم، فسكن تخفيفاً للوزن. والمستحقب =

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾﴾

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ﴾: استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه، ووعده ووعيده، والإدارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم، وغير ذلك مما يجري عليه أمر ملكوته، ولما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد: وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن، فتأنَّ عليك ريثما يسمعك ويفهمك، ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك، ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ [القيامة: ١٦]، وقيل: معناه: لا تبلغ ما كان منه مجملاً حتى يأتيك البيان، وقرئ: حتى تقضى إليك وحيه، وقوله تعالى: ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾: متضمن للتواضع لله ـ تعالى ـ والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم، أي: علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وأدباً جميلاً ما كان عندي، فزدني علماً إلى علم؛ فإنّ لك في كل شيء حكمة وعلماً، وقيل: ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم.

﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾﴾

يقال في أوامر الملوك ووصاياهم: تقدّم الملك إلى فلان وأوعز إليه، وعزم عليه، وعهد إليه، عطف الله ـ سبحانه ـ قصة آدم على قوله: ﴿وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [طه: ١١٣]، والمعنى: أقسم قسماً: لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه ألاَّ يقرب الشجرة، وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين إن قربها؛ وذلك من قبل وجودهم ومن قبل أن نتوعدهم، فخالف إلى ما نهي عنه، وتوعد في ارتكابه مخالفتهم، ولم يلتفت إلى الوعيد كما لا يلتفتون، كأنه يقول: إنّ أساس أمر بني آدم على ذلك، وعرقهم راسخ فيه.

فإن قلت: ما المراد بالنسيان؟

= للشيء: الحامل له على ظهره... ومنه الحقيبة، فشبه الإثم بالشيء المحمول لمشقته على النفس، والاستحقاب تخييل. والواغل: الداخل على الشاربين من غير أن يدعوه، أي: فاليوم أشرب ما شئت حال كوني غير متحمل ذنباً من الله. حيث بررت في قسمي، ولا متطفل على الشاربين.

ينظر: ديوانه ١٢٢، وإصلاح المنطق ٢٤٥، والأصمعيات ١٣٠، جمهرة اللغة ٩٦٢، وحماسة البحتري ٣٦، خزانة الأدب ٤/١٠٦ و٨/ ٣٥٠ و٣٥٤ و٣٥٥، والدرر ١/ ١٧٥، ورصف المباني ٣٢٧، شرح التصريح ١/٨٨، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦١٢ و١١٧٦، شرح شذور الذهب ٢٧٦، شرح شواهد الإيضاح ٢٥٦، شرح المفصل ١/٤٨، الشعر والشعراء ١/ ١٢٢، والكتاب ٤/ ٢٠٤، ولسان العرب [حقب]، [دلك]، المحتسب ١/ ١٥، ١١٠، الأشباه والنظائر ١/ ٦٦، والاشتقاق ٣٣٧، والخصائص ١/ ٧٤ و٢/٣١٧، والمقرب ٢/ ٢٠٥، همع الهوامع ١/ ٥٤. الدر المصون ١/ ٢٢٧ فتح القدير ٢/ ٥٠٧.

قلت: يجوز أن يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر، وأنه لم يعن بالوصية العناية الصادقة، ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس، حتى تولد من ذلك النسيان، وأن يراد الترك وأنه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها، وقرئ: «فنسي»، أي: نساه الشيطان، العزم: التصميم والمضيّ على ترك الأكل، وأن يتصلب في ذلك تصلباً يؤيس الشيطان من التسويل له، والوجود: يجوز أن يكون بمعنى: العلم، ومفعولاه: (له عزما)، وأن يكون نقيض العدم كأنه قال: وعدمنا له عزماً.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾

﴿إذ﴾: منصوب بمضمر، أي: واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة إبليس ووسوسته إليه وتزيينه له الأكل من الشجرة، وطاعته له بعد ما تقدّمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده، حتى يتبين لك أنه لم يكن من أولي العزم والثبات.

فإن قلت: إبليس كان جنياً بدليل قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]، فمن أين تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة؟

قلت: كان في صحبتهم، وكان يعبد الله ـ تعالى ـ عبادتهم، فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له؛ كرامة له، كان الجني الذي معهم أجدر بأن يتواضع، كما لو قام لمقبل على المجلس علية أهله وسراتهم، كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة أوجب، حتى إن لم يقم عنف، وقيل له: قد قام فلان وفلان، فمن أنت حتى تترفع عن القيام؟

فإن قلت: فكيف صحّ استثناؤه، وهو جني عن الملائكة؟

قلت: عمل على حكم التغليب في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه، فأخرج الاستثناء على ذلك؛ كقولك: خرجوا إلا فلانة، لامرأة بين الرجال، ﴿وَأَبَىٰ﴾: جملة مستأنفة، كأنه جواب قائل قال: لم لم يسجد؟ والوجه ألاّ يقدّر له مفعول، وهو السجود المدلول عليه بقوله: ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف وتثبط.

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾: فلا يكونن سبباً لإخراجكما؛ وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد إشراكهما في الخروج؛ لأنّ في ضمن شقاء الرجل، وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم، كما أنّ في ضمن سعادته سعادتهم، فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها، مع المحافظة على الفاصلة، أو أريد بالشقاء: التعب في طلب القوت؛ وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع إليه، وروي أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه.

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾

قرئ: (وإنك): بالكسر والفتح، ووجه الفتح العطف على (أن لا تجوع).

فإن قلت: إنّ لا تدخل على أن، فلا يقال: إنّ أن زيداً منطلق، والواو نائبة عن إنّ وقائمة مقامها فلم أدخلت عليها؟

قلت: الواو لم توضع لتكون أبداً نائبة عن إنّ؛ إنما هي نائبة عن كل عامل، فلما لم تكن حرفاً موضوعاً للتحقيق خاصة ـ كإن ـ لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إنّ وأن.

الشبع والريّ والكسوة والكنّ: هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان(١)، فذكره استجماعها له في الجنة، وأنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا، وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو(٢)؛ ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها، حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾

---

(١) قال محمود: «ذكر تعالى الأصناف التي بها قوام الإنسان... إلخ» قال أحمد: تنبيه حسن، وفي الآية سر بديع من البلاغة يسمى قطع النظير عن النظير، وذلك أنه قطع الظمأ عن الجوع والضحو عن الكسوة، مع ما بينهما من التناسب. والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها، ولو قرن كلا بشكله لتوهم المعدودات نعمة واحدة، وقد رمق أهل البلاغة سماء هذا المعنى قديماً وحديثاً فقال الكندي الأول [من الطويل]:

كأني لم أركب جواداً للذة ... ولم أتبطن كاعبًا ذات خلخال

ولم أرشف الرزق الروي ولم أقل ... لخيلي كري كرّة بعد إجفال

فقطع ركوب الجواد عن قوله «لخيلي كري كرة» وقطع تبطن الكاعب عن ترشف الكأس مع التناسب، وغرضه أن يعدد ملاذه ومفاخره ويكثرها، وتبعه الكندي الآخر فقال [من الطويل]:

وقفت وما في الموت شكٌّ لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

فاعترضه سيف الدولة بأنه ليس فيه قطع الشيء عن نظيره، ولكنه على فطنته قصر فهمه عما طالت إليه يد أبي الطيب من هذا المعنى الطائل البديع، على أن في هذه الآية سراً لذلك زائداً على ما ذكر، وهو أن قصد تناسب الفواصل، ولو قرن الظمأ بالجوع فقيل: إن لك أن لا تجوع فيها ولا تظمأ، لانتثر سلك رءوس الآي، وأحسن به منتظماً، والله أعلم.

(٢) قوله «والضحو» الذي في الصحاح: ضحيت للشمس ضحا ـ ممدود ـ إذا برزت الشمس لها، وضحيت ـ بالفتح ـ مثله. (ع)

فإن قلت: كيف ٢/١٨أ عدى وسوس تارة باللام في قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، وأخرى بإلى؟

قلت: وسوسة الشيطان كولولة الثكلى[١]، ووعوعة الذئب، ووقوقة الدجاجة، في أنها حكايات للأصوات وحكمها حكم صوت وأجرس، ومنه: وسوس المبرسم، وهو موسوس بالكسر، والفتح: لحن؛ وأنشد ابن الأعرابي: [من الرجز]

وَسْــوَسَ يَـدعُــو مُـخْـلِـصـاً رَبَّ الْـفَـلَـقْ[٢]

فإذا قلت: وسوس له، فمعناه لأجله؛ كقوله: [من الرجز]

أَجــرِسْ لَــهَــا يَــا ابْــنَ أَبِــي كِـبَــاشِ[٣]

ومعنى «وسوس إليه»: أنهى إليه الوسوسة؛ كقولك: حدّث إليه، وأسرّ إليه، أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود؛ لأن من أكل منها خلد بزعمه، كما قيل لحيزوم: فرس

---

(١) قوله «كولولة الثكلى» أي الحزينة. (ع)

(٢) وسوس يدعو مخلصا رب الفلق ... سرًا وقد أوّن تأوين العقق
في الزرب لو يمضغ شربًا ما بصق

لرؤبة، يصف قانصا. وسوس: تكلم في نفسه، يدعو الله مخلصاً أنه يظفره بالصيد، وقوله «سرا» ساقه مساق الظرف للتوكيد، أي تعلق بوسوس، وللتأسيس إن تعلق بيدعو، وتكون الجملة حالية مبينة للوسوسة. وقد أونّ أي: الحمير الوحشية، والجملة أيضاً حالية، والتأوين: امتلاء الجنين من الأون، وهو جانب الخرج الممتلىء. والأونان الجانبان الممتلئان. والعقق: الحوامل، واحده عقوق كعروس، وقيل: هو العقوق، أي امتلأت بطونهن ماء لكثرة شربهن كامتلاء بطون الحوامل في الزرب، حال من ضمير القانص. والزرب والزربة: قترته التي يكمن فيها وانزرب القانص: دخل الزرب. وقوله «لو يمضغ» في معنى الحال أيضاً، أي: ساكناً بحيث لو يمضغ شربا، أي: لو يلوك بفمه مقداراً من مائه وهو الريق، لم يبصق لئلا يسمع الصيد صوته، وأصل الشرب: النصيب من الماء، استعاره لما يجتمع بفمه من الريق، وبين الزرب والشرب الجناس المضارع.

ينظر البيت في ديوانه ص ١٠٨، ولسان العرب (وسس) (لسق)، (أون)، (مأن)، وتهذيب اللغة ١/ ٦٠، ١٣/ ١٣٦، ١٥/ ٥٤٥، وتاج العروس (وطس)، (عقق)، (فلق)، (أون)، وديوان الأدب ٤/ ٢٢٩، وبلا نسبة في لسان العرب (عقق)، (وجه)، وكتاب العين ٨/ ٤٠٣، ومقاييس اللغة ٣/ ٣٨٥، ٤/ ٧، ومجمل اللغة ٣/ ٣٠١، والمخصص ١١/ ٩٣، وتاج العروس (وجه).

(٣) أجرس لها يا ابن أبي كباش ... فما لها الليلة من أنفاش
غير السرى وسائق نجاش

«أجرس» بقطع الهمزة وبالسين المهملة، أي: صوت واحد للإبل في السير. فمالها في هذه الليلة أنفاش، أي: أطلاق في المرعى. والسري: سير الليل. ونجشت الإبل: جمعتها بعد تفرق. ونجاش: صيغة مبالغة، أي: ليس لها رعي، بل سير شديد. وروي «اجرش» بوصل الهمزة والشين المشالة، وهو بمعناه هنا. والجرس ـ بالمهملة ـ: الصوت الخفي، وبالمشالة: صوت المشط في الشعر. وما شابه ذلك.

الحياة؛ لأنّ من باشر أثره حيي، ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾: دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ: (إلا أن تكونا ملكين): بالكسر.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١)﴾

«طفق يفعل كذا» مثل: جعل يفعل، وأخذ، وأنشأ، وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلاً مضارعاً، وبينها وبينه مسافة قصيرة، هي: للشروع في أوّل الأمر، وكاد لمشارفته والدنوّ منه، قرئ: ﴿يَخْصِفَانِ﴾: للتكثير والتكرير، من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخصاف، أي: يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين، وقيل: كان مدوراً، فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما، وقيل: كان لباسهما الظفر، فلما أصابا الخطيئة، نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع، عن ابن عباس: لا شبهة في أنّ آدم لم يمتثل ما رسم الله له، وتخطى فيه ساحة الطاعة، وذلك هو العصيان، ولما عصى خرج فعله من أن يكون رشداً وخيراً، فكان غيًّا لا محالة؛ لأنّ الغي خلاف الرشد، ولكن قوله: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾: بهذا الإطلاق وبهذا التصريح، وحيث لم يقل: وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك، مما يعبر به عن الزلات والفرطات: فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة، وكأنه قيل لهم: انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه إلا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع، فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر، فضلاً أن تجسروا على التورّط في الكبائر، وعن بعضهم: (فغوى): فبشم[(١)] من كثرة الأكل، وهذا ـ وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسورة ما قبلها ألفاً فيقول في «فني، وبقي»: «فنا، وبقا»، وهم بنو طيّ ؛ تفسير خبيث[(٢)].

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢)﴾

فإن قلت: ما معنى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾؟

قلت: ثم قبله بعد التوبة وقرّبه إليه، من جبى إليّ كذا فاجتبيته؛ ونظيره: جليت عليّ

= ينظر: لسان العرب (جرس)، (نجش)، (نفش)، وتهذيب اللغة ١٠/ ٥٤٢، ١١/ ٣٧٧، وتاج العروس (جرس)، ١٧/ ٤٢١.

(١) قوله «فبشم من كثرة الأكل» في الصحاح «البشم» التخمة. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: قلت كأنه لم يطلع على أنه قرىء بكسر الواو ولو اطلع عليها لردها وقد فسر القائل بهذه المقالة من نسبة آدم عليه السلام إلى المغني. انتهى. الدر المصون.

العروس فاجتليتها، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، أي: هلا جبيت إليك فاجتبيتها، وأصل الكلمة: الجمع، ويقولون: اجتبت الفرس نفسها إذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار، و﴿هَدَىٰ﴾ أي: وفقه لحفظ التوبة وغيره من أسباب العصمة والتقوى.

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣)﴾

لما كان آدم وحواء ـ عليهما السلام ـ أصلي البشر، والسببين اللذين منهما نشئوا وتفرعوا: جعلا كأنهما البشر في أنفسهما، فخوطبا مخاطبتهم، فقيل: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾: على لفظ الجماعة؛ ونظيره إسنادهم الفعل إلى السبب، وهو في الحقيقة للمسبب، ﴿هُدًى﴾: كتاب وشريعة، وعن ابن عباس: ضمن الله لمن اتبع القرآن ألاّ يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا قوله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾، والمعنى: أنّ الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضلّ في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾

الضنك: مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث، وقرئ: ﴿ضنكى﴾: على فعلى، ومعنى ذلك: أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته، فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة، فيعيش عيشاً رافعاً؛ كما قال عز وجل: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، والمعرض عن الدين، مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا، مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشه ضنك وحاله مظلمة، كما قال بعض المتصوّفة: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوّش عليه رزقه، ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة؛ لكفره، قال الله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١)﴾ [نوح: ١١]، وقال: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ٢/١٨ب (١٦)﴾ [الجن: ١٦]، وعن

الحسن: هو الضريع والزقوم في النار، وعن أبي سعيد الخدري عذاب القبر، وقرئ: (ونحشره): بالجزم، عطفاً على محل: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾؛ لأنه جواب الشرط، وقرئ: «ونحشره»: بسكون الهاء على لفظ الوقف، وهذا مثل قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وكما فسر الرزق بالعمى، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك فعلت أنت، ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة، فلم تنظر إليها بعين المعتبر ولم تتبصر، وتركتها وعميت عنها، فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾

لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين: المعيشة الضنك في الدنيا، وحشره أعمى في الآخرة ـ ختم آيات الوعيد بقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٧]، كأنه قال: وللحشر على العمى الذي لا يزول أبداً أشدّ من ضيق العيش المنقضي، أو أراد: ولتركنا إياه في العمى أشدّ وأبقى من تركه لآياتنا.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾

فاعل ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾: الجملة بعده يريد: ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه؛ ونظيره قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات: ٧٨ ـ ٧٩]، أي: تركنا عليه هذا الكلام[1]، ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول؛ ويدل عليه القراءة بالنون، وقرئ: ﴿يَمْشُونَ﴾ يريد: أنّ قريشاً يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون، ﴿فِى مَسَـٰكِنِهِمْ﴾: ويعاينون آثار هلاكهم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾

الكلمة السابقة: هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة، يقول: لولا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا عاداً وثموداً لازماً لهؤلاء الكفرة، واللزام: إما مصدر لازم وصف به، وإما فعال بمعنى: مفعل، أي: ملزم، كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه، كما قالوا: لزاز خصم، ﴿وَأَجَلٌ

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: فكون الجملة فاعل يهد هو مذهب كوفي، وأما تشبيهه وتنظيره بقوله: «وتركنا عليه في الآخرين» «سلام على نوح في العالمين» فإن تركنا معناه معنى القول فحكيت به الجملة كأنه قيل وقلنا عليه وأطلقنا عليه هذا اللفظ والجملة تحكي بمعنى القول كما تحكي بالقول. انتهى. الدر المصون.

﴿مُّسَمًّى﴾: لا يخلو من أن يكون معطوفا على ﴿كَلِمَةٌ﴾، أو على الضمير في: ﴿كان﴾، أي: لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: في موضع الحال، أي: وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه، والمراد بالتسبيح: الصلاة، أو على ظاهره قدم الفعل على الأوقات أوّلاً، والأوقات على الفعل آخراً، فكأنه قال: صل لله قبل طلوع الشمس، يعني: الفجر، وقبل غروبها، يعني: الظهر والعصر؛ لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها، وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصًّا لهما بصلاتك؛ وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل، لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب، وقال الله ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾ [المزمل: ٦]، وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ [الزمر: ٩]، ولأنّ الليل وقت السكوت والراحة، فإذا صرف إلى العبادة، كانت على النفس أشد وأشق، وللبدن أتعب وأنصب، فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله، وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة، وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار؛ إرادة الاختصاص، كما اختصت في قوله: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» عن بعض المفسرين.

فإن قلت: ما وجه قوله: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ على الجمع؛ وإنما هما طرفان كما قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾؟

قلت: الوجه أمن الإلباس، وفي التثنية: زيادة بيان، ونظير مجيء الأمرين في الآيتين: مجيئهما في قوله [من السريع أو الرجز]

ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْنِ(١)

وقرئ: وأطراف النهار، عطفاً على آناء الليل، ولعل للمخاطب، أي: اذكر الله في هذه الأوقات؛ طمعاً ورجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك، وقرئ: «ترضى»، أي: يرضيك ربك.

(١) ومهمهين قذفين مرتين ظهراهما مثل ظهور الترسين
جبتهما بالنعت لا بالنعتين
لخطام المجاشعي. وقيل: لهميان بن قحافة. والمهمه: المفازة. والقذف ـ بالتحريك ـ: الذي =

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: نظر عينيك، ومدّ النظر: تطويله، وألاَّ يكاد يرده؛ استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به، وتمنياً أن يكون له، كما فعل نظارة قارون حين قالوا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩]، حتى واجههم أولو العلم والإيمان بـ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القصص: ٨٠]، وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه؛ وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف، ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع، وأنّ من أبصر منها شيئاً أحب أن يمدّ إليه نظره ويملأ منه عينيه، قيل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به، ولقد شدّد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك؛ لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم، وكالمغري لهم على اتخاذها، ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: أصنافاً من الكفرة، ويجوز أن ينتصب حالاً من هاء الضمير، والفعل واقع على: (منهم): كأنه قال: إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناساً ٢/١٩أ منهم.

فإن قلت: علام انتصب ﴿زَهْرَةَ﴾؟

قلت: على أحد أربعة أوجه: على الذم، وهو النصب على الاختصاص، وعلى

= يقذف سالكه فلا يمكث فيه أحد. وقيل: البعيد. والمرت ـ بالسكون ـ: القفر لا ماء فيه ولا نبات. والترس: حيوان ناتىء الظهر. وثنى ظهراهما على الأصل، وجمع فيما بعد لأمن اللبس، ولأنه ربما كره اجتماع تثنيتين، لا سيما عند تتابع التثنية كما هنا. وقال النحاة: كل مثنى في المعنى مضاف إلى متضمنه، يختار في لفظه الجمع لتعدد معناه وكراهة اجتماع تثنيتين في اللفظ. ويجوز مجيئه على الأصل كما هنا. ويجوز إفراده كقوله [من الطويل]:

حمامة بطن الواديين ترنمي ....

والجواب: القطع. والنعت: الوصف، ويروى: «بالسمت لا بالسمتين» والسمت: الهيئة والقصد والجهة والطريق والمراد أنهما وصفا، أو ذكرت هيأتهما له مرة واحدة. يقول: رب موضعين قفرين لا أنيس فيهما، لهما ظهران مرتفعان، كظهري الترسين، قطعتهما بالسير بنعت واحد، لا بوصفهما لي مرتين أو ثلاثة كغيري. ويجوز أن المعنى بذكر نعت واحد من نعوتها، لا بذكر نعتين، فالنعت بمعنى الصفة القائمة بالشيء. وفي الكلام دلالة على شجاعته وحذقه.
ينظر: خزانة الأدب ٢/ ٣١٤، والدرر ١/ ١١٦، ١١٨، ١٦٦، وشرح المفصل ٤/ ١٥٦، والكتاب ٢/ ٤٨، ولسان العرب (مرت)، وله أو لهميان في الكتاب ٣/ ٦٢٢، والتنبيه والإيضاح ١/ ١٧٣، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٤/ ٣٠٢، ٧/ ٥٣٩، ٥٧٢، وشرح الأشموني ٣/ ٤٠٤، وشرح شافية ابن الحاجب ١/ ١٩٤، وهمع الهوامع ١/ ٤٠، ٥١، والمخصّص ٩/ ٧.

تضمين: (متعنا) معنى: أعطينا وخوّلنا، وكونه مفعولاً ثانياً له، وعلى إبداله من محل الجار والمجرور، وعلى إبداله من أزواجاً، على تقدير ذوي زهرة.

فإن قلت: ما معنى الزهرة فيمن حرّك(١).

قلت: معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة، كما جاء في الجهرة الجهرة، وقرئ: «أرنا الله جهرة»، أن تكون جمع زاهر، وصفاً لهم بأنهم زاهرو هذه الدنيا، لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون، وتهلل وجوههم(٢)، وبهاء زيهم وشارتهم(٣)، بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء: من شحوب الألوان والتقشف في الثياب، ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾: لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب؛ لوجود الكفران منهم، أو لنعذبهم في الآخرة بسببه، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾: هو ما ادّخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم، أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوّة، أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة(٤) من بعض الوجوه، والحلال ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾؛ لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث، والحرام لا يسمى رزقاً أصلاً(٥)، وعن عبد الله بن قسيط عن رافع: قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ إِلَى يَهُودِيٍّ، وَقَالَ: «قُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ أَقْرِضْنِي إِلَى رَجَبٍ» فَقَالَ: وَاللَّهِ، لاَ أَقْرَضْتُهُ إِلاَّ بِرَهْنٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنِّي لأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ، وَإِنِّي لأَمِينٌ فِي الأَرْضِ، احْمِلْ إِلَيْهِ دِرْعِي الْحَدِيدَ»؛ فنزلت: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ (٩٥٥).

---

٩٥٥ ـ رواه الطبراني (١/ ٣٣١) رقم (٩٨٩) حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير ثنا موسى بن عبيدة عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع قال: أضاف رسول الله ـ ﷺ ـ ضيفاً فلم يلق عند النبي ـ ﷺ ـ ما يصلحه، فأرسل إلى رجل من اليهود: يقول لك محمد ـ ﷺ ـ فأخبرته فقال: «أم والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه، فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا =

---

(١) قوله «حرك» أي حرك الهاء بالفتح. (ع)

(٢) قوله «وتهلل وجوههم» الذي في الصحاح: تهلل وجه الرجل من فرحه، وهلهل النساج الثوب. أرق نسجه وخففه. (ع)

(٣) قوله «وبهاء زيهم وشارتهم» في الصحاح: الزي والشارة: اللباس والهيئة. (ع)

(٤) قال محمود: «معناه أن رزق هؤلاء المتمتعين في الدنيا أكثره مكتسب من الحرام... إلخ» قال أحمد: لولا أن غرض القدرية من هذا إثبات رازق غير الله تعالى كما أثبتوا خالقاً سوى الله تعالى لكان البحث لفظياً. فالحق والسنة أن كل ما تقوم به البنية رزق من الله تعالى، سواء كان حلالاً أو غيره، لا يلزم من كون الله تعالى رزقه أن يكون حلالاً، فكما يخلق الله تعالى على يدي العبد ما نهاه عنه، كذلك يرزقه ما أباح له تناوله وما لا ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ والله الموفق للصواب.

(٥) قوله «والحرام لا يسمى رزقاً أصلاً» هذا عند المعتزلة، ويسمى رزقاً عند أهل السنة. (ع)

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾ أي: وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة، واستعينوا بها على خصاصتكم، ولاتهتم بأمر الرزق والمعيشة، فإنّ رزقك مكفيّ من عندنا، ونحن رازقوك ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرّغ بالك لأمر الآخرة، وفي معناه قول الناس: من دان في عمل الله كان الله في[1] عمله، وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه: ١٣١]. . . الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله، وعن بكر بن عبد الله المزني كان إذا أصابت أهله خصاصة، قال: قوموا فصلوا؛ بهذا أمر الله رسوله، ثم يتلو هذه الآية.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾

اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوّة، فقيل لهم: أو لم تأتكم آية هي أمّ الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن، من قبل أنّ القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته؛ لأنه معجزة، وتلك ليست بمعجزات، فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها، افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة، وقرئ: «الصحف»: بالتخفيف، ذكر الضمير الراجع إلى البينة؛ لأنها في معنى البرهان والدليل.

= مِّنْهُمْ﴾ إلى آخر الآية لأنه يعزيه عن الدنيا.
ورواه ابن جرير في التفسير (٨/ ٤٧٩) رقم (٢٤٤٥٦) قال الهيثمي في المجمع (٤/ ١٢٩): «رواه الطبراني في الكبير والبزار وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف» اهـ.
وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٦٠) وعزاه لابن أبي شيبة وابن راهويه وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وأبو نعيم في المعرفة، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٢٣٦)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٧).
قال الحافظ: قلت وقع فيه تحريف في الروايتين، وإنما هو عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع، ولعل ذلك من النساخ. والحديث أخرجه إسحاق، وابن أبي شيبة، وأبو يعلى، والبزار، والطبري، والطبراني من هذا الوجه مطولاً، وفيه موسى بن عبيدة الزبيري وهو متروك. واستدل على بطلان ما رواه أنه وقع فيه: أن قوله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾ الآية نزلت في هذه القصة، وسورة طه مكية ـ وهذه القصة إنما كانت في المدينة كما في الصحيح. وهذا يمكن الجواب عنه؛ إذ لا مانع أن تكون الآية وحدها مدنية. وبقية السورة مكية. وأما حمله على تعدد القصة فلم يصب. انتهى.

---

(١) قوله «من دان في عمل الله كان الله في عمله» دان: ذل. ودانه: أذله، كذا في الصحاح. (ع)

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾

قرئ: ﴿نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾: على لفظ ما لم يسم فاعله.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿كُلٌّ﴾ أي: كل واحد منا ومنكم، ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾: للعاقبة، ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم، وقرئ: «السواء»: بمعنى: الوسط والجيد، أو المستوي والسوء والسوأي والسوي تصغير السوء[1]، وقرئ: فتمتعوا فسوف تعلمون، قال أبو رافع: حفظته من رسول الله ﷺ.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ طَهَ أُعْطِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوَابَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارَ» (٩٥٦)، وقال: «لاَ يَقْرَأُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنَ الْقُرآنِ إِلاَّ طَهَ وَيَس» (٩٥٧).

---

٩٥٦ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي من رواية زياد عن الحسن مرسلاً. انتهى.
٩٥٧ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه من حديث أبي بن كعب. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وليس بجيد إذ لو كان كذلك لثبتت همزة سوء والأجود أن يكون تصغير سواء كقولهم غطّى في غطا قلت وقد جعله أبو البقاء أيضاً تصغير السوء بفتح الهمزة ويرد عليه ما تقدم إيراده على الزمخشري وإبدال مثل هذه الهمزة جائز فلا إيراد. انتهى. الدر المصون.

سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ

مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ١١٢ [نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾

هذه اللام: لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب، أو تأكيداً لإضافة الحساب إليهم؛ كقولك: «أزف للحيّ رحيلهم» الأصل: أزف رحيل الحيّ، ثم أزف للحيّ الرحيل، ثم أزف للحيّ رحيلهم؛ ونحوه: ما أورده سيبويه في «باب ما يثنى فيه المستقرّ توكيداً» عليك زيد حريص عليك، وفيك زيد راغب فيك، ومنه قولهم: لا أبا لك؛ لأنّ اللام مؤكدة لمعنى الإضافة، وهذا الوجه أغرب من الأوّل[1]، والمراد: اقتراب الساعة، وإذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك؛ ونحوه: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

فإن قلت: كيف وصف بالاقتراب، وقد عدّت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام؟

قلت: هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله ـ عزّ وجل ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾ [الحج: ٤٧]، ولأنّ كل آت ـ وإن

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: يعني بقوله صلة لاقترب، أي متعلقة به، وأما جعله اللام تأكيداً لإضافة الحساب إليهم مع تقدم اللام ودخولها على الاسم الظاهر فلا نعلم أحداً يقول ذلك، وأيضاً سنحتاج إلى ما تتعلق به، ولا يمكن تعلقه بحسابهم لأنه مصدر موصول ولأنه قدم معموله عليه، وأيضاً فإن التوكيد يكون متأخراً عن المؤكد وأيضاً فلو أخر في هذا التركيب لم يصح، وأما تشبيهه بما أورده سيبويه فالفرق واضح، فإن عليك لحريص وعليك المتأخرة تأكيد، وكذلك فيك زيد راغب فيك فتعلق فيك براغب وفيك الثانية توكيد، وإنّما غره في ذلك صحة توكيد حساب الناس وكذلك أزف رحيل الحي، فاعتقد إذا تقدم الظاهر مجروراً باللام، وأضيف المصدر لضميره أنه من باب فيك زيد راغب فيك، وليس مثله، وأما لا أباً لك فهي مسألة مشكلة وفيها خلاف، ويمكن أن يقال فيها ذلك لأن اللام فيها جاوزت الإضافة ولا يقاس عليها لشذوذها وخروجها عن الأقيسة، قلت مسألة الزمخشري أشبه شيئ بمسألة لا أباً لك، والمعنى الذي أورده صحيح، وأما كونها مشكلة فهو إنما بناها على قول الجمهور، والمشكل مقرر في بابه فلا يضرنا القياس عليه لتقرره في مكانه. انتهى. الدر المصون.

طالت أوقات استقباله وترقبه ـ قريب؛ إنما البعيد هو الذي وجد وانقرض، ولأنّ ما بقي في الدنيا أقصر وأقل مما ٢/١٩ب سلف منها؛ بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان، وقال عليه السلام: «بُعِثْتُ فِي نَسْمِ السَّاعَةِ»[1] (٩٥٨)، وفي خطبة بعض المتقدّمين: ولت الدنيا حذاء، ولم تبق إلا صبابة كصبابة الإناء (٩٥٩)، وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة بالإضافة إلى معظمه، كانت خليقة بأن توصف بالقلة وقصر الذرع، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنّ المراد بالناس: المشركون، وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم، وهو ما يتلوه من صفات المشركين، وصفهم بالغفلة مع الإعراض، على معنى: أنهم غافلون عن حسابهم ساهون، لا يتفكرون في عاقبتهم، ولا يتفطنون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم، مع اقتضاء عقولهم إنه لا بدّ من جزاء للمحسن والمسيء، وإذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر، أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا.

---

٩٥٨ ـ أخرجه البزار رقم (٣٢١٥ ـ كشف) حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد ثنا ابن أبي الوزير محمد بن عمر ثنا سفيان، عن إسماعيل، عن قيس، عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «بعثت في نسم الساعة».
وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٦١)، وروى الترمذي (٤/ ٤٩٦) كتاب الفتن، باب ما جاء في قول النبي ـ ﷺ ـ: «بعثت أنا والساعة كهاتين يعني السبابة والوسطى» حديث (٢٢١٣).
حدثنا محمد بن عمر بن هياج الأسدي الكوفي حدثنا يحيى بن عبد الرحمن الأرحبي حدثنا عبيدة بن الأسود عن مجالد عن قيس بن أبي حازم عن المستورد بن شداد الفهري روى عن النبي ﷺ قال: «بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه» لأصبعيه السبابة والوسطى.
قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من حديث المستورد بن شداد لا نعرفه إلا من هذا الوجه .اهـ.
قال الحافظ: أخرجه البزار بإسناد حسن، من حديث أبي جبير بن الضحاك الأنصاري وأخرجه الحسن بن سفيان، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية. وفي الباب عن المستورد بن شداد رفعه: «بعثت في نفس الساعة ـ الحديث» أخرجه الترمذي، وقوله: وفي خطب بعض المتقدمين: «ولت الدنيا حذاء لم يبق إلا صبابة كصبابة الإناء» هو عبد الله بن غزوان. أخرجه مسلم من حديثه مطولاً. انتهى.

٩٥٩ ـ أخرجه مسلم (٩/ ٣٢٥) كتاب الزهد والرقائق حديث (٢٩٦٧)، والترمذي (٤/ ٧٠٢) كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة قعر جهنم حديث (٢٥٧٥)، وابن ماجه (٢/ ١٣٩٢) كتاب الزهد، باب معيشة أصحاب النبي ـ ﷺ ـ حديث (٤١٥٦) مختصراً.

---

(١) قوله «بعثت في نسم الساعة» في الصحاح «نسم الريح» أولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد. ومنه الحديث «بعثت في نسم الساعة» أي حين ابتدأت وأقبلت أوائلها. والنسيم أيضاً: جمع نسمة وهي النفس. (ع)

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾

قرّر إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ: بأنّ الله يجدّد لهم الذكر وقتاً فوقتاً، ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة؛ ليكرّر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون، فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر ـ التي هي أحق الحق وأجدّ الجدّ ـ إلا لعباً وتلهياً واستسخاراً، والذكر: هو الطائفة النازلة من القرآن، وقرأ ابن أبي عبلة: (محدث): بالرفع صفة على المحل، قوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾: حالان مترادفتان أو متداخلتان، ومن قرأ: (لاهية): بالرفع فالحال واحدة؛ لأنّ (لاهية قلوبهم): خبر بعد خبر؛ لقوله: (وهم)، واللاهية: من لها عنه إذا ذهل وغفل، يعني: أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلاً، وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمّل والتبصر بقلوبهم.

فإن قلت: النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون إلا خفية، فما معنى قوله: (وأسرّوا)؟

قلت: معناه: وبالغوا في إخفائها، أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون، أبدل: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: من واو وأسرّوا، إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسرّوا به، أو جاء على لغة من قال: أكلوني البراغيث، أو هو منصوب المحل على الذم، أو هو مبتدأ خبره: (وأسرّوا النجوى)، قدم عليه، والمعنى: وهؤلاء أسروا النجوى، فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم، ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ هذا الكلام كله في محل النصب بدلاً من النجوى، أي: وأسروا هذا الحديث، ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمراً: اعتقدوا أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ لا يكون إلا ملكاً، وأن كل من ادّعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة هو ساحر ومعجزته سحر؛ فلذلك قالوا على سبيل الإنكار: أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر.

فإن قلت: لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في إخفائه؟

قلت: كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم، والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره، وعمل المنصوبة في التثبيط عنه[1]، وعادة المتشاورين في خطب ألاّ يشركوا أعداءهم في

---

(١) قوله «وعمل المنصوبة في التثبيط عنه» كأن فيه سقطاً. وفي الصحاح: نصبت لفلان نصباً: إذا عاديته. (ع)

شوارهم، ويتجاهدوا في طيّ سرّهم عنهم ما أمكن واستطيع، ومنه قول الناس: «استعينوا على حوائجكم بالكتمان»، ويرفع إلى رسول الله ـ ﷺ ـ (٩٦٠)، ويجوز أن يسرّوا نجواهم

---

٩٦٠ ـ أخرجه السهمي في «تاريخ جرجان» (ص ـ ٢٢٣) من طريق الهيثم بن أيوب العطار حدثنا سهل بن عبد الرحمن عن محمد بن مطرف، عن محمد بن المنكدر، عن عروة، عن أبي هريرة مرفوعاً.
وللحديث شواهد من حديث معاذ بن جبل وابن عباس وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب.
حديث معاذ بن جبل:
أخرجه العقيلي (٢/ ١٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٩٤) رقم (١٨٣)، وفي «الصغير» (٢/ ١٤٩)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٢٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢١٥، ٦/ ٩٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٥٥)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٦٥ ـ بتحقيقنا)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٠٧) كلهم من طريق سعيد بن سلام العطار ثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل مرفوعاً.
وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، المتهم به سعيد بن سلام؛ قال العقيلي: لا يعرف إلا به، ولا يتابع عليه، وقال محمد بن عبد الله بن نمير وأحمد بن حنبل: هو كذاب، وقال البخاري: يذكر بوضع الحديث، وقال ابن حبان: يتفرد عن الأثبات بما لا أصل له، وقال الدارقطني: متروك.
وقال ابن الجوزي: المتهم به حسين بن علوان، قال ابن عدي، وابن حبان: كان يضع الحديث.
وقال السيوطي في «اللآلىء» (٢/ ٨١): حسين يضع.
حديث ابن عباس:
أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٥٦ ـ ٥٧)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٦٥) من طريق الحسين بن عبد الله الأبزازي حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثني المأمون حدثني الرشيد عن المهدي أنه أسر إليه شيء وقال: لا تطلعن عليه أحداً؛ فإن أمير المؤمنين ـ يعني المنصور ـ حدثني عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «استعينوا على نجاح الحوائج بكتمانها».
قال ابن الجوزي: أما حديث ابن عباس فإنه من عمل الأبزاري قال أحمد بن كامل: كان الأبزازي ماجناً كذاباً، قال مُهَنى: سألت أحمد بن حنبل ويحيى بن معين عن قولهم: «استعينوا على طلب الحوائج بالكتمان» فقالا: هو موضوع وليس له أصل.
حديث عمر بن الخطاب:
أخرجه الخرائطي في «اعتلال القلوب» كما في «اللآلىء» (٢/ ٨٢) عن عمر مرفوعاً.
وورد عنه أيضاً موقوفاً أخرجه الشيرازي في «الألقاب» كما في «تنزيه الشريعة» (٢/ ١٣٤).
حديث علي بن أبي طالب:
أخرجه الخلعي في فوائده كما في «اللآلىء» المصنوعة (٢/ ٨٢).
قال الحافظ: روي موقوفاً. قال: ويرفع إلى النبي ـ ﷺ ـ أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب الثالث والأربعين وابن عدي من رواية سعيد بن سلام العطار، عن ثور بن زيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل. وسعيد. قال البخاري: يذكر بالوضع، وتابعه حسين بن علوان عن ثور. وكان أيضاً يضع الحديث. قاله ابن عدي وابن حبان وقال ههنا عن أحمد وابن معين: هو =

بذلك ثم يقولوا لرسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين: إن كان ما تدعونه حقًا فأخبرونا بما أسررنا.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ④﴾

فإن قلت: هلا قيل: يعلم السر؛ لقوله: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾[1]؟

قلت: القول عام يشمل السرّ والجهر، فكان في العلم به العلم بالسرّ وزيادة، فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول: يعلم السرّ، كما أنّ قوله: يعلم السرّ، آكد من أن يقول: يعلم سرهم، ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية.

فإن قلت: فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦]؟

= حديث موضوع. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: منكر لا يعرف له أصل. وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه حمزة السهمي في تاريخ جرجان. وفيه شميل بن عبد الرحمن الجرجاني رواه محمد بن مطرف وعند الهيثم بن أيوب الطالقاني، وعن ابن عباس أخرجه ابن حبان في الضعفاء. وفيه طاهر بن الفضل الحلبي. وهو متهم بالوضع. وله طريق أخرى من رواية الخلفاء للحسن بن علي صاحب السلعة عن إبراهيم بن علي بن مالونة البلخي عن الطالبي عن إبراهيم بن معقل بسنده. وليس فيه غير الطالبي. انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم عدل عن قوله يعلم السر مع أن المتقدم وأسروا النجوى. . . إلخ» قال أحمد: وهذا من اتباع القرآن للرأي، نعوذ بالله من ذلك لاسيما رأي ينفي صفات الكمال عن الله تعالى وما الذي دل عليه (السميع العليم) من نفي صفتي السمع والعلم في تفسيرهما بذلك، مع أنه لا يفهم في اللغة سميع إلا بسمع، ولا عليم إلا بعلم، فإنها صفات مشتقات من مصادر لا بد من فهمها وثبوتها أو لا، ثم ثبوت ما اشتقت منه. ومن أنكر السمع والعلم فقد سارع إلى إنكار السميع العليم وهو لا يشعر. وليس غرضنا في هذا المصنف سوى الإيقاظ لما انطوى عليه الكشاف من غوائل البدع ليتجنبها الناظر. وأما الأدلة الكلامية فمن فنها تتلقى. وحاله فيما يورده من أمثال هذه النزعات مختلف: فمرة يوردها عند كلام يتخيل في ظاهره إشعاراً بغرضه، فوظيفتنا معه حينئذٍ أن ننازع في الظهور، ثم قد نترقى إلى بيان ظهوره في عكس مراده أو نصوصيته، حتى لا يحتمل ما يدعيه بوجه ما، وقد يلجئنا الإنصاف إلى تسليم الظهور له؛ فنذكر وجه التأويل الذي يرشد إليه دليل العقل. ومرة يورد نبذاً من هذا الرأي عند كلام لا يحتمله ولا يشعر به بوجه، وغرضه التعسف حتى لا يخلي شيئاً من كلامه من تعصب وإصرار على باطل، فننبه على ذلك أيضاً. وما ذكره عند هذه الآية من قبيل ما يدل النص على عكس مراده فيه، وقد أوضحناه.

قلت: ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع، ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى، كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتنّ الكلام افتنانا، وتجمع الغاية وما دونها، على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه، من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى، فكأنه أراد أن يقول: إن ربي يعلم ما أسروه، فوضع القول موضع ذلك للمبالغة، وثم قصد وصف ذاته بأن أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض، فهو كقوله علام الغيوب: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٣]، وقرئ: ﴿قَالَ رَبِّى﴾: حكاية لقول رسول الله ـ ﷺ ـ لهم.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾

أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام، ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر، وهكذا الباطل لجلج[1]، والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد، ويجوز أن يكون تنزيلاً من الله ـ تعالى ـ لأقوالهم في درج الفساد، وأن قولهم الثاني أفسد من الأول، والثالث أفسد من الثاني؛ وكذلك الرابع من الثالث، ٢/ ٢٠أ صحة التشبيه في قوله: ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾: من حيث أنه في معنى: كما أتى الأوّلون بالآيات؛ لأنّ إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات؛ ألا ترى أنه لا فرق بين أن تقول: أرسل محمد ـ ﷺ ؛ وبين قولك: أتى محمد بالمعجزة.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها، فلما جاءتهم نكثوا أو خالفوا، فأهلكهم الله، فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث وأنكث.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾

أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب، حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى

---

(١) قوله «الباطل لجلج» في الصحاح: الحق أبلج والباطل لجلج، أي: يردد من غير أن ينفذ. (ع)

إليهم كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا؛ وإنما أحالهم على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله ـ ﷺ ـ، قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦]، فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله، ﷺ.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾: صفة لجسداً، والمعنى: وما جعلنا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قبله ذوي جسد غير طاعمين، ووحد الجسد لإرادة الجنس، كأنه قال: ذوي ضرب من الأجساد، وهذا ردّ لقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧].

فإن قلت: نعم قد ردّ إنكارهم أن يكون الرسول بشراً يأكل ويشرب بما ذكرت، فماذا ردّ من قولهم بقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾؟

قلت: يحتمل أن يقولوا: إنه بشر مثلنا يعيش كما نعيش، ويموت كما نموت، أو يقولوا: هلا كان ملكاً لا يطعم ويخلد: إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون، أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتدّ خلوداً.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾: مثل واختار موسى قومه، والأصل في الوعد: ومن قومه، ومنه: صدقوهم القتال، وصدقني سنّ بكره، ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾: هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿ذِكْرُكُمْ﴾: شرفكم وصيتكم؛ كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أو موعظتكم، أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر(١)، كحسن الجوار، والوفاء بالعهد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والسخاء، وما أشبه ذلك.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾

(١) قوله «تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر» لعله «وحسن الذكر» بالواو فقط. (ع)
فائدة «حضور» بفتح المهملة وضم المعجمة: قرية بصنعاء قريبة من قرية عبد الرزاق.

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾: واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم؛ لأنّ القصم أفظع الكسر، وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء، بخلاف الفصم، وأراد بالقرية: أهلها؛ ولذلك وصفها بالظلم، وقال: ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾؛ لأن المعنى: أهلكنا قوماً وأنشأنا قوماً آخرين، وعن ابن عباس: أنها «حضور»، وهي و«سحول»: قريتان باليمن، تنسب إليهما الثياب، وفي الحديث: «كفن رسول الله ـ ﷺ ـ في ثوبين سحوليين» (٩٦١)، وروي: «حضوريين» (٩٦٢)؛ بعث الله إليهم نبيًّا فقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم، وروي: أنهم لما أخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء: يا لثارات الأنبياء، ندموا واعترفوا بالخطأ؛ وذلك حين لم ينفعهم الندم، وظاهر الآية على الكثرة، ولعل ابن عباس ذكر «حضور» بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية، فلما علموا شدّة عذابنا وبطشتنا علم حسّ ومشاهدة، لم يشكوا فيها، ركضوا من ديارهم، والركض: ضرب الدابة بالرجل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢]،

---

٩٦١ ـ أخرجه البخاري (٣/ ١٣٥): كتاب الجنائز: باب الثياب البيض للكفن، الحديث (١٢٦٤)، ومسلم (٢/ ٦٤٩): كتاب الجنائز: باب في كفن الميت، الحديث (٤٥/ ٩٤١)، وأبو داود (٣/ ٥٠٦): كتاب الجنائز: باب في الكفن، الحديث (٣١٥١)، والترمذي (٢/ ٢٣٣): كتاب الجنائز: باب في كم كفن النبي الحديث (١٠٠١)، والنسائي (٣٥٤): كتاب الجنائز: باب كفن النبي ﷺ، وابن ماجه (١/ ٤٧٢): كتاب الجنائز: باب في كفن النبي ﷺ الحديث (١٤٦٩)، ومالك (١/ ٢٢٣): كتاب الجنائز: باب في كفن الميت، الحديث (٥)، والشافعي في «الأم» (١/ ٢٦٦)، وأحمد (٦/ ٤٠ ـ ٩٣ ـ ١١٨ ـ ١٢٣ ـ ١٣٢ ـ ١٦٥ ـ ١٩٢)، والبيهقي (٣/ ٣٩٩)، والطيالسي (١٤٥٣)، وعبد الرزاق (٣/ ٤٢١ ـ ٤٢٢)، رقم (١/ ٦١١)، وأبو يعلى (٧/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) رقم (٤٤٠٢)، وابن حبان (٣٠٣٢ ـ الإحسان)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٢٢٥ ـ بتحقيقنا) وابن حزم في «المحلى» (٥/ ١١٨) من حديث عائشة.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
قال الحافظ: متفق عليه عن عائشة بلفظ «كفن رسول الله ـ ﷺ ـ في ثلاثة أثواب سحولية». انتهى.

٩٦٢ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٣٦٣) رواه الدارقطني في كتاب العلل من حديث محمد بن إسحاق الصاغاني ثنا أبو الجواب ثنا سفيان الثوري، عن عاصم بن عبيد الله، عن سالم، عن ابن عمر قال: كفن رسول الله ـ ﷺ ـ في ثلاثة أثواب: ثوبين حضوريين وثوب حبرة. انتهى.
وقال: تفرد به الصاغاني عن أبي الجواب. انتهى كلام الزيلعي.
قال الحافظ: أخرجه الدارقطني في العلل من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بلفظ «ثلاثة أثواب: ثوبين حضوريين وثوب حبرة» وقال: تفرد به محمد بن إسحاق الصاغاني عن أبي الحواب عن الثوري عن عاصم بن عبد الله عن سالم عن أبيه بهذا. انتهى.

فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب، ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم، فقيل لهم: ﴿لَا تَرۡكُضُواْ﴾، والقول محذوف.

فإن قلت: من القائل؟

قلت: يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلفاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل، أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم، أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم، ﴿وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ﴾: من العيش الرافه والحال الناعمة، والإتراف: إبطار النعمة وهي الترفة، ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ﴾: تهكم بهم وتوبيخ، أي: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غداً عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم، وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقول لكم: بم تأمرون؟ وبماذا ترسمون؟ وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدَّمين؟ أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب، ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم، ويستضيئون بآرائكم، أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم، ويمترون أخلاف[1] معروفكم وأياديكم: إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء، أو كانوا بخلاء؛ فقيل لهم ذلك تهكماً إلى تهكم، وتوبيخاً إلى توبيخ، ﴿تِّلۡكَ﴾: إشارة إلى يا ويلنا؛ لأنها دعوى، كأنه قيل: فما زالت تلك الدعوى، ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾: والدعوى بمعنى: الدعوة؛ قال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ٢/ ٢٠ب [يونس: ١٠].

فإن قلت: لم سميت دعوى؟

قلت: لأن المولول كأنه يدعو الويل، فيقول تعالى: يا ويل فهذا وقتك، و(تلك): مرفوع أو منصوب اسماً أو خبراً وكذلك دعواهم، الحصيد: الزرع المحصود، أي: جعلناهم مثل الحصيد، شبههم به في استئصالهم واصطلامهم[2]، كما تقول: جعلناهم رماداً، أي: مثل الرماد، والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له، فلما دخل عليه جعل نصبها جميعاً على المفعولية.

فإن قلت: كيف ينصب «جعل»: ثلاثة مفاعيل؟

---

(١) قوله «ويمترون أخلاف معروفكم» في الصحاح: الريح تمري السحاب وتمتريه، أي تستدره. وفيه أيضاً: الخلف ـ بالكسر ـ حلمة ضرع الناقة. (ع)

(٢) قوله «واصطلامهم» في الصحاح «الاصطلام» الاستئصال. (ع)

قلت: حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد؛ لأن معنى قولك «جعلته حلواً حامضاً»: جعلته جامعاً للطعمين، وكذلك معنى ذلك: جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾

أي: وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب، كما تسوّى الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم، للهو واللعب؛ وإنما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية؛ لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا، مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعدّ والمرافق التي لا تحصى، ثم بين أنّ السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي: هو أن الحكمة صارفة عنه، وإلا فأنا قادر على اتخاذه إن كنت فاعلاً؛ لأني على كل شيء قدير، وقوله: ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾؛ كقوله: ﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: من جهة قدرتنا، وقيل: اللهو: الولد بلغة اليمن، وقيل: المرأة، وقيل: من لدنا، أي: من الملائكة لا من الإنس، ردًا لولادة المسيح وعزير.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿بَلْ﴾: إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب، وتنزيه منه لذاته، كأنه قال: سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب[1]، بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب

---

(١) قال محمود: «معناه سبحاننا أن نتخذ لهواً ولعباً... إلخ» قال أحمد: وله تحت قوله واستغنائنا عن القبيح دفين من البدعة والضلالة، ولكنه من الكنوز التي يحمى عليها في نار جهنم، وذلك أن القدرية يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح وفعل ما يتوهمونه حسناً بعقولهم، ويظنون أن الحكمة تقتضي ذلك، فلا يستغني الحكيم على زعمهم عن خلق الحسن على وفق الحكمة بخلاف القبيح، فإن الحكمة تقتضي الاستغناء عنه، فإلى ذلك يلوح الزمخشري وما هي إلا نزعة سبق إليها ضلال الفلاسفة. ومن ثم يقولون: ليس في الإمكان أكمل من هذا العالم؛ لأنه لو كان في القدرة أكمل منه وأحسن، ثم لم يخلقه الله تعالى: لكان بخلا ينافي الجود، أو عجزا ينافي القدرة، حتى اتبعهم في ذلك من لا نسميه من أهل الملة ـ عفا الله عنه ـ إن كان هذا مما يدخل تحت ذيل العفو. فالحق أن الله تعالى مستغن عن جميع الأفعال حسنة كانت أو غيرها، مصلحة كانت أو مفسدة. وأن له أن لا يخلق ما يتوهمه القدرية حسناً، وله أن يفعل ما يتوهمونه في الشاهد قبيحاً، وأن كل موجود من فاعل وفعل على الإطلاق فبقدرته وجد، فليس في الوجود إلا الله وصفاته وأفعاله، وهو مستغن عن العالم بأسره، وحسنه وقبحه، فلو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكه شيئاً، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكه شيئاً، اللهم ألهمنا الحق واستعملنا به.

اللعب بالجد، وندحض الباطل بالحق، واستعار لذلك القذف[1] والدمغ؛ تصويراً لإبطاله وإهداره ومحقه، فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلاً، قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه[2]، ثم قال: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته، وقرئ: «فيدمغه»: بالنصب، وهو في ضعف قوله: [من الوافر]

سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي لِبَنِي تَمِيمٍ ... وَأَلْحَقُ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا[3]

وقرئ فيدمغه.

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾: هم الملائكة، والمراد: أنهم مكرمون، منزلون ـ لكرامتهم عليه ـ منزلة المقرّبين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان؛ لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه[4].

فإن قلت: الاستحسار مبالغة في الحسور[5]، فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور.

قلت: في الاستحسار بيان أنّ ما هم فيه يوجب غاية الحسور[6] وأقصاه، وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون، أي: تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم، لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى: بل والهمزة، قد آذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار

---

(١) عاد كلامه. قال: «وفي قوله تعالى: «بل نقذف بالحق على الباطل» استعارة حسنة: استعار القذف... إلخ» قال أحمد: ومثل هذا التنبيه من حسناته، ولولا أن السيئة التي قبلها تتعلق بالعقيدة لتلوت: إن الحسنات يذهبن السيئات، والله أعلم.

(٢) قوله «فدمغه» في الصحاح: أي شجه حتى بلغت الشجة الدماغ. (ع)

(٣) تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الأول صفحة ٥٥٧ فراجعه إن شئت اهـ مصححه.

(٤) قوله «لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فبعض البشر أفضل. (ع)

(٥) قال محمود: «إن قلت لم استعمل الاستحسار ههنا في النفي... إلخ» قال أحمد: وبمثله أجيب عن قوله تعالى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فانظره.

(٦) قوله «يوجب غاية الحسور» أي الكلال. أفاده الصحاح. (ع)

لما بعدها، والمنكر: هو اتخاذهم، ﴿ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾: الموتى[1]، ولعمري، أن من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات.

فإن قلت: كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر[2] وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم؟ وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى وذلك أنهم كانوا ـ مع إقرارهم لله ـ عزّ وجل ـ بأنه خالق السموات والأرض: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الأولى ـ منكرين البعث ويقولون: من يحيي العظام وهي رميم، وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثاني القديم، فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأساً؟

قلت: الأمر كما ذكرت، ولكنهم بادّعائهم لها الإلهية، يلزمهم أن يدعوا لها الإنشار؛ لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور، والإنشار من جملة المقدورات، وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل، وإشعار بأنّ ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده؛ لأنّ الإلهية لما صحت صحّ معها الاقتدار على الإبداء والإعادة؛ ونحو قوله: ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾، قولك: فلان من مكة أو من المدينة، تريد: مكي أو مدني، ومعنى نسبتها إلى الأرض: الإيذان بأنها الأصنام التي تعبد في الأرض؛ لأنّ الآلهة على ضربين: أرضية، وسماوية؛ ومن ذلك حديث الأمة التي قال لها رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَيْنَ رَبُّكِ؟» فأشارت إلى السماء، فقال: «إِنَّهَا مُؤمِنَة» (٩٦٣)؛ لأنه فهم منها أنّ مرادها نفي الآلهة الأرضية التي هي الأصنام، لا إثبات السماء مكاناً لله ـ عزّ وجل ـ ويجوز أن يراد آلهة من جنس الأرض؛ لأنها إمّا أن تنحت من بعض الحجارة، أو تعمل من بعض جواهر الأرض.

---

٩٦٣ ـ أخرجه مسلم (٣/ ٢٣ ـ نووي) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة حديث (٥٣٧)، وأبو داود (١/ ٣٠٧) كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة حديث (٩٣٠) وفي (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) كتاب الأيمان والنذور، باب في الرقبة المؤمنة حديث (٣٢٨٢)، والنسائي (٣/ ١٤ ـ ١٨) كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة، وأحمد في المسند (٥/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨)، والدارمي (١/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤) كتاب الصلاة، باب النهي عن الكلام في الصلاة، وابن حبان في صحيحه (١/ ٣٨٣) رقم (١٦٥)، وابن الجارود في المنتقى (٢١٢)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٥٧) كتاب الأيمان، باب ما يجوز في عتق الكفارات، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٩٨) رقم (٩٣٧) و(٩٣٨) كلهم من حديث معاوية بن الحكم.
قال الحافظ: أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما من حديث معاوية بن الحكم السلمي. انتهى.

---

(١) قوله «هم ينشرون الموتى» الإنشار: الإحياء بعد الموت. أفاده الصحاح. (ع)
(٢) قال محمود: «إن قلت كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة... إلخ» قال أحمد: فيكون المنكر عليهم صريح الدعوى ولازمها وهو أبلغ في الإنكار، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فإن قلت: لا بدّ من نكتة في قوله: ﴿هُمْ﴾[1].

قلت: النكتة فيه: إفادة معنى الخصوصية، كأنه قيل: أم اتخذوا آلهة لا يقدر ٢/ ٢١أ على الإنشار إلا هم وحدهم، وقرأ الحسن: ﴿يُنشِرُونَ﴾، وهما لغتان: أنشر الله الموتى، ونشرها، وصفت آلهة بإلا كما توصف بغير، لو قيل: آلهة غير الله.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾

فإن قلت: ما منعك من الرفع على البدل؟

قلت: لأنّ «لو» بمنزلة: «إن» في أنّ الكلام معه موجب، والبدل لا يسوّغ إلا في الكلام غير الموجب؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [هود: ٨١]؛ وذلك لأنّ أعمّ العامّ يصح نفيه ولا يصح إيجابه، والمعنى: لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما، لفسدتا، وفيه دلالة على أمرين:

أحدهما: وجوب ألاّ يكون مدبرهما إلا واحداً.

---

(١) عاد كلامه. قال محمود: «إن قلت لا بد لقولهم (هم) من فائدة. وإلا فالكلام مستقل بدونها. . . إلخ» قال أحمد: وفي هذه النكتة نظر؛ لأن آلات الحصر مفقودة. وليس ذلك من قبيل: صديقي زيد، فإن المبتدأ في الآية أخص شيء لأنه ضمير. وأيضاً فلا ينبني على ذلك إلزامهم حصر الألوهية فيهم، وتخصيص الانشار بهم، ونفيه عن الله تعالى، إذ هذا لا يناسب السياق، فإنه قال عقبها: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا. ومعناه: لو كان فيهماإله غير الله شريكا لله لفسدتا، وكان مقتضى ما قال الزمخشري أن يقال: لو لم يكن فيهما آلهة إلا الأصنام لفسدتا. وأما والمتلوّ على خلاف ذلك، فلا وجه لما قال الزمخشري. وعندي أنه يحتمل والله أعلم أن تكون فائدة قولهم (هم) الإيذان بأنهم لم يدعوا لها الإنشار. وأن قوله (وهم ينشرون) استئناف إلزام لهم، وكأنه قال: اتخذوا آلهة مع الله عز وجل فهم إذن يحيون الموتى ضرورة كونهم آلهة، ثم لما انتظم من دعواهم الألوهية للأصنام وإلزامهم على ذلك أن يصفوهم بالقدرة الكاملة على إحياء الموتى، نظم في إبطال هذه الدعوى وما ألزمهم عليها دليل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وأزيد هذا التقرير وضوحاً فأقول: إن دليل التمانع المغترف من بحر هذه الآية، المقتبس من نورها، يورده المتكلمون على صورة التقسيم، فيقولون: لو وجد مع الله إله آخر، وربما قالوا: لو فرضنا وجود إلهين، فإما أن يكونا جميعاً موصوفين بصفات الكمال اللاتي يندرج فيها القدرة على إحياء الموتى وإنشارهم وغير ذلك من الممكنات، أو لا يتصف بها واحد منهما أو أحدهما دون الآخر، ثم يحيلون جميع الأقسام وهو المسمى برهان الخلف. وأدق الأقسام إبطالاً قسم اتصافهما جميعاً بصفات الكمال، وما عداه فبادىء الرأي يبطل. فانظر كيف اختار له تعالى إبطال هذا القسم الخفي البطلان، فأوضح فساده في أخصر أسلوب وأوجزه، وأبلغ بديع الكلام ومعجزه. وإنما ينتظم هذا على أن يكون المقصد من قوله (هم ينشرون) إلزامهم ادعاء صفات الألوهية لآلهتهم، حتى يتحرى أنهم اختاروا القسم الذي أبطله الله تعالى، ووكل إبطال ما عداه من الأقسام إلى ما ركبه في عباده من العقول، وكل خطب بعد بطلان هذا القسم جلل، والله الموفق. فتأمل هذا الفصل بعين الإنصاف، تجده أنفس الإنصاف، والله المستعان.

والثاني: أَلاً يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده؛ لقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

فإن قلت: لم وجب الأمران؟

قلت: لعلمنا أنّ الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف، وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق: كان ـ والله أعزّ ـ عليّ من دم ناظري، ولكن لا يجتمع فحلان في شول[1]، وهذا ظاهر، وأما طريقة التمانع فلمتكلمين فيها تجاول وطراد، ولأنّ هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة، بتلك الصفات حتى تثبت وتستقرّ.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

إذا كانت عادة الملوك والجبابرة أَلاً يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم؛ تهيباً وإجلالاً، مع جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم ـ كان ملك الملوك وربّ الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأَلاً يسأل عن أفعاله، مع ما علم واستقرّ في العقول من أن ما يفعله كل مفعول بدواعي الحكمة، ولا يجوز عليه الخطأ[2]، ولا فعل القبائح[3]، ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ أي: هم مملوكون مستعبدون خطاؤن، فما خلقهم بأن يقال لهم: لم فعلتم؟ في كل شيء فعلوه.

---

(١) قوله «لا يجتمع فحلان في شول» في الصحاح «الشول» النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها. (ع)

(٢) قال محمود: «لما بين تعالى أنه رب الأرباب وخالقهم ومالكهم، ناسب هذا التنبيه على ما يجب له تعالى على خلقه من الإجلال والإعظام، فإن آحاد الملوك تمنع مهابته أن يسئل عن فعل فعله، فما ظنك بخالق الملوك وربهم. ثم إن آحاد الملوك يجوز عليهم الخطأ والزلل وقد استقر في العقول أن أفعال الله تعالى كلها مفعول بدواعي الحكمة، ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح، قال أحمد: سحقاً لها من لفظة ما أسوأ أدبها مع الله تعالى، أعني قوله: دواعي الحكمة؛ فإن الدواعي والصوارف إنما تستعمل في حق المحدثين، كقولك: هو مما توفر دواعي الناس إليه أو صوارفهم عنه. وقوله: «لا يجوز عليه فعل القبائح» قلت: وهذا من الطراز الأول، ولو أنه في الذيل:

فقد نسيت وما بالعهد من قدم. وبعد ما انقضى دليل التوحيد وإبطال الشرك من سمعك أيها الزمخشري، وقلمك رطب بتقريره، فلم نكصت وانتكست؟ أتقول إن أحداً شريك لله في ملكه يفعل ما يشاء من الأفعال التي تسميها قبائح فتنفيها عن قدرة الله تعالى وإرادته. وما الفرق بين من يشرك لله ملكاً من الملائكة، وبين من يشرك نفسه بربه حتى يقول: إنه يفعل ويخلق لنفسه شاء الله أو لم يشأ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. والقدرية ارتضوا لأنفسهم شر شرك؛ لأن غيرهم أشرك بالملائكة، وهم أشركوا بنفوسهم وبالشياطين والجن وجميع الحيوانات، نعوذ بمالك الملك من مسالك الهلك.

(٣) قوله «ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فهو الفاعل للخير والشر، كما بين في علم التوحيد. (ع)

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

كرّر: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ﴾؛ استفظاعاً لشأنهم، واستعظاماً لكفرهم، أي: وصفتم الله تعالى بأنّ له شريكاً، فهاتوا برهانكم على ذلك: إمّا من جهة العقل، وإمّا من جهة الوحي، فإنكم لا تجدون كتاباً من كتب الأوّلين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعوٌ إليه، والإشراك به منهي عنه متوعد عليه، أي: ﴿هَٰذَا﴾: الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه، كما ورد عليّ فقد ورد على جميع الأنبياء، فهو ذكر، أي: عظة للذين معي، يعني: أمّته، وذكر للذين من قبلي: يريد أمم الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وقرئ: (ذكرٌ من معي وذكرٌ من قبلي): بالتنوين، ومن مفعول منصوب بالذكر؛ كقوله: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا﴾ [البلد: ١٤ ـ ١٥]، وهو الأصل والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول؛ كقوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الروم: ٢ ـ ٣]، وقرئ: (من معي)، و(من قبلي): على من الإضافية في هذه القراءة، وإدخال الجار على «مع»: غريب، والعذر فيه: أنه اسم هو ظرف؛ نحو: قبل، وبعد، وعند، ولدن، وما أشبه ذلك، فدخل عليه: «من» كما يدخل على أخواته، وقرئ: «ذكر معي وذكر قبلي»، كأنه قيل: بل عندهم ما هو أصل الشرّ والفساد كله وهو: الجهل وفقد العلم، وعدم التمييز بين الحق والباطل؛ فمن ثم جاء هذا الإعراض، ومن هناك ورد هذا الإنكار، وقرئ: (الحق): بالرفع، على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب، والمعنى: أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل، ويجوز أن يكون المنصوب ـ أيضاً ـ على هذا المعنى، كما تقول: هذا عبد الله الحق لا الباطل.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿يُوحَىٰٓ﴾، ونوحي: مشهورتان، وهذه الآية مقرّرة لما سبقها من آي التوحيد.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

نزلت في خزاعة، حيث قالوا: الملائكة بنات الله، نزه ذاته عن ذلك، ثم أخبر عنهم

بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة، إلا أنهم: ﴿مُكْرَمُونَ﴾: مقرّبون عندي مفضلون[1] على سائر العباد[2] لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم، فذلك هو الذي غرّ منهم من زعم أنهم أولادي ـ تعاليت عن ذلك علواً كبيراً ـ وقرئ: «مكرّمون»، و(لا يسبقونه): بالضم، من: سابقته فسبقته أسبقه، والمعنى: أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئاً حتى يقوله، فلا يسبق قولهم قوله، والمراد بقولهم، فأنيب اللام مناب الإضافة، أي: لا يتقدّمون قوله بقولهم، كما تقول: سبقت بفرسي فرسه، وكما أنّ قولهم تابع لقوله، فعملهم ـ أيضاً ـ كذلك مبني على أمره: لا يعملون عملاً ما لم يؤمروا به، وجميع ما يأتون ويذرون مما قدّموا وأخروا بعين الله، وهو مجازيهم عليه فلإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم، ويراعون أحوالهم، ويعمرون أوقاتهم، ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم، ثم أنهم مع هذا كله من خشية الله، ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي: متوقعون من أمارة ضعيفة، كائنون على حذر ورقبة[3] لا يأمنون مكر الله، وعن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه رأى جبريل ـ عليه السلام ـ ٢/ ٢١ب ليلة المعراج ساقطاً كالحلس[4] من خشية الله (٩٦٤)، وبعد أن وصف كرامتهم عليه، وقرب

----

٩٦٤ ـ أخرجه البزار في مسنده (١/ ٤٧) (٥٨/ كشف)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٧٥) ـ ١٧٦) رقم (١٥٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣١٦).
من حديث أنس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل ﷺ فوكز بين كتفي، فقمت إلى شجرة فيها كوكري الطير فقصد في أحدهما وقعدت في الآخر فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفي ولو شئت أن أمس السماء لمسست فالتفت إلى جبريل، كأنه حلس لاطئ عرفت فضل علمه بالله علي، وفتح باب من أبواب السماء ورأيت النور الأعظم، وإذا دون الحجاب رفرفة الدر والياقوت فأوحى إليّ ما شاء أن يوحى.
قال الهيثمي في المجمع (١/ ٨٠): «رواه البزار، والطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح».
قال الحافظ: أخرجه ابن خزيمة من رواية مرة عن ابن مسعود «أن النبي ـ ﷺ ـ ذكر سدرة المنتهى ـ الحديث» قال فوقع جبريل فصار كالحلس الملقى» إسناده قوي. وغلط ابن الجوزي في تضعيفه لمحمد بن ميمون شيخ ابن خزيمة، فإنه ثقة ـ وفي الطبراني الأوسط وتفسير ابن مردويه من رواية =

---

(١) قال محمود: «معناه مكرمون مفضلون على سائر عباد الله» قال أحمد: وهذا التفسير من جعل القرآن تبعاً للرأي، فإنه لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على معتقده، وليس غرضنا إلا بيان أنه حمل الآية ما لا تحتمله، وتناول منها ما لا تعطيه؛ لأنه ادعى أنهم مكرمون على سائر الخلق لا على بعضهم، فدعواه شاملة ودليله مطلق، والله الموفق.
(٢) قوله «مفضلون على سائر العباد» هذا عند المعتزلة، وبعض البشر أفضل منهم عند أهل السنة. (ع)
(٣) قوله «ورقبة» بالكسر، أي: انتظار. أفاده الصحاح. (ع)
(٤) قوله «كالحلس» بكسر فسكون. أو بفتحتين: كساء رقيق يكون تحت البرذعة أو تحت الرحل. أفاده الصحاح. (ع)

منزلتهم عنده، وأثنى عليهم، وأضاف إليهم تلك الأفعال السنية والأعمال المرضية.

فاجأ بالوعيد الشديد، وأنذر بعذاب جهنم من أشرك منهم إن كان[1] ذلك على سبيل الفرض والتمثيل، مع إحاطة علمه بأنه لا يكون؛ كما قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، قصد بذلك تفظيع أمر الشرك، وتعظيم شأن التوحيد.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قرئ: (ألم ير): بغير واو، و(رتقا): بفتح التاء، وكلاهما في معنى المفعول، كالخلق والنقض، أي: كانتا مرتوقتين.

فإن قلت: الرتق صالح أن يقع موقع مرتوقتين؛ لأنه مصدر، فما بال الرتق؟

قلت: هو على تقرير موصوف، أي: كانتا شيئاً رتقاً، ومعنى ذلك: أن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما، أو كانت السموات متلاصقات، وكذلك الأرضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرّج بينها، وقيل: ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة؛ وإنما قيل: كانتا دون كنّ؛ لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض؛ ونحوه قولهم: لقاحان سوداوان، أي: جماعتان، فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر.

فإن قلت: متى رأوهما رتقاً حتى جاء تقريرهم بذلك؟

قلت: فيه وجهان:

= عبد الكريم الجزري عن عطاء عن جابر رفعه: «مررت في السماء الرابعة بجبريل، وهو كالحلس البالي من خشية الله» إسناده قوي. وروى ابن خزيمة في التوحيد وابن سعد وسعيد بن منصور والبزار والبيهقي في الشعب والدلائل والطبراني في الأوسط، كلهم من رواية أبي قلابة الحارث بن أبي عمران الحوفي عن أنس رفعه «بينما أنا قاعد إذ جاء جبريل. فوكز بين كتفي فقمت إلى شجرة فيها كوكري الطائر فقعد في أحدهما وقعدت في الآخر. فسمت بنا فارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفي. ولو شئت أن أمس لمسست، فالتفت إلى جبريل كأنه حلس لاطىء. عرفت فضل علمه بالله عليّ، وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم ـ الحديث» قال البزار: لا نعلم رواه عن أبي عمران إلا الحرث بن عبيد وقال غيره: خالفه حماد بن سلمة عن أبي عمران إلا الحرث بن عبيد وقال غيره: خالفه حماد بن سلمة عن أبي عمران إلا الحرث بن عبيد وقال غيره: خالفه حماد بن سلمة عن أبي عمران. فقال: عن محمد بن عمير بن عطاء مرسلاً كذلك أخرجه ابن المبارك في الزهد عن حماد، وفي رواية «فعرفت فضل خشيته على خشيتي وزاد فيه فأوحى الله إليه أنبياً عبداً أم نبياً ملكاً. فأومأ إلى جبريل عليه السلام: بل نبياً عبداً». انتهى.

---

(١) قوله «إن كان» لعله: إذ كان. (ع)

أحدهما: أنه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه، فقام مقام المرئيّ المشاهد.

والثاني: أن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل، فلا بدّ للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه، ﴿وَجَعَلْنَا﴾: لا يخلو أن يتعدى إلى واحد أو اثنين، فإن تعدّى إلى واحد، فالمعنى: خلقنا من الماء كل حيوان؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥]، أو كأنما خلقناه من الماء؛ لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره عنه؛ كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وإن تعدى إلى اثنين فالمعنى: صيرنا كل شيء حيّ؛ بسبب من الماء لا بدّ له منه، و«من» هذا[(١)]؛ نحو: «من» قوله ـ عليه السلام ـ: «مَا أَنَا مِنْ دِدٍ وَلاَ الدَّدُ مِنِّي»[(٢)] (٩٦٥)، وقرئ: «حيا»، وهو المفعول الثاني، والظرف لغو.

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾

أي كراهة: ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾، وتضطرب، أو لئلا تميد بهم، فحذف «لا»، واللام؛ وإنما جاز حذف: «لا»؛ لعدم الالتباس[(٣)]، كما تزاد لذلك في نحو قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾

---

٩٦٥ ـ أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤) رقم (٧٩٤) حدثنا محمد بن أحمد بن نصر أبو جعفر الترمذي ثنا محمد بن عبد الوهاب الأزهري ثنا محمد بن إسماعيل الجعفري ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن معاوية عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لست من دد ولا دد مني».

ورواه البخاري في الأدب رقم (٧٨٥)، والبيهقي في السنن(١٠/ ٢١٧) كتاب الشهادات، باب من كره كلما لعب الناس به من الحزة وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٦٩٨)، والبزار في مسنده رقم (٢٤٠٢)، وابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٢٦٦) رقم (٢٢٩٥). وقال: سألت أبي وأبا زرعة عن حديث فذكره. . . وقالا: هكذا رواه أبو زكريا، ورواه الدراوردي عن عمرو عن المطلب بن عبد الله عن معاوية بن أبي سفيان عن النبي ـ ﷺ ـ قلت لأبي زرعة: أيهما عندك أشبه؟ قال: الله أعلم ثم تفكر ساعة، فقال: حديث الدراوردي أشبه، وسألت أبي فقال: حديث معاوية أشبه» اهـ.

قال الحافظ: أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والبزار، والطبراني من رواية يحيى بن محمد بن قيس عن عمرو بن أبي عمرو عن أنس. زاد البزار قال يحيى: يقول: «لست من الباطل ولا الباطل مني» قال: لا نعلمه إلا عن أنس من هذا الوجه. واستنكره ابن عدي ليحيى بن محمد بن قيس.

وقال ابن أبي حاتم: رواه الدراوردي عن عمرو عن المطلب عن معاوية نحوه مرفوعاً ونقل عن أبيه وأبي زرعة أن رواية الدراوردي أشبه بالصواب. انتهى.

---

(١) قوله «ومن هذا» لعله: «ومن هنا». (ع)

(٢) قوله عليه السلام: «ماأنا من دد» في الصحاح: الدد: اللهو واللعب. (ع)

(٣) قال محمود: «معناه كراهة أن تميد بهم، أو تكون لا محذوفة لأمن الإلباس» قال أحمد: وأولى من =

[الحديد: ٢٩]، وهذا مذهب الكوفيين الفج: الطريق الواسع.

فإن قلت: في الفجاج معنى: الوصف، فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر؛ كما في قوله تعالى: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾؟ [نوح: ٢٠].

قلت: لم تقدّم وهي صفة، ولكن جعلت حالاً؛ كقوله: [من الوافر]

لِـعَـزَّةَ مُـوحِـشـاً طَـلَـلٌ قَـدِيـمُ[1] . . . .

فإن قلت: ما الفرق بينهما من جهة المعنى؟

قلت: أحدهما: الإعلام بأنه جعل فيها طرقا واسعة، والثاني: بأنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة، هو بيان لما أبهم ثمة، محفوظاً حفظه بالإمساك بقدرته من أن يقع على

= هذين الوجهين آن يكون من قولهم: أعددت هذه الخشبة أن تميل الحائط فأدعمه. قال سيبويه: ومعناه أن أدعم الحائط إذا مال. وإنما قدم ذكر الميل اهتماماً بشأنه. ولأنه أيضاً هو السبب في الإدعام. والإدعام سبب في إعداد الخشبة، فعامل سبب السبب معاملة السبب. وعليه حمل قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ كذلك ما نحن فيه يكون الأصل: وجعلنا في الأرض رواسي لأجل أن تثبتها إذا مادت بهم «فجعل الميد هو السبب، كما جعل الميل في المثل المذكور سبباً، وصار الكلام: وجعلنا في الأرض رواسي تميد فنثبتها، ثم حذف قوله «فنثبتها» لأمن الإلباس إيجازاً واختصاراً، وهذا التقرير أقرب إلى الواقع مما أول الزمخشري الآية عليه، فإن مقتضى تأويله أن لا تميد الأرض بأهلها؛ لأن الله كره ذلك، ومكروه الله تعالى محال أن يقع، كما أن مراده واجب أن يقع، والمشاهد خلاف ذلك، فكم من زلزلة مادت لها الأرض وكادت تقلب عاليها سافلها. وأما على تقريرنا فالمراد أن الله تعالى يثبت الأرض بالجبال إذا مادت، وهذا لا يأبى وقوع الميد، كما أن قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ لا يأبى وقوع الضلال والنسيان من إحداهما، لكنه ميد يستعقبه التثبيت، وكذلك الواقع من الزلازل إنما هو كاللمحة ثم يثبتها الله تعالى.

(١) لـعـزة مـوحـشـا طـلـل قـديـم عـفـاه كـل أسـحـم مـسـتـديـم

لكثير. والطلل: ما شخص من آثار الدار، والصفة إذا تقدمت على موصوفها كانت حالاً منه كما هنا؛ لأنه مذهب الكوفيين والأخفش أن «طلل» فاعل الظرف قبله وإن لم يعتمد. و«موحشاً» حال منه مقدمة عليه. ويجوز أنه مبتدأ. وموحشاً حال من الضمير المستتر في الظرف. وأجاز سيبويه أنه حال من المبتدأ المؤخر. وعاملها الاستقرار المحذوف، ولا يمتنع عنده اختلاف عامل الحال وعامل صاحبها، خلافاً للجمهور. والموحش: الموقع في الوحشة، ضد المؤنس: الموقع في الأنس. ويجوز أن معناه كثير الوحوش. وعفاه: أهلكه. والأسحم: صفة السحاب، أي: كل أسود دائم الأمطار. ويروى هكذا: [من مجزوء الوافر]

لـمـيـة مـوحـشـا طـلـل يـلـوح كـأنـه خـلـل

وهي بالكسر: جمع خلة، وهي بطانة مخططة تغشى بها جفان السيوف، وسيور تلبس ظهور القسى. ينظر: البيت في ملحق ديوانه ص ٥٣٦، وشرح التصريح ١/ ٣٧٥، وشرح المفصل ٢/ ٦٢، ٦٤، وله أو لذي الرمة في خزانة الأدب ٣/ ٢٠٩، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/ ٣٠٠.

الأرض ويتزلزل[1]، أو بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة، ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ أي: عما وضع الله فيها من الأدلة والعبر بالشمس[2] والقمر وسائر النيرات، ومسايرها وطلوعها وغروبها، على الحساب القويم والترتيب العجيب، الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة، وأيّ جهل أعظم من جهل من أعرض عنها ولم يذهب به وهمه إلى تدبرها، والاعتبار بها، والاستدلال على عظمة شأن من أوجدها عن عدم، ودبرها ونصبها هذه النصبة، وأودعها ما أودعها مما لا يعرف كنهه إلا هو عزت قدرته ولطف علمه، وقرئ: «عن آيتها»: على التوحيد: اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس، أي: هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية، كالاستضاءة بقمريها، والاهتداء بكواكبها، وحياة الأرض والحيوان بأمطارها، وهم عن كونها آية بينة على الخالق: ﴿مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿كُلٌّ﴾: التنوين فيه: عوض من المضاف إليه، أي: كلهم، ﴿فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: والضمير للشمس والقمر، والمراد بهما: جنس الطوالع كل يوم وليلة؛ جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها، وهو السبب في جمعهما بالشموس والأقمار، وإلا فالشمس واحدة والقمر واحد؛ وإنما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة.

فإن قلت: الجملة ما محلها؟

قلت: محلها: النصب على الحال من الشمس والقمر.

فإن قلت: كيف استبدّ بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما؟

قلت: كما تقول: رأيت زيداً وهنداً متبرجة ونحو ذلك، إذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل، ومنه قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢]، أو لا محل لها لاستئنافها.

فإن قلت: لكل واحد من القمرين فلك على حدة، فكيف قيل: جميعهم يسبحون في فلك؟

قلت: هذا كقولهم: «كساهم الأمير حلة وقلدهم سيفاً»، أي: كل واحد منهم، أو كساهم وقلدهم هذين الجنسين، فاكتفى بما يدل على الجنس اختصاراً؛ ولأنّ الغرض الدلالة على الجنس.

---

(١) قوله «ويتزلزل» لعله: أو يتزلزل. (ع)

(٢) قوله «والعبر بالشمس» لعله «كالشمس... إلخ» كعبارة النسفي. (ع)

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ ٢/ ٢٢أ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

كانوا يقدّرون أنه سيموت فيشمتون بموته، فنفى الله ـ تعالى ـ عنه الشماتة بهذا، أي: قضى الله ألاّ يخلد في الدنيا بشراً، فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت، فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أبيقى هؤلاء؟ وفي معناه قول القائل [من الوافر]:

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا: أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا[1]

أي: نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا، وبما يجب فيه الشكر من النعم، وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر؛ وإنما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم؛ لأنه في صورة الاختبار، و﴿فِتْنَةً﴾: مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الذكر يكون بخير وبخلافه، فإذا دلت الحال على أحدهما، أطلق ولم يقيد؛ كقولك للرجل: سمعت فلاناً يذكرك، فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء، وإن كان عدوّاً فذمّ[2]؛

---

(١) وما أن طِبُّنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا
فقل للشامتين بنا: أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

لذي الأصبع العدواني. وقيل: لفروة بن مسيك المرادي. وقيل للفرزدق، والطب ـ بالكسر ـ: العادة والعاهة. وأن زائدة، ويمكن أنها لتوكيد النفي، أي: ليست عادتنا أو علتنا الجبن، ولكن تلك المصيبات منايانا المقدرة لنا أو لكن علتنا منايانا. والدولة: النوبة من النصر، لأنه يتداول بين الجيشين. والشامت: المتشفي من غيظه بما أصاب عدوه. وشبههم بالسكارى على سبيل المكنية لعدم تيقظهم للعواقب، وأمرهم بالإفاقة تخييل، وبين ذلك بقوله: سيلقون من الهزيمة مثل ما لقينا، وتكون الدولة لنا عليهم فليفيقوا من سكرتهم.

(٢) قال محمود: «الذكر يكون بخير وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد بقيد القرينة، فإن كان الذاكر صديقاً فهم منه الخير، وإن كان عدواً فهم منه الذم» قال أحمد: وكذلك القول، ومنه قول موسى عليه السلام: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ معناه أتعيبون الحق لما جاءكم، ثم ابتدأ فقال ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ وإنما لم يجعله معمولاً للقول ومحكياً به، لأنهم قفوا القول بأنه سحر فقالوا ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ولم يشككوا أنفسهم، ولا استفهموا، وقد مضى فيه غير هذا، وإنما أطلقوا في قولهم ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ ولم يقولوا: هذا الذي يذكر آلهتكم بكل سوء، لأنهم استفظعوا حكاية ما يقوله النبي من القدح في آلهتهم، رمياً بأنهم لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، وحاشوها من نقل ذمها مفصلا، فأومئوا إليه بالإشارة المذكورة، كما يتحاشى المؤمن من =

ومنه قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، وقوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ والمعنى: أنهم عاكفون على ذكر آلهتهم بهممهم وما يجب ألاّ تذكر به، من كونهم شفعاء وشهداء، ويسوءهم أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك، وأما ذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية؛ فهم به كافرون، لا يصدّقون به أصلاً فهم أحق بأن يتخذوا هزؤا منك، فإنك محق وهم مبطلون، وقيل: معنى: (بذكر الرحمن) قولهم: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة، وقولهم: (وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا)، وقيل: (بذكر الرحمن): بما أنزل عليك من القرآن، والجملة في موضع الحال، أي: يتخذونك هزؤا، وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية، وهي الكفر بالله.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى العلم والإقرار، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم، فقدم أولاً ذم الإنسان على إفراط العجلة، وأنه مطبوع عليها، ثم نهاهم وزجرهم، كأنه قال: ليس ببدع منكم أن تستعجلوا؛ فإنكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أنه أراد بالإنسان آدم ـ عليه السلام ـ وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه أراد أن يقوم، وروي أنه لما دخل الروح في عينه نظر إلى ثمار الجنة، ولما دخل جوفه اشتهى الطعام، وقيل: خلقه الله ـ تعالى ـ في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس، فأسرع في خلقه قبل مغيبها، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه النضر بن الحارث، والظاهر: أن المراد الجنس، وقيل: «العجل»: الطين، بلغة حمير؛ وقال شاعرهم: [من البسيط]

. . . . وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ[(١)]

والله أعلم بصحته.

= حكاية كلمة الكفر، فيومئ إليها بلفظ يفهم المقصود بطريق التعريض، فسبحان من أضلهم حتى تأدبوا مع الأوثان، وأساؤا الأدب على الرحمن.

(١) النبع في الصخرة الصماء منبته ... والنخل ينبت بين الماء والعجل

يقول: النبع وهو شجر تتخذ منه القسي. في الصخرة الصماء الصلبة لا في غيرها. منبتة أي نباته، والنخل ينبت في الأرض اللينة الريانة، فهو بين الماء والعجل، أي: الطين. وهذه لغة حمير كما قيل. والظاهر أن الشطر الأول تمثيل للصعب البخيل. والثاني للسهل الجواد. ويجوز أن الأول للشجاع. والثاني للجبان: لشدة الأول ورخاوة الثاني.

ينظر: لسان العرب (عجل)، وتهذيب اللغة (١/ ٣٦٩)، وتاج العروس (عجل).

فإن قلت: لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾، أليس هذا من تكليف ما لا يطاق؟

قلت: هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها؛ لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة، وقرئ: «خلق الإنسان».

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

جواب ﴿لَوْ﴾: محذوف، و﴿حِينَ﴾: مفعول به ليعلم، أي: لو يعلمون الوقت الذي يستعلمون عنه بقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [الملك: ٢٥]، وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدّام، فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم، ولا يجدون ناصراً ينصرهم؛ لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال، ولكن جهلهم به هو الذي هوّنه عندهم، ويجوز أن يكون ﴿يَعْلَمُ﴾: متروكاً بلا تعدية، بمعنى: لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين، وحين: منصوب بمضمر، أي: حين ﴿لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾: يعلمون أنهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم، أي: لا يكفونها، بل تفجؤهم فتغلبهم، يقال: للمغلوب في المحاجة: مبهوت؛ ومنه: «فبهت الذي كفر»، أي: غلب إبراهيم ـ عليه السلام ـ الكافر، وقرأ الأعمش: «يأتيهم»، «فيبهتهم»: على التذكير، والضمير للوعد أو للحين.

فإن قلت: فإلام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة؟

قلت: إلى النار أو إلى الوعد؛ لأنه في معنى النار وهي التي وعدوها أو على تأويل العدة أو الموعدة، أو إلى الحين؛ لأنه في معنى: الساعة، أو إلى البغتة، وقيل في القراءة الأولى: الضمير للساعة، وقرأ الأعمش: «بغتة»: بفتح الغين، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: تذكير بإنظاره إياهم وإمهاله، وتفسيح وقت التذكر عليهم، أي: لا يمهلون بعد طول الإمهال.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾

سلى رسول الله ـ ﷺ ـ عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء ـ عليهم السلام ـ أسوة وأن ما يفعلونه به يحيق بهم، كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ـ عليهم السلام ـ ما فعلوا.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: من بأسه وعذابه، ﴿بَلْ هُمْ﴾: معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم؛ فضلاً أن يخافوا بأسه، حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالىء وصلحوا

للسؤال عنه، والمراد أنه أمر رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بسؤالهم عن الكالىء، ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك؛ لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم ٢/ ٢٢ب مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾

ثم أضرب عن ذلك بما في «أم» من معنى: «بل»، وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم﴾: من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا، ثم استأنف فبين أنّ ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد، كيف يمنع غيره وينصره؟

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

ثم قال: بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو منا، لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا، وما كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعاً لهم بالحياة الدنيا وإمهالاً، كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم، ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ﴾: الأمد، وامتدت بهم أيام الروح والطمأنينة، فحسبوا ألاّ يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب أمنهم واستمتاعهم؛ وذلك طمع فارغ وأمد كاذب، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا﴾: ننقص أرض الكفر ودار الحرب، ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردّها دار إسلام.

فإن قلت: أي فائدة في قوله: ﴿نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾؟

قلت: فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين، وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها، ناقصة من أطرافها.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قرئ: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ﴾، «ولا تسمع الصم»: بالتاء والياء، أي: لا تسمع أنت الصم، ولا يسمع رسول الله ـ ﷺ ـ ولا: يسمع الصم، من أسمع.

فإن قلت: الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر، فكيف قيل: ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾؟

قلت: اللام في الصم إشارة إلى هؤلاء المنذرين، كائنة للعهد لا للجنس، والأصل: ولا يسمعون إذا ما ينذرون، فوضع الظاهر موضع المضمر؛ للدلالة على تصامهم وسدّهم

أسماعهم إذا أنذروا، أي: هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصامّ من آيات الإنذار، ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ﴾: من هذا الذي ينذرون به أدنى شيء، لأذعنوا وذلوا، وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا، وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات؛ لأنّ النفح في معنى القلة والنزارة، يقال: نفحته الدابة وهو رمح يسير[1]، ونفحه بعطية: رضخه، ولبناء المرة.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

وصفت ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ﴾: بالقسط، وهو العدل؛ مبالغة، كأنها في أنفسها قسط، أو على حذف المضاف، أي: ذوات القسط، واللام في ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: مثلها في قولك: جئته لخمس ليال خلون من الشهر؛ ومنه بيت النابغة [من الطويل]:

تَـوَسَّـمْـتُ آيَـاتٍ لَـهَـا فَـعَـرَفْـتُـهَـا ... لِـسِـتَّـةِ أَعْـوَامٍ وَذَا الْـعَـامُ سَـابِـعُ[2]

وقيل: لأهل يوم القيامة، أي: لأجلهم.

فإن قلت: ما المراد بوضع الموازين؟

قلت: فيه قولان:

أحدهما: إرصاد الحساب السويّ، والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة، من غير أن يظلم عباده مثقال ذرّة، فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات.

---

(١) قوله «وهو رمح يسير» في الصحاح: رمحه الفرس والبغل والحمار: إذا ضربه برجله. (ع)

(٢) عـفـا قـسـم مـن فـرتـنـا فـالـفـوارع ... فـجـنـبـا أريـك بـالـتـلاع الـدواقـع
تـوسـمـت آيـات لـهـا فـعـرفـتـهـا ... لـسـتـة أعـوام وذا الـعـام سـابـع

للنابغة. وعفا: بلي وخلا. وفرتنا اسم محبوبته. وقسم، والفوارع، وأريك: أسماء مواضع. والتلاع: المواضع المرتفعة. والدواقع ـ بالقاف ـ: المقفرة كثيرة التراب. ودقع الرجل دقعًا، كتعب، إذا التصق بالدقعاء وهي الأرض الكثيرة التراب من شدة فقره. وأما بالفاء فهي التي يدفع فيها السيل بكثرة. وتوسمت بالواو تتبعت سماتها وعلاماتها فعرفتها بها. ويروى بالراء، أي: تتبعت رسومها وآثارها فعرفتها، أي: تلك المواضع السابقة. وقوله «لستة أعوام أي مستقبلاً تمام ستة أعوام مضت من عهدها. وهذا العام الحاضر الذي نحن فيه هو السابع. ولو قال: لسبعة أعوام، لأفاد أن السبعة كلها مضت وليس مراداً. فقول بعضهم: إنه كان يكفيه أن يقول: لسبعة أعوام، فعجز عن إتمامه، وكمله بما لا معنى له، لا وجه له إلا عدم التبصر.

ينظر: ديوانه ص ٣١، وخزانة الأدب، ٢/ ٤٥٣، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٤٧، والصاحبي في فقه اللغة ص ١١٣، والكتاب ٢/ ٨٦، ولسان العرب (عشر)، والمقاصد النحوية ٣/ ٤٠٦، ٤/ ٤٨٢، أوضح المسالك ٤/ ٢٢٦١ وشرح التصريح ٢/ ٢٧٦، وشرح شواهد الشافية ص ١٠٨، والمقتضب ٤/ ٣٢٢، والمقرب ١/ ١٤٧، الدر المصون ١/ ٢٠١.

والثاني: أنه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الأعمال، عن الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان، ويروى: أن داود ـ عليه السلام ـ سأل ربه أن يريه الميزان، فلما رآه غشي عليه، ثم أفاق فقال: يا إلهي، من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات، فقال: يا داود، إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة.

فإن قلت: كيف توزن الأعمال وإنما هي أعراض؟

قلت: فيه قولان:

أحدهما: توزن صحائف الأعمال.

والثاني: تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة، وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة، وقرئ: ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ على «كان» التامة؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وقرأ ابن عباس ومجاهد: ﴿آتَيْنَا بِهَا﴾، وهي مفاعلة من الإتيان، بمعنى: المجازاة والمكافأة؛ لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء، وقرأ حميد: «أثبنا بها»: من الثواب، وفي حرف أبيّ: «جئنا بها»، وأنث ضمير المثقال؛ لإضافته إلى الحبة؛ كقولهم: ذهبت بعض أصابعه، أي: آتيناهما.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: وهو التوراة، ﴿وَ﴾ أتينا به، ﴿ضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾، والمعنى: أنه في نفسه ضياء وذكر، أو وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكراً، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الفرقان: الفتح؛ كقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وعن الضحاك: فلق البحر، وعن محمد بن كعب: المخرج من الشبهات، وقرأ ابن عباس: «ضياء»: بغير واو: وهو حال عن الفرقان، والذكر: الموعظة، أو ذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم، أو الشرف.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

محل ﴿ٱلَّذِينَ﴾: جرّ على الوصفية، أو نصب على المدح، أو رفع عليه.

﴿وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾: هو القرآن، وبركته: كثرة منافعه، وغزارة ٢/ ٢٣أ خيره.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

الرشد: الاهتداء لوجوه الصلاح؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، وقرئ: «رشده»، والرشد والرشد، كالعدم والعدم، ومعنى إضافته إليه: أنه رشد مثله، وأنه رشد له شأن، ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ ومعنى علمه به: أنه علم منه أحوالاً بديعة وأسراراً عجيبة وصفات قد رضيها وأحمدها، حتى أهله لمخالته ومخالصته؛ وهذا كقولك في خير من الناس: أنا عالم بفلان، فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الأوصاف بمنزل، ﴿إِذْ﴾: إما أن يتعلق بآتينا، أو برشده. أو بمحذوف، أي: اذكر من أوقات رشده هذا الوقت، قوله: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾: تجاهل لهم وتغاب، ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها، مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها، لم ينو للعاكفين مفعولاً، وأجراه مجرى ما لا يتعدى؛ كقولك: فاعلون العكوف لها، أو واقفون لها.

فإن قلت: هلا قيل: عليها عاكفون، كقوله تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٨]؟

قلت: لو قصد التعدية لعدّاه بصلته التي هي «على».

ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان، وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم، وهم معتقدون أنهم على شيء، وجادّون في نصرة مذهبهم، ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم، وكفى أهل التقليد سبة أنّ عبدة الأصنام منهم، ﴿أَنتُمْ﴾: من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الإخلال به؛ لأنّ العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع؛ ونحوه: اسكن أنت وزوجك الجنة، أراد أن المقلدين والمقلدين جميعاً، منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة؛ لاستناد الفريقين إلى غير دليل، بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع، لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالاً.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾

بقوا متعجبين من تضليله إياهم، وحسبوا أن ما قاله إنما قاله على وجه المزاح والمداعبة، لا على طريق الجدّ، فقالوا له: هذا الذي جئتنا به، أهو جدّ وحق، أم لعب وهزل؟

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

الضمير في ﴿فَطَرَهُنَّ﴾: للسماوات والأرض، أو للتماثيل، وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم، وأثبت للاحتجاج عليهم، وشهادته على ذلك: إدلاؤه بالحجة عليه، وتصحيحه

بها؛ كما تصحح الدعوى بالشهادة، كأنه قال: وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات؛ لأني لست مثلكم، فأقول ما لا أقدر على إثباته بالحجة، كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم، ولم تزيدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم.

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

قرأ معاذ بن جبل: «بالله»، وقرئ: «تولوا»: بمعنى: تتولوا، ويقويها قوله: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الصافات: ٩٠].

فإن قلت: ما الفرق بين الباء والتاء؟

قلت: ان الباء هي الأصل، والتاء: بدل من الواو المبدلة، منها، وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب، كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه؛ لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره، ولعمري، إن مثله صعب متعذر في كل زمان، خصوصاً في زمن نمروذ مع عتوّه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه.

ولكن: [من الطويل]

. . . . إِذَا اللَّهُ سَنَّى عِقْدَ شَيْءٍ تَيَسَّرَا[1]

روي أن آزر خرج به في يوم عيد لهم، فبدءوا ببيت الأصنام فدخلوه وسجدوا لها، ووضعوا بينها طعاماً خرجوا به معهم، وقالوا: إلى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا، فذهبوا وبقي إبراهيم، فنظر إلى الأصنام، وكانت سبعين صنماً مصطفة، وثم صنم عظيم مستقبل الباب، وكان من ذهب في عينيه جوهرتان تضيئان بالليل، فكسرها كلها بفأس في يده، حتى إذا لم يبق إلا الكبير علق الفأس في عنقه، عن قتادة: قال ذلك سرًّا من قومه، وروي: سمعه رجل واحد، ﴿جُذَاذًا﴾: قطاعاً، من الجذ وهو القطع، وقرئ بالكسر والفتح، وقرئ: «جذذا»: جمع جذيذ، وجذذاً: جمع جذة، وإنما استبقى الكبير؛ لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه، لما تسامعوه من إنكاره لدينهم وسبه لآلهتهم، فيبكتهم بما أجاب به من قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْئَلُوهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وعن الكلبي: ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى كبيرهم، ومعنى هذا: لعلهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم في حل المشكلات، فيقولون له: ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحاً والفأس على عاتقك؟

---

(١) وأعلم علمًا ليس بالظن أنه ... إذا الله سنّى عقد شيء تيسرا

ذكر المصدر توكيداً دافعاً للتجوز في الفعل، ثم بين المراد بقوله «ليس بالظن» ويجوز أنه ذكره توطئة لوصفه بأنه غير ظن. وسنيت الشيء: فككته وسهلته. والعقد: مستعار للصعوبة تصريحاً، أي: إذا سهل الله صعوبة شيء وأزالها، سهل تحصيله أو دفعه إن كان محبوباً أو مكروهاً.

قال: هذا بناء على ظنه بهم، لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها، أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون إليه؛ استهزاء بهم واستجهالاً، وأن قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة أن يرجع إليه ي حل كل مشكل.

فإن قلت: فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراك في أعراقهم، فأي فائدة دينية في رجوعهم إليه حتى يجعله إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ غرضاً؟

قلت: إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر، وظهر أنهم في عبادته على جهل عظيم.

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾

أي أن من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم، معدود في الظلمة: إمّا لجرأته على الآلهة الحقيقة ٢/٢٣ب عندهم بالتوقير والإعظام، وإمّا لأنهم رأوا إفراطاً في حطمها وتمادياً في الاستهانة بها.

﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

فإن قلت: ما حكم الفعلين بعد ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾، وأي فرق بينهما؟

قلت: هما صفتان لفتى، إلا أن الأوّل وهو: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾: لا بد منه لسمع؛ لأنك لا تقول: سمعت زيداً وتسكت، حتى تذكر شيئاً مما يسمع، وأمّا الثاني: فليس كذلك.

فإن قلت: ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾، ما هو؟

قلت: قيل: هو خبر مبتدأ محذوف، أو منادى، والصحيح: أنه فاعل يقال؛ لأن المراد الاسم لا المسمى، ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾: في محل الحال، بمعنى: معايناً مشاهداً، أي: بمرأى منهم ومنظر.

فإن قلت: فما معنى: الاستعلاء في على؟

قلت: هو وارد على طريق المثل، أي: يثبت إتيانه في الأعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: عليه بما سمع منه، وبما فعله أو يحضرون عقوبتنا له؛ روي أنّ الخبر بلغ نمروذ وأشراف قومه، فأمروا بإحضاره.

﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

هذا من معاريض الكلام، ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة من

علماء المعاني، والقول فيه أنّ قصد إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الضم؛ وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم، وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط: أأنت كتبت هذا؟ وصاحبك أمّيّ لا يحسن الخطّ ولا يقدر إلا على خرمشة[1] فاسدة، فقلت له: بل كتبته أنت، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به، لا نفيه عنك وإثباته للأميّ أو المخرمش؛ لأنّ إثباته ـ والأمر دائر بينكما للعاجز منكما ـ استهزاء به وإثبات للقادر، ولقائل أن يقول: غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة، وكان غيظ كبيرها أكبر وأشدّ لما رأى من زيادة تعظيمهم له، فأسند الفعل إليه؛ لأنه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها، والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه، ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم، كأنه قال لهم: ما تنكرون أن يفعله كبيرهم، فإنّ من حق من يعبد ويدعى إلهاً أن يقدر على هذا وأشدّ منه، ويحكى أنه قال: فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها، وقرأ محمد بن السميفع: فعله كبيرهم، يعني: فلعله، أي: فلعل الفاعل كبيرهم.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

فلما ألقمهم الحجر وأخذ بمخانقهم، رجعوا إلى أنفسهم، فقالوا: أنتم الظالمون على الحقيقة، لا من ظلمتموه حين قلتم: من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين.

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

نكسته: قلبته فجعلت أسفله أعلاه، وانتكس: انقلب، أي: استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة، ثم انتكسوا وتقلبوا عن تلك الحالة، فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة، وأنّ هؤلاء ـ مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق ـ آلهة معبودة، مضارّة منهم، أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لإبراهيم ـ عليه السلام ـ مجادلين عنه، حين نفوا عنها القدرة على النطق، أو قلبوا على رءوسهم حقيقة؛ لفرط إطراقهم خجلاً وانكساراً وانخزالاً مما بهتهم به إبراهيم ـ عليه السلام ـ فما أحاروا جواباً إلا ما هو حجة عليهم، وقرئ: «نكّسوا»: بالتشديد، و«نكسوا»: على لفظ ما سمي فاعله، أي: نكسوا أنفسهم على رءوسهم: قرأ به رضوان بن عبد المعبود.

---

(١) قوله «خرمشة فاسدة» الموجود في الصحاح: الخرش: مثل الخدش. والخراش: سمته. والمخرشة: خشبة يخط بها الخراز. ولم يوجد فيه «خرمشة» بزيادة الميم. (ع)

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿أُفٍّ﴾: صوت إذا صوّت به علم أنّ صاحبه متضجر، أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل، فتأفف بهم، واللام: لبيان المتأفف به، أي: لكم ولآلهتكم هذا التأفف.

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

أجمعوا رأيهم ـ لما غلبوا ـ بإهلاكه؛ وهكذا المبطل إذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح، لم يكن أحد أبغض إليه من المحق، ولم يبق له مفزع إلا مناصبته، كما فعلت قريش برسول الله ـ ﷺ ـ حين عجزوا عن المعارضة، والذي أشار بإحراقه نمروذ، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: رجل من أعراب العجم، يريد: الأكراد، وروي أنهم حين هموا بإحراقه، حبسوه ثم بنوا بيتاً كالحظيرة بكوثي، وجمعوا شهراً أصناف الخشب الصلاب، حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول: إن عافاني الله لأجمعنَّ حطباً لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ثم أشعلوا ناراً عظيمة كادت الطير تحترق في الجوّ من وهجها، ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً، فرموا به فيها، فناداها جبريل ـ عليه السلام ـ: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾، ويحكى: ما أحرقت منه إلا وثاقه، وقال له جبريل ـ عليه السلام ـ حين رمى به: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، قال: فسل ربك، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: إنما نجا بقوله: حسبي الله ونعم الوكيل، وأطل عليه نمروذ من الصرح، فإذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة، فقال: إني مقرّب إلى إلٰهك، فذبح أربعة آلاف بقرة ٢/ ٢٤أ وكفّ عن إبراهيم، وكان إبراهيم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إذ ذاك ابن ست عشرة سنة، واختاروا المعاقبة بالنار؛ لأنها أهول ما يعاقب به وأفظعه؛ ولذلك جاء: «لاَ يُعَذِّبُ بالنَّارِ إلاَّ خَالِقُهَا» (٩٦٦)؛ ومن ثم

---

٩٦٦ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٨) كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله حديث (٣٠١٦).

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث عن بكير عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: بعثنا رسول الله ـ ﷺ ـ في بعث فقال: «إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار»، ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ حين أردنا الخروج: «إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما».

وأبو داود (٢/ ٦١) كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار حديث (٢٦٧٤)، والترمذي (٤/ ١٣٧) كتاب السير، حديث (١٥٧١)، والنسائي في السير كما في (التحفة) (١٠/ ١٠٦)، وابن =

قالوا) ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ أي: إن كنتم ناصرين آلهتكم نصراً مؤزراً، فاختاروا له أهول المعاقبات، وهي الإحراق بالنار، وإلا فرّطتم في نصرتها؛ ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير أمرها وتفخيم شأنها، ولم يألوا جهداً في ذلك، جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وإرادته كمأمور أمر بشيء فامتثله، والمعنى: ذات برد وسلام، فبولغ في ذلك، كأن ذاتها برد وسلام، والمراد: ابردي فيسلم منك إبراهيم، أو ابردي برداً غير ضارّ، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: لو لم يقل ذلك، لأهلكته ببردها (٩٦٧).

فإن قلت: كيف بردت النار وهي نار؟

قلت: نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحرّ والإحراق، وأبقاها على الإضاءة والاشتعال كما كانت، والله على كل شيء قدير، ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم إبراهيم ـ عليه السلام ـ أذى حرّها ويذيقه فيها عكس ذلك، كما يفعل بخزنة جهنم؛ ويدل عليه قوله: ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾، وأرادوا أن يكيدوه ويمكروا به، فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت، وفزعوا إلى القوّة والجبروت، فنصره وقوّاه.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ۝٧١﴾

نجيا من العراق إلى الشام، وبركاته الواصلة إلى العالمين: أن أكثر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بعثوا فيه، فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية، وهي البركات الحقيقية، وقيل: بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغنيّ والفقير، وعن سفيان أنه خرج إلى الشام فقيل له: إلى أين؟ فقال: إلى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم، وقيل: ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس[1]، وروي أنه نزل بفلسطين، ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة.

= حبان في صحيحه (١٢/ ٤٢٥) رقم (٥٦١١)، وأحمد (٢/ ٣٠٧ ـ ٣٣٨ ـ ٤٥٣)، وابن الجارود في المنتقى رقم (١٠٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٧١) كتاب السير، باب المنع من إحراق المشركين بالنار بعد الأسر.

قال الحافظ: وفي أبي داود: «إلا رب النار». انتهى.

٩٦٧ ـ ذكره السيوطي في الدر (٤/ ٥٨١)، وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم.

---

(١) قلت) جاء مرفوعاً عن أبي بن كعب. أخرجه الطبري عن الحسين عن الفضيل بن موسى عن الحسين بن واقد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله «ونجيناه ولوطًا ـ الآية» قال: الشام، وما من ماء عذب إلا يخرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس وأخرجه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين بن الجنيد عن أبي عمار أخرجه أيضاً من رواية محمد بن سعد بن سابق عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية مقطوعاً لم يذكر أبي بن كعب، بلفظ «هي =

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾

النافلة: ولد الولد، وقيل: سأل إسحاق فأعطيه، وأعطى يعقوب نافلة، أي: زيادة وفضلاً من غير سؤال.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾: فيه أن من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله، ليس له أن يخل بها ويتثاقل عنها، وأوّل ذلك أن يهتدي بنفسه؛ لأن الانتفاع بهداه أعم، والنفوس إلى الاقتداء بالمهدي أميل، ﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أصله: أن تفعل الخيرات، ثم فعلا الخيرات، ثم فعل الخيرات، وكذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿حُكْمًا﴾: حكمة وهو ما يجب فعله، أو فصلاً بين الخصوم، وقيل: هو النبوّة، والقرية سذوم، أي: في أهل رحمتنا، أو في الجنة؛ ومنه الحديث: «هٰذِهِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِهَا مَنْ أَشَاءُ» (٩٦٨).

----

٩٦٨ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٥٧٢) كتاب التفسير، باب قوله: «وتقول هل من مزيد» حديث (٤٨٥٠)، ومسلم (٩/ ١٩٨ ـ نووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون حديث (٢٨٤٦)، والترمذي (٤/ ٦٩٤) كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار حديث (٢٥٦١)، والنسائي في الكبرى كما في «التحفة» (١٠/ ٣٣٩)، وأحمد (٢/ ٢٧٦ ـ ٣١٤ ـ ٤٥٠)، وابن حبان (١٦/ ٤٨٢) رقم (٧٤٤٧)، والبغوي في شرح السنة (٧/ ٥٦٧) رقم (٤٣١٨ =

= الأرض المقدسة بارك الله فيها للعالمين» ولم يذكر الصخرة. وأخرجه عبد بن حميد عن أبي النضر عن أبي جعفر كذلك. وزاد «لأن كل ماء عذب في الأرض منها يخرج من أصل صخرة بيت المقدس، يهبط من السماء إلى الصخرة ثم يتفرق في الأرض» وأخرجه أبو سعيد النقاش في فوائده من وجه آخر عن الربيع عن أبي العالية. وأخرجه أبو سعيد عبد بن حميد عن أبي النضر نحوه بتمامه وأخرجه الخطيب أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المقدسي المعروف بابن الواسطي في كتاب فضل بيت المقدس من طريق آدم ابن أبي إياس عن أبي جعفر الرازي، بلفظ في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ قال: من بركتها أن كل ماء عذب يخرج من أصل صخرة بيت المقدس. وأخرج الخطيب المذكور من طريق غالب بن عبد الله عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رفعه «الأنهار كلها والسحاب والبحار والرياح من تحت صخرة بيت المقدس» وغالب متروك.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل هؤلاء المذكورين.

هو «نصر»: الذي مطاوعه «انتصر»، وسمعت هذلياً يدعو على سارق: اللهم، انصرهم منه، أي: اجعلهم منتصرين منه، والكرب: الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه.

﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

أي: واذكرهما، وإذ: بدل منهما، والنفش: الانتشار بالليل، وجمع الضمير؛ لأنه أرادهما والمتحاكمين إليهما، وقرئ: «لحكمهما»، والضمير في ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾: للحكومة أو الفتوى، وقرئ: «فأفهمناها»: حكم داود بالغنم لصاحب الحرث، فقال سليمان ـ عليه السلام ـ وهو ابن إحدى عشرة سنة: غير هذا أرفق بالفريقين، فعزم عليه ليحكمنّ، فقال: أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها، والحرث إلى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد، ثم يترادّان، فقال: القضاء ما قضيت، وأمضى الحكم بذلك.

فإن قلت: أحكما بوحي أم باجتهاد؟

قلت: حكما جميعاً بالوحي، إلا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان، وقيل: اجتهدا جميعاً، فجاء اجتهاد سليمان ـ عليه السلام ـ أشبه بالصواب.

فإن قلت: ما وجه كل واحدة من الحكومتين؟

قلت: أمّا وجه حكومة داود ـ عليه السلام ـ فلأن الضرر لما وقع بالغنم، سلمت بجنايتها إلى المجني عليه، كما قال أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ في العبد إذا جنى على

= ـ بتحقيقنا).

قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة رفعه: «تحاجت النار والجنة ـ الحديث» وفيه: قال للجنة: أنت رحمتي أرحم بها من أشاء من عبادي»، ولمسلم من حديث أبي سعيد نحوه.

النفس: يدفعه المولى بذلك أو يفديه، وعند الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: يبيعه في ذلك أو يفديه، ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث، ووجه حكومة سليمان ـ عليه السلام ـ: أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الانتفاع بالحرث، من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان؛ مثاله ما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبداً فأبق من يده: ٢/ ٢٤ب أنه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بإزاء ما فوّته الغاصب من منافع العبد، فإذا ظهر ترادّا.

فإن قلت: فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا، ما حكمها؟

قلت: أبو حنيفة وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ لا يرون فيه ضمانا بالليل أو بالنهار؛ إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد، والشافعي ـ رضي الله عنه ـ يوجب الضمان بالليل، وفي قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾: دليل على أنّ الأصوب كان مع سليمان ـ عليه السلام ـ وفي قوله: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: دليل على أنهما جميعاً كانا على الصواب، ﴿يُسَبِّحْنَ﴾: حال بمعنى: مسبحات، أو استئناف، كأن قائلاً قال: كيف سخرهنّ؟ فقال: يسبحن، ﴿وَالطَّيْرَ﴾: إمّا معطوف على الجبال، أو مفعول معه.

فإن قلت: لم قدمت الجبال على الطير؟

قلت: لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدلّ على القدرة وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد والطير حيوان، إلا أنه غير ناطق، روي أنه كان يمرّ بالجبال مسبحاً وهي تجاوبه، وقيل: كانت تسير معه حيث سار.

فإن قلت: كيف تنطق الجبال وتسبح؟

قلت: بأن يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى[1]، وجواب آخر: وهو أن يسبح من رآها تسير بتسيير الله، فلما حملت على التسبيح وصفت به، ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل هذا وإن كان عجباً عندكم، وقيل: وكنا نفعل بالأنبياء مثل ذلك.

اللبوس: اللباس، قال [من الرجز]:

---

(١) قوله «كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى» هذا عند المعتزلة، بناء على أن كلام الله حادث فلا يقوم بذاته تعالى: أما عند أهل السنة فكلامه تعالى قديم قائم بذاته، ويسمعه موسى عليه السلام بكشف الحجاب عنه. (ع)

والمراد: الدرع؛ قال قتادة: كانت صفائح فأوّل من سردها وحلقها داود، فجمعت الخفة والتحصين، ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾: قرئ بالنون والياء والتاء، وتخفيف الصاد وتشديدها؛ فالنون: لله ـ عزّ وجل ـ والتاء: للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع، والياء: لداود أو للبوس.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

قرئ: الريح، والرياح، بالرفع والنصب فيهما، فالرفع: على الابتداء، والنصب: على العطف على الجبال.

فإن قلت: وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى، فما التوفيق بينهما[2]؟

قلت: كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم، فإذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة؛ على ما قال: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]، فكان جمعها بين الأمرين أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها، مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم: آية إلى آية، ومعجزة إلى معجزة، وقيل: كانت في وقت رخاء، وفي وقت

---

(١) البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بُوسها
لبيهس الملقب بنعامة: قتل له سبعة إخوة، فجعل يلبس القميص مكان السراويل وعكسه. وإذا سئل عن ذلك قال: هذا البيت، حتى إذا أخذت دماء السبعة. واللبوس ـ بالفتح ـ: اللباس. وقسمه في الإبدال منه إلى النعيم والبؤس لعلاقة السببية. ويجوز أنه على حذف المضاف، أي: لبوس نعيمها أو لبوس بؤسها. ووسط إما للتنويع، ولكن القصة تدل على أن ذات اللباس لم تتغير، فيجوز أن اللبوس اسم مصدر وإن كان استعمال فعول بالفتح في المصدر قليلاً، ويجوز أن يروى بالضم، فيكون بمعنى المصدر على الكثير، أي: البس لكل حالة ما ينابسها من اللبس. إما اللبس المستقيم أو المنعكس، والمأمور باللبس ليس معنا، والبؤس بالهمز: الشدة. قلبت همزته هنا واواً لتناسب القافية. وبين لبوس وبوس: الجناس الناقص.

(٢) قال محمود: «إن قلت قد وصفت هذه الريح بأنها رخاء وبأنها عاصف فما وجه ذلك؟ قلت: ما هي إلا جمعتهما وكانت في نفسها رخاء طيبة وفي سرعة حركتها كالعاصف» قال أحمد: وهذا كما ورد وصف عصا موسى تارة بأنها جان وتارة بأنها ثعبان، والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم الجافي منها. ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين؛ فكانت في خفتها وفي سرعة حركتها كالجان، وكانت في عظم خلقها كالثعبان، ففي كل واحد من الريح والعصا على هذا التقرير معجزتان والله سبحانه وتعالى أعلم.

عاصفاً؛ لهبوبها على حكم إرادته، وقد أحاط علمنا بكل شيء فنجري الأشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا.

أي: يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر، ويتجاوزون ذلك إلى الأعمال، والمهن، وبناء المدائن، والقصور، واختراع الصنائع العجيبة؛ كما قال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ [سبأ: ١٣]، والله حافظهم أن يزيغوا عن أمره، أو يبدلوا أو يغيروا، أو يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

أي: ناداه بأني مسنى الضر، وقرئ: «إني» بالكسر، على إضمار القول أو لتضمن النداء معناه، و«الضر» ـ بالفتح ـ: الضرر في كل شيء، وبالضم: الضرر في النفس من مرض وهزال، فرق بين البناءين لافتراق المعنيين، ألطف في السؤال؛ حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب، ويحكى أنّ عجوزاً تعرضت لسليمان بن عبد الملك، فقالت: يا أمير المؤمنين، مشت جرذان[1] بيتي على العصيّ! فقال لها: ألطفت في السؤال، لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبًا، كان أيوب ـ عليه السلام ـ روميًا من ولد إسحاق بن يعقوب ـ عليهم السلام ـ وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله: كان له سبعة بنين وسبع بنات، وله أصناف البهائم، وخمسمائة فدان[2] يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ونخيل، فابتلاه الله بذهاب ولده ـ انهدم عليهم البيت فهلكوا ـ وبذهاب ماله، وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة، وعن قتادة: ثلاث عشرة سنة، وعن مقاتل: سبعاً وسبعة أشهر وسبع ساعات، وقالت له امرأته يوماً: لو دعوت الله، فقال لها: كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت: ثمانين سنة، فقال: أنا أستحي من الله أن أدعوه، وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم، وروي أن امرأته ولدت بعدُ ستة وعشرين ابناً، أي: لرحمتنا العابدين وأنا نذكرهم بالإحسان لا ننساهم أو رحمة منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين، ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة.

---

(١) قوله «جرذان بيتي» في الصحاح «الجرذ» ضرب من الفأر. والجمع جرذان. (ع)

(٢) قوله «وخمسمائة فدان» ففي الصحاح «الفدن» القصر. والفدان: آلة الثورين للحرث. (ع)

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

قيل في ذي الكفل: هو إلياس، وقيل: زكريا، وقيل: يوشع بن نون؛ وكأنه سمي بذلك لأنه ذو الحظ من الله والمجدود[١] على الحقيقة، وقيل: كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه وضعف ثوابهم، وقيل: خمسة من الأنبياء ذوو اسمين: إسرائيل ويعقوب، إلياس وذو الكفل، عيسى والمسيح، يونس وذو النون، محمد وأحمد: صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ ٢/ ٢٥أ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿ٱلنُّونِ﴾: الحوت، فأضيف إليه، برم[٢] بقومه؛ لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم، فراغمهم وظنّ أنّ ذلك يسوغ؛ حيث لم يفعله إلا غضباً لله وأنفة لدينه وبغضاً للكفر وأهله، وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله في المهاجرة عنهم، فابتلي ببطن الحوت، ومعنى مغاضبته لقومه: أنه أغضبهم بمفارقته، لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها، وقرأ أبو شرف: «مغضباً»، قرئ: «نقدر»، و«نقدّر»: مخففاً ومثقلاً، «ويقدر»: بالياء بالتخفيف، و«يُقْدَرَ»، و«يُقَدَّرَ»: على البناء للمفعول مخففاً ومثقلاً، وفسرت بالتضييق عليه، وبتقدير الله عليه عقوبة، وعن ابن عباس: أنه دخل على معاوية فقال: لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها، فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك، قال: وما هي يا معاوية، فقرأ هذه الآية، وقال: أويظن نبيّ الله ألاّ يقدر عليه؟ قال: هذا من القدر لا من القدرة، والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة، على معنى: أن لن نعمل فيه قدرتنا، وأن يكون من باب التمثيل، بمعنى: فكانت حاله ممثلة بحال من ظنّ أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه، من غير انتظار لأمر الله، ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان، ثم يردعه ويرده بالبرهان، كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في كل وقت؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠]، والخطاب للمؤمنين ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، أي: في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت؛ كقوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٧]، وقوله: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾

---

(١) قوله «والمجدود» في الصحاح «الجد» الحظ والبخت. تقول: جددت يا فلان، أي: صرت ذا جد، فأنت جديد حظيظ، ومجدود محظوظ. (ع)

(٢) قوله «برم بقومه» سئمهم وتبرم بهم، أفاده الصحاح. (ع)

[البقرة: ٢٥٧]وقيل: ظلمات بطن الحوت والبحر والليل، وقيل: ابتلع حوته حوتٌ أكبر منه، فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر، أي: بأنه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾، أو بمعنى: «أي»، عن النبي ـ ﷺ ـ: «مَا مِنْ مَكْرُوبٍ يَدْعُو بِهَٰذَا الدُّعَاءِ إِلاَّ ٱسْتُجِيبَ لَهُ» (٩٦٩)، وعن الحسن: ما نجاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿نُـۨجِى﴾، وننجي، ونجى، والنون لا تدغم في الجيم، ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجى النجاء المؤمنين، فأرسل الياء وأسنده إلى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء ـ فمتعسف بادر التعسف.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

سأل ربه أن يرزقه ولداً يرثه ولا يدعه وحيداً بلا وارث، ثم ردّ أمره إلى الله مستسلماً، فقال: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي؛ فإنك خير وارث، إصلاح زوجه: أن جعلها صالحة للولادة بعد عقرها، وقيل: تحسين خلقها، وكانت سيئة

---

٩٦٩ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٥٢٩) كتاب التفسير حديث (٣٥٠٥) حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا يونس بن إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن سعد قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إلٰه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له».
والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ١٦٨) عمل اليوم والليلة، باب ذكر دعوة ذي النون حديث (١٠٤٩٢) وأحمد في المسند (١/ ١٧٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٥)، والبيهقي في الشعب (١/ ٤٣٢) رقم (٦٢٠).
قال الحافظ: أخرجه الترمذي، والحاكم، والبيهقي في الشعب في السبعين من رواية إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن جده سعد بن أبي وقاص رفعه: دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: (لا إلٰه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له، قال الترمذي: رواه بعضهم عن إبراهيم عن جده، لم يقل عن أبيه اهـ، وله متابع أخرجه الحاكم من رواية كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب عن مصعب بن سعد عن أبيه، بلفظ: «ألا أخبركم بشيء إذا نزل بأحدكم كرب، أو بلاء فدعا به إلا فرج عنه. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: دعوة ذي النون: (لا إلٰه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، وأخرجه الحاكم أيضاً من رواية معمر بن سليمان عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة بن سهيل بن حنيف عن سعد. انتهى.

الخلق، الضمير للمذكورين من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يريد: أنهم ما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم إلا لمبادرتهم أبواب الخير، ومسارعتهم في تحصيلها، كما يفعل الراغبون في الأمور الجادون، وقرئ: (رغبا ورهبا): بالإسكان؛ وهو كقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩] ﴿خَٰشِعِينَ﴾: قال الحسن: ذللا لأمر الله، وعن مجاهد: الخشوع: الخوف الدائم في القلب، وقيل: متواضعين، وسئل الأعمش، فقال: أما إني سألت إبراهيم فقال: ألا تدري؟ قلت: أفدني، قال: بينه وبين الله إذا أرخى ستره وأغلق بابه، فلير الله منه خيراً، لعلك ترى أنه أن يأكل خشناً ويلبس خشناً ويطأطىء رأسه.

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: إحصاناً كليًا من الحلال والحرام جميعاً؛ كما قالت: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

فإن قلت: نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [مريم: ٧٢]، أي: أحييته، وإذا ثبت ذلك كان قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾: ظاهر الإشكال؛ لأنه يدل على إحياء مريم.

قلت: معناه نفخنا الروح في عيسى فيها[1]، أي: أحييناه في جوفها[2]؛ ونحو ذلك أن يقول الزمار: نفخت في بيت فلان، أي: نفخت في المزمار في بيته، ويجوز أن يراد: وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل ـ عليه السلام ـ لأنه نفخ في جيب درعها

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ مؤاخذاً له ما استعمل «نَفَخَ» متعدياً والمحفوظ أنّه لا يتعدى فيحتاج في تعديه إلى سماع وغير متعد ستعمله هو في قوله أي نَفَخْتُ في المزمار انتهى ما واخذه به، قلت وسمع نفخ متعدياً ويدل على ذلك ما قرىء في الشاذ «فأنفخها فيكون طائراً» وقد حكاها هو قراءة فكيف ينكرها فعليك بالالتفات إلى ذلك. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «إن قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه وحينئذٍ يكون معناه فأحيينا مريم ويشكل إذ ذاك. قلت: معناه فنفخنا الروح في عيسى في مريم أي أحييناه في جوفها انتهى كلامه» قال أحمد: وقد اختار الزمخشري في قوله عز وجل ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ أن تكون الضمائر كلها راجعة إلى موسى. أما الأول فلا إشكال فيه، وأما التابوت إذا قذف في اليم وموسى فيه، فقد قذف موسى في اليم. وكذلك الثالث. واختار غيره عود الضميرين الأخيرين إلى التابوت؛ لأنه فهم من قوله: ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أن المراد التابوت. وأما موسى فلم يقذف في اليم. والزمخشري نزل قذف التابوت في اليم وموسى فيه منزلة قذفه في اليم. وفي هذه الآية مصداق لما اختاره، فإن الله تعالى نزل نفخ الروح في عيسى لكونه في جوف مريم منزلة نفخ الروح في مريم، فعبر بما يفهم ظاهر هذا.

فوصل النفخ إلى جوفها.

فإن قلت: هلا قيل: آيتين كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢].

قلت: لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة؛ وهي ولادتها إياه من غير فحل.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾

الأمّة: الملة، و﴿هَٰذِهِۦٓ﴾: إشارة إلى ملة الإسلام، أي: إن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها، يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة، ﴿وَأَنَا۠﴾: إلهكم إله واحد، ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾: ونصب الحسن أمّتكم على البدل من هذه، ورفع أمّة خبراً، وعنه رفعهما جميعاً خبرين لهذه، أو نوى للثاني مبتدأ، والخطاب للناس كافة.

﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾

والأصل: وتقطعتم، إلا أن الكلام حرف على الغيبة على طريقة الالتفات، كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم، ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله، والمعنى: جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً، كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه، فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب، تمثيلاً لاختلافهم فيه، وصيرورتهم فرقاً وأحزاباً شتى، ثم توعدهم بأنّ هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون، فهو محاسبهم ومجازيهم.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾

الكفران: مثل في حرمان الثواب، كما أن الشكر مثل في إعطائه إذا قيل لله: شكور، وقد نفي نفي الجنس؛ ليكون ٢/ ٢٥ب أبلغ من أن يقول: فلا نكفر سعيه، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ أي: نحن كاتبو ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله، وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

استعير الحرام للممتنع وجوده، ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠]، أي: منعهما منهم، وأبى أن يكونا لهم، وقرئ: «حرم، وحرم»: بالفتح والكسر، و«حرّم وحرّم»، ومعنى: ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: عزمنا على إهلاكها، أو قدرنا إهلاكها،

ومعنى الرجوع: الرجوع من الكفر إلى الإسلام والإنابة، ومجاز الآية: أن قوماً عزم الله على إهلاكهم غير متصوّر أن يرجعوا وينيبوا، إلى أن تقوم القيامة فحينئذٍ يرجعون ويقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ يعني: أنهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب، وقرئ: «إنهم»: بالكسر، وحق هذا أن يتم الكلام قبله، فلا بدّ من تقدير محذوف، كأنه قيل: وحرام على قرية أهلكناها ذاك، وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور، ثم علل، فقيل: إنهم لا يرجعون عن الكفر، فكيف لا يمتنع ذلك، والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا؟ أي: لأنهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الأوّل.

فإن قلت: بم تعلقت ﴿حَتَّىٰٓ﴾: واقعة غاية له، وأية الثلاث هي؟

قلت: هي متعلقة بحرام، وهي غاية له؛ لأنّ امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة، وهي (حتى): التي يحكى بعدها الكلام، والكلام المحكيّ: الجملة من الشرط والجزاء، أعني: «إذا»، وما في حيزها، حذف المضاف إلى: ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾، وهو سدّهما، كما حذف المضاف إلى القرية وهو أهلها، وقيل: فتحت؛ كما قيل: (أهلكناها)، وقرئ: «آجوج»، وهما قبيلتان من جنس الإنس، يقال: الناس عشرة أجزاء: تسعة منها يأجوج ومأجوج، ﴿وَهُم﴾: راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر، وقيل: هم يأجوج ومأجوج، يخرجون حين يفتح السدّ، الحدب: النشر[1] من الأرض، وقرأ ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «من كل جدث»، وهو القبر، الثاء: حجازية، والفاء: تميمية، وقرئ: (ينسلون): بضم السين، ونسل وعسل: أسرع.

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

و﴿إِذَا﴾: هي إذا المفاجأة، وهي تقع في المجازاة سادّة مسدّ الفاء؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]، فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد، ولو قيل: إذا هي شاخصة، أو فهي شاخصة، كان سديداً، ﴿هِىَ﴾ضمير مبهم[2]، توضحه الأبصار وتفسره، كما فسر الذين ظلموا وأسروا، ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾: متعلق بمحذوف تقديره: يقولون: يا ويلنا، ويقولون: في موضع الحال من الذين كفروا.

---

(١) قوله «النشر من الأرض» في الصحاح «النشر» المكان المرتفع. (ع)
(٢) قوله «هي ضمير مبهم... إلخ» لعله ضمير (وأسروا) أو لعله واو (وأسرّوا). (ع)

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يحتمل الأصنام وإبليس وأعوانه؛ لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم؛ ويصدّقه ما روي: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجلس إليهم، فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أفحمه، ثم تلا عليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾... الآية، فأقبل عبد الله بن الزبعري، فرآهم يتهامسون، فقال: ففيم خوضكم؟ فأخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله ـ ﷺ ـ فقال عبد الله: أما والله، لو وجدته لخصمته، فدعوه، فقال ابن الزبعري: أأنت قلت ذلك؟ قال: نعم، قال: قد خصمتك ورب الكعبة، أليس اليهود عبدوا عزيراً، والنصارى عبدوا المسيح، وبنو مليح عبدوا الملائكة؟ فقال ـ ﷺ ـ: «بَلْ هُمْ عَبَدُوا الشَّيَاطِينَ الَّتِي أَمَرَتْهُمْ بِذٰلِكَ» (٩٧٠)، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾... الآية [الأنبياء: ١٠١]، يعني: عزيراً، والمسيح، والملائكة، عليهم السلام.

---

٩٧٠ ـ أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٩١) رقم (٢٤٨٣٦) حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: جلس رسول الله ـ ﷺ ـ فيما بلغني يوماً مع الوليد بن المغيرة، فجاء النضر بن الحارث، وكلمه رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم... الآية».

فذكر الحديث طويلاً نحو ما ذكره المصنف، وذكره ابن إسحاق في السيرة (١/ ٤٥١) رقم (٣٤٩)، وعزاه الزيلعي (٢/ ٣٦٩) للواحدي في أسباب النزول ولابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس.

قال الحافظ: هكذا ذكره الثعلبي ثم البغوي بغير إسناد. لم أجده هكذا إلا ملفقا، فأما صدره ففي الطبراني الصغير في أواخره من حديث ابن عباس قال: دخل رسول الله ـ ﷺ ـ مكة يوم الفتح، وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً قد شدت أقدامها برصاص ـ الحديث، وأما قوله: «وكانت صناديد قريش فقضية أخرى ذكرها ابن إسحاق في المغازي والطبري من طريقه قال: «جلس رسول الله ـ ﷺ ـ يوماً في المسجد مع رجال من قريش، فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أفحمه ـ فذكر نحو المذكور هنا إلى آخره، وفيه: «إن كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين، وروى ابن مردويه والواحدي من طريق أبي رزين عن أبي يحيى عن ابن عباس قال: «لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾... الآية شق ذلك على قريش، وقالوا: يشتم آلهتنا. فجاء ابن الزبعري، وقال: يا محمد هذا شتم لآلهتنا خاصة، أم لكل من عبد من دون الله، قال: لكل من عبد من دون الله. قال: =

فإن قلت: لم قرنوا بآلهتهم؟

قلت: لأنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غمّ وحسرة؛ حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم، والنظر إلى وجه العدوّ باب من العذاب، ولأنهم قدّروا، أنهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم، فإذا صادفوا الأمر على عكس ما قدروا، لم يكن شيء أبغض إليهم منهم.

فإن قلت: إذا عنيت بما تعبدون الأصنام، فما معنى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾؟

قلت: إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن[1] واحد، جاز أن يقال: لهم زفير، وإن لم يكن الزافرين إلا هم دون الأصنام للتغليب ولعدم الإلباس، والحصب: المحصوب، أي: يحصب بهم في النار، والحصب: الرمي، وقرئ بسكون الصاد؛ وصفاً بالمصدر، وقرئ: «حطب»، و«حضب»: بالضاد متحركاً وساكناً، وعن ابن مسعود: يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون، ويجوز أن يصمهم الله كما يعميهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾

﴿الْحُسْنَىٰ﴾: الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن: إمّا السعادة، وإما البشرى بالثواب، وإما التوفيق للطاعة؛ يروى أنّ عليًا ـ رضي الله عنه ـ قرأ هذه الآية، ثم قال: أنا منهم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن

= خصمتك ورب الكعبة ـ فذكر نحوه.

تنبيهان:

أحدهما: اشتهر في السنة كثير من علماء العجم وفي كتبهم: أن النبي ـ ﷺ ـ قال في هذه القصة لابن الزبعري: «وما أجهلك بلغة قومك. فإني قلت: وما تعبدون. وهي لما لا يعقل. ولم أقل: ومن تعبدون» اهـ. وهو شيء لا أصل له. ولا يوجد لا مسنداً ولا غير مسند.

الثاني: قال السهيلي اعتراض ابن الزبعري غير لازم، لأن الخطاب مخصوص بقريش وما يعبدون من الأصنام؛ ولذلك أتى بما الواقعة على ما لا يعقل اهـ. وحديث ابن عباس الذي تقدم ينقض عليه هذا التأويل. فإنه صرح بأن المراد كل ما يعبد من دون الله. انتهى.

---

(١) قوله «في قرن» هو حبل يقرن به البعيران. أفاده الصحاح. (ع)

عوف، ثم أقيمت الصلاة، فقام يجرّ رداءه، وهو يقول: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ (٩٧١)، والحسيس: الصوت يحس، والشهوة: طلب النفس اللذة، وقرئ: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ﴾: من أحزن، و﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾: قيل: النفخة الأخيرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ ٢/٢٦أ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧]، وعن الحسن: الانصراف إلى النار، وعن الضحاك: حين يطلق على النار، وقيل: حين يذبح الموت على صورة كبش أملح، أي تستقبلهم ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: مهنئين على أبواب الجنة، ويقولون: هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حلّ.

﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

العامل في ﴿يَوْمَ نَطْوِي﴾: لا يحزنهم، أو الفزع، أو تتلقاهم، وقرئ: «تطوى السماء»: على البناء للمفعول، ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾: بوزن العتلّ[1]، والسجل بلفظ الدلو، وروي فيه الكسر: وهو الصحيفة، أي: كما يطوى الطومار للكتابة، أي: ليكتب فيه، أو: لما يكتب فيه؛ لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء، ثم يوقع على المكتوب، ومن جمع فمعناه: للمكتوبات، أي: لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة، وقيل: (السجل): ملك يطوى كتب بني آدم إذا رفعت إليه، وقيل: كاتب كان لرسول الله ـ ﷺ ـ والكتاب ـ على هذا ـ اسم الصحيفة المكتوب فيها، ﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾: مفعول نعيد الذي يفسره: ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾، والكاف: مكفوفة بما، والمعنى: نعيد أوّل الخلق كما بدأناه، تشبيهاً للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء.

فإن قلت: وما أوّل الخلق حتى يعيده كما بدأه؟

قلت: أوّله إيجاده عن العدم، فكما أوجده أولاً عن عدم، يعيده ثانياً عن عدم[2].

---

٩٧١ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/٦٠٩) «لابن أبي حاتم والثعلبي وابن مردويه في تفاسيرهم». وذكره السيوطي في الدر (٤/٦٠٩).
قال الحافظ: أخرجه ابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه والثعلبي من رواية ليث بن أبي سليم عن ابن عم النعمان بن بشير وكان من سمار علي قال: تلا علي هذه الآية ـ فذكره. انتهى.

---

(١) قوله «بوزن العتل» العتل: الغليظ الجافي. وقال تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ والعتل أيضاً: الرمح الغليظ ورجل عتل ـ بالكسر ـ: بين العتل، كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت مأول الخلق حتى يعيده كما بدأه؟ قلت: أول الخلق إيجاده عن العدم، فكما أوجده أولاً عن عدم يعيده ثانياً عن عدم» قلت: هذا الذي ذكره ههنا في المعاد قد عاد به إلى =

فإن قلت: ما بال: (خلق) منكراً؟

قلت: هو كقولك: هو أوّل رجل جاءني، تريد: أوّل الرجال، ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلاً، فكذلك معنى: (أوّل خلق): أوّل الخلق، بمعنى: أوّل الخلائق؛ لأن الخلق مصدر لا يجمع، ووجه آخر، وهو: أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره: (نعيده)[1]، وما موصولة، أي: نعيد مثل الذي بدأناه نعيده، وأول خلق: ظرف لبدأناه، أي: أوّل ما خلق، أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ، الثابت في المعنى، ﴿ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾: مصدر مؤكد؛ لأنّ قوله: (نعيده): عدة للإعادة، ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل ذلك.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

عن الشعبي ـ رحمة الله عليه ـ: زبور داود ـ عليه السلام ـ والذكر: التوراة، وقيل: اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء من الكتب، والذكر: أم الكتاب، يعني: اللوح، أي: يرثها المؤمنون بعد إجلاء الكفار؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف]، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: هي أرض الجنة، وقيل: الأرض المقدّسة، ترثها أمّة محمد، ﷺ.

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

الإشارة إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعود والوعيد والمواعظ البالغة، والبلاغ: الكفاية وما تبلغ به البغية.

= الحق ورجع عما قاله في سورة مريم، حيث فسر الإعادة بجمع المتفرق خاصة، إلا أنه كدر صفو اعترافه بالحق بتفسيره قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ بالقدرة على الفعل، ولا يلزم على هذا من القدرة على الفعل حصوله، تحويما على أن الموعود به ليس إعادة الأجسام عن عدم وإن كانت القدرة صالحة لذلك، ولكن إعادة الأجزاء على صورها مجتمعة مؤتلفة على ما تقدم له في سورة مريم؛ إلا أن يكون الباعث له على تفسير الفعل بالقدرة: أن الله ذكر ماضياً والإعادة وقوعها مستقبل، فتعين عنده من ثم حمل الفعل على القدرة فقد قارب، ومع ذلك فالحق بقاء الفعل على ظاهره؛ لأن الأفعال المستقبلة التي علم الله وقوعها، كالماضية في التحقق، فمن ثم عبر عن المستقبل بالماضي في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز. والعرض الإيذان بتحقيق وقوعه، والله أعلم.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وفي تقديره تهيئة بدأنا لأن تنصب أول خلق على المفعولية وقطعه عنه من غير ضرورة تدعو إلى ذلك وارتكاب إضمار بعيد مفسراً بـ«نعيده» وهذه عجمة في كتاب الله. انتهى. الدر المصون.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾

أرسل ـ ﷺ ـ: ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه، ومن خالف ولم يتبع؛ فإنما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها، ومثاله: أن يفجر الله عيناً غديقة، فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا، ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا، فالعين المفجرة في نفسها، نعمة من الله ورحمة للفريقين، ولكن الكسلان محنة على نفسه؛ حيث حرمها ما ينفعها، وقيل: كونه رحمة للفجار؛ من حيث أنّ عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال.

﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾

إنما: لقصر الحكم على شيء، أو لقصر الشيء على حكم؛ كقولك: إنما زيد قائم؛ وإنما يقوم زيد، وقد اجتمع المثالان في هذه الآية؛ لأن ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ مع فاعله، بمنزلة: إنما يقوم زيد، و﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ بمنزلة: إنما زيد قائم، وفائدة اجتماعهما: الدلالة على أن الوحي إلى رسول الله ـ ﷺ ـ مقصور على استئثار الله بالواحدنية، وفي قوله: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾: أن الوحي الوارد على هذا السنن موجب أن تخلصوا التوحيد لله، وأن تخلعوا الأنداد، وفيه أن صفة الوحدانية يصح أن تكون طريقها السمع، ويجوز أن يكون المعنى: أن الذي يوحى إلي، فتكون «ما» موصولة.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ١١٠ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١﴾

آذن: منقول من أذن إذا علم؛ ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الإنذار؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، وقول ابن حلزة [من الخفيف]:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ[1] . . . .

والمعنى: أني بعد توليكم وإعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب

---

(١) آذنتنا ببينها أسماء رب ثاوٍ يمل منه الثواء
للحارث بن حلزة مطلع معلقته. وأذن الشيء: علمه بحاسة الأذن، وتوسع فيه حتى صار بمعنى مطلق العلم. وآذنه ـ بالمد ـ: أعلمه. والبين: مصدر بمعنى البعد والفراق. وتقدم أن «أسماء» من الوسامة أي الحسن. والثاوي: المقيم. والملل: السآمة. والثواء: الإقامة. يقول: أعلمتنا لفراقها. ورب سقيم يسأم الناس من إقامته، وهي ليست كذلك. وحذف هذا العلم به من المقام.

توحيد الله وتنزيهه عن الأنداد والشركاء، كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحس منهم بغدرة، فنبذ إليهم العهد، وشهر النبذ وأشاعه وآذنهم جميعاً بذلك، ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: مستوين في الإعلام به، لم يطوه عن أحد منهم وكاشف كلهم، وقشر العصا عن لحائها[1]، و﴿مَّا تُوعَدُونَ﴾ـه من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة، ولا بد من أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار، وإن كنت لا أدري متى يكون ذلك؛ لأن الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه، والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين في الإسلام، و﴿تَكْتُمُونَ﴾ـه في صدوركم من الإحن والأحقاد للمسلمين، وهو يجازيكم عليه، وما أدري لعلّ تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون، أو تمتيع لكم ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: ليكون ٢/٢٦ب ذلك حجة عليكم، وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة.

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

قرئ: ﴿قُل﴾، و«قال»؛ على حكاية قول رسول الله ـ ﷺ ـ و﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾: على الاكتفاء بالكسرة، و«رب احكم»، على الضم و«ربي أحكم». على أفعل التفضيل، وربي أحكم: من الإحكام، أمر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر، ومعنى ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: لاتحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم، كما قال: «اشدد وطأتك على مضر» (٩٧٢)، قرئ: (تصفون): بالتاء والياء، كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه، وكانوا

---

٩٧٢ ـ أخرجه البخاري (٢/٥٧٢) كتاب الاستسقاء: باب «دعاء النبي ـ ﷺ ـ واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» رقم (١٠٠٦)، (٦/٤٨١) كتاب أحاديث الأنبياء: باب «قول الله ـ تعالى ـ: ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ رقم (٣٣٨٦)، (١٠/٥٩٦) كتاب الأدب: باب «تسمية الوليد» رقم (٦٢٠٠)، (١١/١٩٧) كتاب الدعوات: باب «تكرير الدعاء» رقم (٦٣٩٣)، ومسلم (٣/١٩٠ ـ ١٩١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب «استحباب القنوت في جميع الصلاة، إذا نزلت بالمسلمين نازلة» رقم (٢٩٤ ـ ٦٧٥/٢٩٤) (٦٧٥/٢٩٥)، وابن حبان (٥/٣٠١) كتاب الصلاة باب «صفة الصلاة» رقم (١٩٦٩ ـ ١٩٧٢)، باب: «فضل في القنوت» رقم (١٩٨٦)، وأبو داود (١/٤٥٧) كتاب الصلاة: باب «القنوت في الصلاة» رقم (١٤٤٢)، وأحمد (٢/٢٣٩ ـ ٢٥٥ ـ ٢٧١ ـ ٣٩٦ ـ ٤٠٧ ـ ٤١٨ ـ ٥٠٢ ـ ٥٢١)، وابن ماجه (١/٣٩٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب «ما جاء في القنوت في صلاة الفجر» رقم (١٢٤٤)، والبيهقي (٢/١٩٧ ـ ١٩٨ ـ ٢٠٠) كتاب الصلاة: باب «القنوت في الصلاة عند النازلة»، (٢/٢٠٧) كتاب الصلاة: باب «الدليل على أنه يقنت بعد الركوع»، (٢/٢٤٤) كتاب الصلاة: باب «ما يجوز من الدعاء في الصلاة»، (٩/١٤) كتاب السير: باب «ما جاء في عذر المستضعفين»، والدارقطني (٢/٣٨) كتاب الوتر وأنه ليس بفرض ـ والوتر على البعير: باب «صفة القنوت وبيان موضعه» رقم (٧)، والحميدي (٢/٤١٩) =

---

(١) قوله «لحائها» في الصحاح: اللحاء ـ ممدود ـ قشر الشجر. (ع)

يطمعون أن تكون لهم الشوكة والغلبة، فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم، ونصر رسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين، وخذلهم.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأَ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ، حَاسَبَهُ اللَّهُ حِسَاباً يَسِيراً، وَصَافَحَهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ كُلُّ نَبِيٍّ ذُكِرَ ٱسْمُهُ فِي الْقُرْآنِ» (٩٧٣).

= رقم (٩٣٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/١٧٦).

قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة في قصة القنوت في الصبح. انتهى.

٩٧٣ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب. انتهى.

سُورَةُ الحَجّ

مَكِّيَّةٌ، غيرَ سِتِّ آيَاتٍ، وَهِيَ:

هَذَانِ خَصْمَانِ... إلَىٰ قَوْلِهِ... إلَىٰ صِرَاطِ الحَمِيدِ

وَهِيَ ثَمَانٍ وَسَبْعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١)﴾

الزلزلة: شدّة التحريك والإزعاج، وأن يضاعف زليل الأشياء[(١)] عن مقارّها ومراكزها ولا تخلو ﴿السَّاعَةِ﴾ من أن تكون على تقدير الفاعلة لها، كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي، فتكون الزلزلة مصدراً مضافاً إلى فاعله، أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف وإجرائه مجرى المفعول به؛ كقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]، وهي الزلزلة المذكورة في قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١)﴾ [الزلزلة: ١]، واختلف في وقتها؛ فعن الحسن: أنها تكون يوم القيامة، وعن علقمة والشعبي: عند طلوع الشمس من مغربها، أمر بني آدم بالتقوى، ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة، ووصفها بأهول صفة؛ لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوّروها بعقولهم، حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم، بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى، الذي لا يؤمنهم من تلك الأفزاع إلا أن يتردوا به، وروي أنّ هاتين الآيتين نزلتا ليلاً في غزوة بني المصطلق، فقرأهما رسول الله ـ ﷺ ـ فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب، ولم يضربوا الخيام وقت النزول، ولم يطبخوا قدراً، وكانوا من بين حزين وباك ومفكر (٩٧٤)

---

٩٧٤ ـ ذكره البغوي (٣/ ٢٧٤) قال: «روي عن عمران بن حصين وأبي سعيد الخدري وغيرهما أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلاً، فنادى منادى رسول الله ـ ﷺ ـ فقرأها عليهم فلم ير أكثر =

---

(١) قوله «وأن يضاعف زليل الأشياء» أي يكرر انحراف الأشياء وتزحزحها عن مواضعها. وفي الصحاح: تقول زللت يا فلان ـ بالفتح ـ تزل زليلاً: إذا زل في طين أو منطق. (ع)

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾: منصوب بتذهل، والضمير للزلزلة، وقرئ: تذهل كل مرضعة، على البناء للمفعول: وتذهل كل مرضعة، أي: تذهلها الزلزلة، والذهول: الذهاب عن الأمر مع دهشة.

فإن قلت: لم قيل: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ دون مرضع؟

قلت: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصَّبيّ، والمرضع: التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به[1]، فقيل: مرضعة؛ ليدل على

= باكياً من تلك الليلة... فذكر حديثاً طويلاً.

قال الزيلعي (٢/ ٣٧٧): غريب بهذا اللفظ اهـ.
وأخرج الترمذي (٥/ ٣٢٣) كتاب التفسير باب ومن سورة الحج حديث (٣١٦٩) من حديث الحسن عن عمران بن حصين قال: كنا مع النبي ـ ﷺ ـ في سفر فتفاوت بين أصحابه في السير، فرفع رسول الله ـ ﷺ ـ صوته بهاتين الآيتين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾، فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المطي، وعرفوا أنه عند قول يقول...». فذكر حديثاً طويلاً.
ورواه أيضاً النسائي في التفسير (٢/ ٨٢) رقم (٣٦٠)، وأحمد في المسند (٤/ ٤٣٢)، (٤/ ٤٣٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٨)، (٢/ ٢٣٣ ـ ٣٨٥)، (٤/ ٥٦٧).
قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأكثر أئمة البصرة على أن الحسن قد سمع من عمران، غير أن الشيخين لم يخرجاه» اهـ. ووافقه الذهبي.
قال الحافظ: هكذا ذكره الثعلبي والبغوي. قالا: روي عن عمران بن حصين وأبي سعيد الخدري وغيرهما أن هاتين الآيتين نزلتا ليلاً في غزوة بني المصطلق إلى آخره، قلت: وهو ملفق من حديثيه المذكورين. وثالثهما ابن عباس فيما رواه ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «بينما رسول الله ـ ﷺ ـ في مسيره في غزوة بني المصطلق إذ نزل عليه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ ـ إلى ـ ﴿شَدِيدٌ﴾، فوقف على ناقته، ورفع صوته ـ الحديث، ورواه الترمذي والنسائي والحاكم من طريق الحسن عن عمران بن حصين: «أن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو في بعض أسفاره وقد تقارب من أصحابه السير ورفع بهاتين صوته: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ ـ إلى قوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾، فلما سمع أصحابه بذلك حثوا المطيّ، وعرفوا أنه عنده قول يقول: فلما التفوا حوله قال: أتدرون أي يوم ذلك؟ يوم ينادي آدم ـ الحديث. وفيه: فأبلس أصحابه حتى ما أوضحوا بضاحكة. فلما رأى ذلك قال: اعلموا وأبشروا ـ الحديث. وأما آخره فلم أره. انتهى.

---

(١) قال محمود: «يقال مرضع على النسب ومرضعة على أصل اسم الفاعل» قال أحمد: والفرق بينهما أن وروده على النسب لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها، ولكن مقتضاه أنه موصوف بها، =

أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها، نزعته عن فيه، لما يلحقها من الدهشة، ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾: عن إرضاعها، أو عن الذي أرضعته وهو الطفل، وعن الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، قرئ: ﴿وَتَرَى﴾: بالضم من أريتك قائماً، أو رؤيتك قائماً[1]، و﴿ٱلنَّاسُ﴾: منصوب ومرفوع، والنصب ظاهر، ومن رفع جعل الناس اسم ترى، وأنثه على تأويل الجماعة، وقرئ: «سكرى»، و«بسكرى»، وهو نظير: جوعي وعطشى، في جوعان وعطشان، وسكارى وبسكارى؛ نحو: كسالى وعجالى، وعن الأعمش: «سكرى»، و«بسكرى»: بالضم، وهو غريب، والمعنى: وتراهم سكارى على التشبيه، وما هم بسكارى على التحقيق[2]؛ ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم، وطير تمييزهم، وردّهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه، وقيل وتراهم سكارى من الخوف، وما هم بسكارى من الشراب.

فإن قلت: لم قيل أوّلا: ترون، ثم قيل: ترى، على الإفراد؟

قلت: لأنّ الرؤية أوّلاً علقت بالزلزلة، فجعل الناس جميعاً رائين لها، وهي معلقة أخيراً بكون الناس على حال السكر، لا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾

قيل: نزلت في النضر بن الحارث، وكان جدلاً يقول: الملائكة بنات الله والقرآن:

= وعلى غير النسب يلاحظ حدوث الفعل وخروج الصفة عليه، وكذلك هو في الآية لقوله ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ فأخرج الصفة على الفعل، وألحقه التاء.

(١) قوله «أو رؤيتك قائما» لعله: أو رؤيت قائما. (ع)

(٢) قال محمود: «وقوله وترى الناس سكارى وما هم بسكارى: أثبت لهم أولا السكر المجازي، ثم نفى عنهم السكر الحقيقي» قال أحمد: والعلماء يقولون: إن من أدلة المجاز صدق نقيضه، كقولك: زيد حمار، إذا وصفته بالبلادة، ثم يصدق أن تقول: وما هو بحمار، فتنفي عنه الحقيقة، فكذلك الآية بعد أن أثبت السكر المجازى نفى الحقيقة أبلغ نفي مؤكد بالباء. والسر في تأكيده: التنبيه على أن هذا السكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء، وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله، والاستدراك بقوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ راجع إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ وكأنه تعليل لإثبات السكر المجازي، كأنه قيل: إذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود، فما هذا السكر الغريب وما سببه؟ فقال: سببه شدة عذاب الله تعالى، ونقل عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه أنه قال: هو الوقت الذي يقول كل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيه «نفسي نفسي».

أساطير الأولين، والله غير قادر على إحياء من بلى وصار تراباً، وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال، ولا يرجع إلى علم ولا يعضّ فيه بضرس قاطع، وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة، فهو يخبط خبط عشواء، غير فارق بين الحق والباطل، ﴿وَيَتَّبِعُ﴾: في ذلك خطوات ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ﴾: عات، علم من حاله وظهر وتبين أنه من جعله وليًا له لم تثمر له ولايته إلا الإضلال عن طريق الجنة والهداية إلى النار ٢/٢٧أ، وما أرى رؤساء أهل الأهواء[١] والبدع والحشوية المتلقبين بالإمامة في دين الله إلا داخلين تحت كل هذا دخولاً أوليًا، بل هم أشدّ الشياطين إضلالاً وأقطعهم لطريق الحق؛ حيث دوّنوا الضلال تدويناً، ولقنوه أشياعهم تلقيناً، وكأنهم ساطوه بلحومهم[٢] ودمائهم؛ وإياهم عنى من قال [من الطويل]:

وَيَـارُبَّ مَـقْـفُـوِّ الْـخُـطَـا بَـيْـنَ قَـوْمِـهِ ... طَـرِيـقُ نَـجَـاةٍ عِـنْـدَهُـمْ مُـسْـتَـوٍ نَـهْـجُ
وَلَـوْ قَـرَءُوا فِـي الـلَّـوْحِ مَـا خُـطَّ فِـيـهِ مِـنْ ... بَـيَـانِ اَعْـوِجَـاجٍ فِـي طَـرِيـقَـتِـهِ عَـجُّـوا[٣]

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سمواتك، وأنبيائك في أرضك، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، والكتبة عليه مثل، أي: كأنما كتب إضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله، وقرئ: «أنه»، «فأنه»: بالفتح والكسر، فمن فتح فلأن الأول: فاعل كتب، والثاني: عطف عليه[٤]، ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو؛ كأنما[٥] كتب عليه هذا الكلام، كما تقول: كتبت: إنّ الله هو الغني الحميد، أو على تقدير: قيل، أو على أن كتب فيه معنى القول.

---

(١) قوله «رؤساء أهل الأهواء» إن كان مراده أهل السنة كما هو عادته في الكتابة من التشنيع عليهم، فينبغي مطالبته بالفرق بينهم وبين المعتزلة، حتى استحقوا التشنيع دونهم. (ع)

(٢) قوله «وكأنهم ساطوه بلحومهم» أي خلطوه. (ع)

(٣) يا: للتنبيه أو للنداء. والمنادى محذوف. والمقفو: المتبوع. والخطا: جمع خطوة، مستعارة للأفعال بجامع التبعية في كل، وكذلك الطريق مستعار للقفو من حيث اتباعه فيها ودوامه عليها. مستو: مستقيم. والنهج والمنهج والمنهاج: الطريق الواضح. والاعوجاج مستعار للبس وللكذب. وعجوا: ضجوا وصاحوا.

(٤) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وهذا لا يجوز لأنك إذا جعلت فأنه عطفاً على أنه بقيت أنه بلا استيفاء خبر لأنَّ مَنْ تولاه مَنْ فيه مبتدأه فإنْ قدرتها موصولة فلا خبر لها حتى يستقل خبراً، لأنَّه وإنْ جعلتها شرطية فلا جواب لها إذ جعلت فإنَّه عطفاً على أنَّه، قلت: وقد ذهب ابن عطية إلى مثل قول الزمخشري فإنَّه قال: وأنَّه في موضع رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله، وأما الثانية عطف على الأولى مؤكد ومثلها وهذا رد واضح. انتهى. الدر المصون.

(٥) قوله «هو كأنما» لعله: أي كأنما. (ع)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ (٥)﴾

قرأ الحسن: (من البعث): بالتحريك، ونظيره: الجلب والطرد، في الجلب والطرد؛ كأنه قيل: إن ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم، والعلقة: قطعة الدم الجامدة، والمضغة: اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ، والمخلقة: المسواة الملساء من النقصان والعيب، يقال: خلق السواك والعود: إذا سواه وملسه، من قولهم: صخرة خلقاء، وإذا كانت ملساة؛ كأن الله ـ تعالى ـ يخلق المضغ متفاوتة: منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك، فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم، وصورهم وطولهم وقصرهم، وتمامهم ونقصانهم؛ وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾: بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا، وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولاً، ثم من نطفة ثانياً ولا تناسب بين الماء والتراب، وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر، ثم يجعل العلقة مضغة، والمضغة عظاما: قدر على إعادة ما أبدأه، بل هذا أدخل في القدرة من تلك، وأهون في القياس، وورود الفعل غير معدي إلى المبين: إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف، وقرأ ابن أبي عبلة: «ليبين لكم»، و«يقرّ»: بالياء، وقرئ: «ونقرّ»، و«نخرجكم»: بالنون والنصب، ، و«يقرّ»، و«يخرجكم»، و«يقرّ»، و«يخرجكم»: بالنصب والرفع، وعن يعقوب: «نقرّ»: بالنون وضم القاف، من قرّ الماء إذا صبه، فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقرّ، ﴿فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ﴾: أن يقرّه من ذلك، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر، أو تسعة، أو سنتين، أو أربع، أو كما شاء وقدّر، وما لم يشأ إقراره محته الأرحام أو أسقطته، والقراءة بالنصب: تعليل معطوف على تعليل، ومعناه: خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين، أحدهما: أن نبين قدرتنا، والثاني: أن نقر في الأرحام من نقرّ، حتى يولدوا وينشئوا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم؛ ويعضد هذه القراءة قوله: ﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ﴾ [الحج: ٥]، وحده؛ لأن الغرض الدلالة على الجنس، ويحتمل: نخرج كل واحد منكم طفلاً، الأشد: كمال القوة والعقل والتمييز، وهو من ألفاظ الجموع التي لم

يستعمل لها واحد كالأسدّة[1] والقتود والأباطيل وغير ذلك، وكأنها شدّة في غير شيء واحد، فبينت لذلك على لفظ الجمع، وقرئ: «ومنكم من يتوفى»، أي: يتوفاه الله، ﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: الهرم والخرف، حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفولته: ضعيف البنية، سخيف العقل، قليل الفهم، بين أنه كما قدر على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام، فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهي به إلى الحالة السفلى، ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾، أي: ليصير نساء، بحيث إذا كسب علماً في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته، يقول لك: من هذا؟ فتقول: فلان، فما يلبث لحظة إلا سألك عنه، وقرأ أبو عمرو: «العمْر»: بسكون الميم، الهامدة: الميتة اليابسة؛ وهذه دلالة ثانية على البعث، ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة، كررها الله في كتابه، ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾: تحرّكت بالنبات وانتفخت، وقرئ: «ربأت»، أي: ارتفعت، البهيج: الحسن السارّ للناظر إليه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾

أي: ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض، مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف، حاصل بهذا وهو السبب في حصوله، ولولاه لم يتصور كونه، وهو: ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: الثابت الموجود، وأنه قادر على إحياء ٢/٢٧ب الموتى وعلى كل مقدور، وأنه حكيم لا يخلف ميعاده، وقد وعد الساعة والبعث، فلا بدّ أن يفي بما وعد.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾

عن ابن عباس: أنه أبو جهل بن هشام، وقيل: كرر كما كررت سائر الأقاصيص، وقيل: الأوّل في المقلدين، وهذا في المقلدين، والمراد بالعلم: العلم الضروري،

---

(١) قوله «من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقتود والأباطيل» الذي في الصحاح «السدّ» بالفتح: واحد الأسدة وهي العيوب اهـ وهي مثل العمى والصمم والبكم على غير قياس، وكان قياسه: سدود. والقتد: خشب الرحل، وجمعه: قتود وأقتاد. والباطل: ضد الحق، والجمع أباطيل على غير قياس كأنهم جمعوا إبطيلا. وفيه أيضاً قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ أي قوته وهو واحد جاء على بناء الجمع، مثل «آنك» وهو الأسربّ، ولا نظير لهما، ويقال له: جمع لا واحد له من لفظه، مثل: أبابيل، وعباديد، ومذاكير. (ع)

وبالهدى: الاستدلال والنظر؛ لأنه يهدي إلى المعرفة، وبالكتاب المنير: الوحي، أي: يجادل بظن وتخمين، لا بأحد هذه الثلاثة، وثنى العطف: عبارة عن الكبر والخيلاء، كتصعير الخدّ وليّ الجيد، وقيل: عن الإعراض عن الذكر، وعن الحسن: «ثاني عطفه»، بفتح العين، أي: مانع تعطفه ﴿لِيُضِلَّ﴾: تعليل للمجادلة، قرئ بضم الياء وفتحها.

فإن قلت: ما كان غرضه من جداله الضلال: ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فكيف علل به؟ وما كان ـ أيضا ـ مهتدياً حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال؟

قلت: لما أدّى جداله إلى الضلال، جعل كأنه غرضه، ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل، جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال، وخزيه: ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل، والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة: هو ما قدمت يداه، وعدل الله في معاقبته الفجار وإثابته الصالحين.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾

﴿عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾: على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل؛ لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحسّ بظفر وغنيمه قرّ واطمأن، وإلا فرّ وطار على وجهه، قالوا: نزلت في أعاريب قدموا المدينة، وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهراً سرياً، وولدت امرأته غلاماً سويًا، وكثر ماله وماشيته، قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً، واطمأن، وإن كان الأمر بخلافه، قال: ما أصبت إلا شرًا، وانقلب، وعن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من اليهود أسلم فأصابته مصائب، فتشاءم بالإسلام، فأتى النبي ـ ﷺ ـ فقال: أقلني، فقال: «إِنَ الإِسْلامَ لاَ يُقَالُ» (٩٧٥)؛ فنزلت، المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج

---

٩٧٥ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٣٧٩) لابن مردويه في تفسيره، والواحدي في أسباب النزول، والحديث رواه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٦٨)، من حديث عنبسة أخو أبي ربيع السمان عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ـ ﷺ ـ أتاه يهودي فقال: يا رسول الله، اعرض عليّ الإسلام، فعرض عليه فأسلم فرجع إلى منزله، فأصيب في عينيه، وأصيب في بعض ولده، فرجع إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: أقلني فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الإسلام لا يقال إنك إن رجعت عن الإسلام ضربت عنقك مرتين، إن الإسلام يسبك الرجال يخرج خبثهم كما يخرج الكور ـ أو =

إلى ما يسخط الله: جامع على نفسه محنتين، إحداهما: ذهاب ما أصيب به، والثانية: ذهاب ثواب الصابرين، فهو خسران الدارين، وقرئ: «خاسر الدنيا والآخرة»: بالنصب والرفع، فالنصب: على الحال، والرفع: على الفاعلية، ووضع الظاهر موضع الضمير، وهو وجه حسن، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف، استعير ﴿ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾: من ضلال من أبعد في التيه ضالاً، فطالت وبعدت مسافة ضلالته.

فإن قلت: الضرر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين، وهذا تناقض.

قلت: إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم؛ وذلك أن الله ـ تعالى ـ سفه الكافر بأنه يعبد جمادًا لا يملك ضرًّا ولا نفعاً، وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به، ثم قال: يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ، حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها، ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها، ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾: أو كرّر يدعو، كأنه قال: يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه، ثم قال: لمن ضره بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شفيعاً لبئس المولى، وفي حرف عبد الله: «من ضره»: بغير لام، المولى: الناصر، والعشير: الصاحب؛ كقوله: ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ **[الزخرف: ٣٨]**.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾

هذا كلام قد دخله اختصار، والمعنى: إن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة، فمن كان يظنّ من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه، ويغيظه أنه يظفر بمطلوبه، فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في إزالة ما يغيظه، بأن يفعل ما يفعل من بلغ

= قال الكير ـ خبث الذهب والفضة والحديد إذا ألقي فيه».

قال: وهذا يروى بغير هذا الإسناد، وخلاف هذا اللفظ بإسناد أصلح من هذا.
قال الحافظ: هكذا ذكره الواحدي في الأسباب، لكن بغير إسناد فقال: روى عطية عن أبي سعيد، فذكره سواه وأخرجه ابن مردويه من رواية عطية عن أبي سعيد قال: «أسلم رجل من اليهود فذهب ماله وولده، وتشاءم بالإسلام ـ الحديث نحوه» وإسناده ضعيف وأخرج العقيلي من رواية عنبسة بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر قال: «أتى النبي ـ ﷺ ـ يهودي فأسلم على يديه، ثم رجع إلى منزله فأصيب في عينه وفي ولده، فرجع إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: أقلني ـ الحديث» ولم يذكر فيه نزول الآية. وعنبسة ضعيف جدًا. انتهى.

منه الغيظ كل مبلغ حتى مدّ حبلاً إلى سماء بيته فاختنق، فلينظر وليصوّر في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه؟ وسمى الاختناق قطعاً؛ لأنّ المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه، ومنه قيل للبهر: القطع[1]، وسمى فعله كيداً؛ لأنه وضعه موضع الكيد؛ حيث لم يقدر على غيره، أو على سبيل الاستهزاء؛ لأنه لم يكد به محسوده إنما كاد به نفسه، والمراد: ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظه، وقيل: فليمدد بحبل إلى السماء المظلة، وليصعد عليه فليقطع الوحي أو ينزل عليه، وقيل: كان قوم من المسلمين لشدّة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطؤن ما وعد الله رسوله من النصر، وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ألاّ يثبت أمره؛ فنزلت، ٢/ ٢٨أ وقد فسر النصر: بالرزق، وقيل: معناه: أن الأرزاق بيد الله، لا تنال إلا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته، فمن ظنّ أن الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام، فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق؛ فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يردّه مرزوقاً.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

أي: ومثل ذلك الإنزال أنزلنا القرآن كله، ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾: به الذين يعلم أنهم يؤمنون، أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى، أنزله كذلك مبينا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الأحوال والأماكن جميعاً، فلا يجازيهم جزاء واحداً بغير تفاوت، ولا يجمعهم في موطن واحد، وقيل: الأديان خمسة: أربعة للشيطان وواحد للرحمن، جعل الصابئون مع النصارى؛ لأنهم نوع منهم، وقيل: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾: يقضي بينهم، أي: بين المؤمنين والكافرين، وأدخلت: ﴿إِنَّ﴾ على كل واحد من جزأي الجملة؛ لزيادة التوكيد؛ ونحوه قول جرير [من البسيط]:

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرْبَلَهُ ... سِرْبَالَ مُلْكٍ بِهِ تُزْجَى الْخَوَاتِيمُ[2]

---

(١) قوله «ومنه قيل للبهر القطع» أي تتابع النفس. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) لجرير. وقوله: «إن الله سربله» خبر «إن» الأولى، وكررها لتوكيد التوكيد، وسربله: كساه بالملك الشبيه بالسربال. ويروى: سربال ملك به، أي: بذلك اللباس أو الملك، تزجى: أي تساق الخواتيم: جمع خاتم ـ بالفتح والكسر ـ والأصل: خواتم، فزيدت الياء. والمراد بها: عواقب الأمور الحميدة. وقال أبو حيان: يحتمل أن خبر إن قوله (به تزجى) وجملة «إن الله سربله» اعتراضية: ويروى: «به ترجى» بالراء، وليحرر. =

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾

سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها: سجوداً له؛ تشبيهاً لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد، وهو السجود الذي كل خضوع دونه.

فإن قلت: فما تصنع بقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، وبما فيه من الاعتراضين: أحدهما: أنّ السجود على المعنى الذي فسرته به، لا يسجده بعض الناس دون بعض، والثاني: أنّ السجود قد أسند على سبيل العموم إلى من في الأرض من الإنس والجن أولاً، فإسناده إلى كثير منهم آخراً مناقضة؟

قلت: لا أنظم كثيراً في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل؛ وإنما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله: ﴿يَسْجُدُ﴾ أي: ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة، ولم أقل: أفسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى: الطاعة والعبادة في حق هؤلاء؛ لأن اللفظ الواحد لا يصحّ استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين، أو أرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب؛ لأنّ خبر مقابله يدل عليه، وهو قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾، ويجوز أن يجعل ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: خبراً له، أي: من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون، ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب، فيعطف كثير على كثير، ثم يخبر عنهم بحقّ عليهم العذاب، كأنه قيل: وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب[1]، وقرئ: «حق»: بالضم، وقرئ: «حقًّا»، أي: حق عليهم العذاب حقًّا، ومن أهانه الله ـ بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره أو فسقه ـ فقد بقي مهانا[2]، لن تجد له مكرماً، وقرئ: «مكرَم»، بفتح الراء، بمعنى: الإكرام، إنه

= ينظر: ديوانه ص (٦٧٢)، وخزانة الأدب (١٠/ ٣٦٤ ـ ٣٦٨)، وأمالي الزجاجي ص (٦٢)، وتذكرة النحاة ص (١٣٠) ولسان العرب (ختم).

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ بعد أنْ حكى عن الزمخشري الوجهين الأخيرين قال: وهذان التخريجان ضعيفان ولم يُبَيّن وَجهَ ضَعْفِهما قلت أما أولهما فلا شك في ضعفه إذ لا فائدة طائلة في الإخبار بذلك، وأما الثاني فقد يظهر وذلك أنَّ التكرير يفيد التكثير وهو قريب من قولهم عندي ألفٌ وألفٌ. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «من كفره أو فسقه قد بقي مهانا» مبني على أن الفاسق واسطة بين المؤمن والكافر. وأنه يخلد في النار كالكافر، وهو مذهب المعتزلة، والحق عند أهل السنة أنه مؤمن، وإن دخل النار يخرج منها بالشفاعة أو بمجرد فضله تعالى. (ع)

﴿يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾: من الإكرام والإهانة؛ ولا يشاء من ذلك إلا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين.

﴿۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾

الخصم: صفة وصف بها الفوج أو الفريق، فكأنه قيل: هذان فوجان أو فريقان مختصمان، وقوله: (هذان): للفظ، و(اختصموا): للمعنى؛ كقوله: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ﴾ [محمد: ١٦]، ولو قيل: هؤلاء خصمان، أو اختصما: جاز، يراد المؤمنون والكافرون، قال ابن عباس: رجع إلى أهل الأديان الستة، ﴿فِي رَبِّهِمۡ﴾ أي: في دينه وصفاته، وروي أن أهل الكتاب قالوا للمؤمنين: نحن أحق بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد، وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسداً، فهذه خصومتهم في ربهم، ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾، وفي رواية عن الكسائي: «خصمان»: بالكسر، وقرئ: «قطعت»: بالتخفيف، كأنّ الله تعالى يقدّر لهم نيراناً على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة، ويجوز أن تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض؛ ونحوه: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ﴾ [إبراهيم: ٥٠]. ﴿ٱلۡحَمِيمُ﴾: الماء الحار، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها، ﴿يُصۡهَرُ﴾: يذاب، وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة، أي: إذا صبّ الحميم على رءوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر، فيذيب أحشاءهم وأمعاءهم كما يذيب جلودهم، وهو أبلغ من قوله: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٥]، والمقامع: السياط، في الحديث: «لَوْ وُضِعَتْ مُقْمَعَةٌ مِنْهَا فِي الأَرْضِ فَٱجْتَمَعَ عَلَيْهَا الثَّقَلاَنِ مَا أَقْلُوهَا»[1] (٩٧٦)،

---

٩٧٦ ـ أخرجه الحاكم (٤/ ٦٠٠) حدثنا والعباس محمد بن يعقوب ثنا بحر بن نصر الخولاني ثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: لو أن مقمصاً من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما اقلوه من الأرض». =

---

(١) وهو عند أحمد وأبي يعلى من رواية ابن لهيعة عن دراج. لفظه في قوله: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾﴾: لو وضع مقمع منها في الأرض... الحديث.

وقرأ الأعمش: «ردوا فيها»، والإعادة والرد لا يكون إلا بعد الخروج، فالمعنى: كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم فخرجوا أعيدوا فيها، ومعنى الخروج: ما يروى عن الحسن أنّ النار تضربهم ٢٨/٢ب بلهبها فترفعهم، حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً، (و) قيل لهم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾، والحريق: الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿يُحَلَّوْنَ﴾عن ابن عباس: من حليت المرأة فهي حال[1]، ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾: بالنصب على: «ويؤتون لؤلؤاً»؛ كقوله: «وحورا عيناً»، و«لؤلواً»: بقلب الهمزة الثانية واواً، ولولياً؛ بقلبهما واوين، ثم بقلب الثانية ياء كأدل، ولول كأدل فيمن جرّ، ولؤلؤ، وليليا، بقلبهما ياءين، عن ابن عباس: وهداهم الله وألهمهم أن يقولوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده، وهداهم إلى طريق الجنة، يقال: فلان يحسن إلى الفقراء وينعش المضطهدين، لا يراد حال ولا استقبال؛ وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه والنعشة في جميع أزمنته وأوقاته؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الصدود منهم مستمرّ دائم، ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتانىء[2] وطارىء ومكي وآفاقي، وقد استشهد به أصحاب أبي حنيفة قائلين: إنّ المراد بالمسجد الحرام: مكة، على امتناع جواز بيع دور مكة وإجارتها، وعند الشافعي: لا يمتنع ذلك،

= ورواه أحمد في المسند (٣/ ٢٩)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٢٦) رقم (١٣٨٨)، قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٥): «رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ضعفاء وقد وثقوا» اهـ.
قال الحافظ: وهو عند أحمد وأبي يعلى من رواية ابن لهيعة عن دراج. لفظه في قوله: (ولهم مقامع من حديد): لو وضع مقمع منها في الأرض... الحديث. انتهى.

(١) قوله «من حليت المرأة فهي حال» الذي في الصحاح: حليت المرأة، أي: صارت ذات حلي، هي حلية وحالية. (ع)

(٢) قوله «وتانىء» في الصحاح: تنأت بالبلد تنوءاً: قطنته. والناتىء من ذلك. (ع)
(تنبيه) ما في نسخ الكشاف «ابن عمر» تصحيف، وإنما هو «ابن عمرو».

وقد حاور إسحاق بن راهويه؛ فاحتج بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ [الحج: ٤٠]، وقال: أنسب الديار إلى مالكيها، أو غير مالكيها، واشترى عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ دار السجن من مالكيه أو غير مالكيه، ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب: قراءة حفص، والباقون على الرفع، ووجه النصب أنه ثاني مفعولي جعلناه، أي: جعلناه مستوياً، ﴿ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾: وفي القراءة بالرفع، الجملة مفعول ثان، الإلحاد: العدول عن القصد، وأصله: إلحاد الحافر، وقوله: ﴿بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ﴾: حالان مترادفتان، ومفعول (يرد): متروك ليتناول كل متناول، كأنه قال: ومن يرد فيه مراداً ما عادلاً عن القصد ظالماً، ﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ يعني: أنّ الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهمّ به ويقصده، وقيل: الإلحاد في الحرم: منع الناس عن عمارته، وعن سعيد بن جبير: الاحتكار، وعن عطاء: قول الرجل في المبايعة: «لا والله، وبلى والله»، وعن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان، أحدهما: في الحل، والآخر: في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، فقيل له، فقال: كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل: «لا والله، وبلى والله» ٩٧٧، وقرئ: «يرد»: بفتح الياء من الورود، ومعناه: من أتى فيه بإلحاد ظالماً، وعن الحسن: ومن يرد إلحاده بظلم، أراد: إلحاداً فيه، فأضافه على الاتساع في الظرف، كمكر الليل، ومعناه: من يرد أن يلحد فيه ظالماً، وخبر إن: محذوف؛ لدلالة جواب الشرط عليه، تقديره: إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم[1]، وكل من ارتكب فيه ذنباً فهو كذلك، عن ابن مسعود: الهمة في الحرم تكتب ذنباً.

---

٩٧٧ ـ أخرجه الطبري (٩/ ١٣٢) رقم (٢٥٠٢٨) من طريق مجاهد عن ابن عمرو قال: كان فسطاطان. . . فذكره. وعزاه ابن حجر، والزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف لأبي الوليد الأزرقي في تاريخ مكة. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٣٤)، وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن منيع =

---

(١) قال السمين الحلبي: الشيخ قال في تقدير الزمخشري بعد المسجد الحرام لا يصح قال، لأنَّ الذي صفة للمسجد الحرام فموضع التقدير هو بعد والباد يعني أنَّه يلزم من تقديره الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي وهو خبر إنَّ فيصير التركيب هكذا، إنَّ الذينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ الله والمَسْجد الحرام نُذِيقهُم مِنْ عَذَابٍ أليم الذي جَعَلْنَاهُ للنَّاس، وللزمخشري أن ينفصل عن هذا الاعتراض بأنَّ الذي جعلناه لا نسلم أنه نعت للمسجد حتى يلزم ما ذكر بل يجعله مقطوعاً عنه نصباً أو رفعاً ثم قال الشيخ لكن مقدر الزمخشري أحسن من مقدر ابن عطية لأنَّه يدل عليه الجملة الشرطية بعد من جهة لحظ وابن عطية لحفظ من جهة المعنى لأنَّ من أُذِيقَ العذاب خَسِرَ وَهَلِكَ. انتهى. الدر المصون.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾

واذكر حين جعلنا ﴿لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾: مباءة، أي: مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة، رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان، وكان من ياقوتة حمراء، فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج، كنست ما حوله، فبناه على أسه القديم، وأن هي المفسرة.

فإن قلت: كيف يكون النهي عن الشرك والأمر بتطهير البيت تفسيراً للتبوئة؟

قلت: كانت التبوئة مقصودة من أجل العبادة، فكأنه قيل: تعبدنا إبراهيم قلنا له: ﴿أَلَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾: من الأصنام والأوثان[1] والأقذار أن تطرح حوله، وقرئ: «يشرك»: بالياء على الغيبة.

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ﴾: ناد فيهم، وقرأ ابن محيصن: «وآذن»، والنداء بالحج: أن يقول: حجوا، أو عليكم بالحج، وروي أنه صعد أبا قبيس فقال: «يا أيها الناس، حجوا بيت ربكم» (٩٧٨)، وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله ـ ﷺ ـ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع (٩٧٩)، ﴿رِجَالًا﴾: مشاة جمع: راجل، كقائم وقيام، وقرئ: «رُجالاً»: بضم الراء مخفف الجيم ومثقلة، و«رجالى» كعجالى؛ عن ابن عباس، ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾: حال معطوفة على حال، كأنه قال: رجالاً وركبانا، ﴿يَأْتِينَ﴾: صفة لكل ضامر؛ لأنه في

= وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

قال الحافظ: أخرجه الطبري والأزرقي في تاريخ مكة من رواية شعبة عن منصور عن مجاهد قال: «كان لعبد الله بن عمرو بن العاص... فذكره». انتهى.

٩٧٨ ـ عزاه الحافظ والزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للثعلبي عن الحسن.

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي عن الحسن فذكره. وسنده إليه في أول الكتاب. انتهى.

٩٧٩ ـ ذكره السيوطي في الدر (٦٣٧/٤)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لما أمر الله إبراهيم أن ينادي في الناس بالحج صعد أبا قبيس فوضع أصبعيه في أذنيه: «إن الله كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم».

قال الحافظ: أخرجه الطبري عن ابن عباس، بلفظ: «قام عند الحجر».، وفي رواية: «عند مقامه. وقال: يا أيها الناس، حجوا بيت ربكم، فأجابوه: لبيك اللهم لبيك». انتهى.

---

(١) قوله «والأوثان» في الصحاح «الوثن»: الصنم. (ع)

معنى الجمع، وقرئ: «يأتون»: صفة للرجال والركبان، والعميق: البعيد، وقرأ ابن مسعود: «معيق»، يقال: بئر بعيدة العمق والمعق[1].

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾

نكر المنافع؛ لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات، وعن أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ: أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج، فلما حج فضل الحج على العبادات كلها؛ لما شاهد من تلك الخصائص، وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله؛ لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا، وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرّب به إلى الله أن يذكر اسمه، وقد حسن الكلام تحسيناً بيناً: أن جمع بين قوله: ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾، وقوله: ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُم﴾، ولو قيل: لينحروا في أيام معلومات بهيمة الأنعام ٢/٢٩أ، لم تر شيئاً من ذلك الحسن والروعة، الأيام المعلومات: أيام العشر عند أبي حنيفة؛ وهو قول الحسن وقتادة، وعند صاحبيه: أيام النحر، البهيمة: مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر، فبينت بالأنعام: وهي الإبل، والبقر، والضأن، والمعز، الأمر بالأكل منها أمر إباحة؛ لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم، ويجوز أن يكون ندباً؛ لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع، ومن ثمة استحب الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيته مقدار الثلث، وعن ابن مسعود أنه بعث بهدي، وقال فيه: إذا نحرته فكل وتصدّق وابعث منه إلى عتبة، يعني: ابنه ٩٨٠، وفي الحديث: «كُلُوا وَادَّخِرُوا وَائْتَجِرُوا»[2] (٩٨١).

---

٩٨٠ ـ أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٣٩٩) رقم (٩٧٠٢): حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن إبراهيم عن علقمة، أن عبد الله بعث معه بهدي فقال: كل أنت وأصحابك ثلثاً، وتصدق بثلثه، وابعث إلى آل أخي عتبة بثلث قيل لسفيان تطوع قال: نعم.
ورواه في (٩/ ٢٧٦) رقم (٩١٨١)، قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٣١): «رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح» اهـ.
قال الحافظ: أخرجه الطبري من رواية حبيب بن أبي ثابت عن إبراهيم عن علقمة ـ أن عبد الله بعث معه بهدي. فقال: كل أنت وأصحابك ثلثاً، وتصدق بثلث، وابعث إلى أخي عتبة بثلث.
تنبيه: وقع في نسخ الكشاف يعني ابنه وهو تحريف، وإنما هو أخوه. انتهى.
٩٨١ ـ أخرجه مالك (٢/ ٤٨٤) كتاب الضحايا: باب ادخار لحوم الأضاحي حديث (٧) ومن طريقه مسلم =

---

(١) قوله «بعيدة العمق والمعق» في الصحاح «المعق»: قلب العمق، والأمعاق: مثل الأعماق، وهو ما بعد من أطراف المفاوز. (ع)
(٢) قوله «وائتجروا» الظاهر أن المراد: اطلبوا الأجر بالصدقة. (ع)

﴿ٱلۡبَآئِسَ﴾: الذي أصابه بؤس، أي: شدة، و﴿ٱلۡفَقِيرَ﴾: الذي أضعفه الإعسار.

= (٣/ ١٥٦١) كتاب الأضاحي: باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء حديث (٢٨/ ١٩٧١) وأبو داود (٢/ ١٠٨ ـ ١٠٩) كتاب الأضاحي: باب في حبس لحوم الأضاحي رقم (٢٨١٢) والنسائي (٧/ ٢٣٥) كتاب الأضاحي: باب الادخار من الأضاحي (٤٤٣١) وأحمد (٦/ ٥١) والبيهقي (٩/ ٢٩٣) عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت: «دفَّ أهل أبيات من أهل البادية حضره الأضحى زمان رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «ادخروا ثلاثاً ثم تصدقوا بما بقي»، فلما كان بعد ذلك قالوا: يا رسول الله، إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم ويحملون منها الوذك. فقال: «وما ذاك» قالوا: نهيت أن تؤكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث. فقال: «إنما نهيتكم من أجل الدافة، فكلوا وادخروا وتصدقوا».

وأخرجه الدارمي (٢/ ٧٩) كتاب الأضاحي: باب في لحوم الأضاحي من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة بنحوه وأخرجه البخاري (١٠/ ٢٦) كتاب الأضاحي: باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها حديث (٥٥٧٠) والبيهقي (٩/ ٢٩٣) من طريق يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة قالت: الضحية كنا نملح منه فنقدم به إلى النبي ـ ﷺ ـ بالمدينة فقال: «لا تأكلوا إلا ثلاثة أيام»، وليست بعزيمة، ولكنه أراد أن نطعم منه.
وأخرجه البخاري (٩) كتاب الأطعمة: باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم (٥٤٢٣)، وأحمد (٦/ ١٢٧ ـ ١٢٨)، والنسائي (٧/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦)، كتاب الأضاحي: باب الادخار من الأضاحي (٤٤٣٣)، والبيهقي (٩/ ٢٩٢) من طريق عبد الرحمن بن عابس عن أبيه قال: قلت لعائشة: أنهى النبي ـ ﷺ ـ أن تؤكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث قالت: ما فعله إلا في عام جاع الناس فيه، فأراد أن يطعم الغني الفقير، وإن كنا لنرفع الكراع فنأكله بعد خمسة عشر قيل: ما اضطركم إليه: فضحكت قالت: «ما شبع آل محمد ـ ﷺ ـ من خبز بر مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله».
وأخرجه الترمذي (٤/ ٧٩) كتاب الأضاحي: باب في الرخصة في أكلها بعد ثلاث (١٥١١) عن عابس بن ربيعة قال: قلت لأم المؤمنين: أكان رسول الله ـ ﷺ ـ ينهى عن لحوم الأضاحي قالت: «لا ولكن قلَّ من كان يضحي من الناس فأحب أن يطعم من لم يكن يضحي، فلقد كنا نرفع الكراع فنأكله بعد عشرة أيام».
وقال الترمذي: هذا حديث صحيح وأم المؤمنين هي عائشة زوج النبي ـ ﷺ ـ وقد روي عنها هذا الحديث من غير وجه. وفي الباب عن جماعة من الصحابة وهم أبو سعيد الخدري وسلمة بن الأكوع وجابر وثوبان وبريدة.
حديث أبي سعيد الخدري:
أخرجه البخاري (١٠/ ٢٦) كتاب الأضاحي: باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها حديث (٥٥٦٨) والنسائي (٧/ ٢٣٣) كتاب الأضاحي: باب (٢٦) من طريق يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد عن ابن خباب أن أبا سعيد الخدري قدم من سفر فقدم إليه أهله لحماً من لحوم الأضاحي فقال: ما أنا بآكله حتى أسأل فانطلق إلى أخيه لأمه قتادة بن النعمان وكان بدرياً، فسأله عن ذلك فقال: إنه قد حدث بعدك أمر نقضاً لما كانوا نهوا عنه من أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام.
وأخرجه مسلم (٣/ ١٥٦٢) كتاب الأضاحي: باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي =

= بعد ثلاث وبيان نسخه (٣٣/ ١٩٧٣)، وأحمد (٣/ ٨٥)، وأبو يعلى (٢/ ٤١١) رقم (١١٩٦)، من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله - ﷺ -: «يا أهل المدينة لا تأكلوا لحوم الأضاحي فوق ثلاث»، فشكوا إلى رسول الله - ﷺ - أن لهم عيالاً وحشماً وخدماً، فقال: «كلوا وأطعموا وادخروا».

- وللحديث طريق آخر عن أبي سعيد:
أخرجه أحمد (٣/ ٢٣)، والنسائي (٧/ ٢٣٤) كتاب الأضاحي: باب (٢٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ١٨٦ - ١٨٧)، وأبو يعلى (٢/ ٢٨١) رقم (٩٩٧) من طريق سعد بن إسحاق قال: حدثتني زينب بنت كعب عن أبي سعيد، أن رسول الله - ﷺ - «نهى عن لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام ثم رخص أن نأكل وندخر» قال: فقدم قتادة بن النعمان أخو أبي سعيد فقدموا إليه قديد الأضحى، فقال: كأن هذا من قديد الأضحى قالوا: نعم. قال: أليس قد نهى عنه رسول الله - ﷺ - قال أبو سعيد: بلى إنه قد حدث فيه أمر كان نهانا عنه أن نحبسه فوق ثلاثة أيام، ورخص لنا أن نأكل وندخر.
حديث سلمة بن الأكوع:
أخرجه البخاري (١٠/ ٢٦) كتاب الأضاحي: باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها حديث (٥٥٦٩)، ومسلم (٣/ ١٥٦٣) كتاب الأضاحي: باب بيان النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث وبيان نسخه حديث (٣٤/ ١٩٧٤) عنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: من ضحى منكم فلا يصبحن في بيته بعد ثالثة شيئا فلما كان في العام المقبل قالوا: يا رسول الله نفعل كما فعلنا عام أول فقال: «لا إن ذاك عام كان الناس فيه بجهد، فأردت أن يفشوا فيهم».
حديث جابر:
أخرجه البخاري (١٠/ ٢٦) كتاب الأضاحي: باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها حديث (٥٥٦٧) ومسلم (٣/ ١٥٦٢) كتاب الأضاحي: باب بيان النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث وبيان نسخه حديث (٣٠ - ٣١/ ١٩٧٢)، وأحمد (٣/ ٣١٧ - ٣٧٨)، والدارمي (٢/ ٨٠) كتاب الضحايا: باب في لحوم الأضاحي، والبيهقي (٩/ ٢٩١)، من طريق عطاء عن جابر قال: كنا لا نأكل من لحوم بدننا فوق ثلاث منى، فأرخص لنا رسول الله - ﷺ - أن نتزود منها ونأكل منها.
وفي رواية من هذا الوجه: كنا نتزود لحوم الهدي على عهد رسول الله - ﷺ - إلى المدينة.
وأخرجه مالك (٢/ ٤٨٤) كتاب الضحايا: باب ادخار لحوم الأضاحي حديث(٦) ومن طريقه مسلم (٣/ ١٥٦٢) كتاب الأضاحي، باب: بيان النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث وبيان نسخه (٢٩/ ١٩٧٢)، والنسائي (٧/ ٢٣٣) كتاب الأضاحي باب (٢٦)، وأحمد (٣/ ٣٨٨)، والبيهقي (٩/ ٢٩١) عن أبي الزبير عن جابر عن النبي - ﷺ - أنه: «نهى عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث»، ثم قال بعد: «كلوا وتزودوا وادخروا».
حديث ثوبان:
أخرجه مسلم (٣/ ١٥٦٣) كتاب الأضاحي: باب بيان النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث وبيان نسخه حديث (٣٥/ ١٩٧٥)، وأحمد (٥/ ١٧٧)، وأبو داود (٢/) رقم (٢٨١٤) والنسائي في الكبرى (٢/ ٤٥٨)، والبيهقي (٩/ ٢٩١) من طريق معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن ثوبان قال: ذبح رسول الله - ﷺ - ضحيته، ثم قال: يا ثوبان أصلح لحم هذه فلم =

قضاء التفث: قص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد، والتفث: الوسخ، فالمراد: قضاء إزالة التفث، وقرئ: «وليوفوا»: بتشديد الفاء، ﴿نُذُورَهُمْ﴾: مواجب حجهم، أو ما عسى ينذرونه من أعمال البر في حجهم، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾: طواف الإفاضة، وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج، ويقع به تمام التحلل، وقيل: طواف الصدر، وهو طواف الوداع، ﴿الْعَتِيقِ﴾: القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس عن الحسن، وعن قتادة: أعتق من الجبابرة، كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله، وعن مجاهد: لم يملك قط، وعنه: أعتق من الغرق، وقيل: بيت كريم، من قولهم: عتاق الخيل والطير.

فإن قلت: قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع. قلت: ما قصد التسلط على البيت؛ وإنما تحصن به ابن الزبير، فاحتال لإخراجه ثم بناه، ولما قصد التسلط عليه أبرهة، فعل به ما فعل.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ

= أزل أطعمه منها حتى قدم المدينة.

وأخرجه مسلم (٣٦/ ١٩٧٥)، والدارمي (٢/ ٧٩) كتاب الأضاحي: باب في لحوم الأضاحي من طريق عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن ثوبان مولى رسول الله - ﷺ - قال: قال لي رسول الله - ﷺ - في حجة الوداع: «أصلح هذا اللحم» فلم يزل يأكل منه حتى بلغ المدينة.

حديث بريدة:

أخرجه مسلم (٣/ ١٥٦٣ - ١٥٦٤) كتاب الأضاحي: باب بيان النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث وبيان نسخه (٣٧/ ١٩٧٧)، والنسائي (٧/ ٢٣٤ - ٢٣٥) كتاب الأضاحي: باب (٢٦)، والترمذي (٤/ ٧٩)، كتاب الأضاحي: باب ما جاء في الرخصة في أكلها بعد ثلاث حديث (١٥١٠) من طريق ابن بريدة عن أبيه، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث ليتسع ذوو الطول على من لا طول له، فكلوا ما بدا لكم وأطعموا وادخروا».

وقال الترمذي: حسن صحيح.

قال الحافظ: أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، وإسحاق من رواية خالد الحذاء عن أبي المليح عن عتبة قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إنا كنا نهيناكم عن لحوم الأضاحي ألا تأكلوها فوق ثلاث لكي يسعكم، وقد جاء الله بالسعة فكلوا وادخروا وائتجروا: لفظ أبي داود. وليس عند مسلم والنسائي وابن ماجه: «وائتجروا»، والنسائي في رواية: «وتصدقوا»، وله شاهد عن أبي سعيد الخدري عن أحمد.

فائدة: قال في النهاية: ائتجروا، أي تصدقوا طالبين للأجر، وليس هو اتجر بالإدغام من التجارة وأجاز الهروي الإدغام، واستدل عليه بقوله: «من يتجر مع هذا فيصلي معه، ولا دلالة فيه، لأنه يحتمل أن يكون من التجارة. انتهى.

﴿لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر والشأن ذلك، كما يقدّم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال: هذا وقد كان كذا، والحرمة: ما لا يحل هتكه، وجميع ما كلفه الله ـ تعالى ـ بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها، فيحتمل أن يكون عامًّا في جميع تكاليفه، ويحتمل أن يكون خاصًّا فيما يتعلق بالحج، وعن زيد بن أسلم: الحرمات خمس الكعبة الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمحرم حتى يحل، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾: أي: فالتعظيم خير له، ومعنى التعظيم: العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها، المتلوّ لا يستثنى من الأنعام، ولكن المعنى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: آية تحريمه؛ وذلك قوله في سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾، والمعنى: أنّ الله قد أحل لكم الأنعام كلها إلا ما استثناه في كتابه، فحافظوا على حدوده، وإياكم أن تحرموا ما أحل شيئاً، كتحريم عبدة الأوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك، وأن تحلوا مما حرم الله، كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك.

لما حث على تعظيم حرماته وأحمد من يعظمها[1]، أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور؛ لأن توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول، أعظم الحرمات وأسبقها خطوا، وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد، وذلك أنّ الشرك من باب الزور؛ لأن المشرك زاعم أنّ الوثن تحق له العبادة، فكأنه قال: فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور، واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئاً منه؛ لتماديه في القبح والسماجة، وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان، وسمى الأوثان رجساً، وكذلك الخمر والميسر والأَزلام، على طريق التشبيه، يعني: أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه، فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة، ونبه على هذا المعنى بقوله: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، جعل العلة في اجتنابه أنه رجس، والرجس مجتنب، ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾: بيان للرجس وتمييز له؛ كقولك: عندي عشرون من الدراهم؛ لأنّ الرجس مبهم يتناول غير شيء، كأنه قيل: فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، والزور من الزور والازورار وهو الانحراف، كما أنّ الإفك من أفكه: إذا صرفه، وقيل: (قول الزور): قولهم: هذا حلال وهذا حرام، وما أشبه ذلك من افترائهم، وقيل: شهادة الزور، عن

---

(١) قوله «وأحمد من يعظمها» في الصحاح «أحمدته»: وجدته محموداً موافقاً مرضيا. (ع)

النبي ـ ﷺ ـ أنه صلى الصبح، فلما سلم قام قائماً واستقبل الناس بوجهه، وقال: «عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الإِشْرَاكَ بِاللَّهِ، عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الإِشْرَاكَ بِاللَّهِ، عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الإِشْرَاكَ بِاللَّهِ» ٩٨٢ح، وتلا هذه الآية، وقيل: الكذب والبهتان، وقيل: قول أهل الجاهلية في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق، فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال: من أشرك بالله، فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بصورة حال من خرّ من السماء فاختطفته الطير، فتفرق مزعاً[1] في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح[2] البعيدة، وإن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوّح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة[3]، وقرئ: «فتخطفه»: بكسر الخاء والطاء، وبكسر التاء مع كسرهما؛

---

٩٨٢ ـ روي من حديث خريم بن فاتك. رواه أبو داود (٢/ ٣٢٩) كتاب الأقضية، باب في شهادة الزور حديث (٣٥٩٩) حدثنا يحيى بن موسى البلخي ثنا محمد بن عبيد حدثني سفيان ـ يعني العصفري ـ عن أبيه عن حبيب بن النعمان الأسدي عن خريم بن فاتك قال: صلى رسول الله ـ ﷺ ـ صلاة الصبح، فلما انصرف قام قائماً فقال: «عدلت شهادة الزول بالإشراك بالله» ثلاث مرار، ثم قرأ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾.

ورواه الترمذي (٤/ ٥٤٧) كتاب الشهادات، باب ما جاء في شهادة الزور حديث (٢٣٠٠)، وابن ماجه (٢/ ٧٩٤) كتاب الأحكام، باب شهادة الزور (٢٣٧٢)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٢١ ـ ٣٢٢)، والطبراني في الكبير (٤/ ٢٠٩) رقم (٤١٦٢)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٢٢٣) رقم (٤٨٦١)، والطبري في التفسير (٩/ ١٤٤) رقم (٢٥١٣٦)، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٣٨٣) لابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه في مسنديهما.

ثم قال: «وعزاه المنذري في مختصره للترمذي ولم أجده ولا عزاه ابن عساكر في الأطراف إليه، بل عزاه لأبي داود وابن ماجه فقط» اهـ.

قلت: لم تفرد الحافظ في التلخيص للترمذي أيضاً، بل عزاه لأبي داود وابن ماجه وأحمد فقط، ومع ذلك فالحديث رواه الترمذي كما سبق رقم (٢٣٠٠) كتاب الشهادات، باب شهادة الزور قال: حدثنا عبد بن حميد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا سفيان وهو ابن زياد العصفري عن أبيه عن حبيب بن النعمان الأسدي عن خريم بن فاتك الأسدي به مرفوعاً. =

---

(١) قوله «مزعا» مفرده «مزعة» بالضم. أي: قطعة لحم كما في الصحاح. (ع)

(٢) قوله «والمطاوح» أي المقاذف. وطاح يطوح ويطيح: هلك وسقط. وطوحته الطوائح: قذفته القواذف، كذا في الصحاح أيضاً. (ع)

(٣) قال محمود: «ويجوز في هذا التشبيه أن يكون مركباً ومفرقاً، فإن كان مركباً فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بصورة من خر من السماء فاختطفته =

وهي قراءة الحسن، وأصلها ٢/ ٢٩ب تختطفه، وقرئ: «الرياح».

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى

= والحديث رواه الترمذي (٤/ ٥٤٧)، كتاب الشهادات، باب شهادة الزور حديث (٢٢٩٩).
وابن جرير الطبري (٩/ ١٤٤ ـ ١٤٥) رقم (٢٥١٣٧) عن أيمن بن خريم أن النبي ـ ﷺ ـ قام خطيباً. . . فذكر الحديث.
قال الترمذي: «وهذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد، واختلفوا في رواية الحديث عن سفيان بن زياد ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعاً من النبي ـ ﷺ ـ وقد اختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد».
قال الحافظ: أخرجه أبو داود، وأحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة من رواية سفيان بن زياد العصفري عن أبيه عن حبيب بن النعمان عن خريم بن فاتك. وأخرجه الترمذي من رواية العصفري عن فاتك بن فضالة عن أنس بن خريم كذا قال. انتهى.

= الطير فصيرته مزعا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة، وإن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء «والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، وشبه الأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة» قال أحمد: أما على تقدير أن يكون مفرقاً، فيحتاج تأويل تشبيه المشرك بالهاوي من السماء إلى التنبيه على أحد أمرين: إما أن يكون الإشراك المراد ردته، فإنه حينئذٍ كمن علا إلى السماء بإيمانه ثم هبط بارتداده. وإما أن يكون الإشراك أصلياً، فيكون قد عد تمكن المشرك من الإيمان ومن العلو به ثم عدوله عنه اختياراً، بمنزلة من علا إلى السماء ثم هبط كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ فعدهم مخرجين من النور وما دخلوه قط، ولكن كانوا متمكنين منه. وقد مضى تقرير هذا المعنى بأبسط من هذا. وفي تقريره تشبيه الأفكار المتوزعة للكافر بالطير المختطفة، وفي تشبيه تطويح الشيطان بالهوى مع الريح في مكان سحيق: نظر؛ لأن الأمرين ذكرا في سياق تقسيم حال الكافر إلى قسمين، فإذا جعل الأول مثلاً لاختلاف الأهواء والأفكار. والثاني مثلا لنزغ الشيطان: فقد جعلهما شيئاً واحداً، لأن توزع الأفكار واختلاف الأهواء، مضاف إلى نزغ الشيطان، فلا يتحقق التقسيم المقصود. والذي يظهر في تقرير التشبيهين غير ذلك، فنقول: لما انقسمت حال الكافر إلى قسمين لا مزيد عليهما، الأول منهما: المتذبذب والمتمادي على الشك وعدم التصميم على ضلالة واحدة، فهذا القسم من المشركين مشبه من اختطفته الطير وتوزعته فلا يستولي طائر على مزعة منه إلا انتهبها منه آخر، وذلك حال المذبذب لا يلوح له خيال إلا اتبعه ونزل عما كان عليه. والثاني مشرك مصمم على معتقد باطل، لو نشر بالمناشير لم يكع ولم يرجع لا سبيل إلى تشكيكه ولا مطمع في نقله عما هو عليه، فهو فرح مبتهج لضلالته، فهذا مشبه في إقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح إلى واد سافر فاستقر فيه. ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق الذي هو أبعد الأخباء عن السماء: وصف ضلاله بالبعد في قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ «وَضَلُّوا ضَلالاً بَعِيدًا» أي صمموا على ضلالهم فبعد رجوعهم إلى الحق، فهذا تحقيق القسمين، والله أعلم.

تعظيم الشعائر ـ وهي الهدايا؛ لأنها من معالم الحج ـ: أن يختارها عظام الأجرام حساناً سماناً غالية الأثمان، ويترك المكاس في شرائها، فقد كانوا يغالون في ثلاث ـ ويكرهون المكاس فيهنّ ـ: الهدي، والأضحية، والرقبة، وروى ابن عمر عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار، فسأل رسول الله ـ ﷺ ـ أن يبيعها ويشتري بثمنها بدناً، فنهاه عن ذلك، وقال: «بَلْ أَهْدِهَا» (٩٨٣)، وأهدى رسول الله ـ ﷺ ـ مائة بدنة، فيها جمل لأبي جهل في أنفه برّة من ذهب (٩٨٤)، وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي[1]، فيتصدّق بلحومها وبجلالها (٩٨٥)، ويعتقد أن طاعة الله في التقرّب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بدّ أن يقام به ويسارع فيه، ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ أي: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه

---

٩٨٣ ـ قال الحافظ: تقدم الكلام عليه في أثناء سورة البقرة. انتهى.

٩٨٤ ـ أخرجه البخاري (٣/٥٥٧)، كتاب الحج: باب يتصدق بجلال البدن، حديث (١٧١٨)، من حديث علي قال: «أهدى النبي ـ ﷺ ـ مائة بدنة فأمرني بلحومها فقسمتها ثم أمرني بجلالها فقسمتها ثم بجلودها فقسمتها».

وهو في صحيح مسلم (٢/ ٩٥٤): كتاب الحج، باب في الصدقة بلحومها الهدي وجلودها وجلالها، حديث (١٣٦٧/٣٤٨)، دون ذكر العدد.

وأخرجه أيضاً أبو داود (١٧٦٩)، وابن ماجه (٣٠٩٩)، والدارمي (١/ ٣٩٩)، وابن الجارود (٤٨٢)، وابن خزيمة (٤/ ٢٩٥)، والبيهقي (٩/ ٢٩٤)، من طريق مجاهد، عن ابن أبي ليلى، عن علي به.

قال الحافظ: أخرجه إسحاق والبزار من حديث علي، وفي الباب عن جابر قال: كان جميع ما جاء به مائة بدنة فيها جمل في أنفه برة من فضة أخرجه الحاكم والطبراني من رواية زيد بن الحباب عن الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عنه قال البخاري: هذا خطأ من زيد. وإنما هو عن الثوري عن أبي إسحاق عن مجاهد مرسلاً. وقد جاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: «أهدى رسول الله ـ ﷺ ـ في هداياه جملا كان لأبي جهل في رأسه برة من ذهب، ليغيظ به المشركين» أخرجه أبو داود والحاكم وأبو يعلى والطبراني. انتهى.

٩٨٥ ـ أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٣٧٩) كتاب الحج، باب العمل في الهدي حين يساق حديث (١٤٦).
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/٣٨٦)، لابن أبي شيبة في المصنف، وأبي الوليد الأزرقي في تاريخ مكة.

قال الحافظ: أخرجه مالك في الموطأ عن نافع عنه بهذا وأتم منه ـ ورواه ابن أبي شيبة من طريق فليح عن نافع نحوه. انتهى.

---

(١) قوله «مجللة بالقباطي» في الصحاح: القبط أهل مصر. والقبطية: ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر والجمع قباطي. (ع)

المضافات، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها؛ لانه لا بد من راجع من الجزاء إلى: (من)؛ ليرتبط به؛ وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت، ظهر أثرها في سائر الأعضاء، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها، و﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الوقت، فاستعيرت للتراخي في الأحوال، والمعنى: أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم؛ وإنما يعتدّ الله بالمنافع الدينية؛ قال سبحانه: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطاً في النفع: ﴿مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ﴾، أي: وجوب نحرها، أو وقت وجوب نحرها في الحرم منتهية إلى البيت؛ كقوله: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، والمراد: نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت؛ لأن الحرم هو حريم البيت؛ ومثل هذا في الاتساع قولك: بلغنا البلد، وإنما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده، وقيل: المراد بالشعائر: المناسك كلها، و(محلها إلى البيت العتيق): يأباه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له، أي: يذبحوا لوجهه على وجه التقرّب، وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك، وقرئ: (منسكا): بفتح السين وكسرها، وهو مصدر بمعنى: النسك، والمكسور يكون بمعنى: الموضع، ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ أي: أخلصوا له الذكر خاصة، واجعلوه لوجهه سالما، أي: خالصاً لا تشوبوه بإشراك.

المخبتون: المتواضعون الخاشعون، من الخبت وهو المطمئن من الأرض، وقيل: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا، وقرأ الحسن: (والمقيمي الصلاة): بالنصب على تقدير النون، وقرأ ابن مسعود: «والمقيمين الصلاة»: على الأصل.

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَٱلْبُدْنَ﴾: جمع بدنة؛ سميت لعظم بدنها وهي الإبل خاصة، ولأن رسول الله ـ ﷺ ـ ألحق البقر بالإبل حين قال: «الْبَدَنَةُ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةُ عَنْ سَبْعَةٍ» (٩٨٦)، فجعل البقر في حكم الإبل، صارت البدنة في الشرعية متناولة للجنسين

---

٩٨٦ ـ أخرجه مالك (٢/٤٨٦) كتاب الضحايا ـ باب الشركة في الضحايا حديث (٩)، وأحمد (٣/٣٥٣) =

عند أبي حنيفة وأصحابه، وإلا فالبدن هي الإبل وعليه تدل الآية، وقرأ الحسن: «والبُدُن»:

= ـ ٣٦٣) ومسلم (٢/ ٩٥٥) كتاب الحج ـ باب الإشراك في الهدي ـ حديث (١٣١٨/٣٥٠). وأبو داود (٣/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) كتاب الضحايا ـ باب في البقر والجزور عن كم تجزىء حديث (٢٨٠٩)، والترمذي (٤/ ٨٩) كتاب الأضاحي باب ما جاء في الاشتراك في الأضحية حديث (١٥٠٢)، وابن ماجه (٢/ ١٠٤٧) كتاب الأضاحي ـ باب عن كم تجزىء البدنة والبقرة حديث (٣١٣٢)، والبيهقي (٩/ ٢٩٤) كتاب الضحايا ـ باب الاشتراك في الهدي والأضحية.

من طريق أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: نحرنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ عام الحديبية البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة.

وأخرجه مسلم (٢/ ٩٥٥) كتاب الحج: باب الاشتراك في الهدي. . . حديث (١٣١٨/٣٥٣) وأحمد (٣/ ٣٧٨) وابن الجارود (٤٧٩) وابن خزيمة (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) رقم (٢٩٠٠) والبيهقي (٩/ ٢٩٥) كتاب الضحايا: باب الاشتراك في الهدي والأضحية من طريق ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: «اشتركنا مع النبي ـ ﷺ ـ في الحج والعمرة، كل سبعة في بدنة، فقال رجل لجابر: يشترك في البدنة ما يشترك في الجزور قال: ما هي إلا من البدن».

وأخرجه ابن خزيمة (٤/ ٢٨٨) رقم (٢٩٠١) من طريق عمرو بن الحارث ومالك بن أنس عن أبي الزبير عن جابر به.

وأخرجه مسلم (٢/ ٩٥٥) كتاب الحج: باب الاشتراك في الهدي ـ حديث (١٣١٨/٣٥٢) من طريق عزرة بن ثابت عن أبي الزبير عن جابر وأخرجه أيضاً (١٣١٨/٣٥١) من طريق زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر ورواه من هذا الطريق أيضاً أحمد (٣/ ٢٩٢) والبيهقي (٥/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦)، وقد توبع أبو الزبير على هذا الحديث تابعه عطاء بن أبي رباح وأبو سفيان والشعبي وسليمان بن قيس.

متابعة عطاء:

أخرجها مسلم (٢/ ٩٥٦) كتاب الحج: باب الاشتراك في الهدي، حديث (١٣١٨/٣٥٥)، وأبو داود (٢/ ١٠٨) كتاب الضحايا: باب في البقر والجزور حديث (٢٨٠٧)، والنسائي (٧/ ٢٢٢) كتاب الضحايا: باب ما تجزىء عنه البقرة في الضحايا، وأحمد (٣/ ٢٦٣)، والدارقطني (٢/ ٤٧) العيدين، وابن خزيمة (٤/ ٢٨٨) رقم (٢٩٠٢). وأبو يعلى (٤/ ٣١) رقم (٢٠٣٤)، والبيهقي (٩/ ٢٩٥) من طريق هشيم عن عبد الملك عن عطاء عن جابر قال: «كنا نتمتع مع رسول الله ـ ﷺ ـ بالعمرة فنذبح البقرة عن سبعة نشترك فيها».

متابعة أبي سفيان:

أخرجها أحمد (٣/ ٣١٦) من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر به.

متابعة عامر الشعبي:

أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٥) والدارقطني (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي عن جابر به. ومجالد بن سعيد فيه ضعف.

متابعة سليمان بن قيس:

أخرجها أحمد (٣/ ٣٥٣ ـ ٣٦٤) والطيالسي (١/ ٢٢٩ ـ منحة) رقم (١١٠٣) من طريق أبي عوانة حدثنا أبو بشر عن سليمان بن قيس عن جابر به.

قال الحافظ: لم أره مرفوعاً من لفظه. نعم أخرجه أبو داود بلفظ: «الجزور عن سبعة»، وأخرجه مسلم وأصحاب السنن من رواية مالك عن أبي الزبير عن جابر قال: «نحرنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة» وفي الباب عن ابن مسعود عند الطبراني. انتهى.

بضمتين، كثمر في جمع ثمرة، وابن أبي إسحاق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف، وقرئ بالنصب والرفع؛ كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ [يس: ٣٩]، ﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي: من أعلام الشريعة التي شرعها الله، وإضافتها إلى اسمه؛ تعظيم لها، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾؛ كقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ [الحج: ٣٣]، ومن شأن الحاج أن يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله، عن بعض السلف أنه لم يملك إلا تسعة دنانير، فاشترى بها بدنة، فقيل له في ذلك، فقال: سمعت ربي يقول: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج: ٣٦]، وعن ابن عباس: دنيا وآخرة، وعن إبراهيم: من احتاج إلى ظهرها ركب، ومن احتاج إلى لبنها شرب، وذكر اسم الله: أن يقول عند النحر: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، اللهم، منك وإليك، ﴿صَوَآفَّ﴾: قائمات، قد صففن أيديهنّ وأرجلهنّ، وقرئ: «صوافن»: من صفون الفرس، وهو: أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه؛ لأن البدنة تعقل إحدى يديها تقوم على ثلاث، وقرئ: «صوافي»، أي: خوالص لوجه الله، وعن عمرو بن عبيد: «صوافناً»: بالتنوين عوضاً من حرف الإطلاق عند الوقف، وعن بعضهم: صواف[1]؛ نحو مثل العرب، أعط القوس باريها، بسكون الياء.

وجوب الجنوب: وقوعها على الأرض، من وجب الحائط وجبة إذا سقط، ووجبت الشمس جبة: غربت، والمعنى: فإذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها[2] حل لكم الأكل منها والإطعام، ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: السائل، من قنعت إليه وكنعت: إذا خضعت له وسألته قنوعاً ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: المعترض بغير سؤال، أو القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال، من قنعت قنعاً وقناعة، والمعتر: المعترض بسؤال، وقرأ الحسن: والمعتري، وعرّه وعراه واعتراه واعتره: بمعنى، وقرأ أبو رجاء: «القنع»، وهو الراضي لا غير، يقال: قنع فهو قنع وقانع.

مَنَّ الله على عباده واستحمد إليهم بأن سخر لهم البدن مثل التسخير الذي رأوا وعلموا، يأخذونها منقادة للأخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها، ثم يطعنون في لبانها، ولولا تسخير الله لم تطق، ولم نكن بأعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر منها جرماً وأقل ٢/ ٣٠أ قوّة، وكفى بما يتأبد من الإبل شاهداً وعبرة.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا

---

(١) قوله «صواف» لعله: صوافي، بالسكون. (ع)

(٢) قوله «وسكنت نسائسها» في الصحاح «النسيسة، والنسيس» الإيكال بين الناس، والنسائس: النمائم. والنسيس: بقية الروح. وفيه أيضاً «الإيكال بين الناس» السعي بينهم. (ع)

﴿اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

أي: لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر، والمراد أصحاب اللحوم والدماء، والمعنى: لن يرضي المضحون والمقرّبون ربهم إلا بمراعاة النية والإخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به، وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع، فإذا لم يراعوا ذلك، لم تغن عنهم التضحية والتقريب وإن كثر ذلك منهم، وقرئ: «لن تنال الله»، ولكن تناله: بالتاء والياء، وقيل: كان أهل الجاهلية إذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم، فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك؛ فنزلت.

كرّر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال: لتشكروا الله على هدايته إياكم لأعلام دينه ومناسك حجه، بأن تكبروا وتهللوا، فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر، وعدى تعديته.

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾

خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم؛ كما قال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٥١]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الصافات: ١٧٢]، وقال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الجمعة: ١٣]، وجعل العلة في ذلك أنه لا يحب أضدادهم: وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها[1]، ومن قرأ: (يدافع)، فمعناه: يبالغ في الدفع عنهم، كما يبالغ من يغالب فيه؛ لأن فعل المغالب يجيء أقوى وأبلغ.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَأُذِنَ﴾، و﴿يُقَاتَلُونَ﴾: قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعاً، والمعنى:

---

(١) قوله «ويغمطونها» أي: يحقرونها. (ع)

إذن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه؛ لدلالة يقاتلون عليه، ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ أي: بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ: كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديداً، وكانوا يأتون رسول الله ـ ﷺ ـ: من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، فيقول لهم: «اَصْبِرُوا؛ فَإِنِّي لَمْ أُومَرْ بِالْقِتَالِ» ح حَتَّى هاجر؛ فأنزلت هذه الآية (٩٨٧)، وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية، وقيل: نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم في مقاتلتهم، والأخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة، وما مرّ من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة، أيضاً، ﴿أَن يَقُولُوا۟﴾: في محل الجرّ على الإبدال من (حق) أي: بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير، ومثله: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ **[المائدة: ٥٩]**.

دفع الله بعض الناس ببعض: إظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة، ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم، وعلى متعبداتهم فهدموها، ولم يتركوا للنصارى بيعاً، ولا لرهبانهم صوامع، ولا لليهود صلوات، ولا للمسلمين مساجد، أو لغلب المشركون من أمّة محمد ـ ﷺ ـ على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين، وقرئ: «دفاع»، و«لهدمت»: بالتخفيف، وسميت الكنيسة «صلاة»، لأنه يصلى فيها، وقيل: هي كلمة معرّبة، أصلها بالعبرانية: صلوثا، ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: ينصر دينه وأولياءه: هو إخبار من الله ـ عز وجل ـ بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين ـ رضي الله عنهم ـ إن مكنهم

---

٩٨٧ ـ قال الحافظ لم أجده هكذا. وقال الزيلعي (١/ ٣٨٨): «غريب جداً، وعزاه الواحدي في الوسيط للمفسرين».
قال الواحدي (٣/ ٢٧٣): «قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب النبي ـ ﷺ ـ فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوب، ويشكون ذلك فيقول لهم النبي ـ ﷺ ـ «اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجروا» فأنزل الله هذه الآية اهـ.
قال الحافظ: لم أجده هكذا. وعزاه الواحدي في الوسيط للمفسرين. قلت: هو منتزع من أحاديث: أقربها ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾، وذلك أن مشركي أهل مكة كانوا يؤذون المسلمين بمكة، فاستأذنوا النبي ـ ﷺ ـ في قتالهم بمكة. فنهاهم النبي ـ ﷺ ـ عن ذلك فلما خرج النبي ـ ﷺ ـ إلى المدينة أنزل الله عليه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾، وذكر الطبري أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ استأذنوا رسول الله ـ ﷺ ـ في قتال الكفار إذا رأوهم وسطوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة وعسرا: فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾، فلما هاجروهم أحلوهم مالهم وقتالهم فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ الآية. انتهى.

في الأرض وبسط لهم في الدنيا، وكيف يقومون بأمر الدين، وعن عثمان ـ رضي الله عنه ـ: هذا والله ثناء قبل بلاء، يريد: أنّ الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا، وقالوا: فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين؛ لأنّ الله لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين، لاحظ في ذلك للأنصار والطلقاء، وعن الحسن: هم أمة محمد ـ ﷺ ـ وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: منصوب بدل من قول من ينصره، والظاهر أنه مجرور، تابع للذين أخرجوا، ﴿وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: مرجعها إلى حكمه وتقديره، وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾

يقول لرسوله ـ ﷺ ـ تسلية له: لست بأوحدى في التكذيب؛ فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم، وكفاك بهم أسوة.

فإن قلت: لم قيل: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾، ولم يقل: وقوم موسى؟

قلت: لأنّ موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل؛ وإنما كذبه غير قومه وهم القبط، وفيه شيء آخر، كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم، وكذب موسى ـ أيضاً ـ مع وضوح آياته[1]، وعظم معجزاته، فما ظنك بغيره؟

النكير: بمعنى الإنكار والتغيير، حيث أبدلهم بالنعمة محنة، وبالحياة هلاكاً، وبالعمارة خراباً.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم، فهو «عرش»، والخاوي:

---

(١) قال محمود: فإن قلت: لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى بدون تكرير التكذيب؟ قلت: لأن قوم موسى هم بنو إسرائيل ولم يكذبوه، وإنما كذبه القبط. أو لأن آيات موسى كانت باهرة ظاهرة فكأنه قال: وكذب موسى أيضاً على ظهور آياته، قال أحمد: ويحتمل عندي ـ والله أعلم ـ أنه لما صدر الكلام بحكاية تكذيبهم ثم عدد أصناف المكذبين وطوائفهم ولم ينته إلى موسى إلا بعد طول الكلام، حسن تكريره ليلي قوله: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ فيتصل المسبب بالسبب، كما قال في آية ق بعد تعديدهم ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ فربط العقاب والوعيد ووصلهما بالتكذيب، بعد أن جدد ذكره، والله أعلم.

الساقط، ٢/ ٣٠ب من خوى النجم إذا سقط، أو الخالي: من خوى المنزل: إذا خلا من أهله، وخوى بطن الحامل، وقوله: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: لا يخلو من أن يتعلق بخاوية، فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها، أي: خرّت سقوفها على الأرض، ثم تهدّمت حيطانها فسقطت فوق السقوف، أو أنها ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها، وإما أن يكون خبراً بعد خبر، كأنه قيل: هي خالية، وهي على عروشها، أي: قائمة مطلة على عروشها، على معنى: أنّ السقوف سقطت إلى الأرض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة.

فإن قلت: ما محل الجملتين من الإعراب، أعني: (وهي ظالمة، فهي خاوية)؟

قلت: الأولى: في محل النصب على الحال، والثانية: لا محلّ لها؛ لأنها معطوفة على أهلكناها، وهذا الفعل ليس له محل، قرأ الحسن: «معطلة»: من أعطله، بمعنى: عطله، ومعنى المعطلة: أنها عامرة فيها الماء، ومعها آلات الاستقاء؛ إلا أنها عطلت، أي: تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها، والمشيد: المجصص أو المرفوع البنيان، والمعنى: كم قرية أهلكنا؟ وكم بئر عطلنا عن سقاتها؟ وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه؟ فترك ذلك؛ لدلالة معطلة عليه، وفي هذا دليل على أنّ (على عروشها) بمعنى: «مع» أوجه، روي أنّ هذه بئر نزل عليها صالح ـ عليه السلام ـ مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به، ونجاهم الله من العذاب، وهي بحضرموت؛ وإنما سميت بذلك لأنّ صالحاً حين حضرها مات، وثمة بلدة عند البئر اسمها: «حاضوراء» بناها قوم صالح، وأمّروا عليهم جلهس بن جلاس، وأقاموا بها زماناً ثم كفروا وعبدوا صنماً، وأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبيًّا فقتلوه، فأهلكهم الله، وعطل بئرهم، وخرّب قصورهم.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

يحتمل أنهم لم يسافروا فحثوا على السفر؛ ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم، ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا، وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا، فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا، وقرئ: ﴿فيكون لهم قلوب﴾: بالياء، أي: يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد، ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي، ﴿فَإِنَّهَا﴾، الضمير: ضمير الشأن والقصة، يجيء مذكراً ومؤنثاً، وفي قراءة ابن مسعود: «فإنه»، ويجوز أن يكون ضميراً مبهما يفسره: ﴿ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾، وفي تعمى ضمير راجع إليه، والمعنى: أنّ أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها؛ وإنما العمى بقلوبهم، أولا يعتدّ بعمى الأبصار، فكأنه ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب.

فإن قلت: أي فائدة في ذكر الصدور؟

قلت: الذي قد تعورف واعتقد أنّ العمى على الحقيقة مكانه البصر، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها، واستعماله في القلب استعارة ومثل، فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار، احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف؛ ليتقرّر أنّ مكان العمى هو القلوب لا الأبصار، كما تقول: ليس المضاء للسيف، ولكنه للسانك الذي بين فكيك، فقولك: «الذي بين فكيك»: تقرير لما ادّعيته للسانه وتثبيت؛ لأنّ محلّ المضاء هو هو لا غير، وكأنك قلت: ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهواً مني، ولكن تعمدت به إياه بعينه تعمدا.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾

أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل أو الآجل، كأنه قال: ولم يستعجلون به؟ كأنهم يجوّزون الفوت؛ وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف، والله ـ عز وعلا ـ لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين، وهو سبحانه حليم لا يعجل، ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال أنّ يوماً واحداً عنده كألف سنة[1] عندكم، وقيل: معناه كيف يستعجلون بعذاب مَن يومٌ واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنيكم؛ لأنّ أيام الشدائد مستطالة، أو كأن ذلك اليوم الواحد لشدّة عذابه كألف سنة من سني العذاب، وقيل: ولن يخلف الله وعده في النظرة والإمهال، وقرئ: «تعدون»: بالتاء والياء، ثم قال: وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حيناً ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع إليّ وإلى حكمي.

فإن قلت: لم كانت الأولى معطوفة بالفاء، وهذه بالواو؟

قلت: الأولى وقعت بدلاً من قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، وأمّا هذه فحكمها حكم ما تقدّمها من الجملتين المعطوفتين بالواو، أعني قوله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾.

---

(١) قال محمود: «فيه إيذان بحلم الله تعالى ووقاره واستقصاره الأمد الطويل حتى إن يوماً واحداً عنده كألف سنة» قال أحمد: الوقار المقرون بالحلم يفهم لغة: السكون وطمأنينة الأعضاء عند المزعجات والأناة والتؤدة، ونحو ذلك مما لا يطلق على الله تعالى إلا بتوقيف. وأما الوقار في قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ فقد فسر بالعظمة فليس من هذا، وعلى الجملة فهو موقوف على ثبت في النقل.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

يقال: سعيت في أمر فلان: إذا أصلحه أو أفسده بسعيه، وعاجزه: سابقه؛ لأنّ كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به، فإذا سبقه قيل: أعجزه وعجزه، والمعنى: سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها؛ حيث سموها: سحراً، وشعراً، وأساطير، ومن تثبيط الناس عنها سابقين أو مسابقين في زعمهم، وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم.

فإن قلت: كأن القياس أن يقال: إنما أنا لكم بشير ونذير، لذكر الفريقين بعده.

قلت: الحديث مسوق إلى المشركين، ويا أيها الناس ٢/ ٣١أ نداء لهم، وهم الذين قيل فيهم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [غافر: ٨٢]، ووصفوا بالاستعجال؛ وإنما أفحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾

﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾: دليل بين على تغاير الرسول والنبي، وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه سئل عن الأنبياء، فقال: «مَائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفاً» ح، قيل: فكم الرسل منهم: قال: «ثلاثُمَائِةٍ وَثَلاثَةُ عَشَرَ جُمًّا غَفِيراً» (٩٨٨)، والفرق بينهما: أن الرسول من الأنبياء: من

---

٩٨٨ ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٦) من طريق إبراهيم بن هشام الغساني عن أنس عن جده عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر، وذكر حديثاً طويلاً جداً. وفيه: قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «مئة ألف وعشرون ألفاً» قلت: يا رسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال: «ثلاث مئة وثلاثة عشر جماً غفيراً. . . إلى آخر الحديث» وبهذا الإسناد رواه الطبراني في الكبير (٢/ ١٥٧) رقم (١٦٥١) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٦ ـ ١٦٩).
والطبراني أيضاً في مكارم الأخلاق رقم (١) مختصراً وروى جزءاً من هذا الحديث الطويل ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤١٠) كتاب الزهد، باب الورع والتقوى حديث (٤٢١٨) قال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢١٩): «فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني وثقه ابن حبان وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة» اهـ.
ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٧) قال: حدثناه أبو الحسن علي بن الفضل بن إدريس السامري ببغداد ثنا الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي حدثني يحيى بن سعيد السعدي البصري ثنا عبد الملك بن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير الليثي عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ فرواه ساكتا عليه.

جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبيّ غير الرسول: من لم ينزل عليه كتاب؛ وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله، والسبب في نزول هذه الآية أنّ رسول الله - ﷺ - لما أعرض عنه قومه وشاقوه، وخالفه عشيرته، ولم يشايعوه على ما جاء به - تمنى لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم ألاَّ ينزل عليه ما ينفرهم، لعله يتخذ ذلك طريقاً إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم، فاستمرّ به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة: (والنجم)، وهو في نادي قومه؛ وذلك التمني في نفسه، فأخذ يقرؤها، فلما بلغ قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾: التي تمناها، أي: وسوس إليه بما شيعها به، فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهنّ لترتجى (٩٨٩)، وروي: الغرانقة، ولم يفطن له

= وتعقبه الذهبي بقوله: قلت السعدي ليس بثقة .اهـ.

وله طريق آخر: رواه أحمد (٥/ ٢٦٥ - ٢٦٦)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢٥٨) رقم (٧٨٧١) من طريق أبي المغيرة ثنا معان بن رفاعة ثنا علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: كان رسول الله - ﷺ - جالساً وكانوا يظنون الوحي ينزل عليه فأقصروا عنه حتى جاء أبو ذر فاقتحم فأتاه فجلس إليه فذكر حديثاً طويلاً فيه ذكر الأنبياء.

قال الهيثمي في المجمع (٣/ ١١٨): «رواه أحمد في حديث طويل والطبراني، وفيه علي بن يزيد وفيه كلام» اهـ.

قال مرة أخرى (١/ ١٦٤) ومداره علي بن زيد وهو ضعيف اهـ.

قال الحافظ: أخرجه أحمد وإسحاق من رواية معاذ بن رفاعة عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة: «أن أبا ذر سأل رسول الله - ﷺ -: كم الأنبياء؟ فقال: مثله، وعلي ضعيف. ورواه ابن حبان من طريق إبراهيم بن هشام الغساني حدثنا أبي عن حذيفة. يعني يحيى الغساني عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر - فذكره في حديث طويل جداً. وأفرط ابن الجوزي، فذكره في الموضوعات، واتهم به إبراهيم بن هشام المذكور. ولم يصب في ذلك: فإنها طريقاً أخرجها الحاكم وغيره من رواية يحيى بن سعيد السعيدي عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر بطوله. ويحيى السعيدي ضعيف. ولكن لا يأتي الحكم بالوضع مع هذه المتابعة. انتهى.

٩٨٩ - رواه البزار في مسنده (٢٢٦٣ - كشف) حدثنا يوسف بن حماد ثنا أمية بن خالد ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب أن النبي - ﷺ - كان بمكة فقرأ سورة النجم حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾، فجرى على لسانه: تلك الغرانيق العلى الشفاعة منها ترتجى، قال: فسمع ذلك مشركو مكة فسروا بذلك فاشتد على رسول الله - ﷺ - فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾. انتهى.

ثم قال: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي - ﷺ - بإسناد متصل يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد، ولا نعلم أحداً أسند هذا الحديث عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس إلا أمية، ولم نسمعه نحن إلا من يوسف بن حماد، وكان ثقة وغير أمية يحدث به عن أبي بشر عن سعيد بن جبير مرسلاً، وإنما يعرف هذا الحديث عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وأمية ثقة مشهور» اهـ. =

حتى أدركته العصمة فتنبه عليه، وقيل: نبهه جبريل ـ عليه السلام ـ أو تكلم الشيطان بذلك

= والحديث رواه الطبراني أيضاً (١٢/ ٥٣) رقم (١٢٤٥٠) من طريق البزار.
ورواه ابن جرير في التفسير نحوه (٩/ ١٧٦) رقم (٢٥٣٣٣)، وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٦١)، وعزاه للضياء في المختارة ولابن مردويه في التفسير.
قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٨): «رواه البزار والطبراني... ورجالهما رجال الصحيح...»، وأخرج ابن جرير (٩/ ١٧٦) رقم (٢٥٣٣١)، عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩﴾ قرأها رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، فسجد رسول الله ـ ﷺ ـ فقال المشركون: إنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير، فسجد المشركون معه فأنزل الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾. وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٦٦١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، وصحح إسناده، وحديث ابن عباس ذكره البغوي في التفسير (٣/ ٢٩٢)، والواحدي في التفسير أيضاً (٣/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧).
قال الحافظ: أخرجه البزار، والطبري، والطبراني، وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: لا أعلمه إلا عن ابن عباس «أن النبي ـ ﷺ ـ كان بمكة فقرأ سورة النجم، حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ فجرى على لسانه: تلك الغرانيق العلا، الشفاعة منها ترتجى، قال: فسمع بذلك مشركو مكة، فسروا بذلك. فاشتبه على رسول الله ـ ﷺ ـ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ ـ الآية، «زاد في رواية ابن مردويه: فلما بلغ آخرها سجد وسجد معه المسلمون والمشركون» ورواه الطبري من طريق سعيد بن جبير مرسلاً. وأخرجه ابن مردويه من طريق أبي عاصم النبيل عن عثمان بن الأسود عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه. ولم يشك في وصله، وهذا أصح طرق هذا الحديث. قال البزار: تفرد بوصله أمية بن خالد عن شعبة، وغيره يرويه عنه مرسلاً. وأخرجه الطبري وابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس. وهو من طريق العوفي عن جده عطية عنه، وأخرجه الطبري من طريق محمد بن كعب القرظي، ومن طريق قتادة، ومن طريق أبي العالية. فهذه مراسيل يقوي بعضها بعضاً. وأصل القصة في الصحيح بلفظ: «أن النبي ـ ﷺ ـ وهو بمكة ـ فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس» قال البزار: المعروف في هذه رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وأخرجها ابن مردويه من طريقه، وأخرجه الواقدي من طريق أخرى. قلت: وفي مجموع ذلك رد على عياض حيث قال: إن من ذكر من المفسرين وغيرهم لم يسندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صاحب إلا رواية البزار. وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى ما ذكره وفيه ما فيه مع وقوع الشك. قلت: أما ضعفه فلا ضعف فيه أصلاً. فإن الجميع ثقات وأما الشك فيه فقد يجيء تأثيره ولو فرداً غريباً لكن غايته أنه يصير مرسلاً، إنما هو حجة عند عياض وغيره ممن يقبل مرسل الثقة، أما هو حجة إذا اعتضد عند من يرد المرسل إنما يعتضد بكثرة المتابعات. تبع ثقة رجالها. وأما طعنه فيه باختلاف الألفاظ فلا تأثير للروايات الضعيفة الواهية في الرواية القوية. فيعتمد من القصة على الرواية الصحيحة أي يعتمد على الرواية المتابعة وليس فيها ولا فيما تابعها اضطراب والاضطراب في غيرها. فيكفي، لأنه ضعيف برواية الكلبي، ويكفي ما عداها، وأما طعنه فيه من جهة المعنى فله أسوة كثيرة من الأحاديث الصحاح التي لا يؤخذ بظاهرها، بل يرد بالتأويل المعتمد إلى ما يليق بقواعد الدين. انتهى.

فأسمعه الناس، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم، وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء، زاد المنافقون به شكًا وظلمة، والمؤمنون نوراً وإيقاناً، والمعنى: أن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك إذا تمنوا مثل ما تمنيت، مكن الله الشيطان ليلقي في أمانيهم مثل ما ألقى في أمنيتك، إرادة امتحان من حولهم، والله سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن؛ ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين، وقيل: (تمنى): قرأ، وأنشد [من الطويل]:

تَـمَـنَّـى كِـتَـابَ الـلَّـهِ أَوَّلَ لَـيْـلَـةٍ   تَـمَـنِّـي دَاوُدَ الـزَّبُـورَ عَـلَـىٰ رِسْـلِ[1]

وأمنيته: قراءته، وقيل: تلك الغرانيق: إشارة إلى الملائكة، أي: هم الشفعاء لا الأصنام، ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: يذهب به ويبطله، ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يثبتها.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾

والذين ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: المنافقون والشاكون، ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: المشركون المكذبون، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يريد: وإن هؤلاء المنافقين والمشركين، وأصله: وإنهم، فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم، ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: ليعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء: هو الحق من ربك والحكمة، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ﴾: أن يتأوّلوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة، ويطلبوا لما أشكل منه المحمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة والقوانين الممهدة؛ حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل أقدامهم، وقرئ: «لهادٍ الذين آمنوا»: بالتنوين.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾

الضمير في ﴿مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: للقرآن أو الرسول ـ ﷺ ـ اليوم العقيم: يوم بدر؛ وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم؛ لأنّ أولاد النساء يقتلون فيه، فيصرن كأنهن عقم لم يلدن، أو

---

(١) تقدم.

لأن المقاتلين يقال لهم: أبناء الحرب، فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز، وقيل: هو الذي لا خير فيه، يقال: ريح عقيم: إذا لم تنشىء مطراً ولم تلقح شجراً، وقيل: لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة ـ عليهم السلام ـ فيه، وعن الضحاك: أنه يوم القيامة، وأن المراد بالساعة: مقدّماته، ويجوز أن يراد بالساعة وبيوم عقيم: يوم القيامة، وكأنه قيل: حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها، فوضع (يوم عقيم) موضع الضمير.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾

فإن قلت: التنوين في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عن أي جملة ينوب؟

قلت: تقديره: الملك يوم يؤمنون، أو يوم تزول مريتهم؛ لقوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ **[الحج: ٥٥]**.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوّى بينهم في الموعد، وأن يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلاً منه وإحساناً، والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم، ﴿حَلِيمٌ﴾: عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه؛ روي أن طوائف من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ورضي عنهم ـ قالوا: يا نبي الله، هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا، فما لنا إن متنا معك؟ فأنزل الله هاتين الآيتين.

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾

تسمية الابتداء بالجزاء؛ لملابسته له من حيث أنه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة.

فإن قلت: كيف طابق ذكر العفوّ الغفور هذا الموضع؟ قلت ٢/٣١ب: المعاقب مبعوث من جهة الله ـ عزّ وجلّ ـ على الإخلال بالعقاب، والعفو عن الجاني ـ على طريق

التنزيه لا التحريم ـ ومندوب إليه، ومستوجب عند الله المدح إن آثر ما ندب إليه وسلك سبيل التنزيه، فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب، ولم ينظر في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾: فإن الله لعفو غفور، أي: لا يلومه على ترك ما بعثه عليه، وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه، ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي، ويعرّض مع ذلك بما كان أولى به من العفو، ويلوّح به بذكر هاتين الصفتين، أو دلّ بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة؛ لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضدّه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك النصر بسبب أنه قادر، ومن آيات قدرته البالغة أنه ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾، أو بسبب: أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف، وأنه ﴿سَمِيعٌۢ﴾: لما يقولون، ﴿بَصِيرٌ﴾: بما يفعلون.

فإن قلت: ما معنى: إيلاج أحد الملوين في الآخر؟

قلت: تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس، وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها، كما يضيء السرب[1] بالسراج ويظلم بفقده، وقيل: هو زيادته في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾

وقرئ (تدعون): بالتاء والياء، وقرأ اليماني: و«أن ما يدعون»، بلفظ المبني للمفعول، والواو راجعة إلى «ما»؛ لأنه في معنى الآلهة، أي: ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والإحاطة بما يجري فيهما وإدراك كل قول وفعل، بسبب أنه الله الحق الثابت إلهيته، وأن كل ما يدعى إلهاً دونه باطل الدعوة، وأنه لا شيء أعلى منه شأناً وأكبر سلطاناً.

---

(١) قوله «كما يضيء السرب» السرب ـ بالفتح ـ: والسرب ـ بالتحريك ـ: بيت في الأرض. أفاده الصحاح. (ع)

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾

قرئ: ﴿مُخْضَرَّةً﴾ أي: ذات خضر، على مفعلة، كمقبلة ومسبعة.

فإن قلت: هلا قيل: فأصبحت؟ ولم صرف إلى لفظ المضارع؟

قلت: لنكتة فيه، وهي: إفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان، كما تقول: أنعم عليَّ فلان عام كذا، فأروح وأغدو شاكراً له، ولو قلت: فرحت وغدوت، لم يقع ذلك الموقع.

فإن قلت: فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام؟

قلت: لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض؛ لأنّ معناه إثبات الاخضرار، فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار، مثاله أن تقول لصاحبك: أم تر أني أنعمت عليك فتشكر: إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه فيه، وإن رفعته فأنت مثبت للشكر، وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير أهله، ﴿لَطِيفٌ﴾: واصل علمه أو فضله إلى كل شيء، ﴿خَبِيرٌ﴾: بمصالح الخلق ومنافعهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: من البهائم مذللة للركوب في البر، ومن المراكب جارية في البحر، وغير ذلك من سائر المسخرات، وقرئ: (والفلك): بالرفع على الابتداء، ﴿أَن تَقَعَ﴾: كراهة أن تقع ﴿إِلَّا﴾: بمشيئته ﴿أَحْيَاكُمْ﴾: بعد أن كنتم جماداً تراباً، ونطفة، وعلقة، ومضغة، ﴿لَكَفُورٌ﴾: لجحود؛ لما أفاض عليه من ضروب النعم.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾

هو نهي لرسول الله ـ ﷺ ـ أي: لا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك، أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله ـ ﷺ ـ بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة، روي أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا

للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله! يعنون: الميتة، وقال الزجاج: هو نهي له ـ ﷺ ـ عن منازعتهم، كما تقول: لا يضاربنك فلان، أي: لا تضاربه، وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا بين اثنين ﴿فِي ٱلۡأَمۡرِۚ﴾: في أمر الدين، وقيل: في أمر النسائك، وقرئ: فلا ينزعنك، أي: اثبت في دينك ثباتاً لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه، والمراد: زيادة التثبيت للنبي ـ ﷺ ـ بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه؛ ومنه قوله: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ **[القصص: ٨٧]**، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ **[الأنعام: ١٤]**، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ **[القصص: ٨٦]**، وهيهات أن ترتع همة رسول الله ـ ﷺ ـ حول ذلك الحمى؛ ولكنه وارد على ما قلت لك من إرادة التهييج والإلهاب، وقال الزجاج: هو من نازعته فنزعته أنزعه، أي: غلبته، أي: لا يغلبنك في المنازعة.

فإن قلت: لم جاءت نظيرة هذه الآية[1] معطوفة بالواو، وقد نزعت عن هذه؟

قلت: لأنّ تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في أمر النسائك، فعطفت على أخواتها، وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفاً.

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٦٨﴾

أي: وإن أبوا للجاجهم إلا المجادلة بعد اجتهادك ألاَّ يكون بينك وبينهم تنازع، فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به، وهذا وعيد وإنذار، ولكن برفق ولين.

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٦٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧٠﴾

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ ٢/ ٣٢أ: خطاب من الله للمؤمنين والكافرين، أي: يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة للنبي ـ ﷺ ـ مما كان يلقى منهم، وكيف يخفى عليه ما يعملون، ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السموات والأرض، وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه، والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه، ﴿يَسِيرٞ﴾؛ لأن العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم[2].

---

(١) قوله «نظيرة هذه الآية» هي قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾ إلخ. (ع)

(٢) قال محمود: «معناه أن الله عالم بالذات لا يتعذر عليه تعلق بمعلوم» قال أحمد: وقد تقدم مثله وأنكرنا عليه تحميله القرآن ما لا يحتمله، فإن الأعلم في اللغة: ذو العلم الزائد المفضل على علم =

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾: ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع، ولا ألجأهم إليها علم ضروري، ولا حملهم عليها دليل عقلي، ﴿وَمَا﴾: للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوّب مذهبهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿الْمُنكَرَ﴾: الفظيع من التجهم والبسور[1]، أو الإنكار، كالمكرم بمعنى: الإكرام، وقرئ: «يعرف»، والمنكر، والسطو: الوثب والبطش، قرئ: (النار): بالرفع، على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنّ قائلاً قال: ما هو؟ فقيل: النار، أي: هو النار، وبالنصب على الاختصاص، وبالجرّ على البدل من: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾: من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم، أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم، ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾: استئناف كلام، ويحتمل أن تكون (النار): مبتدأ، و(وعدها): خبراً، وأن يكون حالاً عنها إذا نصبتها أو جررتها بإضمار «قد».

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾

فإن قلت: الذي جاء به ليس بمثل، فكيف سماه مثلاً؟

قلت: قد سميت الصفة أو القصة الرائعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب: مثلاً؛ تشبيهاً لها ببعض الأمثال المسيرة؛ لكونها مستحسنة مستغربة عندهم، قرئ: (تدعون): بالتاء والياء، ويدعون: مبنيًا للمفعول، ﴿لَن﴾: أخت «لا» في نفي المستقبل، إلا أن «لن»

= غيره، فكيف يفسر بما ينفي صفة العلم البتة؟ هب أن الأدلة العقلية لا وجود لها، والله الموفق للصواب.

(١) قوله «التجهم والبسور» كل منهما: كلوح الوجه. أفاده الصحاح. (ع)

تنفيه نفياً مؤكداً، وتأكيده ههنا الدلالة[1] على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم، كأنه قال: محال أن يخلقوا.

فإن قلت: ما محل: ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾؟

قلت: النصب على الحال، كأنه قال: مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم جميعاً لخلقه وتعاونهم عليه، وهذا من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم، والشهادة على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه[2]؛ حيث وصفوا بالإلهية ـ التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها، والإحاطة بالمعلومات عن آخرها ـ صوراً وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه وأذله وأصغره وأحقره، ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا، وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم: أن هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا، وقوله: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾: كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف، ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف؛ لأن الذباب حيوان، وهو جماد، وهو غالب وذاك مغلوب، وعن ابن عباس: أنهم كانوا يطلونها بالزعفران، ورءوسها بالعسل، ويغلقون عليها الأبواب، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله.

﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾

﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته، حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته بأسرها، ولا يؤهلوه للعبادة، ولا يتخذوه شريكاً له: إن الله قادر غالب، فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيهاً به؟

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾

هذا ردّ لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر، وبيان أن رسل الله على ضربين: ملائكة وبشر، ثم ذكر أنه ـ تعالى ـ درّاك للمدركات، عالم بأحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر، لا تخفى عليه منهم خافية، وإليه مرجع الأمور كلها، والذي هو بهذه الصفات، لا يسأل عما يفعل، وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله.

---

(١) قوله «الدلالة» لعله «للدلالة» كعبارة النسفي. (ع)

(٢) قوله «إن الشيطان قد خزمهم بخزائمه» في الصحاح، خزمت البعير بالخزامة، وهي حلقة من شعر تجعل في وترة أنفه، يشد فيها الزمام. (ع)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾

للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات، وفي هذه السورة دلالات على ذلك، فمن ثمة دعا المؤمنين أولاً إلى الصلاة التي هي ذكر خالص، ثم إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو، ثم عمّ بالحث على سائر الخيرات، وقيل: كان الناس أوّل ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود، فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود، وقيل: معنى ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾: اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله، وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾: صلة الأرحام ومكارم الأخلاق، ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ أي: افعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح طامعون فيه، غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم، وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي سُورَةِ الْحَجِّ سَجْدَتَانِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنْ لَمْ تَسْجُدْهُمَا، فَلاَ تَقْرَأْهُمَا» (٩٩٠)، وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ فضّلت سورة الحج بسجدتين (٩٩١)، وبذلك احتج الشافعي ـ رضي الله عنه ـ فرأى سجدتين في سورة الحج، وأبو حنيفة وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ لا يرون فيها إلا سجدة واحدة؛ لأنهم يقولون: قرن السجود بالركوع؛ ٢/ ٣٢ب فدل ذلك على أنها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

---

٩٩٠ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٤٤٦) كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن حديث (١٤٠٢)، والترمذي (٢/ ٤٧٠ ـ ٤٧١) أبواب الصلاة، باب ما جاء في السجدة في الحج حديث (٥٧٨)، وأحمد في المسند (٤/ ١٥١ ـ ١٥٥)، والدارقطني (١/ ٤٠٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣١٧)، وفي المعرفة (٢/ ١٥٣) رقم (١١٠٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٢١)، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للطبراني في الكبير.
قال الحافظ: لم أره بصيغة المواجهة، وإنما أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد والدارقطني والطبراني والحاكم؛ كلهم من رواية ابن لهيعة عن فرج بن ماهان عن عفية بلفظ: «ومن لم يسجدهام فلا يقرأهما» قال الترمذي: إسناده ليس بالقوي. انتهى.

٩٩١ ـ ذكره الشافعي في الأم (١/ ١٣٨) عن عمر ورواه البيهقي في المعرفة ١/ ١٥٢ رقم (١١٠٣).

﴿وَجَٰهِدُواْ﴾: أمر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه رجع من بعض غزواته فقال: «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ» (٩٩٢) ﴿فِي ٱللَّهِ﴾ أي: في ذات الله ومن أجله، يقال: هو حق عالم، وجدّ عالم، أي: عالم حقًا وجدًا، ومنه: ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾.

فإن قلت: ما وجه هذه الإضافة، وكان القياس: حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه، كما قال: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾؟

قلت: الإضافة: تكون بأدنى ملابسة واختصاص، فلما كان الجهاد مختصاً بالله من حيث أنه مفعول لوجهه ومن أجله، صحت إضافته إليه، ويجوز أن يتسع في الظرف؛ كقوله [من الطويل]:

وَيَوْماً شَهِدْنَاهُ سُلَيْماً وَعَامِراً(١) . . . .

﴿ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾: اختاركم لدينه ولنصرته، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾: فتح باب التوبة للمجرمين، وفسح بأنواع الرخص والكفارات والديات والأروش؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وأمّة محمد ـ ﷺ ـ هي الأمة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة.

نصب الملة بمضمون ما تقدّمها، كأنه قيل: وسع دينكم توسعة ملة أبيكم، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، أو على الاختصاص، أي: أعني بالدين ملة أبيكم؛ كقولك: الحمد لله الحميد.

فإن قلت: لم يكن ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ أبا للأمّة كلها.

---

٩٩٢ ـ وقال الزيلعي (٢/ ٣٩٥): غريب جداً وذكره الثعلبي هكذا من غير سند» وعزاه أيضاً للنسائي في كتاب الكنى وقد روى البيهقي في الزهد الكبير رقم (٣٧٣) أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد ثنا تمتام ثنا عيسى بن إبراهيم ثنا يحيى بن يعلى عن ليث عن عطاء عن جابر قال: «قدم على رسول الله ـ ﷺ ـ قوم غزاة فقال ـ ﷺ ـ: قدمتم خير مقدم من جهاد الأصغر إلى جهاد الأكبر قيل وما جهاد الأكبر؟ قال مجاهدة العبد هواه» ثم قال وهذا إسناد فيه ضعف.
قال الحافظ: هكذا ذكره الثعلبي بغير سند، وأخرجه البيهقي في الزهد من حديث جابر، قال «قدم على رسول الله ـ ﷺ ـ قوم غزاة. فقال: قدمتم بخير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه» قال: فيه ضعف، قلت: هو من رواية عيسى بن إبراهيم عن يحيى بن يعلى عن ليث بن أبي سليم، والثلاثة ضعفاء، وأورده النسائي في الكنى من قول إبراهيم بن أبي عبلة، أحد التابعين من أهل الشام. انتهى.

---

(١) تقدم.

قلت: هو أبو رسول الله - ﷺ - فكان أبًا لأمته؛ لأنّ أمة الرسول في حكم أولاده، ﴿هُوَ﴾: يرجع إلى الله تعالى، وقيل: إلى إبراهيم؛ ويشهد للقول الأوّل قراءة أبيّ بن كعب: الله سماكم، ﴿مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ أي: من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن، أي: فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم، ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾: أنه قد بلغكم، ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: بأنّ الرسل قد بلغتهم، وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة، فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية إلا منه؛ فهو خير مولى وناصر.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَجِّ أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ كَحَجَّةٍ حَجَّهَا، وعُمرةٍ ٱعْتَمَرَهَا بَعَدَدِ مَنْ حَجَّ وَٱعْتَمَرَ فِيمَا مَضَىٰ وَفِيمَا بَقِيَ» (٩٩٣).

---

٩٩٣ - تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب بالإسناد المذكور في سورة آل عمران. انتهى.

سُورَةُ المُؤمِنُونَ

مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ مَائَةٌ وَتِسعُ عَشرَةَ آيَةً، وَثَمَانِي عَشرَةَ عِندَ الكُوفِيِّينَ

[نَزَلَت بَعدَ سُورَةِ الأَنبِيَاءِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ②﴾

﴿قَدْ﴾: نقيضة «لما» هي تثبت المتوقع و«لما» تنفيه، ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة، وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم، فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه، والفلاح: الظفر بالمراد، وقيل: البقاء في الخير، و﴿أَفْلَحَ﴾: دخل في الفلاح، كأبشر: دخل في البشارة، ويقال: أفلحه: أصاره إلى الفلاح، وعليه قراءة طلحة بن مصرف: «أُفلح»، على البناء للمفعول، وعنه: «أفلحوا»، على: أكلوني البراغيث، أو على الإبهام والتفسير، وعنه: «أفلحُ»؛ بضمة بغير واو؛ اجتزاء بها عنها؛ كقوله: [الوافر]

فَلَوْ أَنَّ الأَطِبَّا كَانُ حَوْلِي . . . .[1]

فإن قلت: ما المؤمن؟

قلت: هو في اللغة المصدق، وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين:

أحدهما: أنّ كل من نطق بالشهادتين مواطئاً قلبه لسانه فهو مؤمن.

والآخر: أنه صفة مدح، لا يستحقها إلا البرّ التقيّ دون الفاسق الشقي[2].

---

(١) فلو أن الأطبا كانُ حولي وكان مع الأطباء الأساة

الأصل: كانوا حولي، فقصره وقصر «الأطباء» لضرورة الوزن وهم علماء الطب. والأساة: جمع آس، كالسعاة: جمع ساع، وهم المباشرون للعلاج من الأطباء، من الأسى كالفتى، بمعنى المداواة، والإساء ـ بالكسر ـ: الدواء، ولعله أصل الرواية، كما روي الشفاء، فحقه حرف الألف.

(٢) قال محمود: «اختلف في الإيمان على قولين، أحدهما: أن كل من نطق بالشهادتين مواطئاً قلبه لسانه فقد اتصف بالإيمان. والآخر: أنه صفة مدح لا يستحقها إلا للبر التقي دون الفاسق الشقي قال أحمد: والأول مذهب الأشعرية، والثاني مذهب المعتزلة، والموحد الفاسق عندهم لا مؤمن =

الخشوع في الصلاة: خشية القلب وإلباد البصر ـ عن قتادة: وهو إلزامه موضع السجود، وعن النبي ـ ﷺ ـ: أنه كان يصلي رافعاً بصره إلى السماء، فلما نزلت هذه الآية، رمى ببصره نحو مسجده (٩٩٤)، وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة، هاب الرحمن أن يشدّ بصره إلى شيء، أو يحدّث نفسه بشأن من شأن الدنيا، وقيل: هو جمع الهمة لها، والإعراض عما سواها، ومن الخشوع: أن يستعمل الآداب، فيتوقى كفّ الثوب، والعبث بجسده وثيابه، والالتفات، والتمطي، والتثاؤب، والتغميض، وتغطية الفم، والسدل، والفرقعة، والتشبيك، والاختصار، وتقليب الحصا، روي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه أبصر رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ» (٩٩٥)، ونظر الحسن إلى رجل يعبث بالحصا وهو يقول: اللهمَّ، زوجني الحور العين، فقال: بئس الخاطب أنت! تخطب وأنت تعبث.

---

٩٩٤ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٣٩٣) من حديث أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝﴾ فطأطأ رأسه.

ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، لولا خلاف فيه على محمد فقد قيل عنه مرسلاً ولم يخرجاه اهـ.

والمرسل رواه أبو داود في المراسيل رقم (٤٥) والبيهقي في السنن (٢/ ٢٨٣) كتاب الصلاة، باب لا يجاوز بصره موضع سجوده، والطبري في تفسيره (٩/ ١٩٧) رقم (٢٥٤١٤)، وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤) وعزاه لسعيد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، وعزاه الزيلعي للواحدي في أسباب النزول.

قال الحافظ: أخرجه الحاكم من رواية ابن سيرين عن أبي هريرة، لكن قال: «فطأطأ رأسه» وقال: صحيح إلا أنه روي مرسلاً اهـ. والمرسل أخرجه أبو داود والطبري عن ابن سيرين عن النبي ـ ﷺ ـ وقال: فيه نظر هكذا، وأخرجه الواحدي في الأسباب من طريق ابن علية، عن أيوب. عن ابن سيرين موصولاً. انتهى.

٩٩٥ ـ عزاه الحافظ والزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف وكذا السيوطي في الدر (٥/ ٥) والسيوطي في =

= ولا كافر. ولو لم يبن المعتزلة على هذا المعتقد تحريم الجنة على الموحد الفاسق بناء على أنه لا يندرج في وعد المؤمنين، لكان البحث معهم لفظياً؛ ولكن رتبوا على ذلك أمراً عظيماً من أصول الدين وقواعده. وقد نقل القاضي عنهم في رسالة الإيمان خبطاً طويلاً، فنقل عن قدمائهم كعمرو بن عبيد وطبقته أن الإيمان هو التصديق بالقلب وجميع فرائض الدين فعلاً وتركاً. ونقل عن أبي الهذيل العلاف أن الإيمان هو جميع فرائض الدين ونوافله. ومختصر دليل القاضي لأهل السنة أن الإيمان لغة هو مجرد التصديق اتفاقاً، فوجب أن يكون كذلك شرعاً، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ مع سلامته عن معارضة النقل، فإنه لو كان لنبيه عليه الصلاة والسلام ولو بينه لنقل لأنه مما يبتني عليه قاعدة الوعد والوعيد، ولم ينقل؛ لأن النقل إما آحاد أو تواتر إلى آخر مادته.

فإن قلت: لم أضيفت الصلاة إليهم؟

قلت: لأنّ الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له، فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدّته وذخيرته فهي صلاته: وأمّا المصلى له، فغنيّ متعال عن الحاجة إليها والانتفاع بها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾

اللغو: ما لا يعنيك من قول أو فعل، كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغاءه وإطراحه، يعني: أنّ بهم من الجدّ ما يشغلهم عن الهزل.

لما وصفهم بالخشوع في الصلاة، أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو؛ ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾

الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى، فالعين: القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب إلى الفقير، والمعني: فعل المزكي الذي هو التزكية، وهو الذي أراده الله، فجعل المزكين ٢/ ٣٣أ فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره؛ لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه: فاعل، تقول للضارب: فاعل الضرب، وللقاتل: فاعل القتل، وللمزكي: فاعل التزكية، وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث: من فاعل هذا؟ فيقال لك: فاعله الله أو بعض الخلق[1]، ولم يمتنع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق

= الجامع الصغير رقم (٧٤٤٧ ـ منحة) كلهم للحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة وهو موضوع.

قال الحافظ: أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر في السادس والأربعين بعد المائة من حديث أبي هريرة وفيه سليمان بن عمرو وهو أبو داود والنخعي أحد من اتهم بوضع الحديث، وفي شرح البخاري لزين الدين ابن المنير: عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال لعائشة: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه». انتهى.

---

(١) قال محمود: «الزكاة تطلق ويراد بها العين المخرجة، وتطلق ويراد بها فعل المزكي الذي هو التزكية ويتعين ههنا أن يكون المراد التزكية لقوله (فاعلون) إذ العين المخرجة لم يفعلها المزكي، ثم ضبط المصدر على الإطلاق بأنه الذي يصدق عليه أنه فعل الفاعل؛ فعلى هذا تكون العين المخرجة مصدراً بالنسبة إلى الله تعالى، وكذلك السموات والأرض وكل مخلوق من جوهر وعرض، قال: فجميع الحوادث إذا قيل من فاعلها؟ فيقال: الله أو بعض الخلق» قال أحمد: ويقول السني: فاعل جميعها هو الله وحده لا شريك له، ولكن إذا سئل بصيغة مشتقة من الفعل على طريقة اسم الفاعل، مثل أن يقال له: من القائم؟ من القاعد؟ أجاب بمن خلق الله الفعل على يديه، وجعله محلاً له، =

بها فاعلون، لخروجها من صحة أن يتناولها الفاعل؛ ولكن لأنّ الخلق ليسوا بفاعليها؛ وقد أنشد لأمية بن أبي الصلت: [من المنسرح]

الْـمُـطْـعِـمُـونَ الـطَّـعَـامَ فِـي الـسَّـنَـة ... الأَزْمَــةِ الْـفَـاعِـلُـونَ لِـلـزَّكَـوَات[1]

ويجوز أن يراد بالزكاة: العين، ويقدّر مضاف محذوف وهو الأداء، وحمل البيت على هذا أصحّ؛ لأنها فيه مجموعة.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧﴾

﴿عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾: في موضع الحال، أي: الأوّالين على أزواجهم، أو قوّامين عليهنّ، من قولك: كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان؛ ونظيره: كان زياد على البصرة، أي: والياً عليها؛ ومنه قولهم: فلانة تحت فلان؛ ومن ثمة سميت المرأة فراشاً، والمعنى: أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال، إلا في حال تزوّجهم أو تسريهم، أو تعلق (على) بمحذوف يدل عليه: (غير ملومين)؛ كأنه قيل: يلامون إلا على أزواجهم، أي: يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم؛ فإنهم غير ملومين عليه، أو تجعله صلة لحافظين، من قولك: احفظ عليّ عنان فرسي، على تضمينه معنى النفي، كما ضمن قولهم: نشدتك بالله إلا فعلت معنى: ما طلبت منك إلا فعلك[2].

فإن قلت: هلا قيل: من ملكت؟

قلت: لأنه أريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الإناث[3] جعل

= كزيد وعمرو.

(١) لأمية بن أبي الصلت. والأزم: الجدب، والأزمة: الشديدة المجدبة. والزكوات: جمع زكاة، تطلق على القدر المخرج من المال وعلى الإخراج، فالمعنى على الأول: المؤدون للزكوات. وعلى الثاني: الفاعلون لذلك الإخراج، والأول أوجه؛ لأن المصدر لا يجمع إلا بتأويل الأنواع أو المرات.
ينظر: البحر (٣٩٦/٦)، الدر المصون (١٧٣/٥).

(٢) قال السمين الحلبي: هذه وجوه متكلفة ظاهر فيها العجمة، قلت وأي عجمة في ذلك، على أن الشيخ جعلها متعلقة بـ «حافظون» على ما ذكره من التضمين وهذالا يصح له، إلا بأن يرتكب وجهاً منها، وهو التأويل بالنفي كنشدتك الله لأنه استثناء مفرغ ولا يكون إلا بعد نفي أو ما في معناه. انتهى. الدر المصون.

(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وقوله وهم الإناث ليس بجيد، لأن هم مختص بالذكور، فكان ينبغي أن يقول وهو على لفظ «ما» أو وهن على معنى ما قلت والجواب عنه أن الضمير عائد على =

المستثنى حدًّا أوجب الوقوف عنده، ثم قال: فمن أحدث ابتغاء وراء هذا الحدّ مع فسحته واتساعه، وهو إباحة أربع من الحرائر، ومن الإماء ما شئت، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾: الكاملون في العدوان المتناهون فيه.

فإن قلت: هل فيه دليل على تحريم المتعة؟

قلت: لا؛ لأنّ المنكوحة نكاح المتعة من جملة الأزواج إذا صحّ النكاح.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾

وقرئ: لأمانتهم، سمى الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهداً؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال: ﴿وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧]؛ وإنما تؤدّى العيون لا المعاني، ويخان المؤتمن عليه، لا الأمانة في نفسها، والراعي: القائم على الشيء بحفظ وإصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية، ويقال: من راعي هذا الشيء؟ أي: متوليه وصاحبه، ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله ـ تعالى ـ ومن جهة الخلق، والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعهودهم.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾

وقرئ: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾.

فإن قلت: كيف كرّر ذكر الصلاة أوّلاً وآخراً؟

قلت: هما ذكران مختلفان فليس بتكرير، وصفوا أوّلاً بالخشوع في صلاتهم، وآخراً بالمحافظة عليها؛ وذلك ألاّ يسهوا عنها، ويؤدّوها في أوقاتها، ويقيموا أركانها، ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها، وبما ينبغي أن تتم به أوصافها، وأيضاً فقد وحدت أوّلاً؛ ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أيّ صلاة كانت، وجمعت آخراً؛ لتفاد المحافظة على أعدادها، وهي: الصلوات الخمس، والوتر، والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة، والعيدين والجنازة، والاستسقاء، والكسوف والخسوف، وصلاة الضحى، والتهجد، وصلاة التسبيح، وصلاة الحاجة، وغيرها من النوافل.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾

= العقلاء فقوله وهم أي العقلاء والإناث، انتهى. الدر المصون.

أي: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الجامعون لهذه الأوصاف، ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾: الأحقاء بأن يسموا وراثاً دون من عداهم، ثم ترجم الوارثين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾: فجاء بفخامة وجزالة لإرثهم لا تخفى على الناظر، ومعنى الإرث: ما مرّ في سورة مريم، أنث الفردوس على تأويل الجنة، وهو: البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر، روي أنّ الله ـ عز وجلّ ـ بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعل خلالها المسك الأذفر، وفي رواية: ولبنة من مسك مذرّى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾

السلالة: الخلاصة؛ لأنها تسلّ من بين الكدر، و«فعالة»: بناء للقلة كالقلامة والقمامة، وعن الحسن: ماء بين ظهراني الطين.

فإن قلت: ما الفرق بين من ومن؟

قلت: الأوّل: للابتداء، والثاني: للبيان؛ كقوله: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾.

فإن قلت: ما معنى: ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: الإنسان نطفة؟

قلت: معناه: أنه خلق جوهر الإنسان أوّلاً طيناً، ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة، القرار: المستقرّ، والمراد: الرحم، وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقرّ فيها؛ كقولك: طريق سائر، أو بمكانتها في نفسها؛ لأنها مكنت بحيث هي وأحرزت، قرئ: «عظماً فكسونا العظم»، و«عظاماً فكسونا العظام»، و«عظماً فكسونا العظام»، و«عظاماً فكسونا العظم»: وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس؛ لأنّ الإنسان ذو عظام كثيرة، ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ أي: خلقاً مباينا للخلق الأوّل مباينة ما أبعدها؛ حيث جعله حيواناً وكان جماداً، وناطقاً وكان أبكم، وسميعاً وكان أصم، وبصيراً وكان أكمه، وأودع باطنه وظاهره ـ بل كل ٢/٣٣ب عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه ـ عجائب فطرة وغرائب حكمة، لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح، وقد احتج به أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده، قال: يضمن البيضة ولا يرد الفرخ؛ لأنه خلق آخر سوى البيضة، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾: فتعالى أمره في قدرته وعلمه، ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ أي: أحسن المقدّرين تقديراً، فترك ذكر المميز؛ لدلالة الخالقين عليه؛ ونحوه: طرح المأذون فيه في قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ

﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩]، لدلالة الصلة، وروي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ لما بلغ قوله خلقاً آخر، قال: فتبارك الله أحسن الخالقين (٩٩٦)، وروي أنّ عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي ـ ﷺ ـ فنطق بذلك قبل إملائه، فقال له النبي ـ ﷺ ـ: «اُكْتُبْ هٰكَذَا نَزَلَتْ» ح، فقال عبد الله: إن كان محمد نبيًّا يوحى إليه، فأنا نبيّ يوحى إليّ، فلحق بمكة كافراً، ثم أسلم يوم الفتح (٩٩٧).

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾

قرأ ابن أبي عبلة وابن محيصن: «لمائتون»، والفرق بين الميت والمائت: أنّ الميت كالحي صفة ثابتة، وأمّا المائت، فيدل على الحدوث، تقول: زيد مائت الآن، ومائت غداً؛ كقولك: يموت؛ ونحوهما: ضيق وضائق، في قوله تعالى: ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢]، جعل الإماتة التي هي إعدام الحياة، والبعث الذي هو إعادة ما يفنيه ويعدمه: دليلين ـ أيضاً ـ على اقتدار عظيم بعد الإنشاء والاختراع.

فإن قلت: فإذاً لا حياة إلا حياة الإنشاء وحياة البعث.

قلت: ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حياة القبر، كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلاً على أن الثلث ليس عندك ـ وأيضاً ـ فالغرض ذكر هذه الأجناس الثلاثة: الإنشاء، والإماتة، والإعادة، والمطوي ذكرها من جنس الإعادة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾

الطرائق: السموات؛ لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل، وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة، أو لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم، وقيل: الأفلاك؛ لأنها طرائق الكواكب في مسيرها: أراد بالخلق السموات، كأنه قال: خلقناها فوقهم، ﴿وَمَا كُنَّا﴾: عنها، ﴿غَٰفِلِينَ﴾: وعن حفظها وإمساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا، أو أراد به الناس وأنه إنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها، وينفعهم بأنواع منافعها، وما كان غافلاً

---

٩٩٦ ـ حديث أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع فذكر الحديث.
تقدم في البقرة في قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.
قال الحافظ: وفي الباب عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع فذكر الحديث ـ وفيه: فنزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾، إلى قوله: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾. فقلت: تبارك الله أحسن الخالقين فنزلت. انتهى.

٩٩٧ ـ قال الزيلعي (٢/ ٤٠١): «غريب». وعزاه للثعلبي والواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس.
قال الحافظ: كذا ذكره الثعلبي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وعزاه الواحدي إلى الكلبي. عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. انتهى.

عنهم وما يصلحهم.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿بِقَدَرٍ﴾: بتقدير يسلمون معه من المضرة، ويصلون إلى المنفعة، أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم، ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ كقوله: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١]، وقيل: جعلناه ثابتاً في الأرض، وقيل: إنها خمسة أنهار: سيحون نهر الهند، وجيحون: نهر بلخ، ودجلة والفرات: نهرا العراق، والنيل: نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة، فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم، وكما قدر على إنزاله فهو قادر على رفعه وإزالته، وقوله: ﴿عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ﴾: من أوقع النكرات وأحزها للمفصل، والمعنى: على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه، وفيه إيذان باقتدار المذهب، وأنه لا يتعايى عليه شيء إذا أراده، وهو أبلغ في الإيعاد؛ من قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك: ٣٠]، فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم، ويخافوا نفارها إذا لم تشكر.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

خصّ هذه الأنواع الثلاثة؛ لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع، ووصف النخل والعنب بأنّ ثمرهما جامع بين أمرين: بأنه فاكهة يتفكه بها، وطعام يؤكل رطباً ويابساً، رطباً وعنباً، وتمراً وزبيباً، والزيتون بأنّ دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعاً، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ من قولهم: يأكل فلان من حرفة يحترفها، ومن ضيعة يغتلها، ومن تجارة يتربح بها: يعنون أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه، كأنه قال: وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم، منها ترتزقون وتتعيشون، ﴿وَشَجَرَةً﴾: عطف على جنات، وقرئت مرفوعة على الابتداء، أي: ومما أنشىء لكم شجرة، ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾: وطور سينين، لا يخلو: إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون، وإمّا: أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه، كامرىء القيس، وكبعلبك، فيمن أضاف، فمن كسر سين سيناء، فقد منع الصرف؛ للتعريف والعجمة، أو التأنيث؛ لأنها بقعة، وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء، ومن فتح فلم يصرف؛ لأنّ الألف للتأنيث كصحراء، وقيل: هو جبل فلسطين، وقيل: بين مصر وأيلة، ومنه نودي موسى ـ عليه السلام ـ وقرأ الأعمش: سينا على القصر، ﴿بِٱلدُّهْنِ﴾:

في موضع الحال، أي: تنبت وفيها الدهن، وقرئ: تنبت. وفيه وجهان.

أحدهما: أن أنبت بمعنى نبت؛ وأنشد لزهير [من الطويل]:

رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ ... قَطِيناً لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ[1]

والثاني: أنّ مفعوله محذوف، أي: تنبت زيتونها وفيه الزيت، وقرئ: «تنبت»: بضم التاء وفتح الباء، وحكمه حكم ٢/ ٣٤أ تنبت، وقرأ ابن مسعود: تخرج الدهن وصبغ الآكلين، وغيره: تخرج بالدهن، وفي حرف أبيّ: «تثمر بالدهن»، وعن بعضهم: «تنبت بالدهان»، وقرأ الأعمش: «وصبغاً»، وقرئ: «وصباغ»، ونحوهما: دبغ ودباغ، والصبغ: الغمس للائتدام، وقيل: هي أوّل شجرة نبتت بعد الطوفان، ووصفها الله ـ تعالى ـ بالبركة في قوله: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [النور: ٣٥].

---

(١) إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت ... ونال كرام الناس في الجحرة الأكل
رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ... قطيناً بها حتى إذا أنبت البقل
هنالك إن يستخولوا المال يخولوا ... وإن سئلوا يعطوا وإن يسروا يغلوا
وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل

لزهير بن أبي سلمى يمدح سنان بن أبي حارثة، والشهباء: الفرس يخالط سوادها بياض، شبه بها السنة المجدبة لكثرة بياض أرضها وخلوها عن سواد النبات والأمطار. أو لاختلاط نور الغنى فيها بظلمة الفقر. أجحفت بالناس: أي ذهبت بهم ومحقت عنهم آثار الغنى، والإسناد مجاز عقلي. والجحرة ـ بتقديم الجيم المفتوحة ـ: السنة المجدبة وروي: في الجحرة. وأصلها بالتحريك، فسكونها لغة أو ضرورة وهي شدة الشقاء. ويجوز أن تقرأ بالضم بمعنى البيت، أي: ونال الأكل كرام الناس. ووصلهم داخل بيوتهم لبخلهم تلك السنة. ويروى: كرام المال. والمعنى أن كرائم الأموال نالها التأكل والتنقص في تلك السنة لجدبها. ورأيت: جواب إذا. وذوي الحاجات: كناية عن الفقراء، حول بيوتهم: أي سنان وقومه. قطيناً: أي مقيمين، فهو يطلق على الواحد والمتعدد. وقيل إنه جمع، ويروى قطيناً لهم: أي مساكنين لهم عند البيوت، وذلك كناية عن كرمهم، حتى إذا أنبت البقل: أي نبت النبات الرطب وظهر الخصب، فهنالك: أي في ذلك الزمان إن يسألهم أحد أن يخولوه مالاً كثيراً يخولوه: أي يولوه عليه. وإن سئلوا مالاً قليلاً يعطوا السائل. ويروى: إن يستخبلوا المال يخبلوا. بالموحدة، يستعر: أي منهم أحد إبلهم للانتفاع بألبانها وأوبارها زمن الجدب ثم يردها: أعاروه، وإن سألهم الإعطاء من غير رد أعطوه فلا يردون سائلاً. وأن يسروا: أي لعبوا الميسر، يغلوا: أي يجعلوا الخطر غالياً كثيراً لعدم خوفهم على الفقراء لأن المال كثير بخلاف زمن الجدب، ويجوز أن يقرأ: وإن يسروا أي أعطوا بلا سؤال، يفلوا بالفاء. أي يتفقدوا الفقراء ويعطوهم، يقال: يسر كوعد: لعب الميسر، ويسر كترب وتعب: لأن ورق ورمق. وروي: يسألوا وييسروا بالمضارع. والمقامات: المجامع من الناس. وروي: وجوهها. وعلى كل فالضمير للمقامات. والأندية ـ جمع الندي ـ بمعنى الكرم، على غير قياس، ينتابها: أي يجري عليها نوبة بعد نوبة قولهم وفعلهم. أو يتداولها قول الناس وفعلهم. ويحتمل أنها جمع ناد بمعنى متحدث القوم. أو ندى على فعيل كذلك. ينتابها: أي يجيئها نوبة بعد نوبة القول والفعل، أي: الصالحات.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قرئ: «تسقيكم»: بتاء مفتوحة، أي: تسقيكم الأنعام، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك، كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من الخيل والبغال والحمير، وفيها منفعة زائدة، وهي الأكل الذي هو انتفاع بذواتها، والقصد بالأنعام إلى الإبل؛ لأنها هي المحمول عليها في العادة، وقرنها بالفلك ـ التي هي السفائن ـ لأنها سفائن البرّ؛ قال ذو الرُّمَّة [من الطويل]:

. . . . سَفِينَةُ بَرٍّ تَحْتَ خَدِّي زِمَامُهَا[1]

يريد صيدحه[2].

---

(١) ألا خيلت مي وقد نام صحبتي فما نفر التهويم إلا سلامها
طروقاً وجلب الرحل مشدودة به سفينة بر تحت خدي زمامها
أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة قليلاً بها الأصوات إلا بغامها

لذي الرمة، يقول: خيلت مي، أي: بعثت خيالها وأرتني إياه، وسلمت علي في منامي. والحال أنه قد نام أصحابي، والصحبة كالعصبة والرفقة، ونسب النوم إليهم دونه: لأن نومه تهويم أي فتور وغفلة أول النوم فقط. والتهويم أيضاً: تمايل الرأس من النعاس، أو لأنه يتذكرها فكأنه لم ينم.
ويروى: ذو الكرى بدل صحبتي، فما نفر التهويم وطرده عني إلا سلامها علي. ويروى:

ألا طرقتنا مية بنت منذر فما أرق النيام إلا سلامها

وأرق: أسهر. والنيام: جمع نائم، وقياسه نوام، فقلب ياء شذوذاً. والطروق: الإتيان ليلاً، وهو نصب على المصدر من خيلت، لتلافيها معنى. وقيل: الطروق ـ بالفتح ـ: الناقة التي بلغت أن يطرقها الفحل، وهو مفعول خيلت. والأوجه أنه حال من فاعله هذا، ولعله على التشبيه. وجلب الرحل ـ بالضم، وبالكسر ـ: عيدانه، أي: والحال أن عيدان الرحل مشدودة بها ناقة عظيمة كالسفينة. فاستعارها لها على طريق التصريح، وإضافتها للبر قرينة للاستعارة. وفيه أنها في البر تقوم مقام السفينة في البحر. وأنها تقابلها، والزمام تجريد، أي: زمامها تحت خدي وأنا نائم. والبلدة من الناقة: ما لاقى الأرض عند الإناخة، وتطلق على الصدر. والبلدة الأرض الصلبة. والبغام: صوت الظبي، أي: أنختها فألقت عظاماً صلبة كالأرض، فاستعارها لها على طريق التصريح، فوق أرض صلبة حال كون تلك الأرض قليلاً فيها الأصوات إلا بغام الناقة، أي: صوتها الشبيه بصوت الظبي، لأنه كان حنيناً. ومجيء الحال من النكرة بلا تأخير ولا نفي ولا تخصيص شاذ. ويروى.
قليل ـ بالجر ـ على الصفة. وعلى كل فالأصوات فاعل له، ورفع المستثنى على الاتباع؛ لأن قليلاً في معنى النفي، أي: ليس فيها صوت إلا البغام. وقيل: «إلا» هنا بمعنى غير، فهي صفة للأصوات لأنه يشبه النكرة، ولما تعذر ظهور الإعراب عليها ظهر على ما بعدها.
ينظر: ديوانه ص (١٠٠٤)، وأساس البلاغة (سفن).

(٢) قوله «يريد صيدحه» أي: ناقته المسماة بصيدح. (ع)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿غَيْرُهُۥٓ﴾: بالرفع على المحل، وبالجر على اللفظ، والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم، وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم، ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة: في شيء، ﴿أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾: أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨]، ﴿بِهَٰذَآ﴾: إشارة إلى نوح ـ عليه السلام ـ أو إلى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله، أي: ما سمعنا بمثل هذا الكلام، أو بمثل هذا الذي يدعى وهو بشر أنه رسول الله، وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوّة ببشر وقد رضوا للإلهية بحجر، وقولهم: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾: يدل على أنهم وآباؤهم كانوا في فترة متطاولة، أو تكذبوا في ذلك؛ لانهماكهم في الغي، وتشمرهم لأن يدفعوا الحق بما أمكنهم وبما عنّ لهم، من غير تمييز منهم بين صدق وكذب؛ ألا تراهم: كيف جننوه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلاً وأوزنهم قولاً، والجنة: الجنون أو الجنّ، أي: به جنّ يخبلونه، ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: احتملوه واصبروا عليه إلى زمان، حتى ينجلي أمره عن عاقبة، فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

في نصرته إهلاكهم، فكأنه قال: أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي، أو انصرني بدل ما كذبوني، كما تقول: هذا بذاك، أي: بدل ذاك ومكانه، والمعنى: أبدلني من غمّ تكذيبهم، سلوة النصرة عليهم، أو انصرني بإنجاز ما وعدتهم من العذاب، وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [الشعراء: ١٣٥]، ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بحفظنا وكلاءتنا، كأن معه من الله حفاظاً يكلؤونه بعيونهم؛ لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه

مفسد عمله، ومنه قولهم: عليه من الله عين كالئة، ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أي: نأمرك كيف تصنع ونعلمك، روي أنه أوحى إليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر، روي أنه قيل لنوح ـ عليه السلام ـ: إذا رأيت الماء يفور من التنور، فاركب أنت ومن معك في السفينة، فلما نبع الماء من التنور، أخبرته امرأته فركب، وقيل: كان تنور آدم ـ عليه السلام ـ وكان من حجارة، فصار إلى نوح، واختلف في مكانه؛ فعن الشعبي: في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة، وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد، وقيل: بالشام بموضع يقال له: عين وردة، وقيل: بالهند، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: التنور وجه الأرض، وعن قتادة: أشرف موضع في الأرض، أي: أعلاه، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: فار التنور: طلع الفجر، وقيل: معناه: أن فوران التنور كان عند تنوير الفجر، وقيل: هو مثل؛ كقولهم: حمي الوطيس، والقول: هو الأوّل، يقال: سلك فيه: دخله، وسلك غيره، وأسلكه؛ قال [من البسيط]:

حَتَّىٰ إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدِهِ[1] . . . .

﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾: من كل أمّتي زوجين، وهما أمة الذكر وأمّة الأنثى، كالجمال والنوق، والحصن والرماك، ﴿ٱثْنَيْنِ﴾: واحدين مزدوجين، كالجمل والناقة، والحصان والرمكة، روي أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض، وقرئ: «من كل»: بالتنوين، أي: من كل أمّة زوجين، واثنين: تأكيد وزيادة بيان.

جيء بعلى مع سبق الضارّ، كما جيء باللام مع سبق النافع؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصافات: ١٧١]، ونحوه قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقول عمر ـ رضي الله عنه ـ: ليتها كانت كفافاً، لا عليّ ولا لي.

فإن قلت: لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة؟

---

(١) حتى إذا أسلكوهم في قتائده شلا كما تطرد الجمالة الشرد
لعبد مناف بن ربع الهذلي، يصف قوماً أغير عليهم فدفعوا العدو حتى أدخلوه في قتائده، وهي ثنية بعينها، أو عقبه بعينها، أي: في طرائقها. وسلكه في كذا وأسلكه أيضاً كما هنا: أدخله فيه. وروي: سلكوهم أيضاً. وشلا: أي طرداً نصب بسلوكهم، لأن فيه معنى طردوهم: وإذا: حرف زائد لا جواب له، لأن البيت آخر القصيد كما في الصحاح. وقيل «شلا» هو جوابه، فهو نصب بمحذوف، أي: حبسوا بها حبساً، لكن لا يلائم التشبيه في قوله «كما تطرد» إلا أن يرجع لسلوكهم. والجمالة: جمع جمال وهو صاحب الجمل. والشرد ـ بفتحتين ـ: الإبل المنتشرة، أو بضمتين: جمع شرود كعروس.

قلت: لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين، وإيجاب الحكمة أن يغرقوا لا محالة؛ لما عرف من المصلحة في إغراقهم، والمفسدة في استبقائهم، وبعد أن أملى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا إلا ضلالاً، ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق إلا أن يجعلوه عبرة للمعتبرين، ولقد بالغ في ذلك حيث أتبع النهي عنه، الأمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم؛ كقوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٢/ ٣٤ب وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ / [الأنعام: ٤٥]، ثم أمره أن يدعوه بدعاء هو أهم وأنفع له، وهو طلب أن ينزله في السفينة أو في الأرض عند خروجه منها، منزلاً يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين، وأن يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسألته؛ وهو قوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾.

فإن قلت: هلا قيل: فقولوا؛ لقوله: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ﴾؛ لأنه في معنى: فإذا استويتم؟

قلت: لأنه نبيهم وإمامهم، فكان قوله قولهم، مع ما فيه من الإشعار بفضل النبوّة وإظهار كبرياء الربوبية، وأن رتبة تلك المخاطبة لا يترقى إليها إلا ملك أو نبيّ، وقرئ: «منزلا»: بمعنى: إنزالاً، أو موضع إنزال؛ كقوله: ليدخلنهم مدخلاً يرضونه، ﴿إِن﴾: هي المخففة من الثقيلة، واللام: هي الفارقة بين النافية وبينها في المعنى، وإن الشأن والقصة، ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ أي: مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد، أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر: ١٥].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾: هم عاد قوم هود: عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وتشهد له حكاية الله ـ تعالى ـ قول هود: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩]، ومجيء قصة هود على أثر قصة نوح في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء.

فإن قلت: حق أرسل أن يعدى بإلى، كأخواته التي هي: وجه، وأنفذ، وبعث، فما باله عدّى في القرآن بإلى تارة، وبفي أخرى؛ كقوله ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾ [الرعد: ٣٠]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٣٤]، ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا﴾ أي: في عاد، وفي موضع آخر: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]؟

قلت: لم يعدّ بفي كما عدّى بإلى، ولم يجعل صلة مثله، ولكن الأمّة أو القرية جعلت موضعاً للإرسال؛ كما قال رؤبة [من السريع أو الرجز]:

أَرسَلْتُ فِيهَا مُصْعَباً ذَا إِقْحَامْ[1]
. . . .

وقد جاء «بعث» على ذلك في قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ [الفرقان: ٥١]، ﴿أَنِ﴾ مفسرة لأرسلنا، أي: قلنا لهم على لسان الرسول: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

فإن قلت: ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الأعراف وسورة هود بغير واو: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦]، ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود: ٥٣]، وههنا مع الواو، فأي فرق بينهما؟

قلت: الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال: فما قال قومه؟ فقيل له: قالوا كيت وكيت، وأما الذي مع الواو، فعطف لما قالوه على ما قاله، ومعناه: أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل، وشتان ما هما، ﴿بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب؛ كقولك: يا حبذا جوار مكة، أي: جوار الله في مكة.

حذف الضمير، والمعنى: من مشروبكم، أو حذف منه؛ لدلالة ما قبله عليه، ﴿إِذًا﴾: واقع في جزاء الشرط، وجواب للذين قاولوهم من قومهم[2]، أي: تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم.

---

(١) أرسلت فيها مصعباً ذا إقحام   طبًّا فقيها بذوات الإبلام
لعطاء السندي. ويقال: أصعب الجمل فهو مصعب، إذا صار صعباً لا يركب. والإقحام: الدخول في الشيء بلا تمهل ولا روية. ويروى: أرسلت فيها مقرما ذا تشمام. وأقرمته: شوقته إلى الضراب. ونحوه: ذا تشمام، أي: يتشمم رائحة الناقة التائقة للضراب فيعرفها. والطب ـ مثلث ـ: الطبيب الحاذق. وأبلمت الناقة إبلاماً: إذا ورم فرجها من شدة الشهوة إلى الضراب. والبلم ـ كسبب ـ: اسم منه. ويجوز أن ما هنا أبلام كأسباب، فالمعنى: أنه أرسل في الإبل فحلاً كريماً يقدم عليها من غير تلبث. أو يتشممها ويتعرفها حاذقاً عارفاً بالنوق التائقة إليه. ويجوز أن المعنى: أرسلت في تلك القضية رجلاً كالجمل الشديد، ذا إقدام على الأمر بجراءة، فقيهاً عارفاً بمعالجة الأشياء الصعبة ذوات الأعضال، وبحل مشكلاتها، فهو في غاية المعرفة والتجربة.
ينظر: أساس البلاغة (فقه).

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ وليس واقعاً في جزاء الشرط بل واقعاً بين إنكم والخبر، وإنكم والخبر ليس جزاء للشرط بل ذلك جواب للقسم المحذوف، قيل إن الشرعية ولو كان التركيب الخبر جواباً لزمت الفاء في إنكم، بل لو كان بالفاء في تركيب غير القرآن لم يكن ذلك التركيب =

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾

ثنى ﴿أَنَّكُمْ﴾: للتوكيد، وحسن ذلك؛ لفصل ما بين الأول والثاني بالظرف، ومخرجون: خبر عن الأول، أو جعل: ﴿أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ﴾: مبتدأ، و﴿إِذَا مِتُّمْ﴾: خبراً، على معنى: إخراجكم إذا متم، ثم أخبر بالجملة عن إنكم، أو رفع ﴿أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ﴾ بفعل هو جزاء للشرط؛ كأنه قيل: إذا متم وقع إخراجكم، ثم أوقعت الجملة الشرطية خبراً عن إنكم، وفي قراءة ابن مسعود: «أيعدكم إذا متم».

قرئ: (هيهات): بالفتح والكسر والضم، كلها بتنوين وبلا تنوين، وبالسكون على لفظ الوقف.

فإن قلت: ما توعدون هو المستبعد، ومن حقه أن يرتفع بهيهات؛ كما ارتفع في قوله [من الطويل]:

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَأَهْلُهُ[1] . . . .

فما هذه اللام.

= جائزاً إلا عند الفراء، والبصريون لا يجيزونه وهو عندهم خطأ، قلت يعني أنه إذا توالى شرط وقسم أجيب سابقهما، والقسم هنا متقدم فينبغي أن يُجاب ولا يُجابُ الشرطُ ولو أُجيبَ الشرطُ لاختلت القاعدة إلا عند بعض الكوفيين فإنه يجيب الشرط وإن تأخر وهو موجودٌ في الشعر. انتهى. الدر المصون.

(١) ويروي البيت:

فهيهات هيهات العقيق ومن به ... وهيهات خل بالعقيق نواصله

لجرير، يتحسر على بعد خليله. وهيهات: اسم فعل بمعنى «بعد» وفتح تائه: لغة الحجاز. وكسرها: لغة تميم. وضمها: لغة بعضهم. وكرره للتوكيد وزيادة التحزن. والعقيق: الوادي الذي شقه السيل، وهو هنا واد بظاهر المدينة المشرفة. مرفوع على الفاعلية بالأول، والثاني لا فاعل له. وأجاز أبو علي الفارسي أنه من باب التنازع، فهو مرفوع بأحدهما، وضميره مستتر في الآخر، فهو توكيد مفرد على الأول، وجملة على الثاني. وأجاز ابن مالك أنه فاعل لهما لاتحادهما لفظاً ومعنى. وانظر كيف ذكر أولاً مكان الأحبة، ثم ذكر من فيه على العموم، ثم ذكر خله على الخصوص، وتدرج في ذلك حتى توصل إلى ذكر الوصال، وهو مقصوده الذاتي، فللّه در العرب ما ألطفها صنيعاً، وأدقها عبارة، والخل ـ بالكسر ـ: الخليل، كالحب بمعنى الحبيب. ويروى: العقيق وأهله.

ينظر: ديوانه (٤٧٩)، والهمع (١١١)، وابن يعيش (٤/ ٣٥)، والخصائص (٣/ ٤٢)، والطبري (١٨/ ١٦)، البحر (٦/ ٤٠٥)، والدر المصون (٥/ ١٨٣).

قلت: قال الزجاج في تفسيره: البعدُ لما توعدون، أو بعدٌ لما توعدون فيمن نوّن، فنزله منزلة المصدر[1]، وفيه وجه آخر: وهو أن يكون اللام: لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في: (هيت لك): لبيان المهيت به.

هذا ضمير لا يعلم ما يعني به إلا بما يتلوه من بيانه، وأصله إن الحياة: ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾، ثم وضع (هي): موضع الحياة؛ لأنّ الخبر يدل عليها ويبينها، ومنه: هي النفس تتحمل ما حملت، وهي العرب تقول ما شاءت، والمعنى: لا حياة إلا هذه الحياة؛ لأن «أن»: النافية دخلت على «هي»: التي في معنى: الحياة، الدالة على الجنس فنفتها، فوازنت «لا»: التي نفت ما بعدها نفي الجنس، ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعض ويولد بعض، ينقرض قرن ويأتي قرن آخر، ثم قالوا: ما هود إلا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له، وفيما يعدنا من البعث، وما نحن بمصدّقين.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿قَلِيلٍ﴾: صفة للزمان، كقديم وحديث، في قولك: ما رأيته قديماً ولا حديثاً، وفي معناه: عن قريب، و(ما): توكيد قلة المدّة وقصرها، ﴿الصَّيْحَةُ﴾: صيحة جبريل ـ عليه السلام ـ: صاح عليهم فدمّرهم، ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالوجوب؛ لأنهم قد استوجبوا الهلاك، أو بالعدل من الله، من قولك: فلان يقضي بالحق إذا كان عادلاً في قضاياه: شبههم في دمارهم بالغثاء ٢/ ٣٥أ، وهو: حميل السيل مما بلي واسودّ من العيدان والورق؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الأعلى: ٥]، وقد جاء مشدّداً في قول امرىء القيس [من الطويل]:

. . . . مِنَ السَّيْلِ وَالْغُثَّاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ[2]

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ وقول الزمخشري فمن نونه نَزَّلَه منزلة المصدر ليس بواضح، لأنهم قد نوّنوا أسماء الأفعال ولا تقول أنها إذا نوّنت تنزلت منزلة المصادر، قلت: الزمخشري لم يقل كذا إنما قال فمن نونه نزَّلَه منزلة المصدر المصدر لأجل قوله أو بُعْدٌ، فالتنوين علة لتقديره إياه نكرة لا لكونه منزلاً منزلة المصدر، فإنَّ أسماء الأفعال ما نوّن منها نكرة، وما لم ينوّن معرفة، نحو صَهْ وصهٍ فقدر الأول بالسكون، والثاني بسكوتٍ ما وقال ابن عطية طوراً يلي الفعل دون لام تقول هيهات مجيء زيد أي بَعُدَ، وأحياناً يكون الفاعل محذوفاً عند اللام كهذه الآية، لتقدير بَعُدَ الوجود لما تُوعَدُونَ ولم يَسْتَجوده الشيخ من حيث قوله حذف الفاعل والفاعل لا يحذف ومن حيث إن فيه حذف المصدر وهو الوجود وإبقاء معموله وهو لِمَا تُوعَدُونَ وهيهات الثاني تأكيدٌ للأول تأكيداً لفظياً، وقد جاء غير مؤكد. انتهى. الدر المصون.

(٢) كأن ذرى رأس المخيم غدوة ... من السيل والغثاء فلكة مغزل =

بعداً، وسحقاً، ودفراً[1]، ونحوها؛ مصادر موضوعة مواضع أفعالها، وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه: نصبت بأفعال لا يستعمل إظهارها، ومعنى (بعداً): بعدوا، أي: هلكوا، يقال: بعد بعداً وبعداً؛ نحو: رشد رشداً ورشداً، و﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: بيان لمن دعى عليه بالبعد؛ نحو: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]، و﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿قُرُونًا﴾: قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: بني إسرائيل، ﴿أَجَلَهَا﴾: الوقت الذي حدّ لهلاكها وكتب.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿تَتْرَا﴾ فعلى: الألف للتأنيث؛ لأنّ الرسل جماعة، وقرئ: «تترًى»: بالتنوين، والتاء: بدل من الواو، كما في: تولج، وتيقور[2]، أي: متواترين واحداً بعد واحد، من الوتر وهو الفرد: أضاف الرسل إليه تعالى وإلى أممهم: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ [المائدة: ٣٢]، ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ [الأعراف: ١٠١]، لأنّ الإضافة تكون بالملابسة، والرسول ملابس المرسل والمرسل إليه جميعاً، ﴿فَأَتْبَعْنَا﴾: الأمم: أو القرون ﴿بَعْضَهُم بَعْضًا﴾: في الإهلاك، ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ﴾: أخباراً يسمر بها ويتعجب منها، الأحاديث: تكون اسم جمع للحديث، ومنه: أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ وتكون جمعاً للأحدوثة: التي هي مثل الأضحوكة والألعوبة والأعجوبة، وهي: مما يتحدّث به الناس تلهياً وتعجباً، وهو المراد ههنا.

= لامرىء القيس من معلقته. وذرى الجبل: أعاليه. والمخيم: أكمة بعينها. ويروى: المخيمر. والغثاء ـ بالضم مشدداً ومخففاً ـ: حميل السيل مما بلي واسود من العيدان والورق. والفلكة: بالفتح. والمغزل: مثلث. يقول: كأن أعالي تلك الأكمة من إحاطة السيل بها واجتماع الغثاء حولها: فلكة مغزل في الاستدارة والارتفاع.
البيت. ينظر في جمهرة أشعار العرب: ٤٧، وديوان الشاعر ٢٥، والبحر ٣٩٣، والدر المصون: ١٨٧/٥.

(١) قوله «دفرا» في الصحاح «دفراً له» أي: نتنا. (ع)

(٢) قوله «كما في تولج وتيقور» التولج: كناس الوحش الذي يلج فيه. قال سيبويه: التاء مبدلة من الواو، وهو فوعل، كذا في الصحاح. وفيه أيضاً: التيقور، والوقار. وأصله: ويقور، قلبت الواو تاءاً اهـ، فوزنه «فيعول». (ع)

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾

فإن قلت: ما المراد بالسلطان المبين؟

قلت: يجوز أن تراد العصا؛ لأنها كانت أمّ آيات موسى وأُولاها، وقد تعلقت بها معجزات شتى: من انقلابها حية، وتلقفها ما أفكته السحرة، وانفلاق البحر، وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها، وكونها حارساً، وشمعة، وشجرة خضراء مثمرة، ودلواً ورشاء، جعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل؛ فلذلك عطفت عليها؛ كقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة ٩٨:]، ويجوز أن تراد الآيات أنفسها، أي: هي آيات وحجة بينة، ﴿عَالِينَ﴾: متكبرين؛ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]، ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٨٣]، أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم.

﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾

البشر يكون واحداً وجمعاً: ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، ﴿لِبَشَرَيْنِ﴾ [المؤمنون: ٤٧]، ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ﴾ [مريم: ٢٦]، و«مثل»، و«غير» يوصف بهما: الاثنان، والجمع، والمذكر، والمؤنث: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، ويقال ـ أيضاً ـ: هما مثلاه؛ وهم أمثاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ يعني: بني إسرائيل، كأنهم يعبدوننا خضوعاً وتذللاً، أو لأنه كان يدعي الإلهية فادعى للناس العبادة، وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: قوم موسى التوراة، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: يعملون بشرائعها ومواعظها، كما قال: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [يونس: ٨٣]، يريد: آل فرعون، وكما يقولون: هاشم، وثقيف، وتميم، ويراد: قومهم، ولا يجوز أن يرجع الضمير في (لعلهم) إلى فرعون وملئه؛ لأنّ التوراة إنما أوتيها بنو إسرائيل بعد إغراق فرعون وملئه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [القصص: ٤٣].

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

فإن قلت: لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه؟

قلت: نعم؛ لأنّ مريم ولدت من غير مسيس، وعيسى روح من الله ألقي إليها، وقد

تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات أخر، فكان آية من غير وجه، واللفظ محتمل للتثنية على تقدير: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: آية، ﴿وَأُمَّهُۥٓ﴾: آية، ثم حذفت الأولى؛ لدلالة الثانية عليها، الربوة والرباوة في رائهما الحركات، وقرئ: «ربوة رباوة»: بالضم، ورباوة بالكسر وهي الأرض المرتفعة، قيل: هي إيليا: أرض بيت المقدس، وأنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً: عن كعب، وقيل: دمشق وغوطتها، وعن الحسن: فلسطين والرملة، وعن أبي هريرة: الزموا هذه الرملة رملة فلسطين؛ فإنها الربوة التي ذكرها الله، وقيل: مصر، والقرار: المستقرّ من أرض مستوية منبسطة، وعن قتادة: ذات ثمار وماء، يعني: أنه لأجل الثمار: يستقرّ فيها ساكنوها، والمعين: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض، وقد اختلف في زيادة ميمه وأصالته، فوجه من جعله مفعولاً أنه مدرك بالعين لظهوره، من عانه: إذا أدركه بعينه؛ نحو: ركبه: إذا ضربه بركبته، ووجه من جعله فعيلاً: أنه نفاع بظهوره وجريه، من الماعون: وهو المنفعة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما، وكيف الرسل؛ إنما أرسلوا متفرّقين في أزمنة مختلفة، وإنما المعنى: الإعلام بأنّ كلّ رسول في زمانه نودي لذلك[1] ووصى به؛ ليعتقد السامع أنّ أمراً نودي له جميع الرسل ووصوا به، حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه، والمراد بالطيبات: ما حل وطاب، وقيل: طيبات الرزق حلال وصاف وقوام، فالحلال ٢/ ٣٥ب: الذي لا يعصى الله فيه، والصافي: الذي لا ينسى الله فيه، والقوام: ما يمسك النفس ويحفظ العقل، أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه؛ ويشهد له مجيئه على عقب قوله: ﴿وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [مريم: ٥٠]؛ ويجوز أن يقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم إلى الربوة، فذكر على سبيل الحكاية، أي: آويناهما وقلنا لهما هذا، أي: أعلمناهما أنّ الرسل كلهم خوطبوا بهذا، فكلا مما رزقناكما واعملا صالحاً؛ اقتداء بالرسل.

---

(١) قال محمود: «هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي بذلك» قال أحمد: هذه نفحة اعتزالية، فإن مذهب أهل السنة أن الله تعالى متكلم آمر ناه أزلاً، ولا يشترط في تحقق الأمر وجود المخاطب، فعلى هذا قوله: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾ على ظاهره وحقيقته عند أهل الحق، وهو ثابت أزلاً على تقدير وجود المخاطبين فيما لا يزال، متفرقين كما في هذا الخطاب، أو مجتمعين كما في زعمه، والمعتزلة لما أبت اعتقاد قدم الكلام زلت بهم القدم، حتى حملوا هذه الآية وأمثالها على المجاز وخلاف الظاهر. وما بال الزمخشري خص هذه الآية بأنها على خلاف الظاهر ومعتقده يوجب حمل مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وجميع الأوامر العامة في الأمة على خلاف الظاهر.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾

قرئ: «وإنّ»: بالكسر على الاستئناف، وأنّ بمعنى: ولأنّ، وأن مخففة من الثقيلة، و﴿أُمَّتُكُمْ﴾: مرفوعة معها.

﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾

وقرئ: ﴿زُبُرًا﴾: جمع زبور، أي: كتباً مختلفة، يعني: جعلوا دينهم أدياناً، وزبراً قطعاً: استعيرت من زبر الفضة والحديد، و«زبراً»: مخففة الباء، كرسل في رسل، أي: كلّ فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم، فرح بباطله، مطمئنّ النفس، معتقد أنه على الحق.

﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

الغمرة: الماء الذي يغمر القامة؛ فضربت مثلاً لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم، أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل؛ قال [من البسيط]:

. . . . كَـأَنَّـنِـي ضَـارِبٌ فِـي غَـمْـرَةٍ لَـعِـبُ[1]

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: في غمراتهم، ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى أن يقتلوا أو يموتوا.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

سلى رسول الله ـ ﷺ ـ بذلك، ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره، وقرئ: «يمدّهم»، و«يسارع»، و«يسرع»: بالياء، والفاعل: الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويجوز في: يسارع، ويسرع: أن يتضمن ضمير الممدّ به، ويسارع، مبنياً للمفعول، والمعنى: أنّ هذا الإمداد ليس إلا استدراجاً لهم إلى المعاصي، واستجراراً إلى زيادة الإثم، وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات، وفيما لهم فيه نفع وإكرام، ومعاجلة بالثواب قبل

---

(١) لـيـالـيَ الـلـهـو يـطـبـيـنـي فـأتـبـعـه   كـأنـنـي ضـارب فـي غـمـرة لـعـب
لذي الرمة. وليالي: منصوب على الظرفية، واللهو: مبتدأ. وطباه يطبوه ويطبيه: إذا دعاه وجذبه. وطبي الناقة ثديها لجذبه عند الحلب. أي اللهو يدعوني في ليال كثيرة فأتبعه، كأني سابح في لجة من الماء تغمر القامة، لعب فيها فهو خبر ثان. ويروى: لغب، بالمعجمة من اللغوب وهو المشقة. وقيل: «ليالي» مضاف للجملة بعده، فهو ظرف لما قبله. وروي: اللهو بالجر. وتطبيني بالتاء، فالفاعل ضمير الليالي.
ينظر: ديوانه ص ٣٨، ولسان العرب (ضرب)، (غمر)، (طبي)، وتهذيب اللغة ٨/ ١٢٩، ١٢/ ٢٠، وكتاب العين ٧/ ٣٣، وتاج العروس (ضرب)، (طبي)، وجمهرة أشعار العرب ص ٩٤٦.

وقته، ويجوز أن يراد في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين، و﴿بَل﴾: استدراك؛ لقوله: (أيحسبون)، يعني: بل هم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور، حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك: أهو استدراج، أم مسارعة في الخير؟

فإن قلت: أين الراجع من خبر أنّ إلى اسمها إذا لم يستكنّ فيه ضميره؟

قلت: هو محذوف تقديره: نسارع به، ويسارع به، ويسارع الله به؛ كقوله: ﴿إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، أي: إن ذلك منه؛ وذلك لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾: يعطون ما أعطوا، وفي قراءة رسول الله - ﷺ - وعائشة: «يأتون ما أتوا» (٩٩٨)، أي: يفعلون ما فعلوا، وعنها أنها قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ الَّذِي يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبِ الْخَمْرَ وَهُوَ عَلَىٰ ذٰلِكَ يَخَافُ اللَّهَ؟ قَالَ: لا يَا ٱبْنَةَ الصِّدِّيقِ، وَلٰكِنْ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّق، وهو على ذلك يخاف الله ألا يقبل منه (٩٩٩)، ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: يحتمل معنيين:

---

٩٩٨ - أخرجه الحاكم (٢/٢٤٦) من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي عن أبيه قال: قلت لعائشة - رضي الله عنها -: يا أم المؤمنين، كيف كان رسول الله - ﷺ - يقرأ هذا الحرف: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ قالت: أشهد لسمعت رسول الله - ﷺ - يقرأها: «يؤتون».
ثم قال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

٩٩٩ - رواه الترمذي (٥/٣٢٧) كتاب التفسير، باب «ومن سورة المؤمنون» حديث (٣١٧٥). وابن ماجه (٢/١٤٠٤) كتاب الزهد، باب التوقي على العمل حديث (٤١٩٨) والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٣ - ٣٩٤) ثم قال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» اهـ.
وأحمد في المسند (٦/١٥٩ - ٢٠٥)، والبيهقي في الشعب (١/٤٧٧) رقم (٧٦٢)، والطبري في التفسير (٩/ ٢٢٥ - ٢٢٦)، رقم (٢٥٥٥٩ - ٢٥٥٦٢)، والبغوي في تفسيره (٣/٣١٢)، وذكره السيوطي في الدر (٥/٢١) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في نعت الخائفين وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.
قال الحافظ: أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة، والحاكم، والبيهقي في الشعب من رواية عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمذاني عن عائشة قالت: سألت فذكره. قال الترمذي: وقد روي عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - اهـ
وهذه الطريق أخرجها الطبري بهذا الإسناد أن عائشة قالت: فذكره، وله عنده طريق أخرى عن =

أحدهما: أن يراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها.

والثاني: أنهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الإكرام؛ كما قال: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨]، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]؛ لأنهم إذا سورع بها لهم، فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها، وهذا الوجه أحسن طباقاً للآية المتقدمة؛ لأن فيه إثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين، وقرئ: «يسرعون في الخيرات» ﴿لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ أي: فاعلون السبق لأجلها أو سابقون الناس لأجلها، أو إياها سابقون، أي: ينالونها قبل الآخرة؛ حيث عجلت لهم في الدنيا[1]، ويجوز أن يكون: (لها سابقون): خبراً بعد خبر، ومعنى (وهم لها): كمعنى قوله [من الرجز]:

. . . . أَنْتَ لَهَا أَحْمَدُ مِنْ بَيْنِ الْبَشَرْ[2]

= عائشة فيها ليث بن أبي سليم وهو ضعيف. وقوله وهو في قراءة النبي -ﷺ- وعائشة (يأتون ما أتوا): كأنه يشير إلى هذا الحديث، وأخرج منه ما أخرجه الحاكم من طريق عبد الله بن عمير عن أبيه أنه سأل عائشة عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ كيف كان -ﷺ- يقرؤها يؤتون: يأتون أو يؤتون؟ قالت: أيهما أحب إليك؟ قال: الذين يأتون ما أتوا. قالت: أشهد أن رسول الله -ﷺ- كان يقرؤها، وكذلك أنزلت. وفي إسناده يحيى بن راشد وهو ضعيف. وله طريق أخرى، عند أحمد من طريق أبي خلف الجمحي: أن عبيد بن عمير سأل عائشة نحوه وفيه إسماعيل بن مسلم المكي. وهو ضعيف. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا يدل لفظ لها سابقون على هذا التفسير لأنَّ سبق الشيء يدل على تقدم السابق على المسبوق فكيف يقول وهم يسبقون الخيرات وهذا لا يصح، قلت ولا أدري عدم الصحة من أي جهة وكأنه تخيل أن السابق يتقدم على المسبوق فكيف يتلاقيان لكنَّه ينبغي أن يقول فكيف يقول هم ينالون الخيرات وهم لا يجامعونها لتقدمهم عليها إلا أن يكون قد سبقه القلم فكيف يدل وهم ينالون وهم يسبقون، وعلى كل تقدير فأين عدم الصحة؟ انتهى. الدر المصون.

(٢) قصيدة رائقة صوغتها ... أنت لها أحمد من بين البشر

رائقة: خالية من الحشو والتعقيد. وصوغتها - بالتشديد - للمبالغة. وأنت لها: أي أهل وكفؤ لها. وأحمد: منادى. ومن بين البشر: متعلق بمحذوف حال، أي: منتخبا من بينهم، ويجوز أن أحمد أفعل تفضيل، كذا قيل. ويروى:

أنت لها منذر من بين البشر ... داهية الدهر وصماء الغبر

للأعشى الحرمازي، وضمير لها مبهم يفسره قوله «داهية الدهر» أي الشديدة المهمة من شدائده. والصماء الصلبة. والغبر - كسبب - بمعنى البقية، من غبر إذا بقي، أو من الغبار، أو من الظلمة. وأصل «صماء الغبر»: الحية تسكن في منقع قرب مويهة فلا تقرب. ويضرب بها المثل. والمعنى: أنها تغشى فلا يهتدى إلى التخلص منها. ومنذر: منادى. ورُوي بدله: أحمد. وقيل: ضمير لها للنبوة.

ينظر: لسان العرب (غبر)، وتاج العروس (غبر)، وتهذيب اللغة (٨/ ١٢٣)، وأساس البلاغة (غبر).

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

يعني: أن هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حدّ الوسع والطاقة، وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الأعمال فغير ضائع عنده، بل هو مثبت لديه في كتاب، يريد: اللوح، أو صحيفة الأعمال ناطق بالحق لا يقرءون منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل، لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد، أو أراد: إن الله لا يكلف إلا الوسع، فإن لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن يستفرغ وسعه ويبذل طاقته، فلا عليه، ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد، ولا نظلم أحداً من حقه ولا نحطه دون درجته، بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها، ﴿مِّنْ غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين، ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ﴾: متجاوزة متخطية لذلك، أي: لما وصف به المؤمنون، ﴿وَهُمْ لَهَا﴾: معتادون وبها ضارون، لا يفطمون، عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام، والكلام: الجملة الشرطية، والعذاب: قتلهم يوم بدر، أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «اللَّهُمَّ ٱشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَىٰ مُضَرَ، وَٱجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ» (١٠٠٠) فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقدّ[(١)] والأولاد، الجؤار: الصراخ باستغاثة؛ قال: [الكامل]

جَآرٌ سَاعَاتِ النِّيَامِ لِرَبِّهِ

أي: يقال لهم حينئذٍ: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟﴾ ٣٦/٢أ؛ فإن الجؤار غير نافع لكم، ﴿مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾: لا تغاثون ولا تمنعون منا أو من جهتنا، لا يلحقكم نصر ومغوثة، قالوا: الضمير

١٠٠٠ ـ تقدم برقم (٩٧٢).
قال الحافظ: متفق عليه من حديث ابن مسعود، وسيأتي تاماً في تفسير الدخان. انتهى.

---

(١) قوله «والقد» في الصحاح «القد» بالكسر: سير يقد من جلد غير مدبوغ. (ع)

في ﴿بِهِۦ﴾: للبيت العتيق أو للحرم، كانوا يقولون: لا يظهر علينا أحد؛ لأنا أهل الحرم، والذي سوّغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت، وأنه لم تكن لهم مفخرة إلا أنهم ولاته والقائمون به، ويجوز أن يرجع إلى آياتي، إلا أنه ذكر؛ لأنها في معنى كتابي، ومعنى استكبارهم بالقرآن: تكذيبهم به استكباراً، ضمن مستكبرين معنى مكذبين، فعدّى تعديته، أو يحدث لكم استماعه استكباراً وعتوّاً، فأنتم مستكبرون بسببه، أو تتعلق الباء بسامراً، أي: تستمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه، وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون، وكانت عامّة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً وسبّ رسول الله ـ ﷺ ـ أو يتهجرون، والسامر: نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع، وقرئ: «سمراً، وسماراً»، و«تهجرون وتهجرون»: من أهجر في منطقة إذا أفحش، والهجر ـ بالضم ـ: الفحش، ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر إذا هذى، والهجر ـ بالفتح ـ: الهذيان.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ٱلْقَوْلَ﴾: القرآن، يقول: أفلم يتدبروه؛ ليعلموا أنه الحق المبين فيصدّقوا به وبمن جاء به، بل ﴿جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ﴾؛ فلذلك أنكروه واستبدعوه؛ كقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾ [يس: ٦]، أو ليخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين، أم جاءهم من الأمن ما لم يأت آباءهم؛ حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه؟ وآباؤهم: إسماعيل وأعقابه من عدنان وقحطان، وعن النبي ـ ﷺ ـ: «لاَ تَسُبُّوا مُضَرَ وَلاَ رَبِيعَةَ، فَإِنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ، وَلاَ تَسُبُّوا قُسًّا؛ فَإِنَّهُ كَانَ مُسْلِماً، وَلاَ تَسُبُّوا الْحَارِثَ بْنَ كَعْبٍ وَلاَ أَسَدَ بْنَ خُزَيْمَةَ وَلاَ تَمِيمَ بْنَ مُرٍّ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَا شَكَكْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَلاَ تَشُكُّوا فِي أَنْ تُبَّعاً كَانَ مُسْلِماً (١٠٠١)، وروي في

١٠٠١ ـ قال السهيلي في الروض الأنف (١/ ١٠): «وفي الحديث المروي: «لا تسبوا مضر ولا ربيعة؛ فإنهما كانا مؤمنين» ذكره الزبير بن بكار اهـ.
ورواه ابن سعد في الطبقات (١/ ٤٨) قال: أخبرنا خالد بن خداش أخبرنا عبد الله بن وهب قال: أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن عبد الله بن خالد قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تسبوا مضر، فإنه كان قد أسلم».
وكذا ذكره المتقي الهندي في كنز العمال رقم (٣٣٩٨٧)، وأخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٠) عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: «كان تبع رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله عز وجل ذم قومه ولم يذمه». وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .اهـ. ووافقه الذهبي.
وروى أحمد (٥/ ٣٤٠) عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا تسبوا تبعاً؛ =

أنّ ضبة كان مسلماً، وكان على شرطة سليمان بن داود، ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا﴾: محمداً وصحة نسبه، وحلوله في سطة هاشم، وأمانته، وصدقه، وشهامته، وعقله، واتسامه بأنه خير فتيان قريش، والخطبة التي خطبها أبو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد، كفى برغائها منادياً.

الجنة: الجنون، وكانوا يعلمون أنه بريء منها وأنه أرجحهم عقلاً وأثقبهم ذهناً، ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم، ولم يوافق ما نشأوا عليه، وسيط بلحومهم[1]، ودمائهم من اتباع الباطل، ولم يجدوا له مردًا ولا مدفعاً؛ لأنه الحق الأبلج والصراط المستقيم، فأخلدوا إلى البهت، وعوّلوا على الكذب من النسبة إلى الجنون والسحر والشعر.

فإن قلت: قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق.

قلت: كان فيهم من يترك الإيمان به أنفة واستنكافاً من توبيخ قومه، وأن يقولوا: صبأ وترك دين آبائه، لا كراهة للحق، كما يحكى عن أبي طالب[2].

= فإنه قد كان أسلم» والديلمي في مسند الفردوس (٥/ ١٦١) رقم (٧٤٨٤)، ورواه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٣) رقم (٦٠١٣)، قال في المجمع (٨/ ٧٩): رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عمرو بن جابر وهو كذاب» اهـ.

قال الحافظ: قلت اقتصر المخرج في عزو الجملة الأولى إلى السهيلي عن الزبير، وتتضمن الباقي. وقد أخرجه ابن سعد والبلاذري من طريق سعد بن أبي أيوب عن عبد الله بن خالد أنه بلغه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا تسبوا مضر؛ فإنه كان مسلماً». وأما تبع فروى الفاكهي من طريق عمر بن جابر عن سهل بن سعد رفعه «لا تسبوا تبعاً فإنه قد أسلم». وأخرجه الحاكم من طريق ابن جريج عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «كان تبع رجلاً صالحاً. الحديث» موقوف. وقوله: والخطبة التي خطبها أبو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ كفى برغائها منادياً: قلت نص له أيضاً. انتهى.

---

(١) قوله «وسيط بلحومهم» أي: وخلط. (ع)

(٢) قال محمود: «فإن قلت أكثرهم يعطي أن أقلهم لا يكره الحق، وكيف ذلك والكل كفرة؟ قلت: فيهم من أبى الإسلام حذراً من مخالفة آبائه ومن أن يقال صبأ كأبي طالب، لا كراهة للحق» قال أحمد: وأحسن من هذا أن يكون الضمير في قوله: (وأكثرهم) على الجنس للناس كافة، ولما ذكر هذه الطائفة من الجنس بنى الكلام في قوله (وأكثرهم) على الجنس بجملته، كقوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ وكقوله ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ والنبي ﷺ جاء الناس كلهم وبعث إلى الكافة. ويحتمل أن يحمل الأكثر على الكل كما حمل القليل على النفي والله أعلم. وأما قول الزمخشري ـ: إن من تمادى على الكفر وآثر البقاء عليه تقليداً لآبائه «ليس كارهاً للحق ـ فمردود» فإن من أحب شيئاً كره ضده، =

فإن قلت: يزعم بعض الناس أنّ أبا طالب صحّ إسلامه.

قلت: سبحان الله! كأن أبا طالب كان أخمل أعمام رسول الله ـ ﷺ ـ حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس ـ رضي الله عنهما ـ ويخفى إسلام أبي طالب.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾

دل بهذا على عظم شأن الحق، وأنّ السمٰوات والأرض ما قامت ولا من فيهن إلا به، فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلاً، ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام، أوأراد أنّ الحق الذي جاء به محمد ـ ﷺ ـ وهو الإسلام، لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا، لجاء الله بالقيامة، ولأهلك العالم ولم يؤخر؛ وعن قتادة: أنّ الحق هو الله، ومعناه: ولو كان الله إلهاً يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي، لما كان إلٰهاً ولكان شيطاناً، ولما قدر أن يمسك السمٰوات والأرض، ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: بالكتاب الذي هو ذكرهم، أي: وعظهم أو وصيتهم وفخرهم: أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه، ويقولون: لو أنّ عندنا ذكراً من الأوّلين لكنا عباد الله المخلصين، وقرئ: «بذكراهم».

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾

قرئ: «خراجاً فخراج»، و«خرجاً فخرج»، و«خرجاً فخراخ»: وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك، وإلى كل عامل من أجرته وجُعله، وقيل: الخرج: ما تبرعت به، والخراج: ما لزمك أداؤه، والوجه: أنَّ الخرج أخص من الخراج؛ كقولك: خراج القرية، وخرج الكردة؛ زيادة اللفظ لزيادة المعنى؛ ولذلك حسنت قراءة من قرأ: «خرجا فخراج ربك»، يعني: أم تسألهم على هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق، فالكثير من عطاء الخالق خير.

= فإذا أحبوا البقاء على الكفر فقد كرهوا الانتقال عنه إلى الإيمان ضرورة، والله أعلم. ثم انجر الكلام إلى استبعاد إيمان أبي طالب. وتحقيق القول فيه أنه مات على الكفر، ووجه ذلك بأنه أشهر عمومة النبي ﷺ، فلو كان قد أسلم لاشتهر إسلامه، كما اشتهر إسلام العباس وحمزة وأجدر لأنه أشهر، وللقائل بإسلامه أن يعتذر عن عدم شهرته بأنه إنما أسلم قبيل الاحتضار، فلم يظهر له مواقف في الإسلام يشتهر بها كما ظهر لغيره من عمومته عليه الصلاة والسلام. هذا والظاهر أنه لم يسلم. وحسبك دليلاً على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: سألت الله تعالى فيه، وأنه بعد ذلك لفي ضحضاح من نار يغلي رأسه من قدميه. فإن قيل: لا يلزم من ذلك موته على الكفر؛ لأن كثيراً من عصاة الموحدين يعذب بأكثر من ذلك. قلنا: من أثبت إسلامه ادعى أن ذلك كان قبيل الاحتضار، فالإسلام جب ما قبله، وتلك الدقيقة التي صار فيها من المسلمين لا تحتمل من المعاصي ما يوجب ذلك، والله أعلم.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾

قد ألزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأن الذي أُرسل إليهم رجل معروف أمره وحاله، مخبور سرّه وعلنه، خليق بأن يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم، وأنه لم يعرض له[1] حتى يدعى بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل، ولم يجعل ذلك سلماً إلى النيل من دنياهم واستعطاء أموالهم، ولم يدعهم إلا إلى دين الإسلام الذي هو الصراط المستقيم، مع إبراز المكنون من أدوائهم، وهو إخلالهم بالتدبر والتأمل، واستهتارهم[2] بدين الآباء الضلال من غير برهان، وتعللهم: بأنه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة، وكراهتهم ٢/٣٦ب للحق، وإعراضهم عما فيه حظهم من الذكر، يحتمل أنّ هؤلاء وصفتهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة، ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ أي: عادلون عن هذا الصراط المذكور، وهو قوله: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب؛ لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة، ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز[3]، جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ لَهُ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ بُعِثْتَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ؟ فَقَالَ: بَلَىٰ، فَقَالَ: قَتَلْتَ الآبَاءَ بِالسَّيْفِ، وَالأَبْنَاءَ بِالْجُوعِ (١٠٠٢).

١٠٠٢ ـ رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٧٠) رقم (١٢٠٣٨) حدثنا عيسى بن القاسم الصيدلاني البغدادي ثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري ثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان بن حرب إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: يا محمد، نشدتك الله والرحم قد أكلنا العلهز ـ يعني الوبر والدم ـ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾.
وابن حبان في صحيحه (٥/ ٤٢٨) رقم (١٧٥٣ ـ موارد)، والنسائي في التفسير (٢/ ٩٨ ـ ٩٩) رقم (٣٧٢)، وابن جرير الطبري في التفسير (٩/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) رقم (٢٥٦٣٢)، وعزاه الزيلعي للبيهقي في الدلائل والواحدي في أسباب النزول، وذكره البغوي في التفسير (٣/ ٣١٤)، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٧٦): «رواه الطبراني وفيه علي بن الحسين بن واقد وثقه النسائي وغيره وضعفه أبو حاتم» اهـ.

---

(١) قوله «لم يعرض» لعله: لم يعرض له جنون. (ع)
(٢) قوله «واستهتارهم بدين الآباء الضلال» في الصحاح: فلان مستهتر بالشراب، أي: مولع به لا يبالي ما قيل فيه. (ع)
(٣) قوله «حتى أكلوا العلهز» في الصحاح «العلهز» بالكسر: طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة. (ع)

﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

والمعنى: لو كشف الله عنهم هذا الضرّ، وهو: الهزال والقحط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب، لارتدوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين وإفراطهم فيها، ولذهب عنهم هذا الإبلاس، وهذا التملق بين يديه ويسترحمونه، واستشهد على ذلك بأنا أخذناهم أوّلاً بالسيوف، وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم، فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع، حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشدّ من الأسر والقتل وهو أطم العذاب، فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم، وجاء أعتاهم وأشدّهم شكيمة في العناد يستعطفك، أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك، حتى إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذٍ يبلسون؛ كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الروم: ١٢]، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٥]، والإبلاس: اليأس من كل خير، وقيل: السكوت مع التحير.

فإن قلت: ما وزن استكان؟

قلت: استفعل من الكون[1]، أي: انتقل من كون إلى كون، كما قيل: استحال إذا انتقل من حال إلى حال، ويجوز أن يكون افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه، كما جاء [من الوافر]:

---

(١) قال محمود: «استكان استفعل من الكون، أي: انتقل من كون إلى كون، كما يقال: استحال، إذا انتقل من حال إلى حال» قال أحمد: هذا التأويل أسلم وأحق من تأويل من اشتقه من السكون وجعله افتعل، ثم أشبعت الفتحة فتولدت الألف كتولدها في قوله:

ينباع من ذفري غضوب جسرة

فإن هذا الإشباع ليس بفصيح، وهو من ضرورات الشعر، فينبغي أن ترفع منزلة القرآن عن ورود مثله فيه، لكن تنظير الزمخشري له باستحال: وهم، فإن استكان على تأويله أحد أقسام استفعل، الذي معناه التحول، كقولهم: استحجر الطين، واستنوق الجمل. وأما استحال فثلاثيه حال يحول، إذا انتقل من حال إلى حال، وإذا كان الثلاثي يفيد معنى التحول لم يبق لصيغة استفعل فيها أثر، فليس استحال من استفعل للتحول ـ ولكنه من استفعل بمعنى فعل، وهو أحد أقسامه، إذ لم يزد السداسي فيه على الثلاثي معنى، والله أعلم. ثم نعود إلى تأويله فنقول: المعنى عليه: فما انتقلوا من كون التكبر والتجبر والاعتياص إلى كون الخضوع والضراعة إلى الله تعالى. ولقائل أن يقول: استكان يفيد على التأويل المذكور الانتقال من كون إلى كون، فليس حمله على أنه انتقال عن التكبر =

فإن قلت: هلا قيل: وما تضرعوا، أو: فما يستكينون؟

قلت: لأنّ المعنى: محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة، وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد، وقرئ: «فتحنا».

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

إنما خصّ السمع والأبصار والأفئدة؛ لأنه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها، ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم في آيات الله وأفعاله، ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم، ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، إذ كانوا

= إلى الخضوع بأولى من العكس. وترى هذه الصيغة لا تفهم إلا أحد الانتقالين، فلو كانت مشتقة من مطلق الكون لكانت مجملة محتملة للانتقالين جميعاً. والجواب أن أصلها كذلك على الإطلاق، ولكن غلب العرف على استعمالها في الانتقال الخاص كما غلب في غيرها، والله أعلم. وكان جدي أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير رحمه الله يذكر لي أنه لما دخل بغداد زمن الإمام الناصر رضي الله عنه، أظهر من جملة كراماته له: أن جمع له الوزير جميع علماء بغداد وعقد بهم محفلا للمناظرة، وكان يذكر لي أن مما انجر الكلام إليه حينئذٍ هذه الآية، وأن أحدهم وكان يعرف بالأجل اللغوي خصه الوزير بالسؤال عنها فقال: وهو مشتق من قول العرب: كنت لك إذا خضعت، وهي لغة هذلية فاستحسن منه ذلك. قال أحمد: وقد وقفت عليها بعد ذلك في غريب أبي عبيد المروي وهو أحسن محامل الآية وأسلمها، والله أعلم. وعلى هذا يكون من استفعل بمعنى فعل، كقولهم: استقر واستعلى، وحال واستحال على ما مر. وقد قال لي بعضهم يوماً: لم لا تجعله على هذا التأويل من استفعل المبني للمبالغة. مثل استحسر واستعصم من حسر وعصم، فقلت: لا يسعني ذلك؛ لأن المعنى يأباه، وذلك أنها جاءت في النفي والمقصود منها ذم هؤلاء بالجفوة والقسوة وعدم الخضوع، مع ما يوجب نهاية الضراعة من أخذهم بالعذاب، فلو ذهبت إلى جعلها للمبالغة أفادت نقص المبالغة، لأن نفي الأبلغ أدنى من نفي الأدنى، وكأنهم على ذلك ذموا بنفي الخضوع الكثير، وأنهم ما بلغوا في الضراعة نهايتها، وليس الواقع؛ فإنهم ما اتسموا بالضراعة ولا بلمظة منها، فكيف تنفي عنهم النهاية الموهمة لحصول البداية، والله أعلم.

(١) قوله «كما جاء بمنتزاح» أي في قوله:

وأنت من الغوائل حين ترمي ... وعن ذم الرجال بمنتزاح

اهـ عليان.

قلت: وقد تقدم شرح هذا الشاهد.

يجحدون بآيات الله، ومقدمة شكر النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها، وألاّ يجعل له ندّ ولا شريك، أي: تشكرون شكراً قليلاً، و﴿مَّا﴾: مزيدة للتأكيد بمعنى: حقًّا، ﴿ذَرَأَكُمْ﴾: خلقكم وبثكم بالتناسل، ﴿وَإِلَيْهِ﴾: تجمعون يوم القيامة بعد تفرّقكم، ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: هو مختص به وهو متوليه، ولا يقدر على تصريفهما غيره، وقرئ: «يعقلون»: بالياء عن أبي عمرو.

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾

أي: قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم، الأساطير: جمع أسطار: جمع سطر؛ قال رؤبة [من الرجز]:

إِنِّـي وَأَسْـطَـارٍ سُـطِـرْنَ سَـطْـرَا[1] . . . .

وهي: ما كتبه الأوّلون مما لا حقيقة له، وجمع أسطورة أوفق.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ

---

(١) إنـي وأسـطـار سـطـرن سـطـرا   لـقـائـل: يـا نـصـر نُـصـر نـصـرا

لرؤبة بن العجاج. والمراد بالأسطار: الكتابة، وهي جمع سطر بالتحريك، وأصله مصدر كالساكن الوسط. وسطرن: مبني للمجهول. وسطراً: مصدر. ولقائل: خبر «إني» وما بينهما جملة قسمية اعتراضية. ونصر: مبني على الضم، وهو ابن سيار ملك خراسان. ونصر الثاني توكيد لفظي، مرفوع على اللفظ. والثالث كذلك نصب على المحل لأنه كان مفردا معرفة لأنه تابع. أو هو مصدر نائب عن فعله. أي انصرني نصراً. وقيل «نضر» الثاني بالضاد المعجمة على أنه علم لصاحب نصر الأول، فهو على حذف العاطف. عن أبي عبيدة: والمنقول أن الذي بالضاد المعجمة هو الثالث، كان حاجباً لنصر، واشتكاه له الشاعر فنصبه على الإغراء. والمعنى على الأول: وحق الكتاب المسطور إني لمستغيث به لا بغيره.

ينظر ديوانه ص ١٧٤، ولسان العرب (نصر)؛ وتاج العروس (نصر)، ومقاييس اللغة ٥/٤٣٦، ومجمل اللغة ٤/٤٠٨، وخزانة الأدب ٢/٢١٩، والخصائص ١/٣٤٠، والدرر ٤/٢٢، وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٤٣، وشرح المفصل ٢/٣، والكتاب ٢/١٨٥، ١٨٦، ولذي الرمة في شرح شذور الذهب ص ٥٦٤، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في لسان العرب (سطر)، وتهذيب اللغة ١٢/ ٣٢٧، وتاج العروس (سطر)، (نصر)، (الياء)، وأسرار العربية ص ٢٩٧، والأشباه والنظائر ٤/ ٨٦، والدرر ٦/٢٦، ومغني اللبيب ٢/٣٨٨، والمقاصد النحوية ٤/٢٠٩، والمقتضب ٤/٢٠٩، وهمع الهوامع ١/٢٤٧، ٢/١٢١.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

أي: أجيبوني عما استعلمتكم منه[1] إن كان عندكم فيه علم، وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات: أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين، وقرئ: «تذكرون»: بحذف التاء الثانية[2]، ومعناه: أفلا تتذكرون فتعلموا أنّ من فطر الأرض ومن فيها اختراعاً، كان قادراً على إعادة الخلق، وكان حقيقاً بألاّ يشرك به بعض خلقه في الربوبية، قرئ: «الأوّل»: باللام لا غير، والأخيران: باللام، وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام، وبغير اللام: وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة، فباللام على المعنى؛ لأن قولك من ربه، ولمن هو: في معنى واحد، وبغير اللام على اللفظ، ويجوز قراءة الأوّل بغير لام، ولكنها لم تثبت في الرواية، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أفلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله، أجرت فلاناً على فلان: إذا أغثته منه ومنعته، يعني: وهو يغيث من يشاء ممن يشاء، ولا يغيث أحد منه أحداً، ﴿تُسْحَرُونَ﴾: تخدعون عن توحيده وطاعته، والخادع: هو الشيطان والهوى.

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾

وقرئ: «أتيتهم وأُتيتهم»: بالفتح والضم، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ حيث يدعون له ولداً ومعه شريكاً، ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾: لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبدّ به، ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزاً من ملك الآخرين، ولغلب بعضهم بعضاً؛ كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون، ٢/ ٣٧أ وحين لم تروا أثراً لتمايز الممالك وللتغالب، فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء.

فإن قلت: إذا: لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب، كيف وقع قوله: لذهب جزاء وجواباً، ولم يتقدّمه؛ شرط ولا سؤال سائل؟

قلت: الشرط محذوف تقديره: ولو كانت معه آلهة. وإنما حذف لدلالة قوله: ﴿وَمَا

(١) قوله «عما استعلمتكم منه» لعله «عنه». (ع)

(٢) قوله «وقرىء (تذكرون) بحذف التاء الثانية» يفيد أن القراءة المشهورة (تذكرون) بالتشديد. (ع)

كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، عليه، وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: من الأنداد والأولاد، ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾: بالجرّ صفة لله، وبالرفع: خبر مبتدأ محذوف.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

ما والنون: مؤكدتان، أي: إن كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾: قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم، عن الحسن: أخبره الله أن له في أمته نقمة ولم يخبره أفي حياته أم بعد موته، فأمره أن يدعو بهذا الدعاء.

فإن قلت: كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين، حتى يطلب ألاّ يجعله معهم؟

قلت: يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله، وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله؛ إظهاراً للعبودية، وتواضعاً لربه، وإخباتاً له، واستغفاره ـ ﷺ ـ إذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك، وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ: «وليتكم ولست بخيركم» (١٠٠٣) كان يعلم أنه خيرهم، ولكن المؤمن يهضم نفسه، وقرئ: «إما ترئنهم»: بالهمز(١)، مكان تريني، كما قرئ: «فإما ترئن»، و«لترؤن الجحيم»، وهي ضعيفة، وقوله: (رب): مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء، حث على فضل تضرع وجؤار، كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك، فقيل لهم: إن الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأملتم، فما وجه هذا الإنكار؟

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾

١٠٠٣ ـ رواه ابن هشام في السيرة: عن ابن إسحاق حدثني الزهري قال: حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر... فذكر حديثاً طويلا وفيه. ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني... إلخ. كما في السيرة (٤/ ٣٦٩) رقم (٢١٠٠).
ورواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٨٢) عن عروة عن أبيه مرسلاً.
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٤٠٦) للدارقطني في كتابه المؤتلف والمختلف وفي غرائب مالك وأبي عبيد في كتاب الأموال والواقدي في آخر كتاب المغازي.

---

(١) قوله «وقرىء إما ترئنهم بالهمزة» في نسخة أخرى: إما ترئني بالهمز، كما قرىء... إلخ». (ع)

«وأبلغ من أن يقال: بالحسنة السيئة؛ لما فيه من التفضيل، كأنه قال: ادفع بالحسنى السيئة، والمعنى: الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان، حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه: كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة، وهذه بقضية قوله: ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1]، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي شهادة أن لا إله إلا الله، والسيئة: الشرك، وعن مجاهد: السلام: يسلم عليه إذا لقيه، وعن الحسن: الإغضاء والصفح، وقيل: هي منسوخة بآية السيف، وقيل: محكمة؛ لأنّ المداراة محثوث عليها ما لم تؤدّ إلى ثلم دين وإزراء بمروءة، ﴿بِمَا يَصِفُونَ﴾: بما يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها، أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم، والله أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

الهمز: النخس، والهمزات: جمع المرّة منه، ومنه: مهماز الرائض، والمعنى: أنّ الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها، كما تهمز الراضة الدواب حثًّا لها على المشي، ونحو الهمز: الأزّ؛ في قوله تعالى: ﴿تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾: أمر بالتعوّذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه، المكرّر لندائه، وبالتعوذ من أن يحضروه أصلاً ويحوموا حوله،

---

(١) قال محمود: «هذا أبلغ من أن يقال: ادفع بالحسنة السيئة، لما فيه من التفضيل كأنه قال: ادفع بالحسنى السيئة، والمعنى: الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان، حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه، كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة، وهذه قضية قوله: بالتي هي أحسن، قال أحمد: ما ذكره تقريراً للمفاضلة عبارة عن الاشتراك في أمر والتميز بغيره، ولا اشتراك بين الحسنة والسيئة؛ فإنهما ضدان متقابلان، فكيف تتحقق المفاضلة؟ قلت: المراد أن الحسنة من باب الحسنات، أزيد من السيئة من باب السيئات، فتجيء المفاضلة مما هو أعم من كون هذه حسنة وهذه سيئة. وذلك شأن كل مفاضلة بين ضدين، كقولهم: العسل أحلى من الخل، يعنون أنه في الأصناف الحلوة أميز من الخل في الأصناف الحامضة. وليس لأن بينهما اشتراكاً خاصاً. ومن هذا القبيل ما يحكى عن أشعب الماجن أنه قال: نشأت أنا والأعمش في حجر فلان، فما زال يعلو وأسفل حتى استوينا، بمعنى أنهما استويا في بلوغ كل منهما الغاية: أشعب بلغ الغاية على السفلة. والأعمش: بلغ الغاية على العلية، هذا تفسير كلامه عن نفسه، ونعود إلى الآية فنقول: هي تحتمل وجهاً آخر من التفضيل أقرب متناولاً: وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التي تدفع بها السيئة، فإنها قد تدفع بالصفح والإغضاء، ويقنع في دفعها بذلك، وقد يزاد على الصفح الإكرام وقد تبلغ غايته ببذل الاستطاعة، فهذه الأنواع من الدفع كلها دفع بحسنة، ولكن أحسن هذه الحسنات في الدفع هي الأخيرة، لاشتمالها على عدد من الحسنات، فأمر النبي ﷺ بأحسن الحسنات في دفع السيئة، فعلى هذا تجري المفاضلة على حقيقتها من غير حاجة إلى تأويل، والله أعلم. فتأمله فإنه حسن جدا.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: عند تلاوة القرآن، وعن عكرمة: عند النزع.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ﴾: يتعلق بيصفون، أي: لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقف، والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء عنهم، مستعيناً بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم، أو على قوله: وإنهم لكاذبون(١): خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم؛ كقوله [من الطويل]:

فَإِنْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمُ(٢) . . . .

وقوله [من الطويل]:

أَلاَ فَارْحَمُونِي يَا إِلَـهَ مُحَمَّدٍ(٣) . . . .

إذا أيقن بالموت واطلع على حقيقة الأمر، أدركته الحسرة على ما فرّط فيه من الإيمان والعمل الصالح فيه، فسأله ربه الرجعة، وقال: ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾: في الإيمان الذي تركته، والمعنى: لعلي آتي بما تركته من الإيمان، وأعمل فيه صالحاً، كما تقول: لعلي أبني على أس، تريد: أأسس أسا وأبني عليه، وقيل: فيما تركت من المال، وعن النبي ـ ﷺ ـ: «إِذَا عَايَنَ الْمُؤْمِنُ الْمَلائِكَةَ قَالُوا: نُرْجِعُكَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: إِلَىٰ دَارِ الْهُمُومِ وَالأَحْزَانِ! بَلْ قُدُوماً إِلَى اللَّهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَقُولُ: رَبِّ ٱرْجِعُونِ» (١٠٠٤)،

١٠٠٤ ـ أخرجه ابن جرير (٩/ ٢٤٢) حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنى حجاج عن ابن جريج قال: قال النبي ـ ﷺ ـ لعائشة: «إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: نرجعك إلى الدنيا؟ فيقول: إلى دار الهموم والأحزان فيقول بل قدماني إلى الله وأما الكافر فيقال: نرجعك؟ فيقول: لعلي أعمل صالحاً =

---

(١) قوله «أو على قوله: وإنهم لكاذبون» لعله عطف على المعنى، كأنه قال فيما مر: حتى رد على قوله (يصفون). قال هنا: أو على قوله: (وإنهم لكاذبون). (ع)

(٢) تقدم.

(٣) ألا فـارحـمـونـي يـا إلـه مـحـمـد   فـإن لـم أكـن أهـلاً فـأنـت لـه أهـل

«ألا» استفتاحية دالة على الاهتمام بما يعقبها من الكلام، وخاطب الإله الواحد الأحد بخطاب الجمع جرياً على عادة العرب من خطاب السادة والملوك بذلك تعظماً. وقيل: هو إشارة إلى تكرار الفعل للتوكيد، كأنه قيل: ارحمني ارحمني ارحمني، وإضافته إلى محمد ﷺ للتوسل به إلى الله عز وجل، فإن لم أكن أهلاً لهذا الطلب أو المطلوب من الرحمة والرفق، فأنت يا الله أهل له.
ينظر: البحر (٦/ ٤٢١)، وروح المعاني (١٨/ ٦٣)، والدر المصون (٥/ ٢٠٠).

﴿كَلَّآ﴾: ردع عن طلب الرجعة، وإنكار واستبعاد، والمراد بالكلمة: الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض؛ وهي قوله: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾، ﴿هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾: لا محالة، لا يخليها ولا يسكت عنها؛ لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم، أو هو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا تسمع منه، ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾ والضمير: للجماعة، أي: أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث، وليس المعنى: أنهم يرجعون يوم البعث؛ وإنما هو إقناط كلي لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾

الصور ـ بفتح الواو ـ: عن الحسن، والصور ـ بالكسر والفتح ـ: عن أبي رزين، وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة، ونفى الأنساب: يحتمل أنّ التقاطع يقع بينهم، حيث يتفرّقون معاقبين ومثابين، ولا يكون التواصل بينهم والتألف إلا بالأعمال، فتلغوا الأنساب وتبطل، وأنه لا يعتدّ بالأنساب؛ لزوال التعاطف والتراحم بين الأقارب؛ إذ يفرّ المرء من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه، وعن ابن مسعود: «ولا يساءلون»: بإدغام التاء في السين.

فإن قلت ٢/٣٧ب: قد ناقض هذا ونحو قوله: ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ﴿١٠﴾﴾ [المعارج: ١٠]، قوله: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧][١]، وقوله: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [يونس: ٤٥]، فكيف التوفيق بينهما؟

قلت: فيه جوابان:

أحدهما: أن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، ففيه أزمنة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها، وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدّة الهول والفزع[٢].

= فيما تركت» الآية.

قال الزيلعي (٣/٤٠٧): «وذكره الثعلبي عن عائشة مرفوعاً من غير سند» اهـ.

---

(١) قال محمود: «إن قلت قد ناقض هذا قوله: فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» قال أحمد: يجب أن لا يسلك هذا المسلك في إيراد الأسئلة عن فوائد الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وسؤال الأدب أن يقال: قصر فهمي عن الجمع بين هاتين الآيتين، فما وجهه؟ ولو سأل سائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن شيء من كتاب الله تعالى بهذه الصيغة لأوجع ظهره بالدرة.

(٢) عاد كلامه إلى جواب السؤال. قال: «وجه الجمع بينهما أن يحمل ذلك على اختلاف موقف القيامة» قال أحمد: وكثيراً ما ينتهز الزمخشري الفرصة في إنكار الشفاعة ويشمر ذيله للرد على =

والثاني: أنّ التناكر يكون عند النفخة الأولى، فإذا كانت الثانية، قاموا فتعارفوا وتساءلوا.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

عن ابن عباس: الموازين: جمع موزون، وهي الموزونات من الأعمال، أي: الصالحات، التي لها وزن وقدر عند الله؛ من قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾: بدل من خسروا أنفسهم، ولا محلّ للبدل والمبدل منه؛ لأنّ الصلة لا محلّ لها، أو خبر بعد خبر لأولئك، أو خبر مبتدأ محذوف، ﴿تَلْفَحُ﴾: تسفع، وقال الزجاج: اللفح والنفح واحد، إلا أنّ اللفح أشدّ تأثيراً، والكلوح: أن تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الأسنان؛ كما ترى الرءوس المشوية، وعن مالك بن دينار: كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مرّ في السوق برأس أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهنّ، وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «تَشْوِيهِ النَّارُ فَتَقْلَصُ شَفَتُهُ الْعُلْيَا حَتَّىٰ تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَىٰ حَتَّىٰ تَبْلُغَ سُرَّتَهُ» (١٠٠٥)، وقرئ: «كلحون».

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾

١٠٠٥ ـ رواه الترمذي (٥/٣٢٨) كتاب التفسير، باب ومن سورة المؤمنون حديث (٣١٧٦) حدثنا سويد أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن يزيد أبي شجاع عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «وهم فيها كالحون» قال: تشويه النار، فتقلص شفته العالية حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته.
وأحمد في المسند (٣/٨) والحاكم (٢/٣٩٥)، وأبو يعلى في مسنده (٢/٥١٦) رقم (١٣٦٧)، وذكره السيوطي في الدر (٥/٣١)، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في صفة النار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية.
قال الحافظ: أخرجه الترمذي وأحمد والبيهقي في الشعب من رواية أبي السمح عن الهيثم بن أبي سعيد. انتهى.

= القائلين بها إذا انتهى إلى مثل قوله: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾، ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾. ويتغافل حينئذٍ عن طريق الجمع بين ما ظاهره نفي الشفاعة وبين ما ظاهره ثبوتها، بحمل الأمر على اختلاف الأحوال في القيامة، والله الموفق.

﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾: ملكتنا، من قولك: غلبني فلان على كذا: إذا أخذه منك وامتلكه، والشقاوة: سوء العاقبة التي علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم، قرئ: (شقوتنا)، وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما، ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾: ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب إذا زجرت، يقال: خسأ الكلب وخسأ بنفسه[1]، ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾: في رفع العذاب، فإنه لا يرفع ولا يخفف، قيل: هو آخر كلام يتكلمون به، ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون، وعن ابن عباس: إنّ لهم ست دعوات: إذا دخلوا النار قالوا ألف سنة: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ فيجابون: ﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾، فينادون ألفاً: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، فيجابون: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾، فينادون ألفاً: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، فيجابون: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾، فينادون ألفاً: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ﴾، فيجابون: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟﴾، فينادون ألفاً: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾، فيجابون: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾، فينادون ألفاً: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾، فيجابون: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

في حرف أبيّ: أنه كان فريق، بالفتح، بمعنى: لأنه.

السخريّ ـ بالضم والكسر ـ: مصدر سخر كالسخر، إلا أن في ياء النسب زيادة قوّة في الفعل، كما قيل: الخصوصية في الخصوص، وعن الكسائي والفراء: أنّ المكسور من الهزء، والمضموم من السخرة والعبودية، أي: تسخروهم واستعبدوهم، والأوّل: مذهب الخليل وسيبويه، قيل: هم الصحابة، وقيل: أهل الصفة خاصة، ومعناه: اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين، ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ﴾: بتشاغلكم بهم على تلك الصفة، ﴿ذِكْرِى﴾: فتركتموه، أي: تركتم أن تذكروني فتخافوني في أوليائي، وقرئ: (أنهم): بالفتح، فالكسر، استئناف، أي: قد فازوا؛ حيث صبروا، فجزوا بصبرهم أحسن الجزاء، وبالفتح على أنه مفعول جزيتهم؛ كقولك: جزيتهم فوزهم.

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾

---

(١) قوله «يقال خسأ الكلب... إلخ» في الصحاح: خسأت الكلب وخسأ بنفسه: يتعدى ولا يتعدى. (ع)

﴿قَٰلَ﴾: في مصاحف أهل الكوفة، «وقل»: في مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام، ففي (قال): ضمير الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة، وفي (قل): ضمير الملك أو بعض رؤساء أهل النار.

استقصروا مدّة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها؛ لأن الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مرّ عليه من أيام الدعة إليها، أو لأنهم كانوا في سرور، وأيام السرور قصار، أو لأنّ المنقضي في حكم ما لم يكن، وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها، وقرئ: ﴿فسل العادين﴾، والمعنى: لا نعرف من عدد تلك السنين إلا أنا نستقله ونحسبه يوماً أو بعض يوم؛ لما نحن فيه من العذاب، وما فينا أن نعدّها، فسل من فيه أن يعدّ، ومن يقدر أن يلقى إليه فكره، وقيل: فسل الملائكة الذين يعدّون أعمار العباد ويحصون أعمالهم، وقرئ: «العادِين»: بالتخفيف، أي: الظلمة؛ فإنهم يقولون كما نقول، وقرئ: «العاديين»، أي: القدماء المعمرين؛ فإنهم يستقصرونها، فكيف بمن دونهم؟ وعن ابن عباس: أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿عَبَثًا﴾: حال، أي عابثين؛ كقوله: ﴿لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦]. أو مفعول له، أي: ما خلقناكم للعبث، ولم يدعنا إلى خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك، وهي: أن نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي، ثم نرجعكم من دار التكليف ٢/٣٨أ إلى دار الجزاء، فنثيب المحسن ونعاقب المسيء، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾: معطوف على: ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾، ويجوز أن يكون معطوفاً على: (عبثاً)، أي: للعبث، ولترككم غير مرجوعين، وقرئ: (ترجعون): بفتح التاء[1]، ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الذي يحق له الملك؛ لأن كل شيء منه وإليه، أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه، وصف العرش بالكرم؛ لأن الرحمة تنزل منه والخير والبركة، أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين، كما يقال: بيت كريم: إذا كان ساكنوه كراما، وقرئ: «الكريم»: بالرفع؛ ونحوه: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج:

---

(١) قوله «وقرىء ترجعون بفتح التاء» عبارة النسفي: بفتح التاء وكسر الجيم. (ع)

١٥]، ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾؛ كقوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٥١]، وهي: صفة لازمة؛ نحو قوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، جيء بها للتوكيد لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان(١)، ويجوز أن يكون اعتراضاً بين الشرط والجزاء؛ كقولك: من أحسن إلى زيد لا أحق بالإحسان منه، فالله مثيبه، وقرئ: أنه لا يفلح بفتح الهمزة، ومعناه: حسابه عدم الفلاح، والأصل: حسابه أنه لا يفلح هو، فوضع الكافرون موضع الضمير؛ لأنّ (من يدع): في معنى الجمع؛ وكذلك: (حسابه.. إنه لا يفلح) في معنى حسابهم.... إنهم لا يفلحون.

جعل فاتحة السورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾، وأورد في خاتمتها: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْمُؤْمِنُونَ بَشَّرَتْهُ الْمَلائِكَةُ بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ وَمَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ عِنْدَ نُزُولِ مَلَكِ الْمَوْتِ» (١٠٠٦).

وروي: «أنّ أوّل سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش، من عمل بثلاث آيات من أوّلها، واتعظ بأربع آيات من آخرها: فقد نجا وأفلح» (١٠٠٧).

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دويّ كدوي النحل، فمكثنا ساعة، فاستقبل القبلة ورفع يده وقال: «اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلاَ تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلاَ تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلاَ تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلاَ تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَأَرْضَ عَنَّا

١٠٠٦ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
١٠٠٧ ـ قال الزيلعي (٢/٤٠٩): «غريب جداً».
وقال ابن حجر: «لم أجده».

---

(١) قال محمود: «لا برهان له به: إما صفة لازمة، أو كلام معترض لأن في الصفة إفهاماً لأن إلٰها سوى الله يمكن أن يكون به برهان» قال أحمد: إن كان صفة فالمقصود بها التهكم بمدعي إلٰه مع الله، كقوله: ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ فنفى إنزال السلطان به وإن لم يكن في نفس الأمر سلطان لا منزل ولا غير منزل، ومن جنس مجيء الجملة بعد النكرة وصرفها عن أن تكون صفة لها: ما قدمه عند قوله تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ حيث أعرب الزمخشري موعدا مصدراً ناصباً لمكانا سوى، واعترضه بأن المصدر الموصوف لا يعمل إلا على كره، واعتذرت عنه بصرف الجملة على أن تكون صفة وجعلها معترضة مؤكدة لمعنى الكلام، والله أعلم.

وَأَرْضِنَا» ثم قال: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» ح ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ حتى ختم العشر (١٠٠٨).

١٠٠٨ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٦) كتاب التفسير باب ومن سورة المؤمنون حديث (٣١٧٣)، وأحمد (١/ ٣٤)، والحاكم (٢/ ٣٩٢) في المستدرك تفسير سورة المؤمنون، وعبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) رقم (٦٠٣٨)، وعبد بن حميد في مسنده رقم (١٥ ـ منتخب)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٤٦٠) ترجمة يونس بن سليم، وعزاه الزيلعي للبزار وإسحاق بن راهويه في مسنديهما.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» اهـ.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي، والنسائي، وعبد الرزاق، والحاكم، وأحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة، وعبد، كلهم من رواية يونس بن سليم الصنعاني عن يونس عن الزهري عن عروة عن عبد الرحمن بن عبد عن عمر. قال النسائي: هذا حديث منكر، تفرد به يونس بن سليم ولا أعرفه. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: لا أعرفه ولا أعرف هذا الحديث عن الزهري وقال الترمذي. وقال العقيلي: لا يتابع عليه يونس بن سليم ولا يعرف إلا به، وبنحوه قال ابن عدي. وسئل عبد الرزاق عن شيخه يونس بن سليم هذا فقال: أظنه لا شيء. انتهى.

سُورَةُ النُّورِ

مَدَنِيَّةٌ، وَهِيَ اثْنَتَانِ وَسِتُّونَ آيَةً، وَقِيلَ: أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ

[نَزَلَتْ بَعْدَ الْحَشْرِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١)﴾

﴿سُورَةٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، و﴿أَنزَلْنَاهَا﴾: صفة، أو هي مبتدأ موصوف، والخبر محذوف، أي: فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها، وقرئ بالنصب على: زيداً ضربته، ولا محل لأنزلناها، لأنها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه، أو على: دونك سورة أو اتل سورة، وأنزلناها: صفة، ومعنى: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾: فرضنا أحكامها التي فيها، وأصل الفرض: القطع، أي: جعلناها واجبة مقطوعاً بها، والتشديد للمبالغة في الإيجاب وتوكيده، أو لأنّ فيها فرائض شتى، وأنك تقول: فرضت الفريضة، وفرّضت الفرائض، أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم، ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: بتشديد الذال وتخفيفها، رفعهما على الابتداء، والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه، على معنى: فيما فرض عليكم.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أي: جلدهما، ويجوز أن يكون الخبر: (فاجلدوا)؛ وإنما دخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى: الذي وتضمينه معنى الشرط[1]؛ تقديره: التي زنت، والذي

(١) قال محمود: «في الرفع وجهين، أحدهما: الابتداء والخبر محذوف، وهو إعراب الخليل وسيبويه. والتقدير: وفيما فرض عليكم الزانية والزاني، أي: جلدهما. الثاني: أن يكون الخبر فاجلدوا، ودخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وقد ضمن معنى الشرط» قال أحمد: وإنما عدل سيبويه إلى هذا الذي نقله عنه لوجهين: لفظي ومعنوي. أما اللفظي فلأن الكلام أمر وهو يخيل اختيار النصب، ومع ذلك قراءة العامة، فلو جعل فعل الأمر خبراً وبنى المبتدأ عليه لكان خلاف المختار عند الفصحاء، فالتجأ إلى تقدير الخبر حتى لا يكون المبتدأ مبنياً على الأمر، فخلص من =

زنى فاجلدوهما، كما تقول: من زنى فاجلده؛ وكقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ﴾ [النور: ٤]، وقرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر، وهو أحسن من سورة أنزلناها لأجل الأمر، وقرئ: «والزان»: بلا ياء، والجلد: ضرب الجلد، يقال: جلده؛ كقولك: ظهره وبطنه ورأسه.

فإن قلت: أهذا حكم جميع الزناة والزواني، أم حكم بعضهم؟

قلت: بل هو حكم من ليس بمحصن منهم؛ فإن المحصن حكمه الرجم، وشرائط الإحصان عند أبي حنيفة ست: الإسلام، والحرية، والعقل، والبلوغ، والتزوج بنكاح صحيح، والدخول، إذا فقدت واحدة منها فلا إحصان، وعند الشافعي: الإسلام ليس بشرط، لما روي أنّ النبي - ﷺ - رجم يهوديين زنيا (١٠٠٩)، وحجة أبي حنيفة ....

١٠٠٩ - أخرجه مالك (٢/ ٨١٩) كتاب الحدود: باب ما جاء في الرجم حديث (١)، والبخاري (٦/ ٦٣١) كتاب المناقب: باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾... حديث (٣٦٣٥)، ومسلم (٣/ ١٣٢٦)، كتاب الحدود: باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى حديث (٢٦/ ١٦٩٩)، أبو داود (٢/ ٥٥٨) كتاب الحدود: باب في رجم اليهوديين حديث (٤٤٤٦)، والترمذي كتاب الحدود: باب ما جاء في رجم أهل الكتاب حديث (١٤٣٦)، وابن ماجه (٢/ ٨٥٤)، كتاب الحدود: باب رجم اليهودي واليهودية حديث (٢٥٥٦)، الدارمي (٢/ ١٧٨ - ١٧٩) كتاب الحدود: باب في الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إلى حكام المسلمين، والشافعي (٢/ ٨١) كتاب الحدود: باب الزنا حديث (٢٦٤)، وأحمد (٢/ ٥ - ٧ - ١٧ - ٦٢ - ٦٣ - ٧٦ - ١٢٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٧/ ٣١٨) رقم (١٣٣٣١ - ١٣٣٣٢)، وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٨٢٢)، وأبو داود الطيالسي (١/ ٣٠١ - منحة) رقم (١٥٣)، والحميدي (٢/ ٣٠٦) رقم (٦٩٦)، والبيهقي (٨/ ٢٤٦) كتاب الحدود: باب ما جاء في حد الذميين، والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٤٦٢ - بتحقيقنا) كلهم من طريق نافع عن ابن عمر قال: «إن اليهود جاءوا إلى رسول الله - ﷺ - =

= مخالفة الاختيار، وقد مثلهما سيبويه في كتابه بقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ﴾... الآية ووجه التمثيل أنه صدر الكلام بقوله (مثل الجنة) ولا يستقيم جزماً أن يكون قوله (فيها أنهار) خبره، فتعين تقدير خبره محذوفاً. وأصله: فيما نقص عليكم مثل الجنة، ثم لما كان هذا إجمالاً لذكر المثل فصل بقوله (فيها أنهار) إلى آخرها، فكذلك ههنا، كأنه قال: وفيما فرض عليكم شأن الزانية والزاني، ثم فصل هذا المجمل بما ذكر من أحكام الجلد، ويناسب هذا ترجمة الفقهاء في كتبهم حيث يقولون مثلاً: الصلاة، الزكاة، السرقة. ثم يذكرون في كل باب أحكامه، يريدون مما يصنف فيه ويبوب عليه: الصلاة، وكذلك غيرها؛ فهذا بيان المقتضى عند سيبويه، لاختيار حذف الخبر من حيث الصناعة اللفظية. وأما من حيث المعنى هو أن المعنى أتم وأكمل على حذف الخبر؛ لأن يكون قد ذكر حكم الزانية والزاني مجملاً حيث قال: الزاني والزانية وأراد: وفيما فرض عليكم حكم الزانية والزاني، فلما تشوف السامع إلى تفصيل هذا المجمل ذكر حكمهما مفصلاً، فهو أوقع في النفس من ذكره أول وهلة، والله أعلم.

= فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ قالوا: نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها لآية الرجم فأتوا بالتوارة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فإذا فيها آية الرجم، فقال: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ـ ﷺ ـ فرجما، قال عبد الله بن عمر: فرأيت الرجل يحنىء على المرأة يقيها الحجارة.

قال الترمذي: حسن صحيح.

وللحديث طرق أخرى عن ابن عمر.

فأخرجه أحمد (٢/ ١٥١) ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه بنحو حديث مالك.

وأخرجه أبو داود (٢/ ٥٦٠) كتاب الحدود: باب في رجم اليهوديين حديث (٤٤٤٩) من طريق ابن وهب حدثني هشام بن سعد أن زيد بن أسلم حدثه عن ابن عمر بمثل حديث مالك، وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) من طريق خالد بن مخلد حدثني سليمان بن بلال حدثني عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: أتى النبي ـ ﷺ ـ بيهودي ويهودية قد أحدثا جميعاً فقال لهم: ما تجدون في كتابكم؟ فذكر الرجم.

وفي الباب عن جماعة من الصحابة وهم جابر بن عبد الله، وأبو هريرة، وجابر بن سمرة، والبراء بن عازب، وعبد الله بن الحارث، وابن عباس.

ـ حديث جابر:

أخرجه مسلم (٣/ ١٣٢٨) كتاب الحدود: باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا حديث (٢٨/ ١٧٠١)، وأبو داود (٢/ ٥٦٢) كتاب الحدود: باب رجم اليهوديين حديث (٤٤٥٥)، وعبد الرزاق (٧/ ٣١٩) رقم (١٣٣٣٣) كلهم من طريق ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: «رجم النبي ـ ﷺ ـ رجلاً من اليهود وامرأة زنيا».

وللحديث طريق آخر عن جابر:

أخرجه أبو داود (٢/ ٥٦١ ـ ٥٦٢) كتاب الحدود: باب رجم اليهوديين حديث (٤٤٥٢)، والبزار (٢/ ٢١٩ ـ ٢٢٠ ـ كشف) رقم (١٥٥٨) كلاهما من طريق أبي أسامة ثنا مجالد قال أبو داود: أخبرنا عن عامر، وقال البزار: عن الشعبي ـ عن جابر: «جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زنيا، قال: ائتوني بأعلم رجلين منكم، فأتوه بابني صوريا، فنشدهما كيف تجدان أمر هذين في التوراة؟ قالا: نجد في التوراة إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة رجما، قال: فما يمنعكما أن ترجموهما؟ قالا: ذهب سلطاننا فكرهنا القتل، فدعا رسول الله ـ ﷺ ـ بالشهود فجاءوا بأربعة، فشهدوا أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة. فأمر النبي ـ ﷺ ـ برجمهما. لفظ أبي داود ولفظ البزار مطولاً. وإسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد.

وذكره الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) وقال: رواه أبو داود وغيره باختصار، رواه البزار من طريق مجالد عن الشعبي وقد صححها ابن عدي اهـ.

قلت: وقد سبق للهيثمي تضعيف مجالد في المجمع بما لا يحصى والحديث أخرجه أبو يعلى (٣/ ٤٣٧) رقم (١٩٢٨) بلفظ مختصر جداً من طريق عبد الرحيم بن سليمان عن مجالد عن الشعبي عن جابر عن النبي ـ ﷺ ـ أنه رجم يهودياً ويهودية.

ـ حديث أبي هريرة: =

....

= أخرجه أبو داود (٢/ ٥٦٠ ـ ٥٦١) كتاب الحدود: باب رجم اليهوديين حديث (٤٤٥٠)، وعبد الرزاق (٧/ ٣١٦) رقم (١٣٣٣٠)، والبيهقي (٨/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧) من طريق الزهري قال: سمعت رجلاً من مزينة ممن يتبع العلم ويعيه، ثم اتفقا ونحن عند سعيد بن المسيب، فحدثنا عن أبي هريرة، وهذا حديث معمر، وهو أتم، قال: «زنى رجل من اليهود وامرأة فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي، فإنه نبي بعث بالتخفيف، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله، قلنا: فتيا نبي من أنبيائك، قال: فأتوا النبي ـ ﷺ ـ وهو جالس في المسجد في أصحابه، فقالوا: يا أبا القاسم، ما ترى في رجل وامرأة [منهم] زنيا؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم، فقام على الباب فقال: «أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن»؟ قالوا: يحمم، ويجبه ويجلد، والتجبيه: أن يحمل الزانيان على حمار ويقابل أقفيتهما، ويطاف بهما، قال: وسكت شاب منهم، فلما رآه النبي ـ ﷺ سكت ألظ به النشدة؛ فقال: اللهم إذا نشدتنا، فإنا نجد في التوراة الرجم، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «فما أول ما ارتخصتم أمر الله»؟ قال: زنى ذو قرابة من ملك من ملوكنا، فأخر عنه الرجم، ثم زنى رجل في أسرة من الناس فأراد رجمه، فحال قومه دونه، وقالوا: لا يرجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه، فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «فإني أحكم بما في التوراة» فأمر بهما فرجما.

هذا إسناد ضعيف لضعف أو جهالة الرجل المزني.

ـ حديث جابر بن سمرة:

أخرجه أحمد (٥/ ٩٦) وابنه في «زوائد المسند» (٥/ ٩٧) والترمذي (٤/ ٣٤) كتاب الحدود: باب ما جاء في رجم أهل الكتاب حديث (١٤٣٧)، وابن ماجه (٢/ ٨٥٤) كتاب الحدود: باب رجم اليهودي واليهودية حديث (٢٥٥٧)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٤٨) رقم (٧٤٥١)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٢٣٠) رقم (١٩٥٤) كلهم من طريق شريك عن سماك عن جابر بن سمرة أن النبي ـ ﷺ ـ رجم يهودياً ويهودية.

قال الترمذي: حديث حسن غريب.

وأخرجه أبو داود الطيالسي (١/ ٣٠١) رقم (١٥٣١) عن حماد عن سماك عن جابر بن سمرة به.

ـ حديث البراء بن عازب:

وفيه أنه رجم يهودياً دون ذكر المرأة.

أخرجه مسلم (٣/ ١٣٢٧) كتاب الحدود: باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى حديث (٢٨/ ١٧٠٠)، وأبو داود (٢/ ٥٥٩) كتاب الحدود: باب رجم اليهوديين حديث (٤٤٤٨)، والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٢٩٤): كتاب الرجم: باب إقامة الإمام الحد على أهل الكتاب إذا تحاكموا إليه، حديث (٧٢١٨)، وابن ماجه (٢/ ٨٥٥): كتاب الحدود: باب رجم اليهودي واليهودية، حديث (٢٥٥٨)، كلهم من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة عن البراء بن عازب قال: «مر على النبي ـ ﷺ ـ بيهودي محمماً مجلوداً، فدعاهم ـ ﷺ ـ فقال: «هكذا تجدون حد الزنى في كتابكم»؟ قالوا: نعم؛ فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى! أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قال: لا. ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا =

قوله - ﷺ -: «مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَلَيْسَ بِمُحْصِنٍ» (١٠١٠).

= فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع؛ فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله - ﷺ -: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إن أماتوه» فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١] يقول: ائتوا محمداً - ﷺ - فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] ففي الكفار كلها.

- حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي.

أخرجه البزار (٢/ ٢١٩ - كشف) رقم (١٥٥٧)، والبيهقي (٨/ ٢١٥) كتاب الحدود: باب ما يستدل به على شرائط الإحصان، من طريق سعيد بن أبي مريم أنبأ ابن لهيعة عن عبد العزيز بن عبد الملك بن عبد العزيز بن مُليل أن أباه أخبره أنه سمع عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي يذكر «أن اليهود أتوا رسول الله - ﷺ - بيهودي ويهودية زنيا، وقد أحصنا، فأمر رسول الله - ﷺ - برجمهما».

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٧٤) وقال: رواه البزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وقال فيه: لا يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد كذا قال وأظنه خطأ وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف .اهـ. وذكره الحافظ في التلخيص (٤/ ٥٤) وقال: وإسناده ضعيف).

- حديث عبد الله بن عباس:

أخرجه الحاكم (٤/ ٣٦٥) وأحمد (٢٣٦٨ - شاكر)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٤٠٣) رقم (١٠٨٢١) من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة عن إسماعيل بن إبراهيم الشيباني عن ابن عباس أن النبي - ﷺ - أتى بيهودي ويهودية قد أحصنا، فسألوه أن يحكم فيهما بالرجم فرجمهما في فناء المسجد.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولعل متوهماً من غير أهل الصنعة يتوهم أن إسماعيل الشيباني هذا مجهول، وليس كذلك فقد روى عنه ابن دينار والأثرم وقال الذهبي: إسماعيل معروف .اهـ.

والحديث ليس على شرط مسلم، لأن مسلماً لم يخرج للشيباني هذا وذكر الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٧٤) وقال: رواه أحمد والطبراني. . . ورجال أحمد ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية أحمد .اهـ.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -. انتهى.

١٠١٠ - عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٤١٣) وفي نصب الراية (٣/ ٣٢٧)، لإسحاق بن راهويه في مسنده ومن طريقه أخرجه الدارقطني في السنن (٣/ ١٤٧).

وقال: لم يرفعه غير إسحاق ويقال: إنه رجع عنه، والصواب موقوف.

والموقوف رواه الدارقطني قبل هذا قال: نا عبد الله بن جعفر بن خشيش نا سلم بن جنادة نا وكيع عن سفيان عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال: من أشرك بالله فليس بمحصن.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه إسحاق والدارقطني تفرد برفعه إسحاق. قلت: قال إسحاق في مسنده أن شيخه حدثه به مرة أخرى موقوفاً. انتهى.

فإن قلت: اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني؛ لأن قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾: عام في الجميع، يتناول المحصن وغير المحصن.

قلت: الزانية والزاني: يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة؛ دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعاً، فأيهما قصد المتكلم فلا عليه، كما يفعل بالاسم المشترك، وقرئ: «ولا يأخذكم»: بالياء، «ورأفة»: بفتح الهمزة، ورآفة على فعالة، والمعنى: أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجدّ والمتانة فيه، ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده، وكفى برسول الله - ﷺ - أسوة في ذلك؛ حيث قال: «لَوْ سَرَقَتْ ٢/٣٨ب فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا» (١٠١١)، وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: من باب التهييج وإلهاب الغضب لله

١٠١١ - أخرجه البخاري (١٢/٨٧) كتاب الحدود: باب كراهية الشفاعة في الحد حديث (٦٧٨٨)، ومسلم (٣/١٣١٥) كتاب الحدود: باب قطع السارق والنهي عن الشفاعة في الحدود حديث (٨/١٦٨٨)، وأبو داود (٤/٥٣٧) كتاب الحدود: باب الحد يشفع فيه حديث (٤٣٧٣)، والترمذي (٤/٢٩) كتاب الحدود: باب ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود حديث (١٤٣٠)، والنسائي (٨/٧٣ - ٧٤) كتاب قطع السارق: باب ما يكون حرزاً وما لا يكون، وابن ماجه (٢/٨٥١) كتاب الحدود: باب الشفاعة في الحدود حديث (٢٥٤٧)، والدارمي (٢/١٧٣) كتاب الحدود: باب الشفاعة في الحدود دون السلطان، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/١٧١) كتاب الحدود: باب الرجل يستعير الحلي فلا يرده، والبيهقي (٨/٢٥٣ - ٢٥٤) كتاب السرقة: باب القطع في السرقة، والبغوي في «شرح السنة» (٥/٤٩١ - ٤٩٢ - بتحقيقنا) كلهم من طريق الليث عن الزهري عن عروة عن عائشة أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: يُكلم فيها رسول الله - ﷺ - قالوا: ومن يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله - ﷺ - فقال رسول الله - ﷺ -: «أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها».

قال الترمذي: حديث عائشة حديث حسن صحيح .اهـ.

وأخرجه مسلم (٣/١٣١٦) كتاب الحدود: باب قطع السارق والنهي عن الشفاعة في الحدود حديث (١٠/١٦٨٨)، وأبو داود (٤/٥٣٨) كتاب الحدود: باب الحد يشفع فيه حديث (٤٣٧٤)، وأحمد (٦/١٦٢)، وعبد الرزاق (١٠/٢٠١) رقم (١٨٨٣٠)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/١٧٠) كتاب الحدود: باب الرجل يستعير الحلي فلا يرده، وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٨٠٤) كلهم من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة بمثل حديث الليث إلا أنهم ذكروا أن المرأة المخزومية كانت تستعير المتاع فلا ترده.

وأخرجه البخاري (٧/٦١٩) كتاب المغازي: باب (٥٣) حديث (٤٣٠٤)، ومسلم (٣/١٣١٥) كتاب الحدود: باب قطع السارق والنهي عن الشفاعة في الحدود حديث (٩/١٦٨٨)، والنسائي (٨/٧٤ - ٧٥) كتاب قطع السارق: باب ما يكون حرزاً وما لا يكون، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/١٧١) كتاب الحدود: باب الرجل يستعير الحلي فلا يرده، والبيهقي في «دلائل النبوة» =

ولدينه، وقيل: لا تترحموا عليهما؛ حتى لا تعطلوا الحدود أو حتى لا توجعوهما ضرباً، وفي الحديث: «يُؤْتَىٰ بِوَالٍ نَقَصَ مِنَ الْحَدِّ سَوطاً، فَيَقُولُ: رَحْمَةً لِعِبَادِكَ، فَيُقَالُ لَهُ: أَأَنْتَ أَرْحَمُ بِهِمْ مِنِّي؛ فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ، وَيُؤْتَىٰ بِمَنْ زَادَ سَوطاً فَيَقُولُ: لِيَنْتَهُوا عَنْ مَعَاصِيكَ فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ» (١٠١٢)، وعن أبي هريرة: إقامة حدّ بأرض، خير لأهلها من مطر

= (٥/ ٨٨) كلهم من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة بمثل حديث الليث.

وزاد البخاري: فقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك، وتزوجت، وزاد مسلم: قال يونس: قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة، فحسنت توبتها بعد وتزوجت، وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ـ ﷺ ـ.

وفي الباب عن ابن عمر ومسعود بن الأسود.

ـ حديث ابن عمر:

أخرجه أبو داود (٢/ ٥٤٤) كتاب الحدود: باب في القطع في العارية إذا جحدت حديث (٤٣٩٥)، والنسائي (٨/ ٧٠ ـ ٧١) كتاب قطع السارق: باب ما يكون حرزاً وما لا يكون، وأحمد (٢/ ١٥١) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣/ ٩٧) كلهم من طريق عبد الرزاق ثنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن امرأة مخزومية كانت تستعير المتاع فتجحده فأمر النبي ـ ﷺ ـ بقطع يدها.

ـ حديث مسعود بن الأسود:

أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٥١ ـ ٨٥٢) كتاب الحدود: باب الشفاعة في الحدود حديث (٢٥٤٨) من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن طلحة بن ركانة عن أمه عائشة بنت مسعود بن الأسود عن أبيها قال: لما سرقت المرأة تلك القطيفة من بيت رسول الله ـ ﷺ ـ أعظمنا ذاك، وكانت امرأة من قريش، فجئنا إلى النبي ـ ﷺ ـ نكلمه وقلنا: نحن نفديها بأربعين أوقية، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: تطهر خير لها، فلما سمعنا لين قول رسول الله ـ ﷺ ـ أتينا أسامة فقلنا: كلم رسول الله ـ ﷺ ـ فلما رأى رسول الله ـ ﷺ ـ ذلك قام خطيباً فقال: ما إكثاركم عليَّ في حد من حدود الله عز وجل وقع على أمة من إماء الله والذي نفس محمد بيده لو كانت فاطمة ابنة رسول الله نزلت بالذي نزلت به لقطع محمد يدها.

ومن طريق محمد بن إسحاق أخرجه الحاكم (٤/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي والحديث ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٦/ ٨٨) وعزاه لابن ماجه والبغوي وحسن إسناده.

وقال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٣٠٥): هذا إسناد ضعيف لتدليس ابن إسحاق .اهـ.

قلت: ولم أقف على تصريح ابن إسحاق بالسماع.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ. انتهى.

١٠١٢ ـ قال الزيلعي (٢/ ٤١٤): «غريب».

وروى أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا أبو وائل خالد بن محمد البصري ثنا عبد الله بن بكر السهمي ثنا خلف بن خلف عن إبراهيم بن سالم عن عمرو بن ضرار عن حذيفة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يؤتى بالذي ضرب فوق الحد، فيقول له الله تعالى: عبدي، لم ضربت فوق الحد؟ فيقول: غضبت لك فيقول: أكان غضبك أشد من غضبي؟ ويؤتى بالذي قصر فيقول: عبدي =

أربعين ليلة (١٠١٣)، وعلى الإمام أن ينصب للحدود رجلاً عالماً بصيراً يعقل كيف يضرب، والرجل يجلد قائما على مجرّده[1] ليس عليه إلا إزاره، ضربا وسطاً لا مبرحاً ولا هيناً، مفرَّقاً على الأعضاء كلها لا يستثنى منها إلا ثلاثة: الوجه، والرأس، والفرج، وفي لفظ الجلد: إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم، والمرأة تجلد قاعدة، ولا ينزع من ثيابها إلا الحشو والفرو، وبهذه الآية استشهد أبو حنيفة على أن الجلد حدّ غير المحصن بلا تغريب، وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب من قوله ـ ﷺ ـ: «البِكْرُ بِالبِكْرِ جَلْدُ مائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ» (١٠١٤)، وما يروى عن الصحابة: أنهم جلدوا ونفوا:

= لم قصرت؟ فيقول: رحمته فيقول: أكانت رحمتك أشد من رحمتي؟! ثم يؤمر بهما جميعاً إلى النار» اهـ.

ولم أجده في مسند أبي يعلى المطبوع فلعله في مسنده الكبير.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: لم أجده بهذا اللفظ وعند أبي يعلى من رواية عمرو بن ضرار: «لم ضربته فوق الحد؟» فيقول: غضباً لك. فيقول: أكان غضبك أشد من غضبي. ويؤتى بالذي قصر فيقول عبدي لم قصرت؟ فيقول: رحمته. فيقول: أكانت رحمتك أشد من رحمتي. ثم يؤمر بهما جميعاً إلى النار. انتهى.

١٠١٣ ـ روي موقوفاً ومرفوعاً.

أما الموقوف فرواه النسائي (٨/ ٧٦) كتاب السارق، باب الترغيب في إقامة الحد وعزاه الزيلعي للثعلبي في تفسيره.

أما المرفوع فرواه النسائي أيضاً (٨/ ٧٥ ـ ٧٦) كتاب السارق، باب الترغيب في إقامة الحد.

وابن ماجه (٢/ ٨٤٨) كتاب الحدود، باب إقامة الحد حديث (٢٥٣٨) وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٢٤٣) رقم (٤٣٩٧)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٣٧) رقم (١١٩٣٢) من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة، وحد يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عاماً».

قال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٠٠): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه سعد أبو غيلان الشيباني، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات» اهـ.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه النسائي من طريق أبي زرعة عنه مرفوعاً، وأخرجه النسائي أيضا وابن حبان وأحمد وابن ماجه، والطبراني من هذا الوجه مرفوعاً. وقال: «أربعين صباحا» ولأحمد: «ثلاثين أو أربعين صباحاً» وفي الباب عن ابن عمر، أخرجه ابن ماجه بلفظ: «إقامة حد من حدود الله خير من مطر أربعين ليلة». انتهى.

١٠١٤ ـ أخرجه مسلم (٣/ ١٣١٦) كتاب الحدود: باب حد الزنى حديث (١٢/ ١٦٩٠)، وأبو داود (٤/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠) كتاب الحدود: باب في الرجم حديث (٤٤١٥)، والترمذي (٤/ ٤١) كتاب الحدود: باب الرجم على الثيب حديث (١٤٣٤)، والدارمي (٢/ ١٨١) كتاب الحدود: باب في تفسير قول الله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، وأحمد (٥/ ٣١٣ ـ ٣١٧ ـ ٣١٨ ـ ٣٢٠ ـ ٣٢١) وابن =

---

(١) قوله «على مجرده» في الصحاح: فلان حسن المجرد، أي: المعرى اهـ، أي: المكشوف عن الثياب. (ع)

منسوخ عنده وعند أصحابه بالآية، أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب، وقول الشافعي في تغريب الحرّ واحد، وله في العبد ثلاثة أقاويل: يغرب سنة كالحرّ، ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة، ولا يغرب كما قال أبو حنيفة، وبهذه الآية نسخ الحبس الأذى في قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ﴾ [النساء: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء: ١٦]. قيل: تسميته عذاباً دليل على أنه عقوبة، ويجوز أن يسمى عذاباً؛ لأنه يمنع من المعاودة كما سمي نكالاً.

الطائفة: الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة، وأقلها ثلاثة أو أربعة؛ وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشيء، وعن ابن عباس في تفسيرها: أربعة إلى أربعين رجلاً من المصدقين بالله، وعن الحسن: عشرة، وعن قتادة: ثلاثة فصاعداً، وعن عكرمة: رجلان فصاعداً، وعن مجاهد: الواحد فما فوقه، وفضل قول ابن عباس؛ لأن الأربعة هي

= أبي شيبة (١٠/٨)، وأبو داود الطيالسي (١/٢٩٨ ـ منحة) رقم (١٥١٤)، وابن الجارود في «المنتقى» (٨١٠)، والطبري في «تفسيره» (٤/١٩٨)، وابن حبان (٤٤٠٨ ـ ٤٤٠٩ ـ ٤٤١٠ ـ ٤٤٢٦ ـ الإحسان) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ١٣٤) وفي «مشكل الآثار» (١/ ٩٢)، والبيهقي (٨/ ٢١٠) كتاب الحدود: باب جلد الزانيين ورجم الثيب، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ١١٣) من طرق عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت به.

والحديث أخرجه الشافعي (٢/ ٧٧) كتاب الحدود: باب الزنا حديث (٢٥٢)، والطيالسي (١/ ٢٩٨ ـ منحة) رقم (١٥١٤)، وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ٣٢٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٤٥٧ ـ بتحقيقنا) من طريق الحسن عن عبادة بن الصامت دون ذكر حطان بن عبد الله

قلت: ولعل ذلك من تدليسات الحسن فأسقط حطان بن عبد الله ورواه عن عبادة دون واسطة.

تنبيه: وهذا الحديث أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٥٢) كتاب الحدود: باب حد الزنا حديث (٢٥٥٠) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن حطان بن عبد الله عن عبادة بن الصامت قال الحافظ المزي في «تحفة الأشراف» (٤/ ٢٤٧): هذا وهم ـ والله أعلم ـ إن المحفوظ بهذا الإسناد حديث حطان اهـ.

وقد روى هذا الحديث الفضل بن دلهم عن الحسن عن قبيصة بن حريث عن سلمة بن المحبق عن النبي ـ ﷺ ـ قال: خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً. . . . الحديث.

أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٦).

قال ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٤٥٦) رقم (١٣٧٠): سألت أبي عن حديث رواه الفضل بن دلهم عن الحسن عن قبيصة بن حريث عن سلمة بن المحبق عن النبي ـ ﷺ ـ: «خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً» الحديث ـ قال أبي: هذا خطأ، إنما رواه الحسن عن حطان عن عبادة بن الصامت عن النبي ـ ﷺ ـ اهـ.

ومن هذا الطريق ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٦٧) وقال: رواه أحمد وفيه الفضل بن دلهم وهو ثقة ولكنه أخطأ في هذا الحديث.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم وأصحاب السنن من حديث عبادة بن الصامت في أثناء حديث. انتهى.

الجماعة التي يثبت بها هذا الحد، والصحيح: أن هذه الكبيرة من أمّهات الكبائر؛ ولهذا قرنها الله بالشرك، وقتل النفس في قوله: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]، وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)﴾ وعن النبي - ﷺ -: «يا مَعْشَرَ النَّاس، اتَّقُوا الزِّنى؛ فَإِنَّ فِيهِ سِتُّ خِصَالٍ: ثَلاثٌ فِي الدُّنْيَا، وَثَلاثٌ فِي الآخِرَةِ، فَأَمَّا اللاتِي فِي الدُّنْيَا: فَيُذْهِبُ البَهاءَ، وَيُورِثُ الفَقْرَ، وَيَنْقُصُ الْعُمْرَ، وَأَمَّا اللاتِي فِي الآخِرَةِ: فَيُوجِبُ السَّخْطَةَ، وَسُوءَ الْحِسَابِ، وَالْخُلُودَ فِي النَّارِ» (١٠١٥)؛ ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله، بخلاف حد القذف وشرب الخمر، وشرع فيه القتلة الهولة، وهي: الرجم، ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه، وأمر بشهادة الطائفة للتشهير، فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير، والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة، واختصاصه المؤمنين؛ لأن ذلك أفضح، والفاسق بين صلحاء قومه أخجل؛ ويشهد له قول ابن عباس - رضي الله عنهما -: إلى أربعين رجلاً من المصدقين بالله.

﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣)﴾

الفاسق: الخبيث، الذي من شأنه الزنى والتقحب، لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته؛ وإنما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله، أو في مشركة،

١٠١٥ - رواه البيهقي في الشعب (٤/٣٧٩) رقم (٥٤٧٥)، وأبو نعيم في الحلية (٥/١٣) وابن عدي في الكامل (٦/٢٣١٨)، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/٤١٦) لابن مردويه، وابن أبي حاتم في تفسيريهما، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب»، والثعلبي في تفسيره؛ كلهم من حديث حذيفة به مرفوعاً.

ورواه الواحدي في تفسيره من طريق أبي عثمان بن الخطاب المعروف بأبي الدنيا سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «في الزنا ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخر. . . فذكره نحو حديث حذيفة.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه البيهقي في الشعب في السابع والثلاثين، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي وائل عن حذيفة، بلفظ: «يا معشر الناس» وفي آخره: ثم تلا: ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ قال أبو نعيم: تفرد به مسلمة بن علي الحسني عن أبي عبد الرحمن الكوفي عن الأعمش وهو ضعيف. وقال البيهقي: مسلمة متروك. وعبد الرحمن مجهول، وأخرجه الثعلبي من رواية معاوية بن يحيى عن الأعمش فيحتمل أن يكون هو أبو عبد الرحمن المذكور. وفي الباب عن أنس أخرجه الخطيب وابن الجوزي من طريقه وفي إسناده كعب بن عمرو بن جعفر وهو غير ثقة. ورواه الواحدي في الوسيط غالباً من طريق أبي الدنيا الأشج عن علي مرفوعاً والأشج ادعى أنه سمع من علي بعد الثلاثمائة فسمع منه أبو بكر المفيد وغيره وأخباره معروفة. انتهى.

والفاسقة الخبيثة المسافحة؛ كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها؛ وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين، ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنى: محرّم عليه محظور؛ لما فيه من التشبه بالفساق، وحضور موقع التهمة، والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وأنواع المفاسد، ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرّض لاقتراف الآثام، فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب؛ وقد نبه على ذلك بقوله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، وقيل: كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين، فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهنّ، فاستأذنوا رسول الله ـ ﷺ ـ فنزلت (١٠١٦)، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن الرجل إذا زنى بامرأة، ليس له أن يتزوجها؛ لهذه الآية، وإذا باشرها كان زانياً، وقد أجازه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه، وعن النبي ـ ﷺ ـ أنه سئل عن ذلك؟ فقال: «أَوَّلُهُ سِفَاحٌ وَآخِرُهُ نِكَاح، وَالْحَرَامُ لا يُحَرِّمُ الْحَلالَ» (١٠١٧)، وقيل: المراد بالنكاح: الوطء، وليس بقول لأمرين، أحدهما: أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد، والثاني: فساد المعنى وأداؤه إلى قولك: الزاني لا يزني إلا بزانية، والزانية لا يزني بها إلا زان، وقيل: كان نكاح الزانية محرّما في أول الإسلام ثم نسخ؛ والناسخ قوله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، وقيل الإجماع، وروي ذلك عن سعيد بن المسيب، ـ رضي الله عنه ـ.

فإن قلت: أي فرق بين معنى الجملة الأولى ومعنى الثانية؟ قلت: معنى الأولى: صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف، ولكن في الفواجر، ومعنى الثانية: صفة الزانية

١٠١٦ ـ رواه ابن أبي شيبة (٣/ ٥٤٠) رقم (١٦٩٣٢) حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان الثوري قال: سمعت سعيد بن جبير يقول: كن بغايا بمكة قبل الإسلام فكان رجال يتزوجونهن فينفقن عليهم ما أصبن، فلما جاء الإسلام تزوجهن رجال من أهل الإسلام، فحرم رسول الله ـ ﷺ ـ ذلك عليهم.

١٠١٧ ـ أخرجه الدارقطني (٣/ ٢٦٨) كتاب النكاح، باب المهر الحديث (٩٠)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ١٦٩) كتاب النكاح باب الزنا لا يحرم الحلال، والطبراني في الأوسط كما في المجمع (٤/ ٢٧١ ـ ٢٧٢)، من طريق المغيرة بن إسماعيل بن أيوب بن سلمة، عن عثمان بن عبد الرحمن الزهري، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة قالت: «سئل رسول الله ـ ﷺ ـ عن الرجل يتبع المرأة حراماً أينكح ابنتها أو يتبع الابنة حراماً، أينكح أمها؟ قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا يحرم الحرام، إنما يحرم ما كان بنكاح حلال».
قال الهيثمي: «فيه عثمان بن عبد الرحمن الزهري وهو متروك» اهـ.
وروى ابن ماجه (١/ ٦٤٩) كتاب النكاح، باب لا يحرم الحرام الحلال، الحديث (٢٠١٥)، والدارقطني (٣/ ٢٦٨) كتاب النكاح، باب المهر الحديث (٨٩)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ١٦٨) كتاب النكاح، باب الزنا لا يحرم الحلال، والخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ١٨٢)، من طريق عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لا يحرم الحرام الحلال».

بكونها غير مرغوب ٢/ ٣٩أ فيها للأعفاء ولكن للزناة، وهما معنيان مختلفان[١].

فإن قلت: كيف قدمت الزانية على الزاني أولاً، ثم قدم عليها ثانياً؟

قلت: سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا، والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية؛ لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه، لم يطمع ولم يتمكن، فلما كانت أصلاً وأولاً في ذلك بدىء بذكرها، وأمّا الثانية: فمسوقه لذكر النكاح والرجل أصل فيه؛ لأنه هو الراغب والخاطب، ومنه يبدأ الطلب، وعن عمرو بن عبيد ـ رضي الله عنه ـ: لا ينكح، بالجزم على النهي، والمرفوع فيه ـ أيضاً ـ معنى النهي، ولكن أبلغ وآكد، كما أن: «رحمك الله، ويرحمك»: أبلغ من: «ليرحمك»، ويجوز أن يكون خبراً محضاً. على معنى: أن عادتهم جارية على ذلك، وعلى المؤمن ألا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصوّن عنها، وقرئ: «وحرم»: بفتح الحاء[٢].

---

(١) قال محمود: «إن قلت أي فرق بين الجملتين في المعنى؟ قلت: معنى الأولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف، ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان» قال أحمد: وليس فيما ذكره إيضاح إطباق الجملتين. ونحن نوضحه فنقول: الأقسام أربعة الزاني لا يرغب إلا في زانية. الزانية لا ترغب إلا في زان. العفيف لا يرغب إلا في عفيفة. العفيفة لا ترغب إلا في عفيف. وهذه الأقسام الأربعة مختلفة المعاني، وحاصرة للقسمة فنقول: اختصرت الآية من هذه الأربعة قسمين. واقتصرت على قسمين أحرى من المسكوت عنهما، فجاءت مختصرة جامعة، فالقسم الأول صريح في القسم الأول ويفهم الثالث، والقسم الثاني صريح في القسم الثاني ويفهم الرابع، والقسم الثالث والرابع متلازمان، من حيث أن المقتضى لانحصار رغبة العفيف في العفيفة هو اجتماعهما في العفة، وذلك بعينه مقتض لانحصار رغبتها فيه، ثم يقصر التعبير عن وصف الزناة والأعفاء بما لا يقل عن ذكر الزناة وجودًا وسلبًا، فإن معنى الأول الزانية لا ينكحها عفيف، ومعنى الثاني: العفيفة لا ينكحها زان. والسر في ذلك أن الكلام في أحكامهم، فذكر الأعفاء بسلب نقائصهم، حتى لا يخرج بالكلام عما هو المقصود منه، ثم بينه في إسناد النكاح في هذين القسمين الذكور دون الإناث، بخلاف قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ فإنه جعل لكل واحد منهما ثم استقلالا، وقدم الزانية على الزاني. والسبب فيه أن الكلام الأول في حكم الزنا، والأصل فيه المرأة لما يبدو منها من الإيماض والإطماع، والكلام الثاني في نكاح الزناة إذا وقع ذلك على الصحة، والأصل في النكاح الذكور وهم المبتدؤن بالخطبة، فلم يسند إلا لهم لهذا ـ وإن كان الغرض من الآية تنفير الأعفاء من الذكور والإناث من مناكحة الزناة ذكوراً وإناثاً، زجراً لهم عن الفاحشة ـ ولذلك قرن الزنا والشرك. ومن ثم كره مالك رحمه الله مناكحة المشهورين بالفاحشة. وقد نقل بعض أصحابه الإجماع في المذهب على أن للمرأة أو لمن قام من أوليائها فسخ نكاح الفاسق. ومالك أبعد الناس من اعتبار الكفاءة إلا في الدين. وأما في النسب، فقد بلغه أنهم فرقوا بين عربية ومولى فاستعظمه وتلا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

(٢) قوله «بفتح الحاء» لعله: بفتح الحاء والراء. (ع)

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾﴾

القذف يكون بالزنى وبغيره، والذي دل على أن المراد قذفهن بالزنى شيئان، أحدهما: ذكر المحصنات عقيب الزواني، والثاني: اشتراط أربعة شهداء؛ لأنّ القذف بغير الزنى يكفي فيه شاهدان، والقذف بالزنى أن يقول الحرّ العاقل البالغ لمحصنة: يا زانية، أو لمحصن: يا زاني، يا ابن الزاني، يا ابن الزانية، يا ولد الزنا، لست لأبيك، لست لرشدة، والقذف بغير الزنا أن يقول: يا آكل الربا، يا شارب الخمر، يا يهودي، يا مجوسي، يا فاسق، يا خبيث، يا ماص بظر أمّه: فعليه التعزير، ولا يبلغ به أدنى حد العبيد وهو أربعون، بل ينقص منه، وقال أبو يوسف: يجوز أن يبلغ به تسعة وسبعون، وقال: للإمام أن يعزر إلى المائة، وشروط إحصان القذف خمسة: الحرية، والبلوغ، والعقل، والإسلام، والعفة، وقرئ: «بأربعة شهداء»: بالتنوين، وشهداء: صفة.

فإن قلت: كيف يشهدون مجتمعين أو متفرقين.

قلت: الواجب عند أبي حنيفة وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ أن يحضروا في مجلس واحد، وإن جاءوا متفرقين كانوا قذفة، وعند الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: يجوز أن يحضروا متفرقين.

فإن قلت: هل يجوز أن يكون زوج المقذوفة واحدًا منهم؟

قلت: يجوز عند أبي حنيفة خلافاً للشافعي.

فإن قلت: كيف يجلد القاذف؟

قلت: كما جلد الزاني؛ إلا أنه لا ينزع عنه من ثيابه إلا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو، والقاذفة ـ أيضاً ـ كالزانية، وأشدّ الضرب ضرب التعزير، ثم ضرب الزنا، ثم ضرب شرب الخمر، ثم ضرب القاذف، قالوا: لأنّ سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب، إلا أنه عوقب صيانة للأعراض وردعاً عن هتكها.

فإن قلت: فإذا لم يكن المقذوف محصناً؟

قلت: يعزر القاذف ولا يحدّ، إلا أن يكون المقذوف معروفاً بما قذف به فلا حدّ ولا تعزير، ردّ شهادة القاذف معلق عند أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ باستيفاء الحد، فإذا شهد قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبلت شهادته، فإذا استوفى لم تقبل شهادته أبداً وإن تاب

وكان من الأبرار الأتقياء، وعند الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: يتعلق ردّ شهادته بنفس القذف، فإن تاب عن القذف بأن رجع عنه، عاد مقبول الشهادة، وكلاهما متمسك بالآية، فأبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي: الجلد، وردّ الشهادة عقيب الجلد على التأبيد، فكانوا مردودي الشهادة عنده في أبدهم وهو مدة حياتهم، وجعل قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: كلاماً مستأنفاً غير داخل في حيز جزاء الشرط، كأنه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية، و﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾: استثناء من الفاسقين؛ ويدل عليه قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ والشافعي ـ رضي الله عنه ـ جعل جزاء الشرط الجملتين ـ أيضاً ـ غير أنه صرف الأبد إلى مدة كونه قاذفاً، وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقاً بالجملة الثانية، وحق المستثنى عنده أن يكون مجروراً بدلاً من «هم» في: ﴿لَهُمْ﴾، وحقه عند أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ أن يكون منصوباً؛ لأنه عن موجب، والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط، كأنه قيل: ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردّوا شهادتهم وفسقوهم، أي: فاجمعوا لهم الجلد والردّ والتفسيق؛ إلا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فإنّ الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين.

فإن قلت: الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالإجماع، والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ كأن القذف مع الكفر أهون من القذف مع الإسلام؟

قلت: المسلمون لا يعبئون بسب الكفار؛ لأنهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل؛ فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله، فشدّد على القاذف من المسلمين ردعاً وكفًّا عن إلحاق الشنار[1].

فإن قلت: هل للمقذوف أو للإمام أن يعفو عن حدّ القاذف؟

قلت: لهما ذلك قبل أن يشهد الشهود ويثبت الحدّ، والمقذوف مندوب إلى ألَا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحدّ، ويحسن من الإمام أن يحمل المقذوف على كظم الغيظ، ويقول له: أعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحدّ، فإذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو؛ لأنه خالص حق الله؛ ولهذا لم يصح أن يصالح عنه بمال.

فإن قلت: هل يورث الحدّ؟

---

(١) قوله «الشنار» في الصحاح «الشنار» العيب والعار. (ع)

قلت: عند أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ لا يورث؛ لقوله ـ ﷺ ـ: «الحدُّ لا يُورَثُ» (١٠١٨)، ٢/٣٩ب وعند الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: يورث، وإذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحدّ سقط، وقيل: نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ حين تاب مما قال في عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾﴾

قاذف امرأته إذا كان مسلماً حرًّا بالغاً عاقلاً، غير محدود في القذف، والمرأة بهذه الصفة مع العفة: صح اللعان بينهما، إذا قذفها بصريح الزنى، وهو أن يقول لها: يا زانية، أو زنيت، أو رأيتك تزنين، وإذا كان الزوج عبداً، أو محدوداً في قذف، والمرأة محصنة: حدّ كما في قذف الأجنبيات، وما لم ترافعه إلى الإمام لم يجب اللعان، واللعان: أن يبدأ الرجل فيشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنى، ويقول في الخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنى، وتقول المرأة أربع مرات: أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنى، ثم تقول في الخامسة: أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماني به من الزنى، وعند الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: يقام الرجل قائماً حتى يشهد والمرأة قاعدة، وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد، ويأمر الإمام من يضع يده على فيه ويقول له: إني أخاف إن لم تكن صادقاً أن تبوء بلعنة الله، وقال: اللعان بمكة بين المقام والبيت، وبالمدينة على المنبر، وبيت المقدس في مسجده، ولعان المشرك في الكنيسة، وحيث يعظم، وإذا لم يكن له دين ففي مساجدنا إلا في المسجد الحرام؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨]، ثم يفرق القاضي بينهما، ولا تقع الفرقة بينهما إلا بتفريقه عند أبي حنيفة وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ إلا عند زفر؛ فإن الفرقة تقع باللعان، وعن عثمان البتي: لا فرقة أصلاً، وعند الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: تقع بلعان الزوج، وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد ـ رضي الله عنهما ـ ولا يتأبد حكمها، فإذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحدّ جاز أن يتزوجها، وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد

١٠١٨ ـ قال الزيلعي: غريب جداً.

والشافعي ـ رضي الله عنهم ـ: هي فرقة بغير طلاق توجب تحريماً مؤبداً، ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه، وروي أن آية القذف لما نزلت[1]، قرأها رسول الله ـ ﷺ ـ على المنبر، فقام عاصم بن عدي الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ فقال: جعلني الله فداك، إن وجد رجل مع امرأته رجلاً فأخبر جلد ثمانين وردّت شهادته أبداً وفسق، وإن ضربه بالسيف قتل، وإن سكت سكت على غيظ، وإلى أن يجيء بأربعة شهداء، فقد قضى الرجل حاجته ومضى: اللهم، افتح، وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر، فقال: ما وراءك؟ قال شر: وجدت على بطن امرأتي خولة ـ وهي بنت عاصم ـ شريك بن سحماء، فقال: هذا والله سؤالي، ما أسرع ما ابتليت به! فرجعا، فأخبر عاصم رسول الله ـ ﷺ ـ فكلم خولة فقالت: لا أدري، ألغيرة أدركته؟ أم بخلا على الطعام ـ وكان شريك نزيلهم ـ وقال هلال: لقد رأيته على بطنها؛ فنزلت، ولاعن بينهما، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ عند قوله وقولها: أنّ لعنة الله عليه، إن غضب الله عليها: آمين، وقال القوم: آمين، وقال لها: «إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاعْتَرِفِي بِهِ، فَالرَّجْمُ أَهْوَنُ عَلَيْكِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، إِنَّ غَضَبَهُ هُوَ النَّارُ، وَقَالَ: تَحَيَّنُوا بِهَا الْوِلادَةَ، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أُصَيْهِبَ أُثَيْبِجَ[2] يُضْرَبُ إِلَى السَّوَادِ، فَهُوَ لِشَرِيكٍ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَوْرَقَ جَعْداً جَمَالِيًّا خَدْلَجَ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِغَيْرِ الَّذِي رُمِيَتْ بِهِ» ح قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فجاءت بأشبه خلق الله لشريك، فقال ـ ﷺ ـ: «لَوْلاَ الإِيمَانُ، لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ» (١٠١٩)، وقرئ: «ولم تكن»؛ بالتاء؛ لأنّ الشهداء جماعة، أو لأنهم في

١٠١٩ ـ قال الزيلعي (٢/ ٤٢١): «غريب بهذا السياق» اهـ.

وحديث عاصم بن عدي ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٣) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه. قال: لما نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾. . . الآية قلت: يا رسول الله، إلى أن يأتي الرجل بأربعة شهداء قد خرج الرجل؛ فلم يلبث إلا أياماً فإذا ابن عم لي معه امرأته ومعها ابن، وهي تقول: منك، وهو يقول: ليس مني، فنزلت آية اللعان قال عاصم: فأنا أول من تكلم وأول من ابتلى به.

=

---

(١) وفي الخازن: سبب نزول هذه الآية ما روي عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمر العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي فقال لعاصم أرأيت لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل لي رسول الله ﷺ وفيه أيضا عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء فقال رسول الله ﷺ: البينة أو حد في ظهرك، فقال يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة، فجعل النبي ﷺ يقول: البينة أو حد في ظهرك فنزل جبريل بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ الآية.

(٢) قوله: «فإن جاءت به أصيهب أثيبج» في الصحاح «الصهبة» الشقرة في شعر الرأس والرجل أصهب. وفيه: ثبج كل شيء وسطه. والأثبج: العريض الثبج ويقال الناتىء الثبج اهـ. وما في الحديث تصغيرهما. وفيه أيضاً «الخدلجة» بتشديد اللام المرأة الممتلئة الذراعين والساقين. (ع)

معنى الأنفس التي هي بدل، ووجه من قرأ أربع أن ينتصب؛ لأنه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾، وهي مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: واجب شهادة أحدهم أربع شهادات بالله، وقرئ: «أن لعنة الله»، و«أن غضب الله»: على تخفيف أن ورفع ما بعدها، وقرئ: «أن غضب الله»: على فعل الغضب، وقرئ: بنصب الخامستين[1]، على معنى: وتشهد الخامسة.

فإن قلت: لم خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله؟

قلت: تغليظاً عليها؛ لأنها هي أصل الفجور ومنبعه بخلابتها[2] وإطماعها؛ ولذلك كانت مقدّمة في آية الجلد؛ ويشهد لذلك قوله ـ ﷺ ـ لخولة: «فَالرَّجْمُ أَهْوَنُ عَلَيْكِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ» (١٠٢٠).

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

الفضل: التفضل، وجواب «لولا»: متروك، وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه، ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾

= أما حديث عويمر العجلاني أو هلال مع عاصم ابن عدي. أخرجه مالك (٢/ ٥٦٦ ـ ٥٦٧) كتاب الطلاق: باب ما جاء في اللعان حديث (٣٤)، والبخاري (٩/ ٣٦١) كتاب الطلاق: باب من جوز الطلاق الثلاث حديث (٥٢٥٩)، ومسلم (٢/ ١١٢٩ ـ ١١٣٠) كتاب اللعان حديث (١/ ١٤٩٢)، وأبو داود (٢/ ٦٧٩ ـ ٦٨٢) كتاب الطلاق: باب في اللعان حديث (٢٢٤٥)، والنسائي (٦/ ١٧٠ ـ ١٧١) كتاب الطلاق: باب بدء االعان. وابن ماجه (١/ ٦٦٧) كتاب الطلاق، باب اللعان حديث (٢٠٦٦) وأحمد (٥/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧)، والدارمي (٢/ ١٥٠) كتاب النكاح: باب في اللعان وابن الجارود في: «المنتقى» رقم (٧٥٦)، وابن حبان (٤٢٧١ ـ الإحسان)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ١٠٢)، والبيهقي (٧/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) كتاب اللعان: باب سنة اللعان، والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٨١ ـ بتحقيقنا) من طريق الزهري عن سهل بن سعد به.

١٠٢٠ ـ انظر السابق.

---

(١) قوله «وقرىء بنصب الخامستين» في النسفي: أنه لا خلاف في رفع الخامسة الأولى على المشهور. (ع)

(٢) قوله «بخلابتها» في الصحاح «الخلابة» الخديعة باللسان. (ع)

الإفك: أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل: هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك، وأصله: الأفك، وهو القلب؛ لأنه قول مأفوك عن وجهه، والمراد: ما أُفك به على عائشة ـ رضي الله عنها ـ والعصبة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين، وكذلك العصابة، واعصوصبوا: اجتمعوا، وهم عبد الله بن أبيّ رأس النفاق، وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، ومن ساعدهم، وقرئ: «كبره»: بالضم والكسر، وهو عظمه[1]، والذي تولاه عبد الله؛ لإمعانه في عداوة رسول الله ـ ﷺ ـ ٢/ ٤٠أ وانتهازه الفرص، وطلبه سبيلاً إلى الغميزة.

أي: يصيب كل خائض في حديث الإفك من تلك العصبة نصيبه من الإثم على مقدار خوضه، والعذاب العظيم لعبد الله؛ لأنّ معظم الشرّ كان منه، يحكى أن صفوان ـ رضي الله عنه ـ مرّ بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه قال: من هذه؟ فقالوا: عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقال: والله، ما نجت منه ولا نجا منها، وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها، والخطاب في قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: لمن ساءه ذلك من المؤمنين، وخاصة رسول الله ـ ﷺ ـ وأبي بكر، وعائشة، وصفوان بن المعطل ـ رضي الله عنهم ـ ومعنى كونه خيراً لهم: أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم؛ لأنه كان بلاء مبيناً ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية، كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله ـ ﷺ ـ وتسلية له، وتنزيه لأم المؤمنين ـ رضوان الله عليها ـ وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه، وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها.

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات؛ كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ **[الحجرات: ١١]**،[2] وذلك نحو ما يروى أن أبا أيوب الأنصاري قال لأم أيوب: ألا ترين ما يقال؟ فقالت: لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله ـ ﷺ ـ سوءاً؟ قال: لا،

---

(١) قوله «وهو عظمه» في الصحاح: عظم الشيء: أكثره ومعظمه. (ع)

(٢) قال محمود: «معناه ظنوا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾» قال أحمد: والسر في هذا التعبير: تعطيف المؤمن على أخيه وتوبيخه على أن يذكره بسوء، وتصوير ذلك بصورة من أخذ يقذف نفسه ويرميها بما ليس فيها من الفاحشة، ولا شيء أشنع من ذلك، والله أعلم.

قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما خنت رسول الله ـ ﷺ ـ فعائشة خير مني، وصفوان خير منك (١٠٢١)(١).

فإن قلت: هلا قيل: لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم؟ ولم عدل عن الخطاب إلى الغيبة، وعن الضمير إلى الظاهر؟

قلت: ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرح بلفظ الإيمان؛ دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض ألا يصدّق مؤمن على أخيه، ولا مؤمنة على أختها قول غائب ولا طاعن، وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في أخيه، أن يبني الأمر فيها على الظنّ لا على الشك، وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾؛ هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته، كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال، وهذا من الأدب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له، وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بأخوات.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾

جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب: ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاءها، والذين رموا عائشة ـ رضي الله عنها ـ لم تكن لهم بينة على قولهم، فقامت عليهم الحجة

١٠٢١ ـ رواه ابن إسحاق (٣/ ٣٠٠) قال: حدثني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: «يا أبا أيوب، ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله، ما كنت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك».

ورواه ابن جرير (٩/ ٢٨٤) رقم (٢٥٨٥٩) من طريق محمد بن إسحاق، وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٦٠)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر.

---

(١) عاد كلامه. قال: ونقل أن أبا أيوب الأنصاري قال لامرأته: ألا ترين مقالة الناس؟ قالت له: لو كنت بدل صفوان أكنت تخون في حرمة رسول الله ﷺ سوءاً؟ قال: لا. قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنته، وصفوان خير منك وعائشة خير مني» قال أحمد: ولقد ألهمت بنور الإيمان إلى هذا السر الذي انطوى عليه التعبير عن الغير من المؤمنين بالنفس، فإنها نزلت زوجها منزلة صفوان، ونفسها منزلة عائشة، ثم أثبتت لنفسها ولزوجها البراءة والأمانة، حتى أثبتتها لصفوان وعائشة بطريق الأولى رضي الله عنها. ويحتمل والله أعلم خلاف ما قاله الزمخشري: وهو أن يكون التعبير بالأنفس حقيقة، والمقصود إلزامي سيء الظن بنفسه، لأنه لم يعتد بوازع الإيمان في حق غيره، وألغاه واعتبره في حق نفسه، وادعى لها البراءة قبل معرفته بحكم الهوى لا بحكم الهدى، والله أعلم.

وكانوا ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في حكمه وشريعته كاذبين، وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجدوا في دفعه وإنكاره، واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع: من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة، والتنكيل به إذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين، فكيف بأمّ المؤمنين الصدّيقة بنت الصدّيق حرمة رسول الله ـ ﷺ ـ وحبيبة حبيب الله؟

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

لولا الأولى: للتحضيض، وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والمعنى: ولولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة، وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة، لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك، يقال: أفاض في الحديث، واندفع، وهضب، وخاض، ﴿إِذْ﴾: ظرف لمسكم، أو لأفضتم، ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾: يأخذه بعضكم من بعض، يقال: تلقى القول وتلقنه وتلقفه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقرئ على الأصل: «تتلقونه» و«إذ تلقونه»: بإدغام الذال في التاء[١]، وتلقونه، من لقيه بمعنى: لقفه، وتلقونه: من إلقائه بعضهم على بعض، وتلقونه وتألقونه، من الولق والألق: وهو الكذب، وتلقونه: محكية عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وعن سفيان: سمعت أمي تقرأ: «إذ تثقفونه»[٢]، وكان أبوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿بِأَفْوَاهِكُم﴾، والقول لا يكون إلا بالفم؟

قلت: معناه: أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب، فيترجم عنه اللسان[٣]، وهذا الإفك ليس إلا قولاً يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به

---

(١) قوله «وإذ تلقونه» لعل رسمه هكذا «واتلقونه» إلا أن يعتبر ما قبل الإدغام. (ع)

(٢) قوله «سمعت أمي تقرأ إذ تثقفونه» وفي نسخة تتقفونه، بمعنى تتبعونه، وكلا النسختين قراءة. (ع)

(٣) قال محمود: «إن قلت القول لا يكون إلا بالأفواه، فما فائدة ذكرها؟ قلت: المراد أن هذا القول لم يكن عبارة عن علم قام بالقلب، وإنما هو مجرد قول اللسان» قال أحمد: ويحتمل أن يكون المراد المبالغة، أو تعريضا بأنه ربما يتمشدق ويقضي تمشدق جازم عالم، وهذا أشد وأقطع، وهو السر الذي أنبأ عنه قوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ والله أعلم.

في القلب؛ كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، أي: تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة[١]، وعن بعضهم أنه جزع عند الموت، فقيل له، فقال: أخاف ذنباً لم يكن مني على بال، وهو عند الله عظيم، وفي كلام بعضهم: لا تقولنّ لشيء من سيئاتك حقير، فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير، وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها.

أحدها: تلقي الإفك بألسنتهم؛ وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له: ما وراءك؟ فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع وانتشر، فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه.

والثاني: التكلم مما لا علم لهم به، والثالث: استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

فإن قلت: كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم؟ ٢/ ٤٠ب

قلت: للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها؛ لوقوعها فيها، وأنها لا تنفك عنها؛ فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها.

فإن قلت: فأيّ فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلاً؟

قلت: الفائدة فيه: بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أوّل ما سمعوا بالإفك عن التكلم به، فلما كان ذكر الوقت أهمّ وجب التقديم.

فإن قلت: فما معنى يكون، والكلام بدونه متلثب[٢] لو قيل: ما لنا أن نتكلم بهذا؟

قلت: معناه معنى: ينبغي، ويصح، أي: ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا، وما يصح لنا؛ ونحوه: ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، و﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: للتعجب من عظم الأمر[٣].

---

(١) قوله «وهو عند الله كبيرة موجبة» لعله موجبة للعقاب. (ع)

(٢) قوله «والكلام بدونه متلثب» لعله: محرف وأصله مستتب. وفي الصحاح: استتب الأمر: تهيأ واستقام. (ع)

(٣) قال محمود: «معناه التعجب من عظم الأمر، وأصله أن الإنسان إذا رأى عجباً من صنائع الله تعالى سبحه، ثم كثر حتى استعمل عند كل متعجب منه، ثم أوردها هنا سؤالاً على توبيخهم على ترك التعجب فقال: إن قلت: لم جاز أن تكون زوجة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة، ولم يكن كفرها متعجباً منه وفجورها متعجب منه؟ قلت: لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويتزلفوا إليهم، وكفر الزوجة غير مانع ولا منفر بخلاف الكشخنة» قال أحمد: وما أورد عليه أبرد من هذا السؤال، كأن أحدا يشكل عليه أن ينسب الفاحشة إلى مثل عائشة، مما ينكره كل عاقل ويتعجب منه كل لبيب، والله الموفق.

فإن قلت: ما معنى التعجب في كلمة التسبيح؟

قلت: الأصل في ذلك: أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه، أو لتنزيه الله ـ تعالى ـ من أن تكون حرمة نبيه ـ عليه السلام ـ فاجرة.

فإن قلت: كيف جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة؟

قلت: لأنّ الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم، فيجب ألا يكون معهم ما ينفرهم عنهم، ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر، وأما الكشخنة[1] فمن أعظم المنفرات.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

أي: كراهة ﴿أَن تَعُودُوا۟﴾، أو في أن تعودوا؛ من قولك: وعظت فلاناً في كذا فتركه، وأبدهم ما داموا أحياء مكلفين، و﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فيه تهييج لهم ليتعظوا، وتذكير بما يوجب ترك العود، وهو اتصافهم بالإيمان الصادّ عن كل مقبح، ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع، ويعلمكم من الآداب الجميلة، ويعظكم به من المواعظ الشافية، والله عالم بكل شيء، فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

المعنى: يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة، وإرادة ومحبة لها، وعذاب الدنيا: الحدّ، ولقد ضرب رسول الله ـ ﷺ ـ عبد الله بن أبيّ وحساناً ومسطحاً، وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف (١٠٢٢)، وكفّ بصره، وقيل: هو المراد بقوله: ﴿وَٱلَّذِى

١٠٢٢ ـ رواه أبو داود (٢/٥٦٨) كتاب الحدود، باب: في حد القذف، الحديث (٤٤٧٤) من حديث ابن أبي عدي حدثهم عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «لما نزل عذري قام النبي ـ ﷺ ـ على المنبر فذكر ذلك، وتلا ـ تعني القرآن ـ فلما نزل من المنبر أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم.

ورواه أيضاً الحديث رقم (٤٤٧٥) مرسلاً قال: فأمر برجلين وامرأة ممن تكلم بالفاحشة: حسان بن =

---

(١) قوله «الكشخنة» كأنها الدياثة. (ع)

﴿تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النور: ١١]، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: ما في القلوب من الأسرار والضمائر، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، يعني: أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة، وهو معاقبه عليها.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

وكرّر المنة بترك المعاجلة بالعقاب، حاذفاً جواب لولا كما حذفه ثمة، وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة، وكذلك في التوّاب والرءوف والرحيم.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

الفحشاء والفاحشة: ما أفرط قبحه؛ قال أبو ذُؤَيْبٍ [من الطويل]:

. . . . ضَـرَائِـرُ حِـرْمِـيٍّ تَـفَـاحَـشَ غَـارُهَـا (1)

= ثابت، ومسطح بن أثاثة قال الثقيلي ويقولون: المرأة حمنة بنت جحش.
وحديث عائشة المرفوع رواه أيضاً الترمذي (٥/ ٣٣٦) في التفسير ومن سورة النور الحديث (٣١٨١)، وابن ماجه (٢/ ٨٥٧) كتاب الحدود، باب حد القذف، الحديث (٢٥٦٧)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٢٥) كتاب الرجم، باب حد القذف الحديث (٧٣٥١)، وروى الطبراني في معجمه كما في المجمع (٧/ ٨٣) عن سعيد بن جبير قال: «جلد النبي - ﷺ - حسان بن ثابت وعبد الله بن أبي، ومسطحاً، وحمنة بنت جحش كل واحد ثمانين جلدة في قذف عائشة، ثم تابوا من بعد ذلك غير عبد الله بن أبي رأس المنافقين مات على نفاقه».
ثم قال الهيثمي: «وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ.
ورواه البيهقي في الدلائل (٤/ ٧٤) من طريق عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة أنها قالت: «لما تلى رسول الله - ﷺ - القصة التي نزل بها عذري على الناس، نزل رسول الله - ﷺ - فأمر برجلين وامرأة ممن كان باء بالفاحشة في عائشة، فجلدوا الحد».
وأما حديث ضرب صفوان لحسان فرواه الحاكم (٣/ ٥١٩) من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: وقعد صفوان بن المعطل لحسان بن ثابت فضربه... وذكرت قصته، ورواه البيهقي في الدلائل (٤/ ٧٤ - ٧٥).

---

(١) لـهـن نـشـيـج بـالـنـشـيـل كـأنـهـا ضـرائـر حـرمـى تـفـاحـش غـارهـا
الضمير للقدور: والنشيج: الصوت، كالنءيج. يقال: نشجت القدر ونشج الباكي، وطعنة ناشجة: تبك دما. والباء للملابسة. والنشيل: اللحم المطبوخ: ينشل من القدر. والضرائر: نسوة الرجل، لأن كلا منهن تريد ضر الأخرى والحرمى: نسبة إلى الحرم، كالجسم لغة في حرم مكة. والتفاحش: الإفراط في القبح. والغار؛ الغيرة، أو الوجيب والصياح، وهو أنسب بالتشبيه.
ينظر: شرح أشعار الهذليين ص ٧٩، ولسان العرب (نشج)، (ضرر)، (غور)، (غير)، (حرم)، =

أي: أفرطت غيرتها، والمنكر: ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه، وقرئ: «خطوات»: بفتح الطاء وسكونها، وزكى بالتشديد، والضمير لله تعالى، ولولا أنّ الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة، لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك، ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها، وهو ﴿سَمِيعٌ﴾: لقولهم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بضمائرهم وإخلاصهم.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)﴾

وهو من ائتلى إذا حلف: افتعال من الألية، وقيل: من قولهم: ما ألوت جهداً، إذا لم تدخر منه شيئاً، ويشهد للأول قراءة الحسن: «ولا يتألّ»، والمعنى: لا يحلفوا على ألا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان، أو لا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها، فليعودوا عليهم بالعفو والصفح، وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم، مع كثرة خطاياهم وذنوبهم؛ نزلت في شأن مسطح، وكان ابن خالة أبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنهما ـ وكان فقيراً من فقراء المهاجرين، وكان أبو بكر ينفق عليه، فلما فرط منه ما فرط، آلى ألَا ينفق عليه، وكفى به داعياً إلى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسيء، ويروى أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قرأها على أبي بكر، فقال: بل أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مسطح نفقته، وقال: والله لا أنزعها أبداً (١٠٢٣)، وقرأ

١٠٢٣ ـ جزء من حديث عائشة في الإفك.
أخرجه البخاري (٥/ ٦٠١ ـ ٦٠٤) كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً الحديث (٢٦٦١).
ورواه في الشهادات، باب إذا عدل رجل رجلاً الحديث (٢٦٣٧)، وفي كتاب الجهاد، باب حمل الرجل امرأته في الغزو الحديث (٢٨٧٩)، وفي كتاب المغازي الحديث (٤٠٢٥)، وفي المغازي، باب حديث الإفك الحديث (٤١٤١)، وفي التفسير رقم (٤٦٩٠) وأيضاً في الحديث (٤٧٥٠ ـ ٦٦٦٢ ـ ٦٦٧٩ ـ ٧٣٦٩ ـ ٧٥٠٠ ـ ٧٥٤٥) ورواه مسلم (٩/ ١١٥ ـ نووي) كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف الحديث (٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨/ ٢٧٧٠)، وأبو داود (٢/ ٦٤٨) السنة، باب في القرآن (٤٧٣٥)، والترمذي (٥/ ٣٣٢) كتاب التفسير الحديث (٣١٨٠)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٩٥) كتاب عشرة النساء، باب قرعة الرجل بين نسائه إذا أراد السفر الحديث =

= والتنبيه والإيضاح ٢/ ١٧٩، وتاج العروس (ضرر)، (غور)، وديوان الأدب ١/ ٢٠٢، وأساس البلاغة (فحش)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤/ ٤٠٨، والمخصّص ٢/ ١٤١، ومجمل اللغة ٤/ ٢٩، وكتاب العين ٤/ ٤٤٢.

أبو حيوة وابن قطيب: «أن تؤتوا»: بالتاء على الالتفات؛ ويعضده قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣)﴾

﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾: السليمات الصدور، النقيات القلوب، اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر؛ لأنهنّ لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال، فلا يفطن لما تفطّن له المجربات العرافات؛ قال [من الكامل]:

وَلَقَدْ لَهَوْتُ بِطَفْلَةٍ مَيَّالَةٍ ... بَلْهَاءَ تُطْلِعُنِي عَلَى أَسْرَارِهَا[1]

وكذلك البله من الرجال في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ» ح.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ (٢٥)﴾

وقرئ: «يشهد»: بالياء ٢/ ١٤١أ، والحق: بالنصب صفة للدين وهو الجزاء، وبالرفع: صفة لله، ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به من العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة ـ رضوان الله عليها ـ ولا أنزل من الآيات القوارع، المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك،

= (٨٩٣١)، ورواه في التفسير أيضاً رقم (٢٧١ ـ ٣٨٠)، وأحمد (٦/ ١١٤ ـ ١١٧ ـ ١٩٤ ـ ١٩٧، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٨، ٢٦٩)، وعبد الرزاق (٥/ ٤١٠ ـ ٤١٩) رقم (٩٧٤٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٤) كتاب النكاح، وفي (٧/ ٢٩٦) كتاب القسم والنشوز، باب ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾... الآية وابن حبان في صحيحه (١٠/ ١٣ ـ ٢٢) الحديث (٤٢١٢)، وأبو يعلى (٨/ ٣٢٢) رقم (٤٩٢٧) و(٤٩٣٣)، (٤٩٣٥)، والطبراني في الكبير (٢٣/ رقم ١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ١٤١ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٤٤ ـ ١٤٥ ـ ١٤٦ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨)، وابن جرير في التفسير (٩/ ٢٧٨) رقم (٢٥٨٥٤ ـ ٢٥٨٥٥ ـ ٢٥٨٥٦ ـ ٢٥٨٥٧ ـ ٢٥٨٥٨).

---

(١) لهوت: تلاهيت ولعبت، بطفلة ـ بالفتح ـ أي: امرأة ناعمة لينة، يقال: امرأة طفلة الأنامل، أي: رخصتها لينتها، ميالة: مختالة، بلهاء: غافلة لا مكر عندها ولا دهاء، فلذلك تطلعني على ضمائرها.
البيت للنمر بن تولب، ينظر ديوانه ص ٣٤٩، وبلا نسبة في لسان العرب، تهذيب اللغة (٦/ ٣١٢)، أساس البلاغة (بله) تاج العروس (بله).

واستفظاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة، كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها؛ حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعاً، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأنّ ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله؛ حتى يعلموا عند ذلك: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ فأوجز في ذلك وأشبع، وفصل وأجمل، وأكد وكرّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة، وما ذاك إلا لأمر، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه كان بالبصرة يوم عرفة، وكان يسئل عن تفسير القرآن، حتى سئل عن هذه الآيات فقال: من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة، وهذه منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك، ولقد برّأ الله تعالى أربعة بأربعة: برأ يوسف بلسان الشاهد: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦]، وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه، وبرّأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها: إني عبد الله، وبرّا عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلوّ على وجه الدهر، مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات، فانظر، كم بينها وبين تبرئة أولئك؟ وما ذاك إلا لإظهار علوّ منزلة رسول الله ـ ﷺ ـ والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم، وخيرة الأوّلين والآخرين، وحجة الله على العالمين، ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه ـ ﷺ ـ ويقدمّ قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق، فليتلق ذلك من آيات الإفك، وليتأمّل كيف غضب الله في حرمته؟ وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه؟

فإن قلت: إن كانت عائشة هي المرادة، فكيف قيل: المحصنات[1]؟

قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله ـ ﷺ ـ وأن يخصصن بأن من قذفهنّ فهذا الوعيد لاحق به، وإذا أردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله ـ ﷺ ـ كانت المرادة أوّلاً.

والثاني: أنها أمّ المؤمنين فجمعت إرادة لها ولبناتها من نساء الأمّة الموصوفات

---

(١) قال محمود: «إن كانت عائشة هي المرادة، فلم جمع؟ قلت: المراد إما أزواج النبي ﷺ حتى يكون هذا الوعيد لاحقاً بقاذفهن، وإما عائشة وجمعت إرادة لها ولبناتها، كما قال: «قدني من نصر الخبيبين قدي» يعني عبد الله بن الزبير وأشياعه وكان يكنى أبا خبيب» قال أحمد: والأظهر أن المراد عموم المحصنات والمقصود بذكرهن على العموم وعيد من وقع في عائشة على أبلغ الوجوه، لأنه إذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنات، فما الظن بوعيد من قذف سيدتهن وزوج سيد البشر ﷺ، على أن تعميم الوعيد أبلغ وأقطع من تخصيصه وهذا معنى قول زليخا (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم) فعممت وأرادت يوسف، تهويلاً عليه وإرجافاً، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

بالإحصان والغفلة والإيمان؛ كما قال [من الرجز]:

قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِي[1]

أراد عبد الله بن الزبير وأشياعه، وكان أعداؤه يكنونه بخبيب ابنه، وكان مضعوفاً[2]، وكنيته المشهورة: أبو بكر، إلا أن هذا في الاسم وذاك في الصفة.

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾؟

قلت: معناه: ذو الحق البين، أي: العادل الظاهر العدل، الذي لا ظلم في حكمه، والمحق الذي لا يوصف بباطل، ومن هذه صفته لم تسقط عنده إساءة مسيء ولا إحسان محسن، فحق مثله أن يتقى ويجتنب محارمه.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

أي: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ من القول تقال أو تعد، ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾: من الرجال والنساء،

---

(١) قدني من نصر الخبيبين قَدِي ... ليس الإمام بالشحيح الملحد
ولا يوتن بالحجاز مفرد ... إن ير يوماً بالقضاء يصطد
أو ينجحر فالحجر شر محكد

لحميد الأرقط. وقيل: لأبي بحدلة يخاطب عبد الملك بن مروان. وقدني: بمعني حسبي. وكرر للتوكيد. والخبيبين يروى بصيغة التثنية، يعني عبد الله بن الزبير وابنه خبيب، وكانوا إذا ذموه كنوه بأبي خبيب بالتصغير. ويروى بصيغة الجمع، يعني: عبد الله وشيعته، كان ادعى الخلافة فقال الشاعر: لا يكون الإمام شحيحاً أي بخيلاً، ولا ملحلداً أي محتكراً أو محارباً في الحرم. والإلحاد: الميل. والوتن بالسكون، والواتن بالمثناة، وبالمثلثة: الثابت الدائم، يوصف به الماء ونحوه. ويروى: بوبر، والوبر حيوان صغير ذليل لا ذنب له يحبس ويعلف، ومفرد: يروى بالفاء وبالقاف. وقرد الرجل: سكت من عي. وأقرد: سكن وتماوت. وأقردت الشيء: جمعته وصممته وهو منه. ويصطد: مبني للمجهول، وهو يناسب رواية وبر. والانجحار: دخول الجحر. والمحكد. الملجأ والمهرب. وحاشا لابن الزبير أن يكون ملحداً.

لحميد بن مالك الأرقط، خزانة الأدب ٥/ ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢، والدرر ١/ ٢٠٧، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٨٧، ولسان العرب (خبب)، والمقاصد النحوية ١/ ٣٥٧، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٤٧، ٥٣، وتاج العروس (خبب)، (حكد)، ولحميد بن ثور في لسان العرب (لحد)، وليس في ديوانه، ولأبي بجدلة في شرح المفصل ٣/ ١٢٤، وبلا نسبة في لسان العرب (حكد)، والأشباه والنظائر ٤/ ٢٤١، وأوضح المسالك ١/ ١٢٠، وتخليص الشواهد ص ١٠٨، ورصف المباني ص ٣٦٢، وشرح ابن عقيل ص ٦٤، والكتاب ٢/ ٣٧١، ومغني اللبيب ١/ ١٧٠، ونوادر أبي زيد ص ٢٠٥، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٤٦، وتهذيب اللغة ١٤/ ١٢٤.

(٢) قوله «وكان مضعوفاً» في الصحاح: أضعفت الشيء فهو مضعوف، على غير قياس. (ع)

﴿وَٱلْخَبِيثُونَ﴾: منهم يتعرضون، ﴿لِلْخَبِيثَٰتِ﴾: من القول؛ وكذلك الطيبات والطيبون، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى الطيبين، وأنهم مبرءون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم[1]، وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب، ويجوز أن يكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى أهل البيت، وأنهم مبرءون مما يقول أهل الإفك، وأن يراد بالخبيثات والطيبات: النساء، أي: الخبائث يتزوّجن الخباث، والخباث الخبائث؛ وكذلك أهل الطيب، وذكر الرزق الكريم هاهنا مثله في قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١]، وعن عائشة: لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتهن امرأة[2]: لقد نزل جبريل ـ عليه السلام ـ بصورتي في راحته حين أمر رسول الله ـ ﷺ ـ أن يتزوّجني ولقد تزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري، ولقد توفي وإنّ رأسه لفي حجري، ولقد قبر في بيتي، ولقد حفته الملائكة في بيتي، وإنّ الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه، وإنه كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلقت طيبة عند طيب، ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً (١٠٢٤).

١٠٢٤ ـ رواه أبو يعلى في مسنده (٨/ ٩٠ ـ ٩١) رقم (٤٦٢٦)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٣١٤ ـ ٣١٥) قريباً مما ذكره المصنف؛ قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤٤): «رواه أبو يعلى وفي الصحيح وغيره بعضه وفي إسناد أبي يعلى من لم أعرفهم.
ورواه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٥٠) بلفظ قالت: «فضلت على نساء النبي ـ ﷺ ـ بعشر. قيل: ما هن يا أم المؤمنين فذكرت الحديث».
ورواه الطبراني (٢٣/ ٣١) رقم (٧٧) بلفظ «خلال فيَّ سبع، لم يكن في أحد من النساء إلا ما أتى الله مريم بنت عمران. . . الحديث».
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف لابن أبي شيبة في المصنف والمسند. =

---

(١) قال محمود: تحتمل الآية أمرين، أحدهما: أن يكون المراد الكلمات الخبيثة للخبيثين، والمراد: الإفك ومن أفاض فيه، وعكسه في الطيبات والطيبين. الثاني: أن يكون المراد بالخبيثات النساء وبالخبيثين الرجال» قال أحمد: إن كان الأمر على التأويل الثاني، فهذه الآية تفصيل لما أجمله قوله تعالى: ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ﴾ وقد بينا أنها مشتملة على هذه الأقسام الأربعة تصريحاً وتضميناً، فجاءت هذه الآية مصرحة بالجميع. وقد اشتملت على فائدة أخرى وهي الاستشهاد على براءة أم المؤمنين بأنها زوجة أطيب الطيبين، فلا بد وأن تكون طاهرة طيبة مبرأة مما أفكت به، وهذا التأويل الثاني هو الظاهر، فإن بعد الآية ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وبهذا وعد أزواجه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ والله أعلم.

(٢) عاد كلامه. قال: ونقل عن عائشة أنها قالت: لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتهن امرأة، فذكرت منهن أنها خلقت طيبة عند طيب» قال أحمد: وهذا أيضاً يحقق ما ذكرته من أن المراد بالطيبات والطيبين: النساء والرجال، وأن المراد بذلك: إظهار براءة عائشة بأنها زوج أطيب الطيبين، فيلزم أن تكون طيبة، وفاء بقوله: ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ والله أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿تَسْتَأْنِسُوا﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش؛ لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له استأنس، فالمعنى: حتى يؤذن لكم؛ كقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وهذا من باب الكناية والإرداف[١]؛ لأنّ هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن، فوضع موضع الإذن.

والثاني أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف: استفعال من أنس الشيء: إذا أبصره ظاهراً مكشوفا، والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال، هل يراد دخولكم أم لا، ومنه قولهم: استأنس هل ترى أحداً، واستأنست فلم أر أحداً ٢/ ٤١ب، أي: تعرفت واستعلمت؛ ومنه بيت النابغة [من البسيط]:

. . . . عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحِدِ[٢]

= قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤٤): «رواه الطبراني ورجال أحد أسانيد الطبراني رجال الصحيح».

(١) قال محمود: «فيه وجهان، أحدهما: أنه من الاستئناس الذي هو ضد الاستيحاش، أي: حتى يؤذن لكم فتستأنسوا، عبر بالشيء عما هو رادف له. الثاني: أن يكون من الاستعلام من آنس إذا أبصر. والمعنى: حتى تستكشفوا الحال، هل يراد دخولكم أم لا؟ وذكر أيضاً وجهاً بعيداً، وهو أن المراد حتى تعلموا هل فيها إنسان أم لا؟» قال أحمد: فيكون على هذا الأخير بنى من الإنس استفعل، والوجه الأول هو البين، وسر التجوز فيه والعدول إليه عن الحقيقة: ترغيب المخاطبين في الإتيان بالاستئذان بواسطة ذكر فإن له فائدة وثمرة تميل النفوس إليها وتنفر من ضدها وهو الاستيحاش الحاصل بتقدير عدم الاستئذان ففيه تنهيض للدواعي على سلوك هذا الأدب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٢) كأن رحلي وقد زال النهار بنا ... بذي الجليل على مستأنس وحد

للنابغة، يصف جمله بأنه كحمار الوحش المسرع خوفاً مما رآه. وقال الأصمعي: زال النهار: انتصف، ولعله لزوال الشمس فيه عن وسط السماء. ويجوز أن المعنى: مضى ولم يبق منه إلا قليل، كما هو متبادر إسناد الزوال إلى النهار. وبنا: أي علينا. ويجوز أن الباء للملابسة. والجليل: شجر له خوص كخوص النخل. وذو الجليل: موضعه. والمستأنس: الذي يرفع رأسه، هل يرى شخصاً؟ وقيل: الذي يخاف الأنيس. واستأنست بالشيء: سكن إليه قلبي. واستأنست: استعلمت واستبصرت وخفت من الأنيس. والوحد. المنفرد: ووحد كظرف، فهو وحيد، ووحد كسبب، ووحد كحذر: انفرد، أي كان الرجل فوق ذلك الحمار لا فوق الجمل، لسرعة سيره كالحمار. =

ويجوز أن يكون من الإنس، وهو أن يتعرف هل ثمة إنسان، وعن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الاسْتِئْنَاسُ؟ قَالَ: يَتَكَلَّمُ الرَّجُلُ بِالتَّسْبِيحَةِ وَالتَّكْبِيرَةِ وَالتَّحْمِيدَةِ وَيَتَنَحْنَحُ: يُؤذِنُ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَالتَّسْلِيمُ: أَنْ يَقُولَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ ثَلاثَ مَرَّاتٍ؛ فَإِنْ أُذِنَ لَهُ وَإِلا رَجَعَ» (١٠٢٥)، وعن أبي موسى الأشعري أنه أتى باب عمر ـ رضي الله عنهما ـ فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ قَالَهَا ثَلاثاً ثُمَّ رَجَعَ وَقَالَ: سَمِعْتُ ـ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يقُولُ: الاسْتِئْذَانُ ثَلاثاً (١٠٢٦) وَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى ـ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ: أَأَلِجُ؟ فَقَالَ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لامْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: رَوْضَةُ: قُومِي إِلَىٰ هٰذَا فَعَلِّمِيهِ؛ فَإِنَّهُ لاَ يُحْسِنُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ، قُولِي لَهُ: يَقُولُ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ؟ أَأَدْخُلُ؟ فَسَمِعَهَا الرَّجُلُ فَقَالَهَا، فَقَالَ: ادْخُلْ» (١٠٢٧)، وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتاً غير بيته: حييتم صباحاً، وحييتم مساءً، ثم

١٠٢٥ ـ رواه ابن ماجه (٢/ ١٢٢١) كتاب الأدب، باب الاستئذان الحديث (٣٧٠٧)، قال البوصيري في المصباح (٣/ ١٧١): «هذا إسناد ضعيف؛ أبو سورة هذا قال فيه البخاري: منكر الحديث، يروي عن أبي أيوب مناكير لا يتابع عليه، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده بإسناده سواء» اهـ.
وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٦٩): لابن أبي شيبة، والحكيم، الترمذي، وابن أبي حاتم وابن مردويه.
وانظر كنز العمال رقم (٢٥٢٢٢ ـ ٢٥٢٢٣).

١٠٢٦ ـ أخرجه البخاري (١٢/ ٢٩٠) كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً الحديث (٦٢٤٥)، ومسلم (٧/ ٣٨٤ ـ نووي) كتاب الآداب، باب الاستئذان الحديث (٣٣/ ٢١٥٣)، وأبو داود (٢/ ٧٦٦) كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان الحديث (٥١٨٠)، والترمذي (٥/ ٥٣) كتاب الاستئذان، باب ما جاء في الاستئذان ثلاثة الحديث (٢٦٩٠)، وابن ماجه (٢/ ١٢٢١) كتاب الأدب، باب الاستئذان الحديث (٣٧٠٦) وأحمد (٣/ ٦ ـ ١٩) و(٤/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤ ـ ٤٠٣ ـ ٤١٠ ـ ٤١٨) ومالك في الموطأ (٢/ ٩٦٣) في الاستئذان، باب الاستئذان، والدارمي (٢/ ٢٧٤) كتاب الاستئذان، باب الاستئذان، وابن حبان (١٣/ ١٢٧) رقم (٥٨١٠)، والطيالسي رقم (٢١٦٤)، وعبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٣٨١) رقم (١٩٤٢٣).

١٠٢٧ ـ رواه أبو داود (٢/ ٧٦٦) كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان الحديث (٥١٧٧)، والنسائي (٦/ ٨٧) عمل اليوم والليلة، باب كيف يستأذن الحديث (١٠١٤٨) من حديث ربعي قال: «ثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ـ ﷺ ـ وهو في بيت؛ فقال: أألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل السلام عليكم أأدخل؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فأذن له النبي ـ ﷺ ـ فدخل.
قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة من رواية سفيان السمان: سمعت سعيد بن جبير، ولم يسم روضة، قال فيه: «وقال لخادمه». انتهى.

= ينظر: ديوانه ص ١٧، والأزهيّة ص ٢٨٥، وخزانة الأدب ٣/ ١٨٧، والخصائص ٣/ ٢٦٢، وشرح المفصّل ٦/ ١٦، ولسان العرب (وحد)، (نهر)، (أنس)، (زول).

يدخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد، فصدّ الله عن ذلك، وعلم الأحسن والأجمل، وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به، وباب الاستئذان من ذلك: بينا أنت في بيتك، إذا رعف عليك الباب[(١)] بواحد، من غير استئذان ولا تحية من تحايى إسلام ولا جاهلية، وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه، وما قال رسول الله ـ ﷺ ـ ولكن أين الأذن الواعية؟ وفي قراءة عبد الله: «حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا»، وعن ابن عباس وسعيد بن جبير: إنما هو: «حتى تستأذنوا»، فأخطأ الكاتب، ولا يعوّل على هذه الرواية، وفي قراءة أبي: «حتى تستأذنوا»، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الاستئذان والتسليم، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من تحية الجاهلية والدمور ـ وهو الدخول بغير إذن ـ واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك، كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب، وفي الحديث: «مَنْ سَبَقَتْ عَيْنُهُ اسْتِئْذَانَهُ، فَقَدْ دَمَّرَ» (١٠٢٨)، وروي أنّ رجلاً قال للنبي ـ ﷺ ـ: أَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ أُمّي؟ قال: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّهَا لَيْسَ لَهَا خَادِمٌ غَيْرِي، أَأَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا كُلَّمَا دَخَلْتُ؟ قَالَ: أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟ قَالَ الرَّجُلُ: لا، قَالَ: فَاسْتَأْذِنْ» (١٠٢٩)، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾أي: أنزل عليكم، أو قيل: لكم هذه إرادة أن تذكروا

١٠٢٨ ـ رواه الطبراني في الكبير (٨/ ١٢٤) رقم (٧٥٠٥) عن أبي أمامة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من كان يشهد أني رسول الله فأم قوماً فلا يختص نفسه بالدعاء، ومن كان يشهد أني رسول الله فلا يدخل على أهل بيت حتى يستأنس ويسلم، فإذا نظر في قعر البيت فقد دخل».
ورواه أحمد (٥/ ٢٥٠ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦١) قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٤٦): «رواه الطبراني وأحمد. . . وفي إسناد الأول السفرين نسير وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وعبد الله بن رجاء الشيباني لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات» اهـ.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٤٢٨) لأبي القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب، ولإبراهيم الحربي في غريب الحديث ولأبي عبيد في غريبه؛ كلهم من حديث أبي هريرة.
أخرجه الطبراني من طريق أبي السفر عن يزيد بن شريح عن أبي أمامة بلفظ: «من أدخل عينه في بيت من غير إذن أهله فقد دمره ولإبراهيم الحربي في الغريب من حديث ثور بن يزيد عن يزيد بن شريح عن أبي حي المؤذن عن أبي هريرة بلفظ: «لا يحل لمسلم أن ينظر في بيت حتى يستأذن، فإن فعل فقد دمر قال أبو عبيدة في غريب الحديث: حدثنا هشيم عن منصور بن الحسن بلفظه مرسلاً قال: قال الكسائي: «دمر» بالتخفيف أي دخل بغير إذن. انتهى.
١٠٢٩ ـ أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٦٣) كتاب الاستئذان باب الاستئذان الحديث (١)، وأبو داود في المراسيل رقم (٤٨٨) باب ما جاء في الاستئذان من مراسيل عطاء بن يسار، وابن جرير في التفسير (٩/ ٢٩٨) رقم (٢٥٩٢٦) مرسلاً أيضاً وعزاه الزيلعي لابن أبي شيبة في المصنف.

---

(١) قوله: «إذا رعف عليك الباب» في الصحاح: رعف الرجل. إذا خرج الدم من أنفه. ورعف الفرس، إذا سبق وتقدم، فكان ما هاهنا مجاز على وجه التشبيه. (ع)

وتتعظوا وتعملوا بما أمرتم به في باب الاستئذان.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

يحتمل: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا﴾: من الآذنين، ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾: واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم، ويحتمل: فإن لم تجدوا فيها أحدًا من أهلها ولكم فيها حاجة، فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها؛ وذلك أنّ الاستئذان لم يشرع؛ لئلا يطلع الدامر على عورة، ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط؛ وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها، ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بدّ من أن يكون برضاه، وإلا أشبه الغصب والتغلب، ﴿فَٱرْجِعُوا﴾ أي: لا تلحوا في إطلاق الإذن، ولا تلجوا في تسهيل الحجاب، ولا تقفوا على الأبواب منتظرين؛ لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصاً إذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالآداب الحسنة، وإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة.، وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها: من قرع الباب بعنف، والتصييح بصاحب الدار، وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس، وعن أبي عبيد: ما قرعت باباً على عالم قط، وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [**الحجرات**: ٤].

فإن قلت: هل يصح أن يكون المعنى: وإن لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامتثلوا، ولا تدخلوا مع كراهتهم؟

قلت: بعد أن جزم النهي عن الدخول مع فقد الإذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين، لم تبق شبهة في كونه منهيًا عنه مع انضمام الأمر بالرجوع إلى فقد الإذن.

فإن قلت: فإذا عرض أمر في دار: من حريق، أو هجوم سارق، أو ظهور منكر يجب إنكاره؟

قلت: ذلك مستثنى بالدليل، أي: الرجوع أطيب لكم وأطهر؛ لما فيه من سلامة

= قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أبو داود في المراسيل من حديث عطاء بن يسار: «أن رجلاً سأل» فذكره مرسلاً، وهو في الموطأ عن صفوان بن سليم عن عطاء. وأورده الطبري من طريق زياد بن سعد عن عطاء مرسلاً أيضاً وقال ابن أبي شيبة في النكاح: حدثنا ابن عيينة عن زيد بن أسلم فذكره مرسلاً. انتهى.

الصدور والبعد من الريبة، أو أنفع وأنمى خيراً، ثم أوعد المخاطبين بذلك بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها: ما ليس بمسكون منها؛ وذلك نحو الفنادق، وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين، والمتاع: المنفعة، كالاستكنان من الحرّ والبرد، وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع، ويروى أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قال: يا رسول الله، إنّ الله ـ تعالى ـ قد أنزل عليك آية في الاستئذان، وإنا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن (١٠٣٠)؟ فنزلت، وقيل: الخربات يتبرز فيها، والمتاع: التبرز، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

من للتبعيض، والمراد غضّ البصر عما يحرم، والاقتصار به على ما يحلّ، وجوّز الأخفش أن تكون مزيدة، وأباه سيبويه.

فإن قلت: كيف دخلت في غضّ البصر دون حفظ الفروج؟

قلت: دلالة على أن أمر النظر أوسع؛ ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهنّ، وصدورهنّ، وثديهنّ، وأعضادهنّ، وأسوقهنّ، وأقدامهنّ، وكذلك الجواري المستعرضات، والأجنبية ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين، وأما أمر الفرج ٢/ ٤٢أ فمضيق، وكفاك فرقاً أن أبيح النظر إلا ما استثني منه، وحظر الجماع إلا ما استثني منه، ويجوز أن يراد ـ مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحل ـ حفظها عن الإبداء، وعن ابن زيد: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا، إلا هذا فإنه أراد به الاستتار، ثم أخبر أنه: ﴿خَبِيرٌ﴾ بأفعالهم وأحوالهم، وكيف يجيلون أبصارهم؟ وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم؟ فعليهم ـ إذا عرفوا ذلك ـ أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ

١٠٣٠ ـ قال الحافظ: لم أجده. وبيض له الزيلعي.

مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

النساء مأمورات ـ أيضاً ـ بغض الأبصار، ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته، وإن اشتهت غضت بصرها رأسا، ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك، وغضها بصرها من الأجانب أصلا أولى بها وأحسن، ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كُنْتُ عِنْدَ ـ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَعِنْدَهُ مَيْمُونَةُ، فَأَقْبَلَ ٱبْنُ أُمِّ مَكْتُوم ـ وَذٰلِكَ بَعْدَ أَنْ أُمِرْنَا بِالْحِجَابِ ـ فَدَخَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: ٱحْتَجِبَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ أَعْمَىٰ لاَ يُبْصِرُ؟ قَالَ: أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا؟ أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ» (١٠٣١).

فإن قلت: لم قدّم غض الأبصار على حفظ الفروج؟

قلت: لأنّ النظر بريد الزنى ورائد الفجور، والبلوى فيه أشدّ وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه، الزينة: ما تزينت به المرأة من حليّ أو كحل أو خضاب، فما كان ظاهرًا منها كالخاتم والفتخة[1] والكحل والخضاب، فلا بأس بإبدائه للأجانب، وما خفي

١٠٣١ ـ أخرجه أبو داود (٢/ ٤٦٢) كتاب اللباس، باب في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ الحديث (٤١١٢)، والترمذي (٥/ ١٠٢) كتاب الأدب، باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال الحديث (٢٧٧٨)، وأحمد (٦/ ٢٩٦)، وابن حبان في صحيحه (١٢/ ٣٨٧) رقم (٥٥٧٥)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٩٣) في عشرة النساء، باب نظر النساء إلى الأعمى الحديث (٩٢٤١)، (٩٢٤٢)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٩١ ـ ٩٢) كتاب النكاح باب مساواة المرأة الرجل في حكم الحجاب والنظر إلى الأجانب.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي وابن حبان، وإسحاق، وابن أبي شيبة، وأبو يعلى، والطبراني كلهم من رواية بنهان كاتب أم سلمة عنها. قال النسائي: لا نعلم رواه عن بنهان إلا الزهري. وقال إسحاق في مسنده: أخبرنا يحيى بن آدم حدثنا مغول عن يونس عن الزهري عن بنهان عن أم سلمة قالت: «استأذن ابن أم مكتوم وأنا وزينب عنده ـ الحديث. ومندل ضعيف خالف في ذكر زينب بدل ميمونة. انتهى.

---

(١) قوله: والفتخة... إلخ» في الصحاح: الفتخة ـ بالتحريك ـ حلقة من فضة لا فص فيها، فإذا كان فيها فص فهو الخاتم، وربما جعلتها المرأة في أصابع رجليها. وفيه «الإكليل» شبه عصابة تزين بالجوهر. ويسمى التاج: إكليلاً. (ع)

منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقُرط، فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين، وذكر الزينة دون مواقعها: للمبالغة في الأمر بالتصوّن والتستر؛ لأنّ هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء، وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن، فنهى عن إبداء الزين نفسها، ليعلم أنّ النظر إذا لم يحل إليها لملابستها تلك المواقع ـ بدليل أن النظر إليها غير ملابسة لها لا مقال في حله ـ كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكنًا في الحظر، ثابت القدم في الحرمة، شاهداً على أن النساء حقهن أن يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها[١].

فإن قلت: ما تقول في القراميل[٢]، هل يحل نظر هؤلاء إليها؟

قلت: نعم.

فإن قلت: أليس موقعها الظهر، ولا يحل لهم النظر إلى ظهرها وبطنها، وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة؟

قلت: الأمر كما قلت، ولكن أمر القراميل خلاف أمر سائر الحلي؛ لأنه لا يقع إلا فوق اللباس، ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن للأجانب فضلاً عن هؤلاء، إلا إذا كان يصف؛ لرقته فلا يحل النظر إليه، فلا يحل النظر إلى القراميل واقعة عليه.

فإن قلت: ما المراد بموقع الزينة؟ ذلك العضو كله، أم المقدار الذي تلابسه الزينة منه؟

قلت: الصحيح: أنه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية؛ وكذلك مواقع الزينة الظاهرة: الوجه موقع الكحل في عينيه، والخضاب بالوسمة[٣] في حاجبيه وشاربيه، والغمرة في خديه، والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء.

فإن قلت: لم سومح مطلقاً في الزينة الظاهرة؟

قلت: لأن سترها فيه حرج، فإن المرأة لا تجد بدّاً من مزاولة الأشياء بيديها، ومن

---

(١) قال محمود: «المراد النهي عن إبداء مواضع الزينة، فليس النهي عن إظهار الزينة مقصوداً لعينه. ولكن جعل نفسها كناية عن إبداء مواقعها بطريق الأولى» قال أحمد: وقوله تعالى عقيب ذلك ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ محقق أن إبداء الزينة بعينه مقصوداً بالنهي، لأنه قد نهى عما هو ذريعة إليه خاصة، إذ الضرب بالأرجل لم يعلل النهي عنه إلا بعلم أن المرأة ذات زينة وإن لم تظهر، فضلاً عن مواضعها، والله أعلم.

(٢) قوله «القراميل» في الصحاح: القراميل، ما تشده المرأة في شعرها. (ع)

(٣) قوله «والخضاب بالوسمة» في الصحاح: الوسمة ـ بكسر السين ـ العظلم يختضب به، وتسكينها لغة، وفيه «العظلم» نبت يصبع به. وفيه أيضاً «الغمرة» طلاء يتخذ من الورس. (ع)

الحاجة إلى كشف وجهها، خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح، وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها، وخاصة الفقيرات منهنّ؛ وهذا معنى قوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني إلا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والأصل فيه الظهور؛ وإنما سومح في الزينة الخفيفة، أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالطتهم، ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم، ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب، وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك، كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها، وكنّ يسدلن الخمر من ورائهنّ فتبقى مكشوفة، فأمرن بأن يسدلنها من قدامهنّ حتى يغطينها، ويجوز أن يراد بالجيوب: الصدور؛ تسمية بما يليها ويلابسها؛ ومنه قولهم: ناصح الجيب، وقولك: ضربت بخمارها على جيبها؛ كقولك: ضربت بيدي على الحائط: إذا وضعتها عليها، وعن عائشة - رضي الله عنها -: ما رأيت نساءا خيراً من نساء الأنصار؛ لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن إلى مرطها[1] المرحل فصدعت منه صدعة، فاختمرن، فأصبحن كأن على رءوسهن الغربان (١٠٣٢)، وقرئ: «جيوبهن»: بكسر الجيم لأجل الياء؛ وكذلك: ﴿بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: ٢٧]، قيل في نسائهن: هنّ المؤمنات؛ لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - والظاهر أنه عنى بنسائهن وما ملكت أيمانهن: من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والإماء والنساء، كلهنّ سواء في حلّ نظر بعضهن إلى بعض، وقيل: ما ملكت أيمانهن هم الذكور والإناث جميعاً، وعن

١٠٣٢ - عزاه الزيلعي (٢/ ٤٣٢) لابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث عائشة.
رواه أبو داود (٢/ ٤٥٩) كتاب اللباس، باب في قول الله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ الحديث (٤١٠٢)، ورواه البخاري (٩/ ٤٣٣) كتاب التفسير، باب «وليضربن بخمرهن على جيوبهن» تعليقاً بلفظ.
وقال أحمد بن شبيب: حدثنا أبي عن يونس قال ابن شهاب عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن به اهـ.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق مسلم بن خالد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفية عنها وأتم منه. وأخرجه ابن مردويه من طريق داود بن عبد الرحمن، ومن طريق روح بن القاسم. كلاهما عن ابن خثيم. وأخرجه أبو داود مختصراً من وجه أخر عن قرة عن الزهري عن عروة عن عائشة. ولفظة البخاري قال: قال أحمد بن شبيب: حدثنا أبي عن يونس عن الزهري به: قلت ووصله ابن مردويه من طريق أحمد بن شبيب. انتهى.

---

(١) قوله «قامت كل واحدة منهن إلى مرطها» في الصحاح «المرط» كساء من صوف أو خز كان يؤتزر به. وفيه أيضاً «مرط مرحل» إزار خز فيه علم. (ع)

عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها أباحت النظر إليها لعبدها، وقالت لذكوان: إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر (١٠٣٣)، وعن سعيد بن المسيب: مثله، ثم رجع وقال: لا تغرنكم آية النور؛ فإن المراد بها الإماء (١٠٣٤)، وهذا هو الصحيح؛ لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها، خصياً كان أو فحلاً، وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ٢/ ٤٢ب: أن معاوية دخل عليها ومعه خصي، فتقنعت منه، فقال: هو خصيّ، فقالت: يا معاوية؛ أترى أن المثلة به تحلل ما حرّم الله (١٠٣٥)؛ وعند أبي حنيفة: لا يحل استخدام الخصيان وإمساكهم وبيعهم وشراؤهم، ولم ينقل عن أحد من السلف إمساكهم.

فإن قلت: روي أنه أهدي لرسول الله ـ ﷺ ـ خصيّ فقبله.

قلت: لا يقبل فيما تعم به البلوى إلا حديث مكشوف، فإن صح فلعله قبله ليعتقه (١٠٣٦)، أو لسبب من الأسباب، ﴿ٱلْإِرْبَةِ﴾: الحاجة، قيل: هم الذين يتبعونكم

١٠٣٣ ـ هذا الأثر ملفق من أثرين:
الأول: أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٤١٣) رقم (٦١٣٦) عن ابن جريج قال: أخبرني ابن أبي مليكة عن عائشة قالت: إذا غيبني أبو غمرو ودلاني في حفرتي فهو حر.
ورواه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٦١) في ترجمة عائشة قال: أخبرنا أنس بن عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عائشة قالت: إذا كفنت وحنطت ثم دلاني ذكوان في حفرتي وسواها علي فهو حر» اهـ.
الثاني: رواه البيهقي في السنن (١٠/ ٣٢٤) عن سليمان بن يسار قال: استأذنت على عائشة فقالت: من هذا؟ قلت: سليمان قالت: كم بقي عليك من مكاتبتك؟ قلت: عشرة أواق قالت: ادخل فإنك عبد ما بقي عليك درهم.
قال الحافظ ابن حجر: هذا ملفق من أثرين، الأول: أخرجه البيهقي من طريق عمرو بن ميمون عن سليمان بن يسار قال استأذنت على عائشة فقالت: سليمان؟ ادخل، فإنك عبد ما بقي عليك درهم، وعلقه البخاري عن سليمان، والثاني: أخرجه ابن سعد من رواية محمد بن علي بن الحسين: «أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إذا كفنت ودفنت وحنطت ودلاني ذكوان في حفرتي فهو حر»، وأخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج. أخبرني ابن أبي مليكة أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «إذا غيبني أبو عمرو ودلاني في حفرتي فهو حر». انتهى.
١٠٣٤ ـ قوله: «وعن سعيد: مثل ما قالت عائشة».
قال الحافظ: لم أره وبيض له الزيلعي في تخريج الكشاف أما قصة رجوعه فقال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة من رواية طارق عن سعيد بن المسيب: «لا تغرنكم الآية: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ إنما عني الإماء دون العبيد. انتهى.
١٠٣٥ ـ قال الحافظ: لم أجده قلت: ذكره المسعودي في مروج الذهب بغير إسناد» اهـ.
وبيض له الزيلعي.
١٠٣٦ ـ روى ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٧٠ ـ ١٧١) في ترجمة مارية أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال: بعث =

ليصيبوا من فضل طعامكم، ولا حاجة لهم إلى النساء؛ لأنهم بله لا يعرفون شيئاً من أمرهن، أو شيوخ صلحاء إذا كانوا معهن غضوا أبصارهم، أو بهم عنانة، وقرئ: (غير): بالنصب على الاستثناء أو الحال، والجرّ على الوصفية، وضع الواحد موضع الجمع؛ لأنه يفيد الجنس، ويبين ما بعده أن المراد به الجمع؛ ونحوه: ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥]، ﴿لَمْ يَظْهَرُوا﴾: إما من ظهر على الشيء: إذا اطلع عليه، أي: لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها، وإما من ظهر على فلان، إذا قوي عليه، وظهر على القرآن: أخذه وأطاقه، أي: لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء، وقرئ: «عورات»، وهي لغة هذيل.

فإن قلت: لم لم يذكر الله الأعمام والأخوال؟

قلت: سئل الشعبي عن ذلك؟ فقال: لئلا يصفها العم عند ابنه، والخال كذلك، ومعناه: أن سائر القرابات يشترك الأب والابن في المحرمية[1] إلا العم والخال وأبناءهما، فإذا رآها الأب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم، فيداني تصوّره لها بالوصف نظره إليها؛ وهذا ـ أيضاً ـ من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر، كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها، فيعلم أنها ذات خلخال، وقيل: كانت تضرب بإحدى رجليها الأخرى، ليعلم أنها ذات خلخالين، وإذا نهين عن إظهار صوت الحلي بعدما نهين عن إظهار الحلي، علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي، أبلغ وأبلغ، أوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها، وإن ضبط نفسه واجتهد، ولا يخلو من تقصير يقع منه؛ فلذلك وصى المؤمنين جميعاً بالتوبة والاستغفار، وبتأميل الفلاح إذا تابوا واستغفروا، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: توبوا مما كنتم

= المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله ـ ﷺ ـ في سنة سبع من الهجرة بمارية وبأختها سيرين وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً ليناً وبغلته الدلدل وحماره عفير، ويقال: يعفور ومعهم خصي يقال له: مابور شيخ كبير كان أخا مارية.

قال الحافظ: أخرجه ابن سعد أخبرنا محمد بن عمر. حدثنا يعقوب بن أبي صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال: «أهدى المقوقس صاحب الإسكندرية إلى النبي ـ ﷺ ـ سنة سبع من الهجرة. مارية وأختها سيرين، وألف مثقال ذهب وعشرين ثوباً وبغلة. وحماره عفيراً وخصياً يقال له: ما يود. فعرض حاطب على مارية الإسلام فأسلمت هي وأختها، ثم أسلم الخصي بعد، وقع ذكر الخصي هذا في عدة أحاديث منها حديث علي ـ رضي الله عنه ـ. وقوله: «هذا ضعيف، ولا يقبل فيما تعم به البلوى، إلا حديث مكشوف إن صح. ولعله قبله ليعتقه» اهـ. وليس هذا فيما تعم به البلوى في شيء. انتهى.

---

(١) قوله «يشترك الأب والابن في المحرمية» الرابط محذوف، أي: يشترك بها الأب... إلخ. (ع)

تفعلونه في الجاهلية؛ لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة.

فإن قلت: قد صحت التوبة بالإسلام، والإسلام يجب ما قبله، فما معنى هذه التوبة؟

قلت: أراد بها ما يقوله العلماء: إن من أذنب ذنباً ثم تاب عنه، يلزمه كلما تذكره أن يجدد عنه التوبة؛ لأنه يلزمه أن يستمرّ على ندمه وعزمه إلى أن يلقى ربه، وقرئ: «أيهُ المؤمنون»: بضم الهاء، ووجهه أنها كانت مفتوحة؛ لوقوعها قبل الألف، لما سقطت الألف لالتقاء الساكنين، أتبعت حركتها حركة ما قبلها.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

﴿ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾ واليتامى: أصلهما أيائم ويتائم، فقلبا، والأيم: للرجل والمرأة، وقد آم وآمت وتأيما: إذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين؛ قال [من الطويل]:

فَإِنْ تَنْكِحِي أَنْكِحْ وَإِنْ تَتَأَيَّمِي ... وَإِنْ كُنْتُ أَفْتَىٰ مِنْكُمُ أَتَأَيَّمُ[1]

وعن رسول الله ـ ﷺ ـ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَيْمَةِ وَالْغَيْمَةِ وَالأَيْمَةِ وَالْكَزْمِ وَالْقَرْمِ»[2] (١٠٣٧)، والمراد: أنكحوا من تأيم منكم من الأحرار والحرائر، ومن كان فيه

١٠٣٧ ـ قال الحافظ: لم أجده، وبيض له الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف، والحديث ذكره ابن قتيبة في غريب الحديث (٣٣٨/١)، قال: يرويه سليمان بن الربيع الكوفي عن همام عن أبي العوام =

---

(١) آم الرجل ـ بالمد ـ والمرأة. وتأيما: إذا لم يتزوجا بكرين أو ثيبين، يقول لمحبوبته؛ إن تتزوجي أتزوج وإن لم تتزوجي لم أتزوج. وجملة «وإن كنت أفتى منكم» اعتراضية. والأفتى الأكثر فتية وشباباً. وعبر بضمير جمع الذكور للتعظيم، ورفع المضارع في جواب الشرط كما هنا قليل، ولعله ارتكبه لأجل القافية.

ينظر: لسان العرب (أيم)، مجاز القرآن (٢/ ٦٥)، الدر المصون (٥/ ٢١٨).

(٢) قوله «من العيمة والغيمة والأيمة والكزم والقزم» في الصحاح «العيمة» شهوة اللبن. وفيه: «الغيم» العطش وحرف الجوف اهـ. وهو يفيد أن «الغيمة» المرة من ذلك. وفيه «الأيامى» الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء. وآمت المرأة من زوجها تئيم أيمة. وفيه: كزم الشيء بمقدم فيه، أي: كسره واستخرج ما فيه. وفيه: قرم الصبي والبهم قرما، وهو أكل ضعيف في أول ما يأكل. والقرم ـ بالتحريك ـ: شدة شهوة اللحم اهـ. ويروى في الحديث «القذم» بالذال بدل الراء. وفي الصحاح: القذم على وزن الهجف: الشديد. وفيه أيضاً: الهجف من النعام ومن الناس. الجافي الثقيل. قال الكميت [من الطويل]:

هو الأضبط الهواس فينا شجاعة ... وفيمن يعاديه الهجف المثقل

ولا يستقيم الوزن إلا بتشديد الفاء. وفيه «الهواس»: الأسد. (ع)

صلاح من غلمانكم وجواريكم، وقرئ: «من عبيدكم»، وهذا الأمر للندب لما علم من أنّ النكاح أمر مندوب إليه[1]، وقد يكون للوجوب في حق الأولياء عند طلب المرأة ذلك، وعند أصحاب الظواهر: النكاح واجب، ومما يدل على كونه مندوبًا إليه قوله ـ ﷺ ـ: «مَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي، وَهِيَ النِّكَاحُ» (١٠٣٨)، وعنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «مَنْ كَانَ لَهُ مَا يَتَزَوَّجُ بِهِ فَلَمْ يَتَزَوَّجْ، فَلَيْسَ مِنَّا» (١٠٣٩)، وعنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

= عمران بن داور القطان عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن النبي ـ ﷺ ـ. . . فذكره.

١٠٣٨ ـ رواه عبد الرزاق (٦/ ١٦٩) رقم (١٠٣٧٨)، وأبو يعلى في مسنده (٥/ ١٣٣) رقم (٢٧٤٨)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٧٨) ثلاثتهم عن عبيد بن سعد عن النبي ـ ﷺ ـ مرسلاً به.
ورواه البيهقي (٧/ ٧٨) كتاب النكاح، باب الرغبة في النكاح قال: وروي ذلك عن أبي حرة عن الحسن عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ فذكره معلقاً.
وقد رواه ابن عدي في الكامل (٧/ ٢٥٤٩)، قال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٥٥): رواه أبو يعلى ورجاله ثقات إن كان عبيد بن سعد صحابي وإلا فهو مرسل» اهـ.
والحديث ذكره الحافظ في المطالب العالية (٢/ ٣٦) رقم (١٥٨٦) وعزاه لأبي يعلى.
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه عبد الرزاق من رواية عبيد بن سعيد قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ. . . فذكره مرسلاً، وأخرجه أبو يعلى من هذا الوجه، فكأنه ظن أن عبيد بن سعيد له صحبة. ولابن عدي من رواية أبي حرة واصل بن عبد الرحمن عن الحسن عن أبي هريرة بلفظ: «من أحب فطرتي فليتبعن سنتي، وإن من سنتي النكاح». انتهى.

١٠٣٩ ـ أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦/ ١٦٨) رقم (١٠٣٧٦)، والدارمي (٢/ ١٣٢) كتاب النكاح، باب الحث على التزويج، وأبو داود في مراسيله رقم (٢٠٢)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٣٨٢) رقم (٥٤٨١ ـ ٥٤٨٢)، والطبراني في الأوسط، كما في المجمع (٤/ ٢٥٥)، وعزاه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية رقم (١٥٧٩) للحارث بن أبي أسامة.
قال الهيثمي: «ورجاله ثقات، إلا أن أبا نجيح لا صحبة له» اهـ.
وقال المنذري في الترغيب (٢/ ٦٦٣): «رواه الطبراني بإسناد حسن والبيهقي وهو مرسل، واسم أبي نجيح يسار بالياء المثناة تحت وهو والد عبد الله بن أبي نجيح المكي» اهـ.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف لأحمد وإسحاق بن راهويه في مسنديهما.
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أبو داود في المراسيل وأحمد وإسحاق والدارمي والطبراني وعبد الرزاق وابن أبي شيبة؛ كلهم من رواية أبي المفلس عن أبي نجيح رفعه: «من كان موسراً لأن ينكح فلم ينكح فليس منا»، وأخرجه الثعلبي من هذا الوجه، بلفظ المصنف، قال ابن راهويه: رواه بعضهم عن ابن جريج عن أبي المفلس عن أبي نجيح ـ عمرو بن عبسة قال: سمعت =

---

[1] قال محمود: «هذا أمر والمراد به الندب، ثم ذكر أحاديث تدل على ذلك، وأدرج فيها قوله عليه الصلاة والسلام: من وجد نكاحاً فلم ينكح فليس منا» قال أحمد: وهذا بأن يدل على الوجوب أولى، ولكن قد ورد مثله في ترك السنن كثيراً، وكأن المراد: من لم يستن بسنتنا، على أنه قد ورد في الواجب كقوله «من غشنا فليس منا» ومجانبة الغش واجبة «ومن شهر السلاح في فتنة فليس منا» ومثله كثير.

«إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ عَجَّ[1] شَيْطَانُهُ: يَا وَيْلَهُ، عَصَمَ ابْنُ آدَمَ مِنِّي ثُلُثَيْ دِينِهِ» (١٠٤٠) وعنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «يَا عِيَاضُ، لاَ تَزَوَّجَنَّ عَجُوزًا وَلا عَاقِراً؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ» (١٠٤١)، والأحاديث فيه عن النبي ـ ﷺ ـ والآثار كثيرة، وربما كان واجب الترك

= رسول الله ـ ﷺ ـ وهو غلط. وليس أبو نجيح هذا عمرو بن عبسة. وقد رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن الحكم بن موسى عن الوليد بن مسلم عن ابن جريج حدثني أبو المفلس سمعت أبا نجيح السلمي يقول: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول... فذكر نحوه. انتهى.

١٠٤٠ ـ أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤/٣٧) رقم (٢٠٤١) عن جابر قال النبي ـ ﷺ ـ: «أيما شاب تزوج في حداثة سنه عج شيطانه: يا ويله! يا ويله! عصم مني دينه».

قال الهيثمي (٤/٢٥٦): رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وفيه خالد بن إسماعيل المخزومي وهو متروك» اهـ.

وعزاه الزيلعي (٢/٤٣٧) للثعلبي في تفسيره.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أبو يعلى والطبراني في الأوسط. والثعلبي من رواية صالح مولى التوأمة عن جابر. وعن بعضهم عن أبي هريرة بدل جابر، وفي إسناده خالد بن إسماعيل المخزومي وهو متروك. انتهى.

١٠٤١ ـ رواه الحاكم (٣/ ٢٩٠) من طريق معاوية بن يحيى الصرفي يقول ثنا يحيى بن جابر عن جبير بن نفير عن عياض بن غنم قال: قال لي رسول الله ـ ﷺ ـ ذات يوم: «يا عياض، لا تزوجن عجوزاً ولا عاقراً فإني مكاثر بكم»...

ورواه الطبراني في الكبير (١٧/٣٦٨) رقم (١٠٠٨) وابن عدي في الكامل (٥/ ١٧٩٥)، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وتعقبه الذهبي بقوله: قلت معاوية ضعيف.

وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٦١): «فيه معاوية بن يحيى الصرفي وهو ضعيف».

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٤٣٨) للثعلبي، والأحاديث عن النبي ـ ﷺ ـ في هذا كثيرة منها حديث: «تزوجوا الودود الولود».

أخرجه ابن ماجه (١/٥٩٩) كتاب النكاح: باب تزويج الحرائر والولود حديث (١٨٦٣) من طريق طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «انكحوا فإني مكاثر بكم».

وقال البوصيري في «الزوائد» (٢/٧٣): هذا إسناد ضعيف لضعف طلحة بن عمرو المكي الحضرمي اهـ. وطلحة بن عمرو.

قال عمرو بن علي: كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عنه، وقال أحمد: لا شيء متروك الحديث.

وقال البخاري: ليس بشيء.

وقال النسائي: متروك الحديث.

وكذلك ضعفه ابن حبان وغيره. ينظر التهذيب. وله لفظ آخر بإسناد آخر. =

---

(١) قوله «عج شيطانه» أي: صاح. (ع)

إذا أدّى إلى معصية أو مفسدة، وعن النبي ـ ﷺ ـ: «إِذَا أَتَىٰ عَلَىٰ أُمَّتِي مائَةٌ وَثَمانُونَ سَنَة،

= أخرجه أبو داود (٢/ ٥٤٢) كتاب النكاح: باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء حديث (٢٠٥٠) والنسائي (٦/ ٦٥ ـ ٦٦) كتاب النكاح: باب كراهية تزويج العقيم والحاكم (٢/ ١٦٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦٢) من حديث معقل بن يسار قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم».
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
وأخرجه أيضاً ابن حبان (١٢٢٩ ـ موارد)، والبيهقي (٧/ ٨١) كتاب النكاح: باب استحباب التزويج بالودود الولود.
وأخرجه أحمد (٣/ ١٥٨ ـ ٢٤٥) وسعيد بن منصور (١/ ١٦٤) رقم (٤٩٠)، وابن حبان (١٢٢٨ ـ موارد) والبيهقي (٧/ ٨١ ـ ٨٢) كتاب النكاح: باب استحباب التزوج بالودود الولود، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٦٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢١٩)، من حديث أنس بلفظ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء». وصححه ابن حبان.
والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٦١) وقال: رواه أحمد والطبراني في «الأوسط» وإسناده حسن.
وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢١٤٧)، ومن طريقه البيهقي (٧/ ٧٨) من حديث أبي أمامة بلفظ: «تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى».
وفيه محمد بن ثابت البصري وهو ضعيف قاله الحافظ في «التقريب» (٢/ ١٤٨).
وأخرجه ابن ماجه (١/ ٥٩٢) كتاب النكاح: باب ما جاء في فضل النكاح حديث (١٨٤٦) من طريق عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «النكاح من سنتي، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم، ومن كان ذا طول فلينكح، ومن لم يجد فعليه بالصوم، فإن الصوم له وجاء».
قال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٦٥): هذا إسناد ضعيف لضعف عيسى بن ميمون اهـ.
وضعفه الحافظ ابن حجر في «تلخيصه» (٢/ ١٠٢)، وقال: ضعيف.
وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ١٢/(٣٧٧) من حديث ابن عمر بلفظ: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».
وأخرجه عبد الرزاق (٦/ ١٧٣) رقم (١٠٣٩١) عن سعيد بن أبي هلال مرسلاً.
والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٧٨٢).
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الحاكم والثعلبي من رواية معاوية بن يحيى عن يحيى بن جابر عن جبير بن معمر عن عياض بن غنم الأشعري ومعاوية ضعيف، وقوله: والأحاديث عن النبي ـ ﷺ ـ والآثار كثيرة اهـ. فمنها حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ في الصحيحين «أن أناساً من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ سألوا أزواجه عن عمله في السر فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء... الحديث» وفيه: «لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»، ومنها حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج»، متفق عليه، وقد تقدم في المائدة. وحديث أنس ـ رضي الله عنه ـ: «كان يأمر بالباءة وينهى عن التبتل»، وأخرجه ابن حبان وحديث «تزوجوا توالدوا وتناسلوا فإني مباه بكم الأمم»، له طرق في السنن وغيرها. وحديث عطية بن بشر في قصة عكاف بن وداعة =

فَقَدْ حَلَّتْ لَهُمُ العُزُوبَةُ والعُزْلَةُ وَالتَّرَهُّبُ عَلَى رءوسِ الْجِبَالِ» (١٠٤٢)، وفي الحديث: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ تُنَالُ المَعِيْشَةُ فِيهِ إلاَّ بِالْمَعْصِيَةِ، فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ الزَّمَانُ حَلَّتِ العُزُوبَةُ» (١٠٤٣).

فإن قلت: لم خص الصالحين؟

قلت: ليحصن دينهم، ويحفظ عليهم صلاحهم، ولأنّ الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الأولاد في الأثرة والمودّة، فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم، وأما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك، أو أريد بالصلاح: القيام بحقوق النكاح، ينبغي أن تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته[1]، ولا يشاء الحكيم إلا ما اقتضته الحكمة وما

= الهلالي في الحضّ على التزويج. وفيه: «إن شراركم عزابكم»، رواه إسحاق في مسنده أخبرنا نضبة عن معاوية بن يحيى الصدفي، أنه حدثه عن سليمان بن موسى عن مكحول عن غضيف بن الحارث عن عطية بن بشر بطوله. رواه الطبراني في مسند الشاميين من رواية ابن عتبة عن برد بن سنان عن مكحول عن عطية بن بشر لم يذكر غضيف، وقال أحمد: حدثنا عبد الرزاق عن محمد بن راشد عن مكحول عن أبي ذر فذكر نحوه، ومنها حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ: من تزوج فقد استكمل نص الإيمان، فليتق الله في النصف الثاني؛ أخرجه الطبراني في الأوسط، وإسناده ضعيف جدًا. وسيأتي باقيها بعد. انتهى.

١٠٤٢ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف لعلي بن معبد في كتابه الطاعة والمعصية، والثعلبي في تفسيره.
وعزاه للديلمي في الفردوس من حديث أبي أمامة.
قال الحافظ: أخرجه البيهقي والثعلبي من حديث ابن مسعود، وفي إسناده سليمان بن عيسى الخراساني وهو كذاب. ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الموضوعات، لكن له طرق أخرى. أخرجه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية عن الحسن بن واقد الحنفي، قال: أظنه من حديث بهز بن حكيم فذكره وهو متصل. انتهى.

١٠٤٣ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٤٤٢) للخطابي في (العزلة) من حديث عبد الله بن مسعود، ولعلي بن معبد في كتاب «الطاعة والمعصية» عن الحسن مرسلاً.
قال الحافظ: أخرجه علي بن معبد في الطاعة والمعصية حدثنا عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من شاهق إلى شاهق. ومن حجر إلى حجر. فإذا كان ذلك حصلت العزوبة. قيل: كيف تحل العزوبة ـ فذكر حديثاً طويلاً وصله الخطابي في العزلة من طريق السعدي بن يحيى عن الحسن عن أبي الأحوص عن عبد الله. وفي إسناده محمد بن يونس الكديمي وهو ضعيف. انتهى.

---

(١) عاد كلامه. قال: «ينبغي أن تكون شريطة الحكمة والمصلحة غير منسية: واستشهد على ذلك بقوله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ قال أحمد: جنوحه للمعتقد الفاسد يمنع عليه الصواب، فإن معتقده وجوب رعاية المصالح على الله تعالى، فمن ثم شرط الحكمة والمصلحة =

كان مصلحة(1)؛ ونحوه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣٢]،

= محجراً واسعاً من فضل الله تعالى، ثم استشهد على ذلك بما يشهد عليه لا له، فإن قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿إِن شَآءَ﴾ يقتضي أن وقوع الغنى مشروط بالمشيئة خاصة، وهذا معتقد أهل الحق، فطاح اشتراط الحكمة عن محل الاستدلال، تعالى عن الإيجاب رب الأرباب، لكن ينبغي التنبه لنكتة تدعو الحاجة إلى التنبيه عليها، ليعم نفعها ويعظم وقعها إن شاء الله. وذلك أنا إذا بنينا على أن ثم شرطاً محذوفاً، لا بد من تقديره ضرورة صدق الخبر، إذ لو اعتقدنا أن الله تعالى يغني كل متزوج على الإطلاق مع أنا نشاهد كثيراً ممن استمر به الفقر بعد النكاح بل زاد، للزم خلف الوعد ـ تقدس الله وتعالى عن ذلك ـ فقد ثبت الاضطرار إلى تقدير شرط للجمع بين الوعد والواقع، فالقدرية يقولون: المراد إن اقتضت الحكمة ذلك، فكل من لم يغنه الله بأثر التزوج فهو ممن لم تقتض الحكمة إغناءه. وقد أبطلنا أن يكون هذا الشرط هو المقدر، وحتمنا أن المقدر شرط المشيئة كما ظهر في الآية الأخرى، وحينئذ فكل من يستغن بالنكاح فذلك لأن الله تعالى لم يشأ غناه. فلقائل أن يقول: إذا كانت المشيئة هي المعتبرة في غنى المتزوج، فهي أيضاً المعتبرة في غنى الأعزب، فما وجه ربط وعد الغنى بالنكاح، مع أن حال الناكح منقسم في الغنى على حسب المشيئة، فمن مستغن به، ومن فقير كما أن حال غير الناكح كذلك منقسم، وليس هذا كإقرار شرط المشيئة في الغفران للموحد العاصي، فإن الوعد ثم له ارتباط بالتوحيد. وإن ارتبط بالمشيئة أيضاً، من حيث أن غير الموحد لا يغفر الله له حتماً، ولا تستطيع أن تقول: وغير الناكح لا يغنيه الله حتماً، لأن الواقع يأباه. فالجواب ـ وبالله التوفيق ـ: أن فائدة ربطه الغنى بالنكاح: أنه قد ركز في الطباع السكون إلى الأسباب والاعتماد عليها. والغفلة عن المسبب جل وعلا حتى غلب الوهم على العقل، فخيل أن كثرة العيال سبب يوجب الفقر حتماً، وعدمها سبب يوجب توفير المال جزماً، وإن كان واحد من هذين السببين غير مؤثر فيما ربضه الوهم به. فأريد قلع هذا الخيال المتمكن من الطبع بالإيذان بأن الله تعالى قد يوفر المال وينميه، مع كثرة العيال التي هي سبب في الأوهام لنفاد المال، وقد يقدر الإملاق مع عدمه الذي هو سبب في الإكثار عند الأوهام والواقع يشهد بذلك فلا مراء. فدل ذلك قطعاً على أن الأسباب التي يتوهمها البشر مرتبطات بمسبباتها ارتباطاً لا ينفك ليست على ما يزعمونه، وإنما يقدر الغنى والفقر مسبب الأسباب، غير موقوف، تقدير ذاك إلا على مشيئة خاصة، وحينئذٍ لا ينفر العاقل المتيقظ من النكاح، لأنه استقر عنده أن لا أثر له في الاقتار، وأن الله تعالى لا يمنعه ذلك من إغنائه، ولا يؤثر أيضاً الخلو عن النكاح لأجل التوفير، لأنه قد استقر أن لا أثر له فيه، وأن الله تعالى لا يمنعه مانع أن يقتر عليه، وأن العبد إن تعاطى سبباً فلا يكن ناظراً إليه ولكن إلى مشيئة الله تعالى وتقدس، فمعنى قوله حينئذٍ ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ﴾ . . . الآية أن النكاح لا يمنعهم الغنى من فضل الله، فعبر عن نفي كونه مانعاً من الغنى بوجوده معه، ولا تبطل المانعية إلا وجود ما يتوهم ممنوعاً مع ما يتوهم مانعاً ولو في صورة من الصور على أثر ذلك، فمن هذا الوادي أمثال قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإن ظاهر الأمر طلب الانتشار عند انقضاء الصلاة، وليس ذلك بمراد حقيقة، ولكن الغرض تحقيق زوال المانع وهو الصلاة، وبيان أن الصلاة متى قضيت فلا مانع، فعبر عن نفي المانع بالانتشار بما يفهم تقاضي الانتشار، مبالغة في تحقيق المعنى عند السامع والله أعلم، فتأمل هذا الفصل واتخذه عضداً حيث الحاجة إليه.

(١) قوله «إلا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة» كأنه مبني على أنه تعالى يجب عليه فعل الصلاح، وهو مذهب المعتزلة، وعند أهل السنة: لا يجب على الله شيء. (ع)

وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ٢/٤٣أ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، ومن لم ينس هذه الشريطة، لم ينتصب معترضاً بعزب كان غنيًا فأفقره النكاح، وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففنى وأصبح مسكيناً، وعن النبي ـ ﷺ ـ: «ٱلْتَمِسُوا الرِّزْقَ بِالنِّكَاحِ» (١٠٤٤).

وشكا إليه رجل الحاجة فقال: «عَلَيْكَ بِالْبَاءَةِ[1]» (١٠٤٥) وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: عجبت لمن لا يطلب الغنى بالباءة (١٠٤٦)، ولقد كان عندنا رجل رازح الحال،

١٠٤٤ ـ قال الزيلعي (٢/ ٤٤٣): «لم يروه بهذا اللفظ إلا الثعلبي»، وعزاه السيوطي في الجامع الصغير (١٥٦٧) للديلمي، وكذا العجلوني في الكشف رقم (٥٢٨).
ورواه الحاكم (٢/ ١٦١) من حديث عائشة مرفوعاً بلفظ: «تزوجوا النساء فإنهن يأتينكم بالمال»، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه لتفرد سالم بن جنادة بسنده وسالم ثقة مأمون» اهـ. ، ووافقه الذهبي.
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من رواية مسلم بن خالد وابن مردويه من رواية أبي السائب سلام بن جنادة عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة مرفوعاً، «تزوجوا النساء فإنهن يأتين بالمال»، قال الحاكم: تفرد به سلام وهو ثقة: وقال البزار والدارقطني وغير سلام يرويه مرسلاً اهـ. وهو كما قال. وقد أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة فلم يذكر عائشة. وكذلك أخرجه أبو داود في المراسيل عن ابن التوأمة عن أبي أسامة، وأخرجه أبو القاسم حمزة بن يوسف في تاريخ جرجان من رواية الحسين بن علوان عن هشام موصولا. والحسين متهم بالكذب.
تنبيه: ظن المخرج أن هذا يرد على كلام البزار والدارقطني. وليس كما ظن، لأنه قال قد تابعه عبد المؤمن العطار، وقال أيضاً تابعه عبد الله بن ناجية، فأما الأول فالمتابع إنما هو الحسين شيخ عبد المؤمن، وقد قلنا: إنه لا يسوي شيئاً. وأما الثاني فإنما رواه ابن ناجية عن أبي السائب نفسه، فظهر تفرد أبي السائب بوصله من بين الثقات. وأما الحسين بن علوان فلا تفيد متابعته شيئا لوهنه. انتهى.

١٠٤٥ ـ عزاه الزيلعي (٢/ ٤٤٤) للثعلبي، وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي من رواية الدارقطني عن أبي عجلان: «أن رجلاً أتى النبي ـ ﷺ ـ فشكى إليه الحاجة الحديث» اهـ.
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من رواية الدارقطني عن أبي عجلان: «أن رجلا أتى النبي ـ ﷺ ـ فشكى إليه الحاجة. الحديث». انتهى.

١٠٤٦ ـ رواه عبد الرزاق (٦/ ١٧٠ ـ ١٧١) رقم (١٠٣٨٥) قال: أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: اطلبوا الفضل في الباه، قال: وتلا عمر: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.
ورواه (٦/ ١٧٣) رقم (١٠٣٩٣) عن معمر عن قتادة أن عمر بن الخطاب قال: ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الفضل في الباه، والله يقول: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.
قال الحافظ: رواه هشام بن حسان عن الحسن عن عمر نحوه. انتهى.

---

(١) قوله «فقال عليك بالباءة» في الصحاح سمي النكاح باء وباءة؛ لأن الرجل يتبوأ من أهله، أي: يستمكن منها كما يتبوأ من داره، وفيه أيضاً «الرازح من الإبل» الهالك هزالاً اهـ. فإن كان مختصاً بالإبل فقد يتوسع فيه إلى غيرها. (ع)

ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت، فسألته؟ فقال: كنت في أول أمرى على ما علمت؛ وذلك قبل أن أُرزق ولداً، فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر، فلما ولد لي الثاني زدت خيراً، فلما تتاموا ثلاثة صبّ الله عليّ الخير صبًا، فأصبحت إلى ما ترى، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ أي: غنيّ ذو سعة لا يرزؤه[1] إغناء الخلائق، ولكنه: ﴿عَلِيمٌ﴾: يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾: وليجتهد في العفة وظلف النفس[2]، كأن المستعف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه، ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: استطاعة تزوج، ويجوز أن يراد بالنكاح: ما ينكح به من المال، ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: ترجية للمستعفين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى؛ ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفالهم في استعفافهم، وربطاً على قلوبهم، وليظهر بذلك أن فضله أولى بالإعفاء وأدنى من الصلحاء، وما أحسن ما رتب هذه الأموار: حيث أمر أولاً بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر، ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام، ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء وعزفها[3] عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه، ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾: مرفوع على الابتداء، أو منصوب بعفل مضمر يفسره: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾؛ كقولك: زيدًا فاضربه، ودخلت الفاء؛ لتضمن معنى الشرط، والكتاب والمكاتبة، كالعتاب والمعاتبة: وهو أن يقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على ألف درهم، فإن أداها عتق، ومعناه: كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال، وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك، أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق، ويجوز عند أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ حالاً ومؤجلاً، ومنجماً وغير منجم؛ لأن الله ـ تعالى ـ لم يذكر التنجيم،

---

(١) قوله «لا يرزؤه» أي: لا ينقصه. (ع)

(٢) قوله «وظلف النفس» في الصحاح: ظلف نفسه عن الشيء، أي: منعها. وظلفت نفسي عن كذا بالكسر: أي كفت. (ع)

(٣) قوله «وعزفها عن الطموح إلى الشهوة» في الصحاح: عزفت نفسي عن الشيء: زهدت فيه وانصرفت عنه. (ع)

وقياساً على سائر العقود، وعند الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: لا يجوز إلا مؤجلاً منجماً، ولا يجوز عنده بنجم واحد؛ لأنّ العبد لا يملك شيئاً، فعقده حالاً منع من حصول الغرض؛ لأنه لا يقدر على أداء البدل عاجلاً، ويجوز عقده على مال قليل وكثير، وعلى خدمة في مدة معلومة، وعلى عمل معلوم مؤقت: مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض، وبناء دار قد أراه آجرها وجصها وما يبني به، وإن كاتبه على قيمته لم يجز، فإن أداها عتق، وإن كاتبه على وصيف[1]، جاز، لقلة الجهالة ووجب الوسط، وليس له أن يطأ المكاتبة، وإذا أدى عتق، وكان ولاؤه لمولاه؛ لأنه جاد عليه بالكسب الذي هو في الأصل له، وهذا الأمر للندب عند عامة العلماء، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: ليس ذلك بعزم، إن شاء كاتب وإن شاء لم يكاتب، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: هي عزمة من عزمات الله، وعن ابن سيرين مثله، وهو مذهب داود، ﴿خَيْرًا﴾: قدرة على أداء ما يفارقون عليه، وقيل: أمانة وتكسباً، وعن سلمان ـ رضي الله عنه ـ أن مملوكاً له ابتغى أن يكاتبه، فقال: أعندك مال؟ قال: لا، قال: أفتأمرني أن آكل غسالة أيدي الناس، ﴿وَءَاتُوهُم﴾: أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال؛ كقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، عند أبي حنيفة وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ.

فإن قلت: هل يحل لمولاه إذا كان غنيًا أن يأخذ ما تصدق به عليه؟

قلت: نعم، وكذلك إذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقي طاب للمولى ما أخذه؛ لأنه لم يأخذه بسبب الصدقة؛ ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها أو وهبت له، ومنه قوله ـ ﷺ ـ في حديث بريرة: «هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ» (١٠٤٧)، وعند الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: هو إيجاب على الموالي أن

١٠٤٧ ـ أخرجه البخاري (٤/ ١٢٣) كتاب الزكاة، باب الصدقة على موالي أزواج النبي ـ ﷺ ـ الحديث (١٤٩٣) وفي (٥/ ٥١٧) كتاب الهبة وفضلها، باب قبول الهدية الحديث (٢٥٧٨). مسلم (٤/ ١٩٤ ـ ١٩٥ ـ نووي) كتاب الزكاة، باب إباحة الهدية للنبي ـ ﷺ ـ الحديث (١٠٧٥)، ورواه في (٥/ ٤٠١) كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق الحديث (١٥٠٥).
والنسائي (٦/ ١٦٢) كتاب الطلاق، باب خيار الأمة، وأحمد (٦/ ٤٥ ـ ٤٦)، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٩٠) رقم (٤٢٦٩)، وفي (١١/ ٥١٧ ـ ٥١٨) رقم (٥١١٥ ـ ٥١١٦)، والبيهقي في السنن (٦/ ١٨٥) كتاب الهبات، باب كان رسول الله ـ ﷺ ـ لا يأخذ صدقة التطوع ويأخذ الهبة، ورواه في (٧/ ١٣٤ ـ ٢٢٠)، وفي (١٠/ ٢٩٥).
=

---

(١) قوله «على وصيف» الوصيف: الخادم، غلاماً كان أو جارية، كذا في الصحاح. (ع)

يحطوا لهم من مال الكتابة، وإن لم يفعلوا أجبروا، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: يحط له الربع، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يرضخ له من كتابته شيئاً، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه كاتب عبداً له يكنى: أبا أمية، وهو أوّل عبد كوتب في الإسلام، فأتاه بأوّل نجم فدفعه إليه عمر ـ رضي الله عنه ـ وقال: استعن به على مكاتبتك فقال: لو أخرته إلى آخر نجم؟ قال: أخاف ألَا أدرك ذلك (١٠٤٨)، وهذا عند أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ على وجه الندب، وقال: إنه عقد معاوضة، فلا يجبر على الحطيطة كالبيع، وقيل: معنى (وآتوهم): أسلفوهم، وقيل: أنفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا، وهذا كله مستحب، وروي أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح: سأل مولاه أن يكاتبه فأبى؛ فنزلت، كانت إماء أهل الجاهلية يساعين على مواليهن، وكان لعبد الله بن أبيّ رأس النفاق ست جوار: معاذة، ومسيكة، وأميمة، وعمرة، وأروى، وقتيلة: يكرههن على البغاء، وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله ـ ﷺ ـ؛ فنزلت (١٠٤٩)، ويكنى بالفتى والفتاة: عن العبد والأمة، وفي الحديث «لِيَقُلْ أَحَدُكُمْ:

= قال الحافظ: متفق عليه من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ في أثناء حديث في قصة بريرة وعتقها. انتهى.

١٠٤٨ ـ رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤/٣٨٨) كتاب البيوع، باب من كان يحط عن المكاتب في أول نجومه الحديث (٢١٣٤٥)، حدثنا وكيع عن أبي شبيب عن عكرمة عن ابن عباس؛ أن عمر كاتب عبداً له يكنى أبا أمية فجاءه بنجمة حين جاء فقال: يا أبا أمية استعن به في مكاتبتك، فقال: يا أمير المؤمنين، لو تركته حتى يكون في آخر نجم قال: إني أخاف أن لا أدرك ذلك، ثم قرأ: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾، قال عكرمة: وكان أول نجم أدى في الإسلام» اهـ.
وعزاه الزيلعي (٢/ ٤٤٥) لابن أبي حاتم في تفسيره.
قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة من طريق عكرمة عن ابن عباس إلا قوله: «وهو أول عبد كوتب في الإسلام» ذكره في آخره من قول عكرمة. وزاد ثم قرأ: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾، ورواه ابن أبي حاتم من طريق وكيع شيخ ابن أبي شيبة كذلك. انتهى.

١٠٤٩ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٩/٣٨٧ ـ نووي) كتاب التفسير باب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾.
الحديث (٢٦ ـ ٢٧/ ٣٠٢٩)، وأبو داود (١/٧٠٦) كتاب الطلاق، باب في تعظيم الزنا الحديث (٢٣١١)، والنسائي في التفسير (٢/١٢٣) رقم (٣٨٥)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٩٧)، وابن جرير في التفسير (٩/٣١٨) رقم (٧٢ ـ ٢٦، ٢٦٠٧٣).
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.
وذكره السيوطي في الدر (٥/٨٣) لابن مردويه.
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي من طريق مقاتل بهذا، وسنده إلى مقاتل في أول الكتاب وهو عن مسلم والبزار مختصر من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر. قال: «كان لعبد الله بن أبي جارية يقال لها مسيكة، وأخرى يقال لها أميمة، وكان يريدهما على الزنى. . . الحديث». انتهى.

فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَلاَ يَقُلْ عَبْدِي وَأَمَتِي» (١٠٥٠)، والبغاء ٢/ ٤٣ب: مصدر البغي.

فإن قلت: لم أقحم قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾؟

قلت: لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن، وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره إكراها[١]، وكلمة ﴿إِنْ﴾ وإيثارها على «إذا»: إيذان بأن المساعيات كنّ يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن، وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر[٢]،

١٠٥٠ ـ تقدم برقم (٨٩٨).

قال الحافظ: تقدم في الكهف. انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت: لم أقحم قوله (إن أردن تحصنا)؟ قلت: لأن الإكراه لا يكون إلا إذا أردن تحصنا ولا يتصور إلا كذلك، إذ لولا ذلك لكن مطاوعات» ولم يجب بما يشفي العليل. وعند العبد الفقير إلى الله تعالى أن فائدة ذلك ـ والله أعلم: أن يبشع عند المخاطب الوقوع فيه، لكي يتيقظ أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة وإن لم يكن زاجر شرعي. ووجه التبشيع عليها: أن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه، لأنها آثرت التحصن عن الفاحشة. وهو يأبى إلا إكراهها عليها. ولو أبرز مكنون هذا المعنى لم يقع الزاجر من النفس موقعه، وعسى هذه الآية تأخذ بالنفوس الدنية، فكيف بالنفوس العربية. والله الموفق.

(٢) و«إذا» للشرط المتيقن، وهذا ما اتفق عليه الفاهمون من الباحثين في لغة القرآن العظيم.
واقرأ للمفسر العلامة هذا التحقيق عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ ترى من جانب الحسنة المعرفة كان الشرط «إذا» لبيان الوجوب والاتساع، وأما في جانب السيئة فإنها نادرة ويقع منها شيء وبهذا كان الشرط «بإن».
وقد تفيد «إن» إشارة إلى عادة عربية تحتاج إلى لون من التعنين كما في الآية المصدر بها هذا البحث ولهذااستعمل «إن» في موقع «إذا» لأن فعل البقاء برغبة وطواعية، وإرادة التحصن قليلة:
وللزمخشري ومعه أبو السعود باع في هذا المضمار وتطبيق المفاهيم في الآيات بعناية ودراية.
وقد تخرج «إن» إلى الشرط المتيقن لسر بلاغي وهذا ما تراه في قوله تعالى:
﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤] فإن السر في جعل «إن» هنا والأمر متيقن وهو «عدم الفعل» إنما هو التهكم بهم، وهذا ما يبينه المفسر العلامة.
ولهذا الخروج مغزى آخر تراه في قوله سبحانه:
﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾ في قراءة «إن» بالكسر، والسرفيه إرادة بيان أنهم جاهلون.
وقد يلمح مغزى سوى ما سبق في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة: ١٣٧] وهذا لقصد التبكيت والاستهزاء كما تقول بعد تحقيق الرأي لصاحبك: هذا هو الرأي الصواب فإن كان عندك أصوب منه فاتبعه تريد بذلك تحقيق رأيك وتبكيته لتحقيق مرادك.
وقد يلمح «الاستبعاد» بإن كما في قوله تعالى:
﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧] فالقصد إلى أن استطاعتهم ردهم عن دينهم أمر مستبعد كما نقول لمن لا يستطيعك: =

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لهم أو لهن، أو لهم ولهنّ إن تابوا وأصلحوا، وفي قراءة ابن عباس: «لهن غفور رحيم».

فإن قلت: لا حاجة إلى تعليق المغفرة بهنّ؛ لأن المكرهة على الزنى بخلاف المكره عليه في أنها غير آثمة.

قلت: لعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من إكراه بقتل، أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو، من ضرب عنيف أو غيره حتى تسلم من الإثم، وربما قصرت عن الحدّ الذي تعذر فيه فتكون آثمة.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾: هي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود، ويجوز أن يكون الأصل مبيناً فيها فاتسع في الظرف، وقرئ بالكسر، أي: بينت هي الأحكام والحدود، جعل الفعل لها على المجاز، أو من «بين» بمعنى: تبين؛ ومنه المثل: قد بين الصبح لذي عينين، ﴿وَمَثَلًا مِّنَ﴾: أمثال من ﴿قَبْلِكُمْ﴾ أي: قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم، يعني: قصة عائشة ـ رضي الله عنها ـ، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾: ما وعظ به في الآيات والمثل، من نحو قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢]، ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ [النور: ١٢]، ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ [النور: ١٦]، ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [النور: ١٧].

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

= «إن أمسكت عليّ أمراً فافعل ما بدا لك» وأنت تعلم أنه لا يستطيع ذلك، وهذا سائر في كلام الناس مفهوم في صدور العاقلين، محقق لدى ذوي الألباب.
وهذا المبحث تراه في كتب البلاغة الأصيلة بلا زيادة على ما قلت، والله من وراء القصد.
«ينظر البلاغة القرآنية لأبي موسى ٢٩٩: ٣٠٢ والمطول للسعد التفتازاني ١٥٤ وما بعدها، ومفتاح العلوم للسكاكي ١١٥، وشروح التلخيص ٢/ ٥٥ وما بعدها ففيه كفاية ومقنع».

نظير قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مع قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾، و﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾: قولك: زيد كرم وجود، ثم تقول: ينعش الناس بكرمه وجوده، والمعنى: ذو نور السموات، وصاحب نور السموات، ونور السموات والأرض الحق، شبهه بالنور في ظهوره وبيانه؛ كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي: من الباطل إلى الحق، وأضاف النور إلى السمٰوات والأرض لأحد معنيين: إما للدلالة على سعة إشراقه وفشوّ إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض، وإما أن يراد أهل السمٰوات والأرض وأنهم يستضيئون به، ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾: كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: سراج ضخم ثاقب، ﴿فِى زُجَاجَةٍ﴾: أراد قنديلاً من زجاج شامي[(١)] أزهر، شبهه في زهرته بأحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير، كالمشتري والزهرة والمرّيخ وسهيل ونحوها، ﴿يُوقَدُ﴾: هذا المصباح، ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أي: ابتدأ ثقوبه من شجرة الزيتون، يعني: زويت ذبالته[(٢)] بزيتها، ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾: كثيرة المنافع، أو: لأنها تنبت في الأرض التي بارك فيها للعالمين، وقيل: بارك فيها سبعون نبيًا، منهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ وعن النبي ـ ﷺ ـ: «عَلَيْكُمْ بِهٰذِهِ الشَّجَرَةِ زَيْتُ الزَّيْتُونِ، فَتَدَاوَوْا بِهِ؛ فَإِنَّهُ مَصَحَّةٌ مِنَ الْبَاسُورِ» (١٠٥١)، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي: منبتها الشام، وأجود الزيتون: زيتون الشام، وقيل: لا في مضحى

١٠٥١ ـ رواه الطبراني في الكبير (١٧/ ٢٨١) رقم (٧٧٤)، حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثني أبي ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به، فإنه مصحة من الباسور». ورواه ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٢٧٩) رقم (٢٣٣٨) وقال: «قال أبي: هذا حديث كذب» اهـ.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٤٤٦) لأبي نعيم في كتاب «طب الفقراء». وللثعلبي في تفسيره.

قال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٠٣): «رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح، ولكن ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمة عثمان عن أبي صالح، ونقل عن أبي حاتم أنه كذاب» اهـ.

قال الحافظ: أخرجه الطبراني وابن أبي حاتم في العلل، وأبو نعيم في الطب، والثعلبي؛ كلهم من طريق عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن حبيب عن أبي الخير عن عتبة بن عامر بهذا. انتهى.

---

(١) قوله «شامي» نعت لزجاج، ويوضحه قوله «أزهر» وعبارة النسفي: شامي بكسر الزاي، أي قرأ الشامي: زجاجة، بكسر الزاي. (ع)

(٢) قوله «يعني زويت ذبالته بزيتها» في الصحاح: زويت الشيء: جمعته وقبضته. وانزوت الجلدة في النار، أي: اجتمعت وتقبضت. وفيه «الذبالة» الفتيلة، ولعله «رويت» بالراء، كما في عبارة النسفي.

ولا في مقنأة[1]، ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها، وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا خَيْرَ فِي شَجَرَةٍ فِي مَقْنَأَةٍ، وَلاَ نَبَاتٍ فِي مَقْنَأَةٍ، وَلا خَيْرَ فِيهِمَا فِي مَضْحَىً» (١٠٥٢)، وقيل: ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط، بل تصيبها بالغداة والعشي جميعاً، فهي شرقية وغربية، ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص[2]، وأنه لتلألئه، ﴿يَكَادُ﴾: يضي من غير نار، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي: هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت، حتى لم تبق مما يقوي النور ويزيده إشراقاً، ويمدّه بإضاءة بقية؛ وذلك أن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره، بخلاف المكان الواسع؛ فإنّ الضوأ ينبث فيه وينتشر، والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة، وكذلك الزيت وصفاؤه، ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ﴾: لهذا النور الثاقب، ﴿مَن يَشَآءُ﴾: من عباده، أي: يوفق لإصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والإنصاف من نفسه، ولم يذهب عن الجادة الموصلة إليه يميناً وشمالاً، ومن لم يتدبر، فهو كالأعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: «الله نور السموات والأرض»، أي: نشر فيها الحق وبثه فأضاءت بنوره، أو نور قلوب أهلها به، وعن أبيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: مثل نور من آمن به، وقرئ: «زجاجة الزجاجة»: بالفتح والكسر، «ودرّيّ»: منسوب إلى الدرّ، أي: أبيض متلألىء، «ودرّيء»: بوزن سكيت: يدرأ الظلام بضوئه، ودريء كمريق، ودري كالسكينة، عن أبي زيد، وتوقد: بمعنى: تتوقد، والفعل للزجاجة، «ويوقد، وتوقد»: بالتخفيف، «ويوقده»: بالتشديد، «ويوقد»: بحذف التاء وفتح الياء؛ لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب، ويمسه بالياء؛ لأن التأنيث ليس بحقيقي، والضمير فاصل.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿فِي بُيُوتٍ﴾: يتعلق بما قبله، أي: كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد، كأنه

١٠٥٢ ـ قال الزيلعي (٢/ ٤٤٧): غريب جدًا وقال الحافظ: لم أجده.

---

(١) قوله «ولا مقنأة» في الصحاح: المقنأة، المكان الذي لا تطلع عليه الشمس.

(٢) قوله «والوبيص» البريق واللمعان. أفاده الصحاح. (ع)

قيل: مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت، أو بما بعده ٢/ ١٤٤أ، وهو يسبح، أي: يسبح له رجال في بيوت. وفيها تكرير؛ كقولك: زيد في الدار جالس فيها، أو بمحذوف؛ كقوله: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ [النمل: ١٢]، أي: سبحوا في بيوت، والمراد بالإذن: الأمر، ورفعها: بناؤها؛ كقوله: ﴿بَنَىٰهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٢٨]، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي المساجد، أمر الله أن تبنى، أو تعظيمها والرفع من قدرها، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: ما أمر الله أن ترفع بالبناء، ولكن بالتعظيم، ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾: أوفق له، وهو عام في كل ذكر، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: وأن يتلى فيها كتابه، وقرئ: ﴿يُسَبَّحُ﴾: على البناء للمفعول، ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة، أعني: ﴿لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ﴾، و﴿رِجَالٌ﴾: مرفوع بما دلّ عليه ﴿يُسَبَّحُ﴾، وهو يسبح له، و«تُسبح»: بالتاء وكسر الباء، وعن أبي جعفر ـ رضي الله عنه ـ: بالتاء وفتح الباء، ووجهها أن يسند إلى أوقات الغدوّ والآصال على زيادة الباء، وتجعل الأوقات مسبحة، والمراد ربها، كصيد عليه يومان، والمراد: وحشهما، والآصال: جمع أصل وهو العشي، والمعنى: بأوقات الغدوّ، أي: بالغدوات، وقرئ: «والإيصال»، وهو الدخول في الأصيل، يقال: آصل، كأظهر وأعتم، التجارة: صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشتري للربح، فإما أن يريد: لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة، ثم خص البيع، لأنه في الإلهاء أدخل. من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته: أهلته ما لا يلهيه شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني؛ لأن هذا يقين وذاك مظنون، وإمّا أن يسمى الشراء تجارة؛ إطلاقاً لاسم الجنس على النوع، كما تقول: رزق فلان تجارة رابحة: إذا اتجه له بيع صالح أو شراء، وقيل: التجارة لأهل الجلب، اتجر فلان في كذا: إذا جلبه، التاء في إقامة: عوض من العين الساقطة للإعلال، والأصل: «إقوام» فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض، فأسقطت؛ ونحوه [من البسيط]:

. . . . وَأَخْلَفُوكَ عِدَ الأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا[1]

وتقلب القلوب والأبصار إما أن تتقلب وتتغير في أنفسها: وهو أن تضطرب من الهول والفزع وتشخص؛ كقوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، وإما أن تتقلب أحوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعاً عليها لا تفقه، وتبصر الأبصار بعد أن كانت عمياً لا تبصر، ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: أحسن جزاء أعمالهم؛ كقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦]، والمعنى: يسبحون ويخافون؛ ليجزيهم ثوابهم مضاعفاً

---

(١) تقدم.

ويزيدهم على الثواب تفضلاً، وكذلك معنى قوله: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾: المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل، وعطاء الله تعالى: إما تفضل، وإما ثواب، وإما عوض، ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ﴾: ما يتفضل به، ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: فأما الثواب فله حساب؛ لكونه على حسب الاستحقاق.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾

السراب: ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة، يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري، والقيعة: بمعنى: القاع أو جمع قاع، وهو المنبسط المستوي من الأرض، كجيرة في جار، وقرئ: بقيعات: بتاء ممطوطة، كديمات وقيمات، في ديمة وقيمة، وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة، كرجل عزهاة، شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدّر، بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء، فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ﴿٣﴾﴾ [الغاشية: ٣]، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٖ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية؛ قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية، ثم كفر في الإسلام.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحْرٖ لُّجِّيّٖ يَغْشَىٰهُ مَوْجٞ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٞ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

اللجيّ: العميق الكثير الماء، منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر. وفي ﴿أَخْرَجَ﴾ ضمير الواقع فيه ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ﴾ مبالغة في لم يرها: أي: لم يقرب أن يراها: فضلاً عن أن يراها. ومثله قول ذي الرمة [من الطويل]:

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ ... رَسِيسُ الْهَوَىٰ مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ[1]

---

(١) إذا غير النأي المحبين لم يكد ... رسيس الهوى من حب ميةَ يبرح
فلا القرب يدنو من هواها ملالة ... ولا حبها أن تنزح الدار ينزح

لذي الرمة. والنأي: البعد. ويقال: رس وأرس، إذا لزم. والرسيس: بقية المرض اللازمة داخل البدن. ويبرح: يذهب، أي: لم يقرب من البراح. وروي أنه لما قدم ذو الرمة الكوفة اعترض عليه ابن شبرمة في ذلك بأنه يدل على زوال رسيس الهوى، فغيره ذو الرمة بقوله: لم أجد. وقال ابن =

أي لم يقرب من البراح فما باله يبرح؟ شبه أعمالهم أولاً في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئاً، ولم يكفه خيبة وكمداً أن لم يجد شيئاً كغيره من السراب، حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار، ولا يقتل ظمأه بالماء. وشبهها ثانياً في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة، وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب، ثم قال: ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه، فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات؛ لأنّ الألطاف إنما تردف الإيمان والعمل أو كونهما مترقبين. ألا ترى إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ **[العنكبوت: ٦٩]**، وقوله: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ **[إبراهيم: ٢٧]**، وقرئ: سحاب ظلمات، على الإضافة. وسحاب ظلمات، برفع ﴿سَحَابٌ﴾ وتنوينه وجرّ ﴿ظُلُمَاتٌ﴾ بدلاً من ﴿ظُلُمَاتٌ﴾ الأولى.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٢/ ٤٤ب وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿صَافَّاتٍ﴾ يصفن أجنحتهنّ في الهواء. والضمير في ﴿عَلِمَ﴾ لكل أو لله. وكذلك في ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ والصلاة: الدعاء. ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾

﴿يُزْجِي﴾ يسوق. ومنه: البضاعة المزجاة: التي يزجيها كل أحد لا يرضاها. والسحاب يكون واحداً كالعماء، وجمعاً كالرباب[1]. ومعنى تأليف الواحد: أنه يكون قزعا[2] فيضم بعضه إلى بعض. وجاز بينه وهو واحد؛ لأنّ المعنى بين أجزائه؛ كما قيل في قوله [من الطويل]:

= عتبة: حدثت أبي بذلك فقال: أخطأ ابن شبرمة، وأخطأ ذو الرمة في تغييره، وإنما هو كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ والملالة: السآمة. وتنزح: تبعد. وينزح: يزول.

ينظر: ديوانه ص (١١٩٢)، خزانة الأدب ٩/ ٣٠٩ ـ ٣١٢، شرح الأشموني ١/ ١٣٤، شرح المفصل ٧/ ١٢٤، لسان العرب (رسس)، الدر المصون ٣/ ٣٥.

(١) قوله «كالرباب» في الصحاح: الرباب ـ بالفتح ـ سحاب أبيض. (ع)

(٢) قوله «أن يكون قزعا» القزع: قطع من السحاب رقيقة، الواحدة: قزعة. (ع)

والركام: المتراكم بعضه فوق بعض. والودق: المطر ﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ من فتوقه ومخارجه: جمع خلل، كجبال في جبل. وقرئ: من خلله ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتشديد. ويكاد سنا: على الإدغام(٢). وبرقه: جمع برقة، وهي المقدار من البرق، كالغرفة واللقمة. وبرقة: بضمتين للاتباع، كما قيل في جمع فعلة: فعلات كظلمات. وسناء برقه: على المدّ المقصور، بمعنى الضوء. والممدود: بمعنى العلو والارتفاع، من قولك: سنيّ للمرتفع. و﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ على زيادة الباء، كقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥]، عن أبي جعفر المدني. وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره، حيث ذكر تسبيح من في السموات والأرض وكل ما يطير بين السماء والأرض ودعاؤهم له وابتهالهم إليه، وأنه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه، وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته، ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف أبصارهم، ليعتبروا ويحذروا، ويعاقب بين الليل والنهار، ويخالف بينهما بالطول والقصر. وما هذه إلا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته، ودلائل منادية على صفاته، لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر، فإن قلت: متى رأى رسول الله ـ ﷺ ـ تسبيح من في السموات ودعاءهم، وتسبيح الطير ودعاءه، وتنزيل المطر

---

(١) قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

لامرىء القيس مطلع معلقته، وروي أنه راهق ولم يقل شعرا، فقال أبوه: إنه ليس أبيض، وأمر اثنين من خاصته أن يخرجا به إلى مكان بعيد فيذبحاه هناك، فلما أراد ذبحه بكى وأنشأ البيت إلى آخر القصيدة، فرجعا به وقالا: هذا أشعر من على وجه الأرض: لقد وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر واستذكر وهي الحبيب والدار في نصف بيت. والسقط ـ مثلث ـ: طرف اللوى، أي: المكان الملتوي المعوج. وهو هنا اسم مكان بعينه. وبين لا يضاف إلا لمتعدد المعنى، أو معطوف عليه بالواو خاصة. فالمعنى: بين أجزاء الدخول فحومل. أي فأجزاء حومل كلاهما اسم موضع، ولعل «سقط اللوى» ممتد بينهما. ويجوز أن الفاء بمعنى الواو، فيكون «سقط اللوى» بين هذين الموضعين، وتكون استعارة الفاء هنا للدلالة على قرب ما بين الدخول وحومل.

ينظر: ديوانه ص ٨، والأزهيَّة ص ٢٤٤، ٢٤٥، وجمهرة اللغة ص ٥٦٧، والجنى الداني ص ٦٣، ٦٤، وخزانة الأدب ١/ ٣٣٢، ٣/ ٢٢٤، والدرر ٦/ ٧١، وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٥٠١، وشرح شواهد الشافية ص ٢٤٢، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٦٣، والكتاب ٤/ ٢٠٥، ولسان العرب (آ)، ومجالس ثعلب ص ١٢٧، وهمع الهوامع ٢/ ١٢٩، وتاج العروس (قوا)، وبلا نسبة في الإنصاف ٢/ ٦٥٦، وأوضح المسالك ٣/ ٣٥٩، وجمهرة اللغة ص ٥٨٠، والدرر ٦/ ٨٢، ورصف المباني ص ٣٥٣، وشرح الأشموني ٢/ ٤١٧، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٣١٦، وشرح قطر الندى ص ٨٠، والصاحبي في فقه اللغة ص ١١٠، ومغني اللبيب ١/ ١٦١، ٢٦٦، والمنصف ١/ ٢٢٤، وهمع الهوامع ٢/ ١٣١، ولسان العرب (قوا).

(٢) قوله «ويكاد سنا على الإدغام» لعل رسمه هكذا «يكاسنا» إلا أن يعتبر ما قبل الإدغام. (ع)

من جبال برد في السماء، حتى قيل له: ألم تر؟ قلت: علمه من جهة إخبار الله إياه بذلك على طريق الوحي. فإن قلت: ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ﴾، ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾؟ قلت: الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض. والثالثة للبيان، أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض. ومعناه: أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها، وعلى الأوّل مفعول «ينزل»: «من جبال». فإن قلت: ما معنى ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾؟ قلت: فيه معنيان. أحدهما: أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر. والثاني: أن يريد الكثرة بذكر الجبال، كما يقال: فلان يملك جبالاً من ذهب.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾

وقرئ: خالق كل دابة. ولما كان اسم الدابة موقعاً على المميز وغير المميز، غلب المميز فأعطى ما وراءه حكمه، كأن الدواب كلهم مميزون. فمن ثمة قيل: فمنهم. وقيل: من يمشي في الماشي على بطن والماشي على أربع قوائم. فإن قلت: لم نكر الماء في قوله: ﴿مِّن مَّآءٍ﴾؟ قلت: لأنّ المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة. أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة، ثم خالف بين المخلوقات من النطفة، فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس. ونحوه قوله تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]. فإن قلت: فما باله معرّفاً في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾؟ قلت: قصد ثمة معنى آخر: وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس[(١)] الذي هو جنس الماء، وذلك أنه هو الأصل وإن تخللت بينه وبينها وسائط. قالوا: خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء، والجنّ من نار خلقها منه. وآدم من تراب خلقه منه، فإن قلت: لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب؟ قلت: قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم، ثم الماشي على رجلين، ثم الماشي على أربع. فإن قلت: لم سمى الزحف على البطن مشياً؟ قلت: على سبيل

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم نكر ماء ههنا وعرفه في قوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾؟ قلت: الغرض فيما نحن فيه أنه تعالى خلق كل دابة من نوع من الماء مخصوص وهو النطفة، ثم خالف بين المخلوقات بحسب اختلاف نطفها، فمنها كذا ومنها كذا. ونحوه قوله: ﴿يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ وأما آية (اقترب) فالغرض فيها أن أجناس الحيوانات كلها مخلوقة من هذا الجنس» قال أحمد: وتحرير الفرق أن المقصد في الأولى إظهار الآية بأن شيئاً واحداً تكونت منه بالقدرة أشياء مختلفة، ذكر تفصيلها في آية النور والرعد. والمقصد في آية اقترب: أنه خلق الأشياء المتفقة في جنس الحياة من جنس الماء المختلف الأنواع، فذكر معرفاً ليشمل أنواعه المختلفة، فالآية في الأول لإخراج المختلف من المتفق، والله أعلم.

الاستعارة، كما قالوا في الأمر المستمرّ: قد مشى هذا الأمر. ويقال: فلان لا يتمشى له أمر. ونحوه استعارة الشقة مكان الجحفلة(١)، والمشفر مكان الشفة. ونحو ذلك. أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا. أو إلى الفريق المتولي، فمعناه على الأوّل: إعلام من الله بأنّ جميعهم منتف عنهم الإيمان لا الفريق المتولي وحده. وعلى الثاني: إعلام بأنّ الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الإيمان إيماناً، إنما كان ادّعاء باللسان من غير مواطأة القلب؛ لأنه لو كان صادراً عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والإعراض. والتعريف في قوله (بالمؤمنين) دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين ٢/ ٤٥أ عرفت: وهم الثابتون المستقيمون على الإيمان، الموصوفون في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ **[الحجرات: ١٥]**.

﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

معنى ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى رسول الله كقولك: أعجبني زيد وكرمه، تريد: كرم زيد؛ ومنه قوله [من الرجز]:

غَلَّسْتُهُ قَبْلَ الْقَطَا وَفُرَّطِهْ(٢)

---

(١) قوله «مكان الجحفلة» في الصحاح: الجحفلة للحافر، كالشفة للإنسان اهـ. أي لذي الحافر. (ع)

(٢) ومنهل من الفيافي أوسطه غلسته قبل القطا وفرطه

في ظل أجاج المقيظ مغبطه

المنهل: الوادي ومسيل الماء. والفيافي: الصحاري، جمع فيفاء. والظاهر أن أوسطه صفة منهل المجرور برب المحذوفة، وهاؤه للسكت، ولو جعلته بدل بعض والهاء ضمير المنهل: لزم جر المعرفة برب، مع إمكان التخلص عنه إلا عند من جعل ضمير النكرة نكرة فلا محذور. ويروى: من الفلا في أوسطه. والفلا واحده فلاة، أي: مفازة. والرواية: غلسنه بالتشديد، أي سرنه في وقت الغلس وهو ظلمة الفجر، أو وردنه فيه. والفرط من القطا: المتقدمات السابقات لغيرها، جمع فارط، كركع وراكع. وخصها لأنها أسرع الطير خروجاً من أوكارها. وأجاج المقيظ: شعاع الشمس يرى في شدة القيظ أي الحر كأنه يسير. وأجت النار: اشتعلت، والحر: اشتد، والظليم: أسرع وله حفيف، والأمر: اختلط. وأجاج: صفة مبالغة منه، وأغبط الشيء فهو مغبط: دام واستمر فمغبطه الدائم الكثير منه. والمعنى: أنه يبتدىء السير قبل السابقات من القطا، ويستمر عليه مع اشتداد الحر =

أراد: قبل فرط القطا. روي: أنها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض، فجعل اليهوديّ يجرّه إلى رسول الله، والمنافق يجرّه إلى كعب بن الأشرف ويقول: إن محمداً يحيف علينا. وروي أنّ المغيرة بن وائل كان بينه وبين عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ خصومة في ماء وأرض. فقال المغيرة: أمّا محمد فلست آتيه ولا أحاكم إليه فإنه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف عليّ ﴿إِلَيْهِ﴾ صلة يأتوا، لأنّ «أتى» و«جاء» قد جاءا معدّيين بإلى، أو يتصل بمذعنين لأنه في معنى مسرعين في الطاعة. وهذا أحسن لتقدّم صلته ودلالته على الاختصاص. والمعنى: أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المرّ والعدل البحت. يزورّون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق؛ لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم، وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك، لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمّة الخصم[1].

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٥٠)﴾.

ثم قسم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين، أو مرتابين في أمر نبوّته، أو خائفين الحيف في قضائه. ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله ﴿بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله، وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتمّ لهم جحوده، وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله ـ ﷺ ـ، فمن ثمة يأبون المحاكمة إليه.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٥١)﴾

وعن الحسن: قول المؤمنين، بالرفع والنصب أقوى، لأنّ أولى الاسمين بكونه اسماً لكان أوغلهما في التعريف؛ وأن يقولوا: أوغل، لأنه لا سبيل عليه للتنكير، بخلاف قول المؤمنين، وكان هذا من قبيل كان في قوله ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥]، ﴿مَا

= في ظل شعاع الشمس، لا يظله إلا هو إن كان له ظل، وهذا من المبالغة في النفي. ويجوز أنه اعتاده فصار عنده كالظل، ويجوز أن المعنى: تحت كنفه وسترته وجاهه الشبيه بالظل.

ينظر: لسان العرب (غبط)، جمهرة اللغة (ص ٣٥٧)، مجالس ثعلب (٣١٣)، الدر المصون (٥/ ٢٢٨).

(١) قوله «ما ذاب لهم في ذمة الخصم» في الصحاح: ذاب لي عليه من الحق كذا: إذا وجب وثبت. (ع)

يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور: ١٦]، وقرئ، ليحكم، على البناء للمفعول. فإن قلت: إلام أسند يحكم؟ ولا بدّ له من فاعل. قلت: هو مسند إلى مصدره. لأن معناه: ليفعل الحكم بينهم. ومثله: جمع بينهما؛ وأل بينهما. ومثله ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٥]، فيمن قرأ (بينكم) منصوباً: أي وقع التقطع بينكم. وهذه القراءة مجاوبة لقوله (دعوا).

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قرئ: ويتقه، بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل، وبسكون الهاء، وبسكون القاف وكسر الهاء: شبه تَقِهِ بكتف فخفف؛ كقوله [من الرجز]:

قَالَتْ سُلَيْمَى: ٱشْتَرْ لَنَا سَوِيقَا[(١)]

ولقد جمع الله في هذه الآية أسباب الفوز. وعن ابن عباس في تفسيرها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ في فرائضه ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ في سننه ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ على ما مضى من ذنوبه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما يستقبل، وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية.

﴿۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

جهد يمينه: مستعار من جهد نفسه: إذا بلغ أقصى وسعها، وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدّتها ووكادتها. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: من قال بالله، جهد يمينه، وأصل: أقسم جهد اليمين: أقسم بجهد اليمين جهدًا، فحذف الفعل وقدّم المصدر فوضع

---

(١) قالت سليمى: اشتز لنا سويقا ... وهات خبز البرّ أو دقيقا
للعذافر الكندي. يقال: شار العسل ونحوه، واشتاره: إذا اجتناه وأخذه من مكانه. فقوله «اشتر» أمر من الاشتيار. ويحتمل أنه من الاشتراء، وسكنت راؤه للضرورة. أي: اطلب لنا سويقاً، وهو ما تعمله العرب من الحنطة والشعير. وهات: بكسر التاء أمر للمذكر، طلبت منه السويق للأدم، وخيرته بين أن يأتي بخبز وبين أن يأتي بدقيق وهي تخبزه. ويروى: «وهات بر البخس أو دقيقاً» والبخس: الأرض التي تنبت من غير سقي، وفي بقية الرجز أنها طلبت منه لحماً وخادماً وصبغاً لثيابها بالعصفر، فقال:
يا سلم لو كنت لذا مطيقا ... ما كان عيشي عندكم ترنيقا
أي: مدة ترنيق الطائر، أي: صف جناحيه في الهواء.
ينظر: شرح شواهد الإيضاح ص ٢٥٨، وشرح شواهد الشافية ص ٢٠٤، ٢٠٥، وملحق نوادر أبي زيد ص ٣٠٦، وتاج العروس (بخس)، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ١/ ٦٦، وجمهرة اللغة ص ١٣٢٧، والخصائص ٢/ ٢٤٠، ٣/ ٩٦، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٢٩٨، والمحتسب ١/ ٣٦١، والمصنف ٢/ ٢٣٦.

موضعه مضافاً إلى المفعول كقوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٣]، وحكم هذا المنصوب حكم الحال، كأنه قال: جاهدين أيمانهم، و﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ﴾ خبر مبتدأ محذوف. أو مبتدأ محذوف الخبر، أي: أمركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب، كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره، لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها، أو طاعتكم طاعة معروفة، بأنها بالقول دون الفعل، أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة. وقرأ اليزيدي: طاعة معروفة، بالنصب على معنى: أطيعوا طاعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ﴾ [النور: ٥٣]، يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم، وأنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾

صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم، يريد: فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم، فإنّ الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله وكلفه من أداء الرسالة، فإذا أدّى فقد خرج عن عهدة تكليفه، وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان، فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه، وإن أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى، فالنفع والضرر عائدان إليكم، وما الرسول إلا ناصح وهاد، وما عليه إلا أن يبلغ ما له نفع في قبولكم[1]، ولا عليه ضرر في توليكم: والبلاغ: بمعنى التبليغ، كالأداء: بمعنى التأدية، ومعنى المبين: كونه مقروناً بالآيات والمعجزات.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ٢/ ٤٥ب فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾

الخطاب لرسول الله ـ ﷺ ـ ولمن معه. ومنكم: للبيان، كالتي في آخر سورة الفتح: وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر، ويورّثهم الأرض، ويجعلهم فيها خلفاء، كما فعل ببني إسرائيل، حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الإسلام. وتمكينه: تثبيته وتوطيده، وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه، وذلك أنّ النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه مكثوا بمكة عشر

(١) قوله «في قبولكم» عبارة النسفي: في قلوبكم. (ع)

سنين خائفين، ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه، حتى قال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فقال ـ ﷺ ـ: «لا تغبرون[1] إلا يسيرًا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليس معه حديدة» (١٠٥٣)، فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب، وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب، ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم، واستولوا على الدنيا، ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا، وذلك قوله ـ ﷺ ـ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكاً، ثم تصير بزيزي[2]: قطع سبيل، وسفك دماء وأخذ

١٠٥٣ ـ أخرجه ابن جرير (٩/ ٣٤٣) رقم (٢٦١٧٩) حدثنا الحسين قال: ثنى حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية في الآية قال: «مكث النبي ـ ﷺ ـ عشر سنين خائفاً، يدعو إلى الله سراً وعلانية؛ قال: «ثم أمر بالهجرة إلى المدينة. قال: فمكث بها هو وأصحابه خائفين، يصبحون في السلاح ويمسون فيه، فقال رجل: «ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح»، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً فيه ليس فيه حديدة، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾.... إلى قوله: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ قال يقول: من كفر بهذه النعمة: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ وليس يعني الكفر بالله قال: فأظهره الله على جزيرة العرب فآمنوا، ثم تجبروا فغير الله ما بهم، وكفروا بهذه النعمة، فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم».

وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم. وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٤٤٧) للواحدي في أسباب النزول.

وروى الحاكم (٢/ ٤٠١) من حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: لما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة، كانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين، لا نخاف إلا الله، فنزلت: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾... الآية.

وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه اهـ.

قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٨٦): «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات» اهـ.

وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٠٠) وعزاه لابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، والضياء في المختارة. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٣٢٦).

قال الحافظ: أخرجه الطبري من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال: مكث النبي ـ ﷺ ـ عشر سنين خائفاً يدعو إلى الله سراً وعلانية. ثم أمر بالهجرة إلى المدينة فمكث بها هو وأصحابه ـ إلى آخره، وصله الحاكم وابن مردويه دون أوله بذكر أبي بن كعب فيه. وأوله «لما قدم النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار. رمتهم العرب عن قوس واحدة لا يبيتون إلا بالسلاح... الحديث. انتهى.

---

(١) قوله «لا تغبرون إلا يسيراً» أي لا تبقون. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «تصير بزيزي» في الصحاح: بزه يبزه بزا: سلبه. والاسم البزيزي مثل الخصيصي. (ع)

أموال بغير حقها» (١٠٥٤)، وقرئ: كما استخلف، على البناء للمفعول وليبدلنهم: بالتشديد، فإن قلت: أين القسم الملتقي باللام والنون في ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾؟ قلت: هو محذوف تقديره: وعدهم الله، وأقسم ليستخلفنهم، أو نزّل وعد الله في تحققه منزلة القسم. فتلقى بما يتلقى به القسم، كأنه قيل: أقسم الله ليستخلفنهم. فإن قلت: ما محل ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾؟ قلت: إن جعلته استئنافاً لم يكن له محل، كأن قائلاً قال: ما لهم يستخلفون ويؤمنون؟ فقال: يبعدونني. وإن جعلته حالاً عن وعدهم، أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم، فمحله النصب ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ يريد كفران النعمة: كقوله ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢]. ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: هم الكاملون في فسقهم، حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها[١]. فإن قلت: هل في هذه الآية دليل على

١٠٥٤ ـ قال الزيلعي (٢/٤٤٨): «غريب بهذا اللفظ» اهـ.
قال الحافظ ابن حجر: «لم أجده وأوله في السنن» اهـ.
قلت في السنن حديث سفينة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك أو ملكه من يشاء».
رواه أبو داود (٢/٦٢٢) كتاب السنة، باب في الخلفاء الحديث (٤٦٤٦)، (٤٦٤٧)، والترمذي (٤/٥٠٣) كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة الحديث (٢٢٢٦).
والحاكم (٣/١٤٥) كتاب معرفة الصحابة، وأحمد (٥/٢٢١)، وابن حبان في صحيحه (١٥/٣٤ ـ ٣٥) رقم (٦٦٥٧)، والبيهقي في الدلائل (٦/٢٤١)، والطيالسي (١١٠٧)، والطبراني في الكبير (١/٨٩) رقم (١٣٦) ورواه في (٧/٩٧) رقم (٦٤٤٢) ورقم (٦٤٤٣ ـ ٦٤٤٤)، والبغوي في شرح السنة (٧/١٧٥) رقم (٣٧٥٨ ـ بتحقيقنا)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٤٤٨)، للبيهقي في «المدخل» والنسائي في كتاب «المناقب» والثعلبي في تفسيره.
وله شاهد من حديث أبي عبيدة ومعاذ بن جبل مرفوعاً: «إن الله تعالى بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة، وكائناً خلافة ورحمة، وكائناً ملكا عضوضاً، وكائناً عنوة وجبرية وفسادا في الأرض يستحلون الفروج والخمور والحرير، وينصرون على ذلك ويرزقون أبدا حتى يلقوا الله. . .
رواه الطيالسي رقم (٢٥٩٢ ـ منحة)، والبيهقي في الكبرى (٨/١٥٩) كتاب قتال أهل البغي، باب الصبر على أذى يصيبه من جهة إمامه. وفي الدلائل (٦/٣٤٠) وهو عند غيرهما، وشاهد آخر من حديث أبي بكرة رواه أبو داود (٢/٦١٩) كتاب السنة، باب في الخلفاء، الحديث (٤٦٣٥)، والبيهقي في الدلائل (٦/٣٤٢ ـ ٣٤٨) وغيرهما.
قال الحافظ: لم أجده. وأوله في السنن وابن ماجه، والحاكم، وأحمد، والطبراني، والبيهقي، والثعلبي كلهم من حديث سفينة «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ملك» وفي لفظ: «ثم يملك الله من يشاء» وروى أحمد، وابن أبي شيبة، والطبراني من طريق عبد الرحمن بن سابط، عن أبي ثعلبة، عن أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل مرفوعاً: «إن الله بدأ هذا الأمر نبوة ثم يصير خلافة. . . الحديث». انتهى.

---

(١) قوله «على غمطها» أي: احتقارها. (ع)

أمر الخلفاء الراشدين؟ قلت: أوضح دليل وأبينه؛ لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ معطوف على ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال؛ لأنّ حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه. وكرّرت طاعة الرسول: تأكيداً لوجوبها.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾

وقرئ: لا يحسبنّ بالياء، وفيه أوجه: أن يكون ﴿مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ هما المفعولان. والمعنى: لا يحسبن الذين كفروا أحداً يعجز الله في الأرض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك. وهذا معنى قوي جيد، وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، وأن يكون الأصل: لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين، ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأوّل، وكان الذي سوّغ ذلك أنّ الفاعل والمفعولين ما كانت لشيء واحد، اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث؛ وعطف قوله: ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ على لا يحسبنّ الذين كفروا معجزين؛ كأنه قيل: الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار. والمراد بهم: المقسمون جهد أيمانهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَوٰةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَوٰةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

أمر بأن يستأذن العبيد. وقيل: العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ في اليوم والليلة: قبل صلاة الفجر؛ لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة، وبالظهيرة: لأنها وقت وضع الثياب للقائلة. وبعد صلاة العشاء: لأنه وقت التجرّد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم. وسمى كل واحد من هذه الأحوال عورة؛ لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها. والعورة: الخلل. ومنها: أعور الفارس[1]، وأعور المكان، والأعور: المختل العين، ثم عذرهم في ترك

---

(١) قوله «ومنها أعور الفارس» في الصحاح أعور الفارس، إذا بدا فيه موضع خلل للضرب. (ع)

الاستئذان وراء هذه المرات، وبين وجه العذر في قوله: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم﴾ يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة: يطوفون عليكم للخدمة، وتطوفون عليهم للاستخدام؛ فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت، لأدى إلى الحرج. وروي أن مدلج بن عمرو: وكان غلاماً أنصاريًا: أرسله رسول الله ـ ﷺ ـ وقت الظهر إلى عمر ليدعوه، فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه، فقال عمر: لوددت أنّ الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق معه إلى النبي ـ ﷺ ـ، فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية (١٠٥٥)، وهي إحدى الآيات المنزلة بسبب عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ. وقيل: نزلت في أسماء بنت أبي مرشد[(١)]، قالت: إنا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد (١٠٥٦)، وقيل: دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله ٢/٤٦أ، فأتت رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت: إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها. وعن أبي عمرو: ﴿الْحُلْمَ﴾ بالسكون. وقرئ: ﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ﴾ بالنصب بدلاً عن ثلاث مرات، أي: أوقات ثلاث عورات. وعن الأعمش: عورات على لغة هذيل. فإن قلت: ما محل ليس عليكم؟ قلت: إذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف. والمعنى: هنّ ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان، وإذا نصبت: لم يكن له محل وكان كلاماً مقرّراً للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة: فإن قلت: بم ارتفع ﴿بَعْضُكُمْ﴾؟ قلت: بالابتداء وخبره ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ على معنى: طائف على بعض، وحذف لأن طوافون يدل عليه، ويجوز أن يرتفع بيطوف مضمراً لتلك الدلالة.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)﴾

١٠٥٥ ـ أخرجه ابن مندة من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر يدعوه... الحديث. كما في الإصابة للحافظ ابن حجر (٦/ ٥٠) ترجمة مدلج الأنصاري رقم (٧٨٧٥ ـ بتحقيقنا).
وذكره البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٣٥٥) بغير إسناد.
قال الحافظ: هكذا نقله الثعلبي والواحدي والبغوي وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ بغير سند. انتهى.

١٠٥٦ ـ قال الزيلعي (٢/ ٤٥٠): «نقله الثعلبي والواحدي عن مقاتل» اهـ.
قال الحافظ: هكذا نقله الثعلبي والواحدي عن مقاتل.

---

(١) قوله «وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرشد» لعله مرثد، كما في عبارة النسفي. (ع)

﴿ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ﴾ أي من الأحرار دون المماليك ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ يريد: الذين بلغوا الحلم من قبلهم، وهم الرجال. أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ [النور: ٢٧]، الآية: والمعنى أنّ الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حدّ الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السنّ التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ، وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن: وهذا مما الناس منه في غفلة، وهو عندهم كالشريعة المنسوخة. وعن ابن عباس: آية لا يؤمن بها أكثر الناس: آية الإذن، وإني لآمر جارتي أن تستأذن عليّ. وسأل عطاء: أأستأذن على أختي؟ قال: نعم وإن كانت في حجرك تمونها، وتلا هذه الآية. وعنه. ثلاث آيات جحدهنّ الناس: الإذن كله، وقوله: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، فقال ناس: أعظمكم بيتا. وقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ﴾ [النساء: ٨]. وعن ابن مسعود: عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم. وعن الشعبي: ليست منسوخة، فقيل له: إن الناس لا يعملون بها، فقال: الله المستعان، وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة، ولا والله ما هي منسوخة، ولكن الناس تهاونوا بها: فإن قلت ما السنّ التي يحكم فيها بالبلوغ؟ قلت: قال أبو حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام. وسبع عشرة في الجارية. وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما. وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة أشبار؛ وبه أخذ الفرزدق في قوله [من الكامل]:

مَا زَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ ... فَسَمَا فَأَدْرَكَ خَمْسَةَ الأَشْبَارِ(١)

---

(١) ما زال مذ عقدت يداه إزاره ... وسما فأدرك خمسة الأشبار
يدني خوافق من خوافق تلتقي ... في ظل معتبط الغبار مثار

للفرزدق: يرثي يزيد بن المهلب. يقول: لا زال يحارب من حين عقدت يداه إزاره على نفسه كناية عن تمييزه فيتولى أمور نفسه، فمذ: ظرف زمان لإضافتها إلى الجملة، ولكنها تفيد معنى من الابتدائية أيضا، لأن المعنى: ما زال يقتحم الحروب من حين بلغ أشده إلى أن مات. وإسناد العقد إلى اليد من باب الإسناد للآلة، لأنه عاقد بها. وسما: ارتفع فبلغت قامته مقدار خمسة الأشبار. قيل: المراد بها مقدار السيف، وذلك كناية عن بلوغه أشده. وقيل: المراد بها مقدار القبر، وإدراكها: كناية عن موته. أي: من حين تمييزه إلى حين موته يهيج الحروب وهو أبلغ في المعنى. وعطف «أدرك» بالفاء دلالة على قصر مدته وقرب موته، ويروى: فسما بالفاء. ويجوز أن يكون معناه: ارتفع قدره، فيكون قد حكى جميع حالاته. وقوله «يدني» خبر ما زال، أي: يقرب رايات مضطربات إلى أخرى في الحرب. أو خيلاً مضطربة إلى مثلها. والمراد أنه يقرب الكتائب بعضها إلى بعضها حتى تلتقي كلها في ظل معتبط من الغبار. والمعتبط ـ بالعين المهملة ـ: اسم مفعول، أي: لم يقاتل فيه غيره قبله فيثيره من موضعه، بل هو الذي أثاره منه. أو أنه هو الذي أخرجه من =

واعتبر غيره الإنبات. وعن عثمان ـ رضي الله عنه ـ أنه سئل عن غلام، فقال: هل اخضر إزاره؟

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

القاعد: التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها ﴿لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لا يطمعن فيه: والمراد بالثياب: الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ غير مظهرات زينة[1]، يريد: الزينة الخفيفة التي أرادها في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أو غير قاصدات بالوضع التبرج، ولكن التخفف إذا احتجن إليه. والاستعفاف من الوضع خير لهنّ لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب. بعثا منه عن اختيار أفضل الأعمال وأحسنها. كقوله: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. فإن قلت: ما حقيقة التبرج؟ قلت: تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه من قولهم: سفينة بارج، لا غطاء عليها. والبرج: سعة العين، يرى بياضها محيطاً بسوادها كله لا يغيب منه شيء، إلا أنه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها وإظهار

= الأرض الصلبة فلم يكن موجوداً قبل، ويروى بالغين المعجمة، أي: مكثر: والمعنى: أنه كان يزاد منه ويكثره. ويجوز أنه اسم مكان. ويروى: معترك العجاج، وهو موضع المعركة. والعجاج: الغبار. ومثار: صفة معتبط إن لم يتعرف بالإضافة. ويجوز أن أصله: مثاره، بالإضافة للضمير، فحذف للضرورة. وفي إثبات الظل للغبار المعتبط المثار: دلالة على أنه متراكم حاجب ضوء الشمس عن المحاربين.

ينظر: ديوانه ١/ ٣٠٥، والأشباه والنظائر ٥/ ١٢٣، والجنى الداني ص ٥٠٤، وجواهر الأدب ص ٣١٧، وخزانة الأدب ١/ ٢١٢، والدرر ٣/ ١٤٠، وشرح التصريح ٢/ ٢١، وشرح شواهد الإيضاح ص ٣١٠، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٥٥، وشرح المفصل ٢/ ١٢١، ٦/ ٣٣، والمقاصد النحويّة ٣/ ٣٢١، والمقتضب ٢/ ١٧٦، وبلا نسبة في إصلاح المنطق ص ٣٠٣، وأوضح المسالك ٣/ ٦١، والدرر ٦/ ٢٠٣، وشرح الأشموني ١/ ٨٧، ولسان العرب (خمس)، ومغني اللبيب ١/ ٣٣٦، وهمع الهوامع ١/ ٢٦٦، ٢/ ١٥٠.

(١) قال أحمد: قرر الزمخشري هذه الآية عى ظاهرها، ويظهر لي والله أعلم أن قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ من باب:

على لاحب يهتدي بمناره

أي: لا منار فيه فيهتدي به، وكذلك، المراد: هنا: والقواعد من النساء اللاتي لا زينة لهن فيتبرجن بها، لأن الكلام فيمن هي بهذه المثابة، وكأن الغرض من ذلك أن هؤلاء استعفافهم عن وضع الثياب خير لهن، فما ظنك بذوات الزينة من الثياب، وأبلغ ما في ذلك أنه جعل عدم وضع الثياب في حق القواعد من الاستعفاف إيذانا بأن وضع الثياب لا مدخل له في العفة، هذا في القواعد. فكيف بالكواعب؟ والله أعلم.

محاسنها، وبدأ، وبرز، بمعنى: ظهر، من أخوات: تبرج وتبلج، كذلك.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)﴾

كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم وإلى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها، فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك، وخافوا أن يلحقهم فيه حرج؛ وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، فقيل لهم: ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم؛ يعني: عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك. وعن عكرمة: كانت الأنصار في أنفسها قزازة[١]. فكانت لا تأكل من هذه البيوت إذا استغنوا. وقيل: كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي إلى الكراهة من قبلهم، ولأنّ الأعمى ربما سبقت يده إلى ما سبقت عين أكيله إليه وهو لا يشعر، والأعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه، والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي أو جرح يبض أو أنف يذن[٢] ونحو ذلك. وقيل: كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم، ويدفعون إليهم المفاتيح. ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرّجون. حكي عن الحارث بن عمرو أنه خرج غازياً وخلف مالك بن زيد في بيته وماله، فلما رجع ٢/ ٤٦ب رآه مجهوداً فقال: ما أصابك؟ قال: لم يكن عندي شيء، ولم يحل لي أن آكل من مالك ١٠٥٧، فقيل: ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه، ولا

١٠٥٧ ـ ذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٠٦): وعزاه للثعلبي عن ابن عباس قال: «خرج الحارث غازياً مع رسول الله ـ ﷺ ـ وخلف على أهله خالد بن زيد، فحرج أن يأكل من طعامه وكان مجهوداً فنزلت.

---

(١) قوله «في أنفسها قزازة» في الصحاح «القزازة» التنطس والتباعد عن الدنس. وفيه «التنطس» المبالغة في التطهر. (ع)

(٢) قوله «أو جرح يبض أو أنف يذن» يبض أي يسيل قليلاً قليلا. ويذن: أي يسيل مخاطه. أفاده الصحاح. (ع)

عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت، وهذا كلام صحيح، وكذلك إذا فسر بأن هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو، ولا عليكم أن تأكلوا من البيوت المذكورة، لالتقاء الطائفتين في أن كل واحدة منهما منفي عنها الحرج. ومثال هذا أن يستفتيك مسافر عن الإفطار في رمضان. وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر، فقلت: ليس على المسافر حرج أن يفطر، ولا عليك يا حاج أن تقدّم الحلق على النحر، فإن قلت: هلا ذكر الأولاد؛ قلت: دخل ذكرهم تحت قوله: ﴿مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾ [النحل: ٨٠]، لأنّ ولد الرجل بعضه، وحكمه حكم نفسه. وفي الحديث «إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه، وإن ولده من كسبه (١٠٥٨)، ومعنى ﴿مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾ من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم: ولأنّ الولد أقرب ممن عدّد من القرابات، فإذا كان سبب الرخصة هو القرابة: كان الذي هو أقرب منهم أولى. فإن قلت: ما معنى ﴿أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾؟ قلت: أموال الرجل إذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له: أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته. وملك المفاتح: كونها في يده وحفظه. وقيل: بيوت المماليك؛ لأن مال العبد لمولاه. وقرئ: مفتاحه: فإن قلت: فما معنى ﴿أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ﴾؟ قلت: معناه: أو بيوت أصدقائكم. والصديق يكون واحدا وجمعا[1]، وكذلك الخليط والقطين والعدوّ. يحكى عن الحسن أنه

١٠٥٨ ـ أخرجه أبو داود (٢/ ٣١١) كتاب البيوع، باب في الرجل يأكل من مال ولده الحديث (٣٥٢٨)، والنسائي (٧/ ٢٤٠) كتاب البيوع، باب الحث على الكسب، والترمذي (٣/ ٦٣٠) كتاب الأحكام، باب ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده الحديث (١٣٥٨)، وابن ماجه (٢/ ٧٦٩) كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده الحديث (٢٢٩٠)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣١ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧، ١٢٧ ـ ١٦٢ ـ ١٧٣ ـ ١٩٣ ـ ٢٠٠ ـ ٢٠١ ـ ٢٠٢ ـ ٢٠٣)، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٧٢ ـ ٧٣) رقم (٤٢٥٩ ـ ٤٢٦٠)، والدارمي (٢/ ٢٤٧) كتاب البيوع، باب في الكسب وعمل الرجل بيده، والبيهقي (٧/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠) كتاب النفقات، باب نفقة الأبوين، والبخاري في التاريخ (١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧)، والطيالسي (١٥٨٠)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٣٥) رقم (٢٣٩١ ـ بتحقيقنا).

قال الحافظ: أخرجه أصحاب السنن، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن حبان، والحاكم، وأحمد، وإسحاق، والبزار، وأبو يعلى، كلهم من حديث عائشة بهذا. قال ابن القطان: يرويه عمارة بن عمير فقال إبراهيم عنه عن عمته عن عائشة. وقال الحاكم: عن عمارة عن أمه عن عائشة، وذكره الدارقطني في العلل والاختلاف فيه وأطال. وفي الباب عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «أتى أعرابي النبي ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله: إن أبي يريد أن يجتاح مالي. قال: أنت ومالك لوالدك، إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أموال أولادكم من كسبكم فكلوا هنيئا، رواه أبو داود وابن ماجه من طريق الحجاج بن أرطأة عن عمرو وحجاج مدلس وفيه ضعف. انتهى.

---

(١) قال محمود: «الصديق يكون واحداً وجمعاً والمراد هنا الجمع» قال أحمد: وقد قال الزمخشري: =

دخل داره وإذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالاً من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون، فتهللت أسارير وجهه سروراً وضحك وقال: هكذا وجدناهم، هكذا وجدناهم. يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين ـ رضي الله عنهم ـ. وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ منه ما شاء، فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سروراً بذلك، وعن جعفر بن محمد الصادق ـ رضي الله عنهما ـ: من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الصديق أكبر من الوالدين، إن الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات، فقالوا: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم. وقالوا: إذا دل ظاهر الحال على رضا المالك، قام ذلك مقام الإذن الصريح، وربما سمج الاستئذان وثقل، كمن قدّم إليه طعام فاستأذن صاحبه في الأكل منه ﴿جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ أي مجتمعين أو متفرقين. نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره إلى الليل، فإن لم يجد من يواكله أكل ضرورة، وقيل في قوم من الأنصار: إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم وقيل: تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة بعضهم على بعض ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ من هذه البيوت لتأكلوا فبدّئوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة[1] ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ أي ثابتة بأمره، مشروعة من لدنه. أو لأنّ التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله. ووصفها بالبركة والطيب: لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق. وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: خدمت رسول الله ـ ﷺ ـ عشر سنين ـ وروي: تسع سنين ـ فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته؟ وكنت واقفاً على رأسه أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال: ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها؟ قلت: بلى بأبي وأمي يا رسول الله. قال: متى لقيت من أمّتي أحداً فسلم عليه يطل عمرك، وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة

= إن سر إفراده في قوله تعالى: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ دون الشافعين التنبيه على قلة الأصدقاء، ولا كذلك الشافعون، فإن الإنسان قد يحمي له ويشفع في حقه من لا يعرفه فضلاً عن أن يكون صديقاً، ويحتمل في الآيتين ـ والله أعلم ـ أن يكون المراد به الجمع فلا كلام. ويحتمل أن يراد الإفراد، فيكون سره ذلك، والله أعلم.

(١) قال محمود: «معناه: فسلموا على الجنس الذي هو منكم دينا وقرابة» قال أحمد: وفي التعبير عنهم بالأنفس تنبيه على السر الذي اقتضى إباحة الأكل من هذه البيوت المعدودة، وأن ذلك إنما كان لأنها بالنسبة إلى الداخل كبيت نفسه لاتحاد القرابة، فليطب نفساً بالبساط فيها، والله أعلم.

الأبرار الأوّابين (١٠٥٩)، وقالوا: إن لم يكن في البيت أحد فليقل: السلام علينا من ربنا،

١٠٥٩ ـ أخرجه البيهقي في الشعب (٧/ ٤٢٧) رقم (٨٧٥٨ ـ ٨٧٥٩) من طريق عبد الله بن محمد الكعبي قال: نا أبو نصر اليسع بن زيد بن سهل الزينبي قال: نا سفيان بن عيينة عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: خدمت رسول الله ـ ﷺ ـ فما قال: لشيء فعلته لم فعلته، ولا قال: لشيء كسرته لم كسرته، وكنت واقفاً على رأس رسول الله ـ ﷺ ـ أصب على يديه الماء فرفع رسول الله ـ ﷺ ـ رأسه فقال: ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها؟ قال: قلت: بلى بأبي وأمي يا رسول الله. قال: من لقيت من أمتي فسلم عليه يطل عمرك، وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك، وصل صلاة الضحى، فإنها صلاة الأبرار».

وعزاه الزيلعي (٢/ ٤٥٢) للسهمي في تاريخ جرجان وللثعلبي في تفسيره وقال: روي من طرق.

أحدها: عند البزار في مسنده: ثنا محمد بن المثنى، ثنا عويد بن أبي عمران، عن أبيه عبد الملك أبي عمران، عن أنس. . . فذكره، وسكت عنه.

والثاني: عند أبي يعلى الموصلي في مسنده: ثنا منصور بن أبي مزاحم، ثنا عمرو بن أبي خليفة، عن ضرار بن مسلم، عن أنس. . . فذكره.

والثالث: رواه مسدد في مسنده: ثنا علي بن الجنيد، عن عمرو بن دينار، عن أنس. . . فذكره.

ومن طريق مسدد رواه الطبراني في معجمه الصغير.

والرابع: عند ابن عدي في الكامل: عن أزور بن غالب، عن سليمان التيمي، عن أنس. . . ولين أزور تليينا يسيراً.

قال ابن طاهر في كلامه على أحاديث الشهاب: هذا حديث رواه أشعث بن براز، عن ثابت، عن أنس، وأشعث متروك الحديث.

ورواه الفضل بن العباس البصري: عن ثابت، عن أنس، قال العقيلي: فضل مجهول، ولم يتابعه عليه إلا من هو دونه أو مثله.

ورواه عويد بن أبي عمران الجوني: عن أبيه، عن أنس، وعويد لا شيء.

ورواه سعيد بن زون الثعلبي: عن أنس، وسعيد بن زون أيضاً لا شيء.

ورواه الأزور بن غالب: عن سليمان التيمي، عن أنس، والأزور منكر الحديث، ضعيف. انتهى.

وحديث عويد: رواه ابن حبان في كتاب الضعفاء، وأعله به، وقال: إنه يروي عن أبيه ما ليس من حديثه؛ فبطل الاحتجاج بخبره. انتهى.

قال الحافظ: أخرجه أبو القاسم حمزة بن يوسف الجرجاني في تاريخ جرجان، والبيهقي في الشعب في الحادي والستين، والثعلبي من طريق اليسع بن زيد بن سهل عن ابن عتبة عن حميد وعن أنس بتمامه واليسع آخر من زعم أنه سمع من ابن عتبة، مات بعد الثمانين والمائتين وهو واهي الحديث، وأصل الحديث دون القصة التي فيه. في الصحيح من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ وباقيه مروي عن أنس من أوجه: منها ما رواه البزار من طريق عويد بن عمران الجوني عن أبيه قال: «أوصاني النبي ـ ﷺ ـ بخمس خصال؛ قال: أسبغ الوضوء يزد في عمرك، وسلم على من لقيت من أمتي تكثر حسناتك، وإذا دخلت بيتك فسلم على أهلك يكثر خير بيتك، وصل صلاة الضحى؛ فإنها صلاة الأوّابين، وارحم الصغير ووقر الكبير، تكن من رفاقي» وعويد: قال ابن حبان: يروى عن أبيه ما ليس من حديثه. ورواه أبو يعلى من رواية عمرو بن أبي خليفة عن ضرار بن عمرو عن أنس وإسناده ضعيف جداً، وكذا رواه الطبراني في الصغير من رواية عمرو بن دينار عن أنس والراوي عنه ساقط، ورواه العقيلي من رواية الفضل بن العباس عن ثابت عن أنس =

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله. وعن ابن عباس: إذا دخلت المسجد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله، وانتصب تحية بسلموا، لأنها في معنى تسليماً، كقولك: قعدت جلوساً.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

أراد عز وجل أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله - ﷺ - بغير إذنه ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسله، وجعلهما كالتشبيب له[1] والبساط لذكره، وذلك مع تصدير الجملة بإنما وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبراً عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين، ثم عقبه بما يزيده توكيداً وتشديداً، حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وضمنه شيئا آخر، وهو: أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين، وعرّض بحال المنافقين وتسللهم لواذا. ومعنى قوله ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ ٢/ ١٤٧أ لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم. ألا تراه كيف علق الأمر بعد وجود استئذانهم بمشيئته وإذنه لمن استصوب أن يأذن له. والأمر الجامع: الذي يجمع له الناس، فوصف الأمر بالجمع على سبيل المجاز، وذلك نحو مقاتلة عدوّ، أو تشاور في خطب مهمّ، أو تضام لإرهاب مخالف، أو تماسح في حلف وغير ذلك. أو الأمر الذي يعم بضرره أو بنفعه. وقرئ: أمر جميع. وفي قوله: ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ أنه خطب جليل لا بد لرسول الله - ﷺ - فيه من ذوي رأي وقوّة، يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته، فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه. فمن ثمة غلظ عليهم وضيق عليهم الأمر في الاستئذان، مع العذر المبسوط ومساس الحاجة إليه، واعتراض ما يهمهم ويعنيهم، وذلك قوله: ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾، وذكر الاستغفار للمستأذنين: دليل على أنّ الأحسن الأفضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه. وقيل: نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير

= والفضل مجهول. قال العقيلي: لم يتابعه عليه إلا من هو دونه أو قبله ورواه ابن عدي من طريق أزور بن غالب عن سليمان التيمي عن أنس. قال ابن ضاهر: أزور منكر الحديث. وله طريق أخرى عن أنس أشد ضعفاً من هذه. انتهى.

---

(١) قوله «وجعلهما كالتشبيب له» في الصحاح التشبيب النسيب يقال هو يشبب بفلانة أي ينسب بها. (ع)

إذن. وقالوا: كذلك ينبغي أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم. والأمر في الإذن مفوّض إلى الإمام: إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن، على حسب ما اقتضاه رأيه.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾

إذا احتاج رسول الله - ﷺ - إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه، ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي. أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضاً ويناديه باسمه الذي سماه به أبواه، ولا تقولوا: يا محمد، ولكن يا نبي الله، ويا رسول الله، مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع. ويحتمل: لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم، يسأله حاجة فربما أجابه وربما ردّه، فإن دعوات رسول الله - ﷺ - مسموعة مستجابة ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾ ينسلون قليلاً قليلاً. ونظير «تسلل»: «تدرّج وتدخل»: واللواذ: الملاوذة، وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا، يعني: ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض. و﴿لِوَاذًا﴾ حال، أي: ملاوذين. وقيل: كان بعضهم يلوذ بالرجال إذا استأذن فيأذن له، فينطلق الذي لم يؤذن له معه. وقرئ: لواذاً، بالفتح، يقال: خالفه إلى الأمر، إذا ذهب إليه دونه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] وخالفه عن الأمر: إذا صدّ عنه دونه. ومعنى ﴿الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ الذين يصدّون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون، فحذف المفعول لأنّ الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه. الضمير في أمره لله سبحانه أو للرسول - ﷺ -. والمعنى: عن طاعته ودينه ﴿فِتْنَةٌ﴾ محنة في الدنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: فتنة قتل. وعن عطاء: زلازل وأهوال. وعن جعفر بن محمد: يسلط عليهم سطان جائر.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤)﴾

أدخل ﴿قَدْ﴾ ليؤكد عليه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد[1]، وذلك أن ﴿قَدْ﴾ إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى «ربما»

---

(١) قلنا: لأن الأصل في قد إذا دخلت على المضارع إفادة التوقع، ولهذا صارت بمعنى «ربما» فوافقتها في الخروج إلى معنى التكثير، وهذا ما فهمه العلامة الزمخشري وأفاده أبو السعود بعبارة قوية، =

فوافقت «ربما» في خروجها إلى معنى التكثير في نحو قوله [من الطويل]:

فَإِنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ فَرُبَّمَا ... أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وُفُودُ(1)

ونحوه قول زهير [من الطويل]:

أَخِي ثِقَةٍ لاَ تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ ... وَلٰكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهْ(2)

والمعنى: أن جميع ما في السموات والأرض مختصة به خلقاً وملكاً وعلماً، فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون وإخفائها، وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم. والخطاب والغيبة في قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يجوز أن يكونا جميعاً للمنافقين على طريق الالتفات. ويجوز أن يكون ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ عامًّا، و﴿يُرْجَعُونَ﴾ للمنافقين، والله أعلم.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي (١٠٦٠).

١٠٦٠ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه بإسناديهما إلى أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

= لأدار الفكرة مرة أخرى عند قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].
ومن أراد الوقوف على معانيها مع الماضي والمضارع وشروطها في كل موضع وصورها في جميع المواقع فعليه بما سطره ابن هشام في مصنفه المغني فإنه يغني.
«ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ومعه حاشية الأمير ١/ ١٣٥ ـ ١٣٩، والبلاغة القرآنية لأبي موسى ٢٩٤ وما بعدها، وأبو السعود ٤/ ١٧٠، ١٧١.

(١) ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط ... عليك بجاري دمعها لجمود
عشية قام النائحات وشققت ... جيوب بأيدي مأتم وخدود
فإن تمس مهجور الفناء فربما ... أقام به بعد الوفود وفود

لابن عطاء السندي: يرثي ابن هبيرة لما قتله المنصور. وواسط: موضع الواقعة. وأتم بالمكان: أقام به. والمأتم: مكان الإقامة: استعمل في جماعة النساء الحزينات مجازاً مشهوراً، وجمعه: مآتم بمد الهمزة. يقول: إن كل عين لم تبك عليك ذلك اليوم لشديدة الجمود. وعشية: بدل من يوم. وجيب القميص: مخرج الرأس منه، أي: مزقت الجيوب والخدود بأيدي النساء، ثم التفت إلى الخطاب، وصبر وتصبر بقوله: فإن تمس مهجور الفناء، كناية عن الموت. فربما؛ أي كثيراً أقام بفناء بيتك جموع من الناس بعد جموع، يستمنحونك، أي: فإن يهجر فناؤك الآن فلا حزن، لأنه كثيراً ما اجتمع فيه الناس ومنحوا خيراً.
وهو لمعن بن زائدة في أمالي المرتضى ١/ ٢٢٣، ولأبي عطاء السندي في خزانة الأدب ٩/ ٥٣٩، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٨٠٠، والشعر والشعراء ٢/ ٧٧٣، ولسان العرب (عهد)؛ وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٣/ ١٨٦، وجواهر الأدب ص ٣٦٦، ٣٦٨.

(٢) تقدم شرح هذا الشاهد.

سورة الفرقان

مكية إلا الآيات ٦٨ و٦٩ و٧٠ فمدنية
وآياتها ٧٧ [نزلت بعد يس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾

البركة: كثرة الخير وزيادته. ومنها ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وفيه معنيان: تزايد خيره، وتكاثر. أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله. والفرقان: مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل. أو لأنه ٢/ ٤٧ب لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقاً، مفصولاً بين بعضه وبعض في الإنزال[١]. ألا ترى إلى قوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (١٠٦)﴾ [الإسراء: ١٠٦] وقد جاء الفرق بمعناه[٢]؛ قال: [الرجز]

وَمُشْرِكِيٍّ كَافِرٍ بِالْفَرْقِ[٣]

وعن ابن الزبير ـ رضي الله عنه ـ: على عباده. وهم رسول الله ـ ﷺ ـ وأمّته، كما قال ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]، ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]. والضمير في ﴿لِيَكُونَ﴾ لعبده أو للفرقان. ويعضد رجوعه إلى الفرقان قراءة ابن الزبير ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ للجنّ والإنس ﴿نَذِيرًا﴾ منذراً أي ومخوّفاً أو إنذاراً، كالنكير بمعنى الإنكار. ومنه قوله

---

(١) قال محمود: «يجوز أن يراد بوصفه بالفرقان تفريقه بين الحق والباطل، ويجوز أن يراد نزوله مفرقاً شيئا فشيئا كما قال. وقرآناً فرقناه» قال أحمد: والأظهر هنا هو المعنى الثاني؛ لأن في أثناء السورة بعد آيات ﴿وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي أنزلناه مفرقاً كذلك ﴿لنثبت به فؤادك﴾ فيكون وصفه بالفرقان في أول السورة ـ والله أعلم ـ كالمقدمة والتوطئة لما يأتي بعد.

(٢) قوله «وقد جاء الفرق بمعناه» في الصحاح: والفرق أيضاً: الفرقان. ونظيره: الخسر والخسران. قال الراجز: ومشركي... إلخ. (ع)

(٣) ينظر لسان العرب (فرق)، (شرك)، ديوان الأدب (١/ ١٥٧)، تاج العروس (فرق)، (شرك).

تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦﴾ [القمر: ٣٠]، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ﴾ رفع على الإبدال من الذي نزل أو رفع على المدح. أو نصب عليه. فإن قلت: كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه؟ قلت: ما فصل بينهما بشيء؛ لأنّ المبدل منه صلته نزل. و﴿لِيَكُونَ﴾ تعليل له، فكأنّ المبدل منه لم يتمّ إلا به. فإن قلت: في الخلق معنى التقدير، فما معنى قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ كأنه قال: وقدّر كل شيء فقدّره؟ قلت: المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثاً مراعي فيه التقدير والتسوية، فقدّره وهيأه لما يصلح له، مثاله: أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر المسوّى الذي تراه، فقدّره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا، وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدّرة بأمثلة الحكمة والتدبير، فقدّره لأمر مّا ومصلحة مطابقاً لما قدر له غير متجاف عنه. أو سمي إحداث الله خلقاً لأنه لا يحدث شيئاً لحكمته إلا على وجه التقدير من غير تفاوت، فإذا قيل: خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك: أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق، فكأنه قيل: وأوجد كل شيء فقدّره في إيجاده لم يوجده متفاوتاً. وقيل: فجعل له غاية ومنتهى. ومعناه: فقدّره للبقاء إلى أمد معلوم.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾

الخلق بمعنى الافتعال، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، والمعنى: أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم، لا يقدرون على شيء من أفعال الله ولا من أفعال العباد، حيث لا يفتعلون شيئاً وهم يفتعلون، لأن عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون، وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها إلا الله أعجز.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤﴾

﴿قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ قيل: هم اليهود. وقيل: عداس مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار مولى العلاء بن الحضرمي، وأبو فكية الرومي: قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار. «جاء» «وأتى» يستعملان في معنى فعل، فيعديان تعديته، وقد يكون على معنى: وردوا ظلماً، كما تقول: جئت المكان. ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل.

وظلمهم: أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاماً عربياً أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب. والزور: أن بهتوه بنسبة ما هو بريّ منه إليه.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ما سطَّره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار، جمع: أسطار أو أسطورة كأحدوثة ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ كتبها لنفسه وأخذها، كما تقول: استكب الماء واصطبه: إذا سكبه وصبه لنفسه وأخذه. وقرئ: اكتُتبها على البناء للمفعول. والمعنى: اكتتبها كاتب له؛ لأنه كان أمّياً لا يكتب بيده، وذلك من تمام إعجازه، ثم حذفت اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب، كقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ثم بنى الفعل للضمير الذي هو إياه فانقلب مرفوعاً مستتراً بعد أن كان بارزاً منصوباً، وبقي ضمير الأساطير على حاله، فصار ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ كما ترى(١). فإن قلت: كيف قيل: اكتتبها ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ وإنما يقال: أمليت عليه فهو يكتتبها؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أراد اكتتابها أو طلبه فهي تملى عليه. أو كتبت له وهو أميّ فهي تملى عليه: أي تلقي عليه من كتابه يتحفظها؛ لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب. وعن الحسن: أنه قول الله سبحانه يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الإنكار؛ ووجهه أن يكون نحو قوله [من المنسرح]:

أَفْــــرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْـــكِـــرَامَ وَأَنْ أُورَثَ ذُوداً شَـصَـائِـصًـا نَـبَـلاَ(٢)

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا يصح ذلك على مذهب جمهور البصريين؛ لأن اكتتبها له كاتب وصل الفعل فيه لمفعولين أحدهما مُسَرَّحٌ وهو ضمير الأساطير والآخر مُقَيَّدٌ وهو ضميره عليه السلام ثم اتُّسِع في الفعل فحذف حرف الجَرِّ فصار اكْتَتَبَهَا إياه كاتب فإذا بنى هذا للمفعول إنما ينوب عن الفاعل المفعول المُسَرَّحُ لفظاً وتقديراً لا المُسَرَّحُ لفظاً المُقَيَّدُ تقديراً فعلى هذا كان يكون التركيب اكْتُتِبَتْهُ لا اكْتُتِبَهَا وعلى هذا الذي قلناه جاء السماع قال الفرزدق [من الطويل]:

وَمِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً وَجُـوداً إِذَا هَـبَّ الـرِّيَـاحُ الـزَّعَـازِعُ

وَلَوْ جَاءَ على ما قدره الزمخشري لجاء التركيبُ: وَمِنَّا الذي اختيره الرجالَ لأن اختير تعدى إلى الرجال بإسقاط حرف الجر إذ تقديره اختير من الرجال. قُلْتُ: وهو اعتراض حَسَنٌ بالنسبة إلى مذهب الجمهور ولكن الزمخشري قد لا يلتزمه ويوافق الأخفش والكوفيين وإذا كان الأخفش وهم يتركون المُسَرَّحَ لفظاً وتقديراً ويقيمون المجرور بالحرف مع وجوده فهذا أَوْلَى وأَجْدَى. والظاهر أن الجملة من قوله: ﴿ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ﴾ من تتمة قول الكفار، وعن الحسن إنها من كلام الباري تعالى وكان حق الكلام على هذا أن يُقْرَأَ «أَكْتَتَبَهَا» بهمزة مقطوعة مفتوحة للاستفهام كقوله: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ ويمكن أَنْ يُعْتَذَرَ عنه أنه حذف الهمزة للعلم بها كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ﴾ انتهى. الدر المصون.

(٢) إن كـنـت أزنـنـتـنـي بـهـا كـذبـا جـزء فـلاقـيـت بـعـدهـا عـجـلا =

وحق الحسن أن يقف على الأولين ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ أي دائماً، أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس. وحين يأوون إلى مساكنهم.

﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾

أي يعلم كل سرّ خفيّ في السموات والأرض. ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله ـ ﷺ ـ مع علمكم أنّ ما تقولونه باطل وزور، وكذلك باطن أمر رسول الله ـ ﷺ ـ وبراءته مما تبهتونه به، وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه. فإن قلت: كيف طابق قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ هذا المعنى؟ قلت: لما كان ما تقدّمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه؛ لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة. أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبًّا، ولكن صرف ذلك عنهم إنه غفور رحيم: يمهل ولا يعاجل.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ ٢/ ٤٨أ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨﴾

وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي. وخط المصحف سنة لا تغير. وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم

= أفـــرح أن أرزأ الـــكـــرام وأن أورث ذودا شـصـــائـصـــا نـبـــلا

لحضرمي بن عامر، يخاطب جزء بن سنان بن مؤلة حين اتهمه بسروره بأخذ دية أخيه القتيل، وقيل: لجرير، وليس بذاك. وجزؤ ـ بفتح فسكون ـ وإن هنا للشرط مجرداً عن الشك، أو بمعنى إذ. وأزنتني: أي تهمتني بها: أي بتلك الفعله الرذيلة كذبا منك يا جزؤ، فهو منادى، فلاقيت أنت بعدها عجلا: دعاء عليه بأن ينال مثلها سريعاً، وينظر هل يفرح أو يحزن؟ وروي: فلاقيت مثلها عجلا. أفرح، أي: أأفرح بأن أرزأ الكرام وأصاب فيهم، فحذفت همزة الاستفهام الإنكاري أو التعجبي على فرض الوقوع لدلالة المقام عليها، وليصور الكلام بصورة الأخبار والإثبات، فيظهر للخصم قبح دعواه. وأرزأ: مبني للمجهول، وكذلك أورث، أي: أعطى ذودا: أي قطيعاً من الإبل بعد موتهم. والذود: ما بين الثلاثة إلى العشر، مؤنث لا واحد له من لفظه، عبر به عن الدية كلها استقلالا وتحقيراً لها. ولذلك وصفه بشصائصا: جمع شصوص، وهي الناقة القليلة اللبن. وصرفه للوزن. والنبل ـ كسيب ؛ جمع نبيل. ويروى بالضم، فهو جمع نبيل أيضاً، ككرماً وكريم، أو جمع نبلة، كغرف وغرفة: أي الصغار أو النجائب فهو من الأضداد؛ لكن الأول أوفق بالمقام. ويجوز أن الدية كانت عشرة.
ينظر: التهذيب (١١/ ٢٦٣)، اللسان: جزأ، الدر المصون (٥/ ٢٤٣).

وطنز[1]، كأنهم قالوا: ما لهذا الزاعم أنه رسول. ونحوه قول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]، أي: إن صحّ أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا ﴿يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾، كما نأكل؛ ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد، يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش. ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكاً إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ملك، حتى يتساندا في الإنذار والتخويف، ثم نزلوا أيضاً فقالوا: وإن لم يكن مرفوداً بملك، فليكن مرفوداً بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش. ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلاً له بستان يأكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير. أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم. وأراد بالظالمين: إياهم بأعيانهم: وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا. وقرئ: فيكون، بالرفع. أو يكون له جنة، بالياء، ونأكل بالنون. فإن قلت: ما وجها الرفع والنصب في فيكون؟ قلت: النصب لأنه جواب «لولا» بمعنى «هلا» وحكمه حكم الاستفهام. والرفع على أنه معطوف على أنزل، ومحله الرفع، ألا تراك تقول: لولا ينزل بالرفع، وقد عطف عليه: يلقى، وتكون مرفوعين، ولا يجوز النصب فيهما لأنهما في حكم الواقع بعد لولا، ولا يكون إلا مرفوعاً. والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحرث ، وعبد الله بن أبي أمية، ونوفل بن خويلد ومن ضامهم ﴿مَّسْحُورًا﴾ سحر فغلب على عقله. أو ذا سحر، وهو الرئة: عنوا أنه بشر لا ملك.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾

﴿ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة، من نبوّة مشتركة بين إنسان وملك. وإلقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك، فبقوا متحيرين ضلالا، لا يجدون قولاً يستقرّون عليه. أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقاً إليه.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾

تكاثر خير ﴿ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ﴾ وهب لك في الدنيا ﴿خَيْرًا﴾ مما قالوا، وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور. وقرئ: ويجعل بالرفع عطفاً على

---

(١) قوله «وطنز» في الصحاح «الطنز»: السخرية. (ع)

جعل[1]؛ لأن الشرط إذا وقع ماضياً، جاز في جزائه الجزم والرفع؛ كقوله:[من البسيط]:

وَإِنْ أَتَـاهُ خَـلِـيـلٌ يَـوْمَ مَـسْـأَلَـةٍ يَـقُـولُ: لاَ غَـائِـبٌ مَـالِـي ولاَ حَـرِمُ[2]

ويجوز في ﴿وَيَجْعَل لَّكَ﴾ إذا أدغمت: أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعاً. وقرئ بالنصب، على أنه جواب الشرط بالواو.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟﴾عطف على ما حكي عنهم. يقول: بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة. ويجوز أن يتصل بما يليه، كأنه قال: بل كذبوا بالساعة، فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب، وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة. السعير: النار الشديدة الاستعار. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: أنه اسم من أسماء جهنم ﴿رَأَتْهُم﴾ من قولهم: دورهم تترا[3]، أي: وتتناظر. ومن قوله ـ ﷺ ـ «لا تراءى ناراهما» (١٠٦١) كأن بعضها يرى بعضاً على سبيل المجاز. والمعنى: إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها. وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر. ويجوز أن يراد: إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضباً على الكفار وشهوة للانتقام منهم. الكرب مع الضيق، كما أن الروح مع السعة، ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها

١٠٦١ ـ تقدم في المائدة.

---

(١) قال السمين الحلبي: وفيه نظر من حيث إن من جملة من قرأ بذلك وهو نافع والأخوان وحفص ليس من أصولهم الإدغام حتى يدعي لهم في هذا المكان. نعم أبو عمرو أصله الإدغام وهو يقرأ هنا بسكون اللام فيحتمل ذلك على قراءته وهذا من محاسن علم النحو والقراءات معاً. انتهى. الدر المصون.

(٢) تقدم.

(٣) قال محمود: «هو من قولهم: دور بني فلان تترا، أي على المجاز» قال أحمد: لا حاجة إلى حمله على المجاز فإن رؤية جهنم جائزة. وقدرة الله تعالى صالحة. وقد تظافرت الظواهر على وقوع هذا الجائز، وعلى أن الله تعالى يخلق لها إدراكاً حسياً وعقلياً. ألا ترى إلى قوله: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ وإلى محاجتها مع الجنة، وإلى قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ وإلى اشتكائها إلى ربها فأذن لها في نفسين، إلى غير ذلك من الظواهر التي لا سبيل إلى تأويلها، إذ لا محوج إليه. ولو فتح باب التأويل والمجاز في أحوال المعاد، لتطوح الذي يسلك ذلك إلى وادي الضلالة والتحيز إلى فرق الفلاسفة، فالحق أنا متعبدون بالظاهر ما لم يمنع مانع، والله أعلم.

السموات والأرض. وجاء في الأحاديث: أن لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا، ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضييق والإرهاق، حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا، كما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسيره أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح، وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل: قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع. وقيل: يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد. والثبور: الهلاك. ودعاؤه أن يقال: واثبوراه، أي: تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك ﴿لَّا تَدْعُوا۟﴾ أي يقال لهم ذلك، أو هم أحقاء بأن يقال لهم، وإن لم يكن ثمة قول ومعنى ﴿وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحداً، وإنما هو ثبور كثير. إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته. أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها، فلا غاية لهلاكهم.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾

الراجع إلى الموصولين محذوف، يعني: وعدها المتقون وما يشاءونه. وإنما قيل: كانت؛ لأن ما وعده الله وحده فهو في تحققه كأنه قد كان. أو كان مكتوباً في اللوح قبل أن برأهم بأزمنة متطاولة: أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾؟ قلت: هو كقوله: ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١] فمدح الثواب ٢/٤٨ب ومكانه، كما قال: ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، فذم العقاب ومكانه لأنّ النعيم لا يتم للمتنعم إلا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة. وأن لا تنغص، وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع[1] وضيقه وظلمته وجمعه لأسباب الاجتواء والكراهة، فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء. والضمير في ﴿كَانَ﴾ لما يشاءون. والوعد: الموعود، أي: كان ذلك موعداً واجباً على ربك إنجازه، حقيقاً أن يسئل ويطلب؛ لأنه جزاء وأجر مستحق. وقيل: قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن

(١) قوله «بغثاثة الموضع» أي فساده ورداءته. والاجتواء: كراهة المقام بالمكان. أفاده الصحاح. (ع)

يحشرهم. فيقول كلاهما بالنون والياء، وقرئ: يحشرهم، بكسر الشين ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ يريد: المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير. وعن الكلبي: الأصنام ينطقها الله. ويجوز أن يكون عامًّا لهم جميعاً. فإن قلت: كيف صحّ استعمال (ما) في العقلاء؟ قلت: هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم، بدليل قولك ـ إذا رأيت شبحاً من بعيد ـ ما هو؟ فإذا قيل لك: إنسان، قلت حينئذٍ: من هو؟ ويدلك قولهم «من» لما يعقل. أو أريد به الوصف، كأنه قيل: ومعبوديهم. ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد: ما زيد؟ تعني: أطويل أم قصير؟ أفقيه أم طبيب؟ فإن قلت: ما فائدة أنتم وهم؟ وهلا قيل أضللتم عبادي هؤلاء أم هم[1] ضلوا السبيل؟ قلت: ليس السؤال عن الفعل ووجوده؛ لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب، وإنما هو عن متوليه، فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام، حتى يعلم أنه المسئول عنه. فإن قلت: فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسئول عنه، فما فائدة هذا السؤال؟ قلت: فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به، حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم، فيبهتوا[2] وينخذلوا وتزيد حسرتهم، ويكون ذلك نوعاً ما يلحقهم من غضب الله وعذابه، ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك، وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفاً للمكلفين، وفيه كسر بين لقول من يزعم[3] أن الله يضل عباده على الحقيقة[4]، حيث يقول للمعبودين من دونه: أأنتم أضللتموهم، أم

---

(١) قوله «أم هم ضلوا» لعله أم ضلوا، كعبارة النسفي. (ع)

(٢) قوله «فيبهتوا» يدهشوا. أو يتحيروا. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «لقول من يزعم أن الله... إلخ» يريد أهل السنة القائلين: إضلال الله لعباده خلق الضلال في قلوبهم، خلافاً للمعتزلة القائلين: أنه تعالى لا يخلق الشر ولا يريده. (ع)

(٤) قال محمود: «في هذه الآية كسر بين لمن يزعم أن الله تعالى يضل عباده حقيقة. حيث يقول للمعبودين من دونه: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء، أم هم ضلوا بأنفسهم؟ فيتبرؤون منهم ويستعيذون مما نسب إليهم، ويقولون: بل تفضلك على هؤلاء أوجب أن جعلوا عوض الشكر كفراً، فإذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من ذلك. فهم لله أشد تبرئة وتنزيهاً منه، ولقد نزهوه حيث أضافوا التفضل بالنعمة إلى الله تعالى، وأسندوا الضلال الذي نشأ عنه إلى الضالين، فهو شرح للإسناد المجازي في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ ولو كان مضلاً حقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا: بأن أنت أضللتهم» قال أحمد: قد تقدم شرح عقيدة أهل الحق في هذا المعنى، وأن الباعث لهم على اعتقاد كون الضلال من خلق الله تعالى: التزامهم للتوحيد المحض والإيمان الصرف، الذي دل على صحته بعد الأدلة العقلية قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ والضلال شيء، فوجب كونه خالقه: هذا من حيث العموم. وأما من حيث الخصوص، فأمثال قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، والأصل الحقيقة، وقول موسى عليه السلام ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ فلو كان الإضلال مستحيلاً على الله تعالى لما جاز أن يخاطبه الكليم بما لا يجوز، فإذا أوضح ذلك =

هم ضلوا بأنفسهم؟ فيتبرءون من إضلالهم ويستعيذون به أن يكونوا مضلين، ويقولون: بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم، فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر، سبب الكفر ونسيان الذكر، وكان ذلك سبب هلاكهم، فإذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشياطين إليهم واستعاذوا منه، فهم لربهم الغنيّ العدل أشدّ تبرئة وتنزيهاً منه، ولقد نزهوه حين أضافوا إليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها، وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار إلى الكفرة، فشرحوا الإضلال المجازي الذي أسنده الله تعالى إلى ذاته في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا: بل أنت أضللتهم. والمعنى: أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق؟ أم هم ضلوا عنه بأنفسهم؟ وضل: مطاوع «أضله» وكان القياس: ضل عن السبيل، إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق. والأصل: إلى الطريق، وللطريق. وقولهم: أضلَّ البعير، في معنى: جعله ضالاً، أي: ضائعاً، لما كان أكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه، قيل: أضله، سواء كان منه فعل أو لم يكن ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تعجب منهم، قد تعجبوا مما قيل لهم لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون، فما أبعدهم عن الإضلال الذي هو مختص بإبليس وحزبه أو نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المتقدّسون الموسومون بذلك، فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده. أو قصدوا به تنزيهه عن الأنداد، وأن يكون له نبيّ أو ملك أو غيرهما

= فالملائكة لم يسألوا في هذه الآية عن المضل لعبادهم حقيقة، فيقال لهم: من أضل هؤلاء، وإنما قيل لهم: أأنتم أضللتموهم، أم هم ضلوا؟ فليس الجواب المطابق العتيد أن يقولوا: أنت أضللتهم ولو كان معتقدهم أن الله تعالى هو المضل حقيقة، لكان قولهم في جواب هذا السؤال: بل أنت أضللتهم مجاوزة لمحز السؤال ومحله، وإنما كان هذا الجواب مطابقاً لو قيل لهم: من أضل عبادي هؤلاء؟ فقد وضح أن هذا السؤال لا يجاب عنه بما تخيله الزمخشري، بتقدير أن يكون معتقدهم أن الله تعالى هو الذي أضلهم، وأن عدولهم عنه ليس لأنهم لا يعتقدونه، ولكن لأنه لا يطابق، وبقي وراء ذلك نظراً في أن جوابهم هذا يدل على معتقدهم الموافق لأهل الحق، لأن أهل الحق يعتقدون أن الله تعالى وإن خلق لهم الضلالة إلا أن لهم اختياراً فيها وتميزاً لها، ولم يكونوا عليها مقسورين كما هم مقسورون على أفعال كثيرة يخلقها الله فيهم كالحركات الرعشية ونحوها. وقد قدمنا في مواضع: أن كل فعل اختياري له نسبتان: إن نظر إلى كونه مخلوقاً فهو منسوب إلى الله تعالى، وإن نظر إلى كونه اختيارياً للعبد فهو منسوب إلى العبد. وبذلك قطعت الملائكة في قولهم: بل متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر، فنسبوا نسيان الذكر إليهم، أي: الانهماك في الشهوات الذي نشأ عنه النسيان؛ لأنهم اختاروه لأنفسهم، فصدقت نسبته إليهم، ونسبوا السبب الذي اقتضى نسيانهم وانهماكهم في الشهوات إلى الله تعالى: وهو استدراجهم ببسط النعم عليهم، فبها ضلوا، فلا تنافي بين معتقد أهل الحق وبين مضمون قول الملائكة حينئذٍ. بل هما متواطئان على أمر واحد، والله أعلم.

نداً، ثم قالوا: ما كان يصحّ لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحداً دونك، فكيف يصحّ لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك، أو ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار. قال الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ يريد الكفرة وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ وقرأ أبو جعفر المدني: نتخذ، على البناء للمفعول. وهذا الفعل أعني «اتخذ» يتعدى إلى مفعول واحد، كقولك: اتخذ وليًّا وإلى مفعولين كقولك اتخذ فلاناً وليا. قال الله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنبياء: ٢١]، وقال: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ فالقراءة الأولى من المتعدي إلى واحد وهو ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ والأصل: أن نتخذ أولياء، فزيدت (من) لتأكيد معنى النفي، والثانية من المتعدي إلى مفعولين. فالأول ما بني له الفعل. والثاني: ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾. ومن للتبعيض، أي: لا نتخذ بعض أولياء. وتنكير ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ من حيث أنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام والذكر: ذكر الله والإيمان به، أو القرآن والشرائع. والبور: الهلاك، يوصف به الواحد والجمع. ويجوز أن يكون جمع بائر، كعائذ وعوذ.

﴿فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ١٩﴾

هذه المفاجأة[1] بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ﴾ [المائدة: ١٩]، وقول القائل [من البسيط]:

قَالُوا: خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا ... ثُمَّ الْقُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا[2]

وقرئ: يقولون، بالتاء والياء. فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم أنهم آلهة. ومعنى من قرأ بالياء: فقد كذبوكم بقولهم: ﴿سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾: فإن قلت: هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء؟ قلت إي والله، هي مع التاء كقوله: ﴿بَلۡ ٢/ ٤٩أ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ﴾ والجار والمجرور بدل من الضمير. كأنه قيل: فقد كذبوا

---

(١) قوله «هذه المفاجأة» أي: التي في قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُوكُم﴾. (ع)

(٢) يقول: قالوا: إن هذه البلدة أبعد ما يراد بنا وغاية السفر بنا، ثم يكون القفول أي الرجوع. ويجوز أنه عطف على خراسان. وقوله «فقد جئنا» مرتب على محذوف. أي: إن صدقوا في قولهم فقد جئنا خراسان، فلم لم نتخلص من السفر. ويجوز أنه عدل إلى الخطاب، أي فقولوا: لهم اقطعوا السفر بنا وارجعوا. فقد جئنا الموعد، لكن ليس ذلك التفاتاً.
البيت للعباس بن الأحنف، ينظر ديوانه (٣١٢)، الدر المصون (٥/ ٢٤٨).

بما تقولون: وهي مع الياء كقولك: كتبت بالقلم. وقرئ: يستطيعون، بالتاء والياء أيضاً. يعني: فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم. وقيل: الصرف: التوبة وقيل: الحيلة، من قولهم: إنه ليتصرف، أي يحتال أو فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب. أو أن يحتالوا لكم. الخطاب على العموم للمكلفين. والعذاب الكبير لاحقٌ بكل من ظلم، والكافر ظالم؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، والفاسق ظالم. لقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]. وقرئ: يذقه، بالياء. وفيه ضمير الله. أو ضمير مصدر يظلم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

الجملة بعد «إلا» صفة لموصوف محذوف. والمعنى: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين وماشين. وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور. أعني من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] على معنى: وما منا أحد. وقرئ ويمشون. على البناء للمفعول، أي: تمشيهم حوائجهم أو الناس. ولو قرئ: يمشون، لكان أوجه لولا الرواية. وقيل: هو احتجاج على من قال: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾. ﴿فِتْنَةً﴾ أي محنة وابتلاء. وهذا تصبير لرسول الله - ﷺ - على ما قالوه واستبدعوه، من أكله الطعام ومشيه في الأسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل، يقول: وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض. والمعنى: أنه ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم، وبمناصبتهم لهم العداوة، وأقاويلهم الخارجة عن حدّ الإنصاف، وأنواع أذاهم، وطلب منهم الصبر الجميل، ونحوه ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وموقع ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ بعد ذكر الفتنة موقع ﴿أَيُّكُمْ﴾ بعد الابتلاء في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]. ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ عالماً بالصواب فيما يبتلى به وغيره فلا يضيقنّ صدرك، ولا يستخفنك أقاويلهم فإن في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين. وقيل: هو تسلية له عما عيروه به من الفقر، حين قالوا: أو يلقى إليه كنز، أو تكون له جنة، وأنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء؛ لينظر: هل يصبرون؟ وأنها حكمته ومشيئته: يغني من يشاء ويفقر من يشاء. وقيل: جعلناك فتنة لهم؛ لأنك لو كنت غنياً صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم إليك وطاعتهم لك للدنيا، أو ممزوجة بالدنيا؛ فإنما بعثناك فقيراً ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي. وقيل: كان أبو جهل والوليدين المغيرة والعاصي بن وائل ومن في طبقتهم

يقولون: إن أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان ترفعوا علينا إدلالاً بالسابقة، هو افتتان بعضهم ببعض.

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾

أي لا يأملون لقاءنا بالخير لأنهم كفرة. أو لا يخافون لقاءنا بالشر. والرجاء في لغة تهامة الخوف، وبه فسر قوله تعالى: ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]جعلت الصيرورة إلى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقياً. اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمداً صادق حتى يصدقوه. أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه. ولا يخلو: إما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة إلى غير الأنبياء، وأن الله لا يصح أن يرى[1]. وإنما علقوا إيمانهم بما لا يكون. وإما ألا يكونوا عالمين بذلك وإنما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم، كما فعل قوم موسى حين قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. فإن قلت: ما معنى ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾؟ قلت: معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه. كما قال: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]. ﴿وَعَتَوْ﴾ وتجاوزوا الحدّ في الظلم. يقال: عتا علينا فلان. وقد وصف العتوّ بالكبير، فبالغ في إفراطه يعني أنهم لم يخسروا على هذا القول العظيم، إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتوّ، واللامَ جواب قسم محذوف. وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية، وفي أسلوبها قول القائل [من الطويل]:

وَجَـارَةُ جَـسَّـاسٍ أَبَـأْنَـا بِـنَـابِـهَـا كُـلَـيْـباً غَـلَـتْ نَـابٌ كُـلَـيْـبٌ بَـوَاؤُهَـا[2]

---

(١) قوله «لا يصح أن يرى» هذا مذهب المعتزلة، وعند أهل السنة: يصح أن يرى. (ع)

(٢) لرجل من بني بكر: قبيلة جساس، يفتخر على بني تغلب: قبيلة كليب بن ربيعة أخي مهلهل وخال امرىء القيس. وجارة جساس: هي خالته البسوس. أبأنا ـ بالهمز ـ: أي قابلنا وساوينا كليباً، بنابها: أي بناقتها المسنة، فقتلناه فيها، ثم قال تعجباً واستعظاماً: غلت، أي: ارتفعت وعظمت ناقة مسنة مهزولة بواؤها كليب المشهور. وبواء كسواء وزناً ومعنى، أي: كفؤها ومساويها كليب بن ربيعة الشجاع المعروف. ومن خبرها أن البسوس أتت مع رجل من جرم تزور أختها هيلة أم جساس بن مرة فخرجت ناقة الجرمي ترعى مع إبل بني بكر في أرض تغلب لما كان بينهما من المصاهرة والمودة، فأنكر كليب الناقة وظنها أجنبية، فرماها بسهم فأصاب ضرعها فرجعت تشخب دماً، وبركت بفناء جساس، فرأتها البسوس فصاحت: واذلاه، واغربتاه! فقال جساس: اهدئي: والله لأعقرن فيها فحلاً هو أعز على أهله منها، فظن كليب أنه يعني فحلاً عنده اسمه عليان، فقال: دون عليان خرط القتاد، لكن جساساً كان يعني نفس كليب، فترقبه يوماً ورماه برمحه فصرعه، =

وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب. ألا ترى أن المعنى: ما أشدّ استكبارهم، وما أكبر عتوّهم، وما أغلى نابا بواؤها كليب.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (٢٢)﴾

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ منصوب بأحد شيئين: إما بما دل عليه ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ أي: يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها. ويومئذٍ للتكرير(١). وإما بإضمار «اذكر» أي: اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾. وقوله: «للمجرمين» إما ظاهر في موضع ٢/ ٤٩ب ضمير. وإما لأنه عام، فقد تناولهم بعمومه ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها نحو: معاذَ الله(٢)، وقعدك الله، وعمرك الله. وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدوّ موتور أو هجوم نازلة، أو نحو ذلك: يضعونها موضع الاستعاذة. قال سيبويه: ويقول الرجل للرجل: أتفعل كذا وكذا، فيقول: حجرا، وهي من حجره إذا منعه؛ لأنّ المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى: أسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً. ومجيئه على فعل أو فعل في قراءة الحسن، تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد، كما كان قعدك وعمرك

= وتبعه عمرو بن الحارث، فلما رآه كليب قال له: اسقني يا عمرو. فقال: تركت الماء وراءك وأجهز عليه، فضرب به المثل المشهور [من البسيط]:

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

واشتعلت الحرب بين بكر وتغلب نحو ثلاثين سنة، وضرب المثل السائر: سد كليب في الناقة.

(١) قال السمين الحلبي: وردَّهُ الشيخ سواء أُرِيدَ بالتكرير التوكيدُ اللفظيُّ أَمْ أُرِيدَ به البدل قال: لأن يَوْمَ منصوب بما تقدم ذِكْرُهُ من اذكُر أو مِنْ يَعْدَمُونَ البُشْرَى وما بعد لا العاملة في الاسم لا يعمل فيه ما قبلها وعلى تقدير ما ذَكَرَاه يكون العامل فيه ما قبل لاَ. قُلْتُ: وما ردَّهُ ليس بِظاهر وذلك لأن الجملة المنفيَّة معمولة للقول المضمر الواقع حالاً من الملائكة والملائكة معمولةٌ لِيَرَوْنَ وَيَرَوْنَ معمولةٌ لِيَوْمَ خُصِّصا بالإضافة فَلاَ وَمَا في خبرها من تَتِمَّةِ الظرف الأول من حيث إنها معمولة لِبَعْضِ ما فِي خَبَرِهِ فليست بأجنبيةٍ ولا مانعةٍ من أَنْ يعمل ما قبلَها فيما بعدها، والعَجَبُ له كيف تَخيَّل هذا وغفل عما قلته فإنه واضح مع التأمل؟! و«لِلْمُجرمينَ» من وَضْع الظاهرِ موضع المضمر شَهَادَةً عليهم بذلك والضمير في «يَقُولُونَ» يجوز عَوْدُه للكفار ولِلْمَلائِكَةِ. و«حِجْراً» من المصادر المُلْتَزَم إضمارُ ناصبها ولا يَتَصَرَّفُ فيه قال سيبويه. ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا فيقول «حِجْراً». وهي من حَجَرَهُ إذا مَنَعَه لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه لا يلحقه وكأنَّ المعنى: أسْأَلُ الله أن يمنعه مَنْعاً ويَحْجُرُهُ حِجْراً. والعامة على كسر الحاء والضَّحاكُ والحَسَنُ وأبو رجاء على ضَمِّها وهو لغة فيه. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «وقعدك الله» في الصحاح: وقولهم قعيدك لا آتيك، وقعيدك الله لا آتيك، وقعدك الله لا آتيك: يمين للعرب، وهي مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمر. والمعنى: بصاحبك الذي هو صاحب كل نجوى، كما يقال: نشدتك الله. (ع)

كذلك؛ وأنشدت لبعض الرّجاز [من الرجز]:

قَـالَـتْ وَفِـيـهَـا حَـيْـدَةٌ وَذُعْـرُ: عُـوذٌ بِـرَبِّـي مِـنْـكُـمُ وَحِـجْـرُ[1]

فإن قلت: فإذ قد ثبت أنه من باب المصادر، ما معنى وصفه بمحجور؟ قلت: جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر، كما قالوا. ذيل ذائل، والذيل: الهوان. وموت مائت. والمعنى في الآية: أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه، وهم إذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم، لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون، وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدوّ الموتور[2] وشدة النازلة. وقيل: هو من قول الملائكة ومعناه: حراماً محرماً عليكم الغفران والجنة والبشرى، أي: جعل الله ذلك حراما عليكم.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾

ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم، ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم، وإغاثة ملهوف، وقرى ضيف، ومنّ على أسير، وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه، فقدم على أشيائهم، وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق، ولم يترك لها أثراً ولا عثيراً[3] والهباء: ما يخرج من الكوّة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار. وفي أمثالهم: أقل من الهباء ﴿مَّنثُورًا﴾ صفة للهباء، شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده، وأنه لا ينتفع به، ثم بالمنثور منه؛ لأنك تراه منتظماً مع الضوء، فإذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب. ونحوه قوله: ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥] لم يكف أن شبههم بالعصف حتى جعله مؤوفا

---

(١) الحيدة: الصدود، وذعره ذعراً: فزعه. والذعر ـ بالضم ـ: اسم مصدر، وكذلك العوذ بمعنى التعوذ والالتجاء، وكذلك الحجر بمعنى الامتناع والتحصن، والمبتدأ محذوف. أي: قالت أمري تعوذ منكم وتحصن بربي، والحال أنها صادة فزعة، وهذا يقال على لسانهم عند لقاء المكروه.

(٢) قوله «الموتور» في الصحاح: الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه. (ع)

(٣) قوله «لم يترك لها أثراً ولا عثيراً» في الصحاح «العثير» بتسكين الثاء: الغبار. (ع)

قال السمين الحلبي: وهذا الذي أنشدَه الزمخشري يقتضي تَصَرُّفَ حِجْراً وقد تقدم نصُّ سيبويه على أنه يُلْتَزَم النصبُ وحكى أبو البقاء فيه لغةً ثالثةً وهي الفتح قال: وَقَدْ قُرِىءَ بها فَعَلَى هذا كَمُل فيه ثلاثُ لغات مَقْرُوءٍ بِهِنَّ و«مَحْجُوراً» صفة مؤكدة للمعنى كقولهم: «ذَيْلٌ ذَائِلٌ» و«مَوْتٌ مَائِتٌ» والحِجْرُ: العَقْلُ لأنه يمنع صاحبه. انتهى. الدر المصون.

ينظر تهذيب اللغة (٣/ ١٤٧)، لسان العرب (عوذ)، (حجر)، تاج العروس (عوذ)، (حجر)، المخصص (١٢/ ٢٩٩)، ديوان الأدب (١/ ١٥٢)، البحر المحيط (٦/ ٤٩٢)، الدر المصون (٥/ ٢٥٠).

بالأكال[1] ولا أن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثراً. أو مفعول ثالث لجعلناه أي فجعلناه جامعاً لحقارة الهباء والتناثر، كقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، أي جامعين للمسخ والخسء. ولام الهباء واو، بدليل الهبوة.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾

المستقرّ: المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرّين يتجالسون ويتحادثون. والمقيل: المكان الذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهنّ وملامستهنّ، كما أنّ المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب. وروي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم، فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. وفي معناه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: ٥٥ ـ ٥٦]، قيل في تفسير الشغل: افتضاض الأبكار، ولا نوم في الجنة. وإنما سمي مكان دعتهم واسترواحهم إلى الحور مقيلا على طريق التشبيه. وفي لفظ الأحسن: رمز إلى ما يتزين به مقيلهم. من حسن الوجوه وملاحة الصور، إلى غير ذلك من التحاسين والزين.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾

وقرئ ﴿تَشَقَّقُ﴾ والأصل: تتشقق، فحذف بعضهم التاء، وغيره أدغمها. ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها، جعل الغمام كأنه الذي تشقق به السماء، كما تقول: شق السنام بالشفرة وانشق بها. ونظيره قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨]. فإن قلت: أي فرق بين قولك: انشقت الأرض بالنبات، وانشقت عن النبات؟ قلت: معنى انشقت به: أنّ الله شقها بطلوعه فانشقت به. ومعنى انشقت عنه: أنّ التربة ارتفعت عنه عند طلوعه. والمعنى: أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها، وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد. وروي تنشق سماء سماء، وتنزل الملائكة إلى الأرض. وقيل: هو غمام أبيض رقيق، مثل الضبابة، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم. وفي معناه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقرئ: وننزل الملائكة، وتنزل الملائكة، ونزل الملائكة، ونزلت الملائكة، وأنزل الملائكة، ونزل الملائكة، ونزل الملائكة: على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل: قراءة أهل مكة.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

---

(١) قوله «بالأكال» هو بالضم: الحكة. (ع)

الحق: الثابت؛ لأنّ كل ملك يزول يومئذٍ ويبطل، ولا يبقى إلا ملكه.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾

عض اليدين والأنامل، والسقوط في اليد، وأكل البنان، وحرق الأسنان والأرم[1]، وقرعها: كنايات عن الغيظ والحسرة؛ لأنها من روادفها، فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه. وقيل: نزلت في عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس، وكان يكثر مجالسة رسول الله ـ ﷺ ـ. وقيل: اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله ـ ﷺ ـ، فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين، ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه ٢/ ٥٠أ وقال: صبأت يا عقبة؟ قال: لا، ولكن آلى أن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي، فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي، فقال: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه، فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك. فقال النبي ـ ﷺ ـ: لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف، فقتل يوم بدر: أمر علياً ـ رضي الله عنه ـ بقتله. وقيل: قتله عاصم بن ثابت بن أفلح الأنصاري وقال: يا محمد، إلى من السبية[2] قال: إلى النار. وطعن رسول الله ـ ﷺ ـ أبيا بأحد، فرجع إلى مكة فمات (١٠٦٢). واللام في ﴿ٱلظَّالِمُ﴾ يجوز

١٠٦٢ ـ رواه أبو نعيم في الدلائل (ص ٣٥٤) قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد المقري ثنا أحمد بن فرج، قال: ثنا أبو عمرو الدوري، قال: ثنا محمد بن مروان عن محمد بن المسيب عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان عقبة بن أبي معيط لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا عليه الناس جيرانه وأهل مكة كلهم وكان يكثر مجالسة النبي ـ ﷺ ـ ويعجبه حديثه ويغلب عليه الشقاء فقدم ذات يوم من سفره فصنع طعاماً ثم دعا رسول الله ـ ﷺ ـ إلى طعامه فقال: ما أنا بالذي آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فقال: اطعم يا ابن أخي، قال: ما أنا بالذي أفعل حتى تقول، فتشهد بذلك، فطعم من طعامه فبلغ ذلك أبي بن خلف فأتاه، فقال: صبوت يا عقبة =

---

(١) قوله «وحرق الأسنان والأرم» في الصحاح: حرقت الشيء حرقاً: بروته وحككت بعضه ببعض. ومنه قولهم: حرقت نابه، أي سحقه حتى سمع له صريف. وفلان يحرق عليك الأرم غيظاً. وفيه أيضاً: أرم على الشيء أي: عض عليه وأرمه أيضاً، أي: أكله، والأرم: الأضراس، كأنه جمع آرم. يقال: فلان يحرق عليك الأرم، إذا تغيظ فحك أضراسه بعضها ببعض. (ع)

(٢) قوله «وقال يا محمد إلى من السبية» في الصحاح «السبية»: المرأة تسبى. (ع)

أن تكون للعهد، يراد به عقبة خاصة. ويجوز أن تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره. تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريقاً واحداً وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى. أو أراد أني كنت ضالاً لم يكن لي سبيل قط، فليتني حصلت بنفسي في صحبة الرسول سبيلا. وقرئ: يا ويلتي بالياء، وهو الأصل؛ لأن الرجل ينادي ويلته وهي هلكته، يقول لها: تعالي فهذا أوانك. وإنما قلبت الياء ألفاً كما في: صحاري، ومداري. فلان: كناية عن الأعلام، كما أن الهن كناية عن الأجناس فإن أريد بالظالم عقبة، فالمعنى: ليتني لم أتخذ أبيا خليلاً، فكنى عن اسمه. وإن أريد به الجنس، فكل من اتخذ من المضلين خليلاً كان لخليله اسم علم لا محالة، فجعله كناية عنه ﴿عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ عن ذكر الله، أو القرآن، أو موعظة الرسول. ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق، وعزمه على الإسلام. والشيطان: إشارة إلى خليله، سماه شيطاناً لأنه أضله كما يضل الشيطان، ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة. أو أراد إبليس، وأنه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول، ثم خذله. أو أراد الجنس، وكل من تشيطن من الجنّ والإنس. ويحتمل أن يكون ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ حكاية كلام الظالم، وأن يكون كلام الله. اتخذت: يقرأ على الإدغام والإظهار، والإدغام أكثر.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾

= وكان خليله، فقال: لا والله، ما صبوت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يطعم فشهدت له فطعم، فقال: ما أنا بالذي أرضى عنك أبداً حتى تأتيه فتبزق في وجهه وتطأ على عنقه، قال ففعل به ذلك، وأخذ رحم دابة فألقاه بين كتفيه فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف» فأسر عقبة يوم بدر فقتل صبراً ولم يقتل من الأسارى غيره قتله ثابت بن الأفلح» وذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٢٥).

ورواه ابن جرير في التفسير (٩/ ٣٨٥) رقم (٢٦٣٥١) قال: حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: قال عقبة بن أبي معيط... فذكره مختصراً.

ورواه عبد الرزاق في التفسير (٢/ ٦٨) من طريق معمر عن عثمان الجزري عن مقسم مولى ابن عباس عن ابن عباس، فذكره قريباً من حديث أبي نعيم. وزاد فيه قصة قتل أبي بن خلف يوم أحد.
قال الحافظ: أخرجه أبو نعيم في الدلائل من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فذكره مطولاً لكن إلى قوله: «فأسر عقبة يوم بدر فقتل صبراً. ولم يقتل من الأسارى يوم بدر غيره. قتله ثابت بن أبي الأفلح»، وروى الطبري من طريق مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ قال: دعا عقبة بن أبي معيط النبي ـ ﷺ ـ إلى طعام صنعه، إلى قوله: فشهدت له، والشهادة ليست في نفسي ومن طريق مقسم نحوه، مختصراً قال فقتل عقبة يوم بدر صبراً، وأما أبي بن خلف فقتله النبي ـ ﷺ ـ بيده يوم أحد في القتال وهما اللذان أنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ وذكره الثعلبي ثم الواحدي من غير سند. انتهى.

الرسول: محمد ﷺ وقومه قريش، حكى الله عنه شكواه قومه إليه. وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه: لأن الأنبياء كانوا إذا التجئوا إليه وشكوا إليه قومهم: حلّ بهم العذاب ولم ينظروا.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾

ثم أقبل عليه مسلياً ومواسياً وواعداً النصرة عليهم، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كان كل نبيّ قبلك مبتلى بعداوة قومه، وكفاك بي هادياً إلى طريق قهرهم والانتصار منهم، وناصراً لك عليهم. مهجورا: تركوه وصدّوا عنه وعن الإيمان به. وعن النبي ﷺ: من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفاً لم يتعاهده ولم ينظر فيه، جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول: يا رب العالمين، عبدك هذا اتخذني مهجوراً، اقض بيني وبينه (١٠٦٣)، وقيل: هو من هجر، إذا هذى، أي: جعلوه مهجوراً فيه، فحذف الجار وهو على وجهين، أحدهما: زعمهم أنه هذيان وباطل وأساطير الأوّلين. والثاني: أنهم كانوا إذا سمعوه هجروا فيه، كقوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]، ويجوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر، كالمجلود والمعقول. والمعنى: اتخذوه هجراً. والعدوّ: يجوز أن يكون واحداً وجمعاً. كقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الشعراء: ٧٧]، وقيل المعنى: وقال الرسول يوم القيامة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿نُزِّلَ﴾ههنا بمعنى أنزل لا غير، كخبر بمعنى أخبر، وإلا كان متدفعاً، وهذا أيضاً من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه. قالوا: هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة، وماله أنزل على التفاريق. والقائلون: قريش. وقيل: اليهود. وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته؛ لأنّ أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرّقاً. وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾

١٠٦٣ ـ قال الزيلعي (٢/٤٥٩): «رواه الثعلبي: أخبرنا أبو الطيب الربيع بن محمد الحاتمي وأبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي، قالا: أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عقبة السيباني ثنا أبو القاسم الخضر بن أبان القرشي ثنا أبو هدبة إبراهيم بن هدبة ثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من تعلم... إلى آخره» اهـ.
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي من طريق أبي هدبة عن أنس وأبو هدبة كذاب. انتهى.

جواب لهم، أي: كذلك أنزل مفرّقاً. والحكمة فيه: أن نقوّي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه؛ لأنّ المتلقن إنما يقوي قلبه على حفظ العلم شيئاً بعد شيء، وجزءاً عقيب جزء. ولو ألقى عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا[1] بحفظه، والرسول ﷺ فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام، حيث كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين، فلم يكن له بدّ من التلقن والتحفظ، فأنزل عليه منجماً في عشرين سنة. وقيل: في ثلاث وعشرين. وأيضاً: فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين، ولأنّ بعضه منسوخ وبعضه ناسخ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرّقاً. فإن قلت: ذلك في كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شيء تقدّمه، والذي تقدّم هو إنزاله جملة واحدة، فكيف فسرته بكذلك أنزلناه مفرّقاً؟ قلت: لأنّ قولهم: لولا أنزل عليه جملة: معناه: لم أنزل مفرّقاً؟ والدليل على فساد هذا الاعتراض: أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه، وتحدّوا بسورة واحدة من أصغر السور، فأبرزوا صحة عجزهم ٢/ ٥٠ب وسجلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة، ثم قالوا: هلا نزل جملة واحدة، كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ﴾ معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك، كأنه قال: كذلك فرقناه ورتلناه. ومعنى ترتيله: أن قدره آية بعد آية، ووقفة عقيب وقفة. ويجوز أن يكون المعنى: وأمرنا بترتيل قراءته، وذلك قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [**المزمل**: ٤]، أي اقرأه بترسل وتثبت. ومنه حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ في صفة قراءته ﷺ «لا كسردكم هذا، لو أراد السامع أن يعدّ حروفه يعدّها» (١٠٦٤)، وأصله: الترتيل في الأسنان: وهو تفليجها. يقال: ثغر رتل ومرتل، ويشبه بنور الأقحوان

١٠٦٤ ـ قال الزيلعي: «غريب بهذا اللفظ».

والحديث أخرجه مسلم (٨/ ٢٩١ ـ نووي) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الحديث (١٦٠/ ٢٤٩٣) حدثني حرملة بن يحيى التجيبي أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة قالت: ألا يعجبك أبو هريرة! جاء فجلس إلى جنب حجرتي يحدث عن النبي ـ ﷺ ـ يسمعني ذلك؛ وكنت أسبح فقام قبل أن أقضي سبحتي ولو أدركته لرددت عليه: إن رسول الله ـ ﷺ ـ لم يكن يسرد الحديث كسردكم.

وعلقه البخاري (٧/ ٢٦١) كتاب المناقب، باب صفة النبي ـ ﷺ ـ الحديث (٣٥٦٨) قال: وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب فذكره.

ورواه موصولاً من طريق أخرى رقم (٣٥٦٧) ورواه أبو داود (٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) كتاب العلم، باب في سرد الحديث، الحديث (٣٦٥٤ ـ ٣٦٥٥) وفي (٢/ ٦٧٦) كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام الحديث (٤٨٣٩)، والترمذي (٥/ ٦٠٠) كتاب المناقب، باب في كلام النبي ـ ﷺ ـ الحديث =

---

(١) قوله «لبعل به وتعيا بحفظه» في الصحاح: بعل الرجل ـ بالكسر ـ: أي دهش: وفيه أيضاً: عييت بأمري، إذا لم تهتد لوجهه. وأعيا عليه الأمر وتعيا وتعايا، بمعنى اهـ فتدبر (ع)

في تفليجه. وقيل: هو أن نزله مع كونه متفرقاً على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة، ولم يفرقه في مدة متقاربة ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة ـ كأنه مثل البطلان ـ إلا أتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى، ومؤدّى من سؤالهم. ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عيه الكلام، وضع موضع معناه فقالوا: تفسير هذا الكلام كيت وكيت، كما قيل: معناه كذا وكذا. أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون: هلا كانت هذه صفتك وحالك، نحو: أن يقرن بك ملك ينذر معك، أو يلقي إليك كنز، أو تكون لك جنة، أو ينزل عليك القرآن جملة، إلا أعطيناك نحن من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه، وما هو أحسن تكشيفاً لما بعثت عليه ودلالة على صحته، يعني: أن تنزيله مفرقاً وتحدّيهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها: أدخل في الإعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه، كأنه قيل لهم: إن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضلون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته. ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم. لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله. وفي طريقته قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] الآية. ويجوز أن يراد بالمكان: الشرف والمنزلة. وأن يراد الدار والمسكن، كقوله: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]، ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي وعن النبي ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث: ثلث على الدواب وثلث على وجوههم، وثلث على أقدامهم ينسلون نسلاً (١٠٦٥).

= (٣٦٣٩)، وأحمد (٦/ ١١٨ ـ ١٣٨ ـ ١٥٧ ـ ٢٥٧)، والحميدي (١٠/ ١٢٠) رقم (٢٤٧)، وأبو يعلى (٧/ ٣٥٧) رقم (٤٣٩٣)، رقم (٤٦٧٧) وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٤٦٠) للبيهقي في المدخل، وإسحاق بن راهويه في مسنده، وابن أبي شيبة في مسنده.

قال الحافظ: أخرجه البخاري من رواية عروة. قال: «جلس أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ إلى حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقال: إن النبي ـ ﷺ ـ إنما كان يحدث الحديث لوعده العاد لأحصاه» ولمسلم: «لم يكن يسرد الحديث كسردكم» وزاد الترمذي والنسائي: «ولكن كان يتكلم بكلام فصل يحفظه من جلس إليه» وسيأتي في المزمل. انتهى.

١٠٦٥ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٥) كتاب التفسير، الحديث (٣١٤٢) حدثنا عبد بن حميد حدثنا الحسن بن موسى وسليمان بن حرب قالا: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاة، وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم، قيل يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، إما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك»، وأحمد في المسند (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٦٣)، والبيهقي في البعث والنشور ص (٧٣) =

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾

الوزارة: لا تنافي النبوّة، فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا. والمعنى: فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم، كقوله: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣]، أي: فضرب فانفلق. أراد اختصار القصة فذكر حاشيتها أوّلها وآخرها؛ لأنهما المقصود من القصة بطولها أعني: إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم. وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ فدمّرتهم. وعنه: فدمّراهم. وقرئ فدمّرانهم، على التأكيد بالنون الثقيلة.

= رقم(١١١)، وأصل حديث أبي هريرة رواه البخاري (١٣/ ١٨٧) كتاب الرقاق، باب الحشر، الحديث (٦٥٢٢)، ومسلم (٩/ ٢١١) كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر الحديث (٥٩/ ٢٨٦١) والنسائي (٤/ ١١٥) كتاب الجنائز، باب البعث وغيرهم كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا».

وروى النسائي (٤/ ١١٦) كتاب الجنائز، باب البعث من حديث أبي ذر قال: «إن الصادق المصدوق ـ ﷺ ـ حدثني: أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج: فوج راكبين طاعمين كاسين، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم النار، وفوج يمشون ويسعون يلقى الله الآفة على الظهر فلا يبقى حتى إن الرجل لتكون له الحديقة يعطيها بذات القتب لا يقدر عليها»، وأحمد في المسند (٥/ ١٦٤ ـ ١٦٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨)، وابن أبي شيبة (٧/ ٨٦) كتاب الزهد، باب ما ذكر عن النبي ـ ﷺ ـ في الزهد الحديث (٣٤٣٩٦)، والبيهقي في البعث (ص ٧٢) رقم (١٠٩). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» اهـ.
وروى النسائي في الكبرى (٦/ ٤٣٩) كتاب التفسير، سورة يس الحديث (١١٤٣١) من حديث حكيم بن معاوية عن أبيه أنه جاء إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: يا محمد، إني حلفت بعدد أصابعي ألا أتبعك ولا أتبع دينك... وفيه وأشار بيده إلى الشام فقال: ههنا إلى ههنا تحشرون ركباناً ومشاة وعلى وجوهكم يوم القيامة... الحديث.
ورواه الطبراني مختصراً (١٩/رقم ٩٩٩ ـ ١٠٠٢ ـ ١٠٣٤ ـ ١٠٣٨ ـ ١٠٣٩) وهو عند غيرهما.
قال الحافظ: أخرجه البيهقي من طريق مسدد عن بشر بن المفضل عن علي بن زيد عن أوس بن أبي أوس عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا، وأصله في الترمذي، والبزار، وأحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة من هذا الوجه لكن قال عن أوس بن خالد، وعند الحاكم من رواية أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد عن أبي ذر حدثني الصادق المصدوق: «أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج: فوجاً طاعمين لابسين راكبين، وفوجاً يمشون ويسعون، وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم إلى النار» وفي الترمذي، والنسائي من رواية معاوية بن جبله حدثنا بهز بن حكيم رفعه: «إنكم محشورون إلى الله ركباناً ورجالاً وتمرون على وجوهكم. انتهى.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾

كأنهم كذبوا نوحاً ومن قبله من الرسل صريحاً. أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيب للجميع أو لم يروا بعثة الرسل أصلاً كالبراهمة ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ وجعلنا إغراقهم أو قصتهم ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ إمّا أن يعني بهم قوم نوح، وأصله: وأعتدنا لهم، إلا أنه قصد تظليمهم فأظهر. وإمّا أن يتناولهم بعمومه.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾

عطف عادا على (هم) في جعلناهم أو على الظالمين، لأنّ المعنى: ووعدنا الظالمين. وقرئ: وثمود، على تأويله القبلة. وأما المنصرف فعلى تأويل الحيّ أو لأنه اسم الأب الأكبر. قيل في أصحاب الرس: كانوا قوماً من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواش. فبعث الله إليهم شعيباً فدعاهم إلى الإسلام. فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه. فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية. عن أبي عبيدة: انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم. وقيل: الرس قرية بفلج اليمامة، قتلوا نبيهم فهلكوا، وهم بقية ثمود قوم صالح. وقيل: هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان، كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير، سميت لطول عنقها، وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح، وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم، إن أعوزها الصيد، فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة، ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا: وقيل: هم أصحاب الأخدود. والرس: هو الأخدود. وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار. وقيل ٢/٥١أ: كذبوا نبيهم ورسوه في بئر، أي: دسوه فيها ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي بين ذلك المذكور، وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك، ويحسب الحاسب أعداداً متكاثرة ثم يقول: فذلك كيت وكيت على معنى: فذلك المحسوب أو المعدود ﴿ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ بينا له القصص العجيبة من قصص الأوّلين، ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره. والتتبير: التفتيت والتكسير. ومنه: التبر، وهو كسار الذهب والفضة والزجاج. و﴿وَكُلًّا﴾ الأوّل منصوب بما دل عليه ﴿ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ وهو: أنذرنا. أو: حذرنا. والثاني بتبرنا، لأنه فارغ له.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾

أراد بالقرية «سدوم» من قرى قوم لوط، وكانت خمساً: أهلك الله تعالى أربعة بأهلها وبقيت واحدة. ومطر السوء: الحجارة، يعني أن قريشا مرّوا مراراً كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا﴾ في مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون ﴿بَلْ كَانُوا﴾ قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون ﴿نُشُورًا﴾ وعاقبة، فوضع الرجاء موضع التوقع، لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا، ومرّوا بها كما مرّت ركابهم. أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم. أو لا يخافون، على اللغة التهامية.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِن﴾ الأولى نافية، والثانية مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينهما. واتخذه هزواً: في معنى استهزأ به، والأصل: اتخذه موضع هزؤ، أو مهزوءاً به ﴿أَهَٰذَا﴾ محكي بعد القول المضمر. وهذا استصغار، و﴿بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ وإخراجه في معرض التسليم والإقرار، وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء، ولو لم يستهزؤا لقالوا: أهذا الذي زعم أو ادّعى أنه مبعوث من عند الله رسولاً. وقولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ دليل على فرط مجاهدة رسول الله ـ ﷺ ـ في دعوتهم، وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم، مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام، لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم، و﴿لَوْلَا﴾ في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى ـ لا من حيث الصنعة ـ مجرى التقييد للحكم المطلق ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدّة الإمهال، ولا بدّ للوعيد أن يلحقهم فلا يغرّنهم التأخير. وقوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ كالجواب عن قولهم ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ لأنه نسبة لرسول الله ـ ﷺ ـ إلى الضلال من حيث لا يضلّ غيره إلا من هو ضال في نفسه. ويروى أنه من قول أبي جهل لعنه الله.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلاً ولا يصغي إلى برهان. فهو عابد هواه وجاعله إلهه، فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بدّ أن تسلم شئت أو أبيت ـ ولا إكراه في الدين؟ وهذا كقوله: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥]، ﴿لَّسْتَ

عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: ٢٢] ويروى أنّ الرجل منهم كان يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر. ومنهم الحرث بن قيس السهمي.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

أم هذه منقطعة. معناه؛ بل أتحسب كأن هذه المذمة أشدّ من التي تقدّمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول، لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذناً ولا إلى تدبره عقلاً، ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال، ثم أرجح ضلالة منها. فإن قلت لم أخر هواه والأصل قولك: اتخذ الهوى إلهاً؟ قلت: ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأوّل للعناية، كما تقول: علمت منطلقاً زيدا: لفضل عنايتك بالمنطلق[(١)]، فإن قلت: ما معنى ذكر الأكثر؟ قلت: كان فيهم من لم يصدّه عن الإسلام إلا داء واحد: وهو حب الرياسة، وكفى به داء عضالاً. فإن قلت: كيف جُعلوا أضل من الإنعام؟ قلت: لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وتهتدي لمراعيها ومشاربها. وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوّهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشدّ ٢/ ٥١ب المضارّ والمهالك، ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهنيّ والعذب الروي.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته، ومعنى مدّ الظل: أن جعله يمتدّ وينبسط فينتفع به الناس ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ أي لاصقاً بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة، غير منبسط فلم ينتفع به أحد: سمي انبساط الظل وامتداده تحركاً منه وعدم ذلك سكوناً. ومعنى كون الشمس دليلاً: أنّ الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم قدم إلهه وهو المفعول الثاني، وأجاب بأنه قدم عناية به كقولك ظننت منطلقاً زيداً إذا كانت عنايتك بالمنطلق» قال أحمد: وفيه نكتة حسنة وهي إفادة الحصر، فإن الكلام قبل دخول أرأيت مبتدأ وخبر: المبتدأ هواه، والخبر إلهه. وتقديم الخبر كما علمت يفيد الحصر، فكأنه قال: أرأيت من لم يتخذ معبوده إلا هواه، فهو أبلغ في ذمه وتوبيخه، والله أعلم.
قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وادعاء القلب يعني أن التقديم ليس بجيد. لأنه من ضرائر الأشعار. انتهى. الدر المصون.

أحوال الظل، من كونه ثابتاً في مكان زائلاً[1] ومتسعاً ومتقلصاً، فيبنون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك. وقبضه إليه: أنه ينسخه بضح الشمس[2] ﴿يَسِيرًا﴾ أي على مهل. وفي هذا القبض اليسير شيئاً بعد شيء من المنافع ما لا يعدّ ولا يحصر، ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعاً. فإن قلت: ثم في هذين الموضعين كيف موقعها؟ قلت: موقعها لبيان تفاضل الأمور الثلاثة: كان الثاني أعظم من الأوّل، والثالث أعظم منهما، تشبيهاً لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت. ووجه آخر: وهو أنه مدّ الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة، ودحا الأرض تحتها فألقت القبة ظلها على الأرض فينانا ما في أديمه جوب[3] لعدم النير، ولو شاء لجعله ساكناً مستقراً على تلك الحالة، ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل، أي: سلطها عليه، ونصبها دليلاً متبوعاً له كما يتبع الدليل في الطريق، هو يزيد بها وينقص، ويمتدّ ويتقلص، ثم نسخه بها فقبضه قبضاً سهلاً يسيراً غير عسير. ويحتمل أن يريد: قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهي الأجرام التي تبقي الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر إنشاءه بإنشاء أسبابه، وقوله: قبضناه إلينا: يدل عليه، وكذلك قوله يسيراً، كما قال ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾

شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر. والسبات: الموت. والمسبوت: الميت؛ لأنه مقطوع الحياة، وهذا كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]. فإن قلت: هلا فسرته بالراحة؟ قلت: النشور في مقابلته يأباه إباء العيوف الورد وهو مرنق[4]. وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه؛ لأنّ الاحتجاب بستر الليل، كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية، والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة، أي عبرة فيها لمن اعتبر. وعن لقمان أنه قال لابنه: يا بني، كما تنام فتوقظ، كذلك تموت فتنشر.

---

(١) قوله «زائلا» لعله: زائلا عن آخر. (ع)

(٢) قوله «أنه ينسخه بضح الشمس» في الصحاح: ضحضح السراب وتضحضح، إذا ترقرق. والضح: الشمس. وفي الحديث «لا يقعدن أحدكم بين الضح والظل» فإنه مقعد الشيطان. (ع)

(٣) قوله «ظلها على الأرض فينانا ما في أديمه جوب» في الصحاح «الفينان» الطويل، وفيه «الأدم» جمع الأديم، مثل: أفيق وأفق، وربما سمي وجه الأرض أديماً. وفيه: جاب يجوب جوباً، إذا خرق وقطع، فتدبر. (ع)

(٤) قوله «يأباه إباء العيوف الورد وهو مرنق» في الصحاح «العيوف» من الإبل: الذي يشم الماء فيدعه وهو عطشان، وفيه: رنقته ترنيقاً: كدرته. (ع)

قرئ: الريح. والرياح نشراً: إحياء. ونشراً: جمع نشور، وهي المحيية. ونشراً: تخفيف نشر، وبشراً تخفيف بشر: جمع بشور وبشرى. و﴿بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ استعارة مليحة، أي: قدام المطر ﴿طَهُورٗا﴾ بليغاً في طهارته. وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهراً في نفسه مطهراً لغيره، فإن كان ما قاله شرحاً لبلاغته في الطهارة كان سديداً. ويعضده قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال: ١١]، وإلا فليس «فعول» من التفعيل في شيء. والطهور على وجهين في العربية: صفة، واسم غير صفة؛ فالصفة قولك: ماء طهور، كقولك: طاهر، والاسم قولك لما يتطهر به: طهور، كالوضوء والوقود، لما يتوضأ به وتوقد به النار. وقولهم: تطهرت طهورا حسنا، كقولك: وضوءاً حسناً، ذكره سيبويه. ومنه قوله ﷺ: «لا صلاة إلا بطهور» (١٠٦٦)، أي طهارة. فإن

١٠٦٦ ـ أخرجه مسلم (١/ ٢٠٤) كتاب الطهارة: باب وجوب الطهارة للصلاة حديث (١/ ٢٢٤)، والترمذي (١/ ٥) كتاب الطهارة: باب وجوب الطهارة للصلاة حديث (١) وابن ماجه (١/ ١٠٠) كتاب الطهارة: باب لا يقبل الله صلاة بغير طهور حديث (٢٦٢) وأحمد (٢/ ٢٠ ـ ٣٩ ـ ٥١) وأبو داود الطيالسي (١/ ٤٩) ـ منحة) رقم (١٥٥) وابن أبي شيبة (١/ ٤ ـ ٥) وأبو عبيد في «كتاب الطهور» (٥٤) وأبو عوانة (١/ ٢٣٤) وأبو يعلى (٩/ ٤٦٧) رقم (٥٦١٤) وفي «المعجم» رقم (٢٩٦) وابن خزيمة (١/ ٨) رقم (٨) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٦٥) وابن المنذر في «الأوسط» (١/ ١٠٨) والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص ٢٩٦) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧) والحاكم في «معرفة علوم الحديث (ص ١٣٩) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٧٦) والبيهقي (١/ ٤٢) كتاب الطهارة: باب فرض الطهور للصلاة، كلهم من طريق سماك بن حرب عن مصعب بن سعد قال: دخل عبد الله بن عمر على ابن عامر يعوده وهو مريض فقال: ألا تدعو لي يا ابن عمر؟ قال: إني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».

قال الترمذي: هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن اهـ.

وللحديث طريق آخر عن ابن عمر.

قال ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٢٤ ـ ٢٥) رقم (٣٧): سألت أبي عن حديث رواه عيسى بن جعفر عن مندل عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي عمر الزهري سمعت عبد الله بن عمر بن الخطاب يذكر عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول» قال أبي: ليس ذا بشيء. قلت: فتعرف أبا عمر الزهري قال: لا .اهـ.

وفي الباب عن جماعة من الصحابة وهم أسامة بن عمير وأنس بن مالك وأبو بكرة والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وابن مسعود وابن عمر كلاهما موقوفاً والحسن وأبو قلابة كلاهما مرسلاً.

١ ـ حديث أسامة بن عمير:

أخرجه أبو داود (١/ ٤٨ ـ ٤٩) كتاب الطهارة: باب فرض الوضوء حديث (٥٩) والنسائي (١/ ٨٨) =

قلت: ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور؟ قلت: تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على

= كتاب الطهارة: باب فرض الوضوء، وابن ماجه (١/ ١٠٠) كتاب الطهارة: باب لا يقبل الله صلاة بغير طهور حديث (٢٧١) وابن أبي شيبة (١/ ٥) كتاب الطهارات: باب لا تقبل صلاة إلا بطهور وأحمد (٥/ ٧٤) وأبو عوانة (١/ ٢٣٥) وأبو داود الطيالسي (١/ ٤٩ ـ منحة) رقم (١٥٣) وأبو عبيد في «كتاب الطهور» (٥٦) والدارمي (١/ ١٧٥) كتاب الطهارة: باب لا تقبل الصلاة بغير طهور وابن حبان (١٤٥ ـ موارد) والطبراني في «الصغير» (١/ ٣٩) وفي «الكبير» (١/ ١٩١) رقم (٥٠٥ ـ ٥٠٦) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٧٦ ـ ١٧٧) والبيهقي (١/ ٤٢) كتاب الطهارة: باب فرض الطهور للصلاة، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٧ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق قتادة عن أبي المليح عن أبيه قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ «يقول: لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».

وهذا الحديث صحيح صححه ابن حبان. وقال البغوي: هذا حديث صحيح.

٢ ـ حديث أنس بن مالك:

أخرجه ابن ماجه (١/ ١٠٠) كتاب الطهارة: باب لا يقبل الله صلاة بغير طهور حديث (٢٧٣) وأبو عوانة في «مسنده» (١/ ٢٣٥) باب الدليل على إيجاب الوضوء لكل صلاة، وأبو يعلى (٧/ ٢٤٥) رقم (٤٢٥٢) من طرق عن يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».

قال البوصيري في «الزوائد» (١/ ١٢٠): هذا إسناد ضعيف لضعف التابعي وقد تفرد يزيد بالرواية عنه واختلف عليه في اسمه فقال الليث: سعد بن سنان، وقال ابن إسحاق وابن لهيعة: سنان بن سعد وقال أحمد بن حنبل: لم أكتب حديثه لاضطرابهم في اسمه.

٢ ـ حديث أبي بكرة:

أخرجه ابن ماجه (١/ ١٠٠) كتاب الطهارة: باب لا يقبل الله صلاة بغير طهور (٢٧٤) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣٣٢) كلاهما من طريق الخليل بن زكريا ثنا هشام بن حسان عن الحسن عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».

وهذا إسناد ضعيف جدا.

الخليل بن زكريا: متروك ينظر التقريب (١/ ٢٢٨).

وقال البوصيري في «الزوائد» (١/ ١٢١): هذا إسناد ضعيف لضعف الخليل بن زكريا .اهـ.

قلت: وقد توبع الخليل على هذا الحديث تابعه منهال بن بحر أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣٣١) من طريق منهال بن بحر عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبي بكرة به.

ومنهال بن بحر قال أبو حاتم الرازي: ثقة، الجرح والتعديل (٨/ ٣٥٧)، وقال العقيلي (٤/ ٢٣٨): في حديثه نظر، وقال ابن عدي (٦/ ٣٣٢): وليس للمنهال بن بحر كثير رواية.

٤ ـ حديث الزبير بن العوام:

أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٣٢) بلفظ: لا تقبل صلاة إلا بطهور ولا صدقة من غلول.

قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٣٢): رواه الطبراني في الأوسط وفيه وهب بن حفص الحراني قيل فيه كذاب .اهـ.

قال برهان الدين الحلبي في «الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث (ص ٤٥٣): وهب بن =

الظنّ، تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير. أو استعماله في البدن لأداء عبادة عند أبي

= حفص البجلي الحراني عن أبي قتادة الحراني كذبه الحافظ أبو عروبة وقال الدارقطني: كان يضع الحديث ونقل ابن الجوزي في «الموضوعات عن أبي زرعة أنه كذاب يضع الحديث وذكر في مكان آخر ذلك عن أبي عروبة فلعل قوله ذلك عن أبي زرعة من غلط الناس.

٥ ـ حديث عبد الله بن مسعود:
أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٦٠ ـ ١٦١) من طريق عباد بن أحمد العرزمي ثنا عمي عن أبيه عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي السفر عن الأسود عن عبد الله قال: سمعت النبي ـ ﷺ ـ يقول: لا «يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول وابدأ بمن تعول».
والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٣٢) وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه عباد بن أحمد العرزمي وهو متروك.
٦ ـ حديث عمران بن حصين:
أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) رقم (٥٠٩) من طريق زيد بن الحباب ثنا شعبة عن قتادة عن أبي السوار العدوي عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».
قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٣٣): ورجاله رجال الصحيح.
٧ ـ حديث أبي سعيد الخدري:
أخرجه البزار (١/ ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ كشف) حدثنا محمد بن عبيد الله بن يزيد حدثني أبي ثنا سليمان بن أبي داود الجزري عن مكحول عن رجاء بن حيوة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».
وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٣٢) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والبزار وفيه عبيد الله بن يزيد القردواني لم يرو عنه غير ابنه محمد.
٨ ـ حديث أبي هريرة:
أخرجه أبو عوانة (١/ ٢٣٦) وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٨) رقم (١٠) والبزار (١/ ١٣٣ ـ كشف) رقم (٢٥٢) من طريق كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».
قال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد وقد رواه عن كثير غير سليمان. اهـ.
ولم يعلله ابن خزيمة فهو صحيح عنده.
والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٣٢) وقال: رواه البزار وفيه كثير بن زيد الأسلمي وثقه ابن حبان وابن معين في رواية وقال أبو زرعة: صدوق فيه لين وضعفه النسائي وقال محمد بن عبد الله بن عمار: ثقة. اهـ.
قلت: وقال أبو حاتم: صالح ليس بالقوي يكتب حديثه، وقال أحمد: ما أرى به بأساً، وقال ابن عدي: أرجو أن لا بأس به، وذكره ابن حبان في «الثقات» ينظر التهذيب (٨/ ١٤).
وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ١٣٢): صدوق يخطىء.
فمثله حسن الحديث كما هو مقرر في علم مصطلح الحديث. أما قول البزار المتقدم فمتعقب فقد جاء الحديث عن أبي هريرة من ثلاث طرق أخرى.
الطريق الأول: =

حنيفة وعند مالك بن أنس ـ رضي الله عنهما ـ: ما لم يتغير أحد أوصافه فهو طهور. فإن

= أخرجه أبو يعلى (١١/١٠٣) رقم (٦٢٣٠) من طريق عباد بن كثير عن أبي أمية قال: حدث الحسن بن أبي الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا يقبل الله صلاة إلا بطهور ولا صدقة من غلول».

وهذا إسناد ضعيف فيه علل كثيرة.

أبو أمية هو عبد الكريم بن أبي المخارق قال الذهبي في «المغني» ضعيف تركه بعضهم.

وعباد بن كثير ضعيف أيضاً، والحسن لم يسمع من أبي هريرة.

الطريق الثاني:

أخرجه أبو عوانة (١/٢٣٦) وابن خزيمة (١/٨) رقم (٨) كلاهما من طريق عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة به مرفوعاً.

ورواية عكرمة عن يحيى مضطربة.

قال عبد الله بن أحمد عن أبيه عن عكرمة مضطرب الحديث عن يحيى بن أبي كثير وقال أيضاً: مضطرب الحديث عن غير إياس بن سلمة وكان حديثه عن إياس صالحاً.

وقال أبو زرعة الدمشقي: سمعت أحمد يضعف رواية أيوب بن عتبة وعكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير وقال عكرمة أوثق الرجلين.

وقال ابن المديني: أحاديث عكرمة عن يحيى بن أبي كثير ليست بذاك مناكير كان يحيى بن سعيد يضعفها.

وقال البخاري: مضطرب في حديث يحيى بن أبي كثير.

وقال أبو داود: ثقة وفي حديثه عن يحيى بن أبي كثير اضطراب. ينظر التهذيب (٧/ ٢٦١ ـ ٢٦٢).

الطريق الثالث:

أخرجه أبو عوانة (١/٢٣٦) من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة به مرفوعاً.

٩ ـ موقوف ابن مسعود وابن عمر:

أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٤ ـ ٥) كتاب الطهارات: باب من قال لا تقبل صلاة إلا بطهور.

١٠ ـ مرسل الحسن:

أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده (٦٥ ـ بغية الباحث) عن داود بن المحبر ثنا حماد عن حميد وغيره عن الحسن عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لا يقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول».

وهذا الحديث مع إرساله فيه داود بن المحبر.

قال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٨٧): وكان يضع الحديث على الثقات ويروي عن المجاهيل المقلوبات وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: هو كذاب.

وقال الحافظ في «التقريب» (١/ ٢٣٤): متروك وأكثر كتاب العقل الذي صنفه موضوعات.

والحديث ذكره الحافظ في «المطالب العالية» (١/ ٢١) رقم (٦٣) وعزاه للحارث.

١١ ـ مرسل أبي قلابة:

أخرجه الحارث في «مسنده» (٦٤ ـ بغية الباحث) عن داود بن المحبر ثنا حماد بن سلمة عن أيوب وحميد أو أحدهما عن أبي قلابة فذكره مرفوعاً. وفيه داود بن المحبر وقد تقدم شيء من ترجمته. =

قلت: فما تقول في قوله ﷺ حين سئل عن بئر بضاعة فقال: «الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه» (١٠٦٧)؟ قلت: قال الواقدي: كان بئر بضاعة طريقاً للماء إلى البساتين.

= وهذا الحديث قد عده الحافظ السيوطي متواتراً فذكره في «الأزهار المتناثرة» رقم (١٢) وعزاه لمسلم عن ابن عمر وأبي داود والنسائي عن أسامة بن عمير وابن ماجه عن أنس وأبي بكرة والطبراني عن الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وأبي سعيد الخدري والبزار عن أبي هريرة والخطيب في «المتفق والمفترق» عن الحسن بن علي والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» من مرسل الحسن وأبي قلابة وابن أبي شيبة في «المصنف» موقوفاً على ابن عمر وابن مسعود.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ «لا تقبل صلاة إلا بطهور» وأصله في مسلم والطبراني من طريق عيسى بن صبرة عن أبيه عن جده «لا صلاة إلا بوضوء» وفي الباب عن جماعة من الصحابة. قلت: استوفيت طرقه في أول شرحي على الترمذي ولم يذكر المخرج منها إلا شيئاً يسيراً. انتهى.

١٠٦٧ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٥٥) كتاب الطهارة: باب ما جاء في بئر بضاعة، الحديث (٦٧)، والشافعي في المسند (١/ ٢١): كتاب الطهارة: باب في المياة، الحديث (٣٥)، وأبو داود الطيالسي (٢٩٢)، وأحمد (٣/ ٣١) في مسند أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، والترمذي (١/ ٩٥): كتاب الطهارة: باب ما جاء أن الماء لا ينجسه شيء، الحديث (٦٦)، والنسائي (١/ ١٧٤): كتاب المياة: باب ذكر بئر بضاعة، وابن الجارود (ص ٢٧): باب في طهارة الماء، الحديث (٤٧)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ١١) كتاب الطهارة، والدارقطني (١/ ٢٩ ـ ٣٠): كتاب الطهارة: باب الماء المتغير، الحديث (١٠)، والبيهقي (١/ ٢٥٧): كتاب الطهارة: باب الماء الكثير لا ينجس بنجاسة تحدث فيه ما لم يتغير، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن وقد جوده أبو أسامة، ولم يرو حديث أبي سعيد في بئر بضاعة، أحسن مما روى أبو أسامة). والحديث صححه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وابن حزم كما في «تلخيص الحبير» (١/ ١٣).

وللحديث شواهد من حديث جابر وابن عباس وسهل بن سعد وعائشة وميمونة وثوبان وأبي أمامة.

ـ حديث جابر:

أخرجه ابن ماجه (١/ ١٧٣) كتاب الطهارة: باب الحياض حديث (٥٢٠) من طريق شريك عن طريف بن شهاب قال: سمعت أبا نضرة يحدث عن جابر قال: انتهينا إلى غدير فإذا فيه جيفة حمار قال: فكففنا عنه حتى انتهى إلينا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «إن الماء لا ينجسه شيء».

قال الحافظ البوصيري في «الزوائد» (١/ ٢٠٨): هذا إسناد فيه طريف بن شهاب وقد أجمعوا على ضعفه.

ـ حديث ابن عباس:

أخرجه أحمد (١/ ٢٣٥) والبزار (١/ ١٣٢ ـ كشف) رقم (٢٥٠) كلاهما من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة من أزواج النبي ـ ﷺ ـ اغتسلت من جنابة فتوضأ النبي ـ ﷺ ـ بفضله فذكرت ذلك له فقال: «إن الماء لا ينجسه شيء».

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢١٦): ورجاله ثقات وأخرجه أصحاب السنن من هذا الطريق ولكن بلفظ آخر قريباً من هذا. =

﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾

وإنما قال ﴿مَّيْتًا﴾ لأنّ البلدة في معنى البلد في قوله: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر: ٩]، وأنه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل. وقرئ: نسقيه بالفتح. وسقى، وأسقى:

= ـ حديث سهل بن سعد:

أخرجه الدارقطني (١/ ٢٩) كتاب الطهارة: باب الماء المتغير حديث (٤) من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «الماء لا ينجسه شيء».

ـ حديث عائشة:

أخرجه أبو يعلى (٨/ ٢٠٣) رقم (٤٧٦٥) والبزار (١/ ١٣٢ ـ كشف) رقم (٢٤٩) من طريق شريك عن المقدام بن شريح عن أبيه عن عائشة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «الماء لا ينجسه شيء».

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢١٧) وقال: رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .اهـ.

وذكره الحافظ في «المطالب العالية» (١/ ٦) وعزاه لأبي يعلى وقال: وإسناده حسن.

ـ حديث ميمونة:

أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ١٧) رقم (٣٤) من طريق شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس عن ميمونة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «الماء لا ينجسه شيء».

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢١٧) وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

ـ حديث ثوبان:

أخرجه الدارقطني (١/ ٢٨) كتاب الطهارة: باب الماء المتغير حديث (١) من طريق رشدين بن سعد ثنا معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن ثوبان قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الماء طهور إلا ما غلب على ريحه أو على طعمه».

قال الدارقطني: لم يرفعه غير رشدين بن سعد عن معاوية بن صالح وليس بالقوي.

ـ حديث أبي أمامة:

أخرجه ابن ماجه (١/ ١٧٤) كتاب الطهارة: باب الحياض حديث (٥٢١) والدارقطني (١/ ٢٨) كتاب الطهارة: باب الماء المتغير حديث (٣) والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٢٣) رقم (٧٥٠٣) من طريق رشدين بن سعد عن معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن أبي أمامة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «الماء لا ينجسه شيء إلا ما غلب على ريحه أو طعمه أو لونه».

قال المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٣٨٣): جزم بضعفه جمع منهم الحافظ العراقي ومغلطاي في شرح ابن ماجه فقال: ضعيف، لضعف رواته الذين منهم رشدين بن سعد الذي قال فيه أحمد: لا يبالي عمن روى، وأبو حاتم منكر الحديث وقال النسائي: متروك، ويحيى: واه. وأشار الشافعي إلى ضعفه واستغنى عنه بالإجماع .اهـ.

قال الحافظ: لم أجده هكذا. بل هو ملفق من حديثين فالأول أخرجه أصحاب السنن من حديث رافع بن خديج قال يا رسول الله أنتوضأ من بضاعة وهي بئر يلقى فيها الجيف ولحوم الكلاب والنتن فقال: «الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غلب على لونه أو طعمه أو ريحه». وقد استوفيت طرقها في تخريج أحاديث الرافعي. انتهى.

لغتان. وقيل: أسقاه: جعل له سقيا. الأناسي: جمع إنسى أو إنسان. ونحوه ظرابي في ظربان، على قلب النون ياء، والأصل: أناسين وظرابين. وقرئ بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل، كقولك: أناعم، في: أناعيم. فإن قلت: إنزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالإحياء والسقي يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك، كما تقول: حملني الأمير على فرس جواد لأصيد ٢/ ٥٢أ عليه الوحش. قلت: لما كان سقى الأناسي من جملة ما أنزل له الماء، وصفه بالطهور إكراماً لهم، وتتميماً للمنة عليهم، وبياناً أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم، وأن يربئوا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم. فإن قلت: لم خص الأنعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب؟ قلت: لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب، بخلاف الأنعام؛ ولأنها قنية الأناسي، وعامة منافعهم متعلقة بها، فكان الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالإنعام بسقيهم. فإن قلت: فما معنى تنكير الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة؟ قلت: معنى ذلك أن علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنابع الماء، فبهم غنية عن سقي السماء، وأعقابهم ـ وهم كثير منهم ـ لا يعيشهم إلا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه، وكذلك قوله: ﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا﴾ يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء. فإن قلت: لم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي؟ قلت: لأنّ حياة الأناسيّ بحياة أرضهم وحياة أنعامهم، فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم، ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقياً أرضهم ومواشيهم، لم يعدموا سقياهم.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ۝٥٠﴾

يريد: ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل عليهم السلام ـ وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ـ ليفكروا ويعتبروا، ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا ﴿فَأَبَىٰٓ﴾ أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها. وقيل: صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة، وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل، وجود ورذاذ، وديمة ورهام[١]: فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا، ولا يذكروا صنع الله ورحمته. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما من عام أقل مطراً من عام، ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء، وتلا

---

(١) قوله «ورذاذا وديمة ورهام» الرذاذ: مطر ضعيف. والرهام: جمع رهمة وهي المطرة الضعيفة الدائمة، كذا في الصحاح. (ع)

هذه الآية (١٠٦٨)، وروي أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام، لأنه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد. وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي، كأنه قال: لنحيي به بعض البلاد الميتة، ونسقيه بعض الأنعام والأناسي، وذلك البعض كثير. فإن قلت: هل يكفر من ينسب الأمطار إلى الأنواء؟ قلت: إن كان لا يراها إلا من الأنواء ويجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله: فهو كافر. وإن كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها: لم يكفر.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

يقول لرسوله ﷺ ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى. و﴿لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ نبياً ينذرها. وإنما قصرنا الأمر عليك وعظمناك به، وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل، فقابل ذلك بالتشديد والتصبر ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ فيما يريدونك عليه، وإنما أراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم. والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذي يدل عليه: ﴿فَلَا تُطِعِ﴾ والمراد: أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك، فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم، وجعله جهاداً كبيراً لما يحتمل فيه من المشاق العظام. ويجوز أن يرجع الضمير في ﴿بِهِ﴾ إلى ما دل عليه: ﴿وَلَوْ

١٠٦٨ ـ رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٣) في التفسير، قال: أخبرني أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ ثنا إبراهيم أنبأ يزيد بن هارون أنبأ سليمان التيمي عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «ما من عام أمطر من عام، ولكن الله يصرفه حيث يشاء، ثم قرأ ﴿ولقد صرفناه بينهم﴾ الآية».
وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.
ورواه ابن جرير (٩/ ٣٩٧) رقم (٢٦٤١٣ ـ ٢٦٤١٤)، ورواه العقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٢٢٨) في ترجمة علي بن حميد السلولي رقم (١٢٢٩)، من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ـ ﷺ ـ: «ما أحد بأكسب من أحد، ولا عام بأمطر من عام، ولكن الله يصرفه حيث يحب، وإن الله يعطي المال من يحب، ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فإذا أحب عبداً أعطاه الإيمان».
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٤٦٤) لابن مردويه في تفسيره عن ابن مسعود من وجه آخر.
قال الحافظ: أخرجه الحاكم والطبري من رواية الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما من عام أمطر من عام، ولكن الله يصرفه. وفي الباب عن ابن مسعود، أخرجه العقيلي من رواية علي بن حميد عن شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عنه، وقال: لا يتابع على رفعه، ثم أخرجه موقوفاً من رواية عمر بن مرزوق عن شعبة، وقال: هذا أولى، وأورده ابن مردويه من وجه آخر عن ابن مسعود مرفوعاً. انتهى.

﴿شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ من كونه نذير كافة القرى، لأنه لو بعث في كل قرية نذيراً لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته، فاجتمعت على رسول الله ـ ﷺ ـ تلك المجاهدات كلها، فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم، فقال له ﴿وَجَٰهِدْهُم﴾ بسبب كونك نذير كافة القرى ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ جامعاً لكل مجاهدة.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾

سمى الماءين الكثيرين الواسعين: بحرين، والفرات: البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة. والأجاج: نقيضه. ومرجهما: خلاهما متجاورين متلاصقين، وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج. وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم: وبحران: أحدهما مع الآخر ممروج، وماء العذب منهما بالأجاج ممزوج[1] ﴿بَرْزَخًا﴾ حائلاً من قدرته، كقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، يريد بغير عمد مرئية، وهو قدرته. وقرئ: ملح، على فعل، وقيل: كأنه حذف من مالح تخفيفاً، كما قال: وصليانا برداً، يريد: بارداً: فإن قلت: ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ما معناه؟ قلت: هي الكلمة التي يقولها المتعوذ؛ وقد فسرناها، وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز، كأن كل واحد من البحرين يتعوّذ من صاحبه ويقول له: حجراً محجوراً، كما قال ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠]، أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة، فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا: جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه، فهو ٢/ ٥٢ب يتعوّذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾

أراد: فقسم البشر قسمين ذوي نسب، أي: ذكوراً ينسب إليهم، فيقال: فلان بن فلان وفلانة بنت فلان، وذوات صهر: أي إناثاً يصاهر بهنّ، ونحوه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: ٣٩]. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]. حيث خلق من النطفة الواحدة بشراً نوعين: ذكراً وأنثى.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

الظهير والمظاهر، كالعوين والمعاون. و«فعيل» بمعنى مفاعل غير عزيز. والمعنى: أنّ الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك. روي أنها نزلت في أبي جهل، ويجوز أن

(١) قوله «ممزوج» لعله: غير ممزوج، فليحرر. (ع)

يريد بالظهير: الجماعة، كقوله ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]، كما جاء: الصديق والخليط، يريد بالكافر: الجنس، وأنّ بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله. وقيل: معناه: وكان الذي يفعل هذا الفعل ـ وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر ـ على ربه هيناً مهيناً، من قولهم: ظهرت به، إذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت إليه، وهذا نحو قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

مثال ﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾ والمراد: إلا فعل من شاء واستثنائه عن الأجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال: ما أطلب منك ثواباً على ما سعيت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب، ولكن صوّره هو بصورة الثواب وسماه باسمه، فأفاد فائدتين، إحداهما: قلع شبهة الطمع في الثواب من أصله، كأنه يقول لك: إن كان حفظك لمالك ثواباً فإني أطلب الثواب، والثانية: إظهار الشفقة البالغة وأنك إن حفظت مالك: اعتدّ بحفظك ثواباً ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب. ولعمري إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ كان مع المبعوث إليهم بهذا الصدد وفوقه. ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلا: تقربهم إليه وطلبهم عنده الزلفى بالإيمان والطاعة. وقيل: المراد التقرّب بالصدقة والنفقة في سبيل الله.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

أمره بأن يثق به ويسند أمره إليه في استكفاء شرورهم، مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده، وعرّفه أن الحي الذي لا يموت، حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الأحياء الذين يموتون. وعن بعض السلف أنه قرأها فقال: لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق، ثم أراه أن ليس إليه من أمر عباده شيء، آمنوا أم كفروا، وأنه خبير بأعمالهم كاف في جزاء أعمالهم.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾يعني في مدة: مقدارها هذه المدة، لأنه لم يكن حينئذٍ نهار ولا ليل. وقيل: ستة أيام من أيام الآخرة، وكل يوم ألف سنة. والظاهر أنها من أيام الدنيا. وعن مجاهد: أوّلها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة. ووجهه أن يسمي الله لملائكته تلك الأيام

المقدرة بهذه الأسماء فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما هو عليه، جرت التسمية على هذه الأيام. وأما الداعي إلى هذا العدد ـ أعني الستة دون سائر الأعداد ـ فلا نشك أنه داعي حكمة، لعلمنا أنه لا يقدّر تقديراً إلا بداعي حكمة، وإن كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي إلى معرفته. ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر، وحملة العرش ثمانية، والشهور اثني عشر، والسموات سبعاً والأرض كذلك، والصلوات خمساً، وأعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك. والإقرار بدواعي الحكمة في جميع أفعاله، وبأن ما قدّره حق وصواب هو الإيمان. وقد نص عليه في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [المدثر: ٣١] ثم قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] وهو الجواب أيضاً في أنه لم يخلقها في لحظة، وهو قادر على ذلك. وعن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنهما ـ. إنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة، تعليماً لخلقه الرفق والتثبت. وقيل: اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيداً للمسلمين. الذي خلق مبتدأ. و﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبره. أو صفة للحيّ، والرحمن: خبر مبتدأ محذوف. أو بدل عن المستتر في استوى. وقرئ: الرحمن، بالجرّ صفة للحيّ. وقرئ فسل؛ والباء في به صلة سل، كقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾ ٢/ ٥٣أ [المعارج: ١] كما تكون عن صلته في نحو قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ فسأل به؛ كقوله: اهتمّ به، واعتنى به؛ واشتغل به. وسأل عنه كقولك: بحث عنه؛ وفتش عنه، ونقر عنه. أو صلة خبيراً: وتجعل خبيراً مفعول سل، يريد: فسل عنه رجلاً عارفاً يخبرك برحمته. أو فسل رجلا خبيراً به وبرحمته. أو: فسل بسؤاله خبيراً؛ كقولك: رأيت به أسدا، أي برؤيته. والمعنى: إن سألته وجدته خبيراً. أو تجعله حالاً عن الهاء، تريد: فسل عنه عالماً بكل شيء. وقيل: الرحمن اسم من أسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة، ولم يكونوا يعرفونه: فقيل: فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب؛ حتى يعرف من ينكره. ومن ثمة كانوا يقولون: ما نعرف الرحمن إلا الذي باليمامة، يعنون مسيلمة. وكان يقال له: رحمن اليمامة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ۝٦٠﴾

﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ يجوز أن يكون سؤالاً عن المسمى به؛ لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم. والسؤال عن المجهول بـ«ما». ويجوز أن يكون سؤالاً عن معناه، لأنه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم. أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى ﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أي للذي تأمرناه؛ بمعنى تأمرنا سجوده: على قوله: أمرتك

الخير. أو لأمرك لنا. وقرئ بالياء، كأن بعضهم قال لبعض: أنسجد لما يأمرنا محمد ﷺ. أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو. وفي ﴿وَزَادَهُمْ﴾ ضمير ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ لأنه هو المقول.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾

البروج: منازل الكواكب السبعة السيارة: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت: سميت بالبروج التي هي القصور العالية؛ لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها. واشتقاق البرج من التبرج؛ لظهوره. والسراج: الشمس كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]، وقرئ، سرجا، وهي الشمس والكواكب الكبار معها. وقرأ الحسن والأعمش: وقمراً منيرا، وهي جمع ليلة قمراء، كأنه قال: وذا قمر منيراً؛ لأنّ الليالي تكون قمراً بالقمر، فأضافه إليها، ونظيره ـ في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف إليه مقامه ـ قول حسان [من الكامل]:

. . . . بَـرَدَىٰ يُـصَـفَّـقُ بِـالـرَّحِـيـقِ الـسَّـلْـسَـلِ[1]

يريد: ماء بردى، ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر، كالرشد والرشد، والعرب والعرب.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

الخلفة من خلف، كالركبة من ركب: وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كلّ واحد منهما الآخر. والمعنى: جعلهما ذوي خلفة، أي: ذوي عقبة، أي: يعقب هذا ذاك وذاك هذا. ويقال: الليل والنهار يختلفان، كما يقال: يعتقبان. ومنه قوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤] ويقال: بفلان[2] خلفة واختلاف، إذا اختلف كثيراً إلى متبرّزه. وقرئ: يذكر ويذكر. وعن أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: يتذكر. والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر، فيعلم أن لا بد لانتقالهما من حال إلى حال، وتغيرهما من ناقل ومغير. ويستدل بذلك على عظم قدرته، ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار، كما قال عز وعلا: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]. أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين، من فاته في أحدهما

---

(١) تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الأول عند تفسير آية ١٩ من سورة البقرة فراجعه إن شئت اهـ.
(٢) قوله «ويقال بفلان خلفة» لعله: لفلان. (ع)

ورده من العبادة قام به في الآخر. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب. ومن فاته بالليل: كان له في النهار مستعتب.

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ مبتدأ خبره في آخر السورة. كأنه قيل: وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة. ويجوز أن يكون خبره ﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ ﴾ وأضافهم إلى الرحمن تخصيصاً وتفضيلاً. وقرئ: وعباد الرحمن. وقرئ: يمشون ﴿ هَوْنًا ﴾ حال، أو صفة للمشي، بمعنى: هينين. أو: مشياً هيناً؛ إلا أنّ في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة. والهون: الرفق واللين. ومنه الحديث «أحبب حبيبك هوناً مّا» (١٠٦٩)، وقوله:

١٠٦٩ ـ روي من حديث أبي هريرة، وابن عمر وابن عمرو.
أمّا حديث أبي هريرة: فرواه الترمذي (٤/ ٣٦٠) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض الحديث (١٩٩٧)، حدثنا أبو كريب حدثنا سويد بن عمرو الكلبي عن حماد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أراه رفعه قال: «أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما».
ورواه الطبراني في الأوسط (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٦) رقم (٦١٨١).
وأمّا حديث ابن عمر: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، كما في المجمع (٨/ ٩١) من حديث أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي: عن جميل بن زيد عن ابن عمر عن النبي ـ ﷺ ـ به.
ورواه ابن حبان في الضعفاء والمتروكين (٢/ ١٥٢) في ترجمة عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي. والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٧٣٩).
وأما حديث ابن عمرو: فرواه الطبراني في الكبير والأوسط؛ كما في المجمع (٨/ ٩١)، وقال الهيثمي: «وفيه محمد بن كثير النهري وهو ضعيف».
ورواه البيهقي في الشعب (٥/ ٢٦٠) باب الاقتصاد في النفقة، وتحريم أكل المال الباطل الحديث (٦٥٩٣) موقوفاً على علي بن أبي طالب.
قال الزيلعي (٢/ ٤٩٩) وقال الدارقطني في علله: لا يصح رفعه، والصحيح عن علي، موقوف. انتهى.
ولم يعزه الطيبي إلا للشهاب، وهو في الشهاب عن ابن عمر، وأسنده القضاعي في مسند الشهاب بسند الطبراني، عن ابن عمر، وقال ابن طاهر في كلامه على أحاديث الشهاب: هذا حديث يرويه سويد بن عمرو الكلبي، عن حماد بن سلمة، عن أيوب وهشام، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعاً، وسويد هذا يضع الأسانيد الصحيحة على المتون الواهية.
ورواه أيضاً كذلك الحسن بن دينار: عن ابن سيرين: عن أبي هريرة، والحسن هذا متروك.
ورواه أيضاً الحسن بن أبي جعفر الجفري: عن أيوب وهو متروك، كلهم رفعوه، ولا يصح رفعه، وإنما هو عن علي موقوف، والله أعلم.
وحديث الحسن بن أبي جعفر في فوائد تمام أخرجه عنه: عن أيوب، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري، عن علي بن أبي طالب مرفوعاً.
=

«المؤمنون هينون لينون» (١٠٧٠)، والمثل: إذا عزّ أخوك فهن. ومعناه: إذا عاسر فياسر. والمعنى: أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع، لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشراً وبطرا، ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الأسواق، ولقوله: ﴿وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]. ﴿سَلَٰمًا﴾ تسلماً منكم لانجاهلكم، ومتاركة لا خير بيننا ولا شر، أي: نتسلم منكم تسلماً، فأقيم السلام مقام التسلم. وقيل: قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم. والمراد بالجهل: السفه وقلة الأدب وسوء الرعة[1] من قوله [من الوافر]:

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا[2]

= وأخرجه أيضاً، من طريق محمد بن إسحاق بن خزيمة: ثنا يحيى بن الفضل العنزي، ثنا أبو عامر العقدي، ثنا هارون بن إبراهيم الأهوازي، عن ابن سيرين، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري، عن علي مرفوعاً. . . فذكره.

ورواه ابن حبان في كتاب الضعفاء بسند الترمذي، وأعله بسويد، وقال: إنه يضع المتون الواهية على الأسانيد الصحيحة، لا يجوز الاحتجاج به بحال، وليس هذا من حديث أبي هريرة، وإنما هو من قول علي بن أبي طالب، وقد رفعه الحسن بن أبي جعفر: عن أيوب، عن حميد بن عبد الرحمن، عن علي، وهو خطأ فاحش. انتهى.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي من رواية أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة تفرد به سويد بن عمرو عن حماد بن سلمة عن أيوب قال الترمذي: غريب. وقال ابن حبان في الضعفاء: سويد بن عمرو يضع المتون الواهية على الأسانيد الصحيحة. وليس هذا من حديث أبي هريرة. وإنما هو من قول علي ـ رضي الله عنه ـ وقد رفعه الحسن بن أبي جعفر عن أيوب عن حميد بن عبد الرحمن عن علي. وهو خطأ فاحش. ورواية الحسن بن أبي جعفر في فوائد تمام، وأخرجه ابن عدي من طريق الحسن بن دنيا ـ عن ابن سيرين عن أبي هريرة. قال: الحسن بن دنيا ـ أجمعوا على ضعفه ورواه الطبراني في الأوسط. من رواية أبي الزناد عن الأعرج. عن أبي هريرة، لكن الراوي له عن أبي الزناد متروك. وهو عباد بن كثير، وفي الباب عن ابن عمر أخرجه الطبراني وفيه أبو السلط الهروي. وهو متروك وعن ابن عمرو بن العاص أخرجه أيضاً من طريق محمد بن كثير الضمري. عن ابن لهيعة، عن أبي نهشل عنه وهذا إسناد واه جداً. والمعروف عن علي. أخرجه البيهقي في الشعب في الحادي والأربعين من رواية أبي إسحاق عن صبرة بن يزيد ثم عن علي ـ وقال الدارقطني: الصحيح على علي موقوف. انتهى.

١٠٧٠ ـ رواه ابن المبارك في الزهد (١/ ١٣٠) رقم (٣٨٧)، قال: أخبرنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف الذي إن قيد انقاد، وإذا أنيخ على صخرة استناخ». =

---

(١) قوله «وسوء الرعة» في الصحاح: يقال: فلان سيء الرعة، أي: قليل الورع. وفيه: قيل ذلك الورع ـ بكسر الراء ـ: الرجل التقي. وقد ورع يرع ـ بالكسر فيهما ـ ورعا ورعة. (ع)

(٢) تقدم.

وعن أبي العالية: نسختها آية القتال، ولا حاجة إلى ذلك؛ لأنّ الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة، وأسلم للعرض والورع.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا ٢/ ٥٣ب وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾

البيتوتة: خلاف الظلول، وهو أن يدركك الليل، نمت أو لم تنم، وقالوا: من قرأ شيئاً من القرآن في صلاته وإن قلّ فقد بات ساجداً وقائماً. وقيل: هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء. والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو بأكثره. يقال: فلان يظل صائماً ويبيت قائماً.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿غَرَامًا﴾ هلاكا وخسراناً ملحا لازماً؛ قال: [المتقارب]

وَيَوْمُ النِّسَارِ وَيَوْمُ الْجِفَارِ ... فَكَانَا عَذَاباً وَكَانَا غَرَامَا[١]

وقال [من الخفيف]:

إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَاماً وَإِنْ يُعْـ ... ـطِ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لاَ يُبَالِي[٢]

ومنه: الغريم: لإلحاحه ولزامه. وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين، ثم عقبه

= ورواه البيهقي في الشعب (٦/ ٢٧٢) رقم (٨١٢٨) من طريق ابن المبارك.
ثم رواه في (٦/ ٢٧٣) رقم (٨١٢٩) عن ابن عمر مرفوعاً وقال: الأول مع إرساله أصح.
ورواه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٧٩) في ترجمة عبد الله بن عبد العزيز بن أبي روّاد.
قال الحافظ: أخرجه ابن المبارك في الزهد قال: أخبرنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول بهذا مرسلاً: «وزاد كالجمل الأنف الذي إن قيد انقاد، وإن ينخ على صخرة أناخ»، وأخرجه البيهقي في الشعب في السادس والخمسين من هذا الوجه قال: هذا مرسل، ثم أخرجه من طريق العقيلي في منكرات عبد الله بن عبد العزيز. وفي الباب عن ابن أنس مرفوعاً ذكره ابن طاهر في الكلام على أحاديث الشهاب. وفيه زكريا بن يحيى الوقاد وهو واهي الحديث. انتهى.

---

(١) لبشر بن أبي خازم. والنسار: ماء لبني عامر. والجفار: ماء لبني تميم بنجد، يقول: واقعة النسار وواقعة الجفار، كانا عذابا على أهلهما، وكانا غراماً، أي: هلاكاً لازما لهم. وقيل: شراً دائماً.

(٢) للأعشى، يقول: إن يعاقب هذا الممدوح أعداءه يكن غراماً أي هلاكا ملازماً لهم. وإن يعط السائل عطاء جزيلاً عظيماً فإنه لا يبالي به ولا يكترث به ولا يستكثره، فهو شجاع جواد.

بذكر دعوتهم هذه، إيذاناً بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون إلى الله في صرف العذاب عنهم، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، ﴿سَآءَتْ﴾ في حكم «بئست» وفيها ضمير مبهم يفسره: مستقرّاً. والمخصوص بالذم محذوف، معناه: ساءت مستقرّاً ومقاما هي. وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إنّ وجعلها خبراً لها. ويجوز أن يكون ﴿سَآءَتْ﴾ بمعنى: أحزنت. وفيها ضمير اسم إنّ. و﴿مُسْتَقَرًّا﴾ حال أو تمييز، والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين، وأن يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم.

﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

قرئ **(يقتروا)** بكسر التاء وضمها. ويقتروا، بتخيف التاء وتشديدها. والقتر والإقتار والتقتير: التضييق الذي هو نقيض الإسراف. والإسراف: مجاوزة الحدّ في النفقة. ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير. وبمثله أُمر رسول الله ـ ﷺ ـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقيل: الإسراف إنما هو الإنفاق في المعاصي، فأما في القرب فلا إسراف. وسمع رجل رجلاً يقول: لا خير في الإسراف. فقال: لا إسراف في الخير. وعن عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ أنه شكر عبد الملك بن مروان حين زوّجه ابنته وأحسن إليه، فقال: وصلت الرحم وفعلت وصنعت، وجاء بكلام حسن، فقال ابن لعبد الملك: إنما هو كلام أعدّه لهذا المقام، فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر، فسأله عن نفقته وأحواله فقال: الحسنة بين السيئتين، فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية فقال لابنه: يا بنيّ، أهذا أيضاً مما أعدّه؟ وقيل: أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة، ولا يلبسون ثوباً للجمال والزينة، ولكن كانوا يأكلون ما يسدّ جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم، ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحرّ والقرّ[1]. وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: كفى سرفاً أن لا يشتهي رجل شيئاً إلا اشتراه فأكله ١٠٧١، والقوام: العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما. ونظير القوام من الاستقامة: السواء من الاستواء. وقرئ:

١٠٧١ ـ أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٧١) ثنا ابن عيينة عن رجل عن الحسن عن عمر.
قال الحافظ: أخرجه عبد الرزاق في التفسير عن ابن عيينة عن رجل عن الحسن عن عمر بن الخطاب، وهذا منقطع من طريقه. رواه الثعلبي. ورواه أحمد في الزهد عن إسماعيل عن يونس عن الحسن كذلك، ورواه ابن ماجه، وأبو يعلى، والبيهقي في الشعب من طريق نوح بن ذكوان عن الحسن عن أنس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً، والأول أصح. انتهى.

---

(١) قوله «والقر» أي البرد. (ع)

قواماً. بالكسر، وهو ما يقام به الشيء. يقال: أنت قوامنا، بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص، والمنصوبان أعني ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾: جائز أن يكونا خبرين معا، وأن يجعل بين ذلك لغوا، وقواماً مستقراً. وأن يكون الظرف خبراً، وقواماً حالاً مؤكدة. وأجاز الفراء أن يكون ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ اسم كان، على أنه مبني لإضافته إلى غير متمكن، كقوله [من البسيط]:

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ . . . . (١)

وهو من جهة الإعراب لا بأس به، ولكن المعنى ليس بقوي: لأنّ ما بين الإسراف والتقتير قوام لا محالة، فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا ٣/ ٥٤أ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿حَرَّمَ﴾ أي حرّمها. والمعنى: حرّم قتلها. و﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ متعلق بهذا القتل المحذوف. أو بلا يقتلون، ونفي هذه المقبحات العظام على الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين، للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم، كأنه قيل: والذين برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه. والقتل بغير الحق: يدخل فيه الوأد وغيره. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قلت: يا رسول الله، أيّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: ثم أيّ؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» ١٠٧٢، فأنزل الله تصديقه. وقرئ: يلق فيه أثاماً. وقرئ: يلقى، بإثبات الألف، وقد مر مثله. والآثام: جزاء الإثم، بوزن الوبال والنكال ومعناهما،

١٠٧٢ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٤٣٨) كتاب التفسير، باب قوله: «والذين لا يدعون مع الله إلٰهاً آخر. . . . الحديث (٤٧٦١)، وأطرافه في (٤٤٧٧ ـ ٦٠٠١ ـ ٦٨١١ ـ ٧٥٢٠ ـ ٧٥٣٢)، ومسلم (١/ ٣٥٧) كتاب الإيمان، باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب الحديث (١٤١ ـ ١٤٢/ ٨٦).
وأبو داود (١/ ٧٠٥) كتاب الطلاق، باب في تعظيم الزنا، الحديث (٢٣١٠).
والترمذي (٥/ ٣٣٦) في التفسير، باب ومن سورة الفرقان الحديث (٣١٨٢)، (٣١٨٣).
والنسائي (٧/ ٨٩ ـ ٩٠) كتاب التحريم، باب ذكر أعظم الذنب.
ورواه في التفسير الحديث رقم (٧ ـ ٣٨٨ ـ ٣٨٩)، وأحمد في المسند (١/ ٣٨٠ ـ ٤٣٤ ـ ٤٦٢). =

---

(١) تقدم.

قال [من الوافر]:

جَزَى اللَّهُ ٱبْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَىٰ عَقُوقاً وَالْعُقُوقُ لَهُ أَثَامُ[1]

وقيل هو الإثم. ومعناه: يلق جزاء أثام. وقرأ ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أياما[2]، أي شدائد. يقال: يوم ذو أيام: لليوم العصيب. ﴿يُضَٰعَفۡ﴾ بدل من يلق؛ لأنهما في معنى واحد؛ كقوله [من الطويل]:

مَتَىٰ تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَنَاراً تَأَجَّجَا[3]

وقرئ: يضعف، ونضعف له العذاب، بالنون ونصب العذاب. وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال، وكذلك ﴿يَخۡلُدۡ﴾ وقرئ: ويخلد، على البناء للمفعول مخففاً ومثقلاً، من الإخلاد والتخليد. وقرئ: وتخلد، بالتاء على الالتفات ﴿يُبَدِّلُ﴾ مخفف ومثقل، وكذلك سيئاتهم. فإن قلت: ما معنى مضاعفة العذاب وإبدال السيئات حسنات؟ قلت: إذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعاً، فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه. وإبدال السيئات حسنات: أنه يمحوها بالتوبة، ويثبت مكانها الحسنات: الإيمان، والطاعة، والتقوى. وقيل: يبدّلهم بالشرك إيماناً، ويقتل المسلمين: قتل المشركين، وبالزنا: عفة وإحصاناً.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ٧١﴾

يريد. ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فإنه بذلك تائب إلى الله ﴿مَتَابٗا﴾ مرضيا عنده مكفراً للخطايا محصلاً للثواب. أو فإنه تائب متاباً إلى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون، والذي يحب التوابين ويحب

= وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) رقم (٤٤١٤ ـ ٤٤١٥) والبيهقي (٨/ ١٨)، كتاب الجنايات، باب قتل الولدان. والبغوي في شرح السنة (١/ ١٠٤) رقم (٤٢ ـ بتحقيقنا).
قال الحافظ: متفق عليه من رواية أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عنه. انتهى.

---

(١) العقوق ـ بالفتح ـ: كثير العقوق بالضم، وهو منع بر الوالدين وقطع صلتهما ـ والأثام ـ كالوبال ـ: جزاء الإثم. وقيل: هو الإثم، فسمي به مسببه وهو الجزاء، ومفعول جزى الثاني محذوف. وعقوقاً خبر أمسى. والعقوق: مبتدأ، أي: لا بد للعقوق من جزاء سيء عظيم.
البيت لشافع الليثي، ينظر لسان العرب (أثم)، بلا نسبة في تهذيب اللغة (١٥/ ١٦١)، ينظر مجاز القرآن (٢/ ٨١)، البحر المحيط (٦/ ٥١٥)، الدر المصون (٥/ ٢٦٤).
(٢) قوله «أياما» وفي الصحاح «الأيام»: الدخان. (ع)
(٣) تقدم.

المتطهرين، وفي كلام بعض العرب: لله أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد، والظمآن الوارد، والعقيم الوالد، أو: فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعاً حسنا وأيّ مرجع.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾

يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها، تنزهاً عن مخالطة الشر وأهله، وصيانة لدينهم عما يثلمه؛ لأن: مشاهد الباطل شركة فيه، ولذلك قيل في النظارة إلى كل ما لم تسوّغه الشريعة: هم شركاء فاعليه في الإثم؛ لأنّ حضورهم ونظرهم دليل الرضا به، وسبب وجوده، والزيادة فيه؛ لأن الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر إليه، وفي مواعظ عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ إياكم ومجالسة المخاطئين، أنهم لا يشهدون شهادة الزور، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وعن قتادة: مجالس الباطل، وعن ابن الحنفية: اللهو والغناء. وعن مجاهد: أعياد المشركين. اللغو: كل ما ينبغي أن يلغى ويطرح. والمعنى: وإذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به. مرّوا معرضين عنهم، مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥] وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: لم تسفههم المعاصي. وقيل: إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا. وقيل: إذا ذكروا النكاح كنوا عنه.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا﴾ ليس بنفي للخرور. وإنما هو إثبات له، ونفي للصمم والعمى، كما تقول: لا يلقاني زيد مسلماً، هو نفي للسلام لا للقاء. والمعنى: أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذكر بها وهم في إكبابهم عليها، سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راعية، لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها، مظهرين الحرص الشديد على استماعها، وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين وأشباههم.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

قرئ: ذريتنا، وذرياتنا. وقرة أعين، وقرّات أعين. سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجاً وأعقاباً عمالاً لله، يسرون بمكانهم وتقرّ بهم عيونهم. وعن محمد بن كعب: ليس شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو الولد إذا رآه يكتب الفقه. وقيل: سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم

في الجنة ليتم لهم سرورهم. أراد. أئمة، فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] أو أرادوا اجعل كل واحد منا إماما. أو أراد جمع أمّ، كصائم وصيام. أو أرادوا اجعلنا إماماً واحدا لاتحادنا واتفاق كلتنا. وعن بعضهم: في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها. وقيل: نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة. فإن قلت: (من) في قوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ ما هي؟ قلت: يحتمل أن تكون بيانية، كأنه قيل: هب لنا قرّة أعين، ثم بينت القرّة وفسرت بقوله: من أزواجنا وذرياتنا. ومعناه: أن يجعلهم الله لهم قرّة أعين، وهو من قولهم: رأيت منك أسداً، أي: أنت أسد، وأن تكون ابتدائية على معنى: هب لنا من جهتهم ما تقرّ به عيوننا من طاعة وصلاح. فإن قلت: لم قال ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ فنكر وقلل؟ قلت: أما التنكير فلأجل تنكير القرّة؛ لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه، كأنه ٢/ ٥٤ب قيل: هب لنا منهم سروراً وفرحاً. وإنما قيل ﴿أَعْيُنٍ﴾ دون عيون؛ لأنه أراد أعين المتقين، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم. قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1] [سبأ: ١٣]، ويجوز أن يقال في تنكير ﴿أَعْيُنٍ﴾ أنها أعين خاصة، وهي أعين المتقين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾

المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة، فوحد اقتصاراً على الواحد الدال على الجنس، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، وقراءة من قرأ: في الغرفة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم على الطاعات، وعن الشهوات، وعن أذى الكفار ومجاهدتهم. وعلى الفقر وغير ذلك. وإطلاقه لأجل الشياع في كل مصبور عليه. وقرئ: يلقون، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١] ويلقون، كقوله تعالى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]. والتحية: دعاء بالتعمير. والسلام: دعاء بالسلامة، يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم. أو يحيي بعضهم بعضاً ويسلم عليه أو يعطون التبقية والتخليد

---

(١) قال محمود: «إن قلت: لم قلل الأعين إذ الأعين صيغة جمع قلة؟ قلت: لأن أعين المتقين قليل بالإضافة إلى غيرهم، يدل على ذلك قوله: وقليل من عبادي الشكور» قال أحمد: والظاهر أن المحكي كلام كل أحد من المتقين، فكأنه قال: يقول كل واحد منهم اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، وهذا أسلم من تأويله؛ فإن المتقين وإن كانوا بالإضافة إلى غيرهم قليلاً إلا أنهم في أنفسهم على كثرة من العدد. والمعتبر في إطلاق جمع القلة أن يكون المجموع قليلاً في نفسه لا بالنسبة والإضافة. والله أعلم.

مع السلامة عن كل آفة. اللهم وفقنا لطاعتك، واجعلنا مع أهل رحمتك، وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك.

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

لما وصف عبادة العباد، وعدّد صالحاتهم وحسناتهم، وأثنى عليهم من أجلها، ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة: أتبع ذلك بيان أنه إنما اكترث لأولئك وعبأ بهم وأعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم، لأجل عبادتهم، فأمر رسوله أن يصرّح للناس، ويجزم لهم القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم، إنما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر، ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتدّ بهم ولم يكونوا عنده شيء يبالى به. والدعاء: العبادة. و﴿مَا﴾ متضمنة لمعنى الاستفهام، وهي في محل النصب، وهي عبارة عن المصدر، كأنه قيل: وأي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم. يعني أنكم لا تستأهلون شيئاً من العبء بكم لولا عبادتكم. وحقيقة قولهم ما عبأت به: ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبئاً عليّ، كما تقول: ما اكترثت له، أي: ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني. وقال الزجاج في تأويل ﴿مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾: أي وزن يكون لكم عنده؟ ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ نافية، ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ يقول: إذا أعلمتكم أن حكمي أني لا أعتدّ بعبادي إلا عبادتهم، فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي، فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار. ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه: إن من عادتي أن أحسن إلى من يطعيني ويتبع أمري، فقد عصيت فسوف ترى ما أحلّ بك بسبب عصيانك. وقيل: معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام. وقيل: ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة. فإن قلت: إلى من يتوجه هذا الخطاب؟ قلت: إلى الناس على الإطلاق، ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون، فخوطبوا بما وجدوا في جنسهم من العبادة والتكذيب. وقرئ: فقد كذب الكافرون. وقيل: يكون العذاب لزاماً. وعن مجاهد ـ رضي الله عنه ـ: هو قتل يوم بدر، وأنه لوزم بين القتلى لزاماً، وقرئ: لزاماً، بالفتح بمعنى اللزوم، كالثبات والثبوت. والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم أنه مما توعد به، لأجل الإبهام وتناول ما لا يكتنه الوصف، والله أعلم بالصواب.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأدخل الجنة بغير نصب» (١٠٧٣).

١٠٧٣ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي. انتهى.

سورة الشعراء

مكية، إلا قوله [والشعراء . . . إلى آخر السورة]

وهي مائتان وسبع وعشرون آية، وفي رواية: وست وعشرون آية [نزلت بعد الواقعة]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾

﴿طسٓمٓ ۝١﴾ بتفخيم الألف وإمالتها، وإظهار النون وإدغامها ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ الظاهر إعجازه، وصحة أنه من عند الله، والمراد به السورة أو القرآن. والمعنى: آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين.

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾

البخع: أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء، وهو عرق مستبطن الفقار، وذلك أقصى حدّ الذبح، ولعل للإشفاق، يعني: أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ لئلا يؤمنوا، أو لامتناع إيمانهم، أو خيفة أن لا يؤمنوا. وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ: باخع نفسك على الإضافة.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾

أراد: آية ملجئة إلى الإيمان قاصرة عليه. ﴿فَظَلَّتْ﴾ معطوف على الجزاء الذي هو ننزل؛ لأنه لو قيل: أنزلنا، لكان صحيحاً. ونظيره: فأصدّق وأكن، كأنه قيل: أصدق. وقد قرئ: لو شئنا لأنزلنا. وقرئ: فتظل أعناقهم. فإن قلت: كيف صح ٢/ ٥٥أ مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق؟ قلت: أصل الكلام: فظلوا لها خاضعين. فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام على أصله، كقوله: ذهبت أهل اليمامة، كأنّ الأهل غير مذكور. أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل: خاضعين، كقوله تعالى: ﴿لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] وقيل أعناق الناس: رؤساؤهم ومقدّموهم، شبهوا بالأعناق كما قيل لهم هم الرءوس والنواصي والصدور، قال [من البسيط]:

. . . . فِي مَخفِلٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودِ[1]

وقيل: جماعات الناس. يقال: جاءنا عنق من الناس لفوج منهم. وقرئ: فظلت أعناقهم لها خاضعة. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية. قال: ستكون لنا عليهم الدولة، فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة، ويلحقهم هوان بعد عزة.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾

أي: وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيراً، إلا جددوا إعراضاً عنه وكفرًا به. فإن قلت: كيف خولف بين الألف والغرض واحد، وهي الإعراض والتكذيب والاستهزاء؟ قلت: إنما خولف بينها لاختلاف الأغراض، كأنه قيل: حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به، وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية؛ لأنّ من كان قابلاً للحق مقبلاً عليه، كان مصدقاً به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقاً به، كان موقراً له ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ وعيد لهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ﴿مَا﴾ الشيء الذي كانوا يستهزؤون به وهو القرآن، وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾

وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم، والكريم: صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه، يقال: وجه كريم، إذا رضي في حسنه وجماله، وكتاب كريم: مرضي في معانيه وفوائده؛ وقال [من المنسرح]:

. . . . حَتَّىٰ يَشُقَّ الصُّفُوفَ مِنْ كَرَمِهْ[2]

---

(١) تقدم.

(٢) مـن رأى يـومـنـا ويـوم بـنـي الـتَّـ ... ـيـم إذا الـتـف صـيـقـه بـدمـه
لـمـا رأوا أن يـومـهـم أشـب ... شـدوا حـيـازيـمـهـم عـلـى ألـمـه
كـأنـمـا الأسـد فـي عـريـنـهـم ... ونـحـن كـالـلـيـل جـاش فـي قـتـمـه
لا يـسـلـمـون الـغـداة جـارهـم ... حـتـى يـزل الـشـراك عـن قـدمـه =

أي: من كونه مرضياً في شجاعته وبأسه، والنبات الكريم: المرضي فيما يتعلق به من المنافع ﴿إِنَّ فِي﴾ إنبات تلك الأصناف ﴿لَآيَةً﴾ على أن منبتها قادر على إحياء الموتى، وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم، غير مرجوّ إيمانهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من الكفرة ﴿الرَّحِيمُ﴾ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً. فإن قلت: ما معنى الجمع بين كم وكل، ولو قيل كم أنبتنا فيها من زوج كريم[1]؟ قلت: قد دلّ ﴿كُلِّ﴾ على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل، و﴿كَمْ﴾ على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة[2]، فهذا معنى الجمع بينهما، وبه نبه على كمال قدرته. فإن قلت: فما معنى وصف الزوج بالكريم؟ قلت: يحتمل معنيين، أحدهما: أن النبات على نوعين: نافع وضارّ، فذكر كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع، وخلى ذكر الضارّ. والثاني: أن يعم جميع النبات نافعه وضارّه، ويصفهما جميعاً بالكرم وينبه على أنه ما أنبت شيئاً إلا وفيه فائدة؛ لأنّ الحكيم لا يفعل فعلاً إلا لغرض صحيح ولحكمة بالغة، وإن غفل عنها الغافلون، ولم يتوصل إلى معرفتها العاقلون. فإن قلت: فحين ذكر الأزواج ودلّ عليها بكلمتي الكثرة والإحاطة، وكانت بحيث لا يحصيها إلا عالم الغيب، كيف قال: ﴿إِنَّ فِي

= ولا يخيم اللقاء فارسهم ... حتى يشق الصفوف من كرمه

لرجل من حمير. ومن: استفهامية. والصيق والصيقة ـ بالكسر ـ: الغبار والتراب. والأشب ـ كحذر ـ: كثير الجلبة والاختلاط، ويطلق على المكان الذي التف شجره، والحيزوم: الصدر. والعرين: أجمة الأسد يسكن فيها. وجاش: ارتفع وأقبل. والقتم: الغبار والسواد والظلمة. وروي في غشمه: بالغين. والمعنى واحد، لا يسلمون لا يخذلون ولا يتركون. والشراك: سير النعل، ولا يخيم: أي لا يجبن عن اللقاء، واليوم: الزمن أو الواقعة، وإضافة الصيق والدم إليه لأنه فيه. ووصف اليوم بأنه كثير الصياح والاختلاط، لأن ذلك واقع فيه، وشد الحيازيم على الألم: كناية عن التجلد والصبر. وشبههم بالأسود في شجاعتهم، وشبه قومه بالليل في الإحاطة والقهر للغير، ثم قال: لا يتركون حليفهم غداة الروع حتى يرتبك وحده في الحرب، فزلل الشراك: كناية عن ذلك ولا يجبن الفارس منهم عن اللقاء، فهو نصب على نزع الخافض، وقيل: مفعول معه، حتى يشق صفوف الحرب ويدخلها من كرمه، أي شجاعته وجراءته، لأن الكرم في كل باب بحسبه، وحتى الأولى غاية للمنفي، والثانية غاية للنفي. ويجوز أن الثانية ابتدائية، والفعل بعدها مرفوع على الاستئناف، وهذا أبلغ في المدح، ثم إن مدح عدوهم مدح لهم.

(١) قوله «كم أنبتنا فيها من زوج كريم» لعل بعده سقطا تقديره «كان مستقيما». (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: ما فائدة الجمع بين كل وكم؟ وأجاب بأن كلا دخلت للإحاطة بأزواج النبات وكم دلت على أن هذ المحاط به متكاثر مفرط الكثرة» قال أحمد: فعلى مقتضى ذلك يكون المقصود بالتكثير: الأنواع والظاهر أن المقصود آحاد الأزواج والأنعام، ويدل عليه أنك لو أسقطت (كل) فقلت: انظروا إلى الأرض كم أنبت الله فيها من الصنف الفلاني، لكنت مكنيا عن آحاد ذلك الصنف المشار إليه، فإذا أدخلت (كل) فقد أديت بتكريره آحاد كل صنف لا آحاد صنف معين، والله أعلم.

﴿ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ وهلا قال: آيات؟ قلت: فيه وجهان: أن يكون ذلك مشاراً به إلى مصدر أنبتنا، فكأنه قال: إن في الإنبات لآية أيّ آية. وأن يراد: أن في كل واحدة من تلك الأزواج لآية. وقد سبقت لهذا الوجه نظائر.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾

سجل عليهم بالظلم بأن قدّم القوم الظالمين، ثم عطفهم عليهم عطف البيان، كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد: إن شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين، وإن شاء عبر بقوم فرعون. وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين: من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر وشرارتهم، ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لهم. قرئ: ألا يتقون بكسر النون، بمعنى: ألا يتقونني: فحذفت النون لاجتماع النونين، والياء للاكتفاء بالكسرة. فإن قلت: بم تعلق بقوله: ألا يتقون؟ قلت: هو كلام مستأنف أتبعه عز وجل إرساله إليهم للإنذار، والتسجيل عليهم بالظلم، تعجيباً لموسى من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف، ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله، ويحتمل أن يكون **(لا يتقون)** حالاً من الضمير في الظالمين، أي: يظلمون غير متقين الله وعقابه، فأدخلت همزة الإنكار على الحال، وأمّا من قرأ: ألا تتقون. على الخطاب. فعلى طريقة الالتفات ٢/ ٥٥ب إليهم، وجبههم، وضرب وجوههم بالإنكار، والغضب عليهم، كما ترى من يشكو من ركب جناية إلى بعض أخصائه والجاني حاضر، فإذا اندفع في الشكاية وحرّ مزاجه[1] وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له: ألم تتق الله، ألم تستح من الناس. فإن قلت: فما فائدة هذا الالتفات، والخطاب مع موسى عليه الصلاة والسلام في وقت المناجاة، والملتفت إليهم غيب لا يشعرون؟ قلت: إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم وإلقائه إلى مسامعهم، لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس، وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى، وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين، تدبرا لها واعتبارا بموردها. وفي ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ بالياء وكسر النون وجه آخر، وهو أن يكون المعنى: ألا يا ناس اتقون، كقوله ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾ **[النمل: ٢٥]**.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾

---

(١) قوله «وحر مزاجه» في الصحاح: حر يحر حرا وحرارة وحرور. (ع)

ويضيق وينطلق، بالرفع؛ لأنهما معطوفان على خبر إنّ، وبالنصب لعطفهما على صلة أن، والفرق بينهما في المعنى: أنّ الرفع يفيد أنّ فيه ثلاث علل: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان، والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة. فإن قلت: في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة، وفي جملتها نفي انطلاق اللسان. وحقيقة الخوف إنما هي غم يلحق الإنسان لأمر سيقع، وذلك كان واقعاً، فكيف جاز تعليق الخوف به؟ قلت: قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر، والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به، على أنّ تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته. وقيل: بقيت منها بقية يسيرة. فإن قلت: اعتذارك هذا يردّه الرفع، لأنّ المعنى: إني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان. قلت: يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها، ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي به، ويجوز أن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع[1] الذين أوتوا سلاطة الألسنة وبسطة المقال، وهارون كان بتلك الصفة، فأراد أن يقرن به. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤] ومعنى ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ﴾: أرسل إليه جبرائيل. واجعله نبياً، وآزرني به[2]، واشدد به عضدي، وهذا كلام مختصر. وقد بسطه في غير هذا الموضع، وقد أحسن في الاختصار حيث قال: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ﴾ فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء، ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ [الفرقان: ٣٦] حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة أوّلها وآخرها، وهما الإنذار والتدمير، ودلّ بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها، وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله، فأراد الله إلزام الحجة عليهم، فبعث إليهم رسولين فكذبوهما، فأهلكهم. فإن قلت: كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يأمره الله بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل. وقد علم أن الله من ورائه؟ قلت: قد امتثل وتقبل، ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته، فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه، ثم التمس بعد ذلك، وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر: ليس بتوقف في امتثال الأمر، ولا بتعلل فيه؛ وكفى بطلب العون دليلاً على التقبل لا على التعلل.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾

أراد بالذنب: قتله القبطي. وقيل: كان خباز فرعون واسمه فاتون. يعني: ولهم عليّ

---

(١) قوله «من الفصحاء المصاقع» في الصحاح «صقع الديك»: صاح. وخطيب مصقع، أي: بليغ. (ع)

(٢) قوه «وآزرني به» في الصحاح «آزرت فلاناً»: عاونته. والعامة تقول: وازرته. (ع)

تبعة ذنب، وهي قود ذلك القتل[1]، فأخاف أن يقتلوني به، فحذف المضاف، أو سمى تبعة الذنب ذنباً، كما سمى جزاء السيئة سيئة. فإن قلت: قد أبيت أن تكون تلك الثلاث عللا، وجعلتها تمهيداً للعذر فيما التمسه، فما قولك في هذه الرابعة؟ قلت: هذه استدفاع للبلية المتوقعة. وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة، فكيف يكون تعللاً. والدليل عليه: ما جاء بعده من كلمة الردع، والموعد بالكلاءة والدفع.

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

جمع الله له الاستجابتين معاً في قوله ﴿كَلَّا فَاذْهَبَا﴾ لأنه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف، والتمس منه الموازرة بأخيه فأجابه بقوله ﴿فَاذْهَبَا﴾ أي اذهب أنت والذي طلبته وهو هارون. فإن قلت: علام عطف قوله ﴿فَاذْهَبَا﴾؟ قلت: على الفعل الذي يدل عليه ﴿كَلَّا﴾ كأنه قيل: ارتدع يا موسى عما تظنّ، فاذهب أنت وهارون. وقوله: ﴿مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ من مجاز الكلام، يريد: أنا لكما ولعدوّكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه. فأظهركما وأُغلبكما وأكسر شوكته عنكما وأنكسه. ويجوز أن يكونا خبرين لأنّ، أو يكون ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ مستقراً، و﴿مَعَكُم﴾ لغواً ٢/٥٦أ. فإن قلت: لم جعلت ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ قرينة ﴿مَعَكُم﴾ في كونه من باب المجاز، والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سميع وسامع؟ قلت: ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة؛ لأنّ الاستماع جار مجرى الإصغاء، والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية. ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ [الجن: ١] ويقال: استمع إلى حديثه، وسمع حديثه، أي: أصغى إليه وأدركه بحاسة السمع. ومنه قوله ﷺ: «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صبّ في أذنيه البرم»[2] (١٠٧٤). فإن قلت:

١٠٧٤ ـ قال الزيلعي (٢/ ٤٧٣): غريب جدًا.
قال الحافظ: لم أجده بهذا اللفظ والمحفوظ: «صب في أذنيه الآنك» اهـ. =

---

(١) قوله «وهي قود ذلك القتل» لعله القتيل. (ع)
(٢) قوله «صب في أذنيه البرم» في الصحاح «البرم»: ثمر العضاة. (ع)

هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧]؟ قلت: الرسول يكون بمعنى المرسل، وبمعنى الرسالة، فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بدّ من تثنيته، وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية فيه ـ إذا وصف به ـ بين الواحد والتثنية والجمع، كما يفعل بالصفة بالمصادر، نحو: صوم، وزور، قال [من المتقارب]:

أَلِكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُو ... لِ أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الْخَبَرْ[١]

فجعله للجماعة. والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله [من الطويل]:

لَقَدْ كَذَبَ الوَاشُونَ مَا فُهْتُ عِنْدَهُمْ ... بِسِرٍّ وَلاَ أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ[٢]

= وهو حديث ابن عباس؛ رواه ابن حبان في صحيحه (١٢/٤٩٨) رقم (٥٦٨٥) عن ابن عباس قال عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من صور صورة إنه يعذب حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ فيها الروح، ومن تحلم حلماً كاذباً ـ كلف أن يعقد بين شعيرتين، ويعذب على ذلك، ومن استمع إلى قوم وهم =

---

(١) لأبي ذؤيب. وألاكه يليكه: إذا أرسله. والمصدر الإلاكة، فالهمزة زائدة. والأصل: لاك يلوك، كقام يقوم. وأما ألكه: إذا أرسله أيضا، فمصدره: ألوكة وأليكة ومألكة، بضم اللام وفتحها. ومألك بضمها وقيل: ألاكه، إذا تحمل رسالته. فالمعنى: أرسلني، أو تحمل رسالتي إليها. ويروى: إليه: أي: إلى ذلك الأمر. والرسول في الأصل مصدر، فجاز إفراده مع تعدد معناه، ولذلك عاد إليه ضمير الجمع في أعلمهم. وشبه الخبر بمكان ذي جهات على طريق المكنية. والنواحي تخييل. أو شبه توابع الخبر التي يسأل عنها تبعاً له بالنواحي على طريق التصريحية، يعني أنه أعلم من غيره بذلك.
ينظر شرح أشعار الهذليين (ص ١١٣)، لسان العرب (لوك) (رسل)، المخصص (١٢/ ٢٢٥)، تاج العروس (ألك).

(٢)
حلفت برب الراقصات إلى منى ... خلال الملا يمددن كلّ جديل
لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ... بسر ولا أرسلتهم برسول
فلا تعجلي يا عز أن تتفهمي ... بنصح أتى الواشون أم بحبول

لكثير صاحب عزة. والراقصات: المطايا السائرات إلى منى في الحج، خلال الملا: أي في أثناء الناس. والجديل الرسن في عنقها تمده به. والواشي: الذي يحسن الكلام ويموهه، ويخلط الصدق بالكذب، ويحرف الكلم عن مواضعه. و«ما» نافية، أي: ما تفوهت عندهم بسر، ولا أرسلتهم إلى أحد برسول، أي برسالة، فهو في الأصل مصدر. وقد يطلق على المرسل، وهو الظاهر في رواية؛ (ولا راسلتهم برسول) أي لا شافهتهم بالسر ولا أرسلت إليهم رسولاً به. وهذه الرواية أوفق بالمقابلة. ويمكن أن أرسلتهم بمعنى أرسلت إليهم، والأصل: يا عزة، فرخم بحذف التاء، أن تتفهمي: أي: في أن تتفهمي. أو لأجل أن تتفهمي، بنصح، أي: أبنصح أتى الواشون إليك، أم بحبول: جمع حبل بالكسر: وهي الداهية العظيمة، ولا أدهى من الكذب.
ينظر: ديوانه ص ١١٠، ولسان العرب (رسل)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١٢/ ٣٩١، وديوان الأدب ١/ ٣٩٥، ولسان العرب (رسل)، وتاج العروس (رسل) (وفيه «برسيل» مكان «برسولِ).

ويجوز أن يوحد، لأنّ حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة، واتحادهما لذلك وللإخوة كان حكماً واحداً، فكأنهما رسول واحد، أو أريد أنّ كل واحد منا ﴿أَنْ أَرْسِلْ﴾ بمعنى: أي أرسل؛ لتضمن الرسول معنى الإرسال. وتقول: أرسلت إليك أن افعل كذا، لما في الإرسال من معنى القول، كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك. ومعنى هذا الإرسال: التخلية والإطلاق كقولك: أرسل البازي، يريد: خلهم يذهبوا معنا إلى فلسطين، وكانت مسكنهما. ويروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة، حتى قال البواب: إنّ ههنا إنساناً يزعم أنه رسول رب العالمين، فقال: ائذن له لعلنا نضحك منه، فأدّيا إليه الرسالة، فعرف موسى فقال له: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ حذف فأتيا فرعون فقالا له ذلك، لأنه معلوم لا يشتبه. وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل. الوليد: الصبي لقرب عهده من الولادة. وفي رواية عن أبي عمرو: من عمرك. بسكون الميم ﴿سِنِينَ﴾ قيل: مكث عندهم ثلاثين سنة. وقيل: وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة، وفرّ منهم على أثرها، والله أعلم بصحيح ذلك. وعن الشعبي: فعلتك بالكسرد وهي قتله القبطي، لأنه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل. وأما الفعلة؛ فلأنها كانت وكزة واحدة. عدّد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال، ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه، وعظم ذلك وفظعه[1] بقوله ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩)﴾ يجوزأن يكون حالاً. أي: قتلته وأنت لذاك من الكافرين بنعمتي. أو أنت إذ ذاك ممن تكفرهم الساعة،

= له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة».

ورواه أبي داود (٢/ ٧٢٤) كتاب الأدب، باب ما جاء في الرؤيا الحديث (٥٠٢٤). وابن حبان (١٢/ ٤٩٩) رقم (٥٦٨٦)، بلفظ: «ومن استمع إلى حديث قوم يفرون به منه صب في أذنيه الآنك» اهـ.

وأصل الحديث عند الشيخين وغيرهما، والحديث ذكره ابن الأثير في النهاية بلفظ المصنف (١/ ١٢١).

قال الحافظ: لم أجده بهذا اللفظ والمحفوظ «صب في أذنيه الآنك» وهو الرصاص. وذكره ابن الأثير في النهاية بلفظ: «البرم الدم» وقال: هو الكحل المذاب. قلت: وإنما تلقاه ابن الأثير عن الفائق، فرجع إلى الزمخشري. انتهى.

---

(١) قال محمود: «عدد نعمته عليه ووبخه بما جرى على يديه من قتل خبازه وفظعه عليه بقوله: وفعلت فعلتك» قال أحمد: ووجه التفظيع عليه من ذلك أن في إتيانه به مجملا مبهماً، إيذاناً بأنه لفظاعته مما لا ينطق به إلا مكنياً عنه. ونظيره في التفخيم المستفاد من الإبهام قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾، ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦)﴾، ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠)﴾ ومثله كثير، والله أعلم.

وقد افترى عليه أو جهل أمره؛ لأنه كان يعيشهم بالتقية، فإنّ الله تعالى عاصم من يريد أن يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر، فما بال الكفر. ويجوز أن يكون قوله ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ حكما عليه بأنه من الكافرين بالنعم، ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه. أو بأنه من الكافرين لفرعون وإلهيته. أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم، فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم، يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، وقرئ: إلهتك، فأجابه موسى بأن تلك الفعلة إنما فرطت منه وهو ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي الجاهلين. وقراءة ابن مسعود: من الجاهلين، مفسرة. والمعنى: من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه. كما قال يوسف لإخوته ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل. أو الذاهبين عن الصواب. أو الناسين، من قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه، وبرّ ساحته، بأن وضع الضالين موضع الكافرين رَبئاً بمحل من رشح للنبوّة عن تلك الصفة، ثم كرّ على امتنانه عليه بالتربية، فأبطله من أصله واستأصله من سنخه[1]، وأبى أن يسمي نعمته إلا نقمة. حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل؛ لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته، فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه إذا حققت، وتعبيدهم: تذليلهم واتخاذهم عبيداً. يقال: عبدت الرجل وأعبدته، إذا اتخذته عبداً، قال [من البسيط]:

عَـلَامَ يُـعْـبِـدُنِـي قَـوْمِـي وَقَـدْ كَـثُـرَتْ فِيهِمْ أَبَاعِرُ مَا شَاءُوا وَعُبْدَانُ؟[2] ٢/٥٦ب

فإن قلت: إذا جواب وجزاء معا، والكلام وقع جواباً لفرعون، فكيف وقع جزاء

---

(١) قوله «واستأصله من سنخته» في الصحاح «السنخ» الأهل، وسنخ في العلم سنوخاً رسخ: وسنخ الدهر ـ بالكسر ـ: لغة في زنخ، إذا فسد وتغير ريحه. يقال: بيت له سنخة وسناخة اهـ. (ع)

(٢) علام: استفهام إنكاري عن العلة، أي: على أي شيء. وأعبدت الرجل وعبدته: إذا اتخذته عبداً. والأباعر: جمع بعير، يطلق على الذكر والأنثى من الإبل. والعبد: يجمع على عبدان بالكسر والضم وعبدي، بتشديد الدال مقصوراً وممدوداً، ومعبوداً، وعباد، وأعبد، وعبيد، وعبد بضمتين وبفتحتين، يقول: لأي شيء يتخذوني عبداً، والحال أنه كثرت فيهم الإبل والعبيد بسببي، فليتخذوا منها ما شاؤوا. وما شاؤوا: بدل من الأباعر أو واقع موقع المصدر لكثرت، دلالة على التكثير. وفي هذه الحال: تهكم بهم ودلالة على حمقهم. ويجوز أن المعنى: والحال أن بعضهم كالأباعر، وبعضهم عبيد، فليكتفوا ببعضهم عني. وقيل: يجوز أن التقييد بهذه الحالة، لأنها التي حملتهم على التكبر عليه.
وهو للفرزدق في ديوانه ص ١٨٤ (طبعة الصاوي)، ولسان العرب (عبد)، وبلا نسبة في لسان العرب (عبد)، وديوان الأدب ٢/ ٢٩٢، وأساس البلاغة (عبد)، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٣٣، ونوادر أبي زيد ص ٨٧، وتاج العروس (عبد).

قلت: قول فرعون: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ فيه معنى: إنك جازيت نعمتي بما فعلت، فقال له موسى: نعم فعلتها مجازياً لك، تسليماً لقوله، لأنّ نعمته كانت عنده جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء. فإن قلت: لم جمع الضمير في منكم وخفتكم؟ مع إفراده في تمنها وعبدت؟ قلت: الخوف والفرار لم يكونا منه وحده، ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله، بدليل قوله: ﴿ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ [القصص: ٢٠]، وأما الامتنان فمنه وحده، وكذلك التعبيد. فإن قلت: (تلك) إشارة إلى ماذا. و﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ ما محلها من الإعراب؟ قلت: تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة، لا يدري ما هي إلا بتفسيرها. ومحل ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ الرفع عطف بيان لتلك. ونظيره قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ [الحجر: ٦٦] والمعنى: تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي. وقال الزجاج: ويجوز أن يكون (أن) في موضع نصب، المعنى: إنما صارت نعمة عليّ لأن عبدت بني إسرائيل؛ أي: لو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾

لما قال له بوّابه إن ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يريد: أي شيء رب العالمين. وهذا السؤال لا يخلو: إما أن يريد به أي شيء هو من الأشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها، فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة، ليعرّفه أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الأجرام والأعراض، وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] وإما أن يريد به: أي شيء هو على الإطلاق، تفتيشاً عن حقيقته الخاصة ما هي، فأجابه بأنّ الذي إليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته، استدلالاً بأفعاله الخاصة على ذلك. وأمّا التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول، فتفتيش عما لا سبيل إليه، والسائل عنه متعنت غير طالب للحق. والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام: أن يكون سؤاله هذا إنكار لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية، فلما أجاب موسى بما أجاب، عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية إلى غيره، فلما ثنى بتقرير قوله، جننه إلى قومه وطنز به[1]، حيث سماه رسولهم، فلما ثلث بتقرير آخر: احتدّ واحتدم وقال: لئن اتخذت إلهاً غيري. وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾

---

(١) قوله «وطنز به» أي: سخر به واحتدم، أي: التهب صدره غيظاً. أفاده الصحاح. (ع)

فإن قلت: كيف قيل ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ على التثنية، والمرجوع إليه مجموع؟ قلت: أريد وما بين الجنسين، فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال [من البسيط]:

. . . . فِـي الْـهَـيْـجَـا جِـمَـالَـيْـنِ[1]

فإن قلت: ما معنى قوله ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ وأين عن فرعون وملئه الإيقان؟ قلت: معناه إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب، وإلا لم ينفع. أو إن كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توقنون به، لظهوره وإنارة دليله.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)﴾

فإن قلت: ومن كان حوله؟ قلت: أشراف قومه قيل: كانوا خمسمائة رجل عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة. فإن قلت: ذكر السموات والأرض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها، ما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب؟ قلت: قد عمم أوّلا، ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم. لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه، وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع، والناقل من هيئة إلى هيئة وحال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته، ثم خصص المشرق والمغرب، لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به؛ ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الله، عن

---

(١) سعى عقالاً فلم يترك لنا سبدًا ... فكيف لو قد سعى عمرو عقالين؟
لأصبح الناس أو بادا ولم يجدوا ... عند التفرق في الهيجا جمالين

الساعي: المنصوب لأخذ الزكاة. والعقال: زكاة العام، والمراد به هنا العام، لأنه جرى مجرى الظرف. والسبد: الشيء القليل. يقال: لا له سبد ولا لبد، أي: لا قليل ولا كثير. وقال الأصمعي: الأول من الشعر، والثاني من الصوف. والأوباد: جمع وبد بفتحتين، وأصله ضيق العيش وسوء الحال، فاستعمل استعمال الصفات للمبالغة، وثنى الجمال على معنى نوعين منها أو طائفتين منها ولو من نوع واحد. يقول: سعى سنة واحدة لأخذ زكاتها، فظلمنا ولم يترك لنا شيئاً قليلاً من مالنا، فكيف يكون حالنا لو سعى عامين. وفي ذكر عمرو بعد تقدم ضميره نوع من التهويل. ويحتمل أنه من باب التنازع، فيجوز أن الظاهر فاعل الأول، وفاعل الثاني ضميره، وقوله «لأصبح» مرتب على محذوف، أي: لو سعى عقالين، لأصبح الناس هلكى من الفقر، ولم يجدوا عند تفرقهم في الحرب نوعين من الجمال: لكل فريق منهما نوع، فيختل أمر الغزوات لاحتمال محاربة العدو في جهتين بل في جهات، فيحتاج إلى جمالين، بل إلى جمالات.

وهو لعمرو بن العداء في خزانة الأدب ٧/٥٧٩، ٥٨٠، وشرح شواهد الإيضاح ص ٥٦٠، ولسان العرب (وبد)، ١١/ ٤٦٤ (عقل)، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٤/٢٠٣، وشرح المفصل ٤/ ١٥٣، ومجالس ثعلب ١/ ١٧١، والمقرب ٢/ ٤٣.

الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمروذ بن كنعان، فبهت الذي كفر. وقرئ: رب المشارق والمغارب. الذي أرسل إليكم بفتح الهمزة. فإن قلت: كيف قال أوّلاً ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ وآخراً ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؟ قلت: لاين أوّلاً، فلما رأى منهم شدّة الشكيمة[1] في العناد وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض: إنّ رسولكم لمجنون، بقوله: إن كنتم تعقلون.

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩)﴾

فإن قلت: ألم يكن: لأسجننك، أخصر من ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ ومؤدياً مؤداه؟ قلت: أما أخصر فنعم. وأما مؤدّ مؤدّاه فلا؛ لأنّ معناه: لأجعلنك واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني. وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه ٢/٥٧أ فيطرحه في هوّة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردًا لا يبصر فيها ولا يسمع، فكان ذلك أشدّ من القتل وأشدّ.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١)﴾

الواو في قوله: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ﴾ واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام. معناه: أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين، أي: جائياً بالمعجزة. وفي قوله: ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أنه لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه، لأن المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوّة، والحكيم لا يصدّق الكاذب. ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا، وخفي على ناس من أهل القبلة[2] حيث جوّزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات[3]، وتقديره: إن كنت من الصادقين في دعواك أتيت به، فحذف الجزاء، لأن الأمر بالإتيان به يدل عليه.

---

(١) قوله شدة الشكيمة؛ في الصحاح: فلان شديد الشكيمة، إذا كان شديد النفس أنفاً أبيا. (ع)

(٢) قوله «وخفي على ناس من أهل القبلة» يريد أهل السنة، حيث قالوا: إن كلا من الحسن والقبيح بقضاء الله تعالى وقدره، ولم يلزمهم باطل كما بين في علم التوحيد. (ع)

(٣) قال محمود: «علم فرعون أنه لا يأتي بالمعجزة إلا صادق في دعواه، لأن المعجزة تصديق من الله تعالى لمدعي النبوة، والحكيم لا يصدق الكاذب. ومن العجب أن فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على طائفة من أهل القبلة، حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات. انتهى كلامه» قال أحمد: ليته سلم وجه تصنيفه من ثآليل هذه الأباطيل، وكلف هذا التكليف في كيده لأهل السنة وإن كيده لفي تضليل، بينا هو يعرض بتفضيل فرعون عليهم، إذا هو قد حتم على إخوانه القدرية أنهم فراعنة، وأن كلاً منهم إذا فتش نفسه وجد فيها نصيباً من فرعنته حيث يقول ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ لأنهم يعتقدون أن أفعالهم خلقهم، وأنهم لها مبدعون خالقون كلا إنهم لهم المبتدعون المختلقون، لأنهم حجروا على الله تعالى أن يفعل إلا ما توطأت أوهامهم، على أنه =

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر الثعبانية، لا شيء يشبه الثعبان، كما تكون الأشياء المزوّرة بالشعوذة والسحر. وروي أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل، ثم انحطت مقبلة إلى فرعون، وجعلت تقول: يا موسى، مرني بما شئت. ويقول فرعون: أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها، فأخذها فعادت عصا ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ دليل على أن بياضها كان شيئاً يجتمع النظارة على النظر إليه، لخروجه عن العادة، وكان بياضاً نورياً. روي أنّ فرعون لما أبصر الآية الأولى قال: فهل غيرها؟ فأخرج يده فقال له: ما هذه؟ قال: يدك فما فيها؟ فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار[1] ويسدّ الأفق.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

فإن قلت: ما العامل في ﴿حَوْلَهُۥٓ﴾؟ قلت: هو منصوب نصبين: نصب في اللفظ، ونصب في المحل؛ فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف، والعامل في النصب

= حسن بالنسبة إلى الخلق في الشاهد. فمن ثم أشركوا به وهم لا يشعرون. ولما هدى الله تعالى أهل السنة إلى التوحيد الحق، اعتقدوا أن كل شيء هو مخلوق لله تعالى لا شريك له في ملكه، وأن كل ممكن يجوز أن ينظمه سلطان القدرة الأزلية في سلكه، فكان من الممكنات أن يبتلي الله عباده بخرق العادات على أيدي الكذابين، ومراده إظهار الضلالات: وقد اندرج ذلك لكونه ممكناً تحت سطوة القدرة حقاً بيناً، ثم لم يلزم من ذلك لله الحمد خرم في الدين، فإن توهم ناظر بعين الهوى والغرض، معنون عما في قلبه من مرض: أن ذلك يجر إلى عدم الوثوق بمعجزات الأنبياء، حيث كان على يد غيرهم من الكذابين الأشقياء. قيل: معاذ الله أن نأخذ ذلك بنفس مطمئنة بصدق الأنبياء، آمنة بحصول العلم لها من وقوع ما جوزه العقل، ولو قدح الامكان العقلي في علم حاصل يقيني، للزم الآن الشك في أن جبال الأرض قد عادت تبراً أحمر، وترابها مسكاً أذفر، وانقلبت البحار دما عبيطاً لأن ذلك ممكن في العقل بلا خلاف، ولا يشكك نفسه في هذا الإمكان إلا ذو خبل وعته وعمي وعمه، وأين الزمخشري من الحديث الصحيح في الشاب الذي يكذب الدجال فيقسمه بالسيف جزلتين فيمشي بينهما، ثم يقول له: عد فيعود حياً، فيقول له: ما ازددت فيك إلا بصيرة، أنت الدجال الذي وصفه لنا رسول الله ﷺ، فيهم به ثاني مرة فلا يسلط عليه. قال النبي ﷺ: وهو حينئذ خير أهل الأرض، أو من خير أهل الأرض، أفرأيت هذا المؤمن لما نظر انخراق العادة على يد أكذب الكاذبين حتى شاهد ذلك في نفسه، لم يشككه ذلك في معلومه، فلم يتلكأ في معاودة تكذيبه، ولكن ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾.

(١) قوله «ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار» في الصحاح «الغشاء»: الغطاء .اهـ. ولعل عبارة المصنف يعشى بالعين المهملة، وفي الصحاح: «العشا» مقصور: مصدر: الأعشى، وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار. (ع)

المحلي وهو النصب على الحال: قال: ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين، وبقي لا يدري أي طرفيه أطوف، حتى زلّ عنه ذكر دعوى الإلهية، وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية، وارتعدت فرائصه، وانتفخ سحره خوفاً وفرقاً[1]؛ وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم: أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذر منه وتوقعه وأحسّ به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه وأرضه، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ قول باهت إذا غلب ومتمحل إذا لزم ﴿تَأْمُرُونَ﴾ من المؤامرة وهي المشاورة. أو من الأمر الذي هو ضدّ النهي: جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استوى عليه من فرط الدهش والحيرة. وماذا منصوب: إما لكونه في معنى المصدر، وإما لأنه مفعول به من قوله: أمرتك الخير.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

قرئ: أرجئه وأرجه: بالهمز والتخفيف، وهما لغتان، يقال: أرجأته وأرجيته، إذا أخرته. ومنه: المرجئة[2]، وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون: هم مرجئون لأمر الله. والمعنى: أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة. وقيل: احبسه ﴿حَٰشِرِينَ﴾ شرطاً يحشرون السحرة[3]، وعارضوا قوله: إن هذا لساحر، بقولهم: بكل سحار، فجاءوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة، ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه. وقرأ الأعمش: بكل ساحر.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

اليوم المعلوم: يوم الزينة. وميقاته. وقت الضحى؛ لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩]

---

(١) قوله: «وانتفخ سحره خوفاً وفرقاً» في الصحاح: «السحر»: الرئة. ويقال للجبان: قد انتفخ سحره. (ع)

(٢) قال محمود: «معناه أخره. ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون: هم مرجئون لأمر الله» قال أحمد: ضاقت عليه المسالك في تفسير الأرجاء، حتى استدل عليه بالمرجئة، وصرف هذا اللقب لأهل السنة، فإنهم هم الذين لا يقطعون بوعيد فساق المؤمنين، ويقولون: أمرهم إلى الله، إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم. فإن كانت المرجئة هم المؤمنون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ اللهم فاشهد أنا مرجئة.

(٣) قوله «شرطاً يحشرون السحرة» الشرط ـ محركة ـ: الحرس، سموا بذلك لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها، أفاده الصحاح. (ع)

والميقات: ما وقت به، أي حدد من زمان أو مكان. ومنه: مواقيت الإحرام ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ استبطاء لهم في الاجتماع، والمراد منه: استعجالهم واستحثاثهم، كما يقول الرجل لغلامه: هل أنت منطلق: إذا أراد أن يحرّك منه ويحثه على الانطلاق، كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف، ومنه قول تأبط شرًا [من البسيط]:

هَلْ أَنْتَ بَاعِثُ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا ... أَوْ عَبْدَ رَبٍّ أَخَا عَوْنِ بْنِ مِخْرَاقِ؟[1]

يريد: ابعثه إلينا سريعاً ولا تبطىء به ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ أي في دينهم إن غلبوا موسى، ولا نتبع موسى في دينه. وليس غرضهم باتباع السحرة[2]، وإنما الغرض الكلي: أن لا يتبعوا موسى، فساقوا الكلام مساق الكناية؛ لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى عليه السلام.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾

وقرئ: نعم، بالكسر[3]، وهما لغتان، ولما كان قوله ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ في معنى جزاء الشرط، لدلالته عليه، وكان قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ معطوفاً عليه ومدخلاً في حكمه، دخلت إذا قارّة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء، وعدهم أن يجمع لهم إلى الثواب على سحرهم الذي قدروا أنهم يغلبون به موسى: القربة ٢/ ٥٧ب عنده والزلفى.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

أقسموا بعزة فرعون وهي من أيمان الجاهلية، وهكذا كل حلف بغير الله، ولا يصح في الإسلام إلا الحلف بالله معلقاً ببعض أسمائه أو صفاته، كقولك: بالله، والرحمن، وربي، ورب العرش، وعزة الله، وقدرة الله، وجلال الله، وعظمة الله. قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمّهاتكم ولا بالطواغيت، ولا تحلفوا إلا بالله،

---

(١) لتأبط شراً. وقيل: لجرير الخطفي، وهل: استفهام استبطائي فيه حث على الفعل. ودينار: اسم رجل وعبد رب كذلك، وهو نصب عطفاً على محل دينار، لأنه مفعول معنى. وأخا عون: نعت له. وقيل: منادى. و(عون ومخراق) اسمان لرجلين. ويروى «عوف» بالفاء.
ينظر البيت في الكتاب ١/ ١٧١، خزانة الأدب ٧/ ٢١٥، همع الهوامع ٢/ ١٤٥، الدرر ٢/ ٢٠٤، المقتضب ٤/ ١٥١، الدر المصون ٣/ ١٣٤.

(٢) قوله «باتباع السحرة» لعله: اتباع، كعبارة النسفي. (ع)

(٣) قوله «وقرىء نعم بالكسر» أي كسر العين، كما في الصحاح. (ع)

ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون» (١٠٧٥) ولقد استحدث الناس في هذا الباب في إسلامهم جاهلية نسيت، لها الجاهلية الأولى، وذلك أنّ الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شيء: لم يقبل منه، ولم يعتدّ بها حتى يقسم برأس سلطانه، فإذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف.

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم، ويزوّرونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى، بالتمويه على الناظرين أو إفكهم: سمى تلك الأشياء إفكاً مبالغة. روي أنهم قالوا: إن يك ما جاء به موسى سحراً فلن يغلب، وإن كان من عند الله فلن يخفى علينا، فلما قذف عصاه فتلقفت ما أتوا به، علموا أنه من الله فآمنوا.

١٠٧٥ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ٢٢٢) كتاب الأيمان والنذور: باب في كراهية الحلف بالآباء حديث (٣٢٤٨)، والنسائي (٧/ ٥)، كتاب الأيمان والنذور: باب الحلف بالأمهات كلاهما من طريق عبيد الله بن معاذ قال: ثنا أبي قال: ثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون».
وأخرجه النسائي (٧/ ٧) كتاب الأيمان والنذور باب الحلف بالطواغيت من طريق الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة مرفوعاً: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت» وللحديث شاهد من حديث ابن عمر.
أخرجه مالك (٢/ ٤٨٠) كتاب النذور والأيمان / باب جامع الأيمان (١٤) والبخاري ١١/ ٥٣٨ كتاب الأيمان والنذور / باب لا تحلفوا بآبائكم (٦٦٤٦) ومسلم (٢/ ١٢٦٧) كتاب الأيمان / باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (١٦٤٦/ ٣) والترمذي (١٥٣٤) والدارمي (٢/ ١٨٥) وابن حبان ١٠/ ٢٠١ ـ ٢٠٤ كتاب الأيمان حديث (٤٣٥٩ ـ ٤٣٦٠ ـ ٤٣٦١)، والبيهقي (١٠/ ٢٨) كتاب الأيمان / باب كراهية الحلف بغير الله عز وجل وأحمد في المسند ٢/ ١١ ـ ١٧ ـ ١٤٢، والحميدي (٢/ ٣٠١ / ٦٨٦) وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١٦٠) من طرق عن نافع عن ابن عمر: «أن رسول الله ـ ﷺ ـ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت».
وأخرجه البخاري ١١/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩ كتاب الأيمان والنذور / باب لا تحلفوا بآبائكم (٦٦٤٧) ومسلم (٢/ ١٢٦٦) كتاب الأيمان / باب النهي عن الحلف بغير الله (١٦٤٦) وأبو داود (٢/ ٢٤٢) كتاب الأيمان / باب في كراهية الحلف بالآباء (٣٢٥٠).
قال الحافظ: أخرجه النسائي من حديث أبي هريرة دون قوله: «ولا تحلفوا إلا بالله» وقال: «بالأنداد» بدل: «الطواغيت»، وله من حديث عبد الرحمن بن سمرة: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت»، مختصر وفي الصحيحين عن ابن عمر رفعه: «من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله».
انتهى.

وعن عكرمة ـ رضي الله عنه ـ: أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء، وإنما عبر عن الخرور بالإلقاء، لأنه ذكر مع الإلقاءات، فسلك به طريق المشاكلة. وفيه أيضاً مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا، لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين، كأنهم أخذوا فطرحوا طرحاً. فإن قلت: فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به؟ قلت: هو الله عزّ وجل بما خوّلهم من التوفيق. أو إيمانهم. أو ما عاينوا من المعجزات الباهرة، ولك أن لا تقدّر فاعلاً؛ لأنّ (ألقوا) بمعنى خرّوا وسقطوا ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ عطف بيان لرب العالمين، لأنّ فرعون لعنة الله عليه كان يدعي الربوبية، فأرادوا أن يعزلوه. ومعنى إضافته إليهما في ذلك المقام: أنه الذي يدعو إليه هذان، والذي أجرى على أيديهما ما أجرى.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ﴾ أي وبال ما فعلتم.

﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

الضر والضير والضور: واحد، أرادوا: لا ضرر علينا في ذلك، بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله، من تكفير الخطايا والثواب العظيم، مع الأعواض الكثيرة. أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت. والقتل أهون أسبابه وأرجاها. أو لا ضير علينا في قتلك، إنك إن قتلتنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته، لما رزقنا من السبق إلى الإيمان وخبر ﴿لَا﴾ محذوف. والمعنى: لا ضير في ذلك، أو علينا ﴿أَن كُنَّآ﴾ معناه: لأن كنا، وكانوا أوّل جماعة مؤمنين من أهل زمانهم، أو من رعية فرعون، أو من أهل المشهد. وقرئ: إن كنا، بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدلّ بأمره(١)، المتحقق لصحته، وهم كانوا متحققين أنهم أوّل المؤمنين. ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله: إن كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ﴾ [الممتحنة: ١] مع علمه أنهم لم يخرجوا إلا لذلك.

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾

---

(١) قوله «المدل بأمره» أي الواثق به. أفاده الصحاح. (ع)

قرئ: أسر، بقطع الهمزة ووصلها. وسر ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم. والمعنى: أني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدّموا ويتبعوكم، حتى يدخلوا مدخلكم، ويسلكوا مسلككم من طريق البحر، فأطبقه عليهم فأهلكهم. وروي: أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد، فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه. وروي: أنّ الله أوحى إلى موسى: أن اجمع بني إسرائيل، كل أربعة أبيات في بيت، ثم اذبحوا الجداء[١] واضربوا بدمائها على أبوابكم، فإني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتاً على بابه دم، وسآمرهم بقتل أبكار القبط، واخبزوا خبزا فطيراً[٢] فإنه أسرع لكم، ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فيأتيك أمري، فأرسل فرعون في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسوّر، مع كل ملك ألف، وخرج فرعون في جمع عظيم، وكانت مقدّمته سبعمائة ألف: كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث ٢/٥٨إ فلذلك استقل قوم موسى عليه السلام وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً، وسماهم شرذمة قليلين ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ محكى بعد قول مضمر. والشرذمة: الطائفة القليلة. ومنها قولهم: ثوب شراذم، للذي بلى وتقطع قطعاً، ذكرهم بالاسم الدال على القلة، ثم جعلهم قليلاً بالوصف، ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً، واختار جمع السلامة الذي هو للقلة[٣]، وقد يجمع القليل على أقلة وقلل[٤]. ويجوز أن يريد بالقلة: الذلة والقماءة، ولا يريد قلة العدد. والمعنى: أنهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم، ولكنهم يفعلون أفعالاً تغيظنا وتضيق صدورنا، ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر

---

(١) قوله «ثم اذبحوا الجداء» في الصحاح «الجدي» من ولد المعز. وثلاثة أجد. فإذا كثرت فهي الجداء. (ع)

(٢) قوله «واخبزوا خبزاً فطيراً» في الصحاح «الفطير»: خلاف الخمير، وكل شيء أعجلته عن إدراكه فهو فطير. (ع)

(٣) قال محمود: «وقللهم من أربعة أوجه: عبر عنهم بالشرذمة وهي تفيد القلة، ثم وصفهم بالقلة، وجمع وصفهم ليعلم أن كل ضرب منهم قليل، واختار جمع السلامة ليفيد القلة» قال أحمد: ووجه آخر في تقليلهم يكون خامساً: وهو أن جمع الصفة والموصوف منفرد، قد يكون مبالغة لصوق ذلك الوصف بالموصوف وتناهيه فيه بالنسبة إلى غيره من الموصوفين به، كقولهم: معا زيد جياع، مبالغة في وصفه بالجوع، فكذلك ههنا جمع قليلاً، وكان الأصل إفراده فيقال: لشرذمة قليلة، كما أفرد في قوله (كم من فئة قليلة) ليدل بجمعه على تناهيهم في القلة، لكن يبقى النظر في أن هذا السر يبقي الوجوه المذكورة على ما هي عليه، أو يسقط منها شيئاً ويخلفه، فتأمله والله الموفق.

(٤) قوله «وقد يجمع القليل على أقلة وقلل» في الصحاح: مثل سرير وسرر. (ع)

واستعمال الحزم في الأمور، فإذا خرج علينا خارج، سارعنا إلى حسم فساده؛ وهذه معاذير، اعتذر بها إلى أهل المدائن؛ لئلا يظنّ به ما يكسر من قهره وسلطانه. وقرئ: حذرون وحاذرون وحادرون[1]، بالدال غير المعجمة. فالحذر: اليقظ، والحاذر: الذي يجدّد حذره. وقيل: المؤدي في السلاح، وإنما يفعل ذلك حذراً واحتياطاً لنفسه. والحادر: السمين القوي، قال [من الطويل]:

أُحِبُّ الصَّبِيَّ السُّوءَ مِنْ أَجْلِ أُمِّهِ وَأُبْغِضُهُ مِنْ بُغْضِهَا وَهْوَ حَادِرُ[2]

أراد أنهم أقوياء أشداء. وقيل مدججون في السلاح، قد كسبهم ذلك حدارة في أجسامهم.

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾

وعن مجاهد: سماها كنوزاً لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله. والمقام: المكان، يريد: المنازل الحسنة والمجالس البهية. وعن الضحاك: المنابر. وقيل السر في الحجال[3] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه: النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه. والجر على أنه وصف لمقام، أي: مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم. والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: الأمر كذلك. ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ فلحقوهم. وقرئ: فاتبعوهم ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت الشروق، من شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾

---

(١) قوله «وقرىء حذرون وحاذرون وحادرون» في الصحاح: وقرىء: وإنا لجميع حاذرون. وحذِرون. وحذُرون، أيضاً بضم الذال، حكاه الأخفش. ومعنى «حاذرون» متأهبون. وفيه: آد الرجل، أي قوى، من الأداة، فهو مؤد بالهمز، أي: شاك في السلاح. وفيه آديت للسفر فأنا مؤد له، إذا كنت متهيئاً له (ع)

(٢) الحادر: القوي الشديد، أو الشجاع الباسل، أي: إن مدار حب الولد على حب أمه، لا على حسن أوصافه وضمير «أبغضه» عائد على الصبي بدون وصفه، لكن هذه شيمة المنهمك في حب النساء. ينظر لسان العرب (حدر)، تاج العروس (حدر) تهذيب اللغة (٤/٤٠٨)، البحر المحيط (٧/١٨)، الدر المصون (٥/ ٢٧٤).

(٣) قوله «وقيل السر في الحجال» السر: الجماع، والحجال: جمع حجلة وهي بيت العروس يزين بالثياب والأسرة والستور، كذا في الصحاح. (ع)

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨)﴾

﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريق النجاة من إدراكهم وإضرارهم. وقرئ، فلما تراءت الفئتان. إنا لمدّرِكون: بتشديد الدال وكسر الراء، من ادّرك الشيء إذا تتابع ففنى. ومنه قوله تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [النمل: ٦٦]، قال الحسن: جهلوا علم الآخرة، وفي معناه بيت الحماسة [من الطويل]:

أَبَـعْـدَ بَـنِـي أُمِّـي الَّـذِيـنَ تَـتَـابَـعُـوا أُرَجِّي الْحَيَاةَ أَمْ مِنَ الْمَوْتِ أَجْزَعُ؟[١]

والمعنى: إنا لمتابعون في الهلاك على أيديهم، حتى لا يبقى منا أحد. الفرق: الجزء المتفرّق منه. وقرئ: كل فلق. والمعنى واحد. والطود: الجبل العظيم[٢] المنطاد في السماء ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ﴾ حيث انفلق البحر ﴿الْآخَرِينَ﴾ قوم فرعون، أي: قربناهم من بني إسرائيل: أو أدنينا بعضهم من بعض، وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد، أو قدمناهم إلى البحر، وقرئ: وأزلقنا بالقاف، أي: أزللنا أقدامهم، والمعنى: أذهبنا عزهم؛ كقوله [من الطويل]:

تَـدَارَكْـتُـمَـا عَـبْـساً وَقَـدْ ثُـلَّ عَـرْشُـهَـا وَذُبْـيَـانَ إِذْ زَلَّـتْ بِـأَقْـدَامِـهَـا الـنَّـعْـلُ[٣]

---

(١) أبعد بني أمي الذين تتابعوا أرجي حياة أم من الموت أجزع؟
ثمانية كانوا ذؤابة قومهم بهم كنت أعطي ما أشاء وأمنع
أولئك إخوان الصفاء رزئتهم وما الكف إلا أصبع ثم أصبع
لأبي الحناك البراء ربعي الفقعسي، والهمزة للاسفتهام الإنكاري، والمراد التحسر والتحزن، وتتابعوا أي انقرضوا واحداً بعد واحد. أرجى: أي ارتجى حياة أم أجزع من الموت، أي: لا أفعل ذلك بعدهم وقال: بني أمي، لأن المقام مقام رقة ورحمة، فهم ثمانية كانوا رؤساء قومهم، كالذؤابة للرأس، وهي شعرها الذي يتحرك حولها، فهو تشبيه بليغ، ثم قال: كنت بهم أفعل ما أريد من الإعطاء والمنع. ويجوز بناء الفعلين للمجهول، فالمعنى: كنت بهم أنال ما أشاء وأكفي شر ما أشاء، ورزأته أصبته في ماله. ورزأته ماله. ورزأتهم: مبني للمجهول، أي: نقصني الدهر إياهم وأخذهم مني، فلا قوة لي بعدهم، كما أن الكف إذا فقدت أصابعها بطلت قوتها؛ لأن بطشها ليس إلا بالأصابع منتظمة مرتبة، فهم لي كالأصابع للكف.
ينظر البحر المحيط (٧/ ٢٠)، الدر المصون (٥/ ٢٧٥).

(٢) قوله «والطود» الجبل العظيم المنطاد في السماء» في الصحاح «طود في الجبال»: مثل طوف وطوح. والمطاود مثال المطاوح. (ع)

(٣) لزهير يمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف. وعبس وذبيان كلاهما اسم قبيلة. يقول: تداركتما هاتين القبيلتين بالصلح بينهما ودفع ديات قتلاهم، وقد ثل: أي هدم عرشها. وهذا تمثيل لذهاب عزهم وفناء دواتهم. وزلت النعل بالقدم: زلقت عن مقرها، وهذا أيضاً تمثيل لاختلال أمرهم =

ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني إسرائيل يبساً فيزلقهم فيه. عن عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون، فكان يقول لبني إسرائيل: ليلحق آخركم بأولكم. ويستقبل القبط فيقول: رويدكم يلحق آخركم. فلما انتهى موسى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون ـ وكان بين يدي موسى: أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون؟ قال: أمرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع، فأوحى الله تعالى إليه: أن اضرب بعصاك البحر. فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقاً: لكل سبط طريق. وروي أنّ يوشع قال: يا كليم الله، أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا؟ قال موسى: ههنا. فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا. وروي أنّ موسى قال عند ذلك: يا من كان قبل كل شيء، والمكوّن لكل شيء. والكائن بعد كل شيء. ويقال: هذا البحر هو بحر القلزم. وقيل: هو بحر من وراء مصر، يقال له: أساف ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أية آية، وآية لا توصف، وقد عاينها الناس وشاع أمرها فيهم، وما تنبه عليها أكثرهم، ولا آمن بالله. وبنو إسرائيل: الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالإنجاء قد سألوه بقرة يعبدونها، واتخذوا العجل، وطلبوا رؤية الله جهرة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المنتقم من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾

كان إبراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة أصنام / ٢/ ٥٨ب؛ ولكنه سألهم ليريهم أنّ ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء، كما تقول للتاجر: ما مالك؟ وأنت تعلم أنّ ماله الرقيق، ثم تقول له: الرقيق جمال وليس بمال. فإن قلت: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ سؤال عن المعبود فحسب، فكان القياس أن يقولوا: أصناما، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣]، ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠]. قلت: هؤلاء قد جاؤوا بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين، فاشتملت على جواب إبراهيم، وعلى ما قصدوه من إظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار. ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ ولم يقتصروا على

= وفساد رأيهم. وفي البيت شبه الطباق، حيث إن الأولى أتاها العذاب من فوق رأسها. والثانية: أتاها من تحت أرجلها.

ينظر: ديوانه ص ١٠٩، ولسان العرب (عرش)، (حلف)، (ثلل)، وجمهرة اللغة ص ٨٤، وكتاب العين ١/ ٢٤٩، ومقاييس اللغة ١/ ٣٦٩، ٤/ ٢٦٥، وأساس البلاغة (عرش)، والمخصّص ٦/ ٨، وتاج العروس (عرش)، (حلف)، (ثلل)، وديوان الأدب ١/ ١١٤.

زيادة نعبد وحده. ومثاله أن تقول لبعض الشطار: ما تلبس في بلادك؟ فيقول: ألبس البرد الأتحمي[1]، فأجرّ ذيله بين جواري الحي. وإنما قالوا: نظل، لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾

لا بد في ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ من تقدير حذف المضاف، معناه: هل يسمعون دعاءكم. وقرأ قتادة: يسمعونكم، أي: هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم؟ وهل يقدرون على ذلك؟ وجاء مضارعاً مع إيقاعه في إذ على حكاية الحال الماضية. ومعناه: استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها، وقولوا هل سمعوا أو أسمعوا قط. وهذا أبلغ في التبكيت.

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾

ما أجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم: رقوا أمر تقليدكم هذا إلى أقصى غاياته وهي عبادة الأقدمين الأوّلين من آبائكم، فإن التقدّم والأوّلية لا يكون برهانا على الصحة، والباطل لا ينقلب حقاً بالقدم، وما عبادة من عبد هذه الأصنام إلا عبادة أعداء له، ومعنى العداوة قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨٢] ولأنّ المغري على عبادتها أعدى أعداء الإنسان وهو الشيطان، وإنما قال: ﴿عَدُوٌّ لِّي﴾تصويراً للمسألة في نفسه، على معنى: أني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدوّ، فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه، وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أوّلاً وبنى عليها تدبير أمره، لينظروا فيقولوا: ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه، وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه، ليكون أدعى لهم إلى القبول، وأبعث على الاستماع منه. ولو قال: فإنه عدوّ لكم لم يكن بتلك المثابة، ولأنه دخل في باب من التعريض، وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح؛ لأنه يتأمّل فيه، فربما قاده التأمّل إلى التقبل. ومنه ما يحكى عن الشافعيّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنّ رجلا واجهه بشيء فقال: لو كنت بحيث أنت، لاحتجت إلى أدب، وسمع رجل ناساً يتحدثون في الحجر فقال: ما هو ببيتي ولا بيتكم.

---

(١) قوله «البرد الأتحمي» في الصحاح «الأتحمي»: ضرب من البرود. (ع)

والعدوّ والصديق: يجيئان في معنى الوحدة والجماعة، قال [من المتقارب]:

وَقَــوْمٍ عَــلَــيَّ ذَوِي مِــرَّةٍ أَرَاهُــمْ عَــدُوًّا وَكَــانُــوا صَــدِيــقَــا[١]

ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ شبها بالمصادر للموازنة، كالقبول والولوع، والحنين والصهيل ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استثناء منقطع، كأنه قال: ولكن رب العالمين ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ يريد أنه حين أتمّ خلقه ونفخ فيه الروح، عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع إلى كلّ ما يصلحه ويعنيه، وإلا فمن هداه إلى أن يغتذي بالدم في البطن امتصاصا، ومن هداه إلى معرفة الثدي عند الولادة، وإلى معرفة مكانه، ومن هداه لكيفية الارتضاع، إلى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد، وإنما قال: ﴿مَرِضْتُ﴾ دون «أمرضني» لأنّ كثيراً من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه[٢] وغير ذلك. ومن ثم قالت الحكماء: لو قيل لأكثر الموتى: ما سبب آجالكم؟ لقالوا التخم. وقرئ: خطاياي، والمراد: ما يندر منه من بعض الصغائر؛ لأنّ الأنبياء معصومون مختارون على العالمين. وقيل: هي قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ وقوله لسارة: هي أختي. وما هي إلا معاريض كلام، وتخييلات للكفرة، وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار. فإن قلت: إذا لم يندر منهم إلا الصغائر وهي تقع مكفرة، فما له أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا

---

(١) المرة: القوة، وشدة الجدال. ويروى: ذوي مبرة، أي: عداوة أو فخر أو شدة. والعدو والصديق يجيئان للمذكر والمؤنث والمثنى والجمع. يقول: ورب قوم أصحاب قوة علي، أراهم اليوم أعداء وكانوا أصدقاء.

(٢) قال محمود: «إنما أضاف المرض إلى نفسه لأن كثيراً منه بتفريط الإنسان في مطعمه ومشربه» قال أحمد: والذي ذكره غير الزمخشري أن السر في إضافة المرض إلى نفسه التأدب مع الله تعالى بتخصيصه بنسبة الشفاء الذي هو نعمة ظاهرة إليه تعالى، ولعل الزمخشري إنما عدل عن هذا لأن إبراهيم عليه السلام قد أضاف الإماتة إلى الله تعالى وهي أشد من المرض، فلم يثبت عنده المعنى المذكور، ولكن المعنى الذي أبداه الزمخشري أيضاً في المرض ينكسر بالموت، فإن المرض كما يكون بسبب تفريط الإنسان في نفسه. كذلك الموت الناشىء عن سبب هذا المرض الذي يكون بتفريط الإنسان وقد أضافه إلى الله تعالى. ويمكن أن يفرق بين نسبة الموت ونسبة المرض في مقتضى الأدب: بأن الموت قد علم واشتهر أنه قضاء محتوم من الله تعالى على سائر البشر، وحكم عام لا يخص، ولا كذلك المرض. فكم من معافى منه قد بغته الموت، فالتأسي بعموم الموت لعله يسقط أثر كونه بلاء فيسوغ في الأدب نسبته إلى الله تعالى. وأما المرض فلما كان مما يخص به بعض البشر دون بعض، كان بلاء محققاً فاقتضى العلو في الأدب مع الله تعالى أن ينسبه الإنسان إلى نفسه باعتبار ذلك السبب الذي لا يخلو منه، ويؤيد ذلك أن كل ما ذكره مع المرض أخبر عن وقوعه بتاً وجزماً؛ لأنه أمر لا بد منه. وأما المرض فلما كان قد يتفق وقد لا، أورده مقروناً بشرط إذا، فقال (وإذا مرضت) وكان ممكناً أن يقول: والذي يمرضني فيشفيني كما قال في غيره، فما عدل عن المطابقة المجانسة المأثورة إلا لذلك، والله أعلم.

وطمع أن تغفر له؟ قلت: الجواب ما سبق لي: أن استغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم، وهضم لأنفسهم، ويدل عليه قوله: ﴿أَطْمَعُ﴾ ولم يجزم القول بالمغفرة. وفيه تعليم لأممهم، وليكون لطفاً لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها، وطلب المغفرة مما يفرط منهم. فإن قلت: لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين، وإنما تغفر في الدنيا؟ قلت: لأنّ أثرها يتبين يومئذٍ، وهو الآن خفي لا يعلم /٢/ ١٥٩أ.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾

الحكم: الحكمة، أو الحكم بين الناس بالحق. وقيل: النبوّة؛ لأنَ النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله. والإلحاق بالصالحين: أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم، أو يجمع بينه وبينهم في الجنة. ولقد أجابه حيث قال: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. والإخزاء: من الخزي وهو الهوان. ومن الخزاية[1] وهي الحياء. وهذا أيضاً من نحو استغفارهم مما علموا أنه مغفور وفي ﴿يُبْعَثُونَ﴾ ضمير العباد؛ لأنه معلوم. أو ضمير الضالين. وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه[2]، يعني: ولا تخزني يوم يبعث الضالون وأبي فيهم ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ إلا حال من أتى الله ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ وهو من قولهم [من الوافر]:

. . . . تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[3]

وما ثوابه إلا السيف. وبيانه أن يقال لك: هل لزيد مال وبنون؟ فتقول: ماله وبنوه: سلامة قلبه، تريد نفي المال والبنين عنه، وإثبات سلامة القلب له بدلاً عن ذلك. وإن شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى، كأنه قيل: يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله بقلب سليم؛ لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه، كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه. ولك أن تجعل الاستثناء منقطعا، ولا بدّ لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال، والمراد بها سلامة القلب، وليست هي من جنس المال والبنين، حتى يؤوّل المعنى إلى أن المال والبنين لا ينفعان، وإنما ينفع سلامة القلب. ولو لم يقدر المضاف، لم يتحصل للاستثناء معنى. وقد جعل (من) مفعولا لينفع، أي: لا ينفع مال

---

(١) قوله «ومن الخزاية» لعله: أو من. (ع)

(٢) قوله «أو ضمير الضالين، وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه» لعله عطف على المعنى، كأنه قال: ويحتمل أنه ضمير الضالين... إلخ. (ع)

(٣) تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الأول عند تفسير آية ١٠ من سورة البقرة فراجعه إن شئت اهـ.

ولا بنون، إلا رجلاً سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله، ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع. ويجوز على هذا ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ من فتنة المال والبنين. ومعنى سلامة القلب: سلامته من آفات الكفر والمعاصي، ومما أكرم الله تعالى به خليله ونبه على جلالة محل في الإخلاص: أن حكى استثناء هذا حكاية راض بإصابته فيه. ثم جعله صفة له في قوله: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٣، ٨٤]، ومن بدع التفاسير: تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله. وقول آخر: هو الذي سلم وسلم وأسلم وسالم واستسلم. وما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين، حين سألهم أوّلاً عما يعبدون سؤال مقرّر لا مستفهم، ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع على تقليدهم آباءهم الأقدمين، فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلاً أن يكون حجة، ثم صوّر المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله عز وعلا، فعظم شأنه وعدّد نعمته، من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته، مع ما يرجى في الآخرة من رحمته، ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين، وابتهل إليه ابتهال الأوّابين، ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون يومئذٍ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها ويغتبطون بأنهم المحشورون إليها، والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء بمرأى منهم، يتحسرون على أنهم المسوقون إليها: قال الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ [ق: ٣١] وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك: ٢٧]: يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات، فتجعل النار بمرأى منهم، فيهلكون غماً في كل لحظة، ويوبخون على إشراكهم، فيقال لهم: أين آلهتكم؟ هل ينفعونكم بنصرتهم لكم. أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم؛ لأنهم وآلهتهم وقود النار، وهو قوله: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ﴾ أي الآلهة ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم. والكبكبة: تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقرّ في قعرها، اللهم أجرنا منها يا خير مستجار ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ شياطينه، أو متبعوه من عصاة الجن والإنس.

﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصح التقاول والتخاصم. ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين. والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم: رؤساؤهم وكبراؤهم، كقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] وعن السدّي: الأوّلون الذين اقتدينا بهم. وعن ابن جريج: إبليس، وابن آدم القاتل، لأنه أوّل من سنّ القتل وأنواع المعاصي، ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ﴿وَلَا صَدِيقٍ﴾ كما نرى لهم أصدقاء، لأنه لا يتصادق في الآخرة /٢/٥٩ب إلا المؤمنون. وأما أهل النار فبينهم التعادي والتباغض، قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧] أو: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء؛ لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله، وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس. أو أرادوا أنهم وقعوا في مهلكة علموا أنّ الشفعاء والأصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم، فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع؛ لأنّ ما لا ينفع: حكمه حكم المعدوم. والحميم من الاحتمام، وهو الاهتمام، وهو الذي يهمه ما يهمك. أو من الحامة بمعنى الخاصة، وهو الصديق الخاص. فإن قلت: لم جمع الشافع ووحد الصديق؟ قلت: لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق[1] ألا ترى أن الرجل

---

(١) قال محمود: «إنما جمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الضعاء في العادة إذا نزل بإنسان خطب ممن يعرفه وممن لا يعرفه وأما الصديق فقليل» قال أحمد: العجب أن الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع، فما الدليل على إرادة الإفراد؟ ثم لو كان المراد الإفراد لكان أعم؛ لأنه في سياق النفي، فينفي الواحد فما زاد عليه إلى ما لانهاية له، والله أعلم.
في قوله سبحانه: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.
ترى الجمع في قوله: شافعين، والإفراد في قوله «صديق» فكيف ورد هذا؟ ويجيب المفسر العلامة في عرض هذه الآية:
ولكن الأمر في حاجة إلى نظر حول «الجمع والإفراد» في نظم القرآن الكريم، فأقول:
إن جمع الكلمة جمع قلة أو كثرة أو إفرادها أو استعمال الجمع في موضع المفرد أو عكسه في سياق واحد أو سياقات كل ذلك له مدلوله وسره الذي جاء النظر عليه ليشير إليه، ولا يكمل المعنى إلا به، ولا يدرك هذه اللمحات إلا صاحب الحس البصير، وبالنظر في القرآن العظيم نلاحظ:
١ ـ أن الإفراد يفيد التفصيل والتقصي كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]. =

إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته، رحمة له وحسبة، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة. وأما الصديق ـ وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما أهمك ـ فأعز من بيض الأنوق[1]. وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال: اسم لا معنى له. ويجوز أن يريد بالصديق: الجمع. الكرّة: الرجعة إلى الدنيا. ولو في مثل هذا

= ٢ ـ ويأتي الإفراد والجمع في الآيات الواردة في سياق واحد ولكل دلالة كما ورد في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾، ثم يأتي في نهاية هذا المقام فيقول عن الصلاة مرة أخرى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: الآيات ١: ٩]. فقد أفردت الصلاة لإفادة معنى الخشوع، وجمعت لإدراك معنى المحافظة على أعدادها وسننها.

٣ ـ ويأتي الجمع والإفراد ـ أيضاً ـ في المقام الواحد للدلالة على أخلاق الناس وأحوالهم كما ورد في قوله جل جلاله: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠﴾ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ القراءة وهي الآية التي معنا مصدراً بها هذا البحث فقد جمع الشفعاء في هذا الموقف لكثرتهم عادة، وأفرد الصديق لأنه لا يوجد إلا عزيزاً نادراً كما بين العلامة المفسر، ولابن المنير كلام فيه مناقشة.

٤ ـ وتأتي صيغة الجمع لتفيد معنى أخلاقياً نراه جلياً عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحجرات: ٤].

فجمع «الحجرات» فيه للإشارة الخفية أنهم أتوا إليه وهو في موضع خلوته، ولهذا كانوا سفهاء في مناداته، وفي هذا إشعار بمحل رسول الله ﷺ وإجلاله، وقد وفى الزمخشري وتبعه أبو السعود الآية في هذا المقام.

٥ ـ وقد تفيد صيغة الجمع «الإجلال» لأنها موضع الواحد، كما في ضمير الجمع للواحد المعظم نفسه عند النحاة، وهذا ما تراه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝٧٥﴾ [الصافات: ٧٥].

٦ ـ وقد يأتي في جمع القلة مكان جمع الكثرة وبالعكس لإفادة معنى، وهذا ما وجده المفسر العلامة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

فقد وضع «أذلة» مكان «أذلاء» لإفادة أنهم قلة كما بين المفسر.

وقد وقف العلامة الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقال إن جمع «قروء» للكثرة في موضع «أقرء» جمع القلة المناسب لثلاثة من باب الاتساع وهو: التسوية في أداء المعنى المفهوم، وهذا الفهم عليه مناقشة من أستاذنا أبي موسى حيث بين أن القرآن لا يصح فيه القول بالاتساع لأن لكل كلمة معنى يقصد في مكانه ولا يجوز غيرها لأنها لا تحل محلها، وناقش المعنى مفيداً أن جمع الكثرة لإفادة وجوب الاحتياط في أداء العدة كاملة بحيث لا تتعجل ولا تطمح إلى الأزواج قبل تمامها.

واختيار كلمة «الأنفس» جمع قلة لإفادة التقليل والتهوين لتتجاوب هذه الخصوصية مع هذا السياق.

وفي نهاية هذا المبحث أقول: إن كلام الله ـ جلت حكمته ـ منظوم نظماً إلهياً وضعت فيه الكلمات بهيئتها وصورتها مع جاراتها لإفادة معنى يقصده المولى الكريم لعباده المؤمنين، ولا تصلح لفظة مكان سواها في كتاب الله، وإلا صح للبشر أن يعدلوا في كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. «وبالله التوفيق».

«ينظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري لأبي موسى ٢٧٤ ـ ٢٧٩».

(١) قوله «فأعز من بيض الأنوق» في الصحاح: الأنوق ـ على فعول: طائر وهو الرخمة. (ع)

الموضع في معنى التمني، كأنه قيل: فليت لنا كرة. وذلك لما بين معنى «لو» و«ليت» من التلاقي في التقدير. ويجوز أن تكون على أصلها ويحذف الجواب، وهو: لفعلنا كيت وكيت.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾

القوم: مؤنثة، وتصغيرها قويمة. ونظير قوله: ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ والمراد نوح عليه السلام: قولك: فلان يركب الدواب ويلبس البرود، وما له إلا دابة وبرد[1]. قيل: أخوهم؛ لأنه كان منهم، من قول العرب: يا أخا بني تميم، يريدون: يا واحداً منهم، ومنه بيت الحماسة [من البسيط]:

لاَ يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ ... فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا[2]

كان أميناً فيهم مشهوراً بالأمانة، كمحمد ﷺ في قريش ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ في نصحي لكم وفيما أدعوكم إليه من الحق ﴿عَلَيْهِ﴾ على هذا الأمر، وعلى ما أنا فيه، يعني: دعاءه ونصحه ومعنى ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾: فاتقوا الله في طاعتي، وكرره ليؤكده عليهم

---

(١) قال محمود: «المراد نوح، كما تقول: فلان يركب الدواب ويلبس البرود، وما له إلا دابة وبرد» قال أحمد: لا حاجة إلى تأويل الجمع بالواحد ههنا مع القطع بأن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع الرسل لأنه ما من نبي إلا ومستند صدقه المعجزة الدالة على الصدق فقد كذبوا كل من استند صدقه إلى دليل المعجزة، وكذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ لأن التفرقة بينهم توجب تكذيب الكل وتصديق واحد يوجب تصديق الكل والله علم.

(٢)
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

لقريط بن أنيق من قبيلة بلعنبر، أغار عليه ناس من بني شيبان فأخذوا منه ثلاثين بعيراً، فاستنجد قومه فلم ينجدوه، فاستغاث ببني مازن فركبوا معه، وأطردوا له مائة بعير من بني شيبان، وحرسوه إلى قومه، فمدحهم ووبخ قومه. والناجذ: السن بين الضرس والناب. وقيل: ضرس العقل. وقيل: الضرس مطلقاً. والزرافة ـ بالفتح والضم ـ: الجماعة من الناس، وبها سميت الدابة المعروفة، والوحدان ـ بالضم ـ: جمع واحد. وشبه الشر بأسد يكشر عن أنيابه على طريق المكنية فأثبت له الناجذين تخييلا. يقول: بنو مازن شجعان: إذا ظهر الشر واشتد فزعوا إليه جماعات ومنفردين، فاستعار الطيران لذلك على طريق التصريحية. أو شبههم بالطيور في السرعة والانتشار على طريق الكناية والطريق تخييل، لا يسألون صاحبهم دليلا على ما قاله حين يناديهم برفع صوته في الملمات.

ينظر ديوان الحماسة (١/ ١٣)، البحر المحيط (٨/ ٢٣٩)، الدر المصون (٦/ ٢٩١).

ويقرّره في نفوسهم، مع تعليق كل واحدة منهما بعلة، جعل علة الأوّل كونه أميناً فيما بينهم، وفي الثاني حسم طمعه عنهم.

﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

وقرئ: وأتباعك، جمع تابع، كشاهد وأشهاد. أو جمع تبع، كبطل وأبطال. والواو للحال. وحقها أن يضمر بعدها «قد» في: واتبعك. وقد جمع الأرذل على الصحة وعلى التكسير في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: ٢٧] والرذالة والنذالة: الخسة والدناءة. وإنما استرذلوهم لا تضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا. وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية[(١)] كالحياكة والحجامة. والصناعة لا تزري بالديانة، وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله - ﷺ -، وما زالت أتباع الأنبياء كذلك، حتى صارت من سماتهم وأماراتهم. ألا ترى إلى هرقل حين سأل أبا سفيان عن أتباع رسول الله - ﷺ -، فلما قال ضعفاء الناس وأراذلهم قال: ما زالت أتباع الأنبياء كذلك (١٠٧٦). وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: هم الغاغة[(٢)]. وعن عكرمة: الحاكة والأساكفة (١٠٧٧). وعن مقاتل: السفلة (١٠٧٨).

١٠٧٦ - أخرجه البخاري (١/ ٤٦ - ٤٨) كتاب بدء الوحي حديث (٦)، وأطرافه في ٥١، ٢٦٨١، ٢٨٠٤، ٢٩٤١، ٢٩٧٨، ٣١٧٤، ٤٥٥٣، ٥٩٨٠، ٦٢٦٠، ٧١٩٦، ٧٥٤١.
وأخرجه أيضاً مسلم (٣/ ١٣٩٣ - ١٣٩٧) كتاب الجهاد: باب كتاب النبي - ﷺ - إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام حديث (٧٤/ ١٧٧٣)، والترمذي (٥/ ٦٩) كتاب الاستئذان: باب ما جاء كيف يكتب لأهل الشرك حديث (٢٧١٧) مختصراً، وأحمد (١/ ٢٦٢ - ٢٦٣)، وعبد الرزاق (٩٧٢٤)، وابن حبان (٦٥٥٥)، وابن منده في «الإيمان» (١٤٣)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١٤٥٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣٧٧ - ٣٨٣) كلهم من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قال الحافظ: متفق عليه من حديث ابن عباس عن أبي سفيان بلفظ: وسألتك ضعفاء الناس اتبعوه أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وكذلك أتباع الرسل قلت: رواه بلفظ: «أراذلهم». انتهى.
١٠٧٧ - ورُوى هذا أيضاً عن قتادة ومجاهد.
أخرجه ابن أبي حاتم عنهما كما في «الدر المنثور» (٥/ ١٦٨). وينظر تفسير «الوسيط» (٣/ ٣٥٧ - بتحقيقنا).
١٠٧٨ - ورُوي أيضاً عن قتادة.
أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ١٦٨).

---

(١) قوله «الصناعات الدنية» لعله: الدنيئة. كعبارة النسفي. (ع)
(٢) قوله «هم الغاغة» لعله الصاغة. وفي الخازن: قال ابن عباس: يعني القافة. (ع)

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾

﴿وَمَا عِلْمِى﴾ وأي شيء علمي؟ والمراد: انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سر أمرهم وباطنه. وإنما قال هذا لأنهم قد طعنوا ـ مع استرذالهم ـ في إيمانهم، وأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة، وإنما آمنوا هوى وبديهة، كما حكى الله عنهم في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ ويجوز أن يتغابى لهم نوح عليه السلام. فيفسر قولهم الأرذلين، بما هو الرذالة عنده، من سوء الأعمال وفساد العقائد، ولا يلتفت إلى ما هو الرذالة عندهم، ثم يبني جوابه على ذلك فيقول: ما عليّ إلا اعتبار الظواهر، دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم، وإن كان لهم عمل سيء، فالله محاسبهم ومجازيهم عليه، وما أنا إلا منذر لا محاسب ولا مجاز ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ ذلك، ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم، وقصد بذلك ردّ اعتقادهم وإنكار أن يسمى المؤمن رذلاً، وإن كان أفقر الناس وأوضعهم نسباً، فإن الغنى غنى الدين، والنسب نسب التقوى ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ يريد ليس من شأني أن أتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح إيمانهم طمعاً في إيمانكم وما عليّ إلا أن أنذركم إنذاراً بيناً بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل / ٢/ ٦٠أ، ثم أنتم أعلم بشأنكم.

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

ليس هذا بإخبار بالتكذيب، لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم، ولكنه أراد أني لا أدعوك عليهم لما غاظوني وآذوني، وإنما أدعوك لأجلك ولأجل دينك، ولأنهم كذبوني في وحيك ورسالتك، فاحكم ﴿بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ﴾ والفتاحة: الحكومة. والفتاح: الحاكم؛ لأنه يفتح المستغلق كما سمي فيصلاً، لأنه يفصل بين الخصومات. الفلك: السفينة. وجمعه فلك: قال الله تعالى: ﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾؛ فالواحد بوزن قفل، والجمع بوزن أسد، كسروا فعلاً على فعل، كما كسروا فعلاً على فعل، لأنهما أخوان في قولك: العرب والعرب، والرشد والرشد. فقالوا أسد وأسد، وفلك وفلك. ونظيره: بعير هجان، وإبل هجان. ودرع دلاص، ودروع دلاص، فالواحد بوزن كناز، والجمع بوزن كرام. والمشحون: المملوء. يقال: شحنها عليهم خيلاً ورجالاً.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾

قرئ: بكل ريع، بالكسر والفتح: وهو المكان المرتفع، قال المسيب بن عَلَسٍ [من الكامل]:

فِي الآلِ يَرْفَعُهَا وَيَخْفِضُهَا ... رِيعٌ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلُ[1]

ومنه قولهم: كم ريع أرضك؟ وهو ارتفاعها. والآية: العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم. فاتخذوا في طرقهم أعلاماً طوالاً فبعثوا بذلك، لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم. وعن مجاهد: بنوا بكل ريع بروج الحمام[2]. والمصانع: مآخذ الماء. وقيل: القصور المشيدة والحصون ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ترجون الخلود في الدنيا، أو تشبه حالكم حال من يخلد. وفي حرف أبيّ: كأنكم. وقرئ تخلدون بضم التاء مخففاً ومشدداً ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بسوط أو سيف كان ذلك ظلماً وعلواً، وقيل: الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب. وعن الحسن: تبادرون تعجيل العذاب، لا تتثبتون متفكرين في العواقب.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ

---

(١) للمسيب بن علس. والآل: هو السراب. وقيل: الآل: ما في طرفي النهار وما في وسطه السراب. والربع بالكسر: الطريق والمرتفع من الأرض. والسحل: نوع أبيض من ثياب اليمن، ولعل الضمير للظعائن. ، أي: هي في الآل، أو في وقته: برفعها تارة وبخفضها أخرى، ريع: أي طريق مرتفع تارة، ومنخفض أخرى. أو مكان عال ترتفع بصعوده وتنخفض بالهبوط منه، يلوح: أي يظهر من بعد، كأنه ثياب بيض.
ينظر: ديوانه (ص ٦٢٥)، لسان العرب (ريع)، (سحل)، تاج العروس (ريع)، (سحل).

(٢) قال محمود: «كانوا يهتدون في أسفارهم بالنجوم، فاتخذوا في طرقهم أعلاماً فعبثوا بذلك، إذ النجوم فيها غنية عنها. وقيل: المراد القصور المشيدة، وقيل: بروج الحمام» قال أحمد: وتأويلها على القصور أظهر، وقد ورد ذم ذلك على لسان نبينا ﷺ، حيث وصف الكائنين آخر الزمان بأنهم يتطاولون في البنيان، وما أحسن قول مالك رضي الله عنه: ولا يصلي الإمام على شيء أرفع مما عليه أصحابه، كالدكاك تكون مرتفعة في المحراب ارتفاعاً كبيرا، لأنهم يعبثون، فعبر عن ترفعهم إلى المحراب على سبيل التكبر ومطاولتهم المأمومين بالعبث، كتعبير هود صلوات الله عليه وسلامه عن ترفع قومه في البنيان بالعبث. وأما تأويل الآية على اتخاذهم الأعلام في الطرقات وقد كانت لهم بالنجوم كفاية، ففيه بعد، من حيث أن الحاجة تدعو إلى ذلك لغيم مطبق وما يجري مجراه. ولو وضع هذا في زماننا اليوم لهذا المقصد لم يكن عبثا. والله أعلم.

﴿عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾

بالغ في تنبيههم على نعم الله، حيث أجملها ثم فصلها مستشهداً بعلمهم، وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال[1] ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم عدّدها عليهم وعرّفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته، وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة، فهو قادر على الثواب والعقاب، فاتقوه. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]. فإن قلت: كيف قرن البنين بالأنعام؟ قلت: هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

فإن قلت: لو قيل ﴿أَوَعَظْتَ﴾ أو لم تعظ، كان أخصر. والمعنى واحد. قلت: ليس المعنى بواحد وبينهما فرق، لأنّ المراد: سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ، أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشريه، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه، من قولك: أم لم تعظ. من قرأ: خلق الأوّلين بالفتح، فمعناه: أنّ ما جئت به اختلاق الأوّلين وتخرّصهم، كما قالوا: أساطير الأولين. أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية، نحيا كما حيوا، ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا حساب. ومن قرأ: خلق، بضمتين، وبواحدة، فمعناه، ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم، كانوا يدينونه ويعتقدونه، ونحن بهم مقتدون. أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الإعادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين، كانوا يلفقون مثله ويسطرونه.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

---

(١) قوله «حين قال» لعله: حيث قال. (ع)

﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ يجوز أن يكون إنكاراً لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه، وأن يكون تذكيراً بالنعمة في تخلية الله إياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك، مع الأمن والدّعة ﴿فِي مَا هَٰهُنَآ﴾ في الذي استقر في هذا المكان من النعيم، ثم فسره بقوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾﴾ وهذا أيضاً إجمال ثم تفصيل. فإن قلت: لم قال / ٢/ ٦٠ب ﴿وَنَخْلٍ﴾ بعد قوله: في جنات، والجنة تتناول النخل أوّل شيء كما يتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج، حتى أنهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون إلا النخيل؛ كما يذكرون النعم ولا يريدون إلا الإبل؛ قال زهير [من البسيط]:

. . . . تَسْقِي جَنَّةً سَحَقَا[1]

قلت: فيه وجهان: أن يخص النخل بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر؛ تنبيهاً على انفراده عنها بفضله عليها، وأن يريد بالجنات: غيرها من الشجر؛ لأنّ اللفظ يصلح لذلك، ثم يعطف عليها النخل. الطلعة: هي التي تطلع من النخلة. كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو. والقنو: اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه. والهضيم: اللطيف الضامر، من قولهم: كشح هضيم، وطلع إناث النخل فيه لطف، وفي طلع الفحاحيل جفاء، وكذلك طلع البرني ألطف من طلع اللون[2]، فذكرهم نعمة الله في أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه: لأنّ الإناث ولادة التمر، والبرني: أجود التمر وأطيبه ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المنابت وسعة الماء. وسلمت من العاهات، فحملت الحمل الكثير، وإذا كثر الحمل هضم، وإذا قل جاء فاخرا. وقيل: الهضيم: اللين النضيج، كأنه قال: ونخل قد أرطب ثمره. قرأ الحسن: وتنحتون، بفتح الحاء. وقرئ: فرهين، وفارهين. والفراهة: الكيس والنشاط. ومنه: خيل فرهة، استعير لامتثال الأمر، وارتسامه طاعة الآمر المطاع. أو جعل الأمر مطاعاً على المجاز الحكمي، والمراد الآمر. ومنه قولهم: لك عليّ إمرة مطاعة. وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي﴾. فإن قلت: ما فائدة قوله ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾؟ قلت: فائدته أنّ فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح، كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾

---

(١) تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الأول عند تفسير آية ٢٥ من سورة البقرة فراجعه إن شئت اهـ.

(٢) قوله «وكذلك طلع البرني ألطف من طلع اللون» البرني: ضرب من التمر. واللون: الدقل، والدقل: أردأ التمر. كذا في الصحاح. (ع)

المسحر: الذي سحر كثيراً حتى غلب على عقله. وقيل: هو من السحر الرئة[1]، وأنه بشر.

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾

الشرب: النصيب من الماء، نحو السقي والقيت، للحظ من السقي والقوت. وقرئ بالضم. روي أنهم قالوا: نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة، فتلد سقبا[2]. فقعد صالح يتفكر، فقال له جبريل عليه السلام: صل ركعتين وسل ربك الناقة، ففعل، فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم. وعن أبي موسى: رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعاً. وعن قتادة: إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله، ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء ﴿بِسُوٓءٍ﴾ بضرب أو عقر أو غير ذلك. عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب، لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد.

﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

وروي أن مسطعاً ألجأها إلى مضيق في شعب، فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت: ثم ضربها قدار. وروي أنّ عاقرها قال: لا أعقرها حتى ترضوا أجميعن، فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون: أترضين؟ فتقول: نعم، وكذلك صبيانهم. فإن قلت: لم أخذهم العذاب وقد ندموا؟ قلت: لم يكن ندمهم ندم تائبين. ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على العقر عقاباً عاجلاً، كمن يرى في بعض الأمور رأياً فاسداً ويبني عليه، ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعيّ[3] أو ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة، وذلك عند معاينة العذاب. وقال الله تعالى ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النساء: ١٨]

---

(١) قوله «الرئة» لعله: بمعنى الرئة. (ع)

(٢) قوله «فتلد سقبا» في الصحاح «السقب»: الذكر من ولد الناقة. (ع)

(٣) قوله «كندامة الكسعي» الكسع: حي من اليمن. والكسعي: رجل منهم ربى تبعة حتى أخذ منها قوساً فرمى عنها الوحش ليلا وظن أنه أخطأ، فكسر القوس، فلما أصبح رأى ما أصابه من الصيد فندم. وضرب به المثل من قال [من الوافر]:

ندمت ندامة الكسعي لما ... رأت عيناه ما صنعت يداه

كذا في الصحاح. (ع)

الآية. وقيل: كانت ندامتهم على ترك الولد، وهو بعيد. واللام في العذاب: إشارة إلى عذاب يوم عظيم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

أراد بالعالمين: الناس. أي: أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام ـ على فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كأن الإناث قد أعوزتكم. أو أتأتون أنتم ـ من بين من عداكم من العالمين ـ الذكران، يعني أنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة. والعالمون على هذا القول: كل ما ينكح من الحيوان ﴿مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ يصلح أن يكون تبييناً لما خلق[1]، وأن يكون للتبعيض، ويراد بما خلق: العضو المباح منهنّ. وفي قراءة ابن مسعود: ماأصلح لكم ربكم من أزواجكم، وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم. العادي: المتعدّي في ظلمه، المتجاوز فيه الحدّ، ومعناه: أترتكبون هذه المعصية على / ٢/ ٦١أ عظمها، بل أنتم قوم عادون في جميع المعاصي، فهذا من جملة ذاك، أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان، حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة.

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن نهينا وتقبيح أمرنا ﴿لَتَكُونَنَّ﴾ من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا

---

(١) قال محمود: «يحتمل أن يكون من أزواجكم بياناً لما خلق، وأن يكون للتبعيض ويراد به العضو المباح منهن. وفي قراءة ابن مسعود: ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم، فكأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم»، قال أحمد: وقد أشار الزمخشري بهذه الإشارة للاستدلال بهذه الآية على خظر إتيان المرأة في غير المأتى، وبيانه أن «من» لو كانت بياناً لكان المعنى حينئذٍ على ذمهم بترك الأزواج، ولا شك أن ترك الأزواج مضموم إلى إتيان الذكران، وحينئذ يكون المنكر عليهم الجمع بين ترك الأزواج وإتيان الذكران، لا أن ترك الأزواج وحده منكر، ولو كان الأمر كذلك لكان النصب في الثاني متوجها على الجمع، وكان إما الأفصح أو المتعين، وقد اجتمعت العامة على القراءة به مرفوعاً، ولا يتفقون على ترك الأفصح إلى ما لا مدخل له في الفصاحة أو في الجواز أصلاً، فلما وضح ذلك تبين أن هذا المعنى غير مراد، فيتعين حمل «من» على البعضية، فيكون المنكر عليهم أمرين كل واحد منهما مستقل بالإنكار، أحدهما: إتيان الذكران. والثاني: مجانبة إتيان النساء في المأتى رغبة في إتيانهن في غيره، وحينئذٍ يتوجه الرفع لفوات الجمع اللازم على الوجه الأول، واستقلال كل واحد من هاتين العظيمتين بالنكير، والله الموفق.

وطردناه من بلدنا، ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال: من تعنيف به. واحتباس لأملاكه[1]. وكما يكون حال الظلمة إذا أجلوا بعض من يغضبون عليه، وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾

و﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أبلغ من أن يقول: إني لعملكم قال، كما تقول فلان من العلماء، فيكون أبلغ من قولك: فلان عالم؛ لأنك تشهد له بكونه معدوداً في زمرتهم، ومعروفة مساهمته لهم في العلم. ويجوز أن يريد: من الكاملين في قلاكم. والقلى: البغض الشديد، كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد. وفي هذا دليل على عظم المعصية، والمراد: القلي من حيث الدين والتقوى، وقد تقوى همة الدِّين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من عقوبة عملهم وهو الظاهر. ويحتمل أن يريد بالتنجية: العصمة. فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا﴾؟ قلت: معناه أنه عصمه وأهله من ذلك إلا العجوز، فإنها كانت غير معصومة منه، لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة، والراضي بالمعصية في حكم العاصي. فإن قلت: كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة، فكيف استثنيت الكافرة منهم؟ قلت: الاستثناء إنما وقع من الأهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وإن لم تشاركهم

---

(١) قال محمود: «أي من جملة من أخرجناه، ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لأملاكه وأشباه ذلك، قال أحمد: وكثيرا ما ورد في القرآن خصوصاً في هذه الصورة العدول عن التعبير بالفعل إلى التعبير بالصفة المشتقة، ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع، كقول فرعون ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ وقولهم ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ وقولهم ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ وقوله: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ وقوله تعالى في غيرها) ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ وكذلك ﴿ذرنا نكن مع القاعدين﴾ وأمثاله كثيرة، والسر في ذلك والله أعلم: أن التعبير بالفعل إنما يفهم وقوعه خاصة، وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع، فإنه يفهم أمراً زائداً على وقوعه، وهو أن الصفة المذكورة كالسمة لموصوف ثابتة العلوق به. كأنها لقب، وكأنه من طائفة صارت كالنوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة. واعتبر ذلك لو قلت: رضوا بأن يتخلفوا، لما كان في ذلك مزيد على الأخبار بوقوع التخلف منهم لا غير. وانظر إلى المساق وهو قوله ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ كيف ألحقهم لقباً رديئاً، وصيرهم من نوع رذل مشهور بسمة التخلف، حتى صارت له لقباً لاصقا به، وهذا الجواب عام في جميع ما يرد عليك من أمثال ذلك، فتأمله واقدره قدره، والله الموفق للصواب.

في الإيمان. فإن قلت: ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ صفة لها، كأنه قيل: إلا عجوزاً غابرة، ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم[1] قلت: معناه إلا عجوزاً مقدرا غبورها. ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك: غير الناجين. قيل: إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة. والمراد بتدميرهم: الائتفاك بهم، وأمّا الإمطار: فعن قتادة: أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم. وعن ابن زيد: لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا من حجارة. وفاعل ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ ولم يرد بالمنذرين قوماً بأعيانهم، أنما هو للجنس، والمخصوص بالذمّ محذوف، وهو مطرهم.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وبتخفيفها، وبالجرّ على الإضافة وهو الوجه. ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة: اسم بلد، فتوهم قاد إليه خط المصحف، حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف. وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه، وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ، كما يكتب أصحاب النحو لان، ولولى: على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف، وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل، والقصة واحدة، على أن ليكة اسم لا يعرف. وروي أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف، وكان شجرهم الدوم. فإن قلت: هلا قيل: أخوهم شعيب، كما في سائر المواضع؟ قلت: قالوا: إن شعيباً لم يكن من أصحاب الأيكة. وفي الحديث: إن شعيباً أخا مدين، أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة.

﴿۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾

الكيل على ثلاثة أضرب: واف، وطفيف، وزائد، فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء، ونهى عن المحرّم الذي هو التطفيف، ولم يذكر الزائد، وكأن تركه عن الأمر والنهي: دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه. قرئ: بالقسطاس مضموماً ومكسورا

---

(١) قال محمود: «المجرور صفة لها، كأنه قيل: إلا عجوزاً غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم. قلت: معناه: إلا عجوزاً مقدرا غبورها، أي: في الهلاك والعذاب» قال أحمد: وإن تعجلت برفع القاعدة الممهدة آنفاً، فاعلم أن السر الذي اقتضى العدول عن أن يقول مثلاً: إلا عجوزاً غابرة إلى ما ذكر في المتلوّ: هو أن المذكور في التلاوة يقتضي الاسجال عليها بأنها من أمة موسومين بهذه السمة من الهلاك كما قدمته الآن، فهو أبلغ من مجرد وصفها بالغبور. والله أعلم.

وهو الميزان وقيل: القرسطون، فإن كان من القسط وهو العدل ـ وجعلت العين مكررة ـ فوزنه فعلاس، وإلا فهو رباعي. وقيل: وهو بالرومية العدل. يقال: بخسته حقه، إذا نقصته إياه. ومنه قيل للمكس: البخس، وهو عامّ في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم، وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه، ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفاً شرعياً. يقال: عثا في الأرض وعثى وعاث، وذلك نحو قطع الطريق، والغارة، وإهلاك الزروع، وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك. وقرئ: الجبلة، بوزن الأبلة. والجبلة[1]، بوزن الخلقة. ومعناهنّ واحد، أي: ذوي الجبلة، وهو كقولك: والخلق الأوّلين.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾

فإن قلت: هل اختلف المعنى /٢/٦١ب بإدخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود؟ قلت: إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان: كلاهما مناف للرسالة عندهم: التسحير والبشرية، وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً ولا يجوز أن يكون بشراً، وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحراً، ثم قرر بكونه بشراً مثلهم. فإن قلت: إن المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظنّ وثاني مفعوليه؟ قلت: أصلهما أن يتفرقا على المبتدأ والخبر، كقولك: إن زيد لمنطلق، فلما كان البابان ـ أعني باب كان وباب ظننت ـ من جنس باب المبتدأ والخبر، فعل ذلك في البابين فقيل: إن كان زيد لمنطلقاً، وإن ظننته لمنطلقاً.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾

قرئ: كسفاً بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة، نحو: قطع وسدر. وقيل: الكسف والكسفة، كالريع والريعة، وهي القطعة وكسفة: قطعة والسماء: السحاب، أو المظلة. وما كان طلبهم في ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب. ولو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه ببالهم فضلاً أن يطلبوه. والمعنى: إن كنت صادقاً أنك نبيّ. فادع الله أن يسقط علينا كسفاً من السماء.

﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

---

(١) قوله «الأبلة والجبلة» في الصحاح «الأبلة» بالضم وتشديد اللام: الغدرة من التمر. وفيه «الغدرة»: القطعة من اللحم إذا كانت مجتمعة. وفيه أيضاً: الجبلة الخلقة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقرأها الحسن بالضم اهـ. (ع)

﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ يريد: أنّ الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب، فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل، وإن أراد عقاباً آخر فإليه الحكم والمشيئة.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٩١)﴾

﴿فَأَخَذَهُمۡ﴾ الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة إن أرادوا بالسماء السحاب، وإن أرادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم. يروى أنه حبس عنهم الريح سبعاً، وسلط عليهم الومد[1] فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظلّ ولا ماء ولا سرب، فاضطرّوا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً، فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا. وروي أنّ شعيباً بعث إلى أمّتين: أصحاب مدين، وأصحاب الأيكة، فأهلكت مدين بصيحة جبريل، وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة. فإن قلت: كيف كرّر في هذه السورة في أوّل كل قصة وآخرها ما كرّر؟ قلت: كل قصة منها كتنزيل برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختتم بما اختتمت به، ولأنّ في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور. ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان، ولأنّ هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الإنصات للحق، وقلوب غلف عن تدبره، فكوثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذناً، أو يفتق ذهناً، أو يصقل عقلاً طال عهده بالصقل، أو يجلو فهماً قد غطى عليه تراكم الصدأ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ (١٩٥) وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ (١٩٦)﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن هذا التنزيل، يعني: ما نزل من هذه القصص والآيات. والمراد بالتنزيل: المنزل. والباء في ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ﴾ ونزل به الروح، على القراءتين للتعدية. ومعنى ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ﴾ جعل الله الروح نازلاً ﴿به على قلبك﴾ أي: حفظكه وفهمك إياه. وأثبته في قلبك إثبات ما لا ينسى، كقوله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ (٦)﴾ [الأعلى: ٦] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ﴾ إما أن يتعلق بالمنذرين، فيكون المعنى: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة: هود،

(١) قوله «الومد» شدة حر الليل، كما في الصحاح. (ع)

وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد عليهم الصلاة والسلام. وإما أن يتعلق بنزل، فيكون المعنى: نزل باللسان العربي[1] لتنذر به؛ لأنه لو نزله باللسان الأعجمي، لتجافوا عنه أصلاً، ولقالوا: ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الإنذار به وفي هذا الوجه: أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك، لأنك تفهمه ويفهمه قومك. ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك، لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها، وقد يكون الرجل عارفاً بعدّة لغات، فإذا كلم بلغته التي لقنها أولاً ونشأ عليها وتطبع بها، لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت وإن كلم بغير تلك اللغة وإن كان ماهراً بمعرفتها كان نظره أولاً في ألفاظها ثم في معانيها، فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين ﴿وَإِنَّهُ﴾ وإن القرآن ـ يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية. وقيل: إن معانيه فيها. وبه يحتج لأبي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية حيث قيل ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٩٦﴾ لكون معانيه فيها /٢/ ٦٢أ. وقيل: الضمير لرسول الله ـ ﷺ ـ وكذلك في ﴿أَن يَعْلَمَهُ﴾ وليس بواضح.

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٩٧﴾

وقرئ: يكن، بالتذكير. وآية، بالنصب على أنها خبره، و﴿أَن يَعْلَمَهُ﴾ هو الاسم. وقرئ. تكن، بالتأنيث، وجعلت ﴿ءَايَةً﴾ اسما، و﴿أَن يَعْلَمَهُ﴾ خبراً، وليست كالأولى لوقوع النكرة اسماً والمعرفة خبراً، وقد خرّج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك، فقيل: في (تكن) ضمير القصة، و﴿ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ﴾ جملة واقعة موقع الخبر. ويجوز على هذا أن يكون (لهم آية) هي جملة الشأن، و﴿أَن يَعْلَمَهُ﴾ بدلاً عن آية. ويجوز مع نصب الآية تأنيث (تكن) كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾، ومنه بيت لبيد [من الكامل]:

فَـمَـضَـىٰ وَقَـدَّمَـهَـا وَكَـانَـتْ عَـادَةً ... مِـنْـهُ إِذَا هِـيَ عَـرَّدَتْ أَقْـدَامُـهَـا[2]

---

(١) عاد كلامه. قال: واعلم أن الآيات الأول كالمقدمات لهذه الآيات، فإن الله تعالى أبان أنه منزل بلغتهم التي لا يعرفون غيرها، وعلى لسان عربي لو أشكل عليهم فهم شيء منه لكان البيان عنده عتيداً ناجزاً، وما نزله على لسان أعجمي قد يعتذرون بأنه لا يفهمهم ما استغلق على أفهامهم من معانيه، فقد أزاح أعذارهم ودحض حججهم، وسلكه في قلوبهم ومكنهم من فهمه أشد التمكين، ولكن لم يوفقهم بل قدر عليهم أنهم لا يؤمنون» قال أحمد: يعني بقوله قدر عليهم أنهم لا يؤمنون علم أنهم لا يؤمنون، لأن التقدير عنده العلم. والحق أن الله تعالى أراد منهم أنهم لا يؤمنون. وهذا تقرير لجواب عن سؤال مقدر، وهو أن يقال: قلوبهم نائية عن قبول الحق، لا يلجها بوجه ولا بسبب، فكيف يسلك الحق فيها؟ فيجاب عنه بهذا الجواب، والله أعلم.

(٢) تقدم شرح هذا الشاهد بهذا الجزء صفحة ١٣ فراجعه إن شئت اهـ. مصصحه.

وقرئ: تعلمه بالتاء. و﴿عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: عبد الله بن سلام وغيره. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص: ٥٣]. فإن قلت: كيف خط في المصحف (علمواء) بواو قبل الألف؟ قلت: خط على لغة من يميل الألف إلى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾

الأعجم: الذي لا يفصح في لسانه عجمة واستعجام. والأعجمي مثله. إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد. وقرأ الحسن: الأعجميين. ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه، قالوا له: أعجم وأعجمي، شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين، وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها: أعجم، قال حُمَيْدٌ [من الطويل]:

. . . . وَلاَ عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمَا[1]

﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ أدخلناه ومكناه. والمعنى: إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين، فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجزة لا يعارض بكلام مثله، وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بإنزاله وتحلية المنزل عليه

---

(١) وما هاج هذا الشوق إلا حمامة ... دعت ساق حر ترحة وتندما
فغنت على غصن عشاء فلم تدع ... لنائحة في نوحها متندما
عجبت لها أنى يكون غناؤها ... فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما
ولم أر مثلي شاقه صوت مثلها ... ولا عربياً شاقه صوت أعجما
لحميد بن ثور، وقد رحلت صاحبته سلمى، يقول: وما حرك هذا الشوق وبعثه فتوقد بقلبي، إلا حمامة دعت ذكرها وساق حر: مركب إضافي. وهو ذكر القمري، أو ذكر الحمام مطلقاً. والحر ـ بالضم ـ: فرخ الحمامة، والترحة: الحزن، ضد الفرحة. والتندم: التأسف على ما فات. ويروى «ترنما» وهو تحسين الصوت. وهما نصب على الحالية، أي: حزينة ومتأسفة. أو ذات ترحة وذات تندم. وعشا: نصب على الظرف. فلم تدع: أي تترك لنائحة في غنائها، متندماً: أي تندما أو شيئاً يتندم به أو فيه. ويجوز أن ضمير نوحها للنائحة، وأنى بمعنى: كيف أو من أنى. والاستفهام تعجبي. والفصيح: البين الخالي عن اللكنة والتعقيد. وفغر فاه يفغره، من باب نفع: فتحه، أي والحال أنها لم تفتح فمها بنطقها، وإنما يخرج صوتها من صدرها. وشاقه: تسبب له في الشوق، والعربي: المفصح. والأعجم: الذي لا يفصح من الحيوان، نقلته العرب لمن لا يفهمون كلامه ولا يفقهون مراده، وربماألحقوه ياء النسب للمبالغة في شدة العجمة وبينه وبين عربي طباق التضاد.

وصفته في كتبهم، وقد تضمنت معانيه وقصصه، وصحّ بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا، فلم يؤمنوا به وجحدوه، وسموه شعراً تارة، وسحراً أخرى، وقالوا: هو من تلفيق محمد وافترائه ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ﴾ الأعاجم الذي لا يحسن العربية، فضلاً أن يقدر على نظم مثله ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ هكذا فصيحاً معجزاً متحدّى به، لكفروا به كما كفروا، ولتمحلوا لجحودهم عذراً، ولسموه سحراً، ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم، وهكذا مكناه وقرّرناه فيها، وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها، فكيفما فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم، فلا سبيل أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وإنكاره، كما قال ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأنعام: ٧]. فإن قلت: كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته؟ قلت: أراد به الدلالة على تمكنه مكذباً في قلوبهم أشدّ التمكن، وأثبته فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه وفطروا. ألا ترى إلى قولهم: هو مجبول على الشح، يريدون: تمكن الشحّ فيه؛ لأنّ الأمور الخلقية أثبت من العارضة، والدليل عليه أنه أسند ترك الإيمان به إليهم على عقبه[1]، وهو قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾. فإن قلت: ما موقع ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ من قوله: ﴿سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؟ قلت: موقعه منه موقع الموضع والملخص؛ لأنه مسوق لثباته مكذباً مجحوداً في قلوبهم، فأتبع ما يقرّر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد. ويجوز أن يكون حالاً، أي: سلكناه فيها غير مؤمن به. وقرأ الحسن: فتأتيهم، بالتاء يعني: الساعة. وبغتة. بالتحريك. وفي حرف أبيّ: ويروه بغتة. فإن قلت: ما معنى التعقيب في قوله: ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً . . . فَيَقُولُوا۟﴾؟ قلت: ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود، وإنما المعنى ترتبها في الشدّة، كأنه قيل: لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشدّ منها وهو لحوقه بهم مفاجأة، فما هو أشدّ منه وهو سؤالهم النظرة. ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه: إن أسات مقتك الصالحون فمقتك الله، فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أنّ مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين، وإنما قصدك إلى ترتيب شدّة الأمر على المسيء، وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين، فما هو أشدّ من مقتهم: وهو مقت الله، وترى ثمّ يقع في هذا الأسلوب فيحل موقعه / ٢/ ٦٢ب

---

(١) قال محمود: «إن قلت: كيف أسند السلك بصيغة التكذيب إلى ذاته؟ قلت: المراد الدلالة على تمكنه مكذباً في قلبهم أشد التمكن، فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه، بدليل أنه أسند إليهم ترك الإيمان به على عقبه في قوله: لا يؤمنون به» قال أحمد: وما ينقم من بقائه على ظاهره إلا أنه التوحيد المحض والإيمان الصرف، وأن الله تعالى خلق قلوبهم نائية عن قبول الحق. والقدرية لا يبلغون في التوحيد إلى هذا الحد، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ تبكيت لهم بإنكار وتهكم، ومعناه: كيف يستعجل العذابَ من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجاب إليها. ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذٍ، و﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾ على هذا الوجه حكاية حال ماضية. ووجه آخر متصل بما بعده، وذلك أنّ استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم، وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن، فقال تعالى: أفبعذابنا يستعجلون أشراً وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل، ثم قال: هب أنّ الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم، فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذٍ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم. وعن ميمون بن مهران: أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له: عظني، فلم يزده على تلاوة هذه الآية، فقال ميمون: لقد وعظت فأبلغت. وقرئ: يمتعون، بالتخفيف.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾

﴿مُنذِرُونَ﴾ رسل ينذرونهم ﴿ذِكْرَىٰ﴾ منصوبة بمعنى تذكرة، إمّا لأن «أنذر، وذكر» متقاربان، فكأنه قيل: مذكرون تذكرة. وإمّا لأنها حال من الضمير في منذرون أي، ينذرونهم ذوي تذكرة. وإمّا لأنها مفعول له؛ على معنى: أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة. أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف، بمعنى: هذه ذكرى. والجملة اعتراضية، أو صفة بمعنى: منذرون ذوو ذكرى. أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها. ووجه آخر: وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولاً له. والمعنى: وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم، ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم، فلا يعصوا مثل عصيانهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فنهلك قوماً غير ظالمين. وهذا الوجه عليه المعوّل. فإن قلت: كيف عزلت الواو عن الجملة بعد «إلا» ولم تعزل عنها في قوله ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾﴾ [الحجر: ٤]؟ قلت: الأصل: عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية، وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾

كانوا يقولون: إنّ محمداً كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة، فكذبوا بأنّ ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه؛ لأنهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء. وقرأ الحسن: الشياطون. ووجهه أنه رأى

آخره كآخر يبرين وفلسطين، فتخير بين أن يجري الإعراب على النون، وبين أن يجريه على ما قبله، فيقول: الشياطين والشياطون، كما تخيرت العرب بين أن يقولوا. هذه يبرون ويبرين، وفلسطون وفلسطين. وحقه أن تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل. وعن الفرّاء: غلط الشيخ في قراءته «الشياطون» ظنّ أنها النون التي على هجاءين، فقال النضر بن شميل: إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة، فهلا جاز أن يحتجّ بقول الحسن وصاحبه ـ يريد: محمد بن السميفع ـ مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به إلا وقد سمعا فيه.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾

قد علم أنّ ذلك لا يكون، ولكنه أراد أن يحرّك منه لازدياد الإخلاص والتقوى. وفيه لطف لسائر المكلفين، كما قال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ **[الحاقة: ٤٤]**، فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك، فيه وجهان: أحدهما أن يؤمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه، ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة، ثم بمن يليه. وأن يقدّم إنذارهم على إنذار غيرهم، كما روي عنه عليه السلام: أنه لما دخل مكة قال: «كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، وأوّل ما أضعه ربا العباس (١٠٧٩) والثاني: أن يؤمر بأن لا يأخذه القريب للقريب من العطف والرأفة، ولا يحابيهم في الإنذار والتخويف. وروي أنه صعد الصفا ـ لما نزلت ـ فنادى الأقرب فالأقرب فخذاً فخذاً، وقال: «يا بني عبد المطلب، يا بني هاشم، يا بني عبد مناف، يا عباس عمّ النبيّ، يا صفية عمة رسول الله، إني لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم (١٠٨٠). وروي أنه جمع بني عبد المطلب وهم

١٠٧٩ ـ هو جزء من حديث صفة حجة النبي ـ ﷺ ـ كما رواه جابر.
وقد تقدم بتمامه.
وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: وعزاه الطيبي للترمذي من رواية عمرو بن الأحوص وليس هو عنده بتمامه.
قال الحافظ: أخرجه مسلم من حديث جابر الطويل في صفة الحج، وعزاه الطيبي للترمذي من رواية عمرو بن الأحوص، وليس هو عنده بتمامه. انتهى.

١٠٨٠ ـ ورد هذا في عدة أحاديث منها ما أخرجه البخاري (٥/ ٤٤٩) كتاب الوصايا: باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب حديث (٢٧٥٣)، ومسلم (١/ ٦٢٣ ـ الأبي) كتاب الإيمان: باب في قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ حديث (٣٥١/ ٢٠٦)، والنسائي (٦/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٨٠) من طريق شعيب، ويونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة به.
وللحديث طريق آخر عن أبي هريرة: أخرجه مسلم (١/ ٦٢٢ ـ الأبي) كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ حديث (٣٤٨/ ٢٠٤)، والترمذي (٥/) كتاب التفسير، =

يومئذٍ أربعون رجلاً: الرجل منهم يأكل الجذعة، ويشرب العس[1] على رجل شاة وقعب من لبن، فأكلوا وشربوا حتى صدروا، ثم أنذرهم فقال: «يا بني عبد المطلب، لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدّقي؟ قالوا: نعم. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» (١٠٨١)، وروي أنه قال: «يا بني عبد المطلب، يا بني هاشم، يا بني عبد مناف، افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئاً» ثم قال: «يا عائشة بنت أبي بكر،

= باب ومن سورة الشعراء حديث (٣١٨٥)، وأحمد (٢/ ٣٣٣ ـ ٣٦٠ ـ ٣٦١ ـ ٥١٩)، والنسائي (٦/ ٢٤٨) كتاب الوصايا: باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين؛ كلهم من طريق عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة به. وللحديث شاهد من حديث عائشة. أخرجه مسلم (١/ ٦٢٣ ـ الأبي) كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ حديث (٣٥٠/ ٢٠٥)، والترمذي (٥/) كتاب التفسير: باب ومن سورة الشعراء، حديث (٣١٨٤)، والنسائي (٦/ ٢٥٠) كتاب الوصايا: باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٨)، وابن منده في «الإيمان» (٩٤٥ ـ ٩٤٦ ـ ٩٤٧)، وابن حبان (٦٥٤٨)؛ كلهم من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وروى بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه عن النبي ـ ﷺ ـ مرسلاً لم يذكر فيه عائشة.

قال الحافظ: أخرجه ابن حبان من حديث أبي هريرة قال: قام رسول الله ـ ﷺ ـ حين نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، فقال: يا بني عبد مناف يا بني هاشم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، وروى مسلم من حديث عائشة لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، قام رسول الله ـ ﷺ ـ على الصفا فقال: «يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب: لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم»،وروى ابن مردويه من حديث أبي أمامة قال لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، خرج رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «يا بني هاشم اشتروا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، يا عائشة بنت أبي بكر، ويا حفصة بنت عمر، ويا أم سلمة ويا فاطمة بنت محمد، ويا أم الزبير عمة رسول الله ـ ﷺ ـ: اشتروا أنفسكم من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئاً». انتهى.

١٠٨١ ـ يقرب منه حديث ابن عباس في هذا الباب أخرجه البخاري (٨/ ٦٠٩) كتاب التفسير باب في تفسير سورة «تبت يدا أبي لهب وتب» حديث (٤٩٧١) ومسلم (١/ ٦٢٤ ـ الأبي) كتاب الإيمان: باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ حديث (٣٥٥/ ٢٠٨) والترمذي (٥/) كتاب التفسير: باب ومن سورة تبت حديث (٣٣٦٣) والنسائي في «التفسير» (٤٤٦).

والطبري (١٩/ ١٢١) وابن منده في «الإيمان» (٩٤٩ ـ ٩٥٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٨١ ـ ١٨٢)، وابن حبان (٦٥٥٠)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٤٠٠ ـ ٤٠١)، وأحمد (١/ ٢٨١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وللحديث طرق أخرى عند ابن مردويه، والبيهقي، وأبي نعيم معاً في الدلائل يراجع لها «تخريج الكشاف» للإمام الزيلعي (٢/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨).

---

(١) قوله «ويشرب العس» هو القدح العظيم، كما في الصحاح. (ع)

ويا حفصة بنت عمر، ويا فاطمة بنت محمد، ويا صفية عمة محمد، اشترين أنفسكنّ من النار فإني لا أغني عنكنّ شيئا» (١٠٨٢).

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦)﴾

الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد / ٢/ ٦٣أ أن ينهض للطيران رفع جناحه، فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع ولين الجانب؛ ومنه قول بعضهم [من المتقارب]:

وَأَنْتَ الشَّهِيرُ بِخَفْضِ الْجَنَاحِ ... فَلاَ تَكُ فِي رَفْعِهِ أَجْدَلا[1]

ينهاه عن التكبر بعد التواضع. فإن قلت: المتبعون للرسول هم المؤمنون، والمؤمنون هم المتبعون للرسول، فما قوله: ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؟ قلت: فيه وجهان: أن يسميهم قبل الدخول في الإيمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك، وأن يريد بالمؤمنين المصدّقين بألسنتهم، وهم صنفان: صنف صدّق واتبع رسول الله فيما جاء به، وصنف ما وجد منه إلا التصديق فحسب، ثم إمّا أن يكونوا منافقين أو فاسقين، والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح. والمعنى: من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم، يعني: أنذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك، وإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره.

١٠٨٢ - ينظر الحديث قبل السابق.

قال الحافظ: أما أوله فأخرجه ابن إسحاق في المغازي، والبيهقي في الدلائل من طريقه من رواية ابن عباس مطولاً. وأخرجه البزار، وأبو نعيم في الدلائل من طريق عباد بن عبد الله الأسدي عن علي قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾ قال لي رسول الله - ﷺ -: اصنع لي رجل شاة على صاع من طعام، وأعد قعباً من لبن. ففعلت. ثم قال لي: اجمع لي بني عبد المطلب فجمعتهم وهم يومئذٍ أربعون رجلاً - فوضعت الطعام بينهم، فأكلوا حتى شبعوا، وإن فيهم لمن يأكل الجذعة ويشرب العس، ثم جئت بالعس فشربوا حتى رووا، وأما بقيته فمتفق عليه من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾، خرج رسول الله - ﷺ - حتى صعد الصفا، فنادى: يا صباحاء، فاجتمعوا إليه، فقال) يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب. أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم تصدقونني؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك؟ ألهذا جمعتنا فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)﴾. انتهى.

---

(١) شبه بطائر يرق لأفراخه ويخفض إليها جناحه رحمة لها؛ فاستعار خفض الجناح لذلك على سبيل التمثيل؛ ورشحه بقوله: «فلا تك في رفعه أجدلا» أي شبيهاً بالأجدل؛ وهو الصقر في القسوة والجفوة. أو في التكبر والترفع ويجوز أن خفض الجناح: كناية عما يلزمه من الرقة والرحمة واللين. ورفعه: كناية عن القسوة والجفوة؛ وبين الخفض والرفع طباق التضاد.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

﴿وَتَوَكَّلْ﴾ على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم. والتوكل: تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره. وقالوا: المتوكل من إن دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله، فعلى هذا إذا وقع الإنسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه، لم يخرج من حد التوكل؛ لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله. وفي مصاحف أهل المدينة والشام: فتوكل، وبه قرأ نافع وابن عامر، وله محملان في العطف: أن يعطف على ﴿فَقُلْ﴾. أو ﴿فَلَا تَدْعُ﴾. ﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ على الذي يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته. ثم أتبع كونه رحيماً على رسوله ما هو من أسباب الرحمة: وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد، وتقلبه في تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه؛ ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون. ويستبطن سر أمرهم، وكيف يعبدون الله، وكيف يعملون لآخرتهم، كما يحكى أنه حين نسخ فرض قيام الليل، طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات، فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة. والمراد بالساجدين: المصلون. وقيل: معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة. وتقلبه في الساجدين: تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمّهم. وعن مقاتل: أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله، هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن؟ فقال: لا يحضرني، فتلا له هذه الآية. ويحتمل أنه: لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية أمور الدين ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما تقوله ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما تنويه وتعمله. وقيل: هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه، من قوله ﷺ: «أتموا الركوع والسجود، فوالله إني لأراكم من خلف ظهري إذا ركعتم وسجدتم» (١٠٨٣). وقرئ: ويقلبك.

١٠٨٣ ـ أخرجه البخاري (٢/ ٣٤٧) كتاب الأذان باب إلزاق المنكب بالمنكب حديث (٧٢٥) ومسلم (٢/ ٣١٧ ـ الأبي) كتاب الصلاة: باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها حديث (١١٠/ ٤٢٥) وأحمد (٣/ ١٣٠ ـ ١٧٠ ـ ٢٧٩)، والنسائي (٢/ ١٩٣) كتاب الافتتاح: باب الأمر بإتمام الركوع، وأبو يعلى (٥/ ٣٤١) رقم (٢٩٧١) كلهم من طريق شعبة عن قتادة عن أنس به مرفوعاً.
وأخرجه البخاري (١١/ ٥٣٤) كتاب الأيمان والنذور: باب كيف كانت يمين رسول الله ـ ﷺ ـ حديث (٦٦٤٤) وأحمد (٣/ ٢٦٩) كلاهما من طريق همام عن قتادة عن أنس به وأخرجه مسلم (٢/ ٣١٧ ـ الأبي) كتاب الصلاة باب الأمر بتحسين الصلاة حديث (١١١/ ٤٢٥) وأحمد (٣/ ١٧٨) والطيالسي (١/ ٩٧ ـ منحة) رقم (٤٢٦) والبيهقي (٢/ ١١٧) كتاب الصلاة باب التغليظ على من لا يتم الركوع والسجود كلهم من طريق هشام عن قتادة عن أنس، وأخرجه مسلم (٢/ ٣١٧ ـ الأبي) =

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾

﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ هم الكهنة والمتنبئة، كشقّ، وسطيح، ومسيلمة، وطليحة ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ هم الشياطين، كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يسمعون إلى الملإ الأعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب، ثم يوحون به إلى أوليائهم من أولئك ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ فيما يوحون به إليهم؛ لأنهم يسمعونهم ما لم يسمعوا. وقيل: يلقون إلى أوليائهم السمع أي المسموع من الملائكة. وقيل: الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون وحيهم إليهم. أو يقولون المسموع من الشياطين إلى الناس، وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم، وترى أكثر ما يحكمون به باطلاً وزوراً. وفي الحديث: «الكلمة يتخطفها الجنيّ فيقرّها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة» (١٠٨٤). والقرّ: الصبّ. فإن قلت: كيف دخل حرف الجرّ على «من» المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام؟ ألا ترى إلى قولك: أعلى زيد مررت؟ ولا تقول: على أزيد مررت؟ قلت: ليس معنى التضمن أن الاسم دل على معنيين معاً: معنى الاسم، ومعنى الحرف. وإنما معناه: أن الأصل أمن، فحذف حرف الاستفهام واستمرّ الاستعمال على حذفه، كما حذف من «هل» والأصل: أَهَلْ؛ قال [من البسيط]:

. . . . أَهَلْ رَأَوْنَا بِسَفْحِ الْقَاعِ ذِي الأَكَمِ؟[1]

= كتاب الصلاة: باب الأمر بتحسين الصلاة حديث (١١١/ ٤٢٥) وأحمد (٣/ ١٧٠ ـ ٢٣٤) من طريق سعيد عن قتادة عن أنس.

قال الحافظ: متفق عليه من حديث قتادة عن أنس بمعناه. واللفظ المذكور عند النسائي واتفقا عليه من حديث أبي هريرة بلفظ: «وهل ترون قبلتي ههنا: فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم وإني لأراكم من وراء ظهري». انتهى.

١٠٨٤ ـ أخرجه البخاري (١١/ ٣٧٨) كتاب الطب باب الكهانة حديث (٥٧٦٢) وفي (١٢/ ٢٤٠) كتاب الأدب: باب قول الرجل للشيء ليس بشيء حديث (٦٢١٣) وفي (١٣/ ٥٤٥) كتاب التوحيد: باب قراءة الفاجر والمنافق حديث (٧٥٦١) ومسلم (٤/ ١٧٥٠) كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان حديث (١٢٢/ ٢٢٢٨) وأحمد (٦/ ٨٧) وعبد الرزاق (٢٠٣٤٧) وابن حبان (٦١٣٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٨) والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ٢٧٥ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق الزهري عن يحيى بن عروة عن عروة عن عائشة به.
قال الحافظ: متفق عليه من حديث عائشة أتم منه. انتهى.

---

(١) سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم؟
لزيد الخيل الذي سماه النبي ﷺ زيد الخير، وسائل: فعل أمر بمعنى أسألهم وراجعهم في السؤال، =

فإذا أدخلت حرف الجرّ على «من» فقدّر الهمزة قبل حرف الجرّ في ضميرك، كأنك تقول: أعلى من تنزّل الشياطين، كقولك: أعلى زيد مررت. فإن قلت: ﴿يُلْقُونَ﴾ ما محله؟ قلت: يجوز أن يكون في محل النصب على الحال، أي: تنزل ملقين / ٢/ ٦٣ب السمع، وفي محل الجرّ صفة لكل أفاك؛ لأنه في معنى الجمع. وأن لا يكون له محل بأن يستأنف، كأن قائلاً قال: لم تنزل على الأفاكين؟ فقيل: يفعلون كيت وكيت. فإن قلت: كيف؟ قيل ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ بعد ما قضى عليهم أن كل واحد منهم أفاك؟ قلت: الأفاكون هم الذين يكثرون الإفك، ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك، فأراد أن هؤلاء الأفاكين قلّ من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني؛ وأكثرهم مفتر عليه. فإن قلت: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾، ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾ لم فرق بينهنّ وهنّ أخوات؟ قلت: أريد التفريق بينهنّ بآيات ليست في معناهنّ، ليرجع إلى المجيء بهنّ وتطرية ذكر ما فيهنّ كرّة بعد كرّة: فيدل بذلك على أن المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها. ومثاله: أن يحدّث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية، فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع إليه.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾

= لتتلقن حقيقة الحال، ويربوع: أبو حي، والباء بمعنى عن، أي: سلهم عن قوتنا. ويروى: بشدتنا، بفتح الشين. يقال: شد على قرنه في الحرب: حمل عليه، أي سلهم عن صولتنا عليهم، وجعل البصريون الباء بعد السؤال للسببية، لا بمعنى عن، والأصل في الاستفهام الهمزة، ولذلك كان لها تمام التصدير في الكلام، وأصل «هل» بمعنى «قد»، «ومن» لمن يفعل، «وما» لما لا يفعل. «ومتى» للزمان، وهكذا بقية الأدوات موضوعة لمعان غير الاستفهام، فليست عريقة فيه، بل الهمزة مقدرة قبلها، ولذلك تظهر في بعض الأحيان كما في البيت، ويدخل عليها حروف الجر، ويضاف إليها غيرها: لكن لكثرة الاستعمال فيه صارت الهمزة نسياً منسيا في حيز الإهمال. والاستفهام هنا للتقرير، «وهل» بمعنى «قد»، وأنكر ذلك ابن هشام. ونقل عن السيرافي أن الرواية: أم هل، فأم بمعنى «بل» «وهل» للاستفهام: قال: وعلى صحة الأولى فهل مؤكدة للهمزة شذوذاً اهـ. ويروى: فهل رأونا. ويجوز أن معناه: سلهم فقد رأونا. والسفح: السطح أو أصل الجبل المنسطح. والقاع المستوى من الأرض. والأكم ـ بالفتح ـ: واحده أكمة؛ وجمعه أكم بالضم، وهي التلول المرتفعة.

ينظر: ديوانه ص ١٥٥، والجنى الداني ص ٣٤٤، والدرر ٥/ ١٤٦، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٧٢، وشرح المفصل ٨/ ١٥٢، وبلا نسبة في أسرار العربية ص ٣٥٨، والأشباه والنظائر ٢/ ٤٢٧، ٧/ ٥٥، وتذكرة النحاة ص ٧٨؛ وجواهر الأدب ص ٢٨١، وخزانة الأدب ١١/ ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٦، والخصائص ٢/ ٤٦٣، ورصف المباني ص ٤٠٧، وشرح عمدة الحافظ ص ٣٨٥، واللمع ص ٣١٧، ومغني اللبيب ٢/ ٣٥٢، والمقتضب ١/ ٤٤، ٣/ ٢٩١، وهمع الهوامع ٢/ ٧٧، ١٣٣.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ مبتدأ. و﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ خبره: ومعناه: أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب، والنسيب بالحرم والغزل[(١)] والابتهار، ومدح من لا يستحق المدح، ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم ـ إلا الغاوون والسفهاء والشطار. وقيل: الغاوون: الراوون. وقيل: الشياطين، وقيل: هم شعراء قريش: عبد الله بن الزبعري، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومسافع بن عبد مناف، وأبو عزة الجمحيّ. ومن ثقيف: أمية بن أبي الصلت. قالوا: نحن نقول مثل قول محمد ـ وكانوا يهجونه، ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم ـ وقرأ عيسى بن عمر: والشعراء، بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر. قال أبو عبيد: كان الغالب عليه حبّ النصب. قرأ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ [المسد: ٤]. ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ و﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾[(٢)] وقرئ: يتبعهم، على التخفيف. ويتبعهم، بسكون العين تشبيها «لبعه بعضد».

ذكر الوادي والهيوم: فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلوّ في المنطق ومجاوزة حدّ القصد فيه، حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة، وأشحهم على حاتم، وأن يبهتوا البريّ[(٣)]، ويفسقوا التقي. وعن الفرزدق: أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله [من الوافر]:

فَـبِـتْـنَ بِـجَـانِـبَـيَّ مُـصَـرَّعَـاتٍ ... وَبِـتُّ أَفُـضُّ أَغْـلَاقَ الْـخِـتَـامِ[(٤)]

---

(١) قوله «والنسيب بالحرم والغزل» النسيب: أي التشبب، والغزل: محادثة النساء ومراودتهن. والابتهار: ادعاء الشيء كذبا، كذا في الصحاح في مواضع. (ع)

(٢) قوله «وسورة أنزلناها» لعل بعدها سقطاً تقديره: بالنصب. (ع)

(٣) قوله «وأن يبهتوا البري» أي يتهموا. (ع)

(٤) خرجن إلي لم يطمثن قبلي ... وهن أصح من بيض النعام
فبتن بجانبي مصرعات ... وبت أفض أغلاق الختام

للفرزدق: يقول: خرج النسوة إلي من خدورهن حال كونهن لم يطمثن، أي لم يزل بكارتهن أحد قبلي، وأكد ذلك بقوله: وهُنّ أصح من بيض النعام الذي يصان عادة عن الكسر، لئلا تذهب زينته فبتن مطروحات عن يميني وشمالي، وبت أفض: أفتح وأزيل بكارتهن الشبيهة بأغلاق الختام لسدها الفروج، والأغلاق جمع غلق كسبب، بمعنى الأقفال. والختام: ما يسد به فم الزجاجة ونحوها، فإضافتها إليه بيانية. أو من إضافة المسميات إلى الاسم كأعواد السواك. ويجوز أن الختام بمعنى المختوم وهو الفرج، ويمكن أن يراد بالأغلاق: جوانب البكارة المشتبكة بالفرج وشبه البكارات أو جوانبها بالأغلاق على طريق التصريح، ولما سمع سليمان بن عبد الملك ذلك، قال: قد وجب عليك الحد، فقال: قد درأه الله عني بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝٢٢٦﴾ فخلى سبيله.
ينظر ديوانه (ص ٨٣٦) (طبعة الصاوي)، لسان العرب (غلق)، (ختم)، أساس البلاغة (فضض)، تاج العروس (غلق).

فقال: قد وجب عليك الحدّ، فقال: يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحدّ بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه، والحكمة والموعظة، والزهد والآداب الحسنة، ومدح رسول الله - ﷺ - والصحابة وصلحاء الأمة، وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم. قال الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو واجب لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وعن عمرو بن عبيد: أن رجلاً من العلوية قال له: إن صدري ليجيش بالشعر، فقال: فما يمنعك منه فيما لا بأس به؟ والقول فيه: أن الشعر باب من الكلام، فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام. وقيل: المراد بالمستثنين: عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، والكعبان: كعب بن مالك، وكعب بن زهير؛ والذين كانوا ينافحون عن رسول الله - ﷺ -، ويكافحون هجاة قريش. وعن كعب بن مالك أنّ النبي ﷺ قال له: «اهجهم؛ فوالذي نفسي بيده لهو أشدّ عليهم من النبل» (١٠٨٥)، وكان يقول لحسان:

١٠٨٥ - قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٤٧٩) غريب.
وأخرج الترمذي (٥/ ١٣٩) كتاب الأدب: باب ما جاء في إنشاد الشعر حديث (٢٨٤٧) والنسائي (٥/ ٢٠٢ - ٢٠٣) كتاب الحج: باب إنشاد الشعر في الحرم والمشي بين يدي الإمام حديث (٢٨٧٣) من طريق ثابت عن أنس أن النبي - ﷺ - دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول [من الرجز]:

خلو بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله - ﷺ - وفي حرم الله عز وجل تقول الشعر قال النبي - ﷺ -: خل عنه فلهو أسرع فيهم من نضح النبل.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وقد روى عبد الرزاق هذا الحديث أيضاً عن معمر عن الزهري عن أنس نحو هذا. وروي في غير هذا الحديث أن النبي - ﷺ - دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لأن عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وإنما كانت عمرة القضاء بعد ذلك .اهـ. =

«قل وروح القدس معك» (١٠٨٦). ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول،

= وأخرجه ابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٤٨٠) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: لما نزلت ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ أتيت رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت: يا رسول الله ماذا ترى في الشعر فقال: إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما تنضحوهم بالنبل.

قال الحافظ: أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: لما نزلت ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ أتيت رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت: يا رسول الله، ماذا ترى في الشعر؟ فقال: المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفس محمد بيده لكأنما تنضحونهم بالنبل، قلت: وأخرجه من هذا الوجه قال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا عبد الوهاب أخبرنا ابن عوف عن ابن سيرين «أن النبي ـ ﷺ ـ قال لكعب بن مالك: هيه: فأنشده. فقال: «لهو أشد عليهم من وقع النبل» ولمسلم عن عائشة مرفوعاً «اهجوا قريشاً فهو أشد عليها من رشق النبل» وللترمذي والنسائي من حديث ثابت عن أنس في أثناء حديث: فقال النبي ـ ﷺ ـ: «حل عنهم يا عمر، فلهو أسرع فيهم من نضح النبل».

١٠٨٦ ـ أخرجه النسائي في الكبرى (٨٠١٥) كتاب المناقب (٨٢٩٥) من طريق يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ لحسان: «اهج المشركين؛ فإن روح القدس معك».

قلت: وهذا إسناد صحيح، وإن كان بعضهم تكلم في إسرائيل، واختلاط أبي إسحاق لكن رواية إسرائيل عن أبي إسحاق قبل الاختلاط، كما قرر ذلك عدد من أهل العلم.

فقال أبو حاتم الرازي: «إسرائيل ثقة متقن، من أتقن أصحاب أبي إسحاق».

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «إسرائيل في أبي إسحاق أثبت من شعبة والثوري».

وقال أبو داود: قلت لأحمد بن حنبل: إسرائيل إذا انفرد بحديث يحتج به؟ قال: «إسرائيل ثبت الحديث. . .».

وقال حجاج الأعور: «قلنا لشعبة: حدثنا حديث أبي إسحاق قال: سلوا عنها إسرائيل، فإنه أثبت مني» / انظر سير أعلام النبلاء (٣٥٥١٧ ـ ٣٦١) وشرح علل الترمذي لابن رجب (٢/ ٥١٩ ـ ٥٢٥) وللحديث طريق آخر عند الحاكم (٣/ ٤٨٧) عن عيسى بن عبد الرحمن حدثني عدي بن ثابت عن البراء بن عازب ـ فذكر نحوه وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٤٨١) لابن مردويه في تفسيره في سورة الأحزاب قلت: والحديث أصله في الصحيحين عن عدي بن ثابت عن البراء أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «اهج المشركين، فإن جبريل معك».

قلت: ووجدت متابعاً لإسرائيل عند الطبراني في الصغير (٨٣١٢) من طريق أيوب بن سويد عن السري بن يحيى عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب «أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لحسان بن ثابت: «اهج المشركين، فإن الله عز وجل يؤيدك بروح القدس» وقال: لم يروه عن السري إلا أيوب.

والذي يظهر لي أن فيه انقطاعاً بين السري بن يحيى وأبي إسحاق السبيعي والعلم عند الله تعالى.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث البزار. ولفظ النسائي: قال لحسان: «اهج المشركين، فإن روح القدس معك» وللحاكم وابن مردويه من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر أن النبي ـ ﷺ ـ قال يوم الأحزاب «من يحمي أعراض المسلمين؟ فقال حسان: أنا. قال: فقم اهجهم، فإن روح القدس سيعينك». انتهى.

ولا أنكى لقلوب المتأملين ولا أصدع لأكباد المتدبرين. وذلك قوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾ وما فيه من الوعيد البليغ، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ وإطلاقه. وقوله: ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ وإبهامه، وقد تلاها أبو بكر لعمر ـ رضي الله عنهما ـ حين عهد إليه (١٠٨٧). وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدّتها. وتفسير الظلم بالكفر تعليل[1]. ولأن تخاف فتبلغ الأمن: خير من أن تأمن فتبلغ الخوف. وقرأ ابن عباس: أي منفلت ينفلتون، ومعناها: إن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله، وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات /٢/ ٦٤أ وهو النجاة: اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها؛ وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا، والله أعلم بالصواب.

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام» (١٠٨٨).

١٠٨٧ ـ أخرجه ابن سعد في الطبقات (١٤٨/٣) في ترجمة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عن الواقدي بأسانيد متعددة مطولاً.
وعزاه الزيلعي وابن حجر في تخريج الكشاف لابن أبي حاتم في تفسير ه.
قال الحافظ ابن حجر في الكشاف: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن عبد الرحمن بن المحسر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: «كتب أبي وصية فذكرها، وفي آخرها: وإن تجر وتظلم فإني لا أعلم الغيب. وسيعلم الذين ظلموا ـ الآية، ورواه ابن سعد في الطبقات في ترجمة أبي بكر عن الواقدي بأسانيد متعددة مطولاً. انتهى.
١٠٨٨ ـ تقدم برقم (٣٤٦)، وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة وهو حديث موضوع.
قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: رواه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب. انتهى.

---

(١) قوله «وتفسير الظلم بالكفر تعليل» لعله من علله بالشيء، أي: لهاه به، كما يعلل الصبي بشيء من الطعام يجتزأ به عن اللبن، كما في الصحاح. (ع)

سورة النمل

مكية، وهي ثلاث وتسعون آية، وقيل أربع وتسعون

[نزلت بعد الشعراء]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿طسٓ﴾ قرئ بالتفخيم والإمالة، و﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين: إما اللوح، وإبانته: أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه إبانة. وإما السورة. وإما القرآن، وإبانتهما: أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع، وأنّ إعجازهما ظاهر مكشوف، وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين: على سبيل التفخيم لها والتعظيم؛ لأنّ المضاف إلى العظيم يعظم بالإضافة إليه. فإن قلت: لم نكر الكتاب المبين؟ قلت: ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له، كقوله تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٥]. فإن قلت: ما وجه عطفه على القرآن إذا أريد به القرآن؟ قلت: كما يعطف إحدى الصفتين على الأخرى في نحو قولك: هذا فعل السخي والجواد الكريم، لأنّ القرآن هو المنزل المبارك المصدّق لما بين يديه، فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح، فكأنه قيل: تلك الآيات آيات المنزل المبارك آي كتاب مبين. وقرأ ابن أبي عبلة: وكتاب مبين بالرفع على تقدير: وآيات كتاب مبين، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. فإن قلت: ما الفرق بين هذا وبين قوله: الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين؟ قلت: لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدّم والتأخر، وذلك على ضربين: ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح، فالأول نحو قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾، ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ ومنه ما نحن بصدده. والثاني: نحو قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾، ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ في محل النصب أو الرفع، فالنصب على الحال، أي: هادية ومبشرة؛ والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة، والرفع على ثلاثة أوجه، على: هي هدى

وبشرى، وعلى البدل من الآيات، وعلى أن يكون خبراً بعد خبر، أي: جمعت أنها آيات، وأنها هدى وبشرى. والمعنى في كونها هدى للمؤمنين: أنها زائدة في هداهم. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾. فإن قلت: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ كيف يتصل بما قبله؟ قلت: يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول، ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية، كأنه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة: هم الموقنون بالآخرة، وهو الوجه. ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرّر فيها المبتدأ الذي هو (هم) حتى صار معناها: وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح، لأنّ خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾

فإن قلت: كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته، وقد أسنده إلى الشيطان في قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأنعام: ٤٣]؟ قلت: بين الإسنادين فرق، وذلك أنّ إسناده إلى الشيطان حقيقة، وإسناده إلى الله عز وجل[2] مجاز، وله طريقان في علم البيان. أحدهما:

---

(١) قال محمود: «كرر الضمير حتى صار معنى الكلام: ولا يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح، لأن خوف الآخرة يحملهم على تحمل المشاق» قال أحمد: قد تقدم في غير موضع اعتقاد أن إيقاع الضمير مبتدأ يفيد الحصر، كما مر له في قوله تعالى: ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ أن معناه: لا ينشر إلا هم، وعد الضمير من آلات الحصر كما مر ليس ببين، وقد بينا لمجيء الضمير في سورة اقترب وجهاً سوى الحصر. وأما وجه تكراره هنا ـ والله أعلم ـ فهو أنه لما كان أصل الكلام: وهم يوقنون بالآخرة، ثم قدم المجرور على عامله عناية به فوقع فاصلاً بين المبتدأ والخبر، فأريد أن يلي المبتدأ خبره وقد حال المجرور بينهما، فطرى ذكره ليليه الخبر، ولم يفت مقصود العناية بالمجرور. حيث بقي على حاله مقدماً، ولا يستنكر أن تعاد الكلمة مفصولة له وحدها بعد ما يوجب التطرية، فأقرب منها أن الشاعر قال:

سل ذو عجل ذا وألحقنا بذا الشحم إنا قد مللناه بخل

والأصل: وألحقنا بذا الشحم، فوقع منتصف الرجز أو منتهاه، على القول بأن مشطور الرجز بيت كامل عند اللام وبنى الشاعر على أنه لا بد عند المنتصف أو المنتهى من وقيفة ما، فقدر بتلك الوقفة بعد أن بين المعرف وآلة التعريف فطراها ثانية، فهذه التطرية لم تتوقف على أن يحول بين الأول وبين المكرر ولا كلمة واحدة، سوى تقديره وقفة لطيفة لا غير، فتأمل هذا الفصل فإنه جدير بالتأمل، والله أعلم.

(٢) قال محمود: «إن قلت كيف أسند التزيين إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان في قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ قلت: إن بين الإسنادين فرقاً، فالإسناد إلى الله مجاز. وإلى الشيطان حقيقة. وقد روي عن الحسن أن المراد زينا لهم أعمال البر فعمهوا عنها ولم يهتدوا إلى العمل بها، قال أحمد: وهذا الجواب مبني على القاعدة الفاسدة في إيجاب رعاية الصلاح والأصلح، وامتناع أن يخلق الله =

أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة. والثاني: أن يكون من المجاز الحكميّ، فالطريق الأوّل: أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق. وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرهم وإيثارهم الروح والترفه، ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة، فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم. وإليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ والطريق الثاني: أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين، فأسند إليه لأن المجاز الحكميّ يصححه بعض الملابسات. وقيل: هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها، زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا، ويعزى إلى الحسن. والعمه: التحير والتردّد، كما يكون حال الضال عن الطريق. وعن بعض الأعراب: أنه دخل السوق وما أبصرها قط، قال: رأيت الناس عمهين، أراد: متردّدين في /٢/ ٦٤ب أعمالهم وأشغالهم ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ القتل والأسر يوم بدر. و﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ أشدّ الناس خسرانا؛ لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم، فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾

﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ لتؤتاه وتلقنه ﴿مِن﴾ عند أيّ ﴿حَكِيمٍ﴾ وأيّ ﴿عَلِيمٍ﴾ وهذا معنى مجيئهما نكرتين. وهذه الآية بساط وتمهيد، لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿إِذْ﴾ منصوب بمضمر، وهو: اذكر، كأنه قال على أثر ذلك: خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى. ويجوز أن ينتصب بعليم. وروي أنه لم يكن مع موسى عليه السلام

= تعالى للعبد إلا ما هو مصلحة، فمن ثم جعل إسناد التزيين إلى الله تعالى مجازاً، وإلى الشيطان حقيقة، ولو عكس الجواب لفاز بالصواب، وتأمل ميله إلى التأويل الآخر: من أن المراد أعمال البر على بعده؛ لأنه لا يعرض لقاعدته بالنقض، وأنى لهم ذلك وقد أتى الله بنيانهم من القواعد؛ على أن التزيين قد ورد في الخير في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾، ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ومما يبعد حمله على أعمال البر: إضافة الأعمال إليهم في قوله (أعمالهم) وأعمال البر ليست مضافة إليهم؛ لأنهم لم يعملوها قط، فظاهر الإضافة يعطي ذلك. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ وقوله: ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ فأطلق الإيمان في المكانين عن إضافته إليهم؛ لأنه لم يصدر منهم، وأضاف الإسلام الظاهر إليهم، لأنه صدر منهم، والله أعلم.

غير امرأته، وقد كنى الله عنها بالأهل، فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع، وهو قوله: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾. الشهاب: الشعلة. والقبس: النار المقبوسة، وأضاف الشهاب إلى القبس لأنه يكون قبساً وغير قبس. ومن قرأ بالتنوين: جعل القبس بدلاً، أو صفة لما فيه من معنى القبس. والخبر: ما يخبر به عن حال الطريق، لأنه كان قد ضله. فإن قلت: سآتيكم منها بخبر، ولعلي آتيكم منها بخبر: كالمتدافعين؛ لأنّ أحدهما ترجّ والآخر تيقن. قلت: قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه. سأفعل كذا، وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة. فإن قلت: كيف جاء بين التسويف؟ قلت: عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ، أو كانت المسافة بعيدة. فإن قلت: فلم جاء بأو دون الواو؟ قلت: بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً لم يعدم واحدة منهما: إمّا هداية الطريق؛ وإما اقتباس النار، ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده، وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعاً، وهما العزّان: عز الدنيا، وعز الآخرة.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿أَنۢ﴾هي المفسرة؛ لأنّ النداء فيه معنى القول. والمعنى: قيل له بورك. فإن قلت: هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره: نودي بأنه بورك. والضمير ضمير الشأن؟ قلت: لا، لأنه لا بدّ من «قد». فإن قلت: على إضمارها؟ قلت: لا يصح؛ لأنها علامة لا تحذف. ومعنى ﴿بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ بورك من في مكان النار، ومن حول مكانها. ومكانها: البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿نُودِىَ مِن شَـٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ﴾ [القصص: ٣٠] وتدل عليه قراءة أبيّ. تباركت الأرض ومن حولها. وعنه: بوركت النار؛ والذي بوركت له البقعة، وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها؛ وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه؛ وربّ خير يتجدّد في بعض البقاع، فينشر الله بركة ذلك الخير في أقاصيها، ويبث آثار يمنه في أباعدها، فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الذي جرى في تلك البقعة. وقيل: المراد بالمبارك فيهم: موسى والملائكة الحاضرون. والظاهر أنه عامّ في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وحواليهما من أرض الشام، ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ وحقت أن تكون كذلك، فهي مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي إليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا. فإن قلت: فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه؟ قلت: هي بشارة له بأنه قد قضى أمر عظيم تنتشر منه في أرض الشام كلها البركة ﴿وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك، وإيذان بأنّ ذلك الأمر مريده ومكوّنه رب العالمين،

تنبيهاً على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشئون.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩﴾

الهاء في ﴿إِنَّهُۥٓ﴾ يجوز أن يكون ضمير الشأن، والشأن ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾ مبتدأ وخبر. و﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ صفتان للخبر. وأن يكون راجعاً إلى ما دل عليه ما قبله، يعني: أنّ مكلمك أنا، والله بيان لأنا. والعزيز الحكيم: صفتان للمبين، وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة، يريد: أنا القويّ القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية، الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١﴾

فإن قلت: علام عطف قوله ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾؟ قلت: على بورك؛ لأن المعنى: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك: كلاهما تفسير لنودي. والمعنى: قيل له بورك من في النار، وقيل له: ألق عصاك. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ بعد قوله: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ على تكرير حرف التفسير، كما تقول: كتبت إليك أن حج وأن اعتمر، وإن شئت أن حج واعتمر. وقرأ الحسن: جأنّ على لغة من يجدّ في الهرب من التقاء الساكنين /٢/٦٥أ، فيقول: شأبّة ودأبّة. ومنها قراءة عمرو بن عبيد: ولا الضألين ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع، يقال: عقب المقاتل، إذا كرّ بعد الفرار؛ قال [من الطويل]:

فَمَا عَقَّبُوا إِذْ قِيلَ: هَلْ مِنْ مُعَقِّبٍ؟ ... وَلاَ نَزَلُوا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ مَنْزِلا[1]

وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به، ويدل عيه ﴿لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ و﴿إِلَّا﴾ بمعنى «لكن» لأنه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل، كان ذلك مظنة لطروّ الشبهة، فاستدرك ذلك. والمعنى: ولكن من ظلم منهم أي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء، كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف، ومن موسى بوكزة القبطي، ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى، وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها. وسماه ظلماً، كما قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ والحسن، والسوء: حسن التوبة، وقبح الذنب. وقرئ: ألا من ظلم، بحرف التنبيه. وعن أبي عمرو

---

(١) يصف قوماً بالجبن، وإنهم إن قيل: هل من معقب وراجع على عقبه للحرب فما رجعوا إليها، ولا نزلوا يوم الحرب منزلاً من منازلها، أي: لم يقدموا مرة على العدو. وروي: إذ قيل، أي: حين ذلك.

في رواية عصمة: حسناً.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾

و﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ كلام مستأنف، وحرف الجرّ فيه يتعلق بمحذوف. والمعنى: اذهب في تسع آيات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾؛ ونحوه [من الوافر]:

فَقُلْتُ: إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ فَرِيقٌ: نَحْسُدُ الأَنْسَ الطَّعَامَا[1]

ويجوز أن يكون المعنى: وألق عصاك، وأدخل يدك: في تسع آيات، أي: في جملة تسع آيات وعدادهنّ. ولقائل أن يقول: كانت الآيات إحدى عشرة: ثنتان منها اليد والعصا، والتسع: الفلق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة، والجدب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾

المبصرة: الظاهرة البينة. جعل الإبصار لها وهو في الحقيقة لمتأمّليها، لأنهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها. ويجوز أن يراد بحقيقة الإبصار: كل ناظر فيها من كافة أولي العقل، وأن يراد إبصار فرعون وملئه، لقوله: ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أو جعلت كأنها تبصر فتهدي، لأنّ العمي لا تقدر على الاهتداء، فضلاً أن تهدي غيرها. ومنه قولهم: كلمة عيناء، وكلمة عوراء، لأن الكلمة الحسنة ترشد، والسيئة تغوي. ونحوه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] فوصفها بالبصارة، كما وصفها بالإبصار. وقرأ عليّ بن الحسين ـ رضي الله عنهما ـ وقتادة: مبصرة، وهي نحو: مجبنة ومبخلة ومجفرة[2]، أي: مكانا يكثر فيه التبصر.

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

الواو في ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ﴾ واو الحال، وقد بعدها مضمرة، والعلو: الكبر والترفع عن الإيمان بما جاء به موسى، كقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ: عليا، وعليا بالضم والكسر، كما قرئ عتيا، وعتيا.

---

(١) تقدم.

(٢) قوله «ومجفرة» في الصحاح «جفر الفحل عن الضراب»: إذا انقطع عنه. ومنه قيل: الصوم مجفرة، أي قاطع للنكاح. (ع)

وفائدة ذكر الأنفس: أنهم جحدوها بألسنتهم، واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم. والاستيقان أبلغ من الإيقان، وقد قوبل بين المبصرة والمبين، وأي ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله، ثم كابر بتسميتها سحراً بيناً مكشوفاً لا شبهة فيه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿عِلْمًا﴾طائفة من العلم(١) أو علماً سنياً غزيراً. فإن قلت: أليس هذا موضع الفاء دون الواو، كقولك: أعطيته فشكر، ومنعته فصبر؟ قلت: بلى، ولكن عطفه بالواو إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه، فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد، كأنه قال: ولقد آتيناهما علماً فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه(٢) والفضيلة ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾. والكثير المفضل عليه: من لم يؤت علماً. أو من لم يؤت مثل علمهما. وفيه: أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير. وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجل النعم. وأجزل القسم، وأن من أوتيه فقد أوتي فضلاً على كثير من عباد الله، كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وما سماهم رسول الله ـ ﷺ ـ «ورثة الأنبياء» (١٠٨٩) إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة، لأنهم القوّام بما بعثوا من أجله. وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة

١٠٨٩ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة هم أبو الدرداء والبراء بن عازب وعبد الله بن عمرو، وجابر وابن مسعود.

---

(١) قال محمود: «معناه طائفة من العلم» قال أحمد: التبعيض والتقليل من التنكير، وكما يرد للتقليل من شأن المنكر، فكذلك يرد للتعظيم من شأنه كما مر آنفاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ ولم يقل الحكيم العليم. والغرض من التنكير التفخيم، كأنه قال: من لدن حكيم عليم؛ فظاهر قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ في سياق الامتنان تعظيم العلم الذي أوتياه؛ كأنه قال: علماً أي علم، وهو كذلك؛ فإن علمهما كان مما يستعظم ويستغرب؛ ومن ذلك علم منطق الطير وسائر الحيوانات الذي خصهما الله تعالى به وكل علم بالإضافة إلى علم الله تعالى قليل ضئيل؛ والله أعلم.

(٢) قال محمود: «بجلا نعمة الله عليهما من حيث قولهما (فضلنا) وتواضعا بقولهما (على كثير) ولم يقولا: على عباده؛ اعترافاً بأن غيرهما يفضلهما، حذراً من الترفع.
قال السمين الحلبي: وإنما نكر «علماً» تعظيماً له أي علماً سنيًا أو دلالة على التبعيض لأنه قليل جداً بالنسبة إلى علمه تعالى. انتهى. الدر المصون.

لوازم، منها: أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم. وفيها التذكير

= أما حديث أبي الدرداء: فأخرجه أبو داود (٣/ ٣١٧) ـ كتاب العلم ـ باب الحث على طلب العلم ـ (٣٦٤١) وابن ماجه (١/ ٨١) ـ المقدمة ـ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ـ (٢٢٣) وأحمد في مسنده (٥/ ١٩٦)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٢٦٢) (١٦٩٦) والدارمي (١/ ٩٨)، وابن حبان (١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠) (٨٨)، والخطيب البغدادي في «الرحلة في طلب الحديث» رقم (٥).
والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٢٣) (١٢٩)، والبزار في مسنده (١٣٦) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ١٦٣ ـ ١٦٤) (١٧٢)، كلهم من طرق عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس، قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق. . .
وقال البغوي: حديث غريب لا يُعرف إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة.
وقال ابن عبد البر: داود بن جميل مجهول، ولا يعرف هو ولا أبوه، ولا نعلم أحداً روى عنه غير عاصم بن رجاء ـ بتصرف ـ وقال الدارقطني: «مجهول».
وقال الحافظ في التقريب: داود بن جميل ويقال اسمه الوليد، ضعيف قلت وقع تصحيف عند أحمد «عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن حميد به» وصوابه «داود بن جميل» كما أثبتناه.
وأخرجه أحمد أيضاً (٥/ ١٩٦)، والترمذي (٥/ ٤٨ ـ ٤٩) ـ كتاب العلم ـ (٤٣) باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ـ (٢٦٨٢)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ١٦٠) حديث رقم (١٦٩).

من طرق عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن قيس بن كثير قال: قدم رجل من المدينة. . . .
وقال الترمذي: ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء، وليس هو عندي بمتصل. . . وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن الوليد بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي ـ ﷺ ـ. . . وهذا أصح. . . ورأى محمد بن إسماعيل هذا أصح .اهـ.
قلت: وللحديث متابعة عند أبي داود في سننه (٣/ ٣١٧) (٣٦٤٢) من طريق الوليد قال: لقيت شبيب بن شيبة فحدثني به عن عثمان بن أبي سودة عن أبي الدرداء ـ يعني عن النبي ـ ﷺ ـ بمعناه وهذا إسناد حسن يتقوى الحديث به.
وأخرجه أيضاً الخطيب البغدادي في تاريخه (١/ ٣٩٨) من طريق محمد بن إبراهيم أبو حمزة المروزي قال: نبأنا علي بن الحسن بن شقيق قال: أنبأنا ابن المبارك قال أنبأ يونس بن يزيد عن عطاء الخراساني قال: قال أبو الدرداء سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «من سلك. . .» قلت: وهذا إسناد رجال ثقات غير أن عطاء بن أبي مسلم الخرساني لم يسمع من أبي الدرداء وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٩) للطبراني في معجمه الكبير من حديث مسلم، عن شعيب بن رزيق سمعت عثمان بن رزيق: سمعت عثمان بن أبي سودة قال: قدم رجل. . . . فذكر الحديث وفيه «العلماء ورثة الأنبياء» وقال الزيلعي: وهذه الرواية أشبه من رواية أبي داود، وإسناده جيد، وشعيب بن رزيق، قال فيه دحيم: لا بأس به، وقال الدارقطني ثقة، وللحديث طريق سالمة من الضعف والاضطراب رواه الطبراني، في معجمة الكبير فذكره .اهـ.
وذكر السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٢٨٦/ ٧٠٣) وقال: صححه الحاكم وابن حبان وغيرهما وحسنه حمزة الكتاني، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها.
قلت فمن شواهده. =

بالتواضع، وأن يعتقد العالم أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم. وما أحسن قول عمر: كل الناس أفقه من عمر (١٠٩٠).

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

ورث منه النبوّة والملك دون سائر / بنيه ـ وكانوا تسعة عشر ـ وكان داود أكثر تعبداً، وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ تشهيراً لنعمة الله، وتنويهاً بها، واعترافاً بمكانها، ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير، وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور. والمنطق: كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف،

= حديث عبد الله بن مسعود.
أخرجه أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في تاريخ جرجان (ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦) ثنا يحيى بن زكريا بن أحمد المصري، ثنا زفر بن الهديل، ثنا أبو حنيفة النعمان بن ثابت، عن حماد عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً «العلماء ورثة الأنبياء».
وحديث جابر بن عبد الله: أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٤/٤٣٨)، وابن الجوزي في العلل (١/٧٩)، كلاهما من طريق الضحاك بن حجوة قال نا الفريابي قال نا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله: قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء..».
قال ابن الجوزي: حديث لا يصح. قال ابن عدي الضحاك بن حجوة منكر الحديث عن الثقات رواياته مناكير إما متناً وإما إسناداً، وقال ابن حبان، لا يجوز الاحتجاج به .اهـ.
وأما حديث البراء بن عازب وعبد الله بن عمر فذكرهما الزيلعي في تخريج الكشاف وعزاهما لأبي نعيم في كتابه «فضل العالم العفيف على الجاهل الشريف».
والحديث ذكره البخاري في صحيحه (١/٢١٥) ـ كتاب العلم ـ باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فبدأ بالعلم وإن العلماء هم ورثة الأنبياء...
وقال الحافظ ابن حجر: طرف من حديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم مصححاً من حديث أبي الدرداء وحسنه حمزة الكتاني وضعفه عندهم سنده، لكن له شواهد يتقوى بها، ولم يفصح المصنف بكونه حديثاً فلهذا لا يعد في تعاليقه، لكن إيراده له في الترجمة يشعر بأن له أصلاً، وشاهده في القرآن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود والترمذي وابن حبان من حديث أبي الدرداء، من حديث واه «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً وفيه إن العلماء ورثة الأنبياء» وله طرق عند الطبراني.
وفي الباب عن البراء وابن عمرو بن العاص أخرجهما أبو نعيم في كتاب «فضل العالم العفيف على الجاهل الشريف»، وعن ابن مسعود أخرجه ابن حمزة السهمي في تاريخ جرجان، وعن جابر أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة أحمد بن محمد الثلجي. وفي إسناده الضحاك بن حجوة. وهو متهم بوضع الحديث. انتهى.
١٠٩٠ ـ تقدم في سورة النساء.

المفيد وغير المفيد. وقد ترجم يعقوب بن السكيت كتابه بإصلاح المنطق، وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم. وقالت العرب: نطقت الحمامة، وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته، والذي علمه سليمان من منطق الطير: هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه[1] وأغراضه. ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا: الله ونبيه أعلم: قال يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء. وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا. وصاح طاووس، فقال يقول: كما تدين تدان. وصاح هدهد، فقال يقول: استغفروا الله يا مذنبين. وصاح طيطوى، فقال يقول: كل حيّ ميت، وكل جديد بال. وصاح خطاف فقال يقول: قدّموا خيراً تجدوه. وصاحت رخمة، فقال تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه. وصاح قمري، فأخبر أنه يقول: سبحان ربي الأعلى. وقال: الحدأ يقول: كل شيء هالك إلا الله. والقطاة تقول: من سكت سلم. والببغاء تقول: ويل لمن الدنيا همه: والديك يقول: اذكروا الله يا غافلين. والنسر يقول: يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت. والعقاب يقول: في البعد من الناس أنس. والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس. وأراد بقوله: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ كثرة ما أوتي، كما تقول: فلان يقصده كل أحد، ويعلم كل شيء، تريد: كثرة قصاده ورجوعه إلى غزارة في العلم واستكثار منه. ومثله قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة، كما قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» (١٠٩١)، أي: أقول هذا القول شكراً ولا أقوله فخراً. فإن قلت: كيف قال علمنا وأوتينا وهو من كلام المتكبرين؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يريد نفسه وأباه. والثاني: أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع ـ وكان ملكاً مطاعاً ـ فكلم أهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها، وليس التكبر من لوازم ذلك، وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخمه وإظهار آيينه[2] وسياسته مصالح، فيعود تكلف ذلك واجباً. وقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ يفعل نحواً من ذلك إذا وفد عليه وفد أو احتاج أن يرجح في عين عدوّ. ألا ترى كيف أمر العباس

١٠٩١ ـ تقدم.
قال الحافظ: تقدم في يوسف.

---

(١) قوله «هو ما يفهم بعضه من بعض معانيه» عبارة النسفي: والمنطق: كل ما يصوت من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد، وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض اهـ. (ع)

(٢) قوله «وإظهار آيينه» قيل: مراتبه وبهاؤه. وفي نسخه: أبهته، فليحرر. (ع)

ـ رضي الله عنه ـ بأن يحبس أبا سفيان حتى تمرّ عليه الكتائب (١٠٩٢).

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

روي أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة: خمسة وعشرون للجنّ، وخمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للطير، وخمسة وعشرون لوحش، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلاثمائة منكوحة. وسبعمائة سرية، وقد نسجت له الجنّ بساطاً من ذهب وإبريسم فرسخاً في فرسخ، وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب، فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس وحول الناس الجنّ والشياطين، وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس، وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر. ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله، ويأمر الرخاء تسيره، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض: إني قد زدت في ملكك لا يتكم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك، فيحكى أنه مر بحرّاث فقال: لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً، فألقته الريح في أذنه، فنزل ومشى إلى الحرّاث وقال: إنما مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه، ثم قال: لتسبيحة واحدة يقبلها الله، خير مما أوتي آل داود ﴿يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم، أي: توقف سلاف العسكر[1] حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد، وذلك للكثرة العظيمة.

١٠٩٢ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٩/٣١٦) ـ كتاب المغازي (٦٤) ـ باب أين ركز النبي ـ ﷺ ـ الراية يوم الفتح (٤٩) (٤٢٨٠) من رواية هشام بن عروة عن أبيه قال: لما سار رسول الله ـ ﷺ ـ عام الفتح ـ وفيه فأسلم أبو سفيان: فلما سار قال للعباس: «احبس أبا سفيان عند «خطم الجبل» حتى ينظر إلى المسلمين» فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي ـ ﷺ ـ كتيبة كتيبة. . .
وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٢ ـ ٣٤) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثنا الحسن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال: فذكره وابن إسحاق وهو محمد بن إسحاق أبو بكر إمام في المغازي ولكنه صدوق وكثير التدليس.
قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه البخاري من رواية هشام بن عروة عن أبيه في قصة الفتح، قال فأسلم أبو سفيان. فلما سار قال للعباس احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين؛ فحبسه العباس، فجعلت الكتائب تمر مع النبي ـ ﷺ ـ كتيبة بعد كتيبة وأخرجه البيهقي في الدلائل من طريق عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

---

(١) قوله «سلاف العسكر» أي متقدموهم. أفاده الصحاح. (ع)

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾

قيل: هو واد بالشام كثير النمل، فإن قلت: لم عدّى ﴿أَتَوۡاْ﴾ بعلى؟ قلت: يتوجه على معنيين أحدهما: أن إتيانهم كان من فوق، فأتى بحرف الاستعلاء؛ كما قال أبو الطيب [من الكامل]:

. . . . وَلَشُدَّ مَا قَرُبَتْ عَلَيْكَ الأَنْجُمُ[١]

لما كان قربا من فوق. والثاني: أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره، من قولهم: أتى على الشيء إذا أنفذه وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي، لأنهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم، وقرئ نملة يا أيها النمل، بضم الميم وبضم النون والميم، وكان الأصل: النمل، بوزن الرجل، والنمل الذي عليه الاستعمال: تخفيف /٢/٦٦أ عنه، كقولهم: «السبع» في السبع. قيل: كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس[٢]، فنادت: يا أيها النمل: الآية، فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال. وقيل: كان اسمها طاخية. وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس، فقال: سلوا عما شئتم، وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضراً ـ وهو غلام حدث ـ. فقال: سلوه عن نملة سليمان، أكانت ذكراً أم أنثى؟ فسألوه فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقيل له: من أين عرفت؟ قال: من كتاب الله، وهو قوله: ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾ ولو كانت ذكراً لقال: قال نملة[٣]،

---

(١) فلشد ما جاوزت قدرك صاعداً ولشد ما قربت عليك الأنجم
لأبي الطيب المتنبي، طلب منه رجل المدح، فأبى وقال ذلك، واللام للتأكيد، وشد على صورة المبني للمجهول للتعجب، وأصله شدد كحسن. فنقل ضم الدال إلى الشين وأدغم. كما هو قياس بناء التعجب، أي: ما أشد مجاوزتك لقدرك، يعني: كثرت مجاوزتك لمقدارك، حال كونك صاعداً فيما ليس لك من الرفعة، وقال: عليك، دون: إليك؛ لأن قرب الأنجم من جهة العلو، أي: كثر عندك قرب النجوم إليك من فوق، ثم يحتمل أن النجوم حقيقة فقد بنى على الصعود المعنوي ما ينبني على الصعود الحسي، للمبالغة في تشبيه الأول بالثاني، ويحتمل أنها مستعارة لشعره الذي هو النجوم في الحسن، وعزة الوصول إليه على طريق التصريحية، ففيه شبه التورية.

(٢) قوله «تتكاوس» في الصحاح: كوسته على رأسه تكويساً، أي: قلبته. وكاس هو يكوس: إذا فعل ذلك. وكاس البعير: إذا مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب. (ع)

(٣) قال محمود: «لما دخل قتادة الكوفة التفت عليه الناس، فقال: سلوا عما شئتم، فقال أبو حنيفة ـ وكان شاباً ـ: سلوه عن النملة التي كلمت سليمان، أذكر كانت أم أنثى؟ فسألوه فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى فقيل: كيف لك ذلك؟ قال: لأن الله عز وجل قال ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾، ولو كانت ذكراً لقال: قال نملة» قال أحمد: لا أدري العجب منه أم من أبي حنيفة أن يثبت ذلك عنه، وذلك =

وذلك أنّ النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى، فيميز بينهما بعلامة، نحو قولهم: حمامة ذكر، وحمامة أنثى، وهو وهي. وقرئ: مسكنكم ولا يحطمنكم، بتخفيف النون، وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها. وأصله: يحتطمنكم. ولما جعلها قائلة والنمل مقولاً لهم كما يكون في أولي العقل: أجرى خطابهم مجرى خطابهم. فإن قلت: لا يحطمنكم ما هو؟ قلت: يحتمل أن يكون جواباً للأمر، وأن يكون نهياً بدلاً من الأمر، والذي جوّز أن يكون بدلاً منه: أنه في معنى: لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم، على طريقة: لا أرينك ههنا، أراد: لا يحطمنكم جنود سليمان، فجاء بما هو أبلغ، ونحوه: عجبت من نفسي ومن إشفاقها.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

ومعنى ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ تبسم شارعاً في الضحك وآخذاً فيه، يعني أنه قد تجاوز حدّ التبسم إلى الضحك، وكذلك ضحك الأنبياء عليهم السلام. وأما ما روي أن رسول الله ـ ﷺ ـ ضحك حتى بدت نواجذه (١٠٩٣)، فالغرض المبالغة في وصف ما

١٠٩٣ ـ وردت في هذه الجملة عدة أحاديث منها.
ـ حديث عبد الله بن مسعود:
أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٥١٤) ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ سورة الزمر ـ (٤٨١١) ومسلم (٩/ ١٤٢ ـ ١٤٣) ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) ـ كتاب صفة القيامة والجنة والنار ـ حديث رقم (٢٧٨٦).
والترمذي (٥/ ٣٧١) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ تفسير سورة الزمر ـ (٣٢٣٨) والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٤٦) ـ كتاب التفسير ـ باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ (١١٤٥٠) وابن أبي عاصم في السنة حديث رقم (٥٤٢)، والآجري في الشريعة ص ٣١٩، وابن خزيمة في التوحيد (ص ٧٧) من طريق سفيان الثوري، عن منصور وسليمان الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن =

= أن النملة كالحمامة والشاة تقع على الذكر وعلى الأنثى لأنه اسم جنس، يقال: نملة ذكر ونملة أنثى، كما يقولون حمامة ذكر وحمامة أنثى، وشاة ذكر وشاة أنثى، فلفظها مؤنث. ومعناه محتمل، فيمكن أن تؤنث لأجل لفظها، وإن كانت واقعة على ذكر، بل هذا هو الفصيح المستعمل. ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تضحي بعوراء ولا عجفاء ولا عمياء» كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثة ولا يعني الإناث من الأنعام خاصة، فحينئذٍ قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ روعي فيه تأنيث اللفظ. وأما المعنى فيحتمل على حد سواء، وإنما أطلت في هذا وإن كان لا يتمشى عليه حكم، لأنه نسبه إلى الإمام أبي حنيفة على بصيرته باللغة، ثم جعل هذا الجواب معجبا لنعمان على غزارة علمه وتبصره بالمنقولات؛ ثم قرر الكلام على ما هو عليه مصوناً له، فيالعجب العجاب، والله الموفق للصواب.

وجد منه من الضحك النبوي، وإلا فبدوّ النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراب،

= عبد الله قال: جاء رجل من اليهود فقال: يا محمد فذكر الحديث وفيه «فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ حتى بدت نواجذه...».

وللحديث طرق أخرى عن عبد الله بن مسعود.

ـ وحديث أبي ذر:

أخرجه مسلم في صحيحه (٤٨١٢ ـ نووي) ـ كتاب الإيمان (١) ـ باب أوتى أهل الجنة منزلة فيها حديث رقم (٣١٤/ ١٩٠) والترمذي (٤/ ٧١٣) ـ كتاب صفة جهنم (٤٠) ـ حديث رقم (٢٥٩٦)، كلاهما من طريق الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة...» الحديث. فلقد رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ ضحك حتى بدت نواجذه».

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ـ حديث سلمة بن الأكوع:

أخرجه مسلم في صحيحه (٦/ ٤١٤ ـ نووي) ـ كتاب الجهاد والسير (٣٢) ـ باب غزوة ذي قرد وغيرها (٤٥) حديث رقم (١٨٠٧) عن سلمة بن الأكوع قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله ـ ﷺ ـ ونحن أربع عشرة مائة... فذكر الحديث بطوله وفيه ثم قال لي: «يا سلمة أين جحفتك أودرقتك التي أعطيتك قال: قلت: يا رسول الله لقيني عمي عامر عزلا. فأعطيته إياها. قال: فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ وقال: «اللهم أبغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي...».

وفيه أيضاً قال سلمة: قلت: يا رسول الله خلني فانتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم لا يبقى منهم مخبر إلا قتلته قال: «فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ...».

والحديث أخرجه أحمد (٤/ ٤٨ ـ ٥١ ـ ٥٢)، وأبو داود (٣/ ٤٩) (٢٦٥٤) مختصراً وليس فيها ذكر الضحك.

ـ وحديث أبو عمرة الأنصاري واسمه ثعلبه بن عمرو بن محصن:

أخرجه أحمد (٣/ ٤١٧ ـ ٤١٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١١٤٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٨ ـ ٦١٩) وعنه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٢١ ـ ١٢٢) والطبراني في معجمه الكبير (١/ ٢١١ ـ ٢١٢) (٥٧٥)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥) (٢٢١).

كلهم من طرق عن الأوزاعي حدثني المطلب بن حنطب المخزومي قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري حدثني أبي قال: كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ في غزاة ـ فذكر الحديث وفيه فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ حتى بدت نواجذه...

وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٤ ـ ٢٥) وزاد نسبته إلى «الأوسط» ـ رجاله ثقات قلت: والمطلب بن حنطب وهو المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي صدوق وهو وإن كان موصوفاً بالتدليس ـ فقد صرح بالتحديث في رواية أحمد والحاكم والبيهقي والطبراني.

ـ حديث أم أيمن:

أخرجه الحاكم (٦٣١٤ ـ ٦٤) من طريق أبي مالك النخعي عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن أم أيمن ـ رضي الله عنها ـ قالت: قام النبي ـ ﷺ ـ من الليل إلى فخارة من جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وأنا عطش فشربت ما في الفخارة... وفيه «فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ حتى =

وقرأ ابن السميفع: ضحكا، فإن قلت: ما أضحكه من قولها؟ قلت: شيئان، إعجابه بما

= بدت نواجذه ثم قال: «أما إنك لا يفجع بطنك بعده أبداً» قلت: وفيه أبو مالك النخعي واسمه عبد الملك بن الحسين ويقال عبادة بن الحسين: قال يحيى بن معين ليس بشيء، وقال عمرو بن علي: ضعيف الحديث منكر الحديث، وقال أبو زرعة وأبو حاتم، ضعيف الحديث وقال البخاري ليس بالقوي عندهم، وقال النسائي ليس بثقة ولا يكتب حديثه راجع تهذيب الكمال (٣٤/٢٤٨ ـ ٢٤٩) ت (٧٥٩٩).
وقال الحافظ في التقريب (٢/٤٦٨) متروك.
ـ حديث عائشة:
أخرجه أبو داود (١/ ٣٠٤) ـ كتاب الصلاة ـ باب رفع اليدين في الاستسقاء (١١٧٣) والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٣٢٥) والبيهقي في السنن (٣/ ٣٤٩) وابن حبان في صحيحه (٣/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) (٩٩١) والحاكم في مستدركه (١/ ٣٢٨) كلهم من طريق خالد بن نزار حدثني القاسم بن مبرور عن يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: شكى الناس إلى رسول الله ـ ﷺ ـ قحوط المطر. . . وفيه ثم أمطرت بإذن الله، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك ـ ﷺ ـ حتى بدت نواجذه فقال: «أشهد أن الله على كل شيء قدير» وقال أبو داود: هذا حديث غريب إسناده جيد.
وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
قلت: وفي ذلك نظر: فإن خالد بن نزار وشيخه القاسم كذلك لم يخرج لهما الشيخان شيئاً وخالد بن نزار وهو الغساني الأيلي لا يرتقي حديثه إلى الصحة ـ فهو صدوق يخطىء كما في التقريب (١/ ٨٤) ـ فحديثه حسن والله المستعان.
ـ ولها حديث آخر في هذا الباب:
أخرجه أبو داود (٤/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) ـ كتاب الأدب ـ باب في اللعب بالنبات ـ (٤٩٣٢) والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧) ـ كتاب عشرة النساء ـ (٨٩٥٠)، كلاهما من طريق يحيى بن أيوب قال: حدثني عمارة بن غزية أن محمد بن إبراهيم بن الحارث حدثه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت: قدم النبي ـ ﷺ ـ من غزوة. . . وفيه قوله: أوما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة! فضحك حتى رأيت نواجذه. قلت: وفيه عمارة بن غزية وثقه أحمد وأبو زرعة وقال يحيى بن معين صالح. وقال أبو حاتم، ما بحديثه بأس كان صدوقاً، وقال النسائي لا بأس به.
راجع تهذيب الكمال (٢١/ ٢٦٠) ت (٤١٩٥) وقال الحافظ في التقريب لا بأس. قلت: فالحديث حسن إن شاء الله.
قلت: وفي الباب عن زيد بن أرقم وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود، وصهيب وعبد الله بن عباس.
ينظر «تخريج الكشاف» للزيلعي.
قال الحافظ: وقعت في هذه الجملة عدة أحاديث. منها حديث ابن مسعود: «جاء رجل من اليهود، فقال: يا محمد، إن الله يمسك السموات على أصبع الحديث. وفيه فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ حتى بدت نواجذه متفق عليه، ومنها حديثه مرفوعاً «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ـ الحديث. وفيه: قول الرجل: أتسخر بي وأنت لذلك؟ قال: ولقد رأيت النبي ـ ﷺ ـ ضحك حتى بدت نواجذه» متفق عليه أيضاً. ومنها حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ: «يؤتى برجل يوم القيامة. فيقال: اعرض عليه صغار ذنوبه ـ الحديث. وفيه: فلقد رأيت النبي ـ ﷺ ـ إلى آخر» =

دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم، وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى، وذلك قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ تعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا. وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً: من إدراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل[1] الذي هو مثل في الصغر والقلة، ومن إحاطته بمعناه، ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك، وعلى استيفاقه[2] لزيادة العمل الصالح والتقوى. وحقيقة ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ اجعلني أزع شكر نعمتك عندي، وأكفه وأرتبطه لا ينفلت عني، حتى لا أنفك شاكراً لك. وإنما أدرج ذكر والديه لأنّ النعمة على الولد نعمة على الوالدين، خصوصاً النعمة الراجعة إلى الدين، فإنه إذا كان تقياً نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له، وقالوا: رضي الله عنك وعن والديك. وروي أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء، فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهنّ، ثم دعا بالدعوة. ومعنى ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ واجعلني من أهل الجنة.

= أخرجه مسلم. ومنها حديث أبي سعيد ـ رفعه: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة ـ الحديث. وفيه: فنظر إلينا رسول الله ـ ﷺ ـ ثم ضحك حتى بدت نواجذه» متفق عليه، ومنها حديث جابر: «دخل أبو بكر والقوم جلوس على الباب ـ فذكر الحديث وفيه: فقال عمر: لو رأيت بنت خارجة وهي تسألني النفقة فقمت فوجأت عنقها» قال: فضحك النبي ـ ﷺ ـ حتى بدت نواجذه». أخرجه مسلم.

ومنها حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «كنا مع النبي ـ ﷺ ـ في غزوة فأصاب الناس مخمصة ـ الحديث. وفيه: فلم يبق في الجيش وعاء إلا مليء وبقي مقله. فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ حتى بدت نواجذه»، أخرجه ابن حبان والحاكم. ومنها حديث سلمة بن الأكوع: «قدمنا الحديبية ـ الحديث. وفيه قلت: يا رسول الله، خلني أنتخب من القوم مائة رجل، فأتبع القوم، فلا أبقي منهم أحداً إلا قتلته، فضحك النبي ـ ﷺ ـ حتى بدت نواجذه» وهو حديث طويل. وفيه هذه اللفظة في موضع آخر أخرجه مسلم. ومنها حديث زيد بن أرقم: «أتى علي ـ رضي الله عنه ـ وهو باليمن ـ بثلاثة وقعوا على امرأة في طهر واحد ـ الحديث. وفيه: فذكر ذلك للنبي ـ ﷺ ـ فضحك حتى بدت نواجذه»، أخرجه أبو داود، وابن حبان، والحاكم. ومنها حديث أم أيمن: «قام رسول الله ـ ﷺ ـ بالليل، فبال في فخارة. فقمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أشعر، فلما أصبح أمرني أن أهريقها فقلت: إني شربتها، فضحك حتى بدت نواجذه» أخرجه الحاكم، ومنها حديث صهيب في أكلة التمر وهو أرمد. فقال: «إنما آكله من شق عيني الصحيحة. قال: فضحك النبي ـ ﷺ ـ حتى بدت نواجذه» أخرجه البزار بتمامه. وبعضه لابن ماجه والحاكم. ومنها حديث ابن عباس «كان عبد الله بن رواحة مضطجعاً إلى جنب امرأته. فقام إلى جارية له فوقع عليها ـ الحديث. وفيه: الشعر. وقول المرأة: آمنت بالله وكذبت البصر. قال: فغدا على رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبره فضحك حتى بدت نواجذه» أخرجه البزار وإسناده ضعيف. انتهى.

---

(١) قوله «ما همس به بعض الحكل» في الصحاح «الحكل»: ما لا يسمع له صوت. (ع)

(٢) قوله «وعلى استيفاقه لزيادة العمل» في الصحاح «استوفقت الله»: سألته التوفيق. (ع)

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَمْ﴾ هي المنقطعة: نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره، فقال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك، ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له. ونحوه قولهم: إنها لإبل أم شاء، وذكر من قصة الهدهد أنّ سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره[1]، فوافى الحرم وأقام به ما شاء، وكان يقرّب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة، ثم عزم على السير إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً يؤم سهيلا؛ فوافى صنعاء وقت الزوال؛ وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها، فنزل ليتغذّى ويصلي فلم يجدوا الماء، وكان الهدهد قناقنه[2]، وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسخلونها كما يسلخ الإهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك، وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهداً واقعاً، فانحط إليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء، وذكر له صاحبه ملك بلقيس، وأنّ تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر، وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه، ثم قال لسيد الطير وهو العقاب: عليّ به، فارتفعت فنظرت، فإذا هو مقبل فقصدته، فناشدها الله وقال: بحق الذي قوّاك وأقدرك عليّ إلا رحمتني، فتركته وقالت: ثكلتك أمك، إنّ نبي الله قد حلف ليعذبنك؛ قال: وما استثنى؟ قالت: بلى قال: أو ليأتيني بعذر مبين، فلما قرب من سليمان أرخى / ٢/ ٦٦ب ذنبه وجناحيه يجرّها على الأرض تواضعاً له، فلما دنا منه أخذ برأسه فمدّه إليه. فقال: يا نبي الله؛ اذكر وقوفك بين يدي الله: فارتعد سليمان وعفا عنه؛ ثم سأله، تعذيبه: أن يؤدّب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه. وقيل: كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه. وقيل: أن يطلى بالقطران ويشمس. وقيل: أن يلقى للنمل تأكله. وقيل: إيداعه القفص. وقيل: التفريق بينه وبين إلفه. وقيل: لألزمنه صحبة الأضداد. وعن بعضهم: أضيق السجون معاشرة

---

(١) قوله «تجهز للحج بحشره» في الصحاح: حشرت الناس أحشرهم حشراً: جمعتهم. ومنه: يوم الحشر. (ع)

(٢) قوله «وكان الهدهد قناقنه» القناقن ـ بالضم ـ: الدليل الهادي والبصير بالماء في حفر القنى. والقنى: جمع قناة. أفاده الصحاح في موضعين. (ع)

الأضداد. وقيل: لألزمنه خدمة أقرانه. فإن قلت: من أين حل له تعذيب الهدهد؟ قلت: يجوز أن يبيح له الله ذلك. لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة؛ كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع؛ وإذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر له من أجله إلا بالتأديب والسياسة؛ جاز أن يباح له ما يستصلح به. وقرئ: ليأتينني. وليأتينن. والسلطان: الحجة والعذر. فإن قلت: قد حلف على أحد ثلاثة أشياء: فحلفه على فعليه لا مقال فيه، ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد؟ ومن أين درى أنه يأتي بسلطان، حتى يقول والله ليأتيني بسلطان؟ قلت: لما نظم الثلاثة «بأو» في الحكم الذي هو الحلف: آل كلامه إلى قولك: ليكونن أحد الأمور، يعني: إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح، وإن لم يكن كان أحدهما، وليس في هذا ادّعاء دراية، على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحيٌ من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين، فثلث بقوله ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ عن دراية وإيقان.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَمَكَثَ﴾ قرئ بفتح الكاف وضمها ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ غير زمان بعيد، كقوله: عن قريب، ووصف مكثه بقصر المدّة للدلالة على إسراعه خوفاً من سليمان، وليعلم كيف كان الطير مسخراً له، ولبيان ما أعطي من المعجزة الدالة على نبوّته وعلى قدرة الله تعالى ﴿أَحَطتُ﴾ بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق: ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوّة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة، ابتلاء له في علمه، وتنبيهاً على أنّ في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علماً بما لم يحط به، لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه، ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة، والإحاطة بالشيء علماً: أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم. قالوا: وفيه دليل على بطلان قول الرافضة إنّ الإمام لا يخفى عليه شيء، ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه. سبأ: قرئ بالصرف ومنعه. وقد روي بسكون الباء. وعن ابن كثير في رواية: سبا، بالألف كقولهم: ذهبوا أيدي سبأ. وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فمن جعله اسماً للقبيلة لم يصرف، ومن جعله اسماً للحيّ أو الأب الأكبر صرف؛ قال [من المنسرح]:

مِنْ سَبَإِ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ ... يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا[1]

(١) يمدح رجلاً بأنه من قبيلة سبأ، وهو في الأصل اسم لابن يشجب بن يعرب بن قحطان، ثم سميت به القبيلة ومأرب: مدينتها. وقيل: قصر لملكهم، وهو مفعول الحاضرين ممنوع من الصرف. وإذ ظرف. ومن دون بمعنى أمام. والعرم: السد العظيم، يحبس السيل عن المدينة.

وقال [من البسيط]:

أَلْــوَارِدُونَ وَتَــيْــمٌ فِــي ذُرَى سَــبَــإٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ[1]

ثم سميت مدينة مأرب بسبإ، وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث، كما سميت معافر بمعافر بن أدّ. ويحتمل أن يراد المدينة والقوم. والنبأ: الخبر الذي له شأن. وقوله: ﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾ من جنس الكلام الذي سماه المحدّثون البديع، وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق[2] باللفظ، بشرط أن يجيء مطبوعا، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده، ولقد جاء ههنا زائداً على الصحة فحسن وبدع لفظاً ومعنى. ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبإ بخبر، لكان المعنى صحيحاً، وهو كما جاء أصح، لما في النبإ، من الزيادة التي يطابقها وصف الحال.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

المرأة بلقيس بنت شراحيل، وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها، وقد ورث الملك من أربعين ملكاً ولم يكن له ولد غيرها، فغلبت على الملك، وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس. والضمير في ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ راجع إلى سبإ، فإن أريد به القوم فالأمر ظاهر، وإن أريدت المدينة فمعناه: تملك أهلها. وقيل في وصف عرشها: كان ثمانين ذراعاً في ثمانين، وسمكه ثمانين. وقيل ثلاثين مكان ثمانين، وكان من ذهب وفضة مكللاً بأنواع الجواهر، وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودرّ وزمرّد، وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق، فإن قلت: كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك

= وهو للنابغة الجعدي في ديوانه ص ١٣٤، وجمهرة اللغة ص ٧٧٣، ١٠٢٢، وسمط اللآلي ص ١٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٤١، ولسان العرب (عرم)، ولأميّة بن أبي الصلت في ديوانه ص ٥٩، وللنابغة الجعدي أو لأميّة في خزانة الأدب ٩/ ١٣٩، وللأعشى في معجم ما استعجم ص ١١٧٠، وبلا نسبة في الاشتقاق ص ٤٨٩، والإنصاف ٢/ ٥٠٢، وجمهرة اللغة ص ١١٠٧، والكتاب ٣/ ٢٥٣، ولسان العرب (سبأ)، وما ينصرف وما لا ينصرف ص ٥٩.

(١) أي الواردون هم: وتيم: اسم قبيلة في أعالي أرض سبأ. والمراد بجلد الجواميس: الحبال المفتولة منه لتغل بها الأسرى في أعناقهم، فشبهت ما يصح منه العض لصلابتها على طريق المكنية، والعض تخييل، ويصح استعارته للقرص على طريق التصريحية، وسبأ ـ في الأصل ـ: لقب رجل من قحطان اسمه عبد شمس، لأنه أول من سبى كان له عشرة أولاد، فذهب ستة إلى اليمن: حمير، وكندة، والأسد، وأشعر، وقشعم، وبجيلة. وذهب أربعة إلى الشام: لخم، وجذام، وعاملة، وغسان. وبها سميت قبائلهم المشهورة.
البيت لجرير، ينظر ديوانه ص ١٣٠، لسان العرب (ضغبس)، المخصص (١/ ٣١)، (٤/ ٤١)، (١٣/ ٨٦)، (١٥/ ١٨٦)، (١٧/ ٣٠)، البحر المحيط (٧/ ٢٦٩)، الدر المصون (٥/ ٣٠٥).

(٢) قوله «الذي يتعلق» لعله: التي تتعلق. (ع)

سليمان؟ قلت: يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان / ٢/ ٦٧أ، فاستعظم لها ذلك العرش. ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت مملكته في كل شيء، كما يكون لبعض أمراء الأطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم أمرهم ويستخدمهم. ومن نوكى القصاص[1] من يقف على قوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ ثم يبتدىء ﴿عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا﴾ يريد: أمر عظيم، أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس. فرّ من استعظام الهدهد عرشها، فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله. فإن قلت: كيف قال: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ مع قول سليمان ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ كأنه سوّى بينهما؟ قلت: بينهما فرق بين؛ لأن سليمان عليه السلام عطف قوله على ما هو معجزة من الله، وهو تعليم منطق الطير، فرجع أوّلاً إلى ما أوتي من النبوّة والحكمة وأسباب الدين، ثم إلى الملك وأسباب الدنيا، وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد إلا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد. فإن قلت: كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة، وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب؟ قلت: لعل الله عز وجل أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها، كما أخفى مكان يوسف على يعقوب.

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾

فإن قلت: من أين للهدهد التهدي إلى معرفة الله، ووجوب السجود له، وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه؟ قلت: لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها، ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان، خصوصاً في زمن نبيّ سخرت له الطيور وعلم منطقها، وجعل ذلك معجزة له. من قرأ بالتشديد أراد: فصدّهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع أن. ويجوز أن تكون «لا» مزيدة، ويكون المعنى: فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا. ومن قرأ بالتخفيف، فهو ألا يسجدوا. ألا للتنبيه، ويا حرف النداء. ومناداه محذوف؛ كما حذفه من قال: [الطويل]

أَلاَ يَا ٱسْلَمِي يَا دَارَمَيَّ عَلَى الْبِلَىٰ . . . . [2]

---

(١) قوله «ومن نوكي القصاص» النوكي: جمع أنوك، وهو الأحمق. (ع)

(٢) ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر =

وفي حرف عبد الله وهي قراءة الأعمش: هلا، وهلا: بقلب الهمزتين هاء. وعن عبد الله: هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب. وفي قراءة أبيّ: ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والأرض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبوء بالمصدر: وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه. وقرئ: الخب، على تخفيف الهمزة بالحذف. والخبا، على تخفيفها بالقلب، وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار. ووجهها: أن تخرج على لغة من يقول في الوقف: هذا الخبو، رأيت الخبا، ومررت بالخبى. ثم أجرى الوصل مجرى الوقف، لا على لغة من يقول: الكمأة والحمأة؛ لأنها ضعيفة مسترذلة. وقرئ: يخفون ويعلنون، بالياء والتاء. وقيل: من أحطت إلى العظيم[1]: هو كلام الهدهد. وقيل: كلام رب العزة. وفي إخراج الخبء: أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض، وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السموات والأرض جلت قدرته ولطف علمه، ولا يكاد تخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخائل كل مختص بصناعة أو فنّ من العلم في روائه[2] ومنطقه وشمائله، ولهذا ورد: ما عمل عبد عملاً إلا ألقى الله عليه رداء عمله. فإن قلت: أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعاً أم في إحداهما؟ قلت: هي واجبة فيهما جميعا، لأنّ مواضع السجدة إما أمرٌ بها، أو مدحٌ لمن أتى بها، أو ذمٌّ لمن تركها، وإحدى القراءتين أمر بالسجود، والأخرى ذم للتارك، وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله على أنّ سجدات القرآن أربع عشرة، وإنما اختلفا في سجدة ص: فهي عند أبي حنيفة سجدة

= لذي الرمة. وألا استفتاحية للتنبيه، فلا معنى ليا إلا النداء. والمنادى بها محذوف، تقديره: يا دار مي اسلمي. فاستغنى عنه بما بعده؛ وحذفه اهتماماً بطلب السلامة لها. وفي تكرير ندائها: نوع تفجع. ومي: مرخم مية. وترخيم المضاف إليه: ضرورة حسنها سبق النداء. وعلى: بمعنى مع، أي: اسلمي ولو كنت بالية، لأنه إن لم تبق الدار كفتني الآثار. ومنهلا: منصباً. والجرعاء: مؤنث الأجراع، وهو الموضع المختلط ترابه بالحصى. والقطر: المطر، يدعو لها بالخصب.

ينظر: ديوانه ص ٥٥٩، والإنصاف ١/ ١٠٠، وتخليص الشواهد ص ٢٣١، ٢٣٢، والخصائص ٢/ ٢٧٨، والدرر ٢/ ٤٤، ٤/ ٦١، وشرح التصريح ١/ ١٨٥، وشرح شواهد المغني ٢/ ٦١٧، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٣٢، واللامات ص ٣٧، ولسان العرب (يا)، ومجالس ثعلب ١/ ٤٢، والمقاصد النحوية ٢/ ٦، ٤/ ٢٨٥، وبلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ٢٣٥، وجواهر الأدب ص ٢٩٠، والدرر ٥/ ١١٧، وشرح الأشموني ١/ ١٧٨، وشرح ابن عقيل ص ١٣٦، وشرح عمدة الحافظ ص ١٩٩، وشرح قطر الندى ص ١٢٨، ولسان العرب (ألا)، ومغني اللبيب ١/ ٢٤٣، ١/ ١١١، ٢/ ٤، ٧٠.

(١) قوله «وقيل من أحطت إلى العظيم» في اللباب: أن الخلاف في: ألا يسجدوا ـ إلى ـ العظيم، ومال إليه في التقريب اهـ. من هامش. (ع)

(٢) قوله «في رواته» بالضم، أي: منظره. أفاده الصحاح. (ع)

تلاوة. وعند الشافعي: سجدة شكر. وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد، فغير مرجوع إليه. فإن قلت: هل يفرق الواقف بين القراءتين؟ قلت: نعم إذا خفف وقف على ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ثم ابتدأ ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾، وإن شاء وقف على ﴿ألا يا﴾ ثم ابتدأ ﴿يَسْجُدُواْ﴾ وإذا شدّد لم يقف إلا على ﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾. فإن قلت: كيف سوّى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم؟ قلت: بين الوصفين بون عظيم، لأنّ وصف عرشها بالعظم: تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك. ووصف عرش الله بالعظم: تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض. وقرئ: العظيم، بالرفع.

﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿سَنَنظُرُ﴾ من النظر الذي هو التأمل والتصفح. وأراد: أصدقت أم كذبت، إلا أن ﴿كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أبلغ، لأنه إذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذباً لا محالة، وإذا كان كاذباً اتهم بالكذب / ٢/ ٦٧ب فيم أخبر به فلم يوثق به[1]، ﴿تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه، ليكون ما يقولونه بمسمع منك. و﴿يَرْجِعُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ فيقال: دخل عليها من كوّة فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوّة. فإن قلت: لم قال: فألقه إليهم، على لفظ الجمع؟ قلت: لأنه قال: وجدتها وقومها يسجدون للشمس، فقال: فألقه إلى الذين هذا دينهم، اهتماما منه بأمر الدين، واشتغالاً به عن غيره. وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿كَرِيمٌ﴾ حسن مضمونه وما فيه، أو وصفته بالكرم، لأنه من عند ملك كريم أو مختوم. قال ﷺ: «كرم الكتاب ختمه» (١٠٩٤)، وكان ﷺ يكتب إلى العجم، فقيل له:

١٠٩٤ أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٣٩) من طريق محمد بن مروان السدي ثنا محمد بن =

---

(١) قال محمود: «معناه أصدقت أم كذبت، إلا أن عبارة الآية أبلغ؛ لأنه إذا كان معروفاً بالكذب اتهم في جملة إخباره فلم يوثق به» قال أحمد: وهذا مما نبهت عليه في سورة الشعراء من العدول عن الفعل الذي هو: أم كذبت، وعن مجرد صفته في قوله: أم كنت كاذباً، إلى جعله واحداً من الفئة الموسومة بالكذب، فهو أبلغ في مقصود سياق الآية من التهديد. والله أعلم.

إنهم لا يقبلون إلا كتاباً عليه خاتم، فاصطنع خاتماً (١٠٩٥). وعن ابن المقفع: من كتب

= السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مرفوعاً.

قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ١٦): قال ابن طاهر في كلامه على أحاديث الشهاب: هذا التخليط وقع فيه من جهة محمد بن مروان فإنه مرة عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ومرة رواه عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ومحمد بن مروان يعرف بالسدي الصغير متروك الحديث والكلبي مثله اهـ.

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٥١٩) رقم (٣٨٨٤) والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣٧٦ ـ بتحقيقنا) من طريق يحيى بن طلحة اليربوعي قال: ثنا محمد بن مروان السدي عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مرفوعاً.

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج إلا محمد بن مروان تفرد به يحيى بن طلحة.

قلت: لم ينفرد به يحيى بن طلحة بل تابعه صالح بن محمد عند الثعلبي في «تفسيره» كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ١٦).

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه محمد بن مروان السدي الصغير وهو متروك الحديث .اهـ.

تنبيه: وقع في الإسناد عن الطبراني في الأوسط يحيى بن أبي طلحة اليربوعي وهو خطأ صوابه يحيى بن طلحة اليربوعي ينظر تهذيب التهذيب (١١/ ٢٣٣).

قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه الطبراني في الأوسط من رواية محمد بن مروان وهو السدي الصغير عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب».

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الطبراني في الأوسط من رواية محمد بن مروان وهو السدي الصغير عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس. وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب. انتهى.

١٠٩٥ ـ أخرجه البخاري (١/ ١٨٧) كتاب العلم: باب ما يذكر في المناولة حديث (٦٥) وفي (٦/ ١٢٧) كتاب الجهاد والسير: باب دعوة اليهود والنصارى حديث (٢٩٣٨) وفي (١٠/ ٣٣٦): كتاب اللباس: باب نقش الخاتم حديث (٥٨٧٢)، وباب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء حديث (٥٨٧٥) وفي (١٣/ ١٥٠) كتاب الأحكام: باب الشهادة على الخط المختوم حديث (٧١٦٢) ومسلم (٣/ ١٦٥٧) كتاب اللباس والزينة باب في اتخاذ النبي ـ ﷺ ـ خاتماً لما أراد أن يكتب إلى العجم حديث (٥٦/ ٢٠٩٢) وأبو داود (٤/ ٨٨) كتاب الخاتم: باب ما جاء في اتخاذ الخاتم حديث (٤٢١٤) والترمذي (٥/ ٦٩ ـ ٧٠) كتاب الاستئذان: باب ما جاء في ختم الكتاب حديث (٢٧١٨) وفي «الشمائل المحمدية» رقم (٩٣) والنسائي (٨/ ١٧٤) كتاب الزينة: باب صفة خاتم النبي ـ ﷺ ـ، وفي «التفسير» رقم (٥٣٢) وأحمد (٣/ ١٦٨ ـ ١٦٩ ـ ١٨١ ـ ٢٢٣ ـ ٢٧٥) وأبو يعلى (٣٠٠٩ ـ ٣٠٧٥ ـ ٣١٥٤ ـ ٣٢٧١ ـ ٣٢٧٢) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٢٦٤) وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ـ ﷺ ـ (ص ١٣١) والبيهقي (١٠/ ١٢٨) كتاب آداب القاضي: باب ختم الكتاب، كلهم من طريق قتادة عن أنس.

وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: متفق عليه من رواية قتادة عن أنس قال: أراد أن يكتب. . . فذكره.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من رواية قتادة عن أنس قال: أراد أن يكتب. . . فذكره. انتهى.

إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به. وقيل: مصدّر ببسم الله الرحمن الرحيم: هو استئناف وتبيين لما ألقى إليها، كأنها لما قالت: إني ألقي إليّ كتاب كريم، قيل لها: ممن هو؟ وما هو؟ فقالت: إنه من سليمان وإنه: كيت وكيت. وقرأ عبد الله: وإنه من سليمان وإنه. عطفاً على: إني. وقرئ: أنه من سليمان وأنه، بالفتح على أنه بدل من كتاب، كأنه قيل: ألقي إليّ أنه من سليمان. ويجوز أن تريد: لأنه من سليمان ولأنه، كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان، وتصديره باسم الله. وقرأ أبيّ: أنْ من سليمان وأنْ بسم الله، على أن المفسرة. وأن في ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ﴾ مفسرة أيضاً. لا تعلوا: لا تتكبروا كما يفعل الملوك. وقرأ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بالغين معجمة من الغلو: وهو مجاوزة الحدّ. يروى أنّ نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا عليّ وائتوني مسلمين، وكانت كتب الأنبياء عليهم السلام جملا لا يطيلون ولا يكثرون، وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه، فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب، وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها، فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية. وقيل: نقرها فانتبهت فزعة. وقيل: أتاها والقادة والجنود حواليها، فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها، فألقى الكتاب في حجرها، وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري؛ فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت، وقالت لقومها ما قالت: ﴿مُسۡلِمِينَ﴾ منقادين أو مؤمنين.

﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾

الفتوى: الجواب في الحادثة، اشتقت على طريق الاستعارة من الفتى في السن. والمراد بالفتوى ههنا: الإشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير، وقصدت بالانقطاع إليهم والرجوع إلى استشارتهم واستطلاع آرائهم: استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها ﴿قَاطِعَةً أَمۡرًا﴾ فاصلة. وفي قراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: قاضية أي لا أبت أمراً إلا بمحضركم. وقيل: كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً: كل واحد على عشرة آلاف.

﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

أرادوا بالقوة: قوّة الأجساد وقوّة الآلات والعدد، وبالبأس: النجدة والبلاء في الحرب ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ﴾ أي هو موكول إليك، ونحن مطيعون لك، فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك. كأنهم أشاروا عليها بالقتال. أو أرادوا: نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة، وأنت ذات الرأي والتدبير، فانظري ماذا ترين: نتبع رأيك.

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾

لما أحست منهم الميل إلى المحاربة، رأت من الرأي الميل إلى الصلح والابتداء بما هو أحسن، ورتبت الجواب، فزيفت أولاً ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه بـ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً﴾ عنوة وقهرا ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ أي خرّبوها ـ ومن ثمة قالوا للفساد: الخربة ـ، وأذلوا أعزتها، وأهانوا أشرافها: وقتلوا وأسروا، فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أرادت: وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير، لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت، ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد. وقيل: هو تصديق من الله لقولها، وقد يتعلق الساعون في الأرض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لأنفسهم. ومن استباح حراماً فقد كفر، فإذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين ﴿مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ أي مرسلة رسلاً بهدية أصانعه بها عن ملكي ﴿فَنَاظِرَةٌۢ﴾ ما يكون منه حتى أعمل على حسب ذلك، روي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري، وحليهنّ الأساور والأطواق. والقرطة[1] / ٢/ ٦٨أ راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر، وخمسمائة جارية على رماك[2] في زي الغلمان. وألف لبنة من ذهب وفضة، وتاجاً مكللاً بالدرّ والياقوت المرتفع والمسك والعنبر، وحقاً فيه درّة عذراء، وجزعة معوجة الثقب، وبعثت رجلين من أشراف قومها: المنذر بن عمرو، وآخر ذا رأي وعقل، وقالت: إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجواري، وثقب الدرّة ثقباً مستوياً، وسلك في الخرزة خيطاً، ثم قالت للمنذر: إن نظر إليك غضبان فهو ملك؛ فلا يهولنك، وإن رأيته بشاً لطيفاً فهو نبيّ، فأقبل الهدهد فأخبر سليمان، فأمر الجنّ فضربوا لبن الذهب والفضة، وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ، وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة، وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن، وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار، ثم قعد على سريره والكراسيّ من جانبيه، واصطفت الشياطين صفوفاً فراسخ، والإنس صفوفاً فراسخ. والوحش والسباع والهوام والطيور كذلك، فلما دنا القوم ونظروا: بهتوا، ورأوا الدواب

(١) قوله «والقرطة» واحدها: قرط. (ع)
(٢) قوله «على رماك» هي إناث الخيل. (ع)

تروث على اللبن، فتقاصرت إليهم نفوسهم ورموا بما معهم، ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال: ما وراءكم؟ وقال: أين الحقّ؟ وأخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم: إن فيه كذا وكذا، ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها، فجعل رزقها في الشجرة. وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها، فجعل رزقها في الفواكه. ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها، والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه، ثم رد الهدية وقال للمنذر: ارجع إليهم، فقالت: هو نبيّ وما لنا به طاقة، فشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل، تحت كل قيل ألوف، وفي قراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: فلما جاءوا. ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالإدغام، كقوله: ﴿أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى﴾ وبنون واحدة: أتمدوني. الهدية: اسم المهدَى؛ كما أن العطية اسم المعطَى، فتضاف إلى المهدى والمهدى إليه، تقول هذه هدية فلان، تريد: هي التي أهداها أو أهديت إليه، والمضاف إليه ههنا هو المهدى إليه. والمعنى: أن ما عندي خير مما عندكم، وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع، وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه، فكيف يرضى مثلي بأن يمدّ بمال ويصانع به ﴿بَلْ أَنتُم﴾ قوم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا؛ فلذلك ﴿تَفْرَحُونَ﴾ بما تزادون ويهدى إليكم، لأن ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم؛ وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية. فإن قلت: ما الفرق بين قولك: أتمدني بمال وأنا أغنى منك، وبين أن تقوله بالفاء؟ قلت: إذا قلته بالواو، فقد جعلت مخاطبي عالماً بزيادتي عليه في الغنى واليسار، وهو مع ذلك يمدني بالمال. وإذا قلته بالفاء، فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي، فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده، كأني أقول له: أنكر عليك ما فعلت، فإني غني عنه. وعليه ورد قوله: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾. فإن قلت: فما وجه الإضراب؟ قلت: لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره، أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه: وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح؛ إلا أن يهدي إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها. ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدي، ويكون المعنى: بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك، بأنكم قدرتم على إهداء مثلها. ويحتمل أن يكون عبارة عن الردّ، كأنه قال: بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها.

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ٱرْجِعْ﴾ خطاب للرسول. وقيل: للهدهد محملاً كتاباً آخر ﴿لَّا قِبَلَ﴾ لا طاقة. وحقيقة القبل: المقاومة والمقابلة، أي: لا يقدرون أن يقابلوهم. وقرأ ابن مسعود ـ رضي الله

عنه ـ: لا قبل لهم بهم. الضمير في منها لسبأ. والذل: أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العزّ والملك. والصغار: أن يقعوا في أسر واستعباد، ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكاً.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾

يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان عليه السلام، فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها. وغلقت الأبواب ووكلت به حرساً يحفظونه، ولعله أوحى إلى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها، فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من إجراء العجائب على يده، مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوّة سليمان عليه السلام ويصدقها. وعن قتادة: أراد أن يأخذه قبل أن تسلم، لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحلّ له أخذ مالها. وقيل: أراد أن يؤتى به فينكر ويغير، ثم ينظر أتثبته أم تنكره؟ اختبارا لعقلها.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ ٢/ ٦٨ب مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾

وقرئ: عفرية. والعفر. والعفريت. والعفرية، والعفراة، والعفارية من الرجال: الخبيث المنكر، الذي يعفر أقرانه. ومن الشياطين: الخبيث المارد. وقالوا: كان اسمه ذكوان ﴿لَقَوِىٌّ﴾ على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ آتي به كما هو لا أختزل منه شيئا ولا أبدله.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ رجل كان عنده اسم الله الأعظم، وهو يا حي يا قيوم، وقيل: يا إلٰهنا وإلٰه كل شيء إلٰهاً واحداً لا إلٰه إلا أنت. وقيل: يا ذا الجلال والإكرام، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: الله. والرحمن. وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام، وكان صدّيقاً عالماً. وقيل: اسمه أسطوم. وقيل: هو جبريل. وقيل: ملك أيد الله به سليمان. وقيل: هو سليمان نفسه، كأنه استبطأ العفريت فقال له: أنا أريك ما هو أسرع مما تقول. وعن ابن لهيعة: بلغني أنه الخضر عليه السلام: علم من الكتاب: من الكتاب المنزل، وهو علم الوحي والشرائع. وقيل: هو اللوح. والذي عنده علم منه: جبريل عليه السلام. وآتيك ـ في الموضعين ـ يجوز أن يكون فعلاً واسم فاعل. الطرف: تحريكك أجفانك إذا نظرت، فوضع موضع النظر، ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال

الطرف في نحو قوله [من الطويل]:

وَكُنْتَ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً ... لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ الْمَنَاظِرُ[1]

وصف بردّ الطرف، ووصف الطرف بالارتداد. ومعنى قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أنك ترسل طرفك إلى شيء، فقبل أن تردّه أبصرت العرش بين يديك: ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام: مدّ عينيك حتى ينتهي طرفك، فمدّ عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه بمأرب، ثم نبغ[2] عند مجلس سليمان عليه السلام بالشام بقدرة الله، قبل أن يردّ طرفه. ويجوز أن يكون هذا مثلاً لاستقصار مدّة المجيء به، كما تقول لصاحبك: افعل كذا في لحظة، وفي ردّة طرف، والتفت ترني، وما أشبه ذلك: تريد السرعة. ﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنه يحط به عنها عبء الواجب، ويصونها عن سمة الكفران، وترتبط به النعمة ويستمد المزيد. وقيل: الشكر، قيد للنعمة الموجودة. وصيد للنعمة المفقودة. وفي كلام بعض المتقدمين: إن كفران النعمة بوار، وقلما أقشعت[3] ناقرة فرجعت في نصابها، فاستدع شاردها بالشكر، واستدم راهنها بكرم الجوار، واعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا ﴿غَنِيٌّ﴾ عن الشكر ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإنعام على من يكفر نعمته، والذي قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكراً لربه، جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر، كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ (٤٣)﴾

---

(١) وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً ... لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر
لأعرابية، نظرها أعرابي فخاطبها بشعر يسألها عن أحوالها ومحاسنها، كأنه يراودها عن نفسها، فأجابته بذلك وقيل: هو لشاعر حماسي. وشبه إطلاق البصر نحو المناظر الجميلة بإرسال الرائد أمام الركب يتعرف لهم مكان الخصب، على طريق التصريحية، ورائداً ترشيح، لأنه يلائم الإرسال. ويوماً: ظرف له. والمناظر: مواقع النظر، واستدل على إتعابها إياه بقوله: رأيت الذي لا تملكه كله ولا تصبر عن بعضه، فكانت عينك سبباً لوقوع قلبك في حيرة الهوى وحرقة الجوى.
ينظر: عيون الأخبار (٤/ ٢٢)، البحر المحيط (٧/ ٧٧)، الدر المصون (٥/ ٣١٥).

(٢) قوله «ثم نبغ عند مجلس سليمان» في الصحاح «نبغ الشيء» ظهر. (ع)

(٣) قوله «وقلما أقشعت» أي: أقلعت. أفاده الصحاح. (ع)

﴿نَكِّرُوا﴾ اجعلوه متنكراً متغيراً عن هيئته وشكله، كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه. قالوا: وسعوه وجعلوا مقدّمه مؤخره، وأعلاه أسفله. وقرئ: ننظر، بالجزم على الجواب، وبالرفع على الاستئناف ﴿أَتَهْتَدِيَ﴾ لمعرفته، أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه، أو للدين والإيمان بنبوّة سليمان عليه السلام إذا رأت تلك المعجزة البينة، من تقدّم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحرس. هكذا ثلاث كلمات: حرف التنبيه، وكاف التشبيه، واسم الإشارة. لم يقل: أهذا عرشك، ولكن: أمثل هذا عرشك؛ لئلا يكون تلقيناً ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ولم تقل: هو هو، ولا ليس به، وذلك من رجاحة عقلها، حيث لم تقع في المحتمل[1] ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ من كلام سليمان وملئه: فإن قلت: علام عطف هذا الكلام، وبم اتصل؟ قلت: لما كان المقام ـ الذي سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به ـ مقاماً أجرى فيه سليمان وملؤه ما يناسب قولهم ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو: قد أصابت في جوابها وطبقت المفصل[2]، وهي عاقلة لبيبة، وقد رزقت الإسلام، وعلمت قدرة الله وصحة النبوّة بالآيات التي تقدّمت عند وفدة المنذر، وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها ـ عطفوا على ذلك قولهم: وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته، وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها، ولم نزل على دين الإسلام شكراً لله على فضلهم عليها وسبقهم إلى العلم بالله والإسلام قبلها ﴿وَصَدَّهَا﴾ عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة؛ ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولاً بقولها ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ والمعنى: وأوتينا / ٢/ ٦٩أ العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوّة سليمان عليه السلام قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة، تعني: ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الإسلام، ثم قال الله تعالى: وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء

---

(١) قال محمود: «لم يقل أهذا عرشك؛ لئلا يكون تلقينا، قالت: كأنه هو ولم تقل هو هو، ولا ليس بهو وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقع في المحتمل» قال أحمد: وفي قولها (كأنه هو) وعدولها عن مطابقة الجواب للسؤال، بأن تقول: هكذا هو. نكتة حسنة. ولعل قائلاً يقول: كلا العبارتين تشبيه؛ إذ كاف التشبيه فيهما جميعاً، وإن كانت في إحداهما داخلة على اسم الإشارة، وفي الأخرى داخلة على المضمر. وكلاهما ـ أعني اسم الإشارة والمضمر ـ واقع على الذات المشبهة، وحينئذٍ تستوي العبارتان في المعنى، ويفضل قولها هكذا هو بمطابقته للسؤال، فلا بد في اختيار (كأنه هو) من حكمة فنقول: حكمته والله أعلم: أن (كأنه هو) عبارة من قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه في التغاير بين الأمرين، فكاد يقول: هو هو.، وتلك حال بلقيس. وأما هكذا هو؛ فعبارة جازم بتغاير الأمرين، حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير، فلهذا عدلت إلى العبارة المذكورة في التلاوة لمطابقتها لحالها والله أعلم. وقول الزمخشري: ولا ليس بهو، إن كان من قوله فوهم، والصواب: ولا ليس به، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٢) قوله «وطبقت المفصل» لعله: وطابقت. (ع)

السبيل. وقيل: وصدها الله ـ أو سليمان ـ عما كانت تعبد[1] بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل. وقرئ: أنها، بالفتح على أنه بدل من فاعل صد. أو بمعنى لأنها.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

الصرح: القصر. وقيل: صحن الدار. وقرأ ابن كثير: سأقيها، بالهمزة. ووجهه أنه سمع: سؤقا، فأجرى عليه الواحد. والممرد: المملس، وروي أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض، وأجرى من تحته الماء، وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره، ووضع سريره في صدره، فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس، وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاماً لأمره، وتحققاً لنبوته، وثباتاً على الدين. وزعموا أنّ الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي إليه بأسرارهم، لأنها كانت بنت جنية. وقيل: خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والإنس، فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشدّ وأفظع، فقالوا له: إن في عقلها شيئاً، وهي شعراء الساقين، ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش، واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها، فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً لا أنها شعراء، ثم صرف بصره وناداها ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ وقيل: هي السبب في اتخاذ النورة: أمر بها الشياطين فاتخذوها، واستنكحها سليمان عليه السلام وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان[2]، وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام، وولدت له. وقيل: بل زوجها ذا تبع ملك همدان، وسلطه على اليمن، وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه، فبنى له المصانع، ولم يزل أميراً حتى مات سليمان ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ تريد بكفرها فيما تقدم، وقيل حسبت أن سليمان عليه السلام يغرقها في اللجة فقالت: ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ

---

(١) قال السمين الحلبي: وفيه نظر؛ من حيث أن حذف الجار ضرورة كقوله: تمرون الديار فلم تعوجوا... انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «فبنوا لها سيلحين وغمدان» في الصحاح «سيلحون»: قرية. وفيه في فصل «نصب»: أن للعرب في نصيبين ونحوه كبيرين وفلسطين وسيلحين وياسمين وقنسرين: مذهبين، أحدهما: لزوم الياء وإعراب ما لا ينصرف. والثاني: إعراب الجمع بالياء والنون نصباً وجراً، وبالواو والنون رفعاً. وفي فصل «غمد»: غمدان: قصر باليمن. وفي فصل «صنع» المصانع: الحصون. (ع)

﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

وقرئ: أن اعبدوا، بالضم على إتباع النون الباء ﴿فَرِيقَانِ﴾ فريق مؤمن وفريق كافر. وقيل أريد بالفريقين صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يقول كل فريق: الحق معي. السيئة: العقوبة، والحسنة: التوبة، فإن قلت: ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة؟ وإنما يكون ذلك إذا كانتا متوقعتين إحداهما قبل الأخرى؟ قلت: كانوا يقولون لجهلهم: إن العقوبة التي يعدها صالح عليه السلام إن وقعت على زعمه، تبنا حينئذٍ واستغفرنا ـ مقدّرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت ـ. وإن لم تقع، فنحن على ما نحن عليه، فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم، ثم قال لهم: هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب؟ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ تنبيهاً لهم على الخطأ فيما قالوه: وتجهيلاً فيما اعتقدوه.

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾

وكان الرجل يخرج مسافراً فيمر بطائر فيزجره، فإن مر سانحاً[١] تيمن، وإن مر بارحاً تشاءم، فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر، استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته: أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة. ومنه قالوا: طائر الله لا طائرك، أي: قدر الله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر، لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن، فلما قالوا: أطيرنا بكم، أي: تشاءمنا وكانوا قد قحطوا ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله، وهو قدره وقسمته، إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم. ويجوز أن يريد: عملكم مكتوب عند الله، فمنه نزل بكم ما نزل. عقوبة لكم وفتنة. ومنه قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾. وقرئ: تطيرنا بكم، على الأصل. ومعنى: تطير به: تشاءم به. وتطير منه: نفر منه ﴿تُفْتَنُونَ﴾ تختبرون. أو تعذبون. أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة.

﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ

---

(١) قوله «فإن مرّ سانحاً تيمن... إلخ» السانح: ما ولاك ميامنه من ظبي أو طائر أو غيرهما، بأن يمر من مياسرك إلى ميامنك، والبارح: ما ولاك مياسره بأن يمر من ميامنك إلى مياسرك، كذا في الصحاح. (ع)

﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾ الحجر. وإنما جاز تمييز التسعة بالرهط لأنه في معنى الجماعة، فكأنه قيل: تسعة أنفس. والفرق بين الرهط والنفر: أن الرهط من الثلاثة إلى العشرة، أو من السبعة إلى العشرة. والنفر من الثلاثة إلى التسعة وأسماؤهم عن وهب: الهذيل بن عبد رب. غنم بن غنم. رباب بن مهرج. مصدع بن مهرج. عمير بن كردبة. عاصم بن مخرمة. سبيط بن صدقة. سمعان بن صفي. قدار بن سالف: وهم الذين سعوا في عقر الناقة، وكانوا عتاة / ٢/ ٦٩ب قوم صالح عليه السلام، وكانوا من أبناء أشرافهم ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ يعني أن شأنهم الإفساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح ﴿تَقَاسَمُوا۟﴾ يحتمل أن يكون أمراً وخبراً في محل الحال بإضمار قد[(١)]، أي: قالوا متقاسمين: وقرئ: تقسموا. وقرئ: لتبيتنه، بالتاء والياء والنون، فتقاسموا ـ مع النون والتاء ـ يصح فيه الوجهان. ومع الياء لا يصح إلا أن يكون خبراً. والتقاسم، والتقسم: كالتظاهر، والتظهر: التحالف. والبيات: مباغتة العدو ليلاً[(٢)]. وعن الإسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال: ليس من آيين الملوك[(٣)] استراق الظفر، وقرئ:

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: أمَّا قوله وخبراً فلا يصح لأنَّ الخبر أَحَدُ قِسْمَي الكلام لأنه ينقسم إلى الخبر والإنشاء وجميع معانيه إذا حققت راجعة إلى هذين القسمين قُلْتُ: ولا أدري عدم الصحة مِمَّاذا؟ لأنه جعل الماضي خبراً لاحتماله الصدق والكذب مقابلاً للأمر الذي لا يحتملها أما كون الكلام لا ينقسم إلاَّ إلى خبر وإنشاء وأَنَّ معانيه إذا حققت ترجع إليهما فأي مدخل لهذا في الرد على أبي القاسم؟
قال الشيخ: والتقييد بالحال ليس إلاَّ من باب نسبة التقييد لاَ مِنْ نِسْبَتِهِ الكلام التي هي الإسناد فإذا أُطْلِقَ عليها الخبر كان ذلك على تقدير أنها لو لم تكن حالاً لجاز أن تستعمل خبراً وكذلك قولهم في الجملة الواقعة صلة هي خبرية فهو مجَازٌ والمعنى أنها لو لم تكن صلة لجاز أن تستعمل خبراً وهذا فيه غموض. قُلْتُ: مُسَلَّمٌ أنَّ الجملة ما دامت حالاً أَوْ صِلَةً لا يقال إنها خبرية بمعنى أنها تَسْتَقِلُّ بإفادة الإسناد لأنها سيقت مَسَاقَ القَيْدِ في الحال ومَسَاقَ حدّ كَلِمَةٍ في الصلة وكان ينبغي أن يذكر أيضاً وكان ينبغي أن الجملة الواقعة صفة فإن الحكم كذلك. ثم قال: وأما إضْمَار قد فلا يُحْتَاجُ إليه لكثرة وقوع الماضي حالاً دون قد كثرة ينبغي القياس عليها قُلْتُ: الزمخشري مَشَى مع الجمهور فإن مذهبهم إنَّه لا بُدَّ مِنْ قد ظاهرةً مضمرة لتقرِّبهُ من الحال، وقرأ ابن أبي لَيْلَى «تَقَسَّمُوا» دون ألف مع تشديد السين والتَّقَاسُمُ والتَّقَسُّمُ كالتَّظَاهُرِ والتَّظَهُّرِ. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «والبيات مباغتة العدو ليلاً» في الصحاح «بيت العدو» أي: أوقع بهم ليلاً، والاسم: البيات. (ع)

(٣) قوله «ليس من آيين الملوك» تقدم آنفاً أنه قيل: آيين الملك: مراتبه وبهاؤه، كما وجد بهامش. (ع)

مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك. ومهلك بضم الميم من أهلك. ويحتمل المصدر والزمان والمكان، فإن قلت: كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا، فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه[١]؟ قلت كأنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا صالحاً وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك أهله؛ فذكروا أحدهما: كانوا صادقين، لأنهم فعلوا البياتين جميعاً لا أحدهما وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم. ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب[٢]. مكرهم: ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح عليه السلام وأهله. ومكر الله: إهلاكهم من حيث لا يشعرون. شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة. روي أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه، فقالوا: زعم صالح عليه السلام أنه يفرغ منا إلى ثلاث، فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث، فخرجوا إلى الشعب وقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم، فبعث الله صخرة من الهضب[٣] حيالهم، فبادروا، فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب، فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل

---

(١) قال محمود: «إن قلت: كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا، فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه؟ قلت: كأنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا صالحاً وبيتوا أمله وجمعوا بين البياتين جميعاً لا أحدهما كانوا صادقين، وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم، ألا تراهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق حيلة يتفصون بها عن الكذب، قال أحمد: وحيلة الزمخشري لتصحيح قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل أقرب من حيلتهم التي سماها الله تعالى مكراً؛ لأن غرضه من تمهيد حيلتهم أن يستشهد على صحة القاعدة المذكورة في موافقة قوم لوط عليها، إذ استقبحوا الكذب بعقولهم لا بالشرع. وأنى يتم له ذلك أو لهم، وهم كاذبون صريح الكذب في قولهم ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ وذلك أنهم فعلوا الأمرين، ومن فعل الأمرين فجحد فعل أحدهما لم يكن في فريته مرية، وإنما كانت الحيلة تتم لو فعلوا أمراً فادعى عليهم فعل أمرين، فجحدوا المجموع. ومن ثم لم تختلف العلماء في أن من حلف لا أضرب زيداً، فضرب زيداً وعمراً: كان حانثاً، بخلاف الحالف لا أضرب زيداً وعمرا فضرب عمراً، ولا آكل رغيفين فأكل أحدهما، فإن مثل هذا محل خلاف العلماء في الحنث وعدمه، فإذا تمهد أن هؤلاء كاذبون صراحاً في قولهم ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ وأنه لا حيلة لهم في الخلاص من الكذب، فلا يخلو أمرهم أن يكونوا عقلاء فهم لا يتواطؤون على اعتقاد الصدق بهذه الحيلة، مع القطع بأنها ليست حيلة، ولا شبهة لقرب جحدهم من الصدق، فيبطل ما قال الزمخشري لإثبات قاعدة دينه على زعمه، إذ قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل من قواعد عقائد القدرية، بموافقة قوم غير عقلاء على صحتها، فحسبه ما رضي به لدينه، والسلام.

(٢) قوله «حيلة يتفصون بها عن الكذب» في الصحاح «فصا الإنسان»: إذا تخلص من البلية والضيق، وتفصيت من الديون: إذا خرجت منها وتخلصت. (ع)

(٣) قوله «صخرة من الهضب حيالهم» أي من المطر المتتابع مطرة بعد مطرة، وقعد حياله: أي إزاءه. وأصله الواو، أفاده الصحاح. (ع)

بقومهم، وعذب الله كلاً منهم في مكانه، ونجى صالحا ومن معه. وقيل: جاءوا بالليل شاهري سيوفهم، وقد أرسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة: يرون الحجارة ولا يرون رامياً ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾ استئناف. ومن قرأ بالفتح رفعه بدلاً من العاقبة، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي تدميرهم. أو نصبه على معنى: لأنا، أو على أنه خبر كان، أي: كان عاقبة مكرهم الدمار ﴿خَاوِيَةً﴾ حال عمل فيها ما دل عليه تلك. وقرأ عيسى بن عمر: خاوية، بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَ﴾ اذكر ﴿وَلُوطًا﴾ أو أرسلنا لوطاً لدلالة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾ عليه. ﴿إِذْ﴾ بدل على الأول ظرف على الثاني ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ من بصر القلب، أي: تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها، وأن الله إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر، ولا الأنثى للأنثى، فهي مضادّة لله في حكمته وحكمه، وعلمكم بذلك أعظم لذنوبكم وأدخل في القبح والسماجة. وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه عباده؛ لأنه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين. أو تبصرونها بعضكم من بعض، لأنهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها، لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة، وانهماكاً في المعصية، وكأن أبا نواس بنَىٰ علَىٰ مذهبهم قوله [من الطويل]:

وَبُحْ بِٱسْمِ مَا تَأْتِي وَذَرْنِي مِنَ الْكُنَىٰ ... فَلاَ خَيْرَ فِي اللَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ[1]

أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم. فإن قلت: فسرت تبصرون بالعلم وبعده ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فكيف يكونون علماء وجهلاء؟ قلت: أراد: تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك. أو تجهلون العاقبة، أو أراد بالجهل: السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فإن قلت: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ صفة لقوم، والموصوف لفظه لفظ الغائب، فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء؟ وكذلك بل أنتم قوم تفتنون؟ قلت:

---

(١) ألا فاسقني خمرًا وقل لي: هي الخمر ... ولا تسقني سرًا إذا أمكن الجهر
وبح باسم من تهوى وذرني من الكنى ... فلا خير في اللذات من دونها ستر
لأبي نواس. وألا استفتاحية للتنبيه، فكأنه قال: تنبه فاسقني. وقل لي هي الخمر: أي اجهر باسمها. وقوله: إذا أمكن الجهر: احترس ـ وباح الشيء: ظهر. وباح به أظهره، أي: أظهر اسم من تحب كما تبوح باسم الخمر. ويروى وبح باسم ما تأتي، أي: ما تفعل. ودعني: أي اتركني: ضمنه معنى باعدني فعداه بمن، كناية عن نهيه عن ذكر الكنى: جمع كنية: وهو ما دل على الشيء دلالة خفية، وشبه العبارة الخفية بالستر الحائل تصريحاً.

اجتمعت الغيبة والمخاطبة، فغلبت المخاطبة، لأنها أقوى وأرسخ أصلاً من الغيبة.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

وقرأ الأعمش: جواب قومه، بالرفع. والمشهورة أحسن ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتنزهون عن القاذورات كلها، فينكرون هذا العمل القذر، ويغيظنا إنكارهم. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو استهزاء ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ قدّرنا كونها ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ ٢/ ٧٠أ كقوله: ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ فالتقدير واقع على الغبور في المعنى.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾

أمر رسوله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته، وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده. وفيه تعليم حسن، وتوقيف على أدب جميل، وبعث على التيمن بالذكرين، والتبرك بهما، والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقي إلى السامعين وإصغائهم إليه، وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع. ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابراً عن كابر هذا الأدب، فحمدوا الله عزّ وجل وصلوا على رسول الله ـ ﷺ ـ أمام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة، وفي مفتتح كل خطبة، وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن. وقيل: هو متصل بما قبله، وأمر بالتحميد على الهالكين من كفار الأمم والصلاة على الأنبياء عليهم السلام وأشياعهم الناجين. وقيل: هو خطاب للوط عليه السلام، وأن يحمد الله على هلاك كفار قومه، ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم. معلوم أن لا خير فيما أشركوه أصلاً حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه، وإنما هو إلزام لهم وتبكيت[1] وتهكم بحالهم، وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله، ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره من زيادة خير ومنفعة، فقيل لهم، مع العلم بأنه

---

(١) قال محمود: «معلوم أن لا خير فيما أشركوه حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه، وإنما هو إلزام لهم وتبكيت» قال أحمد: كلام مرضي بعد أن تضع (خالق كل شيء) مكان قوله (خالق كل خير) فإنه تخصيص قدري: أو إشراك خفي. والتوحيد الأبلج: ما قلناه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

لا خير فيما آثروه، وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثاً، لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط وإضلالهم التميز ونبذهم المعقول وليعلموا أنّ الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد. ونحوه ما حكاه عن فرعون ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ مع علمه أنه ليس لموسى مثل أنهاره التي كانت تجري تحته، ثم عدّد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله، كما عدّدها في موضع آخر ثم قال: هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء. وقرئ: يشركون بالياء والتاء. وعن رسول الله ـ ﷺ ـ: أنه كان إذا قرأها يقول: «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم» (١٠٩٦).

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)﴾

فإن قلت: ما الفرق بين أم وأم في ﴿أم تشركون﴾ و﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾؟ قلت: تلك متصلة؛ لأنّ المعنى: أيهما خير. وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة، لما قال الله تعالى: آلله خير أم الآلهة؟ قال: بل أمّن خلق السموات والأرض خير؟ تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء. وقرأ الأعمش: أمَن، بالتخفيف. ووجهه أن يجعل بدلاً من الله، كأنه قال: أمّن خلق السموات والأرض خير أم ما تشركون؟ فإن قلت: أي نكتة في نقل الإخبار عن الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله فأنبتنا؟ قلت: تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته، والإيذان بأنّ إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد. لا يقدر عليه إلا هو وحده. ألا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾ ومعنى الكينونة: الانبغاء. أراد أن تأتي ذلك محال من غيره، وكذلك قوله: ﴿بَلْ هُمْ﴾ بعد الخطاب: أبلغ في تخطئة رأيهم. والحديقة: البستان عليه حائط: من الإحداق وهو

١٠٩٦ ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣) رقم (٢٠٨٢) من طريق جابر الجعفي عن أبي جعفر قال: كان علي بن الحسين يذكر. . . فذكر الحديث بطوله.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: كذا ذكره الثعلبي بغير إسناد وأخرجه البيهقي في «الشعب» في الباب التاسع من رواية جابر الجعفي عن أبي جعفر قال: كان علي بن الحسين يذكر أن النبي ـ ﷺ ـ إذا ختم القرآن ـ فذكر حديثاً طويلاً ـ وفيه والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أم ما يشركون؟ بل الله خير وأجل وأبقى وأكرم وأعظم مما يشركون.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: كذا ذكره الثعلبي بغير إسناد. وأخرجه البيهقي في الشعب في الباب التاسع من رواية جابر الجعفي عن أبي جعفر قال: «كان علي بن الحسين يذكر أن النبي ـ ﷺ ـ إذا ختم القرآن ـ فذكر حديثاً طويلاً ـ وفيه والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أم ما يشركون؟ بل الله خير وأجل وأبقى وأكرم وأعظم مما يشركون. انتهى.

الإحاطة. وقيل: ﴿ذَاتَ﴾؛ لأنّ المعنى: جماعة حدائق ذات بهجة، كما يقال: النساء ذهبت. والبهجة: الحسن، لأنّ الناظر يبتهج به ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أغيره يقرن به ويجعل شريكاً له. وقرئ: أإلهاً مع الله، بمعنى: أتدعون، أو أتشركون. ولك أن تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدّة، وتخرج الثانية بين بين ﴿يَعْدِلُونَ﴾ به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿أَمَّن جَعَلَ﴾ وما بعده بدل من (أمّن خلق) فكان حكمهما حكم ﴿قَرَارًا﴾ دحاها وسوّاها بالاستقرار عليها ﴿حَاجِزًا﴾ كقوله: برزخاً.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

الضرورة: الحالة المحوجة إلى اللجأ. والاضطرار: افتعال منها. يقال: اضطرّه إلى كذا. والفاعل والمفعول: مضطر. والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجأ والتضرع إلى الله. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو المجهود. وعن السدّي: الذي لا حول له ولا قوة. وقيل: المذنب إذا استغفر. فإن قلت: قد عم المضطرين بقوله: ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ وكم من مضطرّ يدعوه لا يجاب[1]؟ قلت: الإجابة موقوفة على أن يكون المدعوّ به مصلحة، ولهذا لا يحسن دعاء العبد إلا شارطاً فيه المصلحة. وأما المضطر فمتناول للجنس مطلقاً، يصلح لكله ولبعضه، فلا طريق إلى الجزم على/ ٢/ ٧٠ب أحدهما إلا بدليل، وقد قام الدليل على البعض وهو الذي أجابته مصلحة، فبطل التناول على العموم ﴿خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ خلفاء فيها، وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرناً بعد قرن. أو أراد بالخلافة الملك والتسلط. وقرئ: يذكرون، بالياء مع الإدغام. وبالتاء مع الإدغام والحذف. وما مزيدة، أي: يذكرون تذكراً قليلاً. والمعنى:

---

(١) قال محمود: «إن قلت فكم من مضطر لا يجاب؟ قلت: الإجابة موقوفة على كون المدعو به مصلحة، ولهذا لا يحسن دعاء العبد إلا شارطاً فيه المصلحة» قال أحمد: الصواب أن الإجابة مقرونة بالمشيئة لا بالمصلحة، وإنما تقف الإجابة على المصلحة عند القدرية، لإيجابهم على الله تعالى رعاية المصالح، فقول الزمخشري: لا يحسن الدعاء من العبد إلا شارطاً فيه المصلحة: فاسد: فإن المشيئة شرط في إجابة الدعاء اتفاقاً، ومع ذلك نهى النبي ﷺ أن يقول الداعي: اللهم اغفر لي إن شئت.

نفي التذكر، والقلة تستعمل في معنى النفي.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿يَهْدِيكُمْ﴾ بالنجوم في السماء، والعلامات في الأرض: إذا جنّ الليل عليكم مسافرين في البر والبحر.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

فإن قلت: كيف قيل لهم: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وهم منكرون للإعادة؟ قلت: قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار، فلم يبق لهم عذر في الإنكار ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الماء ﴿و﴾ من ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النبات ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنّ مع الله إلٰهاً، فأين دليلكم عليه؟

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾

فإن قلت: لم رفع اسم الله، والله يتعالى أن يكون ممن في السموات والأرض؟ قلت: جاء على لغة بني تميم، حيث يقولون: ما في الدار أحد إلا حمار، يريدون: ما فيها إلا حمار، كأنّ أحداً لم يذكر؛ ومنه قوله [من الطويل]:

عَشِيَّةَ مَا تُغْنِي الرِّمَاحُ مَكَانَهَا وَلاَ النَّبْلُ إلاَّ الْمَشْرَفِيُّ الْمُصَمِّمُ[1]

وقولهم: ما أتاني زيد إلا عمرو، وما أعانه إخوانكم إلا إخوانه. فإن قلت: ما الداعي إلى اختيار المذهب التميمي على الحجازي؟ قلت: دعت إليه نكتة سَرية[2]. حيث أخرج

---

(١) النبل: السهام العربية. والمشرفي: السيف، نسبة لمشارف اليمن. والمصمم: الماضي النافذ لصلابته، وكانت عادة المتحاربين التناضل بالسهام عند التباعد، فإذا تقاربوا تحاربوا بالرماح، فإذا التقوا تضاربوا بالسيوف. وذكر النبل بعد الرماح لدفع توهم بعد العدو، فكأن النبل يغني عن غيره، فالبيت كناية عن شدة الأمر واختلاط الصفين. وضمير مكانها للحرب أو للسيوف، والاستثناء منقطع بعد النفي، ويجب نصبه عند الحجازيين. ويجوز رفعه كما هنا عند التميميين: إما على البدل، أو على توهم أن المستثنى منه غير مذكور، وأن العامل مفرغ لما بعد «إلا».
البيت لضرار بن الأزور ينظر تذكرة النحاة ص ٣٣٠، وخزانة الأدب ٣/٣١٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/١٢٨، والمقاصد النحوية ٣/٩، وللحصين بن الحمام برواية (المصمما) مكان (المصممُ) في شرح اختيارات المفضل ١/٣٢٩، ينظر شرح الأشموني ١/٢٢٩، والدر المصون ٢/٤٥٢.

(٢) قوله «دعت إليه نكتة سرية» لعله بزنة فعلية، فيكون بمعنى شريفة. (ع)

المستثنى مخرج قوله: إلا اليعافير، بعد قوله: ليس بها أنيس، ليؤول المعنى إلى قولك: إن كان الله ممن في السموات والأرض، فهم يعلمون الغيب، يعني: أنّ علمهم الغيب في استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم، كما أنّ معنى ما في البيت[1]: إن كانت اليعافير أنيساً ففيها أنيس، بتا للقول بخلوّها عن الأنيس. فإن قلت: هلا زعمت أنّ الله ممن في السموات والأرض، كما يقول المتكلمون: الله في كل مكان، على معنى أنّ علمه في الأماكن كلها، فكأن ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم؟ قلت: يأبى ذلك أن كونه في السموات والأرض مجاز، وكونهم فيهن حقيقة، وإرادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازاً غير صحيحة، على أنّ قولك: من في السموات والأرض. ، وجمعك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد: فيه إيهام تسوية، والإيهامات مزالة عنه وعن صفاته تعالى. ألا ترى كيف قال ﷺ لمن قال: ومن يعصهما فقد غوى: «بئس خطيب القوم أنت» (١٠٩٧) وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية (١٠٩٨)، والله تعالى يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾. وعن بعضهم: أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحداً؛ لئلا يأمن أحد من عبيده مكره. وقيل: نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله ـ ﷺ ـ عن وقت الساعة ﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى متى، ولو سمي به: لكان فعالاً، من آن يئين ولانصرف. وقرئ: إيان، بكسر الهمزة.

١٠٩٧ ـ أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٤) كتاب الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة حديث (٤٨/ ٨٧٠) وأبو داود (١/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦) كتاب الصلاة: باب الرجل يخطب على قوس حديث (١٠٩٩)، (٢/ ٧١٤) كتاب الأدب حديث (٤٩٨١) والنسائي (٦/ ٩٠) كتاب النكاح: باب ما يكره من الخطبة، وأحمد (٤/ ٢٥٦ ـ ٣٧٩) والحاكم (١/ ٢٨٩) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤/ ٢٩٦) وابن حبان (٧/ ٣٧) رقم (٢٧٩٨) من طريق عبد العزيز بن رفيع عن تميم بن طرفة عن عدي بن حاتم أن رجلاً خطب عند النبي ـ ﷺ ـ فقال: من يطع الله ورسوله قد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال النبي ـ ﷺ ـ بئس الخطيب قل: ومن يعصي الله ورسوله.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه مسلم من حديث عدي بن حاتم. انتهى.

١٠٩٨ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٣٦١) كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين حديث (٣٢٣٤) ومسلم (٢/ ٨ ـ نووي) كتاب الإيمان: باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾... حديث (٢٨٧/ ١٧٧) والترمذي (٥/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الأنعام حديث (٣٠٦٨) من طريق مسروق عن عائشة.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: متفق عليه من حديثها في أثناء حديث. انتهى.

---

(١) قوله: «معنى ما في البيت» هو قول الشاعر [من الرجز]:
وبلدة ليس بها أنيس ... إلا اليعافير وإلا العيس
(ع)

وقرئ: بل أَدَّرك. بل ادَّراك. بل ادَّارك. بل تدارك. بل أأدرك، بهمزتين. بل آأدرك، بألف بينهما. بل ادرك، بالتخفيف والنقل. بل ادّرك، بفتح اللام وتشديد الدال. وأصله: بل أدّرك؟ على الاستفهام. بلى أدرك. بلى أأدرك. أم تدارك. أم أدرك؛ فهذه ثنتا عشرة قراءة. وادّارك: أصله تدارك، فأدغمت التاء في الدال. وادّرك: افتعل. ومعنى أدرك علمهم: انتهى وتكامل. وادّرك: تتابع واستحكم. وهو على وجهين، أحدهما: أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة لا ريب فيه، قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته، وهم شاكون جاهلون، وهو قوله: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾: يريد المشركين ممن في السموات والأرض؛ لأنهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم إلى الجميع، كما يقال: بنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله ناس منهم. فإن قلت: إن الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب، وأن العباد لا علم لهم بشيء منه وأن وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به، فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بإنكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة؟ قلت: لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب، ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه، وكان هذا بياناً لعجزهم ووصفاً لقصور علمهم: وصل به أن عندهم عجزاً أبلغ منه، وهو أنهم يقولون للكائن الذي لا بدّ أن يكون ـ وهو وقت جزاء أعمالهم ـ: لا يكون، مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به. والوجه الثاني: أن وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم ٢/ ٧١أ، كما تقول لأجهل الناس: ما أعلمك! على سبيل الهزؤ، وذلك حيث شكوا وعموا عن إثباته الذي الطريق إلى علمه مسلوك، فضلاً أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق إلى معرفته: وفي: أدرك علمهم، وادارك علمهم: وجه آخر، وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفنى، من قولك: أدركت الثمرة؛ لأن تلك غايتها التي عندها تعدم: وقد فسره الحسن ـ رضي الله عنه ـ باضمحل علمهم وتدارك، من تدارك بنو فلان: إذا تتابعوا في الهلاك فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ: بل أأدرك على الاستفهام؟ قلت: هو استفهام على وجه الإنكار لإدراك علمهم، وكذلك من قرأ: أم أدرك. وأم تدارك؛ لأنها أم التي بمعنى بل والهمزة. فإن قلت: فمن قرأ: بلى أدرك، وبلى أأدرك؟ قلت: لما جاء ببلى، بعد قوله: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ كان معناه: بلى يشعرون، ثم فسر الشعور بقوله: أدرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم، فكأنه قال: شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها، فيرجع إلى نفي الشعور على أبلغ ما يكون. وأما من قرأ: بلى أأدرك؟ على الاستفهام فمعناه: بلى يشعرون متى يبعثون، ثم أنكر علمهم بكونها، وإذا أنكر علمهم

بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها؛ لأنّ العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن ﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ في شأن الآخرة ومعناها فإن قلت؛ هذه الاضرابات الثلاث ما معناها؟ قلت: ما هي إلا تنزيل لأحوالهم: وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث، ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة، ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والإزالة مستطاعة. ألا ترى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أربابها بعضهم لبعض: كان أمره أهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل، ثم بما هو أسوأ حالاً وهو العمى، وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه، لا يخطر بباله حقاً ولا باطلاً. ولا يفكر في عاقبة. وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عدّاه بمن دون عن؛ لأنّ الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

العامل في ﴿إِذَآ﴾ ما دلّ عليه ﴿أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ وهو نخرج؛ لأنّ بين يدي عمل اسم الفاعل[1] فيه عقاباً وهي همزة الاستفهام، وإن ولام الابتداء وواحدة منها كافية، فكيف إذا اجتمعن؟ والمراد: الإخراج من الأرض. أو من حال الفناء إلى الحياة، وتكرير حرف الاستفهام بإدخاله على «إذا» و«إن» جميعاً إنكار على إنكار، وجحود عقيب جحود، ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه. والضمير في (إنا) لهم ولآبائهم؛ لأنّ كونهم تراباً قد تناولهم وآباءهم. فإن قلت: قدّم في هذه الآية ﴿هَٰذَا﴾ على ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ وفي آية أخرى قدّم ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ على ﴿هَٰذَا﴾؟ قلت: التقديم دليل على أن المقدّم هو الغرض المتعمد بالذكر، وإن الكلام إنما سبق لأجله، ففي إحدى الآيتين دلّ على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام، وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

لم تلحق علامة التأنيث بفعل العاقبة؛ لأنّ تأنيثها غير حقيقي؛ ولأنّ المعنى: كيف

---

(١) قوله «اسم الفاعل فيه عقاباً» لعله اسم المفعول وعقاباً جمع عقبة. أفاده الصحاح. وعبارة النسفي: لأن اسم الفاعل والمفعول ـ بعد همزة الاستفهام أو أن أو لام الابتداء لا يعمل فيما قبله، فكيف إذا اجتمعن. (ع)

كان آخر أمرهم؟ وأراد بالمجرمين: الكافرين، وإنما عبر عن الكفر بلفظ الإجرام ليكون لطفاً للمسلمين في ترك الجرائم وتخوّف عاقبتها، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ وقوله: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لأنهم لم يتبعوك، ولم يُسلموا فيَسلموا وهم قومه قريش، كقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾. ﴿فِى ضَيْقٍ﴾ في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك، ولا تبال بذلك فإن الله يعصمك من الناس. يقال: ضاق الشيء ضيقاً وضيقاً، بالفتح والكسر. وقد قرئ بهما. والضيق أيضاً: تخفيف الضيق. قال الله تعالى ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ قرئ مخففاً ومثقلاً ويجوز أن يراد في أمر ضيق من مكرهم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٧١ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ۝٧٢﴾

استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ﴾ ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو: دنا لكم وأزف لكم، ومعناه: وتبعكم ولحقكم، وقد عدى بمن قال [من الطويل]:

فَلَمَّا رَدِفْنَا مِنْ عُمَيْرٍ وَصَحْبِهِ ... تَوَلَّوْا سِرَاعاً وَالْمَنِيَّةُ تُعْنِقُ[1]

يعني: دنونا من عمير، وقرأ الأعرج: ردف لكم، بوزن ذهب، وهما لغتان، والكسر أفصح. وعسى ولعل وسوف ـ في وعد الملوك ووعيدهم ـ يدل على صدق الأمر وجدّه وما لا مجال للشكّ بعده/ ٢/ ٧١ب، وإنما يعنون بذلك: إظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام؛ لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أنّ عدوّهم لا يفوتهم، وأن الرمزة إلى الأغراض كافية من جهتهم؛ فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾

الفضل والفاضلة: الإفضال. ولفلان فواضل في قومه وفضول. ومعناه: أنه مفضل عليهم بتأخير العقوبة، وأنه لا يعاجلهم بها، وأكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا

---

(١) ردف كتبع يتعدى بنفسه، وضمن هنا معنى الدنو فعدى بمن، وأعنق الفرس: سار سيراً سريعاً سهلاً. والعنق: اسم منه يقول: فلما دنونا من عمير وأصحابه للحرب أدبروا مسرعين، والحال أن الموت يسرع خلفهم من جهتنا. شبه المنية بالأسد على طريق المكنية، فأثبت لها العنق تخييلاً، كأنهم كانوا تبعوهم برمي النبال. ويجوز أنه استعار المنية لنفسه وقومه على طريق التصريح، أي: ونحن نسرع خلفهم، فذكر العنق تجريد؛ لأنه يلائم المشبه.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٩٥)، الدر المصون (٥/ ٣٢٦).

يشكرونه، ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب: وهم قريش.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾

قرئ تكن. يقال: كننت الشيء وأكننته: إذا سترته وأخفيته، يعني: أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله ـ ﷺ ـ ومكايدهم، وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه.

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

سمي الشيء الذي يغيب ويخفى: غائبة وخافية، فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظائرهما: النطيحة، والرمية، والذبيحة: في أنها أسماء غير صفات. ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة، كالراوية في قولهم: ويل للشاعر من راوية السوء، كأنه قال: وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح. المبين: الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه أحزاباً، ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضاً، وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا، يريد؛ اليهود والنصارى ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لمن أنصف منهم وآمن، أي: من بني إسرائيل. أو منهم ومن غيرهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾

﴿بَيْنَهُم﴾ بين من آمن بالقرآن ومن كفر به. فإن قلت: ما معنى يقضي بحكمه؟ ولا يقال: زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه؟ قلت: معناه بما يحكم به وهو عدله، لأنه لا يقضي إلا بالعدل، فسمي المحكوم به حكماً. أو أراد بحكمته ـ وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه ـ: جمع حكمة. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فلا يرد قضاؤه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمن يقضي له وبمن يقضي عليه، أو العزيز في انتقامه من المبطلين، العليم بالفصل بينهم وبين المحقين.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ

أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين، وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به الشكّ والظنّ. وفيه بيان أنّ صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته. وأن مثله لا يخذل. فإن قلت: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ يشبه أن يكون تعليلاً آخر للتوكل، فما وجه ذلك؟ قلت: وجهه أن الأمر بالتوكل جعل مسبباً عما كان يغيظ رسول الله ـ ﷺ ـ من جهة المشركين وأهل الكتاب: من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالأذى والعداوة، فلاءم ذلك أن يعلل توكل متوكل مثله، بأن اتباعهم أمر قد يئس منه، فلم يبق إلا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم وأذاهم، وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس، لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله ـ فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع ـ: كانت حالهم ـ لانتفاء جدوى السماع ـ: كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع؛ وكذلك تشبيههم بالصمّ الذين ينعق بهم فلا يسمعون. وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم، وأن يجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾؟ قلت: هو تأكيد لحال الأصم، لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن يولي عنه مدبراً كان أبعد عن إدراك صوته. وقرئ: ولا يسمع الصمّ، وما أنت بهادِ العمي، على الأصل. وتهدي العمي. وعن ابن مسعود: وما أن تهدي العمى، وهداه عن الضلال. كقولك: سقاه عن العيمة[1] أي: أبعده عنها بالسقي، وأبعده عن الضلال بالهدى ﴿إِن تُسۡمِعُ﴾ أي ما يجدي إسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته، أي: يصدقون بها ﴿فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ أي مخلصون من قوله: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾ يعني: جعله سالماً لله خالصاً له.

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

سمى معنى القول ومؤداه بالقول، وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب، ووقوعه: حصوله. والمراد: مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة. ودابة الأرض: الجساسة. جاء في الحديث: أنّ طولها ستون ذراعاً، لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب (١٠٩٩). وروي: لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان. وعن ابن جريج في

١٠٩٩ ـ أخرجه الثعلبي في «تفسيره» من طريق محمد بن النضر بن محمد الأودي عن أبيه عن سفيان =

---

(١) قوله «سقاه عن العيمة» هي شهوة اللبن كما في الصحاح. (ع)

وصفها: رأس ثور، وعين خنزير، وأذن فيل، وقرن إيل، وعنق نعامة، وصدر أسد، ولون نمر، وخاصرة هرّ، وذنب كبش، وخف بعير/ ٢/ ٧٢أ وما بين المفصلين: اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام. وروي: لا تخرج إلا رأسها، ورأسها يبلغ أعنان السماء[1]، أو يبلغ السحاب. وعن أبي هريرة: فيها من كل لون، وما بين قرنيها فرسخ للراكب. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام. وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنها تخرج ثلاثة أيام، والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها. وعن النبي ﷺ: أنه سئل: من أين تخرج الدابة؟ فقال: «من أعظم المساجد حرمة على الله (١١٠٠)»، يعني المسجد الحرام. وروي: أنها تخرج ثلاث خرجات: تخرج بأقصى اليمن ثم تتكمن، ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهراً طويلاً، فبينا الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله، فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة. وقيل: تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية

= الثوري عن شهاب بن عبد الرحمن بن طارق عن ربعي بن حراش عن حذيفة مرفوعاً.
وينظر «تخريج الكشاف» للزيلعي (٣/ ١٩) وقال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه الثعلبي من حديث حذيفة دون قوله: «وهي الجساسة» وسيأتي بعضه للحاكم وغيره في الذي بعده. انتهى.

١١٠٠ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٥) من طريق ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان.
وأخرجه الحاكم (٤/ ٤٨٤) وأبو داود الطيالسي (ص ١٤٤) رقم (١٠٦٩) والطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ١٩٣) رقم (٣٠٣٥) وفي «الأحاديث الطوال» (٢٥/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) رقم (٣٤) كلهم من طريق طلحة بن عمرو الحضرمي عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي عن أبي الطفيل عن أبي سريحة الأنصاري به وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد وهو أبين حديث في ذكر دابة الأرض ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال: طلحة بن عمرو الحضرمي ضعفوه وتركه أحمد .اهـ.
وطلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي متروك ينظر «الكامل» (٤/ ١٤٢٦ ـ ١٤٢٧) و«التقريب» (١/ ٣٧٩)، والتهذيب (٥/ ٢٣ ـ ٢٤).
وللحديث شاهد من حديث ابن عباس. أخرجه ابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٢٠ ـ ٢١).
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه الطبري من طريق ربعي عن حذيفة بن اليمان: «ذكر رسول الله ـ ﷺ ـ الدابة فقلت: يا رسول الله من أين تخرج فقال: من أعظم المساجد حرمة على الله... الحديث وروى الحاكم والبيهقي في «الشعب» وإسحاق في مسنده وابن مردويه من طريق أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد رفعة قال: يكون للدابة ثلاث خرجات ـ إلى أن قال: بينما الناس في أعظم المساجد حرمة وخيرها وأكرمها: المسجد الحرام، لم يردهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام... الحديث وفيه: ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يقودها هارب، وفي الباب عن ابن عباس أخرجه ابن مردويه مطولاً. انتهى.

---

(١) قوله «ورأسها يبلغ أعنان السماء» في الصحاح «أعنان السماء»: صفائحها وما اعترض من أقطارها، كأنه جمع عنن. والعامة تقول: عنان السماء. (ع)

بلسان ذلق[1] فتقول: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢﴾ يعني أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي؛ لأنّ خروجها من الآيات، وتقول: ألا لعنة الله على الظالمين. وعن السدي: تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام. وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ: تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل المشرق، ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك. وروي: تخرج من أجياد[2]. وروي: بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون، إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل، وينشق الصفا مما يلي المسعى، فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصى موسى وخاتم سليمان، فتضرب المؤمن في مسجده، أو فيما بين عينيه بعصا موسى عليه السلام، فتنكت نكتة بيضاء تفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه أو تترك وجهه كأنه كوكب دريّ، وتكتب بين عينيه: مؤمن: وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه، فتفشو النكتة حتى يسودّ لها وجهه وتكتب بين عينيه: كافر. وروي: فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم، ثم تقول لهم: يا فلان، أنت من أهل الجنة. ويا فلان، أنت من أهل النار. وقرئ: تكلمهم، من الكلم وهو الجرح. والمراد به: الوسم بالعصا والخاتم. ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضاً، على معنى التكثير. يقال: فلان مكلم، أي مجرّح. ويجوز أن يستدل بالتخفيف على أنّ المراد بالتكليم: التجريح، كما فسر: لنحرقنه، بقراءة عليّ ـ رضي الله عنه ـ: لنحرقنه، وأن يستدل بقراءة أبيّ: تنبئهم. وبقراءة ابن مسعود: تكلمهم بأن الناس، على أنه من الكلام. والقراءة بإن مكسورة: حكاية لقول الدابة، إما لأنّ الكلام بمعنى القول. أو بإضمار القول، أي: تقول الدابة ذلك. أو هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك. فإن قلت: إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا قلت: قولها حكاية لقول الله تعالى. أو على معنى بآيات ربنا. أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده، وأنها من خواص خلقه: أضافت آيات الله إلى نفسها، كما يقول بعض خاصة الملك: خيلنا وبلادنا، وإنما هي خيل مولاه وبلاده. ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار، أي: تكلمهم بأن.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝٨٣﴾

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أوّلهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار. وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه، كما وصفت جنود سليمان بذلك. وكذلك قوله (فوجاً) فإن الفوج الجماعة الكثيرة. ومنه قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ وعن ابن عباس

---

(١) قوله «بلسان ذلق» أي طلق، كما في الصحاح. (ع)

(٢) قوله «تخرج من أجياد» جبل بمكة، سمي بذلك لموضع خيل تبع، وسمي «قعيقعان» لموضع سلاحه. (ع)

ـ رضي الله عنهما ـ: أبو جهل والوليد بن المغيرة، وشيبة بن ربيعة: يساقون بين يدي أهل مكة، وكذلك يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار. فإن قلت: أي فرق بين من الأولى والثانية؟ قلت: الأولى للتبعيض، والثانية للتبيين، كقوله: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾

الواو للحال، كأنه قال: أكذبتم بها بادىء الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها، وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب. أو للعطف، أي: أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها؛ فإن المكتوب إليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه، ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بها للتبكيت لا غير. وذلك أنهم لم يعملوا إلا التكذيب، فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدّقنا بها وليس إلا التصديق بها أو التكذيب. ومثاله أن تقول لراعيك ـ وقد عرفته رويعي سوء ـ: أتأكل نعمي، أم ماذا تعمل بها؟ فتجعل ما تبتدىء به وتجعله أصل كلامك وأساسه هو الذي صحّ عندك من أكله وفساده، وترمي بقولك: أم ماذا تعمل بها، مع علمك أنه لا يعمل بها إلا الأكل؛ لتبهته[1] وتعلمه علمك بأنه لا يجيء منه إلا أكلها، وأنه لا يقدر أن يدعي الحفظ والإصلاح؛ لما شهر من خلاف ذلك. أو أراد: أما كان لكم عمل في الدنيا إلا الكفر والتكذيب بآيات الله، أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك؟ يعني أنه لم يكن لهم عمل غيره، كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعصية، وإنما خلقوا للإيمان والطاعة/ ٢/ ٧٢ب: يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها، وذلك قوله: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ يريد أن العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم، وهو التكذيب بآيات الله، فيشغلهم عن النطق والاعتذار، كقوله تعالى: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾

جعل الإبصار للنهار وهو لأهله. فإن قلت: ما للتقابل لم يراع في قوله: ﴿لِيَسْكُنُوا۟﴾ و﴿مُبْصِرًا﴾ حيث كان أحدهما علة والآخر حالاً؟ قلت: هو مراعى من حيث المعنى، وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف؛ لأن معنى مبصراً: ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب.

---

(١) قوله «لتبهته» أي تدهشه وتحيره. (ع)

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾

فإن قلت: لم قيل ﴿فَفَزِعَ﴾ دون فيفزع؟ قلت: لنكتة وهي الإشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة، واقع على أهل السموات والأرض؛ لأنّ الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به. والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة، قالوا: هم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت ـ عليهم السلام. وقيل: الشهداء. وعن الضحاك: الحور، وخزنة النار، وحملة العرش. وعن جابر: منهم موسى عليه السلام، لأنه صعق مرّة، ومثله قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾. وقرئ: أتوه. وأتاه. ودخرين، فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ. والداخر والدخر: الصاغر. وقيل: مع الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية. ويجوز أن يراد رجوعهم إلى أمره وانقيادهم له.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿جَامِدَةً﴾ من جمد في مكانه إذا لم يبرح. تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب، فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ مرّا حثيثاً كما يمر السحاب. وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد: إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها، كما قال النابغة في صفة جيش [من الطويل]:

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ ... وُقُوفٌ لِحَاجٍ وَالرِّكَابُ تَهَمْلَجُ[1]

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ من المصادر المؤكدة، كقوله: (وعد الله). و(صبغة الله) إلا أن مؤكده محذوف، وهو الناصب ليوم ينفخ، والمعنى: ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت

---

(١) للنابغة. والأرعن: الجبل العالي. والطود: الجبل العظيم، فاستعار الأرعن للجيش؛ ثم شبهه بالطود ليفيد المبالغة في الكثرة. والحاج: اسم جمع واحده حاجة. والركاب: المطي لا واحد له من لفظه. والهملجة: السير الرهو السهل، فارسي معرب. والهملاج: السريع. يقول: حاربنا العدو بجيش عظيم، تظنهم واقفين لحاجة لكثرتهم، والحال أن ركابهم تسرع السير.
ينظر: ديوانه ص ١٨٧، لسان العرب (صرد)، تاج العروس (صرد)، المعاني الكبير ص (٨٩١)، تأويل المشكل (٦)، السبع الطوال (٤٦١)، البحر المحيط (٧/ ١٠٠)، الدر المصون (٥/ ٣٢٩).

أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين، ثم قال: صنع الله يريد به: الإثابة والمعاقبة. وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب، حيث قال: صنع الله ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ يعني أنّ مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب: من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها، وإجرائه لها على قضايا الحكمة أنه عام بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه، فيكافئهم على حسب ذلك. ثم لخص ذلك بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ إلى آخر الآيتين، فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصانة تفسيره[1]، وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغاً واحداً ولأمر مّا أعجز القوى وأخرس الشقاشق[2]. ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام، جاء كالشاهد بصحته والمنادى على سداده، وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان. ألا ترى إلى قوله: (صنع الله)، و(صبغة الله)، و(وعد الله)، و(فطرة الله): بعد ما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم، كيف تلاها بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾، لا يخلف الله الميعاد ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ وقرئ: تفعلون، على الخطاب. ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ يريد الإضعاف وأنّ العمل يتقضى والثواب يدوم، وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد. وقيل: فله خير منها، أي: له خير حاصل من جهتها وهو الجنة. وعن ابن عباس؛ الحسنة كلمة الشهادة. وقرئ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مفتوحا مع الإضافة؛ لأنه أضيف إلى غير متمكن. ومنصوباً مع تنوين فزع. فإن قلت: ما الفرق بين الفزعين؟ قلت: الفزع الأوّل: هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدّة تقع وهول يفجأ، من رعب وهيبة، وإن كان المحسن يأمن لحاق الضرر به؛ كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب[3] وإن كانت ساعة إعزاز وتكرمة وإحسان وتولية. وأمّا الثاني: فالخوف من العذاب. فإن قلت: فمن قرأ ﴿مِّن فَزَعٍ﴾ بالتنوين ما معناه؟ قلت: يحتمل معنيين. من فزع واحد وهو خوف العقاب، وأمّا ما يلحق الإنسان من التهيب والرعب لما يرى من الأهوال والعظائم، فلا يخلون منه؛ لأنّ البشرية تقتضي ذلك. وفي الأخبار والآثار ما يدل عليه. ومن فزع شديد مفرط الشدّة لا يكتنهه الوصف/ ٢/ ١٧٣أ: وهو خوف النار. أمن: يعدى بالجار وبنفسه، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾. وقيل: السيئة: الإشراك. يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة، فكأنه قيل: فكبوا في النار، كقوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾ ويجوز أن يكون ذكر الوجوه

---

(١) قوله «ومكانة إضماده ورصانة تفسيره» الذي في الصحاح «ضمد الجرح، يضمده ضمداً»: شده بعصابة وفيه «الرصين» المحكم الثابت. وقد رصن ـ بالضم ـ رصانة. (ع)

(٢) قوله «وأخرس الشقاشق» في الصحاح «شقشق الفحل شقشقة»: هدر. وإذا قالوا للخطيب: ذو شقشقة، فإنما يشبه بالفحل. (ع)

(٣) قوله «وقلب وجاب» في الصحاح «وجب القلب وجيباً»: اضطرب. (ع)

إيذاناً بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب بإضمار القول.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

أمر سوله بأن يقول: ﴿أُمِرْتُ﴾ أن أخص الله وحده بالعبادة، ولا أتخذ له شريكاً كما فعلت قريش، وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ من التلاوة أو التلوّ كقوله: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾. والبلدة: مكة حرسها الله تعالى: اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها؛ لأنها أحبّ بلاده إليه، وأكرمها عليه؛ وأعظمها عنده. وهكذا قال النبي ﷺ حين خرج في مهاجره، فلما بلغ الحزورة[1] استقبلها بوجهه الكريم فقال: «إني أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله. ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت» (١١٠١)، وأشار إليها إشارة تعظيم لها وتقريب، دالاً على أنها موطن نبيه ومهبط

١١٠١ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة هم عبد الله بن عدي بن الحمراء وأبو هريرة وعبد الله بن عباس.

فأما حديث عبد الله بن عدي:

فأخرجه الترمذي (٥/ ٧٢٢) ـ كتاب المناقب (٥٠) ـ باب في فضل مكة ـ (٣٩٢٥) وابن ماجه (٢/ ١٠٣٧) ـ كتاب المناسك (٢٥) ـ باب فضل مكة ـ (٣١٠٨) والنسائي في الكبرى (٢/ ٤٧٩) ـ كتاب الحج ـ باب فضل مكة (٤٢٥٢) والحاكم في مستدركه (٣/ ٧) وابن حبان في صحيحه (٩/ ٢٢) (٣٧٠٨) والدارمي في سننه (٢/ ٢٣٩).

كلهم من طريق الليث عن عقيل عن الزهري أن أبا سلمة بن عبد الرحمن أخبره أن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري قال: رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ على راحلته ـ فذكر الحديث وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح، وقد رواه يونس عن الزهري نحوه، ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ وحديث الزهري عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي بن حمراء عندي أصح.

وأخرجه أحمد (٤/ ٣٠٥) والنسائي في الكبرى (٢/ ٤٧٩) (٤٢٥٣) وعبد بن حميد في مسنده (ص ١٧٧ ـ ١٧٨) حديث رقم (٤٩١) كلهم من طريق صالح بن كيسان عن ابن شهاب به.

وأخرجه أحمد (٤/ ٣٠٥) والحاكم (٣/ ٤٣١) من طريق شعيب عن الزهري به وله طرق أخرى عن الزهري عند أحمد (٤/ ٣٠٥).

---

(١) قوله «فلما بلغ الحزورة» هي تل صغير كما في الصحاح. (ع)

وحيه، ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها، فأجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو، ووصفها بأنها محرمة لا ينتهك حرمتها إلا ظالم مضادّ لربه ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها[1]، ولا ينفر صيدها. واللاجىء إليها آمن. وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما. وفي ذلك إشارة إلى أن ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشأن قد ملكها وملك إليها كل شيء[2]: اللهم بارك لنا في سكناها، وآمنا فيها شرَّ كل ذي شرّ، ولا تنقلنا من جوار بيتك إلا إلى دار رحمتك. وقرئ: التي حرّمها واتل عليهم هذا القرآن: عن أبيّ وأن

= وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٢٨٠) عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن ابن أخي ابن شهاب عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم.
ـ حديث أبي هريرة:
أخرجه النسائي في «الكبرى» (٢/ ٤٨٠) كتاب الحج: باب فضل مكة حديث (٤٢٥٤) من طريق معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة به ومن طريق معمر أيضاً أخرجه عبد الرزاق وإسحاق بن راهويه كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٢٢).
وأخرجه أيضاً البزار كما في حديث المسجد السابق. وقال: ولا نعلم رواه عن الزهري إلا معمر.
ـ حديث ابن عباس:
أخرجه الترمذي (٥/ ٧٢٣) كتاب المناقب: باب في فضل مكة حديث (٣٩٢٦) وابن حبان (١٠٢٦ ـ موارد) وأبو يعلى (٥/ ٦٩) رقم (٢٦٦٢) والحاكم (١/ ٤٨٦) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه أيضاً ابن حبان.
قال الحافظ: أخرجه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وابن أبي شيبة، والدارمي، وعبد بن حميد، والبزار، وأبو يعلى والبيهقي في الدلائل، كلهم من رواية الزهري عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي بن الخيار قال: «رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ واقفاً على الحزورة، وهو يقول: «والله إنك لخير أرض الله إلى الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»، هكذا رواه عقيل ويونس وشعيب وصالح بن كيسان عنه. ورواه ابن أخي الزهري عن عمه عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدي بن الخيار: أخرجه الطبراني. وصححه الدارقطني لوجهين. ورواه النسائي، وإسحاق، والبزار، والبيهقي في الدلائل من رواية معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة. ولفظه للبيهقي: «ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت». قال البزار: تفرد به معمر هكذا. وقال البيهقي: وهم فيه معمر، وقال الترمذي: رواه محمد بن عمر بن أبي سلمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة. وقول الزهري عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي أصح. وقال البيهقي أيضاً: ورواية محمد بن عمرو وهم. وفي الباب عن ابن عباس. أخرجه الترمذي من رواية ابن خثيم عن سعيد بن جبير وأبي الطفيل جميعاً فيه نحو: «ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك». انتهى.

(١) قوله «لا يختلي خلاها. . . إلخ»: أي لا يجز حشيشها، ولا يقطع شجرها. (ع)
(٢) قال محمود: «المراد بالبلدة مكة وإضافة اسم الله تعالى إليها لتشريفها وذكر تحريمها، لأنه أخص =

أتل: عن ابن مسعود. ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ باتباعه إياي فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفي الأنداد عنه، والدخول في الملة الحنيفية، واتباع ما أنزل عليّ من الوحي؛ فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إليّ ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ ولم يتبعني فلا عليّ، وما أنا إلا رسول منذر، وما على الرسول إلا البلاغ، ثم أمره أن يحمد الله على ما خوّله من نعمة النبوّة التي لا توازيها نعمة، وأن يهدّد أعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم إلى المعرفة، والإقرار بأنها آيات الله. وذلك حين لا تنفعهم المعرفة. يعني في الآخرة. عن الحسن وعن الكلبي: الدخان، وانشقاق القمر. وما حلّ بهم من نقمات الله في الدنيا. وقيل: وهو كقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية وكل عمل يعملونه، فالله عالم به غير غافل عنه لأنّ الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات[1] وهو من وراء جزاء العاملين. قرئ: تعملون، بالتاء والياء.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ طس سليمان: كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله» (١١٠٢).

١١٠٢ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

أوصافها وأسنده إلى ذاته تأكيداً لشرفها ثم قال: (وله كل شيء)، فجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخول هذه البلدة المعظمة. وفي ذلك إشارة إلى أن ملكاً قد ملك هذه البلدة المكرمة وملك إليها كل شيء إنه لعظيم الشأن» قال أحمد: وتحت قوله (وله كل شيء): فائدة أخرى سوى ذلك، وهي أنه لما أضاف اسمه إلى البلدة المخصوصة تشريفاً لها، أتبع ذلك إضافة كل شيء سواها إلى ملكه، قطعاً لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار إليها، وتنبيهاً على أن الإضافة الأولى إنما قصد بها التشريف، لا لأنها ملك الله تعالى خاصة، والله أعلم.

(١) قال محمود: «لأن العالم بالذات لا يجوز عليه الغفلة» قال أحمد: قد سبق له جحد صفة العلم، وإيهام أن سلبها داخل في تنزيه الله تعالى، لأنه يجعل استحالة الغفلة عليه معللة بأنه عالم بالذات لا يعلم، والحق أن استحالة الغفلة عليه تعالى، لأن علمه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، بل هو علم قديم أزلي عام التعليق بجميع الواجبات والممكنات والممتنعات، ولا يتوقف تنزيهه تعالى على تعطيل صفاته وكماله وجلاله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا.

سورة القصص

مكية، [إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية، وآية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة] وآياتها ٨٨ [نزلت بعد النمل]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ مفعول نتلو، أي: نتلو عليك بعض خبرهما ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ محقين، كقوله، تنبت بالدهن ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لمن سبق في علمنا أنه يؤمن، لأنّ التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل، كأن قائلاً قال: وكيف كان نبؤهما فقال: إنّ فرعون ﴿عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني أرض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحدّ في الظلم والعسف ﴿شِيَعًا﴾ فرقاً يشيعونه على ما يريد ويطيعونه، لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه؛ قال الأعشى [من البسيط]:

وَبَلْدَةٍ يَرْهَبُ الْجَوَّابُ دُلْجَتَهَا ... حَتَّىٰ تَرَاهُ عَلَيْهَا يَبْتَغِي الشِّيَعَا[1]

---

(١) وبلدة يرهب الجواب دلجتها ... حتى تراه عليها يبتغي الشيعا
كلفت مجهولها نفسي وشايعني ... همي عليها إذا ما آلها لمعا
بذات لوث عفرناة إذا عثرت ... فالتعس أولى لها من أن يقال: لعا
للأعشى، أي: ورب مفازة يخاف الجواب: أي كثير السير، من جبت الأرض: قطعتها بالسير. والدلجة، من دلج وأدلج بوزن افتعل، وأدلج بوزن أكرم: إذا سار ليلاً. والدلجة: ساعة من الليل، =

أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته. أو أصنافاً في استخدامه يتسخر صنفاً في بناء وصنفاً حرث ٢/٧٣ب وصنفاً في حفر، ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية. أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة، وهم بنو إسرائيل والقبط. والطائفة المستضعفة: بنو إسرائيل. وسبب ذبح الأبناء: أنّ كاهناً قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده. وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون، فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن، وإن كذب فما وجه القتل؟ و﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ حال من الضمير في (وجعل) أو صفة لشيعا. أو كلام مستأنف. و﴿يُذَبِّحُ﴾ بدل من يستضعف. وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بيان أنّ القتل ما كان إلا فعل المفسدين فحسب، لأنه فعل لا طائل تحته، صدق الكاهن أو كذب.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ وعطفه على (نتلو) و(يستضعف) غير سديد؟ قلت: هي جملة معطوفة على قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لأنها نظيرة «تلك» في وقوعها تفسيراً لنبأ موسى وفرعون، واقتصاصاً له. (ونريد): حكاية حال ماضية. ويجوز أن يكون حالاً من يستضعف، أي يستضعفهم فرعون، ونحن نريد أن نمنّ عليهم. فإن قلت: كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله المنة عليهم؟ وإذا أراد الله شيئاً كان ولم يتوقف إلى وقت آخر، قلت: لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع، جعلت إرادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم ﴿أَئِمَّةً﴾ مقدّمين في الدين والدنيا، يطأ الناس أعقابهم. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: قادة يقتدى بهم في الخير. وعن مجاهد - رضي الله عنه -: دعاة إلى الخير، وعن قتادة - رضي الله عنه -: ولاة، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾. ﴿ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم. مكن له: إذا جعل له مكاناً يقعد عليه أو يرقد، فوطأه ومهده ونظيره: أرّض له. ومعنى التمكين لهم

= أي: يخاف المعتاد على السير من سيرها ليلاً حتى يطلب الجماعات المساعدين له على سيرها، كلفت نفسي سير المجهول منها، وعاونني عزمي على سيرها وقت لمعان آلها، وهو السراب الذي يرى عند شدة الحر كأنه ماء، مع أن سير الهاجرة أشد من سير الليل، ثم قال مع ناقة صاحبة قوة، ويطلق اللوث على الضعف أيضاً، فهو من الأضداد، عفرناة: غليظة، ويقال للعاثر: لعالك، دعاء له بالانتعاش. وتعساً له: دعاء عليه بالسقوط، يريد أنها لا تعثر، ولو عثرت فالدعاء عليها أحق بها من الدعاء لها.

في الأرض وهي أرض مصر والشام: أن يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث[1] عليهم؛ كماكانت في أيام الجبابرة، وينفذ أمرهم، ويطلق أيديهم ويسلطهم. وقرئ: ويرى فرعون وهامان وجنودهما، أي: يرون ﴿مِنْهُم مَّا﴾حذروه: من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾

اليم: البحر. قيل: هو نيل مصر. فإن قلت: ما المراد بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر؟ قلت: أما الأوّل فالخوف عليه من القتل؛ لأنه كان إذا صاح خافت أن يسمع الجيران صوته فينموا عليه. وأما الثاني، فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان، وغير ذلك من المخاوف. فإن قلت: ما الفرق بين الخوف والحزن؟ قلت: الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع. والحزن: غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به، فنهيت عنهما جميعاً، وأومنت بالوحي إليها، ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسروراً: وهو ردّه إليها وجعله من المرسلين. وروي: أنه ذبح في طلب موسى عليه السلام تسعون ألف وليد. وروي: أنها حين أقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني إسرائيل مصافية لها، فقالت لها: لينفعني حبك اليوم، فعالجتها، فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه، وارتعش كل مفصل منها، ودخل حبه قلبها، ثم قالت: ما جئتك إلا لأقبل مولودك وأخبر فرعون، ولكني وجدت لابنك حباً ما وجدت مثله فاحفظيه، فلما خرجت جاء عيون فرعون، فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور[2] لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها، فطلبوا فلم يلقوا شيئاً، فخرجوا وهي لا تدري مكانه، فسمعت بكاءه من التنور، فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه برداً وسلاماً، فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى الله إليها فألقته في اليم. وقد روي أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردي[3] مطلي بالقار من داخله.

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا

---

(١) قوله «ولا تغث عليهم» أي: ولا تفسد وتردؤ. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «ووضعته في تنور مسجور» في الصحاح «التنور»: الذي يخبز فيه. وفيه أيضاً. سجرت التنور سجرا، إذا حميته. (ع)

(٣) قوله «تابوت من بردي مطلي بالقار» في الصحاح «البردي» بالفتح: نبات معروف، فلينظر. (ع)

اللام في ﴿لِيَكُونَ﴾ هي لام كي التي معناها التعليل: كقولك: جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة، لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوّاً وحزناً، ولكن: المحبة والتبني، غير أن ذلك لما كانت نتيجة التقاطهم له وثمرته، شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله، وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء، والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك: ضربته ليتأدّب. وتحريره: أن هذه اللام حكمها حكم الأسد، حيث استعيرت لما يشبه التعليل، كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد/ ٢/ ١٧٤أ. وقرئ: وحزناً وهما لغتان: كالعُدم والعَدم ﴿كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ في كل شيء، فليس خطؤهم في تربية عدوّهم ببدع منهم. أو كانوا مذنبين مجرمين، فعاقبهم الله بأن ربي عدوّهم ـ ومن هو سبب هلاكهم ـ على أيديهم. وقرئ: خاطين، تخفيف خاطئين، أو خاطين الصواب إلى الخطأ.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

روي أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه، فلم يقدروا عليه، فعالجوا كسره فأعياهم، فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً، فعالجته ففتحته، فإذا بصبيّ نوره بين عينيه وهو يمصّ إبهامه لبنا فأحبوه، وكانت لفرعون بنت برصاء، وقالت له الأطباء: لا تبرأ إلا من، قبل البحر، يوجد فيه شبه إنسان دواؤها ريقه، فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت[1] وقيل: لما نظرت إلى وجهه برأت، فقالت: إن هذه لنسمة مباركة، فهذا أحد ما عطفهم عليه، فقال الغواة من قومه: هو الصبي الذي نحذر منه، فأذن لنا في قتله، فهمّ بذلك فقالت آسية: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ فقال فرعون: لك لا لي. وروي في حديث: «لو قال هو قرّة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها» (١١٠٣)، وهذا على سبيل الفرض

١١٠٣ ـ تقدم في سورة طه.

قال الحافظ: هذا طرف من حديث الفتون الطويل. وقد ذكرنا في طه أن النسائي أخرجه من حديث ابن عباس، وفيه: فأتت فرعون فقالت: قرة عين لي ولك، فقال فرعون: يكون لك فأما أنا فلا حاجة لي فيه. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «والذي يحلف به، لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت امرأته ـ لهداه الله كما هداها، ولكن الله حرمه ذلك». انتهى.

---

(١) قوله «فبرأت» في الصحاح: برئت من المرض برءاً بالضم. وأهل الحجاز يقولون: برأت من المرض برءاً بالفتح، وأصبح فلان بارئاً من مرضه. (ع)

والتقدير، أي: لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها، ولأسلم كما أسلمت: هذا ـ إن صح الحديث ـ تأويله، والله أعلم بصحته. وروي أنها قالت له: لعله من قوم آخرين ليس من بني إسرائيل. قرّة عين: خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى أن تجعله مبتدأ و(لا تقتلوه) خبراً، ولو نصب لكان أقوى. وقراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ دليل على أنه خبر، قرأ: لا تقتلوه قرّة عين لي ولك، بتقديم (لا تقتلوه). ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فإنّ فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لأهله، وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الإبهام وبرء البرصاء، ولعلها توسمت في سيماه النجابة المؤذنة بكونه نفاعاً. أو نتبناه، فإنه أهل للتبني، ولأن يكون ولداً لبعض الملوك. فإن قلت: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حال، فما ذو حالها؟ قلت: ذو حالها آل فرعون. وتقدير الكلام: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً، وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه. وقوله: إن فرعون. . . الآية: جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه، مؤكدة لمعنى خطئهم. وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿فَٰرِغًا﴾ صفراً من العقل. والمعنى: أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [ابراهيم: ٤٣] أي جوّف لا عقول فيها؛ ومنه بيت حسان [من الوافر]:

ألاَ أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي ... فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ[1]

وذلك أنّ القلوب مراكز العقول. ألا ترى إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦] ويدل عليه قراءة من قرأ: فرغاً. وقرئ: قرعاً، أي خالياً من قولهم: أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء[2]. وفرغاً، من قولهم: دماؤهم بينهم فرغ، أي هدر، يعني: بطل قلبها وذهب، وبقيت لا قلب لها من شدّة ما ورد عليها ﴿لَتُبْدِى بِهِۦ﴾

---

(١) تقدم شرح هذا الشاهد ضمن أبيات في الجزء الثاني صفحة ٥٦٣ فراجعه إن شئت اهـ. مصححه.

(٢) قوله «من صفر الإناء وقرع الفناء» صفر الإناء: خلوه مصدر: صفر الشيء بالكسر، أي: خلا وقرع الفناء: خلوه من الغاشية، مصدر قرع بالكسر، أي: خلا. (ع)

لتصحر[1] به. والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته، وأنه ولدها ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بإلهام الصبر، كما يربط على الشيء المنفلت ليقرّ ويطمئن ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من المصدقين بوعد الله، وهو قوله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ ويجوز: وأصبح فؤادها فارغاً من الهم، حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي بأنه ولدها؛ لأنها لم تملك نفسها فرحاً وسروراً بما سمعت، لولا أنا طامنا قلبها وسكنّا قلقه الذي حدث به من شدّة الفرح والابتهاج، لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه. وقرئ: مؤسى، بالهمزة: جعلت الضمة في جارة الواو ـ وهي الميم ـ كأنها فيها، فهمزت كما تهمز واو وجوه ﴿قُصِّيهِ﴾ اتبعي أثره وتتبعي خبره. وقرئ فبصرت بالكسر ـ يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة، بمعنى: عن بعد. وقرئ: عن جانب، وعن جنب. والجنب: الجانب. يقال: قعد إلى جنبه وإلى جانبه، أي: نظرت إليه مزورة متجانفة مخاتلة[2]. وهم لا يحسون بأنها أخته، وكان اسمها مريم.

﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

التحريم: استعارة للمنع؛ لأنّ من حرم عليه الشيء فقد منعه. ألا ترى إلى قولهم: محظور. وحجر، وذلك لأن الله منعه أن يرضع ثدياً، فكان لا يقبل ثدي مرضع قط، حتى أهمهم ذلك، والمراضع: جمع مرضع، وهي المرأة التي ترضع. أو جمع مرضع، وهو موضع الرضاع يعني الثدي أو الرضاع ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل قصصها أثره/ ٢/ ٧٤ب. روي أنها لما قالت: ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ قال هامان: إنها لتعرفه وتعرف أهله، فقالت: إنما أردت وهم للملك ناصحون[3] والنصح: إخلاص العمل من شائب الفساد، فانطلقت إلى أمها بأمرهم، فجاءت بها والصبيّ على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع، فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها، فقال لها فرعون: ومن أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ قالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن، لا أوتى بصبي إلا قبلني،

---

(١) قوله «لتصحر به» في الصحاح: أصحر الرجل، أي: خرج إلى الصحراء والمراد هنا تجهر به ولا تكتم أمره. (ع)

(٢) قوله «متجانفة مخاتلة» متجانفة: أي مائلة. ومخاتلة: أي مخادعة. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قال محمود: «إنهم اتهموها لما قالت ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ بمعرفة موسى عليه السلام، فقالت إنما أردت وهم للملك فرعون ناصحون، فخلصت من التهمة» قال أحمد: أوردت هذه التورية استحساناً لفطنتها، ولكونها من بيت النبوّة، وأخت النبي، فحقيق لها ذلك.

فدفعه إليها وأجرى عليها، وذهبت به إلى بيتها، وأنجز الله وعده في الردّ، فعندها ثبت واستقرّ في علمها أن سيكون نبياً. وذلك قوله: ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يريد: وليثبت علمها ويتمكّن. فإن قلت: كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها؟ قلت: ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع، ولكنه مال حربيّ كانت تأخذه على وجه الاستباحة. وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ داخل تحت علمها. المعنى: لتعلم أن وعد الله حق، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون. ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى، فجزعت وأصبح فؤادها فارغاً يروى أنها حين ألقت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها: يا أم موسى، كرهت أن يقتل فرعون موسى فتؤجري، ثم ذهبت فتوليت قتله، فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه قالت: وقع في يد العدوّ، فنسيت وعد الله. ويجوز أن يتعلق (ولكنّ) بقوله: (ولتعلم) ومعناه: أن الردّ إنما كان لهذا الغرض الديني، وهو علمها بصدق وعد الله. ولكنّ الأكثر لا يعلمون بأن هذا هو الغرض الأصلي الذي ما سواه تبع له: من قرّة العين وذهاب الحزن.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ واعتدل وتمّ استحكامه، وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه، كما قال لَقِيطٌ [من البسيط]:

وَٱسْتَحْمِلُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرُّكُمُ ... شَزْرَ المَرِيرَةِ لاَ قَحْماً وَلاَ ضَرَعَا[١]

---

(١) للقيط. وروي: واستحكموا. والشزر: القتل الشديد، والشيء الشديد، فهو مصدر أو وصف، والمريرة من المرة وهي القوة. والمرير: الحبل المحكم الفتل. والقحم: الشيخ الهرم يعتريه خرق وخرف. والضرع: اللين الذليل، من الضراعة وهي الذلة والخضوع، يقول: قلدوا أمر خلافتكم رجلاً محكم العزيمة قوي الهمة، لا هرماً مختل الرأي ولا ضعيفاً، ولله دركم: جملة اعتراضية، أي: لله خيركم وصالح عملكم. وقيل: هذا البيت ملفق مما رواه أبو العباس المبرد في كامله، ومنه:

فقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
ما زال يحلب هذا الدهر أشطره ... يكون متبعا طوراً ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته ... مستحكم الرأي لا قحمًا ولا ضرعا

ورحب الذراع: طويل الباع واسع الصدر، أي: شجاع جواد، واضطلع بكذا: قوي عليه واشتد، من الضلاعة وهي القوة واحتمال الثقيل، وشطرت الناقة شطراً: حلبت شطر لبنها وتركت شطره، أي: نصفه وما هنا مستعار منه، أي: جربت الدهر ومرت بي ضروبه من خير وشر، فاكتسبت منه ما يصح به رائي. والأشطر: جمع شطر بدل من الدهر. ويجوزأن حلب يتعدى إلى مفعولين ولو بالتضمين. ومتبع الأول: اسم مفعول، والثاني: اسم فاعل، أي: تارة تابع، وتارة متبوع، واستمرت مريرته: قوي عزمه واستحكم أمره على شزر، أي قوة وصدق همة.

ينظر: الكامل (١/ ٣٣٠)، البحر (٨/ ١٧٤)، الدر المصون (٦/ ٢٢١).

وذلك أربعون سنة: ويروى: أنه لم يبعث نبيّ إلا على رأس أربعين سنة (١١٠٤). العلم. التوراة. والحكم: السنة. وحكمة الأنبياء: سنتهم. قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب:٣٤] وقيل: معناه أتيناه سيرة الحكماء العلماء، وسمتهم قبل البعث، فكان لا يفعل فعلاً يستجهل فيه.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

المدينة: مصر. وقيل: مدينة منف من أرض مصر. وحين غفلتهم: ما بين العشاءين. وقيل: وقت القائلة. وقيل: يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم. وقيل: لما شبّ وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم، فأخافوه، فلا يدخل قرية إلا على تغفل. وقرأ سيبويه: فاستعانه ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل. وقيل: هو السامريّ ﴿مِّنْ عَدُوِّهِۦ﴾ من مخالفيه من القبط، وهو فاتون، وكان يتسخر الإسرائيلي لحمل الحطب إلى مطبخ فرعون. والوكز: الدفع بأطراف الأصابع. وقيل: بجمع الكف. وقرأ ابن مسعود: فلكزه. باللام ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ فقتله. إن قلت: لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلماً لنفسه واستغفر منه؟ قلت: لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل، فكان ذنباً يستغفر منه. عن ابن جريج: ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف، تقديره: أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة لأتوبنّ ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[1] وأن يكون استعطافاً، كأنه قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت عليّ من المغفرة، فلن أكون ـ إن عصمتني ـ ظهيراً للمجرمين. وأراد بمظاهرة المجرمين: إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد، وكان يسمى ابن فرعون. وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم، كمظاهرة

١١٠٤ ـ قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: لم أجده. انتهى.

---

(١) قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ قال أحمد: لقد تبرأ من عظيم؛ لأن ظهير المجرمين شريكهم فيما هم بصدده. ويروى: أنه يقال يوم القيامة: أين الظلمة وأعوان الظلمة، فيؤتى بهم حتى بمن لاق لهم ليقة أو يرى لهم قلماً فيجعلون في تابوت من حديد ويلقى بهم في النار.

الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له. وعن ابن عباس: لم يستثن فابتلى به مرّة أخرى. يعني: لم يقل: (فلن أكون) إن شاء الله. وهذا نحو قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود:١١٣] وعن عطاء: أنّ رجلاً قال له: إنّ أخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه. قال: فمن الرأس، يعني من يكتب له؟ قال: خالد بن عبد الله القسري: قال: فأين قول موسى؟ وتلا هذه الآية. وفي الحديث: «ينادي مناد يوم القيامة: أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة، حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلماً، فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم» (١١٠٥) وقيل معناه. بما أنعمت/ ٢/ ٧٥أ عليّ من القوّة، فلن أستعملها إلا في مظاهرة أوليائك وأهل طاعتك والإيمان بك. ولا أدع قبطياً يغلب أحداً من بني إسرائيل.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ المكروه هو الاستقادة منه، أو الإخبار وما يقال فيه، ووصف الإسرائيلي بالغيّ؛ لأنه كان سبب قتل رجل، وهو يقاتل آخر. وقرئ: يبطش، بالضم. والذي هو عدوّ لهما: القبطي؛ لأنه ليس على دينهما. ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل. والجبار: الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم، لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن: وقيل: المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله، ولما قال هذا: أفشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقى إلى فرعون، وهموا بقتله.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾

قيل: الرجل: مؤمن آل فرعون، وكان ابن عم فرعون، و﴿يَسْعَىٰ﴾ يجوز ارتفاعه وصفاً لرجل، وانتصابه حالاً عنه؛ لأنه قد تخصص بأن وصف بقوله: ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ وإذا جعل صلة لجاء، لم يجز في (يسعى) إلا الوصف. والائتمار: التشاور. يقال: الرجلان يتآمران ويأتمران، لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر. والمعنى: يتشاورون بسببك ﴿لَكَ﴾ بيان، وليس بصلة الناصحين.

١١٠٥ ـ قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة. انتهى.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ التعرّض له في الطريق. أو أن يلحق.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ قصدها ونحوها. ومدين: قرية شعيب عليه السلام، سميت بمدين بن إبراهيم، ولم تكن في سلطان فرعون، وبينها وبين مصر مسيرة ثمان، وكان موسى لا يعرف إليها الطريق قال ابن عباس: خرج وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه. و﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ وسطه ومعظم نهجه. وقيل: خرج حافياً لا يعيش إلا بورق الشجر، فما وصل حتى سقط خف قدمه. وقيل: جاءه ملك على فرس بيده عنزة، فانطلق به إلى مدين.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿مَآءَ مَدْيَنَ﴾ ماءهم الذين يستقون منه، وكان بئراً فيما روي. ووروده: مجيئه والوصول إليه ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ وجد فوق شفيره ومستقاه ﴿أُمَّةً﴾ جماعة كثيفة العدد ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ من أناس مختلفين ﴿مِن دُونِهِمُ﴾ في مكان أسفل من مكانهم. والذود: الطرد والدفع وإنما كانتا تذودان؛ لأنّ على الماء من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي. وقيل: كانتا تكرهان المزاحمة على الماء. وقيل: لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم، وقيل: تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما. وحقيقته: ما مخطوبكما، أي: مطلوبكما من الذياد، فسمي المخطوب خطبا، كما سمى المشئون شأناً في قولك: ما شأنك؟ يقال: شأنت شأنه، أي: قصدت قصده. وقرئ لا نسقي. ويصدر.

والرعاء، بضم النون والياء والراء. والرعاء: اسم جمع كالرخال والثناء[1]. وأما الرعاء بالكسر فقياس، كصيام وقيام ﴿كَبِيرٌ﴾ كبير السن ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ فسقى غنمهما لأجلهما. وروي أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يقله إلا سبعة رجال. وقيل: عشرة. وقيل: أربعون. وقيل: مائة، فأقله وحده. وروي أنه سألهم دلواً من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا: استق بها، وكانت لا ينزعها إلا أربعون، فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة، وروى غنمهما وأصدرهما، وروي أنه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما. وقيل: كانت بئراً أخرى عليها الصخرة. وإنما فعل هذا رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف. والمعنى: أنه وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمّة من أناس مختلفة متكاثفة العدد، ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم، فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة، مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع، ولكنه رحمهما فأغاثهما، وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوّة قلبه وقوّة ساعده، وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع إرادة اقتصاص أمره وما أوتي من البطش والقوّة وما لم يغفل عنه، على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب، ترغيب في الخير، وانتهاز فرصة، وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم ومذاهبهم. فإن قلت: لم ترك المفعول غير مذكور في قوله: (يسقون) و(تذودان) و(لا نسقي)[2]؟ قلت: لأن الغرض هو الفعل لا المفعول، ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد/ ٢/ ٧٥ب وهم على السقي، ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلاً، وكذلك قولهما (لا نسقي حتى يصدر الرعاء) المقصود فيه السقي لا المسقي. فإن قلت: كيف طابق جوابهما سؤاله قلت: سألهما عن سبب الذود فقالتا: السبب في ذلك أنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال[3] ومزاحمتهم، فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا، وما لنا رجل يقوم بذلك، وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به: أبلتا إليه عذرهما[4] في توليهما السقي بأنفسهما. فإن قلت: كيف ساغ

---

(١) قوله: «لا نسقي ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء. . . إلخ» يفيد أن القراءة المشهورة بفتح النون والياء وكسر الراء. والرخال: واحده رخل، وهي الأنثى من ولد الضأن والثناء: عقال البعير ونحوه من حبل مثنى، كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قوله «وتذودان ولا نسقي» لعل بعده سقطًا تقديره: فسقى لهما، وعبارة النسفي: لا نسقي، و: فسقي. (ع)

(٣) قوله «لا نقدر على مساجلة الرجال» في الصحاح: «السجل» الدلو إذا كان فيه ماء. والمساجلة: المفاخرة بأن نصنع مثل صنعه في جري أو سقي، وأصله من الدلو اهـ. (ع)

(٤) قوله «أبلتا إليه عذرهما» لعله تحريف، وأصله: أبدتا، كعبارة النسفي. (ع)

لنبيّ الله الذي هو شعيب عليه السلام أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية؟ قلت: الأمر في نفسه ليس بمحظور، فالدين لا يأباه. وأما المروءة. فالناس مختلفون في ذلك، والعادات متباينة فيه، وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم، ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر، خصوصاً إذا كانت الحالة حالة ضرورة ﴿إِنِّي﴾ لأي شيء ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾ قليل أو كثير، غث أو سمين لـ﴿فَقِيرٌ﴾[1] وإنما عدى فقير باللام؛ لأنه ضمن معنى سائل وطالب. قيل: ذكر ذلك وإن خضرة البقل يتراءى في بطنه من الهزال، ما سأل الله إلا أكلة. ويحتمل أن يريد: إني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إليّ من خير الدين وهو النجاة من الظالمين: لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة: قال ذلك رضاً بالبدل السني، وفرحاً به، وشكراً له، وكان الظل ظل سمرة ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ في موضع الحال، أي: مستحيية متخفرة[2]. وقيل: قد استترت بكم درعها. روي أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان[3] قال هما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا فسقى لنا، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لي، فتبعها موسى فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته، فقال لها: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فلما قص عليه قصته قال له: لا تخف فلا سلطان لفرعون بأرضنا. فإن قلت: كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة، وأن يمشي معها وهي أجنبية؟ قلت: أما العمل بقول امرأة فكما يعمل بقول الواحد حرّاً كان أو عبداً ذكراً كان أو أنثى في الأخبار، وما كانت إلا مخبرة عن أبيها بأنه يدعوه ليجزيه. وأما مماشاته امرأة أجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال، مع ذلك الاحتياط والتورّع. فإن قلت: كيف صح له أخذ الأجر على البرّ والمعروف؟ قلت: يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف. وقيل إطعام شعيب وإحسانه لا على سبيل أخذ الأجر، ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ. كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوّة من أولاد يعقوب؟ ومثله حقيق بأن يضيّف ويكرم خصوصاً في دار نبيّ من أنبياء الله، وليس بمنكر أن يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلباً للأجر. وقد روي ما يعضد كلا القولين: روي أنها لما قالت: ليجزيك، كره ذلك، ولما قدّم إليه الطعام امتنع وقال: إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض[4] ذهباً، ولا نأخذ على المعروف ثمناً. حتى قال شعيب: هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا. وعن عطاء بن السائب: رفع صوته

---

(١) قوله «غث أو سمين لفقير» أي مهزول كما في الصحاح. والمراد: رديء أو جيد. (ع)

(٢) قوله «أي مستحيية متخفرة» الخفر: شدة الحياء. ومنه جارية خفرة ومتخفرة، كذا في الصحاح. (ع)

(٣) قوله «وأغنامها حفل بطان» في الصحاح: ضرع حافل، أي ممتلىء لبناً. وفيه: بطن بالكسر يبطن بطنا: عظم بطنه من الشبع. (ع)

(٤) قوله «لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهباً» في الصحاح «طلاع الشيء»: ملؤه. (ع)

بدعائه ليسمعهما، فلذلك قيل له: ليجزيك أجر ما سقيت، أي: جزاء سقيك. والقصص: مصدر كالعلل، سمي به المقصوص. كبراهما: كانت تسمى صفراء، والصغرى: صفيراء. وصفراء: هي التي ذهبت به وطلبت إلى أبيها أن يستأجره، وهي التي تزوجها. وعن ابن عباس: أن شعيباً أحفظته الغيرة[1] فقال: وما علمك بقوّته وأمانته؟ فذكرت إقلال الحجر ونزع الدلو، وأنه صوّب رأسه حين بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه. وقولها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ كلام حكيم جامع لا يزاد عليه، لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان؛ أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك؛ وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل، والحكمة أن تقول استأجره لقوّته وأمانته[2].

فإن قلت: كيف جعل خير من استأجرت اسماً لإنّ، والقوي الأمين خبراً؟ قلت: هو مثل قوله [من الطويل]:

أَلاَ إِنْ خَيْـرَ النَّـاسِ حَـيًّـا وَهَـالِـكـاً ... أَسِيرُ ثَقِيفٍ عِنْدَهُمْ فِي السَّلاَسِلِ؟[3]

---

(١) قوله «أن شعيباً أحفظته الغيرة» أي أغضبته، كما في الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «هذا كلام حكيم جامع لا يزاد عليه؛ لأنه إذا اجتمعت القوة والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك، وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي ساقته سياق المثل والحكم عن أن تقول: فإنه قوي أمين» قال أحمد: وهو أيضاً أجمل في مدح النساء للرجال من المدح الخاص وأبقى للحشمة، وخصوصاً إن كانت فهمت أن غرض أبيها عليه السلام أن يزوجها منه، وما أحسن ما أخذ الفاروق رضي الله تعالى عنه هذا المعنى فقال: أشكو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوي، ففي مضمون هذه الشكاية سؤال الله تعالى أن يتحفه بمن جمع الوصفين، فكان قوياً أميناً يستعين به على ما كان بصدده رضي الله عنه. وهذا الإبهام ـ من ابنة شعيب صلوات الله عليه وسلامه ـ قد سلكته زليخا مع يوسف عليه السلام، ولكن شتان ما بين الحياء المجبول والمستعمل، ليس التكحل في العين كالكحل، حيث قالت لسيدها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم، وهي تعني ما جزاء يوسف بما أرادني من السوء إلا أن تسجنه أو تعذبه عذاباً أليماً، ولكنها أوهمت زوجها الحياء والخفر أن تنطق بالعصمة منسوباً إليها الخنا، إيذاناً بأن هذا الحياء منها الذي يمنعها أن تنطق بهذا الأمر، يمنعها من مراودة يوسف بطريق الأحرى والأولى، والله أعلم.

(٣)
إلا إن خير الناس حيًّا وميتًا ... أسير ثقيف عندهم في السلاسل؟
لعمري إن عمرتم السجن خالداً ... وأوطأتموه وطأة المتثاقل
لقد كان نهاضًا بكل ملمة ... ومعطي اللهى خمراً كثير النوافل

لأبي الشغب العبسي، يتحزن على خالد بن عبد الله القسري حين أسره يوسف بن عمرو. وخير الناس: أفعل تفضيل، مضاف إلى المعرف بأل، وهو اسم إن. وحيا وميتا، وروي هالكاً: حالان منه. وأسير: خبر إن مضاف إلى ثقيف علم القبيلة. والعلم أعرف من المحلى بأل، فخبر إن المضاف إليه أعرف من اسمها المضاف للمحلى، ولا مانع منه مع اتحاد الماصدق الذي هو مراد المخبر، وعندهم في السلاسل: حال أو خبر بعد خبر. ولعمري: قسم، إن عمرتم: أي أدخلتم وأسكنتم خالداً السجن. وأوطأتموه، أي: صيرتموه يطأ برجله الأرض كوطأة المتثاقل: الحامل لشيء ثقيل، لجعل القيد في رجليه. فهو كناية عن ذلك لقد كان نهاضاً جواب القسم، وجواب =

في أن العناية هي سبب التقدم، وقد صدقت حتى جعل لها ما هو أحق بأن يكون خبراً اسماً، وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمر قد جرب وعرف. ومنه قولهم: أهون ما أعملت لسان ممخ[1]. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أفرس الناس ثلاثة: بنت شعيب، وصاحب يوسف، في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ وأبو بكر/ ٢/ ٧٦أ في عمر. روي أنه أنكحه صفراء. وقوله: ﴿هَـٰتَيْنِ﴾ فيه دليل على أنه كانت له غيرهما ﴿تَأْجُرَنِى﴾ من أجرته إذا كنت له أجيراً، كقولك: أبوته إذا كنت له أباً، و﴿ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ﴾ ظرفه. أو من أجرته كذا، إذا أثبته إياه، ومنه: تعزية رسول الله ـ ﷺ ـ: أجركم الله ورحمكم (١١٠٦). وثماني حجج: مفعول به، ومعناه: رعية ثماني حجج فإن قلت: كيف صح أن ينكحه إحدى ابنتيه من غير تمييز؟ قلت: لم يكن ذلك عقداً للنكاح، ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم[2] عليه، ولو كان عقداً لقال: قد أنكحتك ولم يقل: إني أريد أن أنكحك. فإن قلت: فكيف صح أن يمهرها إجارة نفسه في رعية الغنم، ولا بد من تسليم ما هو مال؟ ألا ترى إلى أبي حنيفة كيف منع أن يتزوج امرأة بأن يخدمها سنة[3] وجوّز أن يتزوجها بأن يخدمها عبده سنة، أو يسكنها داره سنة، لأنه في الأول: مسلم

١١٠٦ ـ أخرجه الحافظ أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ١١٨) وله شواهد عند أبي بكر بن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٥٧) كتاب الجنائز باب في الرجل يعزى ما يقال له (١٢٠٧١) عن أبي خالد الوالبي بلفظ: «يرحمه الله ويأكركم».
وابن حبان في المجروين والضعفاء (١/ ١٢٧) من حديث إسماعيل بن يحيى بن عبد التيمي: أنا ابن أبي ذئب عن ابن عمر: «أن رسول الله ـ ﷺ ـ عزى رجلاً مسلماً برجل ذمي، فقال: آجرك الله =

الشرط محذوف، أي: كان سريع القيام بكل نازلة ثقيلة، وكان معطي اللهى ـ بالفتح ـ: جمع لهاة، كحصى وحصاة، بمعنى اللحمة التي في أقصى الفم، لكنها هنا بمعنى الفم نفسه. والأوجه أنه بالضم جمع لهوة، كغرف: جمع غرفة بمعنى العطية من أي نوع كانت، غمراً: أي عطاء كثيراً غامرا، وكان كثير الزيادات في العطاء، وأجرى «معطي» مجرى المرفوع للوزن.

(١) قوله «أهون ما أعملت لسان ممخ» في الصحاح: تمخيت من الشيء وأمخيت منه: إذا تبرأت منه اهـ. فلعل ممخ: اسم فاعل من أمخيت. (ع)

(٢) قوله «ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه» لعله: ومواضعة. (ع)

(٣) قال محمود: «نقل من مذهب أبي حنيفة منع النكاح على مثل خدمته بعينه، وجوازه على مثل خدمة عبده سنة، وفرق بأنه في الأولى سلم نفسه وليس بمال، وفي الثانية سلم عبده وهو مال. ونقل عن الشافعي جواز النكاح على المنافع المعلومة مطلقاً» قال أحمد: ومذهب مالك على ثلاثة أقوال: المنع، والكراهة، والجواز. والعجب من إجازة أبي حنيفة النكاح على منافع العبد، بخلاف منافع الزوج، مع أن الآية أجازت النكاح على منافع الزوج ولم تتعرض لغيره، وما ذاك إلا لترجيح المعنى الذي أشار إليه الزمخشري. أو تفريعاً على أن لا دليل في شرع من قبلنا، أو غير ذلك، والله أعلم.

نفسه وليس بمال، وفي الثاني: هو مسلم مالاً وهو العبد أو الدار، قلت: الأمر على مذهب أبي حنيفة على ما ذكرت. وأما الشافعي: فقد جوّز التزوّج على الإجارة لبعض الأعمال والخدمة، إذا كان المستأجر له أو المخدوم فيه أمراً معلوماً، ولعلّ ذلك كان جائزاً في تلك الشريعة. ويجوز أن يكون المهر شيئاً آخر، وإنما أراد أن يكون راعي غنمه هذه المدّة، وأراد أن ينكحه ابنته، فذكر له المرادين، وعلق الإنكاح بالرعية على معنى: إني أفعل هذا إذا فعلت ذاك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة. ويجوز أن يستأجره لرعية ثمانية سنين بمبلغ معلوم ويوفيه إياه، ثم ينكحه ابنته به، ويجعل قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾ عبارة عما جرى بينهما ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ﴾ عمل عشر حجج ﴿فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ فإتمامه من عندك، ومعناه: فهو من عندك لا من عندي، يعني: لا ألزمكه ولا أحتمه عليك، ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع، وإلا فلا عليك ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾ بإلزام أتمّ الأجلين وإيجابه. فإن قلت: ما حقيقة قولهم: شققت عليه، وشق عليه الأمر؟ قلت: حقيقته أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين، تقول تارة: أطيقه، وتارة: لا أطيقه. أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه، وأنه لا يشق عليه فيما استأجره له من رعي غنمه، ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين، من المناقشة في مراعاة الأوقات، والمداقة في استيفاء الأعمال، وتكليف الرعاة أشغالاً خارجة عن حدّ الشرط، وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام آخذين بالأسمح في معاملات الناس. ومنه الحديث «كان رسول الله ـ ﷺ ـ شريكي، فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري» (١١٠٧)،

= وأعظم أجرك» وأعله بإسماعيل بن يحيى وقال: كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات، لا يحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به بحال.

وأخرج أبو داود في سننه (٢/ ١٠٤): كتاب الزكاة باب زكاة السائمة (٢/ ٩٦) حديث (١٥٨٣)، في حديث طويل جاء فيه: «هذا الذي عليك فإن تطوعت بخير أجرك الله فيه وقبلناه منك ومثله عند أحمد في مسنده (٥/ ١٤٢).

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان من طريق أحمد بن الحسن بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي عن آبائه إبراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها. قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا عزى قال: «آجركم الله ورحمكم»، وإذا هنأ قال: «بارك الله لكم وبارك عليكم»، وله شاهد مرسل أخرجه ابن أبي شيبة من رواية ابن خالد الوالبي: أن النبي ـ ﷺ ـ عزى رجلاً فقال له: «يرحمه الله ويأجركم، وفي الضعفاء لابن حبان عن ابن عمر: أن النبي ـ ﷺ ـ عزى مسلماً بذمي مات له، فقال: «آجرك الله وأعظم أجرك» وفي إسناده إسماعيل بن يحيى التيمي. وهو ساقط. انتهى.

١١٠٧ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ٢٦٠) كتاب الأدب: باب كراهية المراء، حديث (٤٨٣٦)، أخرجه ابن ماجه (٢/ ٧٦٨): كتاب التجارات: باب الشركة والمضاربة، حديث (٢٢٨٧). وأحمد في المسند =

وقوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يدل على ذلك، يريد بالصلاح: حسن المعاملة ووطأة الخلق ولين الجانب[1]. ويجوز أن يريد الصلاح على العموم. ويدخل تحته حسن المعاملة، والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح: الاتكال على توفيقه فيه ومعونته، لا أنه يستعمل الصلاح إن شاء الله، وإن شاء استعمل خلافه ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، و﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ خبره، وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب، يريد. ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعاً، لا نخرج كلانا عنه، لا أنا عما شرطت عليّ ولا أنت عما شرطت على نفسك. ثم قال: أي أجل من الأجلين قضيت: أطولهما الذي هو العشر، أو أقصرهما الذي هو الثمان ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ أي لا يعتدى عليّ في طلب الزيادة عليه. فإن قلت: تصوّر العدوان إنما هو أحد الأجلين الذي هو الأقصر وهو المطالبة بتتمة العشر، فما معنى تعليق العدوان بهما جميعاً؟ قلت: معناه كما أني إن طولبت بالزيادة على العشر كان عدواناً لا شك فيه، فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثمان، أراد بذلك تقرير أمر الخيار، وأنه ثابت مستقرّ، وأن الأجلين على السواء: إما هذا وإما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء، وأما التتمة فموكولة إلى رأيي: إن شئت أتيت بها، وإلا لم أجبر عليها. وقيل: معناه فلا أكون متعدّياً، وهو في نفي العدوان عن نفسه، كقولك: لا إثم عليّ، ولا تبعة عليّ، وفي قراءة ابن مسعود: أي الأجلين ما قضيت، وقرئ: أَيْمَا، بسكون الياء، كقوله [من الطويل]:

تَنَظَّرْتُ نَصْراً وَالسِّمَاكَيْنِ أَيْهُمَا ... عَلَيَّ مِنَ الْغَيْثِ ٱسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُهُ[2]

= (٣/ ٤٢٥). والطبراني في معجمه الكبير (٧/ ١٦٥)، حديث برقم (٦٦١٩).
وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٤١٢). وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف من حديث السائب بن يزيد (قلت): بل هو السائب بن أبي السائب المخزومي.
وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير منصور بن أبي الأسود وهو ثقة.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود، وابن ماجه من حديث السائب، أنه قال: قال النبي - ﷺ -: كنت شريك، فكنت خير شريك، لا تداري ولا تماري. انتهى.

(١) قوله «ووطأة الخلق ولين الجانب» في الصحاح: «شيء وطيء»: بين الوطاءة. (ع)
(٢) للفرزدق. ونصر: هو ابن سيار ملك العراقين، والسماكان: كوكبان: السماك الأعزل لا نجم أمامه، والسماك الرامح أمامه نجوم، وأيهما أصله مشدد فسكن للضرورة، ثم يحتمل أنه نصب بدل مما قبله، وأنه معمول لمحذوف: أي لا أعلم أيهما وهو موصول. ويجوز أنه استفهام، وعليه فهو رفع على الابتداء، والضمير فيه راجع لنصر والسماكين، أي: ترقبت نصراً والسماكين أيهما استهلت مواطره على من الغيث، وأهل السحاب واستهل: اشتد انصبابه. والمواطر: السحائب. والغيث: المطر. وفي قرن نصر بالسماكين: دلالة على تشبيهه بهما في الخير وعلى الاستفهام، فهو من باب تجاهل العارف، وكذلك على نفي العلم. =

وعن ابن قطيب: عدوان، بالكسر. فإن قلت: ما الفرق بين موقعي (ما) المزيدة في القراءتين؟ قلت: وقعت في المستفيضة مؤكدة لإبهام، أيّ: زائدة في شياعها. وفي الشاذة تأكيداً للقضاء، كأنه قال: أي الأجلين صممت على قضائه وجدت عزيمتي له. الوكيل: الذي وكل إليه/ ٢/ ٧٦ب الأمر، ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت[١]، عدى بعلى لذلك. روي أنّ شعيباً كانت عنده عصى الأنبياء فقال لموسى بالليل: ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي. فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة، ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب، فمسها ـ وكان مكفوفاً، فضنّ بها فقال: غيرها، فما وقع في يده إلا هي سبع مرات، فعلم أنّ له شأناً. وقيل: أخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلاً. وقيل: أودعها شعيباً ملك في صورة رجل، فأمر بنته أن تأتيه بعصا، فأتته بها فردها سبع مرّات فلم يقع في يدها غيرها، فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة، فتبعه فاختصما فيها، ورضيا أن يحكم بينهما أوّل طالع، فأتاهما الملك فقال: ألقياها فمن رفعها فهي له، فعالجها الشيخ فلم يطقها؛ ورفعها موسى، وعن الحسن: ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضاً. وعن الكلبي: الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج، ومنها كانت عصاه. ولما أصبح قال له شعيب: إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك، فإنّ للكلأ وإن كان بها أكثر، إلا أنّ فيها تنيناً[٢] أخشاه عليك وعلى الغنم، فأخذت الغنم ذات اليمن ولم يقدر على كفها، فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله، فنام فإذا بالتنين قد أقبل، فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية، فلما أبصرها دامية والتنين مقتولاً ارتاح لذلك، ولما رجع إلى شعيب مسّ الغنم، فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن، فأخبره موسى ففرح وعلم أنّ لموسى والعصا شأناً، وقال له: إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كلّ أدرع ودرعاء[٣]، فأوحى إليه في المنام: أن اضرب بعصاك مستقى الغنم، ففعل؛ ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء، فوفى له بشرطه.

= ينظر: ديوانه ١/ ٢٨١، وشرح عمدة الحافظ ص ٣٩٣، ولسان العرب (حير)، (أيا)، والمحتسب ١/ ٤١، ١٠٨، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ١/ ٩٣، ٥/ ٦٥، والجنى الداني ص ٢٣٤، وشرح شواهد المغني ١/ ٢٣٦، ومغني اللبيب ١/ ٧٧.

(١) قوله «والمهيمن والمقيت» أي: المقتدر، أو الحافظ. (ع)

(٢) قوله «إلا أن فيها تنينا» أي: ثعبانا. (ع)

(٣) قوله «كل أدرع ودرعاء» لعله «كل أردع وردعاء» وفي الصحاح: به ردع من زعفران أو دم، أي: لطخ وأثر. وردعته بالشيء فارتدع، أي: لطخته به فتلطخ اهـ. فالأردع: شبيه المتلطخ بلون آخر. ولفظ الخازن: أبلق وبلقاء. (ع)

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ (٣١) ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٣٢)﴾

سئل رسول الله ﷺ: أي الأجلين قضى موسى؟ فقال: أبعدهما وأبطأهما (١١٠٨)، وروي أنه قال: قضى أوفاهما، وتزوّج صغراهما. وهذا خلاف الرواية التي سبقت. الجذوة ـ باللغات الثلاث. وقرئ بهنّ جميعاً ـ: العود الغليظ، كانت في رأسه نار أو لم تكن؛ قال كثير [من البسيط]:

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَىٰ يَلْتَمِسْنَ لَهَا ... جَزْلَ الْجُذَىٰ غَيْرَ خَوَّارٍ وَلا دَعِرِ[1]

١١٠٨ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨) من طريق سفيان بن عيينة ثنى إبراهيم بن يحيى ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس به مرفوعاً وصححه الحاكم، وقال الذهبي: إبراهيم لا يعرف وقال في «الميزان» (١/ ٧٣ ـ ٧٤): أتى بخبر منكر ـ وهو هذا الحديث ـ وهو رجل نكرة.
قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٢٩ ـ ٣٠): قال ابن القطان في كتابه الوهم والإيهام: هذا حديث يرويه سفيان بن عيينة ثنا إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب ـ وكان رجلاً صالحاً ـ عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: سئل. . . الحديث قال: وإبراهيم بن يحيى لا يعرف بغير هذا ولا يعرف أحد روى عنه إلا ابن عيينة وليس كل صالح ثقة في الحديث بل قيل: لا نرى الكذب من الصالحين في الحديث وذلك لسلامة صدورهم وتحسينهم الظن بمن يحدثهم وتشاغلهم بما هم فيه عن ضبط الحديث وحفظه ومن لم تثبت عدالته لا يصح حديثه .اهـ. =

---

(١) لابن مقبل. والحواطب: الجواري يطلبن الحطب، والالتماس ـ بحسب الأصل ـ: من اللمس، ثم اتسع فيه. والجذل: الحطب الغليظ اليابس: والجذي: جمع جذوة بتثليث الجيم فيهما وهي العود الغليظ في رأسه نار أو لا. والخوار: الضعيف. والخور معيب. إلا في قولهم: ناقة خوارة، أي كثيرة اللبن، ونخلة خوارة: كثيرة الحمل. ودعر العود دعرا كتعب كثر دخانه، فهو دعر كحذر. والدعر أيضاً: السوس والفساد. والدعار: الفسق والخبث، وغير خوار: حال من جزل الجذي. (ع)
ينظر: ديوانه (ص ٩١)، لسان العرب (دعر)، (حذا)، مقاييس اللغة (٢/ ٢٨٣)، المخصص (١١/ ٢٣، ١٥/ ١٥٦)، تاج العروس (دعر) (جزل)، (جذو)، أساس البلاغة (حذو) الكامل (ص ٦٨٣)، شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١/ ١٠٠).

وقال [من الطويل]:

وَأَلْقَىٰ عَلَىٰ قَبْسٍ مِنَ النَّارِ جَذْوَةً شَدِيداً عَلَيْهِ حَرُّهَا وَالْتِهَابُهَا[1]

﴿مِن﴾ الأولى والثانية لابتداء الغاية، أي: أتاه النداء من شاطيء الوادي من قبل الشجرة. و﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدل من قوله: من شاطيء الوادي، بدل الاشتمال؛ لأنّ الشجرة كانت نابتة على الشاطيء، كقوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ [الزخرف: ٣٣] وقرئ: ﴿ٱلْبُقْعَةِ﴾ بالضم والفتح. و(الرهب) بفتحتين، وضمتين، وفتح وسكون، وضم وسكون: وهو الخوف. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾؟ قلت: فيه معنيان، أحدهما: أنّ موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية: فزع واضطرب، فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء، فقيل له: إنّ اتقاءك بيدك فيه غضاضة[2] عند الأعداء.

= قلت: قد توبع إبراهيم بن يحيى على هذا الحديث تابعه حفص بن عمر العدني.
أخرجه الحاكم (٢/٤٠٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/١١٧) كلاهما من طريق حفص بن عمر العدني ثنا الحكم بن أبان به.
وقال الذهبي حفص بن عمر واه. وللحديث شاهد من حديث أبي ذر.
أخرجه البزار (٢٢٤٤ ـ كشف) والطبراني كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٠) من طريق عويد بن عمران الجوني عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر مرفوعاً.
قال الحافظ ابن حجر وعويد ضعيف. وله شاهد آخر من حديث عتبة بن الندر السلمي أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٥) وقال أبو نعيم: وعتبة بن الندر السلمي ذكره أبو سعيد بن الأعرابي في أهل الصفة.
وللحديث شاهد آخر من حديث أبي هريرة أخرجه ابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٠) من طريق سليمان بن داود الشاذكوني ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الحاكم من طريق ابن عيينة عن إبراهيم بن يحيى عن عكرمة عن ابن عباس بهذا قلت: وإبراهيم مجهول. وقوله: وروي أنه قال قضى أوفاهما وتزوج من صغراهما: أخرجه الطبراني والبزار من طريق عويد بن أبي عمران الجوني عنه عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبي: «أن النبي ـ ﷺ ـ سئل: أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أوفاهما وأبرهما. قال وسئل أي المرأتين تزوج؟ قال الصغرى منهما»، وعويد ضعيف، وفي ابن مردويه من حديث أبي هريرة رفعه، قال لي جبريل: إن سألك اليهودي: أي الأجلين قضى موسى؟ فقل: أوفاهما، وإن سألك أيهما تزوج؟ فقل: الصغرى منهما»، وفي إسناده سليمان الشاذكوني وهو ضعيف.

---

(١) الجذوة في الأصل: العود الغليظ في رأسه نار أو لا، ولكن خصها الوصف بما في رأسه نار، ثم إنها استعارة تصريحية للرمح أو للسيف، والحر والالتهاب: ترشيح لها. وشديد: خبر المبتدأ الذي بعده. ينظر: البحر المحيط /٧/١٠٣، الدر المصون /٥/ ٣٤٠.
(٢) قوله «فيه غضاضة» أي: ذلة ومنقصة، كما في الصحاح. (ع)

فإذا ألقيتها فكما تنقلب[1] حية، فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها، ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران: اجتناب ما هو غضاضة عليك، وإظهار معجزة أخرى. والمراد بالجناح: اليد؛ لأنّ يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر. وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى، فقد ضمّ جناحه إليه. والثاني: أن يراد بضم جناحه إليه: تجلده وضبطه نفسه. وتشدّده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب/ ٢/ ١٧٧أ ولا يرهب، استعارة من فعل الطائر؛ لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما. وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران. ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أنّ كاتباً له كان يكتب بين يديه، فانفلتت منه فلتة ريح، فخجل وانكسر، فقام وضرب بقلمه الأرض، فقال له عمر: خذ قلمك، واضمم إليك جناحك، وليفرخ روعك[2]، فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي. ومعنى قوله: (من الرهب) من أجل الرهب، أي: إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك: جعل الرهب الذي كان يصيبه سبباً وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه. ومعنى: (واضمم إليك جناحك). وقوله: (اسلك يدك في جيبك) على أحد التفسيرين: واحد. ولكن خولف بين العبارتين، وإنما كرّر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين، وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني: إخفاء الرهب. فإن قلت: قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموماً وفي الآخر مضموماً إليه، وذلك قوله: (واضمم إليك جناحك) وقوله: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢] فما التوفيق بينهما؟ قلت: المراد بالجناح المضموم. هو اليد اليمنى، وبالمضموم إليه: اليد اليسرى وكلّ واحدة من يمنى اليد ويسراهما: جناح. ومن بدع التفاسير: أنّ الرهب: الكم، بلغة حمير وأنهم يقولون: أعطني مما في رهبك، وليت شعري كيف صحته في اللغة؟ وهل سمع من الإثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم؟ ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية؟ وكيف تطبيقه المفصل[3] كسائر كلمات التنزيل؟ على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة[4] من صوف لا كمى لها ﴿فَذَٰنِكَ﴾ قرئ مخففاً ومشدّداً، فالمخفف مثنى ذلك. والمشدّد مثنى ذلك، ﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾ حجتان بينتان نيرتان. فإن قلت: لم سميت الحجة برهاناً؟ قلت: لبياضها وإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء. برهرهة، بتكرير العين واللام معاً. والدليل على زيادة النون قولهم: أبره الرجل، إذا جاء

---

(١) قوله «فكما تنقلب حية» أي: فعندما تنقلب. (ع)

(٢) قوله «وليفرخ روعك» أي ليذهب فزعك. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «وكيف تطبيقه المفصل» لعله تطبيقه على المفصل. (ع)

(٤) قوله «زرمانقة من صوف» في الحديث: أن موسى عليه السلام لما أتى فرعون أتاه وعليه زرمانقة، يعني: جبة صوف. قال أبو عبيد: أراها عبرانية، كذا في الصحاح. (ع)

بالبرهان. ونظيره تسميتهم إياها سلطاناً من السليط وهو الزيت، لإنارتها.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾

يقال: ردأته: أعنته. والردء: اسم ما يعان به، فعل بمعنى مفعول؛ كما أن الدفء اسم لما يدفأ به؛ قال سلامة بن جندل [من الوافر]:

وَرِدْئِي كُلُّ أَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ شَحِيذِ الْحَدِّ عَضْبٍ ذِي فُلُولِ[1]

وقرئ: رداً على التخفيف، كما قرئ: الخب ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ بالرفع والجزم صفة وجواب، نحو ﴿وَلِيًّا يَرِثُنِى﴾ [مريم: ٥ ـ ٦] سواء. فإن قلت: تصديق أخيه ما الفائدة فيه؟ قلت: ليس الغرض بتصديقه أن يقول له: صدقت، أو يقول للناس: صدق موسى، وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق، ويبسط القول فيه، ويجادل به الكفار، كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة، فذلك جار مجرى التصديق المفيد، كما يصدّق القول بالبرهان. ألا ترى إلى قوله: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ﴾، وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك، لا لقوله: صدقت، فإنّ سحبان وباقلا[2] يستويان فيه، أو يصل جناح كلامه بالبيان، حتى يصدّقه الذي يخاف تكذيبه، فأسند التصديق إلى هارون، لأنه السبب فيه إسناداً مجازياً. ومعنى الإسناد المجازي: أن التصديق حقيقة في المصدّق، فإسناده إليه حقيقة وليس في السبب تصديق، ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة. والدليل على هذا الوجه قوله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ وقراءة من قرأ: ردءاً يصدقوني. وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

العضد: قوام اليد، وبشدّتها تشتد؛ قال طرفة [من الكامل]:

---

(١) لسلامة بن جندل. يقول: وردئي الذي أتوقى به المكاره كل سيف أبيض، وعبر بكل، لأن المراد بيان الجنس لا الشخص، مشرفي: نسبة إلى مشارف اليمن قرى منها. وقيل: من الشام، شحيذ الحد: مرهفه، من شحذ المدية: حددها. عضب: قاطع، والفلول: جمع فل ـ بالفتح: وهو كسر في حد السيف وانثلام، أي به فلول من قراع الكتائب.
ينظر: الدر المصون (٥/٣٤٣).

(٢) قوله «فإن سحبان وباقلا يستويان فيه» مثل في الفصاحة. وباقل: مثل في الفهاهة والعي. (ع)

أَبَنِي لُبَيْنَى لَسْتُمُ بِيَدٍ ... إِلاَّ يَداً لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ[1]

ويقال في دعاء الخير: شدّ الله عضدك. وفي ضده؛ فت الله في عضدك. ومعنى ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ سنقويك به ونعينك، فإمّا أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدة العضد. والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور. وإمّا لأنّ الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد، فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة ﴿سُلْطَنًا﴾ غلبة وتسلطا. أو حجة واضحة ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات، أي اذهبا بآياتنا. أو بنجعل لكما سلطاناً، أي: نسلطكما بآياتنا. أو بلا يصلون، أي: تمتنعون منهم بآياتنا. أو هو بيان لـ «غالبون» لا صلة، لامتناع تقدم الصلة على الموصول. ولو تأخر: لم يكن إلا صلة له. ويجوز أن يكون قسماً جوابه: لا يصلون، مقدماً عليه. أو من لغو القسم.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُواْ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله، أو سحر ظاهر افتراؤه/ ٢/ ٧٧ب. أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا﴾ حال منصوبة عن هذا، أي: كائناً في زمانهم وأيامهم، يريد: ما حدثنا بكونه فيهم، ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك، وقد سمعوا وعلموا بنحوه. أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته. أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به. وهذا دليل على أنهم حجوا وبهتوا، وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها.

---

(١) أبني لبينى لستم بيد ... إلا يداً ليست لها عضد
أبني لبينى لا أحقكم ... وجد الإله بكم كما أجد
لطرفة بن العبد. وقيل: لأوس بن حجر. والهمزة للنداء. ولبينى: اسم أمة كناية عن أنهم أرقاء. واليد استعارة تصريحية للأقوياء. أو تشبيه بليغ، أي: لستم مثل يد من الأيدي في القوة، إلا مثل يد لا عضد لها، فهي صعبة. ويروى إلا يداً مخبولة العضد، يقال: خبلت يده أشللتها، ففي القافية الإقواء، وفيه استتباع الذم بما يشبه المدح للمبالغة في الذم، وكرر النداء لزيادة التعبير، وحقه يحقه: خصمه يخصمه، وأثبته، وأوجبه أيضا: أي لا أثبتكم. أو لستم أهلاً لمخاصمتي إياكم. ووجد عليه: غضب. ووجد به: حزن، أي: غضب الله بسببكم كما أغضب أنا. أو كرهكم كما يكره الحزين ما يحزنه. وهذا دعاء عليهم بالإهلاك.
وهو لأوس بن حجر في ديوانه ص ٢١، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٦٨، ولطرفة بن العبد في ديوانه ص ٤٥، وشرح المفصل ٢/ ٩٠، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ص ٤٤١، والكتاب ٢/ ٣١٧، والمقتضب ٤/ ٤٢١.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

يقول: ﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ﴾ منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم، حيث جعله نبياً وبعثه بالهدى، ووعده حسن العقبى: يعني نفسه، ولو كان كما تزعمون كاذباً ساحراً مفترياً لما أهله لذلك؛ لأنه غني حكيم لا يرسل الكاذبين، ولا ينبىء الساحرين، ولا يفلح عنده الظالمون. و﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ﴾ هي العاقبة المحمودة. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٣]، وقوله: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد ٤٢]، والمراد بالدار: الدنيا، وعاقبتها وعقباها: أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت. فإن قلت: العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار؛ لأن الدنيا إمّا أن تكون خاتمتها بخير أو بشر، فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر؟ قلت: قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازاً إلى الآخرة، وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير، وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق، ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله فقد حرف؛ فإذا عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير. وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها؛ لأنها من نتائج تحريف الفجار[1]. وقرأ ابن كثير: (قال موسى) بغير واو، على ما في مصاحف أهل مكة، وهي

---

(١) قال محمود: «العاقبة هي العاقبة المحمودة، والدليل عليه قوله عز وجل: ﴿أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن﴾ وقوله: ﴿وسيعلم الكفّار لمن عقبى الدار﴾ والمراد دار الدنيا وعاقبتها أن يختم للإنسان فيها بالرحمة والرضوان وتتلقاه الملائكة بالبشرى عند الموت. قال: فإن قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلاهما يصح أن يسمى عاقبة لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها خيراً أو شراً، فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر؟ قلت: لأن الله سبحانه وتعالى وضع الدنيا مجازاً للآخرة وأراد لعباده فيها أن يعبدوه ولا يعملوا إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ فمن عمل في الدنيا على خلاف ذلك فقد حرف؛ لأن عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير، وأما عاقبة الشر فلا اعتداد بها لأنها من تحريف الفجار» قال أحمد: وقد تقدم من قواعد أهل الحق ما يستضاء به في هذا المقام، والقدر الذي يحتاج إلى تجديده ههنا: أن استدلاله على أن عاقبة الخير وعبادة الله تعالى هي المرادة له لا سواها بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ معارض بأمثاله في أدلة أهل السنة على عقائدهم، مثل قوله: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ الآية. والمراد والله أعلم: ولقد جعلنا لعذاب جهنم خلقاً كثيراً من الثقلين. ومن ذلك ما يروى عن الفاروق رضي الله عنه أنه قال: وإنكم آل المغيرة ذرء النار، أي: خلقها، فلئن دلت آية الذاريات ظاهراً على أن الله تعالى إنما خلق الثقلين لتكون عاقبتهم الجنة جزاء وثواباً على عبادتهم له، فقد دلت آية الأعراف على أنه خلق كثيراً من الثقلين لتكون عاقبتهم جهنم جزاءاً على كفرهم. وحينئذٍ يتعين الجمع بين الآيتين، وحمل عموم آية =

قراءة حسنة؛ لأنّ الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عليه السلام عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة: سحراً مفترى. ووجه الأخرى: أنهم قالوا ذلك، وقال موسى عليه السلام هذا، ليوازن الناظر بين القول والمقول، ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر [من الكامل]:

. . . . وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الأَشْيَاءُ[1]

وقرئ تكون: بالياء والتاء.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾

روي أنه لما أمر ببناء الصرح، جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء، وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير، فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من الخلق، فكان الباني لا يقدر أن يقف على رأسه

= الذاريات على خصوص الآية الأخرى، وإن المراد: وما خلقت السعداء من الثقلين إلا لعبادتي، جمعاً بين الأدلة، فقد ثبت أن العاقبتين كلتيهما مرادة لله تعالى: هذا بعد تظافر البراهين العقلية على ذلك، فوجه مجيء العاقبة المطلقة كثيراً وإرادة الخير بها: أن الله تعالى هدى الناس إليها ووعدهم ما ورد في سلوك طريقها من النجاة والنعيم المقيم، ونهاهم عن ضدها وتوعدهم على سلوكها بأنواع العذاب الأليم، وركب فيهم عقولاً ترشدهم إلى عاقبة الخير، ومكنهم منها، وأزاح عللهم ووفر دواعيهم، فكان من حقهم أن لا يعدلوا عن عاقبة الخير ولا يسلكوا غير طريقها، وأن يتخذوها نصب أعينهم، فأطلقت العاقبة والمراد بها الخير تفريعاً على ذلك، والله أعلم. والحاصل: أنها لما كانت هي المأمور بها والمحضوض عليها، عوملت معاملة ما هو مراد وإن لم تكن مرادة من كثير من الخلق، وقال لي بعضهم: ما يمنعك أن تقول لم يفهم كون العاقبة المطلقة هي عاقبة الخير من إطلاقها، ولكن من إضافتها إلى ذويها باللام في الآية المذكورة، كقوله: ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾، ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فأفهمت اللام أنها عاقبة الخير؛ إذ هي لهم وعاقبة السوء عليهم لا لهم، كما يقولون: الدائرة لفلان، يعنون: دائرة الظفر والنصر. والدائرة على فلان. يعنون: دائرة الخذلان والسوء، فقلت: لقد كان لي في ذلك مقال لولا ورود ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ ولم يقل عليهم، فاستعمال اللام مكان «على» دليل على إيفاء الاستدلال باللام على إرادة عاقبة الخير، والله أعلم.

(١) من يظلم القرناء في تكليفهم — أن يصبحوا وهم له أكفاء
ويذمهم وبهم عرفنا فضله — وبضدها تتميز الأشياء
لأبي الطيب المتنبي، يمدح هارون بن عبد العزيز، أي: أنه تظلم أقرانه في تكليفهم أن يكونوا مساوين له وفي ذلك مشقة عليهم: كناية عن أنه لا يساويه أحد. وقوله: وبضدها إلى آخره: دليل على ما قبله. ويروى: تتبين الأشياء، والمعنى واحد، أي: الأشياء تعرف بمعرفة معنى أضدادها.

يبني، فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس، فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع: وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل، ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب، ولم يبق أحد من عماله إلا قد هلك. ويروى في هذه القصة: أنّ فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء، فأراد الله أن يفتنهم فردّت إليه وهي ملطوخة بالدم؛ فقال: قد قتلت إلٰه موسى، فعندما بعث الله جبريل عليه السلام لهدمه، والله أعلم بصحته. قصد بنفي علمه بإلٰه غيره. نفي وجوده، ومعناه ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨]، معناه بما ليس فيهن، وذلك لأنّ العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به إلا على ما هو عليه، فإذا كان الشيء معدوماً لم يتعلق به موجود، فمن ثمة كان انتفاء العلم بوجوده لا انتفاء وجوده. وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده[١]. ويجوز أن يكون على

---

(١) قال محمود: «عبر عن نفي المعلوم بنفي العلم، وإنما كان كذلك لأن العلم لا يتعلق بالمعلوم إلا على ما هو عليه إن موجوداً فموجود وإن معدوماً فمعدوم، فمن ثم عبر عن نفي كونه موجوداً بنفي كونه معلوماً» قال أحمد: لشدة ما بلغ منه الوهم، لم يتأمل كيف سقوط السهم؛ وإنما أتى من حيث أن الله تعالى عبر كثيراً عن نفي المعلوم بنفي العلم في مثل قوله: قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض، أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض، فلما اطرد ذلك عنده توهم أن هذا التعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم يشمل كل علم، ولو لم يتعلق بالمعلوم على ما هو به، وليس هو كذلك، بل هذا التعبير لا يسوغ إلا في علم الله تعالى لأمر يخص العلم القديم وهو عموم تعلقه حتى لا يعزب عنه أمر، فمن لم يتعلق العلم بوجوده يلزم أن لا يكون موجوداً، إذ لو كان موجوداً لتعلق به بخلاف علم الخلق، فلا تلازم بين نفي الشيء ونفي العلم الحادث بوجوده، ولا كذلك العلم القديم، فإن بين نفي معلومه ونفي تعلقه بوجوده تلازماً سوغ التعبير المذكور، ولكن المعلوم أن فرعون كان يدعي الإلهية ويعامل علمه معاملة علم الله تعالى في أنه لا يعزب عنه شيء، فمن ثم طغى وتكبر. وعبر بنفي علمه عن نفي المعلوم، تدليساً على ملئه، وتلبيساً على عقولهم السخيفة ـ والله أعلم ـ ويناسب تعاظمه هذا قوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ ولم يقل: فاطبخ لي آجراً، وذلك من التعاظم، كما قال تعالى: ـ وله العظمة والكبرياء، ومن ارتدى بردائهما قصمه ـ: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ فذكر هذه العبارة الجامعة لأنواع الكفر على وجه الكبرياء تهاوناً بها، وذلك من تجبر الملوك ـ جل الله وعز ـ ومن تعاظم فرعون أيضا: نداؤه لوزيره باسمه، وبحرف النداء وتوسيط ندائه خلال الأمر، وبناؤه الصرح ورجاؤه الاطلاع: دليل على أنه لم يكن مصمماً على الجحود. قال الزمخشري: وذلك مناقض لما أظهر من الجحد الجازم في قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ فإما أن يخفى هذا التناقض على قومه لغباوتهم وكآبة أذهانهم. وإما أن يتفطنوا لها ويخافوا نقمته فيصبروا. قال أحمد: ولقائل ـ والله أعلم ـ: أن يحمل قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ على الشك، ونفي علمه خاصة، وإجرائه مجرى سائر علوم الخلق في أنه لا يلزم من نفي تعلقه بوجود أمر نفي ذلك الأمر، لجواز أن يكون موجوداً عازباً عن علمه. وحينئذٍ لا يكون تناقضاً، ولو لم يكن حمله هذا هو الأصل لما سوغنا أن يرفع التناقض عن كلامه، لأنه أحقر من ذلك.

ظاهره، وأنّ إلٰها غيره غير معلوم عنده، ولكنه مظنون بدليل قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، وإذا ظنّ موسى عليه السلام كاذباً في إثباته إلٰها غيره ولم يعلمه كاذباً، فقد ظنّ أن في الوجود إلٰها غيره، ولو لم يكن المخذول ظاناً ظناً كاليقين، بل عالماً بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] لما تكلف ذلك البنيان العظيم، ولما تعب في بنائه ما تعب، لعله يطلع بزعمه إلى إلٰه موسى عليه السلام، وإن كان جاهلاً مفرط الجهل به وبصفاته، حيث حسب أنه في مكان كما كان هو في مكان، وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته، وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض. ولا ترى بينة أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته وجهل ملئه وغباوتهم: من أنهم راموا نيل أسباب السموات بصرح يبنونه، وليت شعري؛ أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم، حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك؟ أم كان في نفسه بتلك الصفة؟ وإن صحّ ما حكي/ ٢/ ١٧٨أ من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم، فتهكم به بالفعل، كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة. ويجوز أن يفسر الظن على القول الأوّل باليقين؛ كقوله [من الطويل]:

فَقُلْتُ لَهُمْ: ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ . . . . [1]

---

(١) وكل تباريح المحب لقيتها ... سوى أنني لم ألق حتفي بمرصدي
نصحت لعارض وأصحاب عارض ... ورهط بني السوداء والقوم شهدي
فقلت لهم: ظنوا بألفي مدجج ... سراتهم في الفارسي المسرد

لدريد بن الصمة، ينذر قومه بهجوم العدو. ودريد: هو معاوية بن الحرث بن بكر بن علقمة الجثمي: قتل مشركاً يوم حنين، أي: كل الشدائد التي يلقاها المحب من محبوبه لقيتها. والحتف: الهلاك. والمرصد. والمرصاد: الطريق، وفي إضافته لنفسه معنى لطيف، أي: لم أسلك طريقاً فيه حتف لي، بل أسلك غيره فطريقي لا ضرر فيه. ونصحه ونصح له: خلص وصفاً. والشهد - بالتشديد: جمع شاهد. ودججه تدجيجاً: غطاه تغطية. والدجة - بالتشديد -: الظلمة. والدج: المشي بتؤدة. والمدجج: التام السلاح. وقيل: هو بالفتح: الفرس، وبالكسر: الفارس. والسراة: السادة الأشراف بفتح السين، وهي في الأصل: أعلى ظهر الحيوان، فاستعيرت لهم، وقد تضم، فوزنها «فعلة» جمع سرى وزن فعيل على غير قياس؛ إذ قياسه أفعلاء، وهو في الأصل: النهر الصغير: استعير للخير الرئيس، والفارسي: الدروع المعمولة بفارس. والسرد والتسريد: متابعة النسج، يقول: أيقنوا بهجوم جيش عظيم. والألفان: كناية عن الكثرة، أي: جيش كثير مغطى بالسلاح، أشرافه في الدروع الفارسية المتابعة النسج. والظرفية دالة على سبوغ الدروع لهم. ويروي المسود بالواو وليس بذاك.

ينظر: الحماسة للمرزوقي (٢/ ٨١٢) والمحتسب (٢/ ٣٤٢)، وابن يعيش (٧/ ٨١)، والأصمعيات (١٠٧)، واللسان: (ظنن)، والدر المصون ١/ ٢١٢، فتح القدير ١/ ١٤١، مجالس ثعلب ص ١٩٩، أسرار العربية ص ١٥٦.

ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين، وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم. أو لم تخف عليهم، ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه، وإنما قال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ ولم يقل: اطبخ لي الآجر واتخذه، لأنه أوّل من عمل الآجر، فهو يعلمه الصنعة، ولأن هذه العبارة أحسن طباقاً لفصاحة القرآن وعلوّ طبقته وأشبه بكلام الجبابرة. وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام: دليل التعظيم[1] والتجبر. وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر فقال: ما علمت أن أحداً بنى بالآجر غير فرعون. والطلوع والإطلاع: الصعود. يقال: طلع الجبل وأطلع: بمعنى.

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

الاستكبار بالحق: إنما هو لله تعالى، وهو المتكبر على الحقيقة، أي: المتبالغ في كبرياء الشأن. قال رسول الله ـ ﷺ ـ فيما حكى عن ربه: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار» (١١٠٩). وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالضم والفتح ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ من الكلام الفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه. شبههم استحقاراً لهم واستقلالاً لعددهم[2]. وإن كانوا الكثر الكثير والجم الغفير، بحصيات أخذهنّ آخذ في كفه فطرحهنّ في البحر. ونحو ذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَـٰمِخَـٰتٍ﴾ [المرسلات: ٢٧]، ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤]. ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره، وأن كل مقدور وإن عظم وجل، فهو مستصغر إلى جنب قدرته.

١١٠٩ ـ أخرجه مسلم (٨/ ٤٢١ ـ النووي): كتاب البر والصلة والآداب، حديث (١٣٦/ ٢٦٢٠)، وهذا الحديث من مفردات مسلم؛ فلم يخرجه غيره من الجماعة.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي ـ ﷺ ـ عن ربه. انتهى.

---

(١) قوله «دليل التعظيم» لعله التعظم. (ع)
(٢) عاد كلامه. قال: «وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ مقابلة لاستكباره بفعل عبر عنه بما صورته أخذ حصيات ممتهنات، ثم نبذها، أي: طرحها في اليم بهوان، فذلك تمثيل لاستهانته به وإهلاكه بهذا النوع من الهلاك. والله أعلم.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾؟ قلت: معناه: ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار[1]، وقلنا: إنهم أئمة دعاة إلى النار، كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة. وهو من قولك: جعله بخيلاً وفاسقاً، إذا دعاه وقال: إنه بخيل وفاسق[2]. ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله: جعله بخيلاً وفاسقاً. ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] ومعنى دعوتهم إلى النار: دعوتهم إلى موجباتها من الكفر والمعاصي ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الجنة. ويجوز: خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر. ومعنى الخذلان: منع الألطاف، وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه، وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر، ومجراه مجرى الكناية؛ لأنّ منع الألطاف يردف التصميم، والغرض بذكره: التصميم نفسه، فكأنه قيل: صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة إليه وإلى سوء عاقبته. فإن قلت: فأي فائدة في ترك المردوف إلى الرادفة؟ قلت: ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده، فيكون أقوى لإثباته من ذكره. ألا ترى أنك تقول: لولا أنه مصمم على الكفر مقطوع أمره مثبوت حكمه لما منعت منه الألطاف؟ فبذكر منع الألطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة، وهو قيام الحجة على وجوده. وينصر هذا الوجه قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ كأنه قيل: وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون، كما قال: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي طرداً وإبعاداً عن الرحمة ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ أي من المطرودين المبعدين.

---

(١) قوله «ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار» هذا التأويل وما يأتي بعده في قوله: ويجوز خذلناهم.. إلى آخره: مبنيان على أنه تعالى يجب عليه الصلاح ولا يجوز عليه خلق الشر، وهذا مذهب المعتزلة، أما مذهب أهل السنة فهو أنه لا يجب عليه تعالى شيء، ويجوز عليه خلق الشر كالخير. وقد حقق في التوحيد فلا داعي إلى تأويل الآية بمثل هذا التكلف. (ع)

(٢) قال محمود: «معناه دعوناهم أئمة دعاة إلى النار، كما تقول: جعلته بخيلاً فاسقا إذا دعوته بذلك» قال أحمد: لا فرق عند أهل السنة بين قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ وبين هذه الآية، فمن حمل الجعل على التسمية فيما نحن فيه فراراً من اعتقاد أن دعاءهم إلى النار مخلوق لله تعالى، فهو بمثابة من حمله على التسمية في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾: فراراً من جعل الليل والنهار مخلوقين لله تعالى، فلا فرق بين نفي مخلوق واحد عن قدرته تعالى ونفي كل مخلوق، نعوذ بالله من ذلك.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿بَصَآئِرَ﴾ نصب على الحال. والبصيرة: نور القلب الذي يستبصر به، كما أن البصر نور العين الذي تبصر به، يريد: آتيناه التوراة أنواراً للقلوب، لأنها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقاً من باطل، وإرشاداً؛ لأنهم كانوا يخبطون في ضلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إرادة أن يتذكروا، شبهت الإرادة بالترجي فاستعير لها. ويجوز أن يراد به ترجي موسى عليه السلام[1] لتذكرهم، كقوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: ٤٤].

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ٱلْغَرْبِىِّ﴾ المكان الواقع في شق الغرب، وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب الله له في الألواح. والأمر المقضي إلى موسى عليه السلام: الوحي الذي أوحى إليه؛ والخطاب لرسول الله ـ ﷺ ـ يقول: وما كنت/ ٢/ ٧٨ب حاضرا المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى عليه السلام، ولا كنت ﴿مِنَ﴾ جملة ﴿ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ للوحي إليه، أو على الوحي إليه؛ وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات، حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى عليه السلام في ميقاته. وكتبة التوراة له في الألواح، وغير ذلك.

﴿وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾

فإن قلت: كيف يتصل قوله: ﴿وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ بهذا الكلام؟ ومن أي وجه يكون استدراكاً له؟ قلت: اتصاله به وكونه استدراكاً له، من حيث أن معناه: ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك قروناً كثيرة ﴿فَتَطَاوَلَ﴾ على آخرهم: وهو القرن الذي أنت فيهم ﴿ٱلْعُمُرُ﴾ أي أمد انقطاع الوحي واندرست العلوم، فوجب إرسالك إليهم، فأرسلناك وكسبناك[2] العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى عليهم السلام، كأنه قال: وما كنت شاهداً

---

(١) قال محمود: «معناه إرادة تذكرهم، لأن الإرادة تشبه الترجي، فاستعير لها. أو يراد به ترجي موسى عليه السلام» قال أحمد: الوجه الثاني هو الصواب، واحذر الأول فإنه قدري.

(٢) قوله «وكسبناك العلم» كسب يتعدى إلى مفعولين، فيقال: كسبت أهلي خيراً، وكسبت الرجل مالا، كما في الصحاح. (ع)

لموسى وما جرى عليه، ولكنا أوحينا إليك، فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة؛ ودلّ به على المسبب على عادة الله عز وجل في اختصاراته، فإذاً هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ أي مقيماً ﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ وهم شعيب والمؤمنون به ﴿تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ تقرؤها عليهم تعلماً منهم، يريد: الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه، ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٤٦﴾

﴿إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ يريد مناداة موسى عليه السلام ليلة المناجاة وتكليمه، و﴿وَلَٰكِن﴾ علمناك ﴿رَّحۡمَةٗ﴾ وقرئ: رحمة، بالرفع: أي هي رحمة ﴿مَّآ أَتَىٰهُم﴾ من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة، ونحوه قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ [يس: ٦٠].

﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٤٧﴾

﴿وَلَوۡلَآ﴾ الأولى امتناعية وجوابها محذوف، والثانية تحضيضية، وإحدى الفاءين للعطف، والأخرى جواب لولا، لكونها في حكم الأمر، من قبل أن الأمر باعث على الفعل، والباعث والمحضض من واد واحد. والمعنى: ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدّموا من الشرك والمعاصي: هلا أرسلت إلينا رسولاً، محتجين علينا بذلك: لما أرسلنا إليهم، يعني: أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها، كقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ﴾، ﴿لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [طه: ١٣٤]. فإن قلت: كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول، لدخول حرف الامتناع عليها دونه؟ قلت: القول هو المقصود بأن يكون سبباً لإرسال الرسل، ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها، جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال بواسطة القول، فأدخلت عليها لولا، وجيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطية معنى السببية[1]، ويؤول معناه إلى قولك: ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا، ولكن اختيرت هذه

(١) قال محمود: «لولا الأولى امتناعية، والثانية تخضيضية، والفاء الأولى عاطفة والثانية جواب لولا. =

الطريقة لنكتة: وهي أنهم لو لم يعاقبوا مثلاً على كفرهم وقد عاينوا ما ألجئوا به إلى العلم اليقين: لم يقولوا: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه: ١٣٤] وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم. وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]. ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي: جعل كل عمل معبراً عنه باجتراح الأيدي وتقديم الأيدي وإن كان من أعمال القلوب، وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الأقل تابعاً للأكثر وتغليب الأكثر على الأقل.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

= والمعنى: لولا أنهم قائلون إذا عوقبوا: لولا أرسلت إلينا رسولاً، محتجين بذلك لما أرسلت إليهم أحداً. فإن قلت: كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة سبباً في الإرسال لا القول، لدخول حرف الامتناع عليها دونه؟ قلت: العقوبة سبب القول، وهي سبب السبب، فجعلت سبباً وعطف السبب الأصلي عليها بالفاء السببية» قال أحمد: وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ والسر في جعل سبب السبب سبباً، وعطف السبب الأصلي عليه أمران، أحدهما: أن مزيد العناية يوجب التقديم، وهذا هو السر الذي أبداه سيبويه. الثاني أن في هذا النظم تنبيهاً على سببية كل واحد منهما: أما الأول فلاقترانه بحرف التعليل، وهو «أن» وأما الثاني، فلاقترانه بفاء السبب، ولا يتعاطى هذا المعنى إلا من قولك ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ﴾ لا من قول القائل: أن تذكر إحداهما الأخرى إذا ضلت، وكان بعض النحاة يورد هذه الآية إشكالاً على النحاة وعلى أهل السنة من المتكلمين، فيقول: «لولا» عند أهل الفتن تدل على امتناع جوابها لوجود ما بعدها، وحينئذٍ يكون الواقع بعدها في الآية موجوداً وهو عقوبة هؤلاء المذكورين بتقدير عدم بعثة الرسل، وجوابها المحذوف غير واقع وهو عدم الإرسال، لأنه ممتنع بالأولى. ومتى لم يقع عدم الإرسال كان الإرسال واقعاً ضرورة، فيشكل الواقع بعدها على أهل السنة؛ لأنهم يقولون: لا ظلم قبل بعثة الرسل، فلا تتصور العقوبة بتقدير عدم البعثة، وذلك لأنها واقعة جزاء على مخالفة أحكام الشرع، فإن لم يكن شرع فلا مخالفة ولا عقوبة. ويشكل الجواب على النحاة؛ لأنه يلزم ألا يكون واقعاً وهو عدم بعثة الرسل، لكن الواقع بعدها يقتضي وقوعه، ثم كان مورد هذا الإشكال يجيب عنه بتقدير محذوف. والأصل: ولولا كراهة أن تصيبهم مصيبة وحينئذٍ يزول الإشكال عن الطائفتين. والتحقيق عندي في الجواب خلاف ذلك، وإنما جاء الإشكال من حيث عدم تجويز النحاة لمعنى لولا أن يقولون: أنها تدل على أن ما بعدها موجود وأن جوابها ممتنع به، والتحرير في معناها أنها تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها، عكس «لو» فإن معناها لزوم جوابها لما بعدها، ثم المانع قد يكون موجوداً وقد يكون مفروضاً، والآية من قبيل فرض وجود المانع، وكذلك اللزوم في «لو» قد يكون الشيء الواحد لازماً لشيئين، فلا يلزم نفيه من نفي أحد ملزوميه. وعلى هذا التحرير يزول الإشكال الوارد على «لو» في قوله: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه، فتأمل هذا الفصل فتحته فوائد للمتأمل، والله الموفق.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسدّ طريق احتجاجهم ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ من الكتاب المنزل جملة واحدة، ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الآيات؛ فجاءوا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد، كما قالوا: لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك، وما أشبه ذلك ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟﴾ يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم وعنادهم عنادهم، وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام ﴿بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾ وعن الحسن رحمه الله: قد كان للعرب أصل في أيام موسى عليه السلام، فمعناه على هذا: أولم يكفر آباؤهم ﴿قَالُوا۟﴾ في موسى وهارون ﴿سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا﴾ أي تعاونا. وقرئ إظهاراً على الإدغام. وسحران. بمعنى: ذوا سحر. أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر. أو أرادوا نوعان من السحر ﴿بِكُلٍّ﴾ بكل واحد منهما. فإن قلت: بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير؟ قلت: بأولم يكفروا، ولي أن أعلقه بأوتي، فينقلب المعنى إلى أن/ ٢/ ٧٩أ أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد ﷺ وبالقرآن فقد كفروا بموسى عليه السلام وبالتوراة. وقالوا في موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام: ساحران تظاهرا. أو في الكتابين: سحران تظاهرا؛ وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ، فأخبروهم أنه نعته وصفته، وأنه في كتابهم، فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود، فقالوا عند ذلك: ساحران تظاهرا.

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ مما أنزل على موسى عليه السلام ومما أنزل عليّ. هذا الشرط من نحو ما ذكرت أنه شرط المدل بالأمر المتحقق لصحته؛ لأنّ امتناع الإتيان بكتاب أهدى من الكتابين أمر معلوم متحقق لا مجال فيه للشكّ. ويجوز أن يقصد بحرف الشكّ: التهكم بهم.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

فإن قلت: ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية؛ وبينه في قوله [من الطويل]:

. . . . فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[1]

---

(١) قوله «فلم يستجبه عند ذاك مجيب» صدره:

وداعٍ دعا يا مَنْ يجيب إلى الندى . . . .

اهـ. عليّان. قلت: وقد تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الأول صفحة ٤٥٦ فراجعه إن شئت اهـ. مصححه.

حيث عدّى بغير اللام؟ قلت: هذا الفعل يتعدّى إلى الدعاء بنفسه وإلى الداعي باللام، ويحذف الدعاء إذا عدّى إلى الداعي في الغالب، فيقال؛ استجاب الله دعاءه أو استجابة له، ولا يكاد يقال: استجاب له دعاءه. وأما البيت فمعناه: فلم يستجب دعاءه، على حذف المضاف. فإن قلت: فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا. قلت: قوله: فأتوا بكتاب أمر بالإتيان والأمر بعث على الفعل ودعاء إليه، فكأنه قال: فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى، فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة إلا اتباع الهوى، ثم قال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ﴾ لا يتبع في دينه إلا ﴿هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي مطبوعاً على قلبه ممنوع الألطاف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ أي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللاطف بهم عابث. وقوله بغير هدى في موضع الحال، يعني: مخذولاً مخلى بينه وبين هواه.

﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾

قرئ ﴿وَصَّلْنَا﴾ بالتشديد والتخفيف. والمعنى: أن القرآن أتاهم متتابعاً متواصلاً، وعداً ووعيداً وقصصاً وعبراً، ومواعظ ونصائح: إرادة أن يتذكروا فيفلحوا، أو نزل عليهم نزولاً متصلاً بعضه في أثر بعض. كقوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾ [الشعراء: ٥].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

نزلت في مؤمني أهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة: نزلت في عشرة أنا أحدهم. وقيل: في أربعين من مسلمي أهل الإنجيل: اثنان وثلاثون جاءوا مع جعفر من أرض الحبشة، وثمانية من الشام. والضمير في ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ للقرآن.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾

فإن قلت: أي فرق بين الاستئنافين إنه وإنا؟ قلت: الأوّل تعليل للإيمان به، لأن كونه حقاً من الله حقيق بأن يؤمن به. والثاني: بيان لقوله: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ لأنه يحتمل أن يكون إيماناً قريب العهد وبعيده، فأخبروا أن إيمانهم به متقادم؛ لأنّ آباءهم القدماء قرأوا في الكتب الأول ذكره وأبناءهم من بعدهم ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل وجوده ونزوله ﴿مُسْلِمِينَ﴾ كائنين على دين الإسلام؛ لأن الإسلام صفة كل موحد مصدّق للوحي.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن. أو بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله. أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب. ونحوه ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ بالطاعة المعصية المتقدمة. أو بالحلم الأذى.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ توديع ومتاركة. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: كلمة حلم من المؤمنين ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فإن قلت: من خاطبوا بقولهم: ﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾؟ قلت: اللاغين الذين دل عليهم قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم، لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾ يدخل في الإسلام ﴿مَن يَشَآءُ﴾ وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه، وأن الألطاف تنفع فيه، فيقرن به ألطافه حتى تدعوه إلى القبول ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ بالقابلين من الذين لا يقبلون. قال الزجاج: أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب، وذلك أن أبا طالب قال عند موته: يا معشر بني هاشم، أطيعوا محمداً وصدِّقوه تفلحوا وترشدوا. فقال النبي ﷺ: تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك؟ قال: فما تريد يا ابن أخي؟ قال: أريد منك كلمة واحدة فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا: أن تقول لا إله إلا الله، أشهد لك بها عند الله. قال: يا ابن أخي، قد علمت إنك/ ٢/ ٧٩ب لصادق، ولكني أكره أن يقال: خرع عند الموت[١]، ولولا أن تكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة[٢] ومسبة بعدي، لقلتها، ولأقررت بها عينك عند الفراق، لما أرى من شدّة وجدك ونصيحتك، ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف (١١١٠).

١١١٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣١): غريب بهذا اللفظ.
وقال ابن حجر: لم أجده وقصة وفاة أبي طالب في الصحيحن من سعيد بن المسيب عن ابنه بغير =

---

(١) قوله «أكره أن يقال خرع عند الموت» في الصّحاح: خرع الرجل ـ بالكسر ـ: ضعف فهو خرع. (ع)

(٢) قوله «غضاضة» أي: مذلة ومنقصة. (ع)

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قالت قريش، وقيل: إن القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف: نحن نعلم أنك على الحق، ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك ـ وإنما نحن أكلة رأس، أي: قليلون ـ أن يتخطفونا من أرضنا، فألقمهم الله الحجر. بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته، وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون، وهم آمنون في حرمهم لا يخافون، وبحرمة البيت هم قارّون بواد غير ذي زرع، والثمرات والأرزاق تجبى إليهم من كل أوب، فإذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوّف والتخطف، ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام. وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة، وإلى الحرم مجاز ﴿تجبى إليه﴾ تجلب وتجمع. وقرئ: بالياء والتاء. وقرئ: تجني، بالنون، من الجنى. وتعديته بإلى كقوله: يجنى إليّ فيه، ويجنى إلى الخافة[1]. وثمرات: بضمتين وبضمة وسكون. ومعنى الكلية: الكثرة كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ متعلق بقوله: ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ أي قليل منهم يقرون بأنّ ذلك رزق من عند الله، وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له، ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده، ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا أنداده. فإن قلت: بم انتصب رزقاً؟ قلت: إن جعلته مصدراً جاز أن ينتصب بمعنى ما قبله؛ لأنّ معنى ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ويرزق ثمرات كل شيء: واحد، وأن يكون مفعولاً له. وإن جعلته بمعنى: مرزوق، كان حالاً من الثمرات لتخصصها بالإضافة، كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة.

= هذا السياق وأخص منه. انتهى.

وللحديث شاهد في الصحيحين: أخرجه البخاري (٣/٥٨٦ ـ ٥٨٧): كتاب الجنائز: باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، حديث (١٣٦٠) وأطرافه في (٣٨٨٤ ـ ٤٦٧٥ ـ ٤٧٧٢ ـ ٦٦٨٢) ومسلم (١/٢٤٤ ـ ٢٤٥ ـ النووي): كتاب الإيمان: باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة، ونسخ جواز الاستغفار للمشركين حديث (٣٩ ـ ٢٤/٤٠) من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبيه به.

---

(١) قوله «ويجني إلى الخافة» في الصحاح «الخافة»: خريطة من أدم يشتار فيها بعسل. وفيه «يشتار»: يجتني. (ع)

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾

هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش، فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر[(١)]، فدمّرهم الله وخرّب ديارهم. وانتصبت ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ إمّا بحذف الجار وإيصال الفعل، كقوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] وإمّا على الظرف بنفسها، كقولك: زيد ظني مقيم[(٢)]. أو بتقدير حذف الزمان المضاف، أصله: بطرت أيام معيشتها، كخفوق النجم. ومقدم الحاج. وإمّا بتضمين (بطرت) معنى: كفرت وغمطت. وقيل: البطر سوء احتمال الغنى: وهو أن لا يحفظ حق الله فيه ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من السكنى. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لم يسكنها إلا المسافر ومارّ الطريق يوماً أو ساعة ويحتمل أنّ شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم، فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلاً ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ تلك المساكن من ساكنيها، أي: تركناها على حال لا يسكنها أحد، أو خرّبناها وسوّيناها بالأرض [من الكامل]:

تَتَخَلَّفُ الآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا ... حِيناً وَيُدْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَتْبَعُ[(٣)]

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ﴾ القرية التي هي أمّها، أي: أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها ﴿رَسُولًا﴾ لإلزام الحجة وقطع

---

(١) قوله «فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر» أي بطروها وحقروها. والأشر والبطر: شدة المرح والمرح: شدة الفرح. كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قوله «كقولك زيد ظني مقيم» أي: في ظني. (ع)

(٣) أين الذي الهرمان من بنيانه؟ ... ما قومه؟ ما يومه؟ ما المصرع؟
تتخلف الآثار عن أصحابها ... حينًا ويدركها الفناء فتتبع
لأبي الطيب حين دخل مصر ورأى الأهرام التي بناها الملك سوريد. وقيل: سنان بن مشلشل. وقيل: إدريس عليه السلام. والهرمان: تثنية هرم ـ كسبب ـ وأراد بهما القريبين من مصر، ويومه: هو زمن ملكه، ويجوز أنه يوم موته، كما أن المصرع مكان الموت، والاستفهام عن هذا بعد الاستفهام عن قومه لاستحضار الصورتين والفرق بين الحالتين، ثم قال: تتخلف، أي: تتأخر الآثار من البنيان والأشجار وغير ذلك زمنا طويلاً بعد أصحابها. ثم يلحقها الفناء فتتبع أصحابها ولو طال زمن تخلفها. ويجوز أن المعنى: حيناً قليلاً. فالتنوين للتكثير أو للتقليل.

المعذرة، مع علمه أنهم لا يؤمنون؛ أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى ـ يعني مكة ـ رسولاً وهو محمد ﷺ خاتم الأنبياء. وقرئ: أمها، بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجرّ، وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم، حيث أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الهلاك بظلمهم[1]، ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة الرسل، ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم، ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود: ١١٧] فنصّ في قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلماً منه، وأنّ حاله في غناه وحكمته منافية للظلم، دلّ على ذلك بحرف النفي مع لامه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياماً قلائل، وهي مدة الحياة المتقضية ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو ثوابه ﴿خَيْرٌ﴾ في نفسه من ذلك ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ لأنّ بقاءه دائم سرمد وقرئ/ ٢/ ٨٠أ: يعقلون، بالياء، وهو أبلغ في الموعظة. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف: المؤمن، والمنافق، والكافر؛ فالمؤمن يتزوّد، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾

هذه الآية تقرير وإيضاح للتي قبلها. والوعد الحسن: الثواب؛ لأنه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق، وأي شيء أحسن منها، ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى. و﴿لَٰقِيهِ﴾ كقوله تعالى: ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾[الإنسان: ١١]، وعكسه ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]. ﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ من الذين أحضروا النار. ونحوه ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾

---

(١) قال محمود: «هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حتى أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا العذاب ولا يستحقوا حتى تتأكد عليهم الحجة ببعثة الرسل» قال أحمد: هذا إسلاف من الزمخشري لجواب ساقط عن سؤال وارد على القدرية لا جواب لهم عنه، ينشأ السؤال في هذه الآية فيقال: لو كانت العقول تحكم عن الله تعالى بأحكام التكليف، لقامت الحجة على الناس وإن لم يكن بعث رسل، إذ العقل حاكم، فلا يجدون للخلاص من هذا السؤال سبيلا.

[الصافات: ٥٧]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٢٧﴾ قيل: نزلت في رسول الله - ﷺ - وأبي جهل. وقيل: في علي وحمزة وأبي جهل. وقيل: في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة. فإن قلت: فسر لي الفاءين وثم، وأخبرني عن مواقعها. قلت: قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما، ثم عقبه بقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾على معنى: أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوّي بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا، فهذا معنى الفاء الأولى وبيان موقعها. وأمّا الثانية فللتسبيب؛ لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير. وأمّا «ثم» فلتراخي حال الإحضار عن حال التمتيع، لا لتراخي وقته عن وقته. وقرئ: (ثم هو) بسكون الهاء، كما قيل عضْد في عضُد، تشبيهاً للمنفصل بالمتصل. وسكون الهاء في: فهو، وهو، ولهو: أحسن؛ لأنّ الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٦٢﴾

﴿شُرَكَآءِىَ﴾ مبني على زعمهم، وفيه تهكم. فإن قلت: زعم يطلب مفعولين؛ كقوله [من الطويل]:

. . . . وَلَمْ أَزْعُمْكِ عَنْ ذَاكَ مَعْزِلا[1]

فأين هما؟ قلت: محذوفان، تقديره: الذين كنتم تزعمونهم شركائي. ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت، ولا يصح الاقتصار على أحدهما.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۝٦٣﴾

﴿ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ الشياطين أو أئمة الكفر ورءوسه. ومعنى حق عليهم القول: وجب عليهم مقتضاه وثبت، وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ صفته، والراجع إلى الموصول محذوف، و﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾ الخبر. والكاف صفة مصدر محذوف، تقديره: أغويناهم، فغووا غيا مثل ما

---

(١) وإن الذي قد عاش يا أم مالك يموت ولم أزعمك عن ذاك معزلا

يقول: وإن كل حي - وإن طال عمره - يموت. ولم أظنك يا أم مالك معزلا عن ذلك الحكم أو الموت. والمعزل: مكان العزلة والانفراد، أي: لم أظنك في معزل عنه، أو ذات معزل، أو معتزلة، أو نفس المقول مبالغة.

البيت للنابغة الجعدي، ينظر ديوانه ص ١١٤، شرح أبيات سيبويه (١/ ٨٧)، الكتاب (١/ ١٢١).

غوينا[1]، يعنون: أنا لم نغو إلا باختيارنا، لا أن فوقنا مغوين أغوونا بقسر منهم وإلجاء. أو دعونا إلى الغيّ وسوّلوه لنا، فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم؛ لأن إغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلاً لا قسراً وإلجاء، فلا فرق إذاً بين غينا وغيهم. وإن كان تسويلنا داعياً لهم إلى الكفر، قد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل، وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر، وناهيك بذلك صارفاً عن الكفر وداعياً إلى الإيمان. وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان ﴿وَعَدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ والله تعالى قدّم هذا المعنى أوّل شيء، حيث قال لإبليس ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾. ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر بأنفسهم، هوى منهم للباطل ومقتاً للحق، لا بقوّة منا على استكراههم ولا سلطان ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ إنما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم. وإخلاء الجملتين من العاطف، لكونهما مقرّرتين لمعنى الجملة الأولى.

﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب. أو لو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين، لما رأوه. أو تمنوا لو كانوًا مهتدين. أو تحيروا عند رؤيته وسدروا[2] فلا يهتدون طريقا. حكى أوّلاً ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء، ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم لأنهم إذا وبخوا بعبادة الآلهة، اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها، ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم، ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة العلل ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ فصارت الأنباء كالعمي عليهم جميعاً لا تهتدي إليهم ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً كما يتساءل الناس في المشكلات، لأنهم يتساوون جميعاً في عمى الأنباء عليهم والعجز عن الجواب. وقرئ: فعميت، والمراد بالنبأ: الخبر عما أجاب به المرسل إليه رسوله، وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن

(١) قال السمين الحلبي: وهذا الوجه منعه أبو علي قال: لأنه ليس في الخبر زيادة فائدة على ما في صفته. الدر المصون.

(٢) قوله «وسدروا» أي تحيروا. أفاده الصحاح. (ع)

مثل هذا السؤال، ويفوّضون الأمر إلى علم الله، وذلك/ ٢/ ٨٠ب قوله تعالى: ﴿۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ فما ظنك بالضُّلال من أممهم.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من المشركين من الشرك، وجمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿فَعَسَىٰٓ أَن﴾ يفلح عند الله، و«عسى» من الكرام تحقيق. ويجوز أن يراد: ترجي التائب وطمعه، كأنه قال: فليطمع أن يفلح.

﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾

الخيرة من التخير، كالطيرة من التطير: تستعمل بمعنى المصدر هو التخير، وبمعنى المتخير كقولهم: محمد خيرة الله من خلقه ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ بيان لقوله: ﴿وَيَخۡتَارُۗ﴾ لأنّ معناه: ويختار ما يشاء، ولهذا لم يدخل العاطف. والمعنى: أنّ الخيرة لله تعالى في أفعاله، وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها، ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه. قيل: السبب فيه قول الوليد بن المغيرة: (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يعني: لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل إليهم. وقيل: معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة، أي: يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح، وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم، من قولهم في الأمرين: ليس فيهما خيرة لمختار. فإن قلت: فأين الراجع من الصلة إلى الموصول إذا جعلت ما موصولة؟ قلت: أصل الكلام: ما كان لهم فيه الخيرة، فحذف «فيه» كما حذف «منه» في قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] لأنه مفهوم ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي الله بريء من إشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار.

﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ﴾ من عداوة رسول الله وحسده ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ من مطاعنهم فيه. وقولهم: هلا اختير عليه غيره في النبوّة ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ وهو المستأثر بالإلٰهية المختص بها، و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ تقرير لذلك، كقولك: الكعبة القبلة، لا قبلة إلا هي. فإن قلت: الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة؟ قلت: هو قولهم: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا

﴿الْحَزَنَ﴾، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥] والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة. وفي الحديث: يلهمون التسبيح والتقديس (١١١١) ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء بين عباده.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ وقرئ أريتم: بحذف الهمزة، وليس بحذف قياسي ومعناه: أخبروني من يقدر على هذا؟ والسرمد: الدائم المتصل، من السرد وهو المتابعة. ومنه قولهم في الأشهر الحرم: ثلاثة سرد، وواحد فرد، والميم مزيدة. ووزنه فعمل. ونظيره. دلامص، من الدلاص[1]. فإن قلت: هلا قيل: بنهار تتصرفون فيه، كما قيل: ﴿بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾؟ قلت: ذكر الضياء وهو ضوء الشمس: لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة، ليس التصرف في المعاش وحده، والظلام ليس بتلك المنزلة، ومن ثمة قرن بالضياء ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ لأنّ السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده، وقرن بالليل ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأنّ غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره. وأنت من السكون ونحوه ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ﴾ زواج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة: لتسكنوا في أحدهما وهو الليل، ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ولإرادة شكركم.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

١١١١ ـ أخرجه مسلم في صحيحه: (٩/ ١٩٠ ـ النووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيًا، حديث (١٨ ـ ١٩/ ٢٨٣٥)، وأبو داود (٤/ ٢٣٦): كتاب السنة: باب في الشفاعة، حديث (٤٧٤١) مختصراً.
كلاهما من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر به.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من حديث جابر في أثناء حديث في صفة أهل الجنة: وفيه «يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس»، وفي رواية: «التسبيح والتكبير». انتهى.

---

(١) قوله «ونظيره دلامص من الدلاص» في الصحاح، الدلاص: اللين البراق. والدلامص: البراق. يقال: دلصت الدرع ـ بالفتح. (ع)

وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء: إيذان بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به، كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده. اللهم فكما أدخلتنا في أهل توحيدك، فأدخلنا في الناجين من وعيدك.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَنَزَعْنَا﴾ وأخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم؛ لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم، يشهدون بما كانوا عليه ﴿فَقُلْنَا﴾ للأمة ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول ﴿فَعَلِمُوا﴾ حينئذ ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ ولرسوله، لا لهم ولشياطينهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الكذب والباطل.

﴿۞ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿قَارُونَ﴾ اسم أعجمي مثل هارون، ولم ينصرف للعجمة والتعريف، ولو كان فاعولا من قرن لانصرف. وقيل: معنى كونه من قومه أنه آمن به. وقيل: كان إسرائيلياً ابن عم موسى: هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب. وموسى بن عمران بن قاهث. وقيل: كان موسى ابن أخيه، وكان يسمى المنور لحسن صورته، وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة، ولكنه نافق كما نافق السامري وقال: إذا كانت النبوّة لموسى عليه السلام، والمذبح والقربان إلى هارون فمالي؟ وروي: أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهارون يقرّب القربان ويكون رأساً فيهم ـ وكان القربان إلى موسى فجعله موسى إلى أخيه ـ وجد قارون في نفسه وحسدهما، فقال لموسى: الأمر لكما ولست على شيء/ ٢/ ١٨١أ، إلى متى أصبر؟ قال موسى: هذا صنع الله قال: والله لا أصدق حتى تأتي بآية، فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه، فحزمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها، وكانوا يحرسون عصيهم بالليل، فأصبحوا وإذا بعصا هارون تهتز ولها ورق أخضر، وكانت من شجر اللوز، فقال قارون: ما هو بأعجب مما تصنع من السحر ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ من البغي وهو الظلم. قيل: ملكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم. وقيل: من البغي وهو الكبر والبذخ: تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده. قيل: زاد عليهم في

الثياب شبراً. المفاتح: جمع مفتح بالكسر: وهو ما يفتح به. وقيل هي الخزائن، وقياس واحدها: مفتح ـ بالفتح. ويقال: ناء به الحمل، إذا أثقله حتى أماله. والعصبة: الجماعة الكثيرة والعصابة: مثلها. واعصوصبوا: اجتمعوا. وقيل: كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلاً، لكل خزانة مفتاح، ولا يزيد المفتاح على أصبع. وكانت من جلود. قال أبو رزين: يكفي الكوفة مفتاح، وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ: الكنوز، والمفاتح، والنوء، والعصبة، وأولى القوة. وقرأ بديل بن ميسرة: لينوء بالياء. ووجهه أن يفسر المفاتح بالخزائن، ويعطيها حكم ما أضيفت إليه للملابسة والاتصال، كقولك ذهبت أهل اليمامة. ومحل إذ منصوب بتنوء ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ كقوله: ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ **[الحديد: ٢٣]**، وقول القائل [من الطويل]:

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي ....(١)

وذلك أنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن. وأمّا من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب، لم تحدّثه نفسه بالفرح. وما أحسن ما قال القائل [من الوافر]:

أَشَدُّ الغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالا(٢)

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ من الغي والثروة ﴿ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ بأن تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب إليه، وتجعله زادك إلى الآخرة ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾ وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أو أحسن بشكرك وطاعتك لله كما أحسن إليك. والفساد في الأرض: ما كان عليه من الظلم والبغي. وقيل: إن القائل موسى عليه السلام. وقرئ: واتبع.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ

---

(١) ولست بمفراح إذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أبتغي شرًّا إذا الشر تاركي ولكن متى أحمل على الشر أركب
لهدبة بن خشرم لما قاده معاوية إلى الحرة ليقتص منه في زياد بن زيد العذري، فلقيه عبد الرحمن بن حسان فاستنشده فأنشده ذلك. والمفراح: كثير الفرح. والمراد: نفي الفرح من أصله. وصرف الدهر: حدثانه. وإذا: شرطية فلا بد بعدها من فعل، أي: إذا كان الشر تاركي. وأحمل مبني للمجهول، وأركب للفاعل. والمعنى: أني جربت الدهر فإذا هو خئون، ومع ذلك لا أتضعضع.

(٢) لأبي الطيب، أي: أشد الغم عندي وقت السرور الذي تيقن صاحبه الانتقال عنه، وهكذا سرور الدنيا كله.

﴿أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي على استحقاق واستيجاب لما فيّ من العلم الذي فضلت به الناس، وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل بالتوراة. وقيل: هو علم الكيمياء. عن سعيد بن المسيب: كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء، فأفاد يوشع بن نون ثلثه، وكالب بن يوفنا ثلثه، وقارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهباً. وقيل: علم الله موسى علم الكيمياء، فعلمه موسى أخته، فعلمته أخته قارون. وقيل: هو بصره بأنواع التجارة والدهقنة[1] وسائر المكاسب. وقيل: ﴿عِندِيٓ﴾ معناه: في ظني، كما تقول الأمر عندي كذا، كأنه قال: إنما أوتيته على علم، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الزمر: ٤٩] ثم زاد ﴿عِندِيٓ﴾ أي هو في ظني ورأيي هكذا. يجوز أن يكون إثباتاً لعلمه بأنّ الله قد أهلك من القرون قبل من هو أقوى منه وأغنى، لأنه قد قرأه في التوراة، وأخبر به موسى، وسمعه من حفاظ التواريخ والأيام كأنه قيل ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ في جملة ما عنده من العلم هذا، حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوّته. ويجوز أن يكون نفياً لعلمه بذلك؛ لأنه لما قال: أوتيته على علم عندي، فتنفج بالعلم[2] وتعظم به. قيل: أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة، ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال، أو أكثر جماعة وعدداً. فإن قلت: ما وجه اتصال قوله: ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ بما قبله؟ قلت: لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوىٰ منه وأغنى، قال على سبيل التهديد له: والله مطلع على ذنوب المجرمين، لا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستعلامهم. وهو قادر على أن يعاقبهم عليها، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦]، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣] وما أشبه ذلك.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فِى زِينَتِهِۦ﴾ قال الحسن: في الحمرة والصفرة. وقيل: خرج على بغلة شهباء عليها

---

(١) قوله «والدهقنة» أي الزراعة، كما عبر غيره. (ع)

(٢) قوله «فتنفج بالعلم» أي ترفع وتفاخر وتكبر. أفاده الصحاح. (ع)

الأرجوان[1] وعليها سرج من ذهب، ومعه أربعة آلاف على زيه. وقيل: عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر، وعن يمينه ثلاثمائة غلام، وعن يساره ثلاثمائة جارية، بيض عليهنّ الحلي والديباج. وقيل في تسعين ألفاً عليهم المعصفرات، وهو أوّل يوم رؤي فيه المعصفر: كان المتمنون قوماً مسلمين وإنما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر. وعن قتادة: تمنوه ليتقربوا به إلى الله وينفقوه في سبل الخير. وقيل: كانوا قوماً كفاراً. الغابط: هو الذي يتمنى مثل نعمة/ ٢/ ٨١ب صاحبه من غير أن تزول عنه. والحاسد: هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ ومن الحسد قوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وقيل لرسول الله ـ ﷺ ـ: هل يضر الغبط؟ فقال: «لا إلا كما يضر العضاه الخبط»[2] (١١١٢)، والحظ: الجدّ، وهو البخت والدولة: وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت، يقال: فلان ذو حظ، وحظيظ، ومحظوظ، وما الدنيا إلا أحاظ وجدود.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾

ويلك: أصله الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى، كما استعمل: لا أبا لك. وأصله الدعاء على الرجل بالأقراف[3] في الحث على الفعل. والراجع في ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ للكلمة التي تكلم بها العلماء، أو للثواب، لأنه في

١١١٢ ـ أخرجه الطبراني في معجمه، وإبراهيم الحربي في كتابه «غريب الحديث»، والسرقسطي في غريبه بلفظ المصنف كما في تخريج الكشاف للزيلعي (ج ٣/ ٣٢ ـ ٣٣).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: ذكره ثابت السرقسطي في الغريب هكذا بغير إسناد. وأخرجه إبراهيم الحربي في الغريب من طريق ابن أبي حسين «أن سائلاً سأل النبي ـ ﷺ ـ أيضر الناس الغبط؟ قال: نعم كما يضر العضاه الخبط، بهذا اللفظ أخرجه الطبراني من رواية أم الدرداء قالت: قلت: يا رسول الله. فذكره. لكن قال: «الشجر» بدل العضاه. قال: الحربي الغبط إرادة السعة. وقال ثابت: الغبط الحسد. انتهى.

---

(١) قوله «بغلة شهباء عليها الأرجوان» في الصحاح: قطيفة حمراء أرجوان. وفيه أيضاً: الأرجوان صبغ أحمر شديد الحمرة، ويقال: هو بالفارسية أرغوان، وهو شجر له نور أحمر أحسن ما يكون. (ع)

(٢) قوله «إلا كما يضر العضاه الخبط» في الصحاح «العضاه»: كل شجر يعظم وله شوك. وفيه «الخبط»: ضرب الشجرة بالعصا ليسقط ورقها. (ع)

(٣) قوله «الدعاء على الرجل بالأقراف» أي بفساد الأب. أفاده الصحاح. (ع)

معنى المثوبة أو الجنة، أو للسيرة والطريقة، وهي الإيمان والعمل الصالح ﴿ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾ على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير. كان قارون يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت، وهو يداريه للقرابة التي بينهما، حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار، وعن كل ألف درهم على درهم، فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه، فجمع بني إسرائيل وقال: إنّ موسى أرادكم على كل شيء، وهو يريد أن يأخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا وسيدنا، فمر بما شئت، قال: نبرطل فلانة البغيّ حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو إسرائيل، فجعل لها ألف دينار. وقيل: طستاً من ذهب. وقيل: طستاً من ذهب مملوءة ذهباً. وقيل: حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال: يا بني إسرائيل، من سرق قطعناه، ومن افترى جلدناه، ومن زنى وهو غير محصن جلدناه، وإن أحصن رجمناه، فقال قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال: فإنّ بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة، فأحضرت، فناشدها موسى بالذي فلق البحر، وأنزل التوراة أن تصدق. فتداركها الله فقالت: كذبوا، بل جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك لنفسي، فخرّ موسى ساجداً يبكي وقال: يا رب، إن كنت رسولك فاغضب لي. فأوحى إليه: أن مر الأرض بما شئت، فإنها مطيعة لك. فقال: يا بني إسرائيل، إنّ الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليلزم مكانه، ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى الركب، ثم قال: خذيهم، فأخذتهم إلى الأوساط، ثم قال: خذيهم، فأخذتهم إلى الأعناق، وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى عليه السلام ويناشدونه بالله والرحم، وموسى لا يلتفت إليهم لشدّة غضبه، ثم قال: خذيهم، فانطبقت عليهم. وأوحى الله إلى موسى: ما أفظك: استغاثوا بك مراراً فلم ترحمهم، أما وعزتي لو إياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً (١١١٣)، فأصبحت بنو

١١١٣ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. اهـ.

وأخرجه أيضاً عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٣)، والطبري في تفسيره (١٠/ ١١١ ـ ١١٢) رقم (٢٧٦٣٩)؛ كلهم من طريق عبد الله بن الحارث عن ابن عباس به، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٦٣)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق والطبراني. من رواية علي بن زيد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي. قال: فذكره موقوفاً. ووصله الحاكم بذكر ابن عباس. قال: «لما أتى موسى قومه أمرهم بالزكاة فجمعهم قارون. فذكره باختصار. قوله وفي الأخبار والآثار ما يدل عليه، يعني: وقوع الرعب في قلوب جميع الناس يوم الموقف يمكن أن يستدل له بحديث الشفاعة الطويل، ففي المتفق عليه عن أبي هريرة في حديث الشفاعة قال: «يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، وفيه قول آدم وغيره: نفسي نفسي»، واتفقا عليه من حديث أنس كذلك. انتهى.

إسرائيل يتناجون بينهم: إنما دعا موسى على قارون يستبد بداره وكنوزه، فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله ﴿مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ من المنتقمين من موسى عليه السلام، أو من الممتنعين من عذاب الله. يقال: نصره من عدوه فانتصر، أي: منعه منه فامتنع.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك، ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة ﴿مَكَانَهُۥ﴾ منزلته من الدنيا ﴿وي﴾ مفصولة عن كأن، وهي كلمة تنبُّهٍ على الخطأ وتندُّم. ومعناه: أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ وتندموا ثم قالوا: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح، وهو مذهب الخليل وسيبويه؛ قال [من الخفيف]:

وَيْ كَأَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عِيْشَ ضُرِّ[1]

---

(١) سالتاني الطلاق أن رأتا ما ... لي قليلاً قد جئتماني بنكر
وي كأن من يكن له نشب يحـ ... ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر
ويجنب سر النجي ولكـ ... ـن أخا المال محضر كل سر

لزيد بن عمرو بن نفيل القرشي. وقيل: لسعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة. وقيل: لنبيه بن الحجاج بن عامر، قتل كافراً يوم بدر. وسألتاني بقلب الهمزة ألفاً للوزن، وهي لغة قليلة، والضمير لزوجتيه، والطلاق مفعول ثان، وأن رأتا: أي لرؤيتهما، وقل: يحتمل أنه فعل ماض، فلا بد به من تقدير محذوف قبله به يتم الكلام، أي: لأن رأتاني قل مالي. أو لرؤيتهما أني قل مالي. ويحتمل أنه اسم بمعنى قليل، ولا حذف في الكلام، فالمعنى: لأن رأتا قليل مالي، أي: مالي القليل، والتفت من الغيبة إلى خطابهما بقوله: قد جئتماني بنكر، أي: منكر. وفيه معنى التعجيب من حالهما، و«وي»: اسم فعل للتعجب، وقيل: لفظه تيقظ وتندم، وكأن للظن أو للتحقيق، كما أجازه الكوفيون، وهي مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وقيل: لا اسم للمخففة. والنشب: المال. ويعش عيش ضرّ، أي: يبغض. والنجي ـ بالتشديد ـ: المناجي، أي المتكلم بالسر. ويجنب: مبني للمجهول. وسر: مفعوله الثاني. وأخا المال: صاحب المال. ومحضر: اسم مفعول، وكل مفعوله الثاني.

ينظر: خزانة الأدب ٦/ ٤٠٤، ٤٠٨، ٤١٠، والدرر ٥/ ٣٠٥، وذيل سمط اللآلي ص ١٠٣، والكتاب ٢/ ١٥٥، ولنبيه بن الحجاج في الأغاني ١٧/ ٢٠٥، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١١، ولسان العرب (وا)، (ويا)، وبلا نسبة في الجنى الداني ص ٣٥٣، والخصائص ٣/ ٤١، ١٦٩، وشرح الأشموني ٢/ ٤٨٦، وشرح المفصّل ٤/ ٧٦، ومجالس ثعلب ١/ ٣٨٩، والمحتسب ٢/ ١٥٥، وهمع الهوامع ٢/ ١٠٦.

وحكى الفراء أنّ أعرابية قالت لزوجها: أين ابنك؟ فقال: وي كأنه وراء البيت. وعند الكوفيين أنّ «ويك» بمعنى: ويلك، وأنّ المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى وي؛ كقوله [من الكامل]:

. . . . وَيْــكَ عَـنْـتَــرُ أَقْــدِمِ[1]

وأنه بمعنى لأنه، واللام لبيان المقول لأجله هذا القول، أو لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك، وهو الخسف بقارون، ومن الناس من يقف على (وي) ويبتدىء (كأنه) ومنهم من يقف على (ويك). وقرأ الأعمش لولا منّ الله علينا. وقرئ ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾[2] وفيه ضمير الله. ولا نخسف بنا، كقولك: انقطع به، ولتخسف بنا.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ تعظيم لها وتفخيم لشأنها، يعني/ ٢/ ٨٢أ: تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها. لم يعلق الموعد[3] بترك العلو والفساد، ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما، كما قال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [هود: ١١٣] فعلق الوعيد بالركون وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: إنّ الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه، فيدخل تحتها (١١١٤). وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال: ذهبت الأماني

١١١٤ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ١١٥) رقم (٢٧٦٥٥)، والواحدي في تفسيره الوسيط (٣/ ٤١٠) كلاهما من طريق أشعث السمان عن أبي سلمان الأعرج عن علي موقوفاً. =

---

(١) ولقد شفى نفسي وأذهب سقمها ... قيل الفوارس: ويك عنتر أقدم

لعنترة بن شداد من معلقته. ويروى: وأبرأ سقمها. ويروى: وأذهب غمها. ويروى: قول، بدل: قيل. وكلاهما مصدر. وويك: اسم فعل للتعجب، لكن لا يلائم البيت. وقيل: كلمة تنبيه، والكاف حرف خطاب. وقال الكسائي: أصل «ويك»: ويلك، فالكاف ضمير مجرور، لكن تبعد ملاءمته للبيت. وعنتر: منادى مرخم، وحسن الترخيم وحذف حرف النداء: أن المقام للاهتمام وسرعة الكلام، وأقدم: أي أقبل على العدو، لتمنعنا بأسه.
ينظر: ديوانه ص ٢١٩، والجنى الداني ص ٣٥٣، وخزانة الأدب ٦/ ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٢١، وشرح الأشموني ٢/ ٤٨٦، وشرح شواهد المغني ص ٤٨١، ٧٨٧، وشرح المفصل ٤/ ٧٧، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٧٧، ولسان العرب (ويا)، والمحتسب ١/ ١٦، ٢/ ٥٦، والمقاصد النحويّة ٤/ ٣١٨، وبلا نسبة في مغني اللبيب ص ٣٦٩.

(٢) قوله: «وقرىء: لخسف بنا» يفيد أن القراءة المشهورة: لخسف، مبنياً للمجهول. (ع)

(٣) قوله «لم يعلق الموعد» لعله: الوعد. (ع)

ههنا[1]. وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يردّدها حتى قبض. ومن الطماع من يجعل العلوّ لفرعون، والفساد لقارون، متعلقاً بقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]، ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٧٧] ويقول: من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة، ولا يتدبر قوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ كما تدبره عليّ والفضيل وعمر.

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

معناه: فلا يجزون، فوضع ﴿الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ موضع الضمير؛ لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكرراً. فضل تهجين لحالهم، وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلا مثل ما كانوا يعملون، وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها، ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة، وهو معنى قوله: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

= وقال ابن حجر: إسناده ضعيف .اهـ.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٦٥) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي موقوفاً.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الطبري والواحدي من رواية وكيع عن أشعث السمان عن أبي سلام الأعرج عن علي بهذا موقوفاً وإسناده ضعيف. انتهى.

---

(١) قال محمود: «لم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ فعلق الوعيد بالركون إلى الظلمة. وعن علي أن الرجل يعجبه أن يكون شراك نعله خيراً من شراك نعل أخيه فيدخل تحتها. وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض. وعن الفضيل أنه قرأها وقال: ذهبت الأماني ههنا. ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون، لقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ ويقول: من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة، ولا يتدبر قوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ كما تدبرها علي وعمر والفضيل» قال أحمد: هو تعرض لغمص أهل السنة، فإن كل موحد من أهل الجنة، وإنما طمعوا حيث أطمعهم الله تعالى، بل وحقق طمعهم في رحمته حيث يقول رسوله عليه الصلاة والسلام: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق... ثلاثاً، وفي الثالثة: وإن رغم أنف أبي ذر» اللهم اقسم لنا من رجاء رحتمك ما تعصمنا به من القنوط، ومن خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، والله الموفق للصواب.

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه، يعني: أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثواباً لا يحيط به الوصف. و﴿لَرَآدُّكَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك: وقيل: المراد مكة: ووجهه أن يراد رده إليها يوم الفتح: ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم معاداً له شأن، ومرجعاً له اعتداد؛ لغلبة رسول الله ـ ﷺ ـ عليها، وقهره لأهلها، وظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه. والسورة مكية، فكأن الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها: أنه يهاجر به منها، ويعيده إليها ظاهراً ظافراً. وقيل: نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره. وقد اشتاق إلى مولده، ومولد آبائه، وحرم إبراهيم؛ فنزل جبريل فقال له: أتشتاق إلى مكة؟ قال: نعم؛ فأوحاها إليه. فإن قلت: كيف اتصل قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ﴾ بما قبله؟ قلت: لما وعد رسوله الردّ إلى معاد، قال: قل للمشركين: ﴿رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده ﴿وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

فإن قلت: قوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ما وجه الاستثناء فيه؟ قلت: هذا كلام محمول على المعنى، كأنه قيل: وما ألقي عليك الكتاب إلا رحمة من ربك. ويجوز أن يكون إلا بمعنى لكن للاستدراك، أي: ولكن لرحمة من ربك ألقي إليك.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾

وقرئ: يصدنك، من أصدّه بمعنى صدّه، وهي في لغة كلب. وقال [من الطويل]:

أُنَاسٌ أَصَدُّوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ عَنْهُمُ ... صُدُودَ السَّوَاقِي عَنْ أُنُوفِ الْحَوَائِمِ[1]

﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ بعد وقت إنزاله[2]. وإذ تضاف إليه أسماء الزمان، كقولك: حينئذٍ وليلتئذٍ ويومئذٍ وما أشبه ذلك. والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ

(١) تقدم.

(٢) قوله «بعد وقت إنزاله» لعله: إنزالها. (ع)

﴿تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إلا إياه. والوجه يعبر به عن الذات.

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ طسم القصص كان له الأجر بعدد من صدق موسى وكذب به، ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقاً أن كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون» (١١١٥).

١١١٥ ـ تقدم تخريجه برقم (٤٣٦) وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي وابن مردويه، والواحدي، من حديث أبي بن كعب بأسانيدهم المتقدم ذكرها.

سورة العنكبوت

مكية [إلا من آية ١ إلى غاية آية ١١ فمدنية]

وآياتها ٦٩ [نزلت بعد الروم]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾

الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات. ولكن بمضامين الجمل. ألا ترى أنك لو قلت: حسبت زيدا وظننت الفرس: لم يكن شيئاً حتى تقول: حسبت زيداً عالماً؛ وظننت الفرس جواداً، لأنّ قولك: زيد عالم، أو الفرس جواد. كلام دال على مضمون، فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين، فلم تجد بدّاً في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه، من ذكر شطري الجملة مدخلاً عليهما فعل الحسبان، حتى يتم لك غرضك ٢/ ٨٢ب. فإن قلت: فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية؟ قلت: هو في قوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ وذلك أن تقديره: أحسبوا تركهم غير مفتونين، لقولهم: آمنا، فالترك أول مفعولي حسب؛ ولقولهم: آمنا، هو الخبر. وأما «غير مفتونين» فتتمة الترك، لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير، كقوله [من الكامل]:

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ . . . .[1]

ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان. تقدر أن تقول: تركهم غير مفتونين، لقولهم: آمنا، على تقدير: حاصل ومستقر، قبل اللام. فإن قلت: (أن يقولوا) هو علة تركهم غير مفتونين، فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ؟ قلت: كما تقول خروجه لمخافة الشر، وضربه للتأديب، وقد كان التأديب والمخافة في قولك: خرجت مخافة الشر، وضربته تأديباً: تعليلين. وتقول أيضاً: حسبت خروجه لمخافة الشر، وظننت ضربه للتأديب، فتجعلهما

(١) تقدم.

مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا. والفتنة: الامتحان بشدائد التكليف: من مفارقة الأوطان، ومجاهدة الأعداء، وسائر الطاعات الشاقة، وهجر الشهوات والملاذ، وبالفقر؛ والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال. وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم. والمعنى: أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان: أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين، بل يمحنهم الله بضروب المحن، حتى يبلو صبرهم، وثبات أقدامهم، وصحة عقائدهم، ونصوع نياتهم، ليتميز المخلص من غير المخلص، والراسخ في الدين من المضطرب، والمتمكن من العابد على حرف، كما قال: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦] وروي أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ قد جزعوا من أذى المشركين، وقيل في عمار بن ياسر: وكان يعذب في الله. وقيل: في ناس أسلموا بمكة، فكتب إليهم المهاجرون: لا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا، فخرجوا فتبعهم المشركون فردّوهم، فلما نزلت كتبوا بها إليهم؛ فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قتل ومنهم من نجا. وقيل: في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وهو أوّل قتيل من المسلمين يوم بدر، رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: سيد الشهداء مهجع، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة (١١١٦)، فجزع عليه أبواه وامرأته ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ موصول بأحسب أو بلا يفتنون، كقولك: ألا

١١١٦ ـ قال الزيلعي: غريب ونقل عن الثعلبي أنه روى أثر مقاتل قال: نزلت هاتان الآيتان في مهجع ابن عبد الله مولى عمر بن الخطاب كان أول من قتل من المسلمين يوم بدر رماه عامر الحضرمي بسهم فقتله فقال النبي ـ ﷺ ـ: «سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة».
وذكره البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٤٦٠). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٣٥٠) رقم (٦٦٦) ورواه الحاكم (٣/ ٢٨٤) عن واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «خير السودان ثلاثة لقمان وبلال ومهجع مولى رسول الله ـ ﷺ ـ».
وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وتعقبه الذهبي بأنه لا يعرف «مهجع».
وإسناد الحديث فيه شيخ الحاكم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعراني النيسابوري. قال الحاكم: ارتبت في لقيه بعض الشيوخ وذكر له حديثاً وقال غريب فرد. ينظر الأنساب للسمعاني (٨/ ١١٠)، و«اللسان» (١/ ٤٣٤).
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: ذكره الثعلبي عن مقاتل قال: نزلت هاتان الآيتان في مهجع بن عبد الله مولى عمر كان أول من قتل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله فقال النبي ـ ﷺ ـ: سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة وسنده إلى مقاتل في أول كتابه وفي الدلائل لابن أبي شيبة من طريق القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن =

يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه، يعني: أن أتباع الأنبياء عليهم السلام قبلهم، قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم. أو ما هو أشدّ منه فصبروا، كما قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟﴾ . . . الآية وعن النبي ﷺ: «قد كانَ من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين، ما يصرفه ذلك عن دينه؛ ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب، ما يصرفه ذلك عن دينه (١١١٧) ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ بالامتحان ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في الإيمان ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيه. فإن قلت: كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل؟ قلت: لم يزل يعلمه معدوماً، ولا يعلمه موجوداً إلا إذا وجد[1]، والمعنى: وليتميزن الصادق منهم من الكاذب. ويجوز أن يكون وعداً ووعيداً، كأنه قال: وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبنّ الكاذبين. وقرأ علي ـ رضي الله عنه ـ والزهري: وليعلمنّ، من الإعلام، أي: وليعرفنهم الله الناس من هم. أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها، وكحل العيون وزرقتها.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ أن يفوتونا، يعني أنّ الجزاء يلحقهم لا محالة، وهم لم يطمعوا في الفوت، ولم يحدّثوا به نفوسهم، ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وإصرارهم على المعاصي: في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه. ونظيره ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ **[العنكبوت: ٢٢]**، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ **[الأنفال: ٥٩]**. فإن قلت: أين مفعولا «حسب»؟ قلت: اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سدّ مسدّ المفعولين؛

= مسعود قال: أول من استشهد يوم بدر مهجع مولى عمر. انتهى.

١١١٧ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٢٠٢) كتاب مناقب الأنصار باب ما لقي النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه من المشركين بمكة حديث (٣٨٥٢)، (٦/ ٧١٦) كتاب المناقب حديث (٣٦١٢) وفي (١٢/ ٣٣٠) كتاب الإكراه باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر حديث (٦٩٤٣) وأبو داود (٣/ ٤٧) كتاب الجهاد: باب في الأسير يكره على الكفر حديث (٢٦٤٩) والنسائي (٨/ ٢٠٤) وأحمد (٥/ ١٠٩ ـ ١١٠ ـ ١١١) من حديث خباب بن الأرت.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه البخاري من حديث خباب بن الأرت، به وأتم منه.

---

(١) قال محمود: «إن قلت هو لم يزل يعلم الصادقين والكاذبين قبل الامتحان، فما وجه هذا الكلام؟ قلت: لم يزل يعلمه معدوماً ولا يعلمه موجوداً إلا إذا وجد» قال أحمد: فيما ذكر إيهام بمذهب فاسد، وهو اعتقاد أن العلم بالكائن غير العلم بأن سيكون. والحق أن علم الله تعالى واحد يتعلق بالموجود زمان وجوده وقبله وبعده على ما هو عليه، وفائدة ذكر العلم هاهنا وإن كان سابقاً على وجود المعلوم: التنبيه بالسبب على المسبب وهو الجزاء، كأنه قال تعالى: لنعلمنهم فلنجازينهم بحسب علمه فيهم، والله أعلم.

كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٢١٤] ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة. ومعنى الإضراب فيها: أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول، لأن ذاك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه، وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا. أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا، فحذف المخصوص بالذم.

﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾

لقاء الله: مثل للوصول إلى العاقبة، من تلقى ملك الموت، والبعث، والحساب، والجزاء: مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل، وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر، فإما أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من أفعاله، أو بضد ذلك لما سخطه منها، فمعنى قوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾: من كان يأمل تلك الحال. وأن يلقى ٢/ ٨٣أ فيها الكرامة من الله والبشر ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت ﴿لَءَاتٍ﴾ لا محالة؛ فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه، ويحقق أمله، ويكتسب به القربة عند الله والزلفى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه، فهو حقيق بالتقوى والخشية. وقيل (يرجو): يخاف من قول الهذلي في صفة عسال [من الطويل]:

إِذَا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا . . . .(1)

فإن قلت: فإن أجل الله لآت، كيف وقع جواباً للشرط؟ قلت: إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت: فكأنه قال: من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت، لأن الأجل واقع فيه اللقاء، كما تقول: من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة قريب، إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ﴾ لها، لأن

---

(١) إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عواسل

لأبي ذؤيب، يصف عسالا يجتني العسل: بأنه إذا لسعته الدبر ـ بالفتح والكسر ـ: ذكور النحل والزنابير. وروي كذلك: لم يرج، أي: لم يخف لسعها إذا أرادت لسعه. أو لسعته بالفعل لم يخف من مثله، أو لم يرتقبه ويعتني به، وحالفها: أي لازمها. ويروى بالمعجمة، أي: خالف مرادها. أو جاء خلفها بعد أن خرجت ترعى. والنوب: ضرب من النحل واحده نائب؛ لأنه يذهب إلى بيته نوبة بعد نوبة، عواسل: كثيرة العسل. وروي: عوامل، بالميم لأنها تعمل العسل.

منفعة ذلك راجعة إليها، وإنما أمر الله عز وجل ونهى، رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾

إما أن يريد قوماً مسلمين صالحين قد أساءوا في بعض أعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم، أي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون، أي: أحسن جزاء أعمالهم: وإما قوماً مشركين آمنوا وعملوا الصالحات، فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بأن يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام(١).

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

«وصى» حكمه حكم «أمر» في معناه وتصرفه. يقال: وصيت زيداً بأن يفعل خيراً، كما تقول: أمرته بأن يفعل؛ ومنه بيت الإصلاح [من الوافر]:

وَذُبْيَانِيَّةٍ وَصَّتْ بَنِيهَا ... بِأَنْ كَذَبَ الْقَرَاطِفُ وَالْقُرُوفُ(٢)

كما لو قال: أمرتهم بأن ينتهبوها. ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ [البقرة: ١٣٢] أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها، وقولك: وصيت زيداً بعمرو، معناه: وصيته

---

(١) قال محمود: «المراد بهؤلاء أحد فريقين: إما قوم مسلمون سيئاتهم صغائر مغمورة بالحسنات، وإما قوم آمنوا وعملوا الصالحات بعد كفر فالإسلام يجب ما قبله» قال أحمد: حجر واسعاً من رحمة الله تعالى، بناء على أصله الفاسد في وجوب الوعيد على مرتكب السيئات الكبائر لا بالتوبة، وأطلق تكفير الصغائر وإن لم تكن توبة إذا غمرتها الحسنات، وكلا الأصلين قدري مجتنب، والله الموفق.

(٢) لمعقر بن حمار البارقي، أنشده ابن السكيت في كتابه المسمى: إصلاح المنطق، أي: امرأة منسوبة إلى قبيلة ذبيان وصت بنيها. وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وخبرها: كذب، وهو قد يكون بمعنى وجب كما في الصحاح. وفي الحديث: ثلاثة أسفار كذبن عليكم، أي: وجبن. وعن عمر رضي الله عنه: كذب عليكم الحج، أي وجب. وفي الكلام معنى الحث والإغراء. والقراطف: جمع قرطف، وهو القطيفة المخملة. والقروف: أوعية من أدم يجعل فيها اللحم المشوي. والقرف ـ بالكسر ـ: المقشر. والقرفة: قشر يداوي به. والقرف ـ بالفتح ـ وعاء من جلد يدبغ بالقرفة. واقترف، واقترب: متقاربان لفظاً ومعنى، أي: وصتهم باغتنامها وحفظها معهم.
ينظر إصلاح المنطق ص ١٥، ٦٦، ٢٩٣، خزانة الأدب (٥/ ١٥)، (٦/ ١٩٩)، سمط اللآلي (ص ٤٨٤)، لسان العرب (شمس).

بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك. وكذلك معنى قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ﴾: وصيناه بإيتاء والديه حسناً، أو بإيلاء والديه حسناً؛ أي: فعلاً ذا حسن، أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه، كقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] وقرئ: حسنا. وإحسانا. ويجوز أن تجعل (حسنا) من باب قولك: زيدا، بإضمار «اضرب» إذا رأيته متهيئاً للضرب، فتنصبه بإضمار أولهما. أو افعل بهما، لأن التوصية بهما دالة عليه، وما بعده مطابق له، كأنه قال: قلنا أوْلِهما معروفاً و﴿تُطِعْهُمَآۚ﴾ في الشرك إذا حملاك عليه. وعلى هذا التفسير إن وقف على (بوالديه) وابتدأ (حسنا) حسن الوقف، وعلى التفسير الأول لا بد من إضمار القول، معناه: وقلنا إن جاهداك أيها الإنسان ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي لا علم لك بإلهيته. والمراد بنفي العلم: نفي المعلوم، كأنه قال: لتشكر بي شيئاً لا يصح أن يكون إلٰهاً ولا يستقيم: وصاه بوالديه وأمره بالإحسان إليهما، ثم نبه بنهيه عن طاعتهما إذا أراده على ما ذكر، على أن كل حق وإن عظم ساقط إذا جاء حق الله، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ثم قال: إليّ مرجع من آمن منكم ومن أشرك، فأجازيكم حق جزائكم. وفيه شيئان، أحدهما: أن الجزاء إليّ، فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما، ولا تحرمهما برك ومعرفوك في الدنيا، كما أني لا أمنعهما رزقي. والثاني: التحذير من متابعتهما على الشرك، والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد. روي أن سعد بن أبي وقاص الزهري ـ رضي الله عنه ـ حين أسلم قالت أمّه ـ وهي حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس ـ يا سعد، بلغني أنك قد صبأت، فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح(١) والريح؛ وإن الطعام والشراب عليّ حرام حتى تكفر بمحمد ـ وكان أحبّ ولدها إليها ـ فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك، فجاء سعد إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وشكا إليه، فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الأحقاف، فأمره رسول الله ـ ﷺ ـ أن يداريها ويترضاها بالإحسان (١١١٨). وروي أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ مترافقين

١١١٨ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٤٠ ـ ٤١) غريب وبهذا اللفظ وذكره الثعلبي في «تفسيره» والواحدي في «أسباب النزول» بلفظ المصنف سواء من غير سند ولا راو.
وينظر أسباب النزول للواحدي (ص ٣٥١).
والحديث أصله في صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٧) كتاب فضائل الصحابة: حديث (٤٣ ـ ١٧٤٨/٤٤).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: ذكره الواحدي والثعلبي والواقدي هكذا بغير سند والقصة في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص بغير هذا السياق. انتهى.

---

(١) قوله «من الضح» في الصحاح «الضح»: الشمس. وفي الحديث: «لا يقعدن أحدكم بين الضح والظل، فإنه مقعد الشيطان» اهـ. (ع)

حتى نزلا المدينة، فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام ـ أخواه لأمه أسماء بنت مخرمة: امرأة من بني تميم من بني حنظلة ـ فنزلا بعياش وقالا له: إن من دين محمد صلة الأرحام وبر الوالدين، وقد تركت أمّك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتاً حتى تراك، وهي أشدّ حباً لك منا فاخرج معنا، وفتلا منه في الذروة والغارب[1] فاستشار عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: هما يخدعانك ٢/٨٣ب، ولك عليّ أن أقسم مالي بيني وبينك، فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمر، فقال له عمر: أما إذا عصيتني فخذ ناقتي، فليس في الدنيا بعير يلحقها، فإن رابك منهما ريب فارجع، فلما انتهوا إلى البيداء قال أبو جهل: إن ناقتي قد كلت فاحملني معك. قال: نعم، فنزل ليوطىء لنفسه وله، فأخذاه وشدّاه وثاقاً، وجلده كل واحد منهما مائة جلدة، وذهبا به إلى أمه فقالت: لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد، فنزلت(١١١٩).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّلِحِينَ ۝﴾

﴿فِي الصَّلِحِينَ﴾ في جملتهم. والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين، وهو متمنى أنبياء الله. قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩] وقال في إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠] أو في مدخل الصالحين وهي الجنة، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩] الآية.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَآءَ

١١١٩ ـ أخرجه ابن إسحاق في «سيرته» (٢/٩٣ ـ سيرة ابن هشام) ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البزار (٢/٣٠٢ ـ ٣٠٤) من طريق نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب به وقال البزار: لا نعلم رواه عن النبي ـ ﷺ ـ إلا عمر ولا نعلم روي متصلاً عن عمر إلا بهذا الإسناد.
والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/٥٨) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات .اهـ.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: تقدم الكلام عليه في سورة النساء وهذا السياق أورده الثعلبي عن مقاتل وسنده إليه في أول كتابه وأخرجه ابن إسحاق في المغازي ومن طريقه البزار قال: حدثني نافع عن ابن عمر عن عمر مطولاً.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: تقدم الكلام عليه في سورة النساء وهذا السياق أورده الثعلبي عن مقاتل وسنده إليه في أول كتابه. وأخرجه ابن إسحاق في المغازي ومن طريقه البزار قال: حدثني نافع عن ابن عمر عن عمر مطولاً. انتهى.

---

(١) قوله «وفتلا منه في الذروة والغارب» في الصحاح: ما زال فلان يفتل من فلان في الذروة والغارب، أي: يدور من وراء خديعته. (ع)

﴿نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾﴾

هم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا مسهم أذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس، كان ذلك صارفاً لهم عن الإيمان، كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر. أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفاً. وإذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ أي مشايعين لكم في دينكم، ثابتين عليه ثباتكم، ما قدر أحد أن يفتننا، فأعطونا نصيبنا من المغنم. ثم أخبر سبحانه أنه أعلم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ من العالمين بما في صدورهم، ومن ذلك ما تكنّ صدور هؤلاء من النفاق، وهذا إطلاع منه للمؤمنين على ما أبطنوه، ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين. وقرئ: ليقولنّ، بفتح اللام.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

أمروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم، وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على الأمر، وأرادوا: ليجتمع هذان الأمران في الحصول أن تتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم. والمعنى: تعليق الحمل بالاتباع، وهذا قول صناديد قريش: كانوا يقولون لمن آمن منهم: لا نبعث نحن ولا أنتم، فإن عسى كان ذلك فإنا نتحمل عنكم الإثم. ونرى في المتسمين بالإسلام من يستنّ بأولئك يقول لصاحبه ـ إذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم ـ: افعل هذا وإثمه في عنقي. وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامّة وجهلتهم ـ ومنه ما يحكى أنّ أبا جعفر المنصور رفع إليه بعض أهل الحشو حوائجه، فلما قضاها قال: يا أمير المؤمنين، بقيت الحاجة العظمى. قال: وما هي؟ قال شفاعتك يوم القيامة، فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله: إياك وهؤلاء، فإنهم قطاع الطريق في المأمن[1]. فإن قلت: كيف سماهم كاذبين، وإنما ضمنوا شيئاً

---

(١) قال محمود: «وبعض المتسمين بالإسلام إذا أراد أن يشجع صاحبه على ذنب قال له: افعل هذا وإثمه في عنقي. ومنه ما يحكى أن رجلاً رفع إلى المنصور حوائجه فلما قضاها، قال يا أمير المؤمنين، بقيت لي إليك حاجة هي العظمى. قال: وما هي؟ قال: شفاعتك في المحشر. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، إياك وهؤلاء فهم قطاع الطريق في المأمن» قال أحمد: عمرو بن عبيد أول القدرية المنكرين للشفاعة فاحذره، وليست الآية مطابقة للحكاية، ولكن الزمخشري يبني على أنه لا فرق بين اعتقاد الشفاعة واعتقاد أن الكفار يحملون خطايا أتباعهم، فلذلك ساقهما مساقاً واحداً نعوذ =

علم الله أنهم لا يقدرون على الوفاء به، وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به، لا يسمى كاذباً لا حين ضمن ولا حين عجز، لأنه في الحالين لا يدخل تحت حدّ الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه؟ قلت: شبه الله حالهم حيث علم أن ما ضمنوه لا طريق لهم إلى أن يفوا به، فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر، عنه. ويجوز أن يريد أنهم كاذبون، لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه، كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي أثقال أنفسهم ﴿وَأَثْقَالًا﴾ يعني أثقالاً أخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها، وهي أثقال الذين كانوا سبباً في ضلالهم ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ﴾ سؤال تقريع ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي يختلقون من الأكاذيب والأباطيل. وقرئ: من خطيئاتهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

كان عمر نوح عليه السلام ألفاً وخمسين سنة، بعث على رأس أربعين، ولبث في قومه تسعمائة وخمسين، وعاش بعد الطوفان ستين. وعن وهب: أنه عاش ألفاً وأربعمائة سنة. فإن قلت: هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة؟ قلت: ما أورده الله أحكم. لأنه لو قيل كما قلت، لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره، وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك، وكأنه قيل: تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد، إلا أنّ ذلك أخصر وأعذب لفظاً وأملأ بالفائدة[(١)]، وفيه نكتة أخرى: وهي أنّ القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمّته وما كابده من طول المصابرة، تسلية لرسول الله ـ ﷺ ـ وتثبيتاً له، فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه، أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدّة صبره ٢/ ٨٤أ. فإن قلت: فلم جاء المميز أوّلاً بالسنة وثانياً بالعام؟ قلت: لأنّ تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل[(٢)] أو تنويه أو نحو ذلك. و﴿ٱلطُّوفَانُ﴾ ما أطاف

= بالله من ذلك. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ نكتة حسنة يستدل بها على صحة مجيء الأمر بمعنى الخبر، فإن من الناس من أنكره والتزم تخريج جميع ما ورد في ذلك على أصل الأمر، ولم يتم له ذلك في هذه الآية، لأن الله تعالى أردف قولهم: ولنحمل خطاياكم، على صيغة الأمر بقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ والتكذيب إنما يتطرق إلى الأخبار.

(١) قال محمود: «عدل عن تسعمائة وخمسين لأنه يحتمل فيه إطلاق العدد على أكثره بخلاف مجيئه مع الاستثناء» قال أحمد: لأن الاستثناء استدراك ورجوع على الجملة بالتنقيص، تحريراً للعدد، فلا يحتمل المبالغة لأنها لا يجوز معها العدد.

(٢) عاد كلامه. قال: «وفيه نكتة أخرى» وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح وكابده من طول =

وأحاط بكثرة وغلبة، من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما؛ قال العجاج [من الرجز]:

.... وَغَــمَّ طُــوفَــانُ الــظَّــلَامِ الأَثْــأَبَــا[1]

﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ كانوا ثمانية وسبعين نفساً: نصفهم ذكور، ونصفهم إناث، منهم أولاد نوح عليه السلام: سام، وحام، ويافث، ونساؤهم. وعن محمد بن إسحاق: كانوا عشرة. خمسة رجال وخمس نسوة. وقد روي عن النبيّ ﷺ «كانوا ثمانية: نوح وأهله وبنوه الثلاثة» (١١٢٠) والضمير في ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ للسفينة أو للحادثة والقصة.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

نصب ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ بإضمار اذكر، وأبدل عنه ﴿إِذْ﴾ بدل الاشتمال؛ لأنّ الأحيان تشتمل على ما فيها. أو هو معطوف على (نوحا) وإذ ظرف لأرسلنا، يعني: أرسلناه حين بلغ من السنّ والعلم مبلغاً صلح فيه لأن يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ إبراهيم النخعي وأبو حنيفة رحمهما الله. وإبراهيم، بالرفع على معنى: ومن المرسلين إبراهيم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: إن كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم. أو إن نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء:

١١٢٠ ـ تقدم تخريجه في سورة هود.

= المصابرة، تسلية له عليه السلام فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع على الغرض. قال: وإنما خالف بين اللفظين فذكر في الأول السنة وفي الثاني العام، تجنبا للتكرار الذي لا يحمد إلا لقصد تفخيم أو تعظيم، قال أحمد: ولو فخم المستثنى لعاد ذلك ببعض تفخيم المستثنى منه وتكبيره عند السامع، والله أعلم.

(١) حــتــى إذا مــا يــومــهــا تــصــبــبــا وغــم طــوفــان الــظــلام الأثــأبــا

للعجاج يصف بقرة وحشية. وما: زائدة. ويروى: عم، بالمهملة وبالمعجمة، والمعنيان متقاربان. والطوفان: كل ما طاف حول الشيء وأحاط به من ظلام أو ماء أو نحوهما. والأثأب: نوع من الشجر يشبه شجر التين، الواحدة: أثأبة ونسبة التصبب لليوم: مجاز عقلي من باب الإسناد للزمان. أو على تقدير التمييز، أي: تصبب مطراً، وستر ظلامه الشجر الذي كانت فيه.

ينظر: ملحق ديوانه ٢/ ٢٦٨، ولسان العرب (صبب)، (طوف)، وتاج العروس (طوف)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/ ٤٣٢، والمخصص ٩/ ١٢٩، وديوان الأدب ٣/ ٣٨٦، وتهذيب اللغة ١٤/ ٣٣، وتاج العروس (أدى).

علمتم أنه خير لكم: وقرئ: تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق. وتخلقون، من تخلق بمعنى تكذب وتخرص. وقرئ: إفكا، فيه وجهان: أن يكون مصدراً، نحو: كذب ولعب، والإفك: مخفف منه، كالكذب واللعب من أصلهما، وأن يكون صفة على فعل، أي خلقا إفكا، أي ذا إفك وباطل. واختلاقهم الإفك: تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء الله أو شفعاء إليه. أو سمى الأصنام: إفكا، وعملهم لها ونحتهم: خلقاً للإفك. فإن قلت: لم نكر الرزق ثم عرفه؟ قلت: لأنه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئاً من الرزق، فابتغوا عند الله الرزق كله. فإنه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وقرئ: بفتح التاء، فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه، وإن تكذبونني فلا تضرونني بتكذيبكم، فإنّ الرسل قبلي قد كذبتهم أممهم، وما ضرّوهم وإنما ضروا أنفسهم، حيث حلّ بهم ما حلّ بسبب تكذيب الرسل: وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشكّ، وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته. أو: وإن كنت مكذباً فيما بينكم فلي في سائر الأنبياء أسوة وسلوة حيث كذبوا، وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب، وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ [العنكبوت: ٢٤] محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم صلوات الله عليه لقومه، وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله ـ ﷺ ـ وشأن قريش بين أوّل قصة إبراهيم وآخرها. فإن قلت: إذا كانت من قول إبراهيم فما المراد بالأمم قبله؟ قلت: قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم، وكفى بقوم نوح أمّة في معنى أمم جمة مكذبة، ولقد عاش إدريس ألف سنة في قومه إلى أن رفع إلى السماء. وآمن به ألف إنسان منهم على عدد سنيه، وأعقابهم على التكذيب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

فإن قلت: فما تصنع بقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؟ قلت: هي حكاية كلام حكاه إبراهيم عليه السلام لقومه، كما يحكي رسولنا كلام الله على هذا المنهاج في أكثر القرآن فإن قلت: فإذا كانت خطاباً لقريش ما وجه توسطهما بين طرفي قصة إبراهيم والجملة أو الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ألا تراك لا تقول: مكة ـ وزيد أبوه قائم ـ خير بلاد الله؟ قلت: إيراد قصة إبراهيم ليس إلا إرادة

للتنفيس عن رسول الله ـ ﷺ ـ، وأن تكون مسلاة له ومتفرجاً بأنّ أباه إبراهيم خليل الله كان ممنوّ بنحو ما مني[1] به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان، فاعترض بقوله: وإن تكذبوا، على معنى إنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمداً فقد كذب إبراهيم قومه وكل أمة نبيها؛ لأن قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ لا بد من تناوله لأمّة إبراهيم، وهو كما ترى اعتراض واقع[2] متصل، ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من أذيالها وتوابعها، لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله، وهدم الشرك وتوهين قواعده، وصفة ٢/ ٨٤ب قدرة الله وسلطانه، ووضوح حجته وبرهانه. وقرئ (يروا) بالياء والتاء. ويبدىء ويبدأ. وقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ ليس بمعطوف على يبدىء، وليست الرؤية واقعة عليه، وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت، كما وقع النظر في قوله تعالى: ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ على البدء دون الإنشاء، ونحوه قولك: ما زلت أوثر فلاناً وأستخلفه على من أخلفه[3]. فإن قلت: هو معطوف بحرف العطف، فلا بد له من معطوف عليه، فما هو؟ قلت: هو جملة قوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ وكذلك: وأستخلفه، معطوف على جملة قوله: ما زلت أوثر فلاناً ﴿ذَٰلِكَ﴾ يرجع إلى ما يرجع إليه هو في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] من معنى يعيد. دل بقوله ﴿النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ على أنهما نشأتان، وأن كل واحدة منهما إنشاء، أي: ابتداء واختراع، وإخراج من العدم إلى الوجود، لا تفاوت بينهما إلا أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله، والأولى ليست كذلك. وقرئ: النشأة والنشاءة، كالرأفة والرآفة. فإن قلت: ما معنى الإفصاح باسمه مع إيقاعه مبتدأ في قوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ بعد إضماره في قوله: كيف بدأ الخلق؟ وكان القياس أن يقال: كيف بدأ الله الخلق ثم ينشىء النشأة الآخرة؟ قلت: الكلام معهم كان واقعاً في الإعادة، وفيها كانت تصطك الركب، فلما قرّرهم في الإبداء بأنه من الله، احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء، فإذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الإبداء، فهو الذي

---

(١) قوله «كان ممنوا بنحو ما مني به» أي: مبتلى. في الصحاح: منوته ومنيته، إذا ابتليته. (ع)

(٢) قوله «وهو كما ترى اعتراض واقع» لعله: واقع موقعه. (ع)

(٣) قال محمود: «يعيده ليس معطوفاً على يبدىء، وإنما هو إخبار على حياله، كما وقع ﴿كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة﴾ كقولك ما زلت أوثر فلاناً وأستخلفه بعدي» قال أحمد: وقد تقدم له عند قوله تعالى: ﴿أمن يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ أنه معطوف، وصحح العطف ـ وإن كانوا ينكرون الإعادة ـ لأن الاعتراف بها لازم لهم، وقد أبى ههنا جعله معطوفاً، فالفرق والله أعلم أنه ههنا لو عطف الإعادة على البداءة لدخلت في الرؤية الماضية وهي لم تقع بعد، ولا كذلك في آية النمل، ولقائل أن يقول: هي وإن لم تقع، إلا أنها بإخبار الله تعالى بوقوعها كالواقعة المرئية، فعوملت معاملة ما رؤي وشوهد إلا أن جعله خبراً ثانياً أوضح، والله أعلم.

وجب أن لا تعجزه الإعادة[1]، فكأنه قال: ثم ذاك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشىء النشأة الآخرة، فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ رحمته، ومتعلق المشيئتين مفسر بين في مواضع من القرآن[2] وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق إذا لم يتوبا، ومن المعصوم والتائب ﴿تُقْلَبُونَ﴾ تردون وترجعون ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربكم أي لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الفسيحة ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ التي هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها، كقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾ [الرحمن: ٣٣]، وقيل: ولا من في السماء[3]؛ كما قال حسان ـ رضي الله عنه ـ [من الوافر]:

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ؟[4]

ويحتمل أن يراد: لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الأرض وأعماقها، أو علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨] أو لا تعجزون أمره الجاري في السماء والأرض أن يجري عليكم، فيصيبكم ببلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث ﴿يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ وعيد، أي ييأسون يوم القيامة، كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الروم:١٢]. أو هو وصف لحالهم؛ لأنّ المؤمن إنما يكون راجياً خاشياً، فأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف. أو شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة: وعن

---

(١) قال محمود: «إن قلت ما وجه الإفصاح باسمه تعالى مع النشأة الآخرة، بعد إضماره في البداءة أو لا؟ قلت: لأن النشأة الآخرة هي المقصودة وفيها كانت تصطك الركب، فكانت خليقة بإبراز اسمه تعالى تحقيقاً لنسبة الإعادة إلى من نسبت إليه الأولى» قال أحمد: والأصل الإظهار ثم الإضمار، ويليه لقصد التفخيم: الإظهار بعد الإظهار، ويليه وهو أفخم الثلاثة: الإظهار بعد الإضمار كما في الآية، والله أعلم.

(٢) قوله «ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن» تفسيره بما يأتي مبني على أنه تعالى يجب عليه تعذيب الكافر والفاسق إذا لم يتوبا وإثابة المعصوم والتائب، وهو مذهب المعتزلة. ولا يجب عليه تعالى شيء عند أهل السنة، فالمشيئة في الآية على إطلاقها. (ع)

(٣) قوله «وقيل ولا من في السماء» عبارة الخازن: ولا من في السماء بمعجز. (ع)

(٤) تقدم.

قتادة ـ رضي الله عنه ـ: إن الله ذمّ قوماً هانوا عليه فقال: ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ وقال: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧] فينبغي للمؤمن أن لا ييأس من روح الله ولا من رحمته، وأن لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن[١] أن يكون راجياً لله عز وجل خائفاً.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قرئ ﴿جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ بالنصب والرفع ﴿قَالُوا﴾ قال بعضهم لبعض. أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين، فكانوا جميعا في حكم القائلين. وروي أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار، نعني: يوم ألقي إبراهيم في النار، وذلك لذهاب حرّها.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قرئ على النصب بغير إضافة وبإضافة، وعلى الرفع كذلك، فالنصب على وجهين: على التعليل، أي لتتوادّوا بينكم وتتواصلوا، لاجتماعكم على عبادتهم واتفاقكم عليها وائتلافكم، كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم. وأن يكون مفعولاً ثانياً، كقوله: ﴿اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان:٤٣] أي اتخذتم الأوثان سبب المودّة بينكم، على تقدير حذف المضاف. أو اتخذتموها مودّة بينكم، بمعنى مودودة بينكم، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] وفي الرفع وجهان: أن يكون خبراً لأنّ، على أن ما موصولة. وأن يكون خبر مبتدأ محذوف. والمعنى: أنّ الأوثان مودّة بينكم، أي: مودودة، أو سبب مودّة. وعن عاصم: مودّة بينكم: بفتح بينكم مع الإضافة، كما قرئ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤] ففتح وهو فاعل ٢/ ١٨٥أ. وقرأ ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أوثاناً إنما مودّة بينكم في الحياة الدنيا، أي: إنما تتوادّون عليها، أو تودّونها في الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي: يتلاعن العبدة، ويتلاعن العبدة والأصنام، كقوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم:٨٢].

---

(١) قوله «صفة المؤمن» لعله: لأن صفة المؤمن... إلخ. (ع)

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

كان لوط ابن أخت إبراهيم عليهما السلام، وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من «كوثى» وهي من سواد الكوفة إلى «حرّان» ثم منها إلى فلسطين، ومن ثمة قالوا: لكل نبي هجرة ولإبراهيم هجرتان، وكان معه في هجرته: لوط، وامرأته سارّة، وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ إلى حيث أمرني بالهجرة إليه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي يمنعني من أعدائي ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي لا يأمرني إلا بما هو مصلحتي.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿أَجۡرَهُۥ﴾ الثناء الحسن، والصلاة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوّة، وأن أهل الملل كلهم يتولونه. فإن قلت: ما بال إسماعيل عليه السلام لم يذكر، وذكر إسحاق وعقبه؟ قلت: قد دلّ عليه في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ وكفى الدليل لشهرة أمره وعلوّ قدره. فإن قلت: ما المراد بالكتاب؟ قلت: قصد به جنس الكتاب، حتى دخل تحته ما نزل على ذرّيته من الكتب الأربعة؛ التي هي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن؟

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَلُوطًا﴾ معطوف على إبراهيم، أو على ما عطف عليه. و﴿ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ الفعلة البالغة في القبح. و﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة، كأن قائلاً قال: لم كانت فاحشة؟ فقيل له: لأن أحداً قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازاً منها في طباعهم لإفراط قبحها، حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم. قالوا: لم ينزُ ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط. وقرئ: إنكم، بغير استفهام في الأوّل دون الثاني: قال أبو عبيدة: وجدته في الإمام بحرف واحد بغير ياء، ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون وقطع السبيل: عمل قطاع الطريق، من قتل الأنفس وأخذ الأموال. وقيل: اعتراضهم السابلة بالفاحشة. وعن الحسن: قطع النسل بإتيان ما ليس بحرث. و﴿ٱلۡمُنكَرَ﴾ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هو الحذف بالحصى، والرمي بالبنادق،

والفرقعة، ومضغ العلك، والسواك بين الناس، وحل الأزرار، والسباب، والفحش في المزاح. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: كانوا يتحابقون[1]. وقيل السخرية بمن مرَّ بهم. وقيل: المجاهرة في ناديهم بذلك العمل، وكل معصية فإظهارها أقبح من سترها، ولذلك جاء: من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له. ولا يقال للمجلس: ناد، إلا ما دام فيه أهله، فإذا قاموا عنه لم يبق نادياً ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما تعدناه من نزول العذاب. كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعاً وكرهاً ولأنهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨] فأراد لوط عليه السلام أن يشتد غضب الله عليهم، فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ هي البشارة بالولد. والنافلة: وهما إسحاق ويعقوب. وإضافة مهلكوا إضافة تخفيف لا تعريف. والمعنى الاستقبال. والقرية: سدوم التي قيل فيها: أجور من قاضي سدوم ﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ معناه أنّ الظلم قد استمر منهم إيجاده في الأيام السالفة، وهم عليه مصرون، وظلمهم: كفرهم وألوان معاصيهم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ ليس إخباراً لهم بكونه فيها، وإنما هو جدال في شأنه؛ لأنهم لما عللوا إهلاك أهلها بظلمهم: اعترض عليهم بأن فيها من هوى بريء من الظلم، وأراد بالجدال: إظهار الشفقة عليهم. وما يجب للمؤمن من التحزن لأخيه، والتشمر في نصرته وحياطته، والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر. قال قتادة: لا يرى المؤمن ألا يحوط المؤمن، ألا ترى إلى جوابهم بأنهم أعلم منه ﴿بِمَن فِيهَا﴾ يعنون: نحن أعلم منك وأخبر بحال لوط وحال قومه، وامتيازه منهم الامتياز البين، وأنه لا يستأهل ما يستأهلون، فخفض على نفسك وهوّن عليك الخطب. وقرئ: (لننجينه) بالتشديد والتخفيف، وكذلك منجوك.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا

---

(١) قوله «كانوا يتحابقون» في الصحاح «الحبق» بالكسر: الردام. وفيه أيضاً «الردام» بالضم: الحبق اهـ، وهو دور فلينظر حله، ثم رأيت فيه في مادة «ضرط» الضراط: الردام، وقد ضرط يضرط ضرطاً بكسر الراء، مثال: حبق يحبق حبقاً اهـ. فالتحابق: المضارطة، كما عبر النسفي. (ع)

مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ ٢/ ٨٥ب

﴿أَن﴾ صلة أكدت وجود الفعلين مترتباً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما؛ كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان، كأنه قيل: كماأحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث[1]، خيفة عليهم من قومه ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته، وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع: عبارة عن فقد الطاقة، كما قالوا: رحب الذراع بكذا، إذا كان مطيقاً له، والأصل فيه أنّ الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع، فضرب ذلك مثلاً في العجز والقدرة.

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الرجز والرجس: العذاب، من قولهم: ارتجز وارتجس إذا اضطرب، لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب. وقرئ: ﴿مُنزِلُونَ﴾ مخففاً ومشدّداً ﴿مِنْهَآ﴾ من القرية ﴿ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾ هي آثار منازلهم الخربة. وقيل: بقية الحجارة. وقيل: الماء الأسود على وجه الأرض. وقيل: الخبر عما صنع بهم ﴿لِّقَوْمٍ﴾ متعلق بتركنا أو ببينة.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَٱرْجُوا۟﴾ وافعلوا ما ترجون به العاقبة. فأقيم المسبب مقام السبب. أو أمروا بالرجاء: والمراد: اشتراط ما يسوّغه من الإيمان، كما يؤمر الكافر بالشرعيات على إرادة الشرط. وقيل: هو من الرجاء بمعنى الخوف. والرجفة: الزلزلة الشديدة. وعن الضحاك: صيحة جبريل عليه السلام؛ لأنّ القلوب رجفت لها ﴿فِى دَارِهِمْ﴾ في بلدهم وأرضهم. أو في ديارهم، فاكتفى بالواحد لأنه لا يلبس ﴿جَـٰثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَعَادًا﴾ منصوب بإضمار «أهلكنا» لأن قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ يدل عليه، لأنه في معنى الإهلاك ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ ذلك: يعني ما وصفه من إهلاكهم ﴿مِّن﴾ جهة

---

(١) قوله «من غير ريث» أي بطء. (ع)

﴿مَسَٰكِنِهِمْۖ﴾ إذا نظرتم إليها عند مروركم بها. وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ عقلاء متمكنين من النظر والافتكار، ولكنهم لم يفعلوا. أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لأن الله تعالى قد بين لم على ألسنة الرسل عليهم السلام، ولكنهم لجوا حتى هلكوا.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿سَٰبِقِينَ﴾ فائتين: أدركهم أمر الله فلم يفوتوه.

﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

الحاصب: لقوم لوط، وهي ريح عاصف فيها حصباء. وقيل: ملك كان يرميهم. والصيحة: لمدين وثمود. والخسف: لقارون. والغرق: لقوم نوح وفرعون.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلاً ومتعمداً في دينهم وتولوه من دون الله، بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوّة. وهو نسج العنكبوت. ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله: ﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ﴾؟ فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت؟ قلت: معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن. ووجه آخر: وهو أنه إذا صحّ تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت، وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كان يعلمون. أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز، فكأنه قال: وإن أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون. ولقائل أن يقول: مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله، مثل عنكبوت يتخذ بيتاً، بالإضافة إلى رجل يبني بيتاً بآجر وجص أو ينحته من صخر، وكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت، كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها ديناً ديناً عبادة الأوثان لو كان يعلمون. قرئ: تدعون، بالتاء والياء. وهذا توكيد للمثل وزيادة

عليه، حيث لم يجعل ما يدعونه شيئاً ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء؛ لأنه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلاً، وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء، الحكيم الذي لا يفعل شيئاً إلا بحكمة وتدبير.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون إنّ ربّ محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، فلذلك قال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا هم، لأنّ الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصوّرها للأفهام، كما صوّر هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال ٢/٨٦أ الموحد وعن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية فقال: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه» (١١٢١).

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾

١١٢١ ـ أخرجه داود بن المحبر في «كتاب العقل» كما في «تخريج الزيلعي» (٣/ ٤٣) حدثنا عباد بن كثير عن ابن جريج عن عطاء وأبي الزبير عن جابر به.
وعنه الحارث بن أبي أسامة كما في «المطالب العالية» (٣/ ٢١٤) رقم (٣٢٩٤). ومن طريقهما أخرجه أيضاً الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٢٠).
ورواه ابن حجر قال الحافظ: متروك أكثر كتاب العقل الذي صنفه موضوعات. ينظر التقريب (١/ ٣٢٤).
قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٤٣).
وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ونقل عن الدارقطني أنه قال: كتاب العقل وضعه أربعة: أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه داود بن المحبر منه، فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء، فركبه بأسانيد أخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي؛ فأتى بأسانيد أخر. انتهى.
وقال الشيخ شرف الدين الدمياطي: روي من طريق داود بن المحبر، ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: أسقطت سقطاً، فسماه عبد الله، وكناني بأم عبد الله، داود بن المحبر قال فيه أحمد: شبه لا شيء لا يدري ما الحديث، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بكذاب، ولكنه جفا الحديث وتعبد فلما كبر؛ كثر خطؤه وتصحيفه إلا أنه ثقة، وقال ابن عدي له كتاب في العقل، فيه أحاديث منكرة، وله خارج كتاب العقل أحاديث صالحة ويشبه أن يكون الأمر فيه كما قال ابن معين: وهو في الأصل صدوق. انتهى كلامه.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه داود بن المحبر في كتاب العقل والحارث بن أبي أسامة في مسنده عنه من حديث جابر، وأخرجه من طريق الحارث الثعلبي والواحدي: والبغوي، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات. انتهى.

﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي بالغرض الصحيح[1] الذي هو حق لا باطل، وهو أن تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم، ودلائل على عظم قدرته: ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ﴾ [ص:٢٧] ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾.

﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

الصلاة تكون لطفاً في ترك المعاصي، فكأنها ناهية عنها. فإن قلت: كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلاته؟ قلت الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب: أن يدخل فيها مقدّماً للتوبة النصوح، متقياً؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ ويصليها خاشعاً بالقلب والجوارح، فقد روي عن حاتم: كأنّ رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي، وأصلي بين الخوف والرجاء؛ ثم يحوطها بعد أن يصليها فلا يحبطها، فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعداً (١١٢٢). وعن الحسن رحمه الله: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء

١١٢٢ ـ أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٥٤) رقم (١١٠٢٥) وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤١٤) من طريق ليث عن طاوس عن ابن عباس مرفوعاً.
وليث هو ابن أبي سليم صدوق اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك كما قال الحافظ. والحديث ذكره العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ١٤٣): إسناده لين.
وقد ورد هذا الحديث موقوفاً على ابن عباس أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٤٤). وفي إسناده رجل لم يسم. وللحديث شاهد من حديث ابن عمر.
أخرجه الدارقطني في «غرائب مالك» كما عند الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٤٤) من طريق محمد بن الحسن الأزدي المصري ثنا مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً.
وقال الدارقطني: هذا باطل لا أصل له ومحمد بن الحسن مجهول. وله شاهد موقوف عن ابن مسعود.
أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ١٥٩). وله شاهد أيضا من مراسيل الحسن.
أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٩٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» كما في «تخريج الزيلعي» (٣/ =

---

(١) قال محمود: «أي بالغرض الصحيح» قال أحمد: لفظة قدرية ومعتقد رديء قد تقدم إنكاره على القدرية، ولو كان ما قالوه حقاً من حيث المعنى، لوجب اجتناب هذه العبارة التي لا تليق بالأدب. والله سبحانه وتعالى أعلم.

والمنكر، فليست صلاته بصلاة، وهي وبال عليه. وقيل: من كان مراعياً للصلاة جرّه ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوماً مّا، فقد روي أنه قيل لرسول الله - ﷺ - إنّ فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل، فقال: «إنّ صلاته لتردعه» (١١٢٣). وروي أنّ فتى من الأنصار كان يصلي معه الصلوات، ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه، فوصف له فقال: «إن صلاته ستنهاه» فلم يلبث أن تاب (١١٢٤). وعلى كل حال إنّ المراعي للصلاة لا بدّ أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها. وأيضاً فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن

= ٤٥) وقد ورد عن الحسن أيضاً من قوله.

أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٢٦٤) والطبري (٢٠/ ٩٢).

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الطبراني من رواية العلاء بن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس بهذا موقوفاً. ورواه الطبراني وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق ليث عن عطاء عن ابن عباس مرفوعاً، وفي الباب عن ابن عمر. أخرجه الدارقطني في غرائب مالك. وفي إسناده محمد بن الحسن. قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. يروي عن مالك ما لا أصل له. وأخرجه أحمد في الزهد من قول ابن مسعود. وأخرجه عبد الرزاق والطبري والبيهقي في الشعب من مرسل الحسن. انتهى.

١١٢٣ - أخرجه أحمد (٢/ ٤٧) وابن حبان (٦٣٩ - موارد) والبزار (٧٢٠ - كشف) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٤٣٠) كلهم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً. وصححه ابن حبان.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٦١) وقال: رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح .اهـ.

وأخرجه أيضاً إسحاق بن راهويه وأبو يعلى والبيهقي في «شعب الإيمان» كما في «تخريج الزيلعي» (٣/ ٤٥ - ٤٦). وللحديث شاهد من حديث جابر.

أخرجه البزار (٧٢١ - كشف) ثنا محمد بن موسى الحرشي ثنا زياد بن عبد الله عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر به.

وقال البزار: وقد اختلفوا في إسناده فرواه غير واحد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ورواه بعضهم عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر وبعضهم يرويه عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر .اهـ.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٦١) وقال رواه البزار ورجاله ثقات.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أحمد وإسحاق وابن حبان والبزار وأبو يعلى من طريق عيسى بن يونس ووكيع ومجاهد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة. قال: جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال: إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق. فقال: إن صلاته ستنهاه، ورواه البزار من طريق زياد البكائي، وأبو يعلى من طريق أبي إسحاق الفزاري كلاهما عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر. قال البزار: اختلف فيه عن الأعمش فقيل عنه أيضاً عن أبي سفيان عن جابر. انتهى.

١١٢٤ - ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٤٦) وقال غريب.

وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده.

الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها، كما تقول: إنّ زيداً ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير، وإنما تريد أنّ هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يريد: وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسماها بذكر الله كما قال: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [**الجمعة**: ٩] وإنما قال: ولذكر الله: ليستقلّ بالتعليل، كأنه قال: وللصلاة أكبر، لأنها ذكر الله، أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر، فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ من الخير والطاعة، فيثيبكم أحسن الثواب.

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بالخصلة التي هي أحسن: وهي مقابلة الخشونة باللين، والغضب بالكظم. والسورة بالأناة، كما قال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق، فاستعملوا معهم الغلظة، وقيل: إلا الذين آذوا رسول الله ـ ﷺ ـ. وقيل: إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة. وقيل: معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمّة المؤدّين للجزية إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمّة ومنعوا الجزية، فإن أولئك مجادلتهم بالسيف. وعن قتادة: الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [**التوبة**:١٩] ولا مجادلة أشدّ من السيف: وقوله: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من جنس المجادلة بالتي هي أحسن. وعن النبي ﷺ: ما حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان باطلاً لم تصدّقوهم، وإن كان حقاً لم تكذبوهم (١١٢٥).

١١٢٥ ـ أخرجه أبو داود (٣/٣١٨) كتاب العلم: باب رواية حديث أهل الكتاب حديث (٣٦٤٤) وأحمد (٤/١٣٦) وابن حبان (١١٠ ـ موارد) وإسحاق بن راهويه وأبو يعلى والطبراني كما في «تخريج الزيلعي» (٣/٤٧) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٠٦) كلهم من طريق نملة بن أبي نملة الأنصاري عن أبي نملة الأنصاري به وقال ابن القطان في «الوهم والإيهام» كما في «تخريج الكشاف» (٣/٤٧): ومثل هذا الحديث ليس بصحيح فإن نملة بن أبي نملة مجهول الحال ولا يعرف بغير هذا الحديث ولا روى عنه غير الزهري وأبوه أبو نملة معروف في الصحابة واسمه عماد بن معاذ بن زرارة شهد بدراً مع أبيه معاذ ثم المشاهد كلها وتوفي في خلافة عبد الملك بن =

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾

ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي أنزلناه مصدّقاً لسائر الكتب السماوية تحقيقاً لقوله ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ وقيل: كما أنزلنا الكتب إلى من كان قبلك أنزلنا إليك الكتاب ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من أهل مكة. وقيل: أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله ـ ﷺ ـ من أهل الكتاب. ومن هؤلاء ممن في عهده منهم ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ مع ظهورها وزوال الشبهة عنها، إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه. وقيل: هم كعب بن الأشرف وأصحابه.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

وأنت أميّ ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط ﴿إِذًا﴾ لو كان شيء من ذلك، أي، من التلاوة والخط ﴿لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ من أهل الكتاب وقالوا: الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به، أو لارتاب مشركو مكة وقالوا: لعله تعلمه أو كتبه بيده. فإن قلت ٢/ ٨٦ب: لم سماهم مبطلين، ولو لم يكن أمّياً وقالوا: ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين؟ ولكان أهل مكة أيضاً على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارىء كاتب؟ قلت: سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أميّ بعيد من الريب، فكأنه قال: هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن أمّياً لارتابوا أشدّ الريب، فحين ليس[1]

= مروان رحمهما الله .اهـ.

وللحديث شاهد من حديث عامر بن ربيعة.
أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٣/ ٤٧) من طريق بقية بن الوليد عن محمد بن الوليد عن الزبيري عن الزهري عن سالم عن ابن عمر عن عامر بن ربيعة به.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود، وابن حبان وأحمد وإسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلى والطبراني، من طرق الزهري أخبرني ابن أبي نملة الأنصاري أن أباه أبا نملة الأنصاري أخبره. قال: «بينا هو عند رسول الله ـ ﷺ ـ جالس فذكر قصة هذا فيها»، هذا هو المعروف في إسناد هذا الحديث، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين من رواية بقية عن الزبير عن الزهري عن سالم عن أبيه عن عامر بن ربيعة به. وأصل الحديث في البخاري من حديث أبي هريرة باختصار. انتهى.

---

(١) قوله «فحين ليس» لعله فحين كان ليس. (ع)

بقارىء كاتب فلا وجه لارتيابهم. وشيء آخر: وهو أن سائر الأنبياء عليهم السلام لم يكونوا أمّيين، ووجب الإيمان بهم وبما جاءوا به، لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات، فهب أنه قارىء كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى عليهما السلام؟ على أن المنزلين[1] ليسا بمعجزين، وهذا المنزل معجز، فإذاً هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أمي، ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمي. فإن قلت: ما فائدة قوله بيمينك؟ قلت: ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط: زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتباً. ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات؛ رأيت الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه، كان أشد لإثباتك أنه تولى كتبته، فكذلك للنفي ﴿بَلْ﴾ القرآن ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ﴾ العلماء به وحفاظه، وهما من خصائص القرآن: كون آياته بينات الإعجاز، وكونه محفوظاً في الصدور يتلوه أكثر الأمة ظاهراً؛ بخلاف سائر الكتب، فإنها لم تكن معجزات، وما كانت تقرأ إلا من المصاحف. ومنه ما جاء في صفة هذه الأمة «صدورهم أناجيلهم» (١١٢٦)، ﴿وَمَا يَجْحَدُ﴾ بآيات الله الواضحة، إلا المتوغلون في الظلم المكابرون.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قرئ: آية، وآيات. أرادوا: هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما السلام ونحو ذلك ﴿إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ينزل أيتها شاء، ولو شاء أن ينزل ما تقترحونه

١١٢٦ ـ أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/١٠٩ ـ ١١٠) رقم (١٠٠٤٦) من طريق إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «صفتي أحمد المتوكل ليس بفظ ولا غليظ يجزي بالحسنة الحسنة ولا يكافي السيئة مولده بمكة ومهاجره طيبة وأمته الحمادون يأتزرون على أنصافهم ويوصون أطرافهم أناجيلهم في صدورهم...».
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٧٤) وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه من لم أعرفهم.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الطبراني من رواية سنان بن الحارث عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود مرفوعاً في أثناء حديث، وروى الواقدي في الردة عن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة عن أبيه، أن يهودياً من أهل سبأ يقال له نعمان، وكان أعلم أحبار يهود فذكر قصة فيها صفة النبي ـ ﷺ ـ في سفر عندهم مختوم وفيه هذا.

---

(١) قوله «على أن المنزلين ليسا بمعجزين» لعله: المنزلين عليهما. (ع)

لفعل ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ كلفت الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات، وليس لي أن أتخير على الله آياته فأقول: أنزل عليّ آية كذا دون آية كذا، مع علمي أنّ الغرض من الآية ثبوت الدلالة، والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك، ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾آية مغنية عن سائر الآيات ـ إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين ـ هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحلّ، كما تزول كل آية بعد كونها، وتكون في مكان دون مكان. إنّ في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان إلى آخر الدهر ﴿لَرَحْمَةً﴾ لنعمة عظيمة لا تشكر. وتذكرة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وقيل: أولم يكفهم، يعني اليهود: أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك. وقيل: إنّ ناساً من المسلمين أتوا رسول الله ـ ﷺ ـ بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود، فلما أن نظر إليها ألقاها وقال: كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاءهم به غير نبيهم، فنزلت (١١٢٧). والوجه ما ذكرناه ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ أني قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنذرتكم، وأنكم قابلتموني بالجحد والتكذيب ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهو مطلع على أمري وأمركم، وعالم بحقي وباطلكم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ منكم وهو ما تعبدون من دون الله ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ وآياته ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان، إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف؛ كقوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، وكقول حسان [من الوافر]:

. . . . فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ[١]

وروي أنّ كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا: يا محمد، من يشهد لك بأنك رسول الله، فنزلت.

١١٢٧ ـ أخرجه ابن جرير الطبري (١٠/ ١٥٤) حديث (٢٧٨٣٨) وأبو داود في المراسيل (ص ٣٢٠) باب ما جاء في العلم، حديث برقم (٤٥٤)، والدارمي في سننه (١/ ١٢٤): باب من لم ير كتابة الحديث. وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٠٠) باب في مطالعة كتب أهل الكتاب والرواية عنهم حديث (١٤٨٥).

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٨٣) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي وابن مردويه.

قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه الطبري وأبو داود في المراسيل من طريق يحيى بن جعد، أن النبي ـ ﷺ ـ أتاه قوم من المسلمين بكتاب في كتف، فذكر نحوه ولفظ الطبري كالأصل. انتهى.

---

(١) تقدم.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيباً، والنضر بن الحارث هو الذي قال: اللهم أمطر علينا حجارة من السماء، كما قال أصحاب الأيكة: فأسقط علينا كسفاً من السماء ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ﴾ قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم، وأوجبت الحكمة تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عاجلاً، والمراد بالأجل: الآخرة، لما روي أنّ الله تعالى وعد رسول الله ـ ﷺ ـ أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم، وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة (١١٢٨). وقيل: يوم بدر. وقيل: وقت فنائهم بآجالهم ﴿لَمُحِيطَةٌ﴾ أي ستحيط بهم ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ أو هي محيطة بهم في الدنيا؛ لأنّ المعاصي التي توجبها محيطة بهم. أو لأنها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم. و(يوم يغشاهم) على هذا منصوب بمضمر، أي: يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت. ﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]، ﴿وَنَقُولُ﴾ وقرئ بالنون والياء ﴿مَا كُنتُمْ﴾/ ٢/ ٨٧أ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ أي جزاءه.

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

معنى الآية: أنّ المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يحب فليهاجر عنه إلى بلد يقدّر أنه فيه أسلم قلباً وأصح ديناً وأكثر عبادة وأحسن خشوعاً. ولعمري إن البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير، ولقد جرّبنا وجرّب أوّلونا، فلم نجد فيما درنا وداروا: أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتلفت وأضم للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للأمر الديني في الجملة ـ من سكنى حرم الله وجوار بيت الله، فللّه الحمد على ما سهل من ذلك وقرب، ورزق من الصبر وأوزع من الشكر. وعن النبي ﷺ «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض؛ استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد»

١١٢٨ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٩): غريب قال الحافظ ابن حجر: لم أجده.
ويخالفه ما رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٤): كتاب الفتن، من حديث أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى. قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن أمتي أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب، إنما عذابها في الدنيا الزلازل والقتل، والبلاء» وأحمد في المسند (٤/ ٤١٠)، والبخاري في تاريخه الكبير (١/ ٣٨).

(١١٢٩)، وقيل: هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] وإنما كان ذلك لأنّ أمر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ في المتكلم، نحو: إياه ضربته، في الغائب وإياك عضتك، في المخاطب. والتقدير: فإياي فاعبدوا: فاعبدون، فإن قلت: ما معنى الفاء في (فاعبدون) وتقديم المفعول؟ قلت: الفاء جواب شرط محذوف؛ لأنّ المعنى: إن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها لي في غيرها، ثم حذف الشرط وعوّض من حذفه تقديم المفعول، مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾

لما أمر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها أوفق البلاد وإن شسعت[١]، أتبعه قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق. ومعناه: إنكم ميتون فواصلون إلى الجزاء، ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له من التزود لها والاستعداد بجهده.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ لننزلنهم ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ علالي. وقرئ: لنثوّينهم، من الثواء وهو النزول للإقامة. يقال: ثوى في المنزل، وأثوى هو، وأثوى غيره وثوى: غير متعد، فإذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولاً واحداً، نحو: ذهب، وأذهبته. والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف: إمّا إجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم. أو حذف الجار وإيصال الفعل: أو تشبيه الظرف المؤقت[٢] بالمبهم. وقرأ يحيى بن وثاب: فنعم، بزيادة الفاء ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على مفارقة الأوطان والهجرة لأجل الدين. وعلى أذى المشركين، وعلى المحن والمصائب، وعلى الطاعات، وعن المعاصي، ولم يتوكلوا في جميع ذلك إلا على الله.

١١٢٩ ـ تقدم في سورة النساء.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من مرسل الحسن وقد تقدم في النساء. انتهى.

---

(١) قوله «أوفق البلاد وإن شعست» أي بعدت. (ع)

(٢) قوله «الظرف المؤقت» أي المحدد، وهو الغرف. (ع)

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

لما أمر رسول الله ـ ﷺ ـ من أسلم بمكة بالهجرة، خافوا الفقر والضيعة، فكان يقول الرجل منهم: كيف أقدم بلدة ليست لي فيها معيشة، فنزلت. والدابة: كل نفس دبت على وجه الأرض، عقلت أو لم تعقل. ﴿تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله، ولا يرزقكم أيضاً أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها، لأنه لو لم يقدركم ولم يقدّر لكم أسباب الكسب، لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل، وعن الحسن ﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ لا تدّخره، إنما تصبح فيرزقها الله. وعن ابن عيينة: ليس شيء يخبأ إلا الإنسان والنملة والفأرة. وعن بعضهم: رأيت البلبل يحتكر في حضنيه. ويقال: للعقعق مخابىء إلا أنه ينساها ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولكم: نخشى الفقر والضيعة ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بما في ضمائركم.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾

الضمير في ﴿سَأَلۡتَهُم﴾ لأهل مكة ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لا يشركوا به، مع إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض.

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾﴾

قدر الرزق وقتره بمعنى إذا ضيقه. فإن قلت: الذي رجع إليه الضمير في قوله: ﴿وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ﴾ هو من يشاء، فكأن بسط الرزق وقدره جعلا لواحد. قلت: يحتمل الوجهين جميعاً: أن يريد ويقدر لمن يشاء، فوضع الضمير موضع من يشاء، لأن (من يشاء) مبهم غير معين، فكان الضمير مبهماً مثله، وأن يريد تعاقب الأمرين على واحد على حسب المصلحة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

استحمد رسول الله ـ ﷺ ـ على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا به؛ ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الأنداد والشركاء عنه، ولم يكن إقراراً عاطلاً كإقرار المشركين؛ وعلى أنهم أقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة إلى الله وقد جعلوا العبادة للصنم، ثم قال: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد. أو لا يعقلون ما تريد/ ٢/ ٨٧ب بقولك الحمد لله، ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم؟

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿هَٰذِهِ﴾ فيها ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها، وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضه. يريد: ما هي ـ لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها ـ إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت[1] فيها، فكأنها في ذاتها حياة. والحيوان: مصدر حي، وقياسه حييان، فقلبت الياء الثانية واواً، كما قالوا: حيوة، في اسم رجل، وبه سمى ما فيه حياة: حيواناً. قالوا: اشتر من الموتان، ولا تشتر من الحيوان[2]. وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة، وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب، كالنزوان والنغصان واللهبان[3]، وما أشبه ذلك. والحياة: حركة، كما أن الموت سكون، فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة، مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضى للمبالغة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ فلم يؤثروا الحياة الدنيا عليها.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟﴾؟ قلت: بمحذوف دلّ عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم، معناه: هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين، حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون معه إلٰها آخر. وفي تسميتهم مخلصين: ضرب من التهكم ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ وآمنوا عادوا إلى حال الشرك: واللام في ﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾ محتملة أن تكون لام كي، وكذلك في ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ فيمن قرأها بالكسر. والمعنى: أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا ـ بالعود إلى شركهم ـ كافرين بنعمة النجاة، قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير، على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة: إذا أنجاهم الله أن يشكروا

---

(١) قال محمود: «إنما عدل عن الحياة إلى هذا البناء تنبيهاً على تعظيم حياة الآخرة ودوامها» قال أحمد: والذي يخص هذا البناء به إفادة ما لا يخلو من الحركة، كالنزوان والجولان. والحيوان من ذلك، والله أعلم.

(٢) قوله «اشتر من الموتان... إلخ» الذي في الصحاح: اشتر الموتان، ولا تشتر الحيوان. أي: اشتر الأرض والدور، ولا تشتر الرقيق والدواب اهـ. (ع)

(٣) قوله «كالنزوان والنغصان واللهبان» في الصحاح «اللهبان» بالتحريك: اتقاد النار. (ع)

نعمة الله في إنجائهم، ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة، لا إلى التمتع والتلذذ، وأن تكون لام الأمر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له. ونحوه قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]. فإن قلت: كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العصاة ما شاءوا، وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه؟ قلت: هو مجاز عن الخذلان والتخلية، وأن ذلك الأمر متسخط إلى غاية. ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر، وعندك أنّ ذلك الأمر خطأ، وأنه يؤدي إلى ضرر عظيم، فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه، فإذا لم تر منه إلا الإباء والتصميم، حردت[1] عليه وقلت: أنت وشأنك وافعل ما شئت، فلا تريد بهذا حقيقة الأمر. وكيف والآمر بالشيء مريد له، وأنت شديد الكراهة متحسر، ولكنك كأنك تقول له: فإذا قد أبيت قبول النصيحة، فأنت أهل ليقال لك: افعل ما شئت وتبعث عليه، ليتبين لك ـ إذا فعلت ـ صحة رأي الناصح وفساد رأيك.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضاً، ويتغاورون، ويتناهبون، وأهل مكة قارّون آمنون فيها، لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب، فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم، ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه، ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها إلا الله وحده مكفورة عندهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

افتراؤهم على الله كذباً: زعمهم أن لله شريكاً. وتكذيبهم بما جاءهم من الحق: كفرهم بالرسول والكتاب. وفي قوله: ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ تسفيه لهم، يعني: لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه، ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المثبتون في الأمور: يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر، ويستأنون إلى أن يصح لهم صدقه أو كذبه ﴿أَلَيْسَ﴾ تقرير لثوائهم في جهنم؛ كقوله [من الوافر]:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ....[2]

---

(١) قوله «حردت عليه» أي غضبت. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح؟ =

قال بعضهم: ولو كان استفهاماً ما أعطاه الخليفة مائة من الإبل. وحقيقته: أن الهمزة همزة الإنكار دخلت على النفي، فرجع إلى معنى التقرير. فهما وجهان، أحدهما: ألا يثوون في جهنم، وألا يستوجبون الثواء فيها، وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله، وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني: ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين، حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة؟

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول، ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمّارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين ﴿فِينَا﴾ في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصاً ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقاً، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ **[محمد: ١٧]** وعن أبي سليمان الداراني: والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا. وعن بعضهم: من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم، وقيل/ ٢/ ٨٨أ: إن الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم، إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم ﴿لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ لناصرهم ومعينهم.

وعن رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين» (١١٣٠).

١١٣٠ ـ هو حديث فضائل القرآن سورة سورة الموضوع والذي قد نص على وضعه جماعة من الأئمة والحفاظ. وينظر حديث (٣٤٦).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب. انتهى.

= لجرير: في عبد الملك بن مروان. والاستفهام للإنكار، يعني: لا تنتفي زيادتكم في الفضل والكرم على جميع الناس ومن ركب المطايا: كناية عنهم، لأن الركوب من خواصهم. والراح: اسم جمع واحده راحة، وهي ما عدا الأصابع من الكف، وذلك كناية عن الكرم؛ لأن بها بذل المعروف في العادة. قيل: لما بلغ جرير هذا البيت في القصيدة، كان عبد الملك متكئاً فاستوى جالساً فرحاً وقال: هكذا مدحنا. وأعطاه مائة من الإبل.

سورة الروم

مكية، إلا آية ١٧ فمدنية
وآياتها ٦٠ [نزلت بعد الانشقاق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾

القراءة المشهورة الكثيرة ﴿غُلِبَتِ﴾ بضم الغين. وسيغلبون بفتح الياء. والأرض: أرض العرب، لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم. والمعنى: غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام. أو أراد أرضهم، على إنابة اللام مناب المضاف إليه، أي: في أدنى أرضهم إلى عدوّهم، قال مجاهد: هي أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الأردن وفلسطين. وقرئ: في أداني الأرض. والبضع ما بين الثلاث إلى العشر عن الأصمعي. وقيل: احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى، فغلبت فارس الروم، فبلغ الخبر مكة فشق على النبي ﷺ والمسلمين (١١٣١)؛ لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب، وفرح

١١٣١ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٥٤).
قلت: غريب، وأقرب ما وجدته، وإن طرقه تغيير يسير، ما رواه سنيد بن داود في تفسيره: حدثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، عن عكرمة قال: كانت امرأة في فارس لا تلد إلا الأبطال، فدعاها كسرى فقال: إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً واستعمل عليهم رجلاً من بنيك، فأشيري عليّ أيهم أستعمل؟ فأشارت عليه بولد لها يدعى: شهربراز، فاستعمله، قال أبو بكر بن عبد الله: فحدثت هذا الحديث عطاء الخراساني، فقال عطاء الخراساني: فحدثني يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلاً يدعى: قطمة بجيش من الروم، وبعث كسرى بشهربراز، فالتقيا بأذرعات وبصرى، فغلبتهم فارس، ففرحت بذلك كفار قريش، وكرهه المسلمون، قال عكرمة: ولقي المشركون أصحاب النبي ـ ﷺ ـ فقالوا: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا؛ لنظهرن عليكم، فوالله لتظهرن الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا صلوات الله عليه، فقام أبي بن خلف فقال: كذبت =

المشركون وشمتوا وقالوا: أنتم والنصارى أهل الكتاب، ونحن وفارس أميون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرنّ نحن عليكم. فنزلت. فقال لهم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: لا يقرّر الله أعينكم، فوالله لتظهرنّ الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف. كذبت يا أبا فصيل، اجعل بيننا أجلاً أُناحبك عليه، والمناحبة: المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما، وجعلا الأجل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر وماده في الأجل. فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين. ومات أبيّ من جرح رسول الله، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك عند رأس سبع سنين. وقيل: كان النصر يوم بدر للفريقين، فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي، وجاء به إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: تصدّق به، وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوّة، وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. وقرئ: غلبهم، بسكون اللام. والغلب والغلب. مصدران كالجلب والجلب. والحلب والحلب. وقرئ: غلبت الروم، بالفتح. وسيغلبون، بالضم. ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين. وعند انقضاء هذه المدّة أخذ المسلمون في جهاد الروم، وإضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين، فهي في إحداهما إضافة المصدر إلى المفعول. وفي الثانية إضافته إلى الفاعل. ومثالهما ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾، ﴿فَمَن يُخْلِفَ

= يا أبا فصيل، فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: أناحبك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس؛ غرمت إلى ثلاث سنين، ثم جاء أبو بكر إلى النبي ـ ﷺ ـ فأخبره، فقال: «ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر، وماده في الأجل» فخرج أبو بكر فلقي أبيًا؛ فقال: لعلك ندمت، قال: لا، تعال أزايدك في الخطر، وأمادك في الأجل فاجعلها مائة قلوص لمائة قلوص إلى تسع سنين»، قال: قد فعلت، وظهرت الروم على فارس قبل ذلك، فغلبهم المسلمون. وهذا مرسل.

وذكر الترمذي منه قطعة، وقال فيه: وكان ذلك قبل تحريم الرهان.

وروى الحاكم في مستدركه أيضاً منه قطعة يسيرة.

وكذلك الطبري وابن مردويه وابن أبي حاتم وهذا أقرب ما وجدناه.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه سنيد بن أبي داود في تفسيره: حدثني حجاج هو ابن محمد الأعور عن أبي بكر بن عبد الله عن عكرمة قال: «كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الأبطال فدعاها كسرى فقال: إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك فأشيري عليّ: أيهم استعمل؟ فأشارت عليه بولد لها يدعى شهربراز. فاستعمله. قال أبو بكر بن عبد الله: فحدثت هذا الحديث عطاء الخراساني، فقال: حدثني يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلاً يدعى قطمة بجيش من الروم، فالتقيا بأذرعات وبصرى فغلبتهم فارس، فذكر القصة قلت: ولها طرق جمعتها في أول شرحي الكبير على البخاري. وقصة أبي بكر في المراهنة رواها الترمذي وغيره من حديث نيار بن مكرم الأسلمي، وسياقها مخالف لسياق هذه القصة. انتهى.

﴿ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥ﴾. فإن قلت: كيف صحت المناحبة وإنما هي قمار؟ قلت: عن قتادة رحمه الله أنه كان ذلك قبل تحريم القمار. ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد: أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار. وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبيّ بن خلف ﴿مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ أي في أوّل الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون، كأنه قيل: من قبل كونهم غالبين، وهو وقت كونهم مغلوبين. ومن بعد كونهم مغلوبين، وهو وقت كونهم غالبين، يعني أن كونهم مغلوبين أوّلاً وغالبين آخراً ليس إلا بأمر الله وقضائه ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] وقرئ: من قبل ومن بعد، على الجرّ من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه، كأنه قيل: قبلاً وبعداً، بمعنى أوّلا وآخراً ﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله عزّ وجل من غلبتهم ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له. وغيظ من شمت بهم من كفار مكة. وقيل: نصر الله: هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله. أنه ولى بعض الظالمين بعضاً وفرق بين كلمهم، حتى تفانوا وتناقصوا، وفل[1] هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوّة للإسلام. وعن أبي سعيد الخدري: وافق ذلك يوم بدر، وفي هذا اليوم نصر المؤمنين ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ينصر عليكم تارة وينصركم أخرى.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾مصدر مؤكد، كقولك: لك عليّ ألف درهم عرفا؛ لأنّ معناه: أعترف لك بها اعترافاً، ووعد الله ذلك وعداً؛ لأن ما سبقه في معنى وعد. ذمّهم الله عزّ وجل بأنهم عقلاء في أمور الدنيا، بله في أمر الدين، وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب/ ٢/٨٨ب. وعن الحسن: بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره بأصبعه، فيعلم أرديء هو أم جيد. وقوله: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه، وجعله بحيث يقوم مقامه ويسدّ مسدّه، ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا. وقوله: ﴿ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ

---

(١) قوله «وفل هؤلاء شوكة هؤلاء» أي كسرها. أفاده الصحاح. (ع)
ينظر: ديوانه ص ٨٥، ٨٩، والجنى الداني ص ٣٢، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٢، ولسان العرب، ومغني اللبيب ١/ ١٧، وبلا نسبة في الخصائص ٢/ ٤٦٣، ٣/ ٢٦٩، ورصف المباني ص ٤٦، وشرح المفصل ٨/ ١٢٣ والمقتضب ٣/ ٢٩٢.

﴿ٱلدُّنْيَا﴾ يفيد أن للدنيا ظاهراً وباطناً، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم[1] بملاذها. وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة: يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة. وفي تنكير الظاهر: أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً من جملة الظواهر. و«هم» الثانية يجوز أن يكون مبتدأ. و﴿غَٰفِلُونَ﴾ خبره، والجملة خبر «هم» الأولى، وأن يكون تكريراً للأولى، وغافلون خبر الأولى. وأيه كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرّها ومعلمها، وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ﴾ يحتمل أن يكون ظرفاً، كأنه قيل: أولم يحدثوا التفكر في أنفسهم، أي: في قلوبهم الفارغة من الفكر، والتفكر لا يكون إلا في القلوب، ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين، كقولك: اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك، وأن يكون صلة للتفكر، كقولك: تفكر في الأمر وأجال فيه فكره. و﴿مَّا خَلَقَ﴾ متعلق بالقول المحذوف، معناه: أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول. وقيل: معناه: فيعلموا، لأنّ في الكلام دليلاً عليه ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ أي ما خلقها باطلاً وعبثاً بغير غرض صحيح وحكمة بالغة، ولا لتبقى خالدة: وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة، وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه، وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥] كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عبثاً. والباء في قوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ مثلها في قولك: دخلت عليه بثياب السفر، واشترى الفرس بسرجه ولجامه، تريد: اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام، غير منفك عنهما. وكذلك المعنى ما خلقها إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به، فإن قلت: إذا جعلت (في أنفسهم) صلة للتفكر، فما معناه؟ قلت: معناه: أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات، وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها، فتدبروا ما أودعها الله ظاهراً وباطناً من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون

(١) قال محمود: «يعلمون بدل من الأول، وفي البدل نكتة وهي الإشعار بأنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين العلم بظاهر الدنيا، حتى كأنهما شيء واحد، فأبدل أحدهما من الآخر. وفائدة تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً من جملة ظواهرها» قال أحمد: وفي التنكير تقليل لمعلومهم وتقليله يقربه من النفي حتى يطابق المبدل منه. وروي عن الحسن أنه قال في تلاوته هذه الآية: بلغ من صدق أحدهم في ظاهر الحياة الدنيا أنه ينقر الدينار بأصبعه فيعلم أجيد هو أم رديء.

الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكم الذي دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها، حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت، والمراد بلقاء ربهم: الأجل المسمى.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمّرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية، ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ وحرثوها قال الله تعالى: ﴿لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٧١] وقيل لبقر الحرث: المثيرة. وقالوا: سمى ثوراً لإثارته الأرض وبقرة؛ لأنها تبقرها أي تشقها ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ يعني أولئك المدمّرون ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ من عمارة أهل مكة. وأهل مكة: أهل واد غير ذي زرع، ما لهم إثارة الأرض أصلاً، ولا عمارة لها رأسا فما هو إلا تهكم بهم، وبضعف حالهم في دنياهم؛ لأنّ معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة[1]، وهم أيضاً ضعاف القوى، فقوله: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل. كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وإن كان هذا أبلغ، لأنه خالق القوى والقدر. فما كان تدميره إياهم ظلماً لهم؛ لأنّ حاله منافية للظلم، ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾﴾

قرئ عاقبة بالنصب والرفع. و﴿السُّوأَىٰ﴾ تأنيث الأسوأ وهو الأقبح، كما أنّ الحسنى تأنيث الأحسن. والمعنى: أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار، ثم كانت عاقبتهم سوأى؛ إلا أنه وضع المظهر موضع المضمر، أي: العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة، وهي جهنم التي أعدّت للكافرين. و﴿أَن كَذَّبُوا﴾ بمعنى لأن كذبوا. ويجوز أن يكون أن بمعنى: أي؛ لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول، نحو: نادى. وكتب، وما أشبه ذلك. ووجه آخر: وهو أن يكون ﴿أَسَاءُوا السُّوأَىٰ﴾ بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايا، و﴿أَن كَذَّبُوا﴾ عطف بيان لها، وخبر كان محذوف كما

---

(١) قوله «أمر الدهقنة» أي الزراعة. (ع)

يحذف جواب لما ولو، إرادة الإبهام.

﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١١﴾

﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ أي إلى/ ٢/ ٨٩أ ثوابه وعقابه. وقرئ بالتاء والياء.

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٢ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ١٣﴾

الإبلاس: أي يبقى بائساً ساكناً متحيراً. يقال: ناظرته فأبلس. إذا لم ينبس[١] وبئس من أن يحتجّ. ومنه الناقة المبلاس: التي لا ترغو. وقرئ: يبلس، بفتح اللام، من أبلسه إذا أسكته ﴿مِّن شُرَكَآئِهِمۡ﴾ من الذين عبدوهم من دون الله ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ أي يكفرون بإلهيتهم ويجحدونها. أو وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم. وكتب ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ في المصحف بواو قبل الألف، كما كتب ﴿علمواء بني إسرائيل﴾ وكذلك كتبت (السوأى) بألف قبل الياء إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها.

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦﴾

الضمير في ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ للمسلمين والكافرين، لدلالة ما بعده عليه. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: هو تفرّق المسلمين والكافرين: هؤلاء في عليين، وهؤلاء في أسفل السافلين ـ وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ: فرقة لا اجتماع بعدها ﴿فِي رَوۡضَةٖ﴾ في بستان، وهي الجنة. والتنكير لإيهام أمرها وتفخيمه. والروضة عند العرب: كل أرض ذات نبات وماء. وفي أمثالهم: أحسن من بيضة في روضة، يريدون: بيضة النعامة ﴿يُحۡبَرُونَ﴾ يسرون. يقال: حبره إذا سرّه سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره. ثم اختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسارّ؛ فعن مجاهد ـ رضي الله عنه ـ: يكرمون. وعن قتادة: ينعمون. وعن ابن كيسان: يحلون. وعن أبي بكر بن عياش: التيجان على رءوسهم. وعن وكيع: السماع في الجنة. وعن النبيّ ﷺ: أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم[٢]، وفي آخر القوم أعرابيّ فقال: يا رسول الله، هل في الجنة من سماع؟ قال: «نعم يا أعرابي، إنّ في الجنة لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية، يتغنين بأصوات

---

(١) قوله «إذا لم ينبس» أي لم يتكلم. أفاده الصحاح. (ع)

لم تسمع الخلائق بمثلها قط، فذلك أفضل نعيم الجنة» قال الراوي: فسألت أبا الدرداء، بم يتغنين؟ قال: بالتسبيح (١١٣٢). وروي: «إنّ في الجنة لأشجاراً عليها أجراس من فضة، فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار، فتحرّك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً» (١١٣٣). ﴿مُحْضَرُونَ﴾ لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم، كقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٧٥].

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

لما ذكر الوعد والوعيد، أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجي من الوعيد. والمراد

١١٣٢ ـ أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/٧٨) من طريق سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربعي عن أبي الدرداء به مرفوعاً.
ولين ابن عدي سليمان بن عطاء ونقل عن البخاري قوله: في حديثه بعض المناكير. وقال ابن عدي: وهو كما قال.
وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: وسليمان منكر الحديث.
والحديث أيضاً أخرجه الثعلبي كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٣/٥٥).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: في طريق سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة عن أبي الدرداء قال: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ يذكر الناس، فذكر الجنة وما فيها... الحديث»، وسليمان منكر الحديث. انتهى.

١١٣٣ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/٥٦): غريب ورواه الثعلبي من حديث عبد الله بن عرادة الشيباني عن القاسم بن مطيب عن مغيرة عن إبراهيم قال: إن في الجنة لأشجاراً... إلى آخره.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: عبد الله بن عرادة الشيباني أحد الضعفاء.
وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في «تخريج الكشاف» (٢/٥٦) أخبرنا عتاب بن بشير عن عبد الله بن مسلم بن هرمز الهرمزي عن مجاهد قال: قيل لأبي هريرة: هل في الجنة من سماع؟ قال: نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها الفضة وثمرها الياقوت والزبرجد يبعث لها ريح فيحك بعضها بعضاً فما سمع شيء قط أحسن منه.
وللحديث طريق آخر عن أبي هريرة بنحو الأول أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٤٣٣).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية عبد الله بن عرادة الشيباني أحد الضعفاء عن القاسم بن مطيب عن مغيرة عن إبراهيم بهذا. وروى إسحاق في مسنده من رواية مجاهد قيل لأبي هريرة: «هل في الجنة من سماع؟ قال: نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من الفضة وثمرها الياقوت والزبرجد، يبعث لها ريح فيحرك بعضها بعضاً. فما سمع شيء قط أحسن منه». انتهى.

بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الأوقات لما يتجدّد فيها من نعمة الله الظاهرة. وقيل: الصلاة. وقيل لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم، وتلا هذه الآية ﴿تُمْسُونَ﴾ صلاتا المغرب والعشاء ﴿تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الفجر ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر. و﴿تُظْهِرُونَ﴾ صلاة الظهر. وقوله ﴿وَعَشِيًّا﴾: متصل بقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعتراض بينهما. ومعناه: إنّ على المميزين كلهم من أهل السموات والأرض أن يحمدوه. فإن قلت: لم ذهب الحسن رحمه الله إلى أنّ هذه الآية مدنية؟ قلت: لأنه كان يقول: فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم. والقول الأكثر أن الخمس فرضت بمكة. وعن عائشة رضي الله عنها: فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة أقرّت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر (١١٣٤). وعن رسول الله ـ ﷺ ـ: «من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾. . . الآية» (١١٣٥). وعنه عليه السلام: «من قال حين يصبح ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أدرك ما فاته في يومه. ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته» (١١٣٦). وفي قراءة عكرمة: حينا تمسون وحينا تصبحون. والمعنى: تمسون فيه وتصبحون فيه. كقوله: ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨] بمعنى فيه ﴿ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ الطائر من البيضة، و﴿ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾

١١٣٤ ـ تقدم تخريجه، قال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث عائشة واللفظ لأحمد وسياقه أتم. انتهى.

١١٣٥ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٥٧): رواه الثعلبي في «تفسيره» من حديث الحجاج بن يوسف بن قتيبة بن مسلم ثنا بشر بن الحسين ثنا الزبيري عن عدي عن أنس بن مالك به.
وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» وفي إسناده بشر بن الحسين وهو ساقط.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من حديث أنس وفي إسناده بشر بن الحسين وهو ساقط.

١١٣٦ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ٣١٩) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح حديث (٥٠٧٦) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٤) والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٣٩) رقم (١٢٩٩١) من طريق سعيد بن بشير عن محمد بن عبد الرحمن البيلماني عن أبيه عن ابن عباس مرفوعاً.
قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٥٧): ورواه العقيلي وابن عدي في كتابيهما وأعلاه بسعيد بن بشير ونقلا عن البخاري أنه قال: لا يصح حديثه وقال العقيلي: وهو مجهول.
وقال ابن عدي: ولا أعلم لسعيد بن بشير النجراني غير هذا الحديث وإليه أشار البخاري بقوله لا يصح حديثه.
والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٢٨) وقال: إسناده ضعيف.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه أبو داود والعقيلي وابن عدي من حديث ابن عباس وإسناده ضعيف وقال البخاري لا يصح.

البيضة من الطائر. وإحياء الأرض: إخراج النبات منها ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ومثل ذلك الإخراج تخرجون من القبور وتبعثون. والمعنى: أنّ الإبداء والإعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من إخراج الميت من الحيّ وإخراج الحيّ من الميت وإحياء الميت وإماتة الحيّ. وقرئ: الميت، بالتشديد[1]. وتخرجون، بفتح التاء.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾

﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ لأنه خلق أصلهم منه. و﴿إِذَآ﴾ للمفاجأة. وتقديره: ثم فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض، كقوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١] ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ لأن حوّاء خلقت من ضلع آدم عليه السلام. والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال. أو من شكل أنفسكم وجنسها، لا من جنس آخر، وذلك لما بين الاثنين من جنس/ ٢/ ٨٩ب واحد من الألف والسكون، وما بين الجنسين المختلفين من التنافر ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾ التوادّ والتراحم بعصمة الزواج، بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة، ولالقاء، ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: المودة كناية عن الجماع، والرحمة عن الولد، كما قال: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [ص: ٤٣] وقال: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾ [مريم: ٢]. ويقال: سكن إليه إذا مال إليه، كقولهم: انقطع إليه، واطمأن إليه ـ ومنه السكن. وهو الإلف المسكون إليه. فعل بمعنى مفعول. وقيل: إن المودة والرحمة من قبل الله وإن الفرك من قبل الشيطان[2].

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ۝٢٢﴾

الألسنة: اللغات. أو أجناس النطق وأشكاله. خالف عزّ وعلا بين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد، ولا جهارة، ولا حدّة، ولا رخاوة، ولا فصاحة، ولا لكنة، ولا نظم، ولا أسلوب، ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله، وكذلك الصور وتخطيطها، والألوان وتنويعها، ولاختلاف ذلك وقع التعارف، وإلا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والالتباس، ولتعطلت مصالح كثيرة، وربما رأيت توأمين يشتبهان في الحلية، فيعروك الخطأ في التمييز بينهما، وتعرف

---

(١) قوله «وقرئ الميت بالتشديد» يفيد أن القراءة المشهورة بالتخفيف. (ع)

(٢) قوله «وإن الفرك من قبل الشيطان» في الصحاح «الفرك» بالكسر: البغض. (ع)

حكمة الله في المخالفة بين الحليّ وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد، وفرّعوا من أصل فذ، وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مختلفون متفاوتون. وقرئ: للعالمين بفتح اللام وكسرها، ويشهد للكسر قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

هذا من باب اللفّ وترتيبه: ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار، إلا أنه فصل بين القرينين الأوّلين بالقرينين الآخرين؛ لأنهما زمانان. والزمان والواقع فيه كشيء واحد، مع إعانة اللفّ على الاتحاد. ويجوز أن يراد: منامكم في الزمانين، وابتغاءكم فيهما، والظاهر هو الأول لتكرّره في القرآن، وأسدّ المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

في ﴿يُرِيكُمُ﴾ وجهان: إضماران، وإنزال الفعل منزلة المصدر، وبهما فسر المثل: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، وقول القائل [من الوافر]:

وَقَالُوا: مَا تَشَاءُ؟ فَقُلْتُ: أَلْهُو إِلَى الإِصْبَاحِ آثَرَ ذِي أَثِيرِ[1]

---

(١) أرقت وصحبتي بمضيق عمق لبرق من تهامة مستطير
سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور
وقالوا: ما تشاء؟ فقلت: ألهو إلى الإصباح آثر ذي أثير

لعروة بن الورد العبسي، وأرقت: سهرت. والواو للمعية. والمضيق المكان الضيق. وعمق ـ بكسر فسكون ـ: شجر ببلاد الحجاز، وبضم ففتح: موضع منخفض عند مكة، ولعله سكن هنا للوزن، ولبرق: متعلق بأرقت، أي سهرت في هذا الموضع لأجل برق من تهامة جهة محبوبتي، ويحتمل أن الواو حالية، وصحبتي مبتدأ خبره بمضيق عمق، وإذا كان أصحابه فيه فهو فيه، فرجع إلى الأول ـ ومستطير: منتشر. وروي: سقوني النسيء. ونسأت اللبن: خلطته بماء، فالنسيء: هو اللبن المخلوط بماء. وتكنفوني: أحاطوا بي، وعداة: جمع عاد بمعنى عدو. وقيل: جمع عدو، أي: هم أعداء الله من أجل كذبهم وزورهم، وهي جملة اعتراضية، ويحتمل أن «عداة» بدل من ضمير الفاعل. أو فاعل على لغة من قال: أكلوني البراغيث، أي: أحاطوا بي وقالوا: ما الذي تريده، فقلت: ألهو، أي: هو أن ألهو، فأن: مقدرة معنى، وإن لم ينصب الفعل لفظاً. وقال الجوهري: يقال افعل هذا آثر ذي أثير، أي: أول كل شيء، فأشار إلى أن آثر: نصب على الظرفية المجازية أو الحالية، أي افعله حال كونه أول كل شيء يؤثر، فهو أفعل تفضيل بمعنى المفعول، ونص ابن =

﴿خَوْفًا﴾ من الصاعقة أو من الإخلاف ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث. وقيل: خوفاً للمسافر، وطمعاً للحاضر، وهما منصوبان على المفعول له. فإن قلت: من حق المفعول له أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلل؛ والخوف والطمع ليسا كذلك. قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن المفعولين فاعلون في المعنى، لأنهم راءون، فكأنه قيل: يجعلكم رائين البرق خوفاً وطمعا. والثاني: أن يكون على تقدير حذف المضاف، أي: إرادة خوف وإرادة طمع[1]، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. ويجوز أن يكونا حالين؛ أي: خائفين وطامعين. وقرئ: ينزل بالتشديد[2].

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ قيام السموات والأرض واستمساكهما بغير عمد ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ أي بقوله: كونا قائمتين. والمراد بإقامته لهما إرادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال. وقوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ بمنزلة قوله: يريكم، في إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى، كأنه قال: ومن آياته قيام السموات والأرض، ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة: يا أهل القبور اخرجوا. والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث، كما يجيب الداعي المطاع مدعوّه، كما قال القائل [من الطويل]:

= الحاجب على جواز ذلك وروده قليلاً، وأثره بقصر الهمزة ومدها: إذا قدمه على غيره، وأثير: اسم مفعول بمعنى مأثور. أو حقيق بالتقدم، فالمعنى: أول كل شيء صاحب شيء مأثور، فيكون هو الأثير المقدم. أو التقدير: لهوى طول الليل هو المقدم عندي.

ينظر: ديوانه (ص ٥٧)، الدرر (١/ ٧٥)، لسان العرب (أثر)، بلا نسبة في تذكرة النحاة ص ٥٣٦، الخصائص (٢/ ٢٣٣)، شرح المفصل ٢/ ٩٥، المحتسب (٢/ ٣٢)، وهمع الهوامع (١/ ٦).

(١) قال محمود: «فإن قلت: أينصب خوفاً وطمعاً مفعولاً لهما وليسا فعلي فاعل الفعل المعلل، فما وجه ذلك؟ قلت: المفعولون هنا فاعلون لأنهم راؤون، فتقديره: يجعلكم رائين البرق خوفاً وطمعاً. أو على حذف مضاف، تقديره: إرادة خوفكم وطمعكم» قال أحمد: الخوف والطمع من جملة مخلوقات الله تعالى وآثار قدرته، وحينئذٍ يلزم اجتماع شرائط النصب فيهما وهي كونهما مصدرين ومقارنين في الوجود، والفاعل الخالق واحد، فلا بد من التنبيه على تخريج النصب على غير هذا الوجه، فنقول: معنى قول النحاة في المفعول له لا بد وأن يكون فعل الفاعل، أي: ولا بد أن يكون الفاعل متصفاً به، مثاله إذا قلت: جئتك إكراماً لك، فقد وصفت نفسك بالإكرام فقلت في المعنى: جئتك مكرما لك، والله تعالى - وإن خلق الخوف والطمع لعباده - إلا أنه مقدس عن الاتصاف بهما، فمن ثم احتيج إلى تأويل النصب على المذهبين جميعا. والله أعلم.

(٢) قوله «وقرىء ينزل بالتشديد» يفيد أن المشهور بالتخفيف. (ع)

دَعَـوْتُ كُـلَـيْـبـاً دَعْـوَةً فَـكَـأَنَّـمَـا دَعَـوْتُ بِـهِ ٱبْـنَ الـطَّـوْدِ أَوْ هُـوَ أَسْـرَعُ

يريد بابن الطود: الصدى. أو الحجر إذا تدهدى، وإنما عطف هذا على قيام السموات والأرض بثم، بياناً لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله، وهو أن يقول: يا أهل القبور، قوموا؛ فلا تبقى نسمة من الأوّلين والآخرين إلا قامت تنظر، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]. قولك: دعوته من مكان كذا، كما يجوز أن يكون مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك، تقول: دعوت زيداً من أعلى الجبل فنزل عليّ؛ ودعوته من أسفل الوادي فطلع إليّ. فإن قلت: بم تعلق ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أبالفعل أم بالمصدر؟ قلت: هيهات، إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل. فإن قلت: ما الفرق بين إذا وإذا؟ قلت: الأولى للشرط، والثانية للمفاجأة، وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط. وقرئ: تخرجون، بضم التاء وفتحها ﴿قَـٰنِتُونَ﴾ منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَهُوَ / ٢/ ٩٠أ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم؛ لأنّ من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عيه وأهون من إنشائها، وتعتذرون للصانع إذا خطىء في بعض ما ينشئه بقولكم: أوّل الغزو أخرق، وتسمون الماهر في صناعته معاودا، تعنون أنه عاودها كرّة بعد أخرى؛ حتى مرن عليها وهانت عليه. فإن قلت: لم ذكر الضمير في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ والمراد به الإعادة؟ قلت: معناه: وأن يعيده أهون عليه. فإن قلت: لم أخرت الصلة في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ وقدّمت في قوله: ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٩][2]؟ قلت: هناك قصد الاختصاص وهو محزه، فقيل:

---

(١) يقول: دعوت كليباً. ويروى: خليدا. دعوة واحدة فأجابني بسرعة كأني دعوت به ابن الطود: وهو الجبل العظيم، وابنه الصدي: الذي يحاكي صوت الصائح عقب صياحه. أو الحجر إذا هوى منه متدهدها متدحرجاً إلى أسفل. وسمى ابنه. على سبيل الاستعارة التصريحية، لأنه ناشىء منه وملازم له. ثم إن فيه تجريدا حيث انتزع من كليب أمراً آخر يشبه ابن الطود في السرعة. والباء للملابسة، أي كأني دعوت ابن الطود ملابسا له. ويحتمل أنها للبدل، أي: دعوت بدله ابن الطود. أو بمعنى من. أي: دعوت منه ابن الطود. وقوله: أو هو، أي: كليب أسرع من ابن الطود في الإجابة.
ينظر لسان العرب (طود)، المخصص (١٣/ ٢٠٢)، أساس البلاغة (بنى)، (طود)، تهذيب اللغة (١٤/ ٤)، تاج العروس (طود).

(٢) قال محمود: «إن قلت: لم أخرت الصلة ههنا وقد قدمت في قوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾؟ قلت: لأن المقصود مما نحن فيه خلاف المقصد هناك، فإنه اختصاص الله تعالى بالقدرة على إيلاد الهم =

هو عليّ هين، وإن كان مستصعباً عندكم أن يولد بين هِم[1] وعاقر؛ وأما ههنا فلا معنى للاختصاص، كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أنّ الإعادة أسهل من الابتداء؛ فلو قدمت الصلة لتغير المعنى. فإن قلت: ما بال الإعادة استعظمت في قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض بأمره[2]، ثم هوّنت بعد ذلك؟ قلت: الإعادة في نفسها عظيمة، ولكنها هوّنت بالقياس إلى الإنشاء. وقيل الضمير في عليه للخلق. ومعناه: أنّ البعث أهون على الخلق من الإنشاء، لأن تكوينه في حدّ الاستحكام، والتمام أهون عليه وأقل تعباً وكبداً، من أن يتنقل في أحوال ويندرج فيها إلى أن يبلغ ذلك الحدّ. وقيل: الأهون بمعنى الهين. ووجه آخر: وهو أن الإنشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين أن يفعله وأن لا يفعله، والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بدّ له من فعله، لأنها لجزاء الأعمال وجزاؤها واجب[3]، والأفعال: إما محال والمحال ممتنع أصلاً[4] خارج عن

= والعاقر، وأما المقصد هنا فلا معنى للاختصاص فيه، كيف والأمر مبني على ما يعتقدونه في الشاهد من أن الإعادة أسهل من الابتداء، فالاختصاص يغير المعنى» قال أحمد: كلام نفيس يستحق أن يكتب بذوب التبر لا بالحبر، وإنما يلقى الاختصاص من تقديم ما حقه أن يؤخر، وقد علمت مذهبه في مثل ذلك.

(١) قوله «أن يولد بين همّ وعاقر» في الصحاح «الهم» بالكسر. الشيخ الفاني. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: ما بال الإعادة استعظمت في قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض؟ قلت: الإعادة في نفسها عظيمة، ولكنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء» قال أحمد: إنما يلقى في السؤال تعظيم الإعادة من عطفها بثم، إيذاناً بتغاير مرتبتها وعلو شأنها. وقوله في الجواب: إنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء لا يخلص، فإن الإعادة ذكرت ههنا عقيب قيام السموات والأرض بأمره. وقيامهما ابتداء وإنشاء أعظم من الإعادة، فيلزم تعظيم الإعادة بالنسبة إلى ما عطف عليه عن الإنشاء ويعود الإشكال، والمخلص ـ والله أعلم ـ جعل ثم على بابها لتراخي الزمان لا لتراخي المراتب، فعلى أن تكون مرتبة المعطوف عليه العليا، ومرتبة المعطوف هي الدنيا. وذلك نادر في مجيئها لتراخي المراتب، فإن المعطوف حينئذٍ في أكثر المواضع أرفع درجة من المعطوف عليه، والله أعلم.

(٣) قوله «وجزاؤها واجب... إلخ» هذا عند المعتزلة، ولا يجب على الله شيء عند أهل السنة كما تقدم في محله. (ع)

(٤) عاد كلامه: قال في تقرير معنى قوله وهو أهون عليه: الأفعال إما ممتنع عقلاً لذاته، وإما ممتنع لصارف يصرف الحكيم عن فعله. وإما تفضل يتخير الحكيم فيه بين أن يفعل وأن لا. وإما واجب على الحكيم أن يفعله فالإنشاء الأول من قبيل التفضل، وأما الإعادة فواجبة على الله تعالى لأجل الجزاء، فلما كانت واجبة كانت أبعد الأفعال عن الممتنع، فلذلك وصفت بالتسهيل وكانت أهون من الإنشاء» قال أحمد: لقد ضل وصد عن السبيل، فلا نوافقه ولا نرافقه، والحق: أن لا واجب على الله تعالى؛ وكل ما ذكره في هذا الفصل نزغات قدرية، على أنها أيضاً غير مستقيمة على أصولهم المجتثة، فإن مقتضاها وجوب الإنشاء في الحكمة؛ إذ لولا مصلحة اقتضت الإنشاء لما وقع، وتلك المصلحة توجب متعلقها، فقد وضح أن المصنف لا إلى معالي السنة رقي، ولا في =

المقدور، وأما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح، وهو رديف المحال؛ لأنّ الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الإحالة. وإما تفضل والتفضل حالة بين بين، للفاعل أن يفعله وأن لا يفعله. وإما واجب لا بدّ من فعله، ولا سبيل إلى الإخلال به، فكان الواجب أبعد الأفعال من الامتناع وأقربها من الحصول. فلما كانت الإعادة من قبيل الواجب، كانت أبعد الأفعال من الامتناع. وإذا كانت أبعدها من الامتناع، كانت أدخلها في التأني والتسهل، فكانت أهون منها[1]. وإذا كانت أهون منها كانت أهون من الإنشاء ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به. ووصف في السموات والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل، وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي القاهر لكل مقدور، الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه. وعن مجاهد: المثل الأعلى: قول لا إله إلا الله، ومعناه: وله الوصف الأعلى الذي هو الوصف بالوحدانية. ويعضده قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢٨] وقال الزجاج: وله المثل الأعلى في السموات والأرض، أي: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] قد ضربه لكم مثلاً فيما يصعب ويسهل. يريد: التفسير الأوّل.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

فإن قلت: أي فرق بين الأولى والثانية والثالثة في قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، ﴿مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾، ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾؟ قلت: الأولى للابتداء، كأنه قال: أخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يبعد، والثانية للتبعيض، والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي. ومعناه: هل ترضون لأنفسكم ـ وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ـ أن يشارككم بعضهم ﴿فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء، من غير تفصلة بين حرّ وعبد: تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم، وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضاً من الأحرار، فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم، فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء؟ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا التفصيل ﴿نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي نبينها: لأن التمثيل مما يكشف

= حضيض الاعتزال بقي، فللّه العصمة.

(١) قوله «فكانت أهون منها» أي من بقية الأفعال. (ع)

المعاني ويوضحها؛ لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها. ألا ترى كيف صوّر الشرك بالصورة المشوّهة؟

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٢٩)﴾

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أي أشركوا، كقوله تعالى: إنّ الشرك لظلم عظيم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي اتبعوا أهواءهم جاهلين، لأنّ العالم إذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه. وأما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء ﴿مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ من خذله[1] ولم يلطف به، لعلمه أنه ممن لا لطف له، فمن يقدر على هداية مثله. وقوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)﴾

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ فقوّم وجهك له وعدِّلهُ، غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين، واستقامته عليه، وثباته، واهتمامه بأسبابه، فإنّ من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه، وسدّد إليه نظره، وقوّم له وجهه، مقبلاً به عليه. و﴿حَنِيفًا﴾ حال من المأمور. أو من الدين ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ أي الزموا فطرة الله / ٢/ ٩٠ب. أو عليكم فطرة الله. وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ ومنيبين: حال من الضمير في: الزموا. وقوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟﴾ . . . ﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾ معطوف على هذا المضمر. والفطرة: الخلقة. ألا ترى إلى قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ والمعنى: أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام، غير نائين عنه ولا منكرين له، لكونه مجاوباً للعقل، مساوقاً للنظر الصحيح، حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر، ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن. ومنه قوله ﷺ: «كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين[2] عن دينهم وأمروهم أن

---

(١) قوله «من أضل الله: من خذله» تأويل الإضلال بذلك مبني على أنه تعالى لا يخلق الشر، وهو مذهب المعتزلة، وذهب أهل السنة إلى أنه يخلق الشر كالخير، فالآية على ظاهرها. (ع)

(٢) قوله «فاجتالتهم الشياطين» أدارتهم. أفاده الصحاح. (ع)

يشركوا بي غيري» (١١٣٧)، وقوله عليه السلام: كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه وينصرانه» (١١٣٨)، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي ما ينبغي أن تبدّل

١١٣٧ ـ أخرجه مسلم (٤/٢١٩٧ ـ ٢١٩٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار حديث (٦٣/ ٢٨٦٥) وابن ماجه (٢/ ١٣٩٩) كتاب الزهد: باب البراءة من الكبر والتواضع حديث (٤١٧٩) مختصراً، وأحمد (٤/ ١٦٢ ـ ١٦٦) والنسائي في «فضائل القرآن» رقم (٩٥ ـ ٩٦) من حديث عياض بن حمار مرفوعاً.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من حديث عياض بن حمار به وأتم منه. انتهى.

١١٣٨ ـ أخرجه البخاري (١١/ ٤٩٣) كتاب القدر: باب الله أعلم بما كانوا عاملين، الحديث (٦٥٩٩)، ومسلم (٤/٢٠٤٨): كتاب القدر: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، الحديث (٢٥/ ٢٦٥٨)، وأبو داود (٥/ ٨٦): كتاب السنة: باب في ذراري المشركين، الحديث (٤٧١٤)، والترمذي (٣/ ٣٠٣): كتاب القدر: باب كل مولود يولد على الفطرة، الحديث (٣٢٢٣)، ومالك (١/ ٢٤١): كتاب الجنائز: باب جامع الجنائز، الحديث (٥٢)، وأحمد (٢/ ٢٣٣)، والحميدي (٢/ ٤٧٣)، رقم (١١١٣)، وعبد الرزاق (٢٠٠٨٧)، وأبو يعلى (١١/ ١٩٧)، رقم (٦٣٠٦) وابن حبان (١٢٨ ـ ١٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٢٨)، من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج الإبل جمعاء، هل تحس فيها من جدعاء، قالوا: يا رسول الله: أرأيت الذي يموت وهو صغير، قال: الله أعلم بما كانوا عاملين.

ولفظ مسلم مصدراً بلفظ: «كل إنسان تلده أمه على الفطرة، وأبواه بعد يهودانه وينصرانه ويمجسانه، فإن كانا مسلمين فمسلم، كل إنسان تلده أمه، يلكز الشيطان في حضنيه إلا مريم وابنها.

وفي الباب عن جابر والأسود بن سريع وابن عباس وسمرة بن جندب.

ـ حديث جابر:

أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٣) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن الحسن عن جابر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فإذا عبر عنه لسانه، إما شاكراً وإما كفوراً».

وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٢١) وقال: رواه أحمد وفيه أبو جعفر الرازي وهو ثقة وفيه خلاف وبقية رجاله ثقات.

ـ حديث الأسود بن سريع:

أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٥) وابن حبان (١٦٥٨ ـ موارد) وأبو يعلى (٢/ ٢٤٠) رقم (٩٤٢) والطبراني في «الكبير» (١/ ٢٨٣) رقم (٨٢٨) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ١٦٣) من حديث الأسود بن سريع بمثل حديث جابر.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣١٩) وقال: رواه أحمد بأسانيد والطبراني في الكبير والأوسط. . . وبعض أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح.

ـ حديث ابن عباس:

أخرجه البزار في «مسنده» (٢١٦٧ ـ كشف) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢١) بلفظ: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه.

تلك الفطرة أو تغير. فإن قلت: لم وحد الخطاب أولا، ثم جمع؟ قلت: خوطب رسول الله ـ ﷺ ـ أولاً، وخطاب الرسول خطاب لأمته مع ما فيه من التعظيم للإمام، ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ بدل من المشركين ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ تركوا دين الإسلام. وقرئ: فرّقوا دينهم بالتشديد، أي: جعلوه أدياناً مختلفة لاختلاف أهوائهم ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ فرقاً، كل واحدة تشايع إمامها الذي أضلها ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ منهم فرح بمذهبه مسرور، يحسب باطله حقا ـ ويجوز أن يكون (من الذين) منقطعاً مما قبله، ومعناه: من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم، ولكنه رفع فرحون على الوصل لكل؛ كقوله [من الطويل]:

وَكُـلُّ خَـلِـيـلٍ غَـيْـرُ هَـاضِـمِ نَـفْـسِـهِ ....(1)

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

الضر: الشدّة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك. والرحمة: الخلاص من الشدّة. واللام في ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ مجاز مثلها في ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾. ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ نظير ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال تمتعكم. وقرأ ابن مسعود: وليتمتعوا.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾

السلطان: الحجة، وتكلمه. مجاز، كما تقول: كتابه ناطق بكذا، وهذا مما نطق به القرآن. ومعناه: الدلالة والشهادة، كأنه قال: فهو يشهد بشركهم وبصحته. وما في ﴿بِمَا

= وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه ممن لم أعرفه غير واحد.
ـ حديث سمرة بن جندب:
أخرجه البزار (٢١٦٦ ـ كشف) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢١) وقال: رواه البزار وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف ونقل عن يحيى القطان أنه وثقه.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث أبي هريرة. انتهى.

---

(١) وكل خليل غير هاضم نفسه ... فبالصد والإعراض عنه جدير
للشماخ: ويروى: بدل الشطر الثاني: بوصل خليل صارم أو مصادر. وغير هاضم ـ بالرفع ـ: صفة كل. أو بالجر: صفة خليل، أي: من لم يخفض نفسه لصاحبه فهو حقيق بالصد والإعراض عنه لا بالمودة. وزادت الفاء، لأن المبتدأ فيه معنى الشرط. والصارم: القاطع. والمصادر: المجانب، أي: من لم يهضم نفسه لوصل خليله، أدى به ذلك إلى القطيعة، فإن لم تكن فإلى المجانبة، فكأنه مقاطع، أو مجانب بالفعل.

كَانُوا﴾ مصدرية أي: بكونهم بالله يشركون. ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير إليها. ومعناه: فهو يتكلم بالأمر الذي بسببه يشركون. ويحتمل أن يكون المعنى: أم أنزلنا عليهم ذا سلطان، أي: ملكاً معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة ﴿فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي بلاء من جدب أو ضيق أو مرض ـ والسبب فيها شؤم معاصيهم ـ قنطوا من الرحمة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

ثم أنكر عليهم بأنهم قد علموا أنه هو الباسط القابض، فما لهم يقنطون من رحمته، وما لهم لا يرجعون إليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدّة من أجلها، حتى يعيد إليهم رحمته.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

حق ذي القربى: صلة الرحم. وحق المسكين وابن السبيل: نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب. وعند الشافعي رحمه الله: لا نفقة بالقرابة إلا على الولد والوالدين: قاس سائر القرابات على ابن العم، لأنه لا ولاد بينهم. إن قلت: كيف تعلق قوله: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بما قبله حتى جيء بالفاء؟ قلت: لما ذكر أنّ السيئة أصابتهم بما قدّمت أيديهم، أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يراد بوجهه ذاته أو جهته وجانبه، أي: يقصدون بمعروفهم إياه خالصاً وحقه، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ٢٠] أو يقصدون جهة التقرّب إلى الله لا جهة أخرى، والمعنيان متقاربان، ولكن الطريقة مختلفة.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾

هذه الآية في معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] سواء بسواء، يريد: وما أعطيتم أكلة الربا ﴿مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ﴾ أموالهم: ليزيد ويزكو في أموالهم،

فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ أي صدقة تبتغون به وجهه خالصا، لا تطلبون به مكافأة ولا رياء وسمعة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ ذوو الإضعاف من الحسنات. ونظير المضعف: المقوي والموسر، لذي القوّة واليسار: وقرئ بفتح العين. وقيل: نزلت في ثقيف، وكانوا يربون. وقيل: المراد أن يهب الرجل للرجل أو يهدي له، ليعوّضه أكثر مما وهب أو أهدى، فليست تلك الزيادة بحرام، ولكن المعوّض لا يثاب على تلك الزيادة. وقالوا: الربا ربوان؛ فالحرام: كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه: أو يجرّ منفعة. والذي ليس بحرام: أن يستدعي بهبته أو بهديته أكثر منها/ ٢/ ١٩١أ. وفي الحديث «المستغزر يثاب من هبته» (١١٣٩). وقرئ: وما أتيتم من ربا، بمعنى: وما غشيتموه أو رهقتموه من إعطاء ربا. وقرئ: لتربوا، أي: لتزيدوا في أموالهم كقوله تعالى: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] أي يزيدها. وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ التفات حسن، كأنه قال لملائكته وخواص خلقه: فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم: هم المضعفون. فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم المضعفون. والمعنى: المضعفون به، لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى ما، ووجه آخر: وهو أن يكون تقديره: فمؤتوه أولئك هم المضعفون. والحذف لما في الكلام من الدليل عليه، وهذا أسهل مأخذا، والأوّل أملأ بالفائدة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ وخبره ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ أي الله هو فاعل هذه الأفعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها أحد غيره، ثم قال: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ الذين اتخذتموهم أنداداً له من الأصنام وغيرها ﴿مَّن يَفْعَلُ﴾ شيئاً قط من تلك الأفعال؛ حتى يصح ما ذهبتم إليه، ثم استبعد حاله من حال شركائهم. ويجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ صفة للمبتدأ، والخبر: هل من شركائكم، وقوله: ﴿مِّن ذَٰلِكُم﴾ هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ، لأن معناه: من أفعاله ومن الأولى والثانية والثالثة: كل واحدة منهنّ مستقلة بتأكيد، لتعجيز شركائهم، وتجهيل عبدتهم.

١١٣٩ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٥٨): لم أجده إلا من قول شريح، رواه ابن أبي شيبة في البيوع ثنا ابن أبي زائدة عن هشام عن ابن سيرين عن شريح قال: المستغزر يثاب من هبته أو ترد عليه.

ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» في الهبة: أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين به .اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من وجهين عن ابن سيرين عن شريح بهذا موقوفاً.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ نحو: الجدب، والقحط، وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات، ووقوع الموتان في الناس والدواب، وكثرة الحرق والغرق، وإخفاق الصيادين[1] والغاصة، ومحق البركات من كل شيء، وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضارّ. وعن ابن عباس: أجدبت الأرض وانقطعت مادّة البحر. وقالوا: إذا انقطع القطر عميت دواب البحر. وعن الحسن أنّ المراد بالبحر: مدن البحر وقراه التي على شاطئه. وعن عكرمة: العرب تسمي الأمصار البحار. وقرئ في البر والبحور ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] بسبب معاصيهم وذنوبهم، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وعن ابن عباس ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ﴾ بقتل ابن آدم أخاه. وفي البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة غصباً: وعن قتادة: كان ذلك قبل البعث، فلما بعث رسول الله - ﷺ - رجع راجعون عن الضلال والظلم. ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؟ قلت: أمّا على التفسير الأول فظاهر، وهو أنّ الله قد أفسد أسباب دنياهم ومحقها، ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة، لعلهم يرجعون عما هم عليه. وأمّا على الثاني فاللام مجاز، على معنى أنّ ظهور الشرور بسببهم ما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم إرادة الرجوع، فكأنهم إنما أفسدوا وتسببوا لفشوّ المعاصي في الأرض لأجل ذلك. وقرئ: لنذيقهم، بالنون.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾

ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله: حيث أمرهم بأن يسيروا في الأرض فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم، ودل بقوله: ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ على أنّ الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم، وأنّ ما دونه من المعاصي يكون سبباً لذلك.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾

القيم: البليغ الاستقامة، الذي لا يتأتى فيه عوج ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ إمّا أن يتعلق بيأتى، فيكون المعنى: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يردّه أحد، كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾

---

(١) قوله «وإخفاق الصيادين» في الصحاح: أخفق الصائد، إذا رجع ولم يصطد. (ع)

[الأنبياء: ٤٠] أو بمردّ، على معنى: لا يردّه هو بعد أن يجيء به، ولا ردّ له من جهته. والمردّ: مصدر بمعنى الردّ ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ يتصدّعون: أي: يتفرّقون، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الروم: ١٤].

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضارّ، لأنّ من كان ضاره كفره؛ فقد أحاطت به كلّ مضرّه ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي يسوّون لأنفسهم ما يسوّيه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه، لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده: من نتوء أو قضض[1] أو بعض ما يؤذي الراقد. ويجوز أن يريد: فعلى أنفسهم يشفقون، من قولهم في المشفق: أمّ فرشت فأنامت. وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أنّ ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعدّاه. ومنفعة الإيمان والعمل الصالح: ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزه ﴿لِيَجْزِىَ﴾ متعلق بيمهدون تعليل له ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب؛ وهذا يشبه الكناية، لأن الفضل تبع للثواب، فلا يكون إلا بعد حصول ما هو تبع له: أو أراد من عطائه وهو ثوابه؛ لأن الفضول والفواضل هي الأعطية عند العرب. وتكرير ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وترك الضمير إلى الصريح/ ٢/ ٩١ب لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح. وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تقرير بعده تقرير، على الطرد والعكس.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ٱلرِّيَاحَ﴾ هي الجنوب والشمال والصبا، وهي رياح الرحمة. وأما الدبور. فريح العذاب، ومنه قوله ﷺ: «اللهمَّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» (١١٤٠). وقد عدد

١١٤٠ ـ أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٥٣٣)، وأخرجه أبو يعلى (٤/ ٣٤١) رقم (٢٤٥٦) من طريق الحسين بن قيس عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٨) وقال: رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس الملقب بحنش وهو متروك، وقد وثقه حصين بن نمير، وبقية رجاله رجال الصحيح.
وذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٣٣٧١) وعزاه لمسدد وأبي يعلى. وللحديث طريق =

---

(١) قوله «من نتوء أو قضض» النتوء: الارتفاع، والقضض: صغار الحصى. أفاده الصحاح. (ع)

الأغراض في إرسالها، وأنه أرسلها للبشارة بالغيث ولإذاقة الرحمة، وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه، والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الأرض. قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض» (١١٤١). وإزالة العفونة من الهواء، وتذرية الحبوب، وغير ذلك ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ في البحر عند هبوبها. وإنما زاد ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ لأن الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية[1]، فلا بد من إرساء السفن والاحتيال لحبسها، وربما عصفت فأغرقتها ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يريد تجارة البحر؛ ولتشكروا نعمة الله فيها. فإن قلت: بم يتعلق وليذيقكم؟ قلت: فيه وجهان: أن يكون معطوفاً على مبشرات على المعنى، كأنه قيل: ليبشركم وليذيقكم. وأن يتعلق بمحذوف تقديره: وليذيقكم، وليكون كذا وكذا: أرسلناها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

اختصر الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين، وقد أخلى الكلام أوّلاً عن ذكرهما. وقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تعظيم للمؤمنين

= آخر عن ابن عباس.

أخرجه الشافعي في «الأم» (١/ ٢٥٣) ومن طريقه البيهقي في «المعرفة» (٣/ ١٠٧). قال الشافعي: أخبرني من لا أتهم قال: ثنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً.

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه الشافعي: أخبرني من لا أتهم عن العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً نحوه. ومن طريقه. أخرجه في المعرفة وفي الدعوات، وهذا المبهم: هو إبراهيم بن أبي يحيى وهو ضعيف. وله طريق أخرى عند أبي يعلى والطبراني وابن عدي من رواية حسين بن قيس عن عكرمة به وحسين ضعيف أيضاً.

وهذا المبهم هو إبراهيم بن أبي يحيى وهو ضعيف.

١١٤١ ـ قال الحافظ الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٦٠): غريب.

وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده اهـ.

وقد ذكر هذا الحديث ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٢٨٠) وقال: يرويه إسماعيل بن أبي أويس عن كثير بن عبد الله المزني عن ربيح بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده أبي سعيد.

وذكره الخطابي أيضاً في «غريب الحديث» (١/ ٦٧٩) من قول بعض الأعراب فقال: وقال الأصمعي عن بعض الأعراب: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده. انتهى.

---

(١) قوله «ولا تكون مؤاتية» في الصحاح: آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة، إذا وافقته. والعامة تقول: واتيته. (ع)

ورفع من شأنهم، وتأهيل لكرامة سنية، وإظهار لفضل سابقة ومزية، حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم، مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم، وقد يوقف على (حقا). ومعناه: وكان الانتقام منهم حقاً، ثم يبتدأ ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وعن النبيّ ﷺ «ما من امرىء مسلم يردّ عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يردّ عنه نار جهنم يوم القيامة» (١١٤٢). ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩)﴾

﴿فَيَبْسُطُهُ﴾ متصلاً تارة ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ أي قطعاً تارة ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ في التارتين جميعاً. والمراد بالسماء. سمت السماء وشقها، كقوله تعالى: ﴿وَفَرْعُهَا فِي

١١٤٢ ـ أخرجه الترمذي (٤/٣٢٧) كتاب البر والصلة باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم حديث (١٩٣١)، وأحمد (٦/ ٤٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ١١١) رقم (٧٦٣٥)، والطبراني في «الكبير» كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٦١) كلهم من طريق أبي بكر النهشلي عن مرزوق أبي بكر التيمي عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعاً.
وقال الترمذي: حديث حسن.
قلت: وفي تحسينه ـ رحمه الله ـ لهذا الحديث نظر؛ فإن مرزوقاً التيمي مجهول.
وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٢٣٧): مقبول. يعني عند المتابعة وإلا فلين الحديث.
قال الزيلعي: قال ابن القطان في كتابه: ومانعه من الصحة مرزوق هذا؛ فإنه لم تثبت عدالته.
قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه الترمذي، وأحمد، والطبراني من حديث أبي الدرداء. وقال: حسن. ورواه إسحاق، والطبراني، وأبو يعلى، وابن عدي من طريق شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد مرفوعاً نحوه وإسناده ضعيف. واختلف فيه على شهر بن حوشب: فقال العداج عنه هكذا، وقال ليث بن أبي سليم عنه عن أبي هريرة، أخرجه ابن مردويه. انتهى.
وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت يزيد أخرجه أحمد (٦/ ٤٦١)، وابن المبارك في الزهد (٦٨٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» رقم (١٥٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٦٧)، والطبراني في «الكبير» (٤٤٢ ـ ٤٤٣) كلهم من طريق عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من ذب عن لحم أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يعتقه من النار». وأخرجه أيضاً إسحاق بن راهويه وأبو يعلى كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٦١). وشهر بن حوشب ضعيف.
وعبيد الله بن أبي زياد القداح. قال الحافظ: ليس بالقوي.
وقد خولف في هذا الحديث خالفه ليث بن أبي سليم، فرواه عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعاً.
أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٩).

﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وبإصابة العباد: إصابة بلادهم وأراضيهم ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من باب التكرير والتوكيد، كقوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ﴾ [الحشر: ١٧]. ومعنى التوكيد فيه: الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد، فاستحكم بأسهم وتمادى إبلاسهم[١] فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

قرئ: أثر وآثار، على الوحدة والجمع. وقرأ أبو حيوة وغيره: كيف تحيي، أي: الرحمة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعني إنّ ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها، هو الذي يحيي الناس بعد موتهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من المقدورات قادر، وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فَرَأَوْهُ﴾ فرأوا أثر رحمة الله. لأنّ رحمة الله هي الغيث، وأثرها: النبات. ومن قرأ بالجمع: رجع الضمير إلى معناه؛ لأن معنى آثار الرحمة النبات، واسم النبات يقع على القليل والكثير، لأنه مصدر سمي به ما ينبت. ولئن: هي اللام الموطئة للقسم، دخلت على حرف الشرط، و﴿لَّظَلُّوا۟﴾ جواب القسم سدّ مسدّ الجوابين، أعني: جواب القسم وجواب الشرط، ومعناه: ليظلنّ ذمّهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين، فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر: استبشروا وابتهجوا، فإذا أرسل ريحاً فضرب زروعهم بالصفار، ضجوا وكفروا بنعمة الله. فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة، كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله. فقنطوا. وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها. فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار. وأن يصبروا على بلائه، فكفروا. والريح التي اصفرّ لها النبات: يجوز أن تكون حروراً وحرجفاً. فكلتاهما مما يصوح[٢] له النبات ويصبح هشيماً. وقال: مصفراً: لأنّ تلك

---

(١) قوله «إبلاسهم» الإبلاس: اليأس من الخير. والسكوت، والانكسار غماً وحزناً. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «وحرجفا... إلخ» في الصحاح «الحرجف»: الريح الباردة. وفيه أيضاً «صوحته الريح»: أيبسته. (ع)

صفرة حادثة. وقيل: فرأوا السحاب مصفراً، لأنه إذا كان كذلك لم يمطر.

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ/ ٢/ ٩٢أ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾

قرئ: بفتح الضاد وضمها، وهما لغتان، والضم أقوى في القراءة، لما روى ابن عمر - رضي الله عنهما -: قال: قرأتها على رسول الله - ﷺ - من ضَعف، فأقرأني من ضُعف (١١٤٣). وقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] كقوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] يعني أنّ أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] أي ابتدأناكم في أول الأمر ضعافاً. وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة، وتلك حال القوّة إلى الاكتهال وبلوغ الأشدّ، ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم. وقيل: من ضعف من النطف، كقوله تعالى: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ وهذا الترديد في الأحوال المختلفة، والتغيير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة: أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة، سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا، أو لأنها تقع بغتة وبديهة. كما تقول: «في ساعة» لمن تستعجله، وجرت علماً لها كالنجم للثريا، والكوكب للزهرة. وأرادوا: لبثهم في الدنيا، أو في القبور، أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث. وفي الحديث: «ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون» (١١٤٤). قالوا: لا

١١٤٣ - أخرجه أبو داود (٤/ ٣٣) كتاب الحروف والقراءات: حديث (٣٩٧٨)، والترمذي (٥/ ١٨٩) كتاب القراءات: باب ومن سورة الروم حديث (٢٩٣٦)، وإسحاق بن راهويه، والبزار كما في «تخريج الكشاف» كلهم من طريق عطية العوفي عن ابن عمر به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق.
وأخرجه أبو داود (٤/ ٣٢) كتاب الحروف والقراءات حديث (٣٩٧٩) من طريق عبد الله بن جابر عن عطية العوفي عن أبي سعيد قال الزيلعي: ووهم ابن عساكر في أطرافه فعزاه للترمذي في ترجمة عطية عن الخدري وأهمله في ترجمة عطية عن ابن عمر.
وللحديث طريق آخر عن ابن عمر أخرجه ابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٦٢) من طريق سلام بن سليمان المدائني عن أبي عمرو بن العلاء عن نافع عن ابن عمر.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود، والترمذي، وإسحاق، والبزار من حديث عطية عن ابن عمر دون التفسير، ورواه ابن مردويه من رواية أبي عمرو بن العلاء عن نافع عن ابن عمر، لكن في إسناده سلام بن سليمان. انتهى.

١١٤٤ - قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٤٨٧): غريب بهذا اللفظ. =

نعلم أهي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة؟ وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم، وإنما يقدّرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له. أو ينسون أو يكذبون أو يخمنون ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا، وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق. أو مثل ذلك الإفك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

القائلون: هم الملائكة، والأنبياء، والمؤمنون ﴿فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوح. أو في علم الله وقضائه. أو فيما كتبه، أي: أوجبه بحكمته. ردّوا ما قالوه وحلفوا عليه، وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم: ﴿فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه. فإن قلت: ما هذه الفاء؟ وما حقيقتها؟ قلت: هي التي في قوله [من الهزج]:

. . . . فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا[1]

وحقيقتها: أنها جواب شرط يدل عليه الكلام. كأنه قال: إن صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان، وآن لنا أن نخلص، وكذلك إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث، أي فقد تبين بطلان قولكم، وقرأ الحسن يوم البعث، بالتحريك ﴿لَا يَنفَعُ﴾ قرئ بالياء والتاء ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من قولك: استعتبني فلان فأعتبته. أي: استرضاني فأرضيته. وذلك إذا كنت جانياً عليه. وحقيقة أعتبته: أزلت عتبه؛ ألا ترى إلى

= وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا .اهـ.
والثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: ما بين النفختين أربعون قالوا: أربعون يوماً قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؛ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت.
أخرجه البخاري (٨/ ٥٥٨) كتاب التفسير باب تفسير «عم يتساءلون» حديث (٤٩٣٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٠ ـ ٢٢٧١) كتاب الفتن: باب ما بين النفختين حديث (١٤١/ ٢٩٥٥).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده هكذا. وفي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً «ما بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ أبيت، قالوا: أربعون يوماً؟ قال: أبيت». انتهى.

---

(١) تقدم.

قوله [من الكامل]:

غَضِبَتْ تَمِيمٌ أَنْ تُقَتَّلَ عَامِرٌ   يَوْمَ النِّسَارِ فَأُعْتِبُوا بِالصَّيْلَمِ[1]

كيف جعلهم غضابا، ثم قال: فأعتبوا، أي: أزيل غضبهم. والغضب في معنى العتب. والمعنى: لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة وطاعة، ومثله قوله تعالى: ﴿لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الجاثية: ٣٥]، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾. فإن قلت: كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات، وغير معتبين في بعضها، وهو قوله: (وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين)؟ قلت: أما كونهم غير مستعتبين: فهذا معناه. وأما كونهم غير معتبين، فمعناه: أنهم غير راضين مما هم فيه، فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم، فهم عاتبون على الجاني غير راضين عنه، فإن يستعتبوا الله: أي يسألوه إزالة ما هم فيه، فما هم من المجابين إلى إزالته.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ﴾ وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها، وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن، كصفة المبعوثين يوم القيامة، وقصتهم، وما يقولون وما يقال لهم، وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم، ولكنهم ـ لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة ـ إذا جئتهم بآية من آيات القرآن، قالوا: جئتنا بزور وباطل، ثم قال: مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة. ومعنى طبع الله: منع الألطاف[2] التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق، وإنما يمنعها من علم أنها لا تجدي عليه ولا تغني عنه، كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أنّ الموعظة تلغو ولا تنجع فيه، فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدأ والرين إياها، فكأنه قال: كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة، حتى يسموا المحقين مبطلين، وهم أعرق خلق الله[3] في تلك الصفة ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على عداوتهم ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله ﴿حَقٌّ﴾ لا بدّ من إنجازه والوفاء به، ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعاً مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون

---

(١) تقدم.

(٢) قوله «ومعنى طبع الله منع الألطاف» أوله بذلك بناء على أنه تعالى لا يخلق الشر وهو مذهب المعتزلة وذهب أهل السنة إلى أنه يخلقه كالخير، فالآية على ظاهرها. (ع)

(٣) قوله «وهم أعرق خلق الله» في الصحاح: أعرق الرجل. أي: صار عريقاً، وهو الذي له عرق في الكرم. (ع)

ضالون لا يستبدع منهم ذلك. وقرئ بتخفيف النون. وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب: ولا يستحقنك، أي: لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك/ ٢/ ٩٢ب من المؤمنين.

عن رسول الله - ﷺ -: «من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته» (١١٤٥).

١١٤٥ - تقدم برقم (٣٤٦) وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

الكشاف

عن

حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري
(٤٦٧-٥٣٨ هـ)

تحقيق وتعليق ودراسة

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي
أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

الجزء الخامس

مكتبة العبيكان

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب. ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس ٤٦٥٠١٢٩

الكشاف

سورة لقمان

مكية [إلا الآيات ٢٧ و٢٨ و٢٩ فمدنية]
وآياتها ٣٤ وقيل ٣٣ [نزلت بعد الصافات]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة. أو وصف بصفة الله تعالى على الإسناد المجازي. ويجوز أن يكون الأصل: الحكيم قائله، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فبانقلابه مرفوعاً بعد الجر استكن في الصفة المشبهة ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالنصب على الحال عن الآيات. والعامل فيها: ما في تلك من معنى الإشارة. وبالرفع على أنه خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها: من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيقان بالآخرة ونظيره قول أوس: [المنسرح]

أَلأَلْـمَـعِـيَّ الَّـذِي يَـظُـنُّ بِـكَ الـظَّـ ... ـظَنَّ أَجْمِلي كَأَنْ قَدْ رَأَىٰ وَقَدْ سَمِعَا[1]

---

(١)
أيـتـهـا الـنـفـس أَجْـمِـلِـي جـزعـا ... إن الـذي تـحـذريـن قـد وقـعـا
إن الـذي جـمـع الـسـمـاحـة والـنـ ... ـنجـدة والـبـر والـتـقـى جـمـعـا
الألـمـعـي الـذي يـظـن بـك الـظـ ... ـظَنَّ كـأن قـد رأى وقـد سـمـعـا
أودى فـلا تـنـفـع الإشـاحـة مـن ... أمـر لـمـن قَـدْ يـحـاول الـبـدعـا

لأوس بن حجر، يرثي فضالة بن كلدة. يقول: يا نفس احتملي جزعاً عظيماً، إن الذي تخافين منه قد حصل، وبينه بقوله: إن الذي جمع المكارم كلها أودى، أي: هلك. وجمع ـ بالضم ـ: توكيد للصفات قبله. والألمعي: نصب على الصفة للذي، وفسره بأنه الذي يظن بك، يعني كل مخاطب، أي: يظن الظن الحق، كأنه قد رأى وسمع ما ظنه أو يظن الظن فيصيب، كأنه قد رآه إن كان فعلاً، أو سمعه إن كان قولاً. وفيه نوع من البديع يسمى التفسير، وهو أن يؤتى بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفته بدون تفسيره، ذكره السيوطي في شرح عقود الجمان. والإشاحة: الشجاعة والجد في القتال. وضمن «تنفع» معنى «تحفظ» فعداه بمن، أي: فلا تحفظ الشجاعة من مكروه أحداً. وعداه «باللام» نظراً للفظه. والأقرب أن من واللام زائدتان لتوكيد الكلام، أي: فلا تنفع الإشاحة شيئاً من النفع أحداً من الناس يحاول ويطلب بدائع الأمور وعظائمها، يعني: أن فضالة كان كذلك فمات. =

حكي عن الأصمعي: أنه سئل عن الألمعي فأنشده ولم يزد. أو للذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال، ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث بفضل اعتداد بها.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾

اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني و﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ نحو السمر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها، والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام، وما لا ينبغي من كان وكان، ونحو الغناء وتعلم الموسيقار[1]، وما أشبه ذلك. وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، وكان يتجر إلى فارس، فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشاً ويقول: إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن. وقيل: كان يشتري المغنيات. فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول: أطعميه واسقيه وغنيه، ويقول: هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه. وفي حديث النبي ﷺ: «لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهنّ ولا أثمانهن» (١١٤٦). وعنه ﷺ «ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين: أحدهما

١١٤٦ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة وهم أبو أمامة، وعمر، وعلي، وعائشة.
ـ حديث أبي أمامة:
أخرجه الترمذي (٣/ ٥٧٠) كتاب البيوع: باب ما جاء في كراهية بيع المغنيات حديث (١٢٨٢)، وأحمد (٥/ ٢٥٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٩)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٤١ ـ بتحقيقنا)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢٣٣) رقم (٧٨٠٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١٤ ـ ١٥) كتاب البيوع: باب ما جاء في بيع المغنيات كلهم من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً.
وقال الترمذي: حديث أبي أمامة إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد تكلم بعض أهل العلم في علي بن يزيد وضعفه وهو شامي.
والحديث ذكره عبد الحق في «الأحكام الوسطى» (٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) من جهة الترمذي، وقال: علي بن يزيد ضعيف ضعفه البخاري وأبو حاتم، وأبو زرعة، وأحمد بن حنبل.
وقال النسائي: علي بن يزيد أبو عبد الله متروك وأحسن ما سمعت فيه قول الجرجاني: علي بن يزيد في نفسه صالح، إلا أن يروى عنه ضعيف، وهذا الحديث رواه عن علي بن يزيد عبيد الله بن =

= وفيه نوع تسل.

(١) قوله «وتعلم الموسيقار» يونانية. ومعناه: علم الغناء، وبغير راء: ذات الغناء، كذا قيل. (ع)

على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب، فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو

= زحر صاحب كل معضلة والقاسم ضعفه أحمد بن حنبل ووثقه البخاري وقال أبو أحمد الجرجاني: وذكر القاسم هذا كان خيراً فاضلاً .اهـ.

والحديث أخرجه ابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه والثعلبي والبغوي كما في تخريج الكشاف (٦٧/٣) وللحديث طريق آخر.
أخرجه ابن ماجه (٧٣٣/٢) كتاب التجارات باب ما لا يحل بيعه حديث (٢١٦٨) من طريق أبي المهلب عن عبيد الله الإفريقي عن أبي أمامة به مرفوعاً.
وله طريق ثالث أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢١٢/٨) رقم (٧٧٤٩) من طريق يحيى بن الحارث عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً.
ـ حديث عمر:
أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٣/١) رقم (٨٧) من طريق يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «ثمن القينة سحت وغناؤها حرام والنظر إليها حرام وثمنها مثل ثمن الكلب وثمن الكلب سحت ومن نبت لحمه على السحت فالنار أولى به».
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩٤/٤): وفيه يزيد بن عبد الملك النوفلي وهو متروك ضعفه جمهور الأئمة ونقل عن ابن معين في رواية لا بأس به وضعفه في أخرى.
ـ حديث علي:
أخرجه أبو يعلى (٤٠٢/١) رقم (٥٢٧) من طريق الحارث بن نبهان عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي مرفوعاً بلفظ: «نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن المغنيات والنواحات وعن شرائهن وعن بيعهن وتجارة فيهن وقال: كسبهن حرام».
والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩٤/٤) وقال: رواه أبو يعلى وفيه ابن نبهان وهو متروك.
ـ حديث عائشة:
أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٧٨٤/٢ ـ ٧٨٥) رقم (١٣٠٩) من طريق ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن سابط عن عائشة.
وقال ابن الجوزي: لا يصح، ليث بن أبي سليم متروك قال ابن حبان اختلط في آخر عمره فكان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ويأتي عن الثقات ما ليس من حديثهم.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الطبري وابن أبي حاتم وغيرهما من رواية عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة بهذا. وهو عند أحمد وابن أبي شيبة والترمذي وأبي يعلى من هذا الوجه وهو ضعيف، ورواه الطبراني من طريق يحيى بن الحارث عن القاسم نحوه. وله طريق آخر عند ابن ماجه من رواية عبيد الله الأفريقي عن أبي أمامة، قال: «نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن بيع المغنيات وعن شرائهن، وعن كسبهن وعن أكل أثمانهن وفي الباب عن عمر. أخرجه الطبراني وابن عدي من رواية يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن خصيف عن السائب بن يزيد عن عمر نحوه. ويزيد بن عبد المطلب ضعيف وعن علي أخرجه أبو يعلى وابن عدي وفيه الحارث بن نبهان وهو ضعيف، وعن عائشة أخرجه البيهقي وفيه ليث بن سليم وهو ضعيف. انتهى.

الذي يسكت» (١١٤٧). وقيل: الغناء منفذة للمال، مسخطة للرب، مفسدة للقلب. فإن قلت: ما معنى إضافة اللهو إلى الحديث؟ قلت: معناها التبيين، وهي الإضافة بمعنى من، وأن يضاف الشيء إلى ما هو منه، كقولك: صفة خز، وباب ساج[1]. والمعنى: من يشتري اللهو من الحديث؛ لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره، فبين بالحديث. والمراد بالحديث. الحديث المنكر، كما جاء في الحديث: «الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش» (١١٤٨)، ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى «من» التبعيضية، كأنه قيل: ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه. وقوله: ﴿يَشْتَرِي﴾ إما من الشراء، على ما روي عن النضر: من شراء كتب الأعاجم أو من شراء القيان. وإما من قوله: ﴿اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٧٧] أي استبدلوه منه واختاروه عليه. وعن قتادة: اشتراؤه: استحبابه، يختار حديث الباطل على حديث الحق. وقرئ: ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضم الياء وفتحها. و﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام أو القرآن. فإن قلت: القراءة بالضم بينة، لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو: أن يصدّ الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه، فما معنى القراءة بالفتح؟ قلت: فيه معنيان، أحدهما: ليثبت على ضلاله الذي كان عليه، ولا يصدف عنه، ويزيد فيه ويمدّه، فإن المخذول كان شديد

١١٤٧ ـ أخرجه الطبراني في معجمة الكبير (٨/ ٢٤١) رقم (٧٨٢٥)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٨/ ١٢٢ ـ ١٢٣)، وقال: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدهما وثقوا وضعفوا.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٦٩) إلى أبي يعلى في مسنده كلاهما من حديث رشدين بن سعد عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زهر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة به.
وأخرجه الطبراني أيضاً في معجمه: (٨/ ٢١٢) رقم (٧٧٤٩)، والترمذي (٥/ ٣٤٥): كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة لقمان، حديث (٣١٩٥)، وقال: هذا حديث غريب من طريق القاسم عن أبي أمامة به.
وأخرجه الواحدي في تفسيره: (٣/ ٤٤١) والثعلبي وابن مردويه في تفسيرهما كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٧٠) من طريق مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد الألهاني عن القاسم عن أبي أمامة به.
وبهذا السند والمسند أخرجه إسحاق بن راهويه، والحارث بن أبي أسامة، والواحدي في أسباب النزول كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٧٠).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو يعلى وإسحاق والحارث من طريق أبي أمامة وهو عند الطبراني من رواية يحيى بن الحارث عن القاسم في الحديث الذي قبله. انتهى.
١١٤٨ ـ تقدّم في سورة التوبة.

---

(١) قوله «كقولك صفة خز وباب ساج» لعله محرف. وأصله جبة خز، ثم رأيت في الصحاح: صفة الدار والسرج: واحدة الصفف اهـ. فلعل صفة السرج تكون من خز. (ع)

الشكيمة في عداوة الدين وصدّ الناس عنه. والثاني: أن يوضع ليضل موضع ليضل، من قبل أن من أضل كان ضالاً لا محالة، فدل بالرديف على المردوف. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؟ قلت: لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال: يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها، حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق. ونحوه قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] أي: وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها: وقرئ ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب والرفع عطفاً على يشتري. أو ليضل، والضمير للسبيل؛ لأنها مؤنثة، كقوله تعالى: ﴿وَتَصُدُّونَ/ ٢/ ٩٣أ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾. ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ زاماً[١] لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأساً: تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ أي ثقلا ولا وقر فيهما، وقرئ: بسكون الذال. فإن قلت: ما محل الجملتين المصدرتين بكأن؟ قلت: الأولى حال من (مستكبراً) والثانية من لم يسمعها: ويجوز أن تكونا استئنافين، والأصل في كأن المخففة: كأنه، والضمير: ضمير الشأن.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان، الأوّل: مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره؛ لأن قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ في معنى: وعدهم الله جنات النعيم، فأكد معنى الوعد بالوعد. وأما ﴿حَقًّا﴾ فدال على معنى الثبات: أكد به معنى الوعد، ومؤكدهما جميعاً قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه، يقدر على الشيء وضده، فيعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء، وهو ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ لا يشاء إلا ما توجبه الحكمة والعدل ﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضمير فيه للسموات، وهو استشهاد برؤيتهم لها، غير معمودة على قوله: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ كما تقول لصاحبك: أنا بلا سيف ولا رمح تراني فإن قلت: ما محلها من الإعراب؟ قلت: لا محل لها لأنها مستأنفة. أو هي في محل الجرّ صفة للعمد أي: بغير عمد مرئية، يعني: أنه عمدها بعمد لا ترى، وهي إمساكها بقدرته ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته. والخلق بمعنى المخلوق. و﴿ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ آلهتهم، بكتهم بأن

---

(١) قوله «زاما لا يعبأ بها» في الصحاح: زم بأنفه، أي: تكبر، فهو زام. (ع)

هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله وأنشأه. فأروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة، ثم أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورّط في ضلال ليس بعده ضلال.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

هو لقمان بن باعورا: ابن أخت أيوب أو ابن خالته. وقيل: كان من أولاد آزر، وعاش ألف سنة، وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم، وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام، فلما بعث قطع الفتوى، فقيل له؟ فقال: ألا أكتفي إذا كفيت؟ وقيل: كان قاضياً في بني إسرائيل، وأكثر الأقاويل أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لقمان لم يكن نبياً ولا ملكاً. ولكن كان راعياً أسود، فرزقه الله العتق، ورضي قوله ووصيته، فقص أمره في القرآن لتمسكوا بوصيته. وقال عكرمة والشعبي: كان نبياً. وقيل: خير بين النبوّة والحكمة فاختار الحكمة[1]. وعن ابن المسيب: كان أسود من سودان مصر خياطاً، وعن مجاهد: كان عبداً أسود غليظ الشفتين متشفق[2]: القدمين. وقيل: كان نجاراً. وقيل: كان راعيا وقيل: كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة. وعنه أنه قال لرجل ينظر إليه: إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق، وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض. وروي أن رجلاً وقف عليه في مجلسه فقال: ألست الذي ترعى معي في مكان كذا؟ قال: بلى. قال: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني. وروي أنه دخل على داود عيه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين، فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلما أتمها لبسها وقال: نعم لبوس الحرب أنت. فقال: الصمت حكمة وقليل فاعله، فقال له داود: بحق ما سميت حكيماً. وروي أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين. فأخرج اللسان والقلب، ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب، فسأله عن ذلك؟ فقال: هما أطيب ما فيها إذا طابا، وأخبث ما فيها إذا خبثا. وعن سعيد بن المسيب أنه قال لأسود: لا تحزن، فإنه كان من خير الناس

---

(١) ذكر محمود في ذلك اختلاف العلماء في نبوته، وذكر أثناء ذلك أنه خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة. قال أحمد: وفي هذا بعد بين، وذلك أن الحكمة داخلة في النبوة، وقطرة من بحرها، وأعلى درجات الحكماء تنحط عن أدنى درجات الأنبياء بما لا يقدر قدره. وليس من الحكمة اختيار الحكمة المجردة من النبوة.

(٢) قوله «متشفق» في الصحاح: «الشفق»: الرديء من الأشياء. يقال: غطاء مشفق، أي: مقلل اهـ. والظاهر أنه متشقق بقافين. (ع)

ثلاثة من السودان: بلال، ومهجع مولى عمر، ولقمان. ﴿أَن﴾ هي المفسرة، لأنّ إيتاء الحكمة في معنى القول، وقد نبه الله سبحانه على أنّ الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي: هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له، حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر ﴿غَنِيٌّ﴾ غير محتاج إلى الشكر ﴿حَمِيدٌ﴾ حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾

قيل: كان اسم ابنه «أنعم» وقال الكلبي: «أشكم» وقيل: كان ابنه وامرأته كافرين، فما زال بهما حتى أسلما ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأنّ التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه، ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصوّر أن تكون منه ـ: ظلم لا يكتنه عظمه.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

أي ﴿حَمَلَتْهُ﴾ تهن ﴿وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ كقولك رجع عودا/ ٢/ ٩٣ب على بدء، بمعنى؛ يعود عوداً على بدء، وهو في موضع الحال. والمعنى: أنها تضعف ضعفاً فوق ضعف، أي: يتزايد ضعفها ويتضاعف؛ لأنّ الحمل كلما ازداد وعظم، ازدادت ثقلاً وضعفاً. وقرئ: وهنا على وهن، بالتحريك عن أبي عمرو. يقال: وهن يوهن. ووهن يهن. وقرئ: وفصله ﴿أَنِ اشْكُرْ﴾ تفسير لوصينا ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أراد بنفي العلم به نفيه، أي: لا تشرك بي ما ليس بشيء[1]، يريد الأصنام، كقوله تعالى: ﴿مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [العنكبوت: ٤٢]. ﴿مَعْرُوفًا﴾ صحاباً. أو مصاحباً معروفاً حسناً بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة، وما يقتضيه الكرم والمروءة ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يريد: واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه ـ وإن كنت مأموراً بحسن مصاحبتهما في الدنيا ـ ثم إليّ مرجعك ومرجعهما، فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما، علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الإنسان في صحبتهما ومعاشرتهما: من مراعاة حق الأبوة وتعظيمه، وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الإخلال بها، ثم بين حكمهما وحالهما في

---

(١) قال محمود: «معناه: ما ليس بشيء، وعبر بنفي العلم عن نفي المعلوم» قال أحمد: هو من باب قوله: «على لاحب لا يهتدي بمناره» أي: ما ليس باله فيكون لك علم بالإلهية. وليس كما ذكره في قول فرعون ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ وقد مر معناه فيما تقدم.

الآخرة. وروي: أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمّه. وفي القصة: أنها مكثت ثلاثاً لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها[1] بعود. وروي أنه قال: لو كانت لها سبعون نفساً فخرجت، لما ارتددت إلى الكفر. فإن قلت: هذا الكلام كيف وقع في أثناء وصية لقمان؟ قلت: هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد، تأكيداً لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك. فإن قلت: فقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ كيف اعترض به بين المفسر والمفسر؟ قلت: لما وصى بالوالدين: ذكر ما تكابده الأمّ وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدّة المتطاولة، إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً[2]. وتذكيراً بحقها العظيم مفرداً، ومن ثمّ قال رسول الله ـ ﷺ ـ لمن قال له: من أبر؟ «أمّك ثم أمّك ثم أمّك» ثم قال بعد ذلك: «ثم أباك» (١١٤٩). وعن بعض العرب أنه حمل أمه إلى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه [من الرجز]:

أَحْمِلُ أُمِّي وَهِيَ الْحَمَّالَةْ　　تُرْضِعُنِي الدُّرَّةَ وَالْعُلالَةْ

وَلاَ يُجَازَى وَالِدٌ فَعَالَهْ[3]

١١٤٩ ـ أخرجه أبو داود (٤/٣٣٦): كتاب الأدب: باب في بر الوالدين، حديث (٥١٣٩)، والترمذي (٤/٣٠٩): كتاب البر والصلة عن رسول الله ـ ﷺ ـ باب ما جاء في بر الوالدين، حديث (١٨٩٧)، كلاهما من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده به. وقال الترمذي: وبهز بن حكيم هو أبو معاوية بن حيوة القشيري وهذا حديث حسن. وقد تكلم شعبة في بهز بن حكيم، وهو ثقة عند أهل الحديث، وروى عنه معمر والثوري وحماد بن سلمة وغير واحد من الأئمة.
وللحديث شاهد من طريق أبي هريرة.
أخرجه البخاري (١٢/٤): كتاب الأدب: باب من أحق الناس بحسن الصحبة؟، حديث (٥٩٧١)، ومسلم (٨/٣٤٣ ـ النووي): كتاب البر والصلة والآداب، حديث (١/٢٥٤٨)، وابن ماجه (٢/١٢٠٧): كتاب الأدب: باب بر الوالدين، حديث (٣٦٥٨). كلهم من طريق جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة به.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود، والترمذي من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: «قلت: يا رسول الله، من أبر؟ الحديث» وله شاهد في الصحيحين من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: من أحق بصحابتي؟ ـ الحديث». انتهى.

---

(١) قوله «حتى شجروا فاها بعود» في الصحاح: شجره بالرمح، أي: طعنه. (ع)
(٢) قال محمود: «فيه تخصيص حق الأم، وهو مطابق لبدايته، فذكرها في وجوب البر في الحديث المأثور» قال أحمد: وهذا من قبيل ما يقوله الفقهاء: إن اللأم من عمل الولد قبل الحلم جله، وهو مما يفيد تأكيد حقها، والله أعلم.
(٣) لعربي يحمل أمه إلى الحج، وهي الحمالة: جملة حالية، أي: كثيرة الحمل بحسب ما كان. أو من عادتها ذلك، وترضع: حال متداخلة، والدرة ـ بالضم: كثرة اللبن وسيلانه، والمراد بها: اللبن =

فإن قلت: ما معنى توقيت الفصال بالعامين؟ قلت: المعنى في توقيته بهذه المدة أنها الغاية التي لا تتجاوز، والأمر فيما دون العامين موكول إلى اجتهاد الأم: إن علمت أنه يقوى على الفطام فلها أن تفطمه. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وبه استشهد الشافعي ـ رضي الله عنه ـ على أن مدة الرضاع سنتان، لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما، وهو مذهب أبي يوسف ومحمد. وأما عند أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ. فمدة الرضاع ثلاثون شهراً. وعن أبي حنيفة: إن فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته، لم يكن رضاعاً. وإن أكل أكلاً ضعيفاً لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته، فهو رضاع محرم.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾

قرئ ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بالنصب والرفع، فمن نصب كان الضمير للهنة[1] من الإساءة أو الإحسان، أي: إن كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل، فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة[2] أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلى ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة فيحاسب بها عاملها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يتوصل علمه إلى كل خفي ﴿خَبِيرٌ﴾ عالم بكنهه. وعن قتادة: لطيف باستخراجها، خبير بمستقرّها. ومن قرأ بالرفع: كان ضمير القصة، وإنما أنث المثقال لإضافته إلى الحبة؛ كما قال [من الطويل]:

. . . . كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ[3]

وروي أنّ ابن لقمان قال له: أرأيت الحبة تكون في مقل البحر ـ أي: في مغاصه ـ يعلمها الله؟ فقال: إنّ الله يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة؛ لأنّ الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء. وقيل: الصخرة هي التي تحت الأرض، وهي السجين يكتب فيها أعمال الكفار. وقرئ: فتكن، بكسر الكاف. من وكن الطائر يكن: إذا استقر في وكنته، وهي مقره ليلاً.

= الكثير. والعلالة ـ بالضم ـ: بقية اللبن، والحلبة بين الحلبتين، وتطلق على بقية جري الفرس. والعلل: الشرب الثاني، والشرب الأول النهل: وروي ترضعني الدرة. والفعال ـ بالفتح ـ: فعل الخير وأراد بالوالد: الأم، أو ما يشمل الأب والأم.

(١) قوله «للهنة من الإساءة» في الصحاح «هن»: على وزن أخ: كلمة كناية. ومعناه: شيء، ومؤنثه: هنة. والقماءة: الصغر والحقارة. كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «هذا من البديع الذي يسمى التتميم» قال أحمد: يعني أنه تمم خلفاءها في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة، وهو من وادي قولها كأنه علم في رأسه نار.

(٣) تقدم

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ يجوز أن يكون عاماً في كل ما يصيبه من المحن، وأن يكون خاصاً بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من أذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ مما عزمه الله من الأمور، أي: قطعه قطع إيجاب والزام. ومنه الحديث «لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل» (١١٥٠)، أي: لم يقطعه بالنية: ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «لمن لم يبيت الصيام» (١١٥١)، ومنه: «إنّ الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه» (١١٥٢). وقولهم: عزمة من عزمات

١١٥٠ ـ تقدّم في سورة البقرة.

١١٥١ ـ تقدّم أيضا.

١١٥٢ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٧١): روي من حديث ابن عمر، ومن حديث ابن عباس، ومن حديث ابن مسعود، ومن حديث أبي هريرة، ومن حديث عائشة .اهـ.
أما حديث ابن عمر:
فأخرجه أحمد ٢/ ١٠٨، وابن حبان في صحيحه ٦/ ٤٥١ (٢٧٤٢)، ٨/ ٣٣٣ (٣٥٦٨) لكن في الموضع الثاني بلفظ: «كما يجب أن تؤتى عزائمه».
والبزار ١/ ٤٦٩ (٩٨٨ ـ ٩٨٩ ـ كشف الأستار)، والبيهقي ٣/ ١٤٠ كتاب الصلاة / باب كراهية ترك التقصير والمسح على الخفين وما يكون رخصة رغبة عن السنة. والخطيب في تاريخه ١٠/ ٣٤٧، والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٧٨) كما في فتح الوهاب بتخريج الشهاب للغماري (٢/ ٢٠٥) رقم (٦٧٧) قال الهيثمي في المجمع ٣/ ١٦٥: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، والبزار، والطبراني في الأوسط، وإسناده حسن» اهـ.
وله شاهد من حديث ابن عباس: رواه الطبراني في الكبير (١١٨٨٠ ـ ١١٨٨١)، وابن حبان في صحيحه ٢/ ٦٩ (٣٥٤) والبزار (٩٩٠ ـ كشف)، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٢٧٦، قال الهيثمي في المجمع ٣/ ١٦٥: «رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجال البزار ثقات وكذلك رجال الطبراني» .اهـ.
وأما حديث ابن مسعود:
فأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٠٣) رقم (١٠٠٣٠)، وفي الأوسط (٣/ ٢٧٦) رقم (٢٦٠٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٣/ ١٦٥): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه معمر بن عبد الله الأنصاري؛ قال العقيلي: لا يتابع على رفع حديثه .اهـ.
كما أخرجه أبو نعيم (٢/ ١٠١) كلهم مرفوعاً من طريق شعبة عن الحكم بن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله عز وجل يحب أن تقبل رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه».
وقال أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٠١): لم يروه مرفوعاً عن شعبة إلا معمر ورواه غندر وبكر بن بكار وغيرهما مرفوعاً.
وأما حديث أبي هريرة: =

ربنا (١١٥٣)، ومنه: عزمات الملوك. وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده:

= فأخرجه ابن أبي شيبة وابن عدي في الكامل كما في تخريج الكشاف للزيلعي (ج ٣/ ٧٣).
وأما حديث عائشة:
فقد قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٧٣): رواه ابن عدي في الكامل من طريقين:
أحدهما: عن الحكم بن عبد الله بن سعد الأيلي، أنه سمع القاسم عن عائشة أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن الله يحب أن يعمل برخصه، كما يحب أن يعمل بفرائضه» وضعف الحكم هذا عن جماعة جداً ووافقهم.
والآخر: عن عمر بن عبيد البصري: ثنا هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة مرفوعا: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»، قلت: وما عزائمه؟ قال: «فرائضه»، وضعف عمر بن عبيد هذا، وقال: لم يروه بهذا الإسناد غيره.
وبهذا السند والمتن أخرجه أبو يعلى الموصلي في معجمه، والطبراني في معجمه الأوسط كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٧٤).
حديث آخر: أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٥/ ٤٨٨) رقم (٤٩٢٤) من طريق الفضل بن العباس القرطبي، عن إسماعيل بن عيسى العطار عن عمر بن عبد الجبار عن عبد الله بن يزيد بن آدم، عن أبي الدرداء وأبي أمامة، وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب مغفرة ربه» اهـ.
وقال الطبراني: لا يُروى هذا الحديث عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة وأنس إلا بهذا الإسناد، تفرد به إسماعيل بن عيسى .اهـ.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة وابن عدي من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة: «أن رجلاً قال: يا رسول الله، أقصر الصلاة في سفري؟ قال: نعم، إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بفريضته» وفيه عمر بن عبد الله بن أبي خشعم اليمامي وهو منكر الحديث؛ قاله ابن عدي، وأخرجه أيضاً من طريق سعد بن سعيد بن أبي سعيد، حدثني أخي عبد الله عن أبيه. عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه، ورواه ابن حبان وأحمد والبزار، وأبو يعلى من رواية حرب بن قيس عن نافع عن ابن عمر بلفظ: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» وفي الباب عن ابن عباس. أخرجه ابن حبان والطبراني، وأبو نعيم في الحلية من رواية هشام بن حسان عن عكرمة عنه بلفظ ابن عمر وعن ابن مسعود أخرجه الطبراني، والعقيلي، وأبو نعيم من رواية معمر بن عبد الله الأنصاري عن شعبة عن الحكم عن إبراهيم عن علقمة عنه تفرد برفعه معمر، ووقفه غندر وروح بن عبادة وغيرهما عن شعبة. أخرجه ابن أبي شيبة وغيره. وعن عائشة: أخرجه ابن عدي من رواية الحكم بن عبد الله الأيلي عن القاسم عن عائشة ومن رواية عمر بن عبيد البصري عن هشام عن أبيه عنها والحكم وعمر ضعيفان. وأخرجه الطبراني في الأوسط من طريق إسماعيل بن عيسى العطار، حدثنا عمر بن عبد الجبار، حدثنا عبد الله بن زيد بن آدم عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة وأنس به وقال: لا يروى إلا بهذا الإسناد تفرد به إسماعيل.
قلت: والإسناد مجهول. قوله: «وقولهم عزمة من عزمات ربنا» هذا طرف من حديث أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد، والحاكم والبيهقي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، في أثناء حديثه قال فيه: «ومن منعها يعني الزكاة، فإنا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا ليس لآل محمد منها شيء» وإسناده حسن. انتهى.
١١٥٣ - أخرجه أبو داود (٢/ ١٠١): كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، حديث (١٥٧٥)، والنسائي =

عزمت عليك إلا فعلت كذا، إذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بدّ من فعله ولا مندوحة في تركه. وحقيقته/ ٢/ ١٩٤أ: أنه من تسمية المفعول بالمصدر، وأصله من معزومات الأمور، أي: مقطوعاتها ومفروضاتها. ويجوز أن يكون مصدر في معنى الفاعل، أصله: من عازمات الأمور، من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١] كقولك: جد الأمر، وصدق القتال. وناهيك بهذه الآية مؤذنة يقدم هذه الطاعات، وأنها كانت مأموراً بها في سائر الأمم وأنّ الصلاة لم تزل عظيمة الشأن، سابقة القدم على ما سواها، موصى بها في الأديان كلها.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

تصاعر، وتصعر: بالتشديد والتخفيف. يقال: أصعر خدّه. وصعره، وصاعره: كقولك أعلاه وعلاه وعالاه: بمعنى. والصعر والصيد: داء يصيب البعير يلوي منه عنقه. والمعنى: أقبل على الناس بوجهك تواضعاً، ولا تولهم شق وجهك وصفحته، كما يفعل المتكبرون. أراد: ﴿وَلَا تَمْشِ﴾ تمرح ﴿مَرَحًا﴾ أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا. ويجوز أن يريد: ولا تمش لأجل المرح والأشر، أي لا يكن غرضك في المشي البطالة والأشر كما يمشي كثير من الناس لذلك، لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ﴾. والمختال: مقابل للماشي مرحاً، وكذلك الفخور للمصعر خدّه كبراً ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ واعدل فيه حتى يكون مشيًا بين مشيين: لا تدب دبيب المتماوتين، ولا تثب وثيب الشطار. قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن» (١١٥٤). وأما قول عائشة في عمر ـ رضي الله

= (٥/ ١٥): كتاب الزكاة: باب عقوبة مانع الزكاة، وباب سقوط الزكاة عن الإبل إذا كانت رسلاً لأهلها ولحمولتهم، وأحمد في مسنده (٥/ ٢ و٤)، والحاكم في مستدركه (١/ ٣٩٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه .اهـ.

وقال ابن حجر: وإسناده حسن.

١١٥٤ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٧٥): روي من حديث أبي هريرة، ومن حديث ابن عمر، ومن حديث الخدري .اهـ.
أما حديث أبي هريرة:
فأخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٩٠)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١/ ٤١٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٢/ ٧٠٧ ـ ٧٠٨) رقم (١١٧٨).
كلهم من طريق محمد بن عبد الملك بن قريب الأحمر عن أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة به. قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١/ ٤١٧): قال الشيخ أبو بكر: لم أسمع =

عنهما ـ: «كان إذا مشى أسرع» (١١٥٥)، فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب

= لمحمد بن الأصمعي ذكر إلا في هذا الحديث .اهـ.
وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/٧٠٨): وفيه أبو معشر، وقد ضعفه يحيى والنسائي والدارقطني .اهـ. وله طريق آخر:
أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/٧٠٨)، وابن عدي في الكامل كما في تخريج الكشاف (٣/ ٧٥) من طريق عمار بن مطر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة به. وقال ابن الجوزي: فيه عمار بن مطر قال الدارقطني: تفرد به عن ابن أبي ذئب قال أبو حاتم الرازي: كان يكذب. قال ابن عدي: متروك الحديث أحاديثه بواطل .اهـ.
وأما حديث ابن عمر:
فأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/٧٠٧) رقم (١١٧٧)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (ج ١/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥) رقم (٩٢٢) وابن حبان في «الضعفاء» (ج ٢/ ٨٢).
كلهم من طريق الوليد بن سلمة القاضي عن عمر بن صهبان عن نافع عن ابن عمر به.
قال ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٧٠٧): هذا حديث لا يصح عن رسول الله ـ ﷺ ـ فحديث ابن عمر فيه عمر بن صهبان، قال أحمد: لم يكن بشيء وقال يحيى: لا يساوي شيئاً، وقال النسائي والدارقطني: متروك .اهـ.
وقال ابن حبان في الضعاء (٢/ ٨١ ـ ٨٢): عمر بن محمد بن صهبان الأسلمي روى عنه العراقيون وأهل الشام، كان ممن يروي عن الثقات المعضلات التي إذا سمعها من الحديث صناعته لم يشك أنها معمولة .اهـ.
وأما حديث أبي سعيد الخدري:
فقد أخرجه ابن عدي في الكامل؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/٧٦) من طريق الوليد بن سلمة عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي سعيد الخدري به. وقال ابن حبان في «الضعفاء» (٣/ ٨٠): الوليد بن سلمة الطبراني أبو العباس من أهل الطبرية، كان على قضاء الأردن، يروي عن عبيد الله بن عمر، روى عنه أهل الشام وابنه إبراهيم بن الوليد بن سلمة. كان ممن يضع الحديث على الثقات، لا يجوز الاحتجاج به بحال وابنه نفسه .اهـ.
وللحديث شاهد أيضاً من حديث أنس: أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع» (١/ ١٥٢) رقم (١٩٦) من طريق عبد السلام بن سليمان الأزدي عن أبان عن أنس بن مالك به.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: جاء من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وابن عمر، وأخرجه ابن عدي من رواية عمار بن مطرد وهو متروك، وقد تابعه الوليد بن سلمة وهو أوهىٰ منه، لكنه قال: عن ابن أبي ذئب عن المغيرة عن أبي سعيد والوليد بن سلمة. وفيه إسناد آخر أخرجه ابن عدي من روايته عن عمرو بن صهبان عن نافع عن ابن عمر، وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي معشر عن سعيد عن أبي هريرة وإسناده ضعيف أيضاً. انتهى.

١١٥٥ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/٧٦): غريب، وفي النهاية لابن الأثير عن عائشة قالت: كان عمر إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع .اهـ.
وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٢٠) من طريق محمد بن عمر الأسلمي عن عمر بن سليمان بن أبي خيثمة عن أبيه قال: قالت الشفاء بنت عبد الله: كان عمر إذا مشى. . . إلى آخره سواء. =

المتماوت. وقرئ: وأقصد، بقطع الهمزة، أي: سدّد في مشيتك من أقصد الرامي إذا سدّد سهمه نحو الرمية ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ وانقص منه واقصر؛ من قولك: فلان يغض من فلان إذا قصر به ووضع منه ﴿أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ أوحشها، من قولك: شيء نكر، إذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت. والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه. ومن استفحاشهم لذكره مجرداً وتفاديهم من اسمه: أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به، فيقولون: الطويل الأذنين، كما يكنى عن الأشياء المستقذرة: وقد عدّ في مساوي الآداب: أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة. ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافاً وإن بلغت منه الرجلة[1]، فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة ـ وإن جعلوا حميراً وصوتهم نهاقا ـ ومبالغة شديدة في الذم والتهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه. وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان. فإن قلت: لم وحد صوت الحمير ولم يجمع؟ قلت: ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع، وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت، وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس، فوجب توحيده.

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ البحار والأنهار والمعادن والدواب وما لا يحصى ﴿وَأَسْبَغَ﴾ وقرئ بالسين والصاد، وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف، تقول في سلخ، صلخ، وفي سقر: صقر، وفي سالغ: صالغ[2] وقرئ: نعمه، ونعمة، ونعمته. فإن قلت: ما النعمة؟ قلت: كل نفع قصد به الإحسان، والله تعالى خلق العالم كله نعمة؛ لأنه إما حيوان، وإما غير حيوان. فما ليس

= قال الحافظ في تخريج الكشاف: ذكره ابن الأثير في النهاية، قلت: لعله أخذه عن الفائق، وفي الطبقات لابن سعد من رواية سليمان بن أبي حثمة. قال: قالت الشفاء بنت عبد الله، وهي أم سليمان: كان عمر إذا مشى. . . فذكره. انتهى.

---

(١) قوله «منه الرجلة» أي: المشي برجله، يعني: وإن أتعبه المشي وعدم الركوب. وفي الصحاح «الرجل» بالتحريك: مصدر قولك: رجل ـ بالكسر ـ أي: بقي راجلاً. (ع)

(٢) قوله «وفي سالغ صالغ» في الصحاح: سلغت البقرة والشاة، إذا أسقطت السن التي خلفت السديس والسلوغ في ذوات الأظلاف: بمنزلة البزول في ذوات الأخفاف. (ع)

بحيوان نعمة على الحيوان، والحيوان نعمة من حيث أنّ إيجاده حياً نعمة عليه. لأنه لولا إيجاده حياً لما صح منه الانتفاع، وكل ما أدى إلى الانتفاع وصححه فهو نعمة. فإن قلت: لم كان خلق العالم مقصوداً به الإحسان؟ قلت: لأنه لا يخلقه إلا لغرض، وإلا كان عبثاً، والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون لغرض راجع إليه من نفع؛ لأنه غني غير محتاج إلى المنافع، فلم يبق إلا أن يكون لغرض يرجع إلى الحيوان وهو نفعه. فإن قلت: فما معنى الظاهرة والباطنة؟ قلت: الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة، والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل، أو لا يعلم أصلاً، فكم في بدن الإنسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدى إلى العلم بها، وقد أكثروا في ذلك: فعن مجاهد: الظاهرة ظهور الإسلام والنصرة على الأعداء، والباطنة: الأمداد من الملائكة. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: الظاهرة: الإسلام. والباطنة الستر. وعن الضحاك: الظاهرة: حسن الصورة، وامتداد القامة. وتسوية الأعضاء. والباطنة: المعرفة. وقيل: الظاهرة البصر، والسمع، واللسان، وسائر الجوارح الظاهرة. والباطنة: القلب، والعقل، والفهم، وما أشبه ذلك. ويروى في دعاء موسى عليه السلام: إلٰهي، دلني على أخفى نعمتك على عبادك؛ فقال: أخفى/ ٢/ ٩٤ب نعمتي عليهم النفس. ويروى: أن أيسر ما يعذب به أهل النار: الأخذ بالأنفاس (١١٥٦).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾

معناه: يتبعونهم ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ﴾ أي في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب.

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾

قرأ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: ومن يسلم بالتشديد، يقال: أسلم أمرك وسلم أمرك إلى الله. فإن قلت: ماله عدّى بإلى، وقد عدّى باللام في قوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾؟ قلت: معناه مع اللام: أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالماً لله، أي خالصاً له. ومعناه ـ مع إلى ـ: أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه. والمراد: التوكل عليه والتفويض إليه ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ من باب التمثيل: مثلت

١١٥٦ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٧٧): غريب جدا .اهـ.
وقال ابن حجر: لم أجده.

حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق، فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ أي هي صائرة إليه.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾﴾

قرئ: يحزنك، ويحزنك: من حزن، وأحزن. والذي عليه الاستعمال المستفيض: أحزنه ويحزنه. والمعنى: لا يهمنك كفر من كفر وكيده للإسلام، فإن الله عزّ وجلّ دافع كيده في نحره، ومنتقم منه، ومعاقبه على عمله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ يعلم ما في صدور عباده، فيفعل بهم على حسبه ﴿نُمَتِّعُهُمۡ﴾ زماناً ﴿قَلِيلٗا﴾ بدنياهم ﴿ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾﴾ شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطرّ إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك[1] منه. والغلظ: مستعار من الأجرام الغليظة. والمراد: الشدّة والثقل على المعذب.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ إلزام لهم على إقرارهم بأنّ الذي خلق السموات والأرض هو الله وحده، وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر. وأن لا يعبد معه غيره، ثم قال: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنّ ذلك يلزمهم، وإذا نبهوا عليه لم ينتبهوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن حمد الحامدين المستحق للحمد، وإن لم يحمدوه.

قرئ: والبحر، بالنصب عطفاً على اسم إنّ، وبالرفع عطفاً على محل إن، ومعمولها على ولو ثبت[2] كون الأشجار أقلاما، وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر. أو على الابتداء

---

(١) قال محمود: «شبه إلزامهم التعذيب باضطرار المضطر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه» قال أحمد: وتفسير هذا الاضطرار في الحديث في أنهم لشدة ما يكابدون من النار يطلبون البرد، فيرسل الله عليهم الزمهرير. فيكون عليهم كشدة اللهب. فيتمنون عود اللهب اضطراراً. فهو إخبار عن اضطرار.
وبأذيال هذه البلاغة تعلق الكندي حيث يقول:
يرون الموت قداما وخلفا فيختارون والموت اضطرار

(٢) قوله «ومعمولها على: ولو ثبت» لعله: على معنى ولو... إلخ. (ع)

والواو للحال، على معنى، ولو أنّ الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدوداً، وفي قراءة ابن مسعود: وبحر يمدّه على التنكير، ويجب أن يحمل هذا على الوجه الأوّل. وقرئ: يمدّه، ويمدّه. وبالتاء والياء. فإن قلت: كان مقتضى الكلام أن يقال: ولو أنّ الشجر أقلام، والبحر مداد. قلت: أغنى عن ذكر المداد قوله: يمدّه، لأنه من قولك: مدّ الدواة وأمدّها، جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة، وجعل الأبحر السبعة مملوءة مداداً، فهي تصب فيه مدادها أبداً صباً لا ينقطع. والمعنى: ولو أنّ أشجار الأرض أقلام، والبحر ممدود بسبعة أبحر. وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله، لما نفدت كلماته ونفذت الأقلام والمداد، كقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]. فإن قلت: زعمت أنّ قوله: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ حال في أحد وجهي الرفع، وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال. قلت: هو كقوله [من الطويل]:

وَقَـدْ أَغْـتَـدِي وَالـطَّـيْـرُ فِـي وُكُـنَـاتِـهَـا ....[1]

و: جئت والجيش مصطف، وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف، ويجوز أن يكون المعنى: وبحرها، والضمير للأرض. فإن قلت: لم قيل ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر؟ قلت: أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة، حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد بريت أقلاماً[2] . فإن قلت:

---

(١) وقد أغتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل

لامرىء القيس من معلقته، وقد: للتكثير. والوكنات: جمع وكنة بضمتين. وبتثليث أوله وسكون ثانيه: موضع الطير الذي يبيت فيه، والباء للملابسة، والمنجرد: دقيق الشعر قصيره، أو سريع الجري. وشبه الفرس بالقيد تشبيهاً بليغاً: أي: لا تنفك منه الأوابد: وهي الوحوش، ولا تفوته هيكل: عظيم الجسم.

ينظر: ديوانه ص ١٩، وإصلاح المنطق ص ٣٧٧، وخزانة الأدب ٣/١٥٦، ٢٤٣، وشرح المفصل ٢/٦٦، ٦٨، ٣/٥١، ولسان العرب (قيد)، ١١/ ٧٠٠ (هكل)، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ ٤١٠، ٣/٤١، وخزانة الأدب ٤/ ٢٥٠، والخصائص ٢/ ٢٢٠، ورصف المباني ص ٣٩٢، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٦٢، وشرح عمدة الحافظ ص ٤٨٧، والمحتسب ١/١٦٨، ٢/ ٢٤٣، ومغني اللبيب ٢/ ٤٦٦.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وهو من وقوع المفرد موقع الجمع والنكرة موقع المعرفة كقوله «ما نَنْسَخْ مِنْ آية» قُلْتُ: وهذا يذهب بالمعنى الذي أبداه الزمخشري. ورده الشيخ: بأن جمع السلامة متى عُرِّفَ بألْ غير العهدية أو أُضِيفَ عَمَّ قُلْتُ: للناس خلاف في ألْ هل تَعُمُّ أَوْ لا؟ وقد يكون الزمخشري مِمَّن لا يرى العموم ولم يزل الناسُ يسألون في بيت حسان رضي الله عنه:
لَنَا الْجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُحَى. . .
ويقولون كيف أتى بجمع القلة في مقام المدح ولِمَ لَمْ يَقُلْ الجفانُ وهو تقريرٌ لما قاله الزمخشري واعترافٌ بأنَّ ألْ لا تؤثر في جمع القلة تكثيراً. انتهى الدر المصون.

الكلمات جمع قلة، والموضع موضع التكثير لا التقليل. فهلا قيل: كلم الله؟ قلت: معناه أنّ كلماته لا تفي بكتبتها البحار، فكيف بكلمة؟ وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنها نزلت جواباً لليهود لما قالوا: «قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة» وقيل: إن المشركين قالوا: إنّ هذا يعنون الوحي ـ كلام سينفذ، فأعلم الله أن كلامه لا ينفذ. وهذه الآية عند بعضهم مدنية، وأنها نزلت بعد الهجرة، وقيل هي مكية، وإنما أمر اليهود وفد قريش أن يقولوا لرسول الله ـ ﷺ ـ: ألست تتلو فيما أنزل عليك: أنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج من علمه وحكمته شيء، ومثله لا تنفد كلماته وحكمه.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلا كخلقها وبعثها، أي: سواء في قدرته القليل والكثير، والواحد والجمع، لا يتفاوت، وذلك أنه إنما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد: أن لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل. وقد تعالى عن ذلك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة، لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض، فكذلك/ ٢/ ١٩٥أ الخلق والبعث.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾

كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه، ويقطعه إلى وقت معلوم: الشمس إلى آخر السنة، والقمر إلى آخر الشهر. وعن الحسن: الأجل المسمى: يوم القيامة؛ لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذٍ. دلّ أيضاً بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجرى النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب، وبإحاطته بجميع أعمال الخلق: على عظم قدرته وحكمته. فإن قلت: يجري لأجل مسمى، ويجري إلى أجل مسمى: أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت: كلا، ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن[1]. ولكن المعنيين. أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض: لأنّ قولك يجري إلى أجل مسمى: معناه يبلغه وينتهي إليه. وقولك: يجري لأجل مسمى: تريد

---

(١) قوله «إلا بليد الطبع ضيق العطن» في الصحاح: «أنه مبرك الإبل عند الماء، لتشرب عللا بعد نهل. (ع)

يجري لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصاً بإدراك أجل مسمى. ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة، وجري القمر مختص بآخر الشهر، فكلا المعنيين غير ناب به موضعه ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون. فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله، إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت إلهيته. وأنّ من دونه باطل الإلهية ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ الشأن ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ السلطان. أو ذلك الذي أوحى إليك من هذه الآيات بسبب بيان أنّ الله هو الحق، وأنّ إلٰهاً غيره باطل، وأنّ الله هو العليّ الكبير عن أن يشرك به.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾

قرئ: الفلك، بضم اللام. وكل فعل: يجوز فيه فعل، كما يجوز في كل فعل فعل، على مذهب التعويض. وبنعمات الله: بسكون العين. وعين فعلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكون ﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ بإحسانه ورحمته ﴿صَبَّارٍ﴾ على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمائه، وهما صفتا المؤمن، فكأنه قال: إنّ في ذلك لآيات لكل مؤمن.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

يرتفع الموج ويتراكب، فيعود مثل الظلل، والظلمة: كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرئ: كالظلال. جمع ظلة. كقلة وقلال ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ متوسط في الكفر والظلم، خفض من غلوائه، وانزجر بعض الانزجار. أو مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر، يعني أنّ ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف، لا يبقى لأحد قط، والمقتصد قليل نادر. وقيل: مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر. والختر: أشدّ الغدر. ومنه قولهم: إنك لا تمدّ لنا شبراً من غدر إلا مددنا لك باعاً من ختر؛ قال [من الوافر]:

وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ مَلأْتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرِ[1]

(١) الغدر: أشد الختر. وروي: أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً عد بأصابع يده اليمنى: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبأصابع اليسرى: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني واجبرني، فقال رسول الله ﷺ: «ملأت يديك خيراً». شبه المعقول بالمحسوس على سبيل المكنية. وملء اليدين: تخييل، وذكرهما لأن الرجل عد بهما، فضربه الشاعر مثلاً لحال أبي عمير ومن يراه على سبيل الاستعارة التمثيلية التهكمية، فإن من رآه =

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٣٣) ﴾

﴿ لَّا يَجْزِي ﴾ لا يقضي عنه شيئاً. ومنه قيل للمتقاضي: المتجازي. وفي الحديث في جذعة بن نيار: تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك (١١٥٧). وقرئ: لا يجزىء: لا يغني[١]. يقال: أجزأت عنك مجزأ فلان. والمعنى: لا يجزي فيه، فحذف ﴿ ٱلْغَرُورُ ﴾ الشيطان. وقيل: الدنيا وقيل: تمنيكم في المعصية المغفرة. وعن سعيد بن جبير - رضي الله عنه -: الغرّة بالله: أن يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة. وقيل: ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرّة. وقرئ بضم الغين وهو مصدر غرة غروراً. وجعل الغرور غاراً، كما قيل: جدّ جده. أو أريد زينة الدنيا لأنها غرور. فإن قلت: قوله: ﴿ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف[٢] عليه. قلت: الأمر كذلك؛ لأنّ الجملة الإسمية آكد من الفعلية، وقد انضم إلى ذلك قوله: ﴿ هُوَ ﴾ وقوله: ﴿ مَوْلُودٌ ﴾ والسبب في مجيئه على هذا السنن: أنّ الخطاب للمؤمنين وعليتهم[٣]: قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي، فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم: أن ينفعوا آباءهم في الآخرة، وأن يشفعوا لهم، وأن يغنوا عنهم من الله شيئاً؛ فلذلك جيء به على الطريق الآكد. ومعنى التوكيد في لفظ المولود: أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه، لم تقبل شفاعته، فضلاً أن يشفع لمن

١١٥٧ - تقدم في أوائل البقرة.

= وعد معايبه، كأنه ملأ يديه شراً لا خيراً وحذف العد إشارة إلى أنه بمجرد الرؤية يحصل ذلك. ينظر: ديوانه (١٠٩)، البحر المحيط (٧/ ١٨٢)، الدر المصون (٥/ ٣٩٢).

(١) قوله «وقرىء لا يجزىء لا يغني» لعله: أي لا يغني. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: لم أكد الجملة الثانية دون الأولى؟ قلت: لأن أكثر المسلمين كان آباؤهم قد ماتوا على الكفر، فلما كان إغناء الكافر عن المسلم بعيداً لم يحتج تأكيداً. ولما كان إغناء المسلم عن الكافر قد يقع في الأوهام أكد نفيه» قال أحمد: وهذا الجواب تتوقف صحته على أن هذا الخطاب كان خاصاً بالموجودين حينئذٍ، والصحيح أنه عام لهم ولكل من ينطلق عليه اسم الناس، فالجواب المعتبر - والله أعلم - أن الله تعالى لما أكد الوصية على الآباء، وقرن شكرهم بوجوب شكره عز وجل، وأوجب على الولد أن يكفي والده ما يسوءه بحسب نهاية إمكانه قطع ههنا وهم الوالد في أن يكون الولد في القيامة مجزيه بحقه عليه، ويكفيه ما يلقاه من أهوال القيامة كما أوجب الله عليه في الدنيا ذلك في حقه، فلما كان إجزاء الولد عن الوالد مظنون الوقوع - لأن الله حضه عليه في الدنيا - كان جديراً بتأكيد النفي لإزالة هذا الوهم، ولا كذلك العكس، فهذا جواب كاف شاف للعليل، إن شاء الله تعالى. (ع)

(٣) قوله «وعليتهم» أي أشرافهم وعظماؤهم. (ع)

فوقه من أجداده؛ لأنّ الولد يقع على الولد وولد الولد؛ بخلاف المولود فإنه من ولد منك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

روي أنّ رجلاً من محارب وهو الوارث بن عمرو بن حارثة أتى النبي ﷺ/ ٢/ ٩٥ب فقال: يا رسول الله، أخبرني عن الساعة متى قيامها، وإني قد ألقيت حباتي في الأرض وقد أبطأت عنا السماء، فمتى تمطر؟ وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها، أذكر أم أنثى؟ وإني عملت ما عملت أمس، فما أعمل غداً؟ وهذا مولدي قد عرفته، فأين أموت (١١٥٨). فنزلت وعن النبي ﷺ: «مفاتح الغيب خمس» (١١٥٩). وتلا هذه الآية. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب، إياكم والكهانة فإن الكهانة تدعو إلى الشرك والشرك وأهله في النار. وعن المنصور أنه أهمه معرفة مدّة عمره، فرأى في منامه كأن خيالاً أخرج يده من البحر وأشار إليه بالأصابع الخمس، فاستفتى

١١٥٨ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٢٦) رقم (٢٨١٧٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيلعي (ج ٣/ ٧٧) من حديث ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: جاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد، إن امرأتي حبلى فأخبرني متى تلد؟ فذكره.
وذكره الواحدي في تفسيره: (٣/ ٤٤٧) وفي كتابه «أسباب النزول» ص (٣٥٩)، والثعلبي في تفسيره كما في تخريج الكشاف (٣/ ٧٧) من غير سند ولا راوٍ.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٥/ ٣٢٥) وزاد نسبته إلى الفريابي.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: هكذا ذكره الواحدي والثعلبي بغير سند، وأخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد. قال: «جاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد، إن امرأتي حبلى فأخبرني متى تلد؟ فذكره». انتهى.

١١٥٩ ـ أخرجه البخاري (٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢١) كتاب الاستسقاء: باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، حديث (١٠٣٩)، و(٩/ ١٧٧): كتاب التفسير: باب (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا الله)، حديث (٤٦٢٧)، و(٩/ ٢٨٤): باب سورة الرعد، و(٩/ ٤٦٦): باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ و(١٥/ ٣١١): كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ حديث (٧٣٧٩).
والطبري في تفسيره (١٠/ ٢٢٧) رقم (٢٨١٧٨ ـ ٢٨١٧٩)، والواحدي في «تفسيره (٣/ ٤٤٨) وفي «أسباب النزول» ص (٣٥٩ ـ ٣٦٠) رقم (٦٨٣) كلهم من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر به.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٢٥) وزاد نسبته إلى الفريابي ومسلم، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عمر به.
قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه البخاري من حديث ابن عمر. انتهى.

العلماء في ذلك، فتأوّلوها بخمس سنين، وبخمسة أشهر، وبغير ذلك، حتى قال أبو حنيفة رحمه الله: تأويلها أنّ مفاتح الغيب خمس لا يعلمهاإلا الله، وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أيان مرساها ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ في إبانه من غير تقديم ولا تأخير، وفي بلد لا يتجاوزه به ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ أذكر أم أنثى، أتام أم ناقص، وكذلك ما سوى ذلك من الأحوال ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ﴾ برّة أو فاجرة ﴿مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شر، وربما كانت عازمة على خير فعملت شراً، وعازمة على شر فعملت خيراً ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ﴾ أين تموت، وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت: لا أبرحها وأقبر فيها. فترمى بها مرامى القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها، ولا حدّثتها به ظنونها. وروي أنّ ملك الموت مرّ على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه، فقال الرجل من هذا؟ قال: ملك الموت، فقال: كأنه يريدني. وسأل سليمان أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند، ففعل، ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري إليه تعجباً منه، لأني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك (١١٦٠). وجعل العلم لله والدراية للعبد. لما في الدراية من معنى الختل والحيلة. والمعنى: أنها لا تعرف ـ وإن أعملت حيلها ـ ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها، ولا شيء أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته، فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما، كان من معرفة ما عداهما أبعد. وقرئ: بأية أرض. وشبه سيبويه تأنيث «أيّ» بتأنيث، كل في قولهم: كلتهنّ.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقاً يوم القيامة وأعطي من الحسنات عشراً عشراً بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر (١١٦١).

١١٦٠ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٧٠) رقم (٣٤٢٦٨) من طريق عبد الله بن نمير عن الأعمش عن خيثمة قال: دخل ملك الموت على سليمان فجعل ينظر إليه... إلى آخره.
وأخرجه أحمد بن حنبل في كتاب الزهد من طريق عبد الله بن نمير به، ومن طريق أحمد بن حنبل رواه الثعلبي في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيلعي (ج ٣/ ٧٨).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: موقوف. رواه أحمد في الزهد وابن أبي شيبة قالا: حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن خيثمة عن شهر بن حوشب قال: «دخل ملك الموت، فذكره». انتهى.

١١٦١ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وهو حديث فضائل القرآن الموضوع على النبي ـ ﷺ ـ.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي بأسانيدهم عن أبي بن كعب. انتهى.

سورة السجدة

مكية [إلا من آية ١٦ إلى غاية آية ٢٠ فمدنية]
وآياتها ٣٠ وقيل ٢٩ [نزلت بعد المؤمنون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ على أنها اسم السورة مبتدأ خبره ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ وإن جعلتها تعديداً للحروف ارتفع ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ بأنه خبر مبتدأ محذوف: أو هو مبتدأ خبره ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ والوجه أن يرتفع بالابتداء، وخبره ﴿مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: اعتراض لا محل له. والضمير في (فيه) راجع إلى مضمون الجملة، كأنه قيل: لا ريب في ذلك، أي في كونه منزلاً من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ لأنّ قولهم: هذا مفترى، إنكار لأن يكون من رب العالمين، وكذلك قوله: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ وما فيه من تقدير أنه من الله، وهذا أسلوب صحيح محكم: أثبت أوّلاً أن تنزيله من رب العالمين، وأن ذلك ما لا ريب فيه، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ لأن «أم» هي المنقطعة الكائنة بمعنى: بل والهمزة، إنكاراً لقولهم وتعجيباً منه لظهور أمره: في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه، ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك. ونظيره أن يعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة، قد احترز فيها أنواع الاحتراز، كقول المتكلمين: النظر أوّل الأفعال الواجبة على الإطلاق التي لا يعري عن وجوبها مكلف، ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه، فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك، ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيته. فإن قلت: كيف نفى أن يرتاب في أنه من الله، وقد أثبت ما هو أطم من الريب، وهو قولهم: ﴿افْتَرَاهُ﴾؟ قلت: معنى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أن لا مدخل للريب في أنه تنزيل الله، لأن نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزاً للبشر، ومثله أبعد شيء من الريب. وأما قولهم: ﴿افْتَرَاهُ﴾ فإما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الإعجاز له، أو جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع الناس يقولونه ﴿مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كقوله: ما أنذر آباؤهم، وذلك أن قريشاً لم يبعث الله

إليهم رسولاً[1] قبل محمد ﷺ. فإن قلت: فإذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة. قلت: أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسل فلا، وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم؛ لأن أدلة/ ٢/ ١٩٦أ العقل الموصلة إلى ذلك معهم في كل زمان ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ فيها وجهان: أن يكون على الترجي من رسول الله ـ ﷺ ـ كما كان (لعله يتذكر) على الترجي من موسى وهارون عليهما السلام، وأن يستعار لفظ الترجي للإرادة.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾؟ قلت: هو على معنيين، أحدهما: أنكم إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم ولياً، أي: ناصراً ينصركم ولا شفيعاً يشفع لكم. والثاني: أن الله وليكم الذي يتولى مصالحكم، وشفيعكم أي ناصركم على سبيل المجاز؛ لأن الشفيع ينصر المشفوع له، فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فإذا خذلكم لم يبق لكم وليّ ولا نصير.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾

﴿الْأَمْرَ﴾ المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة ينزله مدبراً ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ثم لا يعمل به ولا يصعد إليه ذلك المأمور به خالصاً كما يريده ويرتضيه إلا في مدة متطاولة؛ لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الأعمال الصاعدة، لأنه لا يوصف بالصعود إلا الخالص ودل عليه قوله على أثره ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩] أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض: لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة. كما قال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي يصير إليه، ويثبت عنده.

---

(١) قال محمود: «يعني قريشاً لأنها لم يبعث لها نبي قط. فإن قلت: إن لم يتقدم بعث نبي إليهم فيما قامت عليهم الحجة. قلت: قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسل لا سبيل إليه. وأما قيامها بمعرفة الله تعالى وتوحيده وحكمته فنعم؛ لأن أدلة العقل معهم في كل زمان» قال أحمد: مذهب أهل السنة: أنه لا يدرك علم شيء من أحكام الله تعالى التكليفية إلا بالشرع وما ذكره الزمخشري تفريع على قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل وقد مجها السمع فلم يبح بها القلم، فأعرض عنه حتى يخوض في حديث غيره. وإنما قامت الحجة على العرب بمن تقدم من الرسل إليهم كأبيهم إسماعيل وغيره، والمراد بقوله تعالى: ﴿مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ يعني ذرية للعرب في زمانه عليه الصلاة والسلام، إذ لم يبعث إليهم نذير معاصر، فلطف الله تعالى بهم وبعث فيهم رسولاً منهم.

ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدّة: ما يرتفع من ذلك الأمر ويدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدة آخرها، ثم يدبر أيضاً ليوم آخر، وهلم جرا إلى أن تقوم الساعة. وقيل: ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض، ثم يرجع إليه ما كان من قبول الوحي أو ردّه مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة ألف سنة؛ لأن المسافة مسيرة ألف سنة في الهبوط والصعود؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل؛ لأنه يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد. وقيل: يدبر أمر الدنيا من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة، ثم يعرج إليه ذلك الأمر كله؛ أي يصير إليه ليحكم فيه ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهو يوم القيامة. وقرأ ابن أبي عبلة: يعرج، على البناء للمفعول. وقرئ: يعدون، بالتاء والياء.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ حسنه، لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة: فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن، كما قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤] وقيل: علم كيف يخلقه من قوله: قيمة المرء ما يحسن. وحقيقته، يحسن معرفته أي يعرفه معرفة حسنه بتحقيق وإتقان. وقرئ: خلقه: على البدل، أي: أحسن. فقد خلق كل شيء[١]. وخلقه: على الوصف، أي: كل شيء خلقه فقد أحسنه. سميت الذرية نسلاً؛ لأنها تنسل منه، أي: تنفصل منه وتخرج من صلبه[٢] ونحوه قولهم للولد: سليل ونجل. و﴿سَوَّىٰهُ﴾ قوّمه، كقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ودل بإضافة الروح إلى ذاته على أنه خلق عجيب لا يعلم كنهه إلا هو، كقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ . . .﴾ الآية كأنه قال: ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ

(١) قوله «أي أحسن فقد خلق كل شيء» لعل لفظ «فقد» مزيدة من قلم الناسخ. وعبارة النسفي: على البدل، أي: أحسن خلق كل شيء ويمكن أنه ليس مزيداً، بل هذا حاصل المعنى على البدل، كما أن عكسه الآتي هو حاصل المعنى على الوصف. (ع)

(٢) قوله «وتخرج من صلبه» لعل قبله سقطا تقديره: كما سميت النطفة سلالة، لأنها تسل منه. وفي الصحاح «النجل»: النسل. ونجله أبوه. أي: ولده. (ع)

﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ قيل القائل أبي بن خلف، ولرضاهم بقولهم أسند إليهم جميعاً. وقرئ: أئنا وأنا، على الاستفهام وتركه ﴿ضَلَلْنَا﴾ صرنا تراباً، وذهبنا مختلطين بتراب الأرض. لا نتميز منه، كما يضل الماء في اللبن أو غبنا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالدفن فيها، من قوله [من الطويل]:

وَآبَ مُـضِـلُّـوهُ بِـعَـيْـنٍ جَـلِـيَّـةٍ .... (١)

وقرأ علي وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ضللنا، بكسر اللام. يقال: ضل يضل وضل يضل. وقرأ الحسن ـ رضي الله عنه ـ: صللنا، من صلّ اللحم وأصلّ: إذا أنتن. وقيل: صرنا من جنس الصلة وهي الأرض. فإن قلت: بم انتصب الظرف في (أئذا ضللنا)؟ قلت: بما يدل عليه ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ وهو نبعث. أو يجدد خلقنا. لقاء ربهم: هو الوصول إلى العاقبة، من تلقي ملك الموت وما وراءه، فلما ذكر كفرهم بالإنشاء، أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في الكفر، وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة، لا بالإنشاء وحده. ألا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع إلى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء، وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا والتوفي: استيفاء النفس وهي الروح. قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢]وقال: أخرجوا أنفسكم، وهو أن يقبض كلها لا يترك منها شيء. من قولك: توفيت حقي/ ٢/ ٩٦ب من فلان، واستوفيته إذا أخذته وافياً كاملاً من غير نقصان. والتفعل والاستفعال: يلتقيان في مواضع: منها: تقصيته واستقصيته، وتعجلته واستعجلته. وعن مجاهد ـ رضي الله عنه ـ: حويت لملك الموت الأرض، وجعلت له مثل الطست، يتناول منها حيث يشاء. وعن قتادة: يتوفاهم ومعه أعوان من الملائكة. وقيل: ملك الموت: يدعو الأرواح فتجيبه، ثم يأمر أعوانه بقبضها.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا

---

(١) وآب مـضـلـوه بـعـيـن جـلـيـة ... وغـودر بـالـجـولان حـزم ونـائـل

يرثي ميتاً. والإياب: الرجوع. والإضلال: الدفق والتغيب. وجولان: جبل بالشام. والنائل: العطاء يعني: بترك ذلك الموصوف بالحزم والكرم، فقد ترك الوصفات هناك.

وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ص ١٢١، ولسان العرب (ضلل)، (جلا)، وتاج العروس (ضلل)، (جلا)، وتهذيب اللغة ١١/ ١٨٧، ٤٦٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٤٤، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٠٧٧، ومقاييس اللغة ١/ ٤٩٦، ٣/ ٣٥٦، ومجمل اللغة ٣/ ٢٧٧.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يجوز أن يكون خطاباً لرسول الله ـ ﷺ ـ، وفيه وجهان: أن يراد به التمني، كأنه قال: وليتك ترى، كقوله ﷺ للمغيرة: «لو نظرت إليها» (١١٦٢). والتمني لرسول الله ـ ﷺ ـ، كما كان الترجي له في ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ لأنه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم، فجعل الله له تمني أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم، وأن تكون لو الامتناعية قد حذف جوابها، وهو: لرأيت أمراً فظيعاً. أو: لرأيت أسوأ حال ترى. ويجوز: أن يخاطب به كل أحد، كما تقول: فلان لئيم، إن أكرمته أهانك، وإن أحسنت إليه أساء إليك، فلا تريد به مخاطباً بعينه، فكأنك قلت: إن أكرم وإن أحسن إليه، ولو وإذا كلاهما للمضي، وإنما جاز ذلك؛ لأن المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه، ولا يقدر لنرى ما يتناوله، كأنه قيل: ولو تكون منك الرؤية، وإذ ظرف له. يستغيثون بقولهم ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ فلا يغاثون، يعني: أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك. أو كنا عمياً وصماً فأبصرنا وسمعنا ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ هي الرجعة إلى الدنيا ﴿لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ على طريق الإلجاء والقسر، ولكننا بنينا الأمر على الاختيار[1] دون الاضطرار، فاستحبوا العمى على

١١٦٢ ـ أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥)، والدارمي (٢/ ١٣٤) كتاب النكاح ـ باب الرخصة في النظر للمرأة عند الخطبة، والترمذي (٣/٣٩٧) كتاب النكاح ـ باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة ـ حديث (١٠٨٧)، والنسائي (٦/ ٦٩) كتاب النكاح باب إباحة النظر قبل التزويج، وابن ماجه (١/ ٦٠٠) كتاب النكاح ـ باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها حديث (١٨٦٦)، وعبد الرزاق (١٣٣٥) وسعيد بن منصور رقم (٥٥١ ـ ٥١٨)، وابن الجارود ص (٢٢٦) كتاب النكاح حديث (٦٧٥)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ١٤)، كتاب النكاح ـ باب الرجل يريد تزوج المرأة هل يحل له النظر إليها أم لا؟ والدارقطني (٣/ ٢٥٢): كتاب النكاح ـ باب المهر ـ حديث (٣١)، والبيهقي (٧/ ٨٤) كتاب النكاح باب نظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها. والخطيب في التاريخ (٧/ ٣٤٤)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ١٤ ـ بتحقيقنا) من طريق عاصم الأحول عن بكر بن عبد الله المزني عن المغيرة قال: «خطبت امرأة فذكرتها لرسول الله ـ ﷺ ـ فقال لي: هل نظرت إليها؟ فقلت: لا. قال: فانظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما».

قال الحافظ في تخريج الكشاف: هذا طرف من حديث أخرجه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن أبي شيبة، وابن حبان، والحاكم، وأحمد والبزار، وغيرهم من حديث المغيرة «أنه خطب امرأة فقال لي النبي ـ ﷺ ـ انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» ورواه أبو عبيد في الغريب بلفظ أنه قال للمغيرة وقد خطب امرأة: «لو نظرت إليها» الحديث. انتهى.

---

(١) قوله «ولكننا بنينا الأمر على الاختيار» لما أوجب المعتزلة على الله الصلاح قالوا: إنه قد شاء الهدى للكل، ولكن مشيئة تخيير، لا مشيئة إجبار، فلذا لم يهتد الكل بل البعض، ولو شاء مشيئة قسر =

الهدى، فحقت كلمة العذاب على أهل العمى دون البصراء. ألا ترى إلى ما عقبه به من قوله: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ﴾ فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم: من نسيان العاقبة، وقلة الفكر فيها، وترك الاستعداد لها. والمراد بالنسيان: خلاف التذكر، يعني: أن الانهماك في الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها، ثم قال: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ على المقابلة، أي: جازيناكم جزاء نسيانكم. وقيل: هو بمعنى الترك، أي: تركتم الفكر في العاقبة، فتركناكم من الرحمة. وفي استئناف قوله إنا نسيناكم وبناء الفعل على إن واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا أي ما أنتم فيه من نكس الرءوس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء، وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم[1] من المعاصي والكبائر الموبقة[2].

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٧)﴾

﴿إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾ أي وعظوا: سجدوا تواضعاً لله وخشوعاً، وشكراً على ما رزقهم من الإسلام ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ونزهوا الله من نسبة القبائح إليه، وأثنوا عليه حامدين له ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ كما يفعل من يصر مستكبراً كأن لم يسمعها. ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ [الإسراء: ١٠٧]: ﴿تَتَجَافَىٰ﴾ ترتفع وتتنحى ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ عن الفرش ومواضع النوم، داعين ربهم عابدين له؛ لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته، وهم المتهجدون، وعن رسول الله ـ ﷺ ـ في تفسيرها: «قيام العبد من الليل» (١١٦٣)، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: أنه التهجد.

١١٦٣ ـ أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٣٢ ـ ٢٤٢). وابن أبي شيبة، وإسحاق بن راهويه في مسنديهما كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٨٤) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن شهر بن حوشب عن معاذ عن النبي ـ ﷺ ـ قال في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ =

= لاهتدى الكل. وأهل السنة لم يوجبوا على الله شيئاً، وقالوا: كل ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، خيراً كان أو شراً. واستلزام الإرادة لوقوع المراد لا يستلزم القسر والإجبار للعباد؛ لما لهم من الكسب في أفعالهم، وإن كانت في الحقيقة مخلوقة لله تعالى، كما تقرر في علم التوحيد. (ع)

(١) قال محمود: «معناه بما كنتم تعملون من الكفر والكبائر الموبقة» قال أحمد: قد تمهد من مذاهب أهل السنة أن المقتضي لاستحقاق الخلود في العذاب هو الكفر خاصة. وأما ما دونه من الكبائر فلا يوجب خلوداً والمسألة سمعية. وأدلتها من الكتاب والسنة قطعية، خلافاً للقدرية.

(٢) قوله «والكبائر الموبقة» أي: المهلكة. (ع)

وعن رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم. ثم يرجع فينادي: ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع؛ فيقومون وهم قليل. ثم يرجع فينادي: ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء، فيقومون وهم قليل، فيسرحون جميعاً إلى الجنة. ثم يحاسب سائر الناس» (١١٦٤). وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: كان أناس من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة، فنزلت فيهم (١١٦٥). وقيل: هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها ﴿مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم﴾

= قال: «قيام العبد من الليل» .اهـ.

ومن طريق أحمد رواه الثعلبي، وبهذا الإسناد رواه ابن مردويه كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٨٤).

وله طريق آخر بمعناه عن معاذ أيضاً.

أخرجه الترمذي (٥/ ١٣ ـ ١٤): كتاب الإيمان: باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث (٢٦١٦)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤ ـ ١٣١٥): كتاب الفتن: باب كف اللسان في الفتنة، حديث (٣٩٧٣) عن معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ قال: «كنت مع النبي ـ ﷺ ـ في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه. . . إلى أن قال: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ .اهـ.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وله طريق آخر:

أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .اهـ.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، وإسحاق، والحاكم من رواية أبي وائل عن معاذ في أثناء حديث مرفوع قال: «وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾. انتهى.

١١٦٤ ـ اختصره الحاكم في المستدرك في تفسير سورة النور (٢/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر الجهني به.

وأخرجه إسحاق بن راهويه، وأبو يعلى في مسنديهما والثعلبي في تفسيره، والبيهقي في شعب الإيمان كما في تخريج الكشاف للزيلعي (ج ٣/ ٨٥).

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه إسحاق وأبو يعلى من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد مطولاً، وهو عند الحاكم باختصار. انتهى.

١١٦٥ ـ أخرجه أبو داود (٢/ ٣٥): كتاب الصلاة: باب وقت قيام النبي ـ ﷺ ـ من الليل، حديث (١٣٢١) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك به.

وأخرجه ابن مردويه في تفسيره من حديث الحارث بن رحبة عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك به كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٨٦).

وله سند آخر: عند البزار في مسنده: عن عبد الحميد بن سليمان عن مصعب عن زيد بن أسلم عن =

على البناء للمفعول. ما أخفى لهم على البناء للفاعل، وهو الله سبحانه. وما أخفى لهم. وما نخفي لهم. وما أخفيت لهم: الثلاثة للمتكلم، وهو الله سبحانه. وما: بمعنى الذي، أو بمعنى أي[١]. وقرئ: من قرّة أعين. وقرات أعين. والمعنى: لا تعلم النفوس ـ كلهنّ ولا نفس واحدة منهنّ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ـ أيّ نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأولئك وأخفاه من جميع خلائقه، لا يعلمه إلا هو مما تقر به عيونهم، ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها، ثم قال: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فحسم أطماع المتمنين[٢]: وعن النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا/ ٢/ ٩٧أ أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، بله[٣] ما أطلعتهم عليه. اقرؤا إن شئتم: فلا تعلم نفس

= أبيه قال بلال: «كنا نجلس... إلى آخره بنحوه كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٨٦).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن مردويه من رواية الحارث بن رحبة عن مالك بن دينار: «سألت أنس بن مالك عن قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ الآية فقال: كان ناس ـ فذكره» ورواه أبو داود من حديث سعيد عن قتادة عن أنس نحوه، قال: وكان الحسن يقول: «هو قيام الليل» والبزار من طريق زيد بن أسلم عن أبيه، قال قال بلال: كنا نجلس وناس من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ يصلون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت هذه الآية» قال: ولا نعلم له طريقاً إلا هذه. ولا روى أسلم عن بلال غيره. انتهى.

---

(١) قوله «أو بمعنى أي» لعله: أي شيء. (ع)

(٢) قال محمود: «هذا حسم لأطماع المتمنين» قال أحمد: يشير إلى أهل السنة لاعتقادهم أن المؤمن العاصي موعود بالجنة، ولا بد من دخوله إياها وفاء بالوعد الصادق، وأن أحداً لا يستحق على الله بعمله شيئاً، فلما وجد قوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ اغتنم الفرصة في الاستشهاد على معتقد القدرية في أن الأعمال أسباب موجبة للجزاء. ولا دليل في ذلك لمعتقدهم مع قوله ﷺ: «لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة» فهذا الحديث يوجب حمل الآية على وجه يجمع بينها وبينه، وذلك إما أن تحمل الآية على أن المراد منها قسمة المنازل بينهم في الجنة فإنه على حسب الأعمال، وليس بذاك فإن المذكور في الآية مجرد دخول الجنة لا اقتسام درجاتها. وإما أن تحمل ـ وهو الظاهر، والله أعلم ـ على أن الله تعالى لما وعد المؤمن جنته ـ ووعده يجب أن يكون حقاً وصدقاً، تعالى وتقدس ـ صارت الأعمال بالوعد كأنها أسباب موجبات، فعوملت في هذه العبارة معاملتها، والمقصود من ذلك: تأكيد صدق الوعد في النفوس، وتصوره بصورة المستحق بالعمل، كالأجرة المستحقة شاهداً على العمل من باب مجاز التشبيه، والله أعلم. وذكر الزمخشري الحديث المشهور وهو «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾» وكان جدي رحمه الله يستحسن أن تقرأ الآية تلو الحديث المذكور بسكون الياء من أخفي، ورده إلى المتكلم، وهي من القراءات المستفيضة. والسبب في اختيار ذلك مطابقة صدر الحديث وهو: أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ليكون الكل راجعاً إلى الله تعالى، مسنداً إلى ضمير اسمه عز وجل صريحاً، والله الموفق.

(٣) قوله «بله ما أطلعتهم عليه» في الصحاح «بله»: كلمة مبنية على الفتح مثل كيف؛ ومعناها: دع، كما =

ما أخفي لهم من قرة أعين (١١٦٦). وعن الحسن - رضي الله عنه -: أخفى القوم أعمالاً في الدنيا، فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿كَانَ مُؤْمِنًا﴾ و﴿كَانَ فَاسِقًا﴾ محمولا على لفظ من و﴿لَّا يَسْتَوُونَ﴾ محمول على المعنى بدليل قوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.... ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ﴾ [محمد: ١٦]. و﴿جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾ نوع من الجنان:

١١٦٦ - ورد من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد الساعدي، وحديث أبي الدرداء.

فأما حديث أبي هريرة:

أخرجه البخاري ٦/ ٣٦٦ في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٤)، ومسلم ٤/ ٢١٧٤ - ٢١٧٥ في الجنة، في أوله (٢ - ٣ - ٤/ ٢٨٢٤)، والترمذي ٥/ ٣٢٣ في التفسير باب من سورة السجدة (٢١٩٧)، وابن ماجه ٢/ ١٤٤٧ في الزهد، باب صفة الجنة (٤٣٢٨)، وأحمد ٢/ ٣١٣، والحميدي في مسنده ٢/ ٤٨٠ برقم (١١٣٣)، وابن أبي شيبة ١٣/ ١٠٩، والطبراني في الصغير ١/ ٢٦، والطبري في تفسيره ٢١/ ٦٦ - ٦٧، وهناد في الزهد (١ - ٢)، وأبو نعيم في الحلية ٩/ ٢٦ من طرق عن أبي هريرة بنحوه.

وأما حديث سهل بن سعد الساعدي: فأخرجه مسلم في المصدر السابق (٥/ ٢٨٢٥).

وأما حديث أبي سعيد الخدري: فأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٢٦٢، والطبراني في الأوسط والبزار كما في المجمع ١٠/ ٤١٥ وقال الهيثمي: ورجال البزار رجال الصحيح.

وأما حديث أنس: فرواه الطبراني في الأوسط كما في المجمع. وقال الهيثمي: فيه محمد بن مصعب القرمساني. وهو ضعيف بغير كذب.

وأما حديث أبي الدرداء: فأخرجه البزار كما في المجمع. وقال الهيثمي: فيه زيادة بن محمد وهو ضعيف.

وروي من قول ابن مسعود موقوفاً أخرجه الفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه كما في الدر المنثور ٥/ ١٧٦.

قال الحافظ: متفق عليه، من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة - رضي الله عنه -. انتهى.

= أجازه الأخفش في قول كعب بن مالك [من الكامل]:

تذر الجماجم ضاحيًا هاماتها ... بله الأكف كأنها لم تخلق

ويقال: معناها سوى. وفي الحديث: «أعددت لعبادي... إلخ». (ع)

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ سميت بذلك لما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: تأوي إليها أرواح الشهداء. وقيل: هي عن يمين العرش. وقرئ: جنة المأوى، على التوحيد ﴿نُزُلًا﴾ عطاء بأعمالهم. والنزل: عطاء النازل، ثم صار عاماً ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي ملجؤهم ومنزلهم. ويجوز أن يراد: فجنة مأواهم النار، أي النار لهم، مكان جنة المأوى للمؤمنين: كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾. ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ عذاب الدنيا من القتل والأسر، وما محنوا به من السنة[1] سبع سنين. وعن مجاهد ـ رضي الله عنه ـ: عذاب القبر. ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة، أي: نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي يتوبون[2] عن الكفر، أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه، كقوله تعالى: ﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ وسميت إرادة الرجوع رجوعاً، كما سميت إرادة القيام قياماً في قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ ويدل عليه قراءة من قرأ: يرجعون، على البناء للمفعول. فإن قلت: من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة؟ و«لعل» من الله إرادة، وإذا أراد الله شيئاً كان ولم يمتنع، وتوبتهم مما لا يكون، ألا ترى أنها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر؟ قلت: إرادة الله تتعلق بأفعاله وأفعال عباده، فإذا أراد شيئاً من أفعاله كان ولم يمتنع، للاقتدار وخلوص الداعي. وأما أفعال عباده: فإما أن يريدها وهم مختارون لها، أو مضطرون إليها بقسره وإلجائه، فإن أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم أفعاله، وإن أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره[3]، كما لا يقدح في اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها، لأنّ اختياره لا يتعلق

---

(١) قوله «وما محنوا به من السنة» أي المجدبة. أو المراد بها الجدب. كما يؤخذ من الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «معناه لعلهم يتوبون. فإن قلت: من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة، وإذا أراد الله شيئاً كان، وتوبتهم مما لا يكون؛ لأنهم لو تابوا لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر. قلت: إرادة الله تعالى تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فإذا أراد شيئاً من أفعاله كان ولم يمتنع، للاقتدار وخلوص الداعي. وأما أفعال عباده فإما أن يريدها وهم مختارون لها، أو مضطرون إليها بقسره، فإن أرادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم أفعاله، وإن أرادها على أن يختارها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره. كما لا يقدح في اقتدارك: إرادتك أن يختار عبدك الطاعة لك وهو لا يختارها. لأن اختيارها لا يتعلق بقدرتك فلا يكون فقده عجزاً منك» قال أحمد: هذا الفصل رديء جداً مفرع على الإشراك الجلي لا على الإشراك الخفي، فاعتصم بدليل الوحدانية على رده واجتنابه من أصله، والله المستعان. وإنما جره في تفسير لعل إلى الإرادة، والحق في تفسيرها أنها لترجي المخاطبين امتناع الترجي على الله تعالى، كذا فسرها سيبويه فيما تقدم، والله أعلم.

(٣) قوله «لم يقدح ذلك في اقتداره» أي عدم وقوعها وعدم اختيارهم إياها. فهذا على مذهب المعتزلة: من أنه قد يريد الشيء ولا يكون، ومذهب أهل السنة: أن كل ما أراده الله كان. (ع)

بقدرتك، وإذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالاً على عجزك. وروي في نزولها: أنه شجر بين علي بن أبي طاللب ـ رضي الله عنه ـ والوليد بن عقبة بن أبي معيط يوم بدر كلام، فقال له الوليد: اسكت فإنك صبيّ: أنا أشبّ منك شباباً، وأجلد منك جلداً، وأذرب منك لساناً، وأحدّ منك سناناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ منك حشواً في الكتيبة. فقال له علي ـ رضي الله عنه ـ: اسكت، فإنك فاسق، فنزلت عامّة للمؤمنين والفاسقين (١١٦٧). فتناولتهما وكل من كان في مثل حالهما[1]. وعن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: أنه قال للوليد: كيف تشتم علياً وقد سماه الله مؤمناً في عشر آيات، وسماك فاسقاً؟

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

ثم في قوله: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ للاستبعاد. والمعنى: أنّ الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل، كما تقول لصاحبك: وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعاداً لتركه الانتهاز؛ ومنه ثم في بيت الحماسة [من الطويل]:

وَلاَ يَكْشِفُ الْغَمَّاءَ إِلاَّ ٱبْنُ حُرَّةٍ يَرَىٰ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا[2]

١١٦٧ ـ أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» (ص ٣٦٣) رقم (٦٨٧) من طريق عبيد الله بن موسى ثنا ابن أبي ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٧٧) وعزاه للأصبهاني في «الأغاني» والواحدي وابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر .اهـ. وينظر: تخريج الكشاف (٣/ ٨٨) للزيلعي.
قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه والواحدي من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي: «أنا أحد منك سنانا وأبسط منك لسانا وأملأ منك للكتيبة». فقال له علي: اسكت يا فاسق، فإنما أنت فاسق، فنزلت. وله طريق أخرى عند ابن مردويه من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.
تنبيه: قوله: إن ذلك شجر بينهما يوم بدر غلط فاحش. فما كان الوليد حينئذٍ رجلاً.

---

(١) قال محمود: «سبب نزولها أنه شجر بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والوليد بن عقبة يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شباباً وأجلد جلدًا وأذرب لساناً وأحد منك سنانا وأشجع جنانا وأملأ حشوا في الكتيبة، فقال له علي: اسكت فإنك فاسق. قال الزمخشري: فنزلت عامة للمؤمنين والكافرين تتناولهما معاً» قال أحمد: ذكر للسبب المحقق: لأن المراد بالفاسق وبالذين فسقوا: الذين كفروا، لأنها نزلت في الوليد وهو كافر حينئذٍ، ثم أدرج فيه المؤمن تعصباً لمذهبه في وجوب خلود فساق المؤمنين كفساق الكافرين، فلم يزل يورد هذه العقائد الفواسد، ولقد اتسع الخرق على الراقع.

(٢) ولا يكشف الغمّاء إلا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها =

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدّتها. فإن قلت: هلا قيل: إنا منه منتقمون؟ قلت: لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم، فقد دلّ على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام، ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥)﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٣)﴾ الكتاب للجنس والضمير في ﴿لِّقَآئِهِۦ﴾ له. ومعناه: إنا آتينا موسى عليه السلام مثل ما آتيناك من الكتاب، ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي، فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] ونحو قوله: ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)﴾ وقوله: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ / ٢/ ٩٧ب كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]. وجعلنا الكتاب المنزل على موسى عليه السلام ﴿هُدًى﴾ لقومه ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ الناس ويدعونهم إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه، لصبرهم وإيقانهم بالآيات. وكذلك لنجعلنّ الكتاب المنزل إليك هدى ونوراً، ولنجعلنّ من أمّتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين. وقيل: من لقائك موسى عليه السلام ليلة الإسراء أو يوم القيامة وقيل: من لقاء موسى عليه السلام الكتاب، أي: من

= نقاسمهم أسيافنا شر قسمة ففينا غواشيها وفيهم صدورها

لجعفر بن علبة الحارثي، شبه الداهية الغماء بأمر محسوس يغشى الناس ويغطيهم على طريق المكنية، والكشف تخييل وقال «ابن حرة» أي كريم؛ ليكون تهييجاً للسامع وبعثاً له على الهيجاء. والغمرة: الشدة. وغمرات الموت: شدائده وأهواله، كأحوال المعركة الشديدة. وقوله «ثم يزورها» أي يلاقيها برغبة، كلقاء المحبوب، وعطفه بثم؛ لأن بين رؤية الأهوال المفزعة، وبين الانحدار إليها برغبة بوناً بعيداً في العادة والتعقل. وشبه السيوف ممتدة متوسطة بينهم بشيء تجري فيه المقاسمة، ونقاسمهم تخييل لذلك، ثم فرع على تلك المقاسمة أن لهم غواشيها، أي ما يغشاهم منها وهي مقابضها. أو لأنها زائدة على النصل فهي غاشية له ولأعدائه «صدورها» أي أطرافها المتقدمة منها. وصدر كل شيء: مقدمه. وعبر بفي دون اللام، لأن «في» تفيد مجرد اشتمال الأعداء على الصدور لدخولها في أجسامهم اللام تفيد الملك وليس مراداً. وإن كان مقتضى القسمة. فلعله دفع توهمه بالعدول إلى «في» وذكرها أولاً تمهيداً للثانية.
ينظر: الدر المصون (٥/ ٣٩٩).

تلقيه له بالرضا والقبول. وقرئ: لما صبروا، ولما صبروا، أي لصبرهم. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: صبروا عن الدنيا. وقيل: إنما جعل الله التوراة هدى لبني إسرائيل خاصة، ولم يتعبد بما فيها ولد إسماعيل عليه السلام ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ يقضي، فيميز المحق في دينه من المبطل.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الواو في ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ لأهل مكة. وقرئ بالنون والياء، والفاعل ما دلّ عليه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ لأنّ كم لا تقع فاعلة، لا يقال: جاءني كم رجل، تقديره: أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون. أو هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه، كقولك: يعصم لا إله إلا الله الدماء والأموال. ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون. و﴿ٱلْقُرُونِ﴾ عاد وثمود وقوم لوط ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ يعني أهل مكة، يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم. وقرئ: يمشون: بالتشديد.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ٱلْجُرُزِ﴾ الأرض التي جرز نباتها أي قطع، إمّا لعدم الماء، وإمّا لأنه رعي وأزيل، ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ: جرز. ويدل عليه قوله: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: إنها أرض اليمن. وعن مجاهد ـ رضي الله عنه ـ: هي أبين[1]. ﴿بِهِۦ﴾ بالماء ﴿تَأْكُلُ﴾ من الزرع ﴿أَنْعَٰمُهُمْ﴾ من عصفه ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ من حبه. وقرئ: يأكل، بالياء.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الفتح: النصر، أو الفصل بالحكومة، من قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] وكان المسلمون يقولون: إنّ الله سيفتح لنا على المشركين، ويفتح بيننا وبينهم، فإذا سمع

(١) قوله «هي أبين» في الصحاح «أبين»: اسم رجل نسب إليه عدن، فيقال: عدن أبين .اهـ. فتدبر. (ع)

المشركون قالوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ أي في أيّ وقت يكون ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنه كائن. و﴿يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم، ويوم نصرهم عليهم. وقيل: هو يوم بدر. وعن مجاهد والحسن ـ رضي الله عنهما ـ: يوم فتح مكة. فإن قلت: قد سألوا عن وقت الفتح، فكيف ينطبق هذا الكلام جواباً على سؤالهم. قلت: كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح، استعجالاً منهم عن وجه التكذيب والاستهزاء، فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم: لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا، فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم، وآمنتم فلم ينفعكم الإيمان، واستنظرتم في إدراك العذاب فلم تنظروا. فإن قلت: فمن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان، وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناساً يوم بدر؟ قلت: المراد أنّ المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل، كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق ﴿وَٱنتَظِرْ﴾ النصرة عليهم وهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ الغلبة عليكم وهلاككم، كقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢] وقرأ ابن السميفع رحمه الله: منتظرون، بفتح الظاء. ومعناه: وانتظر هلاكهم فإنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم، يعني أنهم هالكون لا محالة. أو وانتظر ذلك؛ فإن الملائكة في السماء ينتظرونه.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك، أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر» (١١٦٨). وقال: «من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام» (١١٦٩).

١١٦٨ ـ تقدم تخريجه ويراجع حديث (٣٤٦).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي، وله طريق أخرى عند الثعلبي من رواية أبي عصمة عن زيد العمي عن أبي بصرة عن ابن عباس عن أبي. وعند ابن مردويه من وجه آخر عن نافع عن ابن عمر، وفي إسناده داود بن معاذ وهو ساقط.

١١٦٩ ـ قال الحافظ الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٨٩) غريب جداً.
وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده.

سورة الأحزاب

مدنية، وهي ثلاث وسبعون آية
[نزلت بعد آل عمران]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾

عن زرّ قال: قال لي أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: كم تعدّون سورة الأحزاب؟ قلت: ثلاثاً وسبعون آية. قال: فوالذي يحلف به أبيّ بن كعب، إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول. ولقد قرأنا منها آية الرجم: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم (١١٧٠). أراد أبيّ ـ رضي الله عنه ـ أنّ ذلك من جملة ما نسخ/ ٢/ ٩٨أ

١١٧٠ ـ أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٣٢)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) (٧١٥٠) والحاكم في مستدركه (٤/٣٥٩)، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٢٧٤) (٤٤٢٩) وعبد الرزاق في المصنف (٧/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) (١٣٣٦٣)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ٨ ـ ٩) (١٩١٤)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢١١) كلهم من طرق عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال: قال لي أبي بن كعب: كأين تقرأ سورة الأحزاب أو كأين تعدها... فذكر الحديث.

قلت: وعاصم بن أبي النجود واسمه عاصم بن بهدلة أبو بكر المقرىء ـ صدوق له أوهام كما في التقريب وقال الحاكم، صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

قلت: ووقع خطأ في مسند أحمد في الآية قال: «ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عليم حكيم» والصحيح في الروايات الأخرى «والله عزيز حكيم». وأخرجه الحاكم (٢/ ٤١٥) وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٢٧٣) (٤٤٢٨) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن أبي بن كعب، قال: كانت سورة الأحزاب توازي سورة البقرة. فكان فيها: الشيخ والشيخة إذا زنيا، فارجموهما ألبتة.

وقال الحاكم: وصحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

والحديث عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٩٣) وابن حجر للطبراني في الأوسط وابن مردويه في تفسيره.

=

من القرآن. وأمّا ما يحكى: أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض (١١٧١). جعل نداءه بالنبيّ والرسول في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ وترك نداءه باسمه كما قال: يا آدم. يا موسى، يا عيسى. يا داود: كرامة له وتشريفاً، وربئا بمحله وتنويهاً بفضله. فإن قلت: إن لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الإخبار في قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]. قلت: ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به، فلا تفاوت بين النداء والإخبار، ألا ترى إلى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الأخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ﴾ [الفرقان: ٣٠]، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

= قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه النسائي وابن حبان والحاكم والطبراني في الأوسط وابن مردويه كلهم من هذا الوجه. انتهى.

١١٧١ ـ أخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ٦٢٥ ـ ٦٢٦) ـ كتاب النكاح (٩) ـ باب رضاع الكبير حديث رقم (١٩٤٤). والدارقطني في سننه (٤/ ١٧٩) ـ كتاب الرضاع، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٦/ ٩١) (٤٧٢٩)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٣٩٥) (٧٨٠١). كلهم من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت: «لقد أنزلت آية الرجم ورضاع الكبير عشراً...».

ووقع تصحيف في المطبوع من المعرفة للبيهقي «يحيى بن إسحاق» بدلاً من «محمد بن إسحاق» والصحيح ما أثبتناه.

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن عبد الرحمن بن القاسم إلا محمد بن إسحاق.

قلت: ومحمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر إمام في المغازي ولكنه صدوق ويدلس وقد عنعن ولم يصرح بالتحديث هنا، ولكن للحديث شاهد عن ابن أبي بريد أن الرجم أنزل في سورة الأحزاب، وكان مكتوباً في خوصة في بيت عائشة فأكلتها شاتها أخرجه إبراهيم الحربي في غريبه والحديث عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٩٤) لأبي يعلى في مسنده والبزار.

وقال ابن حجر: قال إبراهيم الحربي في الغريب...

قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: قلت: بل راويها ثقة غير متهم. قال إبراهيم الحربي في الغريب: حدثنا هارون بن عبد الله أن الرجم أنزل في سورة الأحزاب مكتوباً في خوصة في بيت عائشة. فأكلتها شاتها، وروى أبو يعلى والدارقطني والبزار والطبراني في الأوسط، والبيهقي في المعرفة؛ كلهم من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عائشة وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة. انتهى. وكأن المصنف فهم أن ثبوت هذه الزيادة يقتضي ما تدعيه الروافض: أن القرآن ذهب منه أشياء. وليس ذلك بلازم، بل هذا مما نسخت تلاوته وبقي حكمه، وأكل الدواجن لها وقع بعد النسخ. انتهى.

وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ﴿وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ﴾ [المائدة: ٨١]. اتق الله: واظب على ما أنت عليه من التقوى، واثبت عليه، وازدد منه، وذلك لأن التقوى باب لا يبلغ آخره ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ﴾ لا تساعدهم على شيء. ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة، وجانبهم واحترس منهم، فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين، لا يريدون إلا المضارّة والمضادّة. وروي أنّ النبيّ ﷺ لما هاجر إلى المدينة وكان يحب إسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم. وإذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه، وكان يسمع منهم (١١٧٢). فنزلت. وروي أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم. وقام معهم عبد الله بن أبيّ ومعتب بن قشير والجد بن قيس، فقالوا للنبيّ ﷺ: ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتنفع وندعك وربك، فشق ذلك على رسول الله - ﷺ - وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم (١١٧٣)، فنزلت: أي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة، ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليك. وروي أنّ أهل مكة دعوا رسول الله - ﷺ - إلى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم، وأن يزوجه شيبة بن ربيعة بنته، وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه إن لم يرجع. فنزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالصواب من الخطأ، والمصلحة من المفسدة ﴿حَكِيمًا﴾ لا يفعل شيئاً ولا يأمر به إلا بداعي الحكمة ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ الذي يوحي إليك خبير ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فموح إليك ما يصلح به أعمالكم، فلا حاجة بكم إلى الاستماع من الكفرة. وقرئ: يعملون، بالياء، أي: بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ وأسند أمرك إليه وكله إلى تدبيره ﴿وَكِيلًا﴾ حافظا موكولا إليه كل أمر.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾

ما جمع الله قلبين في جوف، ولا زوجية وأمومة في امرأة، ولا بنوّة ودعوة في رجل.

١١٧٢ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٩٥)، غريب.
وقال الحافظ: لم أجده.

١١٧٣ - ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٦٤ حديث رقم (٦٨٨) بغير إسناد وعزاه الزيلعي وابن حجر للثعلبي.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند.

والمعنى: أن الله سبحانه كما لم ير في حكمته أن يجعل للإنسان قلبين ـ لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليها، وأما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك، فذلك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريداً كارهاً. عالماً ظاناً، موقناً شاكاً في حالة واحدة ـ ولم ير أيضاً أن تكون المرأة الواحدة أُمّاً لرجل زوجاً له؛ لأن الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذل، والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان، وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له؛ لأنّ البنوّة. أصالة في النسب وعراقة فيه، والدعوة: إلصاق عارض بالتسمية[1] لا غير، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً غير أصيل، وهذا مثل ضربه الله في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيراً، وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة، فلما تزوجها رسول الله ـ ﷺ ـ وهبته له. وطلبه أبوه وعمه، فخير فاختار رسول الله ـ ﷺ ـ، فأعتقه. وكانوا يقولون: زيد بن محمد (١١٧٤)، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية، وقوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾

- - - - - - - - - - - - - - - -

١١٧٤ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٩٦) لابن أبي خيثمة في أول تاريخه بسنده إلى ابن إسحاق قال: وكان من أمر زيد بن حارثة: أنه أصابته منة من رسول الله ـ ﷺ ـ وهو من سبايا العرب من كلب في بيت منهم، كان حكيم بن حزام اشتراه من سوق صبانة بمكة. . . وحفظ عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: «ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى أنزل الله ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ قلت: وهذه اللفظة الأخيرة.
أخرجها البخاري في صحيحه (٩/ ٤٧١) ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ سورة الأحزاب (٤٧٨٢) ومسلم (٨/ ٢٠٩) ـ كتاب فضائل الصحابة (٤٤) ـ باب فضل زيد بن حارثة وأسامة ـ (٢٤٢٥) والترمذي (٥/ ٣٥٣) ـ كتاب تفسير القرآن ـ سورة الأحزاب ـ (٣٢٠٩).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: هكذا ذكره ابن إسحاق وابن أبي خيثمة من طريقه، وزاد في آخره: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ أكبر منه بعشر سنين فتبناه»، وعن سالم عن أبيه قال: «ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى أنزل الله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾. انتهى. وهذه الزيادة في الصحيحن عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه: «ما كنا ندعو زيد بن حارثة مولى رسول الله ـ ﷺ ـ إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ الآية. انتهى.

---

(١) قال محمود: «أسد ما ذكر فيه من التأويلات أنهم كانوا يدعون لابن خطل قلبين. فنفى الله صحة ذلك وقرنه بما كانوا يقولونه من الأقاويل المتناقضة، كجعل الأدعياء أبناء والزوجات أمهات. قال: وهذه الأمور الثلاثة متنافية: أما الأول فلأنه يلزم من اجتماع القلبين قيام أحد المعنيين بأحدهما وضده في الآخر، وذلك كالعلم والجهل والأمن والخوف وغير ذلك. وأما الثاني فلأن الزوجة في مقام الامتهان والأم في محل الإكرام، فنافى أن تكون الزوجة أماً. وأما الثالث فلأن البنوة أصالة وعراقة. والدعوة لاصقة عارضة، فهما متنافيان. وذكر الجوف ليصور به صورة اجتماع القلبين فيه حتى يبادره السامع بالإنكار.

[الأحزاب: ٤٠] وقيل: كان أبو معمر رجلاً من أحفظ العرب وأرواهم، فقيل له: ذو القلبين. وقيل: هو جميل بن أسد الفهري، وكان يقول: إن لي قلبين، أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد (١١٧٥)، فروي أنه انهزم يوم بدر، فمرّ بأبي سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله، فقال له: ما فعل الناس؟ فقال: هم/ ٢/ ٩٨ب ما بين مقتول وهارب، فقال له: ما بال إحدى نعليك في رجلك والأخرى في يدك؟ فقال: ما ظننت إلا أنهما في رجليّ، فأكذب الله قوله وقولهم، وضربه مثلاً في الظهار والتبني. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان المنافقون يقولون: لمحمد قلبان فأكذبهم الله (١١٧٦). وقيل: سها في صلاته، فقالت اليهود: له قلبان: قلب مع أصحابه، وقلب معكم. وعن الحسن: نزلت في أن الواحد يقول: نفس تأمرني ونفس تنهاني (١١٧٧). والتنكير في رجل، وإدخال من الاستغراقية على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى، كأنه قال: ما جعل الله لأمة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه. فإن قلت: أي فائدة في ذكر الجوف؟ قلت: الفائدة فيه كالفائدة في قوله: ﴿ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصوّر والتجلي المدلول عليه؛ لأنه إذا سمع به صور لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين، فكان أسرع إلى الإنكار. وقرئ: اللايىء[1]، بياء وهمزة مكسورتين. واللائي، بياء ساكنة بعد الهمزة: وتظاهرون: من ظاهر. وتظاهرون. من اظاهر، بمعنى تظاهر. وتظهرون: من أظهر، بمعنى تظهر. وتظهرون: من ظهر، بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد. وتظهرون: من ظهر، بلفظ فعل من الظهور. ومعنى ظاهر من امرأته: قال لها: أنت عليّ كظهر أمي. ونحوه في العبارة عن اللفظ: لبى المحرم، إذا قال لبيك. وأفف الرجل: إذا قال: أف وأخوات لهنّ. فإن قلت: فما وجه تعديته وأخواته بمن؟ قلت: كان الظهار طلاقاً عند أهل الجاهلية، فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما

١١٧٥ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٥٥) (٢٨٣١٩ ـ ٢٨٣٢١).
١١٧٦ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٥٥) (٢٨٣١٨).
١١٧٧ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٥٥) (٢٨٣٢٢) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٤٧) لابن أبي حاتم.

---

(١) قوله «وقرىء اللايىء بياء وهمزة مكسورتين» لعل مراده قراءتان إحداهما بياء مكسورة والأخرى بهمزة مكسورة، لكن الياء ليست ياء صرفة، بل هي همزة مسهلة ينطق بها بين الهمزة والياء والحاصل: أنه قرىء اللائي بياء ساكنة بعد الهمز. وقرىء اللاء بهمزة مكسورة من غير ياء. وقرىء: اللايي بشبه الياء مكسورة وهي الهمزة التي ينطق بها بين بين، وقرىء: اللاي بياء ساكنة بعد الألف من غير همز، فهذه أربع قراءات في لفظ اللائي أينما كان في القرآن، كما في شرح الشاطبية. (ع)

يتجنبون المطلقة، فكان قولهم: تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار، وتظهر منها: تحرز منها. وظاهر منها: حاذر منها، وظهر منها: وحش منها[1]. وظهر منها: خلص منها. ونظيره: آل من امرأته، لما ضمن معنى التباعد منها عدّى بمن، وإلا فآلى في أصله الذي هو بمعنى: حلف وأقسم، ليس هذا بحكمه. فإن قلت: ما معنى قولهم: أنت عليّ كظهر أمي؟ قلت: أرادوا أن يقولوا: أنت عليّ حرام كبطن أمي، فكنوا عن البطن بالظهر؛ لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج، وإنما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لأنه عمود البطن. ومنه حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ: يجيء به أحدهم على عمود بطنه: أراد على ظهره. ووجه آخر: وهو أن إتيان المرأة وظهرها إلى السماء كان محرّماً عندهم محظوراً، وكان أهل المدينة يقولون: إذا أتيت المرأة ووجهها إلى الأرض جاء الولد أحول، فلقصد المطلق منهم إلى التغليظ في تحريم امرأته عليه، شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر أمّه فلم يترك. فإن قلت: الدعيّ فعيل بمعنى مفعول، وهو الذي يُدعى ولداً فما له جمع على افعلاء، وبابه: ما كان منه بمعنى فاعل، كتقى وأتقياء، وشقيّ وأشقياء، ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي. قلت: إن شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء وأسراء، والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ النسب هو ﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ هذا ابني لا غير من غير أن يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقاً. والله عز وجل لا يقول إلا ما هو حق ظاهره وباطنه، ولا يهدي إلا سبيل الحق. ثم قال ما هو الحق وهدى إلى ما هو سبيل الحق، وهو قوله ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ وبين أن دعاءهم لآبائهم هو أدخل الأمرين في القسط والعدل، وفي فصل هذه الجمل ووصلها[2]: من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم. وقرأ قتادة: وهو الذي يهدي السبيل. وقيل: كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه جلد الرجل وظرفه: ضمه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه، وكان ينسب إليه فيقال: فلان ابن فلان ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟﴾ لهم آباء تنسبونهم إليهم ﴿فـ﴾ـهم ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ وأولياؤكم في الدين فقولوا: هذا أخي وهذا مولاي، ويا أخي، ويا مولاي: يريد الأخوّة في الدين والولاية فيه ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ﴾ في محل الجرّ عطفاً على ما أخطأتم. ويجوز أن يكون مرتفعاً على الابتداء، والخبر محذوف تقديره: ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح. والمعنى: لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي، ولكن الإثم فيما تعمدتموه بعد النهي. أو لا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يا بنيّ على سبيل الخطأ وسبق اللسان، ولكن إذا قلتموه متعمدين. ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم، كقوله عليه الصلاة

---

(١) قوله «وحش منها» أي خلا منها. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «وفي فصل هذه الجمل ووصلها» أي: فصل ما فصل منها ووصل ما وصل. (ع)

والسلام: «ما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد» (١١٧٨)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «وضع عن أمّتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه» (١١٧٩). ثم تناول

١١٧٨ ـ ورد من حديث أبي هريرة وعائشة.
أما حديث أبي هريرة: فأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٨ ـ ٥٣٩) ـ والحاكم في مستدركه (٢/ ٥٣٤) وعنه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) (١٠٣١٤)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ١٦ ـ ١٧) (٣٢٢٢) كلهم من طريق جعفر بن برقان عن يزيد الأصم عن أبي هريرة قال: قال النبي ـ ﷺ ـ «ما أخشى عليكم بعدي الفقر. . . وما أخشى عليكم الخطأ ولكني أخشى عليكم العمد».
وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٢٤) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
وأما حديث عائشة فعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٩٦ ـ ٩٧) للطبراني في الأوسط ومسند الشاميين.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن حبان، والحاكم، والبيهقي في الشعب من طريق جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة مرفوعاً أتم منه. وأخرجه الطبراني في الأوسط، وفي مسند الشاميين من رواية ثابت بن عجلان حدثني عطاء عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ. انتهى.
١١٧٩ ـ أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٥٩) كتاب الطلاق: باب طلاق المكره والناس حديث (٢٠٤٥) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٤٥) والبيهقي (٧/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) كتاب الطلاق: باب ما جاء في طلاق المكره، كلهم من طريق محمد بن المصفى ثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما استكرهوا عليه وعن الخطأ والنسيان» ومن طريق محمد بن المصفى.
أخرجه أبو القاسم الفضل بن جعفر التميمي المعروف بأخي عاصم في «فوائده» والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» كما في «المقاصد الحسنة» (ص ٢٢٩).
قال الحافظ البوصيري في «الزوائد» (٢/ ١٣٠): هذا إسناد صحيح إن سلم من الانقطاع والظاهر أنه منقطع، قال المزي في «الأطراف» رواه بشر بن بكر التنيسي عن الأوزاعي عن عطاء عن عبيد بن عمير عن ابن عباس. انتهى. وليس ببعيد أن يكون السقط من صنعة الوليد بن مسلم .اهـ.
وهذا كلام جيد من الحافظ البوصيري رحمه الله والطريق الذي أشار إليه الحافظ المزي.
أخرجه ابن حبان (١٤٩٨ ـ موارد) والدارقطني (٤/ ١٧٠ ـ ١٧١) كتاب النذور رقم (٢٣) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٩٥) كتاب الطلاق: باب طلاق المكره، والحاكم (٢/ ١٩٨) كتاب الطلاق والبيهقي (٧/ ٣٥٦) كتاب الخلع والطلاق: باب طلاق المكره، الطبراني في «الأوسط» كما في «التلخيص» (١/ ٢٨٢) كلهم من طريق بشر بن بكر عن الأوزاعي عن عطاء بن رباح عن عبيد بن عمير عن ابن عباس قال البيهقي: جوده بشر بن بكر.
وقال الطبراني: لم يروه عن الأوزاعي مجوداً إلا بشر .اهـ.
ومن هذا الطريق صححه ابن حبان. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
وللحديث طرق أخرى عن ابن عباس:
الطريق الأول: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٣٣ ـ ١٣٤) رقم (١١٢٧٤) من طريق مسلم بن خالد الزنجي حدثني سعيد هو العلاف عن ابن عباس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله عز =

لعمومه خطأ التبني وعمده. فإن قلت: فإذا وجد التبني فما حكمه؟ قلت: إذا كان المتبنى

= وجل تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».
قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص ٣٢٦): أخرجه الجوزجاني وسعيد العلاف هو سعيد بن أبي صالح قال أحمد: وهو مكي قيل له كيف حاله؟ قال: لا أدري وما علمت أحداً روى عنه غير مسلم بن خالد قال أحمد: وليس هذا مرفوعاً إنما هو عن ابن عباس قوله نقل ذلك عنه مهنا، ومسلم بن خالد ضعفوه .اهـ.
الطريق الثاني:
أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٨٢) من طريق عبد الرحيم بن زيد العمي حدثني أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «عفى لي عن أمتي الخطأ والنسيان والاستكراه» وعبد الرحيم بن زيد. قال يحيى: ليس بشيء، وقال البخاري: تركوه، وقال السعدي: غير ثقة أسند ذلك عنهم ابن عدي في «الكامل».
وقال النسائي: متروك وضعفه أبو داود وأبو زرعة التهذيب (٦/ ٢٧٣) وزيد العمي قال الحافظ في «التقريب» (١/ ٢٧٤) ضعيف.
وللحديث شواهد من حديث أبي بكرة وأبي الدرداء وأم الدرداء وثوبان وعقبة بن عامر وابن عمر وأبي ذر.
ـ حديث أبي بكرة:
أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٩٠ ـ ٩١) وابن عدي في «الكامل» (٢/ ١٥) من طريق جعفر بن جسر بن فرقد عن أبيه عن الحسن عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «رفع الله عن هذه الأمة ثلاثاً الخطأ والنسيان والأمر يكرهون عليه».
قال الحسن قول باللسان فأما اليد فلا.
ومن هذا الوجه أخرجه الحافظ في «تخريج أحاديث المختصر» (١/ ٥٠٦) وقال هذا حديث غريب أخرجه ابن عدي في «الكامل» عن حذيفة بن الحسن عن أبي أمية محمد بن إبراهيم عن جعفر وعده في منكرات جعفر وقال: لم أر للمتقدمين فيه كلاماً ولعل ذلك من قبل أبيه فإني لم أر له رواية عن غيره.
قلت: ـ أي الحافظ ـ أبوه ضعفه يحيى بن معين والبخاري وغيرهما .اهـ.
ـ حديث أبي الدرداء:
أخرجه الطبراني كما في «نصب الراية» (٢/ ٦٥) من طريق أبي بكر الهذلي عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله تجاوز لأمتي عن النسيان وما أكرهوا عليه».
قال الحافظ في «التلخيص» (١/ ٢٨٢): وفي إسناده ضعف.
ـ حديث أم الدرداء:
أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «تخريج المختصر» (١/ ٥٠٩) من طريق أبي بكر الهذلي عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إن الله تجاوز لأمتي عن ثلاث عن الخطأ والنسيان والاستكراه» قال أبو بكر ـ الهذلي ـ فذكرت ذلك للحسن فقال: أجل أما تقرأ بذلك قرآنا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.
قال الحافظ: وأبو بكر الهذلي ضعيف وفي الإسناد مع ذلك انقطاع أو إرسال بالنسبة لأم الدرداء لأنها إن كانت الكبرى فمنقطع وإن كانت الصغرى فمرسل وفي شهر مقال أيضاً .اهـ. =

مجهول النسب وأصغر سناً من المتبني ثبت نسبه منه، وإن كان عبداً له عتق مع ثبوت

= والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٦٥) وعزاه لابن أبي حاتم.
- حديث ثوبان:
أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٩٧) رقم (١٤٣٠) من طريق يزيد بن ربيعة الرحبي ثنا أبو الأشعث عن ثوبان عن رسول الله - ﷺ - قال: «إن الله تجاوز عن أمتي ثلاثة الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه».
قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٢٥٣): رواه الطبراني وفيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو ضعيف.
والحديث ضعف سنده الحافظ في «التلخيص» (١/ ٢٨٢).
- حديث عقبة بن عامر:
ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٥٣) وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف.
حديث ابن عمر:
أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٤٥) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٥٢) والطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٥٣) كلهم من طريق محمد بن المصفى عن الوليد ثنا مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي - ﷺ - قال: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».
قال أبو نعيم: غريب من حديث مالك تفرد به ابن مصفى عن الوليد وضعفه العقيلي وأعله بابن مصفى ونقل تضعيفه عن الوليد وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٢٥٣): رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن مصفى وثقه أبو حاتم وغيره وفيه كلام لا يضر وبقية رجاله رجال الصحيح.
- حديث أبي ذر:
أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٥٩) كتاب الطلاق: باب طلاق المكره والناسي حديث (٢٠٤٣) من طريق أبي بكر الهذلي عن شهر بن حوشب عن أبي ذر مرفوعاً.
قال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ١٣٠) هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف أبي بكر الهذلي.
قلت: وللحديث علتان أخرتان ضعف شهر بن حوشب والانقطاع بينه وبين أبي ذر.
قال العلائي في «جامع التحصيل» (ص ١٩٧): شهر بن حوشب عن تميم الداري وأبي ذر وسلمان - رضي الله عنهم - وذلك مرسل .اهـ.
وحديث الباب: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» صححه الحاكم وابن حبان والضياء والذهبي والنووي في الأربعين (ص ٨٥) فقال: إنه حسن.
وحسنه الحافظ في تخريج المختصر (١/ ٥١٠) وقال: وبمجموع هذه الطرق يظهر أن للحديث أصلاً.
وتبعه تلميذه السخاوي في «المقاصد» (ص ٢٣٠).
ورمز له السيوطي بالصحة في «الجامع الصغير» (١٧٠٥).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن عدي من رواية حسن بن برقة حدثني أبي عن الحسن عن أبي بكرة رفعه: «رفع الله عن هذه الأمة ثلاثاً: «الخطأ والنسيان والأمر المكرهون عليه» هذه من منكرات جعفر. وأخرجه ابن ماجه، وابن حبان من حديث ابن عباس. فأما ابن حبان فقال: عن عطاء عن عبيد بن عمير عنه، بلفظ: «إن الله تجاوز»، وأما ابن ماجه فقال عن الأوزاعي: «إن الله وضع». انتهى.

النسب، وإن كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب، ولكنه يعتق عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وعند صاحبيه لا يعتق. وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه/ ٢/ ١٩٩أ بالتبني وإن كان عبداً عتق ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لعفوه عن الخطأ وعن العمد إذا تاب العامد(١).

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في كل شيء من أمور الدين والدنيا ﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ولهذا أطلق ولم يقيد، فيجب عليهم أن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه آثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها، وأن يبدلوها دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب، ووقاءه إذا لقحت حرب، وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه، ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله ـ ﷺ ـ وصرفهم عنه، لأنّ كل ما دعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه، فأخذ بحجزهم(٢) لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم إلى الشقاوة وعذاب النار. أو هو أولى بهم، على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم، كقوله تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وعن النبي ﷺ: «ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرؤا إن شئتم ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأيما مؤمن هلك وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ» (١١٨٠). وفي قراءة ابن مسعود: النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم. وهو أب لهم. وقال مجاهد: كل نبيّ فهو أبو أمّته، ولذلك صار المؤمنون إخوة؛ لأنّ النبي ﷺ أبوهم في الدين ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ تشبيه لهنّ بالأمهات في بعض الأحكام، وهو وجوب تعظيمهنّ واحترامهن، وتحريم نكاحهن. قال الله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات، ولذلك

١١٨٠ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٣٤١) ـ كتاب الاستقراض (٤٣) ـ باب الصلاة على من ترك ديناً ـ (٢٣٩٩). وهو عند مسلم في صحيحه (٦/ ٦٧ ـ نووي) ـ كتاب الفرائض (٢٣) ـ باب من ترك مالاً فلورثته (٤) (١٦١٩) بلفظ: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم...» دون ذكر الآية.
قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه البخاري من طريق عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بمعناه.

---

(١) قوله «وعن العمد إذا تاب العامد» هذا عند المعتزلة، وقد يغفر بمجرد الفضل عند أهل السنة. (ع)
(٢) قوله «فأخذ بحجزهم» في الصحاح «حجزة الإزار»: معقده. وحجزة السراويل: التي فيها التكة. (ع)

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: لسنا أمهات النساء (١١٨١). تعني: أنهنّ إنما كنّ أمّهات الرجال، لكونهنّ محرّمات عليهم كتحريم أمّهاتهم. والدليل على ذلك: أنّ هذا التحريم لم يتعد إلى بناتهنّ، وكذلك لم يثبت لهنّ سائر أحكام الأمهات. كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة، كما كانت تتألف قلوب قوم بإسهام لهم في الصدقات، ثم نسخ ذلك لما دجا الإسلام[1] وعزّ أهله، وجعل التوارث بحق القرابة ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوح. أو فيما أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية. أو في آية المواريث. أو فيما فرض الله كقوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾. ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ يجوز أن يكون بياناً لأولي الأرحام، أي: الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضاً من الأجانب. ويجوز أن يكون لابتداء الغاية، أي: أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين، ومن المهاجرين بحق الهجرة. فإن قلت: مم استثنى ﴿أَن تَفۡعَلُوٓاْ﴾؟ قلت: من أعم العام في معنى النفع والإحسان، كما تقول: القريب أولى من الأجنبي إلا في الوصية، تريد: أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك، إلا في الوصية. والمراد بفعل المعروف: التوصية لأنه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بإلى، لأنه في معنى: تسدوا وتزلوا[2] والمراد بالأولياء: المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر في الآيتين جميعاً. وتفسير الكتاب: ما مر آنفاً، والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الأرحام.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٧﴾ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٨﴾﴾

﴿وَ﴾ اذكر حين ﴿أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ جميعاً ﴿مِيثَٰقَهُمۡ﴾ بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين

١١٨١ ـ أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٥٣) ـ ترجمة عائشة ـ من طريق الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن فراس عن الشعبي عن مسروق «قالت: امرأة لعائشة: يا أمه قالت: إني لست بأمك إنما أنا أم رجالكم».
وعزاه الزيلعي للدارقطني في كتابه المؤتلف والمختلف.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الدارقطني من رواية مضر الأعتق حدثتني حرفاء قالت: قلت لعائشة: «يا أم. فقالت: لست أم النساء، إنما أم الرجال» وفي الطبقات من طريق مسروق قال: «قالت امرأة لعائشة: يا أم. فقالت عائشة: إني لست بأمك إنما أنا أم الرجال». انتهى.

---

(١) قوله «دجا الإسلام» في الصحاح: دجا الإسلام، أي: قوي وألبس كل شيء. (ع)
(٢) قوله «لأنه في معنى تسدوا وتزلوا» في الصحاح: أزلت إليه نعمة. أي: أسديتها. وفي الحديث: «من أزلت إليه نعمة فليشكرها» اهـ. (ع)

القيم ﴿وَمِنكَ﴾ خصوصاً ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾ وإنما فعلنا ذلك ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾ الله يوم القيامة عند تواقف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به، من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا: بلى ﴿عَن صِدْقِهِمْ﴾ عهدهم وشهادتهم، فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين. أو ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم. لأن من قال للصادق: صدقت، كان صادقاً في قوله. أو ليسأل الأنبياء ما الذي أجابتهم به أممهم. وتأويل مسألة الرسل: تبكيت الكافرين بهم، كقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]. فإن قلت: لم قدم رسول الله ـ ﷺ ـ على نوح فمن بعده[١] قلت: هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم[٢]، فلما كان محمد ﷺ أفضل هؤلاء المفضلين: قدم عليهم لبيان أنه أفضلهم، ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه. فإن قلت: فقد قدم عليه نوح عليه السلام في الآية التي هي أخت هذه الآية، وهي قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الشورى: ١٣] ثم قدم على غيره. قلت: مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك، وذلك أنّ الله تعالى إنما أوردها لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة فكأنه قال: شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم، وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء في العهد الحديث، وبعث عليه من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير. فإن قلت/ ٢/ ٩٩ب: فماذا أراد بالميثاق الغليظ؟ قلت: أراد به ذلك الميثاق بعينه. معناه: وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقاً غليظاً. والغلظ: استعارة من وصف الأجرام، والمراد: عظم الميثاق وجلالة شأنه في بابه. وقيل الميثاق الغليظ: اليمين بالله على الوفاء بما حملوا. فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾؟ قلت: على أخذنا من النبيين، لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين. وأعد للكافرين عذاباً أليماً. أو على ما دل عليه ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ كأنه قال: فأثاب المؤمنين وأعدّ للكافرين.

---

(١) قال محمود: «قدم النبي ﷺ على نوح لأنهم ذكروا تخصيصاً بعد التعميم تفضيلاً لهم فقدم أفضل المخصوصين» قال أحمد: وليس التقديم في الذكر بمقتضى ذلك. ألا ترى إلى قوله:

بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... علي ومنهم أحمد المتخير

فأخر ذكر النبي ﷺ ليختم به تشريفاً له. وإذا ثبت أن التفضيل ليس من لوازمه التقديم، فيظهر والله أعلم في سر تقديمه عليه الصلاة والسلام على نوح ومن بعده في الذكر: أنه هو المخاطب من بينهم، والمنزل عليه هذا المتلو، فكان تقديمه لذلك. ثم لما قدم ذكره عليه الصلاة والسلام: جرى ذكر الأنبياء صلوات الله عليهم بعده على ترتيب أزمنة وجودهم. والله أعلم.

(٢) قوله «هم مشاهيرهم وذراريهم» ولعله «دراريهم» بالدال المهملة. والدراري: الكواكب العظام، كما أفاده الصحاح. (ع)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾﴾

﴿ٱذۡكُرُواْ﴾ ما أنعم الله عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق ﴿إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾ وهم الأحزاب، فأرسل الله عليهم ريح الصبا. قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «نصرت بالصباء وأهلكت عاد بالدبور» (١١٨٢) .﴿وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ وهم الملائكة وكانوا ألفاً: بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية، فأخصرتهم[(١)] وسفت التراب في وجوههم، وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد، وقطعت الأطناب، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وماجت الخيل بعضها في بعض، وقذف في قلوبهم الرعب، وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم، فقال طليحة بن خويلد الأسدي: أما محمد فقد بدأكم بالسحر، فالنجاء النجاء، فانهزموا من غير قتال، وحين سمع رسول الله ـ ﷺ ـ بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة، أشار عليه بذلك سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ، ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام[(٢)] واشتدّ الخوف، وظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر أن نذهب إلى الغائط. وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان، وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن، وعامر بن الطفيل في هوازن، وضامتهم اليهود من قريظة والنضير، ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة، حتى أنزل الله النصر (١١٨٣) .﴿تَعۡمَلُونَ﴾ قرئ بالتاء والياء ﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ من أعلى الوادي من قبل المشرق: بنو غطفان ﴿وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ من أسفل

١١٨٢ ـ تقدم تخريجه في سورة البقرة.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.
١١٨٣ ـ أخرجه ابن إسحاق في «سيرته» (١٣٤٨ ـ سيرة ابن هشام) وذكره ابن هشام في سيرته (٣/ ١٩٧) من قول ابن إسحاق.
=

---

(١) قوله «فأخصرتهم» في الصحاح «الخصر» بالتحريك: البرد. وقد خصر الرجل: إذا آلمه البرد في أطرافه اهـ. فأخصرتهم: أوقعتهم في الخصر أي البرد. (ع)
(٢) قوله «فرفعوا في الآطام» أي الحصون، وهو جمع أطم كعنق. (ع)

الوادي من قبل المغرب: قريش تحزبوا وقالوا: سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمداً ﴿زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا. وقيل: عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوّها لشدة الروع. الحنجرة: رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم. والحلقوم: مدخل الطعام والشراب، قالوا: إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الغمّ الشديد: ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة، ومن ثمة قيل للجبان: انتفخ سحره. ويجوز أن يكون ذلك مثلاً في اضطراب القلوب ووجيبها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ خطاب للذين آمنوا. ومنهم الثبت القلوب والأقدام، والضعاف القلوب: الذين هم على حرف، والمنافقون: الذين لم يوجد منهم الإيمان إلا بألسنتهم فظن الأولون بالله أنه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال، وأمّا الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم. وعن الحسن: ظنوا ظنوناً مختلفة: ظن المنافقون أنّ المسلمين يستأصلون، وظنّ المؤمنون أنهم يبتلون. وقرئ: الظنون، بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس، وبزيادة ألف في الوقف زادوها في الفاصلة؛ كما زادها في القافية من قال [من الوافر]:

أَقِلِّـي الـلَّـوْمَ عَـاذِلَ وَالْـعِـتَـابَـا ....(1)

= وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٥٦٥) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة عن عبد الله بن أبي بكر ومحمد بن كعب وغيرهم من علمائنا فذكره.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه ابن إسحاق في المغازي ومن طريقه الطبري عن يزيد بن رومان عن عروة عن عبد الله بن أبي بكر ومحمد بن كعب وغيرهم من علمائنا فذكر القصة بطولها وأتم مما ههنا وهو في السيرة لابن هشام من قول إسحاق. انتهى.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن إسحاق في المغازي. ومن طريقه الطبري عن زيد بن رومان عن عروة عن عبد الله بن أبي بكر ومحمد بن كعب وغيرهم من علمائنا، فذكر القصة بطولها وأتم مما ههنا. وهو في السيرة لابن هشام من قول إسحاق. انتهى.

---

(١) أقلي اللوم عاذل والعتابا   وقولي إن أصبت: لقد أصابا
إذا غضبت علي بنو تميم   وجدت الناس كلهم غضابا

لجرير، وزاد الألف في القافية للإطلاق، وبنو تميم ينشدون مثل ذلك بتنوين الترنم بدل حرف الإطلاق. قال الزمخشري: إذا وصل المنشد ولم يقف، وظاهر كلام النحويين: أنه إنما يجيء في الوقف. وعاذل: منادي، مرخم عاذله. يقول: اتركي ملامي وعتابي، وإن فعلت صوابا فاعترفي به، ويروى بكسر التاء، فالمعنى: أن لومك خطأ فإذا أردت الصواب فقولي: لقد أصاب، وجعل غضب بني تميم غضب كل الناس؛ لأن ما عداهم تبع، أو كالمعدوم. ويروى: إذا غضبت عليك، والخطاب لكل سامع.
ينظر: ديوانه ص ٨١٣، وخزانة الأدب ١/ ٦٩، ٣٣٨، ٣/ ١٥١، والخصائص ٢/ ٦، والدرر ٥/ ١٧٦، ٦/ ٢٣٣، ٣٠٩، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٤٩، وسر صناعة الإعراب ص ٤٧١، ٤٧٩، =

وكذلك الرسولا والسبيلا. وقرئ: بزيادتها في الوصل أيضاً، إجراء له مجرى الوقف. قال أبو عبيد: وهنّ كلهنّ في الإمام بألف. وعن أبي عمرو إشمام زاي زلزلوا. وقرئ زلزالا بالفتح. والمعنى: أنّ الخوف أزعجهم أشد الإزعاج.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾

﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ قيل قائله معتب بن قشير حين رأى الأحزاب قال: يعدنا محمد فتح فارس والروم، وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقاً[1]، ما هذا إلا وعد غرور ﴿طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ هم أوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه. وعن السدي: عبد الله بن أبيّ وأصحابه. ويثرب: اسم المدينة. وقيل: أرض وقعت المدينة في ناحية منها ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ قرئ بضم الميم وفتحها، أي لا قرار لكم ههنا، ولا مكان تقيمون فيه أو تقومون ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى المدينة: أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله ـ ﷺ ـ، وقيل: قالوا لهم: ارجعوا كفاراً وأسلموا محمداً، وإلا فليست يثرب لكم بمكان. قرئ: عورة، بسكون الواو وكسرها، فالعورة: الخلل، والعورة: ذات العورة، يقال: عور المكان عوراً إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق. ويجوز أن تكون (عورة) تخفيف: عورة، اعتذروا /٢/ ١٠٠أ أنّ بيوتهم معرّضة للعدو ممكنة للسراق، لأنها غير محرزة ولا محصنة، فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا ليه، فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك، وإنما يريدون الفرار ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ المدينة. وقيل: بيوتهم، من قولك: دخلت على فلان داره ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ من جوانبها، يريد: ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفاً منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها. وانثالت[2] على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين، ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾

= ٤٨٠، ٤٨١، ٤٩٣، ٥٠١، ٥٠٣، ٥١٣، ٦٧٧، ٧٢٦، وشرح الأشموني ١/ ١٢، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٦٢، وشرح المفصل ٩/ ٢٩، والكتاب ٤/ ٢٠٥، ٢٠٨، والمقاصد النحوية ١/ ٩١، وهمع الهوامع ٢/ ٨٠، ٢١٢، وبلا نسبة في الإنصاف ص ٦٥٥، وجواهر الأدب ص ١٣٩، ١٤١، وأوضح المسالك ١/ ١٦، وخزانة الأدب ٧/ ٤٣٢، ١١/ ٣٧٤، ورصف المباني ص ٢٩، ٣٥٣، وشرح ابن عقيل ص ١٧، وشرح عمدة الحافظ ص ٩٨، وشرح المفصل ٤/ ١٥، ١٤٥، ٧/ ٩، ولسان العرب (خنا)، والمنصف ١/ ٢٢٤، ٢/ ٧٠، ونوادر أبي زيد ص ١٢٧.

(١) قوله «فرقا» أي خوفا. (ع)

(٢) قوله «وانثالت» في الصحاح: انثال عليه الناس من كل وجه، أي: انصبوا. (ع)

أي الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين، لأتوها: لجاؤها وفعلوها. وقرئ: لآتوها: لأعطوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ﴾ وما ألبثوا إعطاءها ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف. أو وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيراً، فإن الله يهلكهم. والمعنى: أنهم يتعللون بإعوار بيوتهم، ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله - ﷺ - والمؤمنين، وعن مصافة الأحزاب الذين ملؤهم هولاً ورعباً؛ وهؤلاء الأحزاب كما هم لو كبسوا[1] عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين، لسارعوا إليه وما تعللوا بشيء، وما ذاك إلا لمقتهم الإسلام. وشدة بغضهم لأهله، وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه.

﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾

عن ابن عباس: عاهدوا رسول الله - ﷺ - ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم. وقيل: هم قوم غابوا عن بدر فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلنّ. وعن محمد بن إسحاق عاهدوا يوم أحد أن لا يفرّوا بعدما نزل فيهم ما نزل ﴿مَسْـُٔولًا﴾ مطلوباً مقتضى حتى يوفي به ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ﴾ مما لا بدّ لكم من نزوله بكم من حتف أنف أو قتل. وإن نفعكم الفرار مثلاً فمنعتم بالتأخير: لم يكن ذلك التمتيع إلا زماناً قليلاً. وعن بعض المروانية: أنه مرّ بحائط مائل فأسرع، فتليت له هذه الآية فقال: ذلك القليل نطلب.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

فإن قلت: كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة إلا من السوء؟ قلت: معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة، فاختصر الكلام وأجرى مجرى قوله [من مجزوء الكامل]:

. . . . مُـتَـقَـلِّـداً سَـيْـفـاً وَرُمْـحـاً[2]

---

(١) قوله «لو كبسوا» في الصحاح: كبسوا دار فلان: أغاروا عليها فجأة. (ع)

(٢) ورأيت زوجك في الوغى ... متقلداً سيفاً ورمحا

الوغى: الحرب. ورمحا: نصب بمحذوف يناسبه، أي: متقلداً سيفاً وحاملاً رمحا. وروي بدل الشطر الأول: «يا ليت زوجك قد غدا» أي: ذهب إلى الحرب غدوة لابساً سلاحه.

وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/١٠٨، ٦/٢٣٨، وأمالي المرتضى ١/٥٤، والإنصاف ٢/ =

أو حمل الثاني على الأوّل لما في العصمة من معنى المنع.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ المثبطين عن رسول الله ـ ﷺ ـ وهم المنافقون: كانوا يقولون ﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ من ساكني المدينة من أنصار رسول الله ـ ﷺ ـ: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس[1]، ولو كانوا لحماً لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، فخلوهم و﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أي قربوا أنفسكم إلينا. وهي لغة أهل الحجاز: يسوّون فيه بين الواحد والجماعة. وأمّا تميم فيقولون: هلمّ يا رجل، وهلموا يا رجال، وهو صوت سمي به فعل متعدّ مثل احضر وقرب (قل هلمّ شهداءكم) ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا إتياناً قليلاً يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم، ولا نراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئاً قليلاً إذا اضطرّوا إليه، كقوله: ﴿مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾. ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ في وقت الحرب أضناء بكم، يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذراً وخوراً ولواذاً بك، فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة: نقلوا ذلك الشحّ وتلك الضنة والرفرفة عليكم إلى الخير ـ وهو المال والغنيمة ـ ونسوا تلك الحالة الأولى، واجترؤوا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا: وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم، وبمكاننا غلبتم عدوّكم وبنا نصرتم عليه. ونصب ﴿أَشِحَّةً﴾ على الحال أو على الذمّ. وقرئ: أشحة، بالرفع. وصلقوكم بالصاد. فإن قلت: هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الإحباط؟ قلت: لا ولكنه تعلم لمن عسى يظن أنّ الإيمان باللسان إيمان وإن لم يوطئه القلب، وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يجدي

= ٦١٢، وخزانة الأدب ٢/ ٢٣١، ٣/ ١٤٢، ٩/ ١٤٢، والخصائص ٢/ ٤٣١، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٨٢، وشرح المفصل ٢/ ٥٠، ولسان العرب (رغب)، (زجج)، (مسح)، (قلد)، (جدع)، (جمع)، (هدى)، والمقتضب ٢/ ٥١.

(١) قوله «ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس» أي قليلون يشبعهم رأس واحد، وهو جمع آكل، والالتهام: الابتلاع، كذا في الصحاح. (ع)

عليه، فبين أنّ إيمانه ليس بإيمان، وأنّ كل عمل يوجد منه باطل. وفيه بعث على إتقان المكلف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح، وتنبيه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس، وأنها مما يذهب عند الله هباء منثوراً. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ وكل شيء عليه يسير؟ قلت: معناه: أن أعمالهم حقيقة بالإحباط، تدعو إليه الدواعي، ولا يصرف عنه/ ٢/ ١٠٠ب صارف ﴿يَحْسَبُونَ﴾ أنّ الأحزاب لم ينهزموا، وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق إلى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ كرّة ثانية، تمنوا لخوفهم مما منوا[١] به هذه الكرّة أنهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى عليكم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم﴾ ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ـ ولم يقاتلوا إلا تعلة[٢] رياء وسمعة. وقرئ: بدّي، على فعَّل جمع باد كغاز وغزّي. وفي رواية صاحب الإقليد: بديّ، بوزن عديّ. ويساءلون، أي: يتساءلون. ومعناه: يقول بعضهم لبعض: ماذا سمعت؟ ماذا بلغك؟ أو يتساءلون الأعراب كما تقول: رأيت الهلال وتراءيناه: كان عليكم أن تواسوا رسول الله ـ ﷺ ـ بأنفسكم فتوازروه وتثبتوا معه، كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب[٣]، حتى كسرت رباعيته يوم أحد وشجّ وجهه.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾

فإن قلت: فما حقيقة قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وقرئ: أسوة[٤]، بالضم؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أنه في نفسه أسوة حسنة، أي: قدوة، وهو الموتسى، أي: المقتدى به، كما تقول: في البيضة عشرون منا حديد، أي: هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد. والثاني: أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع. وهي المواساة بنفسه ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بدل من لكم، كقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥] يرجو الله واليوم الآخر: من قولك رجوت زيدا وفضله، أي: فضل زيد. أو يرجو أيام الله. واليوم الآخر خصوصاً. والرجاء بمعنى الأمل أو الخوف ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ

---

(١) قوله «مما منوا به» أي ابتلوا به. (ع)

(٢) قوله «إلا تعلة» في الصحاح: علله بالشيء، أي: لهاه به، كما يعلل الصبي بشيء من الطعام يتجزأ به عن اللبن. يقال: فلان يعلل نفسه بتعلة. (ع)

(٣) قوله «في مرحى الحرب» أي مكان إدارة رحاها. أفاده الصحاح. (ع)

(٤) قوله «وقرىء أسوة بالضم» يفيد أن قراءة الكسر هي المشهورة. (ع)

﴿كَثِيرًا﴾ وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الأعمال الصالحة، والمؤتسى برسول الله ـ ﷺ ـ: من كان كذلك.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤] فلما جاء الأحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ وأيقنوا بالجنة والنصر. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قال قال النبي ﷺ لأصحابه: إن الأحزاب سائرون إليكم تسعاً أو عشراً، أي: في أخر تسع ليال أو عشر، فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك (١١٨٤). وهذا إشارة إلى الخطب أو البلاء ﴿إِيمَٰنًا﴾ بالله وبمواعيده ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لقضاياه وأقداره.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله ـ ﷺ ـ ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا، وهم: عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. وحمزة، ومصعب بن عمير، وغيرهم، ـ رضي الله عنهم ـ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ يعني حمزة ومصعباً ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ يعني عثمان وطلحة. وفي الحديث: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة» (١١٨٥)، فإن قلت: ما قضاء

١١٨٤ ـ بيض له الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ١٠٠).
وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: لم أجده. انتهى.

١١٨٥ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٦٤٤) ـ كتاب المناقب (٥٠) ـ باب مناقب طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ (٣٧٣٩) من طريق صالح بن موسى الطَّلْحِيُّ من ولد طلحة بن عبيد الله عن الصلت بن دينار عن أبي نضرة قال: قال جابر بن عبد الله سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «من سره أن ينظر إلى =

النحب؟ قلت: وقع عبارة عن الموت؛ لأنّ كل حيّ لا بدّ له من أن يموت. فكأنه نذرٌ لازم في رقبته، فإذا مات فقد قضى نحبه، أي: نذره. وقوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ يحتمل موته شهيداً، ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله ـ ﷺ ـ. فإن قلت: فما حقيقة قوله: ﴿صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾؟ قلت: يقال: صدقني أخوك وكذبني، إذا قال لك الصدق والكذب. وأمّا المثل: صدقني سنّ بكره. فمعناه: صدقني في سن بكره، بطرح الجار وإيصال الفعل، فلا يخلو ﴿مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ إما أن يكون بمنزلة السنّ في طرح الجار، وإمّا أن يجعل المعاهد عليه مصدوقاً على المجاز، كأنهم قالوا للمعاهد عليه: سنفي بك، وهم وافون به فقد صدقوه، ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوباً ﴿وَمَا بَدَّلُواْ﴾ العهد ولا غيروه، لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة، ولقد ثبت طلحة مع رسول الله ـ ﷺ ـ يوم أحد حتى أصيبت يده، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أوجب طلحة» (١١٨٦) وفيه تعريض بمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلوب: جعل المنافقون، كأنهم

= شهيد...» فذكره.

وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الصلت وقد تكلم بعض أهل العلم في الصلت بن دينار وفي صالح بن موسى من قبل حفظهما.

قلت: وتابع صالح بن موسى مسلم بن إبراهيم عند البغوي في تفسيره (٣/ ٥٢٠)، ووكيع عند ابن ماجه في سننه (١/ ٤٦) ـ المقدمة ـ فضل طلحة بن عبيد الله (١٢٥) بلفظ: «شهيد يمشي على وجه الأرض».

وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ١٤٦) (٢٥٤٧) حدثنا الصلت بن دينار به لكن: الصلت بن دينار الأزدي أبو شعيب المجنون متروك كما في التقريب (١/ ٣٦٩) وله طريق آخر عند الطبراني في معجمه الكبير (١/ ١١٧) (٢١٥) من طريق سليمان بن أيوب حدثني أبي عن جدي عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: كان النبي ـ ﷺ ـ إذا رآني قال: «من أحب أن ينظر...».

وهذا سند ضعيف فإن سليمان بن أيوب صاحب مناكير ولا يتابع على أحاديثه كما قال ابن مهدي.

وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٤٩) «رواه الطبراني، وفيه سليمان بن أيوب الطلحي وقد وثق وضعفه جماعة، وفيه جماعة لم أعرفهم.

قلت: وللحديث شواهد يرتقي بها إلى الصحة.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم من طريق الصلت بن دينار عن أبي نصرة عن جابر. والصلت ضعيف وله طريق أخرى عند الطبراني من طريق أولاد طلحة عن طلحة. انتهى.

١١٨٦ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ١٠١) لم يرو هكذا بهذا اللفظ إلا الثعلبي: أخبرنا عبد الله بن حامد ثنا أحمد بن محمد بن شاذان ثنا جيعونة بن محمد الترمذي ثنا صالح بن محمد بن سليمان بن حرب عن جرير عن عروة عن عائشة في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ قالت: منهم طلحة بن عبيد الله ثبت مع رسول الله ـ ﷺ ـ... إلى آخره. اهـ.

وقد روي هذا الحديث مفرقاً. فقوله ـ ﷺ ـ: أوجب طلحة.

أخرجه الترمذي (٤/ ٢٠١) كتاب الجهاد باب ما جاء في الدرع حديث (١٦٩٢) وفي (٥/ ٦٤٣) =

قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم، كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لأنّ كلا الفريقين مسوق إلى عاقبته من الثواب والعقاب، فكأنهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلهما. ويعذبهم ﴿إِن شَآءَ﴾ إذا لم يتوبوا ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إذا تابوا ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ مغيظين، كقوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]. ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾ غير ظافرين، وهما حالان بتداخل أو تعاقب/٢/١٠١أ. ويجوز أن تكون الثانية بياناً للأولى أو استئنافاً ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ﴾ ظاهروا الأحزاب من أهل الكتاب ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ من حصونهم، والصيصية ما تحصن به، يقال لقرن الثور والظبي: صيصية، ولشوكة الديك، وهي مخلبه التي في ساقه، لأنه يتحصن بها. روي أنّ جبريل عليه السلام أتى رسول الله ـ ﷺ ـ صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم ـ على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: من متابعة قريش: فجعل رسول الله ـ ﷺ ـ يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن السرج، فقال: يا رسول الله، إن

= ـ ٦٤٤) كتاب المناقب: باب مناقب طلحة حديث (٣٧٣٨) وأحمد (١/ ١٦٥) وابن حبان (٢٢١٢ ـ موارد) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٥٥) وابن أبي شيبة (١٢/ ٩١) رقم (١٢٢٠٩) والحاكم (٣/ ٢٥) كلهم من طريق محمد بن إسحاق ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن أبيه به.

وقال الترمذي في الموضع الأول: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق.
وقال في الموضع الآخر: حديث حسن غريب صحيح. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وصححه ابن حبان. وابن إسحاق مدلس وقد صرح بالتحديث فزالت شبهة تدليسه.
وينظر سيرة ابن هشام (٢/ ٨٦) أما كونه أصيبت يده.
فأخرجه البخاري (٨/ ١٠٥) كتاب المغازي باب إذ همت طائفتان حديث (٤٠٦٣) عن قيس قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ـ ﷺ ـ يوم أحد.
وللحديث طريق آخر:
أخرجه النسائي (٦/ ٢٩ ـ ٣٠) كتاب الجهاد باب ما يقول من يطعنه العدو حديث (٣١٤٩) من طريق عمارة بن غزية عن أبي الزبير عن جابر فذكر حديثاً وفيه فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه...
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه الثعلبي من رواية جرير بن حازم عن عروة في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ـ الآية. منهم طلحة بن عبيد الله وقد روي مفرقاً من غير هذا الوجه فقضيته أن يده أصيبت أخرجها البخاري من رواية قيس بن أبي حازم «رأيت يد طلحة شلاء وقى بها رسول الله ـ ﷺ ـ يوم أحد» والنسائي من طريق عمارة بن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال: لما كان يوم أحد كان رسول الله ـ ﷺ ـ في ناحية في اثني عشر رجلاً من الأنصار فذكر القصة مطولة.

الملائكة لم تضع السلاح، إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم، فإن الله داقهم دق البيض على الصفا، وإنهم لكم طعمة فأذن في الناس: أن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة، فما صلى كثير من الناس العصر إلا بعد العشاء الآخرة، لقول رسول الله ـ ﷺ ـ، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ: تنزلون على حكمي؟ فأبوا، فقال: على حكم سعد بن معاذ؟ فرضوا به، فقال سعد: حكمت فيهم أن تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم، فكبر النبي ﷺ وقال: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»[1] ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقاً، وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير[2] (١١٨٧). وقرئ: الرعب، بسكون العين وضمها، وتأسرون، بضم السين. وروي أن النبيّ ﷺ جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار، فقالت الأنصار في ذلك، فقال: إنكم في منازلكم، وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أما تخمس كما خمست يوم بدر؟ قال: لا، إنما جعلت هذه لي طعمة دون الناس، قال: رضينا بما صنع الله ورسوله (١١٨٨). ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ عن الحسن ـ رضي الله عنه ـ:

١١٨٧ ـ ذكره ابن هشام في «سيرته» (٣/ ٢٢٧) عن ابن إسحاق من قوله.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: هو في سيرة ابن هشام في غزوة بني قريظة عن ابن إسحاق إلى القدر الأخير فاسنده ابن إسحاق من عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثي قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ فذكره. وروى أبو نعيم في الدلائل من طريق معاذ بن رفاعة عن أبي الزبير عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: لما رابطهم رسول الله ـ ﷺ ـ أتاه جبريل وهو يغسل رأسه. انتهى.

١١٨٨ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ١٠٤) رواه الواقدي في المغازي حدثني معمر عن الزهري عن خارجة بن زيد عن أم العلاء قالت: لما غنم رسول الله ـ ﷺ ـ بني النضير قسم ما أفاء الله عليه فأعطى المهاجرين ولم يعط أحداً من الأنصار من ذلك الفيء شيئا إلا رجلين كانا محتاجين سهل بن حنيف وأبا دجانة.
قال الحافظ: أخرجه الواقدي من رواية حارثة بن زيد عن أم العلاء قالت: «لما غنم رسول الله ـ ﷺ ـ بني النضير ـ الحديث ومن طريق المسور بن رفاعة قال: قال عمن يا رسول الله ألا تخمس ما أصبت من بني النضير؟». انتهى.

---

(١) قوله «من فوق سبعة أرقعة» في الصحاح «الرقيع» سماء الدنيا. وكذلك سائر السموات. وفي الحديث «من فوق سبعة أرقع» على لفظ التذكير، كأنه ذهب إلى السقف. (ع)

(٢) هو في سيرة ابن هشام في غزوة بني قريظة عن ابن إسحاق إلى القدر الأخير فأسنده ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن عبد الرحمن أن عمر بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثي قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره. وروى أبو نعيم في الدلائل من طريق معاذ بن رفاعة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال «لما رابطهم رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يغسل رأسه».

فارس والروم. وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ: كنا نحدث أنها مكة. وعن مقاتل ـ رضي الله عنه ـ: هي خيبر. وعن عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. ومن بدع التفاسير: أنه أراد نساءهم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

أردن شيئاً من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن، فغم ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ فنزلت، فبدأ بعائشة ـ رضي الله عنها ـ وكانت أحبهنّ إليه ـ فخيرها وقرأ عليها القرآن، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فرؤي الفرح في وجه رسول الله ـ ﷺ ـ، ثم اختارت جميعهنّ اختيارها، فشكر لهنّ الله ذلك، فأنزل ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ [الأحزاب: ٥٢] (١١٨٩). روي أنه قال لعائشة: إني ذاكر لك أمراً. ولا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت: أفي هذا أستأمر أبويّ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة (١١٩٠). وروي أنها قالت: لا تخبر أزواجك أني اخترتك، فقال: إنما بعثني الله مبلغاً ولم يبعثني متعنتاً (١١٩١). فإن قلت: ما حكم

١١٨٩ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٨٩) (٢٨٤٦١) حدثنا ابن بشار قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن...
قال الحافظ: أخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة عن الحسن نحو هذا. انتهى.

١١٩٠ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٤٧٣) ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ سورة الأحزاب حديث رقم (٤٧٨٥)، ومسلم (٥/ ٣٣٥) ـ كتاب الطلاق (١٨) ـ باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية (١٤٧٥).
والترمذي (٥/ ٣٥٠) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ سورة الأحزاب (٣٢٠٤) والنسائي (٦/ ٥٥) ـ كتاب النكاح (٢٦) ـ حديث رقم (٣٢٠١). كلهم من طريق الزهري عن أبي سلمة عن عائشة قالت: لما أمر رسول الله ـ ﷺ ـ بتخيير أزواجه بدأ بي...
قال الحافظ: متفق عليه من رواية الزهري عن أبي سلمة عن عائشة وزاد ثم فعل أزواج النبي ـ ﷺ ـ مثل ما فعلت. انتهى.

١١٩١ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٥/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨) كتاب الطلاق (١٨) ـ باب بيان أن تخيير امرأته لا يعد طلاقاً (٤) ـ (١٤٧٨) من حديث أبي الزبير عن جابر قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ـ ﷺ ـ... وأخرجه أيضاً من حديث عائشة (٥/ ٣٤٦) (١٤٧٥).
قال الحافظ: أخرجه سالم من رواية أبي الزبير عن جابر في قصة التخيير. وفي آخره «وأسألك أن تخير امرأة من نسائك فإنه لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً... وفي الصحيحين من رواية معمر عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله =

التخيير في الطلاق؟ قلت: إذا قال لها اختاري، فقالت: اخترت نفسي. أو قال: اختاري نفسك، فقالت: اخترت، لا بد من ذكر النفس في قول المخير أو المخيرة ـ وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة وأصحابه، واعتبروا أن يكون ذلك في المجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الإعراض، واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود. وعن الحسن وقتادة والزهري ـ رضي الله عنهم ـ: أمرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره، وإذا اختارت زوجها لم يقع شيء بإجماع فقهاء الأمصار. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: خيرنا رسول الله ـ ﷺ ـ فاخترناه ولم يعده طلاقاً (١١٩٢). وروي: أفكان طلاقاً. وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية، وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة. وروي عنه أيضاً أنها إن اختارت زوجها فليس بشيء. أصل تعال: أن يقوله من في المكان المرتفع، لمن في المكان المستوطىء، ثم كثر حتى استوت في استعماله الأمكنة. ومعنى تعالين: أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد أمرين، ولم يرد نهوضهنّ إليه بأنفسهنّ، كما تقول: أقبل يخاصمني، وذهب يكلمني، وقام يهددني. ﴿أُمَتِّعۡكُنَّ﴾ أعطكنّ متعة الطلاق. فإن قلت: المتعة في الطلاق واجبة أم لا؟ قلت: المطلقة/ ٢/ ١٠١ب التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد، متعتها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه، وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري ـ رضي الله عنه ـ: متعتان، إحداهما: يقضي بها السلطان: من طلق قبل أن يفرض ويدخل بها. والثانية: حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل، وخاصمت امرأة إلى شريح في المتعة فقال: متعها إن كنت من المتقين ولم يجبره. وعن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: المتعة حق مفروض. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: لكل مطلقة متعة إلا المختلعة والملاعنة،

= عن ابن عباس فذكر القصة مطولاً. وفي آخره عند مسلم قال معمر فأخبرنا أيوب أن عائشة قالت: لا تخبر نساءك أني اخترتك. قال: إن الله أرسلني مبلغاً ولم يرسلني متعنتاً. انتهى.

١١٩٢ ـ أخرجه البخاري (١٠/ ٤٦١) كتاب الطلاق باب من خير أزواجه حديث (٥٢٦٢)، (٥٢٦٣) ومسلم (٢/ ١١٠٣ ـ ١١٠٤) كتاب الطلاق: باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً حديث (٢٤ ـ ٢٨/ ١٤٧٧) وأبو داود (٢/ ٢٦٢) كتاب الطلاق: باب في الخيار حديث (٢٢٠٣) والنسائي (٦/ ١٦١) كتاب الطلاق: باب في المخيرة تختار زوجها، والترمذي (٣/ ٤٧٤) كتاب الطلاق: باب ما جاء في الخيار حديث (١١٧٩) وابن ماجه (١/ ٦٦١) كتاب الطلاق: باب الرجل يخير امرأته حديث (٢٠٥٢) وأحمد (٦/ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ١٧٣ ـ ٢٣٩) والطيالسي (١/ ٣١٤ ـ منحة) رقم (١٦١١) والدارمي (٢/ ١٦٢) وأبو يعلى (٤٣٧١) وابن حبان (٤٢٧٤) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٨٢) والبيهقي (٧/ ٣٤٥) كتاب الخلع والطلاق باب ما جاء في التخيير، كلهم من حديث عائشة. وقال الترمذي: حسن صحيح.
قال الحافظ: متفق عليه باللفظين. انتهى.

والمتعة: درع وخمار وملحفة على حسب السعة والإقتار، إلا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك، فيجب لها الأقل منهما، ولا تنقص من خمسة دراهم؛ لأن أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها. فإن قلت: ما وجه قراءة من قرأ: أمتعكنّ وأسرحكنّ بالرفع؟ قلت: وجهه الاستئناف ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ من غير ضرار طلاقاً بالسنة ﴿مِنكُنَّ﴾ للبيان لا للتبعيض.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

الفاحشة: السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة. والمبينة: الظاهرة فحشها، والمراد كل ما اقترفن من الكبائر. وقيل: هي عصيانهن رسول الله ـ ﷺ ـ ونشوزهنّ، وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله. وقيل: الزنا، والله عاصم رسوله من ذلك، كما مرّ في حديث الإفك، وإنما ضوعف عذابهنّ لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهنّ وأقبح؛ لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي، وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ﷺ ولا على أحد منهنّ مثل ما لله عليهن من النعمة، والجزاء يتبع الفعل، وكون الجزاء عقاباً يتبع كون الفعل قبيحاً، فمتى ازداد قبحا. ازداد عقابه شدّة، ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم: أشدّ منه للعاصي الجاهل؛ لأن المعصية من العالم أقبح، ولذلك فضل حدّ الأحرار على حد العبيد، حتى أن أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ إيذان بأن كونهن نساء النبي ﷺ ليس بمغن عنهن شيئاً، وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب، فكان داعياً إلى تشديد الأمر عليهنّ غير صارف عنه. قرئ: يأت، بالتاء والياء. مبينة: بفتح الياء وكسرها، من بين معنى تبين. يضاعف، ويضعف: على البناء للمفعول. ويضاعف، ونضعف: بالياء والنون. وقرئ: تقنت، وتعمل: بالتاء والياء. ونؤتها: بالياء والنون. والقنوت: الطاعة، وإنما ضوعف أجرهنّ لطلبهنّ رضا رسول الله ـ ﷺ ـ بحسن الخلق، وطيب المعاشرة والقناعة، وتوفرهنّ على عبادة الله والتقوى.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾

أحد في الأصل بمعنى وحد، وهو الواحد، ثم وضع في النفي العام مستويا فيه

المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه. ومعنى قوله: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء، أي: إذا تقصيت أمة النساء جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة، ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾[1] [النساء: ١٥٢] يريد بين جماعة واحدة منهم، تسوية بين جميعهم في أنهم على الحق المبين ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ إن أردتن التقوى، وإن كنتن[2] متقيات ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ فلا تجبن بقولكن خاضعاً، أي: ليناً خنثا مثل كلام المريبات والمومسات ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي ريبة وفجور. وقرئ بالجزم، عطفاً على محل فعل النهي، على أنهن نهين عن الخضوع بالقول. ونهى المريض القلب عن الطمع، كأنه قيل: لا تخضعن فلا يطمع. وعن ابن محيصن أنه قرأ بكسر الميم، وسبيله ضم الياء مع كسرها وإسناد الفعل إلى ضمير القول، أي: فيطمع القول المريب ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ بعيداً من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنث، أو قولاً حسناً مع كونه خشناً.

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَقَرْنَ﴾ بكسر القاف، ومن قر يقر وقاراً. أو من قرّ يقرّ، حذفت الأولى من رائي: أقررن، ونقلت كسرتها إلى القاف، كما تقول: ظلن، وقرن: بفتحها، وأصله: أقررن، فحذفت الراء وألقيت فتحتها على ما قبلها، كقولك: ظلن، وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان: وجهاً آخر، قال: قار يقار: إذا اجتمع. ومنه: القارة، لاجتماعها، ألا ترى إلى قول عضل والديش[3]: اجتمعوا فكونوا قارة. و﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ هي القديمة التي

---

(١) قال محمود: «معناه لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء، أي: إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة، ومثله: ولم يفرقوا بين أحد منهم» قال أحمد: إنما بعثه على جعل التفضيل بين نساء النبي عليه الصلاة والسلام وبين جماعات النساء لا آحادهن: أن يطابق بين المتفاضلين؛ لأن الأول جماعة، وقد كان مستغنيا عن ذلك بحمل الكلام على واحدة. ويكون المعنى أبلغ، والتقدير: ليست واحدة منكن كأحد من النساء، أي: كواحدة من النساء، ويلزم من تفضيل كل واحدة منهن على كل واحدة من آحاد النساء تفضيل جماعتهن على كل جماعة، ولا يلزم ذلك في العكس، فتأمله والله أعلم وجاء التفضيل ههنا كمجيئه في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وقوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ في تقديم الأفضل عن التفضيل، وقد مضت في ذلك نكتة حسنة، والله الموفق.

(٢) قوله «وإن كنتن متقيات» لعله «أو إن» كعبارة النسفي. (ع)

(٣) قوله «إلى قول عضل والديش» في الصحاح «عضل»: قبيلة، وهو عضل بن الهون بن خزيمة أخو =

يقال لها الجاهلية الجهلاء، وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام: كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال، وقيل/ ٢/ ١٠٢أ: ما بين آدم ونوح. وقيل: بين إدريس ونوح. وقيل: زمن داود وسليمان، والجاهلية الأخرى: ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى: جاهلية الكفر قبل الإسلام. والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام، فكأن المعنى: ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الإسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر. ويعضده ما روي: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال لأبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: «إن فيك جاهلية» قال: جاهلية كفر أم إسلام؟ فقال: «بل جاهلية كفر» (١١٩٣) أمرهن أمراً خاصاً بالصلاة والزكاة، ثم جاء به عامًّا في جميع الطاعات؛ لأن هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات: من اعتنى بهما حق اعتنائه جرّتاه إلى ما وراءهما، ثم بين أنه إنما نهاهن وأمرهن ووعظهن، لئلا يقارف أهل بيت رسول الله ـ ﷺ ـ المآثم، وليتصوّنوا عنها بالتقوى. واستعار للذنوب: الرجس، وللتقوى: الطهر؛ لأنّ عرض المقترف للمقبحات يتلوّث بها ويتدنس، كما يتلوث بدنه بالأرجاس. وأما المحسنات، فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر. وفي هذه الاستعارة ما ينفر أولي الألباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه، ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به. و﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصب على النداء، أو على المدح. وفي هذا دليل بين على أنّ نساء النبي ﷺ من أهل بيته.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

ثم ذكرهن أنّ بيوتهن مهابط الوحي، وأمرهن أن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين: هو آيات بينات تدل على صدق النبوّة؛ لأنه معجزة بنظمه. وهو حكمة

١١٩٣ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ١٠٧) غريب.
وقال الحافظ: لم أجده عن أبي الدرداء.
قلت: الثابت أنه ـ ﷺ ـ قال ذلك لأبي ذر.
أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٦) كتاب العتق باب قول النبي ـ ﷺ ـ «العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون» حديث (٢٥٤٥).
قال ابن حجر: لم أجده عن أبي الدرداء وإنما هو في الصحيحين عن أبي ذر ولم يقل جاهلية كفر. . . إلى آخره. انتهى.

= الديش، وهما القارة. وفيه أيضاً «الديش بن الهون بن خزيمة» وربما قالوه بفتح الدال، وهو أحد القارة، والآخر عضل بن الهون، يقال لهما جميعاً: القارة. (ع)

وعلوم وشرائع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فأنزله عليكم. أو علم من يصلح لبنوّته ومن يصلح لأن يكونوا أهل بيته. أو حيث جعل الكلام الواحد جامعاً بين الغرضين.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

يروى أنّ أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله، ذكر الله الرجال في القرآن بخير، أفما فينا خير نذكر به؟ إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة (١١٩٤). وقيل: السائلة أم سلمة (١١٩٥).

١١٩٤ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣٣٠) كتاب التفسير: باب سورة الأحزاب حديث (٣٢١١) من طريق حصين عن عكرمة عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ـ ﷺ ـ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء. فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وإنما يعرف هذا الحديث من هذا الوجه.
والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٩) وزاد نسبته إلى الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد والطبراني وابن مردويه.
وللحديث شاهد من حديث ابن عباس.
أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٠) والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٠٨) رقم (١٢٦١٤) من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال: قالت النساء يا رسول الله ما بال يذكر المؤمنون ولم يذكر المؤمنات فنزل ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ وقال الهيثمي (٧/ ٩١) وفيه قابوس وهو ضعيف وقد وثق. وحسنه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٩) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.
قال الحافظ: أخرجه الطبراني وابن مردويه من رواية ابن ظبيان عن ابن عباس: قال النساء يا رسول الله ما لنا لا نذكر في القرآن. . . الحديث. انتهى.

١١٩٥ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٠) والثوري في «تفسيره» (ص ٢٤١ ـ ٢٤٢) كلاهما من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة به.
وأخرجه أحمد (٦/ ٣٠١) والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٢٩٨) رقم (٦٦٥) من طريق عبد الله بن رافع عن أم سلمة وأخرجه أحمد (٦/ ٣٠٥) والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٤٣١) كتاب التفسير: باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ حديث (١١٤٠٥) والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٢٩٤) رقم (٦٥٠) من طريق عثمان بن حكيم ثنا عبد الرحمن بن شيبة عن أم سلمة به والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٩) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه والفريابي وابن سعد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه النسائي من رواية شريك عن محمد بن عمر عن أبي =

وروي أنه لما نزل في نساء النبيّ ﷺ ما نزل، قال نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء (١١٩٦)؟ فنزلت. والمسلم: الداخل في السلم بعد الحرب، المنقاد الذي لا يعاند، أو المفوّض أمره إلى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه إلى الله. والمؤمن: المصدق بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به. والقانت: القائم بالطاعة الدائم عليها. والصادق: الذي يصدق في نيته وقوله وعمله. والصابر: الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي. والخاشع: المتواضع لله بقلبه وجوارحه. وقيل: الذي إذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله. والمتصدق: الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل. وقيل: من تصدّق في أسبوع بدرهم فهو من المتصدّقين. ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين. والذاكر الله كثيراً: من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما. وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر. وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات» (١١٩٧). والمعنى: والحافظاتها والذاكراته، فحذف؛ لأنّ الظاهر يدل عليه. فإن قلت: أي فرق بين العطفين، أعني عطف الإناث على الذكور، وعطف الزوجين على الزوجين؟ قلت: العطف الأوّل نحو قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾

= سلمة عن أم سلمة قالت: يا رسول الله مالي أسمع الرجال يذكرون فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ الآية وأخرجه الطبراني والطبري من وجه آخر عن محمد بن عمر ورواه أحمد وابن راهويه والنسائي من رواية عثمان بن حكيم عن عبد الرحمن بن شيبة عن أم سلمة وأخرجه الحاكم من طريق مجاهد عن أم سلمة وروى الترمذي عن أم عمارة نحوه. انتهى.

١١٩٦ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٠) من طريق سعيد عن قتادة فذكره. ورواه ابن سعد عن الواقدي عن معمر عن قتادة نحوه كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٣/ ١٠٨). وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة قال: دخل نساء من المؤمنات على نساء النبي ـ ﷺ ـ فقلن: قد ذكرنا الله في القرآن. . . الحديث» وأخرجه ابن سعد عن الواقدي عن معمر عن قتادة. انتهى.

١١٩٧ ـ أخرجه أبو داود (٢/ ٣٣) كتاب الصلاة: باب قيام الليل حديث (١٣٠٩) وفي (٢/ ٧٠) كتاب الصلاة: باب الحث على قيام الليل (١٤٥١) والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٤٣٢) كتاب التفسير: باب قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ حديث (١١٤٠٦) وابن ماجه (١/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤) كتاب الصلاة باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل حديث (١٣٣٥) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٨٨) وابن حبان (٦٤٥ ـ موارد) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٥٠١) كتاب الصلاة: باب الترغيب في قيام الليل كلهم من طريق علي بن الأقمر عن الأغر عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا فذكراه مرفوعاً إلى النبي ـ ﷺ ـ والحديث صححه ابن حبان والحاكم (٢/ ٤١٦) على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ١٠٩).
قال النووي في الخلاصة إسناده صحيح
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أصحاب السنن إلا الترمذي من رواية الأغر عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً. انتهى.

[التحريم: ٥] في أنهما جنسان مختلفان، إذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما. وأما العاطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع، فكأن معناه: إنّ الجامعين والجامعت لهذه الطاعات ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾

خطب رسول الله ـ ﷺ ـ زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة، فأبت وأبى أخوها عبد الله، فنزلت، فقال: رضينا يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها ستين درهماً وخماراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر (١١٩٨). وقيل: هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أوّل من هاجر من النساء، وهبت نفسها للنبيّ ﷺ فقال: قد قبلت، وزوّجها زيداً. فسخطت هي وأخوها وقالا: إنما أردنا رسول الله ـ ﷺ ـ /٢/١٠٢ب، فزوّجنا عبده (١١٩٩).

١١٩٨ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/١٠٩) غريب بهذا اللفظ.
وأخرج الدارقطني (٣/٣٠١) والطبراني في «الكبير» (٢٤/٣٩) رقم (١٠٩) من طريق الحسن بن أبي السري العسقلاني ثنى الحسن بن أعين الحراني ثنا حفص بن سليمان عن الكميت بن زيد الأسدي حدثني مذكور مولى زينب بنت جحش عن زينب بنت جحش قالت: خطبني عدة من قريش فأرسلت أختي حمنة إلى رسول الله ـ ﷺ ـ أستشيره، فقال لها: «أين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها؟ قالت: ومن هو يا رسول الله؟ قال: «زيد بن حارثة» وقال: فغضبت حمنة غضباً شديداً، وقالت: يا رسول الله، أتزوج بنت عمتك مولاك؟! قالت: وجاءتني فأعلمتني، فغضبت غضباً أشد من غضبها، وقلت أشد من قولها، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، قالت: فأرسلت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وقلت: إني أستغفر الله وأطيع الله ورسوله، أفعل ما رأيت، فزوجني زيد».
قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/١١٠): والحسين بن أبي السري ضعفه أبو داود وغيره، وحفص بن سليمان الأسدي قال البخاري تركوه.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٥٠) وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه حفص بن سليمان وهو متروك.
قال الحافظ ابن حجر: لم أجده موصولاً. وأوله في الدارقطني من رواية الكميت بن زيد الأسدي الشاعر عن مذكور بن زيد الأسدي مولى زينب بنت جحش عن زينب بنت جحش قالت: خطبني عدة من قريش. فأرسلت أختي حمنة تستشير رسول الله ـ ﷺ ـ فقال لها: أين هي من يعلمها كتاب الله؟ ـ الحديث، وإسناده ضعيف، وليس فيه ذكر مقدار المهر. نعم أخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان مقطوعاً. انتهى.
١١٩٩ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٣٠١) رقم (٢٨٥١٧) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من قوله وذكره الثعلبي من غير سند ولا راو كما في «تخريج الزيلعي» (٣/١١٠).
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي بهذا بغير سند وروى الطبري من رواية عبد الرحمن بن =

والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ أي رسول الله أو لأنّ قضاء رسول الله هو قضاء الله ﴿أَمْرًا﴾ من الأمور: أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا، بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه، واختيارهم تلوا لاختياره. فإن قلت: كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول: ما جاءني من رجل ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا. قلت: نعم ولكنهما وقعا تحت النفي، فعما كل مؤمن ومؤمنة، فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ، وقرئ: يكون، بالتاء والياء. و﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ ما يتخير.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام الذي هو أجل النعم، وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بما وفقك الله فيه، فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله ﷺ، وهو زيد بن حارثة ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ يعني زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ، وذلك أن رسول الله ـ ﷺ ـ أبصرها بعدما أنكحها إياه، فوقعت في نفسه، فقال: سبحان الله مقلب القلوب، وذلك أنّ نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها، ولو أرادتها لاختطبها، وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد، ففطن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله ـ ﷺ ـ فقال لرسول الله ـ ﷺ ـ: إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: مالك: أرابك منها شيء؟ قال: لا والله؛ ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم عليّ لشرفها وتؤذيني، فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، ثم طلقها بعد، فلما اعتدت قال رسول الله ـ ﷺ ـ: ما أجد أحداً أوثق في نفسي منك، اخطب عليّ زينب. قال زيد: فانطلقت فإذا هي تخمر عجينتها، فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، حين علمت أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ ذكرها، فوليتها ظهري وقلت: يا زينب، أبشري إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ يخطبك، ففرحت وقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن (١٢٠٠). ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ فتزوجها

= زيد بن أسلم من قوله ذلك. انتهى.

١٢٠٠ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ١١١) غريب بهذا اللفظ... وذكر الثعلبي في تفسيره الحديث بلفظ المصنف من غير سند .اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: ذكره الثعلبي بغير سند وأخرج الطبري معناه من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قوله، وفي الصحيحين عن أنس قصة زيد وزينب مختصرة، وليس فيه ما في أوله. انتهى.

رسول الله ـ ﷺ ـ ودخل بها، وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها: ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتدّ النهار. فإن قلت: ما أراد بقوله: ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾؟ قلت: أراد: واتق الله فلا تطلقها، وقصد نهي تنزيه لا تحريم، لأن الأولى أن لا يطلق. وقيل: أراد: واتق الله فلاتذمّها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج. فإن قلت: ما الذي أخفى في نفسه؟ قلت: تعلق قلبه بها. وقيل: مودة مفارقة زيد إياها. وقيل: علمه بأن زيداً سيطلقها وسينكحها، لأن الله قد أعلمه بذلك. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: لو كتم رسول الله ـ ﷺ ـ شيئاً مما أوحي إليه لكتم هذه الآية (١٢٠١). فإن قلت: فماذا أراد الله منه أن يقوله حين قال له زيد: أريد مفارقتها، وكان من الهجنة أن يقول له: افعل، فإني أريد نكاحها؟ قلت: كأن الذي أراد منه عز وجل أن يصمت عند ذلك، أو يقول له: أنت أعلم بشأنك. حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته؛ لأن الله يريد من الأنبياء تساوي الظاهر والباطن، والتصلب في الأمور، والتجاوب في الأحوال، والاستمرار على طريقة مستتبة، كما جاء في حديث إرادة رسول الله ـ ﷺ ـ قتل عبد الله بن أبي سرح واعتراض عثمان بشفاعته له: أن عمر قال له: لقد كان عيني إلى عينك، هل تشير إليّ فأقتله، فقال: إن الأنبياء لا تومض[1]، ظاهرهم وباطنهم واحد (١٢٠٢). فإن قلت: كيف عاتبه الله في

١٢٠١ ـ تقدم تخريجه عند حديث ثلاث من تكلم بواحدة منهن. . . الحديث.
قال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ. انتهى.

١٢٠٢ ـ وأخرج البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٦٠) من طريق الحسن بن بشر الكوفي قال: حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس بن مالك قال: فذكر حديثاً طويلاً وفيه قوله ـ ﷺ ـ إنه ليس لنبي أن يومىء.
وللحديث شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة أعين.
أخرجه أبو داود (٢٦٨٣ ـ ٤٣٥٩) والنسائي (٢/ ٧٠) والحاكم (٣/ ٤٥) وأبو يعلى (٧٥٧) من طريق مصعب بن سعد عن أبيه به وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وله شواهد أخرى ينظر لها «تخريج الكشاف» (٣/ ١١٣ ـ ١١٤) للإمام الزيلعي.
قال الحافظ: لم أجده، وفي الدلائل للبيهقي من رواية الحسن بن بشر عن الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «أمن رسول الله ـ ﷺ ـ الناس يوم فتح مكة إلا أربعة من الناس» ـ فذكر الحديث قال: «ونذر رجل من الأنصار أن يقتل عبد الله بن سعد إذا رآه فأتى به عثمان فشفع له، فجعل الأنصاري يتردد ويكره أن يقدم عليه. فبايعه النبي ـ ﷺ ـ ثم قال للأنصاري: قد انتظرتك. قال: يا رسول الله أفلا أومضت إلي؟ قال: إنه ليس للنبي أن يومض»، وأخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة مرسلاً. وروى عبد الرزاق من طريق مقسم مولى ابن عباس قال: «لما كانت المدة بين رسول الله ـ ﷺ ـ وبين قريش ـ فذكر الحديث بطوله وفيه: «وأمن الناس إلا أربعة. وفيه فجاء عثمان بابن أبي سرح. فقال: بايعه يا رسول الله فأعرض عنه، ثم جاء =

---

(١) قوله «لا تومض» في الصحاح: أومضت المرأة، إذا سارقت النظر. (ع)

ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبيّ ﷺ التصريح بشيء إلا والشيء في نفسه مستهجن، وقالة الناس لا تتعلق إلا بما يستقبح في العقول والعادات؟ وما له لم يعاتبه في نفس الأمر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن أن تنازع إلى زينب وتتبعها؟ ولم يعصم نبيه ﷺ عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة؟ قلت: كم من شيء يتحفظ منه الإنسان ويستحي من اطلاع الناس عليه، وهو في نفسه مباح متسع، وحلال مطلق، لا مقال فيه ولا عيب عند الله، وربما كان الدخول في ذلك المباح سلماً إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين ويجل ثوابها، ولو لم يتحفظ منه. لأطلق كثير من الناس فيه ألسنتهم إلا من أوتي فضلاً وعلماً وديناً ونظراً في حقائق الأمور ولبوبها دون قشورها. ألا ترى أنهم كانوا إذا طعموا في بيوت رسول الله - ﷺ - بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحديث، وكان رسول الله - ﷺ - يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم، والحياء يصده أن يأمرهم بالانتشار، حتى نزلت: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ولو أبرز رسول الله - ﷺ - مكنون ضميره وأمرهم أن ينتشروا، لشق عليهم، ولكان بعض المقالة[1]، فهذا من ذاك القبيل، لأن طموح قلب الإنسان إلى بعض مشتهياته من امرأة/ ٢/ ١٠٣أ أو غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع، لأنه ليس بفعل الإنسان ولا وجوده باختياره، وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح أيضاً، وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها، ولا طلب إليه وهو أقرب منه من زرّ قيمصه أنَ يواسيه بمفارقها، مع قوة العلم بأن نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء، بل كانت تجفو عنها، ونفس رسول الله - ﷺ - متعلقة بها، ولم يكن مستنكراً عندهم أن ينزل الرجل عن امرأته لصديقه، ولا مستهجناً إذا نزل عنها أن ينكحها الآخر؛ فإنّ المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الأنصار بكل شيء، حتى إن الرجل منهم إذا كانت له امرأتان نزل عن إحداهما وأنكحها المهاجر، وإذا كان الأمر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرّة بزيد ولا بأحد، بل كان مستجراً مصالح، ناهيك بواحدة منها أن بنت عمة رسول الله - ﷺ -

---

= فبايعه فقال: لقد أعرضت عنه ليقتله بعضكم، فقال رجل من الأنصار: هلا أومضت إلينا يا رسول الله؟ قال: إن النبي لا يومض»، وهذا مرسل أيضاً، وأخرجه أبو داود وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص نحو الأول، ولكن في آخره: «ثم أقبل على أصحابه فقال: أفما كان فيكم رجل رشيد، يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عنه فيقتله؟ قالوا: وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك، هلا أومأت إلينا بعينك؟ قال: لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة الأعين. انتهى.

(١) قوله «ولكان بعض المقالة» لعله: القالة. (ع)

أمنت الأيمة والضيعة ونالت الشرف وعادت أُما من أمّهات المسلمين. إلى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامّة في قوله: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ فبالحري أن يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وأن لا يرضى له إلا اتحاد الضمير والظاهر، والثبات في مواطن الحق، حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وإن كان مراً. فإن قلت: الواو في ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾، ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ﴾ ما هي؟ قلت: واو الحال، أي: تقول لزيد: أمسك عليك زوجك مخفياً في نفسك إرادة أن لا يمسكها[1]، وتخفي خاشياً قالة الناس وتخشى الناس، حقيقاً في ذلك بأن تخشى الله، أو واو العطف، كأنه قيل: وإذ تجمع بين قولك. أمسك، وإخفاء خلافه، وخشية الناس. والله أحق أن تخشاه، حتى لا تفعل مثل ذلك. إذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل: قضى منه وطره. والمعنى: فلما لم يبق لزيد فيها حاجة، وتقاصرت عنها همته، وطابت عنها نفسه، وطلقها، وانقضت عدتها ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ وقراءة أهل البيت: زوّجتكها. وقيل لجعفر بن محمد ـ رضي الله عنهما ـ: أليس تقرأ عليّ غير ذلك، فقال: لا والذي لا إله إلا هو، ما قرأتها على أبي إلا كذلك، ولا قرأها الحسن بن عليّ على أبيه إلا كذلك، ولا قرأها علي بن أبي طالب على النبيّ ﷺ إلا كذلك ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ جملة اعتراضية، يعني: وكان أمر الله الذي يريد أن يكونه، مفعولاً مكوناً لا محالة، وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله ـ ﷺ ـ زينب، ومن نفي الحرج عن المؤمنين في إجراء[2] أزواج المتبنين مجرى أزواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن. ويجوز أن يراد بأمر الله: المكون، لأنه مفعول بكن، وهو أمر الله.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ قسم له وأوجب، من قولهم: فرض لفلان في الديوان كذا. ومنه فروض العسكر لرزقاتهم ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ اسم موضوع موضع المصدر ـ كقولهم: تربا،

---

(١) قال السمين الحلبي: وفيه نظر من حيث أنه مضارع مثبت فكيف تباشره الواو وتخريجه كتخريج: قمت وأصك عينه. أعني على إضمار مبتدأ. الدر المصون (٤١٨/٥).

(٢) قوله «ومن نفي الحرج عن المؤمنين في إجراء» لعله في عدم إجراء، ويمكن أن المراد: الحرج الذي يكون في الإجراء والتسوية لو حصل ذلك الإجراء. (ع)

وجندلا ـ: مؤكد لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ كأنه قيل: سنّ الله ذلك سنة في الأنبياء الماضين، وهو أن لا يحرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره، وقد كانت تحتهم المهائر والسراري، وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلاثمائة سرية، ولسليمان عليه السلام ثلاثمائة وسبعمائة ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ﴾ في الأنبياء الذين مضوا ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ﴾ يحتمل وجوه الإعراب: الجرّ، على الوصف للأنبياء. والرفع والنصب، على المدح على هم الذين يبلغون. أو على: أعني الذين يبلغون. وقرئ: رسالة الله، قدراً مقدوراً: قضاء مقضياً، وحكماً، ووصف الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله: تعريض بعد التصريح في قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾. ﴿حَسِيبًا﴾ كافياً للمخاوف، أو محاسباً على الصغيرة والكبيرة، فيجب أن يكون حقّ الخشية من مثله.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة، حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ وكل رسول أبو أمّته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم. ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه، لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء، وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة، فكان حكمه حكمكم، والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير ﴿و﴾ كان ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ يعني أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبياً ولم يكن هو خاتم الأنبياء، كما يروى أنه قال في إبراهيم حين توفي. لو عاش لكان نبياً (١٢٠٣). فإن قلت: أما كان أبا للطاهر والطيب/ ٢/ ١٠٣ب والقاسم

١٢٠٣ ـ أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٨٤) كتاب الجنائز باب ما جاء في الصلاة على ابن رسول الله ـ ﷺ ـ حديث (١٥١١) من طريق إبراهيم بن عثمان ثنا الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس قال: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ـ ﷺ ـ صلى رسول الله ـ ﷺ ـ وقال: إن له مرضعاً في الجنة ولو عاش لكان صديقاً نبياً ولو عاش لعتقت أخواله القبط وما إسترق قبطي. وفي الزوائد: في إسناده إبراهيم بن عثمان أبو شيبة قاضي واسط قال فيه البخاري: سكتوا عنه وقال ابن المبارك: ارم به، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال أحمد منكر الحديث، وقال النسائي: متروك الحديث .اهـ.
وللحديث شاهد من حديث ابن أبي أوفى أخرجه البخاري (٦١٩٤) عنه بلفظ: مات إبراهيم ابن رسول الله ـ ﷺ ـ ولو قضى أن يكون بعد محمد نبي لعاش ابنه ولكن لا نبي بعده قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه ابن ماجه من طريق مقسم عن ابن عباس في أثناء حديث وللبخاري من حديث ابن أبي أوفى «ولو قضي أن يكون بعد محمد نبي لعاش ابنه ولكن لا نبي بعده». انتهى.

وإبراهيم؟ قلت: قد أخرجوا من حكم النفي بقوله: ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ من وجهين، أحدهما: أنّ هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال. والثاني: أنه قد أضاف الرجال إليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم. فإن قلت: أما كان أباً للحسن والحسين؟ قلت: بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذٍ، وهما أيضاً من رجاله لا من رجالهم، وشيء آخر: وهو أنه إنما قصد ولده خاصة، لا ولد ولده؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ألا ترى أن الحسن والحسين قد عاشا إلى أن نيف أحدهما[(1)] على الأربعين والآخر على الخمسين. قرئ: ولكن رسول الله بالنصب، عطفاً على ﴿أَبَآ أَحَدٍ﴾ وبالرفع على: ولكن هو رسول الله. ولكنّ، بالتشديد على حذف الخبر، تقديره: ولكنّ رسول الله من عرفتموه، أي: لم يعش له ولد ذكر. وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع، وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم. وتقوّيه قراءة ابن مسعود: ولكنّ نبياً ختم النبيين. فإن قلت: كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان؟ قلت: معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينبأ أحد بعده، وعيسى ممن نبىء قبله، وحين ينزل ينزل عاملاً على شريعة محمد، مصلياً إلى قبلته، كأنه بعض أمّته.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله. وأكثروا ذلك ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي في كافة الأوقات قال رسول الله ـ ﷺ ـ: ذكر الله على فم كل مسلم (١٢٠٤). وروي في قلب كل مسلم، وعن قتادة: قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، وعن

١٢٠٤ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ١١٥) غريب بهذا اللفظ.
وأخرجه الدارقطني (٤/ ٢٩٥) والبيهقي (٩/ ٢٤٠) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٨١) من طريق مروان بن سالم الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: سأل رجل رسول الله ـ ﷺ ـ الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي قال. . . فذكره.
قال الدارقطني: مروان بن سالم ضعيف. قال الزيلعي في «نصب الراية» (٤/ ١٨٣)، وأعله ابن القطان أيضاً به، وقال: هو مروان بن سالم الغفاري وهو ضعيف، وليس بمروان بن سالم المكي. انتهى. ورواه ابن عدي في «الكامل» وأسند تضعيفه عن أحمد والنسائي ووافقهما، وقال: عامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليه. انتهى.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده بهذا اللفظ وروى الدارقطني والبيهقي وابن عدي من حديث أبي هريرة قال: «سأل رجل رسول الله ـ ﷺ ـ: الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي؟ قال: اسم الله على فم كل مسلم» وفيه مروان بن سالم وهو ضعيف جداً. انتهى.

---

(١) قوله «نيف أحدهما» أي: زاد. والنيف ـ بالتشديد والتخفيف ـ: الزيادة، كذا في الصحاح. (ع)

مجاهد: هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب. والفعلان، أعني اذكروا وسبحوا موجهان إلى البكرة والأصيل، كقولك: صم وصلّ يوم الجمعة، والتسبيح من جملة الذكر، وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة، ليبين فضله على سائر الأذكار، لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال، وتبرئته من القبائح. ومثال فضله على غيره من الأذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي، والطهر من أرجاس المآثم، على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام، والتوفر على الطاعات كلها، والاشتمال على العلوم، والاشتهار بالفضائل، ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره: تكثير الطاعات، والإقبال على العبادات؛ فإن كل طاعة وكل خير من جملة الذكر، ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهي الصلاة في جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها، أو صلاة الفجر والعشاءين؛ لأنّ أداءها أشق ومراعاتها أشدّ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوّاً عليه وترؤفاً، كعائد المريض في انعطافه عليه، والمرأة في حنوّها على ولدها، ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم: صلى الله عليك، أي ترحم عليك وترأف. فإن قلت: قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ إن فسرته بيترحم عليكم ويترأف[1]، فما تصنع بقوله: ﴿وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ وما معنى صلاتهم؟ قلت: هي قولهم: اللهم صل على المؤمنين، جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة. ونظيره قوله: حياك الله، أي أحياك وأبقاك، وحييتك، أي: دعوت لك بأن يحييك الله؛ لأنك لاتكالك على إجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة، وكذلك: عمرك الله، وعمرتك، وسقاك الله، وسقيتك، وعليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦] أي ادعوا الله بأن يصلي عليه. والمعنى: هو الذي يترحم عليكم ويترأف: حيث يدعوكم إلى الخير ويأمركم بإكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ من

---

(١) قال محمود: «إن جعلت يصلي بمعنى يرحم فما بال عطف الملائكة عليه؛ فأجاب بأنهم لما كانوا يدعون الله بالرحمة ويستجيب دعاءهم بذلك، جعلوا كأنهم فاعلون الرحمة، كما تقول: حياك الله، بمعنى أحبك، ثم تقول حييته، بمعنى دعوت الله له بالحياة، والمقصد بذلك جعل الحياة محققة له، كأنك قلت: دعوت له بالحياء فاستجيبت الدعوة» قال أحمد: كثيراً ما يفر الزمخشري من اعتقاد إفادة الحقيقة والمجاز معاً بلفظ واحد، وقد التزمه ههنا، ولكن جعل الصلاة من الله حقيقة، ومن الملائكة مجازاً؛ لأنه حملها على الرحمة. وأما غيره فحملها على الدعاء، وجعلها من الملائكة حقيقة، ومن الله مجازاً، والله أعلم.

ظلمات المعصية إلى نور الطاعة ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ دليل على أنّ المراد بالصلاة الرحمة. ويروى أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: ما خصك يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه، فأنزلت ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول، أي: يحيون يوم لقائه بسلام، فيجوز أن يعظمهم الله بسلامه عليهم، كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم، وأن يكون مثلاً كاللقاء على ما فسرنا. وقيل: هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة. وقيل: سلام الملائكة عند الخروج من القبور. وقيل: عند دخول الجنة، كما قال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤]والأجر الكريم: الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿شَٰهِدًا﴾ على من بعثت إليهم، وعلى تكذيبهم وتصديقهم، أي: مقبولاً قولك عند الله لهم وعليهم، كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم، فإن قلت: وكيف كان شاهداً وقت الإرسال، وإنما يكون/ ٢/ ١٠٤أ شاهداً عند تحمل الشهادة أو عند أدائها؟ قلت: هي حال مقدرة، كمسألة الكتاب: مررت برجل معه صقر صائداً به غداً، أي: مقدراً به الصيد غداً، فإن قلت: قد فهم من قوله: إنا أرسلناك داعياً: أنه مأذون له في الدعاء، فما فائدة قوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾؟ قلت: لم يرد به حقيقة الإذن. وإنما جعل الإذن مستعار للتسهيل والتيسير؛ لأن الدخول في حق المالك متعذر، إذا صودف الإذن تسهل وتيسر، فلما كان الإذن تسهيلاً لما تعذر من ذلك، وضع موضعه، وذلك أن دعاء أهل الشرك والجاهلية إلى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة والتعذر، فقيل: بإذنه، للإيذان بأن الأمر صعب لا يتأتى ولا يستطاع إلا إذا سهله الله ويسره، ومنه قولهم في الشحيح: أنه غير مأذون له في الإنفاق، أي: غير مسهل له الإنفاق لكونه شاقاً عليه داخلاً في حكم التعذر. جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون، كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به. أو أمدّ الله بنور نبوّته نور البصائر، كما يمدّ بنور السراج نور الأبصار. وصفه بالإنارة لأن من السراج ما لا يضيء إذا قل سليطه ودقت فتيلته. وفي كلام بعضهم: ثلاثة تضني: رسول بطيء، وسراج لا يضيء، ومائدة ينتظر لها من يجيء. وسئل بعضهم عن الموحشين؟ فقال: ظلام ساتر، وسراج فاتر. وقيل: وذا سراج منير. أو وتاليا سراجاً منيراً. ويجوز على هذا التفسير أن يعطف على كاف ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾[1].

---

(١) قال السمين الحلبي: وفيه نَظَرٌ لأن السراج هو القرآن ولا يوصف بالإرسال بل بالإنزال إلا أن يقال =

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾

الفضل: ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب، وإذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب. ويجوز أن يريد بالفضل: الثواب، من قولهم للعطايا: فضول وفواضل، وأن يريد أنّ لهم فضلاً كبيراً على سائر الأمم، وذلك الفضل من جهة الله، وأنه آتاهم ما فضلوهم به.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ معناه: الدوام والثبات على ما كان عليه. أو التهييج ﴿أَذَىٰهُمْ﴾ يحتمل إضافته إلى الفاعل والمفعول، يعني: ودع أن تؤذيهم بضرر أو قتل، وخذ بظاهرهم، وحسابهم على الله في باطنهم. أو: ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي منسوخة بآية السيف ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فإنه يكفيكهم، وكفى به مفوّضا إليه، ولقائل أن يقول: وصفه الله بخمسة أوصاف، وقابل كلا منها بخطاب مناسب له، قابل الشاهد بقوله: وبشر المؤمنين، لأنه يكون شاهداً على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم، وهو الفضل الكبير والمبشر بالإعراض عن الكافرين والمنافقين، لأنه إذا أعرض عنهم أقبل جميع إقباله على المؤمنين، وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم، لأنه إذا ترك أذاهم في الحاضر ـ والأذى لا بدّ له من عقاب عاجل أو آجل ـ كانوا منذرين به في المستقبل، والداعي إلى الله بتيسيره بقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ لأنّ من توكل على الله يسر عليه كل عسير، والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا؛ لأن من أناره الله برهانا على جميع خلقه، كان جديراً بأن يكتفي به عن جميع خلقه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

النكاح: الوطء، وتسمية العقد نكاحاً لملابسته له، من حيث أنه طريق إليه. ونظيره تسميتهم الخمر إثما؛ لأنها سبب في اقتراف الإثم، ونحوه في علم البيان قول الراجز [من الرجز]:

أَسْنِمَةُ الآبَالِ فِي سَحَابِهِ(1)

= إنه حمل على المعنى كقوله [من الكامل]:

فعلفتها تبنا وماء باردا ....

وأيضاً «فَيُغْتَفَرُ في الثواني ما لا يُغْتَفَرُ في الأوائل». انتهى. الدر المصون.

(1) أقبل كالمستن من ربابه ‌ ‌ كأنما الوابل في مصابه

أسنمة الآبال في سحابه

=

سمى الماء بأسنمة الآبال؛ لأنه سبب سمن المال وارتفاع أسنمته، ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد؛ لأنه في معنى الوطء من باب التصريح به. ومن آداب القرآن: الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والإتيان. فإن قلت: لم خصّ المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات؟ قلت: في اختصاصهنّ تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والأولى به: أن يتخير لنطفته، وأن لا ينكح إلا مؤمنة عفيفة، ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر، ويستنكف أن يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه، فالتي في سورة المائدة: تعليم ما هو جائز غير محرّم، من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الأولى بالمؤمنين من نكاح المؤمنات. فإن قلت: ما فائدة ثم في قوله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾؟ قلت: فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم: بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح، وبين أن يبعد عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزواج ثم يطلقها[1]: فإن قلت: إذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس، هل يقوم ذلك مقام المساس؟ قلت: نعم عند أبي حنيفة وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس، وقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ دليل على أن العدة حق واجب على النساء للرجال ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ تستوفون عددها، من قولك: عددت الدراهم فاعتدها، كقولك، كلته فاكتاله/ ٢/ ١٠٤ب، ووزنته فاتزنه. وقرئ: تعتدونها، مخففاً؛ أي: تعتدون فيها؛ كقوله [من الطويل]:

وَيَـوْمٍ شَـهِـدْنَـاهُ ....[2]

والمراد بالاعتداد ما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١]. فإن قلت: ما هذا التمتيع أواجب أم مندوب إليه؟ قلت: إن كانت غير مفروض لها كانت

= يصف مطراً بالكثرة والثروة. ويقال: استن الفرس، إذا قمص ولعب، وهو أن يرفع يديه ويطرحهما تارة ورجليه أخرى على التعاقب. وقمص البحر بالسفينة: إذا حركها، فرفع مقدمها تارة ومؤخرها أخرى، فالمستن: اسم فاعل منه، واستعير للسحاب: إذ أقبل يتحرك وفيه المطر. والرباب: السحاب الأبيض المتلاصق. وضمير «أقل» و«ربابه» للمطر. والوابل: إظهار في مقام الإضمار، للدلالة على الكثرة وفي مصابه: حال له. وأسنمة الآبال: مبتدأ. وفي سحابه: خبر، والجملة خبر الوابل، وأعلى الأسنمة على الماء لأنه سبب سمنها، والمصاب: مصدر على زنة المفعول. الوابل: المطر الشديد الوقع. والأسنمة: جمع سنام. والآبال ـ بمد الهمزة ـ: جمع الإبل.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: واستعمل عسى صلة لِمَن وهو لا يجوز قُلْتُ: يُخَرَّجُ قوله على ما خُرِّجَ عليه قول الآخر [من الطويل]:

وَإِنـي كَـرَامِ نَـظْـرَةً قَـبـلَ الـتـي ... لَـعَـلِّـي وإِنْ شَـطَّـتْ نَـوَاهَـا أَزُورُهَـا

وهو إضمار القولَ. انتهى. الدر المصون.

(٢) تقدم.

المتعة واجبة، ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة إلا لها وحدها دون سائر المطلقات، وإن كانت مفروضاً لها؛ فالمتعة مختلف فيها: فبعض على الندب والاستحباب، ومنهم أبو حنيفة. وبعض على الوجوب ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ من غير ضرار ولا منع واجب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾

﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنّ؛ لأنّ المهر أجر على البضع.. وإيتاؤها: إما إعطاؤها عاجلاً. وإما فرضها وتسميتها في العقد. فإن قلت: لم قال: ﴿ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ و﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ و﴿ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ وما فائدة هذه التخصيصات؟ قلت: قد اختار الله لرسوله الأفضل الأولى، واستحبه بالأطيب الأزكى، كما اختصه بغيرها من الخصائص، وآثره بما سواها من الأثر، وذلك أن تسمية المهر في العقد أولى وأفضل من ترك التسمية، وإن وقع العقد جائزاً؛ وله أن يماسها وعليه مهر المثل إن دخل بها، والمتعة إن لم يدخل بها. وسوق المهر إليها عاجلاً أفضل من أن يسميه ويؤجله، وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم، وما لا يعرف بينهم غيره، وكذلك الجارية إذا كانت سبية مالكها، وخطبة سيفه ورمحه، ومما غنمه الله من دار الحرب أحل وأطيب مما يشترى من شق الجلب. والسبي على ضربين: سبي طيبة، وسبي خبثة؛ فسبي الطيبة: ما سبي من أهل الحرب. وأما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ لأنّ فيء الله لا يطلق إلا على الطيب دون الخبيث، كما أنّ رزق الله يجب إطلاقه على الحلال دون الحرام[1]، وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله ـ ﷺ ـ من قرائبه غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه. وعن أم هانىء بنت أبي طالب: خطبني رسول الله ـ ﷺ ـ فاعتذرت إليه فعذرني، ثم أنزل الله هذه الآية، فلم أحلّ له؛ لأني لم أهاجر معه، كنت

(١) قوله «كما أن رزق الله يجب إطلاقه على الحلال» هذا عند المعتزلة. أما أهل السنة فيطلقونه على القسمين. (ع)

من الطلقاء (١٢٠٥). وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهراً من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك، ولذلك نكرها. واختلف في اتفاق ذلك، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لم يكن عند رسول الله ـ ﷺ ـ أحد منهنّ بالهبة. وقيل الموهوبات أربع: ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة أمّ المساكين الأنصارية، وأمّ شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم ـ رضي الله عنهن ـ قرئ ﴿إِن وَهَبَتْ﴾ على الشرط. وقرأ الحسن ـ رضي الله عنه ـ ﴿أن﴾ بالفتح، على التعليل بتقدير حذف اللام. ويجوز أن يكون مصدراً محذوفاً معه الزمان، كقولك: اجلس ما دام زيد جالساً، بمعنى وقت دوامه جالسا، ووقت هبتها نفسها. وقرأ ابن مسعود بغير أن. فإن قلت: ما معنى الشرط الثاني مع الأوّل؟ قلت: هو تقييد الشرط في الإحلال هبتها نفسها، وفي الهبة: إرادة استنكاح رسول الله ـ ﷺ ـ، كأنه قال: أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها؛ لأنّ إرادته هي قبول الهبة وما به تتم. فإن قلت: لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ﴾ ثم رجع إلى الخطاب؟ قلت: للإيذان بأنه مما خص به وأوثر، ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوّة، وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته. واستنكاحها: طلب نكاحها والرغبة فيه، وقد استشهد به أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لأنّ رسول الله ـ ﷺ ـ وأمّته سواء في الأحكام إلا فيما خصه الدليل، وقال الشافعي: لا يصح، وقد خص رسول الله ـ ﷺ ـ بمعنى الهبة ولفظها جميعاً؛ لأنّ اللفظ تابع للمعنى، والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج إلى دليل. وقال أبو الحسن الكرخي: إن عقد النكاح بلفظ الإجارة جائز، لقوله تعالى: ﴿واللاتي أتيت أجورهن﴾ وقال أبو بكر الرازي: لا يصح؛ لأنّ الإجارة عقد مؤقت، وعقد النكاح مؤبد، فهما متنافيان ﴿خَالِصَةً﴾ مصدر مؤكد، كوعد الله، وصبغة الله، أي: خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة، بمعنى خلوصاً، والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد، والعافية والكاذبة. والدليل على أنها وردت في أثر الإحلالات الأربع مخصوصة برسول الله ـ ﷺ ـ على سبيل/٢/١٠٥أ

١٢٠٥ ـ رواه الترمذي (٥/ ٣٥٥) كتاب التفسير، باب ومن سورة الأحزاب الحديث (٣٢١٤). ورواه الحاكم (٢/ ١٨٥) في النكاح، ورواه (٤/ ٥٣)، في معرفة الصحابة، وابن جرير في التفسير (١٠/ ٣٠٩) (٢٨٥٤٦) وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٣).

وعزاه لابن سعد في الطبقات، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ١١٦) للثعلبي أيضاً.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي والحاكم، وابن أبي شيبة، وإسحاق، والطبري، والطبراني، وابن أبي حاتم، كلهم من رواية السدي عن أبي صالح عنها. انتهى.

التوكيد لها قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ بعد قوله: ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهي جملة اعتراضية، وقوله: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ متصل بخالصة لك من دون المؤمنين، ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أنّ الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء، وعلى أيّ حدّ وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه. وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله ـ ﷺ ـ بما اختصه به ففعل: ومعنى ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ لئلا يكون عليك ضيق في دينك: حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل، وفي دنياك: حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها. وقرئ: خالصة، بالرفع، أي: ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتاً للمرأة، فعلى مذهبه: هذه المرأة خالصة لك من دونهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للواقع في الحرج إذا تاب ﴿رَّحِيمًا﴾ بالتوسعة على عباده. روي أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله ـ ﷺ ـ، هجرهنّ شهراً، ونزل التخيير، فأشفقن أنّ يطلقهنّ، فقلن يا رسول الله، افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت (١٢٠٦). وروي أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: يا رسول الله إني أرى ربك

١٢٠٦ ـ قال الزيلعي (٣/ ١١٧): غريب بهذا اللفظ. وقال الحافظ: هذا ملفق من أحاديث.
قلت: روى مسلم في صحيحه (٥/ ٣٣٨ ـ نووي) كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً الحديث (١٤٧٨) حدثنا زهير بن حرب حدثنا روح بن عبادة حدثنا زكريا بن إسحاق حدثنا أبو الزبير عن جابر عن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ـ ﷺ ـ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد مبهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي ـ ﷺ ـ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً، قال: فقال: لأقولن شيئاً أضحك النبي ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة! سألتني النفقة فقمت إليها، فوجأت عنقها، فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ وقال: هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها. كلاهما يقول: تسألن رسول الله ـ ﷺ ـ ما ليس عنده فقلن: والله لا نسأل رسول الله ـ ﷺ ـ شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ فقال: حتى بلغ: ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله، فتلا عليها الآية قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبويّ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، أسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال: «لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً».
والحديث رواه النسائي في الكبرى (٥/ ٣٨٣) كتاب عشرة النساء، باب إذا لم يجد الرجل ما ينفق على امرأته هل يخير امرأته الحديث (٩٢٠٨).
ونقل الزيلعي (٣/ ١١٧) عن مجاهد قال: كان للنبي ـ ﷺ ـ تسع نسوة فخشين أن يطلقهن فقلن: يا رسول الله اقسم لنا من نفسك ومالك ما شئت فنزلت: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ﴾ . . . الآية. =

يسارع في هواك (١٢٠٧)، ﴿تُرْجِي﴾ بهمز وغير همز: تؤخر ﴿وَتُئْوِيٓ﴾ تضمّ، يعني: تترك مضاجعة من تشاء منهن، وتضاجع من تشاء. أو تطلق من تشاء، وتمسك من تشاء. أولا تقسم لأيتهن شئت، وتقسم لمن شئت. أو تترك تزوّج من شئت من نساء أمّتك. وتتزوّج من شئت. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: كان النبي ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها (١٢٠٨). وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض؛ لأنه إما أن يطلق، وإما أن يمسك؛ فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أولم يقسم. وإذا طلق وعزل، فإما أنّ يخلي المعزولة لا يبتغيها، أو يتبغيها. روي أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة، فكان يقسم لهنّ ما شاء كما شاء، وكانت ممن آوى إليه: عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب ـ رضي الله عنهن ـ أرجى خمساً وآوى أربعاً (١٢٠٩). وروي أنه كان يسوّي مع ما

= قال الحافظ: هذا ملفق من أحاديث. فأوله عند مسلم من طريق أبي الزبير عن جابر قال: «دخل أبو بكر على النبي ـ ﷺ ـ والناس على الباب جلوس... الحديث»، وفيه قول أبي بكر وعمر قال: «فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ وقال: هن حولي كما ترى يسألنني النفقة ـ فذكر الحديث ـ وفيه: فأنزل الله آية التخيير»، وقوله: «واهجروهن شهراً»، هذا هو من حديث عائشة في الصحيحين.
وقوله: «فأشفقن أن يطلقهن ـ إلى آخره» أخرجه ابن أبي شيبة من رواية رزين أن النبي ـ ﷺ ـ أراد أن يفارق نساءه، فقلن له: اقسم لنا من نفسك ومالك ما شئت، ودعنا على حالنا» وهذا مرسل.
وروى ابن مردويه من طريق سالم الأفطس عن مجاهد قال: كان للنبي ـ ﷺ ـ تسع نسوة وخشين أن يطلقهن، فقلن: يا رسول الله، اقسم لنا من نفسك ومالك ما شئت ولا تطلقنا فنزلت: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ الآية. انتهى.

١٢٠٧ ـ أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٥) كتاب النكاح باب حل المرأة أن تهب نفسها لأحد؛ حديث (٥١١٣) ومسلم (٢/ ١٠٨٥) حديث (٤٩/ ١٤٦٤) ووهم الحاكم فاستدرك هذا الحديث. وقال: صحيح على شرط الشيخين.
وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث هشام عن أبيه عن عائشة في أثناء حديث ووهم فاستدركه. انتهى.

١٢٠٨ ـ ذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٩٧) وعزاه لابن جرير وعبد بن حميد وقد رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١١٨).

١٢٠٩ ـ رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) الحديث (١٦٤٧٧) حدثنا جرير عن منصور عن ابن أبي رزين في قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾... الآية وكان ممن آوى عائشة وأم سلمة وزينب وحفصة فكان يقسم من نفسه وماله منهن سواء وكان ممن أرجى سودة وجويرية وأم حبيبة وميمونة وصفية فكان يقسم لهن ما شاء وكان أراد أن يفارقهن فقلن له: اقسم لنا من نفسك ما شئت ودعنا نكون على حالنا».
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٢٠) ورواه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٣١٣) الحديث (٢٨٥٦٧) والحديث (٢٨٥٦٩).
قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة عن جرير وعبد الرزاق عن معمر كلاهما عن منصور عن أبي رزين وهذا مرسل. انتهى.

أطلق له وخير فيه إلا سودة، فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت: لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك (١٢١٠) ﴿ذَٰلِكَ﴾ التفويض إلى مشيئتك ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ إلى قرّة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً؛ لأنه إذا سوّى بينهن في الإيواء والإرجاء والعزل والابتغاء. وارتفع التفاضل ولم يكن لإحداهن مما تريد ومما لا تريد إلا مثل ما للأخرى. وعلمن أنّ هذا التفويض من عند الله بوحيه ـ اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير، وحصل الرضا وقرّت العيون، وسلت القلوب ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ فيه وعيدٌ لمن لمّ ترض منهنّ بما دبر الله من ذلك وفوّض إلى مشيئة رسول الله ـ ﷺ ـ، وبعثٌ على تواطىء قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله ـ ﷺ ـ وما فيه طيب نفسه. وقرئ: تقرّ أعينهنّ، بضم التاء ونصب الأعين، وتقرّ أعينهن، على البناء للمفعول ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بذات الصدور ﴿حَلِيمًا﴾ لا يعاجل بالعقاب، فهو حقيق بأن يتقى ويحذر، ﴿كُلُّهُنَّ﴾ تأكيد لنون يرضين، وقرأ ابن مسعود: ويرضين كلهن. بما آتيتهنّ. على التقديم. وقرأ: كلهن، تأكيداً لـ(هنّ) في (آتيتهنّ).

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

١٢١٠ ـ عزاه الزيلعي للطبراني في الكبير في مسند سودة من حديث عائشة. وروى البيهقي في سننه (٧/ ٢٩٧) كتاب القسم والنشوز، باب ما جاء في قول الله عز وجل من حديث أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أنزل في سودة ـ رضي الله عنها ـ وأشباهها ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾، وذلك أن سودة ـ رضي الله عنها ـ كانت امرأة قد أسنت ففرقت أن يفارقها رسول الله ـ ﷺ ـ وضنت بمكانها منه، وعرفت من حب رسول الله ـ ﷺ ـ عائشة ومنزلتها منه، فوهبت يومها من رسول الله ـ ﷺ ـ لعائشة ـ رضي الله عنها ـ فقبل ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ.

وروى الترمذي (٥/ ٢٤٩) كتاب التفسير الحديث (٣٠٤٠)، حدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو داود، حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي ـ ﷺ ـ فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ﴾.

قال الحافظ: أما كونه يسوي فمن حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ «كان يقسم فيعدل» وأما قصة سودة فروى الترمذي عن ابن عباس: «أن سودة خشيت أن يطلقها رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت: يا رسول الله، لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة، ففعل» وفي الطبراني من رواية ابن أبي الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: «ما كان رسول الله ـ ﷺ ـ يفضل بعضنا على بعض في القسم، وكان قل يوم إلا وهو يطيف بنا، ويدنو من كل واحدة منا من غير مسيس حتى ينتهي إلى التي هي يومها فيبيت عندها، ولقد قالت له سودة بنت زمعة، وقد أراد أن يفارقها: يومي منك ونصيبي لعائشة، فقبل ذلك منها، وفيها نزلت: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ الآية. انتهى.

﴿لَا يَحِلُّ﴾ وقرئ بالتذكير، لأنّ تأنيث الجمع غير حقيقي. وإذا جاز بغير فصل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ كان مع الفصل أجوز ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾ من بعد التسع، لأنّ التسع نصاب رسول الله ـ ﷺ ـ من الأزواج، كما أن الأربع نصاب أمّته منهنّ، فلا يحل له أن يتجاوز النصاب ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجاً أخر بكلهنّ أو بعضهن، أراد الله لهنّ كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين. فقصر النبيّ ﷺ عليهنّ، وهي التسع[1] اللاتي مات عنهن: عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر، أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، سودة بنت زمعة، أمّ سلمة بنت أبي أمية، صفية بنت حيي الخيبرية، ميمونة بنت الحارث الهلالية، زينب بنت جحش الأسدية، جويرية بنت الحارث المصطلقية، ـ رضي الله عنهن ـ (١٢١١). من في ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ لتأكيد النفي، وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم. وقيل معناه: لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص إحلالهنّ لك من الأجناس الأربعة من الأعرابيات والغرائب، أو من الكتابيات، أو من الإماء بالنكاح. وقيل في تحريم التبدل: هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل: بادلني بامرأتك، وأبادلك بامرأتي، فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه. ويحكى أنّ

١١٢١ ـ روى الحاكم في المستدرك (٤/٣) كتاب معرفة الصحابة، باب تسمية أزواج رسول الله ـ ﷺ ـ بسنده إلى أبي عبيد القاسم بن سلام ـ رحمه الله ـ قال: وقد ثبت وصح عندنا أن رسول الله ـ ﷺ ـ تزوج ثماني عشرة امرأة سبع منهن من قبائل قريش، وواحدة من خلفاء قريش، وتسعة من سائر قبائل العرب، وواحدة من بني إسرائيل من بني هارون بن عمران أخي موسى بن عمران قال أبو عبيدة: فأول من تزوج ـ ﷺ ـ من نسائه في الجاهلية خديجة ثم تزوج بعد خديجة سودة بنت زمعة بمكة في الإسلام، ثم تزوج عائشة قبل الهجرة لسنتين، ثم تزوج بالمدينة بعد وقعة بدر سنة اثنتين من التاريخ أم سلمة، ثم تزوج حفصة بنت عمر أيضاً سنة اثنتين من التاريخ، فهؤلاء الخمسة من قريش، ثم تزوج في سنة ثلاث من التاريخ زينب بنت جحش، ثم تزوج في سنة خمس من التاريخ جويرية بنت الحارث.

قال الحافظ: هذا مجمع عليه؛ كما قال الواقدي وغيره، لكن اختلف في ريحانة، وروى ابن أبي خيثمة عن الزهري وعن قتادة، وقال أبو عبيد: صح عندنا وثبت أن رسول الله ـ ﷺ ـ تزوج خديجة، فلم يتزوج عليها حتى ماتت. ثم تزوج سودة، ثم عائشة، ثم أم سلمة، ثم حفصة، ثم زينب بنت جحش، ثم جويرية، ثم أم حبيبة، ثم صفية، ثم ميمونة. ثم فاطمة بنت سريح، ثم زينب بنت خزيمة، ثم هند بنت يزيد. ثم أسماء بنت النعمان، ثم هيلة بنت قيس أخت الأشعث، ثم أسماء بنت سبأ، وقال الواحدي: والمجمع عليه أنه تزوج أربع عشرة: التسع التي مات عنهن وتزوج أيضاً خديجة وزينب بنت خزيمة وريحانة ومتن عنده، تزوج أيضاً فاطمة بنت الضحاك، وأسماء بنت النعمان ولم يدخل بهما. انتهى.

---

(١) قوله «وهي التسع» لعله «وهن». (ع)

عيينة بن حصن دخل على النبيّ ﷺ وعنده عائشة من غير استئذان، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: يا عيينة، أين/٢/١٠٥ب الاستئذان؟ قال: يا رسول الله، ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت. ثم قال: من هذه الجميلة إلى جنبك؟ فقال ﷺ: هذه عائشة أمّ المؤمنين. قال عيينة: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق؟ فقال ﷺ: إنّ الله قد حرّم ذلك. فلما خرج قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: من هذا يا رسول الله؟ قال: أحمق مطاع، وإنه ـ على ما ترين ـ لسيد قومه (١٢١٢). وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ما مات رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أحل له النساء، يعني: أنّ الآية قد نسخت (١٢١٣). ولا يخلو

١٢١٢ ـ ورد هذا الحديث عن أبي هريرة وجرير وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ.
ـ حديث أبي هريرة:
أخرجه الدارقطني في سننه (٣/٢١٨): كتاب النكاح، رقم (٣)، والبزار في مسنده كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ١٢١).
ـ وأما حديث جرير.
فأخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٣٠٥) رقم (٢٢٦٩) من طريق إسماعيل عن قيس عن جرير به.
وذكره الهيثمي في المجمع (٨/٤٨)، وقال: رواه الطبراني عن شيخه علي بن سعيد بن بشير، وهو حافظ رحال قيل فيه: ليس بذاك، وبقية رجاله رجال الصحيح غير يحيى بن محمد بن مطيع وهو ثقة .اهـ.
ـ وأما حديث عائشة:
فأخرجه ابن سعد في كتابه «الطبقات الكبرى» في ترجمة عيينة بن حصن، كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ١٢٢).
قال الحافظ: أخرجه البزار من حديث أبي هريرة بهذا وأتم منه، وفيه إسحاق بن عبد الله القروي، وهو متروك، وله شاهد من حديث جرير، وأخرجه الطبراني، وآخر عن عائشة أخرجه ابن سعد.

١٢١٣ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٥) كتاب التفسير باب ومن سورة الأحزاب حديث (٣٢١٤) والنسائي (٦/ ٥٦) كتاب النكاح: باب ما افترض الله عز وجل على رسوله عليه السلام، وأحمد (٦/ ٢٠٦) والحميدي (١/ ١١٥) رقم (٢٣٥) والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٥٤) كتاب النكاح: باب كان لا يجوز له أن يبدل من أزواجه أحدا ثم نسخ كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو عن عطاء قال: قالت عائشة فذكره.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وللحديث طريق آخر عن عائشة.
أخرجه النسائي (٦/ ٥٦) كتاب النكاح باب ما افترض الله عز وجل وابن حبان (٢١٢٦ ـ موارد) والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢) والحاكم (٢/ ٤٣٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٥٤) كتاب النكاح: باب كان لا يجوز له أن يبدل من أزواجه أحداً ثم نسخ، كلهم من طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به.
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وصححه ابن حبان.
ولحديث عائشة شاهد من حديث أم سلمة أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «تخريج الزيلعي» (٣/ ١٢٤) وعزاه أيضاً لابن سعد في الطبقات.
قال الحافظ: أخرجه الترمذي، وأحمد وإسحاق، والنسائي، وأبو يعلى، والطبري، والبزار، وابن =

نسخها إماأن يكون بالسنة، وإما بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ في موضع الحال من الفاعل، وهو الضمير في ﴿تَبَدَّلَ﴾ لا من المفعول الذي هو ﴿مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ لأنه موغل في التنكير، وتقديره: مفروضاً إعجابك بهنّ. وقيل: هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب، والمراد أنها ممن أعجبه حسنهنّ، واستثنى ممن حرم عليه: الإماء ﴿رَّقِيبًا﴾ حافظاً مهيمناً، وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله إلى حرامه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم. و﴿غَيْرَ نَـٰظِرِينَ﴾ حال من ﴿لَا تَدْخُلُواْ﴾ وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً. كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النبي ﷺ إلا وقت الإذن، ولا تدخلوها إلا غير ناظرين[1] وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ـ ﷺ ـ، فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه. ومعناه: لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام، إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه، وإلا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصاً، لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبيّ ﷺ إلا أن يؤذن له إذناً خاصاً، وهو الإذن إلى الطعام فحسب. وعن ابن أبي عبلة أنه قرأ: غير ناظرين، مجروراً صفة لطعام، وليس بالوجه، لأنه جرى على غير ما هو له، فمن حق ضمير ما هو له أن يبرز إلى اللفظ، فيقال: غير ناظرين إناه أنتم، كقولك: هند زيد ضاربته هي. وإني الطعام: إدراكه. يقال: أني الطعانم إنيّ، كقولك: قلاه قلىً. ومنه قوله: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤] بالغ إناه.

= حبان، والحاكم من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ بالحديث دون التفسير، وأخرجه ابن أبي حاتم، وابن سعد من حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: رد الشيخُ الأول بأنَّ النحاة نَصُّوا على أنَّ «أنْ» المصدرية لا تقع موقع الظرف لا يجوز لآتيك أَنْ يصيحَ الديك وإنْ جازَ ذلك في المصدر الصريح نحو آتيك صياحَ الديكِ. وردَّ الثاني بأنه لا يقع بعد إلاَّ في الاستثناء إلاَّ المستثنى أو المستثنى منه أو صفته ولا يجوز في ما عدا هذا عند الجمهور وأجاز ذلك الكسائي والأخفش وأجازا ما قام القومُ إلاَّ يَوْمَ الجمعةِ ضاحكين. و«إلى طَعَامٍ» متعلق بيُؤْذَنَ لأنه بمعنى إلاَّ أَنْ تُدْعَوْا إلى طعام. انتهى. الدر المصون.

وقيل (إناه): وقته، أي: غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله. وروي أن رسول الله ـ ﷺ ـ أولم على زينب بتمر وسويق وشاة، وأمر أنسا أن يدعو بالناس، فترادفوا أفواجاً يأكل فوج فيخرج، ثم يدخل فوج إلى أن قال: يا رسول الله، دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه، فقال: ارفعوا طعامكم وتفرق الناس، وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا: فقام رسول الله ـ ﷺ ـ ليخرجوا، فانطلق إلى حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقال: السلام عليكم أهل البيت فقالوا: عليك السلام يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له؛ ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ شديد الحياء، فتولى، فلما رأوه متولياً خرجوا، فرجع ونزلت: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ (١٢١٤)، نهو عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به. أو عن أن يستأنسوا حديث أهل البيت. واستئناسه: تسمعه وتوجسه، وهو مجرور معطوف على ناظرين. وقيل: هو منصوب على: ولا تدخوها مستأنسين. لا بد في قوله: ﴿فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ من تقدير المضاف، أي: من إخراجكم، بدليل قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني أن إخراجكم حتى ما ينبغي أن يستحيا منه. ولما كان الحياء مما يمنع الحي من بعض الأفعال، قيل: ﴿لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحي منكم، وهذا أدبٌ أدّب الله به الثقلاء. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: حسبك في الثقلاء أنّ الله تعالى لم يحتملهم وقال: فإذا طعمتم فانتشروا (١٢١٥). وقرئ: لا يستحي، بياء واحدة، والضمير في ﴿سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ لنساء النبي ﷺ، ولم يذكرن لأنّ الحال ناطقة بذكرهن ﴿مَتَـٰعًا﴾ حاجة ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ﴾ المتاع. قيل: إن عمر ـ رضي الله عنه ـ كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة. وكان يذكره كثيراً، ويود أن ينزل فيه، وكان يقول: لو أُطاع فيكن ما رأتكن عين، وقال: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب (١٢١٦). فنزلت. وروي أنه مر عليهن

١٢١٤ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤)، كتاب التفسير باب: قوله: ﴿ترجيء من تشاء . . .﴾ الآية، حديث (٤٧٩٣). ومسلم (٥/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤)، كتاب النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش، حديث (٨٩) ـ (١٤٢٨). كلاهما من طريق ثابت عن أنس.
قال ابن حجر: متفق عليه من حديث أنس وله طرق عندهما وألفاظ. انتهى.

١٢١٥ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٢٥) للثعلبي في تفسيره من طريق جويرية بن أسماء.
قال ابن حجر: كذا بخط المخرج، وهو غلط واضح جدًا، فإن العلاء إنما يروي عن ابن عائشة صاحب النوادر، ولم يدرك أصحاب عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ فضلاً عنها، ولعله كان في الأصل ابن عائشة، فسقط ابن. انتهى.

١٢١٦ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٤٨٣): كتاب التفسير: باب سورة الأحزاب، حديث (٤٧٩٠)، والنسائي =

وهن مع النساء في المسجد فقال: لئن احتجبتن، فإن لكن على النساء فضلاً، كما أن لزوجكن على الرجال الفضل، فقالت زينب ـ رضي الله عنها ـ: يا ابن الخطاب، إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى نزلت (١٢١٧). وقيل: إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ كان يطعم ومعه بعض أصحابه، فأصابت يد رجل منهم يد عائشة/ ٢/ ١٠٦أ، فكره النبيّ ﷺ ذلك، فنزلت آية الحجاب. وذكر أنّ بعضهم قال: أننهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب، لئن مات محمد لأتزوجن عائشة. فأعلم الله أن ذلك محرم (١٢١٨). ﴿وَمَا كَانَ

= في تفسيره: (٢/ ١٨٧) رقم (٤٣٨)، والطبري في تفسيره: (١٠/ ٣٢٤) رقم (٢٨٦٠٩)، (١٠/ ٣٢٦) رقم (٢٨٦١٧)، والواحدي في تفسيره (٣/ ٤٨٠) وفي «أسباب نزول القرآن» ص (٣٧٤) رقم (٧٠٨) كلهم من طريق حميد عن أنس عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو حجبت أمهات المؤمنين، فأنزل الله عز وجل آية الحجاب. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٠١) وزاد نسبته إلى ابن مردوية في تفسيره. وأخرجه النسائي أيضاً في تفسيره (٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩) عن مسعر عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عن عائشة قالت: كنت آكل مع النبي ـ ﷺ ـ حيساً في قعب، فمر عمر ـ رضي الله عنه ـ فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي، فقال: حَسِّ (أو أَوْه) لو أُطاع فيكن ما رأتكن عين، فنزل الحجاب».

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٦) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن أبي كثير وهو ثقة».

وقد أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٢٥) رقم (٢٨٦١٦) من حديث هشيم عن ليث عن مجاهد مرسلا ـ بمعناه وليس فيه تسمية عمر بن الخطاب ـ وبمثل ذلك أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ص (٣٧٤) رقم (٧٠٩) مرسلاً عن مجاهد.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٠٢)، وزاد نسبته لابن مردويه عن عائشة، وقال: بسند صحيح.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٤٠) من طرق عن ابن عباس بنحوه.

قال الحافظ: متفق عليه من حديثين هذا أحدهما. أخرجه النسائي والبخاري في الأدب المفرد، والطبراني في الصغير من طريق مجاهد عن عائشة قالت: «كنت آكل مع النبي ـ ﷺ ـ حيساً في قصعة، فمر عمر فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي، فقال عمر: أواه لو أطاع فيكن ما رأتكن عين فنزل الحجاب»، ورواه ابن أبي شيبة والطبري من طريق مجاهد مرسلاً، وصوبه الدارقطني في العلل، والثاني أخرجه النسائي أيضاً من طريق أنس عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: «قلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو حجبت أمهات المؤمنين، فأنزل الله آية الحجاب، وأصله في الصحيح. انتهى.

١٢١٧ ـ قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من رواية مجاهد عن الشعبي قال: «مر عمر على نساء النبي ـ ﷺ ـ فذكره. انتهى.

١٢١٨ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٢٢) من طريق معمر عن قتادة.

وأخرج ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٦٢)، من حديث أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟﴾ الآية، قال: نزلت في طلحة بن عبيد الله، لأنه قال: إذا توفى رسول الله تزوجت عائشة. =

لَكُمْ﴾ وما صح لكم إيذاء رسول الله ـ ﷺ ـ ولا نكاح أزواجه من بعده، وسمي نكاحهن بعده عظيماً عنده، وهو من أعلام تعظيم الله لرسوله وإيجاب حرمته حياً وميتاً، وإعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره. فإن نحو هذا مما يحدث الرجل به نفسه ولا يخلي منه فكره. ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده. وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفاً واستهتاراً[1] فنظر إليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب، فلم يزل به ذلك حتى قتلها، تصوراً لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره. وعن بعض الفقهاء أن الزوج الثاني في هدم الثلاث مما يجري مجرى العقوبة؛ فصين رسول الله ـ ﷺ ـ عما يلاحظ ذلك.

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا﴾ من نكاحهن على ألسنتكم ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في صدوركم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ يعلم ذلك فيعاقبكم به، وإنما جاء به على أثر ذلك عاماً لكل باد وخاف، ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولأنه على هذه الطريقة أهول وأجزل.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

روي أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول الله، أو نحن أيضاً نكلمهن من وراء الحجاب، فنزلت ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ أي لا إثم عليهن في أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال، لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أباً. قال الله تعالى: ﴿وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾ وإسماعيل عم

= قال الحافظ: أخرجه ابن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون عن ابن بكر بن حزام في هذه الآية نزلت في طلحة قال: إذا توفى رسول الله ـ ﷺ ـ تزوجت عائشة، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أن رجلاً قال: لو قد مات محمد لأتزوجن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ . . . الآية. وروى ابن أبي حاتم، وابن مردويه من رواية داود عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: «نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي ـ ﷺ ـ الحديث» من طريق السدي أن الذي عزم على ذلك عائشة ـ رضي الله عنها ـ. انتهى.

---

(١) قوله «لا يرى الدنيا بها شغفاً واستهتاراً» في الصحاح: فلان مستهتر بالشراب، أي: مولع به. لا يبالي ما قيل فيه. (ع)

يعقوب. وقيل: كره ترك الاحتجاب عنهما لأنهما يصفانها لأبنائهما. وأبناؤهما غير محارم، ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب، وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد، فقيل: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار، واحططن فيه وفيما استثنى منه ما قدرتن. واحفظن حدودهما واسلكن طريق التقوى في حفظهما؛ وليكن عملكن في الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محجبات، ليفضل سركن علنكن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه ﴿شَهِيدًا﴾ لا يتفاوت في علمه الأحوال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

قرئ: وملائكته بالرفع، عطفاً على محل إن واسمها، وهو ظاهر على مذهب الكوفيين، ووجهه عند البصريين. أن يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟﴾ أي قولوا الصلاة على الرسول والسلام. ومعناه: الدعاء بأن يترحم عليه الله ويسلم. فإن قلت: الصلاة على رسول الله - ﷺ - واجبة أم مندوب إليها؟ قلت: بل واجبة، وقد اختلفوا في حال وجوبها. فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره. وفي الحديث: «من ذكرت عنده فلم يصل عليّ فدخل النار فأبعده الله» (١٢١٩). ويروى أنه قيل:

١٢١٩ - ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة هم أبو هريرة، وجابر بن سمرة، ومالك بن الحويرث وكعب بن عجرة وابن عباس وآخرون.

- حديث أبي هريرة:

أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣/ ١٨٨) (٩٠٧) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - صعد المنبر فقال: «آمين آمين آمين...»... وفيه «ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله...».

قلت: وهذا إسناد حسن، فإن محمد بن عمرو وهو ابن علقمة بن وقاص الليثي صدوق له أوهام كما في التقريب (٢/ ١٩٦) (٥٨٣).

- وحديث جابر بن سمرة:

أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤) (٢٠٢٢) من طريق محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل ثنا إسماعيل بن أبان ثنا قيس بن الربيع عن سماك عن جابر قال: صعد النبي - ﷺ - المنبر فقال... وفيه: «ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله...».

قلت: وهذا إسناد حسن بشواهده كما يأتي وإن كان رجال الإسناد من محمد بن عبد الله إلى سماك قد تكلم فيهم ولكن لا ينزل حديثهم عن الحسن والله أعلم لا سيما وأن للحديث شواهد كثيرة.

- وحديث كعب بن عجرة:

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٤٤) (٣١٥) والحاكم في مستدركه (٤/ ١٥٣ - ١٥٤) =

يا رسول الله؛ أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ فقال ﷺ: «هذا

= وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ (١٩) كلهم من طريق سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبيه عن كعب بن عجرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «احضروا المنبر فحضر. . .» وفيه «بعد لمن ذكرت عنده فلم يصل عليك. . .».

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٦٩) رواه الطبراني ورجاله ثقات.
قلت: وفي كلامهم نظر «فإن إسحاق بن كعب بن عجرة، لم يرو عنه غير ابنه سعد». وذكره ابن حبان في الثقات على عادته في توثيق المجاهيل، وقال أبو الحسن القطان: لا يعرف، ما روى عنه غير ابنه سعد وهو مجهول الحال وقال الذهبي في الميزان «تابعي مستور».
وقال الحافظ في التقريب «مجهول».
ـ حديث عبد الله بن عباس:
أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٨٢) (٥/ ١١١) من طريق يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس قال بينما النبي ـ ﷺ ـ على المنبر إذ قال: «آمين» ثلاث مرات. . . وفيه «من ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله. . .».
وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٤٢) رواه الطبراني بأسانيد وأحدها حسن.
ـ وحديث مالك بن الحويرث:
أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٩/ ٢٩١ ـ ٢٩٢) (٦٤٩)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٤٠) (٤٠٩) كلاهما من طريق الحسن بن علي الحلواني حدثنا عمران بن أبان ثنا مالك بن الحسن بن مالك بن الحويرث عن أبيه عن جده قال: صعد رسول الله ـ ﷺ ـ. . . المنبر. . . وفيه فقال: «ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله. . .».
وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٦٩) رواه الطبراني وفيه عمران بن أبان وثقه ابن حبان وضعفه غير واحد، وبقية رجاله ثقات.
قلت: وعمران بن أبان هذا هو أبو موسى الطحان الواسطي ضعيف كما في التقريب (٢/ ٨٢) (٧١٣) لكن الحديث لا يضعف إسناده به وحده، فإن فيه أيضاً مالك بن الحسن، قال العقيلي: فيه نظر وقال الذهبي منكر الحديث، وقال ابن عدي في «الضعفاء» (٦/ ٢٣٧٨) بعد أن أورد حديثه هذا وأربعة أحاديث أخرى من طريق عمران الواسطي عنه «هذه الأحاديث بهذا الإسناد عن مالك بن الحسن هذا لا يرويها عن مالك إلا عمران بن أبان الواسطي، وعمران بن أبان لا بأس به، وأظن أن البلاء فيه من مالك بن الحسن هذا، فإن هذا الإسناد بهذا الحديث لا يتابعه عليه أحد».
ولكن للحديث شواهد يصح بها منها ما ذكرناه ومنها أيضاً وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٦٨) وفيه يزيد بن أبي زياد وهو مختلف فيه، وبقية رجاله ثقات.
قلت: وهو إلى التضعيف أقرب: فقال أحمد بن حنبل «ليس بذاك وقال يحيى بن معين: لا يحتج بحديثه، وقال أبو زرعة، لين يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال ابن عدي: وهو من شيعة أهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه ـ راجع تهذيب الكمال (٣٢/ ١٣٨ ـ ١٤٠) ت (٦٩٩١).
وقال الحافظ في التقريب (٢/ ٣٦٥) ضعيف كبر، فتغير، صار يتلقن وكان شيعياً.
وله طريق آخر عند الطبراني عن ابن عباس (١٢/ ٨٣ ـ ٨٤) (١٢٥٥٢) من طريق إسحاق بن =

من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به، إنّ الله وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي عليّ إلا قال ذانك الملكان: غفر الله لك. وقال الله تعالى وملائكته جواباً لذينك الملكين: آمين، ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي عليّ إلا قال ذانك الملكان: لا غفر الله لك، وقال الله وملائكته لذينك الملكين: آمين» (١٢٢٠). ومنهم من قال: تجب في كل مجلس مرة، وإن تكرر ذكره، كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس، وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره. ومنهم من أوجبها في العمر مرة، وكذا قال في إظهار الشهادتين. والذي يقتضيه الاحتياط. الصلاة عليه عند كل ذكر، لما ورد من الأخبار (١٢٢١). فإن قلت: فالصلاة عليه في الصلاة، أهي شرط في جوازها أم

= عبد الله بن كيسان عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

وإسحاق بن عبد الله بن كيسان هذا قال الذهبي في الميزان (١/ ٣٤٦) (١١٤٩) ليّنه أبو أحمد والحاكم، ولينه أيضاً أبو حاتم وأبوه وثقه ابن حبان وراجع ترجمته في اللسان.

وفي الباب عن غير هؤلاء انظر المجمع (١٠/ ١٦٧ ـ ١٧٠).

قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٣٠): وهذه الأحاديث كلها كما نراها متطابقة، أن هذا الحديث من كلام جبريل يخاطب النبي ـ ﷺ ـ وليس من كلام النبي ـ ﷺ ـ والمصنف أورده من كلام النبي ـ ﷺ ـ فاعلم ذلك. اهـ.

قال الحافظ: أخرجه ابن حبان من طريق محمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة، أن النبي ـ ﷺ ـ صعد المنبر فقال: آمين آمين آمين قال: إن جبريل أتاني فذكر الحديث، وفيه: «ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك مات فدخل النار فأبعده الله»، وفي الباب عن مالك بن الحويرث عند ابن حبان والطبراني. وعن ابن عباس في الطبراني وكذلك عن جابر بن سمرة، وعبد الله بن الحارث بن جزة الزبيدي، وعن بريدة عند إسحاق بن راهويه، وعن عمار بن ياسر عند البزار، وعن جابر بن عبد الله عند البيهقي في الشعب. انتهى.

١٢٢٠ ـ أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٩١ ـ ٩٢)، حديث (٢٧٥٣) وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٣١) للثعلبي ولابن مردويه في تفسيريهما.

قال ابن حجر: أخرجه الطبراني، وابن مردويه، والثعلبي من حديث الحسن بن علي وفيه الحكم بن عبد الله بن خطاف، وهو متروك.

١٢٢١ ـ فيه أحاديث كثيرة، فأخرج مسلم (٢/ ٢٩١ ـ الأبي) كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ بعد التشهد حديث (٧٠/ ٤٠٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (رقم (٦٤٥)، وأبو داود (٢/ ٨٨) كتاب الصلاة: باب في الاستغفار حديث (١٥٣٠)، والترمذي (٢/ ٣٥٥) كتاب الصلاة: باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ حديث (٤٨٥)، والنسائي (٣/ ٥٠) كتاب السهو: باب الفضل في الصلاة على النبي، والدارمي (٢/ ٣١٧) كتاب الرقاق باب فضل الصلاة على النبي، وأحمد (٢/ ٣٧٢ ـ ٣٧٥) وأبو عوانة (٢/ ٢٣٤) وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي» رقم (٩ ـ ١١)، وأبو يعلى (١١/ ٣٨٠) رقم (٦٤٩٥)، وابن حبان (٨٩٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٠٩) رقم (١٥٥٣) والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٢٨٤ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من صلى علي واحدة، صلى الله عليه عشراً». وقال الترمذي: حسن صحيح. =

لا؟ قلت: أبو حنيفة وأصحابه لا يرونها شرطاً وعن إبراهيم النخعي: كانوا يكتفون عن

= حديث آخر: أخرجه الترمذي (٥/ ٥٥١) كتاب الدعوات باب قول رسول الله ـ ﷺ ـ «رغم أنف رجل» حديث (٣٥٤٦) من طريق سليمان بن بلال عن عمارة بن غزيه عن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن حسين بن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي» وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.
وأخرجه ابن حبان (٢٣٨٨ ـ موارد)، وأبو يعلى (١٢/ ١٤٧) رقم (٦٧٧٦)، والحاكم (١/ ٥٤٩)، وأحمد (١/ ٢٠١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٥٥) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣٨٢) وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي» رقم (٣٢) كلهم من طريق سليمان بن بلال به.
وصححه ابن حبان وكذا الحاكم ووافقه الذهبي وقال الحافظ في «الفتح» (١١/ ١٦٨): أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وإسماعيل القاضي وأطنب في تخريج طرقه وبيان الاختلاف فيه من حديث علي ومن حديث ابنه الحسين ولا يقصر عن درجة الحسن .اهـ.
حديث آخر:
أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦١)، وأبو داود الطيالسي (١/ ٢٥٩ ـ منحة) رقم (١٢٨٩) كلاهما من طريق المغيرة بن مسلم الخراساني، عن أبي إسحاق عن أنس أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من ذكرت عنده فليصل علي فمن صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً».
وأخرجه أبو يعلى (٤٠٠٢) من طريق إبراهيم بن طهمان عن أبي إسحاق عن أنس به. وأبو إسحاق لم يسمع من أنس بن مالك ينظر المراسيل لابن أبي حاتم ص ١٤٦.
حديث آخر:
أخرجه الترمذي (٢/ ٣٥٤) كتاب الصلاة باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ حديث (٤٨٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ١٧٧) كلاهما من طريق عبد الله بن كيسان عن عبد الله بن شداد عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة».
وقال الترمذي: حديث حسن غريب .اهـ. وقد روى هذا الحديث عبد الله بن كيسان عن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه عن ابن مسعود أخرجه أبو يعلى (٨/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) رقم (٥٠١١)، وابن حبان (٢٣٨٩ ـ موارد)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ١٧٧).
قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ١٣٢): وكذلك رواه البزار في مسنده، والطبراني في معجمه وهذا غير قادح؛ فإنه روى عن أبيه، وعن ابن مسعود فلعله سمعه منهما ولكن أعله ابن القطان في كتابه بعبد الله بن كيسان وقال: إنه لا يعرف حاله ولا نعرف روى عنه إلا موسى بن يعقوب هذا.
قال الزيلعي: روى عنه أيضاً ابنه إسحاق بن عبد الله بن كيسان .اهـ.
وفي الباب أحاديث أخر:
ينظر لها «تخريج الكشاف» للزيلعي (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٦).
قال الحافظ: ومنها حديث أبي هريرة رفعه: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي» أخرجه الترمذي وابن حبان وفي الباب عن كعب بن عجرة أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب. وعن جابر في الأدب المفرد للبخاري، وفي الطبراني الأوسط، وعن عبد الله بن الحارث بن جزء في كتاب فضل الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ لابن أبي عاصم ومنها حديث علي ـ رضي الله عنه ـ: =

ذلك ـ يعني الصحابة ـ بالتشهد، وهو السلام عليك أيها النبي، وأما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطاً. فإن قلت: فما تقول في الصلاة على غيره؟ قلت: القياس جواز الصلاة على كل مؤمن، لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٣] وقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] وقوله ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى» (١٢٢٢). ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك: وهو أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك: صلى الله على النبي وآله، فلا كلام فيها، وأما إذا أفرد غيره من أهل/ ٢/ ١٠٦ب البيت بالصلاة كما يفرد هو، فمكروه، لأن ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله ـ ﷺ ـ، ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم (١٢٢٣).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يعبر بإيذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه: من الكفر والمعاصي، وإنكار النبوّة، ومخالفة الشريعة، وما كانوا يصيبون به رسول الله ـ ﷺ ـ من أنواع المكروه، على سبيل المجاز. وإنما جعلته مجازاً فيهما جميعاً، وحقيقة الإيذاء صحيحة في رسول الله ـ ﷺ ـ لئلا أجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة. والثاني: أن يراد يؤذون رسول الله ـ ﷺ ـ، وقيل في أذى الله: هو

= «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي» أخرجه الترمذي من طريق عمارة بن غزية، عن عبد الله بن علي بن حسين عن أبيه عن حسين بن علي عن علي ـ رضي الله عنه ـ، وأخرجه النسائي وابن حبان من هذا الوجه بغير ذكر علي. وأخرجه الحاكم من هذا الوجه فقال عن عبد الله بن علي بن الحسين عن أبي هريرة ومنها حديث أنس رفعه، «من ذكرت عنده فليصل علي فمن صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً» أخرجه النسائي، ومنها حديث ابن عباس ـ رفعه ـ: «من نسي الصلاة عليّ خطىء طريق الجنة» أخرجه ابن ماجه. وله طريق أخرى عن الحسين بن علي عند الطبراني. وأخرى عند البيهقي في القضايا من المعرفة عن أبي هريرة وأخرى عند ابن إسحاق وأبي يعلى عن أبي ذر بلفظ: «إن أضل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي»، ومنها حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: «الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى يصلى على النبي ـ ﷺ ـ» أخرجه الترمذي والبيهقي في الشعب عن علي نحوه ومنها حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه ـ رفعه «من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي، فليقل من ذلك أو ليكثر» أخرجه ابن ماجه، والأحاديث في فضل الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ كثيرة جداً. انتهى.

١٢٢٢ ـ تقدم.

وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه وقد تقدم في براءة. انتهى.

١٢٢٣ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٣٦): غريب وتقدم في سورة يوسف.

وقال الحافظ ابن حجر: تقدم في يوسف. انتهى.

قول اليهود والنصارى والمشركين: يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه. وقيل: قول الذين يلحدون في أسمائه وصفاته. وعن رسول الله ـ ﷺ ـ فيما حكى عن ربه «شتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمني، وآذاني ولم ينبغ له أن يؤذيني، فأمّا شتمه إياي فقوله: إني اتخذت ولداً. وأما أذاه فقوله: إن الله لا يعيدني بعد أن بدأني (١١٢٤). وعن عكرمة: فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله (١١٢٥). وقيل في أذى رسول الله ـ ﷺ ـ قولهم: ساحر، شاعر، كاهن، مجنون. وقيل: كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد. وقيل: طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي، وأطلق إيذاء الله ورسوله، وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات؛ لأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق أبداً. وأما أذى المؤمنين والمؤمنات، فمنه ومنه. ومعنى ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ بغير جناية واستحقاق للأذى. وقيل: نزلت في ناس من المنافقين يؤذون علياً ـ رضي الله عنه ـ ويسمعونه. وقيل: في الذين أفكوا على عائشة ـ رضي الله عنها ـ. وقيل: في زناة كانوا يتبعون النساء وهنّ كارهات. وعن الفضيل: لا يحل لك أن تؤذي كلباً أو خنزيراً بغير حق، فكيف[1] وكان ابن عون لا يكري الحوانيت إلا من أهل الذمّة، لما فيه من الروعة عند كرّ الحول.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

الجلباب: ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل. وقيل: الملحفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره؛ قال أبو زيد [من البسيط]:

. . . .   مُجَلْبَبٌ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جِلْبَابَا[2]

١١٢٤ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٧٦٦ ـ ٧٦٧)، كتاب: التفسير باب: قوله «الله الصمد» والعربُ تسمي أشرافها الصمد، حديث (٤٩٧٥).
قال الزيلعي: وهو من مفردات البخاري، وليس فيه: وآذاني.
١١٢٥ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٣٠)، رقم (٢٨٦٣٩) من طريق سلمة بن الحجاج عن عكرمة.
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ومن حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ نحوه. انتهى.

---

(١) «فكيف» عبارة النسفي: فكيف إيذاء المؤمنين والمؤمنات. (ع)
(٢) أهلاً بضيف أتى ما استفتح البابا   مجلبب من سواد الليل جلبابا =

ومعنى ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ يرخينها عليهنّ، ويغطين بها وجوههنّ وأعطافهنّ. يقال: إذا زل الثوب عن وجه المرأة: أدني ثوبك على وجهك، وذلك أن النساء كنّ في أول الإسلام على هجيراهنّ في الجاهلية متبذلات، تبرز المرأة في درع وخمار فصل بين الحرّة والأمة، وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرّضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضي حوائجهنّ في النخيل والغيطان للإماء، وربما تعرّضوا للحرّة بعلة الأمة، يقولون: حسبناها أمة، فأمرن أن يخالفن بزيهنّ عن زي الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرءوس والوجوه، ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع، وذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ أي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرّض لهن ولا يلقين ما يكرهن. فإن قلت: ما معنى (من) في (من جلابيبهن)؟ قلت: هو للتبعيض، إلا أن معنى التبعيض يحتمل وجهين، أحدهما: أن يتجلببن ببعض ما لهنّ من الجلابيب، والمراد أن لا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار، كالأمة والماهنة ولها جلبابان فصاعداً في بيتها. والثاني: أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة. وعن ابن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال: أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تدبره حتى تضعه على أنفها. وعن السدي: أن تغطي إحدى عينيها وجبهتها، والشق الآخر إلا العين. وعن الكسائي: يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهنّ، أراد بالانضمام معنى الإدناء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من التفريط مع التوبة(١)؛ لأن هذا مما يمكن معرفته بالعقل.

﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات عليه. وقيل: هم

= لأبي زبيد. وأهلاً: مفعول لمحذوف وجوبا، أي: أتيت أهلا. وبضيف: متعلق بمحذوف، أي: أرحب بضيف: ويجوز تعلقه بأهلاً؛ لأن فيه معنى الترحيب. وما: مصدرية، أي: مدة استقامة الباب. والمراد منه التعميم، أي: في أي وقت يطلب فتح الباب: وصفه بالآتي في سواد الليل، مبالغة في التمدح بالكرم. ويجوز أن الضيف محبوبته، فيكون الليل أستر لها، وشبه استتار ضيفه بظلام الليل بلبس اللباس، والتجوز في الجلببة أو في الجلباب على طريق التصريحيه، ويجوز لأن ما نافية، وعلى هذا فيصح أن يكون خطاباً لملك الموت، حيث دخل ولم يطلب فتح الباب، وإن كان الضيف والحبيب قد يفعلان ذلك أيضاً.

(١) قوله «لما سلف لعنهن من التفريط مع التوبة» هذا عند المعتزلة. أو بمجرد الفضل عند أهل السنة. (ع)

الزناة وأهل الفجور من قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾. ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ﴾/ ٢/ ١٠٧أ ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله ـ ﷺ ـ، فيقولون: هزموا وقتلوا، وجرى عليهم كيت وكيت، فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين. يقال: أرجف بكذا، إذا أخبر به على غير حقيقة، لكونه خبراً متزلزلاً غير ثابت، من الرجفة وهي الزلزلة. والمعنى: لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدكم، والفسقة عن فجورهم، والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء؟ لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوؤهم وتنوؤهم(١)، ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة، وإلى أن لا يساكنوك فيها ﴿إِلَّا﴾ زمناً ﴿قَلِيلًا﴾ ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم(٢)، فسمى ذلك إغراء، وهو التحريش على سبيل المجاز ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ نصب على الشتم أو الحال، أي: لا يجاورونك إلا ملعونين، دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معاً، كما مرّ في قوله: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ ولا يصح أن ينتصب عن (أخذوا) لأنّ ما بعد كلمة الشّرط لا يعمل فيما قبلها. وقيل في (قليلاً) وهو منصوب على الحال أيضاً. ومعناه. لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين. فإن قلت ما موقع لا يجاورونك؟ قلت: لا يجاورونك عطف على لنغرينك، لأنه يجوز أن يجاب به القسم. ألا ترى إلى صحة قولك: لئن لم ينتهوا لا يجاورونك. فإن قلت: أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء، وأن يقال: لنغرينك بهم فلا يجاورونك؟ قلت: لو جعل الثاني مسبباً عن الأول لكان الأمر كما قلت، ولكنه جعل جواباً آخر للقسم معطوفاً على الأوّل، وإنما عطف بثم، لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به، فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ في موضع مصدر مؤكد، أي: سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل: يعني كما قتل أهل بدر وأسروا.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾

كان المشركون يسألون رسول الله ـ ﷺ ـ عن وقت قيام الساعة استعجالاً على سبيل الهزء، واليهود يسألونه امتحاناً؛ لأن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب، فأمر

---

(١) قوله «الأفاعيل التي تسوؤهم وتنوؤهم» في الصحاح، يقال: له عندي ما ساءه وناءه، أي أثقله، وما يسوؤه وينوؤه، وقال بعضهم أراد ساءه وناءه وإنما قال ناءه وهو لا يتعدى لأجل ساءه ليزدوج الكلام. (ع)

(٢) قال محمود: «المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ريثما يلتقطون عيالاتهم وأنفسهم لا غير» قال أحمد: وفيها إشارة إلى أن من توجه عليه إخلاء منزل مملوك للغير بوجه شرعي، يمهل ريثما ينتقل بنفسه ومتاعه وعياله برهة من الزمان، حتى يتحصل له منزل آخر على حسب الاجتهاد، والله أعلم.

رسول الله ـ ﷺ ـ بأن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به، لم يطلع عليه ملكاً ولا نبياً، ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع، تهديداً للمستعجلين، وإسكاتاً للممتحنين ﴿قَرِيبًا﴾ شيئاً قريباً. أو لأن الساعة في معنى اليوم، أو في زمان قريب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾

السعير: النار المسعورة الشديدة الإيقاد.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾

وقرئ: تقلب، على البناء للمفعول. وتقلب، بمعنى تتقلب. ونقلب، أي: نقلب نحن. وتقلب: على أن الفعل للسعير[1]. ومعنى تقليبها: تصريفها في الجهات، كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة. أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها. أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين، وخصت الوجوه بالذكر، لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده، ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة، وناصب الظرف ﴿يَقُولُونَ﴾ أو محذوف. وهو «اذكر» وإذا نصب بالمحذوف كان (يقولون) حالاً.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾

وقرئ: سادتنا وساداتنا: وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم. يقال: ضلّ السبيل وأضله إياه، وزيادة الألف لإطلاق الصوت: جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر، وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع، وأن ما بعده مستأنف. وقرئ: كثيراً، تكثيراً لإعداد اللعائن. وكبيراً، ليدل على أشد اللعن وأعظمه ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفاً لضلاله وضعفاً لإضلاله: يعترفون، ويستغيثون، ويتمنون، ولا ينفعهم شيء من ذلك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ قيل: نزلت في شأن زيد وزينب، وما سمع فيه من قالة

---

(١) قوله «على أن الفعل للسعير» يعني: وجوههم، بالنصب. (ع)

بعض الناس. وقيل: في أذى موسى عليه السلام: هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها، وقيل: اتهامهم إياه بقتل هارون، وكان قد خرج معه الجبل فمات هناك، فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتاً فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول. وقيل: أحياه الله أخبرهم ببراءة موسى عليه السلام. وقيل: قرفوه بعيب[1] في جسده من برص أو أدرة، فأطلعهم الله على أنه بريء منه ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه ومنزلة عنده، فلذلك كان يميط عنه التهم/ ٢/ ١٠٧ب، ويدفع الأذى، ويحافظ عليه، لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصه، كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة. وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حيوة. وكان عبد الله وجيهاً. قال ابن خالويه: صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان، فسمعته يقرؤها. وقراءة العامة أوجه؛ لأنها مفصحة عن وجاهته عند الله، كقوله تعالى: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ وهذه ليست كذلك، فإن قلت: قوله: ﴿مِمَّا قَالُوا۟﴾ معناه: من قولهم، أو من مقولهم؛ لأنّ (ما) إما مصدرية أو موصولة، وأيهما كان فكيف تصح البراءة منه؟ قلت: المراد بالقول أو المقول: مؤداه ومضمونه. وهو الأمر المعيب. ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة[2]، والقالة بمعنى القول؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ قاصداً إلى الحق والسداد: القصد إلى الحق، والقول بالعدل. يقال: سدّد السهم نحو الرمية: إذا لم يعدل به عن سمتها، كما قالوا: سهم قاصد، والمراد: نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول، والبعث على أن يسد قولهم[3] في كل باب؛ لأنّ حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله. والمعنى: راقبوا الله في حفظ ألسنتكم، وتسديد قولكم، فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية

---

(١) قوله «وقيل قرفوه بعيب» في الصحاح: قرفت الرجل، أي: عبته. ويقال: هو يقرف بكذا، أي: ترمي برؤيتهم. (ع)

(٢) قوله «ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة» في الصحاح: صار هذا الأمر سبة عليه ـ بالضم، أي: عاراً. (ع)

(٣) قوله «على أن يسد قولهم» في الصحاح: سد قوله يسدّ ـ بالكسر ـ: أي صار سديداً. (ع)

الطلبة: من تقبل حسناتكم والإثابة عليها، ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها. وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقرّرة للتي قبلها، بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذه على الأمر باتقاء الله تعالى في حفظ اللسان؛ ليترادف عليهم النهي والأمر، مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام، واتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه. لما قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وعلق بالطاعة الفوز العظيم، أتبعه قوله ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾ وهو يريد بالأمانة الطاعة، فعظم أمرها وفخم شأنها، وفيه وجهان، أحدهما: أنّ هذه الأجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله عز وعلا انقياد مثلها ـ وهو ما يتأتى من الجمادات ـ وأطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجاداً وتكويناً وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة، كما قال: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ وأما الإنسان فلم تكن حاله ـ فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه، وهو حيوان عاقل صالح للتكليف ـ مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع، والمراد بالأمانة: الطاعة؛ لأنها لازمة الوجود، كما أن الأمانة لازمة الأداء. وعرضها على الجمادات وإباؤها وإشفاقها: مجاز. وأما حمل الأمانة فمن قولك: فلان حامل للأمانة ومحتمل لها، تريد: أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمّته ويخرج عن عهدتها؛ لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها. ألا تراهم يقولون: ركبته الديون، ولي عليه حق، فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملاً لها. ونحوه قولهم، لا يملك مولى لمولى نصراً. يريدون: أنه يبذل النصرة له ويسامحه بها، ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل؛ ومنه قول القائل [من الطويل]:

أَخُوكَ الَّذِي لاَ تَمْلِكُ الْحِسَّ نَفْسُهُ ... وَتَرْفَضُّ عِنْدَ الْمُحْفِظَاتِ الْكَتَائِفُ[1]

أي لا يمسك الرقة والعطف إمساك المالك الضنين ما في يده، بل يبذل ذلك ويسمح

---

(١) للقطامي: وقيل: لذي الرمة. وحس له حساً: رق له وعطف. والحس أيضاً: العقل والتدبير والنظر في العواقب، والارفضاض من الترشرش والتناثر، وأحفظه إحفاظاً: أغضبه، فالمحفظات: المغضبات. والكتائف: جمع كتيفة، وهي الضغينة والحقد، يقول: أخوك هو الذي لا تملك نفسه الرحمة، بل يبذلها لك. أو لا تقدر نفسه على التدبر بالتأني، بل يسرع إليك بغتة وترتعد وتذهب ضغائنه من جهتك عند الأمور المغضبة لك، لأنها تغضبه أيضاً.
وهو للقطامي في ديوانه ص ٥٥، ولسان العرب (حسس)، (رفض)، (حفظ)، (كتف)، وأساس البلاغة (حفظ)، ومقاييس اللغة ٥/ ١٦٠، وتهذيب اللغة ٣/ ٤٠٦، ٤/ ٤٦٠، وتاج العروس (رفض)، (حفظ)، (كتف).

به. ومنه قولهم ابغض حق أخيك؟ لأنه إذا أحبه لم يخرجه إلى أخيه ولم يؤده، وإذا أبغضه أخرجه وأدّاه. فمعنى: فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان، فأبين إلا أن يؤدينها وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملاً لها لا يؤديها. ثم وصفه بالظلم لكونه تاركاً لأداء الأمانة. وبالجهل لأخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أدؤاها. والثاني: أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه وثقل محمله: أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشدّه: أن يتحمله ويستقل به، فأبى حمله والاستقلال به وأشفق منه، وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوّته ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها، وضمنها ثم خاس[1] بضمانة فيها، ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب. وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم من ذلك قولهم: لو قيل للشحم: أين تذهب؟ لقال: أسوي العوج، وكم وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات. وتصوّر مقاولة الشحم محال، ولكن الغرض/ ٢/١٠٨أ أنّ السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه، كما أن العجف مما يقبح حسنه، فصوّر أثر السمن فيه تصويراً هو أوقع في نفس السامع، وهي به آنس وله أقبل، وعلى حقيقته أوقف، وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها. فإن قلت: قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد: أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى؛ لأنه مثلت حاله ـ في تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضي على أحدهما ـ بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه. وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة، وليس كذلك ما في هذه الآية؛ فإن عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال في نفسه، غير مستقيم، فكيف صح بناء التمثيل على المحال، وما مثال هذا إلا أن تشبه شيئاً والمشبه به غير معقول. قلت: الممثل به في الآية وفي قولهم: لو قيل للشحم أين تذهب. وفي نظائره مفروض، والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات: مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها. واللام في ﴿لِّيُعَذِّبَ﴾ لام التعليل على طريق المجاز؛ لأنّ التعذيب نتيجة حمل الأمانة، كما أن التأديب في ضربته للتأديب نتيجة الضرب. وقرأ الأعمش. ويتوب؛ ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل، ويبتدىء: ويتوب الله[2]. ومعنى قراءة العامة: ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها، لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعاً من عذاب الغادر، والله أعلم.

---

(١) قوله «ثم خاس بضمانه فيها» في الصحاح: خاس به يخيس ويخوس، أي: غدر به يقال: خاس بالعهد، إذ نكث. (ع)

(٢) قوله «ويتوب» أي بالرفع، كما في النسفي. (ع)

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه، أعطي الأمان من عذاب القبر» (١٢٢٦).

١٢٢٦ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة.
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

سورة سبأ

مكية، [إلا آية ٦ فمدنية]

وآياتها ٥٤ [نزلت بعد لقمان]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

ما في السموات والأرض كله نعمة من الله، وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله، ولما قال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثم وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم الدنيوية، كان معناه: أنه المحمود على نعم الدنيا، كما تقول: احمد أخاك الذي كساك وحملك، تريد: احمده على كسوته وحملانه. ولما قال: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب. فإن قلت: ما الفرق بين الحمدين؟ قلت: أمّا الحمد في الدنيا فواجب، لأنه على نعمة متفضل بها، وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب. وأمّا الحمد في الآخرة فليس بواجب[١]، لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها[٢]، إنما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم: يتلذذون به كما يتلذذ من به العطاش[٣] بالماء البارد

---

(١) قال محمود: «الحمد الأول واجب لأنه على نعمة متفضل بها، والثاني: ليس بواجب، لأنه على نعمة واجبة على المنعم» قال أحمد: والحق في الفرق بين الحمدين: أن الأول عبادة مكلف بها، والثاني غير مكلف به ولا متكلف، وإنما هو في النشأة الثانية كالجبليات في النشأة الأولى، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، وإلا فالنعمة الأولى كالثانية بفضل من الله تعالى على عباده، لا عن استحقاق والله الموفق.

(٢) قوله «نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها، مبني على مذهب المعتزلة، أما أهل السنة فلا يوجبون على الله شيئاً، ولا يجب الحمد في الآخرة، لأنها ليست دار تكليف. (ع)

(٣) قوله «كما يلتذ من به العطاش» في الصحاح: «العطاش»: داء يصيب الإنسان: يشرب الماء فلا يروى. (ع)

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بكل كائن يكون. ثم ذكر مما يحيط به علما ﴿مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الغيث كقوله: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١] ومن الكنوز والدفائن والأموات. وجميع ما هي له كفات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من الشجر والنبات. وماء العيون، والغلة، والدواب، وغير ذلك ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير، كما قال تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢] ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة وأعمال العباد ﴿وَهُوَ﴾ مع كثرة نعمه وسبوغ فضله ﴿ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ للمفرطين في أداء مواجب شكرها. وقرأ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: ننزِّل، بالنون والتشديد.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

قولهم ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ نفي للبعث وإنكار لمجيء الساعة. أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية، كقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾. أوجب ما بعد النفي ببلى على معنى: أن ليس الأمر إلا إتيانها، ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد، وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل، ثم أمد التوكيد القسمي إمداداً بما أنبع المقسم به الوصف بما وصف به، إلى قوله: ﴿لِّيَجْزِىَ﴾ لأنّ عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدّة ثباته واستقامته، لأنه/٢/١٠٨ب بمنزلة الاستشهاد على الأمر، وكلما كان المستشهد به أعلى كعباً وأبين فضلاً وأرفع منزلة، كانت الشهادة أقوى وآكد، والمستشهد عليه أثبت وأرسخ. فإن قلت: هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى؟ قلت: نعم وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب، وأدخلها في الخفية، وأوّلها مسارعة إلى القلب: إذا قيل عالم الغيب، فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة، وأنه كائن لا محالة، ثم وصف بما يرجع إلى علم الغيب، وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات، واندرج تحته إحاطته بوقت قيام الساعة، فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئاً واضحاً. فإن قلت: الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحدوه، فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان وأقسم عليهم جهد القسم، فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذباً كيف تكون مصححة لما أنكروه؟ قلت: هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهي قوله: ﴿لِّيَجْزِىَ﴾ فقد وضع الله في العقول وركب في

الغرائز وجوب الجزاء[١]، وأن المحسن لا بدّ له من ثواب، والمسيء لا بد له من عقاب. وقوله: ﴿لِّيَجْزِيَ﴾ متصل بقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ تعليلاً له. قرئ: لتأتينكم بالتاء والياء. ووجه من قرأ بالياء: أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم[٢]. أو يسند إلى عالم الغيب، أي ليأتينكم أمره كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] وقال: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾. وقرئ: عالم الغيب، وعلام الغيب: بالجر، صفة لربي. وعالم الغيب، وعالم الغيوب: بالرفع، على المدح. ولا يعزب: بالضم والكسر في الزاي، من العروب وهو البعد. يقال: روض عزيب: بعيد من الناس ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ مقدار أصغر نملة ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى مثقال ذرّة. وقرئ: ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. بالرفع على أصل الابتداء. وبالفتح على نفي الجنس، كقولك: لا حول ولا قوّة إلا بالله، بالرفع والنصب. وهو كلام منقطع عما قبله. فإن قلت: هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرّة، كأنه قيل: لا يعزب عنه مثقال ذرّة وأصغر وأكبر وزيادة، لا لتأكيد النفي. وعطف المفتوح على ذرّة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف، كأنه قيل: لا يعزب عنه مثقال ذرّة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر؟ قلت: يأبى ذلك حرف الاستثناء، إلا إذا جعلت الضمير في (عنه) للغيب، وجعلت (الغيب) اسماً للخفيات. قبل أن تكتب في اللوح لأنّ إثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب، على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء، ولا يزل عنه إلا مسطوراً في اللوح[٣].

---

(١) قوله «وركب في الغرائز وجوب الجزاء» هذا مقتضى الحكمة وإن لم يجب على الله تعالى شيء عند أهل السنة، فتدبر. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: ورده الشيخ بأنه ضرورة كقوله: ولا أرض أبقل إبقالها. وليس مثله وقيل أي الله بمعنى أمره ويجوز على قياس هذا الوجه أن يكون «عالم» فاعلاً ليأتينكم في قراءة من رفعه. انتهى الدر المصون.

(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا يُحْتَاج إلى التأويل إذا جعلنا الكتابَ ليس اللوح المحفوظ وقرأ زيد بنُ عليّ بخفض راء «أصْغَرِ» «وأكْبَرِ» وهي مشكلة جداً وخُرِّجَتْ على أنهما في نية الإضافة إذ الأصلُ ولا أَصْغَرِهِ ولا أكْبره وما لا ينصرف إذا أُضيفَ انجَر في موضع الجر ثم حذف المضاف إليه ونوى معناه فترك المضاف بحاله وله نظائر كقولهم [من المنسرح]:

.... بَـيْـنَ ذِرَاعَـي وَجَـبْـهَـةِ الأَسَـدِ

ويا تَيْمَ عَدِيّ على خلاف. وقد يُفَرِّقُ بأَنَّ هناك ما يدل على المحذوف لفظاً بخلاف هنا وقد ردَّ بعضُهم هذا التخريج لوجود «مِنْ» لأن أَفْعَلَ متى أُضِيفَ لم يجامع مِنْ وأجيب عن ذلك بوجهين.

أحدهما: أنَّ مِنْ ليست متعلقة بأفعل بل بمحذوف على سبيل البيان لأنه لما حُذِفَ المضافُ إليه انْبَهَمَ المضافُ فَبُيِّنَ بمن ومجرورها أي أعنى مِنْ ذلك.

والثاني: أنه مع تقديره للمضاف إليه نوى طرحه فلذلك أتى بمن ويدل على ذلك أنه قد ورد التصريح بالإضافة مع وجود مِنْ قال الشاعر [من المنسرح]:

نَـحْـنُ بِـغَـرْسِ الـوَدِى أَعْـلَـمُـنَـا مِـنَّـا بِـرَكْـضِ الـجِـيَـادِ فـي الـسَّـدَفِ =

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾

وقرئ معجزين. وأليم، بالرفع والجر. وعن قتادة: الرجز: سوء العذاب.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾

ويرى في موضع الرفع. أي: ويعلم أولو العلم، يعنيْ أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ومن يطأ أعقابهم من أمّته. أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام ـ رضي الله عنهما ـ، ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ . . . ٱلْحَقَّ﴾ هما مفعولان ليرى، وهو فصل من قرأ (الحق) بالرفع: جعله مبتدأ و(الحق) خبراً، والجملة في موضع المفعول الثاني. وقيل: (يرى) في موضع النصب معطوف على (ليجزي) أي: وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق. علماً لا يزاد عليه في الإيقان، ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا. ويجوزأن يريد: وليعلم من لم يؤمن من الأحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغماً.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قريش. قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون محمداً ﷺ: يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب: أنكم تبعثون وتنشؤون خلقاً جديداً بعد أن تكونوا رفاتاً وتراباً ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق، أي: يفرقكم ويبدد أجزاءكم كل تبديد. أهو مفتر على الله كذباً فيما ينسب إليه من ذلك؟ أم به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه؟ ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء، وهو مبرأ منهما؛ بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث: واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم إليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك. وذلك أجنّ الجنون وأشدّه إطباقاً على عقولهم: جعل وقوعهم في

= وخُرِّجَ على هذين الوجهين إما التعلق بمحذوف وإمّا نِيَّةُ اطّراح المضاف إليه قُلْتُ: وهذا كما احتاجوا إلى تأويل الجمع بين أَلْ ومِنْ أَفْعَلَ كقوله:

وَلَسْتَ بِالأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصَى

وهذه توجيهاتُ شذوذٍ لا يُطْلَبُ فيها أكثر من ذلك فليُقْنَع بمثله. انتهى. الدر المصون.

العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال، كأنهما كائنان في وقت واحد؛ لأنّ الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته: جعلا كأنهما في الحقيقة مقترنان. وقرأ زيد بن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: ينبيكم. فإن قلت: فقد جعلت الممزق مصدراً، كبيت الكتاب [من الوافر]:

أَلَـمْ تَـعْـلَـمْ مُـسَـرَّحِـيَ الْـقَـوَافِـي فَـلاَ عِـيًّـا بِـهِـنَّ وَلاَ اجْـتِـلاَبَـا؟[1]

فهل يجوز أن يكون مكاناً؟ قلت: نعم. معناه ما حصل من الأموات في بطون الطير والسباع، وما مرّت به/ ٢/ ١٠٩أ السيول فذهبت به كل مذهب، وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح. فإن قلت: ما العامل في إذا؟ قلت: ما دلّ عليه ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وقد سبق نظيره. فإن قلت: الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول؟ قلت: هو عند البصريين بمعنى فاعل، تقول: جد فهو جديد، كحد فهو حديد، وقلّ فهو قليل. وعند الكوفيين بمعنى: مفعول، من جده إذا قطعه. وقالوا: هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب؛ ثم شاع. ويقولون؛ ولهذا قالوا[2] ملحفة جديد، وهي عند البصريين كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [الأعراف: ٥٦] ونحو ذلك. فإن قلت: لم أسقطت الهمزة في قوله: ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ دون قوله: (السحر)، وكلتاهما همزة وصل؟ قلت: القياس الطرح، ولكن أمراً اضطرّهم إلى ترك إسقاطها في نحو (آلسحر) وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر، لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام. فإن قلت: ما معنى وصف الضلال بالبعد؟ قلت هو من الإسناد المجازي؛ لأن البعيد صفة الضال إذا بعد عن الجادّة، وكلما ازداد عنها بعداً كان أضل. فإن قلت: كان رسول الله ـ ﷺ ـ مشهوراً علماً في قريش، وكان إنباؤه بالبعث شائعاً عندهم، فما معنى قوله: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾ فنكروه لهم، وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول. قلت: كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية، فأخرجوه مخرج التحلي ببعض الأحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبأمره.

---

(١) لجرير، وهو من أبيات الكتاب. والمسرح: مصدر على زنة المفعول، فهو بمعنى التسريح، أي: الإرسال أو التسوية. وسرحت الجارية شعرها: مشطته، فاسترسل وحسن، وهو مضاف لياء الفاعل. والقوافي: مفعول، ونصب العي لشبهه بالمضاف، أو نونه للضرورة، أي: لا أعي بها، ولا أعجز عنها، ولا أجتلبها، ولا أسرقها، ويجوز أن العي ركاكة المعنى. والاجتلاب: الاستتار، من جلبة الجرح، وهي قشرته الساترة له، فيهن: بمعنى فيهن.
ينظر: ديوانه ص ٦٥١، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٩٧، والكتاب ١/ ٢٣٣، ٣٣٦، ولسان العرب (جلب)، (سحج)، وبلا نسبة في لسان العرب (يسر)، والمقتضب ١/ ٧٥، ٢/ ١٢١.

(٢) قوله «ولهذا قالوا» أي العرب. (ع)

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾

أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض، وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم، لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله عز وجلّ، ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفاً، لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول ﷺ وبما جاء به، كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله ﴿لَآيَةً﴾ ودلالة ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ وهو الراجع إلى ربه المطيع له؛ لأنّ المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله، على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به. قرئ يشأ ويخسف ويسقط: بالياء؛ لقوله تعالى: : ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ وبالنون لقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ وكسفاً: بفتح السين وسكونه. وقرأ الكسائي: يخسف بهم، بالإدغام وليست بقوية.

﴿۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَا جِبَالُ﴾ إمّا أن يكون بدلاً من ﴿فَضْلًا﴾، وإمّا من ﴿آتَيْنَا﴾ بتقدير: قولنا يا جبال. أو: قلنا يا جبال. وقرئ: أوّبي، وأوبي: من التأويب. والأوب: أي رجعي معه التسبيح. أو ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه؛ لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه: ومعنى تسبيح الجبال: أنّ الله سبحانه وتعالى يخلق فيها تسبيحاً كما خلق الكلام في الشجرة، فيسمع منها ما يسمع من المسبح: معجزة لداود. وقيل: كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين، وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصدائها[1] والطير بأصواتها. وقرئ: والطير، رفعاً ونصباً، عطفاً على لفظ الجبال ومحلها. وجوّزوا أن ينتصب مفعولاً معه، وأن يعطف على فضلاً، بمعنى وسخرنا له الطير. فإن قلت: أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال: ﴿آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا﴾ تأويب الجبال معه والطير؟ قلت: كم بينهما. ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي

---

(١) قوله «بأصدائها» جمع صدى، وهو الذي يجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها، كذا في الصحاح. (ع)

لا تخفى من الدلالة على عزّة الربوبية وكبرياء الإلهية، حيث جعلت الجبال منزّلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا: إشعاراً بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت، إلا وهو منقاد لمشيئته، غير ممتنع على إرادته ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ وجعلناه له ليناً كالطين والعجين والشمع، يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة. وقيل: لان الحديد في يده لما أوتي من شدّة القوّة. وقرئ صابغات، وهي الدروع الواسعة الضافية، وهو أوّل من اتخذها وكانت قبل صفائح. وقيل: كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله، ويتصدّق على الفقراء. وقيل: كان يخرج حين ملك بني إسرائيل متنكراً، فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم: ما تقولون في داود؟ فيثنون عليه، فقيض الله له ملكاً في صورة آدمي فسأله على عادته، فقال: نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود، فسأله؟ فقال: لولا أنه يطعم عياله من بيت المال، فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال، فعلمه صنعة الدروع ﴿وَقَدِّرْ﴾ لا تجعل المسامير دقاقاً فتغلق، ولا غلاظاً فتفصم الحلق. والسرد: نسج الدروع ﴿وَٱعْمَلُواْ﴾ الضمير لداود وأهله ﴿و﴾ سخرنا ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ فيمن نصب: ولسليمان الريح مسخرة، فيمن رفع، وكذلك فيمن قرأ: الرياح، بالرفع ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر، وجريها بالعشي كذلك. وقرئ: غدوتها وروحتها. وعن/ ٢/ ١٠٩ب الحسن ـ رضي الله عنه ـ: كان يغدو فيقيل باصطخر، ثم يروح فيكون رواحه بكابل. ويحكى أنّ بعضهم رأى مكتوباً في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان: نحن نزلناه وما بنيناه ومبنياً وجدناه، غدونا من اصطخر فقلناه، ونحن رائحون منه فبائتون بالشام إن شاء الله. القطر: النحاس المذاب من القطران. فإن قلت: ماذا أراد بعين القطر؟ قلت: أراد بها معدن النحاس ولكنه أساله[1] كما ألان الحديد لداود، فنبع كما ينبع الماء من العين؛ فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل إليه، كما قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ وقيل: كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بأمره ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ ومن يعدل ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمرناه من طاعة سليمان وقرئ. يزغ من أزاغه. وعذاب السعير: عذاب الآخرة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وعن السدي: كان معه ملك بيده سوط من نار، كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني. المحاريب: المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال: سميت محاريب لأنه يحامي عليها ويذب عنها. وقيل: هي المساجد. والتماثيل: صور الملائكة والنبيين والصالحين، كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم. فإن قلت: كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير؟

---

(١) قوله «ولكنه أساله كما ألان الحديد» لعله: أساله له. (ع)

قلت: هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع؛ لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب، وعن أبي العالية: لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرّماً. ويجوز أن يكون غير صور الحيوان كصور الأشجار وغيرها؛ لأنّ التمثال كل ما صوّر على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان. أو تصوّر محذوفة الرءوس. وروي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما، وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما. والجوابي: الحياض الكبار، قال [من الطويل]:

تَـرُوحُ عَـلَـىٰ آلِ الْـمُـحَـلِّـقِ جَـفْـنَـةٌ كَـجَـابِـيَـةِ الـسَّـيْـحِ الْـعِـرَاقِـيِّ تَـفْـهَـقُ[1]

لأنّ الماء يجبى فيها، أي: يجمع. جعل الفعل لها مجازاً وهي من الصفات الغالبة كالدابة. قيل: كان يعقد على الجفنة ألف رجل. وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة. كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر: ٦]. ﴿رَّاسِيَاتٍ﴾ ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ﴾ حكاية ما قيل لآل داود. وانتصب ﴿شُكْرًا﴾ على أنه مفعول له، أي: اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه. وفيه دليل على أن العبادة يجب أن تؤدّى على طريق الشكر. أو على الحال، أي: شاكرين. أو على تقدير اشكروا شكراً، لأن اعملوا فيه معنى اشكروا، من حيث أنّ العمل للمنعم شكر له. ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولاً به. ومعناه: إنا سخرنا لكم الجنّ يعملون لكم ما شئتم، فاعملوا أنتم شكراً على طريق المشاكلة ﴿الشَّكُورُ﴾ المتوفر على أداء الشكر، الباذل وسعه فيه: قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه، اعتقاداً واعترافاً وكدحاً، وأكثر أوقاته. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من يشكر على أحواله كلها. وعن السدي: من يشكر على الشكر. وقيل: من يرى عجزه عن الشكر. وعن داود أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله، فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي. وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رجلاً يقول: اللهم اجعلني من القليل، فقال عمر ما هذا الدعاء؟ فقال الرجل: إني سمعت الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل، فقال عمر: كل

---

(١) للأعشى في مدح المحلق. وروي «تلوح» بدل تروح؛ لأنها تظهر عند خروجها من البيت أول النهار مستعلية عليهم. والجفنة: قصعة الثريد. والجابية: الحوض يجبي الماء، أي: يجمعه إلى الحوض. والسيح: الماء الكثير الجاري. وفهق يفهق، كفرح يفرح: اتسع وامتلأ وتدفق. ومنه الحديث: أنه قام إلى باب الجنة فانفهقت له، أي: انفتحت واتسعت. والمتفيهق: المكثر من الكلام، فقوله «تفهق» أي تمتلىء مع اتساعها حتى تكاد تتدفق.
ينظر: ديوانه ص ٢٧٥، ولسان العرب (حلق)، (فهق)، (جبى)، وتهذيب اللغة ٥/ ٤٠٤، ومقاييس اللغة ١/ ٥٠٣، ٤٥٦، ومجمل اللغة ٤/ ٦٧، وتاج العروس (فهق)، (جبى)، وبلا نسبة في المخصّص ١٠/ ٥٠.

الناس أعلم من عمر (١٢٢٧).

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

قرئ: فلما قضي عليه الموت. ودابة الأرض: الأرضة، وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والأرض فعلها، فأضيفت إليه. يقال: أرضت الخشبة أرضاً. إذا أكلتها الأرضة. وقرئ بفتح الراء، من أرضت الخشبة أرضاً، وهو من باب فعلته ففعل، كقولك: أكلت القوادح الأسنان أكلاً، فأكلت أكلاً. والمنسأة: العصا؛ لأنه ينسأ بها، أي: يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلباً وحذفاً وكلاهما ليس بقياس، ولكن إخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي. ومنساءته على مفعالة، كما يقال في الميضأة ميضاءة. ومن سأته، أي: من طرف عصاه، سميت بسأة[1] القوس على الاستعارة. وفيها لغتان، كقولهم: قحة وقحة[2]. وقرئ: أكلت منسأته ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ من تبين الشيء إذا ظهر وتجلى/ ٢/ ١١٠أ. و﴿إِنَّ﴾ مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال، كقولك: تبين زيد جهله: والظهور له في المعنى، أي: ظهر أنّ الجن ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ﴾ أو علم الجن كلهم علماً بيناً ـ بعد التباس الأمر على عامّتهم وضعفتهم وتوهمهم ـ أنّ كبارهم يصدّقون في ادعائهم علم الغيب. أو علم المدّعون علم الغيب منهم عجزهم، وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم، وإنما أريد التهكم بهم كما تتهكم بمدّعي الباطل إذا دحضت حجته[3] وظهر إبطاله بقولك: هل تبينت أنك مبطل. وأنت تعلم أنه لم يزل كذلك متبيناً. وقرئ: تبينت الجن، على البناء للمفعول، على أن المتبين في المعنى هو (أن) مع ما في صلتها، لأنه بدل، وفي قراءة أبيّ: تبينت

١٢٢٧ ـ أخرجه أبو بكر بن شيبة في مصنفه (٦/ ٦٥) كتاب الدعاء: باب ما ذكر عن أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ من الدعاء، حديث (٤/ ٢٩٥).
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٣١)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٤١). وزاد نسبته إلى أحمد بن حنبل في الزهد.
قال ابن حجر: أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد في زيادات الزهد من رواية التيمي عن عمر فذكر نحوه. انتهى.

---

(١) قوله «سميت بسأة القوس» في الصحاح «سية القوس»: ما عطف من طرفيها، وكان رؤبة يهمز: سية القوس، وسائر العرب لا يهمزونها. (ع)
(٢) قوله «كقولهم قحة وقحة» كسعة وكمدة، بمعنى الوقاحة: وهي الصلابة. (ع)
(٣) قوله «إذا دحضت حجته» في الصحاح: بطلت. (ع)

الإنس. وعن الضحاك: تباينت الإنس بمعنى تعارفت وتعاملت. والضمير في (كانوا) للجن في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي علمت الإنس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب؛ ما لبثوا. وفي قراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: تبينت الإنس أنّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب. روي أنه كان من عادة سليمان عليه السلام أن يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال، فلما دنا أجله لم يصبح إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله، فيسألها: لأي شيء أنت؟ فتقول لكذا، حتى أصبح ذات يوم فرأى الخروبة، فسألها، فقالت: نبت لخراب هذا المسجد؛ فقال: ما كان الله ليخربه وأنا حيّ، أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس، فنزعها وغرسها في حائط له وقال: اللهم عم عن الجن موتي، حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب. لأنهم كانوا يسترقون السمع ويموّهون على الإنس أنهم يعلمون الغيب، وقال لملك الموت: إذا أمرت بي فأعلمني، فقال: أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة؛ فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب، فقام يصلي متكئاً على عصاه، فقبض روحه وهو متكىء عليها؛ وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى، فلم يكن شيطان ينظر إليه في صلاته إلا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته، ثم رجع فلم يسمع، فنظر فإذا سليمان قد خر ميتاً، ففتحوا عنه فإذا العصا قد أكلتها الأرضة، فأرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقداراً، فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة. وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حياً، فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة، وروي أنّ داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام، فمات قبل أن يتمه، فوصى به إلى سليمان، فأمر الشياطين بإتمامه، فلما بقي من عمره سنة سأل أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه، وليبطل دعواهم علم الغيب. روي أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه، فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها؛ فلم يجسر أحد بعدُ أن يدنو منه، وكان عمر سليمان ثلاثاً وخمسين سنة: ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فبقي في ملكه أربعين سنة، وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾

قرئ ﴿لِسَبَإٍ﴾ بالصرف ومنعه، وقلب الهمزة ألفاً. ومسكنهم: بفتح الكاف وكسرها،

وهو موضع سكناهم؛ وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها، أو مسكن كل واحد منهم. وقرئ: مساكنهم. و﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل من آية. أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: الآية جنتان. وفي الرفع معنى المدح، تدل عليه قراءة من قرأ: جنتين، بالنصب على المدح. فإن قلت: ما معنى كونهما آية؟ قلت: لم يجعل الجنتين في أنفسهما آية، وإنما جعل قصتهما، وأنّ أهلهما أعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما، وأبدلهم عنهما الخمط والأثل: آية، وعبرة لهم، يعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم. ويجوز أن تجعلهما آية، أي: علامة دالة على الله، وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره. فإن قلت: كيف عظم الله جنتي أهل سبأ وجعلهما آية، ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت؟ قلت: لم يرد بساتين اثنين فحسب، وإنما أراد جماعتين من البساتين: جماعة عن يمين بلدهم، وأخرى عن شمالها، وكل واحد من الجماعتين في تقاربها وتضامها، كأنها جنة واحدة، كما تكون بلاد الريف العامة وبساتينها. أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله، كما قال: جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ إما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم، أو لما قال لهم لسان الحال. أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك، ولما قال: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ أتبعه قوله ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ يعني: هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة، وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم/ ٢/ ١١٠ب رب غفور لمن شكره. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانت أخصب البلاد وأطيبها: تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر، فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمر (طيبة) لم تكن سبخة. وقيل: لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية. وقرئ: بلدة طيبة ورباً غفوراً، بالنصب على المدح. وعن ثعلب: معناه اسكن واعبد ﴿الْعَرِمِ﴾ الجرذ[1] الذي نقب عليهم السكر. ضربت لهم بلقيس الملكة بسدّ ما بين الجبلين بالصخر والقار، فحقنت به ماء العيون والأمطار، وتركت فيه خروقاً على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم، فلما طغوا قيل: بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبياً يدعونهم إلى الله ويذكرونهم نعمته عليهم، فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله على سدّهم الخلد[2]، فنقبه من أسفله فغرقهم. وقيل: العرم جمع عرمة. وهي الحجارة المركومة.

---

(١) قوله «العرم الجرذ» في الصحاح «الجرذ»: ضرب من الفأر. وفيه: سكرت النهر سكراً، إذا شددته. (ع)

(٢) قوله «سلط الله على سدهم الخلد فنقبه» في الصحاح «الخلد»: ضرب من الجرذان أعمى. وفيه «المكدس» بالضم.: واحد أكداس الطعام. (ع)

ويقال للكدس من الطعام: عرمة، والمراد: المسناة[1] التي عقدوها سكراً: وقيل: العرم اسم الوادي: وقيل: العرم المطر الشديد. وقرئ: العرم؛ بسكون الراء. وعن الضحاك: كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم. وقرئ: أكل، بالضم والسكون، وبالتنوين والإضافة. والأكل: الثمر. والخمط: شجر الأراك، وعن أبي عبيدة: كل شجر ذي شوك. وقال الزجاج: كل نبت أخذ طعماً من مرارة، حتى لا يمكن أكله. والأثل: شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عوداً. ووجه من نون: أن أصله ذواتي أكل أكل خمط. فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. أو وصف الأكل بالخمط، كأنه قيل: ذواتي أكل بشع. ومن أضاف وهو أبو عمرو وحده، فلأن أكل الخمط في معنى البرير[2]، كأنه قيل: ذواتي برير. والأثل والسدر: معطوفان على أكل، لا على خمط لأن الأثل لا أكل له. وقرئ: وأثلا. وشيئاً: بالنصب، عطفاً على جنتين. وتسمية البدل جنتين، لأجل المشاكلة وفيه: ضرب من التهكم. وعن الحسن رحمه الله: قال السدر، لأنه أكرم ما بدلوا. وقرئ: وهل يجازي. وهل نجازي، بالنون. وهل يجازي والفاعل الله وحده. وهل يجزي؛ والمعنى: أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكافر، وهو العقاب العاجل، وقيل: المؤمن تكفر سيئاته بحسناته، والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من السوء، ووجه آخر: وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة، يستعمل تارة في معنى المعاقبة، وأخرى في معنى الإنابة، فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله: ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ بمعنى: عاقبناهم بكفرهم. قيل: ﴿وهل يجازي إلا الكفور﴾ بمعنى: وهل يعاقب؟ وهو الوجه الصحيح؛ وليس لقائل أن يقول: لم قيل: وهل يجازي إلا الكفور، على اختصاص الكفور بالجزاء. والجزاء عام للكافر والمؤمن، لأنه لم يرد الجزاء العام، وإنما أراد الخاص وهو العقاب، بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه. ألا ترى أنك لو قلت: جزيناهم بما كفروا، وهل يجازى إلا الكافر والمؤمن: لم يصح ولم يسد كلاماً؟ فتبين أن ما يتخيل من السؤال مضمحل، وأن الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩)﴾

---

(١) قوله «والمراد المسناة التي عقدوها» في الصحاح: المسناة: العرم وفيه: العرم المسناة. وفي ذلك دور. (ع)

(٢) قوله «فلأن أكل الخمط في معنى البرير» في الصحاح «البرير»: ثمر الأراك. (ع)

﴿ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي قرى الشام ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ متواصلة؛ يرى بعضها من بعض لتقاربها، فهي ظاهرة لأعين الناظرين. أو راكبة متن الطريق: ظاهرة للسابلة؛ لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ قيل: كان الغادي منهم يقيل في قرية. والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ الشام لا يخاف جوعاً ولا عطشاً ولا عدواً، ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا﴾ وقلنا لهم: سيروا؛ ولا قول ثم، ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه؛ كأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿لَيَالِىَ وَأَيَّامًا﴾؟ قلت: معناه سيروا فيها، إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار، فإن الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات. أو سيروا فيها آمنين لا تخافون، وإن تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياماً وليالي، أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة أعماركم، فإنكم في كل حين وزمان، لا تلقون فيها إلا الأمن. قرئ: ربنا باعد بين أسفارنا. وبعد. ويا ربنا، على الدعاء. بطروا النعمة، وبشموا من طيب العيش[1]، وملوا العافية، فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المنّ والسلوى، وقالوا: لو كان جنى جناننا أبعد كان أجدر أن نشتهيه. وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد، فجعل الله لهم الإجابة. وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا، وبعد بين أسفارنا/ ٢/١١١أ على النداء، وإسناد الفعل إلى بين ورفعه به، كما تقول: سير فرسخان، وبوعد بين أسفارنا. وقرئ: ربنا باعد بين أسفارنا، وبين سفرنا، وبعد، برفع ربنا على الابتداء، والمعنى خلاف الأوّل، وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوّها لفرط تنعمهم وترفههم، كأنهم كانوا يتشاجون[2] على ربهم ويتحازنون عليه ﴿أَحَادِيثَ﴾ يتحدّث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم، وفرقناهم تفريقاً اتخذه الناس مثلاً مضروباً، يقولون: ذهبوا أيدي سبأ، وتفرقوا أيادي سبأ. قال كثير [من الطويل]:

أَيَادِي سَبَا يَا عَزَّ مَا كُنْتُ بَعْدَكُمْ ... فَلَمْ يَحْلُ بِالْعَيْنَيْنِ بَعْدَكِ مَنْظَرُ[3]

---

(١) قوله «وبشموا من طيب العيش» بشموا، أي: سئموا. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله «كأنهم كانوا يتشاجون» في الصحاح «الشجو»: الهم والحزن. (ع)

(٣) لكثير صاحب عزة. وسبأ: بلدة كانت كثيرة الخصب طيبة البساتين، فكفر أهلها نعمة الله فأرسل عليهم السيل، وبدلهم بالخصب جدباً، وبالرغد ضيقا، وبالسمن غثا، فصاروا لا ينالون الأقوات إلا من جهات بعيدة، والمراد بالأيادي: النعم، وأيادي سبأ: استعارة لأحوال نفسه التي تشبه أحوال سبأ في التشتت والتنغص. أو تشبيه بليغ على الخلاف. وفيه مجاز بالحذف، أي: أيادي أهل سبأ ما كنته بعدكم. أي: ما كنت متصفاً به من الأحوال كأحوال سبأ. ويجوز أن ما مصدرية، أي: أكواني وأحوالي بعدكم كأحوال سبأ. أو المراد بأيادي سبأ: أصحابها الذين كانوا يعمرونها، ففرقوا أنفسهم بأيديهم فشبه نفسه بهم لعدم استقراره. وتطلق سبأ على قبيلة كانت تسكنها. ويحتمل أنها المراد هنا، بل هو أظهر. ويجوز أن المراد أبوها، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان: كان =

لحق غسان بالشام، وأنمار بيثرب، وجذام بتهامة، والأزد بعمان ﴿صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي للنعم.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١)﴾

قرئ: صدّق، بالتشديد والتخفيف، ورفع إبليس ونصب الظن، فمن شدّد فعلى: حقق عليهم ظنه، أو وجده صادقاً؛ ومن خفف فعلى: صدق في ظنه أو صدّق يظن ظناً، نحو: فعلته جهدك، وبنصب إبليس ورفع الظن؛ فمن شدّد فعلى: وجده ظنه صادقاً؛ ومن خفف فعلى: قال له ظنه الصدق حين خيله إغواءهم، يقولون: صدقك ظنك. وبالتخفيف ورفعهما على: صدق عليهم ظن إبليس؛ ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق، كقوله: صدقت فيهم ظنوني، ومعناه: أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى إلى وسوسته قال إنّ ذرّيته أضعف عزماً منه، فظنّ بهم اتباعه وقال: لأضلنهم، لأغوينهم. وقيل: ظنّ ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها. والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿اتَّبَعُوهُ﴾ إمّا لأهل سبأ، أو لبني آدم. وقلل المؤمنين بقوله: ﴿إِلَّا فَرِيقًا﴾ لأنهم قليل بالإضافة إلى الكفار، كما قال: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ **[الإسراء: ٦٢]**، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ **[الأعراف: ١٧]**. ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم﴾ من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء إلا لغرض صحيح وحكمة بينة، وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها، وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم. وقرئ: ليعلم على البناء للمفعول ﴿حَفِيظٌ﴾ محافظ عليه، وفعيل ومفاعل: متآخيان.

= ذا مال وبنين، فتفرق بنوه بعضهم إلى اليمن وبعضهم إلى الشام إلى غير ذلك، فأطلق الأيادي عليهم؛ لأن بهم قوته كالأيادي. ثم شبه نفسه بهم في الشتات. وعز: مرخم، وفي ندائها معنى التوجع والاستعطاف، وخاطبها بضمير جمع المذكر تعظيما، ولذلك لا تجده في مواضع ذمهن. وجملة النداء معترضة بين الخبر والمبتدأ؛ ويحتمل أن التقدير: أنا كأيادي سبأ مدة كوني بعدكم، فهي معترضة بين الجملة والظرف المتعلق بها، وحلا يحلو كدعا يدعو وغيره قليل، شبه الحسن بالحلاوة بجامع اللذة. وقيل: حلى يحلي، كرضى يرضى في المنظر. وحلا يحلو في الطعم، وماهنا من الأول فلا مجاز، والمنظر مصدر بمعنى النظر، ويجوز أن الحلاوة الحسن والمنظر ـ بالفتح ـ: مكان النظر، ويجوز أنه النظر. أي: فلم يحسن لعيني غيرك، ويجوز أن المراد بعدكم بعد ارتحالك أنت وأهلك. فالخطاب لها ولحبها! ولكن موارد الاستعمال يعضدها ما تقدم، وروي: فلن يحل، فزعم بعضهم أن «لن» قد تجزم كما هنا، وعلى المنع فحذف آخر الفعل للضرورة أو التخفيف.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قُلِ﴾ لمشركي قومك ﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ﴾ عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله. والتجئوا إليهم فيما يعروكم كما تلتجئون إليه، وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم، ثم أجاب عنهم بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شر، أو نفع أو ضر ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ﴾ في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك، كقوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما له منهم من معين يعينه على تدبير خلقه، يريد: أنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية، فكيف يصح أن يُدعوْا كما يدعى ويُرجوْا كما يرجى، فإن قلت: أين مفعولا زعم؟ (قلت): أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول. وأما الثاني فلا يخلو إمّا أن يكون ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أو ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو محذوفاً فلا يصح الأول، لأنّ قولك: هم من دون الله، لا يلتئم كلاماً، ولا الثاني، لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك، فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم؛ وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد؟ فبقي أن يكون محذوفاً تقديره: زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع إلى الموصول كما حذف في قوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ **[الفرقان: ٤١]** استخفافاً، لطول الموصول لصلته. وحذف آلهة لأنه موصوف صفته ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوماً، فإذاً مفعولا زعم محذوفان جميعاً بسببين مختلفين.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

تقول: الشفاعة لزيد، على معنى أنه الشافع، كما تقول: الكرم لزيد: وعلى معنى أنه المشفوع له، كما تقول: القيام لزيد، فاحتمل قوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أن يكون على أحد هذين الوجهين، أي: لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له. أو لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له، أي: لشفعيه، أو هي اللام الثانية في قولك: أذن لزيد لعمرو، أي لأجله، وكأنه قيل: إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله، وهذا وجه لطيف وهو الوجه، وهذا تكذيب لقولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله. فإن قلت: بما اتصل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ ولأي شيء وقعت حتى غاية/ ٢/ ١١١ب؟ قلت: بما فهم من هذا الكلام، من أنّ ثم انتظاراً للإذن وتوقعاً وتمهلاً وفزعاً من الراجين

للشفاعة والشفعاء، هل يؤذن لهم أو لا يؤذن؟ وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملي من الزمان. وطول من التربص، ومثل هذه الحال دلّ عليه قوله عز وجلّ ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ كأنه قيل: يتربصون ويتوقفون كلياً فزعين وهلين، حتى إذا فزع عن قلوبهم، أي: كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن: تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضاً ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟﴾ قال: ﴿ٱلْحَقَّ﴾ أي القول الحق، وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ «فإذا أذن لمن أذن أن يشفع فزعته الشفاعة» (١١٢٨). وقرئ أذن له، أي: أذن له الله، وأذن له على البناء للمفعول. وقرأ الحسن: فزع، مخففاً، بمعنى فزع. وقرئ فزع، على البناء للفاعل، وهو الله وحده، وفرَّغ، أي: نفى الوجل عنها وأفنى، من قولهم: فرغ الزاد، إذا لم يبق منه شيء. ثم ترك ذكر الوجل وأسند إلى الجار والمجرور، كما تقول: دفع إليّ زيد، إذا علم ما المدفوع وقد تخفف، وأصله: فرغ الوجل عنها، أي: انتفى عنها، وفنى ثم حذف الفاعل وأسند إلى الجار والمجرور، وقرأ: افرنقع عن قلوبهم، بمعنى: انكشف عنها. وعن أبي علقمة أنه هاج به المرار(١) فالتف عليه الناس، فلما أفاق قال: ما لكم تكأكأتم عليّ تكأكأكم على ذي جنة؟ افرنقعوا عني، والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين، كما ركب «اقمطر» من حروف القمط، مع زيادة الراء. وقرئ الحق بالرفع، أي: مقوله الحق ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ ذو العلو والكبرياء، ليس لملك ولا نبيّ أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه، وأن يشفع إلا لمن ارتضى.

﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

أمره بأن يقررهم بقوله: ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾ ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله: يرزقكم الله. وذلك للإشعار بأنهم مقرّون به بقلوبهم، إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به؛ لأن الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق بالحق

١٢٢٨ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

---

(١) قوله «أنه هاج به المرار» في الصحاح «المرار»: بضم الميم: شجر مر، إذا أكلت منه الإبل قلصت عنه مشافرها. ومنه: بنو آكل المرار: وهم قوم من العرب. (ع)

مع علمهم بصحته، ولأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم: لزمهم أن يقال لهم: فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق، ألا ترى إلى قوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ﴾ [يونس: ٣١] حتى قال: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ ثم قال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ فكأنهم كانوا يقرّون بألسنتهم مرّة، ومرّة كانوا يتلعثمون عناداً وضراراً وحذاراً من إلزام الحجة، ونحوه قوله عزّ وجلّ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦] وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ومعناه: وإنّ أحد الفريقين من الذين يتوحدو الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة، لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال، وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك، وفي درجة بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ: دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين، ولكن التعريض والتورية أنضل[(١)] بالمجادل إلى الغرض، وأهجم به على الغلبة، مع قلة شغب الخصم وفلّ شوكته[(٢)] بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه: علم الله الصادق مني ومنك، وإن أحدنا لكاذب[(٣)]؛ ومنه بيت حسان [من الوافر]:

---

(١) قوله «ولكن التعريض والتورية أنضل» في الصحاح «ناضله»: راماه، يقال: ناضلت فلاناً فنضلته إذا غلبته اهـ. فالأفضل الأشد رمياً، فلذا عدى بإلى. (ع)

(٢) قوله «وفل شوكته» أي كسرها. (ع)

(٣) قال محمود: «لما ألزمهم الحجة في قوله: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير﴾ وهلم جرا إلى الآية المذكورة ـ وهذا الإلزام إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه ـ أمره أن يقول ﴿وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ ومعناه: أن أحد الفريقين من الموحدين الرازق من السموات والأرض بالعبادة، ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة على ذرة: لعلى أحد الأمرين من الهدى أو الضلال، وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موافق أو مخالف قال للمخاطب به: قد أنصفك صاحبك، والتعريض أفضل بالمجادل إلى الغرض، وأهجم به على الغلبة، مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا. ونحوه قول الرجل لصاحبه: الله يعلم الصادق مني ومنك، وإن أحدنا لكاذب ومنه قول حسان [من الوافر]:

أتهجوه ولست له بكفء؟ فشركما لخيركما الفداء

قال أحمد: وهذا تفسير مهذب وافتنان مستعذب، رددته على سمعي فزاد رونقاً بالترديد، واستعاذه الخاطر كأني بطيء الفهم حين يفيد، ولا ينبغي أن ينكر بعد ذلك على الطريقة التي أكثر تعاطيها متأخرو الفقهاء في مجادلاتهم ومحاوراتهم، وذلك قولهم: أحد الأمرين لازم على الإبهام، فهذا المسلك من هذا الوادي غير بعيد، فتأمله والله الموفق.

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ؟ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ[1]

فإن قلت: كيف خولف بين حرفي الجرّ الداخلين على الحق والضلال؟ قلت: لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه. وفي قراءة أبيّ: وإنا وإياكم إما على هدى أو في ضلال مبين.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأوّل، حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين، وإن أراد بالإجرام: الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن، وبالعمل: الكفر والمعاصي العظام[2]/ ٢/ ١١٢أ. وفتح الله بينهم: وهو حكمه وفصله: أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار.

﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿أَرُونِىَ﴾ وكان يراهم ويعرفهم؟ قلت: أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله، وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه والإشراك به. و﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن مذهبهم بعدما كسده بإبطال المقايسة، كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ **[الأنبياء: ٦٧]** بعد ما حجهم، وقد نبه على تفاحش غلطهم وإن لم يقدروا الله حق قدره بقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ كأنه قال: أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع إلى الله وحده. أو ضمير الشأن، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ **[الإخلاص: ١]**.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

---

(١) تقدم.

(٢) قال محمود: «وهذا القول أدخل في الإنصاف من الأول، حيث أسند الإجرام إلى النفس وأراد به الزلات والصغائر التي لا يخلو عنها مؤمن، وأسند العمل إلى المخاطبين وأراد به الكفر والمعاصي والكبائر» قال أحمد: فعبر عن الهفوات بما يعبر به عن العظائم. وعن العظائم بما يعبر به عن الهفوات، التزاماً للإنصاف، وزيادة على ذلك أنه ذكر الإجرام المنسوب إلى النفس بصيغة الماضي الذي يعطي تحقيق المعنى، وعن العمل المنسوب إلى الخصم بما لا يعطي ذلك. والله أعلم.

﴿إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ إلا إرسالة عامة لهم محيطة بهم؛ لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم. وقال الزجاج: المعنى أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والإبلاغ، فجعله حالاً من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة، ومن جعله حالاً من المجرور متقدّماً عليه فقد أخطأ؛ لأنّ تقدم حال المجرور عليه في الإحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار، وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى؛ لأنه لا يستوي له الخطأ الأوّل إلا بالخطأ الثاني، فلا بد له من ارتكاب الخطأين[1].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قرئ ميعادُ يوم، وميعادُ يومٌ، وميعادُ يومًا، والميعاد: ظرف الوعد من مكان أو زمان، وهو ههنا الزمان. والدليل عليه قراءة من قرأ: ميعاد يوم فأبدل منه اليوم. إن قلت: فما تأويل من أضافه إلى يوم، أو نصب يوماً؟ قلت: أما الإضافة فإضافة تبيين، كما تقول: سحق ثوب، وبعير سانية. وأما نصب اليوم فعلى التعظيم بإضمار فعل تقديره: لكم ميعاد،

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وأما قوله كذا فهو مختلف فيه ذهب الجمهور إلى أنه لا يجوز وذهب أبو علي وابن كيسان وابن برهان وابن ملكون إلى جوازه قال: وهو الصحيح. قال: ومِنْ أَمْثِلَةِ أبي عليّ: زيدٌ خيرُ ما تكونُ خيرٌ منك التقدير زيد خيرٌ منك خير ما تكون فجعل خير ما تكون حالا من الكاف في منك وقدمها عليها وأنشد [من الطويل]:

إذَا الْمَرْءُ أَعْيَتْهُ الْمُرُوءَةُ نَاشِئاً ... فَمَطْلَبُهَا كَهْلاً عَلَيْهِ شَدِيدُ

أي فمطلبها عليه كَهْلاً. وأنشد أيضاً [من الطويل]:

تَسَلَّيْتُ طُرّاً عَنْكُمُ بَعْدَ بَيْنِكُم ... بِذِكْرَاكُمُ حَتَّى كَأَنَّكُمُ عِنْدِي

أي عنكم طُرّاً. وقد جاء تقديم الحال على صاحبها المجرور وعلى ما يتعلق به قال الشاعر:

مَشْغُوفَةً بِكَ قَدْ شُغِفْتُ وإنَّمَا ... حُمَّ الفِرَاقُ فَمَا إلَيْكَ سَبِيلُ

أي قد شُغِفْتُ بِكَ مشغُوفَةً. وقال الآخر [من الخفيف]:

غَافِلاً تَعْرِضُ الْمَنِيَّةُ لِلْمَرْ ... ءِ فَيُدْعَى وَلَاتَ حِينَ إِبَاءِ

أي تعرض المنيةُ للمرءِ غافلاً. قال: وإذا جاز تقديمها على صاحبها وعلى العامل فيه فَتَقْدِيمُهَا على صاحبها وحده أَجْوَز. قال: ومِمَّنْ حمله على الحال ابن عطية فإنه قال: قُدِّمَتْ للاهتمام والمنقول عن ابن عباس قوله إلى العرب وسائر الأمم وتقديره إلى الناس كافة. قال وقول الزمخشري لا يستوي له الخطأ الأول إلى آخره تشنيعٌ لأنّ القائل بذلك لا يحتاج إلى جعل اللام بمعنى إلى لأن أَرْسَلَ يتعدى باللام قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ وأَرْسَلَ مما يتعدى باللام وبإلى أيضاً فقد جاءت اللام بمعنى إلى وإلى بمعناها. قُلْتُ: أَمَّا «أرسلناك للناس» فلا دلالة فيه لاحتمال أن تكون اللام لام العلة المجازية وأما كونها بمعنى إلى والعكس فالبصريون لا يتَجَوَّزُونَ في الحروف و«بَشيراً ونَذِيراً» حالان أيضاً. انتهى. الدر المصون.

أعني يوماً أو أريد يوماً من صفته كيت وكيت. ويجوز أن يكون الرفع على هذا، أعني التعظيم. فإن قلت: كيف انطبق هذا جواباً على سؤالهم؟ قلت: ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له إلا تعنتاً، لا استرشاداً، فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقاً لمجيء السؤال على سبيل الإنكار والتعنت، وأنهم مرصدون ليوم يفاجؤهم، فلا يستطيعون تأخراً عنه ولا تقدّماً عليه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

الذي بين يديه: ما نزل قبل القرآن من كتب الله: يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله ـ ﷺ ـ في كتبهم، فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدّمه من كتب الله عزّ وجلّ في الكفر، فكفروا بها جميعاً. وقيل: الذي بين يديه يوم القيامة. والمعنى: أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى، وأن يكون لما دلّ عليه من الإعادة للجزاء حقيقة، ثم أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام أو للمخاطب ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحادثة ويتراجعونها بينهم، لرأيت العجيب[1]، فحذف الجواب. والمستضعفون: هم الأتباع، والمستكبرون: هم الرءوس والمقدّمون.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

أولى الاسم أعني ﴿أَنَحْنُ﴾ حرف الإنكار؛ لأنّ الغرض إنكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الإيمان، وإثبات أنهم هم الذين صدّوا بأنفسهم عنه، وأنهم أتوا من قبل اختيارهم، كأنهم قالوا: أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم﴾ بعد أن صممتم على الدخول في الإيمان وصحت نياتكم في اختياره؟ بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم آمر الشهوة دون آمر النهي، فكنتم

---

(١) قوله «لرأيت العجيب» لعله: العجب، كعبارة النفسي. (ع)

مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا. فإن قلت: إذ وإذا من الظروف اللازمة للظرفية، فلم وقعت إذ مضافا إليها؟ قلت: قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره، فأضيف إليها الزمان، كما أضيف إلى الجمل في قولك: جئتك بعد إذ جاء زيد، وحينئذٍ، ويومئذٍ، وكان ذلك أوان الحجاج أمير، وحين خرج زيد. لما أنكر المستكبرون بقولهم: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ﴾/ ٢/ ١١٢ب أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعين وأثبتوا بقولهم: ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أن ذلك بكسبهم واختيارهم. كرّ عليهم المستضعفون بقولهم: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم، كأنهم قالوا: ما كان الإجرام من جهتنا، بل من جهة مكركم لنا دائباً ليلاً ونهاراً، وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد. ومعنى مكر الليل والنهار: مكركم في الليل والنهار، فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه. أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي. وقرئ: بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين. وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب، أي تكرّون الإغواء مكرّاً دائباً لا تفترون عنه. فإن قلت: ما وجه الرفع والنصب؟ قلت: هو مبتدأ أو خبر، على معنى: بل سبب ذلك مكركم أو مكرّكم، أو مكركم أو مكرّكم سبب ذلك. والنصب على: بل تكرّون الإغواء مكرّ الليل والنهار؛ فإن قلت: لم قيل: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، بغير عاطف؛ وقيل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾؟ قلت: لأن الذين استضعفوا مرّ أولاً كلامهم، فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف، ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين، فعطف على كلامهم الأوّل فإن قلت: من صاحب الضمير في ﴿وَأَسَرُّوا﴾ قلت: الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين، وهم الظالمون في قوله: ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [سبأ: ٣١] يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم، والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين ﴿فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي في أعناقهم، فجاء بالصريح للتنويه بذمهم، وللدلالة على ما استحقوا به الأغلال. وعن قتادة: أسروا الكلام بذلك بينهم. وقيل: أسروا الندامة أظهروها، وهو من الأضداد.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾

هذه تسلية لرسول الله ـ ﷺ ـ مما مني[1] به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به، والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد، والمفاخرة[2] وزخارفها، والتكبر بذلك على المؤمنين،

---

(١) قوله «مما مني به من قومه» أي ابتلي به. (ع)

(٢) قوله «والمفاخرة وزخارفها» لعله «والمفاخرة بالدنيا وزخارفها». (ع)

والاستهانة بهم من أجله، وقولهم: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣] وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله ـ ﷺ ـ أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به، وقاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا، واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم، ولولا أنّ المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم؛ فعلى قياسهم ذلك قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم، نظراً إلى أحوالهم في الدنيا.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

وقد أبطل الله تعالى حسبانهم بأنّ الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح، فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع، وربما عكس، وربما وسع عليهما وضيق عليهما، فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق. وقدر الرزق: تضييقه. قال تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] وقرئ يقدّر، بالتشديد والتخفيف.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

أراد: وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تقربكم، وذلك أنّ الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث، ويجوز أن يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها، أي: ليست أموالكم بتلك الموضوعة للتقريب. وقرأ الحسن: باللاتي تقرّبكم؛ لأنها جماعات. وقرئ: بالذي يقرّبكم، أي: بالشيء الذي يقرّبكم. والزلفى والزلفة: كالكربى والكربة، ومحلها النصب، أي: تقرّبكم قربة، كقوله تعالى: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ استثناء من (كم) في (تقرّبكم)، والمعنى: أنّ الأموال لا تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرب أحداً إلا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاة والطاعة، جزاء ﴿ٱلضِّعْفِ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول، أصله: فأولئك لهم أن يجازوا الضعف، ثم جزاء الضعف، ثم جزاء الضعف، ومعنى جزاء الضعف: أن تضاعف لهم حسناتهم، الواحدة عشراً. وقرئ: جزاء الضعف. على: فأولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على: أن يجازوا الضعف، وجزاء الضعف مرفوعان: الضعف بدل من جزاء. قرئ: ﴿فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ بضم الراء وفتحها وسكونها. وفي الغرفة.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى/ ٢/ ١١٣أ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ فهو يعوّضه لا معوّض سواه: إما عاجلاً بالمال، أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفذ. وإما آجلاً بالثواب الذي كل خلف دونه. وعن مجاهد: من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد، فإنّ الرزق مقسوم، ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه، فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر، ولا يتأولن: وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه، فإن هذا في الآخرة. ومعنى الآية: وما كان من خلف فهو منه ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ وأعلاهم رب العزة، بأن كل ما رزق غيره: من سلطان يرزق جنده، أو سيد يرزق عبده، أو رجل يرزق عياله: فهو من رزق الله، أجراه على أيدي هؤلاء. وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق. وعن بعضهم: الحمد لله الذي أوجدني(١) وجعلني ممن يشتهي؛ فكم من مشته لا يجد، وواجد لا يشتهي.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾

هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار؛ وارد على المثل السائر [من الرجز]:

إِيَّاكِ أَعْنِي وَٱسْمَعِي يَا جَارَهْ(٢)

---

(١) قوله «الحمد لله الذي أوجدني» في الصحاح: وجد مطلوبه وأوجده الله مطلوبه، أي أظفره به وأوجده أي: أغناه. (ع)

(٢)
يا أخت خير البدو والحضاره ... كيف ترين في فتى فزاره؟
أصبح يهوى حرة معطاره ... إياك أعني واسمعي يا جاره

لسهل بن مالك الفزاري، يخاطب أخت حارثة بن لأم، وكان قد سألها على أخيها فلم يجده فأنزلته وأكرمته، فرآها في غاية الجمال والكمال، فأنشد ذلك، فأجابته بقولها:

إني أقول: يا فتى فزاره ... لا أبتغي الزوج ولا الدعاره
ولا فراق أهل هذى الحاره ... فارحل إلى أهلك باستحاره

فارتحل، ثم نزل عند أخيها مرة أخرى، وكان حسن الطلعة، فأرسلت إليه خفية أن يخطبها، ففعل، وتزوجها وارتحل بها. والبدو: هو البادية. والحضارة: هي الحاضرة. والمراد أهلهما، وكيف: اسم استفهام نصب على المفعولية بترين. والمعنى: أي حال ترين في فتى هذه القبيلة؟ يعني نفسه. وفيه تعريض بخطبتها. والمعطارة: كثيرة التعطر. ولحاق تاء التأنيث لمفعال شاذ ـ إن كانت للفرق بين المذكر والمؤنث كما هنا ـ ويمكن أنها لزيادة المبالغة، لا للتأنيث. والدعارة: الفسق والخبث والفساد. وهذي: اسم إشارة. وقولها: باستحارة: أي بكمال وعدم نقص. أو بتحير وعدم اهتداء. يقال: استحار الإناء، إذا امتلأ وتكامل. واستحار الرجل: إذا نحر في رأيه. =

ونحوه قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير، والغرض أن يقول ويقولوا، ويسأل ويجيبوا؛ فيكون تقريعهم أشدّ. وتعييرهم أبلغ، وخجلهم أعظم: وهو أنه ألزم، ويكون اقتصاص ذلك لطفاً لمن سمعه، وزاجراً لمن اقتص عليه. والموالاة: خلاف المعاداة. ومنها: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وهي مفاعلة من الولي وهو القرب، كما أنّ المعاداة من العدواء وهي البعد، والولي: يقع على الموالي والموالي جميعاً. والمعنى أنت الذي نواليه من دونهم، إذ لا موالاة بيننا وبينهم، فبينوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار: براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم؛ لأنّ من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ يريدون الشياطين، حيث أطاعوهم في عبادة غير الله. وقيل: صوّرت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا: هذه صور الملائكة فاعبدوها. وقيل: كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت، فيعبدون بعبادتها. وقرئ: نحشرهم. ونقول، بالنون والياء.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الأمر في ذلك اليوم لله وحده، لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرّة لأحد؛ لأنّ الدار دار ثواب وعقاب، والمثيب والمعاقب هو الله، فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف، والناس فيها مخلى بينهم، يتضارّون ويتنافعون. والمراد: أنه لا ضارّ ولا نافع يومئذٍ إلا هو وحده، ثم ذكر معاقبته الظالمين بقوله: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ معطوفاً على ﴿لَا يَمْلِكُ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾

الإشارة الأولى: إلى النبي ﷺ. والثانية إلى القرآن. والثالثة: إلى الحق، والحق أمر

= ينظر: مجمع الأمثال ١/ ٤٩، وبلا نسبة في لسان العرب (عطر)، (عنا)، وتاج العروس (عطر)، والبيت الثاني من أمثال العرب، وهو في تمثال الأمثال ١/ ٣٦٦، وجمهرة الأمثال ١/ ٢٩، والحيوان ٣/ ١٢٢، وزهر الأكم ١/ ١٤٠، ٣٣٣، والعقد الفريد ٣/ ٨٦، ٦/ ٣٣٥، والفاخر ص ١٥٨، وفصل المقال ص ٧٦، ٧٧، وكتاب الأمثال ص ٦٥، والمستقصي ١/ ٤٥٠، والوسيط في الأمثال ص ٥٢، وتهذيب اللغة ٣/ ٢١٢.

النبوّة كله ودين الإسلام كما هو. وفي قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ وفي أن لم يقل وقالوا، وفي قوله: ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه، وفي لما من المبادهة بالكفر: دليل على صدور الكلام عن إنكار عظيم وغضب شديد، وتعجيب من أمرهم بليغ، كأنه قال: وقال أولئك الكفرة المتمرّدون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ فبتوا القضاء على أنه سحر، ثم بتوه على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمّله سماه سحراً.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

وما آتيناهم كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك، ولا أرسلنا إليهم نذيراً ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا، كما قال عز وجل: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الروم: ٣٥] أو وصفهم بأنهم قوم أمّيون أهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بإنزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الزخرف: ٢١] فليس لتكذيبهم وجه متشبث، ولا شبهة متعلق، كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين: نحن أهل كتب وشرائع، ومستندون إلى رسل من رسل الله. ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ﴾ تقدّموهم من الأمم والقرون الخالية كما كذبوا، وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الأعمار/ ٢/ ١١٣ب وقوّة الأجرام وكثرة الأموال، فحين كذبوا رسلهم جاءهم إنكاري بالتدمير والاستئصال، ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون، فما بال هؤلاء؟ وقرئ: يدرّسونها، من التدريس وهو تكرير الدرس. أو من درّس الكتاب، ودرّس الكتب: ويدّرسونها، بتشديد الدال: يفتعلون من الدرس. والمعشار كالمرباع، وهما: العشر، والربع. فإن قلت: ما معنى ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِى﴾ وهو مستغنى عنه بقوله: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؟ قلت: لما كان معنى قوله: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: وفعل الذين من قبلهم التكذيب، وأقدموا عليه: جعل تكذيب الرسل مسبباً عنه ونظيره أن يقول القائل: أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد ﷺ، ويجوز أن ينعطف على قوله: وما بلغوا، كقولك: ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[1] أي للمكذبين الأوّلين، فليحذروا من مثله.

﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾

---

(١) قوله «فكيف كان نكير» وفي النسفي: أن يعقوب قرأ «نكيري» بالياء في الوصل والوقف. (ع)

﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ بخصلة واحدة، وقد فسرها بقوله: ﴿أَن تَقُومُواْ﴾ على أنه عطف بيان لها[1]، وأراد بقيامهم: إما القيام عن مجلس رسول الله ـ ﷺ ـ وتفرّقهم عن مجتمعهم عنده وإما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين، ولكن الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة والمعنى: إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم: وهي: أن تقوموا لوجه الله خالصاً. متفرّقين اثنين اثنين، وواحداً واحداً ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ في أمر محمد ﷺ وما جاء به، أمّا الاثنان: فيتفكران ويعرض كلّ واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه متصادقين متناصفين، لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية، حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه، وكذلك الفرد: يفكر في نفسه بعدل ونصفه من غير أن يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقرّ عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم، والذي أوجب تفرّقهم مثنى وفرادى: أنّ الاجتماع مما يشوّش الخواطر، ويعمي البصائر، ويمنع من الروية، ويخلط القول: ومع ذلك يقل الإنصاف، ويكثر الاعتساف، ويثور عجاج التعصب. ولا يسمع إلا نصرة المذهب، وأراهم بقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ أن هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعاً، لا يتصدّى لادعاء مثله إلا رجلان: إمّا مجنون لا يبالي بافتضاحه إذا طولب بالبرهان فعجز، بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب. وإمّا عاقل راجح العقل مرشح للنبوّة، مختار من أهل الدنيا، لا يدعيه إلا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه، وإلا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه، وقد علمتم أنّ محمداً ﷺ ما به من جنة، بل علمتموه أرجح قريش عقلاً، وأرزنهم حلماً وأثقبهم ذهناً وآصلهم رأياً، وأصدقهم قولاً، وأنزههم نفساً، وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به؛ فكان مظنة لأن تظنوا به الخير، وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب؛ وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية؛ فإذا أتى بها تبين أنه نذير مبين. فإن قلت: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ بم يتعلق؟ قلت: يجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً تنبيهاً من الله عز وجل على طريقة النظر في أمر رسول الله ـ ﷺ ـ. ويجوز أن يكون المعنى: ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة، وقد جوّز بعضهم أن تكون ما استفهامية ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ كقوله عليه الصلاة والسلام: «بعثت في نسم الساعة» (١٢٢٩)[2].

١٢٢٩ ـ تقدم في سورة الأنبياء. =

---

(١) قال السمين الحلبي: وهو مردود لتحالفهما تعريفاً وتنكيراً. انتهى الدر المصون.

(٢) قوله «بعثت في نسم الساعة» في الصحاح «نسم الريح»: أولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد. ومنه =

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ جزاء الشرط الذي هو قوله: ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ تقديره: أيّ شيء سألتكم من أجر فهو لكم، كقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ وفيه معنيان، أحدهما: نفي مسألة الأجر رأساً، كما يقول الرجل لصاحبه: إن أعطيتني شيئاً فخذه، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئاً ولكنه يريد به البت؛ لتعليقه الأخذ بما لم يكن. والثاني: أن يريد بالأجر ما أراد في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [الفرقان: ٥٧] وفي قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] لأنّ اتخاذ السبيل إلى الله نصيبهم وما فيه نفعهم، وكذلك المودّة في القرابة، لأنّ القرابة قد انتظمته وإياهم ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ حفيظ مهيمن، يعلم أني لا أطلب الأجر على نصيحتكم ودعائكم إليه إلا منه، ولا أطمع منكم في شيء.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾

القذف والرمي: تزجية[1] السهم ونحوه بدفع واعتماد، ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الإلقاء ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾، ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ ومعنى ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ يلقيه وينزله إلى أنبيائه. أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ رفع محمول على محل إن واسمها، أو على المستكن/ ٢/ ١١٤أ في يقذف، أو هو خبر مبتدأ محذوف. وقرئ بالنصب صفة لربي، أو على المدح. وقرئ: الغيوب بالحركات الثلاث، فالغيوب كالبيوت. والغيوب كالصبور وهو الأمر الذي غاب وخفي جداً.

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾

والحيّ إمّا أن يبدىء فعلاً أو يعيده فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة، فجعلوا قولهم: لا يبدىء ولا يعيد مثلاً في الهلاك؛ ومنه قول عبيد [من مخلع البسيط]:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ   فَالْيَوْمَ لاَ يُبْدِي وَلاَ يُعِيدُ[2]

= وقال ابن حجر: تقدم في الأنبياء. انتهى.

= الحديث «بعثت في نسم الساعة» أي: حين ابتدأت وأقبلت أوائلها. والنسم أيضاً: جمع نسمة وهي النفس. (ع)

(١) قوله «القذف والرمي تزجية السهم» في الصحاح: زجيت الشيء تزجية إذا دفعته برفق. (ع)

(٢) لعبيد بن الأبرص. وأقفر: خلا أو هلك عبيد من أهله. والإبداء والإعادة من لوازمهما الحياة، فنفيهما كناية عن نفيها بالموت. كان المنذر بن ماء السماء يخرج في يوم من كل سنة فينعم على كل =

والمعنى: جاء الحق وهلك الباطل، كقوله تعالى: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود نبعة[1] ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ (١٢٣٠). والحق: القرآن. وقيل: الإسلام. وقيل: السيف. وقيل الباطل: إبليس لعنه الله، أي: ما ينشىء خلقاً ولا يعيده، المنشىء والباعث: هو الله تعالى. وعن الحسن: لا يبدىء لأهله خيراً ولا يعيده، أي: لا ينفعهم في الدنيا والآخرة. وقال الزجاج: أيّ شيء ينشىء إبليس ويعيده، فجعله للاستفهام. وقيل للشيطان: الباطل؛ لأنه صاحب الباطل؛ أو لأنه هالك كما قيل له: الشيطان، من شاط إذا هلك.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

قرىء: ضلَلت أضِلّ، بفتح العين مع كسرها. وضلِلت أضَلّ، بكسرها مع فتحها، وهما لغتان، نحو: ظللت أظلّ، وظللت أظلّ. وقرىء إِضلّ: بكسر الهمزة مع فتح العين. فإن قلت: أين التقابل بين قوله: ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ وقوله: ﴿فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾، وإنما كان يستقيم أن يقال: فإنما أضل على نفسي، وإن اهتديت فإنما أهتدي لها، كقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها. أو يقال: فإنما أضل بنفسي. قلت: هما متقابلان من جهة المعنى؛ لأنّ النفس كل ما عليها فهو بها، أعني: أنّ كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها: لأن الأمّارة بالسوء، وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه، وهذا حكم عامّ لكل مكلف، وإنما أمر رسوله ﷺ أن يسنده إلى نفسه؛ لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة حمله وسداد طريقته

١٢٣٠ ـ قال الحافظ ابن حجر: متفق عليه وقد تقدم في سورة الإسراء. انتهى.

= من يلقاه، وفي آخر فيقتل أول من يلقاه، فصادفه فيه عبيد، فقيل له: امدحه بشعر لعله يعفو عنك، فقال: حال الجريض دون القريض، أي منعت الغصة الشعر، فضرب ذلك مثلاً وقال هذا البيت بعد ذلك تحسرا، وفي مجاني الأدب: أن المنذر قال له: أنشدني: أقفر من أهله ملحوب، فقال: أقفر من أهله عبيد. وملحوب: اسم موضع، استنشده بيتاً قديماً فعلم أنه يريد هلاكه، فقال: لا قدرة لي على إبداء شعر جديد، ولا على إعادة شعر قديم، ودخل في حشو البيت الزحاف الطي، ومن العلل القطع. فصار مستفعلن على وزن مستعل بسكون اللام، وذلك في قوله «أهله».
ينظر ديوانه (ص ٤٥)، لسان العرب (قفر)، تهذيب اللغة (٩/ ١٢٠)، تاج العروس (قفر)، أساس البلاغة (عود)، الدر المصون (٥/٤٥٣).

(١) قوله «فجعل يطعنه بعود نبعة» لعله «معه» كعبارة النسفي. (ع)

كان غيره أولى به ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يدرك قول كل ضالّ ومهتد، وفعله لا يخفى عليه منهما شيء.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوف، يعني: لرأيت أمراً عظيماً وحالاً هائلة. و«لو» و«إذ» والأفعال التي هي «فزعوا» و«أخذوا» وحيل بينهم: كلها للمضي. والمراد بها الاستقبال؛ لأن ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه، ووقت الفزع: وقت البعث وقيام الساعة. وقيل: وقت الموت. وقيل: يوم بدر. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت في خسف البيداء، وذلك أنّ ثمانين ألفاً يغزون الكعبة ليخربوها، فإذا دخلوا البيداء خسف بهم ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ فلا يفوتون الله ولا يسبقونه. وقرئ: فلا فون. والأخذ من مكان قريب: من الموقف إلى النار إذا بعثوا، أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا. أو من صحراء بدر إلى القليب. أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم. فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَأُخِذُواْ﴾؟ قلت: فيه وجهان: العطف على فزعوا، أي: فزعوا وأخذوا فلافوت لهم. أو على لافوت، على معنى: إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا. وقرئ: وأخذ، وهو معطوف على محل لافوت. ومعناه: فلا فوت هناك. وهناك أخذ.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بمحمد ﷺ لمرور ذكره في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾: والتناوش والتناول: أخوان؛ إلا أنّ التناوش تناول سهل لشيء قريب، يقال ناشه ينوشه، وتناوشه القوم. ويقال: تناوشوا في الحرب: ناش بعضهم بعضاً. وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون، وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت، كما ينفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا: مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة[1] كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولاً سهلاً لا تعب فيه وقرئ التناؤش: همزت الواو المضمومة كما همزت في أجؤه وأدؤر وعن أبي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم: نأشت إذا أبطأت وتأخرت، ومنه البيت [من الطويل]:

---

(١) قوله «أن يتناول الشيء من غلوة» في الصحاح: غلوت بالسهم غلواً. إذا رميت به أبعد ما تقدر عليه. والغلوة: الغاية مقدار رمية. وفيه: يقال بينهما قبس رمح وقاس رمح، أي: قدر رمح. (ع)

تَـمَـنَّـىٰ نَـئِـيـشـاً أَنْ يَـكُـونَ أَطَـاعَـنِـي ....

أي أخيراً ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ معطوف على قد كفروا، على حكاية الحال الماضية، يعني: وكانوا يتكلمون ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ ويأتون به ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وهو قولهم في رسول الله ـ ﷺ ـ شاعر، ساحر، كذاب، وهذا تكلم بالغيب والأمر الخفي، لأنهم لم يشاهدوا منه سحراً ولا شعراً/ ٢/ ١١٤ب ولا كذباً، وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله، لأن أبعد شيء مما جاء به: الشعر والسحر، وأبعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت: الكذب والزور: وقرئ: ويقذفون بالغيب، على البناء للمفعول، أي: يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم إياه، وإن شئت فعلقه بقوله ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ على أنه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة، وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئاً من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه، حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائباً عنه شاحطاً، والغيب: الشيء الغائب، ويجوز أن يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله: ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وكانوا يقولون: وما نحن بمعذبين، إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب، ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا، قايسين أمر الآخرة على أمر الدنيا: فهذا كان قذفهم بالغيب، وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة؛ لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾ من نفع الإيمان يومئذٍ والنجاة به من النار والفوز

---

(١) ومولى عصاني واستبد برأيه ... كما لم يطع فيما أشار قصير
فلما رأى ما غب أمري وأمره ... وناءت بأعجاز الأمور صدور
تمنى نئيشاً أن يكون أطاعني ... وقد حدثت بعد الأمور أمور

لنهشل بن حرى، واستبد: انفرد واستغنى بأمره. وقصير: علم رجل كان حسن الرأي، وهو فاعل أشار. ومفعول «يطع» محذوف لدلالة المذكور عليه. أو لأن الفعل منزل منزلة اللازم، والأوجه رواية لم يطع مبنياً للمجهول. وقصير: نائب الفاعل، وضميره فاعل أشار، وبالعكس على الخلاف في باب التنازع. وغب الأمر: بلغ غبه بالكسر عاقبته. وناء ـ بالمد ـ: أصله نأى، فقلب: أي بعد، وشبه الأمر بشيء له صدر وعجز على طريق المكنية وإثباتهما له تخييل، كأن أوائل الأمور مضت بأواخرها، فلما مضت الأوائل ظهرت الأواخر بعد خفائها. ويقال: نأش بالهمز إذا تأخر. ونئيشاً: نصب على الظرف، أي أخيراً، أي: تمنى في آخر الأمر أن يكون أطاعني في نصيحتي لما رأى عاقبة أمرى حسنة وعاقبة أمره سيئة، والحال أنه قد حدثت بعد الأمور السهلة أمور صعبة كانت خفية أوجبت تمنيه، فهي حال مبينة للمراد من الظرف. أو حدثت بعد الأمور السهلة التي كان يمكنه معها مطاوعتي أمور صعبة تمنعه من التخلص من ربكته، كما نصحته بذلك أولاً فلم يسمع ومضى على رأيه.

ينظر: ديوانه ص ٩٥، ولسان العرب (نأش)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٣٢٥، وتاج العروس (نأش)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٥/ ٣٧٧، وتهذيب اللغة ١١/ ٤١٧، ومجمل اللغة ٤/ ٣٦٧، وأساس اللغة (نأش).

بالجنة. أو من الردّ إلى الدنيا، كما حكى عنهم ﴿ فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ . ﴿ بِأَشْيَاعِهِم﴾ بأشباههم من كفرة الأمم ومن كان مذهبه مذهبهم ﴿مُّرِيبٍ﴾ إما من أرابه، إذا أوقعه في الريبة والتهمة. أو من أراب الرجل، إذا صار ذا ريبة ودخل فيها، وكلاهما مجاز؛ إلا أنّ بينهما فريقاً: وهو أنّ المريب من الأول منقول ممن يصح أن يكون مريباً من الأعيان إلى المعنى، والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك إلى الشك، كما تقول: شعر شاعر.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبيّ إلا كان له يوم القيامة رفيقاً ومصافحاً» (١٢٣١).

١٢٣١ ـ تقدم حديث أبي بن كعب في فضائل القرآن برقم (٣٤٦).
وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم عن أبي بن كعب. انتهى.

سورة الملائكة

مكية، وهي خمس وأربعون آية
[نزلت بعد الفرقان]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ①﴾

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مبتدئها ومبتدعها. وعن مجاهد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها (١٢٣٢)، أي ابتدأتها، وقرئ: الذي فطر السموات والأرض وجعل الملائكة. وقرئ: جاعل الملائكة، بالرفع على المدح ﴿رُسُلًا﴾ بضم السين وسكونها ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾ أصحاب أجنحة، وأولو: اسم جمع لذو، كما أن أولاء اسم جمع لذا، ونظيرهما في المتمكنة: المخاض والخلفة﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ صفات الأجنحة، وإنما لم تنصرف لتكرر العدل فيها. ذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صبغ إلى صبغ آخر، كما عدل عمر عن عامر. وحذام عن حاذمة، وعن تكرير إلى غير تكرير. وأما الوصفية فلا يفترق الحال فيما بين المعدولة والمعدول عنها. ألا تراك تقول: مررت بنسوة أربع، وبرجال ثلاثة، فلا يعرج عليها، والمعنى: أن الملائكة(١) خلقاً أجنحتهم اثنان اثنان، أي: لكل واحد منهم جناحان، وخلقاً أجنحتهم ثلاثة ثلاثة، وخلقاً أجنحتهم أربعة أربعة ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ أي: يزيد في خلق الأجنحة، وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته. والأصل الجناحان؛ لأنهما بمنزلة اليدين، ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل، وذلك أقوى للطيران وأعون عليه. فإن قلت: قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شق نصفه، فما صورة الثلاثة؟ قلت: لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدّهما بقوة. أو لعله لغير الطيران؛ فقد مرّ بي في بعض الكتب أن صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة

١٢٣٢ ـ قال الحافظ تقدم في سورة الأنعام. انتهى.

---

(١) قوله «أن الملائكة خلقاً» لعله: متنوعه خلقاً... إلخ. (ع)

فجناحان يلفون بها أجسادهم، وجناحان يطيرون بهما في الأمر من أمور الله، وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله. وعن رسول الله ـ ﷺ ـ: «أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح» (١٢٣٣)، وروي أنه سأل جبريل عليه السلام أن يتراءى له في صورته فقال: إنك لن تطيق ذلك. قال: «إني أحب أن تفعل فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل في صورته فغشي على النبي ﷺ، ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه، فقال: سبحان الله! ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا، فقال جبريل: فكيف لو رأيت إسرافيل: له اثنا عشر جناحاً: جناح منها بالمشرق، وجناح بالمغرب، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل الأحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع»[1] (١٢٣٤) وهو العصفور الصغير. وروي/ ٢/ ١١٥أ عن رسول الله ـ ﷺ ـ في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾: «هو الوجه الحسن، والصوت الحسن، والشعر الحسن» (١٢٣٥). وقيل: «الخط الحسن»، وعن قتادة: الملاحة في العينين (١٢٣٦). والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق: من طول قامة، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء؛ وقوة في البطش؛ وحصافة في العقل[2]، وجزالة في الرأي، وجراءة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة[3] في اللسان ولباقة في التكلم[4]؛ وحسن تأنّ في مزاولة الأمور؛ وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف.

١٢٣٣ ـ تقدم برقم (٥٧٧).
قال الحافظ: متفق عليه من حديث ابن مسعود: «أن النبي ـ ﷺ ـ رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح» ولفظ ابن حبان: رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح ينتشر في ريشه الدر والياقوت». انتهى.

١٢٣٤ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١٤٦/٣) لابن المبارك في كتاب الزهد من طريق ابن شهاب، وللثعلبي في تفسيره من جهة ابن المبارك.
قال الحافظ: أخرجه ابن المبارك في الزهد والثعلبي من طريقه أخبرنا الليث عن عقيل عن الزهري بهذا وزاد «والوصع عصفور صغير حتى ما يحمل عرشه إلا عظمته» الوصع بفتح الصاد المهملة بعدها مهملة أيضا. انتهى.

١٢٣٥ ـ عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٥٩/٥) لابن المنذر عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ قال: حسن الصوت ولعبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق الزهري.

١٢٣٦ ـ عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٥٩/٥) للبيهقي في السنن عن قتادة.

---

(١) قوله مثل الوصع وهو العصفور» في الصحاح: الوصع»: طائر أصغر من العصفور. (ع)
(٢) قوله «وحصافة» أي: إحكام. أفاده الصحاح. (ع)
(٣) قوله «وذلاقة» أي: حدة وطلاقة، أفاده الصحاح. (ع)
(٤) قوله «ولباقة في التكلم» أي حذق، أفاده الصحاح. (ع)

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

استعير الفتح للإطلاق والإرسال. ألا ترى إلى قوله: ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ مكان: لا فاتح له، يعني: أي شيء يطلق الله من رحمة أي من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها. وتنكيره الرحمة للإشاعة والإبهام، كأنه قال: من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية(١)، فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها، وأيّ شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه. فإن قلت: لم أنث الضمير أوّلاً، ثم ذكر آخراً؟ وهو راجع في الحالين إلى الاسم المتضمن معنى الشرط؟ قلت: هما لغتان: الحمل على المعنى وعلى اللفظ، والمتكلم على الخيرة فيهما، فأنث على معنى الرحمة، وذكر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه، ولأنّ الأوّل فسر بالرحمة، فحسن اتباع الضمير التفسير، ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها. فإن قلت: لا بد للثاني من تفسير، فما تفسيره؟ قلت: يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأوّل. ولكنه ترك لدلالته عليه، وأن يكون مطلقاً في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته، وإنما فسر الأوّل دون الثاني للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه. فإن قلت: فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ؟ قلت: إن أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها ـ وهو الذي أراده ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ إن قاله ـ فمقبول؛ وإن أراد أنه إن شاء أن يتوب العاصي تاب، وإن لم يشأ لم يتب؛ فمردود؛ لأنّ الله تعالى يشاء التوبة أبداً(٢)، ولا يجوز عليه أن لا يشاءها ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد إمساكه، كقوله تعالى: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [**الجاثية**: ٢٣]، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [**الجاثية**: ٦] أي من بعد هدايته وبعد آياته ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على الإرسال والإمساك ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله وإمساكه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: والعموم مفهوم من اسم الشرط و«من رحمة» بيان لذلك العام من أي صنف هو وهو مما اجتزىء فيه بالنكرة المفردة عن الجمع المعرف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحمات ومن في موضع الحال. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «يشاء التوبة أبداً» هذا وما بعده على مذهب المعتزلة، من أنه تعالى يجب عليه الصلاح للعبد. وعند أهل السنة: لا يجب عليه شيء. فالكلام على ظاهره، ورده مردود. (ع)

ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط، ولكن به وبالقلب، وحفظها من الكفران والغمط[1] وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها. ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه: اذكر أياديّ عندك. يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها. والخطاب عام للجميع لأنّ جميعهم مغمورون في نعمة الله. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد: يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم، حيث أسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم، والناس يتخطفون من حولكم. وعنه: نعمة الله العافية. وقرئ: غير الله، بالحركات الثلاث؛ فالجرّ والرفع على الوصف لفظاً ومحلاً، والنصب على الاستثناء. فإن قلت: ما محل ﴿يَرْزُقُكُم﴾؟ قلت: يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعته صفة لخالق[2] وأن لا يكون له محل إذا رفعت محل من خالق، بإضمار يرزقكم، وأوقعت يرزقكم تفسيراً له، أو جعلته كلاماً مبتدأ بعد قوله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾. فإن قلت: هل فيه دليل على أنّ الخالق لا يطلق على غير الله تعالى[3]؟ قلت: نعم إن جعلت (يرزقكم) كلاماً مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة. وأمّا على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير. فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والأرض، وخرج من الإطلاق، فكيف يستشهد به على اختصاصه، بالإطلاق؛ والرزق من السماء المطر، ومن الأرض النبات ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة مفصولة لا محل لها، مثل: يرزقكم في الوجه الثالث، ولو وصلتها كما وصلت

---

(١) قوله «وحفظها من الكفران والغمط» أي: الاحتقار. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: ما محل يرزقكم؟ قلت: يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعته صفة لخالق، وأن لا يكون له محل إذا جعلته تفسيراً وجعلت من خالق مرفوع المحل بفعل يدل عليه هذا، كأنه قيل: هل يرزقكم خالق غير الله، أو جعلت يرزقكم كلاماً مبتدأ» قال أحمد: والوجه المؤخر أوجهها.

(٣) عاد كلامه. قال: فإن قلت: هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله تعالى؟ قلت: نعم إن جعلت يرزقكم كلاماً مبتدأ، وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة. وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السموات والأرض، وخرج من الإطلاق، فكيف يستشهد به على نفيه مطلقاً» قال أحمد: القدرية إذا قرعت هذه الآية أسماعهم قالوا بجرأة على الله تعالى: نعم ثم خالق غير الله؛ لأن كل واحد عندهم يخلق فعل نفسه، فلهذا رأيت الزمخشري وسع الدائرة، وجلب الوجوه الشاردة النافرة، وجعل الوجهين يطابقان معتقده في إثبات خالق غير الله. ووجهها هو الحق والظاهر، وأخره في الذكر تناسياً له، والذي يحقق الوجه الثالث وأنه هو المراد: أن الآية خوطب بها قوم على أنهم مشركون، إذا سئلوا عن رازقهم من السموات والأرض، قالوا: الله، فقرروا بذلك وقرعوا به، إقامة للحجة عليهم بإقرارهم، ولو كان على غير هذا الوجه قيد، لكان مفهومه إثبات خالق غير الله، لكنه لا يرزق وهؤلاء الكفرة قد تبرؤا عن ذلك، فلا وجه لتقريعهم بما يلائم قولهم هذا ترجيح الوجه الثالث من حيث مقصود سياق الآية. وأما من حيث النظم اللفظي، فلأن الجملتين اللتين هما قوله ﴿يَرْزُقُكُم﴾ وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ سيقتا سياقاً واحداً. والثانية مفصولة اتفاقاً مما تقدم فكذلك ﴿وَزَيَّنَّهَا﴾.

يرزقكم لم يساعد عليه المعنى؛ لأنّ قولك: هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلا ذلك الخالق: غير مستقيم؛ لأن قولك: هل من خالق سوى الله إثبات لله، فلو ذهبت تقول ذلك: كنت مناقضاً بالنفي بعد الإثبات ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك؟

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾

نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله، وتكذيبهم بها، وسلى رسوله ﷺ بأن له في الأنبياء قبله أسوة حسنة، ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد: من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه. وقرئ: ترجع، بضم التاء وفتحها. فإن قلت: ما وجه صحة جزاء الشرط، ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له؟ قلت: معناه: وإن يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك، فوضع ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ موضع: فتأس، استغناء/ ٢/ ١١٥ب بالسبب عن المسبب: أعني بالتكذيب عن التأسي. فإن قلت: ما معنى التنكير في رسل؟ قلت: معناه فقد كذبت رسل، أي رسل ذوو عدد كثير. وألو آيات ونذر، وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم، وما أشبه ذلك. وهذا أسلى له، وأحث على المصابرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾

وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾ فلا تخدعنكم ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة[1] والغرور الشيطان لأن ذلك ديدنه. وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك أو جمع غارّ كقاعد وقعود أخبرنا الله عز وجل أن الشيطان لنا عدوّ مبين، واقتص علينا قصته وما فعل

---

(١) قال محمود: «معناه: ولا يقولن لكم الشيطان: اعملوا ما شئتم فإن الله غفور، يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة» قال أحمد: هو يعرض بأهل السنة في اعتقادهم جواز مغفرة الكبائر للموحد، وإن لم يكن توبة. وهذا لا يناقض صدق وعده تعالى؛ لأن الله تعالى حيث توعد على الكبائر قرن الوعد بالمشيئة في مثل قوله لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فهم إذا مصدقون بوعد الله تعالى، موقنون به على حسب ما ورد.

بأبينا آدم عليه السلام، وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده، ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا، فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدوّكم الذي لا عدوّ أعرق في العداوة منه، وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ في عقائدكم وأفعالكم، ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم. ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأنّ غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته: هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك، وأن يكونوا من أصحاب السعير. ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء[1]، ليقطع الأطماع الفارغة والأماني الكاذبة، فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾

لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا، قال لنبيه: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ يعني: أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين، كمن لم يزين له، فكأن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا» فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ﴾ ومعنى تزيين العمل والإضلال: واحد، وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح، حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه، فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق آمر النهي، ويعتنق طاعة الهوى، حتى يرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً، كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه؛ ويقعد تحت قول أبي نواس [من مجزوء الرمل]:

إسْقِنِي حَتَّىٰ تَرَانِي ... حَسَناً عِنْدِي الْقَبِيحُ[2]

وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم، فإنّ على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقي بالاً إلى ذكرهم، ولا يحزن ولا يتحسر عليهم: اقتداء بسنة الله تعالى في خذلانهم وتخليتهم. وذكر الزجاج أنّ المعنى: أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة، فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه: أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله، فحذف لدلالة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ﴾ عليه. حسرات: مفعول له

---

(١) قوله «وقشر اللحاء» في الصحاح: اللحاء ـ ممدود ـ: قشر الشجر. (ع)

(٢) نحن نخفيها فتأتي ... طيب ريح فتفوح
اسقني حتى تراني ... حسناً عندي القبيح
لأبي نواس. ونخفيها، أي: الخمر: فتفوح: أي رائحتها، ثم قال لساقي الخمر: اسقني حتى أسكر، فيحسن عندي القبيح، وحسناً: المفعول الثاني، والقبيح مرفوع به، واستحسانه: كناية عن اشتداد السكر.

يعني: فلا تهلك نفسك للحسرات. وعليهم صلة تذهب، كما تقول: هلك عليه حبا، ومات عليه حزناً. أو هو بيان للمتحسر عليه. ولا يجوز أن يتعلق بحسرات؛ لأنّ المصدر لا يتقدم عليه صلته. ويجوز أن يكون حالاً، كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر؛ كما قال جرير [من الكامل]:

مَشَقَ الْهَوَاجِرُ لَحْمَهُنَّ مَعَ السُّرَىٰ ... حَتَّىٰ ذَهَبْنَ كَلاَكِلاً وَصُدُورا[1]

يريد: رجعن كلاكلا وصدوراً، أي: لم يبق إلا كلاكلها وصدورها؛ ومنه قوله [من الخفيف]:

فَعَلَىٰ إِثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِي ... حَسَرَاتٍ وَذِكْرُهُمْ لِي سَقَامُ[2]

وقرئ: فلا تذهب نفسك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾

وقرئ أرسل الريح. فإن قلت: لم جاء ﴿فَتُثِيرُ﴾ على المضارعة دون ما قبله، وما بعده؟ قلت: ليحكى الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية، بحال تستغرب، أوتهمّ المخاطب، أو غير ذلك، كما قال تأبط شراً [من الوافر]:

بِأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْغُولَ تَهْوِي ... بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ
فَأَضْرِبُهَا بِلاَ دَهَشٍ فَخَرَّتْ ... صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ[3] / ٢/ ١١٦أ

---

(١) لجرير يصف نوقاً بالهزال. يقال: فرس ممشوق، أي: طويل مهزول. وجارية ممشوقة: رقيقة القوام. والهاجرة: شدة الحر. والسرى ـ بالضم ـ: سير الليل. والكلكل والكلكال: الصدر، وعطف الصدور على الكلاكل للتفسير، أي: صرن من شدة الحر والسير كأنهم عظام فقط لا لحم عليهن.
ينظر: ديوانه ص (٢٢٧)، خزانة الأدب (٤/ ٩٨/ ٩٩) شرح أبيات سيبويه (١/ ٢٢٠)، الكتاب (١/ ١٦٢)، المقاصد النحوية (٣/ ١٤٤)، بلا نسبة في لسان العرب (كلل)، البحر المحيط (٧/ ٣٠١)، الدر المصون (٥/ ٤٦٠).

(٢) لما أصابه الحزن بعد ذهاب الأحباب وتمكن من نفسه، تخيل أنها تتناثر وتنزل من جسمه حال كونها حسرات متتابعة، وجعل النفس حسرات لامتزاجها بها، فكأنها هي، أو تتساقط بعدهم لأجل الحسرات والأحزان وهو أوجه. وذكرهم: أي تذكرهم سقام لي، وهو بالفتح مصدر كالسقم.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٠١)، الدر المصون (٥/ ٤٦٠).

(٣) فمن ينكر وجود الغول إني ... أخبر عن يقين بل عيان =

لأنه قصد أن يصوّر لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول، كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها، مشاهدة للتعجيب من جرأته على كل هول، وثباته عند كل شدّة. وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها: لما كان من الدلائل على القدرة الباهرة قيل: فسقنا، وأحيينا؛ معدولاً بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه. والكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في محلّ الرفع، أي: مثل إحياء الموات نشور الأموات وروي أنه قيل لرسول الله ـ ﷺ ـ: كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال: «هل مررت بوادي أهلك محلاً ثم مررت به يهز[1] خضراً» قال: نعم. قال: «فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه» (١٢٣٧). وقيل

١٢٣٧ ـ أخرجه أحمد (٤/ ١١)، والحاكم (٤/ ٥٦٠)، كتاب الأهوال، باب: أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء؛ والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٠٨)، رقم (٤٧٠)، وأبو داود الطيالسي (٢/ ٢٢٥)، كتاب: قيام الساعة والنفخ في الصور والبعث والنشور، باب: ما جاء في قيام الساعة وحشر الناس إلى الموقف حديث (٢٧٩٥)، والواحدي في تفسيره (٣/ ٥٠٢) جميعهم من طريق وكيع بن حوس عن عمه أبي رزين العقيلي، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٤٧) لإسحاق بن راهويه في مسنده، وللثعلبي في تفسيره، وللدارقطني، في المؤتلف والمختلف.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قال الحافظ: أخرجه أحمد وإسحاق وابن أبي شيبة، والحاكم، والبيهقي في البعث كلهم من طريق حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدي عن عمه أبي رزين العقيلي أنه قال: «يا رسول الله، أكلنا يرى ربه يوم القيامة. وما آية ذلك في خلقه؟ فقال النبي ـ ﷺ ـ: «أليس كلكم ينظر إلى القمر مختلياً به؟ قالوا: بلى. قال: فالله أعظم. قال: قلت: يا رسول الله، كيف =

= بأني قد لقيت الغول تهوى ... بسهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت ... صريعاً لليدين وللجران

لتأبط شراً. والغول: أنثى الشياطين. والعيان: المشاهدة بالعين. والهوى: الهبوط. والمراد: سرعة العدو. والسهب ـ بالفتح ـ: الفضاء المستوي البعيد الأطراف. والصحيفة: الكتاب. والصحصحان والصعصعان ـ بالفتح ـ: المستوي من الأرض. والجران ـ ككتاب ـ: مقدم عظم العنق من الحلق إلى اللبة، وجمعه جرنة ككتبة، وأجرنة كأفئدة. يقول: فمن ينكر وجود الغول فقد كذب، فإني أخبر عن يقين، ويجوز أن المعنى: فيا من تنكر وجود الغول، إني أخبر إخباراً ناشئاً عن يقين، وهو ما كان بدليل قاطع بل عيان ومشاهدة بالعين، بأني قد لقيتها تسرع في مكان متسع مستو، وكرر الوصف بذلك توكيداً، وأظهر موضع الإضمار لزيادة تمكين الغول في ذهن السامع والتهويل، وكان الظاهر أن يقول: فضربتها، لكن عدل إلى المضارع ليحكي الحال الماضية كأنها موجودة الآن مشاهدة فيتعجب منها، وتعلم شجاعته، أي: فجعلت أضربها بلا خوف فسقطت مطروحة على يديها وعنقها. وفعيل: يوصف به المذكر والمؤنث كما هنا.
ينظر: لسان العرب (جرن)، البحر المحيط (٧/ ٣٠٢)، الدر المصون (٥/ ٤٦٠).

(١) قوله «ثم مررت به يهز خضراً» في الخازن: «يهتز». (ع)

يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال، تنبت منه أجساد الخلق.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾

كان الكافرون يتعززون بالأصنام، كما قال عز وجل: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ [مريم: ٨١] والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم: كانوا يتعززون بالمشركين، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩] فبين أن لا عزة إلا لله ولأوليائه. وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] والمعنى فليطلبها عند الله، فوضع قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ موضعه، استغناء به عنه لدلالته عليه؛ لأنّ الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه. ونظيره قولك: من أراد النصيحة فهي عند الأبرار، تريد: فليطلبها عندهم؛ إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه. ومعنى ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أنّ العزة كلها مختصة بالله: عزة الدنيا وعزة الآخرة. ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ والكلم الطيب: لا إلٰه إلا الله. عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني أنّ هذه الكلم لا يقبل. ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها. وقيل: الرافع الكلم، والمرفوع العمل؛ لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد. وقيل: الرافع هو الله تعالى، والمرفوع العمل. وقيل: الكلم الطيب: كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك. وعن النبي ﷺ: «هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه (١٢٣٨). وفي الحديث: «لا يقبل الله قولاً إلا بعمل،

= يحيي الله الموتى. وما آية ذلك في خلقه؟ قال: أما مررت بوادي أهلك ممحلا؟ قال: بلى. قال: ثم مررت به يهتز خضراً؟ قال: قلت: بلى. قال: فكذلك يحيي الله الموتى. وذلك آية في خلقه» وأوله في سنن أبي داود وابن ماجه دون مقصود الكتاب. انتهى.

١٢٣٨ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٤٨): لم أجده هكذا مرفوعاً عن النبي ـ ﷺ ـ إلا عند الثعلبي ورواه الحاكم موقوفاً على ابن مسعود (٢/ ٤٢٥)، كتاب التفسير، باب: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه»، والطبري في تفسيره (١٠/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩)، رقم (٢٨٩٣٧) كلهم من حديث المخارق بن سليم عن عبد الله بن مسعود.
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من رواية علي بن عاصم عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً ورواه الحاكم والبيهقي في الأسماء =

ولا يقبل قولاً ولا عملاً إلا بنية، ولا يقبل قولاً وعملاً ونية إلا بإصابة السنة (١٢٣٩)، وعن ابن المقفع: قول بلا عمل كثريد بلا دسم، وسحاب بلا مطر، وقوس بلا وتر. وقرئ: ﴿إِلَيْهِ يُصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ على البناء للمفعول. و﴿إِلَيْهِ يُصْعِدُ ٱلْكَلِمَ ٱلطَّيِّبَ﴾ على تسمية الفاعل، من أصعد. والمصعد: هو الرجل أي يصعد إلى الله عز وجل الكلم الطيب، وإليه يصعد الكلام الطيب. وقرئ: ﴿وَٱلْعَمَلَ ٱلصَّٰلِحَ يَرْفَعُهُۥ﴾، بنصب العمل والرافع الكلم أو الله عز وجل. فإن قلت: مكر: فعل غير متعدّ. لا يقال: مكر فلان عمله فبم نصب ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؟ قلت: هذه صفة للمصدر، أو لما في حكمه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] أصله والذين مكروا المكرات السيئات. أو أصناف المكر السيئات، وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله ـ ﷺ ـ: إما إثباته، أو قتله، أو إخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]. ﴿وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يعني: ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور، أي: يكسد ويفسد، دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر، فجمع عليهم مكراتهم جميعاً وحقق فيهم قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] وقوله: ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

= والطبري مرفوعاً عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

١٢٣٩ ـ روي من حديث أنس، ومن حديث أبي هريرة، ومن حديث ابن مسعود فأما حديث أنس: فرواه الخطيب البغدادي في كتاب الجامع لآداب الراوي والسامع (١/ ٣١٥)، باب: ذكر أخلاق الراوي حديث (٦٨٥).

وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٤٩) لابن الجوزي في كتاب التحقيق في مسألة نية الوضوء.

وأما حديث أبي هريرة: فأخرجه ابن حبان في الضعفاء (١/ ٢٧٦).

قال ابن حبان: وزكريا بن يحيى الوقاد قال فيه ابن عدي: كان يضع الحديث، وخالد بن عبد الدائم قال ابن حبان: يروي المناكير ويلزق المتون الواهية بالأسانيد المشهورة. انتهى.

وأما حديث ابن مسعود: فأخرجه ابن حبان في الضعفاء (١/ ١٥٠)، وأعله بأحمد بن الحسين بن أبان المصري.

قال الحافظ: أخرجه الخطيب في الجامع من رواية بقية بن إسماعيل بن عبد الله عن أبان عن أنس بهذا مرفوعاً، وأبان متروك، وله طريق أخرى عن أبي هريرة مرفوعاً أخرجه ابن عدي وابن حبان، كلاهما في الضعفاء عن خالد بن عبد الدائم عن نافع بن يزيد عن زهرة بن معبد عن سعيد بن المسيب عنه. بلفظ: «قرآن في صلاة خير من قرآن في غير صلاة» ـ الحديث. وفيه: «ولا قول إلا بعمل إلى آخره». ورواه ابن حبان أيضاً من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابن مسعود. وفيه أحمد بن الحسن المصري. وهو كذاب. انتهى.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً، أو ذكراناً وإناثاً، كقوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى: ٥٠] وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ: زوج بعضهم بعضاً ﴿بِعِلْمِهِ﴾ في موضع الحال، أي: إلا معلومة له. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾؟ قلت: معناه (وما يعمر من أحد). وإنما سماه معمراً بما هو صائر إليه. فإن قلت: الإنسان إما معمر، أي طويل العمر: أو منقوص العمر، أي قصيره. فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال، فكيف صح قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾؟ قلت: هذا من الكلام المتسامح فيه، ثقة في تأويله بأفهام السامعين، واتكالاً على تسديدهم معناه بعقولهم/٢/١١٦ب، وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول والقصر في عمر واحد. وعليه كلام الناس المستفيض. يقولون: لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بحق. وما تنعمت بلداً ولا اجتويته إلا قل فيه ثوائي[١]. وفيه تأويل آخر: هو أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر إلا في كتاب، وصورته: أن يكتب في اللوح: إن حج فلان أو غزا فعمره أربعون سنة، وإن حج وغزا فعمره ستون سنة، فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر. وإذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعون، فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون. وإليه أشار رسول الله ـ ﷺ ـ في قوله: «إن الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار» (١٢٤٠). وعن كعب أنه قال حين طعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: لو أن عمر دعا الله لأخر في أجله، فقيل لكعب: أليس قد قال الله ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩] قال: فقد قال الله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ (١٢٤١). وقد استفاض على الألسنة: أطال الله بقاءك، وفسح في مدتك وما

١٢٤٠ ـ أخرجه أحمد (٦/١٥٩) من طريق القاسم عن عائشة، والبيهقي في الشعب (٦/٢٦٦)، الباب: السادس والخمسون وهو باب: في صلة الأرحام، رقم (٧٩٦٩)، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/١٥١) لأبي القاسم الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب، من طريق أبي سعيد الخدري.

قال الحافظ: أخرجه أحمد من طريق القاسم عن عائشة، لكن قال: «وحسن الخلق» بدل: «الصدقة» ورواه البيهقي في الشعب من هذا الوجه كذلك، وزاد: «وحسن الجوار» وله طريق أخرى عند الأصبهاني عن أبي سعيد بلفظ: «صلة الرحم وحسن الخلق وبر الوالدين» وزاد: «وإن كان القوم فجاراً». انتهى.

١٢٤١ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٥١ ـ ١٥٢) لإسحاق بن راهويه في مسنده من =

---

(١) قوله «ولا اجتويته إلا قل فيه ثوائي» أي: كرهت المقام به، كذا في الصحاح. (ع)

أشبهه. وعن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة، ثم يكتب في أسفل ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، حتى يأتي على آخره (١٢٤٢). وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ: المعمر من بلغ ستين سنة، والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة (١٢٤٣). والكتاب: اللوح. عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ويجوز أن يراد بكتاب الله: علم الله، أو صحيفة الإنسان. وقرئ: ولا ينقص، على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

ضرب البحرين: العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر، ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ أي: ومن كل واحد منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ وهي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ﴾ في كل ﴿مَوَاخِرَ﴾ شواق للماء يجريها، يقال: مخرت السفينة الماء. ويقال للسحاب: بنات مخر، لأنها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر، لأنها تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ من فضل الله، ولم يجر له ذكر في الآية، ولكن فيما قبلها، ولو لم يجر لم يشكل، لدلالة المعنى عليه. وحرف الرجاء مستعار لمعنى الإرادة، ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل، كأنما قيل: لتبتغوا، ولتشكروا. والفرات: الذي يكسر العطش. والسائغ: المريء السهل الانحدار لعذوبته. وقرئ: سيغ، بورن سيد: وسيغ بالتخفيف. وملح: على فعل. والأجاج: الذي يحرق بملوحته. ويحتمل غير طريقة الاستطراد: وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين، ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر؛ بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ: وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع، فهو في طريقة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ

= طريق الزهري عن سعيد بن المسيب.
قال الحافظ: أخرجه إسحاق في آخر مسند ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد. انتهى.

١٢٤٢ ـ أخرجه أبي الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة (٣/ ٩١٨ ـ ٩١٩) رقم (٤٥٢) ـ ٢٣.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٦٤) لعبد بن حميد ولابن المنذر ولابن أبي حاتم في تفاسيرهم.

١٢٤٣ ـ ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٤) وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة.

بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ثم قال: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ مبتدأ. و﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ أخبار مترادفة. أو (الله ربكم) خبران. وله الملك: جملة مبتدأة واقعة في قران قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ ويجوز في حكم الإعراب إيقاع اسم الله صفة لاسم الإشارة. أو عطف بيان. وربكم خبراً. لولا أن المعنى يأباه[١]. والقطمير: لفافة النواة، وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

إن تدعوا الأوثان ﴿لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ لأنهم جماد ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ على سبيل الفرض والتمثيل لـ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية، ويتبرؤون منها. وقيل: ما نفعوكم ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[٢] ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به. ويريد: أن الخبير بالأمر وحده، هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به. والمعنى: أنّ هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق، لأني خبير بما أخبرت به. وقرئ: يدعون، بالياء والتاء[٣].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾

فإن قلت: لم عرف الفقراء؟ قلت: قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم

---

(١) قال السمين الحلبي: ورده الشيخ: بأن الله علم لا جنس فلا يوصف به ورد قوله: بأن المعنى يأباه قال: لأنه يكون قد أخبر عن المشار إليه، بتلك الصفات والأفعال إنه مالككم ومصلحكم. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «يكفرون بشرككم» كأن تفسيره قد سقط، وفي النسفي: يكفرون بشرككم: بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم، ويقولون: ما كنتم إيانا تعبدون، ولا ينبئك... إلخ. (ع)

(٣) أي في الآية (١٣) ﴿... وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ...﴾.

جنس الفقراء، وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم، لأن الفقر مما يتبع الضعف، وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] ولو نكر لكان المعنى أنتم بعض الفقراء. فإن قلت: قد قوبل الفقراء بالغنى، فما فائدة الحميد؟ قلت: لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم ـ وليس كل غني نافعاً بغناه إلا إذا كان الغني/ ٢/ ١١٧أ جواداً منعماً، فإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ـ ذكر الحميد ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه، الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه. الحميد على ألسنة مؤمنيهم ﴿بِعَزِيزٍ﴾ بممتنع، وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له أنداداً، وكفرهم بآياته ومعاصيهم، كما قال: ﴿تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ﴾ [محمد: ٣٨] وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئاً.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

الوزر والوقر: أخوان؛ ووزر الشيء إذا حمله. والوازرة: صفة للنفس، والمعنى: أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي اقترفته: لا تؤخذ نفس بذنب نفس، كما تأخذ جبابرة الدنيا: الولي بالولي، والجار بالجار. فإن قلت: هلا قيل: ولا تزر نفس وزر أخرى؟ ولم قيل وازرة؟ قلت: لأن المعنى أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها، لا وزر غيرها. فإن قلت: كيف توفق بين هذا وبين قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]؟ قلت: تلك الآية في الضالين المضلين، وأنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم، وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم. ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢] بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢]. فإن قلت: ما الفرق بين معنى قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وبين معنى ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ﴾؟ قلت: الأول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه، وأنه تعالى لا يؤاخذ نفساً بغير ذنبها، والثاني في أن لا غياث يومئذٍ لمن استغاث، حتى أن نفساً قد أثقلها الأوزار وبهظتها، لو دعت إلى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث، وإن كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ. فإن قلت: إلام أسند كان في ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾؟ قلت: إلى المدعو المفهوم من قوله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾. فإن قلت: فلم

ترك ذكر المدعو؟ قلت: ليعمّ، ويشمل كل مدعوّ. فإن قلت: كيف استقام إضمار العام؟ ولا يصح أن يكون العام ذا قربى للمثقلة؟ قلت: هو من العموم الكائن على طريق البدل. فإن قلت: ما تقول فيمن قرأ (ولو كان ذو قربى) على كان التامّة، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]؟ قلت: نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة؛ لأنّ المعنى على أن المثقلة إن دعت أحداً إلى حملها لا يحمل منه شيء، وإن كان مدعوّها ذا قربى، وهو معنى صحيح ملتئم، ولو قلت: ولو وجد ذو قربى، لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه[1]، على أنّ ههنا ما ساغ أن يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما أوردته ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال من الفاعل أو المفعول، أي: يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائباً عنهم. وقيل: بالغيب في السر، وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله ـ ﷺ ـ من أصحابه، فكانت عادتهم المستمرّة أن يخشوا الله، وهم الذين أقاموا الصلاة وتركوها مناراً منصوبًا وعلماً مرفوعاً، يعني: إنما تقدر على إنذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك، وعلى تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون متمرّديهم وأهل عنادهم ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي. وقرئ: ومن ازكى فإنما يزكي، وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة، لأنهما من جملة التزكي ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ وعد للمتزكين بالثواب. فإن قلت: كيف اتصل قوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ بما قبله؟ قلت: لما غضب عليهم في قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أتبعه الإنذار بيوم القيامة وذكر أهوالها، ثم قال: (إنما تنذر) كأن رسول الله ـ ﷺ ـ أسمعهم ذلك، فلم ينفع، فنزل ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ أو أخبره الله تعالى بعلمه فيهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ مثل للكافر والمؤمن، كما ضرب البحرين مثلاً لهما أو للصنم والله عزّ وجلّ، والظلمات والنور والظلّ والحرور: مثلان للحق والباطل، وما يؤدّيان إليه من الثواب والعقاب. والأحياء والأموات: مثل للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه، وأصروا على الكفر والحرور: السموم؛ إلا أنّ السموم يكون بالنهار. والحرور بالليل والنهار. وقيل: بالليل خاصة. فإن قلت: لا المقرونة بواو العطف ما هي؟ قلت: إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي. فإن قلت: هل من فرق بين هذه الواوات؟ قلت: بعضها ضمت شفعاً إلى شفع، وبعضها وتراً إلى وتر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن

(١) قوله «وخرج من اتساقه والتئامه» أي: انتظامه. (ع)

﴿يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٢٢] يعني أنه قد علم من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل فيه، فيهدي الذي قد علم أنّ الهداية/ ٢/ ١١٧ب تنفع فيه، ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه. وأمّا أنت فخفي عليك أمرهم. فلذلك تحرص وتتهالك على إسلام قوم من المخذولين. ومثلك في ذلك مثل من لا يريد أن يسمع المقبورين وينذر، وذلك ما لا سبيل إليه، ثم قال: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر، فإن كان المنذر ممن يسمع الإنذار نفع، وإن كان من المصرين فلا عليك. ويحتمل أنّ الله يسمع من يشاء وأنه قادر على أن يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والإلجاء، وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق، وأما أنت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ حال من أحد الضميرين، يعني: محقاً أو محقين، أو صفة للمصدر، أي: إرسالاً مصحوباً بالحق. أو صلة لبشير ونذير على: بشيراً بالوعد الحق، ونذيراً بالوعيد الحق. والأمّة الجماعة الكثيرة. قال الله تعالى: وجد عليه أمّة من الناس، ويقال لأهل كل عصر: أمّة، وفي حدود المتكلمين: الأمّة هم المصدقون بالرسول ـ ﷺ ـ دون المبعوث إليهم، وهم الذين يعتبر إجماعهم، والمراد ههنا: أهل العصر. فإن قلت: كم من أمّة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولم يخل فيها نذير؟ قلت: إذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير إلى أن تندرس، وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمداً ﷺ. فإن قلت: كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما؟ قلت: لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة، دلّ ذكرها على ذكرها، لا سيما قد اشتملت الآية على ذكرهما.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالشواهد على صحة النبوّة وهي المعجزات ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ وبالصحف ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ نحو التوراة والإنجيل والزبور. لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المجيء بها إليهم إسناداً مطلقاً. وإن كان بعضها في جميعهم: وهي البينات، وبعضها في بعضهم: وهي الزبر والكتاب. وفيه مسلاة لرسول الله ـ ﷺ ـ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ

﴿أَلۡوَٰنُهَا﴾ أجناسها من الرّمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها. والجدد: الخطط والطرائق، قال لبيد [من الكامل]:

أَوْ مَــذْهَــبٌ جُــدَدٌ عَــلَــىٰ أَلْــوَاحِــهِ ....(١)

ويقال: جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره، وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه ﴿وَغَرَابِيبُ﴾ معطوف على بيض أو على جدد، كأنه قيل: ومن الجبال مخطط ذو جدد، ومنها ما هو على لون واحد غرابيب(٢). وعن عكرمة ـ رضي الله عنه ـ: هي الجبال الطوال السود. فإن قلت: الغربيب تأكيد للأسود. يقال: أسود غربيب، وأسود حلكوك: وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه. ومنه الغراب. ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك: أصفر فاقع، وأبيض يقق(٣) وما أشبه ذلك. قلت: وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر؛ كقول النابغة [من البسيط]:

وَالْـمُـؤْمِـنُ الْـعَـائِـذَاتِ الـطَّـيْـرِ ....(٤)

---

(١) ينظر: ديوانه ص ١١٩، و الخصائص ١/ ١٩٣، والكتاب ٤/ ١٥١، ولسان العرب (ذهب)، (برز)، (نطق). (فعم)، وبلا نسبة في مجالس ثعلب ص ٢٣٢.

(٢) قوله «ما هو على لون واحد غرابيب» لعله. غربيب. (ع)

(٣) قوله «وأبيض يقق» بفتح القاف الأولى، وحكى كسرها. أفاده الصحاح. (ع)

(٤)
فلا لعمر الذي طيفت بكعبته ... وما هريق على الأنصاب من جسد
والمؤمن العائذات الطير يرقبها ... ركبان مكة بين الغيل والسند
ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه ... إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي

للنابغة. يعتذر للنعمان بن المنذر، ولا زائدة قبل القسم، لأنه في الغالب لنفي دعوى الخصم. والعمر: الحياة، وهو مبتدأ حذف خبره وجوبا، وطاف به يطيف طيفاً. أتى عليه ونزل به، وطاف به يطوف طوافاً وطوفانا، إذا دار حوله، ومنه: طيفت، وهو مبني للمجهول، ونائب الفاعل: الجار والمجرور، ولما كان مؤنثاً لحقت التاء الفعل شذوذاً، والفصيح تركها في مثله، والغيل والسند: أجمتان بجانب منى. وقيل: موضعا ماء بجانبي الحرم، وهو قريب مما قبله، أي: حياة الذي طاف الحجيج بكعبته قسمي، وماهريق، والمؤمن: بالرفع عطف على المبتدأ والعائذات منصوب بالمؤمن، والطير: عطف بيان للعائذات، ويجوز جعله بدلاً منه، وكذا كل موصوف تبع صفته، وهريق: أصله أريق. والجسد: البدن، وجسد به الدم؛ إذا لصق به، فهو جاسد وجسد. فعلى الأول «أريق» بمعنى ذبح، وعلى الثاني على ظاهره، لكنه كناية عن الذبح، أي وما ذبح على الحجارة المنصوبة حول الكعبة من الهدي، والذي آمن الطير العائذات اللائذات بالحرم، حال كونها ينظرها الحجاج في منى ولا يؤذونها لإحرامهم. وروي: يمسحها وهو أبلغ في الأمن، وما أتيت جواب القسم، وإن زائدة. ويجوز أنها نافية مؤكدة ثم دعا على نفسه فقال: إذا كان ذلك مني فلا =

وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد، حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار[(١)] جميعاً، ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾ بمعنى: ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود، حتى يؤول إلى قولك: ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال: ثمرات مختلفاً ألوانها ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ يعني: ومنهم بعض مختلف ألوانه. وقرئ: ألوانها. وقرأ الزهري جدد، بالضم: جمع جديدة، وهي الجدّة، يقال: جديدة وجدد وجدائد، كسفينة وسفن وسفائن. وقد فسر بها قول أبي ذؤيب يصف حمار وحش [من الكامل]:

.... جُـونُ الـسَّـرَاةِ لَـهُ جَـدَائِـدُ أَرْبَـعُ[(٢)]

وروي عنه: جدد، بفتحتين، وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض. وقرئ: والدواب مخففاً ونظير هذا

= رفعت سوطي إلى يدي: بيان يدي، كناية عن أنه يضعف غاية الضعف، وروي «سوطاً» بدل «سوطي» أي يضعف حتى لا يقدر على رفعه.

ينظر ديوانه (ص ٢٥) وفيه «والسعد» مكان و«السند»، خزانة الأدب (٥/ ٧١، ٧٣، ١٨٣، ٨/ ٤٥٠، ٤٥١)، شرح المفصل (٣/ ١١) الدر المصون (٥/ ٤٦٧).

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: لا يصح إلاّ على مذهب من يُجَوِّزُ حذف المؤكد ومن النحويين من مَنَعَهُ وهو اختيارُ ابن مالك. قُلْتُ: ليس هذا هو التوكيد المختلف في حذف مؤكده لأنَّ هذا من باب الموصوف، ومعنى تسمية الزمخشري لها تأكيداً من حيث أنها لا تُفِيدُ معنًى زائداً إنما المبالغة والتوكيد في ذلك اللون والنحويون قد سَمَّوا الوصفَ إذا لم يُفِدْ غير الأول وتأكيداً فقالوا: وقد تجيءُ لمجرد التوكيد نحو ﴿نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ و﴿إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ والتوكيد المختلف في حذف مؤكده إنما هو في باب التوكيد الصناعي ومذهب سيبويه جوازه، أجاز مَرَرْتُ بأخَوَيْكَ أنفسهما بالنصب والرفع على تقدير أعنيهما أنفسَهما أو هما أنفسُهما فأين هذا من ذاك؟ إلاّ أنه يشْكِلُ على الزمخشري هذا المذكور بعدَ «غِرَابِيبُ» ونحوه بالنسبة إلى أنَّه جَعَلَه مُفسراً لذلك المحذوف وهذا إنَّما عُهِدَ في الجُمَل لا في المفردات إلاّ في باب البدل وعطف البيان فبأي شيء يُسَمِّيه. والأولى فيه أنْ يُسَمّى توكيداً لفظياً إذ الأصلُ سودٌ غرابيبُ سودٌ.

(٢) والـدهـر لا يـبـقـي عـلـى حـدثـانـه ... جـون الـسـراة لـه جـدائـد أربـع

لأبي ذؤيب في مرثية بنيه. والجون: الأسود ويطلق على الأبيض، فهو من الأضداد. وسراة الظهر: أعلاه. وسراة كل شيء: أعلاه. وجديدة وجدد وجدائد، كسفينة وسفن وسفائن. والجدائد: الأتن التي جف لبنها. والمرأة الجداء: التي لا ثدي لها: يسلي عن بنيه بأن لك عادة الدهر، فهو لا يبقي مع ما فيه من الحدثان أحداً، حتى أسود الظهر كناية عن حمار الوحش له أتن أربع يرعى معهن في البراري وينزو عليهن. وقيل: إنه يعيش مائتي سنة فربما يتوهم أنه لا يصيبه الدهر بشيء. ويجوز قراءة «يبقى» بالفتح. وجون بالرفع فاعل، وله جدائد: جملة حالية أي: لا بد أن تهلك أتنه واحدة بعد واحدة، أو يهلك هو.

ينظر: ديوان الهذليين (١/ ٤)، الدر المصون (٥/ ٤٦٦).

التخفيف قراءة من قرأ ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] لأنّ كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين، فحرك ذاك أوّلهما، وحذف هذا آخرهما. وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كاختلاف الثمرات والجبال. المراد: العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده، وما يجوز عليه وما لا يجوز، فعظموه وقدروه حق قدره، وخشوه حق خشيته، ومن ازداد به علماً ازداد منه خوفاً، ومن كان علمه به أقل كان آمن. وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدّكم له خشية» (١٢٤٤). وعن مسروق: كفى بالمرء علماً أن يخشى، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه. وقال رجل للشعبي: أفتني أيها/ ٢/ ١١٨أ العالم، فقال: العالم من خشى الله. وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه. فإن قلت: هل يختلف المعنى إذا قدّم المفعول في هذا الكلام أو أخر؟ قلت: لا بدّ من ذلك، فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى: إنّ الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم، وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩] وهما معنيان مختلفان. فإن قلت: ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله؟ قلت: لما قال (ألم تر) بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء، وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته، أتبع ذلك ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ كأنه قال: إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك: ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه. وعن النبي ﷺ: «أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به» (١٢٤٥). فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وهو عمر بن عبد العزيز ويحكي عن أبي حنيفة؟ قلت: الخشية في هذه القراءة استعارة، والمعنى: إنما يجلهم ويعظمهم، كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليل لوجوب الخشية، لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم، والمعاقب المثيب: حقه أن يخشى.

١٢٤٤ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٥٢): غريب، وذكره الثعلبي هكذا وقال ابن حجر: لم أجده هكذا. وفي الصحيح: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية». انتهى.

١٢٤٥ ـ أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٩١ ـ ٢٩٢)، كتاب الصيام، باب: ما جاء في الرخصة في القبلة للصائم، حديث (١٣)، والشافعي في مسنده (١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧)، كتاب الصوم، باب: فيما يفسد الصوم وما لا يفسده. حديث (٦٨٩). كلاهما من طريق عطاء بن يسار.

قال الحافظ: أخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج عن زيد بن أسلم ومالك في الموطأ والشافعي عنه عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار به مرسلاً في أثناء حديث أوله: «أن رجلاً قبل امرأته وهو صائم». انتهى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ يداومون على تلاوته وهي شأنهم وديدنهم. وعن مطرف رحمه الله: هي آية القرّاء. وعن الكلبي رحمه الله: يأخذون بما فيه. وقيل: يعلمون ما فيه ويعملون به. وعن السدي رحمه الله: هم أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ورضي عنهم. وعن عطاء: هم المؤمنون ﴿يَرۡجُونَ﴾ خبر إن، والتجارة؛ طلب الثواب بالطاعة. و﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ﴾ متعلق بلن تبور، أي: تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق[1] عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده ﴿أُجُورَهُمۡ﴾ وهي ما استحقوه من الثواب ﴿وَيَزِيدَهُم﴾ من التفضل على المستحق، وإن شئت جعلت (يرجون) في موضع الحال على: وأنفقوا راجين ليوفيهم، أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله لهذا الغرض، وخبر إن قوله: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ على معنى: غفور لهم شكور لأعمالهم. والشكر مجاز عن الإثابة.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾﴾

﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن. ومن للتبيين أو الجنس. ومن للتبعيض ﴿مُصَدِّقٗا﴾ حال مؤكدة: لأنّ الحق لا ينفك عن هذا التصديق ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾﴾ لما تقدّمه من الكتب ﴿لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ يعني أنه خبرك وأبصر أحوالك، فرآك أهلاً لأن يوحى إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب.

﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾﴾

---

(١) قوله «وتنفق عند الله» أي تروج. أفاده الصحاح. (ع)

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: إنا أوحينا إليك القرآن ثم أورثنا من بعدك أي حكمنا بتوريثه. أو قال: أورثناه وهو يريد نورثه، لما عليه أخبار الله ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمّته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة؛ لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم، وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس، واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسل الله، وحمل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله، ثم قسمهم إلى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لأمر الله، ومقتصد: هو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وسابق من السابقين. والوجه الثاني: أنه قدم إرساله في كل أمّة رسولاً وأنهم كذبوا برسلهم وقد جاءوهم بالبينات والزبر والكتاب المنير، ثم قال: إنّ الذين يتلون كتاب الله، فأثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الأمم واعترض بقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ ثم قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي من بعد أولئك المذكورين، يريد بالمصطفين من عباده: أهل الملة الحنيفية، فإن قلت: فكيف جعلت ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدلاً من الفضل الكبير[1] الذي هو السبق بالخيرات المشار إليه بذلك؟ قلت: لما كان السبب في نيل الثواب، نزل منزلة المسبب، كأنه هو الثواب، فأبدلت عنه جنات عدن، وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر، فليحذر المقتصد، وليملك الظالم لنفسه حذراً وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله، ولا يغترا بما/ ٢/١١٨ب رواه عمر ـ رضي الله عنه ـ عن

---

(١) قال محمود: «يعني بالمصطفين أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم قسمتهم الآية إلى ظالم لنفسه: هو المرجأ لأمر الله، وإلى مقتصد: وهو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وإلى سابق. ثم قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جعل الجنات بدلاً من الفضل الكبير، وذلك في تتمة الآية في قوله: ﴿ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها﴾ قلت: لأن الإشارة بالفضل إلى السبق بالخيرات وهو السبب في الجنات ونيل الثواب، فأقام السبب مقام المسبب. وفي اختصاص السابقين بذكر الجزاء دون الآخرين ما يوجب الحذر فليحذر المقتصد، وليملك الظالم لنفسه حذراً، وعليهما بالتوبة النصوح، ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له» فإن شرط ذلك صحة التوبة فلا يعلل نفسه بالخدع» قال أحمد: وقد صدرت هذه الآية بذكر المصطفين من عباد الله، ثم قسمتهم إلى الظالم والمقتصد والسابق ليلزم الدراج الظالم لنفسه من الموحدين في المصطفين، وإنه لمنهم، وأي نعمة أتم وأعظم من اصطفائه للتوحيد والعقائد السالمة من البدع، فما بال المصنف يطنب في التسوية بين الموحد المصطفى والكافر المجترىء، وقوله ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ الضمير فيه راجع إلى المصطفين عموماً، والجنات جزاؤهم على توحيدهم جميعاً، وإعرابها: جنات مبتدأ، ويدخلونها الخبر، وقوله: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾... إلى آخر الآية: خبر بعد خبر، وخبر على خبر، والله المستعان.

رسول الله ـ ﷺ ـ: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له» (١٢٤٦). فإن شرط ذلك صحة التوبة[(١)] لقوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢] وقوله ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦] ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقرأها اطلع على حقيقة الأمر ولم يعلل نفسه بالخدع. وقرئ سباق. ومعنى ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بتيسيره وتوفيقه. فإن قلت: لم قدم الظالم؟ ثم المقتصد ثم السابق؟ قلت: للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل. وقرئ: جنة عدن على الإفراد، كأنها جنة مختصة بالسابقين. وجنات عدن: بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر، أي يدخلون جنات عدن يدخلونها، ويدخلونها، على البناء للمفعول. ويحلون: من حليت: المرأة، فهي حال ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ معطوف على محل من أساور، ومن داخلة للتبعيض، أي: يحلون بعض أساور من ذهب، كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض، كما سبق المسوّرون به غيرهم: وقيل: إنّ ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ. وقرئ: ولوُلؤًا بتخفيف الهمزة الأولى، وقرئ: الحزن، والمراد: حزن المتقين، وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦ ـ ٢٧] ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: حزن الأعراض والآفات. وعنه: حزن الموت. وعن الضحاك: حزن إبليس ووسوسته. وقيل: همّ المعاش. وقيل: حزن زوال النعم، وقد أكثروا حتى قال بعضهم: كراء الدار، ومعناه: أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا. وعن رسول الله ـ ﷺ ـ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم؛ وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون الحمد الله الذي أذهب عنا

١٢٤٦ ـ أخرجه الواحدي في تفسيره (٣/ ٥٠٥)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٤٣)، حديث (١٤٩١)، وأعله بالفضل بن عمير، وقال: لا يتابع على إسناده، وقد روي بإسناد أصلح من هذا. انتهى.
والبغوي في تفسيره (٣/ ٥٧١)، كلهم من طريق أبي عثمان النهدي عن عمر بن الخطاب، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٥٣) للثعلبي في تفسيره بنفس سند العقيلي.
قال الحافظ: أخرجه البيهقي في الشعب من رواية ميمون بن سياه عن عمر ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً، وهذا منقطع، وأخرجه الثعلبي وابن مردويه من وجه آخر عن ميمون بن سياه عن أبي عثمان النهدي عن عمر، فيه الفضل بن عميرة: وهو ضعيف. ورواه سعيد بن منصور عن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبد الله الحرازي عمن سمع عمر فذكره موقوفاً. انتهى.

---

(١) قوله «فإن شرط ذلك صحة التوبة» هذا عند المعتزلة. أما أهل السنة فيجوزون الغفران بمجرد الفضل. (ع)

الحزن»[1]. وذكر الشكور: دليل على أن القوم كثيرو الحسنات، المقامة: بمعنى الإقامة، يقال: أقمت إقامة ومقاماً ومقامة ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ من عطائه وإفضاله، من قولهم: لفلان فضول على قومه وفواضل، وليس من الفضل الذي هو التفضل؛ لأن الثواب بمنزلة الأجر المستحق، والتفضل كالتبرع. وقرئ: لغوب، بالفتح: وهو اسم ما يلغب منه، أي: لا نتكلف عملاً يلغبنا: أو مصدر كالقبول والولوغ، أو صفة للمصدر، كأنه[2] لغوب لغوب، كقولك: موت مائت، فإن قلت: ما الفرق بين النصب واللغوب؟ قلت: النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له. وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب، فالنصب: نفس المشقة والكلفة. واللغوب: نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فَيَمُوتُوا۟﴾ جواب النفي، ونصبه بإضمار أن: وقرئ: فيموتون، عطفاً على يقضي، وإدخالاً له في حكم النفي، أي: لا يقضي عليهم الموت فلا يموتون، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء (يجزي) وقرئ: يجازي. ونجزي ﴿كُلَّ كَفُورٍ﴾ بالنون[3] ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يتصارخون: يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدّة. قال [من الطويل]:

.... كَصَرْخَةِ حُبْلَىٰ أَسْلَمَتْهَا قَبِيلُهَا[4]

---

(١) أخرجه أبو يعلى وابن أبي حاتم والبيهقي في أول الشعب والطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر. وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف وله طريق أخرى عند الطبراني والنسائي في الكنى عن ابن عمر. وأخرى عند البيهقي في الشعب. وفي الباب عن ابن عباس أخرجه تمام في فوائده والخطيب في ترجمة محمد بن سعيد الطائفي وعن أنس عن ابن مردويه.

(٢) «كأنه» لعله: كأنه قال. (ع)

(٣) قوله «ونجزي كل كفور بالنون» ونصب كل في هذه القراءة ورفعه فيما قبلها. (ع)

(٤) قصدت إلى عنس لأحدج رحلها ... وقد حان من تلك الديار رحيلها
فأنت كما أن الأسير وصرخت ... كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها

للأعشى: وعنست المرأة عنساً: إذا لم تخرج من بيتها للزواج مع بلوغها من السن. والعنس: الناقة الصلبة الصعبة وحدج من باب ضرب: إذا شد الرحل على الناقة. والحدوج: الرحال والهوادج، =

واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته. فإن قلت: هلا اكتفى بـ «صالحًا» كما اكتفى به في قوله تعالى: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ وما فائدة زيادة ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ على أنه يؤذن أنهم يعملون صالحاً آخر غير الصالح الذي عملوه؟ قلت: فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به. وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي، ولأنهم[1] كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] فقالوا: أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحاً فنعمله ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ توبيخ من الله يعني: فنقول لهم. وقرئ: ما يذكر فيه، من أذكر على الإدغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر؛ إلا أن التوبيخ في المتطاول أعظم. وعن النبيّ ﷺ: «العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة» (١٢٤٧). وعن مجاهد: ما بين العشرين إلى الستين. وقيل: ثماني عشر وسبع عشر. و﴿النَّذِيرُ﴾ الرسول ﷺ. وقيل: الشيب. وقرئ: وجاءتكم النذر. فإن قلت/ ٢/ ١١٩أ: علام عطف وجاءكم النذير؟ قلت: على معنى: أولم نعمركم؛ لأن لفظه لفظ استخبار. ومعناه معنى إخبار، كأنه قيل: قد عمرناكم وجاءكم النذير.

١٢٤٧ ـ ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٥٩)، وعزاه إلى البزار، والزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٥٥)، وعزاه إلى البزار وابن مردويه وللحديث شواهد:
أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ١٤): كتاب الرقاق باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر وأحمد في مسنده (٢/ ٣٢٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٧): كتاب التفسير، تفسير سورة الملائكة، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٢٤٥): كتاب الجنائز باب في أعمار هذه الأمة، حديث (٢٩٧٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧٠)، كتاب الجنائز باب من بلغ ستين سنة فقد عذر الله إليه في العمر... والبغوي في شرح السنة (٧/ ٢٨٢): كتاب الرقاق باب قصر الأمل: حديث (٣٩٢٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٢٩٠).
قال الحافظ: أخرجه البزار من رواية سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا، وأصله في البخاري بلفظ: «من عمره الله ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر» ووهم الحاكم فاستدركه. ورواه ابن مردويه به من حديث سهل بن سعد. انتهى.

= وهو بتأخير الجيم. وأما الجدح ـ بتأخير المهملة ـ: فهو اللت والخوض والمزج، أي: عمدت إلى ناقة صلبة لأشد رحلها عليها، والحال أنه جاء حين رحيلها من تلك الديار. والأنين: الصوت المنخفض للتحزن، أي: أنت كأنين الأسير في الأول، وصرخت برفع صوتها ثانياً كصرخة حبلى عند الطلق أسلمتها وتركتها قبيلها التي تخدمها عند الولادة. والقبيل والقبول والقابلة: التي تقوم بمصلحة المرأة عند الولادة وتتلقى الولد عند خروجه.
ينظر: ديوانه ص ٢٢٥، لسان العرب (قبل)، تاج العروس (قبل)، بلا نسبة في المخصص (١/ ٢٢)، (١٤/ ٢٥).

(١) قوله «ولأنهم كانوا يحسبون» لعله: أو لأنهم كانوا. (ع)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ كالتعليل؛ لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون، فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور: مضمراتها، وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ: ذو بطن خارجة جارية (١٢٤٨). وقوله [من الطويل]:

. . . . لِتُغْنِيَ عَنِّي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعَا(١)

المعنى: ما في بطنها من الحبل، وما في إنائك من الشراب؛ لأن الحبل والشراب يصحبان البطن والإناء. ألا ترى إلى قولهم: معها حبل، وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو: موضوع لمعنى الصحبة.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾

يقال للمستخلف: خليفة وخليف؛ فالخليفة تجمع خلائف، والخليف: خلفاء،

١٢٤٨ ـ تقدم في سورة الإسراء. قال الحافظ: أخرجه في الموطأ عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة: أن أبا بكر كان نحلني جداد عشرين وسقا ـ الحديث وفيه: «إنما هي أسماء فمن الأخرى؟ قال: ذو بطن بنت خارجة أراها جارية، فولدت جارية» وقد تقدم طرف منه في الإسراء. انتهى.

---

(١) وناولته من رسل كوماء جلدة ... وأغضبت عنه الطرف حتى تضلعا
إذا قال: قدني قلت بالله حلفة ... لتغني عني ذا إنائك أجمعا

لحريث بن عتاب الطائي. وَالرِّسْلُ ـ بالكسر ـ: اللبن القليل. والكوماء: السمينة. والجلدة: الصلبة. والإغضاء الغض والإغماض. والتضلع: امتلاء البطن حتى يرتفع الجنبان والضلوع. وغض طرفه عن الضيف كي لا يستحي إذا قال الضيف: قدني، أي حسبي من الشرب قلت: بالله. وروي: قال بالله، فكأنه عبر عن نفسه بطريق الغيبة. ويروى: إذا قلت قدني قال، على أن الشاعر الضيف وليس بذاك. وحلفة: نصب بمعنى القسم قبله، أي: أحلف بالله حلفة، ولتغنى: جواب القسم وفتح آخره لاتصاله تقديراً بنون التوكيد الخفيفة، أي: لتمنعني عني. وروى ثعلب لتغتن بنون التوكيد الثقيلة، أي: لتبعدن عني، وكان حقه على اللغة المشهورة لتغنين، لكن حذفت ياؤه بعد الكسرة على لغة فزارة. وروي لتغني بكسر اللام للتعليل، أي: اشرب لتغني عني صاحب إنائك وهو اللبن، وأضافه للإناء لأنه فيه، وأضاف الإناء لضمير الضيف لأنه في يده، وتبرأ من نسبته إلى نفسه دلالة على الكرم، وأجمع: توكيد للبن، أي لا ترد إلى ما في الإناء، بل أشربه كله.
ينظر: خزانة الأدب ١١/ ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٣، والدرر ٤/ ٢١٧، ومجالس ثعلب ص ٦٠٦، والمقاصد النحوية ١/ ٣٥٤، وبلا نسبة في تخليص الشواهد ص ١٠٧، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٥٥٩، وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٥٩، ٨٣٠، وشرح المفصل ٣/ ٨، ومغني اللبيب ١/ ٢١٠، والمقرب ٢/ ٧٧، وهمع الهوامع ٢/ ٤١.

والمعنى: أنه جعلكم خلفاءه في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها، وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ منكم وغمط مثل هذه النعمة[1] السنية، فوبال كفره راجع عليه. وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بقي بعده خسار، والمقت: أشدّ البغض. ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه: مقتي، لكونه ممقوتاً في كل قلب، وهو خطاب للناس. وقيل: خطاب لمن بعث إليهم رسول الله ـ ﷺ ـ جعلكم أمّة خلفت من قبلها. ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن تعتبر به، فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة، كما أنّ ذلك حكم من قبلكم.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿أَرُونِى﴾ بدل من أرأيتم؛ لأنّ المعنى: أرأيتم أخبروني، كأنه قال: أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الإلٰهية والشركة أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم مع الله شركة في خلق السموات، أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب. أو يكون الضمير في ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ للمشركين، كقوله تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ أم آتيناهم كتاباً من قبله، بل إن يعد بعضهم وهم الرؤساء ﴿بَعْضًا﴾ وهم الأتباع ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ وهو قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وقرئ: بينات.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

﴿أَن تَزُولَا﴾ كراهة أن تزولا. أو يمنعهما من أن تزولا: لأن الإمساك منع ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ غير معاجل بالعقوبة، حيث يمسكهما، وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدًّا، لعظم كلمة الشرك كما قال: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ [مريم: ٩٠]. وقرئ: ولو زالتا، وإن أمسكهما: جواب القسم في ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ سدّ مسدّ الجوابين، ومن الأولى مزيدة لتأكيد النفي، والثانية للابتداء. من بعده: من بعد إمساكه. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لرجل مقبل من الشام: من لقيت به؟ قال: كعباً. قال: وما

---

(١) قوله «وغمط مثل هذه النعمة» أي: واحتقر. (ع)

سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: إنّ السموات على منكب ملك. قال: كذب كعب. أما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية (١٢٤٩).

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾

بلغ قريشاً قبل مبعث رسول الله ـ ﷺ ـ أنّ أهل الكتاب كذبوا رسلهم، فقالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم، فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم، فلما بعث رسول الله ـ ﷺ ـ كذبوه. وفي ﴿إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ وجهان، أحدهما: من بعض الأمم، ومن واحدة من الأمم من اليهود والنصارى وغيرهم. والثاني: من الأمّة التي يقال لها إحدى الأمم، تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ إسناد مجازي، لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم. نفوراً عن الحق وابتعادا عنه كقوله تعالى: ﴿فزادهم رجساً إلى رجسهم﴾. ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ بدل من نفوراً. أو مفعول له، على معنى: فما زادهم إلا أنْ نفروا استكباراً وعلوّاً ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أو حال بمعنى: مستكبرين وماكرين برسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين. ويجوز أن يكون ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ معطوفاً على نفوراً فإن قلت: فما وجه قوله: (ومكر السيء)؟ قلت: أصله: وإن مكروا السيء، أي المكر السيء، ثم ومكرا السيء، ثم ومكر السيء. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ ومعنى يحيق: يحيط وينزل. وقرئ: ولا يحيق المكر السيء، أي: لا يحيق الله، ولقد حاق بهم يوم بدر. وعن النبي ﷺ «لا تمكروا ولا تعينوا ماكراً» (١٢٥٠). فإنّ الله تعالى يقول ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ ولا تبغوا/ ٢/ ١١٩ب ولا تعينوا باغياً،

١٢٤٩ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٢١) حديث (٢٩٠٣٩)، عن ابن مسعود ولم يذكر قوله: «لما ترك يهوديته بعد، كذلك ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٧٩)، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن شقيق عن ابن مسعود بنحوه.
قال الحافظ: لم أجده. وروى الطبري من رواية أبي وائل قال: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فقال: من أين جئت؟ قال: من الشام فذكره مثله، إلا أنه لم يقل ما ترك يهوديته. انتهى.

١٢٥٠ ـ تقدم في سورة يونس.
قال الحافظ: أخرجه ابن المبارك في الزهد وقد تقدم في أول يونس. انتهى.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣]. وعن كعب أنه قال لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قرأت في التوراة: من حفر مغواة[1] وقع فيها. قال: أنا وجدت ذلك في كتاب الله، وقرأ الآية. وفي أمثال العرب: من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً. وقرأ حمزة: ومكر السيء، بإسكان الهمزة، وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة، ولعله اختلس فظنّ سكونا أو وقف وقفة خفيفة، ثم ابتدأ ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ وقرأ ابن مسعود: ومكراً سيئا ﴿سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إنزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم، وجعل استقبالهم لذلك انتظاراً له منهم، وبين أنّ عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها، أي: لا يغيرها، وأنّ ذلك مفعول له لا محالة، واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم إلى الشام والعراق واليمن: من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ﴿لِيُعْجِزَهُۥ﴾ ليسبقه ويفوته.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾

﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ بما اقترفوا من معاصيهم ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ على ظهر الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ من نسمة تدب عليها، يريد بني آدم. وقيل: ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم. وعن ابن مسعود: كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم (١٢٥١)، ثم تلا هذه الآية. وعن أنس: إن الضب ليموت هزالا في جحره بذنب ابن آدم (١٢٥٢). وقيل: يحبس المطر فيهلك كل شيء ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى يوم القيامة ﴿كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ وعيد بالجزاء.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة: أن أدخل من أي باب شئت» (١٢٥٣).

١٢٥١ ـ تقدم في سورة النحل.
وقال ابن حجر: أخرجه الحاكم وقد تقدم في النحل. انتهى.
١٢٥٢ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أجده عن أنس.
وقد تقدم في سورة النحل عن أبي هريرة وعزاه إليه المصنف فيه على الصواب. انتهى.
١٢٥٣ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه، والواحدي من حديث أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ.

---

(١) قوله «من حفر مغواة وقع فيها» في الصحاح: وقع الناس في أغوية، أي: في داهية. والمغويات ـ بفتح الواو مشددة ـ: جمع المغواة، وهي حفرة كالزبية، يقال: من حفر مغواة وقع فيها، والزبية: حفرة تحفر للأسد اهـ. أي: لصيد الأسد. (ع)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة يس

مكية، [إلا آية ٤٥ فمدنيّة] وآياتها ٨٣
نزلت بعد سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يس ۝١ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾

قرئ: «يس» بالفتح[1]، كأين وكيف، أو بالنصب على: اتل يس، وبالكسر على الأصل كجير، وبالرفع على هذه يس، أو بالضم كحيث، وفخمت الألف وأميلت[2].
وعن ابن عباس رضي الله عنهما: معناه يا إنسان (١٢٥٤) في لغة طيىء، والله أعلم بصحته، وإن صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين، فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره، كما قالوا في القسم: م الله في أيمن الله ﴿الْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة، أو لأنه دليل ناطق بالحكمة كالحي، أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ خبر بعد خبر، أو صلة للمرسلين. فإن قلت: أي حاجة إليه خبراً كان أو صلة، وقد علم أنّ المرسلين لا يكونون إلا على صراط مستقيم؟ قلت: ليس الغرض بذكره ما ذهبت إليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على

١٢٥٤ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/٤٢٥)، حديث، (٢٩٠٢٨)، وذكره السيوطي في تفسيره الدر المنثور (٥/٤٨٤) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم.

---

(١) قوله «قرئ يس بالفتح» يفيد أن السكون قراءة الجمهور، والحركات قراءات لبعضهم، فالفتح بناء أو نصب، والكسر بناء فقط، فتدبر. (ع).
(٢) قوله «فخمت الألف وأميلت» يعني: قرأ الجمهور بالتفخيم. وقرأ بعضهم بالإمالة، كما في النسفي. (ع).

صفته، وإنما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة، فجمع بين الوصفين في نظام واحد، كأنه قال: إنك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت، وأيضاً فإن التنكير فيه دلّ على أنه أرسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه(١)، وقرىء: ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، وبالنصب على أعني، وبالجرّ على البدل من القرآن ﴿قَوۡمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ قوماً غير منذر آباؤهم، على الوصف(٢)، ونحوه قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ﴾ [القصص: ٤٦]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]، وقد فسر ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ على إثبات الإنذار. ووجه ذلك أن تجعل ما مصدرية، لتنذر(٣) قوماً إنذار آبائهم، أو موصولة ومنصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوماً ما أنذره آباؤهم من العذاب؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠]. فإن قلت: أي فرق بين تعلقي قوله: ﴿فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ على التفسيرين؟ قلت: هو على الأوّل متعلق بالنفي؛ أي: لم ينذروا فهم غافلون، على أن عدم إنذارهم هو سبب غفلتهم، وعلى الثاني بقوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾ لتنذر، كما تقول: أرسلتك إلى فلان لتنذره، فإنه غافل، أو فهو غافل. فإن قلت: كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما في الآي الأخر؟ قلت: لا مناقضة؛ لأنّ الآي في نفي إنذارهم لا في نفي إنذار آبائهم، وآباؤهم القدماء من ولد إسماعيل وكانت النذارة فيهم(٤). فإن قلت: ففي

---

(١) قال محمود: «إن قلت: ما سر قوله: (على صراط مستقيم) وقد علم بكونه من المرسلين أنه كذلك؟ وأجاب بأن الغرض وصفه ووصف ما جاء به، فجاء بالوصفين في نظام واحد، فكأنه قال: إنك لمن المرسلين على طريق ثابت، قال: وأيضاً ففي تنكير الصراط أنه مخصوص من بين الصرط المستقيمة بصراط لا يكتنه وصفه. انتهى كلامه. قال أحمد: قد تقدم في مواضع أن التنكير قد يفيد تفخيماً وتعظيماً، وهذا منه.

(٢) قال محمود: «إنه على الوصف كقوله: (لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير) قال: وقد فسر (ما أنذر آباؤهم) على إثبات الإنذار على أن ما مصدرية أو موصولة. قال: والفرق بين موقع الفاء على التفسيرين أنها على الأوّل متعلقة بالنفي معنى جواباً له، والمعنى أن نفي إنذارهم هو السبب في غفلتهم، وعلى الثاني بقوله: (إنك لمن المرسلين) لتنذر، كما تقول: أرسلناك إلى فلان لتنذره، فإنه غافل، أو فهو غافل، انتهى» قال أحمد: يعني أنها على التفسير الثاني تفهم أن غفلتهم سبب في إنذارهم.

(٣) قوله «على المفعول الثاني لتنذر» لعل بعده سقطاً تقديره: أي لتنذر. (ع).

(٤) قال محمود: فإن قلت: كيف يكونون منذرين على هذا التفسير غير منذرين في قوله: (ما أتاهم من نذير من قبلك) وأجاب بأن الآية لنفي إنذارهم لا لنفي إنذار آبائهم، وآباؤهم القدماء من ولد إسماعيل، وقد كانت النذارة فيهم. قال: فما تصنع بأحد التفسيرين الذي مقتضاه أن آباءهم لم ينذروا؛ وهو التفسير الأول في هذه الآية مع التفسير الثاني، ومقتضاه أنهم أنذروا، وأجاب بأن آباءهم الأباعد هم المنذرون لا آباؤهم الأدنون. قال: ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنهم لا يرعوون؛ ولا يرجعون بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يطأطئون رءوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم، قال: والضمير للأغلال؛ =

أحد التفسيرين أنّ آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر، فما تصنع به؟ قلت: أريد آباؤهم الأدنون دون الأباعد ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ قوله تعالى: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [السجدة: ١٣] يعني تعلق بهم هذا القول، وثبت عليهم ووجب؛ لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر.

﴿إِنَّا ٢/ ١٢٠أ جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾

ثم مثل تصميمهم على الكفر، وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين؛ في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه، ولا يطأطئون رءوسهم له، وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدّامهم ولا ما خلفهم، في أن لا تأمل لهم ولا تبصّر، وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾؟ قلت: معناه: فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة إليها، وذلك أن طوق الغلّ الذي في عنق المغلول، يكون ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود، نادراً[(١)] من الحلقة إلى الذقن؛ فلا تخليه يطأطىء رأسه ويوطىء قذاله[(٢)]، فلا يزال مقمحاً. والمقمح: الذي يرفع رأسه ويغض بصره؛ يقال: قمح البعير فهو قامح: إذا روي فرفع رأسه، ومنه شهرا قماح[(٣)]؛ لأن الإبل ترفع رءوسها عن الماء لبرده فيهما، وهما الكانونان. ومنه: اقتمحت السويق. فإن قلت: فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي، وزعم أن الغل لما كان جامعاً لليد والعنق ـ وبذلك يسمى جامعة ـ كان ذكر الأعناق دالاً على ذكر الأيدي[(٤)]؟ قلت: الوجه ما ذكرت لك، والدليل عليه قوله: ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ ألا

= لأن طوق الغل يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادراً من الحلقة إلى الذقن، فلا تخليه يطأطىء رأسه، فلا يزال مقمحاً. انتهى كلامه» قال أحمد: إذا فرقت هذا التشبيه كان تصميمهم على الكفر مشبهاً بالأغلال، وكان استكبارهم عن قبول الحق وعن الخضوع والتواضع لاستماعه مشبهاً بالإقماح؛ لأن المقمح لا يطأطىء رأسه. وقوله: (فهي إلى الأذقان) تتمة للزوم الإقماح لهم، وكان عدم الفكر في القرون الخالية مشبهاً بسدٍّ من خلفهم، وعدم النظر في العواقب المستقلة مشبهاً بسدٍّ من قدامهم.

(١) قوله «رأس العمود نادراً» أي شاذاً، كما يفيده الصحاح. (ع).

(٢) قوله «ويوطئ قذاله» في الصحاح «القذال»: جماع مؤخر الرأس، فتدبر. (ع).

(٣) قوله «ومنه شهرا قماح» بوزن كتاب وغراب، كما نقل عن القاموس. وفي الصحاح: سميا بذلك؛ لأن الإبل إذا وردت فيهما آذاها برد الماء فقامحت. (ع).

(٤) قال محمود: «فإن قلت: فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي وزعم أن الغل لما كان جامعاً لليد والعنق، وبذلك يسمى جامعة: كان ذكر الأعناق دالاً على ذكر الأيدي. وأجاب بأن الوجه هو الأول، واستدل على هذا التفسير الثاني بقوله: (فهم مقمحون) لأنه جعل الإقماح نتيجة قوله: (فهي إلى الأذقان) ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهراً، وترك الحق الأبلج =

ترى كيف جعل الإقماح نتيجة قوله: ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ ولو كان الضمير للأيدي، لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهراً؛ على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يجفو عنه وترك للحق الأبلج إلى الباطل اللجلج[1]. فإن قلت: فقد قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: «في أيديهم»، وابن مسعود: «في أيمانهم»، فهل تجوّز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للأيدي أو للأيمان؟ قلت: يأبى ذلك وإن ذهب الإضمار المتعسف ظهور كون الضمير للأغلال، وسداد المعنى عليه كما ذكرت. وقرىء: «سداً» بالفتح والضم. وقيل: ما كان من عمل الناس فبالفتح، وما كان من خلق الله فالبضم ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ فأغشينا أبصارهم، أي: غطيناها، وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح إلى مرئي، وعن مجاهد: فأغشيناهم: فألبسنا أبصارهم غشاوة. وقرىء: بالعين من العشا. وقيل: نزلت في بني مخزوم؛ وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمداً يصلي ليرضخن رأسه، فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به، فلما رفع يده أثبتت إلى عنقه ولزق الحجر بيده، حتى فكوه عنها بجهد، فرجع إلى قومه فأخبرهم، فقال مخزومي آخر: أنا أقتله بهذا الحجر، فذهب، فأعمى الله عينيه (١٢٥٥).

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾

فإن قلت: قد ذكر ما دلّ على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار، ثم قفاه بقوله: ﴿إِنَّمَا

١٢٥٥ ـ أخرجه أبو نعيم في الدلائل ص (١٣٣)، وابن اسحاق (٢٨٤ ـ سيرة ابن هشام).
قال الحافظ: أخرجه ابن إسحق في السيرة في كلام طويل. ورواه أبو نعيم في الدلائل من طريق ابن إسحاق: حدثني محمد بن محمد بن سعيد، أو عكرمة، عن ابن عباس: «أن أبا جهل قال: إني أعاهد الله لأجلسن غداً لمحمد بحجر ما أطيق حمله فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فذكر نحوه إلى قوله: قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر بين يديه: وأصله في البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما. أهـ

= للباطل اللجلج. انتهى كلامه» قال أحمد: ويحتمل أن تكون الفاء للتعقيب كالفاء الأولى في قوله: (فهي إلى الأذقان) أو للتسبب، ولا شك أن ضغط اليد مع العنق في الغل يوجب الإقماح؛ فإن اليد ـ والعياذ بالله تعالى ـ تبقى ممسكة بالغل تحت الذقن دافعة بها ومانعة من وطأتها، ويكون التشبيه أتم على هذا التفسير، فإن اليد متى كانت مرسلة مخلاة كان للمغلول بعض الفرج بإطلاقها، ولعله يتحيل بها على فكاك الغل، ولا كذلك إذا كانت مغلولة، فيضاف إلى ما ذكرناه من التشبيهات المفرقة أن يكون انسداد باب الحيل عليهم في الهداية والانخلاع من ربقة الكفر المقدر عليهم مشبهاً بغل الأيدي؛ فإن اليد آلة الحيلة إلى الخلاص.

(١) قوله: «إلى الباطل اللجلج» أي الذي يردد من غير أن ينفذ. أفاده الصحاح. (ع).

﴿تُنذِرُ﴾[1] وإنما كانت تصح هذه التقفية لو كان الإنذار منفياً. قلت: هو كما قلت، ولكن لما كان ذلك نفياً للإيمان مع وجودِ الإنذار، وكان معناه أن البغية المرومة بالإنذار غير حاصلة وهي الإيمان ـ قفى بقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ على معنى: إنما تحصل البغية بإنذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر؛ وهو القرآن أو الوعظ، الخاشون ربهم.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ نبعثهم بعد مماتهم. وعن الحسن: إحياؤهم: أن يخرجهم من الشرك إلى الإيمان ﴿وَنَكْتُبُ مَا﴾ أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها، وما هلكوا عنه من أثر حسن، كعلم علموه، أو كتاب صنفوه، أو حبيس حبسوه، أو بناء بنوه، من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك. أو سيىء، كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين، وسكة أحدث فيها تخسيرهم، وشيء أحدث فيه صدّعن ذكر الله؛ من ألحان وملاءِ، وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها. ونحوه قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] أي: قدّم من أعماله، وأخّر من آثاره. وقيل: هي آثار المشائين إلى المساجد. وعن جابر: أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حوله خالية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتانا في ديارنا، وقال: يا بني سلمة، بلغني أنكم تريدون النقلة إلى المسجد، فقلنا: نعم، بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية، فقال: عليكم دياركم. فإنما تكتب آثاركم. قال: فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله ﷺ (١٢٥٦). وعن عمر بن عبد العزيز: لو كان الله مغفلاً شيئاً لأغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح. والإمام: اللوح. وقرىء: «ويُكتبُ ما قدّموا وآثارهم» على البناء للمفعول، «وكل شيء» بالرفع.

١٢٥٦ ـ أخرجه مسلم (٣/ ١٨٢ نووي): كتاب المساجد: باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، حديث (٢٨٠/ ٦٦٥)، وأحمد (٣/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٦٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (١/ ٥١٧)، حديث (١٩٨٢)، وأبو عوانة (١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨)، وابن حبان في صحيحه (٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١)، حديث (٢٠٤٢)، والطبري (١٠/ ٤٢٩)، حديث (٢٩٠٧١، ٢٩٠٧٢).
وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٨٨) وعزاه لمسلم والطبري وابن مردوية عن جابر.

---

(١) قال محمود: «إن قلت: قد ذكرنا ما دل على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار، ثم قفاه بقوله: (إنما تنذر) وإنما كانت التقفية تصح لو كان الإنذار منفيًا، وأجاب بأن الأمر كذلك، ولكن لما بيّن أن البغية المرومة بالإنذار وهي الإيمان منفية عنهم قفاه بقوله: (إنما تنذر) أو إنما تحصل بغية الإنذار ممن اتبع الذكر. انتهى كلامه» قلت: في السؤال سوء أدب، وينبغي أن يقال: وما وجه ذكر الإنذار الثاني في معرض المخالفة للأول، مع أن الأول إثبات، والإنذار الثاني كذلك؟

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا / ٢/ ١٢٠ب فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾ ومثل لهم مثلاً، من قولهم: عندي من هذا الضرب كذا، أي: من هذا المثال، وهذه الأشياء على ضرب واحد، أي على مثال واحد. والمعنى: واضرب لهم مثلاً مثل أصحاب القرية، أي: اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية. والمثل الثاني بيان للأوّل. وانتصاب إذ بأنه بدل من أصحاب القرية. والقرية أنطاكية. و ﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها، بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان، أرسل إليهم اثنين، فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له، وهو حبيب النجار صاحب يس، فسألهما فأخبراه، فقال: أمعكما آية؟ فقالا: نشفي المريض ونبرىء الأكمه والأبرص، وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه، فقام، فآمن حبيب وفشا الخبر، فشفي على أيديهما خلق كثير، ورقى حديثهما إلى الملك، وقال لهما: ألنا إلٰه سوى آلهتنا؟ قالا: نعم من أوجدك وآلهتك، فقال: حتى أنظر في أمركما، فتبعهما الناس وضربوهما. وقيل: حبسا. ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون؛ فدخل متنكراً، وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به، ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به، فقال له ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه؟ فقال: لا، حال الغضب بيني وبين ذلك، فدعاهما، فقال شمعون: من أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال: صفاه وأوجزا. قالا: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قال: وما آيتكما؟ قالا: ما يتمنّى الملك، فدعا بغلام مطموس العينين، فدعوا الله حتى انشق له بصر، وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما، فقال له شمعون: أرأيت لو سألت إلٰهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف. قال: ليس لي عنك سر، إنّ إلٰهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضرّ ولا ينفع، وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم، ثم قال: إن قدر إلٰهكما على إحياء ميت آمنا به، فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال: إني أدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا، وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة، قال الملك: ومن هم؟ قال شمعون: وهذان، فتعجب الملك. فلما رأى شمعون أنّ قوله قد أثّر فيه، نصحه فآمن وآمن معه قوم، ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾ فقوّينا؛ يقال: المطر يعزز الأرض إذا لبدها وشدّها، وتعزز لحم الناقة. وقرىء: بالتخفيف من عزه يعزه: إذا غلبه، أي: فغلبنا وقهرنا ﴿بِثَالِثٖ﴾ وهو شمعون. فإن قلت: لم ترك ذكر المفعول به؟ قلت: لأنّ الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون، وما لطف فيه

من التدبير حتى عزّ الحق وذلّ الباطل، وإذا كان الكلام منصباً إلى غرض من الأغراض، جعل سياقه له وتوجهه إليه، كأن ما سواه مرفوض مطرح، ونظيره قولك: حكم السلطان اليوم بالحق، الغرض المسوق إليه: قولك بالحق، فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه. إنما رفع «بشر» ونصب[1] في قوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١] لأنّ «إلاّ» تنقض النفي، فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه، فلا يبقى له عمل. فإن قلت: لم قيل: ﴿إنا إليكم مُرسلُون﴾ أوّلاً[2]، و﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ آخراً؟ قلت: لأنّ الأوّل ابتداء إخبار، والثاني جواب عن إنكار.

﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾

وقوله: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جار مجرى القسم في التوكيد، وكذلك قولهم: شهد الله، وعلم الله، وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم: ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ أي: الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته؛ وإلا فلو قال المدعي: والله إني لصادق فيما أدعي، ولم يحضر البينة ـ كان قبيحاً.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ تشاءمنا بكم، وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منهم نفوسهم[3]، وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم، ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه، فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا، كما حكى الله عن القبط: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١]. وعن مشركي مكة: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ﴾ [النساء: ٧٨]. وقيل: حبس عنهم القطر فقالوا ذلك. وعن قتادة: إن أصابنا شيء كان من أجلكم ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ وقرىء: «طيركم» أي: سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم، أو أسباب شؤمكم معكم، وهي كفرهم ومعاصيهم. وقرأ الحسن «أطيركم» أي تطيركم، وقرىء: «أئن ذكرتم» بهمزة الاستفهام وحرف الشرط، و «آئن» بألف بينهما[4]، بمعنى: أتطيرون إن ذكرتم؟ وقرىء: «أأن

---

(١) قوله: «إنما رفع بشر ونصب» عبارة النسفي: إنما رفع بشر هنا ونصب... إلخ» (ع).

(٢) قال محمود: «إن قلت: لم أسقط اللام هنا وأثبتها في الثانية عند قوله (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) قلت: الأول ابتداء إخبار، والثاني جواب إنكار» قال أحمد: أي فلاق توكيده.

(٣) قوله: «ونفرت منهم» لعله: منه كعبارة النسفي. (ع).

(٤) قوله: «وآئن بألف بينهما» الذي في النسفي أن هذا وما قبله بياء مكسورة بدل الهمزة الثانية. (ع).

ذكرتم» بهمزة الاستفهام وأن الناصبة، يعني: أتطيرتم لأن ذكرتم؟ وقرىء: أن، وإن بغير استفهام لمعنى الإخبار، أي تطيرتم/ ٢/ ١٢١أ لأن ذكرتم، أو إن ذكرتم تطيرتم. وقرىء: «أين ذكرتم»: على التخفيف، أي: شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم، وإذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه أشأم ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ في العصيان، ومن ثم أتاكم الشؤم، لا من قبل رسل الله وتذكيرهم، أو بل أنتم قوم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم، حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ (٢٠) ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ (٢٥)﴾

﴿رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ هو حبيب بن إسرائيل النجار، وكان ينحت الأصنام، وهو ممن آمن برسول الله ﷺ، وبينهما ستمائة سنة؛ كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما، ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره. وقيل: كان في غار يعبد الله، فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرةَ، فقالوا: أوأنت تخالف ديننا؟ فوثبوا عليه فقتلوه. وقيل: توطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه[1] من دبره. وقيل: رجموه وهو يقول: اللهمّ اهد قومي (١٢٥٧). وقبره في سوق أنطاكية، فلما قتل غضب الله عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل عليه السلام. وعن رسول الله ﷺ: «سُبّاق الأمم ثلاثة، لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون» (١٢٥٨). ﴿مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾

١٢٥٧ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٤٣٤ جامع البيان)، حديث (٢٩٠٩٧) عن قتادة، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٤١) عن قتادة.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٩١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة بمعناه.

١٢٥٨ ـ أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٩٣)، حديث (١١١٥٢)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ٢٤٩).
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٦٢)، حديث (١٠٧٢). وزاد نسبته إلى ابن مردوية، والثعلبي.
أما السباق أربعة فأخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٢٨٥) كتاب معرفة الصحابة: معرفة بلال رضي الله عنه، وابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٣٥٣) حديث (٢٥٧٧).

---

(١) قوله: «حتى خرج قصبه» في الصحاح «القصب» بالضم: المتقى، والمعي: واحد الأمعاء. (ع).

كلمة جامعة في الترغيب فيهم، أي: لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم، وتربحون صحة دينكم؛ فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة، ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم، ولأنه أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه، ولقد وضع قوله: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ مكان قوله: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم. ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ ولولا أنه قصد ذلك لقال: الذي فطرني وإليه أرجع، وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال: ﴿ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني، فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه؛ أنّ العبادة لا تصحّ إلاّ لمن منه مبتدؤكم وإليه مرجعكم، وما أدفع العقول وأنكرها لأن تستحبوا على عبادته عبادة أشياء، إن أرادكم هو بضرّ وشفع لكم هؤلاء، لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده؛ ولم يقدروا على إنقاذكم منه بوجه من الوجوه، إنكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز.

وقيل: لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل، فقال لهم: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ أي اسمعوا إيماني تشهدوا لي به. وقرىء: «إن يوردني الرحمٰن بضرّ» بمعنى: إن يوردني ضرّاً، أي يجعلني مورداً للضرّ.

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

أي: لما قتل ﴿قِيلَ﴾ له: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ وعن قتادة: أدخله الله الجنة وهو فيها حيّ يرزق، أراد قوله تعالى: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ فَرِحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠] وقيل: معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها. فإن قلت: كيف مخرج هذا القول في علم البيان؟ قلت: مخرجه مخرج الاستئناف؛ لأنّ هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه، كأنّ قائلاً قال: كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه، والتسخي لوجهه بروحه؟ فقيل: قيل: ادخل الجنة ولم يقل: قيل له؛ لانصباب الغرض إلى المقول وعظمه، لا إلى المقول له مع كونه معلوماً، وكذلك ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم، وإنما تمنى علم قومه بحاله؛ ليكون علمهم بها سبباً لاكتساب مثلها لأنفسهم، بالتوبة عن الكفر، والدخول في الإيمان

= كتاب معرفة الصحابة: معرفة بلال ـ رضي الله عنه ـ، قال الحافظ: أخرجه الثعلبي من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه بهذا، وفيه عمرو بن جميع وهو متروك. ورواه العقيلي، والطبراني، وابن مردويه، من طريق حسين بن حسن الأشقر عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس، بلفظ السباق ثلاثة، فالسابق إلى عيسى صاحب يس، وإلى محمد ﷺ ـ علي بن أبي طالب. أ.هـ

والعمل الصالح المفضيين بأهلهما إلى الجنة. وفي حديث مرفوع: «نصح قومه حياً وميتاً» (١٢٥٩). وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه؛ ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام. ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره، وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة، وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزاً ولم تعقبه إلا سعادة؛ لأنّ في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور. والأوّل أوجه. وقرىء: «المكرمين». فإن قلت: «ما» في قوله تعالى: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ أي الماآت هي؟ قلت: المصدرية أو الموصولة؛ أي: بالذي غفره لي من الذنوب. ويحتمل أن تكون استفهامية؛ يعني بأي شيء غفر لي ربي؛ يريد به٢/ ١٢١ب ما كان منه معهم من المصابرة لإعزاز الدين حتى قتل، إلا أنّ قولك: «بم غفر لي» بطرح الألف أجود، وإن كان إثباتها جائزاً؛ يقال: قد علمت بما صنعت هذا، أي: بأي شيء صنعت وبم صنعت.

﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾

المعنى: أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك، ولم ينزل لإهلاكهم جنداً من جنود السماء، كما فعل يوم بدر والخندق، فإن قلت: وما معنى قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾؟ قلت: معناه: وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في إهلاك قوم حبيب جنداً من السماء؛ وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض، وما ذلك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٤٠]. فإن قلت: فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق؛ قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]، ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]؟ قلت: إنما كان يكفي ملك واحد، فقد أهلكت مدائن

١٢٥٩ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٦٣)، حديث (١٠٧٣)، وعزاه لابن مردوية في تفسيره. قال الحافظ: ورد هذا في قصة عروة بن مسعود أخرجه ابن مردويه من حديث المغيرة بن شعبة، فذكر القصة وفي آخرها فكان يقول وهو في النزع: يا معشر ثقيف ائتوا رسول الله ﷺ ـ فاطلبوا منه الأمان، قبل أن يبلغه موتي فيغزوكم. فلم يزل كذلك حتى مات، فبلغ النبي ﷺ ـ. فقال: لقد نصح قومه حياً وميتاً، وشبهه بصاحب يس. أ.هـ

قوم لوط بريشة من جناح جبريل، وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه، ولكن الله فضَّل محمداً ﷺ بكل شيء على كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل، فضلاً عن حبيب النجار، وأولاهُ من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يوله أحداً؛ فمن ذلك أنه أنزل له جنوداً من السماء، وكأنه أشار بقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ إلىٰ أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلاّ مثلك، وما كنا نفعله بغيرك ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ إن كانت الأخذة أو العقوبة إلاّ صيحة واحدة. وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع على كان التامة، أي: ما وقعت إلاّ صيحة، والقياس والاستعمال على تذكير الفعل؛ لأنّ المعنى: ما وقع شيء إلاّ صيحة، ولكنه نظر إلى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل، ومثلها قراءة الحسن: «فأصبحوا لا ترى إلاّ مساكنهم» وبيت ذي الرمّة [من الطويل]:

.... وَمَا بَقِيَتْ إِلاَّ الضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ(1)

وقرأ ابن مسعود: «إلازقية واحدة» من زقا الطائر يزقو ويزقي، إذا صاح. ومنه المثل: أثقل من الزواقي. ﴿خَٰمِدُونَ﴾ خمدوا كما تخمد النار، فتعود رماداً؛ كما قال لبيد [من الطويل]:

وَمَا الْمَرْءُ إِلاَّ كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهِ يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ(2)

---

(1) برى لحمها سير الفيافي وحرها وما بقيت إلا الضلوع الجراشع.
للبيد، يصف ناقته بأنها أذهب لحمها سير الأراضي القفرة؛ أي السير فيها وحرها الشديد، برى ما بقيت فيها إلاّ الضلوع. وكان الأفصح حذف التاء؛ لأن المعنى: ما بقي فيها شيء إلاّ الضلوع، لكنه أنث نظراً للضلوع. والجراشع: جمع جرشع كقنفذ، وهو الغليظ المرتفع. ويروى بدل الشطر الأول، طوى الحر والأجراز ما في عروضها، والأجراز: جمع جرز، وهي المفازة القفرة، والعروض: جمع عرض ـ بضم فسكون ـ: أي جنوبها. ويروى: النحز، بدل الحر، وهو بنون فمهملة فزاي: النخس والدفع. ويروى «غروض» بغين معجمة: جمع غرض، كقفل: وهو حزام الرحل، أراد به الصدر لعلاقة المجاورة. أو هو على حذف مضاف، أي محل غروضها. ويجوز أنه أراد بما في غروضها الصدر ذاته لا الشحم واللحم. ومعنى الطي التضمير أو الإذهاب على طريق المجاز.
ينظر ديوانه: ص ١٢٩٦، وتخليص الشواهد ص ٤٨٢، وتذكرة النحاة ص ١١٣، وشرح المفصّل لابن يعيش ٢/ ٨٧، والمحتسب ٢/ ٢٠٧، والمقاصد النحويّة ٢/ ٤٧٧، وبلا نسبة في شرح الأشموني ٢/ ١٧٢، وشرح ابن عقيل ص ٢٤٣.

(2) وما المرء إلاّ كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع
وما المال والأهلون إلاّ ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع.
للبيد العامري، أي: ليس حال المرء وحياته وبهجته ثم موته وفناؤه بعد ذلك إلاّ مثل حال شهاب النار وضوئه حال كونه يصير رماداً بعد إضاءته. ويمكن أن قوله: «يحور رماداً» استئناف مبين لوجه الشبه، وذلك تشبيه هيئة، ولا يصح تشبيه المرء بالشهاب وضوئه، وشبه مال الشخص وأقاربه بالودائع تشبيهاً بليغاً، يجامع أنه لا بد من أخذ كل، وبيّن ذلك بقوله: ولا بد أن ترد الودائع في يوم =

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ نداء للحسرة عليهم، كأنما قيل لها: تعالي يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها، وهي حال استهزائهم بالرسل؛ والمعنى: أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون، ويتلهف على حالهم المتلهفون، أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين، ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة فى معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به، وفرط إنكاره له وتعجيبه منه، وقراءة من قرأ: «يا حسرتا» تعضد هذا الوجه؛ لأن المعنى: يا حسرتي. وقرىء: «يا حسرة العباد»، على الإضافة إليهم لاختصاصها بهم؛ من حيث إنها موجهة إليهم، ويا حسرة على العباد: على إجراء الوصل مجرى الوقف.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ ألم يعلموا، وهو معلق عن العمل في ﴿كَمۡ﴾ لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها، كانت للاستفهام أو للخبر؛ لأنّ أصلها الاستفهام، إلا أن معناه نافذ في الجملة، كما نفذ في قولك: ألم يروا إن زيداً لمنطلق، وإن لم يعمل في لفظه. و ﴿أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ بدل من ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ على المعنى، لا على اللفظ، تقديره: ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم. وعن الحسن: كسر إنّ على الاستئناف. وفي قراءة ابن مسعود: ألم يروا من أهلكنا، والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال، وهذا مما يردّ قول أهل الرجعة. ويحكى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قيل له: إن قوماً يزعمون أنّ علياً مبعوث قبل يوم القيامة، فقال: بئس القوم نحن إذن، نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه (١٢٦٠). ﴿لَّمَّا﴾ قرىء: «لما» بالتخفيف، على أن «ما» صلة للتأكيد، «وإن» مخففة من الثقيلة، وهي متلقاة باللام لا محالة. و «لما» بالتشديد، بمعنى:

١٢٦٠ ـ أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ١٤٥)، كتاب معرفة الصحابة، و(٢/ ٢٦٥): كتاب التفسير، سورة البقرة، قال الحافظ: أخرجه الحاكم في تفسير البقرة نحوه باختصار، وأخرجه من حديث الحسن في فضائل الصحابة أتم منه، وليس فيه: بئس القوم نحن إذن، انتهى.

= من الأيام.

ينظر: ديوانه ص ١٦٩، حماسة البحتري ص ٨٤، الدرر ٢/ ٥٣، لسان العرب (حور)، بلا نسبة في شرح الأشموني ١/ ١١٠.

إلاّ، كالتي في مسألة الكتاب، نشدتك بالله لما فعلت، وإن نافية، والتنوين في ﴿كُلٌّ﴾ هو الذي يقع عوضاً من المضاف إليه، كقولك: مررت بكل قائماً، والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة. وقيل: محضرون معذبون. فإن قلت: كيف أخبر عن كل بجميع، ومعناهما واحد[1]؟ قلت: ليس بواحد؟ لأنّ كلاً يفيد معنى الإحاطة، وألا ينفلت/ ٢/ ١٢٢أ منهم أحد، والجميع: معناه الاجتماع، وأن المحشر يجمعهم. والجميع: فعيل بمعنى مفعول: يقال: حي جميع، وجاءوا جميعاً.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

القراءة بالميتة على الخفة أشيع، لسلسها على اللسان. و ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية، وكذلك نسلخ، ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل؛ لأنه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض[2] وليل بأعيانهما، فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالأفعال، ونحوه [من الكامل]:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي[3] ....

وقوله: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ بتقديم الظرف للدلالة على أن الحَبَّ هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش، ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنس، وإذا قل جاء القحط ووقع الضرّ، وإذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء. قرىء: «وفجرنا» بالتخفيف والتثقيل، والفجر والتفجير، كالفتح والتفتيح لفظاً ومعنى. وقرىء: «ثمره» بفتحتين وضمتين وضمة وسكون، والضمير لله تعالى، والمعنى: ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ﴿وَ﴾ من ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ من

---

(١) قال محمود: «إن قلت: لم أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد؟ وأجاب بأن كلا تفيد الإحاطة لا ينلفت عنهم أحد، وجميع تفيد الاجتماع، وهو فعيل بمعنى مفعول، وبينهما فرق، انتهى كلامه» قال أحمد: ومن ثم وقع أجمع في التوكيد تابعاً لكل؛ لأنه أخص منه وأزيد معنى.

(٢) قال محمود: «يجوز أن يكون أحييناها صفة للأرض، وصح ذلك؛ لأن المراد بالأرض الجنس ولم يقصد بها أرض معينة وأن يكون بياناً لوجه الآية فيها، قال أحمد وغيره من النحاة: يمنع وقوع الجملة صفة للمعرف وإن كان جنسيًا وليس الغرض منه معيناً، ويراعي هذا المانع المطابقة اللفظية في الوصفية ومنه:

ولقد أمر على اللئيم يسبني.

(٣) تقدم.

الغرس والسقي والآبار، وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه وإبان أكله، يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه، وفيه آثار من كد بني آدم، وأصله من ثَمرنا كما قال: وجعلنا، وفجرنا، فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات، ويجوز أن يرجع إلى النخيل، وتترك الأعناب غير مرجوع إليها؛ لأنه علم أنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره، ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات؛ كما قال رؤبة [من الرجز]:

فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ بَيَاضٍ وَبَلَقْ   كَأَنَّهُ فِي الجِلْدِ تَوْلِيعُ البَهَقْ[(١)]

فقيل له، فقال: أردت كأن ذاك، ولك أن تجعل ﴿ما﴾ نافية على أنّ الثمر خلق الله، ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه. وقرىء على الوجه الأوّل، وما عملت من غير راجع، وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك، وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير. ﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأجناس والأصناف ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها، ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم، ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقاً إلى العلم به؛ لأنه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم، ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون؛ كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لم يسمهم. وفي الحديث: «ما لا عين رأت[(٢)]، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بله ما أطلعتهم عليه» (١٢٦١). فأعلمنا بوجوده وإعداده ولم يعلمنا به ما هو، ونحوه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] وفي الإعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دلّ على عظم قدرته واتساع ملكه.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

سلخ جلد الشاة: إذا كشطه عنها وأزاله. ومنه: سلخ الحية لخرشائها[(٣)]، فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله. ﴿مُّظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلام، يقال: أظلمنا؛ كما تقول: أعتمنا وأدجينا[(٤)]. ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ لحدّ لها مؤقت مقدّر تنتهي إليه

١٢٦١ ـ تقدم في سورة السجدة.

---

(١) تقدم

(٢) قوله: «في الحديث: ما لا عين رأت» أوله: «أعددت لعبادي الصالحين» كما مر في تفسير السجدة. (ع).

(٣) قوله: «ومنه سلخ الحية لخرشائها» في الصحاح «الخرشاء»: مثل الحرباء: جلد الحية. (ع).

(٤) قوله: «أعتمنا وأدجينا»، الدجى: وجع في حافر الفرس أو خف البعير. أفاده الصحاح وغيره. (ع).

من فلكها في آخر السنة، شبه بمستقرّ المسافر إذا قطع مسيره، أو لمنتهى لها من المشارق والمغارب؛ لأنها تتقصاها مشرقاً مشرقاً، ومغرباً مغرباً حتى تبلغ أقصاها، ثم ترجع فذلك حدّها ومستقرّها؛ لأنها لا تعدوه، أو لحدّ لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب. وقيل: مستقرّها أجلها الذي أقرّ الله عليه أمرها في جريها، فاستقرّت عليه وهو آخر السنة. وقيل: الوقت الذي تستقرّ فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة.

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

وقرىء: «تجري إلى مستقر لها»، وقرأ ابن مسعود: «لا مستقرّ لها»؛ أي: لا تزال تجري لا تستقرّ، وقرىء: «لا مستقرّ لها» على أنّ «لا» بمعنى ليس ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الأفهام في استنباطه، ما هو إلا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور، المحيط علماً بكل معلوم. قرىء: «والقمرُ» رفعاً على الابتداء، أو عطفاً على الليل، يريد: وَمن آياته القمر، ونصباً بفعل يفسره قدرناه، ولا بدّ في ﴿قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ من تقدير مضاف؛ لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل، والمعنى: قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل القمر كلّ ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه، على تقدير مستوٍ لا يتفاوت، يسير فيها كل ليلة من المستهل إلى الثامنة والعشرين، ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص٢/ ١٢٢ب الشهر، وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء المستمطرة، وهي: الشرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرفة، العوّا، السماك، الغفر، الزباني، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، الرشا. فإذا كان في آخر منازله دقّ واستقوس، و ﴿عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ وهو عود العذق، ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة. وقال الزجاج: هو «فعلون» من الانعراج وهو الانعطاف. وقرىء: «العرجون» بوزن الفرجون[1]؛ وهما لغتان، كالبزيون والبزيون، والقديم المحول، وإذا قدم دق فانحنىٰ واصفر، فشبه به من ثلاثة أوجه. وقيل:

---

(١) قوله: «وقرئ العرجون بوزن الفرجون» في الصحاح «الفرجون»: المحسة، وقد فرجنت الدابة إذا فرجنتها. ومنه قول بعضهم: ادفنوني في ثيابي ولا تحسوا عني تراباً، أي: لا تنفضوه. وفيه «البزيون»: السندس. (ع).

أقل مدّة الموصوف بالقدم الحول، فلو أنّ رجلاً قال: كل مملوك لي قديم فهو حرّ، أو كتب ذلك في وصيته ـ عتق منهم من مضى له حول أو أكثر. وقرىء: «سابق النهار». على الأصل، والمعنى: أنّ الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسماً من الزمان، وضرب له حدّاً معلوماً، ودبر أمرهما على التعاقب، فلا ينبغي للشمس؛ أي: لا يتسهل لها ولا يصحّ ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة، وإن جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله[1] ﴿أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره، ولا يسبق الليل النهار؛ يعني آية الليل آية النهار وهما النيران، ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن يبطل الله ما دبر من ذلك، وينقض ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر، ويُطلع الشمس من مغربها. فإن قلت: لم جعلت الشمس غير مدركة،

---

(١) قال محمود: «معناه أن كل واحد منهما لا يدخل على الآخر في سلطانه فيطمس نوره، بل هما متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى. قال: فإن قلت: لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق؟ قلت: لأن الشمس بطيئة السير تقطع فلكها في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر، فكانت الشمس لبطئها جديرة بأن توصف بالإدراك، والقمر لسرعته جديراً بأن يوصف بالسبق، انتهى كلامه، قال أحمد: يؤخذ من هذه الآية أن النهار تابع لليل، وهو المذهب المعروف للفقهاء، وبيانه من الآية أنه جعل الشمس التي هي آية النهار غير مدركة للقمر الذي هو آية الليل، وإنما نفى الإدراك لأنه هو الذي يمكن أن يقع، وذلك يستدعي تقدم القمر وتبعية الشمس، فإنه لا يقال: أدرك السابق اللاحق، ولكن أدرك اللاحق السابق، وبحسب الإمكان توقيع النفي، فالليل ـ إذاً ـ متبوع والنهار تابع. فإن قيل: هل يلزم على هذا أن يكون الليل سابق النهار؟ وقد صرحت الآية بأنه ليس سابقاً، فالجواب: أن هذا مشترك الإلزام، وبيانه أن الأقسام المحتملة ثلاثة: إما تبعية النهار لليل، وهو مذهب الفقهاء. أو عكسه، وهو المنقول عن طائفة من النحاة. أو اجتماعهما، فهذا القسم الثالث منفي باتفاق «فلم يبق إلاً تبعية النهار لليل، وعكسه، وهذا السؤال وارد عليهما جميعاً؛ لأن من قال: إن النهار سابق الليل لزمه أن يكون مقتضى البلاغة أن يقال: ولا الليل يدرك النهار، فإن المتأخر إذا نفى إدراكه كان أبلغ من نفي سابقه، مع أنه يتناءى عن مقتضى قوله: (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) تنائياً لا يجمع شمل المعنى باللفظ، فإن الله تعالى نفى أن تكون مدركة فضلاً عن أن تكون سابقة، فإذا أثبت ذلك فالجواب المحقق عنه أن المنفي السبقية الموجبة لتراخي النهار عن الليل وتخلل زمن آخر بينهما، وحينئذ يثبت التعاقب، وهو مراد الآية. وأما سبق أول المتعاقبين للآخر منهما فإنه غير معتبر. ألا ترى إلى جواب موسى بقوله: هم أولاء على أثري، فقد قربهم منه عذراً عن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾ فكأنه سهل أمر هذه العجلة بكونهم على أثره، فكيف لو كان متقدماً وهم في عقبه لا يتخلل بينهم وبينه مسافة؟ فذاك لو اتفق لكان سياق الآية يوجب أنه لا يعد عجلة ولا سبقاً، فحينئذ يكون القول بسبقية النهار لليل مخالفاً صدر الآية على وجه لا يقبل التأويل، فإن بين عدم الإدراك الدال على التأخير والتبعية وبين السبق بوناً بعيداً ومخالفاً أيضاً لبقية الآية، فإنه لو كان الليل تابعاً ومتأخراً لكان أحرى أن يوصف بعدم الإدراك ولا يبلغ به عدم السبق، ويكون القول بتقدم الليل على النهار مطابقاً لصدر الآية صريحاً، ولعجزها بوجه من التأويل مناسب لنظم القرآن، وثبوت ضده أقرب إلى الحق من حبل وريده، والله الموفق للصواب من القول وتسديده».

والقمر غير سابق؟ قلت: لأنّ الشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة، والقمر يقطع فلكه في شهر، فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالإدراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر، خليقاً بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره ﴿وَكُلٌّ﴾ التنوين فيه عوض عن المضاف إليه، والمعنى: وكلهم، والضمير للشموس والأقمار على ما سبق ذكره.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أولادهم ومن يهمهم حمله. وقيل: اسم الذرية يقع على النساء؛ لأنهنّ مزارعها؛ وفي الحديث: أنه نهى عن قتل الذراري؛ يعني النساء. ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ من مثل الفلك ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ من الإبل، وهي سفائن البر. وقيل ﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ سفينة نوح، ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها: أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين، وفي أصلابهم هم وذرياتهم، وإنما ذكر ذرياتهم دونهم؛ لأنّه أبلغ في الامتنان عليهم، وأدخل في التعجيب من قدرته، في حمل أعقابهم إلى يوم القيامة في سفينة نوح. و ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾ لا مغيث، أو لا إغاثة؛ يقال: أتاهم الصريخ ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ لا ينجون من الموت بالغرق ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ إلا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾[1] إلى أجل يموتون فيه لا بدّ لهم منه بعد النجاة من موت الغرق، ولقد أحسن من قال [من الوافر]:

وَلَـمْ أَسْـلَـمْ لِـكَـيْ أَبْـقَـى وَلَـكِـنْ ... سَـلِـمْـتُ مِـنَ الْـحِـمَـامِ إِلَـى الْـحِـمَـامِ[2]

وقرأ الحسن رضي الله عنه: «نغرّقهم».

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم

---

(١) قال أحمد: من هنا أخذ أبو الطيب.

ولـم أسـلـم لـكـي أبـقـى ولـكـن ... سـلـمـت من الحـمـام إلى الحـمـام

لأنه تعالى أخبر أنهم إن سلموا من موت الغرق فتلك السلامة متاع إلى حين، أي: إلى أجل يموتون فيه، ولا بد.

(٢) للمتنبي يقول: ولم أسلم من حوادث الدهر ومكاره الحرب لأجل أن أخلد، وإنما سلمت من الحمام ـ ككتاب ـ: أي الموت ببعض الأسباب إلى أن أموت ببعضها الآخر. أو منقلب إلى الموت ببعضها الآخر؛ لأنه لا خلود في الدنيا.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [سبأ: ٩]. وعن مجاهد: ما تقدّم من ذنوبكم وما تأخر (١٢٦٢). وعن قتادة: ما بين أيديكم من الوقائع التي خلت، يعني: من مثل الوقائع التي ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها، وما خلفكم من أمر الساعة (١٢٦٣) ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ لتكونوا على رجاء رحمة الله. وجواب «إذا» محذوف مدلول عليه بقوله: ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾، فكأنه قال: وإذا قيل لهم: اتقوا أعرضوا. ثم قال: ودأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٤٧﴾

كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيئته، فيقولون: لو شاء الله لأغنى فلاناً، ولو شاء لأعزّه، ولو شاء لكان كذا؛ فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله. ومعناه: أنطعم المقول فيه هذا القول بينكم، وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله؛ لأنهم معطلة لا يؤمنون بالصانع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان بمكة زنادقة، فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا: لا والله، أيفقره الله ونطعمه نحن؟ وقيل: كانوا يوهمون أن الله تعالى٢/١٢٣أ لما كان قادراً على إطعامه ولا يشاء إطعامه، فنحن أحق بذلك. نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله ﷺ: أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله، يعنون قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، فحرموهم وقالوا: لو شاء الله لأطعمكم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤٨ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٥٠﴾

﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ قول الله لهم، أو حكاية قول المؤمنين لهم، أو هو من

١٢٦٢ ـ أخرجه الطبري (١٠/٤٩٧، جامع البيان)، حديث (٢٩١٦٩).
وذكره السيوطي في الدر (٥/٤٩٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم والطبري عن مجاهد.

١٢٦٣ ـ أخرجه الطبري (١٠/٤٤٧ جامع البيان)، حديث (٢٩١٦٨).
وعبد الرازق في تفسيره (٢/١٤٤) في تفسيره القوا ما بين أيديكم، عن قتادة، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٩٧، ٤٩٨)، وعزاه للطبري وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

جملة جوابهم للمؤمنين. قرىء: «وهم يخصمون» بإدغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها، وإتباع الياء الخاء في الكسر، و«يختصمون» على الأصل. و«يخصمون»، من خصمه. والمعنى: أنها تبغتهم وهم في أمنهم وغفلتهم عنها، لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون. ومعنى يخصمون: يخصم بعضهم بعضاً. وقيل: تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن يوصوا في شيء من أمورهم ﴿تَوْصِيَةً﴾ ولا يقدرون على الرجوع إلى منازلهم وأهاليهم، بل يموتون حيث تفجؤهم الصيحة.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾

قرىء: «الصور» بسكون الواو وهو القرن، أو جمع صورة، وحرّكها بعضهم. و«الأجداث» القبور، وقرىء: بالفاء[1]. ﴿يَنسِلُونَ﴾ يعدون بكسر السين وضمها، وهي النفخة الثانية. وقرىء: «يا ويلتنا»، عن ابن مسعود رضي الله عنه: من أهبنا، من هب من نومه إذا انتبه، وأهبه غيره، وقرىء: «من هبنا» بمعنى أهبنا: وعن بعضهم: أراد هب بنا، فحذف الجار وأوصل الفعل، وقرىء: «من بعثنا» و«من هبنا»، على من الجارة والمصدر، و ﴿هَـٰذَا﴾ مبتدأ، و ﴿مَا وَعَدَ﴾ خبره، وما مصدرية أو موصولة. ويجوز أن يكون هذا صفة للمرقد، وما وعد: خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا وعد الرحمٰن، أي: مبتدأ محذوف الخبر، أي: ما وعد ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ حق. وعن مجاهد: للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم، فإذا صيح بأهل القبور قالوا: من بعثنا، وأما ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ فكلام الملائكة؛ عن ابن عباس. وعن الحسن: كلام المتقين. وقيل: كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضاً. فإن قلت: إذا جعلت «ما» مصدرية، كان المعنى: هذا وعد الرحمٰن وصدق المرسلين، على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق، فما وجه قوله: ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ إذا جعلتها موصولة؟ قلت: تقديره: هذا الذي وعده الرحمٰن والذي صدّقه المرسلون، بمعنى: والذي صدق فيه المرسلون، من قولهم: صدقوهم الحديث والقتال. ومنه: صدقني سن بكره. فإن قلت: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ سؤال عن الباعث، فكيف طابقه ذلك جواباً؟ قلت: معناه بعثكم الرحمٰن الذي وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل؛ إلا أنه جيء به على طريقة: سيئت

---

(١) قوله: «وقرئ بالفاء» في الصحاح «الجدف»: القبر، وهو إبدال الجدث. قال الفراء: العرب تعقب بين الفاء والثاء في اللغة، فيقولون: حدث وجدف، وهي الأجداث والأجداف. (ع).

بها قلوبهم، ونعيت إليهم أحوالهم، وذكروا كفرهم وتكذيبهم، وأخبروا بوقوع ما أنذروا به، وكأنه قيل لهم: ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده، حتى يهمكم السؤال عن الباعث، إن هذا هو البعث الأكبر ذو الأهوال والأفزاع، وهو الذي وعده الله في كتبه المنزّلة على ألسنة رسله الصادقين.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قرئت منصوبة ومرفوعة ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا . . . . . . إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾(1) حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم، وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود، وتمكين له في النفوس، وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره ﴿فِي شُغُلٍ﴾ في أي شغل وفي شغل لا يوصف، وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين، ووصل إلى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم، ووقع في تلك الملاذ التي أعدّها الله للمرتضين من عباده، ثواباً لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم، وذلك بعد الوله والصبابة، والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية، وتخطي الأهوال، وتجاوز الأخطار وجواز الصراط. ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب. وعن ابن عباس: في افتضاض الأبكار (١٢٦٤). وعنه: في ضرب الأوتار (١٢٦٥). وعن ابن كيسان: في التزاور. وقيل: في ضيافة الله. وعن الحسن: شغلهم عما فيه أهل النار التنعم بما هم فيه (١٢٦٦). وعن الكلبي: هم في شغل عن أهاليهم من أهل

١٢٦٤ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٤٥٢ جامع البيان)، حديث (٢٩١٨٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٠٠)، وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوية عن ابن عباس: قال في افتضاض الأبكار.

١٢٦٥ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٠١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس، وقال أبو حاتم: هذا خطأ من السمع إنما هو افتضاض الأبكار.

١٢٦٦ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٤٥٣)، حديث (٢٩١٩٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٠٠)، وعزاه لعبد بن حميد والطبري، وابن المنذر عن الحسن ـ رضي الله عنه.

---

(١) قال أحمد: هذا مما التنكير فيه للتفخيم، كأنه قيل: في شغل أي شغل، وكذا قوله تعالى: سلام قولاً من رب رحيم.

النار، لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم، لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم. قرىء: «في شغل» بضمتين وضمة وسكون، وفتحتين، وفتحة وسكون. والفاكه والفكه: المتنعم والمتلذذ، ومنه الفاكهة؛ لأنها مما يتلذذ به، وكذلك الفكاهة، وهي المزاحة. وقرىء: فاكهون وفكهون، بكسر الكاف وضمها؛ كقولهم: رجل حدث وحدث[1]، ونطس ونطس. وقرىء: «فاكهين» و«فكهين»، على أنه حال ٢/ ١٢٣ب والظرف مستقر. ﴿هُمْ﴾ يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيداً للضمير في ﴿فِي شُغُلٍ﴾ وفي ﴿فَٰكِهُونَ﴾ على أنّ أزواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الأرائك تحت الظلال. وقرىء: «في ظلل»، والأريكة: السرير في الحجلة[2]. وقيل: الفراش فيها. وقرأ ابن مسعود: «متكين» ﴿يَدَّعُونَ﴾ يفتعلون من الدعاء، أي: يدعون به لأنفسهم؛ كقولك: اشتوى[3] واجتمل، إذا شوى وجمل لنفسه. قال لبيد [من الرمل]:

.... فَـاْشْـتَـوَى لَـيْـلَـةَ رِيـحٍ وَاْجْـتَـمَـلْ[4]

ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه؛ كقولك: ارتموه؛ وترا موه. وقيل: يتمنون، من قولهم: ادّع عليّ ما شئت، بمعنى: تمنه عليّ، وفلان في خير ما ادّعى، أي: في خير ما تمنّى. قال الزجاج: وهو من الدعاء، أي: ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم. و ﴿سَلَٰمٌ﴾ بدل مما يدعون، كأنه قال لهم: سلام يقال لهم ﴿قَوْلًا مِن﴾ جهة ﴿رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾، والمعنى: أنّ الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة، أو بغير واسطة، مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم، ولهم ذلك لا يمنعونه. قال ابن عباس: فالملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (١٢٦٧). وقيل: ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾، مبتدأ وخبره «سلام»، بمعنى: ولهم ما يدعون سالم

١٢٦٧ ـ ذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠١)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم بلفظ: قال: «فإن الله هو يسلم عليهم».

---

(١) قوله: «كقولهم رجل حدث وحدث» أي حسن الحديث، والنطس البالغ في التطهر والمدقق في العلم. أفاده الصحاح. (ع).

(٢) قوله: «السرير في الحجلة» هي بيت العروس يزين بالثياب والستور، كذا في الصحاح. (ع).

(٣) قوله: و«اجتمل إذا شوى» في الصحاح: جملت الشحم أجمله جملاً، واجتملته: إذا أذبته. (ع).

(٤) وغـــلام أرســـلـــتـــه أمـــه ... بـــألـــوك فـــبـــذلـــنـــا مـــا ســـأل
أرســـلـــتـــه فـــأتـــاه رزقـــه ... فـــاشـــتـــوى لـــيـــلـــة ريـــح واحـــتـــمـــل.

للبيد بن ربيعة، والألوك: الرسالة، أي: ورب غلام أرسلته أمه إلينا برسالة وهي هنا السؤال، فبذلنا ما سأله من الطعام عقب سؤاله، وبين ذلك بقوله: أرسلته فأتاه رزقه، وفيه دلالة على أنه لم يكن عندهم طعام حين أتاهم الغلام، أي: فأتاه رزقه من الصيد، فاشتوى لنفسه من اللحم في ليلة ريح مظلمة يقل فيها الجود، واحتمل: أي حمل كثيراً منه بنفسه لنفسه، ولأمه التي أرسلته. ويروى: =

خالص لا شوب فيه. و ﴿قَوْلًا﴾ مصدر مؤكد لقوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ سَلَٰمٌ﴾ أي: عدة من رب رحيم. والأوجه: أن ينتصب على الاختصاص، وهو من مجازه. وقرىء: «سلم»، وهو بمعنى السلام في المعنيين. وعن ابن مسعود: «سلاماً» نصب على الحال، أي: لهم مرادهم خالصاً[1].

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟﴾ وانفردوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة، وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ الآية [الروم: ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦]. يقال: مازه فانماز وامتاز. وعن قتادة: اعتزلوا عن كل خير (١٢٦٨). وعن الضحاك: لكل كافر بيت من النار يكون فيه، لا يرى ولا يرى. ومعناه: أنّ بعضهم يمتاز من بعض.

﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

العهد: الوصية، وعهد إليه: إذا وصاه، وعهد الله إليهم: ما ركز فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع. وعبادة الشيطان: طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم. وقرىء: «إعهد» بكسر الهمزة، وباب «فعل» كله يجوز في حروف مضارعته الكسر[2]، إلا في الياء. و«أعهِد»، بكسر الهاء، وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب. و«أحهد»: بالحاء، وأحد وهي لغة تميم. ومنه قولهم: دحا محا[3]. ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمٰن؛ إذ لا صراط أقوم منه، ونحو

١٢٦٨ ـ أخرجه الطبري (١٠/٤٥٦ جامع البيان)، حديث (٢٩٢٠٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٠٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم والطبري. قال: «عزلوا عن كل خير».

= اجتمل، بالجيم: وفي الصحاح: جملت الشحم واجتملته إذا أذبته، وهذه الرواية أنسب وأفيد. ينظر: ديوانه (ص ١٧٨)، لسان العرب (جمل)، (شوا)، تهذيب اللغة (١١/ ١١٠)، تاج العروس (جمل)، بلا نسبة في مقاييس اللغة (٤/ ٢٢٥)، مجمل اللغة (٣/ ١٨٣).

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وإذا كان بدلاً كان «ما يدعون» خصوصاً، والظاهر أنه عموم في كل ما يدعونه، وإذا كان عموماً لم يكن بدلاً منه. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «في حروف مضارعته الكسر» لعله مضارعه. (ع).

(٣) قوله: «ومنه قولهم دحا محا» أي: دعها معها. (ع).

التنكير فيه ما في قول كُثيِّر [من الطويل]:

لَئِنْ كَانَ يُهْدَى بَرْدُ أَنْيَابِهَا الْعُلىٰ ... لأَفْقَرَ مِنِّي إِنَّنِي لَفَقِيرُ[1]

أراد: إنني لفقير بليغ الفقر، حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه فيّ، وإلا لم يستقم معنى البيت، وكذلك قوله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ يريد: صراط بليغ في بابه، بليغ في استقامته، جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه. ويجوز أن يراد: هذا بعض الصرط المستقيمة، توبيخاً لهم على العدول عنه، والتفادي عن سلوكه؛ كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي إلى الضلالة والتهلكة؛ كأنه قيل: أقل أحوال الطريق الذي هو أقوم الطرق ـ أن يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك، كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده: هذا فيما أظنّ قول نافع غير ضار، توبيخاً له عن الإعراض عن نصائحه.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قرىء: «جبلا» بضمتين، وضمة وسكون، وضمتين وتشديدة، وكسرتين، وكسرة وسكون، وكسرتين وتشديدة. وهذه اللغات في معنى الخلق. وقرىء: «جبلا» جمع جبلة؛ كفطر وخلق، وفي قراءة علي رضي الله عنه: «جيلاً» واحداً، لا أجيال.

---

(١) دعوت إلهي دعوة ما جهلتها ... وربي بما تخفي الصدور بصير
لئن كان يهدي برد أنيابها العلا ... لأفقر مني إنني لفقير
فما أكثر الأخبار أن قد تزوجت ... فهل يأتيني بالطلاق بشير؟

لكثير عزة. وقيل: لمجنون ليلى. وقوله: «ما جهلتها» معناه: أنها عن قصد وحضور قلب. وقوله: لئن كان يهدي، بيان للدعوة، وما بينهما اعتراض للتأكيد وإفادة أن الدعوة كانت في السر، أي: لئن كان يعطي برد أسنانها العليا، خصها لأنها التي تبدو كثيراً. وقيل: العلا الشريفة، لأحوج مني إنني لبليغ في الفقر، فأنا أحق بها من كل محتاج؛ لأني أحوج الناس إليها. ويجوز أن برد أنيابها: كناية عن ذاتها كلها، وإنني لفقير: خبر بمعنى الإنشاء مجاز مرسل؛ لأن إظهار شدة الاحتياج يلزمه الطلب. ويجوز أنه كناية عنه وهو جواب القسم المدلول عليه باللام، وجواب الشرط محذوف وجوباً لدلالة المذكور عليه، وما تعجبية، وأكثر فعل تعجب، والأخبار معموله، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وهي على تقدير حرف الجر، أي: أتعجب من كثرة الأخبار المخبرة بزواجها، وهل استفهام بمعنى التمني أو التعجب مجاز مرسل لعلاقة مطلق الطلب، أي: أتمنى ذلك أو أتعجب من عدمه.
ينظر: ديوانه ص ٤٩، تذكرة النحاة (ص ٤٦٣).

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾

يروى أنهم يجحدون ويخاصمون؛ فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم، فيحلفون ما كانوا مشركين، فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم. وفي الحديث: «يقول العبد يوم القيامة: إني لا أجيز عليّ شاهداً إلا من نفسي، فيختم على فيه، ويقال لأركانه: انطقي فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً، فعنكنَّ كنت أناضل»[1] (١٢٦٩)، وقرىء: «يختم على أفواههم، وتتكلم أيديهم». وقرئ: «ولتكلمنا٢/ ١٢٤أ أيديهم وتشهد»، بلام كي والنصب على معنى: ولذلك نختم على أفواههم: وقرىء: «ولتكلمنا أيديهم ولتشهد» بلام الأمر والجزم على أنّ الله يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الطمس: تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل. والأصل: فاستبقوا إلى الصراط، أو يُضمَّن معنى ابتدروا، أو يجعل الصراط مسبوقاً لا مسبوقاً إليه، أو ينتصب على الظرف. والمعنى: أنه لو شاء لمسح أعينهم، فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيع[2] الذي اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة التي تردّدوا إليها كثيراً ـ كما كانوا يستبقون إليه ساعين في متصرفاتهم موضعين[3] في أمور دنياهم ـ لم يقدروا، وتعايىٰ عليهم أن يبصروا ويعلموا

١٢٦٩ ـ أخرجه مسلم (٩/ ٣٢٧ نووي)، كتاب الزهد.
حديث (٧/ ٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥٠٨)، كتاب التفسير، باب سورة الانفطار، حديث (١١٦٥٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢١٧، ٢١٨) وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٥٥، ٥٧)، حديث (٣٩٧٥، ٣٩٧٧)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٥٨)، حديث (٧٣٥٨)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٦٠١)، كتاب الأهوال، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٠٢، ٥٠٣)، وعزاه لأحمد ومسلم والنسائي، وابن أبي الدنيا في التوبة وابن أبي حاتم، وابن مردوية والبيهقي في الأسماء والصفات عن أنس به.
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه مسلم والنسائي من طريق الشعبي عن أنس ووهم الحاكم فاستدركه. انتهى.

---

(١) قوله: «كنت أناضل» أي أجادل. (ع).
(٢) قوله: «إلى الطريق المهيع» الهيوع: الجبن، والهيعة: الذوبان والسيلان وكل ما أفزعك من صوت، كذا في الصحاح. ولعل المراد الذي سهله كثرة سلوكه. (ع).
(٣) قوله: «موضعين» في الصحاح: وضع البعير وغيره: أسرع من سيره وأوضعه راكبه. (ع).

جهة السلوك فضلاً عن غيره. أو لو شاء لأعماهم، فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين في الطريق المألوف ـ كما كان ذلك هِجِّيراهم ـ لم يستطيعوا. أو لو شاء لأعماهم، فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقاً، يعني: أنهم لا يقدرون إلا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك؛ كما ترى العميان يهتدون فيما ألفوا وضروا[(١)] به من المقاصد دون غيرها ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ وقرىء: «على مكاناتهم» والمكانة والمكان واحد، كالمقامة والمقام؛ أي: لمسخناهم مسخاً يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه بإقبال ولا إدبار ولا مضيّ ولا رجوع. واختلف في المسخ: فعن ابن عباس: لمسخناهم قردة وخنازير. وقيل: حجارة (١٢٧٠). وعن قتادة: لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم. وقرىء: «مضياً» بالحركات الثلاث، فالمضيّ والمضي كالعتيّ والعتيّ. والمضيّ كالصبيّ.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

«ننكسه في الخلق» نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل؛ وذلك أنا خلقناه على ضعف في جسده، وخلو من عقل وعلم، ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال ويرتقي من درجة إلى درجة، إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته، ويعقل ويعلم ما له وما عليه، فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص، حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبيّ في ضعف جسده وقلة عقله وخلّوه من العلم؛ كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله. قال عزّ وجلّ: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥]، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥] وهذه دلالة على أنّ من ينقلهم من الشباب إلى الهرم، ومن القوّة إلى الضعف، ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز، ومن العلم إلى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه ـ قادر على أن يطمس على أعينهم، ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد، وقرئ بكسر الكاف[(٢)]. وننكسه وننكسه، من التنكيس والإنكاس ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

١٢٧٠ ـ ذكره السيوطي (٥/ ٥٠٤) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي صالح يقول «لجعلناهم حجارة».

---

(١) قوله: «وضروا به» أي: مرنوا. (ع).
(٢) قوله: «وقرئ بكسر الكاف» يفيد أن القراءة المشهورة بضم الكاف، وهما من النكس. (ع).

كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: شاعر، وروي أنّ القائل: عقبة بن أبي معيط، فقيل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ أي: وما علمناه بتعليم القرآن الشعر، على معنى: أنّ القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء، وأين هو عن الشعر، والشعر إنما هو كلام موزون مقفى، يدل على معنى، فأين الوزن؟ وأين التقفية؟ وأين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه؟ وأين نظم كلامهم من نظمه وأساليبه؟ فإذن لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت، اللهمّ إلا أنّ هذا لفظه عربي، كما أنّ ذاك كذلك ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه، أي: جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل، كما جعلناه أمّياً لا يتهدّى للخط ولا يحسنه، لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض. وعن الخليل: كان الشعر أحب إلى رسول الله ﷺ من كثير من الكلام، ولكن كان لا يتأتى له. فإن قلت: فقوله:

أَنَــا الــنَّــبِــيُّ لاَ كَــذِبْ ... أَنَــا ٱبْــنُ عَــبْــدِ الْــمُــطَّــلِــبْ (١٢٧١)

وقوله:

هَــلْ أَنْــتِ إِلاَّ أُصْــبُــعٌ دَمِــيــتِ ... وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ؟[1] (١٢٧٢)

١٢٧١ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٦٢٢): كتاب المغازي: باب قول الله تعالى ويوم حنين، حديث (٤٣١٦)، وأطرافه في (٢٨٦٤، ٢٨٧٤، ٢٩٣٠، ٣٠٤٢، ٤٣١٥)، ومسلم (٦/ ٣٥٦، ٣٥٧): كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، حديث (٧٨/ ١٧٧٦) والترمذي (٤/ ١٩٩): كتاب الجهاد، باب ما جاء في الثبات عند القتال، حديث (١٦٨٨)، والبيهقي في السن الكبرى (٧/ ٤٣، ٩/ ١٥٤) وأحمد (٤/ ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٩، ٣٠٤).

والطبري في تفسيره، حديث (١٦٥٨٠)، (١٦٥٨١) والطيالسي (٢/ ١٠٨) ما جرى للنبي في غزوة هوازن يوم حنين، حديث (٢٣٧٣) وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٢٧١)، حديث (١٧٢٧)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤١٦)، حديث (٣٦٩٨٣) وابن حبان في صحيحه (١١/ ٩٠)، حديث (٤٧٧٠).

وقال ابن حجر: متفق عليه من حديث البراء بن عازب في حديث. انتهى.

١٢٧٢ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٢٣): كتاب الجهاد: باب من ينكب في سبيل الله، حديث (٢٨٠٢)، =

---

(١) هــل أنــت إلاّ أصــبــع دمــيــت ... وفــي ســبــيــل الله مــا لــقــيــت؟
يــا نــفــس لا تــقــنــطــي بــمــوتــي ... هــذي حــيــاض الــموت قــد صــلــيــت
ومــا تــمــنــيــت فــقــد لــقــيــت ... إن تــفــعــلــي فــعــلــهــمــا هــديــت

لعبد الله بن رواحة حين حمل اللواء بعد قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب فأصيبت أصبعه في الحرب فدميت، وروى البخاري عن جندب أنه قال: بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر، فعثر، فدميت أصبعه، فقال: «هل أنت إلاّ أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت» فأفاد أنه ﷺ يتمثل بشعر غيره، وهو بكسر التاء على وفق القافية، وقال الكرماني: التاء في الرجز مكسورة، وفي الحديث ساكنة. وقال عياض: غفل بعض الناس فروى: دميت ولقيت، بغير مد، وخالف الرواية. وروى =

قلت: ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة، من غير صنعة ولا تكلف، إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه إليه إن جاء موزوناً؛ كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسميها أحد شعراً ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنها شعر، وإذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في أوزان البحور غير عزيز، على أن الخليل ما كان يعدّ المشطور من الرجز شعراً، ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر، قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ يعني: ما هو إلا ذكر من الله تعالى يوعظ به الإنس والجنّ، كما قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [التكوير: ٢٧] وما هو إلا قرآن كتاب سماوي، يقرأ في المحاريب، ويتلى في المتعبدات، وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين، فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين ﴿لِّيُنذِرَ﴾ القرآن٢/ ١٢٤ب أو الرسول، وقرىء: «لتنذر»، بالتاء. ولينذر: من نذر به إذا علمه ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي عاقلاً متأملاً؛ لأن الغافل كالميت، أو معلوماً منه أنه يؤمن فيحيا بالإيمان ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾ وتجب كلمة العذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الإيمان.

= ومسلم (٦/ ٣٩٤ نووي): كتاب الجهاد: باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين، حديث (١٧٩٦)، والترمذي (٥/ ٤٤٢): كتاب التفسير: باب تفسير سورة الضحى، حديث (٣٣٤٥)، والحميدي (٢/ ٣٤١)، حديث (٧٧٦)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٧٢، ١٧٣)، حديث (١٧٠٨)، وأيضاً (١٧٠٣، ١٧٠٧) وأحمد (٤/ ٣١٢، ٣١٣).

وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩)، حديث (٦٥٧٧)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ١٠١ ـ ١٠٢)، حديث (١٥٣٣)، من حديث جندب بن عبد الله بن سفيان.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» متفق عليه من حديث جندب بن سفيان في حديث انتهى.

= أحمد والطيالسي أنه ﷺ قاله حين كان خارجاً إلى الصلاة، ودميت: صفة أصبع، والمعنى: لم يحصل لك شيء من الأذى إلاً أنك دميت، ولم يكن ذلك هدراً، بل كان في سبيل الله ومرضاته لا غير، أي: الذي لقيته من الأذى في سبيل الله، فلا تحزني، ونزلها منزلة العاقل فخاطبها بذلك تسلية وتثبيتاً لها، وهو في الحقيقة لنفسه، ثم صرح بخطاب النفس مثبتاً لها. بقوله: إن لم تقتلي في الحرب فلا بد لك من الموت، وهذه حياضه، فلا تفري منها؛ لأن الوقوع في البلاء أهون من انتظاره، وشبه الموت بسيل على سبيل المكنية، فأثبت له الحياض تخييلاً، وشبهه بالنار كذلك، فأثبت له الصلى وهو اقتحام النار، ولا مانع من تشبيه الشيء بأمرين مختلفين مع الرمز لكل منهما بما يلائمه، ويجوز استعارة الحياض للمعرفة تصريحاً، والذي تمنيته من الحرب المؤدي إلى الشهادة فقد لقيته، إن تفعلي كفعل زيد وجعفر، هديت إلى طريق الخير.

ينظر: كتاب العين (٦/ ٦٥)، تهذيب اللغة (٢/ ٥١)، تاج العروس (صبع)، جمهرة اللغة (ص ٦٨٦)، لسان العرب (صبع).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ مما تولينا نحن إحداثه ولم يقدر على توليه غيرنا، وإنما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها، التي لا يصحّ أن يقدر عليها إلا هو. وعمل الأيدي: استعارة من عمل من يعملون بالأيدي ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ أي: خلقناها لأجلهم فملكناها إياهم، فهم متصرفون فيها تصرف الملاك، مختصون بالانتفاع فيها لا يزاحمون، أو فهم لها ضابطون قاهرون، من قوله [من المنسرح]:

أَصْبَحْتُ لاَ أَحْمِلُ السِّلاَحَ وَلاَ ... أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا(1)

أي: لا أضبطه، وهو من جملة النعم الظاهرة، وإلا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها؛ كما قال القائل [من الوافر]:

يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهٍ ... وَيَحْبِسُهُ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرُ
وَتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوَى ... فَلاَ غِيَرٌ لَدَيْهِ وَلاَ نَكِيرُ(2)

---

(1) أصبح مني الشباب مبتكراً ... إن ينأ عني فقد ثوى عصرا
فارقنا قبل أن نفارقه ... لما قضى من جماعنا وطرا
أصبحت لا أملك السلاح ولا ... أملك رأس البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا

للربيع بن منيع، قاله حين بلغ مائة وأربعين عاماً، عاش بعده مائة وستين. والمبتكر: المسافر أول النهار، فهو تشبيه بليغ، ثم تسلى بقوله: إن ينأ، أي بعد عني فقد أقام عندي أزمنة طويلة، فارقنا، أي: ذهب عنا قبل أن نموت، فقوله: «نفارقه» مجاز عن ذلك، أو كناية عنه، أو مجاز عن البغض. والجماع: معناه الاجتماع والمصاحبة، والوطر: الحاجة، وهذا كله ترشيح للتشبيه أول الكلام، ولا يخفى ما في البيت من إبهام ما كان ينبغي الاحتراس منه، فإن قضاء الوطر من الجماع اشتهر استعماله في مقام الوطء، ثم قال: صرت لا أضبط السلاح بيدي ولا رأس البعير إن ند مني ولا أقدر عليهما. ويروى: لا أحمل السلاح، أي: لا أقدر على حمله، وأخشاه: أي أخافه، إن مررت به وحدي، وأخاف الرياح والمطر ولو مع غيري، وكل هذا كناية عن بلوغه غاية الضعف والهرم.

ينظر: أمالي المرتضى ١/ ٢٥٥؛ وحماسة البحتري ص ٢٠١؛ وخزانة الأدب ٧/ ٣٨٤؛ وشرح التصريح ٢/ ٣٦؛ والكتاب ١/ ٨٩؛ ولسان العرب ١٣/ ٢٥٩ (ضمن)؛ والمقاصد النحوية ٣/ ٣٩٨؛ وبلا نسبة في الرد على النحاة ص ١١٤؛ وشرح المفصل ٧/ ١٠٥؛ والمحتسب ٢/ ٩٩.

(2) لقد عظم البعير بغير لب ... فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بكل وجه ... ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى ... فلا غير لديه ولا نكير

لكثير عزة حين رآه عبد الملك بن مروان قصيراً حقيراً، فقال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. وقيل: للعباس بن مرداس. وقيل: لمعاوية بن مالك الكلابي، وعظم: ضخم وطال. واللب: =

ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]. وقرئ: «ركوبهم»، و«ركوبتهم». وهما ما يركب، كالحلوب والحلوبة. وقيل: الركوبة جمع. وقرئ: «ركوبهم»؛ أي ذو ركوبهم، أو فمن منافعها ركوبهم ﴿مَنَٰفِعُ﴾ من الجلود والأوبار والأصواف وغير ذلك ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من اللبن، ذكرها مجملة، وقد فصلها في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا . . .﴾ الآية [النحل: ٨٠]؛ والمشارب: جمع مشرب؛ وهو موضع الشرب، أو الشرب.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

اتخذوا الآلهة طمعاً في أن يتقوّوا بهم ويعتضوا بمكانهم، والأمر على عكس ما قدّروا حيث هم جند لآلهتهم معدّون ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ يخدمونهم ويذبون عنهم، ويغضبون لهم؛ والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر، أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم، والأمر على خلاف ما توهموا، حيث هم يوم القيامة جند معدّون لهم محضرون لعذابهم؛ لأنهم يجعلون وقوداً للنار. وقرئ: «فلا يحزنك» بفتح الياء وضمها، من: حزنه وأحزنه، والمعنى: فلا يهمنك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم، فإنا عالمون بما يسرون لك من عداوتهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وإنا مجازوهم عليه، فحقّ مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهمّ ولا يرهقه الحزن. فإن قلت: ما تقول فيمن يقول: إن قرأ قارىء: «أنا نعلم» بالفتح: انتقضت صلاته، وإن اعتقد ما يعطيه من المعنى: كفر؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون على حذف لام التعليل، وهو كثير في القرآن وفي الشعر، وفي كل كلام وقياس مطرد، وهذا معناه ومعنى الكسر سواء. وعليه تلبية رسول الله ﷺ: «إنّ الحمد والنعمة لك» (١٢٧٣)، كسر أبو

١٢٧٣ ـ أخرجه مالك (١/ ٣٣١): كتاب الحج: باب العمل في الإهلال، حديث (٢٨)، والبخاري (٣/ ٤٠٨): كتاب الحج، باب التلبية، حديث (١٥٤٩)، ومسلم (٢/ ٨٤١): كتاب الحج: باب التلبية وصفتها ووقتها، حديث (١٩/ ١١٨٤)، وأبو داود (٢/ ٤٠٤): كتاب المناسك: باب كيف التلبية، حديث (١٨١٢)، والترمذي (٣/ ١٨٧) كتاب الحج: باب ما جاء في التلبية، حديث (٨٢٥)، =

= العقل، وأتى بالظاهر موضع المضمر للتهويل في الطول والجسامة، بكل وجه: في كل جهة، والخسف: الذل. والجرير: حبل غير الزمام يربط به. والهراوي: جمع هراوة وهي العصا، وجمعها دلالة على كثرة الضرب. والغير ـ بالتحريك ـ الغيرة. والنكير: الإنكار، يعني أن العبرة بالألباب والعقول، لا بالغلظ والطول.

ينظر: ديوانه ص ٨٧٧، لسان العرب (هرا)، تاج العروس (هرا).

حنيفة وفتح الشافعي، وكلاهما تعليل. والثاني: أن يكون بدلاً من ﴿قَوْلُهُمْ﴾؛ كأنه قيل: فلا

= والنسائي (٥/ ١٦٠): كتاب الحج: باب كيف التلبية، وابن ماجه (٢/ ٩٧٤): كتاب المناسك: باب التلبية، حديث (٢٩١٨)، والشافعي (١/ ٣٠٣): كتاب الحج: الباب الرابع فيما يلزم المحرم عند تلبسه بالإحرام، حديث (٧٨٩)، وأحمد (٢/ ٤٨)، والطيالسي (١/ ٢١١): كتاب الحج والعمرة: باب ما جاء في التلبية وصفتها ومدتها، حديث (١٠١٥)، والدارمي (٢/ ٣٤): كتاب المناسك: باب في التلبية، وابن الجارود ص: (١٥٣): باب المناسك، حديث (٤٣٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار» (٢/ ١٢٤): كتاب مناسك الحج. باب التلبية كيف هي، والبيهقي (٥/ ٤٤): كتاب الحج: باب كيف التلبية، والحميدي (٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٢)، رقم (٦٦٠)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٨٧)، وابن خزيمة (٤/ ١٧١)، رقم (٢٦٢١، ٢٦٢٢) وابن حبان، رقم (٣٨٠٤ ـ الإحسان)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٩٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٧٢ ـ ٦/ ٤٥)، من طرق عن نافع، عن ابن عمر به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وأخرجه البخاري (١٠/ ٣٧٣) كتاب اللباس: باب التلبيد (٥٩١٥) ومسلم (٢/ ٨٤٢) كتاب الحج: باب التلبية وصفتها ووقتها حديث (٢١/ ١١٨٤) والنسائي (٥/ ١٥٩) كتاب الحج: باب كيف التلبية (٢٧٤٧) والبيهقي (٥/ ٤٤) من طريق الزهري عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر به.

وأخرجه أحمد (٢/ ٣، ٧٩) وأبو يعلى (١٠/ ٥٧) رقم (٥٦٩٢) والطبراني في «الصغير» (١٠ / ٥١ ـ ٥٢) من طرق عن بكر بن عبد الله المزني عن عبد الله بن عمر به.

وفي الباب عن عائشة وجابر وابن مسعود وأنس وعمرو بن معد يكرب وابن عباس.

ـ حديث عائشة:

أخرجه البخاري (٣/ ٤٧٨) كتاب الحج: باب التلبية حديث (١٥٥٠) وأحمد (٦/ ٣٢، ٢٣٠) والطحاوي في «شرح معاني الآثار (٢/ ١٢٤) والبيهقي (٥/ ٤٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٨) وأبو يعلى (٨/ ١٣٠ ـ ١٣١) رقم (٤٦٧١) من طريق الأعمش عن عمارة عن أبي عطية عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يلبي: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك...».

وأخرجه أحمد (٦/ ١٠٠) والطيالسي (١/ ٢١١ ـ مِنحة) رقم (١٠١٢) والبيهقي (٥/ ٤٤ ـ ٤٥) من طريق شعبة عن الأعمش سمعت خيثمة عن أبي عطية عنها.

وعلقه البخاري في «صحيحه (٣/ ٤٧٨) رقم (١٥٥٠) من هذا الطريق فقال: وقال شعبة أخبرنا سليمان ـ الأعمش ـ سمعت خيثمة عن أبي عطية سمعت عائشة رضي الله عنها.

ـ حديث جابر:

وهو حديثه الطويل في صفة حجة النبي ﷺ وقد تقدم تخريجه.

ـ حديث ابن مسعود:

أخرجه أحمد (١/ ٤١٠) والنسائي (٥/ ١٦١) كتاب الحج: باب التلبية والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ١٢٤) وأبو يعلى (٨/ ٤٤٠ ـ ٤٤١) حديث (٥٠٢٧) من طريق حماد بن زيد ثنا أبان بن تغلب عن أبي إسحق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك.

ـ حديث أنس:

أخرجه أبو يعلى (٥/ ١٥٥ ـ ١٥٦) رقم (٢٧٦٨) من طريق إسماعيل بن مسلم المكي عن الحسن =

يحزنك، أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون. وهذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها

= وقتادة عن أنس أن النبي ﷺ كان يلبي: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٢٦): رواه أبو يعلى من رواية عبد الله بن نمير عن إسماعيل ولم ينسبه فإن كان ابن أبي خالد وهو من رجال الصحيح وإن كان إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر وهو ضعيف وكلاهما روى عنه».

والحديث في «المطالب العالية (١٢٠١) وعزاه ابن حجر إلى أبي يعلى.

ـ حديث عمرو بن معد يكرب:

أخرجه البزار (٢ / ١٤ ـ كشف) رقم (١٠٩٣) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ١٢٤) من طريق شرقي بن قطامي عن شراحيل بن القعقاع قال: ثنى أبو طلق العانذي قال سمعت عمرو بن معدي كرب يقول: لقد رأيتنا في الجاهلية ونحن إذا حججنا البيت نقول [من الرجز]:

هـذي زبـيـد قـد أتـتـك قـسـرا ... تـعـدو بـهـا مـضـمـرات شـزرا

يـقـطـعـن خـبـتـاً وجـبـالاً وعـرا ... قـد تـركـوا الأصـنـام خـلـواً صـفـرا

قال: ونحن اليوم نقول كما علمنا رسول الله ﷺ: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

وقال البزار: إسناده ليس بالثابت وإنما يحتمل إذا لم نعرف غيره وقد أسلم عمرو في زمن النبي ﷺ ولم يحدث إلاَّ بهذا.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٢٦)، وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير والصغير والأوسط.. وفيه شرقي بن قطامي وهو ضعيف وقال البزار: إسناده ليس بثابت.

ـ حديث ابن عباس:

أخرجه أحمد (١/ ٣٠٢) من طريق شريك عن أبي إسحق عن الضحاك عن ابن عباس قال: كانت تلبية النبي ﷺ لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك..

ذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٥٥) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات والضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس. وقال العلائي في «جامع التحصيل.. (ص ـ ١٩٩ ـ ٢٠٠): الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير كان شعبة ينكر أن يكون لقي ابن عباس وروى عن يونس بن عبيد أنه قال: ما رأى ابن عباس قط وعن عبد الملك بن ميسرة أنه لم يلقه إنما لقي سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير وروى شعبة أيضاً عن مشاش أنه قال: سألت الضحاك لقيت ابن عباس؛ قال: لا وقال الأثرم سمعت أحمد بن حنبل يسأل الضحاك لقي ابن عباس؟ قال: ما علمت قيل فمن سمع التفسير؟ قال: يقولون سمعه من سعيد بن جبير قيل له فلقي ابن عمر؟ فقال أبو سنان يروي شيئاً ما يصح عندي. أ.هـ.

وللحديث طريق آخر عن ابن عباس

أخرجه البزار (٢ / ١٣ ـ كشف) رقم (١٠٨٩) من طريق أبي كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: كانت تلبية موسى ﷺ لبيك عبدك وابن عبديك وكانت تلبية عيسى ﷺ لبيك عبدك وابن أمتك وكانت تلبية النبي ﷺ لبيك لا شريك لك لبيك.

قال البزار: لا نعلمه عن ابن عباس إلاَّ من هذا الوجه ولا رواه عن عطاء إلاَّ أبو كدينة. =

مفعولة للقول، فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالماً وعدم تعلقه لا يدوران على كسر «إن» وفتحها، وإنما يدوران على تقديرك، فتفصل إنْ فتحت؛ بأن تقدّر معنى التعليل ولا تقدّر البدل؛ كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدّر معنى المفعولية، ثم إن قدّرته كاسراً أو فاتحاً على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل، فما فيه إلا نهي رسول الله ﷺ عن الحزن على كون الله عالماً بسرهم وعلانيتهم، وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئاً، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦]، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧]، ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص: ٨٨].

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

قبح الله عزّ وجلّ إنكارهم البعث تقبيحاً لا ترى أعجب منه وأبلغ، وأدلَّ على تمادي كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي، وتوغله في الخسّة وتغلغله في القِحَة[1]؛ حيث قرره بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخسّ شيء وأمهنه، وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل٢/ ١٢٥أ الذي هو قناة النجاسة، ثم عجب من حاله بأن يتصدّى مثله على مهانة أصله ودناءة أوّله لمخاصمة الجبار، وشرز صفحته[2] لمجادلته، ويركب متن الباطل ويلج، ويمحك ويقول: من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمَّت عظامه، ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به، وهو كونه منشأ من موات، وهو ينكر إنشاءه من موات، وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها، وروي: أن جماعة من كفار

= وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٢٥): رواه البزار وفيه عطاء ابن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط وبقية رجاله رجال الصحيح.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: متفق عليه من حديث ابن عمر في أثناء حديث انتهى.

(١) قوله: «وتغلغله في القحة» في الصحاح: وقح الرجل قحة ووقاحة، إذا صار قليل الحياء. (ع).
(٢) قوله: «وشرز صفحته... إلخ» في الصحاح «الشرز» الشرس، وهو الغلظ. والمحك: اللجاج. (ع).

قريش منهم أبيّ بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاصي بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك، فقال لهم أبيّ: ألا ترون إلى ما يقول محمد، إنّ الله يبعث الأموات، ثم قال: واللات والعزّى لأصيرنّ إليه ولأخصمنه، وأخذ عظماً بالياً فجعل يفته بيده وهو يقول: يا محمد، أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رمّ؟! قال ﷺ: «نعم، ويبعثك ويدخلك جهنم» (١٢٧٤) وقيل: معنى قوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ فإذا هو بعد ما كان ماء مهيناً رجل مميز منطبق قادر على الخصام، مبين: معرب عما في نفسه فصيح، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝١٨﴾ [الزخرف: ١٨]. فإن قلت: لم سمى قوله: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ مثلاً؟ قلت: لما دلّ عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل، وهي إنكار قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، أو لما فيه من التشبيه، لأن ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه، بدليل النشأة الأولى، فإذا قيل: من يحيي العظام على طريق الإنكار لأن يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادراً عليه، كان تعجيزاً لله وتشبيهاً له بخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه. والرميم: اسم لما بلي من العظام غير صفة، كالرمة والرفات، فلا يقال: لم لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث؟ ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول، ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام، ويقول: إن عظام الميتة نجسة؛ لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها. وأما أصحاب أبي

١٢٧٤ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٦٧)، حديث (١٠٧٩): غريب بهذا اللفظ. وعزاه للثعلبي عن قتادة.

وأخرجه ابن جرير الطبري (١٠/ ٤٦٤)، حديث (٢٩٢٤٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٩) في التفسير: تفسير سورة يس.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٠٧) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في المعجم وابن مردويه، والبيهقي في البعث، والضياء في المختارة، عن ابن عباس. لكن وجدته في الطبري عن سعيد بن جبير.

وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٨)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن المنذر والبيقهي. عن أبي مالك: جاء أبي بن خلف.

وأخرج الطبري (١٠/ ٤٦٤ جامع البيان)، حديث (٢٩٢٤٤) عن ابن عباس، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٠٧)، وعزاه لابن جرير وابن مردوية عن ابن عباس: جاء عبد الله بن أبي.

وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٨)، وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس، قال: نزلت في أبي جهل ابن هشام.

قال الحافظ: هكذا ذكره الثعلبي عن قتادة بغير سند، وأخرجه الحاكم من رواية أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس، وأن العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء، ففتته بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي الله هذا بعد مارم؟ فقال: نعم، يميتك الله ـ الحديث، وروى البيهقي في الشعب من طريق حصين عن أبي مالك. قال: جاء أبي بن خلف بعظم نخر ـ الحديث، وروى ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: «جاء أبو جهل بعظم حائل»، انتهى.

حنيفة فهي عندهم طاهرة، وكذلك الشعب والعصب، ويزعمون أنّ الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت، ويقولون: المراد بإحياء العظام في الآية ردّها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حيّ حساس ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم كيف يخلق، لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها وأنواعها وجلائلها ودقائقها. ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر، مع مضادة النار الماء وانطفائها به؛ وهي الزناد التي تورى بها الأعراض وأكثرها من المَرخ والعَفار، وفي أمثالهم: «في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار»، يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان، يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر، على العفار وهي أنثى فتنقدح النار بإذن الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا العناب (١٢٧٥). قالوا: ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين. قرئ: «الأخضر» على اللفظ، وقرئ: «الخضراء» على المعنى، ونحوه قوله تعالى: ﴿مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٤]. من قدر على خلق السمٰوات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسي أقدر، وفي معناه قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]. وقرئ: «يقدر». وقوله: ﴿أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ يحتمل معنيين: أن يخلق مثلهم في الصغر والقماءة[1] بالإضافة إلى السمٰوات والأرض أو أن يعيدهم؛ لأن المعاد مثل للمبتدأ وليس به ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ الكثير المخلوقات ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ الكثير المعلومات. وقرئ: «الخالق» ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾: إنما شأنه ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ إذا دعاه داعي حكمة إلى تكوينه ولا صارف ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾ أن يكونه من غير توقف ﴿فَيَكُونُ﴾ فيحدث، أي: فهو كائن موجود لا محالة. فإن قلت: ما حقيقة قوله: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾؟ قلت: هو مجاز من الكلام وتمثيل؛ لأنه لا يمتنع عليه شيء من المكونات، وأنه بمنزلة المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع. فإن قلت: فما وجه القراءتين في «فيكون»؟ قلت: أما الرفع فلأنها جملة من مبتدأ وخبر؛ لأن تقديرها: فهو يكون، معطوفة على مثلها، وهي أمره أن يقول له: كن. وأما النصب فللعطف على «يقول»، والمعنى: أنه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الأجسام إذا فعلت شيئاً مما تقدر عليه، من المباشرة بمحال القدرة، واستعمال الآلات، وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب، إنما أمره وهو القادر العالم لذاته أن يخلص داعيه إلى الفعل، فيتكون؛ فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز

١٢٧٥ ـ ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/١٦٨)، حديث (١٠٨٠) وقال الحافظ: لم أجده.

---

(١) قوله: «والقماءة» الصغر والذِّلّة. أفاده الصحاح. (ع).

عن الإعادة؟! ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ تنزيه له مما وصفه به المشركون، وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته. وقرئ: «ملكة/ ٢/ ١٢٥ب كل شيء» و«ملك كل شيء». والمعنى واحد ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتحها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كنت لا أعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك، فإذا أنه لهذه الآية.

قال رسول الله ﷺ: «إنّ لكل شيء قلباً، وإن قلب القرآن يس، من قرأ يس يريد بها وجه الله، غفر الله تعالى له، وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة، وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس، نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له، ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه، وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت، لم يقبض ملك الموت روحه حتى يحييه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه، فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان، ويمكث في قبره وهو ريان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان» (١٢٧٦). وقال عليه الصلاة والسلام: «إن في القرآن سورة تشفع لقارئها، ويغفر لمستمعها؛ ألا وهي سورة يس» (١٢٧٧).

١٢٧٦ ـ أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٨٧)، حديث (٦٦١)، عن أبي بن كعب، وذكره الزيلعي (٣/ ١٧١)، حديث (١٠٨٠)، وزاد نسبته إلى ابن مردويه، والثعلبي عن أبي بن كعب.
وأخرجه البزار، حديث (٢٣٠٤) من حديث أبي هريرة: «إن لكل شيء قلباً، وفي الباب عن أبي بكر، لكن لا يصح»، قال الحافظ بن حجر:
أخرجه ابن مردويه والثعلبي من حديث أبي بن كعب، وأوله في الترمذي من رواية هرون أبي محمد عن مقاتل بن حيان عن قتادة عن أنس، وقال: غريب. وهرون مجهول، وفي الباب عن أبي بكر وأبي هريرة. فأما حديث أبي هريرة، فأخرجه البزار وفيه حميد المكي مولى آل علقمة. وهو ضعيف. وحديث أبي بكر: أخرجه الحكيم الترمذي، انتهى.

١٢٧٧ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٧١)، وعزاه للثعلبي قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من طريق محمد بن عمير عن هشام عن أبيه عن عائشة، انتهى.

سورة الصافات

مكية، وهي مائة وإحدى وثمانون آية، وقيل: واثنتان وثمانون [نزلت بعد الأنعام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥)﴾

أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة، من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥)﴾ [الصافات: ١٦٥] أو أجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لأمر الله ﴿فَالزَّاجِرَاتِ﴾ السحاب سوقاً ﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾ لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها. وقيل: ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾: الطير، من قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ [النور: ٤١] والزاجرات: كل ما زجر عن معاصي الله. والتاليات: كل من تلا كتاب الله. ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات، فالزجرات بالمواعظ والنصائح، فالتاليات آيات الله والدراسات شرائعه أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد، وتتلو الذكر[1] مع ذلك لا تشغلها عنه تلك

---

(١) قال محمود: «المقسم به طوائف الملائكة أو نفوسهم، والمراد صفهم في الصلاة وزجرهم السحاب أي سوقهم وتلاوتهم ذكر الله أو العلماء، والمراد تصافف أقدامهم في الصلاة وزجرهم بالمواعظ عن المعاصي وتلاوتهم الذكر... إلى أن قال:... «ويكون التفاضل بين الطوائف إما على أن الأول هو الأفضل أو على العكس» قال أحمد: قد جوز أن يكون ترتيبها في التفاضل على أن الأول وهو الأفضل وعلى العكس، ولم يبين وجه كل واحد منهما من حيث صنعة البديع، ونحن نبينه فنقول: وجه البداءة بالأفضل الاعتناء بالأهم. فقدم؛ ووجه عكس هذا الترقي من الأدنى إلى الأعلى؛ ومنه قوله [من الطويل]:

بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... علي ومنهم أحمد المتخير

ولا يقال: إن هذا إنما ساغ لأن الواو لا تقتضي رتبة، فإن هذا غايته أنه عذر، وما ذكرناه بيان لما فيه من مقتضى البديع والبلاغة؛ وفي هذه الآية دلالة على مذهب سيبويه والخليل في مثل (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) فإنهما يقولان: الواو الثانية وما بعدها عواطف، وغيرهما يذهب إلى =

الشواغل؛ كما يحكى عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. فإن قلت: ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات؟ قلت: إما أن تدلّ على ترتب معانيها في الوجود؛ كقوله [من السريع]:

يَا لَهْفَ زَيَّابة لِلْحَارِثِ الصَّابِحِ فَالغَانِمِ فالآيِبِ(١)

كأنه قيل: الذي صبح فغنم فآب. وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه؛ كقولك: خذ الأفضل فالأكمل، واعمل الأحسن فالأجمل. وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك؛ كقوله: رحم الله المحلقين فالمقصرين؛ فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات، فإن قلت: فعلى أي هذه القوانين هي فيما أنت بصدده؟ قلت: إن وحدت الموصوف، كانت للدلالة على أن ترتب الصفات في التفاضل، وإن ثلثته، فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه، بيان ذلك: أنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها، فعطفها بالفاء يفيد ترتباً لها في الفضل: إما إن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة وإما على العكس، وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة. وإن أجريت الصفة الأولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر، فقد أفادت ترتب الموصوفات في الفضل، أعني: أن الطوائف الصافات ذوات فضل، والزاجرات أفضل، والتاليات أبهر فضلاً، أو على العكس، وكذلك إذا أردت بالصافات: الطير، وبالزاجرات: كل ما يزجر عن معصية، وبالتاليات: كل نفس تتلو الذكر؛ فإن الموصوفات مختلفة. وقرئ: بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال. ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف. و ﴿ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ ثلثمائة وستون مشرقاً، وكذلك المغارب؛ تشرق الشمس كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب، ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين. فإن قلت: فماذا أراد بقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرحمٰن: ١٧]؟ قلت: أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾

﴿ٱلدُّنْيَا﴾ القربى منكم. والزينة: مصدر كالنسبة، واسم لما يزان به الشيء؛ كالليقة اسم لما تلاق به الدواة، ويحتملهما قوله: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ فإن أردت المصدر، فعلى إضافته إلى الفاعل، أي: بأن زانتها الكواكب، وأصله/ ٢/ ١٢٦أ: بزينة الكواكب، أو على

= أنها حروف قسم؛ فوقوع الفاء في هذه الآية موقع الواو والمعنى واحد؛ إلاّ أن ما تزيده الفاء من ترتيبها دليل واضح على أن الواو الواقعة في مثل هذا السياق للعطف لا للقسم.

(١) تقدم.

إضافته إلى المفعول، أي: بأن زان الله الكواكب وحسنها؛ لأنها إنما زينت السماء لحسنها في أنفسها، وأصله ﴿بِزِينَةِ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ وهي قراءة أبي بكر والأعمش وابن وثاب. وإن أردت الاسم فللإضافة وجهان: أن تقع الكواكب بياناً للزينة؛ لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به، وأن يراد ما زينت به الكواكب. وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: بزينة الكواكب: بضوء الكواكب، ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة؛ كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء، وغير ذلك، ومطالعها ومسايرها. وقرئ على هذا المعنى: «بزينة الكواكب» بتنوين زينة، وجرّ الكواكب على الإبدال، ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلاً من محل بزينة ﴿وَحِفْظًا﴾ مما حمل على المعنى؛ لأنّ المعنى: إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً من الشياطين؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] ويجوز أن يقدر الفعل المعلل؛ كأنه قيل: وحفظاً ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ﴾ زيناها بالكواكب، وقيل: وحفظناها حفظاً. والمارد: الخارج من الطاعة المتملس(1) منها.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾

الضمير في «لا يسمعون» لكل شيطان، لأنه في معنى الشياطين. وقرئ بالتخفيف والتشديد، وأصله: يتسمعون. والتسمُّع: تطلب السماع. يقال: تسمع فسمع، أو فلم يسمع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم يتسمعون ولا يسمعون (١٢٧٨)، وبهذا ينصر التخفيف على التشديد. فإن قلت: لا يسمعون كيف اتصل بما قبله؟ قلت: لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان، أو استئنافاً فلا تصحّ الصفة؛ لأنّ الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له، وكذلك الاستئناف؛ لأنّ سائلاً لو سأل: لم تحفظ من الشياطين؟ فأجيب بأنهم لا يسمعون: لم يستقم، فبقي أن يكون كلاماً منقطعاً مبتدأ اقتصاصاً، لما عليه حال المسترقة للسمع(2)، وأنهم لا يقدرون أن

١٢٧٨ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥١١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس قال: إنهم كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون!!

---

(١) قوله: «من الطاعة المتملس منها» في الصحاح: يقال: انملس من الأمر، إذا أفلت منه. (ع).

(٢) أبطل الزمخشري أن يكون (لا يسمعون) صفة؛ لأن الحفظ من شيطان لا يسمع لا معنى له، وأبطل أن يكون أصله لئلا يسمعوا، فحذف اللام وحذفها كثير، ثم حذف أن وأهدر عملها مثل [من الطويل]:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ... وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي؟ =

يسمعوا إلى كلام الملائكة، أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك، إلا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة؛ فعندها تعاجله الهلكة بإتباع الشهاب الثاقب. فإن قلت: هل يصحّ قول من زعم أن أصله: لئلا يسمعوا فحذفت اللام؛ كما حذفت في قولك: جئتك أن تكرمني، فبقي ألاَّ يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها، كما في قول القائل [من الطويل]:

أَلاَ أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرُ الْوَغَى(1) .... ؟

قلت: كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده، فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات، على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب. فإن قلت: أي فرق بين سمعت فلاناً يتحدّث، وسمعت إليه يتحدّث، وسمعت حديثه، وإلى حديثه؟ قلت: المعدى بنفسه يفيد الإدراك، والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك و«الملأ الأعلى»: الملائكة (١٢٧٩)؛ لأنهم يسكنون السماوات، والإنس والجن: هم الملأ الأسفل؛ لأنهم سكان الأرض. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم الكتبة من الملائكة. وعنه: أشراف الملائكة ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ من جميع جوانب السماء من أي جهة صعدوا للاستراق ﴿دُحُورًا﴾

١٢٧٩ ـ ذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥١١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي في قوله لا يسمعون إلى الملأ الأعلى: قال الملائكة.

= واستبعد اجتماع هذين الحذفين، وإن كان كل واحد منهما بانفراده سائغاً، ولما أبطل هذين الوجهين تعين عنده أن يكون ابتداء كلام اقتصاصاً لما عليه أحوال المسترقة للسمع، قال أحمد: كلا الوجهين مستقيم، والجواب عن إشكاله الوارد على الوجه الأول: أن عدم سماع الشيطان سببه الحفظ منه، فحال الشيطان حال كونه محفوظاً منه هي حال كونه لا يسمع، وإحدى الحالين لازمة للأخرى، فلا مانع أن يجتمع الحفظ منه، وكونه موصوفاً بعدم السماع في حالة واحدة لا على أن عدم السماع ثابت قبل الحفظ بل معه وقسيمه، ونظير هذه الآية على هذا التقدير قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فقوله تعالى «مسخرات» حال مما تقدمه العامل فيه الفعل الذي هو سخر. ومعناه مستقيم؛ لأن تسخيرها يستلزم كونها مسخرة، فالحال التي سخرت فيها هي الحال التي كانت فيها مسخرة، لا على معنى تسخيرها مع كونها مسخرة قبل ذلك، وما أشار له الزمخشري في هذه الآية قريب من هذا التفسير؛ إلاَّ أنه ذكر معه تأويلاً آخر كالمستشكل لهذا الوجه، فجعل مسخرات جمع مسخر مصدر كممزق، وجعل المعنى: وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر أنواعاً من التسخير، وفيما ذكرناه كفاية، ومن هذا النمط (ثم أرسلنا رسلنا) وهم ما كانوا رسلاً إلا بالإرسال، وهؤلاء ما كانوا لا يسمعون إلاَّ بالحفظ، وأما الجواب عن إشكاله الثاني فورود حذفين في مثل قوله تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) وأصله لئلا تضلوا، فحذف اللام و«لا» جميعاً من محليهما.

(١) تقدم.

مفعول له؛ أي: ويقذفون للدحور وهو الطرد، أو مدحورين على الحال، أو لأنّ القذف والطرد متقاربان في المعنى؛ فكأنه قيل: يدحرون أو قذفاً. وقرأ أبو عبد الرحمٰن السلمي بفتح الدال على: قذفاً دحوراً طروداً، أو على أنه قد جاء مجيء القبول والولوع. والواصب: الدائم، وصب الأمر وصوباً، يعني أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب، وقد أعدّ لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ﴿مَنْ﴾ في محل الرفع بدل من الواو في «لا يسمعون» أي: لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي ﴿خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ وقرئ: «خطف» بكسر الخاء والطاء وتشديدها، و«خطف» بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها، أصلها: اختطف. وقرئ: «فأتبعه» و«فاتبعه».

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾

الهمزة وإن خرجت إلى معنى التقرير، فهي بمعنى الاستفهام في أصلها، فلذلك قيل: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ أي: استخبرهم ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ ولم يقل: فقرّرهم، والضمير لمشركي مكة. قيل: نزلت في أبي الأشد بن كلدة، وكني بذلك لشدّة بطشه وقوّته ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يريد: ما ذكر من خلائقه: من الملائكة، والسمٰوات والأرض، والمشارق، والكواكب، والشهب الثواقب، والشياطين المردة، وغلّب أولي العقل على غيرهم، فقال: «من خلقنا»، والدليل عليه قوله بعد عدّ هذه الأشياء: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ بالفاء المعقبة. وقوله: ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ مطلقاً من غير تقييد بالبيان، اكتفاء ببيان ما تقدّمه، كأنه قال: خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه، فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم الذي خلقناه من ذلك، ويقطع به قراءة من قرأ: «أم من عددنا» بالتخفيف والتشديد. و «أشدّ خلقاً» يحتمل أقوى خلقاً من قولهم: شديد/ ٢/١٢٦ب الخلق، وفي خلقه شدّة، وأصعب خلقاً وأشقّه، على معنى الردّ لإنكارهم البعث والنشأة الأخرى، وأنّ من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها ـ كان خلق البشر عليه أهون. وخلقهم ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ إما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة؛ لأنّ ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوّة، أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب، فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله، حيث قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ [الرعد: ٥]. وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث. وقيل: من خلقنا من الأمم الماضية، وليس هذا القول بملائم. وقرئ: «لازب» و «لاتب» والمعنى واحد، والثاقب: الشديد الإضاءة.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

«بل عجبت» من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾ منك ومن

تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله، أو من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء: أي: بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي أني عجبت منها، فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي، أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله، وهم يسخرون ممن يصف الله تعالى بالقدرة عليه. فإن قلت: كيف يجوز العجب على الله تعالى، وإنما هو روعة تعتري الإنسان عند استعظامه الشيء، والله تعالى لا يجوز عليه الروعة؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يجرد العجب لمعنى الاستعظام، والثاني: أن يُتخيل العجب ويفرض. وقد جاء في الحديث: «عجب ربكم من ألكم[1] وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم» (١٢٨٠). وكان شريح يقرأ بالفتح، ويقول: إنّ الله لا يعجب من شيء، وإنما يعجب من لا يعلم، فقال إبراهيم النخعي: إنّ شريحاً كان يعجبه علمه وعبد الله أعلم، يريد عبد الله بن مسعود (١٢٨١)، وكان يقرأ بالضم. وقيل: معناه: قل: يا محمد بل عجبت. ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون به ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً﴾ من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يبالغون في السخرية، أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ معطوف على محل ﴿إِنَّ﴾ واسمها، أو على الضمير في «مبعوثون»، والذي جوّز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام. والمعنى: أيبعث أيضاً آباؤنا على زيادة الاستبعاد؛ يعنون أنهم أقدم، فبعثهم أبعد وأبطل. وقرئ: «أو آباؤنا» ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ وقرئ: «نعم» بكسر العين وهما لغتان. وقرئ: «قال نعم» أي: الله تعالى أو الرسول ﷺ. والمعنى: نعم تبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ صاغرون ﴿فَإِنَّمَا﴾ جواب شرط مقدّر تقديره: إذا كان ذلك فما ﴿هِيَ﴾ إلا ﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ وهي لا ترجع إلى شيء، إنما هي مبهمة موضحها خبرها.

١٢٨٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٧٥)، حديث (١٠٧٣): غريب قال الحافظ: أخرجه أبو عبيد في الغريب عن محمد بن عمرو يرفعه، ثم قال: فقال: الأول رفع الصوت بالدعاء، وقال بعضهم: يرويه الأول، وهو الشدة، انتهى.

١٢٨١ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥١٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وأبو عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق الأعمش عن شقيق بن سلمة عن شريح، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٤٨).

---

(١) قوله: «من ألكم وقنوطكم» الأل: يأتي بمعنى السرعة والأنين والفساد. أفاده الصحاح. (ع).

ويجوز: فإنما البعثة زجرة واحدة[1] وهي النفخة الثانية. والزجرة: الصيحة، من قولك: زجر الراعي الإبل أو الغنم: إذا صاح عليها فريعت لصوته. ومنه قوله [من المنسرح]:

زَجْـرَ أَبِـي عُـرْوَةَ السِّـبَـاعَ إِذَا ... أَشْـفَـقَ أَنْ يَـخْـتَـلِطْـنَ بِـالْـغَـنَـمِ[2]

يريد تصويته بها ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أحياء بصراء ﴿يَنظُرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١)﴾

يحتمل أن يكون ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿احشروا﴾ من كلام الكفرة بعضهم مع بعض، وأن يكون من كلام الملائكة لهم، وأن يكون ﴿يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ كلام الكفرة. و ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ من كلام الملائكة جواباً لهم. ويوم الدين: اليوم الذي ندان فيه، أي: نجازى بأعمالنا. ويوم الفصل: يوم القضاء، والفرق بين فرق الهدى والضلالة.

﴿۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)﴾

﴿احْشُرُوا﴾ خطاب الله للملائكة، أو خطاب بعضهم مع بعض ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ وضرباءهم عن النبي ﷺ، وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة: أهل الزنا مع أهل الزنا، وأهل السرقة مع أهل السرقة. وقيل: قرناؤهم من الشياطين. وقيل: نساؤهم اللاتي على دينهم ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾ فعرّفوهم طريق النار حتى يسلكوها؛ هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز. عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)﴾ قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز، فكلهم مستسلم غير منتصر. وقرئ: «لا تتناصرون» و«لا تناصرون»، بالإدغام.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وكثيراً ما يقول هو وابن مالك: إنّ الضميرَ يُفَسِّرُهُ خَبَرُهُ. وَوَقَفَ أبو حاتم على «وَيْلَنَا» وجعل ما بعده من قَوْلِ الباريء تعالى وبعضهم جعل «هَذَا يَوْمُ الدِّينِ» من كلام الكَفَرَةِ فيقفُ عليه. وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ من قول الباريءِ تعالى، وقيل: الجميع من كلامهم وعلى هذا فيكون قوله: «تُكَذِّبونَ» إمَّا التفاتاً من التكلُّم إلى الخطاب وإمَّا مخاطبةَ بعضهم لبعض. انتهى. الدر المصون.

(٢) للنابغة الجعدي. وأبو عروة: كنية العباس عم النبي ﷺ، كانوا يزعمون أنه يصيح بالسباع فينفق مرارة الأسد في جوفه، وروي أن غارة أتتهم يوم حنين فصاح: يا صباحاه فأسقطت الحوامل، وكان يسمع صوته من مسافة ثمانية أميال، وزجره يزجره، إذا صاح بمنعه، أي: كزجر أبي عروة السباع عن الغنم إذا خاف اختلاطهن بها في البادية.
ينظر: ديوان (ص ١٥٨)، لسان العرب (عرا)، تهذيب اللغة (٣/ ١٦٢).

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما، وكانوا يتيمنون بها، فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون، ويزاولون أكثر الأمور، ويتشاءمون بالشمال، ولذلك سموها: الشؤمى، كما سموا أختها اليمنى، وتيمنوا بالسانح[1]، وتطيروا/ ٢/ ١٢٧أ بالبارح، وكان الأعسر معيباً عندهم، وعضدت الشريعة ذلك، فأمرت بمباشرة أفاضل الأمور باليمين، وأراذلها بالشمال، وكان رسول الله ﷺ يحب التيامن في كل شيء (١٢٨٢). وجعلت اليمين لكاتب الحسنات، والشمال لكاتب السيئات، ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه، والمسيء أن يؤتاه بشماله، استعيرت لجهة الخير وجانبه، فقيل: أتاه عن اليمين، أي: من قبل الخير وناحيته، فصدّه عنه وأضلّه. وجاء في بعض التفاسير: «من أتاه الشيطان من جهة اليمين، أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق، ومن أتاه من جهة الشمال، أتاه من قبل الشهوات، ومن أتاه من بين يديه، أتاه من قبل التكذيب بالقيامة

١٢٨٢ ـ أخرجه البخاري (١/ ٣٢٣) كتاب الوضوء: باب التيمن في الوضوء والغسل حديث (١٦٧) وفي (١/ ٦٢٣) كتاب الصلاة: باب التيمن في دخول المسجد وغيره حديث (٤٢٦) وكتاب الأطعمة: باب التيمن في الأكل وغيره حديث (٥٣٨٠) وكتاب اللباس: باب يبدأ بالنعل اليمنى حديث (٥٨٥٤) وباب الترجيل والتيمن فيه حديث (٥٩٢٦) ومسلم (١/ ٢٢٦) كتاب الطهارة: باب التيمن في الطهور وغيره حديث (٦٧/ ٢٦٨) وأبو داود (٢/ ٤٦٨) كتاب اللباس: باب في الانتعال حديث (٤١٤٠) والترمذي (٢/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦) كتاب الصلاة: باب ما يستحب من التيمن في الطهور حديث (٦٠٨) وفي «الشمائل المحمدية» رقم (٣٤) والنسائي (١/ ٧٨) كتاب الطهارة: باب بأي الرجلين يبدأ بالغسل حديث (١١٢) وفي (١/ ٢٠٥) كتاب الغسل والتيمم: باب التيمن في الطهور حديث (٤٢١) وفي (٨/ ١٨٥) كتاب الزينة: باب التيامن في الترجل حديث (٥٢٤٠) وابن ماجه (١/ ١٤١) كتاب الطهارة: باب التيمن في الوضوء حديث (٤٠١) وأحمد (٦/ ٩٤، ١٣٠، ١٤٧، ١٧٨، ١٨٨، ٢٠٢، ٢١٠) وأبو عوانة (١/ ٢٢٢) والطيالسي (١٤١٠) وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص ٢٦١) وابن حبان (٥٤٥٦) والبغوى في «شرح السنة» (١/ ٣١٠ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق الأشعث بن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها أتم من هذا انتهى.

---

(١) قوله: «وتيمنوا بالسانح» السانح: المار من اليسار إلى اليمين. والبارح عكسه. أفاده الصحاح. (ع).

وبالثواب والعقاب، ومن أتاه من خلفه، خوّفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده؛ فلم يصل رحماً ولم يؤد زكاة». فإن قلت: قولهم: أتاه من جهة الخير وناحيته، مجاز في نفسه، فكيف جعلت اليمين مجازاً عن المجاز؟ قلت: من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق، وهذا من ذاك؛ ولك أن تجعلها مستعارة للقوّة والقهر؛ لأنّ اليمين موصوفة بالقوة، وبها يقع البطش. والمعنى: أنكم كنتم تأتوننا عن القوّة والقهر، وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه؛ وهذا من خطاب الأتباع لرؤسائهم، والغواة لشياطينهم ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ بل أبيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه، مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر، غير ملجئين إليه ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم﴾ من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا﴾ مختارين الطغيان ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ فلزمنا ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ يعني: وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة، لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة، ولو حكى الوعيد كما هو، ألا لقال: إنكم لذائقون، ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم؛ لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم. ونحوه قول القائل [من الوافر]:

أَلاَ زَعَـمَـتْ هَـوَازِنُ قَـلَّ مَـالِـي .... (1)

ولو حكى قولها لقال: قل مالك، ومنه قول المحلف للحالف: احلف لأخرجنّ، ولتخرجنّ؛ الهمزة لحكاية لفظ الحالف، والتاء لإقبال المحلف على المحلف ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ فدعوناكم إلى الغي دعوة محصلة للبغية، لقبولكم لها واستحبابكم الغيّ على الرشد ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ فإن الأتباع والمتبوعين جميعاً ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة مشتركون في العذاب؛ كما كانوا مشتركين في الغواية ﴿إِنَّا﴾ مثل ذلك الفعل ﴿نَفْعَلُ﴾ بكل مجرم، يعني أنّ سبب العقوبة هو الإجرام، فمن ارتكبه استوجبها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا﴾ سمعوا بكلمة التوحيد، نفروا و استكبروا عنها وأبوا إلا الشرك.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ (٣٦) بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ

---

(1) ألا زعـمـت هـوازن قـل مـالـي ... وهـل لـي غـيـر مـا أنـفـقـت مـال؟
أسـر بـه نـعـم ونـعـم قـديـمـاً ... عـلـى مـا كـان مـن مـال وبـال

ألا استفتاحية، وهوزان: امرأته، وضمَّن زعمت معنى قالت: فعداه إلى الجملة، ولو حكى قولها بلفظه لقال: قل مالك، ولكن جاء بياء المتكلم لجواز الحكاية بالمعنى، وهل: استفهام إنكاري، وغير: حال مقدمة، أي: ليس لي مال غير ما أنفقته في المكارم، وأسر به. مبني للمجهول صفة لمال، أي: لا يسرني غير ما أنفقته، وبين جهة الإنفاق بقوله: نعم ونعم، أي جوابي للسائلين بذلك من قديم الزمان: هو وبال ومضرة على ما كان لي من مال، ويجوز أن أسر مبني للفاعل. ونعم الأولى مفعوله، أي: هل لي مال أسر به من يجاب بنعم، والحال أن نعم وبال على المال، ومهلكة له قديماً، حيث أجيب السائل بها.

﴿لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ رد على المشركين ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ كقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، وقرئ: «لذائقو العذاب»، بالنصب على تقدير النون؛ كقوله [من المتقارب]:

.... وَلاَ ذَاكِرَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلا(١)

بتقدير التنوين. وقرئ: على الأصل «لذائقون العذاب» ﴿إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إلا مثل ما عملتم جزاء سيئاً بعمل سيىء.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ ولكن عباد الله، على الاستثناء المنقطع. فسر الرزق المعلوم بالفواكه؛ وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوّت لحفظ الصحة؛ يعني أن رزقهم كله فواكه؛ لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات، بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد، فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ، ويجوز أن يراد: رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها: من طيب طعم، ورائحة، ولذة، وحسن منظر. وقيل: معلوم الوقت، كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] وعن قتادة: الرزق المعلوم الجنة، وقوله ﴿فِى جَنَّٰتِ﴾ يأباه، وقوله: ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ هو الذي يقوله وعن العلماء في حدّ الثواب على سبيل المدح والتعظيم، وهو من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس ذوي الهمم، كما أنّ من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم.

التقابل أتم للسرور وآنس. وقيل: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

ويقال للزجاجة فيها الخمر: كأس، وتسمى الخمر نفسها كأساً، قال [من المتقارب]:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ .... (٢)

---

(١) تقدم.

(٢) وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس أني امرؤ ... أتيت المعيشة من بابها
للأعشى، والكأس تطلق على الزجاجة فيها الخمر، وعلى الخمر فيها: مجاز مشهور، وهي مؤنثة =

وعن الأخفش: كل كأس في القرآن فهي الخمر، وكذا في تفسير ابن عباس ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من شراب معين، أو من نهر معين، وهو الجاري على وجه الأرض، الظاهر للعيون، وصف بما يوصف به الماء؛ لأنه/ ٢/ ١٢٧ب يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ [محمد: ١٥] ﴿بَيْضَآءَ﴾ صفة للكأس ﴿لَذَّةٍ﴾ إمّا أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها، أو هي تأنيث اللذة، يقال: لذ الشيء فهو لذ ولذيذ. ووزنه: فعل، كقولك: رجل طب، قال [من الطويل]:

وَلَـذٍّ كَـطَـعْـمِ الـصَّـرْخَـدِيِّ تَـرَكْـتُـهُ ... بِأَرْضِ الْعِدَا مِنْ خَشْيَةِ الْحَدَثَانِ[(١)]

يريد النوم. الغول: مِنْ غاله يغوله غولاً، إذا أهلكه وأفسده. ومنه: الغول الذي في تكاذيب العرب. وفي أمثالهم: الغضب غول الحلم، و ﴿يُنزَفُونَ﴾ على البناء للمفعول، من نزف الشاربُ[(٢)] إذا ذهب عقله. ويقال للسكران: نزيف ومنزوف. ويقال للمطعون: نزف فَمات إذا خرج دمه كله، ونزحت الركية حتى نزفتها: إذا لم تترك فيها ماء، وفي أمثالهم: «أجبن من المنزوف ضرطاً» وقرئ: «ينزفون» من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه. قال [من الطويل]:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُو أَوْ صَحَوْتُمُو ... لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنْتُمُو آلَ أَبْجَرَا[(٣)]

= بدليل تأنيث صفتها وضميرها. يقول: ورب كأس شربتها مع لذة، أو لأجل لذة فضرتني، فشربت كأساً أخرى تداويت من الأولى بها؛ ليعلم الناس أني مجرب للأمور، وكنى عن ذلك بقوله: أتيت المعيشة من بابها، وشبه المعيشة مع أسبابها المناسبة لها لدار لها باب على طريق المكنية، وإثبات الباب تخييل، أي: كما داويت الداء من بابه أدرك المعيشة وأحصلها من الأسباب التي تناسبها. ويروى: بدل الشطر الثاني من البيت الأول «دهاق يرنح من ذاقها» ودهقه: كسره وغمزه غمزاً شديداً، وكأس داهق: ممتلئة، ودهاق: مملوءة. وترنح: تميل، لكن هذا من قافية أخرى.
ينظر: الدر المصون (٥/ ٥٠٠).

(١) اللذ: وصف، واللذة: مؤنثة، وهي اسم للكيفية القائمة بالنفس، واسم للشيء اللذيذ. والصرخد: موضع من الشام ينسب إليه الشراب. والحدثان: مصدر كالحدث، إلاّ أنه يدل على التجدد والتكرر، يقول: ورب شيء لذيذ يعني النوم، طعمه كطعم الشراب الطيب، تركته بأرض الأعداء خوف نزول المكاره بي. ويروى بدل الشطر الثاني «عشية خمس القوم والعين عاشقة» وخمست القوم أخمسهم ـ بالضم ـ: أخذت خمس أموالهم.
ينظر: لسان العرب (لذذ)، تهذيب اللغة (١٤/ ٤٠٩)، تاج العروس (لذذ)، مجمل اللغة (٤/ ٢٤٥)، أساس البلاغة (لذذ).

(٢) قوله: «من نزف الشارب في الصحاح: نزفت ماء البئر نزفاً، إذا نزحته كله. ونزفت هي: يُتَعَدَّى ولا يَتَعَدَّى. . ونزفت أيضاً على ما لم يسم فاعله. (ع).

(٣) للأبيرد. ونزف دمه: خرج منه حتى ضعف وانقطعت حركته. ونزف الرجل في الخصومة: انقطعت حجته، وأنزف: صار ذا نزف، فنزف وأنزف لازمان. وقوله: لئن أنزفتم، أي سكرتم وبطلت حركتكم، أو انقطع شرابكم، ولبئس الندامى: جواب القسم، وجواب الشرط مثله محذوف، =

ومعناه: صار ذا نزف. ونظيره: أقشع السحاب، وقشعته الريح، وأكب الرجل وكببته، وحقيقتهما: دخلا في القشع والكب. وفي قراءة طلحة بن مصرف: ينزفون: بضم الزاي، من نزف ينزف كقرب يقرب، إذا سكر. والمعنى: لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار[(١)] أو عربدة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك، ولا هم يسكرون[(٢)]، وهو أعظم مفاسدها فأفرزه وأفرده بالذكر، ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ، لا يمددن طرفاً إلى غيرهم، كقوله تعالى: ﴿عُرُبًا﴾[(٣)] [الواقعة: ٣٧] والعين: النجل العيون[(٤)] شبههنّ ببيض النعام المكنون في الأداحي، وبها تشبه العرب النساء وتسميهنّ بيضات الخدور.

﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾؟ قلت: على يطاف عليهم. والمعنى: يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب[(٥)] قال [من الوافر]:

وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَّاتِ إِلاَّ ... أَحَادِيثُ الْكِرَامِ عَلَى الْمُدَامِ[(٦)]

= وأنتم: هو المخصوص بالذم. وآل أبجر: منادى، وفيه نوع من التهكم والاستخفاف بهم.
ينظر: لسان العرب (نزف)، بلا نسبة من جمهرة اللغة (ص ٨٢١)، خزانة الأدب (٩/ ٣٨٨)، الدرر (٥/ ٢١٥)، شرح عمدة الحافظ ص (٧٩٣)، المحتسب (٢/ ٣٠٨).

(١) قوله: «في الصحاح: الخمار: بقية السكر». (ع).

(٢) قوله: «ولا هم يسكرون» لعله: ولا هم عنها يسكرون. (ع).

(٣) قوله: «كقوله تعالى: عربا» أي متحببات إلى أزواجهن كما يأتي. (ع).

(٤) قوله: «النجل العيون» في الصحاح: النجل ـ بالتحريك: كشف العين. والرجل أنجل، والعين نجلاء، والجمع نجل. وفيه: مدحى النعامة: موضع بيضها. وأدحيها موضعها، وهو أفعول من دحوت؛ لأنها تدحوه برجلها ثم تبيض فيه اهـ والأداحي: جمعه. (ع).

(٥) قوله: «كعادة الشرب» جمع شارب، كالصحب جمع صاحب، كذا في الصحاح. (ع).

(٦) للفرزدق، يقول: وما بقيت لذة من اللذات إلاَّ لذة أحاديث الكرام، أو ما بقيت شهوة من الشهوات اللذيذة إلاَّ أحاديث الكرام على الخمر، وأتى بحرف الاستعلاء؛ لأن الشراب يكون بين أيديهم والحديث من أفواههم فوقه، وكان الظاهر: وما بقي من اللذات، لكن أنث الفعل؛ لأنه مفرغ لما بعد إلا، أو للتأويل المتقدم.
ينظر: البحر المحيط ٧/ ٣٦، الدر المصون (٥/ ٥٠٣).

فيقبل بعضهم على بعض ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ عما جرى لهم وعليهم في الدنيا، إلا أنه جيء به ماضياً على عادة الله في إخباره. قرئ: «من المصدّقين»، من التصديق. ومن المصّدّقين مشدّد الصاد، من التصدّق، وقيل: نزلت في رجل تصدّق بماله لوجه الله، فاحتاج فاستجدى بعض إخوانه؛ فقال: وأين مالك؟ قال: تصدقت به ليعوضني الله به في الآخرة خيراً منه، فقال: أئنك لمن المصدّقين بيوم الدين. أو من المتصدّقين لطلب الثواب. والله لا أعطيك شيئاً (١٢٨٣) ﴿لَمَدِينُونَ﴾ لمجزيون، من الدين وهو الجزاء. أو لمسوسون مربوبون. يقال: دانه ساسه. ومنه الحديث: «العاقل من دان نفسه» (١٢٨٤). ﴿قَالَ﴾ يعني ذلك القائل: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ إلى النار لأريكم ذلك القرين. قيل: إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار. وقيل: القائل هو الله عزّ وجلّ. وقيل: بعض الملائكة يقول لأهل الجنة: هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار. وقرئ: «مطلعون» فاطلع. وفأطلع بالتشديد، على لفظ الماضي والمضارع المنصوب: ومطلعون فاطلع وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع والمنصوب يقال: طلع علينا فلان، واطلع وأطلع بمعنى واحد، والمعنى: هل أنتم مطلعون إلى القرين فأطلع أنا أيضاً. أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه، فاطلع هو بعد ذلك. وإن جعلت الإطلاع من أطلعه غيره، فالمعنى: أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم، وهو من آداب المجالسة. أن لا يستبد بشيء دون جلسائه، فكأنهم مطلعوه. وقيل: الخطاب على هذا للملائكة. وقرئ: «مطلعونِ» بكسر النون، أراد: مطلعون إياي؛ فوضع المتصل موضع المنفصل، كقوله [من الطويل]:

١٢٨٣ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٤٩) بمعناه وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥١٨) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر عن عطاء الخرساني بمعناه وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي بمعناه.

١٢٨٤ ـ قال الزيلعي (٣/ ١٧٥)، حديث (١٠٨٥) غريب بهذا اللفظ لكن ورد الحديث بلفظ: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله.

أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٨) كتاب صفة القيامة باب (٢٥) حديث (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٣) كتاب الزهد: باب ذكر الموت والاستعداد له حديث (٧١٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٤)، والحاكم (١/ ٥٧)، وابن المبارك في «الزهد» (ص ٥٦) رقم (١٧١)، والبيهقي (٣/ ٣٦٩) كتاب الجنائز: باب ما ينبغي لكل مسلم أن يستعمله من قصر الأمل، وفي «شعب الإيمان» (٧/ ٣٥٠) رقم (١٠٥٤٦)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٣٤١) رقم (٧١٤٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٥٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٨٥)، كلهم من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس مرفوعاً وقال الترمذي: حديث حسن.

وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

وتعقبه الذهبي فقال: لا والله أبو بكر واه.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم وأحمد والبزار وأبو يعلى والحادث والطبراني كلهم من رواية أبي بكر ابن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس. انتهى.

أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما، كأنه قال: تطلعون، وهو ضعيف لا يقع إلاّ في الشعر ﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ في وسطها، يقال: تعبت حتى انقطع سوائي، وعن أبي عبيدة: قال لي عيسى بن عمر: كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائي (إن) مخففة من الثقيلة، وهي تدخل على «كاد» كما تدخل على «كان» ونحوه ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ [الفرقان: ٤٢] واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، والإرداء: الإهلاك. وفي قراءة عبد الله: لتغوين/ ٢/ ١٢٨أ ﴿نِعْمَةُ رَبِّي﴾ هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الإسلام، والبراءة من قرين السوء. أو إنعام الله تعالى بالثواب وكونه من أهل الجنة ﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾

الذي عطفت عليه الفاء محذوف، معناه: أنحن مخلدون منعمون، فما نحن بميتين ولا معذبين. وقرئ: «بمائتين». والمعنى أنّ هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم بأعمالهم أن لا يذوقوا إلا الموتة الأولى، بخلاف الكفار، فإنهم يتمنون فيه الموت كل ساعة، وقيل لبعض الحكماء: ما شرّ من الموت؟ قال: الذي يتمنى فيه الموت.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

يقوله المؤمن تحدثاً بنعمة الله واغتباطاً بحاله وبمسمع من قرينه؛ ليكون توبيخاً له يزيد به تعذباً، وليحكيه الله تعالى فيكون لنا لطفاً وزاجراً. ويجوز أن يكون قولهم جميعاً، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ أي إن هذا الأمر الذي نحن فيه. وقيل: هو من قول الله عزّ وجلّ تقريراً لقولهم وتصديقاً له. وقرئ: «لهو الرزق العظيم»، وهو ما رزقوه من السعادة.

---

(١) هـم الـفـاعـلـون الـخـيـر والآمـرونـه إذا ما خشوا من حادث الدهر معظما
الخير: نصب على المفعولية. ويقال: أمرتك الخير وأمرتك به، فالآمرونه: اسم فاعل متعد للمفعول الثاني بنفسه، وكان حقه الفصل فوصل، وربما كان في البيت أوقع منه في اسم الفاعل المجرد من اللام، وما زائدة: أي إذا خافوا من حادث الدهر أمراً معظماً. ويروى: مفظعاً، أي: مخيفاً فحقه في حرف العين.
ينظر: أمالي ابن الحاجب ١/ ٣٩١، وخزانة الأدب ٤/ ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠، والدرر ٦/ ٢٣٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/ ١٢٥، والكتاب ١/ ١٨٨، ولسان العرب (طلع)، (حين)، (ها) وفيه «مفظعاً» مكان «معظماً»، ومجالس ثعلب ١/ ١٥٠، وهمع الهوامع ٢/ ١٥٧.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

تمت قصة المؤمن وقرينه، ثم رجع إلى ذكر الرزق المعلوم فقال: ﴿أَذَٰلِكَ﴾ الرزق ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ أي خير حاصلاً ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ وأصل النزل: الفضل والريع في الطعام، يقال: طعام كثير النزل، فاستعير للحاصل من الشيء، وحاصل الرزق المعلوم: اللذة والسرور، وحاصل شجرة الزقوم: الألم والغمّ، وانتصاب نزلاً على التمييز، ولك أن تجعله حالاً، كما تقول: أثمر النخلة خير بلحاً أم رطباً؟ يعني أنّ الرزق المعلوم نزل أهل الجنة. وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم، فأيهما خير في كونه نزلاً. والنزل: ما يقال[1] للنازل بالمكان من الرزق. ومنه إنزال الجند لأرزاقهم، كما يقال لما يقام لساكن الدار: السكن[2]. ومعنى الأوّل: أنّ للرزق المعلوم نزلاً، ولشجرة الزقوم نزلاً، فأيهما خير نزلاً. ومعلوم أنه لا خير في شجرة الزقوم، ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى إلى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما أدى إلى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخاً على سوء اختيارهم. ﴿فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ﴾ محنة وعذاباً لهم في الآخرة، أو ابتلاء لهم في الدنيا، وذلك أنهم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر، فكذبوا. وقرئ: «نابتة» ﴿فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ قيل: منبتها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها: والطلع للنخلة، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها؛ إما استعارة لفظية، أو معنوية، وشبه برءوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهية وقبح المنظر؛ لأنّ الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس؛ لاعتقادهم أنه شرّ محض لا يخلطه خير، فيقولون في القبيح الصورة: كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان، وإذا صوّره المصورون: جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله، كما أنهم اعتقدوا في المَلَكِ أنه خير محض لا شرّ فيه، فشبهوا به الصورة الحسنة. قال الله تعالى: ﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] وهذا تشبيه تخييلي. وقيل: الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدًّا. وقيل: إنّ شجراً يقال له الأستن خشناً منتناً مرًّا منكر الصورة، يسمى ثمره: رءوس الشياطين. وما سمت العرب هذا الثمر رءوس الشياطين إلاّ قصداً إلى أحد التشبيهين، ولكنه بعد التسمية بذلك

(١) قوله: «ما يقال للنازل بالمكان» لعله «ما يقام» كعبارة النسفي. (ع).
(٢) قوله: «لساكن الدار السكن» في الصحاح «السكن»: كل ما سكنت إليه. (ع).

رجع أصلاً ثالثاً يشبه به. ﴿مِنۡهَا﴾ من الشجرة، أي من طلعها ﴿فَمَالِـُٔونَ﴾ بطونهم؛ لما يغلبهم من الجوع الشديد، أو يقسرون على أكلها وإن كرهوها؛ ليكون باباً من العذاب، فإذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شراباً من غساق أو صديد، شوبه: أي مزاجه ﴿مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ يشوي وجوههم ويقطع أمعاءهم، كما قال في صفة شراب أهل الجنة: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ [المطففين: ٢٧] وقرئ: «لشوبًا» بالضم، وهو اسم ما يشاب به، والأوّل تسمية بالمصدر. فإن قلت: ما معنى حرف التراخي في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا﴾ وفي قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ﴾؟ قلت: في الأوّل وجهان، أحدهما: أنهم يملئون البطون من شجرة الزقوم، وهو حارّ يحرق بطونهم ويعطشهم، فلا يسقون إلا بعد مليّ تعذيباً بذلك العطش، ثم يسقون ما هو أحرّ وهو الشراب المشوب بالحميم. والثاني: أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة، ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع، فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه. ومعنى الثاني: أنهم يذهب بهم عن مقارّهم ومنازلهم في الجحيم، وهي الدركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم، فيأكلون إلى أن يتملئوا، ويسقون بعد ذلك، ثم يرجعون إلى دركاتهم، ومعنى التر اخي في ذلك بيِّن، وقرئ: ثم إن منقلبهم، ثم إن مصيرهم، ثم إن منفذهم إلى الجحيم: علل استحقاقهم/ ٢/١٢٨ب للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين، واتباعهم إياهم على الضلال، وترك اتباع الدليل، والإهراع: الإسراع الشديد، كأنهم يحثون حثًّا. وقيل: إسراع فيه شبه بالرعدة.

﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ﴾ قبل قومك قريش. ﴿مُّنذِرِينَ﴾ أنبياء حذروهم العواقب. ﴿ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ الذين أنذروا وحذروا، أي أهلكوا جميعاً ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين.

﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

لما ذكر إرسال المنذرين في الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين، أتبع ذلك بذكر نوح ودعائه إياه حين أيس من قومه، واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف،

والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره: فوالله لنعم المجيبون نحن. والجمع دليل العظمة والكبرياء. والمعنى: إنا أجبناه أحسن الإجابة، وأوصلها إلى مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بأبلغ ما يكون. ﴿هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم، فقد روي أنه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده. أو هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة. قال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح (١٢٨٥). وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد: سام، وحام، ويافث. فسام أبو العرب، وفارس، والروم، وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (١٢٨٦). ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾ من الأمم هذه الكلمة، وهي: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ يعني يسلمون عليه تسليماً، ويدعون له، وهو من الكلام المحكي، كقولك: قرأت: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور: ١] فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟ قلت: معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعاً، وأن لا يخلو أحد منهم منها، كأنه قيل: ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسلمون العالمين عليه عن آخرهم. علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بأنه كان محسناً، ثم علل كونه محسناً بأنه كان عبداً مؤمناً؛ ليريك جلالة محل الإيمان، وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم، ويرغبك في تحصيله والازدياد منه.

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي ممن شايعه على أصول الدين وإن اختلفت شرائعهما. أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين. ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق في أكثر الأشياء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من أهل دينه وعلى سنته (١٢٨٧)، وما كان

١٢٨٥ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٥٠) عن قتادة: قال: ترك الله عليه ثناء حسناً في الآخرة. وابن جرير الطبري (١٠/ ٤٩٨)، حديث (٢٩٤٢٤)، وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٢٤)، وعزاه لعبد بن حميد وعبد الرزاق والطبري وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة: قال: فالناس كلهم من ذرية نوح.

١٢٨٦ ـ أخرجه البزار (١/ ١١٨ كشف)، حديث (٢١٨) عن أبي هريرة، وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٢٤)، وعزاه للبزار وابن أبي حاتم والخطيب، عن أبي هريرة، وذكر فيه: وولد يافث يأجوج ومأجوج: مرفوعاً.

١٢٨٧ ـ ذكر السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٢٥)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس قال من أهل ذريته.

بين نوح وإبراهيم إلاّ نبيان: هود وصالح، وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة. فإن قلت: بم تعلق الظرف؟ قلت: بما في الشيعة من معنى المشايعة، يعني: وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه[1] بقلب سليم لإبراهيم، أو بمحذوف وهو: اذكر ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من جميع آفات القلوب. وقيل: من الشرك، ولا معنى للتخصيص؛ لأنه مطلق، فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها كلها. فإن قلت: ما معنى المجيء بقلبه ربه؟ قلت: معناه أنه أخلص لله قلبه، وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلاً لذلك. ﴿أَإِفْكًا﴾ مفعول له، تقديره: أتريدون آلهة من دون الله إفكاً، وإنما قدّم المفعول على الفعل للعناية، وقدّم المفعول له على المفعول به؛ لأنه كان الأهمّ عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم. ويجوز أن يكون (إفكاً) مفعولاً به، يعني: أتريدون به إفكاً. ثم فسر الإفك بقوله: ﴿آلهة من دون الله﴾ على أنها إفك في أنفسها. ويجوز أن يكون حالاً، بمعنى: أتريدون آلهة من دون الله آفكين ﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ بمن هو الحقيق بالعبادة؛ لأنّ من كان ربًّا للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه، حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام: والمعنى: أنه لا يقدر في وهم ولا ظنّ ما يصدّ عن عبادته. أو فما ظنكم به أي شيء هو من الأشياء، حتى جعلتم الأصنام له أنداداً؟ أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره؟.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿فِي ٱلنُّجُومِ﴾ في علم النجوم أو في كتابها أو في أحكامها، وعن بعض الملوك أنه سئل عن مشتهاه، فقال: حبيب أنظر إليه، ومحتاج أنظر له، وكتاب أنظر فيه. كان القوم نجامين، فأوهمهم أنه استدل بأمارة في علم النجوم على أنه يسقم ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ إني مشارف للسقم وهو الطاعون، وكان أغلب الأسقام عليهم، وكانوا يخافون العدوى؛ ليتفرقوا عنه، فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد، ففعل ٢/ ١٢٩أ بالأصنام ما فعل. فإن قلت: كيف جاز له أن يكذب؟ قلت: قد جوّزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية، وإرضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين. والصحيح: أن الكذب حرام إلاّ إذا عرّض وورّى، والذي قاله إبراهيم عليه السلام معراض

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: لا يجوز؛ لأن فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبيٍّ وهو «لإِبْرَاهِيمَ»؛ لأنه أجنبيٌّ من «شِيعَتِهِ» ومن «إِذْ» وزاد المنعُ إنْ قدره ممن شايعه حين جاء لإبراهيم؛ «لأنه قَدَّر ممن شايعه فجعل العامل قبله صلة لموصول وفَصَلَ بينه وبين إذْ بإجنبي وهو لإبراهِيمَ» وأيضاً فلام الابتداء تمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت إنَّ ضارباً لقادم علينا زيداً تقديره إنَّ زيداً قادم علينا لم يجز، انتهى. الدر المصون.

من الكلام، ولقد نوى به أن من في عنقه الموت سقيم. ومنه المثل: كفى بالسلامة داء. وقول لبيد [من الكامل]:

فَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِداً لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ[1]

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا: مات وهو صحيح، فقال أعرابي: أصحيح مَنْ الموت في عنقه. وقيل: أراد: إني سقيم النفس لكفركم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ (٩٣)﴾

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ﴾ فذهب إليها في خفية، من روغة الثعلب، إلى آلهتهمَ: إلى أصنامهم التي هي في زعمهم آلهة، كقوله تعالى: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾ [النحل:٢٧]. ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ﴾ استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها ﴿فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ﴾ فأقبل عليهم مستخفياً، كأنه قال: فضربهم ﴿ضَرۡبَۢا﴾ لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم. أو فراغ عليهم يضربهم ضرباً. أو فراغ عليهم ضرباً بمعنى ضارباً. وقرئ: «صفقا» و «سفقا»، ومعناهما: الضرب. ومعنى ضرباً ﴿بِٱلۡيَمِينِ﴾ ضرباً شديداً قويًا؛ لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدّهما. وقيل: بالقوّة والمتانة، وقيل: بسبب الحلف، وهو قوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾.

﴿فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ (٩٤)﴾

﴿يَزِفُّونَ﴾ يسرعون، من زفيف النعام. ويُزِفون: من أزفّ، إذا دخل في الزفيف. أو من أزفه، إذا حمله على الزفيف، أي: يزفّ بعضهم بعضاً. ويُزَفون، على البناء للمفعول، أي: يحملون على الزفيف. ويَزِفون، من وزف يزف إذا أسرع. ويَزْفون: من زفاه إذا حداه[2]، كأنّ بعضهم يزفو بعضاً لتسارعهم إليه، فإن قلت: بين هذا وبين قوله تعالى:

---

(١) كانت قناتي لا تلين لغامز فألانها الإصباح والإمساء
فدعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحني فإذا السلامة داء

للبيد بن ربيعة العامري، والقناة: الرمح، استعارها لإقامته أو قوته على طريق التصريح، والليونة والغمز: ترشيح. والغمزي: الحبى باليد. ويجوز أن الاستعارة تمثيلية في المركب، يصف قوته زمن الشباب، ثم ضعف حال المشيب بتتابع الأزمان عليه، وأنه تطلب فسحة الأجل، فكانت سبب اضمحلاله.

وهو للنمر بن تولب في ملحق ديوانه ص ٤٠٠، وللبيد بن ربيعة في نهاية الأرب ٣/ ٧٠، ولعمرو بن قميئة في ملحق ديوانه ص ٢٠٤، وزهر الآداب ١/ ٢٢٣، ولبعض شعراء الجاهليَّة في الكامل ١/ ٢٨٤، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٥، وكتاب الصناعتين ص ٣٨، وقبله في هذه المصادر.

(٢) قوله: «إذا حداه» أي ساقه. أفاده الصحاح. (ع).

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥٩ ـ ٦٠] كالتناقض حيث ذكر ههنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى، فلما أبصروه يكسرهم أقبلوا إليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به، وذكر ثم أنهم سألوا عن الكاسر، حتى قيل لهم: سمعنا إبراهيم يذمهم، فلعله هو الكاسر؛ ففي أحدهما أنهم شاهدوه يكسرها، وفي الآخر: أنهم استدلوا بذمهِ على أنه الكاسر. قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون الذين أبصروه وزفوا إليه نفراً منهم دون جمهورهم وكبرائهم، فلما رجع الجمهور والعلية[1] من عيدهم إلى بيت الأصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك، وسألوا: من فعل هذا بها؟ ثم لم ينم عليه أولئك النفر نميمة صريحة، ولكن على سبيل التورية التعريض بقولهم ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ لبعض الصوارف. والثاني: أن يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك أحد، ويكون إقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر. وقولهم: ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنبياء: ٦١].

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام، كقوله: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ [الأنبياء: ٥٦] أي فطر الأصنام، فإن قلت: كيف يكون الشيء الواحد مخلوقاً لله معمولاً لهم، حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعاً؟ قلت: هذا كما يقال: عمل النجار الباب[2] والكرسي، وعمل الصائغ السوار والخلخال،

---

(١) قوله: «والعلية» أي العظماء. (ع).

(٢) قال محمود: «يعني خلقكم وما تعملون من الأصنام، كقوله: (بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن) فإن قلت: كيف يكون الشيء الواحد مخلوقاً لله تعالى معمولاً لهم؟ وأجاب بأن هذا كما يقال: عمل النجار الباب... إلى أن قال: ... وفي ذلك فك للنظم وتبتير كما لو جعلتها مصدرية» اهـ كلامه. قال أحمد: إذا جاء سيل الله ذهب سيل معقل، فنقول: يتعين حملها على المصدرية، وذلك أنهم لم يعبدوا هذه الأصنام من حيث كونها حجارة ليست مصورة، فلو كان كذلك لم يتعاونوا في تصويرها، ولا اختصوا بعبادتهم حجراً دون حجر، فدل أنهم إنما يعبدونها باعتبار أشكالها وصورها التي هي أثر عملهم، ففي الحقيقة أنهم عبدوا عملهم، وصلحت الحجة عليهم بأنهم مثله، مع أن المعبود كسب العابد وعمله، فقد ظهر أن الحجة قائمة عليهم على تقدير أن تكون ما مصدرية أوضح قيام وأبلغه، فإذا أثبت ذلك فليتتبع كلامه بالإبطال. أما قوله: إنها موصولة، وأن المراد بعملهم لها عمل أشكالها فمخالف للظاهر، فإنه مفتقر إلى حذف مضاف في موضع اليأس يكون تقديره: والله خلقكم وما تعملون شكله وصورته، بخلاف توجيه أهل السنة، فإنه غير مفتقر إلى حذف البتة، ثم إذا جعل المعبود نفس الجوهر، فكيف يطابق توبيخهم ببيان أن المعبود من عمل العابد، مع موافقته على أن جواهر الأصنام ليست من عملهم؟ فما هو من عملهم =

والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها، والأصنام جواهر وأشكال، فخالق جواهرها الله، وعاملو أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها، حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه. فإن قلت: فما أنكرت(١) أن تكون ما مصدرية لا موصولة، ويكون المعنى: والله خلقكم وعملكم، كما تقول المجبرة(٢)؟ قلت: أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب، أن معنى الآية يأباه إباء جليًا، وينبو عنه نبوًا ظاهراً، وذلك أن الله عزّ وجلّ قد احتج عليهم بأنّ العابد والمعبود جميعاً خلق الله، فكيف يعبد المخلوقُ المخلوقَ؟ على أن العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله، ولولاه لما قدر أن يصوّر نفسه ويشكلها، ولو قلت: والله خلقكم وخلق عملكم (و)لم يكن محتجاً عليهم(٣) ولا كان لكلامك طباق. وشيء آخر: وهو أن قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ترجمة عن قوله: ﴿مَا تَنْحِتُونَ﴾ و (ما) في ﴿مَا تَنْحِتُونَ﴾ موصولة لا مقال فيها، فلا يعدل بها عن أختها إلاّ متعسف متعصب لمذهبه، من غير نظر في علم البيان، ولا تبصر لنظم القرآن. فإن قلت: اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت، وأريد: وما تعملونه من أعمالكم. قلت: بل الإلزامان في عنقك لا يفكهما إلاّ الإذعان للحق، وذلك

= وهو الشكل ليس معبوداً لهم على هذا التأويل، وما هو معبودهم وهو جوهر الصنم ليس من عملهم، فلم يستقر له قرار في أن المعبود على تأويله من عمل العابد، وعلى ما قررناه يتضح. وأما قوله: إن المطابقة تنفك على تأويل أهل السنة بين ما ينحتون وما يعملون فغير صحيح، فإن لنا أن نحمل الأولى على أنها مصدرية وأنهم في الحقيقة إنما عبدوا نحتهم؛ لأن هذه الأصنام وهي حجارة قبل النحت لم يكونوا يعبدونها، فلما عملوا فيها النحت عبدوها، ففي الحقيقة ما عبدوا سوى نحتهم الذي هو عملهم، فالمطابقة إذاً حاصلة، والإلزام على هذا أبلغ وأمتن، ولو كان كما قال لقامت لهم الحجة، ولقالوا كما يقول الزمخشري مكافحين لقوله: (والله خلقكم وما تعملون) بأن يقولوا: لا ولا كرامة، ولا يخلق الله ما نعمل نحن، لأنا إنما عملنا التشكيل والتصوير وهذا لم يخلقه الله، وكانوا يجدون الذريعة إلى اقتحام الحجة، ويأبى الله إلا أن تكون لنا الحجة البالغة ولهم الأكاذيب الفارغة، فهذا إلزام بل إلجام لمن خالف السنة، وغل بعنقه، وعقر بكتفه، وضرب على يده، حتى يرجع إلى الحق آيبًا، ويعترف بخطئه تائباً.

(١) قوله: «فإن قلت فما أنكرت»؟ لعله: لم أنكرت. (ع).

(٢) قوله: «كما تقول المجبرة» يريد أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنه لا خالق إلاّ الله، فهو الخالق لعمل العبد، والمعتزلة يقولون: إن العبد هو الخالق لعمل نفسه، فجعلوا العبد شريكاً لله في الخالقية، مع أنهم سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، قالوا: لو كان الله هو الخالق لفعل العبد لكان تعذيبه للعبد على المعاصي ظلماً لا عدلاً. قال أهل السنة: يعذبه عليها كما يثيبه على الطاعة؛ لما له فيهما من الكسب والاختيار، فلا ظلم، لكن المعتزلة لم ينظروا في التوحيد تمام النظر، ولم يتبصروا في أدلته تمام التبصر. (ع).

(٣) قوله: «لم يكن محتجاً عليهم» يكفي في الاحتجاج أن الله هو الخالق لهم ولأعمالهم في الأصنام وغيرها، والأصنام لا تخلق شيئاً، بل الانفراد بالخالقية أدل على الانفراد بالإلهية. (ع).

أنك وإن جعلتها موصولة، فإنك في إرادتك بها العمل غير محتج على المشركين، كحالك وقد جعلتها مصدرية، وأيضاً فإنك قاطع بذلك الصلة بين ما تعملون وما تنحتون، حيث تخالف بين المرادين بهما؛ / ٢/ ١٢٩ب فتريد بما تنحتون: الأعيان التي هي الأصنام، وبما تعملون: المعاني التي هي الأعمال؛ وفي ذلك فك النظم وتبتيره، كما إذا جعلتها مصدرية.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨)﴾

﴿الْجَحِيمِ﴾ النار الشديدة الوقود، وقيل: كل نار على نار وجمر فوق جمر، فهي جحيم. والمعنى: أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعاً، وأذلهم بين يديه: أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ما ألقمهم به الحجر، وقهرهم فمالوا إلى المكر، فأبطل الله مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدروا عليه.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)﴾

أراد بذهابه إلى ربه: مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام، كما ﴿قال إني مهاجر إلى ربي﴾ [العنكبوت: ٢٦] ﴿سَيَهْدِينِ﴾ سيرشدني إلى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني، كما قال موسى عليه السلام: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] كأن الله وعده وقال له: سأهديك، فأجرى كلامه على سنن موعد ربه. أو بناء على عادة الله تعالى معه في هدايته وإرشاده. أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله. ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]. ﴿هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ هب لي بعض الصالحين، يريد الولد؛ لأنّ لفظ الهبة غلب في الولد وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣)﴾ [مريم: ٥٣] قال عزّ وجلّ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الأنعام: ٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم - حين هنأه بولده عليّ أبي الأملاك -: «شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب» ولذلك وقعت التسمية بهبة الله، وبموهوب، ووهب، وموهب، وقد انطوت البشارة على ثلاث: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حليماً، وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح، فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، ثم استسلم لذلك. وقيل: ما نعت الله الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم؛ وذلك لعزة وجوده، ولقد نعت الله به إبراهيم في قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥)﴾ [هود: ٧٥] لأنّ الحادثة شهدت بحلمهما جميعاً.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه. فإن قلت: ﴿مَعَهُ﴾ بم يتعلق؟ قلت: لا يخلو إما أن يتعلق ببلغ، أو بالسعي، أو بمحذوف، فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معاً حدّ السعي، ولا بالسعي لأنّ صلة المصدر لا تتقدم عليه، فبقي أن يكون بياناً، كأنه لما قال: فلما بلغ السعي أي الحدّ الذي يقدر فيه على السعي قيل: مع من؟ فقال مع أبيه. والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به، وأعطفهم عليه، وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله؛ لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده، وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة. والمراد: أنه على غضاضة سنه وتقلبه في حدّ الطفولة، كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والإجابة بذلك الجواب الحكيم، أتي في المنام فقيل له: اذبح ابنك، ورؤيا الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة؛ فلهذا قال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ فذكر تأويل الرؤيا، كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب في سفينة: رأيت في المنام أني ناج من هذه المحنة، وقيل: رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له: إنّ الله يأمرك بذبح ابنك هذا، فلما أصبح روّى في ذلك من الصباح إلى الرواح، أمن الله هذا الحلم أو من الشيطان؟ فمن ثم سمي يوم التروية، فلما أمسى رأى مثل ذلك، فعرف أنه من الله، فمن ثم سُمي يوم عرفة، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة، فهم بنحره فسمي يوم النحر. وقيل: إنّ الملائكة حين بشّرته بغلام حليم قال: هو إذن ذبيح الله. فلما ولد وبلغ حدّ السعي معه قيل له: أوف بنذرك ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾ من الرأي على وجه المشاورة. وقرئ: «ماذا ترى»[1]، أي: ماذا تبصر من رأيك وتبديه. وماذا ترى، على البناء للمفعول: أي: ماذا تريك نفسك من الرأي ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ﴾ أي ما تؤمر به، فحذف الجار كما حذف من قوله [من البسيط]:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ....[2]

أو أمرك على إضافة المصدر إلى المفعول، وتسمية المأمور به أمراً. وقرئ: «ما تؤمر به» فإن قلت: لم شاوره في أمر هو حتم من الله؟ قلت: لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته، ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله؛ فيثبت قدمه ويصبره إن جزع، ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلم؛ وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها، ويلقى

---

(١) قوله: «وقرئ ماذا ترى» لعله بضم التاء وكسر الراء، من أراه يريه، فليحرر. (ع).
(٢) تقدم.

البلاء وهو/ ٢/ ١٣٠أ كالمستأنس به، ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله؛ ولأنّ المغافصة[١] بالذبح مما يستسمج، وليكون سنة في المشاورة، فقد قيل: لو شاور آدم الملائكة في أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك. فإن قلت: لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة؟ قلت: كما أري يوسف عليه السلام سجود أبويه وإخوته له في المنام من غير وحي إلى أبيه، وكما وُعِدَ رسول الله ﷺ دخول المسجد الحرام في المنام، وما سوى ذلك من منامات الأنبياء؛ وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين؛ لأنّ الحال إما حال يقظة أو حال منام، فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾

يقال: سلم لأمر الله وأسلم، واستسلم بمعنى واحد. وقد قرئ بهنّ جميعاً إذا انقاد له وخضع، وأصلها من قولك: سلم هذا لفلان إذا خلص له. ومعناه: سلم من أن ينازع فيه، وقولهم: سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه، وحقيقة معناهما: أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة، وكذلك معنى: استسلم: استخلص نفسه لله. وعن قتادة في: ﴿أَسْلَمَا﴾ أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (١٢٨٨) ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ صرعه على شقه، فوقع أحد جبينيه على الأرض، تواضعا[٢] على مباشرة الأمر بصبر وجلد، ؛ليرضيا الرحمٰن ويخزيا الشيطان. وروي أن ذلك كان عند الصخرة التي بمنى، وعن الحسن: في الموضع المشرف على مسجد منىٰ. وعن الضحاك: في المنحر الذي ينحر فيه اليوم. فإن قلت: أين جواب لما؟ قلت: هو محذوف تقديره: فلما أسلما وتله للجبين ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما، وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما، من دفع البلاء العظيم بعد حلوله، وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الأنفس عليه من الثواب والأعواض

١٢٨٨ ـ أخرجه الطبري (١٠/٥٠٨)، حديث (٢٩٤٨١).

---

(١) قوله: «المغافصة» في الصحاح: غافصت الرجل، أي: أخذته على غرة. (ع).
(٢) قوله: «تواضعا على مباشرة الأمر» أي توفقًا. (ع).

ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب، وقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ تعليل لتخويل ما خوّلهما من الفرج بعد الشدّة، والظفر بالبغية بعد اليأس ﴿ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم. أو المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها. الذبح: اسم ما يذبح. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو الكبش الذي قرّبه هابيل فقبل منه، وكان يرعى في الجنة حتى فدي به إسماعيل (١٢٨٩). وعن الحسن: فدي بوعل[1] أهبط عليه من ثبير (١٢٩٠). وعن ابن عباس: لو تمت تلك الذبيحة لكانت سنة وذبح الناس أبناءهم (١٢٩١) ﴿عظيم﴾ ضخم الجثة سمين، وهي السنة في الأضاحي. وقوله عليه السلام: «استشرفوا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم» (١٢٩٢) وقيل: لأنه وقع فداء عن ولد إبراهيم. وروي أنه هرب من إبراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه، فبقيت سنة في الرمي، وروي أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده. وروي أنه لما ذبحه قال جبريل: الله أكبر الله أكبر، فقال الذبيح: لا إله إلاّ الله والله أكبر، فقال إبراهيم عليه السلام: الله أكبر ولله الحمد، فبقي سنة، وحكي في قصة الذبيح أنه حين أراد ذبحه قال: يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا إلى الشعب نحتطب، فلما توسط شعب ثبير أخبره بما أمر. فقال له اشدد رباطي لا أضطرب، واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن، واشحذ شفرتك وأسرع إمرارها على حلقي حتى تجهز عليّ؛ ليكون أهون فإنّ الموت شديد، واقرأ على أمي سلامي، وإن رأيت أن تردّ قميصي على أمي فافعل؛ فإنه عسى أن يكون أسهل لها، فقال إبراهيم عليه السلام: نعم العون أنت يا بنيّ على أمر الله، ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه، وهما يبكيان، ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل؛ لأنّ الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه، فقال له: كبني على وجهي فإنك إذا نظرت وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله، ففعل، ثم وضع السكين على قفاه

١٢٨٩ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٣٤)، وعزاه لابن أبي شيبة والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

١٢٩٠ ـ أخرجه الطبري ١٠/ ٥١٦)، حديث (٢٩٥٤٩) عن الحسن بلفظ ما فدى إسماعيل إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير.

١٢٩١ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف، حديث (٣/ ١٧٦)، حديث (١٠٨٦) وقال الحافظ: لم أجده.

١٢٩٢ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٧٦)، حديث (١٠٨٧) وقال: غريب.

وأخرجه الديلمي في الفردوس (١/ ١١٩)، حديث (٢٦٧) عن ابن عباس. وقال الحافظ: لم أجده.

---

(١) قوله: «بوعل» في الصحاح: الوعل: الأروى اهـ ، ويقال: التيس الجبلي. (ع).

فانقلب السكين، ونودي: يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، فنظر فإذا جبريل عليه السلام معه كبش أقرن أملح، فكبر جبريل والكبش، وإبراهيم وابنه، وأتى المنحر من منى فذبحه. وقيل: لما وصل موضع السجود منه إلى الأرض جاء الفرج. وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده: أنه يلزمه ذبح شاة، فإن قلت: من كان الذبيح من ولديه؟ قلت: قد اختلف فيه؛ فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين: أنه إسماعيل. والحجة فيه: أنّ رسول الله ﷺ قال: «أنا ابن الذبيحين (١٢٩٣)» وقال له أعرابي: يا ابن الذبيحين، فتبسم، فسئل عن ذلك فقال: «إنّ عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله: لئن سهل الله له أمرها ليذبحنّ أحد ولده، فخرج السهم على عبد الله، فمنعه أخواله، وقالوا له: افد ابنك بمائة من الإبل، ففداه بمائة من الإبل، والثاني إسماعيل» (١٢٩٤) وعن محمد بن كعب القرظي قال: كان مجتهد بني إسرائيل يقول إذا دعا: اللهم إلٰه إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل، فقال موسى عليه السلام: يا رب، ما لمجتهد بني إسرائيل إذا دعا قال: اللهم إله إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل، وأنا بين ٢/ ١٣٠ب أظهرهم، فقد أسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك؟ قال: يا موسى، لم يحبني أحد حبّ إبراهيم قط، ولا خُيِّرَ بيني وبين شيء قط إلا اختارني. وأمّا إسماعيل فإنه جاد بدم نفسه. وأمّا إسرائيل فإنه لم ييأس من روحي في شدّة نزلت به قط (١٢٩٥)، ويدل عليه أنّ الله تعالى لما أتمّ قصة الذبيح قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا﴾ **[الصافات: ١١٢]** وعن محمد بن كعب أنه قال لعمر بن عبد العزيز: هو إسماعيل، فقال عمر: إنّ هذا شيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلت، ثم أرسل إلى يهودي قد أسلم فسأله، فقال: إن اليهود لتعلم أنه إسماعيل، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب (١٢٩٦)، ويدل عليه أن قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت. وعن الأصمعي قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال: يا أصمعي أين عزب عنك

١٢٩٣ ـ ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٧٧)، حديث (١٠٨٩) وقال: غريب، وبيض له ابن حجر.

١٢٩٤ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٤) في كتاب التاريخ والطبري (١٠/ ٥١٤)، حديث (٢٩٥٣٠)، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٧٨)، حديث (١٠٩٠) وزاد نسبته لابن مردويه. قال الحافظ: أخرجه الحاكم والثعلبي من رواية الضابحى عن معاوية رضي الله عنه وفيه قصة انتهى. ط

١٢٩٥ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥١١)، حديث (٢٩٥٠٠) عن عبد الله بن عمير قال موسى: يا رب يقولون إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. . .

١٢٩٦ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥١٤ جامع البيان)، حديث (٢٩٥٢٩)، وذكره السيوطي في تفسيره الدر (٥/ ٥٣٠) وعزاه لابن إسحاق، وابن جرير.

عقلك؟ ومتى كان إسحاق؟ بمكة، وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه، والمنحر بمكة، ومما يدلّ عليه أنّ الله تعالى وصفه بالصبر دون أخيه إسحاق في قوله: ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥] وهو صبره على الذبح، ووصفه بصدق الوعد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] لأنه وعد أباه الصبر من نفسه على الذبح فوفى به، ولأنّ الله بشّره بإسحاق وولده يعقوب في قوله: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فلو كان الذبيح إسحاق لكان خلفاً للموعد في يعقوب، وعن علي بن أبي طالب (١٢٩٧) وابن مسعود (١٢٩٨) والعباس (١٢٩٩) وعطاء وعكرمة (١٣٠٠) وجماعة من التابعين: أنه إسحاق. والحجة فيه أن الله تعالى أخبر عن خليله إبراهيم حين هاجر إلى الشام بأنه استوهبه ولداً، ثم أتبع ذلك البشارة بغلام حليم، ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به. ويدلّ عليه كتاب يعقوب إلى يوسف: من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله (١٣٠١).
فإن قلت: قد أوحى إلى إبراهيم صلوات الله عليه في المنام بأن يذبح ولده ولم يذبح، وقيل له: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾، وإنما كان يصدقها لو صحّ منه الذبح، ولم يصحّ[1] قلت:

١٢٩٧ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٥٢)، وسعيد بن منصور، وذكره السيوطي (٥/ ٥٣١) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر عن علي.

١٢٩٨ ـ أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٥٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٩)، وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٣١) وعزاه لعبد الرزاق والحاكم عن ابن مسعود.

١٢٩٩ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥١٠)، حديث (٢٩٤٩١)، (٢٩٤٩٥) وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٣١) وعزاه لعبد بن حميد، والبخاري في تاريخه والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن العباس.

١٣٠٠ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥١٠)، حديث (٢٩٤٩٣) عن عكرمة عن ابن عباس والحاكم (٢/ ٥٥٨): كتاب التاريخ.
وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٥٣١) للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد والطبري والحاكم.

١٣٠١ ـ قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه الترمذي في النوادر في الحادي والعشرين بعد المائتين: حدثنا عمر بن أبي عمر حدثنا عصام بن المثنى الحمصي عن أبيه عن وهب بن منبه قال: كتب يعقوب كتاباً فيه بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب نبي الله إلى آخره وأخرج الدارقطني في غرائب مالك من رواية إسحاق بن وهب الطوسي عن ابن وهب عن مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه: أوحى إلى ملك الموت أن ائت يعقوب فسلم عليه فذكر الحديث ـ وفيه فقال: اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت فذكره مطولاً قال الدارقطني: هذا موضوع وإسحاق يضع الحديث على ابن وهب وقد تقدم في يوسف من وجه آخر، انتهى.

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: قد أوحى إلى إبراهيم في المنام أن يذبح ولده ولم يذبح، وقيل له: قد =

قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح: من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه، ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه، وهذا لا يقدح في فعل إبراهيم عليه السلام، ألا ترى أنه لا يسمى عاصياً ولا مفرطاً، بل يسمى مطيعاً ومجتهداً، كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم، وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل، ولا قبل أوان الفعل في شيء، كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام فيه. فإن قلت: الله تعالى هو المفتدى منه؛ لأنه الآمر بالذبح، فكيف يكون فادياً حتى قال: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾؟ قلت: الفادي هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والله عزّ وجلّ وهب له الكبش ليفدي به وإنما قال: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ إسناداً للفداء إلى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته. فإن قلت: فإذا كان ما أتى به إبراهيم من البطح وإمرار الشفرة في حكم الذبح. فما معنى الفداء، والفداء إنما هو التخليص من الذبح ببدل؟ قلت: قد علم بمنع الله أن حقيقة الذبح لم تحصل من فري الأوداج وإنهار الدم، فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس إسماعيل، ولكن في نفس الكبش بدلاً منه. فإن قلت: فأي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة، وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من إبراهيم مقام الذبح من غير نقصان؟ قلت: الفائدة في ذلك أن يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وإيجاد المأمور به من كل وجه. فإن قلت: لم قيل

= صدقت الرؤيا، وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبح، ولم يصح. فأجاب بأنه قد بذل وسعه وفعل ما يفعله الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه، ولكن الله سبحانه منع الشفرة أن تمضي فيه، وهذا لا يقدح في فعل إبراهيم، ألا ترى أنه لا يسمى عاصياً ولا مفرطاً بل يسمى مطيعاً ومجتهداً، كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم، وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل في شيء، كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام عليه. انتهى كلامه» قال أحمد: كل ما ذكر دندنة حول امتناع النسخ قبل التمكن من الفعل، وتلك قاعدة المعتزلة. وأما أهل السنة فيثبتون جوازه؛ لأن التكليف ثابت قبل التمكن من الفعل، فجاز رفعه كالموت. وأيضاً فكل نسخ كذلك؛ لأن القدرة على الفعل عندنا مقارنة لا متقدمة، ثم يثبتون وقوعه بهذه الآية. ووجه الدليل منها أن إبراهيم عليه السلام أمر بالذبح بدليل (افعل ما تؤمر) ونسخ قبل التمكن بدليل العدول إلى الفداء، فمن ثم تحوم الزمخشري على أنه فعل غاية وسعه من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه، وإنما امتنعت بأمر من الله تعالى، وغرضه بذلك أحد أمرين: إما أن يكون الأمر إنما توجه عليه بمقدمات الذبح، وقد حصلت لا بنفس الذبح، أو توجه الأمر بنفس الذبح وتعاطيه، ولكن لم يتمكن. وكلا الأمرين لا يخلصه. أما قوله: أمر بمقدمات الذبح فباطل بقوله: (إني أرى في المنام أني أذبحك) وقوله: (افعل ما تؤمر) وأما قوله: لم يتمكن لأن الشفر منعت بأمر من الله تعالى بعد تسليم الأمر بالذبح، فحاصله أنه لم يتمكن من الذبح المأمور به، فكان النسخ إذاً قبل التمكن، وهو عين ما أنكره المعتزلة، ولما لم يكن في هذين الجوابين لهم خلاص لجأ بعضهم إلى تسليم أنه أمر بالذبح، ودعوى أنه ذبح ولكنه كان يلتحم، وهو باطل لا ثبوت له، وسياق الآية يخل دعواه ويفل ثنياه.

ههنا ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١١٠﴾ وفي غيرها من القصص: إنا كذلك؟ قلت: قد سبقه في هذه القصة: ﴿إنا كذلك﴾، فكأنما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية.

﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ۝١١٣﴾

﴿نَبِيّٗا﴾ حال مقدرة، كقوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. فإن قلت: فرق بين هذا وبين قوله: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ وذلك أنّ المدخول موجود مع وجود الدخول، والخلود غير موجود معهما، فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيماً، وليس كذلك المبشر به، فإنه معدوم وقت وجود البشارة، وعدم المبشر به فإنه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به أوجب عدم حاله لا محالة؛ لأنّ الحال حلية، والحلية لا تقوم إلا بالمحلى، وهذا المبشر به الذي هو إسحاق حين وجد لن توجد النبوّة أيضاً بوجوده، بل تراخت عنه مدّة متطاولة، فكيف يجعل نبيًا حالاً مقدّرة، والحال صفة الفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به؛ فالخلود وإن لم يكن صفتهم عند دخول الجنة، فتقديرها[1] صفتهم؛ لأنّ المعنى مقدّرين الخلود، وليس كذلك النبوّة؛ فإنه لا سبيل إلى أن تكون موجودة أو مقدّرة وقت وجود البشارة بإسحاق لعدم إسحاق. قلت/ ٢/ ١٣١أ: هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك، والذي يحل الإشكال: أنه لا بدّ من تقدير مضاف محذوف، وذلك قولك: وبشرناه بوجود إسحاق نبيًا، أي بأن يوجد مقدّرة نبوّته؛ فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة، وبذلك يرجع، نظير قوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ حال ثانية، وورودها على سبيل الثناء والتقريظ؛ لأنّ كل نبي لا بدّ أن يكون من الصالحين. وعن قتادة: بشره الله بنبوّة إسحاق بعد ما امتحنه بذبحه (١٣٠٢)، وهذا جواب من يقول: الذبيح إسحاق لصاحبه عن تعلقه بقوله: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ﴾ قالوا: ولا يجوز أن يبشره الله بمولده ونبوّته معاً؛ لأن الامتحان بذبحه لا يصحّ مع علمه بأنه سيكون نبيًا ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ﴾ وقرئ: «وبرّكنا» أي: أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا، كقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِى ٱلدُّنۡيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] وقيل: باركنا على إبراهيم في أولاده، وعلى إسحاق بأن أخرجنا أنبياء بني إسرائيل من صلبه. وقوله: ﴿وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ نظيره: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِى

١٣٠٢ ـ أخرجه الطبري (١٠/٥١٨)، حديث (٢٩٥٥٦).

---

(١) قوله: «فتقديرها صفتهم» لعله: فتقديره. (ع).

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤] وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العرق والعنصر، فقد يلد البر الفاجر، والفاجر البر. وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر، وعلى أن الظلم في أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة، وأنّ المرء يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه، لا على ما وجد من أصله أو فرعه.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ من الغرق. أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم[1]. ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ الضمير لهما ولقومهما في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾. ﴿ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ البليغ في بيانه وهو التوراة، كما قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤] وقال: ومن جوز أن تكون التوراة عربية أن تشتق[2] من ورى الزند «فوعلة» منه، على أنّ التاء مبدلة من واو. ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ صراط أهل الإسلام، وهي صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

قرئ: «إلياس» بكسر الهمزة، والياس: على لفظ الوصل. وقيل: هو إدريس النبي. وقرأ ابن مسعود: «وإنّ إدريس»، في موضع إلياس. وقرئ: «إدراس»، وقيل: هو إلياس بن ياسين، من ولد هارون أخي موسى ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أتعبدون بعلاً، وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل. وقيل: كان من ذهب، وكان طوله عشرين ذراعاً، وله أربعة أوجه، فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن، وجعلوهم أنبياءه، فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة، والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس، وهم أهل بعلبك

---

(١) قوله: «وغشمهم» في الصحاح «الغشم»: الظلم. (ع).
(٢) قوله: «أن تشتق» لعله: يجوز أن تشتق. (ع).

من بلاد الشام، وبه سميت مدينتهم بعلبك. وقيل: البعل: الرب، بلغة اليمن، يقال: من بعل هذه الدار، أي: من ربها؟ والمعنى: أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ﴾ قرئ: بالرفع على الابتداء، وبالنصب على البدل، وكان حمزة إذا وصل نصب، وإذا وقف رفع، وقرئ: على الياسين. وإدريسين. وإدراسين. وإدرسين، على أنها لغات في إلياس وإدريس. ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى. وقرئ: «على الياسين» بالوصل، على أنه جمع يراد به إلياس وقومه، كقولهم: الخبيبون والمهلبون. فإن قلت: فهلا حملت على هذا إلياسين على القطع وأخواته؟ قلت: لو كان جمعاً لعرف بالألف واللام. وأما من قرأ: «على آل ياسين» فعلى أنّ ياسين اسم أبي إلياس، أضيف إليه الآل.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿مُّصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح، يعني: تمرون على منازلهم في متاجركم إلى الشام ليلاً ونهاراً، فما فيكم عقول تعتبرون بها.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

قرئ: «يونس» بضم النون وكسرها. وسمي هربه من قومه بغير إذن ربه: إباقا على طريقة المجاز. والمساهمة: المقارعة. ويقال: استهم القوم، إذا اقترعوا. والمدحض: المغلوب المقروع. وحقيقته: المزلق/ ٢/ ١٣١ب عن مقام الظفر والغلبة. روي: أنه حين ركب في السفينة وقفت، فقالوا: ههنا عبد أبق من سيده، وفيما يزعم البحارون أنّ السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر، فاقترعوا، فخرجت القرعة على يونس، فقال: أنا الآبق، وزجّ بنفسه في الماء ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ داخل في الملامة. يقال: رب لائم مليم، أي يلوم غيره وهو أحقّ منه باللوم. وقرئ: «مليم» بفتح الميم، من ليم فهو مليم، كما جاء: مشيب في مشوب، مبنيًا على شيب. ونحوه: مدعي، بناء على دعى. ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح والتقديس. وقيل: هو قوله في بطن الحوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقيل: من المصلين. وعن ابن عباس:

كل تسبيح في القرآن فهو صلاة (١٣٠٣). وعن قتادة: كان كثير الصلاة في الرخاء (١٣٠٤). قال: وكان يقال: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر، وإذا صرع وجد متكأً. وهذا ترغيب من الله عزّ وجلّ في إكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله، وإقباله على عبادته، وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة؛ لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق والشدائد ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ﴾ الظاهر لبثه فيه حيًّا إلى يوم البعث. وعن قتادة: لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة (١٣٠٥). وروي أنه حين ابتلعه أوحى الله إلى الحوت: إني جعلت بطنك له سجناً، ولم أجعله لك طعاماً. واختلف في مقدار لبثه، فعن الكلبي: أربعون يوماً، وعن الضحاك: عشرون يوماً. وعن عطاء: سبعة. وعن بعضهم: ثلاثة. وعن الحسن: لم يلبث إلاّ قليلاً، ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه. وروي: أنّ الحوت سار مع السفينة رافعاً رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح، ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر، فلفظه سالماً لم يتغير منه شيء، فأسلموا، وروي: أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل. والعراء: المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ اعتلّ مما حلّ به، وروي: أنه عاد بدنه كبدن الصبيّ حين يولد. واليقطين: كل ما ينسدح على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل، وهو «يفعيل» من قطن بالمكان إذا قام به. وقيل: هو الدباء. وفائدة الدباء: أن الذباب لا يجتمع عنده ـ وقيل لرسول الله ﷺ: إنك لتحب القرع، قال: «أجل هي شجرة أخي يونس» (١٣٠٦) وقيل: هي التين، وقيل: شجرة الموز، تغطى بورقها، واستظلّ بأغصانها، وأفطر على ثمارها. وقيل: كان يستظلّ بالشجرة وكانت وعلة[1] تختلف إليه، فيشرب من لبنها.

١٣٠٣ ـ أخرجه الطبري (٩/٢٠٨)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٨٢) في تفسيره: «بالعشي والإبكار» عن قتادة، وذكره الزيلعي (٣/ ١٨٠) حديث (١٠٩٢)، وزاد نسبه إلى ابن مردويه، قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري وابن مردويه من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ قوله ورواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة موقوفاً، انتهى.

١٣٠٤ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥٢٧)، حديث (٢٩٥٩٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٤٣)، وعزاه لأحمد وابن أبي حاتم والطبري عن الحسن. . . فذكر ذلك لقتادة قال: «لا، إنما كان يعمل في الرخاء».

١٣٠٥ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥٢٧)، حديث (٢٩٥٩٩) مختصراً وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤٤) وعزاه لعبد بن حميد، والطبري، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

١٣٠٦ ـ ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ١٨١) وقال: غريب وعزاه لابن مردويه بنحوه. وقال الحافظ: لم أجده، وأخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود في قصة يونس قال عبد الله: قال النبي ﷺ ـ واليقطين القرع. انتهى.

---

(١) قوله: «وكانت وعلة يقال: هي شاة جبلية. (ع).

وروي: أنه مرّ زمان على الشجرة فيبست، فبكى جزعاً، فأوحى الله إليه: بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة ألف في يد الكافر، فإن قلت: ما معنى ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً﴾؟ قلت: أنبتناها فوقه مظلة له؛ كما يطنب البيت على الإنسان ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ﴾ المراد به ما سبق من إرساله إلى قومه وهم أهل نينوى. وقيل: هو إرسال ثان بعد ما جرى عليه إلى الأولين، أو إلى غيرهم. وقيل: أسلموا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى؛ لأنّ النبيّ إذا هاجر عن قومه لم يرجع إليهم مقيماً فيهم، وقال لهم: إن الله باعث إليكم نبيًّا ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ في مرأى الناظر؛ أي: إذا رآها الرائي قال: هي مائة ألف أو أكثر، والغرض: الوصف بالكثرة ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ إلى أجل مسمى، وقرئ: «ويزيدون» بالواو، و«حتى حين».

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ معطوف على مثله في أوّل السورة، وإن تباعدت بينهما المسافة، أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أوّلاً، ثم ساق الكلام موصولاً بعضه ببعض، ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها؛ حيث جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم: الملائكة بنات الله، مع كراهتهم الشديدة لهنّ، وَوَأْدِهِنَّ، واستنكافهم من ذكرهنّ. ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر، أحدها: التجسيم؛ لأن الولادة مختصة بالأجسام، والثاني: تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم، كما قال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الزخرف: ١٧]، ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف: ١٨]، والثالث: أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم إليه، حيث أنثوهم، ولو قيل لأقلهم وأدناهم: فيك أنوثة، أو شكلك شكل النساء، للبس لقائله جلد النمر، ولانقلبت حماليقه[1]، وذلك في أهاجيهم بين مكشوف، فكرّر الله سبحانه الأنواع/ ٢/ ١٣٢أ كلها في كتابه مرّات، ودلّ على فظاعتها في آيات: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٨٩]، ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

---

(١) قوله: «ولانقلبت حماليقه» في الصحاح «حملاق العين»: باطن أجفانها الذي يسوده الكحل، اهـ. (ع).

[الأنبياء: ٢٦]، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦]، ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ﴾ [الصافات: ١٥١ - ١٥٢]، ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥]، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [النحل: ٥٧]، ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الطور: ٣٩]، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢]، ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الصافات: ١٥٣]، ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الزخرف: ١٦]، ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: ١٩]. ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾. فإن قلت: لم قال: ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ فخصّ علم المشاهدة؟ قلت: ما هو إلا استهزاء بهم وتجهيل لهم، وكذلك قوله: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩] ونحوه قوله: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١] وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة، لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم. ولا بإخبار صادق، ولا بطريق استدلال ونظر. ويجوز أن يكون المعنى: أنهم يقولون ذلك، كالقائل قولاً عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لإفراط جهلهم، كأنهم قد شاهدوا خلقهم. وقرئ: «ولد الله» أي الملائكة ولده. والولد «فعل» بمعنى مفعول، يقع على الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث. تقول: هذه ولدي، وهؤلاء ولدي. فإن قلت: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ﴾ بفتح الهمزة: استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد، فكيف صحّت قراءة أبي جعفر بكسر الهمزة على الإثبات؟ قلت: جعله من كلام الكفرة بدلاً عن قولهم: ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾، وقد قرأ بها حمزة والأعمش رضي الله عنهما. وهذه القراءة - وإن كان هذا محملها - فهي ضعيفة، والذي أضعفها: أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها، وذلك قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾؟ فمن جعلها للإثبات، فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين(١). وقرئ: «تَذْكُرونَ» من ذَكَرَ. ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ﴾ أي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله، ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ الذي أنزل عليكم في ذلك، كقوله تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الروم: ٣٥] وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم، وإنكار فظيع، واستبعاد لأقاويلهم شديد؛ وما الأساليب التي وردت عليها إلاّ ناطقة بتسفيه أحلام قريش، وتجهيل نفوسها، واستركاك عقولها، مع استهزاء وتهكم وتعجيب، من أن يخطر مخطر مثل ذلك على بالٍ ويحدّث به نفساً؛ فضلاً أن يجعله

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وليست دخيلة بين نسبتين؛ لأن لها مناسبة ظاهرة مع قولهم: «ولد الله» فأما قوله: «وإنهم لكاذبون» فهي جملة اعتراض بين مقالتي الكفرة جاءت للتشديد والتأكيد في كون مقالتهم تلك هي من إفكهم. ونقل أبو البقاء: أنه قرئ «اصطفى» بالمد، قال: وهو بعيد جدًّا. انتهى. الدر المصون.

معتقداً ويتظاهر به مذهباً.

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿وَجَعَلُوا۟﴾ بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة ﴿نَسَبًا﴾ وهو زعمهم أنهم بناته، والمعنى: جعلوا بما قالوا: نسبة بين الله وبينهم، وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة. فإن قلت: لم سمى الملائكة جنة؟ قلت: قالوا: الجنس واحد، ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرًّا كله فهو شيطان، ومن طهر منهم ونسك وكان خيراً كله فهو ملك؛ فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم، وإنما ذكرهم بهذا الاسم وضعاً منهم وتقصيراً بهم. وإن كانوا معظمين في أنفسهم أن يبلغوا منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم. وفيه إشارة إلى أن من صفته الاجتنان والاستتار ـ وهو من صفات الأجرام ـ لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك. ومثاله: أن تسوّي بين الملك وبين بعض خواصه ومقرّبيه، فيقول لك: أتسوّى بيني وبين عبدي؟ وإذا ذكره في غير هذا المقام وقّره وكناه. والضمير في ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ للكفرة. والمعنى: أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة، وقد علم الملائكة أنهم في ذلك كاذبون مفترون، وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون، والمراد المبالغة في التكذيب؟ حيث أضيف إلى علم الذين ادّعوا لهم تلك النسبة. وقيل: قالوا إنّ الله صاهر الجن فخرجت الملائكة. وقيل: قالوا: إن الله والشيطان أخوان.

وعن الحسن: أشركوا الجن في طاعة الله. ويجوز إذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير في ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ لهم، والمعنى أن الشياطين عالمون بأنّ الله يحضرهم النار ويعذّبهم، ولو كانوا مناسبين له أو شركاء في وجوب الطاعة لما عذّبهم ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع من المحضرين، معناه: ولكن المخلصين ناجون. وسبحان الله: اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه. ويجوز أن يقع الاستثناء من الواو في يصفون، أي: يصفه هؤلاء بذلك، ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ لله عزّ وجلّ: ومعناه: فإنكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعاً بفاتنين على الله إلاّ أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها. فإن قلت: كيف يفتنونهم/ ٢/ ١٣٢ب على الله؟ قلت: يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهزائهم، من قولك: فتن فلان على فلان امرأته، كما تقول: أفسدها عليه وخيبها

عليه. ويجوز أن يكون الواو في ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ بمعنى مع، مثلها في قولهم: كل رجل وضيعته، فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته، وأنّ كل رجل وضيعته، جاز أن يسكت على قوله: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾﴾، لأن قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ سادّ مسدّ الخبر؛ لأن معناه: فإنكم مع ما تعبدون. والمعنى: فإنكم مع آلهتكم، أي: فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها، ثم قال: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على ما تعبدون ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ بباعثين أو حاملين على طريق الفتنة والإضلال ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ﴾ ضال مثلكم. أو يكون في أسلوب قوله [من الوافر]:

فَــإِنَّــكَ وَالْــكِــتَــابُ إِلَــى عَــلِــيٍّ كَــدَابِــغَــةٍ وَقَــدْ حَــلِــمَ الأَدِيــمُ[1]

وقرأ الحسن «صالُ الجحيم» بضم اللام. وفيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يكون جمعاً، وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف. فإن قلت: كيف استقام الجمع مع قوله: ﴿مَنْ هُوَ﴾؟ قلت: من موحد اللفظ مجموع المعنى، فحمل هو على لفظه، والصالون على معناه، كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة. والثاني: أن يكون أصله صائل على القلب، ثم يقال: صال في صائل، كقولهم: شاك في شائك. والثالث: أن تحذف لام صال تخفيفاً ويجري الإعراب على عينه، كما حذف من قولهم: ما باليت به بالة، وأصلها بالية من بالى، كعافية من عافى. ونظيره قراءة من قرأ: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٥٤]، ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَآتُ﴾ [الرحمٰن: ٢٤] بإجراء الإعراب على العين.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿وَمَا مِنَّآ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، كقوله [من الوافر]:

أَنَــا ٱبْــنُ جَــلاَ وَطَــلاَّعُ الــثَّــنَــايَــا ....[2]

* * *

(١) لعمرو بن العاص. وقيل للوليد بن عقبة بن أبي معيط، يحرض معاوية على حرب علي بن أبي طالب، وحلم الجلد حلماً، كتعب تعباً: إذا فسد ودوّد وتنقب. وحلم بالضم، حلماً بالكسر: عفى مع القدرة. وحلم بالفتح، حلماً بالضم: رأى في منامه شيئاً. يقول: فإنك وكتابك الواصل إلى علي ترجو به استقامته كرجل كثير الدبغ للجلد، أو كامرأة دابغة له، والحال أنه قد فسد ولم ينفع فيه الدبغ. والمقصود: تشبيه حالة بأخرى. ويجوز أن الواو للمعية لا للعطف، فالمعنى تشبيه معاوية بالدابغة.
ينظر: البحر (٢/ ١٨٥)، (اللسان) (حلم)، الدر المصون (١(٥٥٠).

(٢) تقدم.

[ومن الرجز]:

....   بِكَفِّيْ كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرْ[1]

مقام معلوم في العبادة، والانتهاء إلى أمر الله مقصور عليه لا يتجاوزه، كما روي: فمنهم راكع لا يقيم صلبه، وساجد لا يرفع رأسه ﴿لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ نَصُفُّ أقدامنا في الصلاة، أو أجنحتنا في الهواء. منتظرين ما نؤمر. وقيل: نصفُّ أجْنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين. وقيل: إنّ المسلمين إنما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية. وليس يصطف أحد من أهل الملل في صلاتهم غير المسلمين ﴿ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ المنزهون أو المصلون. والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩﴾ [الصافات: ١٥٩] من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾ [الصافات: ١٥٨] كأنه قيل: ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزّة، وقالوا: سبحان الله، فنزهوه عن ذلك، واستثنوا عباد الله المخلصين وبُرّأهم منه، وقالوا للكفرة: فإذا صحّ ذلك فإنكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحداً من خلقه وتضلّوه إلاّ من كان مثلكم ممن علم الله ـ لكفرهم، لا لتقديره وإرادته[2]، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيراً ـ أنهم من أهل النار، وكيف نكون مناسبين لربّ العزّة ويجمعنا وإياه جنسية واحدة؟ وما نحن إلاّ عبيد أذلاء بين يديه، لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفراً؛ خشوعاً لعظمته وتواضعاً لجلاله، ونحن الصافون أقدامنا لعبادته وأجنحتنا، مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين، وكما يجب على العباد[3] لربهم. وقيل: هو من قول رسول الله ﷺ، يعني: وما من المسلمين أحد إلاّ له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله، من قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ثم ذكر أعمالهم وأنهم هم الذين يصطفون في الصلاة يسبحون الله وينزهونه مما يضيف إليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه.

﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٦٩ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ١٧٠﴾

هم مشركو قريش كانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ أي كتاباً ﴿مِّنَ﴾ كتب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾

---

(١) تقدم.

(٢) قوله: «لا لتقديره وإرادته تعالى» مبني على مذهب المعتزلة أن الله لا يقدر الشر ولا يريده. وقال أهل السنة: إن كل كائن فهو بقضاء الله وقدره، كما بين في علم التوحيد. (ع).

(٣) قوله: «وكما يجب على العباد لربهم» لعله كما يجب. كعبارة النسفي. (ع).

الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل؛ لأخلصنا العبادة لله، ولما كذبنا كما كذبوا، ولما خالفنا كما خالفوا، فجاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار، والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب، فكفروا به. ونحوه ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام. و«إن» هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة. وفي ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادّين فيه، فكم بين أوّل أمرهم وآخره.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ (١٧٣)﴾

الكلمة: قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ (١٧٣)﴾ وإنما سماها كلمة وهي كلمات عدّة؛ لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة. وقرئ: «كلماتنا» والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا، وعلوهم عليهم في الآخرة، كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢] ولا يلزم انهزامهم[١] في بعض المشاهد، وما جرى عليهم من القتل فإن الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة، وكفى بمشاهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين مثلاً يحتذى عليها وعبراً يعتبر بها./ ٢/ ١٣٣أ وعن الحسن رحمه الله: ما غلب نبيّ في حرب ولا قتل فيها، ولأن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه: الظفر والنصرة ـ وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة ـ والحكم للغالب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة. وفي قراءة ابن مسعود: «على عبادنا»، على تضمين سبقت معنى حقت.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥)﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عنهم وأغض[٢] على أذاهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى مدة يسيرة وهي مدّة الكف عن القتال. وعن السدي: إلى يوم بدر. وقيل: إلى الموت. وقيل: إلى يوم القيامة ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ وما يقضى عليهم من الأسر والقتل والعذاب في الآخرة، فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة. والمراد بالأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة، الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة، وأنّ كينونتها قريبة كأنها قدام

(١) قوله: «ولا يلزم انهزامهم» أي لا يرد نقضاً للغلبة والنصر. (ع).

(٢) قوله: «وأغض على أذاهم» في الصحاح «الإغضاء»: إدناء الجفون. (ع).

ناظريك. وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه. وقوله: ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ للوعيد كما سلف لا للتبعيد.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره، ولا أخذوا أهبتهم، ولا دبروا أمرهم تدبيراً ينجيهم، حتى أناخ بفنائهم بغتة، فشنّ عليهم الغارة وقطع دابرهم، وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحاً، فسميت الغارة صباحاً وإن وقعت في وقت آخر، وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك إلا لمجيئها على طريقة التمثيل، وقرأ ابن مسعود: فبئس صباح. وقرئ: «نزل بساحتهم» على إسناده إلى الجار والمجرور كقولك: ذهب بزيد ونزل، على: ونزل العذاب. والمعنى: فساء صباح المنذرين صباحهم، واللام في المنذرين مبهم في جنس من أنذروا؛ لأنّ ساء وبئس يقتضيان ذلك. وقيل: هو نزول رسول الله ﷺ يوم الفتح بمكة. وعن أنس رضي الله عنه: لما أتى رسول الله ﷺ خيبر - وكانوا خارجين إلى مزارعهم ومعهم المساحي - قالوا: محمد والخميس، ورجعوا إلى حصنهم. فقال عليه الصلاة والسلام: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» (١٣٠٧) وإنما ثنى ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ ليكون تسلية

١٣٠٧ - أخرجه البخاري (٢/ ١٠٧) كتاب الأذان: باب «ما يحقن بالأذان من الدماء» رقم (٦١٠)، (١/ ٥٧٢) كتاب الصلاة: باب «ما يذكر في الفخذ» رقم (٣٧١)، (٢/ ٥٠٧، ٥٠٨) كتاب الخوف: باب «التبكير والغلس بالصبح، والصلاة عند الإغارة والحرب»، رقم (٩٤٧)، (٤/ ٤٨٩)، كتاب البيوع: باب «بيع العبد والحيوان بالحيوان نسيئة» رقم (٢٢٢٨) طرفا منه، (٤/ ٤٩٤)، كتاب البيوع: باب «هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها» رقم (٢٢٣٥)، (٦/ ٩٨) كتاب الجهاد والسير: باب «فضل الخدمة في الغزو» رقم (٢٨٨٩)، (٦/ ١٠١، ١٠٢) كتاب الجهاد والسير: باب «من غزا بصبي للخدمة» رقم (٢٨٩٣)، (٦/ ١٣٠) كتاب الجهاد والسير: باب «دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة» رقم (٢٩٤٣ - ٢٩٤٤ - ٢٩٤٥)، (٦/ ١٥٦) كتاب الجهاد والسير: باب «التكبير عند الحرب» رقم (٢٩٩١)، (٦/ ٢٢٢، ٢٢٣) كتاب الجهاد والسير: باب «ما يقول إذا رجع من الغزو» رقم (٣٠٨٥ - ٣٠٨٦)، (٦/ ٢٢٣، ٢٢٤) كتاب الجهاد والسير: باب «الصلاة إذا قدم من سفر» رقم (٣٠٨٧)، (٦/ ٧٣٢) كتاب المناقب: باب «٢٨» رقم (٣٦٤٧)، (٧/ ٤٣٦) كتاب المغازي: باب «أحد جبل يحبنا ونحبه» رقم (٤٠٨٣ - ٤٠٨٤)، (٧/ ٥٣٤) كتاب المغازي: باب «غزوة خيبر» رقم (٤١٩٧ - ٤١٩٨ - ٤١٩٩ - ٤٢٠٠ - ٤٢٠١)، (٧/ ٥٤٧) كتاب المغازي: باب «غزوة خيبر» رقم (٤٢١١ - ٤٢١٢ - ٤٢١٣)، (٩/ ٢٩) كتاب النكاح: باب «اتخاذ السراري، ومن أعتق جارية ثم تزوجها» رقم (٥٠٨٥)، (٩/ ١٣٢) كتاب النكاح: باب «البناء في السفر» رقم =

على تسلية. وتأكيداً لوقوع الميعاد إلى تأكيد. وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول، وأنه يبصروهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة. وقيل: أريد بأحدهما عذاب الدنيا، وبالآخر عذاب الآخرة.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

أضيف الرب إلى العزّة لاختصاصه بها كأنه قيل: ذو العزّة، كما تقول: صاحب صدق لاختصاصه بالصدق. ويجوز أن يراد أنه ما من عزّة لأحد من الملوك وغيرهم إلاّ وهو ربها ومالكها، كقوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]: اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا إليه، مما هو منزه عنه، وما عاناه المرسلون من جهتهم، وما خوّلوه في العاقبة من النصرة عليهم، فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون، والتسليم على المرسلين ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ على ما قيض لهم من حسن العواقب، والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن

= (٥١٥٩)، (٩/ ١٤٠) كتاب النكاح: باب «الوليمة ولو بشاة» رقم (٥١٦٩)، (٩/ ٤٤٠) كتاب الأطعمة: باب «الخبز المرقق، والأكل على الخوان والسفرة» رقم (٥٣٨٧)، (٩/ ٤٦٥) كتاب الأطعمة: باب «الحيس» رقم (٥٤٢٥)، (٩/ ٤٦٦) كتاب الأطعمة: باب «ذكر الطعام» رقم (٤٤٢٨)، (٩/ ٥٧٠) كتاب الذبائح والصيد: باب «لحوم الحمر الإنسية» رقم (٥٥٢٨)، (١٠/ ٢٦) كتاب الأضاحي: باب «ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها» رقم (٥٩٦٨)، (١٠/ ٥٨٤) كتاب الأدب: باب «قول الرجل» جعلني الله فداك» رقم (٦١٨٥)، (١١/ ١٧٧) كتاب الدعوات: باب «التعوذ من غلبة الرجال» رقم (٦٣٦٣)، (١١/ ١٨٢) كتاب الدعوات: باب «الاسعاذة من الجبن والكسل» رقم (٦٣٦٩)، (١٣/ ٣١٦) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب «إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة» رقم (٧٣٣٣)، ومسلم (٢/ ١٠٤٣، ١٠٤٤) كتاب النكاح: باب «فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها» رقم (٨٤/ ١٣٦٥)، والنسائي (٦/ ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤)، كتاب النكاح: باب «البناء في السفر» رقم (٣٣٨٠)، وأحمد (٣/ ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١١١ ـ ١٦٣ ـ ١٦٤ ـ ١٨٦ ـ ٢٠٦ ـ ٢٤٦ ـ ٢٦٣ ـ ٢٧٠ ـ ٢٧١)، والبيهقي (٢/ ٢٣٠) كتاب الصلاة: باب «من زعم أن الفخذ ليست بعورة، وما قيل في السرة والركبة»، (٩/ ٥٥) كتاب السير: باب «قسمة الغنيمة في دار الحرب»، (٩/ ٧٩، ٨٠)، كتاب السير: باب «قتل النساء والصبيان في التبيت والغارة من غير قصد، وما ورد في إباحة التبيت»، وابن حبان (١١/ ٥١، ٥٢)، كتاب السير: باب «ذكر البيان بأن على المرء إذا أتى دار الحرب أن لا يشن الغارة حتى يصبح» رقم (٤٧٤٧). ومالك في «الموطأ» (٢/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩) كتاب السير: الخروج وكيفية الجهاد» رقم (٤٧٤٦)، والترمذي (٤/ ١٢١)، كتاب السير: باب «في البيات والغارات» رقم (١٥٥٠).
قال الحافظ ابن حجر: متفق عليه.

مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد. وعن عليّ رضي الله عنه: «من أحبّ أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: «سبحان ربك رب العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» (١٣٠٨).

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان، وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين» (١٣٠٩).

١٣٠٨ ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) حديث (٣١٩٦)، والبغوى في تفسيره (٤/ ٤٦)، وزاد نسبه للثعلبى في تفسيره وابن أبي حاتم، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه عبد الرزاق والثعلبى من رواية الأصبع بن نباتة عن علي موقوفاً، ورواه ابن أبي حاتم من رواية الشعبي عن النبي ﷺ مرسلاً، انتهى.

١٣٠٩ ـ تقدم برقم (٣٤٦)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبى، وابن مردويه، والواحدي من طرف عن أبي بن كعب رضي الله عنه، انتهى.

سورة ص

مكية، وهي ست وثمانون آية، وقيل ثمان وثمانون آية
[نزلت بعد القمر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾

﴿صٓ﴾ على الوقف وهي أكثر القراءة. وقرئ: بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين، ويجوزْ أن ينتصب بحذف حرف القسم وإيصال فعله، كقولهم: الله لأفعلنّ، كذا بالنصب، أو بإضمار حرف القسم، والفتح في موضع الجرّ، كقولهم: الله لأفعلنّ، بالجرّ وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث؛ لأنها بمعنى السورة، وقد صرفها من قرأ ﴿صٓ﴾ بالجرّ والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل، وقيل: فيمن كسر هو من/ ٢/١٣٣ب المصاداة وهي المعارضة والمعادلة. ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة، ومعناه: ما عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه. فإن قلت: قوله: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ كلام ظاهره متنافر غير منتظم، فما وجه انتظامه؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدّي والتنبيه على الإعجاز كما مرّ في أوّل الكتاب، ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدّي عليه، كأنه قال: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ إنه لكلام معجز. والثاني: أن يكون ﴿صٓ﴾ خبر مبتدأ محذوف، على أنها اسم للسورة، كأنه قال: هذه ص، يعني: هذه السورة التي أعجزت العرب، والقرآن ذي الذكر، كما تقول: هذا حاتم والله، تريد: هذا هو المشهور بالسخاء والله؛ وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال: أقسمت بص والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز ثم قال: بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله، وإذا جعلتها مقسماً بها وعطفت عليها ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل كله، وأن تريد السورة بعينها. ومعناه: أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر، كما تقول: مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة، ولا تريد بالنسمة غير الرجل. والذكر: الشرف

والشهرة، من قولك: فلان مذكور، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أو الذكرى والموعظة، أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها، كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد. والتنكير في ﴿عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ للدّلالة على شدّتهما وتفاقمهما. وقرئ: «في غرّة» أي: في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحقّ.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وعيد لذوي العزّة والشقاق ﴿فَنَادَوا﴾ فدعوا واستغاثوا، وعن الحسن. فنادوا بالتوبة ﴿وَّلَاتَ﴾ هي لا المشبهة بليس، زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رُبَّ، وثَمَّ للتوكيد، وتغير بذلك حكمها؛ حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضيها: إمّا الاسم وإما الخبر، وامتنع بروزهما جميعاً، وهذا مذهب الخليل وسيبويه. وعند الأخفش: أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء، وخصّت بنفي الأحيان. و ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ منصوب بها، كأنك قلت: ولا حين مناص لهم. وعنه: أنّ ما ينتصب بعده بفعل مضمر، أي: ولا أرى حين مناص، ويرتفع بالابتداء: أي ولا حين مناص كائن لهم، وعندهما أن: النصب على: ولات الحين حين مناص، أي: وليس الحين حين مناص، والرفع على ولات حين مناص حاصلاً لهم. وقرئ: «حين مناصٍ» بالكسر، ومثله قول أبي زبيد الطائي [من الخفيف]:

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلاَتَ أَوَانٍ ... فَأَجَبْنَا أَنْ لاَتَ حِينَ بَقَاءِ[1]

---

(١) بعثوا حربنا عليهم وكانوا ... في مقام لو أبصروا ورخاء
ثم لما تشذرت وأنافت ... وتصلوا منها كريه الصلاء
طلبوا صلحنا ولات أوانٍ ... فأجبنا أن لات حين بقاء

لأبي زبيد الطائي، استعار البعث للتسبب. وتنوين مقام ورخاء للتعظيم. والتشذر: التهيؤ للقتال، والتشمر بأطراف الثوب، والتطاول، والوعيد، والركوب من خلف المركوب، والإنافة: الارتفاع، وكل هذا ترشيح لاستعارة البعث، ويجوز أنه شبه الحرب بفارس على طريق المكنية، والبعث والتشذر والإنافة: تخييل. وشبهها بالنار أيضاً فأثبت لها التصلي وهو التدفؤ بالنار تخييلاً. أو استعار التصلي لاقتحام المكاره تصريحية، وطلبوا: جواب لما، أي: لما ذاقوا بأسنا طلبوا صلحنا، والحال أنه ليس الأوان أوان صلح، فأجبناهم بأن هذا ليس وقت بقاء، بل وقت فناء. وأوان: مبني على الكسر لنية الإضافة. وقيل: إنه مبني على الكسر أيضاً لنية الإضافة، ونون للضرورة، وشبهه بنزال في الوزن. وقيل: مجرور على إضمار «من» الاستغراقية الزائدة. وزعم الفراء: أن لات هنا حرف جر. وعليها فتنوين أوان للتمكين. وزعم الزمخشري: أنه على البناء تنوين عوض، ورد بأنه لو كان كذلك لأعرب، وحين نصب على أنه خبر لات في بقاء، ثم تنزيلها منزلة نيتها في حين؛ لأن التقدير: أن لات حين بقائكم، وهو بعيد عن المعنى الجزل.

ينظر: البيت في ديوانه ص ٣٠، والإنصاف ص ١٠٩، وتخليص الشواهد ص ٢٩٥، وتذكرة النحاة =

فإن قلت: ما وجه الكسر في أوان؟ قلت: شبه بإذ في قوله: وأنت إذ صحيح، في أنه زمان قطع منه المضاف إليه وعوض التنوين؛ لأنّ الأصل: ولات أوان صلح. فإن قلت: فما تقول في حين مناص والمضاف إليه قائم؟ قلت: نزل قطع المضاف إليه من مناص؛ لأنّ أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين؛ لاتحاد المضاف والمضاف إليه، وجعل تنوينه عوضاً من الضمير المحذوف، ثم بنى الحين لكونه مضافاً إلى غير متمكن. وقرئ: «ولات» بكسر التاء على البناء، كجير. فإن قلت: كيف يوقف على لات؟ قلت: يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذي تتصل به تاء التأنيث. وأمّا الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة. وأمّا قول أبي عبيد: إنّ التاء داخلة على حين فلا وجه له، واستشهاده بأنّ التاء ملتزقة بحين في الأمام لا متشبث به، فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط. والمناص: المنجا والفوت. يقال: ناصه ينوصه إذا فاته، واستناص: طلب المناص. قال حارثة بن بدر [من الكامل]:

غَمْرُ الْجِرَاءِ إِذَا قَصَرْتُ عِنَانَهُ ... بِيَدِي اسْتَنَاصَ وَرَامَ جَرْيَ الْمُسْحِلِ[1]

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾

﴿مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ﴾ رسول من أنفسهم ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ولم يقل: وقالوا؛ إظهاراً للغضب عليهم، ودلالة على أنّ هذا القول لا يجسر عليه إلاّ الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغيّ الذين قال فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ﴾ [النساء: ١٥١]، وهل ترى كفراً أعظم وجهلاً أبلغ من أن يسموا من صدّقه الله بوحيه كاذباً، ويتعجبوا من التوحيد، وهو الحق الذي لا يصحّ غيره، ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته.

= ص ٧٣٤، وخزانة الأدب ٤/ ١٨٣، ١٨٥، ١٩٠، والدرر ٢/ ١١٩، وشرح شواهد المغني ص ٦٤٠، ٩٦٠، والمقاصد النحوية ٢/ ١٥٦، وبلا نسبة في جواهر الأدب ص ٢٤٩، وخزانة الأدب ٤/ ١٦٩، ٦/ ٥٣٩، ٥٤٥، والخصائص ٢/ ٣٧٠، ورصف المباني ص ١٦٩، ٢٦٢، وسر صناعة الإعراب ص ٥٠٩، وشرح الأشموني ١/ ١٢٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/ ٣٢، ولسان العرب (أون)، (لا)، (لات)، ومغني اللبيب ص ٢٢٥، وهمع الهوامع ١/ ١٢٦.

(١) لحارثة بن بدر، يصف فرساً بأنه كثير المجاراة لغيره من الأفراس، إذا قصرت: أي جذبت عنانه، استناص: أي طلب النوص والهرب والنجاء من الأعداء. وشبه الفرس بمن تصح منه الإرادة على طريق المكنية، والروم تخييل، أي: أراد جرياً كجري المُسْحِلِ وهو حمار الوحش، سمي به لكثرة سحاله، أي شهيقه.
ينظر ديوانه (ص ٣٥٩)، لسان العرب (نوص)، (جرا)، تهذيب اللغة (١٢/ ٢٤٦)، بلا نسبة في كتاب العين (٧/ ١٦٠).

روي: أنّ إسلام عمر رضي الله تعالى عنه فرح به المؤمنون فرحاً شديداً، وشقّ على قريش وبلغ منهم، فاجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا (١٣١٠)، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، يريدون الذين دخلوا في الإسلام، وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فاستحضر أبو طالب رسول الله ﷺ وقال: يا ابن أخي، هؤلاء قومك يسألونك السؤال(١) فلا تمل/ ٢/ ١٣٤أ كل الميل على قومك، فقال رسول الله ﷺ: «ماذا يسألونني؟» قالوا: ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلٰهك، فقال عليه السلام: «أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطيّ أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟» فقالوا: نعم وعشراً، أي نعطيكها وعشر كلمات معها، فقال: «قولوا: لا إلٰه إلاّ الله» فقاموا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ أي: بليغ في العجب. وقرئ: «عجّاب» بالتشديد، كقوله تعالى: ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢] وهو أبلغ من المخفف. ونظيره: كريم وكرام وكرّام: وقوله: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ مثل قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] في أن معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم، كأنه قال: أجعل الجماعة واحداً في قوله؛ لأنّ ذلك في الفعل محال.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾

﴿ٱلْمَلَأُ﴾ أشراف قريش، يريد: وانطلقوا عن مجلس أبي طالب، بعد ما بكتهم رسول الله ﷺ بالجواب العتيد، قائلين بعضهم لبعض: ﴿ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟﴾ فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الأمر ﴿لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ أي: يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه، وما أراد الله

١٣١٠ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٥) كتاب التفسير: باب ومن سورة ص، حديث (٣٢٣٢)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٣٥) كتاب السير: باب ممن تأخذ منهم، حديث (٨٧٦٩)، وأحمد (١/ ٣٦٢) والطبري (١٠/ ٥٥٠)، حديث (٢٩٧٣٧)، وابن حبان: صحيحه (١٥/ ٧٩، ٨٠)، حديث (٦٦٨٦) عن ابن عباس والحاكم (٢/ ٤٣٢) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٥٥) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.
والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٤٥) عن ابن عباس به، وقال الحافظ ابن حجر: ذكره الثعلبي بغير سند، وروى الترمذي والنسائي، وابن حبان، وأحمد، وإسحاق، وأبو يعلى، والطبري، وابن أبي حاتم، وغيرهم من طريق يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: «مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاء النبي ﷺ..... الحديث نحوه» وليس فيه أوله. انتهى.

---

(١) قوله: «يسألونك السؤال فلا تمل» لعله السواء، كما في عبار النسفي. (ع).

كونه فلا مردّ له ولا ينفع فيه إلا الصبر، أو إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه، أو إن دينكم لشيء يراد، أي: يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه. و (أن) بمعنى أي؛ لأنّ المنطلقين عن مجلس التقاول لا بدّ لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم، فكان انطلاقهم مضمناً معنى القول، ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول، وأنهم قالوا: امشوا، أي: أكثروا واجتمعوا، من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها. ومنه: الماشية؛ للتفاؤل، كما قيل لها: الفاشية. قال رسول الله ﷺ: «ضموا فواشيكم»[(1)] (١٣١١) ومعنى ﴿وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ﴾: واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها، وقرئ: «وانطلق الملأ منهم امشوا» بغير (أن) على إضمار القول. وعن ابن مسعود: «وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا»﴿فِى ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ في ملة عيسى التي هي آخر الملل؛ لأنّ النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة. أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا، أو ما سمعنا بهذا كائناً في الملة الآخرة، على أن تجعل (في الملة الآخرة) حالاً من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين. والمعنى: أنّا لم نسمع من أهل الكتاب ولا من الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله. ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ أي: افتعال وكذب.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِى شَكٍّ مِّن ذِكۡرِىۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِى ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٌ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾﴾

أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم، كما قالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوّة من بينهم ﴿بَلۡ هُمۡ فِى شَكٍّ﴾ من القرآن، يقولون في أنفسهم: أما وأما. وقولهم: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾

١٣١١ ـ أخرجه مسلم (٧/ ٢٠٣ نووي): كتاب الأشربة: باب الأمر بتغطية الإناء و...، حديث (٢٠١٣)، والبخاري في الأدب المفرد ص (٣٥٦)، حديث (١٢٢٦) وأحمد (٣/ ٣٠١)، (٣/ ٣٩٥) وابن خزيمة (١/ ٦٨)، حديث (١٣٢)، وابن حبان في صحيحه (٤/ ٩١، ٩٢)، حديث (١٢٧٥، ١٢٧٦)، والبغوى في شرح السنة (٥/ ٥٥٥): كتاب السير والجهاد: باب متى يخرج إلى السفر، حديث (٢٦٦٦) ومسند أبي يعلى (٣/ ٣٠٥، ٣٠٦)، حديث (١٧٧١)، من حديث جابر، وقال الحافظ: أخرجه ابن حبان من حديث جابر رضي الله عنه بلفظ «كفوا» وأصله في مسلم، انتهى.

---

(١) قوله: «ضموا فواشيكم» بقيته في الصحاح: «حتى تذهب فحمة العشاء». (ع).

كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد. ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ بعد، فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد[(١)] حينئذ، يعني: أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب مضطرين إلى تصديقه. ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ يعني: ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا، ويتخيروا للنبوّة بعض صناديدهم، ويترفعوا بها عن محمد عليه الصلاة والسلام. وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه، الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها، الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله، كما قال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا﴾ [الزخرف: ٣٢] ثم رشح هذا المعنى فقال: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي يختص بها ربّ العزّة والكبرياء، ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال: فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة، وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوّة دون من لا يحق له ﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى العرش، حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله، وينزلوا الوحي إلى من يختارون ويستصوبون، ثم خسأهم خساءة[(٢)] عن ذلك بقوله: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١﴾ يريد: ما هم إلا جيش من الكفار المتحزبين على رسل الله، مهزوم مكسور عما قريب[(٣)] فلا تبال بما يقولون،

---

(١) قال محمود: «معناه لم يذوقوه بعد. فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم... إلخ» قلت: ويؤخذ منه أن لما لائقة بالجواب، وإنما ينفى بها فعل يتوقع وجوده، كما يقول سيبويه، وفرق بينها وبين لم بأن لم نفي لفعل يتوقع وجوده لم يقبل مثبته قد، ولما نفي لما يتوقع وجوده أدخل على مثبته قد؛ وإنما ذكرت ذلك لأني حديث عهد بالبحث في قوله عليه الصلاة والسلام: «الشفعة فيما لم يقسم» فإني استدللت به على أن الشفعة خاصة بما يقبل القسمة، فقيل لي: إن غايته أنه أثبت الشفعة فيما نفي عنه القسمة، فإما أنها لا تقبل قسمة، وإما أنها تقبل ولم تقع القسمة، فأبطلت ذلك بأن آلة النفي المذكورة «لم» ومقتضاها قبول المحل للفعل المنفي وتوقع وجوده. ألا تراك تقول: الحجر لا يتكلم، ولو قلت: الحجر لم يتكلم؛ لكان ركيكاً من القول؛ لإفهامه قبوله للكلام.

(٢) قوله: «ثم خسأهم خسأة» في الصحاح: خسأت الكلب خسأ: طردته، وخسأ بنفسه يتعدى ولا يتعدى. (ع).

(٣) قال محمود: «ثم تهكم بهم غاية التهكم، فقال: إن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة فكانت عندهم المعرفة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإتياء النبوة دون من لا يستحق؛ فليَرتقوا في المعارج والطرق الموصلة إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله تعالى، وينزلوا الوحي على من يختارونه. قال: ثم خسأهم بقوله: (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) معناه: إن هؤلاء إلاَّ جند متحزبون على النبي ﷺ عما قليل يهزمون ويولون الأدبار» قال أحمد: الاستواء المنسوب لله ليس مما يتوصل إليه بالصعود في المعارج والوصول إلى العرش والاستقرار عليه والتمكن فوقه؛ لأن الاستواء المنسوب إلى الله تعالى ليس استواء استقرار =

ولا تكترث لما به يهذون. و (ما) مزيدة، وفيها معنى الاستعظام، كما في قول امرىء القيس [من البسيط]:

.... فَحَدِيثُ مَا عَلَى قِصَرِهْ[1]

إلا أنه على سبيل الهزء و ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم، من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله: لست هنالك.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ (١٥)﴾

﴿ذُو الْأَوْتَادِ﴾ أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده، قال/ ٢/ ١٣٤ب [من البسيط]:

وَالْبَيْتُ لاَ يُبْتَنَى إِلاَّ بِأَعْمِدَةٍ ... وَلاَ عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ[2]

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر، كما قال الأسود [من الكامل]:

.... فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ[3]

= بجسم ـ تعالى الله عن ذلك ـ وإنما هو صفة فعل، أي فعل فيه فعلاً سماه استواء، هذا تأويل القاضي أبي بكر، وليست عبارة الزمخشري في هذا الفصل مطابقة للمفصل على جاري عاداته في تحرير العبارة على مراده.

(١) جد بالوفاق لمشتاق إلى سهره ... إن لم تجد فحديث ما على قصره

المراد بالوفاق: الوصال. وضمير «سهره» للمشتاق أو للوفاق. وحديث: مبتدأ خبره محذوف، أي: تجود به. وما زائدة للتعميم. ويجوز أنها للتعظيم. لكن الأول أوفق بالمقام. وعلى بمعنى مع، وضمير «قصره»: للحديث.

ينظر ديوانه ص (١٢٧)، لسان العرب (هنا)، مقاييس اللغة (٦/ ٦٨)، تاج العروس (هنا)، بلا نسبة في تهذيب اللغة (٦/ ٤٣٦)، ديوان الأدب (٤/ ٢٩)، والدر المصون ١/ ١٦٣.

(٢) والبيت لا يبتنى إلا بأعمدة ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

فإن تجمع أسباب وأعمدة ... وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

للرافدة الأودي، يقول: لا ينال الأمر إلا بتوافر أسبابه، فالبيت من باب التمثيل: شبه توقف الأمر على أسبابه وتوقف أسبابه على أسبابها بتوقف ضرب الخيمة على انتصاب الأعمدة، وتوقف انتصابها على إثبات الأوتاد المشدودة بالحبال، ثم قال: فإن اجتمعت الحبال المشدودة بالأوتاد الثابتة وانتصبت الأعمدة ووجد الساكن بلغ مراده، وهو بمعنى الجمع، فصح جمع ضميره، وكاده كيداً: عالجه علاجاً، أي: بلغوا الأمر الذي كادوه، أي عالجوه لتحصيله.

ينظر ديوانه (ص ١٠)، لسان العرب (كيد)، تاج العروس (٩/ ١٢٠) (كود).

(٣) ماذا أؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلهم وبعد إياد؟ =

وقيل: كان يشبح[1] المعذب بين أربع سوار، كل طرف من أطرافه إلى سارية مضروب فيه وتد من حديد، ويتركه حتى يموت. وقيل: كان يمدّه بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات. وقيل: كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ قصد بهذه الإشارة الإعلام بأنّ الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم، وأنهم هم الذين وجد منهم التكذيب[2]. ولقد ذكر تكذيبهم أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام، ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها: بأنّ كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل؛ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوهم جميعاً. وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه، والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أوّلاً وبالاستثنائية ثانياً، وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشدّ العقاب وأبلغه، ثم قال: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أي: فوجب لذلك أن أعاقبهم حقّ عقابهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أهل مكة. ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب؛ لاستحضارهم بالذكر، أو لأنهم كالحضور عند الله. والصيحة: النفخة ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾

= جرت الرياح على مقر ديارهم ... فكأنهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة ... في ظل ملك ثابت الأوتاد
فإذا النعيم وكل ما يلهي به ... يوماً يصير إلى بلى ونفاد

للأسود بن يعفر. يقول: لا أتمنى شيئاً بعدهم من الدنيا. ومحرق: هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدي اللخمي. والإياد ـ في الأصل ـ: تراب يجمع حول الحوض والبيت. يحفظه عن المطر والسيول، من الأيدي: وهو القوة. وإياد: علم علي بن نزار بن معد، فهو أخو مضر وربيعة. والمراد به هنا القبيلة. وروي: وآل إياد، عطفاً على آل محرق. وغني بالمكان كرضي: أقام به. والبلى: الانمحاق. والنفاد: الفناء. يقول: تركوا منازلهم: جملة مستأنفة لبيان نفي التأميل، واعتراضية بين المتعاطفين. وقوله: «جرت الرياح» مستأنف لبيان حال القبيلتين، يقول: تفانوا فجرت الرياح على محل ديارهم، وجريان الرياح على مقر الديار؛ لانهدام الجدران التي كانت تمنع الرياح، وذلك كناية عن موتهم، وأفاد أن فناءهم كان سريعاً كأنه دفعة واحدة بقوله: فكأنهم كانوا على ميعاد واحد، ولقد أقاموا بأرغد عيشة، وشبه الملك الذي به عزهم وصونهم بخيمة مضروبة عليهم، والظل: الترشيح، والأوتاد تخييل. وإذا معناها المفاجأة. أي فظهر بغتة أن كل نعيم لا محالة زائل، أي: فأدركهم المحاق والفناء.
ينظر الدر المصون (٣/٣٠٦).

(١) قوله: «وقيل: كان يشبح المعذب» أي يمده، أفاده الصحاح. (ع).

(٢) قال محمود: «قصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم، وأنهم الذين وجد التكذيب منهم» قال أحمد: وفي تكرار تكذيبهم فائدة أخرى: وهي أن الكلام لما طال بتعديد آحاد المكذبين، ثم أريد ذكر ما حاق بهم من العذاب جزاء لتكذيبهم، كرر ذلك مصحوباً بالزيادة المذكورة، ليلي قوله تعالى: (فحق عقاب) على سبيل التطرية المعتادة عند طول الكلام، وهو كما قدمته في قوله: (وكذب موسى) حيث كرر الفعل؛ ليقترن بقوله: (فأمليت للكافرين).

وقرئ بالضم: ما لها من توقف مقدار فواق، وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع، يعني: إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً﴾ [النحل: ٦١] وعن ابن عباس: ما لها من رجوع وترداد (١٣١٢)، من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة. وفواق الناقة: ساعة ترجع الدرّ إلى ضرعها، يريد: أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾

القط: القسط من الشيء؛ لأنه قطعة منه، من قطه إذا قطعه. ويقال لصحيفة الجائزة: قط؛ لأنها قطعة من القرطاس، وقد فسر بهما قوله تعالى: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي نصيبنا من العذاب الذي وعدته، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧] وقيل: ذكر رسول الله ﷺ وعد الله المؤمنين بالجنة؛ فقالوا على سبيل الهزء: عجل لنا نصيبنا منها. أو عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

فإن قلت: كيف تطابق قوله: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ وقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ حتى عطف أحدهما على صاحبه؟ قلت: كأنه قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: اصبر على ما يقولون، وعظم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصة داود، وهو أنه نبيّ من أنبياء الله تعالى قد أولاه ما أولاه من النبوّة والملك؛ لكرامته عليه وزلفته لديه، ثم زلّ زلّة فبعث إليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض؛ حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب، ووجد منه ما يُحكَى من بكائه الدائم وغمّه الواصب[1]، ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد النظر إليها والندم عليها، فما الظنّ بكم مع كفركم ومعاصيكم؟ أو قال له ﷺ: اصبر على ما يقولون، وصن نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم، واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زلّ تلك الزلّة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته إلى البغي ما لقي. ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ ذا القوّة في الدين

١٣١٢ ـ أخرجه الطبري (١٠/٥٥٨)، حديث (٢٩٧٧٧، ٢٩٧٧٨).

(١) قوله: «وغمه الواصب» أي: الدائم. (ع).

المضطلع بمشاقه وتكاليفه، كان على نهوضه بأعباء النبوّة والملك يصوم يوماً ويفطر يوماً، وهو أشدّ الصوم، ويقوم نصف الليل. يقال: فلان أيد، وذو أيد، وذو آد. وأياد كل شيء: ما يتقوّى به ﴿أَوَّابٌ﴾ توّاب رجاع إلى مرضاة الله. فإن قلت: ما دلك على أنّ الأيد القوّة في الدين؟ قلت: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ لأنه تعليل لذي الأيد. ﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ وقت الإشراق، وهو حين تشرق الشمس، أي: تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى، وأما شروقها فطلوعها، يقال: شرقت الشمس، ولما تشرق[1]. وعن أمّ هانئ: دخل علينا رسول الله ﷺ فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال: «يا أمّ هانئ هذه صلاة الإشراق» (١٣١٣). وعن طاووس، عن ابن عباس قال: هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن؟ قالوا: لا، فقرأ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨﴾ (١٣١٤) وقال: كانت صلاة يصليها داود عليه السلام، وعنه: ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية، وعنه: لم يزل في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ وكان لا يصلي صلاة الضحى (١٣١٥)، ثم صلاها بعد. وعن كعب أنه قال لابن عباس: إني لا أجد في كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس، فقال: أنا أوجدك ذلك في كتاب الله تعالى، يعني هذه الآية. ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا

١٣١٣ ـ أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٣٥)، حديث (٤٢٥٨)، والبغوى في تفسيره (٤/ ٥١) آية (١٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٣): كتاب معرفة الصحابة: أم هانىء، وذكره الزيلعى (٣/ ١٨٧، ١٨٨) وزاد نسبته إلى الثعلبى وابن مردويه وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٦١) ونسبه إلى الطبراني في الأوسط وابن مردويه.

قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه، والثعلبى، والواحدي، والبغوى، والطبراني كلهم من رواية أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس: حدثتني أم هانىء، ورواه الحاكم من وجه آخر عن عبد الله ابن الحرث عن ابن عباس: «كان لا يصلى الضحى حتى أدخلناه على أم هانىء فقلت لها: أخبري ابن عباس قالت: دخل رسول الله ﷺ في بيتي فصلى صلاة الضحى ثمان ركعات، قال: فخرج ابن عباس وهو يقول: «هذه صلاة الإشراق» هذا موقوف وهو أصح. انتهى.

١٣١٤ ـ أخرجه عبد الرزاق (في مصنفه ٣/ ٧٩)، حديث (٤٨٧٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦١) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد. عن عطاء عن ابن عباس.

١٣١٥ ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٧٩) حديث (٤٨٧١).

---

(١) قال محمود: «الإشراق حين تشرق الشمس، أي يصفو نورها وهو وقت الضحى. وأما شروقها فطلوعها. يقال: شرقت الشمس ولما تشرق. ومنه أخذ ابن عباس صلاة الضحى. قال: ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا في وقت الشروق، ويكون المراد وقت صلاة الفجر؛ لانتهائه بشروق الشمس» قال أحمد: الوجه الثاني: يفرق بين العشي والإشراق، فإن العشي ظرف بلا إشكال، فلو حمل الإشراق على الدخول في وقت الشروق لكان مصدراً، مع أن المراد به الظرف؛ لأنه فعل الشمس وصفتها التي تستعمل ظرفاً، كالطلوع والغروب وشبههما.

دخلوا في الشروق، ومنه/ ٢/ ١٣٥أ قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۝٧٣﴾ [الحجر: ٧٣] وقول أهل الجاهلية: أشرق[١] ثبير، ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق. ويسبحن: في معنى ومسبحات[٢] على الحال. فإن قلت: هل من فرق بين يسبحن ومسبحات؟ قلت: نعم، وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك، وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال، وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح. ومثله قول الأعشى [من الطويل]:

.... إِلَـى ضَـوْءِ نَـارٍ فِـي يَـفَـاعٍ تَـحَـرَّقُ[٣]

ولو قال: محرقة، لم يكن شيئاً. وقوله: ﴿مَحْشُورَةً﴾ في مقابلة (يسبحن) إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء، جيء به اسماً لا فعلاً. وذلك أنه لو قيل: وسخرنا الطير يحشرن ـ على أنّ الحشر يوجد من حاشرها شيئاً بعد شيء، والحاشر هو الله عزّ وجلّ ـ لكان خلفاً؛ لأنّ حشرها جملة واحدة أدلّ على القدرة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح، واجتمعت إليه الطير فسبحت، فذلك حشرها. وقرئ: «والطير محشورة» بالرفع. ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ كل واحد من الجبال والطير لأجل داود، أي: لأجل تسبيحه مسبح؛ لأنها كانت تسبح بتسبيحه، ووضع الأوّاب موضع المسبح: إمّا لأنها كانت ترجع التسبيح، والمرجع

---

(١) قوله: «أشرْق ثبير» كانوا يقولون: أشرق ثبير كيما نغير، كيما في الصحاح. (ع).

(٢) قال محمود: «إن قلت لم اختار يسبحن على مسبحات وأيهما وقع كان حالاً؟ وأجاب بأن اختيارهما لمعنى وهو الدلالة على حدوث التسبيح شيئاً بعد شيء، كأن السامع محاضر لها فيسمعها تسبح، ومنه قول الأعشى:

.... إلـى ضـوء نـار فـي يـفـاع تـحـرق

ولو قال: محرقة لم يكن شيئاً. قال أحمد: ولهذه النكتة فرق سحنون من أصحابنا بين: أنا محرم يوم أفعل كذا بصيغة اسم الفاعل وبين أحرم بصيغة المضارع، فرأى أن المعلق بصيغة اسم الفاعل يكون محرماً بوجود صيغة التعليق، ولا كذلك المعلق بصيغة الفعل المضارع، فإنه لا يكون محرماً حتى يحرم، ويقال له: أحرم، فكأنه رأى أن صيغة الفعل خصوصية في الدلالة على حدوثه، ولا كذلك اسم الفاعل وإن كان متأخراً. وأصحابنا اختلفوا في معنى قول سحنون في اسم الفاعل يكون محرماً يوم يفعل، فمنهم من قال: أراد الفور فينشىء إحراماً، ومنهم من قال: يكون محرماً في الحال بالتعليق الأول ولا يجدد شيئاً، ومذهب مالك: التسوية بين صيغتي اسم الفاعل والفعل في هذا المقام، والله أعلم. وحقق الزمخشري هذا الفرق بين اسم الفاعل والفعل في قوله: (والطير محشورة كل له أواب) فقال: لما كان الواقع حشر الطير دفعة واحدة، وكان ذلك أدل على القدرة، لم يكن لاستعمال الفعل الدال على الحدوث شيئاً فشيئاً معنى، فاستعمل فيه اسم المفعول على خلاف استعمال الفعل في الأول.

(٣) تقدم.

رجاع؛ لأنه يرجع إلى فعله رجوعاً بعد رجوع، وإمّا لأن الأوّاب ـ وهو التوّاب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته ـ من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه. وقيل: الضمير لله، أي: كل من داود والجبال والطير لله أوّاب، أي مسبح مرجع للتسبيح. ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قوّيناه، قال تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ [القصص: ٣٥] وقرئ: و«شدّدنا» على المبالغة. قيل: كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم[1] يحرسونه (١٣١٦) وقيل: الذي شدّ الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة، أنّ رجلاً ادّعى عنده على آخر بقرة، وعجز عن إقامة البينة، فأوحى الله تعالى إليه في المنام أن اقتل المدّعى عليه، فقال: هذا منام، فأعيد الوحي في اليقظة، فأعلم الرجل، فقال: إنّ الله عزّ وجلّ لم يأخذني بهذا الذنب، ولكن بأني قتلت أبا هذا غيلة، فقتله، فقال الناس: إن أذنب أحد ذنباً أظهره الله عليه، فقتله، فهابوه (١٣١٧). ﴿الْحِكْمَةَ﴾ الزبور وعلم الشرائع. وقيل: كل كلام وافق الحق فهو حكمة. الفصل: التمييز بين الشيئين. وقيل للكلام البين: فصل، بمعنى المفصول كضرب الأمير؛ لأنهم قالوا: كلام ملتبس، وفي كلامه لبس. والملتبس: المختلط، فقيل في نقيضه: فصل، أي: مفصول بعضه من بعض، فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه، ومن فصل الخطاب وملخصه: أن لا يخطىء صاحبه مظانّ الفصل والوصل، فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه، ولا يتلو قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤] إلا موصولاً بما بعده، ولا ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ﴾ حتى يصله بقوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢] ونحو ذلك، وكذلك مظانّ العطف وتركه، والإضمار والإظهار والحذف والتكرار، وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل، كالصوم والزور، وأردت بفصل الخطاب: الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والصواب والخطأ، وهو كلامه في القضايا والحكومات، وتدابير الملك والمشورات. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو قوله: البينة على المدّعي واليمين على المدّعى عليه. وهو من الفصل بين الحق والباطل، ويدخل فيه قول بعضهم: هو قوله: «أمّا بعد»؛ لأنه يفتتح إذا تكلم في الأمر الذي له شأن بذكر الله وتحميده، فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه: فصل بينه وبين ذكر الله بقوله: أمّا بعد. ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخلّ ولا إشباع

١٣١٦ ـ أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٥٨٦) عن السدي وابن جرير الطبري (١٠/٥٦٣)، حديث (٢٩٨١٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦٣) وعزاه لهما عن السدي.

١٣١٧ ـ أخرجه الطبري (١٠/٥٦٣)، حديث (٢٩٨١١).

---

(١) قوله: «مستلئم» أي: لابس اللأمة، وهي الدرع، أفاده الصحاح. (ع).

مملّ. ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله ﷺ: فصل لا نذر ولا هذر (١٣١٨).

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ (٢٢)﴾

كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته، وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها. وقد روينا أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك، فاتفق أنّ عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا، فأحبّها، فسأله النزول له عنها، فاستحيا أن يردّه ففعل، فتزوجها وهي أمّ سليمان، فقيل له: إنك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزول، بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به. وقيل: خطبها أوريا ثم خطبها داود، فآثره أهلها، فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن/ ٢/ ٣٥ب، مع كثرة نسائه. وأمّا ما يذكر أنّ داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال: يا رب إنّ آبائي قد ذهبوا بالخير كله، فأوحى إليه: إنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها؛ قد ابتلي إبراهيم بنمروذ وذبح ولده، وإسحاق بذبحه وذهاب بصره، ويعقوب بالحزن على يوسف، فسأل الابتلاء فأوحى الله إليه: إنك لمبتلى في يوم كذا وكذا، فاحترس، فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور، فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب، فمدّ يده ليأخذها لابن له صغير، فطارت، فامتدّ إليها، فطارت فوقعت في كوّة، فتبعها، فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها، وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء[1]، فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء. أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت، وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد، ففتح الله على يده وسلم، فأمر بردّه مرة أخرى، وثالثة، حتى قتل، فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء، وتزوج امرأته (١٣١٩). فهذا ونحوه مما يقبح أن

١٣١٨ ـ تقدم في سورة الأعراف، وقال الحافظ: هو حديث أم معبد، وقد تقدم في سورة الأعراف، وفي الأدب لأبي داود من حديث عائشة «كان كلام رسول الله ﷺ فصلاً يفهمه من سمعه. انتهى.

١٣١٩ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥٧٠)، حديث (٢٩٨٥٢) عن ابن عباس وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٦٦) وعزاه للطبري عن ابن عباس بمعناه.

---

(١) قوله: «من غزاة البلقاء» في الصحاح: مدينة بالشام. (ع).

يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين[1] فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء. وعن سعيد بن المسيب والحارث الأعور أنّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين، وهو حدّ الفرية على الأنبياء (١٣٢٠). وروي أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق، فكذب المحدث به، وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها، وأعظم بأن يقال غير ذلك، وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها ستراً على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه، فقال عمر: لسماعي هذا الكلام أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس. والذي يدلّ عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس إلاّ طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب. فإن قلت: لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح؟ قلت: لكونها أبلغ في التوبيخ، من قبل أن التأمل إذا أدّاه إلى الشعور بالمعرض به، كان أوقع في نفسه، وأشدّ تمكناً من قلبه، وأعظم أثراً فيه، وأجلب لاحتشامه وحيائه، وأدعى إلى التنبه على الخطأ فيه من أن يبادره به صريحاً، مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة، ألا ترى إلى الحكماء كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة بأن يعرض له بإنكارها عليه ولا يصرح، وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه، وذلك أزجر له؛ لأنه ينصب ذلك مثالاً لحاله ومقياساً لشأنه، فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة، مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة. فإن قلت: فلم كان ذلك على وجه التحاكم إليه؟ قلت: ليحكم بما حكم به من قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: ٢٤] حتى يكون محجوجاً بحكمه ومعترفاً على نفسه بظلمه. ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ ظاهره الاستفهام، ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد، والتشويق إلى استماعه، والخصم: الخصماء، وهو يقع على الواحد والجمع، كالضيف. قال الله تعالى: ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]؛ لأنه مصدر في أصله، تقول: خصمه خصماً؛ كما تقول: ضافه ضيفاً. فإن قلت: هذا جمع. وقوله: «خصمان» تثنية، فكيف استقام ذلك؟ قلت: معنى خصمان: فريقان خصمان، والدليل عليه قراءة من قرأ: خصمان بغى بعضهم على بعض، ونحوه قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]. فإن قلت: فما تصنع بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ [ص: ٢٣]

١٣٢٠ ـ ذكره الزيلعي (٣/ ١٨٨)، حديث (١١٠١)، وقال الحافظ لم أجده.

---

(١) قوله: «من أفناء المسلمين» في الصحاح: يقال: هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممن هو. وعبارة النسفي بدل قوله: فهذا ونحوه... إلخ: فلا يليق من المتسمين... إلخ. (ع).

وهو دليل على اثنين؟ قلت: هذا قول البعض، المراد بقوله: بعضنا على بعض. فإن قلت: فقد جاء في الرواية أنه بعث إليه ملكان. قلت: معناه أن التحاكم كان بين ملكين، ولا يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون. فإن قلت: فإذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعاً خصماً في قوله: ﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ و ﴿خَصْمَانِ﴾؟ قلت: لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به. فإن قلت: بم انتصب (إذ)؟ قلت: لا يخلو إما أن ينتصب بأتاك، أو بالنبأ، أو بمحذوف، فلا يسوغ انتصابه بأتاك؛ لأنّ إتيان النبأ رسول الله ﷺ لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود، ولا بالنبأ؛ لأن النبأ الواقع في عهد داود لا يصحّ إتيانه رسول الله ﷺ. وإن أردت بالنبأ: القصة في نفسها لم يكن ناصباً، فبقي أن ينتصب بمحذوف، وتقديره: وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم. ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل، وأما إذ الثانية فبدل من الأولى. ﴿تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ تصعدوا سوره ونزلوا إليه، والسور: الحائط المرتفع ونظيره في الأبنية: تسنمه، إذ علا سنامه، وتذرّاه: إذا علا ذروته. روي: أنّ الله تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين، فطلبا أن يدخلا عليه، فوجداه في يوم عبادته، فمنعهما الحرس فتسوّرا عليه المحراب، فلم يشعر إلاّ وهما بين يديه جالسان ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ قال ابن عباس: إنّ داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء: يوماً للعبادة، ويوماً للقضاء، ويوماً للاشتغال بخواص أموره، ويوماً يجمع ٢/١٣٦أ بني إسرائيل فيعظهم ويبكيهم؛ فجاءوه في غير يوم القضاء ففزع منهم، ولأنهم نزلوا عليه من فوق، وفي يوم الاحتجاب، والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه ﴿خَصْمَانِ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: نحن خصمان. ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ ولا تجر. وقرئ: «ولا تشطط»، أي: ولا تبعد عن الحق. وقرئ: ولا تشطط، ولا تشاطط، وكلها في معنى الشطط: وهو مجاوزة الحدّ وتخطي الحق. و ﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ وسطه ومحجته، ضربه مثلاً لعين الحق ومحضه.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أَخِى﴾ بدل من هذا، أو خبر لـ «إنّ»، والمراد أخوّة الدين، وأخوّة الصداقة والألفة، أو أخوّة الشركة والخلطة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ [ص: ٢٤] كل واحدة من هذه الأخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم. وقرئ: «تسع وتسعون»، بفتح التاء. ونعجة، بكسر النون، وهذا من اختلاف اللغات، نحو نطع ونطع، ولَقْوَة وَلِقْوَة.[1]

---

(١) قوله: «نحو نطع ونطع، ولقوة ولقوة» في الصحاح: «النطع» فيه أربع لغات. وفيه «اللقوة»: داء في الوجه، والناقة السريعة اللقاح، والعقاب: الأنثى، واللقوة ـ بالكسر ـ: مثله. (ع).

﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ ملكنيها. وحقيقته: اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي. ﴿وَعَزَّنِى﴾ وغلبني، يقال: عزّه يعزّه. قال [من الوافر]:

قَـطَـاةٌ عَـزَّهَـا شَـرَكٌ فَـبَـاتَـتْ ... تُـجَـاذِبُـهُ وَقَـدْ عَـلِـقَ الْـجَـنَـاحُ[1]

يريد: جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أردّه به. وأراد بالخطاب: مخاطبة المحاج المجادل، أو أراد: خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطاباً، أي: غالبني في الخطبة فغلبني؛ حيث زوّجها دوني. وقرئ: «وعازني» من المعازة وهي المغالبة. وقرأ أبو حيوة: «وعزني» بتخفيف الزاي طلباً للخفة، وهو تخفيف غريب، وكأنه قاسه على نحو: ظلت، ومست. فإن قلت: ما معنى ذكر النعاج؟ قلت: كأن تحاكمهم في نفسه تمثيلاً وكلامهم تمثيلاً؛ لأنّ التمثيل أبلغ في التوبيخ؛ لما ذكرنا، وللتنبيه على أنه أمر يستحيا من كشفه، فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الإفصاح به، وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته، ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون، فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه، وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده، والدليل عليه قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ [ص: ٢٤] وإنما خصّ هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة. فإن قلت: إنما تستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال، فإن فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم. قلت: الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة، كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله [من الكامل]:

يَـا شَـاةُ مَـا قَـنَـصٌ لِـمَـنْ حَـلَّـتْ لَـهُ ... .[2]

* * *

---

(١) كـأن الـقـلـب لـيـلـة قـيـل يـغـدى ... بـلـيـلـى الـعـامـريـة أو يـراح
قـطـاة عـزهـا شـرك فـبـاتـت ... تـجـاذبـه وقـد عـلـق الـجـنـاح

لقيس بن الملوح مجنون ليلى العامرية، وقطاة: خبر كأن، وعزها: بمهملة فمعجمة، بمعنى: غلبها وحبسها، يقال: عز يعز بالكسر: تعظم، وبالفتح: قوي. وعزه يعزه ـ بالضم ـ: غلبه، وما هنا من الثالث: شبه قلبه حين سمع برحيلها بحمامة أمسك الشرك جناحها في كثرة الخفقان والاضطراب.

(٢) يـا شـاة مـا قـنـص لـمـن حـلـت لـه ... حـرمـت عـلـيّ ولـيـتـهـا لـم تـحـرم

لعنترة من معلقته يتذكر محبوبته بعد وقوع الحرب بينه وبين قبيلتها؛ فلذلك حرمت عليه. وقيل: كان تزوجها أبوه فحرمت عليه، شبهها بالشاة الوحشية في الحسن والجمال والنفرة عن الرجال، وأن كلا يصطاد بالاحتيال على طريق الاستعارة التصريحية، وذكر القنص ترشيح؛ لأنه يلائم الشاة، وما زائدة، أي يا شاة القنص تعالي، فهذا وقت التفكر في شأنك. وقيل: المنادى محذوف، أي: يا قوم أحضروا شاة قنص، وتعجبوا من حالها، والقنص: الصيد. والقنص ـ بالتحريك ـ والقنيص: المصيد. ويروى: يا شاة من قنص، فقيل: من زائدة، بناء على مذهب الكوفيين، من جواز زيادة =

[من الكامل]:

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ ....[1]

وشبهها بالنعجة من قال [من الخفيف]:

.... كَنِعَاجِ الْفَلاَ تَعَسَّفْنَ رَمْلاَ[2]

= الأسماء. وقيل: نكرة موصوفة. وقنص صفتها من باب الوصف بالمصدر، أي يا شاة إنسان قانص. ولمن حلت: متعلق بمحذوف صفة لها، وحرمت عليّ: التفات على القول بندائها، وهو صفة لها، أو استئناف بيَّن به شأنها، وتمنى عدم حرمتها: ندم على ما وقع من سبب الحرمة.

ينظر ديوانه ص ٢١٣، والأزهية ص ٧٩، ١٠٣، ولسان العرب (شوه)، وخزانة الأدب ٦/ ١٣٠، ١٣٢، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٨١، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ١٢، والأشباه والنظائر ٤/ ٣٠٠، وخزانة الأدب ١/ ٣٢٩، والمغني ١/ ٣٢٩، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/ ٤٥٨، والضرائر لابن عصفور ٨١، وارتشاف الضرب ١/ ٥٤٦، والدرر ١/ ١١٠.

(١) قد كنت رائدها وشاة محاذر ... حذر يقل بعينه إغفالها

فظللت أرعاها وظل يحوطها ... حتى دنوت إذا الظلام دنا لها

فرميت غفلة عينه عن شاته ... فأصبت حبة قلبها وطحالها

للأعشى. وقيل: لعمر بن أبي ربيعة. وضمير رائدها مرجعه في البيت قبله كامرأة أو مفازة، ثم قال: ورب شاة رجل محاذر، فاستعار الشاة للمرأة الجميلة على طريق التصريحية. والمحاذر: الذي يحاذر غيره ويخاف مكره. والحذر: كثير الحذر مستمره، يقل: بضم أوله، من أقل الرباعي. وإغفالها، أي: إغفال عينه. فظللت أراقب الشاة وظل هو يحفظها، حتى قربت لها حين قرب الظلام ودخل الليل، فرميت شاته حين غفلة عينه عن شاته التي كان يحفظها، وفيه نوع تهكم به، وأضاف الغفلة إلى العين دون الشخص؛ لأنها المذكورة أولاً، وللدلالة على قصر الزمن وسرعة الظفر، ولأن القلب لا يغفل عنها لعزتها عنده، بل يذكرها في النوم. وأما العين فتغفل، فأصبت حبة قلبها أي وسطه، وأصبت طحالها، والرمي ترشيح للاستعارة؛ لأنه من ملائمات الشاة. ويصح أن يكون هذا البيت استعارة تمثيلية؛ حيث شبه حالة ظفره بمراده على حين غفلة من الرقيب وإصابة أحشاء المرأة بالحب، بحال من ظفر برمي الشاة بالسهم على غفلة من الراعي، بل يصبح أن يكون قوله: وشاة محاذر... إلى آخر الأبيات: استعارة تمثيلية لتلك الحال، ولا استعارة في الشاة وحدها على هذا.

ينظر ديوانه (ص ٧٧)، لسان العرب (حبب)، (شوه)، كتاب العين /٣/ ٣١)، بلا نسبة في تهذيب اللغة (٤/ ٨)، تاج العروس (حبب)، أساس البلاغة (حبب).

(٢) قلت إذ أقبلت وزهر تهادى ... كنعاج الفلا تعسفن رملا

وتنقبن بالحرير وأبدين ... حور المداعج نجلا

لعمر بن أبي ربيعة. وزهر: عطف على ضمير الفاعل المتصل، ومجيئه بلا فصل قليل. وتهادى: أصله تتهادى، حذف منه إحدى التاءين، وهو صفة زهر. وشبههن بالنعاج الوحشية في حسن المشية وسعة العيون وسوادها. والزهر: جمع زهراء، أي: بيضاء، والفلا: القفر الخالي. والتعسف: الميل عن سواء السبيل، وهو حال من النعاج. ورملا: نصب على نزع الخافض، أي: تمايلن في رمل. وتنقبت المرأة: لبست النقاب. وحور: جمع حوراء، أي: صافيات، والمداعج: الحدقات، من الدعج وهو اتساع سواد العين. والنجل: جمع نجلاء، أي: واسعات. =

لولا أنّ الخلطاء تأباه، إلاّ أن يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلاً لهم ولقصتهم[(١)]. فإن قلت: الملائكة عليهم السلام كيف صحّ منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم؟ قلت: هو تصوير للمسألة وفرض لها، فصوّروها في أنفسهم وكانوا في صورة الأناسي، كما تقول في تصوير المسائل: زيد له أربعون شاة، وعمرو له أربعون، وأنت تشير إليهما، فخلطاها وحال عليها الحول، كم يجب فيها؟ وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد[(٢)] وتقول أيضاً في تصويرها: لي أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها. وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها. فإن قلت: ما وجه قراءة ابن مسعود: «ولي نعجة أنثى[(٣)]»؟ قلت: يقال لك: امرأة أنثى للحسناء الجميلة. والمعنىٰ: وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وفتورها، وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها. ألا ترى إلى وصفهم لها بالكسول والمكسال؛ وقوله [من المتقارب]:

= في ملحق ديوانه ص ٤٩٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١٠١، وشرح عمدة الحافظ ص ٦٥٨، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٧٦، واللمع ص ١٨٤، والمقاصد النحويّة ٤/ ١٦١، وبلا نسبة في الإنصاف ٢/ ٧٩، والخصائص ٢/ ٣٨٦، وشرح الأشموني ٢/ ٤٢٩، وشرح ابن عقيل ص ٥٠١، والكتاب ٢/ ٣٧٩.

(١) قال محمود: «فإن قلت: طريقة التمثيل إنما تستعمل على جعل الخطاب من الخطابة، فإن كان من الخطبة فما وجهه؟ قال: الوجه حينئذ أن تجعل النعجة استعارة للمرأة، كما استعاروا لها الشاة في قوله [من الكامل]:

يا شاة ما قنص لمن حلت له ....

إلاً أن لفظ الخلطاء يأباه، اللهم إلا أن يكون ابتداء مثل من داود عليه السلام، قال أحمد: والفرق بين التمثيل والاستعارة؛ أنه على التمثيل يكون الذي سبق إلى فهم داود عليه السلام أن التحاكم على ظاهره، وهو التخاصم في النعاج التي هي البهائم، ثم انتقل بواسطة التنبيه إلى فهم أنه تمثيل لحاله، وعلى الاستعارة يكون فهم عنهما التحاكم في النساء المعبر عنهن بالنعاج كناية، ثم استشعر أنه هو المراد بذلك.

(٢) قوله: «وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد» في الصحاح: ما له سبد ولا لبد، أي: لا قليل ولا كثير. والسبد: من الشعر، واللبد: من الصوف. (ع).

(٣) قال محمود: «فإن قلت: فما وجه قراءة ابن مسعود: ولي نعجة أنثى. وأجاب بأنه يقال: امرأة أنثى للحسناء الجميلة، ومعناه: وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وفتورها، وذلك أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها. ألا ترى إلى وصفهم إياها بالكسول والمكسال، كقوله: «فتور القيام قطيع الكلام». قال أحمد: ولكن قوله: (ولي نعجة) إنما أورده على سبيل التقليل لما عنده والتحقير؛ ليستجل على خصمه بالبغي لطلبه هذا القليل الحقير وعنده الجم الغفير، فكيف يليق وصف ما عنده والمراد تقليله بصفة الحسن التي توجب إقامة عذر ما لخصمه؛ ولذلك جاءت القراءة المشهورة على الاقتصار على ذكر النعجة، وتأكيد قلتها بقوله: (واحدة)، فهذا إشكال على قراءة ابن مسعود، يمكن الجواب عنه بأن القصة الواقعة لما كانت امرأة أوريا الممثلة بالنعجة فيها مشهورة بالحسن، وصف مثالها في قصة الخصمين بالحسن زيادة في التطبيق؛ لتأكيد التنبيه على أنه هو المراد بالتمثيل.

فَـتُـورُ الْـقِـيَـامِ قَـطُـوعُ الـكَـلاَمِ .... [1]

وقوله [من المنسرح]:

.... تَـمْـشِـي رُوَيْـداً تَـكَـادُ تَـنْـغَـرِفُ [2]

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٢٥)﴾

﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ جواب قسم محذوف. وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه. والسؤال: مصدر مضاف إلى المفعول، كقوله تعالى: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩]، وقد ضمن معنى الإضافة فعدّى تعديتها، كأنه قيل بإضافة ﴿نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ على وجه السؤال والطلب. فإن قلت: كيف سارع إلى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه[3]؟ قلت: ما قال ذلك إلاّ بعد اعتراف صاحبه، ولكنه لم يحك في القرآن؛ لأنه

---

(١) فـتـور الـقـيـام قـطـوع الـكـلام ... لـعـوب الـعـشـاء إذا لـم تـنـم
تـبـذ الـنـسـاء بـحـسـن الـحـديـث ... ودل رخـيـم وخـلـق عـمـم
الفترة: ضعف حركة الأعضاء في العمل. فهي كثيرة الفترة في القيام. وقطوع الكلام: أي قليلته، أو كأنها لا تقدر على إتمام الألفاظ للينها واستحيائها، فكأنها تقطعها تقطيعاً، كثيرة اللعب في وقت العشاء مع زوجها، وإذا لم تنم: إشارة إلى أنها قد تنام من أول الليل، وهو وصف لها بالكسل الذي هو من توابع اللين والأنوثة. وبذ الرجل: إذا ساء خلقه ورث حاله، وبذه الرجل: إذا غلبه، أي تغلبهن بحسن الحديث، والدل والدلال، والتيه، والتغنيج، والتشكيل، والتكسر، والرخاوة، والرخامة، ورقة الصوت ولينه، والتمنع مع الرضاء. واعتم النبت: طال، واعتم الشيء: تم، وجسم عميم: تام، والجمع عمم، كسرير وسرر، ورجل عمم ـ بالإفراد ـ: أي تام، فالمراد أن خلقها أي جسمها تام حسن.
البيت لامرىء القيس، ينظر ديوانه (ص ١٥٧)، الأشباه والنظائر (٥/ ٢٣١).

(٢) مـا أنـس سـلـمـى غـداة تـنـصـرف ... تـمـشـي رويـداً تـكـاد تـنـغـرف
حذف ألف أنس للوزن، أي: لا أنساها، بل أتذكرها وقت انصرافها، وتمشي: بدل مما قبله. وعبر بالمضارع لاستحضار الصورة المستحسنة. ورويداً: نصب يتمشى، أي: مشياً بتؤدة وأناة، تكاد تنغرف: أي تنقطع وتنكسر، وغرفته فانغرف: قطعته فانقطع، أو تكاد تؤخذ من الأرض، كما يغرف الماء باليد، فكأنها ماء لتنكلها وتقطعها في تبخترها. وفرس غروف: كثير الأخذ من الأرض بقوائمه.
البيت لقيس بن الخطيم، ينظر: في ديوانه ص ١٠٦، ولسان العرب (كبر)، (غرف)، وديوان الأدب ١/ ١٨٣، وتهذيب اللغة ٧/ ٢٠٤، ٨/ ١٠٣، ١٠/ ٢٠٩، وتاج العروس (كبر)، (غرف)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٧٩، وأساس البلاغة (خزر).

(٣) قال محمود: «فإن قلت: كيف سارع بتصديق أحد الخصمين قبل سماع كلام آخر، وأجاب بأن =

معلوم. ويروى أنه قال: أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجي مائة، فقال داود: إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا، وأشار إلى طرف الأنف ٢/ ١٣٦ب والجبهة، فقال: يا داود أنت أحقّ أن يضرب منك هذا وهذا، وأنت فعلت كيت وكيت، ثم نظر داود فلم ير أحداً، فعرف ما وقع فيه و﴿ٱلۡخُلَطَآءِ﴾ الشركاء الذين خلطوا أموالهم، الواحد: خليط، وهي الخلطة، وقد غلبت في الماشية؛ والشافعي رحمه الله يعتبرها، فإذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة، أو لكل واحد منهما ماشية على حدة إلاّ أنّ مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة، فهما يزكيان زكاة الواحد، فإن كان لهما أربعون شاة فعليهما شاة وإن كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون، فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد. وعند أبي حنيفة: لا تعتبر الخلطة، والخليط والمنفرد عنده واحد، ففي أربعين بين خليطين؛ لا شيء عنده، وفي مائة وعشرين بين ثلاثة: ثلاث شياه. فإن قلت: فهذه الخلطة ما تقول فيها؟ قلت: عليهما شاة واحدة، فيجب على ذي النعجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي رحمه الله، وعند أبي حنيفة لا شيء عليه، فإن قلت: ماذا أراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام؟ قلت: قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في إيثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة، وأن يكرّه إليهم الظلم والاعتداء الذي عليه أكثرهم، مع التأسف على حالهم، وأن يسلى المظلوم عما جرى عليه من خليطه، وأنّ له في أكثر الخلطاء أسوة. وقرئ: «ليبغي» بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة، وحذفها كقوله [من المنسرح]:

إِضْـرِبَ عَـنْـكَ الْـهُـمُـومَ طَـارِقَـهَـا ....[(1)]

وهو جواب قسم محذوف. وليبغ: بحذف الياء، اكتفاء منها بالكسرة، و (ما) في

= ذلك كان بعد اعتراف خصمه، ولكنه لم يحك في القرآن؛ لأنه معلوم، قال أحمد: ويحتمل أن يكون ذلك من داود على سبيل الفرض والتقدير، أي: إن صح ذلك فقد ظلمك.

(١) إضـرب عـنـك الـهـمـوم طـارقـهـا ضـربـك بـالـسـوط قـونـس الـفـرس

لطرفة بن العبد، وقال أبو حاتم وابن بري: هو مصنوع عليه. واضرب فعل أمر بنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة تقديراً، وحذفها لغير وقف ولالتقاء الساكنين قليل. وقيل: ضرورة، كما هنا. والمعنى: ادفع عنك الهموم، فهو استعارة مصرحة. وضربك بالسوط، أي: كضربك به ترشيح، وطارقها: بدل من الهموم، أي الفاشي لك منها، والسوط: معمول من جلد تساق به الفرس. ويروى: بالسيف، لكنه غير ملائم للفرس، بل للفارس، وقونسها: أعلى رأسها. وقيل: شعر عنقها. ويجوز تشبيه الهموم بحيوان يصح ضربه على طريق المكنية. والضرب تخييل، والطروق ترشيح.

ينظر: النوادر (١٦٥)، الخصائص (١/ ١٢٦)، الممتع (١/ ٣٢٣) شرح المفصل لابن يعيش (٩/ ٤٤)، الدر المصون (٦/ ٩١).

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ للإبهام. وفيه تعجب من قلتهم. وإن أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها، من قول امرىء القيس [من المديد]:

.... وَحَدِيثٌ مَا عَلَى قِصَرِهْ[(1)]

وانظر هل بقي له معنى قط، لما كان الظنّ الغالب يداني العلم، استعير له. ومعناه: وعلم داود وأيقن ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ أنا ابتليناه لا محالة بامرأة أوريا، هل يثبت أو يزل؟ وقرئ: «فتناه» بالتشديد للمبالغة. وأفتناه، من قوله [من الطويل]:

لَئِنْ فَتَنَتْنِي لَهْيَ بِالأَمْسِ أَفْتَنَتْ ....[(2)]

وفتناه وفتناه، على أن الألف ضمير الملكين. وعبر بالراكع عن الساجد؛ لأنه ينحني ويخضع كالساجد. وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه في سجدة التلاوة على أنّ الركوع يقوم مقام السجود. وعن الحسن: لأنه لا يكون ساجداً حتى يركع، ويجوز أن يكون قد استغفر الله لذنبه وأحرم بركعتي الاستغفار والإنابة، فيكون المعنى: وخرّ للسجود راكعاً أي: مصلياً؛ لأنّ الركوع يجعل عبارة عن الصلاة، ﴿وَأَنَابَ﴾ ورجع إلى الله تعالى بالتوبة والتنصل. وروي أنه بقي ساجداً أربعين يوماً وليلة لا يرفع رأسه إلاّ لصلاة مكتوبة أو ما لا بدّ منه، ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه إلى رأسه، ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمع (١٣٢١)، وجهد نفسه راغباً إلى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك، واشتغل

١٣٢١ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥٧٤)، حديث (٢٩٨٥٨)، وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٧٠) وعزاه لعبد الله بن أحمد والطبري عن مجاهد.

---

(١) تقدم.

(٢) لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت ... سعيداً فأمسى قد قلى كل مسلم
وألقى مصابيح القراءة واشترى ... وصال الغواني بالكتاب المنمنم

للأعشى الهمداني. وفتنته المرأة ـ بالتخفيف والتشديد ـ وأفتنته: دلهته وحيرته. و«لهي بالأمس أفتنت» جواب القسم المدلول عليه باللام في قوله: لئن فتنتني. وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم. والمعنى: إن فتنتني فلا أحزن ولا أتعجب، فإن تلك عادتها من قبل، فالمراد بالأمس: الزمن الماضي. وسعيد: هو ابن جبير، كان عالماً تقيًّا. وقلى كل مسلم، أي: بغض كل مسلم سواها. وعبر بالمسلم؛ لأنه يبعد بغضه. والمصابيح: يجوز أنها حقيقة، وأنها مجاز عن الكتب. والغواني: الجميلات. والمنمنم: المحسن بنقوش الكتابة.

ينظر: لسان العرب (فتن)، والمخصّص ٤/ ٦٢، وتاج العروس (فتن)، ولابن قيس الرقيات في الخصائص ٣/ ٣١٥، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في لسان العرب (فتن)، وتهذيب اللغة ١٤/ ٢٨٩، وجمهرة اللغة ص ٤٠٦، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٧٣، وديوان الأدب ٢/ ٣٣٤، وكتاب العين ٨/ ١٢٨.

بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له: إيشا على ملكه ودعا إلى نفسه، واجتمع إليه أهل الزيغ من بني إسرائيل، فلما غفر له حاربه فهزمه. وروي أنه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها (١٣٢٢). وقيل: إنّ الخصمين كانا من الإنس، وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما: إما كانا خليطين في الغنم، وإما كان أحدهما موسراً وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري، والثاني معسراً ما له إلا امرأة واحدة، فاستنزله عنها، وإنما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة أن يكونا مغتالين، وما كان ذنب داود إلاّ أنه صدّق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسألته(١).

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: استخلفناك على الملك في الأرض، كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها. ومنه قولهم: خلفاء الله في أرضه. وجعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحقّ. وفيه دليل على أنّ حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير. ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي بحكم الله تعالى؛ إذ كنت خليفته ﴿وَلَا تَتَّبِعِ﴾ هوى النفس في قضائك وغيره، مما تتصرف فيه من أسباب الدين والدنيا ﴿فَيُضِلَّكَ﴾ الهوى فيكون سبباً لضلالك ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن دلائله التي نصبها في العقول،

١٣٢٢ ـ أخرجه ابن جرير (١٠/ ٥٧٢)، حديث (٢٩٨٥٤)، عن عطاء الخرساني، وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٧٠) وعزاه لأحمد والحكيم الترمذي والطبري عن عطاء الخرساني.

---

(١) قال محمود: «ونقل بعضهم أن هذه القصة لم تكن من الملائكة وليست تمثيلاً وإنما كانت من البشر، إما خليطين في الغنم حقيقة، وإما كان أحدهما موسراً وله نسوان كثيرة من المهائر والسرارى، والثاني معسراً وما له إلاّ امرأة واحدة، فاستنزله عنها، وفزع داود وخوفه أن يكونا مغتالين لأنهما دخلا عليه في غير وقت القضاء، وما كان ذنب داود إلاّ أنه صدق أحدهما على الآخر ونسبه إلى الظلم قبل مسألته، قال أحمد: مقصود هذا القائل تنزيه داود عن ذنب يبعثه عليه شهوة النساء، فأخذ الآية على ظاهرها وصرف الذنب إلى العجلة في نسبة الظلم إلى المدعى عليه؛ لأن الباعث على ذلك في الغالب إنما هو التهاب الغضب، وكراهيته أخف مما يكون الباعث عليه الشهوة والهوى، ولعل هذا القائل يؤكد رأيه في الآية بقوله تعالى عقبها وصية لداود عليه السلام: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) فما جرت العناية بتوصيته فيما يتعلق بالأحكام إلاّ والذي صدر منه أولاً وبان منه من قبيل ما وقع له في الحكم بين الناس، وقد التزم المحققون من أئمتنا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: داود وغيره ـ منزهون من الوقوع في صغائر الذنوب مُبَرّءون من ذلك، والتمسوا المحامل الصحيحة لأمثال سذه القصة، وهذا هو الحق الأبلج، والسبيل الأبهج، إن شاء الله تعالى.

وعن شرائعه التي شرعها وأوحى بها، و ﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ متعلق بنسوا، أي: بنسيانهم يوم الحساب، أو بقوله: (لهم)، أي: لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله. وعن بعض خلفاء بني مروان أنه قال لعمر بن عبد العزيز أو للزهري: هل سمعت ما بلغنا؟ قال: وما هو؟ قال: بلغنا أن الخليفة لا يجري عليه القلم ولا تكتب عليه معصية. فقال: يا أمير المؤمنين، الخلفاء أفضل أم الأنبياء؟ ثم تلا هذه الآية.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿بَٰطِلًا﴾ أي خلقاً باطلاً، لا لغرض صحيح وحكمة بالغة. أو مبطلين عابثين، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ٢/١٣٧أ [الدخان: ٣٩] وتقديره: ذوي باطل أو عبثاً، فوضع باطلاً موضعه، كما وضعوا هنيئاً موضع المصدر، وهو صفة، أي: ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب، ولكن للحق المبين، وهو أن خلقناها نفوساً(١) أودعناها العقل والتمييز، ومنحناها التمكين، وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف، وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم. و ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى خلقها باطلاً، والظنّ: بمعنى المظنون، أي: خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا. فإن قلت: إذا كانوا مقرّين بأن الله خالق السمٰوات والأرض وما بينهما بدليل قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] فبم جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة؟ قلت: لما كان إنكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤدياً إلى أن خلقها عبث وباطل جُعِلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه؛ لأنّ الجزاء هو الذي سبقت إليه الحكمة في خلق العالم من رأسها، فمن جحده فقد جحد الحكمة من أصلها، ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق، وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره، فكان إقراره بكونه خالقاً كلا إقرار.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿أَمْ﴾ منقطعة. ومعنى الاستفهام فيها الإنكار، والمراد: أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد، واتقى وفجر، ومن سوّى بينهم كان سفيهاً ولم يكن حكيماً.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

---

(١) قوله: «وهو أن خلقناها نفوسا» عبارة النسفي: وهو أنا خلقنا نفوساً.

وقرئ: «مباركاً» وليتدبروا: على الأصل، ولتدبروا: على الخطاب. وتدبر الآيات: التفكر فيها، والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة؛ لأن من اقتنع بظاهر المتلو، لم يحل منه بكثير طائل[1]، وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها، ومهرة نثور لا يستولدها. وعن الحسن: قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله: حفظوا حروفه وضيعوا حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة[2]، لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء. اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين، وأعذنا من القراء المتكبرين.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

وقرئ: «نعم العبد» على الأصل[3]، والمخصوص بالمدح محذوف. وعلل كونه ممدوحاً بكونه أوّاباً رجاعاً إليه بالتوبة. أو مسبحاً مؤوّباً للتسبيح مرجعاً له: لأن كل مؤوّب أوّاب. والصافن: الذي في قوله [من الكامل]:

أَلِـفَ الـصّـفُـونَ فَـمَـا يَـزَالُ كَـأَنَّـهُ ... مِـمَّـا يَـقُـومُ عَـلَـى الـثَّـلاَثِ كَـسِـيـرا[4]

---

(١) قوله: «لم يحل منه بكثير طائل» في الصحاح: قولهم: «لم يحل منه بطائل» أي: لم يستفد منه كبير فائدة. وفيه: اللقح ـ بالكسر ـ: الإبل بأعيانها، الواحدة لقوح، وهي الحلوب، مثل: قلوص وقلاص: واللقحة: اللقوح، والجمع لقح مثل قربة قرب، وفيه: ناقة درور، أي: كثيرة اللبن. وفيه: النثور، أي: كثيرة الولد.

(٢) قوله: «ولا الوزعة»، جمع وازع، وهو الذي يكف عن الضرر، والذي يتقدم الصف فيصلحه بالتقديم والتأخير. أفاده الصحاح. (ع).

(٣) قوله: «قرئ نعم العبد على الأصل» لعله بفتح النون وكسر العين. كما يفيده الصحاح. (ع).

(٤) لامرىء القيس. وقيل: للعجاج يصف فرساً. والصفون ـ بالمهملة ـ: الوقوف على سنبك يد أو رجل. والسنبك: طرف حافر الفرس. والصفون ـ بالمعجمة ـ: الجمع بين اليدين في الوقوف، ومما يقوم: خبر كأن، أي: أحب الصفون، كأنه من الجنس الذي يقوم على ثلاث قوائم، أو كأنه مخلوق من القيام على ثلاثة كخلق الإنسان من عجل، حال كونه مكسور القائمة الرابعة، أو كاسرها أي ثانيها، فما موصولة أو مصدرية. وكسيراً: حال، والجملة: خبر يزال، وهذا ما استقر عليه رأي ابن الحاجب في الأمالي بعد كلام طويل، ولو جعلت ما مصدرية، وكسيراً: خبر كأن، كان حقه الرفع، ولو جعلته خبر يزال كما اختاره ابن هشام، لكان المعنى: فلا يزال كسيراً، كأنه مما يقوم =

وقيل: الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل: هو المتخيم. وأما الصافن: فالذي يجمع بين يديه. وعن النبي ﷺ: «من سره أن يقوم الناس له صفوفاً فليتبوّأ مقعده من النار» (١٣٢٣) أي: واقفين كما خدم الجبابرة. فإن قلت: ما معنى وصفها بالصفون؟ قلت: الصفون لا يكاد يكون في الهجن، وإنما هو في العراب الخلص. وقيل: وصفها بالصفون والجودة؛ ليجمع لها بين الوصفين المحمودين: واقفة وجارية، يعني: إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها، وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها. وروي أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس. وقيل: ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة. وقيل: خرجت من البحر لها أجنحة، فقعد يوماً بعد ما صلى الأولى على كرسيه[١] واستعرضها، فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشي، وتهيبوه فلم يعلموه، فاغتم لما فاته، فاستردها وعقرها مقرباً[٢] لله، وبقي مائة، فما بقي في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها، وقيل: لما عقرها أبدله الله خيراً منها، . وهي الريح تجري بأمره. فإن قلت: ما معنى: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾؟ قلت: أحببت: مضمن معنى فعل يتعدى بعن، كأنه قيل: أنبت حب الخير عن ذكر ربي. أو جعلت حب الخير مجزياً أو مغنياً عن ذكر ربي. وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان: أن «أحببت» بمعنى: لزمت من قوله [من الرجز]:

١٣٢٣ ـ أخرجه أبو داوود (٣٩٧/٤، ٣٩٨): كتاب الأدب: باب قيام الرجل للرجل، حديث (٥٢٢٩)، والترمذي (٥/ ٩٠، ٩١): كتاب الأدب: باب ما جاء من كراهية قيام الرجل للرجل (٢٧٥٥)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ٣٥٧، ٣٥٨، بتحقيقنا): كتاب الاستئذان باب لا يقيم الرجل. . . ، حديث (٣٢٢٣)، والطبراني في معجمه الكبير (١٩/ ٣٢٠)، حديث (٧٢٤)، وأحاديث (٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٥٢)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٤)، حديث (٢٥٥٨٢)، وابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٣٣٦)، حديث (٢٥٣١)، عن أبي مجلز قال خرج معاوية فقام عبد الله بن الزبير.
وذكره الزيلعي (٣/ ١٨٩)، حديث (١١٠٢)، وقال: غريب ـ أي بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف.
قال الحافظ: لم أجده هكذا، أو في السنن حديث معاوية «من سره أن يتمثل الناس له قياماً» وفي الغريب لأبي عبيد من حديث البراء، رضي الله عنه، كنا إذا صلينا مع رسول الله ﷺ ـ فرفع رأسه قمنا معه صفوفاً. انتهى.

= على الثلاث، على ما مر. ويجوز أن يكون المعنى: فلا يزال كسيراً من قيامه على الثلاث، وكأنه اعتراض، وخبره محذوف، أي كأنه كسير. وفائدته الاحتراس.

ينظر: الأزهية (ص ٨٧)، أمالي ابن الحاجب (٢/ ٦٣٥)، شرح شواهد المغني (٢/ ٧٢٩)، لسان العرب (صفن)، معني اللبيب (١/ ٣١٨)، البحر المحيط (٧/ ٣٨٨)، الدر المصون (٥/ ٥٣٤).

(١) قوله: «بعد ما صلى الأولى على كرسيه» عبارة النسفي. صلى الظهر. (ع).
(٢) قوله: «وعقرها مقرباً لله» عبارة النسفي: تقربا. (ع).

وليس بذاك. والخير: المال، كقوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧﴾ [العاديات: ٨] والمال: الخيل التي شغلته. أو سمى الخيل خيراً كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها. قال رسول الله ﷺ: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» (١٣٢٤) وقال في زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم: «ما وُصف لي رجل

١٣٢٤ ـ ورد عن جماعة من الصحابة: منهم، عروة البارقي، وعبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وجرير بن عبد الله، وأبي كبشة، وابن مسعود وجابر.
أما حديث عروة البارقي فأخرجه البخاري ٦/ ٦٤ في الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير (٢٨٥٠)، و(٦/٦٦)، باب الجهاد ماض مع البر والفاجر (٢٨٥٢)، و٦/ ٢٥٣ في فرض الخمس (٣١١٩)، ٦/ ٧٣١ في المناقب (٣٦٤٣). ومسلم ٣/ ٩٣ ١٤ في الإمارة. باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (٩٨/ ٩٩/ ٨٧٣)، والنسائي ٦/ ٢٢٢ في الجهاد، باب فتل ناصية الفرس، وابن ماجه ٢/ ٩٢٣ في الجهاد، باب ارتباط الخيل في سبيل الله (٢٧٨٦)، وأحمد ٤/ ٣٧٥، ٣٧٦، وأبو يعلى (٦٨٢٨)، والحميدي في مسنده ٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣ برقم (٨٤١، ٨٤٢)، والدارمي ٢/ ٢١١، ٢١٢ في الجهاد، باب فضل الخيل في سبيل الله، وسعيد بن منصور في سننه ٢/ ١٩٨ في الجهاد. باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (٢٤٢٦) والطيالسي في الجهاد ١/ ٢٤١ برقم (١١٨٤، ١١٨٥)، والطبراني ١٧/ ١٥٥ برقم (٣٩٦ ـ ٤٠٠). والبيهقي ٦/ ١١٢ في القراض، باب المضارب يخالف بما فيه زيادة لصاحبه و٦/ ٣٢٩ في قسم الفيء، باب الإسهام للفرس دون غيره من الدواب، ٩/ ٥٢ في السير. باب تفضيل الخيل و١٠/ ١٥ في كتاب السبق والرمي، باب ارتباط الخيل عدة في سبيل الله عز وجل. والطحاوي في شرح معاني الآثار =

---

(١)
كيف قربت عمك القرشبا؟ ... حين أتاك لاغباً مخبا
حلت عليه بالقفيل ضربا ... تبًّا لمن بالهون قد ألبا
مثل بعير السوء إذ أحبا

لأبي محمد الفقعسي. والقرشب ـ بكسر أوله وفتح ثالثه ـ: المسن، واللاغب، من اللغوب: وهو التعب. والمخب من أخبه: إذا حمله على الخبب، وهو نوع من السير. أو من أخب: إذا لزم المكان كما قيل. وحلت: أي قمت ووثبت عليه. والقفيل: السوط. وضربا: بمعنى ضاربا. أو تضربه ضرباً. والتب: الهلاك، وهو دعاء عليه، وفعله محذوف وجوباً. والهون ـ بالضم ـ: الهوان: وألب بالمكان: أقام به، ورواه الأصمعي هكذا:

كيف قربت شيخك الأذبا؟ ... لما أتاك يابسا قرشبا
قمت عليه بالقفيل ضربا ... مثل بعير السوء إذ أحبا

والذبب: كثرة الشعر وطوله. والأذب: البعير نبت على حاجبيه شعيرات، فإذا ضربته الريح نفر وهاج. وقال الجوهري: الإخباب: البروك. وهو في الإبل كالحران في الخيل.
ينظر: جمهرة اللغة ص ٣٠٨، وشرح المفصّل ١/ ٢٨، والكتاب ٣/ ٣٢٦، ولسان العرب (حبب)، (رزب)، وما ينصرف وما لا ينصرف ص ١٢٣، ومجالس ثعلب ١/ ٢٠٢، والمقتضب ٤/ ٩، وتاج العروس (حبب).

فرأيته إلا كان ٢/ ١٣٧ب دون ما بلغني إلا .. ..

= ١/ ٢٧٤، ٢٧٥، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٢٧ والبغوى في شرح السنة. بتحقيقنا ٥/ ٥٣٠ في السير والجهاد، باب اتخاذ الخيل للجهاد (٢٦٣٩) من طرق عنه به.

وأما حديث ابن عمر فأخرجه البخاري ٦/ ٦٤ في الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (٢٨٤٩)، ٦/ ٧٣١ في المناقب (٣٦٤٤) ومسلم ٣/ ١٤٩٢، ١٤٩٣ في الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (٩٦/ ١٨٧١) عن النسائي ٦/ ٢٢١ ـ ٢٢٢ في الخيل، باب فتل ناصية الفرس.

وأما حديث جرير فأخرجه مسلم ٣/ ١٤٩٣ في الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (٩٧/ ١٨٧٢)، والنسائي ٦/ ٢٢١ في الخيل، باب فتل ناصية الفرس. وأحمد ٤/ ٣٦١. والطحاوي ٣/ ٢٧٤ والبغوي في شرح السنة بتحقيقنا ٥/ ٥٣٠ برقم (٢٦٤٠) من طريق يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة عن جرير بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ يلوي ناصية فرس بأصبعه وهو يقول: الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة».

وأما حديث أبي كبشة فأخرجه الطبراني ٢٢/ ٣٣٩ برقم (٨٤٩) وابن حبان (١٦٣٥ ـ موارد) والطحاوي ٢/ ٢٧٤، والحاكم ٢/ ٩١ ـ من طريق ابن وهب حدثني معاوية بن صالح. حدثني نعيم ابن زياد أنه سمع أبا كبشة صاحب النبي ﷺ يقول: الخيل معقود في نواصيها الخير، وأهلها معانون عليها. والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه الزيادة، ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٦٢. رجاله ثقات.

وأما حديث ابن مسعود عند أبي يعلى (٥٣٩٦). قال حدثنا داود بن رشيد. حدثنا بقية بن الوليد عن علي بن علي حدثني يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن مسعود قال: جاءه رجل فقال: أسمعت رسول الله ﷺ يقول في الخيل شيئاً؟ قال: نعم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الخيل معقود فذكره مطولاً.

وذكره الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٨٠ وقال: رواه أبو يعلى. وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس. وبقية رجاله ثقات.

وأما حديث جابر فأخرجه أحمد ٣/ ٣٥٢ من طريق إبراهيم بن إسحاق وعلي بن إسحاق، حدثنا ابن المبارك عن عتبة بن أبي حكيم حدثني حصين بن حرملة عن أبي مصبح عن جابر به.

وأخرجه أبو يعلى في معجم شيوخه(١٩٥) من طريق يحيى بن سعيد الأموي عن مجاهد عن الشعبي عن جابر عن النبي ﷺ مرفوعاً.

وأخرجه ابن عدي في الكامل ٧/ ٢٥٥٧ من طريق الحسن بن سفيان حدثنا محمد بن الصباح. حدثنا علي بن ثابت عن الوازع عن أبي سلمة عن جابر.

وذكره الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٦١ وقال: رواه أحمد، والطبراني في الأوسط باختصار ورجال أحمد ثقات.

وقال الحافظ في الفتح ٦/ ٦٧: روى حديث الخيل معقود في نواصيها الخير. جمع من الصحابة غير من تقدم ذكره. وهم ابن عمر وعروة وأنس وجرير وممن لم يتقدم سلمة بن نفيل ٦/ ٢١٤، وأبو هريرة عند النسائي. وعتبة بن عبد السلمي عند أبي داود (٢٥٤٢) وجابر، وأسماء بنت يزيد (٦/ ٤٥٥) وأبو ذر ٥/ ١٨١ عند أحمد وابن مسعود عند أبي يعلى وأبو كبشة عند أبي عوانة وابن =

زيد الخيل» (١٣٢٥) وسماه زيد الخير. وسأل رجل بلالاً رضي الله عنه عن قوم يستبقون: من السابق؟ فقال: رسول الله ﷺ. فقال له الرجل: أردت الخيل. فقال: وأنا أردت الخير (١٣٢٦). والتواري بالحجاب: مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك. أو المخبأة بحجابهما. والذي دلّ على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشي، ولا بد للمضمر من جري ذكر أو دليل ذكر. وقيل: الضمير للصافنات، أي: حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام. ومن بدع التفاسير: أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه. ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ فجعل يمسح مسحاً، أي: يمسح بالسيف بسوقها وأعناقها، يعني: يقطعها. يقال: مسح علاوته، إذا ضرب عنقه، ومسح المسفر الكتاب[1] إذا قطع أطرافه بسيفه. وعن الحسن: كسف عراقيبها وضرب أعناقها، أراد بالكسف: القطع، ومنه: الكسف في ألقاب الزحاف في العروض. ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف. وقيل: مسحها بيده؛ استحساناً لها وإعجاباً بها. فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾؟ قلت: بمحذوف، تقديره: قال ردّوها عليّ، فأضمر وأضمر ما هو جواب له، كأن قائلاً قال: فماذا قال سليمان؟ لأنه موضع مقتضٍ للسؤال اقتضاءً ظاهراً، وهو اشتغال نبيّ من أنبياء الله بأمر الدنيا، حتى تفوته الصلاة عن وقتها. وقرئ: «بالسؤوق» بهمز الواو لضمتها، كما في

= حبان في صحيحيهما. وحذيفة عند البزار. وأبو أمامة وعريب، وهو بفتح المهملة وكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة ثم موحدة ـ المليكي، والنعمان بن بشير وسهل بن الحنظلية عند الطبراني، وعن علي عند ابن أبي عاصم في الجهاد...»

وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. انتهى.

١٣٢٥ ـ أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٣٣٧) في وفد طيء، وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٤٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/ ٣٦ تهذيب)، وابن إسحاق (١٩٦١ ـ سيرة ابن هشام)، والحديث بلفظ ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلاَّ رأيته دون ما يقال لي منه إلاَّ زيد الخيل، وقال الحافظ: ذكره ابن إسحاق في المغازي بغير سند، والبيقهي في الدلائل من طريقه، وذكره ابن سعد عن الواقدي بأسانيد له مقطوعة. انتهى.

١٣٢٦ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٩١)، حديث (١١٠٥) وعزاه لإبراهيم الحربي، وقال: رواه إبراهيم الحربي في كتابه: حدثنا ابن عائشة، عن أبي عوانة عن مغيرة. عن الشعبي قال: كان رهان فقال رجل لبلال: من سبق؟ قال: رسول الله ﷺ، قال فمن صلى؟ قال: أبو بكر، قال: إنما أعني في الخيل: قال وأنا أعني في الخير. انتهى. ذكره في باب صلى قال: والمصلي الذي يجيء على أثر السابق، قال الحافظ ابن حجر. أخرجه إبراهيم الحربي من رواية مغيرة عن الشعبي قال: كان رهان. فقال رجل لبلال: من سبق؛ قال: رسول الله ﷺ. قال: فمن صلى؟ قال: أبو بكر. قال: إنما أعني في الخيل. قال: وأنا أعني في الخير، انتهى.

---

(١) قوله: «ومسح المسفر الكتاب» الذي في الصحاح: سفرت الكتاب أسفره سفراً. وسفرت المرأة: كشفت عن وجهها. وأسفر الصبح: أي أضاء. وأسفر وجهه حسناً، أي: أشرق، فليحرر. (ع).

أدؤر. ونظيره: الغؤر، في مصدر غارت الشمس. وأما من قرأ بالسؤق فقد جعل الضمة في السين كأنها في الواو للتلاصق، كما قيل: مؤسى، ونظير ساق وسوق: أسد وأسد. وقرئ: «بالساق» اكتفاء بالواحد عن الجمع؛ لأمن الإلباس.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾

قيل: فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة. وملك بعد الفتنة عشرين سنة. وكان من فتنته: أنه ولد له ابن، فقالت الشياطين: إن عاش لم ننفك من السخرة، فسبيلنا أن نقتله أو نخبله، فعلم ذلك، فكان يغذوه في السحابة،[1]، فما راعه إلا أن ألقي على كرسيه ميتاً، فتنبه على خطئه في أن لم يتوكل فيه على ربه، فاستغفر ربه وتاب إليه. وروي عن النبي ﷺ: قال سليمان: «لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة، كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهنّ، فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفسي بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون» (١٣٢٧)، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾. وهذا ونحوه مما لا بأس به. وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان، فالله أعلم بصحته. حكوا أن سليمان بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر، وأنّ بها ملكاً عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر، فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها وأصاب بنتاً له اسمها جرادة من أحسن الناس وجهاً، فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها، وكانت لا يرقأ دمعها حزناً على أبيها، فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها، فكستها مثل كسوته، وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه، فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة، ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماد، فجلس عليه تائباً إلى الله متضرّعاً، وكانت له أمّ ولد يقال لها: أمينة، إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها، وكان ملكه في خاتمه،

١٣٢٧ ـ أخرجه البخاري (٦/ ١١٦، ١١٧): كتاب الجهاد والسير: باب من طلب الولد للجهاد، حديث (٢٨١٩)، وأطرافه في (٣٤٢٤، ٥٢٤٢، ٦٦٣٩، ٦٧٢٠، ٧٤٦٩)، ومسلم (٦/ ١٣١ نووي): كتاب الأيمان: باب الاستثناء، حديث (٢٢ ـ ٢٥/ ١٦٥٤) والنسائي (٧/ ٢٦) كتاب الأيمان: باب إذا حلف فقال له رجل: إن شاء الله هل له استثناء، حديث (٣٨٤٠) وأحمد (٢/ ٢٧٥)، ٢/ ٢٢٩، ٥٠٦) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٤٤): كتاب الأيمان، باب من قال وأيم الله، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ١٨٠)، حديث (٤٣٣٧، ٤٣٣٨) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. انتهى.

---

(١) قوله: «فكان يغذوه» في الصحاح: غذوت الصبي باللبن، أي ربيته به فاغتذى. (ع).

فوضعه عندها يوماً وأتاها الشيطان صاحب البحر ـ وهو الذي دلّ سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر ـ على صورة سليمان، فقال: يا أمينة خاتمي، فتختم به وجلس على كرسي سليمان، وعكفت عليه الطير والجنّ والإنس، وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته، فعرف أنّ الخطيئة قد أدركته، فكان يدور على البيوت يتكفف، فإذا قال: أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه، ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كلّ يوم سمكتين، فمكث على ذلك أربعين صباحاً عدد ما عبد الوثن في بيته، فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان، وسأل آصف نساء سليمان فقلن: ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة. وقيل: بل نفذ حكمه في كل شيء إلاّ فيهنّ، ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر، فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان، فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم، فتختم به ووقع ساجداً، ورجع إليه ملكه، وجاب صخرة لصخر[1] فجعله فيها، وسدّ عليه بأخرى، ثم أوثقهما بالحديد والرصاص، وقذفه في البحر (١٣٢٨). وقيل: لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها، فقال له آصف: إنك لمفتون بذنبك، والخاتم لا يقرّ في يدك، فتب إلى الله عز وجل. ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا: هذا من أباطيل اليهود، والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل. وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام، وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهنّ قبيح، وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ٢/١٣٨أ ألا ترى إلى قوله: ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ [سبأ: ١٣]، وأما السجود للصورة فلا يظن بنبيّ الله أن يأذن فيه، وإذا كان بغير علمه فلا عليه. وقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ

١٣٢٨ ـ أخرجه النسائي في تفسيره (١/١٨٦) حديث (١٣) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال كان الذي أصاب سليمان بن داوود في سبب امرأة من أهله ـ يقال لها جرادة. . .

وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٣٥، ٣٦) عن ابن عباس، وقال: إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوي ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما، إن صح عنه من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون بنبوة سليمان. . .، وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله تعالى أعلم بالصواب.

وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/١٩٢)، حديث (١١٠٧)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث ابن عباس. وقال ابن حجر: أخرجه النسائي في التفسير من رواية المنهال بن عمرو وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وإسناده قوي، وأخرجه ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس قريباً مما أورده المصنف. انتهى.

---

(١) قوله: «وجاب صخرة لصخر» أي: خرق أو قطع، أفاده الصحاح. (ع).

﴿كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا﴾ نابٍ عن إفادة معنى إنابة الشيطان منابه نبوّاً ظاهراً.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾

قَدَّم الاستغفار على استيهاب الملك جرياً على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم. ﴿لَّا يَنۢبَغِي﴾ لا يتسهل ولا يكون. ومعنى ﴿مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ دوني. فإن قلت: أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطي الله ما لا يعطيه غيره؟ قلت: كان سليمان عليه السلام ناشئاً في بيت الملك والنبوّة ووارثاً لهما، فأراد أن يطلب من ربه معجزة، فطلب على حسب إلفه ملكاً زائداً على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حدّ الإعجاز؛ ليكون ذلك دليلاً على نبوّته قاهراً للمبعوث إليهم، وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات، فذلك معنى قوله: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ وقيل: كان ملكاً عظيماً، فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه، كما قالت الملائكة: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [البقرة: ٣٠] وقيل: ملكاً لا أسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي، كما سلبته مرّة وأقيم مقامي غيري. ويجوز أن يقال: علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين، وعلم أنه لا يضطلع بأعبائه غيره، وأوجبت الحكمة استيهابه، فأمره أن يستوهبه إياه، فاستوهبه بأمر من الله على الصفة التي علم الله أنه لا يضبطه عليها إلا هو وحده دون سائر عباده. أو أراد أن يقول: ملكاً عظيماً فقال: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾، ولم يقصد بذلك إلا عظم الملك وسعته، كما تقول: لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال، وربما كان للناس أمثال ذلك، ولكنك تريد تعظيم ما عنده. وعن الحجاج أنه قيل له: إنك حسود، فقال: أحسد مني من قال: ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ وهذا من جرأته على الله وشيطنته، كما حكي عنه: طاعتنا أوجب من طاعة الله؛ لأنه شرط في طاعته فقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦] وأطلق طاعتنا فقال: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾

قرئ: «الريح» والرياح. ﴿رُخَآءً﴾ لينة طيبة لا تزعزع. وقيل: طيعة له لا تمتنع عليه. ﴿حَيۡثُ أَصَابَ﴾ حيث قصد وأراد. حكى الأصمعي عن العرب: أصاب الصواب فأخطأ الجواب. وعن رؤبة أنّ رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة، فخرج إليهما فقال: أين تصيبان؟ فقالا: هذه طلبتنا ورجعا، ويقال: أصاب الله بك خيراً. ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾

عطف على الريح، ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ بدل من الشياطين، ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطف على كل داخل في حكم البدل، وهو بدل الكل من الكل، كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية، ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ، وهو أوّل من استخرج الدرّ من البحر، وكان يقرّن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل؛ للتأديب والكف عن الفساد. وعن السدي: كان يجمع أيديهم إلى أعناقهم مغللين في الجوامع(١) (١٣٢٩). والصفد: القيد، وسمي به العطاء؛ لأنه ارتباط للمنعم عليه، ومنه قول عليّ رضي الله عنه: من برّك فقد أسرك، ومن جفاك فقد أطلقك. ومنه قول القائل: غلّ يداً مطلقها، وأرقّ رقبة معتقها. وقال حبيب: إنّ العطاء إسار؛ وتبعه من قال [من الطويل]:

.... وَمَـنْ وَجَـدَ الإِحْـسَـانَ قَـيْـداً تَـقَـيَّـدَا(٢)

وفرقوا بين الفعلين فقالوا: صفده قيده، وأصفده أعطاه، كوعده وأوعده، أي: ﴿هَٰذَا﴾ الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة ﴿عَطَآؤُنَا﴾ بغير حساب، يعني: جمًّا كثيراً لا يكاد يقدر على حسبه وحصره؛ ﴿فَٱمْنُنْ﴾ من المنة وهي العطاء، أي: فأعط منه ما شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ مفوّضاً إليك التصرف فيه. وفي قراءة ابن مسعود: (هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب) أو هذا التسخير عطاؤنا، فامنن على من شئت من الشياطين بالإطلاق، وأمسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب، أي لا حساب عليك في ذلك.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

١٣٢٩ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٨٥) حديث (٢٩٩٢٨) بلفظ تجمع اليدين إلى عنقه. عن السدي.

---

(١) قوله: «في الجوامع» في الصحاح؛ «الجامعة»: الغل؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق. (ع).

(٢) وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

للمتنبي، يقول: تركت سير الليل وراء ظهري، أي: بالغت في تركه لمن قل ماله؛ لأنه لا زال يبتغيه، واكتفيت بنعمتك العظمى، وشبه الآمال التي امتدت إليه وبلغت مناها، بأفراس منعلة بالذهب على طريق التصريحية، والأنعال ترشيح. ويجوز أن ذلك كناية عن عظم النعمة، واستعار التقييد للمنع عن التطلع لغير الممدوح وقصر المدح عليه. ويجوز أنه شبه نفسه بحيوان، والتقييد: تخييل. والذرا ـ بالفتح ـ: كل ما ستر الشيء، يقال: أنا في ظل الجبل وفي ذراه، أو في ظل فلان وفي ذراه، أي: في كنفه وحماه، ومحبة: مفعول لأجله، وشبه الإحسان بالقيد؛ لأنه سبب استملاك النفس.

﴿أَيُّوبَ﴾ عطف بيان. و ﴿إِذْ﴾ بدل اشتمال منه. ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ﴾ بأني مسني: حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه، ولو لم يحك لقال بأنه مسّه؛ لأنه غائب. وقرئ: «بنصب» بضم النون وفتحها مع سكون الصاد، وبفتحهما، وضمهما، فالنصب والنصب: كالرشد الرشد، والنصب: على أصل المصدر، والنصب: تثقيل نصب، والمعنى واحد، وهو التعب والمشقة. والعذاب: الألم، يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب[1]. وقيل: ٢/١٣٨ب الضرّ في البدن، والعذاب في ذهاب الأهل والمال. فإن قلت: لم نسبه إلى الشيطان، ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضي من إتعابهم وتعذيبهم وطره، ولو قدر على ذلك لم يدع صالحاً إلا وقد نكبه وأهلكه، وقد تكرّر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب؟ قلت: لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبباً فيما مسه الله به من النصب والعذاب، نسبه إليه، وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه، مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو. وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء، ويغريه على الكراهة والجزع، فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل. وروي أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين، فارتد أحدهم، فسأل عنه فقيل: ألقى إليه الشيطان: إنَّ الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين. وذكر في سبب بلائه أنّ رجلاً استغاثه على ظالم فلم يغثه (١٣٣٠). وقيل: كانت مواشيه في ناحية ملك كافر، فداهنه ولم يغزه. وقيل: أعجب بكثرة ماله. ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام، أي: اضرب برجلك الأرض. وعن قتادة: هي أرض الجابية[2] فضربها، فنبعت عين ،فقيل: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أي: هذا ماء تغتسل به وتشرب منه؛ فيبرأ باطنك وظاهرك، وتنقلب ما بك قلبة[3]. وقيل: نبعت له عينان، فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى، فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله، وقيل: ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها، ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها، ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ﴾ مفعول لهما، والمعنى: أنّ الهبة كانت للرحمة له ولتذكير

١٢٣٠ ـ ذكره السيوطي في الدر (٥٨٩/٤)، وعزاه لابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، بلفظ: إنما كان، ذنب أيوب أنه استعان به مسكين على ظلم يدرؤه عنه فلم يعنه، ولم يأمر بمعروف وينه الظالم عن ظلم المسكين فابتلاه الله.

---

(١) قوله: «من أنواع الوصب»، في الصحاح: «الوصب»: المرض. (ع).
(٢) قوله: «هي أرض الجابية» مدينة بالشام، كما في الصحاح. (ع).
(٣) قوله: «وتنقلب ما بك قلبة»، في الصحاح: «القلاب» داء يأخذ البعير. وقولهم: ما به قلبة، أي: ليست به علة. (ع).

أولي الألباب؛ لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره، رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم. ﴿وَخُذْ﴾ معطوف على اركض. والضغث: الحزمة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك. وعن ابن عباس: قبضة من الشجر، كان حلف في مرضه ليضربنّ امرأته مائة إذا برئ، فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها، وهذه الرخصة باقية. وعن النبي ﷺ: أنه أتي بمخدج[1]، وقد خبث بأمة، فقال: «خذوا عثكالاً فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة» (١٣٣١) ويجب أن يصيب

١٣٣١ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ١٦١)، كتاب الحدود: باب إقامة الحد على المريض، حديث (٤٤٧٢). أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله... والنسائي في الكبرى (٤/ ٣١٢، ٣١٣): كتاب الرجم: باب الضرير في الخلقة يصيب الحدود، حديث (٧٣٠٧، ٧٣٠٨).
والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٣٠): كتاب الحدود: باب الضرير في خلقته لا من مرض يصيب الحد بلفظ «أن رجلاً» وأخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٧٧)، حديث (٥٥٦٨)، (٥٥٦٥، ٥٥٨٧) عن سهل بن حنيف.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٥٥) وعزاه للطبراني في الأوسط وقال رجاله ثقات.
وأخرجه البغوى في شرح السنن (٥/ ٤٧٤)، حديث (٢٥٨٤) بتحقيقنا، والشافعي في مسنده (٢/ ٨٠)، حديث (٢٥٨) والدارقطني (٣/ ١٠٠)، حديث (٦٧) عن أبي أمامة عن ابن سهل بن حنيف وله شاهد من حديث عن سعد بن عبادة.
أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٥٩): كتاب الحدود: باب الكبير والمريض يجب عليه الحد، حديث (٢٥٧٤)، وقال البوصيري في الزوائد: مدار الإسناد على محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة وأحمد في المسند (٥/ ٢٢٢)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٣٠): كتاب الحدود: باب الضرير في خلقته لا من مرض تصيب الحد، والطبراني في الكبير (٦/ ٦٣)، حديث (٥٥٢١)، وأخرجه البغوى في شرح السنة (٥/ ٤٧٥)، حديث (٢٥٨٥) بتحقيقنا.
وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٥٥) عن أبي سعيد وعزاه للطبراني وقال رجاله رجال الصحيح، وعن سهل بن سعد الساعدي وقال رواه النسائي باختصار، والطبراني وفيه أبو بكر بن أبي سبر، وهو متروك.
وحديث أبي سعيد أخرجه الدارقطني (٣/ ١٠٠)، حديث (٦٦) وذكره الزيلعى (٣/ ١٩٤)، حديث (١١٠٨) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة والبزار وإسحاق بن راهوية.
وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٩٢) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير عن أبي إمامة.
وعزاه لأحمد وعبد بن حميد وابن جرير والطبراني وابن عساكر من طريق ابن أمامة عن سعيد بن عبادة.
وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد عن ثوبان وعزاه للطبراني عن سهل بن سعد.
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه النسائي، وأحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة، والبزار، والطبراني من رواية أبي أمامة بن سهل عن سعيد بن عبادة. قال: «كان بين أبياتنا رجل ضعيف مخدج، فلم يرع الحي إلاّ وهو على أمة من إمائهم يخبث بها ـ الحديث». قال البزار: لم يرد إلاّ هذا، =

---

(١) قوله: «إنه أتى بمخدج» الخداج: النقصان، وأخدجت الناقة: إذا جاءت بولدها ناقص الخلق، وإن كانت أيامه تامة فهي مخدج، والولد مخدج، كذا في الصحاح. (ع).

المضروب كل واحد من المائة، إمّا أطرافها قائمة، وإما أعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب، وكان السبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره، وقيل: باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب إذا قام. وقيل: قال لها الشيطان: اسجدي لي سجدة فأردّ عليكم مالكم وأولادكم، فهمت بذلك فأدركتها العصمة، فذكرت ذلك له، فحلف. وقيل: أوهمها الشيطان أن أيوب إذا شرب الخمر برئ، فعرضت له بذلك. وقيل: سألته أن يقرب للشيطان بعناق، ﴿وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ علمناه صابراً. فإن قلت: كيف وجده صابراً وقد شكا إليه ما به واسترحمه؟ قلت: الشكوى إلى الله عزّ وعلا لا تسمى جزعاً، ولقد قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، وكذلك شكوى العليل إلى الطبيب، وذلك أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها، فإذا صحّ أن يسمى صابراً مع تمني العافية وطلب الشفاء، فليسم صابراً، مع اللَّجْء إلى الله تعالى، والدعاء بكشف ما به، ومع التعالج ومشاورة الأطباء، على أن أيوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة؛ حيث كان الشيطان يوسوس إليهم كما كان يوسوس إليه أنه لو كان نبيًّا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به، وإرادة القوة على الطاعة، فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلاّ القلب واللسان. ويروى أنه قال في مناجاته: إلهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي، ولم يتبع قلبي بصري، ولم يهبني ما ملكت يميني[1]، ولم آكل إلاّ ومعي يتيم، ولم أبت شبعان ولا كاسياً ومعي جائع أو عريان؛ فكشف الله عنه.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾

﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ عطف بيان لعبادنا. ومن قرأ: «عبدنا» جعل إبراهيم وحده عطف بيان له، ثم عطف ذريته على عبدنا، وهي إسحاق ويعقوب، كقراءة ابن عباس: «وإله أبيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق». ولما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت، فقيل: في كل عمل هذا مما عملت أيديهم، وإن كان عملاً لا يتأتى فيه المباشرة بالأيدي، أو كان العمال جذماً لا أيدي لهم، وعلى ٢/١٣٩أ ذلك ورد قوله عزّ وعلا: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى

= واختلف في إسناده. فقيل هكذا. وقيل عن أبي الزناد عن أبي أمامة مرسلاً، ورواه أبو داود من وجه آخر عن أبي أمامة أنه أخبره بعض أصحاب النبي ـ ﷺ. انتهى.

(١) قوله: «ولم يهبني ما ملكت يميني» أي: لم ينشطني ولم يهيجني، من هبت الريح: أي هاجت، وهب البعير: أي نشط، كما في الصحاح. (ع).

﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ يريد: أولي الأعمال والفكر، كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة، ولا يجاهدون في الله، ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات، ولا يستبصرون ـ في حكم الزمني الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم. وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله، ولا من المستبصرين في دين الله، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما. وقرئ: «أولي الأيادي» على جمع الجمع. وفي قراءة ابن مسعود: «أولي الأيد» على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة. وتفسيره بالأيد ـ من التأييد ـ قلق غير متمكن. ﴿أَخْلَصْنَٰهُم﴾ جعلناهم لنا مخلصين ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ بخصلة خالصة لا شوب فيها، ثم فسرها «بذكرى الدار» شهادة بذكرىٰ الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها. وقرئ: على الإضافة. والمعنى: بما خلص من ذكرى الدار، على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهمّ آخر، إنما همهم ذكرى الدار لا غير. ومعنى ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾: ذكراهم الآخرة دائباً، ونسيانهم إليها ذكر الدنيا. أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها، وتزهيدهم في الدنيا، كما هو شأن الأنبياء وديدنهم. وقيل: ذكرى الدار. الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم. فإن قلت: ما معنى ﴿أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾؟ قلت: معناه: أخلصناهم بسبب هذه الخصلة، وبأنهم من أهلها. أو أخلصناهم بتوفيقهم لها، واللطف بهم في اختيارها. وتعضد الأوّل قراءة من قرأ: «بخالصتهم». ﴿ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ أي المختارين من أبناء جنسهم. و ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ جمع خَيِّرٍ، أو خير على التخفيف؛ كأموات في جمع ميت أو ميت.

﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ (٤٨)﴾

﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ كأن حرف التعريف دخل على يسع. وقرئ: «والليسع»، كأن حرف التعريف دخل على ليسع، فيعل من اللسع. والتنوين في ﴿وَكُلٌّ﴾ عوض من المضاف إليه، ومعناه: وكلهم من الأخيار.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٤٩) جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ (٥٠) مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢)﴾

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ أي: هذا نوع من الذكر وهو القرآن. لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمه، وهو باب من أبواب التنزيل، ونوع من أنواعه، وأراد أن يذكر على عقبه باباً آخر، وهو ذكر الجنة وأهلها[1]. قال: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ ثم قال: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ كما يقول الجاحظ في كتبه:

---

(١) قال محمود: «إنما قال: هذا ذكر ليذكر عقبه ذكراً آخر، وهو ذكر الجنة وأهلها، كما يقول الجاحظ في كتبه: فهذا باب، ثم يشرع في باب آخر.» قال أحمد: وكما ما يقول الفقيه ـ إذا ذكر أدلة =

فهذا باب، ثم يشرع في باب آخر، ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر: هذا وقد كان كيت وكيت، والدليل عليه: أنه لما أتمّ ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار. قال: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ وقيل: معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبداً. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هذا ذكر من مضى من الأنبياء. ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ معرفة لقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [مريم: ٦١] وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب. و ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ حال، والعامل فيها ما في (للمتقين) من معنى الفعل. وفي ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ ضمير الجنات، والأبواب بدل من الضمير، تقديره: مفتحة هي الأبواب، كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل، وهو من بدل الاشتمال. وقرئ: «جنات عدن مفتحة» بالرفع، على أن جنات عدن مبتدأ، ومفتحة خبره. أو كلاهما خبر مبتدإٍ محذوف، أي هو «جنات عدن» هي مفتحة لهم؛ كأن اللِّدات سمين أتراباً؛ لأن التراب مسهن في وقت واحد، وإنما جعلن على سنّ واحدة؛ لأنّ التحاب بين الأقران أثبت. وقيل: هنّ أتراب لأزواجهنّ، أسنانهنّ كأسنانهم.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

قرئ: «يوعدون» بالتاء والياء ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ لأجل يوم الحساب، كما تقول: هذا ما تدخرونه ليوم الحساب، أي: ليوم تجزى كل نفس ما عملت.

﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾

﴿هَٰذَاۚ﴾ أي الأمر هذا، أو هذا كما ذكر. ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ كقوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍۚ﴾ [الأعراف: ٤١] شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم، أي: هذا حميم فليذوقوه. أو العذاب هذا فليذوقوه، ثم ابتدأ فقال: هو ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ أو: هذا فليذوقوه بمنزلة ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] أي: ليذوقوا هذا فليذوقوه، والغساق ـ بالتخفيف والتشديد ـ: ما يغسق من صديد أهل النار، يقال: غسقت العين، إذا سال دمعها. وقيل: الحميم يحرق بحرّه، والغساق يحرق ببرده. وقيل: لو قطرت منه

= المسألة عند تمام الدليل الأول ـ: هذا دليل ثان كذا وكذا إلى آخر ما في نفسه، ويدل عليه أنه عند انقضاء ذكر أهل الجنة قال: (هذا وإن للطاغين لشر مآب) فذكر أهل النار.

قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب، ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق. وعن الحسن رضي الله عنه. الغساق: عذاب لا يعلمه إلا الله تعالى، إن الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثواباً في قوله: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧] وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة. ﴿وَءَاخَرُ﴾ ٢/ ١٣٩ب ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة. ﴿أَزۡوَٰجٌ﴾ أجناس. وقرئ: «وآخر» أي: وعذاب آخر. أو مذوق آخر. وأزواج: صفة لآخر؛ لأنه يجوز أن يكون ضروباً، أو صفة للثلاثة وهي: حميم، وغساق، وآخر من شكله. وقرئ: «من شكله» بالكسر[1] وهي لغة. وأما الغنج[2] فبالكسر لا غير. ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ﴾ هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار، أي: دخل النار في صحبتكم وقرانكم، والاقتحام: ركوب الشدة والدخول فيها. والقحمة: الشدة. وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض، أي: يقولون هذا. والمراد بالفوج: أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة، فيقتحمون معهم العذاب. ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾ دعاء منهم على أتباعهم. تقول لمن تدعو له: مرحباً، أي: أتيت رحباً من البلاد لا ضيقاً: أو رحبت بلادك رحباً، ثم تدخل عليه «لا» في دعاء السوء. و ﴿بِهِمۡۚ﴾ بيان للمدعو عليهم. ﴿إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾ تعليل لاستيجابهم للدعاء عليهم. ونحوه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ [الأعراف: ٣٨] وقيل: هذا فوج مقتحم معكم: كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم. و ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾ كلام الرؤساء. وقيل: هذا كله كلام الخزنة ﴿وَقَالُواْ﴾ أي الأتباع ﴿بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ﴾ يريدون: الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به، وعللوا ذلك بقولهم: ﴿أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ﴾ والضمير للعذاب أو لصليهم. فإن قلت: ما معنى تقديمهم العذاب لهم؟ قلت: المقدم هو عمل السوء. قال الله تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٥٠ ـ ٥١] ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه، قيل: أنتم قدمتموه لنا، فجعل الرؤساء هم المقدمين، وجعل الجزاء هو المقدّم، فجمع بين مجازين؛ لأن العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم، والعمل هو المقدم لا جزاؤه. فإن قلت: فالذي جعل قوله: ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾ من كلام الخزنة ما يصنع بقوله: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ﴾ والمخاطبون ـ أعني رؤساءهم ـ لم يتكلموا بما يكون هذا جواباً لهم؟ قلت: كأنه قيل: هذا الذي دعا به علينا الخزنة أنتم يا رؤساء أحقّ به منا لإغوائكم إيانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب،

---

(١) قوله: وقرئ «من شكله بالكسر، وهي لغة» أي في الشكل بمعنى المثل. (ع).

(٢) قوله: «وأما الغنج فبالكسر لا غير» في الصحاح: الغنج والغنج: الشكل، وقد غنجت الجارية وتغنجت، فهي غنجة. وفيه: الشكل ـ بالفتح ـ: المثل، وبالكسر: الدل، يقال: امرأة ذات شكل. (ع).

وهذا صحيح، كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين: أخزى الله هؤلاء ما أسوأ فعلهم؟ فقال المزين لهم للمزينين: بل أنتم أولى بالخزي منا، فلولا أنتم لم نرتكب ذلك، ﴿وَقَالُواْ﴾ هم الأتباع أيضاً ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي: مضاعفاً، ومعناه: ذا ضعف: ونحوه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ [الأعراف: ٣٨] وهو أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين، كقوله عزّ وجلّ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[1] [الأحزاب: ٦٨] وجاء في التفسير ﴿عَذَابًا ضِعْفًا﴾ حيات وأفاعي[2].

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَقَالُواْ﴾ الضمير للطاغين. ﴿رِجَالًا﴾ يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم. ﴿مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى، ولأنهم كانوا على خلاف دينهم، فكانوا عندهم أشراراً، ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ قرئ بلفظ الإخبار على أنه صفة لـ «رجالاً»، مثل قوله: ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها[3] في الاستسخار منهم. وقوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ له وجهان من الاتصال، أحدهما: أن يتصل بقوله: ﴿مَا لَنَا﴾ أي: مالنا لا نراهم في النار؟ كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها: قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة، وبين أن يكونوا من أهل النار. إلاّ أنه خفي عليهم مكانهم. والوجه الثاني: أن يتصل بـ «اتخذناهم» سخرياً، إما أن تكون أم متصلة على معنى: أي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم، أم الازدراء بهم والتحقير، وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم، على معنى إنكار الأمرين جميعاً على أنفسهم، وعن الحسن: كل ذلك قد فعلوا، اتخذوهم سخرياً وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم. وإما أن تكون منقطعة بعد مضي «أتخذناهم سخرياً» على الخبر أو الاستفهام، كقولك: إنها إبل أم شاء، وأزيد عندك أم عندك عمرو، ولك أن تقدّر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزته؛ لأنّ «أم» تدلّ عليها، فلا تفترق القراءتان: إثبات همزة الاستفهام وحذفها. وقيل: الضمير في ﴿وَقَالُواْ﴾ لصناديد قريش، كأبي جهل

---

(١) قوله تعالى: (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً)، وقال في موضع آخر: (آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) والقصة واحدة. قال أحمد: وفيه دليل على أن الضعفين اثنان من شيء واحد، خلافاً لمن قال غير ذلك؛ لأنه في موضع قال: (فزده عذاباً ضعفاً) والمراد: مثل عذابه، فيكونا عذابين، وقال في موضعين (ضعفين) والمراد: ذا عذابين.

(٢) قوله: «وجاء في التفسير... إلخ» عبارة الخازن: قال ابن عباس: حيات وأفاعي. (ع).

(٣) قوله: «وتأنيب لها» أي: تعنيف ولوم. أفاده الصحاح. (ع).

والوليد وأضرابهما، والرجال: عمار وصهيب وبلاَل وأشباههم. وقرئ: «سخرياً» بالضم والكسر.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أيَ الذي حكينا عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾ لا بد أن يتكلموا به، ثم بين ما هو فقال: هو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾. وقرئ: بالنصب على أنه صفة لذلك، لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس[١] ٢/ ١٤٠أ. فإن قلت: لم سمى ذلك تخاصماً؟ قلت: شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك[٢]؛ ولأنّ قول الرؤساء: لا مرحباً بهم، وقول أتباعهم: بل أنتم لا مرحباً بكم، من باب الخصومة، فسمي التقاول كله تخاصماً لأجل اشتماله على ذلك.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي مكة: ما أنا إلا رسول ﴿مُنذِرٌ﴾ أنذركم عذاب الله للمشركين، وأقول لكم: إنّ دين الحق توحيد الله وأن يعتقد أن لا إله إلا الله ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾ بلا ندّ ولا شريك ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ لكل شيء، وأنّ الملك والربوبية له في العالم كله وهو ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلب إذا عاقب العصاة، وهو مع ذلك ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لذنوب من التجأ إليه. أو قل لهم: ما أنا إلا منذر لكم ما أعلم، وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته، فإن مثله حقيق بأن يخاف عقابه، كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه.

---

(١) قال السمين الحلبي: وهذا فيه نظر؛ لأنهم نصوا على أن أسماء الإشارة لا توصف إلا بما فيه أل نحو «مررت» بهذا الرجل، ولا يجوز «مررت» بهذا غلام الرجل، فهذا أبعد، ولأن الصحيح أن الواقع بعد اسم الإشارة المقارن لأل إن كان مشتقاً كان صفة وإلا كان بدلاً و«تخاصم» ليس مشتقاً. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «إن قلت لم سمي ذلك تخاصما؟ قلت: شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك؛ ولأن قول الرؤساء: لا مرحبا بهم، وقول أتباعهم: بل أنتم لا مرحبا بكم، من باب الخصومة» قال أحمد: هذا يحقق أن ما تقدم من قوله: (لا مرحبا بهم إنهم صالو النار) من قول المتكبرين الكفار، وقوله تعالى: (بل أنتم لا مرحبا بكم) من قول الأتباع، فالخصومة على هذا التأويل حصلت من الجهتين، فيتحقق التخاصم، خلافاً لمن قال: إن الأوّل من كلام خزنة جهنم، والثاني: من كلام الأتباع؛ فإنه على هذا التقدير إنما تكون الخصومة من أحد الفريقين، فالتفسير الأول أمكن وأثبت.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠﴾

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧﴾ أي: هذا الذي أنبأتكم به ـ من كوني رسولاً منذراً، وأن الله واحد لا شريك له ـ نبأ عظيم لا يعرض عن مثله إلاّ غافل شديد الغفلة. ثم احتج لصحة نبوّته بأنّ ما ينبىء به عن الملأ الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط، ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا، وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب، فعلم أنّ ذلك لم يحصل إلا بالوحي من الله. ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ أي: لأنما أنا نذير. ومعناه: ما يوحى إليّ إلا للإنذار، فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه. ويجوز أن يرتفع على معنى: ما يوحى إليّ إلاّ هذا، وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك، أي ما أومر إلاّ بهذا الأمر وحده، وليس إليّ غير ذلك. وقرئ: «إنما» بالكسر على الحكاية، أي: إلاّ هذا القول، وهو أن أقول لكم: إنما أنا نذير مبين ولا أدعي شيئاً آخر[1]. وقيل: النبأ العظيم: قصص آدم عليه السلام والإنباء به من غير سماع من أحد، وعن ابن عباس: القرآن. وعن الحسن: يوم القيامة. فإن قلت: بم يتعلق ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾؟ قلت: بمحذوف؛ لأن المعنى: ما كان لي من علم بكلام الملأ الأعلى وقت اختصامهم، و ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾. فإن قلت: ما المراد بالملإ الأعلى؟ قلت: أصحاب القصة الملائكة وآدم وإبليس؛ لأنهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم، فإن قلت: ما كان التقاول بينهم إنما كان بين الله تعالى وبينهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي قال لهم وقالوا له، فأنت بين أمرين: إما أن تقول الملأ الأعلى هؤلاء، وكان التقاول بينهم ولم يكن التقاول بينهم، وإما أن تقول: التقاول كان بين الله وبينهم، فقد جعلته من الملإ الأعلى. قلت: كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك، فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط، فصحّ أن التقاول كان بين الملائكة وآدم وإبليس، وهم الملأ الأعلى. والمراد بالاختصام: التقاول على ما سبق.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وفي تخريجه تعارضٌ؛ لأنّه قال: إلاّ هذا القول، فظاهره الجملةُ التي هي: «إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مبينٌ» ثم قال: وهو أنْ أَقُولَ لكم: إِنِّي نَذِيرٌ، فالمُقَامُ مقامَ الفاعل هو أنْ أقُولَ لَكُم وإنِّي وما بعده في موضع نصب، وعلى قوله: إلاّ هذا القول يكون في موضع رفْع؛ فتعارضا. قُلْتُ: ولا تَعارُضَ البتَّةَ؛ لأنه تفسيرُ مَعْنًى في التقدير الثاني، وفي الأول تفسيرُ إعرابٍ، فلا تعارُضَ. انتهى. الدر المصون.

سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

فإن قلت: كيف صحّ أن يقول لهم: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا﴾ وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل؟ قلت: وجهه أن يكون قد قال لهم: إني خالق خلقاً من صفته كيت وكيت، ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ فإذا أتممت خلقه وعدلته. ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ وأحييته وجعلته حساساً متنفساً ﴿فَقَعُواْ﴾ فخروا، كل: للإحاطة. وأجمعون: للاجتماع، فأفادا معاً أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجدَ، وأنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرّقين في أوقات. فإن قلت: كيف ساغ السجود لغير الله؟ قلت: الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة، فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل، إلاّ أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه، فإن قلت: كيف استثنى إبليس من الملائكة وهو من الجنّ؟ قلت: قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلاً، ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أريد: وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافراً؛ لأن (كان) مطلق في جنس الأوقات الماضية، فهو صالح لأيها شئت، ويجوز أن يراد: وكان من الكافرين في الأزمنة الماضية في علم الله.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾

فإن قلت: ما وجه قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾: قلت: قد سبق لنا أنّ ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه، فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما، حتى قيل في عمل ٢/ ١٤٠ب القلب: هو مما عملت يداك، وحتى قيل لمن لا يدين له: يداك أوكتا[(١)] وفوك نفخ. وحتى لم يبق فرق بين قولك: هذا مما عملته، وهذا مما عملته يداك. ومنه قوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس: ٧١]، و: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾. فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]؟ قلت: الوجه الذي استنكر له إبليس السجود لآدم، واستنكف منه أنه سجود لمخلوق، فذهب بنفسه، وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق، وانضم إلى ذلك أنّ آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار. ورأى للنار فضلاً على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب، وزلّ عنه أنّ الله سبحانه حين أمر به أعزّ عباده عليه[(٢)] وأقربهم منه زلفى وهم الملائكة، وهم أحقّ

(١) قوله: «يداك أوكتا» في الصحاح: أوكى على ما في سقائه: إذا شده بالوكاء. (ع).

(٢) قوله: «حين أمر به أعز عباده» مبني على مذهب المعتزلة: أن الملك أفضل من البشر. وعند أهل =

بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل، ويستنكفوا من السجود له من غيرهم، ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه قدّام أعينهم، ولم يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد والمسجود له؛ تعظيماً لأمر ربهم وإجلالاً لخطابه ـ كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حري بأن يقتدي بهم ويقتفي أثرهم، ويعلم أنهم في السجود لمن هو دونهم بأمر الله أوغل في عبادته منهم في السجود له؛ لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح، فقيل له: ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ؟ أي: ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي ـ لا شكّ في كونه مخلوقاً ـ امتثالاً لأمري وإعظاماً لخطابي كما فعلت الملائكة؟ فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه، وقيل له: لم تركته مع وجود هذه العلة، وقد أمرك الله به؟ يعني: كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه العلة، ومثاله: أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتباراً لسقوطه، فيقول له: ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى عليّ سقوطه[1]، يريد: هلا اعتبرت أمرى

= السنة: البشر أفضل من الملك. (ع).

(١) قال محمود: «لما كان ذو اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه: غلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغير اليدين، حتى قيل في عمل القلب: هذا مما عملت يداك. قال: ومعناه أن الوجه الذي استنكر له إبليس السجود لآدم واستنكف بسببه: أنه سجود لمخلوق، مع أنه دون الساجد؛ لأن آدم من طين، وإبليس من نار، فرأى للنار فضلاً على الطين، وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر أعز عباده عليه وأقربهم منه وهم الملائكة أن يسجدوا لهذا البشر ـ لم يمتنعوا ولم يذهبوا بأنفسهم إلى التكبر، مع انحطاطه عن مراتبهم، فقيل له: ما منعك أن تسجد لهذا الذي هو مخلوق بيدي كما وقع لك، مع أنه لا شك أن في ذلك امتثالاً لأمري وإعظاماً لخطابي كما فعلت الملائكة؟ فذكر له العلة التي منعته من السجود، وقيل له: ما حملك على اعتبار هذه العلة دون اعتبار أمري؟ ومثاله: أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم، فيمتنع اعتباراً لسقوطه. فيقول له: ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه؟ يريد: هلا اعتبرت أمري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه، انتهى المقصود من الآية بعد تطويل وإطناب وإكثار وإسهاب» قال أحمد: إنما أطال القول هنا ليفر من معتقدين لأهل السنة تشتمل عليهما هذه الآية: أحدهما: أن اليدين من صفات الذات أثبتهما السمع، هذا مذهب أبي الحسن والقاضي، بعد إبطالهما حمل اليدين على القدرة؛ فإن قدرة الله تعالى واحدة، واليدان مذكورتان بصيغة التثنية، وأبطلا حملهما على النعمة بأن نعم الله لا تحصى، فكيف تحصر بالتثنية. وغيرهما من أهل السنة كإمام الحرمين وغيره يجوز حملهما على القدرة والنعمة، ويجيب عما ذكراه بأن المراد نعمة الدنيا والآخرة، وهذا ما يحقق تفضيله على إبليس؛ إذ لم يخلق إبليس لنعمة الآخرة، وعلى أن المراد القدرة، فالتثنية تعظيم، ومثل ذلك يوجد في اللغة كثيراً. المعتقد الثاني: أن النبي أفضل من الملك، والزمخشري شديد العصبية في هذه المسألة والإنكار على من قال بذلك من أهل السنة، لا جرم أنه أجرم في بسط كلامه على آدم عليه السلام، فمثل قصته في انحطاط مرتبته على زعمه عن مرتبة الملائكة بقول الملك لوزيره: زر بعض سقاط الحشم، فجعل سقاط حشم الملك مثالاً لآدم الذي هو عنصر الأنبياء عليهم السلام، وأقام لإبليس عذره وصوب اعتقاده، أنه أفضل من آدم؛ لكونه من نار وآدم من طين، وإنما غلطه من جهة =

وخطابي وتركت اعتبار سقوطه، وفيه: أني خلقته بيدي، فأنا أعلم بحاله، ومع ذلك أمرت الملائكة بأن يسجدوا له لداعي حكمة دعاني إليه: من إنعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة، فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له، ما لم يصرفني عن الأمر بالسجود له؟ وقيل: معنى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لما خلقت بغير واسطة. وقرئ: «بيدي» كما قرئ: «بمصرخي». وقرئ: «بيدي»، على التوحيد. ﴿مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ ممن علوت وفقت، فأجاب بأنه من العالين حيث ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ وقيل: «أستكبرت» الآن، أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين. ومعنى الهمزة: التقرير. وقرئ: «استكبرت» بحذف حرف الاستفهام؛ لأنّ أم تدلّ عليه. أو بمعنى الإخبار، هذا على سبيل الأولى، أي: لو كان مخلوقاً من نار لما سجدت له؛ لأنه مخلوق مثلي، فكيف أسجد لمن هو دوني لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله؟ وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهي ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والإيضاح.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿مِنْهَا﴾ من الجنة. وقيل: من السموات. وقيل: من الخلقة التي أنت فيها؛ لأنه كان يفتخر بخلقته، فغير الله خلقته، فاسودّ بعد ما كان أبيض، وقبح بعد ما كان حسناً، وأظلم بعد ما كان نورانيًّا. والرجيم: المرجوم. ومعناه: المطرود، كما قيل له: المدحور والملعون؛ لأنّ من طرد رمي بالحجارة على أثره. والرجم: الرمي بالحجارة. أو لأنّ الشياطين يرجمون بالشهب. فإن قلت: قوله: ﴿لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ كأن لعنة إبليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع؟ قلت: كيف تنقطع وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [**الأعراف: ٤٤**] ولكن المعنى: أن عليه اللعنة في الدنيا، فإذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة، فكأنها انقطعت.

= أخرى. وهو أنه لم يقس نفسه على الملائكة إذ سجدوا له، على علمهم أنه بالنسبة إليهم محطوط الرتبة ساقط المنزلة، وجعل قوله تعالى: (لما خلقت بيدي) إنما ذكر تقريراً للعلة التي منعت إبليس من السجود، وهو كونه دونه، وهذا ـ نسأل الله العصمة ـ المراد منه ضد ما فهم الزمخشري، وإنما ذكر ذلك تعظيماً لمعصية إبليس؛ إذ امتنع من تعظيم من عظمه الله إذ خلقه بيده، وذلك تعظيم لآدم لا تحقير منه، ويدل عليه الحديث الوارد في الشفاعة، إذ يقول له الناس عندما يقصدونه فيها: أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته. فإنما يذكرون ذلك في سياق تعديد كراماته وخصائصه، لا فيما يحط منه، معاذ الله وإياه نسأل أن يعصمنا من مهاوي الهوى ومهالكه، وأن يرشدنا إلى سبيل الحق ومسالكه، إنه ولي التوفيق، وبالإجابة حقيق.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾

فإن قلت: ما الوقت المعلوم الذي أضيف إليه اليوم؟ قلت: الوقت الذي تقع فيه النفخة الأولى. ويومه: اليوم الذي وقت النفخة جزء من أجزائه. ومعنى المعلوم: أنه معلوم عند الله معين، لا يستقدم ولا يستأخر.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ إقسام بعزّة الله تعالى وهي سلطانه وقهره.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾

قرئ: «فالحق والحق» منصوبين على أن الأول مقسم به كالله في [من الرجز]:

إنَّ عـلـيـك الله أن تُـبَـايِـعَـا(1)

وجوابه ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ والحق أقول: اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه، ومعناه: ولا أقول إلاّ الحق. والمراد بالحق: إمّا اسمه عزّ وعلا الذي في قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] أو الحق الذي هو نقيض الباطل: عظمه الله بإقسامه به. ومرفوعين على أنّ الأوّل مبتدأ محذوف الخبر، كقوله: (لعمرك) أي: فالحق قسمي لأملأنّ. والحق أقول، أي: أقوله كقوله كله لم أصنع، ومجرورين: على أنّ الأوّل ٢/١٤١أ مقسم به قد أضمر حرف قسمه، كقولك: الله لأفعلنّ. والحق أقول، أي: ولا أقول إلاّ الحق على حكاية لفظ المقسم به. ومعناه: التوكيد والتشديد. وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع أيضاً. وهو وجه دقيق حسن. وقرئ: برفع الأوّل وجرّه مع نصب الثاني، وتخريجه على ما ذكرنا، ﴿مِنكَ﴾ من جنسك وهم الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من ذرية آدم، فإن قلت: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد لماذا؟ قلت: لا يخلو أن يؤكد به الضمير في «منهم»، أو الكاف في «منك» مع «من تبعك». ومعناه: لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحداً، أو لأملأنها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس، لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الأتباع منهم من أولاد الأنبياء وغيرهم.

---

(1) وبعده: «تؤخذ كرها أو تجيء طائعا»
الرجز بلا نسبة في الخزانة (٥/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٤٠٢) الكتاب (١/ ١٥٦) وشرح التصريح (١/ ١٦١)، وشرح الأشموني (٢/ ٤٤٠) والمقاصد النحوية (٤/ ١٩٩) والمقتضب (٢/ ٦٣).

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

﴿عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ الضمير للقرآن أو للوحي. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله، وما عرفتموني قط متصنعاً ولا مدّعياً ما ليس عندي، حتى أنتحل النبوّة وأتقوّل القرآن، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ من الله ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ للثقلين. أوحى إليّ فأنا أبلغه، وعن رسول الله ﷺ: «للمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوقه، ويتعاطى ما لا ينال، ويقول ما لا يعلم» (١٣٣٢) ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ أي: ما يأتيكم عند الموت، أو يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام وفشوه، من صحة خبره، وأنه الحق والصدق. وفيه تهديد.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات، وعصمه أن يصرّ على ذنب صغير أو كبير» (١٣٣٣).

١٣٣٢ ـ أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ٢٧٠)، باب: في حفظ اللسان فصل في فضل السكوت عما لا يعنيه، رقم (٥٠٦٤).
من طريق أرطأة بن المنذر مقطوعاً، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٩٤) للثعلبي في تفسيره من طريق أرطأة بن المنذر عن ضمرة بن حبيب عن سلمة بن نفيل، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من طريق محمد بن عون حدثنا محمد بن المصلي حدثنا حيوة بن شريح عن أرطأة بن المنذر عن ضمرة بن حبيب عن سلمة بن نفيل مرفوعاً به، ورواه البيهقي في الشعب في الثالث والثلاثين من رواية بقية عن أرطأة قوله ورواه أبو نعيم عن وهب بن منبه قوله. انتهى.

١٣٣٣ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٩٥) للثعلبي في تفسيره، ولابن مردويه في تفسيره في آل عمران، والحديث تقدم تخريجه بتوسع برقم (٣٤٦) وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي رضي الله عنه. انتهى.

سورة الزمر

مكية، إلاّ قوله: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا. . .﴾ الآية، وتسمى سور الغرف، وهي خمس وسبعون آية. وقيل: ثنتان وسبعون آية [نزلت بعد سورة سبأ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤)﴾

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ قرئ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف، أو خبر مبتدإٍ محذوف والجار صلة التنزيل، كما تقول: نزل من عند الله، أو غير صلة، كقولك: هذا الكتاب من فلان إلى فلان، فهو على هذا خبر بعد خبر. أو خبر مبتدإٍ محذوف، تقديره: هذا تنزيل الكتاب، هذا من الله، أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة، وبالنصب على إضمار فعل، نحو: اقرأ، والزم. فإن قلت: ما المراد بالكتاب؟ قلت: الظاهر على الوجه الأول أنه القرآن، وعلى الثاني: أنه السورة. ﴿مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ ممحضاً له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر. وقرئ: «الدين» بالرفع. وحق من رفعه أن يقرأ مخلصاً ـ بفتح اللام ـ كقوله تعالى: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦] حتى يطابق قوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ والخالص والمخلص: واحد، إلاّ أن يصف الدينَ بصفة صاحبه على الإسناد المجازي. كقولهم: شعر شاعر، وأما من جعل ﴿مُخْلِصًا﴾ حالاً من العابد، و ﴿لَّهُ الدِّينَ﴾ مبتدأ وخبراً، فقد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك: لله الدين ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ أي: هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر؛ لاطلاعه على الغيوب والأسرار، ولأنه الحقيق بذلك؛ لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة

بها. وعن قتادة: الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله. وعن الحسن: الإسلام. ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ يحتمل المتخِذين وهم الكفرة، والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزّى، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فالضمير في ﴿اتَّخَذُوا﴾ على الأوّل راجع إلى الذين، وعلى الثاني إلى المشركين، ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوماً، والراجع إلى الذين محذوف، والمعنى: والذين اتخذهم المشركون أولياء، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ في موضع الرفع على الابتداء. فإن قلت: فالخبر ما هو؟ قلت: هو على الأوّل إما ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أو ما أضمر من القول قبل قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾. وعلى الثاني: أن الله يحكم بينهم. فإن قلت: فإذا كان ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ الخبر، فما موضع القول المضمر؟ قلت: يجوز أن يكون في موضع الحال، أي: قائلين ذلك. ويجوز أن يكون بدلاً من الصلة فلا يكون له محلّ، كما أنّ المبدل منه كذلك. وقرأ ابن مسعود بإظهار القول. «قالوا ما نعبدهم» وفي قراءة أبيّ: «ما نعبدكم ٢/١٤١ب إلا لتقربونا» على الخطاب، حكاية لما خاطبوا به آلهتهم. وقرئ: «نعبدهم» بضم النون إتباعاً للعين كما تتبعها الهمزة في الأمر، والتنوين في ﴿وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ﴾ [ص: ٤١ ـ ٤٢] والضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لهم ولأوليائهم. والمعنى: إن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة، ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها؛ حيث يجعلهم وإياها حصب جهنم. واختلافهم: أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون، وأولئك يعادونهم ويلعنونهم، وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى. وقيل: كان المسلمون إذا قالوا لهم: من خلق السمٰوات والأرض؟ أقرّوا وقالوا: الله، فإذا قالوا لهم: فما لكم تعبدون الأصنام؟ قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى؛ فالضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ عائد إليهم وإلى المسلمين. والمعنى: إن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين، والمراد بمنع الهداية: منع اللطف تسجيلاً عليهم بأن لا لطف لهم، وأنهم في علم الله من الهالكين[1]. وقرئ: «كذاب وكذوب»، وكذبهم: قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء: بنات الله؛ ولذلك عقبه محتجاً عليهم بقوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ يعني: لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصحّ؛ لكونه محالاً ولم يتأت إلا أن يصطفي من خلقه بعضه ويختصّهم ويقربهم، كما يختص الرجل ولده ويقربه. وقد فعل

---

(١) قال محمود: «المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلاً عليهم بأن لا يلطف بهم، وأنه في علمه من الهالكين» قال أحمد: مذهب أهل السنة حمل هذه الآية وأمثالها على الظاهر، فإن معتقدهم أن معنى هداية الله تعالى للمؤمن خلق الهدى فيه، ومعنى إضلاله للكافر إزاحته عن الهدى وخلق الكفر له، ومع ذلك فيجوز عند أهل السنة أن يخلق الله تعالى للكافر لطفاً يؤمن عنده طائعاً، خلافاً للقدرية. وغرضنا التنبيه على مذهب أهل الحق لا غيره.

ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه إياهم، فزعمتم أنهم أولاده، جهلاً منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الأجسام والأعراض، كأنه قال: لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة، إلا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولاداً، ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات، فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء[1] على الله وملائكته، غالبين[2] في الكفر، ثم قال: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ فنزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا إليه من الأولاد والأولياء. ودلَّ على ذلك بما ينافيه، وهو أنه واحد، فلا يجوز أن يكون له صاحبة؛ لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له؛ وإذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد، وهو معنى قوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]. وقهار: غلاب لكل شيء، ومن الأشياء آلهتهم، فهو يغلبهم، فكيف يكونون له أولياء وشركاء؟.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾﴾

ثم دلَّ بخلق السمٰوات والأرض، وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر، وتسخير النيرين، وجريهما لأجل مسمى، وبثّ الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة، وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك، قهار لا يغالب. والتكوير: اللف واللّيّ، يقال: كار العمامة على رأسه وكوّرها. وفيه أوجه منها: أن الليل والنهار خِلْفَة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا، وإذا غشي مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس. ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب [من البسيط]:

تَـلْـوِي الـثَّـنَـايَـا بِـأَحْـقَـيْـهَـا حَـوَاشِـيَـهُ ... لَـيَّ الْـمُـلَاءِ بِـأَبْـوَابِ الـتَّـفَـارِيـجِ[3]

---

(١) قوله: «متبالغين في الافتراء» لعله: مبالغين. (ع).
(٢) قوله: «غالبين في الكفر» لعله: غالين. (ع).
(٣) وراكد الشمس أجاج نصبت له ... حواجب القوم بالمهرية العوج
إذا تنازع جالاً مجهل قذف ... أطراف مطرد بالحز منسوج
تلوي الثنايا بأحقيها حواشيه ... لي الملاء بأبواب التفاريج
كأنه والرهاة المرت يركضه ... أعراف أزهر تحت الريح منتوج
لذي الرمة يصف السراب، وراكد الشمس: ما يتساقط منها على الأرض. والأجاج: صفة مبالغة، أي: كثير الأجيج، يقال: أجت النار أجيجاً: اشتعلت، والحر: اشتد. وأج الظليم أجاً: أسرع وله حفيف. وأج الأمر: اختلط. والأج: طير أبيض سريع الطيران يشبه النعام. ويرى السراب عند شدة الحر أبيض كأنه يسير، فيجوز أنه من الأولين. ويجوز أنه منسوب للأخير؛ لأنه يشبهه، واللام للتوقيت، والقواضب: السيوف القواطع. والمهرية: الخيل المنسوبة لمهر بن حيدان أبي قبيلة من =

ومنها أنّ كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه، فشبه في تغييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار. ومنها: أن هذا يكر على هذا كروراً متتابعاً. فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على إثر بعض. ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على عقاب المصرين، ﴿الْغَفَّارُ﴾ لذنوب التائبين[١]. أو الغالب الذي يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى، فسمى الحلم عنهم: مغفرة.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦﴾

فإن قلت: ما وجه قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، وما يعطيه من معنى التراخي؟ قلت: هما آيتان[٢] من جملة الآيات التي عدّدها دالاً على وحدانيته وقدرته: تشعيب هذا الخلق

= اليمن، خيلها أنجب الخيل. والعوج: جمع عوجاء نوع جيد منها أيضاً. والحالان: ارتفاع الأرض وانخفاضها. والمجهل: الموضع الذي يجهله المسافر. والقذف ـ كسبب ـ: الذي يقذف ما فيه فلا أحد فيه. والمطرد: السراب المستوي، شبه بالخز المنسوج في الاستواء والبياض. والثنايا: العقبات. والحقو: الخصر والإزار، وشده عليه استعارة لجانب العقبة، وحواشي السراب: جوانبه، والملاء بالضم والمد: اسم جمع ملاءة وهي الجلباب. والتفراج: الباب الصغير والثوب من الديباج. والرهاة ـ جمع رهو ـ: المكان المرتفع، ويطلق على المنخفض أيضاً. وقيل: اسم موضع. والموت: القفر. والركض: ضرب الدابة بالرجل والضرب مطلقاً، وهو هنا مجاز على طريق التصريحية. والأعراف: جمع عرف. وعرف الديك والفرس: أعلى شعر العنق، وأعرف البحر والسيل: إذا تراكم موجه وارتفع كالأعراف، والأزهر: السحاب الأبيض والماء الأبيض، وهو الأنسب بكونه تحت الريح؛ لأن ظاهر الأول يخالف قوله تعالى: ﴿أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾ والمنتوج: الذي تنتجه الريح وتسوقه حتى يقطر، يقول: ورب راكد من الشمس، يعني السراب الشديد الحر أو السير، نصبت مستقبلا لوقته سيوف قومي مع الخيل الجياد إذا تجاذب المنخفض والمرتفع من الأرض القفرة أطراف الآل وهو السراب، وشبه إحاطة جوانبه وتراكمه في جوانب العقبة بلي الجلباب في أبواب التفاريج، وتلوى: يحتمل أنه جواب ذا وأنه صفة لمطرد وجوابها، دل عليه ما قبلها وأسند اللي للثنايا؛ لأنها سبب الالتواء، ولي الملاء: مفعول مطلق، وأعراف: خبر كأنه، والرهاة: جملة حالية، وفاعل يركض إما ضمير الآل أو ضمير الرهاة؛ لأنهما كأنهما يتضاربان. وروي: تطرده، وفاعله ضمير الرهاة جزماً؛ لأن الآل هو المطرود، وبيت الكشاف: يلوي الثنايا بأحقيها. والحقو: جمعه أحق، وأصل وزنه: أفعل.

ينظر: ديوانه ٩٩٠، ولسان العرب: (حقا)، وكتاب العين: ٣/ ٢٥٤، وجمهرة اللغة ص ٥٦٢، وتهذيب اللغة، ٥/ ١٢٤، وخزانة الأدب: ٤/ ١١٠، وتاج العروس (حقا).

(١) قال محمود: «أي لذنوب التائبين» قال أحمد: الحق أنه تعالى غفار للتائبين ولمن يشاء من المصرين على ما دون الشرك وقنوطهم من رحمة الله تعالى. ولقد قيد الزمخشري الآية بما ترى.

(٢) قال محمود: «فإن قلت: ما وجه العطف بثم في قوله: (ثم جعل)؟ وأجاب بأنهما آيتان. . . إلخ» =

الفائت للحصر من نفس آدم، وخلق حواء من قصيريه، إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرّة، والأخرى لم تجربها العادة، ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل، فكانت أدخل في كونها آية، وأجلب لعجب السامع، فعطفها بثم على الآية الأولى؛ للدلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية، وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية، فهو من التراخي في الحال والمنزلة، لا من التراخي في الوجود. وقيل: ثم متعلق بمعنى واحدة، كأنه قيل: خلقكم من نفس وحدت، ثم شفعها ٢/ ١٤٢أ الله بزوج. وقيل: أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر، ثم خلق بعد ذلك حواء. ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾ وقضى لكم وقسم؛ لأنّ قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول[1] من السماء، حيث كتب في اللوح: كل كائن يكون. وقيل: لا تعيش الأنعام إلاّ بالنبات. والنبات لا يقوم إلاّ بالماء. وقد أنزل الماء، فكأنه أنزلها. وقيل: خلقها في الجنة، ثم أنزلها. ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ ذكراً وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز. والزوج: اسم لواحد معه آخر، فإذا انفرد فهو فرد ووتر. قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: ٣٩]. ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ حيواناً سويًّا، من بعد عظام مكسوة لحماً، من بعد عظام عارية، من بعد مضغ، من بعد علق، من بعد نطف. والظلمات الثلاث: البطن والرحم والمشيمة. وقيل: الصلب والرحم والبطن. ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الذي هذه أفعاله هو ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ . . . فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره؟.

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ عن إيمانكم وإنكم المحتاجون إليه؛ لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالإيمان. ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ رحمة لهم؛ لأنه يوقعهم في الهلكة. ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: يرض الشكر لكم؛ لأنه سبب فوزكم وفلاحكم؛ فإذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم إلاّ لكم ولصلاحكم[2]، لا لأنّ منفعة ترجع إليه؛ لأنه الغني الذي لا

= قال أحمد: إنما منعه من حمل ثم على التراخي في الوجود أنها وقعت بين خلق الذرية من آدم، وخلق حواء منه، وهو متقدم على الذرية فضلاً عن كونه متراخياً عن خلق الذرية، فلم يستقم حملها على تراخي الوجود لما جعلها في الوجه الآخر متعلقة بمعنى واحدة، على تقدير: خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها، يعني: شفعها بزوحها، فكانت ههنا على بابها لتراخي الوجود، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) قال محمود: «إنما جعلها منزلة؛ لأن قضاياه تعالى وقسمه موصوفة بالنزول... إلخ» قال أحمد: ومن هذا النمط بعينه قول الراجز: أسنمة الآبال في سحابة.

(٢) حمل الزمخشري الرضا على الإرادة، والعباد على العموم... إلخ» قال أحمد: إن المصر على هذا =

يجوز عليه الحاجة. ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله تعالى[1] ما نفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال: هذا من العام الذي أريد به الخاص، وما أراد إلاّ عبادهُ الذين عناهم في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥] يريد: المعصومين، كقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]، تعالى الله عما يقول الظالمون، وقرئ: «يرضهُ» بضم الهاء بوصل وبغير وصل، وبسكونها. ﴿خَوَّلَهُۥ﴾ أعطاه. قال أبو النجم [من الرجز]:

أَعْـطَـى فَـلَـمْ يَـبْـخَـلْ وَلَـمْ يُـبَـخَّـلِ ... كُـومَ الـذُّرَى مِـنْ خِـوَلِ الْـمُـخَـوِّلِ[2]

= المعتقد على قلبه رين، أو في ميزان عقله غين، أليس يدعي أو يدعى له أنه الخريت في مغاثر العبارات، وبديع الزمان في صناعة البديع، فكيف نبا عن جادة الإجادة فهمًا، وأعار منادي الحذافة أذنًا صمًا، اللهم إلا أن يكون الهوى إذا تمكن أرى الباطل حقًا، وغطى سني مكشوف العبارة فسحقا سحقاً، أليس مقتضى العربية فضلاً عن القوانين العقلية أن المشروط مرتب على الشرط، لا يتصور وجود المشروط قبل الشرط عقلاً، ولا مضيه واستقبال الشرط لغة وعقلاً، واستقر باتفاق الفريقين أهل السنة وشيع البدعة: أن إرادة الله تعالى لشكر عباده مثلاً مقدمة على وجود الشكر منهم، فحينئذ كيف ساغ حمل الرضا على الإرادة، وقد جعل في الآية مشروطاً وجزاء، وجعل وقوع الشكر شرطاً ومجزياً، واللازم من ذلك عقلاً: تقدم المراد وهو الشكر، على الإرادة وهي الرضا، ولغة: تقدم المشروط على الشرط. والزمخشري أخص من قال: إن المشروط متى كان ماضياً محضاً لزمته الفاء وقد، كقولك: إن تكرمني فقد أكرمتك قبل، وقد عريت الآية عن الحرفين المذكورين، على أنه لا بد من تأويل يصحح الشرطية مع ذلك، فإذا ثبت بطلان حمل الرضا على الإرادة عقلاً ونقلاً، تعين التماس المحمل الصحيح له، وهو المجازاة على الشكر بما عهد أن يجازى به المرضى عنه من الثواب والكرامة، فيكون معنى الآية ـ والله أعلم ـ: وإن تشكروا يجازكم على شكركم جزاء المرضى عنه، ولا شك أن المجازاة مستقبلة بالنسبة إلى الشكر، فجرى الشرط والجزاء على مقتضاهما لغة، وانتظم ذلك بمقتضى الأدلة العقلية على بطلان تقدم المراد على الإرادة عقلاً، ومثل هذا يقدر في قوله: (ولا يرضى لعباده الكفر) أي: لا يجازي غير الكافر مجازاة المغضوب عليه من النكال والعقوبة.

(١) قوله: «ليثبت لله تعالى... إلخ» إنما يتم لو كان الرضاء بمعنى الإرادة، وهو مذهب المعتزلة. وعند أهل السنة: هو غيرها، فكفر الكافر مراد غير مرضى، وعند المعتزلة: غير مراد ولا مرضى. (ع).

(٢) الـحـمـد لله الـوهـوب الـمـجـزل ... أعـطـى فـلـم يـبـخـل ولـم يـبـخـل
كـوم الـذرى مـن خـول الـمـخـول

الوهوب: الوهاب. والمجزل: المكثر العطاء، وبينه بقوله: أعطى السائلين فلم يبخل عليهم، ولم يبخل: مشدد مبني للمجهول، أي: لم يتهم بالبخل. وقيل: هو توكيد. ويروى بناؤه للفاعل، أي لم يجعل من أعطاهم بخلاء، بل جعلهم كرماء. وكوم الذرى: نصب بأعطى، أي: نوقاً عظيمات السنام. والكوم: جمع كوماء. والذرى: جمع ذروة. والمخول بالتشديد المعطي، وهو الله عز وجل.

ينظر لسان العرب: (بقل)، (خول)، وتهذيب اللغة: ٧/ ٥٦٤، ومجمل اللغة: ١/ ٢٨١، وأساس البلاغة: (خول)، وتاج العروس: (خول)، والطرائف الأدبية ص ٥٧.

وفي حقيقته وجهان، أحدهما: جعله خائل مال، من قولهم: هو خائل مال، وخال مال: إذا كان متعهداً له حسن القيام به، ومنه ما روي عن رسول الله ﷺ: أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة (١٣٣٤). والثاني: جعله يخول من خال يخول إذا اختال وافتخر، وفي معناه قول العرب [من البسيط]:

.... إِنَّ الْغَنِيَّ طَوِيلُ الذَّيْلِ مَيَّاسُ

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾

﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ أي نسي الضرّ الذي كان يدعو الله إلى كشفه. وقيل: نسي ربه الذي كان يتضرع إليه ويبتهل إليه، و﴿مَا﴾ بمعنى من، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [الليل: ٣] وقرئ: ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها، بمعنى أنّ نتيجة جعله لله أنداداً ضلاله عن سبيل الله أو إضلاله والنتيجة: قد تكون غرضاً في الفعل، وقد تكون غير غرض. وقوله: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ من باب الخذلان والتخلية، كأنه قيل له: إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة، فمن حقك ألا تؤمر به بعد ذلك، وتؤمر بتركه؛ مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه؛ لأنه لا مبالغة في الخذلان؛ لأنه أشدّ من أن يبعث على عكس ما أمر به، ونظيره في المعنى قوله: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [آل عمران: ١٩٧].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾

قرئ: «أمن هو قانت» بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على من، وبالتشديد

١٣٣٤ ـ أخرجه البخاري (١/ ٢١٨)، كتاب العلم، باب: «ما كان النبي ﷺ يتخولهم...» رقم (٦٨)، (١/ ٢٢٠، ٢٢١)، كتاب العلم، باب: من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، رقم (٧٠). (١٢/ ٥٣٠ ـ ٥٣١)، كتاب الدعوات، باب: الموعظة ساعة بعد ساعة، رقم (٦٤١١).
ومسلم (٩/ ١٧٩)، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: الاقتصاد في الموعظة، رقم (٨٢) ـ (٢٨٢١). والترمذي (٥/ ١٤٢)، كتاب الأدب، باب: ما جاء في الفصاحة والبيان، رقم (٢٨٥٥).
وأحمد (١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨، ٤٢٥، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٦٢) رقم (٤٥٢٤) وابن حبان (١٠/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣)، كتاب السير، باب: الخلاقة والإمارة كلهم من طريق أبي وائل عن ابن مسعود، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح،

على إدخال ﴿أَمْ﴾ عليه. و﴿من﴾ مبتدأ خبره محذوف، تقديره: أمن هو قانت كغيره، وإنما حذف لدلالة الكلام عليه، وهو جري ذكر الكافر قبله. وقوله بعده: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقيل: معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر. أو أهذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل. والقانت: القائم بما يجب عليه من الطاعة. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «أفضل الصلاة طول القنوت» (١٣٣٥)، وهو القيام فيها. ومنه القنوت في الوتر؛ لأنه دعاء المصلي قائماً ﴿سَاجِدًا﴾ حال. وقرئ: «ساجد وقائم» على أنه خبر بعد خبر، والواو للجمع بين الصفتين. وقرئ: «ويحذر عذاب الآخرة». وأراد بالذين يعلمون: العاملين من علماء الديانة، كأنه جعل من لا يعمل غير عالم. ٢/١٤٢ب وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم، ثم لا يقنتون، ويفتنون، ثم يفتنون بالدنيا، فهم عند الله جهلة، حيث جعل القانتين هم العلماء، ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه، أي: كما لا يستوي العالمون والجاهلون، كذلك لا يستوي القانتون والعاصون. وقيل: ونزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي. وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو[1]، فقال: هذا تمنٍّ وإنما الرجاء قوله، وتلا هذه الآية.

١٣٣٥ ـ أخرجه مسلم ١/ ٥٣٠ في صلاة المسافرين، باب أفضل الصلاة طول القنوت (١٦٤ ـ ١٦٥/ ٧٥٦)، والترمذي ٢/ ٢٢٩ في أبواب الصلاة، باب ما جاء في طول القيام في الصلاة (٣٨٧)، وابن ماجه ١/ ٤٥٦ في إقامة الصلاة، باب ما جاء في طول القيام في الصلوات (١٤٢١)، وأحمد ٣/ ٣٠٢، ٣٩١، والحميدي برقم (١٢٧٦)، والطيالسي ١/ ٢٤ برقم (٢٩)، وأبو يعلى (٢١٣١): . . . عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ، أفضل الصلاة طول القنوت».
وفي رواية سئل رسول الله ﷺ: أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت، وقال النووي في شرح مسلم ٢/ ٤٠٦: المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت وقال أبو بكر بن العربي في عارضة الأحوذي ٢/ ١٧٨ ـ ١٧٩: تتبعت موارد القنوت فوجدتها عشرة: الطاعة، والعبادة، ودوام الطاعة: والصلاة، والقيام، وطول القيام والدعاء، والخشوع، والسكوت، وترك الالتفات، وكلها محتملة. أولاها: السكوت والخشوع والقيام. وأحدها في هذا الحديث القيام. وهو في النافلة بالليل أفضل، والسجود والركوع بالنهار أفضل.
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه مسلم من طريق أبي الزبير عن جابر، ورواه الطحاوي من هذا الوجه بلفظ «طول القيام» وكذا هو في حديث عبد الله بن جعفر بلفظ «سئل أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القيام. انتهى».

---

(١) قال محمود: «سئل الحس عمن يتمادى على المعاصي ويرجو. . . إلخ» قال أحمد: كلام الحسن رضي الله عنه صحيح غير منزل على كلام الزمخشري بقرينة حاله، فإن الحسن أراد أن المتمادي على المعصية مصرًا عليها غير تائب إذا غلب رجاؤه خوفه كان متمنيًا، لأن اللائق بهذا أن يغلب خوفه رجاءه، ولم يرد الحسن إقناط هذا من رحمة الله تعالى وحاشاه، وأما قرينه حال الزمخشري فإنها تنم على ما أضمره من إيراد هذه المقالة؛ فإن معتقده أن مثل هذا العاصي وإن كان موحِّدًا =

وقرئ: «إنما يذَّكر» بالإدغام.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ متعلق بأحسنوا لا بحسنة، معناه: الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة. وهي دخول الجنة، أي: حسنة غير مكتنهة بالوصف. وقد علقه السدي بحسنة، ففسر الحسنة بالصحة والعافية. فإن قلت: إذا علق الظرف بأحسنوا فإعرابه ظاهر، فما معنىَ تعليقه بحسنة؟ ولا يصحّ أن يقع صفة لها لتقدمه. قلت: هو صفة لها إذا تأخر، فإذا تقدم كان بياناً لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق، وإن لم يكن التعلق وصفاً، ومعنى: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ أن لا عذر للمفرطين في الإحسان البتة؛ حتى إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم، وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الإحسان، وصرف الهمم إليه قيل لهم: فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة، فلا تجتمعوا مع العجز، وتحوّلوا إلى بلاد أخر، واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم؛ ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم. وقيل: هو للذين كانوا في بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]. وقيل: هي أرض الجنة. و ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم، وعلى غيرها. من تجرّع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لا يحاسبون عليه. وقيل: بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفاً، وهو تمثيل للتكثير. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا يُهتدىٰ إليه حساب الحساب ولا يُعرف. وعن النبيّ ﷺ: «ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين. ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء، فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر صبًّا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أنّ أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل» (١٣٣٦).

١٣٣٦ ـ أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٨٢ ـ ١٨٣)، رقم (١٢٨٢٩) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٩١) في ترجمة (جابر بن زيد) كلاهما من طريق قتادة عن جابر بن زيد.

وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) للثعلبي في تفسيره، ولأبي القاسم =

= يجب خلوده في نار جهنم، ولا معنى لرجائه، ولتنمية صحة هذا المعتقد أورد مقالة الحسن، كالتزام إلى تتميم هذه النزعة، وعما قليل يقرع سمعه ما في أنباء هذه السورة.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ﴾ بإخلاص الدين ﴿وَأُمِرْتُ﴾ بذلك ﴿لِ﴾ أجل ﴿لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة، والمعنىٰ: أنّ الإخلاص له السبقة في الدين، فمن أخلص كان سابقاً. فإن قلت: كيف عطف ﴿أُمِرْتُ﴾ على ﴿أُمِرْتُ﴾ وهما واحد[1]؟ قلت: ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما، وذلك أنّ الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء، والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء، وإذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين، ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل، ولا تزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح، كأنها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه، كما عوّض السين في اسطاع عوضاً من ترك الأصل الذي هو أطوع، والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤]، ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [الأنعام: ١٤] وفي معناه أوجه: أن أكون أوّل من أسلم في زماني ومن قومي؛ لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها، وأن أكون أوّل الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاماً، وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره؛ لأكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعاً، ولا تكون

= الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب ولابن مردوية في تفسيره، وقال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث جابر، وقتادة تفرد به عنه مجاعة وقال الحافظ ابن حجر في الكشاف: أخرجه الثعلبي وابن مردويه، من حديث أنس رضي الله عنه، وإسناده ضعيف جداً، وأورده أبو نعيم في الحلية في ترجمة جابر بن زيد عن الطبراني، وهو في معجمه بإسناده إلى قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً. انتهى.

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: كيف عطف أمرت على أمرت وهما راحد؟ وأجاب بأنه ليس بتكرير. . . إلخ» قال أحمد: ولقد أحسن في تقوية هذا المعنى في هذه الآية بقوله: (فاعبدوا ما شئتم من دونه) فإن مقابلته بعدم الحصر توجب كونه للحصر، والله أعلم. وما أحسن ما بين وجوه المبالغة في وصف الله تعالى؛ لفظاعة خسرانهم، فقال: استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه، ووسط الفصل بين المبتدإ والخبر، وعرف الخسران ونعته بالمبين، وبين في تسمية الشيطان طاغوتًا وجوهاً ثلاثة من المبالغة، أحدها: تسميته بالمصدر كأنه نفس الطغيان. الثاني: بناؤه على فعلوت، وهي صيغة مبالغة كالرحموت، وهي الرحمة الواسعة والملكوت وشبهه. الثالث: تقديم لامه على عينه؛ ليفد اختصاص الشيطان بهذه التسمية.

صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون، وأن أفعل ما أستحق به الأوّلية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب، يعني: أن الله أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكلّ شوب، بدليلي العقل والوحي. فإن عصيت ربي بمخالفة الدليلين، استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم، وذلك حين دعوه إلى دين آبائه. فإن قلت: ما معنى التكرير في قوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾ وقوله: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾﴾؟ قلت: ليس بتكرير؛ لأنّ ٢/١٤٣أ الأوّل إخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص. والثاني: إخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه، ولدلالته على ذلك قدّم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأوّل، فالكلام أوّلاً واقع في الفعل نفسه وإيجاده، وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله؛ ولذلك رتب عليه قوله: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير: المبالغة في الخذلان والتخلية، على ما حققت فيه القول مرتين. قل إنّ الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه هم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها، (و) خسروا ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا رجوع بعده إليهم. وقيل: وخسروهم[1] لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة، يعني: وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا، ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه، ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر، وعرف الخسران ونعته بالمبين.

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ﴾ أطباق من النار هي ﴿ظُلَلٌ﴾ لآخرين. ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب هو الذي يتوعد الله ﴿بِهِ عِبَادَهُ﴾ ويخوفهم؛ ليجتنبوا ما يوقعهم فيه، ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ فلا تتعرّضوا لما يوجب سخطي، وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة. وقرئ: «يا عبادي».

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾

﴿الطَّاغُوتَ﴾ فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت، إلا أن فيها قلباً بتقديم اللام على العين، أطلقت على الشيطان أو الشياطين؛ لكونها مصدراً وفيها مبالغات، وهي

---

(١) قوله: «وخسروهم» لعله «خسروهم» بدون واو. (ع).

التسمية بالمصدر، كأن عين الشيطان طغيان، وأنّ البناء بناء مبالغة، فإنّ الرحموت: الرحمة الواسعة، والملكوت: الملك المبسوط، والقلب هو للاختصاص؛ إذ لا تطلق على غير الشيطان، والمراد بها ههنا الجمع. وقرئ: «الطواغيت» ﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾ بدل من الطاغوت بدل الاشتمال، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ هي البشارة بالثواب، كقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] الله عزّ وجلّ يبشرهم بذلك في وحيه على ألسنة رسله، وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين، وحين يحشرون، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ [الحديد: ١٢] وأراد بعباده ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم، وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة، فوضع الظاهر موضع الضمير، وأراد أن يكونوا نقاداً في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل، فإذا اعترضهم أمران: واجب وندب، اختاروا الواجب، وكذلك المباح والندب، حرّاصاً على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثواباً، ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر(١)، وأبينها دليلاً أو أمارة، وأن لا تكون في مذهبك، كما قال القائل [من البسيط]:

.... وَلاَ تَكُنْ مِثْلَ عَيْرٍ قِيدَ فَانْقَادَا(٢)

يريد المقلد، وقيل: يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن. وقيل: يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها، نحو: القصاص والعفو، والانتصار والإغضاء، والإبداء والإخفاء؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو، فيحدّث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه. ومن الوقفة من يقف على قوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ويبتدىء: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ﴾ يرفعه على الابتداء، وخبره ﴿أُولَٰئِكَ﴾.

---

(١) قال محمود: «يدخل تحت هذا المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر... إلخ» قال أحمد: لقد كنت أطمع لعله رجع عما ضمن هذا الكتاب من المذاهب الرديئة والمعتقدات الفاسدة، حتى حققت من كلامه هذا أن ذلك التصميم كان متمكناً من فؤاده الصميم، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

(٢) شمّر وكن في أمور الدين مجتهداً ولا تكن مثل عير قيد فانقادا

للزمخشري: تشمير الثياب عن الساعد: كناية عن ترك الكسل، ثم قال: واجتهد في أحكام الدين ولا تقلد غيرك، فتكون مثل حمار قاده الشخص فانقاد وطاوعه أينما يوجهه. ويحتمل أن المعنى: اجتهد في العمل ولا تطع الشيطان.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾

أصل الكلام: أمّن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه، جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار، والفاء فاء الجزاء، ثم دخلت الفاء التي في أوّلها للعطف على محذوف يدلّ عليه الخطاب، تقديره: أأنت مالك أمرهم، فمن حقّ عليه العذاب فأنت تنقذه، والهمزة الثانية هي الأولى، كرّرت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد، ووضع ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ موضع الضمير، فالآية على هذا جملة واحدة. ووجه آخر: وهو أن تكون الآية جملتين: أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلّصه؟ ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾؟ ٢/١٤٣ب وإنما جاز حذف: فأنت تخلصه؛ لأن ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾ يدل عليه، نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار، حتى نزّل اجتهاد رسول الله ﷺ وكدّه نفسه في دعائهم إلى الإيمان في منزلة إنقاذهم من النار. وقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾ يفيد أنّ الله تعالى هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار وحده، لا يقدر على ذلك أحد غيره، فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل في النار من النار، لا تقدر أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ٢٠﴾

﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ علا بعضها فوق بعض. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾؟ قلت: معناه ـ والله أعلم ـ: أنها بنيت بناء المنازل التي على الأرض وسوّيت تسويتها، ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ كما تجري تحت المنازل، من غير تفاوت بين العلوّ والسفل، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد؛ لأنّ قوله لهم غرف في معنى: وعدهم الله ذلك.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٢١﴾

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ هو المطر. وقيل: كل ماء في الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة، ثم يقسمه الله، ﴿فَسَلَكَهُۥ﴾ فأدخله ونظمه ﴿يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ عيوناً ومسالك ومجاري كالعروق في الأجساد. ﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك، وأصنافه من برّ وشعير وسمسم وغيرها، ﴿يَهِيجُ﴾ يتمّ جفافه، عن الأصمعي؛ لأنه إذا تمّ جفافه حان له أن يثور عن منابته ويذهب ﴿حُطَٰمًا﴾ فتاتاً ودريناً.[1] ﴿إِنَّ فِي

---

(١) قوله: «فتاتا ودرينا» في الصحاح «الدرين»: خطام المرعى إذا قدم، وهو ما يلي من الحشيش. (ع).

﴿ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ لتذكيراً وتنبيهاً، على أنه لا بدّ من صانع حكيم، وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير، لا عن تعطيل وإهمال. ويجوز أن يكون مثلاً للدنيا، كقوله تعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا﴾ [يونس: ٢٤]، ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٥]. وقرئ: «مصفارًا».

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أَفَمَن﴾ عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للإسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب، ونور الله: هو لطفه، وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقيل: يا رسول الله، كيف انشراح الصدر؟ قال: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح»، فقيل: يا رسول الله، فما علامة ذلك؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل نزول الموت» (١٣٣٧) وهو نظير قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ [الزمر: ٩] في حذف الخبر. ﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ من أجل ذكره، أي: إذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة، كقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]. وقرئ: «عن ذكر الله» فإن قلت: ما الفرق بين من وعن في هذا؟ قلت: إذا قلت: قسا قلبه من ذكر الله، فالمعنى ما ذكرت، من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه، وإذا قلت: عن ذكر الله، فالمعنى: غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه. ونظيره: سقاه من العيمة، أي من أجل عطشه، وسقاه عن العيمة: إذا أرواه حتى أبعده عن العطش.

١٣٣٧ ـ أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٢٣). كتاب الزهد، باب: ذكر الموت والاستعداد له، حديث (٤٢٥٩).
والحاكم (٤/ ٥٤٠)، كتاب: الفتن والملاحم، باب: ذكر خمس بلاء أعاذ النبي ﷺ منها المسلمين.
والطبراني في الصغير (٢/ ٨٧).
والبيهقي في الشعب (٧/ ٣٥١)، باب: في الزهد وقصر الأمل حديث (١٠٥٥٠). كلهم من حديث ابن عمر.
وذكره الترمذي الحكيم في نوادر الأصول (١/ ٥٢٥)، في الأصل السادس والثمانون.
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٠٢) لابن مردويه في تفسيره من طريق أبي فروة يزيد بن محمد بن سنان الرهاوي عن أبيه عن جده، وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود، وفيه أبو فروة الرهاوي فيه كلام، ورواه الترمذي الحكيم في النوادر في الأصل السادس والثمانين، وفي إسناده إبراهيم النخعي وهو ضعيف. انتهى.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنّ أصحاب رسول الله ﷺ ملوا ملة، فقالوا له: حدثنا فنزلت، وإيقاع اسم الله مبتدأ وبناء ﴿نَزَّلَ﴾ عليه فيه: تفخيم لأحسن الحديث، ورفع منه، واستشهاد على حسنه، وتأكيد لاستناده إلى الله وأنه من عنده، وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلاّ عنه، وتنبيه على أنه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث. و ﴿كِتَابًا﴾ بدل من أحسن الحديث، ويحتمل أن يكون حالاً منه، و﴿مُتَشَابِهًا﴾ مطلق في مشابهة بعضه بعضاً، فكان متناولاً لتشابه معانيه في الصحة والإحكام، والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق، وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخير والإصابة، وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكيت، ويجوز أن يكون ﴿مَثَانِيَ﴾ بياناً لكونه متشابهاً؛ لأن القصص المكررة لا تكون إلاّ متشابهة. والمثاني: جمع مثنى بمعنى مردّد ومكرّر، ولما ثنى من قصصه وأنبائه، وأحكامه، وأوامره ونواهيه، ووعده ووعيده، ومواعظه. وقيل: لأنه يثنى في التلاوة، فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان(١) ولا يخلق على كثرة الرّد (١٣٣٨). ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل، من التثنية بمعنى التكرير، والإعادة كما كان قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٤] بمعنى كرّة بعد كرّة، وكذلك: لبيك وسعديك، وحنانيك. فإن قلت: كيف وصف الواحد بالجمع؟ قلت: إنما صحّ ذلك لأنّ الكتاب جملة ذات تفاصيل، وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير، إلاّ تراك تقول: القرآن أسباع وأخماس، وسور وآيات ٢/ ١٤٤أ، وكذلك تقول: أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات، ونظيره قولك: الإنسان عظام وعروق وأعصاب، ألا أنك تركت الموصوف إلى الصفة، وأصله: كتاباً متشابهاً فصولاً مثاني، ويجوز أن يكون كقولك: برمة أعشار، وثوب أخلاق. ويجوز أن لا يكون مثاني صفة، ويكون منتصباً على التمييز من ﴿مُتَشَابِهًا﴾، كما تقول: رأيت رجلاً حسناً شمائل، والمعنى: متشابهة مثانيه. فإن قلت: ما فائدة التثنية والتكرير؟ قلت: النفوس أنفر شيء من حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرر عليها عوداً على بدء لم

١٣٣٨ ـ تقدم في آل عمران.

---

(١) قوله: «لا يتفه ولا يتشان» في الصحاح «التافه»: الحقير اليسير، وفيه تشانت القربة: أخلقت، وتشان الجلد: يبس وتشنج. (ع).

يرسخ فيها ولم يعمل عمله، ومن ثم كانت عادة رسول الله ﷺ أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعاً؛ (١٣٣٩) ليركزه في قلوبهم، ويغرسه في صدورهم. اقشعر الجلد: إذا تقبّض تقبضاً شديداً، وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس، مضموماً إليها حرف رابع وهو الراء؛ ليكون رباعيًا ودالاً على معنى زائد. يقال: اقشعر جلده من الخوف وقَفّ شعره[1]، وهو مثل في شدّة الخوف، فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل؛ تصويراً لإفراط خشيتهم، وأن يريد التحقيق. والمعنى: أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم، ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة. فإن قلت: ما وجه تعدية «لان» بإلى؟ قلت: ضمن معنى فعل متعدّ بإلى، كأنه قيل: سكنت، أو اطمأنت إلى ذكر الله، لينة غير منقبضة، راجية غير خاشية. فإن قلت: لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة؟ قلت: لأنّ أصل أمره الرحمة والرأفة، ورحمته هي سابقة غضبه، فلأصالة رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رءوفاً رحيماً. فإن قلت: لم ذكرت الجلود وحدها أوّلاً، ثم قرنت بها القلوب؟ ثانياً؟ قلت: إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب، فقد ذكرت القلوب، فكأنه قيل: تقشعر جلودهم من آيات الوعيد، وتخشى قلوبهم في أوّل وهلة، فإذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة، استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم، وبالقشعريرة ليناً في جلودهم. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الكتاب، وهو ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ﴾ يوفق به من يشاء، يعني: عباده المتقين؛ حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء، كما قال: ﴿هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]. ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ ومن يخذله من الفساق[2] والفجرة ﴿فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾، أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله، أي: أثر هداه وهو لطفه، فسماه هدى؛ لأنه حاصل بالهدى، ﴿يَهۡدِي بِهِۦ﴾ بهذا الأثر ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من عباده، يعني: من صحب أولئك ورآهم خاشين راجين، فكان ذلك مرغباً لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم. ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ ومن لم تؤثر فيه ألطافه؛ لقسوة

١٣٣٩ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٠٣): غريب والحديث بمعناه عند البخاري (١/ ٢٥٤)، كتاب العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، رقم (٩٥) من طريق ثمامة عن أنس، وقال الحافظ: لم أجده، وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه «كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً ـ الحديث» وزاد أحمد «وكان يستأذن ثلاثاً». انتهى.

---

(١) قوله: «وقف شعره» أي: قام من الفزع، كذا في الصحاح. (ع).

(٢) قوله: «ومن يخذله من الفساق» تأويل الضلال بذلك مبني على مذهب المعتزلة أن الله لا يخلق الشر. وعند أهل السنة: أنه يخلقه كالخير، فالإضلال: خلق الضلال في القلب. (ع).

قلبه، وإصراره على فجوره. ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ من مؤثر فيه بشيء قط.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

يقال: اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه إياه واتقاه بيده. وتقديره: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾[1] كمن أمن العذاب، فحذف الخبر كما حذف في نظائره، و﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: شدّته، ومعناه: أن الإنسان إذا لقي مخوفاً من المخاوف استقبله بيده، وطلب أن يقي بها وجهه؛ لأنه أعزّ أعضائه عليه، والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه، فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلاّ بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره، وقاية له ومحاماة عليه. وقيل: المراد بالوجه الجملة، وقيل: نزلت في أبي جهل. وقال لهم خزنة النار: ﴿ذُوقُوا۟﴾ وبال ﴿مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ . . . . . مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من الجهة التي لا يحتسبون، ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها، بينا هم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مأمنهم. والخزي: الذلّ والصغار، كالمسخ والخسف والقتل والجلاء، وما أشبه ذلك من نكال الله.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة، كقولك: جاءني زيد رجلاً صالحاً وإنساناً عاقلاً، ويجوز أن ينتصب على المدح، ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ مستقيماً بريئاً من التناقض والاختلاف. فإن قلت: فهلا قيل: مستقيماً: أو غير معوج؟ قلت: فيه فائدتان، إحداهما: نفي أن يكون فيه عوج قط، كما قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف: ١]، والثانية: أن لفظ العوج مختص ٢/ ١٤٤ب بالمعاني دون الأعيان، وقيل: المراد بالعوج: الشكّ واللبس. وأنشد [من البسيط]:

وَقَـدْ أَتَـاكَ يَـقِـيـنٌ غَـيْـرُ ذِي عِـوَجٍ ... مِـنَ الإلـهِ وَقَـوْلٌ غَـيْـرُ مَـكْـذُوبِ[2]

---

(١) قال محمود: «معناه كمن هو آمن، فحذف الخبر أسوة أمثاله. . . إلخ» قال أحمد: الملقى في النار والعياذ بالله، لم يقصد الاتقاء بوجهه، ولكنه لم يجد ما يتقي به النار غير وجهه، ولو وجد لفعل، فلما لقيها بوجهه كانت حاله حال المتقي بوجهه، عبر عن ذلك بالاتقاء من باب المجاز التمثيلي، والله أعلم.

(٢) الخطاب لرسول الله ﷺ، والمراد باليقين والقول: القرآن. أو اليقين: الأسرار، والقول: القرآن. أو اليقين: القرآن، والقول: ما عداه من الأوامر والنواهي، و«من الإله» متعلق بأتاك. والمعنى: أن ذاك =

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

واضرب لقومك مثلاً، وقل لهم: ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع، كل واحد منهم يدعي أنه عبده، فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة، وإذا عنت له حاجة تدافعوه، فهو متحير في أمره سادر[1]، قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره، لا يدري أيهم يرضي بخدمته؟ وعلى أيهم يعتمد في حاجاته؟ وفي آخر: قد سلم لمالك واحد وخلص له، فهو معتنق لما لزمه من خدمته، معتمد عليه فيما يصلحه، فهمه واحد وقلبه مجتمع، أيُّ هذين العبدين أحسن حالاً وأجمل شأناً؟ والمراد: تمثيل حال من يثبت آلهة شتى، وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته، ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا، كما قال تعالى: ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ [المؤمنون: ٩١] ويبقى هو متحيراً ضائعاً لا يدري أيهم يعبد؟ وعلى ربوبية أيهم يعتمد؟ وممن يطلب رزقه؟ وممن يلتمس رفقه؟ فهمه شعاع، وقلبه أوزاع[2]، وحال من لم يثبت إلا إلٰهاً واحداً، فهو قائم بما كلفه، عارف بما أرضاه وما أسخطه، متفضل عليه في عاجله، مؤمل للثواب من آجله. و ﴿فِيهِ﴾ صلة شركاء، كما تقول: اشتركوا فيه. والتشاكس والتشاخس: الاختلاف، تقول: تشاكست أحواله، وتشاخست أسنانه، ﴿سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ خالصاً. وقرئ: «سلما» بفتح الفاء والعين، وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين، وهي مصادر سلم. والمعنى: ذا سلامة لرجل، أي: ذا خلوص له من الشركة، من قولهم: سلمت له الضيعة. وقرئ بالرفع على الابتداء، أي: وهناك رجل سالم لرجل، وإنما جعله رجلاً؛ ليكون أفطن لما شقي به أو سعد، فإن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾؟ هل يستويان: صفة على التمييز، والمعنى: هل يستوي صفتاهما وحالاهما، وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس. وقرئ: «مثلين» كقوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ [التوبة: ٦٩] مع قوله: ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ ويجوز فيمن قرأ: «مثلين»، أن يكون الضمير في ﴿يَسْتَوِيَانِ﴾ للمثلين؛ لأن التقدير: مثل رجل ومثل رجل. والمعنى: هلَ يستويان فيما يرجع إلى الوصفية، كما تقول: كفى بهما رجلين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ﴾ الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه، أي: يجب أن يكون الحمد متوجهاً إليه

= من الشك واللبس، ومن الكذب؛ فالعوج: استعارة تصريحية.

(١) قوله: «في أمره سادر» في الصحاح «السادر»: المتحير. (ع).

(٢) قوله: «فهمه شعاع... إلخ» بالفتح، أي: متفرق. وقولهم: بها أوزاع من الناس، أي: جماعات، كذا في الصحاح. (ع).

وحده والعبادة، فقد ثبت أنه لا إله إلاّ هو، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيشركون به غيره.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

كانوا يتربصون برسول الله ﷺ موته، فأخبر أن الموت يعمهم، فلا معنى للتربص، وشماتة الباقي بالفاني. وعن قتادة: نعى إلى نبيه نفسه، ونعى إليكم أنفسكم(١). وقرئ: «مائت ومائتون»،(٢) والفرق بين الميت والمائت: أنّ الميت صفة لازمة كالسيد. وأما المائت فصفة حادثة، تقول: زيد مائت غداً، كما تقول: سائد غداً، أي سيموت وسيسود. وإذا قلت: زيد ميت، فكما تقول: حي في نقيضه، فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت. والمعنى في قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ إنك وإياهم، وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى؛ لأنّ ما هو كائن فكأن قد كان، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ ثم إنك وإياهم، فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب ﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا، فاجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد، ويعتذرون بما لا طائل تحته، تقول الأتباع: أطعنا سادتنا وكبراءنا، وتقول السادات: أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون؛ وقد حمل على اختصام الجميع، وأنّ الكفار يخاصم بعضهم بعضاً؛ حتى يقال لهم: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٨] والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج، وأهل القبلة يكون بينهم الخصام. قال عبد الله بن عمر: لقد عشنا برهة من دهرنا وديننا ونحن نرى أنّ هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتاب؟ قلنا: كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد؟ حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف، فعرفت أنها أنزلت فينا (١٣٤٠). وقال أبو سعيد الخدري:

١٣٤٠ ـ أخرجه الحاكم (٤/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣)، كتاب: الأهوال، باب: لا يدخل أهل الجنة الجنة حتى. . .، من طريق القاسم بن عوف البكري عن ابن عمر. وقال الحافظ: أخرجه الحاكم من رواية القاسم ابن عوف عن ابن عمر رضي الله عنهما. انتهى.

---

(١) قوله: «ونعى إليكم أنفسكم» لعله: إليهم أنفسهم. (ع).

(٢) قال محمود: «قرئ: إنك ميت ومائت. . . إلخ» قال أحمد: فاستعمال ميت مجاز؛ إذ الخطاب مع الأحياء، واستعمال مائت حقيقة؛ إذ لا يعطي اسم الفاعل وجود الفعل حال الخطاب. ونظيره قوله تعالى: (الله يتوفى الأنفس حين موتها) يعني: توفي الموت (والتي لم تمت في منامها) أي يتوفاها حين المنام، تشبيهاً للنوم بالموت، كقوله: (وهو الذي يتوفاكم بالليل) فيمسك الأنفس التي قضى عليها الموت الحقيقي، أي: لا يردها في وقتها حية (ويرسل الأخرى) أي: النائمة إلى الأجل الذي سماه، أي قدره لموتها الحقيقي. هذا أوضح ما قيل في تفسير الآية، والله أعلم.

كنا نقول: ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد، فما هذه الخصومة؟ فلما كان يوم صفّين وشدّ بعضنا على بعض بالسيوف، قلنا: نعم هو هذا (١٣٤١). وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة: ما خصومتنا ونحن إخوان؟ فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا: هذه خصومتنا (١٣٤٢). وعن أبي العالية: نزلت في أهل القبلة. والوجه الذي يدلّ عليه كلام الله هو ما قدمت أولاً. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ ٢/ ١٤٥أ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣] وما هو إلا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة. ﴿كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه. ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ بالأمر الذي هو الصدق بعينه، وهو ما جاء به محمد ﷺ، ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ فاجأه بالتكذيب؛ لما سمع به من غير وقفة؛ لإعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل، كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون. ﴿مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق، واللام في ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ إشارة إليهم.

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هو رسول الله ﷺ: جاء بالصدق وآمن به، وأراد به إياه ومن تبعه، كما أراد بموسى إياه وقومه في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المؤمنون: ٤٩] فلذلك قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ إلا أنّ هذا في الصفة وذاك في الاسم. ويجوز أن يريد: والفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به، وهم الرسول الذي جاء بالصدق، وصحابته الذي صدقوا به (١). وفي قراءة ابن مسعود: «والذين

١٣٤١ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٠٤) للثعلبي من طريق أبي هاشم عن الخدري. وقال الحافظ ابن حجر: ذكره الثعلبي قال: وروى خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن الخدري. انتهى.

١٣٤٢ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٧٢).
والطبري في تفسيره (١١/ ٤)، رقم (٣٠١٤٠)، كلاهما من طريق ابن عون عن إبراهيم النخعي، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٠٤) للثعلبي في تفسيره من نفس الطريق السابق.
وقال الحافظ بن حجر: أخرجه عبد الرزاق، والطبري، والثعلبي، من رواية عبد الله بن عون عن إبراهيم بهذا. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وفيه توزيع للصلة، والفوج هو الموصول، فهو كقولك: جاء =

جاءوا بالصدق وصدقوا به» وقرئ: «وصدق به» بالتخفيف، أي: صدق به الناس ولم يكذبهم به، يعني: أداه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف. وقيل: صار صادقاً به، أي: بسببه؛ لأنّ القرآن معجزة، والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده، ولا يجوز أن يصدق إلاّ الصادق، فيصير لذلك صادقاً بالمعجزة، وقرئ: «وصدق به»، فإن قلت: ما معنى إضافة الأسوأ والأحسن إلى الذي عملوا؟ وما معنى التفضيل فيهما؟ قلت: أما الإضافة فما هي من إضافة أفعل إلى الجملة التي يفضل عليها، ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل، كقولك: الأشج أعدل بني مروان. وأما التفضيل فإيذان بأن السيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلاّت المكفرة، هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم المعصية، والحسن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن؛ لحسن إخلاصهم فيه؛ فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن. وقرئ: «أسوأ» الذي عملوا جمع سوء.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي، فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها. وقرئ: «بكاف عبده» وهو رسول الله ﷺ، و «بكاف عباده» وهم الأنبياء؛ وذلك: أنّ قريشاً قالت لرسول الله ﷺ: إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا، وإنا نخشى عليك معرتها[1] لعيبك إياها. ويروى: أنه بعث خالداً إلى العزّى ليكسرها، فقال له سادنها: أحذركها يا خالد، إنّ لها لشدّة لا يقوم لها شيء، فعمد خالد إليها فهشم أنفها. فقال الله عزّ وجلّ: أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف. وفي هذا تهكم بهم؛ لأنّهم خوّفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضرّ. أو أليس الله بكاف أنبياءه، ولقد قالت أممهم نحو ذلك، فكفاهم الله، وذلك قول قوم هود: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤] ويجوز أن يريد: العبد والعباد على الإطلاق؛ لأنه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم. وقرئ: «بكافي عباده» على الإضافة. و«يكافي عباده». ويكافي: يحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية، كقولك: يجازي في يجزى، وهو أبلغ من كفى؛ لبنائه على لفظ المبالغة والمباراة: أن يكون مهموزاً من المكافأة وهي المجازاة؛ لما تقدم من قوله: ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم﴾، ﴿بِٱلَّذِينَ مِن

= الفريق الذي شَرَّفَ وشُرِّفَ، والأظهر عدم التوزيع، بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الأولى. انتهى. الدر المصون.

(١) قوله: «معرتها» أي: إثمها. أفاده الصحاح. (ع).

﴿دُونِهِۦ﴾ أراد: الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه. ﴿بِعَزِيزٍ﴾ بغالب منيع. ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ ينتقم من أعدائه، وفيه وعيد لقريش، ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قرئ: «كاشفاتٌ ضرَّه» و«ممسكاتٌ رحمتَه» بالتنوين على الأصل، وبالإضافة للتخفيف. فإن قلت: لم فرض المسألة في نفسه دونهم؟ قلت: لأنهم خوّفوه معرّة الأوثان وتخبيلها، فأمر بأن يقرّرهم أوّلاً بأن خالق العالم هو الله وحده. ثم يقول لهم بعد التقرير: فإذا أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضرّ من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل، أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما، هل هؤلاء اللاتي خوّفتموني إياهن كاشفات عني ضرّه أو ممسكات رحمته؟ حتى إذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ٢/ ١٤٥ب ببنت شفة قال: ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ كافياً لمعرّة أوثانكم ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ وفيه تهكم. ويروى أنّ النبيّ ﷺ سألهم فسكتوا، فنزل ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ فإن قلت: لم قيل: كاشفات وممسكات، على التأنيث بعد قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾؟ قلت: أنثهن وكن إناثاً وهن اللات والعزى ومناة، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢١] ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضرّ وإمساك الرحمة؛ لأنّ الأنوثة من باب اللين والرخاوة، كما أنّ الذكورة من باب الشدّة والصلابة، كأنه قال: الأناث اللاتي هن اللاّت والعزّى ومناة أضعف مما تدعون لهنّ وأعجز. وفيه تهكم أيضاً.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها، والمكانة بمعنى المكان، فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا، وحيث ـ للزمان، وهما للمكان. فإن قلت: حق الكلام: فإني عامل على مكانتي، فلم حذف؟ قلت: للاختصار، ولما فيه من زيادة الوعيد، والإيذان بأنّ حاله لا تقف، وتزداد كل يوم قوّة وشدّة؛ لأنّ الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله. ألا ترى إلى قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ﴾ كيف توعدهم بكونه منصوراً عليهم غالباً عليهم في الدنيا والآخرة؛ لأنهم إذا

أتاهم الخزي والعذاب فذاك عزّه وغلبته، من حيث إن الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه، وبذل ذليل من أعدائه. ﴿يُخْزِيهِ﴾ مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب، أي: عذاب مخزٍ له، وهو يوم بدر، وعذاب دائم وهو عذاب النار. وقرئ: «مكاناتكم».

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٤١)﴾

﴿لِلنَّاسِ﴾ لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه؛ ليبشروا وينذروا، فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية. ولا حاجة إلى ذلك فأنا الغني، فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه، ومن اختار الضلالة فقد ضرّها. وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى؛ فإنّ التكليف مبنيّ على الاختيار دون الإجبار.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)﴾

﴿ٱلْأَنفُسَ﴾ الجمل كما هي، وتوفيها: إماتتها، وهو أن تُسْلَب ما هي به حية حساسة درّاكة من: صحة أجزائها وسلامتها؛ لأنها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ يريد ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها، أي: يتوفاها حين تنام، تشبيهاً للنائمين بالموتى. ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ **[الأنعام: ٦]** حيث لا يميزون ولا يتصرفون، كما أنّ الموتى كذلك، ﴿فَيُمْسِكُ﴾ الأنفس ﴿ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ الحقيقي، أي: لا يردّها في وقتها حية، ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ النائمة إلى أجل مسمى إلى وقت ضربه لموتها. وقيل: يتوفى الأنفس يستوفيها ويقضيها، وهي الأنفس التي تكون معها الحياة والحركة، ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها، وهي أنفس التمييز. قالوا: فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة؛ لأنّ نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس، والنائم يتنفس. ورووا عن ابن عباس رضي الله عنهما: في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح التي بها النفس والتحرك، فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه. (١٣٤٣) والصحيح ما ذكرت أوّلاً؛ لأنّ الله عزّ وعلا علق التوفي والموت والمنام جميعاً بالأنفس، وما عنوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم، وإنما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إنّ في توفي الأنفس مائتة ونائمة وإمساكها وإرسالها

١٣٤٣ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٠٥): غريب جداً. قال ابن حجر: لم أجده.

إلى أجل لآيات على قدرة الله وعلمه، لقوم يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون. وقرئ: «قُضِيَ عليها الموتُ» على البناء للمفعول.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ بل اتخذ قريش، والهمزة للإنكار ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من دون إذنه ﴿شُفَعَآءَ﴾ حين قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مالكها، فلا يستطيع أحد شفاعة إلاّ بشرطين: أن يكون المشفوع له مرتضى، وأن يكون الشفيع مأذوناً له. وههنا الشرطان مفقودان جميعاً. ﴿أَوَلَوْ كَانُواْ﴾ معناه: أيشفعون ولو كانوا ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئاً قطّ؛ حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم، ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقرير لقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك، كان مالكاً لها. ١٤٦/٢أ فإن قلت: بم يتصل قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؟ قلت: بما يليه، معناه: له ملك السمٰوات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون يوم القيامة، فلا يكون الملك في ذلك اليوم إلاّ له، فله ملك الدنيا والآخرة.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

مدار المعنى على قوله: «وحده» أي: إذا أفرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم «اشمأزوا» أي: نفروا وانقبضوا، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ وهم آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر استبشروا؛ لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله إلى هواهم فيها. وقيل: إذا قيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا؛ لأنّ فيه نفياً لآلهتهم. وقيل: أراد استبشارهم بما سبق إليه لسان رسول الله ﷺ من ذكر آلهتهم حين قرأ (والنجم) عند باب الكعبة، فسجدوا معه لفرحهم، ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز؛ إذ كل واحد منهما غاية في بابه؛ لأنّ الاستبشار أن يمتلىء قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلّل. والاشمئزاز: أن يمتلىء غمًّا وغيظاً حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه. فإن قلت: ما العامل في ﴿وَإِذَا ذُكِرَ﴾؟ قلت: العامل في إذا المفاجأة، تقديره وقت ذكر الذين من دونه، فاجأوا وقت الاستبشار.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

بَعِل[1] رسول الله ﷺ بهم، وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد، فقيل لهَ: ادع الله بأسمائه العظمى، وقل: أنت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم، ولا حيلة لغيرك فيهم. وفيه وصف لحالهم وإعذار لرسول الله ﷺ وتسلية له ووعيد لهم. وعن الربيع بن خثيم[2] وكان قليل الكلام. أنه أخبر بقتل الحسين - رضي الله عنه، وسخط على قاتله - وقالوا: الآن يتكلم، فما زاد على أن قال: آه أو قد فعلوا؟ وقرأ هذه الآية. وروي أنه قال على أثره: قتل من كان رسول الله ﷺ يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدّته، وهو نظير قوله تعالى في الوعد: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم﴾ [السجدة: ١٧] والمعنى: وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم. وقيل: عملوا أعمالاً حسبوها حسنات، فإذا هي سيئات. وعن سفيان الثوري أنه قرأها فقال: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء. وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له، فقال: أخشى آية من كتاب الله، وتلاها، فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه. ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي سيئات أعمالهم التي كسبوها، أو سيئات كسبهم، حين تعرض صحائفهم، وكانت خافية عليهم، كقوله تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦] وأراد بالسيئات: أنواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا، فسماها سيئات، كما قال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

التخويل: مختص بالتفضل. ويقال: خولني، إذا أعطاك على غير جزاء. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي على علم مني أني سأعطاه؛ لما فيّ من فضل واستحقاق. أو على علم من الله بي وباستحقاقي:[3] أو على علم مني بوجوه الكسب، كما قال قارون: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾

---

(١) قوله: «بعل رسول الله» في الصحاح: «بعل الرجل» بالكسر، أي: دهش. (ع).

(٢) قوله: «وعن الربيع بن خثيم» في النسفي: خيثم. (ع).

(٣) قال محمود: «معناه على علم من الله بي وباستحقاقي... إلخ» قال أحمد: كذلك يقول: على =

[القصص: ٧٨]. فإن قلت: لم ذكر الضمير في ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ وهو للنعمة؟ قلت: ذهاباً به إلى المعنى؛ لأنّ قوله: ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾ شيئاً ما النعم وقسماً منها. ويحتمل أن تكون (ما) في إنما موصولة لا كافة، فيرجع إليها الضمير. على معنى: إن الذي أوتيته على علم ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ إنكار لقوله كأنه قال: ما خولناك من النعمة لما تقول، بل هي فتنة، أي: ابتلاءً وامتحان لك، أتشكر أم تكفر؟ فإن قلت: كيف ذكر الضمير ثم أنثه؟ قلت: حملاً على المعنى أوّلاً، وعلى اللفظ آخراً؛ ولأنّ الخبر لما كان مؤنثاً أعني ﴿فِتْنَةٌ﴾: ساغ تأنيث المبتدإ لأجله؛ لأنه في معناه، كقولهم: ما جاءت حاجتك. وقرئ: «بل هو فتنة» على وفق ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾. فإن قلت: ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في أوّل السورة بالواو؟ قلت: السبب في ذلك أنّ هذه وقعت مسببة عن قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ﴾[1] [الزمر: ٤٥] على معنى أنهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مسّ أحدهم ضرّ دعا من اشمأزّ من ذكره، دون من استبشر بذكره، وما بينهما من الآي اعتراض. فإن قلت: حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه[2]. قلت: ما في الاعتراض من دعاء رسول الله ﷺ ربه بأمر منه وقوله: «أنت تحكم ٢/١٤٦ب بينهم» ثم ما عقبه من الوعيد العظيم: تأكيد لإنكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله في الشدائد دون آلهتهم، كأنه قيل: يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجراءة، ويرتكبون مثل هذا المنكر إلا أنت. وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الزمر: ٤٧] متناول لهم ولكل ظالم إن جعل مطلقاً، أو إياهم خاصة إن عنيتهم به، كأنه قيل: ولو أنّ لهؤلاء الظالمين ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به. حين أحكم عليهم بسوء العذاب، وهذه الأسرار والنكت لا يبرزها إلا علم النظم، وإلا بقيت محتجبة في أكمامها. وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة وما هي إلاّ جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو، كقولك: قام زيد وقعد عمرو. فإن قلت: من أي وجه وقعت مسببة؟

= قدري تمنى على الله أن يثيبه في الآخرة: أن الفرق بين حمد الدنيا وحمد الآخرة أن حمد الدنيا واجب على العبد؛ لأنه على نعمة متفضل بها، وحمد الآخرة ليس بواجب عليه؛ لأنه على نعمة واجبة على الله عز وجل، ولقد صدق الله إذ يقول، وهي فتنة إنما سلم منها أهل السنة؛ إذ يعتقدون أن الثواب بفضل الله وبرحمته لا باستحقاق، ويتبعون في ذلك قول سيد البشر ﷺ: لا يدخل أحد الجنة بعمله. قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته، فما أحمق من منى نفسه وركب رأسه، وطمع أنه يستحق على الله الجنة.

(١) قال محمود: «فإن قلت: لم عطفت هذه الآية على التي قبلها بالفاء؟ والآية التي قبلها في أول السورة بالواو؟ وأجاب بأن هذه الآية مسببة عن قوله: (وإذا ذكر الله. . .) إلخ» قال أحمد: كلام جليل فافهمه، فضلاً عن مشبه قليل.

(٢) قوله: «المعترض بينه وبينه» لعل قوله: «وبينه» مزيد من بعض الناسخين. (ع).

والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم إليه، بل هو مقتض لصدوفهم[1] عنه.
قلت: في هذا التسبيب لطف، وبيانه أنك تقول: زيد مؤمن بالله، فإذا مسّه ضرّ التجأ إليه، فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه، ثم تقول: زيد كافر بالله، فإذا مسّه ضرّ التجأ إليه، فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة، كأنّ الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن إليه، مقيم كفره مقام الإيمان، ومجريه مجراه في جعله سبباً في الالتجاء، فأنت تحكي ما عكس فيه الكافر. ألا ترى أنك تقصد بهذا الكلام الإنكار والتعجب من فعله.؟

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

الضمير في ﴿قَالَهَا﴾ راجع إلى قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ لأنها كلمة أو جملة من القول. وقرئ: «قد قاله» على معنى القول والكلام، وذلك والذين من قبلهم: هم قارون وقومه، حيث قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]، وقومه راضون بها، فكأنهم قالوها. ويجوز أن يكون في الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من متاع الدنيا ويجمعون منه. ﴿مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من مشركي قومك ﴿سَيُصِيبُهُمْ﴾ مثل ما أصاب أولئك، فقتل صناديدهم ببدر، وحبس عنهم الرزق، فقحطوا سبع سنين، ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين، فقيل لهم: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ أنه لا قابض ولا باسط إلاّ الله عزّ وجلّ.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلوّ فيها ﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾ قرئ: بفتح النون وكسرها وضمها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ يعني بشرط التوبة[2]، وقد تكرّر ذكر هذا الشرط في القرآن، فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكراً له فيما لم يذكر فيه؛ لأنّ القرآن في حكم كلام واحد، ولا يجوز فيه التناقض. وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود:

---

(١) قوله: «لصدوفهم عنه» أي: إعراضهم. أفاده الصحاح. (ع).
(٢) قوله: «يعني بشرط التوبة» عند التوبة، فالعموم شامل للشرك، وعند عدمها فلا غفران للكبائر عند المعتزلة، ويجوز بالشفاعة وبمجرد الفضل عند أهل السنة(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) كما تقرر في علم التوحيد، فارجع إليه. (ع).

«يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء». والمراد بمن يشاء: من تاب؛ لأنّ مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله، لا لملكه وجبروته. وقيل: في قراءة النبيّ ﷺ وفاطمة رضي الله عنها: «يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي» ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس: ١٥] وقيل: قال أهل مكة: يزعم محمد أنّ من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له، فكيف ولم نهاجر، وقد عبدنا الأوثان، وقتلنا النفس التي حرّم الله؟ فنزلت. وروي أنه أسلم عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما، ثم فتنوا وعذبوا، فافتتنوا، فكنا نقول: لا يقبل الله لهم صرفاً ولا عدلاً أبداً، فنزلت. فكتب بها عمر رضي الله عنه إليهم، فأسلموا وهاجروا، وقيل: نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه. وعن رسول الله ﷺ: «ما أحب أنّ لي الدنيا وما فيها بهذه الآية» فقال رجل: يا رسول الله، ومن أشرك؟ فسكت ساعة ثم قال: «ألا ومن أشرك» (١٣٤٤) ثلاث مرّات.

﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ وتوبوا إليه. ﴿وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ وأخلصوا له العمل، وإنما ذكر الإنابة على أثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة، وللدلالة على أنها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ مثل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]. ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي يفجؤكم وأنتم غافلون، كأنكم لا تخشون شيئاً لفرط غفلتكم وسهوكم. ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ كراهة أن تقول. فإن قلت: لم نكرت؟ قلت: لأنّ المراد بها بعض الأنفس، وهي نفس الكافر. ويجوز أن يراد: نفس متميزة من الأنفس؛ إما بلجاج في الكفر شديد، أو بعذاب عظيم. ويجوز أن يراد التكثير،

١٣٤٤ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١١/١٦)، حديث (٣٠١٨٧).
والبيهقي في الشعب (٥/٤٢٣)، باب: في معالجة كل ذنب بالتوبة حديث (٧١٣٧)، كلاهما من طريق أبو عبد الرحمن الحُبُلّي عن ثوبان، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٠٥) لابن مردويه من تفسيره، وللثعلبي في تفسيره، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب في السابع والأربعين من حديث ثوبان، وفيه ابن لهيعة عن أبي قبيل وهما ضعيفان. انتهى.

كما قال الأعشى ٢/١٤٧أ [من الطويل]:

وَرَبَّ بَقِيعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِحَوِّهِ   أَتَانِي كَرِيمٌ يَنْفُضُ الرَّأْسَ مُغْضَبَا[(١)]

وهو يريد: أفواجاً من الكرام ينصرونه، لا كريماً واحداً. ونظيره: ربّ بلد قطعت، ورب بطل قارعت. وقد اختلس الطعنة ولا يقصد إلاّ التكسير. وقرئ: «يا حسرتي» على الأصل. ويا حسرتاي، على الجمع بين العوض والمعوّض منه. والجنب: الجانب، يقال: أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته، وفلان لين الجنب والجانب، ثم قالوا: فرّط في جنبه وفي جانبه، يريدون في حقه. قال سابق البربري [من الطويل]:

أَمَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي جَنْبِ وَامِقٍ   لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ[(٢)]

وهذا من باب الكناية؛ لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه، فقد أثبته فيه. ألا ترى إلى قوله [من الكامل]:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى   فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ[(٣)]

---

(١) دعا قومه حولي فجاءوا لنصره   وناديت قوماً بالمسناة غيبا
ورب بقيع لو هتفت بحوه   أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا
للأعشى، وقيل: لأبي عمرو بن العلاء، يصف قومه بالجبن حتى كأنهم أموات مقبورون، صارت الأحجار مسناة فوقهم. وسنيت الشيء سهلته، أي: منعمة مملسة، أو بالية مفتتة. ويجوز أن أصله مسننة، فقلبت النون الثانية ألفاً. وسننت الحجر حددته وملسته. وفي وصف القبور بذلك مبالغة في وصف قومه بالجبن، بل هم دون تلك الأموات، فرب بقيع: أي موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى، والمراد مقبرة، لا بقيع الغرقد بالغين وهو مقبرة المدينة بعينها، لو هتفت بحوه، أي: ناديت شجاعهم لجاءني كريم ينفض رأسه من تراب القبر. أو من الغضب لما نالني من المكروه، وليس المراد كريماً واحداً، بل كرماء كثيرة بمعونة المقام. والحو ـ بالمهملة ـ: الشجاع، وبالمعجمة: العسل، وبالجيم: ما غلظ وارتفع من الأرض.
ينظر: ديوانه ٨، والبحر المحيط ٧/٤٣٥، ومقاييس اللغة ١/ ٢٨٢، الدر المصون ٦/١٩.

(٢) أما تتقين الله في جنب وامق   له كبد حرى عليك تقطع
غريب مشوق مولع بادكاركم   وكل غريب الدار بالشوق مولع
لجميل بن معمر، يستعطف صاحبته بثينة ويتوجع إليها مما نابه فيها، أي: أما تخافين الله في جنب وامق، أي: في حقه الواجب عليك، فالجنب: كناية عن ذلك. والوامق. الشديد المحبة، يعني نفسه. وحرى: أي ذات حر واحتراق. وتقطع: أصله تتقطع، والادكار: أصله الاذتكار، قلبت تاؤه دالاً مهملة، وأدغمت الذال المعجمة فيها، وخاطبها خطاب جمع المذكر تعظيماً. وفي البيت رد العجز على الصدر، وهو من بديع الكلام.
ينظر تاج العروس: (جنب) (جيم) البحر، ٧/ ٤٣٥، ديوان جميل (٢٧٣)، الدر المصون (٦/ ٢٠).

(٣) لزيادة الأعجم، يمدح عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور، وهو من باب الكناية التي قصد بها النسبة، يعني أنه مختص بهذه الصفات لا توجد في غيره، ولا خيمة هناك ولا ضرب أصلاً.

ومنه قول الناس: لمكانك فعلت كذا، يريدون: لأجلك. وفي الحديث: «من الشرك الخفيّ أن يصلي الرجل لمكان الرجل» (١٣٤٥) وكذلك: فعلت هذا من جهتك. فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع إلى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه، قيل: ﴿فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ على معنى: فرطتُ في ذات الله. فإن قلت: فمرجع كلامك إلى أن ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطى من حسن الكناية وبلاغتها، فكأنه قيل: فرطت في الله. فما معنى فرطت في الله؟ قلت: لا بدّ من تقدير مضاف محذوف، سواء ذكر الجنب أو لم يذكر. والمعنى: فرطت في طاعة الله وعبادة الله، وما أشبه ذلك. وفي حرف عبد الله وحفصة: في ذكر الله. «وما» في «ما فرطت» مصدرية مثلها في ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ٢٥]، [التوبة: ١١٨]، ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ قال قتادة: لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها، ومحل ﴿وَإِن كُنتُ﴾ النصب على الحال، كأنه قال: فرطت وأنا ساخر، أي: فرطت في حال سخريتي. وروي: أنه كان في بني إسرائيل عالم ترك علمه وفسق. وأتاه إبليس، قال له: تمتع من الدنيا ثم تب، فأطاعه، وكان له مال فأنفقه في الفجور، فأتاه ملك الموت في ألذّ ما كان فقال: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله، ذهب عمري في طاعة الشيطان، وأسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم، فأنزل الله خبره في القرآن ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ لا يخلو: إما أن يريد الهداية[1] بالإلجاء أو بالإلطاف أو بالوحي، فالإلجاء خارج عن الحكمة، ولم يكن من أهل الإلطاف فيلطف به. وأما الوحي فقد كان، ولكنه عرض ولن يتبعه حتى يهتدي، وإنما يقول هذا تحيراً في أمره وتعللاً بما لا يجدي عليه، كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤوساء والشياطين ونحو ذلك، ونحوه ﴿لَوْ هَدَانَا

١٣٤٥ ـ أخرجه الحاكم (٤/ ٣٢٩)، كتاب الرقاق، باب: من تشعبت به الهموم لم يبال في أي أودية الدنيا هلك.

والبيهقي في الشعب (٥/ ٣٣٤)، باب: في إخلاص العمل لله وترك الرياء رقم (٦٨٣٢) ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٠٦) لإسحاق بن راهويه والبزار في مسانيدهم.

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه أحمد، وإسحاق، والبزار، والحاكم، والبيهقي، من رواية ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن جده قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن نتذاكر الدجال، فقال: غير الدجال أخوف عليكم: الشرك الخفي: أن يعمل الرجل لمكان الرجل» لفظ الحاكم. انتهى.

---

(١) قوله: «لا يخلو إما أن يريد به الهداية» تمحل لتطبيق الآية على مذهب المعتزلة، ولكن خلق الهداية لا يصلح إلى حد الإلجاء؛ لأنه لا يسلب الاختيار عند أهل السنة، كخلق التقوى والطاعة وغيرها من الأفعال الاختيارية؛ لما أثبتوه للعبد من الكسب فيها وإن كان فاعلها في الحقيقة هو الله تعالى، كما تقرر في علم التوحيد. (ع).

ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢١] وقوله: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ ردّ من الله عليه، معناه: بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله، وآثرت الكفر على الإيمان، والضلالة على الهدى. وقرئ: بكسر التاء(١) على مخاطبة النفس. فإن قلت: فهلا قرن الجواب بما هو جواب له، وهو قوله: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ ولم يفصل بينهما بآية؟ قلت: لأنه لا يخلو: إما أن يقدّم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن. وإما أن تؤخر القرينة الوسطى، فلم يحسن الأوّل لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن. وأما الثاني: فلما فيه من نقص الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة، ثم التعلل بفقد الهداية، ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه، وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها، ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب. فإن قلت: كيف صحّ أن تقع بلى جواباً لغير منفي؟ قلت: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ فيه معنى: ما هُديت.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي وصفوه بما لا يجوز عليه تعالى، وهو متعال(٢) عنه، فأضافوا إليه

---

(١) قوله: «وقرئ بكسر التاء» لعل من كسرها كسر الكاف أيضاً. (ع).

(٢) قال محمود: «يعني الذين وصفوه تعالى بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه... إلخ» قال أحمد: قد عدا طور التفسير لمرض في قلبه لا دواء له إلاّ التوفيق الذي حرمه، ولا يعافيه منه إلاّ الذي قدر عليه هذا الضلال وحتمه، وسنقيم عليه حد الرد؛ لأنه قد أبدى صفحته، ولولا شرط الكتاب لأضربنا عنه صفحاً ولو ينأي عن الالتفات إليه كشحا، وبالله التوفيق فنقول: أما تعريضه بأن أهل السنة يعتقدون أن القبائح من فعل الله تعالى، فيرجمه باعتقادهم المشار إليه قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) أما الزمخشري وإخوانه القدرية، فيغيرون وجه هذه الآية ويقولون: ليس خالق كل شيء؛ لأن القبائح أشياء وليست مخلوقة له، فاعتقدوا أنهم نزهوا، وإنما أشركوا. وأما تعريضه لهم في أنهم يجوزون أن يخلق خلقاً لا لغرض؛ فذلك لأن أفعاله تعالى لا تعلل؛ لأنه الفعال لما يشاء. وعند القدرية ليس فعالاً لما يشاء؛ لأن الفعل إما منوط على حكمة ومصلحة، فيجب عليه أن يفعله عندهم؛ وإما عار عنها فيجب عليه أن يفعله، فأين أثر المشيئة إذاً؟ وأما اعتقاده أن في تكليف ما لا يطاق تظليماً لله تعالى، فاعتقاد باطل؛ لأن ذلك إنما ثبت لازماً لاعتقادهم أن الله تعالى خالق أفعال عبيده، فالتكليف بها تكليف بما ليس مخلوقاً لهم، والقاعدة الأولى حق، ولازم الحق حق، ولا معنى للظلم إلاّ التصرف في ملك الغير بغير إذنه، والعباد ملك الله تعالى، فكيف يتصور حقيقة الظلم منه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيراً.
وأما تعريضه بأنهم يجوزون أن يؤلم لا لعوض، فيقال له: ما قولك أيها الظنين في إيلام البهائم والأطفال، ولا أعواض لها، وليس مرتباً على استحقاق سابق خلافاً للقدرية؛ إذ يقولون: لا بد في الألم من استحقاق سابق أو عوض. وأما اعتقاده أن تجويز رؤية الله تعالى يستلزم اعتقاد الجسمية، فإنه اغترار في اعتقاده بأدلة العقل المجوزة لذلك، مع البراءة من اعتقاد الجسمية، ولم يشعر أنه =

الولد والشريك، وقالوا: هؤلاء شفعاؤنا، وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠]، وقالوا: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨] ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح(١)، وتجويز أن يخلق خلقاً لا لغرض، ويؤلم لا لعوض، ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق، ويجسمونه بكونه مرئياً معايناً مدركاً بالحاسة، ويثبتون له يداً وقدماً وجنباً متسترين بالبلكفة، ويجعلون له أنداداً بإثباتهم معه قدماء. ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ جملة في موضع الحال، إن كان «ترى» من رؤية البصر، ومفعول ثانٍ إن كان من رؤية القلب ٢/ ١٤٧ب.

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾

قرئ: «يُنْجي» و«ينجّي» ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ بفلاحهم، يقال: فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه. وتفسير المفازة قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ كأنه قيل: ما مفازتهم؟ فقيل: لا يمسهم السوء، أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم. أو بسبب منجاتهم، من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨] أي بمنجاة

= يقابل بهداية قول نبي الهدى عليه الصلاة والسلام: «إنكم سترون ربكم كالقمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته» فهذا النص الذي ينبو عن التأويل ولا يردع المتمسك به شيء من التهويل. وأما قوله: إنهم يتسترون بالبلكفة، فيعني به قولهم: «بلا كيف» أجل، إنها لستر لا تهتكه يد الباطل البتراء، ولا تبعد عن الهدى عين الضلال العوراء. وأما تعريضه بأنهم يجعلون لله أنداداً بإثباتهم معه قدماء، فنفي لإثباتهم صفات الكمال، كلا والله، إنما جعل لله أنداداً القدرية؛ إذ جعلوا أنفسهم يخلقون ما يريدون ويشتهون على خلاف مراد ربهم. حتى قالوا: إن ما شاءوه كان وما شاء الله لا يكون. وأما أهل السنة فلم يزيدوا على أن اعتقدوا أن لله تعالى علماً وقدرة وإرادة وسمعاً وبصراً وكلاماً وحياة، حسبما دل عليه العقل وورد به الشرع، وأي مخلص للقدري إذا سمع قوله تعالى: (وسع ربنا كل شيء علماً) إلاَّ اعتقاد أن لله تعالى علماً. أو جحد آيات الله وإطفاء نوره، (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون). وأما قوله: إنهم يثبتون لله تعالى يداً وقدماً ووجهاً، فذلك فرية ما فيها مرية، ولم يقل بذلك أحد من أهل السنة. وإنما أثبت القاضي أبو بكر صفات سمعية وردت في القرآن: اليدان والعينان والوجه، ولم يتجاوز في إثباتها ما وردت عليه في كتاب الله العزيز، على أن غيره من أهل السنة حمل اليدين على القدرة والنعمة، والوجه على الذات؛ وقد مر ذلك في مواضع من الكتاب، فقد اتصف في هذه المباحثة بحال من بحث بظلفه على حتفه، وتعريضه معتقده الفاسد لهتك ستره وكشفه، وإنما حملني على إغلاظ مخاطبته الغضب لله تعالى ولرسوله ﷺ وأهل سنته، فإنه قد أساء عليهم الأدب، ونسبهم بكذبه إلى الكذب، والله الموفق.

(١) قوله: «قوم يسفهونه بفعل القبائح» يريد بهم أهل السنة، حيث ذهبوا إلى أنه تعالى هو الخالق لأفعال العباد ولو معاصٍ، وأن فعله لا لغرض بل لحكمة، وإيلام الأطفال لا يستوجب عليه عوضاً، وتظليمه نسبته إلى الظلم بتجويز تكليف المحال كما في علم الأصول، وجوزوا عليه الرؤية وهي غير مختصة بالأجسام عندهم، وجوز السلف أن يكون له يد ونحوها، لكن لا كالأيدي. وأراد بالقدماء صفات المعاني: كالقدرة والإرادة، حيث قال أهل السنة: إنها موجودة بوجودات زائدة على وجود الذات، وتحقيق ذلك في التوحيد والأصول، فانظره. والبلكفة: قولهم: «بلا كيف». (ع).

منه؛ لأنّ النجاة من أعظم الفلاح، وسبب منجاتهم العمل الصالح؛ ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة، ويجوز: بسبب فلاحهم؛ لأنّ العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة. ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه: مفازة؛ لأنه سببها. وقرئ: «بمفازاتهم» على أن لكل متّق مفازة. فإن قلت: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ﴾ ما محله من الإعراب على التفسيرين؟ قلت: أما على التفسير الأوّل فلا محل له؛ لأنه كلام مستأنف. وأما على الثاني فمحله النصب على الحال.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ أي هو مالك أمرها وحافظها، وهو من باب الكناية؛ لأنّ حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي الذي يملك مقاليدها، ومنه قولهم: فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهي مفاتيح، ولا واحد لها من لفظها. وقيل: مقليد. ويقال: إقليد وأقاليد، والكلمة أصلها فارسية. فإن قلت: ما للكتاب العربي المبين وللفارسية؟ قلت: التعريب أحالها عربية، كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملاً. فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؟ قلت: بقوله: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ أي ينجي الله المتقين بمفازتهم، والذين كفروا هم الخاسرون. واعترض بينهما بأنه خالق الأشياء كلها. وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء، وقد جعل متصلاً بما يليه على أن كل شيء في السموات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه، والذين كفروا وجحدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون، وقيل: سأل عثمان رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾، فقال: «يا عثمان، ما سألني عنها أحد قبلك، تفسيرها: لا إله إلاّ الله والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، وأستغفر الله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير» (١٣٤٦) وتأويله على هذا: أن الله

١٣٤٦ ـ أخرجه أبو يعلى في مسنده، وما في تخريج الزيلعي (٣/ ٢٠٧)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ١١٧ ـ ١١٨)، رقم (١٤٠) وأعله بأغلب بن تميم الكندي وقال: لا يتابع عليه.

وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٠٧) لابن أبي حاتم وللثعلبي، ولابن مردويه في تفاسيرهم، وكذا للبيهقي في كتاب الأسماء والصفات، ولابن الجوزي في كتابه الموضوعات، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه أبو يعلى وابن أبي حاتم، والعقيلي، والبيهقي في الأسماء والطبراني في الدعاء كلهم من رواية أغلب بن تميم حدثنا مخلد أبو الهذيل عن عبد الرحيم، وعبد الرحمن بن عدي عن عبد الله بن عمر به، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات من هذا الوجه. وله وجه آخر عند ابن مردويه. من طريق كلب بن وائل عن عمر، ورواه ابن مردويه عن الطبراني بإسناد آخر إلى =

هذه الكلمات يوحد بها ويمجد، وهي مفاتيح خير السموات والأرض، من تكلم بها من المتقين أصابه، والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده، أولئك هم الخاسرون.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ منصوب بأعبد. و﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ﴾ اعتراض. ومعناه: أفغير الله أعبد بأمركم، وذلك حين قال له المشركون: استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلٰهك. أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله: ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ﴾ لأنه في معنى تعبدونني وتقولون لي: اعبد، والأصل: تأمرونني أن أعبد، فحذف «أن» ورفع الفعل، كما في قوله: [الطويل]

أَلاَ أَيُّهٰذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرُ الْوَغَى[1] ....

ألا تراك تقول: أفغير الله تقولون لي: أعبد، وأفغير الله تقولون لي: أعبد، فكذلك أفغير الله تأمرونني أن أعبده. وأفغير الله تأمرونني أن أعبد، والدليل على صحة هذا الوجه: قراءة من قرأ (أعبد) بالنصب. وقرئ: «تأمرونني» على الأصل. و«تأمروني»، على إدغام النون أو حذفها.

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

قرئ: «ليحبطن عملك» وليحبطنّ: على البناء للمفعول. ولنحبطنّ، بالنون والياء، أي: ليحبطنّ الله أو الشرك. فإن قلت: الموحى إليهم جماعة، فكيف قال: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ على التوحيد؟ قلت: معناه أوحى إليك لئن أشركت ليحبطن عملك، وإلى الذين من قبلك مثله، أو أوحي إليك وإلى كل واحد منهم: لئن أشركت كما تقول: كسانا حلة، أي: كل واحد منّا. فإن قلت: ما الفرق بين اللامين؟ قلت: الأولى موطئة للقسم المحذوف، والثانية لام الجواب، وهذا الجواب سادّ مسدّ الجوابين، أعني: جوابي القسم والشرط، فإن قلت: كيف صحّ هذا الكلام مع علم الله أنّ رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم؟ قلت: هو على سبيل الفرض، والمحالات يصحّ فرضها لأغراض، فكيف بما ليس بمحال؟ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩] يعني على سبيل الإلجاء، ولن يكون ذلك لامتناع الداعي إليه ووجود الصارف عنه. فإن

= ابن عباس: «إن عثمان ـ فذكره» وفيه سلام بن وهب الجندي عن أبيه ولا أعرفهما. انتهى

(١) تقدم.

قلت: ما معنى قوله: ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾؟ قلت: يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل. ويحتمل: ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم إن مت على الردة. ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشدّ، فلا يمهله بعد الردة، ألا ترى ١٤٨/٢أ إلى قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥]، ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم، كأنه قال: لا تعبد ما أمروك بعبادته، بل إن كنت عاقلاً فاعبد الله، فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضاً منه.[1] ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ على ما أنعم به عليك، من أن جعلك سيد ولد آدم. وجوّز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه، تقديره: بل الله أعبد فاعبد.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حقّ تقديره وعظمه حق تعظيمه قيل: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ وقرئ بالتشديد على معنى: وما عظموه كنه تعظيمه، ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين[2] إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز، وكذلك حكم ما يروى: أن

---

(١) قال محمود: «أصل الكلام: إن كنت عابداً فاعبد الله، فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضاً منه. اهـ كلامه، قال أحمد: مقتضى كلام سيبويه في أمثال هذه الآية: أن الأصل فيه فاعبد الله. ثم حذفوا الفعل الأول اختصاراً، فلما وقعت الفاء أولاً استنكروا الابتداء بها، ومن شأنها التوسط بين المعطوف والمعطوف عليه، فقدموا المفعول وصارت متوسطة لفظاً ودالة على أن ثم محذوفاً اقتضى وجودها، ولتعطف عليه ما بعدها وينضاف إلى هذه الغاية في التقديم فائدة الحصر، كما تقدم من إشعار التقديم بالاختصاص.

(٢) قال محمود: «الغرض من هذا الكلام تصوير عظمته تعالى والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز، وكذلك حكم ما يروى عن رسول الله ﷺ: أن حبراً جاء إليه فقال: يا أبا القاسم، إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ وتعجب مما قال الحبر، ثم قرأ هذه الآية تصديقاً له، فإنما ضحك أفصح العرب لأنه لم يفهم منه إلا ما فهمه علماء البيان من غير تصوير إمساك ولا هز ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة التي لا يوصل السامع إلى الوقوف عليها إلا إجراء العبارة على مثل هذه الطريقة من التخييل، ثم قال: وأكثر كلام الأنبياء والكتب السماوية وعليتها تخييل قد زلت فيه الأقدام قديماً. اهـ كلامه» قال =

جبريل[1] جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا القاسم، إن الله يمسك السمٰوات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال، ثم قرأ تصديقاً له: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾... الآية (١٣٤٧)، وإنما ضحك: أفصح العرب ﷺ وتعجب؛ لأنه لم يفهم منه إلاّ ما يفهمه علماء البيان من غير تصوّر إمساك ولا أصبع ولا هزّ ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أوّل شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة، وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهامَ والأذهان ولا تكتنهها الأوهام هينة عليه هواناً لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه، إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل، ولا ترى باباً في علم البيان أدقّ ولا أرقّ ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء، فإنّ أكثره وعليته[2] تخييلات قد زلت فيها الأقدام قديماً، وما أوتي الزالون[3] إلاّ من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير، حتى

١٣٤٧ ـ أخرجه البخاري (١٥/٣٤٨)، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾، رقم (٧٤١٤)، (١٥/ ٤٤٤)، كتاب: التوحيد، باب: «كلام الرب عز وجل يوم القيامة»، رقم (٧٥١٣) (٩/ ٥١٤)، كتاب التفسير، باب: قوله: «وما قدروا الله حق قدره» رقم (٤٨١١).
ومسلم (٩/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ١٩ ـ (٢٧٨٦).
والترمذي (٥/ ٣٧١)، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الزمر، رقم (٣٢٣٨ ـ ٣٢٣٩).
والنسائي في الكبرى (٤/ ٤٠٠)، كتاب النعوت، رقم (٧٦٨٧/ ١).
وأحمد (١/ ٤٥٧).
والطبري في تفسيره (١١/ ٢٥)، رقم (٣٠٢١٧)، (٣٠٢١٩) والبغوى في تفسيره (٤/ ٨٧)، رقم (٦٧).
وابن حبان (١٦/ ٣١٩ ـ ٣٢٠)، كتاب: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب: إخباره ﷺ عن البعث وأحوال الناس. كلهم من طريق ابن مسعود.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

= أحمد: إنما عنى بما أجراه ههنا من لفظ التخييل التمثيل، وإنما العبارة موهمة منكرة في هذا المقام، لا تليق به بوجه من الوجوه، والله أعلم.

(١) قوله: «أن جبريل جاء إلى رسول الله» قيل: الصواب أنه حبر من أحبار اليهود لا جبريل. ويدل عليه ما في البخاري ومسلم والترمذي، كذا بهامش. ويؤيده أن «يا أبا القاسم» عادة اليهود في ندائه ﷺ. (ع) متفق عليه من حديث ابن مسعود. (تنبيه) وقع عنده أن جبريل وهو تصحيف. والذي في الصحيح «جاء حبر من اليهود» وفي رواية «أن يهودياً» وفي رواية «أن رجلاً من أهل الكتاب».

(٢) قوله: «وعليته» أي معظمه. (ع).

(٣) قوله: «وما أتى الزالون» أي أجيبوا (ع).

يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علماً لو قدَّروه حق قدره لما خفي عليهم أنّ العلوم كلها مفتقرة إليه وعيال عليه؛ إذ لا يحل عقدها الموربة ولا يفك قيودها المكربة إلا هو، وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول، وقد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة[1]، والوجوه الرثة؛ لأنّ من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير، ولا يعرف قبيلاً منه من دبير[2]. والمراد بالأرض: الأرضون السبع، يشهد لذلك شاهدان، قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ وقوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ ولأنّ الموضع موضع تفخيم وتعظيم، فهو مقتض للمبالغة، ومع القصد إلى الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكدة قبل مجيء الخبر؛ ليعلم أوّل الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة، ولكن عن الأراضي كلهن. والقبضة: المرة من القبض ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦] والقبضة ـ بالضم ـ: المقدار المقبوض بالكف، ويقال أيضاً: أعطني قبضة من كذا: تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر، كما روي: أنه نهى عن خطفة السبع[3] (١٣٤٨). وكلا المعنيين محتمل. والمعنى: والأرضون جميعاً قبضته، أي: ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة، يعني أنّ الأرضين مع عظمهن وبسطهن لا يبلغن إلاّ قبضة واحدة من قبضاته، كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة، كما تقول: الجزور أكلة لقمان، والقلة جرعته، أي: ذات أكلته وذات جرعته؛ تريد: أنهما لا يفيان إلا بأكلة فذة من أكلاته، وجرعة فردة من جرعاته. وإذا أريد معنى القبضة فظاهر؛ لأنّ المعنى: أنّ الأرضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة. فإن

١٣٤٨ ـ جاء من حديث أبي الدرداء، وأبى ثعلبة الخشني، وابن عباس، فأما حديث أبي الدرداء: أخرجه أحمد (٥/ ١٩٥)، (٦/ ٤٤٥)، وأما حديث أبي ثعلبة الخشني، أخرجه الدارمي (٢/ ٨٥)، كتاب الأضاحي، باب: ما لا يؤكل من السباع.
وأما حديث ابن عباس: فأخرجه أحمد (١/ ٢٤٤، ٢٨٩، ٣٠٢)، والدرامي (٢/ ٨٥)، كتاب الأضاحي، باب: ما لا يأكل من السباع، وأبو يعلى (٤/ ٣٧٣) رقم (١٦٤)، (٢٤٩١).
وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا، وروى أحمد وإسحاق، وأبو يعلى من رواية سهل عن عبد الله بن يزيد عن شيخ لقيه سعيد بن المسيب، أنه سمع أبا الدرداء، يقول: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل خطفة ونهبة والمجثمة وكل ذي ناب من السباع»، ورواه أبو يعلى من رواية الإفريقي، ورواه الدارمي والطبراني والنسائي في الكنى من رواية أبي أوس عن الزهري عن أبي إدريس عن أبي ثعلبة، بلفظ: «نهى عن الخطفة والمجثمة والنهبة. وكل ذي ناب من السباع». انتهى.

---

(١) قوله: «بالتأويلات الغثة» في الصحاح «الغث» نبت يختبز حبه ويؤكل في الجوع، وتكون خبزته غليظة شبيهة بخبز الملة. (ع).
(٢) قوله: «قبيلا منه من دبير» في الصحاح «القبيل»: ما تقبل به المرأة من غزلها حين تفتله. وفيه «الدبير»: ما تدبر به المرأة من غزلها حين تفتله. ومنه قيل: فلان ما يعرف قبيلا من دبير. (ع).
(٣) قوله: «نهى عن خطفة السبع» أي: والمراد مخطوفه. (ع).

قلت: ما وجه قراءة من قرأ «قبضته» بالنصب؟ قلت: جعلها ظرفاً مشبهاً للمؤقت بالمبهم: ﴿مَطْوِيَّٰتُۢ﴾ من الطي الذي هو ضدّ النشر، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه، وقيل: قبضته: ملكه بلا مدافع ولا منازع، وبيمينه: بقدرته. وقيل: مطويات بيمينه مفنيات بقسمه؛ لأنه أقسم أن يفنيها، ومن اشتم رائحة من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل؛ ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله، ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته، وما مني[1] به من أمثاله؛ وأثقل منه على الروح، وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله، واستحسانهم له، وحكايته على فروع المنابر، واستجلاب الاهتزاز به من السامعين. وقرئ: «مطويات» على نظم السمٰوات في حكم الأرض، ودخولها تحت القبضة، ونصب مطويات على الحال. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ ما أبعد من هذه قدرته وعظمته، وما أعلاه/ ٢/١٤٨ب عما يضاف إليه من الشركاء.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

فإن قلت: ﴿أُخْرَىٰ﴾ ما محلها من الإعراب؟ قلت: يحتمل الرفع والنصب: أما الرفع فعلى قوله: ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾[2] [الحاقة: ١٣] وأما النصب فعلى قراءة من قرأ: ﴿نفخة واحدة﴾ [الحاقة: ١٣] والمعنى: ونفخ في الصور نفخة واحدة، ثم نفخ فيه أخرى؛ وإنما حذفت لدلالة أخرى عليها، ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان. وقرئ: «قياماً ينظرون»: يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب. وقيل: ينظرون ماذا يفعل بهم. ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قد استعار الله عزّ وجلّ النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل، وهذا من ذاك. والمعنى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ بما يقيمه فيها من الحق والعدل، ويبسطه من القسط في

---

(١) قوله: «وما مني به» أي ابتلى. (ع).

(٢) قوله: «أما الرفع فعلى قوله: «فإذا نفخ» أي في الحاقة. وقوله: «من قرأ» أي: هناك. وقوله: «حذفت» أي هنا. (ع).

الحساب ووزن الحسنات والسيئات، وينادي عليه بأنه مستعار إضافته إلى اسمه؛ لأنه هو الحق العدل. وإضافة اسمه إلى الأرض؛ لأنه يزينها حيث ينشر فيها عدله، وينصب فيها موازين قسطه، ويحكم بالحق بين أهلها، ولا ترى أزين للبقاع من العدل، ولا أعمر لها منه. وفي هذه الإضافة أن ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها، وإنما يجور فيها غير ربها، ثم ما عطف على إشراق الأرض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور. وترى الناس يقولون للملك العادل: أشرقت الآفاق بعدلك، وأضاءت الدنيا بقسطك، كما تقول: أظلمت البلاد بجور فلان. وقال رسول الله ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة» (١٣٤٩) وكما فتح الآية بإثبات العدل، ختمها بنفي الظلم. وقرئ: «وأُشرقت» على البناء للمفعول، من شرقت بالضوء تشرق: إذا امتلأت به واغتصت. وأشرقها الله، كما تقول: ملأ الأرض عدلاً وطبقها عدلاً. و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ صحائف الأعمال، ولكنه اكتفى باسم الجنس، وقيل: اللوح المحفوظ. ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ الذين يشهدون للأمم وعليهم من الحفظة والأخيار. وقيل: المستشهدون في سبيل الله.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

الزمر: الأفواج المتفرقة بعضها في أثر بعض، وقد تزمروا(١)، قال [من الرجز]:

١٣٤٩ ـ أخرجه البخاري (٥/ ١٢٠ ـ ١٢١) كتاب المظالم: باب الظلم ظلمات يوم القيامة حديث (٢٤٤٧) وفي «الأدب المفرد» رقم (٤٨١) ومسلم (٤/ ١٩٩٦) كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم حديث (٥٧/ ٢٥٧٩) وأحمد (٢/ ١٣٧، ١٤٦) والبيهقي (٦/ ٩٣) كتاب الغصب: باب تحريم الغصب والبغوي في «شرح السنة» (٧/ ٣٦٤ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً وللحديث شاهد من حديث جابر بلفظ: اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.
أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٦) كتاب البر والصلة: باب تحريم الظلم حديث (٥٦/ ٢٥٧٩) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٤٧٩) وأحمد (٣/ ٣٢٣) من طريق عبيد الله بن مقسم عن جابر به.
وله شاهد أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو أخرجه أحمد (٢/ ١٥٩) عنه مرفوعاً بلفظ: الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش... وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث ابن عمر، ولمسلم عن جابر، والنسائي، وأبي داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. انتهى.

---

(١) قوله: «وقد تزمروا» وفي نسخة أخرى: تزامروا. وفي الصحاح: احزألت الإبل في السير: ارتفعت. (ع).

حَــتَــى ٱحْــزَأَلَّــتْ زُمَــرٌ بَــعْــدَ زُمَــرْ[1]

وقيل في زمر الذين اتقوا: هي الطبقات المختلفة: الشهداء، والزهاد، والعلماء، والقرّاء وغيرهم. وقرئ: «نذر منكم» فإن قلت: لم أضيف إليهم اليوم؟ قلت: أرادوا لقاء وقتكم هذا، وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة. وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضاً في أوقات الشدّة ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أتونا وتلوا علينا، ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملأنّ جهنم، لسوء أعمالنا، كما قالوا: غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين. فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال. واللام في المتكبرين للجنس؛ لأنّ ﴿مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ فاعل بئس، وبئس فاعلها: اسم معرف بلام الجنس. أو مضاف إلى مثله، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: فبئس مثوى المتكبرين جهنم.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿حَتَّىٰ﴾ هي التي تحكى بعدها الجمل، والجملة المحكية بعدها هي الشرطية، إلاّ أنّ جزاءها محذوف، وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة، فدلّ بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف، وحق موقعه ما بعد خالدين. وقيل: حتى إذا جاءوها، وفتحت أبوابها، أي: مع فتح أبوابها. وقيل: أبواب جهنم لا تفتح إلاّ عند دخول أهلها فيها. وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها، بدليل قوله: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: ٥٠] فلذلك جيء بالواو، كأنه قيل: حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها. فإن قلت: كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ السوق؟ قلت: المراد بسوق أهل النار: طردهم إليها بالهوان والعنف، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل. والمراد بسوق أهل الجنة: سوق مراكبهم؛ لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين، وحثها إسراعاً بهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمن يشرف ويكرّم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين. ﴿طِبْتُمْ﴾ من دنس المعاصي. وطهرتم من خبث الخطايا، ﴿فَادْخُلُوهَا﴾ جعل دخول الجنة مسبباً عن الطيب والطهارة، فما هي إلاّ دار

---

(١) إن العفاة بالسيوب قد غمر حتى احزألت زمر بعد زمر
«السيوب» في الأصل: السيول، استعيرت للعطايا الكثيرة على طريق التصريحية. والغمر: ترشيح، أي: طلاب الرزق قد عمهم الممدوح بالعطايا. واحزألت: ارتفعت سائرة من عنده «زمر»: أي أفواج بعد أفواج ويروى: زمراً، على الحال، أي: احزألت العفاة حال كونها أفواجاً متتابعة. وعلى الأول ففيه إظهار في موضع الإضمار، دلالة على التكثير.

الطيبين ومثوى الطاهرين؛ لأنها دار طهرها الله من كل دنس، وطيبها من كل قذر، فلا ٢/ ١٤٩أ يدخلها إلاّ مناسب لها موصوف بصفتها، فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة، وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة، إلاّ أن يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحاً، تنقّي أنفسنا من درن الذنوب، وتميط وضر هذه القلوب. ﴿خَالِدِينَ﴾ مقدرين الخلود ﴿وَالْأَرْضَ﴾ عبارة عن المكان الذي أقاموا فيه كما يشاءون، تشبيهاً بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه، وذهابه في إنفاقه طولاً وعرضاً. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿حَيْثُ نَشَاءُ﴾؟ وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره؟ قلت: يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة، فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى جنة غيره.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)﴾

﴿حَافِّينَ﴾ محدقين من حوله ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقولون: سبحان الله والحمد لله، متلذذين لا متعبدين. فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: ﴿بَيْنَهُمْ﴾؟ قلت: يجوز أن يرجع إلى العباد كلهم، وأن إدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون إلاّ قضاء بينهم بالحق والعدل، وأن يرجع إلى الملائكة، على أن ثوابهم ـ وإن كانوا معصومين جميعاً ـ لا يكون على سنن واحد، ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في أعمالهم، فهو القضاء بينهم بالحق. فإن قلت: قوله: ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ من القائل ذلك؟ قلت: المقضي بينهم إما جميع العباد وإما الملائكة، كأنه قيل: وقضى بينهم بالحق، وقالوا: الحمد لله على قضائه بيننا بالحق، وإنزال كل منا منزلته التي هي حقه. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين الذي خافوا»

عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر (١٣٥٠).

١٣٥٠ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٤٧٥)، كتاب الدعوات، باب: ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، رقم (٣٤٠٥)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٤٤)، كتاب: التفسير، باب: سورة الزمر رقم (١١٤٤٤/ ١)، والحاكم (٢/ ٤٣٤)، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة الزمر، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣)، الباب التاسع عشر، باب: ذكر سورة بني إسرائيل والزمر، رقم (٢٤٧٠)، كلهم من طريق عائشة، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢١١) لإسحاق بن راهويه في مسنده. وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه النسائي من رواية حماد بن زيد عن أبي أمامة عن عائشة في أثناء حديث، وأخرجه أحمد وإسحاق، وأبو يعلى والترمذي والحاكم والبيهقي في الشعب في التاسع عشر من هذا الوجه. انتهى.

سورة المؤمن

مكية. [قال الحسن: إلاّ قوله ﴿وسبح بحمد ربك﴾ لأن الصلوات نزلت بالمدينة، وقد قيل في الحواميم كلها: إنها مكيات: عن ابن عباس وابن الحنفية] وهي خمس وثمانون آية، وقيل: ثنتان وثمانون] [نزلت بعد الزمر]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾

قرئ بإمالة ألف «حا» وتفخيمها، وبتسكين الميم وفتحها. ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين، وإيثار أخف الحركات، نحو أين وكيف، أو النصب بإضمار اقرأ، ومنع الصرف، للتأنيث والتعريف أو للتعريف، وأنها على زنة أعجمي نحو قابيل وهابيل. ﴿ٱلتَّوْبِ﴾ والثوب والأوب: أخوات في معنى الرجوع، و﴿الطول﴾: الفضل والزياد. يقال: لفلان على فلان طول، والإفضال. يقال: طال عليه وتطوّل، إذا تفضل. فإن قلت: كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً، والموصوف معرفة يقتضي أن تكون مثله معارف؟ قلت: أمّا ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ فمعرفتان؛ لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين، وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غداً؛ حتى يكونا في تقدير الانفصال، فتكون إضافتهما غير حقيقية، وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه، فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش. وأما شديد العقاب فأمره مشكل؛ لأنه في تقدير: شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير، وقد جعله الزجاج بدلاً. وفي كونه بدلاً وحده بين الصفات نبوّ ظاهر، والوجه أن يقال: لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة، فقد آذنت بأنّ كلها أبدال غير أوصاف، ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن، فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز، فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل،[١] ولقائل أن

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: لما اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً والموصوف معرفة يقتضي أن تكون مثله معارف؟ وأجاب بأن غافر الذنب وقابل التوب معرفان؛ لأنهما صفتان لازمتان، وليستا لحدوث الفعل حتى تكونا حالاً أو استقبالاً، بل إضافتهما حقيقة. وأما شديد العقاب فلا شك في =

يقول: هي صفات، وإنما حذف الألف واللام من ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ ليزاوج ما قبله وما بعده لفظاً، فقد غيروا كثيراً من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج، حتى قالوا: ما يعرف سحادليه من عنادليه، فثنوا ما هو وتر لأجل ما هو شفع؛ على أنّ الخليل قال ـ في قولهم: ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك، وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل ـ: أنه على نية الألف واللام، كما كان الجماء الغفير على نية طرح الألف واللام، ومما سهل ذلك الأمن من اللبس وجهالة الموصوف. ويجوز أن يقال ٢/١٤٩ب: قد تعمد تنكيره، وإبهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الإنذار. ويجوّز أن يقال: هذه النكتة هي الداعية إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة الإبدال[١].

فإن قلت: ما بال الواو في قوله: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾؟ قلت: فيها نكتة جليلة، وهي إفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين: بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات. وأن يجعلها محاءة للذنوب، كأن لم يذنب، كأنه قال: جامع المغفرة والقبول. وروي أنّ عمر رضي الله عنه افتقد رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام، فقيل له: تتابع في هذا الشراب، فقال عمر لكاتبه: اكتب، من عمر إلى فلان: سلام عليك، وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو: بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿حمٓ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾. وختم الكتاب، وقال لرسوله: لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً، ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة. فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول: قد وعدني الله أن يغفر لي، وحذرني عقابه، فلم يبرح يردّدها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته، فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخاكم قد زلّ زلة فسدّدوه ووقفوه، وادعوا له الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه (١٣٥١).

١٣٥١ ـ أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/٩٧ ـ ٩٨)، في ترجمة يزيد بن الأصم. =

= أن إضافته غير حقيقية، يريد: لأنه من الصفات المشبهة، ولا تكون إضافتها محضة أبداً. عاد كلامه قال: وجعله الزجاج بدلاً وحده، وانفراد البدل من بين الصفات فيه نبو ظاهر. والوجه أن يقال: إن جميعها أبدال غير أوصاف؛ لوقوع هذه النكرة التي لا يصح أن تكون صفة، كما لو جاءت قصيدة تفاعيلها كلها على مستفعلن، قضى عليها بأنها من بحر الرجز، فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن: كانت من الكامل، قال أحمد: وهذا لأن دخول مستفعلن في الكامل يمكن؛ لأن متفاعلن يصير بالإضمار إلى مستفعلن، وليس وقوع متفاعلن في الرجز ممكناً؛ إذ لا يصير إليه مستفعلن البتة، فما يفضي إلى الجمع بينهما فإنه يتعين، وهذا كما يقضي الفقهاء بالخاص على العام؛ لأنه الطريق في الجمع بين الدليلين.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وفيه نزعة اعتزالية، ومذهب أهل السنة جواز الغفران للعاصي وإن لم يتب، إلا الشرك، قلت: وما أبعده عن نزعة الاعتزال، ثم أقول: التلازم لازم من جهة أنه تعالى متى قبل التوبة فقد غفر الذنب وهو كافٍ في التلازم. انتهى. الدر المصون.

سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر، والمراد: الجدال بالباطل، من الطعن فيها، والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله، وقد دلَّ على ذلك في قوله: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحلّ مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها، فأعظم جهاد في سبيل الله، وقوله ﷺ: «إنّ جدالاً في القرآن كفر» (١٣٥٢) وإيراده منكراً، وإن لم يقل: إنّ الجدال تمييز منه بين جدال وجدال. فإن قلت: من أين تسبب لقوله: ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ﴾ ما قبله؟ قلت: من حيث إنهم لما كانوا مشهوداً عليهم من قبل الله بالكفر، والكافر لا أحد أشقى منه عند الله، وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم في عينه، ولا يغره إقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة، وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن، ولهم الأموال يتجرون فيها ويتربحون، فإنّ مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال، ووراءه شقاوة الأبد. ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم

= وذكره ابن هشام في تفسيره (٣/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨)، رقم (١٦٠٧) وعزاه للزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦) لعبد بن حميد في تفسيره، وكذا للثعلبي وابن أبي حاتم في تفاسيرهم.
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه أبو نعيم في ترجمة يزيد الأصم من رواية كثير بن هشام عن جعفر ابن برقان عن يزيد الأصم، «أن رجلاً كان ذا بأس ـ فذكره بتمامه، ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن كثير بن هشام باختصار. وكذا ابن أبي حاتم والثعلبي. انتهى.

١٣٥٢ ـ جاء من حديث أبي هريرة، ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. فأما حديث أبي هريرة.
فأخرجه أبو داود (٤/ ١٩٩)، كتاب السنة، باب: النهي عن الجدال في القرآن، رقم (٤٦٠٣).
وأحمد (٢/ ٢٥٨، ٢٨٦، ٤٢٤، ٤٧٥، ٥٠٣، ٥٢٨). وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٢١٢ ـ ٢١٣).، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ١٣٦)، (٤/ ٨١)، والحاكم (٢/ ٢٢٣)، كتاب: التفسير، باب: الجدل في القرآن كفر، وابن حبان (٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥)، كتاب: الصلاة، باب: الوعيد على ترك الصلاة، رقم (١٤٦٤). والطبراني في الصغير(١/ ١٧٨)، باب: من اسمه شباب، وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ٣٠٣)، رقم (٥٧) ـ (٥٨٩٧).
والبيهقي في الشعب (٢/ ٤١٦)، الباب التاسع عشر، باب: في تعظيم القرآن، فصل: في ترك المماراة في القرآن، رقم (٢٢٥٦).
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢١٧) لإسحاق بن راهويه في مسنده، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي. وأما حديث عبد الله بن عمرو، فأخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٤١٦ ـ ٤١٧)، الباب: التاسع عشر، باب: في تعظيم القرآن، فصل: في ترك المماراة في القرآن، رقم (٢٢٥٧)، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطيالسي، ومن طريقه البيهقي في الشعب في التاسع عشر من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بلفظ: «لا تجادلوا في القرآن، فإن جدالاً فيه كفر»، وفي الباب عن أبي هريرة بلفظ: «مراء في القرآن كفر في الصحيح والسنن». انتهى.

بالباطل وما ادّخر لهم من سوء العاقبة مثلاً: ما كان من نحو ذلك من الأمم، وما أخذهم به من عقابه وأحله بساحتهم من انتقامه. وقرئ: «فلا يغرّك».

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾

﴿وَالْأَحْزَابُ﴾ الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم، ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب ﴿بِرَسُولِهِمْ﴾ وقرئ: «برسولها» ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل. ويقال للأسير: أخيذ؛ ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ يعني: أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادة أخذه أن أخذتهم، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك، وهذا تقرير فيه معنى التعجيب.

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾﴾

﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ في محل الرفع بدل من ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار. ومعناه: كما وجب هلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل، كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة، أو في محل النصب بحذف لام التعليل وإيصال الفعل. والذين كفروا: قريش، ومعناه، كما وجب إهلاك أولئك الأمم، كذلك وجب إهلاك هؤلاء؛ لأن علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار. وقرئ: «كلمات».

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

روي: أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورءوسهم قد خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم. وعن النبي ﷺ: «لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة، فإن خلقاً من الملائكة يقال له: إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله، وقدماه في الأرض السفلى، وقد مرق رأسه من سبع سموات، وإنه

ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع[1] (١٣٥٣)». وفي الحديث: «إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة» (١٣٥٤). وقيل: خلق الله العرش من جوهرة خضراء، وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام. وقيل: حول العرش سبعون ألف صنف من الملائكة، يطوفون به مهللين مكبرين، ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم ٢/ ١٥٠أ رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير، ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل، ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر. وقرأ ابن عباس: «العرش» بضم العين. فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ ولا يخفى على أحد أنّ حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون؟[2] قلت: فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله، والترغيب فيه ،كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك، وكما عقب أعمال الخير بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ

١٣٥٣ ـ أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٢/ ٦٩٧ ـ ٦٩٨) رقم (٢٨٨) ـ (٢٧)، (٣/ ٩٤٩ ـ ٩٥٠)، ذكر حملة العرش وعظم خلقهم، رقم (٤٧٧) ـ (٢)، من طريق ابن عباس.
قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢١٨): غريب، وفي تفسير الثعلبي: وروي عن شهر بن حوشب عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: «لا تتفكروا في عظم ربكم. . .» إلى آخره، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي، وروى شهر بن حوشب: أن ابن عباس رفعه بهذا تعليقاً، وهو في كتاب العظمة لأبي الشيخ. انتهى.
١٣٥٤ ـ قال ابن حجر: لم أجده، وسكت عنه الزيلعي.

---

(١) قوله: «كأنه الوصع» طائر أصغر من العصفور. (ع).

(٢) قال محمود: «إن قلت. ما فائدة قوله: (ويؤمنون به) ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة مؤمنون بالله تعالى؟. . . إلخ» قال أحمد: كلام حسن إلاّ استدلاله بقوله: (ويؤمنون به) على أنهم ليسوا مشاهدين. فهذا لا يدل؛ لأن الإيمان هو التصديق غير مشروط فيه غيبة المصدق به. بدليل صحة إطلاق الإيمان بالآيات مع أنها مشاهدة، كانشقاق القمر وقلب العصا حية. وإنما نقب الزمخشري بهذا التكلف عما في قلبه من مرض، لكنه طاح بعيداً عن الغرض، فقرر أن حملة العرش غير مشاهدين، بدليل قوله تعالى: (ويؤمنون) لأن معنى الإيمان عنده التصديق بالغائب، ثم يأخذ من كونهم غير مشاهدين: أن الباري عز وجل لو صحت رؤيته لرأوه، فحيث لم يروه لزم أن تكون رؤيته تعالى مما لا يصححه العقل، وقد أبطلنا ما ادعاه من أن الإيمان مستلزم عدم الرؤية، ولو سلمناه فلا نسلم أنه يلزم من كون حملة العرش غير مشاهدين له تعالى أن تكون رؤيته غير صحيحة، وقوله: ولو كانت صحيحة لرأوه: شرطية عقيمة الإنتاج؛ لأن الرؤية عبارة عن إدراك، يخلق الله تعالى هذا الإدراك لحملة العرش، إلا أن يذهب بالزمخشري الوهم إلى أن مصححي الرؤية يعتقدون الجسمية والاستقرار على العرش، فيلزمهم رؤية حملة العرش له تعالى الله عن ذلك، وحاشى أهل السنة ومصححي الرؤية من ذلك.

﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البلد: ١٧] فبان بذلك فضل الإيمان. وفائدة أخرى: وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما تقول المجسمة[1] لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين، ولما وصفوا بالإيمان؛ لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب، فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم عُلِمَ أنّ إيمانهم وإيمان من في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام ـ سواء: في أنّ إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير، وأنه لا طريق إلى معرفته إلاّ هذا، وأنه منزه عن صفات الأجرام. وقد روعي التناسب في قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كأنه قيل: ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم. وفيه تنبيه على أنّ الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة، وأبعثه على إمحاض الشفقة وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأماكن. فإنه لا تجانس بين ملك وإنسان، ولا بين سماوي وأرضي قط، ثم لما جاء جامع الإيمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي، حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض. قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]. أي: يقولون: ﴿رَبَّنَا﴾ وهذا المضمر يحتمل أن يكون بياناً ليستغفرون مرفوع المحل مثله، وأن يكون حالاً. فإن قلت: تعالى الله عن المكان، فكيف صحّ أن يقال: وسع كل شيء؟ قلت: الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى. والأصل: وسع كل شيء رحمتك وعلمك، ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم، وأخرجا منصوبين على التمييز للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم، كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء. فإن قلت: قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتملاً على حديثهما جميعاً، وما ذكر إلاّ الغفران وحده؟ قلت: معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك[2]. وسبيل الله: سبيل

---

(١) قوله: «كما تقول المجسمة» يريد أهل السنة؛ لأنهم لما جوزوا رؤيته تعالى معاينة لزمهم القول بأنه تعالى جسم، ولكن الرؤية لا تستلزم الجسمية، خلافاً للمعتزلة، كما بين في علم التوحيد. (ع).

(٢) قال محمود: «فإن قلت: قد ذكر أولاً الرحمة والعلم، ثم ذكر ما توجبه الرحمة وهو الغفران، فأين موجب العلم؟ وأجاب بأن معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك.. إلخ» قال أحمد: كلامه ههنا محشو بأنواع الاعتزال: منها اعتقاد وجوب مراعاة المصلحة ودواعي الحكم على الله تعالى. ومنها اعتقاد أن اجتناب الكبائر يكفر الصغائر وجوباً وإن لم يكن توبة. ومنها اعتقاد امتناع غفران الله تعالى للكبائر التي لم يتب عنها. ومنها اعتقاد وجوب قبول التوبة على الله تعالى. ومنها جحد الشفاعة، واعتقاد أهل السنة أن الله تعالى لا يجب عليه مراعاة المصلحة، وأنه يجوز أن يعذب على الصغائر وإن اجتنب الكبائر، وأنه يجوز أن يغفر الكبائر ما عدا الشرك وإن لم يتب منها، وأن قبول التوبة بفضله ورحمته لا بالوجوب عليه، وأنها تنال أهل الكبائر المصرين من الموحدين، فهذه جواهر خمسة نسأل الله تعالى أن يقلد عقائل عقائدنا بها إلى الخاتمة، وأن لا يحرمنا ألطافه ومراحمه، آمين. وجميع ما يحتاج إلى تزييفه مما ذكره على قواعد الاعتزال في هذا =

الحق التي نهجها[1] لعباده ودعا إليها ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: الملك الذي لا يغلب، وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئاً إلاّ بداعي الحكمة، وموجب حكمتك أن تفي بوعدك، ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: العقوبات، أو جزاء السيئات. فحذف المضاف على أن السيئات، هي الصغائر أو الكبائر المتوب عنها. والوقاية منها: التكفير أو قبول التوبة. فإن قلت: ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد؟ قلت: هذا بمنزلة الشفاعة، وفائدته زيادة الكرامة والثواب. وقرئ: «جنة عدن» و«صلُح» بضم اللام، والفتح أفصح. يقال: صلح فهو صالح، وصلح فهو صليح، و«ذريتهم».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

أي: ينادون يوم القيامة، فيقال لهم: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ والتقدير: لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم، فاستغنى بذكرها مرة. و ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ منصوب بالمقت الأوّل[2]. والمعنى: أنه يقال لهم يوم القيامة: كان الله يمقت أنفسكم الأمارة بالسوء

= الموضع قد تقدم، غير أنه جدد ههنا قوله: إن فائدة الاستغفار كفائدة الشفاعة، وذلك مزيد الكرامة لا غير، يريد: أن المغفرة للتائب واجبة على الله فلا تسأل، وهذا الذي قاله مما يجعل لنفسه فيه الفضيحة، زادت على بطلانه هذه الآية بالألسن الفصيحة، كيف يجعل المسئول مزيدة الكرامة لا غير. ونص الآية: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾، فهي ناطقة بأنهم يسألون من الله تعالى المغفرة للتائب ووقاية عذاب الجحيم، وهو الذي أنكر الزمخشري كونه مسئولاً.

(١) قوله: «التي نهجها» أي: أبانها وأوضحها. أفاده الصحاح. (ع).

(٢) قال السمين الحلبي: وردَّ عليه الشيخُ بأنه يلزم منه الفصل بين المصدر ومعموله بأجْنَبِيٍّ وهو الخبر. وقال: هذا من ظواهر علم النحو التي لا تكاد تخفى على المُبْتَدِىء فضلاً عن مَنْ يَدَّعِي من العجم أنه شيخُ العرب والعجم. قُلْتُ: ومثْلُ هذا لا يَخْفَى على أبي القاسم وإنما أراد أنَّه دالٌّ على ناصِبِه. وعلى تقدير ذلك فهو مذهبٌ كوفي قال به، أَوْ لأَنَّ الظرف يُتَّسَعُ فيه ما لا يتسع في غيره، وأيُّ غُمُوضٍ في هذا حتى يَنْحَى عليه هذا الإنْحَاء؟ ولله القائلُ [من الكامل]:

حَسَدُوا الفَتَى إذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَه ... فَالْقَوْمُ أَعْدَاءٌ لَـهُ وخُصُومُ
كضَرَائِرِ الحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا ... كَذِباً وزوراً: إنَّـه لَدمِيـمُ

وهذا الردُّ قد سبقه إليه أبو البقاء فقال: ولا يجوز أن يعمل فيه «مَقْتُ الله» لأنه مصدرٌ أُخْبِرَ عنه وهو قوله: «أكْبَرُ» فمن ثَمَّ أخَذَهُ الشيخُ. ولا يجوز أن ينتصبَ بالمقت الثاني؛ لأنهم لم يَمْقُتُوا أنْفُسَهُمْ وَقْتَ دُعَائِهِم إلى الإيمانِ وإنما مَقَتُوهَا يومَ القيامة. والظاهرُ أنَّ مَقْتَ الله واقعٌ في الدنيا. وجوَّز =

والكفر، حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان، فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشدّ مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار إذا أوقعتكم فيها باتباعكم هواهنّ. وعن الحسن: لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم، فنودوا لمقت الله. وقيل: معناه لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض، كقوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥]. و﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾: تعليل، والمقت: أشدّ البغض، فوضع في موضع أبلغ الإنكار وأشدّه. ﴿اثْنَتَيْنِ﴾ إماتتين وإحياءتين، أو موتتين وحياتين، وأراد بالإماتتين: خلقهم أمواتاً أوّلاً، وإماتتهم عند انقضاء آجالهم، وبالإحيائتين الإحياءة الأولى وإحياءة البعث. وناهيك تفسيراً لذلك قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] وكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما. فإن قلت: كيف صحّ أن يسمي خلقهم أمواتاً: إماتة؟ قلت: كما صحّ ٢/ ١٥٠ب أن تقول: سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل! وقولك للحفار: ضيق فم الركية ووسع أسفلها، وليس ثم نقل من كبر إلى صغر ولا من صغر إلى كبر، ولا من ضيق إلى سعة، ولا من سعة إلى ضيق، وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات، والسبب في صحته أن الصغر والكبر جائزان معاً على المصنوع الواحد، من غير ترجح لأحدهما، وكذلك الضيق والسعة. فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما[١] على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر، فجعل صرفه عنه كنقله منه، ومن جعل الإماتتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد

= الحَسَنُ أنْ يكون في الآخرة، وضعَّفه الشيخُ بأنه يَبْقَى «إِذْ تَدْعُونَ» مُفَلتاً من الكلام لكونه ليس له عامل مقدم ولا ما يُفَسِّرُ عاملاً، فإذا كانَ المَقْتُ في الدنيا أَمْكَنَ أَنْ يُضمَرَ له عامل تقديره: مَقَتَكُمْ. قُلْتُ: وهذا التَّجَرِّي على مثل الحسن يُهَوِّنُ عليك تَجَرِّيه على الزمخشري ونحوه. انتهى الدر المصون.

(١) قال محمود: «إحدى الإماتتين خلقهم أمواتاً أولاً، والأخرى إماتتهم عند انقضاء آجالهم، ثم قال: فإن قلت: كيف سمى خلقه لهم أمواتاً إماتة؟ وأجاب بأنه كما يقال: سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل، وكما يقال للحفار: ضيق فم الركية ووسع أسفلها، وليس ثم نقل من صغر إلى كبر ولا عكسه، ولا من ضيق إلى سعة ولا عكسه. وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات. والسبب في صحته أن الكبر والصغر جائزان معاً على المصنوع الواحد، وكذلك الضيق والسعة، فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن من الآخر، جعل صرفاً عن الآخر وهو متمكن منه.» قال أحمد: ما أسد كلامه ههنا؛ حيث صادق التمسك بأذيال نظر مالك رحمه الله في مسألة: ما إذا باعه إحدى وزنتين معينتين على اللزوم لإحداهما والخيرة في عينها، فإنه منع من ذلك؛ لأن المشتري لما كان متمكناً من تعيين كل واحدة منهما على سواء، فإذا عين واحدة منهما بالاختيار نزل عدوله عن الأخرى، وقد كان متمكناً منها منزلة اختيارها أولاً، ثم الانتقال عنها إلى هذه، فإذا آل إلى بيع إحداهما بالأخرى غير معلومتي التماثل، وهو الذي لخصه أصحابنا في قولهم: إن من خير بين شيئين فاختار أحدهما: عُدَّ متنقلاً. وقد سبقت هذه القاعدة لغير هذا الغرض فيما تقدم.

حياة القبر لزمه إثبات ثلاث إحياءات، وهو خلاف ما في القرآن، إلاّ أن يتمحل فيجعل إحداها غير معتدّ بها، أو يزعم أن الله تعالى يحييهم في القبور، وتستمرّ بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها، ويعدّهم في المستثنيين من الصعقة في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٧٨]. فإن قلت: كيف تسبب هذا لقوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾؟ قلت: قد أنكروا البعث فكفروا، وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى؛ لأن من لم يخش العاقبة تخرق[١] في المعاصي، فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكرّرا عليهم، علموا بأن الله قادر على الإعادة قدرته على الإنشاء، فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم. ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ﴾ أي: إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء ﴿مِّن سَبِيلٖ﴾ قط، أم اليأس واقع دون ذلك، فلا خروج ولا سبيل إليه. وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط، وإنما يقولون ذلك تعللاً وتحيراً؛ ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك، وهو قوله: ﴿ذَٰلِكُم﴾ أي؛ ذلكم الذي أنتم فيه، وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك[٢] به، ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ﴾ حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد: ،وقوله: ﴿ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ دلالة على الكبرياء والعظمة، وعلى أن عقاب مثله لا يكون إلاّ كذلك، وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته. وقيل: كأن الحرورية[٣] أخذوا قولهم: لا حكم إلاّ لله، من هذا.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾

---

(١) قوله: «تخرق في المعاصي» في الصحاح: يقال: هو يتخرق في السخاء، إذا توسع فيه. (ع).

(٢) قال محمود: «أي إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء (من سبيل) قط، أم اليأس واقع دون ذلك، فلا خروج ولا سبيل إليه، وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط، وإنما يقولون ذلك تعللاً وتحيراً؛ ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك، وهو قوله (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم) معناه: أن اعتياض السبيل إلى خروجكم من النار سببه كفركم بتوحيد الله تعالى، وإيمانكم بالإشراك، قال أحمد: وعلى هذا النمط بنى الشعراء مثل قولهم [من مجزوء الرمل]:

هل إلى نجد وصول ... وعلى الخيف نزول

وإنما قصدهم أن هذا أمر غالب فيه اليأس على الطمع.

(٣) قوله: «الحرورية» في الصحاح: أنها طائفة من الخوارج تنسب إلى «حرور» اسم قرية، وكأنه يريد أهل السنة؛ فإنهم الذين اشتهر عنهم هذا القول، خلافاً للمعتزلة في قولهم: إن الفعل قد يدرك الحكم قبل ورود الشرع، كما بيّن في الأصول. (ع).

﴿يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها. والرزق: المطر؛ لأنه سببه. ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله إلاّ من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله، فإن المعاند لا سبيل إلى تذكره واتعاظه، ثم قال للمنيبين: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك، وإن غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم. ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ ثلاثة أخبار؛ لقوله: «هو» مترتبة على قوله: ﴿ٱلَّذِى يُرِيكُمْ﴾ أو أخبار مبتدإٍ محذوف، وهي مختلفة تعريفاً وتنكيراً(1).

وقرئ: «رفيع الدرجات» بالنصب على المدح. ورفيع الدرجات، كقوله تعالى: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣] وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش، وهي دليل على عزّته وملكوته. وعن ابن جبير: سماء فوق سماء. والعرش فوقهن. ويجوز أن يكون عبارة عن رفعة شأنه وعلوّ سلطانه، كما أنّ ذا العرش عبارة عن ملكه. وقيل: هي درجات ثوابه التي ينزلها أولياءه في الجنة ﴿ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ الذي هو سبب الحياة من أمره، يريد: الوحي الذي هو أمر بالخير وبعث عليه، فاستعار له الروح، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] ﴿لِيُنذِرَ﴾ الله أو الملقى عليه: وهو الرسول أو الروح. وقرئ: «لتنذر» أي: لتنذر الروح لأنها تؤنث، أو على خطاب الرسول. وقرئ: «لينذر يوم التلاق» على البناء للمفعول. ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ يوم القيامة؛ لأن الخلائق تلتقي فيه. وقيل: يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض. وقيل: المعبود والعابد. ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء؛ لأنّ الأرض بارزة قاع صفصف، ولا عليهم ثياب، إنما هم عراة مكشوفون، كما جاء في الحديث: «يحشرون عراة حفاة غرلاً» (١٣٥٥) ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾. أي: من أعمالهم وأحوالهم. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: لا يخفى عليه منهم شيء. فإن قلت: قوله: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ بيان وتقرير لبروزهم، والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا، فما معناه؟ قلت: معناه أنهم كانوا يتوهمون ـ في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب ـ أنّ الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم، فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا

١٣٥٥ ـ أخرجه البخاري (١٣/١٨٧ ـ ١٨٨)، كتاب الرقاق، باب: الحشر حديث (٦٥٢٧). ومسلم (٩/٢١٠)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: فناء الدنيا، وبيان الحشر. حديث (٥٦ ـ ٢٨٥٩)، كلاهما من طريق عائشة.

وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث عائشة ـ رضي الله عنها.

---

(١) قال السمين الحلبي: أما الأول: ففيه طُول الفصل وتعدُّد الأخبارِ وليست في معنى خَبَرٍ واحدٍ. انتهى. الدر المصون.

يتوهمونه. قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ ٢/١٥١أ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٨] وذلك لعلمهم أنّ الناس يبصرونهم؛ وظنهم أنّ الله لا يبصرهم، وهو معنى قوله: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به. ومعناه: أنه ينادي مناد فيقول: لمن الملك اليوم؟ فيجيبه أهل المحشر: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾. وقيل: يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يُعْصَ الله فيها قط «فأوّل ما يتكلم به أن ينادي منادٍ: (لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار. اليوم تجزى كل نفس...) الآية. فهذا يقتضي أن يكون المنادي هو المجيب.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾

لما قرّر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدّد نتائج ذلك، وهي أنّ كل نفس تجزى ما كسبت، وأن الظلم مأمون؛ لأن الله ليس بظلام للعبيد، وأن الحساب لا يبطىء؛ لأن الله لا يشغله حساب على حساب، فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أخذ في حسابهم لم يَقِلْ[(١)] أهل الجنة إلاّ فيها ولا أهل النار إلاّ فيها.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾

الآزفة: القيامة، سميت بذلك لأزوفها، أي: لقربها. ويجوز أن يريد بـ«يوم الآزفة»: وقت الخُطَّة الآزفة، وهي مشارفتهم دخول النار، فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارّها فتلصق بحناجرهم، فلا هي تخرج فيموتوا، ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروّحوا، ولكنها معترضة كالشجا، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك: ٢٧]. فإن قلت: ﴿كَٰظِمِينَ﴾ بما انتصب؟ قلت: هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى؛ لأن المعنى: إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها. ويجوز أن يكون حالاً عن القلوب، وأن القلوب كاظمة على غمّ وكرب فيها مع بلوغها الحناجر، وإنما جمع الكاظم جمع السلامة؛ لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء، كما قال تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] وقال: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] وتعضده قراءة من قرأ: «كاظمون» ويجوز أن يكون حالاً عن قوله: وأنذرهم، أي: وأنذرهم

---

(١) قوله: «لم يقل أهل الجنة إلاّ فيها» من قال يقيل قيلولة. (ع).

مقدّرين أو مشارفين الكظم، كقوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] الحميم: المحب المشفق. والمطاع: مجاز في المشفع؛ لأنّ حقيقة الطاعة نحو حقيقة الأمر في أنها لا تكون إلاّ لمن فوقك. فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾؟ قلت: يحتمل أن يتناول النفي الشفاعة والطاعة معاً، وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة[١]، كما تقول: ما عندي كتاب يباع، فهو محتمل نفي البيع وحده، وأن عندك كتاباً إلا أنك لا تبيعه، ونفيهما جميعاً، وأن لا كتاب عندك، ولا كونه مبيعاً. ونحوه [من السريع]:

.... وَلاَ تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرْ[٢]

يريد: نفي الضب وانجحاره. فإن قلت: فعلىٰ أي الاحتمالين يجب حمله؟ قلت: على نفي الأمرين جميعاً، من قبل أن الشفعاء هم أولياء الله، وأولياء الله لا يحبون ولا يرضون إلاّ من أحبه الله ورضيه، وأنّ الله لا يحبّ الظالمين، فلا يحبونهم، وإذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم. قال الله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠] وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ولأن الشفاعة لا تكون إلاّ في زيادة التفضل[٣]، وأهل التفضل وزيادته إنما هم أهل الثواب، بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٤] وعن الحسن رضي الله عنه: والله ما يكون لهم شفيع البتة، فإن قلت: الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه، فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها؟ قلت: في ذكرها فائدة جليلة، وهي أنها ضمت إليه؛ ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة؛ لأن الصفة لا تتأتى بدون موصوفها، فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف، بيانه: أنك إذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت: ما لي فرس أركبه، ولا معي سلاح أحارب به، فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة، كأنك تقول: كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي؟ فكذلك قوله: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ معناه: كيف يتأتى التشفيع

---

(١) قال محمود: «يحتمل أن يكون المنفي الشفيع الذي هو الموصوف وصفته وهي الطاعة، ويحتمل أن يكون المنفي الصفة وهي الطاعة والشفيع ثابت» قال أحمد: إنما جاء الاحتمال من حيث دخول النفي على مجموع الموصوف والصفة، ونفي المجموع كما يكون بنفي كل واحد من جزئيه، وكذلك يكون بنفي أحدهما، على أن المراد هنا ـ كما قال ـ: نفي الأمرين جميعاً. قال: وفائدة ذكر الموصوف أنه كالدليل على نفي الصفة؛ لأنه إذا انتفى الموصوف انتفت الصفة قطعاً، قلت: فكأنه نفى الصفة مرتين من وجهين مختلفين.

(٢) تقدم.

(٣) قوله: «لا تكون إلاّ في زيادة التفضل» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة: فتكون في الخروج من النار أيضاً، كما تقرر في التوحيد. وحديث الشفاعة مشهور، نعم الكفار لا خروج لهم من النار. (ع).

ولا شفيع، فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعاً لانتفاء الشفيع موضع الأمر المعروف[1] غير المنكر الذي لا ينبغي أن يتوهم خلافه.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾

الخائنة: صفة للنظرة. أو مصدر بمعنى الخيانة، كالعافية بمعنى المعافاة، والمراد: استراق النظر إلى ما لا يحل، كما يفعل أهل الريب ٢/ ١٥١ب، ولا يحسن أن يراد الخائنة من الأعين؛ لأن قوله: ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ لا يساعد عليه[2]. فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾؟ قلت: هو خبر من أخبار هو في قوله: ﴿هو الذي يريكم﴾ مثل ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ ولكن ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ قد علل بقوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ فبعد لذلك عن أخواته.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ يعني: والذي هذه صفاته وأحواله لا يقضي إلاّ بالحق والعدل؛ لاستغنائه عن الظلم. وآلهتكم لا يقضون بشيء. وهذا تهكم بهم؛ لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه: يقضي، أو لا يقضي. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ تقرير لقوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون، وأنه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله، وأنها لا تسمع ولا تبصر، وقرئ: «يدعون» بالتاء والياء.

﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾

(هم) في ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ فصل. فإن قلت: من حق الفصل أن لا يقع إلاّ بين معرفتين فما باله واقعاً بين معرفة وغير معرفة؟ وهو أشدّ منهم. قلت: قد ضارع المعرفة

---

(١) قوله: «موضع الأمر المعروف» أي الذي يعرفه السامع ويسلمه، كما هو شأن الشاهد على الدعوى، وإذا كان انتفاء الشفيع معروفاً فلا ينتفي أن يتوهم وجوده، وبهذا يتبين قوله فيما سبق، فيكون ذلك إزالة لتوهم وجوده الموصوف. (ع).

(٢) قال محمود: «الخائنة إما صفة للنظرة وإما مصدر كالعافية» قال: «ولا يحسن أن يراد الخائنة من الأعين» لأنه لا يساعد عليه قوله تعالى: (وما تخفي الصدور) قال أحمد: إنما لم يساعد عليه؛ لأن خائنة الأعين على هذا التقدير معناه: الأعين الخائنة، وإنما يقابل الأعين الصدور، لا ما تخفيه الصدور، بخلاف التأويل الأول، فإن المراد به نظرات الأعين، فيطابق خفيات الصدور.

في أنه لا تدخله الألف واللام فأجري مجراها. وقرئ: «منكم» وهي في مصاحف أهل الشام. ﴿وَءَاثَارًا﴾ يريد حصونهم وقصورهم وعددهم، وما يوصف بالشدّة من آثارهم. أو: أرادوا أكثر آثاراً، كقوله [من مجزوء الكامل]:

.... مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحاً[1]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وحجة ظاهرة وهي المعجزات، فقالوا: هو ساحر كذاب، فسموا السلطان المبين سحراً وكذباً ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالنبوّة، فإن قلت: أما كان قتل الأبناء واستحياء النساء من قبل خيفة أو يولد المولود الذي أنذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده؟ قلت: قد كان ذلك القتل حينئذ، وهذا قتل آخر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟﴾ أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولاً، يريد: أن هذا قتل غير القتل الأول: ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ في ضياع وذهاب، باطلاً لم يجد عليهم، يعني: أنهم باشروا قتلهم أولاً فما أغنى عنهم، ونفذ قضاء الله بإظهار من خافوه، فما يغني عنهم هذا القتل الثاني، وكان فرعون قد كفّ عن قتل الولدان، فلما بعث موسى وأحسّ بأنه قد وقع: أعاده عليهم غيظاً وحنقاً، وظناً منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى، وما علم أنّ كيده ضائع في الكرتين جميعاً.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾

---

(1) ورأيت زوجك في الوغى ... متقلداً سيفاً ورمحا

الوغى: الحرب. ورمحاً: نصب بمحذوف يناسبه، أي: متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً. وروي بدل الشطر الأول:

يا ليت زوجك قد غدا ....

أي: ذهب إلى الحرب غدوة لابساً سلاحه.

البيت لعبد الله بن الزبعري. انظر الخصائص (٢/ ٤٣١)، أمالي ابن الشجري (٢/ ٣٢١)، الإنصاف (٢/ ٦١٢)، شرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٥٠)، الكامل (١/ ٣٣٤)، مجاز القرآن (٢/ ٦٨)، تأويل المشكل (٢١٤)، شرح القصائد العشر (٢٤٧)، المقتضب ٢/ ٥٠، الطبري (١١/ ٥٧٧)، والبحر المحيط ١/ ٧٧، والدر المصون ١/ ١٠٧.

﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ كانوا إذا هم بقتله كفوه بقولهم: ليس بالذي تخافه، وهو أقل من ذلك وأضعف، وما هو إلا بعض السحرة، ومثله لا يقاوم إلاّ ساحراً مثله، ويقولون: إذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس، واعتقدوا أنك قد عجزت عن معارضته بالحجة، والظاهر أنّ فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبيّ، وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر، ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة، وكان قتالاً سفاكاً للدماء في أهون شيء، فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه، ولكنه كان يخاف إن همّ بقتله أن يعاجل بالهلاك. وقوله: ﴿وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓ﴾ شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه، وكان قوله: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ تمويهاً[1] على قومه، وإيهاماً أنهم هم الذين يكفونه، وما كان يكفه إلاّ ما في نفسه من هول الفزع. ﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ أن يغير ما أنتم عليه، وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام، بدليل قوله: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ [الأعراف: ١٢٧] والفساد في الأرض: التفاتن والتهارج الذي يذهب معه الأمن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش، ويهلك الناس قتلاً وضياعاً، كأنه قال: إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه. أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه. وفي مصاحف أهل الحجاز: «وأن يظهر» بالواو، ومعناه. إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معاً. وقرئ: «يُظْهِرُ» من «أظهر»[2]، و«الفساد» منصوب، أي: يظهر موسى الفساد. وقرئ: «يَظَّهَّر» بتشديد الظاء والهاء، من تظهر بمعنى تظاهر، أي: تتابع وتعاون.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧﴾

لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال ٢/ ١٥٢أ لقومه: ﴿إِنِّي عُذۡتُ﴾ بالله الذي هو ربي وربكم، وقوله: ﴿وَرَبِّكُم﴾ فيه بعث لهم على أن يقتدوا به، فيعوذوا بالله عياذه، ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه، وقال: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ﴾ لتشمل

---

(١) قال محمود: «كانوا إذا هم بقتله كفوه عنه بقولهم: ليس هذا ممن يخاف، وإنما هو ساحرٌ لا يقاومه إلاّ مثله، وقتله بوقع الشبهة عند الناس أنك إنما قتلته خوفاً، وكان فرعون لعنه الله في ظاهر أمره ـ والله أعلم ـ عالماً أنه نبي خائفاً من قتله مع رغبته في ذلك لولا الجزع، وأراد أن يكتم خوفه من قتله بأن يقول لهم: ذروني أقتله؛ ليكفوه عنه فينسب الانكفاف عن قتله إليهم، لا إلى جزعه وخوفه. ويدل على خوفه منه لكونه نبياً قوله: (وليدع ربه) وهذا من تمويهاته المعروفة، قال أحمد: هو من جنس قوله: (إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون) فقد تقدم أن مراده بذلك أن يظهر لقومه قلة احتفاله بهم، ويوهمهم أن قتله لهم ليس خوفاً منهم، ولكن غيظاً عليهم، وكان من عادته الحذر والتحصن وحماية الذريعة في المحافظة على حوزة المملكة، لا أن ذلك خوف وهلع، ولقد كذب، إنما كان فؤاده مملوءاً رعباً.

(٢) قوله: «وقرئ: يظهر من أظهر» يفيد أن القراءة المشهورة: يظهر من ظهر، والفساد مرفوع. (ع).

استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة، وليكون على طريقة التعريض؛ فيكون أبلغ، وأراد بالتكبر: الاستكبار عن الإذعان للحق، وهو أقبح استكبار وأدله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه، وعلى فرط ظلمه وعسفه، وقال: ﴿لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ لأنه إذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة، فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده، ولم يترك عظيمة إلاّ ارتكبها. و«عذت» ولذت أخوان. وقرئ: «عت»، بالإدغام.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾ وقرئ: «رجْل» بسكون الجيم، كما يقال: عضد في عضد، وكان قبطيا ابن عم لفرعون، آمن بموسى سرًا وقيل: كان إسرائيليًا و﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ صفة لرجل. أو صلة ليكتم، أي: يكتم إيمانه من آل فرعون، واسمه سمعان أو حبيب، وقيل: خربيل أو حزبيل، والظاهر أنه كان من آل فرعون فإنّ المؤمنين من بني إسرائيل لم يقلّوا ولم يعزُّوا. والدليل عليه قول فرعون: ﴿أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [غافر: ٢٥]. وقول المؤمن: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر: ٢٩] دليل ظاهر على أنه يتنصّح لقومه. ﴿أَن يَقُولَ﴾ لأن يقول، وهذا إنكار منه عظيم وتبكيت شديد، كأنه قال: أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة، وما لكم علة قط في ارتكابها إلاّ كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله: ﴿رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة، ولكن بينات عدّة من عند من نسب إليه الربوبية، وهو ربكم لا ربه وحده، وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به، وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم[1]، ولك أن تقدر مضافاً محذوفاً، أي: وقت

---

(١) قال محمود: «الظاهر أن الرجل من آل فرعون، وقيل: إنه من بني إسرائيل. ومن آل فرعون: متعلق بيكتم، تقديره: يكتم إيمانه من آل فرعون، وهو بعيد؛ لأن بني إسرائيل كان إيمانهم ظاهراً فاشياً، ولقد استدرجهم هذا المؤمن في الإيمان باستشهاده على صدق موسى بإحضاره عليه السلام من عند من تنسب إليه الربوبية ببينات عدة لا بينة واحدة، وأتى بها معرفة، معناه: البينات العظيمة التي شهدتموها وعرفتموها على ذلك؛ ليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم... إلخ، قال أحمد: لقد أحسن الفهم والتفطن لأسرار هذا القول، ويناسب تقديم الكاذب على الصادق هنا قوله تعالى: (وشهد شاهد من أهلها إن كان قيمصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) فقدم الشاهد أمارة صدقها على أمارة صدق يوسف، وإن كان الصادق وهو يوسف دونها؛ لرفع التهمة وإبعاد الظن؛ وإدلالاً بأن الحق معه، ولا يضره التأخير لهذه الفائدة. وقريب من هذا التصرف لإبعاد التهمة ما في قصة يوسف مع أخيه؛ إذ بدأ =

أن يقول. والمعنى: أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في أمره؟[1]. وقوله: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يريد: بالبينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها، ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال: لا يخلو من أن يكون كاذباً أو صادقاً، ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي: يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره، ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ﴾ ما يعدكم إن تعرّضتم له. فإن قلت: لم قال: بعض ﴿ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ وهو نبيّ صادق، لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه؟ قلت: لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه إلى أن يلاوصهم[2] ويداريهم، ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول، ويأتيهم من وجهة المناصحة، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله، وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه، فقال: ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ وهو كلام المنصف[3] في مقاله غير المشتط فيه؛ ليسمعوا منه ولا يردّوا عليه، وذلك أنه حين فرضه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد، ولكنه أردفه ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام، فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافياً، فضلاً أن يتعصب له، أو يرمى بالحصا من ورائه، وتقديم الكاذب على الصادق أيضاً من هذا القبيل، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾. فإن قلت: فعن أبي عبيدة أنه فسر البعض بالكل، وأنشد بيت لبيد [من الكامل]:

تَــرَّاكُ أَمْــكِــنَــةٍ إِذَا لَــمْ أَرْضَــهَــا ... أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا[4]

= بأوعيتهم قبل وعاء أخيه، حتى قيل: إنه لما انتهى إليه قال: اللهم ما سرق هذا ولا هو بوجه سارق، فاطمأنت أنفسهم وانزاحت التهمة عن يوسف أن يكون قصد ذلك، فقالوا: والله لنفتشنه، فاستخرجها من وعائه.

(١) قال السمين الحلبي: رده الشيخ: بأن تقدير هذا الوقت لا يجوز إلا مع الوقت المُصَرَّح به تقول: جئتك صياح الديك أي: وقت صياحه، ولو قلت: أجيئك أن صاح الديك، أو أن يصيح، لم يَصِحّ، نص عليه النحويون. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «إلى أن يلاوصهم ويداريهم» في الصحاح: فلان يلاوص الشجر، أي: ينظر كيف يأتيها لقلعها. (ع).

(٣) وطريقة هذا اللون توحي بمقصود المتكلم وإن خالفت ظاهر العبارة، وقد أشار الزمخشري ومعه أبو السعود ونحوهم أن هذه الطريقة أدخل في النفس وإن كان معانداً وأجلب له وإن اشتط في إعراضه، ولهذا تكون غالباً في مقامات الحوار والجدل، وقد اتخذها النبيون والمرسلون في طريقة محاورة الخصوم والمعاندين، وهذا ما تراه في قوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ [سبأ: ٢٤].
وقد علق ابن المنير على هذا اللون بأنه «تفسير مهذب وافتنان مستعذب».
«يراجع البلاغة القرآنية لأبي موسى ٣٨٢ وما بعدها.

(٤) تقدم.

قلت: إن صحت الرواية عنه، فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقي: كان أجفى من أن يفقه ما أقول له. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٌ﴾ يحتمل أنه إن كان مسرفاً كذاباً خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر، فيتخلصون منه، وأنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله للنبوّة، ولما عضده بالبينات. وقيل: ما تولى أبو بكر من رسول الله ﷺ كان أشدّ من ذلك، طاف ﷺ بالبيت، فلقوه حين فرغ، فأخذوا بمجامع ردائه فقالوا له: أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا، فقال: أنا ذاك، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم، رافعاً صوته بذلك، وعيناه تسفحان، حتى أرسلوه (١٣٥٦). وعن جعفر الصادق: أنّ مؤمن آل فرعون قال ذلك سرًّا، وأبو بكر قاله ظاهراً.

﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ظَٰهِرِينَ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ في أرض مصر عالين فيها على بني إسرائيل، يعني: أنّ لكم ملك مصر، وقد علوتم الناس، وقهرتموهم، فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم، ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه، فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم، ولا يمنعكم منه أحد. وقال: ﴿يَنصُرُنَا﴾ و﴿جاءنا﴾ لأنه منهم في القرابة، وليعلمهم بأنّ الذي ينصحهم ٢/١٥٢ب به هو مساهم لهم فيه. ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي: ما أشير عليكم برأي إلاّ بما أرى من قتله، يعني: لا أستصوب إلاّ قتله، وهذا الذي تقولونه غير صواب. ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ﴾ بهذا الرأي ﴿إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ يريد: سبيل الصواب والصلاح. أو ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب، ولا أدّخر منه شيئاً، ولا أسرّ عنكم خلاف ما أظهر، يعني: أنّ لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول، وقد كذب؛ فقد كان مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى،

١٣٥٦ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٣٧١)، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً...» رقم (٣٦٧٨)، (٧/ ٥٥٥)، كتاب: مناقب الأنصار، باب: ما لقي النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه من المشركين بمكة، رقم (٣٨٥٦)، (٩/ ٥١٨)، كتاب: التفسير، باب: سورة المؤمن، رقم (٤٨١٥)، وأحمد (٢/ ٢٠٤، ٢١٨)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦)، باب: ذكر ما لقي الرسول وأصحابه...»، وابن حبان (١٤/ ٥٢٥ ـ ٥٢٧)، كتاب: التاريخ باب: كتب النبي ﷺ، رقم (٦٥٦٧)، وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ١٨ ـ ١٩)، وقال: في الصحيح طرف منه ورواه أحمد، وقد صرح ابن إسحق بالسماع، وبقية رجاله رجال الصحيح. قال الحافظ ابن حجر: أخرجه النسائي من طريق هشام عن عروة عن أبيه عن عمرو بن العاص، وابن حبان من طريق يحيى بن عروة عن عروة عن عبد الله بن عمرو بن العاص أتم منه. قلت: علقه البخاري نحوهما. انتهى.

ولكنه كان يتجلد، ولولا استشعاره لم يستشر أحداً ولم يقف الأمر على الإشارة. وقرئ: «الرشاد» فعال من رشد بالكسر، كعلام. أو من رشد بالفتح كعباد، وقيل: هو من أرشد كجبار من أجبر، وليس بذلك؛ لأنّ فعالاً من أفعل لم يجئ إلاّ في عدّة أحرف، نحو: درّاك وسآرا وقصار وجبّار، ولا يصحّ القياس على القليل. ويجوز أن يكون نسبة إلى الرشد، كعوّاج وبتات[1]، غير منظور فيه إلى فعل.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾

﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ مثل أيامهم؛ لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود، ولم يلبس أنّ كلّ حزب منهم كان له يوم دمار، اقتصر على الواحد من الجمع؛ لأنّ المضاف إليه أغنى عن ذلك كقوله [من الوافر]:

كُـلُـوا فِـي بَـعْـضِ بَـطْـنِـكُـمْ تَـعِـفُّـوا ....[2]

وقال الزجاج: مثل يوم حزب حزب، ودأب هؤلاء: دأبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي، وكون ذلك دائباً دائماً منهم لا يفترون عنه، ولا بدّ من حذف مضاف، يريد: مثل جزاء دأبهم. فإن قلت: بم انتصب ﴿مِثْلَ﴾ الثاني؟ قلت: بأنه عطف بيان لمثل الأوّل؛ لأنّ آخر ما تناولته الإضافة قوم نوح، ولو قلت: أهلك الله الأحزاب: قوم نوح وعاد وثمود، لم يكن إلاّ عطف بيان لإضافة قوم إلى أعلام، فسرى ذلك الحكم إلى أوّل ما تناولته الإضافة ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ يعني: أن تدميرهم كان عدلاً وقسطاً؛ لأنهم استوجبوه بأعمالهم، وهو أبلغ من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] حيث جعل المنفي إرادة الظلم؛ لأنّ من كان عن إرادة الظلم بعيداً، كان عن الظلم

---

(١) قوله: «كعوّاج وبتات» أي: صاحب العاج، والعاج: عظم الفيل. والبتات: الذي يبيع البتوت، أو يعملها. والبت: الطيلسان من الخز، كذا في الصحاح. (ع).

(٢) كـلـوا فـي بـعـض بـطـنـكـم تـعـفـوا … فـإن زمـانـكـم زمـن خـمـيـص

أي كلوا في بعض بطونكم. وأفرد البطن لأمن اللبس، أي: لا تملئوها، فإن أطعمتوني عففتم عن الطعام، وعف يعف ـ بكسر عين المضارع، من باب ضرب يضرب، ثم قال: فإن زمانكم، أي أمرتكم بذلك؛ لأن زمانكم مجدب. والخميص: الضامر البطن، فشبه الزمان المجدب بالرجل الجائع على طريق الكناية، ووصفه بالخمص تَخييل لذلك.

ينظر: أسرار العربيّة ص ٢٢٣، وتخليص الشواهد ص ١٥٧، وخزانة الأدب ٧/ ٥٣٧، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦٣، والدرر ١/ ١٥٢، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٧٤، وشرح المفصّل لابن يعيش ٥/ ٨، ٦/ ٢١، والكتاب ١/ ٢١٠، والمحتسب ٢/ ٨٧، والمقتضب ٢/ ١٧٢، وهمع الهوامع ١/ ٥٠.

أبعد. وحيث نكر الظلم، كأنه نفى أن يريد ظلماً ما لعباده[1]. ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] أي: لا يريد لهم أن يظلموا؛ يعني أنه دمّرهم لأنهم كانوا ظالمين[2].

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾

«التنادي» ما حكى الله تعالى في سورة الأعراف من قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٥٠] ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور. وقرئ بالتشديد، وهو أن ينِدّ بعضهم من بعض؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ [عبس: ٣٤] وعن الضحاك: إذا سمعوا زفير النار ندّوا هرباً، فلا يأتون قطراً من الأقطار إلاّ وجدوا ملائكة صفوفاً، فبينا هم يموج بعضهم في بعض؛ إذ سمعوا منادياً: أقبلوا إلى الحساب. ﴿تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ عن قتادة: منصرفين عن موقف الحساب إلى النار. وعن مجاهد: فارّين عن النار غير معجزين.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام. وقيل: هو يوسف بن إبراهيم[3] بن يوسف بن يعقوب: أقام فيهم نبيًا عشرين سنة. وقيل: إن فرعون موسى هو فرعون يوسف، عمر إلى زمنه، وقيل: هو فرعون آخر. وبخهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا

---

(١) قوله: «كأنه نفى أن يريد ظلماً ما لعباده» هذا على مذهب المعتزلة من أنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريده، وأن الإرادة بمعنى الرضا. وعند أهل السنة أنه تعالى يخلق الشر ويريده كالخير ولا يرضى الشر، فالرضا غير الإرادة عندهم، كما تقرر في التوحيد. (ع).

(٢) قال محمود: «يجوز أن يكون معناه معنى: (وما ربك بظلام للعبيد). وهذا أبلغ؛ لأنه إذا لم يرد الظلم كان عن فعله الظلم أبعد، وحيث نكر الظلم أيضاً، كأنه نفى أن يريد ظلماً ما لعباده. قال: ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله: (ولا يرضى لعباده الكفر) فيكون المعنى: أن الله لا يريد لعباده أن يظلموا؛ لأنه ذمهم على كونهم ظالمين» قال أحمد: هذا من الطراز الأول، وقد تقدم مذهب أهل السنة فيما يتعلق بإرادة الله تعالى خلافاً لهذا وأشياعه.

(٣) قوله: «وقيل: هو يوسف بن إبراهيم» عبارة النسفي: (ع).

شاكين كافرين. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ قبض ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ حكماً من عند أنفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل، فإذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي أسستموه، وليس قولهم: ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ بتصديق لرسالة يوسف، وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها، وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته. وقرئ: «ألن يبعث الله» على إدخال همزة الاستفهام على حرف النفي، كأن بعضهم يقرّر بعضاً بنفي البعث. ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ أي مثل هذا الخذلان المبين[1] يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه. ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ بدل من ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾، فإن قلت: كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذاك موحد؟ قلت: لأنه لا يريد مسرفاً واحداً، فكأنه قال: كل مسرف. فإن قلت: فما فاعل ﴿كَبُرَ﴾؟ قلت: ضمير ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾. فإن قلت: أما قلت: هو جمع، ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون؟ قلت: بلى هو جمع في المعنى. وأما ٢/ ١٥٣أ اللفظ فموحد، فحمل البدل على معناه، والضمير الراجع إليه على لفظه، وليس ببدع[2] أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى، وله نظائر، ويجوز أن يرفع ﴿الذين يجادلون﴾ على الابتداء، ولا بدّ في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في كبر، تقديره: جدال الذين يجادلون كبر مقتاً، ويحتمل أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ مبتدأ؛ و﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ خبراً[3]،

---

(١) قوله: «أي مثل هذا الخذلان المبين» المعتزلة يؤولون الإضلال بالخذلان والترك، بناء على مذهبهم: أن الله لا يخلق الشر. وأهل السنة يفسرونه يخلق الضلال في القلب، بناء على أنه تعالى بخلق الشر كالخير كما بين في التوحيد. (ع).

(٢) قال محمود: «(الذين يجادلون) بدل من (من هو مسرف)؛ لأن المراد (كل مسرف). وجاز إبداله على معنى (من)، لا على لفظها. قال: فإن قلت: ما فاعل كبر؟ وأجاب بأنه ضمير (من هو مسرف)، فحمل البدل على المعنى، والضمير على اللفظ، وليس ببدع» اه كلامه. قال أحمد: فيما ذكره معاملة لفظ (من) بعد معاملة معناها، وهذا مما قدمت أن أهل العربية استغربونه، والأولى أن يجتنب في إعراب القرآن، فإن فيه إبهاماً بعد إيضاح، والمعهود في قراءة البلاغة عكسه، والصواب أن يجعل الضمير في قوله(كبر) راجعاً إلى مصدر الفعل المتقدم، وهو قوله: (يجادلون) تقديره: كبر جدالهم مقتًا، ويجعل(الذين) مبتدأ، على تأويل حذف المضاف، تقديره: جدال الذين يجادلون في آيات الله، والضمير في قوله(كبر مقتا) عائد إلى الجدال المحذوف، والجملة مبتدأ وخبر. ومثله في حذف المصدر المضاف وبناء الكلام عليه قوله تعالى: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) على أحد تأويله، ومثله كثير. وفيه سوى ذلك من الوجوه السالمة عما يتطرق إلى الوجه المتقدم، فالوجه العدول عنه.

(٣) قال السمين الحلبي: وردَّه الشيخُ بأنَّ فيه تفكيك الكلام بعضَه من بعضٍ؛ لأنَّ الظاهرَ تَعَلُّقُ بغَيْرِ سُلْطَانٍ بِيُجَادِلُونَ، ولا يُعْقَلُ جَعْلُه خَبَراً لِلَّذِينَ؛ لأنه جارٌ ومجرور، فيصيرُ التقدير: الَّذِينَ يُجَادِلُونَ كائِنُونَ أوْ مُسْتَقِرُّونَ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ، أي في غَيْرِ سُلْطَانٍ، لأنَّ الباءَ إذ ذَاكَ ظرفيةٌ خَبَرٌ عن الجُثَثِ. انتهى. الدر المصون.

وفاعل كبر قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كبر مقتاً مثل ذلك الجدال، و﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ كلام مستأنف، ومن قال: كبر مقتاً عند الله جدالهم، فقد حذف الفاعل، والفاعل لا يصحّ حذفه[1]. وفي ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾: ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم، والشهادة على خروجه من حدّ إشكاله من الكبائر. وقرئ: «سلطان» بضم اللام. وقرئ: «قلب» بالتنوين، ووصف القلب بالتكبر والتجبر؛ لأنه مركزهما ومنبعهما، كما تقول: رأت العين، وسمعت الأذن. ونحوه قوله عزّ وجل: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] وإن كان الآثم هو الجملة. ويجوز أن يكون على حذف المضاف، أي: على كل ذي قلب متكبر، تجعل الصفة لصاحب القلب.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

قيل: الصرح: البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد، اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر، و﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها، وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه، كالرشاء ونحوه، فإن قلت: ما فائدة هذا التكرير، ولو قيل: لعلي أبلغ أسباب السمٰوات لأجزأ؟ قلت: إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيماً لشأنه، فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السمٰوات أبهمها ثم أوضحها؛ ولأنه لما كان بلوغها أمراً عجيباً أراد أن يورده على نفس متشوفة إليه؛ ليعطيه السامع حقه من التعجب، فأبهمه ليشوف إليه نفس هامان، ثم أوضحه. وقرئ: «فأطلع» بالنصب[2] على جواب الترجي، تشبيهاً للترجي بالتمني. ومثل ذلك التزيين وذلك الصدّ ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ والمزين: إما الشيطان بوسوسته، كقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: ٣٤] أو الله تعالى على وجه التسبيب؛ لأنه مكن[3] الشيطان وأمهله. ومثله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤]. وقرئ: «وزَيَّنَ له سوءَ عملِهِ»[4] على البناء للفاعل والفعل لله عزّ وجلّ، دلّ عليه قوله: ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ وصدّ،

---

(١) قال السمين الحلبي: القائل بذلك هو الحوفي لكنه لا يريد بذلك تفسير الإعراب إنما يريد به تفسير المعنى، وهو معنى ما قدّمتهُ من أنّ الفاعل ضميرٌ يعود على جدالهم المفهوم من فِعْلِهِ، فَصَرَّحَ الحوفيُّ بالأصل وهو الاسمُ الظاهر ومراده ضميرٌ يعود عليه. انتهى. الدر المصون.

(٢) «وقرئ: (فأطلع) بالنصب» يفيد أن القراءة المشهورة بالرفع على العطف.(ع).

(٣) قوله: «على وجه التسبيب لأنه مكن» أول بهذا؛ لأنه تعالى لا يخلق الشر عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فيخلقه كالخير فلا حاجة إلى هذا التأويل، وتبقى الآية على ظاهرها.(ع).

(٤) قوله: «وقرئ وزين له سوء عمله» أي بدل قوله تعالى: (وكذلك زين لفرعون سوء عمله).(ع).

بفتح الصاد وضمها وكسرها، على نقل حركة العين إلى الفاء، كما قيل: قيل. والتباب: الخسران والهلاك. وصدّ: مصدر معطوف على سوء عمله وصدّوا هو وقومه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾

قال: ﴿أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ فأجمل لهم، ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها؛ لأنّ الإخلاد إليها هو أصل الشرّ كله، ومنه يتشعب جميع ما يؤدي إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة. وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها، وأنها هي الوطن والمستقرّ. وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما؛ ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف، ثم وازن بين الدعوتين: دعوته إلى دين الله الذي ثمرته النجاة، ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار، وحذر وأنذر، واجتهد في ذلك واحتشد، لا جرم أن الله استثناه من آل فرعون، وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين، وهو قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ وفي هذا أيضاً دليل بيّن على أن الرجل كان من آل فرعون. والرشاد نقيض الغي. وفيه تعريض شبيه بالتصريح أنّ ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي.

﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ﴾ لأنّ الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة؛ لأنها ظلم. وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة؛ لأنها فضل. قرئ: «يَدْخُلون» ويُدْخَلون. ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ واقع في مقابلة إلاّ مثلها، يعني: أن جزاء السيئة له حساب وتقدير؛ لئلا يزيد على الاستحقاق، فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب، بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة.

﴿۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِىٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِى لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِى بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾

فإن قلت: لم كرر نداء قومه؟ ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني؟ قلت: أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة. وفيه: أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم، وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتهم عليه واجبة، فهو يتحزن لهم ويتلطف

بهم، ويستدعي بذلك ٢/١٥٣ب أن لا يتهموه، فإنّ سرورهم سروره، وغمهم غمه، وينزلوا على تنصيحه لهم، كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾. وأما المجيء بالواو العاطفة، فلأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له، فأعطى الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو، وأما الثالث: فداخل على كلام ليس بتلك المثابة. يقال: دعاه إلى كذا ودعاه له، كما تقول: هداه إلى الطريق وهداه له ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: بربوبيته، والمراد بنفي العلم: نفي المعلوم، كأنه قال: وأشرك به ما ليس بإله، وما ليس بإله كيف يصحّ أن يعلم إلهاً؟[1].

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾

﴿لَا جَرَمَ﴾ سياقه على مذهب البصريين: أن يجعل (لا) ردًّا لما دعاه إليه قومه. وجرم: فعل بمعنى حق، وأنّ مع ما في حيزه فاعله، أي: حق ووجب بطلان دعوته. أو بمعنى: كسب، من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [المائدة: ٢] أي: كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته، على معنى أنه ما حصل من ذلك إلاّ ظهور بطلان دعوته. ويجوز أن يقال: أن لا جرم، نظير: لا بدّ، فعل من ا لجرم، وهو القطع، كما أن بدّاً فعل من التبديد وهو التفريق، فكما أن معنى: لا بد أنك تفعل كذا، بمعنى: لا بد لك من فعله، فكذلك لا جرم أن لهم النار، أي: لا قطع لذلك، بمعنى أنهم أبداً يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع؛ لبطلان دعوة الأصنام، أي: لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقًّا. وروي عن العرب: لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء، بزنة بد، وفعل وفعل: أخوان. كرشد ورشد، وعدم وعدم. ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ معناه: أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة إلى نفسه قط، أي: من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته، ثم يدعو العباد إليها إظهاراً لدعوة ربهم وما تدعون إليه وإلى عبادته، لا يدعو هو إلى ذلك ولا يدّعي الربوبية، ولو كان حيواناً ناطقاً لضجّ من دعائكم. وقوله: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعني أنه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئاً من دعاء وغيره، وفي الآخرة: إذا أنشأه الله حيواناً، تبرأ من الدعاة إليه ومن عبدته.

---

(١) قال محمود: «المراد بنفي العلم نفي المعلوم، كأنه قال: وأشرك به ما ليس بإله، وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم إلهاً؟» قال أحمد: وهذا من قبيل «على لا حب لا يهتدي بمناره» أي: لا منار له فيهتدى به، وكلام الزمخشري ههنا أشد من كلامه على قوله تعالى حكاية عن فرعون: (ما علمت لكم من إله غيرى).

وقيل: معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا ولا في الآخرة. أو دعوة مستجابة، جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة فيها كلا دعوة. أو سميت الاستجابة باسم الدعوة، كما سمي الفعل المجازي عليه باسم الجزاء في قولهم: كما تدين تدان. قال الله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤]. ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾ عن قتادة: المشركين. وعن مجاهد: السفاكين للدماء بغير حلها. وقيل: الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون. وقرئ: «فستذكرون». أي: فسيذكر بعضكم بعضاً. ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ لأنهم توعدوه.

﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ شدائد مكرهم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم. وقيل: نجا مع موسى، ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾ ما هموا به من تعذيب المسلمين، ورجع عليهم كيدهم. ﴿النَّارُ﴾ بدل من سوء العذاب. أو خبر مبتدإ محذوف، كأن قائلاً قال: ما سوء العذاب؟ فقيل: هو النار. أو مبتدأ خبره ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها، وعرضهم عليها: إحراقهم بها. يقال: عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم به، وقرئ: «النار» بالنصب، وهي تعضد الوجه الأخير. وتقديره: يدخلون النار يعرضون عليها، ويجوز أن ينتصب على الاختصاص. ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ في هذين الوقتين يعذبون بالنار، وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم، فأمّا أن يعذبوا بجنس آخر من العذاب، أو ينفس عنهم. ويجوز أن يكون ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: عبارة عن الدوام، هذا ما دامت الدنيا، فإذا قامت الساعة قيل لهم: ادْخُلوا[1] يا ﴿آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ﴾ عذاب جهنم. وقرئ: ﴿أدخلوا آل فرعون﴾ أي: يقال لخزنة جهنم: أدخلوهم. فإن قلت: قوله: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ معناه: أنه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين، كقول العرب: من حفر لأخيه جبًا وقع فيه منكبًا، فإذا فسر سوء العذاب بنار جهنم: لم يكن مكرهم راجعاً عليهم؛ لأنهم لا يعذبون بجهنم. قلت: يجوز أن يهم الإنسان بأن يغرق قوماً فيحرق بالنار، ويسمى ذلك حيقاً؛ لأنه همّ بسوء، فأصابه ما يقع عليه اسم السوء. ولا يشترط في الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه، ويجوز أن يهمّ فرعون ـ لما سمع إنذار المسلمين بالنار، وقول المؤمن: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٣] ـ فيفعل نحو ما فعل نمروذ ويعذبهم بالنار، فحاق به مثل ما أضمره وهمَّ بفعله. ويستدلّ ٢/ ١٥٤أ بهذه الآية على إثبات عذاب القبر.

---

(١) وهي قراءة من القراءات.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾

واذكر وقت يتحاجون ﴿تَبَعًا﴾ تباعاً، كخدم في جمع خادم. أو ذوي تبع، أي: أتباع، أو وصفاً بالمصدر.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾

وقرئ: «كلًّا» على التأكيد لاسم إن، وهو معرفة، والتنوين عوض من المضاف إليه، يريد: إنا كلنا، أو كلنا فيها[1]. فإن قلت: هل يجوز أن يكون «كلًّا» حالاً قد عمل (فيها) فيها؟ قلت: لا لأن الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدماً تقول: كل يوم لك ثوب، ولا تقول: قائماً في الدار زيد. ﴿قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ قضى بينهم وفصل بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ للقوّام بتعذيب أهلها. فإن قلت: هلا قيل: الذين في النار لخزنتها؟ قلت: لأن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيعاً، ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار قعراً، من قولهم: بئر جهنام بعيدة القعر[2]، وقولهم في النابغة: جهنام، تسمية بها؛ لزعمهم أنه يلقي الشعر على لسان المنتسب إليه، فهو بعيد الغور في علمه بالشعر[3]، كما قال أبو نواس في خلف الأحمر [من الرجز]:

قُلَيْذَمٌ مِنَ الْعَيَالِيمِ الْخُسُفْ[4]

---

(١) قال السمين الحلبي: قلت: وليس هذا مذهباً للزمخشري وحده بل هو منقول عن الكوفيين أيضاً. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «بئر جهنام بعيدة القعر... إلخ» في الصحاح: بكسر الجيم والهاء. (ع).

(٣) قال محمود: «فإن قلت: فهلا قيل: لخزنتها، وأجاب أن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيعاً، ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار قعراً من قولهم: بئر جهنام، أي: بعيدة القعر، وكان النابغة يسمي الجهنام لبعد غوره في الشعر» قال أحمد: الأول أظهر، والتفخيم فيه من وجهين، أحدهما: وضع الظاهر موضع المضمر، وهو الذي أشار إليه، والثاني: ذكره وهو شيء واحد بظاهر غير الأول أفظع منه؛ لأن جهنم أفظع من النار؛ إذ النار مطلقة» وجهنم أشدها.

(٤) أودى جميع العلم مذ أودى خلف ... من لا يعد العلم إلا ما عرف
رواية لا يجتنى من الصحف ... قليذم من العياليم الخسف =

وفيها أعتى الكفار وأطغاهم، فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى؛ فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم. ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ﴾ إلزام للحجة وتوبيخ، وأنهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرع، وعطلوا الأسباب التي يستجيب الله لها الدعوات. ﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾ أنتم، فإنا لا نجترىء على ذلك ولا نشفع إلاّ بشرطين: كون المشفوع له غير ظالم، والإذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها، وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين، وليس قولهم ﴿فَادْعُوا﴾ لرجاء المنفعة، ولكن للدلالة على الخيبة؛ فإن الملك المقرّب إذا لم يسمع دعاؤه، فكيف يسمع دعاء الكافر.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، يعني: أنه يغلبهم في الدارين جميعاً بالحجة والظفر على مخالفيهم، وإن غلبوا في الدنيا في بعض الأحايين امتحاناً من الله، فالعاقبة لهم، ويتيح الله من يقتص[1] من أعدائهم ولو بعد حين. والأشهاد: جمع شاهد، كصاحب وأصحاب، يريد: الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين من أمّة محمد ﷺ، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. واليوم الثاني بدل من الأوّل، يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لأنها باطلة، وأنهم لو جاءوا بمعذرة لم تكن مقبولة[2] لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٦]،

= لأبي نواس يرثي خلف الأحمر بن أحمد. وأودى هلك ومن لا يعد العلم صفة خلف، أي: لا يعتبر من العلم إلا بما عرفه حق اليقين وتلقاه بالتلقين. أو عرفه بالاستنباط من قواعد السابقين، فهو رواية، أي كثير الرواية لا يأخذ من الكتب، شبهها بالروضة المثمرة على طريق المكنية، والاجتناء تخييل. والقليذم: البئر الغزيرة الماء. والعيلم: الحفرة الكثيرة الماء. والخسف: البعيدة الغور العميقة، شبهه بذلك تشبيها بليغاً؛ لكثرة علمه ومعرفته للمعاني البعيدة الخفية.
ينظر: ديوانه ٢/ ١٤١، وتاج العروس: (خسف)، (علم)، ولسان العرب: (علم)، ومقاييس اللغة: ٢/ ١٨١.

(١) قوله: «من يقتص» أي: يقدر. (ع).

(٢) قال محمود: «يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة لكنها لا تنفعهم؛ لأنها باطلة. ويحتمل أنهم لا يعتذرون، ولو جاءوا بمعذرة لم تكن مقبولة «قال أحمد: «هما الاحتمالان في قوله تعالى: (ولا شفيع يطاع) ولكن بين الموضعين فرقاً يصير أحدهما معه عكس الآخر؛ وذلك أنه هنا على تقدير أن يكون المراد أنهم لا معذرة لهم البتة، يكون قد نفى صفة المعذرة وهي المنفعة التي لها تراد المعذرة، قطعاً لرجائهم كي لا يعتذروا البتة، كأنه قيل: إذا لم يحصل ثمرة المعذرة فكيف يقع ما لا ثمرة له، وفي الآية المتقدمة جعل نفي الموصوف بتا لنفي الصفة؛ ولهذا أولى النفي في هذه الآية الفعل، وفي المتقدمة أولى النفي الذات المنسوب إليها الفعل.

﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ البعد من رحمة الله. ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ أي: سوء دار الآخرة، وهو عذابها. وقرئ: «تقوم»، و «لا تنفع»، بالتاء والياء.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾

يريد بالهدى: جميع ما آتاه في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع. ﴿وَأَوۡرَثۡنَا﴾ وتركنا على بني إسرائيل من بعده ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة ﴿هُدٗى وَذِكۡرَىٰ﴾ إرشاداً وتذكرة، وانتصابهما على المفعول له أو على الحال. وأولوا الألباب: المؤمنون به العاملون بما فيه.

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ يعني أن نصرة الرسل في ضمان الله، وضمان الله لا يخلف، واستشهد بموسى وما آتاه من أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده، وإبقاء آثار هداه في بني إسرائيل، والله ناصرك كما نصرهم، ومظهرك على الدين كله، ومبلغ ملك أمّتك مشارق الأرض ومغاربها، فاصبر على ما يجرّعك قومك من الغصص؛ فإن العاقبة لك، وما سبق به وعدي من نصرتك وإعلاء كلمتك حق، وأقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار، ودم على عبادة ربك والثناء عليه ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ وقيل: هما صلاتا العصر والفجر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾

﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾ إلا تكبر وتعظم، وهو إرادة التقدّم والرياسة، وأن لا يكون أحد فوقهم؛ ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدّمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك؛ لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة. أو إرادة أن تكون لهم النبوّة دونك حسداً وبغياً. ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ [الأحقاف: ١١] أو إرادة دفع الآيات بالجدال: ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ أي: ببالغي موجب الكبر ومقتضيه، وهو متعلق إرادتهم من الرياسة أو النبوّة أو دفع الآيات. وقيل: المجادلون هم ٢/ ١٥٤ب اليهود، وكانوا يقولون: يخرج صاحبنا المسيح ابن داود، يريدون الدّجال، ويبلغ سلطانه البر

والبحر، وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله فيرجع إلينا الملك، فسمى الله تمنيهم ذلك كبراً، ونفى أن يبلغوا متمناهم. ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ فالتجىء إليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما تقول ويقولون ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بما تعمل ويعملون، فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرّهم.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

فإن قلت: كيف اتصل قوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بما قبله؟ قلت: إن مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث، وهو أصل المجادلة ومدارها، فحجوا بخلق السمٰوات والأرض لأنهم كانوا مقرّين بأن الله خالقها وبأنها خلق عظيم لا يقادر قدره، وخلق الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين، فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر، وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله[1]، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم أهواءهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

ضرب الأعمى والبصير مثلاً للمحسن والمسيىء. وقرئ: «يتذكرون» بالياء والتاء، والتاء أعم.

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: كيف اتصل قوله (لخلق السموات والأرض) بما قبله؟ وأجاب بأن مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث، وهو أصل المجادلة ومدارها، فحجوا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها، وبأنها خلق عظيم، فخلق الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين، فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على الإنسان الضعيف أقدر، وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله، قال أحمد: الأولوية في هذا الاستشهاد ثابتة بدرجتين، أحدهما ما ذكره من أن القادر على العظيم هو على الحقير أقدر. الثانية: أن مجادلتهم كانت في البعث وهو الإعادة ولا شك أن الابتداء أعظم وأبهر من الإعادة، فإذا كان ابتداء خلق العظيم يعني السموات والأرض داخلاً تحت القدرة فابتداء خلق الحقير: يعني الناس أدخل تحتها، وإعادته أدخل من ابتدائه، فهو أولى بأن يكون مقدوراً عليه مما اعترفوا به من خلق السموات والأرض بدرجتين، وإلى هذا الترتيب وقعت الإشارة بقوله تعالى في: (ألم غلبت الروم): (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) فقرر أن قيام السماء والأرض هو بأمره، أي: خلقها من آياته، فكيف بما هو أحط من قيامها بدرجتين وهو إعادة البشر أهون عليه من الابتداء ليتحقق الدرجتان المذكورتان، فقال تعالى: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)؛ وإذا تأملت الذي ذكرته منسوباً لما ذكره الزمخشري، علمت أن ما ذكره هو لباب المراد، فجدد عهداً به إن لم تعلم ذلك.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٥٩﴾

﴿لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾ لا بد من مجيئها ولا محالة، وليس بمرتاب فيها؛ لأنه لا بد من جزاء. ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ لا يصدقون بها.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾

﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾ اعبدوني، والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ والاستجابة: الإثابة؛ وفي تفسير مجاهد: اعبدوني أثبكم. وعن الحسن ـ وقد سئل عنها ـ: اعملوا وأبشروا؛ فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله. وعن الثوري أنه قيل له: ادع الله، فقال: إن ترك الذنوب هو الدعاء. وفي الحديث: «إذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» (١٣٥٧) وروى النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن

١٣٥٧ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٢٠): غريب وقد ورد الحديث بلفظ «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين». وإليك تخريجه.
أخرجه الترمذي (٥/ ١٨٤) كتاب فضائل القرآن: باب (٢٥) حديث (٢٩٢٦)، والدارمي (٢/ ٤٤١) كتاب فضائل القرآن: باب فضل كلام الله على سائر الكلام، وابن نصر في «قيام الليل» (ص ٧١)، والعقيلي في «الضعفاء (٤/ ٤٩) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٣٨) كلهم من طريق محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد الخدري به مرفوعاً وقال الترمذي: حديث حسن غريب. والحديث أعله العقيلي في «الضعفاء بمحمد بن الحسن وقال لا يتابع عليه».
وقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٨٢) رقم (١٧٣٨): سألت أبي عن حديث رواه محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن عمرو بن قيس عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال الله عز وجل: من شغله القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب السائلين قال أبي هذا حديث منكر ومحمد بن الحسن ليس بالقوي أ.هـ فأعل العقيلي وأبو حاتم هذا الحديث بمحمد بن الحسن قلت: قال البيهقي: تابعه الحكم بن بشير ومحمد بن مروان عن عمرو بن قيس لتنحصر علة الحديث في ضعف وتدليس عطية العوفي.
وللحديث شاهد من حديث عمر بن الخطاب أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ٩٣) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤١٣) رقم (٥٧٢) كلاهما من طريق صفوان بن أبي الصهباء عن بكير بن عتيق عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده مرفوعاً به ومن طريق صفوان أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٦٦) وقال: قال ابن حبان: هذا موضوع ما رواه إلاّ صفوان بهذا الإسناد فأما صفوان فيروي عن الإثبات. وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه عبد الرزاق عن سفيان عن منصور عن مالك بن الحرث قال: «يقول الله: إذا اشتغل عبدي بثنائه عن مسألتي أعطيته =

رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» (١٣٥٨) وقرأ هذه الآية. ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما، ويريد بعبادتي: دعائي؛ لأن الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها، يصدقه قول ابن عباس رضي الله عنهما: أفضل العبادة الدعاء (١٣٥٩). وعن كعب: أعطى الله هذه الأمة ثلاث خلال لم يعطهن إلاّ نبيًّا مرسلاً: كان يقول لكل نبيّ أنت شاهدي على خلقي، وقال لهذه الأمة: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ وكان يقول: ما عليك من حرج، وقال لنا: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦] وكان يقول: ادعني أستجب لك؛ وقال لنا: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. وعن ابن عباس: وحدوني أغفر لكم، وهذا تفسير للدعاء بالعبادة، ثم للعبادة بالتوحيد. ﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿مُبْصِرًا﴾ من الإسناد المجازي؛ لأن الإبصار في الحقيقة لأهل النهار. فإن قلت: لم قرن الليل بالمفعول له، والنهار بالحال؟ وهلا كانا حالين أو مفعولاً لهما فيراعي حق المقابلة؟ قلت: هما متقابلان من حيث المعنى؛ لأن كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر؛ لأنه لو قيل: لتبصروا فيه، فاتت الفصاحة التي في الإسناد المجازي، ولو قيل: ساكناً ـ والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة، ألا ترى إلى قولهم: ليل ساج، وساكن لا ريح فيه ـ لم تتميز الحقيقة من المجاز. فإن قلت: فهلا قيل: لمفضل، أو لمتفضل؟ قلت: لأن الغرض تنكير الفضل، وأن يجعل فضلاً لا يوازيه فضل، وذلك إنما يستوي بالإضافة. فإن قلت: فلو قيل: ولكن أكثرهم، فلا يتكرر ذكر الناس؟ قلت: في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم، وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦، الزخرف: ١٥] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ [العاديات: ٦]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ

= أفضل ما أعطي السائلين» وهذا مرسل، وفي الترمذي عن أبي سعيد «من شغله قراءة القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين». انتهى.

١٣٥٨ ـ تقدم في مريم، وقال الحافظ: أخرجه أصحاب السنن، وتقدم في مريم. انتهى.

١٣٥٩ ـ أخرجه الحاكم (١/ ٤٩١)، كتاب: الدعاء، باب: فضل العبادة هو الدعاء، من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: أفضل العبادة الدعاء، وقرأ: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ الآية. انتهى. وقال الحافظ بن حجر: أخرجه الحاكم في الدعاء من وجهين عنه. انتهى.

﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ المعلوم المتميز بالأفعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أخبار مترادفة، أي: هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلٰهية والربوبية وخلق كل شيء وإنشائه لا يمتنع عليه شيء، والوحدانية: لا ثاني له. ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان. ثم ذكر أن كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة أفك كما أفكوا. وقرئ: «خالق كل شيء» نصباً على الاختصاص. وتؤفكون: بالتاء والياء.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

هذه أيضاً دلالة أخرى على تميزه بأفعال خاصة، وهي أنه جعل الأرض مستقرًّا ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢] أي: قبة. ومنه: أبنية العرب ٢/ ١٥٥أ لمضاربهم؛ لأن السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الأرض، ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣] وقرئ: بكسر الصاد، والمعنى واحد. قيل: لم يخلق حيواناً أحسن صورة من الإنسان. وقيل: لم يخلقهم منكوسين كالبهائم، كقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ فاعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الطاعة من الشرك والرياء، قائلين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من قال: لا إله إلاّ الله، فليقل على أثرها: الحمد لله رب العالمين (١٣٦٠).

﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

فإن قلت: أما نهى رسول الله ﷺ عن عبادة الأوثان بأدلة العقل حتى جاءته البينات من ربه؟ قلت: بلى، ولكن البينات لما كانت مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها

١٣٦٠ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣٨)، كتاب: التفسير، باب: «من قال لا إله إلاّ الله فليقل على أثرها الحمد لله»، والطبري في تفسيره (١١/ ٧٥)، رقم (٣٠٣٩١)، كلاهما من طريق مجاهد عن ابن عباس، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٢١) للبيهقي في الأسماء والصفات وللثعلبي في تفسيره وكذا لابن مردويه جميعهم من نفس الطريق السابق.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الحافظ: أخرجه الطبري، والحاكم أيضاً، والبيهقي في الأسماء والصفات، وابن مردويه من رواية الأعمش عن مجاهد عنه. انتهى.

نحو قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٥ ـ ٩٦] وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل ـ كان ذكر البينات ذكراً لأدلة العقل والسمع جميعاً، وإنما ذكر ما يدلّ على الأمرين جميعاً؛ لأن ذكر تناصر الأدلة أدلة العقل وأدلة السمع أقوى في إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية(١).

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ متعلق بفعل محذوف تقديره: ثم يبقيكم لتبلغوا. وكذلك لتكونوا. وأما ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ فمعناه: ونفعل ذلك لتبلغوا أجلاً مسمى، وهو وقت الموت. وقيل: يوم القيامة. وقرئ: «شيوخاً» بكسر الشين. وشيخاً، على التوحيد، كقوله: ﴿طفلاً﴾ [الحج: ٥] والمعنى: كل واحد منكم. أو اقتصر على الواحد؛ لأنّ الغرض بيان الجنس. ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل الشيخوخة أو من قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطاً ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما في ذلك من العبر والحجج.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا﴾ يكوّنه من غير كلفة ولا معاناة. جعل هذا نتيجة من قدرته على الإحياء والإماتة، وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على أنّ مقدوراً لا يمتنع عليه، كأنه قال: فلذلك من الاقتدار إذا قضى أمراً كان أهون شيء وأسرعه.

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: النبي عليه الصلاة والسلام قد اتضحت له أدلة العقل على التوحيد قبل مجيء الوحي، فعلام تحمل الآية؟ وأجاب بأن الأمر كذلك ولكن البينات مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومتضمنة ذكرها، نحو قوله: (أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل والسمع جميعاً، وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعاً؛ لأن ذكر الأمرين أقوى في إبطال مذهبهم، وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية، قال أحمد: اللائق بقواعد السنة أن يقال: أما معرفة الله تعالى ومعرفة وحدانيته واستحالة كون الأصنام آلهة، فمستفاد من أدلة العقول، وقد ترد الأدلة العقلية في مضامين السمعيات. وأما وجوب عبادة الله تعالى وتحريم عبادة الأصنام، فحكم شرعي لا يستفاد إلاّ من السمع؛ فعلى هذا يترك الجواب عن هذا السؤال. وقوله تعالى: (إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) إنما أريد به ـ والله أعلم ـ: تحريم عبادة غير الله، فهذا لا يستفاد إلاّ من نهي الله تعالى عن ذلك، لا من العقل، لكن قاعدة الزمخشري تقتضي أن تحريم عبادة غير الله تعالى تتلقى من العقل قبل ورود الشرع؛ إذ العقل عنده حاكم بمقتضى التحسين والتقبيح، ولهذا أورد الإشكال عليه، واحتاج إلى الجواب عنه، ثم قوله في الجواب: إن أدلة الشرع مقوية لأدلة العقل ضعيف، مع اعتقاده أن العقل يدل على الحكم قطعاً، وما دل قطعاً، كيف يحتمل الزيادة والتأكيد، والقطعيات لا تفاوت في ثبوتها؟

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾ بالقرآن ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من الكتب. فإن قلت: وهل قوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ إلى مثل قولك: سوف أصوم أمس؟ قلت: المعنى على إذا: إلا أن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعاً بها: عبر عنها بلفظ ما كان ووجد، والمعنى على الاستقبال. وعن ابن عباس: والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء، على عطف الجملة الفعلية على الإسمية. وعنه: والسلاسل يسحبون بجر السلاسل. ووجهه أنه لو قيل: إذ أعناقهم في الأغلال مكان قوله: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ لكان صحيحاً مستقيماً، فلما كانتا عبارتين معتقبتين: حمل قوله: ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ على العبارة الأخرى. ونظيره [من الطويل]:

مَشَائِيمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً ... وَلاَ نَاعِبٍ إلاَّ بِبَيْنٍ غُرَابُهَا[1]

كأنه قيل: بمصلحين. وقرئ: «وبالسلاسل يسحبون» ﴿فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ من سجر التنور إذا ملأه بالوقود. ومنه: السجير[2]، كأنه سجر بالحب، أي: ملئ ومعناه: أنهم في النار فهي محيطة بهم، وهم مسجورون بالنار مملوؤة بها أجوافهم. ومنه قوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾ [الهمزة: ٦،٧] اللهم أجرنا من نارك فإنا عائذون بجوارك. ﴿ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ غابوا عن عيوننا، فلا نراهم ولا ننتفع بهم. فإن قلت: أما ذكرت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]: أنهم مقرونون بآلهتهم، فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم؟ قلت: يجوز أن يضلوا عنهم إذا وبخوا وقيل لهم: أين ما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم، وأن يكونوا معهم في سائر الأوقات[3]، وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم؛ إلا

---

(١) تقدم.

(٢) قوله: «ومنه السجير» في الصحاح: «سجير الرجل»: صفيه وخليله، والجمع السجراء. (ع).

(٣) قوله: «في سائر الأوقات» أي باقي الأوقات بعد وقت التوبيخ. (ع).

أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم. ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أي: تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئاً، وما كنا نعبد بعبادتهم شيئاً كما تقول: حسبت أنّ فلاناً شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيراً. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم.، حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا. ﴿ذَٰلِكُم﴾ الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح. ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وهو الشرك وعبادة الأوثان. ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ السبعة المقسومة لكم. قال الله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ ٢/ ١٥٥أ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٤]. ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مقدّرين الخلود ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الحق المستخفين به مثواكم أو جهنم. فإن قلت: أليس قياس النظم أن يقال: فبئس مدخل المتكبرين، كما تقول: زر بيت الله فنعم المزار، وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى؟ قلت: الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ أصله: فإن نرك. و (ما) مزيدة لتأكيد معنى الشرط؛ ولذلك ألحقت النون بالفعل[1] ألا تراك لا تقول: إن تكرمني أكرمك، ولكن: إما تكرمني أكرمك. فإن قلت: لا يخلو إما أن تعطف ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ على ﴿نرينك﴾ وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله تعالى: ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فقولك: فإمّا نرينك بعض الذي نعدهم فإلينا يرجعون: غير صحيح، وإن جعلت ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ مختصًا بالمعطوف الذي هو نتوفينك، بقي المعطوف عليه بغير جزاء. قلت: ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ متعلق بنتوفينك، وجزاء ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ محذوف، تقديره: فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل والأسر يوم بدر فذاك. أو أن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة فننتقم[2] منهم أشدّ الانتقام ونحوه قوله

---

(١) قال محمود: «المصحح للحاق النون المؤكدة دخول ما المؤكدة للشرط، ولولا (ما) لم يجز دخولها، قال أحمد: وإنما كان كذلك؛ لأن النون المؤكدة حقها أن تدخل في غير الواجب، والشرط من قبيل الواجب، إلاّ أنه إذا أكد قوي إبهامه فقربته قوة الإبهام من غير الواجب، فيساغ دخول النون فيه.

(٢) قال محمود: «إما أن يشرك مع الأول في الشرط ويكون قوله: (فإلينا يرجعون) جزاء مشركاً بينهما فلا يستقيم المعنى، على: فإما نرينك بعض الذي نعدهم.. فإلينا يرجعون، وإن جعل الجزاء مختصًا بالثاني بقي الأول بغير جزاء، وأجاب بأنه مختص بالثاني، وجزاء الأول محذوف، تقديره: فإما نرينك بعض الذي نعدهم، وهو ما حل بهم يوم بدر، فذاك. أو نتوفينك، فإلينا يرجعون، فننتقم منهم، قال أحمد: وإنما حذف جواب الأول دون الثاني؛ لأن الأول إن وقع فذاك غاية الأمل =

تـعـالـى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزخرف: ٤١ ـ ٤٢].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ قيل: بعث الله ثمانية آلاف نبيّ: أربعة آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس. وعن عليّ رضي الله عنه: أنّ الله تعالى بعث نبيًّا أسود (١٣٦١)، فهو ممن لم يقصص عليه. وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله ﷺ عناداً، يعني: إنّا قد أرسلنا كثيراً من الرسل وما كان لواحد منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فمن لي بأن آتي بآية مما تقترحونه إلاّ أن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وعيد وردّ عقيب اقتراح الآيات. وأمر الله: القيامة ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ هم المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحراً.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

١٣٦١ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٨٠)، رقم (٣٠٤٠٩)، من طريق عبد الله بن يحيى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٢٢) لابن مردويه من حديث آدم بن أبي إياس، وللثعلبي في تفسيره من طريق أبي الطفيل عن علي، في تفسير سورة البروج.
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه من رواية جابر الجعفي عن عبد الله بن يحيى عن علي رضي الله عنه في قوله: (ومنهم من لم نقصص عليك) قال: أرسل الله عبداً حبشياً، فهو الذي لم نقصص عليك، وروى الثعلبي من وجه آخر عن جابر عن أبي الطفيل عن علي «كان أصحاب الأخدود نبيهم حبشي. بعث نبي من الحبشة إلى قومه. ثم قرأ: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ـ الآية). انتهى.

= في إنكائهم، فالثابت على تقدير وقوعه معلوم، وهو حصول المراد على التمام. وأما إن لم يقع ووقع الثاني وهو توفيه قبل حلول المجازاة بهم، فهذا هو الذي يحتاج إلى ذكره للتسلية وتطمين النفس، على أنه وإن تأخر جزاؤهم عن الدنيا فهو حتم في الآخرة ولا بد منه. قال: ومثله قوله تعالى: (فإما نذهبنَّ بك فإنا منهم منتقمون، أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون): كأنه يستشهد على أن جزاء الأول محذوف بذكر هذه الآية.

الأنعام: الإبل خاصة. فإن قلت: لم قال: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ ولتبلغوا عليها، ولم يقل: لتأكلوا منها، ولتصلوا إلى منافع؟ أو هلا قال: منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون[١] عليها حاجة في صدوركم؟ قلت: في الركوب: الركوب في الحج والغزو، وفي بلوغ الحاجة: الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو طلب علم، وهذه أغراض دينية إمّا واجبة أو مندوب إليها مما يتعلق[٢] به إرادة الحكيم. وأما الأكل وإصابة المنافع: فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به إرادته، ومعنى قوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ وعلى الأنعام وحدها لا تحملون، ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر. فإن قلت: هلا قيل: وفي الفلك، كما قال: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾؟ [هود: ٤٠] قلت: معنى الإيعاء[٣] ومعنى الاستعلاء: كلاهما مستقيم؛ لأنّ الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها، فلما صحّ المعنيان صحت العبارتان. وأيضاً فليطابق قوله: (وعليها) ويزاوجه﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ﴾ جاءت على اللغة المستفيضة. وقولك: فأية آيات الله قليل؛ لأنّ التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب. وهي في (أي) أغرب لإبهامه.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: هلا قيل: لتركبوا منها ولتأكلوا منها ولتبلغوا، ومنها تركبون ومنها تأكلون، وعليها تبلغون؟ وأجاب بأن في الركوب الركوب في الغزو والحج، وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو علم، وهذه أغراض دينية: إما واجبة أو مندوبة مما يتعلق به إرادة الحكيم، وأما الأكل وإصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به الإرادة» قال أحمد: جواب متداع للسقوط مؤسس على قاعدة واهية، وهي أن الأمر راجع إلى الإرادة، فالواجب والمندوب مرادان؛ لأنهما مندرجان في الأمر، والمباح غير مراد؛ لأنه غير مأمور به، وهذا من هنيات المعتزلة في إنكار كلام النفس، فلا نطيل فيه النفس. وقاعدة أهل الحق: أنه لا ربط بين الأمر والإرادة، فقد يأمر بخلاف ما يريد، ويريد خلاف ما يأمر به، فالجواب الصحيح إذاً أن المقصود المهم من الأنعام والمنفعة المشهورة فيها إنما هي الركوب وبلوغ الحوائج عليها بواسطة الأسفار والانتقال في ابتغاء الأوطار؛ فلذلك ذكرهما هنا مقرونين باللام الدالة على التعليل والغرض. وأما الأكل وبقية المنافع كالأصواف والأوبار والألبان وما يجري مجراها فهي وإن كانت حاصلة منها فغير خاصة بها خصوص الركوب والحمل وتوابع ذلك، بل الأكل بالغنم خصوصاً الضأن أشهر؛ فلذلك اختيرت الضحايا منها على الغنم، فلذلك جردت هذه المنافع بالإخبار عن وجودها فيها غير مقرونة بما يدل على أنها المقصود.

(٢) قوله: «المباح الذي لا يتعلق به» مبني على مذهب المعتزلة: أن الإرادة بمعنى الأمر فلا تتعلق إلاّ بالمطلوب. وعند أهل السنة: هي صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه، فتتعلق بجميع الممكنات، كما تقرر في علم التوحيد. (ع).

(٣) قوله: «معنى الإيعاء»، في الصحاح: أوعيت الزاد والمتاع: إذا جعلته في الوعاء. (ع).

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَءَاثَارًا﴾ قصورهم ومصانعهم. وقيل: مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم. ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ ما نافية أو مضمنة معنى الاستفهام، محلها النصب، والثانية: موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع، يعني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم. ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ فيه وجوه: منها أنه أراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النمل: ٦٦]: وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون: لا نبعث ولا نعذب، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٦] وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الأنبياء، كما قال عزّ وجلّ: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [الروم: ٣٢] ومنها: أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان، وكانوا إذ سمعوا بوحي الله: دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم. وعن سقراط: أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وسلامه، وقيل له: لو هاجرت إليه فقال: نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا. ومنها: أن يوضع قوله: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣] ولا علم عندهم البتة، موضع قوله: لم يفرحوا بما جاءهم من العلم، مبالغة في ٢/ ١٥٦أ نفي فرحهم بالوحي الموجب لأقصى الفرح والمسرة، مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلماء[1]. ومنها أن يراد: فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به، كأنه قال: استهزءوا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحي فرحين مرحين. ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ومنها: أن يجعل الفرح للرسل. ومعناه: أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم: فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه. وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم. ويجوز أن يريد بما فرحوا به من العلم: علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٧]، ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم: ٣٠] فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات ـ وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف[2] عن الملاذ والشهوات ـ لم يلتفتوا إليها وصغروها واستهزءوا بها، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا يُعبِّره بالجملة الظاهرة كونها مثبتة عن الجملة المنفية إلا في قليل من الكلام نحو: شرُّ أهرَّ ذا ناب على خلاف فيه.
ولما آل أمره إلى الإثبات المحصور جاز، وأما في الآية فينبغي أن لا يحمل على القليل؛ لأن في ذلك تخليطاً لمعاني الجمل المتباينة. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «والظلف» في الصحاح: ظلفت نفسي عن كذا ـ بالكسر ـ تظلف ظلفاً، أي: كفت. (ع).

للفوائد من علمهم، ففرحوا به.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

البأس: شدّة العذاب. ومنه قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [الأعراف: ١٦٥]. فإن قلت: أي فرق بين قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ﴾ وبينه لو قيل: فلم ينفعهم إيمانهم؟(١) قلت: هو من كان في نحو قوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥] والمعنى: فلم يصحّ ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم. فإن قلت: كيف ترادفتِ هذه الفاءات؟ قلت: أما قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ [غافر: ٨٢] فهو نتيجة قوله: ﴿كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ [غافر: ٨٢] وأما قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ [غافر: ٨٣] فجار مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ [غافر: ٨٢] كقولك: رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء. وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ تابع لقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ﴾ [غافر: ٨٣] كأنه قال: فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا، وكذلك: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ﴾ تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله. ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ بمنزلة ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥] وما أشبهه من المصادر المؤكدة. و﴿هُنَالِكَ﴾ مكان مستعار للزمان، أي: وخسروا وقت رؤية البأس، وكذلك قوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨] بعد قوله: ﴿جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ [غافر: ٧٨] أي: وخسروا وقت مجيء أمر الله، أو وقت القضاء بالحق.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلاّ صلّى عليه واستغفر له» (١٣٦٢).

١٣٦٢ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي ابن كعب رضي الله عنه. انتهى.

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: أي فرق بين قوله: فلم يك ينفعهم إيمانهم. وبينه لو قيل: فلم ينفعهم؟ وأجاب بأن معنى (كان) هنا معناها في قوله: (ما كان لله أن يتخذ من ولد) بمعنى: فلم يستقم ولم يصح أن ينفعهم إيمانهم، قال أحمد: كان الذي ثبت التصرف فيها بإجراء نونها مجرى حروف العلة حتى حذفت للجازم هي (كان) الكثير استعمالها، المكرر دورانها في الكلام. وأما (كان) هذه فليست كثيرة التصرف حتى يتسع فيها بالحذف، بل هي مثل: صان، وحان، في القلة، فالأولى بقاؤها على بابها المعروف، وفائدة دخولها في هذه الآية وأمثالها: المبالغة في نفي الفعل الداخلة عليه بتعديد جهتي نفيه عموماً باعتبار الكون، وخصوصاً باعتباره في هذه الآية مثلاً، فكأنه نفي مرتين، والله أعلم.

سورة فصلت، وتسمى السجدة

مكية، وآياتها ٥٤، وقيل: ٥٣ آية [نزلت بعد غافر]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ (١) تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٢) كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ (٤)﴾

إن جعلت ﴿حمٓ (١)﴾ اسماً للسورة كانت في موضع المبتدأ. و﴿تَنزِيلٌ﴾ خبره. وإن جعلتها تعديداً للحروف كان ﴿تَنزِيلٌ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف و﴿كِتَٰبٌ﴾ بدل من تنزيل. أو خبر بعد خبر. أو خبر مبتدأ محذوف، وجوّز الزجاج أن يكون ﴿تَنزِيلٌ﴾ مبتدأ، و﴿كِتَٰبٌ﴾ خبره. ووجهه أن تنزيلاً تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ. ﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة: من أحكام وأمثال ومواعظ، ووعد ووعيد، وغير ذلك، وقرئ: «فصلت»، أي: فرقت بين الحق والباطل. أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها، من قولك: فصل من البلد. ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على الاختصاص والمدح، أي: أريد بهذا الكتاب المفصل قرآناً من صفته كيت وكيت. وقيل: هو نصب على الحال، أي: فصلت آياته في حال كونه قرآناً عربياً ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ أي: لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين، لا يلتبس عليهم شيء منه. فإن قلت: بم يتعلق قوله: ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾؟ قلت: يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفصلت، أي: تنزيل من الله لأجلهم. أو فصلت آياته لهم. والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده، أي قرآناً عربياً كائناً لقوم عرب؛ لئلا يفرق بين الصّلات والصفات. وقرئ: «بشير ونذير» صفة للكتاب. أو خبر مبتدأ محذوف. ﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ لا يقبلون ولا يطيعون، ومن قولك: تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولي، ولقد سمعه، ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ (٥)﴾

والأكنة: جمع كنان. وهو الغطاء، و«الوقر» بالفتح: الثقل. وقرئ: بالكسر. وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده، كأنها في غلف ٢/١٥٦ب وأغطية تمنع من نفوذه فيها، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة: ٨٨] ومج أسماعهم له كأن بها صمماً عنه، ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه، وبين رسول الله ﷺ وما هو عليه: حجاباً ساتراً وحاجزاً منيعاً من جبل أو نحوه، فلا تلاقي ولا ترائي ﴿فَٱعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ﴾ على ديننا، أو فاعمل في إبطال أمرنا، إننا عاملون في إبطال أمرك. وقرئ: «إنا عاملون» فإن قلت: هل لزيادة (من) في قوله: ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ فائدة؟ قلت: نعم؛ لأنه لو قيل: وبيننا وبينك حجاب: لكان المعنى: أن حجاباً حاصلاً وسط الجهتين، وأما بزيادة (من) فالمعنى: أن حجاباً ابتدأ منا وابتدأ منك، فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ[1] فيها. فإن قلت: هلا قيل: على قلوبنا أكنة، كما قيل: وفي آذاننا وقر؛ ليكون الكلام على نمط واحد؟ قلت: هو على

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: ما فائدة (من) في قوله (ومن بيننا وبينك حجاب)؟ وأجاب بأن فائدتها الدلالة على أن من جهتهم ابتدأ الحجاب، ومن جهته أيضاً ابتدأ حجاب، فيلزم أن المسافة المتوسطة بينهما مملوءة بالحجاب لا فراغ فيها، ولو لا ذكر (من) فيها لكان المعنى: على أن في المسافة بينهما حجاباً فقط» قال أحمد: ولا ينفك المعنى بدخول (من) عما كان عليه قبل، ولو كان لأمر كما ذكر لكانت من مقدرة مع بين الثانية؛ لأنه جعلها مفيدة للابتداء في الثانية كما هي مفيدة للابتداء في الأولى، فيكون التقدير إذاً: (ومن بيننا وبينك حجاب)، وهذا يخل بمعنى (بين) إخلالاً بينا، فإنها تأبى تكرار العامل معها، حتى لو قال القائل: جلست بين زيد، وجلست بين عمرو: لم يكن مستقيماً؛ لأن تكرار العامل يصيرها داخلة على مفرد فقط، ويقطعه عن قرينه المتقدم. ومن شأنها الدخول على متعدد؛ لأن في ضمن معناها التوسط. وزاد الزمخشري على هذا فجعل (بين) الثانية غير الأولى؛ لأنه جعل الأولى بجهتهم والثانية بجهته، وليس الأمر كما ظنه، بل (بين) الأولى هي الثانية بعينها، وهي عبارة عن الجهة المتوسطة بين المضافين، وتكرارها إنما كان لأن المعطوف مضمر محفوظ، فوجب تكرار حافظه وهو بين، والدليل على هذا: أنه لا تفاوت باتفاق بين أن تقول: جلست بين زيد وعمرو؛ وبين أن تقول: جلست بين زيد وبين عمرو. وإنما كان ذكرها مع الظاهر جوازاً ومع المضمر وجوباً لما بيناه؛ فإذا وضح ذلك فالظاهر ـ والله أعلم ـ أن موقع من هاهنا كموقعها في قوله تعالى: (وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا) وذلك للإشعار بأن الجهة المتوسطة مثلاً بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام مبدأ الحجاب لا غير، ووجود من قريب من عدمها، ألا ترى إلى آخر هذه الآية كيف لم يستعمل فيها من، وهي قوله تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً. وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وكلام الزمخشري هذا إذا امتحنته بالتحقيق الذي ذكرناه: تبين ضعفه، والله الموفق، وفي هذه الآية وأختها من المبالغة والبلاغة ما لا يليق أن ينتظم إلاَّ في دور الكتاب العزيز، فإنها اشتملت على ذكر حجب ثلاثة متوالية: كل واحد منها كاف في فنه، فأولها الحجاب الحائل الخارج، ويليه حجاب الصمم. وأقصاها الحجاب الذي أكن القلب والعياذ بالله، فلم تدع هذه الآية حجاباً مرتخياً إلاَّ أسبلته، ولم تبق لهؤلاء الأشقياء مطمعاً ولا صريخاً إلاَّ استلبته، فنسأل الله كفايته.

نمط واحد؛ لأنه لا فرق في المعنى بين قولك: قلوبنا في أكنة. وعلى قلوبنا أكنة. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ ولو قيل: إنا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى، وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة[(١)] إلاّ في المعاني.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧)﴾

فإن قلت: من أين كان قوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ جواباً لقولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾[(٢)]؟ قلت: من حيث إنه قال لهم: إني لست بملك، وإنما أنا بشر مثلكم، وقد أوحي إليّ دونكم فصحت ـ بالوحي إليّ وأنا بشر ـ نبوّتي، وإذا صحت نبوّتي وجب عليكم اتباعي، وفيما يوحى إليّ: أن إلٰهكم إلٰه واحد ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ فاستووا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين يميناً ولا شمالاً، ولا ملتفتين إلى ما يسوّل لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء، وتوبوا إليه مما سبق لكم من الشرك ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾. وقرئ: «قال إنما أنا بشر». فإن قلت: لم خصّ من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقروناً بالكفر بالآخرة؟ قلت: لأن أحبّ شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته. ألا ترى إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٥] أي: يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال، وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة[(٣)] من الدنيا فقرّت عصبيتهم ولانت شكيمتهم ،وأهل الردّة بعد رسول الله ﷺ ما تظاهروا إلاّ بمنع الزكاة، فنصبت لهم الحرب، وجوهدوا[(٤)]. وفيه بعث للمؤمنين على أداء

---

(١) قوله: «والملاحظة» لعله: والملاحة. (ع).

(٢) قال محمود: «فإن قلت: كيف كان هذا جواباً لما تقدمه» قال أحمد: وأجاب بما نلخصه فنقول: لما أبوا القبول منه عليه الصلاة والسلام كل الإباء، بدأهم بإقامة الحجة على وجوب القبول منه، فإنه بشر مثلهم لا قدرة له على إظهار المعجزات التي ظهرت. وإنما القادر على إظهارها هو الله تعالى تصديقاً له عليه الصلاة والسلام، ثم بين لهم بعد قيام الحجة عليهم أهم ما بعث به وهو التوحيد، واندرج تحت الاستقامة جميع تفاصيل الشرع وتمم ذلك بإنذارهم على ترك القبول بالويل الطويل.

(٣) قوله: «إلاّ بلمظة من الدنيا» في الصحاح: «لمظ» إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه، اهـ. فلظمة: بمعنى ملموظ، كمضغة بمعنى ممضوغ. (ع).

(٤) قال محمود: «فإن قلت: لم خص الزكاة؟ وأجاب بأن أحب الأشياء إلى الإنسان ماله، وهو شقيق روحه، فبذله مصداق لاستقامته ونصوع طويته، وما خدع المؤلفة قلوبهم إلاّ بلمظة من الدنيا، وأهل =

الزكاة، وتخويف شديد من منعها؛ حيث جعل المنع من أوصاف المشركين، وقرن بالكفر بالآخرة. وقيل: كانت قريش يطعمون الحاج، ويحرمون من آمن منهم برسول الله ﷺ. وقيل: لا يفعلون ما يكونون به أزكياء، وهو الإيمان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾

الممنون: المقطوع. وقيل: لا يمنّ عليهم لأنه إنما يمن التفضل. فأما الأجر فحقّ أداؤه. وقيل: نزلت في المرضى والزمنى والهرمى: إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر، كأصحّ ما كانوا يعملون.

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

﴿أَئِنَّكُمْ﴾ بهمزتين[1]: الثانية بين بين. و «ءائنكم» بألف بين همزتين ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قدر على خلق الأرض في مدة يومين. وهو ﴿رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾. ﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿مِن فَوْقِهَا﴾؟ وهل اقتصر على قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَـٰمِخَـٰتٍ﴾ [المرسلات: ٢٧]، ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ [الأنبياء: ٣١]، ﴿لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ﴾ [النمل: ٦١]؟ قلت: لو كانت تحتها كالأساطين لها تستقر عليها، أو مركوزة فيها كالمسامير: لمنعت من الميدان أيضاً، وإنما اختار إرساءها فوق الأرض؛ لتكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها، حاضرة محصليها؛ وليبصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال، كلها مفتقرة إلى ممسك لا بد لها منه، وهو ممسكها عزّ وعلا بقدرته. ﴿وَبَـٰرَكَ فِيهَا﴾ وأكثر خيرها وأنماه. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم. وفي قراءة ابن مسعود. وقسم فيها أقواتها ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً﴾ فذلكة[2] لمدة خلق الله الأرض وما فيها، كأنه قال: كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا

= الردة ما تظاهروا إلاّ بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا.» قال أحمد: كلام حسن بعد تبديل قوله: وما خدع المؤلفة؛ فإن استعماله الخداع غير لائق؛ لأنهم إنما تألفهم عليه الصلاة والسلام على الإيمان من قبيل الملاطفة ودفع السيئة بالحسنة.

(١) قوله: «أئنكم بهمزتين» لعله: قرئ بهمزتين... إلخ. (ع).

(٢) أي كلام منقطع. روح المعاني (٢٤/١٠١).

نقصان. قيل: خلق الله الأرض في يوم الأحد ويوم الاثنين، وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء. وقال الزجاج: في أربعة أيام في تتمة أربعة أيام، يريد بالتتمة اليومين. وقرئ: «سواء» بالحركات الثلاث: الجر على الوصف والنصب على: استوت سواء، أي: استواء: والرفع على: هي سواءٌ. فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾؟ قلت: بمحذوف، كأنه قيل: هذا الحصر لأجل من سأل: في كم خلقت الأرض وما فيها؟ أو يقدر: أي: قدر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين. وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا على تفسير الزجاج. ٢/١٥٧أ[1] فإن قلت: هلا قيل في يومين؟ وأي فائدة في هذه الفذلكة؟ قلت: إذا قال في أربعة أيام وقد ذكر أن الأرض خلقت في يومين، علم أن ما فيها خلق في يومين، فبقيت المخايرة بين أن تقول: في يومين وأن تقول: في أربعة أيام سواء، فكانت في أربعة أيام سواء فائدة ليست في يومين، وهي الدلالة على أنها كانت أياماً كاملة بغير زيادة ولا نقصان. ولو قال: في يومين ـ وقد يطلق اليومان على أكثرهما ـ لكان يجوز أن يريد باليومين الأولين والآخرين أكثرهما: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ من قولك: استوى إلى مكان كذا، إذا توجه إليه توجهاً لا يلوي على شيء، وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج، ونحوه قولهم: استقام إليه وامتد إليه. ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٦] والمعنى: ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك. قيل: كان عرشه قبل

---

(١) قال محمود: «إن قوله (في أربعة أيام) فذلكة بمدة خلق الله الأرض وما فيها، كأنه قال: وقدر فيها أقواتها في يومين آخرين، فذلك أربعة أيام سواء. وقال: ومعنى سواء: كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان. ونقل عن الزجاج أن معنى الآية في تتمة أربعة أيام، يريد بالتتمة: اليومين، ثم قال: فإن قلت: بمتعلق قوله: (للسائلين)؟ وأجاب بأنه متعلق بمحذوف، كأنه قيل: هذا الحصر لأجل من سأل: في كم خلقت الأرض وما فيها؟ أو يقدر، أي: قدر فيها الأقوات لأجل السائلين المحتاجين إليها من المقتاتين، ثم قال: وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا على تفسير الزجاج» قال أحمد: لم يبين امتناعه على التفسير الأول ونحن نبينه فنقول: مقتضى التفسير الأول أن قوله: (في أربعة أيام فذلكة)، ومن شأنها الوقوع في طرف الكلام بعد تمامه، فلو جعل قوله: (للسائلين) متعلقاً بمقدر: لزم وقوع الفذلكة في حشو الكلام، ولا كذلك على تفسير الزجاج؛ فإن الأربعة على قوله من تتمة الأول، وهي متعلقة بمقدر على تأويل حذف التتمة تعلق الظرف بالمظروف؛ ليلائم ذلك إتمام الكلام ببيان المقصود من خلق الأقوات بعد بيان من خلقها. وتفسير الزجاج ـ والله أعلم ـ أرجح؛ فإنه يشتمل على ذكر مدة خلق الأقوات بالتأويل القريب الذي قدره، ومتضمن لما يقوم مقام الفذلكة؛ إذ ذكر جملة العدد الذي هو ظرف لخلقها وخلق أقواتها، وعلى تفسير الزمخشري تكون الفذلكة مذكورة من غير تقدم تصريح بجملة تفاصيلها، فإنه لم يذكر منها سوى يومين خاصة، ومن شأن الفذلكة أن يتقدم النص على جميع أعدادها مفصلة، ثم تأتي هي على الجملة كقوله: (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة).

خلق السمٰوات والأرض على الماء، فأخرج من الماء دخاناً، فارتفع فوق الماء وعلا عليه، فأيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعلها أرضين، ثم خلق السماء من الدخان المرتفع. ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما: أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه، ووجدتا كما أرادهما، وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الأمر المطاع[1]، وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل. ويجوز أن يكون تخييلاً ويبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض وقال لهما: ائتيا شئتما ذلك أو أبيتماه، فقالتا: أتينا على الطوع لا على الكره. والغرض تصوير[2] أثر قدرته في المقدورات لا غير؛ من غير أن يحقق شيئًا من الخطاب والجواب. ونحوه قول القائل: قال الجدار للوتد: لم تشقني؟ قال الوتد: اسأل من يدقني، فلم يتركني ورائي[3] الحجر الذي ورائي. فإن قلت: لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمهما في الأمر بالإتيان، والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين؟ قلت: قد خلق جرم الأرض أولاً غير مدحوّة، ثم دحاها بعد خلق السماء، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠] فالمعنى: ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف: ائتي يا أرض مدحوّة قراراً ومهاداً لأهلك، وائتي يا سماء مقببة سقفاً لهم. ومعنى الإتيان: الحصول والوقوع، كما تقول: أتى عمله مرضيًا، وجاء مقبولاً. ويجوز أن يكون المعنى: لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الإتيان الذي أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير: من كون الأرض قراراً للسماء، وكون السماء سقفاً للأرض. وتنصره قراءة من قرأ: «آتيا» وآتينا: من المؤاتاة وهي الموافقة: أي: لتوات كل واحدة أختها ولتوافقها. قالتا: وافقنا وساعدنا. ويحتمل وافقا أمري ومشيئتي ولا تمتنعا. فإن قلت: ما معنى طوعاً أو كرهاً؟ قلت: هو مثل للزوم وتأثير قدرته فيهما، وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال؛ كما يقول الجبار لمن تحت يده: لتفعلنَ هذا شئت أو أبيت، ولتفعلنه طوعاً أو كرهاً. وانتصابهما على الحال، بمعنى: طائعتين أو مكرهتين. فإن قلت: هلا قيل: طائعتين على اللفظ؟ أو طائعات على المعنى؟ لأنها سمٰوات وأرضون. قلت: لما

---

(١) قوله: «فعل الآمر المطاع» لعله: أمر الآمر. (ع).

(٢) قوله: «تصوير أثر قدرته» لعله) تأثير. (ع).

(٣) قال محمود: «إما أن يكون هذا من مجاز التمثيل كأن عدم امتناعهما على قدرته امتثال المأمور المطيع إذا ورد عليه الأمر المطاع، فهذا وجه. وأما أن يكون تخييلاً فيبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السموات والأرض فأجابتاه، والغرض منه تصوير أثر القدرة في المقدور من غير أن يحقق شيئًا من الخطاب والجواب، ومثله قول القائل: قال الحائط للوتد لم تشقنى؟ قال الوتد: اسأل من يدقني لم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي» قال أحمد: قد تقدم إنكاري عليه إطلاق التخييل على كلام الله تعالى، فإن معنى هذا الإطلاق لو كان صحيحاً والمراد منه التصوير لوجب اجتناب التعبير عنه بهذه العبارة؛ لما فيها من إيهام وسوء أدب، والله أعلم.

جعلن مخاطبات ومجيبات، ووصفن بالطوع والكره قيل: طائعين، في موضع: طائعات. نحو قوله: (ساجدين)[1]. ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ يجوز أن يرجع الضمير فيه إلى السماء على المعنى كما قال: ﴿طَآئِعِينَ﴾ ونحوه: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً مفسراً بسبع سموات، والفرق بين النصبين أن أحدهما على الحال، والثاني: على التمييز، قيل: خلق الله السمٰوات وما فيها في يومين: في يوم الخميس والجمعة، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة. وفي هذا دليل على ما ذكرت، من أنه لو قيل: في يومين في موضع أربعة أيام سواء، لم يعلم أنهما يومان كاملان أو ناقصان[2]. فإن قلت: فلو قيل: خلق الأرض في يومين كاملين وقدر فيها أقواتها في يومين

---

(١) قال محمود: فإن قلت لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمها في الأمر بالإتيان معها والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين؟ وأجاب بأنه قد خلق جرم الأرض أولاً غير مدحوة، ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال: (والأرض بعد ذلك دحاها) فالمعنى: ائتيا على ما ينبغي من الشكل: ائتي يا أرض مدحوة وقرارا ومهاداً، وائتي يا سماء سقفاً مقبية. ثم قال: فإن قلت ما معنى طوعاً أو كرهاً، وأجاب بأنه تمثيل للزوم تأثير القدرة فيهما، كما يقول الجبار لمن تحت يده: افعل هذا شئت أو أبيت. ثم قال: فإن قلت: هلا قيل طائعتين، على اللفظ. وطائعات، على المعنى: لأنها سموات وأرضون. وأجاب بأنه لما جعلن مخاطبات ومجيبات وموصوفات بالطوع والكره. قيل: طائعين في موضع طائعات، نحو قوله: ساجدين» قال أحمد: لم يحقق الجواب عن السؤال الآخر، وذلك أن في ضمن الآية سؤالين: أحدهما لم ذكرها وهي مؤنثة، وهذا هو السؤال الذي أورده. الثاني أتى بها على جمع العقلاء وهي لا تعقل، وهذا لم يذكره، فالجواب الذي ذكره مختص بالسؤال الذي لم يذكره، ولهذا نظره بقوله: (ساجدين) فإن تلك الآية ليس فيها سوى السؤال عن كونها جمعت جمع العقلاء. فأما السؤال الآخر فلا؛ لأن الكلام راجع إلى الكواكب وهي مذكرة، والشمس وإن كانت مؤنثة إلا أنه غلب في الكلام المذكر على المؤنث على المنهاج المعروف؛ فأما هذه الآية فتزيد على تلك بهذا السؤال الآخر: وهو أن جميع ما تقدم ذكره من السموات والأرض مؤنث، فيقال أولاً: لم ذكرها؟ وثانياً: لم أتى جمعها المذكر على جمع نعت جمع العقلاء، ليتحقق نسبة السؤال والجواب؟ والطوع اللاتي تختص بالعقلاء لا بها، ولم يوجد في جمع المؤنث عدول إلى جمع المذكر لوجود الصيغة المرشدة إلى العقل فيه، فتمت الفائدة بذلك على تأويل السموات والأرض بالأملاك مثلاً وما في معناه من المذكر، ثم يغلب المذكر على المؤنث، ولا يعدم مثل هذا التأويل في الأرضين أيضاً.

(٢) قال محمود: «قيل: إن الله تعالى خلق السموات وما فيها في يوم الخميس ويوم الجمعة، وفرغ آخر ساعة من يوم الجمعة، وخلق آدم في تتمة اليوم، وفيه تقوم القيامة، ثم استدل بذلك على ما ذكره من أنه لو قال: في يومين، في موضع أربعة أيام سواء، لم يعلم أنهما يومان كاملان أو ناقصان»، قال أحمد: كأنه يستدل بإهمال اليومين عن التأكيد، حيث لم يكن خلق السموات بما فيها في جملة اليومين، على أنه إنما فذلك أيام خلق الأرض بما فيها؛ لأنه لو فصلها لم يكن فيها دليل على استيعاب الخلق لكل يومين منها، بل كان يجوز أن يكون الخلق في أحد اليومين وبعض الآخر، كما كان في هذه الآية على النقل الذي ذكر، وهذا لا يتم له منه غرض، فإن للقائل أن يقول: إنما كان خلق السموات بما فيها في يومين كاملين؛ لأن آدم لم يكن في السموات حينئذ، وبخلقه كمل اليومان على مقتضى ما نقله، فتأمله.

كاملين. أو قيل: بعد ذكر اليومين: تلك أربعة سواء؟ قلت: الذي أورده سبحانه أخصر وأفصح وأحسن طباقاً لما عليه التنزيل من مغاصاة القرائح ومصاك الركب[1]؛ ليتميز الفاضل من الناقص، والمتقدم من الناكص، وترتفع الدرجات، ويتضاعف الثواب، ﴿أَمْرَهَا﴾ ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك. أو شأنها وما يصلحها. ﴿وَحِفْظًا﴾ وحفظناها حفظاً، يعني من المسترقة بالثواقب. ويجوز أن يكون مفعولاً له على المعنى، كأنه قال: وخلقنا المصابيح زينة وحفظاً.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ ٢/١٥٧ب بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته، فحذرهم أن تصيبهم صاعقة، أي: عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة. وقرئ: «صعقة» (مثل) صعقة عاد وثمود: وهي المرة من الصعق أو الصعق. يقال: صعقته الصاعقة صعقاً فصعق صعقاً، وهو من باب: فعلته ففعل. ﴿مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: أتوهم من كل جانب، واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة، فلم يروا منهم إلاّ العتوّ والإعراض، كما حكى الله تعالى عن الشيطان: ﴿لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] يعني لآتينهم من كل جهة، ولأعملن فيهم كل حيلة، وتقول: استدرت بفلان من كل جانب، فلم يكن لي فيه حيلة. وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة؛ لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جاءوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار، ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم. وقيل: معناه إذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم. فإن قلت: الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاءوهم، وكيف يخاطبونهم بقولهم: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾؟ قلت: قد جاءهم هود وصالح داعيين إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم، أي: من قبلهم وممن يجيء من خلفهم، أي: من بعدهم؛ فكان الرسل جميعاً قد جاءوهم. وقولهم: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم. «أن» في ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ بمعنى أي، أو مخففة من الثقيلة، أصله: بأنه لا تعبدوا، أي: بأنّ الشأن والحديث قولنا لكم: لا تعبدوا، ومفعول شاء محذوف

---

(١) قوله: «من مغاصاة القرائح ومصاك الركب» أي أمكنة الغوص على اللؤلؤ، وأمكنة اصطكاك الركب. (ع).

أي: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾ إرسال الرسل[1] ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ معناه: فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة، فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به، وقولهم: ﴿أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ ليس بإقرار بالإرسال، وإنما هو على كلام الرسل، وفيه تهكم، كما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]. روي: أنّ أبا جهل قال في ملإٍ من قريش: قد التبس علينا أمر محمد، فلو التمستم لنا رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره، فقال عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علماً، وما يخفى عليّ، فأتاه فقال: أنت يا محمد خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ فبم تشتم آلهتنا وتضلّلنا، فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا، وإن تك بك الباءة زوّجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغني به، ورسول الله ﷺ ساكت؛ فلما فرغ قال: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿حمٓ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣] فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا: ما نرى عتبة إلاّ قد صبأ، فانطلقوا إليه وقالوا: يا عتبة ما حبسك عنا إلاّ أنك قد صبأت، فغضب وأقسم لا يكلم محمداً أبداً، ثم قال: والله لقد كلمته، فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، ولما بلغ صاعقة عاد وثمود: أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب (١٣٦٣).

١٣٦٣ ـ أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥)، باب: «اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله =

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخُ: تَتَبَّعْتُ القرآن وكلام العرب فلم أجِدْ مفعول شاءَ الواقع بعد «لَوْ» إلاَّ مِنْ جنسِ جوابها نحو: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أي لو شاء جَمْعَهُمْ على الهدى لجَمَعَهُمْ عليه، ﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً﴾ ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ ﴿ولو شاء الله ما عبدنا من دونه﴾ وقال [من الطويل]:

فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بنَ خَالِدٍ ... وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْرَ بْن مَرْثَدِ

وقال [من الزجر]:

والَّذِ لَوْ شَاءَ لَكُنْتُ صَخْراً ... أو جَبَلاً أَشَمَّ مُشْمَخِرًّا

قال: فَعَلَى ما تقدم لا يكون المحذوفُ ما قدَّره الزمخشريُّ، وإنما التقدير: لو شاءَ ربُّنا إنْزَالَ ملائكةٍ بالرسالة منه إلى الإنس لأَنْزَلَهُمْ بها إليهم؛ وهذا أَبْلَغُ في الإقْنَاع من إرْسَال البشر؛ إذْ علَّقُوا ذلك بإنْزَال الملائكةِ، وهو لم يشأ ذلك فكيف يشاءُ ذلك في البشر؟ قلْتُ: وتقدير أبي القاسم أَوْقَعُ مَعْنًى وأَخْلَصُ من إيقاع الظاهر موقع المضمر؛ إذْ يصير التقدير: لو شاء إنْزَالَ ملائكة لأَنْزَلَ ملائكةً. انتهى. الدر المصون.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظم وهو القوّة وعظم الأجرام. أو استعلوا في الأرض واستولوا على أهلها بغير استحقاق للولاية. ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم، وبلغ من قوّتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده. فإن قلت: القوّة هي الشدّة والصلابة في البنية، وهي نقيضة الضعف. وأما القدرة فما لأجله يصحّ الفعل من الفاعل من تميز بذات أو بصحة بنية[1] وهي نقيضة العجز، والله سبحانه وتعالى لا يوصف بالقوّة إلاّ على معنى القدرة، فكيف صحّ قوله: ﴿هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾؟ وإنما يصحّ إذا أريد بالقوّة في الموضعين شيء واحد؟ قلت: القدرة في الإنسان هي صحة البنية والاعتدال والقوّة والشدّة والصلابة في البنية، وحقيقتها: زيادة القدرة[2]، فكما صحّ أن يقال: الله أقدر منهم، جاز أن يقال:

= تعالى من الإعجاز...»، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٣٠ ـ ٣٣١)، كتاب المغازي، باب: «في أذى قريش للنبي ﷺ...» رقم (٣٦٥٦٠)، وأبو يعلى (٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥١)، رقم (٥١) ـ (١٨١٨)، وابن هشام في السيرة (١/ ٣٦٨ ـ ٣٧١)، في ذكر ما كان من أمر عتبة بن ربيعة، رقم (٢٨٣)، والحاكم (٢/ ٢٥٣)، كتاب التفسير، باب: ما أحسن محسن من مسلم ولا كافر إلاّ أثابه الله، والبغوي في تفسيره (٤/ ١١٠)، كلهم من طريق جابر بن عبد الله، وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ١٩٩، ٢٠٠)، باب: اعتراف القدماء بأعلام النبوة، رقم (٨٢٨٥)، والهيثمي في المجمع (٦/ ٢٢ ـ ٢٣)، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٢٩) للثعلبي ولابن مردويه في تفسيريهما، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وفيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين، وغيره، وضعفه النسائي، وغيره، وبقية رجاله ثقات.

قال الحافظ: أخرجه ابن إسحاق في السيرة: حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب بهذا نحوه مرسلاً، ووصله ابن أبي شيبة، وعنه أبو يعلى وعبد بن حميد وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل، كلهم من رواية الأجلح الكندي عن الزبال بن حرملة عن جابر مطولاً. انتهى.

-----

(١) قوله: «من تمييز بذات أو لصحة بنية» هذا كقوله الآتي: إنه يقدر لذاته، تمحل لتطبيق الآية على مذهب المعتزلة على أنه تعالى قادر بذاته؛ لكن مذهب أهل السنة أنه تعالى قادر بقدرة قائمة بذاته، وكذا بقية الصفات كما في التوحيد. (ع).

(٢) قال محمود: «القوة: الشدة في البنية ونقيضها الضعف، والقدرة ما لأجله يصح الفعل من الفاعل، وهي نقيضة العجز، فإن وصف الله تعالى بالقوة فذاك بمعنى القدرة وليست القوة على حقيقتها، فكيف صح قوله: (هو أشد منهم قوة)؟ ولا بد أن يراد بالقوة في الموضعين شيء واحد؟ وأجاب عنه بأن القدرة في الإنسان صحة البنية والاعتدال والشدة، والقوة زيادة في القدرة، فكما صح أن =

أقوى منهم، على معنى: أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم. ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ كانوا يعرفون أنها حق، ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة، وهو معطوف[1] على فاستكبروا، أي: كانوا كفرة فسقة. ٢/١٥٨أ الصرصر: العاصفة التي تصرصر، أي: تصوّت في هبوبها. وقيل: الباردة التي تحرق بشدّة بردها، تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر، أي: يجمع ويقبض. ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ قرئ بكسر الحاء وسكونها. ونحس نحساً: نقيض سعد سعداً، وهو نحس. وأما نحس، فإمّا مخفف نحس، أو صفة على فعل، كالضخم وشبهه. أو وصف بمصدر. وقرئ: «لتذيقهم» على أنّ الإذاقة للريح أو للأيام النحسات. وأضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل والاستكانة على أنه وصف للعذاب، كأنه قال: عذاب خزي، كما تقول: فعل السوء، تريد: الفعل السيء، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾ وهو من الإسناد المجازي، ووصف العذاب بالخزي: أبلغ من وصفهم به. ألا ترى إلى البون بين قوليك: هو شاعر، وله شعر شاعر.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

وقرئ: «ثمود» بالرفع والنصب منوّناً وغير منوّن، والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء. وقرئ بضم الثاء. ﴿فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد، كقوله تعالى: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ١٠]. ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد. فإن قلت: أليس معنى هَدَيْتهُ: حصلت فيه الهدى، والدليل عليه قولك: هديته فاهتدى، بمعنى: تحصيل البغية وحصولها، كما تقول: ردعته فارتدع، فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجرّدة؟ قلت: للدلالة على أنه مكنهم وأزاح

= يقال: أقدر منهم، صح أن يقال: أقوى منهم، على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرتهم» قال أحمد: فسر القدرة على خلاف ما هي في اعتقاد المتكلمين، فإن سلم له من حيث اللغة فقد نكص عنه إلى حمل القدرة في الآية على مقتضاها في فن الكلام، وجعل التفضيل من حيث إن الله تعالى قادر لذاته. أي: بلا قدرة، والمخلوق قادر بقدرة على القاعدة الفاسدة للقدرية، ونظير هذا التفسير في الفساد تفسير قول القائل: زيد أعلم من عمرو، بإثبات صفة العلم للمفضول، وسلبها بالكلية عن الأفضل. وهل هذا إلاّ عنة وعمى في اتباع الهوى وعمه؟ فالحق أن التفضيل إنما جاء من جهة أن القدرة الثابتة للعبد قدرة مقارنة لفعله، معلومة قبله وبعده، مفقودة غير مؤثرة في العقل الراجح في محلها، فضلاً عن تجاوزها إلى غيره، وقدرة الله جلت قدرته مؤثرة في المقدورات، موجودة أزلاً وأبداً، عامة التعلق بجميع الكائنات من الممكنات، فهذا هو النور الذي لا يلوح إلاّ من إثبات عقائد السنة لمن سبقت له من الله المنة.

(١) قوله: «وهو معطوف على فاستكبروا» أي: قوله تعالى (وكانوا... إلخ). (ع).

عللهم ولم يُبق لهم عذراً ولا علة، فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها. ﴿صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ داهية العذاب وقارعة العذاب. و﴿ٱلْهُونِ﴾ الهوان، وصف به العذاب مبالغة، أو أبدله منه، ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة[1] بشهادة نبيها ﷺ - وكفى به شاهداً - إلاّ هذه الآية، لكفى بها حجة[2].

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

قرئ: «يحشر» على البناء للمفعول. ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها، ويحشر:

---

(١) قوله: «حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة» يريد أهل السنة، سماهم المعتزلة بذلك لقولهم: جميع الحوادث - خيراً كانت أو شراً من أفعال العباد الاختيارية أو غيرها - فهي بقضاء الله تعالى وقدره، خلافاً للمعتزلة؛ حيث ذهبوا إلى أن جميع الأفعال الاختيارية ليست بقضائه تعالى وقدره، ولا تأثير له فيها أصلاً. وهذا أحق بالتنقيص الذي يفيده الحديث. وفسروا الإضلال والهوى في قوله تعالى: (يضل من يشاء ويهدي من يشاء) بخلق الضلال وخلق الاهتداء، خلافاً للمعتزلة: حيث فسروا الإضلال بالخذلان وترك العبد وشأنه، والهدى بالبيان، ونقل النسفي عن أبي منصور الماتريدي: أن الهدى المضاف للخالق يكون تارة بمعنى البيان، كما في هذه الآية وتارة بمعنى خلق الاهتداء كما في قوله تعالى: (يضل من يشاء ويهدي من يشاء) والمضاف للمخلوق بمعنى البيان فقط، ويحتمل أن يكون هدى ثمود بمعنى خلق الاهتداء فيهم. وأنهم آمنوا قبل عقر الناقة، ثم كفروا وعقروها اهـ (ع).

(٢) قال محمود: «فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد، ثم قال: فإن قلت: أليس معنى هديته حصلت له الهدى والدليل عليه قولك: هديته فاهتدى، فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة؟ وأجاب بأنه مكنهم وأزاح عللهم، ولم يبق لهم عذر ولا علة، فكأنه حصل البغية فيهم بحصول موجبها، ثم قال: ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها عليه الصلاة والسلام - وكفى به شهيداً - إلاّ هذه الآية، لكفى بها حجة، قال أحمد: قد أنطقه الله الذي أنطق كل شيء، فإن القدرية مجوس هذه الأمة بشهادة النبي ﷺ، وقد شهد صحبه الأكرمون أن الطائفة الذين قفا الزمخشري أثرهم القدرية المتمجسة، الذين أديانهم بأدناس الفساد متنجسة فهم أول منخرط في هذا السلك، ومنهبط في مهواة هذا الهلك، ولنرجع إلى أصل الكلام فنقول: الهدى من الله تعالى عند أهل السنة حقيقة: هو خلق الهدى في قلوب المؤمنين، والإضلال: خلق الضلال في قلوب الكافرين، ثم ورد الهدى على غير ذلك من الوجوه مجازاً واتساعاً، نحو هذه الآية، فإن المراد فيها بالهدى الدلالة على طريقه كما فسره الزمخشري. وقد اتفق الفريقان: أهل السنة وأهل البدعة على أن استعمال الهدى ههنا مجاز، ثم إن أهل السنة يحملونه على المجاز في جميع موارده في الشرع، فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟ وأي دليل في هذه الآية على أهل السنة لأهل البدعة، حتى يرميهم بما ينعكس إلى نحره، ويذيقه وبال أمره؟

على البناء للفاعل، أيّ: يحشر الله عزّ وجلّ ﴿أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾ الكفار من الأوّلين والآخرين ﴿يُوزَعُونَ﴾ أي: يحبس أوّلهم على آخرهم، أي: يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم، وهي عبارة عن كثرة أهل النار، نسأل الله أن يجيرنا منها بسعة رحمته؛ فإن قلت: (ما) في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ ما هي؟ قلت: مزيدة للتأكيد، ومعنى التأكيد فيها: أنّ وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم، ولا وجه لأن يخلو منها. ومثله قوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ [يونس: ٥١] أي: لا بدّ لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به شهادة الجلود بالملامسة للحرام، وما أشبه ذلك مما يفضي إليها من المحرّمات. فإن قلت: كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق؟ قلت: الله عزّ وجلّ ينطقها كما أنطق الشجرة[1] بأن يخلق فيها كلاماً. وقيل: المراد بالجلود: الجوارح. وقيل: هي كناية عن الفروج، أراد بكل شيء: كل شيء، من الحيوان، كما أراد به في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] كل شيء من المقدورات، والمعنى: أنّ نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان، وعلى خلقكم وإنشائكم أوّل مرّة، وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه ـ وإنما قالوا لهم: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

والمعنى: أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش، وما كان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم؛ لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم، بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلاً، ولكنكم إنما استترتم لظنكم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا﴾ كنتم ﴿تَعْمَلُونَ﴾ وهو الخفيات من أعمالكم، وذلك[2] الظنّ هو الذي أهلككم. وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه، ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عيناً كالئة ورقيباً مهيمناً؛ حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاماً وأوفر تحفظاً وتصوناً منه مع الملأ، ولا يتبسط في سره مراقبة[3] من التشبه بهؤلاء الظانين.

---

(١) قوله: «كما أنطق الشجرة» على زعم المعتزلة أن تكليمه مع موسى عليه السلام وهو خلقه الكلام في الشجرة التي كانت عند الطور. وعند أهل السنة: هو بأن كشف له عن كلامه القديم وأسمعه إياه كما بين في محله. (ع).

(٢) قوله: «وذلك الظن هو الذي أهلككم» لعله. وذلكم. (ع).

(٣) قوله: «في سره مراقبة من التشبه» أي مخافة، كما أفاده الصحاح. (ع).

وقرئ: «ولكن زعمتم» ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ رفع بالابتداء، و ﴿ظَنُّكُمُ﴾ و ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ خبران، ويجوز أن يكون ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدلاً من ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ و ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ الخبر.

﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟﴾ لم ينفعهم الصبر، ولم ينفكوا به من الثواء في النار، ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ وإن يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعاً مما هم فيه: لم يعتبوا ٢/ ١٥٨ب: لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها، ونحوه قوله عزّ وعلا: ﴿أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] وقرئ: «وإن يستعتبوا» فما هم من المعتبين» أي: إن سألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون، أي: لا سبيل لهم إلى ذلك. ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾ وقدّرنا لهم، يعني لمشركي مكة: يقال: هذان ثوبان قيضان: إذا كانا متكافئين. والمقايضة: المعاوضة. ﴿قُرَنَآءَ﴾ أخداناً[1] من الشياطين جمع قرين، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] فإن قلت: كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم؟ قلت: معناه أنه خذلهم[2] ومنعهم التوفيق؛ لتصميمهم على الكفر، فلم يبق لهم قرناء سوىٰ الشياطين[3]. والدليل عليه ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ نقيض. ﴿أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما تقدّم من أعمالهم وما هم عازمون عليها. أو ما بين

---

(١) قوله: «قرناء أخدانا» أي أصدقاء. أفاده الصحاح. (ع).

(٢) قوله: «قلت: معناه أنه خذلهم» هذا على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يقدر الشر. أما على مذهب أهل السنة أنه تعالى يقدره كالخير، فلا داعي إلى هذا التكلف. قال تعالى: (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) إلخ. (ع).

(٣) قال محمود: «كيف جاز أن يقيض لهم قرناه من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم؟ وأجاب بأن معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر، فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين. والدليل عليه قوله تعالى: (ومن يعش عن ذكر الرحمن... الآية) قال أحمد: جواب هذا السؤال على مذهب أهل السنة: أن الأمر على ظاهره، فإن قاعدة عقيدتهم أن الله تعالى قد ينهى عما يريد وقوعه، ويأمر بما لا يريد حصوله، وبذلك نطقت هذه الآية وأخواتها، وإنما تأولها الزمخشري ليتبعها هواه الفاسد في اعتقاده أن الله تعالى لا ينهى عما يريد. وإن وقع النهي عنه فعلى خلاف الإرادة ـ تعالى الله عن ذلك وبه نستعيذ من جعل القرآن تبعاً للهوى، وحينئذ فنقول: لو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها عليه الصلاة والسلام سوى هذه الآية، لكفى بها؛ فهذا موضع هذه المقالة التي أنطقه الله بها الذي أنطق كل شيء في الآية التي قبل هذه.

أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات، وما خلفهم: من أمر العاقبة، وأن لا بعث ولا حساب. ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ يعني كلمة العذاب ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ جملة أمم. ومثل في هذه ما في قوله [من المنسرح]:

إِنْ تَـكُ عَـنْ أَحْسَـنِ الـصَّـنِـيـعَـةِ مَـأْ فُـوكـاً فَـفِـي آخَـرِيـنَ قَـدْ أُفِـكُـوا[1]

يريد: فأنت في جملة آخرين، وأنت في عداد آخرين لست في ذلك بأوحد. فإن قلت: ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ ما محله؟ قلت: محله النصب على الحال من الضمير في ﴿عليهم﴾ أي: حقّ عليهم القول كائنين في جملة أمم. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب. والضمير لهم وللأمم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قرئ: «والغوا فيه» بفتح الغين وضمها. ويقال: لغى يلغي، ولغا يلغو: واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته. قال: من اللغا ورفث التكلم. والمعنى: لا تسمعوا له إذا قرئ، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والهذيان والزمل[2]، وما أشبه ذلك، حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته. كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضاً. ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يجوز أن يريد بالذين كفروا: هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة، وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم. وقد ذكرنا إضافة أسوأ بما أغنى عن إعادته. وعن ابن عباس ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يوم بدر. و﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ في الآخرة. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الأسوأ، ويجب أن يكون التقدير: أسوأ جزاء الذين كانوا يعملون، حتى تستقيم هذه الإشارة. و ﴿ٱلنَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء. أو خبر مبتدأ محذوف. فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾؟ قلت: معناه أن النار

---

(١) لعروة بن أذينة، يقول: إن تك مأفوكاً ـ أي: مصروفاً ومنقلباً عن أحسن العطاء ـ فلا عجب، فأنت في جملة ناس آخرين قد أفكوا وصرفوا عن الإحسان. ومنه: المؤتفكات، وهي المدن المنقلبة على قوم لوط، وتقول العرب: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض، يعنون: الرياح المختلفة المهاب. ينظر: ديوانه ص ٣٤٣، ولسان العرب: (أفك) (وفيه «عمرو بن أذينه» وهذا تصحيف)، وأساس البلاغة (أفك)، وتاج العروس (أفك)، ومقاييس اللغة: ١/١١٨، ومجمل اللغة: ١/١٩٨، والمخصص: ٣/٤٥، ١٢/١٠٢.

(٢) قوله: «والزمل» الذي في الصحاح «الأزمل» الصوت: والأزمولة ـ بالضم ـ: المصوت من الوعول وغيرها. (ع).

في نفسها دار الخلد، كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] والمعنى: أن رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وتقول: لك في هذه الدار دار السرور. وأنت تعنى الدار بعينها ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أي: جزاء بما كانوا يلغون فيها، فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ أي: الشياطين اللذين أضلانا ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ لأنّ الشيطان على ضربين: جني وإنسي. قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ٥ ـ ٦] وقيل: هما إبليس وقابيل؛ لأنهما سنا الكفر والقتل بغير حق (١٣٦٤). وقرئ: «أرنا» بسكون الراء لثقل الكسرة، كما قالوا في فخذ: فخذ. وقيل: معناه أعطنا اللذين أضلانا. وحكوا عن الخليل: أنك إذا قلت: أرني ثوبك بالكسر، فالمعنى: بصرنيه. وإذا قلته بالسكون، فهو استعطاء، معناه: أعطني ثوبك، ونظيره: اشتهار الإيتاء في معنى الإعطاء. وأصله: الإحضار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿ثُمَّ﴾ لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة. وفضلها عليه؛ لأنّ الاستقامة لها الشأن كله. ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥] والمعنى: ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته. وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: استقاموا فعلاً كما استقاموا قولاً. وعنه: أنه تلاها ثم قال: ما تقولون فيها؟ قالوا: لم يذنبوا. قال: حملتم الأمر على أشدّه. قالوا: فما تقول؟ قال: لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان. وعن عمر رضي الله عنه: استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب. وعن

١٣٦٤ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٠٥)، رقم (٣٠٥١١)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٨٦)، والحاكم (٢/ ١١٠)، كتاب التفسير، باب: إن أول ما يتكلم يوم القيامة من الآدمي فخذه وكفه، جميعهم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعزاه السيوطي في الدرّ المنثور (٥/ ٦٨١) للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

عثمان رضي الله عنه: أخلصوا العمل. وعن علي رضي الله عنه: أدّوا الفرائض. وقال سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، أخبرني بأمر أعتصم به. قال: «قل ربّي الله، ثم استقم» قال: فقلت: ما أخوف ٢/١٥٩أ ما تخاف عليّ؟ فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه فقال: «هذا» (١٣٦٥) ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت بالبشرى. وقيل: البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وإذا قاموا من قبورهم؛ ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ «أن» بمعنى أي. أو مخففة من الثقيلة. وأصله: بأنه لا تخافوا، والهاء ضمير الشأن. وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: لا تخافوا، أي: يقولون: لا تخافوا، والخوف: غمّ يلحق لتوقع المكروه، والحزن: غم يلحق لوقوعه؛ من فوات نافع أو حصول ضارّ. والمعنى: أنّ الله كتب لكم الأمن من كل غمّ، فلن تذوقوه أبداً. وقيل: لا تخافوا ما تقدمون عليه، ولا تحزنوا على ما خلفتم. كما أنّ الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم، فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين. ﴿تَدَّعُونَ﴾ تتمنون: والنزل: رزق النزيل وهو الضيف، وانتصابه على الحال.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو رسول الله ﷺ دعا إلى الإسلام. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فيما بينه وبين ربه، وجعل الإسلام نحلة له. وعنه: أنهم أصحاب رسول الله ﷺ. وعن عائشة رضي الله عنها: ما كنا نشك أنّ هذه الآية نزلت في

١٣٦٥ ـ أخرجه مسلم (١/ ٢٢٢) الأبي) كتاب الإيمان: باب: «جامع أوصاف الإسلام» رقم (٦٢/ ٣٨)، والترمذي (٤/ ٦٠٧) كتاب الزهد: باب «ما جاء في حفظ اللسان» رقم (٢٤١٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤) كتاب الفتن: باب «كف اللسان في الفتنة» رقم (٣٩٧٢)، والدارمي (٢/ ٢٩٨)، كتاب الرقاق: باب «في حفظ اللسان»، وابن حبان (٨/ ٢٣٧ الموارد)، رقم (٢٥٤٣)، ووهم الحاكم وأخرجه (٤/ ٣١٣)، وأخرجه الطبراني (٧/ ٧٨)، رقم (٦٣٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٦٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد»، (٩/ ٢٣٤)، رقم (٤٨٧٧).

وأخرجه ابن حبان (٣/ ٢٢١، ٢٢٢) كتاب الرقائق: باب «الأدعية» ذكر ما يجب على المرء من سؤال الباري تعالى الثبات والاستقامة على ما يُقربه إليه بفضل الله علينا بذلك» رقم (٩٤٢)، بلفظ «قل آمنت بالله. . . الحديث»، وأحمد (٣/ ٤١٣).

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن سفيان بن عبد الله الثقفي.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قلت: «وهو وهم من الحاكم فقد أخرجه مسلم كما بينا في أول التخريج».

والحديث ذكره الهيثمي في «الموارد» لزيادة وقعت عنده وهي: قلت يا رسول الله ما أخوف ما يخاف علي؟ قال: هذا وأشار إلى لسانه. وقال الحافظ: أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد وابن حبان بتمامه، وأصله في مسلم. انتهى.

المؤذنين (١٣٦٦)، وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث: أن يكون موحداً معتقداً لدين الإسلام، عاملاً بالخير داعياً إليه؛ وما هم إلاّ طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد، الدعاة إلى دين الله[(١)]. وقوله: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام، ولكن جعل دين الإسلام مذهبه ومعتقده، كما تقول: هذا قول أبي حنيفة، تريد مذهبه.

﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

يعني: أنّ الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها ـ إذا اعترضتك حسنتان ـ فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك. ومثال ذلك: رجل أساء إليك إساءة، فالحسنة: أن تعفو عنه، والتي هي أحسن: أن تحسن إليه مكان إساءته إليك، مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه، فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاقّ مثل الولي الحميم مصافاة لك. ثم قال: وما يلقى هذه الخليقة أو السجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلاّ أهل الصبر، وإلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير. فإن قلت: فهلا قيل: فادفع بالتي هي أحسن؟ قلت: هو على تقدير قائل قال: فكيف أصنع؟ فقيل: ادفع بالتي هي أحسن. وقيل: (لا) مزيدة. والمعنى: ولا تستوي الحسنة والسيئة. فإن قلت: فكان القياس على هذا التفسير أن يقال: ادفع بالتي هي حسنة، قلت: أجل، ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة؛ ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة؛ لأنّ من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة (١٣٦٧)، وفسر الحظ بالثواب. وعن الحسن رحمه الله: والله ما عظم حظ دون الجنة، وقيل: نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدوًّا مؤذياً لرسول الله ﷺ، فصار وليًّا مصافياً.

١٣٦٦ ـ أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٠٤)، كتاب الآذان والإقامة، باب: في فضل المؤذن وثوابه، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٥/ ٦٨٤) لابن المنذر ولابن مردويه.

١٣٦٧ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١١١)، رقم (٣٠٥٤٤) من طريق علي عن ابن عباس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٨٥) لابن المنذر ولابن أبي حاتم في تفسيرهما.

---

(١) قوله: «العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة» إن أراد بهم المعتزلة سموا أنفسهم بذلك، فلا وجه للتخصيص. (ع).

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾

النزغ والنسغ بمعنى، وهو شبه النخس. والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه ببعثه على ما لا ينبغي. وجعل النزغ نازغاً، كما قيل: جد جدّه. أو أريد: وإما ينزغنك نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر. أو لتسويله. والمعنى: وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من شرّه، وامض على شأنك ولا تطعه.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾

الضمير في ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ لليل والنهار والشمس والقمر؛ لأنّ حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث. يقال: الأقلام بريتها وبريتهنّ: أو لما قال ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ كن في معنى الآيات، فقيل: خلقهنّ. فإن قلت: أين موضع السجدة؟ قلت: عند الشافعي رحمه الله تعالى: ﴿تَعْبُدُونَ﴾ وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها. وعند أبي حنيفة رحمه الله: يسأمون؛ لأنها تمام المعنى، وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب: لعل ناساً منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب، ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله، فنهوا عن هذه الواسطة، وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى خالصاً ٢/١٥٩ب، إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين. ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا إلا الواسطة فدعهم وشأنهم فإن الله عز سلطانه لا يعدم عابداً ولا ساجداً بالإخلاص، وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد، وقوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة. وقرئ: «لا يسأمون» بكسر الياء.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

الخشوع: التذلل والتصاغر، فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها، كما وصفها بالهمود في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ [الحج: ٥] وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربوّ وهو الانتفاخ؛ إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه، وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة(١). وقرئ «وربأت» أي

---

(١) قوله: «في الأطمار الرثة» في الصحاح «الطمر» الثوب الخرق، والجمع: الأطمار. (ع).

ارتفعت؛ لأن النبت إذا همّ أن يظهر ارتفعت له الأرض.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

يقال: ألحد الحافر ولحد، إذا مال عن الاستقامة، فحفر في شق، فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة، وقرئ «يلحدون ويلحدون» على اللغتين. وقوله: ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ وعيد لهم على التحريف.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾

فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ﴾؟ قلت: هو بدل من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [فصلت: ٤٠] والذكر: القرآن؛ لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرّفوا تأويله. ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ أي منيع محمي بحماية الله تعالى، ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ مثل كأن الباطل لا يتطرّق إليه ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به. فإن قلت: أما طعن فيه الطاعنون، وتأوّله المبطلون؟ قلت: بلى، ولكن الله قد تقدّم في حمايته عن تعلق الباطل به بأن قيض قوماً عارضوهم بإبطال تأويلهم وإفساد أقاويلهم، فلم يخلوا طعن طاعن إلا ممحوقاً، ولا قول مبطل إلا مضمحلاً. ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾﴾

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ أي: ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ﴾ ورحمة لأنبيائه ﴿وَذُو عِقَابٍ﴾ لأعدائهم. ويجوز أن يكون: ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل من قبلك، والمقول: هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ﴾ فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته، والغرض: تخويف العصاة.

﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾﴾

كانوا لتعنتهم يقولون: هلا نزل القرآن بلغة العجم، فقيل: لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت. وقالوا: ﴿لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ﴾ أي بينت ولخصت بلسان نفقهه.

﴿ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ﴾ الهمزة همزة الإنكار، يعني: لأنكروا وقالوا: أقرآن أعجمي ورسول عربي، أو مرسل إليه عربي، وقرئ «أعجمي» والأعجمي: الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أي جنس كان، والعجمي: منسوب إلى أمّة العجم. وفي قراءة الحسن (أعجمي) بغير همزة الاستفهام على الإخبار بأن القرآن أعجمي، والمرسل أو المرسل إليه عربي. والمعنى: أنّ آيات الله على أي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتاً؛ لأنّ القوم غير طالبين للحق وإنما يتبعون أهواءهم. ويجوز في قراءة الحسن: هلا فصلت آياته تفصيلاً، فجعل بعضها بياناً للعجم، وبعضها بياناً للعرب. فإن قلت: كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل إليهم وهم أمّة العرب؟ قلت: هو على ما يجب أن يقع في إنكار المنكر لو رأى كتاباً أعجميًا كتب إلى قوم من العرب يقول: كتاب أعجمي ومكتوب إليه عربي؛ وذلك لأن مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه، لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة، فوجب أن يجرّد لما سيق إليه من الغرض، ولا يوصل به ما يخل غرضاً آخر. ألا تراك تقول ـ وقد رأيت لباساً طويلاً على امرأة قصيرة ـ: اللباس طويل واللابس قصير. ولو قلت: واللابسة قصيرة، جئت بما هو لكنة وفضول قول؛ لأنّ الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وأنوثته، إنما وقع في غرض وراءهما. ﴿هُوَ﴾ أي القرآن ﴿هُدٗى وَشِفَآءٞۚ﴾ إرشاد إلى الحق وشفاء ﴿لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ من الظن والشك. فإن قلت: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ﴾ منقطع ٢/ ١٦٠أ عن ذكر القرآن، فما وجه اتصاله به؟ قلت: لا يخلو إما أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ في موضع الجر معطوفاً على قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على معنى قولك: هو للذين آمنوا هدى وشفاء، وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر؛ إلا أنّ فيه عطفاً على عاملين وإن كان الأخفش يجيزه. وإمّا أن يكون مرفوعاً على تقدير: والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر[1] على حذف المبتدأ. أو في آذانهم منه وقر وهو عليهم عمى. وقرئ: «وهو عليهم عم» «وعمى» كقوله تعالى: ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ [هود: ٢٨] ﴿يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ يعني: أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه أسماعهم، فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ٤٥﴾

---

(١) أجاز الزمخشري في الواو في هذه الآية وجهين، أحدهما: أن تكون الواو لعطف الذين على الذين، ووقر على هدى وشفاء، ويكون من العطف على عاملين. قال: وإما أن يكون (والذين) مرفوعاً على تقدير: والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر، على حذف المبتدإ. أو في آذانهم منه وقر. اهـ. قال أحمد: أي وبتقدير الرابط يستغنى عن تقدير المبتدإ.

﴿فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ﴾ فقال بعضهم: هو حق، وقال بعضهم: هو باطل. والكلمة السابقة: هي العدة بالقيامة، وأنّ الخصومات تفصل في ذلك اليوم، ولولا ذلك لقضى بينهم في الدنيا. قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ [القمر: ٤٦] ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى.

﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾

﴿فَلِنَفۡسِهِۦۖ﴾ فنفسه نفع. ﴿فَعَلَيۡهَاۗ﴾ فنفسه ضرّ. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ﴾ فيعذب غير المسيء.

﴿۞إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ٤٧ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٤٨﴾

﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾ أي إذا سئل عنها قيل: الله يعلم. أو لا يعلمها إلا الله. وقرئ: «من ثمرات من أكمامهن»(١). والكم ـ بكسر الكاف ـ وعاء الثمرة، كجف الطلعة، أي: وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به. يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله: من الخداج(٢) والتمام، والذكورة والأنوثة، والحسن والقبح وغير ذلك. ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِي﴾ أضافهم إليه تعالى على زعمهم، وبيانه في قوله تعالى: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢] وفيه تهكم وتقريع. ﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾ أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ﴾ أي ما منا أحد اليوم ـ وقد أبصرنا وسمعنا ـ يشهد بأنهم شركاؤك، أي: ما منا إلا من هو موحد لك، أو ما منا من أحد يشاهدهم؛ لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم، لا يبصرونها في ساعة التوبيخ، وقيل: هو كلام الشركاء، أي: ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة. ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير: أنهم لا ينفعونهم، فكأنهم ضلوا عنهم ﴿وَظَنُّواْ﴾ وأيقنوا. والمحيص: المهرب. فإن قلت: ﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾ إخبار بإيذان كان منهم، فإذ قد آذنوا فلم سئلوا؟ قلت: يجوز أن يعاد عليهم (أين شركائي)؟ إعادة للتوبيخ، وإعادته في القرآن على سبيل الحكاية: دليل على إعادة المحكي. ويجوز أن يكون المعنى: أنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا

---

(١) قوله: «وقرئ من ثمرات من أكمامهن» يفيد أن القراءة المشهورة: من ثمرة من أكمامها. والذي في النسفي: من ثمرات من أكمامها. ومن ثمرة من أكمامها. وأما: من ثمرات من أكمامهن. فهي المزيدة هنا، فحرر. (ع).

(٢) قوله: «من الخداج» أي: النقصان، كما في الصحاح. (ع).

نشهد تلك الشهادة الباطلة؛ لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه. ويجوز أن يكون إنشاء للإيذان ولا يكون إخباراً بإيذان قد كان، كما تقول: أعلم الملك أنه كان من الأمر كيت وكيت.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ من طلب السعة في المال والنعمة. وقرأ ابن مسعود: من دعاء بالخير. ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي الضيقة والفقر ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ بولغ فيه من طريقين: من طريق بناء فعول، ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر، أي: يقطع الرجاء من فضل الله وروحه، وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ **[يوسف: ٨٧]** وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال: ﴿هَٰذَا لِى﴾ أي هذا حق وصل إلي؛ لأني استوجبته بما عندي من خير وفضل وأعمال برّ. أو هذا لي لا يزول عني، ونحوه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ **[الأعراف: ١٣١]** ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ **[الجاثية: ٣٢]** يريد: وما أظنها تكون، فإن كانت على طريق التوهم ﴿إِنَّ لِى﴾ عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة، قائساً أمر الآخرة على أمر الدنيا. وعن بعضهم: للكافر أمنيتان، يقول في الدنيا: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾. ويقول في الآخرة: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾. وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة. فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب. ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها أنهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ **[الفرقان: ٢٣]** وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلباً للافتخار والاستكبار لا غير، وكانوا يحسبون أنّ ما هم عليه سبب الغنى والصحة، وأنهم محقوقون بذلك. /٢/ ١٦٠ب

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾

هذا أيضاً ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة، وكأنه لم يلق بؤساً قط فنسي المنعم وأعرض عن شكره ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أي ذهب بنفسه وتكبر

وتعظم. وإن مسه الضرّ والفقر: أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع. وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الأجرام ويستعار له الطول أيضاً كما استعير الغلظ بشدّة العذاب. وقرئ: «ونأى بجانبه» بإمالة الألف وكسر النون للاتباع. وناء على القلب، كما قالوا: راء في رأى. فإن قلت: حقق لي معنى قوله تعالى: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ قلت: فيه وجهان: أن يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] أن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه، ومنه قوله [من الوافر]:

.... وَنَـفَـيْـتُ عَـنْـهُ مَـقَـامَ الـذِّيـبِ.........(١)

يريد: ونفيت عنه الذئب. ومنه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الرحمن: ٤٦] ومنه قول الكتاب: حضرت فلان ومجلسه، وكتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز، يريدون نفسه وذاته، فكأنه قال: ونأى بنفسه، كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه، وذهبت به الخيلاء كل مذهب، وعصفت به الخيلاء؛ وأن يراد بجانبه: عطفه، ويكون عبارة عن الانحراف والازورار؛ كما قالوا: ثنى عطفه، وتولى بركنه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾

---

(١) وماء قد وردت لأجل أروى عليه الطير كالورق اللجين
ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذيب كالرجل اللعين.
للشماخ: وأروى، اسم محبوبته. واللجين - بفتح اللام وكسر الجيم -: ما يتساقط من الورق من اللجن وهو الدق؛ لأنه يضربه الهوى أو الراعي، فيسقط من الشجر. وذعرت - بفتحتين، أي: أخفت فيه القطا، وخصها لأنها أسبق الطير إلى الماء. ومقام الذيب: إقامته أو محلها، وعبر به كناية عن ذاته، وخصه لأن غالب وروده الماء ليلاً. والرجل اللعين: هو الصورة التي تنصب وسط الزرع على شكل الرجل تطرد عنه الهوام، يقول: ورب ماء قد وردته لأجل محبوبتي، عسى أن تجيء عنده فأراها. ويروى: لوصل أروى، فلعله كان موعدٌ بينهما. وشبه الطير حول الماء بورق الشجر المتساقط في الكدرة والكثرة والانتشار، وهذا يدل على أنه لا يكثر وروده، فيصلح موعداً للوصل. وذعرت - إلى آخره: كناية عن وروده ليلاً، وكالرجل اللعين: حال من ضمير الشاعر، فيفيد أنه سبق القطا والذيب وقعد هناك، أو حال من الذيب، أي: على هيئة مفزعة. وفيه دليل على شجاعة الشاعر وجرأته.
ينظر ديوانه ص ٣٢١، وجمهرة اللغة ص ٩٤٩، وخزانة الأدب. ٣٤٧/٤، ٣٤٨، وشرح المفصل لابن يعيش: ١٣/٣، ولسان العرب (لعن)، والمعاني الكبير: ١٩٤/١، والمنصف ١٠٩/١، ومجالس ثعلب: ٥٤٣/٢، والمحتسب ٣٢٧/١.

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني أن ما أنتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور، وإنما هو قبل النظر واتباع الدليل أمر متحمل، يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده، وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا، فما أنكرتم أن يكون حقًّا وقد كفرتم به. فأخبروني من أضلّ منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فأهلكتم أنفسكم؟ وقوله تعالى: ﴿مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ موضوع موضع منكم، بياناً لحالهم وصفتهم.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني ما يسر الله عز وجل لرسوله ﷺ وللخلفاء من بعده ونصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموماً وفي باحة العرب[1] خصوصاً: من الفتوح التي لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم، ومن الإظهار على الجبابرة والأكاسرة، وتغليب قليلهم على كثيرهم، وتسليط ضعافهم على أقويائهم، وإجرائه على أيديهم أموراً خارجة من المعهود خارقة للعادات؛ ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة، وبسط دولته في أقاصيها، والاستقراء يطلعك ـ في التواريخ والكتب المدوّنة في مشاهد أهله وأيامهم ـ على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علما من أعلام الله وآية من آياته، يقوى معها اليقين، ويزداد بها الإيمان، ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه؛ وما الثبات والاستقامة إلا صفة الحق والصدق، كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور؛ وأن للباطل ريحاً تخفق ثم تسكن، ودولة تظهر ثم تضمحل. ﴿بِرَبِّكَ﴾ في موضع الرفع على أنه فاعل كفى. و﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ بدل منه، تقديره. أو لم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد. ومعناه: أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه، فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد، أي: مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته، فيكفيهم ذلك دليلاً على أنه حق وأنه من عنده، ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة. وقرئ: «في مرية» بالضم

---

(١) قوله: «وفي باحة العرب» أي: ساحتهم. أفاده الصحاح. (ع).

وهي الشك. ﴿مُّحِيطُۢ﴾ عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها، فلا تخفى عليه خافية منهم، وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات» (١٣٦٨).

١٣٦٨ ـ تقدم برقم (٣٤٦)، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من حديث أبي. انتهى.

سورة الشورى

مكية [إلا الآيات ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٧ فمدنية]
وآياتها ٥٣ [نزلت بعد سورة فصلت]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ/ ٢/ ١٦١أ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾

قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما «حم سق». ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾ أي مثل ذلك الوحي. أو مثل ذلك الكتاب يوحي إليك وإلى الرسل ﴿مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ﴾ يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور، وأوحاه من قبلك إلى رسله، على معنى: أن الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن في جميع الكتب السماوية؛ لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الأوّلين والآخرين، ولم يقل: أوحي إليك؛ ولكن على لفظ المضارع؛ ليدل على أن إيحاء مثله عادته. وقرئ: «يوحى إليك» على البناء للمفعول. فإن قلت: فما رافع اسم الله على هذه القراءة؟ قلت: ما دلّ عليه يوحي، كأن قائلاً قال: من الموحي؟ فقيل: الله، كقراءة السلمي: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٧] على البناء للمفعول ورفع شركائهم، على معنى: زينه لهم شركاؤهم. فإن قلت: فما رافعه فيمن قرأ نوحي بالنون؟ قلت: يرتفع بالابتداء. والعزيز وما بعده: أخبار، أو العزيز الحكيم: صفتان؛ والظرف خبر. قرئ: «تكاد» بالتاء والياء. وينفطرن، ويتفطرن. وروى يونس عن أبي عمرو قراءة غريبة «تتفطرن» بتاءين مع النون، ونظيرها حرف نادر، روي في نوادر ابن الأعرابي: الإبل تشممن[1]. ومعناه: يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته، يدل عليه

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: والظاهر أنَّ هذا وَهَمٌ منه؛ لأنَّ ابنَ خالويه قال في شاذ القرآن ما =

مجيئه بعد العلي العظيم. وقيل: من دعائهم له ولداً، كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ [مريم: ٩٠]. فإن قلت: لم قال: ﴿مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾؟ قلت: لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة: فوق السمٰوات، وهي: العرش، والكرسي، وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش، وما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى؛ فلذلك قال: ﴿يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ أي يبتدىء الانفطار من جهتهنّ الفوقانية. أو: لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السمٰوات، فكان القياس أن يقال: ينفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة، ولكنه بولغ في ذلك، فجعلت مؤثرة في جهة الفوق، كأنه قيل: يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دون الجهة التي تحتهنّ، ونظيره في المبالغة قوله عزّ وعلا: ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٠] فجعل الحميم مؤثراً في أجزائهم الباطنة. وقيل: من فوقهنّ: من فوق الأرضين. فإن قلت: كيف صح أن يستغفروا لمن في الأرض وفيهم الكفار أعداء الله؟ وقد قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ١٦١] فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم؟ قلت: قوله: ﴿لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ يدل على جنس أهل الأرض، وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم؛ فيجوز أن يراد به هذا وهذا. وقد دل الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون إلا لأولياء الله وهم المؤمنون، فما أراد الله إلا إياهم. ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة المؤمن: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧] وحكايته عنهم ﴿فَٱغۡفِرۡ

= نصُّهُ: تَنْفَطِرْنَ بالتَّاء والنون يونس عن أبي عمرو. وقال ابن خالويه: وهذا حرف نادر؛ لأنَّ العربَ لا تجمع بين عَلاَمَتَيْ تأنيث لا يقال: النساءُ تَقُمْنَ ولكن يَقُمْنَ ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ﴾ ولا يقال: تُرْضِعْنَ، وقد كان أبو عمرو الزاهد روى في نوادرِ ابن الأعرابي الإِبِلُ تَتَشَمَّمْنَ فأنكرناه، فقد قَوَّاه الآنَ هَذَا.

قال الشيخ: فإنَّ كانت نسخ الزمخشري مُتَّفِقَةً على قوله بتاءين مع النون فهو وهم، وإن كان في بعضها بتاء مع النون كان موافقاً لقول ابن خالويه وكان بتاءين تحريفاً من النساخ، وكذلك كتبهم تَتَفَطَّرْنَ وَتَتَشَمَّمْنَ بتاءين. انتهى. قُلْتُ: كيفَ يستقيم أن يكون كَتْبُهم تَتَشَمَّمْنَ بتاءين وَهْمًا؛ وذلك لأنَّ ابن خالويه أَوْرَدَهُ في معرض الندرة والإنكار حتى تقوى عنده بهذه القراءة؟ وإنما يكون نادراً منكراً بتائين فإنه حينئذٍ يكون مضارعاً مسنداً لضمير الإبل فكان من حقه أن يكون حرف مضارعته ياء منقوطة من أسفل، نحو النساء يقمن فكان ينبغي أن يقال: الإبل يَتَشَمَّمْنَ بالياء من تحت ثم بالتاء من فوق، فمَّا جاء بتاءَين كلاهما من فوق ظهر ندورُه وإنكاره، ولو كان على ما قال الشيخُ: إنّ كتبهم بتاءَين وَهمًا بل كان ينبغي كَتْبُهُ بتاء واحدة. لما كان فيه شذُذٌ ولا إنكار لأنه نظير: النسوةُ تَدَحْرَجْنَ فإنه ماضٍ مسند لضمير الإناث، وكذا لو كُتِبَ بياء من تحت وتاء من فوق لم يكن فيه شُذُوذٌ وَلاَ إنكارٌ، وإنما يجيء الشذوذُ والإنكار إذا كان بتاءَين منقوطتين من فوق؛ إنه سواءٌ قرئ: «تَتَفَطَّرْنَ» بتاءَين أو بتاء ونون؛ فإنه نادرٌ لمَا ذكر ابنُ خالويه، وهذه القراءة لم يُقْرَأْ بها في نظيرها في سورة مريم. انتهى. الدر المصون.

﴿لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧] كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعاً في استغفارهم، فكيف للكفرة. ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار: طلب الحلم والغفران في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا۟﴾ [فاطر: ٤١] إلى أن قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] والمراد: الحلم عنهم وأن لا يعالجهم بالانتقام فيكون عامًّا. فإن قلت: قد فسرت قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ بتفسيرين. فما وجه طباق ما بعده لهما؟ قلت: أما على أحدهما فكأنه قيل: تكاد السمٰوات يتفطرن هيبة من جلاله واحتشاماً من كبريائه، والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفاً بعد صفوف يداومون ـ خضوعاً لعظمته ـ على عبادته وتسبيحه وتحميده، ويستغفرون لمن في الأرض خوفاً عليهم من سطواته. وأما على الثاني: فكأنه قيل: يكدن ينفطرن من إقدام أهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء، والملائكة يوحدون الله وينزهونه عمّا لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها إليه الجاهلون به، حامدين له على ما أولاهم من ألطافه التي علم أنهم عندها يستعصمون، مختارين غير ملجئين، ويستغفرون لمؤمني أهل الأرض الذين تبرءوا من تلك الكلمة ومن أهلها. أو يطلبون إلى ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم؛ لما عرفوا في ذلك من المصالح، وحرصاً على نجاة الخلق، وطمعاً في توبة الكفار والفساق منهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ جعلوا له شركاء وأنداداً ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم ولا رقيب عليهم إلا هو وحده ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد/ ٢/ ١٦١ب بموكل بهم ولا مفوض إليك أمرهم، ولا قسرهم على الإيمان. إنما أنت منذر فحسب.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾

ومثل ذلك ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها: من أنّ الله تعالى هو الرقيب عليهم، وما أنت برقيب عليهم، ولكن نذير لهم؛ لأنّ هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جمة، والكاف مفعول به لأوحينا. و﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من المفعول به، أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي بيّن، لا لبس فيه عليك؛ لتفهم ما يقال لك، ولا تتجاوز حدّ الإنذار. ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر ﴿أَوْحَيْنَآ﴾، أي: ومثل ذلك الإيحاء البين المفهم أوحينا إليك قرآناً عربياً بلسانك ﴿لِّتُنذِرَ﴾ يقال: أنذرته كذا وأنذرته بكذا. وقد

عدى الأوّل، أعني: لتنذر أمّ القرى، إلى المفعول الأول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع إلى المفعول الثاني. ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أهل أمّ القرى كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من العرب. وقرئ «لينذر» بالياء والفعل للقرآن ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ يوم القيامة، لأنّ الخلائق تجمع فيه. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩] وقيل: يجمع بين الأرواح والأجساد. وقيل: يجمع بين كل عامل وعمله. و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراض لا محل له[1]. قرئ «فريق» وفريق؛ بالرفع والنصب، فالرفع على: منهم فريق، ومنهم فريق. والضمير للمجموعين؛ لأن المعنى: يوم جمع الخلائق. والنصب على الحال منهم، أي: متفرّقين، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الروم: ١٤]. فإن قلت: كيف يكونون مجموعين متفرّقين في حالة واحدة؟ قلت: هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم، كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرّقين في مسجدين. وإن أريد بالجمع: جمعهم في الموقف، فالتفرّق على معنى مشارفتهم للتفرّق.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾

﴿لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي مؤمنين كلهم على القسر والإكراه، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩] والدليل على أنّ المعنى هو الإلجاء إلى الإيمان. قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ﴾ بإدخال همزة الإنكار على المكره دون فعله. دليل على أنّ الله وحده هو القادر على هذا الإكراه دون غيره. والمعنى: ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعاً على الإيمان[2]، ولكنه شاء مشيئة حكمة، فكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون؛ ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء. ألا ترى إلى وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾

---

(١) قوله: «لا محل له» لعله. لا محل له من الإعراب. (ع).

(٢) قوله: «لقسرهم جميعاً على الإيمان» هذا عند المعتزلة: أما عند أهل السنة، فالإرادة تستلزم وجود المراد، لكن لا تستلزم القسر والجبر للعباد؛ لأنها لا تنافي الاختيار، لما لهم في أعمالهم من الكسب. وإن كانت مخلوقة له تعالى. وأما التي لا تستلزم المراد وهي التي سماها مشيئة الحكمة، فهي التي بمعنى الأمر عند المعتزلة، ولا يثبتها أهل السنة، كما تقرر في التوحيد؛ فمعنى الآية: ولو شاء ربك إيمان الكل لآمن الكل، ولكن شاء إيمان البعض، فآمن من شاء إيمانه.

معنى الهمزة في ﴿أَمِ﴾ الإنكار، ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ هو الذي يجب أن يُتولّى وحده ويُعْتَقَد أنه المولى والسيد، فالفاء في قوله: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ جواب شرط مقدّر، كأنه قيل بعد إنكار كل ولي سواه: إن أرادوا وليًا بحق، فالله هو الولي بالحق، لا وليّ سواه. ﴿وَهُوَ يُحْيِ﴾ أي: ومن شأن هذا الولي أنه يحيى ﴿ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فهو الحقيق بأن يتخذ وليًا دون من لا يقدر على شيء.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين. أي: ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين، فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين، فحكم ذلك المختلف فيه مفوّض إلى الله تعالى، وهو إثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين، ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الحاكم بينكم هو ﴿ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في ردّ كيد أعداء الدين، ﴿وَإِلَيْهِ﴾ أرجع في كفاية شرهم. وقيل: وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله ﷺ، ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره، كقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] وقيل: وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه إلى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله ﷺ وقيل: وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه، فقولوا: الله أعلم، كمعرفة الروح. قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]: فإن قلت: هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في أحكام الشريعة؟ قلت: لا؛ لأنّ الاجتهاد لا يجوز بحضرة رسول الله ﷺ.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قرئ بالرفع والجر، فالرفع على أنه أحد أخبار ذلكم. أو خبر مبتدأ محذوف، والجرّ على: فحكمه إلى الله فاطر السمٰوات، و﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إلى ﴿أُنِيبُ﴾ اعتراض بين الصفة والموصوف ﴿جَعَلَ لَكُم﴾ خلق/ ٢/ ١٦٢أ لكم ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من جنسكم من الناس ﴿أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: خلق من الأنعام أزواجاً. ومعناه: وخلق للأنعام أيضاً من أنفسها أزواجاً ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يكثركم، يقال: ذرأ الله الخلق: بثهم وكثرهم. والذر، والذرو، والذرء: أخوات. ﴿فِيهِ﴾ في هذا التدبير، وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجاً، حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل. والضمير في ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يرجع إلى المخاطبين والأنعام، مغلباً فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل، وهي من

الأحكام ذات العلتين[1]، فإن قلت: ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير؟ وهلا قيل: يذرؤكم به؟ قلت: جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير؛ ألا تراك تقول: للحيوان في خلق الأزواج تكثير، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] قالوا: مثلك لا يبخل، فنفوا البخل عن مثله، وهم يريدون نفيه عن ذاته، قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية؛ لأنهم إذا نفوه عمن يسدّ مسدّه وعمن هو على أخص أوصافه، فقد نفوه عنه. ونظيره قولك للعربي: العرب لا تخفر الذمم، كان أبلغ[2] من قولك: أنت لا تخفر. ومنه قولهم: قد أيفعت لداته وبلغت أترابه، يريدون: إيفاعه وبلوغه. وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب: «ألا وفيهم الطيب الطاهر[3] لذاته»

---

(١) قال محمود: «إن الضمير المتصل بيذرؤ عائد على الأنفس وعلى الأنعام مغلباً فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل، وهي من الأحكام ذات العلتين» قال أحمد: الصحيح أنهما حكمان متباينان غير متداخلين، أحدهما: مجيئه على نعت ضمير العقلاء أعم من كونه مخاطباً أو غائباً. والثاني: مجيئه بعد ذلك على نعت الخطاب، فالأول لتغليب العقل. والثاني لتغليب الخطاب.

(٢) قوله: «لا تخفر الذمم كان أبلغ» في الصحاح: أخفرته، إذا نقضت عهده وغدرت به، وفيه: «أيفع الغلام» أي: ارتفع: وهو يافع، ولا نقول: موفع. وقوله: «كان أبلغ» لعل تقديره: فإن قلت له ذلك كان أبلغ. (ع)

(٣) قال محمود: «تقول العرب: مثلك لا يبخل، فينفون البخل عن مثله، والمراد نفسه. ونظيره قولك للعربي: العرب لا تخفر الذمم. ومنه قولهم: قد أيفعت لداته وبلغت أترابه. وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب: ألا وفيهم الطيب الطاهر لذاته، تريد طهارته وطيبه، فإذا علم أنه من باب الكناية: لم يكن فرق بين قولك: ليس كالله شيء وبين قوله: ليس كمثله شيء، إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها. ونحوه قوله تعالى: (بل يداه مبسوطتان) فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يدٍ ولا بسط؛ لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون بها شيئاً آخر، حتى أنهم يستعملونها فيمن لا بد له؛ فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل، وفيمن لا مثل له، ثم قال: ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررت في قول من قال: «وصاليات ككما يؤثفين».
ومن قال: «فأصبحت مثل كعصف مأكول» انتهى كلامه. قال أحمد: هذا الوجه الثاني مردود على ما فيه من الإخلال بالمعنى، وذلك أن الذي يليق هنا تأكيد نفي المماثلة، والكاف على هذا الوجه إنما تؤكد المماثلة وفرق بين تأكيد المماثلة المنفية، وبين تأكيد نفي المماثلة، فإن نفي المماثلة المهملة عن التأكيد أبلغ وآكد في المعنى من نفي المماثلة المقترنة بالتأكيد؛ إذ يلزم من نفي المماثلة غير المؤكدة نفي كل مماثلة. ولا يلزم من نفي مماثلة محققة متأكدة بالغة نفي مماثلة دونها في التحقيق والتأكيد. وحيث وردت الكاف مؤكدة للمماثلة وردت في الإثبات فأكدته، فليس النظر في الآية بهذين النظرين مستقيماً والله أعلم. ومما يرشد إلى صحة ما ذكرته أن للقائل أن يقول: ليس زيد شبيهاً بعمرو؛ لكن مشبهاً له، ولو عكس هذا لم يكن صحيحاً، وما ذاك إلا أنه يلزم من نفي أدنى المشابهة نفي أعلاها، ولا يلزم من نفي أعلاها نفي أدناها، فمتى أكد التشبيه قصر عن المبالغة. والوجه الأول الذي ذكره هو الوجه في الآية عنده، وأتى بمطية الضعف في هذا الوجه الثاني بقوله: ولك أن تزعم، فافهم.

(١٣٦٩) والقصد إلى طهارته وطيبه، فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله: ليس كالله شيء، وبين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها، وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد: وهو نفي المماثلة عن ذاته، ونحوه قوله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] فإن معناه: بل هو جواد من غير تصوّر يد ولا بسط لها؛ لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئاً آخر، حتى إنهم استعملوها فيمن لا يد له، فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له، ولك أن تزعم أنّ كلمة التشبيه كرّرت للتأكيد، كما كرّرها من قال [من الرجز]:

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنَ(١)

١٣٦٩ ـ أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٢٤/ ٢٥٩)، حديث برقم (٦٦١)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٧٢)، قال الحافظ: رواه ابن عبد الرحمن بن موهب حليف بني زهرة عن أبيه: حدثني مخرمة بن نوفل بحديث سقيا عبد المطلب لكن ليس فيه الطيب الطاهر لذاته، ورواه الطبراني، وأبو نعيم في الدلائل من حديث عروة بن مصرف عن مخرمة بن نوفل عن أمه رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم، وكانت لدة عبد المطلب قال: تتابعت على قريش سنون الحديث بطوله «ورويناه في جزء أبي السكين (تنبيه) وقع رقيقة بنت صيفي والصواب بنت أبي صيفي. انتهى».

---

(١)
لم يبق من آي بها يحلين غير رماد وعظام كشفين
وغير ود جازل أو ودين وصاليات ككما يؤثفين

لخطام المجاشعي. والآي: واحدة آية، أي: علامة. ويحلين: مضارع مبني للمجهول، من حليته تحلية: إذا وصفت حليته وصفته. يقول: لم يبق من آثار هذه الديار علامات فيها تذكر صفتها غير رماد وعظام متكاثفين متراكمين. والكثف ـ بالتحريك ـ: كسبب: المجتمع، فلعله سكنه للوزن. وروي: غير رماد وخطام كثفين. والخطام: الزمام. ويروى بالمهملة، وهو ما تحطم وتكسر من الحطب اليابس. والكثف ـ كحمل: وعاء الرعي فكثفين على حذف العاطف. وقيل بدل مما قبله، والأوجه روايته، وخطام كثفين بالإضافة؛ لأجل موافقة القوافي أي: ورباط وعامين، وكرر أداة الاستثناء للتوكيد. والود: أصله وتد، فقلبت التاء دالاً وأدغمت في الأخرى عند تميم شذوذاً. والجادل: المنتصب والغليظ، أي: لم يبق غير وتد منتصب بها أو وتدين لا غير، حيث لم يشك إلا في ذلك. والصاليات صفة للأثافي. وقيل: صفة للنساء الموقدات للنار: وقيل: صفة للخيل الصاليات للحرب كالأثافي الصاليات للنار، لكنهما لا يناسبان وصف الدار بالخلو. والأثفية: حجر الكانون، وزنها: أفعولة في الأصل، وجمعها أثافي. وأثفيت للقدر: وضعت الأثافي لها. وثفيتها تثفية: وضعتها على الأثافي. وقوله: يؤثفين مضارع مبني للمجهول، جاء على الأصل مهموزاً، كيؤكر من بالهمزة، وهذا يدل على أن الصاليات صفة للأحجار الملازمات للنار المحترقات بها؛ فلعله شبه النساء بالأثافي لدمامتهن وسوادهن، بكثرة الدخان وملازمتهن النار. وعليه فالمعنى: ونساء صاليات كالأحجار تثفي وتوضع للقدر؛ فما موصولة واقعة على الأحجار لا مصدرية ولا كافة؛ وكرر كاف التشبيه للتوكيد، لكن الثانية اسم بمعنى مثل؛ لأن حرف الجر لا يدخل على مثله. ويمكن أنه كرر الحرف من غير إعادة المجرور شذوذاً. ويروى بعد قوله: وصاليات... الخ. =

ومن قال [من الرجز]:

فَأَصْبَحَتْ مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولْ(1)

= لا يشتكين عملاً ما أنقين   ما دام مخ في سلامى أو عين

وهو يناسب القول بأنها صفة للنساء أو الخيل على التشبيه السابق. والإنقاء: كثرة النقي بالكسر وهو المخ. يقال: أنقت الإبل إذا سمنت وكثر مخها، أي: لا يشتكين عملاً مدة إنقائهن وسمنهن، وفسر ذلك بقوله: ما دام مخ... الخ والسلاميات: عظام الأصابع وهي والعين آخر ما يبقى فيه المخ. ويروى أيضاً هكذا:

أهل عرفت الدار بالغريين   وصاليات ككما يؤثفين؟

والغريان: بناءان طويلان، يقال: هما قبرا مالك وعقيل: نديمي جذيمة الأبرش؛ سميا بذلك لأن النعمان كان يغريهما بمن يريد قتله إذا خرج يوم بؤسه. والأشبه أن ذلك من تخليط الراوي، وأن الصاليات: الأحجار. وقوله: «لا يشتكين... الخ» ليس من هذا الرجز، فلا ينبغي روايته معه، وهو الذي من صفة الخيل، أو أصل النساء لا الصاليات، ويجوز أن الرجز هكذا:

أهل عرفت الدار بالغريين   لم يبق من آي بها يلين

وأن قوله: «لا يشتكين... الخ» من موضع آخر من ذلك الرجز في صفة الخيل، كما رواه صاحب الكافي شاهداً على الإكفاء في القافية هكذا:

بنات وطاء على خد الليل   لا يشتكين عملاً ما أنقين

لاختلاف حرفي الروي، والوطاء - بالضم والتشديد -: من الوطء على الأرض. وخد الليل: طريقه الذي لا يسلك إلا فيه. وقال بعضهم: إن هذا في صفة الخيل، وأنه من مشطور المنسرح الموقوف. وعلى أنه في صفة أجل، أي: فلك المطايا بنات نوق أو فحول، وطاء: جمع واطىء أو واطئة، على خد الليل: كناية عن قوتهن في السير، حتى كأنهن يغلبن الليل، فيصرعنه ويطأن على خده، فهن لا يبالين به.

ينظر البيت في لسان العرب (رنب)، (ثفا)، وتهذيب اللغة ١٥/ ١٤٩، وتاج العروس (ثفا)، (غرا)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٠٣٦، وكتاب العين ٨/ ٢٤٥، ومقاييس اللغة ١/ ٥٨، والمخصّص ٨/ ٧٦، ١٤/ ٤٩، ٦٤، ١٦/ ١٠٨، وديوان الأدب ٢/ ٣٣٥، ولسان العرب (أثف).

(1) بالأمس كانت في رخاء مأمول   فأصبحت مثل كعصف مأكول

يروى لرؤبة بدله:

ولعب طير بهم أبابيل   فصيروا مثل كعصف مأكول

يقول: بالأمس، أي: في الزمن الماضي القريب، كانت تلك الديار مثلاً في رخاء، أي: خصب وسعة من الثروة والغنى، مأمول ذلك، أي: متمنى للناس، وكرر كلمة التشبيه للتوكيد، والعصف: ما على الحب وعلى ساق الزرع من التين والورق اليابس، مأكول: أي أصابه الأكال، وهو الدود. وأكلته الدواب ثم راثته. وأبابيل، بمعنى جماعات متفرقة، صفة طير، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه. وقيل: واحده أبول كعجول. وقيل: إبال كمفتاح. وقيل إبيل كمسكين. وقول رؤبة «صيروا» بالتشديد والبناء للمجهول، ولعل هذا رجز غير ذاك.

لرؤبة في ملحق ديوانه ص ١٨١، وخزانة الأدب ١٠/ ١٦٨، ١٧٥، ١٨٤، ١٨٩، وشرح التصريح ١/ ٢٥٢، وشرح شواهد المغني ١/ ٥٣، والمقاصد النحويّة ٢/ ٤٠٢، ولحميد الأرقط في الدرر ٢/ ٢٥٠، والكتاب ١/ ٤٠٨، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٢/ ٥٢، والجنى الداني ص ٩٠، وخزانة =

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢﴾

وقرئ: «ويقدّر» ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ فإذا علم أنّ الغنى خير للعبد أغناه، وإلا أفقره.

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء، ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ والمراد: إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه، وبيوم الجزاء، وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً، ولم ترد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها، فإنها مختلفة متفاوتة. قال الله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨] ومحل ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ﴾ إما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه، وإما رفع على الاستئناف، كأنه قيل: وما ذلك المشروع؟ فقيل: هو إقامة الدين، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الأنبياء: ٩٢]. ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ عظم عليهم وشق عليهم ﴿مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ من إقامة دين الله والتوحيد. ﴿يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ﴾ يجتلب إليه ويجمع ـ والضمير للدين بالتوفيق والتسديد ـ ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من ينفع فيهم توفيقه ويجرى عليهم لطفاً.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ يعني أهل الكتاب بعد أنبيائهم ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ﴾ أن علموا أنّ الفرقة ضلال وفساد، وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء. ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ وهي عدة التأخير إلى يوم القيامة ﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ حين افترقوا لعظم ما اقترفوا. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الشورى: ١٤] وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ ﴿لَفِي شَكّٖ﴾ من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان. وقيل: كان الناس أمّة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الأرض أجمعين بالطوفان، فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم، وذلك حين بعث الله إليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم. وإنما اختلفوا للبغي بينهم. وقيل: وما تفرّق أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث

= الأدب ٧/ ٧٣، ورصف المباني ص ٢٠١، وسرّ صناعة الإعراب ص ٢٩٦، وشرح الأشموني ١/ ١٥٨، ولسان العرب (عصف)، ومغني اللبيب ١/ ١٨٠، والمقتضب ٤/ ١٤١، ٣٥٠، وهمع الهوامع ١/ ١٥٠، وتاج العروس (عصف).

رسول الله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ [البينة: ٤] وإنّ الذين «أورثوا» الكتاب من بعدهم هم المشركون الذين أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل. وقرئ «ورّثوا» وورثوا.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعباً ﴿فَٱدْعُ﴾ إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية/ ٢/ ١٦٢ب القديمة، ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ عليها وعلى الدعوة إليها كما أمرك الله، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ المختلفة الباطلة بما أنزل الله من كتاب، أيّ كتاب صحّ أنّ الله أنزله، يعني الإيمان بجميع الكتب المنزلة؛ لأنّ المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض، كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠] إلى قوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١] ﴿لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في الحكم إذا تخاصمتم فتحاكمتم إليّ. ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي لا خصومة. لأنّ الحق قد ظهر وصرتم محجوبين به فلا حاجة إلى المحاجة. ومعناه: لا إيراد حجة بيننا؛ لأنّ المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته. ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم القيامة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم؛ وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والإلزام. فإن قلت: كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والإجلاء؟ قلت: المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ يخاصمون في دينه ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ ما استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام؛ ليردّوهم إلى دين الجاهلية، كقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: ١٠٩] كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم[١] وأولى بالحق. وقيل: من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الإسلام. ﴿دَاحِضَةٌ﴾ باطلة زالة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا

(١) قوله: «ونحن خير منكم» لعله: «فنحن» كعبارة النسفي.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي جنس الكتاب، ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ والعدل والتسوية. ومعنى إنزال العدل: أنه أنزله في كتبه المنزلة. وقيل: الذي يوزن به. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: ملتبساً بالحق، مقترناً به، بعيداً من الباطل، أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة. أو بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك، ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ في تأويل البعث؛ فلذلك قيل: ﴿قَرِيبٌ﴾ أو لعل مجيء الساعة قريب. فإن قلت: كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع إنزال الكتاب والميزان؟ قلت: لأنّ الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط، فكأنه قيل: أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم، ويوفي لمن أوفى ويطفف لمن طفف. المماراة: الملاجة(1)؛ لأنّ كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه ﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ من الحق: لأنّ قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله، ولدلالة الكتاب المعجز على أنها آتية لا ريب فيها، ولشهادة العقول على أنه لا بدّ من دار الجزاء.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾

﴿لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ برّ بليغ البرّ بهم، قد توصّل برّه إلى جميعهم، وتوصل من كل واحد منهم إلى حيث لا يبلغه، وهم أحد من كلياته وجزئياته. فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ بعد توصل برّه إلى جميعهم؟ قلت: كلهم مبرورون لا يخلو أحد من برّه، إلا أنّ البرّ أصناف، وله أوصاف. والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير، فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر، ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه، فمن قسم له منهم ما لا يقسم للآخر فقد رزقه، وهو الذي أراد بقوله تعالىٰ: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢١٢] كما يرزق أحد الأخوين ولداً دون الآخر، على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد. ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ الباهر القدرة، الغالب على كل شيء، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ المنيع الذي لا يغلب.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾

سمى ما يعمله العامل مما يبغي به الفائدة والزكاء حرثاً على المجاز. وفرق بين عملي العاملين: بأن من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته، ومن كان عمله للدنيا

(١) قوله: «الملاجة» بالجيم: التمادي في الخصومة، ويمري: أي يستخرج، كذا في الصحاح. (ع)

أعطى شيئاً منها لا ما يريده ويبتغيه. وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة، ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب، على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة؛ للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

معنى الهمزة في ﴿أَمْ﴾ التقرير والتقريع. وشركاؤهم: شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا؛ لأنهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين، وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر به، وقيل: شركاؤهم أوثانهم، وإنما أضيفت إليهم لأنهم متخذوها شركاء لله/ ٢/ ١٦٣أ، فتارة تضاف إليهم لهذه الملابسة. وتارة إلى الله؛ ولما كانت سبباً لضلالتهم وافتتانهم: جعلت شارعة لدين الكفر، كما قال إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء، أو: ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين الكافرين والمؤمنين، أو بين المشركين وشركائهم. وقرأ مسلم بن جندب «وأنّ الظالمين» بالفتح عطفاً له على كلمة الفصل، يعني: ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا.

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في الآخرة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين خوفاً شديداً أرق قلوبهم ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ من السيئات، ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ يريد: ووباله واقع بهم وواصل إليهم لا بدّ لهم منه، أشفقوا أو لم يشفقوا. كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها. ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ منصوب بالظرف لا بـ ﴿يَشَآءُونَ﴾. قرئ: «يبشر» من بشره. ويبشر من أبشره. ويبشر، من بشره. والأصل: ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده، فحذف الجار، كقوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ثم حذف الراجع إلى الموصول، كقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١] أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده[١]. روي أنه

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وليس بظاهر إذ لم يتقدم في هذه السورة لفظ البشري، ولا ما يدل عليه من بشر أو شبهه، انتهى. الدر المصون.

اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض: أترون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً؟ فنزلت الآية: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يجوز أن يكون استثناء متصلاً، أي: لا أسألكم أجراً إلا هذا، وهو أن تودوا أهل قرابتي؛ ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة؛ لأنّ قرابته قرابتهم، فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة. ويجوز أن يكون منقطعاً، أي: لا أسألكم أجراً قط، ولكنني أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم. فإن قلت: هلا قيل: إلا مودّة القربى: أو إلا المودة للقربى. وما معنى قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]؟ قلت: جعلوا مكاناً للمودة ومقرًا لها، كقولك: لي في آل فلان مودّة، ولي فيهم هوى وحب شديد، تريد: أحبهم وهم مكان حبي ومحله، وليست (في) بصلة للمودَّة، كاللام إذا قلت: إلا المودّة للقربى. إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك: المال في الكيس. وتقديره: إلا المودّة ثابتة في القربى ومتمكنة(١) فيها. والقربى: مصدر كالزلفى والبشرى، بمعنى: قرابة. والمراد في أهل القربى. وروي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «عليّ وفاطمة وابناهما» (١٣٧٠) ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه: شكوت إلى رسول الله ﷺ حسد الناس لي. فقال: «أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أوّل من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذريتنا خلف أزواجنا (١٣٧١) وعن

١٣٧٠ ـ أخرجه الطبراني في معجمه (١١/ ٤٤٤)، حديث (١٢٢٥٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠١)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن حاتم، وابن مردويه والطبراني، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٣٤)، وزاد نسبته إلى كتاب مناقب الشافعي للحاكم.
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبراني، وابن أبي حاتم، والحاكم في مناقب الشافعي من رواية حسين الأشقر عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وحسين ضعيف ساقط، وقد عارضه مما هو أولى منه؛ ففي البخاري من رواية طاوس عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية؛ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ؛ فقال ابن عباس: عجلت. إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلاّ كان له فيهم قربة ـ الحديث»، قلت: وأخرج سعيد بن منصور من طريق الشعبي قال: «أكثروا علينا في هذه الآية. فكتبنا إلى ابن عباس فكتب ـ فذكر نحوه» وابن طاوس أتم منه. انتهى.
١٣٧١ ـ أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١/ ٣١٩)، حديث برقم (٩٥٠)، وذكره القرطبي (١٦/ ١٦)، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٣٥)، وزاد نسبته إلى الثعلبي.

=

---

(١) قال محمود: «إن قلت هلا قيل: إلا مودة القربى. أو: إلا المودة للقربى. وأجاب بأنهم جعلوا مكاناً للمودة ومقرًا لها، كقولك: لي في آل فلان هوى وحب شديد، وليس (في) صلة للمودة، كاللام إذا قلت: إلا المودة للقربى؛ وإنما هي متعلقة بمحذوف تقديره: إلا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها، قال أحمد: وهذا المعنى هو الذي قصد بقوله في الآية التي تقدمت؛ إن قوله: (يذرؤكم فيه)، إنما جاء عوضاً من قوله: يذرؤكم به، فافهمه.

النبي ﷺ: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة» (١٣٧٢) وروي: أنّ الأنصار قالوا: فعلنا وفعلنا، كأنهم افتخروا، فقال عباس أو ابن عباس رضي الله عنهما: لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتاهم في مجالسهم فقال: «يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي»؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي»؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «أفلا تجيبونني»؟ قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: «ألا تقولون: ألم يخرجك قومك فآويناك؟ أو لم يكذبوك فصدقناك؟ أو لم يخذلوك فنصرناك؟» قال: فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله. فنزلت الآية (١٣٧٣). وقال رسول الله ﷺ: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً (١٣٧٤)، ألا ومن مات على

= وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الكديمي عن ابن عائشة بسنده عن علي رضي الله عنه ورواه الطبراني من حديث أبي رافع أن النبي ﷺ قال لعلي: إن أول أربعة يدخلون الجنة ـ فذكره وسنده واحد». انتهى.

١٣٧٢ ـ ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ١٦)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٢٥ ـ ٢٣٣ ـ ٢٥٩) حديث (٢٣٦) (٢٤٠٧) (٢٥٢٤)، وقال: أخرجه الطبراني في الأوسط عن عثمان بن عفان، قال رسول الله ﷺ: «من صنع إلى أحد من ولد عبد المطلب يداً فلم يكافئه بها في الدنيا فهي مكافأته غداً إذا لقيني».
وللثعلبي في تفسيره بسند به بعض الكذابين على رفعه «من اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها إذا لقيني يوم القيامة».
ورواه الجعابي في تاريخ الطالبين بلفظ: «من اصطنع معروفاً إلى أحد من أهل بيتي يداً كافأته عنها يوم القيامة، وقد بينه السخاوي في استجلاء وارتقاء الغرف».
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي من حديث علي رضي الله عنه وفيه عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه وهو كذاب. انتهى.

١٣٧٣ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ١٤٤)، حديث برقم (٣٠٦٧٨)، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٥١٥)، حديث (٣٨٧٦)، وذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ١٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠١)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٣٧)، وزاد نسبته إلى الثعلبي.
قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن يزيد بن أبي زياد إلاّ عبد السلام بن حرب، تفرد به عبد المؤمن بن علي.
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني في الأوسط كلهم من حديث ابن عباس، وفيه يزيد بن زياد وهو ضعيف. انتهى.

١٣٧٤ ـ قال الحافظ: أخرجه الثعلبي أخبرنا عبد الله بن محمد بن علي البلخي ثنا يعقوب بن يوسف بن إسحاق ثنا محمد بن أسلم ثنا يعلى بن عبيد عن إسماعيل بن قيس عن جرير ـ بطوله وأثار الوضع عليه لائحة ومحمد وما فوقه أثبات والآفة فيه ما بين الثعلبي ومحمد. انتهى.

حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب[1] بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد/ ٢/ ١٦٣ب لم يشم رائحة الجنة» وقيل: لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله ﷺ وبينهم قربى، فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت. والمعنى: إلا أن تودوني في القربى، أي: في حق القربى أو من أجلها، كما تقول: الحب في الله والبغض في الله، بمعنى: في حقه ومن أجله، يعني: أنكم قومي وأحق من أجابني وأطاعني، فإذ قد أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا عليّ. وقيل: أتت الأنصار رسول الله ﷺ بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله: قد هدانا الله بك وأنت ابن أختنا وتعروك نوائب وحقوق ومالك سعة، فاستعن بهذا على ما ينوبك، فنزلت، وردّه (١٣٧٥). وقيل ﴿الْقُرْبَىٰ﴾: التقرب إلى الله تعالى، أي: إلا أن تحبوا الله ورسوله في تقرّبكم إليه بالطاعة والعمل الصالح. وقرئ: «إلا مودّة في القربى» ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ عن السدّي أنها المودّة في آل رسول الله ﷺ، نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومودّته فيهم. والظاهر: العموم في أي حسنة كانت؛ إلا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودّة في القربى: دل ذلك على أنها تناولت المودّة تناولاً أوّليًا، كأنّ سائر الحسنات لها توابع. وقرئ «يزد» أي: يزد الله. وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها، كقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقرئ: «حسنى» وهي مصدر كالبشرى، الشكور في صفة الله:

١٣٧٥ ـ أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٦/ ٣٥٤) حديث برقم (٥٧٥٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠١) وزاد نسبته إلى ابن مردويه، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٣٩)، وزاد نسبته إلى ابن مردويه والثعلبي والواحدي في أسباب النزول. قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن عثمان أبي اليقظان إلا نصير بن زياد، تفرد به حسين الأشقر.
قال الزيلعي: غريب، وقال الحافظ ابن حجر: ذكره الثعلبي والواحدي في الأسباب عن ابن عباس بغير سند. ويشبه أن يكون عن الكلبي عن أبي صالح عنه. وروى الطبراني من طريق عثمان أبي اليقظان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وأخرجه ابن مردويه عنه. انتهى.

---

(١) قوله: «مكتوب بين عينيه» لعله: مكتوباً.

مجاز للاعتداد بالطاعة، وتوفيه ثوابها، والتفضل على المثاب

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤)﴾

﴿أَمْ﴾ منقطعة. ومعنى الهمزة فيه التوبيخ[١]، كأنه قيل: أيتمالكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء، ثم إلى الافتراء على الله الذي هو أعظم الفرى وأفحشها. ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ فإن يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم، حتى تفتري عليه الكذب فإنه لا يجترىء على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم، وهذا الأسلوب مؤدّاه استبعاد الافتراء من مثله، وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم. ومثال هذا: أن يخوّن بعض الأمناء فيقول: لعل الله خذلني، لعل الله أعمى قلبي، وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب. وإنما يريد استبعاد أن يخوّن مثله، والتنبيه على أنه ركب من تخوينه أمر عظيم، ثم قال: ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق. ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾[٢] [الأنبياء: ١٨] يعني: لو كان مفترياً كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه. ويجوز أن يكون عدة لرسول الله ﷺ بأنه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب، ويثبت الحق الذي أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مردّ له من نصرتك عليهم، إنّ الله عليم بما في صدرك وصدورهم، فيجري الأمر على حسب ذلك. وعن قتادة ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي، يعني: لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك، وقيل ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: يربط عليه بالصبر، حتى لا يشق عليك أذاهم. فإن قلت: إن كان قوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ كلاماً مبتدأ غير معطوف على يختم، فما بال الواو ساقطة في الخط؟ قلت: كما سقطت في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ [الإسراء: ١١] وقوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨)﴾ [العلق: ١٨] على أنها مثبتة في بعض المصاحف.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥)﴾

يقال: قبلت منه الشيء، وقبلته عنه. فمعنى قبلته منه: أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه. ومعنى: قبلته عنه: عزلته عنه وأبنته عنه. والتوبة: أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعاود؛ لأنّ المرجوع عنه قبيح وإخلال

---

(١) قوله: «ومعنى الهمزة فيه للتوبيخ» لعله: فيها.

(٢) قوله: «من البهت» أي: إتهام الإنسان بما ليس فيه.

بالواجب. وإن كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التقصي على طريقه، وروى جابر أن أعرابيًا دخل مسجد رسول الله ﷺ وقال: اللَّهم إني أستغفرك وأتوب إليك، وكبر، فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله عنه: يا هذا، إنّ سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين، وتوبتك تحتاج إلى التوبة. فقال: يا أمير المؤمنين، وما التوبة؟ قال: اسم يقع على ستة معان: على الماضي من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، وردّ المظالم، وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته. ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ عن الكبائر إذا تيب عنها، وعن الصغائر إذا اجتنبت الكبائر. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾. قرئ بالتاء والياء، أي: يعلمه فيثيب على حسناته، ويعاقب على سيئاته.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾/ ٢/ ١٦٤أ أي يستجيب لهم، فحذف اللام كما حذف في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣] أي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلاً، أو إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم. وقيل: الاستجابة: فعلهم، أي يستجيبون له بالطاعة إذا دعاهم إليها. ﴿وَيَزِيدُهُم﴾ هو ﴿مِّن فَضْلِهِۦ﴾ على ثوابهم. وعن سعيد بن جبير: هذا من فعلهم: يجيبونه إذا دعاهم. وعن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له: ما بالنا ندعو فلا نجاب؟ قال: لأنه دعاكم فلم تجيبوه، ثم قرأ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿لَبَغَوْاْ﴾ من البغي وهو الظلم، أي: لبغى هذا على ذاك، وذاك على هذا؛ لأنّ الغنى مبطرة مأشرة[(١)]، وكفى بحال قارون عبرة. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام:

«أخوف ما أخاف على أمّتي زهرة الدنيا وكثرتها» (١٣٧٦) ولبعض العرب [من الطويل]:

١٣٧٦ ـ أخرجه ابن جرير الطبري (١١/ ١٤٩). حديث (٣٠٦٩٨)، عن قتادة، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٤)، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٣٩)، وزاد نسبته إلى الثعلبي، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٨٧): كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتامى، حديث (١٤٦٥)، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٥٢) كتاب الزكاة: باب تخوف =

---

(١) قوله: «مبطرة مأشرة» في الصحاح: الأشر: البطر. (ع).

وَقَدْ جَعَلَ الْوَسْمِيَّ يَنْبُتُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بني رُومَانَ نَبْعاً وَشَوْحَطَا[1]

يعني: أنهم أحيوا فحدّثوا أنفسهم بالبغي والتفانن. أو من البغي وهو البذخ والكبر، أي: لتكبروا في الأرض، وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد. وقيل: نزلت في قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى. قال خباب بن الأرت: فينا نزلت، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها (١٣٧٧) ﴿بِقَدَرٍ﴾ بتقدير. يقال قدره قدراً وقدرا. ﴿خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ يعرف ما تئول إليه أحوالهم، فيقدّر لهم ما هو أصلح لهم وأقرب إلى جمع شملهم، فيفقر ويغني، ويمنع ويعطي، ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية. ولو أغناهم جميعاً لبغوا، ولو أفقرهم لهلكوا. فإن قلت: قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض، ومنهم مبسوط لهم، ومنهم مقبوض عنهم؛ فإن كان المبسوط لهم يبغون، فلم بسط لهم، وإن كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط، فلم شرطه؟ قلت: لا شبهة في أنّ البغي مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب، وكلاهما سبب ظاهر للإقدام على البغي والإحجام عنه، فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الأمر إلى عكس ما عليه[2] الآن.

= ما يخرج من زهرة الدنيا، حديث (١٠٥٢)، والنسائي (٥/ ٩٠) كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتيم حديث (٢٥٨١). وابن ماجه (٢/ ١٣٣٢) كتاب الفتن: باب فتنة المال حديث برقم (٣٩٩٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ٩١)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ٢٠) كتاب الزكاة: باب جمع المال من حله وما يتعلق بذلك (٣٢٢٥)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٢/ ٤٣٦)، حديث برقم (١٢٤٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٩٦)، كتاب الجامع: باب في أصحاب الأموال، حديث (٢٠٠٢٨)، والحميدي في مسنده (٢/ ٣٢٥)، حديث (٧٤٠)، وقال الحافظ: أخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ـ ﷺ ـ. بهذا ـ وزاد: «وكان يقال: خير الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك» وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري، بلفظ: «إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا». انتهى.

١٣٧٧ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥/ ١٩)، وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ١٢٧)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٩)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٤).

---

(١) يروى: وقد جعل الوسمي أول مطر السنة؛ لأنه يسم الأرض بالنبات. والنبع: شجر تتخذ منه القسي. والشوحط مثله، أي: قد يشرع المطر في إنبات الأشجار بيننا وبينهم. والمعنى: أنهم يطلبون الإقامة حتى تعظم الأشجار بينهم؛ لأنهم أغنياء لا يكثرون الارتحال كغيرهم. أو المعنى: أنهم كانوا إذا جاء الربيع وبلغت تلك الأشجار يتخذون منها الرماح والقسي، ويتحاربون. فالكلام كناية عن انتشاب الحرب بين القبيلتين، وهذا هو الذي يعطيه السياق، وذكر البينية، وتخصيص ذلك الشجر.

ينظر: لسان العرب (شحط)، تاج العروس (شحط).

(٢) قوله: «عكس ما عليه الآن» لعله: ما هو عليه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾

قرئ: «قنطوا» بفتح النون وكسرها ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ أي: بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب. وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له: اشتدّ القحط وقنط الناس (١٣٧٨) فقال: مطروا إذاً. أراد هذه الآية. ويجوز أن يريد رحمته في كل شيء، كأنه قال: ينزل الرحمة التي هي الغيث، وينشر غيرها من رحمته الواسعة. ﴿ٱلْوَلِىُّ﴾ الذي يتولى عباده بإحسانه. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَمَا بَثَّ﴾ يجوز أن يكون مرفوعاً ومجروراً يحمل على المضاف إليه أو المضاف. فإن قلت: لم جاز ﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ والدواب في الأرض وحدها؟ قلت: يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبساً ببعضه، كما يقال: بنو تميم فيهم شاعر مجيد أو شجاع بطل، وإنما هو في فخذ(١) من أفخاذهم أو فصيلة من فصائلهم، وبنو فلان فعلوا كذا، وإنما فعله نويس منهم. ومنه قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٢] وإنما يخرج من الملح(٢)، ويجوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران. فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الأناسي. ولا يبعد أن يخلق في السمٰوات حيواناً

١٣٧٨ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٠٧٠٠) وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٩١)، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن الكريم (١٦/ ٢٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٥)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٤٠)، وزاد نسبته إلى الثعلبي، قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من طريق قتادة قال: وذكر لنا فذكره بتمامه ورواه باختصار عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين قحط المطر وقنط الناس، فقال مطروا إذاً.

---

(١) قوله: «فخذ» العشائر أقلها الفخذ، وفوقه البطن، ثم العمارة، ثم الفصيلة، ثم القبيلة، ثم الشعب. فهو أكثرها. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «فإن قلت: لم جاز فيهما من دابة والدواب في الأرض وحدها؟ وأجاب بأنه يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان لبعضه، كقوله تعالى: (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وإنما يخرج من الملح. . . الخ» قال أحمد: إطلاق الدواب على الأناسي بعيد من عرف اللغة، فكيف في إطلاقه على الملائكة، والصواب ـ والله أعلم ـ: هو الوجه الأول، وقد جاء مفسراً في غير ما آية، كقوله: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار) ثم قال: (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة» فخصص هذا الأمر بالأرض، والله أعلم.

يمشي فيها مشي الأناسي على الأرض، سبحان الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من أصناف الخلق. ﴿إِذَا﴾ يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ①﴾ [الليل: ١] ومنه ﴿إِذَا يَشَآءُ﴾ وقال الشاعر [من الخفيف]:

وَإِذَا مَــا أَشَـاءُ أَبْـعَـثُ مِـنْـهَـا آخِـرَ الـلَّـيْـلِ نَـاشِـطـاً مَـذْعُـورَا[1]

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ③⓪ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ③①﴾

في مصاحف أهل العراق ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ﴾ بإثبات الفاء على تضمين «ما» معنى الشرط. وفي مصاحف أهل المدينة ﴿بِمَا كَسَبَتۡ﴾ بغير فاء، على أنّ (ما) مبتدأة، وبما كسبت: خبرها من غير تضمين معنى الشرط. والآية مخصوصة بالمجرمين[2] ولا يمتنع أن يستوفي الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض. فأمّا من لا جرم له كالأنبياء والأطفال والمجانين، فهؤلاء إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره فللعوض الموفى والمصلحة. وعن النبي ﷺ/ ٢/ ١٦٤ب: «ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب، ولما يعفو الله عنه أكثر» (١٣٧٩) وعن بعضهم: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن

١٣٧٩ ـ الحديث مروي عن الحسن البصري ـ وقتادة والبراء. أما حديث الحسن: أخرجه البيهقي في =

---

(١) إذا: ظرف للمستقبل، فإذا دخل عليه الماضي كان مستقبلاً؛ أو المضارع كان نصًا في الاستقبال، وجرد من الناقة أمراً آخر لشدة سيرها؛ فلذلك قال: منها. وأصل المعنى: أبعثها في آخر الليل كالناشط، وهو الثور الوحشي يخرج من أرض إلى أخرى، والمذعور: الخائف وهو كناية عن سريع السير جدًا.

ينظر: ديوانه ص ٢٩، شرح أبيات سيبويه ٢/ ١١٨ وشرح المفصل لابن يعيش: ٨/ ١٣٤، والكتاب ٣/ ٦٢، والمقتضب ٢/ ٥٧.

(٢) قال محمود: «الآية مخصوصة بالمجرمين... الخ» قال أحمد: هذه الآية تتكسر عندها القدرية ولا يمكنهم ترويج حيلة في صرفها عن مقتضى نصها، فإنهم حملوا قوله تعالى: (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) على التائب، وهو غير ممكن لهم ههنا؛ فإنه قد أثبت التبعيض في العفو، ومحال عندهم أن يكون العفو هنا مقروناً بالتوبة، فإنه يلزم تبعيض التوبة أيضاً. وهي عندهم لا تتبعض. وكذلك نقل الإمام عن أبي هاشم وهو رأس الاعتزال والذي تولى كبره منهم. فلا محمل لها إلا الحق الذي لا مرية فيه، وهو مرد العفو إلى مشيئة الله تعالى غير موقوف على التوبة. وقول الزمخشري: إن الآلام التي تصيب الأطفال والمجانين لها أعواض، وإنما يريد به وجوب العوض على الله تعالى على سياق معتقده، وقد أخطأ في الأصل والفرع؛ لأن المعتزلة وإن أخطأت في إيجاب العوض، فلم تقل بإيجابه في الأطفال والمجانين. ألا ترى أن القاضي أبا بكر ألزمهم قبح إيلام البهائم والأطفال والمجانين فقال: لا أعواض لها، وليس مترتباً على استحقاق سابق فيحسن، فإنما يتم إلزامه بموافقتهم له على أن لا أعواض لها.

والمصائب باكتسابه. وأنّ ما عفا عنه مولاه أكثر: كان قليل النظر في إحسان ربه إليه. وعن آخر: العبد ملازم للجنايات في كل أوان، وجناياته في طاعاته أكثر من جناياته في معاصيه؛ لأنّ جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه، والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب؛ ليخفف عنه أثقاله في القيامة، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أوّل خطوة، وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه: «من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة» (١٣٨٠) وعنه رضي الله

= شعب الإيمان (٧/ ١٥٣): باب في الصبر على المصائب: فصل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات، حديث (٩٨١٦)، وهناه في الذهد (١/ ٣٤٩): باب ما جاء في العقوبة في الدنيا حديث (٤٣١). وعبد الرزاق في التفسير (٢/ ١٩٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٦).

وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم كلهم عن الحسن البصري مرسلاً.

أما حديث قتادة:

فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٥٠) حديث (٣٠٧٠٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٥٢): باب في الصبر على المصائب: فصل في ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات، حديث (٩٨١٥).

وذكره السيوطي في الدر المنثور ((٢/ ٧٠٦)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

وأما حديث البراء:

أورده السيوطي في الجامع الصغير (٥/ ٤٩٢ ـ فيض) حديث (٨٠٨١).

وعزاه لابن عساكر. ورمز لضعفه.

وذكره في الدر المنثور (٥/ ٧٠٦)، وعزاه إلى ابن مردويه، وأورده السيوطي أيضاً في الجامع الصغير (٥/ ٤١٤)، بلفظ: «ما اختلج عرق ولا عين إلاّ بذنب ـ وما يدفع الله أكثر». ورمز لصحته وعزاه إلى الطبراني في الأوسط والضياء، قال الحافظ ابن حجر: أخرجه عبد الرزاق، وابن أبي حاتم من طريق إسماعيل بن سليم عن الحسن والطبري والبيهقي في أواخر الشعب. عن قتادة كلاهما مرسل. ووصله عبد الرزاق من رواية الصلت بن بهرام عن أبي وائل عن البراء رضي الله عنه. انتهى.

١٣٨٠ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ١٦): بكتاب الإيمان: باب ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن، حديث (٢٦٢٦)، وابن ماجه (٢/ ٨٦٨): كتاب الحدود: باب الحد كفارة، حديث (٢٦٠٤)، وأحمد (١/ ٩٩). وأبو يعلى (١/ ٣٥١)، حديث (٤٥٣)، والدارقطني في سننه (٣/ ٢١٥): كتاب الحدود (٣/ ٤٠٣)، و(١/ ٤٥٣)، حديث (٦٠٨). وعبد بن حميد (ص ٥٨): حديث (٨٧). والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٥): كتاب التفسير. والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٢٣)، حديث (٧١٣٥).

وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف: (٣/ ٢٤١)، وزاد نسبته إلى ابن مردويه، والبزار وإسحاق بن راهويه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخان ولم يخرجاه. قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن ماجه من رواية أبي جحيفة عن علي رفعه. بلفظ: من أصاب ذنباً في الدنيا فعوقب به، فالله أعدل من أن يثني على عبد عقوبته. ومن أذنب ذنباً فستر الله عليه وعفا عنه ـ فالله أكرم من أن يعود في شيء عفا عنه»، ورواه أحمد والبزار والحاكم والدارقطني والبيهقي في الشعب في السابع =

عنه: هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن. ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين ما قضي عليكم من المصائب. ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ من متول بالرحمة.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿ٱلْجَوَارِ﴾ السفن. وقرئ «الجوار» ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ كالجبال. قالت الخنساء [من البسيط]:

.... كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ[1]

وقرئ «الرياح فيظللن» بفتح اللام وكسرها؛ من ظل يظل ويظل، نحو: ضل يضل ويضل[2] ﴿رَوَاكِدَ﴾ ثوابت لا تجري. ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ على ظهر البحر[3]. ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على

= والأربعين. وقال إسحاق في مسنده: أخبرنا عيسى بن يونس عن إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفراء عن يونس بن حبان عن علي نحوه وفيه انقطاع. انتهى.

---

(١) وإن صخراً لمولانا وسيدنا ... وإن صخراً إذا يشتو لنحار
أغر أبلج تأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

للخنساء ترثي أخاها. ويشتو: أي يدخل في الشتاء، وهو حكاية حال ماضية. ونحار: كثير نحر الإبل للضيفان كناية عن كثرة كرمه. والأغر: الأبيض. والأبلج: الطلق الوجه المعروف. والهداة: جمع هاد: من يتقدم غيره ليدله، والعلم: الجبل: وفي رأسه نار: صفة علم جاءت لترسيخ التشبيه وتقريره، والمبالغة في توضيح المشبه وتشهيره، وعادة دليل الركب: الاهتداء إلى الطريق بالجبال الشامخة، فإذا كان فوقها نار: علم أن أهلها كرام. ويروى:

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... .

ينظر: ديوانها ص ٣٨٦، جمهرة اللغة ص ٩٤٨، وتاج العروس: (صخر)، ومقاييس اللغة ٤/ ٣٠٩.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وليس كما ذكر؛ لأنَّ يَضَلُّ بفتح العين من ضَلِلْتُ بكسرها في الماضي، ويضِلُّ بالكسر من ضَلَلْتُ بالفتح، وكلاهما مقيس، يعني: أن كُلاًّ منهما له أَصْلٌ يرجع إليه بخلاف ظَلَّ فإنَّ ماضيه مكسور العين فقط والنون اسمها و«رَوَاكِدَ» خبرها، ويجوز أن يكون ظَلَّ هنا بمعنى صار؛ لأن المعنى ليس على وَقْتِ الظُّلُولِ هو النهار فقط، وهو نظير و«أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ» من هذه الحَيْثِيَّةِ والرُّكُودُ: الثُبوتُ والاستقرارُ قال [من الطويل]:

وَقَدْ رَكَدَتْ وَسْطَ السَّمَاءِ نُجُومُهَا ... رُكُوداً بِوَادِي الزَّبْرَبِ المُتَفَرِّقِ

وقال الشيخ: ولا يتعيَّنُ أن يكون التقدير أو يعصفها فيغرقن؛ لأنَّ إهْلاكَ السفن لا يتعيَّنُ أن يكون بِعَصْفِ الريح بل قد يهلكها بقَلْعِ لَوْحٍ أو خَسْفٍ. قُلْتُ: والزمخشريُّ لم يذكر أنَّ ذلك متعيِّنٌ، وإنما ذَكَرَ سبباً مناسباً؛ لأنَّ قولَهُ: «يُسْكِنِ الرِّيحَ» يقابلُه يُعْصِفُها فهو في غاية الحُسْنِ والطبَاقِ. انتهى. الدر المصون.

(٣) قال محمود: «معناه ثوابت لا تجري على ظهر البحر» قال أحمد: وهم يقولون: إن الريح لم ترد في القرآن إلا عذاباً، بخلاف الرياح. وهذه الآية تخرم الإطلاق، فإن الريح المذكورة هنا نعمة =

بلاء الله ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمائه، وهما صفتا المؤمن المخلص، فجعلهما كناية عنه، وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله، فهو يستملي منها العبر. ﴿يُوبِقْهُنَّ﴾ يهلكهن. والمعنى: أنه إن يشأ يبتلي المسافرين في البحر بإحدى بليتين: إما أن يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري، وإما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن إغراقاً بسبب ما كسبوا من الذنوب. ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ منها، فإن قلت: علام عطف يوبقهن؟ قلت: على يسكن؛ لأنّ المعنى: إن يشأ يسكن الريح فيركدن. أو يعصفها فيغرقن بعصفها. فإن قلت: فما معنى إدخال العفو في حكم الإيباق حيث جزم جزمه؟ قلت: معناه: أو إن يشأ يهلك ناساً وينج ناساً على طريق العفو عنهم. فإن قلت: فمن قرأ «ويعفو»؟ قلت: قد استأنف الكلام.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾

فإن قلت: فما وجوه القراءات الثلاث في ﴿وَيَعْلَمَ﴾؟ قلت: أما الجزم فعلى ظاهر العطف، وأما الرفع فعلى الاستئناف، وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره: لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون، ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن، منه قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١] وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية: ٢٢]، وأما قول الزجاج: النصب على إضمار أن؛ لأنّ قبلها جزاء، تقول: ما تصنع أصنع مثله وأكرمك وإن شئت وأكرمك، على تأويل: وأنا أكرمك. وإن شئت وأكرمك جزماً ـ ففيه نظر لما أورده سيبويه في كتابه. قال: واعلم أنّ النصب بالفاء والواو في قوله: إن تأتني آتك وأعطيك: ضعيف، وهو نحو من قوله [من الوافر]:

.... وَأَلْحَقُ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا[1]

فهذا يجوز، وليس بحدّ الكلام فيه ولا وجهه، إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلاً؛ لأنه ليس بواجب أنه يفعل، إلا أن يكون من الأوّل فعل، فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه: أجازوا فيه هذا على ضعفه، اهـ. ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحدّ الكلام ولا وجهه، ولو كانت من هذا الباب لما

= ورحمة؛ إذ بواسطتها يسير الله السفن في البحر حتى لو سكنت لركدت السفن، ولا ينكر أن الغالب من ورودها مفردة ما ذكروه. وأما اطراده فلا. وما ورد في الحديث: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً.» فلأجل الغالب في الإطلاق، والله أعلم.

(١) تقدم.

أخلى سيبويه منها كتابه، وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة. فإن قلت: فكيف يصح المعنى على جزم ﴿وَيَعْلَمَ﴾؟ قلت: كأنه قال: أو إن يشأ يجمع بين ثلاثة أمور: هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين. ﴿مِّن مَّحِيصٍ﴾ من محيد عن عقابه.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿ما﴾ الأولى ضمنت معنى الشرط، فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية. عن علي رضي الله عنه: اجتمع لأبي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير، فلامه المسلمون وخطأه الكافرون، فنزلت.

﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ عطف على الذين آمنوا، وكذلك ما بعده. ومعنى ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ الكبائر من هذا الجنس. وقرئ «كبير الإثم» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه: كبير الإثم هو الشرك. ﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب، لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس، والمجيء بهم وإيقاعه مبتدأ، وإسناد ﴿يَغْفِرُونَ﴾ إليه لهذه الفائدة، ومثله: ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ نزلت في الأنصار: دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته، فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وأتموا الصلوات الخمس. /٢/١٦٥أ وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة: إذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا، فأثنى الله عليهم، أي: لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه. وعن الحسن: «ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم» (١٣٨١) والشورى: مصدر كالفتيا، بمعنى التشاور. ومعنى قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي ذو شورى، وكذلك قولهم: ترك رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة شورى.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

١٣٨١ ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢/ ٨١). باب المشورة وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٢٩٨): كتاب الأدب باب في المشورة من أمر بها، حديث (٢٦٢٧٥)، وذكره المصنف مرفوعاً في سورة آل عمران وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري في الأدب وعبد الله بن أحمد في زيادات الزهد وقد ذكره المصنف مرفوعاً في آل عمران. انتهى.

هو أن يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا. وعن النخعي أنه كان إذا قرأها قال: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترىء عليهم الفساق. فإن قلت: أهم محمودون على الانتصار؟ قلت: نعم؛ لأنّ من أخذ حقه غير متعد حدّ الله وما أمر به فلم يسرف في القتل إن كان ولي دم أورد على سفيه، محاماة على عرضه وردعا له، فهو مطيع. وكل مطيع محمود.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠﴾

كلتا الفعلتين: الأولى وجزاؤها سيئة؛ لأنها تسوء من تنزل به. قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾ [النساء: ٧٨]: يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا. والمعنى: أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة، فإذا قال: أخزاك الله قال: أخزاك الله، ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ﴾ بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء. كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: ٣٤]، ﴿فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم. وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة[1] والاعتداء خصوصاً في حال الحرد [2]والتهاب الحمية، فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر. وعن النبي ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان له على الله أجر فليقم. قال: فيقوم خلق، فيقال لهم: ما أجركم على الله؟ فيقولون: نحن الذين عفونا عمن ظلمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة بإذن الله» (١٣٨٢).

١٣٨٢ ـ الحديث مروي عن أنس، وعبد الله بن عمرو، وأبي هريرة وابن عباس، ومحمد بن المنكدر، والحسن. وأما حديث أنس فقد أخرجه: البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣١٥) باب في حسن الخلق: فصل في ترك الغضب، حديث (٨٣١٣) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٨٧)، والطبراني في مكارم الأخلاق (ص ٣٣١)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٤٤٧)، حديث (١٤٩٨)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٧٥): كتاب الحدود وغيرها: باب الترغيب في العفو عن القاتل والجافي والظالم... حديث (٣٦٣٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٩)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه، قال أبو نعيم: غريب من حديث الحسن، تفرد به الفضل عن غالب. =

---

(١) قال محمود: «فيه دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه... الخ» قال أحمد: معنى حسن يجاب به عن قول القائل: لم ذكر هذا عقب العفو مع أن الانتصار ليس بظلم؛ فيشفي غليل السائل ويحصل منه على كل طائل. ومن هذا النمط والله الموفق: قوله تعالى: (وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور).

(٢) قوله: «الحرد» في الصحاح: «الحرد» بالتحريك: الغضب. (ع)

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول، وتفسره قراءة من قرأ «بعد ما ظلم» ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى معنى (من) دون لفظه. ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ للمعاقب ولا للعاتب والعائب. ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يبتدئونهم بالظلم. ﴿وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون.

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

= وفي إسناده الفضل بن يسار قال عنه العقيلي: لا يتابع من وجه يثبت. هذا ويروى بغير هذا الإسناد من وجه أصلح من هذا..

أما حديث عبد الله بن عمرو:

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٦٣) باب في حسن الخلق: فصل في التجاوز والعفو وترك المكافأة، حديث (٨٠٨٦)، وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ٣٩٤): كتاب الفتن: باب شفاعة المؤمنين، حديث (٤٦٦٣)، وعزاه لأبي يعلى، وقال: ضعيف.

وقال البيهقي: هذا متن غريب، وفي إسناده ضعف.

ـ حديث أبي هريرة:

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣٢٠) باب في حسن الخلق: فصل في ترك الغضب حديث (٨٣٣٠).

والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٢٦٥): حديث (١٢٧٢).

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٩)، وزاد نسبته إلى ابن مردويه. وفيه عمرو بن حمزة القيسي. قال العقيلي: لا يتابع على حديثه.

ـ حديث ابن عباس:

ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٩) وعزاه إلى ابن مردويه.

والزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٤٣)، وزاد نسبته إلى الثعلبي.

ـ حديث الحسن:

ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٩)، وعزاه إلى ابن مردويه.

ـ حديث محمد بن المنكدر:

ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٩)، وعزاه إلى ابن المنذر وسعيد بن منصور».

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه العقيلي والطبراني في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب في السابع والخمسين كلهم من طريق الفضل بن يسار عن غالب العطار عن الحسن بن أنس رفعه. قال: «إذا وقف العبد للحساب ينادي مناد: من كان أجره على الله فليدخل الجنة... الحديث»، وله طريق أخرى عند الثعلبي من رواية زهير بن عباد عن ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس. وأخرى عن البيهقي من رواية الثوري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أتم منه ـ قال البيهقي: المتن غريب ـ والإسناد ضعيف. انتهى.

﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ على الظلم والأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ ولم ينتصر وفوّض أمره إلى الله ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ منه ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ وحذف الراجع لأنه مفهوم، كما حذف من قولهم: السمن منوان بدرهم. ويحكى أن رجلاً سب رجلاً في مجلس الحسن رحمه الله، فكان المسبوب يكظم، ويعرق فيمسح العرق، ثم قام فتلا هذه الآية، فقال الحسن: عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون. وقالوا: العفو مندوب إليه، ثم الأمر قد ينعكس في بعض الأحوال، فيرجع ترك العفو مندوباً إليه، وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي، وقطع مادة الأذى. وعن النبي ﷺ ما يدل عليه وهو: أن زينب أسمعت عائشة بحضرته، وكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة: «دونك فانتصري» (١٣٨٣).

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ ومن يخذله الله[1] ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه.

١٣٨٣ ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ١٦٤): الجزء الرابع باب من انتصر من بعد ظلمه. حديث (٥٥٨).

وأبو داود (٢/ ٢٧٥): كتاب الأدب: باب الانتصار حديث (٤٨٩٨).

والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ٢٨١) كتاب عشرة النساء: باب حب الرجل نساءه أكثر من بعض، حديث (٨٨٩٢)، (٨٨٩٣)، (٨٨٩٤)، وفي التفسير (٢/ ٢٦٩)، حديث (٤٩٦)، وابن ماجه (١/ ٦٣٧): كتاب النكاح: باب حسن المعاشرة (١٩٨١). وأحمد في مسنده (٦/ ٩٣). وابن جرير الطبري (١١/ ١٥٦)، حديث (٣٠٧٢٩).

وذكره الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٣٢٤) لكنه جعل مكان زينت بنت جحش أم سلمة ـ وقال: رواه أبو داود غير أنه جعل مكان أم سلمة زينبَ بنت جحش، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ١١٩).

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٨)، وزاد نسبته إلى ابن مردويه. وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٤٤)، وزاد نسبته إلى ابن عدي في الكامل، وابن أبي شيبة في مسنده.

قال الهيثمي: رواه أحمد، وفيه علي بن زيد وفيه ضعف.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه النسائي من رواية خالد بن مسلمة عن عروة عن عائشة قالت: ما علمت حتى دخلت على زينب بغير إذن وهي بمعنى. فذكر نحوه. ولم يذكر فيه النهي. ولفظه: ودخل علي رسول الله ـ ﷺ ـ وعندنا زينب بنت جحش ـ إلى أن قال: فأقبلت زينب هجم لعائشة فنهاها رسول الله ـ ﷺ ـ فأبت أن تنتهي. قال: لعائشة سبيها فسبتها فغلبتها». انتهى.

---

(١) قوله: «ومن يخذل الله فما له من ولي» تأويل على مذهب المعتزلة: أنه تعالى لا يخلق الشر. وعند أهل السنة: يخلقه كالخير، فالإضلال خلق الضلال. ومن بعده: أي من بعد إضلاله. (ع)

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾

﴿خَٰشِعِينَ﴾ متضائلين متقاصرين مما يلحقهم ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ وقد يعلق ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ﴾، ويوقف على ﴿خَٰشِعِينَ﴾ ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة، كما ترى المصبور ينظر إلى السيف.(١) وهكذا نظر الناظر إلى المكاره: لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها، كما يفعل في نظره إلى المحاب. وقيل: يحشرون عمياً فلا ينظرون إلا بقلوبهم. وذلك نظر من طرف خفي. وفيه تعسف. ﴿يَوْمَ﴾ إما أن يتعلق بخسروا، ويكون قول المؤمنين واقعاً في الدنيا، وإما أن يتعلق بقال، أي: يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة.

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ «من» صلة «لا مردّ»، أي: لا يرده الله بعدما حكم به. أو من صلة يأتي، أي: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على ردّه. والنكير: الإنكار، أي: ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ٢/ ١٦٥ب أن تنكروا شيئاً مما اقترفتموه ودوّن في صحائف أعمالكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

أراد بالإنسان الجمع لا الواحد؛ لقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ ولم يرد إلا المجرمين؛ لأن إصابة السيئة بما قدّمت أيديهم إنما تستقيم فيهم. والرحمة: النعمة من الصحة والغنى والأمن. والسيئة: البلاء من المرض والفقر والمخاوف. والكفور: البليغ الكفران، ولم يقل: فإنه كفور؛ ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم(٢)، كما قال: ﴿إِنَّ

---

(١) قوله: «كما ترى المصبور ينظر إلى السيف» أي: المحبوس للقتل. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «لم يقل: فإنه كفور؛ ليسجل على هذا الجنس أنه موسوم بكفران النعم... الخ» قال أحمد: وقد أغفل هذه النكتة بعينها في الآية التي قبل هذه، وهي قوله تعالى: (وقال الذين آمنوا إن =

﴿ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العاديات: ٦] والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها[(١)].

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾

لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدّها: أتبع ذلك أنّ له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد، ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته، فيخص بعضاً بالإناث وبعضاً بالذكور، وبعضاً بالصنفين جميعاً، ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولداً قط. فإن قلت: لم قدّم الإناث أوّلاً على الذكور مع تقدّمهم عليهنّ، ثم رجع فقدّمهم، ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث؟ قلت: لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده، ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث، لأنّ سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم، والأهم واجب التقديم، وليلي الجنس الذي كانت العرب تعدّه بلاء ذكر البلاء، وأخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم ـ وهم أحقاء بالتقديم ـ بتعريفهم؛ لأن التعريف تنويه وتشهير، كأنه قال: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، وعرّف أن تقديمهنّ لم يكن لتقدمهنّ، ولكن لمقتض آخر فقال: ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ كما قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ [القيامة: ٣٩] وقيل: نزلت في الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، حيث وهب لشعيب ولوط إناثاً، ولإبراهيم ذكوراً، ولمحمد ذكوراً وإناثاً، وجعل يحيى وعيسى عقيمين. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ بمصالح العباد، ﴿قَدِيرٌ﴾ على تكوين ما يصلحهم.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ وما صح لأحد من البشر ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا﴾ على ثلاثة أوجه: إما

= الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا إن الظالمين في عذاب مقيم) فوضع الظالمين موضع الضمير الذي كان من حقه أن يعود على اسم إن، فيقال: ألا إنهم في عذاب مقيم، فأتى هذا الظاهر تسجيلاً عليهم بلسان ظلمهم.

(١) قوله: «وينسى النعم ويغمطها» يبطرها ويحقرها. أفاده الصحاح. (ع)

على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلب أو المنام، كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده. وعن مجاهد: أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره. قال عبيدة بن الأبرص [من الطويل]:

وَأَوْحَى إِلَيَّ اللَّهُ أَنْ قَدْ تَأَمَّرُوا بِإِبْلِ أَبِي أَوْفَى فَقُمْتُ عَلَى رِجْلِ[1]

أي: ألهمني وقذف في قلبي. وإما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام، من غير أن يبصر السامع من يكلمه؛ لأنه في ذاته غير مرئي[2]. وقوله: ﴿مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ مثل أي، كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب، فيسمع صوته ولا يرى شخصه، وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة. وإما على أن يرسل إليه رسولاً من الملائكة فيوحي الملك إليه كما كلم الأنبياء غير موسى. وقيل: وحيًا كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة. ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ أي نبيًا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم. و﴿وَحْيًا﴾، و﴿أن يرسل﴾: مصدران واقعان موقع الحال؛ لأنّ ﴿أن يرسل﴾، في معنى إرسالاً. ومن وراء حجاب: ظرف واقع موقع الحال أيضاً، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] والتقدير: وما صح أن يكلم أحداً إلا موحياً، أو مسمعاً من وراء حجاب، أو مرسلاً. ويجوز أن يكون ﴿وَحْيًا﴾، موضوعاً موضع: كلاماً؛ لأنّ الوحي كلام خفي في سرعة، كما تقول: لا أكلمه إلا جهراً وإلا خفاتًا؛ لأنّ الجهر والخفات ضربان من الكلام، وكذلك إرسالاً: جعل الكلام على لسان الرسول بغير واسطة، تقول: قلت لفلان كذا، وإنما قاله وكيلك أو رسولك. وقوله: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ معناه: أو إسماعاً من وراء حجاب؛ ومن جعل ﴿وَحْيًا﴾ في معنى: أن يوحي، وعطف ﴿يُرْسِلَ﴾ عليه، على معنى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ أي: إلا بأن يوحي. أو بأن يرسل، فعليه أن يقدر قوله: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ تقديراً يطابقهما عليه، نحو: أو أن يسمع[3] من وراء حجاب. وقرئ ﴿أَوْ يُرْسِلُ رَسُولًا فَيُوحِي﴾ بالرفع، على: أو هو يرسل. أو بمعنى مرسلاً عطفاً على ﴿وَحْيًا﴾ في معنى موحياً. وروي أنّ اليهود ٢/١٦٦أ قالت للنبي ﷺ:

---

(١) أي ألهمني الله وألقى في قلبي: أنهم تأمروا. وأن مخففة من الثقيلة، واسمها: ضمير القوم أو الحال والشأن. واختار أبو حيان أنها لا اسم لها إذا خففت؛ لأنها مهملة. وإن ضمن «أوحى» معنى: قال: فإن تفسيرية، أي، قد تآمروا بوزن تفاعلوا، أي: تشاوروا في الأمر، أو أجمعوا أمرهم. ومنه (يأتمرون بك ليقتلوك) بإبل أبى أوفى ليغتصبوها، فقمت في طلبهم لأردها على رجل واحدة، أي: بسرعة، فلا أضع رجلي معاً في الأرض.

(٢) قوله: «لأنه في ذاته غير مرئي» أي: لا تجوز رؤيته. وهذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فتجوز كما تقرر في محله. (ع)

(٣) قوله: «أو أن يسمع من وراء حجاب» لعله: أو بأن. (ع)

ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيًا كما كلمه موسى ونظر إليه، فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال: لم ينظر موسى إلى الله (١٣٨٤)، فنزلت. وعن عائشة رضي الله عنها: من زعم أنّ محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية (١٣٨٥)، ثم قالت: أو لم تسمعوا ربكم يقول: فتلت هذه الآية: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ عن صفات المخلوقين ﴿حَكِيمٌ﴾ يجري أفعاله على موجب الحكمة، فيكلم تارة بواسطة، وأخرى بغير واسطة: إما إلهاماً، وإما خطاباً.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ (٥٣)﴾

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ يريد: ما أوحي إليه؛ لأن الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح. فإن قلت: قد علم أن رسول الله(١) ﷺ: ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله

١٣٨٤ ـ قال: الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

١٣٨٥ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٦/٤٥٩): كتاب بدء الخلق: باب إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء فوافقت إحداهما... حديث (٣٢٣٤) من طريق محمد بن عبد الله بن إسماعيل حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن ابن عون أنبأنا القاسم عن عائشة.
وأخرجه البخاري (٩/٥٨٧): كتاب التفسير: باب ـ والنجم، حديث (٤٨٥٥). =

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: قد علم أن النبي عليه الصلاة والسلام ما كان يدري الكتاب قبل الوحي... الخ» قال أحمد: لما كان معتقد الزمخشري أن الإيمان اسم التصديق مضافاً إليه كثير من الطاعات فعلاً وتركًا حتى لا يتناول الموحد العاصي ولو بكبيرة واحدة اسم الإيمان ولا يناله وعد المؤمنين. وتفطن لإمكان الاستدلال على صحة معتقده بهذه الآية: عدها فرصة لينتهزها وغنيمة. ليحرزها، وأبعد الظن بإيراده مذهب أهل السنة على صورة السؤال ليجيب عنه بمقتضى معتقده، فكأنه يقول: لو كان الإيمان وهو مجرد التوحيد والتصديق كما قول أهل السنة، للزم أن ينفى عن النبي عليه الصلاة والسلام قبل المبعث بهذه الآية كونه مصدقًا، ولما كان التصديق ثابتًا للنبي عليه الصلاة والسلام قبل البعث باتفاق الفريقين: لزم أن لا يكون الإيمان المنفي في الآية عبارة عما اتفق على ثبوته، وحينئذ يتعين صرفه إلى مجموع أشياء: من جملتها التصديق، ومن جملتها كثير من الطاعات التي لم تعلم إلا بالوحي، وحينئذ يستقيم نفيه قبل البعث. وهذا الذي طمع فيه: يخرط القتاد، ولا يبلغ منه ما أراد. وذلك أن أهل السنة وإن قالوا: إن الإيمان هو التصديق خاصة حتى يتصف به كل موحد وإن كان فاسقًا ـ يخصون التصديق بالله وبرسوله، فالنبي عليه الصلاة والسلام مخاطب في الإيمان بالتصديق برسالة نفسه، كما أن أمته مخاطبون بتصديقه، ولا شك أنه قبل الوحي لم يكن يعلم أنه رسول الله، وما علم ذلك إلا بالوحي، وإذا كان الإيمان عند أهل السنة هو التصديق بالله ورسوله، ولم يكن هذا المجموع ثابتًا قبل الوحي، بل كان الثابت هو التصديق بالله تعالى خاصة: استقام نفي الإيمان قبل الوحي على هذه الطريقة الواضحة، والله أعلم.

عليه؛ فما معنى قوله: ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده، ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده، فكيف لا يعصمون من الكفر؟ قلت: الإيمان اسم يتناول أشياء: بعضها الطريق إليه العقل، وبعضها الطريق إليه السمع، فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل؛ وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي. ألا ترى أنه قد فسر الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] بالصلاة؛ لأنها بعض ما يتناوله الإيمان. ﴿مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ من له لطف ومن لا لطف له، فلا هداية تجدي عليه. ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ بدل. وقرئ «لِتُهْدَى» أي: يهديك الله. وقرئ «لتدعو».

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ **كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له» (١٣٨٦).**

= وفي (١٥/ ٣١١) كتاب التوحيد: باب قوله تعالى: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا» حديث (٧٣٨٠). ومسلم في صحيحه (٢/ ٩): كتاب الإيمان: باب قول الله عز وجل: ولقد رآه، حديث (٢٨٩) (١٧٧) وأحمد في مسنده (٦/ ٤٩).

من طريق إسماعيل بن خالد عن عامر الشعبي، به.

وأخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٥٩): كتاب بدء الخلق: باب: إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء... حديث (٣٢٣٥).

ومسلم في صحيحه (٢/ ٩): كتاب الإيمان، باب معنى قوله تعالى: ولقد رآه، حديث (٢٩٠) (١٧٧).

من طريق أبي أسامة حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن ابن الأشوع، عن الشعبي، به.

وأخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٨): كتاب الإيمان: باب ولقد رآه، حديث (١٧٧). والترمذي في سننه (٥/ ٢٦٢): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الأنعام، حديث (٣٠٦٨) والطبري في تفسيره (١١/ ٥١٢ - ٥١٣). حديث برقم (٣٢٤٧٥). (٣٢٤٧٦). (٣٢٤٧٧). (٣٢٤٧٨)، (٣٢٤٧٩).

وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٥٧): كتاب الإسراء: باب ذكر تعداد عائشة قول ابن عباس الذي ذكرناه من أعظم الفرية، حديث (٦٠)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٨/ ٣٠٣)، حديث برقم (٤٩٠٠).

كلهم من طريق داود بن أبي هند عن عامر الشعبي عن مسروق عن عائشة به.

وقال الحافظ: متفق عليه وقد تقدم طرف منه في الأنعام. انتهى.

١٣٨٦ - تقدم برقم (٣٤٦)، وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة الموضوع على رسول الله ﷺ.

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي وابن مردويه بإسنادهما إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة الزخرف

مكية، وقال مقاتل: إلا قوله: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ وهي تسع وثمانون آية [نزلت بعد الشورى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾

أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن(١) وجعل قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ جوابًا للقسم(٢) وهو من الأيمان الحسنة البديعة؛ لتناسب القسم والمقسم عليه، وكونهما من واد واحد. ونظيره قول أبي تمام [من الخفيف]:

وَثَنَايَاكِ إِنَّهَا إِغْرِيضُ .... (٣)

﴿الْمُبِينِ﴾ البين للذين أنزل عليهم؛ لأنه بلغتهم وأساليبهم. وقيل: الواضح

---

(١) نلاحظ القسم بالكتاب المبين وهو القرآن والمقسم عليه ما بعده ليدل على أنه لا بد من وجود علاقة قوية بين المقسم به والمقسم عليه، وكلما وضحت هذه العلاقة كلما كان القسم بليغًا، وهذا ما رأيناه في هذه الآيات، وقد وضح المفسر العلامة هذا في مواضع كثيرة، وانظر هذا المعنى واضحًا عنده في قوله تعالى:
﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ [سبأ: ٣].
«يراجع البلاغة القرآنية لأبي موسى ٣٨١».

(٢) قال محمود: «أقسم بالكتاب المبين وجعل قوله: (إنا جعلناه قرآنًا عربيًا) جوابًا للقسم... الخ» قال أحمد: تنبيه حسن جدًا. ووجه التناسب فيه أنه أقسم بالقرآن، وإنما يقسم بعظيم، ثم جعل المقسم عليه تعظيم القرآن بأنه قرآن عربي مرجو به أن يعقل به العالمون، أي: يتعقلوا آيات الله تعالى فكان جواب القسم مصححًا للقسم، وكذلك أقسم أبو تمام بالثنايا، وإنما يقسم الشعراء بمثل هذا الإشعار بأنه في غاية الحسن، ثم جعل المقسم عليه كونها في نهاية الحسن، لا أنها هي إغريض، وهو من أحسن تشبيهات الثنايا، فجعل المقسم عليه مصححًا للقسم والله أعلم.

(٣) وثناياك إنها إغريض ... ولآل نوار أرض وميض =

للمتدبرين. وقيل: (المبين) الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة، وأبان ما تحتاج إليه الأمة في أبواب الديانة. ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ بمعنى صيرناه معدّيٍ إلى مفعولين. أو بمعنى خلقناه معدّى إلى واحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]. و﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ حال. و«لعل»: مستعار لمعنى الإرادة[١]؛ لتلاحظ[٢] معناها ومعنى الترجي[٣]، أي خلقناه عربيًا غير عجمي: إرادة أن تعقله العرب، ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته، وقرئ: «أمّ الكتاب» بالكسر وهو اللوح، كقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢] سمي بأم الكتاب؛ لأنه الأصل الذي أثبتت فيه الكتب، منه تنقل وتستنسخ. عَلِيّ رفيع الشأن في الكتب؛ لكونه معجزًا من بينها، ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة بالغة، أي: منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه، وهو مثبت في أم الكتاب هكذا.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ بمعنى: أفننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز، من قولهم: ضرب الغرائب عن الحوض. ومنه قول الحجاج: ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل. وقال طرفة [من المنسرح]:

إِضْـرِبَ عَـنْـكَ الْـهُـمُـومَ طَـارِقَـهَـا ... ضَـرْبَـكَ بِـالـسَّـيْـفِ قَـوْنَـسَ الْـفَـرَسِ[٤]

= وأقـاح مـنـور فـي بـطـاح ... هـزه فـي الـصـبـاح روض أريـض

لأبي تمام. والإغريض: البرد. والطلع والنوار: كرمان نور الشجر، واحده نوارة. والوميض: شديد البريق واللمعان. والأقاح: نور أبيض طيب الرائحة. والأريض: طيب الأرض، فيكون نضرًا بهيجًا: أقسم بثناياها أي: مقدم أسنانها، إنها: أي ثناياها إغريض. فالقسم وجوابه متعلقان بشيء واحد، وشبههما بالبرد وبنوار الأرض الشبيه باللآلىء. فأضافتها إليه للتشبيه. ووميض: نعت مقطوع للنوار. أو تابع للإغريض؛ لكن الأول أجزل، وشبهه بالأقاح الذي نور في البطاح؛ لأنه أنضر وأزهى. وهزه في الصباح من صفة الأقاح «وخص الصباح ليكون على الزهر بقية من الندى، فيكون في غاية النضرة والزهو. وفيه إيماء لتشبيه قوام محبوبته بأغصان الروض في التمايل وظهور الزهور في أعلى كل منهما، ولك أن تجعل «وميض» صفة للآلىء، وإن كانت جمعًا؛ لأن فعيل بمعنى فاعل قد يعامل معاملته فعيل بمعنى مفعول، فيطلق على الواحد والمتعدد مذكرًا ومؤنثًا. ويروى بدل الشطر الثاني: ولآل توم ورق وميض. والتوم: واحدة تومة «وهي حبة تعمل من الفضة كالدرة، ولا إشكال في إعرابه».

(١) قال محمود: «ولعل مستعار لمعنى الإرادة» (فسره بالإرادة) قال أحمد: قد بينا فساد ذلك غير ما مرة.

(٢) قوله: «لتلاحظ معناها» لعله: ليلاحظ. (ع)

(٣) قوله: «ومعنى الترجي» لعله: أو معنى. (ع)

(٤) تقدم.

والفاء للعطف على محذوف، تقديره: أنهملكم فنضرب عنكم الذكر؛ إنكارًا لأن يكون الأمر على خلاف ما قدّم على إنزاله الكتاب. وخلقه قرآنًا عربيًا؛ ليعقلوه ويعملوا بمواجبه. وصفحًا على وجهين. إما مصدر من صفح عنه إذا أعرض، منتصب على أنه مفعول له، على معنى: أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضًا عنكم. وإمّا بمعنى الجانب من قولهم: نظر إليه بصفح وجهه وصفح وجهه، على معنى: أفننحيه عنكم جانبًا، فينتصب على الظرف كما تقول: ضعه جانبًا، وامش جانبًا. وتعضده قراءة من قرأ «صفحًا» بالضم. وفي/ ٢/ ١٦٦ب هذه القراءة وجه آخر: وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح، وينتصب على الحال، أي: صافحين معرضين؛ ﴿أَن كُنتُمْ﴾ أي: لأن كنتم. وقرئ: «إن كنتم» و﴿إِذْ كُنتُمْ﴾. فإن قلت: كيف استقام معنى إن الشرطية، وقد كانوا مسرفين على البتّ؟ قلت: هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن المدل[1] بصحة الأمر، المتحقق لثبوته، كما يقول الأجير: إن كنت عملت لك فوفني حقي، وهو عالم بذلك، ولكنه يخيل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق: فعل من له شك في الاستحقاق، مع وضوحه استجهالاً له.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾ حكاية حال ماضية مستمرة، أي: كانوا على ذلك. وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزاء قومه. الضمير في ﴿أَشَدَّ مِنْهُم﴾ للقوم المسرفين؛ لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله ﷺ يخبره عنهم، ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل، وهذا وعد لرسول الله ﷺ، ووعيد لهم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾

فإن قلت: قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وما سرد من الأوصاف عقيبه إن كان من قولهم[2]، فما تصنع بقوله: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾؟ وإن كان من قول

---

(١) قوله: «عن المدل» أي: المواثق. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «فإن قلت: قوله: (ليقولون خلقهن العزيز العليم) وما سرد من الأوصاف عقبه إن كان من قولهم... الخ» قال أحمد: الذي يظهر أن الكلام مجزأ، فبعضه من قولهم، وبعضه من قول =

الله، فما وجهه؟ قلت: هو من قول الله لا من قولهم. ومعنى قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الذي من صفته كيت وكيت؛ لينسبنّ خلقها إلى الذي هذه أوصافه وليسندنه إليه. ﴿بِقَدَرٍ﴾ بمقدار يسلم معه البلاد والعباد، ولم يكن طوفانًا.

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

و﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ أي تركبونه. فإن قلت: يقال: ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك[1]. وقد ذكر الجنسين فكيف قال ما تركبونه؟ قلت: غلب المتعدّي بغير

= الله تعالى، فالذي هو من قولهم: (خلقهن)، وما بعده من قول الله عز وجل، وأصل الكلام أنهم قالوا: خلقهن الله؛ ويدل عليه قوله في الآية الأخرى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لما قالوا: خلقهن الله وصف الله تعالى ذاته بهذه الصفات، ولما سيق الكلام كله سياقه وأخذه، حذف الموصوف من كلامه، وأقيمت الصفات المذكورة في كلام الله تعالى مقامه كأنه كلام واحد. ونظير هذا أن تقول للرجل: من أكرمك من القوم؟ فيقول أكرمني زيد، فتقول أنت واصفًا للمذكور: الكريم الجواد الذي من صفته كذا وكذا، ثم لما وقع الانتقال من كلامهم إلى كلام الله عز وجل، جرى كلامه عز وجل على ما عرف من الافتنان في البلاغة، فجاء أوله على لفظ الغيبة وآخره على الانتقال منها، إلى التكلم في قوله: (فأنشرنا) كل ذلك افتنان في أفنان البلاغة. ومن هذا النمط قوله تعالى حكاية عن موسى: (قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدًا وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجًا من نبات شتى) فجاء أول الكلام حكاية عن موسى، إلى قوله: (ولا ينسى) ثم وقع الانتقال من كلام موسى إلى كلام الله تعالى، فوصف ذاته أوصافًا متصلة بكلام موسى؛ حتى كأنه كلام واحد. وابتدأ في ذكر صفاته على لفظ الغيبة إلى قوله: (فأخرجنا به أزواجًا من نبات شتى) فانظر إلى تحقيق التطبيق بين الآيتين ترى العجب، والله الموفق.

(١) قال محمود: «يقال: ركبت الدابة وركبت في الفلك... الخ» قال أحمد: لم يحرر العبارة في هذا الموضع، فإن قوله: «غلب المتعدي بغير واسطة على المتعدي بنفسه» يوهم أن بين الفعلين تباينًا وليس كذلك. فإن المتعدي إلى الأنعام هو عين الفعل المتعدي إلى السفن، غاية ما، ثُمَّ أن العرب خصته باعتبار بعض مفاعيله بالواسطة. وباعتبار بعضها بالتعدي بنفسه، والاختلاف بالتعدي والقصور أو باختلاف آلات التعدي وباختلاف أعداد المفاعيل ـ لا يوجب الاختلاف في المعنى، فمن ثم يعدون الفعل الواحد مرة بنفسه ومرة بواسطة، مثل: سكرت وأخواته، ويعدون الأفعال المترادفة بآلات مختلفة، مثل دعوت وصليت، فإنك تقول: صلى النبي على آل أبي أوفى، ولو قلت: دعا على آل أبي أوفى: لأفهم عكس المقصود، ولكن دعا لآل أبي أوفى، ويعدون بعضها إلى مفعولين، ومرادفه إلى مفعول واحد، كعلم وعرف، فلا يترتب على الاختلاف بالتعدي. والقصور: الاختلاف في المعنى، فالذي يحرر من هذا: أن «ركب» باعتبار القبيلين معناه واحد، وإن خص =

واسطة؛ لقوّته على المتعدّي بواسطة، فقيل: تركبونه. ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ على ظهور ما تركبون وهو الفلك والأنعام. ومعنى ذكر نعمة الله عليهم: أن يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها، ثم يحمدوا عليها بألسنتهم، وهو ما يروى عن النبي ﷺ: أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال: «بسم الله»، فإذا استوى على الدابة قال: «الحمد لله على كل حال، سبحان الذي سخر لنا هذا... إلى قوله. لمنقلبون» وكبر ثلاثًا وهلل ثلاثًا (١٣٨٧). وقالوا: إذا ركب في السفينة قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٣٨٨) [هود: ٤١] وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً يركب دابة فقال: سبحان

١٣٨٧ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ٣٤) كتاب الجهاد باب ما يقول الرجل إذا ركب، حديث (٢٦٠٢)، والترمذي (٥/ ٥٠١) كتاب الدعوات باب ما جاء ما يقول إذا ركب دابة، حديث (٣٤٤٦)، والنسائي (٥/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) كتاب السير: باب التسمية عند ركوب الدابة والتحميد، والدعاء إذا استوى على ظهرها حديث (٨٧٩٩)، وأحمد (١/ ٩٧، ١١٥)، والطيالسي (١/ ١٢٢ ـ منحة) رقم (٥٧٤)، وابن حبان (٢٣٨٠، ٢٣٨١ ـ موارد) وعبد بن حميد رقم (٨٨)، والحاكم (٢/ ٩٩) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٥٢)، وفي «الأسماء والصفات» ص (٤٧١) كلهم من طريق أبي إسحاق عن علي بن ربيعة عن علي به.
وقال الترمذي: حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه ووافقه الذهبي.
وقال الحافظ: أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم من حديث علي، وأسنده الثعلبي باللفظ المذكور هنا، ولمسلم من طريق علي الأرزي عن ابن عمر: «أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبر ثلاثًا ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا الآية). انتهى.

١٣٨٨ ـ قال الزيلعي: غريب.
قال ابن حجر لم أجده من فعله ـ ﷺ ـ لكنه مروي من قوله ﷺ.
أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٢/ ١٢٤). حديث (١٢٦٦١) من حديث ابن عباس، وأورده الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٥): كتاب الأذكار: باب ما يقول إذا ركب البحر، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٢)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه، قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه نهشل بن سعيد وهو متروك.
أخرجه أبو يعلى الموصلي (١٢/ ١٥٢)، حديث برقم (٦٧٨١)،
وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٣/ ٢٣٧): كتاب الأذكار والدعوات: باب ما يقول من ركب =

= أحدهما باقتران الواسطة والآخر بسقوطها، فالصواب أحد الأمرين: إما تقدير المتعلقين على ما هما عليه لو انفردا، فيكون التقدير ما تركبونه وتركبون فيه، والأقرب تعليله باعتبار التعدي بنفسه، ويكون هذا من تغليب أحد اعتباري الفعل على الآخر، وهو أسهل من التغليب في قوله تعالى: (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) على أحد التأويلين فيه: فإن التباين ثم ثابت بين الفعلين من حيث المعنى، أعني: أجمع على الأمر وجمع الشركاء، ولكن لما تقارنا: غلب أحدهما على الآخر، ثم جعل المغلب هو المتعدي بنفسه، والله أعلم.

الذي سخر لنا هذا. فقال: أبهذا أمرتم؟ فقال: وبم أمرنا؟ قال: أن تذكروا نعمة ربكم (١٣٨٩)، كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه. وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها. جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم، فما أحسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات، فكيف بالنظر في لطائف الديانات؟ ﴿مُقۡرِنِينَ﴾ مطيقين. يقال: أقرن الشيء، إذا أطاقه. قال ابن هرمة [من الطويل]:

وَأَقْـرَنْـتُ مَـا حَـمَّـلْـتَـنِـي وَلَـقَـلَّـمَـا ... يُطَاقُ ٱحْتِمَالُ الصَّدِّ يَا دَعْدُ وَالْهَجْرُ[1]

وحقيقة «أقرنه»: وجده قرينته وما يقرن به؛ لأنّ الصعب لا يكون قرينة للضعيف. ألا ترى إلى قولهم في الضعيف: لا يقرن به الصعبة. وقرئ «مقرنين» والمعنى واحد. فإن قلت: كيف اتصل بذلك قوله: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾؟ قلت: كم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت[2] أو طاح من ظهرها فهلك، وكم من راكبين في سفينة

= السفينة حديث (٣٣٦٥) وعزاه لأبي يعلى، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٣٥)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٢)، وزاد نسبته إلى الطبراني وابن السني وابن عدي وأبي الشيخ وابن مردويه.

وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٥٠) وزاد نسبته إلى الطبراني في الدعاء.

قال الهيثمي: رواه أبو يعلى عن شيخه جبارة بن مفلس وهو ضعيف، وقال الحافظ ابن حجر في الكشاف: لم أجده من فعله ﷺ، وفي الطبراني من حديث الضحاك عن ابن عباس رفعه: «أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا في الفلك أن يقولوا: بسم الله، وما قدروا الله حق قدره ـ الآية بسم الله مجريها ومرساها» ورواه في الدعاء من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما. انتهى.

١٣٨٩ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٩١): كتاب الدعاء باب في الرجل يركب الدابة والبعير ما يدعو به حديث (٢٩٧٢٤)، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ١٧٠) حديث (٣٠٧٧٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٩١) وزاد عزوه إلى ابن المنذر وعبد بن حميد، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٥١)، وزاد عزوه إلى الطبراني في كتاب الدعاء، وقال الحافظ: أخرجه الطبري والطبراني في الدعاء من طريق مجلس عن حسين بن علي فذكره.. انتهى.

---

(١) لابن هرمة «وأقرنت الشيء: إذا وجدته قرينًا لك لا يزيد عنك» ثم استعمل في الإطاقة توسعًا. ولقلما: اللام للقسم. وقل: فعل. وما: كافة، ركبت معه فصار المراد منه النفي ولا فاعل له، وشبه المعقول من الصد والهجر بالمحسوس على طريق الكناية، والحمل تخييل، يقول: أطقت ما حملتني إياه من صدك عني وهجرك لي، والحال أنه لا يطاق احتمالهما. وفي الاعتراض بندائها: نوع استعطاف.

ينظر: البحر ٨/ ٧، والدرر المصون ٦/ ٩٣.

(٢) قوله: «أو شمست أو تقحمت» في الصحاح: شمس الفرس شموسًا وشماسًا: منع ظهره. وفيه «القحمة» بالضم: المهلكة. وقحم الطريق: مصاعبه. اهـ، فتقحم الدابة براكبها: خوضها به في قحمته. (ع)

انكسرت بهم فغرقوا؛ فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر، واتصالاً بسبب من أسباب التلف: كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه، وأنه هالك لا محالة فمنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه، ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدًا للقاء الله بإصلاحه من نفسه، والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه، ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه: تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزوارق؛ فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف، فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم[(١)] وهم على ظهور الدواب، أو في بطون السفن/ ٢/ ١٦٧أ وهي تجري بهم، لا يذكرون إلا الشيطان، ولا يمتثلون إلا أوامره. وقد بلغني أنّ بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد بينهما مسيرة شهر، فلم يصح إلا بعدما اطمأنت به الدار، فلم يشعر بمسيره ولا أحس به، فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ما أمر الله به في هذه الآية. وقيل: يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة.

﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ متصل بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ [الزخرف: ٩] أي: ولئن سألتهم عن خالق السمٰوات والأرض ليعترفن به، وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءًا فوصفوه بصفات المخلوقين. ومعنى ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ أن قالوا: الملائكة بنات الله، فجعلوهم جزءًا له وبعضًا منه، كما يكون الولد بضعة من والده وجزءًا له. ومن بدع التفاسير: تفسير الجزء بالإناث، وادعاء أنّ الجزء في لغة العرب: اسم للإناث، وما هو إلا كذب على العرب، ووضع مستحدث منحول، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه: أجزأت المرأة، ثم صنعوا بيتًا وبيتًا [من البسيط]:

إِنْ أَجْـزَأَتْ حُـرَّةٌ يَـوْمًـا فَـلاَ عَـجَـبٌ ....[(٢)]

* * *

---

(١) قوله: «حتى تميل طلاهم» في الصحاح «الطلى» الأعناق. قال الأصمعي: واحدتها طلية. وقال أبو عمرو والفراء: واحدتها طلاة. (ع)

(٢) إن أجـزأت حـرة يـومًـا فـلا عـجـب   قد تـجـزئ الـحـرة الـمذكـار أحـيـانـا

قيل: «الجزؤ» اسم للأنثى، واشتقوا منه: أجزأت المرأة، إذا ولدت جزءًا: أي أنثى. وأنكره الزمخشري وقال: إنه اصطناع لا لغة. والمعنى: إن ولدت امرأة حرة أنثى في بعض الأحيان فلا =

[ومن البسيط]:

زَوَّجْتُهَا مِنْ بَنَاتِ الأَوْسِ مُجْزِئَةً .... [1]

وقرئ: «جزؤوا» بضمتين. ﴿لَكَفُورٌ﴾ لجحود للنعمة ظاهر جحوده؛ لأنّ نسبة الولد إليه كفر، والكفر أصل الكفران كله. ﴿أَمِ اتَّخَذَ﴾ بل اتخذ، والهمزة للإنكار: تجهيلاً لهم وتعجيبًا من شأنهم؛ حيث لم يرضوا بأن جعلوا لله من عباده جزءًا، حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين: وهو الإناث دون الذكور، على أنهم أنفر خلق الله عن الإناث وأمقتهم لهنّ، ولقد بلغ بهم المقت إلى أن وأدوهنّ، كأنه قيل: هبوا أنّ إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة فرضًا وتمثيلاً، أما تستحيون من الشطط في القسمة؟ ومن ادعائكم[2] أنه آثركم على نفسه بخير

= عجب؛ فإن الحرة التي تلد الذكور كثيرًا قد تلد أنثى في بعض الأوقات. وقيل: حرة الأولى اسم امرأة، والثانية صفة.

ينظر: لسان العرب: (جزأ)، وتهذيب اللغة ١١/ ١٤٥، وتاج العروس (جزأ).

(١) زوجتها من بنات الأوس مجزئة للعوسج اللدن في أبياتها زجل

قيل: «المجزئة» التي تلد البنات. والجزؤ: البنت. وأنكره الزمخشري وقال: إنه مصنوع لا لغة. والعوسج: ضرب من الشوك. والمراد به: عود المغزل المتخذ منه. واللدن: اللين. والزجل: صوت دوران المغزل. ونحوه: وزوجتها، مبني للمجهول. وروي: «نكحتها من بنات الأوس» هو أبو قبيلة سميت باسمه، تلد تلك المرأة البنات، وجعل العوسج لدنًا؛ لأنه أكثر دويًا ورنينًا في دورانه.

ينظر: تاج العروس (جزأ)، ولسان العرب (جزأ)، وتهذيب اللغة: ١١/ ١٤٦.

(٢) قال محمود: «كأنه قيل: هبوا أن إضافة الولد إليه جائزة فرضًا وتمثيلاً أما تستحيون من الشطط في القسمة؟ ومن ادعاء أنه آثركم على نفسه... الخ» قال أحمد: نحن معاشر أهل السنة نقول: إن كل شيء بمشيئة الله تعالى، حتى الضلالة والهدى: اتباعًا لدليل العقل، وتصديقًا لنص النقل في أمثال قوله تعالى: (يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وآية الزخرف هذه لا تزيد هذا المعتقد الصحيح إلا تمهيدًا، ولا تفيده إلا تصويبًا وتسديدًا، فنقول: إذا قال الكافر: لو شاء الله ما كفرت، فهذه كلمة حق أراد بها باطلاً. أما كونها كلمة حق فلما مهدناه. وأما كونه أراد بها باطلاً، فمراد الكافر بذلك أن يكون له الحجة على الله، توهمًا أنه يلزم من مشيئة الله تعالى لضلالة من ضل أن لا يعاقبه على ذلك؛ لأنه إنما فعل مقتضى مشيئته كما توهم القدرية إخوان الوثنية ذلك، فأشركوا بربهم، واعتقدوا أن الضلالة وقعت بمشيئة الخلق على خلاف مشيئة الخالق، فالذين أشركوا بالملائكة أرفع منهم درجة؛ لأن هؤلاء أشركوا أنفسهم الدنية في ملك ربهم المتوحد بالربانية جل وعلا، فإذا وضح ما قلناه فإنما رد الله عليهم مقالتهم هذه، لأنهم توهموا أنها حجة على الله، فدحض الله حجتهم، وأكذب أمنيتهم، وبين أن مقالتهم صادرة عن ظن كاذب وتخرص محض، فقال: (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون)، (وإن هم إلا يظنون) وقد أفصحت أخت هذه الآية مع هذه الآية عن هذا التقدير، وذلك قوله تعالى في سورة الأنعام: (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون) فبين تعالى أن الحامل لهؤلاء على التكذيب بالرسل والإشراك بالله: اغترارهم بأن لهم الحجة على الله بقولهم: (لو شاء الله ما أشركنا) فشبه =

الجزأين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما؟ وتنكير ﴿بَنَاتٍ﴾ وتعريف ﴿ٱلْبَنِينَ﴾ وتقديمهنّ في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩] ﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ بالجنس الذي جعله له مثلاً، أي: شبهًا لأنه إذا جعل الملائكة جزءًا لله وبعضًا منه فقد جعله من جنسه ومماثلاً له؛ لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد، يعني: أنهم نسبوا إليه هذا الجنس. ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له: قد ولدت لك بنت اغتم واربدّ وجهه[1] غيظًا وتأسفًا وهو مملوء من الكرب. وعن بعض العرب: أن امرأته وضعت أنثى، فهجر البيت الذي فيه المرأة، فقالت [من الرجز]:

مَا لأَبِي حَمْزَةَ لاَ يَأْتِينَا؟ ... يَظَلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا
غَضْبَانُ أَنْ لاَ نَلِدَ الْبَنِينَا ... لَيْسَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا مَاشِينَا
وَإِنَّمَا نَأْخُذُ مَا أُعْطِينَا[2]

= تعالى حالهم في الاعتماد على هذا الخيال بحال أوائلهم، ثم بين أنه معتقد نشأ عن ظن خلب وخيال مكذب، فقال: (إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون) ثم لما أبطل أن يكون لهم في مقالتهم حجة على الله: أثبت تعالى الحجة له عليهم بقوله: (فلّله الحجة البالغة) ثم أوضح أن الرد عليهم ليس إلا في احتجاجهم على الله بذلك، لا لأن المقالة في نفسها كذب، فقال: (فلو شاء لهداكم أجمعين) وهو معنى قولهم: (لو شاء الله ما أشركنا) من حيث إنّ (لو) مقتضاها امتناع الهداية لامتناع المشيئة، فدلت الآية الأخيرة على أن الله تعالى لم يشأ هدايتهم، بل شاء ضلالتهم. ولو شاء هدايتهم لما ضلوا؛ فهذا هو الدين القويم والصراط المستقيم، والنور اللائح والمنهج الواضح. والذي يدحض به حجة هؤلاء مع اعتقاد أن الله تعالى شاء وقوع الضلالة منهم: هو أنه تعالى جعل للعبد تأتيًا وتيسرًا للهداية وغيرها من الأفعال الكسبية. حتى صارت الأفعال الصادرة منه مناط التكليف؛ لأنها اختيارية يفرق بالضرورة بينها وبين العوارض القسرية؛ فهذه الآية أقامت الحجة، ووضحت لمن اصطفاه الله للمعتقدات الصحيحة المحجة؛ ولما كانت تفرقة دقيقة لم تنتظم في سلك الأفهام الكثيفة؛ فلا جرم أن أفهامهم تبددت، وأفكارهم تبدلت؛ فغلت طائفة القدرية واعتقدت أن العبد فعال لما يريد على خلاف مشيئة ربه، وجارت الجبرية فاعتقدت أن لا قدرة للعبد البتة ولا اختيار، وأن جميع الأفعال صادرة منه على سبيل الاضطرار. أما أهل الحق فمنحهم الله من هدايته قسطًا، وأرشدهم إلى الطريق الوسطى؛ فانتهجوا سبل السلام، وساروا ورائد التوفيق لهم إمام، مستضيئين بأنوار العقول المرشدة إلى أن جميع الكائنات بقدرة الله تعالى ومشيئته، ولم يغب عن أفهامهم أن يكون بعض الأفعال للعبد مقدورة؛ لما وجدوه من التفرقة بين الاختيارية والقسرية بالضرورة، لكنها قدرة تقارن بلا تأثير، وتميز بين الضروري والاختياري في التصوير، فهذا هو التحقيق، والله ولي التوفيق.

(١) قوله: «واربد وجهه غيظًا» تغير إلى الغبرة من الغضب. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) ما لأبي حمزة لا يأتينا؟ ... يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا ... ليس لنا من أمرنا ما شينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ... حكمة ربي ذي الجلال فينا
لامرأة ولدت أنثى فهجر زوجها بيتها، والاستفهام إنكاري. ويظل: استئناف، أي يصير دائمًا في =

والظلول بمعنى الصيرورة، كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها. وقرئ: «مسودّ ومسوادّ» على أن في ﴿ظَلَّ﴾ ضمير المبشر، و﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ جملة واقعة موقع الخبر، ثم قال: أو يجعل للرحمٰن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته. وهو أنه ﴿يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ أي: يتربى في الزينة والنعمة، وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم(١) ومجاراة الرجال، كان غير مبين، ليس عنده بيان، ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه(٢) وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهنّ عن فطرة الرجال، يقال: قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها. وفيه: أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام، وأنه من صفة ربات الحجال، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه، ويربأ بنفسه عنه، ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه: اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا (١٣٩٠). وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى. وقرئ: «ينشأ»، وينشأ، ويناشأ. ونظير المناشأة بمعنى الإنشاء: المغالاة بمعنى الإغلاء.

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾

قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات؛ وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد، ونسبوا إليه أخسّ النوعين؛ وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله(٣)، فاستخفوا بهم

١٣٩٠ ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٢/٢٦٨): كتاب اللباس وآدابه: باب ذكر الإباحة للمرء أن يكون مطلق الإزار في الأحوال، حديث (٥٤٥٤) وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف، وزاد نسبته إلى أبو عبد القاسم في غريب الحديث: (٣/٢٥١ ـ كشاف) قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو عبيد في الغريب: حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي العدس الأسدي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ذكر هذا وزاد، واجعلوا الرأس رأسين ـ الحديث» موقوفًا، ورواه ابن حبان من طريق أبي عثمان. قال: أتانا كتاب عمر فذكر قصة فيها هذا. انتهى.

= البيت الذي يقرب منا، ولا يأوي إلى بيتنا، وغضبان: أي هو غضبان، فهو على تقدير الاستفهام. ويحتمل أنه إخبار، أي: هو غضبان من عدم ولادتنا البنين، ثم ترضته واستعطفته بقولها: ليس لنا من أمرنا ما نشاء، فخفف همزة شئنا للقافية، ولا نأخذ إلا ما أعطانا الله إياه؛ لأن الأمر كله لله، تلك حكمته فينا معاشر الخلق.

(١) قوله: «إلى مجاثاة الخصوم» مفاعلة من «جثا يجثو» إذا برك على ركبتيه. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «يحتج به من يخاصمه» لعله: على من يخاصمه، أو لعله: يحج به من يخاصمه، أي: يغلبه في الحجاج. (ع)

(٣) قوله: «هم أكرم عباد الله على الله» هذا عند المعتزلة. أما أهل السنة فبعض البشر أكرم عندهم من الملك. (ع)

واحتقروهم. وقرئ: «عباد الرحمٰن» وعبيد الرحمٰن، وعبد الرحمٰن، وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم. وإناثًا، وأنثا: جمع الجمع. ومعنى جعلوا: سموا وقالوا: إنهم إناث. وقرئ: «أشهدوا» وأأشهدوا، بهمزتين مفتوحة ومضمومة. وآشهدوا بألف بينهما، وهذا تهكم بهم/ ٢/ ١٦٧ب، بمعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم، فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك، ولا تطرّقوا إليه باستدلال، ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم، فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم، فأخبروا عن هذه المشاهدة. ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم، ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ وهذا وعيد. وقرئ: «سيكتب» وسنكتب: بالياء والنون. وشهادتهم، وشهاداتهم. ويساءلون على: يفاعلون.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ هما كفرتان أيضًا مضمومتان إلى الكفرات الثلاث، وهما: عبادتهم الملائكة من دون الله، وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله، كما يقول إخوانهم المجبرة[1]، فإن قلت: ما أنكرت على من يقول: قالوا ذلك على وجه الاستهزاء، ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين؟ قلت: لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين، وادعاء ما لا دليل عليه باطل، على أن الله تعالى قد حكى عنهم ذلك على سبيل الذم والشهادة بالكفر: أنهم جعلوا له من عباده جزءًا، وأنه اتخذ بنات وأصفاهم بالبنين، وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثًا. وأنهم عبدوهم وقالوا: لو شاء الرحمٰن ما عبدناهم، فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء: لكان النطق بالمحكيات[2] ـ قبل هذا المحكى الذي هو إيمان عنده لو جدّوا في النطق به ـ مدحًا لهم، من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء؛ فبقي أن يكونوا جادين، وتشترك كلها في أنها كلمات كفر، فإن قالوا: نجعل هذا الأخير وحده مقولاً على وجه الهزء دون ما قبله، فما بهم إلا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لتسوية مذهبهم الباطل. ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزءًا

---

(١) قوله: «المجبرة» يريد أهل السنة، حيث قالوا: إنه تعالى يريد الشر كالخير؛ لأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد، لكن هذا لا يستلزم الجبر ولا ينافي اختيار العبد؛ لما له في أفعاله من الكسب وإن كانت مخلوقة له تعالى في الحقيقة، بل الجبر إنما يكون لو كان العباد لا دخل له في أفعاله أصلاً، كالريشة في الهواء، كما قالت المجبرة الحقيقية. وإنما ذم الله تلك المقالة من الكفار؛ لأنهم قالوها استهزاء وعنادًا، لا إقرارًا واعتقادًا، والدليل على ذلك إجماع سلف الأمة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. (ع).

(٢) قوله: «لكان النطق بالمحكيات... الخ» ممنوع، وكذا ما بعده، والمعتزلة قالوا: لا يريد الشر بناء على أن الإرادة هي الأمر، وهو ممنوع، وعفا الله عن صاحب الكتاب في بذاءة لسانه على أهل السنة، وجعلهم إخوان الكفار. (ع)

لم يكن لقوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ معنى، لأنّ من قال: لا إله إلا الله على طريق الهزء: كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب؛ لأنه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادًا كان أو هازئًا. فإن قلت: ما قولك فيمن يفسر ما لهم - بقولهم[1]: إن الملائكة بنات الله - من علم إن هم إلا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله؟ قلت: تمحل مبطل وتحريف مكابر. ونحوه قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢)﴾

الضمير في ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ للقرآن أو الرسول. والمعنى: أنهم ألصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله: قولاً قالوه غير مستند إلى علم، ثم قال: أم آتيناهم كتابًا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح إلينا، فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي، فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به. بل لا حجة لهم يستمسكون بها إلا قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ على دين. وقرئ: «على إمة» بالكسر، وكلتاهما من الأمّ وهو القصد، فالأمة: الطريقة التي تؤم، أي: تقصد، كالرحلة للمرحول إليه. والأمة: الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد. وقيل: على نعمة وحالة حسنة. ﴿عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ خبر «إن». أو الظرف صلة لمهتدون.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣)﴾

﴿مُتْرَفُوهَا﴾ الذين أترفتهم النعمة، أي أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي، ويعافون مشاق الدين وتكاليفه.

﴿۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)﴾

قرئ: «قل» وقال: وجئتكم، وجئناكم، يعني، أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى

---

(١) قوله: «ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم؟» لعله: «يفسر مالهم بذلك بقوله ما لهم بقولهم... الخ». (ع)

من دين آبائكم؟ قالوا: إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه، وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قرئ: «براء» بفتح الباء وضمها. وبريء، فبريء وبراء، نحو كريم وكرام[1]؛ وبراء: مصدر كظماء؛ ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة، والمذكر والمؤنث. يقال: نحن البراء منك، والخلاء منك. ﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فيه غير وجه: أن يكون منصوبًا على أنه استثناء منقطع، كأنه قال: لكن الذي فطرني فإنه سيهدين، وأن يكون مجرورًا بدلاً من المجرور بمن؛ كأنه قال: إنني براء مما تعبدون إلا من الذي فطرني[2]. فإن قلت: كيف تجعله بدلاً وليس من جنس ما يعبدون من وجهين؛ أحدهما: أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات، فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون. والثاني، أن الله تعالى غير معبود بينهم والأوثان معبودة؟ قلت: قالوا: كانوا يعبدون الله مع أوثانهم، وأن تكون ﴿إِلَّا﴾ صفة بمعنى غير، على أن ﴿ما﴾ في ما تعبدون موصوفة[3]. تقديره: إنني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني، فهو نظير قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ على التسويف؟ قلت: قال مرة: ﴿فهو يهدين﴾ [الشعراء: ٧٨]/ ٢/ ١٦٨أ ومرة ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ فاجمع بينهما وقدّر، كأنه قال. فهو يهدين وسيهدين، فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال. ﴿وَجَعَلَهَا﴾ وجعل إبراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ في ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيده، لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم. ونحوه ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾

---

(١) قوله: «نحو كريم وكرام» في الصحاح: الكرام ـ بالضم ـ: مثل الكريم. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: وردّه الشيخُ بأنه لا يجوز إلاّ في نَفْيٍ أو شِبْهِهِ قال: وعَزَّهُ كَوْنُ بَراءٍ في معنى النَّفْيِ ولا ينفعه ذلك لأنه مُوجِبٌ: قد تَأَوَّلَ النحاةُ ذلك في مواضع من القرآن كقوله: ﴿يأبى الله إلا أن يتم نوره﴾ ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ والاستثناء المُفَرَّغ لا يكون في إيجاب، ولكن لَمَّا كَانَ يأتي بمعنى لا تفعل وإنها لكَبِيرَةٌ بمعنى لا تَسْهُلُ وَلاَ تَخِفُّ ساغَ ذلك، فهذا مثله. انتهى. الدر المصون.

(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وإنَّمَا أَخْرَجَهَا في هذا الوجه عن كونها موصولة؛ لأنه يرى أَنَّ «إلا» بمعنى غَير لا يوصفُ بها إلاّ النكرةُ، وفيها خلافٌ فعلى هذا يجوز أن تكون «ما» موصولةً وإلاَّ بمعنى غير صفة لها. انتهى. الدر المصون.

[البقرة: ١٣٢] وقيل: وجعلها الله. وقرئ: «كلمة» على التخفيف وفي عقبه كذلك، وفي عاقبه، أي: فيمن عقبه، أي: خلفه.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني: أهل مكة، وهم من عقب إبراهيم بالمدّ في العمر والنعمة، فاغتروا بالمهلة، وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد؛ ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ وهو القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة، فكذبوا به وسموه ساحرًا وما جاء به سحرًا ولم يوجد منهم ما رجاه إبراهيم. وقرئ «بل متعنا» فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ «متعت» بفتح التاء؟ قلت: كأن الله تعالى اعترض على ذاته في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٨] فقال: بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق، حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد. وأراد بذلك الإطناب في تعييرهم؛ لأنه إذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببًا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان، لا أن يشركوا به ويجعلوا له أندادًا، فمثاله أن يشكو الرجل إساءة من أحسن إليه، ثم يقبل على نفسه فيقول: أنت السبب في ذلك بمعروفك وإحسانك، وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

فإن قلت: قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع، ثم أردفه[١] قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ﴾ فما طريقة هذا النظم ومؤداه؟ قلت: المراد بالتمتيع ما هو سبب له، وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته، فقال: بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين، فخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع، ثم أردفه... الخ» قال أحمد: كلام نفيس لا مزيد عليه، إلا أن قوله: «خيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها» إطلاق ينبغي اجتنابه، والله أعلم، وما أحسن مجيء الغاية على هذا النحو مجيء الإضراب في بعض التارات، فكما جاءت الغاية هنا ـ وليس المراد بها أن الفعل المذكور قبلها منقطع عندها على ما هو المفهوم منها، بل المراد استمراره وزيادته، فكأن تلك الحالة النافعة انتهت بوجود ما هو أكمل منها ـ كذلك الإضراب في مثل قوله تعالى: (بل إدارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون) وهذه الإضرابات ليست على معنى أن الثاني منها رد للأول، بل ثانيها آكد من أولها، وجاء الإضراب مع التوافق والزيادة للإشعار بأن الثاني لما زاد على الأول صار باعتبار زيادته ونقصان الأول كأنهما شيئان متنافيان يضرب عن أولهما ويثبت آخرهما، ومثله كثير، وبالله التوفيق.

التنبه، ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال: ولما جاءهم الحق جاءوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها: وهو أن ضموا إلى شركهم معاندة الحق، ومكابرة الرسول، ومعاداته، والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه، والإصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من أهل زمانه بقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ وهي الغاية في تشويه صورة أمرهم، قرئ: «على رجْل» بسكون الجيم من القريتين: من إحدى القريتين، كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٢] أي من أحدهما. والقريتان: مكة والطائف. وقيل: من رجلي القريتين، وهما: الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي، عن ابن عباس. وعن مجاهد: عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل. وعن قتادة: الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي، وكان الوليد يقول: لو كان حقًّا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن عليّ أو على أبي مسعود الثقفي، وأبو مسعود: كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون أن يبعث الله بشرًا رسولاً، فلما علموا بتكرير الله الحجج أن الرسل لم يكونوا إلا رجالاً من أهل القرى، جاءوا بالإنكار من وجه آخر، وهو تحكمهم أن يكون أحد هذين، وقولهم: هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به، وأرادوا بعظم الرجل: رياسته وتقدّمه في الدنيا، وعزب عن عقولهم أن العظيم من كان عند الله عظيمًا.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ هذه الهمزة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم، وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوّة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها، والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته، ثم ضرب لهم مثلاً فأعلم أنهم عاجزون عن تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم في دنياهم، وأنّ الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالهم تدبير العالم بها، فلم يسوّ بينهم، ولكن فاوت بينهم في أسباب العيش، وغاير بين منازلهم فجعل منهم أقوياء وضعفاء وأغنياء ومحاويج وموالي وخدمًا؛ ليصرف بعضهم بعضًا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في أشغالهم، حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا إلى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم؛ ولو وكلهم إلى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا. وإذا كانوا في تدبير أمر المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة، فما ظنك بهم في تدبير أمور الدين الذي هو رحمة الله/ ٢/ ١٦٨ب الكبرى ورأفته العظمى؟ وهو الطريق إلى حيازة حظوظ الآخرة، والسلم إلى حلول دار السلام؟ ثم قال: ﴿وَرَحْمَتُ

رَبِّكَ﴾ يريد: وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب: خير ممّا يجمع هؤلاء من حطام الدنيا. فإن قلت: معيشتهم ما يعيشون به من المنافع[1]، ومنهم من يعيش بالحلال، ومنهم من يعيش بالحرام؛ فإذن قد قسم الله تعالى الحرام كما قسم الحلال. قلت: الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع وأذن له في تناولها، ولكن شرط عليه وكلفه أن يسلك في تناولها الطريق التي شرعها؛ فإذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالاً، وسماها رزق الله؛ وإذا لم يسلكها تناولها حرامًا، وليس له أن يسميها رزق الله[2]؛ فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع، ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم، وهو عدولهم فيه عما شرعه الله إلى ما لم يشرعه.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ بدل اشتمال من قوله: ﴿لِمَن يَكْفُرُ﴾ ويجوز أن يكونا بمنزلة اللامين في قولك: وهبت له ثوبًا لقميصه[3]. وقرئ: «سقفًا» بفتح السين وسكون القاف. وبضمها وسكون القاف وبضمها: جمع سقف، كرهن ورهن ورهن. وعن الفراء: جمع سقيفة وسقفًا بفتحتين، كأنه لغة في سقف وسقوفًا، ومعارج ومعاريج. والمعارج: جمع معرج، أو اسم جمع لمعراج: وهي المصاعد إلى العلالي. ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي على المعارج، يظهرون السطوح يعلونها، فما اسطاعوا أن يظهروه. وسررًا، بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف. ﴿لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ اللام هي الفارقة بين إن المخففة والنافية. وقرئ بكسر اللام، أي: للذي هو متاع الحياة، كقوله تعالى: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٦] ولما بالتشديد بمعنى إلا، وإن نافية. وقرئ: «إلا» وقرئ: وما كل ذلك إلا. لما قال:

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: معيشتهم ما يعيشون به من المنافع... الخ» قال أحمد: قد تقدم أن الرزق عند أهل السنة يطلق على ما يقوم الله به حال العبد حلالاً كان أو حرامًا، وهذه الآية معضدة، والزمخشري بني على أصله، وقد تقدم.

(٢) قوله: «وليس له أن يسميها رزق الله» هذا على مذهب المعتزلة. وأما عند أهل السنة فالرزق ما ينتفع به ولو حرامًا. والمصنف يريد: أن الله لا ييسر الحرام؛ لأنه لا يفعل القبيح عند المعتزلة. ومذهب أهل السنة أن فاعل الكائنات كلها هو الله تعالى. (ع)

(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا أدري ما أراد بقوله، قلت: أراد بذلك أن اللامين للعلة، أي: كانت الهبة لأجلك لأجل قميصك، فلقميصك بدل اشتمال بإعادة العامل بعينه، وقد نقل أن قوله: «وهبنا له إسحاق» أنها للعلة. انتهى. الدر المصون.

﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢] فقلل أمر الدنيا وصغرها: أردفه بما يقرّر قلة الدنيا عنده من قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه، لجعلنا لحقارة زهرة الحياة الدنيا(١) عندنا للكفار سقوفًا ومصاعد وأبوابًا وسررًا كلها من فضة وزخرف، وجعلنا لهم زخرفًا، أي: زينة من كل شيء. والزخرف: الزينة والذهب. ويجوز أن يكون الأصل: سقفًا من فضة وزخرف، يعني: بعضها من فضة وبعضها من ذهب، فنصب عطفًا على محل ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾ وفي معناه قول رسول الله ﷺ: «لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء» (١٣٩١) فإن قلت: فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدّى إليها التوسعة

١٣٩١ ـ أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٠) كتاب الزهد باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل حديث (٢٣٢٠)، والطبراني في «الكبير» (٥٩٢١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٥٣) وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٩٥٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٦)، والخطيب في «تاريخه» (٤/ ٩٢) والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٣٩) من طريق عبد الحميد بن سليمان عن أبي حازم عن سهل ابن سعد الساعدي به.

وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد توبع عبد الحميد، تابعه أبو يحيى زكريا ابن منظور.

أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٧٦ ـ ١٣٧٧) كتاب الزهد: باب مثل الدنيا حديث (٤١١٠)، والحاكم (٤/ ٣٠٦)، وابن أبي عاصم في الزهد (١٢٨) من طريق زكريا بن منظور عن أبي حازم به وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وتعقبه الذهبي فقال: زكريا بن منظور ضعفوه. وفي «الزوائد» في إسناده زكريا بن منظور وهو ضعيف.

وللحديث شواهد من حديث ابن عمر أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٤٠) ومن حديث ابن عباس.

أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٠٤).

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: فيه عبد الحميد بن سليمان وتابعه زكريا بن منظور، وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة. وحديثه عند البزار من حديث صالح مولى التوأمة عنه، =

---

(١) قال محمود: «معناه: لولا كراهية أن يجتمعوا على الكفر لجعلنا للكفرة سقوفًا من فضة، أي: لوسعنا عليهم الدنيا لحقارتها عندنا» قال أحمد: «لولا» هنا أخت «لولا» في قوله: (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم... الآية) فلك أن تصحح الكلام بتقدير كراهة ذلك بأن لا تقدر محذوفًا كما قدمته، فيكون وجه الكلام ههنا أن إجماعهم على الكفر مانع من بسط الدنيا. وهذا هو معنى لولا المطرد أن ما بعدها أبدًا مانع من جوابها، ولكن قد يكون المانع موجودًا تحقيقًا فيمتنع الجواب بلا إشكال، كقوله تعالى: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) وهو الأكثر. وقد يكون وجوده تقديرًا معه على ذلك الآية، أي: لو وجد بسط الدنيا للكافر مقدرًا لوجد مانعه عندنا وهو الاجتماع على الكفر مقدرًا معه، وكل ما أدى وجوده إلى وجود مانعه لا يوجد.

عليهم من إطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها، فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإسلام؟ قلت: التوسعة عليهم مفسدة أيضًا لما تؤدي إليه من الدخول في الإسلام لأجل الدنيا، والدخول في الدين لأجل الدنيا من دين المنافقين[1]، فكانت الحكمة فيما دبر، حيث جعل في الفريقين أغنياء وفقراء، وغلب الفقر على الغنى.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قرئ: «ومن يعشُ» بضم الشين وفتحها. والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة في بصره قيل: عشى. وإذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا. ونظيره: عرج، لمن به الآفة[2]. وعرج، لمن مشى مشية العرجان من غير عرج. قال الحطيئة [من الطويل]:

= ولفظه: «ما أعطي كافرًا منها شيئًا» ورواه البيهقي في الشعب في الحادي والسبعين من رواية أبي معشر عن المقبري عنه وفي الباب عن ابن عباس، أخرجه أبو نعيم في الحلية، وفيه الحسن بن عمارة وهو ضعيف جدًا، وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب من رواية مالك عن نافع عن ابن عمر، بلفظ المصنف قال ابن طاهر: فيه علي بن محمد بن أحمد بن أبي عوف عن أبي مصعب عنه، لا أصل له من حديث مالك. انتهى.

---

(١) قال محمود: «فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي إليها التوسعة من الإطباق على الكفر، فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإيمان؟ وأجاب بأن التوسعة عليهم مفسدة أيضًا لما يؤدي إليه من الدخول في الإسلام لأجل الدنيا، وذلك من دين المنافقين» قال أحمد: سؤال وجواب مبنيان على قاعدتين فاسدتين، إحداهما: تعليل أفعال الله تعالى، والأخرى: أن الله تعالى أراد الإسلام من الخلق أجمعين. أما الأولى فقد أخرس الله السائل عنها بقوله: (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) وأما الثانية فقد كفى الله المؤمنين الجواب عنه فيه بقوله: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا).

(٢) قال محمود: «يقال: عشي بصره بكسر الشين إذا أصابته الآفة. . .» قال أحمد: في هذه الآية نكتتان بديعتان، إحداهما: الدلالة على أن النكرة الواقعة في سياق الشرط تفيد العموم، وهي مسألة اضطرب فيها الأصوليون، وإمام الحرمين من القائلين بإفادتها العموم، حتى استدرك على الأئمة إطلاقهم القول بأن النكرة في سياق الإثبات تخص، وقال: إن الشرط يعم، والنكرة في سياقه تعم. وقد رد عليه الفقيه أبو الحسن علي الأنباري شارح كتابه ردًا عنيفًا. وفي هذه الآية للإمام ومن قال بقوله كفاية؛ وذلك أن الشيطان ذكر فيها منكرًا في سياق شرط، ونحن نعلم أنه إنما أراد عموم الشياطين لا واحدًا لوجهين، أحدهما: أنه قد ثبت أن لكل أحد شيطانًا، فكيف بالعاشي عن ذكر الله. والآخر: يؤخذ من الآية، وهو أنه أعاد عليه الضمير مجموعًا في قوله: (وإنهم) فإنه عائد إلى =

مَـتَـى تَـأْتِـهِ تَـعْـشُـو إِلَـى ضَـوْءِ نَـارِهِ .... [1]

أي: تنظر إليها نظر العشيّ لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء. وهو بَيِّنٌ في قول حاتم [من الكامل]:

أَعْـشُـو إِذَا مَـا جَـارَتِـي بَـرَزَتْ   حَـتَّـى يُـوَارِيَ جَـارَتِـي الْـخِـدْرُ[2]

= الشيطان قولاً واحدًا «ولولا إفادته عموم الشمول لما جاز عود ضمير الجمع عليه بلا إشكال، فهذه نكتة تجد عند إسماعها لمخالفي هذا الرأي سكتة. النكتة الثانية: أن في هذه الآية ردًا على من زعم أن العود على معنى (من) يمنع من العود على لفظها بعد ذلك. واحتج المانع لذلك بأنه إجمال بعد تفسير، وهو خلاف المعهود من الفصاحة. وقد نقض الكندي هذا بقوله تعالى: (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحًا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا قد أحسن الله له رزقًا) ونقض غيره بقوله: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوًا أولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليه... الآية) وكان جدي رحمه الله قد استخرج من هذه الآية بعض ذلك؛ لأنه أعاد على اللفظ في قوله: (يعش) و(له) مرتين، ثم على المعنى في قوله: (ليصدونهم) ثم على اللفظ بقوله: (حتى إذا جاءنا) وقد قدمت أن الذي منع ذلك قد يكون اقتصر بمنعه على مجيء ذلك في جملة واحدة، وأما إذا تعددت الجمل واستقلت كل بنفسها فقد لا يمنع ذلك حتى رددت على الزمخشري في قوله تعالى: (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا) فإن الجملة واحدة، فانظره في موضعه.

(1) كسوب ومتلاف إذا ما سألته   تهلل واهتز اهتزاز المهند
وذاك امرؤ إن يعطك اليوم نائلاً   بكفيه لم يمنعك من نائل الغد
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره   تجد خير نار عندها خير موقد

للحطيئة، يقول: هو كثير الكسب وكثير الإتلاف، وبينهما طباق التضاد: إذا سألته أجابك بسرعة وطلاقة وجه وهو المراد بقوله: تهلل واهتز كاهتزاز السيف المطبق من حديد الهند، إذا أعطاك اليوم عطاء بكفيه معًا كناية عن كثرة العطاء، وسألته في غد أعطاك أيضًا. وعشي يعشى كرضي ويرضى: إذا كان ببصره آفة. وعشا يعشو: إذا تعاشى بغير آفة. والمعنى: متى تأته على هيئة الأعشى ـ مجاز عن إظهار الفاقة ـ تجده أكرم الناس، عبر عنه بذلك على طريق الكناية.

ينظر: البيت في ديوانه ص ٥١، وإصلاح المنطق ص ١٩٨، والأغاني ٢/ ١٦٨، وخزانة الأدب ٣/ ٧٤، ٧/ ١٥٦، ٩/ ٩٢ ـ ٩٤، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٦٥، والكتاب ٣/ ٨٦، ولسان العرب (عشا)، ومجالس ثعلب ص ٤٦٧، والمقاصد النحويّة ٤/ ٤٣٩، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٨٧١، وخزانة الأدب ٥/ ٢١٠، وشرح الأشموني ٣/ ٥٧٩، وشرح ابن عقيل ص ٥٨١، وشرح عمدة الحافظ ص ٣٦٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٦٦، ٤/ ١٤٨، ٧/ ٤٥، ٥٣، وما ينصرف وما لا ينصرف ص ٨٨، والمقتضب ٢/ ٦٥.

(2) ناري ونار الجار واحدة   وإليه قبلي تنزل القدر
ما ضرني جار أجاوره   ألا يكون لبابه ستر
أعشو إذا ما جارتي برزت   حتى يواري جارتي الخدر

لحاتم الطائي: وعشي يعشى كرضي يرضى: صار لا يبصر ليلاً. وعشا يعشو كدعا يدعو: إذا نظر كنظر الأعشى. =

وقرئ: «يعشو» على أنّ من موصولة غير مضمنة معنى الشرط. وحق هذا القارئ أن يرفع نقيض[1]. ومعنى القراءة بالفتح: ومن يعم ﴿عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ وهو القرآن، كقوله تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾ [البقرة: ١٨] وأما القراءة بالضم فمعناها: ومن يتعام عن ذكره، أي: يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى، كقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ [النمل: ١٤] ﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا﴾ نخذله[2] ونخل بينه وبين الشياطين، كقوله تعالى:

= يقول: إن ناري هي نار جاري، وتنزل قدري إليه ليأكل منها قبلي، أو ناري ونار جاري واحدة في الزمن والقوة ومع ذلك تنزل قدره إليه قبلي ليأكلها سريعًا خوف اطلاع أحد عليه. لكن يبعد هذا أن المقام ليس لذم الجار بل للمدح. ثم هذا كناية عن شدة كرمه على غيره، ثم وصف نفسه بالعفة بقوله: ما ضرني جار من جيراني بمسبة ولا غيرها من أن لا يكون لبابه حجاب يستر أهله، فإني أتغافل وأغض بصري إذا خرجت جارتي، حتى يسترها بيتها. وأتى بالظاهر موضع المضمر ليفيد أنه ينبغي مراعاة حق الجوار. والاحتمال الأول أقعد؛ لأن معناه أنه يبره ويعف عن محارمه. وأما الثاني ففيه ذم جاره. وهو لا يلائم ما بعده.

ينظر: ديوانه (٢٤٥)، أمالي المرتضى (٢/ ٤٧٤)، البحر المحيط (٨/ ٤)، الدر المصون (٦/ ٩٨).

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخُ: ولا يتعيَّنُ موصوليتها بل يُخَرَّجُ على وجهين؛ إما تقديرُ حَذْفِ حركةِ العلة وقد حكاها الأخفشُ لغة وتقدم منه في سورة يوسف شواهد، وإمَّا على أنه جَزَمَ بِمَنْ الموصولة تشبيهاً لها بِمَنْ الشرطية قال: وإذَا كانوا قد جزموا بالذي وليس بِشَرْطٍ فأولى بما استعمل شَرْطاً وغيرَ شرط وأنشد [من الطويل]:

وَلاَ تَحْفِرَنْ بِئْراً تُرِيدُ أَخاً بِهَا فَإِنَّكَ فِيهَا أَنْتَ مِنْ دُونِهِ تَقَعْ.
كذاك الذي يَبْغِي على الناسِ ظَالِماً تُصِبْهُ عَلَى رَغْمٍ عواقبُ مَا صَنَعْ

قال: وهو مذهب الكوفيين، وله وجه من القياس وهو أَنَّ الذي أَشْبَهَتْ اسم الشرطَ في دخول الفاء في خبرها فَتُشْبِهُ اسمَ الشرط في الجزم أيضاً إلاَّ أَنَّ دخول الفاء مُنْقَاسٌ بشرطه. وهذا لا ينقاس ويقال: عَشَا يَعْشُو وعَشِيَ يَعْشَى فبعضهم جعلهما بمعنى وبعضهم فَرَّقَ بأن عَشِيَ يَعْشَى إذَا جعلت الآفَةُ من بصره وأصله الواو وإنما قلبت ياء لانكسار ما قبلها كرَضِيَ يَرْضَى وعَشَا يَعْشُو أي تفاعل. ذلك ونَظَرَ نَظَرَ العُشْيِ ولاَ آفَةَ ببصره كما قالوا: عَرِجَ لِمَنْ به آفة العَرَجِ وعَرَج لمن تَعَارَجَ ومَشَى مِشْيَةَ ال عُرْجَانِ قال [من الكامل]:

أَعْشُو إذا مَا جَارَتِي بَرَزَتْ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الخِدْرُ

أي أَنْظُرَ نَظَرَ العَشِي. وقال آخر [من الطويل]:

مَتَى تأته تَعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِه تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

أي تَنْظُر نَظَر العُشْي لضعف بصره من كثرة الوقود، بعضُهم بأن عَشَوْتَ إلى النار إذَا استدلَلْتَ عليها بنظرٍ ضعيف. وقال الفراء: عَشَا يَعْشِي يَعْرِضُ وعَشِيَ عَمِيَ. إلاَّ أَنَّ ابنَ قتيبة قال: لم نَرَ أحداً حكى عَشَوْتُ عن الشيء أَعْرَضْتُ عنه وإنما يقال: تَعَاشَيْتُ عن كذا إذَا تَغَافَلْتُ عنه وتَعامَيتُ. وقرأ العامة «نُقَيِّضْ» بنون العظمة وعلي بن أبي طالب والأعمش ويعقوب والسلمي وأبو عمرو وعاصم في روايةٍ عنهما «يُقَيِّضُ» بالياء من تحت أي يُقَيِّضْ الرحمنُ والشَّيْطَانَ نَصْبٌ في القراءتين. وابنُ عباسٍ «يُقَيَّضْ» مبنياً للمفعول «شَيْطَانٌ» بالرفع قائمٌ مقام الفاعل. انتهى الدر المصون.

(٢) قوله: «نقيض له شيطانًا: نخذله» تأويله بذلك مبني على أنه تعالى لا يفعل القبيح، وهو مذهب =

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ [فصلت: ٢٥]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [مريم: ٨٣] وقرئ: «يقيض» أي: يقيض له الرحمٰن ويقيض له الشيطان. فإن قلت: لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ﴾؟ قلت: لأنّ (من) مبهم في/٢/١٦٩أ جنس العاشي، وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه، فلما جاز أن يتناولا لإبهامهما غير واحدين: جاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعًا. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ العاشي. وقرئ: «جاآنا» على أنّ الفعل له ولشيطانه. ﴿قَالَ﴾ لشيطانه ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ يريد المشرق والمغرب، فغلب كما قيل: العمران والقمران. فإن قلت: فما بعد المشرقين؟ قلت: تباعدهما، والأصل: بعد المشرق من المغرب، والمغرب من المشرق. فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية: أضاف البعد إليهما. ﴿أَنَّكُمْ﴾ في محل الرفع على الفاعلية، يعني: ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الأمر الصعب اشتراكهم فيه، لتعاونهم في تحمل أعبائه وتقسمهم لشدّته وعنائه؛ وذلك أنّ كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته، ولك أن تجعل الفعل للتمني في قوله: (يا ليت بيني وبينك) على معنى: ولن ينفعكم اليوم ما أنتم فيه من تمني مباعدة القرين. وقوله: ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ تعليل، أي: لن ينفعكم تمنيكم؛ لأنّ حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركون في سببه وهو الكفر. وتقوّيه قراءة من قرأ «إنكم» بالكسر وقيل: إذا رأى الممنو بشدّة[1] من مني بمثلها: روّحه ذلك ونفس بعض كربه، وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء [من الوافر]:

.... أُعَـزِّي الـنَّـفْـسَ عَـنْـهُ بِـالـتَّـأَسِّـي[2]

= المعتزلة. وعند أهل السنة أنه فاعل الكائنات كلها، فالآيات على ظاهرها. (ع)

(١) قوله: «إذا رأى الممنو بشدة» أي المبتلى. ومني: أي ابتلى، أفاده الصحاح. (ع)

(٢) يذكرني طلوع الشمس صخرًا ... وأذكره بكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنه بالتأسي

للخنساء ترثي أخاها. وإسناد التذكير للطلوع: مجاز عقلي؛ لأنه سبب في تذكيرها إياه، وكذلك الغروب حيث كان ذهابه عند الأول وإيابه عند الثاني عادة. أو لأنه يذهب في الأول للغارات، ويجلس في الثاني مع الضيفان. أو لأن طلوعها يشبه طلعته، وغروبها: يشبه موته. وفيه نوع من البديع يسمى التنكيت: وهو الإتيان بلفظ يسد غيره مسده، لولا نكتة فيه ترجح اختصاصه بالذكر: لكان اختصاصه خطأ، كما في اختصاص الوقتين هنا. أفاده السيوطي في شرح عقود الجمان. وفيه أيضًا نوع آخر يسمى الإدماج: وهو أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر، كما ضمن الكلام المسوق هنا لمعنى الرثاء معنى المدح بالشجاعة والكرم. أو بحسن الطلعة. والباء في «بكل» سببية. ويحتمل أن الإسناد للأول من باب الإسناد للزمان، فتكون الباء في الثاني بمعنى «في» أو «مع» وذكر الشمس ثانيًا في آخر المصراع الثاني من باب رد العجز على الصدر. وأعزي النفس: أسليها =

فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروّحهم؛ لعظم ما هم فيه. فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾؟ قلت: معناه: إذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين، وذلك يوم القيامة. وإذ: بدل من اليوم. ونظيره [من الطويل]:

إِذَا مَا ٱنْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَئِيمَةٌ .... [1]

أي: تبين أني ولد كريمة.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾

كان رسول الله ﷺ يجد ويجتهد ويكدّ روحه في دعاء قومه، وهم لا يزيدون على دعائه إلا تصميمًا على الكفر وتماديًا في الغيّ، فأنكر عليه بقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم، وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

(ما) في قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ بمنزلة لام القسم: في أنها إذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة، والمعنى: فإن قبضناك قبل أن ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ أشد الانتقام في الآخرة، كقوله تعالى: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر: ٧٧] وإن أردنا أن ننجز في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر، فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا، وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة. وقرئ: «نرينك» بالنون الخفيفة. وقرئ: «بالذي أوحىٰ إليك» على البناء للفاعل، وهو الله عزّ وجل، والمعنى: وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرنا إلى اليوم الآخر. فكن مستمسكًا بما أوحينا إليك وبالعمل به فإنه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضالٌ شقي، وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله، ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة في أمرك، ولكن كما يفعل الثابت[2]

= وأصبرها عنه بالتأسي، أي: الاقتداء بغيري من أهل المصائب وفي اقتدائها بالباكين من الرجال: إشعار بتجلدها وعظم شأنها مثلهم. وروي «على أمواتهم» بدل: «على إخوانهم»، و«أسلي» بدل «أعزي».
ينظر: ديوانها (٨٥)، البحر المحيط (١٧/٨)، المخصص (٢٢/١٦).

(١) تَقَدَّمَ.

(٢) قوله: «ولكن كما يفعل الثابت» لعله: وكن. أو لعله: ولكن كن. (ع)

الذي لا ينشطه تعجيل ظفر، ولا يثبطه تأخيره.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإنّ الذي أوحي إليك ﴿لَذِكْرٌ﴾ لشرف ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَ﴾ لـ ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ عنه يوم القيامة، وعن قيامكم بحقه، وعن تعظيمكم له، وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين، ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحالته، ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم، هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء؟ وكفاه نظرًا وفحصًا[١]: نظره في كتاب الله المعجز المصدّق لما بين يديه، وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانًا. وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها، والسؤال الواقع مجازٌ عن النظر، حيث لا يصح السؤال على الحقيقة: كثير منه مساءلة الشعراء الديار والرسوم والأطلال. وقول من قال: سل الأرض: من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك؟ فإنها إن لم تجبك حوارًا[٢] أجابتك اعتبارًا. وقيل: إن النبيّ ﷺ جمع له الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس فأمّهم. وقيل له/ ٢/ ١٦٩ب: سلهم، فلم يشكك ولم يسأل. وقيل: معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين: التوراة والإنجيل. وعن الفراء: إنما هم يخبرونه عن كتب الرسل، فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾

ما أجابوه به عند قوله: ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ محذوف، دل عليه قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وهو مطالبتهم إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ أي يسخرون منها ويهزءون بها ويسمونها سحرًا. وإذا للمفاجأة. فإن قلت: كيف جاز أن يجاب لَمّا بإذا المفاجأة؟ قلت: لأنّ فعل المفاجأة معها مقدّر، وهو عامل النصب[٣] في

---

(١) قال محمود: «سؤال مجاز عن الفحص في شرائعهم والنظر في مللهم... الخ» قال أحمد: ويشهد لإرادة سؤال الأمم. (فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) والله أعلم.

(٢) قوله: «تجبك حوارًا» أي مخاطبة بالنطق. في الصحاح: استحاره، أي: استنطقه. (ع)

(٣) قال محمود: «جازت فيه إجابة لما بإذا التي للمفاجأة؛ لأن فعل المفاجأة مقدر معها، وهو العامل فيها النصب... الخ» قال أحمد: الظاهر في تسويغ هذا الإطلاق ـ والله أعلم ـ أن كل واحدة من هذه الآي إذا أفردتها بالفكر استغرقت عظمتها الفكر وبهرته، حتى يجزم أنها النهاية، وأن كل آية دونها. فإذا نقل الفكرة إلى أختها استوعبت أيضًا فكره بغظمها، وذهل عن الأولى فجزم بأن هذه =

محلها، كأنه قيل: فلما جاءهم بآياتنا فاجئوا وقت ضحكهم.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾

فإن قلت: إذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات؟ قلت: أختها التي هي آية مثلها. وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة، كما تقول: هو أفضل رجل رأيته. تريد: تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذا قروتهم رجلًا رجلًا[١]، فإن قلت: هو كلام متناقض؛ لأنّ معناه: ما من آية من التسع إلا هي أكبر من كل واحدة منها، فتكون واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة. قلت: الغرض من هذا الكلام أنهنّ موصوفات بالكبر، لا يكدن يتفاوتن فيه، وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير التي تختلف آراء الناس في تفضيلها، فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك، فعلى ذلك بنئ الناس كلامهم فقالوا: رأيت رجالاً بعضهم أفضل من بعض، وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها، فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك. ومنه بيت الحماسة [من البسيط]:

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ: لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي[٢]

= النهاية، وأن كل آية دونها. والحاصل أنه لا يقدر الفكر على أن يجمع بين آيتين منهما؛ ليتحقق عنده الفاضلة من المفضولة، بل مهما أفرده بالكفر جزم بأنه النهاية. وعلى هذا التقدير يجري جميع ما يرد من أمثاله، والله أعلم.

(١) قوله: «إذا قروتهم رجلاً رجلاً» أي تتبعتهم. (ع)

(٢)
هينون لينون أيسار ذوو كرم ... سواس مكرمة أبناء أيسار
إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهدوا ... فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
وإن تودّدتهم لانوا وإن شهموا ... كشفت أذمار شرّ غير أشرار
لا ينطقون عن الفحشا وإن نطقوا ... ولا يمارون من مارى بإكثار
من تلق منهم تقل: لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

لعبيد بن الأبرص. وقيل للعرندس. وهينون لينون: جمع هين ولين: تخفيف هين ولين بالتشديد، على فيعل. وأيسار: جمع يسر، كقطب وأقطاب، وهو في الأصل ضد العسر، سمي به الرجل مبالغة، أو جمع يسرة كقصبة، وهي في الأصل: الخط في باطن الكف، أطلقت على الرجل إشعارًا بالكرم. وسواس: جمع سائس، بمعنى مالك متصرف بالمصلحة، وبمعنى الولي المصلح. وجهده الطعام: إذا اشتاق إليه واشتهاه. وجهد الرجل فهو مجهود: أصابه القحوط والمشقة. وقوله: «فالجهد يخرج منهم» جواب الشرط. ويحتمل أنه استئناف مفرغ على ما قبله. وإن جهدوا: جوابه دل عليه ما قبله. والشهامة: الخشونة، وشهمت الفرس حركته ليسرع. وأذمار شر: أي شجعان حرب: جمع ذمر ككبد، من ذمر الرجل: عبس وغضب. وذمر الأسد زأر بصوته، أي: إن حملتهم على الحرب أظهرت منهم شجعان حرب غير أشرار. وضمن النطق معنى الإخبار، فعداه =

وقد فاضلت الأنمارية بين الكملة من بنيها، ثم قالت: لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت. ثكلتهم[1] إن كنت أعلم أيهم أفضل، وهم كالحلقة المفرّغة لا يدرىٰ أين طرفاها. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان[2]. فإن قلت: لو أراد رجوعهم لكان، قلت: إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره به[3] ويطلب منه إيجاده، فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد، وإلا دار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف، وإنما لم يكن الرجوع لأنّ الإرادة لم تكن قسرًا ولم يختاروه. والمراد بالعذاب: السنون، والطوفان، والجراد، وغير ذلك.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾

وقرئ: «يا أيه الساحر» بضم الهاء، وقد سبق وجهه. فإن قلت: كيف سموه بالساحر مع قولهم: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾؟ قلت: قولهم: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾: وعد منوي إخلافه، وعهد معزوم على نكثه، معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فما كانت تسميتهم إياه بالساحر بمنافية لقولهم: (إننا لمهتدون) وقيل: كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر:

= بعن. ويجوز أنها بمعنى الباء. والمماراة: الجدال. وبإكثار: متعلق بـ «ماري»، أو بـ «يمارون». من تلقه منهم تقل فيه: لاقيت أشرفهم لتساويهم في الشرف، فهم مثل النجوم في التساوي في الشرف والاهتداء والاستضاءة بكل. فكما أن النجم يهتدي به المسافر، كذلك هم يهتدي بهم المختبط الطالب للمعروف أو المتحير في أمر معضل. ويروى بدل «وإن جهدوا... الخ»: وإن خبروا. في الجهد أدرك منهم طيب أخبار. أي: إن اختبروا علم كرمهم وحسن سيرتهم.

(١) قوله: «ثكلتهم» الثكل: فقدان المرأة ولدها.

(٢) قال محمود: «معناه إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان... الخ» قال أحمد: تقدم في غير موضع أن «لعل» حيثما وردت في سياق كلام الله تعالى فالمراد صرف الرجاء إلى المخلوقين، أي: ليكونوا بحيث يرجى منهم ذلك، هذا هو الحق. وعليه تأول سيبويه ما ورد. وأما الزمخشري فيحمل «لعل» على الإرادة؛ لأنه لا يتحاشى مع اعتقاد أن الله يريد شيئًا ويريد العبد خلافه، فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الرب ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا ـ فما أشنعها زلة وأبشعها خلة. ولقد أساء الأدب في هذا الموضع؛ حتى إنه لولا تعين الرد عليه لما جرى القلم بنقل ما هدي به وما اهتدى. وقد جرى على سنن أوائله في جعل حقيقة الأمر هو الإرادة، وأضاف إلى ذلك اعتقاد أن العبد يوجد فعله ويخلقه، وأن مراد العبد يقع، ومراد الرب لا يقع؛ فهذه ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض؛ نعوذ بالله من هذه الغواية: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا).

(٣) قوله: «ليس إلا أن يأمره به» هذا مذهب المعتزلة. أما مذهب أهل السنة: فإرادته غير الأمر، سواء كانت لفعل نفسه أو لفعل غيره، ولا يلزم تأويل الآية بالإرادة؛ لجواز أن يكون معناها: ليكون حالهم عند الأخذ بالعذاب حال من يرجى رجوعهم. (ع)

﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بعهده عندك: من أن دعوتك مستجابة. أو بعهده عندك وهو النبوّة. أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة. أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ﴾ جعلهم محلاً لندائه وموقعًا له. والمعنى: أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأماكنهم من نادى فيها بذلك، فأسند النداء إليه، كقولك: قطع الأمير اللص، إذا أمر بقطعه. ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط، فيرفع صوته بذلك فيما بينهم، ثم ينشر عنه في جموع القبط، فكأنه نودي به بينهم فقال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يعني أنهار النيل ومعظمهما أربعة: نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تنيس: قيل: كانت تجري تحت قصره. وقيل: تحت سريره لارتفاعه. وقيل: بين يدي في جناني وبساتيني. ويجوز أن تكون الواو عاطفة للأنهار على ملك مصر. وتجري: نصب على الحال منها، وأن تكون الواو للحال، واسم الإشارة مبتدأ، والأنهار صفة لاسم الإشارة، وتجري خبر للمبتدأ، وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوة الربوبية همة من تعظم بملك مصر، وعجب الناس من مدى عظمته، وأمر فنودي بها في أسواق مصر وأزقتها؛ لئلا تخفى تلك الأُبَّهَة[1] والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته. وعن الرشيد: أنه لما قرأها قال: لأولينها أخس عبيدي، فولاها الخصيب، وكان على وضوئه. وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها، فخرج إليها فلما شارفها وقع عليها بصره قال: أهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال: أليس لي ملك مصر، والله لهي أقل عندي من أن أدخلها، فثنى عنانه. ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾/ ٢/ ١٧٠أ أم هذه متصلة؛ لأنّ المعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون، إلا أنه وضع قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ موضع: تبصرون؛ لأنهم إذا قالوا له: أنت خير، فهم عنده بصراء، وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب[2]. ويجوز

---

(١) قوله: «تلك الأبهة» كسكرة، كذا بهامش الصحاح. وفي الصحاح: «دهماء الناس»: جماعتهم. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وهذا متكلّف جدًا؛ إذ المعادل إنما يكون مُقَابِلاً للسابق، فإِنْ كَانَ المعادلُ جملة فعلية كان السابق جملة فعلية أو جملة اسمية يُتَقَدَّرُ منها فعلية كقوله: ﴿أدعوتموهم أم انتم صامتون﴾ لأن معناه أَمْ صَمَتُّم. وهنا لا يتقدر منها جملة فعلية؛ لأنَّ «أَمْ أَنَا خَيْرٌ» ليس مقابلاً لقوله: «أَفَلاَ تُبْصِرُونَ» وإن كان السابقُ اسمًا كان المعادل اسمًا أو جملة فعلية يتقدر منها اسمٌ، نحو قوله [من الرجز]:

أَمُـخْـدَجُ الـيَـدَيْـنِ أَمْ أَتَـمَّـتِ؟ =

أن تكون منقطعة على: بل أأنا خير، والهمزة للتقرير، وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدّم عليهم من ملك مصر وجري الأنهار تحته، ونادى بذلك وملأ به مسامعهم، ثم قال: أنا خير كأنه يقول: أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي ﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ أي ضعيف حقير. وقرئ: «أما أنا خير» ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ الكلام لما به من الرُّتة[1] يريد: أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به، وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة، وكانت الأنبياء كلهم أبيناء[2] بلغاء. وأراد بإلقاء الأسورة عليه: إلقاء مقاليد الملك إليه، لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوّروه بسوار وطوّقوه بطوق من ذهب. ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ إما مقترنين به من قولك: قرنته فاقترن[3] به، وإما من: اقترنوا، بمعنى تقارنوا: لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلوات الله عليه، فوصفه بالضعف وقلة الأعضاد اعترض فقال: هلا إن كان صادقًا ملكه ربه وسوّده وسوّره، وجعل الملائكة أعضاده وأنصاره. وقرئ: «أساور» جمع «أسورة» و«أساوير» جمع أسوار وهو السوار، و«أساورة» على تعويض التاء من ياء أساوير. وقرئ: «ألقي عليه أسورة» وأساور، على البناء للفاعل، وهو الله عز وجل.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ فاستفزهم. وحقيقته: حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم، وكذلك: استفز، من قولهم للخفيف: فز.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿ءَاسَفُونَا﴾ منقول من أسف أسفًا إذا اشتد غضبه. ومنه الحديث في موت الفجأة: «رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر» (١٣٩٢). ومعناه: أنهم أفرطوا في المعاصي وعدوا

١٣٩٢ ـ تقدم في سورة طه، وقال الحافظ: تقدم في سورة طه. انتهى.

= فأَتَمَّتْ معادلُ للاسم فالتقدير أَمْ مُتِمًّا؟ قُلْتُ: وهذا الذي رده على الزمخشري رَدٌّ على سيبويه؛ لأنه السابق به. وكذا قوله أيضًا: أنه لا يحذف المعادل بعد أَمْ إلاَّ وبعدها «لاَ» فيه نَظَرٌ من حيث تجويز سيبويه حذف المعادل دون «لاَ» فهو رَدٌّ على سيبويه أيضًا. انتهى. الدر المصون.

(١) قوله: «لما به من الرتة» بالضم: العجمة في الكلام، كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «وكانت الأنبياء كلهم أبيناء» في الصحاح: بان الشيء بيانًا: اتضح، فهو بين، والجمع أبيناء، مثل هين وأهيناء. (ع)

(٣) قوله: «قرنته فاقترن به» لعله قرنته به فاقترن. (ع)

طورهم، فاستوجبوا أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا، وأن لا نحلم عنهم. وقرئ: «سلفًا» جمع سالف، كخادم وخدم. وسلفا ـ بضمتين ـ جمع سليف، أي: فريق قد سلف. وسلفا: جمع سلفة، أي: ثلة قد سلفت. ومعناه: فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار، يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم؛ لإتيانهم بمثل أفعالهم، وحديثًا عجيب الشأن سائرًا مسير المثل، يحدثون به ويقال لهم: مثلكم مثل قوم فرعون.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾

لما قرأ رسول الله ﷺ على قريش ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] امتعضوا(١) من ذلك امتعاضًا شديدًا، فقال عبد الله بن الزبعرى: يا محمد، أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال عليه السلام: هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم، فقال: خصمتك ورب الكعبة، ألست تزعم أنّ عيسى ابن مريم نبيّ وتثني عليه خيرًا وعلى أمه، وقد علمت أنّ النصارى يعبدونهما. وعزير يعبد. والملائكة يعبدون، فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، ففرحوا وضحكوا، وسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ونزلت هذه الآية (١٣٩٣). والمعنى: ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلاً، وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه ﴿إِذَا قَوۡمُكَ﴾ قريش من هذا المثل ﴿يصدّون﴾ ترتفع لهم جلبة وضجيج(٢) فرحًا وجزلاً وضحكًا بما سمعوا منه من إسكات رسول الله ﷺ بجدله، كما يرتفع لغط القوم ولجبهم إذا تعيّوا بحجة ثم فتحت عليهم. وأمّا من قرأ «يصدّون» بالضم ـ فمن الصدود، أي: من أجل هذا المثل يصدّون عن الحق ويعرضون عنه. وقيل: من الصديد وهو الجلبة، وأنهما لغتان نحو: يعكف ويعكف ونظائر لهما. ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾ يعنون أنّ آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى، إذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينًا. ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي ما ضربوا هذا المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ إلا لأجل الجدل والغلبة في القول، لا لطلب الميز بين الحق

١٣٩٣ ـ تقدم في سورة الأنبياء. وقال الحافظ ابن حجر، تقدم في أواخر الأنبياء. انتهى.

---

(١) قوله: «امتعضوا من ذلك» غضبوا منه وشق عليهم، كذا في الصحاح. (ع)
(٢) قوله: «ترتفع لهم جلبة وضجيج» أي صياح وكذا اللجب. أفاده الصحاح. (ع)

والباطل، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ لدّ شداد الخصومة دأبهم اللجاج، كقوله تعالى: ﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧] وذلك أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ما أريد به إلا الأصنام، وكذلك قوله عليه السلام: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم» إنما قصد به الأصنام، ومحال أن يقصد به الأنبياء والملائكة، إلا أن ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخُبْثِ دُخْلَتِه[١] لما رأى كلام الله ورسوله محتملاً لفظه وجه العموم، مع علمه بأنّ المراد به أصنامهم لا غير، وجد للحيلة مساغًا، فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله، على طريقة المحك والجدال[٢] وحب المغالبة/ ٢/ ١٧٠ب والمكابرة، وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله ﷺ حتى أجاب عنه ربه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] فدل به على أنّ الآية خاصة في الأصنام، على أنّ ظاهر قوله: (وما تعبدون) لغير العقلاء. وقيل: لما سمعوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] قالوا: نحن أهدى من النصارى؛ لأنهم عبدوا آدميًا ونحن نعبد الملائكة، فنزلت. وقوله: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ على هذا القول: تفضيل لآلهتهم على عيسى؛ لأنّ المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك إلا جدلاً. معناه: وما قالوا هذا القول، يعني: ءآلهتنا خير أم هو. إلا للجدال، وقرئ: «آآلهتنا خير» بإثبات همزة الاستفهام وبإسقاطها؛ لدلالة أم العديلة عليها. وفي حرف ابن مسعود: خير أم هذا. ويجوز أن يكون ﴿جدلاً﴾ حالاً، أي: جدلين. وقيل: لما نزلت ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٩] قالوا: ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وإن كان بشرًا، كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر. ومعنى ﴿يَصِدُّونَ﴾ يضجون ويضجرون. والضمير في ﴿أَمْ هُوَ﴾ لمحمد ﷺ، وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم: السخرية به والاستهزاء. ويجوز أن يقولوا ـ لما أنكر عليهم قولهم: الملائكة بنات الله وعبدوهم ـ ما قلنا بدعا من القول، ولا فعلنا نكرًا من الفعل؛ فإنّ النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه، ونحن أشف[٣] منهم قولاً وفعلاً، فإنا نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي، فقيل لهم: مذهب النصارى شرك بالله، ومذهبكم شرك مثله، وما تنصلكم مما أنتم عليه بما أوردتموه إلا قياس باطل بباطل، وما عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ﴾ كسائر العبيد ﴿أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ حيث جعلناه آية: بأن خلقناه من غير سبب، كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوّة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبنيَ إسرائيل.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠﴾

---

(١) قوله: «وخبث دخلته» بالضم: باطن أمره. أفاده الصحاح. (ع)
(٢) قوله: «على طريقة المحك» أي: اللجاج، كما في الصحاح. (ع)
(٣) قوله: «ونحن أشف منهم» أي: أرق. أفاده الصحاح. (ع)

﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾ لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ لولدنا منكم يا رجال ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾ يخلفونكم في الأرض كما يلخفكم أولادكم، كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل؛ لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة، ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام، وذات القديم متعالية عن ذلك.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن عيسى عليه السلام ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي شرط من أشراطها تعلم به، فسمي الشرط علمًا لحصول العلم به. وقرأ ابن عباس: لعلم، وهو العلامة. وقرئ: «للعلم» وقرأ أبيّ: لذكر، على تسمية ما يذكر به ذكرًا، كما سمي ما يعلم به علمًا. وفي الحديث: أن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل على ثنية بالأرض المقدّسة: يقال لها: أفيق وعليه ممصرتان، وشعر رأسه دهين، وبيده حربة، وبها يقتل الدجال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام يؤم بهم، فيتأخر الإمام فيقدِّمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب، ويخرب البيع والكنائس، ويقتل النصارى إلا من آمن به (١٣٩٤). وعن الحسن: أن الضمير للقرآن، وأن

١٣٩٤ ـ قال الزيلعي: غريب بهذا اللفظ، وهو في تفسير الثعلبي هكذا من غير سند وهو مفرق في الأحاديث،
أ ـ قوله ثنية أفيق أخرجه أحمد (٤/ ٢١٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٧٨): كتاب الفتن والملاحم، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٩١): كتاب الفتن باب ما ذكر في فتنة الدجال، حديث (٣٧٤٧٨)، في كنز العمال (٣٨٨٢٩) وذكره المتقي الهندي. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٤٣) وزاد نسبته إلى الطبراني. قوله. «وعليه ممصرتان».
أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ١١٧): كتاب الملاحم باب خروج الدجال، (٤٣٢٤)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٤٠٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٥) كتاب التاريخ، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٣٣): كتاب التاريخ باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن، والحوادث، حديث (٦٨٢١). .
من حديث أبي هريرة:
قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وقوله: «والناس في صلاة الصبح».
أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٥٩): كتاب الفتن باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج حديث (٤٠٧٧).
قوله «فيقتل الخنزير ويكسر الصليب».
أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٤١٥): كتاب المظالم: باب كسر الصليب وقتل الخنزير، حديث (٢٤٧٦)، أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٤٦٦): كتاب الإيمان: باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا =

القرآن به تعلم الساعة؛ لأن فيه الإعلان بها، ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ من المرية وهي الشك، ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ واتبعوا هداي وشرعي. أو رسولي. وقيل: هذا أمر لرسول الله أن يقوله: ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي هذا الذي أدعوكم إليه. أو هذا القرآن إن جعل الضمير في ﴿وَإِنَّهُ﴾ للقرآن.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾

﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ قد بانت عداوته لكم[1]: إذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات. أو بآيات الإنجيل والشرائع البينات الواضحات. ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ يعني: الإنجيل والشرائع. فإن قلت: هلا بيّن لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه؟ قلت: كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه، وإنما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من أمر دينهم. ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾ الفرق المتحزبة بعد عيسى عليه السلام. وقيل: اليهود والنصارى. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وعيد للأحزاب. فإن قلت: ﴿مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ إلى من يرجع الضمير فيه؟ قلت: إلى الذين خاطبهم عيسى في قوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ وهم قومه المبعوث إليهم.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ

= حديث (١٥٥)، وأبو داود في سننه (٤/١١٧): كتاب الملاحم: باب خروج الدجال، حديث (٤٣٢٤)، والترمذي في سننه (٤/٥٠٦): كتاب الفتن باب ما جاء في نزول عيسى بن مريم عليه السلام، حديث برقم (٢٢٣٣)، وابن ماجه (٢/١٣٦٣): كتاب الفتن: باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم... حديث (٤٠٧٨)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/٢٤٠)، والحميدي في مسنده (٢/٤٦٨)، حديث (١٠٩٧) من حديث أبي هريرة، وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي بغير سند، وهو موجود في أحاديث متفرقة. فقوله: «ثنية أفيق» عند الحاكم من حديث عثمان بن أبي العاص. وقوله: «وعليه ممصرتان» عند أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة. وقوله: والناس في صلاة الصبح» عند ابن ماجه من حديث أبي أسامة، وقوله: «فيقتل الخنزير ويكسر الصليب» في الصحيح من حديث أبي هريرة. انتهى.

(١) قوله: «قد بانت عداوته لكم» في الصحاح «بان الشيء بيانًا»: اتضح فهو بين، كذلك أبان فهو مبين. (ع)

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل من الساعة. وَالمعنى: هل ينظرون إلا إتيان الساعة. فإن قلت: أما أدى قوله: ﴿بَغْتَةً﴾ مؤدّى قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيستغني عنه؟ قلت: لا؛ لأنّ معنى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم، كقوله تعالى: ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾/ ٢/ ١٧١أ [يس: ٤٩] ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ منصوب بعدوّ، أي: تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله، وتنقلب عداوة ومقتًا، إلا خلة المتصادقين في الله، فإنها الخلة الباقية المزدادة قوّة إذا رأوا ثواب التحاب في الله تعالى والتباغض في الله. وقيل: ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ إلا المجتنبين أخلاء السوء. وقيل: نزلت في أبيّ بن خلف، وعقبة بن أبي معيط. ﴿يَٰعِبَادِ﴾ حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذٍ، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ منصوب المحل صفة لعبادي؛ لأنه منادى مضاف، أي: الذين صدّقوا ﴿بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ مخلصين وجوههم لنا، جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا. وقيل: إذا بعث الله الناس فزع كل أحد، فينادي مناد، يا عبادي فيرجوها الناس كلهم، ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها غير المسلمين. وقرئ: «يا عباد» ﴿تُحْبَرُونَ﴾ تسرون سرورًا يظهر حباره ـ أي: أثره ـ على وجوهكم، كقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين: ٢٤] وقال الزجاج: تكرمون إكرامًا يبالغ فيه. والحبرة: المبالغة فيما وصف بجميل. والكوب: الكوز لا عروة له. ﴿وَفِيهَا﴾ الضمير للجنة. وقرئ: «تشتهي» وتشتهيه. وهذا حصر لأنواع النعم؛ لأنها إما مشتهاة في القلوب، وإما مستلذة في العيون. ﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى الجنة المذكورة. وهي مبتدأ، و﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ خبر. و﴿ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ صفة الجنة. أو الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة. والتي أورثتموها: خبر المبتدأ. أو التي أورثتموها: صفة، و﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الخبر، والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع أخبار. وفي الوجه الأول تتعلق بأورثتموها. وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة. وقرئ: «ورّثتموها» ﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ من للتبعيض، أي: لا تأكلون إلا بعضها، وأعقابها باقية في شجرها، فهي مزينة بالثمار أبدًا موقرة بها، لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا.

وعن النبي ﷺ: «لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها[1] إلا نبت مكانها مثلاها» (١٣٩٥).

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ لا يخفف ولا ينقص، من قولهم: فترت عنه الحمى إذا سكنت عنه قليلاً ونقص حرّها. والمبلس: اليائس الساكت سكوت يأس من فرج. وعن الضحاك: يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدًا: لا يرى ولا يرى. ﴿هُمُ﴾ فصل عند البصريين، عماد عند الكوفيين. وقرئ: «وهم فيها» أي: في النار[2] وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما: «يا مال» بحذف الكاف للترخيم، كقول القائل [من المنسرح]:

.... وَالْحَقُّ يَا مَالِ غَيْرُ مَا تَصِفُ[3]

وقيل لابن عباس: إن ابن مسعود قرأ «ونادوا يا مال» فقال: ما أشغل أهل النار عن الترخيم (١٣٩٦). وعن بعضهم: حسن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم

١٣٩٥ ـ تقدم في سورة البقرة:
قال الحافظ: أخرجه البزار عن ثوبان، وقد تقدم في البقرة. انتهى.

١٣٩٦ ـ قال الزيلعي: غريب ـ تخريج الكشاف (٣/٢٥٦)، هذا وقد روى البخاري في صحيحه (٦/٤٥٨): كتاب بدء الخلق: باب إذا قال أحدكم أمين...، حديث (٣٢٣٠) ومسلم (٣/٤٢٠): كتاب الجمعة: باب تحفيف الصلاة والخطبة، حديث (٨٧١) عن يعلى عن أبيه: «سمعت رسول ـ ﷺ ـ يقرأ على المنبر: «ونادوا يا مالِ» قال سفيان في قراءة عبد الله: «ونادوا يا مال» واللفظ للبخاري.
=

---

(١) قوله: «من ثمرها إلا نبت مكانها» في الخازن: ورد في الحديث «أنه لا ينزع أحد في الجنة من ثمرها ثمرة إلا نبت مكانها مثلاها». (ع)

(٢) قوله: «وقرئ: (وهم فيها) أي في النار» لعل تأخير الكلام على هذه القراءة عن الكلام على الضمير السابق من تصرف الناسخ؛ لأنه مخالف لترتيب التلاوة. (ع)

(٣) يحيي رفات العظام بالية ... والحق يا مال غير ما تصف

أي: يحيي الله المتفتت من العظام حال كونها بالية، يقال: رفته رفتًا، إذا فتته. والرفات: اسم منه كالفتات، قال: والحق غير ما تذكره يا مالك، فرخمه بحذف الكاف، كأنه كان أخبره بموت أحد ثم ظهرت حياته.

وهو لعمرو بن امرىء القيس في لسان العرب ٥/٤٦ (فجر)، والتنبيه والإيضاح ٢/١٨١، وتاج العروس ١٣/٣٠٠ (فجر)، وبلا نسبة في ديوان الأدب ١/٢١٣.

ما هم فيه. وقرأ أبو السّرار الغنوي «يا مال» بالرفع كما يقال: يا حار[1] ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ من قضى عليه إذا أماته ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥] والمعنى: سل ربك أن يقضي علينا. فإن قلت: كيف قال: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ بعد ما وصفهم بالإبلاس؟ قلت: تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة، فتختلف بهم الأحوال فيسكتون أوقاتًا لغلبة اليأس عليهم، وعلمهم أنه لا فرج لهم، ويغوّثون[2] أوقاتًا لشدّة ما بهم. ﴿مَّٰكِثُونَ﴾ لابثون. وفيه استهزاء. والمراد: خالدون. عن ابن عباس رضي الله عنهما: إنما يجيبهم بعد ألف سنة (١٣٩٧). وعن النبي ﷺ «يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب، فيقولون: ادعوا مالكًا، فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك» (١٣٩٨). ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ كلام الله عزّ وجل: بدليل قراءة من قرأ: «لقد جئتكم» ويجب أن يكون في قال ضمير الله عز وجل. لما سألوا مالكًا أن يسأل الله تعالى القضاء عليهم: أجابهم الله بذلك.

= وقال الحافظ ابن حجر في الكشاف: لم أجده بإسناد.
وفي البخاري عن يعلى بن أمية «أنه سمع النبي ﷺ يقرؤها كذلك. انتهى.

١٣٩٧ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤٤٨): كتاب التفسير، والطبري في جامع البيان (١١/٢١٣): حديث برقم (٣٠٩٩١)، وسفيان الثوري في تفسيره (ص ٢٧٣): حديث (٨٨٦)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٠٢)، وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٨٢)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ١٣٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٣٥)، وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في وصفة النار وابن المنذر والبيهقي في البعث والنشور قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وقال الحافظ: أخرجه الحاكم من رواية سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: (ونادوا يا مالك) قال: مكث عنهم ألف سنة ثم يقول: «إنكم ماكثون» وروى الترمذي من رواية قطبة بن عبد العزيز عن الأعمش عن سمرة بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «يلقى على أهل النار الجوع، فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون، فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ـ الحديث: وفيه: قال الأعمش: بين أن ينزل عليهم وإجابة مالك ألف عام» وقال الترمذي: قطبة ثقة. وبعض أهل الحديث كان يرفع هذا. وهذا أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب ورواه الطبري من رواية شريك عن الأعمش موقوف ولم يفصل الكلام الأخير. ثم رواه من طريق قطبة مرفوعًا؛ ولم يفعل أيضًا. انتهى.

١٣٩٨ ـ أخرجه الترمذي في سننه (٤/٧٠٧): كتاب صفه جهنم، باب ما جاء في صفه طعام أهل النار حديث (٢٥٨٦)، وأبو بكر بن شيبة في مصنفه (٧/ ٤٩) كتاب ذكر النار: باب ما ذكر فيما أعد لأهل النار وشدته حديث (٣٤١٢٩)، والطبري في جامع البيان (٩/ ٢٤٨) حديث (٢٥٦٨٦).
قال الترمذي: إنما تعرف هذا الحديث عن الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله وليس بمرفوع. وقال الحافظ: هو في الحديث الذي قبله. انتهى.

---

(١) قوله: «كما يقال: يا حار» في نداء حارث. (ع)
(٢) قوله: «ويغوثون» في الصحاح: «غوث الرجل»: قال: واغوثاه. (ع)

﴿كَـٰرِهُونَ﴾ لا تقبلونه وتنفرون منه وتشمئزون منه؛ لأنّ مع الباطل الدعة، ومع الحق التعب.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿أَمْ﴾ أبرم مشركو مكة ﴿أَمْرًا﴾ من كيدهم ومكرهم برسول الله ﷺ: ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدنا كما أبرموا كيدهم؛ كقوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الطور: ٤٢]؟ وكانوا يتنادون فيتناجون في أمر رسول الله ﷺ. فإن قلت: ما المراد بالسر والنجوى؟ قلت: السر ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال. والنجوى: ما تكلموا به فيما بينهم. ﴿بَلَىٰ﴾ نسمعهما ونطلع عليهما ﴿وَرُسُلُنَا﴾ يريد/ ٢/ ١٧١ب الحفظة عندهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ذلك. وعن يحيى بن معاذ الرازي: من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذي لا يخفى عليه شيء في السمٰوات فقد جعله أهون الناظرين إليه، وهو من علامات النفاق.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ﴾ وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ﴾ من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له[1] كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه، وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض، وهو المبالغة في نفي الولد والإطناب فيه، وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد، وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها، فكان المعلق بها محالاً مثلها، فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة، وفي معنى

---

(١) قال محمود: «معناه إن صح وثبت برهان قاطع، فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له... الخ» قال أحمد: لقد اجترأ عظيمًا واقتحم مهلكة في تمثيله ذلك بقول من سماه عدليًا: إن كان الله خالقًا للكفر في القلوب ومعذبًا عليه فأنا أول القائلين: إنه شيطان وليس بإله، فلينقم عليه ذلك بقول القائل: قد ثبت قطعًا عقلاً وشرعًا أنه تعالى خالق لذلك في القلوب كما خلق الإيمان، وفاء بمقتضى دليل العقل الدال على أن لا خالق إلا الله، وتصديقًا بمضمون قوله تعالى: (هل من خالق غير الله) وقوله: (الله خالق كل شيء) وإذا ثبتت هذه المقدمة عقلاً ونقلاً: لزمه فرك أذنه وغل عنقه؛ إذ يلحد في الله إلحادًا لم يسبقه إليه أحد من عباده الكفرة، ولا تجرأ عليه مارد من مردة الفجرة. ومن خالف في كفر القدرية فقد وافق على كفر من تجرأ فقال هذه المقالة واقتحم هذه الضلالة بلا محالة؛ فإنه قد صرح بكلمة الكفر على أقبح وجوهها وأشنع أنحائها: والله المسئول أن يعصمنا وهو حسبنا ونعم الوكيل.

نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها. ونظيره أن يقول العدلي للمجبر[1]، إن كان الله تعالى خالقًا للكفر في القلوب ومعذبًا عليه عذابًا سرمدًا، فأنا أول من يقول: هو شيطان وليس بإله؛ فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفي أن يكون الله تعالى خالقًا للكفر، وتنزيهه عن ذلك وتقديسه، ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا، مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب إليه، والشهادة القاطعة بإحالته والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه، وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه. ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له ـ: أما والله[2] لأبدلنك بالدنيا نارًا تلظى ـ: لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلٰهًا غيرك. وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من هذا الأسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه، فقيل: إن كان للرحمٰن ولد في زعمكم، فأنا أول العابدين الموحدين لله، المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه. وقيل: إن كان للرحمٰن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد: إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد. وقرأ بعضهم: «العبدين» وقيل: هي إن النافية، أي: ما كان للرحمٰن ولد، فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد. وروي: أنّ النضر بن عبد الدار بن قصي قال: إن الملائكة بنات الله فنزلت، فقال النضر: ألا ترون أنه قد صدقني. فقال له الوليد بن المغيرة: ما صدقك ولكن قال: ما كان للرحمٰن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة: أن لا ولد له. وقرئ: «ولد» بضم الواو. ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السمٰوات والأرض والعرش عن اتخاذ الولد؛ ليدل على أنه من صفة الأجسام. ولو كان جسمًا لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ﴾ وهذا دليل على أنّ ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب، وإعلام لرسول الله ﷺ أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة، وإن ركب في دعوتهم كل صعب وذلول، وخذلان لهم وتخلية بينهم وبين الشيطان، كقوله تبارك وتعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ **[فصلت: ٤٠]** وإيعاد بالشقاء في العاقبة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ

---

(١) قوله: «ونظيره أن يقول العدلي للمجبر» يريد: أحد المعتزلة لأحد أهل السنة، وفي هذا التنظير من سوء الأدب في حقه تعالى ما لا يخفى. (ع)

(٢) قوله: «قال له: أما والله» في الصحاح: «أما» مخفف تحقيق للكلام الذي يتلوه، اهـ. ولعل حذف الألف لغة، فليحرر. (ع)

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾

ضمن اسمه تعالى معنى وصف؛ فلذلك علق به الظرف في قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[1] كما تقول: هو حاتم في طيّ، حاتم في تغلب، على تضمين معنى الجواد الذي شهر به، كأنك قلت: هو جواد في طي جواد في تغلب. وقرئ: «وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله» ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٣] كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام، كقولهم: ما أنا بالذي قائل لك شيئًا، وزاده طولاً أنّ المعطوف داخل في حيّز الصلة. ويحتمل أن يكون ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ صلة الذي وإله خبر مبتدأ محذوف، على أنّ الجملة بيان للصلة. وأنّ كونه في السماء على سبيل الإلٰهية والربوبية، لا على معنى الاستقرار. وفيه نفي الآلهة التي كانت تعبد في الأرض. ﴿تُرۡجَعُونَ﴾ قرئ بضم التاء وفتحها. و«يرجعون» بياء مضمومة. وقرئ: «تحشرون» بالتاء.

﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾

ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة، كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله، ولكن من ﴿شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ وهو توحيد الله، وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص: هو الذي يملك الشفاعة، وهو استثناء منقطع. ويجوز أن يكون متصلاً؛ لأنّ في جملة الذين يدعون من دون/ ٢/ ١٧٢أ الله: الملائكة، وقرئ: «تدعون» بالتاء وتدّعون بالتاء وتشديد الدال.

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَقِيلِهِۦ﴾ قرئ بالحركات الثلاث، وذكر في النصب عن الأخفش أنه حمله على: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله، وعنه: وقال قيله. وعطفه الزجاج على محل الساعة، كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمرًا، وحمل الجرّ على لفظ الساعة، والرفع

---

(١) قال محمود: «ضمن اسمه عز وجل معنى وصف، فعلق به الظرف. وهو قوله: (في السماء)... الخ» قال أحمد: ومما سهل حذف الراجع مضافًا إلى الطول الذي ذكره: وقوع الموصول خبرًا عن مضمر لو ظهر الراجع لكان كالتكرار المستكره؛ إذ كان أصل الكلام: وهو الذي هو في السماء إله. ولا ينكر أن الكلام مع المحذوف الراجع أخف وأسهل، وأن الراجع إنما حذف على قلة حذف مثله لأمر متأكد؛ فإنه لم يرد في الكتاب العزيز إلا في قوله: (تمامًا على الذي أحسن) ومع أي في موضعين على رأي.

على الابتداء، والخبر ما بعده وجوّز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف. معناه: وعنده علم الساعة وعلم قيله. والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضًا، ومع تنافر النظم. وأقوى من ذلك وأوجه: أن يكون الجرّ والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه، والرفع على قولهم: أيمن الله، وأمانة الله، ويمين الله، ولعمرك: ويكون قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ جواب القسم، كأنه قيل: وأقسم بقيله يا رب. أو وقيله يا رب قسمي إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ فأعرض عن دعوتهم يائسًا عن إيمانهم، وودعهم وتاركهم، ﴿وَقُلۡ﴾ لهم ﴿سَلَٰمٞۚ﴾ أي تسلم منكم ومتاركة. ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله ﷺ. والضمير في ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ لرسول الله ﷺ، وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه.

عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، ادخلوا الجنة بغير حساب» (١٣٩٩).

١٣٩٩ ـ تقدم برقم (٣٤٦). وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه، والواحدي من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. انتهى.

سورة الدخان

مكية، إلا قوله: ﴿إنا كاشفو العذاب قليلا. . .﴾ الآية

وهي سبع وخمسون آية، وقيل تسع وخمسون [نزلت بعد الزخرف]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾

الواو في قوله ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ واو القسم، إن جعلت حم تعديدًا للحروف أو اسمًا للسورة، مرفوعًا على خبر الابتداء المحذوف، وواو العطف إن كانت حم مقسمًا بها. وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ جواب القسم، والكتاب المبين القرآن. والليلة المباركة: ليلة القدر. وقيل: ليلة النصف من شعبان، ولها أربعة أسماء: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الصكّ، وليلة الرحمة، وقيل: بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة. وقيل في تسميتها: ليلة البراءة والصكّ: أن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة، كذلك الله عزّ وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة. وقيل: هي مختصة بخمس خصال: تفريق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها، قال رسول الله ﷺ: «من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك: ثلاثون يبشرونه بالجنة، وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار، وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا. وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان» (١٤٠٠). ونزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام: «إنّ الله يرحم أمّتي[(١)] في هذه الليلة بعدد شعر

١٤٠٠ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٦١) حديث (١١٧٠)، وعزاه إلى أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي في كتاب الترغيب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن النبي ﷺ وإلى أبي الفضل محمد =

---

(١) قوله: «يرحم أمتي في هذه الليلة» لعله: من أمتي. (ع)

أغنام بني كلب» (١٤٠١) وحصول المغفرة: قال عليه الصلاة والسلام: «إنّ الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين، أو مصرّ على الزنا» (١٤٠٢) وما أعطي فيها رسول الله ﷺ من تمام الشفاعة؛

= ابن ناصر السلامي في كتاب فضائل شعبان عن جعفر بن محمد عن أبيه مرفوعًا.
وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب ولم يرفعه، وإلى الحافظ أبي محمد عبد العزيز بن الأخضر في كتابه فضائل شعبان عن بضعة وثلاثين رجل من أصحاب النبي.
وذكره الديلمي في فردوس الأخبار عن علي بن أبي طالب (٤/ ٥٣) حديث (٥٦٥٧).
بلفظ «من صلى مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وعشر مرات: «قل هو الله أحد» ـ قضيت له كل حاجة طلبها في تلك الليلة».
وأخرجه السيوطي في اللآلىء المصنوعة (٢/ ٦٠): كتاب الصلاة، صدره عن علي بن أبي طالب وعجزه عن ابن عمر وعن أبي يحيى عن أربعة وثلاثين من الصحابة.
قال الحافظ ابن حجر: ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن عمر هكذا، وأخرجه أبو الفتح سليم ابن أيوب في الترغيب له من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن علي موقوفًا، وأخرجه ابن الأخضر من رواية جعفر المدائني عن أبي يحيى العتابي حدثني بضعة وثلاثون من أصحاب النبي ﷺ أنه قال ـ فذكره. انتهى.

١٤٠١ ـ أخرجه الترمذي (٣/ ١٠٧) كتاب الصوم: باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان حديث (٧٣٩)، والنسائي (٤/ ٩١) كتاب الجنائز: باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين، حديث (٢٠٣٧)، وابن ماجه في سننه (١/ ٤٤٤): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان حديث (١٣٨٩)، وأحمد في المسند (٦/ ٢٣٨)، وعبد بن حميد في مسنده (١٥٠٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٥٥٦): كتاب الصوم: حديث في فضيلة ليلة النصف من شعبان حديث (٩١٥).
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٦) وزاد نسبته إلى البيهقي وابن أبي شيبة، وذكره الزيلعى في تخريج الكشاف (٣/ ٢٦٢)، وزاد نسبته إلى إسحاق بن راهويه وابن دحية في العلم المشهور قال الترمذي: لا يعرف هذا الحديث.
وقال: يحيى لم يسمع من عروة والحجاج لم يسمع من يحيى.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي، وابن ماجه من حديث عائشة مرفوعًا: «إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا. فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب. قال الترمذي: لا نعرفه إلاّ من حديث الحجاج؟ وسمعت محمدًا يضعفه. وقال: ابن يحيى لم يسمع من عروة، والحجاج لم يسمع من يحيى، وفي الباب عن أنس في الدعوات للبيهقي. وفي روايته مجاهيل. ومن وجه آخر عن عائشة في الأفراد للدارقطني. وفيه عطاء بن عجلان. وهو متروك. انتهى.

١٤٠٢ ـ قال الزيلعى: غريب بهذا اللفظ انظر تخريج الكشاف (٣/ ٢٦٤).
قال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا. وله شواهد.
عند البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٨٤): باب في الصيام: ما جاء في ليلة النصف من شعبان، حديث برقم (٣٨٣٣)، وابن ماجه (١/ ٤٤٥): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان حديث (١٣٩٠). وأحمد في المسند (٦/ ٢٣٩) وابن حبان (١٢/ ٤٨١) كتاب =

وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمّته. فأعطى الثلث منها، ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطي الثلثين، ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطي الجميع، إلا من شرد عن الله شراد البعير (١٤٠٣). ومن عادة الله في هذه الليلة: أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة. والقول الأكثر أنّ المراد بالليلة المباركة: ليلة القدر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١] ولمطابقة قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ لقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر: ٤] وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان. فإن قلت: ما معنى إنزال القرآن في هذه الليلة؟ قلت: قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، وأمر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر، وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله ﷺ نجومًا نجومًا. فإن قلت: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾/ ٢/ ١٧٢ب ما موقع هاتين الجملتين؟ قلت: هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان[١]. فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] كأنه قيل: أنزلنا؛ لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب، وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصًا؛ لأنّ إنزال القرآن من الأمور الحكيمة، وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم. والمباركة: الكثيرة الخير لما يتيح[٢] الله فيها من الأمور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم، ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة، ومعنى ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم، وجميع أمورهم منها إلى

= الحظر والإباحة: باب ما جاء في التباغض والتحاسد والتدابر، حديث (٥٦٦٥) والبزار (٢/ ٤٣٥): كتاب الأدب: باب ما جاء في الشحناء، حديث (٢٠٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٩١). والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٨) حديث (٢١٥).

وذكرها الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٦٤) وعزاها إلى البيهقي في الدعوات، وابن عدي والعقيلي، وقال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده هكذا. وفي ابن حبان من حديث معاذ بن جبل وقال: «يطلع إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلاَّ لمشرك أو مشاحن» وفي ابن ماجه من حديث أبي موسى كذلك، والبزار من حديث أبي بكر وفي إسناده ضعف، والبزار أيضًا من حديث عوف بن مالك، وفيه ابن لهيعة. ومن حديث أبي هريرة وفيه من لا يعرف. ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي سعيد عن عائشة، وفيها: «لا ينظر الله فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى عاق، ولا إلى مدمن خمر» وفي رواية أنس عن عائشة التي ذكرناها في التي قبلها: «والمدمن، والعاق، والمصر على الزنا، وزادوا: «ولا مصور ولا قتار». انتهى.

١٤٠٣ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف: غريب (٣/ ٢٦٦) حديث (١١٧٣).

---

(١) قوله: «ملفوفتان» لعله من اللف والنشر المقرر في البيان، وبيانه ما بعده. (ع)

(٢) قوله: «لما يتيح الله فيها» أي: يقدر. (ع)

الأخرى القابلة. وقيل: يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة، ويقع الفراغ في ليلة القدر، فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخة الحروب إلى جبريل، وكذلك الزلازل والصواعق والخسف، ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم، ونسخة المصائب إلى ملك الموت. وعن بعضهم: يعطى كل عامل بركات أعماله، فيلقى على ألسنة الخلق مدحه، وعلى قلوبهم هيبته. وقرئ: «يفرق» بالتشديد و﴿يُفَرَقُ﴾ كل على بنائه للفاعل ونصب كل، والفارق: الله عزّ وجلّ، وقرأ زيد بن عليّ رضي الله عنه «نفرق» بالنون، كل أمر حكيم: كل شأن ذي حكمة، أي: مفعول على ما تقتضيه الحكمة، وهو من الإسناد المجازى؛ لأنّ الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة، ووصف الأمر به مجاز ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ نصب على الاختصاص. جعل كل أمر جزلاً فخمًا بأن وصفه بالحكيم، ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال: أعني بهذا الأمر أمرًا حاصلاً من عندنا، كائنًا من لدنا، كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا. ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد النهي، ثم إما أن يوضع موضع فرقانًا الذي هو مصدر يفرق؛ لأنّ معنى الأمر والفرقان واحد، من حيث إنه إذا حكم بالشيء وكتبه فقد أمر به وأوجبه. أو يكون حالاً من أحد الضميرين في أنزلناه: إما من ضمير الفاعل، أي: أنزلناه آمرين أمرًا. أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمرًا من عندنا بما يجب أن يفعل، فإن قلت: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ بم يتعلق؟ قلت: يجوز أن يكون بدلاً من قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ و﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ مفعولاً له، على معنى: إنا أنزلنا القرآن؛ لأنّ من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم، وأن يكون تعليلاً ليفرق. أو لقوله: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ ورحمة: مفعولاً به، وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها به في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢] أي يفصل في هذه الليلة كل أمر. أو تصدر الأوامر من عندنا؛ لأنّ من عادتنا أن نرسل رحمتنا. وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها من باب الرحمة؛ وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عزّ وعلا؛ لأنّ الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع. والأصل: إنا كنا مرسلين رحمة منا، فوضع الظاهر موضع الضمير إيذانًا بأنّ الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين، وفي قراءة زيد بن عليّ: «أمر من عندنا» على: هو أمر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص. وقرأ الحسن: «رحمة من ربك»، على: تلك رحمة، وهي تنصر انتصابها بأنها مفعول له. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وما بعده تحقيق لربوبيته، وأنها لا تحق إلا لمن هذه أوصافه. وقرئ: «رب السمٰوات... ربكم ورب آبائكم» بالجر بدلاً من ربك. فإن قلت: ما معنى الشرط الذي هو قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾؟ قلت: كانوا يقرون بأن للسمٰوات والأرض ربًّا وخالقًا، فقيل لهم: إنّ إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب، ثم قيل: إن هذا

الرب هو السميع العليم الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السمٰوات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان، كما تقول: إنّ هذا إنعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهر إسخاؤه، إن بلغك حديثه وحدثت بقصته.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢﴾

ثم ردّ أن يكونوا موقنين بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾ وأن إقرارهم غير صادر عن علم وتيقن، ولا عن جدّ وحقيقة: بل قول مخلوط بهزء ولعب. ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ﴾ مفعول به، مرتقب. يقال: رقبته وارتقبته. نحو: نظرته وانتظرته. واختلف في الدخان؛ فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبه أخذ الحسن: أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة؛ حتى يكون رأس الواحد منهم كالرأس الحنيذ[(١)]، ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص[(٢)]، وعن رسول الله ﷺ/ ٢/ ١٧٣أ «أوّل الآيات: الدخان، والدجال، ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين[(٣)] تسوق الناس إلى المحشر» قال حذيفة: يا رسول الله، وما الدخان؟ فتلا رسول الله ﷺ الآية، وقال: «يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يومًا وليلة، أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة، وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره» (١٤٠٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: خمس قد مضت: الروم، والدخان، والقمر، والبطشة، واللزام (١٤٠٥). ويروى أنه قيل لابن

١٤٠٤ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٢٢٧) حديث (٣١٠٦١)، والبغوى في معالم التنزيل (٤/ ١٥٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٤٥)، والزيلعى في تخريج الكشاف (٣/ ٢٦٦). عزاه إلى الثعلبي.
هذا، وقد ضعفه الطبري فقال: وحدثني محمد بن خلف العسقلاني أنه سأل روادًا عن هذا الحديث» هل سمعه من سفيان؟ فقال: لا قال: فقلت: أقرأته عليه؟ قال: لا، قال: فقلت له: أقرىء عليه وأنت حاضر؟ فقال: لا، قلت: فمن أين جئت به؟ قال: جاءني قوم فعرضوه علي، وقالوا لي: اسمعه منا، فقرؤوه ثم ذهبوا فحدثوا ثوابه عني».
قال ابن حجر هذا أولى وفي مسنده رواد بن الجراح وهو متروك، وقد اعترف بأنه لم يسمع هذا الحديث. انتهى.

١٤٠٥ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٥٤٤): كتاب التفسير باب: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ =

---

(١) قوله: «كالرأس الحنيذ» أي المشوي، كما في الصحاح. (ع)
(٢) قوله: «ليس فيه خصاص» أي: فرج. أفاده الصحاح. (ع)
(٣) قوله: «أبين» في الصحاح: «أبين»: اسم رجل نسب إليه عدن. (ع)

مسعود: إن قاصًا عند أبواب كندة يقول: إنه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق، فقال: من علم علمًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من علم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه: الله أعلم، ثم قال: ألا وسأحدّثكم أنّ قريشًا لما استعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال: «اللّهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» (١٤٠٦) فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز[(١)]، وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان، وكان يحدّث الرجلَ[(٢)] فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان، فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا، فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم. ﴿بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ يشملهم ويلبسهم، وهو في محل الجر صفة لدخان. و﴿هَـٰذَا عَذَابٌ﴾ إلى قوله: ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ منصوب المحل بفعل مضمر، وهو: يقولون، ويقولون: منصوب على الحال، أي: قائلين ذلك. ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ موعدة بالإيمان إن كشف عنهم العذاب.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ ما هو أعظم وأدخل في وجوب الادّكار من كشف الدخان، وهو ما ظهر على رسول الله ﷺ من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات،

= حديث (٤٨٢٥) وأيضًا في (٩/ ٥٤١)، حديث (٤٨٢٠)، ومسلم في صحيحه (٩/ ١٥٦): كتاب صفات المنافقين وأحكامهم؛ باب الدخول، حديث (٢٧٩٨). والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٢): كتاب التفسير: باب قوله تعالى: «فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا». حديث (١١٣٧٤)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٢٢٦): حديث (٣١٠٤٦).

١٤٠٦ ـ تقدم تخريجه، وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه دون قوله: «حتى أكلوا الجيف والعلهز» وقد رواه النسائي، والحاكم، والطبراني من حديث ابن عباس قال: «جاء أبو سفيان إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: أنشدك الله والرحم، لقد أكلنا العلهز يعني الوبر، والدم فأنزل الله: (ولقد أخذناهم بالعذاب ـ الآية). انتهى.

---

(١) قوله: «حتى أكلوا الجيف والعلهز» في الصحاح «العلهز» ـ بالكسر ـ: طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في زمن المجاعة. (ع)

(٢) قوله: «وكان يحدث الرجل فيسمع» لعله: يحدث الرجل الرجل، ويمكن أن يجعل الفاعل ضميرًا يعود على الرجل السابق. (ع)

فلكم يذكروا وتولوا عنه، وبهتوه[1] بأن عداسًا غلامًا أعجميًا لبعض ثقيف هو الذي علمه، ونسبوه إلى الجنون، ثم قال: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهال. فإن قلت: كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيامة قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ قلت: إذا أتت السماء بالدخان تضور[2] المعذبون به من الكفار والمنافقين. وغوثوا وقالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ منيبون، فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يومًا، فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون، ثم قال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يريد يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [النازعات: ٣٤]. ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ أي ننتقم منهم في ذلك اليوم. فإن قلت: بم انتصب يوم نبطش؟ قلت: بما دل عليه ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ وهو ننتقم. ولا يصح أن ينتصب بمنتقمون؛ لأن «إن» تحجب عن ذلك. وقرئ: «نبطش» بضم الطاء. وقرأ الحسن «نبطش» بضم النون، كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى. أو يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم. وقيل: ﴿ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: يوم بدر.

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾

وقرئ: «ولقد فتنا» بالتشديد للتأكيد. أو لوقوعه على القوم. ومعنى الفتنة: أنه أمهلهم ووسع عليهم في الرزق؛ فكان ذلك سببًا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام. أو ابتلاهم بإرسال موسى إليهم ليؤمنوا، فاختاروا الكفر على الإيمان، أو سلبهم ملكهم وأغرقهم. ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله وعلى عباده المؤمنين. أو كريم في نفسه؛ لأنّ الله لم يبعث نبيًا إلا من سراة قومه وكرامهم. ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ﴾ هي أن المفسرة؛ لأن مجيء الرسول من بعث إليهم متضمن لمعنى القول لأنه لا يجيئهم إلا مبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله. أو المخففة من الثقيلة، ومعناه: وجاءهم بأن الشأن والحديث أدّوا إليّ، و﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ مفعول به وهم بنو إسرائيل، يقول: أدوهم إليّ وأرسلوهم معي، كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ﴾ [طه: ٤٧] ويجوز أن يكون نداء لهم على: أدوا إليّ يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الإيمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي، وعلل ذلك بأنه ﴿رَسُولٌ

(١) قوله: «وتولوا عنه وبهتوه» رموه بما ليس فيه كما في الصحاح أيضًا. (ع)

(٢) قوله: «تضور المعذبون به» التضور: الصياح والتلوي عند الألم والتغويث قولها: واغوثاه، أفاده الصحاح. (ع)

﴿أَمِينٌ﴾ غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته. ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا﴾ أن هذه مثل الأولى في وجهيها، أي: لا تستكبروا ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ بالاستهانة برسوله ووحيه. أو لا تستكبروا على نبيّ الله. ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة واضحة. ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ أن تقتلون. وقرئ: «عت» بالإدغام. ومعناه أنه عائذ بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم، فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونهُ به من الرجم/ ٢/ ١٧٣ب والقتل ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾ يريد: إن لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن، فتنحوا عني واقطعوا أسباب الوصلة عني، أي: فخلوني كفافًا لا لي ولا عليّ، ولا تتعرضوا لي بشركم وأذاكم؛ فليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلاحكم ذلك.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣) وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤)﴾

﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بأن هؤلاء، أي: دعا ربه بذلك. قيل: كان دعاؤه: اللّهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم: وقيل هو قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥] وإنما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك، وهو كونهم مجرمين. وقرئ: «إنّ هؤلاء» بالكسر على إضمار القول، أي: فدعا ربه فقال: إن هؤلاء ﴿فَأَسْرِ﴾ قرئ: بقطع الهمزة من أسرى، ووصلها من سرى. وفيه وجهان: إضمار القول بعد الفاء، فقال: أسر بعبادي. وأن يكون جواب شرط محذوف، كأنه قيل: قال إن كان الأمر كما تقول فأسر ﴿بِعِبَادِى﴾ يعني: فأسر ببني إسرائيل، فقد دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده، فينجي المتقدمين ويغرق التابعين. الرهو فيه وجهان، أحدهما: أنه الساكن. قال الأعشى [من البسيط]:

يَمْشِينَ رَهْوًا فَلاَ الأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ ... وَلاَ الصُّدُورُ عَلَى الأَعْجَازِ تَتَّكِلُ[1]

---

(١) يمشين رهوًا فلا الأعجاز خاذلة ... ولا الصدور على الأعجاز تتكل
فهن معترضات والحصى رمض ... والريح ساكنة والظل معتدل
يتبعن سامية العينين تحسبها ... مجنونة أو ترى ما لا ترى الإبل
تهدي لنا كلما كانت علاوتنا ... ريح الخزامى جرى فيها الندى الخضل

للقطافي، يصف إبلًا يمشين مشيًا رهوًا على هينة وسكينة، فلا أعجازها خاذلة أي تاركة لصدورها متكلة عليها بحيث تضعف من ورائها، ولا صدورها تتكل على أعجازها بأن تضعف من قدامها، فأطلق الخذلان والاتكال وأراد لازمهما، وهو الضعف: مجاز مرسل. وأصل تتكل توتكل، فقلبت الواو تاء وأدغمت فيما بعدها، فهن سائرات في عرض الفلوات. والحال أن الحصى حار من شدة وقع الشمس عليه. ورمض الحصى والرمل رمضًا كتعب تعبًا: اشتد حره من الشمس، فأطلق المصدر على اسم الفاعل مبالغة. ويجوز أنه رمض كحذر والريح ساكنة، فلا نسيم يأتي بالبرودة. أو فلا غبار يضر بالسفر والظل معتدل: كناية عن اشتداد الحر؛ لأنه لا يعتدل إلا بتوسط الشمس في =

أي مشيًا ساكنًا على هيئة. أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق، كما ضربه فانفلق، فأمر بأن يتركه ساكنًا على هيئته، قارًّا على حاله: من انتصاب الماء، وكون الطريق يبسًا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئًا ليدخله القبط، فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم. والثاني: أن الرهو الفجوة الواسعة. وعن بعض العرب: أنه رأى جملاً فالجًا فقال: سبحان الله، رهوٌ بين سنامين، أي: اتركه مفتوحًا على حاله منفرجًا. ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ وقرئ بالفتح، بمعنى: لأنهم.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧)﴾

والمقام الكريم: ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة. وقيل: المنابر. والنعمة ـ بالفتح ـ من التنعم، وبالكسر ـ من الإنعام. وقرئ: «فاكهين» وفكهين.

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩)﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف منصوبة على معنى: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أو في موضع الرفع على الأمر كذلك. ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء، وهم بنو إسرائيل: كانوا متسخرين مستعبدين في أيديهم، فأهلكهم الله على أيديهم، وأورثهم ملكهم وديارهم. إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه: بكت عليه السماء والأرض، وبكته الريح، وأظلمت له الشمس. وفي حديث رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض» (١٤٠٧). وقال جرير [من البسيط]:

١٤٠٧ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان (١١/ ٢٣٨)، حديث (٣١١٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٧٢): باب في الصبر على المصائب: فضل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض =

= كبد السماء يتبعن تلك المطايا ناقة حديدة البصر رافعة طرفها لتبصر أمامها، تظنها يا من تراها مجنونة. أو رائية شيئًا لا تراه بقية الإبل. أو شيئًا لا تراه الإبل عادة؛ فلذلك استغربته، تهدي لنا تلك الناقة أو الإبل بمشيها كلما وجد ارتفاعنا في الطريق ريح الخزامى. والعلاوة ـ بالضم ـ: ضد السفالة. وأما بالكسر فهي ما يعلق على البعير بعد حمله. والخزامى: نبت طيب الرائحة. والخضل: الرطب والمبتل والناعم. وضمير فيها عائد على الخزامى. أو على الريح، لكن هذا يفيد أن السفر كان صباحًا.

ينظر: ديوانه ص (٢٦)، ولسان العرب (رها)، وتاج العروس (رها)، وتهذيب اللغة (٦/ ٤٠٤)، وأساس البلاغة (رهو).

(١) قوله: «أنه رأى جملاً فالجًا» في الصحاح «الفالج»: الضخم ذو السنامين. (ع)

. . . . تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا[1]

وقالت الخارجية [من الطويل]:

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالَكَ مُورِقًا؟ كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ[2]

= والمصيبات من الكفارات، حديث (٩٨٨٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٧٤٨) وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا، والزيلعي في تخريج الكشاف (٣/٢٦٨) وزاد نسبته إلى الثعلبي، قال الحافظ ابن حجر: أخرجه البيهقي في الشعب في السبعين منه، والطبري، والثعلبي من حديث شريح بن عبيد الحضري عن النبي ـ ﷺ قال: «إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا إلاَّ غربة على مؤمن. ما مات مؤمن في غربة غائب عنه فيها بواكيه ـ الحديث». انتهى.

---

(١) نعى النعاة أمير المؤمنين لنا ... يا خير من حج بيت الله واعتمرا
حملت أمرًا عظيمًا فاصطبرت له ... وقمت فيه بأمر الله يا عمرا
الشمس طالعة ليست بكاسفة ... تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

لجرير، يرثي عمر بن عبد العزيز. والنعي: النداء بالموت. وقوله: «يا خير» حكاية قول النعاة، أي: قائلين يا خير، ويحتمل أنه من كلام الشاعر، ففيه التفات. والأمر العظيم: الخلافة ومشاقها: شبهها بالمحسوس على طريق المكنية. والتحميل: تخييل. وأمر الله: شرعه. أو اكتفى به عن ذكر النهي لدلالته عليه. وعمرا: منادى مندوب، وألف الندبة منعت ضمة وجلبت فتحة. واستعمال «يا» في الندبة مع أن الأصل فيها «وا» لعدم اللبس في النداء بعد ذكر النعي. ويقال: كسفت الشمس كسوفًا، وكسفها الله كسفًا، وبكى على زيد وبكاه، وباكاه فبكاه، أي غلبه في البكاء، كفاخره ففخره إذا غلبه في الفخر، فكسف، وبكى: متعديان ولازمان، وطالعة: خبر الشمس. وليست بكاسفة: خبر ثان. وتبكي عليك: حال أو خبر ثالث. ونجوم الليل: مفعول كاسفة، أي: لم تكسف الشمس نجوم الليل لانطماسها وقلة ضوئها من كثرة بكائها، فلا تقدر على منع الكواكب من الظهور. ويحتمل أن نجوم الليل مفعول تبكي. أي: تغلب نجوم الليل في البكاء عليك. وقيل: روايته هكذا وهم، والرواية: الشمس كاسفة ليست بطالعة: أي لا تطلع أبدًا من حينئذ، فالأوجه أن نجوم الليل مفعول تبكي. وقيل: ظرف له، أي: مدة نجوم... الخ. وقيل «نجوم» مرفوع على الفاعلية، والقمر: مفعول معه، ثم إن المراد بهذا حزن جميع المخلوقات عليه، لا سيما الناس العقلاء.
ينظر: ديوانه ص ٧٣٦، والأشباه والنظائر ٥/٣٠٧، وأمالي المرتضى ١/٥٢، وشرح شواهد الشافية ص ٢٦، والعقد الفريد ١/٩٦، ولسان العرب ٩/٢٩٩ (كسف)، ١٤/٨٣ (بكى)، وبلا نسبة في لسان العرب ٦/١١٣ (شمس).

(٢) أيا شجر الخابور مالك مورقًا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى ... فإن مات لم يرض الندى بحليف
فقدناه فقدان الربيع وليتنا ... فديناه من ساداتنا بألوف

لليلى بنت طريف ترثي أخاها الوليد. وأيا: حرف نداء. والخابور: موضع كثير الشجر، نزلت شجره منزلة العاقل، فنادته واستفهمته عن سبب إخراجه الورق، من باب تجاهل العارف ساقت =

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه، وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: من بكاء مصلى المؤمن، وآثاره في الأرض، ومصاعد عمله، ومهابط رزقه في السماء تمثيل، ونفي ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده: فيقال فيه: بكت عليه السماء والأرض. وعن الحسن: فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون، بل كانوا بهلاكهم مسرورين، يعني: فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض، ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا إلى وقت آخر، ولم يمهلوا إلى الآخرة، بل عجل لهم في الدنيا.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ بدل من العذاب المهين، كأنه في نفسه كان عذابًا مهينًا؛ لإفراطه في تعذيبهم وإهانتهم. ويجوز أن يكون المعنى: من العذاب المهين واقعًا من جهة فرعون. وقرئ: «من عذاب المهين» ووجهه أن يكون تقدير قوله: ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾: من عذاب فرعون، حتى يكون المهين هو فرعون. وفي قراءة ابن عباس: من فرعون، لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال: من فرعون، على معنى: هل تعرفونه من هو في عتوّه

= المعلوم مساق المجهول، واستفهمت عنه لفرط ما بها من الجزع تيقنت أن كل الأشياء جزعت عليه حتى الشجر، فخاطبته بقولها: كأنك لم تجزع على أخي، وذكرته بكنيته تعظيمًا لقدره وتنويهًا بذكره. ومورقًا: حال من كاف الخطاب، ثم قالت: هو فتى لا يحب أن يتزود إلا من التقى، ولا يحب المال إلا من الغنائم بالحرب، فقولها: «إلا من قنا وسيوف»: كناية عن ذلك. والقنا: الرماح، واحده: قناة. حليف الندى: أي ملازم له تلازم المتحالفين على الاجتماع، فهو استعارة مصرحة، ثم قالت: يرضى به أي بصحبته الندى: مدة حياته وإن طالت. وهذا ترشيح للاستعارة. وقولها: فإن مات «إن» فيه بمعنى إذ، فهي لمجرد الربط لا للشك، كما ذهب إليه الكوفيون في نحو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وهذا على أنه كان قد مات كما هو ظاهر قولها فقدناه. ويحتمل أنه كان في مرض الموت، أي: شارفنا فقده مجازًا، كأنه قد حصل. وشبهته بالربيع في ضمن تشبيه فقدانه فقدان الربيع بجامع عموم نفع كل: مدحته بالتقوى والشجاعة والكرم وعموم النفع والسيادة، وتنكير ألوف للتكثير. ويروى: دهمائنا، بدل ساداتنا. والدهماء: السواد العظيم. وظاهر التمني يدل أيضًا على أنه كان قد مات، إلا أن يكون المعنى: ليتنا فديناه مما أصابه فأمرضه. وتكرير «حليف» من باب رد العجز على الصدر.

لليلي بنت طريف في الأغاني ١٢/ ٨٥، ٨٦، والحماسة الشجرية ١/ ٣٢٨، والدرر ٢/ ١٦٣، وشرح شواهد المغني ص ١٤٨، ولليلي أو لمحمد بن بجرة في سمط اللآلي ص ٩١٣، وللخارجيّة في الأشباه والنظائر ٥/ ٣١٠، وبلا نسبة في لسان العرب ٤/ ٢٢٩ (خبر)، ومغني اللبيب ١/ ٤٧، وهمع الهوامع ١/ ١٣٣.

وشيطنته، ثم عرف حاله في ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي كبيرًا رفيع الطبقة، ومن بينهم فائقًا لهم، بليغًا في إسرافه. أو عاليًا متكبرًا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]. و﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ خبر ثان، كأنه قيل: إنه كان متكبرًا مسرفًا.

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾

الضمير في ﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ لبني إسرائيل. و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في موضع الحال، أي: عالمين بمكان الخيرة، وبأنهم أحقاء بأن يختاروا. ويجوز أن يكون المعنى: مع علم منا بأنهم يزيغون ويفرط /٢/ ١٧٤أ منهم الفرطات في بعض الأحوال ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على عالمي زمانهم. وقيل: على الناس جميعًا لكثرة الأنبياء منهم. ﴿مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المنّ والسلوى، وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها ﴿بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ نعمة ظاهرة؛ لأنّ الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة. أو اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون، كقوله تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى كفار قريش، فإن قلت: كان الكلام واقعًا في الحياة الثانية(١) لا في الموت(٢)، فهلا قيل: إن هي إلا حياتنا الأولى وما نحن بمنشرين؟ كما قيل: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]؟ وما معنى قوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾؟ وما معنى ذكر الأولى؟ كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا

---

(١) قوله: «واقعًا في الحياة الثانية» أي التي ينكرونها. (ع)

(٢) قال محمود: فإن قلت: «كان الكلام معهم واقعًا في الحياة الثانية لا في الموت... الخ» قال أحمد: وأظهر من ذلك أنهم لما وعدوا بعد الحياة الدنيا حالتين أخريين: الأولى منهما الموت، والأخرى حياة البعث: أثبتوا الحالة الأولى وهي الموت، ونفوا ما بعدها، وسموها أولى مع أنهم اعتقدوا أن لا شيء بعدها؛ لأنهم نزلوا جحدهم على الإثبات فجعلوها أولى على ما ذكرت لهم، وهذا أولى من حمل الموتة الأولى على السابقة على الحياة الدنيا لوجهين، أحدهما: أن الاقتصار عليها لا يعتقدونه؛ لأنهم يثبتون الموت الذي يعقب حياة الدنيا، وحمل الحصر المباشر للموت في كلامهم على صفة لم تذكر لا على نفس الموت المشاهد لهم: فيه عدول عن الظاهر بلا حاجة، الثاني: أن الموت السابق على الحياة الدنيا لا يعبر عنه بالموتة، فإن الموتة فعلة فيها إشعار بالتجدد والطريان. والموت السابق على الحياة الدنيا أمر مستصحب لم تتقدمه حياة طرأ عليها هذا، مع أن في بقية السورة قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ وإنما عنى بالموتة الأولى هنا: الموت المتعقب للحياة الدنيا فقط، ففيه إرشاد لما ذكرته، والله أعلم.

الأولى؟ قلت: معناه ـ والله الموفق للصواب ـ: أنه قيل لهم: إنكم تموتون موتة تتعقبها حياة، كما تقدّمتكم موتة قد تعقبتها حياة، وذلك قوله عزّ وجل: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فقالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ يريدون: ما الموتة التي من شأنها أن يتعقبها حياة إلا الموتة الأولى دون الموتة الثانية، وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها إلا للموتة الأولى خاصة، فلا فرق إذًا بين هذا وبين قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ في المعنى. يقال: أنشر الله الموتى ونشرهم: إذا بعثهم. ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾ هذا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور: من رسول الله ﷺ والمؤمنين، أي: إن صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلاً على أنّ ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق، وقيل: كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله وينشر لهم قصيّ بن كلاب ليشاوروه؛ فإنه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشئون.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧)﴾

هو تبع الحميري: كان مؤمنًا وقومه كافرين؛ ولذلك ذمّ الله قومه ولم يذمه، وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند. وقيل: هدمها وكان إذا كتب قال: بسم الله الذي ملك برًّا وبحرًا. وعن النبي ﷺ: «لا تسبوا تبعًا فإنه كان قد أسلم» (١٤٠٨)

١٤٠٨ ـ هذا الحديث مروي عن سهل بن سعد وابن عباس أما حديث سهل بن سعد.
أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٥/ ٣٤٠)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٣)، حديث (٦٠١٣) والبغوى في معالم التنزيل (٤/ ١٥٤)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٧٩): كتاب الأدب: باب النهي عن سبب الأموات، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣١). وزاد نسبته إلى أبي حاتم وابن مردويه.
قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عمرو بن جابر وهو كذاب.
أما حديث ابن عباس.
أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١١/ ٢٩٦). حديث (١١٧٩٠). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣/ ٢٠٥) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٧٩)، كتاب الأدب: باب النهي عن سب الأموات، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣١). وزاد نسبته إلى ابن مردويه.
قال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أحمد بن أبي برة المكي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أحمد، والطبراني، والطبري، وابن أبي حاتم من حديث سهل بن سعد، وفيه ابن لهيعة عن عمرو بن جابر. وهما ضعيفان. وروى حبيب عن مالك عن أبي حازم عن سهل مثله قال الدارقطني: تفرد به حبيب وهو متروك. وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني في معجمه وابن مردويه قال محمد بن زكريا. عن أبي حذيفة عن سفيان. انتهى.

وعنه عليه الصلاة والسلام: «ما أدري أكان تبع نبيًا أو غير نبي» (١٤٠٩) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان نبيًا. وقيل: نظر إلى قبرين بناحية حمير قال: هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتيّ تبع لا تشركان بالله شيئًا. وقيل: هو الذي كسا البيت. وقيل لملوك اليمن: التبابعة؛ لأنهم يتبعون، كما قيل: الأقيال، لأنهم يُتَقيلون[1]، وسمي الظل «تبعًا» لأنه يتبع الشمس. فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ ولا خير في الفريقين؟ قلت: معناه أهم خير في القوّة والمنعة، كقوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ [القمر: ٤٣] بعد ذكر آل فرعون. وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنهما: أهم أشدّ أم قوم تبع.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ وما بين الجنسين. وقرأ عبيد بن عمير: وما بينهن. وقرأ «ميقاتهم» بالنصب على أنه اسم إن، ويوم الفصل؛ خبرها، أي: إنّ ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل. ﴿لَا يُغْنِى مَوْلًى﴾ أيّ مولى كان من قرابة أو غيرها ﴿عَن مَّوْلًى﴾ عن أي مولى كان ﴿شَيْـًٔا﴾ من إغناء. أي: قليلًا منه ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الضمير للموالي؛ لأنهم في المعنى كثير؛ لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى. ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ في محل الرفع على البدل من الواو في ﴿يُنصَرُونَ﴾ أي: لا يمنع من العذاب إلا من رحمهُ الله. ويجوز أن

١٤٠٩ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٧٠) وعزاه إلى الثعلبي.
وللحديث لفظ آخر: «ما أدري أتبع العين هو أم لا». أخرجه البخاري في تاريخه الكبير (١/ ١٥٣). وأبو داود في سننه (٤/ ٢١٨): كتاب السنة: باب التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حديث (٤٦٧٤)، والحاكم النيسابوري (٢/ ١٤ ـ ٤٥٠). كتاب البيوع والتفسير.
وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٢٨): باب ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدريه من وجوه العلم، حديث رقم (١٥٥٢).
ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤٠)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، وابن المنذر، وابن مردويه.
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة بهذا. والمعروف بهذا الإسناد: «ما أدرى ألعين هو أم لا. وما أدرى أعزير نبي أم لا» أخرجه أبو داود، وكذا الحاكم لكن قال: ذو القرنين بدل «عزير» قال الدارقطني: تفرد به عبد الرزاق وغيره أرسله. انتهى.

---

(١) قوله: «لأنهم يتقيلون» في الصحاح: تقيل: شرب نصف النهار، وتقيل فلان أباه: تبعه. (ع)

ينتصب على الاستثناء. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لا ينصر منه من عصاه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن أطاعه.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قرئ: «إنّ شجرت الزقوم» بكسر الشين، وفيها ثلاث لغات: شجرة، بفتح الشين وكسرها وشيرة، بالياء. وروي أنه لما نزل ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ [الصافات: ٦٢] قال ابن الزبعرىٰ: إنّ أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر: التزقيم، فدعا أبو جهل بتمر وزبد فقال: تزقموا فإنّ هذا هو الذي يخوّفكم به محمد، فنزل ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ وهو الفاجر الكثير الآثام. وعن أبي الدرداء أنه كان يقرئ رجلاً فكان يقول طعام اليثيم، فقال: قل طعام الفاجر[1] يا هذا. وبهذا يستدل على أنّ إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها. ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة، وهي: أن يؤدي القارىء المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئًا. قالوا: وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة؛ لأنّ في كلام العرب خصوصًا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته/ ٢/ ١٧٤ب وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها، وما كان أبو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية، فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر، وروي علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ قرئ: بضم الميم وفتحها، وهو دردي[2] الزيت. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾ [المعارج: ٨] مع قوله: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣٧] وقيل: هو ذائب الفضة والنحاس، والكاف رفع خبر بعد خبر، وكذلك ﴿يَغْلِى﴾ وقرئ: بالتاء للشجرة، وبالياء للطعام. و﴿ٱلْحَمِيمِ﴾ الماء الحار الذي انتهى غليانه: يقال للزبانية ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾ فقودوه بعنف وغلظة، وهو أن يؤخذ بتلبيب[3] الرجل فيجر إلى حبس أو قتل. ومنه «العتلّ» وهو الغليظ الجافي. وقرئ: بكسر التاء وضمها ﴿إِلَىٰ

---

(١) قال محمود: «نقل أن أبا الدرداء أقرأها رجلاً فلم يقم النطق بالأثيم وجعل يقول طعام اليثيم... الخ» قال أحمد: لا دليل فيه لذلك. وقول أبي الدرداء محمول على إيضاح المعنى ليكون وضوح المعنى عند المتعلم عونًا على أن يأتي بالقراءة كما أنزلت. على هذا حمله القاضي أبو بكر في كتاب الانتصار، وهو الوجه، والله أعلم.

(٢) قوله: «وهو دردى الزيت» لعله: ردى الزيت كعبارة النسفي. (ع)

(٣) قوله: «وهو أن يؤخذ بتلبيب الرجل» الذي في الصحاح: لببت الرجل تلبيبًا، إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة، ثم جررته اهـ ويجوز أنه أراد بتلبيب الرجل: ثيابه من عند صدره ونحره. (ع)

﴿سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ إلى وسطها ومعظمها. فإن قلت: هلا قيل: صبوا فوق رأسه من الحميم، كقوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩] لأنّ الحميم هو المصبوب لا عذابه؟ قلت: إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدّته، إلا أنّ صب العذاب طريقة الاستعارة، كقوله [من البسيط]:

.... صُبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبِ[١]

وكقوله تعالى: ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة: ٢٥٠] فذكر العذاب معلقًا به الصب، مستعارًا له، ليكون أهول وأهيب يقال: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه. وروي أنّ أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: ما بين جبليها أعزّ ولا أكرم مني، فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئًا. وقرئ: «إنك» بمعنى: لأنك. وعن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما أنه قرأ به على المنبر ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ العذاب. أو إن هذا الأمر هو ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ أي تشكون. أو تتمارون وتتلاجون.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾

قرئ: «في مقام» بالفتح: وهو موضع القيام، والمراد المكان، وهو من الخاص الذي وقع مستعملاً في معنى العموم. وبالضم: وهو موضع الإقامة. و﴿الأمين﴾ من قولك: أمن الرجل أمانة فهو أمين. وهو ضد الخائن، فوصف به المكان استعارة؛ لأنّ المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره. قيل: السندس: ما رق من الديباج. والإستبرق: ما غلظ منه وهو تعريب استبر. فإن قلت: كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي؟ قلت: إذا عرب خرج من أن يكون عجميًا؛ لأن معنى التعريب أن يجعل عربيًا بالتصرف فيه، وتغييره عن منهاجه، وإجرائه على أوجه الإعراب ﴿كَذَٰلِكَ﴾

---

(١) كم امرئ كان في خفض وفي دعة ... صبت عليه صروف الدهر من صبب

الصبب: مكان الصباب الماء وانحداره. يقول: كثير من الناس كان في لين عيش وفي راحة، توالت عليه حوادث الدهر كأنها سيل منحدر من صبب، فاستعار الصب لنزول الحوادث بالشخص على طريق التصريح، والصب ترشيح أو شبه الحوادث بالسيل على سبيل المكنية. والصبب: تخييل. والصب: ترشيح. والصروف: جمع صرف، كحروف جمع حرف: مكاره الزمن ومصائبه.

الكاف مرفوع على الأمر كذلك. أو منصوب على: مثل ذلك أثبناهم ﴿وَزَوَّجْنَاهُم﴾ وقرأ عكرمة «بحور عين» على الإضافة، والمعنى: بالحور من العين؛ لأن العين إما أن تكون حورًا أو غير حور، فهؤلاء من الحور العين[1] لا من شهلهن مثلاً. وفي قراءة عبد الله: «بعيس عين» والعيساء: البيضاء تعلوها حمرة وقرأ عبيد بن عمير «لا يذاقون فيها الموت» وقرأ عبد الله «لا يذوقون فيها طعم الموت»، فإن قلت: كيف استثنيت الموتة الأولى - المذوقة قبل دخول الجنة - من الموت المنفي ذوقه فيها؟ قلت: أريد أن يقال: لا يذوقون فيها الموت البتة، فوضع قوله: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ موضع ذلك؛ لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل، فهو من باب التعليق بالمحال، كأنه قيل: إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنهم يذوقونها[2]. وقرئ: «ووقاهم» بالتشديد ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ عطاء من ربك وثوابًا، يعني: كل ما أعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار. وقرئ: «فضل» أي: ذلك فضل.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ فذلكة للسورة. ومعناها: ذكرهم بالكتاب المبين (فإنما يسرناه) أي: سهلناه، حيث أنزلناه عربيًا بلسانك بلغتك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا ﴿فَارْتَقِبْ﴾ فانتظر ما يحل بهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ ما يحل بك متربصون بك الدوائر.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» (١٤١٠) وعنه عليه السلام: «من قرأ سورة حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة

١٤١٠ - أخرجه الترمذي (٥/ ١٦٣) كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل «حم» الدخان حديث (٢٨٨٨)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٦٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٨٤) رقم (٢٤٧٥) من طريق عمر بن أبي خثعم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا =

---

(١) قوله: «من الحور العين» لعله: من حور العين. (ع)

(٢) قال محمود: «إنما استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها... الخ» قال أحمد: هذا الذي ذكره مبني على أن الموتة بدل، على طريقة بنى تميم المجوز فيها البدل من غير الجنس. وأما على طريقة الحجازيين، فانتصبت الموتة استثناء منقطعًا. وسر اللغة التميمية: بناء النفي المراد على وجه لا يبقى للسامع مطمعًا في الإثبات، فيقولون: ما فيها أحد إلا حمار، على معنى: إن كان الحمار من الأحدين ففيها أحد، فيعلقون الثبوت على أمر محال حتمًا بالنفي. وعليه حمل الزمخشري (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) أي إن كان الله ممن في السموات والأرض، ففي السموات والأرض من يعلم الغيب، فإذا نفر السامع من ثبوت الأول تعدت النفرة إلى ثبوت الثاني، فجزمت بالنفي، والله أعلم.

جمعة أصبح مغفورًا له» (١٤١١).

= وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه، وعمر بن أبي خثعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي أيضًا وابن عدى والبيهقي في الشعب من رواية عمر بن خثعم عن يحيى بن أبي عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وقال: غريب، وعمر يضعف. قال محمد: إنه منكر الحديث. قلت: وهو الذي قبله. انتهى.

١٤١١ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ١٦٣) كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل حم الدخان حديث (٢٨٨٩)، والدارمي (٢/ ٣٥٧) كتاب فضائل القرآن: باب في فضل (يس)، والطيالسي (٢/ ٢٣ ـ منحة) رقم (١٩٧٠)، وأبو يعلى (٦٢٢٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٧٤)، والطبراني (١/ ١٤٩) كلهم من طريق الحسن عن أبي هريرة.

وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه، وهشام أبو المقدام يضعف ولم يسمع الحسن من أبي هريرة هكذا قال أيوب ويونس بن عبيد، وعلي بن زيد.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الترمذي، وأبو يعلى، وابن السني في اليوم والليلة، والبيهقي في الشعب، وقال: تفرد به أبو المقدام وهو ضعيف. وعن الحسن عن أبي هريرة وقال الترمذي: أبو المقدام ضعيف والحسن لم يسمع من أبي هريرة. انتهى.

سورة الجاثية

مكية [إلا آية ١٤ فمدينة]

وآياتها ٣٧ وقيل ٣٦ آية [نزلت بعد الدخان]

/ ٢/ ١٧٥أ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾﴾.

﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ إن جعلتها اسمًا مبتدأ مخبرًا عنه بـ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ لم يكن بدّمن حذف مضاف، تقديره: تنزيل حمٓ تنزيل الكتاب. و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ صلة للتنزيل، وإن جعلتها تعديدًا للحروف كان (تنزيل الكتاب) مبتدأ، والظرف خبرًا ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يجوزأن يكون على ظاهره، وأن يكون المعنى؛ إنّ في خلق السمٰوات لقوله: ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ﴾ فإن قلت: علام عطف ﴿وَمَا يَبُثُّ﴾ أعلى الخلق المضاف؟ أم على الضمير المضاف إليه؟ قلت: بل على المضاف، لأنّ المضاف إليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه، استقبحوا أن يقال: مررت بك وزيد، وهذا أبوك وعمرو، وكذلك إن أكدوه كرهوا أن يقولوا: مررت بك أنت وزيد. قرئ «آيات لقوم يوقنون» بالنصب والرفع، على قولك: إنّ زيدًا في الدار وعمرًا في السوق. أو عمرو في السوق. وأمّا قوله: ﴿ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[1] فمن العطف على عاملين، سواء نصبت أو رفعت، فالعاملان إذا نصبت هما: إن، وفي، أقيمت الواو مقامهما، فعملت[2] الجر في ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، والنصب في ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾. وإذا رفعت فالعاملان: الابتداء وفي عملت الرفع في ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾، والجر في ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ﴾ وقرأ ابن مسعود «وفي اختلاف الليل والنهار» فإن قلت: العطف على عاملين على مذهب الأخفش

---

(١) قوله: «وأما قوله: آيات لقوم» أي مع قوله (واختلاف). (ع)

(٢) قوله: «فعملت» أي: الواو. (ع)

سديد لا مقال فيه. وقد أباه سيبويه، فما وجه تخريج الآية عنده؟ قلت: فيه وجهان عنده. أحدهما: أن يكون على إضمار في. والذي حسنه تقدّم ذكره في الآيتين قبلها. ويعضده قراءة ابن مسعود. والثاني: أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفًا على ما قبله أو على التكرير، ورفعها بإضمار هي: وقرئ: «واختلاف الليل والنهار» بالرفع. وقرئ: «آية» وكذلك وما يبث من دابة آية. وقرئ «وتصريف الريح» والمعنى: إنّ المنصفين من العباد إذا نظروا في السمٰوات والأرض النظر الصحيح، علموا أنها مصنوعة، وأنه لا بدّ لها من صانع، فآمنوا بالله وأقرّوا، فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وهيئة إلى هيئة، وفي خلق ما على ظهر الأرض من صنوف الحيوان: ازدادوا إيمانًا، وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس؛ فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدّد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بها بعد موتها. ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ جنوبًا وشمالاً وقبولاً ودبورًا: عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم، وسمي المطر رزقًا؛ لأنه سبب الرزق ﴿تِلۡكَ﴾ إشارة إلى الآيات المتقدّمة، أي: تلك الآيات آيات الله. و﴿نَتۡلُوهَا﴾ في محل الحال، أي: متلوة ﴿عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ والعامل ما دل عليه تلك من معنى الإشارة. ونحوه: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾(١) [هود: ٧٢] وقرئ «يتلوها» بالياء ﴿بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ﴾ أي بعد آيات الله كقولهم: أعجبني زيد وكرمه، يريدون: أعجبني كرم زيد. ويجوز أن يراد: بعد حديث الله، وهو كتابه وقرآنه، كقوله تعالى؛ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]. وقرئ ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ بالتاء والياء.

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وليس نحوه لأنَّ في «وَهَذَا بَعْلِي» حرف تنبيه فقيل العامل في الحال ما دل عليه حرف التنبيه أي تَنَبَّهْ وَأَمَّا «تِلْكَ» فليس فيها حرف تنبيه «فإذا كان حرف التنبيه» عاملاً بما فيه من معنى التنبيه لأن الحرف قد يعمل في الحال فالمعنى تنبه لزيد في حال شيخه أو في حال قيامه وقيل العامل في مثل هذا التركيب فِعْلٌ محذوف يدل عليه المعنى أي انْظُرْ إليه في حال شيخه فلا يكون اسم الإشارة عاملاً ولا حرف التنبيه إنْ كانَ هناك قُلْتُ: بل الآية نحو ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ من حَيْثِيَّةِ نسبة العمل لاسم الإشارة غاية ما ثَمَّ أنّ في الآية الأخرى ما يصلُح أن يكون عاملاً وهذا لا يقدح في التنظير إذَا قصدْتَ جهةً مشتركة وأَمَّا إضْمَارُ الفعلِ فهو مشترك في الموضعين عند مَنْ يَرَى ذلك. قال ابنُ عطية: وفي «نَتْلُوهَا» حذفُ مضافٍ أي نَتْلُو شَأْنَهَا وشَرْحَ العِبْرَةِ فيها ويحتمل أن يريد بآيات الله القرآن المُنَزَّل في هذا المعنى فلا يكون فيها حذف مضاف. وقرأ بعضُهم «يَتْلُوهَا» بياء الغيبة عائدًا على البارىء تعالى و«بِالْحَقِّ» حالٌ من الفاعل أي مُلْتَبِسِينَ بالْحَق أَوْ من المفعول أي مُلْتَبَسَةً بالحق، ويجوز أن تكون للسببية وتتعلق بنفس «نَتْلُوهَا». انتهى. الدر المصون.

يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

الأفاك: الكذاب، والأثيم: المتبالغ في اقتراف الآثام ﴿يُصِرُّ﴾ يقبل على كفره ويقيم عليه. وأصله من إصرار الحمار على العانة[1] وهو أن ينحى عليها صارًا أذنيه ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عن الإيمان بالآيات والإذعان لما ينطق به من الحق، مزدريًا لها معجبًا بما عنده. قيل: نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من أحاديث الأعاجم، ويشغل الناس بها عن استماع القرآن. والآية عامّة في كل ما كان مضارًا لدين الله. فإن قلت: ما معنى ثم في قوله: ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾؟ قلت: كمعناه في قول القائل [من الطويل]:

.... يَرَى غَمَرَاتِ المَوْتِ ثُمَّ يَزُورُها[2]

وذلك أنّ غمرات الموت حقيقة، بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها. وأمّا زيارتها والإقدام على مزاولتها. فأمر مستبعد، فمعنى ثم: الإيذان بأن فعل المقدّم عليها بعدما رآها وعاينها؛ شيء يستبعد في العادات والطباع، وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق، من تليت عليه وسمعها: كان مستبعدًا في العقول إصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان بها ﴿كَأَن﴾ مخففة، والأصل كأنه لم يسمعها / ٢/ ١٧٥ب: والضمير ضمير الشأن، كما في قوله [من الطويل]:

.... كَأَنْ ظَبْيَةٌ[3] تعطو إِلَى وَارِق السَّلَمْ[4]

---

(١) قوله: «من إصرار الحمار على العانة» جماعة حمر الوحش كما في الصحاح. وفيه أيضًا: ضر الفرس أذنيه: ضمها إلى رأسه، فإذا لم يوقعوا قالوا: أصر الفرس، بالألف. (ع)

(٢) تقدم.

(٣) فيومًا توافينا بوجه مقسم ... كأن ظبية تعطو إلى وارق السلم
ويومًا تريد مالنا مع مالها ... فإن لم ننلها لم تنمنا ولم تنم

لباعث بن صريم اليشكري يذكر حال امرأته. ويومًا: ظرف مقدم. ويروى: ويوم، أي: ورب يوم تقابلنا فيه ولا حاجة لتقدير الرابط على نصب اليوم. وقسم قسامًا وقسامة، كجمل جمالاً. وظرف ظرافة. والمقسم: المحسن. وكأن: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير المرأة، أو ضمير الشأن. وظبية: بالرفع على الأول خبر. وعلى الثاني: مبتدأ، وهو مع خبره خبر كأن. وتعطو: صفة على الأول، وهو الخبر على الثاني. ويروى: ظبية، بالنصب؛ فهو الاسم وإن كان عملها مخففة قليلاً. ويروى: مجرورًا بالكاف، وأن: زائدة بين الجار والمجرور: وتعطو: تأخذ وتتناول، مائلة إلى وارق السلم. ومن النوادر: أورق فهو وارق. وأينع فهو يانع. والقياس: مورق، أي: كثير الورق. ويروى: ناضر، بدل: وارق. والسلم: شجر العضاه، هذا شأنها في يوم. وفي يوم آخر تؤذينا فتريد مالنا منضمًا إلى مالها، فإن نعطها لم تتركنا ننام من كثرة كلامها وإيذائها، ولم تنم هي أيضًا. واليوم هنا: مطلق الزمن.

=

ومحل الجملة النصب على الحال. أي: يصر مثل غير السامع ﴿وَإِذَا﴾ بلغه شيء من آياتنا وعلم أنه منها ﴿ٱتَّخَذَهَا﴾ أي اتخذ الآيات ﴿هُزُوًا﴾ ولم يقل: اتخذه، للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله تعالى على محمد ﷺ: خاض في الاستهزاء بجميع الآيات. ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه، ويحتمل: وإذا علم من آياتنا شيئًا يمكن أن يتشبث به المعاند ويجد له محملاً يتسلق به على الطعن والغميزة: افترصه واتخذ آيات الله هزوًا، وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله عزّ وجل: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ومغالطته رسول الله ﷺ، وقوله: خصمتك. ويجوز أن يرجع الضمير إلى شيء؛ لأنه في معنى الآية كقول أبي العتاهية [من البسيط]:

نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مُعَلَّقَةٌ ... أَللَّهُ وَالْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ يَكْفِيهَا(١)

حيث أراد عتبة. وقرئ: «علم أولئك» إشارة إلى كل أفاك أثيم، لشموله الأفاكين.

والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف أو قدام. قال [من الطويل]:

أَلَيْسَ وَرَائِي أَنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي؟ ... أَدِبُّ مَعَ الْوِلْدَانِ أَزْحَفُ كَالنَّسْرِ(٢)

= البيت في خزانة الأدب. ١٠/ ٤١١، أوضح المسالك ١/ ٣٧٧، وجواهر الأدب ص ١٩٧، والجنى الداني ص ٢٢٢، ٥٢٢، ورصف المباني ص ١١٧، ٢١١، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٦٨٣، وسمط اللآلي ص ٨٢٩، وشرح الأشموني ١/ ١٤٧، ٣٣١، وشرح قطر الندى ص ١٥٧، والكتاب ٣/ ١٦٥، والمحتسب ١/ ٣٠٨، ومغني اللبيب ١/ ٣٣، والمقرب ١/ ١١١، ٢٠٤، والمنصف ٣/ ١٢٨، وهمع الهوامع ١/ ١٤٣، والدر المصون ٢/ ٣٩٠.

(١) نفسي بشيء من الدنيا معلقة ... الله والقائم المهدي يكفيها
إني لأيأس منها ثم يطمعني ... فيها احتقارك للدنيا وما فيها
لأبي العتاهية. وكنى بالشيء عن جارية من حظايا المهدي اسمها عتبة، ولذلك أعاد عليه الضمير مؤنثًا. وقوله: «من الدنيا» معناه: أنه لا يريد من الدنيا غيره. والقائم: أي بأمر الشرع. ويكفيها، أي: يكفيني تلك الحاجة. أو يكفي نفسي ما تريد، وأللهُ: بقطع الهمزة؛ لأن أول المصراع محل ابتداء في الجملة، إني لأيأس أي أقطع طمعي منها، ثم أطمع فيها ثانيًا بسبب احتقارك للدنيا وما فيها. وهو مدح بنهاية الكرم. وروي أنه كتب ذلك في ثوب، وأدرجه في برنية وأهداها للمهدي، فهم بدفعها إليه فقالت: أتدفعني إلى رجل متكسب بالتعشق، فأمر بملء البرنية مالاً ودفعها إليه، فقال للخزان: إنما أمر لي بدنانير، فقال له: نعطيك دراهم ونراجعه. واختلفوا في ذلك سنة، فقالت: لو كان عاشقًا لما فرق بينهما.
ينظر: ديوانه (٣٤٧)، والبحر المحيط (٨/ ٤٤)، والدر المصون (٦/ ١٢٦).

(٢) لعبيد، والهمزة للتقرير. وورائي هنا بمعنى: أمامي، وهو في الأصل: الجهة التي يواريها الشخص، لكن يكثر في الجهة التي خلفه، وتوسع فيه حتى استعمل في كل غيب. ومنه: المستقبل. وتراخت: تباعدت وتأخرت. وأدب: أمشى بهينة وتؤدة. وأن المصدرية مقدرة قبله؛ لأنه اسم =

ومنه قوله عزّ وجل: ﴿مِن وَرَآئِهِمْ﴾ أي من قدّامهم ﴿مَّا كَسَبُوا۟﴾ من الأموال في رحلهم ومتاجرهم ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأوثان.

﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى القرآن، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ لأنّ آيات ربهم هي القرآن، أي هذا القرآن كامل في الهداية، كما تقول: زيد رجل، تريد كامل في الرجولية. وأيما رجل. والرجز: أشد العذاب. وقرئ بجر «أليم» ورفعه.

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر. فإن قلت: ما معنى ﴿مِّنْهُ﴾ في قوله: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ وما موقعها من الإعراب، قلت: هي واقعة موقع الحال، والمعنى: أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عنده، يعني: أنه مكوّنها وموجدها بقدرته وحكمته، ثم مسخرها لخلقه. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هي جميعًا منه، وأن يكون ﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾ تأكيدًا لقوله تعالى: ﴿سَخَّرَ لَكُمُ﴾ ثم ابتدىء قوله: ﴿مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ وأن يكون ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مبتدأ، و﴿مِّنْهُ﴾ خبره. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: «منة» وقرأ سلمة بن محارب: منه، على أن يكون منه فاعل سخر على الإسناد المجازي. أو على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: ذلك. أو هو منه.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

حذف المقول لأنّ الجواب دال عليه. والمعنى: قل لهم اغفروا يغفروا ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ﴾ لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه، من قولهم لوقائع العرب: أيام العرب. وقيل: لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها. قيل: نزلت قبل آية القتال، ثم نسخ حكمها. وقيل: نزولها في عمر رضي الله عنه ـ وقد شتمه رجل من غفار

= ليس، وإن كان لفظه مرفوعًا. وأزحف: يحتمل أنه بدل، وأنه حال. وكالنسر: حال. أو معناه: كزحف النسر في الأرض، مع كونه أبيض وفيه نوع احتراس؛ لأنه يتوهم من قوله: «مع الولدان» نقص عقله، فدل على أن المراد الضعف كالولدان. والشيب كالنسر؛ لأنه أبيض، مع كونه رئيس الطيور وكلها تخشاه.

فهمّ أن يبطش به. وعن سعيد بن المسيب: كنا بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ قارىء هذه الآية، فقال عمر: ليجزى عمر بما صنع ﴿لِيَجْزِيَ﴾ تعليل الأمر بالمغفرة، أي: إنما أمروا بأن يغفروا لما أراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة. فإن قلت: قوله: ﴿قَوْمًا﴾ ما وجه تنكيره وإنما أراد الذين آمنوا وهم معارف؟ قلت: هو مدح لهم وثناء عليهم، كأنه قيل: ليجزي أيما قوم وقومًا(١) مخصوصين، لصبرهم وإغضائهم على أذى أعدائهم من الكفار، وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر: ليجزى عمر بما صنع: ليجزى بصبره واحتماله. وقوله لرسول الله ﷺ عند نزول الآية: والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي. وقرئ «ليجزي قومًا» أي: الله عزّ وجل. وليجزى قوم. وليجزي قومًا، على معنى: وليجزي الجزاء قومًا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ الحكمة والفقه. أو فصل الخصومات بين الناس؛ لأنّ الملك كان فيهم /٢/١٧٦أ والنبوّة ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مما أحل الله لهم وأطاب من الأرزاق ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ آيات ومعجزات ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ من أمر الدين، فما وقع بينهم الخلاف في الدين ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ﴾ ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم. وإنما اختلفوا لبغي حدث بينهم، أو لعداوة وحسد.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ على طريقة ومنهاج ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ من أمر الدين، فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج، ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال، ودينهم المبني على هوى وبدعة، وهم رؤساء قريش حين قالوا: ارجع إلى دين أبائك. ولا توالهم، إنما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم، وأما المتقون، فوليهم الله وهم مواله. وما أبين الفصل بين الولايتين.

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

---

(١) قوله: «أيما قوم وقومًا مخصوصين» لعله: أو قومًا. (ع)

﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب. كما جعل روحًا وحياة وهو هدى من الضلالة، ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن. وقرئ «هذه بصائر» أي: هذه الآيات.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)﴾

﴿أَمْ﴾ منقطعة. ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان. والاجتراح: الاكتساب. ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله، أي: كاسبهم ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ أي نصيرهم. وهو من جعل المتعدي إلى مفعولين فأوّلهما الضمير، والثاني: الكاف، والجملة التي هي ﴿سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بدل من الكاف؛ لأنَّ الجملة تقع مفعولاً ثانيًا، فكانت في حكم المفرد. ألا تراك لو قلت: أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم، كان سديدًا، كما تقول: ظننت زيدًا أبوه منطلق[1]. ومن قرأ «سواء» بالنصب: أجرى سواء مجرى مستويًا، وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية، وكان مفردًا غير جملة. ومن قرأ: «ومماتهم» بالنصب، جعل محياهم ومماتهم: ظرفين، كمقدم الحاج وخفوق النجم. أي سواء: سواء في محياهم وفي مماتهم. والمعنى: إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون محيا، وأن يستووا مماتًا؛ لافتراق أحوالهم أحياء. حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات، وأولئك على ركوب المعاصي. ومماتًا، حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول إلى ثواب الله ورضوانه، وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول إلى هول ما أعدَّ لهم. وقيل: معناه إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة، لأنَّ المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة، وإنما يفترقون في الممات، وقيل: سواء محياهم ومماتهم: كلام مستأنف على معنى: أن محيا المسيئين ومماتهم سواء، وكذلك محيا المحسنين ومماتهم: كل يموت على حسب ما عاش عليه. وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام، فبلغ هذه الآية، فجعل يبكي ويردّد إلى الصباح: ساء ما

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخُ: وهذا أعني إبدالَ الجملةِ من المفرد أجازه ابنُ جني وابن مالك ومنعه ابنُ العِلِج ثم ذكر عنه كلامًا كثيرًا في تقرير ذلك ثم قال: والذي يظهر أنه لا يجوزُ. يعني ما جَوَّزَهُ الزمخشريُّ قال: لأنهما بمعنى التَّصْيِيرِ ولا يجوز صَيَّرْتُ زيدًا أبوه قائمٌ لأنَّ التصيير انتقالٌ من ذَاتٍ إلى ذاتٍ أو من وَصْفٍ في الذات إلى وَصْفٍ فيها وتلك الجملةُ الواقعة بعد مفعول صَيَّرْتُ المقدَّرَة مفعولاً ثانيًا لأنَّ النحاة نَصُّوا على جَوَازِ وقوع الجملةِ صفةً وحالاً نحو: مررتُ برجلٍ أبوهُ قائم، وجاء زيدٌ أبوه قائمٌ فالذي حكموا عليه بالوصفية والحالية يجوز أن يقع في حَيِّزِ التصير إذْ لاَ فَرْقَ بين صفةٍ وصفةٍ من هذه الحيثية. انتهى الدر المصون.

يحكمون. وعن الفضيل: أنه بلغها فجعل يردّدها ويبكي ويقول: يا فضيل، ليت شعري من أي الفريقين أنت.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾ معطوف على بالحق، لأنّ فيه معنى التعليل. أو على معلل محذوف تقديره: خلق الله السمٰوات والأرض، ليدل به على قدرته ولتجزى كل نفس.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

أي: هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه إليه، فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلٰهه. وقرئ: «آلهة هواه»، لأنه كان يستحسن الحجر فيعبده، فإذا رأى ما هو أحسن رفضه إليه، فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدًا منها ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ وتركه عن الهداية[1] واللطف وخذله على علم، عالمًا بأنّ ذلك لا يجدي عليه، وأنه ممن لا لطف له. أو مع علمه بوجوه الهداية وإحاطته بأنواع الألطاف المحصلة والمقرّبة[2] ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ﴾ إضلال ﴿ٱللَّهِ﴾ وقرئ «غشاوة» بالحركات الثلاث. وغشوة، بالكسر والفتح. وقرئ: «تتذكرون».

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ نموت نحن ويحيا أولادنا. أو يموت بعض ويحيا بعض. أو نكون مواتًا نطفًا في الأصلاب، ونحيا بعد ذلك. أو يصيبنا الأمران/ ٢/ ١٧٦ب: الموت والحياة، يريدون: الحياة في الدنيا والموت بعدها، وليس وراء ذلك حياة. وقرئ: «نحيا» بضم النون. وقرئ: «إلا دهر يمرّ» ما يقولون ذلك عن علم، ولكن عن ظنّ وتخمين: كانوا يزعمون أنّ مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله، وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان، وترى

---

(١) قوله: «وتركه عن الهداية» تأويل الآية بذلك لتوافق مذهب المعتزلة: أنه لا يريد الشر ولا يفعله. وعند أهل السنة: لا يقع في ملكه إلا ما يريد، والله خالق كل شيء، فالإضلال: خلقه الضلال في القلب. (ع)

(٢) قوله: «المحصلة والمقربة» يعني: للهداية. (ع)

أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا الدهر، فإنّ الله هو الدهر» (١٤١٢) أي: فإنّ الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

وقرئ «حجتهم» بالنصب والرفع، على تقديم خبر كان وتأخيره. فإن قلت: لم سمّيَ قولهم حجة وليس بحجة؟ قلت: لأنهم أدلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها، فسميت حجة على سبيل التهكم. أو لأنه في حسبانهم وتقديرهم حجة. أو لأنه في أسلوب قوله [من الوافر]:

.... تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ(١)

كأنه قيل: ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة. والمراد: نفي أن تكون لهم حجة البتة. فإن قلت: كيف وقع قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ جوابًا لقولهم: ﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؟ قلت: لما أنكروا البعث وكذبوا الرسل، وحسبوا أنّ ما قالوه قول مبكت. ألزموا ما هم مقرّون به: من أنّ الله عزّ وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم، وضم إلى إلزام ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به إن أنصفوا وأصغوا إلى داعي الحق، وهو جمعهم إلى يوم القيامة، ومن كان قادرًا على ذلك كان قادرًا على الإتيان بآبائهم، وكان أهون شيء عليه.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ

١٤١٢ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٥٤٥): كتاب التفسير: باب وما يهلكنا إلاّ الدهر، حديث (٤٨٢٦) وفي (١٥/ ٤٣٢) كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾، حديث (٧٤٩١)، ومسلم (٨/ ٥): كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها. باب النهي عن سب الدهر، حديث برقم (٢٢٤٦). وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٨)، وأبو داود (٤/ ٣٦٩): كتاب الأدب: باب في الرجل سب الدهر (٥٢٧٤) الحميدي في مسنده (٢/ ٤٦٨) حديث (١٠٩٦). كلهم من طريق ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة.
وأخرجه مسلم (٨/ ٥): كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها. باب النهي عن سب الدهر، حديث (٢٢٤٦) (٥) وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٢٠/ ٤٥٢) حديث برقم (٦٠٦٦). والخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٣٣٤). من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة.
قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة، واللفظ لمسلم. انتهى.

---

(١) تقدم.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

عامل النصب في ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ﴾ يخسر، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من (يوم تقوم) ﴿جَاثِيَةً﴾ باركة مستوفزة على الركب. وقرئ: «جاذية». والجذْو: أشد استيفازًا من الجثوّ؛ لأن الجاذي هو الذي يجلس على أطراف أصابعه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: جاثية مجتمعة. وعن قتادة جماعات من الجثوة، وهي الجماعة، وجمعها: جثى. وفي الحديث: «من جثي جهنم»[(1)] (١٤١٣) وقرئ: ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾ على الابتداء، وكل أمة: على الإبدال من كل أمة ﴿إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا﴾ إلى صحائف أعمالها، فاكتفى باسم الجنس، كقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤٩]. ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ محمول على القول. فإن قلت: كيف أضيف الكتاب إليهم وإلى الله عزَّ وجل؟ قلت: الإضافة تكون للملابسة، وقد لابسهم ولابسه، أما ملابسته إياهم، فلأن أعمالهم مثبتة فيه. وأما ملابسته إياه؛ فلأنه مالكه، والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم﴾ يشهد عليكم بما عملتم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ من غير زيادة ولا نقصان ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ الملائكة ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي نستكتبهم أعمالكم ﴿فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ في جنته. وجواب أما محذوف تقديره: وأما الذين كفروا

١٤١٣ ـ أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ١٤٨) كتاب الأمثال: باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة. حديث (٢٨٦٣) والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٧٢)، كتاب الوعيد لمن دعا بدعوى الجاهلية: حديث (٨٨٦٦).

وأحمد في المسند (٤/ ١٣٠). والطبراني في معجمه الكبير (٣/ ٣٢٦) حديث (٣٤٣٠)، وأبو داود الطيالسي (٢/ ٥٣): كتاب خصال الخير من البر والحكم والمواعظ والأمثال: باب ما جاء في خمس خصال مجتمعه (٢١٤٨) وابن خزيمة (٢/ ٦٤): كتاب الصلاة، باب النهي عن الالتفات في الصلاة، حديث (٩٣). وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٣/ ١٤٠) حديث (١٥٧١) وابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٢٤): كتاب التاريخ باب بدء الخلق حديث (٦٢٣٣). والحاكم في المستدرك (١/ ١١٨) كتاب العلم.

قال الحافظ ابن حجر في هذا طرف من حديث الحرث بن الحرث الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثي جهنم... الحديث» أخرجه الترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، وأحمد، وأبو يعلى، (تنبيه) احتج به المصنف على أن جثي جمع جثوة: وهي الجماعة. وفي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما رفعه «إن الناس يصيرون يوم القيام جثا، كل أمة تتبع نبيها». انتهى.

---

(١) قوله: «من جثى جهنم» في الصحاح «الجثوة» مثلثة: الحجارة المجموعة. وجثى الحرم، بالضم وبالكسر: ما اجتمع فيه من حجارة الجمار. (ع)

فيقال لهم ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ والمعنى ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم، فحذف المعطوف عليه.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾

وقرئ: «والساعة» بالنصب عطفًا على الوعد، وبالرفع عطفًا على محل إن واسمها ﴿مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أيّ شيء الساعة؟ فإن قلت: ما معنى ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾؟ قلت: أصله نظن ظنًا. ومعناه: إثبات الظن فحسب، فأدخل حرفا النفي والاستثناء، ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدًا بقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ...... سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي قبائح أعمالهم. أو عقوبات أعمالهم السيئات، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٥].

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿نَنسَىٰكُمْ﴾ نترككم في العذاب كما تركتم عدة ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ وهي الطاعة، أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالىٰ به، كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال، كالشيء الذي يطرح نسيًا منسيًا. فإن قلت: فما معنى إضافة اللقاء إلى اليوم؟ قلت: كمعنى إضافة المكر في قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] أي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه /٢/١٧٧أ. وقرئ «لا يخرجون» بفتح الياء ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السمٰوات والأرض والعالمين، فإن مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب. وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وحق مثله أن يكبر ويعظم.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب» (١٤١٤).

١٤١٤ ـ تقدم برقم (٣٤٦). وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة الأحقاف

مكية [إلا الآيات ١٠ و١٥ و٣٥ فمدنية]
وآياتها ٣٤ وقيل ٣٥ آية [نزلت بعد الجاثية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلا خلقًا ملتبسًا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ينتهي إليه وهو يوم القيامة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه إليه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له. ويجوز أن تكون ما مصدرية، أي: عن إنذارهم ذلك اليوم.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾

﴿بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن، يعني: أنّ هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك. وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك، فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأوّلين، من قولهم: سمنت الناقة على أثارة من شحم، أي: على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب. وقرئ: «أثرة»، أي: من شيء أوثرتم به وخصصتم من علم لا إحاطة به لغيركم. وقرئ: «أثرة» بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء، فالإثرة بالكسر بمعنى الأثرة. وأما الأثرة فالمرّة من مصدر: أثر الحديث إذا رواه. وأما الأثرة بالضم فاسم ما يؤثر، كالخطبة: اسم ما يخطب به.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالاً من عبدة الأصنام[(١)]، حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر عل تحصيل كلّ بغية ومرام، ويدعون من دونه جمادًا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة، وإذا قامت القيامة وحشر الناس: كانوا لهم أعداء، وكانوا عليهم ضدًا، فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرّة، لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة؛ وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم. وإنما قيل: ﴿مَن﴾ و(هم) لأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولي العلم من الاستجابة والغفلة، ولأنهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلًا وغباوة. ويجوز أن يريد: كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأوثان، فغلب غير الأوثان عليها. قرئ: «ما لا يستجيب» وقرئ: «يدعو غير الله من لا يستجيب»، ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها. ونحوه قوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤].

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿بَيِّنَاتٍ﴾ جمع بينة: وهي الحجة والشاهد. أو واضحات مبينات. واللام في ﴿لِلْحَقِّ﴾ مثلها في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ [الأحقاف: ١١] أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا[(٢)]. والمراد بالحق: الآيات، وبالذين كفروا: المتلو عليهم، فوضع

---

(١) قال محمود: «استفهام معناه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالاً من عبدة الأصنام... الخ» قال أحمد: وفي قوله إلى يوم القيامة: نكتة حسنة، وذلك أنه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة، ومن شأن الغاية انتهاء المغيا عندها. لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية؛ لأنهم في القيامة أيضًا لا يستجيبون لهم، فالوجه والله أعلم: أنها من الغايات المشعرة بأن ما بعدها وإن وافق ما قبلها إلا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالثاني، حتى كأن الحالتين وإن كانتا نوعًا واحدًا لتفاوت ما بينهما كالشيء وضده، وذلك أن الحالة الأولى التي جعلت غايتها القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة، والحالة الثانية التي في القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة بالكفر بعبادتهم إياهم، فهو من وادي ما تقدم آنفًا في سورة الزخرف في قوله: ﴿بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون﴾.

(٢) قال محمود: «اللام في قوله تعالى للحق نحو اللام في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا... الخ» قال أحمد: هذا الإضراب في بابه مثل الغاية التي قدمتها آنفًا في بابها؛ فإنه انتقال إلى موافق، لكنه أزيد من الأول، فنزل بزيادته عليه مع ما تقدمه مما ينقص عنه منزلة المتنافيين، كالنفي والإثبات اللذين يضرب عن أحدهما للآخر، وذلك أن نسبتهم للآيات إلى أنها مفتريات أشد وأبعد من نسبتها إلى أنها سحر، فأضرب عن ذلك الأول إلى ذكر ما هو أغرب منه.

الظاهران موضع الضميرين؛ للتسجيل عليهم بالكفر، وللمتلوّ بالحق ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ أي: بادهوه بالجحود ساعة أتاهم، وأوّل ما سمعوه من غير إجالة فكر ولا إعادة نظر. ومن عنادهم وظلمهم: أنهم سموه سحرًا مبينًا ظاهرًا أمره في البطلان لا شبهة فيه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ⑧﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ﴾ إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرًا إلى ذكر قولهم: إن محمدًا افتراه. ومعنى الهمزة في أم: الإنكار والتعجيب، كأنه قيل: دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب،/ ٢/ ١٧٧ب وذلك أن محمدًا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله، ولو قدر عليه دون أمّة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة، وإذا كانت معجزة كانت تصديقًا من الله له، والحكيم لا يصدّق الكاذب فلا يكون مفتريًا. والضمير للحق؛ والمراد به الآيات ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُۥ﴾ على سبيل الفرض عاجلني الله تعالى لا محالة بعقوبة الافتراء عليه. فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني، فكيف أفتريه وأتعرّض لعقابه. يقال: فلان لا يملك إذا غضب، ولا يملك عنانه إذا صمم، ومثله: ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ٤١] ومنه قوله عليه الصلاة السلام: «لا أملك لكم من الله شيئًا» (١٤١٥)، ثم قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى، والطعن في آياته، وتسميته سحرًا تارة وفرية أخرى ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهد لي بالصدق والبلاغ، ويشهد عليكم بالكذب والجحود. ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ موعدة بالغفران والرحمة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا، وإشعار بحلم

١٤١٥ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٤٢): كتاب المناقب: باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية حديث (٣٥٢٧). ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٢): كتاب الإيمان: باب في قوله تعالى: «وأنذر عشيرتك الأقربين» حديث (٣٤٨) (٢٠٤). والنسائي في سننه (٦/ ٢٤٩) كتاب الوصايا: باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين، حديث برقم (٣٦٤٤). والترمذي في سننه (٥/ ٣٣٨): كتاب تفسير القرآن، حديث (٣١٨٥). وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٣). والدارمي في سننه (٢/ ٣٠٥) كتاب الرقائق: باب وأنذر عشيرتك الأقربين وفي الباب عن عائشة وقد تقدم تخريجه بتوسع.
قال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولما نزلت: (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعا النبي ـ ﷺ ـ قريشًا فاجتمعوا، فعم وخص. فقال: يا بني كعب بن لؤي، يا بني مرة بن كعب، يا بني عبد شمس يا بني عبد مناف، يا بني هاشم، يا بني عبد المطلب: إني لا أملك لكم من الله شيئًا ـ الحديث». انتهى.

الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا. فإن قلت: فما معنى إسناد الفعل إليهم[1] في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي﴾ قلت: كان فيما أتاهم به النصيحة لهم والإشفاق عليهم من سوء العاقبة وإرادة الخير بهم، فكأنه قال لهم: إن افتريته وأنا أريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة إلى عبادة الله، فما تغنون عني أيها المنصوحون إن أخذني الله بعقوبة الافتراء عليه.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾

البدع، بمعنى: البديع، كالخف بمعنى الخفيف. وقرئ «بدعا» بفتح الدال، أي: ذا بدع ويجوز أن يكون صفة على فعل، كقولهم: دين قيم، ولحم زيم[2]. كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به إليه من الغيوب. فقيل له: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ فآتيكم بكل ما تقترحونه، وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات؛ فإنّ الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما آتاهم الله من آياته، ولا يخبرون إلا بما أوحى إليهم. ولقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾؟ بقوله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [طه: ٥٢] ﴿وَمَآ أَدْرِى﴾ لأنه لا علم لي بالغيب ـ ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله، ويقدّر لي ولكم من قضاياه ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ وعن الحسن: وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا، ومن الغالب منا والمغلوب. وعن الكلبي:

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: ما معنى إسناد الفعل إليهم... الخ» قال أحمد: فيه نظر من قبيل أن الكلام جرى فرضًا وتقديرًا. ومتى فرض الافتراء لا يتصور على تقديره نصح، فإن النصح عبارة عن الدعاء إلى ما فيه نفع، ولا ينفع المكلف في عمل ظاهر أو باطن إلا أن يكون مأمورًا به من الله تعالى، ولا سبيل إلى الاطلاع على ذلك إلا من الوحي الحق لا غير، فإذًا لا يتصور نصح مع الافتراء، وإنما يتم هذا الذي قرره على قاعدة المعتزلة القائلين بأن العقل طريق يوصل إلى معرفة حكم الله تعالى؛ لأنه إذا أمر بطاعة من الطاعات كالتوحيد مثلاً وقال: إن الله حتم عليكم وجوب التوحيد، وأنا رسول الله إليكم. ولم يكن متعوقًا: فإنه محق في الأمر بالتوحيد؛ لأن العقل دل على وجوبه عندهم، وإن كان مفتريًا في دعوى كونه رسولاً من الله عز وجل. وهذه قاعدة قد أفسدتها الأدلة القاطعة، فيحتمل في إجراء الآية على مذهب أهل السنة: أن يكون إسناد الفعل لهم على معنى التنبيه بالشيء على مقابله بطريق المفهوم، فالمعنى إذًا إن كنت مفتريًا فالعقوبة واقعة بي لا تدفعونها عني، فمفهومه: وإن كنت محقًا وأنتم مفترون فالعقوبة واقعة بكم لا أقدر على دفعها عنكم. ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿قل إن افتريته فعلى إجرامي وأنا بريء مما تجرمون﴾ وأمثاله كثيرة والله أعلم.

(٢) قوله: «ولحم زيم» في الصحاح «اللحم الزيم» المتفرق ليس بمجتمع في مكان فيبدن. وفيه أيضًا: بدن الرجل يبدن، إذا ضخم وسمن. (ع)

قال له أصحابه ـ وقد ضجروا من أذى المشركين ـ: حتى متى نكون على هذا؟ فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡ﴾ أأترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض قد رفعت لي ورأيتها ـ يعني في منامه ـ ذات نخيل وشجر؟ وعن ابن عباس: ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة، وقال: هي منسوخة بقوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] ويجوز أن يكون نفيًا للدراية المفصلة(١). وقرئ: «ما يفعل» بفتح الياء، أي: يفعل الله عزّ وجل. فإن قلت: إنّ (يفعل) مثبت غير منفي، فكان وجه الكلام: ما يفعل بي وبكم. قلت: أجل، ولكن النفي في ﴿وَمَآ أَدۡرِي﴾ لما كان مشتملاً عليه لتناوله «مَا» وما في حيزه صح ذلك وحسن. ألا ترى إلى قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ﴾ [الأحقاف: ٣٣] كيف دخلت الباء في حيز أنّ وذلك لتناول النفي إياها مع ما في حيزها. و(ما) في (ما يفعل) يجوز أن تكون موصولة منصوبة، وأن تكون استفهامية مرفوعة. وقرئ: «يوحي» أي الله عزّ وجل.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

جواب الشرط محذوف تقديره: إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين(٢). ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والشاهد من بني إسرائيل: عبد الله بن سلام، لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نظر إلى وجهه، فعلم أنه ليس بوجه كذاب. وتأمّله فتحقق أنه هو النبّي المنتظر وقال له: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ: ما أوّل أشراط الساعة؟ وما أوّل طعام يأكله أهل

---

(١) قال محمود: «أجود ما ذكر فيه حمله على الدراية المفصلة، يريد بذلك أن تفصيل ما يصير إليه من خير ويصيرون إليه من شر... الخ» قال أحمد: «بنى على أن المجرور معطوف على مثله، وأنهما جميعًا في صلة موصول واحد، ولو قيل: إن المجرور الثاني من صلة موصول محذوف معطوف على مثله، حتى يكون التقدير: وما أدري ما يفعل بي ولا ما يفعل بكم: لكانت (لا) واقعة بمكانة غير مفتقرة إلى تأويل، وحذف الموصول المعطوف وتفاصيله كثيرة. ومنه [من الوافر]:

فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء

يريد حسان رضي الله عنه: فمن يهجو رسول الله ﷺ ومن يمدحه سواء.

(٢) قال السمين الحلبي: ورد عليه الشيخ، بأنه لو كان كذلك لوجبت الفاء؛ لأن الجملة الاستفهامية حتى وقعت جوابًا للشرط لزمت الفاء، ثم إن كانت أداة الاستفهام همزة تقدمت على الفاء نحو: إن تزرنا أفما نكرمك؟ وإن كانت غيرها تقدمت الفاء عليها نحو: إن تزرنا فهل ترى إلا خيرًا؟ قلت: والزمخشري ذكر أمرًا تقديريًا فسر به المعنى لا الإعراب، وقال ابن عطية: وأرأيتم يحتمل أن تكون منبهة فهي لفظ موضوع للسؤال لا يقتضي مفعولاً، ويحتمل أن تكون الجملة كان وما عملت فيه سادة مسد مفعوليها. انتهى. الدر المصون.

الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمّه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أما أوّل أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب. وأما أوّل طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعه، وإن سبق ماء المرأة نزعته». فقال: أشهد أنك رسول الله حقًا، ثم قال: يا رسول الله،/ ٢/ ١٧٨أ إن اليهود قوم بهت وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني[(١)] عندك. فجاءت اليهود فقال لهم النبي ﷺ: أي رجل عبد الله فيكم؟ فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أنّ محمدًا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه. قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر. قال سعد بن أبي وقاص: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، وفيه نزل: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ (١٤١٦) الضمير للقرآن، أي: على مثله في المعنى، وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشعراء: ١٩٦]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [الأعلى: ١٨]، ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الشورى: ٣] ويجوز أن يكون المعنى: إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك، يعني كونه من عند الله. فإن قلت: أخبرني عن نظم هذا الكلام لأقف على معناه من جهة[(٢)] النظم.

١٤١٦ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٤): كتاب أحاديث الأنبياء: باب خلق آدم وذريته حديث (٣٣٢٩)، وفي (٧/ ٦٩١) كتاب مناقب الأنصار: باب منه حديث (٣٩٣٨)، وفي (٩/ ١٦) كتاب التفسير: باب قوله تعالى: ﴿من كان عدوًا لجبريل﴾ حديث (٤٤٨٠)، والنسائي في سننه الكبرى (٦٥/ ٣٣٨): كتاب عشرة النساء: باب كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل. حديث (٧٤/ ٩). والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٢٨) والبغوى في معالم التنزيل (٤/ ١٦٥). من طريق عن حميد الطويل به.

وأخرج ابن حبان في صحيحه (١٦/ ١١٧): كتاب إخباره عن مناقب الصحابة: باب ذكر عبد الله بن سلام رضي الله عنه وأبو يعلى في مسنده (٧٦/ ٤٥٨): (٣٨٥٦) كلاهما عن يزيد بن هارون عن حميد به.

وأخرج طرفه الخاص بإسلام عبد الله بن سلام. البخاري في صحيحه (٧/ ٦٦٢): كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه إلى المدينة حديث (٣٩١١)، وأحمد (٣/ ٢١١)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٢٦): من طريق عبد الوارث عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه البخاري من رواية حميد عن أنس، وأتم منه. انتهى.

---

(١) قوله: «بهتوني» أي: رموني بما ليس فيّ. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: أخبرني عن نظم هذا الكلام لأقف عليه من جهة النظم... الخ» قال =

قلت: الواو الأولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط، كما عطفته (ثم) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ [فصلت: ٥٢] وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد، وأما الواو في ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ فقد عطفت جملة قوله. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ على جملة قوله: ﴿كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ ونظيره قولك: إن أحسنت إليك وأسأت، وأقبلت عليك وأعرضت عني، لم نتفق في أنك أخذت ضميمتين فعطفتهما على مثليهما، والمعنى: قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به، واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله وإيمانه به، مع استكباركم عنه وعن الإيمان به، ألستم أضل الناس وأظلمهم؟ وقد جعل الإيمان في قوله: ﴿فَـَٔامَنَ﴾ مسببًا عن الشهادة على مثله؛ لأنه لما علم أنّ مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه، وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر، وأنصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الإيمان نتيجة ذلك.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لأجلهم وهو كلام كفار مكة، قالوا: عامّة من يتبع محمدًا السقاط، يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود، فلو كان ما جاء به خيرًا ما سبقنا إليه هؤلاء. وقيل: لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار: قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع: لو كان خيرًا ما سبقنا إليه رعاء البهم. وقيل: إن أمة لعمر أسلمت، فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا أني فترت لزدتك ضربًا، كان كفار قريش يقولون: لو كان ما يدعو إليه محمد حقًا ما سبقتنا إليه فلانة. وقيل: كان اليهود يقولون عند إسلام عبد الله بن سلام وأصحابه. فإن قلت: لا بدّ من عامل في الظرف[1] في قوله: ﴿وَإِذْ لَمْ

= أحمد: إنما لم يوجه المعطوف إلى جهة واحدة؛ لأن التفصيل قد يكون عطف مجموع مفردات على مجموع مفردات كل منهما والآية من هذا النمط، ومثلها قوله تعالى: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآية، وقد تقدم تقرير ذلك في الآيتين فجدد به عهدًا.

(١) قال محمود: «لا بد من عامل الظرف وغير مستقيم أن يعمل فيه... الخ» قال أحمد: إن لم يكن مانع من عمل فسيقولون في الظرف ألا تنافي دلالتي المضي والاستقبال، فهذا غير مانع، فإن الاستقبال ههنا إنما خرج مخرج الإشعار بدوام ما وقع ومضى؛ لأن القوم قد حرموا الهداية وقالوا: =

﴿يَهْتَدُواْ بِهِۦ﴾ ومن متعلق لقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ وغير مستقيم أن يكون ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ هو العامل في الظرف، لتدافع دلالتي المضي والاستقبال، فما وجه هذا الكلام؟ قلت: العامل في إذ محذوف، لدلالة الكلام عليه، كما حذف من قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ [يوسف: ١٥] وقولهم: حينئذٍ الآن، وتقديره: وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم، فسيقولون هذا إفك قديم، فهذا المضمر صحّ به الكلام، حيث انتصب به الظرف وكان قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ مسببًا عنه كما صحّ بإضمار أنّ قوله: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤] لمصادفة (حتى) مجرورها، والمضارع ناصبه. وقولهم: ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ كقولهم: أساطير الأوّلين ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرًا مقدمًا عليه، وهو ناصب ﴿إِمَامًا﴾ على الحال، كقولك: في الدار زيد قائمًا. وقرئ: ومن قبله كتاب موسى، على: وآتينا الذين قبله التوراة. ومعنى ﴿إِمَامًا﴾: قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه، كما يؤتم بالإمام ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به وعمل بما فيه ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ لكتاب موسى. أو لما بين يديه وتقدّمه من جميع الكتب. وقرئ «مصدق لما بين يديه» ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من ضمير الكتاب في مصدق، والعامل فيه (مصدق) ويجوز أن ينتصب حالاً عن كتاب[1] لتخصصه بالصفة، ويعمل فيه معنى الإشارة. وجوّز أن يكون مفعولاً لمصدق، أي: يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول. وقرئ: «لينذر» بالياء والتاء، ولينذر: من نذر ينذر إذا حذر ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ في محل النصب/ ٢/ ١٧٨ب معطوف على محل لينذر، لأنه مفعول له.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

= هذا إفك قديم، وأساطير الأولين وغير ذلك؛ فمعنى الآية إذًا: وقالوا إذ لم يهتدوا به هذا إفك قديم وداموا على ذلك وأصروا عليه، فعبر عن وقوعه ثم دوامه بصيغة الاستقبال، كما قال إبراهيم: (إلا الذي فطرني فإنه سيهدين) وقد كانت الهداية واقعة وماضية ولكن أخبر عن وقوعها، ثم دوامها فعبر بصيغة الاستقبال، وهذا طريق الجمع بين قوله: (سيهدين) وقوله في الأخرى (فهو يهدين) ولولا دخول الفاء على الفعل لكان هذا الذي ذكرته هو الوجه، ولكن الفاء المسببة دلت بدخولها على محذوف هو السبب، وقطعت الفعل عن الظرف المتقدم؛ فوجب تقدير المحذوف عاملاً فيه لينتظم بتقديره عاملاً أمران: مصادفة الظرف للعامل والفعل المعلل لعلته، فتعين ما ذكره الزمخشري لأجل الفاء لا لتنافي الدلالتين. والله أعلم.

(١) أجاز محمود في نصبه أن يكون حالاً عن كتاب لتخصصه بالصفة... الخ. قال أحمد: وجهان حسنان أعززهما بثالث: وهو النصب على الاختصاص، وهذه الوجوه في قوله تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم أمرًا من عندنا﴾، والله أعلم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾

قرئ: «حسنًا» بضم الحاء وسكون السين. وبضمهما، وبفتحهما. وإحسانًا، وكرهًا، بالفتح والضم، وهما لغتان في معنى المشقة، كالفقر والفقر. وانتصابه على الحال: أي: ذات كره. أو على أنه صفة للمصدر، أي: حملاً ذا كُرهٍ ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ ومدّة حمله وفصاله ﴿ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر؛ لأن مدّة الرضاع إذا كانت حولين لقوله عز وجل: ﴿حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣] بقيت للحمل ستة أشهر. وقرئ: «وفصله» والفصل والفصال: كالفطم والفطام. بناء ومعنى. فإن قلت: المراد بيان مدّة الرضاع لا الفطام، فكيف عبر عنه بالفصال؟ قلت: لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لأنه ينتهي به ويتم: سمي فصالاً، كما سمىٰ المدّة بالأمد من قال [من الخفيف]:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ مُدَّةَ الْعُمْـ ـرِ وَمُودٍ إِذَا انْتَهَى أَمَدُهْ[1]

وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته. وقرئ: «حتى إذا استوى وبلغ أشدّه» وبلوغ الأشد: أن يكتهل ويستوفي السنّ التي تستحكم فيها قوّته وعقله وتمييزه، وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين. وعن قتادة: ثلاث وثلاثون سنة، ووجهه أن يكون ذلك أوّل الأشد، وغايته الأربعين. وقيل: لم يبعث نبيّ قط إلا بعد أربعين سنة. والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها: نعمة التوحيد والإسلام، وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه؛ لأن النعمة عليهما نعمة عليه. وقيل في العمل المرضي: هو الصلوات الخمس. فإن قلت: ما معنى (في) في قوله: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ﴾؟ قلت: معناه: أن يجعل ذريّته موقعًا للصلاح[2] ومظنة له كأنه قال: هب لي الصلاح في ذرّيتي وأوقعه فيهم ونحوه [من الطويل]:

.... يَجْرَحْ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي[3]

﴿مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ من المخلصين. وقرئ: «يتقبل» ويتجاوز، بفتح الياء، والضمير فيهما

---

(١) تقدم.

(٢) قال محمود: «فإن قلت: ما معنى في ههنا، وأجاب بأن المراد جعل ذريته... الخ» قال أحمد: ومثله قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ عدولاً عن قوله: إلا مودة القربى. أو المودة للقربى، والله أعلم.

(٣) تقدم.

لله عز وجل. وقرئا بالنون. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿فِىٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾؟ قلت: هو نحو قولك: أكرمني الأمير في ناس من أصحابه، تريد: أكرمني في جملة من أكرم منهم، ونظمني في عدادهم، ومحله النصب على الحال، على معنى: كائنين في أصحاب الجنة ومعدودين فيهم ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾ مصدر مؤكد؛ لأن قوله: يتقبل، ويتجاوز: وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز. وقيل: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمّه أم الخير وفي أولاده، واستجابة دعائه فيهم. وقيل: لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر رضي الله عنه.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِى وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِىٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ﴾ مبتدأ خبره: أولئك الذين حق عليهم القول. والمراد بالذي قال: الجنس القائل ذلك القول، ولذلك وقع الخبر مجموعًا. وعن الحسن: هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث. وعن قتادة: هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه. وقيل: نزلت في عبد الرحمٰن بن أبي بكر[1] قبل إسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمّه أمّ رومان إلى الإسلام، فأفف بهما وقال: ابعثوا لي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو، وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد، ويشهد لبطلانه أن المراد بالذي قال: جنس القائلين ذلك، وأنّ قوله الذين حق عليهم القول: هم أصحاب النار، وعبد الرحمٰن كان من أفاضل

---

(١) قال محمود: «زعم بعضهم أن المعنى بالآية عبد الرحمن بن أبي بكر... الخ».
قال أحمد: ونحن نختار أن المراد الجنس لا عبد الرحمن بن أبي بكر، ولكننا لا نختار الرد على قائل ذلك بهذا الوجه، فإن له أن يقول: أراد عبد الرحمن وأمته، ومثل ذلك قول الله تعالى حكاية عن العزيز يخاطب زليخا: (إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) فخاطبها وخاطب أمتها، والمقصودة هي، وقد عاد إلى خطابها خصوصًا بقوله: (واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين) ولكن وجه الرد على من زعم أن المراد عبد الرحمن: ما ذكره الزمخشري ثانيًا فقال: (إن الذين حق عليهم القول) هم المخلدون في النار في علم الله تعالى، وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم. ونقل أن معاوية كتب إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن: لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبنائكم، فقال مروان: أيها الناس إن هذا هو الذي قال الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ﴾... الآية فسمعت عائشة فغضبت وقالت: والله ما هو به، ولو شئت أن أسميه لسميته، ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله» قال أحمد: وفي هذه الآية رد على من زعم أن المفرد الجنسي لا يعمم؛ لأنه لا يعامل معاملة الجمع لا في الصفة ولا في الخبر، فلا يجوز أن تقول: الدينار الصفر خير من الدرهم البيض، وهذا مردود بأن خبر الذي الواقع جنسًا جاء على نعت خبر المجموع كما رأيت، والله أعلم.

المسلمين وسرواتهم. وعن عائشة رضي الله عنها إنكار نزولها فيه، وحين كتب معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمٰن: لقد جئتم بها هرقلية، أتبايعون لأبنائكم؟ فقال مروان: يا أيها الناس، هو الذي قال الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ فسمعت عائشة فغضبت وقالت: والله ما هو به، ولو شئت أن أسميه لسميته ولكنّ الله لعن أباك وأنت في صلبه، فأنت فضض من لعنة الله[1] (١٤١٧). وقرئ: «أف» بالكسر والفتح بغير

١٤١٧ ـ أخرجه النسائي في تفسيره: (٢/ ٢٩٠): سورة الأحقاف والحاكم في مستدركه (٤/ ٤٨١)، وصححه على شرط الشيخين، وتعقبه الذهبي فقال: فيه انقطاع؛ فإن محمدًا لم يسمع من عائشة. أ.هـ.

وعزاه الزيلعى في تخريج الكشاف (٢/ ٢٨٢) إلى ابن أبي خيثمة في أول تاريخه، وإلى ابن مردويه في تفسيره، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ١١)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

كلهم من طريق محمد بن زياد عن عائشة به.

وللقصة طريق آخر:

أخرجه البزار في مسنده (٢/ ٢٤٧) رقم (١٦٢٤ ـ كشف) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهيّ مولى الزبير، قال: كنت في المسجد، ومروان يخطب، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: «والله ما استخلف أحدًا من أهله، فقال مروان أنت الذي نزلت فيك: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾ فقال عبد الرحمن: كذبت، ولكن رسول الله ـ ﷺ ـ «لعن أباك» وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٤٤). وقال: رواه البزار وإسناده حسن.

وللحديث شاهد أيضًا عند البخاري:

فقد أخرجه البخاري (٩/ ٥٤٧): كتاب التفسير باب سورة الأحقاف، حديث (٤٨٢٧) من طريق يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية؛ لكي يبايع له، بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئًا: فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئًا إلاّ أن الله أنزل عذري».

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية (٤/ ١٥٨ ـ ١٥٩): «وهذا عام في كل من قال هذا، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ فقوله ضعيف، لأن عبد الرحمن بن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه. أ.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه النسائي واللفظ له، وابن أبي خيثمة، والحاكم، وابن مردويه من رواية محمد بن زياد، وقال: لمّا بايع معاوية لابنه قال مروان: سنة أبي بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر، سنة هرقل وقيصر. قال مروان: هذا الذي أنزل، فذكر الآية. فبلغ ذلك عائشة فقالت: «كذب والله» ما هو به فذكره. ولكن رسول الله ـ ﷺ ـ لعن أبا مروان، ومروان في صلبه...إلخ. ولفظ ابن أبي =

---

(١) قوله: «فأنت فضض من لعنة الله» في الصحاح كل شيء تفرق فهو فضض. وفي الحديث: أنت فضض من لعنة الله، يعني: ما انفض من نطفة الرجل وتردد في صلبه. (ع)

تنوين، وبالحركات الثلاث مع التنوين، وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر، كما إذا قال: حس، علم منه أنه متوجع، واللام للبيان، معناه: هذا التأفيف لكما خاصة، ولأجلكما دون غيركما. وقرئ «أتعدانني» بنونين. وأتعداني: بأحدهما/ ٢/ ١٧٩أ. وأتعداني: بالإدغام. وقد قرأ بعضهم: أتعدانني بفتح النون، كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء، ففتح الأولى تحريًا للتخفيف، كما تحراه من أدغم ومن أطرح أحدهما ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ أن أبعث وأخرج من الأرض. وقرئ: «أخرج» ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ يعني: ولم يبعث منهم أحد ﴿يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ يقولان: الغياث بالله منك ومن قولك، وهو استعظام لقوله: ﴿وَيْلَكَ﴾ دعاء عليه بالثبور: والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك ﴿فِي أُمَمٍ﴾ نحو قوله: ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ [الأحقاف: ١٦] وقرئ: «أن» بالفتح، على معنى: آمن بأن وعد الله حق.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الجنسين المذكورين ﴿دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر، أو من أجل ما عملوا منهما[١]. فإن قلت: كيف قيل: درجات، وقد جاء: الجنة درجات والنار دركات؟ قلت: يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب، لاشتمال كل على الفريقين ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ وقرئ: بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه، كأنه قيل: وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم، قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم، فجعل الثواب درجات والعقاب دركات.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

ناصب الظرف هو القول المضمر قبل ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ وعرضهم على النار: تعذيبهم بها، من قولهم: عرض بنو فلان على السيف[٢] إذا قتلوا به ومنه قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ

= خيثمة: إن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم أن يبايع الناس ليزيد بن معاوية فقال عبد الرحمن: لقد جئتم بها هرقلية... إلخ لفظ المصنف. قلت: أصله في البخاري من رواية يوسف بن ماهك عن عائشة دون ما في آخره. انتهى.

---

(١) قوله: «ومن أجل ما عملوا منهما» لعله: أو من أجل. (ع)

(٢) قال محمود: «عرضهم على النار إما من قولهم عرض بنو فلان على السيف... الخ» قال أحمد: وإن كان قولهم: عرضت الناقة على الحوض مقلوبًا، فليس قوله: يعرض الذين كفروا على النار مقلوبًا؛ لأن الملجىء ثم إلى اعتقاد القلب أن الحوض جماد لا إدراك له، والناقة هي المدركة، =

عَلَيْهَا﴾ [غافر: ٤٦] ويجوز أن يراد: عرض النار عليهم من قولهم: عرضت الناقة على الحوض، يريدون: عرض الحوض عليها فقلبوا. ويدل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنه: يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ أي: ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أصبتموه في دنياكم، وقد ذهبتم به وأخذتموه، فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها. وعن عمر رضي الله عنه: لو شئت لدعوت بصلائق وصناب(1) وكراكر وأسنمة، ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال: أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا (١٤١٨). وعنه: لو شئت لكنت أطيبكم طعامًا وأحسنكم لباسا، ولكني أستبقي طيباتي (١٤١٩)، وعن رسول الله ﷺ: أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعًا، فقال: «أأنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى، ويغدىٰ عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى، ويستر بيته كما تستر الكعبة. قالوا:

١٤١٨ ـ أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد من طريق جرير بن حازم عن الحسن عن عمر به موقوفًا عليه، ومن طريق ابن المبارك رواه إبراهيم الحربي في «غريب الحديث»؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٢٨٣)، وعزاه الزيلعي أيضًا إلى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه «غريب الحديث»، وإلى ابن سعد في الطبقات في ترجمة عمر.
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن المبارك في الزهد أخبرنا جرير بن حازم، أنه سمع الحسن يقول: «قدم على أمير المؤمنين عمر وفد أهل البصرة مع أبي موسى الأشعري، قال: لو كنا ندخل وأنه كل يوم خبز بيت. فذكر الحديث. وفيه: «أما والله ما أجهل من كراكر وأسنمة وصلا وصناب، وقال جرير: الصلا هو الشواء والصناب الخردل، والصلائق الخبز الرقاق. ولكن سمعت الله عير أقوامًا بأمر فعلوه. فقال: (أذهبتم طيباتكم) الآية. وأخرجه أبو عبيدة في الغريب. وابن سعد وأحمد في الزهد. وأبو نعيم في الحلية كلهم من طريق جرير به. انتهى.

١٤١٩ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) رقم (٣١٢٨٠)، ومن طريق الطبري رواه الثعلبي، كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٢٨٣)، من طريق يزيد بن هارون عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول: لو شئت لكنت أطيبكم طعامًا... إلى آخر.
وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمر (١/ ٤٩) من حديث عفان عبد جرير بن حازم عن الحسن عن عمر، قال: والله لو شئت... إلى آخره. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٢)..
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري من رواية، سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا عمر قال: فذكره. انتهى.

= فهي التي يعرض عليها الحوض حقيقة. وأما النار فقد وردت النصوص بأنها حينئذ مدركة إدراك الحيوانات بل إدراك أولي العلم؛ فالأمر في الآية على ظاهره، كقولك: عرضت الأسرى على الأمير، والله أعلم.

(١) قوله: «بصلائق وصناب» في الصحاح: الصلائق: الخبز الرقاق. والصناب: صباغ يتخذ من الخردل والزبيب. والكركرة: رحى زور البعير: والزور: أعلى الصدر اهـ، أخذا من مواضع. (ع)

نحن يومئذٍ خير. قال: بل أنتم اليوم خير» (١٤٢٠) وقرئ: «أذهبتم» بهمزة الاستفهام. و«آأذهبتم» بألف بين همزتين: «الهون» و«الهوان»: وقرئ «عذاب الهوان»، وقرئ: «يفسقون» بضم السين وكسرها.

﴿۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١﴾

الأحقاف: جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء، من احقوقف الشيء إذا اعوج، وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن. وقيل: بين عمان ومهرة. و ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ من قبله ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ ومن بعده. وقرئ: «من بين يديه ومن بعده» والمعنى: أنّ هودًا عليه السلام قد أنذرهم فقال لهم: لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم العذاب؛ وأعلمهم أنّ الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره وعن ابن عباس رضي الله عنه: يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه. ومعنى ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ على هذا التفسير ومن بعد إنذاره، هذا إذا علقت، وقد خلت النذر

١٤٢٠ ـ أخرجه الطبري في تفسيره: (١١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) رقم (٣١٢٨٠)، من طريق بشر بن معاذ عن يزيد بن هارون عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ـ ﷺ ـ دخل يومًا على أصحاب الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعًا. . . إلى آخره سواء.
ومن طريق الطبري رواه الثعلبي، وهذا مرسل، كما في تخريج الكشاف للزيلعى (حـ٣/ ٢٨٤)، وعزاه الزيلعى أيضًا إلى أبي نعيم في الحلية في ترجمة أصحاب الصفة من طريق هناد بن السري عن يونس بن بكير عن سنان بن سنبس الحنفي عن الحسن قال: بنيت صفة لضعفاء المسلمين، فجعل المسلمون يوغلون إليها ما استطاعوا من خير، فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يأتيهم، فيقول: «السلام عليكم يا أهل الصفة». . . إلى آخر.
وللحديث شاهد من حديث علي:
أخرجه الترمذي (٤/ ٦٤٧): كتاب صفة القيامة، حديث (٢٤٧٦) من طريق يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثني من سمع علي بن أبي طالب يقول: إنا لجلوس مع رسول الله ـ ﷺ ـ في المسجد. . . إلى آخره.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن. أ. هـ. وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري من رواية سعد عن قتادة قال: ذكر لنا، فذكره. ومن طريقه الشعبي. ورواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة أهل الصفة من طريق الحسن قال: «حسب أضعاف المسلمين»، فذكر نحوه مطولاً وفي الترمذي من طريق محمد بن كعب القرظي: حدثني من سمع علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: بينا نحن جلوس في المسجد إذ طلع علينا مصعب بن عمير ما عليه إلاّ بردة له مرقوعة بفرو. فلما رآه رسول الله ـ ﷺ ـ بكى للذي كان فيه من النعمة. ثم قال: كيف بكم. . . الحديث نحوه». انتهى.

بقوله: أنذر قومه، ولك أن تجعل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ اعتراضًا بين أنذر قومه وبين ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ ويكون المعنى: واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم؛ وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك، فاذكرهم.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾

الإفك: الصرف. يقال أفكه عن رأيه ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ عن عبادتها ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من معاجلة العذاب على الشرك ﴿إِن كُنتَ﴾ صادقا في وعدك.

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

فإن قلت: من أين طابق قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ جوابًا لقولهم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾؟ قلت: من حيث إنّ قولهم هذا استعجال/ ٢/ ١٧٩ب منهم بالعذاب. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ فقال لهم: لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابًا، إنما علم ذلك عند الله، فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم؟ ومعنى: ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ وقرئ بالتخفيف: أن الذي هو شأني وشرطي: أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرّضكم لسخط الله بجهدي، ولكنكم جاهلون لا تعلمون أنّ الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين، ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ في الضمير وجهان: أن يرجع إلى ما تعدنا، وأن يكون مبهمًا قد وضح أمره بقوله: ﴿عَارِضًا﴾ إما تمييزًا وإما حالاً. وهذا الوجه أعرب وأفصح. والعارض: السحاب الذي يعرض في أفق السماء. ومثله: الحبِيّ والعنان، من حبا وعنّ: إذا عرض. وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة؛ بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفًا للنكرة ﴿بَلْ هُوَ﴾ القول قبله مضمر، والقائل: هود عليه السلام، والدليل عليه قراءة من قرأ: «قال هود، بل هو» وقرئ: «قل بل ما استعجلتم به هي ريح»، أي قال الله تعالى: قل ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ﴾ تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير، فعبر عن الكثرة بالكلية. وقرئ: «يدمر كل شيء» من دمر دمارًا إذا هلك «لا ترى» الخطاب للرائي من

كان. وقرئ: «لا يرى»، على البناء للمفعول بالياء والتاء، وتأويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن رضي الله عنه: لا ترى بقايا ولا أشياء منهم إلا مساكنهم. ومنه بيت ذي الرمّة [من الطويل]:

.... وَمَا بَقِيَتْ إِلاَّ الضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ(1)

وليست بالقوية. وقرئ: «لا ترى إلا مسكنهم»، و«لا يرى إلا مسكنهم». وروي أنّ الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجوّ حتى ترى كأنها جرادة. وقيل: أوّل من أبصر العذاب امرأة منهم قالت: رأيت ريحًا فيها كشهب النار. وروي: أوّل ما عرفوا به أنه عذاب: أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم؛ فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم، وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين، ثم كشفت الريح عنه، فاحتملتهم فطرحتهم في البحر. وروي أنّ هودًا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس. وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء وتدمغهم بالحجارة وعن النبّي ﷺ أنه كان إذا رأى الريح فزع وقال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة: قام وقعد، وجاء وذهب، وتغير لونه، فيقال له: يا رسول الله ما تخاف؟ فيقول: إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا: هذا عارض ممطرنا» (١٤٢١). فإن قلت: ما فائدة إضافة الرب إلى الريح؟ قلت: الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما

١٤٢١ ـ أخرجه البخاري (٧٦/٤٤٣): كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في قوله تعالى: (وهو الذي يرسل الرياح بشرابين يدي رحمته) حديث (٣٢٠٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/٦١٦): كتاب صلاة الاستسقاء: باب التعوذ عند رؤية الريح، والغيم، والفرح بالمطر، حديث (١٤، ١٥/٨٩٩)، والترمذي (٥/ ٣٨٢) كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الأحقاف حديث (٣٢٥٧)، وابن ماجه (٢/ ١٢٨٠): كتاب الدعاء: باب ما يدعو به الرجل إذا رأى السحاب والمطر، حديث (٣٨٩١).
وأحمد في مسنده (٦/ ٢٤٠ ـ ٢٤١)، وأبو يعلى في مسنده: (٨/ ١٦٥) رقم (٣٥٧/٤٧١٣)؛ كلهم من طرق عن عطاء بن رباح عن عائشة به.
وله طريق آخر:
أخرجه البخاري (٩/٥٤٩ ـ ٥٥٠): كتاب التفسير: باب قوله تعالى: ﴿فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض مُمْطِرنا﴾ حديث (٤٨٢٩)، وأبو داود (٤/٣٢٦): كتاب الأدب باب ما يقول إذا هاجت الريح، حديث (٥٠٩٨)، وأحمد (٦/٦٦)، كلهم من طرق عن عبد الله بن وهب =

---

(١) تقدم.

يشهد لعظم قدرته، لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده. وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عزّ وجل: يعضد ذلك ويقوّيه.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِنْ﴾ نافية، أي: فيما ما مكناكم فيه، إلا أنّ ﴿إِنْ﴾ أحسن في اللفظ؛ لما في مجامعة (ما) مثلها من التكرير المستبشع. ومثله مجتنب، ألا ترى أن الأصل في «مهما»: (ماما) فلبشاعة التكرير، قلبوا الألف هاء. ولقد أغث[1] أبو الطيب في قوله [من الطويل]:

لَعَمْرُكَ مَامَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبِ ....[2]

وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال: لعمرك ما إن بان منك لضارب[3]. وقد

= عن عمرو بن الحارث عن أبي النضر عن سليمان بن يسار عن عائشة به بنحوه.
وله طريق آخر أيضًا:
أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١٦٧) من طريق معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن عائشة به بنحوه.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ١٤)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والبزار، وأبو يعلى، والبخاري في الأدب المفرد؛ كلهم من رواية عطاء عن عائشة، ولفظ مسلم قريب من لفظ الكتاب. انتهى.

---

(١) قوله. «ولقد أغث أبو الطيب» في الصحاح «أغث»: أي ردؤ وفسد، تقول: أغث الرجل في منطقه. (ع)

(٢) لعمرك ماما بان منك لضارب ... بأقتل مما بان منك لعائب
لأبي الطيب. يقول: وحياتك ليس الذي ظهر منك للضارب يعني السنان، أقتل: أي أسرع قتلًا من الذي ظهر منك للعائب، يعني: اللسان، بل هما سواء في الحدة. ويجوز أنه استعار القتل للضرب تصريحًا.
ينظر: ديوانه ص (٢٨٥)، والدر المصون (٦/ ١٤٢).

(٣) قال أحمد: بيت المتنبي ليس كما أنشده، وإنما هو كما يروى:
لعمرك إن ما بان منك لضارب ... بأقتل مما بان منك لعائب
ولا يستقيم إلا كذلك لأن قبله:
هو ابن رسول الله وابن صفيه ... وشبههما شبهت بعد التجارب
من قصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوي، ولو أتى أبو الطيب عوض «ما» بـ «إن» لجاء البيت:
يرى أن إن ما بان منك لضارب ....
وهذا التكرار أثقل من تكرار «ما» بلا مراء. وإنما فنده الزمخشري وألزمه استعمال «إن» عوض =

جعلت إنْ صلة، مثلها فيما أنشده الأخفش: [الوافر]

يُـرَجِّـي الْـمَـرْءُ مَـا إنْ لا يَـرَاهُ ... وَتَـعْـرِضُ دُونَ أَدْنَـاهُ الْـخُـطُـوبُ

وتؤوّل بإنا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه، والوجه هو الأوّل، ولقد جاء عليه غير آية في القرآن ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾، [مريم: ٧٤] ﴿كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا﴾ [غافر: ٨٢] وهو أبلغ في التوبيخ، وأدخل في الحث على الاعتبار ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ أي من شيء من الإغناء، وهو القليل منه. فإن قلت:/ ٢/ ١٨٠أ بم انتصب ﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ﴾؟ قلت: بقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾. فإن قلت: لم جرى مجرى التعليل؟ قلت: لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك: ضربته لإساءته وضربته إذ أساء؛ لأنك إذا ضربته في وقت إساءته؛ فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه؛ إلا أن «إذ»، وحيث، غلبتا دون سائر الظروف في ذلك».

= «ما»؛ لاعتقاده أن البيت كما أنشده:

لعمرك ماما بان منك لضارب ... بأقتل مما بان منك لعائب

ولو عوض «إن» عوض «ما» كما أصلحه الزمخشري: لزم دخول الباء في خبر «ما» وإنما تدخل الباء في خبر «ما» الحجازية العاملة، و«إن» لا تعمل عمل «ما» على الصحيح، فلا يستقيم دخول الباء في خبرها، فما عدل المتنبي عن ذلك إلا لتعذره عليه من كل وجه. على أني لا أبرىء المتنبي من التعجرف، فإنه كان مغرى به، مغرمًا بالغريب من النظم. ونقل الزمخشري في الآية وجهًا آخر: وهو جعلها صلة مثلها في قوله [من الوافر]:

يرجى المرء ما إن لا يراه ... وتعرض دون أدناه الخطوب

قال: «ويكون معناه على هذا مكناهم في مثل ما مكناكم... الخ» قلت: واختص بهذه الطائفة قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وقوله: ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾.

(١) فإن أمسك فإن العيش حلو ... إلي كأنه عسل مشوب

يرجي المرء ما إن لا يراه ... وتعرض دون أدناه الخطوب

وما يدري الحريص علام يلقى ... شراشره أيخطىء أم يصيب؟

لجابر بن رالان الطائي. وقيل: لإياس بن الأرت. والشراشر: جمع شرشر، وهي أطراف الشيء المشرشرة، أي: المفرقة المنشورة، وتطلق على الجسد وعلى الثقل ويكنى بها عن النفس كما هنا. وقيل: هي حبال الصيد. يقول: إن أبخل فالعيش حلو عنده كحلاوة العسل الممزوج بالماء لتزول حرارته وضمن «حلو» معنى محبوب، فعداه بإلي. ثم قال: ولكن لا خير في الإمساك؛ فإن المرء يرتجي الأمر الغائب عنه. وتحول أهوال الموت أو شدائد الدهر بينه وبين أدنى شيء منه. وإن: زائدة بعد ما الموصولة حملاً على ما النافية، وما يدري الذي وجه نفسه بكليتها للدنيا عواقب أمره، أربح أم خسر، وعلى أنها حبال الصيد ففي الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه حال من أخذ في أسباب الأمر جاهلاً عاقبته: بحال من نصب الحبال للصيد، فقد وقد.

ينظر: حاشية الدسوقي على المغني (١/ ٢٤)، والخزانة (٣/ ٥٦٧)، والدر المصون (٦/ ١٤٢).

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿مَا حَوْلَكُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ من نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما. والمراد: أهل القرى. ولذلك قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

القربان: ما تقرب به إلى الله تعالى، أي: اتخذوهم شفعاء متقربًا بهم إلى الله، حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله. وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين[1] المحذوف[2]، والثاني: آلهة. وقربانًا: حال ولا يصح أن يكون قربانًا مفعولاً ثانيًا وآلهة بدلاً منه لفساد المعنى. وقرئ: «قربانا» بضم الراء. والمعنى: فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم ﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ أي غابوا عن نصرتهم ﴿وَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم، أي: وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة، وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء. وقرئ «إفكهم»، والأفك والإفك: كالحذر والحذر. وقرئ: «وذلك إفكهم» أي: وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق. وقرئ: «أفَّكهم» على التشديد للمبالغة. و«آفِكُهم»، جعلهم آفكين. و«آفَكُهم»، أي: قولهم الآفك ذو الإفك، كما تقول قول كاذب، وذلك إفك مما كانوا يفترون، أي: بعض ما كانوا يفترون من الإفك.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى

---

(١) قال محمود: «أحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الموصول محذوف... الخ» قال أحمد: لم يتبين وجه فساد المعنى على هذا الإعراب. ونحن نبينه فنقول: لو كان قربانًا مفعولاً ثانيًا ومعناه متقربًا بهم: لصار المعنى إلى أنهم وبخوا على ترك اتخاذ الله متقربًا به؛ لأن السيد إذا وبخ عبده وقال: اتخذت فلانًا سيدًا دوني، فإنما معناه اللوم على نسبة السيادة إلى غيره، وليس هذا المقصد؛ فإن الله تعالى يتقرب إليه ولا يتقرب به لغيره؛ فإنما وقع التوبيخ على نسبة الإلهية إلى غير الله تعالى، فكان حق الكلام أن يكون آلهة هو المفعول الثاني لا غير.

(٢) قوله: «اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف» هو الذي أبرزه في قوله: أي اتخذوهم. (ع)

﴿صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا﴾ أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك. وقرئ: «صرفنا» بالتشديد؛ لأنهم جماعة. والنفر: دون العشرة. ويجمع أنفارًا. وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: لو كان ههنا أحد من أنفارنا (١٤٢٢) ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ الضمير للقرآن. أي: فلما كان بمسمع منهم. أو لرسول الله ﷺ. وتعضده قراءة من قرأ «فلما قضى» أي أتمّ قراءته وفرغ منها ﴿قَالُوٓا۟﴾ قال بعضهم لبعض ﴿أَنصِتُوا۟﴾ اسكتوا مستمعين. يقال: أنصت لكذا واستنصت له. روي: أن الجنّ كانت تسترق السمع، فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا: ما هذا إلا لنبإ حدث، فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جنّ نصيبين أو نينوى: منهم زوبعة، فضربوا حتى بلغوا تهامة، ثم اندفعوا إلى وادي نخلة، فوافقوا[1] رسول الله ﷺ وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر، فاستمعوا لقراءته، وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف (١٤٢٣). وعن

١٤٢٢ ـ أخرجه مسلم (٨/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ـ النووي) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ حديث (١٣٢/ ٢٤٧٣) وأخرجه أحمد، وابن راهويه والبزار في مسانيدهم؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٢٨٧).
وقال الحافظ ابن حجر: هذا طرف من قصة إسلام أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ من رواية عبد الله بن الصامت عن أبي ذر ذكره مطولاً. وفيه: فبينا أنا في ليلة قمراء ختموانية، وقد ضرب الله على أهل مكة، فما يطوف غير امرأتين، فأتيا على ذكر القصة. وفيه ثم انطلقتا يولولان. ويقولان، لو كان ههنا أحد من أنصارنا» أخرجه مسلم مطولاً. انتهى.

١٤٢٣ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٨٧): غريب بهذا اللفظ، أ. هـ والحديث أخرجه البخاري (٩/ ٦٧٢ ـ ٦٧٣): كتاب التفسير: باب سورة: ﴿قل أوحى إلى﴾، حديث (٤٩٢١)، ومسلم (٢/ ٤٠٣ ـ النووي) كتاب الصلاة: باب الجهد بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، حديث (١٤٩/ ٤٤٩)، والترمذي (٥/ ٤٢٦): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الجن، حديث (٣٣٢٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٣)؛ كلهم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «ما قرأ رسول الله ـ ﷺ ـ على الجن وما رآهم. . . الحديث».
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما أخرجه مسلم وحده حديث داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ بطوله بغير هذه الألفاظ. أ. هـ.
وله شاهد من حديث ابن مسعود: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٥٦) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
من طريق سفيان عن عاصم عن ذر عن عبد الله قال: هبطوا على النبي ـ ﷺ ـ. . . فذكره وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه بمعناه من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس دون أوله، ودون =

---

(١) قوله: «فوافقوا رسول الله ﷺ لعله: فوافوا. (ع)

سعيد بن جبير رضي الله عنه: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر، فأنبأه الله باستماعهم (١٤٢٤). وقيل: بل أمر الله رسوله أن ينذر الجنّ ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرًا منهم جمعهم له فقال: إني أمرت أن أقرأ على الجنّ الليلة فمن يتبعني: قالها ثلاثًا، فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لم يحضره ليلة الجنّ أحد غيري، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال: لا تخرج منه حتى أعود إليك، ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدًا حتى خفت على رسول الله ﷺ، وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله ﷺ: هل رأيت شيئًا؟ قلت: نعم رجالاً سودًا مستثفري ثياب بيض[1]، فقال: أولئك جن نصيبين (١٤٢٥)، وكانوا اثني عشر ألفًا، والسورة التي قرأها عليهم: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].

= قوله: «وكانوا تسعة نفر أحدهم زوبعة»، ودون قوله «في جوف الليل يصلي»، ودون قوله: «من نينوى» ودون قوله: «عند منصرفه إلى آخره»، وأما زوبعة فأخرجه الحاكم من رواية ذر عن ابن مسعود قال: «هبطوا ـ يعني الجن ـ على النبي ـ ﷺ ـ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة. فلما سمعوه قالوا: أنصتوا. وكانوا تسعة أحدهم زوبعة. فأنزل الله ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ـ الآية) وقوله: «نينوى» أخرجه الطبري من رواية قتادة في هذه الآية قال: ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نينوى الحديث». انتهى.

١٤٢٤ ـ تقدَّم ـ ينظر السابق. وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من رواية سعيد بن جبير، وهو من الذي قبله.

١٤٢٥ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/٢٨٩): غريب بهذا اللفظ. أ.هـ.

والحديث أخرجه الطبري في تفسيره (١١/٢٩٨) رقم (٣١٣١٥) عن يزيد عن سعيد عن قتادة؛ أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال: «ذكر لنا أنهم صُرفُوا إليه من نينَوى...» فذكره وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة كما في تخريج الكشاف (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (٢/٥٠٣ ـ ٥٠٤) في تفسير سورة الجن من حديث الزهري عن أبي عثمان بن شيبة الخزاعي عن عبد الله بن مسعود قال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لأصحابه وهو بمكة: «من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل؟» فلم يحضر منهم أحد غيري... فذكره.

وأخرجه الطبري في تفسيره (١١/٢٩٨) رقم (٣١٣١٧) من حديث معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي؛ أنه قال لابن مسعود به.

قال الحافظ ابن حجر: لم أجده بتمامه في سياق واحد، بل وجدته مفرقًا. فروى الطبري من رواية قتادة ذكر لنا النبي ـ ﷺ قال: «إني أمرت أن أقرأ على الجن. فأيكم يتبعني فأطرقوا ثلاثًا إلاَّ ابن =

---

(١) قوله: «مستثفري ثياب بيض» في القاموس «الاستثفار»: أن يدخل إزاره بين فخذيه ملويًا وإدخال الكلب ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه اهـ. (ع)

فإن قلت: كيف قالوا: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾؟ قلت: عن عطاء رضي الله عنه: أنهم كانوا على اليهودية. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنّ الجنّ لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام، فلذلك قالت ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾. فإن قلت: لم بعّض في قوله: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾؟ قلت: لأن من الذنوب مالا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها. ونحوه قوله عزّ وجل: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [نوح: ٣ ـ ٤]. فإن قلت: هل للجن ثواب كما للإنس؟ قلت: اختلف فيه فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار، لقوله تعالى: ﴿وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ وإليه كان يذهب أبو حنيفة رحمه الله. والصحيح أنهم في حكم بني آدم، لأنهم مكلفون مثلهم ﴿فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: لا ينجي منه مهرب، ولا يسبق قضاءه سابق. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ۝١٢﴾/ ٢/ ١٨٠ب [الجن: ١٢].

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٣٣﴾

﴿بِقَٰدِرٍ﴾ محله الرفع؛ لأنه خبر أن، يدل عليه قراءة عبد الله: قادر؛ وإنما دخلت الباء لاشتمال النفي في أوّل الآية على أن وما في حيزها. وقال الزجاج: لو قلت: ما ظننت أنّ زيدًا بقائم: جاز، كأنه قيل: أليس الله بقادر. ألا ترى إلى وقوع بلى مقرّرة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره، لا لرؤيتهم. وقرئ: «يقدر»، ويقال: عييت بالأمر، إذا لم تعرف وجهه. ومنه: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥].

= مسعود، فاتبعه حتى دخل شعبًا يقال له شعب الحجون قال: وخط على ابن مسعود خطًا. فذكر أي: قوله: حتى خفت عليه ـ وزاد فيه: فقلت: ما هذا اللغط؟ فقال: اختصموا إلي في جبل قضيت بينهم بالحق»، وروى الحاكم والطبراني والدارقطني من طريق أبي عثمان بن شيبة الخزاعي، وكان رجلاً من أهل الشام أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول: «إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لأصحابه وهو بمكة: من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل. فلم يحضر منهم أحد غيري. قال: فانطلقت حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطًا، ثم أمرني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى قام. فافتتح القرآن... الحديث» ولم يذكر قوله: «رجالاً سودًا... إلى آخر». وروى الطبري من رواية عمرو بن غيلان الثقفي، أنه سأل ابن مسعود فذكر القصة. وفيها فقال: «رأيت شيئًا؟ قلت: نعم. قد رأيت رجالاً سودًا مستشعري ثياب بيض. فقال: أولئك جن نصيبين سألوني المتاع ـ فذكر الحديث»، وليس فيه عددهم ولا اسم السورة. وروى ابن أبي حاتم من رواية عكرمة في هذه الآية قال: «كانوا من جن نصيبين جاؤوا من جزيرة الموصل. وكانوا اثني عشر ألفًا. فهذه الأحاديث من مجموعها ما ذكر إلاّ اسم السورة. انتهى.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ محكي بعد قول مضمر، وهذا المضمر هو ناصب الظرف. وهذا إشارة إلى العذاب، بدليل قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ والمعنى: التهكم بهم، والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده، وقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الشعراء: ١٣٨].

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ﴾ أولوا الجد والثبات والصبر. و﴿مِنَ﴾ يجوز أن تكون للتبعيض، ويراد بأولي العزم: بعض الأنبياء. قيل: هم نوح، صبر على أذى قومه: كانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وإبراهيم على النار وذبح ولده، وإسحٰق على الذبح[1]، ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف على الجب والسجن، وأيوب على الضرّ، وموسى قال له قومه: إنا لمدركون، قال: كلا إنّ معي ربي سيهدين، وداود بكى على خطيئته أربعين سنة، وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال: إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها. وقال الله تعالى في آدم: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] وفي يونس: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] ويجوز أن تكون للبيان، فيكون أولو العزم صفة للرسل كلهم ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل﴾ لكفار قريش بالعذاب، أي: لا تدع لهم بتعجيله؛ فإنه نازل بهم لا محالة، وإن تأخر، وأنهم مستقصرون حينئذٍ مدّة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ﴿سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ﴾ أي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة. أو هذا تبليغ من الرسول عليه السلام ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ إلا الخارجون عن الاتعاظ به، والعمل بموجبه. ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ: بلغ فهل يهلك، وقرئ «بلاغًا»، أي بلغوا بلاغًا، وقرئ: «يهلك»، بفتح الياء وكسر اللام وفتحها، من هلك وهلك. ونهلك بالنون ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

وعن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا» (١٤٢٦).

١٤٢٦ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة، الموضوع على رسول الله ـ ﷺ ـ وقال ابن حجر: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ انتهى.

---

(١) والحق أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وهو الذي يدل عليه ظواهر القرآن الكريم، والآثار عن الصحابة والتابعين ومنها ما له حكمة الرفع بتقرير النبي ﷺ.

سورة محمد ﷺ

مدنية عند مجاهد. وقال الضحاك وسعيد بن جبير: مكية. وهي سورة القتال وهي تسع وثلاثون آية. وقيل ثمان وثلاثون [نزلت بعد الحديد]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢)﴾

﴿وَصَدُّوا﴾ وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام: أو صدّوا غيرهم عنه. قال ابن عباس رضي الله عنه: هم المطعمون يوم بدر. وعن مقاتل: كانوا اثني عشر رجلاً من أهل الشرك يصدّون الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر. وقيل: هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدّوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الإسلام. وقيل: هو عامّ في كل من كفر وصدّ ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أبطلها وأحبطها. وحقيقته: جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها، كالضالة من الإبل[١] التي هي بمضيعة لا ربَّ لها يحفظها ويعتني بأمرها. أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم ومغلوبة بها، كما يضل الماء في اللبن. وأعمالهم: ما عملوه في كفرهم بما كانوا يسمونه مكارم: من صلة الأرحام وفك الأسارىٰ وقرى الأضياف وحفظ الجوار. وقيل: أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله ﷺ والصدّ عن سبيل الله: بأن نصره عليهم وأظهر دينه على الدين كله.

---

(١) قال محمود: «معناه جعلها كالضالة من الإبل... الخ» قال أحمد: هذا المعنى الثاني حسن متمكن مليء بمقابلة قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ثم قال: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ وتحرير المقابلة بينهما أن الكفار ضلت أعمالهم الصالحة في جملة أعمالهم السيئة من الكفر والمعاصي، حتى صار صالحهم مستهلكًا في غمار سيئهم، ومقابله في المؤمنين ستر الله لأعمالهم السيئة في كنف أعمالهم الصالحة من الإيمان والطاعة، حتى صار سيئهم مكفرًا ممحقًا في جنب صالح أعمالهم، وإلى هذا التمثيل الحسن في عدم تقبل صالح الكفار والتجاوز عن سيء أعمال المؤمنين وقعت الإشارة بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ والله أعلم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال مقاتل: هم ناس من قريش. وقيل: من الأنصار. وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب. وقيل: هو عام. وقوله: ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ اختصاص للإيمان بالمنزل على رسول الله ﷺ من بين ما يجب به الإيمان تعظيمًا لشأنه وتعليمًا، لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به. وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وقيل: معناها إنّ دين محمد هو الحق، إذ لا يرد عليه النسخ، وهو ناسخ لغيره. وقرئ: «نزل وأنزل»، على البناء للمفعول. ونزّل على البناء للفاعل، ونزل بالتخفيف/ ٢/ ١٨١أ ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين، وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ وما بعده خبره، أي: ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني: كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق. ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر كما ذكر بهذا السبب، فيكون محل الجار والمجرور منصوبًا على هذا[1]، ومرفوعًا على الأوّل و﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾ ما لا ينتفع به. وعن مجاهد: الباطل الشيطان، وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الضرب ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ والضمير راجع إلى الناس، أو إلى المذكورين من الفريقين، على معنى: أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم. فإن قلت: أين ضرب الأمثال؟ قلت: في أن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار، واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين. أو في أن جعل الإضلال مثلاً لخيبة الكفار، وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۛ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾

﴿لَقِيتُمُ﴾ من اللقاء وهو الحرب ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أصله: فاضربوا الرقاب ضربًا، فحذف

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا حاجة إليه، قوله: «كذلك يضرب» خرجه الزمخشري على مثل ذلك الضرب «يضرب الله للناس أمثالهم» والضمير راجع إلى الفريقين أو إلى الناس على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس؛ ليعتبروا. انتهى الدر المصون.

الفعل وقدّم المصدر فأنيب منابه مضافًا إلى المفعول. وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد؛ لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه. وضرب الرقاب عبارة عن القتل، لأنّ الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء، وذلك أنهم كانوا يقولون: ضرب الأمير رقبة فلان، وضرب عنقه وعلاوته، وضرب ما فيه عيناه[1] إذا قتله، وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته، فوقع عبارة عن القتل، وإن ضرب بغير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدّة ما ليس في لفظ القتل، لما فيه[2] من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه. ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]. ﴿أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم قتلهم وأغلظتموه، من الشيء الثخين: وهو الغليظ. أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ فأسروهم. والوثاق بالفتح والكسر: ـ اسم ما يوثق به ﴿مَنًّا﴾ و﴿فِدَاءً﴾ منصوبان بفعليهما مضمرين، أي: فإمّا تمنون منا، وإما تفدون فداء. والمعنى: التخيير بعد الأسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم، وبين أن يفادوهم. فإن قلت: كيف حكم أسارىٰ المشركين؟ قلت: أمّا عند أبي حنيفة وأصحابه فأحد أمرين: إمّا قتلهم وإمّا استرقاقهم: أيهما رأى الإمام، ويقولون في المنّ والفداء المذكورين في الآية: نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ. وعن مجاهد: ليس اليوم منّ ولا فداء، وإنما هو الإسلام أو ضرب العنق. ويجوز أن يراد بالمنّ: أن يمنّ عليهم بترك القتل ويسترقوا. أو يمنّ عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية، وكونهم من أهل الذمّة. وبالفداء أن يفادىٰ بأساراهم أسارىٰ المسلمين، فقد رواه الطحاوي مذهبًا عن أبي حنيفة، والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره، خيفة أن يعودوا حربًا للمسلمين، وأما الشافعي فيقول: للإمام أن يختار أحد أربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين، وهو: القتل، والاسترقاق[3]، والفداء بأسارىٰ المسلمين، والمن. ويحتج بأن رسول الله ﷺ منّ على أبي عروة الحجبي (١٤٢٧)، وعلى ثمامة بن أثال الحنفي (١٤٢٨)، وفادى رجلًا برجلين من

١٤٢٧ ـ أخرجه ابن هشام في سيرته (٢/ ٣٣٦) رقم (٨٢٥)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) إلى الدارقطني في كتابه «المؤتلف والمختلف»، والبيهقي في «المعرفة» وابن سعد في طبقاته، والواقدي في مغازيه. =

---

(١) قوله: «وضرب ما فيه عيناه» لعله كناية عن رأسه أو عن وجهه. (ع)
(٢) قوله: «لما فيه من تصوير القتل» لعله لما فيها. (ع)
(٣) قوله: «وهو القتل والاسترقاق» لعله: وهي... (ع)

المشركين (١٤٢٩). وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأي. وقرئ: «فدى» بالقصر مع فتح الفاء. أوزار الحرب: آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع. قال الأعشى [من المتقارب]:

وَأَعْــدَدْتُ لِــلْــحَــرْبِ أَوْزَارَهَــا رِمَــاحًــا طِــوَالاً وَخَــيْــلاً ذُكُــورا[١]

وسميت أوزارها لأنه لما لم يكن لها بد من جرّها فكأنها تحملها وتستقل بها، فإذا انقضت فكأنها وضعتها. وقيل: أوزارها آثامها، يعني: حتى يترك أهل الحرب. وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا. فإن قلت: (حتى) بم تعلقت؟ قلت: لا تخلو إما أن تتعلق بالضرب والشد، أو بالمن والفداء؛ فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي

= قال الحافظ ابن حجر العسقلاني:
هو مذكور في المغازي لابن إسحاق وغيره: «أنه أسر يوم بدر، فمنَّ عليه رسول الله - ﷺ - بغير فداء، ثم أسره يوم أحد، فقتله صبرًا» ورواه الواقدي عن ابن أخي الزهري عن عمه عن سعيد بن المسيب. انتهى.

١٤٢٨ - أخرجه البخاري (٨/ ٤١٩): كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، حديث (٤٣٧٢)، ومسلم (٦/ ٣٣٠ - ٣٣١ - النووي) كتاب الجهاد والسير: باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، حديث (٥٩/ ١٧٦٥)، وأبو داود (٣/ ٥٧): كتاب الجهاد: باب في الأسير يوثق حديث (٢٦٧٩)، والنسائي (١/ ١١٠) كتاب الطهارة: باب تقديم غسل الكافر إذا أراد أن يسلم، و(٢/ ٤٦): كتاب المساجد: باب ربط الأسير بسارية المسجد. كلهم من حديث سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة به. وقال الحافظ ابن حجر: «قوله على ثمامة بن أثال الحنفي»، هو في حديث أبي هريرة عند الشيخين مطولاً. انتهى.

١٤٢٩ - أخرجه الترمذي (٤/ ١٣٥): كتاب السير: باب ما جاء في قتل الأسارى والفداء، حديث (١٥٦٧)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٩٦) لابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. أ.هـ.
قال الحافظ ابن حجر:
قوله: «وفادى رجلاً برجلين من المشركين»: هذا طرف من حديث أخرجه مسلم، والترمذي، وغيرهما من حديث عمران، ولكن فيه أن أصحاب رسول الله - ﷺ - أسروا رجلاً من بني عقيل، وكانت ثقيف أسرت رجلين من أصحاب رسول الله - ﷺ - ففداه النبي - ﷺ - بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف» وروى البيهقي في المعرفة عن الشافعي من هذا الوجه مثل لفظ الكتاب. ثم قال: أظنه من الكاتب، والصحيح الأول. انتهى.

---

(١) للأعشى، واستعار الأوزار لآلات الحرب على طريق التصريحية، ويحتمل أنه شبه الحرب بمطايا ذات أوزار، أي: أحمال ثقال على طريق المكنية، وإثبات الأوزار تخييل، ورماحًا: بدل.
ينظر: ديوانه ص ١٤٩، ولسان العرب (وزر)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٢٢، وتهذيب اللغة ١٣/ ٢٤٤، ومجمل اللغة ٤/ ٥٢٣، وكتاب العين ٧/ ٣٨١، وأساس البلاغة (وزر)، وتاج العروس (وزر)، وبلا نسبة في المخصص ٦/ ٧٦.

رضي الله عنه: أنهم لا يزالون على ذلك أبدًا إلى أن لا يكون حرب مع المشركين. وذلك إذا لم يبق لهم شوكة. وقيل: إذا نزل عيسى ابن مريم عليه السلام. وعند أبي حنيفة رحمه الله: إذا علق بالضرب والشد؛ فالمعنى: أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار، وذلك/ ٢/ ١٨١ب حين لا تبقى شوكة للمشركين. وإذا علق بالمن والفداء، فالمعنى: أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها إلا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمر ذلك، أو افعلوا ذلك ﴿لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ لا نتقم منهم ببعض أسباب الهلك: من خسف، أو رجفة، أو حاصب، أو غرق. أو موت جارف، ﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين: أن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم، والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب. وقرئ: «قتلوا» بالتخفيف والتشديد: وقتلوا. وقاتلوا. وقرئ: «فلن يضل أعمالهم»، وتضل أعمالهم: على البناء للمفعول. ويضل أعمالهم من ضل. وعن قتادة: أنها نزلت في يوم أحد ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ أعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من الجنة. قال مجاهد: يهتدي أهل الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطئون، كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها. وعن مقاتل: إن الملك الذي وكّل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله، أو طيبها لهم، من العرف: وهو طيب الرائحة. وفي كلام بعضهم: عزف كنوح القماري وعرف كفوح القماري[1]. أو حددها لهم؛ فجنة كل أحد محدودة مفرزة عن غيرها، من: عرف الدار وأرفها. والعرف والأرف، الحدود.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾

﴿إِن تَنصُرُواْ﴾ دين ﴿ٱللَّهَ﴾ ورسوله ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على عدوكم ويفتح لكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ في مواطن الحرب أو على محجة الإسلام.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ كأنه قال: أتعس الذين كفروا. فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؟ قلت: على الفعل الذي نصب تعسًا؛ لأنّ المعنى فقال: تعسا لهم، أو فقضى تعسا لهم. وتعسا له: نقيض

---

(١) قوله: «عزف كنوح القماري» العزف: الغناء. والقمارى: جمع قمري، اسم طير. والعود القماري: منسوب إلى موضع ببلاد الهند. أفاده الصحاح. (ع)

«لَعًالَهُ» قال الأعشى [من البسيط]:

.... فَالتَّعْسُ أَوْلَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ: لَعَا[1]

يريد: فالعثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد في الدنيا القتل، وفي الآخرة التردي في النار ﴿كَرِهُوا﴾ القرآن وما أنزل الله فيه من التكاليف والأحكام، لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم.

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠)﴾

دمره: أهلكه، ودمر عليه: أهلك عليه ما يختص به. والمعنى: دمر الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما كان لهم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة؛ لأن التدمير يدل عليها. أو للسنة، لقوله عزّ وعلا ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾ **[الأحزاب: ٣٨، ٦٢]**.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١١)﴾

﴿مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وليهم وناصرهم. وفي قراءة ابن مسعود «ولي الذين آمنوا» ويروى:

---

(١) وبلدة يرهب الجواب دلجتها ... حتى تراه عليها يبتغي الشيما
كلفت مجهولها نفسي وشايعني ... همي عليها إذا ما آلها لمعا
بذات لوث عفرناة إذا عثرت ... فالتعس أولى لها من أن يقال: لعا

للأعشى، أي: ورب مفازة يخاف الجواب: أي كثير السير، من جبت الأرض: قطعتها بالسير. والدلجة من دلج وأدلج، وزن افتعل. وأدلج وزن أكرم: إذا سار ليلًا. والدلجة: ساعة من الليل، أي: يخاف المعتاد على السير من سيرها ليلًا، حتى يطلب الجماعات المساعدين له على سيرها، كلفت نفسي سير المجهول منها، وعاونني عزمي على سيرها وقت لمعان آلها وهو السراب الذي يرى عند شدة الحر، كأنه ماء، مع أن سير الهاجرة أشد من سير الليل، ثم قال: مع ناقة صاحبة قوة. ويطلق اللوث على الضعف أيضًا، فهو من الأضداد. عفرناة: غليظة. ويقال للعاثر: لعا لك: دعاء له بالانتعاش. وتعسا له: دعاء عليه بالسقوط، يريد أنها لا تعثر، ولو عثرت فالدعاء عليها أحق بها من الدعاء لها.

ينظر: ديوانه ص ١٥٣، ولسان العرب (لوث)، (تعس)، (لعا)، والتنبيه والإيضاح ١/ ١٨٧، وتهذيب اللغة ٢/ ٧٩، ٣/ ١٩٢، وجمهرة اللغة ص ٩٥٢، وكتاب العين ٨/ ٢٣٩، وأساس البلاغة (لعو)، وتاج العروس (لوث)، (تعس)، (لعا)، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٦٩٢، وكتاب العين ٢/ ١٢٣، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤/ ٦٥، ٥/ ٢٥٣.

أن رسول الله ﷺ كان في الشعب يوم أحد وقد فشت فيهم الجراحات، وفيه نزلت، فنادى المشركون: اعل هبل: فنادى المسلمون: الله أعلى وأجل، فنادى المشركون: يوم بيوم والحرب سجال، إن لنا عزى ولا عزى لكم؛ فقال رسول الله ﷺ: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم، إن القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففي النار يعذبون» (١٤٣٠). فإن قلت: قوله تعالى: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٠] مناقض لهذه الآية. قلت: لا تناقض بينهما، لأن الله مولى عباده جميعًا على معنى أنه ربهم ومالك أمرهم؛ وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾ ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أيامًا قلائل ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ غافلين غير مفكرين في العاقبة ﴿كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ في مسارحها ومعالفها، غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح ﴿مَثْوًى لَّهُمْ﴾ منزل ومقام.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾

وقرئ: «وكائن» بوزن كاعن[1]. وأراد بالقرية أهلها، ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ كأنه قال: وكم من قوم هم أشد قوّة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم. ومعنى أخرجوك:

١٤٣٠ ـ أخرجه الطبري في تفسيره: (١١/ ٣٠٩) رقم (٣١٣٥٨) من طريق بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد، ورسول الله ـ ﷺ ـ في الشعب، وقد فشت فيهم الجراحات... إلى آخره سواء وكذلك ذكره الثعلبي في تفسيره عن قتادة من غير سند كما في تخريج الكشاف للزيلعي (حـ٣/ ٢٩٧).

وللحديث شاهد من حديث البراء بن عازب: أخرجه البخاري (٨/ ٩٢): كتاب المغازي: باب غزوة أحد، حديث (٤٠٤٣) من طريق عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء ـ رضي الله عنه ـ قال: لقينا المشركين يومئذٍ وأجلس النبي ـ ﷺ ـ جيشًا من الرماة وأمر عليهم عبد الله... إلى آخره فذكره.

وقال الحافظ ابن حجر:

أخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة قال: «ذكر لنا أن هذه الآية. يعني: ﴿إن الله مولى الذين آمنوا﴾ نزلت يوم أحد، ورسول الله ـ ﷺ ـ في الشعب وقد فشت فيهم الجراحات. إلخ،. سواء. وله شاهد في البخاري من حديث البراء بن عازب. انتهى.

---

(١) قوله: «وكأين بوزن كاعن» في الصحاح «كائن»: معناها معنى كم في الخبر والاستفهام، وفيها لغتان: كاين. مثال كعين وكائن: مثال كاعن اهـ. (ع)

كانوا سبب خروجك. فإن قلت: كيف قال: ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾؟ وإنما هو أمر قد مضىٰ. قلت: مجراه مجرى الحال المحكية، كأنه قال: أهلكناهم فهم لا ينصرون.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾

من زين له: هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله، ومن كان على بينة من ربه أي على حجة من عنده وبرهان: وهو القرآن/ ٢/ ١٨٢أ المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله ﷺ. وقرئ: «أمن كان على بينة من ربه». وقال تعالى: ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾ للحمل على لفظ «من» ومعناه.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾. ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ﴾؟ قلت: هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإنكار[١]، لانطوائه تحت حكم كلام مصدّر بحرف الإنكار، ودخوله في حيزه، وانخراطه في سلكه، وهو قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ فكأنه قيل: أمثل الجنة كمن هو خالد في النار، أي كمثل جزاء من هو خالد في النار. فإن قلت: فلم عرّى في حرف الإنكار؟ وما فائدة التعرية؟ قلت: تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوّي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه، وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار، وبين النار التي يسقى أهلها الحميم. ونظيره قول القائل [من المنسرح]:

---

(١) قال محمود: «هو كلام في صورة الإثبات ومعناه النفي... الخ» قال أحمد: كم ذكر الناس في تأويل هذه الآية، فلم أر أطلى ولا أحلى من هذه النكت التي ذكرها، لا يعوزها إلا للتنبيه على أن في الكلام محذوفًا لا بد من تقديره لأنه لا معادلة بين الجنة وبين الخالدين في النار إلا على تقدير مثل ساكن فيه يقوم وزن الكلام ويتعادل كفتاه. ومن هذا النمط قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فإنه لا بد من تقدير محذوف مع الأول أو الثاني؛ ليتعادل القسمان. وبهذا الذي قدرته في الآية ينطبق آخر الكلام على أوله، فيكون المقصود تنظير بعد التسوية بين المتمسك بالسيئة والراكب للهوى ببعد التسوية بين المنعم في الجنة والمعذب في النار على الصفات المتقابلة المذكورة في الجهتين. وهو من وادي تنظير الشيء بنفسه، باعتبار حالتين إحداهما أوضح في البيان من الأخرى؛ فإن المتمسك بالسنة هو المنعم في الجنة الموصوفة. والمتبع للهوى: هو المعذب في النار المنعوتة، ولكن أنكر التسوية بينهما باعتبار الأعمال أولاً، وأوضح ذلك بإنكار التسوية بينهما باعتبار الأعمال أولاً، وأوضح ذلك بإنكار التسوية بينهما باعتبار الجزاء ثانيًا.

أَفْـــــرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْـــــكِــــــرَامَ وَأَنْ أُورَثَ ذُودًا شَــصَـــائِــصًـــا نَـبَـــلاَ[(١)]

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود، مع تعريه عن حرف الإنكار لانطوائه تحت حكم قول من قال: أتفرح بموت أخيك وبوراثة إبله، والذي طرح لأجله حرف الإنكار إرادة أن يصوّر قبح ما أزنّ به[(٢)] فكأنه قال له: نعم مثلي يفرح بمرزأة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودًا يقل طائلهُ[(٣)] وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار، ومثل الجنة: صفة الجنة العجيبة الشأن، وهو مبتدأ، وخبره: كمن هو خالد. وقوله: فيها أنهار، داخل في حكم الصلة كالتكرير لها. ألا ترى إلى صحة قولك: التي فيها أنهار. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها[(٤)] أنهار، وكأن قائلاً قال: وما مثلها؟ فقيل: فيها أنهار، وأن يكون في موضع الحال، أي: مستقرّة فيها أنهار، وفي قراءة عليّ رضي الله عنه «أمثال الجنة» أي: ما صفاتها كصفات النار. وقرئ: «أسن» يقال: أسن الماء وأجن: إذا تغير طعمه وريحه. وأنشد ليزيد بن معاوية [من البسيط]:

لَـقَـدْ سَـقَـتْـنِـي رُضَـابًـا غَـيْـرَ ذِي أَسـنٍ كَـالمِـسْـكِ فُـتَّ عَـلَـى مَـاءِ الْـعَـنَـاقِـيدِ[(٥)]

﴿مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ كما تتغير ألبان الدنيا، فلا يعود قارصًا ولا حاذرًا[(٦)]. ولا ما يكره من الطعوم ﴿لَّذَّةٍ﴾ تأنيث لذّ، وهو اللذيذ، أو وصف بمصدر. وقرئ بالحركات الثلاث، فالجر على صفة الخمر، والرفع على صفة الأنهار، والنصب على العلة، أي: لأجل لذة الشاربين. والمعنى: ما هو إلا التلذذ الخالص، ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع، ولا آفة من آفات الخمر ﴿مُّصَفًّى﴾ لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره ﴿مَآءً حَمِيمًا﴾ قيل إذا دنا منهم شوى وجوههم، وانمازت فروة رءوسهم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم.

---

(١) تقدم.

(٢) قوله: «ما أزن» أي اتهم. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله: «يقل طائله» لأن الشصائص قليلات اللبن. والنبل: الكبار من الإبل، والصغار منها أيضًا، فهو من الأضداد. أفاده الصحاح. (ع)

(٤) قوله: «هي فيها» لعله: أي هي فيها. (ع)

(٥) ليزيد بن معاوية. وترضب الرجل ريق المرأة: إذا ترشفه. وأسن أسنًا كتعب تعبًا: تغير طعمه أو ريحه أو لونه؛ لطول مدته. يقول: سقتني ريقها الذي لم يتغير. وماء العناقيد: كناية عن الخمر، واستعاره لريقها على التصريحية، وناولتني المسك حال كونه تفتت على ريقها الشبيه بالخمر، أي: كأنه كذلك لطيبه. ويروى: كالمسك وهي الظاهرة، والتشبيه من قبيل تشبيه المفرد بالمركب؛ لأنه لا يريد تشبيه الرضاب بالمسك فقط.

(٦) قوله: «ولا حاذرًا ولا ما يكره» لعله محذوف، وأصله: حازر بالزاي، وفي الصحاح: الحاذر: اللبن الحامض.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾

هم المنافقون: كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالاً تهاونًا منهم، فإذا خرجوا قالوا لأولي العلم من الصحابة، ماذا قال الساعة؟ على جهة الاستهزاء. وقيل: كان يخطب فإذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء. وقيل: قالوه لعبد الله بن مسعود. وعن ابن عباس: أنا منهم، وقد سميت فيمن سئل ﴿ءَانِفًا﴾ وقرئ: «أنفًا» على فعل، نصب على الظرف[1] قال الزجاج: هو من استأنفت الشيء: إذا ابتدأته. والمعنى: ماذا قال في أوّل وقت يقرب منا.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾

﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى﴾ بالتوفيق ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ أعانهم عليها. أو أتاهم جزاء تقواهم. وعن السدي: بين لهم ما يتقون. وقرئ: «وأعطاهم» وقيل: الضمير في زادهم، لقول الرسول أو لاستهزاء المنافقين.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾

﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل اشتمال من الساعة، نحو: ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ من قوله: ﴿رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ [الفتح: ٢٥]، وقرئ: «أن تأتهم» بالوقف على الساعة واستئناف الشرط، وهي في مصاحف أهل مكة كذلك: فإن قلت: فما جزاء الشرط؟ قلت: قوله ﴿فأنى لهم﴾ ومعناه: إن تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم، أي تذكرهم واتعاظهم إذا جاءتهم الساعة، يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذٍ، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣]. فإن قلت: بم يتصل قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾/ ٢/ ١٨٢ب على القراءتين؟ قلت: بإتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول، كقولك: إن أكرمني زيد فأنا حقيق بالإكرام أكرمه. والأشراط: العلامات. قال أبو الأسود [من الطويل]:

فَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ بِالصَّرْمِ بَيْنَنَا   فَقَدْ جَعَلَتْ أَشْرَاطُ أَوَّلِهِ تَبْدُو[2]

وقيل: مبعث محمد خاتم الأنبياء ﷺ وعليهم منها، وانشقاق القمر، والدخان. وعن

---

(١) قوله: «وقرئ أنفًا على فعل نصب على الظرف» لعله: بالضم. (ع)

(٢) لأبي الأسود. يقول: إن كنت جزمت بقطع المودة بيننا فلا تكتميه؛ لأن علامات ابتدائه شرعت في الظهور.
ينظر: البحر (٨/ ٧٠)، والدر المصون (٦/ ١٥٢).

الكلبي: كثرة المال والتجارة، وشهادة الزور، وقطع الأرحام، وقلة الكرام، وكثرة اللئام. وقرئ: «بغتة» بوزن جربة[1]، وهي غريبة لم ترد في المصادر أختها، وهي مروية عن أبي عمرو، وما أخوفني أن تكون غلطة من الراوي على أبي عمرو، وأن يكون الصواب: بغتة، بفتح الغين من غير تشديد، كقراءة الحسن فيما تقدم.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال: إذا علمت أن الأمر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء، فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله، وعلى التواضع وهضم النفس: باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك. والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم، ويعلم حيث تستقرون في منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور. أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار. ومثله حقيق بأن يخشى ويتقى، وأن يستغفر ويسترحم. وعن سفيان بن عيينة: أنه سئل عن فضل العلم فقال: ألم تسمع قوله حين بدأ به فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ فأمر بالعمل بعد العلم وقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد: ٢٠] إلى قوله: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١] وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ثم قال بعد: ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١] ثم أمر بالعمل بعد.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾

كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ في معنى الجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ﴾ وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا[2] وشق عليهم، وسقطوا في أيديهم، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء:

---

(١) قوله: «بغتة بوزن جربة وهي غريبة» في القاموس «الجربة» محركة مشددة: جماعة الحمراء. وفي الصحاح «الجربة» بالفتح: بغتة، وتشديد الباء: العانة من الحمير. وفيه أيضًا «العانة» القطيع من حمر الوحش. (ع)

(٢) قوله: «كاعوا» في الصحاح: كاع الكلب يكوع، أي: مشى على كوعه في الرمل من شدة الحر. (ع)

٧٧]. ﴿مُّحۡكَمَةٞ﴾ مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجهًا إلا وجوب القتال. وعن قتادة: كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة، وهي أشدّ القرآن على المنافقين. وقيل لها «محكمة» لأنّ النسخ لا يرد عليها من قبل أنّ القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة، وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة. وقيل: هي المحدثة؛ لأنها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ، ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة. وفي قراءة عبد الله «سورة محدثة» وقرئ: «فإذا نزلت سورة وذَكَرَ فيها القتالُ» على البناء للفاعل ونصب القتال ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام ﴿نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ أي تشخص أبصارهم جبنًا وهلعًا وغيظًا، كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ وعيد بمعنى: فويل لهم. وهو أفعل: من الولي وهو القرب. ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه ﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ﴾ كلام مستأنف، أي: طاعة وقول معروف خير لهم. وقيل: هي حكاية قولهم، أي قالوا طاعةٌ وقول معروف، بمعنى: أمرنا طاعة وقول معروف. وتشهد له قراءة أبيّ: يقولون طاعة وقول معروف ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي جدّ. والعزم والجد لأصحاب الأمر. وإنما يسندان إلى الأمر إسنادًا مجازيًا. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]. ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما زعموا من الحرص على الجهاد. أو: فلو صدقوا في إيمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم.

﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ۝٢٣﴾

عسيت وعسيتم: لغة أهل الحجاز. وأما بنو تميم فيقولون: عسى أن تفعل، وعسى أن تفعلوا، ولا يلحقون الضمائر، وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب، وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات؛ ليكون أبلغ في التوكيد. فإن قلت: ما معنى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ . . . أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؟ قلت: معناه: هل يتوقع منكم الإفساد؟ فإن قلت: فكيف يصح هذا في كلام الله عزّ وعلا وهو عالم بما كان وبما يكون؟ قلت: معناه إنكم ـ لما عهد منكم ـ أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان: يا هؤلاء، ما ترون؟ هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل ﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا؟ وقيل: إن أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله ﷺ وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية/ ٢/ ١٨٣أ من الإفساد في الأرض: بالتغاور والتناهب، وقطع الأرحام: بمقاتلة بعض الأقارب بعضًا ووأد البنات؟ وقرئ: «وليتم»[1].

(١) قوله: «وقرئ وليتم» لعله بالبناء للمجهول، وكذا توليتم في قراءة علي. (ع)

وفي قراءة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «تُولِّتُم» أي: إن تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم بإفسادهم؟ وقرئ: «وتَقْطَعُوا» «وتقطعوا» من التقطيع والتقطع ﴿أُولَٰئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ لإفسادهم وقطعهم الأرحام، فمنعهم ألطافه وخذلهم، حتى صموا عن استماع الموعظة، وعموا عن إبصار طريق الهدى. ويجوز أن يريد بالذين آمنوا: المؤمنين الخلص الثابتين، وأنهم يتشوقون إلى الوحي إذا أبطأ عليهم، فإذا أنزلت سورة في معنى الجهاد: رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة، حتى لا يجسروا على المعاصي، ثم قال: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ وأم بمعنى بل وهمزة التقرير، للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر. وعن قتادة: إذًا والله يجدوا في القرآن زاجرًا عن معصية الله لو تدبروه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا. فإن قلت: لم نكرت القلوب وأضيفت الأقفال إليها؟ قلت: أما التنكير ففيه وجهان: أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك. أو يراد على بعض القلوب: وهي قلوب المنافقين. وأما إضافة الأقفال؛ فلأنه يريد الأقفال المختصة بها، وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح. وقرئ: «إقفالها» على المصدر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾

﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرًا لأنّ، كقولك: إنّ زيدًا عمرو مرّ به. سوّل لهم: سهل لهم ركوب العظائم، من السول وهو الاسترخاء، وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعًا[1] ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ ومدّ لهم في الآمال

---

(١) قال محمود: هو مشتق من السول وهو الاسترخاء، أي: سهل لهم ركوب العظائم. قال: وقد اشتقه من السؤال من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعًا، قلت: لأن السؤل مهموز، وسول معتل.
قال السمين الحلبي: وفيما قاله الزمخشري نظر؛ لأن السؤال له مادتان: سأل بالهمزة، وسال بالألف المنقلبة عن واو، وعليه قراءة «سال سائل». انتهى. الدر المصون.

والأماني. وقرئ: «وأملى لهم» يعني: إنّ الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم، كقوله تعالى: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٨] وقرئ: «وأملي لهم» على البناء للمفعول، أي: أمهلوا ومدّ لهم في عمرهم. وقرئ: «سوّل لهم»(١)، ومعناه: كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف. فإن قلت: من هؤلاء؟ قلت: اليهود كفروا بمحمد ﷺ من بعد ما تبين لهم الهدى، وهو نعته في التوراة. وقيل: هم المنافقون. الذين قالوا: هم اليهود، والذين كرهوا ما نزل الله: المنافقون. وقيل عكسه، وأنه قول المنافقين لقريظة والنضير: لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم. وقيل: ﴿بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾: التكذيب برسول الله ﷺ، أو بلا إله إلا الله، أو ترك القتال معه. وقيل: هو قول أحد الفريقين للمشركين: سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول الله ﷺ والقعود عن الجهاد معه. ومعنى: ﴿فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ في بعض ما تأمرون به. أو في بعض الأمر الذي يهمكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ وقرئ: «إسرارهم» على المصدر، قالوا ذلك سرًا فيما بينهم، فأفشاه الله عليهم. فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذٍ؟ وقرئ: «توفاهم» ويحتمل أن يكون ماضيًا، ومضارعًا قد حذفت إحدى تاءيه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النساء: ٩٧]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا يتوفى أحد على معصية الله إلا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره (١٤٣١) ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى التوفي الموصوف ﴿مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ من كتمان نعت رسول الله ﷺ. و﴿رِضْوَٰنَهُۥ﴾: الإيمان برسول الله.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ (٣٠)﴾

﴿أَضْغَٰنَهُمْ﴾ أحقادهم وإخراجها: إبرازها لرسول الله ﷺ وللمؤمنين. وإظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم، وكانت صدورهم تغلي حنقًا عليهم ﴿لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ لعرفناكهم ودللناك عليهم. حتى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ بعلامتهم: وهو أن يسمهم الله تعالى بعلامة يُعلمون بها. وعن أنس رضي الله عنه: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد هذه الآية شيء من المنافقين: كان يعرفهم بسيماهم، ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس، فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب: هذا منافق (١٤٣٢). فإن قلت: أي فرق بين اللامين في ﴿فَلَعَرَفْتَهُم﴾

١٤٣١ ـ ذكره القرطبي في «تفسيره» بدون سند (١٦/ ١٦٥).

١٤٣٢ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٩٨): غريب، وهو في الثعلبي هكذا. أ.هـ. وقال الحافظ =

---

(١) قوله: «وقرئ سول لهم» لعله بالبناء للمجهول. (ع)

و﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ﴾؟ قلت: الأولى هي الداخلة في جواب(لو) كالتي في ﴿لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ﴾ كررت في المعطوف، وأما اللام في ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ﴾/ ٢/ ١٨٣ب فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف ﴿فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ في نحوه وأسلوبه. وعن ابن عباس: هو قولهم: ما لنا إن أطعنا من الثواب؟ ولا يقولون: ما علينا إن عصينا من العقاب. وقيل: اللحن: أن تلحن بكلامك، أي: تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية. قال [من الكامل]:

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْقَهُوا ... وَاللَّحْنُ يَعْرِفُهُ ذَوُو الأَلْبَابِ[١]

وقيل للمخطىء: لاحن؛ لأنه يعدل بالكلام عن الصواب.

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾

﴿أَخۡبَارَكُمۡ﴾ ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم، ليعلم حسنها من قبيحها؛ لأن الخبر على حسب المخبر عنه: إن حسنًا فحسن، وإن قبيحًا فقبيح، وقرأ يعقوب: ونبلو، بسكون الواو على معنى: ونحن نبلو أخباركم. وقرئ: «وليبلونكم ويعلم» ويبلو بالياء. وعن الفضيل: أنه كان إذا قرأها بكى وقال: اللّهم لا تبلنا، فإنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢﴾

﴿وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب؛ لأنها مع كفرهم برسول الله ﷺ باطلة، وهم قريظة والنضير. أو سيحبط أعمالهم التي عملوها، والمكايد التي نصبوها في مشاقة الرسول، أي: سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم، بل يستنصرون بها ولا يثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم. وقيل: هم رؤساء قريش، والمطعمون يوم بدر.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾

= ابن حجر: ذكره الثعلبي بغير سند، ولم أجده. انتهى.

---

(١) اللحن: العدول بالكلام عن الظاهر، كالتعريض والتورية، والمخطىء لاحن؛ لعدوله عن الصواب أي: لكي تفهموا دون غيركم، فإن اللحن يعرفه أرباب الألباب دون غيرهم. والألباب: العقول اهـ.

﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ أي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر[1]، كقوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢] إلى أن قال: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ [الحجرات: ٢] وعن أبي العالية: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل (١٤٣٣)، حتى نزلت ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ فكانوا يخافون الكبائر

١٤٣٣ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٩٨) لمحمد بن نصر المروزي الفقيه الشافعي في كتاب الصلاة، من طريق أبي قدامة عن وكيع عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾. انتهى.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٥٤) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن أبي العالية فذكره. وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو: أخرجه أبو نعيم في «الحلية»: (٧/ ١٠٨)، وإسحاق بن راهويه في مسنده، وأبو يعلى الموصلي في مسنده كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٢٩٨). كلهم من طريق يحيى بن يمان عن سفيان عن إبراهيم عن محمد بن المنكدر عن أبيه عن مسروق قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا يضر مع الإسلام ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل». انتهى.
وأعله عبد الحق الأشبيلي في أحكامه في كتاب الإيمان بيحيى بن اليمان وقال: إنه لا يحتج بحديثه كما في تخريج الكشاف للزيلعي (حـ ٣/ ٢٩٩).
وله شاهد آخر من حديث عمر بن الخطاب:
أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»: (٧/ ١٣٤)، والعقيلي في كتابه، وابن عدي في الكامل كما في تخريج الكشاف (٣/ ٢٩٩) كلهم من طريق حجاج بن نصير عن منذر بن زياد الطائي عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا ينفع مع الشرك شيء كما لا يضر مع الإيمان شيء» أ.هـ.
وذكره الكناني في «تنزيه الشريعة المرفوعة» (١/ ١٥٣) من حديث عمر بن الخطاب وقال: ولا =

---

(١) قال محمود: «معناه: لا تحبطوا الطاعات بالكبائر... الخ» قال أحمد: قاعدة أهل السنة مؤسسة على أن الكبائر ما دون الشرك لا تحبط حسنة مكتوبة؛ لأن الله ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ نعم يقولون: إن الحسنات يذهبن السيئات كما وعد به الكريم جل وعلا. وقاعدة المعتزلة موضوعة على أن كبيرة واحدة تحبط ما تقدمها من الحسنات ولو كانت مثل زبد البحر؛ لأنهم يقطعون بخلود الفاسق في النار، وسلب سمة الإيمان عنه، ومتى خلد في النار لم تنفع طاعاته ولا إيمانه؛ فعلى هذا بنى الزمخشري كلامه وجلب الآثار التي في بعضها موافقة في الظاهر لمعتقده، ولا كلام عليها جملة من غير تفصيل؛ لأن القاعدة المتقدمة ثابتة قطعًا بأدلة اقتضت ذلك يحاشى كل معتبر في الحل والعقد عن مخالفتها، فمهما ورد من ظاهر يخالفها وجب رده إليها بوجه من التأويل، فإن كان نصًا لا يقبل التأويل فالطريق في ذلك تحسين الظن بالمنقول عنه، والتوريك بالغلط على النقلة، على أن الأثر المذكور عن ابن عمر هو أولى بأن يدل ظاهره لأهل السنة فتأمله، وأما محمل الآية عند أهل الحق فعلى أن النهي عن الإخلال بشرط من شروط العمل وبركن يقتضي بطلانه من أصله، لا أنه يبطل بعد استجماعه شرائط الصحة والقبول.

على أعمالهم. وعن حذيفة: فخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم. وعن ابن عمر: كنا نرى أنه ليس شيء من حسناتنا إلا مقبولاً، حتى نزل ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ فقلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ فقلنا: الكبائر الموجبات[1] والفواحش، حتى نزل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦] فكففنا عن القول في ذلك (١٤٣٤)، فكنا

= يصح، فيه المنذر بن زياد وجاء من حديث أنس بن مالك من طريق أحمد بن عبد الله الهروي، وهو من عمله. (تعقب) بأن له طريقا آخر عن مسروق قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول، فذكره بلفظ: لا يضر مع الإسلام ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، وفي لفظ عند الطبراني: من قال لا إله إلاَّ الله لم يضره معها خطيئة كما لو أشرك بالله لم تنفعه معها حسنة، رواه أبو نعيم في الحلية والطبراني وقالا: هكذا قال يحيى بن اليمان عن مسروق سمعت عبد الله بن عمرو وخالفه غيره فقال: نزل رجل على مسروق فقال: سمعت عبد الله بن عمرو فذكره (قلت): أخرجه من طريق الرجل المبهم أحمد والطبراني في الكبير، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح ما خلا التابعي؛ فإنه لم يسم، وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان: يعقوب بن سفيان، عن حجاج بن نصير، عن المنذر بن زياد، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر بحديث: لا يضر مع الإيمان شيء قال ابن القطان: لا يعرف حاله، وقال شيخنا في الذيل: علة الخبر إما حجاج وإما المنذر. انتهى. وفي اللسان أيضًا في ترجمة منذر بن زياد: أعل عبد الحق في الأحكام هذا الحديث بحجاج بن نصير فعاب عليه ابن القطان ذلك، فأصاب، فإن علته من منذر هذا، وحجاج لا يحتمل مثل هذا الموضوع المكشوف. انتهى. وكل هذا غفلة عن حديث عبد الله بن عمرو فإنه شاهد جيد والله أعلم.

وذكره ابن الجوزي في الموضوعات كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٢٩٩)، وقال: قال عمرو ابن علي الغلاس: كان المنذر بن زياد كذابًا، وقال الدارقطني: متروك وله مناكير قال ابن الجوزي: وقد رواه أحمد بن عبد الله الهروي عن عبد الله بن معدان الأزدى، عن أنس بن مالك عن النبي - ﷺ - أنه قال: «إني لأرجو ألا يمنع مع التوحيد ذنب كما لا يمنع مع الشرك عمل» وقال: هذا أيضًا باطل، وهو من عمل الهروي. أ. هـ.

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب قدر الصلاة له. قال: حدثنا أبو قدامة حدثنا وكيع حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس بهذا وزاد: فنزلت: (ولا تبطلوا أعمالكم) وفي الكتاب حديث مرفوع، أخرجه إسحاق وأبو يعلى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود، قال أبو نعيم: تفرد به يحيى بن يمان عن سفيان أ. هـ. ويحيى ضعيف. وفيه عن عمر أيضًا أخرجه العقيلي. وابن عدي من رواية حجاج بن نصير عن منذر بن زياد وهما ضعيفان. انتهى.

١٤٣٤- أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة كما في تخريج الكشاف (٣/ ٣٠٠) من طريق عبد الله بن المبارك: أخبرني بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال: كنا معشر أصحاب رسول الله - ﷺ - نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلاَّ مقبولاً حتى نزلت: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ فقلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟... إلى آخره. =

---

(١) قوله: «فقلنا: الكبائر الموجبات» عبارة الخازن: الكبائر والفواحش. (ع)

نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها. وعن قتادة رحمه الله: رحم الله عبدًا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء. وقيل: لا تبطلوها بمعصيتهما. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تبطلوها بالرياء والسمعة، وعنه: بالشك والنفاق، وقيل: بالعجب؛ فإنّ العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. وقيل: ولا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ قيل: هم أصحاب القليب، والظاهر العموم.

﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ ولا تضعفوا ولا تذلوا للعدوّ ﴿وَ﴾ لا ﴿تَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ وقرئ: «السلم» وهم المسالمة ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي الأغلبون الأقهرون ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ أي ناصركم. وعن قتادة: لا تكونوا أوّل الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها بالموادعة. وقرئ: لا تدّعوا، من ادّعى القوم وتداعوا: إذا دعوا. نحو قولك: ارتموا الصيد وتراموه. وتدعوا: مجزوم لدخوله في حكم النهي. أو منصوب لإضمار إن. ونحو قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٨]. ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلًا من ولد أو أخ أو حميم، أو حربته، وحقيقته: أفردته من قريبه أو ماله، من الوتر وهو الفرد؛ فشبه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر، وهو من فصيح الكلام. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «من فاتته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله» (١٤٣٥) أي أفرد عنهما قتلًا ونهبًا.

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾

= وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٥٥) وزاد نسبته إلى ابن جرير وابن مردويه عن ابن عمران وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن مردويه من طريق عبد الله بن المبارك عند بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن نافع، عن ابن عمر بهذا، وأخرجه محمد بن نصر أيضًا من هذا الوجه. انتهى.

١٤٣٥ ـ قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: متفق عليه من حديث ابن عمر.

﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ ثواب إيمانكم وتقواكم ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ أي ولا يسألكم جميعها، إنما يقتصر منكم على ربع العشر، ثم قال: ﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ أي يجهدكم ويطلبه كله، والإحفاء: المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء، يقال: أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئًا من الإلحاح. وأحفى شاربه: إذا استأصله ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ أي تضطغنون على رسول الله ﷺ⁽¹⁾، وتضيق صدوركم لذلك، وأظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم، والضمير في ﴿يُخْرِجْ﴾ لله عزّ وجل، أي يضغنكم بطلب أموالكم. أو للبخل؛ لأنه سبب الاضطغان، وقرئ «نخرج» بالنون. ويخرج، بالياء والتاء مع فتحهما ورفع أضغانكم ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ موصول بمعنى الذين صلته ﴿تُدْعَوْنَ﴾ أي أنتم الذين تدعون. أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء/ ٢/ ١٨٤أ الموصوفون، ثم استأنف وصفهم، كأنهم قالوا: وما وصفنا؟ فقيل: تدعون ﴿لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قيل: هي النفقة في الغزو. وقيل: الزكاة، كأنه قيل: الدليل على أنه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر، فمنكم ناس يبخلون به، ثم قال: ﴿وَمَن يَبْخَلْ﴾ بالصدقة وأداء الفريضة. فلا يتعداه ضرر بخله، وإنما ﴿يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ يقال بخلت عليه وعنه، وكذلك ضننت عليه وعنه. ثم أخبر أنه لا يأمر بذلك ولا يدعو إليه لحاجته إليه، فهو الغني الذي تستحيل عليه الحاجات، ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾ معطوف على: وإن تؤمنوا وتتقوا ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يخلق قومًا سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الإيمان والتقوى، غير متولين عنهما، كقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩] وقيل: هم الملائكة. وقيل: الأنصار. وعن ابن عباس: كندة والنخع. وعن الحسن: العجم. وعن عكرمة: فارس والروم. وسئل رسول الله ﷺ عن القوم وكان سلمان إلى جنبه، فضرب على فخذه وقال: «هذا وقومه، والذي نفسي بيده، لو كان الإيمان منوطًا بالثريا لتناوله رجال من فارس» (١٤٣٦).

١٤٣٦ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٤): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة محمد ﷺ، حديث (٣٢٦١)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٦٢ ـ ٦٣) رقم (٧١٢٣)، والطبري في تفسيره (١١/ ٣٣٠) رقم (٣١٤٤٢ ـ ٣١٤٤٣ ـ ٣١٤٤٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤).

كلهم من طرق مختلفة عن عبد العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة به.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. أ.هـ. وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٥٥)، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني في =

---

(١) قوله: «أي تضطغنون على رسول الله ﷺ، في الصحاح: «الضغن» الحقد. وتضاغن القوم واضطغنوا: انطووا على الأحقاد. (ع)

وعن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة محمد ﷺ كان حقًا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة» (١٤٣٧).

= الأوسط عن أبي هريرة به.

وله طريق آخر:

أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٤): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة محمد ـ ﷺ ـ، حديث (٣٢٦٠) من طريق عبد الرزاق عن شيخ من أهل المدينة عن العلاء به. وقال: هذا حديث غريب في إسناده مقال. أ.هـ. وأخرج طرفه الأخير:

مسلم (٨/ ٣٤١ ـ ٣٤٢ ـ النووي): كتاب فضائل الصحابة: باب فضل فارس، حديث (٢٣١/ ٥٤٦) من طريق ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة به.

وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٩) من طريق معمر عن جعفر الجزري عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لو كان الدين عند الثريا لذهب رجل من فارس أو أبناء فارس حتى يتناوله». أ.هـ. وقال ابن حجر: «أخرجه الترمذي وابن حبان، والحاكم والطبري وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة وله طرق عنه وعن غيره. انتهى.

١٤٣٧ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وقال ابن حجر: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي بأسانيدهم إلى أبي ابن كعب. انتهى.

سورة الفتح

مدنية [نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية]
وآياتها تسعٌ وعشرون [نزلت بعد الجمعة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣)﴾

هو فتح مكة، وقد نزلت مرجع رسول الله ﷺ عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح، وجيء به على لفظ الماضي على عادة ربّ العزة سبحانه في أخباره؛ لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخْبِر[1] ما لا يخفى[2]. فإن قلت: كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة؟ قلت: لم يجعل علة للمغفرة، ولكن لاجتماع ما عدّد من الأمور الأربعة: وهي المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز، كأنه قيل: يسرنا لك فتح مكة، ونصرناك على عدوّك، لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل. ويجوز أن يكون فتح مكة ـ من حيث إنه جهاد للعدوّ ـ سببًا للغفران والثواب والفتح والظفر بالبلد عنوة أو صلحًا بحرب أو بغير حرب، لأنه منغلق ما لم يظفر به، فإذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح. وقيل: هو فتح الحديبية، ولم يكن فيه قتال شديد، ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة. وعن ابن عباس رضي الله عنه: رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم. وعن الكلبي: ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح. فإن قلت: كيف يكون فتحًا وقد أحصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية؟ قلت: كان ذلك قبل الهدنة، فلما طلبوها وتمت كان فتحًا مبينًا. وعن موسى بن عقبة: أقبل رسول الله ﷺ من الحديبية راجعًا، فقال رجل من أصحابه: ما هذا بفتح، لقد صدّونا

---

(١) قوله: «علو شأن المخبر» لعله: المخبر به. وعبارة النسفي: المخبر عنه. (ع)

(٢) قال محمود: «جاء الإخبار بالفتح على لفظ الماضي وإن لم يقع بعد؛ لأن المراد فتح مكة، والآية نزلت حين رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية قبل عام الفتح، وذلك على عادة رب العزة في إخباره؛ لأنها كانت محققة نزلت منزلة الكائنة الموجودة، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى» قال أحمد: ومن الفخامة الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

عن البيت وصد هدينا، فبلغ النبي ﷺ فقال: «بئس الكلام هذا، بل هو أعظم الفتوح، وقد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح[1]، ويسألوكم القضية، ويرغبوا إليكم في الأمان، وقد رأوا منكم ما كرهوا» (١٤٣٨)، وعن الشعبي: نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله ﷺ في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة، أصاب: أن بويع بيعة الرضوان، وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وظهرت الروم على فارس؛ وبلغ الهدى محله، وأطعموا نخل خيبر، وكان في فتح الحديبية آية عظيمة. وذلك أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة، فتمضمض رسول الله ﷺ ثم مجه فيها، فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه. وقيل: فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد (١٤٣٩) وقيل: هو فتح خيبر،

١٤٣٨ ـ أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»: (٤/ ١٦٠ ـ ١٦١) من طريق أبي عبد الله الحافظ عن إسماعيل ابن محمد بن الفضل، عن جده، عن إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن فُليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، عن أبي عبد الله بن الحافظ، عن أبي جعفر البغدادي، عن محمد بن عمرو بن خالد، عن أبيه، عن ابن لهيعة، قال: حدثنا أبو الأسود عن عروة قالوا: وأقبل رسول الله ـ ﷺ ـ من الحديبية راجعًا، فقال رجالٌ... إلى آخره فذكره قال الحافظ ابن حجر:
هكذا هو في مغازي موسى بن عقبة عن الزهري، وأخرجه البيهقي في الدلائل من طريقه، ومن طريق أبي الأسود عن عروة ـ أيضًا ـ نحوه مطولاً. انتهى.

١٤٣٩ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٢٧٩): كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، حديث (٣٥٧٧)، و(٨/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩): كتاب المغازي باب غزوة الحديبية، حديث (٤١٥٠ ـ ٤١٥١) من طريق أبي إسحاق عن البراء بن عازب به.
وقال الحافظ ابن حجر:
متفق عليه من حديث البراء مطولاً باللفظ الأول، ولمسلم من حديث سلمة بن الأكوع؛ قال: قدمنا المدينة ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها، فقعد رسول الله ـ ﷺ ـ على جنب الركية فإما دعا وإما بصق، قال: فجاشت، فسقينا واستقينا. وعند البخاري في الحديث الطويل عن المسور بن مخرمة ومروان: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، فلم يلبث الناس أن سرحوه، وشكوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ العطش فانتزع سهمًا من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالريء ولا مخالفة في هذا لحديث البراء.، لما رواه الواقدي من طريق عطاء بن أبي مروان، عن أبيه حدثني أربعة عشر رجلاً من أسلم صحابة أن ناجية بن الأعجم. قال: «دعاني رسول الله ـ ﷺ ـ حين شكى إليه من قلة الماء فدفع إلي سهمًا من كنانته وأمر بدلو من مائها، فمضمض فاه منه ثم مجه في الدلو، وقال لي: أنزل الماء فصبه في البئر وفتحت الماء بالسهم. ففعلت. فوالذي بعثه بالحق. ما كدت أخرج حتى كاد يغمرني». وروي أيضًا من حديث قتادة. قال: لما دعا رسول الله ـ ﷺ ـ الرجل. تنزل بالسهم وتوضأ، ومج فاه منه، ثم رده في البئر: جاشت بالرواء. انتهى.

---

(١) قوله: «عن بلادهم بالراح» في الصحاح «الراح»: الخمر، والراح: جمع راحة وهي الكف. والراح: الارتياح، اهـ والظاهر هنا الثالث. (ع)

وقيل: فتح الروم. وقيل: فتح الله له بالإسلام والنبوّة والدعوة بالحجة والسيف، ولا فتح أبين منه وأعظم، وهو رأس الفتوح كلها، إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا وهو تحته ومتشعب منه. وقيل: معناه قضينا لك قضاء بينًا على أهل مكة أن تدخلها أنت/ ٢/ ١٨٤ب وأصحابك من قابل؛ لتطوفوا بالبيت: من الفتاحة وهي الحكومة، وكذا عن قتادة ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ يريد: جميع ما فرط منك. وعن مقاتل: ما تقدم في الجاهلية وما بعدها. وقيل: ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد ﴿نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ فيه عز ومنعة - أو وصف بصفة المنصور إسنادًا مجازيًا أو عزيزًا صاحبه.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٤ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ۝٥ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ۝٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾

﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾ السكون كالبهيتة للبهتان، أي: أنزل الله في قلوبهم السكون، والطمأنينة بسبب الصلح والأمن، ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف، والهدنة غب القتال، فيزدادوا يقينًا إلى يقينهم، وأنزل فيها السكون إلى ما جاء به محمد عليه السلام من الشرائع ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ بالشرائع مقرونًا إلى إيمانهم وهو التوحيد. عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن أوّل ما أتاهم به النبي ﷺ التوحيد، فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلاة والزكاة، ثم الحج، ثم الجهاد، فازدادوا إيمانًا إلى إيمانهم. أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله عزّ وجل ولرسوله، ليزدادوا باعتقاد ذلك إيمانًا إلى إيمانهم. وقيل: أنزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد إيمانهم ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته، ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم، وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب، فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه. وقع السوء: عبارة عن رداءة الشيء وفساده؛ والصدق عن جودته وصلاحه، فقيل في المرضى الصالح من الأفعال: فعل صدق، وفي المسخوط الفاسد منها: فعل سوء. ومعنى ﴿ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين، ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرًا ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ أي: ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم -

والسوء: الهلاك والدمار. وقرئ: «دائرة السوء»[1] بالفتح، أي: الدائرة التي يذمونها ويسخطونها، فهي عندهم دائرة سوء، وعند المؤمنين دائرة صدق. فإن قلت: هل من فرق بين السُّوء والسَّوء؟ قلت: هما كالكُره والكَره والضُّعْف والضَّعْف، من ساء، إلا أنّ المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء. وأما السُّوء بالضم فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير. يقال: أراد به السوء وأراد به الخير؛ ولذلك أضيف الظن إلى المفتوح لكونه مذمومًا؛ وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن لا تضاف إليه إلا على التأويل الذي ذكرنا وأما دائرة السوء بالضم، فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة، فصح أن يقع عليه اسم السوء، كقوله عزّ وعلا: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧].

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾

﴿شَٰهِدًا﴾ تشهد على أمّتك، كقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟﴾ الضمير للناس ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ ويقووه بالنصرة ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ ويعظموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ من التسبيح. أو من السبحة، والضمائر لله عزّ وجلّ والمراد بتعزير الله: تعزير دينه ورسوله ﷺ. ومن فرق الضمائر فقد أبعد. وقرئ: «لتؤمنوا» «وتعزروه»[2] «وتوقروه» «وتسبحوه» بالتاء. والخطاب لرسول الله ﷺ ولأمّته. وقرئ: «وتعزروه» بضم الزاي وكسرها. وتعزروه بضم التاء والتخفيف، وتعززوه بالزايين. وتوقروه من أوقره بمعنى وقره. وتسبحوا الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

لما قال ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أكده تأكيدًا على طريق التخييل[3] فقال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ

---

(١) قوله: «وقرئ دائرة السوء بالفتح، يفيد أن القراءة المشهورة. دائرة السوء. بالضم. (ع)
(٢) قوله: «قرئ لتؤمنوا وتعزروه» يفيد أن قراءة الباء هي المشهورة، وقد تشير إلى تفريق الضمائر قراءة: وتسبحوا الله... الآية. (ع)
(٣) قال محمود: «لما قال: إنما يبايعون الله أكده تأكيدًا على طريق التخييل... الخ» قال أحمد: كلام حسن بعد إسقاط لفظ التخييل وإبداله بالتمثيل، وقد تقدمت أمثاله.

﴿أَيْدِيهِمْ﴾ يريد أن يد رسول الله التي تعلو أيدي المبايعين: هي يد الله، والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام، وإنما المعنى: تقرير أن عقدِ الميثاق مع الرسول/ ٢/ ١٨٥أ كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما، كقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] والمراد: بيعة الرضوان ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه. قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت، وعلى أن لا نفرّ، فما نكث أحد منا البيعة إلا جد بن قيس وكان منافقًا، اختبأ تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم (١٤٤٠). وقرئ: «إنما يبايعون لله» أي: لأجل الله ولوجهه، وقرئ: «ينكث» بضم الكاف وكسرها، وبما عاهد وعهد ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾ بالنون والياء، يقال: وفيت بالعهد وأوفيت به، وهي لغة تهامة. ومنها قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾﴾

هم الذين خلفوا عن الحديبية، وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل. وذلك أنّ رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرًا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرًا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، وأحرم هو ﷺ وساق معه الهدي، ليعلم أنه لا يريد حربًا، فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا: يذهب إلى قوم قد غزوه في عُقْرِ[1] داره بالمدينة وقتلوا

١٤٤٠ ـ أخرجه مسلم (٧/ ٥ النووي): كتاب الإمارة: باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال. وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، حديث (٦٧ ـ ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ / ١٨٥٦) من طريق أبي الزبير عن جابر به.

وعزاه الزيلعى في تخريج الكشاف (٣/ ٣٠٧) إلى أبي يعلى الموصلي والبزار في مسنديهما من حديث أبي سفيان عن جابر به بنحوه.

وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا، بل في حديث جابر «أنه سئل كم كانوا يوم الحديبية؟ قال: كنا أربعة عشر مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة. وهي سمرة. فبايعناه. وجد بن قيس اختبأ تحت بطن بعيره، أخرجه مسلم. ولأبي يعلى من هذا الوجه: «لم نبايعه على الموت، وإنما بايعناه على ألاّ نفر، بايعناه كلنا، إلاّ الجد بن قيس؛ فإنه اختبأ تحت بطن بعيره، فهذا ليس فيه أنه بايع ونكث، بل فيه أنه لم يبايع أصلاً. انتهى.

---

(١) قوله: «قد غزوه في عقر داره» في المصباح: عقر الدار أصلها، وهو محلة القوم. وأهل المدينة =

أصحابه، فيقاتلهم، وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب إلى المدينة واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم (١٤٤١). وقرئ: «شغلتنا» بالتشديد ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ تكذيب لهم في اعتذارهم. وأن الذي خلفهم ليس بما يقولون، وإنما هو الشك في الله والنفاق؛ وطلبهم للاستغفار أيضًا ليس بصادر عن حقيقة ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم﴾ فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ﴾ ما يضركم من قتل أو هزيمة ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ من ظفر وغنيمة[1] وقرئ: «ضرّا»، بالفتح والضم. الأهلون: جمع أهل. ويقال: أهلات، على تقدير تاء التأنيث. كأرض وأرضات، وقد جاء أهلة. وأمّا أهال، فاسم جمع، كليال.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾

وقرئ: «إلى أهلهم» «وزَيَّنَ»، على البناء للفاعل وهو الشيطان، أو الله عز وجل،

١٤٤١ ـ أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»: (٤/ ١٦٤) من طريق أبي عبد الله الحافظ، عن عبد الرحمن ابن الحسن القاضي، عن إبراهيم بن الحسين، عن آدم بن أبي إياس، عن ورقاء، عن ابن أبي يحيى، عن مجاهد قال: أري رسول الله ـ ﷺ ـ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة... الحديث».
قال الحافظ ابن حجر:
أخرجه البيهقي في الدلائل من رواية آدم عن ورقاء. عن ابن نجيح عن مجاهد نحوه. انتهى.

= يقولون: عقر الدار، بالضم. (ع)

(١) قال محمود: «أي قتلاً وهزيمة أو أراد بكم نفعًا أي ظفرًا وغنيمة» قال أحمد: لا تخلو الآية من الفن المعروف عند علماء البيان باللف، وكان الأصل ـ والله أعلم ـ: فمن يملك لكم من الله شيئًا إن أراد بكم ضرًا، ومن يحرمكم النفع إن أراد بكم نفعًا؛ لأن مثل هذا النظم يستعمل في الضر، وكذلك ورد في الكتاب العزيز مطردًا، كقوله: ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾. ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في بعض الحديث «إني لا أملك لكم شيئًا» يخاطب عشيرته وأمثاله كثيرة، وسر اختصاصه بدفع المضرة: أن الملك مضاف في هذه المواضع باللام ودفع المضرة نفع يضاف للمدفوع عنه، وليس كذلك حرمان المنفعة؛ فإنه ضرر عائد عليه لا له، فإذا ظهر ذلك فإنما انتظمت الآية على هذا الوجه؛ لأن القسمين يشتركان في أن كل واحد منهما نفي لدفع المقدر من خير وشر، فلما تقاربا أدرجهما في عبارة واحدة، وخص عبارة دفع الضر؛ لأنه هو المتوقع لهؤلاء؛ إذ الآية في سياق التهديد أو الوعيد الشديد، وهي نظير قوله: ﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءًا أو أراد بكم رحمة﴾ فإن العصمة إنما تكون من السوء لا من الرحمة. فهاتان الآيتان يرامان في التقرير الذي ذكرته. والله أعلم.

وكلاهما جاء في القرآن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل: ٢٤]، و﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل: ٤] والبور: من بار، كالهلك: من هلك، بناء ومعنى؛ ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ. والمعنى: وكنتم قومًا فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم. أو هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه.

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ مقام مقام لهم، للإيذان بأنّ من لم يجمع بين الإيمانين الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر، ونكر ﴿سَعِيرًا﴾ لأنها نار مخصوصة، كما نكر ﴿نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يدبره تدبير قادر حكيم، فيغفر ويعذب بمشيئته (1)، ومشيئته تابعة لحكمته، وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ رحمته سابقة لغضبه، حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر، ويغفر الكبائر بالتوبة.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين تخلفوا عن الحديبية ﴿إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ إلى غنائم خيبر ﴿أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ وقرئ: «كلم الله» أن يغيروا موعد الله لأهل الحديبية، وذلك أنه وعدهم أن يعوّضهم من مغانم مكة مغانم خيبر (2) إذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم

(1) قال محمود: «يغفر ويعذب بمشيئته... الخ» قال أحمد: قد تقدمت أمثالها، والقول بأن موجب الحكمة ما ذكر تحكم. هذا وأدلة الشرع القاطعة تأتي على ما يعتقده فلا تبقي ولا تذر، فكم من دليل على أن المغفرة لا تقف على التوبة، وكم يروم اتباع القرآن للرأي الفاسد فيقيد مطلقًا ويحجر واسعًا، والله الموفق.

(2) قال محمود: «المراد بكلام الله وعده أهل الحديبية بغنائم خيبر عوضًا عما يفوتهم من غنائم مكة... الخ» قال أحمد: فالإضراب الأول إذًا هو المعروف، والثاني هو المستغرب المستعذب الذي ليس فيه مباينة بين الأول والثاني، بل زيادة بينة ومبالغة متمكنة، وإنما كان المنسوب إليهم ثانيًا أشد من المنسوب إليهم أولاً؛ لأن الأول نسبة إلى جهل في شيء مخصوص، وهو نسبتهم الحسد إلى المؤمنين، والثاني يعتبر بجهل على الإطلاق. وقلة فهم على الاسترسال.

شيئًا. وقيل: هو قوله تعالى: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ [التوبة: ٨٣] «تحسدوننا» أن نصيب معكم من الغنائم. قرئ: بضم السين وكسرها ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يفهمون إلا فهمًا ﴿قَلِيلًا﴾ وهو فطنتهم لأمور الدنيا دون أمور الدين، كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٧] فإن قلت: ما الفرق بين حرفي الإضراب؟ قلت: الأوّل إضراب معناه: ردّ أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات الحسد. والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين، إلى وصفهم بما هو أطم منه، وهو الجهل وقلة الفقه.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦)﴾

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ﴾ هم الذين تخلفوا عن الحديبية ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يعني بني حنيفة قوم مسيلمة، وأهل الردّة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ لأن مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم/ ٢/ ١٨٥ب إلا الإسلام أو السيف عند أبي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب. والمجوس تقبل منهم الجزية، وعن الشافعي لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب. وهذا دليل على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنهم لم يدعوا إلى حرب في أيام رسول الله ﷺ، ولكن بعد وفاته. وكيف يدعوهم رسول الله ﷺ مع قوله تعالى: ﴿لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣] وقيل: هم فارس والروم. ومعنى ﴿يُسْلِمُونَ﴾ ينقادون، لأنّ الروم نصارى، وفارس مجوس يقبل منهم إعطاء الجزية. فإن قلت: عن قتادة أنهم ثقيف وهوازن، وكان ذلك في أيام رسول الله ﷺ؟ قلت: إن صح ذلك فالمعنى: لن تخرجوا معي أبدًا ما دمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين. أو على قول مجاهد: كان الموعد أنهم لا يتبعون رسول الله ﷺ إلا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ يريد في غزوة الحديبية. أو يسلمون. معطوف على تقاتلونهم، أي: يكون أحد الأمرين: إما المقاتلة، أو الإسلام، لا ثالث لهما. وفي قراءة أبيّ: «أو يسلموا» بمعنى: إلى أن يسلموا.

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧)﴾

نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو. وقرئ: «ندخله» «ونعذبه» بالنون.

﴿۞ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾

هي بيعة الرضوان، سميت بهذه الآية، وقصتها: أنّ النبي ﷺ حين نزل الحديبية بعث جوّاس[1] بن أمّية الخزاعي رسولاً إلى أهل مكة، فهموا به فمنعه الأحابيش، فلما رجع دعا بعمر رضي الله عنه ليبعثه فقال: إني أخافهم على نفسي، لما عرف من عداوتي إياهم وما بمكة عدويّ يمنعني، ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني وأحب إليهم: عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم أنه لم يأت بحرب، وإنما جاء زائرًا لهذا البيت معظمًا لحرمته، فوقروه وقالوا: إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل، فقال: ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله ﷺ واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه، فقال رسول الله ﷺ: لا نبرح حتى نناجز القوم، ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة. قال جابر بن عبد الله: لو كنت أبصر لأريتكم مكانها. وقيل: كان رسول الله ﷺ جالسًا في أصل الشجرة وعلى ظهره غصن من أغصانها. قال عبد الله بن المغفل: وكنت قائمًا على رأسه وبيدي غصن من الشجرة أذب عنه. فرفعت الغصن عن ظهره، فبايعوه على الموت دونه، وعلى أن لا يفروا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم خير أهل الأرض» وكان عدد المبايعين ألفًا وخمسمائة وخمسة وعشرين، وقيل: ألفًا وأربعمائة، وقيل: ألفًا وثلثمائة (١٤٤٢) ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه ﴿فَأَنزَلَ

١٤٤٢ ـ أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٢٣ ـ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ـ ٣٣١) من طرق مختلفة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، فذكراه.

وأخرج الطبري في تفسيره (١١/ ٣٤٧) رقم (٣١٥١٤) عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ـ ﷺ ـ دعا خراش بن أمية الخزاعي، فبعثه إلى مكة... فذكره وأخرج الطبري في تفسيره (١١/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨) رقم (٣١٥١٥) عن عكرمة مولى ابن عباس: «أن رسول الله ـ ﷺ ـ دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له... فذكره وأخرج الطبري في تفسيره كذلك (١١/ ٣٤٨) رقم (٣١٥١٦) عن محمد بن إسحاق قال: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ـ ﷺ ـ حين بلغه أن عثمان قد قتل، قال: لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة... فذكره.

وقوله: فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة:

أخرجه مسلم (٧/ ٥ ـ النووي): كتاب الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال. =

---

(١) «جواس» الذي في أبي السعود وفي الشهاب: خراش، بالخاء والراء والشين، اهـ ملخصًا من هامش، وكذا في النسفي والخازن. (ع)

﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾ أي: الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم ﴿وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ وقرئ: «وآتاهم» وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة. وعن الحسن: فتح هجر، وهو أجلّ فتح: اتسعوا بثمرها زمانًا ﴿مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَا﴾ هي مغانم خيبر، وكانت أرضًا ذات عقار[1] وأموال، فقسمها ـ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ عليهم، ثم أتاه

= وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، حديث (٧/ ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠/ ١٨٥٦) عن أبي الزبير عن جابر أنه سئل: كم كانوا يوم الحديبية؟ قال: كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة.

وقول جابر لو كنت أبصر لأريتكم مكانها:

أخرجه البخاري (٨/ ٢١١): كتاب المغازي: باب غزوة الحديبية، حديث (٤١٥٤)، ومسلم (٧/ ٦ ـ النووي): كتاب الإمارة: باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، حديث (٧١/ ١٨٥٦). كلاهما من طريق عمرو عن جابر ـ رضي الله عنه به.

وحديث عبد الله بن المغفل:

أخرجه النسائي في «السنن الكبرى»: (٦/ ٤٦٥) كتاب التفسير: سورة الفتح: قوله تعالى: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم﴾ حديث (١١٥١٠/ ٢).

وقوله عليه السلام: «أنتم اليوم خير أهل الأرض» تقدم قريبًا.

وأما عدد المبايعين: ففيه ثلاث روايات كما ذكر المصنف:

فالرواية الأولى:

أخرجها البخاري (٨/ ٢١١): كتاب المغازي: باب غزوة الحديبية، حديث (٤١٥٣)، ومسلم (٧/ ٦ ـ النووي): كتاب الإمارة: باب استحباب مبايعة الإمام الجيش، حديث (٧٢/ ١٨٥٦) والرواية الثانية: أخرجاها في الصحيحين عن عمرو بن مرة عن جابر قال: كنا يوم الحديبية... وقد تقدم قريبًا بتمامه.

والرواية الثالثة: أخرجها البخاري (٨/ ٢١١): كتاب المغازي: باب غزوة الحديبية، حديث (٤١٥٥)، ومسلم (٧/ ٧ ـ النووي): كتاب الإمارة: باب استحباب مبايعة الإمام الجيش، حديث (٧٥/ ١٨٥٧) عن عمرو عن عبد الله بن أبي أوفى به.

وقال الحافظ ابن حجر: أما الأولى فمتفق عليها من حديث سالم بن أبي الجعد عن جابر، دون قوله: «وخمسًا وعشرين» وأما الثانية ففي رواية عمرو بن مرة عن جابر في الصحيحين، وفي رواية أبي الزبير عنه ومسلم وعندهما عن قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: «كم كان عدد الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مائة قال: قلت: فإن جابرًا قال: كانوا أربع عشرة مائة قال: رحمه الله لقد وهم، هو والله حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة» قال البيهقي في الدلائل: كأن جابرًا رجع عن رواية خمس عشرة. إلى ألف وأربعمائة؛ وكذلك قال البراء ومعقل بن يسار، وسلمة بن الأكوع. انتهى. والرواية الثالثة في الصحيحين من رواية عمرو بن مرة عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: «كان أصحاب الشجرة ألفًا وثلثمائة وكان من أسلم من المهاجرين. قلت: والرواية التي فيها ألفا وخمسمائة وخمسًا وعشرين، أخرجها ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس موقوفًا، وفي عددهم أقوال غير هذه بسطتها في شرح البخاري. انتهى.

---

(١) قوله: «ذات عقار» في الصحاح «العقار» بالفتح: الأرض والضياع والنخل. (ع)

عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ وهي ما يفيء على المؤمنين إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ﴾ المغانم يعني مغانم خيبر ﴿وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ﴾ يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاءوا لنصرتهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا. وقيل: أيدي أهل مكة بالصلح ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكفة ﴿ءَايَةً لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وعبرة يعرفون بها أنهم من الله تعالى بمكان، وأنه ضامن نصرهم والفتح عليهم. وقيل: رأى رسول الله ﷺ فتح مكة في منامه، ورؤيا الأنبياء صلوات الله عليهم وحي، فتأخر ذلك إلى السنة القابلة، فجعل فتح خيبر علامة وعنوانًا لفتح مكة ﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا﴾ ويزيدكم بصيرة ويقينًا، وثقة بفضل الله.

﴿وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَأُخۡرَىٰ﴾ معطوفة على هذه، أي: فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى ﴿لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا﴾ وهي مغانم هوازن في غزوة حنين، وقال: لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة ﴿قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ﴾ أي قدر عليها واستولى وأظهركم عليها وغنمكموها. ويجوز في ﴿وَأُخۡرَىٰ﴾ النصب بفعل مضمر، يفسره ﴿قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ/ ٢/ ١٨٦أ بِهَاۚ﴾ تقديره: وقضى الله أخرى قد أحاط بها. وأما ﴿لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا﴾ فصفة لأخرى، والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا، وقد أحاط بها: خبر المبتدأ، والجرّ بإضمار رُبّ. فإن قلت: قوله تعالى: ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٠] كيف موقعه؟ قلت: هو كلام معترض. ومعناه: ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك. ويجوز أن يكون المعنى: وعدكم المغانم، فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفعكم بها، ولتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا وعد الله بها صادقًا، لأنّ صدق الإخبار عن الغيوب معجزة وآية، ويزيدكم بذلك هداية وإيقانًا.

﴿وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ولم يصالحوا. وقيل: من حلفاء أهل خيبر لغلبوا وانهزموا ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ في موضع المصدر المؤكد، أي: سن الله غلبة أنبيائه سنة، وهو قوله تعالى: ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ أيدي أهل مكة، أي: قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة، وذلك يوم الفتح. وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله، على أنّ مكة فتحت عنوة لا صلحًا. وقيل: كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي أنّ عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة، فبعث رسول الله ﷺ من هزمه وأدخله حيطان مكة (١٤٤٣). وعن ابن عباس رضي الله عنه: أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت. وقرئ: «تعملون» بالتاء والياء.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

وقرئ: «والهدي» «والهديّ» بتخفيف الياء وتشديدها، وهو ما يهدي إلى الكعبة: بالنصب عطفًا على الضمير المنصوب في صدّوكم. أي: صدّوكم وصدّوا الهدي وبالجر عطفًا على المسجد الحرام، بمعنى: وصدّوكم عن نحر الهدي ﴿مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ محبوسًا عن أن يباع، وبالرفع على: وصدّ الهدي. ومحله: مكانه الذي يحل فيه نحره،

١٤٤٣ ـ أخرجه الطبري في تفسيره: (١١/٣٥٦) رقم (٣١٥٦٠) من طريق ابن حميد عن يعقوب القُمّي عن جعفر عن ابن أبزى قال: لما خرج النبي ـ ﷺ ـ بالهدي... إلى آخره. وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/٧٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن أبزى.
قال الحافظ ابن حجر:
أخرجه الطبري عن شيخه محمد بن حميد عن يعقوب القمي عن جعفر هو ابن أبي المغيرة عن ابن أبزى: قال «لما خرج النبي ـ ﷺ ـ بالهدي وانتهى إلى ذي الحليفة: قال له نمر: يا نبي الله، تدخل على حرب قوم حرب لك بغير سلاح ولا كراع؟ قال: فبعث إلى المدينة فلم يدع فيها كراعًا ولا سلاحًا إلاّ حمله، فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل فسار حتى أتى منى فنزل بها. فأتاه عتبة بن عكرمة بن أبي جهل، قد خرج عليه في خمسمائة. فقال لخالد بن الوليد: يا خالد، هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل. فقال خالد: أنا سيف الله ورسوله فيومئذٍ سمي سيف الله، يا رسول الله ارم بي أين شئت، فبعثه على خيل، فلقي عكرمة في الشعب، فهزمه. حتى أدخله حيطان مكة ـ الحديث» وأخرجه ابن أبي حاتم من هذا الوجه وفي صحته نظر؛ لأن خالد لم يكن أسلم في الحديبية وظاهر السياق أن هذه القصة كانت في الحديبية. فلو كانت في عمرة القضية لأمكن. مع أن المشهور أنهم فيها لم يمانعوه ولم يقاتلوه. انتهى.

أي يجب. وهذا دليل لأبي حنيفة على أن المحصر محل هديه الحرم. فإن قلت: فكيف حل رسول الله ﷺ ومن معه وإنما نحر هديهم بالحديبية؟ قلت: بعض الحديبية من الحرم (١٤٤٤). وروي أن مضارب رسول الله ﷺ كانت فى الحل، ومصلاه في الحرم (١٤٤٥). فإن قلت: فإذن قد نحر في الحرم، فلم قيل: ﴿مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾؟ قلت: المراد المحل المعهود وهو منىٰ ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ صفة للرجال والنساء جميعًا. و﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم. والمعرة: مفعلة، من عره بمعنى عراه إذا دهاه[1] ما يكره ويشق عليه. و﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلق بأن تطؤهم، يعني: أن تطؤوهم غير عالمين بهم. والوطء والدوس: عبارة عن الإيقاع والإبادة. قال [من الكامل]:

وَوَطِـئْـتَـنَـا وَطْـأً عَـلَـى حَـنَـقٍ   وَطْـأَ الْـمُـقَـيَّـدِ نَـابِـتَ الْـهَـرْمِ[2]

١٤٤٤ ـ أخرجه البخاري (٥/ ٦٤٤ ـ ٦٤٥): كتاب الصلح باب الصلح مع المشركين، حديث (٢٧٠١) من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ـ ﷺ خرج معتمرًا، فحال كفار قريش بينه وبين البيت. . . إلى آخره، أ.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر:

أخرجه البخاري من حديث ابن عمر قال: «خرج رسول الله ـ ﷺ ـ معتمرًا فحال كفار قريش بينه وبين البيت، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية» وفيه من رواية المسور ومروان: «أنه ـ ﷺ ـ قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا» قال البخاري: والحديبية خارج الحرم. انتهى.

١٤٤٥ ـ أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٢٣) من حديث الفتح: عن يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق ابن يسار عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله ـ ﷺ ـ عام الحديبية. . . فذكره بطوله وفيه: وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يصلي وهو مضطرب في الحل. أ.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه أحمد من رواية المسور ومروان، في أثناء الحديث الطويل، قال: «وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يصلي في الحرم، وهو مضطرب في الحل».

---

(١) قوله: «بمعنى عراه إذا دهاه» عبارة الصحاح بلفظها: هو يعر قومه: أي يدخل عليهم مكروهًا يلطخهم به. والمعرة: الإثم. (ع)

(٢) ووطـئـتـنـا وطـأً عـلـى حـنـق   وطـأ الـمـقـيـد نـابـت الـهـرم
وتـركـتـنـا لـحـمًـا عـلـى وضـم   لـو كـنـت تـسـتـبـقـي مـن الـلـحـم

لحرث بن وعلة الذهلي. والوطء: وضع القدم فوق الشيء بشدة. وهو كناية عن الإهلال. والحنق كسبب: الحقد والغيظ. والهرم ـ بالسكون ـ: ضرب من الحمض ترعاه الإبل، وبعير هارم: يرعى الهرم. يقول: أتيتنا مرتفعًا علينا بقوتك وشدة بطشك كوطء الجمل المقيد للهرم، النابت: أي الحديث النبات. ويروى: يابس الهرم فيهلكه لعظمه وقوته، مع رطوبة ذلك النبات وضعفه، أو مع يبسه فيتفتت، فجعله مقيدًا لتكون بطشته قوية؛ حيث يرفع رجليه معًا ويضربها عند الوثوب. أو جعله مقيدًا؛ لأن الذليل إذا قدر لا يعفو. والوضم: خوان الجزار الذي يقطع عليه اللحم. و«لو» شرطية. جوابها دل عليه قوله: «تركتنا» أي: على فرض أنك تركت هنا بقية تركتنا كهذا اللحم الذي =

وقال رسول الله ﷺ: «وإن آخر وطأة وطئها الله بِوَجٍّ» (١٤٤٦) والمعنى: أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الأماكن: فقيل: ولولا كراهة أن تهلكوا ناسًا مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم، فتصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقة: لما كف أيديكم عنهم، وحذف جواب «لولا» لدلالة الكلام عليه(١). ويجوز أن يكون ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ كالتكرير للولا رجال مؤمنون، لمرجعهما إلى معنى واحد، ويكون ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ هو الجواب. فإن قلت: أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون. قلت: يصيبهم وجوب الدية والكفارة، وسوء قالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز، والمأثم إذا جرى منهم بعض التقصير. فإن قلت: قوله تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ تعليل لماذا؟ قلت: لما دلت عليه الآية وسيقت له: من كف الأيدي عن أهل مكة، والمنع من قتلهم؛ صونًا لمن بين أظهرهم من المؤمنين، كأنه قال: كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته؛ أي: في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم. أو ليدخل في الإسلام من رغب فيه من مشركيهم ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض: من زاله يزيله. وقرئ: «لو تزايلوا».

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)﴾

﴿إِذْ﴾ يجوز أن يعمل فيه ما قبله. أي: لعذبناهم أو صدوهم عن المسجد الحرام/ ٢/ ١٨٦ب في ذلك الوقت، وأن ينتصب بإضمار اذكر. والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة

١٤٤٦ ـ تقدم في آخر سورة براءة.

= يهيأ للأكل. وفي التعبير بلو: دلالة على أنه لم يستبق منهم.
البيت لزهير بن أبي سلمى في لسان العرب (هرم)، وتهذيب اللغة ٦/ ٢٩٦، وتاج العروس (هرم)، وليس في ديوانه، وللحارث بن وعلة في أمالي القالي ١/ ٢٦٣، وشرح القصائد السبع الطوال ص ٥٤٩، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي في ص ٢٠٦. وراجع قافية «نابت الهرم».

(١) قال محمود: «يجوز أن يكون جواب لولا محذوفًا... الخ» قال أحمد: وإنما كان مرجعهما ههنا واحدًا وإن كانت لولا تدل على امتناع لوجود. و«لو» تدل على امتناع لامتناع، وبين هذين تناف ظاهر؛ لأن لولا ههنا دخلت على وجود، ولو دخلت على قوله: (تزيلوا) وهو راجع إلى عدم وجودهم وامتناع عدم الوجود وجود، فآلا إلى أمر واحد من هذا الوجه. وكان جدي رحمه الله يختار هذا الوجه الثاني ويسميه تطرية، وأكثر ما تكون إذا تطاول الكلام وبعد عهد أوله واحتيج إلى رد الآخر على الأول، فمرة يطرى بلفظه، ومرة بلفظ آخر يؤدي مؤداه. وقد تقدمت لها أمثال، والله أعلم. وهو الموفق.

المؤمنين ـ والحمية الأنفة والسكينة والوقار ـ ما روي أنّ رسول الله ﷺ لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأخيف، على أن يعرضوا على النبي ﷺ أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام، ففعل ذلك، وكتبوا بينهم كتابًا، فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: «اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم»، فقال سهيل وأصحابه: ما نعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللّٰهم، ثم قال: «اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله ﷺ أهل مكة» فقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة، فقال عليه الصلاة والسلام: «اكتب ما يريدون، فأنا أشهد أني رسول الله وأنا محمد بن عبد الله» (١٤٤٧) فهمَّ المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه، فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا. و﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بسم الله الرحمٰن الرحيم ومحمد رسول الله: قد اختارها الله لنبيه وللذين معه أهل الخير ومستحقيه ومن هم أولى بالهداية من غيرهم. وقيل: هي كلمة الشهادة. وعن الحسن رضي الله عنه: كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد. ومعنى إضافتها إلى التقوى: أنها سبب التقوى وأساسها. وقيل: كلمة أهل التقوى. وفي مصحف الحرث بن سويد صاحب عبد الله: «وكانوا أهلها وأحق بها»، وهو الذي دفن مصحفه أيام الحجاج.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾

رأى رسول الله ﷺ قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا، فقصّ الرؤيا على أصحابه، ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في

١٤٤٧ ـ أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٩٩ ـ ١٠٨) عن عروة بن الزبير وأخرجه النسائي في «تفسيره» (٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣) رقم (٥٣٠) من طريق ثابت البناني عن عبد الله بن المغفل بنحوه، ومن طريق ثابت أخرجه. أحمد (٤/ ٨٦ ـ ٨٧)، والحاكم (٢/ ٤٦٠ ـ ٤٦١)، والطبري في «تفسيره» (٢٦/ ٥٨ ـ ٥٩)، والبيهقي في سننه (٦/ ٣١٩)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» (٥/ ٣٥١) وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه البيهقي في الدلائل من رواية عروة في قصة الحديبية. وفيه ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو. . . إلخ مطولاً، والقصة في الصحيح من رواية البراء بن عازب، ومن رواية مروان والمسور. وفي النسائي مختصرة من رواية ثابت البناني عن عبد الله بن مغفل. انتهى.

عامهم، وقالوا: إن رؤيا رسول الله ﷺ حق، فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبيّ وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث: والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام، فنزلت (١٤٤٨). ومعنى: ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾ صدقه في رؤياه ولم يكذبه ـ تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوًا كبيرًا ـ فحذف الجارّ وأوصل الفعل، كقوله تعالى: ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. فإن قلت: بم تعلق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؟ قلت: إمّا بصدق، أي: صدقه فيما رأى، وفي كونه وحصوله صدقًا ملتبسًا بالحق: أي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة، وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص، وبين من في قلبه مرض، ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالاً منها أي: صدقه الرؤيا ملتبسًا(١) بالحق، على معنى أنها لم تكن من أضغاث الأحلام. ويجوز أن يكون ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ قسمًا: إمّا بالحق الذي هو نقيض الباطل. أو بالحق الذي هو من أسمائه. و﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ جوابه. وعلى الأوّل هو جواب قسم محذوف. فإن قلت: ما وجه دخول ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في أخبار الله عز وجل؟ قلت: فيه وجوه: أن يعلق عدته بالمشيئة تعليمًا لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك، متأدّبين بأدب الله، ومقتدين بسنته. وأن يريد: لتدخلنّ جميعًا إن شاء الله ولم يمت منكم أحدًا، أو كان ذلك على لسان ملك، (فأدخل الملك إن شاء الله)(٢) . أو هي حكاية ما قال رسول الله ﷺ لأصحابه وقصّ عليهم. وقيل: هو متعلق بآمنين ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة إلى العام القابل ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي من دون فتح مكة ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو فتح خيبر، لتستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود.

١٤٤٨ ـ أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٣/٣١٦) وأخرجه الطبري (١١/٣٦٧) عن مجاهد، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/٣٦٧) رقم (٣١٦٠٤) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم به.
وقال الحافظ ابن حجر:
لم أجده هكذا مفسرًا، وروى الطبرى من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) ـ الآية فقال لهم النبي ـ ﷺ ـ: «إني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلقين رؤوسكم ومقصرين. فلما ترك الحديبية ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك، فقالوا: أين رؤياه، فقال الله: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) ـ الآي: وروى الطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: «أرى رسول الله ـ ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل في أهل مكة هو وأصحابه محلقين فلما نحر الهدي وهو بالحديبية قال أصحابه: أين رؤياك يا رسول الله؟ فنزلت، وبه قال وقوله: (فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا) قال: النحر بالحديبية. فرجعوا ففتحوا خيبرًا. وقال: ثم اعتمر بعد ذلك فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة». انتهى.

---

(١) قوله: «أي «صدقه الرؤيا» ملتبسًا» لعله: ملتبسة. (ع)
(٢) هذا الكلام لا يصح، انظر التعليق عليه في ص ١١ من الجزء الأول.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ بدين الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ ليعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ على جنس الدين كله، يريد: الأديان المختلفة من أديان المشركين والجاحدين من أهل الكتاب: ولقد حقق ذلك سبحانه، فإنك لا ترى دينًا قط إلا وللإسلام دونه العز والغلبة. وقيل: هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الأرض كافر. وقيل: هو إظهاره بالحجج والآيات. وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أنّ الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه من فتح مكة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على أنّ ما وعده كائن. وعن الحسن رضي الله عنه: شهد على نفسه أنه سيظهر دينك[(١)].

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

﴿مُّحَمَّدٌ﴾ إما خبر مبتدأ، أي: هو محمد لتقدّم قوله/ ٢/ ١٨٧أ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ [الفتح: ٢٨] وإما مبتدأ، ورسول الله: عطف بيان. وعن ابن عامر أنه قرأ: رسول الله، بالنصب على المدح ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أصحابه ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ جمع شديد ورحيم. ونحوه ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وعن الحسن رضي الله عنه: بلغ من تشدّدهم على الكفار: أنهم كانوا يتحرّزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم؛ وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنًا إلا صافحه وعانقه، والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء. وأما المعانقة فقد كرهها أبو حنيفة رحمه الله، وكذلك التقبيل. قال لا أحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئًا من جسده. وقد رخص أبو يوسف في المعانقة. ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التشدّد وهذا التعطف: فيتشدّدوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه، ويعاشروا إخوتهم في الإسلام متعطفين بالبر والصلة. وكف الأذى. والمعونة، والاحتمال،

(١) قوله: «إنه سيظهر دينك» لعله: دينه، كعبارة النسفي. (ع)

والأخلاق السجيحة[1] ووجه من قرأ: «أشداء، ورحماء» بالنصب ـ: أن ينصبهما على المدح، أو على الحال بالمقدّر في ﴿مَعَهُۥٓ﴾، ويجعل ﴿تَرَىٰهُمْ﴾ الخبر ﴿سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم. وقرئ: «سيماؤهم» وفيها ثلاث لغات: هاتان. والسيمياء، والمراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود، وقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ يفسرها، أي: من التأثير الذي يؤثره السجود، وكان كل من العليين: عليّ بن الحسين زين العابدين، وعليّ بن عبد الله بن عباس أبي الأملاك، يقال له: ذو الثفنات؛ لأنّ كثرة سجودهما أحدثت في مواقعه منهما أشباه ثفنات[2] البعير. وقرئ: «من أثر السجود» و«من آثار السجود»، وكذا عن سعيد بن جبير: هي السمة في الوجه. فإن قلت: فقد جاء عن النبي ﷺ: «لا تعلبوا[3] صوركم» (١٤٤٩)، وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه رأى رجلاً قد أثر في وجهه السجود فقال: إن صورة وجهك أنفك، فلا تعلب وجهك، ولا تشن صورتك (١٤٥٠). قلت: ذلك إذا اعتمد بجبهته على الأرض لتحدث فيه تلك السمة. وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه، ونحن فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد إلا خالصًا لوجه الله تعالى. وعن بعض المتقدّمين: كنا نصلي فلا يرى بين أعيننا شيء، ونرى

١٤٤٩ ـ بيض له الزيلعي في «تخريجه» (٣/٣١٧)، وقال ابن حجر: لم أجده مرفوعًا وهو في الذي بعده موقوف. انتهى.
وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده مرفوعًا وهو في الذي بعده. موقوف. انتهى.

١٤٥٠ ـ أخرجه عبد الرزاق (٢/١٧٣ ـ ١٧٤) رقم (٢٩٤١) من طريق الثوري عن الأعمش عن حبيب عن أبي الشعثاء عن ابن عمر أنه... فذكره.
وفي تخريج الزيلعي (٣/٣١٧): ورواه إبراهيم الحربي في كتابه غريب الحديث: ثنا أحمد بن جعفر ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن حبيب عن عطاء عن ابن عمر أنه رأى رجلًا قد أثر السجود في وجهه فقال: لا تعلب صورتك. انتهى.
وقال الحافظ ابن حجر:
أخرجه عبد الرزاق عن الثوري، عن الأعمش، عن حبيب، عن أبي الشعثاء، عن ابن عمر: أنه رأى رجلاً ينتحز إذا سجد فقال: لا تقلب صورتك، يقول لا تؤثرها، قلت: ما تقلب صورتك؟ قال: لا تغير لا تشن، ورواه إبراهيم الحربي من رواية أبي معاوية، عن الأعمش، عن حبيب، عن عطاء، عن عمر: «أنه رأى رجلًا قد أثر السجود بوجهه فقال: لا تقلب صورتك. ثم قال: قلبت الشيء إذا أثرت به. انتهى.

---

(١) قوله: «والأخلاق السجيحة» أي السهلة. أفاده الصحاح. (ع)
(٢) قوله: «ثفنات البعير» في الصحاح: هي ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ. (ع)
(٣) قوله: «لا تعلبوا صوركم» في الصحاح: علبته أعلبه ـ بالضم ـ: إذا وسمته أو خدشته، أو أثرت فيه. (ع)

أحدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير، فما ندري أثقلت الأرؤس أم خشنت الأرض وإنما أراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق. وقيل: هو صفرة الوجه من خشية الله. وعن الضحاك: ليس بالندب[1] في الوجوه، ولكنه صفرة. وعن سعيد بن المسيب: ندى الطهور وتراب الأرض. وعن عطاء رحمه الله: استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل، كقوله: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» (١٤٥١) ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف ﴿مَثَلُهُمْ﴾

١٤٥١ ـ أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٢٢) كتاب الصلاة باب ما جاء في قيام الليل حديث (١٣٣٣) وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٥٢٦) والعقيلي (١/ ١٧٦) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٠٨، ٤٠٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٣٤١، ١٣/ ١٢٦) وابن حبان (١/ ٢٠٧) وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٠٩ ـ ١١١) كلهم من طريق ثابت بن موسى الضرير عن شريك عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ـ ﷺ ـ. وقال العقيلي: هذا حديث باطل ليس له أصل. وثابت ابن موسى الضرير.

قال ابن حبان: كان يخطىء كثيرًا لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد، وهو الذي روى عن شريك وذكر القصة، ثم قال: وذكر هذا من ثابت جماعة من الضعفاء.

وقال ابن عدى: وبلغني عن محمد بن عبد الله بن نمير أنه ذكرله [هذا] الحديث عن ثابت فقال: باطل وكان شريك مزاحًا وكان ثابت رجلاً صالحًا فشبه أن يكون ثابت دخل على شريك وهو يقول حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ـ ﷺ ـ فالتفت فرأى ثابتًا فقال يمازحه: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، فظن ثابت أن هذا الكلام هو متن الإسناد الذي قرأه فحمله على ذلك، وإنما هو قول شريك أ.هـ. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ونقل كلام ابن عدي وأقره. وللحديث شاهد من حديث أنس.

أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١١١) من طريق حكامة بنت عثمان بن دينار قال: حدثني أبى عن أخيه مالك بن دينار عن أنس مرفوعًا وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ـ ﷺ ـ وهذا السند فيه عثمان بن دينار روت حكامة أحاديث بواطيل لا أصل لها أ.هـ.

وقال ابن أبي حاتم في العلل: قال أبي: هذا حديث موضوع.

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن ماجه عن إسماعيل الطلحي، عن ثابت بن موسى، عن شريك، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر مرفوعًا بهذا، واتفق أئمة الحديث وابن عدى، والدارقطني، والعقيلي، وابن حبان، والحاكم على أنه من قول شريك قاله لثابت لما دخل. وقال ابن عدي: سرقه جماعة من ثابت كعبد الله بن شبرمة الشريكي، وعبد الحميد بن بحر وغيرهما، وأورده صاحب مسند الشهاب من رواية عبد الرزاق عن الثوري، وابن جريج عن أبي الزبير عن جابر، وهو موضوع على هذا الإسناد. وكذا من رواية الحسين بن حفص عن الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر والأمر فيه كذلك. ومن طرق أخرى واهية. قال ابن طاهر: ظن القضاعي أن الحديث صحيح، لكثرة طرقه. وهو معذور لأنه لم يكن حافظًا. وله طرق أخرى من غير رواية جابر أخرجه ابن جميع في معجمه من حديث أنس وابن الجوزي من وجه آخر عنه وهو باطل أيضًا من الوجهين. انتهى.

---

(١) قوله: «ليس بالندب في الوجوه» في الصحاح «الندب»: أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد. (ع)

أي وصفهم العجيب الشأن في الكتابين جميعًا، ثم ابتدأ فقال: ﴿كَزَرۡعٍ﴾ يريد: هم كزرع. وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ﴾ ثم ابتدىء: ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ﴾ ويجوز أن يكون ذلك إشارة مبهمة أوضحت بقوله: ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ٦٦﴾ [الحجر: ٦٦]. وقرئ: «الأنجيل» بفتح الهمزة ﴿شَطۡـَٔهُۥ﴾ فراخه. يقال: أشطا الزرع إذا فرّخ. وقرئ: «شطأه» بفتح الطاء. وشطاه، بتخفيف الهمزة: وشطاءه بالمدّ. وشطه، بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها. وشطوه، بقلبها واوًا ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ من المؤازرة وهي المعاونة. وعن الأخفش: أنه أفعل. وقرئ: «فأزره» بالتخفيف والتشديد، أي: فشدّ أزره وقوّاه. ومن جعل (آزر) أفعل، فهو في معنى القراءتين ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ فصار من الدقة إلى الغلظ ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ فاستقام على قصبه جمع ساق. وقيل: مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وعن عكرمة: أخرج شطأه بأبي بكر، فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى على سوقه بعليّ. وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم، لأنّ النبي ﷺ، قام وحده. ثم قوّاه الله بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزرّاع. فإن قلت: قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ تعليل لماذا؟ قلت: لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوّة، ويجوز أن يعلل به ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لأنّ الكفار إذا سمعوا بما أعدّ لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك. ومعنى ﴿مِنۡهُم﴾ البيان، كقوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [**الحج**: ٣٠].

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ/ ٢/ ١٨٧ب سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة» (١٤٥٢).

١٤٥٢ ـ تقدم برقم ٣٤٦، وقال الحافظ: أخرجه ابن مردوية، والواحدي بالإسناد إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة الحجرات

مدنية، وآياتها ١٨ [نزلت بعد المجادلة]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾

قدّمه وأقدمه: منقولان بتثقيل الحشو والهمزة، مِن قَدَمَهُ إذا تقدّمه[١]، في قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ﴾ [هود: ٩٨] ونظيرهما معنى ونقلاً: سلفه وأسلفه. وفي قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ من غير ذكر مفعول: وجهان، أحدهما: أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدّم. والثاني: أن لا يقصد قصد[٢] مفعول ولا حذفه، ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة، كأنه قيل: لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل، ولا تجعلوه منكم بسبيل[٣] كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [غافر: ٦٨] ويجوز أن يكون من قدّم بمعنى تقدّم، كوجه وبين. ومنه مقدّمة الجيش خلاف ساقته، وهي الجماعة المتقدّمة منه. وتعضده قراءة من قرأ: «لا تقدموا» بحذف إحدى تاءي تتقدموا، إلا أن الأوّل أملأ بالحسن وأوجه، وأشدّ ملاءمة لبلاغة القرآن، والعلماء له أقبل. وقرئ: «لا تقدموا» من القدوم، أي لا تقدموا إلى أمر من أمور الدين قبل قدومها، ولا تعجلوا عليهما. وحقيقة قولهم: جلست بين يديَ فلان، أن يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبًا منه، فسميت الجهتان يدين

---

(١) قوله: «إذا تقدمه في قوله تعالى» لعله كما في قوله تعالى. (ع)

(٢) قوله: «أن لا يقصد قصد... الخ» عبارة النسفي: أن لا يقصد مفعول. والتهجي متوجه إلى نفس التقدمة. (ع)

(٣) ذكر الزمخشري من النكت: «أنه تعالى ابتدأ السورة بإيجاب أن يكون الأمر الذي ينتهي إلى الله ورسوله متقدمًا على الأمور كلها من غير تقييد ولا تخصيص» قال أحمد: يريد أنه لم يذكر المفعول الذي يتقاضاه تقدموا، بإطراح ذلك المفعول كقوله: (يحيي ويميت) وحلى الكلام بمجاز التمثيل في قوله: (بين يدي الله ورسوله) بفائدة ليست في الكلام العريان، وهو تصور الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة، وجعل صورة ذلك المنهي عنه مثل أن يجلس العبد في الجهتين المسامتتين ليمين سيده ويساره ويوليه دبره، ومعناه: أن لا تقدموا على أمر حتى يأذن الله ورسوله فيه فتكونوا مقتدين فيما تأتون وتذرون بكتاب الله وسنة نبيه.

لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعًا، كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوره وداناه في غير موضع، وقد جرت هذه العبارة هٰهنا على سنن ضرب من المجاز، وهو الذي يسميه أهل البيان تمثيلاً. ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان: وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة: والمعنى: أن لا تقطعوا أمرًا إلا بعدما يحكمان به ويأذنان فيه، فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل. وإما مقتدين برسول الله ﷺ. وعليه يدور تفسير ابن عباس رضي الله عنه. وعن مجاهد: لا تفتاتوا على الله شيئًا حتى يقصه[1] على لسان رسوله. ويجوز أن يجري مجرى قولك: سرني زيد وحسن حاله، وأعجبت بعمرو وكرمه. وفائدة هذا الأسلوب: الدلالة على قوّة الاختصاص، ولما كان رسول الله ﷺ من الله بالمكان الذي لا يخفى: سلك له ذلك المسلك. وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع أصواتهم فوق صوته؛ لأنّ من أحظاه الله بهذه الأثرة واختصه هذا الاختصاص القوي: كان أدنى ما يجب له من التهيب والإجلال أن يخفض بين يديه الصوت، ويخافت لديه بالكلام. وقيل: بعث رسول الله ﷺ إلى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلاً وعليهم المنذر بن عمرو الساعدي، فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل. إلا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة، فاعتزيا لهم إلى بني عامر، لأنهم أعز من بني سليم، فقتلوهما وسلبوهما، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقال: «بئسما صنعتم كانا من سليم، والسلب ما كسوتهما» فوداهما رسول الله ﷺ (١٤٥٣) ونزلت، أي: لا تعملوا شيئًا من ذات أنفسكم حتى تستأمروا رسول الله ﷺ. وعن مسروق: دخلت على عائشة في اليوم الذي يشك فيه، فقالت للجارية: اسقه عسلاً، فقلت: إني صائم، فقالت: قد نهى الله عن صوم هذا اليوم (١٤٥٤). وفيه نزلت. وعن الحسن: أنّ أناسًا ذبحوا يوم الأضحى

١٤٥٣ ـ أخرجه البيقهي في الشعب (٢/ ١٩٦)، في الباب الخامس عشر باب: في تعظيم النبي ـ ﷺ وإجلاله وتوقيره، رقم (١٥١٧).
والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٣٨ ـ ٣٤١)، باب: غزوة بئر معونة.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه البيهقي في الشعب في الخامس عشر من طريق مقاتل بن حيان، قال: «بلغنا أن رسول الله ـ ﷺ ـ بعث سرية واستعمل عليهم المنذر بن عمرو ـ فذكر قصة بئر معونة مطولاً. وفيه هذا اللفظ. وروى الدلائل من طريق ابن إسحاق، ومن طريق موسى بن عقبة: هذه القصة على غير هذا السياق وأن المقتولين بني كلاب ـ وأن الثلاثة قتل منهم واحد وهو المحفوظ والمشهود في المغازي. انتهى.

١٤٥٤ ـ قال الزيلعى في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥): غريب؛ وعزاه للدارقطني في =

---

(١) قوله: «حتى يقصه على لسان رسوله» لعله: يقضيه. (ع)

قبل الصلاة فنزلت، وأمرهم رسول الله ﷺ أن يعيدوا ذبحًا آخر (١٤٥٥). وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله، إلا أن تزول الشمس. وعند الشافعي: يجوز الذبح إذا مضى من الوقت مقدار الصلاة. وعن الحسن أيضًا: لما استقرّ رسول الله ﷺ بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل، فنهوا أن يبتدؤوه بالمسألة حتى يكون هو المبتدىء (١٤٥٦) وعن قتادة: ذكر لنا أنّ ناسًا كانوا يقولون: لو أنزل فيه كذا لكان كذا، فكره الله ذلك منهم وأنزلها. وقيل: هي عامة في كل قول وفعل؛ ويدخل فيه أنه إذا جرت مسألة في مجلس رسول الله ﷺ لم يسبقوه بالجواب، وأن لا يمشي بين يديه إلا لحاجة، وأن يستأني[1] في الافتتاح بالطعام ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فإنكم إن اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه، فإن التقيّ حذر لا يشافه أمرًا[2] /١٨٨/٢أ إلا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في أن لا تبعة عليه فيه، وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل: لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار. فتنهاه أوّلاً عن عين ما قارفه، ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه أمرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما تقولون ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تعملون، وحق مثله أن يتقى ويراقب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾

إعادة النداء عليهم: استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتطرية

= المؤتلف والمختلف من طريق مالك بن حمزة عن مسروق، ذكره في باب: حمزة وحمرة. وللثعلبي في تفسيره قال ابن حجر في تخريج الكشاف: هكذا ذكره الثعلبي بغير سند، وذكره الدارقطني من رواية مالك بن حمرة بضم المهملة والراء. عن مسروق، قال «دخلت على عائشة رضي الله عنها في اليوم الذي يشك فيه أنه يوم عرفة»... الحديث. انتهى.

١٤٥٥ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٣٠)، والطبري في تفسيره (١١/ ٣٧٨)، رقم (٣١٦٦١) كلاهما من طريق الحسن.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق: حدثنا معمر عن الحسن في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال: هم قوم ذبحوا قبل أن يصلي النبي ـ ﷺ ـ فأمرهم أن يعيدوا الذبح، وأخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة، قال: «ذكر لنا أن ناسًا كانوا يقولون: لو أنزل كذا. لو صنع كذا، لو قبل كذا». قال: وقال الحسن هم أناس، فذكره. انتهى.

١٤٥٦ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٣٢٥): غريب. وقال ابن حجر: لم أجده.

---

(١) قوله: «وأن يستأني في الافتتاح» أي: ينتظر. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «لا يشافه أمرًا» أي: لا يتشاغل بأمر، وفي الصحاح: «الشفه»: الشغل، يقال: شفهني عن كذا، أي: شغلني. (ع)

الإنصات لكل حكم نازل، وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله ﷺ من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم. وذلك لأنّ في إعظام صاحب الشرع إعظام ما ورد به، ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه أن يألو عملاً بما يحدوه[1] عليه. وارتداعًا عما يصده عنه، وانتهاء إلى كل خير، والمراد بقوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحدّ الذي يبلغه بصوته، وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليًا لكلامكم، وجهره باهرًا لجهركم؛ حتى تكون مزيته عليكم لائحة، وسابقته واضحة، وامتيازه عن جمهوركم كشية الأبلق[2] غير خاف، لا أن تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم. وبقوله: ولا تجهروا له بالقول: إنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت، بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، وأن تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرّب من الهمس الذي يضادّ الجهر، كما تكون مخاطبة المهيب المعظم، عاملين بقوله عز اسمه: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩] وقيل معنى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ لا تقولوا له: يا محمد، يا أحمد، وخاطبوه بالنبوّة. قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، والله لا أكلمك إلا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله، (١٤٥٧) وعن عمر رضي الله عنه: أنه كان يكلم النبي ﷺ كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه (١٤٥٨)،

١٤٥٧ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: غريب والحديث أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص ٤٠٣)، رقم (٧٥٥)، وفي تفسيره (٤/ ١٥١).
وله شاهد من حديث أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿إن الذين يغضون﴾ ـ الآية قال أبو بكر. . .
أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٢) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال الحافظ ابن حجر: ذكره الواحدي عن عطاء عن ابن عباس، ولم يسق سنده إليه، وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق طارق بن شهاب عن أبي بكر، قال لما نزل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ قلت: يا رسول الله، آليت ألا أكلمك إلاّ كأخي السرار حتى ألقى الله» وأخرجه الحاكم والبيهقي في المدخل من حديث أبي هريرة. قال: لما نزلت ﴿إن الذين يغضون﴾ ـ الآية قال أبو بكر: والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله، لا أكلمك إلاّ كأخي السرار حتى ألقى الله عز وجل وقال: صحيح على شرط مسلم. انتهى.
١٤٥٨ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦) كتاب التفسير باب (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) حديث (٤٨٤٥) من حديث ابن الزبير عن عمر.

---

(١) قوله: «بما يحدوه عليه» أي: يحضه. (ع)
(٢) قوله: ««كشية الأبلق» في الصحاح «الشية»: لون يخالف معظم لون الفرس وغيره. وفيه أيضًا: اللغط الصوت والجلبة. وفيه الصخب: الصياح والجلبة. (ع)

وكان أبو بكر إذا قدم على رسول الله ﷺ وفد: أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله ﷺ (١٤٥٩)، وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر: ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة، لأنّ ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون، وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء، فيتكلف الغض منه، وردّه إلى حدّ يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير، ولم يتناول النهي أيضًا رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله ﷺ، وهو ما كان منهم في حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدوّ أو ما أشبه ذلك، ففي الحديث، أنه قال عليه الصلاة والسلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين: «اصرخ بالناس» (١٤٦٠) وكان العباس أجهر الناس صوتًا (١٤٦١). يروى: أنّ غارة أتتهم يومًا فصاح العباس يا صباحاه، فأسقطت الحوامل لشدّة صوته (١٤٦٢). وفيه يقول نابغة بني جعدة [من المنسرح]:

زَجْـرَ أَبِـي عُـرْوَةَ السِّـبَاعَ إِذَا ... أَشْفَقَ أَنْ يَخْتَلِطْنَ بِالْغَنَمِ(١)

زعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه (١٤٦٣)، وفي قراءة ابن مسعود «لا ترفعوا بأصواتكم» والباء مزيدة محذوّ بها حذو التشديد في قول الأعلم الهذلي [من مجزوء الكامل]:

رَفَعْـتُ عَيْـنِي بِالْحِجَا ... زِ إِلَى أُنَاسٍ بِالْمَنَاقِبْ(٢)

وليس المعنى في هذه القراءة أنهم نهوا عن الرفع الشديد، تخيلاً أن يكون ما دون

= قال الحافظ ابن حجر: أخرجه البخاري من حديث ابن الزبير. قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ ـ الآية كان عمر بعد ذلك إذا حدث النبي ـ ﷺ ـ حدثه كأخي السرار. لم يسمعه حتى يستفهمه. انتهى.

١٤٥٩ ـ قال الحافظ في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٢٧): غريب وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده.

١٤٦٠ ـ بيض له الزيلعي (٣/ ٣٢٧) وقال الحافظ: لم أجده. وقد تقدم أن ذلك كان يوم حنين والعباس لم يشهد أحدًا.

١٤٦١ ـ بيض له الزيلعي، وقال الحافظ: لم أجده.

١٤٦٢ ـ بيض له الزيلعي (٣/ ٣٢٧)، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده.

١٤٦٣ ـ بيض له الزيلعي في «الكشاف» (٣/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨)، وقال الحافظ: لم أجده.

---

(١) تقدم.

(٢) للأعلم الهذلي، يقول: نظرت وأنا في الحجاز إلى من في المناقب. وهذان الموضعان بينهما مسافة بعيدة، وهذا من شدة الشوق إلى من في المناقب.

الشديد مسوغًا لهم، ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة، واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون. وعن ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان في أذنه وقر، وكان جهوري الصوت، فكان إذا تكلم رفع صوته، وربما كان يكلم رسول الله ﷺ فيتأذى بصوته (١٤٦٤). وعن أنس أن هذه الآية لما نزلت: فقد ثابت، فتفقده رسول الله ﷺ فأخبر بشأنه، فدعاه، فسأله فقال: يا رسول الله، لقد أنزلت إليك هذه الآية، وإني رجل جهير الصوت، فأخاف أن يكون عملي قد حبط، فقال له رسول الله ﷺ: «لست هناك، إنك تعيش بخير وتموت بخير، وإنك من أهل الجنة» (١٤٦٥). وأمّا ما يروى عن الحسن: أنها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله ﷺ، فمحمله والخطاب للمؤمنين: على أن ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي، ليكون الأمر أغلظ عليهم وأشق. وقيل: كان/ ٢/١٨٨ب المنافقون يرفعون أصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم، فيقتدي بهم ضعفة المسلمين. وكان التشبيه في محل النصب، أي: لا تجهروا له جهرًا مثل جهر بعضكم لبعض. وفي هذا: أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقًا، حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه إلا بالهمس والمخافتة، وإنما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة، أعني: الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منهم فيما بينهم، وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوّة وجلالة مقدارها، وانحطاط سائر الرتب وإن جلت عن رتبتها ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ منصوب الموضع، على أنه مفعول له، وفي متعلقه وجهان، أحدهما: أن يتعلق بمعنى النهي، فيكون المعنى: انتهوا عما نهيتهم عنه لحبوط أعمالكم، أي: لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف، كقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ [النساء: ١٧٦] والثاني: أن يتعلق بنفس الفعل، ويكون المعنى: أنهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لأجل الحبوط، لأنه لما كان بصدد الأداء إلى الحبوط: جعل كأنه فعل لأجله، وكأنه العلة والسبب في إيجاده على سبيل التمثيل، كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا﴾ [القصص: ٨] فإن قلت: لخص الفرق بين الوجهين. قلت: تلخيصه أن يقدر الفعل في الثاني مضمومًا

١٤٦٤ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أجده.

١٤٦٥ ـ أخرجه البخاري (٩/٥٦٦) كتاب التفسير: باب «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» حديث (٤٨٤٦)، ومسلم (١/ ٣٧٩ ـ الأبي) كتاب الإيمان: باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله حديث (١١٩/١٨٧)، وأحمد (٣/١٣٧)، وأبو يعلى (٦/٧٦) رقم (٣٣٣١)، والواحدي في «أسباب النزول (ص ٢٨٧) من حديث أنس بن مالك.

وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث أنس دون قوله «لست هناك، وزاد أحمد والطبراني فيه. فقال أنس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة». انتهى.

إليه المفعول له، كأنهما شيء واحد[1]، ثم يصب النهي عليهما جميعًا صبًا. وفي الأوّل يقدر النهي موجهًا على الفعل على حياله، ثم يعلل له منهيًا عنه. فإن قلت: بأي النهيين تعلق المفعول له؟ قلت: بالثاني عند البصريين، مقدرًا إضماره عند الأوّل، كقوله تعالى: ﴿ءَاتُونِىٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ [الكهف: ٩٦] وبالعكس عند الكوفيين، وأيهما كان فمرجع المعنى إلى أنّ الرفع والجهر كلاهما منصوص أداؤه إلى حبوط العمل: وقراءة ابن مسعود: «فتحبط أعمالكم» أظهر نصًا بذلك؛ لأنّ ما بعد الفاء لا يكون إلا مسببًا عما قبله، فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله تعالى: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ﴾ [طه: ٨١] والحبوط من حبطت الإبل: إذا أكلت الخضر فنفخ بطونها، وربما هلكت. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «وإن مما ينبت الربيع لما يقتل حَبَطًا أو يُلِمّ» (١٤٦٦) ومن أخواته:

١٤٦٦ ـ أخرجه مسلم (٢/ ٧٢٧) كتاب الزكاة: باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا حديث (١٠٥٢/ ١٢٣)، وأحمد (٣/ ٩١)، والنسائي (٥/ ٩٠) كتاب الزكاة باب الصدقة على اليتيم، وأبو يعلى (١٢٤٢)، وابن ماجه (٣٩٩٥) من حديث أبي سعيد الخدري.

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه مسلم وغيره. انتهى.

---

(١) قال محمود: «إنه مفعول له ومتعلقه إما معنى النهي، كأنه قال: انتهوا كراهية حبوط أعمالكم على حذف مضاف، كقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾ وأما نفس الفعل فهو المنهي عنه، على معنى تنزيل صيرورة الجهر المنهي عنه إلى الحبوط، منزلة جعل الحبوط علة في الجهر على التمثيل، من وادي (ليكون لهم عدوًا وحزنًا) قال: وتلخيص الفرق بينهما أنه على الثاني يقدر انضمام المفعول من أجله إلى الفعل الأول... الخ» قال أحمد: هو يحوم على شرعة وبيئة إياك ورودها: وذلك أنه يعتقد أن ما دون الكفر ولو كبيرة واحدة تحبط العمل وتوجب الخلود في العذاب المقيم، وتخرج المؤمن من اسم الإيمان ورسمه، ومعاذ الله من هذا المعتقد، فعليك بعقيدة أهل السنة الممهدة في مواضع من هذا المجموع، فجدد العهد بها: وهي اعتقاد أن المؤمن لا يخلد في النار، وأن الجنة له بوعد الله حتم ولو كانت خطاياه ما دون الشرك أو ما يؤدي إليه كزبد البحر، وأنه لا تحبط حسنة سيئة طارئة كائنة ما كانت سوى الشرك. والزمخشري اغتنم الفرصة في ظاهر هذه الآية فنزلها على معتقده ووجه ظهورها فيما يدعيه: أن رفع الصوت بين يدي رسول الله ﷺ معصية لا تبلغ الشرك، وقد أخاف الله عباده من إحباطه الأعمال بها، ولو كان الإحباط مقطوعًا بنفيه: لم تستقم الإخافة به، وأنى له أن يبلغ من ذلك آماله، ونظم الكلام يأباه عند البصر بمعناه، فنقول: المراد في الآية النهي عن رفع الصوت على الإطلاق، ومعلوم أن حكم النهي: الحذر مما يتوقع في ذلك من إيذاء النبي عليه السلام، والقاعدة المختارة أن إيذاءه عليه الصلاة والسلام يبلغ مبلغ الكفر المحبط للعمل باتفاق، فورد النهي عما هو مظنة لأذى النبي عليه الصلاة والسلام سواء وجد هذا المعنى أولاً، حماية للذريعة وحسمًا للمادة، ثم لما كان هذا المنهي عنه وهو رفع للصوت منقسمًا إلى ما يبلغ ذلك المبلغ أولاً، ولا دليل يميز أحد القسمين عن الآخر: لزم المكلف أن يكف عن ذلك مطلقًا، وخوف أن يقع فيهما هو محبط للعمل، وهو البالغ حد الإيذاء؛ إذ لا دليل ظاهر يميزه، وإن كان =

حبجت الإبل، إذا أكلت العرفج[1] فأصابها ذلك. وأحبض عمله: مثل أحبطه. وحبط الجرح وحبر: إذا غفر، وهو نكسه وترامیه إلى الفساد: جعل العمل السيء في إضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض[2] لمن يصاب به، أعاذنا الله من حبط الأعمال وخيبة الآمال. وقد دلت الآية على أمرين هائلين، أحدهما: أن فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله. والثاني: أن في آثامه ما لا يدري أنه محبط، ولعله عند الله كذلك؛ فعلى المؤمن أن يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾

﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ من قولك: امتحن فلان لأمر كذا وجرب له، ودرب للنهوض به. فهو مضطلع به غير وان عنه. والمعنى أنهم صبّر على التقوى، أقوياء على احتمال مشاقها. أو وضع الامتحان موضع المعرفة؛ لأنّ تحقق الشيء باختباره، كما يوضع الخبر موضعها، فكأنه قيل: عرف الله قلوبهم للتقوى، وتكون اللام متعلقة بمحذوف، واللام هي التي في قولك: أنت لهذا الأمر، أي كائن له ومختص به قال [من الرجز]:

أَنْتَ لَهَا أَحْمَدُ مِنْ بَيْنِ الْبَشَرْ[3]

* * *

= فلا يتفق تمييزه في كثير من الأحيان، وإلى التباس أحد القسمين بالآخر وقعت الإشارة بقوله: (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) وإلا فلو كان الأمر على ما يعتقده الزمخشري لم يكن لقوله: (وأنتم لا تشعرون) موقع؛ إذ الأمر بين أن يكون رفع الصوت مؤذيًا فيكون كفرًا محبطًا قطعًا، وبين أن يكون غير مؤذ فيكون كبيرة محبطة على رأيه قطعًا، فعلى كلا حاليه الأحوط به محقق، إذن فلا موقع لإدغام الكلام بعدم الشعور، مع أن الإحباط ثابت مطلقًا، والله أعلم وهذا التقرير الذي ذكرته يدور على مقدمتين كلتاهما صحيحة إحداهما: أن رفع الصوت من جنس ما يحصل به الإيذاء، وهذا أمر يشهد به النقل والمشاهدة الآن، حتى إن الشيخ ليتأذى برفع التلميذ صوته بين يديه، فكيف برتبة النبوة وما يستحقه من الإجلال والإعظام. المقدمة الأخرى: أن إيذاء النبي ﷺ كفر، وهذا أمر ثابت قد نص عليه أئمتنا وأفتوا بقتل من تعرض لذلك كفرًا، ولا تقبل توبته، فما أتاه أعظم عند الله وأكبر، والله الموفق.

(١) قوله: «إذا أكلت العرفج» في الصحاح: شجر ينبت في السهل، الواحدة: عرفجة. (ع)

(٢) قوله: «كالداء والحرض» أي الفساد. أفاده الصحاح.

(٣) رائعة: خالية من الحشو والتعقيد: وصوغتها ـ بالتشديد ـ: للمبالغة؛ وأنت لها: أي أهل لها وكفء؛ وأحمد: منادى. ومن بين البشر: متعلق بمحذوف حال، أي: منتخبًا من بينهم. ويجوز أن «أحمد» أفعل تفضيل، كذا قيل.
ينظر: لسان العرب (غبر)، وتاج العروس (غبر)، وتهذيب اللغة (٨/ ١٢٣)، وأساس البلاغة (غبر).

[ومن الطويل]:

أَعَدَّاءُ مَنْ لِلْيَعْمُلاَتِ عَلَى الْوَجَى ....[1]

وهي مع معمولها منصوبة على الحال. أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لأجل التقوى، أي لتثبت وتظهر تقواها، ويعلم أنهم متقون؛ لأن حقيقة التقوى لا تعلم إلا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها. وقيل أخلصها للتقوى. من قولهم: امتحن الذهب وفتنه، إذا أذابه فخلص إبريزه من خبثه ونقاه. وعن عمر رضي الله عنه: أذهب الشهوات عنها. والامتحان: افتعال، من محنه، وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد. قال أبو عمرو: كل شيء جهدته فقد محنته. وأنشد [من الرجز]:

أَتَتْ رَذَايَا بَادِيًا كِلاَلُهَا قَدْ مَحَنَتْ وَاضْطَرَبَتْ آطَالُهَا[2]

قيل: أنزلت في الشيخين رضي الله عنهما، لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به أخا السرار. وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسمًا لأنّ المؤكدة. وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معًا. والمبتدأ: اسم الإشارة، واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم، وإيراد الجزاء نكرة: مبهمًا أمره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله ﷺ من خفض أصواتهم، وفي الإعلام بمبلغ عزة رسول الله ﷺ وقدر شرف منزلته/ ٢/ ١٨٩أ، وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ

---

(١) أعداء من لليعملات على الوجى وأضياف بيت بيتوا لنزول
أعداء ما للعيش بعدك لذة ولا لخليل بهجة بخليل
أعداء ما وجدي عليك بهين ولا الصبر إن أعطيته بجميل

لعتبة بن مالك العقيلي، يرثي عداء صاحبه. والهمزة للنداء. وعداء ـ كفعال ـ: على صيغة المبالغة، أي: يا من كان معدًا لإغاثة المطايا الكثيرات العمل، والسفر مع الوجاء وهو الحفاء في أخفافها من كثرة السير، واليعملات: جمع يعملة، والبعير يعمل، ومن كان معدًا لأضياف بيته الذين يبيتون للنزول والاستراحة عنده. والعيش: الحياة، أو ما يعاش به. والبهجة: السرور. والوجد: الحزن. وإن أعطيته: اعتراض، دل على أنه لم يصبر. ونفى جمال الصبر مبالغة في عظم عداء عنده وحبه إياه، وكرر النداء لإظهار التفجع.

(٢) الرذايا جمع رذية وهي الناقة المهزولة الضعيفة. ومحنته: بلوته. ويقال: محنت ناقتي أجهدتها في السير. ومحنت الجلد: مددته ووسعته. والآطال: جمع أطل وهو الخاصرة، كأسباب وسبب. يقول: أتت المطايا مهازيل ظاهرًا ملالها وتعبها من السير، قد أجهدت تلك النوق بالسير. أو قد تدلت واضطربت خواصرها من شدة الجوع ويروى: أوصالها، أي: أعضاؤها.

والوراء: الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام[١]. ومن لابتداء الغاية، وأنّ المناداة نشأت من ذلك المكان. فإن قلت: فرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه. قلت: الفرق بينهما أنّ المنادي والمنادى في أحدهما يجوز أن يجمعهما الوراء، وفي الثاني: لا يجوز لأنّ الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية. ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد، والذي يقول: ناداني فلان من وراء الدار. لا يريد وجه الدار ولا دبرها، ولكن أي قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقًا بغير تعيين واختصاص، والإنكار لم يتوجه عليهم من قبل أنّ النداء وقع منهم في أدبار الحجرات أو في وجوهها، وإنما أنكر عليهم أنهم نادوه من البرّ[٢] والخارج مناداة الأجلاف بعضهم لبعض، من غير قصد إلى جهة دون جهة. والحجرة: الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوّط عليها، وحظيرة الإبل تسمى الحجرة، وهي فعلة بمعنى مفعولة، كالغرفة والقبضة، وجمعها: الحجرات ـ بضمتين، «والحجرات» بفتح الجيم، والحجرات بتسكينها. وقرئ بهنّ جميعًا، والمراد: حجرات نساء رسول الله ﷺ، وكانت لكل واحدة منهنّ حجرة. ومناداتهم من ورائها يحتمل أنهم قد تفرّقوا على الحجرات متطلبين له، فناداه بعض من وراء هذه، وبعض من وراء تلك، وأنهم قد أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها، وأنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها، ولكنها جمعت إجلالاً لرسول الله ﷺ ولمكان حرمته. والفعل وإن كان مسندًا إلى جميعهم فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم، وكان الباقون راضين، فكأنهم تولوه جميعًا، فقد ذكر الأصم: أنّ الذي ناداه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس. والإخبار عن أكثرهم بأنهم لا يعقلون: يحتمل أن يكون فيهم من قصد بالمحاشاة. ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدًا إلى نفي أن يكون فيهم من

---

(١) قال محمود: «الوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام... الخ» قال أحمد: ولقد اغتر بعضهم في تبكيت بني تميم بما لا تساعده عليه الآية، فإنها نزلت في المتولين لمناداة النبي عليه الصلاة والسلام، أو في الحاضرين حينئذ الراضين بفعل المنادين له، وقد سئل عليه الصلاة والسلام عنهم فقال: هم حفاة بني تميم، وعلى الجملة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فكيف يسوغ إطلاق اللسان بالسوء في حق أمة عظيمة؛ لأن واحدًا منهم أو اثنين ارتكب جهالة وجفاء. فقد ورد أن المنادي له عليه السلام: هو الأقرع، هذا مع توارد الأحاديث في فضائل تميم وتخليدها وجوه الكتب الصحاح.

(٢) قوله: «أنهم نادوه من البر والخارج» الظاهر أن تفسيره ما بعده. وفي الصحاح «في مادة برر» أن البرية هي الصحراء. وفي مادة ضمن: في تفسير قوله عليه الصلاة والسلام في بعض كتبه: «إن لنا الضاحية من البعل ولكم الضامنة من النخل» ما نصه: فالضاحية: هي الظاهرة التي في البر من النخل، والضامنة: ما تضمنها أمصارهم وقراهم. (ع)

يعقل، فإنَّ القلة تقع موقع النفي في كلامهم. وروي: أن وفد بني تميم أتوا رسول الله ﷺ وقت الظهيرة وهو راقد، فجعلوا ينادونه: محمد اخرج إلينا، فاستيقظ فخرج (١٤٦٧) ونزلت: وسئل رسول الله ﷺ عنهم فقال: «هم جفاة بني تميم، لولا أنهم من أشدّ الناس قتالاً للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم» (١٤٦٨) فورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر: من بينات إكبار محل رسول الله ﷺ وإجلاله: منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل، لما أقدموا عليه. ومنها لفظ الحجرات وإيقاعها كناية عن موضع خلوته. ومقيله مع بعض نسائه. ومنها: المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم. ومنها: التعريف باللام دون الإضافة. ومنها: أن شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات، تهوينا للخطب على رسول الله ﷺ، وتسلية له، وإماطة لما تداخله من إيحاش تعجرفهم وسوء أدبهم، وهلم جرا، من أوّل السورة إلى آخر هذه الآية، فتأمّل كيف ابتدىء بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدّمة على الأمور كلها من غير حصر ولا تقييد، ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر. كأن الأوّل بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم، دلالة على عظيم موقعه عند الله، ثم جيء على عقب ذلك بما هو أطم

١٤٦٧ ـ أخرجه الواحدي في: أسباب النزول (ص ٤٠٤) من طريق عمر بن الحكم عن جابر بن عبد الله به. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف.
أخرجه ابن إسحق في السيرة قال: «قدمت وفود العرب على رسول الله ـ ﷺ ـ فذكر القصة قال: ولما قدم وفد بني تميم دخلوا المسجد. فنادوا رسول الله ـ ﷺ ـ من وراء الحجرات: يا محمد، اخرج إلينا ـ فذكره إلى آخره» وأخرجه ابن مردويه من رواية ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «لما قدم وفد بني تميم وهم سبعون رجلاً ـ فذكره مطولاً، وأخرجه ابن منده في المعرفة. وأورده الثعلبي من طريق يعلى بن عبد الرحمن عن عبد الحميد بن جعفر عن شمر بن الحكم عن جابر قال: «جاءت بنو تميم فدخلوا المسجد فنادوا رسول الله ـ ﷺ ـ من وراء الحجرات أن اخرج إلينا يا محمد، فآذى ذلك رسول الله ﷺ ـ من صياحهم. فذكره مطولاً. انتهى.

١٤٦٨ ـ أخرجه الثعلبي كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٣١) أنبأ أبو القاسم الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا عبد الله بن يوسف ثنا أحمد بن عيسى بن السكين البلدي ثنا هاشم بن القاسم الحراني ثنا يعلى ابن الأشدق ثنا سعيد بن عبد الله أن النبي ـ ﷺ ـ سئل عن قول الله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) من هم؟ قال: «هم جفاة بني تميم. . .» إلى آخره.
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من رواية هاشم بن القاسم الحراني عن يعلى بن الأشدق حدثنا سعيد بن عبد الله: أن النبي ـ ﷺ فذكره: ولمسلم من حديث أبي هريرة: «لا أزال أحب بني تميم لثلاث» ـ فذكر فيه: «وهم أشد أمتي على الدجال». انتهى.

وهجنته أتم: من الصياح برسول الله ﷺ في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر، كما يصاح بأهون الناس قدرًا، لينبه على فظاعة من أجروا إليه وجسروا عليه؛ لأنّ من رفع الله قدره على أن يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين(١) والأنصار بأخي السرار، كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ من التفاحش مبلغًا؛ ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الألباب وتقتبس محاسن الآداب، كما يحكى عن أبي عبيد ـ ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى ـ أنه قال: ما دققت بابًا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه ﴿أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ في موضع الرفع على الفاعلية؛ لأنّ المعنى: ولو ثبت صبرهم. والصبر: حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها. قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ **[الكهف: ٢٨]** وقولهم: صبر عن كذا، محذوف منه المفعول، وهو النفس، وهو حبس فيه شدّة ومشقة على المحبوس، فلهذا قيل للحبس على اليمين أو القتل: صبر. وفي كلام بعضهم: الصبر مرّ لا يتجرّعه إلا حرّ. فإن قلت: هل/ ٢/ ١٨٩ب من فرق بين ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ﴾ وإلى أن تخرج؟ قلت: إنّ «حتى» مختصة بالغاية المضروبة. تقول: أكلت السمكة حتى رأسها، ولو قلت: حتى نصفها، أو صدرها: لم يجز، و«إلى» عامّة في كل غاية، فقد أفادت «حتى» بوضعها: أنّ خروج رسول الله ﷺ إليهم غاية قد ضربت لصبرهم، فما كان لهم أن يقطعوا أمرًا دون الانتهاء إليه. فإن قلت: فأي فائدة في قوله: ﴿إِلَيْهِمْ﴾؟ قلت: فيه أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم، للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أنّ خروجه إليهم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في (كان) إما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو، وإما ضمير مصدر ﴿صَبَرُوا﴾، كقولهم: من كذب كان شرّا له ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بليغ الغفران والرحمة واسعهما، فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمّه ـ وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعًا، ثم قال: هل أزيدكم، فعزله عثمان عنهم (١٤٦٩) ـ مصدّقًا إلى بني المصطلق، وكانت بينه وبينهم

١٤٦٩ ـ أخرجه مسلم (٣/ ١٣٣١ ـ ١٣٣٢) كتاب الحدود باب حد الخمر حديث (٣٨/ ١٧٠٧) عن =

---

(١) قوله: «حتى خاطبه جلة المهاجرين» معظم المهاجرين. (ع)

إحنة، فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له، فحسبهم مقاتليه، فرجع وقال لرسول الله ﷺ: قد ارتدوا ومنعوا الزكاة، فغضب رسول الله ﷺ وهمّ أن يغزوهم. فبلغ القوم فوردوا وقالوا: نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم فقال: «لتنتهنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم، ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه (١٤٧٠). وقيل: بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين، فسلموا إليه الصدقات (١٤٧١)، فرجع. وفي تنكير الفاسق والنبأ: شياع في الفساق والأنباء، كأنه قال: أيّ فاسق جاءكم بأيّ نبأ[1]. فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان

= حصين بن المنذر قال: شهدت عثمان بن عفان أتى الوليد بن عقبة، وقد صلى الغداة بالكوفة ركعتين. . . الحديث.

قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٣٤): هكذا في مسلم: وقد صلى الغداة ركعتين ورواه البيهقي في «دلائل النبوة والنسائي في سننه الكبرى، وإسحاق بن راهويه في مسنده، وقالوا فيه، وقد صلى الغداة أربعًا. فلينظر. وقال الحافظ ابن حجر:

أخرجه مسلم من طريق أبي سليمان حصين بن منذر قال: شهدت عثمان أخا الوليد بن عقبة وقد صلى الغداة بالكوفة أربعًا. . . الحديث بطوله» وأخرجه ابن إسحاق والنسائي من هذا الوجه وقالوا فيه: وقد صلى الغداة أربعًا». انتهى.

١٤٧٠ ـ أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٤٠١) رقم (٩٦٠)، وإسحاق بن راهويه كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٣٢) من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة به.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١١٤): وفيه موسى بن عبيد الربذي وهو ضعيف.

وله شاهد من حديث الحارث بن ضرار.

أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٩)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٧٤)، والواحدي في أسباب النزول (٧٦٠) من طريق محمد بن سابق ثنا عيسى بن دينار عن الحارث به وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١١٢) وقال: رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد ثقات.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٨٧) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن منده وابن مردويه وقال الحافظ ابن حجر:

أخرجه إسحاق والطبراني من حديث أم سلمة. دون قوله: «فاتهمهم، فقال: لتنتهن أو لأبعثن إليكم رجلاً هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم إلخ» وعندهما بدل ذلك: «فما زالوا يعتذرون إليه حتى نزلت فيهم الآية» وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، ونحوه رواه أحمد والطبراني أيضًا من حديث الحارث بن دثار الخزاعي، أخرجه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن موسى بن المسيب، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر قال: بعث رسول الله ـ ﷺ ـ الوليد بن عقبة فذكر الحديث بنحوه وزاد فقال عليه الصلاة والسلام: لتنتهن أو لأبعثن إليكم رجلاً ـ فذكره. انتهى.

١٤٧١ ـ قال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف»: لم أره. انتهى.

---

(١) قال محمود: «نكر فاسقًا ونبأ لقصد الشياع، فكأنه قيل: أيّ فاسق جاء بأي نبأ» قال أحمد: تسامح بلفظ الشياع والمراد الشمول؛ لأن النكرة إذا وقعت في سياق الشرط تعم، كما إذا وقعت في سياق =

الأمر وانكشاف الحقيقة، ولا تعتمدوا قول الفاسق لأنّ من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه. والفسوق: الخروج من الشيء والانسلاخ منه. يقال: فسقت الرطبة عن قشرها. ومن مقلوبه: قفست البيضة، إذا كسرتها وأخرجت ما فيها. ومن مقلوبه أيضًا: قفست الشيء إذا أخرجته عن يد مالكه مغتصبًا له عليه، ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق. قال رؤبة [من الرجز]:

فَــوَاسِــقًــا عَــنْ قَــصْــدِهَــا جَــوَائِــرَا[(١)]

وقرأ ابن مسعود: «فتثبتوا» والتثبت والتبين: متقاربان، وهما طلب الثبات والبيان والتعرّف، ولما كان رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر أحد أن يخبرهم بكذب، وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد إلا في الندرة. قيل: إن جاءكم بحرف الشك وفيه أنّ على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة، لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ﴿أَن تُصِيبُواْ﴾ مفعول له، أي: كراهة إصابتكم ﴿قَوْمًا بِجَهَٰلَةٍ﴾ حال، كقوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٥] يعني جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة. والإصباح: بمعنى الصيرورة. والندم: ضرب من الغم، وهو: أن تغتمّ على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع، وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام ولزام، لأنه كلما تذكر المتندّم عليه راجعه من الندام: وهو لزام الشريب ودوام صحبته. ومن مقلوباته: أدمن الأمر أدامه. ومدن بالمكان: أقام به. ومنه: المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبًا ونجيًا وسميرًا وضجيعًا، وموصوفًا بأنه لا يفارق صاحبه. الجملة المصدّرة بلولا تكون كلامًا مستأنفًا، لأدائه إلى تنافر النظم[(٢)]، ولكن متصلاً بما قبله حالاً من أحد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع، أو البارز المجرور. وكلاهما مذهب سديد. والمعنى: أن فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها. أو أنتم على

= النفي، والله أعلم.

(١) تقدم.

(٢) قال محمود: «الجملة المصدرة بلولا تكون مستأنفة؛ لأدائه إلى تنافر للنظم... الخ» قال أحمد: من جملة هنات المعتزلة: ثلبهم على عثمان رضي الله عنه ووقوفهم عن الحكم بتعنيف قتلته، فضم إلى هذا المعتقد غير معرج عليه: ما أورده الزمخشري في هذا الموضع من حكايات تولية عثمان لأخيه الوليد الفاعل تلك الفعلة الشنعاء عوضًا عن سعد بن أبي وقاص أحد الصحابة، وما عرض به من أن بعض الصحابة كان يصدر منهم هنات، فمنها مطالبتهم النبي ﷺ باتباع آرائهم التي من جملتها تصديق الوليد في الإيقاع ببني المصطلق، فإذا ضممت هذه النبذة التي ذكرها إرسالاً إلى ما علمت من معتقده: تبين لك من حاله ـ أعني الزمخشري ـ ما لا أطيق التصريح به؛ لأنه لم يصرح، وإنما سلكنا معه سبيل الإنصاف ومحجة الانتصاف: نص بنص، وتلويح بتلويح؛ فنسأل الله العظيم ـ بعد الصلاة على نبيه محمد خاتم النبيين ـ أن يرضى عن أصحابه أجمعين، وعنا بهم آمين.

حالة يجب عليكم تغييرها: وهي أنكم تحاولون منه أن يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعنّ لكم من رأي، واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه، المحتذى على أمثلته؛ ولو فعل ذلك ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ أي لوقعتم في العنت والهلاك. يقال: فلان يتعنت فلانًا، أي: يطلب ما يؤدّيه إلى الهلاك. وقد أعنت العظم: إذا هيض[1] بعد الجبر. وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله ﷺ الإيقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد. وأن نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم، وأن بعضهم كانوا يتصوّنون ويزعهم جدّهم في التقوى عن الجسارة على ذلك، وهم الذين استثناهم بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ/ ٢/ ١٩٠أ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ أي إلى بعضكم، ولكنه أغنت عن ذكر البعض: صفتهم المفارقة لصفة غيرهم، وهذا من إيجازات القرآن ولمحاته اللطيفة، التي لا يفطن لها إلا الخواص. وعن بعض المفسرين: هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى. وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ والخطاب لرسول الله ﷺ، أي: أولئك المستثنون هم الراشدون بصدق ما قلته. فإن قلت: ما فائدة تقديم خبر إن على اسمها؟ قلت: القصد إلى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأي رسول الله ﷺ لآرائهم، فوجب تقديمه لانصباب الغرض إليه. فإن قلت: فلم قيل ﴿يُطِيعُكُمْ﴾ دون: أطاعكم؟ قلت: للدلالة على أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه. وأنه كلما عنّ لهم رأي في أمر كان معمولاً عليه، بدليل قوله: ﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ كقولك: فلان يقري الضيف ويحمي الحريم، تريد: أنه مما اعتاده ووجد منه مستمرًا. فإن قلت: كيف موقع ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ وشريطتها مفقودة: من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيًا وإثباتًا؟ قلت: هي مفقودة من حيث اللفظ، حاصلة من حيث المعنى؛ لأن الذين حبب إليهم الإيمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدّم ذكرهم، فوقعت، لكنّ في حاق موقعها من الاستدراك. ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والإمداد بالتوفيق[2]، وسبيله الكناية كما سبق، وكل ذي لب وراجع إلى بصيرة وذهن لا يغبى عليه

---

(١) قوله: «إذا هيض بعد الجبر» في الصحاح: هاض العظم يهيضه هيضًا: كسره بعد الجبر. وفيه أيضًا: جبرت العظم جبرًا، وجبر العظم بنفسه جبورًا، أي: انجبر. (ع)

(٢) عاد كلامه. قال: «ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والإمداد بالتوفيق... الخ» قال أحمد: تلجلج والحق أبلج، وزاغ والسبيل منهج، وقاس الخلق بالواحد الحق، وجعل أفعالهم لهم من إيمان وكفر وخير وشر، اغترارًا بحال اعتقد اطراده في الشاهد، وهو أن الإنسان لا يمدح بفعل غيره، وقاس الغائب على الشاهد تحكمًا، وتغلغل باتباع هوى معجمًا، فجره ذلك بل جرأه على تأويل الآية وإبطال ما ذكرته من نسبة تحبيب الإيمان إلى الله تعالى على حقيقته. وجعله مجازًا؛ لأنه يعتقد أنها لو بقيت على ظاهرها لكان خلق الإيمان مضافًا إلى الله تعالى، والعبد إذًا ممدوح بما ليس من فعله. وهذا عنده محال، فأتبع الآية رأيه الفاسد؛ فإذا عرضت عليه الأدلة العقلية على الوحدانية، والنقلية على أنه لا خالق إلا الله خالق كل شيء، وطولب بإبقاء الآية على ظاهرها المؤيد بالعقل =

أن الرجل لا يمدح بغير فعله؛ وحمل الآية على ظاهرها يؤدّي إلى أن يثني عليهم بفعل الله، وقد نفى الله هذا عن الذين أنزل فيهم ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ [آل عمران: ١٨٨] فإن قلت: فإنّ العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه، وذلك فعل الله، وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود. قلت: الذي سوّغ ذلك لهم أنهم رأوا حسن الرواء(١) ووسامة المنظر في الغالب، يسفر عن مخبر مرضي وأخلاق محمودة، ومن ثم قالوا: أحسن ما في الدميم وجهه(٢)، فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته، ولكن لدلالته على غيره، على أن من محققة الثقات وعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به، وقصر المدح على النعت بأمّهات الخير: وهي الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة، وما يتشعب منها ويرجع إليها، وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والأعضاد وغير ذلك مما ليس للإنسان فيه عمل غلطًا ومخالفة عن المعقول. و﴿ٱلْكُفْرَ﴾ تغطية نعم الله تعالى وغمطها بالجحود. ﴿وَٱلْفُسُوقَ﴾ الخروج عن قصد الإيمان ومحجته بركوب الكبائر. ﴿وَٱلْعِصْيَانَ﴾ ترك الانقياد والمضي لما أمر به الشارع. والعرق العاصي: العانذ(٣). واعتصت النواة: اشتدّت. والرشد: الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة. قال أبو الوازع: كل صخرة رشادة؛ وأنشد [من الوافر]:

وَغَـيْـرُ مُـقَـلَّـدٍ وَمُـوَشَّـمَـاتٍ ... صَـلِـيـنَ الـضَّـوْءَ مِـنْ صُـمِّ الـرَّشَـادِ(٤)

= والنقل، فإنه يتمسك في تأويلها بالحبال المذكورة في التحكم بقياس الغائب على الشاهد، مما له إدلاء إلى تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فالذي نعتقده ـ ثبتنا الله على الحق ـ أن الله تعالى منح ومدح وأعطى وامتن؛ فلا موجود إلا الله وصفاته وأفعاله، غير أنه تعالى جعل أفعاله بعضها محلاً لبعض، فسمى المحل فاعلاً والحال فعلاً؛ فهذا هو التوحيد الذي لا محيص عنه للمؤمن ولا محيد، ولا بد أن أطارحه القول فأقول: أخبرني عن ثناء الله على أنبيائه ورسله بما حاصله اصطفاؤه لهم لاختياره إياهم: هل بمكتسب أم بغير مكتسب، فلا يسعه أن يقول: إلا أنه أثنى عليهم بما لم يكتسبوه، بل بما وهبه إياهم فاتهبوه. وإن عرج على القسم الآخر وهو دعوى أنهم أثنى عليهم بمكتسب لهم من رسالة أو نبوة، فقد خرج عن أهل الملة، وانحرف عن أهل القبلة، وهذه النبذة كفاية إن شاء الله تعالى.

(١) قوله: «حسن الرواء» في الصحاح: الرواء ـ بالضم ـ: المنظر. (ع)

(٢) قوله: «ما في الدميم وجهه» في الصحاح: «الدميم»: القبيح. (ع)

(٣) قوله: «والعرق العاصي: العانذ» في الصحاح: عنذ العرق: سال ولم يرقأ، فهو عرق عانذ. (ع)

(٤) الظاهر أن الشاعر يصف الديار بأنها لم يبق فيها غير وتد الخباء المقلد بالحبل، وغير الأثافي المغير لونها بالنار. والوشم والتوشيم: تغيير اللون، أي: التي احترقت بضوئها أي حرها. ومن صم الرشاد: بيان لها. والصم: جمع صماء، أي: صلبة. والرشاد الصخر. واحده رشادة. وقيل: يصف مطايا بأنها مطبوعة على العمل غير محتاجة للزمام، وأنها غيرها أثر السير قوية، بحيث يظهر الشرر من شدة وقع خفافها على الصخر الصلب.

و﴿فَضْلًا﴾ مفعول له، أو مصدر من غير فعله[1]، فإن قلت: من أين جاز وقوعه مفعولاً له، والرشد فعل القوم، والفضل فعل الله تعالى، والشرط أن يتحد الفاعل. قلت: لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه، مسندة إلى اسمه تقدست أسماؤه: صار الرشد كأنه فعله، فجاز أن ينتصب عنه أو لا ينتصب عن الراشدون، ولكن عن الفعل المسند إلى اسم الله تعالى، والجملة التي هي ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ اعتراض. أو عن فعل مقدر، كأنه قيل: جرى ذلك، أو كان ذلك فضلاً من الله. وأما كونه مصدرًا من غير فعله، فأن يوضع موضع (رشدًا)؛ لأنّ رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه، والفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل ﴿حَكِيمٌ﴾ حين يفضل وينعم بالتوفيق على أفاضلهم.

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وقف رسول الله ﷺ على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار فبال الحمار، فأمسك عبد الله بن أبيّ بأنفه وقال: خل سبيل حمارك فقد

---

(١) أعرب الزمخشري فضلاً في الآية مفعولاً لأجله، منصبًا عن قوله: الراشدون... الخ» قال أحمد: أورد الإشكال بعد تقرير أن الرشد ليس من فعل الله تعالى، وإنما هو فعلهم حقيقة على ما هو معتقده، ونحن بنينا على ما بينا: أن الرشد من أفعال الله ومخلوقاته، فقد وجد شرط انتصاب المفعول له، وهو اتحاد فاعل الفعلين، على أن الإشكال وارد نصًا على تقريرنا على غير الحد الذي أورده عليه الزمخشري، بل من جهة أن الله تعالى خاطب خلقه بلغتهم المعهودة عندهم. ومما يعهدونه أن الفاعل من نسب إليه الفعل؛ وسواء كان ذلك حقيقة أو مجازًا حتى يكون زيد فاعلاً وانقض الحائط وأشباهه كذلك. وقد نسب الرشد إليهم على طريقة أنهم الفاعلون وإن كانت النسبة مجازية باعتبار المعتقد، وإذا تقرر وروده على هذا الوجه ذلك في الجواب عنه طريقان: إما جواب الزمخشري، وإما أمكن منه وأبين: وهو أن الرشد هنا يستلزم كونه راشدًا؛ إذ هو مطاوعه؛ لأن الله تعالى أرشدهم فرشدوا. وحينئذ يتحد الفاعل على طريقة الصناعة المطابقة للحقيقة وهو عكس قوله: (يريكم البرق خوفًا وطمعًا) فإن الإشكال بعينه وارد فيها؛ إذ الخوف والطمع فعلهم، أي: منسوب إليهم على طريقة أنهم الخائفون الطامعون، والفعل الأول لله تعالى؛ لأنه مريهم ذلك، والجواب عنه: أنهم مفعولون في معنى الفاعلين، بواسطة استلزام المطاوعة؛ لأنه إذا أراهم فقد رأوا. وقد سلف هذا الجواب مكانه، فصححت الكلام ههنا بتقدير المفعول فاعلاً وعكسه آية الحجرات؛ إذ تصحيح الكلام فيها بتقدير الفاعل مفعولاً، وهذا من دقائق العربية فتأمله، والله الموفق.

آذانا نتنه. فقال عبد الله بن رواحة: والله إنّ بول حماره لأطيب من مسكك (١٤٧٢) وروي: حماره أفضل منك، وبول حماره أطيب من مسكك (١٤٧٣)؛ ومضى رسول الله ﷺ وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا/ ٢/ ١٩٠ب، وجاء قوماهما وهما الأوس والخزرج، فتجالدوا بالعصي، وقيل: بالأيدي والنعال والسعف، فرجع إليهم رسول الله ﷺ وأصلح بينهم، ونزلت. وعن مقاتل: قرأها عليهم فاصطلحوا. والبغي: الاستطالة والظلم وإباء الصلح. والفيء: الرجوع، وقد سمي به الظل والغنيمة؛ لأنّ الظل يرجع بعد نسخ الشمس، والغنيمة: ما يرجع من أموال الكفار إلى المسلمين، وعن أبي عمرو: «حتى تفي» بغير همز؛ ووجهه أنّ أبا عمرو خفف الأولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوي تلك الخلسة[1] فظنه قد طرحها. فإن قلت: ما وجه قوله: ﴿ٱقۡتَتَلُواْ﴾ والقياس اقتتلتا[2]، كما قرأ ابن أبي عبلة «اقتتلا» كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين أو النفرين؟ قلت: هو مما حمل على المعنى دون اللفظ؛ لأنّ الطائفتين في معنى القوم والناس. وفي قراءة عبد الله: «حتى يفيئوا إلى أمر الله» فإن فاءوا فخذوا بينهم بالقسط. وحكم الفئة الباغية: وجوب قتالها ما قاتلت. وعن ابن عمر: ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدته من أمر هذه الآية إن لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله عز وجل.

١٤٧٢ ـ قال الحافظ الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٣٥): غريب من حديث ابن عباس.
وأخرجه البخاري (٥/ ٣٥١) كتاب الصلح: باب ما جاء في الإصلاح بين الناس حديث (٢٦٩١)، ومسلم (٣/ ١٤٢٤) كتاب الجهاد: باب (٤٠) حديث (١١٧/ ١٧٩٩) من حديث أنس بنحو ما ذكر المصنف وقال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف.
لم أره عن ابن عباس، وهو في الصحيحين من حديث أنس. وفيه: «فبلغنا أنها أنزلت «وإن طائفتان من المؤمنين... الآية». دون بول الحمار. وقوله: «والله إن بول حماره لأطيب من مسكك، وليس فيه أيضًا» وأنه صلى الله عليه وسلم مضى. ثم نزلت الآية. انتهى.
١٤٧٣ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أره هكذا، وحديث أنس في الصحيحين «والله لحمار رسول الله ـ ﷺ ـ أطيب ريحًا منك.. انتهى.

---

(١) قوله: «تلك الخلسة» في الصحاح: خلست الشيء واختلسته، إذا استلبته «والاسم الخلسة ـ بالضم». (ع)

(٢) قال محمود: «لم قال: اقتتلوا عدولاً... الخ» قال أحمد: قد تقدم في مواضع إنكار النحاة الحمل على لفظ «من»، بعد الحمل على معناها، وفي هذه الآية حمل على المعنى بقوله: (اقتتلوا) ثم على اللفظ بقوله: (بينهما) فلا يعتقد أن المقول في «من» مطرد في هذا؛ لأن المانع لزوم الإجمال والإبهام بعد التفسير، وههنا لا يلزم ذلك؛ إذ لا إبهام في الطائفة، بل لفظها مفرد أبدًا، ومعناها جمع أبدًا، وكانت كذلك لاختلاف أحوالها من حيث المعنى مرة جمعًا ومرة مفردًا، فتأمله، والله الموفق.

قاله بعد أن اعتزل: فإذا كافت وقبضت عن الحرب أيديها تركت، وإذا تولت عُمِلَ بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يا ابن أم عبد، هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمّة؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: لا يجهز على جريحها، ولا يقتل أسيرها، ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيؤها» (١٤٧٤) ولا تخلوا الفئتان من المسلمين في اقتتالهما: إما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعًا، فالواجب في ذلك أن يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة، فإن لم تتحاجزا ولم تصطلحا وأقامتا على البغي: صير إلى مقاتلتهما، وإما أن يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما. وكلتاهما عند أنفسهما محقة، فالواجب إزالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة، وإطلاعهما على مراشد الحق. فإن ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا إليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما، فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين. وإما أن تكون إحداهما الباغية على الأخرى؛ فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب، فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل، وفي ذلك تفاصيل: إن كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها: ضمنت بعد الفيئة ما جنت، وإن كانت كثيرة ذات منعة وشوكة، لم تضمن إلا عند محمد بن الحسن رحمه الله؛ فإنه كان يفتي بأن الضمان يلزمها إذا فاءت. وأمّا قبل التجمع والتجند أو حين تتفرق عند وضع الحرب أوزارها، فما جنته ضمنته عند الجميع، فمحمل الإصلاح بالعدل في قوله تعالى: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾ على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل، وعلى قول غيره: وجهه أن يحمل على كون الفئة قليلة العدد، والذي ذكروا أن الغرض إماتة الضغائن وسل الأحقاد دون ضمان الجنايات: ليس بحسن الطباق للمأمور به من أعمال العدل ومراعاة القسط. فإن قلت: فلم قرن بالإصلاح الثاني العدل دون الأوّل؟ قلت: لأنّ المراد بالاقتتال في أول الآية أن يقتتلا باغيتين معًا أو راكبتي شبهة، وأيتهما كانت، فالذي يجب على المسلمين أن يأخذوا به في شأنهما: إصلاح ذات

١٤٧٤ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ١٥٥)، وابن عدى (٦/ ٢٠٩٦)، والبيهقي (٨/ ١٨٢) من طريق كوثر بن حكيم عن نافع عن ابن عمر، وسكت عنه الحاكم، وقال الذهبي: كوثر متروك.
وقال البيهقي: تفرد به كوثر بن حكيم وهو ضعيف.
والحديث أخرجه أيضًا البزار، والحارث، والواحدي، كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٣٦) وقال البزار: لا نعلم رواه عن النبي ـ ﷺ ـ إلاَّ ابن عمر، ولا طريق له غير هذا الطريق أ.هـ وقال في التنقيح: هذا حديث غير ثابت وقال الحافظ ابن حجر:
أخرجه الحاكم في المستدرك، والبزار، والحارث، وابن عدى من رواية كوثر بن حكيم النافع، عن نافع، عن ابن عمر. وكوثر متروك، قال فيه أحمد: أحاديثه أباطيل. انتهى.

البين، وتسكين الدهماء[1] بإراءة الحق والمواعظ الشافية، ونفي الشبهة؛ إلا إذا أصرتا، فحينئذٍ تجب المقاتلة. وأما الضمان فلا يتجه، وليس كذلك إذا بغت إحداهما؛ فإنّ الضمان متجه على الوجهين المذكورين. ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾ أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في إصلاح ذات البين، والقول فيه مثله في الأمر باتقاء الله على عقب النهي عن التقديم بين يديه، والقسط ـ بالفتح ـ: الجور من القسط: وهو اعوجاج في الرجلين[2]. وعود قاسط: يابس. وأقسطته الرياح. وأمّا القسط بمعنى العدل، فالفعل منه: أقسط، وهمزته للسلب، أي: أزال القسط وهو الجور.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

هذا تقرير لما ألزمه من تولي الإصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين، وبيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق: ما إن لم يفضل الأخوّة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها. ثم قد جرت عادة الناس على أنه إذا نشب مثل ذلك بين اثنين من إخوة الولاد، لزم السائر أن يتناهضوا في رفعه وإزاحته، وأن يركبوا الصعب والذلول مشيًا بالصلح وبثًّا للسفراء[3] بينهما، إلى أن يصادف ما وهي من الوفاق من يرقعه، وما استشن[4] من الوصال من يبله؛ فالأخوة في الدين أحق بذلك وبأشدّ منه. وعن النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله/ ٢/ ١٩١أ، ولا يعيبه، ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح إلا بإذنه، ولا يؤذيه بقتار قدره»[5] ثم قال: «احفظوا، ولا يحفظ منكم إلا قليل» (١٤٧٥). فإن قلت: فلم خص الاثنان

١٤٧٥ ـ أخرجه الثعلبي في «تفسيره كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٣٦).
وصدر الحديث في الصحيحين وقد تقدم تخريجه وقال ابن حجر: أخرجه الثعلبي من رواية إسماعيل بن رافع عن سعيد عن أبي هريرة سواء وزاد فيه: «ولا يؤذيه بقتار قدره إلاَّ أن يغرف له منها. ولا يشتري لبنيه الفاكهة، فيخرجون بها إلى صبيان جاره ثم لا يطعمونهم منها». قلت: وإسناده ضعيف وأول الحديث في الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة: وسيأتي في آخر تفسير سورة الواقعة. انتهى.

---

(١) قوله: «الدهماء» أي: الجماعة. (ع)
(٢) قوله: «وهو اعوجاج في الرجلين» في الصحاح: القسط ـ بالتحريك ـ: انتصاب في رجلي الدابة، وذلك عيب؛ لأنه يستحب فيهما الانحناء والتوقير اهـ. (ع)
(٣) قوله: «وبثًّا السفراء بينهما. . . الخ» جمع سفير: وهو الرسول والمصلح بين القوم. (ع)
(٤) قوله: «استشن» في الصحاح: تشنن الجلد يبس، واستشن الرجل: هزل. (ع)
(٥) قوله: «بقتار قدره» في الصحاح: «القتار»: ريح الشواء. (ع)

بالذكر دون الجمع؟ قلت: لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان؛ فإذا لزمت المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم؛ لأنّ الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين، وقيل: المراد بالأخوين الأوس والخزرج، وقرئ: «بين إخوتكم وإخوانكم» والمعنى: ليس المؤمنون إلا إخوة، وأنهم خلص لذلك متمحضون، قد انزاحت عنهم شبهات الأجنبية، وأبى لطف حالهم في التمازج والاتحاد أن يقدموا على ما يتولد منه التقاطع، فبادروا قطع ما يقع من ذلك إن وقع واحسموه، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فإنكم إن فعلتم لم تحملكم التقوى إلا على التواصل والائتلاف، والمسارعة إلى إماطة ما يفرط منه، وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله إليكم، واشتمال رأفته عليكم حقيقًا بأن تعقدوا به رجاءكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾

القوم: الرجال خاصة؛ لأنهم القوّام بأمور النساء. قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] وقال عليه الصلاة والسلام: «النساء لحم على وضم[1] إلا ما ذب عنه» (١٤٧٦) والذابون هم الرجال، وهو في الأصل جمع قائم، كصوّم وزوّر: في جمع صائم وزائر. أو تسمية بالمصدر. عن بعض العرب: إذا أكلت طعامًا أحببت نومًا وأبغضت قومًا. أي قيامًا، واختصاص القوم بالرجال: صريح في الآية وفي قول زهير [من الوافر]:

.... أَقَـوْمٌ آلُ حِـصْـنٍ أَمْ نِـسَـاءُ؟[2]

١٤٧٦ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أره عن علي، وأخرجه ابن المبارك في البر والصلة من قول عمر بن الخطاب وكذلك رواه أبو عبيد وإبراهيم الحربي في الغريب. انتهى.

---

(١) قوله: «على وضم» الوضم: ما يوضع تحت اللحم من خشب وغيره يوقى به من الأرض. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) وما أدري وسوف إخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء؟
فإن تكن النساء مخبآت ... فحق لكل عصبة اهتداء

لزهير يهجو حصن بن حذيفة الفزاري. والقوم: الرجال فقط، حتى قيل: إنه جمع قائم، كصوم وزور، في صائم وزائر. وقيل: إنه في الأصل مصدر، والهمزة لطلب التعيين، ولكن الكلام من مجاهل العارف. ونساء: عطف على قوم الواقع خبرًا من آل حصن، أو خبرًا لمبتدأ محذوف، والعطف من عطف الجمل. ويجوز أن الهمزة للتسوية كالواقعة بعد سواء، كأنه قال: ما أبالي منهم، سواء أكانوا رجالاً أو نساء، فيتعين أنه من عطف الجمل لأجل التسوية، ولكن المقام يؤيد =

وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد: هم الذكور والإناث، فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين، ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث؛ لأنهن توابع لرجالهن، وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين: أن يراد: لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات[1] من بعض؛ وأن تقصد إفادة الشياع، وأن تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية، وإنما لم يقل: رجل من رجل، ولا امرأة من امرأة على التوحيد[2]؛ إعلامًا بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية، واستفظاعًا للشأن الذي كانوا عليه، ولأنّ مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله، ولا يأتي ما عليه من النهي[3] والإنكار، فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر، وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به، فيؤدي ذلك ـ وإن أوجده واحد ـ إلى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقومًا. وقول تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر[4] عن العلة الموجبة لما جاء النهي[5] عنه، وإلا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله

= الأول، وفي البيت الاعتراض بين سوف ومدخلها بالفعل الملقى عند المفعول، والاعتراض أيضًا بين ما أدري وبين الاستفهام بجملة التسويف؛ لأن «أدري» طالب لمفعولين وجملة «أقوم» سادة مسدهما، وانظر كيف خطر بباله أن ينفي الدراية بحان الآل. ثم قبل أن يكمل ذلك خطر بباله الجزم بأنه سوف يدري، ثم قبل أن يكمل ذلك قال: إن حصول الدراية في المستقبل على سبيل التخيل والظن، فحكى حال النفس عند ترددها في شأنه، فلله در العرب ما ألطفهم في حكاية الحال بأبلغ مقال. وروي لست بدل سوف. وفيه نظر؛ واسم تكن ضمير القوم، والنساء خبرها، ومخبآت حال، أي: فإن كن محصنات فحق لهن أن يهدين إلى أزواجهن، وهدى المرأة إلى زوجها وأهداها إليه إهداء، بمعنى.

ينظر: ديوانه ص ٧٣، والاشتقاق ص ٤٦، وجمهرة اللغة ص ٩٧٨، والدرر ٢/ ٢٦١، ٤/ ٢٨، ٥/ ١٢٦، وشرح شواهد الإيضاح ص ٥٠٩، وشرح شواهد المغني ص ١٣٠، ٤١٢، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٨٩، ومغني اللبيب ص ٤١، ١٣٩، ٣٩٣، ٣٩٨، وبلا نسبة في همع الهوامع ١/ ١٥٣، ٢٤٨، ٢/ ٧٢.

(١) قال محمود: «لم يقل: لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات... الخ» قال أحمد: ولو عرف فقال: لا يسخر المؤمنون بعضهم من بعض: لكانت كل جماعة منهم منهية ضرورة شمول النهي، ولكن أورد الزمخشري هذا، وإنما أراد في التنكير فائدة: أن كل جماعة منهية على التفصيل في الجماعات والتعرض بالنهي لكل جماعة على الخصوص، ومع التعريف تحصيل النهي، لكن لا على التفصيل بل على الشمول، والنهي على التفصيل أبلغ وأوقع.

(٢) عاد كلامه. قال: «وإنما لم يقل: رجل من رجل ولا امرأة من امرأة للإشعار... الخ» قال أحمد: وهو في غاية الحسن لا مزيد عليه.

(٣) قوله: «ولا يأتي ما عليه من النهي» أي يتلهى ولا يفعل ما عليه من نهي الساخر والإنكار عليه. (ع)

(٤) قال محمود: «وقوله: «عسى أن يكونوا خيرًا منهم) جواب للمستخبر عن علة النهي... الخ» قال أحمد: وهو من الطراز الأول.

(٥) قوله: «لما جاء النهي عنه» لعل ما مصدرية، ولفظ عنه مزيد من ناسخ الأصل، أي: لمجيء النهي، =

بالفاء. والمعنى وجوب أن يعتقد كل أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرًا من الساخر؛ لأنّ الناس لا يطلعون إلا على ظواهر الأحوال ولا علم لهم بالخفيات، وإنما الذي يزن[1] عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب، وعلمهم من ذلك بمعزل، فينبغي أن لا يجترىء أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رث الحال، أو ذا عاهة في بدنه، أو غير لبيق في محادثته، فلعله أخلص ضميرًا وأتقى قلبًا ممن هو على ضدّ صفته، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله، ولقد بلغ بالسلف إفراط توقيهم وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل: لو رأيت رجلاً يرضع عنزًا فضحكت منه: خشيت أن أصنع مثل الذي صنعه (١٤٧٧). وعن عبد الله بن مسعود: البلاء موكل بالقول، لو سخرت من كلب لخشيت أن أحوّل كلبًا (١٤٧٨). وفي قراءة عبد الله: «عسوا أن يكونوا» و«عسين أن يكن»، فعسى على هذه القراءة هي ذات الخبر كالتي في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [محمد: ٢٢] وعلى الأولى هى التي لا خبر لها كقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٢١٦]. واللمز: الطعن والضرب باللسان. وقرئ: «ولا تلمزوا» بالضم. والمعنى: وخصوا أيها المؤمنون أنفسكم بالانتهاء من عيبها والطعن فيها، ولا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس» (١٤٧٩) وعن الحسن رضي الله

١٤٧٧ ـ قال الحافظ: لم أره عنه وفي ابن أبي شيبة عن أبي موسى من قوله نحوه. انتهى.

١٤٧٨ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في الأدب المفرد من رواية إبراهيم عن ابن مسعود بهذا. انتهى.

١٤٧٩ ـ أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٤١٨) رقم (١٠١٠) والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٠٢) وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٥٩٥) وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٢٠) والبيهقي في سننه (١٠/ ٢١٥) وفي شعب الإيمان. (٩٦٦٦) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٣٨٢، ٣/ ١٨٨، ٧/ ٢٦٢) وفي «الكفاية» ص (٤٢) والسهمي في «تاريخ جرجان» (٧٥) كلهم من طريق الجارود بن يزيد عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا. قال البيهقي: وهذا يعد في أفراد الجارود وقد روئ عن غيره وليس بشيء ثم روى عن الحاكم بسنده إلى العلاء بن بشر ثنا سفيان بن عيينة عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم ـ قال «ليس لفاسق غيبة». انتهى ثم قال: قال أبو عبد الله الحاكم: هذا غير صحيح ولا معتمد قال البيهقي: وهذا إن صح فإنما أراد به فاجرًا معلنًا بفجوره أو هو ممن يشهد في أمور الناس ويتعلق به شيء من الديانات فيحتاج إلى بيان حاله لئلا يعتمد عليه انتهى كلامه.
قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف:
أخرجه أبو يعلى والترمذي الحكيم في النوادر في الثامن والستين والعقيلي وابن عدي، وابن حبان =

= وإلا: أي: وإلا يكن مستأنفًا. (ع)

(١) قوله: «وإنما الذي يزن عند الله» لعله: يزين. (ع)

عنه في ذكر الحجاج: أخرج إلي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الأعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول: يا أبا سعيد يا أبا سعيد، وقال لما مات: اللّهم أنت أمته فاقطع سنته، فإنه أتانا أخيفش أعيمش[1] يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة، لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي، فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون، لا يقول له قائل: الصلاة أيها الرجل الصلاة أيها الرجل، هيهات دون ذلك السيف والسوط. وقيل: معناه لا يعب بعضكم بعضًا؛ لأنّ المؤمنين كنفس واحدة، فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه. وقيل: معناه لا تفعلوا ما تلمزون به؛ لأن من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة./ ٢/ ١٩١ب والتنابز بالألقاب: التداعي بها: تفاعل من نبزه، وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون ويقال: النبز[2] والنزب: لقب السوء والتلقيب المنهي عنه، وهو ما يتداخل المدعوّ به كراهة؛ لكونه تقصيرًا به وذمًّا له وشينًا، فأما ما يحبه مما يزينه وينوّه به فلا بأس به. روي عن النبي ﷺ: «من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه إليه» (١٤٨٠) ولهذا

= كلهم من رواية الجارود بن يزيد عن بهز بن حكيم. عن أبيه عن جده مرفوعًا أترعوون عن ذكر الفاجر؟ اذكره بما فيه، كي يحذره الناس، واتفقوا على أن الجارود غير ثقة، وقال الدارقطني: هو من وضع الجارود ثم سرقه منه جماعة منهم عمرو بن الأزهر، وسليمان بن عيسى عن الثوري عن بهز وسليمان وعمرو كذابان وقد رواه العلاء بن بشر عن ابن عيينة عن بهز: قال الدارقطني: وابن عيينة لم يسمع من بهز وغير لفظه فقال: «ليس للفاسق غيبة»، انتهى وهذا أورده البيهقي في الشعب عن الحاكم بسنده إلى العلاء وقال: قال الحاكم: هذا غير صحيح ولا معتمد. وقال ابن طاهر: روي عن معمر عن بهز أيضًا أخرجه عبد الوهاب أخو عبد الرزاق. وعبد الوهاب كذاب وأخرجه الطبراني في الأوسط وقال لم يروه عن معمر غيره، قال: وله طريق أخرى عن عمر بن الخطاب ورواه يوسف بن أبان حدثنا الأبرد بن حاتم أخبرني منهال السراج عن عمر. انتهى.

١٤٨٠ ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٤٣٠) رقم (٨٧٧٢) عن الحاكم بسنده إلى موسى بن عبد الملك بن عمير عن شيبة بن عثمان الحجي عن عثمان بن طلحة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه» انتهى

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٤٠) إلى الطبراني في معجمه، وأبي يعلى الموصلي في مسنده من حديث ذيال بن عبيد بن حنظلة عن جده حنظلة بن جذيم المالكي رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدعى الرجل بأحب أسمائه إليه»

وكذلك عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف٣/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) إلى ابن عدي في الكامل عن الحكم بن

---

(١) قوله: «فإنه أتانا أخيفش أعيمش» في الصحاح «الخفش»: صغر في العين، وضعف في البصر خلقة، والرجل أخفش. وفيه: العمش في العين: ضعف الرؤية مع سيلان الدمع. والرجل أعمش اهـ. وأخيفش وأعيمش تصغير: أخفش وأعمش. (ع)

(٢) قوله: «ويقال: النبز» في الصحاح «النبز» بالتحريك: اللقب؛ وبالتسكين: المصدر. (ع)

كانت التكنية من السنة والأدب الحسن. قال عمر رضي الله عنه: أشيعوا الكنى فإنها منبهة. ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصدّيق، وعمر بالفاروق، وحمزة بأسد الله، وخالد بسيف الله، وقلَّ من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب، ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير. روي عن الضحاك أن قومًا من بني تميم استهزءوا ببلال وخباب وعمار وصهيب وأبي ذرّ وسالم مولى حذيفة. فنزلت. وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة. وعن ابن عباس أن أمّ سلمة ربطت حقويها بسبيبة[1] وسدلت طرفها خلفها وكانت تجرّه، فقالت عائشة لحفصة: انظري ما تجرّ خلفها كأنه لسان كلب. وعن أنس: عيرت نساء رسول الله ﷺ أمّ سلمة بالقصر. وعن عكرمة عن ابن عباس أن صفية بنت حييّ أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين، فقال لها رسول الله ﷺ: «هلا قلت: إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد» (١٤٨١)، وروي: أنها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر،

= عبد الله بن سعد الأيلي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مكروه أن يدعو أحدكم أخاه يا هناه ويا هذا، ولكن ليدع أحدكم أخاه بأحب أسمائه إليه» انتهى.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف:
لم أجده هكذا. وروى البيهقي في الشعب في الحادي والستين عن عثمان بن طلحة الحجي رفعه قال: «ثلاث مصفين لك ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه» وفيه موسى بن عبد الملك بن عمير وهو ضعيف، وروى أبو يعلى والطبراني من حديث ذيال بن عبيد بن حنظلة حدثني جدي حنظلة بن جذيم قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدعى الرجل بأحب الأسماء إليه». انتهى

١٤٨١ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٧٠٩) كتاب المناقب: باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، حديث (٣٨٩٤)، وأحمد (٣/ ١٣٥ ـ ١٣٦)، والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ٢٩١ ـ ٢٩٢): كتاب عشرة النساء: باب الافتخار، حديث (٨٩١٩)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ١٩٣ ـ ١٩٤) رقم (٧٢١١)، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ١٥٨) رقم (٣٤٣٧)، وعبدالرزاق (١١/ ٤٣٠) رقم (٢٠٩٢١).
كلهم من طريق عبدالرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. غريب من هذا الوجه. أ. هـ.
وله طريق آخر:
أخرجه الترمذي (٥/ ٧٠٨): كتاب المناقب باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، حديث (٣٨٩٢) وقال: وهذا حديث غريب لا نعرفه من حديث صفية إلا من حديث هاشم الكوفي وليس =

---

(١) قوله: «حقويها بسبيبة» في الصحاح «السب»: شقة كتان: والسبيبة: مثله. (ع)

وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله ﷺ ليسمع؛ فأتى يومًا وهو يقول: تفسحوا لي، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال لرجل: تنح، فلم يفعل، فقال: من هذا؟ فقال الرجل: أنا فلان، فقال: بل أنت ابن فلانة، يريد: أمًّا كان يعير بها في الجاهلية، فخجل الرجل فنزلت، فقال ثابت: لا أفخر على أحد في الحسب بعدها أبدًا (١٤٨٢) ﴿ٱلِٱسۡمُ﴾ هٰهنا بمعنى الذكر، من قولهم: طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم، كما يقال: طار ثناؤه وصيته. وحقيقته: ما سما من ذكره وارتفع بين الناس. ألا ترى إلى قولهم: أشاد بذكره؛ كأنه قيل: بئس الذكر المرتفع للمؤمنين[١] بسبب ارتكاب هذه الجرائر[٢] أن يذكروا بالفسق. وفي قوله: ﴿بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ ثلاثة أوجه: أحدها استقباح الجمع بين الإيمان وبين الفسق الذي يأباه الإيمان ويحظره، كما تقول: بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة[٣] والثاني: أنه كان في شتائمهم لمن أسلم من اليهود: يا يهودي يا فاسق،

= بإسناده بذلك القوي.

ـ قال الحافظ في تخريج الكشاف: ذكره الثعلبي عن عكرمة، عن ابن عباس بغير إسناد، وفي الترمذي من رواية هاشم بن سعيد الكوفي: حدثنا كنانة حدثتنا صفية بنت حيي قالت: «دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بلغني عن عائشة وحفصة كلام. فذكرت ذلك له فقال: ألا قلت: وكيف تكونا خيرًا مني وزوجي محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبي هارون وعمي موسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وكان الذي بلغها أنهن قلن نحن أكرم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها وخير منها نحن وأزواجه وبنات عمه» وقال: غريب ـ وليس إسناده بذاك. وروى الترمذي وابن حبان وأحمد والطبراني من رواية معمر عن ثابت عن أنس قال: «بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي فبكت» فذكر معناه. انتهى

١٤٨٢ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٣٤٢): غريب، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص/ ٤٠٩)، رقم (٧٦٢) وكذلك البغوي في تفسيره (٤/ ٢١٤)؛ كلاهما من رواية ابن عباس. قال الحافظ في تخريج الكشاف: ذكره الثعلبي، ومن تبعه عن ابن عباس بغير سند.

---

(١) قال محمود: «الاسم ههنا الذكر، من قولهم: طار اسمه في الناس بالكرم. كأنه قال: بئس الذكر المرتفع للمؤمنين. . . الخ» قال أحمد: أقرب الوجوه الثلاثة ملاءمة لقاعدة أهل السنة وأولاها: هو أولها، ولكن بعد صرف الذم إلى نفس الفسق، وهو مستقيم؛ لأن الاسم هو المسمى. ولكن الزمخشري لم يستطع ذلك: انحرافًا إلى قاعدة: يصرف الذم إلى ارتفاع ذكر الفسق من المؤمن، تحومًا على أن الاسم التسمية، ولا شك أن صرف الذم إلى نفس الفسق أولى. وأما الوجه الثاني، فأدخله ليتم له حمل الاسم على التسمية صريحًا. وأما الثالث فليتم له أن الفاسق غير مؤمن، وكلا القاعدتين مخالف للسنة فاحذرهما، وبالله التوفيق. ولقد كشف الله لي عن مقاصده، حتى ما تنقلب له كلمة متحيزة إلى فئة البدعة إلا إذا أدركها الحق فكلمها، ولله الحمد.

(٢) قوله: «هذه الجرائر» جمع جريرة، وهي الجناية. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله: «بعد الكبرة الصبوة» الكبرة ـ بالفتح ـ: اسم للكبر في السن. والصبوة: الميل إلى الجهل =

فنهوا عنه، وقيل لهم: بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه، والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز. والثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن، كما تقول للمتحول عن التجارة إلى الفلاحة: بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

يقال: جنبه الشر إذا أبعده عنه، وحقيقته: جعله منه في جانب، فيعدى إلى مفعولين. قال الله عز وجل: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ثم يقال في مطاوعه: اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولاً. والمأمور باجتنابه هو بعض الظن، وذلك البعض موصوف بالكثرة: ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾؟ فإن قلت: بَيِّن الفصل بيْنَ ﴿كَثِيرًا﴾، حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة. قلت: مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية، وإنّ في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين؛ لئلا يجترىء أحد على ظنّ إلا بعد نظر وتأمّل، وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة، مع استشعار للتقوى والحذر، ولو عرف لكان الأمر باجتناب الظنّ منوطًا بما يكثر منه دون ما يقل، ووجب أن يكون كل ظنّ متصف بالكثرة مجتنبًا، وما اتصف منه بالقلة مرخصًا في تظننه. والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها: أنّ كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر: كان حرامًا واجب الاجتناب؛ وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظنّ الفساد والخيانة به محرّم، بخلاف من اشتهر بين الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث. عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى حرّم من المسلم دمه وعرضه وأن يظنّ به ظنّ السوء» (١٤٨٣) وعن الحسن/ ٢/ ١٩٢أ: كنا في زمان: الظنُّ بالناس

١٤٨٣ ـ الحديث ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا:
أخرجه البخاري (١٢/ ١٠٦)، كتاب الأدب، باب: «يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن...» الآية، حديث (٦٠٦٦) ومسلم (٨/ ٣٦١)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظن والتجسس...، حديث (٢٨) ـ (٢٥٦٣). وزاد مسلم: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكنه ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»، مختصر.
ـ والبيهقي في الشعب (٧/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨)، باب: السابع والسبعون من شعب الإيمان، باب: في أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، حديث (١١١٥١).
=

= والفئوة. أفاده الصحاح. (ع)

حرام، وأنت اليوم في زمان اعمل واسكت، وظنّ بالناس ما شئت. وعنه: لا حرمة لفاجر. وعنه: إن الفاسق إذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله، وإذا استتر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب. وقد روي: من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له (١٤٨٤). والإثم: الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب. ومنه قيل لعقوبته: الأثام، فعال منه: كالنكال والعذاب والوبال، قال [من الطويل]:

لَقَدْ فَعَلَتْ هٰذِي النَّوَى بِيَ فَعْلَةً أَصَابَ النَّوَى قَبْلَ المَمَاتِ أَثَامُهَا [(١)]

= ابن ماجه (٢/١٢٩٧)، كتاب الفتن، باب: حرمة دم المؤمن وماله، حديث (٣٩٣٢) من حديث ابن عمر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وأطيب ريحك. ما أعظمك وأعظم حرمتك. والذي نفس محمدٍ بيده! لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك. ماله ودمه وأن نظن به إلا خيرًا.

- قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن ماجه. من حديث ابن عمر بإسناد فيه لين، ولفظه «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة، وهو يقول: ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمدٍ بيده لحرمة دم المؤمن أعظم عند الله حرمة منك: ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرًا» وروى ابن أبي شيبة من طريق مجالد عن الشعبي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى الكعبة فقال «ما أعظمك...» وروى البيهقي في الشعب من طريق مجاهد عن عباس نحوه. وفيه حفص بن عبدالرحمن.

١٤٨٤ - أخرجه البيهقي في الشعب (٧/١٠٨ - ١٠٩)، في الباب التاسع والستين، باب: في الستر على أصحاب القروف، حديث (٩٦٦٤).

- والقضاعي في مسند الشهاب (١/٣٥٦)، حديث (٢٩٦).

- والبيهقي (١٠/ ٢١٠)، كتاب الشهادات، باب: «الرجل من أهل...» - والخطيب في التاريخ (٨/ ٤٣٨) و(٤/ ١٧١).

- وابن عدي في الكامل (١/ ٣٧٧). كلهم من طريق أبي سعد الساعدي عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأبو سعد قال الدارقطني في سؤالات البرقاني (ص ٧٧): مجهول يترك حديثه.

- قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه البخاري في الشعب في التاسع والستين والقضاعي في مسند الشهاب من طريق رواد بن الجراح عن أبي سعد الساعدي عن أنس وإسناده ضعيف. وأخرجه ابن عدي من رواية الربيع بن بدر عن أبان عن أنس. وإسناده أضعف من الأول.

- قال ابن حبان في الضعفاء: أبو سعد شيخ يروي عن أنس بن مالك المناكير، التي لا يشاركه فيها أحد، لا يجوز الاحتجاج به بحال. انتهى

---

(١) النوى: نية المسافر من قرب أو بعد، فهي مؤنثة، وتستعمل اسم جمع نية، فيذكر: أي لقد فعلت في هذه النية فعلة مسيئة، فيَّ بمعنى في، ثم دعا عليها بقوله: أصاب النوى التي أذتني أثامها، أي: جزاء تلك الفعلة. أو جزاء النوى التي تستحقه. وقد يسمى الذنب إثمًا وأثامًا، من إطلاق المسبب على السبب، وقال قبل الممات، أي: قبل موته ليتشفى فيها، فكأنه شبهها بعدو، ثم دعا عليها. ينظر: أساس البلاغة (أثم).

والهمزة فيه عن الواو، كأنه يثم الأعمال: أي يكسرها بإحباطه. وقرئ: «ولا تحسسوا» بالحاء، والمعنيان متقاربان. يقال: تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه: تفعل من الجس، كما أن التلمس بمعنى التطلب من اللمس؛ لما في اللمس من الطلب. وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن: ٨] والتحسس: التعرّف من الحس، ولتقاربهما قيل لمشاعر الإنسان: الحواس بالحاء والجيم، والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه. وعن مجاهد. خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله. وعن النبي ﷺ: أنه خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق في خدورهنّ. وقال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تتبعوا عورات المسلمين: فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته» (١٤٨٥).

١٤٨٥ ـ ورد من حديث ابن عمر، ومن حديث أبي برزة، ومن حديث البراء بن عازب، ومن حديث ثوبان، ومن حديث ابن عباس، ومن حديث بريدة.
ـ أما حديث ابن عمر: فرواه الترمذي (٤/ ٣٧٨)، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في تعظيم المؤمن، حديث (٢٠٣٢).
ـ وابن حبان (١٣/ ٧٥ ـ ٧٦)، كتاب الحظر والإباحة، باب: الغيبة، حديث (٥٧٦٣).
ـ وأما حديث أبي برزة: فأخرجه أبو داود (٤/ ٢٧٠)، كتاب الأدب، باب: في الغيبة، حديث (٤٨٨٠).
ـ وأحمد (٤/ ٤٢٠ ـ ٤٢١ و٤٢٤).
ـ وابن أبي الدنيا في الصمت (١٩٧).
ـ والبيهقي (١٠/ ٢٤٧)، كتاب الشهادات، باب: «من عضه غيره...».
ـ وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ٤١٩)، حديث (٤) ـ (٧٤٢٣).
وأما حديث البراء بن عازب: فأخرجه أبو يعلى (٣/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨) حديث (٢٢) ـ (١٦٧٥).
ـ وعزاه الزيلعى في تخريج الكشاف (٣/ ٣٤٥) لابن مردويه في تفسيره.
ـ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٩٦) وقال: ورجاله ثقات.
وأما حديث ثوبان: فأخرجه أحمد (٥/ ٢٧٩)، ولفظه «لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم؛ فإنه من طلب عورة أخيه المسلم؛ طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته». انتهى
وأما حديث ابن عباس: فأخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٨٦)، حديث (١١٤٤٤).
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٣٤٦) لابن عدي في الكامل، وأعله بقدامة.
وأما حديث بريدة: فعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٣٤٦) لابن مردويه في تفسيره.
قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف:
أخرجه الطبراني والعقيلي. وابن عدي من رواية قدامة بن محمد الأشجعي عن إسماعيل بن شبيب الطائفي عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس بهذا؛ وفي الباب عن ابن عمر رواه الترمذي، وابن حبان في صحيحه ولفظه «صعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المنبر فنادى بصوت رفيع: قال يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه. ولو في =

وعن زيد بن وهب: قلنا لابن مسعود: هل لك في الوليد بن عقبة بن أبي معيط تقطر لحيته خمرًا؟ فقال ابن مسعود: إنا قد نهينا عن التجسس، فإن ظهر لنا شيء أخذنا به (١٤٨٥ مكرر). غابه واغتابه: كغاله واغتاله. والغيبة من الاغتياب، كالغيلة من الاغتيال[1]: وهي ذكر السوء في الغيبة. سئل رسول الله ﷺ عن الغيبة فقال: «أن تذكر أخاك بما يكره. فإن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته» (١٤٨٦) وعن ابن

= جوف رحله» وعن أبي بردة عند أبي داود وأحمد والطبراني وأبي يعلى وعن البراء بن عازب عند أبي يعلى، والبيهقي في الشعب في التاسع والستين من رواية مصعب بن سلام عن أبي إسحاق عن البراء. وعن ثوبان عند أحمد بلفظ: «لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته» وعن بريدة عند الطبراني وابن مردويه ولفظه «صلينا الظهر خلف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما انفتل أقبل علينا غضبان، فنادى بصوت أسمع العواتق في جوف الخدور» فذكر نحوه. انتهى

١٤٨٥ ـ أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ٢٧٢): كتاب الأدب باب في النهي عن التجسس، حديث (٤٨٩٠). وعبدالرزاق في مصنفه (١٠/ ٢٣٢): كتاب اللقطة، باب: التجسس، حديث (١٨٩٤٥)، والبيهقي في سننه الكبرى (٨/ ٣٣٤): كتاب الأشربة والحد فيها، باب ما جاء في النهي عن التجسس وفي الشعب (٦/ ٩٩): باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث (٧٦٠٤).
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه أبو داود وابن أبي شيبة وعبدالرزاق والطبراني والبيهقي في الشعب في الثاني والخمسين من طرق عن الأعمش عن زيد بن وهب قال أتى ابن مسعود قيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمرًا لفظ أبي داود والباقين نحوه ورواه الحاكم والبزار من رواية أسباط عن الأعمش فقال فيه «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن التجسس» قال البزار تفرد به أسباط وقال ابن أبي حاتم عن أبي زرعة والترمذي عن البخاري: أخطأ فيه أسباط والصحيح من رواية أبي معاوية وغيره عن الأعمش أن الله نهانا.

١٤٨٦ ـ أخرجه مسلم (٨/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الغيبة، حديث (٧٠) ـ (٢٥٨٩).
ـ الترمذي (٤/ ٣٢٩)، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في الغيبة، حديث (١٩٣٤).
ـ وأبو داود (٤/ ٢٦٩)، كتاب: الأدب، باب: في الغيبة، حديث (٤٨٧٤).
ـ وأحمد (٢/ ٢٣٠، ٤٥٨).
ـ والبيهقي (١٠/ ٢٤٧)، كتاب: الشهادات، باب: من عضه غيره.
ـ والبغوي في شرح السنة (٦/ ٥١٧)، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الغيبة، حديث (٣٤٥٤).
ـ والبخاري في الأدب المفرد (٤٢٥) كلهم من رواية أبي هريرة.
ـ قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وفي الباب عن أبي برزة وابن عمر وعبدالله بن عمرو.
وقال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: متفق عليه من حديث أبي هريرة. انتهى

---

(١) قوله: «كالغيلة من الاغتيال» كذا في الصحاح. وفيه يقال: قتله غيلة، وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فيقتله فيه. (ع)

عباس رضي الله عنهما: الغيبة إدام كلاب الناس. ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾ تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه. وفيه مبالغات شتى: منها الاستفهام الذي معناه التقرير. ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة. ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدًا من الأحدين لا يحب ذلك. ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان، حتى جعل الإنسان أخًا. ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل ميتًا. وعن قتادة: كما تكره إن وجدت جيفة مدوّدة أن تأكل منها، كذلك فاكره لحم أخيك وهو حي. وانتصب ﴿مَيْتًا﴾ على الحال من اللحم. ويجوز أن ينتصب عن الأخ. وقرئ: «ميّتا»، ولما قرّرهم عز وجل بأنّ أحدًا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه، عقب ذلك بقوله تعالى: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ معناه: فقد كرهتموه واستقرّ ذلك. وفيه معنى الشرط، أي: إن صحّ هذا فكرهتموه، وهي الفاء الفصيحة، أي: فتحققت - بوجوب الإقرار عليكم وبأنكم لا تقدرون على دفعه وإنكاره؛ لإباء البشرية عليكم أن تجحدوا - كراهتكم له وتقذركم منه، فليتحقق أيضًا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في أعراض المسلمين. وقرئ: «فكرهتموه» أي: جبلتم على كراهته. فإن قلت: هلا عدّى بإلى كما عدّى في قوله: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ وأيهما القياس؟ قلت: القياس تعدّيه بنفسه؛ لأنه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه، تقول: كرهت الشيء، فإذا ثقل استدعى زيادة مفعول. وأما تعدّيه بإلى، فتأوّل وإجراء لكره مجرى بغض؛ لأنّ «بغض» منقول من بغض إليه الشيء فهو بغيض إليه، كقولك: حب إليه الشيء فهو حبيب إليه. والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده، أو لأنه ما من ذنب يقترفه المقترف إلا كان معفوًا عنه بالتوبة. أو لأنه بليغ في قبول التوبة، منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط، لسعة كرمه. والمعنى: واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه، فإنكم إن اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين. وعن ابن عباس: أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوّي لهما طعامهما، فنام عن شأنه يومًا، فبعثاه إلى رسول الله ﷺ يبغي لهما إدامًا، وكان أسامة على طعام رسول الله ﷺ فقال: ما عندي شيء، فأخبرهما سلمان بذلك، فعند ذلك قالا: لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها، فلما راحا إلى رسول الله ﷺ قال لهما: مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما، فقالا: ما تناولنا لحمًا فقال: إنكما قد اغتبتما (١٤٨٧) فنزلت.

١٤٨٧ - قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: (٣/٣٤٨ - ٣٤٩): غريب، وعزاه لأبي القاسم الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب، وللثعلبي في تفسيره.
- قال الحافظ: هكذا ذكره الثعلبي وربيعة بغير سند ولا راوٍ. وفي الترغيب لأبي القاسم الأصبهاني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبدالرحمن بن أبي ليلة نحوه. انتهى

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ من آدم وحوّاء. وقيل: خلقنا كل واحد منكم من أب وأمّ، فما منكم أحد إلا وهو يدلي بمثل ما يدلى به/ ٢/ ١٩٢ب الآخر سواء بسواء، فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب. والشعب: الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب، وهي: الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة؛ فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائل: خزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة، وسميت الشعوب؛ لأنّ القبائل تشعبت منها. وقرئ: «لتتعارفوا» ولتعارفوا بالإدغام. ولتعرفوا، أي لتعلموا كيف تتناسبون. ولتتعرفوا. والمعنى: أن الحكمة التي من أجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي أن يعرف بعضكم نسب بعض. فلا يعتزى إلى غير آبائه، لا أن تتفاخروا بالآباء والأجداد، وتدعوا التفاوت والتفاضل في الأنساب. ثم بين الخصلة التي بها يفضل الإنسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وقرئ: «أنّ» بالفتح، كأنه قيل: لم لا يتفاخر بالأنساب؟ فقيل: لأنّ أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم. وعن النبي ﷺ: أنه طاف يوم فتح مكة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية[(١)] الجاهلية وتكبرها، يا أيها الناس، إنما الناس رجلان: مؤمن تقي كريم على الله، وفاجر شقيّ هين على الله» (١٤٨٨) ثم قرأ الآية. وعنه عليه الصلاة والسلام: «من سرّه أن يكون أكرم الناس فليتق

١٤٨٨ ـ ورد من حديث ابن عمر ومن حديث أبي هريرة.

فأما حديث ابن عمر: فأخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٩)، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجرات، حديث (٣٢٧٠).

ـ والبغوي (٦/ ٥٠٦)، كتاب: البر والصلة، باب: الافتخار بالنسب، حديث (٣٤٣٨).

ـ وأبو داود مختصرًا (٢/ ١٧٦)، كتاب: المناسك، باب: الطواف الواجب، حديث (١٨٧٦).

ـ وأبو يعلى مختصرًا (١٠/ ١٣٤)، حديث (٣٤٧) ـ (٥٧٦١).

ـ وعبد بن حميد في مسنده (ص/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤)، حديث (٧٩٥).

ـ وذكره الحافظ في المطالب العالية (١/ ٣٣٤) برقم (١١٢٧) مختصرًا. وكذلك الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٤٦).

ـ قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبدالله بن دينار إلا من هذا الوجه، وعبدالله بن جعفر يضعف، ضعفه يحيى بن معين وغيره، وهو والد علي بن المديني، وفي الباب =

---

(١) قوله: «عبية الجاهلية» في الصحاح: رجل فيه عبية، أي: كبر وتجبر. وعبية الجاهلية: نخوتها. (ع)

الله» (١٤٨٩). وعن ابن عباس: كرم الدنيا الغني، وكرم الآخرة التقوى. وعن يزيد بن شجرة: مرّ رسول الله ﷺ في سوق المدينة فرأى غلامًا أسود يقول: من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يراه عند كل صلاة، ففقده يومًا فسأل عنه صاحبه، فقال: محموم، فعاده ثم سأل عنه بعد ثلاثة أيام فقال: هو لما به، فجاءه وهو في ذمائه(١). فتولى غسله ودفنه، فدخل على المهاجرين والأنصار أمر

= عن أبي هريرة، وابن عباس. انتهى.

قال الهيثمي: رواه أبو يعلى وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف وقد وثق فيما رواه عن غير عبدالله بن دينار وهذا منها.

وأما حديث أبي هريرة: فأخرجه أبو داود (٤/ ٣٣١)، كتاب: الأدب، باب: في التفاخر بالأحساب، حديث (٥١١٦).

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) لابن المبارك في كتاب البر والصلة، ولابن مردويه في تفسيره.

قال الحافظ في الكشاف: أخرجه الترمذي وابن حبان، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم من رواية ابن دينار عن ابن عمر، وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد، والبزار، وابن المبارك في البر والصلة من رواية سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عنه نحوه، ومنهم من قال عن سعيد عن أبي هريرة: وعن عبدالملك بن قدامة الحاطبي، حدثني أبي أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام فتح مكة، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أيها الناس، فذكر نحوه وأخرجه. انتهى

١٤٨٩ ـ أخرجه الحاكم (٤/ ٢٧٠)، كتاب: الأدب، باب: لا تتكلموا بالحكمة عند الجاهل.

ـ والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠)، رقم (١٩٤٦)، وأعله بهشام بن زياد، وقال: ليس لهذا الحديث طريق يثبت. انتهى

ـ وابن حبان في المجروحين (٣/ ٨٨) مختصرًا، وقال: هشام بن زياد أبو المقدام: كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات والمقلوبات عن الأثبات حتى يسبق إلى قلب المستمع أنه كان المعتمد لها، لا يجوز الاحتجاج به. جميعهم من طريق محمد بن كعب القرضي عن ابن عباس.

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٥١ ـ ٣٥٢) لاسحاق بن راهويه في مسنده، ولابن عدي وللبيهقي في الزهد.

قال الحافظ ابن حجر في الكشاف: أخرجه الحاكم والبيهقي وأبو يعلى وإسحاق وعبدالله والطبراني وأبو نعيم في الحلية كلهم من طريق هشام بن زياد أبي المقدام عن محمد بن كعب عن ابن عباس وأتم منه. قال البيهقي في الزهد: تكلموا في هشام بسبب هذا الحديث، وأنه كان يقول: حدثني عن محمد بن كعب ثم ادعى أنه سمعه من محمد، ثم أخرجه البيهقي من طريق عبد الجبار بن محمد العطاردي والد أحمد بن عبدالرحمن الطيبي بن القاسم بن عروة عن محمد بن كعب عن ابن عباس يرفع الحديث نحوه. انتهى

---

(١) قوله: «وهو في ذمائه» في الصحاح «الذماء»: ممدود بقية الروح في المذبوح. (ع)

عظيم، فنزلت (١٤٩٠).

﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾

الإيمان: هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس. والإسلام: الدخول في السلم. والخروج من أن يكون حربًا للمؤمنين بإظهار الشهادتين. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ فاعلم أنّ ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام، وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان. فإن قلت: ما وجه قوله تعالى: ﴿قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ والذي يقتضيه نظم الكلام أن يقال: قل لا تقولوا آمنا، ولكن قولوا أسلمنا. أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم؟ قلت: أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أوّلاً، ودفع ما انتحلوه[1]، فقيل: قل لم تؤمنوا. وروعي هذا النوع من التكذيب أدب حسن حين لم يصرّح بلفظه، فلم يقل: كذبتم، ووضع ﴿لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ﴾ الذي هو نفي ما ادعوا إثباته موضعه، ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] تعريضًا بأن هؤلاء هم الكاذبون، ورب تعريض لا يقاومه التصريح، واستغنى بالجملة التي هي لم: ﴿تُؤۡمِنُواْ﴾ عن أن يقال: لا تقولوا آمنا، لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤدّاه النهي عن القول بالإيمان، ثم وصلت بها الجملة المصدّرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى، ولم يقل: ولكن أسلمتم، ليكون خارجًا مخرج الزعم والدعوى، كما كان قولهم: ﴿ءَامَنَّاۖ﴾ كذلك، ولو قيل: ولكن أسلمتم، لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتدّ به. فإن قلت: قوله: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ﴾ يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة. قلت: ليس كذلك، فإن فائدة قوله: ﴿لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ﴾ هو تكذيب

١٤٩٠ ـ ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٣٥٣) وعزاه للثعلبي.
وقال الحافظ ابن حجر: هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند. انتهى

---

(١) قال محمود: «وجه هذا النظم تكذيب دعواهم أولاً... الخ» قال أحمد: ونظير هذا النظم ومراعاة هذه اللطيفة قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ ولما كان مؤدى هذا تكذيب الله تعالى لهم في شهادتهم برسالة النبي ﷺ قدم على ذلك مقدمة تلخص المقصود وتخلصه من حوادث الوهم ونوائبه، فقال بين الكلامين: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ فتلخص من ذلك أنهم كذبوا فيما ادعوه من شهادة قلوبهم الحق؛ لأن ذلك حقيقة الشهادة، لا أنهم كذبوا في أن رسول الله ﷺ رسول من الله وكان المخلص من ذلك قوله جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾.

دعواهم، وقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ توقيت لما أمروا به أن يقولوه، كأنه قيل لهم ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم؛ لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في ﴿قُولُوٓا۟﴾ وما في (لما) من معنى التوقع: دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ لا ينقصكم ولا يظلمكم. يقال: ألته السلطان حقه أشدّ الألت، وهي لغة غطفان. ولغة أسد وأهل الحجاز: لاته ليتا. وحكى الأصمعي عن أمّ هشام السلولية أنها قالت: الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات، ولا تصمه الأصوات[1]. وقرئ باللغتين «لا يلتكم» ولا يألتكم. ونحوه في المعنى ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧]. ومعنى طاعة الله ورسوله/ ٢/١٩٣أ: أن يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الإيمان ويعملوا بمقتضياته، فإن فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم، ووهب لهم مغفرته. وأنعم عليهم بجزيل ثوابه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ نفرًا من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة، فأظهروا الشهادة، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارها، وهم يغدون ويروحون على رسول الله ﷺ ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والذراري، يريدون الصدقة ويمنون عليه، فنزلت.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾

ارتاب: مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة. والمعنى: أنهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به، ولا اتهام لمن صدّقوه واعترفوا بأنّ الحق منه. فإن قلت: ما معنى ثم هٰهنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنًا للإيمان لأنه وصف فيه، لما بينت من إفادة الإيمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب؟ قلت: الجواب على طريقين، أحدهما أنّ من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه، أو نظر هو نظرًا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمرّ على ذلك راكبًا رأسه لا يطلب له مخرجًا، فوصف المؤمنون حقًا بالبعد عن هذه الموبقات. ونظيره قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] والثاني: أنّ الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدّم الإيمان، تنبيهًا على مكانه؛ وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعارًا باستقراره في الأزمنة

---

(١) قوله: «ولا تصمه الأصوات» إن كان من الوصم فالمعنى: لا تصدعه الأصوات ولا تعيبه، وإن كان من الصمم فالمعنى: لا تجد أصم. وفي الصحاح «الوصم»: الصدع والعيب. وفيه «أصممته»: وجدته أصم. (ع)

المتراخية المتطاولة غضًا جديدًا. ﴿وَجَٰهَدُوا۟﴾ يجوز أن يكون المجاهد منويًا وهو العدوّ المحارب أو الشيطان أو الهوى. وأن يكون جاهد مبالغة في جهد. ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس: الغزو، وأن يتناول العبادات بأجمعها، وبالمجاهدة بالمال: نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة، وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله تعالى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ الذين صدقوا في قولهم آمنا، ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد، أو هم الذين إيمانهم إيمان صدق وإيمان حق وجدّ وثبات.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

يقال: ما علمت بقدومك، أي: ما شعرت به ولا أحطت به. ومنه قوله تعالى: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ وفيه تجهيل لهم.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

يقال: منّ عليه بيد أسداها إليه، كقولك: أنعم عليه وأفضل عليه. والمنة: النعمة التي لا يستثيب مسديها من يزلها إليه[1]؛ واشتقاقها من المنّ الذي هو القطع، لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته لا غير، من غير أن يعمد لطلب مثوبة. ثم يقال: منّ عليه صنعه، إذا اعتده عليه منة وإنعامًا. وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة، وذلك أنّ الكائن من الأعاريب قد سماه الله إسلامًا، ونفى أن يكون كما زعموا إيمانًا؛ فلما منوا على رسول الله ﷺ ما كان منهم قال الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام: إنّ هؤلاء يعتدّون عليك بما ليس جديرًا بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته أن يقال له إسلام. فقل لهم: لا تعتدّوا على إسلامكم، أي حدثكم المسمى إسلامًا عندي لا إيمانًا. ثم قال: بل الله يعتد عليكم أن أمدّكم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم إليه ووفقتم له إن صحّ زعمكم وصدقت دعواكم، إلا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه. وفي إضافة الإسلام إليهم وإيراد الإيمان غير مضاف: ما لا يخفى على المتأمل، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، تقديره: إن كنتم صادقين في ادعائكم

---

(١) قوله: «من يزلها إليه» في الصحاح: أزللت إليه نعمته، أي: أسديتها إليه. وفي الحديث «من أزلت إليه نعمة فليشكرها» وأزللت شيئًا من حقه، أي: أعطيت اهـ. (ع)

الإيمان، فللّه المنة عليكم. وقرئ: «إن هداكم» بكسر الهمزة. وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: إذ هداكم. وقرئ: «تعلمون» بالتاء والياء، وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم، يعني أنه عزّ وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم، لا يخفى عليه منه شيء، فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم، وذلك أنّ حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله ومن عصاه» (١٤٩١)./ ٢/ ١٩٣ب.

١٤٩١ ـ تقدم رقم (٣٤٦)

وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من طرق عن أبي بن كعب به. انتهى

سورة قٓ

مكية [إلا آية ٣٨ فمدنية]
وآياتها ٤٥ نزلت بعد [المرسلات]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾

الكلام في ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ نحوه في ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص: ١ ـ ٢] سواء بسواء، لالتقائهما في أسلوب واحد. والمجيد: ذو المجد والشرف على غيره من الكتب، ومن أحاط علمًا بمعانيه وعمل بما فيه: مجد عند الله وعند الناس، وهو بسبب من الله المجيد، فجاز اتصافه بصفته. قوله بل عجبوا: ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب، وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته، ومن كان على صفته لم يكن إلا ناصحًا لقومه مترفرفًا(١) عليهم، خائفًا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه، وإذا علم أنّ مخوفًا أظلهم، لزمه أن ينذرهم ويحذرهم، فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير، وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث، مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السمٰوات والأرض وما بينهما، وعلى اختراع كل شيء وإبداعه، وإقرارهم بالنشأة الأولى، ومع شهادة العقل بأنه لا بدّ من الجزاء. ثم عوّل على أحد الإنكارين بقوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ أَءِذَا مِتْنَا﴾ دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالإنكار، ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم. وهذا إشارة إلى الرجع؛ وإذا منصوب بمضمر؛ معناه: أحين نموت ونبلى نرجع؟ ﴿ذَٰلِكَ

---

(١) قوله: «مترفرفًا عليهم» في الصحاح: فلان يرفنا، أي: يحوطنا. ورفرف الطائر: إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه. ورف لونه بالفاء رفًا ورفيفًا: برق وتلألأ. وثوب رفيف وشجر رفيف: إذا تدانت أوراقه. وفيه أيضًا: ترقرق الشيء بالقاف: تلألأ. (ع)

﴿رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ مستبعد مستنكر، كقولك: هذا قول بعيد. وقد أبعد فلان في قوله. ومعناه: بعيد من الوهم والعادة. ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع. وهو الجواب، ويكون من كلام الله تعالى استبعادًا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث، والوقف قبله على هذا التفسير حسن. وقرئ: «إذا متنا» على لفظ الخبر، ومعناه: إذا متنا بعد أن نرجع، والدّال عليه ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾. فإن قلت: فما ناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع؟ قلت: ما دلّ عليه المنذر من المنذر به، وهو البعث.

﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴿٤﴾﴾

﴿قَدۡ عَلِمۡنَا﴾ ردّ لاستبعادهم الرجع، لأن من لطف علمه حتى تغلغل إلى ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم، كان قادرًا على رجعهم أحياء كما كانوا. عن النبّي ﷺ: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب» (١٤٩٢)، وعن السدي: ﴿مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ﴾ ما يموت فيدفن في الأرض منهم ﴿كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ محفوظ من الشياطين ومن التغير، وهو اللوح المحفوظ. أو حافظ لما أودعه وكتب فيه.

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ﴾ إضراب أتبع الإضراب الأوّل، للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم؛ وهو التكذيب بالحق[1] الذي هو النبوّة الثابتة بالمعجزات في أوّل وهلة من غير

١٤٩٢ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٥١٥)، كتاب: التفسير، باب: ٤ الحديث (٤٨١٤)، ورواه في (٩/ ٦٩٩) في التفسير الحديث (٤٩٣٥) ومسلم (٩/ ٣١٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين الحديث (٢٩٥٥)، وأبو داود (٢/ ٦٤٩) كتاب السنة، باب في ذكر البعث والصور الحديث (٤٧٤٣)، والنسائي (٤/ ١١١ ـ ١١٢) كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين وابن ماجه (٢/ ١٤٢٥) كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى الحديث (٤٢٦٦). ومالك في الموطأ (١/ ٢٣٩) كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز، وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٢، ٤٢٨، ٤٩٩، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٤٠٧، ٤٠٨) رقم (٣١٣٨، ٣١٣٩)، وروى الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٩) وابن حبان في صحيحه (٧/ ٤٠٩) رقم (٣١٤٠)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٢٣) رقم (١٣٨٢)، وأحمد (٣/ ٢٨) كلهم من طريق أبي سعيد قال: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه»، قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: «مثل حبة خردل منه ينشأ».
وقد ذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٣٦) وقال: رواه أحمد وإسناده حسن.. ا. هـ.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: متفق عليه من حديث أبي صالح عن أبي هريرة وأخرجه الحاكم من حديث أبي سعيد، وزاد «قالوا: ما هو يا رسول الله؟ قال: هو مثل حبة الخردل، منه ينبتون». انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: وقال الشيخ: وكان هذا الإضراب الثاني. بدلاً من الأول. قلت: وإطلاق هذا =

تفكر ولا تدبر ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ مضطرب. يقال: مرج الخاتم في أصبعه وجرج؛ فيقولون تارة: شاعر، وتارة: ساحر، وتارة: كاهن، لا يثبتون على شيء واحد: وقرئ: «لما جاءهم» بكسر اللام وما المصدرية، واللام هي التي في قولهم لخمس خلون، أي: عند مجيئه إياهم، وقيل: ﴿الْحَقِّ﴾: القرآن. وقيل: الإخبار بالبعث.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟﴾ حين كفروا بالبعث إلى آثار قدرة الله في خلق العالم ﴿بَنَيْنَٰهَا﴾ رفعناها بغير عمد ﴿مِن فُرُوجٍ﴾ من فتوق: يعني أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل، كقوله تعالى: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾

﴿مَدَدْنَٰهَا﴾ دحوناها ﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت لولا هي لتكفأت ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾ من كل صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ يبتهج به لحسنه ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ لتبصر به وتذكر كل ﴿عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه، مفكر في بدائع خلقه. وقرئ: «تبصرة وذكرى» بالرفع، أي: خلقها تبصرة.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾

﴿مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ كثير المنافع ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ وحبّ الزرع الذي من شأنه أن يحصد، وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ طوالاً في السماء: وفي قراءة رسول الله ﷺ: باصقات، بإبدال السين صادًا لأجل القاف ﴿نَّضِيدٌ﴾ منضود بعضه فوق بعض: إما أن يراد كثرة الطلع وتراكمه؛ أو كثرة ما فيه من الثمر ﴿رِّزْقًا﴾ على أنبتناها رزقًا، لأنّ الإنبات في معنى الرزق. أو على أنه مفعول له، أي: أنبتناها لنرزقهم ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ كما حييت هذه البلدة الميتة/ ٢/ ١٩٤أ، كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم، والكاف في محل الرفع على الابتداء.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ

= في كتاب الله لا يجوز البتة، وقيل: قبل هذه الآية جملة مضروب عنها. تقديرها: ما أجادوا النظر بأن كذبوا، وما قاله الزمخشري أحسن. انتهى. الدر المصون.

﴿ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

أراد بفرعون قومه كقوله تعالى: ﴿مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [يونس: ٨٣] لأنّ المعطوف عليه قوم نوح، والمعطوفات جماعات ﴿كُلٌّ﴾ يجوز أن يراد به كل واحد منهم، وأن يراد جميعهم، إلا أنه وحد الضمير الراجع إليه على اللفظ دون المعنى ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ فوجب وحلّ وعيدي، وهو كلمة العذاب. وفيه تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديد لهم.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

عيى بالأمر: إذا لم يهتد لوجه عمله، والهمزة للإنكار. والمعنى: أنا لم نعجز كما علموا عن الخلق الأوّل، حتى نعجز عن الثاني، ثم قال: هم لا ينكرون(١) قدرتنا على الخلق الأوّل، واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ أي في خلط وشبهة. قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم. ومنه قول علي رضي الله عنه: يا حار(٢)، إنه لملبوس عليك، اعرف الحق تعرف أهله. ولبس الشيطان عليهم: تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة، فتركوا لذلك القياس الصحيح: أن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر. فإن قلت: لم نكر الخلق الجديد(٣)، وهلا عرّف كما

---

(١) قوله: «ثم قال هم لا ينكرون» يعني كأنه قال ذلك بمعونة الإضراب. وقوله: «في طيه... إلخ» أي يلزمه ذلك وإن لم يقع منهم اللبس. (ع)

(٢) قوله: «يا حار إنه لملبوس» لعله ترخيم حارث. (ع)

(٣) وقع في النسخة ما أحكيه وصورته: «فإن قلت لم نكر الخلق الجديد... الخ» قال أحمد: هذا كلام كما تراه غير منتظم، والظاهر أنه لفساد في النسخة، والذي يتحرر في الآية ـ وهو مقتضى تفسير الزمخشري: أن فيها أسئلة ثلاثة: لم عرف الخلق الأول ونكر اللبس والخلق الجديد؟ فاعلم أن التعريف لا غرض منه إلا تفخيم ما قصد تعريفه وتعظيمه، ومنه تعريف الذكور في قوله: ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ ولهذا المقصد عرف الخلق الأول؛ لأن الغرض جعله دليلاً على إمكان الخلق الثاني بطريق الأولى أي إذا لم يعي تعالى بالخلق الأول على عظمته، فالخلق الآخر أولى أن لا يعبأ به؛ فهذا سر تعريف الخلق الأول. وأما التنكير فأمره منقسم: فمرة يقصد به تضخيم المنكر من حيث ما فيه من الإبهام، كأنه أفخم من أن يخاطبه معرفة؛ ومرة يقصد به التقليل من المنكر والوضع منه، وعلى الأول (سلام قولاً من رب رحيم) وقوله: (لهم مغفرة وأجر عظيم) و(إن المتقين في جنات ونعيم) وقوله: (بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم) وهو أكثر من أن يحصى. والثاني: هو الأصل في التنكير، فلا يحتاج إلى تمثيله، فتنكير اللبس من التعظيم والتفخيم، كأنه قال: في لبس أيّ لبس: وتنكير الخلق الجديد للتقليل منه والتهوين لأمره بالنسبة إلى الخلق الأول، ويحتمل أن يكون للتفخيم، كأنه أمر أعظم من أن يرضى الإنسان بكونه ملتبسًا عليه، مع أنه أول ما تبصر فيه صحته، ولعل إشارة الزمخشري إلى هذا والله أعلم، فهذا كما تراه كلام مناسب لاستطراف أسئلة وأجوبة، فإن يكن هو ما أراده الزمخشري فذاك، وإلا فالعق العسل ولا تسل.

عرّف الخلق الأول؟ قلت: قصد في تنكيره إلى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديد. حق من سمع به أن يهتمّ به ويخاف، ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾

الوسوسة: الصوت الخفيّ. ومنها: وسواس الحلي. ووسوسة النفس: ما يخطر ببال الإنسان ويهجس في ضميره من حديث النفس. والباء مثلها في قولك: صوت بكذا وهمس به. ويجوز أن تكون للتعدية والضمير للإنسان، أي: ما تجعله موسوسًا، وما مصدرية، لأنهم يقولون: حدّث نفسه بكذا، كما يقولون: حدثته به نفسه. قال [من الرمل]:

وَٱكْـذِبِ الـنَّـفْـسَ إِذَا حَـدَّثْـتَـهَـا ....[1]

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ مجاز، والمراد: قرب علمه منه، وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقًا لا يخفى عليه شيء من خفياته، فكأنه ذاته قريبة منه، كما يقال: الله في كل مكان، وقد جلّ عن الأمكنة. وحبل الوريد: مثل في فرط القرب، كقولهم: هو مني مقعد القابلة ومعقد الإزار. وقال ذو الرمة [من الرجز]:

---

(١) واكـذب الـنـفـس إذا حـدثـتـهـا ... إن صـدق الـنـفـس يـزري بـالأمـل
غـيـر أن لا تـكـذبـنـهـا فـي الـتـقـى ... واخـزهـا بـالـبـر لله الأجـل

للبيد بن ربيعة، وسئل بشار: أي بيت قالته العرب أشعر؟ فقال تفضيل بيت واحد على الشعر كله غير سديد، ولكنه أحسن لبيد في قوله: واكذب النفس، يقال: كذبه وصدقه مخففًا ومشددًا، بمعنى. وما هنا من الأول للوزن، أي: لا تصدقها إذا حدثتك بأمر وحدثتها فيه؛ لأنها مثبطة عن نيل الفضائل. طامحة إلى الرذائل، وهذا معنى «إن صدق النفس» أي: تصديقها، يزري بالأمل. يقال: زراه، إذا عابه. وأزرى به: إذا أوقع به العيب، غير أنه الحال والشأن لا تكذبها في تحديثها إياك بالتقى، والخوف من الله، فإن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. ويجوز أنه ضمير المخاطب، ولا ناهية، وإجراء الكلام على الاستثناء يحتاج إلى تكلف في بيان المستثنى والمستثنى منه، ويمكن إجراؤه على الاستدراك؛ لكن نصب «غير» يحتاج إلى الحمل على الاستثناء، ويحتمل أن تكون «أن» مصدرية «ولا» نافية أو زائدة، لكن تأكيد الفعل بالنون بعد النهي كثير، وبعد النفي قليل، ومع الإثبات في هذا شاذ أو ضرورة، ولا بد من إجراء الكلام بهذا الوجه على الاستثناء معنى ولفظًا. وقد قال القسطلاني في شرح صحيح البخاري باحتمال النهي والزيادة. وبعضهم باحتمال النفي في قوله ﷺ لعائشة حين حاضت في الحج: «فاقضي ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت» وخزاه يخزوه: قهره وغلبه، أي: واقهرها بالخير لله الأجل الأعظم، وكأن في البر قهرًا لها لمشقته عليها عادة.

ينظر: ديوانه ص ١٨٠، ولسان العرب (كذب)، (خزا)، وجمهرة اللغة ص ٥٩٦، وتاج العروس (كذب)، (خزا)، وجمهرة الأمثال ١/ ٥١، وخزانة الأدب ٥/ ١١٢، وفصل المقال ص ١٧٣، وكتاب الأمثال ص ١١٦، وكتاب الأمثال لمجهول ص ٢٢، والمستقصى ١/ ٢٨٩، ومجمع الأمثال ٢/ ١٣٩.

وَالْـمَــوْتُ أَدْنَــى لــي مِــنَ الْــوَرِيــدِ[1]

والحبل: العرق، شبه بواحد الحبال، ألا ترى إلى قوله [من الرجز]:

كَــأَنَّ وَرِيــدَيْــهِ رِشَــاءَا خُــلُــبِ[2]

والوريدان: عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين، يردان من الرأس إليه. وقيل: سمي وريدًا لأنّ الروح ترده. فإن قلت: ما وجه إضافة الحبل إلى الوريد، والشيء لا يضاف إلى نفسه؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن تكون الإضافة للبيان، كقولهم: بعير سانية. والثاني: أن يراد حبل العاتق فيضاف إلى الوريد، كما يضاف إلى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد، كما لو قيل: حبل العلياء[3] مثلاً.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِذْ﴾ منصوب بأقرب، وساغ ذلك لأنّ المعاني تعمل في الظرف متقدّمة ومتأخرة، والمعنى: أنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس وما لا شيء أخفى منه، وهو أقرب من الإنسان[4] من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به، إيذانًا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه؛ وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات؟ وإنما

---

(١) هــل أغــدون فــي عــيــشــة رغــيــد؟ والــمــوت أدنــى لــي مــن الــوريــد

لذي الرمة. والاستفهام إنكاري، أي: لا أكون في عيشة واسعة والحال أن الموت أقرب إليّ من الوريد. وروي: أوفى. والمعنى واحد. والوريدان: عرقان في مقدم صفحتي العنق، سميا بذلك لأنهما يردان من الرأس. أو لأن الروح تردهما. وقال: عيشة رغيد، كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ وإن كان قليلاً في فعيل بمعنى فاعل.

(٢) غــضــنــفــر تــلــقــاه عــنــد الــغــضــب كــأن وريــديــه رشــاءا خــلــب

لرؤبة. والغضنفر: الأسد. والوريدان: عرقان يردان من الرأس يكتنفان الحلقوم. وقيل: تردهما الروح. والرشاءان: حبلان للاستقاء. والخلب ـ بضمتين، وقد يسكن ـ: اللب والماء المخلوط بالطين. ويجوز أن يراد به هنا البئر الكدرة: شبه الشجاع بالأسد، وشبه وريديه عند الغضب بالرشاءين، وكأن هنا عاملة، وهي مخففة، وهو قليل، والكثير إهمالها. بل الكثير إعمالها!! حسن.

ينظر: ملحق ديوانه ص ١٦٩، وشرح التصريح ١/ ٢٣٤، والمقاصد النحوية ٢/ ٢٩٩، وبلا نسبة في لسان العرب (خلب)، (أنن)، والإنصاف ١/ ١٩٨، وأوضح المسالك ١/ ٣٧٥، وتخليص الشواهد ص ٣٩٠، والجنى الداني ص ٥٧٥، وخزانة الأدب ١٠/ ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤١٢، ورصف المباني ص ٢١١، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٧٥، وشرح المفصّل ٨/ ٨٣، والكتاب ٣/ ١٦٤، ١٦٥، والمقرب ١/ ١١٠، وتاج العروس (خلب).

(٣) قوله: «لو قيل حبل العلياء» هي عصب العنق، كما في الصحاح. (ع)

(٤) قوله: «وهو أقرب من الإنسان» يقال: قربَ من الشيء كما يقال: قرب إليه. (ع)

ذلك لحكمة اقتضت ذلك: وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما، وعرض صحائف العمل يوم يقوم الأشهاد. وعلم العبد بذلك مع علمه بإحاطة الله بعمله. من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات. وعن النبي ﷺ: «إنّ مقعد ملكيك على ثنيتيك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله تعالى ولا منهما» (١٤٩٣) ويجوز أن يكون تلقي الملكين بيانًا للقرب، يعني: ونحن قريبون منه مطلعون على أحواله مهيمنون عليه، إذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به، والتلقي: التلقن بالحفظ والكتبة. والقعيد: القاعد، كالجليس بمعنى الجالس، وتقديره: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين، فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه، كقوله [من الطويل]:

... كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا ....[1]

﴿رَقِيبٌ﴾ ملك يرقب عمله ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر، واختلف فيما يكتب الملكان، فقيل: يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه. وقيل: لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر به. ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرًا،/ ٢/ ١٩٤ب وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر» (١٤٩٤) وقيل: إنّ الملائكة يجتنبون الإنسان عند غائطه

١٤٩٣ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف للثعلبي في التفسير أخبرني الحسن بن محمد بن الحسين الدينوري ثنا أحمد بن جعفر بن سليمان الختلى ثنا أحمد بن أيوب المرجاني ثنا جميل بن الحسن ثنا أرطاة بن الأشعث العدوى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ «مقعد ملكيك...» إلى آخره. وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي من رواية جميل بن الحسن عن أرطأة بن الأشعث العدوي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ قال: «مقعد ملكيك» فذكره. انتهى.

١٤٩٤ ـ رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٩٠) رقم (٧٠٤٩)، (٧٠٥٠)، (٧٠٥١).
والطبراني في الكبير (٨/ ٢١٧ ـ ٢١٨) رقم (٧٧٦٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٢٣)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٥) من حديث أبي أمامة.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩) لابن راهويه في مسنده، وأبو نعيم في الحلية، وابن مردويه في تفسيره.
وروى الطبري في تفسيره (٧/ ٣٥٠) رقم (٢٠٢١١).
من حديث كنانة العدوي قال: دخل عثمان بن عفان على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله، أخبرني عن العبد كم معه من ملك؛ قال: ملك على يمينك على حسناتك، وهو أمين على الذي على الشمال، فإذا عملت حسنة كتبت عشرًا، وإذا عملت سيئة قال الذي على =

---

(١) تقدم.

وعند جماعه. وقرئ: «ما يلفظ» على البناء للمفعول.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾

لما ذكر إنكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه، أعلمهم أن ما أنكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة، ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضي. وهو قوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ ونفخ في الصور، وسكرة الموت: شدّته الذاهبة بالعقل. والباء في بالحق للتعدية، يعني: وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذي أنطق الله به كتبه وبعث به رسله. أو حقيقة الأمر وجلية الحال: من سعادة الميت وشقاوته. وقيل: الحق الذي خلق له الإنسان، من أن كل نفس ذائقة الموت. ويجوز أن تكون الباء مثلها في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] أي وجاءت ملتبسة بالحق، أي: بحقيقة الأمر. أو بالحكمة والغرض الصحيح، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣] وقرأ أبو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما «سكرة الحق بالموت» على إضافة السكرة إلى الحق والدلالة على أنها السكرة التي كتبت على الإنسان وأوجبت له، وأنها حكمة. والباء للتعدية؛ لأنها سبب زهوق الروح لشدتها، أو لأنّ الموت يعقبها؛ فكأنها جاءت به. ويجوز أن يكون المعنى: جاءت ومعها الموت. وقيل سكرة الحق سكرة الله، أضيفت إليه تفظيعًا لشأنها وتهويلاً. وقرئ: «سكرات الموت» ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الموت، والخطاب للإنسان في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الحجر: ٢٦] على طريق الالتفات. أو إلى الحق والخطاب للفاجر ﴿تَحِيدُ﴾ تنفر وتهرب. وعن بعضهم: أنه سأل زيد بن أسلم عن ذلك فقال: الخطاب لرسول الله ﷺ؛ فحكاه لصالح بن كيسان فقال: والله ما سنّ عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب، هو

= الشمال للذي على اليمين: أكتب وذكر حديثًا طويلاً.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه الثعلبي والبغوي من طريق جعفر عن القاسم عن أبي أمامة. ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني. وأخرجه البيهقي من هذا الوجه. ومن رواية بشر بن نمير عن القاسم نحوه. وأخرجه الطبراني من رواية ثور بن يزيد عن القاسم نحوه. وروى أبو نعيم في الحلية وابن مردويه من طريق إسماعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء عن عروة بن رديم، عن القاسم عن أبي أمامة وعند الطبري من طريق علي بن جرير عن حمّاد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة. قال: دخل عثمان بن عفان على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله، كم مع العبد ملك؟ ـ الحديث. انتهى.

للكافر. ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال: أخالفهما جميعًا: هو للبرّ والفاجر ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ على تقدير حذف المضاف، أي: وقت ذلك يوم الوعيد، والإشارة إلى مصدر نفخ ﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ ملكان: أحدهما يسوقه إلى المحشر، والآخر يشهد عليه بعمله. أو ملك واحد جامع بين الأمرين، كأنه قيل: معها ملك يسوقها ويشهد عليها؛ ومحل ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾ النصب على الحال من كلّ لتعرّفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة. قرئ: «لقد كنتِ» عنكِ غطائكِ فبصركِ، بالكسر على خطاب النفس، أي: يقال لها لقد كنتِ. جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئًا؛ فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت الغفلة عنه وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق. ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته: حديدًا لتيقظه.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ هو الشيطان الذي قيض له في قوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] يشهد له قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ [ق: ٢٧]. ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ هذا شيء لديّ وفي ملكتي عتيد لجهنم. والمعنى: أن ملكًا يسوقه وآخر يشهد عليه، وشيطانًا مقرونًا به، يقول: قد أعتدته لجهنم وهيئته لها بإغوائي وإضلالي. فإن قلت: كيف إعراب هذا الكلام؟ قلت: إن جعلت ﴿مَا﴾ موصوفة، فعتيد: صفة لها: وإن جعلتها موصولة، فهو بدل، أو خبر بعد خبر. أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أَلْقِيَا﴾ خطاب من الله تعالى للملكين السابقين: السائق والشهيد: ويجوز أن يكون خطابًا للواحد على وجهين: أحدهما قول المبرد: إن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما، كأنه قيل: ألق ألق: للتأكيد. والثاني: أنّ العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان، فكثر على ألسنتهم أن يقولوا: خليليّ وصاحبيّ، وقفا وأسعدا، حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين، عن الحجاج أنه كان يقول: يا حرسيّ، اضربا عنقه. وقرأ الحسن «ألقين» بالنون الخفيفة. ويجوز أن تكون الألف في ﴿أَلْقِيَا﴾ بدلاً من النون: إجراء للوصل مجرى الوقف ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند مجانب للحق معاد لأهله ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كثير المنع للمال عن حقوقه، جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئاً قط. أو مناع لجنس الخير أن يصل إلى أهله يحول بينه وبينهم. قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة، كان يمنع بني أخيه من الإسلام، وكان يقول: من دخل منكم فيه لم أنفعه بخير ما عشت ﴿مُّعْتَدٍ﴾ ظالم متخط للحق ﴿مُّرِيبٍ﴾

شاكّ في الله وفي دينه ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ مبتدأ مضمن معنى الشرط، ولذلك أجيب بالفاء. ويجوز أن/ ١٩٥/٢أ يكون ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ منصوبًا بدلاً من ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ ويكون ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ تكريرًا للتوكيد.

﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ (٢٧)﴾

فإن قلت: لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على الأولى؟ قلت: لأنها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون. فإن قلت: فأين التقاول هٰهنا؟ قلت: لما قال قرينه: ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ وتبعه قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ وتلاه: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٨]: علم أنّ ثم مقاولة من الكافر، لكنها طرحت لما يدل عليها، كأنه قال: رب هو أطغاني، فقال قرينه: ربنا ما أطغيته. وأمّا الجملة الأولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول، أعني مجيء كل نفس مع الملكين: وقول قرينه ما قال له: ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ ما جعلته طاغيًا، وما أوقعته في الطغيان، ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢].

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩)﴾

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ﴾ استئناف مثل قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ [ق: ٢٧] كأن قائلاً قال: فماذا قال الله؟ فقيل: قال لا تختصموا. والمعنى: لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب، فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته، وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي، فما تركت لكم حجة عليَّ، ثم قال: لا تطمعوا أن أبدل قولي ووعيدي فأعفيكم عما أوعدتكم به ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأعذب من ليس بمستوجب للعذاب. والباء في ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾ مزيدة مثلها في ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ أو معدية، على أن «قدّم» مطاوع بمعنى «تقدّم» ويجوز أن يقع الفعل على جملة قوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩)﴾ ويكون ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾ حالاً، أي: قدّمت إليكم هذا ملتبسًا بالوعيد مقترنًا به. أو قدّمته إليكم موعدًا لكم به. فإن قلت: إنّ قوله: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ واقع موقع الحال من ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ﴾ والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعها في زمان واحد واجب. قلت: معناه: ولا تختصموا وقد صح عندكم أني قدمت إليكم بالوعيد، وصحة ذلك عندهم في الآخرة، فإن قلت: كيف قال: ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾ على لفظ المبالغة[1]؟ قلت: فيه

(١) قال محمود: «إن قلت كيف جاء على لفظ المبالغة... إلخ» قال أحمد: وذكر فيه وجهان آخران، =

وجهان، أحدهما: أن يكون من قولك: هو ظالم لعبده، وظلام للعبيد. والثاني: أن يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلامًا مفرط الظلم. فنفى ذلك.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾

قرئ: «نقول» بالنون والياء. وعن سعيد بن جبير: يوم يقول الله لجهنم. وعن ابن مسعود والحسن: يقال. وانتصاب اليوم بظلام أو بمضمر. نحو: اذكر وأنذر. ويجوز أن ينتصب بنفخ، كأنه قيل: ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم. وعلى هذا يشار بذلك إلى يوم نقول، ولا يقدّر حذف المضاف. وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل[1] الذي

= أحدهما: أن فعالاً قد ورد بمعنى فاعل، فهذا منه. الثاني: أن المنسوب في المعتاد إلى الملوك من الظلم تحت ظلمهم: إن عظيمًا فعظيم، وإن قليلاً فقليل، فلما كان ملك الله تعالى على كل شيء ملكه قدس ذاته عما يتوهم مخذول والعياذ بالله أنه منسوب إليه من ظلم تحت شمول كل موجود؛ ولقد بدل القدرية فتوهموا أن الله تعالى لم يأمر إلا بما أراده وبما هو من خلق العبد، بناء على أنه لو كلف على خلاف ما أراد وبما ليس من خلق العبد لكان تكليفًا بما لا يطاق، واعتقدوا أن ذلك ظلم في الشاهد، فلو ثبت في الغائب لكان كما هو في الشاهد ظلمًا، والله تعالى مبرأ من الظلم. ألا ترى هذا المعتقد كيف لزمهم عليه أن يكون الله تعالى ظلامًا لعبيده، تعالى الله عن ذلك؛ لأن الحق الذي قامت بصحته البراهين: هو عين ما اعتقدوه ظلمًا فنفوه، فلمثلهم وردت هذه الآية وأشباهها، لتبين للناس ما نزل إليهم، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، والله الموفق للصواب.

(١) قال محمود: «سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى... إلخ» قال أحمد: قد تقدم إنكاري عليه إطلاق التخييل في غير ما موضع، والنكير ههنا أشد عليه؛ فإن إطلاق التخييل قد مضى له في مثل قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وفي مثل قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وإنما أراد به حمل الأيدي على نوع من المجاز، فمعنى كلامه صحيح؛ لأنا نعتقد فيهما المجاز، وندين الله بتقديسه عن المفهوم الحقيقي، فلا بأس عليه في معنى إطلاقه، غير أنا مخاطبون باجتناب الألفاظ الموهمة في حق جلال الله تعالى وإن كانت معانيها صحيحة، وأي إيهام أشد من إيهام لفظ التخييل. ألا ترى كيف استعمله الله فيما أخبر أنه سحر وباطل في قوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ فلا يشك في وجوب اجتنابه، ثم يعود بنا الكلام إلى إطلاقه ههنا فنقول: هو منكر لفظًا ومعنى. أما اللفظ فقد تقدم، وأما المعنى فلأنا نعتقد أن سؤال جهنم وجوابها حقيقة، وأن الله تعالى يخلق فيها الإدراك بذلك بشرطه، وكيف نفرض وقد وردت الأخبار وتظاهرت على ذلك: منها هذا: ومنها: لجاج الجنة والنار. ومنها: اشتكاؤها إلى ربها فأذن لها في نفسين. وهذه وإن لم تكن نصوصًا فظواهر يجب حملها على حقائقها؛ لأنا متعبدون باعتقاد الظاهر ما لم يمنع مانع، ولا مانع ههنا «فإن القدرة صالحة. والعقل يجوز، والظواهر قاضية بوقوع ما صوره العقل، وقد وقع مثل هذا قطعًا في الدنيا. كتسليم الشجر وتسبيح الحصا في كف النبي ﷺ وفي يد أصحابه، ولو فتح باب المجاز والعدول عن الظواهر في تفاصيل المقالة لا تسع الخرق وضل كثير من الخلق عن الحق، وليس هذا كالظواهر الواردة في الإلهيات مما لم يجوز العقل اعتقاد ظاهرها، فإن العدول فيها عن ظاهر الكلام بضرورة الانقياد إلى أدلة العقل المرشدة إلى المعتقد الحق، فاشدد =

يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته، وفيه معنيان، أحدهما: أنها تمتلىء مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شيء[1] ولا يزاد على امتلائها، لقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [السجدة: ١٣] والثاني: أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد. ويجوز أن يكون ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ استكثارًا للداخلين فيها واستبداعًا للزيادة[2] عليهم لفرط كثرتهم. أو طلبًا للزيادة غيظًا على العصاة. والمزيد: إما مصدر كالمحيد والمميد، وإما اسم مفعول كالمبيع.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ نصب على الظرف، أي: مكانًا غير بعيد. أو على الحال، وتذكيره لأنه على زنة المصدر، كالزئير والصليل؛ والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث. أو على حذف الموصوف، أي: شيئًا غير بعيد، ومعناه التوكيد، كما تقول: هو قريب غير بعيد، وعزيز غير ذليل. وقرئ: ﴿تُوعَدُونَ﴾ بالتاء والياء، وهي جملة اعتراضية. و﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ بدل من قوله للمتقين، بتكرير الجارّ كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥]، وهذا إشارة إلى الثواب. أو إلى مصدر أزلفت. والأوّاب: الرجاع إلى ذكر الله تعالى، والحفيظ: الحافظ لحدوده تعالى. و﴿مَّنْ خَشِيَ﴾ بدل بعد بدل تابع لكل. ويجوز أن يكون بدلاً عن موصوف أوّاب وحفيظ، ولا يجوز أن يكون في حكم أوّاب وحفيظ؛ لأنّ من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذي وحده. ويجوز أن يكون مبتدأ خبره: يقال لهم ادخلوها بسلام، لأنّ ﴿مَّنْ﴾ في معنى الجمع. ويجوز أن يكون منادى كقولهم: من لا يزال محسنًا أحسن إليّ، وحذف حرف النداء للتقريب ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال من المفعول، أي: خشيه وهو غائب لم يعرفه، وكونه معاقبًا إلا بطريق الاستدلال. أو صفة لمصدر خشي، أي خشيه خشية ملتبسة بالغيب، حيث خشي عقابه وهو غائب، أو خشية/ ٢/ ١٩٥ب بسبب الغيب الذي أوعده به من عذابه، وقيل: في الخلوة حيث لا يراه أحد. فإن قلت: كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة؟[3]

= يدك بما فصل في هذا الفصل، مما أرشدتك به إلى منهج القرب والوصل، والله الموفق.

(١) قوله: «حتى لا يسعها شيء» كأن فيه قلبًا. (ع)

(٢) قوله: «واستبداعًا للزيادة» لعله واستبعادًا. (ع)

(٣) قال محمود: «إن قلت: كيف قرن الخشية باسمه الدال على سعة الرحمة... إلخ» قال أحمد: ومن =

قلت: للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته، مع علمه أنه الواسع الرحمة. كما أثنى عليه بأنه خاش، مع أنّ المخشي منه غائب، ونحوه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات. وصف القلب بالإنابة وهي الرجوع إلى الله تعالى؛ لأنّ الاعتبار بما ثبت منها في القلب. يقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي سالمين من العذاب وزوال النعم. أو مسلمًا عليكم يسلم عليكم الله وملائكته ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ أي يوم تقدير الخلود، كقوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] أي مقدّرين الخلود ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيهم، حتى يشاؤوه. وقيل: إن السحاب تمرّ بأهل الجنة فتمطرهم الحور، فتقول: نحن المزيد الذي قال الله عز وجل: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾

«فنقبوا» وقرئ بالتخفيف: فخرقوا في البلاد ودوّخوا[1]. والتنقيب: التنقير عن الأمر والبحث والطلب. قال الحارث بن حلزة [من الخفيف]:

نَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ مِنْ حَذَرِ الْمَوْ ... تِ وَجَالُوا فِي الأَرْضِ كُلَّ مَجَالِ[2]

ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله: ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي: شدّة بطشهم أبطرتهم وأقدرتهم على التنقيب وقوّتهم عليه. ويجوز أن يراد: فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون، فهل رأوا لهم محيصًا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم، والدليل على صحته قراءة من قرأ: «فنقبوا» على الأمر، كقوله: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ [التوبة: ٢] وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو أن يتنقب خف البعير. قال [من الرجز]:

مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلاَ دَبَرْ[3]

= هذا الوادي بالغ رسول الله ﷺ في الثناء على صهيب بقوله: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه».

(١) قوله: «ودوخوا» الذي في الصحاح: أن دوخ البلاد بمعنى قهرها واستولى على أهلها. (ع)

(٢) للحرث بن كلدة. والنقب: الطريق. ونقبوا، أي: ساروا في طرق البلاد ونقروا وفتشوا على مهرب وملجأ، لأجل حذرهم من الموت. وجالوا، أي: ذهبوا في الأرض. والجول: الناحية والجانب، أي: ساروا في نواحي الأرض وجوانبها، كل مجال، أي: كل طريق، أو كل جولان؛ لأن مفعل صالح للمكان والحدث.

(٣) أقسم بالله أبو حفص عمر ... ما مسها من نقب ولا دبر
اغفر له اللهم إن كان فجر

لأعرابي: شكا إلى عمر رضي الله عنه ضعف ناقته، فأعطاه شيئًا من الدقيق ولم يعطه مطية، فولى يقول ذلك: فأعطاه مراده. ومن زائدة في الفاعل، مفيدة للمبالغة في الاستغراق. والنقب ـ كالتعب =

والمعنى: فنقبت أخفاف إبلهم. أو: حفيت أقدامهم ونقبت، كما تنقب أخفاف الإبل لكثرة طوفهم في البلاد ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ من الله، أو من الموت.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي قلب واع؛ لأنّ من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له. وإلقاء السمع: الإصغاء ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي حاضر بفطنته؛ لأنّ من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب، وقد ملح الإمام عبد القاهر في قوله لبعض من يأخذ عنه [من السريع]:

مَا شِئْتَ مِنْ زَهْزَهَةٍ وَالْفَتَىٰ بِمُصْقِلابَاذِ لِسَقْيِ الزُّرُوع[1]

= ـ: ضرر خف البعير من الحفا، ويطلق على الجرب والحكة ورقة الجلد. والدبر كالتعب أيضًا: انجراح مؤخر الظهر من الحمل ونحوه، ووقوع ألف الوصل أول المصراع سائغ، لأنها محل ابتداء، كما نص عليه الخليل، والمراد بالفجور: الحنث.

لرؤبة في شرح المفصل ٣/ ٧١، وليس في ديوانه، ولا يمكن أن يكون رؤبة هو الذي قاله لعمر بن الخطاب، ذلك أنه توفي سنة ١٤٥هـ، ولم يعتبره أحد من التابعين فضلاً عن المخضرمين. وهو لعبد الله بن كيسبة أو لأعرابي في خزانة الأدب ٥/ ١٥٤، ١٥٦، ولأعرابي في شرح التصريح ١/ ١٢١، والمقاصد النحوية ٤/ ١١٥، ولسان العرب (نقب)، (فجر)، وتاج العروس (نقب)، (فجر)، وتهذيب اللغة ١١/ ٥٠، وبلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ١٢٨، وشرح الأشموني ١/ ٥٩، وشرح شذور الذهب ص ٥٦١، وشرح ابن عقيل ص ٤٨٩، ومعاهد التنصيص ١/ ٢٧٩، وأساس البلاغة (نقب)، وديوان الأدب ٢/ ١١١، وكتاب العين ٨/ ٣٠٧.

(١) يجيء في فضلة وقت له مجيء من شاب الهوى بالنزوع
ثم يرى جبلة مشبوبة قد شددت أحماله بالنسوع
ما شئت من زهزهة والفتى بمصقلا باذ لسقي الزروع

ملح ولمح به الإمام عبد القاهر في بعض من يأخذ عنه ولا يحضر ذهنه، وهو أبو عامر الجرجاني، أي: يجيء في بقية وقت له مع تعلق فكره بغير ما جاء له، كمجيء من خلط الهوى بالنزوع، أي الرجوع ويطلق النزوع على الشوق أيضًا، ثم يرى خلقة وطبيعة غليظة مشعلة بشهوات الشباب. والجبلة ـ بكسرتين فتشديد، وبتثليث أوله وسكون ثانيه ـ: الخلقة والطبيعة؛ ولعلها مضافة لما بعدها إضافة الموصوف لصفته. ويقال: شب يشب ويشب شبابًا وشبيبًا: قمص ولعب. وشببت النار شبًا وشبوبًا: أوقدتها. وشببته: أظهرته. وأشببته: هيجته. ويروى: ثم ترى جلسة مستوفز، أي: مستعجل متهيء للقيام. وهذه الرواية أوفق بالوزن والمعنى. والنسع: حزام عريض يوضع تحت صدر المطية، وستر الهودج، واسترخاء لحم الأسنان، وريح الشمال، والذهاب، وسرعة الإنبات. وجمعه: أنساع ونسوع ونسع. أي: والحال أنه قد شددت أحماله بالنسوع، كناية عن الرحيل. ويقول الفارسي عند استحسان الأمر: زهازه، فأخذ منه الزهزهة، أي: ما شئت من الاستحسان عند التعلم موجود منه كثير، والخطاب لغير معين، والحال أن الفتى في مصقلا باد، وهي محلة بجرجان، ويروى بالذال المعجمة، أي: كائن هناك لسقي زروعه. لما كان قلبه غير متعلق إلا بذلك المكان، كان جسمه كأنه هناك، ولقد ترقى في التشبيه حيث شبهه بمن خلط الهوى =

أو: وهو مؤمن شاهد على صحته وأنه وحي من الله، أو وهو بعض الشهداء في قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدي وجماعة: «ألقى السمع»، على البناء للمفعول. ومعناه: لمن ألقى غيره السمع وفتح له أذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن. وقيل: ألقى سمعه أو السمع منه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾

اللغوب: الإعياء، وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع، قيل: نزلت في اليهود ـ لعنت ـ تكذيبًا لقولهم: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام، أولها الأحد، وآخرها الجمعة، واستراح يوم السبت، واستلقىٰ علىٰ العرش، وقالوا: إن الذي وقع من التشبيه في هذه الأمة إنما وقع من اليهود، ومنهم أخذ.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه. وقيل: فاصبر على ما يقول المشركون من إنكارهم البعث؛ فإنّ من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم. وقيل: هي منسوخة بآية السيف. وقيل: الصبر مأمور به في كل حال ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ حامدًا ربك، والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة، فالصلاة ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ الفجر ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ الظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾ العشاءان. وقيل التهجد ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ التسبيح في آثار الصلوات، والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة. وقيل النوافل بعد المكتوبات. وعن علي رضي الله عنه: الركعتان بعد المغرب. وروي عن النبي ﷺ: «من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته في عليين» (١٤٩٥) وعن

١٤٩٥ ـ روي مرسلًا ومسندًا.
أما المسند فمن حديث أنس وعائشة:
حديث أنس: قال الزيلعي (٣/٣٥٩):
رواه الدارقطني في كتابه غرائب مالك من حديث الحسن بن الليث بن حاجب: ثنى أحمد بن =

= بغيره تشبيهًا بليغًا. ثم بمن تهيأ للرحيل على سبيل التمثيل، ثم بمن سافر بالفعل ووصل مقصده واشتغل بما فيه تشبيهًا بليغًا، فلله دره بليغًا.

ابن عباس رضي الله عنهما: الوتر بعد العشاء. والأدبار: جمع دبر. وقرئ: «وأدبار» من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت. ومعناه: ووقت انقضاء السجود، كقولهم: آتيك خفوق النجم ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ يعني واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة. وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدّث عنه، كما يروى عن النبي ﷺ أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل:/ ٢/ ١٩٦أ «يا معاذًا اسمع ما أقول لك»، ثم حدّثه بعد ذلك (١٤٩٦). فإن قلت: بم انتصب اليوم؟ قلت: بما دلّ عليه ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ أي: يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور. ويوم يسمعون: بدل من ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ و﴿ٱلْمُنَادِ﴾ إسرافيل ينفخ في الصور وينادي: أيتها العظام البالية والأوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إنّ الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. وقيل: إسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من صخرة بيت المقدس، وهي أقرب الأرض من السماء باثني عشر ميلاً، وهي

= سليمان الأسدي قال: قرأت على مالك بن أنس عن ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «من صلى المغرب ثم صلى بعدها ركعتين قبل أن يتكلم بشيء كتبتا في عليين فإن صلى أربعًا كان كالمعقب غزوة بعد غزوة فإن صلى اثنتي عشرة ركعة بني له في الجنة قصر من ياقوت فيه من الشجر ونور الثمر ما لا يحصيه إلا رب العالمين».

قال الدارقطني: هذا حديث موضوع على مالك ومن دونه في الإسناد ضعفاء» ا. هـ.

وحديث عائشة: رواه ابن شاهين في الترغيب (١/ ١٣٠) رقم (٧٤) باب فضل صلاة المغرب والصلاة بعدها، من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ما من صلاة أحب إلى الله عز وجل من صلاة المغرب بها يفتح العبد ليله ويختم بها نهاره ـ لم يحطها عن مسافر ولا مقيم، من صلاها وصلى بعدها ركعتين من غير أن يكلم جليسًا ـ كتبت في عليين أو رفعت في عليين ـ شك محمد بن عون ـ فإن صلاها وصلى بعدها أربعًا، من غير أن يكلم جليسًا ـ بنى الله عز وجل له قصرين مكللين بالدر والياقوت بينهما من الجنات ما لا يعلم علمه إلا هو وإن صلاها وصلى بعدها ستًا من غير أن يكلم جليسًا غفر له ذنوب أربعين عامًا».

قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف:

أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من رواية عبدالعزيز بن عمر: سمعت مكحولاً يقول: بلغني أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «من صلى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبتا ـ أو قال: رفعتا ـ في عليين» هذا مرسل. وقد روي موصولاً عن أنس عن عائشة ـ رضي الله عنهما ـ

أما حديث أنس فرواه الدارقطني في غرائب مالك، من رواية أحمد بن سليمان الأسدي عنه عن الزهري عن أنس به وأتم منه. وقال: هذا موضوع على مالك. وأما حديث عائشة فرواه ابن شاهين في الترغيب ـ وفي إسناده جعفر بن جميع. انتهى.

وأما المرسل: فرواه عبدالرزاق في مصنفه (٣/ ٧٠) رقم (٤٨٣٣)، وعزاه الزيلعي (٣/ ٣٦٠) لابن أبي شيبة.

من طريق عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز قال: سمعت مكحولاً يقول: بلغني أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: من صلى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبتا»، أو قال: «رفعتا في عليين».

١٤٩٦ ـ بيض له الزيلعي (٣/ ٣٦١) وقال الحافظ: لم أجده. انتهى.

وسط الأرض. وقيل: من تحت أقدامهم. وقيل: من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة: أيتها العظام البالية، و﴿ٱلصَّيۡحَةَ﴾ النفخة الثانية ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بالصيحة، والمراد به البعث والحشر للجزاء.

﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ٤٤﴾

وقرئ: «تشقق» وتشقق بإدغام التاء في الشين، وتشقق على البناء للمفعول، وتنشق ﴿سِرَاعٗاۚ﴾ حال من المجرور ﴿عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾ تقديم الظرف يدل على الاختصاص، يعني: لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن، كما قال تعالى: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ﴾ [لقمان: ٢٨].

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ تهديد لهم وتسلية لرسول الله ﷺ ﴿بِجَبَّارٖۖ﴾ كقوله تعالى: ﴿بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] حتى تقسرهم على الإيمان، إنما أنت داع وباعث[1]. وقيل: أريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم. ويجوز أن يكون من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه، أي: ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الإيمان. وعلى بمنزلته في قولك: هو عليهم، إذا كان واليهم ومالك أمرهم ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥﴾ [النازعات: ٤٥] لأنه لا ينفع إلا فيه دون المصرّ على الكفر.

عن رسول الله ﷺ «من قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات[2] الموت وسكراته» (١٤٩٧).

١٤٩٧ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه ـ انتهى.

---

(١) قوله: «إنما أنت داع وباعث» أي: تبعث الناس على الإيمان. (ع)

(٢) قوله: «هون الله عليه تارات الموت» في الصحاح: فعل ذلك الأمر تارة بعد تارة، أي: مرة بعد مرة. (ع)

سورة الذاريات

مكية وآياتها ٦٠ [نزلت بعد الأحقاف]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦ ﴾

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ الرياح لأنها تذرو التراب وغيره. قال الله تعالى: ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف: ٤٥] وقرئ بإدغام التاء في الذال ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢﴾ السحاب، لأنها تحمل المطر. وقرئ: «وقرًا» بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر. أو على إيقاعه موقع حملاً ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣﴾ الفلك. ومعنى (يسرًا): جريا ذا يسر، أي ذا سهولة ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾ الملائكة، لأنها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها. أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك. وعن مجاهد: تتولى تقسيم أمر العباد: جبريل للغلظة، وميكائيل للرحمة. وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ. وعن عليّ رضي الله عنه أنه قال وهو على المنبر: سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي، فقام ابن الكوّاء فقال: ما الذاريات ذروا؟ قال: الرياح. قال: فالحاملات وقرًا؟ قال السحاب. قال: فالجاريات يسرًا؟ قال: الفلك. قال فالمقسمات أمرًا؟ قال: الملائكة (١٤٩٨) وكذا عن ابن عباس

١٤٩٨ ـ رواه الحاكم في المستدرك (٢/٤٦٦ ـ ٤٦٧)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ا. هـ.
ورواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/٢٤١)، وابن جرير في تفسيره (١١/٤٤٢) رقم (٣٢٠١٦). وروى البزار في مسنده رقم (٢٢٥٩ ـ كشف) حدثنا إبراهيم بن هانىء ثنا سعيد بن سلام العطار ثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: جاء صبيغ بن عسل التميمي إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن «الذاريات ذروا» قال: هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله عليه وسلم ـ يقوله ما قلته قال: فأخبرني عن: «الحاملات وقرًا» قال: هي السحاب. . فذكر حديثًا طويلاً.
وعزاه الزيلعي (٣/٣٦٦) لابن مردويه في تفسيره، من حديث عبدالله بن موسى: عن ابن أبي سبرة به سندًا ومتنًا، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه الحاكم والطبري وغيرهما من رواية أبي الطفيل قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله =

(١٤٩٩). وعن الحسن (المقسمات) السحاب، يقسم الله بها أرزاق العباد، وقد حملت على الكواكب السبعة، ويجوز أن يراد: الرياح لا غير؛ لأنها تنشىء السحاب وتقله وتصرفه، وتجري في الجو جريًا سهلًا، وتقسم الأمطار بتصريف السحاب. فإن قلت: ما معنى الفاء على التفسيرين؟ قلت: أمّا على الأوّل فمعنى التعقيب فيها أنه تعالى أقسم بالرياح، فبالسحاب الذي تسوقه، فبالفلك التي تجريها بهبوبها، فبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر ومنافعه. وأمّا على الثاني، فلأنها تبتدىء بالهبوب[1]، فتذروا التراب والحصباء، فتنقل السحاب، فتجري في الجوّ باسطة له فتقسم المطر ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ جواب القسم، وما موصولة أو مصدرية، والموعود: البعث. ووعد صادق: كعيشة راضية. والدين: الجزاء. والواقع: الحاصل.

﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾

﴿الْحُبُكِ﴾ الطرائق، مثل حبك الرمل والماء: إذا ضربته الريح، وكذلك حبك الشعر: آثار تثنيه وتكسره. قال زهير [من البسيط]:

مُـكَـلَّـلٌ بِـأُصُـولِ الـنَّـجْـمِ تَـنْـسِـجُـهُ ... رِيحٌ خَرِيقٌ لِضَاحِي مَائِهِ حُبُكُ[2] / ٢/١٩٦ب

= عنه ـ على المنبر فذكره، وزاد فيه: قال: «فمن الذين بدلوا نعمة الله كفرًا؟ قال: هم منافقو قريش»، وفي الباب عن عمر مرفوعًا أخرجه البزار، وفيه قصة منبع، وقال ابن أبي سبرة: لين الحديث، وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث ا.هـ. ولم ينفرد به سعيد فقد رواه ابن مردويه من طريق عبيد بن موسى عن أبي سبرة أيضًا. انتهى.

١٤٩٩ ـ رواه الطبري في التفسير (١١/٤٤٢) رقم (٣٢٠٣٣) حدثني محمد بن سعد قال: ثنى أبي قال: ـ ثنى عمي قال: ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله «فالحاملات وقرًا» قال: السحاب قوله: «فالمقسمات أمرًا». قال: الملائكة» ا. هـ.

---

(١) قوله: «فلأنها تبتدىء بالهبوب» لعله: فإنها. (ع)

(٢) حتى استغاثت بماء لا رشاء له ... من الأباطح في حافاته البرك
مكلل بأصول النجم تنسجه ... ريح خريق لضاحي مائه حبك
كما استغاث بسيء فزُّ غيطلة ... خاف العيون ولم ينظر به الحشك

لزهير: يصف قطاة فرت من صقر حتى استغاثت منه بماء قريب لا رشاء له، أي: لا حبل يستقي به منه لعدم احتياجه إليه من الأباطح، أي: في الأمكنة المتسعة المستوية؛ فإن أراد من الماء مكانه؛ فمن بيانية، في حافاته أي جوانبه البرك جمع بركة، كرطب ورطبة نوع من طير الماء يكلل ذلك الماء بأصول النجم، أي: النبات الذي لا ساق له. وروي بعميم النجم، أي: طويله، تنسجه: أي تثنيه تثنيًا منتظمًا كالنسج، فهو استعارة مصرحة. والخريق ـ بالقاف ـ: الباردة والشديدة السير. والضاحي: الظاهر. والحبك: الطريق في وجه الماء إذا ضربته الريح. جمع حباك أو حبيكة. =

والدرع محبوكة؛ لأنّ حلقها مطرّق طرائق. ويقال: إنّ خلقه السماء كذلك. وعن الحسن: حبكها نجومها. والمعنى: أنها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي. وقيل: حبكها صفاقتها وإحكامها، من قولهم: فرس محبوك المعاقم[1]؛ أي محكمها. وإذا أجاد الحائك الحياكة قالوا: ما أحسن حبكه، وهو جمع حباك، كمثال ومثل. أو حبيكة، كطريقة وطرق. وقرئ: «الحبك» بوزن القفل. والحبك، بوزن السلك. والحبك، بوزن الجبل. والحبك بوزن البرق. والحبك بوزن النعم. والحبك بوزن الإبل ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ قولهم في الرسول: ساحر وشاعر ومجنون، وفي القرآن: شعر وسحر وأساطير الأوّلين. وعن الضحاك: قول الكفرة لا يكون مستويًا، إنما هو متناقض مختلف. وعن قتادة: منكم مصدّق ومكذب، ومقرّ ومنكر ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾ الضمير للقرآن وللرسول، أي: يصرف عنه، من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه[2] وأعظم؛ كقوله: لا يهلك على الله إلا هالك. وقيل: يصرف عنه من صرف في سابق علم الله، أي: علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوي. ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين: أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق، ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه، فمنهم شاكّ، ومنهم جاحد. ثم قال: يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك. ووجه آخر: وهو أن يرجع الضمير إلى قول مختلف وعن مثله في قوله [من السريع]:

يَــنْــهَــوْنَ عَــنْ أَكْــلٍ وَعَــنْ شُــرْبِ ....[3]

= والسيء بالفتح وبالكسر: اللبن في طرف الثدي. والفز: ولد البقرة الوحشية. والغيطلة: الشجر الملتف؛ فإضافة الفز إليها لأنه فيها. وقيل: هي البقرة الوحشية. والعيون هنا: رقباء الصيد وجواسيسه. وحشكت الدرة باللبن حشكًا وحشوكًا: امتلأت به. وحرك الحشك هنا للضرورة، أي: لم ينتظر به امتلاء الدرة، ولعمري نعمت هذه الاستغاثة. وفيه دلالة على أنها كانت ظمآنة.
ينظر: ديوانه ص ١٧٦، ولسان العرب (نسج)، (خرق)، (حبك)، (نجم)، وجمهرة اللغة ص ٢٨٣، وأساس البلاغة (حبك)، وتاج العروس (نسج)، (حبك)، (نجم)، وبلا نسبة في المخصّص ١٤٩/٩.

(١) قوله: «فرس محبوك المعاقم» في الصحاح: المعاقم من الخيل: المفاصل، فالراسغ عند الحافر معقم، والركبة معقم، والعرقوب معقم. اهـ. (ع)

(٢) قال محمود: «يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه... إلخ» قال أحمد: إنما أفاد هذا النظم المعنى الذي ذكر من قبل أنك إذا قلت: يصرف عنه من صرف، علم السامع أن قولك يصرف عنه يغني عن قولك من صرف، لأنه بمجرده كالتكرار للأول، لولا ما يستشعر فيه من فائدة تأبى جعله تكرارًا، وتلك الفائدة أنك لما خصصت هذا بأنه هو الذي صرف، أفهم أن غيره لم يصرف، فكأنك قلت: لا يثبت الصرف في الحقيقة إلا لهذا، وكل صرف دونه فكلا صرف بالنسبة إليه، والله تعالى أعلم.

(٣) يـنـهـون عـن أكـل وعـن شـرب   مـثـل الـمـهـا يـرتـعـن فـي خـصـب =

أي: يتناهون في السمن بسبب الأكل والشرب. وحقيقته: يصدر تناهيهم في السمن عنهما، وكذلك يصدر إفكهم عن القول المختلف. وقرأ سعيد بن جبير: يؤفك عنه من أفك، على البناء للفاعل. أي: من أفك الناس عنه وهم قريش، وذلك أنّ الحيّ كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله ﷺ، فيقولون له: احذره، فيرجع فيخبرهم. وعن زيد بن عليّ: يأفك عنه من أفك، أي: يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه. وعنه أيضًا: يأفك عنه من أفك؛ أي: يصرف الناس عنه من هو أفاك كذاب. وقرئ: «يؤفن عنه من أفن» أي: يحرمه من حرم، من أفن الضرع إذا نهكه حلبًا.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾﴾ دعاء عليهم، كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧] وأصله الدعاء بالقتل والهلاك، ثم جرى مجرى: لعن وقبح. والخرّاصون: الكذابون المقدرون ما لا يصح، وهم أصحاب القول المختلف، واللام إشارة إليهم، كأنه قيل: قتل هؤلاء الخراصون. وقرئ: «قتل الخراصين» أي: قتل الله ﴿فِى غَمْرَةٍ﴾ في جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عما أمروا به ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ فيقولون: «أيان يوم الدين» أي متى يوم الجزاء؟ وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة. فإن قلت: كيف وقع أيان ظرفًا لليوم، وإنما تقع الأحيان ظروفًا للحدثان؟ قلت: معناه: أيان وقوع يوم الدين. فإن قلت: فيم انتصب اليوم الواقع في الجواب؟ قلت: بفعل مضمر دلّ عليه السؤال، أي: يقع يوم هم على النار يفتنون، ويجوز أن يكون مفتوحًا لإضافته إلى غير متمكن وهي الجملة. فإن قلت: فما محله مفتوحًا؟ قلت: يجوز أن يكون محله نصبًا بالمضمر الذي هو يقع؛ ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون. وقرأ ابن أبي عبلة بالرفع ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يحرقون ويعذبون. ومنه الفتين: وهي الحرّة؛ لأن حجارتها كأنها محرقة ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ في محل الحال، أي: مقولاً لهم هذا القول ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ، و﴿ٱلَّذِى﴾ خبره، أي: هذا العذاب هو الذي ﴿كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ويجوز أن يكون هذا بدلاً من فتنتكم؛ أي: ذوقوا هذا العذاب.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟

= يقال: نهي الجمل فهو ناه، إذا فرط في السمن. والمها: جمع مهاة وهي البقرة الوحشية. ويقال: أخصب المكان فهو مخصب، وأخصبه الله. وخصب خصبًا، كتعب تعبًا، وعلم علمًا: إذا كثر كلأه ونباته. يصف أضيافًا بأنهم يصدر تناهيهم وسمنهم عن الأكل والشرب. وشبههم بالمها اللاتي يرتعن في الكلأ، فالخصب في الأصل: مصدر سمي به الكلأ.

﴿قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قابلين لكل ما أعطاهم راضين به، يعني أنه ليس فيما آتاهم إلا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط، لأن جميعه حسن طيب. ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤] أي يقبلها ويرضاها ﴿مُحْسِنِينَ﴾ قد أحسنوا أعمالهم، وتفسير إحسانهم ما بعده ﴿مَا﴾ مزيدة. والمعنى: كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل إن جعلت قليلاً ظرفًا، ولك أن تجعله صفة للمصدر، أي: كانوا يهجعون هجوعًا قليلاً. ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية أو موصولة؛ على: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، أو ما يهجعون فيه، وارتفاعه بـ «قليلاً» على الفاعلية[(١)]. وفيه مبالغات لفظ الهجوع، وهو الفرار من النوم[(٢)]. قال [من السريع]:

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ[(٣)]

---

(١) ذكر الزمخشري فيه وجهين أن تكون ما زائدة وقليلاً ظرف منتصب بيهجعون، أي: كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل. أو تكون (ما) مصدرية أو موصولة على: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم. أو ما يهجعون فيه، وارتفاعه بقليلاً على الفاعلية» قال أحمد: وجوه مستقيمة خلا جعل (ما) مصدرية، فإن قليلاً حينئذ واقع على الهجوع، لأنه فاعله. وقوله: (من الليل) بيانًا للقليل ولا بيانًا له، ولا يستقيم أن يكون «من» صلة المصدر لأنه تقدم عليه، ولا كذلك على أنها موصولة، فإن قليلاً حينئذ واقع على الليل، كأنه قال: قليلاً المقدار الذي كانوا يهجعون فيه من الليل، فلا مانع أن يكون (من الليل) بيانًا للقليل على هذا الوجه، وهذا الذي ذكره إنما تبع فيه الزجاج. وقد رد الزمخشري أن تكون ما نفيًا وقليلاً منصوب بيهجعون على تقدير: كانوا ما يهجعون قليلاً من الليل، وأسند رده إلى امتناع تقدم ما في حيز النفي عليه. قلت: وفيه خلل من حيث المعنى، فإن طلب قيام جميع الليل غير مستثنى منه الهجوع وإن قل غير ثابت في الشرع ولا معهود. ثم قال: وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين، فإذا سحروا شرعوا في الاستغفار. كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم. قال: وقوله: (هم) معناه: هم الأحقاء بالاستغفار دون المصرين. قال: وفي الآية مبالغات منها لفظ الهجوع وهو الخفيف الفرار من النوم. قال: وقوله: (قليلاً) وقوله: (من الليل) لأنه وقت السبات. قال: ومنها زيادة ما في بعض الوجوه. قلت: وفي عدها من المبالغة نظر؛ فإنها تؤكد الهجوع وتحققه، إلا أن يجعلها بمعنى القلة فيحتمل.

(٢) قوله: «وهو الفرار من النوم» في الصحاح: الفرار بالكسر: النوم القليل اهـ. (ع)

(٣) قد حصت البيضة رأسي فما أطعم نومًا غير تهجاع
أسعى على جل بني مالك كل امرىء في شأنه ساع

لقيس بن الأسلت. وحصت: أهلكت أو حلقت، البيضة التي تلبس على الرأس في الحرب، أي حلقت شعر رأسي من دوام لبسها للحرب. وشبه النوم بالمطعوم لاستلذاذ مباديه على طريق المكنية، وأطعم: أي أتناول تخييل لذلك والتهجاع: التغافل قليلاً لطرد النوم؛ فالاستثناء منقطع. =

وقوله: ﴿قَلِيلًا﴾ و﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ لأن الليل وقت السبات والراحة، وزيادة ﴿مَا﴾ المؤكد لذلك: وصفهم/ ٢/ ١٩٧أ بأنهم يحيون الليل متهجدين، فإذا أسحروا أخذوا في الاستغفار، كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم. وقوله: ﴿هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ فيه أنهم هم المستغفرون الأحقاء بالاستغفار دون المصرّين، فكأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطنابهم فيه. فإن قلت: هل يجوز أن تكون ما نافية كما قال بعضهم، وأن يكون المعنى: أنهم لا يهجعون من الليل قليلاً، ويحيونه كله؟ قلت: لا، لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. تقول: زيدًا لم أضرب، ولا تقول: زيدًا ما ضربت: السائل: الذي يستجدي ﴿وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ الذي يحسب غنيًا فيحرم الصدقة لتعففه. وعن النبي ﷺ: «ليس المسكين الذي تردّه الأكلة والأكلتان واللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان» قالوا: فما هو؟ قال: «الذي لا يجد ولا يتصدق عليه» (١٥٠٠) وقيل: الذي لا ينمى له مال. وقيل: المحارف[(١)] الذي لا يكاد يكسب.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ (٢١)﴾

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ﴾ تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوّة كالبساط لما فوقها كما قال: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾ [طه: ٥٣] وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها، وهي مجزأة: فمن سهل وجبل وبر وبحر. وقطع

١٥٠٠ ـ رواه البخاري (٤/ ١٠٤) كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى: «لا يسألون الناس إلحافًا» الحديث (١٤٧٩) ومسلم (٤/ ١٣٩) كتاب الزكاة، باب: المسكين الذي لا يجد غنى، الحديث (١٠٣٩).
وأبو داود (١/ ٥١٣) كتاب الزكاة، باب: من يعطي من الصدقة وحد الغنى، الحديث (١٦٣١).
والنسائي (٥/ ٨٥) كتاب الزكاة، باب: تفسير المسكين، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة. انتهى.

= وجلهم: مهم أمورهم ومعظمها كالغارات يدفعها عنهم. وروي: على حبل بني مالك، وعليه فشبه العهد بالحبل للتوثق والتوصل بكل على طريق التصريحية، أي: أسعى في شأني متمسكًا بعهدهم، وعلى الأول فقوله: «كل امرىء في شأنه ساع» فيه دلالة على إلزام نفسه بشأنهم، وأنه شأنه.

ينظر: ديوانه ص ٧٨، ولسان العرب (حصص)، (هجع)، وتهذيب اللغة، وجمهرة اللغة ص ٩٨، ومجمل اللغة ٢/ ١٤، وديوان الأدب ٣/ ١٢٦، وتاج العروس (حصص)، ٢٢/ ٣٨٤ (هجع)، وشرح اختيارات المفضل ص ١٢٣٦، وبلا نسبة في كتاب العين ٣/ ١٤، ومقاييس اللغة ٢/ ١٣، والمخصّص ١/ ٧٠ وأساس البلاغة (هجع).

(١) قوله: «وقيل المحارف» في الصحاح: رجل محارف، بفتح الراء: أي محدود محروم، خلاف قولك: مبارك اهـ. (ع)

متجاورات: من صلبة ورخوة، وعذاة[1] وسبخة؛ وهي كالطروقة تلقح بألوان النبات وأنواع الأشجار بالثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ﴿وَنُفَضِّلُ بعضها على بعض في الأكل﴾ [الرعد: ٤] وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم، وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدّواب المنبثة في برّها وبحرها المختلفة الصور والأشكال والأفعال: من الوحشي والإنسي والهوام، وغير ذلك ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾ الموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة، فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة، كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها، فازدادوا إيمانًا مع إيمانهم، وإيقانًا إلى إيقانهم ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق: ما تتحير فيه الأذهان، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من أصناف المعاني، وبالألسن، والنطق، ومخارج الحروف، وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها: من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر، دع الأسماع والأبصار والأطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له، وما سوّى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني. فإنه إذا جسا[2] شيء منها جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل، فتبارك الله أحسن الخالقين.

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ هو المطر؛ لأنه سبب الأقوات. وعن سعيد بن جبير: هو الثلج وكل عين دائمة منه. وعن الحسن: أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم، ولكنكم تحرمونه لخطاياكم ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الجنة: هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش. أو أراد: أن ما ترزقونه في الدنيا وما توعدون به في العقبى كله مقدّر مكتوب في السماء. قرئ: «مثل ما» بالرفع صفة للحق، أي حق مثل نطقكم، وبالنصب على: إنه لحق حقًا مثل نطقكم. ويجوز أن يكون فتحًا لإضافته إلى غير متمكن. وما مزيدة بنص الخليل، وهذا كقول الناس: إن هذا لحق، كما أنك ترى وتسمع، ومثل ما إنك ههنا. وهذا الضمير إشارة إلى ما ذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبي ﷺ؛ أو إلى ما توعدون. وعن الأصمعي: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود له فقال: من الرجل؟ قلت: من بني أصمع. قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام

---

(١) قوله: «وعذاة» في الصحاح «العذاة»: الأرض الطيبة التربة، والجمع عذوات. (ع)
(٢) قوله: «إذا جسا شيء منها» في الصحاح: جست اليد وغيرها جسوًا وجساء: يبست اهـ. (ع)

الرحمٰن. فقال: اتل عليّ، فتلوت ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ فلما بلغت قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ قال: حسبك، فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى، فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف، فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق، فالتفتّ فإذا انا بالأعرابي قد نحل واصفر، فسلم عليّ واستقرأ السورة، فلما بلغت الآية صاح وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت: فوربّ السماء والأرض إنه لحق، فصاح وقال: يا سبحان الله، من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف، لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين؛ قالها ثلاثًا وخرجت معها نفسه.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾ تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله ﷺ، وإنما عرفه بالوحي. والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم؛ لأنه في الأصل مصدر ضافه/ ٢/ ١٩٧ب، وكانوا اثني عشر ملكًا. وقيل: تسعة عاشرهم جبريل. وقيل ثلاثة: جبريل، وميكائيل، وملك معهما. وجعلهم ضيفًا؛ لأنهم كانوا في صورة الضيف: حيث أضافهم إبراهيم. أو لأنهم كانوا في حسبانه كذلك. وإكرامهم: أنّ إبراهيم خدمهم بنفسه، وأخدمهم امرأته، وعجل لهم القرى أو أنهم في أنفسهم مكرمون. قال الله تعالى: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]. ﴿إِذۡ دَخَلُواْ﴾ نصب بالمكرمين إذا فسر بإكرام إبراهيم لهم؛ وإلا فبما في ضيف من معنى الفعل. أو بإضمار اذكر ﴿سَلَٰمٗا﴾ مصدر سادّ مسدّ الفعل مستغنى به عنه. وأصله: نسلم عليكم سلامًا، وأمّا ﴿سَلَٰمٞ﴾ فمعدول به إلى الرفع على الابتداء. وخبره محذوف، معناه: عليكم سلام، للدلالة على ثبات السلام، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به، أخذا بأدب الله تعالى. وهذا أيضًا من إكرامه لهم. وقرئا مرفوعين. وقرئ: «سلاما» قال سلما. والسلم: السلام. وقرئ: سلاما قال سلم ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ أنكرهم للسلام الذي هو علم الإسلام. أو أراد: أنهم ليسوا من معارفه أو من جنس الناس الذين عهدهم، كما لو أبصر العرب قومًا من الخزر[1] أو رأى لهم حالاً وشكلاً خلاف حال الناس وشكلهم، أو كان هذا سؤالاً لهم، كأنه قال: أنتم قوم

---

(١) قوله: «قومًا من الخزر» في الصحاح: الخزر: جيل من الناس. والأخزر: ضيق العين صغيرها، كما أفاده الصحاح. (ع)

منكرون، فعرّفوني من أنتم ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ فذهب إليهم في خفية من ضيوفه؛ ومن أدب المضيف أن يخفي أمره[١]، وأن يبادره بالقرى من غير أن يشعر به الضيف، حذرًا من أن يكفه ويعذره. قال قتادة: كان عامة مال نبي الله إبراهيم: البقر ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾. والهمزة في ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ للإنكار: أنكر عليهم ترك الأكل. أو حثهم عليه ﴿فَأَوۡجَسَ﴾ فأضمر. وإنما خافهم لأنهم لم يتحرّموا بطعامه[٢] فظن أنهم يريدون به سوءًا. وعن ابن عباس: وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب. وعن عون بن شداد: مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمّه ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ أي يبلغ ويعلم. وعن الحسن: عليم: نبيّ، والمبشر به إسحاق، وهو أكثر الأقاويل وأصحها؛ لأن الصفة صفة سارّة لا هاجر، وهي امرأة إبراهيم وهو بعلها. وعن مجاهد: هو إسماعيل ﴿فِي صَرَّةٖ﴾ في صيحة، من: صر الجندب، وصرّ القلم والباب، ومحله النصب على الحال، أي: فجاءت صارّة. قال الحسن: أقبلت إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر إليهم، لأنها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء، وقيل: فأخذت في صرة، كما تقول: أقبل يشتمني. وقيل: صرتها قولها: أوه. وقيل: يا ويلتا. وعن عكرمة: رنتها[٣] ﴿فَصَكَّتۡ﴾ فلطمت ببسط يديها. وقيل: فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب ﴿عَجُوزٌ﴾ أنا عجوز، فكيف ألد ﴿كَذَٰلِكِ﴾ مثل ذلك الذي قلنا وأخبرنا به ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ أي إنما نخبرك عن الله، والله قادر على ما تستبعدين. وروي أنّ جبريل قال لها: انظري إلى سقف بيتك، فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة.

﴿۞ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾

لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون إلا بإذن الله رسلاً في بعض الأمور ﴿قَالَ فَمَا

---

(١) قال محمود: «فيه إشارة لاختفائه من ضيوفه، ومن أدب المضيف أن يخفي أمره... إلخ» قال أحمد: معنى حسن، وقد نقل أبو عبيد أنه لا يقال: راغ إلا إذا ذهب على خفية. ونقل أبو عبيد في قوله عليه السلام: «إذا كفى أحدكم خادمه حر طعامه فليقعده معه، وإلا فليروغ له لقمة» قال أبو عبيد: يقال روغ اللقمة وسغبلها وسغسغها ومرغها: إذا غمسها فرويت سمنًا. قلت: وهو من هذا المعنى، لأنها تذهب مغموسة في السمن حتى تخفى ومن مقلوبه: غور الأرض والجرح وسائر مقلوباته قريبة من هذا المعنى، والله أعلم.

(٢) قوله: «لأنهم لم يتحرموا بطعامه» في الصحاح «الحرمة»: ما لا يحل انتهاكه، وقد تحرم بصحبته اهـ. وهو يفيد أن التحرم مراعاة الحرمة، من حيث لا يحل انتهاكها. (ع)

(٣) قوله: «رنتها» في الصحاح الرنة» الصوت: يقال: رنت المرأة رنينًا وأرنت أيضًا: صاحت. (ع)

﴿خَطْبُكُمْ﴾ أي: فما شأنكم وما طلبكم ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ إلى قوم لوط ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ يريد: السجيل، وهو طين طبخ كما يطبخ الآجرّ، حتى صار في صلابة الحجارة ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة، من السومة، وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به. وقيل: أعلمت بأنها من حجارة العذاب. وقيل: بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا. سماهم مسرفين، كما سماهم عادين، لإسرافهم وعدوانهم في عملهم: حيث لم يقنعوا بما أبيح لهم. الضمير في ﴿فِيهَا﴾ للقرية، ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة. وفيه دليل على أنّ الإيمان والإسلام واحد، وأنهما صفتا مدح. قيل: هم لوط وابنتاه. وقيل: كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر. وعن قتادة: لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم، ليعلموا أن الإيمان محفوظ لا ضيعة على أهله عند الله ﴿ءَايَةً﴾ علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم. قال ابن جريج: هي صخر منضود فيها. وقيل: ماء أسود منتن.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ عطف على ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾ أو على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ على معنى: وجعلنا في موسى آية/ ١٩٨/٢أ؛ كقوله [من الرجز]:

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا .... [1]

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ فازورّ، وأعرض، كقوله تعالى: ﴿ونأى بجانبه﴾ [فصلت: ٥١] وقيل: فتولى بما كان يتقوّى به من جنوده وملكه. وقرئ: «بركنه»، بضم الكاف ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ﴾ أي هو ساحر ﴿مُلِيمٌ﴾ آت بما يلام عليه من كفره وعناده، والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه. فإن قلت: كيف وصف نبيّ الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصافات: ١٤٢]؟ قلت: موجبات اللوم تختلف على حسب اختلافهما تختلف مقادير اللوم، فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها، وكذلك مقترف الصغيرة. ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾ [هود: ٥٩]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: ١٢١] لأنّ الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان، كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ٱلْعَقِيمَ﴾ التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر، وهي ريح الهلاك. واختلف

(١) تقدم.

فيها: فعن علي رضي الله عنه: النكباء (١٥٠١). وعن ابن عباس: الدبور. وعن ابن المسيب: الجنوب. الرميم (١٥٠٢): كل ما رم أي بلي وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تفسيره قوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فاستكبروا عن امتثاله. وقرئ: «الصعقة» وهي المرّة، من مصدر صعقتهم الصاعقة: والصاعقة النازلة نفسها ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ كانت نهارًا يعاينونها. وروي أن العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون إليهم وما ضرَّتهم ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٧] وقيل: هو من قولهم: ما يقوم به، إذا عجز من دفعه ﴿مُنتَصِرِينَ﴾ ممتنعين من العذاب.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَقَوْمَ﴾ قرئ: بالجر على معنى: وفي قوم نوح وتقوّيه قراءة عبد الله: وفي قوم نوح. وبالنصب على معنى: وأهلكنا قوم نوح؛ لأنّ ما قبله يدل عليه. أو واذكر قوم نوح.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿بِأَيْيدٍ﴾ بقوّة. والأيد والآد. القوّة. وقد آد يئيد وهو أيد ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرون، من الوسع وهو الطاقة. والموسع: القوي على الإنفاق. وعن الحسن: لموسعون الرزق بالمطر. وقيل: جعلنا بينها وبين الأرض سعة ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ فنعم الماهدون نحن.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي من كل شيء من الحيوان ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى. وعن

١٥٠١ ـ عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٣٩) للفريابي، وابن المنذر.

١٥٠٢ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٤٦٩) (٣٢٢٢٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٣٣٩) (٨٤٦) كلاهما من طريق ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبدالرحمن عن سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ قال: «الريح العقيم الجنوب».
وعزاه السيوطي في الدر (٦/ ١٣٩) لابن المنذر، وأخرجه أيضًا الطبري (١١/ ٤٦٩) (٣٢٢٢٧) من قول الحارث بن عبدالرحمن.

الحسن: السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والبرّ والبحر، والموت والحياة؛ فعدّد أشياء وقال: كل اثنين منها زوج، والله تعالى فرد لا مثل له ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج إرادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ (٥٠) وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ (٥١)﴾

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي إلى طاعته وثوابه[1] من معصيته وعقابه، ووحدوه ولا تشركوا به شيئًا، وكرّر قوله: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك، ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل، كما أنّ العمل لا ينفع إلا مع الإيمان، وأنه لا يفوز عند الله إلا الجامع بينهما. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨] والمعنى: قل يا محمد: ففرّوا إلى الله.

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ (٥٣)﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الأمر، أي مثل ذلك، وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول ﷺ وتسميته ساحرًا ومجنونًا، ثم فسر ما أجمل بقوله ﴿مَآ أَتَى﴾ ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بأتي؛ لأنّ ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. ولو قيل: لم يأت، لكان صحيحًا، على معنى: مثل ذلك الإتيان لم يأت من قبلهم رسول إلا قالوا ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾ الضمير للقول، يعني: أتواصى الأوّلون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعًا متفقين عليه ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ أي لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد، بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان، والطغيان هو الحامل عليه.

---

(١) قال محمود: «معنى ففروا إلى الله، أي: إلى طاعته من معصيته وإلى ثوابه. . . إلخ» قال أحمد: حمل الآية ما لم تحمله، لأنه لا يكاد يخلي سورة حتى يدس في تفسيرها بيده إلى معتقده، فدس ههنا القطع بوعيد الفساق وبخلودهم كالكفار، ولا تحتمل الآية لما ذكر؛ فإن العناية في قوله: (ففروا إلى الله) الفرار إلى عبادة الله فتوعد من لم يعبد الله، ثم نهى عابده أن يشرك بعبادة ربه غيره، وتوعده على ذلك. وفائدة تكرار النذارة للدلالة على أنه لا تنفع العبادة مع الإشراك، بل حكم المشرك حكم الجاحد المعطل، لا كما قال الزمخشري: المأمور؛ في الأول الطاعة الموظفة بعد الإيمان، فتوعد تاركها بالوعيد المعروف له وهو الخلود. وعلى هذا لا يكون تكرارًا على اختلاف الوعيدين، فهو أولى، فكيف يحمل الآية على خلاف ما هو أولى بها، ليتم الاستدلال بها على معتقده الفاسد، نعوذ بالله من ذلك.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عن الذين كرّرت عليهم الدعوة فلم يجيبوا، وعرفت عنهم العناد واللجاج، فلا لوم عليك في إعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة، ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي تؤثر في الذين عرف الله منهم أنهم يدخلون في الإيمان. أو يزيد الداخلين فيه إيمانًا. وروي أنه لما نزلت ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ حزن رسول الله ﷺ واشتد ذلك على أصحابه، ورأوا أنّ الوحي قد انقطع وأنّ العذاب قد حضر، فأنزل الله. وذكر (١٥٠٣).

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

أي: وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة، ولم أرد من جميعهم إلا إياها[(١)]. فإن قلت: لو كان مريدًا[(٢)] للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادًا؟ قلت: إنما أراد منهم أن يعبدوه

١٥٠٣ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٤٧٥) (٣٢٢٦١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) (١٧٥٠) كلاهما من طريق إسماعيل بن علية قال: أخبرنا أيوب عن مجاهد قال: خرج علي معتجرًا ببرد، مشتملاً بخميصة فقال: لما نزلت: «فتول عنهم فما أنت بملوم» أحزننا ذلك. . . .
وأخرجه أيضًا إسحاق بن راهويه، وأحمد بن منيع، والهيثم بن كليب في أسانيدهم، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة كما في الدر المنثور للسيوطي (٦/ ١٤١).

---

(١) قال محمود: «إلا لأجل العبادة، ولم أرد من جميعهم إلا إياها. . . إلخ» قال أحمد: من عاداته أنه إذا استشعر أن ظاهرًا موافق لمعتقده نزله على مذهبه بصورة إيراد معتقد أهل السنة سؤالاً، وإيراد معتقده جوابًا؛ فكذلك صنع ههنا، فنقول: السؤال الذي أورده مما لا يجاب عنه بما ذكره؛ فإنه سؤال مقدماته قطعية عقلية، فيجب تنزيل الآية عليه، وهي أن ظاهر سياق الآية دليل لأهل السنة، فإنها إنما سيقت لبيان عظمته عز وجل، وأن شأنه مع عبيده لا يقاس به شأن عبيد الخلق معهم، فإن عبيدهم مطلوبون بالخدمة والتكسب للسادة، وبواسطة مكاسب عبيدهم قدر أرزاقهم. والله تعالى لا يطلب من عباده رزقًا ولا إطعامًا، وإنما يطلب منهم عبادته لا غير، وزائد على كونه لا يطلب منهم رزقًا أنه هو الذي يرزقهم، فهذا المعنى الشريف هو الذي تحلى تحت راية هذه الآية، وله سيقت، وبه نطقت، ولكن الهوى يعمي ويصم؛ فحاصله: وما خلقت الجن والإنس إلا لأدعوهم إلى عبادتي، وهذا ما لا يعدل عنه أهل السنة، فإنه وافق معتقدهم وبالله التوفيق.

(٢) قوله: «لو كان مريدًا للعبادة» قد يقال: لا يلزم من خلقهم للعبادة أن يريدها من جميعهم. وقوله: «مع كونه مريدًا لها» هذا على مذهب المعتزلة من أن إرادة الله الفعل من العبد بمعنى الأمر. وأما مذهب أهل السنة فكل ما أراده الله كان، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد. وتحقيقه في علم التوحيد. (ع)

مختارين للعبادة لا مضطرين إليها، لأنه خلقهم ممكنين، فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدًا لها، ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ / ٢/١٩٨ب ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾

يريد: أنّ شأني مع عبادي ليس كشأن السادة مع عبيدهم، فإنّ مُلّاك العبيد إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وأرزاقهم، فإمّا مجهز في تجارة ليفي ربحا. أو مرتب في فلاحة ليغتلّ أرضًا. أو مسلم في حرفة لينتفع بأجرته. أو محتطب. أو محتش. أو طابخ. أو خابز، وما أشبه ذلك من الأعمال والمهن التي هي تصرف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق، فأمّا مالك ملك العبيد وقال لهم: اشتغلوا بما يسعدكم في أنفسكم، ولا أريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم، وأنا غنيّ عنكم وعن مرافقكم، ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي، فما هو إلا أنا وحدي ﴿ٱلْمَتِينُ﴾ الشديد قرئ بالرفع صفة لذو، وبالجر صفة للقوّة على تأويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوّة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء. وقرئ: «الرازق» وفي قراءة النبي ﷺ: إني أنا الرازق.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

الذنوب: الدلو العظيمة، وهذا تمثيل، أصله في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب. قال [من الرجز]:

لَنَا ذَنُوبٌ وَلَكُمْ ذَنُوبُ ... فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيبُ[1]

---

(١) إنا إذا شاربنا شريب ... له ذنوب ولنا ذنوب
فإن أبى كان له القليب

الشريب من يشرب معك. والذنوب: الدلو الممتلئة ماء، والنصيب من الماء. والذنابة: مسيل الماء. والقليب البئر لقلب ترابه، يقول: إنا كرام نشاطر شريبنا، فإن لم يرض بالمناوبة أعطيناه الجميع. وروي بدل المصراعين الأخيرين:

لنا ذنوب ولكم ذنوب ... فإن أبيتم فلنا القليب

ولعل الصواب: فإن أبى أو فإن أبيتم فلنا؛ لئلا ينكر البيت. والمعنى: نقول لمن يشرب معنا ذلك، ففيه دلالة على الشجاعة والغلبة. والشريب كالعشير: يطلق على الواحد والمتعدد.

ينظر: لسان العرب (ذنب)، وتهذيب اللغة ١٤/٤٣٩، والمخصص ١٧/١٨، وكتاب العين ٨/ ١٩٠، وجمهرة اللغة ص ٣٠٦ وتاج العروس (ذنب).

ولما قال عمرو بن شاس [من الطويل]:

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ[1]

قال الملك: نعم وأذنبه. والمعنى: فإنّ الذين ظلموا رسول الله ﷺ بالتكذيب من أهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون. وعن قتادة: سجلا من عذاب الله مثل سجل أصحابهم ﴿مِن يَوْمِهِمُ﴾ من يوم القيامة. وقيل: من يوم بدر.

عن رسول الله ﷺ: من قرأ سورة الذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا (١٥٠٤).

١٥٠٤ ـ تقدم برقم (٣٤٦). وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أُبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

---

(١) وأنت الذي آثاره في عدوه من البؤس والنعمى لهن ندوب
وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نداك ذنوب

لشأس أخي علقمة بن عبيدة، يخاطب الحرث بن أبي شمر الغساني وكان أسيرًا عنده. والندوب ـ في الأصل : آثار الجراح بعد برئها. ومن بيانية، أي: آثاره التي هي البؤس والنعمى. أو ابتدائية، أي: الناشئة منهما، لهن بقايا في عدوه. والبؤس: الشدة. والنعمى: الرخاء. والخابط: الذي يخبط مواضع الفقراء يتفقد أحوالهم من غير تخصيص، ثم قيل لكل طالب: خابط ومختبط. ويجوز أن يكون من قولهم: خبط الشجرة؛ ليسقط ورقها للإبل والغنم فاستعار في نفسه الورق للأموال، والخبط تخييل والمعنى أنه شجاع كريم، بأسه أوهن الأعداء ونعمته ظهرت عليهم بل على جميع الناس وشأس من وضع الظاهر موضع المضمر لإظهار المسكنة والاستعطاف. وقيل: إن القائل عمرو بن شأس، فوضع الظاهر في موضعه. ولما سمع الحرث ذلك قال: نعم وأذنبته، وكسا شأسًا ومن معه، وأركبهم وأطلقهم، ولما استعار الندى للعطاء رشح ذلك بالذنوب: وهو الدلو الممتلئة.
ينظر: ديوانه ص ٤٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٤٠٠، وشرح المفصل ٥/٤٨، ١٠/ ١٥١، والكتاب ٤/ ٤٧١، ولسان العرب (جنب)، (شأس)، (خبط)، ومجالس ثعلب ص ٩٧ وبلا نسبة في سرّ صناعة الإعراب ص ٢١٩، وشرح المفصل ١٠/٤٨، والممتع في التصريف ص ٣٦١، والمنصف ٢/ ٣٣٢.

سورة الطور

مكية، وهي تسع وأربعون، وقيل: ثمان وأربعون آية
[نزلت بعد السجدة]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلطُّورِ (١) وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ (٣) وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ (٤) وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ (٥) وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ (٧) مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا (١٠)﴾

﴿وَٱلطُّورِ (١)﴾: الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين. والكتاب المسطور في الرق المنشور، والرق: الصحيفة. وقيل: الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه الأعمال. قال الله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣] وقيل: هو ما كتبه الله لموسى وهو يسمع صرير القلم. وقيل: اللوح المحفوظ. وقيل القرآن، ونكر لأنه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب، كقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧)﴾ [الشمس: ٧]. ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ (٤)﴾ الضراح[1] في السماء الرابعة. وعمرانه: كثرة غاشيته من الملائكة. وقيل: الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ (٥)﴾ السماء ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ (٦)﴾ المملوء. وقيل: الموقد، من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦)﴾ [التكوير: ٦] وروي أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارًا تسجر بها نار جهنم. وعن علي رضي الله عنه أنه سأل يهوديًا: أين موضع النار في كتابكم؟ قال: في البحر. قال عليّ: فما أراه إلا صادقًا، (١٥٠٥) لقوله تعالى ﴿وَٱلْبَحْرِ

١٥٠٥ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٤٨٢) (٣٢٣٠٩) من طريق ابن علية عن داود عن سعيد بن المسيب قال: قال علي ـ رضي الله عنه ـ لرجل من اليهود أين جهنم؟ فقال: البحر، فقال: ما أراه إلا صادقًا. . . .

=

---

(١) قوله: «والبيت المعمور الضراح في السماء» في الصحاح الضراح» بالضم: بيت في السماء، وهو البيت المعمور. عن ابن عباس. (ع)

﴿الْمَسْجُورِ﴾. ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لنازل. قال جبير بن مطعم: أتيت رسول الله ﷺ أكلمه في الأسارى فألفيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور، فلما بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ أسلمت خوفًا من أن ينزل العذاب (١٥٠٦) ﴿تَمُورُ السَّمَاءُ﴾ تضطرب وتجيء وتذهب. وقيل: المور تحرك في تموّج، وهو الشيء يتردد في عرض كالداغصة في الركبة[1].

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ

= وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤/١٤٠٨) (٩٢٧) من طريق محمد بن مسلم الطائفي عن إبراهيم ابن ميسرة عن سعيد بن المسيب عن علي ـ رضي الله عنه ـ عن يهودي.. قال: «البحر نار الله الكبرى...» ورواه البيهقي في البعث والنشور (ص ٢٦٤ رقم ٤٥٠) من طريقين عن داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب نحوه.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/١٤٥ ـ ١٤٦) لابن المنذر وابن أبي حاتم قلت: والقول بأن البحر هو جهنم روي من حديث مرفوع.
أخرجه أحمد (٤/٢٢٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/١/٧١ و٤/٢/٤١٤)، والحاكم (٤/ ٥٩٦)، والبيهقي(٤/٣٣٤)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/١) من طريق أبي عاصم قال: ثنا عبدالله بن أمية قال: حدثني محمد بن حُيي قال: حدثني صفوان بن يعلى عن أبيه مرفوعًا «البحر هو جهنم...».
وسنده ضعيف لجهالة محمد بن حُيي.
وقال الحافظ ابن حجر:
أخرجه الطبري من رواية داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب قال: قال علي لرجل من اليهود: أين جهنم؟ قال: البحر. قال. ما أراه إلا صادقًا: (والبحر المسجور)، (وإذا البحار سجرت). انتهى.

١٥٠٦ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٧١) ـ لم أجده كذلك، وكذلك قال الحافظ ابن حجر وأخرج البخاري في صحيحه (٢/ ٤٩٤) ـ كتاب الأذان (١٠) ـ باب الجهر في المغرب (٩٩) حديث رقم (٧٦٥)، ومسلم (٢/ ٤١٧) ـ كتاب الصلاة (٤) باب القراءة في الصبح (٣٥) حديث رقم (١٧٤) وأبو داوود (١/ ٢١٤ ـ ٢١٥) كتاب الصلاة ـ باب قدر القراءة في المغرب ـ (٨١٠)، والنسائي (٢/ ١٦٩) ـ كتاب الصلاة ـ باب القراءة في المغرب بالطور ـ (٩٨٧) كلهم من حديث محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: «سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ بالطور في صلاة المغرب ـ وزاد البخاري في رواية (٩/ ٥٨٣) (٤٨٥٤)... فلما بلغ هذه الآية: «أم خلقوا من غير شيءأم هم الخالقون...» كاد قلبي أن يطير... وزاد في أخرى (٦/ ٢٨٠) (٣٠٥٠).. وكان جاء في أساري بدر.
وقال الحافظ ابن حجر:
لم أجده هكذا. والذي جاء في الصحيح «أن ذلك في صلاة المغرب» وأنه قال لما سمع: (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) ـ إلى آخره: كاد قلبي يطير». انتهى.

---

(١) قوله: «كالداغصة في الركبة» هي العظم المدور الذي يتحرك على رأس الركبة، كما في الصحاح. (ع)

دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

غلب الخوض في الاندفاع في الباطل/ ٢/ ١٩٩أ والكذب. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٤٥]، ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ [التوبة: ٦٩] الدّعّ: الدفع العنيف، وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ويدفعونهم إلى النار دفعًا على وجوههم وزخا في أقفيتهم[١]. وقرأ زيد بن عليّ «يدعون» من الدعاء أي يقال لهم: هلموا إلى النار، وادخلوا النار ﴿دَعًّا﴾ مدعوعين، يقال لهم: هذه النار ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر، أفسحر هذا؟ يريد: أهذا المصداق أيضًا سحر؟ ودخلت الفاء لهذا المعنى ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ كما كنتم لا تبصرون في الدنيا، يعني: أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميًا عن الخبر، وهذا تقريع وتهكم ﴿سَوَآءٌ﴾ خبر محذوف، أي: سواء عليكم الأمران: الصبر وعدمه، فإن قلت: لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟ قلت: لأنّ الصبر إنما يكون له مزية على الجزع، لنفعه في العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير، فأما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة، فلا مزية له على الجزع.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ في أية جنات وأيّ نعيم، بمعنى الكمال في هذه الصفة. أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة. وقرئ: «فاكهين فكهين وفاكهون»: من نصبه حالاً جعل الظرف مستقرا، ومن رفعه خبرًا جعل الظرف لغوًا، أي: متلذذين ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾. فإن قلت: علام عطف قوله ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾؟ قلت: على قوله: ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ أو على ﴿ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ على أن تجعل ما مصدرية؛ والمعنى: فاكهين بإيتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم. ويجوز أن تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة. يقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ أكلا وشربًا ﴿هَنِيٓـًٔۢا﴾ أو طعامًا وشرابًا هنيئًا، وهو الذي لا تنغيص فيه. ويجوز أن يكون مثله في قوله [من الطويل]:

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مخَامِرٍ ... لِعَزَّةَ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا ٱسْتَحَلَّتِ[٢]

---

(١) قوله: «وزخا في أقفيتهم» في الصحاح «زخه» أي: دفعه في وهدة اهـ. (ع)

(٢) يكلفها الخنزير شتمي وما بها ... هواني ولكن للمليك استذلت =

أعني: صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعًا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل، ، كأنه قيل: هناء عزة المستحل من أعراضنا، وكذلك معنى ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ ههنا: هناءكم الأكل والشرب. أو هناءكم ما كنتم تعملون؛ أي: جزاء ما كنتم تعملون. والباء مزيدة كما في ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٤٣] والباء متعلقة بكلوا واشربوا إذا جعلت الفاعل الأكل والشرب. وقرئ: بعيس[(١)] عين.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ معطوف على ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: قرناهم بالحور وبالذين آمنوا، أي: بالرفقاء والجلساء منهم، كقوله تعالى: ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] فيتمتعون تارة بملاعبة الحور، وتارة بمؤانسة الإخوان المؤمنين ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه لتقرّبهم عينه» (١٥٠٧) ثم تلا هذه

١٥٠٧ ـ ورد هذا الحديث مرفوعًا وموقوفًا.
أما المرفوع، فأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠٢)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢٣٩) وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٧٢) للبزار في مسنده وابن عدي في الكامل وابن مردويه، والثعلبي في تفسيريهما، كلهم من طريق قيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إن الله ليرفع ذرية المؤمن. . .». =

= هنيئًا مريئًا غير داء مخامر ... لعزة من أعراضنا ما استحلت

لكثير بن صخر صاحب عزة، كان ينشد أشعاره في حلقة البصرة، فمرت به مع زوجها فقال لها: لتغضبنه أو لأضربنك، فقالت: كذا وكذا بفم الشاعر، فقال ذلك. وقيل: خرجت تطلب سمنًا فصادفها كثير فتحادثا، وسكب من إداوة معه في إنائها حتى بل ثوبها، وأنكر ذلك زوجها، فقصت عليه القصص، فأمرها بشتمه فقال ذلك. والمليك: مالك أمرها. وما بها هواني: أي ليست مريدة له. وهنيًا مريئًا: صفتان مستعملتان استعمال المصدر النائب عن فعله، وما استحلت: مرفوع محلا بأحدهما على التنازع، وغير نصب على الحال. ومن أعراضنا بيان لما بعده. والهنيء والمريء: الذي لا تنغيص فيه، المحمود للعاقبة، والمخامر: المخالط، وشبه عرضه بالشراب السائغ على طريق المكنية. وهنيئًا مريئًا: تخييل. ويجوز أن التجوز فيهما على طريق التصريحية.
ينظر: ديوانه ص ١٠٠، وكتاب العين ٤/ ٢٦٤، ومقاييس اللغة ٢/ ٢١٦، والأغاني ٩/ ٣٨، وأمالي القالي ٢/ ١٠٩، وتزيين الأسواق ١/ ١٢٢، وتهذيب اللغة ٧/ ٣٧٦.

(١) قوله: «وقرئ بعيس» في الصحاح: العيس ـ بالكسر ـ: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة، واحدها: أعيس، والأنثى: عيساء، ويقال: هي كرائم الإبل اهـ ولعله هنا استعارة للنساء. (ع)

الآية. فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم، ومزاوجة الحور العين، وبمؤانسة الإخوان المؤمنين، وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم. ثم قال: ﴿بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ أي بسبب إيمان عظيم رفيع المحل، وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها، تفضلاً عليهم وعلى آبائهم، لنتمّ سرورهم ونكمل نعيمهم. فإن قلت: ما معنى تنكير الإيمان؟ قلت: معناه الدلالة على أنه إيمان خاص عظيم المنزلة. ويجوز أن يراد: إيمان الذرية الداني المحل، كأنه قال: بشيء من الإيمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم. وقرئ: وأتبعتهم ذريتهم، واتبعتهم ذريتهم. وذرياتهم: وقرئ: «ذرياتهم» بكسر الذال. ووجه آخر: وهو أن يكون ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مبتدأ خبره ﴿بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ وما بينهما اعتراض ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم﴾ وما نقصناهم. يعني: وفرنا

= وقيس بن الربيع الأسدي أبو محمد الكوفي ضعفه جماعة ووثقه آخرون، قلت: وهو إلى الضعف أقرب.. فقال يحيى بن معين، ليس حديثه بشيء، وقال مرة: ضعيف الحديث لا يُساوي شيئًا، وقال أبو زرعة: فيه لين، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال في موضع آخر: متروك الحديث، وقال البخاري، قال علي: كان وكيع يضعفه راجع تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٥، ٣٨) ت (٤٩٠٣) وقال الحافظ في التقريب (٢/ ١٢٨) صدوق تفسير لماكبر أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به قلت: ومع ضعفه فقد خالف جبلين من جبال الحفظ، أوقفا هذا الحديث على ابن عباس هما شعبة وسفيان الثوري:

* الموقوف

أما رواية شعبة فأخرجها ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨) (٣٢٣٣٨)، (٣٢٣٤٢).

وأما رواية سفيان وهو الثوري:

فأخرجها ابن جرير أيضًا في تفسيره (١١/ ٤٨٨)، وعبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٧) والحاكم في المستدرك (٢/ ١١٧) وعن البيهقي في كتابه الاعتقاد (ص ٨٩ و٩٠) من طرق عن الثوري عن عمرو ابن مرّة به.

وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٧) ـ في رواية المرفوع ـ رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف.

قلت: وللحديث شاهد آخر.

أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٤٠) (١٢٢٤٨) والصغير (١/ ٢٢٩) من طريق محمد بن عبدالرحمن بن غزوان ثنا شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أظنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ قال: إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه... وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٧) وفيه محمد بن عبدالرحمن بن غزوان وهو ضعيف.

وقال الحافظ:

أخرجه البزار وابن عدي، وأبو نعيم في الحلية، وابن مردويه، والثعلبي من طريق قيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعًا. قال البزار تفرد قيس برفعه. ورواه الثوري موقوفًا ورواه الحاكم والبيهقي في الاعتقاد والطبري وابن أبي حاتم من طريق الثوري عن عمرو بن مرة به موقوفًا. انتهى.

عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل، وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء. وقيل معناه: وما نقصناهم من ثوابهم شيئًا نعطيه الأبناء حتى يلحقوا بهم، إنما ألحقناهم بهم على سبيل التفضل. قرئ: «ألتناهم» وهو من بابين: من ألت يألت، ومن ألات يليت، كأمات يميت. وآلتناهم، من آلت يؤلت، كآمن يؤمن. ولتناهم، من لات يليت. وولتناهم، من ولت يلت. ومعناهنّ واحد ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي مرهون، كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به، كما يرهن الرجل عبده بدين عليه، فإن عمل صالحًا فكها وخلصها، وإلا أوبقها ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾ وزدناهم في وقت بعد وقت ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم وإخوانهم ﴿كَأْسًا﴾ خمرًا ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ في شربها ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي لا يتكلمون في أثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين/ ٢/ ١٩٩ب في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم، ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله، أي: ينسب إلى الإثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش، وإنما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك، لأنّ عقولهم ثابتة غير زائلة، وهم حكماء علماء. وقرئ: «لا لغو فيها ولا تأثيم» ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ أي مملوكون لهم مخصوصون بهم ﴿مَّكْنُونٌ﴾ في الصدف، لأنه رطبًا أحسن وأصفى. أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة. وقيل لقتادة: هذا الخادم فكيف المخدوم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» (١٥٠٨). وعنه عليه الصلاة والسلام: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه: لبيك لبيك» (١٥٠٩).

١٥٠٨ ـ أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٨)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٤٩٢) (٣٢٣٧٠) كلاهما من طريق معمر عن قتادة في قوله: «كأنهم لؤلؤ مكنون» قال بلغني أنه قيل: يا رسول الله هذا الخادم مثل اللؤلؤ فكيف المخدوم»... فذكر الحديث وأخرجه الطبري أيضًا (٣٢٣٦٩) من طريق سعيد عن قتادة به.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٧٣) للثعلبي عن الحسن مرسلاً.
وقال الحافظ:
أخرجه عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة به قال فذكره، وأخرجه الثعلبي من رواية الحسن مرسلاً.

١٥٠٩ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٧٣) للثعلبي في تفسيره من طريق وكيع بن الجراح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة...» وذكره الديلمي في الفردوس (١/ ٢٦٧) (٨٣٠) بلفظ المصنف وأخرج الترمذي (٤/ ٦٩٥) ـ كتاب صفة الجنة (٣٩) ـ باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة (٢٥٦٢) من طريق رشدين بن سعد حدثني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان =

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ يتحادثون ويسأل بعضهم بعضًا عن أحواله وأعماله وما استوجب به نيل ما عند الله ﴿مُشْفِقِينَ﴾ أرقاء القلوب من خشية الله. وقرئ: «ووقانا» بالتشديد ﴿عَذَابَ﴾ عذاب النار ووهجها ولفحها. والسموم: الريح الحارّة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لأنها بهذه الصفة ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل لقاء الله تعالى والمصير إليه، يعنون في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده ونسأله الوقاية ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ المحسن ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ العظيم الرحمة الذي إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب. وقرئ: «أنه» بالفتح، بمعنى: لأنه.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَذَكِّرْ﴾ فأثبت على تذكير الناس وموعظتهم، ولا يثبطنك قولهم: كاهن أو مجنون، ولا تبال به فإنه قول باطل متناقض لأنّ الكاهن يحتاج في كهانته إلى فطنة ودقة نظر، والمجنون مغطى على عقله. وما أنت بحمد الله وإنعامه عليك بصدق النبوّة ورجاحة العقل أحد هذين.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قرئ: «يتربص به ريب المنون»، على البناء للمفعول. وريب المنون. ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر. قال [من الكامل]:

= وسبعون زوجة...».

وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين.

قال الحافظ:

أخرجه الثعلبي من رواية عمر بن عبدالعزيز البصري عن يوسف بن أبي طيبة عن وكيع عن هشام عن أبيه عن عائشة نحوه.

أَمِـنَ الـمَـنُـونِ وَرَيْـبِـهِ أَتَـوَجَّـعُ؟ ....(١)

وقيل: المنون الموت، وهو في الأصل فعول؛ من منه إذا قطعه؛ لأن الموت قطوع؛ ولذلك سميت شعوب قالوا: ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء: زهير والنابغة ﴿مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ﴿أَحْلَٰمُهُم﴾ عقولهم وألبابهم. ومنه قولهم: أحلام عاد. والمعنى: أتأمرهُم أحلامهم بهذا التناقض في القول، وهو قولهم: كاهن وشاعر، مع قولهم مجنون. وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ مجاوزون الحدّ في العناد مع ظهور الحق لهم. فإن قلت: ما معنى كون الأحلام آمرة؟ قلت: هو مجاز لأدائها إلى ذلك، كقوله تعالى: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [هود: ٨٧] وقرئ: «بل هم قوم طاغون» ﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾ اختلقه من تلقاء نفسه ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن، مع علمهم ببطلان قولهم، وأنه ليس بمتقوّل لعجز العرب عنه، وما محمد إلا واحد من العرب. وقرئ «بحديث مثله» على الإضافة، والضمير لرسول الله ﷺ، ومعناه: أن مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب، فإن قدر محمد على نظمه كان مثله قادرًا عليه، فليأتوا بحديث ذلك المثل: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟﴾ أم أحدثوا وقدّروا التقدير الذي عليه فطرتهم ﴿مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ من غير مقدّر ﴿أَمْ هُمُ﴾ الذي خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض؟ قالوا: الله، وهم شاكون فيما يقولون، لا يوقنون. وقيل: أخلقوا من أجل لا شيء من جزاء ولا حساب؟ وقيل: أخلقوا من غير أب وأم؟ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ﴾ الرزق حتى يرزقوا النبوّة من شاؤوا. أو: أعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة؟ ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ الأرباب الغالبون، حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على إرادتهم ومشيئتهم؟ وقرئ «المصيطرون» بالصاد ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ منصوب إلى السماء يستمعون صاعدين فيه إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما

---

(١) أمـن الـمـنـون وريـبـه أتـوجـع؟ والـدهـر لـيس بـمـعـتـب مـن يـجـزع

لأبي ذويب مطلع مرثية بنيه، والاستفهام للإنكار. وريب المنون: ما يقلق النفوس ويدهشها من حوادث الدهر. والمنون: الموت، كالمنية؛ لأنه مقدر، فهو من مني إذا قدر. وقوله: «والدهر... إلخ» جملة حالية. ويقال: أعتبه، إذا قبل عتابه وأزال شكواه؛ فشبه الدهر بإنسان مسيء على طريق المكنية، وإسناد الإعتاب تخييل. والجزع: شدة الحزن.

ينظر: إنباه الرواة ١/ ٢٨٧، وخزانة الأدب ١/ ٤٢٠، وسمط اللآلي ص ٤٤٩، وشرح أشعار الهذليين ١/ ٤، وشرح شواهد الإيضاح ص ٥٠٥، وشرح شواهد المغني ١/ ٢٦٢، ولسان العرب ١٣/ ٤١٥، ٤١٦ (منن)، والمقاصد النحوية ٣/ ٤٩٣.

يزعمون؟ ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة واضحة تصدّق استماع مستمعهم/ ٢/ ٢٠٠أ. المغرم: أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه، أي: لزمهم مغرم ثقيل فدحهم[1] فزهدهم ذلك في اتباعك؟ ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي اللوح المحفوظ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه حتى يقولوا لا نبعث، وإن بعثنا لم نعذب[2] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله ﷺ وبالمؤمنين ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إشارة إليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم. وذلك أنهم قتلوا يوم بدر. أو المغلوبون في الكيد، من كايدته فكدته.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

الكسف: القطعة، وهو جواب قولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢] يريد: أنهم لشدّة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا: هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا، ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب. وقرئ: «حتى يلقوا» ويلقوا ﴿يُصْعَقُونَ﴾ يموتون. وقرئ: «يصعقون». يقال. صعقه فصعق، وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وإن. لهؤلاء الظلمة ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ دون يوم القيامة: وهو القتل ببدر، والقحط سبع سنين، وعذاب القبر. وفي مصحف عبد الله: دون ذلك تقريبًا.

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ مثل، أي: بحيث نراك ونكلؤك. وجمع العين لأنّ الضمير بلفظ ضمير الجماعة. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩]. وقرئ: «بأعينا»، بالإدغام ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من أي مكان قمت. وقيل: من منامك ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل. وقرئ: «وأدبار»، بالفتح بمعنى في أعقاب النجوم وآثارها إذا غربت، والمراد الأمر بقول: سبحان الله وبحمده في هذه الأوقات. وقيل التسبيح: الصلاة إذا قام من نومه، ومن الليل: صلاة

---

(١) قوله: «فدحهم فزهدهم» أي: أثقلهم وبهظهم. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «وإن بعثنا لم نعذب» لعله: لا نعذب. (ع)

العشاءين، وأدبار النجوم: صلاة الفجر.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته» (١٥١٠).

١٥١٠ ـ تقدم ـ برقم (٣٤٦)

قال الحافظ:

أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أُبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

سورة النجم

مكية [إلا آية ٣٢ فمدنية] وآياتها ٦٢ وقيل ٦١ آية
[نزلت بعد الإخلاص]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾

(النجم): الثريا، وهو اسم غالب لها. قال [من مجزوء الرمل المخزوم]:

إِذَا طَلَعَ النَّجْمُ عِشَاءَ ... إِبْتَغَى الرَّاعِي كِسَاءَ[١]

أو جنس النجوم. قال [من الطويل]:

فَبَاتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ ... .[٢]

---

(١) هذا تقوله العرب عند الشتاء، وتقول عند الصيف: طلع النجم غدية. وابتغى الراعي شكية.
والنجم: اسم غالب على الثريا؛ قيل: إنها تخفى في السنة أربعين يومًا يسترها ضوء الشمس، وتظهر عند دخول الشتاء عشاءًا، وعند دخول الصيف صباحًا، والكساء: ثوب سابغ. والغدية: تصغير غدوة: وهي أول النهار. والشكية: تصغير شكوة، وهي قربة صغيرة جرداء؛ لأنه في الشتاء يطلب كساء بدنية لكثرة البرد، وفي الصيف يطلب قربة يشرب منها لكثرة الحر؛ والأول كناية عن دخول البرد، والثاني كناية عن دخول الحر.
ينظر: البحر (٨/٥٧)، واللسان «بيع»، والدر المصون (٦/٢٠٣).

(٢)
فقد علموا أني وفيت لربها ... فراح على عنس بأخرى يقودها
قريت الكلابي الذي يبتغي القرى ... وأمك إذ يحدى إلينا قعودها
فباتت تعد النجم في مستحيرة ... سريع بأيدي الآكلين جمودها
فلما سقيناها العكيس تملأت ... مذاخرها وارفض منها وريدها
ولما قضت من ذي الإناء لبانة ... أرادت إلينا حاجة لا نريدها =

يريد النجوم ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا غرب أو انتثر يوم القيامة. أو النجم الذي يرجم به إذا هوى: إذا انقضّ. أو النجم من نجوم القرآن، وقد نزل منجمًا في عشرين سنة، إذا هوى: إذا نزل. أو النبات إذا هوى: إذا سقط على الأرض. وعن عروة بن الزبير: أنّ عتبة بن أبي لهب وكانت تحته بنت رسول الله ﷺ أراد الخروج إلى الشام، فقال: لآتينّ محمدًا فلأوذينه؛ فأتاه فقال: يا محمد، هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، ثم تفل في وجه رسول الله ﷺ وردّ عليه ابنته وطلقها، فقال رسول الله ﷺ: اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك، وكان أبو طالب حاضرًا، فوجم[1] لها وقال: ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة! فرجع عتبة إلى أبيه، فأخبره، ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلاً، فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم: إن هذه أرض مسبعة، فقال أبو لهب لأصحابه: أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة، فإني أخاف على ابني دعوة محمد، فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم؛ وأحدقوا بعتبة، فجاء الأسد يتشمم وجوههم، حتى ضرب عتبة فقتله (١٥١١). وقال حسان [من السريع]:

١٥١١ ـ أخرجه الحاكم من مستدركه (٢/٥٣٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٣٨) كلاهما من طريق =

= للراعي النميري من بني قطن بن ربيعة: نزل به أضياف من بني كلاب وقد غابت إبله، فنحر لهم ناقة من ركابهم، فلما أصبح أقبلت عليه إبله، فأعطى صاحب الناقة مثلها، وأعطاه ثنية زيادة عليها، فذمه خنزر بن أرقم من بني بدر بن ربيعة على ذبحها، فأجابه الراعي بقصيدة منها ذلك. والعنس: الناقة الصلبة. وأمك: عطف على الكلابي. ويحدى: مبني للمجهول، أي: يساق بالدناء له. والقعود ـ كصبور ـ: البكر من الإبل؛ لأنه لا يمكن الراكب من القعود على ظهره. وروي: إذ يحدى إليك، بدل إلينا. ولعله بعد الضيافة الآتية أو تحريف؛ فباتت أمك تعد النجم، أي: تحسب صور النجوم، أو تحسب فقاقع المرق في الجفنة؛ فاستعار لها النجم على سبيل التصريحية. أو تحسب الثريا؛ لأن النجم اسم غالب عليها، وهي سبعة نجوم: ترى صورتها في ليالي الشتاء. وقيل: المراد بالعد هنا: الظن، أي باتت تظنها فيها. والمستحيرة: المتحيرة بامتلائها من المرق. ويروى: مستجرة لأنها تجر الناس للأكل منها والعكس: المرق الممزوج باللبن الحليب. وتملأت: امتلأت. ويروى: تمدحت، بالدال المهملة، أي: اتسعت من الشبع. ويروى بالمعجمة، أي: اصطكت واضطربت. والمذاخر: مواضع الذخائر: والمراد بها المعدة والأمعاء. ويروى: خواصرها، أي: جوانبها. وارفض: رشح وترشرش وارتعد ونفر، ويروى: وازداد رشحا وريدها. أي: باتت تنظر النجوم في جفنة كثيرة المرق والدسم، سريع جمود دسمها على أيدي الآكلين من برد الشتاء، حتى إذا امتلأت بطنها ونفرت عروق عنقها وقضت لبانة، أي: حاجة من صاحب الإناء وهو المرق واللبن: طلبت منا حاجة لا نريدها ولا نرضاها؛ لأنها فاحشة وكأنه ضمن أرادت معنى التضرع أو الميل أو النسبة فعداه بإلى، ويجوز أنها بمعنى من، كما أوضحناه في آخر حرف الباء.
ينظر: ديوانه ص ٩٢، ولسان العرب (نجم)، وتاج العروس (نجم)، والمعاني الكبير ص ٣٧٥، والأزمنة والأمكنة ١/ ١٨٥، وبلا نسبة في لسان العرب (نجم)، وتهذيب اللغة ١١/ ١٢٧، والكامل ص ٧٩٥.

(١) قوله: «فوجم لها» أي اشتد حزنه. أفاده الصحاح. (ع)

مَـنْ يَـرْجِـعُ الْـعَـامَ إِلَـى أَهْـلِـهِ فَـمَـا أَكِـيـلُ الـسَّـبْـعِ بِـالـرَّاجِـعِ[1]

= العباس بن الفضل الأزرق، قال: حدثنا الأسود بن شيبان قال حدثنا أبو نوفل بن أبي عقرب عن أبيه قال: كان لهب بن أبي لهب يسب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويدعو عليه...».
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
قلت، وفي هذا التصحيح نظر؛ فإن عباس بن الفضل وهو أبو عثمان الأزرق.
قال البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٥/ ١٧)، ذهب حديثه.
وقال أبو حاتم في الجرح والتعديل (٦/ ٢١٣/ ١١٦٧) ذهب حديثه وترك أبو زرعة حديثه ولم يقرأه علينا...
وأورده الحاكم من رواية «العباس بن الفضل الأنصاري» فوهم كما قال الذهبي في الميزان (٢/ ٣٨٦) فالأنصاري غير الأزرق وكلاهما ضعيف.
وقال البيهقي في الدلائل: «عباس بن الفضل وليس بالقوي» لهب بن أبي لهب وأهل المغازي يقولون: عتبة بن أبي لهب وقال بعضهم: عتيبة. أ. هـ.
وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٣٨٩) من طريق محمد بن إسحاق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن حبار بن الأسود به وساق قصة طويلة وابن إسحاق لم يسمع من عثمان بن عروة، فإسناده منقطع،
وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٤٣٥) (١٠٦٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) كلاهما من طريق أحمد بن المقدام ثنا زهير بن العلاء العيدي عن ابن أبي عروبة عن قتادة بن دعامة قال: تزوج أم كلثوم بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عتيبة بن أبي لهب...
وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢١ ـ ٢٢): رواه الطبراني هكذا مرسلًا، وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف.
وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ٢٥٠) عن معمر بن قتادة به مختصرًا،
وأخرجه أيضًا عن معمر عن عبدالله بن طاووس عن أبيه قال: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أما يخاف أن يسلط الله عليه كلبه»...
وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٥٠٣) (٣٢٤١٨) عن قتادة مرسلًا وبالجملة فالحديث ورد من طرق مرسلة أو مقطوعة اللهم إلا طريق أبي عقرب لكن فيه من قد ضعف... وقال الحافظ في الفتح (٤/ ٣٩): وهو حديث حسن، أخرجه الحاكم من طريق أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه:
وقال الحافظ:
أخرجه أبو نعيم في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن عثمان بن عروة عن أبيه فذكر مثله. إلا أنه قال: «فضربه الأسد بذنبه ضربة واحدة، فمات مكانه» ورواه البيهقي في الدلائل والطبراني من طريق سعيد عن قتادة مطولا نحوه. لكن قال عنبسة: ورواه الحاكم والبيهقي في الدلائل أيضًا. من رواية أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه. قال «كان لهب بن أبي لهب» فذكره مختصرًا. وقال البيهقي: هكذا قال عباس بن الفضل الأزرق. وليس بالقوي. وأهل المغازي يقولون عتبة أو عتيبة. انتهى.

---

(١) لا يـرفـع الـرحـمـن مـصـروعـكـم ولا يُـوَهِّـنْ قـوة الـصـارع
وكـان فـيـه لـكـم عـبـرة لـلـسـيـد الـمـتـبـوع والـتـابـع =

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني محمدًا ﷺ: والخطاب لقريش، وهو جواب القسم، والضلال: نقيض الهدى، والغيّ نقيض الرشد، أي: هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والغيّ، وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه، وإنما هو وحي من عند الله يوحىٰ إليه. ويحتج بهذه الآية/ ٢/ ٢٠٠ب من لا يرى الاجتهاد للأنبياء، ويجاب بأنّ الله تعالى إذا سوّغ لهم الاجتهاد، كان الاجتهاد وما يستند إليه كله وحيًا لا نطقًا عن الهوى ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ ملك شديد قواه، والإضافة غير حقيقية، لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، وهو جبريل عليه السلام، ومن قوّته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود، وحملها على جناحه، ورفعها إلى السماء ثم قلبها، وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين، وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده في أوحى من رجعة الطرف[١]، ورأى إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الأرض المقدّسة، فنفحه بجناحه نفحة فألقاه في أقصى جبل بالهند ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو حصافة في عقله[٢] ورأيه ومتانة في دينه ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ فاستقام على صورة نفسه الحقيقة دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي؛ وكان ينزل في صورة دحية، وذلك: أنّ رسول الله ﷺ أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها، فاستوى له في الأفق الأعلى وهو أفق الشمس فملأ الأفق.

= من يرجع العام إلى أهله ... فما أكيل السبع بالراجع
من عاد فالليث له عائد ... أعظم به من خبر شائع

لحسان بن ثابت. روي عن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبي لهب كان تحته بنت رسول الله ﷺ، فذهب إليه وقال: إنه كافر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجهه وطلق ابنته وخرج إلى الشام فقال ﷺ: اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك، فبينما هم يحرسونه ذات ليلة في سفر، إذ جاء أسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله، فقال حسان ذلك؛ والفعلان مجزومان بلا الدعائية. ويوهن بالتشديد؛ والمعنى للدعاء على القتيل والدعاء للقاتل. والمصروع: المطروح. والعبرة: الاعتبار أو ما يعتبر به. والتابع عطف على السيد. من يرجع في هذا العام إلى أهله فلن يوجب رجوع غيره؛ لأن من أكله السبع لا يرجع فلا يتمن أهله رجوعه، لاستحالته وسكون السبع لغة، ثم قال: من عاد لمثل فعل عتبة فالأسد عائد له، وأعظم به: صيغة تعجب، من خبر: تمييز مقترن بمن، شائع: ذائع منتشر.

(١) قوله: «في أوحى من رجعة الطرف» أي: أسرع من الوحي وهو السرعة، يمد ويقصر، كذا في الصحاح. وفيه أيضًا: نفحت الناقة: ضربت برجلها، ونفحه بالسيف، تناوله. (ع)

(٢) قوله: «ذو حصافة في عقله» أي: استحكام، أفاده الصحاح. (ع)

لم أجده هكذا. وفي الصحيحين من رواية مسروق عن عائشة «أنا أول من سأل رسول الله، فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي رأيته عليها غير هاتين المرتين: رأيته منهبطًا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض» وللترمذي وابن حبان «ولكنه رأى جبريل، لم يره في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى. ومرة في أجياد، له ستمائة جناح، وقد سد الأفق».

وقيل: ما رآه أحد من الأنبياء في صورته الحقيقية غير محمد ﷺ مرتين: مرة في الأرض، ومرة في السماء (١٥١٢) ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من رسول الله ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فتعلق عليه في الهواء. ومنه: تدلت الثمرة، ودلى رجليه من السرير. والدوالي: الثمر المعلق. قال [من الطويل]:

تَـدَلَّـى عَـلَـيْـهَـا بَـيْـنَ سِـبٍّ وَخَـيْـطَـةٍ ....[1]

ويقال: هو مثل القرلى: إن رأى خيرًا تدلى، وإن لم يره تولى ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ مقدار قوسين عربيتين: والقاب والقيب؛ والقاد والقيد، والقيس: المقدار. وقرأ زيد بن علي: قاد. وقرئ: «قيد» وقدر. وقد جاء التقدير بالقوس والرمح، والسوط، والذراع، والباع، والخطوة، والشبر، والفتر، والأصبع. ومنه: «لا صلاة إلى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين» (١٥١٣). وفي الحديث : «لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قدّه خير من

١٥١٢ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا.

وأخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٥٦)، كتاب التفسير (٦٥)، باب «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» حديث رقم (٤٦١٢) وأطرافه حديث رقم (٤٨٥٥) وكتاب التوحيد (٧٣٨٠)، ومسلم (٢/ ٨ ـ ٩ ـ نووي)، كتاب الإيمان (١) ـ باب معنى قول الله عز وجل: «ولقد رآه نزلة...» حديث رقم (١٧٧/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩)،

والترمذي (٥/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣)، كتاب تفسير القرآن (٤٨)، باب «ومن سورة الأنعام». حديث رقم (٣٠٦٨) وباب ومن سورة النجم (٣٢٧٨)، والنسائي في التفسير (٢/ ١٧٥) رقم (٤٢٨)... كلهم من طريق عامر الشعبي عن مسروق أن عائشة قالت: يا أبا عائشة ثلاث من قال بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية....

وقال الحافظ:

لم أجده. هكذا. وذكر المرتين، تقدم في الذي قبله. انتهى.

١٥١٣ ـ أخرجه أبو داود (٢/ ٢٥)، كتاب الصلاة، باب من رخص فيهما إذا كانت الشمس مرتفعة ـ حديث رقم (١٢٧٧)؛ وابن خزيمة في صحيحه (١/ ١٢٨ ـ ١٢٩) (٢٦٠)، والحاكم في مستدركه =

---

(١) تـدلى عـلـيـهـا بـيـن سـب وخـيـطـة تـدلـي دلـو الـمـائـح الـمـتـشـمـر

يروى لأبي ذؤيب بدل الشطر الثاني: بجرداء مثل الوكف يكبو غرابها. والسب ـ بالكسر ـ: الحبل، والخمار، والعمامة، والخيطة كذلك الوتد ونحوه: في لغة هذيل. والمائح: مالئ الدلو من أسفل البئر. والماتح ـ بالتاء ـ: المستقي، يصف جاني العسل بأنه تدلى على النحل أو العسل؛ لأنه يؤنث أيضًا، أي: نزل متمسكًا بحبل مشدود في وتد، كتدلي دلو المالئ النشيط. والجرداء: فرس قليلة الشعر. والوكف: النطع. وكبا الجواد يكبو: سقط على وجهه. وغراب الدابة: أعلى ظهرها، أي: كأن غرابها ينحدر لسرعة سيرها.

ينظر: شرح أشعار الهذليين ص ٥٣، ولسان العرب (سبب)، (جرد)، (دعس)، (خيط)، (وكف)، وديوان الأدب ٣/ ٢٠٧، والتنبيه والإيضاح ٢/ ١٤، وتاج العروس (سبب)، (دعس)، (خيط)، وتهذيب اللغة ٢/ ٧٥، ١٠/ ٣٩٤، ١٢/ ٣١٣، وللهذلي في مقاييس اللغة ٢/ ٢٣٤، ٣/ ٦٤، ومجمل اللغة ٣/ ٥٨، وبلا نسبة في المخصّص ٤/ ١٠٢، ٩/ ١٧٢، ومجمل اللغة ٢/ ٢٣٠.

الدنيا وما فيها» (١٥١٤) والقدّ: السوط. ويقال: بينهما خطوات يسيرة. وقال [من الطويل]:

....   وَقَدْ جَعَلَتْنِي مِنْ حَزِيمَةَ أَصْبُعَا(١)

= (١/ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢).

كلهم من طريق أبي توبة الربيع بن نافع ثنا محمد بن المهاجر، عن العباس بن سالم عن أبي سلام عن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة قال: أتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أول ما بعث وهو بمكة وهو حينئذ مستخفي... وفيه قلت: أي الليل أسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر فصل ما شئت، فإن الصلاة مشهودة مكتوبة، حتى تصلي الصبح، ثم أقصر حتى تطلع الشمس، فترتفع قيد رمح أو رمحين....» ورواية أبي داود مختصرة.

وقال الحاكم: قد خرج مسلم بعض هذه الألفاظ من حديث النضر بن محمد الجرشي عن عكرمة ابن عمار عن شداد بن عبدالله عن أبي أمامة قال: قال عمرو بن عبسة وحديث العباس بن سالم هذا أشفى وأتم من حديث عكرمة بن عمار، أ. هـ.

والحديث أخرجه أحمد (٤/ ١١٢، ١١٤)، والترمذي (٥/ ٥٦٩)، كتاب الدعوات (٤٩) حديث رقم (٣٥٧٩)، والنسائي (١/ ٩١ ـ ٢٧٩) وعبد بن حميد (٢٩٧) من طرق عن عمرو بن عبسة به والروايات مطولة ومختصرة وله شاهد من حديث أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف عن أبيه قال: سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أي الليل أسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر، ثم الصلاة مقبولة حتى تصلي الفجر، ثم لا صلاة حتى تكون الشمس قيد رمح أو رمحين...».

أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ١٣٣ ـ ١٣٤) (٢٧٩)،

وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٤٦): رواه الطبراني، وأبو سلمة لم يسمع من أبيه، وبقية رجاله حديثهم حسن.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٨٠) لإسحاق بن راهويه في مسنده من طريق جرير عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن كعب بن مرة الأسلمي قال: سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أي الليل الأخير... ثم لا صلاة حتى تكون الشمس قيد رمح أو رمحين...».

وقال الحافظ:

أخرجه الحاكم من حديث عمرو بن عبسة في حديث طويل ورواه إسحاق والدارقطني من حديث كعب بن مرة نحوه في حديث، ورواه الطبراني من حديث عبدالرحمن بن عوف مختصرًا. انتهى.

١٥١٤ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٩٢)، كتاب الجهاد والسير (٥٦)، باب الحور العين وصفتهن (٦) (٢٧٩٦)، والترمذي (٥/ ١٨١)، كتاب فضائل الجهاد، (١٦٥١)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٥٣) مختصرًا.

وقال الحافظ:

أخرجه البخاري من طريق حميد عن أنس أتم من هذا. انتهى.

---

(١) فأدرك إبقاء العراوة ظلعها   وقد جعلتني من حزيمة أصبعا

للكَلْحَبَة، وهو لقب لعبد الله بن هبيرة. وقيل: جرير بن هبيرة. وقيل: هبيرة بن عبد مناف. وقيل: هو للأسود بن يعفر. وقيل: لرؤبة وليس بشيء. والإبقاء: ما تبقيه الفرس من الهمة لتبذله قرب بلوغ المقصد. والعراوة كجرادة. وقيل: بالكسر اسم فرسه. والظلع ـ بالفتح ـ: غمز في المشية من وجع الرجل، أي: أدرك الظلع ما أبقته الفرس فلم تقدر على بذله، والحال أنها جعلتني قريبًا من =

فإن قلت: كيف تقدير قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾؟ قلت: تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين[1]، فحذفت هذه المضافات كما قال أبو علي في قوله:

.... وقد جعلتني من حزيمة أصبعا

أي: ذا مقدار مسافة أصبع ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي على تقديركم، كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]. ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ إلى عبد الله، وإن لم يجر لاسمه عزّ وجل ذكر، لأنه لا يلبس؛ كقوله: ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ [فاطر: ٤٥]. ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ تفخيم للوحي الذي أوحى[2] إليه: قيل أوحي إليه «إنّ الجنة محرّمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك» ﴿مَا كَذَبَ﴾ فؤاد محمد ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام، أي: ما قال فؤاده لما رآه: لم أعرفك، ولو قال ذلك لكان كاذبًا، لأنه عرفه، يعني: أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه، ولم يشك في أنّ ما رآه حق وقرئ: «ما كذب» أي صدّقه ولم يشك أنه جبريل عليه السلام بصورته ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة[3]، كأن كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه. وقرئ: «أفتمرونه» أفتغلبونه في المراء، من ماريته فمريته، ولما فيه من معنى الغلبة عدّى بعلى، كما تقول: غلبته على كذا: وقيل: أفتمرونه: أفتجحدونه. وأنشدوا [من البسيط]:

لَئِنْ هَجَوْتَ أَخَا صِدْقٍ وَمَكْرُمَةٍ ... لَقَدْ مَرَيْتَ أَخًا مَا كَانَ يَمْرِيكَا[4]

= عدوي حزيمة بمهملة مفتوحة فمعجمة مكسورة: رجل كان قد أغار على إبل الشاعر فتبعه. وقيل: قبيلته وليس بذاك. ويروى: فأدرك إرقال العراوة. والإرقال: رجل كان قد أغار على إبل الشاعر فتبعه. وقيل: قبيلته وليس بذاك. ويروى: فأدرك إرقال العراوة. والإرقال: الإسراع في السير، أي: أبطل إسراعها العرج؛ ولا بد من تأويل قوله: جعلتني أصبعًا أي: جعلتني ذا مسافة أصبع. أو جعلت مسافتي مقدار أصبع.

ينظر: خزانة الأدب ٤/ ٤٠١، وشرح اختيارات المفضّل ص ١٤٦، ولسان العرب (حرم)، (بقي)، وتاج العروس (حرم)، (بقي)، وللأسود بن يعفر في ملحق ديوانه ص ٦٨، وشرح المفصل ١/ ٣١، وللأسود أو للكلحبة في المقاصد النحوية ٣/ ٤٤٢، ولرؤبة في مغني اللبيب ٢/ ٢٦٤، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في شرح الأشموني ٢/ ٣٢٥.

(١) قال محمود: «تقديره: فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين إلى آخره» قال أحمد: وقد قال بعضهم: إنه كناية عن المعاهدة على لزوم الطاعة؛ لأن الحليفين في عرف العرب إذا تحالفا على الوفاء والصفاء ألصقا وتري قوسيهما» قال أحمد: وفيه ميل لقوله: (أو أدنى).

(٢) قال محمود: «هذا تفخيم للوحي الذي أوحى الله إليه» قال أحمد: التفخيم لما فيه من الإبهام، كأنه أعظم من أن يحيط به بيان، وهو كقوله: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ وقوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾.

(٣) قوله: «من مرى الناقة» في الصحاح: مريت الناقة، إذا مسحت ضرعها لتدر. (ع)

(٤) يقول لصاحبه:

وقالوا: يقال مريته حقه إذا جحدته، وتعديته بعلى لا تصح إلا على مذهب التضمين ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ مرة أخرى من النزول، نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة، لأنّ الفعلة اسم للمرّة من الفعل، فكانت في حكمها، أي: نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى في صورة نفسه، فرآه عليها، وذلك ليلة المعراج. قيل: في سدرة المنتهى: هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش: ثمرها كقلال هجر، وورقها كآذان الفيول، تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه، يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا لا يقطعها. والمنتهى: بمعنى موضع الانتهاء، أو الانتهاء، كأنها في منتهى الجنة وآخرها. وقيل: لم يجاوزها أحد، وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم، ولا يعلم أحد ما وراءها. وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء ﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ الجنة التي يصير إليها المتقون: عن الحسن. وقيل: تأوي إليها أرواح الشهداء. وقرأ علي وابن الزبير وجماعة «جنة المأوى» أي ستره بظلاله ودخله فيه. وعن عائشة: أنها أنكرته وقالت: من قرأ به فأجنه الله ﴿مَا يَغْشَىٰ﴾/٢/٢٠١أ تعظيم وتكثير لما يغشاها، فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله: أشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف. وقد قيل: يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها. وعن رسول الله ﷺ: «رأيت على كل ورقة من ورقها ملكًا قائمًا يسبح الله» (١٥١٥). وعنه عليه السلام: يغشاها رفرف من طير خضر (١٥١٦). وعن ابن مسعود وغيره: يغشاها فراش من ذهب (١٥١٧) ﴿مَا زَاغَ﴾ بصُر رسول الله ﷺ

١٥١٥ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/٥١٨) (٣٢٥١٩) حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: «إذ يغشى السدرة... قيل: يا رسول الله، أي شيء رأيت؟...»
وفيه: «ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكًا قائمًا يسبح الله».
وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوى ضعيف كما في التقريب (١/ ٤٨٠) والحديث معضل وقال الحافظ:
أخرجه الطبري من طريق عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال: قيل له: يا رسول الله، أي شيء رأيت يغشى تلك الشجرة؟ فذكره وأتم منه، وعبدالرحمن ضعيف وهذا معضل. انتهى.

١٥١٦ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٨١): غريب
وقال ابن حجر، لم أجده.

١٥١٧ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٨١ و٣٨٢) لإسحاق بن راهويه في مسندة. =

= لئن ذممت أخا صدق ومكرمة، يعني: نفسه. ويقال: مرى الناقة، أي: حلبها. ومنه الممارة. كأن كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه. ومنه: فقد مريت أخا صدق، أي: غلبته في الجدال وأنفذت ما عنده، لأن من حلب الناقة يتركها يابسة الضرع؛ أو جحدت حقه كأنك أخذته منه، أو تسببت في إخراج ما عنده، فيذمك كما ذممته. ما كان يمريك، أي: ما كان يفعل بك كذلك.
ينظر: البحر (٨/ ١٥٩)، الدر المصون (٦/ ٢٠٦).

﴿وما طغىٰ﴾ أي أثبت ما رآه إثباتا مستقيمًا صحيحًا من غير أن يزيغ بصره عنه أو يتجاوزه، أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها، وما طغى: وما جاوز ما أمر برؤيته ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ والله لقد رأى ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ﴾ الآيات التي هي كبراها وعظماها[١]، يعني: حين رقي به إلى السماء فأري عجائب الملكوت.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ﴾ أصنام كانت لهم، وهي مؤنثات؛ فاللات كانت لثقيف بالطائف. وقيل: كانت بنخلة تعبدها قريش، وهي فعلة من لوى؛ لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة. أو يلتوون عليها[٢]: أي يطوفون. وقرئ «اللات» بالتشديد. وزعموا أنه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالسويق ويطعمه الحاج. وعن مجاهد: كان رجل يلت

= وقال الحافظ: أما حديث ابن مسعود فرواه إسحاق بن راهويه من طريق مرة عنه بهذا وأتم منه وأما غيره فرواه. انتهى.

---

(١) قال محمود: «معناه قد رأى من آيات ربه الآيات التي... إلخ» قال أحمد: ويحتمل أن تكون الكبرى صفة آيات ربه، لا مفعولاً به، ويكون المرئي محذوفًا لتفخيم الأمر وتعظيمه، كأنه قال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى أمورًا عظامًا لا يحيط بها الوصف، والحذف في مثل هذا أبلغ وأهول، وهذا ـ والله أعلم ـ أولى من الأول، لأن فيه تفخيمًا لآيات الله الكبرى، وأن فيها ما رآه وفيها ما لم يره، وهو على الوجه الأول يكون مقتضاه أنه رأى جميع الآيات الكبرى على الشمول والعموم، وفيه بعد؛ فإن آيات الله تعالى لا يحيط أحد علمًا بجملتها. فإن قال: عام أريد به خاص، فقد رجع إلى الوجه الذي ذكرناه والله أعلم.

(٢) قال محمود: «اشتقاق اللات من لوى على كذا إذا قام عليه لأنهم كانوا... إلخ» قال أحمد: الأخرى تأنيث آخر، ولا شك أنه في الأصل مشتق من التأخير الوجودي؛ إلا أن العرب عدلت به عن الاستعمال في التأخير الوجودي إلى الاستعمال حيث يتقدم ذكر مغاير لا غير، حتى سلبته دلالته على المعنى الأصلي، بخلاف آخر وآخرة؛ على وزن فاعل وفاعلة؛ فإن إشعارهما بالتأخير الوجودي ثابت لم يغير. ومن ثم عدلوا عن أن يقولوا: ربيع الآخر، على وزن الأفعل، وجمادى الأخرى: إلى ربيع الآخر، على وزن فاعل، وجمادى الآخرة على وزن فاعلة؛ لأنهم أرادوا أن يفهموا التأخير الوجودي، لأن الأفعل والفعل من هذا الاشتقاق مسلوب الدلالة على غرضهم، فعدلوا عنها إلى الآخر والآخرة، والتزموا ذلك فيهما. وهذا البحث مما كان الشيخ أبو عمرو بن الحاجب ـ رحمه الله تعالى ـ قد حرره آخر مدته، وهو الحق إن شاء الله تعالى، وحينئذ يكون المراد الإشعار بتقدم مغاير في الذكر، مع ما نعتقده في الوفاء بفاصلة رأس الآية، والله أعلم.

السويق بالطائف، وكانوا يعكفون على قبره، فجعلوه وثنًا، والعزّى كانت لغطفان وهي سمرة، وأصلها تأنيث الأعزّ، وبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها، فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها، واضعة يدها على رأسها، فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول [من الرجز]:

يَا عُزَّ كُفْرَانَكِ لاَ سُبْحَانَكْ إنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكْ[1]

ورجع فأخبر رسول الله ﷺ فقال عليه السلامَ: تلك العزّى ولن تعبد أبدًا (١٥١٨).

١٥١٨ ـ أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١١٠ ـ ١١١)، (٧/ ٢٧٨) بسنده عن محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة وعبدالرحمن بن أبي الزناد وجماعة فذكر سرايا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومنها سرية خالد بن الوليد، وأخرجه أيضًا في ترجمة خالد بن الوليد من طريق محمد بن عمر الواقدي. . . .

وأخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٤٧٤)، كتاب التفسير (١١٥٤٧).

والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٧٧)،

وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ٤٠٦)، باب قصة هدم بيت العزى كلهم من طريق محمد بن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبي طفيل قال: لما فتح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة بعث خالد بن الوليد. . .

وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٧٩) رواه الطبراني وفيه يحيى بن المنذر وهو ضعيف. قلت: كذا وقع في المجمع «المطبوع» يحيى بن المنذر وهو خطأ، والصواب علي بن المنذر،

فرواه أبو نعيم في الدلائل كما تقدم من طريق الطبراني، ثنا الحسين بن إسحاق قال: ثنا علي بن المنذر قال: ثنا محمد بن فضيل به، وكذا رواه النسائي عن علي بن المنذر حدثنا محمد بن فضيل به.

«وعلي بن المنذر» هو ابن زيد الأودي أبو الحسن الكوفي. . .

قال أبو حاتم: محله الصدق، وقال النسائي، شيعي محض الثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقال الحافظ في التقريب (٢/ ٤٤): صدوق يتشيع.

وتابعه أبو كريب محمد بن العلاء عند البيهقي في الدلائل (٥/ ٧٧).

قلت وإسناد هذا الحديث حسن فرجاله كلهم موصوفون بالصدق إلا أنهم فيهم تشيع.

والحديث عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٨٤) لأبي يعلى الموصلي في مسنده ـ ولم أجده فلعله من المفقود، والله المستعان.

وعزاه أيضًا للواقدي في كتاب المغازي، وابن مردويه في تفسيره.

---

(١) لخالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ. وعز: مرخم عزى.
وترخيمه شاذ؛ لأنه ليس رباعيًا ولا مؤنثًا بالهاء، وهي شجرة كانت تعبدها الجاهلية، فضربها بسيفه فخرجت منها جنية صارخة، فقال لها ذلك البيت. وقيل: ضربها بالفأس حتى قطعها وقتل الجنية.
وكفرانك: نصب بمحذوف وجوبًا، كسبحان، أي: أكفر كفرانًا بك، لا أنزه تنزيهًا لك؛ فهما مصدران مغنيان عن اللفظ بفعليهما. والإهانة: الإذلال.
ينظر: لسان العرب (عزز)، وتاج العروس (عزز) والمخصص (١٥/ ١٩٠).

ومناة: صخرة كانت لهذيل وخزاعة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لثقيف. وقرئ: «ومناءة» وكأنها سميت مناة؛ لأنّ دماء النسائك كانت تمنى عندها، أي: تراق، ومناءة مفعلة من النوء، كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركًا بها. و﴿ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ ذمّ، وهي المتأخرة الوضيعة المقدار، كقوله تعالى: ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ﴾ [الأعراف: ٣٨] أي: وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم. ويجوز أن تكون الأوّلية والتقدّم عندهم للات والعزّى. كانوا يقولون إنّ الملائكة وهذه الأصنام بنات الله، وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى مع وأدهم البنات، فقيل لهم ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ ويجوز أن يراد: أنّ اللات والعزّى ومناة إناث، وقد جعلتموهنّ لله شركاء، ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن إليكم، فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أندادًا لله وتسمونهنّ آلهة ﴿قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾ جائرة، من ضازه يضيزه إذا ضامه، والأصل: ضوزى. ففعل بها ما فعل ببيض؛ لتسلم الياء. وقد قرئ: «ضئزى» من ضأزه بالهمز. وضيز: بفتح الضاد ﴿هِيَ﴾ ضمير الأصنام، أي: ما هي ﴿إِلَّآ أَسۡمَآءٞ﴾ ليس تحتها في الحقيقة مسميات، لأنكم تدّعون الإلهية لما هو أبعد شيء منها وأشدّه منافاة لها. ونحوه قوله تعالى: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ [يوسف: ٤٠] أو ضمير الأسماء وهي قولهم، اللات والعزى ومناة، وهم يقصدون بهذه الأسماء الآلهة، يعني: ما هذه الأسماء إلا أسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم، ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به. ومعنى ﴿سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ سميتم بها، يقال: سميته زيدًا، وسميته بزيد ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ وقرئ بالتاء ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلا توهم أنّ ما هم عليه حق، وأنّ آلهتهم شفعاؤهم، وما تشتهيه أنفسهم، ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على أنّ دينهم باطل.

﴿أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾

= وقال الحافظ:
أخرجه ابن مردويه من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح وعن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث خالد بن الوليد إلى العزى ليهدمها، وكانت بنخلة عليها سادن فجاءها خالد فهدمها فذكر نحوه إلى آخره، ورواه الواقدي في المغازي والأزرقي في التاريخ من طريقه عن عبدالله بن يزيد الهذلي عن سعيد بن عمرو الهذلي قال: «قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة فذكر القصة وفيها: فبعث خالد بن الوليد إلى العزى يهدمها فذكر القصة. وكذا ذكره ابن سعد في الطبقات في السرايا وأصل هذه القصة رواها النسائي وأبو يعلى والطبراني وأبو نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل قال: «لما فتح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة ـ بعث خالد بن الوليد إلى نخلة ـ وكانت بها العزى فأتاها خالد، وكانت على ثلاث شجرات فقطع الشجرات». انتهى.

﴿أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ٢٤﴾ هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار، أي: ليس للإنسان ما تمنى، والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة، وهو تمنّ على الله في غاية البعد، وقيل: هو قولهم: ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [فصلت: ٥٠] وقيل: هو قول الوليد بن المغيرة «لأوتينّ مالاً وولدا» وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون هو النبي ﷺ فللّه الآخرة والأولى أي هو مالكهما، فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء، وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منهما.

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾

يعني: أنّ أمر الشفاعة ضيق وذلك/ ٢/ ٢٠١ب أنّ الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئًا قط ولم تنفع، إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلاً لأن يشفع له، فكيف تشفع الأصنام إليه بعبدتهم[١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ٢٧ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ٢٨ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٢٩ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ٣٠﴾

﴿لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي: كل واحد منهم ﴿تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ لأنهم إذا قالوا: الملائكة بنات الله، فقد سموا كل واحد منهم بنتًا وهي تسمية الأنثى ﴿بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾ أي: بذلك وبما يقولون[٢]. وفي قراءة أبيّ: «بها»، أي: بالملائكة. أو التسمية ﴿لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾ يعني: إنما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظنّ والتوهم ﴿فَأَعۡرِضۡ﴾ عن دعوة من رأيته معرضًا عن ذكر الله وعن الآخرة ولم يرد إلا الدنيا، ولا تتهالك على إسلامه، ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ أي: إنما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب، وأنت لا تعلم، فخفض على نفسك ولا تتعبها، فإنك لا تهدي من أحببت، وما عليك إلا البلاغ. وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ اعتراض أو فأعرض عنه ولا تقابله، إنّ ربك هو أعلم بالضالّ والمهتدي، وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء.

---

(١) قوله: «بعبدتهم» لعله لعبدتهم، كعبارة النسفي. (ع)
(٢) قوله: «وبما يقولون» لعله أو بما يقولون. (ع)

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

قرئ: «ليجزي» ويجزى، بالياء والنون فيهما. ومعناه: أنّ الله ـ عزّ وجل ـ إنما خلق العالم وسوّى هذه الملكوت لهذا الغرض: وهو أن يجازي المحسن من المكلفين والمسيء منهم. ويجوز أن يتعلق بقوله: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ لأن نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ بعقاب ما عملوا من السوء. و﴿بِٱلۡحُسۡنَى﴾ بالمثوبة الحسنى وهي الجنة. أو بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الأعمال الحسنى ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ أي: الكبائر من الإثم؛ لأن الإثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر، والكبائر: الذنوب التي لا يسقط عقابها إلا بالتوبة. وقيل: التي يكبر عقابها بالإضافة إلى ثواب صاحبها ﴿وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ مافحش من الكبائر، كأنه قال: والفواحش منها خاصة: وقرئ: «كبير الإثم» أي: النوع الكبير منه وقيل: هو الشرك بالله. واللمم: ما قلّ وصغر. ومنه: اللمم المس من الجنون، واللوثة منه. وألمّ بالمكان إذا قلّ فيه لبثه. وألمّ بالطعام: قلّ منه أكله؛ ومنه [من الطويل]:

لِــقَــاءُ أَخِــلاَّءِ الــصَّــفَــاءِ لِــمَــامُ(١) . . . .

والمراد الصغائر من الذنوب، ولا يخلو قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ من أن يكون استثناء منقطعًا أو صفة، كقوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الأنبياء: ٢٢] كأنه قيل: كبائر الإثم غير اللمم، وآلهة غير الله: وعن أبي سعيد الخدري: اللمم هي النظرة، والغمزة،

---

(١) لــقــاء أخــلاء الــصــفــاء لــمــام وكــل وصــال الــغــانــيــات ذمــام

أي: لقاء الأحباب الذين صفت مودتهم لمام. أي: قليل فهو فعال من الإلمام وهو الزيادة بلا تلبث ولا تمكث وكل وصال النساء المستغنيات بجمالهن عن التحلي بالحلى أو المخدرات المقيمات في بيوتهن، من غنى بالمكان كرضي: أقام به، ذمام أي شيء قليل من حقوق الحرمة والذمة. وإطلاقه على ذلك مجاز، وحقيقته: الحرمة والذمة والمعاهدة والعهد الذي يتعاهد به المتعاهدان وما يذم الشخص على إضاعته من العهد، فهو إما مفاعلة من الذمة، وإما اسم آلة: كالحزام والوثاق، وقد يستعمل صفة لبئر قليلة الماء، ويستعمل جمع ذمة. والمعنى أن رؤية الأحباب قليلة إما حقيقة في العادة، وإما ادعاء واستقلالاً لها. ورؤية غيرهم كثيرة. وفيه معنى التحزن. ويجوز أن يقرأ: الدمام بالمهملة، وهو ما يطلى به الوجه ليحسن، والمعنى: أن وصالهن مجرد تمويه لا حقيقة له، والمعنى على التشبيه.

ينظر: البحر (٨/ ١٥٥)، الدر المصون (٦/ ٢١٢).

والقبلة، وعن السدّي: الخطرة من الذنب، وعن الكلبي: كل ذنب لم يذكر الله عليه حدًا ولا عذابًا، وعن عطاء: عادة النفس الحين بعد الحين ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر[1]، والكبائر بالتوبة ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير وعمل الطاعات: أو إلى الزكاء والطهارة من المعاصي، ولا تثنوا عليها واهضموها، فقد علم الله الزكيّ منكم والتقي أوّلاً وآخرًا قبل أن يخرجكم من صلب آدم، وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم. وقيل: كان ناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجنا، فنزلت: وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء: فأما من اعتقد أن ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح: لم يكن من المزكين أنفسهم، لأن المسرّة بالطاعة طاعة، وذكرها شكر.

﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ الَّذِى وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ الْجَزَآءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَأَكْدَىٰ﴾ قطع عطيته وأمسك، وأصله: من إكداء الحافر، وهو أن تلقاه كدية: وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر، ونحوه: أجبل الحافر، ثم استعير فقيل: أجبل الشاعر إذا أفحم. روي: أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ كان يعطي ماله في الخير، فقال له عبد الله بن سعد بن أبي سرح ـ وهو أخوه من الرضاعة ـ: يوشك أن لا يبقىٰ لك شيء، فقال عثمان: إن لي ذنوبًا وخطايا، وإني أطلب بما أصنع رضا الله ـ تعالى ـ وأرجو عفوه، فقال عبد الله: أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء. فنزلت. ومعنى ﴿تَوَلَّىٰ﴾ ترك المركز يوم أحد، فعاد عثمان إلى أحسن من ذلك وأجمل ﴿فَهُوَ يَرَىٰ﴾ فهو يعلم أن ما قاله له أخوه من احتمال أوزاره/ ٢/ ٢٠٢أ حق ﴿وَفَّىٰ﴾ قرئ مخففًا ومشدّدًا، والتشديد مبالغة في الوفاء. أو بمعنى: وفر وأتم، كقوله

---

(١) قوله: «يكفر الصغائر باجتناب الكبائر» هذا عند المعتزلة، وعند أهل السنة بذلك. أو بمجرد الفضل. وكذا ما بعده. (ع)

تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] وإطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية، من ذلك: تبليغه الرسالة، واستقلاله بأعباء النبوّة، والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمروذ، وقيامه بأضيافه وخدمته إياهم بنفسه، وأنه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخًا يرتاد ضيفًا، فإن وافقه أكرمه، وإلا نوى الصوم. وعن الحسن: ما أمره الله بشيء إلا وفى به. وعن الهزيل بن شرحبيل[1]: كان بين نوح وبين إبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره، ويقتل بأبيه وابنه وعمه وخاله، والزوج بامرأته، والعبد بسيده؛ فأوّل من خالفهم إبراهيم. وعن عطاء بن السائب: عهد أن لا يسأل مخلوقًا، فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل: ألك حاجة؟ فقال. أمّا إليكما فلا. وعن النبي ﷺ: وفّى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار (١٥١٩)، وهي صلاة الضحى. وروي: ألا أخبركم لم سمى الله خليله ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾؟ كان يقول إذا أصبح وأمسى: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ إلى ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (١٥٢٠) [الروم: ١٧، ١٨]

١٥١٩ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٣٣) (٣٢٦١٨).
والبغوي في تفسيره (٤/ ٢٥٤)، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، والثعلبي في تفاسيرهم كلهم من طريق جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه تلا هذه الآية: «وإبراهيم الذي وفى» ثم قال: «أتدري ما الذي وفى...».
وجعفر بن الزبير هو الحنفي الباهلي قال الحافظ في التقريب (١/ ١٣٠) متروك الحديث وكان صالحًا في نفسه.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٦٨) وزاد نسبته لسعيد بن منصور وعبد بن حميد والشيرازي في الألقاب والديلمي وقال: سنده ضعيف.
وقال الحافظ:
أخرجه الطبري، وابن أبي حاتم وغيرهما من رواية جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا به وأتم منه. انتهى.
١٥٢٠ ـ أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٣٩)، والطبراني في «معجمه الكبير» (٢٠/ ١٩٢) (٤٢٧)، كلاهما من طريق ابن لهيعة عن زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «ألا أخبركم....».
قلت: وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء، فابن لهيعة وزبان كلاهما ضعيف، وسهل بن معاذ بن أنس الجهني قال الحافظ في التقريب (١/ ٣٣٧): لا بأس به، إلا في روايات زبان عنه.
وتابع ابن لهيعة رشدين بن سعد عند الطبري في تفسيره (١١/ ٥٣٣) (٣٢٦١٧) ورشدين بن سعد، وهو أبو الحجاج المصري قال الحافظ في التقريب (١/ ٣٥١): ضعيف رجح أبو حاتم عليه ابن لهيعة. أ. هـ.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٨٤) لابن السني في كتاب عمل اليوم والليلة ولابن مردويه والثعلبي وابن أبي حاتم.
وقال الحافظ:
=

---

(١) قوله: «وعن الهزيل بن شرحبيل» لعله: الهذيل. (ع)

وقيل: وفى سهام الإسلام: وهي ثلاثون: عشرة في التوبة ﴿التَّٰٓئِبُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] وعشرة في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وعشرة في المؤمنين ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ وقرئ: «في صحف»، بالتخفيف ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ أن مخففة من الثقيلة. والمعنى: أنه لا تزر، والضمير ضمير الشأن، ومحل أن وما بعدها: الجر بدلاً من ما في صحف موسى. أو الرفع على: هو أن لا تزر، كأن قائلاً قال: وما في صحف موسى وإبراهيم، فقيل: أن لا تزر ﴿إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ إلا سعيه. فإن قلت: أما صحّ في الأخبار: الصدقة عن الميت، والحج عنه، وله الإضعاف؟ قلت: فيه جوابان، أحدهما: أن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنيًا على سعي نفسه ـ وهو أن يكون مؤمنًا صالحًا وكذلك الإضعاف ـ كأن سعي غيره كأنه سعي نفسه، لكونه تابعًا له وقائمًا بقيامه. والثاني؛ أن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه، ولكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾ ثم يجزى العبد سعيه، يقال: أجزاه الله عمله وجزاه على عمله، بحذف الجار وإيصال الفعل. ويجوز أن يكون الضمير للجزاء، ثم فسره بقوله: ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ أو أبدله عنه، كقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء: ٣]، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ قرئ بالفتح على معنى: أن هذا كله في الصحف، وبالكسر على الابتداء، وكذلك ما بعده. والمنتهى: مصدر بمعنى الانتهاء، أي: ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه، كقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٨]. ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ خلق قوّتي الضحك والبكاء[1] ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ إذا تدفق في الرحم، يقال: منى وأمنى. وعن الأخفش: تخلق من مني الماني، أي قدر المقدّر: قرئ: النشأة والنشاءة بالمد. وقال: (عليه) لأنها واجبة[2] عليه في الحكمة[3]، ليجازى

= أخرجه أحمد والطبراني وابن السني والطبري، وابن أبي حاتم من رواية ابن لهيعة عن زياد عن زبان عن ابن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه به. انتهى.

---

(١) قال محمود: «أي خلق قوتي الضحك والبكاء» قال أحمد: وخلق أيضًا فعلي الضحك والبكاء على قواعد السنة، وعليه دلت الآية غير مثابرة لتحريفه، والله الموفق.

(٢) قال محمود: «إنما قال عليه لأنها واجبة عليه... إلخ» قال أحمد: هذا من فساد اعتقاد المعتزلة الذي يسمونه مراعاة للصلاح والحكمة، وأي فساد أعظم مما يؤدي إلى اعتقاد المعتزلة الإيجاب على رب الأرباب، تعالى الله عن ذلك. ومثل هذه القاعدة التي عفت البراهين القاطعة رسمها وأبطلت حكمها لا يكفي فيها كلمة محتملة؛ هي لو كانت ظاهرة لوجب تنزيلها على ما يوفق بينها وبين القواطع، والذي حملت عليه لفظة عليه غير هذا المعنى؛ وهو أن المراد أن أمر النشأة الأخرى يدور على قدرته عز وجل وإرادته، كما يقال: دارت قضية فلان على يدي. وقول المحدثين: على يدي دار الحديث، أي هو الأصل فيه والسند، والله أعلم.

(٣) قوله: «لأنها واجبة عليه في الحكمة» هذا عند المعتزلة لا عند أهل السنة. (ع)

على الإحسان والإساءة ﴿وَأَقۡنَىٰ﴾ وأعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك ﴿ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ مرزم الجوزاء[1]: وهي التي تطلع وراءها، وتسمى كلب الجبار، وهما شعريان الغميصاء والعبور وأراد العبور. وكانت خزاعة تعبدها، سنّ لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم، وكانت قريش تقول لرسول الله ﷺ: أبو كبشة، تشبيهًا له به لمخالفته إياهم في دينهم[2] (١٥٢١)، يريد: أنه رب معبودهم هذا. عاد الأولى: قوم هود، وعاد الأخرى: إرم. وقيل: الأولى القدماء لأنهم أوّل الأمم هلاكًا بعد قوم نوح، أو المتقدمون في الدنيا الأشراف. وقرئ: «عادا لولى. وعاد لولى، بإدغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمتها إلى لام التعريف (وثمودا) وقرئ: وثمود ﴿أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾[3] لأنهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك، وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه، وما أثر فيهم دعاؤه[4] قريبًا من ألف سنة ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ﴾ والقرى التي ائتفكت بأهلها، أي: انقلبت، وهم قوم لوط، يقال: أفكه فائتفك: وقرئ «والمؤتفكات» ﴿أَهۡوَىٰ﴾ رفعها إلى السماء على جناح جبريل، ثم أهواها إلى الأرض أي: أسقطها ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ تهويل وتعظيم لما صبّ عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥ هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ۝٥٦ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ۝٥٧ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾ تتشكك، والخطاب لرسول الله ﷺ، أو للإنسان على الإطلاق، وقد عدد نعمًا ونقمًا وسماها كلها آلاء من قبل ما في نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ﴾ أي إنذار من جنس الإنذارات

١٥٢١ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٨٥) ـ كأنه وهم إنما يقولون له: ابن أبي كبشة.
قلت وجاء ذلك في حديث أبي سفيان الطويل ـ وتقدم تخريجه ـ.
وقال الحافظ:
هذا وهم، والمعروف أنهم كانوا يقولون له: ابن أبي كبشة، كما في حديث أبي سفيان الطويل في الصحيحين حيث قال: لقد أمر ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني الأصفر. يعني هرقل. انتهى.

---

(١) قوله: «مرزم الجوزاء» في الصحاح «المرزمان»: مرزما الشعريين، وهما نجمان: أحدهما في الشعرى، والآخر في الذراع اهـ. (ع)
(٢) هذا وهم، والمعروف أنهم كانوا يقولون له: ابن أبي كبشة، كما في حديث أبي سفيان الطويل في الصحيحين حيث قال: لقد أمر ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني الأصفر؛ يعني هرقل.
(٣) قوله: «وقرئ وثمود أظلم وأطغى» يفيد أن قراءة التنوين أشهر. (ع)
(٤) قوله: «وما أثر فيهم دعاؤه» أي دعاؤه إياهم إلى الإسلام. (ع)

الأولى/ ٢/ ٢٠٢ب التي أنذر بها من قبلكم. أو هذا الرسول منذر من المنذرين الأوّلين، وقال: الأولى على تأويل الجماعة ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ قربت الموصوفة بالقرب من قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، ﴿لَيْسَ لَهَا﴾ نفس ﴿كَاشِفَةٌ﴾ أي مبينة متى تقوم، كقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] أو ليس لها نفس كاشفة، أي: قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله، غير أنه لا يكشفها. أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير، وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف: كالعافية. وقرأ طلحة: ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهي على الظالمين ساءت الغاشية.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ وهو القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ إنكارًا ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ والبكاء والخشوع حق عليكم. وعن رسول الله ﷺ: أنه لم ير ضاحكًا بعد نزولها (١٥٢٢). وقرئ: تعجبون تضحكون، بغير واو ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ شامخون مبرطمون(١). وقيل: لاهون لاعبون. وقال بعضهم لجاريته: اسمدي لنا، أي غني لنا ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ ولا تعبدوا الآلهة.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة النجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمد وجحد به بمكة» (١٥٢٣).

١٥٢٢ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٨٥) لأحمد في الزهد والثعلبي من حديث صالح بن أبي الخليل، ورواه ابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ قال الحافظ ابن حجر: بإسناد ضعيف أ. هـ.

وقال الحافظ:

أخرجه أحمد ني الزهد والثعلبي من حديث صالح بن أبي الخليل. ورواه ابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بإسناد ضعيف. انتهى.

١٥٢٣ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

وقال الحافظ:

أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

---

(١) قوله: «شامخون مبرطمون» في الصحاح «البرطمة» الانتفاخ من الغضب اهـ. وفيه «السامد»: رافع رأسه تكبرًا، واللاهي، والمغنى، والقائم، والساكت، والحزين الخاشع، واسمأد الرجل بالهمز اسمئدادًا: أي ورم غضبًا. (ع)

سورة القمر

مكية [إلا الآيات ٤٤ و٤٥ و٤٦ فمدنية]

وآياتها ٥٥ [نزلت بعد الطارق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾

انشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته النيرة. عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ آية فانشق القمر مرتين (١٥٢٤). وكذا عن ابن عباس وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ، قال ابن عباس: انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت[1]

١٥٢٤ ـ ورد انشقاق القمر عن جماعة من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم أنس بن مالك، وابن مسعود، وابن عمر، وجبير بن مطعم، وابن عباس.

ـ حديث أنس بن مالك:

أخرجه البخاري (٦/ ٧٣٠) كتاب المناقب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ آية فأراهم انشقاق القمر حديث (٣٦٣٧) وفي (٧/ ٢٢١) كتاب مناقب الأنصار: باب انشقاق القمر حديث (٣٨٦٨) وفي (٨/ ٤٨٤) كتاب التفسير: باب (وانشق القمر) حديث (٤٨٦٧، ٤٨٦٨)، ومسلم (٤/ ٢١٥٩) كتاب صفات المنافقين: باب انشقاق القمر حديث (٤٦/ ٢٨٠٢) والترمذي (٥/ ٣٩٧) كتاب التفسير: باب ومن سورة القمر حديث (٣٢٨٦)، وأحمد (٣/ ٢٧٥، ٢٧٨)، وأبو داود الطيالسي (٢/ ١٢٣ منحة) رقم (٢٤٤٩)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥) رقم (٣٢٦٨٨ ـ ٣٢٦٩٣) وأبو يعلى (٥/ ٣٠٦) رقم (٢٩٢٩)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٣٠٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) من طرق عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين».

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

=

---

(١) آخرجه أبو نعيم في الدلائل، من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، وفي الصحيحين عنه: «انشق القمر على زمان رسول الله ﷺ».

. . . .

ـ حديث عبدالله بن مسعود:
أخرجه البخاري (٦/ ٧٣٠) كتاب المناقب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ آية فأراهم انشقاق القمر حديث (٣٦٣٦) وفي (٧/ ٢٢١) كتاب مناقب الأنصار: باب انشقاق القمر حديث (٣٨٦٩) و(٣٨٧١) وفي (٨/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤) كتاب التفسير: باب (وانشق القمر) حديث (٤٧٦٤، ٤٨٦٥) ومسلم (٤/ ٢١٥٨ ـ ٢١٥٩) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر حديث (٤٣، ٤٤، ٤٥/ ٢٨٠٠) والترمذي (٥/ ٣٩٨) كتاب التفسير: باب ومن سورة القمر حديث (٣٢٨٧) والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٥) رقم (٣٢٦٩٤، ٣٢٦٩٥) والحاكم (٢/ ٤٧١ ـ ٤٧٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٦٥) كلهم من طريق أبي معمر عن عبدالله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: اشهدوا.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما اتفقا على حديث أبي معمر عن عبدالله بن مسعود مختصرًا وهذا حديث لا نستغني فيه عن متابعة الصحابة بعضهم لبعض لمغايظة أهل الإلحاد فإنه أول آيات الشريعة أ. هـ.
وللحديث طرق أخرى عن ابن مسعود.
فأخرجه الحاكم (٢/ ٤٧١) والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٥) رقم (٣٢٦٩٨) من طريق الأسود عن ابن مسعود وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة وبهذا اللفظ.
ووافقه الذهبي
وهذا الطريق ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن مردويه وأبي نعيم في «الدلائل».
وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٥) رقم (٣٢٦٩٩) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص ٢٠٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٦٦) من طريق أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود به.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٦) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه.
ـ حديث ابن عمر:
أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٩) كتاب صفات المنافقين: باب انشقاق القمر حديث (٢٨٠١) والترمذي (٥/ ٣٩٨) كتاب التفسير: باب ومن سورة القمر حديث (٣٢٨٨) والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٥) رقم (٣٢٦٩٦) والحاكم (٢/ ٤٧٢) وأبو نعيم في «الدلائل» (ص ٢٠١) والبيهقي (٢/ ٢٦٧) كلهم من طريق شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر بمثل حديث ابن مسعود المتفق على صحته.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
ـ حديث جبير بن مطعم:
أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٨) كتاب التفسير: باب ومن سورة القمر حديث (٣٢٨٩) والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٦) رقم (٣٢٧٠٥) من طريق حصين عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقالوا: سحرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم. =

(١٥٢٥). وقال ابن مسعود: رأيت حراء بين فلقتي القمر[(١)] (١٥٢٦). وعن بعض الناس: أن معناه ينشق يوم القيامة. وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ يردّه،

= وقال الترمذي: وقد روى بعضهم هذا الحديث عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده جبير بن مطعم نحوه أ. هـ.

قلت: والطريق الذي أشار إليه الترمذي رحمه الله أخرجه الحاكم (٢/ ٤٧٢) والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٦٨).

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور»(٦/ ١٧٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وأبي نعيم في «الدلائل».

- حديث ابن عباس:

أخرجه البخاري (٦/ ٧٣٠) كتاب المناقب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي - صلى الله عليه وسلم - آية فأراهم انشقاق القمر حديث (٣٦٣٨) وفي (٨/ ٤٨٤) كتاب التفسير: باب (وانشق القمر) حديث (٤٨٦٦) ومسلم (٤/ ٢١٥٩) كتاب صفات المنافقين: باب انشقاق القمر حديث (٤٨/ ٢٨٠٣) والحاكم (٢/ ٤٧٢) والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٦) رقم (٣٢٧٠٧) من طريق عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس قال: انشق القمر في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

تنبيهات

(١) صحح الحاكم رحمه الله حديث ابن عمر وابن عباس على شرط الشيخين وهذا منه وهم رحمه الله فحديث ابن عمر قد أخرجه مسلم وحديث ابن عباس قد اتفق الشيخان على إخراجه.

(٢) عزا السيوطي رحمه الله حديث أنس بن مالك وجبير بن مطعم إلى أبي نعيم في «الدلائل» ولم أجد حديث واحد منهما عنده بعد البحث والتحري.

(٣) الحديث من هذه الطرق يبلغ حد التواتر على شرط بعض العلماء.

وقال الحافظ: متفق عليه من رواية قتادة عن أنس - رضي الله عنه -. انتهى.

١٥٢٥ - ينظر الحديث السابق وقال الحافظ:

أخرجه أبو نعيم في الدلائل، من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، وفي الصحيحين عنه: «انشق القمر على زمان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -». انتهى

١٥٢٦ - ينظر حديث (١٥٢٤)

وقال الحافظ:

أخرجه ابن مردويه من رواية منصور عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال: «ولقد رأيت والله حراء بين الشقتين» وفي الصحيحين عن أبي معمر عنه: «بينما نحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمنى إذا انفلق القمر فلقتين، وكان فلقة وراء الجبل وفلقة دونه. فقال «اشهدوا» وفي الباب عن ابن عمر في مسلم. وعن جبير بن معطم. عن الحاكم في المستدرك، وعند أحمد أيضًا. انتهى.

---

(١) أخرجه ابن مردويه من رواية منصور عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال: «ولقد رأيت والله حراء بين الشقتين»، وفي الصحيحين عن أبي معمر عنه «بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذا انفلق القمر فلقتين، وكان فلقة وراء الجبل وفلقة دونه. فقال: اشهدوا» وفي الباب عن ابن عمر في مسلم. وعن جبير بن مطعم عن الحاكم في المستدرك، وعن أحمد أيضًا.

وكفى به رادًا، وفي قراءة حذيفة «وقد انشق القمر» أي: اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق، كما تقول: أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه. وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال: ألا إن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم (١٥٢٧). مستمر: دائم مطرد، وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله، قيل فيه: قد استمرّ. لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات، قالوا: هذا سحر مستمرّ. وقيل: مستمرّ قويّ محكم، من قولهم: استمر مريره[(١)]. وقيل: هو من استمر الشيء إذا اشتدت مرارته، أي: مستبشع عندنا، مرّ على لهواتنا، لا نقدر أن نسيغه كما لا يساغ المر الممقر[(٢)]. وقيل: مستمرّ مارّ، ذاهب يزول ولا يبقى، تمنية لأنفسهم وتعليلاً. وقرئ: وإن يروا ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْۚ﴾ وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقرّ عليها، وإن أمر محمد سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق، أو باطل وسيظهر لهم عاقبته. أو وكل أمر من أمرهم وأمره مستقر، أي: سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا، وشقاوة أو سعادة في الآخرة. وقرئ: بفتح القاف، يعني «كل أمر ذو مستقرّ» أي: ذو استقرار. أو ذو موضع استقرار أو زمان استقرار. وعن أبي جعفر؛ «مستقر» بكسر القاف والجرّ عطفًا على الساعة، أي: اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة، وما وصف من عذاب الكفار ﴿مُزْدَجَرٌ﴾ ازدجار أو موضع ازدجار. والمعنى: هو في نفسه موضع

١٥٢٧ ـ أخرجه الحاكم (٤/٦٠٩)
وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وقال الحافظ:
أخرجه الحاكم والطبراني وأبو نعيم من رواية ابن عُلية عن عطاء بن السائب عن ابن عبدالرحمن بهذا وأتم منه ورواه عبدالرزاق من وجه آخر عن عطاء وكذا أخرجه أحمد من رواية شعبة عن عطاء. انتهى.

---

(١) قوله: «استمر مريره» في الصحاح «المرير»: الغريمة وما لطف وطال واشتد فتله من الحبال. (ع)
(٢) قوله: «كما يساغ المر الممقر» في الصحاح مقر الشيء وأمقر، أي: صار مرًا. (ع)

الازدجار ومظنة له، كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] أي: هو أسوة. وقرئ: «مزَّجر» بقلب تاء الافتعال زايا وإدغام الزاي فيها ﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ﴾ بدل من ما. أو على: هو حكمة. وقرئ بالنصب حالاً من ما. فإن قلت: إن كانت ما موصولة ساغ لك أن تنصب «حكمة» حالاً، فكيف تعمل إن كانت موصوفة؟ وهو الظاهر. قلت: تخصصها الصفة؛ فيحسن نصب الحال عنها ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ نفي أو إنكار. وما منصوبة، أي: فأيّ غناء تغني النذر ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك أن الإنذار لا يغني فيهم. نصب ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ بيخرجون، أو بإضمار اذكر. وقرئ: بإسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها، والداعي إسرافيل أو جبريل، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١] ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ منكر فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة. وقرئ: «نكر» بالتخفيف؛ ونكر بمعنى أنكر/ ٢/ ٢٠٣أ ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ حال من الخارجين فعل للأبصار وذكر، كما تقول: يخشع أبصارهم. وقرى: «خاشعة» على: تخشع أبصارهم. وخشعًا، على: يخشعن أبصارهم، وهي لغة من يقول: أكلوني البراغيث، وهم طيء. ويجوز أن يكون في ﴿خُشَّعًا﴾ ضميرهم، وتقع ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ بدلاً عنه. وقرئ؛ خشع أبصارهم، على الابتداء والخبر، ومحل الجملة النصب على الحال. كقوله [من البسيط]:

.... وَجَدْتُهُ حَاضِرَاهُ الْجُودُ وَالْكَرَمُ[1]

وخشوع الأبصار: كناية عن الذلة والانخزال، لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما. وقرئ: يخرجون من الأجداث؛ من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ الجراد مثل في الكثرة والتموّج. يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض: جاءوا كالجراد، وكالدبا[2] منتشر في كل مكان لكثرته ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ مسرعين مادّي أعناقهم إليه. وقيل: ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم. قال [من الطويل]:

تَعَبَّدَنِي نِمْرُ بْنُ سَعْدٍ وَقَدْ أَرَى ... وَنِمْرُ بْنُ سَعْدٍ لِي مُطِيعٌ وَمُهْطِعُ[3]

---

(١) إن الذي كنت أرجو فضل نائله ... وجدته حاضراه الجود والكرم
يقول: إن الذي كنت أرجو بقية عطائه أو زيادة عطائه ـ وجدته مصاحبًا للجود والكرم. وهما مبتدأ خبره حاضراه، والجملة محلها نصب مفعول ثان، وحضورهما: كناية عن قيامهما به.

(٢) قوله: «كالجراد وكالدبا»، في الصحاح «الدبا» الجراد قبل أن يطير، والواحدة دباة. (ع)

(٣) الكلام على حذف حرف الاستفهام الإنكاري، أي: أيتخذني عبدًا هذا الرجل، وحذف مفعول أرى لدلالة الحال عليه، وهو قوله: ونمر بن سعد مطيع لي ومهطع، أي: منتظر أمري ليمتثله، أو مسرع إلى امتثاله، وأظهر في مقام الإضمار تعجبًا منه واستخفافًا بشأنه، ونمر: بسكون الميم.
ينظر: لسان العرب (عبد)، (نمر)، (هطع)، وديوان الأدب ٢/ ٣١٢، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٠٦، وكتاب العين ١/ ١٠١، ٢/ ٤٨، وأساس البلاغة (عبد)، (هطع)، وتهذيب اللغة ١/ ١٣٥، وتاج =

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾

﴿قَبْلَهُمْ﴾ قبل أهل مكة ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ يعني نوحًا. فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا﴾ بعد قوله: ﴿كَذَّبَتْ﴾[١]؟ قلت: معناه: كذبوا فكذبوا عبدنا أي: كذبوه تكذيبًا على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب. أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا، أي: لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوّة رأسًا كذبوا نوحًا؛ لأنه من جملة الرسل ﴿مَجْنُونٌ﴾ هو مجنون ﴿وَازْدُجِرَ﴾ وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] وقيل: هو من جملة قيلهم، أي: قالوا هو مجنون، وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه. قرئ: أني، بمعنى: فدعا بأني مغلوب، وإني: على إرادة القول، فدعا فقال: إني مغلوب[٢] غلبني قومي، فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من إجابتهم لي ﴿فَانتَصِرْ﴾ فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم، وإنما دعا بذلك بعد ما طمّ عليه الأمروبلغ السيل الرُّبا[٣]، فقد روي: أنّ الواحد من أمّته كان يلقاه فيخنقه حتى يخرّ مغشيًا عليه. فيفيق وهو يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا

= العروس (نمر)، (هطع).

(١) قال محمود: «إن قلت: ما فائدة كذبوا بعد قوله: كذبت قبلهم قوم نوح... إلخ» قال أحمد: قد تقدم كلامه على قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ وأجاب عنه بجوابين: أحدهما متعذر هٰهنا، والآخر: ممكن وهو أن ذلك كقول القائل: أقدم فلان على الكفر فكفر ـ بمحمد عليه الصلاة والسلام ـ، وقد مضى لي جوابان: أحدهما: يمكن إجراؤه هنا، وحاصله منع ورود السؤال؛ لأن الأول مطلق والثاني مقيد؛ فليس تكرارًا. وهو كقوله في هذه السورة: (فتعاطى فعقر) فإن تعاطيه هو نفس عقره، ولكن ذكره من جهة عمومه، ثم من ناحية خصوصه إسهابًا، وهو بمثابة ذكره مرتين، وجواب آخر هنا: وهو أن المكذب أولاً محذوف دل عليه ذكر نوح، فكأنه قال: كذبت قوم نوح نوحًا، ثم جاء بتكذيبهم ثانيًا مضافًا إلى قوله: (عبدنا) فوصف نوحًا بخصوص العبودية، وأضافه إليه إضافة تشريف؛ فالتكذيب المخبر عنه ثانيًا أبشع عليهم من المذكور أولاً لتلك اللمحة، والله أعلم.

(٢) قوله: «فدعا فقال: إني مغلوب» لعله: أي فدعا فقال. (ع)

(٣) قوله: «وبلغ السيل الربا» لعله جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض كالرابية. أفاده الصحاح؛ لكن فيه في حرف الزاي: والزبية الرابية لا يعلوها الماء. وفي المثل: قد بلغ السيل الزبى. والزبية: حفرة تحفر للأسد في موضع عال لأجل صيده. اهـ ملخصًا. (ع)

يعلمون. وقرئ: ففتحنا مخففًا ومشدّدًا، وكذلك وفجرنا ﴿مُّنْهَمِرٍ﴾ منصبّ في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يومًا ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر، وهو أبلغ من قولك: وفجرنا عيون الأرض ونظيره في النظم ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]. ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ يعني مياه السماء والأرض. وقرئ: «الماءان»، أي: النوعان من الماء السماوي والأرضي. ونحوه قولك: عندي تمران، تريد: ضربان من التمر: برني ومعقلي. قال [من الطويل]:

لَنَا إِبِلاَنِ فِيهِمَا مَا عَلِمْتُمُ ....[1]

وقرأ الحسن «الماوان»، بقلب الهمزة واوًا، كقولهم: علباوان ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ على حال قدرها الله كيف شاء. وقيل: على حال جاءت مقدّرة مستوية: وهي أن قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الأرض سواء بسواء. وقيل: على أمر قد قدر في اللوح أنه يكون، وهو هلاك قوم نوح بالطوفان ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ أراد السفينة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتودي مؤداها. بحيث لا يفصل بينها وبينها. ونحوه [من الخفيف]:

.... وَلَـكِـنْ ـنَ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ[2]

أراد: ولكن قميصي درع، وكذلك [من الطويل]:

---

(١) لنا إبلان فيهما ما علمتم فعن أيهما ما شئتم فتنكبوا؟

يقول: لنا قطيعان من الإبل فيهما قرى الأضياف وصلة الفقراء، فاحملوا ما شئتم منهما على مناكبكم، أي: خذوه وافصلوه عن الباقي. أو المعنى: اعدلوا عنهما وانصرفوا عما أردتموه منهما في مناكب الأرض، فإننا حماته. وأيهما: بالسكون لغة في أي المشددة. وما شئتم: بدل منه. ويجوز أن «ما» زائدة، أي: ففي أيهما شئتم فانصرفوا في مناكب الأرض وطرقها مبعدين عنهما. ويجوز أن «ما شئتم» مفعول به، أو مفعول مطلق مقدم على عامله، والفاء الثانية تكرير للأولى. ويجوز أنها إشارة إلى ما في المعمول من معنى الشرط، أي: فإما عن أيهما، أو فإما ما شئتم فتنكبوا، أي: تجنبوا.
وهو لشعبة بن قمير في شرح شواهد الإيضاح ص ٥٦١، ولعوف بن عطيّة في الأصمعيّات ص ١٦٧ (بتغيير القافية، ففيه «فسالما» مكان «فتنكبوا»)، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٧/ ٥٦٤، ٥٨٠، وشرح المفصل ٤/ ١٥٤، ولسان العرب (نكب).

(٢) مفرشي صهوة الحصان ولكنـ ـنَ قميصي مسرودة من حديد
الصهوة: مقعد الفارس من ظهر الفرس. يقول: مفرشي ظهر حصاني. وقميصي: درع من حديد متتابعة النسج، يعني أنه ليس من أهل التنعم، بل من أهل البدو والغزو. والاستدراك من باب استتباع المدح بما يشبه الذم، مبالغة في المدح.
البيت للمتنبي، ينظر: ديوانه ١/ ٦٣، الدر المصون (٦/ ٢٢٧).

. . . .   وَلَـوْ فِـي عُـيُـونِ الـنَّـازِيَـاتِ بِـأَكْـرُعِ(1)

أراد: ولو في عيون الجراد. ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة، أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين، لم يصح، وهذا من فصيح الكلام وبديعه. والدسر: جمع دسار: وهو المسمار، فعال من دسره إذا دفعه؛ لأنه يدسر به منفذه ﴿جَزَآءً﴾ مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده، أي فعلنا ذلك جزاء، ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ وهو نوح ـ عليه السلام ـ، وجعله مكفورًا لأنّ النبي نعمة من الله ورحمة. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فكان نوح ـ عليه السلام ـ نعمة مكفورة، ومن هذا المعنى ما يحكى أنّ رجلاً قال للرشيد: الحمد لله عليك، فقال: ما معنى هذا الكلام؟ قال: أنت نعمة حمدت الله عليها. ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجار وإيصال الفعل. وقرأ قتادة: كفر، أي جزاء للكافرين. وقرأ الحسن «جزاء»، بالكسر: أي مجازاة. الضمير في ﴿تَّرَكْنَـٰهَآ﴾ للسفينة. أو للفعلة، أي: جعلناها آية يعتبر بها. وعن قتادة: أبقاها الله بأرض الجزيرة. وقيل: على الجودي دهرًا طويلاً،/ ٢/ ٢٠٣ب حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة. والمدّكر: المعتبر. وقرئ: «مذتكر» على الأصل. ومذكر، بقلب التاء ذالاً وإدغام الذال فيها. وهذا نحو: مذجر. والنذر: جمع نذير وهو الإنذار ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي سهلناه للادكار والاتعاظ، بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرّفنا فيه من الوعد والوعيد ﴿فَهَلْ مِن﴾ متعظ. وقيل: ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه ليعان عليه. ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيأناه للذكر، من يسر ناقته للسفر: إذا رحلها، ويسر فرسه للغزو: إذا أسرجه وألجمه. قال [من الطويل]:

وَقُـمْـتُ إِلَـيْـهِ بِـالـلِّـجَـامِ مُـيَـسِّـرًا   هُنَالِكَ يَجْزِينِي الَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ(2)

---

(١) وإني لأستوفي حقوقي جاهدًا   ولو في عيون النازيات بأكرع

يقول: ولا بد من الاجتهاد في تخليص حقوقي وأخذها، ولو كانت في أخفى مكان وأبعده كعيون الجراد النازيات الواثبات بأكرع، أي أرجل دقيقة جمع كراع: فحذف الموصوف وكنى عنه بالنازيات صفته لجريانها مجرى الاسم. وقيل: المعنى لا بد من أخذ إبلي ولو كانت هزالاً جدًا بحيث ترى في عيون الجراد لصغرها، أي: ولو كانت كأنها كذلك.

ينظر: الدر المصون (٦/ ٢٢٧).

(٢) أرى أم سهل لا تزال تفجع   تلوم وما أدري علام توجع
تلوم على أن أمنح الورد لقحة   وما تستوي والورد ساعة تفزع
إذا هي قامت حاسرًا مشمعلة   نخيب الفؤاد رأسها ما يقنع
وقمت إليه باللجام ميسرًا   هنالك يجزيني الذي كنت أصنع

للأعرج المعنى الخارجي. وتفجع وتوجع: أصلها بتاءين حذفت إحداهما تخفيفًا. وعلام: استفهام عن علة التوجع. وأمنح: أعطى والورد: اسم فرسه. واللقحة: اللبن الحليب. والحاسر: العريانة =

ويروى: أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل لا يتلوها أهلها إلا نظرًا ولا يحفظونها ظاهرًا كما القرآن.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَنُذُرِ﴾ وإنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله. أو إنذار أتى في تعذيبهم لمن بعدهم ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ في يوم شؤم. وقرئ: «في يوم نحس» كقوله: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾. [فصلت: ١٦]. ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم. أو استمر عليهم جميعًا كبيرهم وصغيرهم، حتى لم يبق منهم نسمة، وكان في أربعاء في آخر الشهر لا تدور. ويجوز أن يريد بالمستمر: الشديد المرارة والبشاعة ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقلعهم عن أماكنهم، وكانوا يصطفون آخذين أيديهم بأيدي بعض[1]. يتدخلون في الشعاب، ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ يعني أنهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتًا وهم جثث طوال عظام، كأنهم أعجاز نخل وهي أصولها بلا فروع، منقعر: منقلع، عن مغارسه. وقيل: شبهوا بأعجاز النخل، لأنّ الريح كانت تقطع رءوسهم فتبقى أجسادًا بلا رءوس. وذكر صفة ﴿نَخْلٍ﴾ على اللفظ، ولو حملها على المعنى لأنث، كما قال: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾

= الوجه. والمشمعلة: السريعة الجري. والنخيب: الخالية المجوفة. والمراد: التي ذهب عقلها ورأسها، ما يقنع: أي ما يستر بالقناع لدهشتها وخجلتها. وقوله: «الورد الأول» مفعول به، والثاني مفعول معه: هذا حال أم سهل. وأما حال مهره، فبينها في قوله: وقمت إليه مهيئًا ومعدًا له باللجام. أو مسهلاً له به، دلالة على أنه كان صعبًا لولا اللجام. وهنالك إشارة إلى مكان الحرب، أو إلى زمانها، يجزيني: أي يعطيني جزاء صنعي معه، وشبهه بمن تصح منه المجازاة على طريق المكنية، وصنعه: هو سقيه اللبن.

ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٧٨)، الدر المصون (٦/ ٢٢٨).

(١) قوله: «آخذين أيديهم بأيدي بعض» عبارة النسفي: آخذين بعضهم بأيدي بعض. (ع)

﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا﴾ نصب بفعل مضمر يفسره ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ وقرئ: «أبشر منا واحد»، على الابتداء. «ونتبعه» خبره، والأوّل أوجه للاستفهام. كأن يقول: إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق، وسعر: ونيران، جمع سعير، فعكسوا عليه فقالوا: إن اتبعناك كنا إذن كما تقول. وقيل: الضلال: الخطأ والبعد عن الصواب. والسعر: الجنون. يقال: ناقة مسعورة. قال [من الطويل]:

كَـأَنَّ بِـهَـا سُـعْـرًا إِذَا الْـعِـيـسُ هَـزَّهَـا ... ذَمِـيـلٌ وَإِرْخَـاءٌ مِـنَ الـسَّـيْـرِ مُـتْـعِـبُ[1]

فإن قلت: كيف أنكروا أن يتبعوا بشرًا منهم واحدًا؟ قلت: قالوا أبشرًا: إنكارًا لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية، وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة[2]، وقالوا: ﴿مِّنَّا﴾ لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى، وقالوا: ﴿وَاحِدًا﴾ إنكارًا لأن تتبع الأمّة رجلاً واحدًا. أو أرادوا واحدًا من أفنائهم[3] ليس بأشرفهم وأفضلهم، ويدل عليه قولهم: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوّة ﴿أَشِرٌ﴾ بطر متكبر، حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ أصالح أم من كذبه. وقرئ: «ستعلمون» بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبًا لهم. أو هو كلام الله تعالى على سبيل الالتفات. وقرئ: الأشر، بضم الشين، كقولهم حدث وحدث. وحذر وحذر، وأخوات لها. وقرئ: الأشر، وهو الأبلغ في الشرارة. والأخير والأشر: أصل قولهم: هو خير منه وشر منه، وهو أصل مرفوض، وقد حكى ابن الأنباري قول العرب: هو أخير وأشر، وما أخيره وما أشره ﴿مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ باعثوها ومخرجوها من الهضبة[4] كما سألوا ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ امتحانًا لهم وابتلاء ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري ﴿قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ مقسوم بينهم: لها شرب يوم ولهم شرب يوم. وإنما قال: بينهم، تغليبًا للعقلاء «محتضر» محضور لهم أو للناقة. وقيل: يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها ﴿صَاحِبَهُمْ﴾ قدار بن سالف

---

(١) السعر: الجنون، والمسعور: المجنون والذي ضربته السموم. يقول: كأن بناقتي جنون لقوة سيرها؛ فالعيس: جمع عيساء وهي النوق البيض، حركها ذميل وإرخاء: وهما نوعان من السير متعب كل منهما. وإسناد الهز إليهما مجاز عقلي من باب الإسناد للسبب؛ وإن أريد بالهز التسيير فيكون من الإسناد للمصدر. كجد جده؛ لكن المسند هنا من المتعدي، والمسند إليه من اللازم.

(٢) قوله: «أعلى من جنس البشر وهم الملائكة» تفضيل الملك على البشر مذهب المعتزلة. وأهل السنة يفضلون البشر على الملك. (ع)

(٣) قوله: «واحدًا من أفنائهم» وفي الصحاح: يقال هو من أفناء الناس، إذا لم يعلم ممن هو. اهـ، ولم يذكر له واحدًا. (ع)

(٤) قوله: «ومخرجوها من الهضبة» في الصحاح «الهضبة» الجبل المنبسط على وجه الأرض. (ع)

أحيمر ثمود ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له، فأحدث العقر بالناقة. وقيل فتعاطى الناقة فعقرها، أو فتعاطى السيف ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صيحة جبريل. والهشيم؛ الشجر اليابس المتهشم المتكسر. والمحتظر: الذي يعمل الحظيرة وما/ ٢/ ٢٠٤أ يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم. وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار، أي: الحظيرة.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿حَاصِبًا﴾ ريحا تحصبهم بالحجارة، أي: ترميهم ﴿بِسَحَرٍ﴾ بقطع من الليل، وهو السدس الأخير منه. وقيل: هما سحران، فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر، والآخر عند انصداعه، وأنشد [من الرجز]:

مَـرَّتْ بِـأَعْـلَـى الـسَّـحَـرَيْـنِ تَـذْأَلُ[1]

وصرف لأنه نكرة. ويقال: لقيته سحر: إذا لقيته في سحر يومه ﴿نِعْمَةً﴾ إنعامًا، مفعول له ﴿مَنْ شَكَرَ﴾ نعمة الله بإيمانه وطاعته ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ لوط ـ عليه السلام ـ ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذتنا بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا﴾ فكذبوا ﴿بِالنُّذُرِ﴾ متشاكين ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق. روي أنهم لما عالجوا باب لوط ـ عليه السلام ـ ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا، ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١] فصفقهم جبريل ـ عليه السلام ـ بجناحه صفقة فتركهم يتردّدون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط ﴿فَذُوقُوا﴾ فقلت لهم: ذوقوا على ألسنة الملائكة ﴿بُكْرَةً﴾ أوّل النهار وباكره، كقوله: مشرقين، ومصبحين. وقرأ زيد بن ـ علي رضي الله عنهما ـ: «بكرة»، غير منصرفة، وتقول: أتيته بكرة وغدوة بالتنوين. إذا أردت التنكير، وبغيره إذا عرّفت وقصدت

---

(١) يا سائلي إن كنت عنها تسأل   مرت بأعلى السحرين تذأل

يقول: يا من تسألني إن كنت تسألني عن الحمر الوحشية لا غير، فقد مرت بأعلى السحرين وهو السحر الذي قبل انصداع الفجر. والأدنى: هو الذي عند انصداعه، أي مرت في السحر الأول تذأل بالهمز، أي: تسرع في المشي من ذأل كمنع: إذا مشى في خفة. ومنه: ذؤالة الذئب، وبين تسأل وتذأل الجناس المضارع.

ينظر: لسان العرب (سحر)، (ذأل)، وتهذيب الغة ٤/ ٢٩٣، وتاج العروس (سحر)، (ذأل)، وجمهرة اللغة ص ١٠٩٧، والمخصص ٩/ ٤٧، وكتاب العين ٣/ ١٣٦، ٨/ ١٩٨.

بكرة نهارك وغدوته ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ ثابت قد استقرّ عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة. فإن قلت: ما فائدة تكرير قوله ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾؟ قلت: فائدته أن يجدّدوا عند استماع كل نبإ من أنباء الأوّلين ادّكارًا واتعاظًا، وأن يستأنفوا تنبهًا واستيقاظًا، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويقعقع لهم الشن[1] تارات؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير، كقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمٰن: ١٣] عند كل نعمة عدّها في سورة الرحمٰن، وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: ١٥] عند كل آية أوردها في سورة والمرسلات، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب. مصورّة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾

﴿النُّذُرُ﴾ موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء، لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون. أو جمع نذير وهو الإنذار ﴿بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ بالآيات التسع ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يغالب ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يعجزه شيء.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ الكفار المعدودين: قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون، أي أهم خير قوّة وآلة ومكانة في الدنيا. أو أقلّ كفرًا وعنادًا يعني: أنّ كفاركم مثل أولئك بل شرّ منهم ﴿أَمْ﴾ أنزلت عليكم يا أهل مكة ﴿بَرَاءَةٌ﴾ في الكتب المتقدّمة. أنّ من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنًا من عذاب الله، فأمنتم بتلك البراءة ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جماعة أمرنا مجتمع ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ ممتنع لا نرام ولا نضام. وعن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر، فتقدّم في الصف وقال: نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه، فنزلت ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ عن عكرمة: لما نزلت هذه الآية قال عمر: أيّ جمع يهزم، فلما رأى رسول الله ﷺ يثب في الدرع ويقول: «سيهزم الجمع» عرف تأويلها (١٥٢٨) ﴿وَيُوَلُّونَ

١٥٢٨ ـ ١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٣/٢٥٩)، وابن جرير الطبري (١١/٥٦٧) (٣٢٨٢٣) كلاهما من طريق معمر عن أيوب قال: لا أعلمه إلا عن عكرمة أن عمر قال لما نزلت: «سيهزم =

---

(١) قوله: «ويقعقع لهم الشن» القربة الخلق، كذا في الصحاح. (ع)

﴿الدُّبُرَ﴾ أي الأدبار كما قال [من الوافر]:

كُـلُـوا فِـي بَـعْـضِ بَـطْـنِـكُـمُ تَـعِـفُّـوا ....[1]

وقرئ: «الأدبار» ﴿أَدْهَىٰ﴾ أشدّ وأفظع. والداهية: الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه ﴿وَأَمَرُّ﴾ من الهزيمة والقتل والأسر. وقرئ: «سنهزم الجمع».

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ في هلاك ونيران. أو في ضلال عن الحق في الدنيا، ونيران في الآخرة ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ كقولك: وجد مسّ الحمى وذاق طعم الضرب؛ لأنّ النار إذا أصابتهم بحرّها ولفحتهم بإيلامها، فكأنها تمسهم مسّا بذلك، كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم. وذوقوا: على إرادة القول. و«سقر»: علم لجهنم. من سقرته النار وصقرته إذا لوّحته. قال ذو الرمّة [من الطويل]:

إذَا ذَابَـتِ الـشَّـمْـسُ اتـقـى صَـقَـرَاتِـهَـا ... بِـأَفْـنَـانِ مَـرْبُـوعِ الـصَّـرِيـمَـةِ مُـعْـبِـلِ[2]

= الجمع»...

قلت: وهذا إسناد منقطع، فإن عكرمة لم يسمع من عمر
لكن للحديث شاهد من حديث ابن عباس.
أخرجه البخاري في صحيحه (١٣١٨) كتاب المغازي (٦٤) ـ حديث رقم (٣٩٥٣) وأحمد في مسنده (١/ ٣٢٩) والطبراني في الكبير (١١/ ٣٤٨) (١١٩٧٦) عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم بدر «اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك، فخرج وهو يقول «سيهزم الجمع ويولون الدبر» وحديث عمر عزاه الهيثمي في المجمع (٦/ ٨١) للطبراني في الأوسط وقال فيه محمد بن إسماعيل الأنصاري ولم أعرفه.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٨٤) لابن أبي شيبة وابن راهويه وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.
وقال الحافظ:
أخرجه عبدالرزاق عن معمر عن قتادة، وعن أيوب عن عكرمة «أن عمر ـ فذكره» وأتم منه. ورواه من هذا الوجه إسحاق، والطبري، وابن أبي حاتم، ورواه الطبري في الأوسط من رواية عبد المجيد بن أبي رواد عن معمر عن قتادة عن أنس عن عمر موصولاً. انتهى.

---

(١) تقدم.
(٢) لذي الرمة يصف بقر الوحش، يقال: ذابت الشمس إذا اشتد حرها حتى يتساقط من شعاعها مثل اللعاب، وصقر الصخرة بالمصقر: ضربها بالمعول ليكسرها. وصقرته الشمس: إذا ضربته فغيرت =

وعدم صرفها للتعريف والتأنيث ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر(١) وقرئ: «كل شيء» بالرفع. والقدر والقدر: التقدير. وقرئ بهما، أي: خلقنا كل شيء مقدّرًا محكمًا مرتبًا على حسب ما اقتضته الحكمة. أو مقدّرًا مكتوبًا في اللوح. معلومًا قبل كونه، قد علمنا حاله وزمانه ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ إلا كلمة واحدة سريعة التكوين ﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ أراد قوله كن، يعني أنه إذا/ ٢/ ٢٠٤ب أراد تكوين شيء لم يلبث كونه.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾

= لونه. وصقرة الشمس: اشتداد وقعها على الأرض. والأفنان، جمع فنن وهو مجتمع الورق الملتف المتكاثف في الغصن. والمربوع: الذي أصابه مطر الربيع. والصريمة: الرملة المتصرمة من الرمال. والمعبل: كثير الورق مفتوله. يقول: إذا اشتد حر الشمس توقى شدائده بأغصان شجر سقاه الربيع في هذا الموضع من الرمال. والمعبل: كثير الورق. ومعبل: بدل من مربوع، كأنه جامد. ويجوز أنه نعت له، على أن إضافته من إضافة الوصف إلى الظرف، فلا تفيده التعريف، فيصح وصفه بالنكرة.

ينظر: ديوانه ص ١٤٥٨، ولسان العرب (ذوب)، (صقر)، (ربع)، (عبل)، وتهذيب اللغة ٢/ ٣٧٥، ٤٠٩، ٨/ ٣٦٥، ١٥/ ٢١، وتاج العروس (ذوب)، (صقر)، (عبل)، وأساس البلاغة (ذوب)، وكتاب العين ٥/ ٦٠، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٣٦٦، ومقاييس اللغة ٢/ ٣١٤، ٣/ ٢٩٧.

(١) قال محمود: «منصوب بمضمر يفسره الظاهر» قال أحمد: كان قياس ما مهده النحاة: اختيار رفع (كل) لكن لم يقرأ بها واحد من السبعة، وإنما كان كذلك؛ لأن الكلام مع الرفع جملة واحدة، ومع النصب جملتان، فالرفع أخصر، مع أنه لا مقتضى للنصب ههنا من أحد الأصناف الستة، أعني: الأمر، والنهي... إلى آخرها، ولا أجد هنا مناسب عطف ولا غيره مما يعدونه من محال اختيارهم للنصب، فإذا تبين ذلك فاعلم أنه إنما عدل عن الرفع إجماعًا لسر لطيف يعين اختيار النصب: وهو أنه لو رفع لوقعت الجملة التي هي: (خلقناه) صفة لشيء، ورفع قوله: (بقدر) خبرًا عن كل شيء المقيد بالصفة، ويحصل الكلام على تقدير: إنا كل شيء مخلوق لنا بقدر، فأفهم ذلك أن مخلوقًا ما يضاف إلى غير الله تعالى ليس بقدر، وعلى النصب يصير الكلام: إنا خلقنا كل شيء بقدر، فيفيد عموم نسبة كل مخلوق إلى الله تعالى، فلما كانت هذه الفائدة لا توازيها الفائدة اللفظية على قراءة الرفع مع ما في الرفع من نقصان المعنى ومع ما في هذه القراءة المستفيضة من مجيء المعنى تامًا واضحًا كفلق الصبح، لا جرم أجمعوا على العدول عن الرفع إلى النصب، لكن الزمخشري لما كان من قاعدة أصحابه تقسيم المخلوقات إلى مخلوق الله ومخلوق لغير الله، فيقولون: هذا لله بزعمهم، وهذا لنا: فغرت هذه الآية فاه، وقام إجماع القراء حجة عليه، فأخذ يستروح إلى الشقاء، وينقل قراءتها بالرفع؛ فليراجع له ويعرض عليه إعراض القراء السبعة عن هذه الرواية. مع أنها هي الأولى في العربية، لولا ما ذكرناه، أيجوز في حكمه حينئذ الإجماع على خلاف الأولى لفظًا ومعنى من غير معنى اقتضى ذلك أم لا؟ وهو المخير فيما يحكم به، فإلى الله ترجع الأمور.

﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ في دواوين الحفظة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ومن كل ما هو كائن ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ مسطور في اللوح.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

«ونهر» وأنهار، اكتفى باسم الجنس. وقيل: هو السعة والضياء من النهار. وقرئ بسكون الهاء. ونهَر: جمع نهر، كأسد وأسد ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مكان مرضيّ. وقرئ: «في مقاعد صدق» ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ مقرّبين عند مليك مبهم أمره في الملك والاقتدار، فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته، فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القمر في كل غب[1] بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر» (١٥٢٩).

١٥٢٩ ـ تقدم برقم (٣٤٦)
وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي بأسانيدهم إلى أُبي بن كعب. انتهى.

---

(١) قوله: «في كل غب بعثه الله» في الصحاح «الغب»: أن ترد الإبل الماء يومًا وتدعه يومًا. والغب في الزيارة: قال الحسن: في كل أسبوع. (ع)

الكشاف

عن

حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري
(٤٦٧-٥٣٨ هـ)

تحقيق وتعليق ودراسة

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي
أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

الجزء السادس

مكتبة العبيكان

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب. ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس ٤٦٥٠١٢٩

الكشاف

سورة الرحمن

مدنية وآياتها ٧٨ [نزلت بعد الرعد]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ ﴾

عدّد الله عز وعلا آلاءه، فأراد أن يقدّم أوّل شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه[1] وأصناف نعمائه، وهي نعمة الدين، فقدّم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها: وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه، لأنه أعظم وحي الله رتبة، وأعلاه منزلة، وأحسنه في أبواب الدين أثرًا، وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها، وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره، ثم أتبعه إياه: ليعلم أنه إنما خلقه للدين، وليحيط علمًا بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله، وكأن الغرض في إنشائه كان مقدّمًا عليه وسابقًا له، ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح[2] المعرب عما

(١) قال محمود: «عدد الله عز وجل آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدمًا في ضروب آلائه... إلخ» قال أحمد: نغير من هذا الكلام قوله: أن خلق الإنسان كان الغرض فيه. أي المراد منه: أن يحيط علمًا بالكتب والوحي، ويعوض بأن المراد بخلقه: أن يدعي إلى ذلك، لا أن يقع ذلك منه، فهذا هو المراد العام، ثم منهم من أراد الله منه أن يحيط علمًا بالدين فيسر له ذلك، ومنهم من أراد ضلالته وجهالته فبعد عنه ولم يوفق، والله الموفق للصواب.

(٢) قال محمود: «ثم ذكر ما تميز به عن سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب... إلخ» قال أحمد: وإنما خص الجمل الأول بذكرها تبكيتًا للإنسان لأجل التصاق معانيها به، ألا ترى أنه مذكور فيها نطقًا وإضمارًا وحذفًا مدلولاً عليه في الكلام، فهو منطوق به مظهرًا في قوله: (خلق الإنسان) ومضمرًا في قوله: (علمه البيان) ومدلولاً على حذفه في قوله: (علم القرآن) فإنه المفعول الثاني، أما قوله: (الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان) فليس للإنسان فيهما ذكر ألبتة، =

في الضمير، و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١﴾ مبتدأ، وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد، كما تقول: زيد أغناك بعد فقر، أعزّك بعد ذل، كثرك بعد قلة، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد، فما تنكر من إحسانه؟ ﴿بِحُسۡبَانٍ﴾ بحساب معلوم وتقدير سويّ يجريان في بروجهما ومنازلهما. وفي ذلك منافع للناس عظيمة: منها علم السنين والحساب ﴿وَٱلنَّجۡمُ﴾ والنبات الذي لا ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ الذي له ساق. وسجودهما: انقيادهما لله فيما خلقا له، وأنهما لا يمتنعان، تشبيهًا بالساجد من المكلفين في انقياده. فإن قلت: كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمٰن؟ قلت: استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي، لما علم أن الحسبان حسبانه، والسجود له لا لغيره، كأنه قيل: الشمس والقمر بحسبانه، والنجم والشجر يسجدان له، فإن قلت: كيف أخلّ بالعاطف في الجمل الأول، ثم جيء به بعد؟ قلت: بَكَّت بتلك الجمل الأول واردة على سنن التمديد، ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين أنكروا الرحمٰن وآلاءه، كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدّمته، ثم ردّ الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف. فإن قلت: أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف؟ قلت: إنّ الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل، وأنّ السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين، وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله، فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل: ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ جعله علامة وآية. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: الإنسان آدم. وعنه أيضًا: محمد رسول الله ﷺ. وعن مجاهد النجم: نجوم السماء ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ خلقها مرفوعة مسموكة، حيث جعلها منشأ أحكامه، ومصدر قضاياه، ومتنزل أوامره ونواهيه، ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه؛ ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه ﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ وفي قراءة عبد الله «وخفض الميزان». وأراد به كل ما توزن به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس، أي: خلقه موضوعًا مخفوضًا على الأرض: حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ﴾ لئلا تطغوا. أو هي أن المفسرة. وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير أن، على إرادة القول/ ٢/ ٢٠٥أ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ وقوّموا وزنكم بالعدل ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ ولا تنقصوه: أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة، وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان. وكرّر لفظ

= وجل المقصود من سياقهما التنبيه على عظمة الله تعالى.

الميزان: تشديدًا للتوصية به، وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه. وقرئ: «والسماء» بالرفع. «ولا تخسروا» بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها. يقال: خسر الميزان يخسره ويخسره، وأمّا الفتح فعلى أن الأصل: ولا تخسروا في الميزان، فحذف الجار وأوصل الفعل. و﴿وَضَعَهَا﴾ خفضها مدحوّة على الماء ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلق، وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة. وعن الحسن: الإنس والجنّ، فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها ﴿فَٰكِهَةٌ﴾ ضروب مما يتفكه به، و﴿ٱلْأَكْمَامِ﴾ كل ما يكّم أي يغطي من ليفة وسعفة وكفرّاة[1] وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه. وقيل الأكمام أوعية التمر: الواحد كم، بكسر الكاف و﴿ٱلْعَصْفِ﴾ ورق الزرع، وقيل التبن ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ الرزق وهو اللب: أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل، وما يتغذى به وهو الحب. وقرئ: «والريحان»، بالكسر. ومعناه: والحب ذو العصف الذي هو علف الأنعام، والريحان الذي هو مطعم الناس. وبالضم على: وذو الريحان، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقيل: معناه وفيها الريحان الذي يشم، وفي مصاحف أهل الشأم: «والحب ذو العصف والريحان» أي: وخلق الحب والريحان: أو وأخص الحب والريحان[2]. ويجوز أن يراد: وذا الريحان، فيحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه، والخطاب في ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ للثقلين بدلالة الأنام عليهما. وقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمٰن: ٣١].

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾

الصلصال: الطين اليابس له صلصلة. والفخار: الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف. فإن قلت: قد اختلف التنزيل في هذا، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦ ـ ٢٨ ـ ٣٣]، ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١] ﴿مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]. قلت: هو متفق في المعنى، ومفيد أنه خلقه من تراب: جعله طينًا، ثم حمأ مسنون، ثم صلصالا. و﴿ٱلْجَآنَّ﴾ أبو الجن. وقيل: هو إبليس. والمارج: اللهب الصافي الذي لا دخان فيه. وقيل: المختلط بسواد النار، من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط. فإن قلت: فما معنى

---

(١) قوله: «وسعفة وكفراة» الذي في الصحاح «الكفرى بلا تاء، وأنها وعاء الطلع اهـ؛ فلعل عبارة المفسر من ليفة وسعفة وكفراة بإضافة كل إلى ضمير النخل، كما سيأتي في ثمره وجماره وجذوعه. والناسخ توهم أنها هاء للتأنيث فنقطها فوق. (ع)

(٢) قال السمين الحلبي: وفيه نظر، لأنه لم يدخل في مسمى الفاكهة، والنخل حتى تخصه من بينهما وإنما أراد إضمار فعل، وهو أخص فليس هو الاختصاص الصناعي. انتهى. الدر المصون.

قوله: ﴿مِّن نَّارٍ﴾؟ قلت: هو بيان لمارج، كأنه قيل: من صاف من نار. أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة، كقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: ١٤].

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾

قرئ: رب المشرقين ورب المغربين، بالجر بدلاً من (ربكما) وأراد: مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين، لا فصل بين الماءين في مرأى العين ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ لا يتجاوزان حدّيهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة. قرئ: يُخرَج ويَخْرُج من أُخرج. وخرج. ويُخرِج: أي الله ـ عز وجل ـ «اللؤلؤَ والمرجانَ» بالنصب. ونخرج بالنون. و«اللؤلؤ»: الدرّ. والمرجان: هو الخرز الأحمر وهو البسذ. وقيل: اللؤلؤ كبار الدرّ. والمرجان: صغاره. فإن قلت: لم قال: (منهما) وإنما يخرجان من الملح[1]؟ قلت: لما التقيا وصارا كالشيء الواحد، جاز أن يقال: يخرجان منهما، كما يقال يخرجان من البحر، ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه. وتقول: خرجت من البلد وإنما خرجت من محلة من محاله، بل من دار واحدة من دوره. وقيل: لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب[2].

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿الْجَوَارِ﴾ السفن. وقرئ: «الجوار» بحذف الياء ورفع الراء، ونحوه [من الرجز]:

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم قال منهما وإنما يخرجان من الملح... إلخ» قال أحمد: هذا القول الثاني مردود بالمشاهدة، والصواب هو الأول، ومثله (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وإنما أريد إحدى القريتين، هذا هو الصحيح الظاهر، وكما تقول: فلان من أهل ديار مصر، وإنما بلده محلة واحدة منها.

(٢) قال السمين الحلبي: وقال بعضهم: كلام الله أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز أن يسوقها من البحر العذب إلى الملح واتفق أنهم لم يخرجوها إلاّ من الملح. وإذا كان في البر أشياء تخفى على التجار المترددين القاطعين المفاوز فكيف بما في قعر البحر؟ والجواب عن هذا أن الله لا يخاطب الناس ولا يمتن عليهم إلا بما يألفون ويشاهدون. انتهى. الدر المصون.

لَـهَـا ثَـنَـايَـا أَرْبَـعٌ حِـسَـانُ وَأَرْبَـعٌ فَـكُـلُّـهَـا ثَـمَـانُ[1]

و ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ المرفوعات الشُّرّع[2]. وقرئ: بكسر الشين: وهي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهنّ. والأعلام: جمع علم، وهو الجبل الطويل.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿عَلَيْهَا﴾ على الأرض ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ذاته، والوجه يعبر به عن الجملة والذات[3]، ومساكين مكة يقولون: أين وجه عربيّ كريم ينقذني من الهوان، و﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ صفة الوجه. وقرأ عبد الله: ذي، على: صفة ربك. ومعناه: الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم[4]. أو الذي يقال له: ما أجلك وأكرمك. أو من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده، وهذه الصفة من/ ٢/ ٢٠٥ب عظيم صفات الله؛ ولقد قال رسول الله ﷺ: «ألظوا[5] بياذا الجلال والإكرام» (١٥٣٠) وعنه عليه الصلاة

١٥٣٠ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة هم أنس بن مالك، وأبو هريرة، وربيعة بن عامر وعبدالله بن عمر.

أما حديث أنس بن مالك:

فأخرجه الترمذي (٥/ ٥٤٠) ـ كتاب الدعوات (٤٩) ـ باب (٩٢) ـ (٣٥٢٥) وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٦/ ٤٤٥)(٣٧٣٣)

كلاهما من طريق مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال... فذكر الحديث.

=

---

(١) الثنايا: مقدم الأسنان، وظاهر البيت أنها أربع من فوق وأربع من تحت، فكل ثناياها ثمان. وروي: فثغرها ثمان، وهذه الرواية تناسب ما اشتهر من أن الثنايا اثنان من فوق واثنان من تحت فهي أربع، ويليها مثلها رباعيات، ويليها مثلها أنياب، ويليها مثلها ضواحك، وما بقي أضراس. ثم نواجذ. وعامل المنقوص معاملة الصحيح، فرفع ثمان خبرًا للمبتدأ، وصارت الياء المحذوفة نسيًا منسيًا.
ينظر: خزانة الأدب (٧/ ٣٦٥)، وشرح الأشموني (٣/ ٦٢٧)، وشرح التصريح (٢/ ٢٧٤)، ولسان العرب (ثغر) (ثمن) وتاج العروس (ثغر) (ثمن)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٠٧).

(٢) قوله: «والمنشئات المرفوعات الشرع» في الصحاح «الشراع»: شراع السفينة اهـ، فالشرع جمعه، ككتاب وكتب. (ع)

(٣) قال محمود: «الوجه يعبر به عن الذات ومساكين مكة يقولون... إلخ» قال أحمد: المعتزلة ينكرون الصفات الإلهية التي دل عليها العقل، فكيف بالصفات السمعية؛ على أن من الأشعرية من حمل الوجه واليدين والعينين على نحو ما ذكر، ولم ير بيانها صفات سمعية.

(٤) قوله: «عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم» إجلاله عن أفعال الخلق مبني على مذهب المعتزلة: أنه لا يخلق أفعال العباد. ومذهب أهل السنة: أنه هو الخالق لها. (ع)

(٥) قوله: «ألظوا بياذا الجلال» أي: الزموا ذلك. اهـ صحاح. (ع)

والسلام: أنه مرّ برجل وهو يصلي ويقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «قد استجيب

= قلت، ومؤمل بن إسماعيل تكلم فيه البخاري ووثقه جماعة.
فقال فيه البخاري، منكر الحديث وقال أبو حاتم: صدوق شديد في السنة كثير الخطأ ووثقة يحيى ابن معين، وقال أبو عبيد الآجري، سألت أبا داود عن مؤمل بن إسماعيل فعظمه ورفع شأنه إلا أنه يهم في الشيء.
قلت: وقد عد هذا الحديث من أوهامه.
فقال الترمذي على الحديث السابق، حديث غريب وليس بمحفوظ، وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وهذا أصح ومؤمل غلط فيه فقال عن حماد عن حميد عن أنس ولا يتابع فيه.
وأما قول الترمذي «لا يتابع فيه» ففيه نظر.
فقال ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ١٧٠ و١٩٢)، سألت أبي عن حديث رواه مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن حميد عن أنس ورواه روح بن عبادة عن حماد عن ثابت وحميد عن أنس عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «الظوا بذي الجلال والإكرام» قال أبي، هذا خطأ حماد يرويه عن أبان بن أبي عياش عن أنس.
وأخرجه الترمذي أيضًا (٥/ ٥٣٩) (٣٥٢٤) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ. . .
ويزيد بن أبان الرقاشي وهو أبو عمرو البصري ضعيف كما في التقريب (٢/ ٣٦١).
وأما حديث أبي هريرة:
فأخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٤٩٩) من طريق رشدين بن سعد ثنا موسى بن حبيب عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا «ألظوا. . . .
وسكت عنه ولم يتعقبه الذهبي.
قلت، وفيه رشدين بن سعد وهو أبو الحجاج المصري ضعيف كما في القتريب (١/ ٢٥١).
وأما حديث ربيعة بن عامر:
أخرجه النسائي في الكبرى (٤/ ٤٠٩) ـ كتاب النعوت: باب «ذو الجلال والإكرام» (٧٧١٦) وفي التفسير (٦/ ٤٧٩) (١١٥٦٣).
وأحمد في مسنده (٤/ ١٧٧) والحاكم في مستدركه (٥/ ٦٤) (٤٥٩٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١/ ٢٨٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٤٩٢) (٤٤٢) كلهم من طريق ابن المبارك أخبرني يحيى بن حسان عن ربيعة بن عامر مرفوعًا.
وقال الحاكم، صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
وأما حديث ابن عمر:
عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٩٦) لابن مردويه في تفسيره.
وقال الحافظ:
أخرجه الترمذي من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيدضعيف، ومن رواية مؤمل عن حماد بن حميد عن أنس مرفوعًا، وقال غيره مخفوضًا، وإنما هو عن حماد عن حميد عن الحسن مرسلًا وهو أصبح، وأخرجه من رواية مؤمل إسحاق وابن أبي شيبة، وبالثاني أبو يعلى وللبزار قال ابن أبي حاتم عن أبيه: أخطأ فيه مؤمل، والصحيح ما رواه أبو سلمة عن حماد عن ثابت، وحميد عن =

لك» (١٥٣١). فإن قلت: ما النعمة في ذلك؟ قلت: أعظم النعمة وهي مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك.

= الحسن مرسلًا، ورواه ابن مردويه من رواية روح بن عبادة عن حماد عن حميد عن أنس موصولاً أيضًا، وهذه متابعة قوية لمؤمل، وفي الباب عن ربيعة بن عامر بن نجاد أخرجه الحاكم، وفيه رشيد بن سعد، وهو ضعيف وعن ابن عمر أخرجه ابن مردويه وإسناده ضعيف. انتهى.

١٥٣١ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٥٤١) ـ كتاب الدعوات (٤٩) ـ باب (٩٤) ـ (٣٥٢٧) والبخاري في الأدب المفرد (ص٢١٣/ ٧٣٢)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٣١ و٢٣٥) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٥٥) (٩٧).

كلهم من طريق سفيان عن سعيد الجريري عن أبي الورد عن اللجلاج عن معاذ بن جبل قال: مر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ برجل وهو يقول. . .».

قلت: وسعيد بن إياس الجريري أبو مسعود البصري ثقة إلا أنه اختلط قبل موته ـ ولكن روى عنه سفيان الثوري قبل الاختلاط.

فقال العجلي في ثقاته (ص ١٨١/ ٥٣١) سعيد بن إياس ـ ثقة واختلط بآخِرة روى عنه في الاختلاط، يزيد بن هارون وابن المبارك. . . وكل ما روى عنه مثل هؤلاء فهو مختلط، إنما الصحيح عنه، حماد بن سلمة وإسماعيل بن علية وعبد الأعلى من أصحهم سماعًا، سمع منه قبل أن يختلط بثمان سنين وسفيان الثوري وشعبة صحيح أ. هـ.

وأما أبو الورد وهو ابن ثمامة بن حزن القشيري، قال ابن أبي حاتم في علله: قال أبو زرعة وأبو الورد لايسمى، وقال ابن سعد في طبقاته (٧/ ٢٢٦) كان معروفًا قليل الحديث وقال الحافظ في التقريب (٢/ ٤٨٦) مقبول.

وقال الترمذي عقب الحديث، حسن.

قلت: ونحن نتوقف في تصحيحه حتى نجد له متابعات وشواهد.

عن ابن عمر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يقل فيه «ويرفع قومًا. . .».

ومحمد بن عبدالرحمن البيلمان. . قال الحافظ في التقريب (٢/ ١٨٢) (٤٤٢)، ضعيف، وقد اتهمه ابن عدي وابن حبان. أ. هـ.

ووقع في المطبوع من تخريج الكشاف للزيلعي «٣/ ٣٩٨». . . محمد بن عبدالرحمن بن السليماني. . والصواب ما أثبتناه والله المستعان.

وأما حديث عبدالله بن منيب الأزدي.

أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٥٩٢) (٣٣٠١٢)، والبزار في مسنده (٢٢٦٦) كلاهما من طريق عمرو بن بكر السكسكي، قال ثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني عن أبيه عبدة بن رباح عن منيب بن عبدالله الأزدي عن أبيه قال: تلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الآية «كل يوم هو في شأن». . .

وعمرو بن بكر السَّكسكي الشامي، متروك كما في التقريب (٢/ ٦٦).

والحديث علقه البخاري على أبي الدرداء موقوفًا (٩/ ٦٠٥) ـ كتاب التفسير (٦٥) ـ سورة الرحمن ـ وقال الحافظ في الفتح (٩/ ٦٠٩).

وصله المصنف في «التاريخ» وابن حبان في «الصحيح» وابن ماجه وابن أبي عاصم والطبراني عن أبي الدرداء مرفوعًا، وأخرجه البيهقي في «الشعب» من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء موقوفًا، =

كل من أهل السموات والأرض مفتقرون إليه، فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم، وأهل الأرض ما يتعلق بدينهم ودنياهم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي كل وقت وحين يحدث أمورًا ويجدّد أحوالاً، كما روي: عن رسول الله ﷺ أنه تلاها فقيل له: وما ذلك الشأن؟ فقال: «من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا، ويرفع قومًا ويضع آخرين» (١٥٣٢) وعن ابن عيينة: الدهر عند الله تعالى يومان، أحدهما: اليوم الذي هو مدّة عمر الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع. والآخر: يوم القيامة، فشأنه فيه الجزاء والحساب. وقيل: نزلت في اليهود حين قالوا: إنّ الله لا يقضي يوم السبت شيئًا. وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله إلى الغد وذهب كئيبًا يفكر فيها، فقال غلام له أسود: يا مولاي، أخبرني ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدي، فأخبره فقال له: أنا أفسرها

= وللمرفوع شاهد آخر عن ابن عمر أخرجه البزار وآخر عن عبدالله بن منيب أخرجه الحسن بن سفيان والبزار وابن جرير والطبراني.

وقال الحافظ:

أخرجه الترمذي، والبخاري في الأدب المفرد، وأحمد، والبزار، والطبراني من طريق أبي الدرداء عن اللجلاج عن معاذ بن جبل فذكره. أ.هـ

١٥٣٢ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة هم أبو الدرداء وابن عمرو وعبدالله بن منيب.

أما حديث أبي الدرداء:

أخرجه ابن ماجه (١/ ٧٣) ـ المقدمة ـ حديث رقم (٢٠٢)، وابن أبي عاصم في السنة حديث رقم (٣٠١)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٦٤) (٦٨٩) والواحدي في الوسيط (٤/ ٢٢١)، وابن عساكر في «التاريخ» (٢/ ٢/ ٢ و١٥/ ١٢٦/ ١) كلهم من طريق هشام بن عمار ثنا الوزير بن صبيح، حدثنا يونس بن ميسرة بن حليس عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله «كل يوم هو في شأن»... قال البوصيري في الزوائد (١/ ٨٨) هذا إسناد حسن لتقاصر الوزير عن درجة الحفظ والإتقان، قال فيه أبو حاتم: صالح وقال رحيم، ليس بشيء، وقال أبو نعيم، وكان يعد من الأبدال، ربما أخطأ، وذكره ابن حبان في الثقات... لكن لم ينفرد به الوزير بن صبيح، فقد رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ثنا عبدالله بن إبان الكوفي ثنا إسحاق ابن سليمان عن معاوية بن يحيى عن يونس بن ميسرة عن أبي ادريس الخولاني عن أبي الدرداء موقوفًا..

وأما حديث ابن عمر

فأخرجه البزار في مسنده (٢٢٦٧) من طريق محمد بن عبدالرحمن البيلماني عن أبيه.

وقال الحافظ:

أخرجه ابن ماجه وابن حبان والطبراني والبزار وأبو يعلى من حديث أبي الدرداء، وفي الباب عن ابن عمر أخرجه البزار بإسناد ضعيف. وعن عبدالله بن حبيب الأزدي. أخرجه البزار والطبراني وابن أبي حاتم قال البزار: لا أعلم أسند عبدالله بن حبيب إلا هذا الحديث.

للملك فأعلمه، فقال: أيها الملك شأن الله أن يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ، ويشفي سقيمًا ويسقم سليمًا، ويبتلي معافًا ويعافي مبتلىٰ، ويعزّ ذليلاً ويذل عزيزًا ويفقر غنيًا ويغني فقيرًا؛ فقال الأمير: أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال: يا مولاي هذا من شأن الله. وعن عبد الله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له: أشكلت على ثلاث آيات، دعوتك لتكشفها لي: قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١] وقد صح أنّ الندم توبة وقوله تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وقد صح أنّ القلم قد جفّ بما هو كائن إلى يوم القيامة. وقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩] فما بال الأضعاف؟ فقال الحسين: يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الأمّة. ويكون توبة في هذه الأمّة؛ لأنّ الله تعالى خص هذه الأمّة بخصائص لم يشاركهم فيها الأمم، وقيل: إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل، ولكن على حمله، وأما قوله: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) فمعناه: ليس له إلا ما سعى عدلاً، ولي أن أجزيه بواحدة ألفًا فضلاً، وأما قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فإنها شئون يبديها لا شئون يبتدئها، فقام عبد الله وقبل رأسه وسوّغ خراجه.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ مستعار من قول الرجل لمن يتهدده: سأفرغ لك، يريد: سأتجرّد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنك، حتى لا يكون لي شغل سواه، والمراد: التوفر على النكاية فيه والانتقام منه، ويجوز أن يراد: ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها، وتنتهي عند ذلك شئون الخلق التي أرادها بقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فلا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم، فجعل ذلك فراغًا لهم على طريق المثل، وقرئ: «سيفرغ لكم»، أي: الله تعالى، «وسأفرغ لكم» و«سنفرغ» بالنون، مفتوحًا مكسورًا وفتح الراء، و«سيفرَغ» بالياء مفتوحًا ومضمومًا مع فتح الراء، وفي قراءة أبيّ «سنفرغ إليكم» بمعنى: سنقصد إليكم، والثقلان: الإنس والجن، سميا بذلك؛ لأنهما ثقلا الأرض.

﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ كالترجمة لقوله: أيها الثقلان ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي، فافعلوا، ثم قال: لا تقدرون على النفوذ ﴿إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ﴾ يعني بقوّة وقهر وغلبة، وأنى لكم ذلك، ونحوه: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ

﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢] وروي: أنّ الملائكة عليهم السلام تنزل فتحيط بجميع الخلائق، فإذا رآهم الجن والإنس هربوا، فلا يأتون وجهًا إلا وجدوا الملائكة أحاطت به. قرئ: «شواظ ونحاس»، كلاهما بالضم والكسر؛ والشواظ: اللهب الخالص. والنحاس: الدخان؛ وأنشد [من المتقارب]:

تُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيـــــطِ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسَا[1]

وقيل: الصفر المذاب يصبّ على رءوسهم. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر. وقرئ: «ونحاس»، مرفوعًا عطفًا على شواظ. ومجرورًا عطفًا على نار. وقرئ: «ونحس» جمع نحاس، وهو الدخان، نحو لحاف ولحف. وقرئ: «ونحس» أي: ونقتل بالعذاب. وقرئ: «نرسل عليكم شواظًا من نار ونحاسًا» ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ فلا تمتنعان.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَرْدَةً﴾ حمراء ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ كدهن الزيت، كما قال: «كالمهل» وهو درديّ الزيت، وهو جمع دهن. أو اسم ما يدهن به كالحزام والإدام. قال [من الطويل]:

كَأَنَّهُمَا مَزَادَتَا مُتَعَجِّلِ فَرِيَّانِ لَمَّا تُدْهَنَا بِدِهَانِ[2] /٢/٢٠٦أ

---

(١) للنابغة الجعدي. والسليط: الشيرج، ولم يجعل: جملة حالية من السراج. والنحاس: الدخان. وشرط مجيء الحال من المضاف إليه موجود؛ لأن الضوء مثل جزئه، ولعله يصف وجه محبوبته التي قال فيها:

إذا ما الضجيع ثنى عطفها. ....

البيت: شبهه بالسراج في الإضاءة، يقيد أن لا يكون فيه دخان؛ لأن ضوء وجهها كذلك. فهو من التشبيه المقيد.

ينظر ديوانه (٨١)، وغريب القرآن لابن قتيبة (٤٣٨)، ومعاني الفراء ٣/١٣٧، مجاز القرآن ٢/ ٢٤٥، والاقتضاب ص ٤٠٧، واللسان (سلط)، والتاج (سلط)، ومجمع البيان ٩/٣٠٨، وشرح شواهده ص ٤٠٧، والقرطبي ١٧/ ١١٢، والبحر ٨/ ١٨٥، والدر المصون ٦/ ٢٤٣.

(٢) لامرئ القيس. والمزادة: قربة صغيرة يتزود فيها الماء للسفر. والفري ـ وزن فعيل بمعنى مفعول، من فريت الجلد إذا شققته. ولما: حرف جزم ونفي كلم، إلا أنه يختص بتوقع منفيه. ويروى: لما تسلقا، أي: تدهنا، من سلقت الجلد إذا دهنته. والدهان: ما يدهن به، كالإدام ما يؤتدم به: شبه عينيه من كثرة البكاء بقربتي رجل متعجل، وهو من يأتي أهله بالإعجالة: وهي ما يعجله الراعي إلى أهله من اللبن قبل وقت الحلب. ويمكن أن المعنى أنه مستعجل لم يصبر حتى يدبغهما ويدهنهما، فريان: مشقوقتان، أي على حالة سلخهما لم يدهنا بدهن قط. وقيل: معنى التعجل أنه لم يحكم =

وقيل: الدهان الأديم الأحمر. وقرأ عمرو بن عبيد «وردة» بالرفع، بمعنى: فحصلت سماء وردة، وهو من الكلام الذي يسمى التجريد، كقوله [من الكامل]:

فَلَئِنْ بَقِيتُ لأَرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ   تَحْوِي الْغَنَائِمَ أو يَمُوتَ كَرِيمُ[1]

﴿إِنسٌ﴾ بعض من الإنس ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾ أريد به: ولا جن: أي: ولا بعض من الجن، فوضع الجانّ الذي هو أبو الجن موضع الجن، كما يقال: هاشم، ويراد ولده. وإنما وحد ضمير الإنس في قوله: ﴿عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾ لكونه في معنى البعض. والمعنى: لا يسألون لأنهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون. فإن قلت: هذا خلاف قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢] وقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤]. قلت: ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر، قال قتادة: قد كانت مسألة، ثم ختم على أفواه القوم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته، ولكن يسأل سؤال توبيخ. وقرأ

= ربطهما. فهما يذرفان ماء من فميهما لا من ثقوبهما.
ينظر: ديوانه (١٦٧)، واللسان (عجل)، والتاج (عجل)، وشرح شواهده ص ٥٥٩، والدر المصون ٦/ ٢٤٤.

(١) ومعي أسود من حنيفة في الوغى   للبيض فوق رءوسهم تسويم
قوم إذا لبسوا الحديد كأنهم   في البيض والحلق الدلاص نجوم
فلئن بقيت لأرحلنَّ بغزوة   تَحْوِي الغنائم أو يموت كريم

لقتادة بن مسلم الحنفي. والدلاص: اللينة الملساء. واستعار الأسود للشجعان على طريق التصريح، ثم قال: إنهم موسومون في الحرب بالمغافر حال كونها فوق رءسهم. والمراد بالحديد: الدروع والمغافر والحلق الدروع وكانت بيضاء. فشبههم فيها بالنجوم للمعانها. أو كانت سوداء، فشبه وجوههم فيها بالنجوم في السماء، فالجامع مركب حسي. والفاء في قوله: «فلئن بقيت» تدل على أن ما بعدها مسبب عما قبلها من توفر رجاله وشجاعتهم ومنعتهم، أي: والله لئن طال عمري لأرجعن إلى الأعداء بغزوة أخرى تجمع الغنائم ونحوها، فنحو بالنون: فعل مضارع مجزوم في جواب شرط مقدر، أي: إن رجعنا إليهم بغزوة نجمع الغنائم منهم. وأما جواب إن المذكورة فمحذوف، دل عليه جواب القسم. وروي: لأرحلن بغزوة، أي: لأسافرن بغزوة، تحوى بالتاء وزيادة الياء، أي تجمع الغنائم وتحوزها. وإسناد الفعل للغزوة، لأنها سبب الجمع والحيازة. ويجوز أن معناها الكتيبة، مبالغة في غزوها. وروي نحوي بالنون مع الياء، أي: تجمع نحن ونحوز في تلك الغزوة، فالجملة صفة لغزوة. ويجوز أنه استئناف: جواب لسؤال مصدر. وروي: نحو الغنائم بالنصب على الظرفية، أي جهة الغنائم. وأو بمعنى إلا، أي إلا أن يموت كريم يعني نفسه، فهو من باب التجريد، كأنه انتزع من نفسه شخصًا مثله في الشجاعة فأخبر عنه، والكرم هنا الشجاعة؛ لأنه في كل باب يحسبه؛ فليس خاصًا بمقابل البخل. ومعنى الاستثناء راجع إلى معنى الجمع والحيازة، ولا يلزم من اشتراط البقاء في الذهاب اشتراط فيما يوجد عقبه فلا تكرار.
ينظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢/ ١٣٨ ـ ١٣٩، والدر المصون ٦/ ٢٤٤.

الحسن وعمرو بن عبيد: ولا جأنٌّ؛ فرارًا من التقاء الساكنين، وإن كان على حده.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ عن الضحاك: يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة، تارة تأخذ بالنواصي؛ وتارة تأخذ بالأقدام ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ ماء حارّ قد انتهى حرّه ونضجه، أي: يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم. وقيل: إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم. وقيل: إن واديًا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال، فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم؛ ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقًا جديدًا. وقرئ: «يطوّفون» من التطويف. ويطوّفون، أي: يتطوّفون ويطافون. وفي قراءة عبد الله: «هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها». ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب: نجاة الناجي منه برحمته وفضله، وما في الإنذار به من اللطف.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٦] ونحوه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ [إبراهيم: ١٤] ويجوز أن يراد بمقام ربه: أن الله قائم عليه؛ أي: حافظ مهيمن من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته. وقيل: هو مقحم كما تقول: أخاف جانب فلان، وفعلت هذا لمكانك. وأنشد [من الوافر]:

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ ... مَقَامَ الذِّئْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ[1]

---

(١) قوله: «كالرجل اللعين»: هو شيء ينصب وسط الزرع لطرد الوحوش، كذا في الصحاح. اهـ عليان. قلت: وتقدم شرح هذا الشاهد بهذا الجزء صفحة ٢٠٥ فراجعه إن شئت اهـ مصححه. =

يريد: ونفيت عنه الذئب. فإن قلت: لم قال: ﴿جَنَّتَانِ﴾؟ قلت: الخطاب للثقلين؛ فكأنه قيل: لكل خائفين منكما جنتان: جنة للخائف الإنسي، وجنة للخائف الجني. ويجوز أن يقال: جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصي؛ لأن التكليف دائر عليهما وأن يقال: جنة يثاب بها، وأخرى تضم إليها على وجه التفضل، كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] خص الأفنان بالذكر: وهي الغصنة[١] التي تتشعب من فروع الشجرة: لأنها هي التي تورق وتثمر، فمنها تمتد الظلال، ومنها تجتنىٰ الثمار. وقيل: الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين. قال [من الطويل]:

وَمِــنْ كُــلِّ أَفْـنَــانِ الــلَّــذَاذَةِ وَالــصِّــبَــا ... لَــهَــوْتُ بِــهِ وَالْــعَــيْــشُ أَخْــضَــرُ نَــاضِــرُ[٢]

﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ حيث شاءوا في الأعالي والأسافل. وقيل: تجريان من جبل من مسك. وعن الحسن: تجريان بالماء الزلال: إحداهما التسنيم، والأخرىٰ: السلسبيل ﴿زَوْجَانِ﴾ صنفان: قيل: صنف معروف وصنف غريب ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصب على المدح الخائفين. أو حال منهم، لأنّ من خاف في معنى الجمع ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ من ديباج ثخين، وإذا كانت البطائن من الإستبرق، فما ظنك بالظهائر؟ وقيل: ظهائرها من سندس. وقيل: من نور ﴿دَانٍ﴾ قريب يناله القائم والقاعد والنائم. وقرئ: «وجنى»، بكسر الجيم.

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧﴾

= وهو للشمّاخ بن ضرار في ديوانه ص ٣٢١، وجمهرة اللغة ص ٩٤٩، وخزانة الأدب ٤/٣٤٧، ٣٤٨، وشرح المفصل ٣/١٣، ولسان العرب (لعن)، والمعاني الكبير ١/ ١٩٤، والمنصف ١/ ١٠٩، وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٢/ ٥٤٣، والمحتسب ١/ ٣٢٧.

(١) قوله: «وهي الغصنة» جمع غصن، كقرطة جمع قرط. أفاده الصحاح. (ع)
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٨٥).

(٢) الأفنان: جمع فنن، وهو الغصن كثير الورق، فيكون شبه اللذات والصبا: بروضة أو شجرة ذات أفنان على طريق المكنية. وإثبات الأفنان: تخييل. ويجوز أنه جمع فن، أي: نوع وصنف على غير قياس، كصحب وأصحاب. واللذاذات: جمع لذاذة، وهي اللذة. ويروى: اللذاذة بالإفراد. والصبا: الشباب أو هوى النفس. ومن بمعنى بعض على طريقة الزمخشري، أي: وبعض الأفنان لهوت، أي: تمتعت به. والجمهور يجعلون نحو هذا مما حذف فيه الموصوف، كقولهم: منا ظعن ومنا أقام، لتقدم مجرور يدل عليه، فمن كل: خبر مقدم، ولهوت: صفة لمحذوف مبتدأ مؤخر، أي: صنف لهوت به؛ لكن المعنى على الإخبار باللهو، فلا بد من المصير إلى رأي الزمخشري. أو جعل الجار والمجرور صفة للمبتدأ، ولهوت خبرًا وإن لم يتقدم المجرور على الصفة. ويجوز أن «من كل» معمول لمحذوف يفسره المذكور، أي: تمتعت من كل الأفنان لهوت به، والواو للحال، أي: والحال أن العيش أخضر، أي رطب لين ناضر حسن، نشبه العيش بروض يافع. والخضرة تخييل.

كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾

﴿فِيهِنَّ﴾ في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى. أو في الجنتين، لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ نساء قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ: لا ينظرن إلى غيرهم/ ٢/ ٢٠٦ب. لم يطمث الإنسيات منهنّ أحد من الإنس، ولا الجنيات أحد من الجن(١) وهذا دليل عى أنّ الجن يطمثون كما يطمث الإنس، وقرئ: «لم يطمثهنّ» بضم الميم. قيل: هنّ في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدّر: أنصع بياضًا. قيل: إنّ الحوراء تلبس سبعين حلة، فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ في العمل ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ في الثواب. وعن محمد بن الحنفية: هي مسجلة للبرّ والفاجر. أي: مرسلة، يعني: أنّ كل من أحسن أُحسن إليه، وكل من أساء أسيء إليه.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقرّبين ﴿جَنَّتَانِ﴾ لمن دونهم من أصحاب اليمين ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ قد ادهامّتا من شدّة الخضرة ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ فوّارتان بالماء. والنضخ أكثر من النضح، لأنّ النضح غير معجمة مثل الرش، فإن قلت: لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها؟ قلت: اختصاصًا لهما وبيانًا لفضلهما، كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران، كقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] أو لأنّ النخل ثمره فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء، فلم يخلصا للتفكه. ومنه قال أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانًا أو رطبًا: لم يحنث، وخالفه صاحباه.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

---

(١) قال محمود: «لم يطمث الإنسية إنسي ولا الجنية جني... إلخ» قال أحمد: يشير إلى الرد على من زعم أن الجن المؤمنين لا ثواب لهم وإنما جزاؤهم ترك العقوبة وجعلهم ترابًا.

﴿خَيْرَٰتٌ﴾ خيّرات فخففت، كقوله عليه السلام: «هينون لينون»[1] وأما «خير» الذي هو بمعنى «أخير»، فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات. وقرئ: «خيرات» على الأصل. والمعنى: فاضلات الأخلاق حسان الخلق ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ قصرن في خدورهنّ. يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدّرة. وقيل: إنّ الخيمة من خيامهنّ درّة مجوّفة ﴿قَبْلَهُمْ﴾ قبل أصحاب الجنتين، دل عليهم ذكر الجنتين ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصب على الاختصاص. والرفرف: ضرب من البسط. وقيل البسط وقيل الوسائد، وقيل كل ثوب عريض رفرف. ويقال لأطراف البسط وفضول الفسطاط: رفارف. ورفرف السحاب: هيدبه[2] والعبقري: منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنه بلد الجن؛ فينسبون إليه كل شيء عجيب. وقرئ: «رفارف خضر» بضمتين. وعباقري، كمدائني: نسبة إلى عباقري في اسم البلد، وروى أبو حاتم: عباقرى، بفتح القاف ومنع الصرف، وهذا لا وجه لصحته. فإن قلت: كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل: ومن دونهما؟ قلت: مدهامّتان، دون ذواتا أفنان. ونضاختان دون: تجريان. وفاكهة دون، كل فاكهة. وكذلك صفة الحور والمتكأ. وقرئ: «ذو الجلال» صفة، للاسم.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الرحمٰن أدّى شكر ما أنعم الله عليه» (١٥٣٣).

١٥٣٣ ـ تقدم برقم (٣٤٦)
وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أُبي بن كعب. انتهى.

---

(١) قوله: «هينون لينون» لعله ورد في صفة المؤمنين ومثله قال الشاعر:
هينون لينون أيسارٌ ذوو كرم. (ع)

(٢) قوله: «ورفرف السحاب هيدبه» في الصحاح: هيدب السحاب: ما تهدب منه، إذا أراد الورق أراه كأنه خيوط. (ع)

سورة الواقعة

مكية [إلا آيتي ٨١ و٨٢ فمدنيتان]

وآياتها ٩٦ وقيل ٩٧ آية [نزلت بعد طه]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾

﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ كقولك: كانت الكائنة، وحدثت الحادثة، والمراد القيامة: وصفت بالوقوع؛ لأنها تقع لا محالة، فكأنه قيل: إذا وقعت التي لا بدّ من وقوعها، ووقوع الأمر: نزوله. يقال: وقع ما كنت أتوقعه، أي: نزل ما كنت أترقب نزوله. فإن قلت: بم انتصب إذا؟ قلت: بليس. كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل. أو بمحذوف، يعني: إذا وقعت كان كيت وكيت، أو بإضمار اذكر[1] ﴿كَاذِبَةٌ﴾ نفس كاذبة، أي: لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب؛ لأنّ كل نفس حينئذٍ مؤمنة صادقة مصدّقة، وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ٨٤]، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الشعراء: ٢٠١]، ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الحج: ٥٥] واللام مثلها في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤] أو: ليس لها نفس تكذبها وتقول لها: لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها، يقلن لها: لن تكوني. أو هي من قولهم: كذبت فلانًا نفسه في الخطب العظيم، إذا شجعته على مباشرته وقالت له: إنك تطيقه وما فوقه فتعرّض له ولا تبال به، على معنى: أنها/ ٢/ ٢٠٧أ وقعة لا تطاق شدّة وفظاعة. وأن لا نفس حينئذٍ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الأمور وتزين له احتمالها وإطاقتها، لأنهم يومئذٍ أضعف من ذلك وأذل. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]

---

(١) قال السمين الحلبي: ومعنى كلام الزمخشري: أن النفي المفهوم من ليس هو العامل في إذا، كأنه قيل: ينتفي كذب وقوعها إذا وقعت. انتهى. الدر المصون.

والفراش مثل في الضعف. وقيل: ﴿كَاذِبَةٌ﴾ مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب، من قولك: حمل على قرنه فما كذب، أي: فما جبن وما تثبط. وحقيقته: فما كذب نفسه فيما حدثته به. من إطاقته له وإقدامه عليه. قال زهير [من البسيط]:

.... إذَا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا[1]

أي: إذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ على: هي خافضة رافعة، ترفع أقوامًا وتضع آخرين: إما وصفًا لها بالشدّة؛ لأنّ الواقعات العظام كذلك، يرتفع فيها ناس إلى مراتب ويتضع ناس، وإما لأنّ الأشقياء يحطون إلى الدركات، والسعداء يرفعون إلى الدرجات؛ وإما أنها تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارّها، فتخفض بعضًا وترفع بعضًا: حيث تسقط السماء كسفًا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمرّ في الجوّ مرّ السحاب، وقرئ: «خافضة رافعة» بالنصب على الحال ﴿رُجَّتِ﴾ حرّكت تحريكًا شديدًا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ﴾ وفتت[2] حتى تعود كالسويق، أو سيقت من بسّ الغنم إذا ساقها. كقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [النبأ: ٢٠]، «منبثًا» متفرقًا. وقرئ بالتاء أي: منقطعًا. وقرئ: «رجت وبست» أي: ارتجت وذهبت. وفي كلام بنت الخس[3]: عينها هاج، وصلاها راج. وهي تمشي تفاج. فإن قلت: بم انتصب إذا رجت؟ قلت: هو بدل من إذا وقعت. ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة. أي: تخفض وترفع وقت رج الأرض، وبسّ الجبال لأنه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا، يقال للأصناف التي بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض: أزواج.

---

(١) ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

لزهير يمدح شجاعًا، فاستعار له اسم الأسد على طريق التصريحية، والاصطياد ترشيح. وعثر: اسم موضع. أي شجاع في عثر يقتل الرجال إذا كذب أي جبن وضعف الفارس الشديد عن أقرانه في الحرب، صدق هو ونفذ عزمه وقتل قرنه، وفي البيت الطباق بين الصدق والكذب، وهو من بديع الكلام.

ينظر: ديوانه ص ٥٤، ولسان العرب (كذب)، (عثر)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ١٦١، وتهذيب اللغة ١٠/ ١٧٤، وجمهرة اللغة ص ٤٢١، وتاج العروس (كذب)، (عثر)، وبلا نسبة في ديوان الأدب ١/ ٨٤.

(٢) قوله: «وفتت حتى تعود كالسويق» عبارة النسفي: وفتتت. (ع)

(٣) قوله: «وفي كلام بنت الخس» في الصحاح: الخس بالفتح: بقلة. والخس بالضم: اسم رجل. ومنه: هند بنت الخس. وعين هاجة: أي غائرة. والصلا: ما عن يمين الذنب ويساره. وفججت ما بين رجلي أفجهما: إذا فتحت. يقال: هو يمشي مفاجا. (ع)

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ الذي يؤتونها بشمائلهم. أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية، من قولك: فلان مني باليمين، فلان مني بالشمال: إذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة؛ وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل، ولتفاؤلهم بالسانح[1] وتطيّرهم من البارح، ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن، وسموا الشمال الشؤمى. وقيل: أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة: أصحاب اليمن والشؤم؛ لأنّ السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم، والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم. وقيل: يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله عزّ وجل وقيل: الناس ثلاثة: فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه، ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا؛ فهذا السابق المقرّب، ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة، ثم تراجع بتوبة؛ فهذا صاحب اليمين، ورجل ابتكر الشرّ في حداثة سنه، ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا، فهذا صاحب الشمال. ما أصحاب الميمنة. ما أصحاب المشأمة؟ تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة[2]. والمعنى: أي شيء هم؟ والسابقون

---

(١) قوله: «لتفاؤلهم بالسانح» هو ما مر من يسارك إلى يمينك من ظبي أو طائر. والبارح: عكسه. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «ما» تعجيب من حال الفريقين... إلخ» قال أحمد: اختار ما هو المختار؛ لأنه أقعد بالفصاحة، لكن بقي التنبيه على المخالفة بين المذكورين في السابقين وفي أصحاب اليمين، مع أن كل واحد منهما إنما أريد به التعظيم والتهويل لحال المذكورين، فنقول: التعظيم المؤدىٰ بقوله: (السابقون) أبلغ من قرينه، وذلك أن مؤدى هذا: أن أمر السابقين وعظمة شأنه ما لا يكاد يخفى، وإنما تحير فهم السامع فيه مشهور. وأما المذكور في قوله (وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) فإنه تعظيم على السامع بما ليس عنده منه علم سابق. ألا ترى كيف سبق بسط حال السابقين بقوله: (أولئك المقربون) فجمع بين اسم الإشارة المشار به إلى معروف، وبين الإخبار عنه بقوله: (المقربون) معرفًا بالألف واللام العهدية، وليس مثل هذا مذكورًا في بسط حال أصحاب اليمين، =

السابقون، يريد: والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم، كقوله: وعبد الله عبد الله.
وقول أبي النجم [من الرجز]:

.....وشعري شعري[١]

كأنه قال: وشعري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته، وقد جعل السابقون تأكيدًا. وأولئك المقرّبون: خبرًا وليس بذاك، ووقف بعضهم على: والسابقون؛ وابتدأ السابقون أولئك المقرّبون، والصواب أن يوقف على الثاني، لأنه تمام الجملة، وهو في مقابلة: ما أصحاب الميمنة، وما أصحاب المشأمة ﴿ٱلۡمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش وأعليت مراتبهم. وقرئ: «في جنة النعيم» والثلة: الأمة من الناس الكثيرة. قال [من الطويل]:

وَجَاءَتْ إِلَيْهِمْ ثُلَّةٌ خِنْدِفِيَّةٌ ... بِجَيْشٍ كَتَيَّارٍ مِن السَّيْلِ مُزْبِدِ[٢]

وقوله عز وجل: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ كفى به دليلًا على الكثرة، وهي من الثل وهو الكسر، كما أنّ الأمّة من الأمّ وهو الشجّ، كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم. والمعنى: أنّ السابقين من الأوّلين كثير، وهم الأمم من لدن آدم عليه السلام إلى

= فإنه مصدر بقوله: (في سدر مخضود).

(١) أنا أبو النجم وشعري شعري ... لله دري ما أجنّ صدري
تنام عيني وفؤادي يسري ... مع العفاريت بأرض قفر
لأبي النجم العجلي. يريد: أنا المعروف بالبلاغة بين الناس كالعلم المشهور. وشعري: هو البليغ المعروف بأنه شعر أبي النجم، لأنه إذا اتحد المبتدأ والخبر أو الشرط والجزاء: دل الكلام على المبالغة في التعظيم أو في التحقير. وما هنا من الأول بدليل السياق. وفيه ادعاء أن نهاية العظمة في الرجل المسمى بأبي النجم، ونهاية البلاغة في الشعر المنسوب إليه. والدر: اللبن؛ لكن المراد به العمل والصنع، أي: لله صنيعي، يعني: أنه عظيم. وجن الليل: أظلم. والنبت: طال والتف. والذباب: كثرت أصواته. وجنه الليل: ستره، وأجنه الصدر: أكنه. وما تعجبية. وأجن: فعل تعجب، أي: شيء عظيم جعل صدري محيطًا بالمعاني الغريبة؛ ويحتمل أن «ما» بدل من دري. وأجن: فعل ماض صلة أو صفة له، وفؤادي: قلبي أو عقلي. يسري: يسير ليلًا. أي: يبيت فكري كأنه ذاهب مع العفاريت بأرض فضاء لا نبات بها، لإبعاده في المعاني. والبيت الثاني بيان للأول.
ينظر: الخزانة (١/ ٢١١)، والمغني (١/ ٣٢٩)، الدر المصون (٦/ ٢٥٤).

(٢) وجاءت إليهم ثلة خندفية ... بجيش كتيار من السيل مزبد
يقول: وجاءت إليهم جماعة من الناس منسوبة إلى خندف امرأة إلياس بن مضر. وقوله: «بجيش» من باب التجريد، كأنه انتزع من الثلة جيشًا غيرها مبالغة في الكثرة. ويحتمل أن الباء بمعنى مع، أوفى؛ لأن الجيش أوسع من الثلة، وهو من جاش إذا تحرك واضطرب، كأنه يغلي، والتيار: الماء الشديد الجري، ومن بيانية أو تبعيضية. والمزبد: المرتفع زبده على وجهه لكثرته وفورانه.
ينظر: روح المعاني ٢٧/ ١٣٧، والدر المصون ٦/ ٢٥٥.

محمد ﷺ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ وهم أمّة محمد ﷺ. وقيل: ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من متقدّمي هذه الأمة، و﴿مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ من متأخريها. وعن النبي ﷺ: «الثلثان جميعًا من أمّتي» (١٥٣٤). فإن قلت: كيف قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ ثم قال: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾؟ قلت: هذا في السابقين وذلك في أصحاب اليمين؛ وأنهم يتكاثرون من الأولّين والآخرين جميعًا. فإن قلت: فقد روي أنها لما نزلت شقّ ذلك على المسلمين، فما زال رسول الله ﷺ يراجع ربه حتى نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠]. قلت: هذا لا يصح لأمرين، أحدهما: أنّ هذه الآية واردة في السابقين/ ٢/ ٢٠٧ب ورودًا ظاهرًا، وكذلك الثانية في أصحاب[1] اليمين. ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم، على السابقين ووعدهم، والثاني: أنّ النسخ في الأخبار غير جائز وعن

١٥٣٤ ـ روي هذا الحديث من حديث أبي بكرة، ومن حديث ابن عباس: أما حديث أبي بكرة:
فعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٠٣) إلى مسدد في مسنده عن علي بن زيد عن عقبة بن صهبان عن أبي بكرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله تعالى: «ثلة من الأولين وثلة من الآخرين» قال: هما جميعًا من أمتي.
وفي طريق مسدد رواه الطبراني في معجمه، وابن مردويه في تفسيره، وإبراهيم الحربي في غريب الحديث له، وأبو داود الطيالسي، وإسحاق بن راهويه في مسنديهما؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (حـ ٣/ ٤٠٣).
وأما حديث ابن عباس:
فأخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٤٦) رقم (٣٣٤٤٤ ـ ٣٣٤٤٥)، والواحدي في تفسيره (٤/ ٣٣٥)، والثعلبي والبغوي في تفسيريهما؛ كما في تخريج الكشاف (٣/ ٤٠٤)، كلهم عن سفيان الثوري عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «هما جميعًا من أمتي» أ. هـ.
وضعفه الطبري فإنه قال: وقد روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خبر من وجه غير صحيح؛ أنه قال: «الثلثان من أمتي».
قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١/ ٣١) في أبان بن أبي عياش: متروك. أ. هـ.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٢٢٧)، وزاد نسبته إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن عدي، وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس.
ـ قال الحافظ:
أخرجه الطبري، وابن عدي من رواية أبان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال في هذه الآية: ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «هما جميمًا من أمتي»، وأبان هو ابن أبي عياش متروك. ورواه إسحاق وسنده إلى الطيالسي وإبراهيم الحربي والطبراني من رواية زيد بن صهبان عن أبي بكرة مرفوعًا وموقوفًا. والموقوف أولى بالصواب. وعلي ضعيف. انتهى.

---

(١) قوله: «وكذلك الثانية في أصحاب اليمين» أي ظاهرة الورود. (ع)

الحسن ـ رضي الله عنه ـ: سابقو الأمم أكثر من سابقي أمّتنا، وتابعو الأمم مثل تابعي هذه الأمّة. وثلة: خبر مبتدإ محذوف، أي: هم ثلة ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ مرمولة بالذهب[1]، مشبكة بالدرّ والياقوت، قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع. قال الأعشى [من المتقارب]:

وَمِـــنْ نَـــسْـــجِ دَاوُدَ مَـــوْضُـــونَـــةٌ .... [2]

وقيل: متواصلة، أدنى بعضها من بعض. ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ حال من الضمير في على، وهو العامل فيها، أي: استقرّوا عليها متكئين ﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض. وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ مبقون أبدًا على شكل الولدان وحدّ الوصافة[3] لا يتحوّلون عنه. وقيل: مقرّطون، والخلدة: القرط. وقيل: هم أولاد أهل الدنيا: لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها، ولا سيئات فيعاقبوا عليها. روي عن عليّ ـ

١٥٣٥ ـ أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٩٥) رقم (٦٩٩٣) عن عيسى بن شعيب عن عباد بن منصور عن أبي رجاء عن سمرة بن جندب قال: سألنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أطفال المشركين فقال: «هم خدم أهل الجنة».
وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٢٢)، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ـ والبزار في مسنده، وفيه عباد بن منصور ووثقه يحيى القطان وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات.
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٠٨) من طريق سفيان الثوري عن الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذراري المشركين لم يكن لهم ذنوب يعاقبون فيها فيدخلون النار ولم تكن لهم حسنة يجازون بها، فيكونوا من ملوك الجنة؟ فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «هم خدم أهل الجنة» أ. هـ. وأبو داود الطيالسي في مسنده؛ كما في تخريج الكشاف (٣/ ٤٠٥) للزيلعي.
من طريق الربيع بن صبيح عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس بن مالك به. .
قال الحافظ:
أخرجه البزار والطبراني في الأوسط من رواية عباد بن منصور عن أبي رجاء العطاردي عن سمرة بن =

---

(١) قوله: «مرمولة بالذهب» في الصحاح: رملت الحصير، أي: سففته. وفيه أيضًا: سففت الخوص: أي نسجته. (ع)

(٢) ومــن نــســج داود مــوضــونــة تــســاق مع الـحـي عـيـرًا فـعـيـرًا
للأعشى، يصف الدروع، وجعلها من نسج سيدنا داود مبالغة في حسن صنعتها؛ لأنه نسجها بأمر من الله وتعليمه له. موضونة: أي مدخل بعضها في بعض، فهي محكمة النسج لتساق، أي: أصحابها مع الحي. والعير بالفتح: السيد، أي سيدًا بعد سيد متربين، ويطلق العير على طائر يطير فوق القافلة السائرة، وتبعد إرادته هنا.
ينظر: ديوانه (٧١)، مجاز القرآن ٢/ ٢٤٨، واللسان (وضن) والطبري ٢٧/ ٩٩، والدر المصون ٦/ ٥٥.

(٣) قوله: «وحد الوصافة» هي بلوغ الغلام حد الخدمة. أفاده الصحاح. (ع)

رضي الله عنه ـ وعن الحسن. وفي الحديث: «أولاد الكفار خدّام أهل الجنة» (١٥٣٥). الأكواب: أوان بلا عرى وخراطيم، والأباريق، ذوات الخراطيم ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: بسببها، وحقيقته: لا يصدر صداعهم عنها. أو لا يفرّقون عنها. وقرأ مجاهد: «لا يصدعون»، بمعنى: لا يتصدعون لا يتفرقون، كقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣] ويصدعون، أي: لا يصدع بعضهم بعضًا، لا يفرّقونهم ﴿يَتَخَيَّرُونَ﴾ يأخذون خيره وأفضله ﴿يَشْتَهُونَ﴾ يتمنون. وقرئ: «ولحوم طير» قرئ: «وحور عين» بالرفع على: وفيها حور عين، كبيت الكتاب [من الكامل]:

.... إلاَّ رَوَاكِدُ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ
وَمُشَجَّجٌ.................................. (١)

أو للعطف على ولدان، وبالجر: عطفًا على جنات النعيم، كأنه قال: هم في جنات النعيم، وفاكهة ولحم وحور(٢). أو على أكواب، لأن معنى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾

= جندب قال: «سألنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أولاد المشركين، فقال: هم خدم أهل الجنة»، ورواه البزار من رواية علي بن زيد بن جدعان، والطيالسي، والطبراني، وأبو يعلى من رواية يزيد الرقاشي، كلاهما عن أنس بهذا وأتم منه. قلت: قد يعارضه حديث سمرة في صحيح البخاري. ففيه أنه رأى أولاد الناس تحت شجرة يكفلهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال فقلنا: وأولاد المشركين؟ قال: وأولاد المشركين» أخرجه بهذا اللفظ ـ ويمكن الجمع بينهما بأن لا منافاة بينهما لاحتمال أن يكونوا، في البرزخ كذلك، ثم بعد الاستقرار يستقرون في الجنة خدمًا لأهلها. انتهى.

(١) بَادت وغير آيهن مع البلى ... إلا رواكد جمرهن هباء
ومشجج أما سواء قذاله ... فبدا وغير ساره المغراء

للشماخ، وقيل: لذي الرمة، وهي من أبيات الكتاب. وباد يبيد: هلك يهلك. والآي: اسم جمع آية وهي علامة والرواكد: الأثافي. وهي الأحجار التي توضع عليها القدر. والهباء: الرماد المختلط بالتراب. والمشجج: صفة جرت مجرى الاسم لوتد الخباء الذي تشجج رأسه من الدق. فبرز حول رأسه أطراف تشبه القذال، وهو شعر جوانب الرأس. وسواء الشيء. وسطه: ويروى: غيب، بدل: غير. والسار بالهمز وتركه: البقية. والمغراء: أرض يخالط ترابها حجارة وحصى، يقول: هلكت تلك الديار وبليت آثارها، ولم يبق إلا محل للنار وبقية وتد الخباء. ويروى: رواكد بالنصب، فعطف المرفوع على المنصوب اعتمادًا على المعنى.

ينظر: ملحق ديوان ذي الرمة ص ١٨٤٠، ١٨٤١، وملحقات ديوان الشماخ ص ٤٢٧، ٤٢٨، والكتاب ١/١٧٣، ١٧٤، وشرح أبيات سيبويه ١/٣٩٦، والإيضاح الشعري لأبي علي الفارسي ص ٥٧٨، وأساس البلاغة شجج، و(معز)، واللسان (شجج)، وتاج العروس (شجج)، وخزانة الأدب ٥/١٤٧، والكشاف ٤/٥٤. والدر المصون ٦/٢٥٧.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وهذا فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض وهو فَهم أعجمي قلت: والذي ذهب إليه معنى حسن جدًا، وهو على حذف مضاف: أي وفي مقاربة حور، وهذا هو =

﴿بِأَكْوَابٍ﴾ ينعمون بأكواب، وبالنصب على: ويؤتون حورا ﴿جَزَآءً﴾ مفعول له، أي: يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ إما بدل من ﴿قِيلًا﴾ بدليل قوله ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [مريم: ٦٢] وإما مفعول به لقيلا، بمعنى: لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاما سلاما. والمعنى: أنهم يفشون السلام بينهم، فيسلمون سلامًا بعد سلام. وقرئ: «سلام سلام»، على الحكاية.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

السدر: شجر النبق. والمخضود: الذي لا شوك له، كأنما خضد شوكه[١]. وعن مجاهد: الموقر الذي تثنى أغصانه كثرة حمله، من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب. والطلح: شجر الموز. وقيل: هو شجر أم غيلان، وله نوار كثير طيب الرائحة. وعن السدي: شجر يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل. وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قرأ: وطلع، وما شأن الطلح[٢]، وقرأ[٣] قوله: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: ١٠] فقيل له: أوَ نُحَوِّلها؟ فقال: آي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحوّل. وعن ابن عباس نحوه. والمنضود: الذي نضد[٤] بالحمل من أسفله إلى اعلاه؛ فليست له ساق بارزة ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ ممتدّ منبسط لا يتقلص، كظلّ ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ﴿مَّسْكُوبٍ﴾ يسكب لهم أين شاءوا وكيف شاءوا لا يتعنون فيه. وقيل: دائم الجرية لا ينقطع. وقيل: مصبوب يجري على الأرض في غير أخدود ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ هي دائمة لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ لا تمنع عن متناولها بوجه، ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا. وقرئ: «فاكهة كثيرة»، بالرفع على: وهناك فاكهة، كقوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿وَفُرُشٍ﴾ جمع فراش. وقرئ: وفرش، بالتخفيف ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ نضدت حتى ارتفعت. أو مرفوعة على الأسرة. وقيل: هي النساء، لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك. قال الله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾

= الذي عناه الزمخشري وقد صرح غيره بتقدير هذا المضاف. انتهى. الدر المصون.

(١) قوله: «كأنما خضد شوكه» في الصحاح «خضدت الشجر» قطعت شوكه، وخضدت العود، أي: ثنيته من غير كسر. (ع)

(٢) قوله: «وما شأن الطلح» لعله: وقال ما شأن الطلح. (ع)

(٣) قوله: «وقرأ» أي: استشهادًا على قراءته. (ع)

(٤) قوله: «والمنضود الذي نضد» في الصحاح: أنه المرصوص بعضه فوق بعض. (ع)

[يس: ٥٦]، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥﴾ وعلى التفسير الأول أضمر لهنّ، لأنّ ذكر الفرش وهي المضاجع دلّ عليهن ﴿أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ أي ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدًا من غير ولادة، فإما أن يراد. اللاتي ابتدئ إنشاؤهن؛ أو اللاتي أعيد إنشاؤهن.

وعن رسول الله ﷺ: أنّ أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ سألته عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ﴾ فقال: «يا أم سلمة هنّ اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا[1]، جعلهنّ الله بعد الكبر» (١٥٣٦) ﴿أَتۡرَابٗا﴾ على ميلاد واحد في الاستواء[2]، كلما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ أبكارا؛ فلما سمعت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ذلك من رسول الله ﷺ قالت: واوجعاه فقال رسول الله ﷺ: «ليس هناك وجع». وقالت عجوز لرسول الله ﷺ: ادع الله

١٥٣٦ ـ أخرجه الطبراني في معجمه الكبير: (٢٣/ ٣٦٧) رقم (٨٧٠)، والطبري في تفسيره (١١/ ٦٤٠) رقم (٣٣٤٠٢)؛ كلاهما من حديث عمرو بن هاشم البيروتي عن سليمان ابن أبي كريمة عن هشام ابن حسان، عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عربًا أترابًا﴾... إلى آخره.

وقال الهيثمي (٧/ ١٢٢): وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي. وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٤٠٦) إلى ابن مردويه في تفسيره، والثعلبي في تفسيره.

وله شاهد من حديث أنس:

أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٢): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الحديد، حديث (٣٢٩٦)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد ابن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

قال الحافظ:

أخرجه الثعلبي بتمامه من طريق الحسن بن علوية القطان عن إسماعيل بن عيسى عن المسيب بن شريك فذكره، ولم يرفع إلا قصة عائشة. ومن طريق غنجار حدثنا إسماعيل بن أبي الباد عن يونس عن الحسن عن أم سلمة مرفوعًا دون قصة عائشة. وروى الطبري والطبراني وابن مردويه من طريق عمرو بن هاشم البيروتي عن سليمان بن أبي كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله، أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عربًا أترابًا﴾ فذكره.

١٥٣٧ ـ أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية»: ص (١٩٧ ـ ١٩٨ ـ ١٩٩) رقم (٢٤١)، والبيهقي في «البعث والنشور»، والثعلبي في تفسيره؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٤٠٧)؛ كلهم من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلًا، وزاد السيوطي نسبته في «الدر المنثور»: (٦/ ٢٢٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر، والبيهقي في شعب الإيمان عن الحسن مرسلًا.

وقد أخرجه ابن الجوزي في «الموفا»؛ كما في تخريج الزيلعي (٣/ ٤٠٧) من طريق خارجة بن =

---

(١) قوله: «عجائز شمطا رمصًا» في الصحاح الشمط»: بياض شعر الرأس يخالط سواده، والرجل أشمط، والمرأة شمطاء. وفيه: الرمص: وسخ يجتمع في الموق. وقد رمصت عينه، والرجل أرمص اهـ، أي: والمرأة رمصاء، والجمع شمط ورمص. (ع)

(٢) قوله: «ميلاد واحد في الاستواء» لعله منطق بمعنى التشبيه، أي: كأنهن على ميلاد واحد في استواء الخلق. (ع)

أن يدخلني الجنة، فقال: إنّ الجنة لا تدخلها العجائز، فولت وهي تبكي، فقال عليه الصلاة والسلام: «أخبروها أنها ليست يومئذٍ بعجوز» (١٥٣٧) وقرأ الآية. ﴿عُرُبًا﴾ وقرئ: عربا، بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة/ ٢/ ٢٠٨أ التبعل ﴿أَتْرَابًا﴾

= مصعب عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس: أن عجوزًا دخلت فقالت. . . الحديث.

وللحديث شاهد من حديث أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها: أخرجه الطبراني في معجمه «الأوسط» (٦/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥) رقم (٥٥٤١) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة قالت: أتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عجوز من الأنصار. . . الحديث، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٢٤)، وعزاه إلى البيهقي في «شعب الإيمان».

قال الحافظ:

أخرجه الترمذي في الشمائل من رواية مبارك بن فضالة عن الحسن بهذا مرسلاً وسياقه أتم. وله طرق أخرى. منها في البعث للبيهقي من رواية ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عائشة. ومنها في الأوسط من رواية مسعدة بن اليسع عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة. ورواه خارجة بن مصعب عن سعيد عن قتادة عن أنس. وكلها ضعيفة.

١٥٣٨ ـ أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٥ ـ ٣٤٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٥) رقم (٣٤٠٠٦) وأبو يعلى الموصلي في مسنده، والطبراني في معجمه الصغير والأوسط؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (حـ ٣/ ٤٠٨)؛ كلهم عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة به.

وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٤٠١) رقم (٥٤٤٦)، وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي؛ كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤٠٢)، وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وإسناده حسن.

وله طريق آخر بمعناه:

أخرجه الترمذي (٤/ ٦٧٩): كتاب صفة الجنة: باب ما جاء في ثبات أهل الجنة، حديث (٢٥٣٩) من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن عامر الأحول عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أهل الجنة جرد مرد كحل لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم». وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. أ. هـ. وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٤٠١) رقم (٥٤٤٥).

وله شاهد من حديث معاذ بن جبل:

أخرجه الترمذي (٤/ ٦٨٢): كتاب صفة الجنة: باب ما جاء في سن أهل الجنة حديث (٢٥٤٥)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٤٣)؛ كلاهما من طريق قتادة عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وبعض أصحاب قتادة رووا هذا عن قتادة مرسلاً ولم يسندوه. وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٠١) وقال: رواه كله أحمد وإسناد الرواية الأولى حسن متصل. أ. هـ.

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٠٠) رقم (٥٤٤٤).

قال الحافظ:

أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والطبراني في الأوسط من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة بهذا. وزاد على خلق آدم ستون ذراعًا عرض سبعة أذرع. =

مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين، وأزواجهنّ أيضًا كذلك. وعن رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا بيضًا جعادًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين» (١٥٣٨) واللام في ﴿لِأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨﴾ من صلة أنشأنا وجعلنا.

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ٤٥ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ٤٦ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٤٧ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ٤٨ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٥٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ٥٥ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٥٦﴾

﴿فِي سَمُومٖ﴾ في حرّ نار ينفذ في المسام ﴿وَحَمِيمٖ﴾ وماء حار متناه في الحرارة ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣﴾ من دخان أسود بهيم ﴿لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤﴾ نفي لصفتي الظل عنه، يريد: أنه ظل، ولكن لا كسائر الظلال: سماه ظلاً، ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوي إليه من أذى الحرّ وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه. والمعنى أنه ظلّ حارّ ضارّ إلا أنّ للنفي في نحو هذا شأنا ليس للإثبات. وفيه تهكم بأصحاب المشأمة، وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة. وقرئ: «لا بارد ولا كريم» بالرفع، أي: لا هو كذلك و﴿ٱلۡحِنثِ﴾ الذنب العظيم. ومنه قولهم: بلغ الغلام الحنث، أي: الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم. ومنه: حنث في يمينه، خلاف برّ فيها. ويقال: تحنث إذا تأثم وتحرج ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف. فإن قلت: كيف حسن العطف على المضمر في ﴿لَمَبۡعُوثُونَ﴾ من غير تأكيد بنحن؟ قلت: حسن للفاصل الذي هو الهمزة، كما حسن في قوله تعالى: ﴿ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ لفصل (لا) المؤكدة للنفي. وقرئ: «أو آباؤنا» وقرئ: «لمجمعون»[1] ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة بمعنى من، كخاتم فضة. والميقات: ماوقت به

= وذكر ابن أبي حاتم في العلل أن أباه قال: رواه أبو سلمة عن حماد مرسلاً، ولم يذكر فيه أبا هريرة، وكذا أخرجه ابن سعد عن يحيى بن السكن عن حماد. وعلي بن زيد ضعيف. وفي الباب عن معاذ بن جبل. أخرجه الترمذي وقال: غريب. وبعض أصحاب قتادة أرسلوه. وأخرجه البيهقي موصولاً، ثم أخرجه موقوفًا على قتادة. انتهى.

(١) قوله: «وقرئ: لمجمعون إلى ميقات» في الصحاح: أجمعت الشيء: جعلته جميعًا. (ع)

الشيء، أي: حدّ. ومنه مواقيت الإحرام: وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرمًا ﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث، وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم ﴿مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ من الأولى لابتداء الغاية، والثانية لبيان الشجر وتفسيره. وأنث ضمير الشجر على المعنى، وذكره على اللفظ في قوله: (منها) و (عليه) ومن قرأ: «من شجرة من زقوم» فقد جعل الضميرين للشجرة، وإنما ذكر الثاني على تأويل الزقوم، لأنه تفسيرها وهي في معناه ﴿شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ قرئ: بالحركات الثلاث، فالفتح والضم مصدران. وعن جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ: أيام أكل وشرب. بفتح الشين. وأما المكسور فبمعنى المشروب، أي: ما يشربه الهيم وهي الإبل التي بها الهيام، وهو داء تشرب منه فلا تروى: جمع أهيم وهيماء. قال ذو الرمّة [من الطويل]:

فَأَصْبَحْتُ كَالْهَيْمَاءِ لاَ الْمَاءُ مُبْرِدٌ ... صَدَاهَا وَلاَ يَقْضِي عَلَيْهَا هُيَامُهَا(1)

وقيل الهيم: الرمال. ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك، جمع على فعل كسحاب وسحب، ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض. والمعنى: أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرّهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل؛ فإذا ملئوا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرّهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم، فيشربونه شرب الهيم. فإن قلت: كيف صحّ عطف الشاربين على الشاربين، وهما لذوات متفقة، وصفتان متفقتان، فكان عطفًا للشيء على نفسه؟ قلت: ليستا بمتفقتين، من حيث إنّ كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه: من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب، وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء، أمر عجيب أيضًا، فكانتا صفتين مختلفتين. النزل: الرزق الذي يعدّ للنازل تكرمًا له. وفيه تهكم، كما في

---

(1) وقد زودت مي على النأي قبلة ... علاقات حاجات طويل سقامها
فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد ... صداها ولا يقضي عليها هيامها

لذي الرمة، يقول: وقد زودتنا، أي جعلت زادنا مي عند الرحيل قبلة، فكانت القبلة علاقات الحاجات وأسباب التطلع إلى الوصال، فعلاقات: خبر مرفوع، أو بدل منصوب. والسقام ككلام، وسقم كتعب، وسقم كبخل: مصدر سقم كتعب تعبًا، أي: عناؤها طويل المدة لا يبرأ. ويقال للجمل: أهيم. وللناقة هيماء، إذا أصابهما الهيام بالضم: وهو داء تغلي منه قلوب الإبل كالعطش الشديد، أي: فأصبحت كالناقة الهيماء. وقوله: «لا الماء مبرد» استئناف مبين لوجه الشبه فيها. أو حال منها، أي: لا يبرد الماء ظمأها ولا يقضي عليها، أي: لا يميتها هيامها، فأنا كذلك لا وصال فيشفيني، ولا التلهف يميتني. ويروى: ولا يقضي على هيامها، ولعل معناه: لا الماء يبرد الحرقة التي حصلت لي منها، ولا يميتني الهيام الذي حصل لي منها؛ ولكن الأولى أقعد وأجود معنى.
ينظر: ديوانه ٧١٤ والدر المصون ٦/ ٢٦١.

قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] وكقول أبي الشعر الضبي [من الطويل]:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ بِالْجَيْشِ ضَافَنَا جَعَلْنَا الْقَنَا وَالْمُرْهِفَاتِ لَهُ نُزْلاً(١)

وقرئ: «نزلهم» بالتخفيف.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيض على التصديق: إما بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدّقين به، إلا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق، فكأنهم مكذبون به. وإما بالبعث؛ لأنّ من خلق أولاً لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيًا ﴿مَّا تُمْنُونَ﴾ ما تمنونه، أي: تقذفونه في الأرحام من النطف ـ وقرأ أبو السّمال بفتح التاء ـ يقال: أمنىٰ النطفة ومناها. قال الله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦)﴾ [النجم: ٤٦]. ﴿تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ تقدّرونه تصوّرونه ﴿قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ تقديرًا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا، فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط. وقرئ: «قدرنا» بالتخفيف. سبقته على الشيء: إذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم/٢/٢٠٨ب تمكنه منه، فمعنى قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ أنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه، وأمثالكم جمع مثل: أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق، وعلى أن ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها، يعني: أنا نقدر على الأمرين جميعًا: على خلق ما يماثلكم، وما لا يماثلكم؛ فكيف نعجز عن إعادتكم. ويجوز أن يكون ﴿أَمْثَالَكُمْ﴾ جمع مثل، أي: على أن نبدّل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم، وننشئكم في صفات لا تعلمونها. قرئ: «النشأة» والنشاءة. وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهَّلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧)﴾

---

(١) تقدم.

(أفرأيتم ما تحرثون) ه من الطعام، أي: تبذرون حبه وتعملون في أرضه ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تنبتونه وتردّونه نباتًا، يرفّ وينمي[1] إلى أن يبلغ الغاية. وعن رسول الله ﷺ: «لا يقولنّ أحدكم: زرعت، وليقل: حرثت» (١٥٣٩) قال أبو هريرة: أرأيتم[2] إلى قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم ...﴾ الآية. والحطام: من حطم، كالفتات والجذاذ من فت وجذ: وهو ما صار هشيمًا وتحطم ﴿فَظَلْتُمْ﴾ وقرئ بالكسر «فظللتم» على الأصل ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ تعجبون. وعن الحسن رضي الله عنه: تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه. أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها. وقرئ: تفكنون. ومنه الحديث: «مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء[3] ويتركها القرباء فبيناهم إذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون» (١٥٤٠) أي: يتندمون ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦﴾ لملزمون غرامة ما أنفقنا. أو مهلكون لهلاك رزقنا، من الغرام: وهو الهلاك ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قوم ﴿مَحْرُومُونَ﴾ محارفون محدودون، لا حظ لنا ولا بخت لنا؛ ولو كنا مجدودين، لما جرى علينا هذا. وقرئ: «أئنا».

١٥٣٩ ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه: (١٣/ ٣٠) رقم (٥٧٢٣)، والبزار في «مسنده»: (٢/ ٩٦) رقم (١٢٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١٣٨)، وفي «شعب الإيمان»: (٤/ ٣١١ ـ ٣١٢) رقم (٥٢١٧ ـ ٥٢١٨)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٨/ ٢٦٧)، والطبري في تفسيره (١١/ ٦٥٢) رقم (٣٣٤٩٢)، وأبو يعلى في مسنده وعبد الحق في أحكامه في باب إحياء الموات من جهة البزار كما في تخريج الكشاف للزيلعي: (٣/ ٤٠٩) كلام من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة به.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٢٣) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والبزار وفيه مسلم بن أبي مسلم الجرميّ ولم أجد من ترجمة وبقية رجاله ثقات. أ. هـ.

كما ذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٢٣٠) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

قال الحافظ:

أخرجه ابن حبان والبزار والطبراني من طريق مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة بهذا قال: ثم قرأ أبو هريرة (أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه). انتهى.

١٥٤٠ ـ سكت عنه الزيلعي؛ كما في تخريج الكشاف (حـ ٣/ ٤٠٩).

وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. أ. هـ.

---

(١) قوله: «نباتا يرف وينمي» في الصحاح: رف لونه يرف ـ بالكسر ـ برق وتلألأ. وشجر رفيف: إذا تندت أوراقه. (ع)

(٢) قوله: «قال أبو هريرة: أرأيتم» أي استشهد على الحديث بالآية، وهي قوله تعالى: (أفرأيتم ما تحرثون) وقوله: «أرأيتم» خطاب لمن يسمع منه، وأراد معنى النظر، فعداه بإلى كقوله: (أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء). (ع)

(٣) قوله: «كمثل الحمة يأتيها البعداء» في الصحاح «الحمة»: العين الحارة يستشفي بها الأعلاء والمرضى. وفي الحديث: «العالم كالحمة» اهـ. (ع)

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ يريد: الماء العذب الصالح للشرب. و﴿ٱلْمُزْنِ﴾ السحاب: الواحدة مزنة. وقيل: هو السحاب الأبيض خاصة، وهو أعذب ماء ﴿أُجَاجًا﴾ ملحًا زعاقًا(١) لا يقدر على شربه. فإن قلت: لم أدخلت اللام على جواب (لو) في قوله: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ [**الواقعة**: ٦٥] ونزعت منه ههنا؟ قلت: إنّ «لو» لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط، ولم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها، وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقًا من حيث إفادتها في مضموني جملتيها أنّ الثاني امتنع لامتناع الأوّل افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علمًا على هذا التعلق، فزيدت هذه اللام لتكون علمًا على ذلك، فإذا حذفت بعد ما صارت علمًا مشهورًا مكانه، فلأن الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مألوفًا ومأنوسًا به: لم يبال بإسقاطه عن اللفظ، استغناء بمعرفة السامع(٢). ألا ترى إلى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول: خير، لمن قال له: كيف أصبحت؟ فحذف

---

(١) قوله: «ملحًا زعاقًا» في الصحاح «الماء الزعاق»: الملح وطعام مزعوق: إذا كثر ملحه. (ع)

(٢) هكذا نرى شرط الحذف: العلم بالمحذوف، ثم يتبين بعد ذلك سر الحذف وبلاغته في ذلك، ولو ذكر لضاع هذا السر.

ولحذف المفعول به أسرار كثيرة منها:

١ ـ التعميم كما في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فقد حذف مفعول الأفعال الثلاثة: يدعون، ويأمرون، وينهون، لهذا الغرض.

٢ ـ التنظيم كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الحج: ٥].

فالفعل «لنبين» حذف مفعوله إعلامًا بأن المبين لا يُحيط به الوصف ولا يصلح معه الذكر.

٣ ـ تنزيل المتعدي منزلة اللازم كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [النجم: ٤٣].

ومعناه أنه هو الذي يضحك ويبكي ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

وقد بيّن المفسر العلامة أن حذف مفعول: «لا تقدموا» لأمرين: الأول التعميم لكل مقدم والثاني ألا يقصد المفعول والنهي يصير إلى نفس التقدمة، وقد بين هذا العلامة الشوكاني في فتحه.

٤ ـ البيان بعد الإبهام وهذا ما جاء في فعل المشيئة والإرادة، وشروط الحذف لهذا المفعول أن يكون فعله للمشيئة والإرادة واقعًا شرطًا، ودل عليه الجواب، ولم يكن تعلقه بالفعل غريبًا.

وطبق هذا على قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وتقدير الكلام: ولو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا، وبهذا سار الحذف بالشروط المذكورة.

ويعلق السعد التفتازاني في مطوله على قوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. =

الجار لعلم كل أحد بمكانه. وتساوي حالي حذفه وإثباته لشهرة أمره. وناهيك بقول أوس

= قائلاً: فإنه متى قيل: «لو شاء علم السامع أن هناك شيئًا قد علقت المشيئة عليه لكنه مبهم عنده، فإذا جيء بجواب الشرط صار مبينًا له، وهذا أدفع في النفس».

وقد علم بهذا البيان أن المفعول المحذوف تقديره من جنس المذكور في جواب الشرط.

٥ ـ قصد الاختصار كما في قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الصافات: ١٧٩].

والتقدير: لأبعدهم.

هذا في حذف المفعول.

وقد يحذف الموصوف بدليل الصفة وقد لمح ذلك المفسر العلامة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وتقدير الموصوف المحذوف: للطريقة أو الحالة.

والحذف هنا للتفخيم الذي يفقده الذكر.

وقد يكون الحذف لجملة المعطوف عليه لبيان سرعة الامتثال، وهذا ما أدركه المفسر عند قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ [الأعراف: ١٦٠]. والمحذوف تقديره: «فضرب فانبجست» ولكن الحذف لإفادة معنى سرعة الإجابة كأنه لا وقت بين الإيحاء والانبجاس.

وقد يحذف الشرط بدلالة فاء النصيحة التي لا تقع إلا في بليغ الكلام كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠١].

فالفاء تتعلق بمحذوف تقديره: فضرب فانفجرت.

وقد يحذف جواب «لما» لاستطالة الكلام مع أمن اللبس، وفي حذفه إيجاز وقوة دلالة ليست في ذكره، وهذا ما نفهمه من كلام المفسر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧].

وتقدير الجواب على الحذف: فلما أضاءت ما حوله حذفت فصاروا يتخبطون في الكلام متحسرين على ذهاب الضوء خصوصًا بعد الكدح في إحياء النار.

وقد يحذف جواب «لو» لبيان أنه أمر قطيع لا يحيط به وصف، وهذا ما تراه في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

أي لو يرى هؤلاء العذاب وقدرة الله لكان منهم من الندم والحسرة ما لا يدخل تحت وصف ولا يحصره حصر.

وقد يذكر بعض المراد دليلاً على الآخر كما في قوله تعالى: ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

فالآيات كثيرة منها ما ذكره، والمذكور يدل على كثير سواه، وقد بين هذا العلامة جليًا.

هذه بعض لمسات للحذف فيها من البلاغة القوية في هذا الكتاب المعجز، وهذا دليل على شرف هذه اللغة القوية عند ذكر الألفاظ والقوية عند الحذف، وهذا بيان لثراء هذه اللغة الإلهية التي اصطفاها ربنا لكتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه... والله من وراء القصد.

«يراجع: البلاغة القرآنية ٤٠٣ وما بعدها والمطول للسعد ١٩٥، ١٩٦، وشروح التلخيص ٢/ ١٤٢، وخصائص التراكيب د. أبو موسى ٢٨٦، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٠٩ وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢/ ٦٧، ٦٨، وتفسير النسفي ١/ ٧ ومفاتيح الغيب للرازي ١/ ٢٩٦، ٣١٠، =

[من الكامل]:

حَـتـى إذَا الْـكـلاَّبُ قَـالَ لَـهَـا كَـالْـيَـوْمِ مَـطْـلُـوبًـا وَلاَ طَـلَـبًـا[1]

وحذفه «لم أر» فإذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى، فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما؛ على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه. ويجوز أن يقال: إنّ هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب، للدلالة على أن أمر المطعوم مقدّم على أمر المشروب، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب، من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعًا للمطعوم. ألا ترى أنك إنما تسقي ضيفك بعد أن تطعمه، ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء [من الوافر]:

إذَا سُقِيَتْ ضُيُوفُ النَّاسِ مَحْضًا سَقَوْا أَضْيَافَهُمْ شَبِمًا زُلاَلاَ[2]

وسقى بعض العرب فقال: أنا لا أشرب إلا على ثميلة؛ ولهذا قدّمت آية المطعوم على آية المشروب.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾

﴿تُورُونَ﴾ تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر، ويسمون الأعلى: الزند، والأسفل: الزندة؛ شبهوهما بالفحل والطروقة[3] ﴿شَجَرَتَهَآ﴾ التي منها الزناد ﴿تَذْكِرَةً﴾ تذكيرًا لنار جهنم، حيث علقنا بها أسباب المعايش كلها، وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به. أو جعلناها تذكرة وأنموذجًا من جهنم، لما روي عن رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي

= ومختصر السعد ٢/ ٤٣ ومعه تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٨/ ٧١، وروح المعاني للألوسي ٢٦/ ١٣١».

(١) تقدم.

(٢) لأبي العلاء يمدح سعد الدولة أبا الفضائل، وعيب عليه حيث مدح بسقي الضيوف الماء قبل ذكر الطعام. والمخض ـ بمعجمتين ـ: اللبن المنزوع زبده، فهو بمعنى الممخوض. ويروى: محضًا، بالحاء المهملة، أي: خالصًا حلوًا أو حامضًا، والشبم ـ كحذر ـ: البارد. والزلال: العذب. هذا وحيث جعل علماء البلاغة للمقام مدخلاً في الدلالة على المراد فنقول: إن معنى البيت: إذا عجلت الناس اللبن لأضيافهم واكتفوا به عن الإسراع بالطعام: عجلوا هم بالطعام لضيوفهم لاستعدادهم للضيفان، فيحتاجون لشرب الماء، فيسقونهم ماء قبل إطعام غيرهم الضيفان، فسقيهم الماء يفيد تعجيل الطعام قبله بمعونة المقام، لأنه يلزمه عادة فلا عيب فيه.

(٣) قوله: «بالفحل والطروقة» أنثى الفحل، كما في الصحاح. (ع)
ينظر: القرطبي ١٧/ ١٤٣، والدر المصون ٦/ ٢٦٥.

يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزأ من حرّ جهنم» (١٥٤١) ﴿وَمَتَٰعًا﴾ ومنفعة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ للذين/ ٢/ ٢٠٩أ ينزلون القواء وهي القفر. أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام. يقال: أقويت من أيام، أي لم آكل شيئًا ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك، أو أراد بالاسم: الذكر، أي: بذكر ربك. و﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفة للمضاف أو للمضاف إليه. والمعنى: أنه لما ذكر ما دلّ على قدرته وإنعامه على عباده قال: فأحدث التسبيح وهو أن يقول: سبحان الله، إمّا تنزيهًا له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته، وإما تعجبًا من أمرهم في غمط آلائه[1] وأياديه الظاهرة، وإما شكرًا لله على النعم التي عدّها ونبه عليها.

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ معناه فأقسم. ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩] وقرأ الحسن: «فلأقسم». ومعناه: فلأنا أقسم: اللام لام الابتداء[2] دخلت على جملة من مبتدأ وخبر، وهي: أنا أقسم، كقولك: «لزيد منطلق» ثم حذف المبتدأ، ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأمرين، أحدهما: أن حقها أن يقرن بها النون المؤكدة، والإخلال بها ضعيف قبيح. والثاني: أن «لأفعلن» في جواب القسم للاستقبال، وفعل القسم يجب أن يكون للحال ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ بمساقطها ومغاربها، لعل لله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالاً مخصوصة عظيمة، أو للملائكة عبادات موصوفة، أو لأنه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه من عباده الصالحين، ونزول الرحمة

١٥٤١ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٤٨١): كتاب بدء الخلق: باب صفة النار وأنها مخلوقة، حديث (٣٢٦٥)، ومسلم (٩/ ١٩٦ ـ النووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب في شدة حر نار جهنم، حديث (٣٠/ ٢٨٤٣) من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة فذكره.
قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة. أ. هـ.

---

(١) قوله: «في غمط آلائه» أي تحقير نعمه. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «لا زائدة مؤكدة مثلها في قوله: (لئلا يعلم أهل الكتاب) قال: وقرأ الحسن فلأقسم، واللام في هذه للابتداء. . . إلخ» قلت: تلخيص الرد بهذا الوجه الثاني: أن سياق الآية يرشد إلى أن القسم بمواقع النجوم واقع، ويدل عليه القراءة الأخرى على زيادة لا: ومقتضى جعلها جوابًا لقسم محذوف أن لا يكون القسم بمواقع النجوم واقعًا، بل مستقبلاً، فتتنافس القراءتان إذًا، والله الموفق للصواب.

والرضوان عليهم؛ فلذلك أقسم بمواقعها، واستعظم ذلك بقوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ أو أراد بمواقعها: منازلها ومسايرها، وله تعالى في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف. وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ اعتراض في اعتراض؛ لأنه اعترض به بين المقسم والمقسم[1] عليه، وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ واعترض بـ ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ بين الموصوف وصفته. وقيل: مواقع النجوم: أوقات وقوع نجوم القرآن، أي: أوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب. أو نفاع جم المنافع. أو كريم على الله ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾ مصون من غير المقربين من الملائكة، لا يطلع عليه من سواهم، وهم المطهرون من جميع الأدناس أدناس الذنوب وما سواها: إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح. وإن جعلتها صفة للقرآن؛ فالمعنى لا ينبغي أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس، يعني مس المكتوب منه، ومن الناس من حمله على القراءة أيضًا، وعن ابن عمر أحب إليّ أن لا يقرأ إلا وهو طاهر، وعن ابن عباس في رواية أنه كان يبيح القراءة للجنب، ونحوه قول رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» (١٥٤٢) أي لا ينبغي له أن يظلمه أو يسلمه. وقرئ: المتطهرون، و«المطهرون» بالإدغام. و«المطهرون» من أطهره بمعنى طهره. والمطهرون بمعنى: يطهرون أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه ﴿تَنزِيلٌ﴾ صفة رابعة للقرآن، أي: منزل من رب العالمين. أو وصف بالمصدر؛ لأنه نزل نجومًا من بين سائر كتب الله تعالى، فكأنه في نفسه تنزيل؛ ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه، فقيل: جاء في التنزيل كذا، ونطق به التنزيل. أو هو تنزيل على المبتدأ. وقرئ: «تنزيلًا» على: نزل تنزيلًا.

١٥٤٢ ـ أخرجه البخاري (٥/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦): كتاب المظالم: باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، حديث (٢٤٤٢)، وطرفه في (٦٩٥١)، ومسلم (٨/ ٣٧٧ ـ النووي): كتاب البر والصلة والآداب، حديث (٥٨/ ٢٥٨٠)، وأبو داود (٤/ ٢٧٣): كتاب الأدب: باب المؤاخاة، حديث (٤٨٩٣)، والترمذي (٤/ ٣٤ ـ ٣٥): كتاب الحدود: باب ما جاء في الستر على المسلم، حديث (١٤٢٦).
كلهم من طريق الزهري عن سالم بن عمر عن أبيه به.
قال الحافظ: متفق عليه من حديث ابن عمر ولمسلم من طريق أبي هريرة بعضه. انتهى.

---

(١) قال محمود: «قوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم: اعتراض في اعتراض فالجملة الكبرى اعتراض بين القسم والجواب... إلخ» قال أحمد: وعلى هذا التفسير يكون جواب القسم مناسبًا للمقسم، مثل قوله: (حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيًا) ومن واديه:

وثـنـايـاك إنـهـا إغـريـض

كما تقدم

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي: متهاونون به، كمن يدهن في الأمر، أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونًا به ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ على حذف المضاف، يعني: وتجعلون شكر رزقكم التكذيب، أي: وضعتم التكذيب موضع الشكر. وقرأ علي ـ رضي الله عنه ـ: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» وقيل: هي قراءة رسول الله ﷺ، والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به. وقيل: نزلت في الأنواء ونسبتهم السقيا إليها. والرزق: المطر، يعني: وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله، حيث تنسبونه إلى النجوم. وقرئ: «تكذبون» وهو قولهم في القرآن: شعر وسحر وافتراء. وفي المطر: هو من الأنواء، ولأنّ كل مكذب بالحق كاذب.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

ترتيب الآية: فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين. و(فلولا) الثانية مكررة للتوكيد، والضمير في ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ للنفس وهي الروح، وفي ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ للمحتضر ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير مربوبين، من دان السلطان الرعية إذا ساسهم. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾[1] يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا، أو بملائكة الموت. والمعنى: إنكم في جحودكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء إن أنزل عليكم كتابًا معجزًا قلتم: سحر وافتراء. وإن أرسل إليكم رسولاً قلتم: ساحر كذاب، وإن رزقكم مطرًا يحييكم به قلتم: صدق نوء كذا، على مذهب/ ٢/ ٢٠٩ب يؤدي إلى الإهمال، والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ المتوفى ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ من السابقين من الأزواج الثلاثة

(١) قوله: «ونحن أقرب إليه منكم» لم يظهر وجه لتأخير هذا عما قبله إلا بالنظر للترتيب الذي ذكره فليحرر. (ع)

المذكورة في أوّل السورة ﴿فَرَوْحٌ﴾ فله استراحة. وروت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن رسول الله ﷺ: «فَرُوح» (١٥٤٣) بالضم. وقرأ به الحسن وقال: الروح الرحمة، لأنها كالحياة للمرحوم. وقيل: البقاء، أي: فهذان له معًا، وهو الخلود مع الرزق(١) والنعيم. والريحان: الرزق ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين، أي: يسلمون عليك. كقوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٦] ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥٦] وقرئ بالتخفيف ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ قرئت بالرفع والجر عطفًا على نزل وحميم ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي أنزل في هذه السورة ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي الحق الثابت من اليقين.

عن رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ـ: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا» (١٥٤٤).

١٥٤٣ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ٣٥): كتاب الحروف والقراءات، حديث (٣٩٩١)، والترمذي (٥/ ١٩٠): كتاب القراءات: باب ومن سورة الواقعة: حديث (٢٩٣٨)، والنسائي في التفسير: (٢/ ٣٨٢) رقم (٥٨٦)، وأحمد في مسنده (٦/ ٦٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) رقم (٢٧٩٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٦)، وأبو يعلى في «مسنده»: (٨/ ١٣) رقم (٤٥١٥)، و(٨/ ١٠٦ ـ ١٠٧) رقم (٤٦٤٤) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٦٣)، و(٨/ ٣٠٢) كلهم من طرق مختلفة عن هارون بن موسى الأعور عن بديل بن ميسرة عن عبدالله بن شقيق عن عائشة به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا يعرف إلا من حديث هارون الأعور. أ. هـ.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أ. هـ.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٢٣٩) وزاد نسبته إلى أبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن مردويه عن عائشة به. وله طريق آخر:
أخرجه الحاكم (٢/ ٢٥٠) من طريق أبو عبيد مروان بن معاوية عن حماد بن بديل عن ميسرة عن عبدالله بن شقيق عن عائشة به.
وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أ. هـ. وله شاهد من حديث ابن عمر:
أخرجه الطبراني في المعجم الصغير: (١/ ٢١٩) من طريق حماد بن سلمة عن أيوب عن نافع عن ابن عمر، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٩): رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله ثقات. أ. هـ.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٢٣٩) وعزاه إلى ابن مردويه.
قال الحافظ:
أخرجه الترمذي والنسائي وإسحاق والحاكم من رواية بديل بن ميسرة عن عبدالله بن شقيق عن عائشة، زاد إسحاق «يرفع السراء». أ. هـ.
١٥٤٤ ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٩١) رقم (٢٤٩٧) من طريق شجاع عن أبي فاطمة عن =

---

(١) قوله: «وهو الخلود مع الرزق» لعله: وهما. (ع)

. . . .

= ابن مسعود به.

وقال: تفرد به شجاع أبو طيبة هذا ورواه ابن وهب عن السري بن يحيى أن شجاعًا حدثه عن أبي طيبة عن ابن مسعود.

قال الحافظ:

أخرجه ابن وهب في جامعه حدثني السري بن يحيى، أن شجاعًا حدثه عن أبي ظبية عن عبدالله بن مسعود تابعه يزيد بن أبي حكيم وعباس بن الفضل البصري كلاهما عن السري. أخرجه البيهقي في الشعب من طريقهما. وكذا رواه أبو يعلى من رواية محمد بن حبيب عن السري. ورواه البيهقي في الشعب من رواية حجاج بن منهال عن السري قال: عن شجاع عن أبي فاطمة عن ابن مسعود. وكذا رواه أبو عبيد في فضائل القرآن من رواية السري فقال: عن أبي ظبية، فاختلف أصحاب السري. هل شيخه شجاع أو أبو شجاع. وكذا اختلفوا في شيخ شجاع هل هو أبو فاطمة أو أبو ظبية. ثم اختلفوا في ضبط أبي ظبية فعند الدارقطني بالطاء المهملة بعدها تحتانية، ثم موحدة، وإنه عيسى بن سليمان الجرجاني. وأن روايته عن ابن مسعود منقطعة: «يؤيده أن الثعلبي أخرجه من طريق أبي بكر العطاردي عن السري عن شجاع عن أبي ظبية الجرجاني. وعند البيهقي: أنه في المعجمة بعدها موحدة، ثم تحتانية، وأنه مجهول. وقال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر. وشجاع لا أعرفه. أ. هـ.

سورة الحديد

مدنية، وهي تسع وعشرون آية [نزلت بعد الزلزلة]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾

جاء في بعض الفواتح ﴿سَبَّحَ﴾ على لفظ الماضي، وفي بعضها على لفظ المضارع، وكل واحد منهما معناه: أنّ من شأن من أسند إليه التسبيح أن يسبحه، وذلك هجيراه وديدنه، وقد عدى هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] وأصله: التعدي بنفسه، لأنّ معنى سبحته: بعدته عن السوء، منقول من سبح إذا ذهب وبعد، فاللام لا تخلو إما أن تكون مثل اللام في: نصحته، ونصحت له، وإما أن يراد بسبح لله: أحدث التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصًا، ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ما يتأتى منه التسبيح ويصح. فإن قلت: ما محل ﴿يُحْيِۦ﴾؟ قلت: يجوز أن لا يكون له محل، ويكون جملة برأسها؛ كقوله: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [البقرة: ١٠٧] وأن يكون مرفوعًا على: هو يحيي ويميتُ، ومنصوبًا حالاً من المجرور في (له) والجار عاملاً فيها. ومعناه: يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الأحياء ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ هو القديم الذي كان قبل كل شيء ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ الذي يبقى بعد هلاك كل شيء ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدلة الدالة عليه ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ لكونه غير مدرك بالحواس. فإن قلت: فما معنى الواو[1]؟ قلت الواو الأولى

---

(١) قال محمود: «إن قلت: ما معنى الواو وأجاب بأن المتوسطة بين الأول والآخر للجمع بين معنى الأولية والبقاء إلخ. قال: ومعنى الظاهر أي بالأدلة والباطن أي عن الحواس. وقيل: وفيه دليل الرد =

معناها الدلالة[1] على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء. وأما الوسطى، فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأخريين، فهو المستمّر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية، وهو في جميعها ظاهر وباطن: جامع للظهور بالأدلة والخفاء، فلا يدرك بالحواس. وفي هذا حجة على من جوّز إدراكه[2] في الآخرة بالحاسة. وقيل: الظاهر العالي على كل شيء الغالب له، من ظهر عليه إذا علاه وغلبهُ. والباطن الذي بطن كل شيء، أي علم باطنه: وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾

﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾ يعني: أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما موّلكم إياها، وخوّلكم الاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة. وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنوّاب، فأنفقوا منها في حقوق الله، وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه. أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم: بتوريثه إياكم، فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم، وسينقل منكم إلى من بعدكم؛ فلا تبخلوا به/ ٢/ ٢١٠أ، وانفعوا بالإنفاق منها أنفسكم ﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ حال من معنى الفعل في مالكم، كما تقول: مالك قائمًا، بمعنى: ما تصنع قائمًا، أي: وما لكم كافرين بالله. والواو في ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال، فهما حالان متداخلتان. وقرئ: «وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله

= على من زعم أنه تعالى يرى في الآخرة بالحاسة» قال أحمد: «لا دليل فيه على ذلك؛ فإن لنا أن نقول: إن المراد عدم الإدراك بالحاسة في الدنيا لا في الآخرة. ونحن نقول به، أو في الآخرة. والمراد: الكفار والجاحدون للرؤية كالقدرية ألا ترى إلى قوله: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فإنه قيل: تقييد وتخصيص على خلاف الظاهر. قلنا والمسألة قطعية، فيكفي الاحتمال. وأيضًا فقسيمه لا بد فيه من تخصيص؛ فإنه تعالى لم يظهر جميع خلقه على الأدلة الموصلة إلى معرفته، بل أخفاها عن كثير منهم وحرمهم الفوز بالإيمان به عز وجل؛ فالظاهر إذًا معناها في التخصيص كالثاني طبقًا بينه وبين الأول.

(١) قوله: «قلت الواو الأولى معناها الدلالة» الأولى إنما دلت على اجتماع الصفتين الأوليين، والثالثة على اجتماع الأقربين. والثانية على اجتماع المجموعين. (ع)

(٢) قوله: «حجة على من جوز إدراكه» يريد أهل السنة، وهم قد جوزوا رؤيته مطلقًا، وقالوا: لا تدركه الأبصار، أي: لا تحيط به؛ والمعتزلة أحالوا رؤيته تعالى؛ وتفصيله في التوحيد. (ع)

والرسول يدعوكم» والمعنى: وأي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج، وقيل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان: حيث ركب فيكم العقول[(1)]، ونصب لكم الأدلة، ومكنكم من النظر، وأزاح عللكم، فإذ لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول، فما لكم لا تؤمنون ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لموجب مّا؛ فإن هذا الموجب لا مزيد عليه. وقرئ: «أخذ ميثاقكم[(2)]» على البناء للفاعل، وهو الله عز وجل.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾

﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ الله بآياته من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. أو ليخرجكم الرسول بدعوته ﴿لَرَءُوفٌ﴾ وقرئ: «لرءُوفٌ»[(3)].

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾

---

(1) قال محمود: «أخذ الميثاق عبارة عن تركيب العقول فيهم... إلخ» قال أحمد: وما عليه أن يحمل أخذ الميثاق على ما بينه الله في آية غير هذه، إذ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ولقد يريبني منه إنكاره لكثير من مثل هذه الظواهر والعدول بها عن حقائقها مع إمكانها عقلاً ووقوعها بالسمع قطعًا إلى ما يتوهمه من تمثيل يسميه تخييلاً، فالقاعدة التي تعتمد عليها كي لا يضرك ما يومئ إليه أن ما كل ما جوزه العقل وورد بوقوعه السمع وجب حمله على ظاهره والله الموفق.

(2) قوله وقرئ: أخذ ميثاقكم» يفيد أن القراءة على البناء للمفعول أشهر. (ع)

(3) قوله: «وقرئ «الرءوف» يفيد أن القراءة بالقصر أشهر، وفيه نظر فلينظر. وفي الصحاح: رؤف به - بالضم، ورأف به - بالفتح، ورئف به - بالكسر، فهو رءوف على فعول. قال كعب بن مالك الأنصاري [من الوافر]:

نطيع نبينا ونطيع ربًا ... هو الرحمن كان بنا رءوفًا

رءوف أيضًا على فعل. قال جرير [من الوافر]:

يرى للمسلمين عليه حقًا ... كفعل الوالد الرَّؤُفِ الرحيم

والظاهر أن رسمه بواو واحدة حال المد والقصر، فيكون الأشهر قراءة المد، كما هو الأشهر في الاستعمال اللغوي. (ع)

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا﴾ في أن لا تنفقوا ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره، يعني: وأيّ غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم، وهو من أبلغ البعث على الإنفاق في سبيل الله. ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ﴾ قبل فتح مكة قبل عز الإسلام وقوّة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجًا وقلة الحاجة إلى القتال والنفقة فيه، ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه» (١٥٤٥) أعظم درجة وقرئ: «قبل الفتح» ﴿وَكُلًّا﴾ وكل واحد من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي المثوبة الحسنىٰ وهي الجنة مع تفاوت الدرجات. وقرئ: بالرفع على «وكل وعده الله» وقيل: نزلت في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، لأنه أوّل من أسلم وأوّل من أنفق في سبيل الله. القرض الحسن: الإنفاق في سبيله. شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز، لأنه إذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه إياه ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ أي يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفًا ﴿أضعافا﴾ من فضله ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يعني: وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه: وقرئ: «فيضعفه» وقرئا

١٥٤٥ ـ فأمّا حديث أبي سعيد فرواه البخاري (٢٥١٧) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لو كنت متخذًا خليلا» (٣٦٠٣)، ومسلم (١٩٦٧/٤) في فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة (٢٢٢/٢٥٤١)، وأبو داود (٦٢٩/٢) في السنة: باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٤٦٥٨)، والترمذي (٦٥٣/٥) في المناقب (٣٨٦١)، وأحمد (١١/٣، ٥٤، ٦٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٧٨/٢ ـ ٤٧٩ (٩٩٠ ـ ٩٩١)، والبيهقي (٢٠٩/١٠)، والخطيب في التاريخ (١٤٤/٧) من الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد مرفوعًا: لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه».

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأما حديث أبي هريرة، فرواه مسلم (٢٢١ ـ ٢٥٤٠)، وابن ماجه (٥٧/١) في المقدمة: باب فضل أهل بدر (١٦١) عن الأعمش عن أبي صالح عنه مرفوعًا به.

وأما حديث أنس فرواه أحمد (٢٦٦/٣).

ولأنس حديث آخر في هذا الباب، رواه ابن ماجه (٣٩٨٧)، والخطيب في التاريخ (٢٥٧/١٢).

وحسن إسناده البوصيري في الزوائد (٢٣٧/٣).

وفي الباب كذلك عن ابن عباس رواه الطبراني في الكبير (٧٠/١١) (١١٠٧٤) عن ليث عن مجاهد عنه.

وقال الهيثمي في المجمع (٢٨١/٧): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة.

قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

منصوبين على جواب[1] الاستفهام والرفع عطف على ﴿يُقْرِضُ﴾، أو على: فهو يضاعفه.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أو منصوب بإضمار «اذكر» تعظيمًا لذلك اليوم. وإنما قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ لأنّ السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين؛ كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم، فجعل النور في الجهتين شعارًا لهم وآية؛ لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا، فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون: سعى بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدمًا. ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾. وقرئ: «ذلك الفوز».

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بدل من يوم ترى ﴿ٱنظُرُونَا﴾ انتظرونا، لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف[2] بهم. وهؤلاء مشاة. وانظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به. وقرئ: «أنظرونا» من النظرة وهي الإمهال: جعل اتئادهم في المضيّ إلى أن يلحقوا بهم إنظارًا لهم ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ نصب منه؛ وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ طرد لهم وتهكم بهم، أي: ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك، فمن ثم يقتبس. أو ارجعوا إلى الدنيا، فالتمسوا نورًا بتحصيل سببه وهو الإيمان. أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا، فالتمسوا نورًا آخر، فلا سبيل لكم إلى هذا النور، وقد علموا أن لا نور وراءهم؛ وإنما هو تخييب وإقناط لهم ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شقّ الجنة وشق النار. وقيل: هو الأعراف لذلك السور ﴿بَابٌ﴾ لأهل الجنة/ ٢/ ٢١٠ب يدخلون منه ﴿بَاطِنُهُۥ﴾ باطن السور أو الباب، وهو الشق الذي يلي الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ ما ظهر

---

(١) قوله: «وقرئا منصوبين على جواب» أي قوله: فيضاعفه. وقوله فيضعفه. (ع)

(٢) قوله: «تزف بهم» أي: تسرع. أفاده الصحاح. (ع)

لأهل النار ﴿مِن قِبَلِهِ﴾ من عنده ومن جهته ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ وهو الظلمة والنار. وقرأ زيد بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: «فضرب بينهم» على البناء للفاعل ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ يريدون موافقتهم في الظاهر ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ محنتموها بالنفاق وأهلكتموها ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ طول الآمال والطمع في امتداد الأعمار ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ وغرّكم الشيطان بأنّ الله عفوّ كريم لا يعذبكم. وقرئ: «الغرور» بالضم ﴿فِدْيَةٌ﴾ ما يفتدى به ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ قيل: هي أولى بكم، وأنشد قول لبيد [من الكامل]:

فَغَدَتْ كِلاَ الْفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ مَوْلِي الْمَخَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا[1]

وحقيقة مولاكم: محراكم ومقمنكم[2]. أي: مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم، كما قيل: هو مئنة للكرم، أي مكان؛ لقول القائل: إنه لكريم. ويجوز أن يراد: هي ناصركم، أي لا ناصر لكم غيرها. والمراد: نفي الناصر على البتات. ونحوه قولهم: أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع[3]. ومنه قوله تعالى: ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩] وقيل: تتولاكم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

---

(١) وتوجست رز الأنيس فراعها عن ظهر غيب والأنيس سقامها
فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها

للبيد من معلقته. يصف بقرة وحشية، توجست: أي تسمعت البقرة. والتوجس: التسمع. ويقال: رزت السماء رزًا، بتقديم الراء إذا صوتت عند المطر؛ فالرز بالفتح: التصويت الخفي، وبالكسر: اسم للصوت الخفي. ورز: أي صوت الأنيس، وهم الصياد، فأفزعها بظهر الغيب. وإقحام الظهر في مثل هذا التركيب: مبالغة في الخفاء؛ لأن ما وراء الظهر لا يعلم ولا يدرى ما هو. وسمي الصياد أنيسًا بالنسبة إلينا لا إليها، لأنه عناؤها وسبب خوفها، فجعله نفس السقام مبالغة. وكلا الفرجين: مبتدأ. وتحسب أنه مولى المخافة: خبر، أي أنه الأولى بالخوف من جهته. وخلفها وأمامها: خبر لمبتدأ محذوف، أو بدل من كلا الفرجين للتوضيح والتبيين، أي: لهما ما بين رجليها وما بين يديها، وبعضهم فسرهما بنقرنين في الجبل؛ وعليه فلا معنى للام العهد فيهما.

ينظر: ديوانه ص ٣١١، وإصلاح المنطق ص ٧٧، والدرر ٣/١١٧، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٧٠، وشرح المفصل ٢/١٢٩، والكتاب ١/٤٠٧، ولسان العرب (أمم)، (كلا)، (ولي)، والمقتضب ٤/٣٤١، وكتاب العين ٨/٤٢٩ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٤٦٣، وشرح شذور الذهب ص ٢٠٩، ولسان العرب (فرج).

(٢) قوله: «محراكم ومقمنكم» يقال: هو حري أن يفعل كذا، وهو قمن أن يفعله، أي: جدير بذلك وحقيق به. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله: «فاستنصر الجزع» لعله: الجزع، أي: نقيض الصبر. (ع)

﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ من أنى الأمر يأني، إذا جاء إناه، أي: وقته. وقرئ: «ألم يئن» من آن يئين بمعنى: أنى يأنئ، وألما يأن، قيل: كانوا مجدبين بمكة، فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه، فنزلت. وعن ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين (١٥٤٦). وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنّ الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: أما والله لقد استبطأهم وهم يقرءون من القرآن أقل مما تقرءون. فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق. وعن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أنّ هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة، فبكوا بكاءً شديدًا، فنظر إليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب. وقرئ: نزّل ونزل. وأنزل ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ عطف على تخشع، وقرئ بالتاء على الالتفات، ويجوز أن يكون نهيًا لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا، وذلك أنّ بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم، وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم، فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره. فإن قلت: ما معنى: ﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾؟ قلت: يجوز أن يراد بالذكر وبما نزل من الحق: القرآن؛ لأنه جامع للأمرين: للذكر والموعظة، وأنه حق نازل من السماء، وأن يراد خشوعها إذا ذكر الله وإذا تلي القرآن كقوله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢] أراد بالأمد: الأجل، كقوله [من الخفيف]:

.... إذَا انْتَهَى أَمَدُهُ[1]

وقرئ: «الأمدّ»، أي: الوقت الأطول ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن دينهم

١٥٤٦ ـ أخرجه مسلم (٩/ ٣٨٤ ـ النووي) كتاب التفسير: باب في قوله تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾، حديث (٢٤/ ٣٠٢٧)، والنسائي في التفسير (٢/ ٣٨٨) رقم (٥٨٨) كلاهما من طريق سعيد بن أبي هلال عن عون بن عبدالله بن عتبة عن أبيه أن ابن مسعود قال: «ما كان بين إسلامنا... الحديث» موقوفًا على ابن مسعود قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤١٨) ووهم الحاكم فرواه في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أ. هـ.
قال الحافظ:
أخرجه مسلم بلفظ «وبين أن عاتبنا الله» ووهم الحاكم فاستدركه. انتهى.

---

(١) قوله: «كقوله إذا انتهى أمده» البيت من أوله:

كل حي مستكمل مدة العمـ ـر ومود إذا انتهى أمده

أهـ. عليان

قلت: قد تقدم.

رافضون لما في الكتابين.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝١٧﴾

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ قيل: هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب، وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض.

﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ۝١٨﴾

﴿ٱلۡمُصَّدِّقِينَ﴾ المتصدّقين. وقرئ على الأصل. والمصدّقين من صدّق، وهم الذين صدّقوا الله ورسوله يعني: المؤمنين. فإن قلت: علام عطف قوله ﴿وَأَقۡرَضُواْ﴾؟ قلت: على معنى الفعل في المصدّقين؛ لأنّ اللام بمعنى الذين، واسم الفاعل بمعنى اصدّقوا، كأنه قيل: إنّ الذين اصدّقوا وأقرضوا. والقرض الحسن: أنّ يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة. وقرئ: «يضعف» ويضاعف، بكسر العين، أي: يضاعف الله.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٩﴾

يريد أنّ المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصدّيقين والشهداء؛ وهم الذي سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ أي: مثل أجر الصدّيقين والشهداء ومثل نورهم. فإن قلت: كيف يسوّى بينهم في الأجر ولا بدّ من التفاوت؟ قلت: المعنى: أنّ الله يعطي المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضله، حتى يساوي أجرهم مع إضعافه أجر أولئك. ويجوز أن يكون ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ مبتدأ، و﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ خبره.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ/ ٢/ ٢١١ب ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝٢٠﴾

أراد أنّ الدنيا ليست إلا محقرات من الأمور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر. وأما الآخرة فما هي إلا أمور عظام، وهي: العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله. وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتهل[١]

(١) قوله: «فاستوى واكتهل» في الصحاح: اكتهل النبات، أي: تم طوله وظهر نوره. (ع)

وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات، فبعث عليه العاهة فهاج واصفرّ وصار حطامًا عقوبة لهم على جحودهم، كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين. وقيل: ﴿ٱلۡكُفَّارَ﴾ الزرّاع. وقرئ: «مصفارًا».

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾

﴿سَابِقُوٓاْ﴾ سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم في المضمار، إلى جنة ﴿عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قال السدي: كعرض سبع السموات وسبع الأرضين، وذكر العرض دون الطول؛ لأنّ كل ماله عرض وطول فإنّ عرضه أقل من طوله، فإذا وصف عرضه بالبسطة، عرف أنّ طوله أبسط وأمدّ. ويجوز أن يراد بالعرض: البسطة، كقوله تعالى: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ [فصلت: ٥١] لما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة: بعث عباده على المسارعة إلى نيل ما وعد من ذلك: وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الموعود من المغفرة والجنة ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ عطاؤه ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ وهم المؤمنون.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤﴾

المصيبة في الأرض: نحو الجدب وآفات الزروع والثمار. وفي الأنفس: نحو الأدواء والموت ﴿فِي كِتَٰبٖ﴾ في اللوح ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ يعني: الأنفس أو المصائب ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إنّ تقدير ذلك وإثباته في كتاب ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ وإن كان عسيرًا على العباد، ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ . . .﴾ ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ﴾ يعني: أنكم إذا علمتم أنّ كل شيء مقدّر مكتوب عند الله قلّ أساكم على الفائت وفرحكم على الآتي؛ لأنّ من علم أن ما عنده مفقود لا محالة: لم يتفاقم جزعه عند فقده، لأنه وطن نفسه على ذلك، وكذلك من علم أنّ بعض الخير واصل إليه، وأن وصوله لا يفوته بحال: لم يعظم فرحه عند نيله ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ لأنّ من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه: اختال وافتخر به وتكبر على الناس. قرئ: «بما آتاكم» وأتاكم، من الإيتاء والإتيان. وفي قراءة ابن مسعود «بما أوتيتم» فإن قلت: فلا أحد يملك نفسه ـ عند مضرة تنزل به،

ولا عند منفعة ينالها ـ أن لا يحزن ولا يفرح. قلت: المراد: الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين، والفرح المطغي الملهي عن الشكر؛ فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام، والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر: فلا بأس بهما ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ كأنه قال: لا يحب الذين يبخلون، يريد: الذين يفرحون الفرح المطغي إذا رزقوا مالاً وحظًا من الدنيا فلحبهم له وعزّته عندهم وعظمه في عيونهم: يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به، ولا يكفيهم أنهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الإمساك ويزينوه لهم، وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند إصابته ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الأسى على الفائت والفرح بالآتي: فإنّ الله غنيّ عنه. وقرئ: «بالبخل» وقرأ نافع: «فإنّ الله الغنيّ»، وهو في مصاحف أهل المدينة والشام كذلك.

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥﴾

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا﴾ يعني: الملائكة إلى الأنبياء ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج والمعجزات ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: الوحي ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ روي أنّ جبريل ـ عليه السلام ـ نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال: مر قومك يزنوا به ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ﴾ قيل: نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد: السندان، والكلبتان، والميقعة والمطرقة[1]، والإبرة. وروي: ومعه المرّ والمسحاة. وعن النبي ﷺ: «أنّ الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: أنزل الحديد، والنار، والماء، والملح (١٥٤٧). وعن الحسن ﴿وَأَنزَلۡنَا

١٥٤٧ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/٤١٨): (رواه الثعلبي في تفسيره أخبرنا أبو سفيان الحسين ابن عبد الله الدهقان ثنا الحسن بن إسماعيل بن خلف الخياط ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن الفرج العدل ثنا محمد بن عبيد بن عبد الملك بن مالك التميمي عن عبد الله بن خليفة عن ابن عمر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله تعالى أنزل. . .» إلى آخره.
وهو في الفردوس كذلك من حديث ابن عمر؛ قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من حديث ابن عمر وفي إسناده من لا أعرفه. انتهى.

---

(١) قوله: «والميقعة والمطرقة. . . إلخ» في الصحاح «الميقعة»: المطرقة. والميقعة ـ أيضًا ـ: المسن الطويل. والمر: الحبل، والمسحاة كالمجرفة، إلا أنها من حديد. (ع)

﴿ٱلْحَدِيدَ﴾: خلقناه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الزمر: ٦٠] وذلك أنّ أوامره تنزل من السماء وقضاياه وأحكامه ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وهو القتال به ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم، فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها؛ أو ما يعمل بالحديد ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح/ ٢/ ٢١١ب في مجاهدة أعداء الدين ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ غائبًا عنهم، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ينصرونه ولا يبصرونه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ غنيّ بقدرته وعزته في إهلاك من يريد هلاكه عنهم، وإنما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيه إلى الثواب.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ والوحي. وعن ابن عباس: الخط بالقلم، يقال: كتب كتابًا وكتابة ﴿فَمِنْهُم﴾ فمن الذرية أو من المرسل إليهم، وقد دل عليهم ذكر الإرسال والمرسلين. وهذا تفصيل لحالهم، أي: فمنهم مهتد ومنهم فاسق، والغلبة للفساق.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قرأ الحسن: الأنجيل، بفتح الهمزة، وأمره أهون من أمر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء، لأنّ الكلمة أعجمية لا يلزم فيها حفظ أبنية العرب. وقرئ: «رآفة» على: فعالة، أي: وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم. ونحوه في صفة أصحاب رسول الله ﷺ ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. والرهبانية: ترهبهم في الجبال فارّين من الفتنة في الدين، مخلصين أنفسهم للعبادة، وذلك أنّ الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى، فقاتلوهم ثلاث مرات، فقتلوا حتى لم يبق منهم إلا القليل، فخافوا أن يفتنوا في دينهم، فاختاروا الرهبانية: ومعناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان[1]، وهو الخائف: فعلان من رهب، كخشيان من خشي. وقرئ: «ورهبانية» بالضم، كأنها نسبة إلى الرهبان: وهو جمع راهب كراكب وركبان، وانتصابها بفعل مضمر[2] يفسره الظاهر: تقديره. وابتدعوا

---

(١) قال محمود: «الرهبانية: الفعلة المنسوبة للرهبان. . . إلخ» قال أحمد: وفيه إشكال، فإن النسب إلى الجمع على صيغته غير مقبول عندهم حتى يرد إلى مفرده، إلا أن يقال: إنه لما صار الرهبان طائفة مخصوصة صار هذا الاسم ـ وإن كان جمعًا ـ كالعلم لهم، فلحق بأنصاري ومدائني وأعرابي.

(٢) قال محمود: «وهي منصوبة بفعل مضمر. . . إلخ» قال أحمد: في إعراب هذه الآية تورط أبو علي =

رهبانية ﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ يعني: وأحدثوها من عند أنفسهم ونذروها ﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ لم نفرضها نحن عليهم ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ استثناء منقطع، أي: ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ كما يجب على الناذر رعاية نذره؛ لأنه عهد مع الله لا يحلّ نكثه ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يريد: أهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ الذين لم يحافظوا على نذرهم. ويجوز أن تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها، وابتدعوها: صفة لها في محل النصب، أي: وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم، بمعنى: وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها، ما كتبناها عليهم إلا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب، على أنه كتبها عليهم وألزمها إياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضا الله وثوابه، فما رعوها جميعًا حق رعايتها؛ ولكن بعضهم، فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية أجرهم، وكثير منهم فاسقون. وهم الذين لم يرعوها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يجوز أن يكون خطابًا للذين آمنوا من أهل الكتاب والذين آمنوا[(١)] من غيرهم، فإن كان خطابًا لمؤمني أهل الكتاب. فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد ﴿يُؤۡتِكُمۡ﴾ الله ﴿كِفۡلَيۡنِ﴾ أي نصيبين ﴿مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم بمحمد وإيمانكم بمن قبله ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ وهو النور المذكور في قوله: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾ **[الحديد: ١٢]**. ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ ما أسلفتم من الكفر والمعاصي.

= الفارسي وتحيز إلى فئة الفتنة وطائفة البدعة، فأعرب رهبانية على أنها منصوبة بفعل مضمر يفسره الظاهر، وعلل امتناع العطف فقال: ألا ترى أن الرهبانية لا يستقيم حملها على (جعلنا) مع وصفها بقوله: (ابتدعوها) لأن ما يجعله هو تعالى لا يبتدعونه هم، والزمخشري ورد أيضًا مورده الذميم، وأسلمه شيطانه الرجيم، فلما أجاز ما منعه أبو علي من جعلها معطوفة: أعذر لذلك بتحريف الجعل إلى التوفيق، فرارًا مما فر منه أبو علي: من اعتقاد أن ذلك مخلوق لله تعالى، وجنوحًا إلى الإشراك واعتقاد أن ما يفعلونه هم لا يفعله الله تعالى ولا يخلقه، وكفى بما في هذه الآية دليلًا بعد الأدلة القطعية والبراهين العقلية على بطلان ما اعتقداه؛ فإنه ذكر محل الرحمة والرأفة مع العلم بأن محلها القلب، فجعل قوله: (في قلوب الذين اتبعوه) تأكيدًا لخلقه هذه المعاني وتصويرًا لمعنى الخلق بذكر محله؛ ولو كان المراد أمرًا غير مخلوق في قلوبهم لله تعالى كما زعما: لم يبق لقوله في قلوب الذين اتبعوه موقع، ويأبى الله أن يشتمل كتابه الكريم على ما لا موقع له، ألهمنا الله الحجة ونهج بنا واضح المحجة، إنه ولي التوفيق وواهب التحقيق.

(١) قوله: «والذين آمنوا» لعله وللذين آمنوا. (ع)

﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ﴾ ليعلم ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذين لم يسلموا. ولا مزيدة ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ أن مخففة من الثقيلة، أصله: أنه لا يقدرون، يعني: أنّ الشأن لا يقدرون ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا ينالون شيئًا مما ذكر من فضله من الكفلين: والنور والمغفرة، لأنهم لم يؤمنوا برسول الله، فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله، ولم يكسبهم فضلاً قط. وإن كان خطابًا لغيرهم، فالمعنى: اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤] ولا ينقصكم من مثل أجرهم، لأنكم مثلهم في الإيمانين لا تفرقون بين أحد من رسله. روي: أنّ رسول الله ﷺ بعث جعفرًا ـ رضي الله عنه ـ في سبعين راكبًا إلى النجاشي يدعوه، فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له، فقال ناس ممن آمن من أهل مملكته وهم أربعون رجلاً. ائذن لنا في الوفادة على رسول الله ﷺ، فأذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة أحد، فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة: إستأذنوا رسول الله ﷺ، فرجعوا وقدموا بأموال لهم فآسوا بها المسلمين[1]، فأنزل الله ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ...﴾ [البقرة: ١٢١] إلى قوله: ﴿... وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] فلما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤] فخروا على المسلمين وقالوا: أما من آمن/ ٢/ ٢١٢أ بكتابكم وكتابنا فله أجره مرّتين، وأما من لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم، فما فضلكم علينا؟ فنزلت. وروي أنّ مؤمني أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرّتين، وادعوا الفضل عليهم، فنزلت. وقرئ: «لكي يعلم» و«لكيلا يعلم». و«ليعلم». و«لأن يعلم»؛ بإدغام النون في الياء. و«لين يعلم: بقلب الهمزة ياء وإدغام النون في الياء. وعن الحسن: «ليلا يعلم»، بفتح اللام وسكون الياء. ورواه قطرب بكسر اللام. وقيل: في وجهها: حذفت همزة أن، وأدغمت نونها في لام لا؛ فصار «للا» ثم أبدلت من اللام المدغمة ياء، كقولهم: ديوان، وقيراط. ومن فتح اللام فعلى أن أصل لام الجرّ الفتح، كما أنشد [من الطويل]:

أُرِيدُ لِأَنْسَىٰ ذِكْرَهَا ... .[2]

---

(١) المعروف أن جعفر إنما قدم بعد أحد بزمان، قدم عند فتح خيبر.

(٢) أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل

لقيس بن الملوح مجنون ليلى العامرية. وقيل: لكثير صاحب عزة. وكني عنها بليلى تسترًا. وقيل: سرقه كثير من شعر جميل صاحب بثينة. وقوله: لأنسى بفتح لام الجر على الأصل في الحروف =

وقرئ: «أن لا يقدروا» ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ في ملكه وتصرفه. واليد مثل ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ ولا يشاء إلا إيتاء من يستحقه. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله» (١٥٤٨).

١٥٤٨ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه والواحدي، بأسانيدهم إلى أبي بن كعب.

= المفردة، وتلك: لغة عكل، ويتعين فيها إذا دخلت على فعل منصوب بأن مضمرة كما هنا. وتروى بالكسر على اللغة المشهورة، أي: أريد لنسيان تذكرها، واللام زائدة، لكنها هي التي أشعرت بحذف «إن»، وتمثل: أصله تتمثل، أي تتشكل وتتخيل أمامي ليلى بكل طريق، إما الحسي وإما طريق الذكر، والأول أوجه، بدليل قوله: «كأنما» وتمثلها له يوجب تذكرها. وما زائدة بعد كان، كافة لها عن العمل فلذلك دخلت على الفعل.

ينظر: ديوانه ص ١٠٨، والأغاني ٤/ ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٩/ ٣٣٥، ٣٣٦، وأمالي القالي ٢/ ٦٣، وخزانة الأدب ١٠/ ٣٢٩، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٢٣٧، وشرح شواهد المغني ١/ ٦٥، ٢/ ٥٨٠، ولسان العرب (رود)، والمقاصد النحويّة ٢/ ٢٤٩، ٣/ ٤٠٣، وبلا نسبة في الجنى الداني ص ١٢١، ورصف المباني ص ٢٤٦، واللامات ص ١٣٨، والمحتسب ٢/ ٣٢، ومغني اللبيب ١/ ٢١٦.

سورة المجادلة

مدنية، وآياتها ٢٢ [نزلت بعد المنافقون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١﴾

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾. قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات[1]، لقد كلمت المجادلة رسول الله ﷺ في جانب البيت وأنا عنده لا أسمع، وقد سمع لها (١٥٤٩). وعن عمر أنه كان إذا دخلت عليه أكرمها وقال: قد سمع الله لها. وقرئ: تحاورك، أي: تراجعك الكلام. وتحاولك، أي: تسائلك، وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة: رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم، فلما سلمت راودها فأبت، فغضب وكان به خفة ولمم[2]، فظاهر منها، فأتت رسول الله ﷺ فقالت:

١٥٤٩ ـ أخرجه البخاري تعليقًا (١٣/ ٣٨٤) كتاب التوحيد: باب (وكان الله سميعًا بصيرًا).
وأخرجه النسائي (٦/ ١٦٨) كتاب الطلاق: باب الظهار حديث (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١/ ٦٧) المقدمة: باب فيما أنكرت الجهمية حديث (١٨٨)، وأحمد (٦/ ٤٦) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» رقم (١٥١٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٨/ ٥ ـ ٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٢٥)، والحاكم (٢/ ٤٨١)، والبيهقي (٧/ ٣٨٢) كلهم من طريق الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة به.
وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٩) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم.
قال الحافظ: أخرجه النسائي، وابن ماجه، والطبري وأحمد، وإسحاق، والبزار من طريق الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة وعلقه البخاري، وأخرجه الحاكم أتم سياقًا منه، وفيه تسميتها وتسمية زوجها. انتهى.

---

(١) قال محمود: «قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات. . . إلخ» قال أحمد: ولقد استدل به بعضهم على عدم لزوم ظهار الذمي، وليس بقوي؛ لأنه غير المقصود.
(٢) قوله: «ولمم» أي طرف من الجنون، أو مس من الجن. أفاده الصحاح. (ع)

إن أوسًا تزوّجني وأنا شابة مرغوب فيّ، فلما خلا سني ونثرت بطني - أي: كثر ولدي - جعلني عليه كأمّه (١٥٥٠). وروي: أنها قالت له: إنّ لي صبية صغارًا، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا. فقال: ما عندي في أمرك شيء. وروي: أنه قال لها: حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله، ما ذكر طلاقًا وإنما هو أبو ولدي وأحب الناس إليّ، فقال: حرمت عليه، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووجدي، كلما قال رسول الله ﷺ: حرمت عليه، هتفت وشكت إلى الله، فنزلت (١٥٥١) ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ في شأنه ومعناه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ يصح أن يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر. فإن قلت: ما معنى (قد) في قوله: (قد سمع)؟ قلت: معناه التوقع؛ لأن رسول الله ﷺ والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرّج عنها.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم﴾ في ﴿مِنكُم﴾ توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار، لأنه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ وقرئ: بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية. وفي قراءة ابن مسعود: بأمّهاتهم، وزيادة الباء في لغة من ينصب. والمعنى أن من يقول لامرأته أنت عليّ كظهر أمي: ملحق في كلامه هذا للزوج

١٥٥٠ - أخرجه الدارقطني (٣/ ٢٢٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٨٢) بروايات مختلفة.
وقال الحافظ ابن حجر أخرجه الدارقطني والبيهقي. انتهى.

١٥٥١ - أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٨/ ٦) من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي به.
قال الحافظ: هذه الرواية الثانية: أخرجها الطبري من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال: كانت خولة بنت ثعلبة تحت أوس بن الصامت، وكان رجلًا به لمم. فقال في بعض هجراته: أنت علي كظهر أمي، قال: ما أظنك إلا قد حرمت عليّ فجاءت إلى رسول الله - ﷺ - فقالت: يا نبي الله، إن أوس بن الصامت أبو ولدي، وأحب الناس إليّ، والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقًا قال: ما أراك إلا حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله: لا تقل كذلك، والله ما ذكر طلاقًا. فراودت النبي - ﷺ - مرارًا ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك فاقتي ووحدتي وما يشق علي من فراقه - الحديث»، ومن طريق أبي العالية قال: فجعلت كلما قال لها: حرمت عليه، هتفت وقالت: أشكو إلى الله، فلم ترم مكانها حتى نزلت الآية. انتهى.

بالأم، وجاعلها مثلها. وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ﴾ يريد أن الأمهات على الحقيقة إنما هنّ الوالدات وغيرهنّ ملحقات بهنّ لدخولهنّ في حكمهنّ، فالمرضعات أمّهات؛ لأنهنّ لما أرضعن دخلن بالرضاع في حكم الأمهات، وكذلك أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين؛ لأن الله حرّم نكاحهن على الأمة فدخلن بذلك في حكم الأمهات. وأما الزوجات فأبعد شيء من الأمومة لأنهنّ لسن بأمّهات على الحقيقة. ولا بداخلات في حكم الأمهات، فكان قول المظاهر: منكرًا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الأحكام الشرعية وزورًا وكذبًا باطلاً منحرفًا عن الحق ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لما سلف منه إذا تيب منهُ ولم يعد إليه، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ يعني: والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول[1] المنكر فقطعوه بالإسلام، ثم يعودون لمثله، فكفارة من عاد أن يحرّر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها إلا بعد تقديم الكفارة. ووجه آخر: ثم يعودون لما قالوا[2]: ثم يتداركون/ ٢/ ٢١٢ب ما قالوا؛ لأن المتدارك للأمر عائد إليه. ومنه المثل: عاد غيث على ما أفسد، أي: تداركه بالإصلاح. والمعنى: أن تدارك هذا القول وتلافيه بأن يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار. ووجه ثالث: وهو أن يراد بما قالوا: ما حرّموه[3] على أنفسهم بلفظ الظهار، تنزيلاً للقول

---

(١) قال محمود: «يعني: والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول... إلخ» قال أحمد: وهذا الوجه يلزم الكفارة لمجرد قول الظهار في الإسلام لا غير، والقول بوجوبها بمجرد الظهار: قول مجاهد من التابعين وسفيان من الفقهاء.

(٢) قال محمود: «ووجه ثان ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا... إلخ» قال أحمد: وهذا التفسير منزل على أن وجوب الكفارة مشروط بالعود بعد الظهار وهو القول المشهور لفقهاء الأمصار ولا يخص هذا التفسير وجهًا من وجوه العود التي ذكرها العلماء.

(٣) قال محمود: «ووجه ثالث: وهو أن يكون المراد بما قالوه... إلخ» قال أحمد: وهذا التفسير يقوي القول بأن العود الوطء نفسه؛ لأن حاصله: ثم يعودون للوطء، وظاهر قولك: عاد للوطء فعله، وحمل العود على الوطء: من جملة أقوال مالك ـ رحمه الله ـ، فقد تلخص أن كلام المختلفين في العود له مآخذ من هذه الآية، فأما من لم يقف وجوب الكفارة عنده إلا على مجرد الظهار، فحمل العود على الظهار، وتسميته عودًا والحالة هذه باعتبار أنه كان في الجاهلية وانقطع في الإسلام، فإيقاعه بعد الإسلام عود إليه. وأما من أوقفها على العود وجعل العود أن يعيد لفظ الظهار وهو قول داود فاعتبر ظاهر اللفظ، وأما من حمل العود على العزم على الوطء فرأى أن العود إلى القول الأول عود بالتدارك لا بالتكرار، وتدارك بعضه ببعضه، وهل نقيضه العزم على الوطء لأن الأول امتناع منه أو العزم على الإمساك؛ لأن العصمة تقتضي الحل وعدم الامتناع، فيكفي محل خلاف. وأما من حمله على الوطء نفسه فرأى أن المراد بالقول المقول فيه، ويحمل قوله: (من قبل أن يتماسا) أي مرة ثانية. وقد اختلف العلماء أيضًا فيما إذا قدم الوطء على الكفارة، فالمذهب المشهور للعلماء أن ذلك لا يسقط الكفارة ولا يوجب أخرى. وذهب مجاهد إلى إيجاب أخرى به، وذهبت =

منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ [مريم: ٨٠] ويكون المعنى: ثم يريدون العود للتماسّ. والمماسة: الاستمتاع بها من جماع، أو لمس بشهوة،

= طائفة إلى إسقاط الكفارة به أصلاً ورأسًا، وكأن منشأ خلافهم النظر إلى قوله: (من قبل أن يتماسا) فرآه أكثر العلماء منعًا من الوطء قبل التكفير، حتى كأنه قال: لا تماس حتى تكفر، ورآته الطائفة المسقطة للكفارة بالوطء شرطًا في الوجوب، فلا جرم إذا مسها، فَقَدْ فَقَدَ الشرط الذي هو عدم التماس فسقط الوجوب. ورآه مجاهد في إيجاب الكفارة، فإذا تماسا قبل الكفارة تعددت، ثم فيه نظر آخر: وهو أنه ذكر عدم التماس في كفارتي العتق والصوم، وأسقطه في كفارة الإطعام، فتلقى أبو حنيفة بذلك الفرق بين الإطعام وبين الأخريين، حتى أنه لو وطئ في حال الإطعام لم يجب عليه استئناف كفارة، بخلاف الأخريين فإن الوطء في خلال كل واحدة منهما يوجب إبطالها واستئناف أخرى، على أن أبا حنيفة سوى بين الثلاث في تحريم المساس قبل حصولها كاملة، كذا نقل الزمخشري عنه. ولقائل أن يقول على أبي حنيفة: إذا جعلت الفائدة في ذكر عدم التماس في بعضها وإسقاطه من بعضها الفرق بين أنواعها، فلم صرفت الفرق إلى أحد الحكمين وهو إيجاب الاستئناف بالوطء في خلال الكفارة في بعضها دون البعض دون الحكم الآخر وهو تحريم التماس قبل الشروع في الكفارة، فما تخصيص أحد الحكمين دون الآخر إلا نوع من التحكم. وله أن يقول: اتفقنا على التسوية فيه فتعين صرفه إلى الآخر هذا منتهى النظر مع أبي حنيفة؛ ورأى القائلون بأن الطعام يبطل بتخلل الوطء في أثنائه كالصيام: أن فائدة ذكره عدم المماسة، ثم إسقاطه للتنبيه على التسوية بين التكفير قبل وبعد. وتقريره: أن ذكره مع الاثنين كذكره مع الثالث، وإطلاق الثالث كإطلاق الاثنين، فكأنه قال في الجميع: من قبل أن يتماسا ومن بعد. وانطوى إيراد الآية على هذا الوجه على إبطال قول من قال: إن الأمر يختلف بين ما قبل التماس وما بعده فيجب قبل ويسقط بعد، وعلى قول من قال: يجب قبل كفارة وبعد كفارتان، وههنا نظر آخر: في أنه لم ذكر عدم التماس مع نوعين منها. وقد كان ذكره مع واحد منها مفيدًا لهذه الفائدة على التقرير المذكور؟ والجواب عنه: أن ذكره مع العتق مقتصر على إفادة تحريم الوطء قبل العتق، ولا يتصور في العتق الوطء في أثنائه، إذ لا يتبعض ولا يتفرق، فاحتيج إلى ذكره مع الصيام الواقع على التوالي ليفيد تحريم الوطء قبل الشروع فيه وبعد الشروع إلى التمام، إذ لو لم يذكره هنا لتوهم أن الوطء إنما يحرم قبل الشروع خاصة لا بعد، لأنها هي الحالة التي دل عليها التقييد في العتق، فلما ذكره مع الصيام الواقع متواليًا: استغنى عن ذكره مع الطعام لأنه مثله في التعدد والتوالي وإمكان الوطء في خلاله، وهذا التقرير منزل على أن العتق لا يتجزأ ولا يتبعض، وهذا هو المرضي. وقد نقل العيني عن ابن القاسم أن من أعتق شقصًا من عبد يملك جميعه ثم أعتق بقيته عن الظهار: أن ذلك يجزيه، وهو خلاف أصله في المدونة، وعابه عليه أصبغ وسحنون وابنه. ﴿تنبيه﴾ إن قال قائل بارتفاع التحريم بالكفارة لا يخلو، إما أن يكون مشروطًا فيلزم أن لا يرتفع التحريم بالكفارة التي تقدم على الشروع فيها مساس، وإن لم يكن مشروطًا لزم ارتفاع التحريم بالكفارة التي تخللها المساس، وكلاهما غير مقول به عندكم؛ فالجواب: أن المساس مناف لصحة الكفارة واعتبارها في رفع التحريم، فإن وقع قبل الشروع في الكفارة تعذر الحكم ببطلان الكفارة؛ لأن المحل لم يوجد، وتعذر ذلك لا يبطل الحكم ككونه منافيًا: أما إن وقع في أثنائها: فالمحل المحكوم فيه بعدم الصحة قائم، فوجب إعمال المنافي، وهذا كالحدث مناف لصحة الصلاة؛ فإن وقع في أثنائها أثر في إبطالها، والله تعالى الموفق للصواب.

أو نظر إلى فرجها لشهوة[1] ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الحكم ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية، فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه. فإن قلت: هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ؟ قلت: نعم إذا وضع مكان أنت عضوًا منها يعبر به عن الجملة كالرأس والوجه والرقبة والفرج، أو مكان الظهر عضوًا آخر يحرم النظر إليه من الأم كالبطن والفخذ. ومكان الأمّ ذات رحم محرم منه من نسب أو رضاع أو صهر أو جماع، نحو أن يقول: أنت عليّ كظهر أختي من الرضاع أو عمتي من النسب أو امرأة ابني أو أبي أو أمّ امرأتي أو بنتها، فهو مظاهر. وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه. وعن الحسن والنخعي والزهري والأوزاعي والثوري وغيرهم نحوه. وقال الشافعي: لا يكون الظهار إلا بالأمّ وحدها وهو قول قتادة والشعبي. وعن الشعبي: لم ينس الله أن يذكر البنات والأخوات والعمات والخالات؛ إذ أخبر أن الظهار إنما يكون بالأمّهات الوالدات دون المرضعات. وعن بعضهم: لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارًا. فإن قلت: فإذا امتنع المظاهر من الكفارة، هل للمرأة أن ترافعه؟ قلت: لها ذلك. وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر، وأن يحبسه؛ ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس إلا كفارة الظهار وحدها، لأنه يضرّ بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع، فيلزم إيفاء حقها. فإن قلت: فإن مسّ قبل أن يكفر؟ قلت: عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر، لما روي: أن سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله ﷺ: ظاهرت من امرأتي ثم أبصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها، فقال عليه الصلاة والسلام: «استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر» (١٥٥٢) فإن قلت: أي رقبة تجزئ في كفارة الظهار؟ قلت: المسلمة

١٥٥٢ ـ أخرجه أبو داود (٢/ ٢٦٨) كتاب الطلاق باب في الظهار حديث (٢٢٢١)، والترمذي (٣/ ٤٩٤) كتاب الطلاق: باب ما جاء في المظاهر يواقع قبل أن يكفر حديث (١١٩٨)، والنسائي (٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨) كتاب الطلاق باب الظهار حديث (٣٤٥٩)، وابن ماجه (١/ ٦٦٦ ـ ٦٦٧) كتاب الطلاق: باب المظاهر يجامع قبل أن يكفر حديث (٢٠٦٥) كلهم من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا.

وقال الترمذي: حسن غريب صحيح.

قال الحافظ:

لم أره بهذا اللفظ، وهو في السنن الأربعة من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، «أن رجلًا ظاهر من امرأته، ثم واقعها قبل أن يكفر فأتى النبي ـ ﷺ ـ فأخبره فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: رأيت بياض ساقها في القمر. قال: فاعتزلها حتى تكفر عنك، والترمذي «قال: رأيت خلخالها في القمر. قال: فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله، أخرجوه من رواية الفضل بن موسى عن معمر عنه موصولاً، وأبو داود والنسائي من رواية عبد الرزاق عن معمر مرسلاً. قال =

---

(١) قوله: «أو نظر إلى فرجها لشهوة» عبارة النسفي بشهوة. (ع)

والكافرة جميعًا، لأنها في الآية مطلقة. وعند الشافعي لا تجزئ إلا المؤمنة. لقوله تعالى في كفارة القتل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] ولا تجزئ أمّ الولد والمدبر والمكاتب الذي أدّى شيئًا، فإن لم يؤدّ شيئًا جاز. وعند الشافعي: لا يجوز: فإن قلت: فإن أعتق بعض الرقبة أو صام بعض الصيام ثم مسّ؟ قلت: عليه أن يستأنف ـ نهارًا مس ـ أو ليلاً ـ ناسيًا أو عامدًا ـ عند أبي حنيفة، وعند أبي يوسف ومحمد: عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه، وإن كان المسّ يفسد الصوم استقبل، وإلا بنئ. فإن قلت: كم يعطي المسكين في الإطعام؟ قلت: نصف صاع من برّ أو صاعًا من غيره عند أبي حنيفة، وعند الشافعي: مدًّا من طعام بلده الذي يقتات فيه. فإن قلت: ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالإطعام كما ذكره عند الكفارتين؟ قلت: اختلف في ذلك، فعند أبي حنيفة: أنه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المساس، وإنما ترك ذكره عند الإطعام دلالة على أنه إذا وجد في خلال الإطعام لم يستأنف كما يستأنف الصوم إذا وقع في خلاله. وعند غيره: لم يذكر للدلالة على أن التكفير قبله وبعده سواء. فإن قلت: الضمير في أن يتماسا إلام يرجع؟ قلت: إلى ما دلّ عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها ﴿ذَٰلِكَ﴾ البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها لتصدقوا ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره، ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ﴾ التي لا يجوز تعدّيها ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾

﴿يُحَآدُّونَ﴾ يعادون ويشاقون ﴿كُبِتُوا۟﴾ أخزوا وأهلكوا ﴿كَمَا كُبِتَ﴾ من قبلهم من أعداء الرسل. قيل: أريد كبتهم يوم الخندق ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ بهذه الآيات ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يذهب بعزهم وكبرهم ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾ منصوب بلهم. أو بمهين. أو بإضمار اذكر تعظيمًا لليوم ﴿جَمِيعًا﴾ كلهم لا يترك منهم أحد غير مبعوث. أو مجتمعين في حال واحدة، كما تقول: حيّ جميع ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ تخجيلاً لهم وتوبيخًا وتشهيرًا بحالهم، يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار، لما يلحقهم من الخزي على رءوس الأشهاد ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أحاط به عددًا لم يفته منه شيء

= النسائي: هذا أولى بالصواب، ولأبي داود والترمذي من حديث سلمة بن صخر البياضي قال: كنت امرءًا أستكثر من النساء. فذكر القصة مطولة، وليس فيها: «استغفر الله» إلى آخره. انتهى.

﴿وَنَسُوهُ﴾ لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي، وإنما تحفظ معظمات الأمور/ ٢/ ٢١٣أ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿مَا يَكُونُ﴾ من كان التامة. وقرئ بالياء والتاء، والياء على أنّ النجوى تأنيثها غير حقيقي ومن فاصله. أو على أنّ المعنى ما يكون شيء من النجوى. والنجوى: التناجي، فلا تخلو إما أن تكون مضافة إلى ثلاثة، أي: من نجوى ثلاثة نفر. أو موصوفة بها، أي: من أهل نجوى ثلاثة، فحذف الأهل. أو جعلوا نجوى في أنفسهم مبالغة، كقوله تعالى: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠] وقرأ ابن أبي عبلة: ثلاثة وخمسة، بالنصب على الحال بإضمار يتناجون؛ لأن نجوى يدل عليه. أو على تأويل نجوى بمتناجين، ونصبها من المستكن فيه. فإن قلت: ما الداعي إلى تخصيص الثلاثة والخمسة؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين: ثلاثة وخمسة، فقيل: ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن﴾ عددهم ﴿وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا﴾ والله معهم يسمع ما يقولون، فقد روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية: كانوا يومًا يتحدثون، فقال أحدهم: أترى أن الله يعلم ما نقول؟ فقال الآخر: يعلم بعضًا ولا يعلم بعضًا. وقال الثالث: إن كان يعلم بعضًا فهو يعلم كله؛ وصدق. لأن من علم بعض الأشياء بغير سبب فقد علمها كلها لأن كونه عالمًا بغير سبب ثابت له مع كل معلوم، والثاني: أنه قصد أن يذكر ما جرت عليه العادة من أعداد أهل النجوى والمتخالين للشورى، والمندبون[1] لذلك ليسوا بكل أحد وإنما هم طائفة مجتباة من أولي النهىٰ والأحلام، ورهط من أهل الرأي والتجارب، وأول عددهم الاثنان فصاعدًا إلى خمسة إلى ستة إلى ما اقتضته الحال وحكم الاستصواب. ألا ترى إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كيف ترك الأمر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها إلى سابع، فذكر عزّ وعلا الثلاثة والخمسة وقال: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ فدلّ على الاثنين والأربعة وقال ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ فدلّ على ما يلي هذا العدد ويقاربه. وفي مصحف عبد الله: إلا الله رابعهم، ولا أربعة إلا الله خامسهم، ولا خمسة إلا الله سادسهم، ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا انتجوا. وقرئ: ولا أدنى من ذلك

---

(١) قوله: «والمندبون لذلك» لعل أصله؛ (المنتدبون)، فأدغم. (ع)

ولا أكثر، بالنصب على أن لا لنفي الجنس. ويجوز أن يكون: ولا أكثر، بالرفع معطوفًا على محل مع أدنى، كقولك: لا حول ولا قوّة إلا بالله، بفتح الحول ورفع القوّة. ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء، كقولك: لا حول ولا قوّة إلا بالله، وأن يكون ارتفاعهما عطفًا على محل ﴿مِن نَّجْوَىٰ﴾ كأنه قيل: ما يكون أدنى ولا أكثر إلا هو معهم. ويجوز أن يكونا مجرورين(١) عطفًا على نجوى، كأنه قيل: ما يكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم. وقرئ: ولا أكبر، بالباء. ومعنى كونه معهم: أنه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه، فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم، وقد تعالى عن المكان والمشاهدة. وقرئ: ثم ينبئهم، على التخفيف.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾

كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين، يريدون أن يغيظوهم، فنهاهم رسول الله ﷺ فعادوا لمثل فعلهم، وكان تناجيهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته. وقرئ: ينتجون بالإثم والعدوان، بكسر العين، ومعصيات الرسول ﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ يعني أنهم يقولون في تحيتك: السام عليك يا محمد؛ والسام: الموت؛ والله تعالى يقول: ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩] و﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١/٦٧] و﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾: [الأنفال: ٦٤] ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون: ماله إن كان نبيًا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول، فقال الله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذابًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم. ويجوز أن يكون للمؤمنين، أي: إذا تناجيتم فلا تتشبهوا بأولئك في تناجيهم بالشرّ ﴿وَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ وعن النبي ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإنّ ذلك يحزنه» (١٥٥٣)

١٥٥٣ ـ أخرجه البخاري ١١/٨٥ كتاب الاستئذان: باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس (٦٢٩٠).

---

(١) قوله: «ويجوز أن يكونا مجرورين» على قراءة (أكثر) بفتح الراء. (ع)

وروي: «دون الثالث». وقرئ: فلا تناجوا. وعن ابن مسعود: إذا انتجيتم فلا تنتجوا ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ اللام إشارة إلى النجوى بالإثم والعدوان/ ٢/ ٢١٣ب، بدليل قوله تعالى: ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ والمعنى: أنّ الشيطان يزينها لهم، فكأنها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم ﴿وَلَيْسَ﴾ الشيطان أو الحزن ﴿بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. فإن قلت: كيف لا

= ومسلم ٤/ ١٧١٨ كتاب السلام: باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث (٢١٨٤)، والبخاري في الأدب (١١٧٣)، (١١٧٤)، (١١٧٥).
وأبو داود ٢/ ٦٧٩ كتاب الأدب: باب في التناجي (٤٨٥١)، والترمذي ٥/ ١١٧، ١١٨ كتاب الأدب: باب ما جاء لا يتناجي أثنان دون الثالث (٢٨٢٥)، وابن ماجه ٢/ ١٢٤١ كتاب الأدب: باب لا يتناجي اثنان دون الثالث (٣٧٧٥)، والدارمي ٢/ ٢٨٢، وابن حبان في صحيحة ٢/ ٣٤٤، ٣٤٥ (٥٨٣)، وأحمد ١/ ٣٧٥، ٤٢٥، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٦٠، ٤٦٤، ٤٦٥.
والحميدي في مسنده ١/ ٦١ (١٠٩)، قال الترمذي ٥/ ١١٦: «وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وابن عباس».
أما حديث ابن عمر رضي الله عنهما:
فرواه مالك في الموطأ ٢/ ٩٨٨ كتاب الكلام: باب ما جاء في مناجاة اثنين دون واحد (١٣، ١٤).
ورواه البخاري ١١/ ٨٤ كتاب الاستئذان: باب لا يتناجي اثنان دون الثالث (٦٢٨٨).
ومسلم ٤/ ١٧١٧ كتاب السلام: باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه (٦١٨٣).
وأبو داود ٢/ ٦٨٠ كتاب الأدب: باب في التناجي (٤٨٥٢).
وابن حبان في صحيحة ٢/ ٣٤٥، ٣٤٦ (٥٨٤).
وأحمد في مسنده ٢/ ٢، ٩، ١٧، ١٨، ٣٢، ١٢١، ١٢٣، ١٤٦ والبخاري في الأدب (١١٧٦).
وأما حديث أبي هريرة:
فرواه أحمد ٢/ ٣٥١ من طريق بن لهيعة: حدثنا أبو يونس عن أبي هريرة، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: إذا كان ثلاثة جميعًا فلا يتناج اثنان دون الثالث»:
وقال الألباني في الصحيحة (١٤٠٢):
«هذا إسناد لا بأس به في الشواهد، رجاله ثقات إلا أن ابن لهيعة سيء الحفظ، فإذا روى ما وافق الثقات دل ذلك على أنه قد حفظ....» ا. هـ.
وأما حديث ابن عباس:
فرواه أبو يعلى ٤/ ٣٣٢ (٢٤٤٤).
وذكره الحافظ في المطالب العالية برقم (٢٦٨٩)، وعزاه لأبي يعلى.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ٦٧:
«رواه أبو يعلى، وفيه من لم أعرفه، والطبراني في الأوسط، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح غير الحسن بن كثير وثقه ابن حبان، وعبد الوهاب ابن الورد اسمه وهيب بن الورد، كما ذكر شيخ الحفاظ المزي» ا. هـ.
قال الحافظ: متفق عليه، وهذا اللفظ المسلم حديث ابن مسعود. وقوله: «وروى دون الثابت»، هذا اللفظ للبخاري (فائدة): أخرجه البزار من حديث ابن عمر نحوه ـ وزاد: «إلا بإذنه» قلت: فإن كانوا أربعة؟ قال: لا بأس به» أنتهى.

يضرّهم الشيطان أو الحزن إلا بإذن الله؟ قلت: كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأنّ أقاربهم قتلوا، فقال: لا يضرهم الشيطان أو الحزن بذلك الموهم إلا بإذن الله، أي: بمشيئته، وهو أن يقضي الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة. وقرئ: «ليحزن» و«ليحزن».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ﴾ توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض، من قولهم: افسح عني، أي: تنحّ؛ ولا تتضامّوا. وقرى: تفاسحوا. والمراد: مجلس رسول الله، وكانوا يتضامّون فيه تنافسًا على القرب منه، وحرصًا على استماع كلامه، وقيل: هو المجلس من مجالس القتال، وهي مراكز الغزاة، كقوله تعالى: ﴿مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٢١] وقرئ: «في المجالس» قيل: كان الرجل يأتي الصف فيقول: تفسحوا، فيأبون لحرصهم على الشهادة. وقرئ: «في المجلس» بفتح اللام: وهو الجلوس، أي: توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ﴾ مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك ﴿ٱنشُزُواْ﴾ انهضوا للتوسعة على المقبلين. أو انهضوا عن مجلس رسول الله إذا أمرتم بالنهوض عنه، ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه: أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير إذا استنهضتم، ولا تثبطوا ولا تفرطوا ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ﴾ المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله، والعالمين منهم خاصة[1] ﴿دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قرئ: بالتاء والياء. عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أنه كان إذا قرأها قال: يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم. وعن النبي ﷺ: بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر[2] سبعين سنة (١٥٥٤). وعنه

١٥٥٤ ـ أخرجه أبو يعلى (٢/١٦٣) رقم (٨٥٦) من طريق الخليل بن مرة عن الزهري عن أبي سلمة عن =

---

(١) قال محمود: «فيه تعميم ثم تخصيص للعلماء... إلخ» قال أحمد: في الجزاء برفع الدرجات ههنا مناسبة للعمل لأن المأمور به تفسيح المجلس كيلا يتنافسوا في القرب من المكان الرفيع حوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيتضايقوا؛ فلما كان الممتثل لذلك يخفض نفسه عما يتنافس فيه من الرفعة امتثالاً وتواضعًا: جوزي على تواضعه برفع الدرجات كقوله: «من تواضع لله رفعه الله»؛ ثم لما علم أن أهل العلم بحيث يستوجبون عند أنفسهم وعند الناس ارتفاع مجالسهم، خصهم بالذكر عند الجزاء ليسهل عليهم ترك ما لهم من الرفعة في المجلس تواضعًا لله تعالى.

(٢) قوله: «حضر الجواد المضمر» الذي في الصحاح: أحضر الفرس إحضارًا، واحتضر: أي عدا، =

ـ عليه السلام ـ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» (١٥٥٥) وعنه عليه السلام: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء، ثم الشهداء (١٥٥٦) فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوّة والشهادة بشهادة رسول الله. وعن ابن عباس: خيّر سليمان بين العلم والمال والملك، فاختار العلم فأعطي المال والملك معه (١٥٥٧).

= عبد الرحمن بن عوف مرفوعًا بنحوه.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٢) وقال (رواه أبو يعلى وفيه الخليل بن مرة قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدى: لم أر حديثًا منكرًا وهو من جملة من يكتب حديثه وليس هو بمتروك. وذكره الزيلعى في «تخريج الكشاف» (٣/ ٤٢٧) وعزاه لأبي يعلى من طريق عبد الله بن محرر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا وقال:

ورواه ابن عدي في الكامل، وأعله بعبد الله بن محرر، ثم أسند عن ابن المبارك: بعرة أحب إليّ منه، وعن ابن معين قال: ضعيف، وعن السدي، هالك، وعن النسائي والفلاس: متروك الحديث، وعن قتادة: منكر الحديث، ووافقهم وقال: رواياته غير محفوظة. انتهى.

ورواه أبو القاسم الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب: أخبرنا أبو الخير بن هارون، أنا أبو الفرج البرجي، أنا محمد بن عمر بن حفص، ثنا إسحاق بن الفيض، ثنا القاسم بن الحكم، عن سلام، عن خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد سبعون درجة، ما بين كل درجتين حضر الجواد سبعين عامًا». انتهى.

وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/ ١٣٠)، حديث (١٢٩) وابن عدي في الكامل (٤/ ١٤٥٣) من طريق عبد الله بن محرر عن الزهري عن أبي سلمة، عنه بنحوه.

وفي مسند الفردوس (٢١٦١) بلفظ: «بين المجاهد والقاعد مائة درجة» فذكره. انتهى.

قال الحافظ: أخرجه أبو يعلى وابن عدي من رواية عبد الله بن محرر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وعبد الله بن محرر بمهملات: ساقط الحديث، وذكر ابن عبد البر في العلم أن ابن عون رواه عن ابن سيرين عن أبي هريرة، فينظر من خرجه. وفي الباب عن ابن عمرو بن العاص في الترغيب للأصبهاني. انتهى.

١٥٥٥ ـ تقدم في النمل. قال الجاحظ: أخرجه أصحاب السنن الأربعة من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. انتهى.

١٥٥٦ ـ أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٤٣)، كتاب الزهد، باب: ذكر الشفاعة، حديث (٤٣١٣).

والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٦٧) وأعله بعنبسة بن عبد الرحمن بن عنبسة القرشي.

وذكر المتقي الهندي في الكنز (١٤/ ٤٠١)، حديث (٣٩٠٧٢).

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٢٨) لأبي يعلى الموصلي في مسنده قال الحافظ: أخرجه ابن ماجه وأبو يعلى وابن عدي والعقيلي والبيهقي في الشعب من حديث عثمان. وفيه عنبسة بن عبد الرحمن القرشي، وهو متروك. انتهى.

١٥٥٧ ـ ذكره ابن عبد البر في كتاب العلم معلقًا، (١/ ٢٣٧)، رقم (٢٦٦)، من رواية عبد الله بن المبارك.

واستحضرته: أعديته، وفرس محضير: أي كثير العدو اهـ. (ع)

وقال ـ عليه السلام ـ: «أوحى الله إلى إبراهيم، يا إبراهيم، إني عليم أحب كل عليم» (١٥٥٨) وعن بعض الحكماء: ليت شعري أيّ شيء أدرك من فاته العلم، وأيّ شيء فات من أدرك العلم، وعن الأحنف: كاد العلماء يكونون أربابًا، وكل عزّ لم يوطد[(١)] بعلم فإلى ذلّ ما يصير. وعن الزبيري[(٢)] العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ﴾ استعارة ممن له يدان. والمعنى: قبل نجواكم كقول عمر: من أفضل ما أوتيت العرب الشعر، يقدِّمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم (١٥٥٩)، يريد: قبل حاجته (ذلكم) التقديم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في دينكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لأنّ الصدقة طهرة. روي أن الناس أكثروا مناجاة رسول الله ﷺ بما يريدون حتى أملوه وأبرموه[(٣)]، فأريد أن يكفوا عن ذلك، فأمروا بأن من أراد أن يناجيه قدّم قبل مناجاته صدقة. قال عليّ ـ رضي الله عنه ـ: لما نزلت دعاني رسول الله ﷺ فقال: ما تقول في دينار؟ قلت: لا يطيقونه. قال: كم؟ قلت: حبة أو شعيرة؛ قال: إنك لزهيد. فلما رأوا ذلك: اشتدّ عليهم فارتدعوا وكفوا. أما الفقير فلعسرته، وأما الغنيّ فلشحه (١٥٦٠).

= وأبو شجاع الديلمي في الفردوس (٢/ ٣٠٧)، رقم (٢٧٨١) من رواية ابن عباس، قال الحافظ: ذكره صاحب الفردوس هكذا، وذكره قبله ابن عبد البرفي كتاب العلم بلا إسناد. انتهى.

١٥٥٨ ـ ذكره ابن عبد البر أيضًا في كتاب جامع بيان العلم (١/ ٢١٩) حديث (٢٣٦). قال الحافظ: أخرجه ابن عبد البر في العلم، قال: روى عن النبي ﷺ ـ فذكره بغير إسناد. انتهى.

١٥٥٩ ـ بيض له الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٤٢٩)، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

١٥٦٠ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٦/ ٤٠٧)، كتاب: تفسير القرآن باب: ومن سورة المجادلة، حديث (٣٣٠٠).

ـ وابن حبان (١٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١)، كتاب: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رجالهم ونسائهم، حديث (٦٩٤١)، (٦٩٤٢).

ـ والطبري في تفسيره (١٢/ ٢١)، حديث (٣٣٧٩٦).

ـ والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، وأعله بعلي بن علقمة الأنماري، وقال: في حديثه نظر.

---

(١) قوله: «وكل عز لم يوطد بعلم» في الصحاح: وطدت الشيء، أي: أثبته وثقلته. (ع)

(٢) قوله: «وعن الزبيري: العلم ذكر» قوله الزبيري: هو أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير مولى لبني أسد، وليس من ولد الزبير بن العوام، كذا في الهداية والإرشاد اهـ من هامش. (ع)

(٣) قوله: «حتى أملوه وأبرموه» في الصحاح: أبرمه، أي: أمله وأضجره اهـ. (ع)

وقيل: كان ذلك عشر ليال ثم نسخ. وقيل: ما كان إلا ساعة من نهار. وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي: كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم (١٥٦١). قال الكلبي: تصدق به في عشر كلمات سألهنّ رسول الله ﷺ (١٥٦٢). وعن ابن عمر: كان لعليّ ثلاث: لو كانت لي واحدة منهنّ كانت أحبّ إليّ من حمر النعم: تزوجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى. قال ابن عباس: هي منسوخة بالآية التي بعدها. وقيل: هي منسوخة بالزكاة ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الإنفاق الذي تكرهونه، وأنّ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أمرتم به وشق عليكم، و﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ وعذركم ورخص لكم في أن لا تفعلوه، فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات/ ٢/ ٢١٤أ ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قرئ بالتاء والياء.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

= ـ وابن عدي في الكامل (٥/ ١٨٤٧ ـ ١٨٤٨).
ـ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٤٣٠) لابن مردويه.
قال الحافظ قلت: هذا ملفق من حديثين. فمن قوله: «قال: علي إنك لزهيد»، أخرجه الترمذي وابن حبان وأبو يعلى والبزار من رواية علقمة الأنماري عن علي به وأتم منه. وقال بعد قوله: «إنك لزهيد: فنزلت: أأشفقتم الآية»، قال: «فمتى خفَّف الله عن هذه الأمة»، قال الترمذي: حسن غريب: إنما نعرفه من هذا الوجه. وقال البزار: أ يحفظ إلا عن على بهذا الإسناد. وأما أوله وآخره فأخرجه الطبري وابن مردويه من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قال: «إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ـ ﷺ ـ حتى شقوا عليه. فأراد الله أن أن يخفف عن نبيه ـ ﷺ ـ، فلما قال ذلك ضن كثير من الناس بأموالهم، فكف كثير من الناس عن المسألة. فأنزل الله تعالى بعد هذا: ﴿فإن لم تفعلوا وتاب الله عليكم ـ الآية﴾ انتهى.
١٥٦١ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٢) كتاب التفسير، باب: «إذا ترك الصلاة أهل قرية....».
قال الحافظ: أخرجه الحاكم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي به وأتم منه. وأخرجه ابن أبي شيبة من رواية ليث بن ابن سليم عن علي بلفظ المصنف. انتهى.
١٥٦٢ ـ قال الحافظ: لم أجده. انتهى.

كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٦٠] ويناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين ﴿مَّا هُم مِّنكُمۡ﴾ يا مسلمون ﴿وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ ولا من اليهود، كقوله تعالى: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [النساء: ١٤٣]، ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ﴾ أي يقولون: والله إنا لمسلمون، فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الإسلام ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أن المحلوف عليه كذب بحت. فإن قلت: فما فائدة قوله: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾؟ قلت: الكذب: أن يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه، سواء علم المخبر أو لم يعلم، فالمعنى: أنهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه، وهم عالمون بذلك متعمدون له، كمن يحلف بالغموس(1). وقيل: كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله ﷺ، ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينا رسول الله في حجرة من حجره إذ قال لأصحابه: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان، فدخل ابن نبتل وكان أزرق، فقال له النبي ﷺ: «علام تشتمني أنت وأصحابك»؟ فحلف بالله ما فعل، فقال ـ عليه السلام ـ: «فعلت» فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما سبوه، فنزلت (١٥٦٣) ﴿عَذَابٗا شَدِيدًاۖ﴾ نوعًا من العذاب متفاقمًا ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ يعني أنهم كانوا في الزمان الماضي المتطاول على سوء العمل مصرّين عليه. أو هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة. وقرئ: إيمانهم؛ بالكسر، أي: اتخذوا أيمانهم التي حلفوا بها. أو إيمانهم الذي أظهروه ﴿جُنَّةٗ﴾ أي سترة يتسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم ﴿فَصَدُّواْ﴾

١٥٦٣ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٢)، كتاب: التفسير، باب: «إذا ترك الصلاة أهل قرية....».
وأحمد (١/ ٢٤٠).
والطبري في تفسيره (١٢/ ٢٥)، رقم (٣٣٨٠٨)، مقطوعًا، والطبراني في الكبير (١٢/ ٧)، رقم (١٢٣٠٧).
والواحدي في أسباب النزول (ص/ ٤٣٣).
وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ١٢٥)، وقال: رواه أحمد والبزار ورجال الجميع رجال الصحيح.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٣٢) لابن مردويه.
قال الحافظ: لم أجده هكذا. وروى أحمد، والبزار، والطبراني، والطبري، وابن أبي حاتم، والحاكم من رواية سماك عن ابن جبير عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ـ ﷺ ـ في ظل حجرة وقد كاد الظل أن يتقلص، فقال: إنه سيأتيكم إنسان، فينظر إليكم بعين شيطان. فإذا جاءكم فلا تكلموه. فلم يلبث أن طلع عليهم رجل أزرق أعور فقال حين رآه: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فقال: ذرني آتيك بهم فانطلق فدعاهم فحلفوا ما قالوا وما فعلوا. فأنزل الله تعالى الآية» لفظ الحاكم. انتهى.

---

(1) قوله: «كمن يحلف بالغموس» في الصحاح: الأمر الغموس: الشديد. واليمين الغموس: التي تغمس صاحبها في الإثم. (ع)

الناس في خلال أمنهم وسلامتهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الإسلام ويضعفون أمر المسلمين عندهم. وإنما وعدهم الله العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدّهم، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عذاب الله ﴿شَيْـًٔا﴾ قليلاً من الإغناء. وروي أنّ رجلاً منهم قال: لننصرنّ يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا ﴿فَيَحْلِفُونَ﴾ لله تعالى على أنهم مسلمون في الآخرة ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدنيا على ذلك ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من النفع، يعني: ليس العجب من حلفهم لكم، فإنكم بشر تخفى عليكم السرائر، وأن لهم نفعًا في ذلك دفعًا عن أرواحهم واستجرار فوائد دنيوية، وأنهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها إلى علم ما يوعدون، ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار إلى علم ما أنذرتهم الرسل، والمراد: وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم عليه، وأن ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحلّ، كما قال: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ [الأنعام: ٢٨] وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة، والقرآن ناطق بثباته نطقًا مكشوفًا. كما ترى في هذه الآية وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام: ٢٣ ـ ٢٤] ونحو حسبانهم أنهم على شيء من النفع إذا حلفوا استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم، لحسبان أن الإيمان الظاهر مما ينفعهم. وقيل عند ذلك: يختم على أفواههم ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ يعني: أنهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب، حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ﴾ استولى عليهم، من حاذ الحمار العانة[1] إذا جمعها وساقها غالبًا لها. ومنه: كان أحوذيًا نسيج وحده، وهو أحد ما جاء على الأصل، نحو: استصوب واستنوق، أي: ملكهم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ لطاعتهم له في كل ما يريده منهم، حتى جعلهم رعيته وحزبه ﴿فَأَنسَىٰهُمْ﴾ أن يذكروا الله أصلاً لا بقلوبهم ولا بألسنتهم. قال أبو عبيدة: حزب الشيطان جنده.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ في جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدًا أذل منهم.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ في اللوح ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ بالحجة والسيف. أو بأحدهما.

---

(١) قوله: «العانة» هي القطيع من حمر الوحش، كما في الصحاح. (ع)

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ من باب التخييل. خيل أن من الممتنع المحال: أن تجد قومًا مؤمنين يوالون المشركين، والغرض به أنه لا ينبغي أن يكون ذلك، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال، مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته، والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم، وزاد ذلك تأكيدًا وتشديدًا بقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ وبقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾/ ٢/ ٢١٤ب وبمقابلة قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ بقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ﴾ فلا تجد شيئًا أدخل في الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، بل هو الإخلاص بعينه ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ أثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ بلطف من عنده حييت به قلوبهم. ويجوز أن يكون الضمير للإيمان، أي: بروح من الإيمان، على أنه في نفسه روح لحياة القلوب به. وعن الثوري أنه قال: كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان. وعن عبد العزيز بن أبي روّاد: أنه لقيه المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها. وعن النبي ﷺ أنه كان يقول: «اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة (١٥٦٤)، فإني وجدت فيما أوحيت إليّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا. . .﴾ الآية. وروي: أنها نزلت في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، وذلك أنّ أبا قحافة سب رسول الله ﷺ فصكه صكة سقط منها، فقال له رسول الله: «أو فعلته»؟ قال: نعم، قال: لا تعد» قال: والله لو كان السيف قريبًا مني لقتلته (١٥٦٥). وقيل: في أبي عبيدة بن الجراح: قتل أباه عبد الله الجراح يوم أحد. وفي أبي بكر: دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، وقال لرسول الله: دعني أكرّ في الرعلة[1] الأولى:

١٥٦٤ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٤٣٢) لابن مردويه في تفسيره من طريق جعفر الأحمر عن كثير بن عطية عن رجل. قال الحافظ: ذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ. وأورده ابن مردويه من رواية جعفر الأحمر عن كثير بن عطية عن رجل قال: قال رسول الله ﷺ، ولم يذكر ولا الفاسق. أ.هـ.

١٥٦٥ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٣٣): غريب، ونقله الثعلبي عن ابن جريج في تفسيره. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص/ ٤٣٤)، رقم (٨٠٠)، قال الحافظ: نقله الثعلبي عن ابن جريج قال: «حدثت أن أبا قحافة. . .» فذكره. انتهى.

---

(١) قوله: «دعني أكر في الرعلة» هي القطعة من الخيل، كما في الصحاح. (ع)

قال: «متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري». وفي مصعب بن عمير: قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد. وفي عمر: قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر. وفي علي وحمزة وعبيد بن الحارث: قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر (١٥٦٦). عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة» (١٥٦٧)

١٥٦٦ ـ ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٤٣٤)، رقم (٨٠١)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٣٣) للثعلبي في تفسيره من طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال الحافظ: هو في تفسير مقاتل بن حيان عن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وذكره الثعلبي عن تفسير مقاتل. انتهى.

١٥٦٧ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه. انتهى.

سورة الحشر

مدنية، وهي أربع وعشرون آية [نزلت بعد البينة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢)﴾

صالح بنو النضير رسول الله ﷺ على أن لا يكونوا عليه ولا له، فلما ظهر يوم بدر قالوا: هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية، فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا، فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبًا إلى مكة فحالفوا عليه قريشًا عند الكعبة فأمر ـ عليه السلام ـ محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعبًا غيلة وكان أخاه من الرضاعة، ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم: اخرجوا من المدينة، فقالوا: الموت أحبّ إلينا من ذاك، فتنادوا بالحرب. (١٥٦٨) وقيل: استمهلوا رسول الله عشرة أيام ليتجهزوا للخروج، فدس عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه إليهم: لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم، ولئن خرجتم لنخرجنّ معكم، فدربوا على الأزقة(١) وحصنوها فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وأيسوا من نصر المنافقين: طلبوا الصلح، فأبى عليهم إلا الجلاء؛ على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا من متاعهم فجلوا إلى الشام إلى أريحا وأذرعات، إلا أهل بيتين منهم: آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب، فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة.

١٥٦٨ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أجد له إسنادًا بل ذكره الثعلبي هكذا بغير سند انتهى.

---

(١) قوله: «فدربوا على الأزقة» أي ضيقوا أفواهها بالخشب والحجارة كما يؤخذ مما سيأتي في تخريبهم بيوتهم بأيديهم. وفي الصحاح «الدرب»: المضيق في الجبل. (ع)

اللام في ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ تتعلق بأخرج، وهي اللام في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[1] [الفجر: ٢٤] وقولك: جئته لوقت كذا. والمعنى: أخرج الذين كفروا عند أوّل الحشر. ومعنى أوّل الحشر: أن هذا أوّل حشرهم إلى الشأم، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط، وهم أوّل من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام. أو هذا أوّل حشرهم؛ وآخر حشرهم: إجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام. وقيل: آخر حشرهم حشر يوم القيامة؛ لأنّ المحشر يكون بالشام. وعن عكرمة: من شك أنّ المحشر ههنا ـ يعني الشام ـ فليقرأ هذه الآية. وقيل: معناه أخرجهم من ديارهم لأوّل ما حشر لقتالهم: لأنه أوّل قتال قاتلهم رسول الله ﷺ ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ لشدة بأسهم ومنعتهم، ووثاقة حصونهم، وكثرة عددهم وعدتهم، وظنوا أنّ حصونهم تمنعهم من بأس الله ﴿فَأَتَىٰهُمُ﴾ أمر الله ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم: وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرّة على يد أخيه، وذلك مما أضعف قوّتهم وقلّ من شوكتهم، وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب، وألهمهم أن يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على أنفسهم/ ٢/ ٢١٥أ، وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم. وهذا كله لم يكن في حسبانهم. ومنه أتاهم الهلاك. فإن قلت: أي فرق بين قولك: وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم، وبين النظم الذي جاء عليه؟ قلت: في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم؛ وفي تصيير ضميرهم اسمًا لأن وإسناد الجملة إليه: دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم[2]؛ وليس ذلك في قولك: وظنوا أنّ حصونهم تمنعهم. وقرئ: «فآتاهم الله» أي: فآتاهم الهلاك. والرعب: الخوف الذي يرعب الصدر، أي يملؤه؛ وقذفه: إثباته وركزه. ومنه قالوا في صفة الأسد: مقذف، كأنما قذف باللحم قذفًا لاكتنازه وتداخل أجزائه. وقرئ: «يخرّبون ويخربون»، مثقلاً ومخففًا. والتخريب والإخراب: الإفساد بالنقض والهدم. والخربة: الفساد، كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها: لما أراد الله من استئصال شأفتهم[3] وأن لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار، والذي دعاهم إلى التخريب: حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدّوا بها أفواه الأزقة. وأن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين، وأن ينقلوا معهم ما كان في أبنيتهم من جيد الخشب

---

(١) قال محمود: «اللام في قوله: (لأول الحشر) كاللام في قوله: (قدمت لحياتي) قال أحمد: كأنه يريد أنها اللام التي تصحب التاريخ، كقوله: كتبت لعام كذا ولشهر كذا.

(٢) قوله: «أو يطمع في معازتهم» أي مغالبتهم، كما في الصحاح. (ع)

(٣) قوله: «من استئصال شأفتهم» في الصحاح «الشأفة»: قرحة تخرج من أسفل القدم فتكوى فتذهب، يقال المثل: استأصل الله شأفته، أي: أذهبه الله كما أذهب تلك القرحة بالكي اهـ. (ع)

والساج المليح. وأما المؤمنون فداعيهم إزالة متحصنهم ومتمنعهم. وأن يتسع لهم مجال الحرب. فإن قلت: ما معنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين؟ قلت: لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم إياه ﴿فَٱعْتَبِرُواْ﴾ بما دبر الله ويسر من أمر إخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال. وقيل: وعد رسول الله ﷺ المسلمين أن يورثهم الله أرضهم وأموالهم بغير قتال، فكان كما قال:

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾

يعني: أنّ الله قد عزم على تطهير أرض المدينة منهم وإراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم أموالهم، فلولا أنه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه إلى اختياره أنه أشق عليهم من الموت ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل كما فعل بإخوانهم بني قريظة ﴿وَلَهُمْ﴾ سواء أجلوا أو قتلوا ﴿عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ يعني: إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ بيان لما قطعتم. ومحل (ما) نصب بقطعتم، كأنه قال: أي شيء قطعتم، وأنث الضمير الراجع إلى ما في قوله: ﴿أَوْ﴾ لأنه في معنى اللينة. واللينة: النخلة من الألوان، وهي ضروب النخل ما خلا العجوة[1]. والبرنية، وهما أجود النخيل، وياؤها عن واو، قلبت لكسرة ما قبلها، كالديمة. وقيل: «اللينة» النخلة الكريمة، كأنهم اشتقوها من اللين. قال ذو الرمّة [من الطويل]:

كَأَنَّ قُتُودِي فَوْقَهَا عُشُّ طَائِرٍ عَلَى لِينَةٍ سَوْقَاءَ تَهْفُو جُنُوبُهَا[2]

---

(١) ذكر الزمخشري فيه تفسيرين أحدهما أنه النخل ما عدا العجوة والبرني وهما خير النخل... الخ قال أحمد: والظاهر أن الإذن عام في القطع والترك؛ لأنه جواب الشرط المضمر لهما جميعًا ويكون التعليل بإجزاء الفاسقين لهما جميعًا، وأن القطع يحسرهم على ذهابها والترك يحسرهم على بقائها للمسلمين ينتفعون بها. فهم في حسرتين من الأمرين جميعًا.

(٢) لذي الرمة يصف ناقته: والقتود عيدان الرحل بلا أذاته. تتخذ من القتاد وهو شجر صلب ذو شوك. واللينة: النخلة. والسوقاء: طويلة الساق. وهفا الريح والبصير يهفو: عدا بسرعة والجنوب: نوع من الريح، والضمير للينة: شبه عيدان الرجل فوق الناقة بعش الطائر فوق النخلة، ويلزم من ذلك تشبيه الناقة بالنخلة في الطول والنجابة. وهو المقصود، فلو قيل: إن استعمال التشبيه الأول في الثاني من باب المجاز، أو إرادة الثاني من الأول من باب الكناية لم يكن بعيدًا. وفي ذلك إشارة لتشبيهه بالطائر في الحذر والتيقظ. وفي قوله: «تهفو جنوبها» دلالة على سرعة سير الناقة، واختراقها للرياح كسرعة سير الريح على النخلة، فهي مخترقة له، كأنها سائرة فيه بسرعة. =

وجمعها لين. وقرئ: «قوّما» على أصلها. وفيه وجهان: أنه جمع أصل كرهن ورهن. أو اكتفى فيه بالضمة عن الواو. وقرئ: «قائمًا على أصوله» ذهابًا إلى لفظ ما ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فقطعها بإذن الله وأمره ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥] وليذل اليهود ويغيظهم إذن في قطعها، وذلك: أنّ رسول الله ﷺ حين أمر أن تقطع نخلهم وتحرق قالوا: يا محمد، قد كنت تنهىٰ عن الفساد في الأرض، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فكان في أنفس المؤمنين من ذلك شيء. فنزلت (١٥٦٩)، يعني: أنّ الله أذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظًا ويضاعف لكم حسرة إذا رأيتموهم يتحكمون في أموالكم كيف أحبوا ويتصرفون فيها ما شاءوا. واتفق العلماء على أنّ حصون الكفرة وديارهم لا بأس بأن تهدم وتحرق وتغرق وترمىٰ بالمجانيق. وكذلك أشجارهم لا بأس بقلعها مثمرة كانت أو غير مثمرة. وعن ابن مسعود: قطعوا منها ما كان موضعا للقتال. فإن قلت: لم خصت اللينة بالقطع؟ قلت: إن كانت من الألوان فليستبقوا لأنفسهم العجوة والبرنية، وإن كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد وأشق. وروي: أن رجلين كانا يقطعان: أحدهما العجوة، والآخر اللون،

١٥٦٩ ـ رواه أبو داود في مراسيله (ص ٢٥٤) باب في قطع الشجر الحديث (٣٤٦) من طريق محمد بن إسحاق عن أبيه عن المغيرة بن عبد الرحمن قال: وحدثني عبدالله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني النضير فذكر القصة قال: فصار إليهم فتحصنوا فقطع النبي صلى الله عليه وسلم النخل وحرق فنادوا حين رأوا النخل يقطع ويحرق: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فما بال قطع النخل وتحريقه وكان من أنفس المسلمين من ذلك شيء فأنزل الله عز وجل ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها...﴾.

ورواه أيضًا البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٥٥) من طريق ابن اسحاق.

وروى الطبري في التفسير (١٢/ ٢٨) رقم (٣٣٨١٨) عن يزيد بن رومان قال: نزلت في بني النضير سورة الحشر بأسرها يذكر فيها ما أصابهم الله عز وجل به من نقمته وما سلط عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عمل به فيهم.

وقد رواه ابن هشام في السيرة (٣/ ١٧١) الفقرة رقم (١٣١٠) من قول ابن إسحاق.

والحديث عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٣٨) لابن مردويه في التفسير والواقدي في المغازي.

قال الحافظ:

أخرجه ابن إسحاق في المغازي والطبري من طريقه: حدثنا يزيد بن رومان فذكره وذكره ابن هشام عن ابن إسحاق من غير ذكر شيخه ورواه ابن مردويه من طريق ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وذكر الواقدي في المغازي «أن الذي أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو حيي ابن أخطب. وروى أبو داود في المراسيل من طريق عبدالله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم نحوه. انتهى

= ينظر: ديوانه (٨٥)، والبحر المحيط (٨/ ٢٤٤)، والدر المصون (٦/ ٢٩٣).

فسألهما رسول الله ﷺ فقال هذا: تركتها لرسول الله، وقال هذا: قطعتها غيظًا للكفار (١٥٧٠). وقد استدل به على جواز الاجتهاد، وعلى جوازه بحضرة الرسول ﷺ؛ لأنهما بالاجتهاد فعلا ذلك، واحتج به من يقول: كل مجتهد مصيب.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾

﴿أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ جعله له فيئًا خاصة. والإيجاف من الوجيف. وهو السير السريع. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في الإفاضة من عرفات. «ليس البرّ بإيجاف الخيل ولا إيضاع الإبل[1] على هينتكم» (١٥٧١) ومعنى/ ٢/ ٢١٥ب ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ فما

١٥٧٠ ـ قال الزيلعي (٣/ ٤٣٩): غريب.
وقال الحافظ: لم أجده بهذا السياق.
ونقل الزيلعي عن البيهقي في الدلائل وكذا نقله الحافظ من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة﴾ يعني من نخلة قال: نهى بعض المهاجرين بعضًا عن قطع النخل وقال:
قال الحافظ: لم أجده بهذا السياق لكن للبخاري في الواقدي، واستعمل على قطع النخل وحرقها رجلين من أصحابه: أبا ليلى المازني وعبدالله بن سلام فكان أبو ليلى يقطع العجوة وكان الآخر يقطع اللون فقيل لهما في ذلك فقال أبو ليلى: كانت العجوة أحرق لهم وقال ابن سلام قد عرف أن الله سيغنمهم أموالهم وكانت العجوة خير أموالهم فأنزل الله الآية. وروى البيهقي في الدلائل من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال «نهى بعض المهاجرين بعضًا عن قطع النخل وقالوا: إنما هو من مغانم المسلمين وقال الذين قطعوا بل هو غيظ للعدو فنزل القرآن». انتهى
١٥٧١ ـ أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ١٩٠) كتاب المناسك باب الدفع من عرفة، حديث (١٩٢٠)، وأحمد (١/ ٢١١) وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٦٥): كتاب المناسك: باب ذكر البيان أن إيجاف الخيل والإبل والإيضاع في السير للدفع من عرفة ليس البر...، حديث (٢٨٤٤).
والحاكم في المستدرك (١/ ٤٦٥) كتاب المناسك قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وأخرج البخاري (٤/ ٣٣٥) كتاب الحج: باب أمر النبي بالسكينة عند الإفاضة وإشارته بالسوط حديث (١٦٧١) بلفظ «يا أيها الناس عليكم بالسكينة والوقار فإن البر ليس في ايضاع الإبل» وكذلك النسائي (٥/ ٢٥٧): كتاب مناسك الحج: باب فرض الوقوف بعرفة، حديث برقم (٣١٨). =

---

(١) قوله: «ولا إيضاع الإبل» في الصحاح: وضع البعير وغيره. أي: أسرع في سيره وأوضعه راكبه اهـ أي: جعله مسرعًا في سيره. (ع)

أوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلاً ولا ركابًا، ولا تعبتم في القتال عليه، وإنما مشيتم إليه على أرجلكم. والمعنى: أنّ ما خوّل الله رسوله من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة، ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم، فالأمر فيه مفوّض إليه يضعه حيث يشاء، يعني: أنه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرًا، وذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت. لم يدخل العاطف على هذه الجملة، لأنها بيان للأولى، فهي منها غير أجنبية عنها. بين لرسول الله ﷺ ما يصنع بما أفاء الله عليه، وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسومًا على الأقسام الخمسة. والدولة ـ بالفتح والضم ـ وقد قرئ: بهما ما يدول للإنسان، أي يدور من الجد. يقال: دالت له الدولة. وأديل لفلان. ومعنى قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ كيلا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدًا بين الأغنياء يتكاثرون به. أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم. ومعنى الدولة الجاهلية: أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لأنهم أهل الرياسة والدولة الغلبة، وكانوا يقولون: من عزّ بزّ. والمعنى: كيلا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية. ومنه قول الحسن: اتخذوا عباد الله خولا، ومال الله دولاً، يريد: من غلب منهم أخذه واستأثر به. وقيل: «الدولة» ما يتداول، كالغرفة: اسم ما يغترف، يعني: كيلا يكون الفيء شيئًا يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه، فلا يصيب الفقراء، والدولة ـ بالفتح ـ: بمعنى التداول، أي: كيلا يكون ذا تداول بينهم. أو كيلا يكون إمساكه تداولاً بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء، وقرئ: «دولة» بالرفع على «كان» التامة كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] يعني كيلا يقع دولة جاهلية ولينقطع أثرها أو كيلا يكون تداول له بينهم. أو كيلا يكون شيء متعاور بينهم غير مخرج إلى الفقراء ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾ من قسمة غنيمة أو فيء ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ﴾ عن أخذه منها ﴿فَانتَهُوا﴾ عنه ولا تتبعه أنفسكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالف رسوله، والأجود أن يكون عامًا في كل ما أتى رسول الله ﷺ ونهى عنه، وأمر الفيء داخل في عمومه. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أنه لقي رجلاً محرمًا وعليه ثيابه فقال له: انزع عنك هذا فقال الرجل: اقرأ عليّ في هذا آية من كتاب الله. قال: نعم، فقرأها عليه (١٥٧٢).

= قال الحافظ: أخرجه أبو داود وأحمد وإسحاق والبزار والحاكم من رواية مقسم عن ابن عباس نحوه والبخاري من وجه آخر عن ابن عباس بعضه. انتهى

١٥٧٢ ـ أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٨٢) باب موضع السنة من الكتاب وبيانها له، حديث برقم (٢٣٣٨).

وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٤٠) وزاد نسبته إلى الثعلبي في تفسيره. =

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ بدل من قوله: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ والمعطوف عليه[1] والذي منع الإبدال من:

= قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام حدثنا الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن عبدالرحمن ابن زيد عن ابن مسعود به وأخرجه ابن عبد البر في العلم من طريق يحيى بن آدم عن عطية وأبي بكر بن عياش عن ابن إسحاق عن عبدالرحمن بن زيد قال لقي عبدالله بن مسعود فذكره».

---

(١) قال محمود: «هو بدل من قوله لذي القربى وما بعده والذي منع الإبدال من لله وللرسول. . . إلخ» قال أحمد: مذهب أبي حنيفة أن استحقاق ذوي القربى لسهمهم من الفيء موقوف على الفقراء حتى لا يستحقه أغنياؤهم، وقد أغلظ الشافعي ـ رضي الله عنه ـ فيما نقله عنه إمام الحرمين الرد على هذا المذهب بأن الله ـ تعالى ـ علق الاستحقاق بالقرابة ولم يشترط الحاجة، وعدم اعتبار القرابة مضادة ومحادة، واعتذر إمام الحرمين لأبي حنيفة بأن الصدقات لما حرمت عليهم كان فائدة ذكرهم في خمس الفيء والغنيمة أنه لا يمنع صرف ذلك إليهم امتناع صرف الصدقات، ثم أتبع هذا العذر بأن قال: لا ينبغي أن يعبر به، فإن صبغة الآية ناصة على تعين الاستحقاق لهم تشريفًا لهم وتنبيهًا على عظم أقدارهم، فمن حمل ذلك على جواز الصرف إليهم مع معارضة هذا الجواز بجواز حرمانهم فقد عطل فحوى الآية، ثم استعظم الإمام وقع ذلك عليهم لأنهم يذهبون إلى اشتراط الإيمان في رقبة الظهار زيادة على النص، فيأتون في إثبات ذلك بالقياس لأنه يستنتج، وليس من شأنه الثبوت بالقياس. قال: فكذلك يلزمهم أن يعتقدوا أن اشتراط الفقر في القرابة واشتراط الحاجة لقرب ما ذكروه بغرض القرب؛ فأما وإن أصلهم المخصوصون من نسب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ والثابتون من شجرته كالعجمة، فلا يبقى مع هذا لمذهبهم وجه انتهى كلام الإمام وإنما أوردته ليعلم أن معارضته لأبي حنيفة على أن اشتراط الحاجة عند أبي حنيفة مستند إلى قياس أو نحوه من الأسباب الخارجة من الآية. فلذلك ألزمه أن يكون زيادة على النص؛ فأما وقد تلقى أبو حنيفة اعتبار الحاجة من تقييد هذا البدل المذكور في الآية، فإنما يسلك معه في واد غير هذا فيقول هو بدل من المساكين لا غيره. وتقريره أنه سبحانه أراد أن يصف المساكين بصفات تؤكد استحقاقهم ويحمل الأغنياء على إيثارهم وأن لا يجدوا في صدورهم حاجة مما أوتوا، فلما قصد ذلك وقد فصل بين ذكرهم وبين ما يقصد من ذكر صفاتهم بقوله: (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) إلى قوله: (شديد العقاب) طرى ذكرهم ليكون توطئة للصفات المتتالية بعده، فذكر بصفة أخرى مناسبة للصفة الأولى مبدلة منها وهي الفقر، لتشهد للتطرية على فائدة الجمع لهم بين صفتي المسكنة والفقر ثم تليت صفاتهم على أثر ذلك وهي إخراجهم من ديارهم وأموالهم مهاجرين، وابتغاؤهم الفضل والرضوان من الله، ونصرهم لله ورسوله، وصدقهم في نياتهم، إلى آخر ذلك، فهذا هو الذي يرشد إليه السياق مؤيدًا بالأصل فإن ذوي القربى ذكروا بصفة الإطلاق: فالأصل بقاؤهم على ذلك حتى يتحقق أنهم مرادون بالتقييد. وما ذكرناه من صرف ذلك إلى المساكين يكفي في إقامة وزن الكلام، فبقي ذوو القربى على أصل الإطلاق، وتلك قاعدة لا يسع الحنفية مدافعتها؛ فإنهم يرون الاستثناء =

لله وللرسول والمعطوف عليهما، وإن كان المعنى لرسول الله ﷺ أن الله عزّ وجلّ أخرج رسوله من الفقراء في قوله: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ وأنه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير، وأن الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عزّ وجل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم وجهادهم.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٩)﴾

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو﴾ معطوف على المهاجرين، وهم الأنصار فإن قلت: ما معنى عطف الإيمان على الدار، ولا يقال: تبوءوا الإيمان؟ قلت: معناه تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان، كقوله [من الرجز]:

عَلَفْتُها تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا[1]

أو: وجعلوا الإيمان مستقرًا ومتوطنًا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه، كما جعلوا المدينة كذلك. أو: أراد دار الهجرة ودار الإيمان، فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف إليه، وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه. أو سمى المدينة لأنها دار الهجرة ومكان ظهور الإيمان بالإيمان ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل المهاجرين؛ لأنهم سبقوهم في تبوّىء دار الهجرة والإيمان. وقيل: من قبل هجرتهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ﴾ ولا يعلمون في أنفسهم ﴿حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أي طلب محتاج إليه مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره، والمحتاج إليه يسمى حاجة؛ يقال: خذ منه حاجتك، وأعطاه من ماله حاجته، يعني: أنّ نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح إلى شيء منه يحتاج إليه ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي خلة، وأصلها: خصاص البيت، وهي فروجه؛ والجملة في موضع الحال، أي: مفروضة خصاصتهم، وكان رسول الله ﷺ/ ٢/ ٢١٦أ قسم أموال بني النضير

= المتعقب للجمل يختص بالجملة الأخيرة؛ لأن عوده إلينا يقيم وزن الكلام ويبقي ما تقدمهن على الأصل، ولا فرق بين التعقيب بالاستثناء والبدل وكل ما سوى هذا، مع أنه لو جعل بدلاً من ذوي القربى مع ما بعده: لم يكن إبداله من ذوي القربى إلا بدل بعض من كل؛ فإن ذوي القربى منقسمون إلى فقراء وأغنياء ولم يكن إبداله من المساكين إلا بدلاً للشيء من الشيء، وهما لعين واحدة، فيلزم أن يكون هذا البدل محسوسًا بالنوعين المذكورين في حالة واحدة، وذلك متعذر لما بين النوعين من الاختلاف والتباين، وكل منهما يتقاضى ما يأباه الآخر، فهذا القدر كاف إن شاء الله تعالى، وعليه أعرب الزجاج الآية فجعله بدلاً من المساكين خاصة، والله تعالى الموفق للصواب.

(١) تقدم.

على المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر محتاجين: أبا دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة. وقال لهم: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة، فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فنزلت. (١٥٧٣) «الشح ـ بالضم والكسر، وقد قرئ بهما ـ: اللؤم، وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع، كما قال [من الطويل]:

يُمَـارِسُ نَـفْـسًـا بَـيْـنَ جَـنْـبَـيْـهِ كَـزَّةً إِذَا هَمَّ بِالْمَعْرُوفِ قَالَتْ لَهُ: مَهْلاً(١)

وقد أضيف إلى النفس؛ لأنه غريزة فيها. وأما البخل فهو المنع نفسه. ومنه قوله

١٥٧٣ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٤١).
وعزاه إلى الواقدي في كتاب المغازي.
وللحديث شواهد أخرجها.
الطبري في جامع البيان (١٢/ ٤٠) حديث (٣٣٨٧٤) ولم يذكر فيها الأنصاريين الثلاثة.
وذكرهم في رواية أخرى عن عبدالله بن أبي بكر (٣٣٨٧٣).
وبنحوها أخرجها ابن إسحاق (٣/ ١٧٢ ـ سيرة ابن هشام) ـ رقم (١٣١١)، عن عبدالله بن أبي بكر، ولم يذكر الحارث أين الصحة.
ولها شاهد عند أبي داود في سننه (٣/ ١٥٦) في رواية طويلة جاء فيها «فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أكثرها للمهاجرين وقسمها بينهم، وقسم لرجلين من الأنصار وكان ذوي حاجة ولم يقسم لأحدٍ من الأنصار غيرهما، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٤١) إلى السهيلي في الروض الأنف والثعلبي في تفسيره.
قال الحافظ:
ذكره الثعلبي هكذا بغير سند. وروى الواقدي عن معمر عن الزهري عن خارجة بن زيد عن أم العلاء قالت «لما غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير قال لثابت بن قيس بن شماس: أدع لي الأنصار كلهم فقال: إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين. وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال السعدان: بل نقسمه للمهاجرين ويكونون في دورنا فرضيت الأنصار فأعطى المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا رجلين محتاجين سهل بن حنيف وأبا دجانة ونقل سيف ابن أبي الحقيق سعد بن معاذ وكان له ذكر عندهم وعند أبي داود من رواية عبد الرزاق عن معمر طرف منه وأبهم اسم الأنصاريين وعند ابن إسحاق في المغازي: حدثني عبدالله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكر فقرًا فأعطاهما. انتهى

---

(١) يصف رجلًا بالبخل، وأنه يعالج نفسه التي بين جنبيه، كزة ـ بالفتح ـ: شحيحة منقبضة عن فعل الخير إذا غلبها، وأراد المعروف دعته ثانيًا إلى البخل وحجبته عن البذل، فكأنها قالت له: أمهل فيطاوعها. ومهلًا: مصدر حذف فعله وجوبًا. وقولها: ذلك، استعارة تصريحية لوسوستها بالبخل. ينظر: أساس البلاغة (كزز).

تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ ومن غلب ما أمرته به منه وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الظافرون بما أرادوا؛ وقرئ: «ومن يوقّ».

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ عطف أيضًا على المهاجرين: وهم الذين هاجروا من بعد. وقيل: التابعون بإحسان ﴿غِلًّا﴾ وقرئ: غمرا، وهما الحقد.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿لِإِخْوَٰنِهِمُ﴾ الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر، ولأنهم كانوا يوالونهم ويؤاخونهم، وكانوا معهم على المؤمنين في السر ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في قتالكم أحدًا من رسول الله والمسلمين إن حملنا عليه. أو في خذلانكم وإخلاف ما وعدناكم من النصرة ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ أي في مواعيدهم لليهود. وفيه دليل على صحة النبوّة: لأنه إخبار بالغيوب. فإن قلت: كيف قيل ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم؟ قلت: معناه: ولئن نصروهم على الفرض والتقدير، كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وكما يعلم ما يكون، فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون. والمعنى: ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك، أي: يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم. أو لينهزمنَّ اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿رَهۡبَةً﴾ مصدر رهب المبني للمفعول، كأنه قيل: أشد مرهوبية. وقوله: ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ دلالة على نفاقهم، يعني: أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله. فإن قلت: كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم أشدّ. قلت: معناه: أن رهبتهم في السر منكم أشدّ من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم - وكانو يظهرون لهم رهبة شديدة من الله - ويجوز أن يريد أنّ اليهود يخافونكم في صدورهم أشدّ من خوفهم من الله؛ لأنهم كانوا قومًا أولي بأس ونجدة، فكانوا يتشجعون لهم مع إضمار الخيفة في صدورهم ﴿لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ لا يقدرون على مقاتلتكم ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين متساندين، يعني اليهود والمنافقين ﴿إِلَّا﴾ كائنين ﴿فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالخنادق والدروب ﴿أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ﴾ دون أن يصحروا لكم[1] ويبارزوكم، لقذف الله الرعب في قلوبهم، وأن تأييد الله تعالى ونصرته معكم. وقرئ: «جدر»، بالتخفيف. وجدار. وجدر وجدر، وهما: الجدار ﴿بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ﴾ يعني: أنّ البأس الشديد الذي يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا؛ ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدّة؛ لأنّ الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا﴾ مجتمعين ذوي ألفة واتحاد ﴿وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾ متفرقة لا ألفة بينها، يعني: أنّ بينهم إحنا وعداوات، فلا يتعاضدون حق التعاضد، ولا يرمون عن قوس واحدة. وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ﴿قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم[2] ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب. فإن قلت: بم انتصب ﴿قَرِيبٗاۖ﴾؟ قلت: بمثل، على: كوجود مثل أهل بدر قريبًا ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله ﷺ، من قولهم كلأ وبيل: وخيم سيء العاقبة، يعني: ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ﴿وَلَهُمۡ﴾ في الآخرة عذاب النار ٢/٢١٦ب مثل المنافقين في إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم إياهم النصر، ثم متاركتهم لهم وإخلافهم ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ إذا استغوى الإنسان[3] بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة، والمراد استغواؤه قريشًا يوم بدر؛ وقوله لهم: ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٨] وقرأ ابن مسعود: «خالدان فيها»، على أنه خبر أنّ، و﴿فِي ٱلنَّارِ﴾ لغو، وعلى القراءة المشهورة: الظرف مستقر، وخالدين فيها: حال. وقرئ: «أنا بريء» وعاقبتهما بالرفع.

---

(١) قوله: «دون أن يصحروا لكم» في الصحاح «أصحر الرجل»: خرج إلى الصحراء اهـ. (ع)

(٢) قوله: «ويعين على أرواحهم» كذا عبارة النسفي أيضًا. (ع)

(٣) قوله: «إذا استغوى الإنسان» لعله: إذ، كعبارة النسفي. (ع)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾

كرر الأمر بالتقوى تأكيدًا: واتقوا الله في أداء الواجبات؛ لأنه قرن بما هو عمل، واتقوا الله في ترك المعاصي لأنه قرن بما يجري مجرى الوعيد. والغد: يوم القيامة، سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبًا له(١) وعن الحسن: لم يزل يقربه حتى جعله كالغد. ونحوه قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤] يريد: تقريب الزمان الماضي. وقيل: عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران: يوم وغد. فإن قلت: ما معنى تنكير النفس والغد؟ قلت: أما تنكير النفس فاستقلال للأنفس النواظر فيما قدّمْنَ للآخرة، كأنه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك. وأما تنكير الغد فلتعظيمه وإبهام أمره، كأنه قيل: لغد لا يعرف كنهه لعظمه. وعن مالك بن دينار: مكتوب على باب الجنة: وجدنا ما عملنا، ربحنا ما قدّمنا. خسرنا ما خلفنا ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ نسوا حقه، فجعلهم ناسين حق أنفسهم بالخذلان(٢)، حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده. أو فأراهم يوم القيامة من الأهوال ما نسوا فيه أنفسهم، كقوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

هذا تنبيه للناس وإيذان لهم بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات: كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما، وأن الفوز مع أصحاب الجنة؛ فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه، كما تقول لمن يعق أباه: هو أبوك، تجعله بمنزلة من لا يعرفه، فتنبهه بذلك على حق الأبوّة الذي يقتضي البرّ والتعطف. وقد استدل أصحاب الشافعي ـ رضي الله عنه ـ بهذه الآية

---

(١) قال محمود: «سمى يوم القيامة غدًا تقريبًا له... إلخ» قال أحمد: وقد قبل في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ كقوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ حتى قيل: إنه من عكس الكلام الذي يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه، كقوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فمعنى رب ههنا هو معنى كم، وأبلغ منه قول القائل [من البسيط]:

قد أترك القرن مصفرًا أنامله ....

إلا أن الزمخشري فر من هذا المعنى، لأن الواقع قلة النفوس الناظرة في أمر المعاد، فنزله على معنى يطابق الواقع، ويمكن أن يلاحظ الأمر فيسوغ حمله على التكثير للنفوس المأمورات بالنظر في المعاد، وأنه ما من نفس إلا ومن حقها أن تمتثل هذا الأمر، وهو نظر حسن؛ فإن الفعل المسند إلى النفس ههنا ليس وقوع النظر حتى يستقل، وإنما هو طلب النظر وهو عام التعلق بكل نفس. والإنصاف: أن ما ذكره الزمخشري أمكن وأحسن، والله الموفق.

(٢) قال محمود: «جعلهم ناسين بالخذلان» قال أحمد: بل خلق فيهم النسيان.

على أن المسلم لا يقتل بالكافر، وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾

هذا تمثيل وتخييل[1]، كما مرّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢] وقد دل عليه قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره. وقرئ: «مصدّعًا» على الإدغام ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ٱلْغَيْبِ﴾ المعدوم ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ الموجود المدرك كأنه يشاهده. وقيل: ما غاب عن العباد وما شاهدوه. وقيل: السرّ والعلانية. وقيل: الدنيا والآخرة ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ بالضم والفتح ـ وقد قرئ بهما ـ البليغ في النزاهة عما يستقبح. ونظيره: السبوح، وفي تسبيح الملائكة: سبوح قدوس رب الملائكة والروح. و﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ بمعنى السلامة. ومنه ﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤] وصف به مبالغة في وصف كونه سليمًا من النقائص. أو في إعطائه السلامة «والمؤمن» واهب الأمن. وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار، كما تقول في قوم موسى من قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] المختارون بلفظ صفة السبعين. و﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ الرقيب على كل شيء، الحافظ له، مفيعل من الأمن؛ إلا أن همزته قلبت هاء. و﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ القاهر الذي جبر خلقه على ما أراد، أي أجبره، و﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ البليغ الكبرياء والعظمة. وقيل: المتكبر عن ظلم عباده. و﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾ المقدر لما يوجده «والبارئ» المميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة. و﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الممثل. وعن حاطب بن أبي بلتعة أنه قرأ: «البارىء المصوّر»، بفتح الواو ونصب الراء، أي: الذي يبرأ المصوّر أي: يميز ما يصوّره بتفاوت الهيئات.

---

(١) قال محمود: «هذا تمثيل وتخييل كما تقدم... إلخ» قال أحمد: وهذا مما تقدم إنكاري عليه فيه، أفلا كان يتأدب بأدب الآية: حيث سمى الله هذا مثلاً ولم يقل: وتلك الخيالات نضربها للناس، ألهمنا الله حسن الأدب معه والله الموفق.

وقرأ ابن مسعود: «وما في الأرض».

عن أبي هريرة رضي الله عنه: سألت حبيبي ﷺ عن اسم الله الأعظم فقال: «عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته» (١٥٧٤) فأعدت عليه/ ٢/ ٢١٧أ فأعاد عليّ، فأعدت عليه فأعاد عليّ. عن رسول الله ﷺ: (١٥٧٥) «من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

١٥٧٤ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٤٢). وعزاه إلى الثعلبي عن أبي هريرة،
وله شاهد أخرجه الواحدي في الوسيط من حديث ابن عباس «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» اسم الله الأعظم في ست آيات في آخر سورة الحشر. (٤/ ٢٨٠).
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٠٠) وعزاه إلى الديلمي.
قال الحافظ:
أخرجه الثعلبي من رواية علي بن زريق عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عنه وفي الواحدي من حديث ابن عباس رفعه «اسم الله الأعظم في ست آيات من آخر سورة الحشر».
انتهى

١٥٧٥ ـ تقدم برقم ٣٤٦.
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي من رواية يزيد بن أبان عن أنس بهذا. انتهى

سورة الممتحنة

مدنية، وهي ثلاث عشرة آية[1] [نزلت بعد الأحزاب]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾

روي: أن مولاة لأبي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يتجهز للفتح، فقال لها: أمسلمة جئت؟ قالت: لا. قال: أفمهاجرة جئت؟ قالت: لا. قال: فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأهل والموالي والعشيرة، وقد ذهبت الموالي، تعني: قتلوا يوم بدر، فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزوّدوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردًا، واستحملها كتابًا إلى أهل مكة نسخته: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، اعلموا أنّ رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ يريدكم فخذوا حذركم، فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر، فبعث رسول الله ﷺ عليًا وعمارًا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد ـ وكانوا فرسانًا ـ وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة، فخذوه منها وخلوها، فإن أبت فاضربوا عنقها، فأدركوها فجحدت وحلفت، فهموا بالرجوع فقال: علي ـ رضي الله عنه ـ: والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله، وسلّ سيفه، وقال: أخرجي الكتاب أو تضعي رأسك، فأخرجته

---

(١) قوله: «مدنية وهي ثلاث عشرة آية» لفظ مكية ومدنية ساقط من النسخة المنقول منها، ولعله من سهو الناسخ. وفي المصاحف وفي كتب التفسير: أنها مدنية، ولذا وضعناه في هذه النسخة كما ترى، ثم رأيت في بعض المصاحف أنها مكية، لكن آياتها وسبب نزولها يفيدان أنها مدنية. فليحرر. (ع)

من عقاص شعرها (١٥٧٦). وروي أن رسول الله ﷺ أمّن جميع الناس يوم الفتح إلا أربعة: هي أحدهم، فاستحضر رسول الله حاطبًا وقال: ما حملك عليه؟ فقال: يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم؛ ولكني كنت امرأ ملصقًا في قريش. وروي: عزيزًا فيهم، أي: غريبًا، أي لم أكن من نفسها، وكل من معكم من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيري، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يدًا، وقد علمت أن الله تعالى ينزل عليهم بأسه. وأن كتابي لا يغني عنهم شيئًا، فصدّقه وقبل عذره، فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق؛ فقال: «وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم، فنزلت (١٥٧٧)، عدى «اتخذ» إلى مفعوليه، وهما عدوي، وأولياء.

١٥٧٦ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٥٠): كتاب الجهاد والسير: باب الجاسوس، حديث (٣٠٠٧). وفي (٨/ ٣١٠): كتاب المغازي: باب غزوة الفتح وما بعث به حاطب حديث (٤٢٧٤). وفي (٩/ ٦٢٤): كتاب التفسير: باب «لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء».
ومسلم في صحيحه (٨/ ٢٩٣): كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر، حديث (٢٤٩٤).
وأبو داود في سننه (٣/ ٤٧): كتاب الجهاد: باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلمًا (٢٦٥٠).
والترمذي في الجامع الصحيح (٥/ ٤٠٩): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الممتحنة، حديث (٣٣٠٥)، والنسائي في كتاب التفسير (٢/ ٤١٤). وأحمد في مسنده (١/ ٧٩). والبيقهي في سننه الكبرى (٩/ ١٤٦): كتاب السير: باب المسلم يدل المشركين على عورات المسلمين والواحدي في أسباب النزول (ص ٤٤٢). حديث (٨١٢). كلهم عن سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار.
قال الحافظ ابن حجر:
هكذا ذكره الثعلبي والبغوي والواحدي بغير إسناد. وفيه مخالفة شديدة لما في الصحيحين وهو مخرج فيهما من طريق عبدالله بن أبي رافع عن علي ومن طريق أبي عبدالرحمن السلمي عن علي.
وفي رواية لابن حبان عن علي خرجت أنا والزبير وطلحة والمقداد، وأخرجه ابن إسحاق في السيرة قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا. قال «لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش كتابًا يخبرهم فيه بأمره، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة. وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشًا. فجعلته في رأسها. ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به. وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما فعل حاطب» فذكر القصة، وذكر الواقدي من طريق يزيد بن رومان، وسماها كنود وذكر أن الجعل كان عشرة دنانير. وروى الطبري وابن أبي حاتم وأبو يعلى من طريق أبي البختري عن الحرث عن علي قال «لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي مكة أسر إلى أناس من أصحابه أنه يريد مكة. فيهم حاطب بن أبي بلتعة: وأفشى في الناس أنه يريد خيبر ـ فكتب حاطب ـ فذكره» وفيه فأخرجته من قبلها. انتهى
١٥٧٧ ـ أما قوله «أمن جميع الناس يوم الفتح: هي أحدهم». =

والعدوّ: فعول، من عدا؛ كعفوّ من عفا؛ ولكونه على زنه المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد. فإن قلت: ﴿تُلْقُونَ﴾ بم يتعلق؟ قلت: يجوز أن يتعلق بلا تتخذوا حالاً من ضميره؛ وبأولياء صفة له. ويجوز أن يكون استئنافًا. فإن قلت: إذا جعلته صفة لأولياء وقد جرى على غير من هو له، فأين الضمير البارز وهو قولك: تلقون إليهم أنتم بالمودّة؟ قلت: ذلك إنما اشترطوه في الأسماء دون الأفعال، لو قيل: أولياء ملقين إليهم بالمودّة على الوصف. لما كان بد من الضمير البارز؛ والإلقاء عبارة عن إيصال المودّة والإفضاء بها إليهم: يقال ألقى إليه خراشي صدره[1]، وأفضى إليه بقشوره. والباء في

= أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٦٠) في حديث طويل باب من أمر صلى الله عليه وسلم بقتله يوم فتح مكة وذكرها ابن إسحاق في السيرة (٤/ ٣٠) حديث (١٦٧٧ ـ ابن هشام).
وأخرجه الدارقطني (٢/ ٣٠١): كتاب الحج: حديث (٢٩٢) وجعل مكان سارة الحويرث بن نقيد.
ومثله الطبراني في الكبير (٦/ ٦٦) حديث (٥٥٢٨).
وأخرجه أبو داود (٣/ ٥٩): كتاب الجهاد: باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام، حديث (٢٦٨٣). إلا أنه لم يسمهم.
وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ١٧٦) وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات.
عن الحسن بن محمد بن علي عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي به أما ذكر سارة مولاة بني هاشم.
ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٤٤١) (٨١١) بدون إسناد وقال: قال جماعة من المفسرين ثم ساقه كذلك البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٣٢٨).
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف وعزاه إلى الثعلبي والواحدي والبغوي.
والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٠٣) وعزاه إلى ابن مردويه.
قال الحافظ ابن حجر:
هكذا رواه البيهقي في الدلائل وابن مردويه من طريق الحاكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس.
وسماهم: عبدالعزيز بن حنظل، ومقيس بن صبابة، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح، وأم سارة مولاة لقريش ولفظه قريب من لفظ الكتاب وفي الدارقطني من طريق عمر بن عثمان بن عبدالرحمن ابن سعيد المخزومي عن أبيه عن جده قال «أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا أربعة وسماهم، إلا أنه قال «الحويرث بن نقيذ وسارة» وذكره ابن إسحاق بغير إسناد فذكر الخمسة. وقال فيه: «وسارة مولاة لبعض بني عبدالمطلب» ورواه الدارقطني أيضًا والحاكم من طريق مصعب بن سعد عن أبيه، وجعل عوض سارة عكرمة بن أبي جهل. وقال الواقدي في المغازي، وتبعه ابن سعد «أمر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بقتل ستة نفر وأربع نسوة: عكرمة وهبار بن الأسود، عبدالله بن حنظل وابن أبي سرح، ومصعب بن صبابة، والحويرث بن نفيل، وهند بنت عتبة، وسارة مولاة عمر بن هاشم ومرينا ومرينة. فقتل منهم ابن حنظل ومقيسا والحويرث». انتهى

---

(١) قوله: «يقال ألقى إليه خراشي صدره» في الصحاح «الخرشاء» مثل الحرباء: جلد الحية وقشرة البيضة بعد أن يخرج ما قبلها، ثم يشبه به كل شيء فيه انتفاخ وتعتق كالرغوة، وقد يسمى البلغم خراشاء. =

﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إما زائدة مؤكدة للتعدّي مثلها في ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] وإما ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف، معناه: تلقون إليهم أخبار رسول الله بسبب المودّة التي بينكم وبينهم. وكذلك قوله: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أي: تفضون إليهم بمودتكم سرًا. أو تسرّون إليهم إسرار رسول الله بسبب المودّة. التي بينكم وبينهم فإن قلت: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟﴾ حال مماذا؟ قلت: إما من ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟﴾ وإما من ﴿تُلْقُونَ﴾ أي: لا تتولوهم أو توادّونهم وهذه حالهم. و﴿يُخْرِجُونَ﴾ استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوّهم. أو حال من كفروا. و﴿أَن تُؤْمِنُوا۟﴾ تعليل ليخرجون، أي يخرجونكم لإيمانكم، و﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ متعلق بلا تتخذوا، يعني: لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي. وقول النحويين في مثله: هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه. و﴿تُسِرُّونَ﴾/ ٢/ ٢١٧ب استئناف، ومعناه: أيّ طائل لكم في إسراركم وقد علمتم أن الإخفاء والإعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما، وأنا مطلع رسولي على ما تسرون ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ﴾ ومن يفعل هذا الإسرار فقد أخطأ طريق الحق والصواب. وقرأ الجحدري «لما جاءكم» أي: كفروا لأجل ما جاءكم، بمعنى: أن ما كان يجب أن يكون سبب إيمانهم جعلوه سببًا لكفرهم. ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم ﴿يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾ خالصي العداوة، ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم ﴿وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالقتال والشتم، وتمنوا لو ترتدّون عن دينكم، فإذن مودّة أمثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لأنفسكم ونحوه قوله تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨] فإن قلت: كيف أورد جواب الشرط مضارعًا مثله ثم قال ﴿وَوَدُّوا۟﴾ بلفظ الماضي؟ قلت: الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب، فإن فيه نكتة، كأنه قيل: وودّوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، يعني: أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضارّ الدنيا والدين جميعًا: من قتل الأنفس، وتمزيق الأعراض، وردّكم كفارًا أسبق المضارّ عندهم وأوّلها؛ لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم، لأنكم بذّالون لها دونه، والعدوّ أهم شيء عنده أن يقصد أعزّ شيء عند صاحبه.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ أي قراباتكم ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ الذي توالون الكفار من أجلهم وتتقربون إليهم محاماة عليهم، ثم قال: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ وبين أقاربكم وأولادكم ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤] الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفرّ منكم غدًا: خطأ رأيهم في موالاة الكفار بما يرجع إلى حال من والوه أوّلاً، ثم بما يرجع

= يقال: ألقى خراشي صدره، اهـ. (ع)

إلى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيًا؛ ليريهم أن ما أقدموا عليه من أيّ جهة نظرت فيه وجدته باطلًا. قرئ: «يُفصَل ويُفصَّل»، على البناء للمفعول. ويَفصِل ويُفصِّل، على البناء للفاعل وهو الله عزّ وجل. ونفصل ونفصل، بالنون.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾

وقرئ: «أسوة وإسوة» وهو اسم المؤتسى به، أي كان فيهم مذهب حسن مرضي بأن يؤتسى به ويتبع أثره، وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا، حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا، وأظهروا البغضاء والمقت، وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس إلا كفرهم بالله؛ ومادام هذا السبب قائمًا كانت العداوة قائمة، حتى إن أزالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة، والبغضاء محبة، والمقت مقة[1]، فأفصحوا عن محض الإخلاص. ومعنى ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ وبما تعبدون من دون الله: أنا لا نعتدّ بشأنكم ولا بشأن آلهتكم، وما أنتم عندنا على شيء. فإن قلت: مم استثني قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ﴾؟ قلت: من قوله: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ لأنه أراد بالأسوة الحسنة: قولهم الذي حق عليهم أن يأتسوا به ويتخذونه سنة يستنون بها. فإن قلت: فإن كان قوله ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ مستثنى من القول الذي هو أسوة حسنة، فما بال قوله: ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ وهو غير حقيق بالاستثناء. ألا ترى إلى قوله ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ١٧] قلت: أراد استثناء جملة قوله لأبيه، والقصد إلى موعد الاستغفار له، وما بعده مبنيّ عليه وتابع له، كأنه قال: أنا أستغفر لك وما في طاقتي إلا الاستغفار. فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾؟ قلت: بما قبل الاستثناء، وهو من جملة الأسوة الحسنة. ويجوز أن يكون المعنى: قولوا ربنا، أمرًا من الله تعالى للمؤمنين بأن يقولوه، وتعليمًا منه لهم تتميمًا لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار، والائتساء بإبراهيم وقومه في البراءة منهم، وتنبيهًا على الإنابة إلى الله والاستعاذة به من فتنة أهل الكفر، والاستغفار مما فرط منهم. وقرى: «برآء» كشركاء. وبراء كظراف. وبراء على إبدال الضم من الكسر، كرخال ورباب. وبراء[2] على الوصف

---

(١) قوله: «والمقت مقة» أي: محبة (ع)

(٢) قوله: «كرخال ورباب» في الصحاح: الرخل ـ بكسر الخاء ـ: الأنثى من أولاد الضأن. والذكر =

بالمصدر. والبراء والبراءة كالظماء والظماءة.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾

ثم كرّر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريرًا وتأكيدًا عليهم، ولذلك جاء به مصدّرًا بالقسم لأنه الغاية في التأكيد، وأبدل عن قوله: ﴿لَكُمْ﴾ قوله: ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ وعقبه بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فلم يترك نوعًا من التأكيد إلا جاء به.

﴿۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾

ولما نزلت هذه الآيات: تشدَّد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من/٢/٢١٨أ المشركين ومقاطعتهم، فلما رأى الله ـ عز وجل ـ منهم الجدّ والصبر على الوجه الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة. رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه، فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم، فأسلم قومهم، وتمّ بينهم من التحاب والتصافي ما تمّ. وقيل: تزوّج رسول الله ﷺ أمّ حبيبة، فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة، وكانت أمّ حبيبة قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبد الله بن أبي جحش إلى الحبشة، فتنصر وأرادها على النصرانية، فأبت وصبرت على دينها، ومات زوجها، فبعث رسول الله ﷺ إلى النجاشي فخطبها عليه، وساق عنه إليها مهرها أربعمائة دينار، وبلغ ذلك أباها فقال: ذلك الفحل لا يُقْدَعُ أنفه[1] (١٥٧٨).

١٥٧٨ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف غريب بهذا اللفظ.
وأخرجه أبو داود في سننه (٢/ ٢٣٥): كتاب النكاح: باب الصداق، حديث (٢١٠٧)، وأخرجه مرسلًا برقم (٢١٠٨) والنسائي (٦/ ١١٩): كتاب النكاح: باب القسط في الأصدقة، حديث (٣٣٥٠) من حديث عروة بن الزبير عن أم حبيبة.
وأحمد (٦/ ٤٢٧) عن عروة بن الزبير عن أم حبيبة.
والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٢)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤٦٠): باب قوله عز وجل عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة.
=

= حمل، والجمع رخال ورخال أيضًا بالضم. وفيه أيضًا: «الربى» بالضم على فعلى: الشاة التي وضعت حديثًا. وجمعها رباب بالضم. (ع)

(١) قوله: «ذلك الفحل لا يقدع أنفه» أي لا يضرب أنفه ولا يكف وذلك لكونه كريمًا. أفاده الصحاح. (ع)

و﴿عَسَى﴾ وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج: عسى أو لعل. فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك. أو قصد به إطماع المؤمنين، والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودّة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن أسلم من المشركين.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ

= والطبراني في الكبير (٢٣/ ٢١٩) حديث (٤٠٢). ومرسلاً عن الزهري برقم (٤٠٣).
وابن سعد في الطبقات (٨/ ٧٦).
وابن اسحاق (٢١٧ ـ سيرة ابن هشام)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٤٩٤)، حديث (١٦٣٨٦)
وأخرجه الطبراني في الأوسط (٢/ ٣٨٦) حديث (١٦٧١) عن أنس وذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٨٥) عن أنس وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين في أحدهما إسماعيل بن علي الأنصاري عن رواد بن الجراح ورواد فيه ضعف وقد وثقه جماعة وإسماعيل لم أعرفه وبقية رجال هذا ثقات والإسناد الآخر ضعيف.
وله شاهد عن ابن عباس.
أخرجه مسلم (٨/ ٣٠٠ نووي): كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي سفيان، حديث (١٦٨/ ٢٥٠١).
وذكره الزيلعي (٣/ ٤٥٣)، حديث (١٣٢٧)، وزاد نسبته للثعلبي في تفسيره لسورة النساء.
وذكره عبد الحق في الأحكام الوسطى عن أم حبيبة (٣/ ١٤٤): كتاب النكاح: باب في الرجل يعقد نكاح الرجل بأمره وفي الصداق.
قال الحافظ ابن حجر:
هكذا ذكره الثعلبي بغير سند. ومجموعه مفرق في أحاديث. وروى أبو داود والحاكم من رواية الزهري عن عروة عن أم حبيبة «أنها كانت تحت عبدالله بن جحش فمات بأرض الحبشة. فزوجها النجاشي النبي صلى الله عليه وسلم وأمهرها عنه أربعة آلاف. وبعث بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شرحبيل بن حسنة» وروى الحاكم عن الزهري قال «تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان. وكانت قبله تحت عبدالله بن جحش الأسدي. وكان قد هاجر بها من مكة إلى الحبشة ثم افتتن وتنصر ومات نصرانيًا وأثبت الله الإسلام لأم حبيبة حتى رجعت إلى المدينة فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها إياه عثمان بن عفان» قال الزهري وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى النجاشي فزوجها إياه وساق عنه أربعين أوقية» وروى الواقدي في المغازي ومن طريقه الحاكم من رواية جعفر بن محمد عن أبيه قال «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية إلى النجاشي خطب عليه أم حبيبة، وأصدقها من عنده أربعمائة دينار» قال الواقدي: حدثني عبدالله بن جعفر عن عبدالواحد بن أبي عون قال: لما بلغ أبا سفيان ابن حرب نكاح النبي صلى الله عليه وسلم ابنته قال: ذاك الفحل لا يقدع أنفه» وقال أبو نعيم في الدلائل «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وأصدقها عنه أربعمائة دينار، وبعث بها إليه، وقال: وكان ذلك في سنة ست من الهجرة بعد رجوعه من خيبر ولا أعلم في ذلك خلافًا». انتهى.

﴿وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾

﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل من الذين لم يقاتلوكم. وكذلك ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْۚ﴾ من الذين قاتلوكم: والمعنى: لا ينهاكم عن مبرّة هؤلاء، إنما ينهاكم عن تولي هؤلاء. وهذا أيضًا رحمة لهم لتشدّدهم وجدّهم في العداوة متقدّمة لرحمته بتيسير إسلام قومهم، حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين وإخراجهم من ديارهم. وقيل: أراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه. وعن مجاهد: هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا (١٥٧٩). وقيل: هم النساء والصبيان. وقيل: قدمت على أسماء بنت أبي بكر أمّها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها في الدخول، فنزلت، فأمرها رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها (١٥٨٠). وعن قتادة: نسختها آية القتال (١٥٨١) ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ﴾ وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم. وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط

١٥٧٩ ـ ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣٠٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد وأخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٦٢)، حديث (٣٣٩٥١).

١٥٨٠ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٥).
والواحدي في أسباب النزول ص (٤٤٤)، حديث (٨١٣).
والطبري في تفسيره (١٢/ ٦٢)، حديث (٣٣٩٥٢)، (٣٣٩٥٣) والبزار (٢/ ٣٧٢ كشف)، حديث (١٨٧٤)، وقال البزار لا نعلم له طريقًا عن ابن الزبير إلا هذا.
وأخرجه أحمد (٤/ ٤)، وأبو داود الطيالسي في المنحة (٢/ ٢٤)، حديث (١٩٨٢).
وذكره الهيثمي في المجمع (١٤٧/٤) وقال رواه أحمد بنحوه والبزار واللفظ له وفيه مصعب بن ثابت وثقة ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجالهما ثقات. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٠٥) وزاد نسبته إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في تاريخه والطبراني وابن مردويه عن عبدالله بن الزبير قال قدمت قبيلة بنت عبد العزى على ابنتها. . .
وكذلك ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤٥٨، ٤٥٩)، حديث (١٣٢٨) وزاد نسبته إلى أبي يعلى في المسند، والطبراني وابن مردويه وابن أبي حاتم.
أما حديث أسماء بنت أبي بكر أخرجه أحمد (٦/ ٣٤٤ ـ ٣٤٧ ـ ٣٥٥) والبخاري (١٠/ ٤١٣) كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج. حديث (٥٩٧٩) ومسلم (٢/ ٦٩٦): كتاب الزكاة ـ باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين. حديث (٤٩/ ١٠٠٣)، أبو داود (٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨): كتاب الزكاة: باب الصدقة على أهل الذمة حديث (١٦٦٨) من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إن أمّي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال «نعم صلي أمّك» وقد ورد أن في هذه القصة نزل قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ الآية. كما رواه أحمد (٦/ ٣٤٤) وابن جرير (٢٨/ ٤٣) وقال ابن أبي =

مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم، مترجمة عن حال مسلم يجترىء على ظلم أخيه المسلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ سماهنّ مؤمنات لتصديقهنّ بألسنتهنّ ونطقهنّ بكلمة الشهادة ولم يظهر منهنّ ما ينافي ذلك. أو لأنهن مشارفات لثبات إيمانهم بالامتحان ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ فابتلوهن بالحلف والنظر في الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن. وكان رسول الله ﷺ يقول للممتحنة: «بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت من بغض زوج، بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، بالله ما خرجت التماس دنيا، بالله ما خرجت إلا حبًا لله ولرسوله» (١٥٨٢) ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ منكم لأنكم لا تكسبون فيه علمًا تطمئن معه نفوسكم، وإن استحلفتموهن ورزتم أحوالهن، وعند الله حقيقة العلم به ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ

= شيبة (٣/ ١٧٨): كتاب الزكاة: باب ما قالوا في الصدقة في غير أهل الإسلام. حدثنا شبابة ثنا شعبة عن عثمان البتي عن الحسن في قوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حُبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا﴾ قال: الأسرى من أهل الشرك وقال أبو عبيد في الأموال ص (٧٢٩): (١٩٦٦): حدثنا حجاج عن ابن جريج في الآية قال: لم يكن الأسير يومئذٍ إلا من المشركين. وفي الباب آثار كثيرة يراجع لها الدر المنثور (٦/ ٤٨٤).
قال الحافظ ابن حجر:
أخرجه الحاكم من طريق المبارك عن مصعب بن ثابت عن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن جده قال «قدمت قتيلة بنت عبدالعزى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما. وكان أبو بكر طلقها» فذكره وساقه أتم. ومن هذا الوجه أحمد والبزار وأبو داود وأبو يعلى والطبري والطبراني وابن أبي حاتم وغيرهم. وحديث أسماء في الصحيحين عن عروة عنها بغير هذا السياق. انتهى

١٥٨١ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٠٦) وعزاه لأبي داود في تاريخه وابن المنذر عن قتادة. وأخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٦٣)، حديث (٣٣٩٥٥).

١٥٨٢ ـ أخرجه ابن جرير (١٢/ ٦٤)، حديث (٣٣٩٥٧، ٣٣٩٥٨) وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ١٢٦) عن ابن عباس وقال رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وضعفه غيرهما وبقية رجاله ثقات.
وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١٠) وزاد نسبته إلى ابن أبي أسامة والبزار وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند حسن عن ابن عباس.
وأخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢/ ٢٨٨) عن قتادة مرسلاً. =

﴿مُؤْمِنَٰتٍ﴾ العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ فلا تردّوهن إلى أزواجهن المشركين، لأنه لا حلّ بين المؤمنة والمشرك[1] ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ وأعطوا أزواجهنّ مثل ما دفعوا إليهنّ من المهور، وذلك: أن صلح الحديبية كان على أن من أتاكم من أهل مكة ردّ إليهم، ومن أتى مكة منكم لم يردّ إليكم؛ وكتبوا بذلك كتابًا وختموه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة والنبي ﷺ بالحديبية، فأقبل زوجها مسافر المخزومي. وقيل: صيفي بن الراهب فقال: يا محمد،

= وأخرجه الترمذي (٥/ ٤١٢): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الممتحنة حديث ٣٣٠٨ عن أبي نصر عن ابن عباس وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب.
قال الحافظ:
أخرجه الطبراني والطبري من رواية الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبي بهز الأسدي. قال سئل ابن عباس ـ فذكره أتم سياقًا منه. قال البزار لا نعلمه عن ابن عباس إلا من هذا الوجه. ورواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مرسلاً. انتهى

---

(١) قال محمود: «معناه لا حل بين المؤمنة والمشرك» قال أحمد: هذه الآية مما استدل بها على خطاب الكفار بالفروع؛ لأنه تعالى قال: (لا هن حل لهم) والضمير الأول للمؤمنات، والثاني للكفار، والمراد به يحرمن على الكفار لأن قسيمه متفق على أن المراد به تحريم الكفار على المؤمنات، فيكون كل من القبيلين المؤمنات والكفار مخاطبًا بالحرمة، ولما كان المذهب المعزى إلى أصحاب أبي حنيفة أن الكفار غير مخاطبين سلك الزمخشري بتفسير الآية ما يوافق ذلك، فحملها على أن المراد نفي الحل بين المؤمنة والكافر على الإجمال، حتى لا يتمحض نسبة الحرمة إلى الكافر، وهذا لا متخلص فيه؛ فإن الحل المنفي بين المؤمنة والكافر إلى الحرمة، لا بد وأن يتعلق بفعل أحدهما أو كليهما، إذ هو حكم فإن تعلق بفعل كل واحد منهما أعني التمكين من المرأة والفعل من الرجل: تحقق خطاب الكافر بالحرمة؛ وتعليقه بفعل المرأة دون فعل الرجل: يأباه نظم الآية، فإنه نفى الحل من الجهتين جميعًا ولو كان كذلك، لكفى قوله: (ولا هم يحلون لهن) والتحقيق الممتحن على قواعد الأصول: هو ما نذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ فنقول: كل من فعلي المؤمنة والكافر ينفى عنه الحل بالتفسير اللائق؛ فأما فعل المؤمنة وهو التمكين فلا شك في تعلق الحرمة للشرع. باعتبار أنها مخاطبة بأن لا يحصل في الوجود على وجه لو حصل لكانت متوعدة على حصوله وأما فعل الكافر وهو الوطء مثلاً، فمنفي حله باعتبار أن الشرع قصد إلى أن لا يحصل الوطء، لما يشتمل عليه من المفسدة، وللشرع قصد في أن لا تقع المفاسد، وليس الكافر موردًا للخطاب، ولكن الأئمة مثلاً أو من يقوم مقامهم. مخاطبون بأن يمنعوا الكافر كي لا يقع هذا الفعل المنطوي على المفسدة في نظر الشرع، فكلا الفعلين إذًا من جانب المرأة والرجل غرض في أن لا يقع، لكن مورد الخطاب المنطوي على السلامة من المفسدة في حق المرأة هي وفي حق الكافر الأئمة مثلاً، ويتفق المختلفون فيه في خطاب الكفار على أن للشرع غرضًا في أن لا تحصل المفاسد في الوجود. ألا ترى أن الكافر إذا جهر بالفساد بين المسلمين يتفق على وجوب ردعه عن ذلك ومنعه عنه، وما ذاك إلا لما فهم عن الشرع من طلب سلامة الوجود عن المفاسد، ومورد الخطاب يردع الكافر كي لا يجهر بالفساد يعم الأئمة، والله الموفق.

أردد عليّ امرأتي فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا، وهذه طينة الكتاب لم تجفّ، فنزلت بيانًا لأن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء (١٥٨٣). وعن الضحاك: كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين عهد: أن لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك إلا رددتها إلينا، فإن دخلت في دينك ولها زوج أن تردّ على زوجها الذي أنفق عليها، وللنبي ﷺ من الشرط مثل ذلك. وعن قتادة: ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة، فاستحلفها رسول الله ﷺ فحلفت، فأعطى زوجها ما أنفق وتزوّجها عمر (١٥٨٤). فإن قلت: كيف سمى الظنّ علمًا في قوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾؟ قلت: إيذانًا بأن الظن الغالب وما يفضي إليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم، وأن صاحبه غير داخل في قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ/ ٢/ ٢١٨ب مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] فإن قلت: فما فائدة قوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ وذلك معلوم لا شبهة فيه؟ قلت: فائدته بيان أن لا سبيل لكم إلى ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر من الإحاطة بحقيقة إيمانهن. فإنّ ذلك مما استأثر به علام الغيوب، وأن ما يؤدي إليه الامتحان من العلم كاف في ذلك، وأن تكليفكم لا يعدوه؛ ثم نفى عنهم الجناح في تزوّج هؤلاء المهاجرات إذا آتوهنّ أجورهنّ أي مهورهنّ، لأن المهر أجر البضع، ولا يخلو إما أن يراد بها ما كان يدفع إليهنّ ليدفعنه إلى أزواجهنّ فيشترط في إباحة تزوجهنّ تقديم أدائه، وإما أن يراد أن ذلك إذا دفع إليهنّ على سبيل القرض ثم تزوّجن على ذلك لم يكن به بأس، وإما أن يبين لهم أن ما أعطى أزواجهنّ لا يقوم مقام المهر وأنه لا بد من إصداق، وبه احتج أبو حنيفة على أن أحد الزوجين إذا خرج من دار الحرب مسلمًا أو بذمة وبقي الآخر حربيًا: وقعت الفرقة، ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها إلا أن تكون حاملاً ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب، يعني: إياكم وإياهنّ، ولا تكن بينكم وبينهنّ عصمة ولا علقة زوجية. قال ابن عباس: من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدنّ بها من نسائه، لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه. وعن النخعي: هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر (١٥٨٥). وعن مجاهد: أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن ﴿وَسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ﴾ من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار ﴿وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾ من مهور نسائهم المهاجرات. وقرئ: «ولا تمسكوا» بالتخفيف. ولا تمسكوا بالتثقيل. ولا تمسكوا. أي: ولا تتمسكوا ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ﴾ يعني:

١٥٨٣ ـ أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص (٤٤٤)، حديث (٨١٤) عن ابن عباس، قال الحافظ هكذا ذكره البغوي عن ابن عباس بغير سند.

١٥٨٤ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٦٠)، حديث (١٣٣٠)، وقال: غريب، وذكره البغوي هكذا عن ابن عباس من غير سند.

١٥٨٥ ـ ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١٠) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر عن إبراهيم النخعي.

جميع ما ذكر في هذه الآية ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ كلام مستأنف. أو حال من حكم الله على حذف الضمير، أي: يحكمه الله. أو جعل الحكم حاكمًا على المبالغة. روي أنها لما نزلت هذه الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من أداء مهور المهاجرات إلى أزواجهنّ المشركين، وأبى المشركون أن يؤدوا شيئًا من مهور الكوافر إلى أزواجهن المسلمين، فنزل قوله: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ وإن سبقكم وانفلت منكم ﴿شَيْءٌ﴾ من أزواجكم: أحد منهن إلى الكفار، وهو في قراءة ابن مسعود: أحد. فإن قلت: هل لإيقاع شيء في هذا الموقع فائدة؟ قلت: نعم، الفائدة فيه: أن لا يغادر شيء من هذا الجنس وإن قلّ وحقر، غير معوّض منه تغليظًا في هذا الحكم وتشديدًا فيه ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ من العقبة وهي التوبة: شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء وأولئك تارة، وأولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره. ومعناه: فجاءت عقبتكم من أداء المهر، فآتوا من فاتته امرأته إلى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة، ولا تؤتوه زوجها الكافر، وهكذا عن الزهري: يعطي من صداق من لحق بهم. وقرئ: «فأعقبتم» فعقبتم بالتشديد. فعقبتم بالتخفيف، بفتح القاف وكسرها، فمعنى أعقبتم: دخلتم في العقبة، وعقبتم: من عقبه إذا قفاه، لأنّ كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه، وكذلك عقبتم بالتخفيف، يقال: عقبه يعقبه. وعقبتم نحو تبعتم. وقال الزجاج: فعاقبتم فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم، والذي ذهبت زوجته كان يعطىٰ من الغنيمة المهر، وفسر غيرها من القراءات فكانت العقبى لكم، أي: فكانت الغلبة لكم حتى غنمتم. وقيل: جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الإسلام ست نسوة: أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري، وفاطمة بنت أبي أمية كانت تحت عمر بن الخطاب وهي أخت أم سلمة، وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان، وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ودّ، وهند بنت أبي جهل كانت تحت هشام بن العاص. وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر، فأعطاهم رسول الله ﷺ مهور نسائهم من الغنيمة (١٥٨٦).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ

١٥٨٦ ـ ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٣٣٤). آية (١١) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لحق بالمشركين من نساء المؤمنين. . . .

وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٦٠، ٤٦١)، حديث (١٣٣١) وقال: غريب، وذكره هكذا الثعلبي ثم البغوي، هكذا عن ابن عباس من غير سند ولا راوٍ.

قال الحافظ:

هكذا ذكره الثعلبي ثم البغوي عن ابن عباس بلا إسناد. انتهى

وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢)﴾

﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ وقرئ: «يقتلن»، بالتشديد، يريد: وأد البنات ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هو ولدي منك. كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبًا، لأنّ بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين ﴿وَلَا/ ٢/ ٢١٩أ يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهنّ عنه من المقبحات. وقيل: كل ما وافق طاعة الله فهو معروف. فإن قلت: لو اقتصر على قوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ﴾ فقد علم أن رسول الله ﷺ لا يأمر إلا بمعروف؟ قلت: نبه بذلك على أنّ طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب. وروي أنّ رسول الله ﷺ لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال: أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة خوفًا من رسول الله ﷺ أن يعرفها[1] فقال عليه الصلاة والسلام: «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئًا فرفعت هند رأسها وقالت: والله لقد عبدنا الأصنام وإنك لتأخذ علينا أمرًا ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الإسلام والجهاد، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: و«لا يسرقن»[2] فقالت: إنّ أبا سفيان رجل شحيح، وإني أصبت من ماله هنات، فما أدري، أتحل لي أم لا. فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها: وإنك لهند بنت عتبة؟ قالت: نعم فاعف عما سلف يا نبيّ الله عفا الله عنك، فقال: «ولا يزنين»: فقالت: أو تزني الحرة؟ وفي رواية: ما زنت منهن امرأة قط، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ «ولا يقتلن أولادهن» فقالت: ربيناهم صغارًا وقتلتهم كبارًا فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر حتى استلقى، وتبسم رسول الله ﷺ فقال: «لا يأتين ببهتان» فقالت: والله إنّ البهتان لأمر قبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: «ولا يعصينك في معروف» فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في

---

(١) قوله: «خوفًا من رسول الله ﷺ أن يعرفها» لما صنعت بحمزة، كذا في النسفي، وذلك في غزوة أحد. (ع)

(٢) قوله: «فقال عليه السلام ولا يسرقن» في النسفي قبل هذا: فبايع عمر للنساء على أن لا يشركن بالله شيئًا. (ع)

شيء. وقيل في كيفية المبايعة: دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده، ثم غمسن أيديهن. وقيل: صافحهن وكان على يده ثوب قطري. وقيل: كان عمر يصافحهن عنه (١٥٨٧).

١٥٨٧ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٦١)، حديث (١٣٣٢) غريب بهذا اللفظ وأخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٧٤)، حديث (٣٤٠١٣).

وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٣١٢) وعزاه للطبري وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب. . . .

وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٦٣)، حديث (١٣٣٢)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم في تفسيره.

ـ أما كيفية المبايعة: إنه دعا بقدح ماء إلى آخره.

أخرجه الطبري في المعجم الكبير (١٧/ ١٤٩)، حديث (٣٧٦).

وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٤٢) وقال: رواه الطبراني وفيه عبدالله بن حكيم أبو بكر الداهري وهو ضعيف.

وفي تاريخ أصبهان (١/ ٢٩٣) وابن سعد في الطبقات (٨/ ٤)، عن أسماء بنت يزيد.

وابن سعد في الطبقات (٨/٨) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٦٣)، حديث (١٣٣٢).

وزاد نسبته لابن مردويه في تفسيره من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

قال الحافظ:

أخرجه ابن سعد عن الواقدي عن أسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب نحوه وله شاهد في الطبراني عن عروة بن مسعود وآخر في تاريخ أصبهان لابن نعيم في حرف الحاء من حديث أسماء بنت يزيد. انتهى

أما القول بأنه صافحهن وعلى يده ثوب قطري.

فأخرجه أبو داود في المراسيل ص (٢٧٤)، حديث (٣٧٣) وعن الرزاق في مصنفه (٦/ ٩)، حديث (٩٨٣٢) مرسلاً.

قال الحافظ:

رواه أبو داود في المراسيل عن الشعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بايع النساء أتى ببرد قطري فوضعه على يده وقال لا أصافح النساء وروى عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن إبراهيم النخعي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافح النساء على يده ثوب قطري. انتهى.

ـ وقوله كان عمر يصافحهن عنه (حديث أم عطية).

أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧/ ٣١٣)، حديث (٣٠٤١).

والطبراني في معجمه الكبير (٢٥/ ٤٥)، حديث (٨٥).

وأبو داود (١/ ٢٢٦): كتاب الصلاة: باب خروج النساء في العيد، حديث (١١٣٩).

وأحمد (٥/ ٨٥)، (٦/ ٤٠٨، ٤٠٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٨٤) وأبو يعلى في مسنده (١/ ١٩٦)، حديث (٢٢٦).

وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٤١) وقال رواه أبو داود باختصار كثير، رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجاله ثقات.

وأخرجه الطبري (١٢/ ٧٦)، حديث (٣٤٠٢٩). =

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣﴾

روي أنّ بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم[1]. فقيل لهم ﴿لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا﴾ مغضوبًا عليهم ﴿قَدۡ يَئِسُواْ﴾ من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله ﷺ، وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت في التوراة ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ﴾ من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء. وقيل: ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ بيان للكفار، أي: كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة؛ لأنهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة (١٥٨٨).

= وذكره الزيلعي (٣/ ٤٦٤)، حديث (١٣٣٢) وزاد نسبته للبزار وابن مردويه، والنسائي في كتاب الكنى.
قال الحافظ ابن حجر:
أخرجه ابن حيان والطبراني والبزار وأبو يعلى والطبري وغيرهم من حديث أم عطية قالت «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أمر نساء الأنصار فجمعهن في بيت ثم أرسل إليهن عمر. فجاء عمرفسلم ـ فذكر القصة ـ وفيها: ثم مد يده من خارج البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت. انتهى

١٥٨٨ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
قال الحافظ:
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه.

---

(١) قال محمود: «كان طائفة من ضعفاء المسلمين قد والوا اليهود ليصيبوا من أثمارهم، فنزلت هذه الآية، والمراد بالكفار المشركون... إلخ» قال أحمد: قد كان الزمخشري ذكر في قوله: (وما يستوي البحران) إلى قوله: (ومن كل تأكلون لحمًا طريًا) أن آخر الآية استطراد، وهو فن من فنون البيان مبوب عليه عند أهله، وآية الممتحنة هذه ممكنة أن تكون من هذا الفن جدًا، فإنه ذم اليهود واستطرد ذمهم بذم المشركين على نوع حسن من النسبة، وهذا لا يمكن أن يوجد للفصحاء في الاستطراد أحسن ولا أمكن منه، ومما صدروا هذا الفن به قوله [من الطويل]:

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه ... فليس به بأس وإن كان من جرم

وقوله [من الكامل]:

إن كنت كاذبة التي حدثتني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرة ولجام

سورة الصف

مدنية، وآياتها ١٤ [نزلت بعد التغابن]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾

﴿لِمَ﴾ هي لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك: بم، وفيم، وممّ، وعم، وإلام، وعلام. وإنما حذفت الألف؛ لأنّ ما والحرف كشيء واحد، ووقع استعمالهما كثيرًا في كلام المستفهم؛ وقد جاء استعمال الأصل قليلاً والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان. ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف، كما سمع: ثلاثة، أربعة، بالهاء وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة، وهذا الكلام يتناول الكذب وإخلاف الموعد. وروي أنّ المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا بالقتال: لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فدلهم الله تعالى على الجهاد في سبيله، فولوا يوم أحد فعيرهم. وقيل: لما أخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا: لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا، ففرّوا يوم أحد ولم يفوا. وقيل: كان الرجل يقول: قتلت ولم يقتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، وصبرت ولم يصبر. وقيل: كان قد أذى المسلمين رجل ونكى فيهم، فقتله صهيب وانتحل قتله آخر، فقال عمر لصهيب: أخبر النبّي ـ عليه السلام ـ أنك قتلته، فقال: إنما قتلته لله ولرسوله، فقال عمر: يا رسول الله قتله صهيب، قال: كذلك يا أبا يحيى؟ قال: نعم، فنزلت (١٥٨٩) في

١٥٨٩ ـ أخرجه الثعلبي في تفسيره.. كما في «تخريج الكشاف» (٤/٧).
قال الحافظ:
أخرجه الثعلبي من حديث صهيب قال «كان رجل يوم بدر قد آذى المسلمين ونكأ فيهم فقتله صهيب. فقال رجل: يا رسول الله قتلت فلانًا. ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمرو بن عبدالرحمن صهيب أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ـ الحديث». انتهى

المنتحل. وعن الحسن: نزلت في المنافقين. ونداؤهم بالإيمان: تهكم بهم وبإيمانهم؛ هذا من أفصح كلام وأبلغه[1] في معناه قصد في ﴿كَبُرَ﴾ التعجب من غير لفظه كقوله [من الطويل]:

.... غَلَتْ نَابٌ كُلَيْبٌ بَوَاؤُهَا[2]

ومعنى التعجب: تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله، وأسند إلى أن تقولوا. ونصب ﴿مَقْتًا﴾ على تفسيره، دلالة على أنّ قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه، لفرط تمكن المقت منه؛ واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه. ومنه قيل: نكاح المقت، للعقد على الرابة[3]، ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرًا، حتى جعل أشده وأفحشه. و﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أبلغ من ذلك، لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك. وعن بعض السلف أنه قيل له: حدّثنا، فسكتَ ثم قيل له حدثنا؛ فقال: تأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله. في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ عقيب ذكر مقت المخلف: دليل[4] علىَ أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا. وقرأ زيد بن عليّ: يقاتلون بفتح التاء. وقرئ: «يقتلون» ﴿صَفًّا﴾ صافين أنفسهم أو مصفوفين ﴿كَأَنَّهُم﴾ في تراصهم من غير فرجة وخلل ﴿بُنْيَٰنٌ﴾ رصّ بعضه إلى بعض ورصف. وقيل: يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص. وعن بعضهم: فيه دليل على فضل القتال راجلًا؛ لأنّ الفرسان لا

---

(١) قال محمود: «هذا من أفصح الكلام وأبلغه، في معناه قصد إلى التعجب بغير صيغة التعجب لتعظيم الأمر... إلخ» قال أحمد: وزائد على هذه الوجوه الأربعة وجه خامس: وهو تكراره لقوله: (ما لا تفعلون) وهو لفظ واحد في كلام واحد ومن فوائد التكرار: التهويل والإعظام، وإلا فقد كان الكلام مستقلًا لو قيل: كبر مقتًا عند الله ذلك، فما إعادته إلا لمكان هذه الفائدة الثانية، والله أعلم.

(٢) تقدم.

(٣) قوله: «على الرابة» هي بتشديد الباء كالدابة. وفي الصحاح: نكاح المقت كان في الجاهلية: أن يتزوج الرجل امرأة أبيه اهـ. (ع)

(٤) قال محمود: «ذكره لهذا عقيب ذكر مقت المخلف دليل... إلخ» قال أحمد: صدق، والأول كالبسطة العامة لهذه القصة الخاصة، كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ فالنهي العام ورد أولاً؛ والمقصود اندراج هذا الخاص فيه كما تقول للمقترف جرمًا معينًا: لا تفعل ما يلصق العار بك ولا تشاتم زيدًا، وفائدة مثل هذا النظم: النهي عن الشيء الواحد مرتين مندرجًا في العموم ومفردًا بالخصوص، وهو أولى من النهي عنه على الخصوص مرتين فإن ذلك معدود في حين التكرار، وهذا يتكرر مع ما في التعميم من التعظيم والتهويل، والله أعلم.

يصطفون على هذه الصفة. وقوله: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ﴾ حالان متداخلتان[1].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَإِذْ﴾ منصوب بإضمار اذكر. أو: وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا ﴿تُؤْذُونَنِى﴾ كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه في نفسه، وجحود آياته، وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه، وعبادتهم البقر، وطلبهم رؤية الله جهرة، والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾ في موضع الحال، أي: تؤذونني عالمين علمًا يقينًا[2] ﴿أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري، لا أن تؤذوني وتستهينوا بي؛ لأن من عرف الله وعظمته عظم رسوله، علمًا بأن تعظيمه في تعظيم رسوله، ولأنّ من آذاه كان وعيد الله لاحقًا به ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ عن الحق ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ بأن منع ألطافه عنهم[3] ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ لا يلطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف. فإن قلت: ما معنى (قد) في قوله ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾؟ قلت: معناه التوكيد كأنه قال: وتعلمون

---

(١) قال محمود: «قوله (صفًا كأنهم بنيان مرصوص): حالان متداخلتان» قال أحمد: يريد أن معنى الأولى مشتمل على معنى الثانية؛ لأن التراص هيئة للاصطفاف، والله أعلم.

(٢) قال محمود: «بين أنهم على عكس الصواب حيث قال: تؤذونني عالمين... إلخ» قال أحمد: أهل العربية تقول: إن «قد» تصحب الماضي لتقريبه من الحال. ومنه قول المؤذن: قد قامت الصلاة، وتشتمل المصاحبة للماضي أيضًا على معنى التوقع، فلذلك قال سيبويه «قد فعل» جواب لما يفعل، وقال الخليل: هذا الخبر لقوم ينتظرونه، وأما مع المضارع فإنها تفيد التقليل مثل: ربما، كقولهم: إن الكذوب قد يصدق، فإذا كان معناها مع المضارع التقليل وقد دخلت في الآية على مضارع، فالوجه ـ والله أعلم ـ أن يكون هذا من الكلام الذي يقصدون به الإفراط فيما ينعكس عنه، وتكون «قد» في هذا المعنى نظيرة «ربما» في قوله: (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) فإنها في هذا الموضع أبلغ من كم في التكثير، فلما أوردت «ربما» في التكثير على عكس معناها الأصلي في التقليل، فكذلك إيراد «قد» ههنا لتكثير علمهم، أي: تحقيق تأكيده على عكس معناها الأصلي في تقليل الأصل؛ وعليه [من البسيط]:

قد أترك القرن مصفرًا أنامله ....

وإنما مدح نفسه بكثرة هذا الفعل منه عكس ديدنه الأصلي، ولا يقال: إن حملها في الآية على التكثير متعذر؛ لأن العلم معلوم التعلق لا يتكثر ولا يتقلل؛ لأنا نقول: يعبر عن تمكن الفعل وتحققه وتأكده وبلوغه الغاية في نوعه بما يعبر به عن التكثير، وهو تعبير صحيح. ألا ترى أن قوله: (ربما يود الذين كفروا) هو من هذا القبيل، فإن المراد شدة ودهم لذلك وبلوغه أقصى منتهاه لا غير، والله الموفق.

(٣) قوله: «بأن منع ألطافه عنهم» فسر الإزاغة بذلك بناء على مذهب المعتزلة: أنه تعالى لا يريد الشر. ومذهب أهل السنة: أنه تعالى يريد الشر والخير، كما تقرر في محله. (ع)

علمًا يقينًا لا شبهة لكم فيه.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾

قيل: إنما قال: (يا بني إسرائيل) ولم يقل: يا قوم كما قال موسى؛ لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه[1]. والمعنى: أرسلت إليكم في حال تصديقي ما تقدمني ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ وفي حال تبشيري ﴿بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى﴾ يعني: أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعًا ممن تقدم وتأخر. وقرئ: «من بعدي»، بسكون الياء وفتحها، والخليل وسيبويه يختاران الفتح. وعن كعب: أن الحواريين قالوا لعيسى: يا روح الله، هل بعدنا من أمّة؟ قال: نعم أمّة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء، كأنهم من الفقه أنبياء، يرضون من الله باليسير من الرزق، ويرضى الله منهم باليسير من العمل. فإن قلت: بم انتصب مصدقًا ومبشرًا؟ أبما في الرسول من معنى الإرسال أم بإليكم؟ قلت: بل بمعنى الإرسال؛ لأن ﴿إِلَيْكُم﴾ صلة للرسول، فلا يجوز أن تعمل شيئًا لأن حروف الجرّ لا تعمل بأنفسها، ولكن بما فيها من معنى الفعل؛ فإذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل، فمن أين تعمل؟ وقرئ: «هذا ساحر مبين».

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾

وأيّ الناس أشد ظلمًا ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين، فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق: هذا سحر، لأنّ السحر كذب وتمويه. وقرأ طلحة بن مصرف: «وهو يدعي»، بمعنى دعاه وادّعاه، نحو: لمسه والتمسه. وعنه: يدّعي، بمعنى يدعو، وهو الله عز وجل.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

أصله «يريدون أن يطفئوا» كما جاء في سورة براءة، وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيدًا له، لما فيها من معنى الإرادة في قولك: جئتك لإكرامك، كما زيدت اللام في: لا أبا لك، تأكيدًا لمعنى الإضافة في: لا أباك، وإطفاء نور الله بأفواههم: تهكم بهم

(١) قال الزمخشري: «وإنما قال (يا بني إسرائيل) ولم يقل: يا قوم؛ لأنه لم يكن له ـ صلوات الله على نبينا وعليه ـ نسب فيهم» قال أحمد: وهذا نظير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لأن شعيبًا لم يكن من قوم من أرسل إليهم.

في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن: هذا سحر، مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه «والله متمّ نوره» أي متمّ الحق ومبلغه غايته. وقرئ: بالإضافة.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ/ ٢/ ٢٢٠أ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الملة الحنفية ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ ليعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ على جميع الأديان المخالفة له؛ ولعمري لقد فعل، فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام. وعن مجاهد: إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض إلا دين الإسلام. وقرئ: «أرسل نبيه».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿تُنجِيكُم﴾ قرئ مخففًا ومثقلاً. و﴿تُؤْمِنُونَ﴾ استئناف، كأنهم قالوا: كيف: نعمل؟ فقال: تؤمنون[1]، وهو خبر في معنى الأمر؛ ولهذا أجيب بقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وتدل عليه قراءة ابن مسعود: آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا. فإن قلت: لم جيء به على لفظ الخبر؟ قلت: للإيذان بوجوب الامتثال، وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين. ونظيره قول الداعي: غفر الله لك، ويغفر الله لك: جعلت المغفرة لقوّة الرجاء، كأنها كانت ووجدت. فإن قلت: هل لقول الفراء أنه جواب ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ وجه؟ قلت: وجهه أن متعلق الدلالة هو

---

(١) قال محمود: قوله (تؤمنون) استئناف كلام كأنه لما قال الكلام الأول قيل: كيف نفعل؟ فقيل: تؤمنون... إلخ» قال أحمد: إنما وجه إعراب الفراء بما ذكر، لأنه لو جعله جوابًا لقوله: (هل أدلكم) فإنكم إن أدلكم على كذا وكذا أغفر لكم، فتكون المغفرة حينئذ مترتبة على مجرد دلالته إياهم على الخير؛ وليس كذلك، إنما تترتب المغفرة على فعلهم لما دلهم عليه لا على نفس الدلالة، فلذلك أول (هل أدلكم على تجارة) بتأويل: هل تتجرون بالإيمان والجهاد حتى تكون المغفرة مترتبة على فعل الإيمان والجهاد لا على الدلالة، وهذا التأويل غير محتاج إليه؛ فإن حاصل الكلام إذا صار إلى: هل أدلكم أغفر لكم، التحق ذلك بأمثال قوله تعالى: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ فإنه رتب فعل الصلاة على الأمر بها، حتى كأنه قال، فإنك إن تقل لهم أقيموا يقيموها. وللقائل أن يقول: قد قيل لبعضهم: أقم الصلاة فتركها؟ فالجواب عنه: أن الأمر الموجه على المؤمن الراسخ في الإيمان لما كان مظنة لحصول الامتثال، جعل كالمحقق وقوعه مرتبًا عليه؛ وكذلك ههنا لما كانت دلالة الذين آمنوا على فعل الخير مظنة لامتثالهم. وامتثالهم سببًا في المغفرة محققًا: عومل معاملة تحقق الامتثال والمغفرة مرتبين على الدلالة، والله أعلم.

التجارة، والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد؛ فكأنه قيل: هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم؟ فإن قلت: فما وجه قراءة زيد بن عليّ ـ رضي الله عنهما ـ: «تؤمنوا... وتجاهدوا»؟ قلت: وجهها أن تكون على إضمار لام الأمر، كقوله [من الوافر]:

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ   إذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرٍ تَبَالا[(١)]

وعن ابن عباس أنهم قالوا: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فنزلت هذه الآية، فمكثوا ما شاء الله يقولون: ليتنا نعلم ما هي، فدلهم الله عليها بقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ وهذا دليل على أن ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ كلام مستأنف، وعلى أنّ الأمر الوارد على النفوس بعد تشوّف وتطلع منها إليه: أوقع فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعني: ما ذكر من الإيمان والجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أموالكم وأنفسكم. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟ قلت: معناه إن كنتم تعلمون أنه خير لكم[(٢)] كان خيرًا لكم حينئذٍ؛ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم، فتخلصون وتفلحون ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم، ثم فسرها بقوله: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي عاجل وهو فتح مكة. وقال الحسن: فتح فارس والروم. وفي ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ شيء من التوبيخ على محبة العاجل.

---

(١) لأبي طالب. وقيل: للأعشى، يقول: يا رسول الله، تفد، أي لتفد، فحذف لام الدعاء الجازمة للفعل لضرورة الشعر، وسوغ حذفها قرينة مقام الطلب؛ وإلا فحروف الجزم كحروف الجر لا تعمل وهي محذوفة إلا شذوذًا، كما صرح به السكاكي. هذا والحذف في نحو قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أسهل لأن قرينته لفظية، وهي لفظ (قل) الدال على الطلب. وقيل: هو خبر بمعنى الدعاء، وخفف بحذف الياء؛ وقيل: إن ذلك في غير الفواصل والقوافي غير سديد، أي: فدى الله نفسك بكل نفس إذا خفت تبالاً من شيء. والتبال: هو الوبال، قلبت واوه تاء. ويروى بالجر، على أنه صفة أمر وليس بجيد.
البيت لأبي طالب في شرح شذور الذهب ص ٢٧٥ وله أو للأعشى في خزانة الأدب ٩/ ١١، وللأعشى أو لحسان أو لمجهول في الدرر ٥/ ٦١، أسرار العربية ص ٣١٩، ٣٢١، الإنصاف ٢/ ٥٣٠، الجنى الداني ص ١١٣، رصف المباني ص ٢٥٦، صناعة الإعراب ١/ ٣٩١، شرح الأشموني ٣/ ٥٧٥، شواهد المغني ١/ ٥٩٧، شرح المفصل ٧/ ٣٥، ٦٠، ٦٢، ٩/ ٢٤، الكتاب ٣/ ٨، اللامات ص ٩٦، مغني اللبيب ١/ ٢٢٤، المقاصد النحوية ٤/ ٤١٨، المقتضب ٢/ ١٣٢، المقرب ١/ ٢٧٢ همع الهوامع ٢/ ٥٥.

(٢) قال محمود: «معناه: إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرًا لكم... إلخ» قال أحمد: كأنه يجري الشرط على حقيقته وليس بالظاهر؛ لأن علمهم لذلك محقق. إذ الخطاب مع المؤمنين، والظاهر أنه من وادي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ والمقصود بهذا الشرط: التنبيه على المعنى الذي يقتضي الامتثال وإلهاب الحمية للطاعة، كما تقول لمن تأمره بالانتصاف من عدوه: إن كنت حرًا فانتصر، تريد أن تثير منه حمية الانتصار لا غير، والله أعلم.

فإن قلت: علام عطف قوله ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؟ قلت: على ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ لأنه في معنى الأمر، كأنه قيل: آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم، وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك. فإن قلت: لم نصب من قرأ نصرًا من الله وفتحًا قريبًا؟ قلت: يجوز أن ينصب على الاختصاص. أو على تنصرون نصرًا، ويفتح لكم فتحًا. أو على: يغفر لكم ويدخلكم جنات، ويؤتكم أخرى نصرًا من الله وفتحًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

قرئ: «كونوا أنصار الله وأنصارًا لله». وقرأ ابن مسعود: «كونوا أنتم أنصار الله». وفيه زيادة حتم للنصرة عليهم. فإن قلت: ما وجه صحة التشبيه ـ وظاهره تشبيه كونهم أنصارًا بقول عيسى ـ صلوات الله عليه ـ: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾(١)؟ قلت: التشبيه محمول على المعنى، وعليه يصح. والمراد: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؟ قلت: يجب أن يكون معناه مطابقًا لجواب الحواريين ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ والذي يطابقه أن يكون المعنى: من جندي متوجهًا إلى نصرة الله، وإضافة ﴿أَنصَارِىٓ﴾ خلاف إضافة ﴿أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ فإنّ معنى ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾: نحن الذين ينصرون الله. ومعنى ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله؛ ولا يصح أن يكون معناه: من ينصرني مع الله؛ لأنه لا يطابق الجواب. والدليل عليه: قراءة من قرأ: «من أنصار الله». والحواريون أصفياؤه وهم أوّل من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلًا؛ وحواريّ الرجل: صفيه وخلصانه(٢) من الحوار وهو البياض الخالص. والحوّاري: الدرمك. ومنه قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «الزبير ابن عمتي وحواريي من أمتي» (١٥٩٠) وقيل: كانوا قصارين يحوّرون الثياب

١٥٩٠ ـ أخرجه بهذا اللفظ النسائي في «الكبرى» (٥/ ٦٠) كتاب المناقب: باب الزبير بن العوام حديث =

---

(١) قال محمود: «إن قلت ما وجه التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارًا... إلخ» قال أحمد: كلام حسن وتمام على الذي أحسن: أن يميز بين الإضافتين المذكورتين: بأن الأولى محضة والثانية غير محضة، فتنبه لها، والله الموفق.

(٢) قوله: «وخلصانه» أي خالصته، يستوي فيه الواحد والكثير، كذا في الصحاح. وفيه الدرمك: دقيق الحواري. وفيه أيضًا: والحواري ما حور من الطعام، أي بيض. وهذا دقيق حواري، وكل هذه بالضم كما أفاده الصحاح. (ع)

يبيضونها. ونظير الحواري في زنته: الحوالي: الكثير الحيل/ ٢/ ٢٢٠ب ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ﴾ منهم بعيسى ﴿وَكَفَرَت﴾ به ﴿طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا﴾ مؤمنيهم على كفارهم، فظهروا عليهم. وعن زيد بن عليّ: كان ظهورهم بالحجة.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليًا عليه مستغفرًا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه» (١٥٩١).

= (٨٢١٢) من حديث جابر.

وأخرجه البخاري (٧/ ٩٩): كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب الزبير بن العوام حديث (٣٧١٩) ومسلم (٤/ ١٨٧٩): كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل طلحة والزبير حديث (٤٨/ ٢٤١٥) من حديث جابر لكن بلفظ إن لكل نبي حواريًا وحواري الزبير.

قال الحافظ:

أخرجه النسائي من حديث جابر وهو في الصحيحين بلفظ «لكل نبي حواري وحواريي الزبير».

١٥٩١ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ:

أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من حديث أبي بن كعب.

سورة الجمعة

مدنية، وآياتها ١١ [نزلت بعد الصف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤﴾

قرئت صفات الله ـ عزّ وعلا ـ بالرفع على المدح، كأنه قيل: هو الملك القدوس، ولو قرئت منصوبة لكان وجها، كقول العرب: الحمد لله أهل الحمد. الأمي: منسوب إلى أمّة العرب، لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرءون من بين الأمم. وقيل: بدأت الكتابة بالطائف، أخذوها من أهل الحيرة، وأهل الحيرة من أهل الأنبار. ومعنى ﴿بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ بعث رجلاً أميًا في قوم أميين، كما جاء في حديث شعياء: أني أبعث أعمى في عميان، وأميًا في أميين (١٥٩٢) وقيل كقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] يعلمون نسبه وأحواله. وقرئ: «في الأمين»، بحذف ياءي النسب ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يقرؤها عليهم مع كونه أميًا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم، وقراءة أمي بغير تعلم أية بينة ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والسنة. وإن في ﴿وَإِن كَانُوا﴾ هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها، أي: كانوا في ضلال لا ترى ضلالاً أعظم منه ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ مجرور عطف على الأميين، يعني: أنه بعثه في الأميين الذين على عهده، وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم،

١٥٩٢ ـ قال الزيلعي (٤/١١):

لم أجده إلا من قول وهب بن منبه رواه الحافظ أبي نعيم في دلائل النبوة» ا. هـ..

قال الحافظ ابن حجر:

أخرجه أبو نعيم في الدلائل من طريق عبد الصمد بن معقل، سمعت وهب بن منبه يقول «أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له شعياء فذكره مطولاً». انتهى

وهم الذين بعد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ. وقيل: لما نزلت قيل: من هم يا رسول الله، فوضع يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء» وقيل: هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم القيامة، ويجوز أن ينتصب عطفًا على المنصوب في ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ أي: يعلمهم ويعلم آخرين؛ لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندًا إلى أوّله، فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تمكينه رجلًا أميًّا من ذلك الأمر العظيم، وتأييده عليه، واختياره إياه من بين كافة البشر ﴿ذَٰلِكَ﴾ الفضل الذي أعطاه محمدًا وهو أن يكون نبيّ أبناء عصره، ونبي أبناء العصور الغوابر. هو ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ إعطاءه وتقتضيه حكمته.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾

شبه اليهود ـ في أنهم حملة التوراة وقرّاؤها وحفاظ ما فيها، ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها، وذلك أنّ فيها نعت رسول الله ﷺ والبشارة به ولم يؤمنوا به ـ بالحمار حمل أسفارًا، أي كتبًا كبارًا من كتب العلم، فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمرّ بجنبيه وظهره من الكد والتعب. وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله، وبئس المثل ﴿بِئْسَ﴾ مثلًا ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوّة محمد ﷺ. ومعنى: ﴿حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾: كلفوا علمها والعمل بها، ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ ثم لم يعملوا بها، فكأنهم لم يحملوها. وقرئ: «حملوا التوراة»، أي حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل. وقرئ: «يحمل الأسفار» فإن قلت: (يحمل) ما محله؟ قلت: النصب على الحال[1]، أو الجرّ على الوصف؛ لأنّ الحمار كاللئيم في قوله: [من الكامل]:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي ....[2]

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

---

(١) قال محمود: «إما أن يكون قوله: (يحمل) حالاً، كقوله:

ولقد أمر على اللئيم يسبني ....

قال أحمد: يريد أن المراد فيها الجنس، فتعريفه وتنكيره سواء.

(٢) تقدم.

هاد يهود: إذا تهوّد[1] ﴿أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ كانوا يقولون. نحن أبناء الله وأحباؤه، أي: إن كان قولكم حقًا وكنتم على ثقة ﴿فَتَمَنَّوُاْ﴾ على الله أن يميتكم وينقلكم سريعًا إلى دار كرامته التي أعدّها لأوليائه، ثم قال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾ بسبب ما قدّموا من الكفر، وقد قال لهم رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص بريقه» فلولا أنهم كانوا موقنين بصدق رسول الله ﷺ/ ٢/ ٢٢١أ لتمنوا، ولكنهم علموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد، فما تمالك أحد منهم أن يتمنى؛ وهي إحدى المعجزات. وقرئ: «فتمنوا الموت» بكسر الواو، تشبيهًا بلو استطعنا. ولا فرق بين «لا» و«لن» في أن كل واحدة منهما نفي للمستقبل، إلا أن في «لن» تأكيدًا وتشديدًا ليس في «لا» فأتى مرّة بلفظ التأكيد ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة: ٩٥] ومرّة بغير لفظه ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ﴾ [الجمعة: ٧] ثم قيل لهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ ولا تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم؛ لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ إلى الله فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب. وقرأ زيد بن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: إنه ملاقيكم. وفي قراءة ابن مسعود: تفرون منه ملاقيكم، وهي ظاهرة. وأما التي بالفاء، فلتضمن الذي معنى الشرط، وقد جعل ﴿إِنَّ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ كلامًا برأسه في قراءة زيد، أي: إنّ الموت هو الشيء الذي تفرّون منه، ثم استؤنف: إنه ملاقيكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾

«يوم الجمعة» يوم الفوج المجموع، كقولهم: ضحكة، للمضحوك منه. و«يوم الجمعة»، بفتح الميم: يوم الوقت الجامع، كقولهم: ضحكة، ولعنة، ولعبة؛ ويوم الجمعة تثقيل للجمعة، كما قيل: عسرة في عسر. وقرئ: بهن جميعًا. فإن قلت: من في قوله ﴿مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ ما هي؟ قلت: هي بيان لإذا وتفسير له. والنداء: الأذان. وقالوا: المراد به الأذان عند قعود الإمام على المنبر، وقد كان لرسول الله ﷺ مؤذن واحد، فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد؛ فإذا نزل أقام للصلاة، ثم كان أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ على ذلك؛ حتى إذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنًا آخر، فأمر بالتأذين الأوّل على داره التي تسمى زوراء، فإذا جلس على المنبر: أذن

---

(١) قوله: «هاد يهود إذا تهود» في الصحاح: هاد يهود تاب ورجع إلى الحق، وهاد وتهود: إذا صار يهوديًا. (ع)

المؤذن الثاني، فإذا نزل أقام للصلاة، فلم يعب ذلك عليه (١٥٩٣). وقيل: أول من سماها «جمعة» كعب بن لؤي، وكان يقال لها: العروبة. وقيل: إنّ الأنصار قالوا: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى مثل ذلك؛ فهلموا نجعل لنا يومًا نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي. فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوا يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذٍ ركعتين وذكرهم، فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه، فأنزل الله آية الجمعة، فهي أوّل جمعة، كانت في الإسلام (١٥٩٤) وأما أوّل جمعة جمعها رسول الله ﷺ، فهي: أنه لما قدم المدينة مهاجرًا نزل قباء على بني عمرو بن عوف، وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجدهم، ثم خرج يوم الجمعة عامدًا المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم، فخطب وصلى الجمعة (١٥٩٥). وعن بعضهم: قد أبطل الله قول اليهود في ثلاث:

١٥٩٣ ـ أخرجه البخاري (٢/ ٣٩٣): كتاب الجمعة: باب الأذان يوم الجمعة، الحديث (٩١٢)، وأبو داود (١/ ٦٥٥): كتاب الصلاة: باب النداء يوم الجمعة، الحديث (١٠٨٧)، والترمذي (٢/ ٣٩٣): كتاب الجمعة: باب في أذان الجمعة، الحديث (٥١٦) والنسائي (٣/ ١٠٠): كتاب الجمعة: باب الأذان للجمعة، وابن ماجه (١/ ٣٥٩): كتاب إقامة الصلاة: باب الأذان يوم الجمعة، الحديث (١١٣٥)، وابن الجارود (١٠٨): كتاب الصلاة: باب الجمعة، الحديث (٢٩٠)، والبيهقي (٣/ ٢٠٥): كتاب الجمعة: باب الإمام يجلس على المنبر. وأحمد (٣/ ٤٥٠) وابن خزيمة (٣/ ١٣٦) رقم (١٧٧٣، ١٧٧٤) والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٥٧٤) كلهم من طريق الزهري عن السائب بن يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء..

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قال الحافظ:

متفق عليه من حديث السائب بن يزيد بغير هذا السياق، وليس فيه على باب المسجد. انتهى

١٥٩٤ رواه عبد الرزاق (٣/ ١٥٩) رقم (٥١٤٤): كتاب الجمعة من طريق معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال: فذكر حديثًا طويلاً.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٣) للثعلبي في تفسيره من طريق عبد الرزاق بسنده ومتنه.

وعزاه أيضًا للطبراني من حديث كعب بن مالك نحوه باختصار.

قال الحافظ:

أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين بهذا مطولاً. وأخرجه الثعلبي من طريقه. وروى الطبراني من حديث كعب بن مالك نحوه باختصار. انتهى

١٥٩٥ ـ رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥١٢) من طريق عروة بن الزبير عن عبدالرحمن بن عويم قال: أخبرني بعض قومي قال: «قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول فأقام بقباء الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فأسس المسجد وصلى فيه تلك الأيام حتى إذا كان يوم الجمعة خرج على ناقته القصواء وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه لبث فيهم ثمان عشرة ليلة ثم خرج وقد اجتمع الناس فأدركته الصلاة في بني سالم فصلاها بمن معه =

افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه، فكذبهم في قوله: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفارًا؛ وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة. وعن النبي ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه تقوم الساعة، وهو عند الله يوم المزيد». وعنه ـ عليه السلام ـ: «أتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال: هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدًا ولأمتك من بعدك، وهو سيد الأيام عندنا، ونحن ندعوه إلى الآخرة يوم المزيد» (١٥٩٦). وعنه ﷺ: «إنّ لله تعالى في

= في المسجد الذي ببطن الوادي. فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة» وذكره ابن هشام في السيرة (٢/ ١١٢) من كلام ابن اسحاق بعد كلام طويل في الهجرة.

قال الحافظ:

أخرجه ابن إسحاق في المغازي عن محمد بن جعفر عن عروة بن عبدالرحمن بن عويم أخبرني بعض قومي قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين. ذكر ذلك مطولاً. ومن طريقه البيهقي في الدلائل. وذكره ابن هشام في مختصره عن ابن إسحاق بغير إسناد. انتهى

١٥٩٦ ـ أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٠٨ ـ ١١٠) كتاب الجمعة (١٦) وأحمد في المسند (٢/ ٤٨٦).

وأبو داود (١/ ٦٣٤ ـ ٦٣٥) في الصلاة، باب تفريع أبواب الجمعة، الحديث (١٠٤٦) والترمذي (٢/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣) أبواب الصلاة، باب ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة، الحديث (٤٩١).

والنسائي (٣/ ١١٣ ـ ١١٥) في كتاب الجمعة: باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء.

وابن حبان (٧/ ٧) رقم (٢٧٧٢).

والبيهقي في السنن (٣/ ٢٥٠) كتاب الجمعة: باب الساعة التي في يوم الجمعة.

والبغوي في شرح السنة (٢/ ٥٥٣) رقم (١٠٤٥ بتحقيقنا) كلهم من حديث أبي هريرة.

وأصل الحديث عند مسلم (٣/ ٤٠٥) كتاب الجمعة: باب فضل يوم الجمعة الحديث (٨٥٤).

والحديث عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٥) للصحيحين ولم أجده في البخاري فليراجع.

قال الحافظ:

متفق عليه دون قوله «وهو عند الله يوم المزيد» للبزار والطبري من طريق جهضم بن عبدالله بن الطفيل عن أبي طيبة عن عثمان بن عمير عن أنس بهذا مطولاً. ولفظه «ونحن ندعوه في الآخرة» وهو الصواب وفي رواية الطبري في تفسير ق حدثنا جهضم بن عبدالله بن الطفيل عن أبي طيبة عن عثمان بن عمير عن أنس بهذا مطولاً ولفظه «ونحن ندعوه في الآخرة» وهو الصواب. وفي رواية الطبري في تفسير ق حدثني أبو طيبة عن معاوية العبسي عن عثمان. ورواه ابن مردويه من رواية علي بن الحكم البناني وعنبسة بن سعيد، كلاهما عن عثمان بن عمير عن أنس به. وطريق علي بن الحكم عن أبي يعلى وأخرجه ابن أبي شيبة وإسحاق من رواية ليث بن أبي سليم عن عثمان ابن عمير به. ورواه الشافعي بإسناد واه قال: أخبرني إبراهيم بن أبي يحيى حدثني موسى بن عبيدة حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبدالله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك نحوه. وله طريق أخرى عن أنس أخرجه الطبراني في الأوسط. من رواية ثابت بن ثوبان عن سالم بن عبدالله عن أنس. وقال إسحاق بن راهويه. أخبرنا محمد بن شعيب حدثني عمر مولى عمرة عن =

كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار (١٥٩٧). وعن كعب: إنّ الله فضل من البلدان: مكة، ومن الشهور: رمضان، ومن الأيام: الجمعة. وقال عليه الصلاة والسلام: «من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد، ووقي فتنة القبر» (١٥٩٨) وفي الحديث: «إذا كان يوم

= أنس. وله شاهد من حديث حذيفة أخرجه البزار من رواية القاسم بن مطّيب عن الأعمش عن أبي وائل عنه. انتهى

١٥٩٧ ـ أخرجه أبو يعلى (٦/ ١٥٦ ـ ١٥٧) رقم (٣٤٣٤، ٣٤٣٥) وابن حبان في المجروحين (٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) من طريق الأزور بن غالب البصري عن ثابت البناني وسليمان التيمي عن أنس مرفوعًا.
وأزور بن غالب.
قال ابن حبان: روى عن الثقات ما لا يتابع عليه ومحمد بن حرب شيخ أبي يعلى.
ضعفه ابن حبان والعقيلي.
قال الحافظ:
أخرجه أبو يعلى والبيهقي في الشعب وابن عدي وابن حبان من رواية أزور بن غالب عن سليمان التيمي عن ثابت عن أنس والأزور. قال الدارقطني: متروك. رواه أبو يعلى من رواية المعتمر بن نافع عن عبدالله العمري عن ثابت حدثني أنس، وأخرجه البخاري وفي التاريخ في ترجمة المعتمرة. وأخرجه الدارقطني في الأفراد من رواية عبدالواحد بن زيد بن ثابت. انتهى

١٥٩٨ ـ روى عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٢٦٩) رقم (٥٥٩٥) عن ابن جريج عن رجل عن ابن شهاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بريء من فتنة القبر أو قال: وقي فتنة القبر وكتب شهيدًا».
وروى أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٥٥) من حديث جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة عليه طابع الشهداء».
وروى الترمذي (٣/ ٣٧٧) كتاب الجنائز: باب ما جاء فيمن مات يوم الجمعة الحديث (١٠٧٤) عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر». وهو منقطع قال الترمذي: وهذا حديث ليس إسناده بمتصل.
قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢٠).
وصله الطبراني في معجمه فرواه من حديث ربيعة بن سيف عن عياض بن عقبة الفهري عن عبد الله بن عمرو... فذكره. وكذلك رواه أبو يعلى ا.هـ.
قلت: وروى أبو يعلى (٧/ ١٤٦) رقم (٤١١٣) من حديث أنس مرفوعاً «من مات يوم الجمعة وفي عذاب القبر» ا.هـ.
قال الحافظ قال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن رجل عن ابن شهاب أن النبي ﷺ قال: «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقي فتنة القبر وكتب له أجر شهيد» وقال أبو مرة في السنن: ذكر ابن جريج أخبرني سفيان عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً مثله. ومن طريق ربيعة أخرجه الترمذي ولم يذكر الشهادة وقال: غريب وليس لربيعة سماع من عبد الله بن عمرو انتهى.
وقد وصله الطبراني وأبو يعلى من حديث ربيعة عن عياض بن عقبة الفهري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وله طريق أخرى أخرجها أحمد وإسحاق والطبراني من رواية بقية: حدثني معاوية عن سعيد سمعت أبا قبيل سمعت عبد الله بن عمرو نحوه. ورواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة ابن المنكدر من طريق عمر بن موسى بن الوحية عن جابر، بلفظ «من مات يوم الجمعة أو ليلة =

الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد[1] بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب، يكتبون الأوّل فالأوّل على مراتبهم» (١٥٩٩) وكانت الطرقات في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرج. وقيل: أوّل بدعة أحدثت في الإسلام: ترك البكور إلى الجمعة. وعن ابن مسعود: أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه، فاغتم وأخذ يعاتب نفسه يقول: أراك رابع أربعة وما رابع أربعة بسعيد (١٦٠٠). ولا تقام الجمعة

= الجمعة أجير من عذاب القبر، وجاء يوم القيامة عليه طابع الشهداء». انتهى.

١٥٩٩ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٨): كتاب بدء الخلق: باب ذكر الملائكة، الحديث (٣٢١١).
ومسلم (٣/ ٤٠٨): كتاب الجمعة: باب فضل التهجير يوم الجمعة، الحديث (٨٥٠).
والنسائي (٣/ ٩٨) في الجمعة: باب التبكير إلى الجمعة، وابن ماجه (١/ ٣٤٧): كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء في التهجير إلى الجمعة، الحديث (١٠٩٢).
والدارمي (١/ ٣٦٣): كتاب الصلاة: باب فضل التهجير إلى الجمعة وأحمد (٢/ ٢٣٩، ٢٥٩، ٢٨٠).
وعبد الرزاق في المصنف (٣/ ٢٥٧) رقم (٥٥٦٢) والطيالسي (١/ ١٤٣) رقم (٦٨٦).
وأبو يعلى (١١/ ٢٠) رقم (٦١٥٩).
قال الحافظ:
أخرجه ابن مردويه من طريق عمرو بن سمرة عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة عن علي وإسناده ضعيف جدًا. وهو في الصحيح من حديث أبي هريرة دون قوله بأيديهم صحاف من فضة وأقلام من ذهب». انتهى

١٦٠٠ ـ رواه ابن ماجه (١/ ٣٤٨): كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء في التهجير إلى الجمعة، الحديث (١٠٩٤).
قال البوصيري في المصباح (١/ ٣٦٤):
«هذا إسناد فيه مقال: عبد المجيد هذا هو ابن عبد العزيز بن أبي رواد وإن أخرج له مسلم في صحيحه فإنما أخرج له مقرونًا بغيره فقد كان شديد الأرجاء داعية إليه لكن وثقه الجمهور وأحمد وابن معين وأبو داود والنسائي ولينه أبو حاتم وضعفه ابن حبان وباقي رجال الإسناد ثقات فالإسناد حسن» ا. هـ.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢٢) للطبراني في معجمه والبزار في مسنده والبيهقي في الشعب.
قال الحافظ:
أخرجه ابن ماجه والبزار من رواية الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال «خرجت مع عبدالله بن مسعود إلى الجمعة، فوجد ثلاثة قد سبقوه ـ فذكره. وليس فيه فاغتم وأخذ يعاتب نفسه. وزاد «إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس يجلسون من الله يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجمعات» واختلفا في الراوي عن الأعمش مع اتفاقهما على أنه من رواية عبدالمجيد =

---

(١) قوله: «على أبواب المسجد» لعله «المساجد». وفي الخازن: إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المساجد ملائكة يكتبون... إلخ».

عند أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ إلا في مصر جامع، لقوله ـ عليه السلام ـ: «لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا في مصر جامع» والمصر الجامع (١٦٠١): ما أقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الأحكام، ومن شروطها الإمام أو من يقوم مقامه، لقوله ـ عليه السلام ـ: «فمن/ ٢/ ٢٢١ب تركها وله إمام عادل أو جائر... الحديث» (١٦٠٢)

= بن إبي داود. ففي ابن ماجه بينهما معمر وفي البزار بينهما مروان بن سالم. وذكره ابن أبي حاتم في العلل روى عن عبدالمجيد عن الثوري عن الأعمش. وهذا لا يصح عند الثوري. انتهى

١٦٠١ ـ قال الزيلعي (٤/ ٢٣):

غريب

قال الحافظ:

لم أره مرفوعًا ورواه ابن أبي شيبة عن علي. وإسناده ضعيف. انتهى

١٦٠٢ ـ روي من حديث جابر وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

حديث جابر:

رواه ابن ماجه (١/ ٣٤٣): كتاب إقامة الصلاة: باب فرض الجمعة، الحديث (١٠٨١) عن جابر قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا... واعلموا أن الله قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا في يومي هذا في شهري هذا من عامي هذا إلى يوم القيامة فمن تركها في حياتي أو بعدي وله إمام عادل أو جائر... الحديث».

وابن عدي في الكامل (٤/١٤٩٨) والبيهقي (٢/ ٩٠، ١٧١).

وأما حديث أبي هريرة: فرواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/٤٥٦) رقم (٧٨١) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الجمعة في ساعتكم هذه وفي يومكم هذا... الحديث.

وابن حبان في الضعفاء (١/ ٢٧٣).

وأما حديث أبي سعيد: فرواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣) وقال الهيثمي:

«وفيه موسى بن عطية الباهلي ولم أجد من ترجمه وبقية رجاله ثقات» ا. هـ..

قال الحافظ:

أخرجه ابن ماجه من رواية عبدالله بن محمد العدوي عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن جابر قال «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ـ الحديث بطوله» وفيه هذا وغيره أخرجه ابن عدي. وروي عن وكيع أن العدوى كان يضع الحديث. وله طريق أخرى عند أبي يعلى من رواية فضيل بن مرزوق: أخبرني الوليد بن بكير عن نمر بن علي عن سعيد بن المسيب. وفي إسناده نظر. فقال: رواه الطبراني في الأوسط من رواية موسى بن عطية الباهلي عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد. وقال: تفرد به يحيى ابن حبيب عن موسى بن عطية. وقال: رواه أسد بن موسى وعبد الله بن صالح العجلي عن فضيل ابن مرزوق عن الوليد بن بكير عن عبدالله بن محمد العدوي عن علي بن زيد عن سعيد عن جابر.

قلت: فرجعت الرواية الأخرى إلى العدوي وقال ابن حبان في الضعفاء: أخبرنا ابن خزيمة حدثنا محمد بن عبدالرحمن بن غزوان حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد، وقال محمد بن عبدالرحمن يروي العجائب. ورواه في الضعفاء أيضًا من طريق خالد بن عبد الدائم حدثنا نافع بن =

وقوله ﷺ: «أربع إلى الولاة: الفيء، والصدقات، والحدود، والجمعات» (١٦٠٣). فإن أمّ رجل بغير إذن الإمام أو من ولاه من قاض أو صاحب شرطة: لم يجز؛ فإن لم يكن الاستئذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم: جاز، وهي تنعقد بثلاثة سوى الإمام. وعند الشافعي بأربعين. ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى، ولا على الأعمى عند أبي حنيفة، ولا على الشيخ الذي لا يمشي إلا بقائد. وقرأ عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم: «فامضوا». وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رجلاً يقرأ: «فاسعوا». فقال: من أقرأك هذا؟ قال أبيّ بن كعب، فقال: لا يزال يقرأ بالمنسوخ، لو كانت ﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾ لسعيت حتى يسقط ردائي. وقيل: المراد بالسعي القصد دون العدو، والسعي: التصرف في كل عمل. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ [النجم: ٣٩] وعن الحسن: ليس السعي على الأقدام، ولكنه على النيات والقلوب. وذكر محمد بن الحسن ـ رحمه الله ـ في موطئه: أن عمر سمع الإقامة وهو بالبقيع فأسرع المشي. قال محمد: وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه ﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ إلى الخطبة والصلاة، ولتسمية الله الخطبة ذكرًا له قال أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: إن اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكرًا كقوله: الحمد لله، سبحان الله: جاز[(١)]. وعن عثمان أنه صعد المنبر فقال: الحمد لله وأرتج عليه، فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً، وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوّال، وستأتيكم[(٢)]

= زيد عن زهرة بن معبد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وأعله بخالد بن عبد الدايم. وقال الدارقطني في العلل: اختلف زهرة وعلي في صحته، وكلاهما غير ثابت. انتهى

١٦٠٣ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢٥) غريب ورفعه صاحب الهداية كما رفعه المصنف وهو في غالب كتب الفقه موقوف على ابن عمر» ا. هـ. وقال الحافظ: لم أره مرفوعًا.

---

(١) قال محمود: «استدل بذلك على مذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ. . . إلخ» قال أحمد: ولا دليل فيه؛ فإن العرب تسمي الشيء باسم بعض ما يشتمل عليه، كما سميت الصلاة مرة قرآنًا ومرة سجودًا ومرة ركوعًا؛ لأنها مشتملة على ذلك؛ فكذلك الخطبة لما كانت مشتملة على ذكر الله سميت به، ولا يلزم أن يكون كذلك كل ما اشتملت عليه. لا سيما والمسمى خطبة عند العرب لا بد وأن يزيد على القدر الذي اكتفى به أبو حنيفة. قال بعض أصحاب مالك ـ رحمه الله ـ: أقلها حمد الله والصلاة على نبيه وتحذير وتبشير وقرآن.

(٢) أتبع الزمخشري الاستدلال على مذهب أبي حنيفة بالآية، بأثر عن عثمان: وهوأنه صعد المنبر فقال إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال، وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه أحد» قال أحمد: ساءه بلا اشتباه، فإن عثمان لم يصدر ذلك منه في خطبة الجمعة، وإنما كان ذلك في ابتداء خلافته وصعوده المنبر للبيعة، وكانت عادة العرب الخطب في المهمات. ألا ترى إلى قوله: وستأتيكم بعد ذلك =

الخطب، ثم نزل، وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه أحد. وعند صاحبيه والشافعي: لا بد من كلام يسمى خطبة. فإن قلت: كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله؟[1] قلت: ما كان من ذكر رسول الله ﷺ والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله، فأمّا ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم، وهم أحقاء بعكس ذلك؛ فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل، وإذا قال المنصت للخطبة لصاحبه «صه» فقد لغا، أفلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيًا، نعوذ بالله من غربة الإسلام ونكد الأيام. أراد الأمر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا، وإنما خص البيع من بينها لأن يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم، وينصبون إلى المصر من كل أوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الأسواق بهم إذا انتفخ النهار[2] وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة، وحينئذٍ تحرّ التجارة ويتكاثر البيع والشراء، فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي إلى المسجد، قيل لهم: بادروا تجارة الآخرة، واتركوا تجارة الدنيا، واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ الذي نفعه يسير وربحه مقارب. فإن قلت: فإذا كان البيع في هذا الوقت مأمورًا بتركه محرمًا، فهل هو فاسد؟ قلت: عامّة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع. قالوا: لأنّ البيع لم يحرم لعينه، ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب، فهو كالصلاة في الأرض المغصوبة والثوب المغصوب، والوضوء بماء مغصوب، وعن بعض الناس: أنه فاسد. ثم أطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء الربح، مع التوصية بإكثار الذكر، وأن لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه، وأن تكون هممهم في جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة به لا ينفضون عنه، لأنّ فلاحهم فيه وفوزهم منوط به، وعن ابن عباس: لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا، إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ في الله، وعن الحسن وسعيد بن المسيب: طلب العلم، وقيل: صلاة التطوّع: وعن بعض السلف أنه

= الخطب؛ فإن ذلك يحقق أن مقالته هذه ليست بخطبة، ولو كان في الجمعة لكان تاركًا للخطبة بالكلية، وهي منقولة في التاريخ أنه ارتج عليه فقال: سيجعل الله بعد عسر يسرًا وبعد عي بيانًا. وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال، وستأتيكم الخطب.

(١) قال محمود: «إن قلت: كيف فسر ذكر الله بالخطبة وفيه ذكر غير الله، وأجاب بأن ذكر رسول الله والصحابة والخلفاء الراشدين. . . إلخ» قال أحمد: الدعاء للسلطان الواجب الطاعة مشروع بكل حال. وقد نقل عن بعض السلف أنه دعا لسلطان ظالم فقيل له: أتدعو له وهو ظالم؟ فقال: إي والله أدعو له إن ما يدفع الله ببقائه أعظم مما يندفع بزواله؛ لا سيما إذا ضمن ذلك الدعاء بصلاحه وسداده وتوفيقه، والله الموفق.

(٢) قوله: «إذا انتفخ النهار» أي علا. وقوله: «تحر» أي تعطش أو يشتد حرها. أفاده الصحاح. (ع)

كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من أمور الدنيا نظرًا في هذه الآية.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)﴾

روي: أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد، فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة؛ فقاموا إليه، خشوا أن يسبقوا إليه، فما بقي معه إلا يسير. قيل: ثمانية، وأحد عشر، واثنا عشر، وأربعون، فقال ـ عليه السلام ـ: «والذي نفس محمد بيده، لو خرجوا جميعًا لأضرم الله عليهم الوادي نارًا» وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق (١٦٠٤)، فهو المراد باللهو، وعن قتادة: فعلوا

١٦٠٤ ـ أخرجه البخاري (٣/ ٩٠): كتاب الجمعة: باب إذا نفر الناس عن الإمام، الحديث (٩٣٦) وأطرافه في (٢٠٥٨، ٢٠٦٤، ٤٨٩٩).
ومسلم (٣/ ٤١٥) كتاب الجمعة: باب قوله تعالى: «وإذا رأوا تجارة» الحديث (٨٦٣).
والترمذي (٥/ ٤١٤): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الجمعة، الحديث (٣٣١١)، وأحمد (٣/ ٣٧٠).
وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٩٨) رقم (٦٨٧٦، ٦٨٧٧) والبيهقي في السنن (٣/ ١٩٧).
والواحدي في أسباب النزول (ص ٤٤٨) رقم (٨١٩، ٨٢٠)
وابن الجارود في المنتقى رقم (٢٩٢).
وأبو يعلى في مسنده رقم (١٨٨٨).
قال الحافظ:
هكذا ذكره الواحدي عن المفسرين. وذكره الثعلبي ثم البغوي عن الحسن بغير إسناد.. ولفظ الحسن أخرجه عبد الرزاق عن معمر عنه قال «أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر. فقدمت عير والنبي صلى الله عليه وسلم قائم يخطب يوم الجمعة فسمعوا بها وخرجوا إليها والنبي صلى الله عليه وسلم قائم يخطب كما هو، فأنزل الله تعالى ﴿وتركوك قائمًا﴾ فقال: لو اتبع آخرهم أولهم لالتهب الوادي عليهم نارًا: وفي رواية أبي سفيان الآتية عند ابن حبان نحوه قال «والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال الوادي عليكم نارًا: «نزلت هذه الآية» وتعيين دحية في قوله «خشوا أن يسبقوا إليه» رواه الطبري مختصرًا من رواية السدي عن ابن مالك قال: قدم دحية بن خليفة بتجارة زينب من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة. فلما رأوه قاموا خشية أن يسبقوا إليه فنزلت (وإذا رأوا تجارة ـ الآية) وروى البزار من طريق عكرمة عن ابن عباس قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فجاء دحية يبيع سلعة فما بقي في المسجد أحد إلا خرج ـ إلا نفر ـ والنبي صلى الله عليه وسلم قائم فنزلت. وأصل هذه القصة في الصحيحين من رواية حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قائمًا يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس حتى لم يبق إلا اثني عشر رجلًا فأنزلت». وفي لفظ مسلم «منهم أبو بكر وعمر» وفي رواية له «أنا فيهم» وفي رواية البخاري «بينما نحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت عير» قال البيهقي: المراد بقوله نصلي أي =

ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير. فإن قلت: فإن اتفق تفرق/ ٢/ ٢٢٢أ الناس عن الإمام في صلاة الجمعة كيف يصنع؟ قلت: إن بقي وحده أو مع أقل من ثلاثة، فعند أبي حنيفة: يستأنف الظهر إذا نفروا عنه قبل الركوع. وعند صاحبيه: إذا كبر وهم معه مضى فيها. وعند زفر: إذا نفروا قبل التشهد بطلت. فإن قلت: كيف قال: ﴿إليها﴾ وقد ذكر شيئين؟ قلت: تقديره إذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهوا انفضوا إليه؛ فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه، وكذلك قراءة من قرأ: «انفضوا إليه». وقراءة من قرأ: «لهوا أو تجارة انفضوا إليها» وقرئ: «إليهما».

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الجمعة أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في أمصار المسلمين» (١٦٠٥).

= نسمع الخطبة، جمعًا بين الروايتين انتهى.
وقد أخرجه ابن حبان من رواية أبي سفيان عن جابر كذلك. ولفظه «بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة. فقدمت عير من الشام إلى المدينة فابتدرها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق معه إلا اثني عشر رجلاً ـ الحديث» ويزيده حديث كعب بن عجرة عند مسلم «أنه أنكر على عبدالرحمن بن أم الحكم أن يخطب قاعدًا. فقال: انظروا إلى هذا يخطب قاعدًا. والله يقول: «وتركوك قائمًا» ويدل أيضًا على أنه كان في الخطبة ما رواه أبو داود في المراسيل من رواية بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة حتى إذا كان ذات يوم وهو يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال: إن دحية قد قدم. وكان إذا قدم تلقوه بالدفاف فخرج الناس، لم يظنوا إلا أنه ليس في ترك الخطبة شيء فأنزل الله الآية. فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة «وأخر الصلاة» (تنبيه) لم أقف على رواية أنهم كانوا ثمانية ولا أحد عشر، وأما رواية اثنى عشر فهي المشهورة الصحيحة. ورواية الأربعين أخرجها الدارقطني من طريق علي بن عاصم عن حصين: وقال: لم يقل أحد من أصحاب حصين أربعون إلا علي بن عاصم. والكل قالوا: اثنى عشر رجلاً. وكذلك قال أبو سفيان عن جابر كما تقدم عند ابن حبان. انتهى.

١٦٠٥ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه. انتهى

سورة المنافقون

مدنية، وهي إحدى عشرة آية [نزلت بعد الحج]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٣﴾

أرادوا بقولهم: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم[1]. فقال الله ـ عزّ وجلّ ـ: قالوا ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ أن الأمر كما يدل عليه قولهم: إنك لرسول الله، والله يشهد أنهم لكاذبون في قولهم: نشهد؛ وادعائهم فيه المواطأة. أو إنهم لكاذبون فيه، لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة؛ فهم كاذبون في تسميته شهادة. أو أراد: والله يشهد إنهم لكاذبون عند أنفسهم، لأنهم كانوا يعتقدون أنّ قولهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه. فإن قلت: أي فائدة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾؟ قلت: لو قال: قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم الكاذبون، لكان يوهم أنّ قولهم هذا كذب؛ فوسط بينهما قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾؟ ليميط هذا الإيهام ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ يجوز أن يراد أنّ قولهم نشهد إنك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة، لأنّ الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد، يقول الرجل: أشهد وأشهد بالله، وأعزم وأعزم بالله في موضع أقسم وأولى. وبه استشهد

---

(١) قال محمود: «إنما كذبهم لأنهم ادعوا أن شهادتهم بألسنتهم تواطئ لقلوبهم. . . إلخ» قال أحمد: ومثل هذا من نمطه المليح قوله: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ وقد كان المطابق لقوله: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ أن يقال لهم: لا تقولوا آمنا، ولكنه لما كان موهمًا للنهي عن قول الإيمان عدل عنه على ما فيه من الطباق إلى ما سلم الكلام فيه من الوهم، وذلك أجل وأعظم من فائدة المطابقة، لا سيما في مخاطبة هؤلاء الذين كانوا يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة. ألا تراهم كيف غالطوا أنفسهم متغابين، ولبسوا على ضعفهم متجاهلين عندما أنزل قوله: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾.

أبو حنيفة رحمه الله على أن «أشهد» يمين[1]. ويجوز أن يكون وصفًا للمنافقين في استجنانهم بالأيمان. وقرأ الحسن البصري: إيمانهم، أي: ما أظهروه من الإيمان بألسنتهم. ويعضده قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾. ﴿سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله. وفي ﴿سَآءَ﴾ معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا بسبب ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالأيمان، أي: ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فجسروا على كل عظيمة. فإن قلت: المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم[2]، فما معنى قوله: ﴿ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾؟ قلت: فيه ثلاثة أوجه، أحدها: آمنوا، أي: نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام، ثم كفروا: ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما أطلع عليه من قولهم: إن كان ما يقوله محمد حقًا فنحن حمير، وقولهم في غزوة تبوك: أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات. ونحوه قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] أي: وظهر كفرهم بعد أن أسلموا. ونحوه قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦] والثاني آمنوا: أي نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] والثالث: أن يراد أهل الردة منهم. وقرئ: «فطبع

---

(١) قال محمود: «استدل لأبي حنيفة على أن قول القائل «أشهد» يمين بقوله: (اتخذوا أيمانهم جنة) ولم يصدر منهم إلا قولهم ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ فجعله يمينًا» قال أحمد: أحد القولين عند مالك ـ رحمه الله ـ إذا قال أشهد وأحلف وأقسم ولم ينو بالله ولا بغيره، كما نقل عن أبي حنيفة أنه يمين وليس بالمشهور. أما لو نوى بالله وإن لم يتلفظ فيمين بلا إشكال، وليس فيما ذكره دليل على ما ذكره، فإن قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ غايته أن ما ذكروه يسمى يمينًا، وليس الخلاف في تسميته يمينًا؛ وإنما الخلاف هل يكون يمينًا منعقدة يلزم بالحنث فيها كفارة أم لا؟ وليس كل ما يسمى حلفًا أو قسمًا يوجب حكمًا، ألا ترى أنه لو قال: «أحلف» ولم يقل «بالله» ولا بغيره، فهو من محال الخلاف في وجوب الكفارة به. وإن كان حلفًا لغة باتفاق، لأنه فعل مشتق منه.

(٢) قال محمود: «المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم. . . إلخ» قال أحمد: ويحتمل وجهًا رابعًا وهو أنهم آمنوا به قبل مبعثه على الصفة المذكورة في التوراة، لأنهم كانوا يسمعونها من جيرانهم اليهود، ثم كفروا به بعد مبعثه وموافقة الصفة، ولعل في المنافقين يهودًا، وإن لم يكن فقد كان الإيمان قبل مبعثه من الفريقين: اليهود وعبدة الأوثان من العرب، إلى نزول قوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ كيف حكى الله تعالى عن الفريقين ما كانوا يقولونه. والبينة: النبي ﷺ.

على قلوبهم»، وقرأ زيد بن علي: «فطبع الله».

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)﴾

كان عبد الله بن أبيّ رجلاً جسيمًا صبيحًا، فصيحًا، ذلق اللسان[(١)] وقوم من المنافقين في مثل صفته، وهم رؤساء المدينة، وكانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيستندون فيه، ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن[(٢)]؛ فكان النبي ﷺ ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾؟ قلت: شبهوا في استنادهم ـ وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير ـ بالخشب المسندة إلى الحائط؛ ولأنّ الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكًا فارغًا غير/٢/٢٢٢ب منتفع به أسند إلى الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع. ويجوز أن يراد بالخشب المسندة: الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان؛ شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم؛ والخطاب في ﴿رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ﴾ لرسول الله، أو لكل من يخاطب. وقرئ: «يُسمع» على البناء للمفعول، وموضع ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ﴾ رفع على: هم كأنهم خشب. أو هو كلام مستأنف لا محل له. وقرئ: «خشب» جمع خشبة، كبدنة وبدن. وخشب، كثمرة وثمر. وخشب، كمدرة ومدر، وهي في قراءة ابن عباس. وعن اليزيدي أنه قال في ﴿خُشُبٌ﴾: جمع خشباء، والخشباء: الخشبة التي دعر جوفها[(٣)]: شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ثاني مفعولي يحسبون[(٤)]، أي: يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم، لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب، إذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة، ظنوه إيقاعًا بهم. وقيل: كانوا

---

(١) قوله: «فصيحًا ذلق اللسان» أي طلق اللسان، كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «كانوا يجالسون رسول الله ﷺ ويستندون في المجلس ولهم جهارة المناظرة وفصاحة الألسن... إلخ» قال أحمد: وفيما قال اليزيدي نظر من حيث مقتضى العربية، وإلا فهو متمكن المعنى، وذلك أنها قرئت بضم الشين وسكونها قراءتين مستفيضتين، ففيه دليل أن أصلها الضم، والسكون إنما هو طارئ عليه تخفيفًا، وهذا يبعد كونها جمع خشباء على وزن فعلاء؛ لأن قياس جمعه فعل بسكون العين كحمراء وحمر، ولا يطرأ الضم. فلو كان كما قال لم تضم شينها، والله تعالى أعلم.

(٣) قوله: «التي دعر جوفها» أي فسد. أفاده الصحاح. (ع)

(٤) قال محمود: «المفعول الثاني (عليهم) تقديره: واقعة عليهم... إلخ» قال أحمد: وغلا المتنبي في المعنى فقال [من البسيط]:

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم ... إذا رأى غير شيء ظنه رجلا.

على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم. ومنه أخذ الأخطل [من الكامل]:

مَا زِلْتَ تَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلاً تَكِرُّ عَلَيْهِمُ وَرِجَالاً[1]

يوقف على ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ويبتدأ ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ أي الكاملون في العداوة: لأنّ أعدى الأعداء العدوّ المداجي[2]، الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي ﴿فَٱحْذَرْهُمْ﴾ ولا تغترر بظاهرهم. ويجوز أن يكون ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ المفعول الثاني، كما لو طرحت الضمير. فإن قلت: فحقه أن يقال: هي العدوّ. قلت: منظور فيه إلى الخبر، كما ذكر في ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦] وأن يقدر مضاف محذوف على: يحسبون كل أهل صيحة ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاء عليهم، وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم. أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يعدلون عن الحق تعجبًا من جهلهم[3] وضلالتهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦﴾

﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ عطفوها وأمالوها إعراضًا عن ذلك واستكبارًا. وقرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الاستغفار وعدمه، لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم. أو لأن الله لا يغفر لهم. وقرئ: «استغفرت» على حذف حرف الاستفهام؛ لأنّ «أم» المعادلة تدل عليه. وقرأ أبو جعفر «آستغفرت»، إشباعًا لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان، لا قلبا لهمزة الوصل ألفًا، كما في: آلسحر، وآلله.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

---

(١) للأخطل، يقول: لا زلت يا جرير تظن كل شيء بعدهم، أي: بعد خذلان قومك. ويجوز أن بعدهم بمعنى غيرهم، خيلًا تكر: أي ترجع بسرعة عليهم ورجالاً لكثرة ما قام بقلبك من الخوف.

(٢) قوله: «العدو المداجي الذي يكاشرك» أي المداري. والكشر: التبسم تبدو منه الأسنان. والدوي ـ مقصور ـ المرض، تقول: دوى الرجل ـ بالكسر ـ: مرض ودوى صدره أيضًا: ضغن. ودويّ الريح: حفيفها، كذا في الصحاح. (ع)

(٣) قوله: «تعجبًا من جهلهم» لعله تعجب، بل لعله: تعجيب. (ع)

روي: أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم: ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه، وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبيّ، واقتتلا، فصرخ جهجاه: يا للمهاجرين: وسنان: يا للأنصار؛ فأعان جهجاها جعَّال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا. فقال عبد الله لجعال. وأنت هناك، وقال: ما صحبنا محمدًا إلا لنلطم، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل، عنى بالأعز: نفسه، وبالأذل، رسول الله ﷺ، ثم قال لقومه: ماذا فعلتم بأنفسكم؟ أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم؛ أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولأوشكوا أن يتحوّلوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد، فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث، فقال: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك، ومحمد في عزّ من الرحمٰن وقوّة من المسلمين، فقال عبد الله: اسكت فإنما كنت ألعب؛ فأخبر زيد رسول الله فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله، فقال: إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب. قال: فإن كرهت أن يقتله مهاجري. فأمر به أنصاريًا فقال: فكيف إذا تحدّث الناس أنّ محمدًا يقتل أصحابه؛ وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ لعبد الله: أنت صاحب الكلام الذي بلغني؟ قال: والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئًا من ذلك، وإن زيدًا لكاذب، وهو قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢] فقال الحاضرون: يا رسول الله: شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام، عسى أن يكون قد وهم. وروي أن رسول الله قال له: لعلك غضبت عليه؛ قال: لا؛ قال: فلعله أخطأ سمعك؛ قال: لا؛ قال: فلعله شبه عليك؛ قال: لا. فلما نزلت: لحق رسول الله زيدًا من خلفه فعرك أذنه وقال: وفت أذنك يا غلام، إنّ الله قد صدقك وكذب المنافقين (١٦٠٦). ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة: اعترضه ابنه حباب، وهو عبد الله بن

١٦٠٦ ـ قال الحافظ:

(١) هكذا ذكره الواقدي في المغازي بغير إسناد وعزاه إلى الثعلبي والواحدي ولأصحاب السير، وأخرجه ابن إسحاق في السيرة: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، وعبدالله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق ـ فذكر الغزوة بطولها والقصة المذكورة باختلاف يسير. وكذا أخرجه الطبري من طريقه وأصل القصة في الصحيحين من طريق أبي إسحاق عن زيد بن أرقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي يقول ـ الحديث ـ وأوله عندهما أيضًا من طريق عمرو بن دينار عن جابر قال «كنا في غزوة بني المصطلق فتبع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار» ورواه الترمذي والنسائي والحاكم من طريق أبي سعد الأودي حدثنا زيد بن أرقم قال «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقوننا فسبق أعرابي. فملأ الحوض» فذكر القصة بطولها. وفي سياقها اختلاف. انتهى

عبد الله غير رسول الله اسمه، وقال له إنّ حبابًا اسم شيطان. وكان مخلصًا وقال: وراءك، والله؛ لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الأذل، فلم يزل حبيسًا في يده حتى أمره رسول الله بتخليته (١٦٠٧). وروي أنه قال له: لئن لم تقرّ لله ورسوله بالعز لأضربن عنقك، فقال: ويحك، أفاعل أنت؟ قال: نعم. فلما رأى منه الجدّ قال: أشهد أنّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فقال رسول الله لابنه: «جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرًا»؛ فلما بان كذب عبد الله قيل له: قد نزلت فيك آي شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوىٰ رأسه ثم قال: أمرتموني/ ٢/ ٢٢٣أ أن أومن فآمنت، وأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد، فنزلت: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٥] ولم يلبث إلا أيامًا قلائل حتى اشتكى ومات (١٦٠٨).

١٦٠٧ ـ قال الحافظ: هكذا. ذكره الثعلبي موصولاً بالذي قبله وروى الزبيدي من طريق عمرو بن دينار عن جابر أصل القصة وقال بعد عمر: دعني أضرب عنقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يتحدث الناس أن «محمدًا» يقتل أصحابه قال: وقال غير عمر قال له ابنه عبدالله بن عبد الله «والله لا تنفلت حتى تقول إنك الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل وأصل حديث جابر في الصحيح. انتهى

١٦٠٨ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٣٥):
المصنف رحمه الله فرق هذا الحديث في طول السورة وجمعته؛ لأنه حديث واحد، وذكره الثعلبي بتمامه، وعزاه لأصحاب السير، وكذلك الواحدي في أسباب النزول. ا. هـ.
والحديث أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص (٤٥٠ ـ ٤٥١ ـ ٤٥٢ ـ ٤٥٣) رقم (٨٢١)، وابن هشام في سيرته (٣/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) رقم (١٤٧٢) والطبري في تفسيره (١٢/ ١٠٨) رقم (٣٤١٧٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة»: (٤/ ٤٦ ـ ٥٢ ـ ٥٣) كلهم من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عاصم ابن عمرو بن قتادة وعبدالله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق، قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له. . . فذكره.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٤٥) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. ورُوي الحديث مختصرًا في الصحيحين وغيرهما:
فأخرجه البخاري (٩/ ٦٣٧): كتاب التفسير: سورة المنافقين: باب قوله ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾، حديث (٤٩٠٠) وأطرافه في (٤٩٠١ ـ ٤٩٠٢ ـ ٤٩٠٣)، ومسلم (٩/ ١٣٣ ـ النووي): كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث (١/ ٢٧٧٢) والترمذي (٥/ ٤١٥): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة المنافقين، حديث (٣٣١٢)، والنسائي في التفسير (٢/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧) كلهم وأحمد (٤/ ٣٧٣) والطبراني (٥/ ١٨٩) رقم (٥٠٥٠ ـ ٥٠٥١) من طريق عمرو بن عبدالله أبي إسحاق السبيعي عن زيد بن أرقم به. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». ا. هـ. وله طريق آخر:
أخرجه الترمذي (٥/ ٤١٥ ـ ٤١٦): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة المنافقين، حديث (٣٣١٣) من طريق السُّدِّيّ عن أبي سعيد الأسدي عن زيد بن أرقم به.
وقال: هذا حديث حسن صحيح. أ. هـ. وللحديث شاهد من حديث جابر بن عبد الله: أخرجه البخاري (٩/ ٦٤٨): كتاب التفسير: سورة المنافقين: باب قوله تعالى: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة =

﴿يَنفَضُّواْ﴾ يتفرقوا. وقرئ: «ينفضوا» من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم. وحقيقته: حان لهم أن ينفضوا مزاودهم ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وبيده الأرزاق والقسم، وهو رازقهم منها؛ وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم، ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان. وقرئ: «ليخرجنّ الأعز منها الأذل» بفتح الياء. وليخرجنّ، على البناء للمفعول. قرأ الحسن وابن أبي عبلة: لنخرجنّ، بالنون ونسب الأعز والأذل. ومعناه: خروج الأذل. أو إخراج الأذل. أو مثل الأذل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ الغلبة والقوّة، ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين، وهم الأخصاء بذلك، كما أنّ المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين. وعن بعض الصالحات ـ وكانت في هيئة رثة ـ ألست على الإسلام؟ وهو العز الذي لا ذل معه، والغنى الذي لا فقر معه. وعن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ : أنّ رجلًا قال له: إنّ الناس يزعمون أنّ فيك تيهًا؛ قال: ليس بتيه، ولكنه عزة، وتلا هذه الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ لا تشغلكم ﴿أَمْوَٰلُكُمْ﴾ والتصرف فيها، والسعي في تدبير أمرها: والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال، وابتغاء النتاج والتلذذ بها؛ والاستمتاع بمنافعها ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ وسروركم بهم، وشفقتكم عليهم، والقيام بمؤنهم، وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم، وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد،

= ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾، حديث (٤٩٠٧)، ومسلم (٨/ ٣٨٢ ـ النووي): كتاب البر والصلة والآداب: باب نصر الأخ ظالمًا ومظلومًا، حديث (٦٤/ ٥٨٤).

كلاهما عن طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عمرو بن دينار عن جابر به.

وله طريق آخر:

أخرجه مسلم (٨/ ٣٨١ ـ ٣٨٢ ـ النووي): كتاب البر والصلة والآداب: باب نصر الأخ ظالمًا ومظلومًا، حديث (٦٣/ ٥٨٤) والترمذي(٥/ ٤١٧ ـ ٤١٨): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة المنافقين، حديث (٣٣١٥). والنسائي في التفسير (٢/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨) رقم (٦١٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩/ ٤٦٨) رقم (١٨٠٤١) و«البيهقي في السنن الكبرى» (٦/ ٣٢)، وفي «دلائل النبوة» (٤/ ٥٣ ـ ٥٤).

كلها من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر به.

قال الحافظ:

ذكره الثعلبي موصولاً بالذي قبله. وأخرجه الطبري من رواية إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن بشر بن مسلم «أنه قيل لعبدالله بن أبي: يا أبا الحباب: إنه أنزل آي شداد، فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فذكره أخصر منه. انتهى.

وأنه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وإيثاره عليها ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ يريد الشغل بالدنيا عن الدين ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني. وقيل: ذكر الله الصلوات الخمس. وعن الحسن: جميع الفرائض، كأنه قال: عن طاعة الله. وقيل: القرآن. وعن الكلبي: الجهاد مع رسول الله ﷺ.

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿مِن﴾ في ﴿مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ للتبعيض، والمراد: الإنفاق الواجب ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ من قبل أن يرى دلائل الموت، ويعاين ما ييأس معه من الإمهال، ويضيق به الخناق، ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول، فيتحسر على المنع، ويعضّ أنامله على فقد ما كان متمكنًا منه. عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: تصدّقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت، فلا تقبل توبة، ولا ينفع عمل. وعنه: ما يمنع أحدكم إذا كان له مال أن يزكي، وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت، فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها. وعنه: أنها نزلت في مانعي الزكاة، ووالله لو رأى خيرًا لما سأل الرجعة، فقيل له: أما تتقي الله، يسأل المؤمنون الكرة؟ قال: نعم، أنا أقرأ عليكم به قرآنا، يعني: أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها، وكذا عن الحسن: ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج إلا سأل الرجعة. وعن عكرمة أنها نزلت في أهل القبلة ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾. وقرئ: «أخرتن»، يريد: هلا أخرت موتي ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلى زمان قليل ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ وقرأ أبي: فأتصدق على الأصل. وقرئ: «وأكن»، عطفًا على محل ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ كأنه قيل: إن أخرتني أصدّق وأكن. ومن قرأ: «وأكون» على النصب، فعلى اللفظ. وقرأ عبيد بن عمير: «وأكون»، على «وأنا أكون» عدة منه بالصلاح ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ﴾ نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي الحكمة. والمعنى: إنكم إذا علمتم أنّ تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه. وأنه هاجم لا محالة، وأنّ الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها، من منع واجب وغيره، لم تبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله. وقرئ: «تعملون»؛ بالتاء والياء. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق» (١٦٠٩).

١٦٠٩ ـ تقدّم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه والثعلبي والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب. انتهى

سورة التغابن

مختلف فيها، وهي ثمان عشرة آية/ ٢/ ٢٢٣ب [نزلت بعد التحريم]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله ـ عز وجل ـ، وذلك لأنّ الملك على الحقيقة له، لأنه مبتدئ كل شيء ومبدعه، والقائم به، والمهيمن عليه؛ وكذلك الحمد، لأنّ أصول النعم وفروعها منه. وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء، وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ يعني: فمنكم آت بالكفر وفاعل له(١) ومنكم آت بالإيمان (٢)وفاعل له، كقوله

---

(١) قوله: «فمنكم آت بالكفر وفاعل له» قد أول الآية بمذهب المعتزلة: من أن العبد هو الخالق لفعله الاختياري، ومذهب أهل السنة: أن العبد ليس له في فعله إلا الكسب، وخالقه في الحقيقة هو الله ـ عز وجل ـ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ خيرًا كان أو شرًا، وكما أن خلق الكافر لا يستوجب الذم كما سيقول فخلق كفره لا يستوجب الذم لأنه لحكمة وإن خفيت علينا. (ع)

(٢) قال محمود: «معناه: فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإيمان... إلخ» قال أحمد: لقد ركب عمياء وخبط خبط عشواء، واقتحم وعرًا: السالك فيه هالك، والغابر فيه عاثر؛ وإنما ينصب إلى مهاوي الأراك، ويحوم حول مراتع الإشراك؛ ويبحث ولكن على حتفه بظلفه، ويتحذق وما هو إلا يتشدق، ويتحقق وما هو إلا يتفسق؛ وهب أنه أعرض عن الأدلة العقلية والنصوص النقلية المتظافرة على أن الله تعالى خالق كل شيء، واطرد له في الشاهد ما ادعاه. ومن مذهبه قياس الغائب على الشاهد، قد التجأ إلى الاعتراف بأن الله خالق العبد الفاعل للقبيح، وأن خلق العبد الفاعل للقبيح بمثابة إعطاء السيف الباتر للرجل الفاجر، وأن هذا قبيح شاهدًا، ولا يلزم أن يكون مثله قبيحًا في خلق الله تعالى، أفلا يجوز أن يكون منطويًا على حكمة استأثر الله تعالى بعلمها، فما يؤمنه من دعوى أن أفعال العبد وإن استقبحها العقلاء مخلوقة لله تعالى، وفي خلقها حكمة استأثر =

تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [الحديد: ٢٦]، ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي عالم بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم. والمعنى: هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق والإيجاد من العدم، فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح، وتكونوا بأجمعكم عبادًا شاكرين، فما فعلتم مع تمكنكم، بل تشعبتم شعبًا، وتفرقتم أممًا؛ فمنكم كافر ومنكم مؤمن، وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم. وقيل: هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية، ومنكم مؤمن به. فإن قلت: نعم، إن العباد هم الفاعلون للكفر، ولكن قد سبق في علم الحكيم أنه إذا خلقهم لم يفعلوا إلا الكفر ولم يختاروا غيره، فما دعاه إلى خلقهم مع علمه بما يكون منهم؟ وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح إلا واحد؟ وهل مثله إلا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرّمة فقتل به مؤمنا؟ أما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته[1] كما يذمون القاتل؟ بل إنحاؤهم باللوائم على الواهب أشد؟ قلت: قد علمنا أنّ الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه، فقد علمنا أن أفعاله كلها حسنة، وخلق فاعل القبيح فعله، فوجب أن يكون حسنًا، وأن يكون له وجه حسن؛ وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه، كما لا يقدح في حسن أكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة إلى خلقها ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالغرض الصحيح والحكمة البالغة، وهو أن جعلها مقارّ المكلفين ليعملوا فيجازيهم ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ وقرئ: «صوركم» بالكسر، لتشكروا. وإليه مصيركم فجزاؤكم على الشكر والتفريط فيه. فإن قلت: كيف أحسن صورهم؟ قلت: جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه، بدليل أن الإنسان لا يتمنىٰ أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور. ومن حسن صورته أنه خلق منتصبًا غير منكب، كما قال عز وجل: ﴿فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. فإن قلت: فكم من دميم مشوّه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون؟ قلت: لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب، فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطًا بينًا وإضافتها إلى الموفىٰ[2] عليها لا تستملح، وإلا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة عن حدّه. ألا ترى أنك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها، ثم ترى أملح وأعلى في مراتب الحسن منها فينبوا عن الأولى طرفك، وتستثقل النظر

= الله بعلمها، وهل الفرق إذا إلا عين التحكم، ونفس اتباع الهوى. هذا ودون تمكنه من اتباع هذه القواعد: أن يمكن من القتاد اخْتراط، ومن الجمل أن يلج في سم الخياط.

(١) قوله: «والدق في فروته» في الصحاح «الفروة»: جلدة الرأس. والفروة: قطعة نبات مجتمعة يابسة اهـ. (ع)

(٢) قوله: «وإضافتها إلى الموفى عليها» يعني: إلى المتفوق عليها من الصور. (ع)

إليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها. وقالت الحكماء: شيئان لا غاية لهما: الجمال، والبيان. نبه بعلمه ما في السموات والأرض، ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه، ثم بعلمه ذوات الصدور: أن شيئًا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه، فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه. وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد، وكل ما ذكره بعد قوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] كما ترى في معنى الوعيد على الكفر، وإنكار أن يعصىٰ الخالق ولا تشكر نعمته فما أجهل من يمزج الكفر بالخلق(١) ويجعله من جملته، والخلق: أعظم نعمة من الله على عباده، والكفر: أعظم كفران من العباد لربهم.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ الخطاب لكفار مكة. و﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما أعدّ لهم من العذاب في الآخرة ﴿بِأَنَّهُ﴾ بأنّ الشأن والحديث ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم . . . أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أنكروا أن تكون الرسل بشرًا، ولم ينكروا أن يكون الله حجرًا ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ أطلق ليتناول كل شيء، ومن جملته إيمانهم وطاعتهم. فإن قلت: قوله: ﴿وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ يوهم وجود التولي والاستغناء معًا(٢)، والله تعالى لم يزل غنيًا. قلت: معناه: وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم إلى الإيمان ولم يضطرهم إليه مع قدرته على ذلك.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾

الزعم: ادعاء العلم: ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «زعموا مطية الكذب» (١٦١٠)

١٦١٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٤١): غريب بهذا اللفظ والموجود في الحديث: «بئس مطية =

---

(١) قوله: «فما أجهل من يمزج الكفر بالخلق» يريد أهل السنة، حيث يقولون إنه تعالى هو الخالق لأعمال العباد حتى الكفر وغيره من المعاصي، ولا وجه لتجهيلهم مع استنادهم إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾. (ع)

(٢) قال محمود: «أطلقه ليتناول كل شيء ثم قال: فإن قلت كان التولي فيهم. . . إلخ» قال أحمد: إنما الحق أنه لم يخلق لهم إيمانًا ولا قدرة عليه، فكان قادرًا أن يخلق لهم الإيمان والقدرة عليه، وإنما حرفها الزمخشري إلى قاعدته.

وعن شريح: لكل شيء كنية وكنية الكذب «زعموا» ويتعدّى إلى المفعولين تعدّي العلم. قال [من الطويل]:

. . . . وَلَمْ أَزْعُمكِ عَنْ ذَاكَ/ ٢/ ٢٢٤أ مَعْزِلاً[(١)]

و «إن» مع ما في حيزه قائم مقامهما. والذين كفروا. أهل مكة. و﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما بعد لن، وهو البعث ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي لا يصرفه عنه صارف. وعنى برسوله والنور: محمدًا ﷺ والقرآن.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾

وقرئ: نجمعكم ونكفر. وندخله، بالياء والنون. فإن قلت: بم انتصب الظرف؟ قلت: بقوله: لتنبؤن، أو بخبير، لما فيه من معنى الوعيد، كأنه قيل: والله معاقبكم يوم يجمعكم أو بإضمار «اذكر» ﴿لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ ليوم يجمع فيه الأوّلون والآخرون. التغابن: مستعار من تغابن القوم في التجارة؛ وهو أن يغبن بعضهم بعضًا، لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء، ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء. وفيه تهكم بالأشقياء؛ لأنّ نزولهم ليس بغبن. وفي حديث رسول الله ﷺ: «ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكرًا. وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن، ليزداد حسرة» (١٦١١) ومعنى

= الرجل زعموا»، وقد تقدم في أوائل البقرة في الحديث الرابع عشر. أ. هـ.

وقال الحافظ ابن حجر:

لم أجده مرفوعًا بهذا اللفظ.

وقد تقدم في أوائل البقرة بلفظ «بئس مطية الرجل إلى الكذب زعموا» وقد تقدم عن شريح.

«زعموا كنية الكذب». انتهى

١٦١١ ـ أخرجه البخاري (١٣/ ٢٣٨): كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار، حديث (٦٥٦٩)، من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل أحد الجنة إلا أُري مقعده من النار، لو أساء ليزداد شكرًا ولا يدخل النار أحد إلا أُري مقعده من الجنة لو =

---

(١) وإن الذي قد عاش يا أم مالك ... يموت ولم أزعمك عن ذاك معزلاً

يقول: وإن كل حي وإن طال عمره يموت، ولم أظنك يا أم مالك في معزلٍ عن ذلك الحكم أو الموت. والمعزل: مكان للعزلة والانفراد، أي: لم أظنك في معزل عنه أو ذات معزل أو معتزلة. أو نفس المقول مبالغة.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ ـ وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم ـ: استعظام له وأن تغابنه هو التغابن في الحقيقة، لا التغابن في أمور الدنيا وإن جلت وعظمت ﴿صَٰلِحًا﴾ صفة للمصدر، أي: عملاً صالحًا.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إلا بتقديره ومشيئته، كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير. وقيل: هو الاسترجاع عند المصيبة. وعن الضحاك: يهد قلبه حتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه. وما أخطأه لم يكن ليصيبه. وعن مجاهد: إن ابتلي صبر، وإن أعطي شكر، وإن ظلم غفر. وقرئ: «يهد قلبه»، على البناء للمفعول، والقلب: مرفوع أو منصوب. ووجه النصب: أن يكون مثل سفه نفسه، أي: يهد في قلبه. ويجوز أن يكون المعنى: أنّ الكافر ضالّ عن قلبه بعيد منه، والمؤمن واجد له مهتد إليه، كقوله تعالىٰ: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] وقرئ: «نهد قلبه»، بالنون. ويهدّ قلبه، بمعنى: يهتد. ويهدأ قلبه: يطمئن. ويهد. ويهدا على التخفيف ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

= أحسن ليكون عليه حسرة». أ. هـ.

وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

أخرجه البخاري (٣/ ٦١٢ ـ ٦١٣): كتاب الجنائز: باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، حديث (١٣٧٩)، وأطرافه في (٣٢٤٠ ـ ٦٥١٥)، ومسلم (٩/ ٢١٨ ـ النووي): كتاب الجنة وصفة نعيمها: باب عرض مقعدالميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه، حديث (٦٥/ ٢٨٦٦) والنسائي (٤/ ١٠٧): كتاب الجنائز: باب وضع الجريد على القبر.

كلهم عن طريق مالك عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة... الحديث».

قال الحافظ:

رواه البخاري من رواية الأعرج عن أبي هريرة: وفي المتفق عليه من حديث أنس في قصة المؤمن، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة. قال نبي الله: فيراهما جميعًا، ولهما عن ابن عمر «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ـ الحديث». انتهى

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ فلا عليه إذا توليتم، لأنه لم يكتب عليه طاعتكم، إنما كتب عليه أن يبلغ ويبين فحسب ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بعث لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على التوكل عليه والتقوى به في أمره، حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

إنّ من الأزواج أزواجًا يعادين بعولتهنّ ويخاصمنهم ويجلبن عليهم، ومن الأولاد أولادًا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرّعونهم الغصص والأذى ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ الضمير للعدوّ أو للأزواج والأولاد جميعًا، أي: لما علمتم أنّ هؤلاء لا يخلون من عدوّ، فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم ﴿وَإِن تَعْفُواْ﴾ عنهم إذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها، فإن الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم. وقيل: إنّ ناسًا أرادوا الهجرة عن مكة، فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا: تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا، فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين: وأرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم، فزين لهم العفو. وقيل: قالوا لهم: أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم، فغضبوا عليهم وقالوا: لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير، فلما هاجروا منعوهم الخير، فحثوا أن يعفوا عنهم ويردّوا إليهم البرّ والصلة. وقيل: كان عوف بن مالك الأشجعي ذا أهل وولد، فإذا أراد أن يغزو تعلقوا به وبكوا إليه ورققوه، فكأنه همّ بأذاهم، فنزلت. ﴿فِتْنَةٌ﴾ بلاء ومحنة، لأنهم يوقعون في الإثم والعقوبة، ولا بلاء أعظم منهما؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وفي الحديث: «يؤتى برجل يوم القيامة فيقال: أكل عياله حسناته» (١٦١٢) وعن بعض السلف: العيال سوس الطاعات. وعن النبي ﷺ: أنه كان يخطب، فجاء الحسن، والحسين وعليهما قميصان

١٦١٢ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٤٢): غريب، مرفوعًا. وهو في الحلية لأبي نعيم من قول سفيان الثوري.. إلى أن قال: يؤمر بالرجل إلى النار يوم القيامة فيقال: هذا عياله أكلوا حسناته. أ. هـ.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف أيضًا (٤/ ٤٣) إلى علي بن معبد في كتابه الطاعة والمعصية.
قال الحافظ:

لم أره مرفوعًا: وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري من قوله: وروى علي ابن معبد في الطاعة والمعصية عن إسحاق بن أبي يحيى عن عبد الملك عن بكير قال: ينادي منادٍ يوم القيامة: أين الذين أكلت عيالهم حسناتهم قوموا فإن قبلكم الانبعاث». انتهى

أحمران يعثران ويقومان، فنزل إليهما فأخذهما ووضعهما في حجره على المنبر فقال: «صدق الله ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ رأيت هذين الصبيين فلم أصبر/ ٢/ ٢٢٤ب عنهما» ثم أخذ في خطبته (١٦١٣). وقيل: إذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتتنكم الميل إلى الأموال والأولاد عنهما.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ جهدكم ووسعكم، أي: ابذلوا فيها استطاعتكم ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ ما توعظون به ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ فيما تأمرون به وتنهون عنه ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ نصب بمحذوف، تقديره: ائتوا خيرًا لأنفسكم، وافعلوا ما هو خير لها وأنفع؛ وهذا تأكيد للحثّ على امتثال هذه الأوامر، وبيان لأنّ هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أنتم عاكفون عليه من حبّ الشهوات وزخارف الدنيا.

﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

وذكرُ القرض: تلطف في الاستدعاء ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ يكتب لكم بالواحدة عشرًا، أو

١٦١٣ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٢٩٠): كتاب الصلاة: باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث، حديث (١١٠٩)، والترمذي (٥/ ٦٥٨): كتاب المناقب: باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، حديث (٣٧٧٤) والنسائي (٣/ ١٠٨): كتاب الجمعة: باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة وقطعه كلامه ورجوعه إليه يوم الجمعة، و(٣/ ١٩٢): كتاب صلاة العيدين: باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة، وابن ماجه (٢/ ١١٩٠): كتاب اللباس: باب لبس الأحمر للرجال، حديث (٣٦٠٠)، وأحمد (٥/ ٣٥٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٥١ ـ ١٥٢) رقم (١٨٠١ ـ ١٨٠٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٨٧)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣) رقم (٦٠٣٨ ـ ٦٠٣٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢١٨) و(٦/ ١٦٥) كلهم من طرق مختلفة عن عبدالله بن بريدة بن الحصين عن أبيه به.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد. أ. هـ. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وهو أصل قطع الخطبة والنزول من المنبر عند الحاجة.
قال الحافظ:
أخرجه أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وأحمد وإسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبزار من رواية حسين بن واقد عن ابن بريدة عن أبيه. قال البزار لا نعلم له طريقًا إلا هذا. انتهى

سبعمائة إلى ما شاء من الزيادة. وقرئ: «يضعفه» ﴿شَكُورٌ﴾ مجاز، أي: يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب، وكذلك ﴿حَلِيمٌ﴾ يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء، فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجأة» (١٦١٤).

١٦١٤ ـ تقدم برقم (٣٤٦)
قال الحافظ:
أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه. انتهى

سورة الطلاق

مدنية، وهي إحدى عشرة، أو اثنتا عشرة، أو ثلاث عشرة آية
[نزلت بعد الانسان]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾

خص النبي ﷺ بالنداء وعم بالخطاب[1]؛ لأنّ النبّي إمام أمّته وقدوتهم، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا كيت وكيت، إظهارًا لتقدّمه واعتبارًا لترؤسه، وأنه مدرة قومه[2] ولسانهم، والذي يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه، فكان هو وحده في حكم كلهم، وسادًّا مسدّ جميعهم. ومعنى ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إذا أردتم تطليقهنّ وهممتم به على تنزيل المقبل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه: كقوله عليه السلام: «من قتل قتيلاً فله سلبه» (١٦١٥) ومنه كان الماشي إلى الصلاة والمنتظر لها في

١٦١٥ ـ متفق عليه تقدم في سورة البقرة

---

(١) قال محمود: «خص النبي ﷺ بالنداء وعم بالخطاب... إلخ» قال أحمد: وعلى هذا الفرق جرى قوله تعالى حكاية عن فرعون: (قال فمن ربكما يا موسى) فأفرد موسى عليه السلام بالنداء، لأنه كان أجل الإثنين عليهما السلام وعمهما بالخطاب. وقد تقدم فيه وجه آخر.

(٢) قوله: «وأنه مدرة قومه» في الصحاح العرب تسمي القرية مدرة اهـ، فالمعنى أنه بمنزلة القرية لقومه. (ع)

حكم المصلي ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ فطلقوهن مستقبلات لعدتهن[١]، كقولك: أتيته لليلة بقيت من المحرّم، أي: مستقبلاً لها. وفي قراءة رسول الله ﷺ: في قُبلِ عدتهنّ[٢]، وإذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الأوّل من أقرائها، فقد طلقت مستقبلة لعدتها. والمراد: أن يطلقن في طهر لم يجامعن فيه[٣]، ثم يخلين حتى تنقضي عدّتهن. وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة وأبعده من الندم، ويدل عليه ما روي عن إبراهيم النخعي أنّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يستحبون أن لا يطلقوا أزواجهم للسنة إلا واحدة، ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدّة، وكان أحسن عندهم من أن يطلق الرجل ثلاثًا في

وقال الحافظ:
متفق عليه وقد تقدم في أوائل البقرة. انتهى

---

(١) قال محمود: «ومعنى فطلقوهن مستقبلات لعدتهن... إلخ» قال أحمد: حمل القراءتين المستفيضة والشاذة على أن وقت الطلاق هو الوقت الذي تكون العدة مستقبلة بالنسبة إليه، وادعى أن ذلك معنى المستقبل فيها، ونظر اللام فيها باللام في قولك مؤرخًا الليلة. لليلة بقيت من المحرم. وإنما يعني أن العدة بالحيض: كل ذلك تحامل لمذهب أبي حنيفة في أن الأقراء الحيض، ولا يتم له ذلك؛ فقد استدل أصحابنا بالقراءة المستفيضة، وأكدوا الدلالة بالشاذة على أن الأقراء الأطهار. ووجه الاستدلال لها على ذلك: أن الله تعالى جعل العدة ـ وإن كانت في الأصل مصدرًا ـ ظرفًا للطلاق المأمور به. وكثيرًا ما تستعمل العرب المصادر ظرفًا، مثل خفوق النجم ومقدم الحاج. وإذا كانت العدة ظرفًا للطلاق المأمور به، وزمانه هو الطهر وفاقًا؛ فالطهر عدة إذًا. ونظير اللام هنا على التحقيق: اللام في قوله: (يا ليتني قدمت لحياتي) وإنما تمنى أن لو عمل عملاً في حياته: وقراءته عليه السلام: في قبل عدتهن، تحقق ذلك. فإن قيل: الشيء جزء منه وداخل فيه وفي صفة مسح الرأس فأقبل بهما وأدبر، أي مسح قبل الرأس وهو مقدمها، فحينئذ قبل العدة جزء منها وهو الطهر.

(٢) قال السمين الحلبي: وناقشه الشيخ في تقديره الحال التي تعلق بها الجار كونًا خاصًا. قال: الجار إذا وقع حالاً إنما يتعلق بكون مطلق وفي مناقشته نظر؛ لأن الزمخشري لم يجعل الجار حالاً بل جعله متعلقًا بمحذوف دل عليه معنى الكلام، وقال أبو البقاء لعدتهن أي عند أول ما يعتد لهنّ به وهو في قبل الطهر. وهذا منه تفسير معنى لا تفسير إعراب. انتهى. الدر المصون.

(٣) قال محمود: «والمراد أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه... إلخ» قال أحمد: الأمر كما نقله، وضابط السنة عند مالك: أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه واحدة وهي غير معتدة. والآية تدل لمذهبه على تأويل المتقدمين جميعًا؛ أما على تأويل الزمخشري وتفسيره المقيد بالاستقبال، فلأن الطلاق المأمور به أي المأذون فيه في الآية: مقيد بوقت تكون العدة مستقبلة بالنسبة إليه، وهذا يأبى وقوع الطلاق في أثناء العدة الماضي بعضها. وأما على تأويلنا فلأنه مقيد بزمان يكون أولاً للعدة وقبلاً لها، وهذا يأبى من وقوعه مرادفًا في الطهر الثاني والثالث، غير أن البدعة عند مالك تتفاوت، فلا جرم قال إن طلقها في الحيض أجبر على الرجعة، فإن أبى ارتجع عليه الحاكم؛ وإن طلقها في طهر مسها فيه أو أردف الطلاق لم يجبره.

ثلاثة أطهار. وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: لا أعرف طلاق السنة إلا واحدة، وكان يكره الثلاث مجموعة كانت أو متفرقة. وأما أبو حنيفة وأصحابه فإنما كرهوا ما زاد على الواحد في طهر واحد، فأما مفرقًا في الأطهار فلا؛ لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض: ما هكذا أمرك الله، إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالاً، وتطلقها لكل قرء تطليقة (١٦١٦) وروي أنه قال لعمر: «مر ابنك فليراجعها، ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر، ثم ليطلقها إن شاء؛ فتلك العدّة التي أمر الله أن تطلق لها النساء» (١٦١٧) وعند الشافعي رضي الله عنه: لا بأس بإرسال الثلاث، وقال: لا أعرف

١٦١٦ ـ أخرجه الدارقطني في سننه (٢/ ٣١): كتاب الطلاق والخلع والإيلاء وغيره، حديث (٨٤).
والبيهقي في سننه الكبرى (٧/ ٣٣٠): كتاب الخلع والطلاق: باب الاختيار للزوج ألا يطلق إلا واحدة، وفي (٧/ ٣٣٤): كتاب الخلع والطلاق: باب ما جاء في إمضاء الثلاث وإن كن مجموعات وذكره الزيلعي في نصب الراية (٣/ ٢٢٠) كتاب الطلاق: وعزاه إلى الطبراني في معجمه وذكر طرفه الأخير عبد الحق في الأحكام الوسطى (٣/ ١٩٢).
قال الحافظ:
أخرجه الدارقطني من رواية عطاء الخرساني عن الحسن عن ابن عمر به وأتم منه. انتهى

١٦١٧ ـ أخرجه مالك (٢/ ٥٧٦): كتاب الطلاق: باب ما جاء في الأقراء (٥٣) والبخاري (٩/ ٣٤٥) كتاب الطلاق حديث (٥٢٥١) ومسلم (٢/ ١٠٩٣) كتاب الطلاق) باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها حديث (١/ ١٤٧١) وأحمد (٢/ ٦، ٥٤) والشافعي (٢/ ٣٢ ـ ٣٣) كتاب الطلاق: باب ما جاء في أحكام الطلاق حديث (١٠٢، ١٠٤) والدارمي (٢/ ١٦٠) كتاب الطلاق باب السنة في الطلاق، والطيالسي (١٨٥٣) وأبو داود (٢/ ٦٣٢، ٦٣٤) كتاب الطلاق باب طلاق السنة حديث (٢١٧٩) والنسائي (٦/ ١٣٨) كتاب الطلاق: باب وقت الطلاق للعدة، وابن ماجه (١/ ٦٥١) كتاب الطلاق باب طلاق السنة حديث (٢٠١٩) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٧٣٤) والمروزي في «السنة» (٢٤٠) والدارقطني (٤/ ٦ ـ ١١) كتاب الطلاق والخلع والإيلاء، والبيهقي (٧/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) كتاب الخلع والطلاق: باب ما جاء في طلاق السنة ـ، وابن حبان (٤٢٤٩ ـ الإحسان) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٤٨ ـ بتحقيقنا) من طرق عن نافع عن ابن عمر به.
أخرجه البخاري (٨/ ٥٢١) كتاب التفسير: باب سورة الطلاق حديث (٤٩٠٨) ومسلم (٢/ ١٠٩٤) كتاب الطلاق: باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها وأنه لو خالف وقع الطلاق حديث (٤،٥/ ١٤٧١) وأبو داود (٢/ ٦٣٤ ـ ٦٣٥) كتاب الطلاق: باب في طلاق السنة حديث (٢١٨١، ٢١٨٢) والنسائي (٦/ ١٣٨) كتاب الطلاق: باب وقت الطلاق والترمذي (٣/ ٤٧٩) كتاب الطلاق: باب ما جاء في طلاق السنة حديث (١١٧٦) وابن ماجه (١/ ٦٥٢) كتاب الطلاق: باب الحامل كيف تطلق حديث (٢٠٢٣) والدارمي (٢/ ١٦٠) كتاب الطلاق: باب السنة في الطلاق وابن الجارود (٧٣٦) وأبو يعلى (٩/ ٣٢٩) رقم (٥٤٤٠) والطحاوي في «شرح معاني الآثار والدارقطني (٤/ ٧٠٦) كتاب الطلاق والخلع والإيلاء وغيره والبيهقي (٧/ ٣٢٤) كتاب الطلاق: باب ما جاء في طلاق السنة وطلاق البدعة، من طرق عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه به.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وأخرجه البخاري (٩/ ٢٦٤) كتاب الطلاق: باب إذا طلقت الحائض تعتد بذلك الطلاق حديث (٥٢٥٢) ومسلم (٢/ ١٠٩٣) كتاب الطلاق: باب تحريم طلاق =

في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح. فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت؛ وأبو حنيفة يراعي التفريق والوقت؛ والشافعي يراعي الوقت وحده. فإن قلت: هل يقع الطلاق المخالف للسنة؟ قلت: نعم، وهو آثم؛ لما روي عن النبي ﷺ: أنّ رجلاً طلق امرأته ثلاثًا بين يديه، فقال لا «أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم» (١٦١٨) وفي حديث

= الحائض بغير رضاها... حديث (١١، ١٢/١٤٧١) وأحمد (٢/ ٦١، ٧٤) والطحاوي في «شرح معاني الآثار ـ (٣/ ٥٢) وابن الجارود (٧٣٥) والدراقطني (٤/ ٥ ـ ٦)كتاب الطلاق والخلع والإيلاء وغيره من طريق شعبة عن أنس بن سيرين عن ابن عمر قال: طلق ابن عمر امرأته وهي حائض فذكر عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: ليراجعها قلت: تحتسب قال فمه.

وأخرجه البخاري (٩/ ٢٦٤) كتاب الطلاق: باب إذا طلقت الحائض تعتد بذلك الطلاق حديث (٥٢٥٣) والنسائي (٦/ ١٤١) كتاب الطلاق: باب الطلاق لغير العدة والطيالسي (١٦٠٥) وعبد الرزاق (٦/ ٣٠٨) رقم (١٠٩٥٥) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٥٢) والبيهقي (٧/ ٣٢٧) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلقها وهي طاهر.
وأخرجه البخاري (٩/ ٢٦٩) كتاب الطلاق: باب من طلق وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق حديث (٥٢٥٨) ومسلم (٢/ ١٠٩٦، ١٠٩٧) كتاب الطلاق: باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها حديث (٩، ١٠/ ١٤٧١) وأبو داود (١/ ٦٦٢) كتاب الطلاق: باب في طلاق السنة حديث (٢١٨٣) والنسائي (٦/ ١٤١) كتاب الطلاق: باب الطلاق لغير العدة ما يحتسب منه على المطلق والترمذي (٣/ ٤٧٨) كتاب الطلاق واللعان: باب ما جاء في طلاق السنة حديث (١١٧٥) وابن ماجه (١/ ٦٥٠) كتاب الطلاق: باب طلاق السنة حديث (٢٠٢٢) وعبد الرزاق (٦/ ٣٠٩) رقم (١٠٩٥٩) والطيالسي (١٦٠٣) والطحاوي (٣/ ٥٢) والبيهقي (٧/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) من طريقين عن أبي غلاب يونس بن جبير قال: قلت لابن عمر: رجل طلق امرأته وهي حائض فقال: تعرف ابن عمر؛ إن ابن عمر طلق امرأته وهي حائض فأتى عمر النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأمره أن يراجعها فإذا طهرت فأراد أن يطلقها فيطلقها قلت: فهل عد ذلك طلاقًا قال أرأيت إن عجز واستحمق.
قال الحافظ:
متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
١٦١٨ ـ أخرجه النسائي في سننه (٦/ ١٤٢): كتاب الطلاق باب الثلاث المجموعة وما فيه من التغليظ، حديث (٣٤٠١) وفي سننه الكبرى (٣/ ٣٤٩): كتاب الطلاق: باب الطلاق الثلاث المجموعة وما فيه من التغليظ، حديث (٥٥٩٤).
وذكره عبد الحق في الأحكام الوسطى. (٣/ ١٩٣). كتاب الطلاق باب ذكر طلاق السنة وما جاء فيه وقال: ذهب البخاري إلى أن محمود بن لبيد ـ «وهو رافع الحديث» ـ له صحبة وقال أبو حاتم: لا تعرف له صحبة.
قال الحافظ:
لم أره هكذا. وإنما رواه النسائي من رواية مخرمة بن بكير عن أبيه عن محمود بن لبيد «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعًا. فقام غضبان ثم قال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم حتى قام رجل فقال: يا رسول الله، ألا نقتله؟». انتهى.

ابن عمر أنه قال: يا رسول الله، أرأيت لو طلقتها ثلاثًا، فقال له: «إذن عصيت وبانت منك امرأتك» (١٦١٩). وعن عمر رضي الله عنه: أنه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثًا إلا أوجعه ضربًا. وأجاز ذلك عليه (١٦٢٠). وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين: أنّ من خالف السنة في الطلاق فأوقعه في حيض أو ثَلَّث لم يقع، وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف. فإن قلت: كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل وغير المدخول بها؟ قلت: الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند أبي حنيفة وأبي يوسف يفرق عليهن الثلاث في الأشهر، وخالفهما محمد/ ٢/ ٢٢٥أ وزفر في الحامل فقالا: لا تطلق للسنة إلا واحدة. وأما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة إلا واحدة، ولا يراعىٰ الوقت. فإن قلت: هل يكره أن تطلق المدخول بها واحدة بائنة؟ قلت: اختلفت الرواية فيه عن أصحابنا. والظاهر الكراهة. فإن قلت: قوله إذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الأقراء والآيسات والصغائر والحوامل، فكيف صحّ تخصيصه بذوات الأقراء المدخول بهن؟ قلت: لا عموم ثم ولا خصوص، ولكن النساء اسم جنس للإناث من الإنس، وهذه الجنسية معني قائم في كلهن وفي بعضهن، فجاز أن يراد بالنساء هذاوذاك، فلما قيل: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ علم أنه أطلق على بعضهنّ وهنّ المدخول بهن من المعتدات بالحيض ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن[1]، ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾ حتى تنقضي عدتهنّ ﴿مِنۢ

١٦١٩ ـ هو جزء من الحديث الثاني في السورة.
قال الحافظ: هو في آخر الحديث الثاني عند الدارقطني ولفظه «فقلت: يا رسول الله، أفرأيت لو طلقتها أثلاثا أكان يحل لي أن أراجعها؟ قال: لا. كانت تبين منك، وكانت معصية» واللفظ الذي في الكتاب موقوف، في الصحيح على ابن عمر رضي الله عنهما. انتهى

١٦٢٠ ـ أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٦١): كتاب الطلاق: باب من كره أن يطلق الرجل امرأته ثلاثًا في مقعد، واحد وأجاز ذلك عليه، حديث (١٧٧٩٠).
وعبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٣٩٥): كتاب الطلاق باب المطلق ثلاثًا، حديث (١١٣٤٥).
كلاهما عن شقيق بن عبد الله عن أنس.
قال الحافظ:
أخرجه ابن أبي شيبه وعبد الرزاق من رواية شقيق بن عبد الله عن أنس قال: كان عمر رضي الله عنه إذا أتي برجل طلق امرأته ثلاثًا في مجلس أوجعه ضربًا. وفرق بينهما» انتهى.

---

(١) قال محمود: «معناه أكملوا العدة أقراء ثلاثة مستوفاة» قال أحمد: وقوله: (واتقوا الله ربكم) توطئة لقوله: (لا تخرجوهن من بيوتهن) حتى كأنه نهى عن الإخراج مرتين: مندرجًا في العموم، ومفرد بالخصوص. وقد تقدمت أمثاله.

﴿بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهنّ التي يسكنها قبل العدة، وهي بيوت الأزواج؛ وأضيفت إليهنّ لاختصاصها بهنّ من حيث السكنى. فإن قلت: ما معنى الجمع بين إخراجهم أو خروجهن؟[1] قلت: معنى الإخراج:[2] أن لا يخرجهن البعولة غضبًا عليهن وكراهة لمساكنتهن، أو لحاجة لهم إلى المساكن، وأن لا يأذنوا لهنّ في الخروج إذا طلبن ذلك، إيذانًا بأنّ إذنهم لا أثر له في رفع الحظر، ولا يخرجن بأنفسهن إن أردن ذلك ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ قرئ، بفتح للياء وكسرها. قيل: هي الزنا، يعني إلا أن يزنين فيخرجن لإقامة الحد عليهن وقيل: إلا أن يطلقن على النشوز، والنشوز يسقط حقهنَّ في السكنى. وقيل: إلا أن يبذون[3] فيحلّ إخراجهنّ لبذائهنّ؛ وتؤكده قراءة أبيّ «إلا أن يفحش عليكم» وقيل: خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه. الأمر الذي يحدثه الله: أن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها. ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها. والمعنى: فطلقوهنّ لعدتهن وأحصوا العدة، لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ وهو آخر العدة وشارفنه، فأنتم بالخيار: إن شئتم فالرجعة والإمساك بالمعروف والإحسان، وإن شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلاً للعدة عليها وتعذيبًا لها ﴿وَأَشۡهِدُواْ﴾ يعني عند الرجعة والفرقة جميعًا. وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة كقوله: ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ [البقرة: ٢٨٢] وعند الشافعي: هو واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة. وقيل: فائدة الإشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد، وأن لا يتهم في إمساكها، ولئلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث ﴿مِّنكُمۡ﴾ قال الحسن: من المسلمين. وعن قتادة: من أحراركم ﴿لِلَّهِۚ﴾ لوجهه خالصًا، وذلك أن تقيموها لا للشهود له ولا للمشهود عليه، ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الظلم، كقوله تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [النساء: ١٣٥] أي: ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الحث على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط، ﴿يُوعَظُ بِهِۦ . . . وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ يجوز أن تكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة، وطريقه الأحسن والأبعد من الندم، ويكون المعنى: ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضارّ المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد ﴿يَجۡعَل﴾ الله ﴿لَّهُۥ﴾ مما في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في

---

(١) قوله: «بين إخراجهم أو خروجهن» لعله: وخروجهن. (ع)

(٢) قوله: «قلت: معنى الإخراج» الأولى: معنى الجمع بينهما، وإلا فالأولى فيما يأتي، ومعنى الخروج: أن لا يخرجن بأنفسهن. (ع)

(٣) قوله: «وقيل إلا أن يبذون» في الصحاح: البذاءة ـ بالمد: الفحش، نقول: بذوت على القوم وأبذيت، وقد بذو الرجل. (ع)

المضايق، ويفرّج عنه وينفس ويعطه الخلاص ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه إن أوفى المهر وأدى الحقوق والنفقات وقل ماله. وعن النبي ﷺ: أنه سئل عمن طلق ثلاثًا أو ألفًا، هل له من مخرج؟ فتلاها (١٦٢١). وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال: لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا، بانت منك بثلاث والزيادة إثم في عنقك. ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ يعني: ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ومخلصًا من غموم الدنيا والآخرة. وعن النبي ﷺ: أنه قرأها فقال: «مخرجًا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة» (١٦٢٢). وقال عليه السلام: إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ . . .﴾ فما زال يقرؤها ويعيدها (١٦٢٣). وروي: أنّ عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنًا له

١٦٢١ ـ أخرجه الدارقطني في سننه (٤/ ٢٠): كتاب الطلاق والخلع والإيلاء وغيره، حديث (٥٣).
وذكره عبد الحق في الأحكام الوسطى (٣/ ١٩٣) وقال: في سنده تسعة رجال بين مجهول وضعيف.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٥٤) وعزاه إلى ابن مردويه وابن عساكر.
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٤٩) وزاد نسبته إلى الطبراني وابن عدي وإسحاق بن راهويه في مسنده وابن مردويه.
قال الحافظ:
أخرجه الدارقطني والطبراني وابن مردويه من طريق عبيد الله بن الوليد وغيره عن إبراهيم بن عبد الله بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده. قال «طلق بعض آبائي امرأته ألفا فانطلق بنوه، فقالوا: يا رسول الله إن أبانا طلق أمنا ألفًا. فهل له مخرج. فقال: إن أباكم لم يتق الله فيجعل له مخرجا ـ الحديث» وفي إسناده جماعة من الضعفاء. رواه إسحاق في مسنده عن ابن إدريس عن عبيد الله بن الوليد عن داود بن ابراهيم عن عبادة بن الصامت كذا قال انتهى.
١٦٢٢ ـ الحديث مروي مرفوع ومقطوع
* فالحديث المرفوع عن ابن عباس، أخرجه الواحدي في الوسيط (٤/ ٣١٣).
وذكره الديلمي في الفردوس (٥/ ١٣٢). حديث (٧٤٠٤) والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٣٤٥). حديث (٢٩٧١) والزيلعي في تخريج الكشاف وزاد نسبته إلى الثعلبي
* أما الحديث المقطوع فهو عن قتاده. أخرجه الطبري في جامع البيان (١٢/ ١٣١). حديث (٣٤٢٩٢) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٤٠)
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٥٣) وعزاه إلى عبد بن حميد وأبو نعيم في الحلية
قال الحافظ:
أخرجه الثعلبي والواحدي من رواية سعيد بن راشد عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زيد بن أسلم عن عطاء عن ابن عباس به مرفوعا. ورواه أبو نعيم موقوفًا على قتادة في ترجمته في الحلية. انتهى
١٦٢٣ ـ أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤١١): كتاب الزهد: باب الورع والتقوى، حديث (٤٢٢٠)، وأحمد في المسند (٥/ ١٧٨)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٥٣): كتاب التاريخ: باب أخباره =

يسمى سالمًا. فأتى رسول الله فقال: أسر ابني وشكا إليه الفاقة؛ فقال: ما أمسى عند آل محمد إلا مدّ فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوّة إلا بالله، ففعل فبينا هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدّو فاستاقها، فنزلت/ ٢/ ٢٢٥ب هذه الآية (١٦٢٤) ﴿بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾ أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب. وقرئ: «بالغ أمره» بالإضافة «وبالغ أمره» بالرفع، أي: نافذ أمره وقرأ المفضل: «بالغًا أمره»، على أنّ قوله: ﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ خبر إن، وبالغًا حال ﴿قَدۡرٗا﴾ تقديرًا وتوقيتًا. وهذا بيان لوجوب التوكل على الله[1]، وتفويض الأمر إليه؛ لأنه إذا علم أنّ كل شيء من الرزق ونحوه لا

= صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الحوادث والفتن، حديث (٦٦٦٩). والدارمي في سننه (٢/ ٣٠٣): كتاب الرقائق: باب في التقوى، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٣): كتاب التفسير، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٤١٣).

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٢٦) وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٥٥) وزاد نسبته إلى ابن مردويه قال الحاكم هذا حديث صحيح ولم يخرجاه
قال الحافظ:
أخرجه أحمد في الزهد وابن ماجه وابن حبان والحاكم من طريق ابن السليل ضريب بن نقير عن أبي ذر مرفوعا انتهى.

١٦٢٤ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٣): كتاب التفسير: تفسير سورة الطلاق، والواحدي في أسباب النزول (ص ٤٥٧)، حديث رقم (٨٢٨). والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٠٦): باب قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجًا
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٥٥)وعزاه إلى عبد بن حميد والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٥١). وزاد نسبته إلى الثعلبي
قال الحافظ:
أخرجه الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال «جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه. ولم يسم الابن، لكن قال: إنه أحضر أربعة آلاف شاة ورواه البيهقي في الدلائل من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه نحوه. وفيه فلم يلبث الرجل أن رد الله عليه ابنه وإبله أوفر ما كانت. فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأمرهم بمسألة الله والرغبة إليه. وقرأ عليهم (ومن يتق الله ـ الآية) وروى الحاكم من طريق سالم بن الجعد عن جابر قال «نزلت هذه الآية في رجل من أشجع كان فقيرًا خفيف ذات اليد كثير العيال، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال: اتق الله واصبر. فلم يلبث إلا يسيرًا حتى جاء ابن له بغنم كان العدو أصابها. فذكره مختصرًا. وفيه عبيد ابن كثير تركه الأزدي وعباد عن يعقوب. وهو رافضي. انتهى

---

(١) قال محمود: «قوله (بالغ أمره) بيان لوجوب التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه... إلخ» قال أحمد: ليس بعشك فادرجي أيراه القدري، وأين التسليم للقدر وليس هذا دينه ولا معتقده من تقسيم =

يكون إلا بتقديره وتوقيته: لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾﴾

روي أن ناسًا قالوا: قد عرفنا عدة ذوات الأقراء، فما عدة اللائي لا يحضن؛ فنزلت. فمعنى ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهنّ، وقيل: إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين، أهو دم حيض أو استحاضة؟ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ وإذا كانت هذه عدة المرتاب بها، فغير المرتاب بها أولى بذلك ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ هن الصغائر. والمعنى: فعدتهن ثلاثة أشهر، فحذف لدلالة المذكور عليه. اللفظ مطلق في أولات الأحمال، فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن. وكان ابن مسعود وأبيّ وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون. وعن عليّ وابن عباس: عدة الحامل المتوفى عنها أبعد الأجلين (١٦٢٥). وعن عبد الله: من شاء لاعنته

١٦٢٥ ـ قول ابن عباس: أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٦٥٠): كتاب التفسير باب من سورة الطلاق: حديث (٤٩٠٩).
أما قول علي:
فقد أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة (٣/ ٥٥٥)، حديث (١٧١٠٩) حدثنا شبابة عن شعبة عن عبيد بن الحسن عن عبد الرحمن بن معقل قال. . . وأخرج ابن أبي شيبة حديث الشعبي في مصنفه(٣/ ٥٥٤)، حديث (١٧١٠٢)
قال الحافظ:

= الحوادث ثلاثة أقسام: فمنها ما يريد الله تعالى وجوده وهو المأمورات ولا يقع أكثر مراده منها، ومنها ما يريد عدمه وهو المنهيات فيوجد أكثرها على خلاف مراده، ومنها ما لا يريد عدمه ولا وجوده فإن وجد فبغير إرادته عز وجل وإن عدم فكذلك فيتحصل من هذا الهذيان الذي لا يتصور أن الكائنات إنما تتبع إرادة الخلق لأنها لا تقع إلا بها، فإن وافقت إرادة الله تعالى فليس وقوعها تابعًا لها؛ لأنها وقعت بدونها؛ وإن خالفت إرادة الله تعالى لم يكن لمخالفتها للإرادة الربانية تأثير في منع وقوعها، فمن يتوغل في أدغال هذا الضلال كيف له بالتوكل الذي يتوقف على اعتقاد أن الكائنات جميعها إنما تتوقف على إرادة الله عز وجل، فمهما أراده وقع، ومهما لم يرده لم يقع، شاء العبد أو أبى، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، والعبد مجرى لحدوث الكائنات الواقعة بقدرة الله تعالى وإرادته لا غير، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، فما القدري من هذا المقام الشريف إلا على مراحل لا يقربه إليها إلا راحلة الإنصاف وزاد التقوى ودليل التوفيق، والله حسبنا ونعم الوكيل. =

أنّ سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة (١٦٢٦)، يعني: أنّ هذا اللفظ مطلق في الحوامل. وروت أم سلمة: أنّ سُبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال لها: قد حللت فأنكحي (١٦٢٧) ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ ييسر

= رواه البخاري في صحيحه قال: «جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة عنده. فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد وفاة زوجها بأربعين ليلة. فقال ابن عباس آخر الأجلين وفيه قصة سبيعة. وفيه مخالفة أبي هريرة له في ذلك رواه ابن أبي شيبة عن وكيع عن إسماعيل عن الشعبي قال قال عبد الله «أجل كل حامل حتى تضع» وكان علي يقول «آخر الأجلين» وله طريق أخرى عنده موصولة من طريق عبيد بن الحسن عن عبد الرحمن بن معقل قال «شهدت عليا رضي الله عنه. . . فذكره نحوه. انتهى

١٦٢٦ ـ أخرجه أبو داود في سننه (٢/ ٢٩٣): كتاب الطلاق: باب في عدة الحامل، حديث (٢٣٠٧).
وابن ماجه في سننه (١/ ٦٥٤): كتاب الطلاق: باب الحامل المتوفى عنها زوجها، حديث (٢٠٣٠).
كلاهما عن أبي معاوية عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق.
وأخرجه النسائي في سننه (٦/ ١٩٧): كتاب الطلاق: باب عدة الحامل المتوفى عنها زوجها.
عن محمد بن مسكين بن نميله يمامي، وميمون بن العباس، كلاهما عن سعيد بن الحكم من ابن أبي مريم من محمد بن جعفر عن ابن شبرمة الكوفي، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس.
وأخرجه البخاري بمعناه في حديث طويل (٩/ ٦٥٠): كتاب التفسير: باب من سورة الطلاق، حديث (٤٩١٠).
عن سليمان بن حرب وأبو النعمان كلاهما عن حماد بن يزيد عن أيوب عن محمد وجاء فيه «أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة؟ لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن».
والطبراني في الكبير (٩/ ٣٨٤) حديث (٣٨٤).
قال الحافظ:
أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طريق مسروق لم يذكر البخاري أوله. وزاد عبد الرزاق أنه قال ذلك لما بلغه أن عليًا قال «هي في آخر الأجلين». انتهى

١٦٢٧ ـ أخرجه مالك (٢/ ٥٩٠): كتاب الطلاق: باب عدة المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً حديث (٨٦) والبخاري (٨/ ٦٥٣): كتاب التفسير: باب سورة الطلاق حديث (٤٩٠٩) ومسلم (٢/ ١١٢٢ ـ ١١٢٣): كتاب الطلاق: باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها حديث (٥٧/ ١٤٨٥) والترمذي (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣): كتاب الطلاق: باب ما جاء في الحامل المتوفى عنها زوجها تضع حديث (١٢٠٨) والنسائي (٦/ ١٩١ ـ ١٩٢): كتاب الطلاق: باب عدة الحامل المتوفى عنها زوجها وأحمد (٦/ ٤٣٢).
والدارمي (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦): كتاب الطلاق: باب في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها والمطلقة.
والطيالسي (١٥٩٣) وابن الجارود حديث (٧٦٢) وابن حبان (٤٢٨٣ ـ الإحسان) والبيهقي (٧/ ٤٢٩).
قال الحافظ:
متفق عليه وله طرق وألفاظ. وفي رواية البخاري «فوضعت بعد موته بأربعين ليلة». انتهى

له من أمره ويحلل له من عقده بسبب التقوى ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات. والمعنى ومن يتق الله في العمل بما أنزل الله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الإسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وإيتاء أجر المرضعات وغير ذلك: استوجب تكفير السيئات والأجر العظيم.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ وما بعده: بيان لما شرط من التقوى في قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ كأنه قيل: كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات؟ فقيل: اسكنوهن. فإن قلت: «من» في ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ ما هي؟ قلت: هي من التبعيضية مبعضها محذوف[1] معناه: أسكنوهن مكانًا من حيث سكنتم، أي بعض مكان سكناكم، كقوله تعالى: ﴿يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] أي بعض أبصارهم. قال قتادة: إن لم يكن إلا بيت واحد، فأسكنها في بعض جوانبه. فإن قلت: فقوله: «من وجدكم»؟[2] قلت: هو عطف بيان لقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ وتفسير له، كأنه قيل: أسكنوهن مكانًا من مسكنكم مما تطيقونه. والوجد: الوسع والطاقة. وقرئ بالحركات الثلاث. والسكنى والنفقة: واجبتان لكل مطلقة. وعند مالك والشافعي: ليس للمبتوتة إلا السكنى ولا نفقة لها. وعن الحسن وحماد: لا نفقة لها ولا سكنى؛ لحديث فاطمة بنت قيس: أن زوجها أبتّ طلاقها[3]، فقال لها رسول الله ﷺ: لا سكنى لك ولا نفقة (١٦٢٨). وعن عمر رضي الله عنه: لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها

١٦٢٨ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٥/ ٣٥٥): كتاب الطلاق: باب المطلقة ثلاث لا نفقة لها: حديث برقم (١٤٨٠). (٤٢).
قال الحافظ:
أخرجه مسلم من طرق عنها وفي رواية «فلم يجعل لها سنكى ولا نفقة» وفي رواية... لا نفقة لك ولا سكنى، وفي رواية «طلقني زوجي ثلاثًا».

---

(١) قوله: «مبعضها محذوف معناه» قد يقال: مبعضها هو مدخولها وهو (حيث سكنتم) بمعنى مكان سكناهم فلا حذف، إلا أن يراد بمبعضها البعض المدلول عليه بها. (ع)
(٢) قوله: «فإن قلت فقوله من وجدكم» لعل عقبه سقطًا تقديره. ما موقعه؟. (ع)
(٣) قوله: «أن زوجها أبت طلاقها» لعله «بت» كما في النسفي. (ع)

نسيت أو شبه لها: سمعت النبي ﷺ يقول: «لها السكنى والنفقة» (١٦٢٩) ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ ولا تستعملوا معهن الضرار ﴿لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ في المسكن ببعض الأسباب: من إنزال من لا يوافقهن، أو يشغل مكانهن، أو غير، ذلك، حتى تضطروهن إلى الخروج. وقيل: هو أن يراجعها إذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها أمرها. وقيل: هو أن يلجئها إلى أن تفتدي منه. فإن قلت: فإذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة، فما فائدة الشرط في قوله: ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾(١) قلت: فائدته أن مدة الحمل ربما طالت فظن ظانّ أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحائل، فنفى ذلك الوهم. فإن قلت: فما تقول في الحامل المتوفى عنها؟ قلت: مختلف فيها؛ فأكثرهم على أنه لا نفقة لها، لوقوع الإجماع على أنّ من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته، فكذلك الحامل. وعن عليّ وعبد الله وجماعة: أنهم أوجبوا نفقتها ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ يعني هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولدًا من غيرهنّ أو منهنّ بعد انقطاع

١٦٢٩ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٥/٣٥٦): كتاب الطلاق: باب المطلقة ثلاث لا نفقة لها، حديث (١٤٨٠) (٤٦) وأبو داود في سننه (٢/٢٨٨): كتاب الطلاق: باب من أنكر على فاطمة بنت قيس، حديث (٢٢٩١).
والترمذي في سننه (٣/٤٧٥): كتاب الطلاق: باب ما جاء في المطلقة ثلاثًا لا سكنى لها ولا نفقة، حديث (١١٨٠) والنسائي في سننه (٦/٢٠٩): كتاب الطلاق: باب الرخصة في خروج المبثوثة (٣٥٥١).
قال الحافظ:
أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طريق أبي إسحاق قال «كنت مع الأسود ومعنا الشعبي في المسجد إذ حدث الشعبي بحديث فاطمة بنت قيس. فأخذ الأسود كفًا من حصا فحصبه به وقال: يا ويلك تحدث بمثل هذا؟ قال عمر: لا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها حفظت أو نسيت. انتهى

---

(١) قوله تعالى: (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) إلى قوله: (وإن كن أولات حمل... الآية).
قال أحمد: لا يخفى عل المتأمل لهذه الآي أن المبتوتة غير الحامل لا نفقة لها، لأن الآي سيقت لبيان الواجب، فأوجب السكنى لكل معتدة تقدم ذكرها ولم يوجب سواها، ثم استثنى الحوامل فخصهن بإيجاب النفقة لهن حتى يضعن حملهن، وليس بعد هذا البيان بيان، والقول بعد ذلك بوجوب النفقة لكل معتدة مبتوتة حاملاً أو غير حامل لا يخفى منافرته لنظم الآية، والزمخشري نصر مذهب أبي حنيفة فقال: فائدة تخصيص الحوامل بالذكر: أن الحمل ربما طال أمده فيتوهم متوهم أن النفقة لا تجب بطوله، فخصت بالذكر تنبيهًا على قطع هذا الوهم؛ وغرض الزمخشري بذلك أن يحمل للتخصيص على هذه الفائدة، كيلا يكون له مفهوم في إسقاط النفقة لغير الحوامل؛ لأن أبا حنيفة يسوي بين الجميع في وجوب النفقة.

عصمة الزوجية ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ حكمهن في ذلك حكم الآظار[1]، ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم الاستئجار إذا كان الولد منهم ما لم يبنّ. ويجوز عند الشافعي. الائتمار بمعنى التآمر، كالاشتوار بمعنى التشاور. يقال: ائتمر القوم وتآمروا، إذا/ ٢/ ٢٢٦أ أمر بعضهم بعضًا. والمعنى: وليأمر بعضكم بعضًا، والخطاب للآباء والأمهات ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بجميل وهو المسامحة، وأن لا يماكس الأب ولا تعاسر الأمّ؛ لأنه ولدهما معا، وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق[2] عليه ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه؛ وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة، كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى: سيقضيها غيرك[3]، تريد: لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم، وقوله: ﴿لَهُۥٓ﴾ أي للأب، أي: سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه ﴿لِيُنفِقْ﴾ كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد: ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات، كما قال: ﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾ [البقرة: ٢٣٦] وقرئ: «لينفق» بالنصب، أي شرعنا ذلك لينفق. وقرأ ابن أبي عبلة «قدّر» ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ﴾ موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم، أو لفقراء الأزواج إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ أعرضت عنه على وجه العتوّ والعناد ﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾ بالاستقصاء والمناقشة ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾ وقرئ: «نكرا» منكرًا عظيمًا، والمراد: حساب الآخرة وعذابها وما

---

(١) قوله: «في ذلك حكم الأظآر» الظئر: المرضع لولد غيرها، والجمع: ظؤار، بالضم. وظؤر وأظآر، كما في الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «وفي وجوب الإشفاق» كذا عبارة النسفي. (ع)

(٣) قال محمود: «وفي قوله: (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) معاتبة للأم على المعاسرة، كما تقول لمن تستقضيه حاجة... إلخ» قال أحمد: وخص الأم بالمعاتبة لأن المبذول من جهتها هو لبنها لولدها. وهو غير متمول ولا مضنون به في العرف، وخصوصًا في الأم على الولد، ولا كذلك المبذول من جهة الأب؛ فإنه المال المضنون به عادة، فالأم إذًا أجدى باللوم وأحق بالعتب، والله أعلم.

يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر، وجيء به على لفظ الماضي، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٥٠] ونحو ذلك؛ لأنّ المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة، وما هو كائن فكان قد كان وقوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ﴾ تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبًا، كأنه قال: أعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ من المؤمنين لطفًا في تقوى الله وحذر عقابه. ويجوز أن يراد إحصاء السيئات، واستقصاؤها عليهم في الدنيا، وإثباتها في صحائف الحفظة، وما أصيبوا به من العذاب في العاجل؛ وأن يكون ﴿عَتَتۡ﴾ وما عطف عليه: صفة للقرية. وأعد الله لهم: جوابًا لكأين ﴿رَّسُولٗا﴾ هو جبريل صلوات الله عليه: أبدل من ذكرا، لأنه وصف بتلاوة آيات الله، فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر[1] فصح إبداله منه[2]. أو أريد بالذكر: الشرف، من قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤] فأبدل منه، كأنه في نفسه شرف: إما لأنه شرف للمنزل عليه، وإما لأنه ذو مجد وشرف عند الله، كقوله تعالى: ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ [التكوير: ٢٠] أو جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كأنه ذكر. أو أريد: ذا ذكر، أي ملكًا مذكورًا في السموات وفي الأمم كلها. أو دل قوله: ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا﴾ [الطلاق: ١٠] على: أرسل فكأنه قيل: أرسل رسولا؛ أو أعمل ذكرًا في «رسولاً» إعمال المصدر في المفاعيل، أي: أنزل الله أن ذكر رسولا أو ذكره رسولا. وقرئ: «رسول»، على: هو رسول. أنزله ﴿لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بعد إنزاله، أي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح؛ لأنهم كانوا وقت إنزاله غير مؤمنين، وإنما آمنوا بعد الإنزال والتبليغ. أو ليخرج الذين عرف منهم أنهم يؤمنون. قرئ: «يدخله»، بالياء والنون ﴿قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا﴾ فيه معنى التعجب والتعظيم، لما رزق المؤمن من الثواب.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ مبتدأ وخبر. وقرئ: «مثلهنّ» بالنصب، عطفًا على سبع سموات[3]؛

---

(١) قوله تعالى: (رسولاً) ذكر الزمخشري فيه ستة أوجه: إبدال الرسول من الذكر لأن إنزاله في معنى إنزال الذكر... إلخ» قال أحمد: وعلى هذين الوجهين الأخيرين يكون مفعولاً، إما بالفعل المحذوف أو بالمصدر. وعلى الأربعة المتقدمة بدلاً. والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا يصح لتباين المدلولين بالحقيقة، ولكونه لا يكون بدل بعض ولا بدل اشتمال. انتهى، وهذا الذي قاله الزمخشري سبقه إليه الكلبي، وأمّا اعتراضه عليه فغير لازم؛ لأنه إذًا بولغ فيه حتى جعل نفس الذكر. انتهى. الدر المصون.

وبالرفع على الابتداء، وخبره: من الأرض. قيل: ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه. وقيل: بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وغلظ كل سماء كذلك، والأرضون مثل السموات ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي يجري أمر الله وحكمه بينهن، وملكه ينفذ فيهن. وعن قتادة: في كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه. وقيل: هو ما يدبر فيهنّ من عجائب تدبيره. وقرئ: «ينزل الأمر»، وعن ابن عباس: أن نافع بن الأزرق سأله هل تحت الأرضين خلق؟ قال: نعم. قال: فما الخلق؟ قال: إما ملائكة أو جنّ «لتعلموا» قرئ بالتاء والياء.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله ﷺ» (١٦٣٠)./٢/٢٢٦ب

١٦٣٠ ـ تقدم حديث أبي بن كعب في فضائل القرآن برقم (٣٤٦).
قال الحافظ:
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي بن كعب.

---

(١) قال السمين الحلبي: واعترض الشيخ بلزوم الفصل بين حرف العطف وهو على حرف واحد وبين المعطوف بالجار والمجرور وهو مختص بالضرورة عند أبي علي، قلت: وهذا نظير قوله: «آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة» عند ابن مالك. انتهى. الدر المصون.

سورة التحريم

مدنية، وتسمى سورة النبي ﷺ

وهي ثنتا عشرة آية [نزلت بعد الحجرات]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢﴾

روي: أن رسول الله ﷺ خلا بمارية في يوم عائشة، وعلمت بذلك حفصة، فقال لها: اكتمي عليّ، وقد حرمت مارية على نفسي[1]، وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان

---

(١) «نقل الزمخشري في سبب نزولها أنه عليه السلام خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة، فقال لها: اكتمي عليّ وقد حرمت مارية على نفسي... إلخ» قال أحمد: ما أطلقه الزمخشري في حق النبي ﷺ تقول وافتراء، والنبي ﷺ منه براء؛ وذلك أن تحريم ما أحله الله على وجهين: اعتقاد ثبوت حكم التحريم فيه، فهذا بمثابة اعتقاد حكم التحليل فيما حرمه الله عز وجل، وكلاهما محظور لا يصدر من المتسمين بسمة الإيمان؛ وإن صدر سلب المؤمن حكم الإيمان واسمه. الثاني: الامتناع مما أحله عز وجل، وحمل التحريم بمجرده صحيح، لقوله: (وحرمنا عليه المراضع من قبل) أي منعنا لا غير، وقد يكون مؤكدًا باليمين مع اعتقاد حله، وهذا مباح صرف وحلال محض، ولو كان على المنع ترك المباح والامتناع منه غير مباح استحالت حقيقة الحال بلا إشكال، فإذا علمت بون ما بين القسمين، فعلى القسم الثاني تحمل الآية، والتفسير الصحيح يعضده؛ فإن النبي ﷺ حلف بالله لا أقرب مارية، ولما نزلت الآية كفر عن يمينه، ويدل عليه: (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وقال مالك في المدونة: عن زيد بن أسلم إنما كفر النبي ﷺ في تحريمه أم ولده، لأنه حلف أن لا يقربها. ومثله عن الشعبي، وهذا المقدار مباح ليس في ارتكابه جناح، وإنما قيل له: لم تحرم ما أحل الله لك، رفقًا به وشفقة عليه، وتنويهًا لقدره ولمنصبه ﷺ: أن يراعي مرضات أزواجه بما يشق عليه، جريًا على ما ألف من لطف الله تعالى بنبيه ورفعه عن أن يحرج بسبب أحد من البشر الذين هم أتباعه ومن أجله خلقوا، ليظهر الله كمال نبوته بظهور نقصانهم عنه، والزمخشري قطعًا لم يحمل التحريم على هذا الوجه، لأنه جعله زلة، فيلزمه أن يحمله على المحمل الأول، ومعاذ الله وحاشى لله وإن آحاد المؤمنين يحاشى عن أن يعتقد تحريم ما أحل الله له، فكيف لا يربأ بمنصب النبي عليه السلام عما يرتفع عنه منصب عامة الأمة، وما هذه من =

بعدي أمر أمتيّ، فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين (١٦٣١). وقيل: خلا بها في يوم حفصة، فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم، فطلقها واعتزل نساءه؛ ومكث تسعًا وعشرين ليلة في بيت مارية (١٦٣٢). وروي: أن عمر قال لها: لو كان في آل الخطاب خير لما

١٦٣١ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٦١)، حديث (١٣٧٧): غريب.

وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٤٩، ١٥٠) عن ابن عباس وذكره الزيلعي (٤/ ٦١) وزاد نسبته إلى ابن أبي خيثمة في التاريخ.

قال الحافظ:

لم أقف في شيء من الطرق على أن ذلك كان في بيت عائشة رضي الله عنها، إلا فيما رواه ابن سعد عن الواقدي عن عمر بن عقبة عن شعبة هو مولى ابن عباس سمعت ابن عباس يقول «خرجت حفصة من بيتها. وكان يوم عائشة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية بيت حفصة، فجاءت حفصة والباب مجاف فدفعته حتى خرجت الجارية. فقالت حفصة: أما أني قد رأيت ما صنعت. فقال لها: اكتمي على وهي علي حرام، فانطلقت حفصة إلى عائشة فأخبرتها فأنزل الله تعالى ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ فأمر فكفر عن يمينه وحبس نساءه»، وروى الطبراني في عشرة النساء وابن مردويه في التفسير عنه من طريق موسى بن جعفر بن أبي كثير بن عبدالرحمن عن عمر عن أبي بكر بن عبدالرحمن عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية بيت حفصة بنت عمر فوجدتها معه. فقالت: يا رسول الله في بيتي وتفعل هذا بي من دون نسائك قال: فإنها علي حرام أن أمسها يا حفصة، ألا أبشرك؟ فقالت: بلى. قال: يلي هذا الأمر من بعدي أبو بكر ويليه من بعده أبوك واكتمي هذا علي، فخرجت حتى أتت عائشة فذكرت ذلك كله. وفيه قوله: وكان أدى للسرور أن حرمها على نفسه، فأنزل الله تعالى ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) وروى الطبراني من طريق الضحاك عن ابن عباس قال «دخلت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها وهو يطأ مارية، فقال لها لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة، فإن أباك يلي من بعد أبي بكر إذا أنا مت، فذهبت حفصة فأخبرت عائشة. فقالت عائشة رضي الله عنها: لا أنظر إليك حتى تحرم مارية فحرمها. فأنزل الله الآية». انتهى

١٦٣٢ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٦١)، حديث (١٣٧٨) وقال: غريب.

وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ١٥): بلفظ أن النبي طلق حفصة.. من حديث أنس.

وأخرجه البزار (٢/ ١٩٣)، حديث (١٥٠١) عن قتادة عن أنس وقال البزار، يروى عن أسباط عن سعيد عن قتادة مرسلاً ولم نسمعه إلا من محمد بن ثواب عن أسباط.

والبزار برقم (٢٦٦٨) من عمار بن ياسر.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٧) وقال رواه البزار والطبراني إلا أنه قال أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطلق حفصة فجاء جبريل عليه السلام فقال لا تطلقها فإنها صوامة قوامة، وأنها زوجتك في الجنة وفي إسناديهما الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف. =

= الزمخشري إلا جراءة على الله ورسوله، وإطلاق القول من غير تحرير، وإبراز الرأي الفاسد بلا تخمير؛ نعوذ بالله من ذلك، وهو المسؤول أن يجعل وسيلتنا إليه تعظيمًا لنبينا صلوات الله عليه، وأن يجنبنا خطوات الشيطان، ويقيلنا من عثرات اللسان، آمين.

طلقك، فنزل جبريل عليه السلام وقال: راجعها فإنها صوّامة قوّامة، وإنها لمن نسائك في الجنة (١٦٣٣). وروي: أنه شرب عسلاً في بيت زينب بنت جحش، فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له: إنا نشم منك ريح المغافير، وكان رسول الله ﷺ يكره التفل، فحرّم العسل، فمعناه ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ من ملك اليمين أو العسل. و﴿تَبْتَغِى﴾ إما تفسير لتحرم. أو حال: أو استئناف، وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرّم ما أحلّ الله لأن الله عزّ وجل إنما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله، فإذا حرّم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ قد غفر لك ما زللت فيه ﴿رَّحِيمٌ﴾ قد رحمك فلم يؤاخذك به ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ فيه معنيان، أحدهما: قد شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم، من قولك: حلل فلان في يمينه، إذا استثنى فيها. ومنه: حلا أبيت اللعن[1]، بمعنى: استثن في يمينك إذا أطلقها؛ وذلك أن يقول: «إن شاء الله» عقيبها، حتى لا يحنث. والثاني: قد شرع الله لكم تحلتها بالكفارة. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم» (١٦٣٤) وقول ذي الرمّة [من الطويل]:

= وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٦٧) عن قيس بن زيد وعن قتادة.
قال الحافظ: أخرجه ابن إسحاق ومن طريقه ابن أبي خيثمة قال: أخبرني بعض آل عمر قال «أصاب النبي صلى الله عليه وسلم جاريته القبطية أم إبراهيم في بيت حفصة وفي يومها. فعثرت حفصة على ذلك. فقالت: يا رسول الله، لقد جئت أمرًا ما جئته إلى أحد من نسائك في بيتي وعلى فراشي، وفي دولتي؟ قال: أيرضيك أن أحرمها فلا أمسها أبدًا؟ قالت: نعم. فحرمها على نفسه. وقال لا تذكريه لأحد من الناس، وكانت حفصة لا تكتم عائشة شيئًا، فلما خرجت ذهبت إلى عائشة فأخبرتها. فأنزل الله تعالى ﴿يا أيها النبي لم تحرم﴾ فكفر عن يمينه، وقرب جاريته وقوله وطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعة وعشرين ليلة في بيت مارية: لم أر هذا. انتهى

١٦٣٣ ـ أخرجه البخاري (٨/ ٥٢٤): كتاب التفسير: باب سورة التحريم حديث (٤٩١٢) وأطرافه في (٥٢١٦، ٥٢٦٧، ٥٢٦٨، ٥٤٣١، ٥٥٩٥، ٥٦١٤، ٥٦٨٢، ٦٦٩١، ٧٩٧٢).
قال الحافظ:
لم أره هكذا. وهو عند الحاكم وغيره بغير ذكر سببه، وقال ابن سعد: أخبرنا زيد وقال الحرث أخبرنا عفان قال: عن حماد عن أبي عمران الجوني عن قيس بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة، فقال: «إن جبريل أتاني فقال لي: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وهي زوجتك في الجنة» وروى الحاكم من طريق الحسن بن أبي جعفر عن ثابت عن أنس نحوه وزاد تطليقة، والحسن ضعيف، واختلف عليه فيه، ورواه الطبراني والبزار من رواية الحسن المذكور عن عاصم عن عمار رضي الله عنه. انتهى

١٦٣٤ ـ أخرجه البخاري (٣/ ١٤٢): كتاب الجنائز: باب فضل من مات له ولد فاحتسبه، حديث =

---

(١) قوله: «ومنه: حلا أبيت اللعن» في الصحاح: يقال حلا، أي استثنى. ويا حالف اذكر حلا، وهو بالكسر أفاده الصحاح أيضًا. (ع)

فإن قلت: ما حكم تحريم الحلال؟ قلت: قد اختلف فيه، فأبو حنيفة يراه يمينًا في كل شيء، ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرّمه؛ فإذا حرّم طعامًا فقد حلف على أكله، أو أمة فعلى وطئها، أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية؛ وإن نوى الظهار فظهار؛ وإن نوى الطلاق فطلاق بائن، وكذلك إن نوى ثنتين وإن نوى ثلاثًا فكما نوى، وإن قال: نويت الكذب ديِّن فيما بينه وبين الله تعالى، ولا يدين في القضاء بإبطال الإيلاء. وإن قال: كل حلال عليّ حرام فعلىٰ الطعام والشراب إذا لم ينو، وإلا فعلى ما نوى، ولا يراه الشافعي يمينًا. ولكن سببًا في الكفارة في النساء وحدهنّ، وإن نوى الطلاق فهو رجعي عنده. وعن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم: أنّ الحرام يمين (١٦٣٥) وعن عمر: إذا نوى الطلاق فرجعي. وعن علي رضي

= (١٢٥١)، ومسلم (٨/ ١٢٩ نووي).

كتاب البر والصلة: باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، حديث (١٥٠/ ٢٦٣٢) والترمذي (٣/ ٣٦٥): كتاب الجنائز: باب ما جاء في ثواب من قدم ولدًا، حديث (١٠٦٠).

والنسائي (٤/ ٢٥): كتاب الجنائز: باب من يتوفى له ثلاثة ولد، حديث (١٨٧٤)، وابن ماجه (١/ ٥١٢): كتاب الجنائز: باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده، حديث (١٦٠٣) وابن حبان في صحيحه (٧/ ٢٠٣، ٢٠٤)، حديث (٢٩٤٢) والبغوي في شرح السنة (٣/ ٢٩٥)، حديث (١٥٣٧) كلهم عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة.

قال الحافظ:

أخرجه مسلم من حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه.

١٦٣٥ ـ حديث أبي بكر، وعمر، وابن مسعود.

أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٩٧)، حديث (١٨٢٠٠) وحديث عكرمة عن عمر أخرجه ابن أبي شيبة برقم (١٨١٨٩).

أما حديث ابن عباس: فأخرجه البخاري (٩/ ٦٥٤): كتاب التفسير: باب سورة التحريم، حديث (٤٩١١) وطرفه في (٥٢٦٦).

قال الحافظ:

حديث أبي بكر رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة من رواية جويبر عن الضحاك: أن أبا بكر وعمر وابن مسعود قالوا: من قال لامرأته: هي علي حرام، فليست بحرام وعليه كفارة يمين. وإسناده ضعيف ومنقطع. وحديث عمر رضي الله عنه مثله، وله طريق أخرى أخرجها ابن أبي شيبة أيضًا من رواية خالد الحذاء عن عكرمة عنه قال «الحرام يمين» وهذا منقطع وحديث ابن عباس رضي الله عنهما مثله متفق عليه من رواية ابن جبير من قال: الحرام يمين يكفرها. وفي رواية لمسلم «إذا =

---

(١) قوله: «كتحليل الأولى» في الصحاح «الألية»: اليمين على فعيلة، وكذلك الألوة والألوه؛ فأما الألوة بالتشديد: فهو العود الذي يتبخر به اهـ؛ فالأولى في كلام ذي الرمة جمع الألوة بالتخفيف «كالمدية والمدى، والخطوة والخطى». (ع)

الله عنه: ثلاث (١٦٣٦). وعن زيد: واحدة بائنة. وعن عثمان: ظهار. وكان مسروق لا يراه شيئًا ويقول: ما أبالي أحرمتها أم قصعة من ثريد، وكذلك عن الشعبي قال: ليس بشيء، محتجًا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: ١١٦] وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] وما لم يحرّمه الله تعالى فليس لأحد أن يحرّمه ولا أن يصير بتحريمه حرامًا، ولم يثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لما أحله الله: هو حرام عليّ، وإنما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: والله لا أقربها بعد اليوم، فقيل له: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ أي لم تمتنع منه بسبب اليمين، يعني: أقدم على ما حلفت عليه، وكفر عن يمينك. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: ١٢] أي؛ منعناه منها. وظاهر قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ أنه كانت منه يمين. فإن قلت: هل كفر رسول الله ﷺ لذلك؟ قلت: عن الحسن: أنه لم يُكَفِّر؛ لأنه كان مغفورًا له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر (١٦٣٧)، وإنما هو تعليم للمؤمنين. وعن مقاتل: أنّ رسول الله ﷺ أعتق رقبة في تحريم مارية ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ سيدكم ومتولي أموركم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يصلحكم فيشرعه لكم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما توجبه الحكمة. وقيل: مولاكم أولى

= حرم الرجل امرأته فهي يمين يكفرها». وحديث ابن مسعود مثله، وله طريق أخرى أخرجها عبد الرزاق من طريق الطبراني عن ابن عقبة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عنه، قال: في الحرام يمين يكفرها. ورجاله ثقات مع انقطاعه. وحديث زيد بن ثابت رضي الله عنه انتهى.

١٦٣٦ ـ أما حديث علي

أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٩٥)، حديث (١٨١٧٩) عن جعفر عن أبيه عن علي

أما حديث عائشة فأخرجه الدارقطني في سننه (٣/ ٦٦): كتاب الطلاق: حديث (١٦٣).

قال الحافظ:

أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن علي في قول الرجل لامرأته: أنت عليّ حرام، هي ثلاث. وهذا منقطع أيضًا. انتهى

١٦٣٧ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٦٥): غريب.

وأخرج أبو داود في مراسيله (ص ٢٠١) باب الحرام حديث (٢٣٩) خلاف هذا عن محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى، حدثنا سعيد، عن قتاده عن الحسن أن النبي صلى الله عليه حرم فتاته القبطية مارية أم إبراهيم فأمر أن يكفر عن يمينه، وعوتب في ذلك. وقد تقدم في الحديث الثاني عند ابن أبي خيثمة من طريق إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه

قال الحافظ:

لم أجده وفي المراسيل لأبي داود عنه خلاف ذلك، أخرجه من طريق قتاده عنه في تحريم أم إبراهيم

قال: فأمر أن يكفر عن يمينه، وكذا ذكره ابن إسحاق كما تقدم أنه كفر عن يمينه

بكم من أنفسكم، فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم لأنفسكم.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾

﴿بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ حفصة. والحديث الذي أسر إليها: حديث مارية وإمامة الشيخين ﴿نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أفشته إلى عائشة. وقرئ: «أنبأت» به ﴿وَأَظْهَرَهُ﴾ وأطلع النبي عليه السلام ﴿عَلَيْهِ﴾ على الحديث، أي: على إفشائه على لسان جبريل. وقيل: أظهر الله الحديث على النبي ﷺ من الظهور ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ أعلم ببعض الحديث تكرمًا. قال سفيان/ ٢/ ٢٢٧أ: ما زال التغافل من فعل الكرام. وقرئ: «عرف بعضه»، أي: جاز عليه، من قولك للمسيء: لأعرفن لك ذلك، وقد عرفت ما صنعت. ومنه: أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم، وهو كثير في القرآن؛ وكان جزاؤه تطليقه إياها. وقيل: المعرف: حديث الإمامة، والمعرض عنه: حديث مارية: وروي أنه ﷺ قال لها: ألم أقل لك اكتمي عليّ، قالت: والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحًا بالكرامة التي خص الله بها أباها. فإن قلت: هلا قيل: فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه؟ قلت: ليس الغرض بيان من المذاع إليه ومن المعرف، وإنما هو ذكر جناية حفصة في وجود الإنباء به وإفشائه من قبلها، وأن رسول الله ﷺ بكرمه وحلمه، لم يوجد منه إلا الإعلام ببعضه، وهو حديث الإمامة. ألا ترى أنه لما كان المقصود في قوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ ذكر المنبأ. كيف أتى بضميره.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿إِن تَتُوبَآ﴾ خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات، ليكون أبلغ في معاتبتهما. وعن ابن عباس: لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالإداوة، فسكبت الماء على يده فتوضأ، فقلت: من هما؟ فقال: عجبًا يا ابن عباس ـ كأنه كره ما سألته عنه ـ ثم قال: هما حفصة وعائشة (١٦٣٨) ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ فقد وجد منكما ما يوجب التوبة، وهو ميل قلوبكما عن

١٦٣٨ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٤٠٧) كتاب المظالم: باب الغرفة والعلية المشرفة... حديث (٢٤٦٨). ومسلم في صحيحه (٥/ ٣٣٩) كتاب الطلاق: باب في الإيلاء واعتزال النساء =

الواجب في مخالصة رسول الله ﷺ من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه. وقرأ ابن مسعود: «فقد زاغت» ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا﴾ وإن تعاونا ﴿عَلَيۡهِ﴾ بما يسوءه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره، فلن يعدم هو من يظاهره، وكيف يعدم المظاهر من الله ﴿مَوۡلَىٰهُ﴾ أي وليه وناصره؛ وزيادة ﴿هُوَ﴾ إيذان بأن نصرته عزيمة من عزائمه، وأنه يتولى ذلك بذاته ﴿وَجِبۡرِيلُ﴾ رأس الكروبيين؛ وقرن ذكره بذكره مفردًا له من بين الملائكة تعظيمًا له وإظهارًا لمكانته عنده ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ ومن صلح من المؤمنين، يعني: كل من آمن وعمل صالحًا. وعن سعيد بن جبير: من بريء منهم من النفاق. وقيل: الأنبياء وقيل: الصحابة. وقيل: الخلفاء منهم. فإن قلت: صالح المؤمنين واحد أم جمع؟ قلت: هو واحد أريد به الجمع، كقولك: لا يفعل هذا الصالح من الناس، تريد الجنس، كقولك: لا يفعله من صلح منهم. ومثله قولك: كنت في السامر والحاضر. ويجوز أن يكون أصله: صالحوا المؤمنين بالواو، فكتب بغير واو على اللفظ؛ لأنّ لفظ الواحد والجمع واحد فيه، كما جاءت أشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ على تكاثر عددهم، وامتلاء السموات من جموعهم ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين ﴿ظَهِيرٌ﴾ فوج مظاهر له، كأنهم يد واحدة على من يعاديه، فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه؟ فإن قلت: قوله: ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ تعظيم للملائكة ومظاهرتهم. وقد تقدّمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين، ونصرة الله تعالى أعظم وأعظم. قلت: مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله، فكأنه فضل نصرته تعالىٰ بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته تعالى، لفضلهم على جميع خلقه[1]. وقرئ: تظاهرا، وتتظاهرا. وتظهرا.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٍ مُّؤۡمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا ۝٥﴾

= وتخييرهن حديث (١٤٧٩). والترمذي في الجامع الصحيح (٥/ ٤٥) كتاب التفسير: باب من سورة التحريم، حديث (٣٣١٨)

والنسائي في سننه (٤/ ١٣٧) كتاب الصيام: باب كم الشهر، حديث (٢١٣١).

وأحمد في المسند (١/ ٣٣)

وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٨٥): كتاب الطلاق باب تخيير المرء امرأته.. حديث (٤٢٦٨)

والبيهقي في سننه الكبرى (٧/ ٣٧).

قال الحافظ: متفق عليه

---

(١) قوله: «لفضلهم على جميع خلقه» مذهب المعتزلة تفضيل الملك على البشر، وأهل السنة على تفضيل بعض البشر على الملائكة. (ع)

قرئ: «يبدله»، بالتخفيف والتشديد للكثرة ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مقرّات مخلصات ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ صائمات. وقرئ: «سيحات»، وهي أبلغ. وقيل للصائم: سائح؛ لأنّ السائح لا زاد معه، فلا يزال ممسكًا إلى أن يجد ما يطعمه، فشبه به الصائم في إمساكه إلى أن يجيء وقت إفطاره. وقيل: سائحات مهاجرات، وعن زيد بن أسلم: لم تكن في هذه الأمّة سياحة إلا الهجرة. فإن قلت: كيف تكون المبدلات خيرًا منهن، ولم تكن على وجه الأرض نساء خير من أمّهات المؤمنين[1]؟ قلت: إذا طلقهن رسول الله لعصيانهن له وإيذائهن إياه، لم يبقين على تلك الصفة، وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف مع الطاعة لرسول الله ﷺ والنزول على هواه ورضاه خيرًا منهن، وقد عرض بذلك في قوله: ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ لأنّ القنوت هو القيام بطاعة الله، وطاعة الله في طاعة رسوله. فإن قلت: لم أخليت الصفات كلها عن العاطف[2] ووسط بين الثيبات والأبكار؟ قلت: لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن[3] في سائر الصفات، فلم يكن بدّ من الواو.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعات ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم. وفي الحديث: «رحم الله رجلًا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم

---

(١) قوله: «نساء خير من أمهات المؤمنين» لعله خيرًا. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت لم أخليت هذه الصفات من العاطف... إلخ» قال أحمد: وقد ذكر لي الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله: أن القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني الكاتب رحمه الله كان يعتقد أن الواو في الآية هي الواو التي سماها بعض ضعفة النحاة واو الثمانية، لأنها ذكرت مع الصفة الثامنة، فكان الفاضل يتبجح باستخراجها زائدة على المواضع الثلاثة المشهورة صلة، أحدها التي في الصفة الثامنة من قوله: (التائبون العابدون) عند قوله: (والناهون عن المنكر) والثانية في قوله: (وثامنهم كلبهم) والثالثة في قوله: (وفتحت أبوابها) قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب: ولم يزل الفاضل يستحسن ذلك من نفسه إلى أن ذكره يومًا بحضرة أبي الجود النحوي المقري فبين له أنه واهم في عدها من ذلك القبيل، وأحال البيان على المعنى الذي ذكره الزمخشري من دعاء الضرورة إلى الإتيان بها ههنا، لامتناع اجتماع الصفتين في موصوف واحد، وواو الثمانية إن ثبتت فإنما ترد بحيث لا حاجة إليها إلا للإشعار بتمام نهاية العدد الذي هو السبعة، فأنصفه الفاضل رحمه الله، واستحسن ذلك منه وقال: أرشدنا يا أبا الجود.

(٣) قوله: «لا يجتمعن فيهما اجتماعهن» لعل فيه قلبًا، والأصل: لا يجتمعان فيهن اجتماع سائر الصفات فيهن. (ع)

يتيمكم جيرانكم لعلّ الله يجمعهم معه في الجنة» (١٦٣٩) وقيل: إنّ أشد الناس عذابًا يوم القيامة من جهل أهله. وقرئ: «وأهلوكم»، عطفًا على واو ﴿قُوٓاْ﴾ وحسن العطف/٢/٢٢٧ب للفاصل. فإن قلت: أليس التقدير: قوا أنفسكم، وليق أهلوكم[1] أنفسهم؟ قلت: لا، ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو، وأنفسكم واقع بعده، فكأنه قيل: قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه، فجعلت ضميرهما معًا على لفظ المخاطب ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ نوعًا من النار لا يتقد إلا بالناس والحجارة، كما يتقد غيرها من النيران بالحطب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي حجارة الكبريت، وهي أشدّ الأشياء حرًا إذا أوقد عليها. وقرئ: «وقودها» بالضم، أي ذو وقودها ﴿عَلَيْهَا﴾ يلي أمرها وتعذيب أهلها ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانهم ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ في أجرامهم غلظة وشدّة، أي: جفاء وقوّة. أو في أفعالهم جفاء وخشونة، لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه ﴿مَآ أَمَرَهُمْ﴾ في محل النصب على البدل، أي: لا يعصون ما أمر الله. أي: أمره، كقوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [طه: ٩٣] أو لا يعصونه فيما أمرهم. فإن قلت: أليست الجملتان في معنى واحد؟ قلت: لا، فإنّ معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها، ومعنى الثانية: أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه. فإن قلت: قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] فجعلها معدّة للكافرين، فما معنى مخاطبته به المؤمنين؟ قلت: الفسّاق وإن كانت دركاتهم فوق دركات الكفار، فإنهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا: قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الكفار الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة.

١٦٣٩ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أجده

---

(١) قال محمود: «في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾: قرئ وأهلوكم. قال أحمد: ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو، وأنفسكم واقع بعده، كأنه قال: قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم، ولكن لما اجتمع ضمير المخاطب والغائبين: غلب ضمير الخطاب على ضمير الغيبة. ثم قال: فإن قلت قوله: (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) أليس الجملتان في معنى واحد؟ وأجاب بأن معنى الأولى أنهم يلتزمون الأوامر ولا يأتونها... إلخ» قال أحمد: جوابه الأول مفرع على قاعدته الفاسدة في اعتقاد خلود الفسّاق في جهنم؛ ولعله إنما أورد السؤال ليتكلف عنه بجواب ينفس عما في نفسه مما لا يطيق كتمانه من هذا الباطل نعوذ بالله منه؛ وإلا فالسؤال غير وارد؛ فإنه لا يمتنع أن المؤمن يحذر من عذاب الكافر أن يناله على الإيمان، كقوله في آل عمران خطابًا للمؤمنين (واتقوا النار التي أعدت للكافرين، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون).

ويجوز أن يأمرهم بالتوقي من الارتداد، والندم على الدخول في الإسلام، وأن يكون خطابًا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون؛ ويعضد ذلك قوله تعالى على أثره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ أي: يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا، لأنه لا عذر لكم. أو لأنه لا ينفعكم الاعتذار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾

﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازى؛ والنصح: صفة التائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم، فيأتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات، وذلك: أن يتوبوا عن القبائح لقبحها، نادمين عليها، مغتمين أشدّ الاغتمام لارتكابها، عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح إلى أن يعود اللبن في الضرع، موطنين أنفسهم على ذلك. وعن علي رضي الله تعالى عنه: أنه سمع أعرابيًا يقول: اللهم إني استغفرك وأتوب إليك، فقال: يا هذا، إنّ سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين. قال: وما التوبة؟ قال: يجمعها ستة أشياء: على الماضي من الذنوب: الندامة، وللفرائض: الإعادة، ورد المظالم، واستحلال الخصوم، وأن تعزم على ألاّ تعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله، كما ربيتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي. وعن حذيفة: بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه. وعن شهر بن حوشب: أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار. وعن ابن السماك: أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك. وقيل: توبة لا يتاب منها. وعن السدي: لا تصح التوبة إلا بنصيحة النفس والمؤمنين، لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله. وقيل: نصوحًا من نصاحة الثوب، أي: توبة ترفو خروقك في دينك، وترمّ خلّلك[1]. وقيل: خالصة، من قولهم: عسل ناصح إذا خلص من الشمع. ويجوز أن يراد: توبة تنصح الناس، أي: تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها، واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها. وقرأ زيد بن علي: توبا نصوحا. وقرئ: «نصوحا» بالضم، وهو مصدر نصح. والنصح والنصوح، كالشكر والشكور، والكفر

---

(١) قوله: «وترم خلك» في الصحاح «الخل» الثوب البالي. وعبارة النسفي: خللك. وفي الصحاح «الخلل» بالتحريك: الفرجة بين الشيئين، وفساد في الأمر. (ع)

والكفور أي: ذات نصوح. أو تنصح نصوحًا. أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ إطماع من الله لعباده، وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الإجابة بعسى ولعل. ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت. والثاني: أن يجيء به تعليمًا للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء، والذي يدل على المعنى الأول وأنه في معنى البت: قراءة ابن أبي عبلة: ويدخلكم بالجزم، عطفًا على محل (عسى أن يكفر) كأنه قيل: توبوا يوجب لكم تكفير سيئاتكم ويدخلكم ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ﴾ نصب بيدخلكم، ولا يخزي: تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق، واستحماد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُمْ﴾ على الصراط/ ٢٢٨/٢أ ﴿أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ قال ابن عباس: يقولون ذلك إذا طفىء نور المنافقين إشفاقًا. وعن الحسن: الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربًا إلى الله، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥] وهو مغفور له. وقيل: يقوله أدناهم منزلة، لأنهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطىء أقدامهم، لأنّ النور على قدر الأعمال فيسألون إتمامه تفضلاً. وقيل: السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط، وبعضهم كالريح، وبعضهم حبوا وزحفًا؛ فأولئك الذين يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ فإن قلت: كيف يشفقون والمؤمنون آمنون، ﴿أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]. ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [يونس: ٦٢]، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] أو كيف[1] يتقربون وليست الدار دار تقرّب؟ قلت: أما الإشفاق فيجوز أن يكون على عادة البشرية وإن كانوا معتقدين الأمن. وأما التقرّب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة: سماه تقربا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾

﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بالاحتجاج؛ واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة. وعن قتادة: مجاهدة المنافقين لإقامة الحدود عليهم. وعن مجاهد: بالوعيد. وقيل: بإفشاء أسرارهم.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

مثل الله عز وجل حال الكفار ـ في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين

---

(١) قوله: «أو كيف» لعله: وكيف. (ع)

معاقبة مثلهم[1] من غير إبقاء ولا محاباة، ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر؛ لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل، وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد، وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من أنبياء الله ـ بحال امرأة نوح وامرأة لوط: لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج إغناء ما من عذاب الله ﴿وَقِيلَ﴾ لهما عند موتهما أو يوم القيامة: ﴿ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ﴾ سائر ﴿ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء. أو مع داخليها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط. ومثل حال المؤمنين ـ في أنّ وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئًا من ثوابهم وزلفاهم عند الله ـ بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى، مع كونها زوجة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى، ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين، مع أنّ قومها كانوا كفارًا. وفي طيّ هذين التمثيلين تعريض بأميّ المؤمنين المذكورتين في أوّل السورة وما فرط منهما على التظاهر على رسول الله ﷺ[2] بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده، لما في التمثيل من ذكر الكفر. ونحوه في التغليظ قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين، وألاّ تتكلا على أنهما زوجا رسول الله، فإنّ ذلك الفضل لا ينفعهما إلا مع كونهما مخلصتين، والتعريض بحفصة أرجح، لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله، وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره. فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿مِنۡ عِبَادِنَا﴾؟ قلت: لما كان مبنىٰ التمثيل على وجود الصلاح في الإنسان كائنًا من كان، وأنه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله: قال عبدين من عبادنا صالحين، فذكر النبيين المشهورين العلمين بأنهما عبدان لم يكونا إلا كسائر عبادنا، من غير تفاوت بينهما وبينهم إلا بالصلاح وحده إظهارًا وإبانة، لأن عبدًا من العباد لا يرجح عنده إلا بالصلاح لا غير، وأن ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده. فإن قلت: ما كانت خيانتهما؟ قلت: نفاقهما وإبطانهما الكفر، وتظاهرهما على الرسولين، فامرأة نوح قالت لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط دلت على ضيفانه. ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لأنه سمج في الطباع نقيصة عند كل أحد، بخلاف الكفر فإن الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه

---

(١) قوله: «حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم، أي الذين بينهم وبين المؤمنين علاقة. وقوله: «مثلهم» أي ممن لا علاقة بينهم وبين المؤمنين. (ع)

(٢) قوله: «على التظاهر على رسول الله ﷺ» لعله من التظاهر، كعبارة النسفي. (ع)

ويسمونه حقًا، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «ما بغت امرأة نبي قط» (١٦٤٠).

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

وامرأة فرعون: آسية بنت مزاحم. وقيل: هي عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الإفك، فعذبها فرعون. عن أبي هريرة: أن فرعون وتد امرأته بأربعة أوتاد، واستقبل بها الشمس؛ وأضجعها على ظهرها، ووضع رحى على صدرها. وقيل: أمر بأن تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها، فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه. وعن الحسن: فنجاها الله أكرم/ ٢/ ٢٢٨ب نجاة؛ فرفعها إلى الجنة فهي تأكل وتشرب وتتنعم فيها. وقيل: لما قالت رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة: أريت بيتها في الجنة يبنى. وقيل: إنه من درة. وقيل: كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة. فإن قلت: ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة؟ قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه، ثم بينت مكان القرب بقولها: ﴿فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش وهي جنات المأوى، فعبرت عن القرب إلى العرش بقولها: ﴿عِندَكَ﴾. ﴿مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ من عمل فرعون. أو من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم، وخصوصًا من عمله وهو: الكفر، وعبادة الأصنام، والظلم، والتعذيب بغير جرم ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من القبط كلهم. وفيه دليل على أنّ الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل: من سير الصالحين وسنن الأنبياء والمرسلين: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾، [الشعراء: ١١٨] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس: ٨٦]. ﴿فِيهِ﴾ في الفرج. وقرأ ابن مسعود: فيها، كما قرئ في سورة الأنبياء، والضمير للجملة، وقد مرّ لي في هذا الظرف كلام. ومن بدع التفاسير: أنّ الفرج هو جيب الدرع، ومعنى أحصنته: منعته جبريل، وأنه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها، تسلية للأرامل وتطييبًا لأنفسهنّ ﴿وَصَدَّقَتْ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف على أنها جعلت الكلمات والكتب صادقة، يعني: وصفتها بالصدق، وهو معنى

١٦٤٠ ـ أخرجه عبد الرزاق والطبري كما ذكره السيوطي في الدر المنثور. (٦/ ٢٤٥)

قال الحافظ:

أخرجه عبد الرزاق والطبري وابن مردويه عنه في تفسير هود وهنا انتهى

التصديق بعينه. فإن قلت: فما في كلمات الله وكتبه؟ قلت: يجوز أن يراد بكلماته: صحفه التي أنزلها على إدريس وغيره، سماها كلمات لقصرها(١)، وبكتبه: الكتب الأربعة(٢)، وأن يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم، وجميع ما كتبه في اللوح وغيره. وقرئ: «بكلمة الله وكتابه»، أي: بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الإنجيل. فإن قلت: لم قيل ﴿مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ على التذكير؟ قلت: لأنّ القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين، فغلب ذكوره على إناثه. و﴿مِنَ﴾ للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية، على أنهاولدت من القانتين؛ لأنها من أعقاب هارون أخي موسى صلوات الله عليهما. وعن النبي ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد. وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» (١٦٤١) وأما ما روي أنّ عائشة سألت رسول الله ﷺ كيف سمى

١٦٤١ ـ أخرجه البخاري (٧/ ١٣٤) كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة حديث (٣٧٧٠)، (٩/ ٤٦٢) كتاب الأطعمة: باب الثريد حديث (٥٤١٩)، (٩/ ٤٦٦): كتاب الأطعمة: باب ذكر الطعام حديث (٥٤٢٨) ومسلم (٤/ ١٨٩٥): كتاب فضائل الصحابة: باب فضل عائشة حديث (٨٩/ ٢٤٤٦) والترمذي (٥/ ٦٦٤): كتاب المناقب: باب مناقب عائشة رضي الله عنها حديث (٣٨٨٧) وابن ماجه (٢/ ١٠٩٢): كتاب الأطعمة: باب فضل الثريد حديث (٣٢٨١) والدارمي (٢/ ١٠٦): كتاب الأطعمة: باب فضل الثريد وأحمد (٣/ ١٥٦، ٢٦٤) وأبو يعلى (٦/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦) رقم (٣٦٧٠، ٣٦٧١، ٣٦٧٢) والطبراني في.. الصغير (١/ ٩٤) والبغوي في.. شرح السنة.. (٧/ ٢٣٧ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق عبد الله بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.
وفي الباب عن جماعة من الصحابة وهم أبو موسى الأشعري وعائشة وعبد الرحمن بن عوف وقرة ابن أياس وسعد بن أبي وقاص.
ـ حديث أبي موسى الأشعري:
أخرجه البخاري (٦/ ٥١٤) كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله تعالى (وضرب الله مثلاً للذين =

---

(١) قال محمود: «يجوز أن يراد بالكلمات الصحف التي أنزلها الله تعالى على إدريس وغيره: سماها كلمات لقصرها... إلخ» قال أحمد: هو يعتقد حدوث كلام الله ويجحد الكلام القديم. فلا جرم أن كلامه لا يعدو الإشعار بأن كلمات الله متناهية؛ لأنه في الوجه الأول جعلها مجموعة جمع قلة لقصرها، وفي الثاني حصرها بقوله: «جميع» وأين وصفه لها بالقصر والحصر من الآيتين التوأمتين اللتين إحداهما قوله: (قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي) والأخرى قوله: (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام... الآية) وما هو في الحقيقة إلا غير مؤمن بكلمات الله تعالى؛ فالحق أن كلام الله تعالى صفة من صفات كماله أزلية أبدية غير متناهية، فهكذا آمنت امرأة فرعون المتلو ثناؤها في كتاب الله العزيز، ثبتنا الله على الإيمان، ووقانا الخذلان، والله المستعان.

(٢) قوله: «وبكتبه الكتب الأربعة» لعلها علمت بالإنجيل والقرن نزولهما. (ع)

الله المسلمة؟ تعني مريم، ولم يسم الكافرة؟ فقال: بغضًا لها: قالت: وما اسمها؟ قال:

= آمنوا امرأة فرعون...)

حديث (٣٤١١)، (٦/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤) باب قول الله تعالى (إذ قالت الملائكة يا مريم...) حديث (٣٤٣٣)، (٧/ ١٣٣) كتاب فضائل الصحابة: باب فضل عائشة رضي الله عنها حديث (٣٧٦٩)، (٩/ ٤٦٢) كتاب الأطعمة: باب الثريد حديث (٥٤١٨) ومسلم (٤/ ١٨٨٦ ـ ١٨٨٧): كتاب الفضائل: باب فضائل خديجة رضي الله عنها حديث (٧٠/ ٢٤٣١) والترمذي (٤/ ٢٤٢): كتاب الأطعمة: باب ما جاء في فضل الثريد حديث (١٨٣٤) وفي «الشمائل» رقم (١٧٥) والنسائي (٧/ ٦٨) كتاب عشرة النساء: باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض وابن ماجه (٢/ ١٠٩١): كتاب الأطعمة: باب فضل الثريد على الطعام حديث (٣٢٨٠) وأحمد (٤/ ٣٩٤، ٤٠٩) والطيالسي (٢/ ١٣٠ ـ منحة) رقم (٢٤٩٠) وأبو يعلى (١٣/ ٢١٩ ـ ٢٢٠) رقم (٧٢٤٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٩٩) كلهم من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

تنبيه: سقط من مسند الطيالسي مُرة الهمداني فأخرجه من طريق شعبة عن عمرو بن مرة سمع من يحدث عن أبي موسى وهذا سند منقطع كما ترى لكن أخرجه الحافظ أبو نعيم من طريقه وذكر مرة الهمداني بين عمرو بن مرة وأبي موسى.

ـ حديث عائشة:

أخرجه النسائي (٧/ ٦٨): كتاب عشرة النساء: باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض، من طريق ابن أبي ذئب عن الحرث بن عبدالرحمن عن أبي سلمة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

ـ حديث عبدالرحمن بن عوف:

أخرجه الطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٦) من طريق أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا سلمة بن عبدالرحمن لم يسمع من أبيه.

قال العلائي في «جامع التحصيل» (ص ـ ٢١٣): قال يحيى بن معين والبخاري: لم يسمع من أبيه شيئًا.

ـ حديث قرة بن إياس:

أخرجه الحاكم (٣/ ٥٨٧) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٨) رقم (٦٠) كلاهما من طريق أبي سفيان المعمري ثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. وسكت عنه الحاكم والذهبي.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٦): وإسناده حسن.

ـ حديث سعد بن أبي وقاص:

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥) من طريق ابن مهدي ثنا سفيان عن أبي إسحاق عن مصعب ابن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد =

اسم امرأة نوح «واعلة» واسم امرأة لوط «واهلة» فحديث أثر الصنعة عليه ظاهر بيّن، ولقد سمى الله تعالىٰ جماعة من الكفار بأسمائهم وكناهم، ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية، وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين، وأبى الله إلا أن يجعل للمصنوع أمارة تنم عليه، وكلام رسول الله ﷺ أحكم وأسلم من ذلك.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحًا» (١٦٤٢).

= على سائر الطعام.

قال أبو نعيم: غريب من حديث الثوري وأبي إسحاق لم نكتبه إلا من حديث ابن مهدي.

والحديث ذكره الهيثمي في «المجمع» (٢٤٦/٩) من طريق مصعب عن أبيه وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

قال الحافظ:

أخرجه الثعلبي من طريق عمرو بن مرزوق عن شعبة عن عمرو بن مرة سمع مرة عن أبي موسى بهذا وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمرو بن مرة من هذا الوجه. قال: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا يوسف القاضي حدثنا عمرو بن مرزوق بهذا وهو في البخاري من رواية مرة عن أبي موسى دون ذكر خديجة وفاطمة رضي الله عنهما. وفي ابن حبان والحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما رفعه «أفضل نساء العالمين أربع. . . فذكره». انتهى

١٦٤٢ ـ تقدم برقم (٣٤٦)

قال الحافظ:

أخرجه الثعلبي وابن مردويه بإسنادهما إلى أبي بن كعب. أ. هـ.

سورة الملك

مكية، وهي ثلاثون آية [نزلت بعد الطور]
وتسمى: الواقية، والمنجية؛ لأنها تقي
وتنجي قارئها من عذاب القبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿تَبَارَكَ﴾ تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ على كل موجود ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ﴾ ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة ﴿قَدِيرٌ﴾ وذكر اليد مجاز عن الإحاطة بالملك والاستيلاء عليه. والحياة: ما يصح بوجوده الإحساس. وقيل: ما يوجب كون الشيء حيًا، وهو الذي يصح منه أن يعلم ويقدر. والموت عدم ذلك[1] فيه ومعنى خلق الموت والحياة: إيجاد ذلك المصحح وإعدامه. والمعنى: خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ وسمى علم الواقع منهم باختيارهم «بلوى» وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. فإن قلت: من أين تعلق قوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ بفعل البلوى؟ قلت: من حيث أنه تضمن معنى العلم، فكأنه قيل: ليعلمكم أيكم أحسن عملا؛ وإذا قلت: علمته أزيد أحسن عملا

---

(١) قال محمود: «أي ما يوجب كون الشيء حيًا أو ما يصبح بوجوده الإحساس والموت عدم ذلك... إلخ» قال أحمد: أخطأ في تفسير الموت ديدنه المعروف أن يفسر ويتبع التفسير آراء القدرية، ومنها قطع الله ذكرها: أن الموت عدم، وهو خطأ صراح. ومعتقد أهل السنة أنه أمر وجودي يضاد الحياة، وكيف يكون العدم بهذه المثابة، ولو كان العدم مخلوقًا حادثًا وعدم الحوادث مقرر أزلاً: للزم قطع الحوادث أزلاً، وذلك أبشم من القول بقدم العالم؛ فانظر إلى هذا الهوى أين مؤداه. وكيف أهوى بصاحبه فأرداه، نعوذ بالله من الزلل والخطل.

أم هو؟ كانت هذه/ ٢/ ٢٢٩أ الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه، كما تقول: علمته هو أحسن عملا. فإن قلت: أتسمي هذا تعليقًا؟ قلت: لا، إنما التعليق أن توقع بعده ما يسدّ مسدّ المفعولين جميعًا، كقولك: علمت أيهما عمرو، وعلمت أزيد منطلق. ألا ترى أنه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدرًا بحرف الاستفهام وغير مصدر به، ولو كان تعليقًا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك: علمت أزيد منطلق. وعلمت زيدًا منطلقًا. ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. قيل: أخلصه وأصوبه؛ لأنه إذا كان خالصًا غير صواب لم يقبل، وكذلك إذا كان صوابًا غير خالص؛ فالخالص: أن يكون لوجه الله تعالى؛ والصواب: أن يكون على السنة. وعن النبي ﷺ أنه تلاها، فلما بلغ قوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال: «أيكم أحسن عقلًا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله»[1] (١٦٤٣) يعني: أيكم أتم عقلا عن الله وفهما لأغراضه؛ والمراد: أنه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه، وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح، لأن وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه. وقدم الموت على الحياة، لأنّ أقوى الناس داعيًا إلى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل ﴿الْغَفُورُ﴾ لمن تاب من أهل الإساءة ﴿طِبَاقًا﴾ مطابقة بعضها فوق بعض، من طابق النعل: إذا خصفها طبقًا على طبق، وهذا وصف بالمصدر. أو على ذات طباق، أو على: طوبقت طباقًا ﴿مِن تَفَاوُتٍ﴾ وقرئ: «من تفوت»، ومعنى البناءين واحد، كقولهم: تظاهروا من نسائهم. وتظهروا. وتعاهدته وتعهدته، أي: من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض؛ إنما هي مستوية مستقيمة. وحقيقة التفاوت: عدم التناسب، كأن بعض الشيء يفوت بعضًا ولا يلائمه. ومنه قولهم: خلق متفاوت. وفي نقيضه: متناصف. فإن قلت: كيف موقع هذه الجملة مما قبلها؟ قلت: هي صفة مشايعة لقوله: ﴿طِبَاقًا﴾ وأصلها: ما ترى فيهنّ من تفاوت، فوضع مكان الضمير قوله: ﴿خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ﴾ تعظيمًا لخلقهنّ، وتنبيهًا على سبب سلامتهنّ من التفاوت: وهو أنه خلق الرحمٰن، وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك

١٦٤٣ ـ تقدم الكلام عليه في أول سورة هود.

---

(١) قال محمود: «أين تعلق قوله: (أيكم أحسن عملًا) بفعل البلوى؟ وأجاب بأن معناه ليعلمكم أيكم أحسن عملًا؛ لأن البلوى تتضمن العلم... إلخ» قال أحمد: التعليق عن أحد المفعولين مختلف فيه بين النحاة، والأصح ما أجازه، وهو في هذا الفن يمشي وفيه يدرج ويدري كيف يدخل فيه ويخرج.

الخلق المتناسب، والخطاب في ما ترى للرسول أو لكل مخاطب. وقوله تعالى: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾ متعلق به على معنى التسبيب؛ أخبره بأنه لا تفاوت في خلقهنّ، ثم قال: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾ حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة، ولا تبقى معك شبهة فيه ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ من صدوع وشقوق: جمع فطر وهو الشق. يقال: فطره فانفطر. ومنه: فطر ناب البعير، كما يقال: شق وبزل. ومعناه: شق اللحم فطلع. وأمره بتكرير البصر فيهنّ متصفحًا ومتتبعًا يلتمسُ عيبًا وخللاً ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ﴾ أي إن رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدراك العيب، بل يرجع إليك بالخسوء والحسور، أي: بالبعد عن إصابة الملتمس، كأنه يطرد عن ذلك طردًا بالصغار والقماءة[(١)]، وبالإعياء والكلال لطول الإجالة والترديد. فإن قلت: كيف ينقلب البصر خاسئًا حسيرًا برجعه كرّتين اثنتين؟ قلت: معنى التثنية التكرير بكثرة[(٢)]، كقولك: لبيك وسعديك، تريد إجابات كثيرة بعضها في أثر بعض، وقولهم في المثل: دهدرّين سعد القين[(٣)] من ذلك، أي: باطلاً بعد باطل. فإن قلت: فما معنى ثم ارجع؟ قلت: أمره برجع البصر، ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الأولى وبالنظرة الحمقاء، وأن يتوقف بعدها ويجم بصره، ثم يعاود ويعاود، إلى أن يحسر بصره من طول المعاودة، فإنه لا يعثر على شيء من فطور.

﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾

﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ القربى؛ لأنها أقرب السموات إلى الناس، ومعناها: السماء الدنيا منكم. والمصابيح[(٤)] السرج، سميت بها الكواكب، والناس يزينون مساجدهم ودورهم بأثقاب

---

(١) قوله: «بالصغار والقماءة» أي: الصغر والذل، كما في الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «لم خص الكرتين؟ فأجاب بأن معنى التثنية ههنا التكثير... إلخ» قال أحمد: وفي قوله (ينقلب إليك البصر) وضع الظاهر موضع المضمر. وفيه من الفائدة: التنبيه على أن الذي يرجع خاسئًا حسيرًا غير مدرك الفطور: هو الآلة التي يلتمس بها إدراك ما هو كائن، فإذا لم يدرك شيء دل على أنه لا شيء. ومن هذا القبيل قوله: (خلق سبع سموات طباقًا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) وأصله: ما ترى في خلقهن من تفاوت، ولكنه ذكرهن منسوبات لخلق الرحمن، تنبيهًا على السبب الذي ربأ بهن على الفطور والتفاوت.

(٣) قوله: «دهدرين... إلخ» في القاموس بضم الدالين وفتح الراء المشددة: اسم لبطل، وللباطل والكذب كالدهدر، ودهدرين سعد القين: أي بطل سعد الحداد. أو أن فينا ادعى أن اسمه سعد زمانًا، ثم تبين كذبه، فقيل له ذلك، أي: جمعت باطلاً إلى باطل يا سعد الحصاد. ويروى منفصلاً «ده» أمر من الدهاء؛ و«درين» من در: أي تتابع، أي: بالغ في الكذب يا سعد. وفيه غير ذلك، فراجعه؛ كذا بهامش الأصل. (ع)

(٤) قوله: «ودورهم بأثقاب المصابيح» في الصحاح «ثقبت النار»: اتقدت. وأثقبتها أنا. وشهاب ثاقب، أي: مضيء. (ع)

المصابيح، فقيل: ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ أي بأي مصابيح لا توازيهامصابيحكم إضاءة، وضممنا إلى ذلك منافع أخر: أنا ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾ لأعدائكم: ﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر. قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأوّل فيها غير ذلك فقد تكلف مالا علم له به وعن محمد بن كعب: في السماء والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم، ولكنهم يبتغون الكهانة ويتخذون النجوم علة. والرجوم: جمع رجم: وهو مصدر سمي به ما يرجم به. ومعنى كونها مراجم للشياطين: أنّ الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب/ ٢/ ٢٢٩ب، لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها؛ لأنها قارة في الفلك على حالها. وما ذاك إلا كقبس يؤخذ من نار، والنار ثابتة كاملة لا تنقص. وقيل: من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب. ومنهم من يخبله. وقيل: معناه وجعلناها ظنونًا ورجومًا بالغيب لشياطين الإنس وهم النجامون[1]. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ في الآخرة بعد عذاب الإحراق بالشهب في الدنيا.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ أي: ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ ليس الشياطين المرجومين مخصوصين بذلك. وقرئ: «عذاب جهنم» بالنصب عطفًا على عذاب السعير ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾ أي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة، ويرمىٰ به. ومثله قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ إمّا لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها. أو من أنفسهم، كقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦] وإما للنار تشبيهًا لحسيسها[2] المنكر الفظيع بالشهيق ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ تغلي بهم غليان المرجل بما فيه. وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم، ويقولون: فلان يتميز غيظًا ويتقصف غضبًا، وغضب فطارت منه شقة في الأرض وشقة في السماء: إذا وصفوه بالإفراط فيه. ويجوز

---

(١) حمل الزمخشري الشياطين على ظاهره، ونقل عن بعضهم أن معناه: وجعلناها ظنونًا ورجومًا بالغيب... إلخ» قال أحمد: وهذا من الاستطراد. لما ذكر وعيد الشياطين استطرد ذلك وعبد الكافرين عمومًا والله أعلم.

(٢) قوله: «تشبيهًا لحسيسها» في الصحاح: الحس والحسيس: الصوت، والخفي. (ع)

أن يراد: غيظ الزبانية ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ توبيخ يزدادون به عذابًا إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم. وخزنتها: مالك وأعوانه من الزبانية ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ اعتراف منهم بعدل الله، وإقرار بأن الله عز وعلا أزاح عللهم ببعثه الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه، وأنهم لم يؤتوا من قدره كما تزعم المجبرة[1]؛ وإنما أتوا من قبل أنفسهم، واختيارهم خلاف ما اختار الله وأمر به وأوعد على ضده. فإن قلت: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ من المخاطبون به؟ قلت: هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين، على أنّ النذير بمعنى الإنذار. والمعنى: ألم يأتكم أهل نذير. أو وصف منذروهم لغلوهم في الإنذار، كأنهم ليسوا إلا إنذارًا؛ وكذلك ﴿قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] أي حاملاً رسالته. ويجوز أن يكون من كلام الخزنة للكفار على إرادة القول: أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا. أو أرادوا بالضلال: الهلاك. أو سموا عقاب الضلال باسمه. أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة، أي قالوا لنا هذا فلم نقبله ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ الإنذار سماع طالبين للحق[2]. أي نعقله عقل متأمّلين. وقيل: إنما جمع بين السمع والعقل؛ لأنّ مدار التكليف على أدلة السمع والعقل. ومن بدع التفاسير: أنّ المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب[3] الرأي، كأنّ هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين، وكأن سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين قد أنزل الله وعيدهم، وكأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة؛ وعدّة المبشرين من الصحابة: عشرة، لم يضم إليهم حادي عشر، وكأن من يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ بكفرهم في تكذيبهم الرسل ﴿فَسُحْقًا﴾ قرئ بالتخفيف والتثقيل، أي: فبعدًا لهم، اعترفوا أو جحدوا؛ فإنّ ذلك لا ينفعهم.

---

(١) قوله: «كما تزعم المجبرة» إن كان مراده أهل السنة كعادته لقولهم: إنه تعالى هو الخالق لأفعال العباد، وأنها بقضائه تعالى وقدره، بل من جهة ما لهم فيها من الكسب والاختيار كما تقرر في محله وإن كان مراده القائلين بالجبر المحض وأن العبد كالريشة المعلقة في الهواء لا دخل له في عمله أصلاً، فقد أصاب للفرق الضروري بين حركة اليد في البطش وحركتها في الارتعاش، كما تقرر في علم التوحيد، فارجع إليه. (ع)

(٢) قال محمود: «معناه لو كنا نسمع للإنذار سماع طالبين للحق... إلخ» قال أحمد: إن عنى أن الأحكام الشرعية تستفاد من العقل كما تستفاد من السمع بناء على قاعدة التحسين والتقبيح، فهو غير بعيد من أصحاب السعير. وإن عنى أن العقل يرشد إلى العقائد الصحيحة والسمع يختص بالأحكام الشرعية: فهو مع أهل السنة.

(٣) قال محمود: «ومن بدع التفاسير أن المراد: لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأي... إلخ» قال أحمد: ولو تفطن نبيه لهذه الآية لعدها دليلاً على تفضيل السمع على البصر، فإنه قد استدل على ذلك بأخفى منها.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾

ظاهره الأمر بأحد الأمرين: الإسرار والإجهار. ومعناه: ليستو عندكم إسراركم وإجهاركم[1] في علم الله بهما، ثم أنه علله بـ ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها، فكيف لا يعلم ما تكلم به. ثم أنكر ألاَّ يحيط علمًا بالمضمر والمسر والمجهر ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ الأشياء[2]، وحاله أنه اللطيف الخبير، المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن. ويجوز أن يكون ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ منصوبًا بمعنى: ألا يعلم مخلوقه وهذه حاله. وروي أنّ المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء، فيظهر الله رسوله عليها، فيقولون: أسروا قولكم لئلا يسمعه إله محمد، فنبه الله على جهلهم. فإن قلت: قدرت في ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ مفعولاً على معنى: ألا يعلم ذلك المذكور مما أضمر في القلب وأظهر باللسان من خلق، فهلا جعلته مثل قولهم: وهو يعطي ويمنع؛ وهلا كان المعنى: ألا يكون عالمًا من هو خالق؛ لأنّ الخلق لا يصح إلا مع العلم؟ قلت: أبت ذلك الحال التي هي قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ لأنك لو قلت: ألا يكون عالمًا من هو خالق وهو اللطيف الخبير: لم يكن معنى صحيحًا؛ لأنّ ألا يعلم معتمد على الحال. والشيء لا يوقت بنفسه، فلا يقال: ألا يعلم وهو عالم، ولكن ألا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ/ ٢/ ٢٣٠أ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

---

(١) قوله: «إسراركم وإجهاركم» في الصحاح «إجهار الكلام»: إعلانه. (ع)

(٢) قال محمود: «أنكر أن لا يحيط علمًا بالسر أو الجهر من خلق ذلك... إلخ» قال أحمد: هذه الآية رد على المعتزلة وتصحيح الطريق التي يسلكها أهل السنة في الرد عليهم؛ فإن أهل السنة يستدلون على أن العبد لا يخلق أفعاله بأنه لا يعلمها، وهو استدلال بنفي اللازم الذي هو العلم على نفي الملزوم الذي هو الخلق، وبهذه الملازمة دلت الآية؛ فإن الله تعالى أرشد إلى الاستدلال على ثبوت العلم له عز وجل بثبوت الخلق، وهو استدلال بوجود الملزوم على وجود اللازم، فهو نور واحد يقتبس منه ثبوت العلم للباري عز وجل، وإبطال خلق العبد لأفعاله؛ وإعراب الآية ينزل على هذا المعنى، فإن الوجه فيها أن يكون (من) فاعلاً مرادًا به الخالق، ومفعول العلم محذوف تقديره؛ ذلك إشارة إلى السر والجهر ومفعول خلق محذوف ضميره عائد إلى ذلك. والتقدير في الجميع: ألا يعلم السر والجهر من خلقهما. ومتى حذونا غير هذا الوجه من الإعراب ألقانا إلى مضايق التكلف والتعسف؛ فمن المحتمل أن يكون من مفعولة واقعة على فاعل السر والجهر، والتقدير: ألا يعلم الله المسرين والجاهرين؛ وليس مطابقًا للمفصل، فإنه لم يقع ذوات الفاعلين، وإنما وقع على أفعالهم من السر والجهر. وعليه وقع الاستدلال. ويحتمل غير ذلك أبعد منه. والأول هو الأولى لفظًا ومعنى. والله الموفق.

المشي في مناكبها: مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية؛ لأنّ المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شيء من البعير وأنباه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه، فإذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك(١). وقيل: مناكبها جبالها. قال الزجاج: معناه سهل لكم السلوك في جبالها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها، فهو أبلغ التذليل. وقيل: جوانبها. والمعنى: وإليه نشوركم، فهو مسائلكم(٢) عن شكر ما أنعم به عليكم.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ فيه وجهان: أحدهما من ملكوته في السماء؛ لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ، ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه. والثاني: أنهم كانوا يعتقدون التشبيه، وأنه في السماء، وأنّ الرحمة والعذاب ينزلان منه، وكانوا يدعونه من جهتها، فقيل لهم على حسب اعتقادهم: أأمنتم من تزعمون أنه في السماء، وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب، كما تقول لبعض المشبهة: أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل، إذا رأيته يركب بعض المعاصي ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ قرئ: بالتاء والياء ﴿كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ أي إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم ﴿صَٰٓفَّٰتٖ﴾ باسطات أجنحتهنّ في الجوّ عند طيرانها؛ لأنهن إذا بسطنها صففن قوادمها(٣) صفًا ﴿وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾ ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن. فإن قلت: لم قيل: ويقبضن، ولم يقل: وقابضات؟ قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة؛ لأنّ الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مدّ الأطراف وبسطها. وأما القبض فطارىء على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طار غير أصل بلفظ الفعل، على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة كما يكون من السابح ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾ بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي(٤)، وبنى الأجسام على شكل وخصائص قد

---

(١) قوله: «لم يترك» لعل هنا سقطا تقديره: لم يترك شيئًا منها إلا قد ذلله. (ع)

(٢) قوله: «فهو مسائلكم» عبارة النسفي: سائلكم. (ع)

(٣) قال محمود: «معناه: باسطات أجنحتها؛ لأنها إذا بسطتها صفت قوادمها... إلخ» قال أحمد: ويلاحظ هذا المعنى في قوله: (والطير محشورة) بعد قوله: (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن) ولم يقل مسبحات، مثل محشورة لقربه من هذا التفسير؛ ولقد أحسن فيه كل الإحسان.

(٤) قوله: «من القوادم والخوافي» في الصحاح «قوادم الطير»: مقاديم ريشه، وهي عشر ريشات في كل جناح. والخوافي ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح. (ع)

تأتى منها الجري في الجو ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۢ بَصِيرٌ﴾ يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب.

﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَمَّنۡ﴾ يشار إليه من الجموع ويقال ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ﴾ الله إن أرسل عليكم عذابه ﴿أَمَّنۡ﴾ يشار إليه ويقال ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥ﴾ وهذا على التقدير. ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم، فكأنهم الجند الناصر والرازق. ونحوه قوله تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ﴾ [الأنبياء: ٤٣]. ﴿بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ﴾ بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه.

﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

يجعل «أكب» مطاوع «كبه» يقال: كببته فأكب، من الغرائب والشواذ. ونحوه: قشعت الريح السحاب فأقشع، وما هو كذلك؛ ولا شيء من بناء أفعل مطاوعًا، ولا يتقن نحو هذا إلا حملة كتاب سيبويه[1]؛ وإنما «أكب» من باب «انفض، وألأم»[2] ومعناه: دخل في الكب، وصار ذا كب؛ وكذلك أقشع السحاب: دخل في القشع. ومطاوع كب وقشع: انكب وانقشع. فإن قلت ما معنى ﴿يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ﴾؟ وكيف قابل ﴿يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؟ قلت: معناه: يمشي معتسفًا في مكان معتاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع، فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبًا، فحاله نقيض حال من يمشي سويًا، أي: قائمًا

---

(١) قال السمين الحلبي: وهذا الرجل كثير التبجج بكتاب سيبويه وكم نص في كتاب سيبويه عمي بصره عنه. حتى إن الإمام أبا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابًا يذكر فيه ما غلط الزمخشري فيه وما جهله من كتاب سيبويه انتهى ما قاله الشيخ فانظر إلى هذا الرجل؛ الذي أخذ كلامه الذي أسلفته عنه، طرزته عبارته حرفًا بحرف ثم أخذ يجيء عليه بإساءة الأدب جزاء ما لقنه تلك الكلمات الرائعة، وجعل يقول: إن مطاوع كب انكب لا أكب وإنما الهمزة في أكب للصيرورة أو للدخول في الشيء، وبالله لو بقي دهره غيرُ ملقَّن إياها لما قالها أبدًا. ثم أخذ يذكر عن إنسان مع أبي القاسم كالسها مع القمر أنه غلط في نصوص كتاب سيبويه، الله أعلم بصحتها. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «من باب انفض وألأم» في الصحاح «انفض القوم» هلكت أموالهم. وانفضوا أيضًا: مثل ارملوا فني زادهم. وفيه أيضًا: ألأم الرجل إذا صنع ما يدعوه الناس عليه لئيمًا. (ع)

سالمًا من العثور والخرور. أو مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو. ويجوز أن يراد الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيعتسف، فلا يزال ينكب على وجهه، وأنه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له، وهو مثل للمؤمن والكافر. وعن قتادة: الكافر أكب على معاصي الله تعالى فحشره الله يوم القيامة على وجهه. وعن الكلبي: عنى به أبو جهل بن هشام. وبالسويّ: رسول الله ﷺ، وقيل: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ الضمير للوعد. والزلفة: القرب، وانتصابها على الحال أو الظرف، أي: رأوه ذا زلفة أو مكانًا ذا زلفة ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾/ ٢/ ٢٣٠أ أي ساءت رؤية الوعد وجوههم: بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة، وكلحوا، وكما يكون[1] وجه من يقاد إلى القتل أو يعرض على بعض العذاب ﴿وَقِيلَ﴾ القائلون: الزبانية ﴿تَدَّعُونَ﴾ تفتعلون من الدعاء، أي: تطلبون وتستعجلون به. وقيل: هو من الدعوى، أي: كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبعثون. وقرئ: «تدعون»، وعن بعض الزهاد: أنه تلاها في أول الليل في صلاته، فبقي يكررها وهو يبكي إلى أن نودي لصلاة الفجر، ولعمري إنها لوقاذة[2] لمن تصور تلك الحالة وتأملها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾

كان كفار مكة يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك، فأمر بأن يقول لهم: نحن مؤمنون متربصون لإحدى الحسنيين: إما أن نهلك كما تتمنون فننقلب إلى الجنة، أو نرحم بالنصرة والإدالة للإسلام كما نرجو، فأنتم ما تصنعون؟ من يجيركم ـ وأنتم كافرون ـ من عذاب النار؟ لا بدّ لكم منه، يعني: إنكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة، وأنتم في أمر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده، وأنتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه. أو إن أهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم، والآخذين بحجزكم من النار، وإن رحمنا بالإمهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم؛ فإنّ المقتول على أيدينا هالك. أو إن أهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون، فمن

---

(١) قوله: «وكما يكون» لعله كما بدون واو. (ع)

(٢) قوله: «إنها لوقاذة لمن تصور» في الصحاح «وقذه» ضربه حتى استرخى وأشرف على الموت. (ع)

يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم؛ وإن رحمنا بالإيمان فمن يجير من لا إيمان له.

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٩)﴾

فإن قلت لم أخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا؟ قلت: لوقوع آمنا تعريضًا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم، كأنه قيل: آمنا ولم نكفر كما كفرتم، ثم قال: وعليه توكلنا خصوصًا لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ (٣٠)﴾

﴿غورًا﴾ غائرًا ذاهبًا في الأرض. وعن الكلبي لا تناله الدلاء، وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا. وعن بعض الشطار أنها تليت عنده فقال: تجيء به الفئوس والمعاول، فذهب ماء عينيه؛ نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر» (١٦٤٤).

١٦٤٤ ـ تقدم برقم (٣٤٦)
قال الحافظ:
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

سورة ن

مكية، وهي اثنان وخمسون آية
[نزلت بعد العلق]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾

قرئ: نَ والقلم بالبيان والإدغام، وبسكون النون وفتحها وكسرها، كما في ص. والمراد هذا الحرف من حروف المعجم: وأمّا قولهم: هو الدواة فما أدري أهو وضع لغوي أم شرعي؟ ولا يخلو إذا كان اسمًا للدواة من أن يكون جنسًا أو علمًا، فإن كان جنسًا فأين الإعراب والتنوين، وإنّ كان علمًا فأين الإعراب، وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام. فإن قلت: هو مقسم به وجب إن كان جنسًا أن تجرّه وتنوّنه، ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة، كأنه قيل: ودواة والقلم، وإن كان علمًا أن تصرفه وتجرّه، أو لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث، وكذلك التفسير بالحوت: إما أن يراد نون من النينان، أو يجعل علمًا لليهموت[1] الذي يزعمون، والتفسير باللوح من نور أو ذهب، والنهر في الجنة نحو ذلك، وأقسم بالقلم: تعظيمًا له، لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة، ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وما يكتب من كتب. وقيل: ما يستره الحفظة، وما موصولة أو مصدرية ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه، فيكون الضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ لهم كأنه قيل: وأصحاب القلم ومسطوراتهم. أو وسطرهم، ويراد بهم كل ما يسطر، أو الحفظة.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾

فإن قلت: بم يتعلق الباء في ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ وما محله؟ قلت: يتعلق بمجنون منفيًا[2]،

---

(١) قوله: «أو يجعل علمًا لليهموت» لعله باليهموت بالموحدة كعبارة غيره، فليحرر. (ع)

(٢) قوله: «يتعلق بمجنون منفيًا» في النسفي تتعلق بمحذوف، ومحله النصب على الحال. والعامل فيهما (بمجنون). (ع)

كما يتعلق بعاقل مثبتًا في قولك: أنت بنعمة الله عاقل، مستويًا في ذلك الإثبات والنفي استواءهما في قولك: ضرب زيد عمرًا، وما ضرب زيد عمرًا: تعمل الفعل مثبتًا ومنفيًا إعمالاً واحدًا؛ ومحله النصب على الحال، كأنه قال: ما أنت بمجنون منعمًا عليك بذلك[1]؛ ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله، لأنها زائدة لتأكيد النفي. والمعنى؛ استبعاد ما كان ينسبه إليه كفار مكة عداوة وحسدًا، وأنه من إنعام الله عليه بحصافة العقل[2] والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوّة، بمنزل ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ على احتمال ذلك وإساغة الغصة فيه والصبر عليه ﴿لَأَجْرًا﴾ لثوابًا ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع كقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أو غير ممنون/ ٢/ ٢٣١أ عليك به[3]، لأنه ثواب تستوجبه [4]على عملك، وليس بتفضل ابتداء؛ وإنما تمنّ الفواضل لا الأجور على الأعمال.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾

استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات[5] من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم. وقيل: هو الخلق الذي أمره الله تعالى به في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] وعن عائشة رضي الله عنها: أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن، ألست تقرأ القرآن: قد أفلح المؤمنون (١٦٤٥).

١٦٤٥ ـ أخرجه مسلم (٣/ ٢٧٩ ـ ٢٨١): كتاب صلاة المسافرين: باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه، حديث (١٣٩) ـ (٧٤٦).
ـ وأبو داود (٢/ ٤٠): كتاب الصلاة: باب في صلاة الليل، حديث (١٣٤٢).

---

(١) قوله: «منعمًا عليك بذلك» كذا في النسفي بعد ما سبق فيه (ما أنت بنعمة ربك) أي بإنعامه عليك بالنبوة وغيرها. وهذا مرجع الإشارة. (ع)

(٢) قوله: «وإنه من إنعام الله بحصافة» لعله من إنعام الله عليه بحصافة العقل أي استحكامه. كما أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قال محمود: «معناه غير مقطوع، كقوله: (عطاء غير مجذوذ). . . إلخ» قال أحمد: ما كان النبي ﷺ يرضى من الزمخشري بتفسير الآية هكذا. وهو ﷺ يقول: «لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة» ولقد بلغ بالزمخشري سوء الأدب إلى حد يوجب الحد، وحاصل قوله: أن الله لا منة له على أحد ولا فضل في دخول الجنة لأنه قام بواجب عليه، نعوذ بالله من الجراءة عليه.

(٤) قوله: «لأنه ثواب تستوجبه على عملك» وجوب الثواب عليه تعالى مذهب المعتزلة، ولا يجب عليه شيء عند أهل السنة. (ع)

(٥) قوله: «احتماله الممضات» أي: الموجعات. أفاده الصحاح. (ع)

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾

﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ المجنون، لأنه فتن: أي محن بالجنون أو لأن العرب يزعمون أنه من تخبيل الجن، وهم الفتان للفتاك منهم، والباء مزيدة. أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود، أي: بأيكم الجنون، أو بأي الفريقين منكم الجنون[1]. أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين؟ أي: في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم، وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما، وهذا كقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ۝٢٦﴾ [القمر: ٢٦].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ بالمجانين على الحقيقة، وهم الذين ضلوا عن سبيله ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ بالعقلاء وهم المهتدون. أو يكون وعيدًا ووعدًا، وأنه أعلم بجزاء الفريقين ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم، وكانوا قد أرادوه على أن يعبد الله مدة، وآلهتهم مدة، ويكفوا عنه غوائلهم ﴿لَوْ تُدْهِنُ﴾ لو تلين وتصانع ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ فإن قلت: لم رفع ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ ولم ينصب بإضمار (أن) وهو جواب التمني؟ قلت: قد عدل به إلى طريق آخر: وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف، أي: فهم يدهنون، كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن: ١٣] على معنى: ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذٍ. أو ودوا إدهانك فهم الآن يدهنون؛ لطمعهم في إدهانك. قال سيبويه: وزعم هارون أنها في بعض

= ـ وابن ماجه (٢/ ٧٨١ ـ ٧٨٢): كتاب الأحكام: باب الحكم فيمن كسر شيئًا، حديث (٢٣٣٣).
ـ والحاكم (٢/ ٤٩٩): كتاب التفسير: باب كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن.
ـ وأحمد (٦/ ٥٤، ٩١، ١١١).
ـ والبيهقي في الدلائل (١/ ٣٠٨).
ـ والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٤).
قال الحافظ:
أخرجه مسلم من رواية زرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عنه وفيه قصة؛ وأخرجه الحاكم مختصرًا بلفظ المصنف. انتهى

---

(١) قوله: «أو بأي الفريقين منكم الجنون» لعله المجنون. وفي النسفي. قال الزجاج: الباء بمعنى في. تقول: كنت ببلد كذا، أي: في بلد كذا، وتقديره: في أيكم المفتون، أي: في أي الفريقين منكم المجنون. (ع)

المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾

﴿حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل، وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]. ﴿مَّهِينٍ﴾ من المهانة وهي القلة والحقارة، يريد القلة في الرأي والتمييز. أو أراد الكذاب لأنه حقير عند الناس ﴿هَمَّازٍ﴾ عياب طعان. وعن الحسن. يلوي شدقيه في أقفية الناس ﴿مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ مضرب(١) نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم. والنميم والنميمة: السعاية، وأنشدني بعض العرب [من الرجز]:

تَشَبَّبِي تَشَبُّبَ النَّمِيمَهْ تَمْشِي بِهَا زَهْرَا إِلَى تَمِيمَهْ(٢)

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ بخيل. والخير: المال. أو مناع أهله الخير وهو الإسلام، فذكر الممنوع منه دون الممنوع، كأنه قال: مناع من الخير. قيل: هو الوليد بن المغيرة المخزومي: كان موسرًا، وكان له عشرة من البنين، فكان يقول لهم وللحمته(٣): من أسلم منكم منعته رفدي، عن ابن عباس. وعنه: أنه أبو جهل. وعن مجاهد: الأسود بن عبد يغوث. وعن السدي: الأخنس بن شريق، أصله في ثقيف وعداده في زهرة، ولذلك قيل: زنيم ﴿مُعْتَدٍ﴾ مجاوز في الظلم حده ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الآثام ﴿عُتُلٍّ﴾ غليظ جاف، من عتله: إذا قاده بعنف وغلظة ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعدما عَدَّ لَهُ من المثالب والنقائص ﴿زَنِيمٍ﴾ دعي(٤). قال

---

(١) قوله: «مضرب نقال» في الصحاح «التضريب بين القوم»: الإغراء. (ع)

(٢) لأعرابي يخاطب النار. والتشبب: التوقد. والنميمة: تزوير الكلام. وتزويقه للإفساد بين الناس. وثوب منمم ومنمنم: منقش محسن. وزهرًا ـ بالفتح ـ: اسم امرأة نمامة. وتميمة: قبيلة تميم، ونزل النار منزلة العاقل فأمرها وقال: اشتعلي كاشتعال النميمة حال كونها تمشي بها هذه المرأة إلى بني تميم، وكانت كثيرة الإفساد بين العرب، حتى ضرب بها المثل؛ وجعل اشتعال نميمتها أبلغ من اشتعال النار، فأمرها أن تتوقد كتوقدها، وبين نميمة وتميمة الجناس اللاحق.
ينظر: تاج العروس (شبب)، وأساس البلاغة (حظر)، (شبب)، والدر المصون (٦/ ٣٥٢).

(٣) قوله: «يقول لهم وللحمته» في الصحاح «اللحمة» بالضم: القرابة. (ع)

(٤) قال محمود: «العتل الجافي، والزنيم الداعي، وكذلك كان الوليد بن المخزومي استلحقه المغيرة بعد ثمان عشر من مولده... إلخ» قال أحمد: وإنما أخذ كون هذين أشد معايبه من قوله بعد ذلك، فإنه يعطي تراخي المرتبة فيما بين المذكور أولاً والمذكور بعده في الشر والخير. ونظيره في الخير قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ ومن ثم استعملت ثم لتراخي المراتب، وإن أعطت =

حسان [من الطويل]:

وَأَنْـتَ زَنِـيـمٌ نِـيـطَ فِـي آلِ هَـاشِـمٍ   كَمَا نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ(١)

وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده. وقيل: بغت أمّه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية، جعل جفاءه ودعوته أشد معايبه، لأنه إذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية، ولأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشىء منها. ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده» (١٦٤٦) و﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ نظير (ثم) في قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧] وقرأ الحسن: عتل، رفعًا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك. والزنيم: من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها، لأنه زيادة معلقة بغير أهله ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ يعني: ولا تطعه مع هذه المثالب، لأن كان ذا مال. أي: ليساره وحظه من الدنيا. ويجوز أن يتعلق بما بعده على

١٦٤٦ ـ أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٤٩) في ترجمة يوسف بن أسباط.
ـ والحديث بمعناه عند النسائي في الكبرى (٣/ ١٧٨): كتاب العتق رقم (٤٩٢٨/ ٥).
ـ وكذلك رواه ابن حبان (٨/ ١٧٥ ـ ١٧٧): كتاب الزكاة: باب «ذكر الإخبار عن نفي دخول الجنة...» رقم (٣٣٨٣).
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٧٦) للثعلبي من نفس طريق أبي نعيم.
قال الحافظ:
أخرجه أبو نعيم في ترجمة مجاهد من رواية عبدالله بن حسن في ترجمة يوسف بن أسباط من رواية بركة بن محمد عن يوسف بن أسباط عن أبي إسرائيل الملائي عن إسماعيل بن إسحاق عن قبيصة بن عمرو عن مجاهد عن ابن عمر عن أبي هريرة. ثم رواه من طريق إسحاق بن منصور عن أبي إسرائيل به وأبو إسحاق ضعيف جدًا. وقد ادعى ابن طاهر وابن الجوزي أن هذا الحديث موضوع. وقد خولف عن مجاهد. رواه النسائي من طريق إبراهيم بن مجاهد عن مجاهد عن محمد ابن عبدالرحمن عن أبي هريرة بلفظ «لا يدخل الجنة ولد زنا. ولا شيء من نسله إلى سبعة آباء» وإبراهيم فيه ضعف. ورواه أيضًا من رواية يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي سعيد نحو حديث منصور الآتي. ويزيد ضعيف وروى النسائي أيضًا من رواية شعبة عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن عبدالله بن شريك عن جابان عن عبدالله بن عمر بلفظ «لا يدخل ولد زانية الجنة» ومن رواية سفيان عن منصور بإسقاط عبدالله بن شريك. وأخرجه ابن حبان من الوجهين. وقال الطريقان محفوظان. إلا أن الثوري أعرف بحديث ملو. انتهى

= عكس الترتيب الوجودي.

(١) لحسان بن ثابت يخاطب الوليد بن المغيرة، يقول: إنه زنيم، أي معلق في آل هاشم كالزنمة في الإهاب وهي قطعة جلد صغيرة تترك معلقة بطرفه، فشبهه بها وشبهه بالقدح المنفرد الفارغ المعلق خلف الراكب.

معنى: لكونه متمولاً مستظهرًا بالبنين كذب آياتنا[١] ولا يعمل فيه ﴿قَالَ﴾ الذي هو جواب إذا، لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله، ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب. وقرئ: «أأن كان»؟ على الاستفهام على: إلا لأن كان ذا مال وبنين، كذب. أو أتطيعه لأن كان ذا مال. وروى الزبيري عن نافع: إن كان، بالكسر والشرط للمخاطب، أي: لا تطع كل حلاف شارطًا يساره، لأنه إذا أطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط في الطاعة الغنى، ونحو صرف الشرط إلى المخاطب/ ٢/ ٢٣١ب صرف الترجي إليه في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: ٤٤] الوجه: أكرم موضع في الجسد، والأنف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له، ولذلك جعلوه مكان العز والحمية، واشتقوا منه الأنفة. وقالوا الأنف من الأنف، وحمى أنفه، وفلان شامخ العرنين. وقالوا في الذليل: جدع أنفه، ورغم أنفه، فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة، لأن السمة على الوجه شين وإذالة[٢]، فكيف بها على أكرم موضع منه، ولقد وسم العباس أباعر[٣] في وجوهها، فقال له رسول الله ﷺ: «أكرموا الوجوه» فوسمها في جواعرها[٤] (١٦٤٧) وفي لفظ «الخرطوم» استخفاف به واستهانة. وقيل معناه: سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة، كما عادى رسول الله ﷺ عداوة بان بها عنهم. وقيل: خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على

١٦٤٧ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٧٨)، غريب بهذا اللفظ وأخرج مسلم عن ابن عباس بنحوه (٧/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩): كتاب اللباس والزينة: باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه، رقم (١٠٨) ـ (٢١١٨).

ـ والبيهقي (٧/ ٣٥): كتاب الصدقات: باب ما جاء في موضع الوسم وفي صفة الوسم.

ـ وابن حبان (١٢/ ٤٤٢): كتاب الحظر والإباحة: فصل فيما يتعلق بالدواب. رقم (٥٦٢٥) جميعهم من رواية ابن عباس.

قال الحافظ:

لم أره هكذا. وفي ابن حيان من حديث ابن عباس «أن العباس وسم بعيرًا له. ودابة في وجهها فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فغضب: فقال العباس: لا أسمه إلا في آخره فوسمه في جاعرتيه» وأصله في مسلم بلفظ «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمارًا موسوم الوجه، فأنكر ذلك فقال الرجل: والله لا أسمه إلا في أقصى شيء من الوجه. فأمر بحمار له فكوى في جاعرتيه». فهو أول من كوى في الجاعرتين؛ زاد الطبراني، وكان الرجل الذي كوى: العباس بن عبد المطلب. انتهى

---

(١) قوله: «كذب آياتنا» عبارة النسفي: كذب بآياتنا. (ع)

(٢) قوله: «وإذالة» في القاموس «أذلته» أهنته اهـ. (ع)

(٣) قوله: «أباعر» لعله أباعره بالإضافة إلى الضمير، لأن الجمع أبعرة وأباعر، كما في الصحاح. (ع)

(٤) قوله: «فوسمها في جواعرها» الجاعرة: ما حول الدبر. أفاده الصحاح. (ع)

خرطومه. وقيل: سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعًا، فلا تخفى، كما لا تخفى السمة على الخرطوم. وعن النضر بن شميل: أن الخرطوم الخمر، وأن معناه: سنحده على شربها وهو تعسف. وقيل للخمر: الخرطوم، كما قيل لها: السلافة. وهي ما سلف من عصير العنب. أو لأنها تطير في الخياشيم.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

إنا بلونا أهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله ﷺ عليهم ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين[(١)]، فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي، وكان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل، وما في أسفل الأكداس[(٢)] وما أخطأه القطاف من العنب، وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت، فكان يجتمع لهم شيء كثير، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال، فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف[(٣)] خفية عن

---

(١) قال محمود: «أصحاب الجنة قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين... إلخ» قال أحمد: وفائدة التنكير الإبهام تعظيمًا لما أصابها، ومعنى كالصريم: أي لهلاك ثمرها. وقيل الصريم الليل، لأنها احترقت واسودت. وقيل: النهار، أي خالية فارغة من قولهم: بيض الإناء، إذا فرغه. قلت: ومنه البياض من الأرض، أي: الخالية من الشجر. ورد في الحديث، ويستعمله الفقهاء في المساقاة، ومعنى صارمين: حاصدين. قال: وإنما عدل عن «إلى» في قوله: (على حرثكم) لأن غدوهم كان ليصرموه، فهو غدو عليه، ومعنى (يتخافتون) يسرون حديثهم خيفة من ظهور المساكين عليهم. وقوله: (ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) مثل: لا أرينك ههنا؛ والحرد من حاردت السنة إذا منعت خيرها. والمعنى: وغدوا على نكد ومنع غير عاجزين عن النفع. وقيل: الحرد السرعة، أي: غدوا مسارعين نشطين لما عزموا عليه من الحرمان. ومعنى (قادرين) على هذا التأويل: عند أنفسهم. وقيل: حرد اسم الجنة المذكورة، وقولهم: (إنا لضالون) قالوه في بديهة أمرهم دهشًا لما رأوا ما لم يعهدوه فاعتقدوا أنهم ضلوا عنها وأنها ليست هي؛ ثم لما تبينوا وأيقنوا أنها هي أضربوا عن الأول إلى قولهم: (بل نحن محرومون).

(٢) قوله: «وما في أسفل الأكداس» في الصحاح «الكدس» بالضم: واحد أكداس الطعام. (ع)

(٣) قوله: «مصبحين في السدف خفية» في الصحاح «السدفة» في لغة نجد: الظلمة، وفي لغة غيرهم =

المساكين، ولم يستثنوا في يمينهم، وقيل: كانوا من بني إسرائيل فأحرق الله جنتهم. ﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصبح مبكرين ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ ولا يقولون إن شاء الله. فإن قلت: لم سمي استثناء، وإنما هو شرط؟ قلت: لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء، من حيث أن معنى قولك: لأخرجنّ إن شاء الله، ولا أخرج إلا أن يشاء الله. واحد ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ بلاء أو هلاك ﴿طَآئِفٌ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢] وقرئ: «طيف» ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ كالمصرومة لهلاك ثمرها. وقيل: الصريم الليل، أي. احترقت فاسودت. وقيل: النهار أي: يبست وذهبت خضرتها. أو لم يبق فيها شيء، من قولهم: بيض الإناء، إذا فرغه. وقيل الصريم الرمال ﴿صَٰرِمِينَ﴾ حاصدين. فإن قلت: هلاَّ قِيلَ: اغدوا إلى حرثكم؛ وما معنى (على)؟ قلت: لما كان الغدوّ إليه ليصرموه ويقطعوه: كان غدوّا عليه، كما تقول: غدا عليهم العدوّ. ويجوز أن يضمن الغدوّ معنى الإقبال، كقولهم: يغدىٰ عليه بالجفنة ويراح، أي: فأقبلوا على حرثكم باكرين ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يتسارّون فيما بينهم. وخفى، وخفت، وخفد: ثلاثتها في معنى الكتم، ومنه الخفدود للخفاش ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ أن مفسرة. وقرأ ابن مسعود بطرحها بإضمار القول، أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها؛ والنهي عن الدخول للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه، أي: لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك: لا أرينك ههنا. الحرد: من حردت السنة إذا منعت خيرها؛ وحاردت الإبل إذا منعت درّها. والمعنى: وغدوا قادرين على نكد، لا غير عاجزين عن النفع، يعني أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم، فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرمان، وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة. أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين، بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها، أي: غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع، أو لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم: عاقبهم الله بأن حاردت جنتهم وحرموا خيرها، فلم يغدوا على حرث وإنما غدوا على حرد. و﴿قَٰدِرِينَ﴾ من عكس الكلام للتهكم، أي: قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين، وعلى حرد ليس بصلة قادرين، وقيل: الحرد بمعنى الحرد. وقرئ: «على حرد»، أي لم يقدروا إلا على حنق وغضب بعضهم على بعض، كقوله تعالى: ﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾ [القلم: ٣٠] وقيل: الحرد القصد والسرعة؛ يقال: حردت حردك. وقال [من الرجز]:

أَقْـبَـلَ سَـيْـلٌ جَـاءَ مِـنْ أَمْـرِ الـلَّـهْ ... يَـحْـرُدُ حَـرْدَ الْـجَـنَّـةِ الْـمُـغِـلَّـةْ[1] ٢/ ٢٣٢أ

= الضوء. (ع)

(١) يصف سيلاً بالكثرة، ولذلك قال: من عند الله. ويروى: من أمر الله، وحذفت الألف قبل الهاء من لفظ الجلالة لأنه جائز في الوقف. وحرد يحرد من باب ضرب، بمعنى قصد وأسرع، أي: يسرع =

وقطا حراد: سراع، يعني: وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة ونشاط، قادرين عند أنفسهم، يقولون: نحن نقدر على صرامها وزيّ[1] منفعتها عن المساكين. وقيل: ﴿حَرْدٍ﴾ علم للجنة، أي غدوًا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم. أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان ﴿قَالُوٓاْ﴾ في بديهة وصولهم ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي ضللنا جنتنا، وما هي بها لما رأوا من هلاكها؛ فلما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا ﴿أَوْسَطُهُمْ﴾ أعدلهم وخيرهم، من قولهم: هو من سطة قومه، وأعطني من سطات مالك. ومنه قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم، كأن أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك: اذكروا الله وانتقامه من المجرمين، وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم، وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة، فعصوه فعيرهم. والدليل عليه قولهم: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فتكلموا بما كان يدعوهم إلى التكلم به على أثر مقارفة الخطيئة، ولكن بعد خراب البصرة. وقيل: المراد بالتسبيح. الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله، لأنّ الاستثناء تفويض إليه، والتسبيح تنزيه له؛ وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم. وعن الحسن: هو الصلاة، كأنهم كانوا يتوانون في الصلاة؛ وإلاّ لنهتهم عن الفحشاء والمنكر، ولكانت لهم لطفًا في أن يستثنوا ولا يحرموا ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح، ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء ﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾ يلوم بعضهم بعضًا؛ لأنّ منهم من زين، ومنهم من قبل، ومنهم من أمر بالكف وعذر، ومنهم من عصى الأمر، ومنهم من سكت وهو راضٍ ﴿أَن يُبْدِلَنَا﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ طالبون منه الخير راجون لعفوه ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أشد وأعظم منه، وسئل قتادة عن أصحاب الجنة: أهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ فقال: لقد كلفتني تعبًا. وعن مجاهد: تابوا فأبدلوا خيرًا منها. وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه: بلغني أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان: فيها عنب يحمل البغل منه عنقودًا.

= إسراع الجنة أي البستان المغلة كثير الغلة والخير، ومعنى إسراع الجنة؛ ظهور خيرها قبل غيرها في زمن يسير، واختارها لأنها تنشأ عن السيل.

ينظر: خزانة الأدب ٣٥٦/١٠، وسمط اللآلي ص ٣١، وبلا نسبة في لسان العرب (حرد)، (غلل)، (أله)، وخزانة الأدب ٣٥٦/١٠، وجمهرة اللغة ص ١٦٠، ٥٠١، ٩٦٢، وسر صناعة الإعراب ص ٧٢١، ومعجم ما استعجم ص ٧٨٥، وتهذيب اللغة ٤٢٢/٦، ومجمل اللغة ٥٦/٢، ومقاييس اللغة ٥١/٢، وديوان الأدب ١٥١/٢، وتاج العروس (غلل)، وكتاب العين ١٨١/٣.

(١) قوله: «وزي منفعتها» في الصحاح: تقول: زوى فلان المال عن وارثه زيًا. (ع)

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي في الآخرة ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ليس فيها إلا التنعم الخالص، لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا: إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا إلا مثل ما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا، وأقصى أمرهم أن يساوونا، فقيل: أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين. ثم قيل لهم على طريقة الالتفات[1] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ هذا الحكم الأعوج؟ كأنّ أمر الجزاء مفوّض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ من السماء ﴿تَدْرُسُونَ﴾ في ذلك الكتاب أنّ ما تختارونه وتشتهونه لكم، كقوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ الصافات: ١٥٦ ـ ١٥٧] والأصل تدرسون أنّ لكم ما تخيرون، بفتح أنّ؛ لأنه مدروس؛ فلما جاءت اللام كسرت. ويجوز أن تكون حكاية للمدروس، كما هو، كقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات: ٧٨ ـ ٧٩]. وتخير الشيء واختاره: أخذ خيره، ونحوه: تنخله وانتخله: إذا أخذ منخوله. لفلان عليّ يمين بكذا: إذا ضمنته منه وحلفت[2] له على الوفاء به، يعني: أم ضمنا منكم وأقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية في التوكيد فإن قلت: بم يتعلق ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؟ قلت: المقدر في الظرف، أي: هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها إلا يومئذٍ إذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون. ويجوز أن يتعلق ببالغة، على أنها تبلغ ذلكم اليوم وتنتهي إليه وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم. وقرأ الحسن: بالغة، بالنصب على الحال من الضمير في الظرف ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ جواب القسم؛ لأنّ معنى ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا﴾ أم أقسمنا لكم.

---

(١) قال محمود: «هذا خطاب على وجه الالتفات لأهل مكة إذ اعتقدوا أنهم في الآخرة أكثر نعيمًا من المؤمنين... إلخ» قال أحمد: ولما كان الدرس قولاً كسرها.

(٢) قوله: «إذا ضمنته منه وحلفت له» لعله: عنه؛ وكذا قوله: «منكم» لعله «عنكم» وفي الصحاح: ضمنته الشيء تضمينًا فتضمنه عني. (ع)

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحكم ﴿زَعِيمٌ﴾ أي قائم به وبالاحتجاج لصحته، كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بأمورهم ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ أي ناس/ ٢/ ٢٣٢ب يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه ﴿فَلْيَأْتُوا﴾ بهم ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في دعواهم، يعني: أنّ أحدًا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه، كما أنه لا كتاب لهم ينطق به، ولا عهد لهم به عند الله، ولا زعيم لهم يقوم به.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

الكشف عن الساق والإبداء عن الخدام[(١)]: مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب، وأصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهنّ في الهرب، وإبداء خدامهن عند ذلك. قال حاتم [من الطويل]:

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا   وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا[(٢)]

وقال ابن الرقيات [من الخفيف]:

تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي   عَنْ خِدَامِ الْعَقِيلَةِ الْعَذْرَاءِ[(٣)]

---

(١) قوله: «والإبداء عن الخدام» جمع خدمة، وهي الخلخال. أفاده الصحاح، وذلك كرقاب جمع رقبة. (ع)

(٢) لجرير. ويروى بدل الشطر الأول:

ألا رب ساهي الطرف من آل مازن   إذا شمرت.......... إلخ

وساهي الطرف: فاتر العين. وأخو الحرب: بمعنى أنه يألفها ويلازمها كالأخ. وشبه الحرب بفرس عضود على طريق الكناية، فأثبت لها العضد. وعضها: أي بلغ منها مراده. أو غلب أهلها؛ فالعض استعارة لذلك على طريق التصريح. ويجوز أنه ترشيح للأولى. وقوله: «به» يدل على أن العض وقع بجزئه. وقوله: «عضها» يفيد أنه وقع بها كلها، يعني: أنه يكافىء أعداءه وزيادة. والتشمير عن الساق: كناية عن اشتداد الأمر وصعوبته. وأصله: أن يسند للإنسان؛ لأن تشمير الثوب عن الساق لخوض لجة أو جري أو نحوه، فأسند الحرب لتشبيهها بالإنسان على طريق الكناية. وقوله: «شمر» أي عن ساعده لا عن ساقه؛ لأن تشمير الساعد كناية عن ملاقاة الأمر ومباشرته بنشاط وقوة، وهو المراد. أو شمر عن ساقه وساعده دليل الإطلاق، فيكون أبلغ من تشميرها. فإن قلت: كان ينبغي ذكر التشمير قبل العض لأنه من باب الاستعداد، قلت: نعم لو بقي على معناه، ولكن المراد به هنا شدة الأمر، وصعوبة الحرب: زيادة على أصلها.

ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣١٦)، والدر المصون (٦/ ٣٥٨).

(٣) كيف نومي على الفراش ولما   تشمل الشام غارة شعواء؟ =

فمعنى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ في معنى: يوم يشتدّ الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثم ولا ساق، كماتقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يد ثم ولا غل؛ وإنما هو مثل في البخل. وأما من شبه فلضيق عطنه(١) وقلة نظره في علم البيان، والذي غرّه منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «يكشف الرحمٰن عن ساقه؛ فأمّا المؤمنون فيخرّون سجدًا(٢)، وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقًا طبقًا كأنّ فيها سفافيد»(٣) (١٦٤٨) ومعناه: يشتد أمر الرحمٰن ويتفاقم هوله، وهو الفزع الأكبر يوم القيامة، ثم كان من حق الساق أن تعرف على ما ذهب إليه المشبه، لأنها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمٰن. فإن قلت:

١٦٤٨ ـ أخرجه الحاكم (٤/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣): كتاب الأهوال: باب كشف ساق الله وسجود العباد يوم القيامة من طريق عبدالله بن مسعود.
ـ وأخرجه البخاري مختصرًا (٨/٥٣٨) ومسلم (١/ ١١٤ ـ ١١٧): كتاب الإيمان. والبيقهي في الأسماء والصفات (ص/ ٣٤٤).
قال الحافظ:
أخرجه الحاكم من طريق سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود في أثناء حديث طويل ليس فيه تصريح برفعه. ورواه الطبري مختصرًا. انتهى

= تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء
لعبيد بن قيس الرقيات. وكيف استفهام إنكاري، بمعنى نفي النوم. ولما بمعنى لم، إلا أن فيها استمرار النفي إلى زمن التكلم وتوقيع الوقوع بعده. وشبه الغارة وهي الحرب بماله إحاطة وشمول على طريق المكنية؛ والشمول تخييل؛ والشعواء الغاشية المنتشرة؛ وإذهالها للشيخ عن بنيه: كناية عن اشتدادها، وكذلك كشفها عن خدام العقيلة، والخدام: الخلخال. وعقيلة كل شيء: أكرمه. ومن النساء المخدرة التي عقلت في خدرها. والعذراء: التي يتعذر نوالها ويشق وصالها. وفيه الإقواء، وهي اختلاف الروي بالضم والكسر. ويروى برفع العقيلة العذراء على أنه فاعل تبدي، وجعله ابن جرير شاهدًا على جواز حذف التنوين إذا تلاه ساكن، وإن كان الكثير تحريكه حينئذ، وعلى هذا فتحتاج هذه الجملة إلى رابط يعود على المنعوت وهو غارة؛ والتقدير: وتبدي فيها العقيلة عن خلخال.
ينظر: ديوانه ص ٩٦، والأغاني ٥/ ٦٩، وخزانة الأدب ٧/ ٢٨٧، ١١/ ٣٧٧، وسرّ صناعة الإعراب ص ٥٣٥، وشرح المفصّل ٩/ ٣٧، ولسان العرب (شعا)، والمنصف ٢/ ٢٣١، ولمحمد بن الجهم بن هارون في معجم الشعراء ص ٤٥٠، وبلا نسبة في الإنصاف ص ٦٦١، وتذكرة النحاة ص ٤٤٤، ولسان العرب (خدم)، ومجالس ثعلب ص ١٥٠.

(١) قوله: «وأما من شبه فلضيق عطنه» أي من قال بمذهب المشبهة على ما هو مقرر في علم الكلام، كما سيشير إليه بعد. (ع)

(٢) أخرجه الحاكم من طريق سلمة بن كهيل عن أبي الزهراء عن ابن مسعود في أثناء حديث طويل ليس فيه تصريح برفعه. ورواه الطبري مختصرًا.

(٣) قوله: «كأن فيها سفافيد» واحدها سفود بالتشديد، وهي حديدة يشوى بها اللحم. أفاده الصحاح. (ع)

فلم جاءت منكرة في التمثيل؟ قلت: للدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف، كقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦] كأنه قيل: يوم يقع أمر فظيع هائل؛ ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل: وعن أبي عبيدة: خرج من خراسان رجلان، أحدهما: شبه حتى مثل، وهو مقاتل بن سليمان، والآخر نفي حتى عطل وهو جهم بن صفوان؛ ومن أحس بعظم مضارّ فقد هذا العلم، علم مقدار عظم منافعه. وقرئ: «يوم نكشف» بالنون. وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعًا، والفعل للساعة أو للحال، أي: يوم تشتدّ الحال أو الساعة، كما تقول: كشفت الحرب عن ساقها، على المجاز. وقرئ: «تكشف» بالتاء المضمومة وكسر الشين، من أكشف: إذا دخل في الكشف. ومنه. أكشف الرجل فهو مكشف، إذا انقلبت شفته العليا. وناصب الظرف: فليأتوا. أو إضمار «اذكر» أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت، فحذف للتهويل البليغ. وإن ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه. عن ابن مسعود رضي الله عنه: تعقم أصلابهم، أي ترد عظامًا بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض. وفي الحديث: وتبقى أصلابهم طبقًا واحدًا، أي، فقارة واحدة. فإن قلت: لم يدعون إلى السجود ولا تكليف؟ قلت: لا يدعون إليه تعبدًا وتكليفًا، ولكن توبيخًا وتعنيفًا على تركهم السجود في الدنيا، مع إعقام أصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرًا لهم وتنديمًا على ما فرّطوا فيه حين دعوا إلى السجود، وهم سالمون الأصلاب[1] والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدّوا به.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ (٤٥)﴾

يقال: ذرني وإياه، يريدون كله إليّ، فإني أكفيكه، كأنه يقول: حسبك إيقاعًا به أن تكل أمره إليّ وتخلي بيني وبينه، فإني عامل بما يجب أن يفعل به مطيق له، والمراد: حسبي مجازيًا[2] لمن يكذب بالقرآن، فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل عليّ في الانتقام منه تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديدًا للمكذبين. استدرجه إلى كذا: إذا استنزله إليه درجة فدرجة، حتى يورّطه فيه. واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة، فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقًا إلى ازدياد الكفر والمعاصي ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم، لأنهم يحسبونه إيثارًا لهم وتفضيلًا على المؤمنين، وهو سبب لهلاكهم ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ وأمهلهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا

(١) قوله: «وهم سالمون الأصلاب» لعله سالمو الأصلاب بالإضافة. (ع)
(٢) قوله: «والمراد حسبي مجازيًا» الاستعمال المعروف: حسبك بي مجازيًا. أو حسبك الله مجازيًا. (ع)

إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] والصحة والرزق والمدّ في العمر: إحسان من الله وإفضال يوجب عليهم الشكر والطاعة، ولكنهم يجعلونه سببًا في الكفر باختيارهم، فلما تدرّجوا به إلى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج. وقيل: كم من مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه. وسمي إحسانه وتمكينه كيدًا كما سماه استدراجًا، لكونه/ ٢/ ٢٣٣أ في صورة الكيد حيث كان سببًا للتورّط في الهلكة، ووصفه بالمتانة لقوّة أثر إحسانه في التسبب للهلاك.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

المغرم: الغرامة، أي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجرًا، فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم، فيثبطهم ذلك عن الإيمان ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي اللوح ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يحكمون به.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ يعني: يونس عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ في بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غيظًا، من كظم السقاء إذا ملأه، والمعنى: لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة، فتبتلى ببلائه، حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه. وقرأ ابن عباس وابن مسعود: «تداركته». وقرأ الحسن: «تدارّكه»، أي تتداركه على حكاية الحال الماضية، بمعنى: لولا أن كان يقال فيه تتداركه، كما يقال: كان زيد سيقوم فمنعه فلان، أي كان يقال فيه سيقوم. والمعنى: كان متوقعًا منه القيام. ونعمة ربه: أن أنعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه. وقد اعتمد في جواب «لولا» على الحال، أعني قوله: ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ يعني أنّ حاله كانت على خلاف الذمّ حين نبذ بالعراء، ولولا توبته لكانت حاله على الذمّ. روي أنها نزلت بأحد حين حلّ برسول الله ﷺ ما حلّ به، فأراد أن يدعو على الذين انهزموا. وقيل: حين أراد أن يدعو على ثقيف. وقرئ: «رحمة من ربه» ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ فجمعه إليه، وقربه بالتوبة عليه، كما قال: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢] ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي من الأنبياء. وعن ابن عباس: ردّ الله إليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه.

﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

إن مخففة من الثقيلة واللام علمها. وقرئ «ليزلقونك» بضم الياء وفتحها. وزلقه وأزلقه بمعنى: ويقال: زلق الرأس وأزلقه: حلقه: وقرئ: ليزهقونك، من زهقت نفسه وأزهقها، يعني: أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء، يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك، من قولهم: نظر إليّ نظرًا يكاد يصرعني، ويكاد يأكلني، أي: لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله. قال [من الكامل]:

يَتَقَارَضُونَ إِذَا الْتَقَوْا فِي مَوْطِنٍ   نَظَرًا يُزِلُّ مَوَاطِىءَ الأَقْدَامِ(1)

وقيل: كانت العين في بني أسد، فكان الرجل منهم يتجوّع ثلاثة أيام فلا يمرّ به شيء، فيقول فيه: لم أر كاليوم مثله إلا عانه، فأريد بعض العيانين على أن يقول في رسول الله ﷺ مثل ذلك، فقال: لم أر كاليوم رجلا فعصمه الله. وعن الحسن: دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ أي القرآن لم يملكوا أنفسهم حسدا على ما أوتيت من النبوة ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ حيرة في أمره وتنفيرا عنه؛ وإلا فقد علموا أنه أعقلهم. والمعنى: أنهم جننوه لأجل القرآن ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وموعظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ فكيف يجنن من جاء بمثله.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم» (١٦٤٩).

١٦٤٩ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
قال الحافظ:
أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أُبي بن كعب. انتهى

---

(١) يقول: إذا التقوا في مجلس ـ وروي موطن ـ: يتقارضون، أي: يقرض بعضهم بعضًا بنظره إليه، كأن أحدهم يعطي خصمه النظر، والثاني يكافئه بنظره إليه حسدًا وغيظًا؛ وإزلال مواطىء الأقدام: كناية عن الإهلاك؛ لأن من زلت قدمه سقط على الأرض وربما هلك. أي: ينظر بعضهم بعضًا نظر الحسود المغتاظ، فتسبب عن ذلك زلل الأقدام عن مواطئها، وإيقاع الإزلال على مواضع الأقدام: مجاز عقلي، لأنه محله، وفيه مبالغة في زلل القدم.
لسان العرب (قرض)، (زلق)، وتاج العروس (قرض)، (زلق)، وتهذيب اللغة ٨/ ٣٤٢، ٤٣٢، ومقاييس اللغة ٣/ ٢١.

سورة الحاقة

مكية، وآياتها ٥٢ [نزلت بعد الملك]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ (٨)﴾

﴿الْحَاقَّةُ (١)﴾ الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء، التي هي آتية لا ريب فيها. أو التي فيها حواق الأمور من الحساب والثواب والعقاب. أو التي تحق فيها الأمور، أي: تعرف على الحقيقة، من قولك لا أحق هذا، أي: لا أعرف حقيقته. جعل الفعل لها وهو لأهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها ﴿مَا الْحَاقَّةُ (٢)﴾ والأصل: الحاقة ما هي؟ أي أيّ شيء هي تفخيمًا لشأنها وتعظيمًا لهولها، فوضع الظاهر موضع المضمر؛ لأنه أهول لها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ وأيّ شيء أعلمك ما الحاقة، يعني: أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها، على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه، وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك، و(ما) في موضع الرفع على الابتداء. و﴿أَدْرَاكَ﴾ معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام. (القارعة) التي تقرع الناس بالأفزاع والأهوال، والسماء بالانشقاق/ ٢/ ٢٣٣ب والانفطار، والأرض والجبال بالدك والنسف، والنجوم بالطمس والانكدار. ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع. في الحاقة: زيادة في وصف شدتها؛ ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب، تذكيرًا لأهل مكة وتخويفًا لهم من عاقبة تكذيبهم ﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾ بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة. واختلف فيها، فقيل: الرجفة. وعن ابن عباس: الصاعقة. وعن قتادة: بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم. وقيل: الطاغية مصدر كالعافية، أي: بطغيانهم؛ وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ والصرصر: الشديدة الصوت لها صرصرة. وقيل: الباردة من الصّر، كأنها التي كرر فيها البرد وكثر: فهي تحرق لشدة بردها ﴿عَاتِيَةٍ﴾ شديدة العصف

والعتّو استعارة. أو عتت على عاد، فما قدروا على ردّها بحيلة، من استتار ببناء، أو لياذ بجبل، أو اختفاء في حفرة؛ فإنها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم. وقيل: عتت على خزانها، فخرجت بلا كيل ولا وزن: وروي عن رسول الله ﷺ: «ما أرسل الله سفينة من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من مطر إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح، فإنّ الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه السبيل، ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١] وإن الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (١٦٥٠) ولعلها عبارة عن الشدة والإفراط فيها. الحسوم: لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشهود وقعود. أو مصدرًا كالشكور والكفور؛ فإن كان جمعًا فمعنى قوله: ﴿حُسُومًا﴾ نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة. أو متتابعة هبوب الرياح: ماخفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكيّ على الداء، كرة بعد أخرى حتى ينحسم. وإن كان مصدرًا: فإما أن ينتصب بفعله مضمرًا، أي: تحسم حسومًا، بمعنى تستأصل استئصالاً. أو يكون صفة كقولك: ذات حسوم. أو يكون مفعولاً له، أي: سخرها عليهم للاستئصال. وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي [من الوافر]:

فَــفَــرَّقَ بَــيْــنَ بَــيْــنِــهِــمُ زَمَــانٌ ... تَــتَــابَــعَ فِــيــهِ أَعْــوَامٌ حُــسُــومُ[1]

١٦٥٠ ـ أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٥) في ترجمة شهر بن حوشب.
ـ والطبري في تفسيره (١٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨)، رقم (٣٤٧٢٧) كلاهما من طريق شهر بن حوشب عن ابن عباس.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٨٣) للثعلبي ولابن مردويه في تفسيريهما كلاهما من طريق موسى بن أعين مرفوعًا.
قال الحافظ:
أخرجه الثعلبي وابن مردويه من رواية موسى بن أعين عن الثوري عن موسى بن المسيب عن شهر ابن حوشب عن ابن عباس مرفوعًا وأخرجه الطبري من طريق مهران بن أبي عمر عن سفيان موقوفًا.

---

(١) لعبد العزيز بن زرارة الكلابي، وأصل الكلام: ففرق بينهم زمان، فبينهم ظرف للتفريق، إلا أنه أراد المبالغة بجعل التفريق بين أجزاء هذا الظرف أيضًا، فقال: ففرق بين بينهم زمان؛ وإذا فرق بين الظرف فقد فرق بين أصحابه بالضرورة، فهو من باب الكناية. ويمكن أن بين الثاني كناية عن الوصلة التي بينهم، ولعل أصله: ففرق بين ذات بينهم؛ وبين سبب تفريق الزمان بينهم بوصفه بأنه تتابع فيه أعوام حسوم، من الحسم: وهو القطع، والكي بالنار مرة بعد أخرى حتى ينقطع الدم. وظاهر كلام الجوهري أنه مفرد، لأنه قال: أيام حسوم، أي: مستأصلة. والحسوم: الشؤم. ويجوز أنه جمع حاسم كراكع وركوع، وساجد وسجود، أي: حاسمات وقاطعات لأبواب الخيرات.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣١٩)، القرطبي (٨/ ١٦٩)، والدر المصون (٦/ ٣٦٢).

وقرأ السدي: حسومًا، بالفتح حالاً من الريح، أي: سخرها عليهم مستأصلة. وقيل: هي أيام العجوز؛ وذلك أن عجوزًا من عاد توارت في سرب، فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها. وقيل: هي أيام العجز، وهي آخر الشتاء: وأسماؤها: الصن والصنبر، والوبر. والآمر، والمؤتمر، والمعلل، ومطفيء الجمر. وقيل: مكفيء الظعن[1] ومعنى ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ سلطها عليهم كما شاء ﴿فِيهَا﴾ في مهابها. أو في الليالي والأيام. وقرئ: «أعجاز نخيل» ﴿مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ من بقية أو من نفس باقية. أو من بقاء، كالطاغية: بمعنى الطغيان.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾

﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ يريد: ومن عنده من تباعه. وقرئ: «ومن قبله»، أي: ومن تقدمه. وتعضد الأولى قراءة عبد الله وأبيّ: ومن معه، وقراءة أبي موسى: «ومن تلقاءه» ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ قرى قوم لوط ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ بالخطأ. أو بالفعلة، أو الأفعال ذات الخطأ العظيم ﴿رَّابِيَةً﴾ شديدة زائدة في الشدة، كما زادت قبائحهم في القبح. يقال: ربا الشيء يربو: إذا زاد ﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٣٩].

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ حملنا آباءكم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ في سفينة؛ لأنهم إذا كانوا من نسل المحمولين الناجين، كان حمل آبائهم منة عليهم، وكأنهم هم المحمولون، لأن نجاتهم سبب ولادتهم ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ الضمير للفعلة: وهي نجاة المؤمنين وإغراق الكفرة ﴿تَذْكِرَةً﴾ عظة وعبرة ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل، وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته[2] وما حفظته في غير نفسك فقد أوعيته كقولك: وعيت الشيء في الظرف. وعن النبي ﷺ. أنه قال لعليّ رضي الله عنه عند نزول هذه الآية: «سألت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ» قال عليّ رضي الله عنه: فما نسيت شيئًا بعد وما كان لي أن أنسى (١٦٥١). فإن قلت: لم قيل: أذن واعية، على التوحيد والتنكير؟ قلت: للإيذان بأن

١٦٥١ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/٢١٣)، رقم (٣٤٧٧١). من طريق علي بن حوشب عن مكحول. وهو مرسل،

=

---

(١) قوله: «وقيل مكفيء الظعن» جمع ظعينة وهي الهودج، أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «يقال وعيته أي حفظته في نفسك... إلخ» قال أحمد: هو مثل قوله: (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) وقد ذكر أن فائدة التنكير والتوحيد فيه الإشعار بقلة الناظرين.

الوعاة فيهم قلة، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم؛ وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله، وأن ما سواها لا يبالي بهم بالة وإن ملئوا ما بين الخافقين. وقرئ: «وتعيها» بسكونِ العين للتخفيف: شبه تعي بكبد.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ/ ٢/ ٢٣٤أ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

أسند الفعل إلى المصدر، وحسن تذكيره للفصل. وقرأ أبو السمال «نفخة واحدة» بالنصب مسندًا الفعل إلى الجار والمجرور. فإن قلت: هما نفختان، فلم قيل: واحدة[(١)]؟ قلت معناه أنها لا تثنى في وقتها. فإن قلت: فأي النفختين هي؟ قلت الأولى لأن عندها فساد العالم، وهكذا الرواية عن ابن عباس. وقد روي عنه أنها الثانية. فإن قلت: أما قال بعد، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ والعرض إنما هو عند النفخة الثانية؟ قلت: جعل اليوم اسمًا للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب، فلذلك قيل: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ كما تقول: جئته عام كذا؛ وإنما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته ﴿وَحُمِلَتِ﴾ ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوّة عصفها أنها تحمل الأرض والجبال. أو بخلق من الملائكة. أو بقدرة الله من غير سبب. وقرئ: «وحملت» بحذف المحمل وهو أحد الثلاثة ﴿فَدُكَّتَا﴾ فدكت الجملتان: جملة الأرضين وجملة الجبال، فضرب بعضها ببعض حتى تندقّ وترجع كثيبًا مهيلا وهباء منبثًا والدك أبلغ من الدق. وقيل: فبسطتا بسطة واحدة، فصارتا أرضًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا، من قولك: اندكّ السنام إذا انفرش وبعير أدك وناقة دكاء. ومنه: الدكان ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ فحينئذٍ نزلت النازلة وهي القيامة ﴿وَاهِيَةٌ﴾ مسترخية ساقطة القوّة جدًا بعد ما كانت محكمة مستمسكة. يريد: والخلق الذي يقال له الملك، وردّ إليه الضمير مجموعًا في قوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ على المعنى: فإن قلت: ما

= ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٨٤) لابن مردويه وللثعلبي في تفسيريهما.
قال الحافظ:
أخرجه سعيد بن منصور والطبري من رواية مكحول به مرسلًا بتمامه نحوه وأخرجه الثعلبي من طريق أبي حمزة الثمالي حدثني عبد الله بن حسن قال: حين نزلت فذكره بلفظ المصنف. انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت: لم قال واحدة وهما نفختان... إلخ»؟ قال أحمد: وأما فائدة الإشعار بعظم هذه النفخة: أن المؤثر لدك الأرض والجبال وخراب العالم هي وحدها غير محتاجة إلى أخرى.

الفرق بين قوله: ﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾، وبين أن يقال (والملائكة)؟ قلت: الملك أعمّ من الملائكة، ألا ترى أن قولك: ما من ملك إلا وهو شاهد، أعم من قولك: ما من ملائكة[1] ﴿عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ على جوانبها: الواحد رجا مقصور، يعني: أنها تنشق، وهي مسكن الملائكة، فينضوون[2] إلى أطرافها وما حولها من حافاتها[3] ﴿ثَمَٰنِيَةٞ﴾ أي: ثمانية منهم. وعن رسول اللّه ﷺ: «هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية» ١٦٥٢ وروي: ثمانية أملاك: أرجلهم في تخوم الأرض السابعة، والعرش فوق رؤوسهم، وهم مطرقون مسبحون. وقيل: بعضهم على صورة الإنسان، وبعضهم على صورة الأسد، وبعضهم على صورة الثور، وبعضهم على صورة النسر. وروي: ثمانية أملاك في خلق الأوعال، ما بين أظلافها إلى ركبها: مسيرة سبعين عامًا. وعن شهر بن حوشب: أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك؛ وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على حلمك بعد علمك. وعن الحسن: الله أعلم كم هم، أثمانية أم ثمانية آلاف؟ وعن الضحاك: ثمانية صفوف لا

١٦٥٢ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/٣٦ ـ ٣٧) من طريق أبي إسحاق قال: بلغنا. . . . . فذكره.
وذكره الثعلبي بغير سند.
وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه الطبري من طريق أبي إسحاق قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: فذكره وهو مذكور في الحديث الطويل الذي يرويه إسماعيل بن رافع عن يزيد بن أبي زياد عن القرظي عن رجل عن أبي هريرة. رواه أبو يعلى وغيره وقد تقدم.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا يظهر أن الملك أعم من الملائكة، لأن الفرد المحلى بالألف واللام قصاراه أن يكون مرادًا به الجمع المحلى بهما، ولذلك صح الاستثناء منه، فقصاراه أن يكون كالجمع المحلى بهما وأما دعواه أنه أعم منه بقوله: ألا ترى إلى آخره. فليس دليلاً على دعواه لأن من ملك نكرة مفردة في سياق النفي، قد دخلت عليها من المخلصة للاستغراق. فشملت كل ملك فاندرج تحتها الجمع لوجود الفرد فيه: فانتفى كل فرد فرد، بخلاف من ملائكة فإن من دخلت على جمع منكر. فعم في كل جمع جمع من الملائكة ولا يلزم من ذلك انتفاء كل فرد من الملائكة، لو قلت: ما في الدار من رجال جاز أن يكون فيها واحد لأن النفي إنما انسحب على جمع، ولا يلزم من انتفاء الجمع أن ينتفي المفرد، والملك في الآية ليس في سياق نفي دخلت عليه من، وإنما جيء به مفردًا. لأنه أخف ولأن قوله: «على أرجائها» يدل على الجمع لأن الواحد بما هو واحد لا يمكن أن يكون على أرجائها في وقت واحد. بل في أوقات، والمراد والله أعلم: أن الملائكة على أرجائها. لا أنه ملك واحد ينتقل على أرجائها في أوقات. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «فينضوون إلى أطرافها» في الصحاح ضويت إليه: أويت إليه وانضممت. (ع)

(٣) قال محمود: «أي على حافتها لأنها تنشق فتنضوي الملائكة الذين هم سكانها إلى أذيالها. . . إلخ» قال أحمد: كلاهما معرف تعريف الجنس، فالواحد والجمع سواء في العموم.

يعلم عددهم إلا الله. ويجوز أن تكون الثمانية من الروح، أو من خلق آخر، فهو القادر على كل خلق، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس: ٣٦]. العرض: عبارة عن المحاسبة والمساءلة. شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرّف أحواله. وروي أنّ في يوم القيامة ثلاث عرضات. فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ، وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله ﴿خَافِيَةٌ﴾ سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَأَمَّا﴾ تفصيل للعرض: ها: صوت يصوّت به فيفهم منه معنى «خذ» كأف وحس، وما أشبه ذلك[١]. و﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ منصوب بهاؤم عند الكوفيين، وعند البصريين باقرؤا، لأنه أقرب العاملين. وأصله: هاؤم كتابي اقرؤا كتابي، فحذف الأوّل لدلالة الثاني عليه. ونظيره ﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، قالوا: ولو كان العامل الأوّل لقيل: اقرؤه وأفرغه، والهاء في ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ للسكت، وكذلك في ﴿حِسَابِيَهْ﴾ و ﴿مَالِيَهْ﴾ و ﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾ وحق هذه الهاءات أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل[٢]، وقد استحب إيثار الوقف إيثارًا لثباتها في المصحف. وقيل: لا بأس بالوصل والإسقاط. وقرأ ابن محيصن بإسكان الياء بغير هاء. وقرأ جماعة بإثبات الهاء في الوصل والوقف جميعًا لاتباع المصحف

---

(١) قوله: «كأف وحس، وما أشبه ذلك» يفهم من كل منهما معنى التضجر والتألم، كما يفيده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «وحق هذه الها آت يعني في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه... إلخ» قال أحمد: تعليل لقراءة باتباع المصحف عجيب مع أن المعتقد الحق أن القراءات السبع بتفاصيلها منقولة تواترًا عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، فالذي أثبت الهاء في الوصل إنما أثبتها من التواتر عن قراءة النبي ﷺ: آيها كذلك قبل أن تكتب في المصحف؛ وما نفس هؤلاء إلا إدخال الاجتهاد في القرآت المستفيضة، واعتقاد أن فيها ما أخذ بالاختيار النظري وهذا خطأ لا ينبغي فتح بابه، فإنه ذريعة إلى ما هو أكبر منه؛ ولقد جرت بيني وبين الشيخ أبي عمرو رحمه الله مفاوضة في قوله: (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه) على قراءة حفص، انتهت إلى أن ألزم الرد على من أثبت الهاء في الوصل في كلمات سورة الحاقة. لأني حججته بإثبات القراء المشاهير لها كذلك، ففهمت من رده لذلك ما فهمه من كلام الزمخشري ههنا ولم أقبله منه رحمه الله، فتراجع عنه؛ وكانت هذه المفاوضة بمكاتبة بيني وبينه، وهي آخر ما كتب من العلوم على ما أخبرني به خاصته، وذلك صحيح لأنها كانت في أوائل مرضه رحمه الله، والله أعلم.

﴿ظَنَنتُ﴾ علمت. وإنما أجري الظن مجرى العلم، لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام. ويقال: أظن ظنًا كاليقين أنّ الأمر كيت وكيت ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ منسوبة إلى الرضا؛ كالدارع والنابل. والنسبة نسبتان: نسبة/ ٢/ ٢٣٤ب بالحرف، ونسبة بالصيغة. أو جعل الفعل لها مجازًا وهو لصاحبها ﴿عَالِيَةٍ﴾ مرتفعة المكان في السماء. أو رفيعة الدرجات. أو رفيعة المباني والقصور والأشجار ﴿دَانِيَةٌ﴾ ينالها القاعد والنائم. يقال لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾[1] أكلا وشربًا هنيئًا. أو هنيتم هنيئًا على المصدر ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ بما قدمتم من الأعمال الصالحة ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية من أيام الدنيا. وعن مجاهد: أيام الصيام، أي: كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله. وروي يقول الله عزّ وجل: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة؛ وغارت أعينكم، وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾

الضمير في ﴿يَا لَيْتَهَا﴾ للموتة: يقول: يا ليت الموتة التي متها ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ أي القاطعة لأمري، فلم أبعث بعدها؛ ولم ألق ما ألقى. أو للحالة، أي: ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت عليّ، لأنه رأى تلك الحالة أبشع وأمرّ مما ذاقه من مرارة الموت وشدته؛ فتمناه عندها ﴿مَا أَغْنَى﴾ نفي أو استفهام على وجه الإنكار، أي: أيّ شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ ملكي وتسلطي على الناس، وبقيت فقيرًا ذليلًا. وعن ابن عباس: أنها نزلت في الأسود بن عبد الأشد. وعن فناخسرة الملقب بالعضد، أنه لما قال [من الرمل]:

عَـضُـدُ الـدَّوْلَـةِ وَابْـنُ رُكْـنِـهَـا مَـلِـكُ الأَمْـلاكِ غَـلاَّبُ الْـقَـدَرْ[2]

---

(١) قوله: «كلوا واشربوا هنيئًا» في الصحاح: هنؤ الطعام وهنيء، أي: صار هنيئًا. وهنأني الطعام يهنئني ويهنؤني، ولا نظير له في المهموز هنأ وهناه. وهنئت الطعام، أي: تهنأت به، وكلوه هنيئًا مريئًا. (ع)

(٢)
ليس شرب الكأس إلا في المطر وغناء من جوار في سحر
غانيات سالبات للنهى ناعمات في تضاعيف الوتر
مبردات الكأس من مطلعها ساقيات الكأس من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر

للحسن بن علي الطوسي. وقيل لعضد الدولة نفسه، يقول: ليس شرب الخمر الكامل اللذة إلا في =

لم يفلح بعده وجنّ فكان لا ينطق لسانه إلا بهذه الآية. وقال ابن عباس: ضلت عني حجتي. ومعناه: بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ ثم لا تصلوه إلا الجحيم، وهي النار العظمى، لأنه كان سلطانًا يتعظم على الناس. يقال: صلى النار وصلاه النار. سلكه في السلسلة: أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أثناؤها؛ وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة؛ وجعلها سبعين ذراعًا إرادة الوصف بالطول. كما قال: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠]، يريد: مرات كثيرة، لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد. والمعنى في تقديم السلسلة على السلك: مثله في تقديم الجحيم على التصلية. أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، كأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم. ومعنى ﴿ثُمَّ﴾ الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم، وما بينها وبين السلك في السلسلة، لا على تراخي المدة[1] (إنه) تعليل على طريق الاستئناف، وهو أبلغ؛ كأنه قيل: ما له يعذب هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بذلك. وفي قوله: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين، أحدهما: عطفه على الكفر، وجعله قرينة له. والثاني: ذكر

= حال المطر، وفي حال غناء الجواري في السحر، غانيات: جميلات مقيمات في العيون عذرات، سالبات: ناهبات للنهى: جمع نهية وهي العقل؛ ناعمات: أي متنعمات. وفي تضاعيف الوتر: متعلق بغناء. ويروى: ناغمات، بالمعجمة، أي: محسنات لأصواتهن في أثناء صوت الوتر؛ وهو الخيط المشدود في آلة اللهو. والراح: الخمر. وعضد الدولة: بدل من الموصول المفعول بساقيات. والعضد في الأصل: استعارة للممدوح؛ لأن به قوتها. كالعضد للإنسان. والركن كذلك استعارة لأبيه بجامع التقوية أيضًا، وهو أقرب من تشبيه الدولة بالإنسان تارة وبالبناء أخرى، على طريق المكنية، ولكنهما الآن لقبان للممدوح وأبيه، وذكر الضمير وإعادته على الدولة مع أنها جزء للعلم في المحلين للمح الأصل كالاستعارة. والقدر: ما قدره الله وقضاه. وفي وصف ممدوحه بأنه غلاب القدر من فجور النساء ما لا يخفى، ولذلك روي أنه جن وحبس لسانه حتى مات: وعن النبي ﷺ: «أغيظ الناس رجلًا على الله يوم القيامة وأخبثهم: رجل تسمى ملك الأملاك، ولا ملك إلا الله».

(١) قال السمين الحلبي: ونازعه الشيخ: في إفادة التقديم الاختصاص كعادته وجوابه ما تقدم. ونازعه أيضًا في أن ثم للدلالة على تراخي الرتبة، وقال مكي: التراخي الزماني بأن يصلي بعد أن يسلك ويسلك بعد أن يؤخذ ويغل بمهلة بين هذه الأشياء انتهى وفيه نظر من حيث أن التوعد بتوالي العذاب آكد وأفظع من التوعد بتفريقه. انتهى. الدر المصون.

الحض دون الفعل، ليعلم أنّ تارك الحض بهذه المنزلة، فكيف بتارك الفعل، وما أحسن قول القائل [من الطويل]:

إِذَا نَـزَلَ الأَضْـيَـافُ كَـانَ عَـذَوَّرًا ... عَلَى الْحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهْ[1]

يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم[2]. وعن أبي الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، وكان يقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها الآخر؟ وقيل: هو منع الكفار. وقولهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧] والمعنى على بذل طعام المسكين ﴿حَمِيمٌ﴾ قريب يدفع عنه ويحزن عليه، لأنهم يتحامونه ويفرون منه، كقوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [المعارج: ١٠]، والغسلين: غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم؛ فعلين من الغسل ﴿ٱلْخَـٰطِـُٔونَ﴾ الآثمون أصحاب الخطايا. وخطىء الرجل: إذا تعمد الذنب[3]، وهم المشركون: عن ابن عباس: وقرئ: «الخاطيون» بإبدال الهمزة ياء، والخاطون بطرحها. وعن ابن عباس: ما الخاطون؟ كلنا نخطو، وروى عنه أبو الأسود الدؤلي: ما الخاطون؟

---

(١) تركنا فتى قد أيقن الجوع أنه ... إذا ما ثوى في أرحل القوم قاتله
فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لباته وأباجله
إذا نزل الأضياف كان عذورًا ... على الحي حتى تستقل مراجله
قيل: إنه للعجير السلولي. وقيل: لزينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد. واللبن الطاثر والخاثر: بمعنى. شبه الجوع بإنسان عدو للقوم على سبيل المكنية، وإثبات الإيقان له تخييل، وكذلك قتله، وهذا مبالغة في وصف يزيد بالكرم، وأنه مانع للجوع من دخوله بيوت القوم ولحوقه بهم، حتى كأن الجوع يخافه ويتيقن أنه إذا دخل بيوت القوم قتله يزيد. ويجوز أن فاعل ثوى: ضمير يزيد، لكن الأول أبلغ؛ لأنه يفيد أن الجوع لم يدخل على القوم لخوفه من يزيد، وقد: فعل مبني للمجهول، وقد السيف: مفعول مطلق، أي خلق على شكل السيف في المضي في المكان وتنفيذ العزائم. والمتضائل المتضاعف المتخاشع، والرهل ـ كتعب ـ: الاسترخاء. والرهل ـ كحذر ـ: وصف منه، وجمع اللبة باعتبار ما حولها. والأباجل: جمع أبجل، وهو عرق غليظ في الفخذ والساق وفرس وهن الأباجل سريع الجري، والعذور ـ بالعين المهملة وتشديد الواو ـ: سيء الخلق قليل الصبر عن مطلوبه، كأنه يحتاج إلى الاعتذار عن سوء خلقه. والمراجل: القدور العظام يقول: تركنا في المعركة فتى كريمًا جوادًا سريعًا في قرى الضيفان، إذا نزلوا به كان سيء الخلق على أهله، حتى ترتفع قدوره الأثافي، فيحسن خلقه كما كان.
وهو لزينب بنت الطثرية في لسان العرب (عذر)، والتنبيه والإيضاح ٢/١٦٧، وجمهرة اللغة ص ٦٢، وتاج العروس (عدر)، وبلا نسبة في لسان العرب (ضيف)، (عدل)، وأساس البلاغة (عذر)، ومقاييس اللغة ٤/٢٥٦، ومجمل اللغة ٣/٤٦١.

(٢) قوله: «وتشاكس عليهم» في الصحاح: رجل شكس، أي: صعب الخلق. (ع)

(٣) قوله: «وخطىء الرجل إذا تعمد الذنب» في الصحاح: قال الأموي؛ المخطىء من أراد الصواب فصار إلى غيره. والخاطىء: من تعمد لما لا ينبغي. (ع)

إنما هو الخاطئون؛ ما الصابون؟ إنما هو الصابئون: ويجوز أن يراد: الذين يتخطون الحق إلى الباطل، ويتعدون حدود الله.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾

هو إقسام بالأشياء كلها على الشمول والإحاطة، لأنها لا تخرج من قسمين: مبصر وغير مبصر. وقيل: الدنيا والآخرة، والأجسام والأرواح، والإنس والجنّ، والخلق والخالق، والنعم الظاهرة والباطنة، إن هذا القرآن ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ أي يقوله ويتكلم به على وجه/ ٢/ ٢٣٥أ الرسالة من عند الله ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ﴾ ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى العدم. أي: لا تؤمنون ولا تذكرون ألبتة[١]. والمعنى: ما أكفركم وما أغفلكم ﴿تَنزِيلٞ﴾ أي: هو تنزيل. بيانًا لأنه قول رسول نزل عليه ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وقرأ أبو السمال: تنزيلاً، أي نزل تنزيلاً. وقيل: الرسول الكريم جبريل عليه السلام. وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ﴾ دليل على أنه محمد ﷺ: لأنّ المعنى على إثبات أنه رسول، لا شاعر ولا كاهن.

﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

التقوّل: افتعال القول[٢]، لأن فيه تكلفًا من المفتعل، وسمى الأقوال المتقوّلة «أقاويل»

---

(١) قال السمين الحلبي: ولا يراد بقليلاً هنا النفي المحض كما زعم، وذلك لا يكون إلا في أقلّ. نحو أقلّ رجل يقول بذلك إلاّ زيدًا وفي قلّ نحو قلّ رجل يقول ذلك إلا زيدًا، وقد يستعمل في قليل وقليلة إذا كانا مرفوعين نحو ما جوزوا في قول الشاعر [من الطويل]:

قَـلِـيـلٌ بِـهـا الأَصْـوَاتُ إلاّ بُـغَـامُـهَـا

أمّا إذا كان منصوبًا نحو قليلاً ضربت. أو قليلاً ما ضربت على أن تكون «ما» مصدرية فإن ذلك لا يجوز؛ لأنه في قليلاً ضربت منصوب بضربت، ولم تستعمل العرب قليلاً إذا انتصب بالفعل نفيًا بل مقابلاً لكثير، وأمّا في قليلاً ما ضربت على أن تكون «ما» مصدرية فتحتاج إلى رفع قليل. لأن ما المصدرية في موضع رفع على الابتداء. انتهى ما رد به عليه وهو مجرد دعوى. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «التقول: افتعال من القول؛ لأن فيه تكلفًا. . . إلخ» قال أحمد: وبناء أفعولة من القول، وهو معتل، كما ترى غيب عن القياس التصريفي. ويحتمل أن تكون الأقاويل جمع الجمع، كالأناعيم: جمع أقوال وأنعام؛ وهو الظاهر، والله أعلم.

تصغيرًا بها وتحقيرًا، كقولك: الأعاجيب والأضاحيك، كأنها جمع أفعولة من القول والمعنى: ولو ادعى علينا شيئًا لم نقله لقتلناه صبرًا، كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام، فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول: وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته. وخص اليمين عن اليسار لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره، وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسيف، وهو أشد على المصبور لنظره إلى السيف أخذ بيمينه ومعنى ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝٤٥﴾ لأخذنا بيمينه، كما أن قوله ﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ لقطعنا وتينه، وهذا بيّن، والوتين: نياط القلب وهو حبل الوريد: إذا قطع مات صاحبه. وقرئ: «ولو تقوّل» على البناء للمفعول قيل ﴿حَاجِزِينَ﴾ في وصف أحد؛ لأنه في معنى الجماعة، وهو اسم يقع في النفي العام مستويًا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. ومنه قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، والضمير في عنه للقتل، أي: لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه. أو لرسول الله، أي: لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه؛ والخطاب للناس، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩﴾ وهو إيعاد على التكذيب. وقيل الخطاب للمسلمين. والمعنى: أن منهم ناسًا سيكفرون بالقرآن ﴿وَإِنَّهُ﴾ الضمير للقرآن ﴿لَحَسْرَةٌ﴾ على الكافرين به المكذبين له إذا رأوا ثواب المصدقين به. أو للتكذيب، وإن القرآن حق اليقين، كقولك: هو العالم حق العالم، وجدّ العالم. والمعنى: لعين اليقين، ومحض اليقين ﴿فَسَبِّحْ﴾ اللّه بذكر اسمه العظيم وهو قوله: سبحان اللّه؛ واعبده شكرًا على ما أهلك له من إيحائه إليك.

عن رسول اللّه ﷺ: «من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابًا يسيرًا» (١٦٥٣).

١٦٥٣ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وهو الحديث الموضوع في فضائل القرآن سورة سورة.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف» أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أُبي بن كعب انتهى.

سورة المعارج

مكية، وآياتها أربع وأربعون [نزلت بعد الحاقة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾

ضمن ﴿سَأَلَ﴾ معنى دعا، فعدّي تعديته، كأنه قيل: دعا داع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ من قولك: دعا بكذا. إذا استدعى وطلبه. ومنه قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ [الدخان: ٥٥] وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو النضر بن الحارث قال: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. وقيل: هو رسول الله ﷺ، استعجل بعذاب للكافرين. وقرئ: سال سائل، وهو على وجهين: إما أن يكون من السؤال وهي لغة قريش، يقولون: سلت تسال، وهما يتسايلان؛ وأن يكون من السيلان. ويؤيده قراءة ابن عباس «سال سيل»، والسيل: مصدر في معنى السائل، كالغور بمعنى الغائر. والمعنى: اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم. وعن قتادة: سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع؟ فنزلت، وسأل على هذا الوجه مضمن معنى: عنى واهتم فإن قلت: بم يتصل قوله: ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ قلت: هو على القول الأوّل متصل بعذاب صفة له، أي: بعذاب واقع كائن للكافرين، أو بالفعل، أي: دعا للكافرين بعذاب واقع، أو بواقع؛ أي: بعذاب نازل لأجلهم، وعلى الثاني: هو كلام مبتدأ جواب للسائل، أي: هو للكافرين. فإن قلت: فقوله ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ بم يتصل؟ قلت: يتصل بواقع، أي واقع من عنده، أو بدافع؛ بمعنى: ليس له دافع من جهته إذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ذي المصاعد جمع معرج، ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو

والارتفاع فقال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ إلى/ ٢/ ٢٣٥ب عرشه وحيث تهبط منه أوامره ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ﴾ كمقدار مدة ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ مما يعد الناس. والروح. جبريل عليه السلام، أفرده لتميزه بفضله. وقيل: الروح خلق هم حفظة على الملائكة، كما أنّ الملائكة حفظة على الناس. فإن قلت: بم يتعلق قوله ﴿فَٱصْبِرْ﴾؟ قلت: بسأل سائل؛ لأنّ استعجال النصر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله ﷺ والتكذيب بالوحي، وكان ذلك مما يضجر رسول الله ﷺ، فأمر بالصبر عليه، وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو، فإنما سأل على طريق التعنت، وكان من كفار مكة. ومن قرأ: سال سائل، أو سيل، فمعناه: جاء العذاب لقرب وقوعه، فاصبر فقد شارفت الانتقام، وقد جعل ﴿فِى يَوْمٍ﴾ من صلة ﴿وَاقِعٍ﴾ أي: يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم، وهو يوم القيامة: إما أن يكون استطالة له لشدّته على الكفار، وإما لأنه على الحقيقة كذلك. قيل: فيه خمسون موطنًا كل موطن ألف سنة، وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر. الضمير في ﴿يَرَوْنَهُۥ﴾ للعذاب الواقع، أو ليوم القيامة فيمن علق (في يوم) بواقع؛ أي: يستبعدونه على جهة الإحالة ﴿و﴾ نحن ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ هينًا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر، فالمراد بالبعيد: البعيد من الإمكان، وبالقريب: القريب منه نصب ﴿يَوْمَ تَكُونُ﴾ بقريبًا، أي: يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم. أو بإضمار يقع، لدلالة (واقع) عليه أو يوم تكون السماء كالمهل. كان كيت وكيت. أو هو بدل عن (في يوم) فيمن علقه بواقع ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ كدردي الزيت. وعن ابن مسعود: كالفضة المذابة في تلوّنها ﴿كَٱلْعِهْنِ﴾ كالصوف المصبوغ ألوانًا لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، فإذا بست وطيرت في الجو: أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ أي لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه، لأن بكل أحد ما يشغله عن المساءلة ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي يبصر الأحماء الأحماء، فلا يخفون عليهم[1]، فما يمنعهم من المساءلة أنّ بعضهم لا يبصر بعضًا، وإنما يمنعهم التشاغل: وقرئ: «يبصرونهم» وقرئ: ولا يسأل، على البناء للمفعول، أي: لا يقال لحميم أين حميمك؟ ولا يطلب منه؛ لأنهم يبصرونهم فلا يحتاجون إلى السؤال والطلب. فإن قلت: ما موقع يبصرونهم؟ قلت: هو كلام مستأنف، كأنه لما قال ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ قيل: لعله لا يبصره، فقيل: يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم. فإن قلت: لم جمع الضميران في ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ وهما للحميمين؟ قلت: المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين. ويجوز أن يكون

(١) قال محمود: «معناه يبصر الأصدقاء أصدقاءهم فيعرفونهم... إلخ» قال أحمد: وفيه دليل على أن الفاعل والمفعول الواقعين في سياق النفي يعم، كما التزم في: والله لا أشرب ماء من إداوة: أنه عام في المياه والأدوات، خلافًا لبعضهم في الأدوات.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ صفة، أي: حميمًا مبصرين معرّفين إياهم. قرئ: «يومئذ» بالجرّ والفتح على البناء للإضافة إلى غير متمكن، ومن عذاب يومئذ، بتنوين (عذاب) ونصب ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ وانتصابه بعذاب. لأنه في معنى تعذيب ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته الأدنون الذين فصل عنهم ﴿تُئْوِيهِ﴾ تضمه انتماء إليها، أو لياذًا بها في النوائب. ﴿يُنجِيهِ﴾ عطف على يفتدي، أي: يودّ لو يفتدي، ثم لو ينجيه الافتداء. أو من في الأرض. وثم: لاستبعاد الإنجاء، يعني: تمنى لو كان هؤلاء جميعًا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه، ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه ﴿كَلَّآ﴾ ردّ للمجرم عن الودادة، وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب، ثم قال: ﴿إِنَّهَا﴾ والضمير للنار، ولم يجر لها ذكر؛ لأنّ ذكر العذاب دل عليها. ويجوز أن يكون ضميرًا مبهمًا ترجم عنه الخبر، أو ضمير القصة. و﴿لَظَىٰ﴾ علم للنار، منقول من اللظى: بمعنى اللهب. ويجوز أن يراد اللهب. و﴿نَزَّاعَةً﴾ خبر بعد خبر لأنّ أو خبر للظى إن كانت الهاء ضمير القصة، أو صفة له إن أردت اللهب، والتأنيث لأنه في معنى النار. أو رفع على التهويل، أي: هي نزاعة. وقرئ: نزاعة، بالنصب على الحال المؤكدة، أو على أنها متلظية نزاعة؛ أو على الاختصاص للتهويل. والشوى: الأطراف أو جمع شواة: وهي جلدة الرأس تنزعها نزعًا فتبتكها[1]؟ ثم تعاد ﴿تَدْعُواْ﴾ مجاز عن إحضارهم، كأنها تدعوهم فتحضرهم. ونحوه قول ذي الرمّة [من البسيط]:

.... تَـدْعُـو أَنْـفَـهُ الـرِّبَـبُ[2]

وقوله [من البسيط]:

لَـيَـالِـي الـلَّـهْـوِ يُـطْـبِـيـنِـي فَـأَتْـبَـعُـهُ .... [3]

وقول أبي النجم [من الرجز]:

---

(١) قوله: «فتبتكها» أي: تقطعها. (ع)

(٢) أمسى بوهبين مجتازًا لمرتعه ... من ذي الفوارس تدعو أنفه الربب

لذي الرمة يصف ثورًا وحشيًا. ووهبين: اسم موضع، وكذلك ذو الفوارس. والربب ـ بموحدتين ـ: جمع ربة وهي أول ما ينبت من الكلأ. والدعاء: الطلب، وهو هنا مجاز عن التسبب في الأمر؛ لأن النبات الصغير سبب في وصول أنفه للأرض، ليرعاه، ويجوز تشبيه الربب بالداعي، والدعاء تخييل، ثم يحتمل أن مرتعه من ذي الفوارس ويحتمل أنه سار من ذي الفوارس إلى وهبين. ويروى: مختارًا، أي: متخيرًا ومتطلبًا خير المراتع.

ينظر: في ديوانه ص ٧٧، ولسان العرب (ربب)، (فرس)، (دعا)، (كرا)، وأساس البلاغة (دعو)، وكتاب الجيم ١/ ٣٠٤، وجمهرة أشعار العرب ص ٩٥٤، وتهذيب اللغة ٣/ ١٢١، ١٠/ ٣٤٤، ١٥/ ١٨٢، وتاج العروس (ربب)، (فرس).

(٣) تقدم.

تَـقُــولُ لِـلـرَّائِـدِ أَعْـشَـبْـتَ أَنْـزِلِ(١)

وقيل: تقول لهم: إليّ إليّ يا كافر يا منافق. وقيل: تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب، فيجوز أن يخلق الله فيها كلامًا كما يخلقه في جلودهم وأيديهم وأرجلهم، وكما خلقه في الشجرة(٢) ويجوز أن يكون دعاء الزبانية. وقيل:/٢/ ٢٣٦أ تدعو تهلك، من قول العرب: دعاك الله، أي: أهلكك. قال [من الوافر]:

دَعَـاكَ الـلَّـهُ مِـنْ رَجُـلٍ بِـأَفْـعَـى ....(٣)

﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَتَوَلَّى﴾ عنه ﴿وَجَمَعَ﴾ المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤدّ الزكاة والحقوق الواجبة فيه، وتشاغل به عن الدين؛ وزهى باقتنائه وتكبر.

﴿۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

---

(١) تقدم.

(٢) قوله: «وكما خلقه في الشجرة» على زعم المعتزلة أنه تكليم الله موسى، كأنه كذلك. وعند أهل السنة أنه أطلعه على كلامه القديم القائم بذاته تعالى. (ع)

(٣) دعــاك الله مــن رجــل بــأفـعـى ضـئـيـل تـنـفـث الـسـم الـذعـافـا

دعاك، أي: أهلكك الله بأفعى؛ يقال: دعاه الله بالمكروه: أنزله به، ومن رجل: بيان واقع موقع الحال؛ أو تمييز مقترن بمن. لأن ما قبله فيه معنى التعجب، فيحتاج لتمييز جهة التعجب. وقال بعض النحاة: قد يجيء التمييز لمجرد التوكيد، فيكون هذا منه؛ بأفعى بالتنوين: اسم للحية. وقيل ممنوع من الصرف، لأنه صفة للحية الشديد ةالسم، والذعاف: أي الشديد القاتل؛ ضئيل: ضعيفة مهزولة. والنفث: إخراج النفس مع بلل، وهو هنا إخراج السم الذعاف كغراب: المسرع للقتل. ويحتمل أن «دعاك الله» من باب المجاز، كأن الله دعا له لقتله بالأفعى. أو طلبه بأفعى أرسلها إليه لتحضره بإهلاكه. وخص المهزولة لأنها أشد إيذاء من غيرها، وقال ضئيل، مع أن موصوفه مؤنث على حد: إن رحمة الله قريب، والمذكر: أفعوان. ويروى «ينفث» على أن الأفعى واحد من الجنس فهو مذكر.

وهو لأبي النجم في تهذيب اللغة ٣/ ١٢٣، وبلا نسبة في لسان العرب (قيس)، (دعا)، وكتاب العين ٢/ ٢٢١، ومجمل اللغة ٢/ ٢٧٢، وأساس البلاغة (دعو)، وتاج العروس (قيس)، (دعا)، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٨٠.

أريد بالإنسان الناس؛ فلذلك استثنى منه إلا المصلين. والهلع: سرعة الجزع عند مسّ المكروه وسرعة المنع عند مسّ الخير، من قولهم: ناقة هلواع سريعة السير. وعن أحمد بن يحيى، قال لي محمد بن عبد اللّه بن طاهر: ما الهلع؟ فقلت: قد فسره اللّه، ولا يكون تفسير أبين من تفسيره، وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدّة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس. والخير: المال والغنى؛ والشرّ: الفقر. أو الصحة والمرض: إذا صحّ الغني منع المعروف وشحّ بماله، وإذا مرض جزع وأخذ يوصي. والمعنى: أن الإنسان لإيثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه، كأنه مجبول عليهما مطبوع(١)، وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري، كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾ [الأنبياء: ٣٧] والدليل عليه أنه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع، ولأنه ذمّ والله لا يذمّ فعله، والدليل عليه: استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على المكاره وظلّفوها عن الشهوات(٢)، حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين. وعن النبي ﷺ. «شرّ ما أعطي ابن آدم شحّ هالع وجبن خالع» (١٦٥٤) فإن قلت: كيف قال: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾

١٦٥٤ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ١٢) كتاب الجهاد باب في الجرأة والجبن حديث (٢٥١١) وأحمد (٢/ ٣٢٠) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٨ ـ ٩) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٥٠) وابن حبان (٨٠٨ ـ موارد) والبيهقي (٩/ ١٧٠) كتاب السير: باب الشجاعة والجبن، وفي «شعب الإيمان» (٧/ ٤٢٤) رقم (١٠٨٣١) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ص ٤١٧ ـ ٤١٨) رقم (١٤٢٨) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٢٧٠) رقم (١٣٣٨) كلهم من طريق عبد العزيز بن مروان عن أبي هريرة مرفوعًا والحديث صححه ابن حبان.
وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ٨٩): قال ابن طاهر: إسناده متصل وهو من شرط أبي داود وقد احتج مسلم بموسى بن علي عن أبيه عن جماعة من الصحابة اهـ. وقال العلامة الغماري في «فتح الوهاب» (٢/ ٣٢٨) وإسناده جيد متصل كما قال ابن طاهر والعراقي.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه أبو داود وابن حبان وأحمد وإسحاق والبزار كلهم من طريق عبد العزيز بن مروان: سمعت أبا هريرة بهذا لكن قال «شر ما في الرجل» انتهى.

---

(١) قال محمود: «المعنى أن الإنسان لإيثاره الجزع والمنع ورسوبهما فيه كأنه... إلخ» قال أحمد: هو يشرك باطنًا وينزه ظاهرًا، فينفي كون الهلع الذي هو موجود للآدمي مخلوقًا لله تعالى تنزيهًا له عن ذلك، ويثبت خالقًا مع الله، ويتغافل عن اقتضاء نظم الآية لذلك، فإنك إذا قلت: بريت القلم رقيقًا، فقد نسبت إليك الحال وهو ترقيقه، كما نسب إليك البري، وكذلك الآية. وأما قوله: والله لا يذم خلقه؛ فالله تعالى له الحمد على كل حال؛ وإنما المذموم العبد بحجة أنه جعل فيه اختيارًا يفرق بالضرورة بين الاختياريات والقسريات ألا لله الحجة البالغة والله أعلم.

(٢) قوله: «وظلفوها عن الشهوات» في الصحاح: ظلف نفسه عن الشيء، أي: منعها من أن تفعله أو تأتيه. (ع)

ثم على صلاتهم يحافظون؟ قلت: معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل، كما روي عن النبي ﷺ. «أفضل العمل أدومه وإن قلّ» (١٦٥٥) وقول عائشة: كان عمله ديمة (١٦٥٦). ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسننتها وآدابها، ويحفظوها من الإحباط[١] باقتراف المآثم، فالدوام يرجع إلى أنفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ هو الزكاة، لأنها مقدرة معلومة؛ أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة. السائل: الذي يسأل ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيًا فيحرم ﴿يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ تصديقًا بأعمالهم واستعدادهم له، ويشفقون من عذاب ربهم، واعترض بقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الطاعة والاجتهاد أن يأمنه. وينبغي أن يكون مترجحًا بين الخوف والرجاء. قرئ: «بشهادتهم» «وبشهاداتهم» والشهادة من جملة الأمانات. وخصها من بينها إبانة لفضلها، لأنّ في إقامتها إحياء الحقوق وتصحيحها. وفي زيها: تضييعها وإبطالها.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا

١٦٥٥ ـ أخرجه البخاري (١٣/ ٨٣) كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل حديث (٦٤٦٢) ومسلم (٣/ ٣٢٨ ـ نووي) كتاب صلاة المسافرين: باب فضيلة العمل الدائم حديث (٢١٥، ٢١٦/ ٨٨٢) من حديث عائشة.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث عائشة. انتهى.

١٦٥٦ ـ أخرجه البخاري (٤/ ٧٥٩) كتاب الصوم باب هل يخص شيئًا من الأيام حديث (١٩٨٧) وفي (١٣/ ٨٣) كتاب الرقاق: باب القصد والمداومة على العمل حديث (٦٤٦٦) ومسلم (٣/ ٣٢٩ ـ نووي) كتاب صلاة المسافرين: باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره حديث (٢١٧/ ٧٨٣) وأبو داود (٢/ ٤٨) كتاب الصلاة: باب ما يؤمر به في القصد في الصلاة حديث (١٣٧٠).
والترمذي في الشمائل رقم (٣٠٣) والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١٢/ ٢٤٥) وأحمد (٦/ ٤٣، ١٨٩) وفي الزهد (ص ٨) وابن حبان (٣٢٢) كلهم من طريق منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عائشة به.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديثها رضي الله عنها. انتهى.

---

(١) قال محمود: «أي لا يتركونها في وقت ولا يحبطونها... إلخ» قال أحمد: حفظها من الإحباط نص عند أهل السنة على حفظها من الكفر خاصة، فلا يحبط ما سواه خلافًا للقدرية، وقد تقدمت أمثاله والله أعلم.

﴿لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾

كان المشركون يحتفون حول النبي ﷺ حلقًا حلقًا وفرقًا فرقًا، يستمعون ويستهزؤون بكلامه. ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم، فنزلت ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين نحوك، مادّي أعناقهم إليك، مقبلين بأبصارهم عليك ﴿عِزِينَ﴾ فرقا شتى جمع عزة، وأصلها عزوة، كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى: فهم مفترقون. قال الكميت [من الوافر]:

وَنَحْنُ وَجَنْدَلٌ بَاغٍ تَرَكْنَا ... كَتَائِبَ جَنْدَلٍ شَتَّى عِزِينَا[1]

وقيل: كان المستهزئون خمسة أرهط ﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة، ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ إلى آخر السورة، وهو كلام دال على إنكارهم البعث، فكأنه قال: كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء؛ فمن أين/ ٢/ ٢٣٦ب يطمعون في دخول الجنة؟ فإن قلت: من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث؟ قلت: من حيث إنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى، كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل، وذلك قوله: ﴿خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي من النطف، وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسًا خيرًا منهم، وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء، والغرض أن من قدر على ذلك لم تعجزه الإعادة. ويجوز أن يراد: إنا خلقناهم مما يعلمون، أي: من النطفة المذرة، وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع منه. ولذلك أبهم وأخفى: إشعارًا بأنه منصب يستحيا من ذكره، فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون: لندخلن الجنة قبلهم. وقيل: معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم، ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح، فلم يطمع أن يدخلها من ليس له إيمان وعمل. وقرئ: برب المشرق والمغرب، ويخرجون. ويخرجون ومن الأجداث سراعًا، بالإظهار والإدغام. ونصب، ونصب: وهو كل ما نصب فعبد من دون الله ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصابهم.

---

(١) الكتائب: جمع كتيبة وهي الجماعة. وشتى: جمع شتيت، كمرضى ومريض. وعزين: جمع عزة، أصلها عزو، فعوضت التاء عن الواو، من عزاه إلى كذا، أي: نسبه إليه؛ لأن بعضها ينتسب إلى بعض. أو لأنها تنتسب إلى رئيسها. أو إلى أصلها الأعلى، وهذا كناية عن قتله مع كثرة جيشه.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون» (١٦٥٧).

١٦٥٧ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وهو حديث فضائل القرآن سورة الموضوع على رسول الله ﷺ، قبح الله الوضاعين.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أُبي بن كعب. انتهى.

سورة نوح

مكية، وهي ثمان وعشرون آية [نزلت بعد النحل]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾

﴿أَنْ أَنذِرْ﴾ أصله: بأن أنذر، فحذف الجار وأوصل الفعل: وهي أن الناصبة للفعل، والمعنى: أرسلناه بأن قلنا له أنذر، أي: أرسلناه بالأمر بالإنظار[1]. ويجوز أن تكون مفسرة؛ لأنّ الإرسال فيه معنى القول. وقرأ ابن مسعود «أنذر» بغير «أن» على إرادة القول. و﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟﴾ نحو ﴿أَنْ أَنذِرْ﴾ في الوجهين. فإن قلت: كيف قال ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ مع إخباره بامتناع تأخير الأجل، وهل هذا إلا تناقض؟ قلت: قضى الله مثلاً أنّ قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة، وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة. فقيل لهم: آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى، أي: إلى وقت سماه الله وضربه أمدًا تنتهون إليه لا تتجاوزونه، وهو الوقت الأطول تمام الألف ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت، ولم تكن لكم حيلة، فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ

---

(١) قال السمين الحلبي: وهذا الذي قدره حسن جدًا، وهو جواب عن سؤال قدمته في هذا الموضوع وهو أن قولهم إن «أن» المصدرية يجوز أن توصل بالأمر مشكل لأنه ينسبك منهما وما بعدها مصدر، وحينئذٍ فتفوت الدلالة على الأمر. ألا ترى أنك إذا قدرت كتبت إليه بأن قم. كتبت إليه القيام تفوت الدلالة على الأمر حال التصريح بالمصدر. فينبغي أن يقدر كما قاله الزمخشري، أي كتبت إليه بأن قلت له: ثم أي كتبت إليه بالأمر بالقيام. انتهى. الدر المصون.

أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ دائبًا من غير فتور مستغرقًا به الأوقات كلها ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ﴾ جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار. والمعنى على أنهم ازدادوا عنده فرارًا؛ لأنه سبب الزيادة. ونحوه ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥] ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤] ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم، فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصًا ليكون أقبح لإعراضهم عنه. سدّوا مسامعهم عن استماع الدعوة ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ وتغطوا بها، كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم، أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في دين الله. وقيل لئلا يعرفهم؛ ويعضده قوله تعالى: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ [هود: ٥]، الإصرار: من أصر الحمار على العانة[١] إذا صرّ أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها: استعير للإقبال على المعاصي والإكباب عليها ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ وأخذتهم العزة من[٢] اتباع نوح وطاعته، وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استقبالهم وعتوهم. فإن قلت: ذكر أنه دعاهم ليلاً ونهارًا، ثم دعاهم جهارًا، ثم دعاهم في السر والعلن؛ فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف. قلت: قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد، فافتتح بالمناصحة في السر، فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة، فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان. ومعنى ﴿ثُمَّ﴾ الدلالة على تباعد الأحوال، لأن الجهار أغلظ من الإسرار؛ والجمع بين الأمرين، أغلظ من إفراد أحدهما[٣]. و﴿جِهَارًا﴾ منصوب بدعوتهم، نصب المصدر لأنّ الدعاء أحد /٢/ ٢٣٧أنوعيه الجهار، فنصب به نصب القرفصاء بقعد، لكونها أحد أنواع القعود. أو لأنه أراد بدعوتهم جاهرتهم. ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا، بمعنى دعاء جهارًا، أي:

---

(١) قوله: «من أصر الحمار على العانة» هي القطيع من حمر الوحش، والكدم: العض بأدنى الفم. أفاده الصحاح. وفيه: صر الفرس أذنيه ضمها إلى رأسه؛ فإذا لم يوقعوا قالوا: أصر الفرس بالألف اهـ، يعني: إذا لم يجعلوا الفعل متعديًا إلى مفعول. (ع)

(٢) قوله: «وأخذتهم العزة من اتباع نوح» لعله: عن. (ع)

(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وتكرر كثيرًا له أن «ثم» للاستبعاد، ولا نعلمه لغيره. قلت: هذا القول بعدما سمعت من ألفاظ الزمخشري تحامل منه. انتهى. الدر المصون.

مجاهرًا به. أو مصدرًا في موضع الحال، أي: مجاهرًا. أمرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي، وقدّم إليهم الموعد بما هو أوقع في نفوسهم وأحبّ إليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة، ترغيبًا في الإيمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين، كما قال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٣]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً﴾ [الجن: ١٦]، وقيل: لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة: حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة. وروي: سبعين فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله تعالى الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه. وعن عمر رضي اللّه عنه: أنه خرج يستسقي، فما زاد على الاستغفار، فقيل له: ما رأيناك استسقيت! فقال: لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر (١٦٥٨) شبه الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطىء وعن الحسن: أنّ رجلًا شكا إليه الجدب فقال: استغفر الله؛ وشكا إليه آخر الفقر، وآخر قلة النسل، وآخر قلة ريع أرضه، فأمرهم كلهم بالاستغفار، فقال له الربيع بن صبيح: أتاك رجال يشكون أبوابًا ويسألون أنواعًا، فأمرتهم كلهم بالاستغفار! فتلا له هذه الآية. والسماء: المظلة؛ لأنّ المطر منها ينزل إلى السحاب؛ ويجوز أن يراد السحاب أو المطر، من قوله [من الوافر]:

إِذَا نَـزَلَ الـسَّـمَـاءُ بِـأَرْضِ قَـوْمٍ ....(١)

١٦٥٨ ـ أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) رقم (٨٣٤٣) وعبد الرزاق (٣/ ٨٧) رقم (٤٩٠٢) والطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٥٩) والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٥٧ ـ بتحقيقنا) والطبراني في «الدعاء» والثعلبي في «تفسيره» كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٤/ ٩٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٥١) كتاب صلاة الاستسقاء: باب ما يستحب من كثرة الاستغفار في خطبة الاستسقاء، كلهم من طريق الشعبي عن عمر به.

وفي «تخريج الكشاف» (٤/ ٩٣) للزيلعي: قال النووي في الخلاصة: إسناده صحيح لكنه مرسل فإن الشعبي لم يدرك عمر. اهـ.

ينظر جامع التحصيل (ص ٢٠٤).

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة والطبراني في الدعاء والطبري وغيرهم من رواية الشعبي: أن عمر بهذا وزاد: ثم قرأ ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ ورجاله ثقات إلا أنه منقطع انتهى.

---

(١) إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

تطلق السماء على المظلة، وعلى السحاب، وعلى المطر كما هنا؛ لما فيه من السمو والارتفاع، وتطلق على النبات مجازًا؛ لأن المطر سببه؛ فلذلك قال: رعيناه؛ ففي الكلام استخدام، حيث أطلق السماء بمعنى، وأعاد عليها الضمير بمعنى آخر، والغضاب: جمع غضبان والمعنى: أننا =

والمدرار: الكثير الدرور، ومفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث، كقولهم: رجل أو امرأة معطار ومتفال ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ لا تأملون له توقيرًا أي تعظيمًا. والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب[1]، و﴿لِلَّهِ﴾ بيان للموقر، ولو تأخر لكان صلة للوقار. وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ في موضع الحال، كأنه قال: ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للإيمان به، لأنه خلقكم أطوارًا، أي تارات: خلقكم أوّلا ترابًا، ثم خلقكم نطفًا، ثم خلقكم علقًا، ثم خلقكم مضغًا، ثم خلقكم عظامًا ولحمًا، ثم أنشأكم خلقًا آخر. أولا تخافون لله حلمًا وترك معاجلة العقاب فتؤمنوا؟ وقيل: ما لكم لا تخافون لله عظمة؟ وعن ابن عباس: لا تخافون لله عاقبة، لأن العاقبة حال استقرار الأمور وثبات الثواب والعقاب، من «وقر» إذا ثبت واستقرّ. نبههم على النظر في أنفسهم أوّلاً؛ لأنها أقرب منظور فيه منهم، ثم على النظر في العالم وما سوّى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والأرض والشمس والقمر ﴿فِيهِنَّ﴾ في السموات، وهو في السماء الدنيا؛ لأنّ بين السموات ملابسة من حيث إنها طباق[2] فجاز أن يقال: فيهنّ كذا وإن لم يكن في جميعهنّ، كما يقال: في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها. وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما: إنّ الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الأرض (١٦٥٩) ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء

١٦٥٩ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ٩٤) غريب: روى ابن مردويه في تفسيره في أول سورة يونس من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ قال وجوههما إلى السماء وأقفيتهما إلى الأرض وروي أيضًا من حديث حماد بن سلمة عن عبد الجليل عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو بنحوه انتهى.
قلت: أما أثر ابن عباس:
فأخرجه أيضًا الحاكم (٢/ ٥٠٢) وأبو الشيخ في العظمة (٦١٤) وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٩).
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبي على شرط مسلم قلت: وقد =

= شجعان دون غيرنا.
البيت لمعوّد الحكماء (معاوية بن مالك) في لسان العرب: (سما)، وللفرزدق في تاج العروس (سما)، ومقاييس اللغة: ٣/ ٩٨، والمخصص ٧/ ١٩٥، ١٦/ ٣٠، وديوان الأدب: ٤/ ٤٧.

(١) قال محمود: «مالكم لا تكونون على حال يكون فيها تعظيم الله تعالى... إلخ» قال أحمد: وهذا التفسير يبقي الرجاء على بابه الخ.

(٢) قال محمود: «وإنما هو في السماء الدنيا لأن بين السموات وبين السماء الدنيا مناسبة» قال أحمد: ويلاحظ (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان).

السراج ما يحتاجون إلى إبصاره، والقمر ليس كذلك، إنما هو نور لم يبلغ قوّة ضياء الشمس. ومثله قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، والضياء: أقوى من النور. استعير الإنبات للإنشاء، كما يقال: زرعك الله للخير، وكانت هذه الاستعارة أدلّ على الحدوث[١]، لأنهم إذا كانوا نباتًا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات: ومنه قيل للحشوية: النابتة والنوابت، لحدوث مذهبهم في الإسلام من غير أوّلية لهم فيه[٢]. ومنه قولهم: نجم فلان لبعض المارقة. والمعنى: أنبتكم فنبتم نباتًا. أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم[٣] ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ مقبورين ثم ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ يوم القيامة، وأكده بالمصدر كأنه قال يخرجكم حقًا ولا محالة جعلها بساطًا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه ﴿فِجَاجًا﴾ واسعة منفجة.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ رؤوسهم المقدمين/ ٢/ ٢٣٧ب أصحاب الأموال والأولاد، وارتسموا ما

= وهما في ذلك فيوسف بن مهران ليس من رجال مسلم.
أما أثر عبد الله بن عمرو:
فأخرجه الطبري (٢٩/ ٩٧) من طريق معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو بنحوه.
وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦١٥) من طريق همام عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو به. وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
حديث ابن عباس موقوف، أخرجه ابن مردويه في يونس من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عنه بهذا. بلفظ «وأقفيتهما إلى الأرض» وروى الحاكم منه ذكر القمر حسب.
«وحديث ابن عمر رضي الله عنهما مثله» أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال عبد الله بن عمر: فذكره موقوفًا. وروى الطبري من طريق هشام الدستوائي عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمر.
(تنبيه): وقع في الأصل ابن عمر مصحف. وإنما هو عمر ورضي الله عنهما. انتهى.

---

(١) قوله: «أدل على الحدوث» لعله: أدل دليل على الحدوث. (ع)
(٢) قوله: «من غير أولية لهم فيه» إن كان مراده بالحشوية أهل السنة، فأوليتهم في مذهبهم: الكتاب والسنة. (ع)
(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا أعقل معنى هذا الوجه الثاني، قلت: هذا الوجه هو الوجه الذي قدمته، وهو أنه منصوب بأنبتكم على حذف الزوائد، ومعنى قوله: لتضمنه معنى نبتم أي أنه مشتمل عليه، غاية ما فيه أنه حذفت زوائده، والإنبات هنا استعارة بليغة. انتهى. الدر المصون.

رسموا لهم من التمسك بعبادة الأصنام، وجعل أموالهم وأولادهم التي لم تزدهم إلا وجاهة ومنفعة في الدنيا زائدة ﴿خَسَارًا﴾ في الآخرة، وأجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها، تحقيقًا له وتثبيتًا، وإبطالاً لما سواه. وقرئ: «وولده» بضم الواو وكسرها ﴿وَمَكَرُواْ﴾ معطوف على لم يزده، وجمع الضمير وهو راجع إلى من؛ لأنه في معنى الجمع والماكرون: هم الرؤساء. ومكرهم: احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح، وتحريش الناس على أذاه، وصدّهم عن الميل إليه والاستماع منه. وقولهم لهم: لاتذرنّ آلهتكم إلى عبادة رب نوح ﴿مَكۡرًا كُبَّارًا﴾ قرئ بالتخفيف والتثقيل. والكبار: أكبر من الكبير. والكبّار: أكبر من الكبار، ونحوه: طوال وطوّال ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ كأن هذه المسميات كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم، فخصوها بعد قولهم ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب، فكان ودّ لكلب، وسواع لهمدان، ويغوث لمذحج، ويعوق لمراد، ونسر لحمير؛ ولذلك سمت العرب بعبد ودّ وعبد يغوث، وقيل هي أسماء رجال صالحين. وقيل: من أولاد آدم ماتوا، فقال إبليس لمن بعدهم: لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم، ففعلوا؛ فلما مات أولئك قال لمن بعدهم: إنهم كانوا يعبدونهم؛ فعبدوهم. وقيل: كان ودّ على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر. وقرئ «ودّا» بضم الواو. وقرأ الأعمش: ولا يغوثا ويعوقا، بالصرف، وهذه قراءة مشكلة، لأنهما إن كانا عربيين أو عجميين ففيهما سببا منع الصرف: إما التعريف ووزن الفعل، وإما التعريف والعجمة؛ ولعله قصد الازدواج فصرفهما، لمصادفته أخواتهما منصرفات ودا وسواعًا ونسرًا، كما قرئ: «وضحاها» بالإمالة، لوقوعه مع الممالات للازدواج ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ﴾ الضمير للرؤساء. ومعناه: وقد أضلوا ﴿كَثِيرًاۖ﴾ قبل هؤلاء الموصين بأن يتمسكوا بعبادة الأصنام ليسوا بأوّل من أضلوهم. أو وقد أضلوا بإضلالهم كثيرًا، يعني أنّ هؤلاء المضلين فيهم كثرة. ويجوز أن يكون للأصنام، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؟ قلت: على قوله: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي﴾ على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد ﴿قَالَ﴾ وبعد الواو النائبة عنه: ومعناه قال رب إنهم عصوني، وقال: لا تزد الظالمين إلا ضلالاً، أي: قال هذين القولين وهما في محل النصب، لأنهما مفعولا «قال» كقولك: قال زيد نودي للصلاة وصل في المسجد؛ تحكي قوليه معطوفًا أحدهما على صاحبه. فإن قلت: كيف جاز أن يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته؟ قلت: المراد بالضلال: أن يخذلوا[1]

---

(١) قوله: «يخذلوا ويمنعوا مبني على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يريد الشر ولا يفعله، وأجيب: بأنه =

ويمنعوا الألطاف[1]، لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من إيمانهم، وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به، بل لا يحسن الدعاء بخلافه. ويجوز أن يريد بالضلال: الضياع والهلاك، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾

تقديم ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان، فإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم، وأكد هذا المعنى بزيادة «ما» وفي قراءة ابن مسعود: من خطيئاتهم ما أغرقوا، بتأخير الصلة، وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا، فإن كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم، وإن كانت كبراهنّ. وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم، ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب، لئلا يتكل المسلم الخاطىء على إسلامه، ويعلم أنّ معه ما يستوجب به العذاب وإن خلا من الخطيئة الكبرى. وقرئ «خطيئاتهم» بالهمزة. وخطياتهم بقلبها ياء وإدغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على إرادة الجنس. ويجوز أن يراد الكفر ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ جعل دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب لإغراقهم، لاقترابه، ولأنه كائن لا محالة، فكأنه قد كان. أو أريد عذاب القبر. ومن مات في ماء أو في نار أو أكلته السباع والطير: أصابه ما يصيب المقبور من العذاب. وعن الضحاك: كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب. وتنكير النار إما لتعظيمها، أو لأن الله أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعًا من النار ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وأنها غير قادرة على نصرهم، وتهكم بهم، كأنه قال: فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله، كقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ﴾ [الأنبياء: ٤٣]. ﴿دَيَّارًا﴾ من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما بالدار/ ٢٣٨/٢أ ديار وديور، كقيام وقيوم؛ وهو فيعال من الدور. أو من الدار؛ أصله ديوار، ففعل به ما فعل بأصل سيد وميت، ولو كان فعالاً لكان دوّارًا. فإن قلت: بم علم أن أولادهم يكفرون، وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة؟ قلت: لبث فيهم

= إنما دعا عليهم بذلك بعد أن أعلمه الله تعالى أنهم لا يؤمنون، حيث قال له: إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن. وهذا على مذهب أهل السنة الذين أجازوا أنه تعالى يفعل الشر كخلق الضلال في القلب؛ لأن فعله لا يخلو عن حكمة. (ع)

(١) قال محمود: «كيف جاز أن يريد الضلال، وأجاب بأن المراد به منع الألطاف» قلت: هذا على قاعدته.

ألف سنة إلا خمسين عامًا، فذاقهم وأكلهم وعرف طباعهم وأحوالهم، وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه، ويقول: احذر هذا، فإنه كذاب، وإن أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك؛ وقد أخبره الله عزّ وجل أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن؛ ومعنى ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ لا يلدوا إلا من سيفجر ويكفر. فوصفهم بما يصيرون إليه، كقوله عليه الصلاة والسلام. «من قتل قتيلاً فله سلبه» (١٦٦٠).

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ أبوه لمك بن متوشلخ، وأمه شمخا بنت أنوش: كانا مؤمنين. وقيل هما آدم وحواء. وقرأ الحسين بن علي: ولولديّ، يريد: ساما وحاما ﴿بَيْتِىَ﴾ منزلي. وقيل: مسجدي. وقيل: سفينتي؛ خص أوّلا من يتصل به؛ لأنهم أولى وأحق بدعائه، ثم عم المؤمنين والمؤمنات ﴿تَبَارًۢا﴾ هلاكًا. فإن قلت: ما فعل صبيانهم حين أغرقوا؟ قلت: غرقوا معهم لا على وجه العقاب[1]، ولكن كما يموتون بالأنواع من أسباب الموت، وكم منهم من يموت بالغرق والحرق، وكأن ذلك زيادة في عذاب الآباء والأمهات إذا أبصروا أطفالهم يغرقون. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «يهلكون مهلكًا واحدًا ويصدرون مصادر شتى» (١٦٦١) وعن الحسن: أنه سئل عن ذلك فقال: علم الله براءتهم فأهلكهم بغير

١٦٦٠ ـ تقدم في سورة البقرة برقم (١٦) وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: متفق عليه وقد تقدم انتهى.

١٦٦١ ـ أخرجه مسلم (٤/ ٢٢١٠ ـ ٢٢١١) كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت حديث (٨/ ٢٨٨٤) من طريق عبد الله بن الزبير عن عائشة وفيه يهلكون مهلكًا واحدًا ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم.
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه مسلم من طريق ابن الزبير عن عائشة رضي الله عنها انتهى.

---

(١) قال محمود: «ما موجب إغراقهم حين أغرقوا، وأجاب بأنهم ما أغرقوا لا على وجه العقاب... إلخ» قال أحمد: هذا السؤال مفصح عما في باطنه من وجوب تعليل أفعال الله تعالى، وعليه يبنى أنه لا يجوز الألم من الله تعالى إلا باستحقاق سابق، أو لأعواض مترقبة، أو لغير ذلك من المصالح، بناء على القاعدة لهم في الصلاح والأصلح والصبيان لا جناية سبقت منهم ولا عوض يترقب فيهم، فيرد السؤال على ذلك. وأما أهل السنة فالله تعالى قد تكفل الجواب عنهم بقوله: (لا يسأل عما يفعل) وهذا الكلام بالنظر إلى خصوص واقعة قوم نوح، وينجر الكلام منها إلى حكم الله علينا في العدو إذا خيف من مقاتلتهم بالآلات على ذراريهم أن ذلك لا يوجب الإكفاف عن مقاتلتهم بالآلات المهلكة لهم والمذرية، ويستدل برمي النبي ﷺ على أهل الطائف بالمجانيق. وقيل له فيهم الذرية، فقال: هم من آبائهم، وأما رميهم بالنار وفيهم الذرية: فمنعه مالك رحمه الله، إلا أن يخاف غائلتهم فيرمون بها إن لم يندفعوا بغيرها، والله تعالى أعلم.

عـ ـاب. وقيل: أعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة، فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام» (١٦٦٢).

١٦٦٢ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة.
وقال ابن حجر: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى أُبي بن كعب انتهى.

سورة الجن

مكية، وآياتها ٢٨ [نزلت بعد الأعراف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

قرئ: أحى، وأصله وحى؛ يقال: أوحي إليه ووحي إليه، فقلبت الواو همزة، كما يقال: أعد وأزن ﴿وإذا الرسل أقتت﴾ [المرسلات: ١١]، وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة؛ وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضًا كإشاح وإسادة، وإعاء أخيه[١]، وقرأ ابن أبي عبلة «وحى» على الأصل ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ بالفتح، لأنه فاعل أوحى. وإنا سمعنا: بالكسر؛ لأنه مبتدأ محكي بعد القول، ثم تحمل عليهما البواقي، فما كان من الوحي فتح، وما كان من قول الجنّ كسر، وكلهن من قولهم إلا الثنتين الأخريين ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ [الجن: ١٨]، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ﴾ [الجن: ١٩]، ومن فتح كلهنّ فعطفًاعلى محل الجار والمجرور في آمنا به، كأنه قيل: صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا، وأنه كان يقول سفيهنا، وكذلك البواقي[٢] ﴿نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقيل:

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وليس كما ذكر بل في ذلك تفصيل، وذلك أن الواو المضمومة قد تكون أولاً أو حشوًا أو آخرًا ولكل منها أحكام، وفي بعض ذلك خلاف، وتفصيل مذكور في النحو قلت وقد تقدم القول في ذلك مشبعًا في أول هذا الموضوع ولله الحمد. ثم قال الشيخ بعد أن حكى عنه ما قدمته عن المازني. وهذا تكثير وتبجح وكان يذكر ذلك في سورة يوسف عند قوله: «وعاء أخيه». انتهى. الدر المصون.

(٢) قال السمين الحلبي: وفيه بعد في المعنى. لأنهم لم يخبروا أنهم آمنوا بأنهم لما سمعوا الهدى آمنوا به، ولم يخبروا أنهم آمنوا «أنه كان رجال» إما حكى الله عنهم. أنهم قالوا: ذلك مخبرين به عن أنفسهم لأصحابهم فالكسر أولى بذلك. وهذا الذي قاله غير لازم، فإن المعنى على ذلك صحيح، وقد سبق الزمخشري إلى هذا التخريج الفراء والزجاج إلا أن الفراء استشعر إشكالاً وانفصل عنه. فإنه قال: فتحت أن لوقوع الإيمان عليها، وأنت تجد الإيمان يحسن في بعض ما فتح دون بعض. =

كانوا من الشيصبان، وهم أكثر الجنّ عددًا وعامة جنود إبليس منهم ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا﴾ أي: قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم، كقوله: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٠]، ﴿عَجَبٗا﴾ بديعًا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه، قائمة فيه دلائل الإعجاز. وعجب مصدر يوضع موضع العجيب. وفيه مبالغة: وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ يدعو إلى الصواب. وقيل: إلى التوحيد والإيمان. والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للقرآن؛ ولما كان الإيمان به إيمانًا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك: قالوا: ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ أي: ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به في طاعة الشيطان. ويجوز أن يكون الضمير لله عز وجل؛ لأنّ قوله: ﴿بِرَبِّنَآ﴾ يفسره ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ عظمته من قولك: جدّ فلان في عيني، أي: عظم. وفي حديث عمر رضي اللّه عنه: كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا. وروي: في أعيننا (١٦٦٣). أو ملكه وسلطانه أو غناه، استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت؛ لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون والمعنى: وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته. أو لسلطانه وملكوته أو لغناه. وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾ بيان لذلك. وقرئ: جدًا ربنا، على التمييز. وجدّ ربنا، بالكسر، أي صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد، وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والإيمان: تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجنّ من تشبيه/ ٢/٢٣٨ب الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدًا، فاستعظموه ونزهوه عنه. سفيههم: إبليس لعنه الله أو غيره من مردة الجن. والشطط: مجاوزة الحدّ في الظلم وغيره. ومنه: أشط في السوم، إذا أبعد فيه، أي: يقول قولا هو في نفسه شطط؛ لفرط ما أشطّ فيه، وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله، وكان في ظننا أنّ أحدًا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق، فكنا نصدّقهم فيما أضافوا إليه

١٦٦٣ ـ قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: لم أره عن عمر بل هو عن أنس كما مضى في البقرة انتهى كلام الحافظ.

= فلا يمنع من إمضائهن على الفتح. فإنه يحسن فيه ما يوجب فتح أن نحو صدقنا وشهدنا كما قالت العرب [من الوافر]:

.... وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا

فنصب العيون لاتباعها الحواجب، وهي لا تزجج إنما تكحل. فأضمر لها التكحل انتهى. فأشار إلى شيء مما ذكره مكي، وأجاب عنه، وقال الزجاج: لكن وجهه أن يكون محمولاً، على معنى آمنا به. لأن معنى آمنا به صدقناه، وعلمناه فيكون المعنى صدقنا إنه تعالى جد ربنا. انتهى. الدر المصون.

من ذلك، حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم ﴿كَذِبًا﴾ قولاً كذبًا، أي: مكذوبًا فيه. أو نصب نصب المصدر لأنّ الكذب نوع من القول. ومن قرأ: أن لن تقوّل: وضع كذبًا موضع تقوّلا، ولم يجعله صفة؛ لأنّ التقوّل لا يكون إلا كذبًا.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾

الرهق: غشيان المحارم. والمعنى: أنّ الإنس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرًا وكفرًا؛ وذلك أنّ الرجل من العرب كان إذا أمسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد الجن وكبيرهم؛ فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا: سدنا الجن والإنس؛ فذلك رهقهم. أو فزاد الجن الإنس رهقًا بإغوائهم وإضلالهم لاستعاذتهم بهم ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ وأنّ الإنس ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ وهو من كلام الجن، يقوله بعضهم لبعض. وقيل الآيتان من جملة الوحي. والضمير في ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾ للجنّ، والخطاب في ﴿ظَنَنتُمْ﴾ لكفار قريش.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾

اللمس: المس، فاستعير للطلب؛ لأن الماس طالب متعرف؛ قال [من الطويل]:

مَسَسْنَا مِنَ الآبَاءِ شَيْئًا وَكُلُّنَا ... إِلَى نَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعِ[1]

يقال: لمسه والتمسه وتلمسه «كطلبه وأطلبه وتطلبه» ونحوه: الجس. في قولهم؛ جسوه بأعينهم وتجسسوه. والمعنى: طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها. والحرس: اسم مفرد في معنى الحرّاس، كالخدم في معنى الخدّام؛ ولذلك وصف بشديد، ولو ذهب إلى معناه لقيل: شدادًا؛ ونحوه [من الرجز]:

---

(١) مسسنا من الآباء شيئًا فكلنا ... إلى نسب في قومه غير واضع
فلما بلغنا الأمهات وجدتم ... بني عمكم كانوا كرام المضاجع

ليزيد بن الحاكم الكلابي. ومسسنا: أي نلنا، فالمس مجاز مرسل، فكل منا ينتمي إلى نسب في قومه غير منخفض ويروى: إلى حسب، فاستوينا من جهة الآباء في التفاخر، فلما بلغنا فيه ذكر الأمهات وجدتم أقاربكم كرام المضاجع كناية عن الأزواج. أو عبر باسم المحل عن الحال فيه، وهن الأزواج مجازًا مرسلاً، وكرم النساء مذموم، لأنه كناية عن الخنا، كما يكنى ببخلهن عن العفة، فلسنا سواء في الأمهات.
ينظر اللسان (رجل)، والبحر (٨/٣٤٩)، والدر المصون: ٦/٣٩٢.

أَخْشَى رُجَيْلاً أَوْ رُكَيْبًا غَادِيًا[1]

لأنّ الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب. والرصد: مثل الحرس: اسم جمع للراصد، على معنى: ذوي شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب، ويمنعونهم من الاستماع. ويجوز أن يكون صفة للشهاب. بمعنى الراصد أو كقوله [من الوافر]:

.... وَمِعًى جِيَاعاً[2]

يعني يجد شهابًا راصدًا له ولأجله. فإن قلت: كأن الرجم لم يكن في الجاهلية، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، فذكر فائدتين[3] في خلق الكواكب: التزيين، ورجم الشياطين؟ قلت: قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله ﷺ وهو إحدى آياته، والصحيح أنه كان قبل المبعث؛ وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية. قال بشر بن أبي خازم [من الكامل]:

وَالْعِيرُ يُرْهِقُهَا الْحُبَارُ وَجَحْشُهَا يَنْقَضُّ خَلْفَهُمَا انقِضَاضَ الْكَوْكَبِ[4]

---

(١) أخشى رجيلاً أو ركيبًا غاديًا والذئب أخشاه وكلبًا عاويا

الرجيل: تصغير رجل. والركيب: تصغير ركب. غاديًا: أي سائرًا في الغداة على العادة. يقول: أخاف لهرمي وضعفي الرجل الصغير والركب القليل. والذئب: نصب بمضمر، كالمذكور على الاشتغال. أي: وأخشى الذئب وكلبًا عطف عليه. أو نصب بمضمر، أي: وأخشى كلبًا عاويًا. والجملة معطوفة على جملة «أخشى رجيلاً» وقيد الكلب بكونه عاويًا، لئلا يتوهم كذبه في دعواه.

(٢) قوله: «ومعي جياعًا» في الصحاح المعي واحد الأمعاء والجياع جمع الجائع. وأول البيت:

كأن قتود رحلي حين ضمت حوالب غزرًا ومعي جياعا

والقتود: جمع قتد، وهو خشب الرحل. (ع)

البيت للقطامي، ينظر ديوانه ص ٤١، والأشباه والنظائر ٤/١٩٨ وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٢٩، ولسان العرب (غرز) (معي) وتاج العروس (غرز) (معا) والدر المصون ٦/٣٩٢.

(٣) قال محمود: «إن قلت كأن الرجم لم يكن في الجاهلية. وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ فذكر فائدتي الزينة والرجم... إلخ» قال أحمد: ومن عقائدهم أن الرشد والضلال جميعًا مرادان لله تعالى بقولهم: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ ولقد أحسنوا الأدب في ذكر إرادة الشر محذوفة الفاعل، والمراد بالمريد: هو الله عز وجل، وإبرازهم لاسمه عند إرادة الخير والرشد، فجمعوا بين العقيدة الصحيحة والآداب المليحة.

(٤) والعير يرهقها الحبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب
فعلاهما سبط كأن ضبابه محبوب صادات دواجر تنضب
فتجاريا شأوًا بطيئًا مثله هيهات شأوهما وشأو التولب

لبشر بن أبي حازم. والعير: الحمار؛ يرهقها: يكلفها، أي: الأتان. والحبار ـ بضم المهملة، وقيل بفتحها ـ: الأثر من كل شيء؛ وبالمعجمة: الأرض اللينة. وروي: الغبار؛ والانقضاض: الإسراع؛ =

وقال أوس بن حجر [من الكامل]:

وَانْقَضَّ كَالدُّرِّيِّ يَتْبَعُهُ   نَقْعٌ يَثُورُ تَخَالُهُ طُنُبَا[(١)]

وقال عوف بن الخرع [من الطويل]:

يَرُدُّ عَلَيْنَا الْعِيرَ مِنْ دُونِ إِلْفِهِ   أَوِ الثَّوْرَ كَالدُّرِّيِّ يَتْبَعُهُ الدَّمُ[(٢)]

ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال، فلما بعث رسول الله ﷺ: كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة؛ حتى تنبه لها الإنس والجن، ومنع الاستراق أصلاً. وعن معمر: قلت للزهري: أكان يرمىٰ بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أرأيت قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾ فقال: غلظت وشدد أمرها حين بعث النبي ﷺ. وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما: بينا رسول الله ﷺ جالس في نفر من

= والسبط: الغبار الممتد؛ والضباب: ندى يغشى الأرض بالغدوات. والصاد: الديك الذي ينكت التراب فيثير غباره، ويطلق على القدر من النحاس ومن البرام، وعلى داء في الرأس يداوى بالكي بالنار. قيل: وعلى العلم، وفسر به هنا. والدواجر: النواشط، من دجر إذا نشط سرورًا؛ أو المظلمات. والليل الدجور والديجور: المظلم. وتنضب: اسم شجر دخانه أبيض، وعلم على قرية قريبة من مكة. والشأو: الطلق، يقال: شأى كسهى، إذا سبق غيره. والتولب: الجحش إذا مضى عليه سنة واحدة، يقول: إن حمار الوحش يكلف أتانه اقتفاء أثره عند الجري، وجحشها يسرع خلفها كإسراع شهاب الرجم، فارتفع فوقهما ممتد من الغبار، كأن ما أشبه الضباب منه غبار أثارته الديكة لأنها تحبه وكأنه مرتفع دخان ذلك الشجر أو مظلمه؛ لأنه يحجب الضوء وإن كان أبيض؛ فدواجر خبر بعد خبر. ويجوز أنه على حذف العاطف، فقد أجازه السيرافي وابن عصفور وابن مالك؛ ومنعه ابن جني والسهيلي، وخرجا ما يوهمه على بدل الإضراب؛ ويجوز ذلك هنا أيضًا، فشبه التيار بثلاثة أشياء، ثم قال: فتجاريا شوطًا طويلاً مثله؛ وإثبات البعد للمثل كناية عن إثباته للشأو. ويحتمل أن ضمير مثله للجحش، فهو بالنصب. ثم قال: بعد ما بين شوطهما وشوطه كأنه تأخر. ويحتمل أن المعنى: بعد كل من الشوطين وطال.

(١) لأوس بن حجر يصف فرسًا بشدة العدو والسرعة، كالكوكب الدري نسبة للدر لصفائه، أو مأخوذ من الدرء لدرئه الظلام، يتبعه: أي للفرس نقع، أي غبار ينتشر تظنه طنبًا بضمتين، وهو حبل الخيمة كما يتبع الدري شعاعه ممتدًا عند هويه، فقد شبه النقع بالطنب تصريحًا، وبشعاع الكوكب: ضمنًا.

ينظر ديوانه ص ٣، ولسان العرب (درأ)، وتهذيب اللغة ١٤/١٥٨، وتاج العروس (درأ).

(٢) لعوف بن الخرع، يصف فرسًا بشدة العدو في الصيد، وأنه يرد عليه الحمار الوحشي حال كونه. أي الحمار من دون إلفه أي بقربه أو يرده من دونه، أي من قربه، وإذا رده من جنب ألفه كان رده وهو وحده أهون عليه؛ لأنه إذا كان مع إلفه كان أشد فرارًا. ويجوز أن المعنى: حال كون الحمار بدون إلفه أي منفردًا لا إلف معه يوجب ارتباكه. أو يرد علينا الثور الوحشي حال كونه، أي الثور، كالدري. أو حال كون الفرس كالدري، أي: كالكوكب نسبة للدر لصفاء جوهره وإضاءته. أو من الدرء، أي: الدفع؛ لأنه يدرؤ الظلام حال كون الكوكب يتبعه عند سقوطه من السماء خط أحمر من ضوئه يشبه الدم، فالدم: استعارة مصرحة.

الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية؟ فقالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم (١٦٦٤). وفي قوله: ﴿مُلِئَتۡ﴾ دليل على أن الحادث هو المل والكثرة، وكذلك قوله: ﴿نَقۡعُدُ مِنۡهَا﴾ أي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس/ ٢/ ٢٣٩أ والشهب، والآن ملئت المقاعد كلها، وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله ﷺ واستمعوا قراءته.

﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾

يقولون: لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق، قلنا: ما هذا إلا لأمر أراده الله بأهل الأرض، ولا يخلو من أن يكون شرًا أو رشدًا، أي: خيرًا، من عذاب أو رحمة، أو من خذلان أو توفيق.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ١١﴾

﴿مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ منا الأبرار المتقون ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ ومنا قوم دون ذلك، فحذف الموصوف، كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ١٦٤﴾ الصافات: ١٦٤] وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا الطالحين ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا﴾ بيان للقسمة المذكورة، أي: كنا ذوي مذاهب مفترقة مختلفة. أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة. أو كنا في طرائق مختلفة، كقوله [من الكامل]:

....كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ(١)

١٦٦٤ ـ أخرجه مسلم (٤/ ١٧٥٠) كتاب السلام: باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان حديث (١٢٤/ ٢٢٢٩) والترمذي (٥/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣) كتاب التفسير: باب ومن سورة سبأ حديث (٣٢٢٤) وأحمد (١/ ٢١٨) وأبو يعلى (٤/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧) رقم (٢٦٠٩) كلهم من طريق الأوزاعي عن الزهري عن علي بن حسين عن ابن عباس عن رجل من الأنصار به.
وأخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٢) كتاب التفسير: باب ومن سورة سبأ حديث (٣٢٢٤) وأحمد (١/ ٢١٨) من طريق معمر عن الزهري به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه مسلم من رواية الأوزاعي عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس أخبرني رجال من الأنصار وقال: بينما هم جلوس ـ فذكره مطولاً.. ورواه الترمذي من رواية معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس قال: بينما فذكره ولم يقل أخبرني رجال. انتهى.

---

(١) تقدم.

أو كانت طرائقنا طرائق قددًا على حذف المضاف الذي هو الطرائق وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه؛ والقدّة من قدّ، كالقطعة من قطع، ووصفت الطرائق بالقدد، لدلالتها على معنى التقطع والتفرّق.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿هَرَبًا﴾ حالان، أي: لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنا فيها، ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء. وقيل: لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمرًا، ولن نعجزه هربًا إن طلبنا. والظن بمعنى اليقين؛ وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم: منهم أخيار، وأشرار، ومقتصدون؛ وأنهم يعتقدون أنّ الله عز وجل عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾

﴿لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ هو سماعهم القرآن وإيمانهم به ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يخاف، أي فهو غير خائف؛ ولأنّ الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء، ولولا ذاك لقيل: لا يخف. فإن قلت: أي فائدة: في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرًا له ووجوب إدخال الفاء، وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال: لا يخف؟ قلت: الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك، فكأنه قيل: فهو لا يخاف، فكان دالاً على تحقيق أنّ المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الأعمش: فلا يخف، على النهي ﴿بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ أي جزاء بخس ولا رهق، لأنه لم يبخس أحدًا حقًا ولا رهق ظلم أحد[1] فلا يخاف جزاءهما. وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام. «المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم» (١٦٦٥) ويجوز أن يراد:

١٦٦٥ ـ أخرجه ابن ماجه (٢/١٢٩٨) كتاب الفتن باب حرمة دم المؤمن وماله حديث (٣٩٣٤) وأحمد (٦/ ٢٠، ٢١، ٢٢) وابن حبان (٢٥ ـ موارد) وابن منده في «الإيمان» (٣١٥) والبزار (١١٤٣ ـ كشف) وابن المبارك في «الزهد» رقم (٨٢٦) والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/١٠٩) رقم (١٣١) كلهم من طريق أبي هانىء الخولاني عن عمرو بن مالك الجنبي عن فضالة بن عبيد به مرفوعًا.

وصححه ابن حبان والحاكم (١/ ١٠ ـ ١١) وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح رجاله ثقات والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٧١) مطولاً وقال: قلت: روى ابن ماجه «المؤمن من أمنه الناس والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب» فقط. رواه البزار والطبراني في الكبير =

---

(١) قوله: «ولا رهق ظلم أحد» في الصحاح: رهقه بالكسر يرهقه رهقًا، أي: غشيه. (ع)

فلا يخاف أن يبخس بل يجزى الجزاء الأوفى، ولا أن ترهقه ذلة، من قوله عز وجل: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم: ٤٣].

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾الكافرون الجائرون عن طريق الحق. وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: أنّ الحجاج قال له حين أراد قتله: ما تقول فيّ؟ قال: قاسط عادل، فقال القوم: ما أحسن

= باختصار ورجال البزار ثقات.

وللحديث شواهد من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع.

ـ حديث أبي هريرة:

أخرجه الترمذي (٥/ ١٧) كتاب الإيمان باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده حديث (٢٦٢٧) والنسائي (٨/ ١٠٤ ـ ١٠٥) كتاب الإيمان وشرائعه: باب صفة المؤمن حديث (٤٩٩٥) وأحمد (٢/ ٣٧٩) والحاكم (١/ ١٠) وابن حبان (١٨٠) والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٢) من حديثه بلفظ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

ـ حديث أنس:

أخرجه أحمد (٣/ ١٥٤) والبزار (١/ ١٩ ـ كشف) رقم (٢١) وابن حبان (٢٦ ـ موارد) والحاكم (١/ ١١) والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٣٠) كلهم من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد ويونس بن عبيد وحميد عن أنس به. وصححه الحاكم وابن حبان.

وسكت عنه الذهبي.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٧) وقال رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجاله رجال الصحيح إلا علي بن زيد وقد شاركه فيه حميد ويونس بن عبيد.

ـ حديث واثلة بن الأسقع:

أخرجه أبو يعلى (١٣/ ٤٧٦ ـ ٤٧٨) رقم (٧٤٩٢) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٧٨) رقم (١٩٣) كلاهما من طريق عبيد بن القاسم، ثنا العلاء بن ثعلبة عن أبي المليح الهذلي عن واثلة به.

وذكره الهيثمي في ««مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٩٤) وقال: رواه أبو يعلى والطبراني وفيه عبيد بن القاسم وهو متروك.

وذكره ابن حجر في المطالب العالية (١/ ٤٠٤) رقم (١٣٥٧) وعزاه لأبي يعلى.

وقال الحافظ في «تخريج الكشاف»:

أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث فضالة بن عبيد بهذا. وأتم منه. وفي الباب عن أبي هريرة بلفظ «المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» وأخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم. وعن أنس أخرجه ابن حبان والحاكم أيضًا. وعن أبي مالك الأشعري وواثلة بن الأسقع، أخرجهما الطبراني مطولاً. وأخرج حديث واثلة أبو يعلى. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه عبد بن حميد. انتهى.

ما قال، حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل؛ فقال الحجاج: يا جهلة، إنه سماني ظالمًا مشركًا، وتلا لهم قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، وقد زعم من لا يرى للجن ثوابًا أنّ الله تعالى أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم؛ وكفى به وعدًا أن قال: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ فذكر سبب الثواب وموجبه، والله أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧)﴾

أن مخففة من الثقيلة، وهو من جملة الموحى والمعنى: وأوحي إليّ أن الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى، أي: لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام، لأنعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم. وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها. وقرئ بهما، لأنه أصل المعاش وسعة الرزق ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خوّلوا منه. ويجوز أن يكون معناه: وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم، لنفتنهم فيه: لتكون النعمة سببًا في اتباعهم شهواتهم، ووقوعهم في الفتنة، وازديادهم إثمًا؛ أو لنعذبهم في كفران النعمة ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ عن عبادته أو عن موعظته أو عن وحيه ﴿يَسْلُكْهُ﴾ وقرئ بالنون مضمومة ومفتوحة، أي: ندخله ﴿عَذَابًا﴾ والأصل: نسلكه في عذاب، كقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [المدثر: ٤٢] فعدّى إلى مفعولين: إمّا بحذف الجار وإيصال الفعل، كقوله: ﴿واختار موسى قومه﴾ [الأعراف: ١٥٥] وإمّا بتضمينه معنى «ندخله» يقال: سلكه وأسلكه/ ٢/ ٢٣٩ب؛ قال [من البسيط]:

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدَةٍ(١) ....

---

(١) قوله: «إذا أسلكوهم في قتائدة» في الصحاح: «قتائدة» اسم عقبة. قال عبد مناف بن ربع:

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة ... شلا كما تطرد الجمالة الشردا

والشل: الطرد. والشرد: جمع شارد، كالخدم جمع خادم. (ع)

وهو لعبد مناف بن ربع الهذليّ في الأزهية ص ٢٠٣، ٢٥٠، والإنصاف ٢/ ٤٦١، وجمهرة اللغة ص ٨٥٤، وخزانة الأدب ٧/ ٣٩، ٤١، ٤٦، ٧١، والدرر ٣/ ١٠٤، وشرح أشعار الهذليين ٢/ ٦٧٥، وشرح شواهد الإيضاح ص ٤٣١، ولسان العرب (شرد)، (قتد)، (سلك)، ١٥/ ٤٣١ (إذا)، ومراتب النحويين ص ٨٥، ولابن أحمر في ملحق ديوانه ص ١٧٩، ولسان العرب (حمر)، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٤٣٤، والأشباه والنظائر ٥/ ٢٥، وأمالي المرتضى ١/ ٣، وجمهرة اللغة ص ٣٩٠، ٤٩١، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٣٩، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٧.

والصعد: مصدر صعد، يقال: صعد صعدًا وصعودًا، فوصف به العذاب، لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه. ومنه قول عمر رضي الله عنه: ما تصعدَني شيء ما تصعَّدَتني خطبة النكاح(١٦٦٦)، يريد: ما شق علي ولا غلبني.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ من جملة الموحى. وقيل معناه: ولأن المساجد ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ﴾ على أنّ اللام متعلقة بلا تدعوا، أي: فلا تدعوا ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ في المساجد، لأنها لله خاصة ولعبادته. وعن الحسن: يعني الأرض كلها؛ لأنها جعلت للنبي ﷺ مسجدًا. وقيل: المراد بها المسجد الحرام، لأنه قبلة المساجد. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة: ١١٤] وعن قتادة: كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله، فأمرنا أن نخلص لله الدعوة إذا دخلنا المساجد. وقيل: المساجد أعضاء السجود السبعة. قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة آراب: وهي الجبهة، والأنف، واليدان، والركبتان، والقدمان» (١٦٦٧) وقيل: هي جمع مسجد وهو السجود.

١٦٦٦ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٠٠) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام وإبراهيم الحربي في غريبيهما من حديث حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عمر أنه قال: ما تصعدني شيء. . . . . إلى آخره.
قال أبو عبيد: ومعناه أي: ما شق عليّ وكل شيء فعلته بمشقة فقد تصعدك قال تعالى ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾. قال: وأرى أن أصل هذا من الصعود وهي العقبة المنكرة قال تعالى ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ انتهى كلامه.
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه أبو عبيدة في الغريب من رواية هشام بن عروة عن أبيه عن عمر بهذا وهو منقطع انتهى.

١٦٦٧ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/١٠٣): لم يروه بهذا اللفظ فيما وجدته إلا البزار في مسنده من حديث العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أسجد على سبعة آراب. . . . «فذكرها إلا أنه قال: «الوجه عوض: الجبهة والأنف» وهو أولى لاستقامة العدد قال البزار: وقد روى هذا الحديث سعد وابن عباس وأبو هريرة وغيرهم لا نعلم أحدًا قال: الآراب إلا العباس ا. هـ.
وأخرج مسلم (٢/ ٣٨٣ ـ الأبي) كتاب الصلاة: باب أعضاء السجود حديث (٤٩١) وأبو داود (١/ ٢٣٥) كتاب الصلاة: باب أعضاء السجود حديث (٨٩١) والترمذي (٢/ ٦١) كتاب الصلاة: باب ما جاء في السجود على سبعة أعضاء حديث (٢٧٢) والنسائي (٢/ ٢٠٨) كتاب الافتتاح: باب تفسير ذلك وابن ماجه (١) كتاب الصلاة: باب السجود حديث (٨٨٥) وأحمد (١/ ٢٠٦، ٢٠٨) كلهم من طريق عامر بن سعد عن العباس أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب ولفظ مسلم: سبعة أعضاء.
وأخرج أبو داود (١/ ٢٣٥) كتاب الصلاة: باب أعضاء السجود: حديث (٨٩٠) من طريق عمرو بن =

﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ النبي ﷺ. فإن قلت: هلا قيل: رسول الله أو النبي؟ قلت: لأن تقديره: وأوحي إليَّ أنه لما قام عبد الله فلما كان واقعًا في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه: جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل أو لأن المعنى أن عبادة عبد الله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر، حتى يكونوا عليه لبدًا. ومعنى (قام يدعوه) قام يعبده، يريد: قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجن فاستمعوا لقراءته ﷺ ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ أي يزدحمون عليه متراكمين تعجبًا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به قائمًا وراكعًا وساجدًا، وإعجابًا بما تلا من القرآن، لأنهم رأوا ما لم يروا مثله، وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره. وقيل معناه: لما قام رسولاً يعبد الله وحده مخالفًا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه: كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين ﴿لِبَدًا﴾ جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض، ومنه «لبدة الأسد» وقرئ: لبدا واللبدة في معنى اللبدة؛ ولبدا: جمع لابد، كساجد وسجد ولبدا بضمتين: جمع لبود، كصبور

= دينار عن طاوس عن ابن عباس قال: أمرت ـ وربما قال: أمر نبيكم ﷺ أن يسجد على سبعة آراب.

وقد ورد الحديث عن ابن عباس بلفظ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء».

أخرجه البخاري (٢/ ٢٩٧): كتاب الأذان: باب السجود على الأنف، الحديث (٨١٢)، و (٢/ ٢٩٩) كتاب الأذان: باب لا يكف شعرًا، الحديث (٨١٥) و (٨١٦)، ومسلم (١/ ٣٥٤): كتاب الصلاة: باب أعضاء السجود، الحديث (٢٣٠)، وأبو داود (١/ ٢٩٨): كتاب الصلاة: باب أعضاء السجود (٨٨٩)، والنسائي (٢/ ٢٠٨): كتاب الافتتاح: باب على كم يسجد، والترمذي (٢/ ٦٢): كتاب الصلاة: باب ما جاء في السجود على سبعة أعضاء، وابن ماجه (١/ ٣٣١): كتاب إقامة الصلاة: باب كف الشعر والثوب في الصلاة (١٠٤٠)، والشافعي في «الأم» (١/ ١١٣)، والحميدي (٤٩٣)، وأحمد (١/ ٢٧٠)، والدارمي (١/ ٣٠٢) كتاب الصلاة: باب السجود على سبعة أعضاء، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٥٦)، والبيهقي (٢/ ١٠٣)، وعبد الرزاق (٢٩٧٠) وابن خزيمة (٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦): وابن حبان (١٩١٤ ـ ١٩١٥ ـ ١٩١٦)، وأبو يعلى (٤/ ٢٧٧)، رقم (٢٣٨٩)، والطبراني في «الصغير» (١/ ٣٦)، وفي «الكبير» (١١/ ٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٦٤) من طرق عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة، وأشار بيده إلى أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين، ولا نكفت الثياب والشعر»، وله ألفاظ في «الصحيحين» وغيرهما.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه البزار من حديث العباس بهذا اللفظ، لكن قال «الوجه عوض الجبهة والأنف» ورواه الأربعة في السنن من حديث بلفظ «إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب: وجهه وكفاه وقدماه وركبتاه» وفي الصحيحين عن ابن عباس مرفوعًا «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم» وفي لفظ «أعضاء» وعند أبي داود «أمرت» وقال «أمر نبيكم ﷺ أن يسجد على سبعة آراب».

وصبر وعن قتادة: تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناوأه. ومن قرأ: وإنه، بالكسر: جعله من كلام الجن: قالوه لقومهم حين رجعوا إليهم حاكين ما رأوا من صلاته وازدحام أصحابه عليه في ائتمامهم به.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

(قال) للمتظاهرين عليه[(١)] ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ يريد: ما أتيتكم بأمر منكر، إنما أعبد ربي وحده ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ وليس ذاك مما يوجب إطباقكم على مقتي وعداوتي. أو قال للجن عند ازدحامهم متعجبين: ليس ما ترون من عبادتي الله ورفضي الإشراك به بأمر يتعجب منه، إنما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكًا. أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله ﷺ ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ ولا نفعًا، أو أراد بالضر: الغيّ، ويدل عليه قراءة أبيّ «غيًا ولا رشدًا» والمعنى: لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم، إنما الضارّ والنافع الله[(٢)]. أو لا أستطيع أن أقسركم على الغيّ والرشد، إنما القادر على ذلك الله عز وجل:

---

(١) قوله: «قال للمتظاهرين عليه» هذه قراءة غير عاصم وحمزة، كذا في النسفي، وهو يفيد أن قراءتهما (قل) بصيغة الأمر، كأنه سقط من كلام المصنف ذكر هذه القراءة فليحرر.

(٢) قال محمود: «معناه أي لا أستطيع أن أنفعكم أو أضركم إنما النافع والضار الله عز وجل... إلخ» قال أحمد: في الآية دليل بين على أن الله تعالى هو الذي يملك لعباده الرشد والغي أي يخلقهما لا غير، فإن النبي ﷺ إنما سلب ذلك عن قدرته ليمحض إضافته إلى قدرة الله وحده، وفطن الزمخشري لذلك فأخذ يعمل الحيل، فتارة يحمل الرشد على مطلق النفع، فيضيف ذلك إلى الله تعالى، وتارة يكنع عنه لأن فيه إبطالاً لخصوصية الرشد المنصوص عليه في الآية، فيثور له من تقليده الرأي الفاسد ثوائر تصرفه عن الحق وعن اعتقاد أن الله تعالى هو الذي يخلق الرشد لعبيده مقارنًا لاختيارهم، فيدخل زيادة القسر؛ لأن معنى ما ورد من إضافة الرشد إلى قدرة الله تعالى عندهم أنه يخلق أن يخضع لها الرقاب، فيخلق العبد لنفسه عند ظهورها رشدًا. فيضاف إلى قدرة الله تعالى؛ لأنه خلق السبب وهو في الحقيقة مخلوق بقدرة العبد «هذه قاعدة القدرية وعقيدتهم؛ وما الجن بعد هذا إلا أوفر منهم عقلاً وأسد منهم نظرًا؛ لأنهم قالوا: وأنا لا ندري أشر أريد بمن =

و﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ استثناء منه. أي لا أملك إلا بلاغًا من الله(١) و﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾ جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه(٢) وبيان عجزه، على معنى أنّ الله إن أراد به سوءًا من مرض أو موت أو غيرهما: لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوي إليه، والملتحد: الملتجأ، وأصله المدَّخل، من اللحد. وقيل: محيصًا ومعدلاً وقرئ: قال لا أملك، أي قال عبد الله للمشركين أو للجن. ويجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم. وقيل: (بلاغًا) بدل من ﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي: لن أجد من دونه منجى إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به. وقيل: ﴿إِلَّا﴾ هي «إن لا» ومعناه: أن لا أبلغ بلاغًا كقولك: إن لا قيامًا فقعودًا ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطف على بلاغًا، كأنه قيل: لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات. والمعنى: إلا أن أبلغ عن الله فأقول: قال الله كذا، ناسبًا لقوله إليه، وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان. فإن قلت: ألا يقال: بلغ عنه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام. «بلغوا عني بلغوا عني»؟(١٦٦٨) قلت: من ليست بصلة للتبليغ، إنما هي بمنزلة من في قوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١] بمعنى بلاغًا كائنًا من الله. وقرئ: فأن له نار جهنم، على: فجزاؤه أنّ له نار جهنم كقوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١] أي/ ٢/ ١٤٠أ: فحكمه أنّ لله خمسه. وقال: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حملا على معنى الجمع في من. فإن قلت: بم تعلق «حتى»، وجعل ما بعده غاية له؟ قلت: بقوله: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة، ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ من يوم بدر وإظهار الله له عليهم. أو من يوم القيامة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذ أنهم ﴿أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت

١٦٦٨ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٥٧٢) كتاب أحاديث الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل حديث (٣٤٦١) والترمذي (٥/ ٣٩) كتاب العلم: باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل حديث (٢٦٦٩) من طريق أبي كبشة السلولي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ بلغوا عني ولو آيه..... الحديث.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ: بلغوا عني ولو آية.... الحديث انتهى.

= في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا، فأضافوا الرشد نفسه إلى إرادة الله عز وجل وقدرته.

(١) قال محمود: «هو اعتراض. وقوله: (إلا بلاغًا) استثناء من قوله: (لا أملك) أي لا أملك لكم إلا بلاغًا. وقيل بلاغًا بدل من ملتحدًا... إلخ» قال أحمد: فيكون تقدير الكلام: بلاغًا من الله مستفادًا من قوله: (قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا).

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وفيه بعد لطول الفصل بينهما، قلت: وأين الطول؟ قد وقع الفصل بأكثر من هذا فالاستثناء منقطع. انتهى. الدر المصون.

عليه الحال: من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده، كأنه قال: لا يزالون على ما هم عليه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ قال المشركون: متى يكون هذا الموعود؟ إنكارًا له، فقيل ﴿قُلۡ﴾ إنه كائن لا ريب فيه[١]، فلا تنكروه؛ فإن الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد. وأما وقته فما أدري متى يكون؛ لأنّ الله لم يبينه لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ والأمد يكون قريبًا وبعيدًا ألا ترى إلى قوله: ﴿تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا﴾ [آل عمران: ٣٠]؟ قلت: كان رسول الله ﷺ يستقرب الموعد، فكأنه قال: ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية أي: هو ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ﴾ فلا يطلع و﴿مِن رَّسُولٖ﴾ تبيين لمن ارتضى، يعني: أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة، لا كل مرتضى. وفي هذا إبطال للكرامات[٢]؛ لأنّ الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين، فليسوا برسل[٣]. وقد خصّ الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم، لأنّ أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ يدي من ارتضى للرسالة ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: قوله: بم تعلق؟ إن عنى تعلق حرف الجر فليس بصحيح؛ لأنها حرف ابتداء. فما بعدها ليس في موضع جر خلافًا للزجاج، وابن درستويه فإنهما زعما: أنها إذا كانت حرف ابتداء فالجملة الابتدائية بعدها في موضع جر. وإن عنى بالتعلق اتصال ما بعدها بما قبلها، وكون ما بعدها غاية لما قبلها. فهو صحيح، وأمّا تقديره أنها تتعلق بقوله: «يكونون عليه لبدا» فهو بعيد جدًا. لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة. وقدر بعضهم ذلك المحذوف المعنى فقال: تقديره: دعهم حتى إذا، وقال التبريزي: جاز أن يكون غاية لمحذوف ولم يبين ما هو.
وقال الشيخ: والذي يظهر أنها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم، كأنه قيل: إن العاصي يحكم له بكينونة النار، والحكم بذلك هو وعيد. حتى إذا رأوا ما حكم بكينونته لهم فسيعلمون، قوله: «من أضعف» يجوز في «مَنْ» أن تكون استفهامية فترتفع بالابتداء، و«أضعف» خبره، والجملة في موضع نصب سادة مسد المفعولين لأنها معلقة للعلم قبلها، وأن تكون: موصولة و«أضعف» خبر مبتدأ مضمر. أي هو أضعف والجملة صلة وعائد، وحسن الحذف طول الصلة بالتمييز، والموصول مفعول للعلم بمعنى العرفان. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «وفي هذا إبطال للكرامات» إبطالها مذهب المعتزلة؛ وإثباتها مذهب أهل السنة، وهي لا تنحصر في الإخبار بالغيب. (ع)

(٣) قال محمود: «إبطال للكرامات، لأنه حصر ذلك في المرتضى من الرسل، والولي وإن كان من المرتضين... إلخ» قال أحمد: ادعى عامًا واستدل خاصًا، فإن دعواه إبطال الكرامات بجميع أنواعها، والمدلول عليه بالآية إبطال اطلاع الولي على الغيب خاصة، ولا يكون كرامة وخارق للعادة إلا الإطلاع على الغيب لا غير، وما القدرية إلا ولهم شبهة في إبطالها، وذلك أن الله عز وجل لا يتخذ منهم وليًا أبدًا وهم لم يحدثوا بذلك عن أشياعهم قط، فلا جرم أنهم يستمرون على الإنكار ولا يعلمون أن شرط الكرامة الولاية، وهي مسلوبة عنهم اتفاقًا وأما سلب الإيمان فمسألة خلاف، فما أطمع من يكون إيمانه مسألة خلاف وهو يريد الكرامة لأنه لم يؤتها والله الموفق.

ويعصمونه من وساوسهم وتحاليطهم، حتى يبلغ ما أوحي به إليه. وعن الضحاك: ما بعث نبيّ إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك ﴿لِيَعْلَمَ﴾ الله ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ يعني الأنبياء: وحد أولا على اللفظ في قوله: (من بين يديه ومن خلفه. ثم جمع على المعنى، كقوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾ [الجن: ٢٣]، والمعنى: ليبلغوا رسالات ربهم كما هي، محروسة من الزيادة والنقصان؛ وذكر العلم كذكره في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد: ٣١]، وقرئ: «ليعلم» على البناء للمفعول ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بما عند الرسل من الحكم والشرائع، لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفًا، فهو مهيمن عليها حافظ لها ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ من القطر والرمل وورق الأشجار، وزبد البحار، فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددًا: حال، أي: وضبط كل شيء معدودًا محصورًا. أو مصدر في معنى إحصاء.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنيّ صدق محمدًا ﷺ وكذب به عتق رقبة» (١٦٦٩).

١٦٦٩ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب انتهى.

سورة المزمل

مكية [إلا الآيات ١٠ و١١ و١٢ فمدنية] وآياتها ١٩ وقيل: ٢٠ [نزلت بعد القلم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾

﴿الْمُزَّمِّلُ﴾ المتزمّل، وهو الذي تزمّل في ثيابه: أي تلفف بها، بإدغام التاء في الزاي، ونحوه: «المدثر» في المتدثر وقرئ: المتزمّل على الأصل، والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها. على أنه اسم فاعل أو مفعول، من زمله، وهو الذي زمله غيره أو زمل نفسه؛ وكان رسول الله ﷺ نائمًا بالليل متزملاً في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن إليه[1] الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم، كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن. ألا ترى إلى قول ذي الرمّة [من الطويل]:

---

(١) قال محمود: «هو المتلفف في ثيابه كالمدثر ونودي بما يهجن إليه... إلخ» قال أحمد: أما قوله الأول أن نداءه بذلك تهجين للحالة التي ذكر أنه كان عليها واستشهاده بالأبيات المذكورة. فخطأ وسوء أدب. ومن اعتبر عادة خطاب الله تعالى له في الإكرام والاحترام: علم بطلان ما تخيله الزمخشري؛ فقد قال العلماء: أنه لم يخاطب باسمه نداء، وأن ذلك من خصائصه دون سائر الرسل إكرامًا له وتشريفًا. فأين نداؤه بصيغة مهجنة من ندائه، باسمه، واستشهاده على ذلك بأبيات قيلت ذمًا في جفاة حفاة من الرعاء، فأنا أبرأ إلى الله من ذلك وأربأ به ﷺ، ولقد ذكرت بقوله [من الرجز]:

أوردها سعد وسعد مشتمل

ما وقعت عليه من كلام ابن خروف النحوي يرد على الزمخشري ويخطىء رأيه في تصنيفه المفصل، وإجحافه في الاختصار بمعاني كلام سيبويه، حتى سماه ابن خروف: البرنامج، وأنشد عليه:

أوردها سعد وسعد مشتمل ... ما هكذا تورد يا سعد الإبل

وأما ما نقله أن ذلك كان في مرط عائشة رضي الله عنها فبعيد، فإن السورة مكية، وبنى النبي ﷺ على عائشة رضي الله عنها بالمدينة. والصحيح في الآية ما ذكره آخرًا؛ لأن ذلك كان في بيت خديجة عندما لقيه جبريل أول مرة، فبذلك وردت الأحاديث الصحيحة، والله أعلم.

وَكَـائِـنْ تَـخَـطَّـتْ نَـاقَـتِـي مِـنْ مَـفَـازَةٍ   وَمِـنْ نَـائِـمٍ عَـنْ لَـيْـلِـهَـا مُـتَـزَمِّـلِ[1]

يريد: الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الأمور وكفايات الخطوب، ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب، ونحوه [من الكامل]:

فَـأَتَـتْ بِـهِ حُـوشَ الْـفُـؤَادِ مُـبَـطَّـنَـا   سُـهُـدًا إِذَا مَـا نَـامَ لَـيْـلُ الْـهَـوْجَـلِ[2]

---

(١) لذي الرمة. وكائن: بمعنى كم الخبرية، والأكثر استعمالها مع «من» كقول: وكائن من كذا. والمتزمل المتلفف في ثيابه عند كثرة النوم، يقول: كثيرًا من المفاوز تخطته ناقتي وسارته، وكثيرًا من نائم وغافل عن ليلها ـ أي: المفازة أو الناقة ـ متكاسل عما فيه من عظائم الأمور، فالمتزمل كناية عن ذلك.

ينظر: ديوانه (٦٠٠)، والبحر: ٣٥٨/٨، الدر المصون ٤٠١/٦.

(٢)
ولقد سريت على الظلام بمغشم   جلد من الفتيان غير مثقل
ممن حملن به وهن عواقد   حبك النطاق فشب غير مهبل
ومبرأ من كل غبر حيضة   وفساد مرضعة وداء مغيل
حملت به في ليلة مزءودة   كرهًا وعقد نطاقها لم يحلل
فأتت به حوش الفؤاد مبطنًا   سهدًا إذا ما نام ليل الهوجل

لأبي كبير الهذلي يصف تأبط شرًا، واسمه: جابر بن ثابت، تزوج الهذلي بأمه بعد جابر فخاف منه، فأغرته على قتله فخرج به متحيلاً لذلك فلم يقدر، فمدحه بالشجاعة والفطنة: يقول: سرت ليلاً في الظلمة بمغشم، أي مع فتى يقدم على الأمر بلا مبالاة ولا تدبير ولا خوف عاقبة، مع جراءة، جلد، أي: صلب صبور غير مثقل، أي خفيف في السير منزه عن كل ما يوجب الضعف والتباطؤ، وبينه بقوله: ممن حملن. أي: هو ممن حملن، أي جنس النسوة به؛ أو هو بعض الفتيان الذين حملت بهم النسوة، وأفرد ضمير «به» مراعاة للفظ «من» وضمن العمل معنى العلوق، فعداه بالباء؛ وإلا فهو يتعدى بنفسه. والحبك: جمع حباك كخزام. أو جمع حبيك أو حبيكة؛ وهو الخيوط التي يحبك بها النطاق. والمهبل: المدعو عليه بالهبل، أي: الثكل والفقد. والغبر: بالضم فالتشديد ـ: بقية الحيض وغبره، وكذلك الغبر ـ بالضم وبالفتح مع السكون. والغابر: الباقي والذاهب. ويجوز أن غبر: جمع غابر، وغبر يغبر غبورًا ـ كدخل ـ: بقي وذهب، أي: لم تحمل به أمه في زمن بقية الحيض. ومرضع: من الصفات المختصة بالمؤنث؛ والغالب تجريدها من التاء؛ فما هنا على خلاف الغالب. والغيلة: إحبال الرجل امرأته وهي ترضع ولدها: فيمرض؛ فالمغيل: الممرض بالغيلة. وفي حديث مسلم: لقد هممت أن أنهي عن الغيلة حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم، وكان القياس في مغيل إعلاله كمقيم ومبين ومعين، لكن جاء على الأصل شذوذًا للضرورة. وروي معضل، أي معي ومعجز للأطباء. وزأده ـ كذعره: إذا خوفه، فهو مزؤود ومذعور فالمزءودة: المخوفة، وتخويف الليلة مجاز عقلي: كشربت الكوز. والخوف في الحقيقة للمرأة. ويروى بالنصب على الحال، لكن يضيع ذكر ليلة، إلا أن يقدر وصفها بمظلمة. والنطاق: ما يشد به الوسط. وحوش الفؤاد بالضم وحشي القلب لحدته وتوقده ونفوره عن الناس. والرجل الحوش والحوشي: الذي يجانب الناس مبطنًا خميص البطن منضره: سهداً ـ بضمتين ـ: كثير السهاد أي السهر: وإسناد النوم إلى الليل مجاز عقلي؛ وإنما النائم الهوجل: وهو الرجل الطويل الأحمق. ومن تجربة العرب: أن المرأة إذا حملت بولدها كارهة غير مستعدة للوطء: جاء ولدها نجيبًا. حكي عن أم تأبط شرًا أنها قالت فيه: والله إنه الشيطان، ما رأيته ضاحكًا قط، ولا هم بشيء في =

وفي أمثالهم [من الرجز]:

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلْ   مَا هَكَذَا تُورَدُ يَا سَعْدُ الإِبِلْ[1] /٢/ ٢٤٠ب

فذمه بالاشتمال بكسائه، وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس، وأمر بأن يختار على الهجود التهجد، وعلى التزمل التشمر، والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله، لا جرم أنّ رسول الله ﷺ قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر، وأقبلوا على إحياء لياليهم، ورفضوا له الرقاد والدعة، وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم، وظهرت السيمى في وجوههم وترامى أمرهم إلى حد رحمهم له ربهم. فخفف عنهم. وقيل: كانْ متزملا في مرط لعائشة[2] يصلي، فهو على هذا ليس بتهجين، بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها، وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه. وعن عائشة رضي اللّه عنها: أنها سئلت ما كان تزميله؟ قالت: كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعًا نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي، فسئلت: ما كان؟ قالت: والله ما كان خزًا ولا قزًا ولا مرعزى[3] ولا إبريسما ولا صوفًا: كان سداه شعرًا ولحمته وبرًا (١٦٧٠). وقيل: دخل

١٦٧٠ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٠٧): غريب وروى البيهقي في كتاب «الدعوات الكبير»

= صباه إلا فعله، ولقد حملت به في ليلة ظلماء، وإن نطاقي لمشدود؛ وذلك يدل على نجابته وشجاعته.
جمهرة اللغة ص ٣٦٠، وخزانة الأدب ٨/ ١٩٤، ٢٠٣، وشرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٧٣، وشرح التصريح ٢/ ٢٨، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٨٨، وشرح شواهد المغني ١/ ٢٢٧، والشعر والشعراء ٢/ ٦٧٥، ولسان العرب (سهد)، (حوش)، (هجل)، ومغني اللبيب وتاج العروس (هجل)، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٣/ ٨٩، وجمهرة اللغة ص ١١٧٦، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٨٠، ولسان العرب (جيا).

(١) لمالك بن زيد مناة يخاطب أخاه، وكان قد بنى على امرأته فلم يحسن سعد القيام بأمر الإبل، فقال: أوردها سعد إلى الماء والحال أنه مشتمل متلفف بثيابه لا متشمر. وذكر الظاهر مكان المضمر: فيه نوع من التوبيخ. ما هكذا تورد، أي: تساق إلى الماء، وكان معرضًا عنه فالتفت إليه ونداؤه نداء للبعيد: دلالة على أنه بليد. وحق هاء التنبيه: الدخول على اسم الإشارة، لكن قدمت على كاف التشبيه مبادرة واهتمامًا بالتنبيه. ويروى بدل الشطر الثاني: يا سعد ما تروى بهذا كالإبل. وهذاك اسم إشارة، وصار هذا البيت يضرب مثلاً لكل من لم يحسن القيام بشأن ما تولاه.
للنوار (زوجة مالك بن زيد مناة) في لسان العرب (خنطل)، ولمالك بن زيد مناة في جمهرة الأمثال ١/ ٩٣، وفصل المقال ص ٣٤٧، ومجمع الأمثال ٢/ ٣٦٤، والدرة الفاخرة ١/ ٧٢، ولعلي بن أبي طالب في مجمع الأمثال ١/ ٤٠٦، وتاج العروس (سعد)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١/ ٤٢٦، وتاج العروس (شرع)، والمستقصى ١/ ٤٣٠، ولسان العرب (شرع)، وكتاب العين ٦/ ٢٦٦، وأساس البلاغة (شمل).

(٢) قوله: «وقيل كان متزملاً في مرط لعائشة» كيف والسورة مكية. (ع)

(٣) قوله: «ولا مرعزى» المرعزي الزغب الذي تحت شعر العنز اهـ صحاح. (ع)

على خديجة، وقد جئت فرقا[1] أول ما أتاه جبريل وبوادره ترعد، فقال: زملوني زملوني، وحسب أنه عرض له؛ فبينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل: يا أيها المزمل (١٦٧١). وعن عكرمة: أنّ المعنى: يا أيها الذي زمل أمرًا عظيمًا، أي: حمله، والزمل: الحمل. وازدمله: احتمله وقرئ: قم الليل بضم الميم وفتحها. قال عثمان بن جنى: الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربًا من التقاء الساكنين، فبأي الحركات تحرّك فقد وقع الغرض ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من الليل. وإلا قليلاً: استثناء من النصف، كأنه قال: قم أقل من نصف الليل. والضمير في منه وعليه للنصف، والمعنى التخيير بين أمرين؛ بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت، وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه. وإن شئت جعلت نصفه بدلا من قليلاً، وكان تخييرًا بين ثلاث: بين قيام النصف بتمامه، وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه؛ وإنما وصف النصف بالقلة بالنسبة إلى الكل، وإن شئت قلت: لما كان معنى ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ﴾ إذا أبدلت النصف من الليل، قم أقل من نصف الليل، رجع الضمير في منه وعليه إلى الأقل من النصف، فكأنه قيل: قم أقل من نصف الليل. أو: قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلاً. فيكون

= له: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو صالح خلف بن محمد، أنا صالح بن محمد، ثنا محمد بن عباد المكي، ثنا حاتم بن إسماعيل عن نصر بن كثير عن يحيى بن سعيد عن عروة عن عائشة قالت: لما كانت ليلة النصف من شعبان انسل النبي ﷺ من مرطي ثم قالت: والله ما كان مرطي من حرير ولا قز ولا كتان ولا كرسف ولا صوف قلنا: فمن أي شيء كان؛ قالت: إن كان سداه لمن شعر وإن كان لحمته لمن وبر. مختصر قلت: وله طريق آخر.

أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨) رقم (٩١٧) من طريق سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحوه.

وقال ابن الجوزي: لا يصح قال ابن عدي أحاديث سليمان بن أبي كريمة أحاديثه مناكير ا.هـ.

قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: لم أره هكذا ومن قوله «ما كان خزًا» رواه البيهقي في الدعوات من حديثها في ليلة النصف من شعبان «وانسل النبي ﷺ من مرطي ثم قالت: والله ما كان مرطي من حرير ولا قز ولا كتان ولا كرسف ولا صوف فقلنا من أي شيء كان؟ قالت: إن كان سداه لمن شعر وإن كانت لحمته لمن وبر انتهى.

١٦٧١ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٠٨) غريب.

قلت: أصله في الصحيحين.

أخرجه البخاري (١/ ٣٢ ـ ٣٣) كتاب بدء الوحي حديث (٣) ومسلم (١/ ٤٥٥ ـ الأبي) كتاب الإيمان: باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث (٢٥٢/ ١٦٠) من حديث عائشة.

وقال الحافظ ابن حجر: لم أره هكذا وأصله في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها انتهى.

---

(١) قوله: «وقد جئت فرقًا» أفزع، فهو مجؤوث: أي مذعور، كذا في الصحاح. وفيه البوادر من الإنسان وغيره: اللحمة التي بين المنكب والعنق. (ع)

التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث. ويجوز إذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل قليلاً الثاني بمعنى نصف النصف: وهو الربع، كأنه قيل أو انقص منه قليلاً نصفه. وتجعل المزيد على هذا القليل، أعني الربع، نصف الربع كأنه قيل: أو زد عليه قليلاً نصفه. ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث، فيكون تخييرًا بين النصف والثلث والربع. فإن قلت: أكان القيام فرضًا أم نفلاً؟ قلت: عن عائشة رضي اللّه عنها أنّ الله جعله تطوّعًا بعد أن كان فريضة. وقيل: كان فرضًا قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ثم نسخ بهنّ إلا ما تطوّعوا به. وعن الحسن: كان قيام ثلث الليل فريضة، وكانوا على ذلك سنة. وقيل: كان واجبًا، وإنما وقع التخيير في المقدار، ثم نسخ بعد عشر سنين. وعن الكلبي: كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين؛ ومنهم من قال: كان نفلاً بدليل التخيير في المقدار، ولقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، ترتيل القرآن: قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات، حتى يجيء المتلوّ منه شبيها بالثغر المرتل: وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان، وألا يهذه هذا ولا يسرده سردًا[1]، كما قال عمر رضي الله عنه: شر السير الحقحقة. وشر القراءة الهذرمة (١٦٧٢)، حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الألص. وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا كسردكم هذا، لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها و﴿تَرۡتِيلًا﴾ تأكيد في إيجاب الأمر به، وأنه ما لا بد منه للقارىء.

١٦٧٢ ـ روي هذا مرفوعًا عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة.
أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢١٣) من طريق الحسن بن دينار عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: شر السير الحقحقة.
وأعله ابن عدي بالحسن بن دينار.
واستغربه الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٠٨) عن عمر وكذا ابن حجر كما سيأتي.
وأخرجه البغدادي في كتاب «الجامع لأخلاق الراوي والسامع» (١/ ٢٦٢) رقم (٥٤١) من طريق منصور بن جعفر قال: قرأت على أبي محمد بن درستويه قال قرأنا على ابن قتيبة قال عمر بن الخطاب: شر الكتابة المشق وشر القراءة الهذرمة وأجود الخط أبينه. اهـ.
قال الحافظ: لم أره عنه من رواية منصور وإنما قال أبو عبيد بن قتيبة في الغريب قال عمر: شر القراءة الهذرمة وأخرجه الخطيب في الجامع من رواية منصور بن جعفر قال: قرأت على أبي محمد بن درستويه قال: قرأنا على ابن قتيبة بهذا، وروى ابن المبارك في الزهد من رواية الحسن قال: كان يقال شر السير الحقحقة ورواه ابن عدي مرفوعًا من رواية الحسن بن دينار عن الحسن عن أبي هريرة والحسن بن دينار ضعيفٌ. انتهى.

---

(١) قوله: «وأن لا يهذّه هذّا ولا يسرده» الهذ: الإسراع. والسرد: التتابع. والحقحقة: شدة السير. والألص: متقارب الأسنان. أفاده الصحاح. وفيه «الهذرمة» سرعة القراءة. (ع)

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾

هذه الآية اعتراض، ويعني بالقول الثقيل: القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين، وخاصة على رسول اللّه ﷺ لأنه متحملها بنفسه ومحملها أمته؛ فهي أثقل عليه وأبهظ له، وأراد بهذا الاعتراض: أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن، لأنّ الليل وقت السبات والراحة والهدوء، فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه[١]. وعن ابن عباس رضي الله عنه: كان إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له[٢] جلده (١٦٧٣). وعن عائشة رضي اللّه

١٦٧٣ ـ أخرجه أحمد (١/ ٤٦٤) من حديث ابن عباس في قصة هلال بن أمية قال: وكان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تربد جلده.
وله شاهد من حديث عبادة بن الصامت وفيه كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه.
أخرجه مسلم (٣/١٣١٦) كتاب الحدود: باب حد الزنى حديث (١٢/ ١٦٩٠) وأبو داود (٤/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠) كتاب الحدود: باب في الرجم حديث (٤٤١٥) والترمذي (٤/ ٤١) كتاب الحدود: باب الرجم على الثيب حديث (١٤٣٤) والدارمي (٢/ ١٨١) كتاب الحدود: باب في تفسير قول الله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، وأحمد (٥/ ٣١٣، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢١) وابن أبي شيبة (١٠/ ٨) وأبو داود الطيالسي (١/ ٢٩٨ ـ منحة)رقم (١٥١٤) وابن الجارود في «المنتقى» (٨١٠) والطبري في «تفسيره» (٤/ ١٩٨) وابن حبان (٤٤٠٨، ٤٤٠٩، ٤٤١٠، ٤٤٢٦ ـ الإحسان) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ١٣٤) وفي «مشكل الآثار» (١/ ٩٢) والبيهقي (٨/ ٢١٠) كتاب الحدود: باب جلد الزانيين ورجم الثيب، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ١١٣) من طرق عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت به.
والحديث أخرجه الشافعي (٢/ ٧٧) كتاب الحدود: باب الزنا حديث (٢٥٢) والطيالسي (١/ ٢٩٨ ـ منحة) رقم (١٥١٤) وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ٣٢٧) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٤٥٧ ـ بتحقيقنا) من طريق الحسن عن عبادة بن الصامت دون ذكر حطان بن عبد الله قلت: ولعل ذلك من تدليسات الحسن فأسقط حطان بن عبدالله ورواه عن عبادة دون واسطه.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه أحمد من حديث ابن عباس في قصة ابن أمية قال: كان =

---

(١) قال السمين الحلبي: قرأ أبو عمرو وابن عامر بكسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف والباقون بفتح الواو وسكون الطاء، وقرأ قتادة وشبل عن أهل مكة «وطأ» بكسر الواو وسكون الطاء وظاهر كلام أبي البقاء يؤذن أنه قرئ بفتح الواو مع المد فإنه قال، «وطأ» بكسر الواو بمعنى مواطأة، وبفتحها اسم للمصدر، و«وطأ» على فعل وهو مصدر وطىء. فالوطاء مصدر واطأ. كقتال مصدر قاتل، والمعنى أنها أشد مواطأة. أي يواطىء قلبها لسانها إن أردت النفس أو يواطىء فيها قلب القائم لسانه إن أردت القيام أو العبادة أو الساعات. أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «وتربد» أي تعبس. (ع)

عنها: رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنّ جبينه/ ٢/ ٢٤١أ ليرفضُ عرقًا (١٦٧٤). وعن الحسن: ثقيل في الميزان. وقيل: ثقيل على المنافقين. وقيل: كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾

﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ النفس الناشئة بالليل، التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة[1]، أي: تنهض وترتفع، من نشأت السحابة: إذا ارتفعت، ونشأ من مكانه ونشز: إذا نهض، قال [من الطويل]:

نَشَأْنَا إِلى خُوصٍ بَرَى نَيَّهَا السُّرَى وَأَلْصَقَ مِنْهَا مُشْرِفَاتِ الْقَمَاحِدِ[2]

وقيام الليل، على أن الناشئة مصدر من نشأ إذا قام ونهض على فاعلة: كالعاقبة، ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير: قلت لعائشة: رجل قام من أوّل الليل، أتقولين له قام ناشئة؟ قالت: لا؛ إنما الناشئة القيام بعد النوم. ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التي تنشأ بالليل، أي: تحدث، وترتفع. وقيل: هي ساعات الليل كلها؛ لأنها تحدث واحدة بعد أخرى. وقيل: الساعات الأول منه. وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول: أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ هذه ناشئة الليل ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا﴾ هي خاصة دون ناشئة النهار، أشدّ مواطأة يواطىء

= النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تربد جلده وأبو نعيم في الدلائل: كان إذا نزل عليه الوحي تربد له وجهه وجسده... وفي الباب حديث عبادة بن الصامت كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه انتهى.

١٦٧٤ ـ أخرجه البخاري (١/ ٢٧ ـ ٢٨) كتاب بدء الوحي حديث (٢) عن عائشة وفيه وإن جبينه ليتفصد عرقًا.
قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٠٩): وهو في الثعلبي: ليرفض.
وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث عائشة انتهى.

---

(١) قال محمود: «قيل الناشئة النفس القائمة بالليل التي تنشأ عن مضجعها... إلخ» قال أحمد: فإن حملت الناشئة على النفس فإضافة المواطأة إليها حقيقة، وإن حملتها على الساعات أو المصدر فهو من الاتساع المجازي.
ينظر: البحر ٨/ ٣٦٣، الدر المصون، ٦/ ٤٠٤.

(٢) نشأنا: نهضنا. والخوص ـ جمع خوصاء: الناقة المرتفعة الأعلى، الضخمة الأسفل. والني: الشحم. والسرى: سير الليل. والقماحد: جمع قمحدوة: وهي أعلى عظم الرأس. يقول: نهضنا إلى نوق عظيمة أذاب شحمها سير الليل، وألصق عظام رأسها بعضها ببعض، كناية عن قدرتها على السير واعتيادها له.

قلبها لسانها: إن أردت النفس. أو يواطىء فيها قلب القائم لسانه: إن أردت القيام أو العبادة أو الساعات. أو أشدّ موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص. وعن الحسن: أشدّ موافقة بين السر والعلانية، لانقطاع رؤية الخلائق. وقرئ: «أشدّ وطأ» بالفتح والكسر. والمعنى: أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل. أو أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار، من قوله عليه الصلاة والسلام. «اللهم اشدد وطأتك على مضر» (١٦٧٥) ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ وأسد مقالا وأثبت قراءة لهدوّ الأصوات. وعن أنس رضي الله عنه أنه قرأ: وأصوب قيلا، فقيل له: يا أبا حمزة، إنما هي: وأقوم؛ فقال: إنّ أقوم وأصوب وأهيأ واحد. وروى أبو زيد الأنصاري عن أبي سرار الغنوي أنه كان يقرأ: فحاسوا، بحاء غير معجمة، فقيل له: إنما هو ﴿فَجَاسُواْ﴾ [الإسراء: ٥] بالجيم، فقال: جاسوا وحاسوا واحد.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾﴾

﴿سَبْحًا﴾ تصرفًا وتقلبًا في مهماتك وشواغلك، ولا تفرغ إلا بالليل؛ فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل. وأما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف: وهو نفشه ونشر أجزائه؛ لانتشار الهم وتفرّق القلب بالشواغل، كلفه قيام الليل، ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه: وهو أن الليل أعون على المواطأة وأشد للقراءة، لهدوّ الرجل وخفوت الصوت، وأنه أجمع للقلب وأضم لنشر الهم من النهار؛ لأنه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد. وقيل: فراغًا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل: إن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ ودم على ذكره في ليلك ونهارك، واحرص عليه، وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب: تسبيح، وتهليل، وتكبير، وتمجيد، وتوحيد، وصلاة، وتلاوة قرآن، ودراسة علم، وغير ذلك مما كان رسول الله ﷺ يستغرق به ساعات ليله ونهاره ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾ وانقطع إليه. فإن قلت: كيف قيل ﴿تَبْتِيلًا﴾ مكان تبتلا؟ قلت: لأن معنى تبتل بتل نفسه، فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ قرئ مرفوعًا على المدح، ومجرورًا على البدل من ربك. وعن ابن عباس: على القسم بإضمار حرف

١٦٧٥ ـ تقدم تخريجه في سورة الأنبياء. برقم (٩٧٢) وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في الأنبياء. انتهى.

القسم، كقولك: الله لأفعلنّ، وجوابه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كما تقول: والله لا أحد في الدار إلا زيد. وقرأ ابن عباس: رب المشارق والمغارب ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ مسبب على التهليلة؛ لأنه هو وحده هو الذي[1] يجب لتوحده بالربوبية أن توكل إليه الأمور. وقيل ﴿وَكِيلٗا﴾: كفيلاً بما وعدك من النصر والإظهار. الهجر الجميل: أن يجانبهم بقلبه وهواه، ويخالفهم مع حسن المخالفة والمداراة والإغضاء وترك المكافأة. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: إنا لنكشر في وجوه قوم ونضحك إليهم، وإن قلوبنا لتقليهم (١٦٧٦) وقيل: هو منسوخ بآية السيف.

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾

إذا عرف الرجل من صاحبه أنه مستهم بخطب يريد أن يكفاه، أو بعدوّ يشتهي أن ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال: ذرني وإياه أي: لا تحتاج إلى الظفر[2] بمرادك ومشتهاك، إلا أن تخلى بيني وبينه بأن تكل أمره إليّ وتستكفينيه، فإنّ فيّ ما يفرغ بالك ويجلي همك، وليس ثم منع حتى يطلب إليه أن يذره وإياه إلا ترك الاستكفاء والتفويض، كأنه إذا لم يكل أمره إليه، فكأنه منعه منه؛ فإذا وكله إليه فقد أزال المنع/ ٢/ ٢٤١ب وتركه

١٦٧٦ ـ علقه البخاري في صحيحه (١٠/ ٥٤٤) كتاب الأدب باب المداراة مع الناس. فقال: ويذكر عن أبي الدرداء قال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٥٤٥) وهذا الأثر وصله ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي في «غريب الحديث» والدينوري في «المجالسة» من طريق أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء فذكر مثله وزاد ونضحك إليهم وذكره بلفظ اللعن ولم يذكر الدينوري في إسناده جبير بن نفير. . . اهـ.

وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٦٦) رقم (٨١٠٣) من طريق أبي الأحوص عن أبي الزاهرية عن أبي الدرداء به.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٢٢) من طريق خلف بن حوشب عن أبي الدرداء.

وأخرجه أبو بكر بن المقرىء في فوائده كما في «الفتح» (١٠/ ٥٤٥) من طريق كامل أبي العلاء عن أبي صالح عن أبي الدرداء.

وقال الحافظ: أخرجه البخاري في صحيحه تعليقًا في الأدب ويذكر عن أبي الدرداء ووصله البيهقي في الشعب في السادس والخمسين من طريق أبي الأحوص يعني ولد أحوص بن حكيم عن أبي الزاهرية قال: قال أبو الدرداء، ورواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي الدرداء من طريق سفيان عن خلف بن حوشب قال: قال أبو الدرداء مثل رواية البيهقي. انتهى.

---

(١) قوله: «هو الذي» لعله «الذي» بدون: هو. (ع)

(٢) قوله: «لا تحتاج إلى الظفر» لعله: في الظفر. (ع)

وإياه، وفيه دليل على الوثوق بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ما تدور حوله أمنية المخاطب وبما يزيد عليه. النعمة: بالفتح ـ التنعم، وبالكسر: الإنعام، وبالضم: المسرة؛ يقال: نعم، ونعمة عين، وهم صناديد قريش، وكانوا أهل تنعم وترفه ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾ ما يضاد تنعمهم من أنكال: وهي القيود الثقال، عن الشعبي: إذا ارتفعوا استقلت بهم. الواحد: نكل ونكل. ومن جحيم: وهي النار الشديدة الحر والاتقاد. ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم. ومن عذاب أليم من سائر العذاب فلا ترى موكولاً إليه أمرهم موذورًا بينه وبينهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام. وروي: أنّ النبي ﷺ قرأ هذه الآية فصعق (١٦٧٧). وعن الحسن: أنه أمسى صائمًا. فأتي بطعام، فعرضت له هذه الآية؛ فقال: ارفعه، ووضع عنده الليلة الثانية، فعرضت له، فقال: ارفعه، وكذلك الليلة الثالثة، فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء، فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ منصوب بما في لدينا. والرجفة. الزلزلة والزعزعة الشديدة. والكثيب: الرمل المجتمع من كثب الشيء إذا جمعه، كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله. ومنه الكثبة من اللبن، قالت الضائنة: أجز جفالا وأحلب كثبًا[1] عجالا، أي: كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا، أي: نثر وأسيل.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾

الخطاب لأهل مكة ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم. فإن

١٦٧٧ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٩) رقم (٣٥٢٦٨) وأبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» رقم (١٦٦) وأحمد في «الزهد» (ص ١٦٤) كلهم من طريق وكيع عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين به.
وأخرجه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٧٥ ـ بتحقيقنا) ومن طريق وكيع عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين عن عبد الله بن عمر مرفوعًا.
وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣١٢) من طريق حمران بن أعين عن أبي حرب عن أبي الأسود عن النبي ﷺ به وأعله ابن عدي بحمران بن أعين.
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أحمد في الزهد والطبري من طريق وكيع عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين أن النبي ﷺ بهذا: ورواه ابن عدي من رواية أبي يوسف عن حمران عن أبي حرب عن أبي الأسود وقال: غير أبي يوسف يرويه عن حمزة عن حمران انتهى.

(١) قوله: «وأجز جفالاً وأحلب كثبًا» الجفال: الصوف الكثير. والكثبة من اللبن: قدر حلبة، والجمع كثب، كذا في الصحاح. (ع)

قلت: لم نكر الرسول ثم عرف؟ قلت: لأنه أراد: أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل، فلما أعاده، وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور بعينه ﴿وَبِيلًا﴾ ثقيلاً غليظًا، من قولهم: كلأ وبيل وخم لا يستمرأ لثقله. والوبيل: العصا الضخمة ومنه: الوابل للمطر العظيم.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾﴾

﴿يَوْمًا﴾ مفعول به، أي: فكيف تقون أنفسكم يوم القيامة وهو له، إن بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحًا. ويجوز أن يكون ظرفًا، أي: فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا ويجوز أن ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم، أي فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء، لأن تقوى الله خوف عقابه ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد: يوم يشيب نواصي الأطفال والأصل فيه: أنّ الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب. قال أبو الطيب [من الكامل]:

وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ(١)

وقد مرّ بي في بعض الكتب أن رجلاً أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب. وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة، فقال: أريت القيامة والجنة والنار في المنام، ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار، فمن هول ذلك أصبحت كما ترون. ويجوز أن يوصف اليوم بالطول. وأنّ الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ وصف لليوم بالشدّة أيضًا. وأنّ السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه، فما ظنك بغيرها من الخلائق. وقرئ: «منفطر ومتفطر» والمعنى: ذات انفطار. أو على تأويل السماء بالسقف أو على تأويل السماء شيء منفطر والباء في ﴿بِهِ﴾ مثلها في قولك: فطرت العود بالقدوم فانفطر به، يعني: أنها تنفطر بشدة ذلك اليوم وَهَوْله كما ينفطر الشيء بما يفطر به. ويجوز أن يراد السماء مثقلة به إثقالاً يؤدّي إلى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه، كقوله:

---

(١) لأبي الطيب، يقول: إن الهم ينتقص الرجل الجسيم ويقتطعه شيئًا فشيئًا. ونحف نحافة: هزل هزالاً؛ فنحافة مفعول مطلق، لأنها تلاقي الاحترام في المعنى. ويجوز أنها تمييز، أي: ينتقص الهم العظيم الجسيم من جهة النحافة التي تنشأ عنه. ويجوز جعلها مفعولاً لأجله على مذهب من لم يشترط اتحاد الفعل والمصدر في الفاعل. والناصية: مقدم الرأس، أي: يشيب رأس الصبي. وخص الناصية؛ لأنها التي تقابل الناظر عند التقابل، ولا شعر للصبي إلا في رأسه. ويهرم، أي: يصير الصبي هرمًا ضعيفًا.

﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿وَعْدُهُۥ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول، والضمير لليوم. ويجوز أن يكون مضافًا إلى الفاعل وهو الله عز وعلا، ولم يجر له ذكر لكونه معلومًا.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيات الناطقة بالوعيد الشديد ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ موعظة ﴿فَمَن شَآءَ﴾ اتعظ بها. واتخذ سبيلاً إلى الله بالتقوى والخشية. ومعنى اتخاذ السبيل إليه: التقرّب والتوسل بالطاعة.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ أقل منهما؛ وإنما استعير الأدنى وهو الأقرب للأقل؛ لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت: قل ما بينهما من الأحياز؛ وإذا بعدت كثر ذلك. وقرئ: ونصفه وثلثه بالنصب على أنك تقوم أقل من الثلثين، وتقوم النصف والثلث: وهو مطابق لما مرّ في أوّل السورة: من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين/ ٢/ ٢٤٢أ قيام الناقص منه ـ وهو الثلث ـ وبين قيام الزائد عليه ـ وهو الأدنى من الثلثين. وقرئ: ونصفه، وثلثه: بالجرّ، أي: تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف والثلث، وهو مطابق للتخيير بين النصف: وهو أدنى من الثلثين والثلث: وهو أدنى من النصف. والربع: وهو أدنى من الثلث، وهو الوجه الأخير ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ ويقوم ذلك جماعة من أصحابك ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما إلا الله وحده؛ وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيًا عليه: يقدّر، هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير؛ والمعنى: أنكم لا تقدرون عليه، والضمير في ﴿لَّن تُحْصُوهُ﴾ لمصدر يقدّر، أي علم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية، إلا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط: وذلك شاق عليكم بالغ منكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدّر. كقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] والمعنى: أنه رفع التبعة في تركه عنكم، كما يرفع التبعة عن التائب. وعبر عن الصلاة بالقراءة؛ لأنها بعض أركانها، كما

عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد: فصلوا ما تيسر عليكم، ولم يتعذر من صلاة الليل؛ وهذا ناسخ للأوّل، ثم نسخا جميعًا بالصلوات الخمس. وقيل: هي قراءة القرآن بعينها؛ قيل: يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن، وقيل: من قرأ مائة آية كتب من القانتين. وقيل: خمسين آية. وقد بين الحكمة في النسخ. وهي تعذر القيام على المرضى، والضاربين في الأرض للتجارة، والمجاهدين في سبيل الله. وقيل: سوّى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أيما رجل جلب شيئًا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرًا محتسبًا، فباعه بسعر يومه: كان عند الله من الشهداء (١٦٧٨). وعن عبد الله بن عمر: ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إليّ من أن أموت بين شعبتي رحل: أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله (١٦٧٩). و﴿عَلِمَ﴾ استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعني المفروضة والزكاة الواجبة وقيل: زكاة الفطر؛ لأنه لم يكن بمكة زكاة. وإنما وجبت بعد ذلك. ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يجوز أن يريد: سائر الصدقات وأن يريد: أداء الزكاة على أحسن وجه: من إخراج أطيب المال وأعوده على الفقراء، ومراعاة النية وابتغاء وجه الله، والصرف إلى المستحق، وأن يريد:

١٦٧٨ ـ أخرجه الثعلبي كما في «تخريج الكشاف» (٤/ ١١١) من طريق المعافى بن عمران عن فرقد السبخي عن إبراهيم عن ابن مسعود.
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من رواية فرقد السبخي عن إبراهيم عن ابن مسعود موقوفًا ووصله ابن مردويه بذكر علقمة وزاد ثم قرأ: «وآخرون يضربون في الأرض ـ الآية» انتهى.

١٦٧٩ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١١٢): رواه الثعلبي من حديث القاسم بن عبيد الله عن أبيه قال: سمعت ابن عمر يقول. . . . فذكره.
ورواه البيهقي في شعب الإيمان، في الباب الثالث عشر، من طريق عبد الرزاق: أنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله ذكر عمر أو غيره، وقال: ما خلق الله. . . إلى آخره، ثم قال: ورواه غيره فقال، عن عمر بن الخطاب، لم يشك، وزاد: ثم تلا: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾. انتهى.
قلت: كذلك رواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية: أنا ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ما خلق الله موتة أموتها ـ إلا أن أموت مجاهدًا في سبيل الله ـ أحب إليّ من أن أموت وأنا أضرب في الأرض على ظهر راحلتي أبتغي من فضل الله عز وجل. انتهى.
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من رواية القاسم بن عبيد الله عن أبيه عن نافع عن ابن عمر وإسناده ضعيف ورواه ابن معبد في «الطاعة والمعصية» عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن نافع أن عمر قال: ما خلق الله موتة أموتها إلا أن أموت مجاهدًا في سبيل الله أحب إليّ من أن أموت. . . . إلى آخره والبيهقي في الشعب في الثالث عشر من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عبد الله ذكر عمر أو غيره قال: «ما خلق إلى آخره» انتهى.

كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال ﴿خَيْرًا﴾ ثاني مفعولي وجد. وهو فصل، وجاز وإن لم يقع بين معرفتين؛ لأنّ أفعل من أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة[1]، وقرأ أبو السّمال «هو خير وأعظم أجرًا» بالرفع على الابتداء والخبر.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المزمّل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة» (١٦٨٠).

١٦٨٠ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
وقال الحافظ ابن حجر في: «تخريج الكشاف»: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسندهم إلى أبي رضي الله عنه.

---

(١) قال السمين الحلبي: قلت: هذا هو المشهور، وبعضهم يجوزه في غير أفعل من النكرات. انتهى. الدر المصون.

سورة المدثر

مكية، وهي ست وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾

﴿الْمُدَّثِّرُ﴾ لابس الدثار، وهو ما فوق الشعار: وهو الثوب الذي يلي الجسد. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «الأنصار شعار والناس دثار» (١٦٨١) وقيل: هي أوّل سورة نزلت. وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ: «كنت على جبل حراء فنوديت: يا محمد، إنك رسول الله، فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئًا، فنظرت فوقي فرأيت شيئًا» (١٦٨٢) وفي رواية عائشة: «فنظرت فوقي فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض ـ يعني الملك الذي ناداه ـ فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت: دثروني دثروني، فنزل جبريل وقال: «يا أيها المدثر» (١٦٨٣) وعن الزهري: أوّل ما نزل: سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فحزن رسول الله ﷺ وجعل يعلو شواهق الجبال، فأتاه جبريل فقال: إنك نبيّ الله، فرجع إلى خديجة وقال: دثروني وصبوا عليّ ماء باردًا، فنزل: يا أيها المدثر (١٦٨٤). وقيل: سمع من قريش ما كرهه فاغتم، فتغطى/ ٢/ ٢٤٢ب بثوبه مفكرًا

١٦٨١ ـ تقدم في سورة آل عمران.

١٦٨٢ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٦٨٢) كتاب التفسير باب قوله: «قم فانذر» حديث (٤٩٢٢، ٤٩٢٣) من طريق أبي سلمة عن جابر.
وقال ابن حجر: متفق عليه من رواية أبي سلمة عنه وأتم منه انتهى.

١٦٨٣ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أره عن عائشة وإنما هو قصة حديث جابر ولعل الزمخشري قصد بقوله: «وفي رواية عائشة لفظة منه وإلا فالجميع من حديث جابر رضي الله عنه». قلت: يوجد ما ذكره الزمخشري من رواية النعمان بن راشد عن الزهري، عن عروة عن عائشة عند الطبري انتهى.

١٦٨٤ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٩٠) من طريق ابن ثور عن معمر عن الزهري به.
وله شاهد من حديث عائشة أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٩).
قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١١٩).
ولا يعارض ذلك ما رواه مسلم في صحيحه، من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله الأنصاري: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)﴾ فقلت أو: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ =

كما يفعل المغموم. فأمر أن لبا يدع إنذارهم وإن أسمعوه وآذوه. وعن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول. من دثره. وقال: دثرت هذا الأمر وعصب بك، كما قال في المزمّل[1]: قم من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم ﴿فَأَنذِرْ﴾ فحذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا. والصحيح أنّ المعنى: فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ واختص ربك بالتكبير: وهو الوصف بالكبرياء؛ وأن يقال: الله أكبر. ويروىٰ: أنه لما نزل قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر» فكبرت خديجة وفرحت، وأيقنت أنه الوحي؛ وقد يحمل على تكبير الصلاة، ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل: وما كان فلا تدع تكبيره ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات؛ لأنّ طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح إلا بها، وهي الأولى والأحب في غير الصلاة، وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثًا. وقيل: هو أمر بتقصيرها، ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرّهم الذيول، وذلك ما لا يؤمن معه إصابة النجاسات. وقيل: هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ويستهجن من العادات. يقال: فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل

= رَبِّكَ﴾ قال جابر: أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: «إني جاورت بحراء شهرًا، فلما قضيت جواري؛ نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت؛ فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، ثم نظرت إلى السماء؛ فإذا هو على العرش في الهواء - يعني جبريل - فأخذتني رجفة؛ فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني، ثم صبوا عليّ الماء، وأنزل الله عليّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾». انتهى.

قال الواحدي في أسباب النزول: وذلك لأن جابرًا سمع آخر القصة ولم يسمع أولها، فتوهم أن سورة المدثر أول ما نزل وليس كذلك، ولكنها أول ما نزل عليه بعد سورة اقرأ، يدل عليه ما رواه البخاري ومسلم من طريق عبد الرزاق: أنا معمر، عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت رأسي؛ فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئت منه رعبًا، فرجعت، فقلت: زملوني، فدثروني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾». انتهى. قال: فظهر بهذا أن الوحي كان قد فتر بعد نزول: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، ثم نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ يوضحه قوله فيه: «إن الملك الذي جاء بحراء جالس»، فدل على أن هذه القصة كانت بعد نزول سورة اقرأ. انتهى.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري من رواية محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال: كان أول شيء نزل على النبي ﷺ اقرأ - فذكره وأتم منه رواه الحاكم من طريق محمد بن سيرين عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: ومعنى تدثر: لبس الدثار، وهو الثوب الذي فوق الشعار، والشعار الذي يلي الجسد، وفي الحديث: «الأنصار شعار والناس دثار»، وسيف داثر: بعيد العهد بالصقال، ومنه قيل للمنزل الدارس داثر، لذهاب أعلامه، وفلان دثر المال، أي حسن القيام به. انتهى. الدر المصون.

والأردان إذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الأخلاق. وفلان دنس الثياب للغادر؛ وذلك لأنّ الثوب يلابس الإنسان ويشتمل عليه، فكنى به عنه. ألا ترى إلى قولهم: أعجبني زيد ثوبه، كما يقولون: أعجبني زيد عقله وخلقه، ويقولون: المجد في ثوبه، والكرم تحت حلته؛ ولأنّ الغالب أنّ من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته، وأبىٰ إلا اجتناب الخبث وإيثار الطهر في كل شيء «والرجز» قرئ بالكسر والضم، وهو العذاب، ومعناه: اهجر ما يؤدي إليه من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم. والمعنى: الثبات على هجره؛ لأنه كان بريئًا منه.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾

قرأ الحسن «ولا تمنّ» «وتستكثر» مرفوع منصوب المحل على الحال، أي: ولا تعط مستكثرًا رائيًا لما تعطيه كثيرًا، أو طالبًا للكثير: نهى عن الاستغزار: وهو أن يهب شيئًا وهو يطمع أن يتعوّض من الموهوب له أكثر من الموهوب، وهذا جائز. ومنه الحديث: «المستغزر يثاب من هبته» (١٦٨٥) وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون نهيًا خاصًا برسول الله ﷺ؛ لأنّ الله تعالى اختار له أشرف الآداب وأحسن الأخلاق، والثاني: أن يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولأمته وقرأ الحسن «تستكثر» بالسكون. وفيه ثلاثة أوجه: الإبدال من تمنن. كأنه قيل: ولا تمنن لا تستكثر؛ على أنه من المنّ في قوله عزّ وجل: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٢] لأنّ من شأن المنان بما يعطي أن يستكثره، أي: يراه كثيرًا ويعتدّ به، وأن يشبه ثرو بعضد، فيسكن تخفيفًا، وأن يعتبر حال الوقف. وقرأ الأعمش بالنصب بإضمار «أن» كقوله [من الطويل]:

أَلاَ أَيُّهَذَا الزَّاجِرِى أَحْضُرَ الْوَغَى .... (١)

وتؤيده قراءة ابن مسعود: ولا تمنن أن تستكثر ويجوز في الرفع أن تحذف «أن» ويبطل عملها، كما روي: أحضر الوغى بالرفع(٢)، ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ ولوجه الله

١٦٨٥ ـ تقدم في الروم من قول شريح القاضي وقال الحافظ تقدم في الروم من قول شريح انتهى.

---

(١) تقدم.

(٢) قال السمين الحلبي: وهذا لا يجوز أن يحمل القرآن عليه، لأن ذلك لا يجوز إلا في الشعر، ولنا مندوحة عنه مع صحة معنى الحال. قلت: قد سبقه مكي وغيره إلى هذا وأيضًا فقوله: في الشعر ممنوع. هؤلاء الكوفيون يجيزون ذلك، وأيضًا فقد قرأ الحسن والأعمش «تستكثر» نصبًا وهو على إضمار أن كقولهم: «مر يحفرها» وأبلغ من ذلك التصريح بأن في قراءة عبد الله، ولا تمنن أن تستكثر، وقرأ الحسن أيضًا وابن أبي عبلة «تستكثر» جزمًا. انتهى. الدر المصون.

فاستعمل الصبر. وقيل: على أذى المشركين. وقيل: على أداء الفرائض. وعن النخعي: على عطيتك، كأنه وصله بما قبله، وجعله صبرًا على العطاء من غير استكثار، والوجه أن يكون أمرًا بنفس الفعل، وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه، ويراد الصبر على أذى الكفار؛ لأنه أحد ما يتناوله العام.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾

والفاء في قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ للتسبيب، كأنه قال: اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم، وتلقى فيه عاقبة صبرك عليه. والفاء في ﴿فَذَٰلِكَ﴾ للجزاء فإن قلت: بم انتصب إذا، وكيف صح أن يقع ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفًا ليوم عسير؟ قلت: انتصب إذا بما دلّ عليه الجزاء، لأنّ المعنى: فإذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين، والذي أجاز وقوع ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفًا ليوم عسير: أنّ المعنى: فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير، لأنّ يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور. واختلف في أنها النفخة الأولى أم الثانية. ويجوز أن يكون يومئذ مبنيًا مرفوع المحل، بدلا من ﴿ذَٰلِكَ﴾ و﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ خبر، كأنه قيل: فيوم النقر يوم عسير. فإن قلت: فما فائدة قوله: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ و﴿عَسِيرٌ﴾ مغن عنه؟ قلت: لما قال: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فقصر العسر عليهم قال: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ ليؤذن بأن لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرًا هينًا، ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيرًا، كما يرجى تيسر العسير من أمور الدنيا.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَحِيدًا﴾ حال من الله عز وجل على معنيين، أحدهما: ذرني وحدي معه، فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم. والثاني: خلقته وحدي/ ٢/ ٢٤٣أ لم يشركني في خلقه أحد. أو حال من المخلوق على معنى: خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد، كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد، ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية؛ فإن كان ملقبًا به قبل فهو تهكم به وبلقبه، وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه - من مدحه، والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدّمه في الدنيا - إلى وجه الذم

والعيب: وهو أنه خلق وحيدًا لا مال له ولا ولد، فآتاه الله ذلك، فكفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه ﴿مَّمۡدُودٗا﴾ مبسوطًا كثيرًا: أو ممدًا بالنماء، من مدّ النهر ومدّ نهره آخر. قيل: كان له الزرع والضرع والتجارة. وعن ابن عباس: هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال. وقيل: كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفًا وشتاء. وقيل: كان له ألف مثقال. وقيل: أربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل: ألف ألف وعن ابن جريج: غلة شهر بشهر ﴿وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣﴾ حضورًا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة، لأنهم مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم، فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم، وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق إليهم. ويجوز أن يكون معناه: أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل. أو تسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه. وعن مجاهد: كان له عشرة بنين. وقيل: ثلاثة عشر. وقيل: سبعة كلهم رجال: الوليد بن الوليد، وخالد، وعمارة، وهشام، والعاص، وقيس، وعبد شمس: أسلم منهم ثلاثة: خالد، وهشام، وعمارة ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤﴾ وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه، فأتممت عليه نعمتي المال والجاه اجتماعهما: هو الكمال عند أهل الدنيا. ومنه قول الناس: أدام الله تأييدك وتمهيدك، يريدون: زيادة الجاه والحشمة. وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم؛ ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ﴾ استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه[1]، يعني أنه لا مزيد على ما أوتي سعة وكثرة وقيل: إنه كان يقول: إن كان محمد صادقًا فما خلقت الجنة إلا لي ﴿كَلَّآۖ﴾ ردع له وقطع لرجائه وطمعه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾ تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال: لم لا يزاد؟ فقيل: إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته، والكافر لا يستحق المزيد، ويروى: أنه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧﴾ سأغشيه عقبة شاقة المصعد: وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعد الذي لا يطاق وعن النبي ﷺ: «يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت، فإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله ذابت، فإذا رفعها عادت» (١٦٨٦) وعنه عليه الصلاة والسلام: «الصّعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفًا ثم

١٦٨٦ ـ أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٥١٣) من طريق عمار الدهني عن عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا ورواه مرفوعًا أيضًا البزار والطبراني في «الأوسط» كما في «تخريج الكشاف» =

---

(١) قال محمود: «دخلت ثم استبعادًا لطمعه وحرصه على الزيادة، واستنكارًا لذلك فرد الله طمعه خائبًا. . . إلخ» قال أحمد: لأن الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد إمعانه النظر: لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث.

يهوي فيه كذلك أبدًا» (١٦٨٧)، ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ تعليل للوعيد، كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى، والذّل بعد العزّ في الدنيا بعناده، ويعاقب في الآخرة بأشدّ العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته وأقصاه في تفكيره، وتسميته القرآن سحرًا. ويجوز أن تكون كلمة الردع متبوعة بقوله: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ ردًا لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له؛ وإخبارًا بأنه من أشدّ أهل النار عذابًا، ويعلل ذلك بعناده، ويكون قوله: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ بدلاً من قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ بيانًا لِكُنْهِ عناده. ومعناه ﴿فَكَّرَ﴾ ماذا يقول في القرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ما يقول وهيأه ﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحزّ. ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش. أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به أو هي حكاية لما كرروه من قولهم. ﴿قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره، واستعظامهم لقوله. ومعنى قول القائل: قتله الله ما أشجعه. وأخزاه الله ما أشعره: الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك. روي: أنّ الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجنّ، إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى؛ فقالت قريش: صبأ والله الوليد، والله لتصبأن قريش كلهم؛ فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد إليه حزينًا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال: تزعمون أن محمدًا مجنون، فهل رأيتموه يخنق؛ وتقولون/ ٢/ ٢٤٣ب إنه كاهن، فهل رأيتموه قط يتكهن؛ وتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه

= للزيلعي (٤/ ١٢٠). وأخرجه أيضًا مرفوعًا.
الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٨٢ ـ بتحقيقنا) ووهم الزيلعي فعزاه إليه موقوفًا. وأخرجه موقوفًا.
الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٩٧) وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٤٢) والبغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٤١٥).
والمرفوع ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عطية وهو ضعيف.
وقال الحافظ: أخرجه البزار والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب والطبري وابن أبي حاتم.
كلهم من طريق شريك عن عمار الدهني عن عطية، عن أبي سعيد مرفوعًا. قال البزار: لا نعلمه رفعه إلا شريك. وبه جزم الطبراني. ورواه البزار والبيهقي من رواية ابن عيينة عن عمارة مرفوعًا. انتهى.

١٦٨٧ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٤٢٩) كتاب التفسير باب ومن سورة المدثر حديث (٣٣٢٦) من طريق ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعًا.
وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٠٧) من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به مرفوعًا. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛
وبهذا الإسناد أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٩٧) وكذا البيهقي في «البعث والنشور» (٥١٤).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي من طريق أبي لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعًا انتهى. وقد رواه الحاكم والطبري والبيهقي في الشعب من رواية عمرو بن الحارث عن دراج. ورواه ابن مردويه من رواية رشدين بن سعد عن دراج أيضًا انتهى.

يتعاطى شعرًا قط؛ وتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئًا من الكذب، فقالوا في كل ذلك: اللهم لا، ثم قالوا: فما هو؟ ففكر فقال: ما هو إلا ساحر. أما رأيتموه يفرّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما الذي يقوله إلا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل، فارتجّ النادي فرحًا، وتفرّقوا معجبين بقوله متعجبين منه ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ في وجوه الناس[1]، ثم قطب وجهه[2]، ثم زحف مدبرًا، وتشاوس مستكبرًا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء، وهمّ بأن يرمي بها وصف أشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط، استهزاء به. وقيل: قدرّ ما يقوله، ثم نظر فيه، ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول. وقيل: قطب في وجه رسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ عنه فقال ما قال. و﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ عطف على ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ والدعاء: اعتراض بينهما. فإن قلت: ما معنى ﴿ثُمَّ﴾ الداخلة في تكرير الدعاء؟ قلت: الدلالة على أن الكرّة الثانية أبلغ من الأولى. ونحوه قوله [من الطويل]:

أَلاَ يَا اسْلَمِى ثُمَّ اسْلَمِى ثُمَّتَ اسْلَمِى ....[3]

فإن قلت: ما معنى المتوسطة بين الأفعال التي بعدها؟ قلت: الدلالة على أنه قد تأنّى في التأمّل وتمهل، وكأنّ بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد. فإن قلت: فلم قيل ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ﴾ بالفاء بعد عطف ما قبله بثم؟ قلت: لأن الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث. فإن قلت: فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين؟ قلت: لأن الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ بدل من ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [المدثر: ١٧]، ﴿لَا تُبْقِى﴾ شيئًا يلقى فيها إلا أهلكته؛ وإذا هلك لم تذره هالكًا حتى يعاد. أو لا تبقي على شيء، ولا تدعه من

(١) قوله: «ثم نظر في وجوه الناس، أي نظر بمؤخر عينه تكبرًا أو تغيظًا، كما في الصحاح. (ع)
(٢) قوله: «ثم قطب وجهه» في الصحاح: قطب وجهه تقطيبًا: عبس. وفيه أيضًا: عبس عبوسًا كلح، وبسر بسورًا: كلح. يقال: عبس وبسر اهـ. (ع)
(٣) ينظر: ديوان الحماسة: ٢/ ١٣٧، ابن يعيش: ٣/ ٣٩، والدر المصون: ٦/ ٤١٦.

الهلاك، بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ من لوح الهجير. قال [من الرجز]:

تَقُولُ: مَا لاحَكَ يَا مُسَافِرُ؟ يَا ابْنَةَ عَمِّي لاحَنِي الْهَوَاجِرُ[1]

قيل: تلفح الجلد لفحة فتدعه أشدّ سوادًا من الليل. والبشر: أعالي الجلود. وعن الحسن. تلوح للناس، كقوله: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: ٧] وقرئ: لواحة، نصبًا على الاختصاص للتهويل ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ أي يلي أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكًا. وقيل: صنفًا من الملائكة. وقيل: صفة. وقيل: نقيبًا. وقرئ: تسعة عشر، بسكون العين لتوالي الحركات في ما هو في حكم اسم واحد وقرئ: تسعة أعشر جمع عشير، مثل: يمين وأيمن جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة، ولا يستروحون إليهم، ولأنهم أقوم مَنْ خلق الله بحق الله وبالغضب له، فتؤمن هوادتهم، ولأنهم أشد الخلق بأسًا وأقواهم بطشًا. عن عمرو بن دينار: واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر. وعن النبي ﷺ: «كأن أعينهم البرق، وكأن أفواههم الصياصي[2] (١٦٨٨) يجرون أشعارهم، لأحدهم مثل قوّة الثقلين، يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمى بالجبل عليهم» وروي أنه لما نزلت ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أنّ خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم، فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش، أنا أكفيكم سبعة عشر، فاكفوني أنتم اثنين، فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أي ما جعلناهم رجالاً من جنسكم يطاقون. فإن قلت: قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببًا[3] لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين

١٦٨٨ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٢١): غريب وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده انتهى.

---

(١) لاحه الحر لوحًا: غيره وسوده. والهاجرة: شدة الحر. وأهجر القوم وهجروا بالتشديد وتهجروا: سارو في الهاجرة، وفيه التفات كأنه خاطب غيرها أولاً. وعجبه من استفهامها عن الشيء الظاهر سببه وهو السفر، بل هي معترفة أنه مسافر كما قالت، ومن قساوة قلبها عليه، ثم التفت إليها بجواب سؤالها. وفي ندائها معنى التنبيه والإيقاظ والاستعطاف.
ينظر البيت في البحر: ٨/ ٣٦٨، روح المعاني ٢٩/ ١٥٧، والدر المصون: ٦/ ٤١٧.

(٢) قوله: «الصياصي» هي الحصون، واحدها صيصية. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قال محمود: «إن قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببًا... إلخ» قال أحمد: ما جعل افتتانهم بالعدة سببًا لذلك، وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببًا، لأن المراد: وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر، فوضع (فتنة للذين كفروا) موضع ذلك؛ لأن حال هذه العدة الناقصة واحدًا من العشرين؛ أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ولا يذعن، وإن خفي عليه وجه الحكمة كأنه =

واستهزاء الكافرين والمنافقين، فما وجه صحة ذلك؟ قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببًا لذلك، وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببًا، وذلك أن المراد بقوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر، فوضع ﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ موضع ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ لأن حال هذه العدة الناقصة واحدًا من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزىء، ولا يذعن إذعان المؤمن، وإن خفي عليه وجه الحكمة، كأنه قيل ولقد جعلنا/ ٢/ ٢٤٤أ عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها، لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب، لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين، فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله، وازدياد المؤمنين إيمانًا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل، ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك. فإن قلت: لم قال ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ والاستيقان وازدياد الإيمان دالاً على انتفاء الارتياب؟ قلت: لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك. كان آكد وأبلغ لوصفهم[1] بسكون النفس وثلج الصدر، ولأن فيه تعريضًا بحال من عداهم، كأنه قال: ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر. فإن قلت: كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون، والسورة مكية، ولم يكن بمكة نفاق، وإنما نجم بالمدينة؟ قلت: معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بمكة ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب، وذلك لا يخالف كون السورة مكية. ويجوز أن يراد بالمرض: الشك والارتياب، لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب. فإن قلت: قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب قول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب أن الإستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا غرضين فكيف صح أن يكون قول المنافقين

= قيل: لقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب. قال أحمد: السائل جعل الفتنة التي هي في تقدير الصفة للعدة، إذ معنى الكلام ذات فتنة سببًا فيما بعدها، والمجيب جعل العدة التي عرضت لها هذه الصفة سببًا لا باعتبار عروض الصفة لها. ويجوز أن يكون (ليستيقن) راجعًا إلى ما قبل الاستثناء، كأنه قيل: جعلنا عدتهم سببًا لفتنة الكافرين وسببًا ليقين المؤمنين؛ وهذا الوجه أقرب مما ذكره الزمخشري؛ وإنما ألجأه إليه اعتقاد أن الله تعالى ما فتنهم ولكنهم فتنوا أنفسهم، بناء على قاعدة التبعيض في المشيئة وبئست القاعدة فاحذرها.

(١) قال محمود: «وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بعد قوله: (ليستيقن) ليحصل لهم فائدة الجمع بين إثبات اليقين... إلخ» قال أحمد: أطلق الغرض على الله عز وجل، مع أنه موهم ولم يرد فيه سماع. وأورده السؤال على قاعدته بعد ذلك كله في أن الله لم يرد من المنافقين والكافرين أقوالهم، وإنما قالوا على خلاف ما أراد؛ وقد عرفت فساد القاعدة فأرح فكرك من هذا السؤال. فالكل مراد، وحسبك تتمة الآية: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

والكافرين غرضًا؟ قلت: أفادت اللام معنى العلة والسبب، ولا يجب في العلة أن تكون غرضًا، ألا ترى إلى قولك: خرجت من البلد لمخافة الشر، فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك. ﴿مَثَلًا﴾ تمييز لهذا، أو حال منه، كقوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [هود: ٦٤]، فإن قلت: لم سموه مثلا؟ قلت: هو استعارة من المثل المضروب. لأنه مما غرب من الكلام وبدع، استغرابًا منهم لهذا العدد واستبداعًا له. والمعنى: أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب، وأي غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء، ومرادهم إنكاره من أصله، وأنه ليس من عند الله، وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص. الكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نصب، وذلك: إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى، أي: مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين، يعني: يفعل فعلا حسنًا مبنيًا على الحكمة والصواب، فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم إيمانًا، وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرًا وضلالا ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ وما عليه كل جُنْدٍ من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص، وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة ﴿إِلَّا هُوَ﴾ ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في أعداد السموات والأرضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة أو: وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو، فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين، ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها. وقيل: هو جواب لقول أبي جهل: أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر، ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ - إلى قوله - ﴿إِلَّا هُوَ﴾ اعتراض. وقوله: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾ متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي: وما سقر وصفتها إلا تذكرة ﴿لِلْبَشَرِ﴾ أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى، لأنهم لا يتذكرون، أو ردع لمن ينكر أن تكون إحدى الكبر نذيرًا. و«دبر» بمعنى أدبر[1]، كقبل بمعنى أقبل. ومنه صاروا كأمس الدابر. وقيل: هو من دبر الليل النهار إذا خلفه. وقرئ: «إذا أدبر» ﴿إِنَّهَا

(١) قوله: «ودبر بمعنى أدبر» يعني في قراءة: والليل إذ أدبر. وعبارة النسفي: والليل إذ أدبر: نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف وغيرهم إذا دبر. ودبر بمعنى أدبر. وقوله الآتي: وقرئ: إذ أدبر، يفيد أن قراءة «دبر» هي المشهورة. (ع)

﴿لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ جواب القسم أو تعليل لكلا، والقسم معترض للتوكيد. والكبر: جمع الكبرى، جعلت ألف التأنيث كتائها[1]، فلما جمعت فعلة على فعل: جمعت فعلى عليها، ونظير ذلك: السوافي في جمع السافياء. والقواصع في جمع القاصعاء، كأنها جمع فاعلة، أي: لإحدى البلايا أو الدواهي الكبر، ومعنى كونها إحداهنّ: أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها. كما تقول: هو أحد الرجال، وهي إحدى النساء و﴿نَذِيرًا﴾ تمييز من إحدى، على معنى: إنها لإحدى الدواهي إنذارًا، كما تقول: هي إحدى النساء عفافًا. وقيل هي حال. وقيل: هو متصل بأوّل السورة، يعني: قم نذيرًا، وهو من بدع التفاسير. وفي قراءة أبي: نذير بالرفع خبر بعد خبر «لأن» أو بحذف المبتدأ ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾/٢/٢٤٤ب في موضع الرفع بالابتداء. ولمن شاء: خبر مقدّم عليه، كقولك: لمن توضأ أن يصلي؛ ومعناه مطلق لمن شاء التقدّم أو التأخر أن يتقدّم أو يتأخر، والمراد بالتقدّم والتأخر: السبق إلى الخير والتخلف عنه: وهو كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، ويجوز أن يكون ﴿لِمَن شَآءَ﴾ بدلاً من ﴿لِّلۡبَشَرِ﴾ على أنها منذرة للمكلفين الممكنين، الذين إن شاؤا تقدّموا ففازوا وإن شاؤا تأخروا فهلكوا.

﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿رَهِينَةٌ﴾ ليست بتأنيث رهين[2] في قوله: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ [الطور: ٢١]، لتأنيث النفس؛ لأنه لو قصدت الصفة لقيل: رهين، لأنّ فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي اسم بمعنى الرهن، كالشتيمة بمعنى الشتم، كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن، ومنه بيت الحماسة [من الطويل]:

أَبَعْدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ ... رَهِينَةِ رَمْسٍ ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلِ؟[3]

---

(١) قوله: «جعلت ألف التأنيث كتائها» لعله كتائه. (ع)

(٢) قال محمود: «وليست بتأنيث رهين... إلخ» قال أحمد: لأنه فعيل بمعنى مفعول، يستوي مذكره ومؤنثه، كقتيل وجديد.

(٣) أبعد الذي بالنعف نعف كويكب ... رهينة رمس ذي تراب وجندل؟
أأذكر بالبقيا على من أصابني؟ ... وبقياي أني جاهد غير مؤتل
لمسور بن زيادة الحارثي. وقيل: لعبد الرحمن بن زيد، قتل أبوه زيادة فعرض عليه فيه سبع ديات، فأبى إلا الثأر. والاستفهام إنكاري. والنعف ـ بالفتح ـ: الجبل والمكان المرتفع. وقيل: ما يستقبلك من الجبل. وكويكب: جبل بعينه. وفي هذا الإبدال من التفصيل بعد الإجمال: ما ينبىء =

كأنه قال: رهن رمس. والمعنى: كل نفس رهن بكسبها عند بكسبها عند الله غير مفكوك ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩﴾ فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم، كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق. وعن علي رضي الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالأطفال، لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها. وعن ابن عباس رضي الله عنه: هم الملائكة ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ أي هم في جنات لا يكتنه وصفها ﴿يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١﴾ يسأل بعضهم بعضًا عنهم[1]. أو يتساءلون غيرهم عنهم، كقولك: دعوته وتداعيناه. فإن قلت: كيف طابق قوله ﴿مَا سَلَكَكُمۡ﴾ وهو سؤال للمجرمين، قوله: ﴿يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١﴾ وهو سؤال عنهم؟ وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل: يتساءلون المجرمين ماسلككم قلت: ماسلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم، وإنما هو حكاية قول المسؤولين عنهم؛ لأنّ المسؤلين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين، فيقولون: قلنا لهم ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣﴾ إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار، كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه، الخوض: الشروع في الباطل وما لا ينبغي فإن قلت: لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت: توبيخا لهم وتحسيرًا، وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للساميعن. وقد عضد بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالأطفال: أنهم[2] إنما سألوهم لأنهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار. فإن قلت: أيريدون أنّ كل واحد منهم بمجموع هذه الأربع دخل النار، أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه؟ قلت: يحتمل الأمرين جميعًا.

= عن تفخيم المحل والحال، أي: أبعد قتل أبي المدفون في ذلك الموضع حال كونه محتبسًا في رمس. وقيل: رهينة بالجر، بدل من الذي؛ فهو اسم ملحق بالجوامد بمعنى الرهن. ويقال: رمست الشيء رمسًا إذا دفنته في التراب، فأطلق المصدر وأريد مكانه، وهو القبر. والجندل: الحجارة، وكررت همزة الاستفهام في قوله: «أأذكر» توكيدًا للأولى. لأنها داخلة على هذا الفعل تقديرًا أيضًا. ويحتمل أنها داخلة على مقدر، أي: أبعد أبي أفرح بالدية. وروي «أذكر» بالتشديد والبناء للمجهول، فالهمزة الأولى داخلة عليه، ولا شاهد فيه حينئذ. والبقيا: الإبقاء على الشيء، أي: لا أذكر بين الناس بأني أبقيت على قاتل أبي، والحال أن إبقائي عليه كوني جاهدًا ومصمم العزم على الفتك به غير حالف على ذلك؛ لأني لا أحتاج إلى الحلف في تنفيذ أموري. أو غير مقصر في الاجتهاد؛ لأن الائتلاء يجيء بمعنى الحلف وبمعنى التقصير.

ينظر: أساس البلاغة (دهن)، وديوان الحماسة ١/ ٩٠، والبحر: ٨/ ٣٧٩، والدر المصون ٦/ ٤٢١.

(١) قال محمود: «يتساءلون يعني يسأل بعضهم بعضا عنهم... إلخ» قال أحمد: إنما أورد السؤال ذريعة وحيلة لتحميل الآية الدلالة على أن فساق المسلمين تاركي الصلاة مثلاً، يسلكون في النار مخلدين مع الكفار، فجعل كل واحدة من الخلال الأربع توجب ما توجب الأخرى من الخلود. والصحيح في معنى الآية أنها خاصة بالكفار. ومعنى قولهم: (لم نك من المصلين): لم نك من أهل الصلاة، وكذلك إلى آخرها؛ لأنهم يكذبون بيوم الدين، والمكذب لا يصح منه طاعة من هذه الطاعات، ولو فعلها لم تنفعه وقدرت كالعدم، وإنما يتأسفون على ترك فعل هو نافع لهم.

(٢) قوله: «أنهم» لعله: بأنهم. (ع)

فإن قلت: لم أخر التكذيب وهو أعظمها؟ قلت: أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيمًا للتكذيب. كقوله ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧]، و﴿ٱلْيَقِينُ﴾ الموت ومقدماته، أي: لو شفع لهم الشافعون جميعًا من الملائكة والنبيين وغيرهم؛ لم تنفعهم شفاعتهم: لأنّ الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم. وفيه دليل على أنّ الشفاعة تنفع يومئذ؛ لأنها تزيد في درجات المرتضين.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ عن التذكير وهو العظة، يريد: القرآن أو غيره من المواعظ و﴿مُعْرِضِينَ﴾ نصب على الحال، كقولك: مالك قائمًا. والمستنفرة: الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه[1]. وقرئ بالفتح: وهي المنفرة المحمولة على النفار: والقسورة: جماعة الرماة الذين يتصيدونها. وقيل: الأسد يقال: ليوث قساور وهي فعولة من القسر: وهو القهر والغلبة، وفي وزنه «الحيدرة» من أسماء الأسد. وعن ابن عباس: ركز الناس وأصواتهم. وعن عكرمة: ظلمة الليل، شبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه، بحمر جدّت في نفارها مما أفزعها. وفي تشبيههم بالحمر: مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بيّن. كما في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]، وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل. ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو إذا رابها رائب؛ ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل وشدّة سيرها بالحمر، وعدوها إذا وردت ماء فأحست عليه بقانص ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها أو كتبًا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها غضة رطبة لم تطو بعد؛ وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان، نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣]، وقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الآية [الأنعام: ٧]. وقيل: قالوا إن كان محمد صادقًا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة/ ٢/ ٢٤٥أ فيها براءته وأمنه من النار. وقيل: كانوا يقولون: بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبًا على رأسه ذنبه وكفارته، فأتنا بمثل ذلك؛ وهذا من الصحف المنشرة بمعزل. إلا أن يراد بالصحف المنشرة:

---

(١) قوله: «في جمعها له وحملها عليه» متعلق بكأنها؛ لأنه وجه الشبه. (ع)

الكتابات الظاهرة المكشوفة. وقرأ سعيد بن جبير: «صحفا منشرة» بتخفيفهما، على أن أنشر الصحف ونشرها: واحد، كأنزله ونزله. ردعهم بقوله ﴿كَلَّآ﴾ عن تلك الإرادة، وزجرهم عن اقتراح الآيات، ثم قال: ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف، ثم ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة وقال: ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ يعني تذكرة بليغة كافية، مبهم أمرها في الكفاية ﴿فَمَن شَآءَ﴾ أن يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل، فإنّ نفع ذلك راجع إليه. والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ و﴿ذَكَرَهُۥ﴾ للتذكرة في قوله ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المدثر: ٤٩] وإنما ذكر لأنها في معنى الذكر أو القرآن ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يعني: إلا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم إليه. لأنه مطبوع على قلوبهم. معلوم أنهم لا يؤمنون اختيارًا ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ هو حقيق بأن يتقيه عباده، ويخافوا عقابه، فيؤمنوا ويطيعوا، وحقيق بأن يغفر لهم إذا آمنوا وأطاعوا وروى أنس عن رسول الله ﷺ: «هو أهل أن يتقى، وأهل أن يغفر لمن اتقاه» (١٦٨٩) وقرئ «يذكرون» بالياء والتاء مخففًا ومشدّدًا.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة» (١٦٩٠).

١٦٨٩ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٠) كتاب التفسير باب ومن سورة المدثر حديث (٣٣٢٨) وابن ماجه (٢/ ١٤٣٧) كتاب الزهد: باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة حديث (٤٢٩٩) والدارمي (٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣) كتاب الرقاق باب في تقوى الله، وأحمد (٣/ ١٤٢، ٢٤٣) والحاكم (٢/ ٥٠٨) والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٤٥) والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٥٤) وأبو يعلى (٦/ ٦٦) رقم (٣٣١٧) كلهم من طريق سهيل بن أبي حزم عن ثابت عن أنس به.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب وسهيل ليس بالقوي في الحديث وقد تفرد بهذا الحديث عن ثابت.
وقال العقيلي: لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به.
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وقد وهما في ذلك.
وللحديث شاهد من حديث ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة.
أخرجه ابن مردويه في «تفسيره» كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٤/ ١٢٢).
قال الحافظ: أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه والطبراني في الأوسط وابن عدي والحاكم وأحمد وأبو يعلى والبزار كلهم من رواية سهل بن إبراهيم العطفي عن ثابت عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية «قال الله تعالى: أنا أهل أن أتقى ـ إلى آخره» قال الترمذي والطبراني وابن عدي: تفرد به سهل. ورواه الحكيم الترمذي في السابع والسبعين بعد المائة، بلفظ «قال: هو أهل أن يتقى. فمن اتقى فهو أهل أن يغفر له» وله شاهد من رواية عبد الله قال سمعت ثلاثة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ: أبا هريرة وابن عمر وابن عباس رضي الله عنه يقولون: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى فذكره. انتهى.

١٦٩٠ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة الموضوع على رسول الله ﷺ. وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة القيامة

مكية، وآياتها أربعون [نزلت بعد القارعة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦)﴾

إدخال «لا» النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس [من المتقارب]:

لاَ وَأَبِيكِ ابْنَةَ الْعَامِرِيْ ... يِ لاَ يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرّ[1]

وقال غوثة بن سلمى [من الوافر]:

أَلاَ نَادَتْ أُمَامَةُ بِاحْتِمَالِ ... لِتَحْزُنَنِي فَلاَ بِكِ مَا أُبَالِي[2]

---

(١) تقدم.

(٢) إذا نادت أمامة باحتمال ... لتحزنني فلا بك ما أبالي
فسيري ما بدا لك أو أقيمي ... فأيا ما أتيت ففي تقالي

لغوثة بن سلمى بن ربيعة، يقول: إذا أظهرت أمامة محبوبتي أمارات الارتحال عني لتحزنني، فأطلق النداء على ذلك مجازًا. ويروى «ألا» بدل «إذا» ولا زائدة قبل القسم؛ لأن المعنى فبحقك وحياتك ما أبالي ولا أحزن، وحسن زيادتها: أنها في الغالب مسلطة على دعوى الخصم نافية لها، وفي القسم بمحبوبته على عدم المبالاة ببعدها عنه نوع تهكم بها. وقيل: المعنى فلا يقع ما أبالي على الدعاء، وهذا إنما يظهر على رواية: فلا بك ما أبالي؛ وأصله يكن، أي: يحصل، فحذفت النون عند الجزم تخفيفًا. وما موصولة. ويروى: فأبك، أي: أبعدك الله: دعاء أيضًا. والتقالي: التباغض، أي: فسيري ما دام يظهر لك المسير؛ أو أقيمي، فهما منك سواء، وأي شيء تفعلينه فهو ناشىء عن تباغض بيني وبينك، ومع ذلك لا أعتني بشأنك لأني مشغول بأهم منك: وهو موت أقاربه، والتفت إليها بالخطاب ليصدعها بالجواب.

ينظر: لسان العرب (با)، وتاج العروس (الباء)، وبلا نسبة في جواهر الأدب ص ٢٥٣، والخصائص ١٩/٢، ورصف المباني ص ١٤٦، وسرّ صناعة الإعراب ١٠٤/١، ١٤٤، وشرح المفصّل ٣٤/٨، ١٠١/٩، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٠٧، ولسان العرب (أهل)، واللمع ص ٥٨، ٢٥٦.

وفائدتها توكيد القسم، وقالوا إنها صلة مثلها في ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩] وفي قوله [من الرجز]:

فِـي بِـئْـرِ لاحُـورٍ سَـرَى وَمَـا شَـعَـرْ[١]

واعترضوا عليه بأنها إنما تزاد في وسط الكلام لا في أوّله، وأجابوا بأنّ القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض، والاعتراض صحيح؛ لأنها لم تقع مزيدة إلا في وسط الكلام، ولكن الجواب غير سديد. ألا ترى إلى امرىء القيس كيف زادها في مستهل قصيدته. والوجه أن يقال: هي للنفي. والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظامًا له يدلك عليه قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٧٦]، فكأنه بإدخال حرف النفي يقول: إنّ إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام؛ يعني أنه يستأهل فوق ذلك. وقيل إن «لا» نفي لكلام وردّ له قبل القسم، كأنهم أنكروا البعث فقيل: لا، أي ليس الأمر على ما ذكرتم، ثم قيل: أقسم بيوم القيامة. فإن قلت: قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥] والأبيات التي أنشدتها: المقسم عليه فيها منفي، فهلا زعمت أنّ «لا» التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له، وقدّرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيًا، كقوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾، لا تتركون سدى؟ قلت: لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول مساغ، ولكنه لم يقصر. ألا ترى كيف لقي ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ [البلد: ١]، بقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [التين: ٤]، وكذلك ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ [الواقعة: ٧٥]، بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ وقرئ: «لأقسم» على أنّ اللام للابتداء. وأقسم خبر مبتدأ محذوف، معناه: لأنا أقسم. قالوا: ويعضده أنه في الإمام بغير ألف ﴿بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه أي في يوم القيامة على تقصيرهن في

---

(١) فـي بـئـر لا حـور سـرى ومـا شـعـر   بـإفـكـه حـتـى إذا الـصـبـح جـشـر

«لا» زائدة بين المضاف والمضاف إليه شذوذًا. والحور - بالضم -: الهلكة جمع حائر أي هالك، كبزل وبازل، ونزل ونازل. وقيل: الحور بمعنى الهلاك، وجمعه: أحور، أي: سرى في بئر هلاك وما درى بذلك. وقوله: «بإفكه» يجوز تعلقه بشعر، ويجوز تعلقه بسرى؛ وشبه سبب الهلاك بالبئر على طريق التصريح للتحير والضرر بالوقوع في كل، ولذلك قال: سرى، وهو يناسب الظلمة والحيرة؛ لأنه بمعنى سار ليلًا. والإفك: الباطل؛ واستعار الصبح للحق على طريق التصريحية. وحشر: أضاء واتضح، فحينئذ تبين كذبه، أي: دام على كذبه حتى ظهر الحق.

ينظر: ديوانه ٢٠، ٢٢، والأزهيّة ص ١٥٤، والأشباه والنظائر ٢/ ١٦٤، وخزانة الأدب ٤/ ٥١، ٥٢، ٥٣، وشرح المفصل ٨/ ١٣٦، وتاج العروس (حور)، (لا)، وتهذيب اللغة ٥/ ٢٢٨، ١٥/ ٤١٨، وبلا نسبة في لسان العرب (حور)، (غير)، (لا)، وخزانة الأدب ١١/ ٢٢٤، والخصائص ٢/ ٤٧٧، وجمهرة اللغة ص ٥٢٥، ومجمل اللغة ٢/ ١٢٠.

التقوى أو بالتي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان. وعن الحسن: إن المؤمن لا تراه إلا لائمًا نفسه، وإنّ الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه[1]. وقيل: هي التي تتلوّم يومئذ على ترك الازدياد إن كانت محسنة. وعلى التفريط إن كانت مسيئة، وقيل: هي نفس آدم، لم تزل تتلوّم على فعلها الذي خرجت به من الجنة. وجواب القسم ما دل عليه قوله ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ وهو لتبعثن. وقرأ/ ٢/ ٢٤٥ب قتادة: «أن لن تُجْمَعَ عظامه»، على البناء للمفعول. والمعنى: نجمعها بعد تفرّقها ورجوعها رميمًا ورفاتا مختلطًا بالتراب، وبعدما سفتها الرياح وطيرتها في أباعد الأرض. وقيل إن عدّي بن أبي ربيعة ختن الأخنس بن شريق[2] وهما اللذان كان رسول الله ﷺ يقول فيهما: «اللهم اكفني جاري السوء» قال لرسول اللّه ﷺ: يا محمد حدّثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره؟ فأخبره رسول اللّه ﷺ؛ فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن به أو يجمع الله العظام؟ فنزلت (١٦٩١) ﴿بَلَىٰ﴾ أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع، فكأنه قيل ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها و﴿قَٰدِرِينَ﴾ حال من الضمير في نجمع، أي: نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها وإعادتها إلى التركيب الأوّل إلى أن نسوّي بنانه أي: أصابعه التي هي أطرافه، وآخر ما يتم به خلقه. أو على أن نسوّي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولاً من غير نقصان ولا تفاوت، فكيف بكبار العظام. وقيل: معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوّي أصابع يديه ورجليه، أي نجعلها مستوية شيئًا واحدًا كخّف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها، فلا يمكنه أن يعمل بها شيئًا مما يعمل بأصابعه المفرقة ذات المفاصل والأنامل من فنون الأعمال، والبسط والقبض، والتأتي لما يريد من الحوائج. وقرئ «قادرون» أي: نحن قادرون، ﴿بَلْ يُرِيدُ﴾ عطف على ﴿أَيَحْسَبُ﴾ فيجوز أن يكون مثله استفهامًا، وأن يكون إيجابًا على أن يضرب عن مستفهم عنه إلى آخر، أو يضرب عن مستفهم عنه إلى موجب﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ليدوم على

١٦٩١ ـ ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص ٤٦٩) دون إسناد.
وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٢٧) غريب وهو في تفسير الثعلبي والبغوي وأسباب النزول للواحدي هكذا من غير سند ولا راوٍ.
وقال ابن حجر: ذكره الثعلبي والبغوي والواحدي بغير إسناد انتهى.

---

(١) قوله: «وأن الكافر يمضي قدمًا لا يعاتب» في الصحاح مضى قدمًا ـ بضم الدال ـ: لم يعرج ولم ينثن اهـ. (ع)

(٢) قوله: «ختن الأخنس بن شريق» في الصحاح «الختن» بالتحريك: كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ؛ وعند العامة؛ ختن الرجل زوج ابنته. (ع)

فجوره فيما بين يديه من الأوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه. وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: يقدم الذنب ويؤخر التوبة. يقول: سوف أتوب، سوف أتوب: حتى يأتيه الموت على شرّ أحواله وأسوأ أعماله ﴿يَسْئَلُ﴾ سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ ونحوه: ويقولون متى هذا الوعد.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾

﴿بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ تحير فزعا؛ وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره. وقرئ: «برق» من البريق، أي لمع من شدّة شخوصه. وقرأ أبو السمال: بلق، إذا انفتح وانفرج. يقال: بلق الباب وأبلقته وبلقته: فتحته ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ وذهب ضوؤه، أو ذهب بنفسه. وقرئ: «وخسف» على البناء للمفعول ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ حيث يطلعهما الله من المغرب. وقيل: وجمعا في ذهاب الضوء[1] وقيل: يجمعان أسودين مكوّرين كأنهما ثوران عقيران في النار. وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر، فيكون نار الله الكبرى ﴿الْمَفَرُّ﴾ بالفتح المصدر، وبالكسر: المكان. ويجوز أن يكون مصدرًا كالمرجع، وقرئ بهما ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب المفرّ ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ، وكل ما التجأت إليه من جبل أو غيره وتخلصت به فهو وزرك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ خاصة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مستقرّ العباد، أي استقرارهم. يعني: أنهم لا يقدرون أن يستقرّوا إلى غيره وينصبوا إليه أو إلى حكمه[2] ترجع أمور العباد، لا يحكم فيها غيره، كقوله: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، أو إلى ربك مستقرّهم، أي: موضع قرارهم من جنة أو نار، أي: مفوّض ذلك إلى مشيئته، من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من عمل عمله ﴿وَ﴾ بما ﴿وَأَخَّرَ﴾ منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق به، وبما أخره فخلفه. أو بما قدم من عمل الخير والشرّ، وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده. وعن مجاهد: بأوّل عمله وآخره. ونحوه: فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه ﴿بَصِيرَةٌ﴾ حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز، كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [النمل: ١٣] أو عين بصيرة. والمعنى أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ، ففيه ما يجزىء عن الإنباء؛ لأنه شاهد عليها بما

---

(١) قوله: «وقيل وجمعا في ذهاب الضوء» لعله: وقيل جمعًا. (ع)

(٢) قوله: «وينصبوا إليه أو إلى حكمه» في الصحاح نصب القوم»: ساروا يومهم، وهو سير لين، ونصب الرجل ـ بالكسر ـ نصبًا: تعب. (ع)

عملت؛ لأنّ جوارحه تنطق بذلك ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤]، ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها. وعن الضحاك: ولو أرخى ستوره، وقال: المعاذير الستور، واحدها معذار، فإن صح فلأنه يمنع رؤية المحتجب، كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب. فإن قلت: أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير؟ قلت: المعاذير ليس بجمع معذرة، إنما هو اسم جمع لها، ونحوه: المناكير في المنكر(١).

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للقرآن. وكان رسول الله ﷺ إذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة، ولم يصبر إلى أن يتمها، مسارعة إلى الحفظ وخوفًا من أن يتفلت منه، فأمر بأن يستنصت له ملقيًا إليه بقلبه وسمعه، حتى يقضي إليه وحيه، ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه. والمعنى: لا تحرّك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات/٢/٢٤٦أ الله عليه يقرأ ﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ لتأخذه على عجلة، ولئلا يتفلت منك. ثم علل النهي عن العجلة بقوله﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك وإثبات قراءته في لسانك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ جعل قراءة جبريل قراءته: والقرآن القراءة ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فكن مقفيًا له فيه ولا تراسله، وطأمن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ، فنحن في ضمان تحفيظه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ إذا أشكل عليك شيء من معانيه، كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعًا، كما ترى بعض الحراص على العلم؛ ونحوه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤]، ﴿كَلَّا﴾ ردع لرسول الله ﷺ عن عادة العجلة وإنكار لها عليه، وحثّ على الأناة والتؤدة، وقد بالغ في ذلك بإتباعه قوله: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ كأنه قال: بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء، ومن ثم تحبون العاجلة ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ وقرئ بالياء وهو أبلغ فإن قلت: كيف اتصل قوله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ إلى آخره، بذكر القيامة؟ قلت: اتصاله به من جهة هذا للتخلص منه، إلى التوبيخ بحب العاجلة، وترك

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع وإنما هو من أبنية جمع التكسير انتهى، وهو صحيح، وقيل: معاذير جمع معذار، وهو الستر فالمعنى ولو أرخى ستوره، والمعاذير: الستور. بلغة اليمن قاله الضحاك، والسدي.
قال السمين: هذا القول منه يحتمل أن يكون بيانًا للمعنى الجامع بين كون المعاذير الستور أو الاعتذارات، وأن يكون بيانًا للعلاقة المسوغة في التجوز. انتهى. الدر المصون.

الاهتمام بالآخرة. الوجه: عبارة عن الجملة[1] والناضرة من نضرة النعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة: ١٢]، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾، ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣]، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فإنّ المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورًا إليه[2]: محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء. ومنه قول القائل [من الكامل]:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ ... وَالْبَحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نِعَمَا[3]

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم، ويأوون إلى مقائلهم، تقول: عيينتي نويظرة إلى الله وإليكم، والمعنى: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه، والباسر: الشديد العبوس، والباسل: أشد منه، ولكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه ﴿تَظُنُّ﴾ تتوقع أن يفعل بها فعل هو في شدّته وفظاعته ﴿فَاقِرَةٌ﴾ داهية تقصم فقار الظهر، كما توقعت الوجوه

---

(١) قال محمود: «الوجوه كناية عن الجملة، وقدم إلى ربها ليفيد الحصر... إلخ» قال أحمد: ما أقصر لسانه عند هذه الآية، فكم له يدندن ويطبل في جحد الرؤية ويشقق القباء ويكثر ويتعمق، فلما فغرت هذه الآية فاه: صنع في مصادمتها بالاستدلال، على أنه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول، لأنها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى، وما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه، ولا يؤثر عليه غيره، ولا يعدل به عز وعلا منظورًا سواه؛ وحقيق له أن يحصر رؤيته إلى من ليس كمثله شيء؛ ونحن نشاهد العاشق في الدنيا إذا أظفرته برؤية محبوبه لم يصرف عنه لحظه، ولم يؤثر عليه؛ فكيف بالمحب لله عز وجل إذا أحظاه النظر إلى وجهه الكريم، نسأل الله العظيم أن لا يصرف عنا وجهه، وأن يعيذنا عن مزالق البدعة ومزلات الشبهة، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(٢) قوله: «لو كان منظورًا إليه» عدم كونه منظور إليه تعالى مبني على مذهب المعتزلة، وهو عدم جواز رؤيته تعالى. ومذهب أهل السنة جوازها. ويجوز أن يكون تقديم المفعول هنا للاهتمام بذكر المنظور إليه، الذي يقتضي النظر إليه نضرة وجوه الناظرين، لا للاختصاص. (ع)

(٣) يقول: وإذا رجوت مكارمك زدتني نعمًا فالنظر إليه كناية عن ذلك. ويجوز أن المعنى: بمجرد نظري إليك تجيبني فوق مسئولي، ولا تحتاج إلى التصريح بالطلب. ومن ملك: تمييز مقترن بمن. والبحر دونك: جملة اعتراضية أو حالية، أي: أقل منك في الخيرات والمكارم.
ينظر البحر: ٨/ ٣٨٩، الدر المصون: ٦/ ٤٣١.

الناضرة أن يفعل بها كل خير.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة، كأنه قيل: ارتدعوا عن ذلك، وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم، وتنتقلون إلى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين. والضمير في ﴿بَلَغَتِ﴾ للنفس وإن لم يجر لها ذكر، لأنّ الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها، كما قال حاتم [من الطويل]:

أَمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى   إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ[(١)]

وتقول العرب: أرسلت، يريدون: جاء المطر، ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء ﴿ٱلتَّرَاقِىَ﴾ العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال. ذكرهم صعوبة الموت الذي هو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها: وقال حاضرو صاحبها ـ وهو المحتضر ـ بعضهم لبعض ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ أيكم يرقيه مما به؟ وقيل: هو من كلام ملائكة الموت: أيكم يرقى بروحه؟ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ ﴿وَظَنَّ﴾ المحتضر ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ أنّ هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة ﴿وَٱلْتَفَّتِ﴾ ساقه بساقه والتوت عليها عند علز[(٢)] الموت. وعن قتادة: ماتت رجلاه فلا تحملانه، وقد كان عليهما جوّالاً.

---

(١) أماوي ما يغني الثراء عن الفتى   إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر
أماوي إن المال غادٍ ورائح   ويبقى من المال الأحاديث والذكر
وقد علم الأقوام لو أن حاتمًا   أراد ثراء المال كان له وفر

لحاتم الطائي، والهمزة للنداء، وماوي: مرخم، أصله: ماوية، اسم أمه وهي بنت عفير، وكانت تلومه. وأصله: نسبة للماء، لأنها تشبهه في اللين والرقة والصفاء والثراء. والثروة: الغنى. والحشرجة: تردد صوت النفس في الصدر. والضمير النفس وإن لم تذكر ادعاء لشهرتها. روي أنه لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قالت له عائشة لعمرك ما يغني... البيت، فقال: لا تقولي هذا يا بنية (وجاءت سكرة الحق بالموت) وهي قراءة منسوبة إليه وكرر نداء ماوية للتقريع، وغاد ورائح: آت وذاهب. وقوله: «من المال» أي من آثاره، ولو كفت «علم» عن العمل في المفعول وعبر عن نفسه بالظاهر؛ لأن هذا الكلام تتحدث به نفوس الأقوام، فاعتبر صدوره منهم. وثراء المال: الغنى به، أو جمعه. والوفر: الزيادة والمال الكثير.

ينظر: ديوانه ص ١٩٩، والأغاني ١٧/ ٢٩٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٣٤، ١١٣٣، وخزانة الأدب ٤/ ٢١٢، والدرر ١/ ٢١٥، والشعر والشعراء ١/ ٢٥٢، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٦١، ولسان العرب (قرن)، وأساس البلاغة (حشر)، وبلا نسبة في لسان العرب (حشرج)، وهمع الهوامع ١/ ٦٥.

(٢) قوله: «علز الموت» هو كالرعدة تأخذ المريض. (ع)

وقيل: شدّة فراق الدنيا بشدّة إقبال الآخرة، على أن الساق مثل في الشدّة. وعن سعيد بن المسيب: هما ساقاه حين تلفان في أكفانه ﴿ٱلْمَسَاقُ﴾ أي يساق إلى الله وإلى حكمه.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ يعني الإنسان في قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾ [القيامة: ٣] ألا ترى إلى قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦]، وهو معطوف على ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾﴾ [القيامة: ٦] أي: لا يؤمن بالبعث، فلا صدق بالرسول والقرآن. ولا صلى ويجوز أن يراد: فلا صدق ماله، بمعنى: فلا زكاة. وقيل: نزلت في أبي جهل ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾/٢/٢٤٦ب يتبختر. وأصله يتمطط، أي: يتمدد، لأن المتبختر يمدّ خطاه. وقيل: هو من المطا وهو الظهر، لأنه يلويه. وفي الحديث: «إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم» (١٦٩٢) يعني:

١٦٩٢ ـ أخرجه الترمذي (٤/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧) كتاب الفتن: باب (٧٤) حديث (٢٢٦١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٢٥) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٣٠٨) وابن المبارك في الزهد (٢/ ٥٢) والعقيلي (٤/ ١٦٢) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٣٥) كلهم من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر به.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب وقد رواه أبو معاوية عن يحيى بن سعيد الأنصاري حدثنا بذلك محمد بن إسماعيل الواسطي ثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي ﷺ نحوه ولا يعرف لحديث أبي معاوية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أصل إنما المعروف حديث موسى بن عبيدة وقد روى مالك بن أنس هذا الحديث عن يحيى بن سعيد مرسلاً ولم يذكر فيه عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ا.هـ.
وللحديث طريق آخر عن ابن عمر.
أخرجه الدارقطني في «غرائب مالك» كما في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٢٨) من طريق مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا.
وقال الدارقطني: غريب عن مالك والمشهور عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ا.هـ.
وله طريق ثالث أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٢٥) وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» كما في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٢٨) وابن أبي الدنيا كما في «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٠٩) من طريق يحيى بن سعيد عن أبي موسى عن يحنس عن ابن عمر.
وعند البيهقي مرسلاً ولم يذكر فيه ابن عمر. وللحديث شاهد من حديث خولة وأبي هريرة.
ـ **حديث خولة**: أخرجه ابن حبان (١٨٦٤ ـ موارد) من طريق مؤمل بن إسماعيل ثنا حماد بن سلمة ثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن عبيد بن سنوطا عن خولة بنت قيس مرفوعًا.
وإسناده ضعيف لضعف مؤمل بن إسماعيل. =

كذب برسول الله ﷺ وتولى عنه وأعرض، ثم ذهب إلى قومه يتبختر افتخارًا بذلك ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ بمعنى ويل لك، وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَخَلَقَ﴾ فقدر ﴿فَسَوَّىٰ﴾ فعدل ﴿مِنْهُ﴾ من الإنسان ﴿ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الذي أنشأ هذا الإنشاء ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ على الإعادة. وروي: أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال «سبحانك بلى» (١٦٩٣).

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنًا بيوم القيامة» (١٦٩٤).

= ـ أما حديث أبي هريرة: فأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ١٢١) رقم (١٣٢).
وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٤٠): إسناده حسن.
قال الحافظ: أخرجه الترمذي وإسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلى. وابن عدي من رواية موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر. وموسى ضعيف. وروى الترمذي أيضًا والبزار عن محمد بن إسماعيل عن أبي معاوية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار نحوه. قال الترمذي: ليس له أصل. وإنما المعروف حديث موسى بن عبيدة وقال البزار: لا نعلم أحدًا تابع عليه محمد بن إسماعيل وإنما يعرف عن موسى. واختلف فيه على يحيى بن سعيد فرواه الحاكم من طريق حماد بن سلمة عنه عن عبيد عن خولة بنت قيس. ورواه الطبراني في الأوسط من رواية ابن لهيعة عن عمارة بن خزيمة عن يحيى بن يحنس مولى الزبير عن أبي هريرة. ورواه الأصبهاني في الترغيب من طريق فرج بن فضالة عن يحيى بن يحنس مرسلاً.

١٦٩٣ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) كتاب الصلاة: باب الدعاء في الصلاة حديث (٨٨٤) من حديث موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته وكان إذا قرأ ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال: سبحانك فبلى فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ.
وأخرجه الحاكم (٢/ ٥١٠) من حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ كان إذا قرأ ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال: بلى، وإذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ قال: بلى.
وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أبو داود، من رواية موسى بن أبي عائشة عن رجل سمعه عن النبي ﷺ ورواه الحاكم من رواية إسماعيل بن أمية عن أبي اليسع عن أبي هريرة نحوه.
(قلت): راويه عن إسماعيل عند الحاكم يزيد بن عياض متروك. ولكن أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي من طريق سفيان بن عيينة عن إسماعيل عن رجل عن أبي هريرة. واختلف فيه على إسماعيل على أوجه أخرى ذكرتها في حاشية الأطراف. انتهى.

١٦٩٤ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
وقال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه الواحدي والثعلبي. وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب انتهى.

سورة الإنسان

مدنية، وآياتها إحدىٰ وثلاثون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١﴾

هل بمعنى «قد» في الاستفهام خاصة، والأصل: أهل، بدليل قوله [من البسيط]:

أَهَـلْ رَأَوْنَـا بِـسَـفْـحِ الْـقَـاعِ ذِي الأكَـمِ؟ .... [1]

فالمعنى: أقد أتى؟ على التقرير والتقريب جميعًا، أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب ﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن﴾ فيه ﴿شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ أي كان شيئًا منسيًا غير مذكور نطفة في الأصلاب والمراد بالإنسان: جنس بني آدم، بدليل قوله: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ﴾ [الإنسان: ٢] ﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ طائفة من الزمن الطويل الممتد فإن قلت: ما محل ﴿لم يكن شيئًا مذكورًا﴾؟ قلت: محله النصب على الحال من الإنسان، كأنه قيل: هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور. أو الرفع على الوصف لحين، كقوله: ﴿يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمان: ٣٣]، وعن بعضهم: أنها تليت عنده فقال: ليتها تمت، أراد: ليت تلك الحالة تمت، وهي كونه شيئًا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف.

﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢﴾

﴿نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ كبرمة أعشار[2]، وبرد أكياش: وهي ألفاظ مفردة غير جموع، ولذلك وقعت صفات للأفراد. ويقال أيضًا: نطفة مشج، قال الشماخ [من الوافر]:

طَـوَتْ أَحْـشَـاءُ مُـرْتَـجَـةٍ لِـوَقْـتٍ عَـلَـى مَـشَـجٍ سُـلالَـتُـهُ مَـهِـيـنُ[3]

---

(١) تقدم.

(٢) قوله: «كبرمة أعشار» في الصحاح «برمة أعشار» إذا انكسرت قطعًا قطعًا وقلب أعشار: جاء على بناء الجمع، كما قالوا: رمح أقصاد اهـ، ولم يذكر أكباش ولا مادته فيه، فلينظر في غيره. (ع)

(٣) للشماخ. ورتجت الباب وأرتجته: إذا أغلقته. والرتاج: الباب. ومشج الشيء: مزجه. والمشج -كسبب-: الممزوج. ومثله: أمشاج؛ فهو مفرد على صورة الجمع كأخلاق. وقيل: جمع مشج. =

ولا يصحّ أمشاج أن يكون تكسيرًا له، بل هما مثلان في الإفراد، لوصف المفرد بهما. ومشجه ومزجه: بمعنى. والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان. وعن ابن مسعود: هي عروق النطفة. وعن قتادة: أمشاج ألوان وأطوار، يريد: أنها تكون نطفة، ثم علقة، ثم مضغة ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ في موضع الحال، أي: خلقناه مبتلين له، بمعنى: مريدين ابتلاءه، كقولك: مررت برجل معه صقر صائدًا به غدًا، تريد: قاصدًا به الصيد غدًا. ويجوز أن يراد: ناقلين له من حال إلى حال، فسمي ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة. وعن ابن عباس: نصرّفه في بطن أمّه نطفة ثم علقة. وقيل: هو في تقدير التأخير، يعني: فجعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه، وهو من التعسف.

﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾

شاكرًا وكفورًا: حالان من الهاء في هديناه(١)، أي: مكناه وأقدرناه في حالتيه جميعًا. أو دعوناه إلى الإسلام بأدلة العقل والسمع: كان معلومًا منه(٢) أنه يؤمن أو يكفر لإلزام الحجة. ويجوز أن يكونا حالين من السبيل، أي: عرّفناه السبيل إما سبيلاً شاكرًا وإما سبيلاً كفورًا كقوله: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾ [البلد: ١٠] ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز. وقرأ أبو السّمال بفتح الهمزة في (أما) وهي قراءة حسنة والمعنى: أما شاكرًا فبتوفيقنا، وأما كفورًا فبسوء اختياره(٣).

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ۝٤﴾

ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد. وقرئ «سلاسل» غير منوّن. «وسلاسلا»،

= والسلالة ـ في الأصل: ما ينسل من بين الأصابع من الطين المائع. والمهين: الحقير، يصف امرأة قبلت المني في فرجها وطوت قبلها عليه. ومرتجة صفة للأحشاء: أي مغلقة إلى وقت تمام الحمل. على مني مختلط من مني الرجل ومنيها، سلالته: أي ما انسل وتدفق منه: مهين: حقير. وفعيل: يوصف به المذكر والمؤنث، والواحد والمتعدد.

ينظر ديوانه ص ٣٢٨، ولسان العرب: (مشج)، (سلل)، وتهذيب اللغة. ١/ ٥٥١، وتاج العروس: (سلل).

(١) قال محمود: «هما حالان من الهاء في هديناه. . . إلخ» قال أحمد: هذا من تحريفه المنكر وهو عند أهل السنة على ظاهره.

(٢) قال محمود: «أو يكون معناه إنا دعوناه إلى الإيمان كان معلومًا منه. . . إلخ» قال أحمد: واستحسانه لقراءة أبي السمال لتخيله أن في التقسيم إشعارًا بغرضه الفاسد، وليس كذلك؛ فإن التقسيم يحتمل الجزاء إما شاكرًا فمثاب، وإما كفورًا فمعاقب، ويرشد إليه ذكر جزاء الفريقين بعد.

(٣) قوله: «فبسوء اختياره» هذا على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يخلق الشر، أما عند أهل السنة فهو خالق الخير والشر، كالشكر والكفر. (ع)

بالتنوين[1]. وفيه وجهان: أحدهما أن تكون هذه النون بدلا من حرف الإطلاق، ويجري الوصل مجرى الوقف. والثاني: أن يكون صاحب القراءة به ممن ضرى برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾

﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع برّ أو بارّ، كرب وأرباب، وشاهد وأشهاد. وعن الحسن: هم الذين لا يؤذون الذرّ[2] والكأس: الزجاجة إذا كانت فيها خمر، وتسمى/ ٢٤٧/٢أ الخمر نفسها: كأسًا ﴿مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿كَافُورًا﴾ ماء كافور، وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور[3] ورائحته وبرده. و﴿عَيْنًا﴾ بدل منه. وعن قتادة: تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك. وقيل: تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده، فكأنها مزجت بالكافور. و﴿عَيْنًا﴾ على هذين القولين: بدل من محل ﴿مِن كَأْسٍ﴾ على تقدير حذف مضاف، كأنه قيل: يشربون فيها خمرًا خمر عين. أو نصب على الاختصاص. فإن قلت: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أوّلاً، وبحرف الإلصاق آخرًا؟ قلت: لأنّ الكأس

---

(١) قال محمود: «قرئ بتنوين سلاسل فوجهه أن تكون هذه النون بدلاً من ألف الإطلاق... إلخ» قال أحمد: وهذا من الطراز الأول لأن معتقده أن القراءة المستفيضة غير موقوفة على النقل المتواتر عن النبي ﷺ في تفاصيلها، وأنها موكولة إلى اجتهاد القراء واختيارهم بمقتضى نظرهم كما مر له، وطم على ذلك ههنا فجعل تنوين سلاسل من قبيل الغلط الذي يسبق إليه اللسان في غير موضعه لتمرنه عليه في موضعه، والحق أن جميع الوجوه المستفيضة منقولة تواترًا عنه ﷺ، وتنوين هذا على لغة من يصرف في نثر الكلام جميع ما لا ينصرف إلا أفعل؛ والقراءات مشتملة على اللغات المختلفة، وأما قوارير قوارير: فقرئ بترك تنوينهما وهو الأصل، وتنوين الأول خاصة بدلاً من ألف الإطلاق لأنها فاصلة، وتنوين الثانية كالأولى اتباعًا لها؛ ولم يقرأ أحد بتنوين الثانية وترك تنوين الأولى، فإنه عكس أن يترك تنوين الفاصلة مع الحاجة إلى المجانسة، وتنوين غيرها من غير حاجة.

(٢) قوله: «لا يؤذون الذر» في الصحاح «الذر» النمل. (ع)

(٣) قال محمود: «كافورًا عين في الجنة اسمها كذلك في لون الكافور ورائحته وبرده... إلخ» قال أحمد: هذا الجواب على القولين الأولين؛ وأما على القولين الآخرين وهو أن العين بدل من الكأس. ومعنى مزاجها بالكافور: إما اشتمالها على أوصافه، وإما أن يكون الكافور المعهود كما تقدم، فلا يتم الجواب المذكور، فيجاب عن السؤال بأنه لما ذكر الشراب أولاً باعتبار الوقوع في الوجود، ذكره ثانيًا مطمئنًا للالتذاذ به، وكأنه قال: فيشربون منها فيلتذون بها؛ وعليه حمله أبو عبيدة.

مبدأ شربهم وأوّل غايته؛ وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ يجرونها حيث شاؤا من منازلهم ﴿تَفْجِيرًا﴾ سهلا لا يمتنع عليهم ﴿يُوفُونَ﴾ جواب من عسى، يقول: ما لهم يرزقون ذلك، والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات؛ لأنّ من وفىٰ بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفىٰ ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ فاشيًا منتشرًا بالغًا أقصى المبالغ، من استطار الحريق، واستطار الفجر. وهو من طار، بمنزلة استنفر من نفر ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الضمير للطعام، أي: مع اشتهائه والحاجة إليه. ونحوه ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وعن الفضيل بن عياض: على حب الله ﴿وَأَسِيرًا﴾ عن الحسن: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: أحسن إليه؛ فيكون عنده اليومين والثلاثة، فيؤثره على نفسه (١٦٩٥). وعند عامة العلماء: يجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام ولا تصرف إليهم الواجبات وعن قتادة: كان أسيرهم يومئذ المشرك، وأخوك المسلم أحق أن تطعمه. وعن سعيد بن جبير وعطاء: هو الأسير من أهل القبلة، وعن أبي سعيد الخدري: هو المملوك والمسجون. وسمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الغريم أسيرًا، فقال «غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك» (١٦٩٦) ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾ على إرادة القول. ويجوز أن يكون قولا باللسان منعًا لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر؛ لأن إحسانهم مفعول لوجه الله؛ فلا معنى لمكافأة الخلق. وأن يكون قولهم لهم لطفًا وتفقيهًا وتنبيهًا، على ما ينبغي أن يكون عليه من أخلص لله. وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت، ثم تسأل الرسول ما قالوا؟ فإذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصًا عند الله. ويجوز أن يكون ذلك بيانًا وكشفًا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وإن لم يقولوا شيئًا. وعن مجاهد: أما إنهم ما تكلموا به، ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم. والشكور والكفور: مصدران كالشكر والكفر ﴿إِنَّا نَخَافُ﴾ يحتمل أن إحساننا إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم، لا لإرادة مكافأتكم؛ وإنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصدقة. ووصف اليوم بالعبوس. مجاز على طريقين: أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء، كقولهم: نهارك صائم. روي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران، وأن يشبه في شدته وضرره بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل: والقمطرير: الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه.

١٦٩٥ ـ بيض له الزيلعي (٤/ ١٣٣).

١٦٩٦ ـ بيض له الزيلعي (٤/ ١٣٣).

قال الزجاج: يقال: اقمطرت الناقة: إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها[1] فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة. قال أسد بن ناعصة[2] [من الخفيف]:

وَٱصْطَلَيْتُ الْحُرُوبَ فِي كُلِّ يَوْمٍ   بَاسِلَ الشَّرِّ قَمْطَرِيرَ الصَّبَاحِ[3]

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ أي: أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورًا في القلوب، وهذا يدل على أنّ اليوم موصوف بعبوس أهله ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم على الإيثار. وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنّ الحسن والحسين مرضا، فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك، فنذر عليّ وفاطمة وفضة جارية لهما إن برآ مما بهما: أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض عليّ من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعًا واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا/ ٢/ ٢٤٧ب إلا الماء، وأصبحوا صيامًا؛ فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم، فآثروه؛ ووقف عليهم أسير في

---

(١) قوله: «وجمعت قطريها وزمت بأنفها» القطر: الناحية والجانب. وزق الطائر فرخه: أطعمه بفيه. والزقرة: ترقيص الطفل، كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «قال أسد بن ناعصة» من النعص: وهو التمايل. (ع)

(٣) لأسد بن ناعصة. وصلى النار واصطلاها إذا ذاق شدة حرها وتدفأ بها، فشبه الحرب بالنار على طريق المكنية، والاصطلاء تخييل، والباسل: الشجاع إذا اشتد كلوحه. والقمطرير: الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه، يقال: اقمطرت الناقة، إذا جمعت قطريها فرفعت ذنبها وزمت بأنفها، فهو من القطر، والميم زائدة، ووصف الشر والصباح بذلك مجاز.
ينظر: البحر ٨/ ٣٩٢، القرطبي ١٩/ ٩٠، الدر المصون ٦/ ٤٤٢.

الثالثة، ففعلوا مثل ذلك؛ فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع قال: ماأشد ما يسوءني ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها. فساءه ذلك، فنزل جبريل وقال: خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة (١٦٩٧). فإن قلت: ما معنى ذكر الحرير مع الجنة؟ قلت: المعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدّي إليه من الجوع والعري بستانا فيه مأكل هنيّ، «وحريرًا» فيه ملبس بهيّ. يعني: أن هواءها معتدل، لا حرّ شمس يحمي ولا شدّة برد تؤذي. وفي الحديث: هواء الجنة سجسج(١)، لا حرّ ولا قرّ. وقيل: الزمهرير القمر. وعن ثعلب: أنه في لغة طيىء. وأنشد [من الرجز]:

وَلَـيْـلَـةٍ ظَـلامُـهَـا قَـدِ اعْـتَـكَـرْ قَـطَـعْـتُـهَـا وَالـزَّمْـهَـرِيـرُ مَـا زَهَـرْ(٢)

والمعنى: أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلىٰ شمس وقمر. فإن قلت: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ علام عطفت؟ قلت: على الجملة التي قبلها؛ لأنها في موضع الحال من المجزيين؛ وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها إليهم في عليهم، إلا أنها اسم مفرد، وتلك جملة في حكم مفرد تقديره: غير رائين فيها شمسًا ولا زمهريرًا، ودانية عليهم ظلالها؛ ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم، كأنه قيل: وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحرّ والقرّ ودنوّ الظلال عليهم وقرئ: ودانية، بالرفع،

١٦٩٧ ـ ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف»(٤/ ١٣٤) وعزاه للثعلبي.
وقال: قال أبو عبد الله الترمذي الحكيم في كتابه نوادر الأصول في الأصل الرابع والأربعين: ومن الأحاديث التي تنكرها القلوب حديث رووه عن مجاهد عن ابن عباس. . فذكره.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية القاسم بن بهرام عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس ومن رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ الآية فذكر تمامه. وزاد في أثنائه أشعارًا لعلي وفاطمة. قال الحكيم الترمذي في الرابع والأربعين: ومن الأحاديث التي تنكرها القلوب حديث رووه عن مجاهد عن ابن عباس فذكره بشعره. ثم قال: هذا حديث مزوق مفتعل لا يروج إلا على أحمق جاهل. ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي عبد الله السمرقندي. عن محمد بن كثير عن الأصبغ بن نباتة. قال: مرض الحسن والحسين. إلى آخره فذكره بشعره وزيادة ألفاظ. ثم قال: وهذا لا نشك في وضعه. انتهى.

---

(١) قوله: «هواء الجنة سجسج» تفسيره ما بعده، كما يفيده الصحاح. (ع)
(٢) أي: ورب ليلة ظلامها قد تراكم واختلط وكثر، قطعتها وأمضيتها بالسير، والحال أن الزمهرير ما زهر أي: ما ظهر وأضاء. والزمهرير في لغة طيىء: القمر؛ وهذه الحال مؤكدة لاعتكار الظلام.

على أن ظلالها مبتدأ، ودانية خبر، والجملة في موضع الحال؛ والمعنى: لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا، والحال أن ظلالها دانية عليهم؛ ويجوز أن تجعل ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ و﴿لَا يَرَوْنَ﴾ و﴿وَدَانِيَةً﴾ كلها صفات لجنة. ويجوز أن يكون ﴿وَدَانِيَةً﴾ معطوفة على جنة، أي: وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها، على أنهم وعدوا جنتين، كقوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٦]، لأنهم وصفوا بالخوف: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ [الإنسان: ١٠]، فإن قلت: فعلام عطف ﴿وَذُلِّلَتْ﴾؟ قلت: هي - إذا رفعت ﴿وَدَانِيَةً﴾ - جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية، وإذا نصبتها على الحال، فهي حال من دانية، أي: تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم. أو معطوفة عليها على: ودانية عليهم ظلالها، ومذللة قطوفها؛ وإذا نصبت ﴿وَدَانِيَةً﴾ على الوصف، فهي صفة مثلها؛ ألا ترى أنك لو قلت: جنة ذللت قطوفها: كان صحيحًا؛ وتذليل القطوف: أن تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا. أو تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة، من قولهم: حائط ذليل إذا كان قصيرًا ﴿قوارير قوارير﴾ قرئا غير منونين، وبتنوين الأول، ، وبتنوينهما. وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق، لأنه فاصلة؛ وفي الثاني لإتباعه الأوّل، ومعنى قوارير من ﴿فِضَّةٍ﴾ أنها مخلوقة من فضة، وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها. فإن قلت: ما معنى كانت؟ قلت هو من - يكون - في قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] أي: تكوّنت قوارير، بتكوين الله تفخيمًا لتلك الخلقة العجيبة الشأن، الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين. ومنه كان في قوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ وقرئ «قوارير من فضة» بالرفع على: هي قوارير ﴿قَدَّرُوهَا﴾ صفة لقوارير من فضة. ومعنى تقديرهم لها: أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم، فجاءت كما قدّروا. وقيل: الضمير للطائفين بها، دل عليهم قوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ [الإنسان: ١٥]، على أنهم قدروا شرابها على قدر الرّي، وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز. وعن مجاهد: لا تفيض ولا تغيض. وقرئ: قدّروها، على البناء للمفعول. ووجهه أن يكون من قدر، منقولا من قدر. تقول: قدرت الشيء وقدرنيه فلان: إذا جعلك قادرًا له. ومعناه: جعلوا قادرين لها كما شاؤا. وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا، سميت العين زنجبيلاً لطعم الزنجبيل فيها، والعرب تستلذه وتستطيبه.

قال الأعشى [من المتقارب]:

كَـأَنَّ الْـقَـرَنْـفُـلَ وَالـزَّنْـجَـبِـيـ ... لَ بَـاتَـا بِـفِـيـهَـا وَأَرْيًـا مَـشُـورَا[1]

---

(١) للأعشى، شبه رائحة فمها وطعمه بالقرنفل والزنجبيل، لأن العرب تستطيبهما وتستلذهما، وشبه طعم ريقها بطعم الأري: وهو العسل. والمشور: اسم مفعول، من شاره شورًا إذا جناه. والشور: =

وقال المسيب بن علس[1] [من الكامل]:

وَكَــأَنَّ طَـعْـمَ الـزَّنْـجَـبِـيـلِ بِـهِ إِذْ ذُقْـتُـهُ وَسُـلَافَـةَ الْـخَـمْـرِ[2]

و﴿سَلْسَبِيلًا﴾ لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها، يعني: أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها/ ٢/ ٢٤٨أ لذعه، ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة. يقال: شراب سلسل وسلسال وسلسبيل، وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية. ودلت على غاية السلاسة. قال الزجاج: السلسبيل في اللغة: صفة لماكان في غاية السلاسة. وقرئ: سلسبيل، على منع الصرف، لاجتماع العلمية والتأنيث: وقد عزوا إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن معناه سل سبيلا إليها، وهذا غير مستقيم على ظاهره. إلا أن يراد أن جملة قول القائل: سل سبيلاً، جعلت علما للعين، كما قيل: تأبط شرًا؛ وذرّى حبًا؛ وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلاً بالعمل الصالح، وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع؛ وعزوُه إلى مثل عليّ رضي الله عنه أبدع وفي شعر بعض المحدثين [من الخفيف]:

سَـلْ سَـبِـيـلًا فِـيـهَـا إِلَـى رَاحَـةِ الـنَّـفْـ ـسِ بِـرَاحٍ كَـأَنَّـهَـا سَـلْـسَـبِـيـلُ[3]

و﴿عَيْنًا﴾ بدل من ﴿زَنجَبِيلًا﴾ وقيل: تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه. أو يخلق الله طعمه فيها. و﴿عَيْنًا﴾ على هذا القول: مبدلة من ﴿كَأْسًا﴾ كأنه قيل: ويسقون فيها كأسًا كأس عين. أو منصوبة على الاختصاص. شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون: أنه ليلة زفت إليه بوران بنت الحسن بن

= موضع تعسل فيه النحل.

ينظر: ديوانه (٨٥)، والبحر ٨/ ٣٩٢، والدر المصون: ٦/ ٤٤٦.

(١) قوله: «المسيب بن علس» العلس في الأصل: القراد الضخم. وبه سمي الرجل؛ كذا في الصحاح. (ع)

(٢) للمسيب بن علس؛ وإجراء التشبيه هنا في طعم الزنجبيل يفيد أنه في البيت السابق كذلك، وضمير به للفم وإذ ذقته: أي حين ذقت ريقه، فهو مجاز، وسلافة الخمر: أول ما يعصر من العنب ويتخمر، وتشبه طعم الريق بهما في مطلق الاستلذاذ لا يفيد أن فيه حرافة كما فيهما. وسلافة: عطف على طعم. ويجوز أن ضمير «به» للريق وهو المذوق، ومعنى كون السلافة به: أنها ممزوجة فيه.

ينظر البحر: ٨/ ٣٩٢، والدر المُصون: ٦/ ٤٤٦.

(٣) اطلب طريقًا فيها إلى راحة نفسك، براح: أي بخمر. والسلسبيل والسلسال والسلسل: عين في الجنة سهلة الانحدار في الحلق، سلسة المساغ. وزيدت الباء مبالغة في الدلالة على السلاسة والسهولة. وشبه الخمر بها لما هو معلوم وثابت بين الناس أن شراب الجنة أعلى الشراب.

ينظر البحر: ٨/ ٣٩٢، والدر المصون ٦/ ٤٤٦.

سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ. فنظر إليه منثورًا على ذلك البساط، فاستحسن المنظر وقال: لله درّ أبي نواس، وكأنه أبصر هذا حيث يقول [من البسيط]:

كَـأَنَّ صُـغْـرَى وَكُـبْـرَى مِـنْ فَـوَاقِـعِـهَـا   حَـصْـبَـاءُ دُرٌّ عَـلَـى أَرْضٍ مِـنَ الـذَّهَـبِ[1]

وقيل: شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه، لأنه أحسن وأكثر ماء ﴿رَأَيْتَ﴾ ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم، كأنه قيل: وإذا أوجدت الرؤية، ثم ومعناه: أن بصر الرائي أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير و﴿ثَمَّ﴾ في موضع النصب على الظرف، يعني في الجنة ومن قال: معناه: «ما ثم» فقد أخطأ، لأن «ثم» صلة لما، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة ﴿كَبِيرًا﴾ واسعًا وهنيئًا. يروى: أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام، يرى أقصاه كما يرى أدناه. وقيل لا زوال له. وقيل: إذا أرادوا شيئًا كان. وقيل: يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم قرئ «عاليهم» بالسكون، على أنه مبتدأ خبره[2] ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس. وعاليهم بالنصب، على أنه حال من الضمير في ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ أو في ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾ أي يطوف عليهم ولدان عاليًا للمطوف عليهم ثياب. أو حسبتهم لؤلؤًا عاليًا لهم ثياب. ويجوز أن يراد: رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب. وعاليتهم: بالرفع والنصب على ذلك. وعليهم. وخضر وإستبرق: بالرفع، حملا على الثياب وبالجرّ على السندس. وقرئ: وإستبرق، نصبًا في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمي، وهو غلط لأنه نكرة يدخله حرف التعريف؛ تقول: الإستبرق، إلا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علمًا لهذا الضرب من الثياب. وقرئ: واستبرق، بوصل الهمزة والفتح: على أنه مسمى باستفعل من البريق، وليس بصحيح أيضًا: لأنه معرب مشهور تعريبه، وأنّ أصله: استبره ﴿وَحُلُّوٓاْ﴾

---

(١) لأبي نواس، يصف الخمر بأن حبابها الذي يعلوها كالقوارير يشبه الدر، وبأنها تشبه الذهب؛ وهو من التشبيه المركب. وحكى أنه لما زفت بوران بنت الحسن بن سهل للمأمون بن الرشيد كان على بساط منسوج بالذهب ونثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ، فنظر إليه وقال: لله در أبي نواس حيث قال: كأن صغرى... البيت؛ وقد عيب عليه استعمال صغرى وكبرى مجردتين من أل والإضافة، مع أنهما عن أفعل التفضيل، وهو إذا جرد وجب تذكيره.
ينظر ديوانه ص ٣٤، وخزانة الأدب ٨/ ٢٧٧، ٣١٥، ٣١٨ وشرح قطر الندى ص ٣١٦، وشرح المفصل ٦/ ١٠٢، وشرح الأشموني: ٢/ ٣٨٦، ومغني اللبيب ٢/ ٣٨٠.

(٢) قال محمود: «قرئ بالسكون على أنه مبتدأ خبره ثياب... إلخ» قال أحمد: في هذا الوجه الآخر نظر، فإنه يجعله داخلًا في مضمون الحسبان، وكيف يكون ذلك وهم لابسون السندس حقيقة، لا على وجه التشبيه باللؤلؤ، بخلاف كونهم لؤلؤًا، فإنه على طريق التشبيه المقتضى لقرب شبههم باللؤلؤ إلى أن يحسبوا لؤلؤًا. ويحتمل أن يصحح هذا الوجه لكن بعد تكلف مستغنى عنه بالأول.

عطف على ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾. فإن قلت: ذكر ههنا أنّ أساورهم من فضة، وفي موضع آخر أنها من ذهب. قلت: هب أنه قيل وحلوا أساور من ذهب ومن فضة، وهذا صحيح لا إشكال فيه، على أنهم يسورون بالجنسين: إما على المعاقبة، وإما على الجمع، كما تزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحلي وتجمع بينها، وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران: سوار من ذهب، وسوار من فضة[1] ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ ليس برجس كخمر الدنيا؛ لأنّ كونها رجسًا بالشرع لا بالعقل، وليست الدار دار تكليف. أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدي الوضرة[2]، وتدوسه الأقدام الدنسة، ولم يجعل في الدنان والأباريق التي لم يعن بتنظيفها. أو لأنه لا يؤول إلى النجاسة لأنه يرشح عرقًا من أبدانهم له ريح كريح المسك. أي: يقال لأهل الجنة ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ وهذا إشارة إلى ما تقدّم من عطاء الله لهم: ما جوزيتم به على أعمالكم وشكر به سعيكم، والشكر مجاز.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾

تكرير الضمير بعد إيقاعه اسمًا لإنّ: تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل؛ ليتقرّر في نفس رسول الله ﷺ أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل إلا حكمة وصوابًا، كأنه قيل: ما نزّل عليك/ ٢/ ٢٤٨ب القرآن تنزيلاً مفرقًا منجمًا إلا أنا لا غيري، وقد عرفتني حكيمًا فاعلاً لكل ما أفعله بدواعي الحكمة، ولقد دعتني حكمة بالغة إلى أن أنزل عليك الأمر بالمكافة والمصابرة، وسأنزل عليك الأمر بالقتال والانتقام بعد حين ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ الصادر عن الحكمة وتعليقه الأمور بالمصالح، وتأخيره نصرتك على أعدائك من أهل مكة، ولا تطع منهم أحدًا قلة صبر منك على أذاهم وضجرًا من تأخر الظفر، وكانوا مع إفراطهم في العداوة والإيذاء له ولمن معه يدعونه إلى أن يرجع عن أمره ويبذلون له أموالهم وتزويج أكرم بناتهم إن أجابهم. فإن قلت: كانوا كلهم كفرة، فما

---

(١) قال السمين الحلبي: وناقشه الشيخ في قوله: بالمعصم فقال: قوله: بالمعصم إما أن يكون مفعول أحسن و«كأنْ يكونَ» بدلاً منه، وإما أن يكونَ مفعول «أحسن» وقد فصل بينهما الجار والمجرور. فإن كان الأول فلا يجوز؛ لأنه لم يعهد زيادة الباء في مفعول أفعل للتعجب. لا تقول: ما أحسن بزيد! تريد ما أحسن زيدًا. وإن كان الثاني ففي مثل هذا الفصل خلاف فالمنقول عن بعضهم يجوز، والمولد منا ينبغي إذا تكلم أن يتحرّز في كلامه مما فيه خلاف. قلت: وأي عرض له في تتبع كلام هذا الرجل: حتى في هذا الشيء اليسير. على أن الصحيح جوازه، وهو المسموع عن العرب نثرًا. قال عمرو بن معد يكرب: «لله درُّ بني فلان ما أشد في الهيجاء لقاءها، وأثبت في المكرمات بقاءها، وأحسن في اللزبات عطاءها»، والتشاغل بغير هذا أولى. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «فتمسه الأيدي الوضرة» من الوضر: وهو الدرن والدسم. أفاده الصحاح.. (ع)

معنى القسمة في قوله ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾؟ قلت: معناه ولا تطع منهم راكبًا لما هو إثم داعيًا لك إليه أو فاعلًا لما هو كفر داعيًا لك إليه؛ لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل هو إثم أو كفر، أو غير إثم ولا كفر، فنهى أن يساعدهم على الاثنين دون الثالث. وقيل: الآثم عتبة؛ والكفور: الوليد؛ لأنّ عتبة كان ركابًا للمآثم، متعاطيًا لأنواع الفسوق؛ وكان الوليد غاليًا في الكفر شديد الشكيمة في العتوّ. فإن قلت: معنى أو: ولا تطع أحدهما، فهلا جيء بالواو ليكون نهيًا عن طاعتهما جميعًا؟ قلت: لو قيل: ولا تطعهما، جاز أن يطيع أحدهما، وإذا قيل: لا تطع أحدهما، علم أنّ الناهي عن طاعة أحدهما: عن طاعتهما جميعًا أنهى. كما إذا نهي أن يقول لأبويه: أف، علم أنه منهي عن ضربهما على طريق الأولى ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ ودم على صلاة الفجر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ وبعض الليل فصل له. أو يعني صلاة المغرب والعشاء، وأدخل (من) على الظرف للتبعيض، كما دخل على المفعول في قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح: ٤]، ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾[1] وتهجد له هزيعًا طويلا من الليل: ثلثيه، أو نصفه، أو ثلثه.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الكفرة ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يؤثرونها على الآخرة، كقوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ [الأعلى: ١٦]، ﴿وَرَآءَهُمْ﴾ قدّامهم أو خلف ظهورهم لا يعبأون به ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ استعير الثقيل لشدّته وهوله، من الشيء الثقيل الباهظ لحامله. ونحوه: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، الأسر: الربط والتوثيق. ومنه: أسر الرجل إذا أوثق بالقدّ وهو الإسار. وفرس مأسور الخلق. وترس مأسور بالعقب[2]. والمعنى: شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض، وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب. ومثله قولهم: جارية معصوبة الخلق ومجدولته ﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ أهلكناهم و﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ في شدّة الأسر، يعني: النشأة الأخرى. وقيل: معناه: بدلنا غيرهم ممن يطيع. وحقه أن يجيء بإن، لا بإذا، كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النساء: ١٣٣].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) قوله: «وتهجد له هزيعًا طويلًا» في الصحاح: مضى هزيع من الليل، أي: طائفة. (ع)

(٢) قوله: «وترس مأسور بالعقب» في الصحاح: العقب ـ بالتحريك ـ: العصب: الذي تعمل منه الأوتار؛ الواحدة عقبة، تقول منه: عقبت السهم والقدح والقوس: إذا لويت شيئًا منه عليه. (ع)

﴿كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣١﴾

﴿هَٰذِهِۦ﴾ إشارة إلى السورة أو إلى الآيات القريبة ﴿فَمَن شَآءَ﴾ فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل إلى الله عبارة عن التقرب إليه والتوسل بالطاعة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الطاعة[1] ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ بقسرهم عليها[2] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بأحوالهم وما يكون منهم ﴿حَكِيمًا﴾ حيث خلقهم مع علمه بهم. وقرئ: تشاؤون، بالتاء. فإن قلت: ما محل ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؟ قلت النصب على الظرف، وأصله: إلا وقت مشيئة الله، وكذلك قراءة ابن مسعود: إلا ما يشاء الله؛ لأنَّ (ما) مع الفعل كأن معه ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ﴾ هم المؤمنون ونصب ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بفعل يفسره. أعدّ لهم، نحو: أوعد وكافأ، وما أشبه ذلك وقرأ ابن مسعود: وللظالمين، على: وأعدّ للظالمين وقرأ ابن الزبير: والظالمون على الابتداء، وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها، مع مخالفتها للمصحف.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرًا» (١٦٩٨).

١٦٩٨ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
وقال ابن حجر: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي بن كعب انتهى.

---

(١) قال محمود: «معناه وما تشاؤن الطاعة إلا أن يشاء الله... إلخ» قال أحمد: وهذا من تحريفاته للنصوص وتسوره على خزائن الكتاب العزيز، كدأب الشطار واللصوص، فلنقطع يد حجته التي أعدها، وذلك حكم هذه السرقة وحدها، فنقول: الله تعالى نفى وأثبت على سبيل الحصر الذي لا حصر ولا نصر أوضح منه. ألا ترى أن كلمة التوحيد اقتصر بها على النفي والإثبات؛ لأن هذا النظم أعلق شيء بالحصر وأدله عليه، فنفي الله تعالى أن يفعل العبد شيئًا له فيه اختيار ومشيئة، إلا أن يكون الله تعالى قد شاء ذلك الفعل؛ فمقتضاه ما لم يشأ الله وقوعه من العبد لا يقع من العبد، وما شاء منه وقوعه وقع، وهو رديف: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ وانظر إدخاله القسر في تعطيل الآية لا تأويلها كيف ناقض به؛ فإن معنى الآية عنده: أن مشيئة العبد للفعل لا تكون إلا إذا قسره الله عليها، والقسر مناف للمشيئة؛ فصار الحاصل أن مشيئة العبد لا توجد إلا إذا انتفت؛ فإذا لا مشيئة للعبد البتة ولا اختيار، وما هو إلا فر من إثبات قدرة للعبد غير مؤثرة ومشيئة غير خالقة، ليتم له إثبات قدرة ومشيئة مؤثرين، فوقع في سلب القدرة والمشيئة أصلاً ورأسًا، وحيث لزم الحيد عن الاعتزال: انحرف بالكلية إلى الطرف الأقصى متحيزًا إلى الجبر، فيا بعد ما توجه بسوء نظره. والله الموفق.

(٢) قوله: «إلا أن يشاء الله أن يقسرهم عليهم» إرادته تعالى تستلزم وجود المراد، ولكن لا تستلزم كون العبد مقسورًا ومجبورًا على الفعل إلا عند المعتزلة. وأما أهل السنة فقد أثبتوا للعبد الكسب، مع كون الله هو الخالق الفعل عندهم؛ وتفصيل ذلك في التوحيد. (ع)

سورة المرسلات

مكية، [إلا الآية ٤٨ فمدنية]
وآياتها خمسون [نزلت بعد الهمزة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦)﴾

أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة، أرسلهنّ بأوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح، تخففًا في امتثال أمره، وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي. أو نشرن الشرائع في الأرض. أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين، ففرّقن بين الحق والباطل، فألقين ذكرًا إلى الأنبياء ﴿عُذْرًا﴾ للمحقين ﴿أَوْ نُذْرًا﴾ للمبطلين. أو أقسم برياح عذاب أرسلهن. فعصفن، وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجوّ ففرّقن بينه، كقوله/ ٢/ ٢٤٩أ: ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ [الروم: ٤٨]، أو بسحائب نشرن الموات، ففرّقن بين من يشكر لله تعالى وبين من يكفر، كقوله: ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦] فألقين ذكرًا إمّا عذرًا للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها، وإما إنذارًا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك إلى الأنواء، وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببًا في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت. فإن قلت: ما معنى عرفًا؟ قلت: متتابعة كشَعَر العرف[1] يقال: جاؤا عرفًا واحدًا؛ وهم عليه كعرف الضبع: إذا تألبوا عليه، ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر؛ وانتصابه على أنه مفعول له، أي: أرسلن للإحسان والمعروف؛ والأول على الحال. وقرئ: عرفا، على التثقيل، نحو نكر في نكر. فإن قلت: قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب، فكيف يكون إرسالهم معروفًا؟ قلت: إن لم يكن معروفًا للكفار فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم. فإن قلتَ: ما العذر والنذر، وبما انتصبا؟ قلت: هما مصدران

---

(١) قوله: «كشعر العرف» في الصحاح «العرف»: عرف الفرس. وقوله تعالى: ﴿والمرسلات عرفا﴾ يقال: هو مستعار من عرف الفرس، أي: يتتابعون كعرف الفرس. وفيه «تألبوا»: تجمعوا. (ع)

من أعذر إذا محا الإساءة، ومن أنذر إذا خوّف على فعل، كالكفر والشكر، ويجوز أن يكون جمع عذير، بمعنى المعذرة؛ وجمع نذير بمعنى الإنذار. أو بمعنى العاذر والمنذر. وأما انتصابهما فعلى البدل من (ذكرًا) على الوجهين الأوّلين أو على المفعول له. وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين. وقرئا: مخففين ومثقلين.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾

إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه، وهو جواب القسم، وعن بعضهم: أن المعنى: ورب المرسلات ﴿طُمِسَتْ﴾ محيت ومحقت. وقيل: ذهب بنورها ومحق ذواتها، موافق لقوله (انتثرت) و (انكدرت) ويجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور ﴿فُرِجَتْ﴾ فتحت فكانت أبوابًا. قال الفارجي: باب الأمير المبهم ﴿نُسِفَتْ﴾ كالحب إذا نسف بالمنسف. ونحوه ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ [الواقعة: ٥]، ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]، وقيل: أخذت بسرعة من أماكنها، من انتسفت الشيء إذا اختطفته وقرئت: طمست وفرجت ونسفت مشدّدة. قرئ: أقتت ووقتت، بالتشديد والتخفيف فيهما. والأصل: الواو ومعنى توقيت الرسل: تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم. والتأجيل: من الأجل، كالتوقيت: من الوقت ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾﴾ تعظيم لليوم، وتعجيب من هوله ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾ بيان ليوم التأجيل، وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق. والوجه أن يكون معنى وقتت: بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره: وهو يوم القيامة. وأجلت: أخرت. فإن قلت: كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾؟ قلت: هو في أصله مصدر منصوب سادّ مسدّ فعله، ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه. ونحوه ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ويجوز: ويلا، بالنصب؛ ولكنه لم يقرأ به. يقال: ويلا له ويلا كيلا.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾

قرأ قتادة: نهلك، بفتح النون، من هلكه بمعنى أهلكه، قال العجاج [من الرجز]:

وَمَهْمَهٍ هَالِكُ مَنْ تَعَرَّجَا[1]

---

(١) ومهمه هالك من تعرجا ... لا يرتجي الخرّيت منها مخرجا

=

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ﴾ بالرفع على الاستئناف، وهو وعيد لأهل مكة يريد: ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين، ونسلك بهم سبيلهم لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم، ويقويها قراءة ابن مسعود «ثم سنتبعهم» وقرئ بالجزم للعطف على نهلك. ومعناه: أنه أهلك الأولين من قوم نوح وعاد وثمود، ثم أتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الفعل الشنيع ﴿نَفْعَلُ﴾ بكل من أجرم إنذارًا وتحذيرًا من عاقبة الجرم وسوء أثره.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾﴾ إلى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به: وهو تسعة الأشهر، أو ما دونها، أو ما فوقها ﴿فَقَدَرْنَا﴾ فقدّرنا ذلك تقديرًا ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ فنعم المقدّرون له نحن. أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن؛ والأوّل أولى لقراءة من قرأ: فقدّرنا بالتشديد، ولقوله ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس: ١٩].

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

الكفات: من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه: وهو اسم ما يكفت، كقولهم: الضمام والجماع لما يضم ويجمع، يقال: هذا الباب جماع الأبواب، وبه انتصب ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ كأنه قيل: كافتة أحياء وأمواتًا. وبفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت. والمعنى: تكفت أحياء على ظهرها، وأمواتًا في بطنها. وقد استدل بعض أصحاب الشافعي رحمه الله على قطع النباش بأنّ الله تعالى جعل الأرض كفاتًا للأموات، فكان بطنها حرزًا لهم؛ فالنباش سارق من الحرز. فإن/ ٢/ ٢٤٩ب قلت: لم قيل أحياء وأمواتًا على التنكير، وهي كفات الأحياء والأموات جميعًا؟ قلت: هو من تنكير التفخيم، كأنه قيل: تكفت أحياء لا يعدون وأمواتًا لا يحصرون، على أنّ أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات. ويجوز أن يكون المعنى: تكفتكم أحياء وأمواتًا، فينتصبا على الحال من الضمير؛ لأنه قد

= للعجاج. والمهمه: المفازة القفرة. ويقال: أهلكه وهلكه. ومنه: هالك من تعرج. وعرج وتعرج: إذا نزل في المكان. والخريت: الدليل العارف بالطرق الضيقة، ولو مثل خرت الإبرة، أي: لا يرجو الدليل مخرجًا منها إذا ولجها، فما بال غيره، وهو مع ذلك قطعه بالسير.
ينظر: المحتسب ١/ ٩٢، اللسان (هلك). الدر المصون ٦/ ٤٥٥.

علم أنها كفات الإنس. فإن قلت: فالتنكير في ﴿رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ﴾ و﴿مَّآءٗ فُرَاتٗا﴾؟ قلت: يحتمل إفادة التبعيض؛ لأنّ في السماء جبالا قال الله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ [النور: ٤٣]، وفيها ماء فرات أيضًا، بل هي معدنه ومصبه، وأن يكون للتفخيم.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾

أي يقال لهم: انطلقوا إلى ما كذبتم به من العذاب، وانطلقوا الثاني تكرير. وقرئ: «انطلقوا» على لفظ الماضي إخبارًا بعد الأمر عن عملهم بموجبه، لأنهم مضطرون إليه لا يستطيعون امتناعًا منه ﴿إِلَىٰ ظِلّٖ﴾ يعني دخان جهنم، كقوله: ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ﴾ [الواقعة: ٤٣] ﴿ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ بتشعب لعظمه ثلاث شعب، وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب. وقيل: يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق، ويتشعب من دخانها ثلاث شعب، فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم؛ والمؤمنون في ظل العرش ﴿لَّا ظَلِيلٖ﴾ تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين ﴿وَلَا يُغۡنِي﴾ في محل الجر، أي: وغير مغن عنهم من حرّ اللهب شيئًا ﴿بِشَرَرٖ﴾ وقرئ: «بشرار» ﴿كَٱلۡقَصۡرِ﴾ أي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها. وقيل: هو الغليظ من الشجر، الواحدة قصرة، نحو: جمرة وجمر. وقرئ: كالقصر، بفتحتين: وهي أعناق الإبل، أو أعناق النخل، نحو شجرة وشجر. وقرأ ابن مسعود: كالقصر بمعنى القصور، كرهن ورهن. وقرأ سعيد بن جبير: كالقصر، في جمع قصرة، كحاجة وحوج ﴿جِمَٰلَتٞ﴾ جمع جمال. أو جمالة جمع جمل؛ شبهت بالقصور، ثم بالجمال لبيان التشبيه. ألا تراهم يشبهون الإبل بالأفدان والمجادل[١]. وقرئ: جمالات بالضم: وهي قلوس الجسور. وقيل: قلوس سفن البحر، الواحدة جمالة وقرئ: جمالة، بالكسر، بمعنى: جمال وجمالة بالضم: وهي القلس. وقيل ﴿صُفۡرٞ﴾ لإرادة الجنس. وقيل ﴿صُفۡرٞ﴾ سود تضرب إلى الصفرة. وفي شعر عمران بن حطان الخارجي [من الطويل]:

دَعَتْهُمْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا وَرَمَتْهُمُ ... بِمِثْلِ الْجِمَالِ الصُّفْرِ نَزَّاعَةُ الشَّوَى[٢]

---

(١) قوله: «بالأفدان والمجادل» جمع فدن وجمع مجدل، وكلاهما بمعنى القصر، كذا في الصحاح. وفيه أيضًا «الجسر» بالفتح: الفطيم من الإبل. وفيه «القلس»: حبل ضخم من قلوس السفن. (ع)

(٢) لعمرو بن حطان يصف جهنم. وشبهها في اختطافها للكفار بلهيبها وكلاليبها بعاقل يصح منه الدعاء على سبيل المكنية، فالدعاء والرمي: تخييل، والصوت ترشيح. ويجوز أنها تفعل ذلك حقيقة، كقولها: ﴿هل من مزيد﴾ وقال ابن عباس: تدعو الناس بأسمائهم بلسان فصيح وتقول: إليّ إليّ، =

وقال أبو العلاء [من الكامل]:

حَمْرَاءُ سَاطِعَةُ الذَّوَائِبِ فِي الدُّجَى ... تَرْمِي بِكُلِّ شَرَارَةٍ كَطِرَافِ[1]

فشبهها بالطراف وهو بيت الأدم في العظم والحمرة، وكأنه قصد بخبثه: أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سوّل له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله «حمراء» توطئة لها ومناداة عليها، وتنبيها للسامعين على مكانها، ولقد عمي: جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا، ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ فإنه بمنزلة قوله: كبيت أحمر؛ وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين: من جهة العظم، ومن جهة الطول في الهواء، وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس: تشبيه من ثلاث جهات: من جهة العظم والطول والصفرة، فأبعد الله إغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه.

قرئ بنصب اليوم، ونصبه الأعمش، أي: هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ، ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت: ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت؛ ولذلك ورد الأمران في القرآن. أو جعل نطقهم كلا نطق؛ لأنه لا ينفع ولا يسمع ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عطف على ﴿يُؤْذَنُ﴾ منخرط في سلك النفي. والمعنى: ولا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له، من غير أن يجعل الاعتذار مسببًا عن الإذن ولو نصب لكان مسببًا عنه لا محالة.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

= تلتقطهم كما يلقط الطير الحب، ثم قال: ورمتهم بشرر مثل الجبال الصفر. والمراد التي يرهق سوادها صفرة. ونزاعة الشوى: فاعل. والشوى: اسم جمع شواة، وهي الشواية: البقية القليلة من اللحم ونحوه؛ وتصغر شواية على شوية لزيادة التحقير. ويحتمل أن «شوية» تصغير شيء، قلبت ياؤه واوًا وقلبت همزته ياء وألحق التاء المثناة. وقيل الشوى: الأطراف والجلد. وقيل: كل ما ليس مقتلًا للإنسان، يعني أنها تنزع جلود أهلها وأطرافهم، لكن يبدلون غيرها؛ والألف في قافية البيت للإطلاق.

ينظر البحر: ٨/٤٠٧، والدر المصون: ٦/٤٥٩.

(١) المـوقـدي نـار الـقـرى الآصـال وَالْـ ... أَسْحَارَ بـالأهـضـام والأشـعـاف

حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ... تـرمـي بـكـل شـرارة كـطـراف

لأبي العلاء المعري يصف قومًا بالكرم، والموقدي حذفت نونه بالإضافة لمفعوله. والآصال: جمع أصيل، نصب على الظرفية، أي: يوقدن النار في الآصال للعشاء. وفي الأسحار لتعجيل الغذاء. والأهضام: المواضع المطمئنة. والأشعاف: أعالي الجبل، حمراء: حال من النار. وذوائبها: أطراف لهبها في الدجى، أي: الظلم، ترمي: جملة حالية. وشبه الشرارة بالطراف: وهو بيت من أدم في العظم والحمرة، وإذا كانت الشرارة كذلك فكيف النار كلها؟

ينظر الدر المصون: ٦/٤٥٩.

لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ كلام موضح لقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ لأنه إذا كان يوم الفصل بين السعداء والأشقياء وبين الأنبياء وأممهم. فلا بدّ من جمع الأولين والآخرين، حتى يقع ذلك الفصل بينهم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾ تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه، وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ في موضع الحال من ضمير المتقين، في الظرف الذي هو في ظلال، أي: هم مستقرّون في ظلال، مقولا لهم ذلك.

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

و﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟﴾ حال من المكذبين/ ٢/ ٢٥٠أ؛ أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا فإن قلت: كيف يصح أن يقال لهم ذلك في الآخرة؟ قلت: يقال لهم ذلك في الآخرة إيذانًا بأنهم كانوا في الدنيا أحقاء بأن يقال لهم، وكانوا من أهله تذكيرًا بحالهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد. وفي طريقته قوله [من المديد]:

إِخْــوَتِــي لاَ تَــبْــعَــدُوا أَبَــدًا   وَبَــلَــى وَالــلَّــهِ قَــدْ بَــعِــدُوا[1]

يريد: كنتم أحقاء في حياتكم بأن يدعى لكم بذلك، وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرمٍ ماله إلا الأكل والتمتع أيامًا قلائل، ثم البقاء في الهلاك أبدًا. ويجوز أن يكون ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟﴾ [المرسلات: ٤٦]، كلامًا مستأنفًا خطابًا للمكذبين في الدنيا ﴿ٱرْكَعُوا۟﴾ اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه. واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة، لا يخشعون ولا يقبلون ذلك، ويصرون على استكبارهم. وقيل: ما كان على العرب أشدّ من الركوع والسجود: وقيل: نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله ﷺ بالصلاة، فقالوا: لا نجبى[2] فإنها مسبة علينا. فقال رسول الله ﷺ: لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود (١٦٩٩) ﴿بَعْدَهُۥ﴾ بعد القرآن، يعني أنّ القرآن من بين الكتب المنزلة

١٦٩٩ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ١٦٣ ـ ١٦٤) كتاب الخراج: باب ما جاء في خبر الطائف حديث (٣٠٢٦) وأحمد (٤/ ٢١٨) والطبراني في «الكبير» (٩/ ٤٥) رقم (٨٣٧٢) والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٤٤٥) =

---

(١) تقدم.

(٢) قوله: «فقالوا لا نجبي» نجبي من التجبية: وهي الانحناء اهـ. (ع)

آية مبصرة ومعجزة باهرة، فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وقرئ: تؤمنون، بالتاء.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المرسلات كتب أنه ليس من المشركين» (١٧٠٠).

= كلهم من طريق الحسن عن عثمان بن أبي العاص به.

وقد اختلف في سماع الحسن من عثمان.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: هكذا ذكره الثعلبي، وأخرجه أبو داود وأحمد وابن أبي شيبة والطبراني من رواية الحسن عن عثمان بن أبي العاص به وأتم منه انتهى.

١٧٠٠ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أبي بن كعب انتهى.

سورة عمّ يتساءلون

مكية، وتسمى سورة النبإ، وهي أربعون، أو إحدى وأربعون آية [نزلت بعد المعارج]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)﴾

﴿عَمَّ﴾ أصله عما، على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر. قال حسان رضي الله عنه [من الوافر]:

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنِي لَئِيمٌ ... كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادِ[1]

---

(١) على ما قام يشتمني لئيم ... كخنزير تمرغ في رماد
وتلقاه على ما كان فيه ... من الهفوات أو نوك الفؤاد
جبين الغي لا يغبى عليه ... ويغبى بعد عن سبل الرشاد

لحسان بن المنذر. وقيل: ابن ثابت، يهجو أحد بني عائذ بني عمرو بن مخزوم. وما استفهام إنكاري وكان حقها حذف الألف لدخول حرف الجر عليها، وثبوتها قليل، أي: على أي شيء يسبني لئيم مثل الخنزير المتمرغ في الرماد لذله. ويروى: في دمان كرماد وزنا ومعنى. أ وبمعنى الدمنة وهي الكناسة المختلطة بالبعر؛ ولعل ابن ثابت غيره وإلا فقصيدة ابن المنذر دالية لا نونية. والنوك: الحمق والهوج. والفؤاد: القلب والعقل، أي: وتلقاه مع ما ثبت فيه من الخلل لا يخفى عليه الغي المبين، أي: يرتكب طريقه ولا يعرف سبل الرشاد. ومعنى البعدية: تفاوت ما بين الخبرين. وغبا عليه الشيء ـ كرضي ـ: خفي عليه. وغبي هو عن الشيء ـ كرضي أيضًا ـ: عجز عن معرفته. وفي قوله: «لا يغبى... إلخ» طباق الإيجاب والسلب.

ينظر: ديوانه ص ٣٢٤، والأزهيَّة ص ٨٦، وخزانة الأدب ٥/ ١٣٠، ٦/ ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، والدرر ٦/ ٣١٤، وشرح التصريح ٢/ ٣٤٥، وشرح شواهد الشافية ص ٢٢٤، ولسان العرب (قوم)، والمحتسب ٢/ ٣٤٧، ومغني اللبيب ١/ ٢٩٩، والمقاصد النحوية ٤/ ٥٥٤، ولحسان بن منذر في شرح شواهد الإيضاح ص ٢٧١، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٠٩، وبلا نسبة في تخليص الشواهد ص ٤٠٤، وشرح الأشموني ٣/ ٧٥٨، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٢٩٧، وشرح المفصل ٤/ ٩، وهمع الهوامع ٢/ ٢١٧.

والاستعمال الكثير على الحذف، والأصل: قليل ومعنى هذا الاستفهام: تفخيم الشأن، كأنه قال عن أي شأن يتساءلون ونحوه ما في قولك: زيد ما زيد[1]؟ جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره، كما تقول: ما الغول وما العنقاء؟ تريد: أي شيء هو من الأشياء هذا أصله؛ ثم جرد العبارة عن التفخيم[2]، حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضًا. أو يتساءلون غيرهم من رسول الله ﷺ والمؤمنين نحو: يتداعونهم ويتراءونهم. والضمير لأهل مكة: كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث، ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ بيان للشأن المفخم. وعن ابن كثير أنه قرأ: عمه، بهاء السكت، ولا يخلو: إما أن يجري الوصل مجرى الوقف وإما أن يقف ويبتدىء ﴿يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ على أن يضمر ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ لأنّ ما بعده يفسره، كشيء يبهم ثم يفسر. فإن قلت: قد زعمت أنّ الضمير في يتساءلون للكفار. فما تصنع بقوله ﴿هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾؟ قلت: كان فيهم من يقطع القول بإنكار البعث، ومنهم من يشك. وقيل: الضمير للمسلمين والكافرين جميعًا، وكانوا جميعًا يسألون عنه. أما المسلم فليزداد خشية واستعدادًا وأما الكافر فليزداد استهزاء. وقيل: المتساءل عنه القرآن. وقيل: نبوّة محمد ﷺ. وقرئ: يساءلون، بالإدغام، وستعلمون بالتاء.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع للمتسائلين هزؤا. و﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أنّ ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق، لأنه واقع لا ريب فيه. وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ﴿ثُمَّ﴾ الإشعار بأنّ الوعيد الثاني أبلغ من الأوّل وأشد.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾

---

(١) قال محمود: «معنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن، كأنه قيل: عن أي شيء يتساءلون ونحوه ما في قولك... إلخ» قال أحمد: وقد أكثرت أم زرع من هذا التفخيم في قولها: وأبو زرع ما أبو زرع، إلى آخر حديثها.

(٢) قال محمود: «هذا أصله، ثم جرد الدلالة على التفخيم... إلخ» قال أحمد: لأن بعضهم يشك في البعث، وبعضهم يبت النفي؛ ومن ثم قيل الضمير للمسلمين والكافرين، فسؤال المسلمين ليزدادوا خشية، وإنما سؤال الكفار لزيادة الاستهزاء والكفر.

فإن قلت: كيف اتصل به قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾[1] قلت: لما أنكروا البعث قيل لهم: ألم يخلق من يضاف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة، فما وجه إنكار قدرته على البعث، وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات أو قيل لهم: ألم يفعل هذه الأفعال المتكاثرة. والحكيم لا يفعل فعلا عبثًا، وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤدّ إلى أنه عابث في كل ما فعل ﴿مِهَٰدًا﴾ فراشًا. وقرئ: مهدًا، ومعناه: أنها لهم كالمهد للصبي/ ٢/ ٢٥٠ب: وهو ما يمهد له فينوّم عليه، تسمية للممهود بالمصدر، كضرب الأمير. أو وصفت بالمصدر. أو بمعنى: ذات مهد، أي أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد ﴿سُبَاتًا﴾ موتًا. والمسبوت: الميت، من السبت وهو القطع؛ لأنه مقطوع عن الحركة. والنوم: أحد التوفيين، وهو على بناء الأدواء. ولما جعل النوم موتًا، جعل اليقظة معاشًا، أي: حياة في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ [النبأ: ١١]، أي: وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم. وقيل: السبات الراحة ﴿لِبَاسًا﴾ يستركم عن العيون إذا أردتم هربًا من عدوّ، أو بياتًا له. أو إخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الأمور [من الطويل]:

وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ ... تُخَبِّرُ أَنَّ المَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ[2]

﴿سَبْعًا﴾ سبع سموات ﴿شِدَادًا﴾ جمع شديدة، يعني: محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الأزمان ﴿وَهَّاجًا﴾ متلألئا وقّادًا، يعني: الشمس: وتوهجت النار: إذا تلمظت[3]

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: كيف اتصال قوله: (ألم نجعل الأرض مهادًا) بما قبله. . . إلخ» قال أحمد: جوابه الأول سديد، وأما الثاني فغير مستقيم، فإنه مفرع على المذهب الأعوج في وجوب مراعاة الصلاح والأصلح، واعتقاد أن الجزاء واجب على الله تعالى عقلاً ثوابًا وعقابًا بمقتضى إيجاب الحكمة. وقد فرغ من إبطال هذه القاعدة.

(٢) وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر أن المانوية تكذب
وقاك ردى الأعداء تسري إليهم ... وزارك فيه ذو الدلال المحجب
لأبي الطيب. وكم خبرية للتكثير. واليد: النعمة. وتخبر: تدل مجازًا مرسلاً. والمانوية طائفة تنسب الخير للنور والشر للظلام؛ فكذبهم في البيت الأول، واستدل على ذلك، وبنى اليد في الثاني. والدلال: تمنع المحجوب مع رضاه. وتسري: حال؛ والمحجب: نعت ذي الدلال، وإيضاح مسألة المانوية. أنه لم يخالف في أن الله واحد إلا الشنوية. قالوا: تجد في العالم خيرًا كثيرًا وشرًا كثيرًا، والواحد لا يكون خيرًا شريرًا، فلكل من الخير والشر فاعل مستقل، فالمانوية والديمانية قن الشنوية قالوا: فاعل الخير هو النور، وفاعل الشر هو الظلمة، واعتقدوا أنهما جسمان قديمان حساسان سميعان بصيران. والمجوس من الشنوية أيضًا قالوا: إن فاعل الخير هو: يزوان. وفاعل الشر هو: أهرمن، يعنون به الشيطان، وكل ذلك ظاهر البطلان.
ينظر ديوانه ٢/ ٢٢٩، والدر المصون: ٦/ ٤٦٢.

(٣) قوله: «وتوهجت النار إذا تلمظت» في الصحاح «توهجت النار» توقدت. وتوهج الجوهر: تلألأ؛ =

فتوهجت بضوئها وحرها. المعصرات: السحائب إذا أعصرت، أي: شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر، كقولك: أجز الزرع، إذا حان له أن يجز. ومنه: أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض. وقرأ عكرمة: «بالمعصرات»، وفيه وجهان: أن تراد الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، وأن تراد السحائب؛ لأنه إذا كان الإنزال منها فهو بها، كما تقول: أعطى من يده درهما، وأعطى بيده، وعن مجاهد: المعصرات الرياح ذوات الأعاصير. وعن الحسن وقتادة: هي السموات. وتأويله: أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب، فكأنّ السموات يعصرن، أي: يحملن على العصر ويمكنّ منه. فإن قلت: فما وجه من قرأ. ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ وفسرها بالرياح ذوات الأعاصير، والمطر لا ينزل من الرياح؟ قلت: الرياح هي التي تنشىء السحاب وتدرّ أخلافه[1] فصحّ أن تجعل مبدأ للإنزال؛ وقد جاء: أنّ الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب، فإن صحّ ذلك فالإنزال منها ظاهر، فإن قلت: ذكر ابن كيسان[2] أنه جعل المعصرات بمعنى المغيثات، والعاصر هو المغيث لا المعصر. يقال: عصره فاعتصر. قلت: وجهه أن يريد اللاتي أعصرن، أي حان لها أن تعصر، أي: تغيث ﴿ثَجَّاجًا﴾ منصبًا بكثرة يقال: ثجه وثج نفسه وفي الحديث: «أفضل الحج: العجّ والثجّ» (١٧٠١) أي رفع الصوت بالتلبية، وصب دماء الهدي. وكان

١٧٠١ ـ أخرجه الترمذي (٣/ ١٨٩) كتاب الحج: باب ما جاء في فضل التلبية والنحر حديث (٨٢٧) وابن ماجه (٢/ ٩٧٥) كتاب المناسك: باب رفع الصوت بالتلبية حديث (٢٩٢٤) والدارمي (٢/ ٣١) كتاب المناسك: باب أي الحج أفضل، وأبو يعلى (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩) رقم (١١٧) والبيهقي (٥/ ٤٢) كتاب الحج: باب رفع الصوت بالتلبية، والحاكم (١/ ٤٥١) كلهم من طريق محمد بن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن محمد بن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر الصديق قال: سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: العج والثج.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال الترمذي: حديث أبي بكر حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان ومحمد بن المنكدر لم يسمع من عبد الرحمن بن يربوع وقد روى محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه غير هذا الحديث وروى أبو نعيم ضرار بن صرد هذا الحديث عن ابن أبي فديك عن الضحاك عن عثمان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه عن أبي بكر عن النبي ﷺ وأخطأ فيه ضرار.
قال أبو عيسى: سمعت أحمد بن الحسن يقول: قال أحمد بن حنبل من قال (في هذا الحديث) عن محمد بن المنكدر عن ابن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه فقد أخطأ.
وقال: وسمعت محمدًا يقول: وذكرت له حديث ضرار بن صرد عن ابن أبي فديك فقال: هو خطأ =

= فقوله: فتوهجت... الخ: يعني جمع بين التلألؤ بضوئها، والتوقد بحرها، فتدبر. (ع)

(١) قوله: «وتدر أخلافه» واحدها خلف: وهو ثدي الناقة، كما يفيده الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «فإن قلت ذكر ابن كيسان» لعله «ذكر عن ابن كيسان». (ع)

ابن عباس مثجًا يسبل غربًا، يعني أنه يثج الكلام ثجا في خطبته. وقرأ الأعرج: ثجاجًا. ومثاجج الماء: مصابه، والماء ينثجج في الوادي ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ يريد ما يتقوّت من الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش، كما قال: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ [طه: ٥٤]، و﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢﴾ [الرحمٰن: ١٢]. ﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفة ولا واحد له، كالأوزاع والأخياف[1]. وقيل: الواحد لف. وقال صاحب الإقليد: أنشدني الحسن بن علي الطوسي

= فقلت: قد رواه غيره عن ابن أبي فديك أيضًا مثل روايته فقال: لا شيء، إنما رووه عن ابن أبي فديك ولم يذكروا فيه عن سعيد بن عبد الرحمن ورأيته يضعف ضرار بن صرد ا. هـ.

قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ٣٤ ـ ٣٥): وهذه الرواية التي خطأها أحمد والبخاري هي عند ابن أبي شيبة في «مسنده» فقال: حدثنا محمد بن عمر الواقدي ثنا ربيعة عن عثمان والضحاك جميعًا عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر الصديق سئل رسول الله ﷺ. . . الحديث وذكر شيخنا الذهبي في «ميزانه» عبد الرحمن بن يربوع فقال: ما روى عنه سوى ابن المنكدر وهذا غلط فإن البزار قال في «مسنده» عقيب ذكره لهذا الحديث عن عبد الرحمن بن يربوع قديم حدث عنه عطاء بن يسار ومحمد بن المنكدر وغيرهما وأظن أن الذي أوقع الذهبي في ذلك كون المزي في «كتابه» لم يذكر راويًا عنه غير ابن المنكدر وكثيرًا ما وقع له مثل ذلك في كتبه والله أعلم. وقال الدارقطني في «كتاب العلل»: هذا حديث يرويه محمد بن المنكدر واختلف عنه فرواه بن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن محمد بن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر، وقال: ضرار بن صرد عن ابن أبي فديك عن الضحاك عن ابن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه ورواه الواقدي عن ربيعة بن عثمان والضحاك جميعًا عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال الواقدي أيضًا: عن المنكدر عن محمد عن أبيه عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن جبير بن الحويرث عن أبي بكر والقول الأول أشبه بالصواب وقال أهل النسب: إنه عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع ومن قال سعيد بن عبد الرحمن فقد وهم ا.هـ.
وللحديث شواهد كثيرة من حديث ابن مسعود وجابر وابن عمر.
ـ حديث ابن مسعود:
أخرجه أبو حنيفة في «مسنده» رقم (٢٢٣) عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل الحج العج والثج وأخرجه أبو يعلى (٩/ ١٩) رقم (٥٠٨٦) حدثنا أبو هشام الرفاعي قال حدثنا أبو أسامة حدثنا أبو حنيفة به.
وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٢٧) وقال: رواه أبو يعلى وفيه رجل ضعيف.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر بمعناه، وضعفه إبراهيم بن يزيد الخرزي، وأخرجه هو وابن ماجه من رواية محمد بن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعًا نحوه وقال لم يسمع ابن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع. انتهى.

---

(١) قوله: «كالأوزاع والأخياف» في الصحاح «أوزاع من الناس» أي: جماعات. والأوزاع: بطن من همدان. وفيه «الناس أخياف» أي: مختلفون. وإخوة أضياف، إذا كانت أمهم واحدة، والآباء =

[من الطويل]:

جَـنَّــةٌ لِــفٌّ وَعَــيْــشٌ مُــغْــدِقٌ وَنَـدَامَـى كُـلُّـهُـمْ بِـيـضٌ زُهُـرْ(١)

وزعم ابن قتيبة أنه لفاء ولف، ثم ألفاف: وما أظنه واجدًا له نظيرًا من نحو خضر وأخضار وحمر وأحمار، ولو قيل: هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد، لكان قولاً وجيها.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ كان في تقدير الله وحكمه حدًا توقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حدا للخلائق ينتهون إليه ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ بدل من يوم الفصل، أو عطف بيان ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ من القبور إلى الموقف أممًا كل أمة مع إمامهم. وقيل: جماعات مختلفة. وعن معاذ رضي الله عنه أنه سأل عنه رسول الله ﷺ فقال: يا معاذ، سألت عن أمر عظيم من الأمور، ثم أرسل عينيه وقال: تحشر عشرة أصناف من أمّتي: بعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكسون: أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها، وبعضهم عميًا، وبعضهم صمًا بكمًا، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم: يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار، وبعضهم أشدّ نتنًا من الجيف، وبعضهم ملبسون جبابًا سابغة من قطران لازقة بجلودهم؛ فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس. وأما الذين على صورة الخنازير: فأهل السحت. وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا، وأما العمي فالذين يجورون في الحكم، وأما الصمّ البكم فالمعجبون بأعمالهم، وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين/ ٢/ ٢٥١أ خالف قولهم أعمالهم، وأما الذين

= شتى. (ع)

(١) للحسن بن علي الطوسي. واللف ـ بالكسر ـ: الملتف أريد به الملتفة لتكاثف أشجارها وأوراقها. والمغدق الكثير الواسع. والبيض: مجاز عن الأخبار. ويجوز أنه على ظاهره. ورجل أزهر: مشرق الوجه، فالزهر المشرقو الوجوه، كأحمر وحمر، يعني: أن ندماءه خيار حسان الخصال. أو بيض حسان الوجوه. والمطرد في جمع أفعل وفعلاء على فعل: سكون العين. ويجوز في الشعر ضمها فيما صحت عينه ولامه ولم يضعف كما هنا، وكما في قوله [من البسيط]:

.... وأنكرتني ذوات الأعين النجل

على أنه يجوز للشاعر تحريك الساكن بحركة ما قبله للوزن، ويجوز تحريكه بحركة ما بعده إذا سكن للوقف، فيكون بفتح الهاء، كغرفة وغرف.

ينظر البحر: ٨/ ٤١٢، والدر المصون: ٦/ ٤٦٣.

قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران، وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، وأما الذين هم أشدّ نتنًا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في أموالهم، وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء» (١٧٠٢) وقرئ: وفتحت، بالتشديد والتخفيف. والمعنى: كثرة أبوابها المفتحة لنزول الملائكة، كأنها ليست إلا أبوابًا مفتحة، كقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢]، كأن كلها عيون تتفجر. وقيل: الأبواب الطرق والمسالك، أي: تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقًا لا يسدّها شيء ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، كقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة: ٦]. يعني أنها تصير شيئًا كلا شيء، لتفرّق أجزائها وانبثاث جواهرها.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۝٢٩ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾

المرصاد: الحدّ الذي يكون فيه الرصد. والمعنى: أن جهنم هي حدّ الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم. أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها، لأن مجازهم عليها، وهي مآب للطاغين. وعن الحسن وقتادة نحوه، قالا: طريقًا وممرًا لأهل الجنة. وقرأ ابن يعمر: أنّ جهنم، بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بأنّ جهنم كانت مرصادًا للطاغين، كأنه قيل: كان ذلك لإقامة الجزاء. قرئ: لابثين ولبثين، واللبث أقوى، لأنّ اللابث من وجد منه اللبث، ولا يقال «لبث» إلا لمن شأنه اللبث، كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه ﴿أَحْقَابًا﴾ حقبًا[1] بعد حقب، كلما مضى

١٧٠٢ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١٤٤/٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا عبيد الله بن أحمد بن منصور الكسائي ثنا محمد بن عبد الجبار ثنا محمد بن زهير عن محمد بن المهتدي عن حنظلة السدوسي عن البراء بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالسًا قريبًا من رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ قال: يا معاذ سألت عن أمر عظيم إلى آخره سواء ورواه ابن مردويه في «تفسيره» ثنا الحسن بن علي بن أحمد ثنا الحسن بن علي بن الحارث الكسائي ثنا إبراهيم من مسعود ثنا محمد بن زهير به وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من رواية محمد بن زهير عن محمد بن الهندي عن حنظلة السدوسي عن أبيه عن البراء بن عازب عنه بطوله انتهى.

---

(١) قوله: «أحقابًا» في الصحاح «الحقب» بالضم: ثمانون سنة. والحقبة ـ بالكسر ـ: واحدة الحقب، =

حقب تبعه آخر إلى غير نهاية، ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها، والاشتقاق يشهد لذلك. ألا ترى إلى حقيبة الراكب، والحقب الذي وراء التصدير[١] وقيل: الحقب ثمانون سنة، ويجوز أن يراد: لابثين فيها أحقابًا غير ذائقين فيها بردًا ولا شرابًا إلا حميمًا وغساقًا، ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب. وفيه وجه آخر: وهو أن يكون من: حقب عامنا. إذا قل مطره وخيره، وحقب فلان: إذا أخطأه الرزق، فهو حقب، وجمعه أحقاب، فينتصب حالا عنهم، يعني لابثين فيها حِقِبين[٢] جحدين. وقوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤﴾ تفسير له والاستثناء منقطع، يعني: لا يذوقون فيها بردًا وروحًا ينفس عنهم حرّ النار، ولا شرابًا يسكن من عطشهم، ولكن يذوقون فيها حميمًا وغساقًا وقيل «البرد» النوم، وأنشد [من الطويل]:

فَلَوْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمُ ... وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نَقَاخًا وَلاَ بَرْدَا[٣]

وعن بعض العرب: منع البرد البرد[٤]. وقرئ «غساقًا» بالتخفيف والتشديد: وهو ما يغسق، أي: يسيل من صديدهم ﴿وِفَاقًا﴾ وصف بالمصدر. أو ذا وفاق. وقرأ أبو حيوة: «وفاقًا» فعال من وفقه كذا ﴿كِذَّابًا﴾ تكذيبًا؛ وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره؛ وسمعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارًا ما سمع بمثله. وقرئ بالتخفيف، وهو مصدر كذب، بدليل قوله [من مجزوء الكامل]:

فَصَدَقْتُهَا وَكَذَبْتُهَا ... وَالمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهْ[٥]

وهو مثل قوله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] يعني: وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابًا. أو تنصبه بكذبوا، لأنه يتضمن معنى كذبوا، لأنّ كل مكذب بالحق كاذب، وإن جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه: وكذبوا بآياتنا، فكاذبوا مكاذبة. أو كذبوا بها مكاذبين،

= وهي السنون. والحقب: الدهر، والأحقاب: الدهور. (ع)

(١) قوله: «والحقب الذي وراء التصدير» في الصحاح «التصدير»: الحزام، وهو في صدر البعير، والحقب عند الثيل. وفيه «الثيل»: وعاء قضيب البعير. (ع)

(٢) قوله: «لابثين فيها حقبين» لعله حقبين من حقب بالكسر كجحدين من جحد: إذا كان ضيقًا قليل الخير فيهما، أفاده الصحاح. (ع)

(٣) تقدم.

(٤) قوله: «منع البرد البرد» أي: منع البرد النوم. (ع)

(٥) الكذاب ـ ككتاب ـ: مصدر مضاف لفاعله. وصدقتها وكذبتها ـ بتخفيفها ـ بمعنى: قلت لها قولاً صادقًا تارة، وقولاً كاذبًا تارة أخرى. أو قلت لها: أنت صادقة تارة، وأنت كاذبة تارة. والضمير لنفسه أو صاحبته مثلاً. وعلل ذلك بأن الكذب قد ينفع.
البيت للأعشى، ينظر شرح شواهد الإيضاح ص ٦٠٦، ولسان العرب (صدق) ولم أقع عليه في ديوانه، وشرح المفصل ٦/ ٤٤.

لأنهم إذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة، أو لأنهم يتكلمون بما هو إفراط في الكذب فعل من يغالب في أمر، فيبلغ فيه أقصى جهده. وقرئ: كذابًا، وهو جمع كاذب، أي: كذبوا بآياتنا كاذبين؛ وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب، يقال: رجل كذاب، كقولك: حسان، وبخال؛ فيجعل صفة لمصدر كذبوا، أي: تكذيبًا كذابًا مفرطًا كذبه، وقرأ أبو السمال: وكل شيء أحصيناه، بالرفع على الابتداء ﴿كِتَـٰبًا﴾ مصدر في موضع إحصاء وأحصينا في معنى كتبنا، لانتقاء الإحصاء، والكتبة في معنى الضبط والتحصيل. أو يكون حالا في معنى: مكتوبًا في اللوح وفي صحف الحفظة. والمعنى: إحصاء معاصيهم، كقوله: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦] وهو اعتراض. وقوله: ﴿فَذُوقُوا۟﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات، وهي آية في غاية الشدّة، وناهيك بلن نزيدكم، وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة. وبمجيئها على/ ٢/ ٢٥١ب طريقة الالتفات شاهدًا على أنّ الغضب قد تبالغ، وعن النبي ﷺ: «هذه الآية أشدّ ما في القرآن على أهل النار» (١٧٠٣).

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾

١٧٠٣ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٤٥).
قلت: رواه الثعلبي من طريق الإمام أبي بكر بن السني: أنا ابن فنجويه، ثنا أبو داود الحراني، ثنا شعيب بن بيان، ثني مهدي بن ميمون، سمعت الحسن بن دينار أنه سأل الحسن عن أشد آية في القرآن على أهل النار، فقال الحسن: سألت أبا برزة الأسلمي، فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال: «﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾». انتهى.
وكذلك رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: ثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري، ثنا خالد بن عبد الرحمن، ثنا جسر بن فرقد، عن الحسن قال: سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في القرآن على أهل النار، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾». انتهى.
وجسر بن فرقد ضعيف جدًا.
ورواه البيهقي في كتاب البعث والنشور، من حديث مسلم بن إبراهيم: ثني جسر بن فرقد به. . . فذكره موقوفًا، لم يرفعه.
وكذلك رواه الطبراني في معجمه، رواه موقوفًا فقط، ويراجع.
وأخرجه ابن مردويه في تفسيرِه، من طريق أبي بكر بن أبي شيبة: ثنا علي بن أحمد الحواري، ثنا جعفر بن جسر بن فرقد، ثني أبي، عن الحسن به.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي حاتم والثعلبي من رواية جسر بن فرقد السبخي عن الحسن سألت أبا برزة الأسلمي فذكره وجسر ضعيف ورواه الطبراني والبيهقي في الشعب موقوفًا. انتهى.

﴿مَفَازًا﴾ فوزًا وظفرًا بالبغية. أو موضع فوز. وقيل: نجاة مما فيه أولئك. أو موضع نجاة. وفسر المفاز بما بعده. والحدائق: البساتين فيها أنواع الشجر المثمر. والأعناب: الكروم. والكواعب: اللاتي فلكت ثديهن[1]، وهن النواهد. والأتراب. اللدات: والدهاق: المترعة. وأدهق الحوض: ملأه حتى قال قطني. وقرئ: ولا كذابًا، بالتشديد والتخفيف، أي: لا يكذب بعضه بعضًا ولا يكذبه. أو لا يكاذبه. وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ بتخفيف الاثنين ﴿جَزَآءً﴾ مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ كأنه قال: جازى المتقين بمفاز. و﴿عَطَآءً﴾ نصب بحزاء نصب المفعول به. أي: جزاهم عطاء. و﴿حِسَابًا﴾ صفة بمعنى: كافيًا. من أحسبه الشيء إذا كفاه حتى قال حسبي. وقيل: على حسب أعمالهم. وقرأ ابن قطيب: حسابًا، بالتشديد، على أنّ الحساب بمعنى المحسب، كالدرّاك بمعنى المدرك.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾

قرئ: رب السموات، والرحمٰن: بالرفع، على: هو رب السموات الرحمٰن. أو رب السموات مبتدأ، والرحمٰن صفة، ولا يملكون: خبر أو هما خبران وبالجر على البدل من ربك، وبجر الأوّل ورفع الثاني على أنه مبتدأ خبره ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو هو الرحمٰن لا يملكون والضمير في ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ لأهل السموات والأرض، أي: ليس في أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك، فيزيدون فيه أو ينقصون منه. أو لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب أو زيادة في الثواب، إلا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه. و﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾ متعلق بلا يملكون، أو بلا يتكلمون. والمعنى: إنّ الذين هم أفضل الخلائق[2] وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه، فما ظنك بمن عداهم من أهل السموات والأرض؟ والروح: أعظم خلقًا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين. وقيل: هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقًا أعظم منه. وقيل: ليسوا بالملائكة، وهم يأكلون. وقيل: جبريل. هما شريطتان: أن يكون المتكلم منهم مأذونًا له في الكلام.

(١) قوله: «فلكت ثديهن» في الصحاح: فلك ثدي الجارية تفليكًا» وتفلك: استدار. (ع)

(٢) قوله: «إن الذين هم أفضل الخلائق، تفضيلهم على البشر مذهب المعتزلة، ومذهب أهل السنة تفضيل للبشر عليهم: والظاهر أن الروح كالملك في هذا الخلاف، فتدبر. (ع)

وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى[1]، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

﴿ٱلْمَرْءُ﴾ هو الكافر لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ والكافر: ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم، ويعني ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من الشر، كقوله: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠ ـ ٥١]، ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ٩ ـ ١٠]، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، و(ما) يجوز أن تكون استفهامية منصوبة بقدّمت، أي ينظر أي شيء قدّمت يداه، وموصلة منصوبة بينظر، يقال: نظرته بمعنى نظرت إليه، والراجع من الصلة محذوف، وقيل: المرء عام، وخصص منه الكافر. وعن قتادة: هو المؤمن ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف. أو ليتني كنت ترابًا في هذا اليوم فلم أبعث. وقيل: يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء، ثم يردّه ترابًا، فيودّ الكافر حاله وقيل: الكافر إبليس، يرى آدم وولده وثوابهم، فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة» (١٧٠٤).

١٧٠٤ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب.

---

(١) قال محمود: «وقف الشفاعة على شرطين... إلخ» قال أحمد: يعرض بأن الشفاعة لا تحل على مرتكبي الكبائر من الموحدين. وقد صرح بذلك في مواضع تقدمت له، ويتلقى ذلك من أنها مخصوصة بالمرتضين؛ وذوو الكبائر ليسوا مرتضين. ومن ثم أخطأ فإن الله عز وجل ما خصهم بالإيمان والتوحيد وتوفاهم عليه، إلا وقد ارتضاهم لذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ فجعل الشكر بمعنى الإيمان المقابل للكفر. مرضيًا لله تعالى، وصاحبه مرتضى.

سورة النازعات

مكية، وهي خمس أو ست وأربعون آية
[نزلت بعد النبأ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾

أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد، وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها. من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها، وبالطوائف التي تسبح في مضيها، أي: تسرع/ ٢/ ٢٥٢أ فتسبق إلى ما أمروا به، فتدبر أمرًا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم ﴿غَرْقًا﴾ إغراقًا في النزع، أي: تنزعها من أقاصي الأجساد من أناملها وأظفارها أو أقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعًا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها؛ لأنها عراب. والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب من قولك: «ثور ناشط» إذا خرج من بلد إلى بلد، والتي تسبح في جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر، وإسناد التدبير إليها، لأنها من أسبابه. أو أقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب. وإغراقها في النزع: أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى الغرب، والتي تخرج من برج إلى برج، والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرًا من علم الحساب. وقيل النازعات أيدي الغزاة، أو أنفسهم تنزع القسيّ بإغراق السهام، والتي تنشط الأوهاق[1] والمقسم عليه محذوف، وهو «لتبعثن» لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة. و﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ منصوب بهذا المضمر. و﴿الرَّاجِفَةُ﴾ الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال، وهي النفخة الأولى: وصفت بما يحدث بحدوثها ﴿تَتْبَعُهَا

---

(١) قوله: «تنشط الأوهاق» هي حبال المواشي. أفاده الصحاح. (ع)

﴿ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ أي الواقعة التي تردف الأولى، وهي النفخة الثانية. ويجوز أن تكون الرادفة من قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ۝٧٢﴾ [النمل: ٧٢]، أي القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادًا لها، وهي رادفة لهم لاقترابها. وقيل ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ الأرض والجبال، من قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤] والرادفة: السماء والكواكب؛ لأنها تنشق وتنتثر كواكبها على أثر ذلك. فإن قلت: ما محل تتبعها؟ قلت: الحال، أي: ترجف تابعتها الرادفة. فإن قلت: كيف جعلت ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ ظرفًا للمضمر الذي هو لتبعثن، ولا يبعثون عند النفخة الأولى؟ قلت: المعنى لتبعثنّ في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان، وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع، وهو وقت النفخة الأخرى. ودلّ على ذلك أنّ قوله: ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ جعل حالاً عن الراجفة. ويجوز أن ينتصب ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ بما دلّ عليه ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ أي يوم ترجف وجفت القلوب ﴿وَاجِفَةٌ﴾ شديدة الاضطراب، والوجيب والوجيف: أخوان ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ ذليلة. فإن قلت: كيف جاز الابتداء بالنكرة؟ قلت: ﴿قُلُوبٌ﴾ مرفوعة بالابتداء و﴿وَاجِفَةٌ﴾ صفتها، و﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩﴾ خبرها فهو كقوله: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١]، فإن قلت: كيف صح إضافة الأبصار إلى القلوب؟ قلت: معناه أبصار أصحابها بدليل قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ ﴿فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ في الحالة الأولى، يعنون: الحياة بعد الموت. فإن قلت: ما حقيقة هذه الكلمة؟ قلت: يقال: رجع فلان في حافرته، أي: في طريقه التي جاء فيها فحفرها، أي: أثر فيها بمشيه فيها: جعل أثر قدميه حفرًا، كما قيل: حفرت أسنانه حفرًا: إذا أثر الآكال في أسناخها[1]. والخط المحفور في الصخر. وقيل: حافرة، كما قيل: عيشة راضية، أي: منسوبة إلى الحفر والرضا، أو كقولهم: نهارك صائم، ثم قيل لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد إليه: رجع إلى حافرته، أي إلىٰ طريقته وحالته الأولى. قال [من الوافر]:

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ؟! مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارِ[2]

يريد: أرجوعًا إلى حافرة؟ وقيل: النقد عند الحافرة، يريدون عند الحالة الأولى: وهي الصفقة وقرأ أبو حيوة «في الحفرة» والحفرة بمعنى: المحفورة. يقال: حفرت أسنانه

---

(١) قوله: «أثر الآكال في أسناخها» في الصحاح «أسناخ الأسنان»: أصولها. (ع)

(٢) أنشده ابن الأعرابي. والهمزة للإنكار. والحافرة في الأصل: الطريق المحفور بالسير، فتسميته حافرة مجاز عقلي. أو على معنى النسب، أي: ذات حفر، ثم استعملت في كل حال كنت فيه، ثم رجعت إليه. وهي نصب بمحذوف، أي: أأرجع حافرة، أي في طريقتي الأولى من الشباب والصبا. أو على نزع الخافض، أي: أأرجع إليها. والصلع: انحسار شعر الجبهة، ويغلب في الهرم. ومعاذ: مصدر نصب بمحذوف. والسفه: الجهل والطيش.
ينظر: لسان العرب (حفر)، وتهذيب اللغة ١٨/٥، والمخصص ٣٠٦/١٢، وتاج العروس (حفر).

فحفرت حفرًا، وهي حفرة، وهذه القراءة دليل على أن الحافرة في أصل الكلمة بمعنى المحفورة. يقال: «نخر» العظم فهو نخر وناخر، كقولك طمع فهو طمع وطامع؛ وفعل أبلغ من فاعل؛ وقد قرئ بهما: وهو البالي الأجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير. و﴿إِذًا﴾ منصوب بمحذوف، تقديره: أئذاكنا عظامًا نرد ونبعث ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ منسوبة إلى الخسران، أو خاسر أصحابها. والمعنى: أنها إن صحت فنحن إذًا خاسرون لتكذيبنا بها، وهذا استهزاء منهم فإن قلت: بم تعلق قوله ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾؟ قلت: بمحذوف، معناه: لا تستصعبوها، فإنما هي زجرة واحدة؛ يعني: لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل، فإنها سهلة هينة في قدرته، ما هي إلا صيحة واحدة[1]، يريد النفخة الثانية ﴿فَإِذَا هُم﴾ أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتًا في جوفها، من قولهم: زجر البعير، إذا صاح عليه. والساهرة: الأرض البيضاء المستوية، سميت بذلك لأنّ السراب/ ٢/ ٢٥٢ب يجري فيها، من قولهم: عين ساهرة جارية الماء، وفي ضدها: نائمة. قال الأشعث بن قيس [من الطويل]:

وَسَاهِرَةٍ يُضْحِي السَّرابُ مُجَلِّلًا لِأَقْطَارِهَا قَدْ جُبْتُهَا مُتَلَثِّمَا[2]

أو لأنّ سالكها لا ينام خوف الهلكة. وعن قتادة: فإذا هم في جهنم.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾

﴿اذْهَبْ﴾ على إرادة القول. وفي قراءة عبد الله: أن اذهب، لأنّ في النداء معنى

---

(١) قال محمود: «إن قلت: كيف اتصل بما قبله؟ وأجاب أنهم أنكروا الإعادة... إلخ» قال أحمد: وما أحسن تسهيل أمر الإعادة بقوله: (زجرة) عوضًا من صيحة، لأن الزجرة أخف من الصيحة؛ وبقوله: (واحدة) أي غير محتاجة إلى مثنوية، وهو يحقق لك ما أجبت به من السؤال الوارد عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ حيث قيل: كيف وحدها وهما نفختان، فجدد به عهدًا.

(٢) للأشعث بن قيس؛ والساهرة: الأرض البيضاء؛ لأن السراب يجري فيها فتشبه العين الساهرة؛ لظهور بياضها وجريان مائها، بخلاف الناعسة. أو وصفت بالسهر، لأن السائر فيها ساهر لا ينام خوف الهلكة، فهو مجاز عقلي. مجللًا: خبر «يضحي» أي: ساترًا لأقطارها وجوانبها. يقول: رب مفازة يسترها النهار بسراب يشبه جل الفرس؛ ويطلق النهار على السراب، وعلى فرخ الحبارى، وتصح إرادة كل منهما. قد أتيتها لابسًا اللثام خوف الحر والريح.
ينظر: الدر المصون: ٦/ ٦٩٥.

القول. هل لك في كذا، وهل لك إلى كذا؛ كما تقول: هل ترغب فيه، وهل ترغب إليه ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ إلى أن تتطهر من الشرك، وقرأ أهل المدينة: تزكى، بالإدغام ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وأرشدك إلى معرفة الله أنبهك عليه فتعرفه ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] أي العلماء به؛ وذكر الخشية لأنها ملاك الأمر، من خشي الله: أتى منه كل خير. ومن أمن: اجترأ على كل شرّ. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل» (١٧٠٥) بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض، كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا، وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول، ويستنزله بالمداراة من عتوه، كما أمر بذلك في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]، ﴿ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ قلب العصا حية لأنها كانت المقدمة والأصل، والأخرى كالتبع لها؛ لأنه كان يتقيها بيده، فقيل له: أدخل يدك في جيبك، أو أرادهما جميعًا، إلا أنه جعلهما واحدة؛ لأن الثانية كأنها من جملة الأولى لكونها تابعة لها ﴿فَكَذَّبَ﴾ بموسى والآية الكبرى، وسماهما ساحرًا وسحرًا ﴿وَعَصَىٰ﴾ الله تعالى بعد ما علم صحة الأمر، وأنّ الطاعة قد وجبت عليه ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ أي لما رأى الثعبان أدبر مرعوبًا[1]، يسعى: يسرع في مشيته. قال الحسن كان رجلاً طياشًا

١٧٠٥ ـ أخرجه الترمذي (٤/٦٣٣) كتاب صفة القيامة: باب (١٨) حديث (٢٤٥٠) والحاكم (٤/٣٠٧ ـ ٣٠٨) والعقيلي (٤/٣٨٣) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٠٦) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ص ٤٢٥) رقم (١٤٦٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨١) كلهم من طريق يزيد بن سنان التميمي سمعت بكير بن فيروز يقول: سمعت أبا هريرة يقول فذكره مرفوعًا.
وقال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر.
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
ووهما في ذلك لضعف يزيد بن سنان وقد أعله العقيلي به.
وفي «تخريج الكشاف» (٤/١٤٩): قال ابن طاهر يزيد بن سنان متروك ولا يصح مسندًا ويروى من كلام أبي ذر اهـ.
وللحديث شاهد من حديث أبي بن كعب أخرجه الحاكم (٤/٣٠٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧٧) والبيهقي في «الشعب (١٠٥٧٧) من حديث أبي بن كعب.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية من رواية الثوري عن أبي عقيل عن الطفيل بن أبي عن أبيه بهذا. قال أبو نعيم تفرد به وكيع. قاله في ترجمته وهو ضعيف برواية الحاكم من طريق عبد الله بن الوليد الثوري ورواه الترمذي والحاكم والعقيل عن رواية يزيد بن سنان سمعت بكر بن فيروز. سمعت أبا هريرة ـ فذكره. انتهى.

---

(١) قال محمود: «أي لما رأى الثعبان ولى هاربًا مذعورًا... إلخ» قال أحمد: وهذا الوجه الأخير حسن لطيف جدًا، وهو على هذا من أفعال المقاربة.

خفيفًا. أو تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته، وأريد: ثم أقبل يسعى، كما تقول: أقبل فلان يفعل كذا، بمعنى: أنشأ يفعل، فوضع﴿أَدْبَرَ﴾ موضع: أقبل؛ لئلا يوصف بالإقبال ﴿فَحَشَرَ﴾ فجمع السحرة، كقوله: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الشعراء: ٥٣]. ﴿فَنَادَىٰ﴾ في المقام الذي اجتمعوا فيه معه. أو أمر مناديًا فنادىٰ في الناس بذلك. وقيل قام فيهم خطيبًا فقال تلك العظيمة. وعن ابن عباس: كلمته الأولى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] والآخرة: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٣٤]. ﴿نَكَالَ﴾ هو مصدر مؤكد، كوعد الله، وصبغة الله؛ كأنه قيل: نكل الله به نكال الآخرة والأولى والنكال بمعنى التنكيل، كالسلام بمعنى التسليم. يعني الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة. وعن ابن عباس: نكال كلمتيه الآخرة[1]، وهي قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ والأولى وهي قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٢٨]، وقيل: كان بين الكلمتين أربعون سنة. وقيل عشرون.

﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

الخطاب لمنكري البعث، يعني ﴿أَأَنتُمْ﴾ أصعب ﴿خَلْقًا﴾ وإنشاء ﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾ ثم بين كيف خلقها فقال ﴿بَنَاهَا﴾ ثم بين البناء فقال ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدًا رفيعًا مسيرة خمسمائة عام ﴿فَسَوَّاهَا﴾ فعدلها مستوية ملساء، ليس فيها تفاوت ولا فطور. أو فتممها بما علم أنها تتم به وأصلحها، من قولك: سوى فلان أمر فلان. غطش الليل وأغطشه الله، كقولك: ظلم وأظلمه. ويقال أيضًا: أغطش الليل، كما يقال أظلم ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ وأبرز ضوء شمسها، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾﴾ [الشمس: ١]، يريد وضوئها. وقولهم: وقت الضحى، للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها؛ وأضيف الليل والشمس إلى السماء، لأن الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها[2] ﴿مَاءَهَا﴾ عيونها المتفجرة بالماء ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ ورعيها، وهو في الأصل موضع الرعي. ونصب الأرض والجبال بإضمار «دحا» و«أرسى» وهو الإضمار على شريطة

---

(١) قال محمود: «وقوله: (نكال الآخرة والأولى) يعني الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة... إلخ» قال أحمد: فعلى الأول يكون قريبًا من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ لأن الآخرة والأولى صفتان للكلمتين؛ وعلى الثاني لا يكون كذلك.

(٢) قوله: «هي السراج المثقب في جوها» في الصحاح «ثقبت النار»: إذا اتقدت. وأثقبتها أنا. (ع)

التفسير. وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء. فإن قلت: هلا أدخل حرف العطف على أخرج[1]؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون معنى ﴿دَحَنهَآ﴾ بسطها ومهدها للسكنى، ثم فسر التمهيد بما لا بدّ منه في تأتي سكناها، من تسوية أمر المأكل والمشرب؛ وإمكان القرار عليها، والسكون بإخراج الماء والمرعى، وإرساء الجبال وإثباتها أوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها. والثاني: أن يكون ﴿وَأَخْرَجَ﴾ حالاً بإضمار «قد» كقوله: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] وأراد بمرعاها: ما يأكل الناس والأنعام. واستعير الرعي للإنسان كما استعير/ ٢/ ٢٥٣أ الرتع في قوله: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢] وقرئ: نرتع، من الرعي؛ ولهذا قيل: دلّ اللّه سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الأرض حتى الملح، لأنه من الماء ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ فعل ذلك تمتيعًا لكم ﴿وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ لأن منفعة ذلك التمهيد واصلة إليهم وإلى أنعامهم.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ الداهية التي تطم على الدواهي، أي: تعلو وتغلب. وفي أمثالهم: جرى الوادي فطمّ على القرى، وهي القيامة لطمومها على كل هائلة. وقيل: هي النفخة الثانية. وقيل: الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ﴾ بدل من إذا جاءت، يعني: إذا رأى أعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها، كقوله: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، و﴿مَا﴾ في ﴿مَا سَعَىٰ﴾ موصولة، أو مصدرية ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ أظهرت وقرأ أبو نهيك: وبرزت ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ للرائين جميعًا، أي: لكل أحد، يعني: أنها تظهر إظهارًا بينا مكشوفًا[2]، يراها أهل الساهرة كلهم، كقوله: قد بين الصبح لذي عينين، يريد: لكل من له بصر؛ وهو مثل في الأمر المنكشف الذي لا يخفى على أحد وقرأ ابن مسعود «لمن رأى» وقرأ عكرمة «لمن ترى» والضمير للجحيم، كقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان: ١٢] وقيل: لمن ترى يا محمد.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾

---

(١) قال محمود: «فإن قلت هلا أدخل العاطف على أخرج... إلخ» قال أحمد: والأول أحسن، وهو مناسب لقوله: (السماء بناها)، لأنه لما قال: (أأنتم أشد خلقًا أم السماء) تم الكلام، لكن مجملاً؛ ثم بين التفاوت ففسر كيف خلقها فقال: (بناها)، بغير عاطف: ثم فسر البناء فقال: (رفع سمكها)، بغير عاطف أيضًا.

(٢) قال محمود: «يعني أظهرت إظهارًا بيّنًا مكشوفًا... إلخ» قال أحمد: وفائدة هذا النظم الإشعار بأنه أمر ظاهر لا يتوقف إدراكه إلا على البصر خاصة، أي: لا شيء يحجبه ولا بعد يمنع رؤيته، ولا قرب مفرط، إلى غير ذلك من موانع الرؤية.

﴿فَأَمَّا﴾ جواب ﴿فإذا﴾ أي: فإذا جاءت الطامّة فإنّ الأمر كذلك والمعنى: فإنّ الجحيم مأواه، كما تقول للرجل: غض الطرف، تريد: طرفك، وليس الألف واللام بدلاً من الإضافة، ولكن لما علم أنّ الطاغى هو صاحب المأوى، وأنه لا يغض الرجل طرف غيره: تركت الإضافة؛ ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف، لأنهما معروفان، و﴿هِيَ﴾ فصل أو مبتدأ.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ﴾ الأمارة بالسوء ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على إيثار الخير. وقيل: الآيتان نزلتا في أبي عزير بن عمير ومصعب بن عمير، وقد قتل مصعب أخاه أبا عزير يوم أحد، ووقى رسول الله ﷺ بنفسه حتى نفذت المشاقص(١) في جوفه (١٧٠٦).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى إرساؤها، أي إقامتها، أرادوا: متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها؟ وقيل أيان منتهاها ومستقرّها(٢)، كما أنّ مرسى السفينة مستقرّها، حيث تنتهي إليه ﴿فِيمَ أَنتَ﴾ في أي شيء أنت(٣) من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به، يعني: ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء. وعن عائشة رضي الله عنها: لم يزل رسول الله ﷺ يذكر الساعة ويسأل

١٧٠٦ ـ بيض له الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٥٠) وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده انتهى.

---

(١) قوله: «حتى نفذت المشاقص» جمع مشقص: وهو السهم الطويل العريض. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «مرساها أي مستقرها... إلخ» قال أحمد: وفيه إشعار بثقل اليوم، كقوله: (ويذرون وراءهم يومًا ثقيلاً) ألا تراهم لا يستعملون الإرساء إلا فيما ثقل كمرسى السفينة وإرساء الجبال.

(٣) قال محمود: «(ومعنى (فيم أنت) أي: في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها... إلخ» قال أحمد: وفي هذا الوجه نظر؛ فإن الآية الأخرى ترده، وهي قوله: (يسئلونك كأنك حفي عنها) أي: أنك لا تحتفي بالسؤال عنها ولا تهتم بذلك، وهم يسألونك كما يسأل الحفي عن الشيء، أي: الكثير السؤال عنه، فالوجه الأول أصوب.

أخرجه إسحق في مسنده وابن مردويه من طريقه أخبرنا ابن عتبة عن الزهري عن عروة عنها بهذا. ورواه الطبري عن يعقوب عن إبراهيم عن ابن عتبة مثله. قال الحاكم بعد أن أخرجه من طريق ابن عتبة: لم يخرجاه لأن ابن عتبة كان يرسله. وقال ابن أبي حاتم عن أبي زرعة: الصحيح مرسل. وأخرجه عبد الرزاق عن ابن عتبة مرسلاً وقال الدارقطني أسنده ابن عتبة مرة وأرسله أخرى.

عنها حتى نزلت (١٧٠٧)، فهو على هذا تعجب[1] من كثرة ذكره لها، كأنه قيل: في أي شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها. والمعنى: أنهم يسألونك عنها، فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها، ثم قال ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ ﴿٤٤﴾﴾ أي منتهى علمها لم يؤت علمها أحدًا من خلقه. وقيل: ﴿فِيمَ﴾ إنكار لسؤالهم[2]، أي فيم هذا السؤال، ثم قيل: أنت من ذكراها، أي: إرسالك وأنت خاتم الأنبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة[3] ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها، فكفاهم بذلك دليلا على دنوّها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها، ولا معنى لسؤالهم عنها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ أي: لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه، وإنما بعثت لتنذر من أهوالها من يكون من إنذارك لطفًا له في الخشية منها. وقرئ: منذر، بالتنوين، وهو الأصل؛ والإضافة تخفيف، وكلاهما يصلح للحال والاستقبال؛ فإذا أريد الماضي فليس إلا الإضافة؛ كقولك: هو منذر زيد أمس، أي: كأنهم لم يلبثوا في الدنيا، وقيل: في القبور

١٧٠٧ ـ أخرجه النسائي في «تفسيره» (٦٦٥) والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٣١) والطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٨٧) رقم (٨٢١٠) من حديث طارق بن شهاب وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٦) وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه.
وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٧٤): وهذا إسناد جيد قوي.
وللحديث شاهد من حديث عائشة.
أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٣) والطبري (٣٠/ ٣١) والبزار (٢٢٧٩ ـ كشف) من طريق ابن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة به.
وقال البزار: لا نعلم رواه هكذا إلا سفيان وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فإن ابن عيينة كان يرسله بآخره وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٣٦) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.
ورجح أبو زرعة المرسل كما في «العلل» (١٦٩٣).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه إسحاق في مسنده وابن مردويه من طريقه أخبرنا ابن عتبة، عن الزهري، عن عروة عنها بهذا. رواه الطبري عن يعقوب، عن إبراهيم، عن ابن عتبة مثله. قال الحاكم بعد أن أخرجه من طريق ابن عتبة: لم يخرجاه لأن ابن عتبة كان يرسله. وقال ابن أبي حاتم عن أبي زرعة: الصحيح مرسل. وأخرجه عبد الرازق عن ابن عتبة مرسلاً وقال الدارقطني أسنده ابن عتبة مرة وأرسله أخرى. انتهى.

---

(١) قوله: «فهو على هذا تعجب» لعلَّه: تعجيب. (ع)
(٢) قال محمود: «وقيل (فيم) إنكار لسؤالهم، أي: فيم هذا السؤال... إلخ» قال أحمد: فعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله (فيم) ليفصل بين الكلامين.
(٣) قوله: «في نسم الساعة» في الصحاح «نسم الريح»: أولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد. ومن الحديث «بعثت في نسم الساعة» أي: حين ابتدأت وأقبلت أوائلها. (ع)

﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ فإن قلت: كيف صحت إضافة الضحى إلى العشية؟ قلت: لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد. فإن قلت: فهلا قيل: إلا عشية أو ضحى وما فائدة الإضافة؟ قلت: الدلالة على أن مدّة لبثهم كأنها لم تبلغ يومًا كاملًا، ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه؛ فلما ترك اليوم أضافه إلى عشيته، فهو كقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

عن رسول اللّه ﷺ: «من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة» (١٧٠٨).

١٧٠٨ ـ تقدم تخريجه برقم (٣٤٦) وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة عبس

مكية، وآياتها ٤٢/٢/٢٥٣ب وقيل ٤١

[نزلت بعد النجم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾

أتى رسول الله ﷺ ابن أمّ مكتوم[(١)] ـ وأمّ مكتوم أمّ أبيه، واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي ـ وعنده صناديد قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام. والعباس بن عبد المطلب، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة، يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم ـ فقال: يا رسول الله،

---

(١) ذكر الزمخشري سبب نزول الآية، وهو أن ابن أم مكتوم الأعمى. . . إلخ. قال أحمد: وإنما أخذ الإختصاص من تصدير الجملة بضمير المخاطب وجعله مبتدأ مخبرًا عنه وهو كثيرًا ما يتلقى الاختصاص من ذلك؛ ولقد غلط في تفسير الآية، وما كان له أن يبلغ ذلك.
ذكره الثعلبي بلا إسناد، وأخرجه ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه دون قوله: «صناديد قريش» ودون سياق نسب أم مكتوم. وكذا أخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة. قال: ذكره لنا فذكره. وبهذا الإسناد أن النبي ﷺ استخلفه بعد ذلك على المدينة مرتين يصلي بأهلها. ورواه الترمذي والحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها نحوه.
(تنبيه) النسب الذي ساقه في غاية التخليط، يظهر لمن له أدنى إلمام بالأخبار والأنساب. قال ابن سعد: أما أهل المدينة فيقولون اسمه عبد الله. وأما أهل العراق وهشام الكلبي فيقولون اسمه عمرو ثم أجمعوا على نسبه. فقالوا: ابن قيس بن زياد بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص ابن عامر بن لؤي. وأمه عاتكة هي أم مكتوم بنت عبد الله بن عامر بن مخزوم. وقال ابن سعد: أخبرنا يزيد بن هارون. أخبرنا جويبر عن الضحاك. قال: «كان النبي ﷺ تصدّى لرجل من قريش يدعوه إلى الإسلام فأقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى، فجعل يسأل رسول الله ﷺ وهو يعرض عنه ويعبس في وجهه، ويقبل على الآخر. فعاتب الله رسوله فقال: ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ الآيات فدعاه رسول الله ﷺ فأكرمه واستخلفه على المدينة مرتين».

أقرئني وعلمني مما علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه، وعبس وأعرض عنه، فنزلت فكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول إذا رآه: مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرتين (١٧٠٩)؛ وقال أنس: رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء (١٧١٠). وقرئ: عبس، بالتشديد للمبالغة؛ ونحوه: كلح في كلح ﴿أَن جَآءَهُ﴾ منصوب بتولى، أو بعبس، على اختلاف المذهبين. ومعناه: عبس، لأن جاءه الأعمى. أو أعرض لذلك. وقرئ: آن جاءه، بهمزتين وبألف بينهما، ووقف على ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ ثم ابتدىء، على معنى: ألأن جاءه الأعمى فعل ذلك إنكارًا عليه. وروي أنه ما عبس بعدها في وجه فقير قط، ولا تصدى لغني. وفي الإخبار عما فرط منه، ثم الإقبال عليه بالخطاب: دليل على زيادة الإنكار، كمن يشكو إلى الناس جانيًا جنى عليه، ثم يقبل على الجاني إذا حمي في الشكاية مواجهًا له بالتوبيخ وإلزام الحجة. وفي ذكر الأعمى نحو من ذلك، كأنه يقول: قد استحق عنده العبوس والإعراض لأنه أعمى، وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفا وترؤفًا وتقريبًا وترحيبًا، ولقد تأدّب الناس بأدب الله في هذا تأدبًا حسنًا؛ فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله أنّ الفقراء كانوا في مجلسه أمراء ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ وأي شيء يجعلك داريًا بحال هذا الأعمى؟ ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوضار الإثم «﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ أو يتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ ذكراك، أي: موعظتك؛ وتكون له لطفًا في بعض الطاعات. والمعنى: أنك لا تدري ما هو مترقب منه، من تزكّ أو تذكر، ولو دريت لما فرط ذلك منك. وقيل: الضمير في ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ للكافر. يعني أنك طمعت في أن يتزكى بالإسلام، أو يتذكر فتقرّبه الذكرى إلى قبول الحق؛ وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن. وقرئ: فتنفعه، بالرفع عطفًا على يذكر. وبالنصب جوابًا للعلّ، كقوله: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٧]، ﴿تَصَدَّىٰ﴾ تتعرض بالإقبال عليه، والمصاداة، المعارضة؛ وقرئ:

١٧٠٩ ـ ورد هذا من طرق متعددة.

فأخرجه الطبري (٣٦٣١٩) وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (١٥٦/٤) من طريق محمد بن سعد، ثنا أبي ثنا عمي ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس فذكره.

وأخرجه الطبري (٣٦٣٢٢) من طريق يزيد بن هارون ثنا سعيد عن قتادة به.

وأخرجه الترمذي (٤٣٢/٥) كتاب التفسير: باب ومن سورة عبس حديث (٣٣٣١) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

١٧١٠ ـ أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٨/٢) عن معمر عن قتادة، عن أنس به.

ـ وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق عن مصر، عن قتادة: أخبرني أنس بهذا أو كذا رواه أبو يعلى والطبري من رواية قتادة عن أنس رضي الله عنه. انتهى.

تصدى، بالتشديد، بإدغام التاء في الصاد. وقرأ أبو جعفر: تصدى، بضم التاء، أي: تعرّض. ومعناه: يدعوك داع إلى التصدي له: من الحرص والتهالك على إسلامهُ، وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿يَسْعَىٰ﴾ يسرع في طلب الخير ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩﴾ الله أو يخشى الكفار، وأذاهم في إتيانك. وقيل: جاء وليس معه قائد، فهو يخشى الكبوة ﴿تَلَهَّىٰ﴾ تتشاغل، من لهى عنه. والتهى. وتلهى. وقرأ طلحة بن مصرف: «تتلهى»، وقرأ أبو جعفر: تلهى، أي: يلهيك شأن الصناديد، فإن قلت: قوله: ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾، (فأنت عنه تلهى) كأن فيه اختصاصًا قلت: نعم، ومعناه: إنكار التصدي والتلهي عليه، أي: مثلك خصوصًا لا ينبغي له أن يتصدى للغنيّ ويتلهى عن الفقير.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن المعاتب عليه، وعن معاودة مثله ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي موعظة يجب الاتعاظ والعمل بموجبها ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ أي كان حافظًا له غير ناس، وذكر الضمير لأنّ التذكرة في معنى الذكر والوعظ ﴿فِى صُحُفٍ﴾ صفة لتذكرة، يعني: أنها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السماء. أو مرفوعة المقدار ﴿مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ منزهة عن أيدي الشياطين، لا يمسها إلا أيدي ملائكة مطهرين ﴿سَفَرَةٍ﴾(١) كتبة ينتسخون الكتب من اللوح ﴿بَرَرَةٍ﴾ أتقياء. وقيل: هي صحف الأنبياء كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨﴾ [الأعلى: ١٨] وقيل السفرة: القرّاء. وقيل: أصحاب رسول الله ﷺ.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣﴾

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ دعاء عليه، وهي من أشنع دعواتهم(٢) لأنّ القتل قصارى شدائد الدنيا

---

(١) قوله: ««سفرة» في الصحاح: واحدهم سافر، ككافر وكفرة. (ع)

(٢) قال محمود: «دعاء عليه وهو من أشنع دعائهم... إلخ» قال أحمد: ما رأيت كاليوم قط عبدًا ينازع ربه، الله تعالى يقول: (ثم شققنا) فيضيف فعله إلى ذاته حقيقة، كما أضاف بقية أفعاله من عند قوله: (من نطفة خلقه) وهلم جرا. والزمخشري يجعل الإضافة مجازية من باب إسناد الفعل إلى سببه، فيجعل إضافة الفعل إلى الله تعالى من باب إضافة الشق إلى الحراث؛ لأنه السبب. قتل القدري ما أكفره على قول؛ وما أضله على آخر؛ وإذا جعل شق الأرض مضافًا إلى الحراث حقيقة، وإلى الله مجازًا، فما يمنعه أن يجعل الحراث هو الذي صبب الماء وأنبت الحب، والعشب والقضب: حقيقة؛ وهل هما إلا واحد.

وفظائعها. و﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ تعجب[1] من إفراطه في كفران نعمة الله، ولا ترى أسلوبًا أغلظ منه، ولا أخشن مسًا، ولا أدل على سخط، ولا أبعد شوطًا في المذمة، مع تقارب طرفيه، ولا أجمع للأئمة على قصر متنه ثم أخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه، إلى أن انتهى وما هو مغمور فيه من أصول/ ٢/ ٢٥٤أ النعم وفروعها. وما هو غارز فيه رأسه من الكفران والغمط[2] وقلة الالتفات إلى ما يتقلب فيه وإلى ما يجب عليه من القيام بالشكر ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ من أي شيء حقير[3] مهين خلقه، ثم بين ذلك الشيء بقوله: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ فهيأه لما يصلح له ويختص به. ونحوه ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢]، نصب السبيل بإضمار «يسر» وفسره بيسر والمعنى: ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمّه. أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر بإقداره وتمكينه، كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣] وعن ابن عباس رضي الله عنهما: بين له سبيل الخير والشر ﴿فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له، ولم يجعله مطروحًا على وجه الأرض جزرًا للسباع والطير كسائر الحيوان. يقال: قبر الميت إذا دفنه. وأقبره الميت. إذا أمره أن يقبره ومكنه منه. ومنه قول من قال للحجاج: أقبرنا صالحًا ﴿أَنشَرَهُۥ﴾ أنشأه النشأة الأخرى. وقرئ: نشره، ﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عما هو عليه ﴿لَمَّا يَقۡضِ﴾ لم يقض بعد، مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم إلى هذه الغاية ﴿مَآ أَمَرَهُۥ﴾ الله حتى يخرج عن جميع أوامره، يعني: أنّ إنسانًا لم يخل من تقصير قط.

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾﴾

ولما عدد النعم في نفسه: أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه، فقال: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ إلى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا أمره ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ﴾ يعني الغيث. قرئ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح على البدل من الطعام، وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما «أنى صببنا» بالإمالة على معنى: فلينظر الإنسان كيف صببنا الماء. وشققنا: من شق الأرض بالنبات ويجوز أن يكون من شقها بالكراب على[4] البقر؛ وأسند الشق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب. والحب: كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما.

---

(١) قوله: «تعجب من إفراطه» لعله: تعجيب. (ع)

(٢) قوله: «من الكفران والغمط» بطر النعمة وتحقيرها. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله: «من أي شيء خلقه من أي شيء حقير» لعله: أي من شيء... إلخ». (ع)

(٤) قوله: «من شقها بالكراب» في الصحاح: كربت الأرض، إذا قلبتها للحرث. (ع)

والقضب: الرطبة[1] والمقضاب: أرضه، سمي بمصدر قضبه إذا قطعه؛ لأنه يقضب مرّة بعد مرّة ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠﴾ يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء، فيريد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها، كما تقول: حديقة ضخمة، وأن يجعل شجرها غلبًا، أي: عظامًا غلاظًا. والأصل في الوصف بالغلب: الرقاب؛ فاستعير. قال عمرو بن معد يكرب [من الكامل]:

يَمْشِي بِهَا غُلْبُ الرِّقَابِ كَأَنَّهُمْ ... بُزْلٌ كُسِينَ مِنَ الْكُحَيْلِ جِلَالَا[2]

والأب: المرعى، لأنه يؤبّ أي يؤم وينتجع. والأبّ والأمّ أخوان قال [من الرمل]:

جِذْمُنَا قَيْسٌ وَنَجْدٌ دَارُنَا ... وَلَنَا الأَبُّ بِهِ وَالْمَكْرَعُ[3]

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الأبّ فقال: أيّ سماء تظلني، وأيّ أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به (١٧١١). وعن عمر رضي الله عنه: أنه قرأ هذه الآية فقال: كل هذا قد عرفنا، فما الأب؟ ثم رفض عصًا كانت بيده وقال:

١٧١١ - رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٣٦) رقم (٣٠١٠٧) وعزاه الزيلعي (٤/ ١٥٨) لعبد بن حميد في تفسيره ومن طريقه الثعلبي في تفسيره.
ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٣٣) رقم (١٥٦١).
وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٢) وعزاه لأبي عبيد في فضائل القرآن له.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن. حدثنا محمد بن يزيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر رضي الله عنه سئل عنه فذكره ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد من هذا الوجه. وهذا منقطع. ورواه يحيى الحماني وابن عبد البر في العلم من طريقه من رواية إبراهيم النخعي عن أبي معمر عن أبي بكر فذكره. انتهى.

---

(١) قوله: «والقضب الرطبة» في الصحاح «القضبة، والقضب» الرطبة. وفيه أيضًا «الرطبة» بالفتح: القضب اهـ وفيه دور. وقال بعض الفضلاء «القضب»: هو المسمى في مصر بالبرسيم الحجازي. (ع)

(٢) لعمرو بن معد يكرب. ويقال: أسد أغلب، أي: غليظ العنق، والغلب: جمعه، ثم استعير لكل غليظ والبزل: جمع بازل للمذكر والمؤنث من الإبل إذا انفطر نابه، وذلك في السنة التاسعة: والكحيل: القطران. والجلال: جمع جل: يصف مفازة تمشي فيها أسود غلاظ الأعناق، كأنها فتيات من الإبل دهنت بالقطران حتى صار عليها كالجلال، فكسين: استعارة مصرحة، والجلال: ترشيح. ويروى: كأنهم، باستعارة ضمير العقلاء لغيرهم.
ينظر: القرطبي ١٩/ ١٤٤، الدر المصون ٦/ ٤٨١.

(٣) الجذم - بالكسر وقد يفتح: الأصل الذي يقتطع منه غيره. والأب والأم - بالفتح والتشديد - بمعنى المرعى، لأنه يؤب ويؤم، أي: يقصد. والمكرع: المنهل. يقول: نحن من قبيلة قيس ونجد هي ديارنا، ولنا به أي في نجد المرعى والمروى. وفيه تمدح بالشرف والشجاعة على غيره.
ينظر: لسان العرب (أبب)، وجمهرة اللغة ص ٥٣، ومقاييس اللغة ١/ ٦، وتهذيب اللغة ١٥/ ٥٩٩، وتاج العروس (أبب).

هذا لعمر الله التكلف، وما عليك يا ابن أمّ عمر أن لا تدري ما الأب، ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب، وما لا فدعوه (١٧١٢) فإن قلت: فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته. قلت: لم يذهب إلى ذلك، ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل، وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفًا عندهم؛ فأراد أنّ الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره، وقد علم من فحوى الآية أنّ الأب بعض ما أنبته الله للإنسان متاعًا له أو لإنعامه، فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله ـ على ما تبين لك ولم يشكل ـ مما عدّد من نعمه، ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له، واكتف بالمعرفة الجميلة إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت، ثم وصى الناس بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

يقال: صخّ لحديثه، مثل: أصاخ له، فوصفت النفخة بالصاخة مجازًا؛ لأن الناس يصخون لها ﴿يَفِرُّ﴾ منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه، ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئًا؛ وبدأ بالأخ، ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب؛ كأنه قال: يفرّ من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبته وبنيه. وقيل: يفرّ منهم حذرًا من مطالبتهم بالتبعات. يقول الأخ: لم تواسني بمالك. والأبوان: قصرت في برنا. والصاحبة: أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت. والبنون: لم تعلمنا ولم ترشدنا، وقيل: أوّل

١٧١٢ ـ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٢٤) الحديث (٢٢٨١) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٤) بنفس الإسناد وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي ورواه ابن جرير الطبري (١٢/ ٤٥١) بألفاظ وأسانيد مختلفة رقم (٣٦٣٦٧ ـ ٣٦٣٧١) وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٢) وعزاه لسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والخطيب.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الطبري والطبراني في مسند الشاميين من طريق ابن وهب عن يونس وعمرو بن الحارث. ورواه الحاكم والبيهقي في الشعب في التاسع عشر من طريق صالح بن كيسان: وابن مردويه من رواية شعيب كلهم عن الزهري. «أن إنسانًا أخبره أنه سمع عمر فذكره». وله طريق أخرى من رواية حميد عن أنس أخرجها الحاكم. وروى الحاكم أيضًا من وجه آخر عن عمر رضي الله عنه أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن الآية فقال: هو نبت الأرض مما تأكله الدواب والأنعام. ولا يأكله الناس. انتهى.

من يفرّ من أخيه/ ٢/ ٢٥٤ب: هابيل؛ ومن أبويه: إبراهيم ومن صاحبته: نوح ولوط؛ ومن ابنه نوح ﴿يُغْنِيهِ﴾ يكفيه في الاهتمام به. وقرئ «يعنيه» أي يهمه ﴿مُّسْفِرَةٌ﴾ مضيئة متهللة، من أسفر الصبح: إذا أضاء وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما: من قيام الليل؛ لما روي في الحديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» (١٧١٣) وعن الضحاك: من آثار الوضوء. وقيل: من طول ما اغبرت في سبيل الله ﴿غَبَرَةٌ﴾ غبار يعلوها ﴿قَتَرَةٌ﴾ سواد كالدخان؛ ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه، كما ترى من وجوه الزنوج إذا اغبرت؛ وكأن الله عز وجل يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة، كما جمعوا الفجور إلى الكفر.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر» (١٧١٤).

١٧١٣ ـ قال الحافظ: تقدم في سورة الفتح. انتهى.

١٧١٤ ـ تقدم برقم (٣٤٦). قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة التكوير

مكية، وآياتها ٢٩

[نزلت بعد المسد]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾

في التكوير وجهان: أن يكون من كوّرت العمامة إذا لففتها، أي: يلف ضوءها لفًا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق، وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها؛ لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطًا غير ملفوف. أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها؛ لأنّ الثواب إذا أريد رفعه لفّ وطوي؛ ونحوه قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] أن يكون من طعنه فجوّره وكوّره: إذا ألقاه، أي: تلقى وتطرح عن فلكها، كما وصفت النجوم بالانكدار، فإن قلت: ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية؟ قلت: بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كوّرت؛ لأنّ «إذا» يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط ﴿انكَدَرَتْ﴾ انقضت قال [من الرجز]:

أَبْصَرَ خِرْبَانَ فَضَاءٍ فَانْكَدَرْ[1]

---

(١) إذا الكرام ابتدروا الباع بدر ... تقضي البازي إذا البازي كسر
دانى جناحيه من الطود فمر ... أبصر خربان فضاء فانكدر

للعجاج يمدح عمر بن عبيد الله التميمي. والباع بالمهملة: قدر مد اليدين، والمراد به الكرم مجازًا. وبدر: أسرع وغلب الكرام. وتقضى: نصب به، وأصله: تقضض، أبدل الثاني حرف علة وكسر الأول، أي: أمال جناحيه وداناهما من الجبل العظيم، ومر: سار على وجه الجبل ـ وخربان ـ جمع خرب ـ: طائر يقال له الحبارى، وهو مضاف لفضاء، فانكدر: أي انقض وسقط عليها ليأكلها.
ويروى صدر هذا الرجز:

=

ويروى في الشمس والنجوم: أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ﴿سُيِّرَتْ﴾ أي على وجه الأرض وأبعدت. أو سيرت في الجوّ تسيير السحاب كقوله ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل: ٨٨] والعشار في جمع عشراء، كالنفاس في جمع نفساء: وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر، ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة، وهي أنفس ما تكون عند أهلها وأعزها ﴿عُطِّلَتْ﴾ تركت مسيبة مهملة. وقيل: عطلها أهلها عن الحلب والصر، لاشتغالهم بأنفسهم وقرئ: عطلت، بالتخفيف ﴿حُشِرَتْ﴾ جمعت من كل ناحية. قال قتادة: يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص. وقيل: إذا قضى بينها ردّت ترابًا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته. كالطاووس ونحوه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: حشرها موتها. يقال: إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة. وقرئ: حشرت، بالتشديد ﴿سُجِّرَتْ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد، من سجر التنور: إذا ملأه بالحطب، أي: ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرًا واحدًا. وقيل: ملئت نيرانًا تضطرم لتعذيب أهل النار. وعن الحسن: يذهب ماؤها فلا تبقى فيها قطرة ﴿زُوِّجَتْ﴾ قرنت كل نفس بشكلها وقيل: قرنت الأرواح بالأجساد. وقيل بكتبها وأعمالها. وعن الحسن هو كقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾ [الواقعة: ٧] وقيل: نفوس المؤمنين بالحور، ونفوس الكافرين بالشياطين وأد يئد مقلوب من آد يؤد: إذا أثقل. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لأنه إثقال بالتراب: كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها: ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية؛ وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها: طيبيها وزينيها، حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئرًا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من خلفها

= لقد سما ابن معمر حين اعتمر مغزى بعيدًا من بعيد وضبر

تقضي البازي... الخ. واعتمر: أي زار. والمغزى: مكان الغزو. وضبره ضبرًا: جمعه جمعًا. يقول: ارتفع قدره حين غزا موضعًا بعيدًا من الشام، وجمع لذلك جيشًا عظيمًا، وأسرع كإسراع البازي إلى الحبارى: بالغ في وصف البازي تصويرًا لحال المشبه، ومبالغة في مدحه.

ينظر: ديوانه ١/ ٤٢، ٤٣، ولسان العرب (ضبر)، (ظفر)، (عمر)، وأدب الكاتب ص ٤٨٧، والأشباه والنظائر ١/ ٤٨، وإصلاح المنطق ص ٣٠٢، والدرر ٦/ ٢٠، وشرح المفصّل ١٠/ ٢٥، والممتع في التصريف ١/ ٣٧٤، والتنبيه والإيضاح ٢/ ١٥٨، وتاج العروس (ضبر)، (ظفر)، (عمر)، (كدر)، (كسر)، (قضض)، (بوع)، (قضي)، وديوان الأدب ٢/ ١٥٦، ١٥٨، ٤/ ١٣٢، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٩، وبلا نسبة في الخصائص، ٢/ ٩٠، وشرح الأشموني ٣/ ٨٧٩، والمقرب ٢/ ١٧١، وهمع الهوامع ٢/ ١٥٧، ومقاييس اللغة ٤/ ٢١، والمخصّص ٨/ ١٣٢، ٩/ ١٤٣، ١١/ ١٢، ١٢/ ٣٠١، ١٣/ ٢٨٩، وديوان الأدب ٢/ ٤٠٢، وتاج العروس (خرب)، وتهذيب اللغة ٨/ ٢٥٢.

ويهيل عليها التراب، حتى تستوي البئر بالأرض. وقيل: كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة؛ فإذا ولدت بنتًا رمت بها في الحفرة، وإن ولدت ابنًا حبسته فإن قلت: ما حملهم على وأد/ ٢/ ٢٥٥أ البنات؟ قلت: الخوف من لحوق العار بهم من أجلهنّ. أو الخوف من الإملاق، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، وكانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به، فهو أحق بهنّ. وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد؛ فبه افتخر الفرزدق في قوله [من المتقارب]:

وَمِـنَّـا الَّـذِي مَـنَـعَ الْـوَائِـدَاتِ فَـأَحْـيَـا الْـوَئِـيـدَ فَـلَـمْ تُـوأَدِ[1]

فإن قلت: فما معنى سؤال الموؤودة عن ذنبها الذي قتلت به؛ وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها؟ قلت: سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ إلى قوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقرئ: سألت، أي: خاصمت عن نفسها، وسألت الله أوقاتلها؛ وإنما قيل ﴿قُتِلَتْ﴾ بناء على أن الكلام إخبار عنها؛ ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت. فقيل: قتلت أو كلاهما حين سئلت لقيل: قتلت. وقرأ ابن عباس رضي عنهما: قتلت، على الحكاية وقرئ: قتلت، بالتشديد، وفيه دليل بين على أن أطفال المشركين لا يعذبون، وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب، وإذا بكت الله الكافر ببراءة الموؤدة من الذنب: فما أقبح به، وهو الذي لا يظلم مثقال ذرّة أن يكرّ عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد السرمد، وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما أنه سئل عن ذلك، فاحتجّ بهذه الآية «نشرت» قرئ بالتخفيف والتشديد، يريد: صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته، ثم تنشر إذا حوسب. عن قتادة: صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك، ثم تنشر يوم القيامة، فلينظر رجل ما يملى في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال: إليك يساق الأمر يا ابن آدم. وعن النبي ﷺ أنه قال: «يحشر الناس عراة حفاة» فقالت أمّ سلمة: كيف بالنساء؟ فقال: شغل الناس يا أمّ سلمة قالت: وما شغلهم؟ قال: نشر الصحف فيها مثاقيل الذرّ ومثاقيل

---

(١) للفرزدق، يفتخر بجده صعصعة: قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وقال: يا رسول الله، عملت أعمالاً في الجاهلية فهل لي فيها من أجر؟ فقال: وما عملت؟ قال: قد أحييت ثلاثًا وستين من الموؤدة أشتري الواحدة منهن بناقتين عشر أويتين وجمل، فقال ﷺ: هذا من باب البر ولك أجره إذ من الله عليك بالإسلام. ويقال: وأد بنته إذا دفنها وهي حية، وكانت كندة تفعل ذلك خوف العار والفقر. ويروى: فأحيا الوئيد وهي أوقع. والوئيد يقال للمفرد والجمع مذكرًا أو مؤنثًا. ويروى: وجدي، أي: هو الذي منع الجماعات الدافنات بناتهن حيات وفداهن من الموت، فكأنه أحياهن، فأطلق الوئيد على المشرفات على الموت مجازًا، والإحياء ترشيح.

الخردل» (١٧١٥) ويجوز أن يراد: نشرت بين أصحابها، أي فرقت بينهم. وعن مرثد بن وداعة: إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش، فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية، وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أي مكتوب فيها ذلك، وهي صحف غير صحف الأعمال ﴿كُشِطَتْ﴾ كشفت وأزيلت، كما يكشط الإهاب عن الذبيحة، والغطاء عن الشيء وقرأ ابن مسعود: قشطت، واعتقاب الكاف والقاف كثير. يقال: لبكت الثريد ولبقته، والكافور والقافور ﴿سُعِّرَتْ﴾ أوقدت إيقادًا شديدًا وقرئ: سعرت، بالتشديد للمبالغة. قيل: سعرها غضب الله تعالى وخطايا بني آدم ﴿أُزْلِفَتْ﴾ أدنيت من المتقين، كقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ [ق: ٣١]، قيل: هذه اثنتا عشرة خصلة. ستّ منها في الدنيا، وستّ في الآخرة. و ﴿عَلِمَتْ﴾ هو عامل النصب في ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ وفيما عطف عليه. فإن قلت: كل نفس تعلم ما أحضرت، كقوله: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا﴾ [آل عمران: ٣٠] لا نفس واحدة فما معنى قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾؟ قلت: هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه. ومنه قوله عز وجل: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر: ٢] ومعناه: معنى كم وأبلغ منه. وقول القائل [من البسيط]:

قَدْ أَتْرُكُ الْقِرْنَ مُصْفَرًّا أَنَامِلُهُ(1) ....

وتقول لبعض قوّاد العساكر: كم عندك من الفرسان؟ فيقول: ربّ فارس عندي. أو لا تعدم عندي فارسًا، وعنده المقانب(2): وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه. ولكنه أراد

١٧١٥ - عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف. وكذا ابن حجر للثعلبي في تفسيره وابن مردويه أيضًا وأصل الحديث عن عائشة.
رواه البخاري (١٣/ ١٨٨) كتاب الرقاق، باب الحشر الحديث (٦٥٢٧)، ومسلم (٩/ ٢١٠) كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر الحديث (٥٦/ ٢٨٥٩) والنسائي (٤/ ١١٥) كتاب الجنائز، باب البعث وابن ماجه (٢/ ١٤٢٩) كتاب الزهد، باب ذكر البعث الحديث (٤٢٧٦).
وروى الحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٤) عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ يبعث الناس حفاة عراة غرلاً يلجمهم العرق ويبلغ شحمة الأذن قالت قلت يا رسول الله واسوءتاه ينظر بعضنا إلى بعض قال شغل الناس عن ذلك وتلا رسول الله ﷺ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾... الآية».
وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ» ووافقه الذهبي قال الحافظ: أخرجه الثعلبي من طريق محمد بن أبي موسى عن عطاء بن يسار عن أم سلمة بهذا. وأصله في الصحيحين عن عائشة، وأخرجه الحاكم من حديث سودة. انتهى.

---

(1) تقدم.
(2) قوله: «وعنده المقانب في الصحاح «المقنب»: ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل. (ع)

إظهار براءته من التزيد، وأنه ممن يقلل كثير ما عنده، فضلا أن يتزيد، فجاء بلفظ التقليل، ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ قارئًا قرأها عنده، فلما بلغ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ قال: وانقطاع ظهرياه.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾

﴿الخنس﴾ الرواجع، بينا ترى النجم في آخر البرج إذ كرّ راجعًا إلى أوّله و﴿ٱلْجَوَارِ﴾ السيارة. و﴿ٱلْكُنَّسِ﴾[1] الغيب من كنس الوحشي: إذا دخل كناسه. قيل: هي الدراري

---

(١) تعرض الزمخشري في تفسيره للعامل الخ. قال أحمد: هذا الجواب لا يستمر، لأجل ظهور الفعل الثاني في قوله: (فلا أقسم بالخنس) ولما أعضل الجواب عن هذا السؤال في سورة التكوير: التزم الشيخ أبو عمرو بن الحاجب إجازة التعطف على عاملين، واتخذ هذه الآية وزره ومعضده في مخالفة سيبويه، ورد على الزمخشري جوابه في سورة والشمس وضحاها، لأنه لم يطرد له ههنا، وكان على رده يستحسن تيقظ فطنته في استنباطه؛ ونحن والله الموفق نلتزم مذهب سيبويه في امتناع العطف على عاملين في جعل الواو الثانية عاطفة، ويجري جواب الزمخشري ههنا وينفصل عن هذه الآية فنقول: قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ هذه الواو الأولى ابتداء قسم، والواو في قوله: (والصبح إذا تنفس) عاطفة فيطرد ما قال الزمخشري. فإن قيل: فقد خالفتم سيبويه، فإنه لا يرى الواو المتعقبة للقسم ابتداء قسم بل عاطفة، وقد جعلتم الواو الأولى وهي متعقبة للقسم ابتداء قسم؟ قلنا: إنما تكلم سيبويه في الواو المتعقبة للقسم بالواو وأما الآية فالقسم الأول فيها بالباء والفعل، فجعلنا الواو بعد ذلك قسمًا وتبعًا، وهو أبلغ؛ كأنه أقسم قسمين بشيئين مختلفين. فإن قيل: أجل. إنما تكلم سيبويه على الواو المتعقبة للقسم بالواو، فما الفرق بين المتعقبة للقسم بالواو والمتعقبة للقسم بالباء؟ وما هما إلا سواء، فإن كل واحد منهما آلة له، والتاء تدل على الباء فحكمهما واحد؟ قلنا: ليستا سواء فإن القسم متى صدر بالواو ولم يله واو أخرى، فجعلها قسمًا آخر فيه تكرار مستكره، إذ الآلة واحدة، ولا كذلك إذا اختلفت الآلة؛ فإن عاملة التكرار مأمونة إذا، ألا ترى أنه لو صدر القسم بالواو، ثم تلاه قسم الباء، لتحتم جعلهما قسمين مستقلين. فكذلك لو خولف هذا الترتيب. وأيضًا، فإنه إن كان المانع لسيبويه من جعل الواو الثانية قسمًا مستقلاً مجيء الجواب واحدًا، واحتياج الواو الأولى إلى محذوف، فالعطف يغني عن تقدير محذوف، فيتعين، فلا يلزم اطراد الياء لأنها أصل القسم لا سيما مع التصريح بفعل القسم ثم تأكيده بزيادة لا، فإن في مجموع ذلك ما يغني عن إفراده بجواب مذكور، ولا كذلك الواو فإنها ضعيفة المكنة في باب القسم بالنسبة إلى الباء، فلا يلزم من حذف جواب تمكنت الدلالة عليه حذف جواب دونه في الوضوح؛ وأختم الكلام على هذا السؤال بنكتة بديعة فأقول: إنما خصصت إيراد السؤال بالواو الثانية في قوله: (والليل إذا عسعس) دون الثالثة لأنه غير متوجه عليها. ألا تراك لو جعلتها عاطفة لم يلزمك العطف على عاملين، لأنك تجعلها نائبة عن الباء وتجعل إذا فيها منصوبة بالفعل مباشرة إذا لم يتقدم في جملة الفعل ظرف تعطف عليه إذا، فتصير بمثابة قولك: مررت بزيد وعمرو اليوم، فاليوم منصوب بالفعل مباشرة. وفهم من المثال أن مرورك بزيد مطلق غير مقيد بظرف، وإنما المقيد باليوم مرورك بعمرو خاصة لكن يطابق الآية: فإن الظرف فيها وإن عمل فيه الفعل مباشرة فهو مقيد للقسم بالليل، لا القسم بالخنس.

الخمسة: بهرام[1] وزحل، وعطارد، والزهرة، والمشتري، تجري مع الشمس والقمر، وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس، فخنوسها رجوعها: وكنوسها: اختفاؤها تحت ضوء الشمس. وقيل: هي جميع الكواكب، تخنس بالنهار فتغيب عن العيون، وتكنس بالليل: أي تطلع في أماكنها، كالوحش في كنسها، عسعس الليل وسعسع: إذا أدبر. قال العجاج [من الرجز]:

حَـتَّـى إِذَا الـصُّـبْـحُ لَـهَـا تَـنَـفَّـسَـا وَانْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسْعَسَا[2] / ٢/ ٢٥٥ب

وقيل عسعس: إذا أقبل ظلامه. فإن قلت: ما معنى تنفس الصبح؟ قلت: إذا أقبل الصبح: أقبل بإقباله روح ونسيم، فجعل ذلك نفسًا له على المجاز وقيل: تنفس الصبح.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿إِنَّهُ﴾ الضمير للقرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هو جبريل صلوات الله عليه[3] ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾

---

(١) قوله: «بهرام»: ليس بعربي، والمراد به: المريخ. (ع)

(٢) للعجاج. وتنفس الصبح: اتساع ضوئه، أو إقباله بضوء ونسيم. وضمير «لها» للشمس؛ وقيل: للمفازة. وانجاب: انقطع وانفصل عنها ظلام الليل. وعسعس: ولى مدبرًا وزال ظلامه، فهو توكيد لما قبله. ويجوز أن الضمير لبقرة وحشية مثلاً.
ينظر: القرطبي ١٩/ ١٥٥، البحر: ٨/ ٤٣٠ الدر المصون ٦/ ٤٨٧.

(٣) قال محمود: «المراد بالرسول الكريم: جبريل عليه السلام. وقوله: (عند ذي العرش) ليدل على عظم منزلته ومكانته. وثم إشارة إلى الظرف المذكور يعني عند ذي العرش. . . إلخ» قال أحمد: ما كان جبريل صلوات الله عليه يرضى منه هذا التفسير المنطوي على التقصير في حق البشير النذير عليه أفضل الصلاة والسلام، ولقد اتبع الزمخشري هواه في تمهيد أصول مذهبه الفاسد، فأخطأ على الأصل والفرع جميعًا؛ ونحن نبين ذلك بحول الله وقوته فنقول: أولاً اختلف أهل التفسير، فذهب منهم الجم الغفير إلى أن المراد بالرسول الكريم ههنا إلى آخر النعوت: محمد ﷺ، فإن يكن كذلك والله أعلم فذلك فضل الله المعتاد على نبيه، وإن كان المراد جبريل عليه السلام فقد اختلف الناس في المفاضلة بين الملائكة والرسل، والمشهور عن أبي الحسن: تفضيل الرسل. ومذهب المعتزلة: تفضيل الملائكة، إلا أن المختلفين أجمعوا على أنه لا يسوغ تفضيل أحد القبيلين الجليلين بما يتضمن تنقيص معين من الملائكة ومعين من الرسل؛ لأن التفضيل وإن كان ثابتًا إلا أن في التعيين إيذاء للمفضول؛ وعليه حمل الحذاق قوله ﷺ «لا تفضلوني على يونس بن متى» أي لا تعينوا مفضولاً على التخصيص؛ لأن التفضيل على التعميم ثابت بإجماع المسلمين، أي تفضيل النبي ﷺ على النبيين أجمعين، وكان جدي رحمه الله يوضح ذلك بمثال فيقول: لو قلت بحضرة جماعة من الفقهاء: فلان أفضل أهل عصره، لكان في الجماعة احتمال لهذا التفضيل وإن لزم اندراجهم في المفضولين، ولو عينت واحدًا منهم وقلت: فلان أفضل منك وأتقى لله، لأسرع به الأذى إلى بعضك. وإذا تقرر لك أنه لا يلزم من اعتقاد التفضيل على التعميم جواز إطلاق التفضيل على التخصيص، علمت أن الزمخشري أخطأ على أصله لأنه بتقدير أن تكون الملائكة أفضل كما يعتقد، لا يجوز أن يقال أحد من الملائكة على التخصيص أنه أفضل من أحد الأنبياء على التخصيص، لا =

كقوله تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٥ ـ ٦] لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن، قال: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ ليدل على عظم منزلته ومكانته ﴿ثَمَّ﴾ إشارة إلى الظرف المذكور، أعني: عند ذي العرش، على أنه عند الله مطاع في ملائكته المقرَّبين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه. وقرئ: ثم، تعظيمًا للأمانة. وبيانًا لأنها أفضل صفاته المعدودة.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما تبهته الكفرة[1]، وناهيك بهذا دليلًا على جلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة، ومباينة منزلته[2] أفضل الإنس محمد ﷺ، إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما، وقايست بين قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ وبين قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾.

= سيما في سيد ولد آدم عليه أفضل الصلاة والسلام؛ ثم يعود الكلام على الآية بعد تسليم أن المراد جبريل، وبعد أن نكله في تعيينه النبي ﷺ وعده مفضولاً إلى الله فنقول: لم يذكر فيها نعت إلا والنبي ﷺ مثله، أولها: رسول كريم، فقد قال في حقه ﷺ في آخر سورة الحاقة (إنه لقول رسول كريم) وقد قيل أيضًا: إن المراد جبريل، إلا أنه يأباه قوله: (وما هو بقول شاعر) وقد وافق الزمخشري على ذلك فيما تقدم، فهذا أول النعوت وأعظمها. وأما قوله: (ذي قوة) فليس محل الخلاف؛ إذ لا نزاع في أن لجبريل عليه السلام فضل القوة الجسمية ومن يقتلع المدائن بريشة من جناحه، لا مراء في فضل قوته على قوة البشر. وقد قيل هذا في تفسير قوله: (ذو مرة فاستوى) وقوله (عند ذي العرش مكين مطاع ثم) فقد ثبت طاعة الملائكة أيضًا لنبينا ﷺ. ورد أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: إن الله يقرئك السلام، وقد أمر ملك الجبال أن يطيعك عند ما آذته قريش فسلم عليه الملك وقال: إن أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت، فصبر النبي ﷺ واحتسب. وأعظم من ذلك وأشرف: مقامه المحمود في الشفاعة الكبرى يوم لا يتقدمه أحد، إذ يقول الله تعالى له: ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع. وأما (أمين) فقد قال وهو الصادق المصدوق: والله إني لأمين في الأرض أمين في السماء، وحسبك قوله: وما هو على الغيب بظنين. إن قرأته بالظاء فمعناه أنه ﷺ أمين على الغيب غير متهم، وإن قرأته بالضاد رجع إلى الكرم، فكيف يذهب إلى التفضيل بالنعوت المشتركة بين الفاضل والمفضول سواء؛ ومالي مباحثة في أصل المسألة، ولكن الرد عليه في خطئه على كل قول يتعين، وإلا فالمسألة في غير هذا الكتاب. فنسأل الله أن يثبتنا على الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله، وعلى القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يعمر قلوبنا بحبهم، وأن يجعل توسلنا إليه بهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) قوله: «كما تبهته الكفرة» أي تتهمه بما ليس فيه. (ع)

(٢) قوله: «ومباينة منزلته... إلخ» يعني ارتفاع منزلته على منزلة رسول الله ﷺ، وهو مبني على مذهب المعتزلة من تفضيل الملك على البشر. ومذهب أهل السنة: تفضيل رؤساء البشر. وإنما ذكر جبريل تلك الصفات واقتصر على نفي الجنون عن النبي ﷺ لأن جبريل مجهول لهم، بخلاف محمد ﷺ فإنه صاحبهم؛ ولذا اقتصر على نفي ما بهتوه به. (ع)

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ ولقد رأى رسول الله ﷺ جبريل ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ بمطلع الشمس الأعلى ﴿وَمَا هُوَ﴾ وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحي إليه وغير ذلك ﴿بِضَنِينٍ﴾ بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ: بضنين، من الضنّ وهو البخل أي: لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه؛ أو يسأل تعليمه فلا يعلمه؛ وهو في مصحف عبد الله بالظاء، وفي مصحف أبيّ بالضاد، وكان رسول الله ﷺ يقرأ بهما. وإتقان الفصل بين الضاد والظاء: واجب. ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارىء، فإنّ أكثر العجم لا يفرّقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقا غير صواب، وبينهما بون بعيد؛ فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان، وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أضبط يعمل بكلتا يديه، وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه، وهي أحد الأحرف الشجرية أخت الجيم والشين، وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، وهي أحد الأحرف الذولقية أخت الذال والثاء. ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة، ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فإن قلت: فإن وضع المصلي أحد الحرفين مكان صاحبه. قلت: هو كواضع الذال مكان الجيم، والثاء مكان الشين، لأن التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما ﴿وَمَا هُوَ﴾ وما القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ أي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ استضلال لهم كما يقال لتارك الجادّة اعتسافًا أو ذهابًا في بنيات الطريق[1]: أين تذهب؛ مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدل من العالمين وإنما أبدلوا منهم لأنّ الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر، فكأنه لم يوعظ به غيرهم وإن كانوا موعظين جميعًا ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامة يامن يشاؤها إلا بتوفيق الله[2] ولطفه. أو: وما تشاؤونها أنتم يامن لا

---

(١) قوله: «في بنيات الطريق» في الصحاح «بقيات الطريق»: هي الطرق الصحار تتشعب من الجادة. (ع)

(٢) قوله: «يا من يشاؤها إلا بتوفيق الله» تأويل المشيئة بذلك مبني على أن فعل العبد بخلق العبد وإرادته، لا بخلق الله تعالى ولا بإرادته: وهو مذهب المعتزلة. ومذهب أهل السنة: أنه بخلق الله تعالى وإرادته كظاهر الآيات. وقوله بقسر الله، أي بجبره العبد على الفعل؛ لكن الجبر ينافي =

يشاؤها إلا بقسر الله وإلجائه.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة إذا الشمس كوّرت أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته» (١٧١٦).

١٧١٦ ـ تقدم برقم (٣٤٦) قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب انتهى.

= الاختيار المصحح للتكليف واستحقاق الثواب والعقاب، ويمكن أنه أراد بقسر الله إرادته المستلزمة لوجود المراد، كما سبق له في الكتاب غير مرة للتعبير بإرادة القسر، لكن استلزام الإرادة للمراد لا يستلزم قسر العبد وجبره عند أهل السنة، وإن كان الله هو الخالق لفعل العبد؛ لأنهم أثبتوا العبد الكسب، خلافًا للمعتزلة. وتفصيل المقام في علم التوحيد. (ع)

سورة الانفطار

مكية، وآياتها ١٩

[نزلت بعد النازعات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ (١) وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ (٢) وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ (٣) وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ (٤) عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ (٥)﴾

﴿ٱنفَطَرَتۡ﴾ انشقت ﴿فُجِّرَتۡ﴾ فتح بعضها إلى بعض، فاختلط العذب بالمالح، وزال البرزخ الذي بينهما، وصارت البحار بحرًا واحدًا وروي أنّ الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار، فتصير مستوية، وهو معنى التسجير عند الحسن، وقرئ: فجرت، بالتخفيف. وقرأ مجاهد: فجرت على البناء للفاعل والتخفيف. بمعنى: بغت لزوال البرزخ نظرًا إلى قوله تعالى: ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ [الرحمٰن: ٢٠] لأنّ البغي والفجور أخوان. بعثر وبحثر بمعنى/ ٢/٢٥٦أ، وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة إليهما. والمعنى: بحثت وأخرج موتاها. وقيل: لبراءة المبعثرة؛ لأنها بعثرت أسرار المنافقين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ (٦) ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ (٨)﴾

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ وكيف طابق الوصف بالكرم إنكار الاغترار به[1]، وإنما يغترّ بالكريم، كما يروى عن عليّ ـ رضي اللّه عنه ـ أنه صاح بغلام

---

(١) قال محمود: «إن قلت: قوله ما غرك بربك الكريم ما معناه وكيف يطابق الوصف بالكرم... إلخ»؟ قال أحمد: حجة الزمخشري ههنا فارغة؛ فإن الآية إنما وردت في الكفار، بدليل قوله: (كلا بل تكذبون بالدين) ونحن نوافقه على خلودهم وانقطاع معاذيرهم، لا على أن تخليدهم واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة، فإن الله لا يجب عليه شيء. ويجوز عقلاً أن يثيب الكافر ويخلده في الجنة، وبالعكس في المؤمن؛ ولولا ورود السمع بإثابة المؤمنين وعذاب الكافرين فيتعين المصير إليه، لكان ما ذكرناه في الجواز والاحتمال؛ فإن الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

له كرّات فلم يلبه، فنظر فإذا هو بالباب، فقال له: ما لك لم تجبني؟ قال: لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك، فاستحسن جوابه وأعتقه (١٧١٧)، وقالوا: من كرم الرجل سوء أدب غلمانه. قلت معناه أنّ حق الإنسان أن لا يغترّ بتكرم الله عليه، حيث خلقه حيًا لينفعه، وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعدما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب، اغترارًا بالتفضل الأوّل، فإنه منكر خارج من حد الحكمة، ولهذا: قال رسول الله ﷺ لما تلاها. «غرّه جهله» (١٧١٨) وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: غرّه حمقه وجهله. وقال الحسن: غرّه والله شيطانه الخبيث، أي: زين له المعاصي وقال له: افعل ما شئت، فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به أوّلا وهو متفضل عليك آخرًا، حتى ورّطه وقيل للفضيل بن عياض: إن أقامك الله يوم القيامة وقال لك: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ ماذا تقول؟ قال أقول: غرّتني ستورك المرخاة. وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر، وليس باعتذار كما يظنه الطماع، ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن أئمتهم: إنما قال ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ دون سائر صفاته، ليلقن عبده الجواب حتى يقول: غرّني كرم الكريم. وقرأ سعيد بن جبير: «ما أغرّك» إما على التعجب، وإما على الاستفهام؛ من قولك: غرّ الرجل فو غارّ: إذا غفل، من قولك: بيتهم العدوّ وهم غارّون. وأغرّه غيره: جعله غارًا ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ فجعلك سويا سالم الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ﴾ فصيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه، فلم يجعل إحدى اليدين أطول، ولا إحدى العينين أوسع، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، ولا بعض الشعر فاحمًا وبعضه أشقر. أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائمًا لا كالبهائم. وقرئ «فعدلك» بالتخفيف وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون بمعنى المشدّد، أي: عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني ﴿فَعَدَلَكَ﴾ فصرفك. يقال: عدله عن الطريق يعني: فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق. أو فعدلك إلى بعض الأشكال والهيئات. ﴿مَّا﴾ في ﴿مَّا شَآءَ﴾ مزيدة، أي: ركبك في أيّ صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلقة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة، والشبه

١٧١٧ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٦٧) وقال الحافظ: لم أجده. انتهى.

١٧١٨ ـ رواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٣٥) عن صالح بن مسمار قال: بلغني أن النبيﷺ تلا هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ ثم قال: جهله.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٦٧) للثعلبي في تفسيره وأبي عبيد في فضائل القرآن وكذا عزاه الحافظ لأبي عبيد في فضائل القرآن أيضًا.

قال الحافظ: أخرجه أبو عبيد في فضائله عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان، عن صالح بن مسمار قال بلغني أن النبيﷺ تلا هذه الآية فذكره. انتهى.

ببعض الأقارب وخلاف الشبه فإن قلت: هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها؟ قلت: لأنها بيان لعدلك. فإن قلت: بم يتعلق الجار؟ قلت: يجوز أن يتعلق بركبك. على معنى: وضعك في بعض الصور ومكنك فيه، وبمحذوف أي ركبك حاصلاً في بعض الصور؛ ومحله النصب على الحال إن علق بمحذوف ويجوز أن يتعلق بعدلك، ويكون في (أيّ) معنى التعجب[1]، أي فعدلك في صورة عجيبة، ثم قال: ما شاء ركبك. أي ركبك ما شاء من التراكيب، يعني تركيبًا حسنًا.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به. وهو موجب الشكر والطاعة، إلى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية. ثم قال: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ أصلا وهو الجزاء. أو دين الإسلام. فلا تصدّقون ثوابًا ولا عقابًا وهو شرّ من الطمع المنكر ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾﴾ تحقيق لما يكذبون به من الجزاء، يعني أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها. وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم: تعظيم لأمر الجزاء، وأنه عند الله من جلائل الأمور؛ ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه، ويجازي به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة. وفيه إنذار وتهويل وتشوير للعصاة[2] ولطف للمؤمنين وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال: ما أشدّها من آية على الغافلين.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ كقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، ويجوز أن يراد: يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك، يعني: في قبورهم، وقيل: أخبر الله في هذه السورة أنّ لابن آدم ثلاث حالات: حال الحياة التي يحفظ فيها عمله، وحال الآخرة التي يجازى فيها، وحال البرزخ وهو قوله: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

---

(١) قوله: «معنى التعجب» لعله: التعجُيب. (ع)

(٢) قوله: «وتشوير العصاة» أي إخجال اهـ كذا بهامش وفي الصحاح «الشوار» الفرع. ومنه قيل: شور به أي كأنه أبدى عورته. (ع)

يعني أن أمر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدّة/ ٢/ ٢٥٦ب وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه، والتكرير لزيادة التهويل، ثم أجمل القول في وصفه فقال ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ أي: لا تستطيع دفعًا عنها ولا نفعًا لها بوجه ولا أمر إلا لله وحده. من رفع فعلى البدل من يوم الدين، أو على: هو يوم لا تملك. ومن نصب فبإضمار يدانون؛ لأنّ الدين يدل عليه. أو بإضمار اذكر. ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو في محل الرفع.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ إذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة» (١٧١٩).

١٧١٩ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسندهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة المطففين

مكية، وآياتها ٣٦

[نزلت بعد العنكبوت، وهي آخر صورة نزلت بمكة]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾

التطفيف: البخس في الكيل والوزن: لأنّ ما يبخس شيء طفيف حقير. وروي: أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وكانوا من أخبث الناس كيلا، فنزلت فأحسنوا الكيل (١٧٢٠). وقيل: قدمها وبها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان: يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر (١٧٢١). وقيل: كان أهل المدينة تجارًا يطففون، وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة، فنزلت فخرج رسول الله ﷺ فقرأها عليهم (١٧٢٢). وقال: «خمس بخمس» قيل: يا رسول الله، وما خمس بخمس؟ قال: «ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم

١٧٢٠ ـ أخرجه النسائي في تفسيره (٢/ ٥٠٢) رقم (٦٧٤) وابن ماجه (٢/ ٧٤٨) كتاب التجارات، باب التوقي في الكيل والوزن الحديث (٢٢٢٣).
وابن حبان (٥/ ٤٥٠) الحديث (١٧٧٠ ـ موارد) والحاكم (٢/ ٣٣).
والطبراني في الكبير (١١/ ٣٧١) رقم (١٢٠٤١) والواحدي في أسباب النزول (ص ٤٧٤) رقم (٨٤٨) والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٢) كتاب البيوع، باب: ترك التطفيف في الكيل.
كلهم من حديث ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلًا فأنزل الله عز وجل «ويل للمطففين» فأحسنوا الكيل بعد ذلك قال الحافظ: أخرجه النسائي وابن حبان والحاكم من رواية يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انتهى.

١٧٢١ ـ نقله الواحدي في أسباب النزول ص (٤٧٥) رقم (٨٥٠) ونقله أيضًا في الوسيط (٤/ ٤٤٠).
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٧٢) للثعلبي قال الحافظ: نقله الثعلبي عن السدي. انتهى.

١٧٢٢ ـ قال الزيلعي (٤/ ١٧٢): غريب وقال الحافظ: لم أجده انتهى.

عدوّهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر» (١٧٢٣) وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: أنه مرّ برجل يزن الزعفران وقد أرجح فقال له: أقم الوزن بالقسط، ثم أرجح بعد ذلك ما شئت. كأنه أمره بالتسوية أوّلا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل. وعن ابن عباس: إنكم معشر الأعاجم وليتم أمرين: بهما هلك من كان قبلكم: المكيال والميزان؛ وخص الأعاجم لأنهم يجمعون الكيل والوزن جميعًا وكانا مفرّقين في الحرمين: كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون، وعن ابن عمر أنه كان يمرّ بالبائع فيقول له: اتق الله وأوف الكيل، فإنّ المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمٰن حتى إن العرق ليلجمهم. وعن عكرمة: أشهد أنّ كل كيال ووزان في النار. فقيل له: إنّ ابنك كيال أو وزان؛ فقال: أشهد أنه في النار. وعن أبيّ ـ رضي الله عنه ـ: لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رءوس المكاييل وألسن الموازين لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالاً يضرّهم[1] ويتحامل فيه عليهم: أبدل «على» مكان «من» للدلالة على ذلك. ويجوز أن يتعلق «على» بيستوفون، ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الخصوصية، أي: يستوفون على الناس خاصة؛ فأما أنفسهم فيستوفون لها؛ وقال الفراء «من» و«على» يعتقبان في هذا الموضع، لأنه حق عليه؛ فإذا قال اكتلت عليك، فكأنه

١٧٢٣ ـ رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٦) كتاب الجهاد عن بريدة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ ما نقض قوم العهد قط إلا كان القتل بينهم ولا ظهرت الفاحشة في قوم قط إلا سلط الله عليهم الموت ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر».
قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ١٧٢).
وروى الطبراني في معجمه من حديث إسحاق بن عبد الله بن كيسان حدثني أبي عن الضحاك بن مزاحم عن مجاهد وطاوس عن ابن عباس مرفوعًا نحوه وقال فيه: «ولا طففوا إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين».
قال الحافظ: أخرجه الحاكم من رواية عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه «ما نقض قوم العهد. . . . الحديث» وفيه بشر بن المهاجر. وفيه مقال؛ ومن طريق عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا نحوه. انتهى.

---

(١) قال محمود: «لما كان اكتيالهم على الناس اكتيالاً يضرهم. . . إلخ» قال أحمد: لا منافرة فيه، ولا يجعل هذا القائل الضمير دالاً على مباشرة ولا إشعار أيضًا فيه بذلك، إنما يكون نظم الكلام على هذا الوجه: إذا كان الكيل من جهة غيرهم استوفوه، وإذا كان الكيل من جهتهم خاصة أخسروه، سواء باشروه أولاً، وهذا أنظم كلام وأحسنه والله أعلم، والذي يدلك على أن الضمير لا يعطي مباشرة الفعل أن لك أن تقول: الأمراء هم الذين يقيمون الحدود لا السوقة، ولست تعني أنهم يباشرون ذلك بأنفسهم؛ وإنما معناه أن فعل ذلك من جهتهم خاصة.

قال: أخذت ما عليك؛ وإذا قال: اكتلت منك، فكقوله: استوفيت منك. والضمير في ﴿كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ ضمير منصوب راجع إلى الناس. وفيه وجهان: أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم؛ فحذف الجار وأوصل الفعل، كما قال [من الكامل]:

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُؤًا وَعَسَاقِلاً ... وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ نَبَاتِ الأَوْبَرِ[1]

والحريص يصيدك لا الجواد، بمعنى: جنيت لك، ويصيد لك، وأن يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، والمضاف هو المكيل أو الموزون، ولا يصح أن يكون ضميرًا مرفوعًا للمطففين، لأنّ الكلام يخرج به إلى نظم فاسد؛ وذلك أنّ المعنى: إذا أخذوا من الناس استوفوا، وإذا أعطوهم أخسروا؛ وإن جعلت الضمير للمطففين انقلب إلى قولك: إذا أخذوا من الناس استوفوا، وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا، وهو كلام متنافر لأنّ الحديث واقع في الفعل لا في المباشر، والتعلق في إبطاله بخط المصحف، وأنّ الألف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه: ركيك؛ لأنّ خط المصحف لم يراع في كثير منه حدّ المصطلح عليه في علم الخط، على أني رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي الأئمة المتقنين هذه الألف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعًا؛ لأن الواو وحدها معطية معنى الجمع، وإنما كتبت هذه الألف تفرقة بين واو الجمع وغيرها/ ٢/ ٢٥٧أ في نحو قولك: هم لم يدعوا، وهو يدعو؛ فمن لم يثبتها قال: المعنى كاف في التفرقة بينهما. وعن عيسى بن عمر وحمزة: أنهما كانا يرتكبان ذلك، أي يجعلان الضميرين للمطففين، ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما أرادا فإن قلت: هلا قيل: أو اتزنوا، كما قيل ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾؟ قلت: كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة، لأنهم يدعدعون[2] ويحتالون في الملء، وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من

---

(١) «جنى لا يتعدى إلا لواحد وللثاني باللام، فالأصل: جنيت لك، فحذف الجار وأوصل الضمير. أو ضمنه معنى: أبحتك، فعداه لهما. والأكمؤ: جمع كمء، كأفلس وفلس؛ وهو واحد الكمأة، وهي لنوع كبير من نبات يسمى شحمة الأرض، سمي كمأة لاشتهاره بها. والعساقل: جمع عسقول كعصفور، وكان حقه: عساقيل؛ فحذفت الياء للوزن. وقيل: إنه جمع عسقل. وهو نوع صغير منها جيد أبيض، ونبات أوبر: نوع رديء منها أسود مزغب، كأن عليه وبر. وقيل: هو جنس آخر يشبه القلقاس أو اللفت. ونبات أوبر: جمع ابن أوبر، لأنه علم لما لا يعقل. وأل فيه زائدة. وقال المبرد: هو اسم جنس، قال فيه معرفة، والبيت من باب التمثيل لحال من أغري على الطيب، فعدل إلى الخبيث، ثم يرجع يتندم على عاقبته.
ينظر: المغني: (٥٢ ـ ٢٢٠)، الخصائص ٣/ ٥٨، الدر المصون ٦/ ٤٩١.

(٢) قوله: «يدعدعون ويحتالون» في الصحاح الدعدعة تحريك المكيال ونحوه ليسعه الشيء. ودعدعت الشيء: ملأته. (ع)

البخس في النوعين جميعًا ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون يقال: خسر الميزان[1] وأخسره ﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف، كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينًا ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ ومحاسبون على مقدار الذرّة والخردلة. وعن قتادة: أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك، واعدل كما تحب أن يعدل لك. وعن الفضيل: بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة. وعن عبد الملك بن مروان: أن أعرابيًا قال له: قد سمعت ما قال الله في المطففين: أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به، فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن، ووصف اليوم بالعظم، وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصفه ذاته برب العالمين: بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط، والعمل على السوية والعدل في كل أخذ وإعطاء، بل في كل قول وعمل، وقيل: الظنّ بمعنى اليقين، والوجه ما ذكر؛ ونصب ﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾ بمبعوثون. وقرئ بالجر بدلاً من (يوم عظيم) وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ بكى نحيبًا وامتنع من قراءة ما بعده.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب، ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه، ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم. وكتاب الفجار: ما يكتب من أعمالهم. فإن قلت: قد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه في سجين، وفسر سجينًا بكتاب مرقوم؛ فكأنه قيل: إن كتابهم في كتاب مرقوم. فما معناه: قلت ﴿سِجِّينٍ﴾ كتاب جامع هو ديوان الشرّ: دوّن الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس، وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة. أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه فالمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان، وسمي سجينًا: فعيلاً من السجن، وهو الحبس والتضييق. لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم، أو لأنه مطروح كما روي تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم، وهو مسكن إبليس وذرّيته استهانة به وإذالة[2]، وليشهده الشياطين المدحورون، كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقرّبون. فإن قلت: فما سجين، أصفة هو أم اسم؟ قلت: بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم. وهو منصرف لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف.

---

(١) قوله: «يقال خسر الميزان» عبارة الصحاح: خسرت الشيء وأخسرته: نقصته. (ع)

(٢) قوله: «استهانة به وإذالة» أي: إهانة. كما في الصحاح. (ع)

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ﴾ مما وصف به للذم لا للبيان، كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث ﴿كَلَّا﴾ ردع للمعتدي الأثيم عن قوله: ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها: وهو أن يصرّ على الكبائر ويسوّف التوبة حتى يطبع على قلبه، فلا يقبل الخير ولا يميل إليه. وعن الحسن: الذنب بعد الذنب حتى يسودّ القلب. يقال: ران عليه الذنب وغان عليه، رينا وغينا، والغين: الغيم، ويقال: ران فيه النوم رسخ فيه، ورانت به الخمر: ذهبت به. وقرئ بإدغام اللام في الراء وبالإظهار، والإدغام أجود. وأميلت الألف وفخمت ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم. وكونهم محجوبين عنه: تمثيل[1] للاستخفاف بهم[2] وإهانتهم، لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم، ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم. قال [من البسيط]:

إذَا غَـــزَوْا بَـــابَ ذِي عُـــبِّـــيَّـــةٍ رُجِـــبُـــوا
وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَرْجُوبٍ وَمَحْجُوبِ[3] / ٢/ ٢٥٧ ب

وعن ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة: محجوبين عن رحمته. وعن ابن كيسان: عن كرامته.

---

(١) قال محمود: «كونهم محجوبين عنه تمثيل... إلخ» قال أحمد: هذا عند أهل السنة على ظاهره من أدلة الرؤية، فإن الله تعالى لما خص الفجار بالحجاب دل على أن المؤمنين الأبرار مرفوع عنهم الحجاب، ولا معنى لرفع الحجاب إلا الإدراك بالعين؛ وإلا فالحجاب على الله تعالى بغير هذا التفسير محال، هذا هو الحق وما بعد الحق إلا الضلال، وما أرى من جحد الرؤية المدلول عليها بقواطع الكتاب والسنة يحظى بها. والله المسئول في العصمة.

(٢) قوله: «تمثيل للاستخفاف بهم» مبني على مذهب المعتزلة: وهو عدم جواز الرؤية عليه تعالى. وذهب أهل السنة إلى جوازها. وفي النسفي: قال الزجاج: في الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم، وإلا لا يكون التخصيص مفيدًا، وقال الحسن بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده، حجبهم في العقبى عن رؤيته. وقال مالك بن أنس: لما حجب أعداءه فلم يروه، تجلى لأوليائه حتى رأوه. وكذا في الخازن. وفيه أيضًا: قال الشافعي: في الآية دلالة على أن أولياء الله يرون الله جل جلاله.

(٣) غزوا: قصدوا. وروي: اعتروا، أي: نزلوا به وأصابوه. والعبية: الكبر والفخر. قال ﷺ «إن الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية بالآباء» الناس رجلان: مؤمن تقي وكافر شقي». ورجبة الرجل: عظمته. يقول إنهم يلجون أبواب العظماء لا تمنعهم الحجاب، بخلاف غيرهم فإنهم تارة وتارة.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن التكذيب. وكتاب الأبرار: ما كتب من أعمالهم. وعليون: علم لديوان الخير الذي دوّن فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين، منقول من جمع «عليّ» فعيل من العلوّ كسجين من السجن، سمى بذلك إمّا لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة، وإمّا لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون، تكريمًا له وتعظيمًا. روي «إن الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه، أوحى إليهم إنكم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه، وأنه أخلص عمله فاجعلوه في عليين، فقد غفرت له؛ وإنها لتصعد بعمل العبد فيزكونه، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحي إليهم: أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه، وإنه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين» (١٧٢٤).

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ الأسرّة في الحجال[1] ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى ما شاءوا مدّ أعينهم إليه من مناظر الجنة، وإلى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة، وإلى أعدائهم يعذبون في النار، وما تحجب الحجال أبصارهم عن الإدراك ﴿نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ بهجة التنعم وماءه ورونقه، كما ترى

١٧٢٤ ـ رواه ابن المبارك في الزهد ص (١٥٣) رقم (٤٥٢) قال أخبرنا أبو بكر بن أبي مريم عن ضمرة ابن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ «إن الملائكة يرفعون أعمال العبد من عباد الله يستكثرونه ويزكونه حتى يبلغوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه فيوحي الله إليهم إنكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه إن عبدي هذا لم يخلص لي ولم يخلص عمله فأجعله في سجين ويصعدون بعمل العبد يستقلونه ويحضرونه حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله من سلطان فيوحي الله إليهم إنكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه إن عبدي هذا أخلص عمله فاكتبوه في عليين» ا. هـ.

قال الحافظ: أخرجه ابن المبارك في الزهد: أخبرنا أبو بكر بن أبي مريم عن حمزة بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ .... فذكره. انتهى.

---

(١) قوله: «الأسرة في الحجال» في الصحاح: الحجلة ـ بالتحريك ـ: واحدة حجال العروس: وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور. (ع)

في وجوه الأغنياء وأهل الترفه، وقرئ: تعرف، على البناء للمفعول ونضرة النعيم - بالرفع. الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه ﴿مَّخْتُومٍ﴾ تختم أوانيه من الأكواب والأباريق بمسك مكان الطينة. وقيل ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ مقطعه رائحة مسك إذا شرب. وقيل: يمزج بالكافور، ويختم مزاجه بالمسك. وقرئ: خاتمه، بفتح التاء وكسرها، أي: ما يختم به ويقطع ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ فليرتغب المرتغبون ﴿تَسْنِيمٍ﴾ علم لعين بعينها: سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه: إمّا لأنها أرفع شراب في الجنة وإمّا لأنها تأتيهم من فوق، على ما روي أنها تجري في الهواء متسنمة فتنصبّ في أوانيهم. و﴿عَيْنًا﴾ نصب على المدح. وقال الزجاج: نصب على الحال. وقيل: هي للمقربين، يشربونها صرفًا، وتمزج لسائر أهل الجنة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾

هم مشركو مكة: أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم: كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزءون بهم. وقيل: جاء عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع فضحكوا منه، فنزلت قبل أن يصل عليّ إلى رسول الله ﷺ ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ يغمز بعضهم بعضًا، ويشيرون بأعينهم ﴿فَكِهِينَ﴾ ملتذين بذكرهم والسخرية منهم، أي: ينسبون المسلمين إلى الضلال ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟﴾ على المسلمين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم، ويهيمنون على أعمالهم، ويشهدون برشدهم وضلالهم؛ وهذا تهكم بهم. أو هو من جملة قول الكفار، وإنهم إذا رأوا المسلمين قالوا: إنّ هؤلاء لضالون؛ وإنهم لم يرسلوا عليهم حافظين إنكارًا لصدّهم إياهم عن الشرك، ودعائهم إلى الإسلام وجدّهم في ذلك.

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ حال من ﴿يَضْحَكُونَ﴾ أي: يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزّة والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفه: وهم على الأرائك آمنون. وقيل: يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم: اخرجوا

إليها؛ فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم، يفعل ذلك بهم مرارًا، فيضحك المؤمنون منهم ثوّبه وأثابه: بمعنى، إذا جازاه قال أوس [من الطويل]:

سَأَجْزِيكِ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّى مُثَوِّبٌ ... وَحَسْبُكِ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكِ وَتُحْمَدِى[1]

وقرئ بإدغام اللام في الثاء.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة» (١٧٢٥).

١٧٢٥ ـ تقدم برقم (٣٤٦). قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه والثعلبي والواحدي بسندهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

---

(١) لأوس بن حجر. ويقال: ثوبه وأثابه: إذا جازاه. فالمثوب المجازي أي: سأجزيك يا فرسي بنفسي، أو يجزيك بدلاً عني مجاز غيري. أو مجازاة ناشئة عني، وكافيك من الناس أن يثنوا عليك ويحمدوك؛ فعليك: نائب الفاعل. ويجوز أن يكون المثوب المنادي للحرب مشيرًا بطرف ثوبه، ليرى من بعيد فيغاث.
ينظر: البحر ٨/ ٤٤٣، الدر المصون ٦/ ٤٩٥.

سورة الانشقاق

مكية، وآياتها ٢٥

[نزلت بعد الانفطار]/ ٢/ ٢٥٨أ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥)﴾

حذف جواب إذا ليذهب المقدّر كل مذهب أو اكتفاء بماعلم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار. وقيل: جوابها ما دلّ عليه (فملاقيه) أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه. ومعناه: إذا انشقت بالغمام، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ [الفرقان: ٢٥]، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: تنشق من المجرّة أذن له: استمع له[١]. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «ما أذن الله لشيء كإذنه لنبّي يتغنى بالقرآن» (١٧٢٦). وقول حجاف بن حكيم [من الطويل]:

أَذِنْتُ لَكُمْ لَمَّا سَمِعْتُ هَرِيرَكُمْ[٢] ....

والمعنى: أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه

١٧٢٦ ـ تقدم في سورة إبراهيم. قال الحافظ: متفق عليه، وقد تقدم في سورة إبراهيم. انتهى.

---

(١) قال محمود: «معنى أذنت استمعت... إلخ» قال أحمد: نغص تفسير الآية بقوله: القادر بالذات وما باله لا يقول: القادر الذي عمت قدرته الكائنات، حق لا يكون إلا بقدرته: حقيق أن يسمع له ويطاع. فيثبت لله صفة الكمال. ويوحده حق توحيده: وهو خير من سلب صفة الكمال عن الله تعالى وإشراك مخلوقاته به ـ جل ربنا وعز ـ.

(٢) أذنت لكم لما سمعت هريركم فأسمعتموني بالخنا والفواحش

لجحاف بن حكيم. وأذنت: أصخْتُ وأصغيت بأذني لكلامكم حين سمعت صوتكم، وضمن أسمعتموني معنى: أعلمتموني، فعداه بالباء. ويجوز أنها زائدة. والخنا: الزنا وتوابعه مما يتعلق بالنساء، والفواحش: أعم من ذلك.

ينظر: البحر ٨/ ٤٤٥، الدر المصون ٦/ ٤٩٧.

الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع، كقوله: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، ﴿وَحُقَّتْ﴾ من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به، يعني: وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع. ومعناه الإيذان بأنّ القادر الذات[1] يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك ﴿مُدَّتْ﴾ من مدّ الشيء فامتدّ: وهو أن تزال جبالها وآكامها وكل أمت فيها، حتى تمتدّ وتنبسط ويستوي ظهرها، كما قال تعالى: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٦ - ١٠٧]، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: مدّت مدّ الأديم العكاظي؛ لأن الأديم إذا مدّ زال كل انثناء فيه وأمت واستوى أو من مدّه بمعنى أمدّه، أي: زيدت سعة وبسطة ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ وخلت غاية الخلوّ حتى لم يبق شيء في باطنها، كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلوّ، كما يقال: تكرم الكريم، وترحم الرحيم: إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة، وتكلفا فوق ما في طبعهما ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ في إلقاء ما في بطنها وتخليها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

الكدح: جهد النفس في العمل والكدّ فيه حتى يؤثر فيها، من كدح جلده: إذا خدشه ومعنى ﴿كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ جاهد إلى لقاء ربك، وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ فملاق له لا محالة لا مفرّ لك منه، وقيل: الضمير في ملاقيه للكدح ﴿يَسِيرًا﴾ سهلاً هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه، كما يناقش أصحاب الشمال. وعن عائشة - رضي الله عنها -: هو أن يعرّف ذنوبه، ثم يتجاوز عنه. وعن النبي ﷺ أنه قال: «من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله: فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا. قال: ذلكم العرض، من نوقش في الحساب عذب» (١٧٢٧) ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ إلى عشيرته إن

١٧٢٧ - أخرجه البخاري (٩/ ٧١٠) في تفسير سورة «إذا السماء انشقت» الحديث (٤٩٣٩) ومسلم (٩/ ٢٢٥ - نووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إثبات الحساب الحديث (٢٨٧٦).
وأبو داود (٢/ ٢٠١) في الجنائز، باب عيادة النساء الحديث (٣٠٩٣) والترمذي (٥/ ٤٣٥) في =

(١) قوله: «الإيذان بأن القادر بالذات» هذا التعبير مبني على مذهب المعتزلة من أنه تعالى قادر بذاته لا بقدرة زائدة على ذاته، عالم بذاته لا بعلم زائد على ذاته. ومذهب أهل السنة: أنه قادر بقدرة زائدة على ذاته، عالم بعلم زائد على ذاته. وهكذا، كما في الحوادث.

كانوا مؤمنين. أو إلى فريق المؤمنين. أو إلى أهله في الجنة من الحور العين ﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ قيل: تغلّ يمناه إلى عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره. وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره، ﴿يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾ يقول: يا ثبوراه. والثبور: الهلاك. وقرئ: ويصلى سعيرًا، كقوله: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: ٩٤]، ويصلى: بضم الياء والتخفيف، كقوله: ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥]، ﴿فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ فيما بين ظهرانيهم: أو معهم، على أنهم كانوا جميعًا مسرورين، يعني أنه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرًا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون في العواقب. ولم يكن كئيبًا حزينًا متفكرًا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ **[الطور: ٢٦]** ﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ لن يرجع إلى الله تعالى تكذيبًا بالمعاد. يقال: لا يحور ولا يحول، أي: لا يرجع ولا يتغير. قال لبيد [من الطويل]:

.... يَـحُـورُ رَمَـادًا بَـعْـدَ إِذْ هُـوَ سَـاطِـعُ[1]

وعن ابن عباس: ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها: حوري، أي: ارجعي ﴿بَلَىٰٓ﴾ إيجاب لما بعد النفي في ﴿لَّن يَحُورَ﴾ أي: بلى ليحورنّ ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه، فلا بدّ أن يرجعه ويجازيه عليها. وقيل: نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأشدّ وأخيه الأسود بن عبد الأشد.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾

الشفق: الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس، وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء، إلا ما يروى عن أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ في إحدى الروايتين: أنه البياض. وروى أسد بن عمرو: أنه رجع عنه، سمي لرقته. ومنه الشفقة على الإنسان: رقة القلب عليه ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ وما جمع وضم، يقال: وسقه فاتسق واستوسق. قال [من الرجز]:

= التفسير، باب ومن سورة «إذا السماء انشقت» الحديث (٣٣٣٧).
وأحمد في المسند (٦/ ٤٧، ١٠٨، ١٢٧، ٢٠٦) وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٦٩ ـ ٣٧١) رقم (٧٣٦٩، ٧٣٧٠، ٧٣٧١).
وابن جرير في التفسير (١٢/ ٥٠٧) رقم (٣٦٧٣٠ ـ ٣٦٧٣٧) والبغوي في شرح السنة (٧/ ٤٨٨) رقم (٤٢١٤ ـ بتحقيقنا) قال الحافظ: متفق عليه من حديث عائشة ـ انتهى.

---

(١) تقدم.

مُـسْـتَـوْسِـقَـاتٌ لَـوْ يَـجِـدْنَ سَـائِـقَـا[1]

ونظيره في وقوع افتعل/ ٢/ ٢٥٨ب واستفعل مطاوعين: اتسع واستوسع. ومعناه: وما جمعه وستره وآوى إليه من الدواب وغيرها ﴿إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة. قرئ: لتركبن، على خطاب الإنسان في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ ولتركبن، بالضم على خطاب الجنس، لأن النداء للجنس؛ ولتركبن بالكسر على خطاب النفس، وليركبن بالياء على: ليركبن الإنسان. والطبق: ما طابق غيره. يقال: ما هذا بطبق لذا، أي: لا يطابقه. ومنه قيل للغطاء الطبق. وإطباق الثرى: ما تطابق منه، ثم قيل للحال المطابقة لغيرها: طبق. ومنه قوله عز وعلا ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أي حالاً بعد حال: كل واحدة مطابقة لأختها في الشدّة والهول: ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة، من قولهم: هو على طبقات. ومنه: طبق الظهر لفقاره الواحدة: طبقة، على معنى: لتركبنّ أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدّة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها. فإن قلت: ما محل عن طبق؟ قلت: النصب على أنه صفة لطبقًا، أي: طبقا مجاوزًا لطبق. أو حال من الضمير في لتركبنّ، أي: لتركبن طبقًا مجاوزين لطبق. أو مجاوزًا أو مجاوزة، على حسب القراءة: وعن مكحول: كل عشرين عامًا تجدون أمرًا لم تكونوا عليه.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾ لا يستكينون ولا يخضعون. وقيل: قرأ رسول الله ﷺ ذات يوم ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رءوسهم وتصفر، فنزلت (١٧٢٨). وبه احتج أبو حنيفة - رضي الله عنه - على وجوب

١٧٢٨ - بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٧٨) وقال الحافظ: لم أجده. انتهى.

---

(١) إن لـنـا قـلائـصًـا حـقـائـقـا ... مستـوسـقـات لـو يـجـدن سـائـقـا

القلائص: جمع قلوص وهي الفتية من الإبل. والحقائق: جمع حقة، التي استحقت الحمل عليها؛ أو استحقت ضراب الفحل. ويقال: وسقه فاتسق واستوسق، أي: جمع عليه الأحمال فتحمل، أو جمعه فاجتمع ومستوسقات: متحملات أو مجتمعات؛ وأو بمعنى إلى، أي: واقفات إلى أن يجدن من يسوقهن فيسرن. ويروى: لو يجدن. وفيه معنى التمني. ويجوز أن جوابه مقدر، أي: لأسرعن:

ينظر: ديوانه ٢/ ٣٠٧، وتاج العروس (وسق)، ولسان العرب (وسق)، وتهذيب اللغة ٩/ ٢٣٥، وديوان الأدب ٣/ ٢٨٣.

السجدة، وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنه سجد فيها وقال: والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها (١٧٢٩). وعن أنس: صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن: هي غير واجبة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إشارة إلى المذكورين ﴿بِمَا يُوعُونَ﴾ بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء. أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ استثناء منقطع.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره» (١٧٣٠).

١٧٢٩ ـ أخرجه البخاري (٢/ ٤٩٧) كتاب الأذان، باب الجهر في العشاء الحديث (٧٦٦) وأطرافه في (٧٦٨، ١٠٧٤، ١٠٧٨).

ومسلم (٣/ ٨١ ـ نووي) كتاب المساجد، باب سجود التلاوة الحديث (٥٧٨): والنسائي (٢/ ١٦١) في الافتتاح، باب السجود في «إذا السماء انشقت».

والدارمي (١/ ٣٤٣).

وابن حبان في صحيحه (٦/ ٤٦٧) رقم (٢٧٦١) ومالك في الموطأ (١/ ٢٠٥) كتاب القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن، والبغوي رقم (٧٦٧).

وابن خزيمة في صحيحه رقم (٩٥٥).

قال الحافظ: متفق عليه بمعناه. انتهى.

١٧٣٠ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسندهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة البروج

مكية، وآياتها ٢٢

[نزلت بعد الشمس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾

هي البروج الاثنا عشر، وهي قصور السماء على التشبيه. وقيل: ﴿الْبُرُوجِ﴾ النجوم التي هي منازل القمر. وقيل: عظام الكواكب. سميت بروجًا لظهورها. وقيل: أبواب السماء ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾﴾ يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾ يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد: من يشهد فيه من الخلائق كلهم؛ وبالمشهود: ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما: إما ما ذكرته في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: ١٤] كأنه قيل: وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود. وإما الإبهام في الوصف، كأنه قيل: وشاهد مشهود لا يكتنه وصفهما. وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما؛ فقيل: الشاهد والمشهود: محمد ﷺ، ويوم القيامة. وقيل: عيسى وأمّته. لقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، وقيل: أمّة محمد، وسائر الأمم: وقيل: يوم التروية، ويوم عرفة، وقيل: يوم عرفة، ويوم الجمعة. وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم إلا وينادي: إني يوم جديد وإني على ما يعمل فيّ شهيد؛ فاغتنمني، فلو غابت شمس لم تدركني إلى يوم القيامة؛ وقيل: الحفظة وبنو آدم. وقيل: الأنبياء ومحمد ﷺ.

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾

فإن قلت: أين جواب القسم؟ قلت: محذوف يدل عليه قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء أنهم ملعونون، يعني: كفار قريش كما لعن أصحاب

الأخدود؛ وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة، وتذكيرهم بما جرى على من تقدّمهم: من التعذيب على الإيمان. وإلحاق أنواع الأذى، وصبرهم/ ٢/ ٢٥٩أ وثباتهم، حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرّقين بالنار، ملعونون أحقاء بأن يقال فيهم: قتلت قريش، كما قيل: قتل أصحاب الأخدود وقتل: دعاء عليهم، كقوله: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ١٧﴾ [عبس: ١٧] وقرئ: قتل، بالتشديد. والأخدود: الخدّ في الأرض وهو الشق، ونحوهما بناء ومعنى: الخق والأخقوق. ومنه فساخت قوائمه في أخاقيق جرذان[١]. روي عن النبي ﷺ أنه قال: كان لبعض الملوك ساحر، فلما كبر ضمّ إليه غلامًا ليعلمه السحر، وكان في طريق الغلام راهب: فسمع منه، فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس. فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان الراهب أحبّ إليك من الساحر فاقتلها فقتلها؛ وكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص، ويشفي من الأدواء، وعمي جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله فقال: من ردّ عليك بصرك؟ فقال: ربي، فغضب فعذبه. فدل على الغلام فعذبه، فدل على الراهب، فلم يرجع الراهب عن دينه، فقدّ بالمنشار وأبى الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته، فدعا فرجف بالقوم، فطاحوا ونجا، فذهب به إلى قرقور[٢] فلججوا به ليغرقوه، فدعا فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا ونجا، فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهمًا من كنانتي وتقول: بسم الله ربّ الغلام، ثم ترميني به، فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات؛ فقال الناس: آمنا بربّ الغلام؛ فقيل للملك. نزل بك ما كنت تحذر؛ فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبيّ فتقاعست[٣] أن تقع فيها، فقال الصبّي: يا أماه، اصبري فإنك على الحق؛ فاقتحمت. وقيل: قال لها: قعي ولا تنافقي. وقيل: قال لها: ما هي إلا غميضة فصبرت (١٧٣١). وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: أنهم حين اختفلوا في أحكام

١٧٣١ ـ رواه مسلم في صحيحه (٩/ ٣٥٧) كتاب الزهد والرقاق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر الحديث (٣٠٠٥) والترمذي (٥/ ٤٣٧) كتاب التفسير باب ومن سورة البروج الحديث (٣٣٤٠). والنسائي في التفسير (٢/ ٥٠٩) رقم (٦٨١) وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٥٤) رقم (٨٧٣) وأحمد في المسند (٦/ ١٧، ١٨). وعبد الرزاق (٥/ ٤٢٠) رقم (٩٧٥١).

=

---

(١) قوله: «جرذان» في الصحاح «الجرذ»: ضرب من الفأر والجمع: الجرذان. (ع)

(٢) قوله: «قرقور» في الصحاح «القرقور»: السفينة الطويلة. (ع)

(٣) قوله: «فتقاعست» في الصحاح «تقاعس»: إذا تأخر عن الأمر ولم يتقدم. (ع)

المجوس قال: هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم، وكانت الخمر قد أحلت لهم، فتناولها بعض ملوكهم فسكر، فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج، فقالت له: المخرج أن تخطب الناس فتقول: يا أيها الناس، إنّ الله قد أحلّ نكاح الأخوات، ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول: إن الله حرّمه؛ فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له: ابسط فيهم السوط؛ فلم يقبلوا؛ فقالت له: ابسط فيهم السيف، فلم يقبلوا؛ فأمرته بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح من أبى فيها؛ فهم الذين أرادهم الله بقوله: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤﴾ (١٧٣٢) وقيل: وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام، فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير، فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا، فأحرق منهم اثني عشر ألفًا في الأخاديد. وقيل: سبعين ألفًا (١٧٣٣)؛ وذكر أنّ طول الأخدود: أربعون ذراعًا وعرضه اثنا عشر ذراعًا (١٧٣٤). وعن النبي ﷺ: أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوّذ من جهد البلاء (١٧٣٥) ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل اشتمال من الأخدود ﴿ذَاتِ

= والطبراني في الكبير (٨/ ٤٨ ـ ٥٢) رقم (٧٣١٩، ٧٣٢٠)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٨٢) لإسحاق بن راهويه وأبي يعلى والبزار والبيهقي في الشعب قال الحافظ: أخرجه مسلم والترمذي والنسائي وابن حبان والطبري والطبراني وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والبزار كلهم من رواية ابن أبي ليلى من طرق وأقربها إلى لفظ الكتاب سياق الطبري. تفرد به ثابت البناني عن عبد الرحمن. انتهى.

١٧٣٢ ـ أنظر الحديث السابق. وقال الحافظ في الكشاف: أخرجه مسلم والترمذي والنسائي وأبو يعلى. والطبري والطبراني. وأحمد وإسحاق والبزار كلهم من رواية عبد الرحمن بن حميد والطبري من رواية جعفر بن أبي المغيرة عن عبد الرحمن بن أبزى قال «لما هزم المسلمون أهل الاسفيذبان انصرفوا فجاءهم يعني عمر رضي الله عنه. فاجتمعوا فقالوا: أي شيء يجري على المجوس من الأحكام؟ إنهم ليسوا أهل كتاب. وليسوا من مشركي العرب. فقال: هم أهل الكتاب». فذكره وسياق الطبري أتم منه انتهى.

١٧٣٣ ـ رواه ابن إسحاق في السيرة (١/ ٧٢) في قصة أصحاب الأخدود.
حدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب فذكره مطولاً قال الحافظ: أخرجه ابن إسحاق في السيرة. حدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب. فذكره مطولاً. انتهى.

١٧٣٤ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٨٥): «ونقله الثعلبي في تفسيره: عن محمد بن إسحاق، عن وهب بن منبه أن رجلاً كان على دين عيسى فوقع إلى نجران، فدعاهم فأجابوه، فسار إليهم ذو نواس اليهودي، فخيرهم بين اليهودية والنار فأبوا عليه، فخد الأخاديد فأحرق اثني عشر ألفًا.
وقال الكلبي: كان أصحاب الأخدود سبعين ألفًا، وهم نصارى نجران، وذلك أن ملكًا بنجران أخذ بها قومًا مؤمنين فخد لهم في الأرض سبعة أخاديد، طول كل أخدود أربعون ذراعًا، وعرضه اثنا عشر ذراعًا، ثم طرح فيها النفط والنار، ثم عرضهم عليها، فمن أبى قذفوه فيها، ومن رضي تركوه، إلى آخر القصة». ا.هـ.
قال الحافظ: نقله الثعلبي عن الكلبي. انتهى.

١٧٣٥ ـ رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٧٩) رقم (٣٤٣٣٣) حدثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن =

﴿ٱلْوَقُودِ﴾ وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس، وقرئ: الوقود، بالضم ﴿إِذْ﴾ ظرف لقتل، أي لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها. ومعنى ﴿عَلَيْهَا﴾ على ما يدنو منها من حافات الأخدود، كقوله [من الطويل]:

.... وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ[1]

وكما تقول: مرت عليه، تريد: مستعليا لمكان يدنو منه، ومعنى شهادتهم على إحراق المؤمنين: أنهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودًا يشهد بعضهم لبعض عند الملك أنّ أحدًا منهم لم يفرّط فيما أمر به وفوّض إليه من التعذيب. ويجوز أن يراد: أنهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين، يؤدّون شهادتهم يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤]، ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان كقوله [من الطويل]:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُيُوفَهُمْ[2] ....

قال ابن الرقيات: [المنسرح]

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلـ ـلاَ أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا[3]

وقرأ أبو حيوة: نقموا، بالكسر، والفصيح: هو الفتح. وذكر الأوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به ويعبد، وهو كونه عزيزًا غالبًا قادرًا يخشى عقابه حميدًا منعمًا. يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه ﴿لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرًا، لأن ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل منهمك في الغيّ، وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وعيد لهم، يعني أنه علم ما فعلوا، وهو مجازيهم عليه.

= قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ بالله من جهد البلاء.
قال الحافظ: أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي أسامة، عن عوف عن الحسن بهذا.

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) لقيس الرقيات. ونقموا كرهوا: وحلم - كظرف -: صفح. يقول: إنهم جعلوا أحسن الأشياء وهو الحلم عند الغضب قبيحًا. ويجوز أن فاعل الفعلين ضمير بني أمية. ويجوز أن الأول لهم، والثاني: للناقمين. وفيه استتباع المدح بما يشبه الذم للمبالغة في المدح، حيث جعل الحلم عند الغضب ذمًا، مع أنه غاية في المدح. ويروى ما نقم الناس، وعليها فالصواب إسقاط «بنى» لأجل الوزن.
ينظر: ديوانه ص ٤، ولسان العرب (نقم)، وتهذيب اللغة ٩/ ٢٠٢، والبيان والتبيين ٣/ ٣٦١، وطبقات فحول الشعراء ص ٦٥٤، وتاج العروس (نقم)، وراجع المزيد من مصادر المثل في ديوانه ص ٤.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٢/٢٥٩ب ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

ويجوز أن يريد بالذين فتنوا: أصحاب الأخدود خاصة، وبالذين آمنوا: المطروحين في الأخدود. ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم ﴿فَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ وهي نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق بإحراقهم المؤمنين. أو لهم عذاب جهنم في الآخرة، ولهم عذاب الحريق في الدنيا، لما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم. ويجوز أن يريد: الذين فتنوا المؤمنين، أي: بلوهم بالأذى على العموم؛ والمؤمنين: المفتونين؛ وأن للفاتنين عذابين في الآخرة: لكفرهم، ولفتنتهم.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

البطش: الأخذ بالعنف؛ فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم: وهو بطشه بالجبابرة والظلمة، وأخذهم بالعذاب والانتقام ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ أي يبدئ البطش ويعيده. يعني: يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة. أو دل باقتداره على الإبداء والإعادة على شدة بطشه وأوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالإعادة وقرئ: يبدأ ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود: من إعطائهم ما أرادوا وقرئ: ذي العرش، صفة لربك وقرئ: المجيد، بالجر صفة للعرش. ومجد الله عظمته ومجد العرش: علوّه وعظمته ﴿فَعَّالٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف. وإنما قيل: فعال؛ لأنّ ما يريد ويفعل في غاية الكثرة[1].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ بدل من الجنود وأراد بفرعون إياه وآله، كما في قوله: ﴿مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [يونس: ٨٣]، والمعنى: قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم

---

(١) قال محمود: «إنما يقال فعال لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة» قال أحمد: ما قدر الله حق قدره، هلا قال: إنه لا فاعل إلا هو، وهل المخالف لذلك إلا مشرك، وكم أراد الله تعالى على معتقد القدرية من فعل فلم يفعله، وهب أنا طرحنا النظر في مقتضى مبالغة الصيغة، أليس قد دل بقوله: (لما يريد) على عموم فعله في جميع مراده، فما رده إلى الخصوص إلا نكوص عن النصوص.

لتكذيبهم ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من قومك ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ أيّ: تكذيب واستيجاب للعذاب، والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه. والإحاطة بهم من ورائهم: مثل لأنهم لا يفوتونه، كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به. ومعنى الإضراب: أن أمرهم أعجب من أمر أولئك؛ لأنهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم، ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا، وكذبوا أشد من تكذيبهم ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي بل هذا الذي كذبوا به ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه وإعجازه. وقرئ قرآن مجيد، بالإضافة، أي: قرآن ربّ مجيد. وقرأ يحيى بن يعمر: في لوح، واللوح: الهواء[1]، يعني: اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح ﴿مَّحْفُوظٍ﴾ من وصول الشياطين إليه وقرئ: محفوظ، بالرفع صفة للقرآن.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات» (١٧٣٦).

١٧٣٦ ـ تقدم برقم (٣٤٦) قال الحافظ: أخرجه الواحدي والثعلبي وابن مردويه بإسنادهم عن أبي بن كعب. انتهى.

---

(١) قوله: «واللوح الهواء» في الصحاح «اللوح» بالضم: الهواء بين السماء والأرض. (ع)

سورة الطارق

مكية، وآياتها ١٧

[نزلت بعد البلد]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ المضيء، كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، كما قيل: درّيء، لأنه يدرؤه، أي: يدفعه. ووصف بالطارق؛ لأنه يبدو بالليل، كما يقال للآتي ليلا: طارق: أو لأنه يطرق الجني، أي يصكه. والمراد: جنس النجوم، أو جنس الشهب التي يرجم بها. فإن قلت: ما يشبه قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ إلا ترجمة كلمة بأخرى، فبين لي أيّ فائدة تحته؟ قلت: أراد الله ـ عزّ من قائل ـ: أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيمًا له، لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة، وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره، وهو الطارق، ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾ ثم فسره بقوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ كل هذا إظهار لفخامة شأنه، كما قال ﴿۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٦] روي: أنّ أبا طالب كان عند رسول الله ﷺ، فانحط نجم، فامتلأ ما ثم نورًا فجزع أبو طالب وقال: أيّ شيء هذا؟ فقال عليه السلام: «هذا نجم رمي به، وهو آية من آيات الله» فعجب أبو طالب، فنزلت (١٧٣٧).

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾

فإن قلت: ما جواب القسم؟ قلت ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ لأنّ «إن» لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة، بمعنى: إلا أن تكون نافية. وفيمن قرأها مخففة على أن «ما» صلة تكون مخففة من الثقيلة، وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم، حافظ مهيمن عليها

١٧٣٧ ـ ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٧٦ رقم (٨٥١) بغير إسناد.
وعزاه الزيلعي (١٨٩/٤) للثعلبي قال الحافظ: هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير إسناد. انتهى.

رقيب، وهو الله عزّ وجل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥]، وقيل: ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشرّ. وروي عن النبي ﷺ: «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكًا يذبون عنه كما يذّب عن قصعة العسل الذباب. ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين»/ ٢/ ٢٦٠أ (١٧٣٨).

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾

فإن قلت: ما وجه اتصال قوله ﴿فَلْيَنظُرِ﴾ بما قبله؟ قلت: وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظًا، أتبعه توصية الإنسان بالنظر في أوّل أمره ونشأته الأولى، حتى يعلم أنّ من أنشأه قادر على إعادته وجزائه، فيعمل ليوم الإعادة والجزاء، ولا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته؛ و﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ استفهام جوابه ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ والدفق: صبّ فيه دفعٌ. ومعنى دافق: النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دفق، كاللابن والتامر. أو الإسناد المجازي. والدفق في الحقيقة لصاحبه، ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم، واتحادهما حين ابتدئ في خلقه ﴿مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ من بينَ صلب الرجل وترائب المرأة: وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة. وقرئ «الصلب» بفتحتين، والصلب بضمتين. وفيه أربع لغات: صَلْب، وصُلْب، وصَلَب وصَالب قال العجاج [من الرجز]:

فــي صَــلَــبٍ مِــثْــلِ الْــعِــنَــانِ الْــمُــؤْدَمِ[1]

١٧٣٨ ـ رواه الطبراني في الكبير (٨/ ١٩٦ ـ ١٩٧) رقم (٧٧٠٤) حدثنا أبو زيد الحوطي، ثنا أبو اليمان، ثنا عفير بن معدان، عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله فذكره.
قال الهيثمي (٧/ ٢٠٠٩).
«وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف» أ.هـ.
قال الحافظ: أخرجه الطبراني من رواية عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة به وأتم منه. وعفير ضعيف. انتهى.

---

(١) ريا العظام فخمة المخدم ... في صلب مثل العنان المؤدم

للعجاج. والريا: تأنيث الريان، أي: لينة العظام، سمينة محل الخدام وهو الخلخال. والمخدم ـ بالتشديد ـ على اسم المفعول. والصلب ـ بضمتين، وبفتحتين، وبضم فسكون: عظام الظهر، والمراد هنا: الخصر. وفي بمعنى مع، أي: وصفت بهذه الصفات، مع أن لها خصرًا رقيقًا لينًا، مثل العنان المؤدم. على اسم المفعول، أي: المؤلف بالفتل، يقال: أدم بينهما ـ بقصر الهمزة وبمدها ـ: بمعنى ألف وأصلح. أو المجعول له أدمة. أو لين الأدمة ـ بفتحتين، وهي الجلدة المدبوغة المصلحة، من أدمه بالمد: جعل له أدمة. والفخمة بالضم: الضخامة واسترخاء الرجلين. والفخمة ـ بالفتح ـ: وصف منه.
ينظر: ديوانه ١/ ٤٤٩، ٤٥٠، ولسان العرب (صلب)، (أدم)، وتهذيب اللغة ١٢/ ١٩٦، وتاج =

وقيل: العظم والعصب من الرجل، واللحم والدم من المرأة.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٌ ٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ١٠﴾

﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للخالق، لدلالة «خلق» عليه. ومعناه: إنَّ ذلك الذي خلق الإنسان ابتداء من نطفه ﴿عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ﴾ على إعادته خصوصًا ﴿لَقَادِرٌ﴾ لبين القدرة لا يلتاث[1] عليه ولا يعجز عنه. كقوله: إنني لفقير[2] ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى﴾ منصوب برجعه؛ ومن جعل الضمير في ﴿رَجۡعِهِۦ﴾ للماء وفسره برجعه إلى مخرجه من الصلب والترائب أو الإحليل. أو إلى الحالة الأولى نصب الظرف بمضمر ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ ما أسرّ في القلوب من العقائد والنيات وغيرها، وما أخفي من الأعمال وبلاؤها. تعرّفها وتصفحها، والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن أنه سمع رجلاً ينشد [من الطويل]:

سَيَبْقَى لَهَا في مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَـرِيـرَةُ وُدٍّ يَـوْمَ تَـبْـلَـى الـسَّـرَائِـرُ[3]

فقال: ما أغفله عما في ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ١﴾ ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ فما للإنسان ﴿مِن قُوَّةٖ﴾ من منعة في نفسه يمتنع بها ﴿وَلَا نَاصِرٖ﴾ ولا مانع يمنعه.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾

= العروس (صلب)، (أدم)، والمخصص ١٥/٧٩، وديوان الأدب ١/٢٠٤، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١١٣٩، ومقاييس اللغة ٣/٣٠١، ومجمل اللغة ٢/٢٣٥، والمخصص ١/١٥، ٤١، ٤/١٠٩.

(١) قوله: «لا يلتاث عليه» في الصحاح «التاث في عمله»: أي أبطأ. (ع)

(٢) قوله: «كقوله إنني لفقير» أي الشاعر، حيث قال [من الطويل]:

لئن كان يهدى برد أنيابها العلى لأفـقـر مـنـي إنـنـي لـفـقـيـر

وقد تقدم شرح هذا الشاهد.

(٣) إذا رمت عنـهـا سـلـوة قـال شـافـع من الحب: ميعاد السلو المقابر

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سـريـرة ود يـوم تـبـلـى الـسـرائـر

لمجنون بني عامر صاحب ليلى العامرية. وسلا عنه سلوة وسلوا: صد عنه وأعرض، وشبه بعث الحب إياه وحمله على دوام المودة بقول القائل على طريق التصريحية، وتسمية الحب شافعًا: ترشيح، ومن بيانية. ويحتمل أنها تجريدية دلالة على أن الحب بلغ نهاية اللذة حتى حمل على دوام المودة فانتزع منه غيره وأسند له الفعل. ويجوز أنها تبعيضية دالة على أن بعضه يكفي في الشفاعة. وقوله: «المقابر» أي دخولها، كناية عن الموت. والمراد: التأبيد، بدليل ما بعده. ومضمر القلب: المضمر في القلب. أو مضمر هو القلب. وتبلى: مبني للفاعل، أي: تفنى. ويحتمل بناؤه للمفعول، أي: يختبر والحشا ـ بالفتح ـ: عطف على القلب أعم منه، دلالة على أن الحب في غير قلبه أيضًا.

ينظر: ديوانه ص ١١٨، ولسان العرب (ضمر)، والتنبيه والإيضاح ٢/١٥٥، وتاج العروس (ضمر)، والشعر والشعراء ص ٥٢٥، والأغاني ٤/٢٤٤، وأمالي القالي ٢/١٦٤.

سمي المطر رجعًا، كما سمي أوبًا قال [من البسيط]:

رَبَّــاءُ شَــمَّــاءَ لاَ يَــأْوِي لِــقُــلَّــتِــهَــا ... إلاَّ الــسَّــحَــابُ وَإلاَّ الأوْبُ والــسَّــبَــلُ[1]

تسمية بمصدري: رجع، وآب؛ وذلك أنّ العرب كانوا يزعمون أنّ السحاب يحمل الماء من بحار الأرض، ثم يرجعه إلى الأرض. أو أرادوا التفاؤل فسموه رجعًا. وأوبًا، ليرجع ويؤوب. وقيل: لأنّ الله يرجعه وقتًا فوقتًا. قالت الخنساء: كالرجع في المدجنة السارية. والصدع: ما تتصدّع عنه الأرض من النبات ﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للقرآن ﴿فَصْلٌ﴾ فاصل بين الحق والباطل، كما قيل له فرقان ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ يعني أنه جدّ كله لا هوادة فيه. ومن حقه ـ وقد وصفه الله بذلك ـ أن يكون مهيبًا في الصدور، معظمًا في القلوب، يترفع به قارئه وسامعه وأن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح، وأن يلقى ذهنه إلى أنّ جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه، ويعده ويوعده، حتى إن لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية، فأدنى أمره أن يكون جادًا غير هازل، فقد نعى الله ذلك على المشركين في قوله: ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: ٦٠ ـ ٦١]، ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦].

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني: أهل مكة يعملون المكايد في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق، وأنا أقابلهم بكيدي: من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني: لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ أي: إمهالاً يسيرًا؛ وكرّر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات» (١٧٣٩).

١٧٣٩ ـ تقدم برقم (٣٤٦). قال الحافظ: أخرجه الواحدي والثعلبي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

---

(١) للمنتخل الهذلي يرثي ابنه. وقيل: يصف رجلاً بأنه رباء، أي طلاع من ربأ وارتبأ: إذا طلع لينظر إلى أمر. ومنه الربيئة؛ وإضافته إلى شماء من إضافة الوصف لمفعوله: وهي القلعة المرتفعة من الشمم وهو الارتفاع. وقلة الجبل وقنته: رأسه وأعلاه. والأوب: النحل، لأنه يذهب ويئوب إلى بيته. أو المطر؛ لأن أصله من بحار الأرض على زعم العرب، ثم يئوب إليها. والسبل ـ بالتحريك ـ: المطر من أسبلت الستر إذا أرسلته وأرخيته، وعلى أن الأوب بمعنى النحل لا مناسبة بينه قرينية، وعلى أنه بمعنى المطر، فالسيل مرادف له.

ينظر: خزانة الأدب ٥/ ٣، ٧ وشرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٨٥، وشرح شواهد الإيضاح ص ٣١٥، وشرح المفصل ٣/ ٥٨، ٥٩، وللهذلي في لسان العرب (أوب).

سورة الأعلى

مكية، وآياتها ١٩

[نزلت بعد التكوير]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ (٥)﴾

تسبيح اسمه ـ عز وعلا ـ: تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي إلحاد في أسمائه، كالجبر والتشبيه ونحو ذلك، مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار، لا بمعنى العلوّ في المكان والاستواء على العرش حقيقة؛ وأن يصان عن الابتذال والذكر، لا على وجه الخشوع والتعظيم. ويجوز أن يكون ﴿الْأَعْلَى﴾ صفة للرب، والاسم؛ وقرأ عليّ ـ رضي الله عنه ـ: سبحان ربي/ ٢/ ٢٦٠ب الأعلى. وفي الحديث لما نزلت: فسبح باسم ربك العظيم، قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال: «اجعلوها في سجودكم» (١٧٤٠) وكانوا يقولون في الركوع:

١٧٤٠ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٥٤٢): كتاب الصلاة: باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، الحديث (٨٧٠) والبيهقي من طريقه (٢/ ٨٦): كتاب الصلاة، باب القول في الركوع، من رواية الليث بن سعد، عن أيوب بن موسى أو موسى بن أيوب، عن رجل من قومه، عن عقبة بن عامر، قال: لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾، قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)﴾، قال لنا: اجعلوها في سجودكم فكان رسول الله ﷺ إذا ركع: قال: سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثًا، وإذا سجد قال: سبحان ربي الأعلى وبحمده ثلاثًا».
قال أبو داود: (وهذه الزيادة نخافُ ألا تكون محفوظة)، يعني قوله: «فكان رسول الله ﷺ إذا ركع قال: الحديث» لأن المعروف في الحديث بدونها إلى قوله: «اجعلوها في سجودكم».
وأخرجه بدون هذه الزيادة:
الطيالسي (١/ ١٣٥)، الحديث (١٠٠٠)، وأحمد (٤/ ١٥٥)، والدارمي (١/ ٢٩٩): كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع، وأبو داود (١/ ٥٤٢): كتاب الصلاة: باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، الحديث (٨٦٩)، وابن ماجه (١/ ٢٨١): كتاب إقامته الصلاة: باب التسبيح في الركوع =

اللهم لك ركعت، وفي السجود: اللهم لك سجدت ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: خلق كل شيء فسوّى خلقه تسوية، ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم، ولكن على إحكام واتساق، ودلالة على أنه صادر عن عالم، وأنه صنعة حكيم ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ قدّر لكل حيوان ما يصلحه، فهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع به. يحكى أنّ الأفعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت، ولقد ألهمها الله أنّ مسح العين بورق الرازيانج الغضّ يرّد إليها بصرها، فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها، فتحك بها عينيها وترجع باصرة بإذن الله وهدايات الله للإنسان إلى ما لا يحدّ من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في أغذيته وأدويته، وفي أبواب دنياه ودينه، وإلهامات البهائم والطيور وهوامّ الأرض: باب واسع، وشوط بطين[1]، لا يحيط به وصف واصف؛ فسبحان ربي الأعلى. وقرئ: «قدر» بالتخفيف ﴿أَحْوَىٰ﴾ صفة لغثاء، أي ﴿أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ أنبته ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بعد خضرته ورفيفه ﴿غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ درينا[2] أسود. ويجوز أن يكون ﴿أَحْوَىٰ﴾ حالا من المرعى، أي: أخرجه أحوى أسود من شدّة الخضرة والريّ، فجعله غثاء بعد حوّيه.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾

بشره الله بإعطاء آية بينة، وهي: أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ، فيحفظه ولا ينساه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته، كقوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] وقيل: كان يعجل بالقراءة إذا لقنه جبريل، فقيل: لا تعجل، فإنّ جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة إلى أن تحفظه؛ ثم لا

= والسجود، الحديث (٨٨٧)، والحاكم (١/ ٢٢٥): كتاب الصلاة: باب القنوت في الصلوات، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٣٥): كتاب الصلاة: باب ما ينبغي أن يقال في الركوع والسجود، والبيهقي (٢/ ٨٦) كتاب الصلاة: باب القول في الركوع، وابن خزيمة (١/ ٣٠٣)، رقم (٦٠٠)، وأبو يعلى (٣/ ٢٧٩)، رقم (١٧٣٨)، وابن حبان (٥٠٦ ـ موارد)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٠٢).

وقال الحاكم: (صحيح الإسناد)، ووافقه الذهبي وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، فقد أخرجاه ولم يعللاه بشيء.

قال الحافظ: أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان وأحمد من رواية إياس بن عامر عن عقبة بن عامر به. انتهى.

---

(١) قوله: «وشوط بطين» أي بعيد أفاده الصحاح. (ع)

(٢) الدرين: حطام المرعى إذا قدم، كذا في الصحاح. (ع)

تنساه إلا ما شاء الله، ثم تذكره بعد النسيان. أو قال: إلا ما شاء الله، يعني: القلة والندرة، كما روي «أنه أسقط آية في قراءته في الصلاة، فحسب أبيّ أنها نسخت، فسأله فقال: نسيتها» (١٧٤١) أو قال: إلا ما شاء الله: والغرض نفي النسيان رأسًا كما يقول الرجل لصاحبه: أنت سهيمي فيما أملك إلا فيما شاء الله، ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي. وقيل قوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ على النهي، والألف مزيدة للفاصلة، كقوله: ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]، يعني: فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه، إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحه ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ يعني أنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل ـ عليه السلام ـ مخافة التفلت، والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك إلى الجهر، فلا تفعل، فأنا أكفيك ما تخافه. أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم، وما ظهر وبطن من أحوالكم، وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه، فينسى من الوحي ما يشاء؛ ويترك محفوظًا ما يشاء.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ معطوف على ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ اعتراض ومعناه: ونوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل، يعني: حفظ الوحي[١]. وقيل: للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع وأسهلها مأخذًا. وقيل: نوفقك لعمل الجنة. فإن قلت: كان الرسول ﷺ مأمورًا بالذكرى نفعت أو لم تنفع، فما معنى اشتراط النفع؟ قلت: هو على وجهين، أحدهما: أنّ رسول الله ﷺ قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم، وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلا عتوًا وطغيانًا، وكان النبي ﷺ يتلظى حسرة وتلهفًا ويزداد

١٧٤١ ـ أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٦٧) رقم (٨٢٤٠) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٩٤): «ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه وفي مسنده والطبراني في معجمه وقالا فيه: فضحك ثم قال: «بل نسيتها» وكذا البخاري في كتابه المفرد في الأدب في القراءة خلف الإمام بسنده ومتن الطبراني وإسناده على شرط الشيخين» ا. هـ.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة والنسائي والبخاري في جزء القراءة والطبري من رواية ذر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال: «صلى رسول الله ﷺ الفجر فقرأ آية فذكر الحديث» وأخرجه أبو بشر الدولابي من هذا الوجه فقال: عن سعيد عن أبيه عن أبي بن كعب... فذكره:

---

(١) قوله: «يعني حفظ الوحي» لعله: يعني في حفظ الوحي. (ع)

جدًا في تذكيرهم وحرصًا عليه، فقيل له: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ [الزخرف: ٨٩]، ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩﴾ وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير. والثاني: أن يكون ظاهره شرطًا، ومعناه ذمًا للمذكرين، وإخبارًا عن حالهم، واستبعادًا لتأثير الذكرى فيهم، وتسجيلاً عليهم بالطبع على قلوبهم، كما تقول للواعظ: عظ المكاسين إن سمعوا منك. قاصدًا بهذا الشرط استبعاد ذلك، وأنه لن يكون ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ فيقبل التذكرة وينتفع بها ﴿مَن يَخۡشَىٰ﴾ الله وسوء العاقبة، فينظر ويفكر حتى يقوده النظر إلى اتباع الحق: فأمّا هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين، فلا تأمل أن يقبلوا منك ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ ويتجنب الذكرى ويتحاماها ﴿ٱلۡأَشۡقَى﴾ الكافر؛ لأنه أشقى من الفاسق/ ٢/ ٢٦١أ. أو الذي هو أشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله ﷺ. وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة ﴿ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ السفلى من أطباق النار[1] وقيل ﴿ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ نار جهنم. والصغرى نار الدنيا وقيل ﴿ثُمَّ﴾ لأنّ الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلي، فهو متراخ عنه في مراتب الشدّة والمعنى: لا يموت فيستريح، ولا يحيى حياة تنفعه.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝١٧﴾

﴿تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك والمعاصي. أو تطهر للصلاة. أو تكثر من التقوى، من الزكاة وهو النماء. أو تفعل من الزكاة، كتصدق من الصدقة ﴿فَصَلَّىٰ﴾ أي الصلوات الخمس، نحو قوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وعن ابن مسعود: رحم الله امرأ تصدق وصلى. وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال هو: التصدق بصدقة الفطر وقال: لا أبالي أن لا أجد في كتابي غيرها[2]، لقوله ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ أي

---

(١) قال محمود: «الأشقى: الكافر، لأنه أشقى من الفاسق. والنار الكبرى: السفلى من أطباق النار» قال أحمد: يشير إلى خلود الفاسق مع الكافر في أسافل النار؛ والفاسق أعلى منه، كما تقدم له التصريح بذلك كثيرًا.

(٢) قال محمود: «وعن علي أنه قال هو التصدق بصدقة الفطر وقال لا أبالي أن لا أجد في كتابي غيرها. . . إلخ» قال أحمد: في تلقي هذين الحكمين الأخيرين من الآية تكلف: أما الأول، فلأن العطف وإن اقتضى المغايرة فيقال بموجبها: فنحن إن قلنا إن تكبيرة الإحرام جزء من الصلاة، فالجزء مغاير للكل، فلا غرو أن يعطف عليه، والمغايرة مع الجزئية ثابتة والحالة هذه. وأما الثاني، فلأن الاسم معرف بالإضافة، وتعريف الإضافة عهدي عند محققي الفن، حتى إن القائل إذا قال: جاءني غلام زيد، ولزيد غلامان، فإنما تفهم من قوله معينًا منهم بسابق عهد بينك وبينه، هذا مهيع تعريف الإضافة؛ والمعهود في افتتاح الصلاة: ما استمر النبي ﷺ على العمل به قولاً وفعلاً: وهو =

أعطى زكاة الفطر، فتوجه إلى المصلى، فصلى صلاة العيد، وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح، وعلى أنها ليست من الصلاة لأن الصلاة معطوفة عليها، وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له. وعن الضحاك: وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ فلا تفعلون ما تفلحون به. وقرئ: يؤثرون، على الغيبة. ويعضد الأولى قراءة ابن مسعود: بل أنتم تؤثرون ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أفضل في نفسها وأنعم وأدوم. وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب[1].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى ﴿أَبْقَىٰٓ﴾ يعني أنّ معنى: هذا الكلام وارد في تلك الصحف. وقيل: إلى ما في السورة كلها. وروي: عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ «أنه سأل رسول الله ﷺ: كم أنزل الله من كتاب؟ فقال: مائة وأربعة كتب، منها على آدم: عشر صحف، وعلى شيث: خمسون صحيفة، وعلى أخنوخ: وهو إدريس: ثلاثون صحيفة، وعلى إبراهيم: عشر صحائف والتوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان» (١٧٤٢) وقيل: إنّ في صحف إبراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظًا للسانه عارفًا بزمانه مقبلاً على شأنه. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على إبراهيم وموسى ومحمد» (١٧٤٣). وكان إذا قرأها قال: «سبحان ربي الأعلى» (١٧٤٤) وكان علي وابن عباس يقولان ذلك. وكان يحبها (١٧٤٥) وقال: أول

١٧٤٢ ـ تقدم تخريجه في الحج. قال الحافظ: هو مختصر من حديث طويل أخرجه ابن حبان والحاكم. وقد تقدمت الإشارة إليه في الحج.
(تنبيه) وقع فيه على آدم عشر «صحائف» والذي عند المذكورين على موسى قبل التوراة عشر صحائف. انتهى.

١٧٤٣ ـ تقدم برقم (٣٤٦). قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

١٧٤٤ ـ رواه أبو داود (١/٢٩٦) كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة الحديث (٨٨٣) حدثنا زهير بن حرب، ثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق، عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس =

= التكبير المعروف، ولو تنزلنا على أنه في الآية مطلق، فالحصر في قوله: تحريمها للتكبير قيد إطلاقه.

(١) قوله: «إلا كنفجة أرنب» في الصحاح «نفجت الأرنب» إذا ثارت. (ع)

من قال «سبحان ربي الأعلى» ميكائيل (١٧٤٦).

= أن النبي ﷺ كان إذا قرأ «سبح اسم ربك الأعلى» قال: «سبحان ربي الأعلى».

ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) في الصلاة وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ا. هـ ووافقه الذهبي.

قال الحافظ: أخرجه أبو داود والحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بهذا. انتهى.

١٧٤٥ ـ قال الزيلعي (١٩٨/٤): «روى البزار في مسنده: ثنا يوسف بن موسى، ثنا وكيع، ثنا إسرائيل عن ثويد بن أبي فاختة عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال: كان رسول الله ﷺ يحب سورة «سبح اسم ربك الأعلى» قال الحافظ: أخرجه البزار عن يوسف بن موسى: ووكيع عن إسرائيل عن ثور بن أبي فاختة، عن أبيه، عن علي بهذا ورواه الواحدي من طريق أحمد بن حنبل ووكيع. انتهى.

١٧٤٦ ـ قال الحافظ: «ذكره الثعلبي عن علي بغير إسناد» ا.هـ.

سورة الغاشية

مكية، وآياتها ٢٦

[نزلت بعد الذاريات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١﴾

﴿الْغَاشِيَةِ﴾ الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها. يعني القيامة، من قوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ [العنكبوت: ٥٥]، وقيل: النار، من قوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]،

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم إذ غشيت ﴿خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ تعمل في النار عملاً تتعب فيه، وهو جرها السلاسل والأغلال[1]، وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل، وارتقاؤها دائبة في صعود من نار، وهبوطها في حدور منها. وقيل: عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت، فهي في نصب منها في الآخرة، وقيل: عملت ونصبت في أعمال لا تجدي عليها في الآخرة. من قوله ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: ٢٣]. ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [آل عمران: ٢٢]، وقيل: هم أصحاب الصوامع، ومعناه: أنها خشعت لله وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب[2]، والتهجد الواصب وقرئ: عاملة ناصبة، على الشتم. وقرئ: تصلى، بفتح التاء. وتصلى بضمها. وتصلى بالتشديد. وقيل: المصلى عند العرب:

---

(١) قال محمود: «ذليلة تعمل في النار عملاً تنصب منه وهو جرها السلاسل... إلخ» قال أحمد: الوجه الأول متعين لأن الظرف المذكور وهو قوله: (يومئذ) مقطوع عن الجملة المضاف إليها، تقديرها: يوم إذ غشيت، وذلك في الآخرة بلا إشكال، وهو ظرف لجميع الصفات المخبر بها، أعني: خاشعة عاملة ناصبة، فكيف يتناول أعمال الدنيا.

(٢) قوله: «من الصوم الدائب» الدائب والواصب كلاهما بمعنى الدائم. (ع)

أن يحفروا حفيرًا فيجمعوا فيه جمرًا كثيرًا، ثم يعمدوا إلى شاة فيدسوها وسطه، فأما ما يشوى فوق الجمر أو على المقلى أو في التنور، فلا يسمى مصليًا ﴿ءَانِيَةٍ﴾ متناهية في الحرّ، كقوله: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٤٤] الضريع يبيس الشبرق، وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطبًا[١]، فإذا يبس تحامته الإبل وهو سم قاتل قال أبو ذؤيب [من الطويل]: ٢/ ٢٦١ب

رَعَى الشِّبْرِقَ الرَّيَّانَ حَتَّى إذَا ذَوَى ... وَعَادَ ضَرِيعًا بَانَ عَنْهُ النَّحَائِصُ[٢]

وقال [من الكامل]:

وحبسن فِي هَزمِ الضَّرِيعِ فَكُلُّهَا ... حَدْبَاءُ دَامِيَةُ الْيَدَيْنِ حَرُودُ[٣]

فإن قلت: كيف قيل ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ وفي الحاقة ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ [الحاقة: ٣٦] قلت: العذاب ألوان، والمعذبون طبقات؛ فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين، ومنهم أكلة الضريع: لكل باب منهم جزء مقسوم ﴿لَّا يُسْمِنُ﴾ مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام. أو ضريع[٤]، يعني: أنّ طعامهم من شيء ليس من

---

(١) قال محمود: «الضريع: يبيس الشبرق، وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطبًا... إلخ» قال أحمد: فعلى الوجه الأول يكون صفة مخصصة لازمة. ذكرت شارحة لحقيقة الضريع. وعلى الثاني: تكون صفة مخصصة.

(٢) أي: رعى البعير الشبرق الريان، أي: الشوك الرطب. وذوى يذوي ذويًا: ذبل ذبولاً. وذوي كرضي أنكرها الجوهري، وأثبتها أبو عبيدة، أي: حتى إذا جف وصار ضريعًا يابسًا يتفتت بان عنه، أي: بعد عنه النحائص: جمع نحوص وهي الناقة الحائل، لعلمها أنه لا يسمن ولا يغني من جوع.
ينظر: البحر (٨/ ٤٦٠)، الدر المصون (٦/ ٥١٣).

(٣) لقيس بن عيزارة. وهزمه - بالزاي -: صدعه «ومنه: الهزم، أي: المتكسر. وناقة هزماء: بدا عظم وركيها من الهزال. وأما الهرم بالراء فهو الحمض، وبعير هارم: يرعى الحمض. والضريع: نبت سيء ذو شوك. والحدب: الانحناء. والحدباء: المنحنية. وحرد حردًا: يبس وشح، يقول: حبست النوق في مرعى غث متفتت، فكلها منحنية الظهور أو الأرجل من الهزال، دامية اليدين من الشوك، قليلة اللبن.
ينظر: شرح أشعار الهذليين ص ٥٩٨، ولسان العرب (ضرع)، (هزم)، وأساس البلاغة ص ٧٩ (حرد)، وتاج العروس (ضرع)، (هزم)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/٣٩٦، وديوان الأدب ١/ ٤١٤، والمخصّص ١٠/ ٢٠١.

(٤) قال السمين الحلبي: قال الشيخ. أما جره فعلى وصفه لضريع، لأنه مثبت نفي عنه السمن والإغناء من الجوع، وأما رفعه على وصفه لطعام فلا يصح لأن الطعام منفي ويسمن منفي. فلا يصح تركيبه لأنه يصير التقدير: ليس طعام لا يسمن ولا يغني من جوع إلا من ضريع، فيصير المعنى أن لهم طعامًا يسمن ويغني من جوع من غير الضريع كما تقول: ليس لزيد مال لا ينتفع به إلا من مال عمرو. فمعناه: أن له مالاً ينتفع به من غير مال عمرو. قلت: وهذا لا يَرِد لأنه على تقدير تسليم القول المفهوم، منع منه مانع كالسياق في الآية الكريمة. =

مطاعم الإنس، وإنما هو شوك والشوك مما ترعاه الإبل وتتولع به. وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه. ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه: وهما إماطة الجوع، وإفادة القوّة والسمن في البدن. أو أريد: أن لا طعام لهم أصلاً: لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الإنس؛ لأن الطعام ما أشبع أو أسمن، وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل إلا الشمس، تريد: نفي الظل على التوكيد[(١)]. وقيل: قالت كفار قريش: إن الضريع لتسمن عليه إبلنا فنزلت ﴿لَّا يُسْمِنُ﴾ فلا يخلو إما أن يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر، فيردّ قولهم بنفي السمن والشبع. وإما أن يصدقوا فيكون المعنى: أن طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم، إنما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿نَّاعِمَةٌ﴾ ذات بهجة وحسن، كقوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين: ٢٤]، أو متنعمة ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ رضيت بعملها لما رأت ما أدّاهم إليه من الكرامة والثواب ﴿عَالِيَةٍ﴾ من علو المكان أو المقدار ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ يا مخاطب. أو الوجوه ﴿لَاغِيَةً﴾ أي لغوا، أو كلمة ذات لغو. أو نفسًا تلغو، لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم. وقرئ: لا تُسمع، على البناء للمفعول بالتاء والياء[(٢)] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ يريد عيونًا في غاية الكثرة، كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: ١٤]، ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾ من رفعة المقدار أو السمك، ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوّله ربه من الملك والنعيم. وقيل: مخبوءة لهم، من رفع الشيء إذا خبأه ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ كلما أرادوها وجدوها موضوعة بين أيديهم عتيدة حاضرة، لا يحتاجون إلى أن يدعوا بها. أو موضوعة على حافات العيون معدّة للشرب. ويجوز أن يراد: موضوعة عن حد الكبار، أوساط بين

= ثم قال الشيخ: ولو قيل: الجملة في موضع رفع صفة للمحذوف المقدر في «إلا من ضريع» كان صحيحًا، لأنه في موضع رفع على أنه بدل من اسم ليس. أي ليس لهم طعام إلا كائن من ضريع. إذ الإطعام من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع، وهذا تركيب صحيح ومعنى واضح. انتهى. الدر المصون.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: فعلى هذا يكون استثناء منقطعًا إذ لم يندرج الكائن من الضريع تحت لفظ طعام إذ ليس بطعام، والظاهر الاتصال فيه، وفي قوله: «ولا طعام إلا من غسلين» قلت: وعلى قول الزمخشري المتقدم. لا يلزم أن يكون منقطعًا إذ المراد نفي الشيء بدليله. أي إن كان لهم طعام فليس إلا هذا الذي لا يعده أحد طعامًا، ومثله ليس له ظل إلا الشمس. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «على البناء للمفعول بالتاء والياء» أي: ولاغية: بالرفع فيهما. (ع)

الصغر والكبر، كقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦] ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها إلى جنب بعض. مساند ومطارح[١]، أينما أراد أن يجلس جلس على مسورة واستند إلى أخرى ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ وبسط عراض فاخرة. وقيل: هي الطنافس التي لها خمل رقيق. جمع زربية ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطة أو مفرقة في المجالس.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ نظر اعتبار ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ خلقًا عجيبًا، دالاً على تقدير مقدر، شاهدًا بتدبير مدبر، حيث خلقها للنهوض بالأثقال وجرها إلى البلاد الشاحطة[٢] فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر، ثم تنهض بما حملت، وسخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمّتها: لا تعاز ضعيفًا ولا تمانع صغيرًا، وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار. وعن بعض الحكماء. أنه حدث عن البعير وبديع خلقه، وقد نشأ في بلاد لا إبل بها، ففكر ثم قال: يوشك أن تكون طوال الأعناق، وحين أراد بها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش؛ حتى إن أظماءها[٣] لترتفع إلى العشر فصاعدًا، وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم. وعن سعيد بن جبير قال: لقيت شريحًا القاضي فقلت: أين تريد؟ قال: أريد الكناسة: قلت: وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى الإبل كيف خلقت. فإن قلت: كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والجبال والأرض ولا مناسبة؟ قلت: قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم؛ فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم، ولم يدع من زعم أن الإبل السحاب إلىٰ قوله؛ إلا طلب المناسبة، ولعله لم يرد أن الإبل من أسماء السحاب، كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين، وغير ذلك، وإنما رأى السحاب مشبهًا بالإبل كثيرًا في أشعارهم، فجوز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز ﴿كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ رفعًا بعيد المدى بلا مساك وبغير عمد. و ﴿كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ نصبا ثابتًا، فهي راسخة لا تميل ولا تزول و﴿كَيْفَ

---

(١) قوله: «مساند ومطارح» عبارة النسفي. وسائدة وقوله. على مسورة عبارة النسفي. على موسدة. (ع)
(٢) قوله: «إلى البلاد الشاحطة» أي البعيدة. أفاده الصحاح. (ع)
(٣) قوله: «حتى إن أظماءها» في الصحاح: «الظمي» ما بين الوردين: وهو حبس الإبل عن الماء إلى غاية الورد، والجمع: الأظماء. (ع)

﴿سُطِحَتۡ﴾ سطحًا بتمهيد وتوطئة، فهي مهاد للمتقلب عليها. وقرأ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: خلقت، ورفعت/ ٢/ ٢٦٢أ؛ ونصبت، وسطحت: على البناء للفاعل وتاء الضمير، والتقدير: فعلتها. فحذف المفعول. وعن هٰرون الرشيد أنه قرأ: «سطّحت» بالتشديد والمعنى: أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق، حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا إنذار الرسول ﷺ ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه. أي: لا ينظرون، فذكرهم ولا تلح عليهم، ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يذكرون ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾ كقوله: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشورى: ٤٨]. ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ بمتسلط، كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ [ق: ٤٥]، وقيل: هو في لغة تميم مفتوح الطاء؛ على أن «سيطر» متعد عندهم وقولهم: تسيطر، يدل عليه ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ استثناء منقطع، أي: لست بمستولٍ عليهم، ولكن من تولى ﴿وَكَفَرَ﴾ منهم؛ فإن لله الولاية والقهر. فهو يعذبه ﴿ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ﴾ الذي هو عذاب جهنم. وقيل: هو استثناء من قوله: ﴿فَذَكِّرۡ﴾ أي: فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى، فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض. وقرئ: ألا من تولى، على التنبيه. وفي قراءة ابن مسعود: فإنه يعذبه، وقرأ أبو جعفر المدني: إيابهم، بالتشديد. ووجهه أن يكون «فيعالا» مصدر «أيب» فيعل من الإياب. أو أن يكون أصله أوّابًا: فعالاً من أوّب، ثم قيل: إيوابًا كديوان في دوّان، ثم فعل به ما فعل بأصل: سيد وميت. فإن قلت: ما معنى تقديم الظرف؟ قلت: معناه التشديد في الوعيد[1]، وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام، وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه، وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير. ومعنى الوجوب: الوجوب في الحكمة، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابًا يسيرًا» (١٧٤٧).

١٧٤٧ ـ تقدم برقم (٣٤٦) قال الحافظ: أخرجه الواحدي والثعلبي وابن مردويه بالإسناد إلى أبي بن كعب. انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت: ما معنى تقديم الظرف؟ وأجاب بأن معناه التشديد في الوعيد... إلخ» قال أحمد: ومعنى (ثم) الدلالة على أن الحساب أشد من الإياب، لأنه موجب العذاب وبادرته.

سورة الفجر

مكية، وآياتها ٣٠ وقيل: ٢٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥﴾

أقسم بالفجر كما أقسم بالصبح في قوله: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤﴾ [المدثر: ٣٤]، ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [التكوير: ١٨]، وقيل: بصلاة الفجر. وأراد بالليالي العشر: عشر ذي الحجة. فإن قلت: فما بالها منكرة من بين ما أقسم به؟ قلت: لأنها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي: العشر بعض منها. أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها. فإن قلت: فهلا عرفت بلام العهد، لأنها ليال معلومة معهودة؟ قلت: لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير؛ ولأن الأحسن أن تكون اللامات متجانسة، ليكون الكلام أبعد من الألغاز والتعمية، وبالشفع والوتر: إما الأشياء كلها شفعها ووترها، وإما شفع هذه الليالي ووترها. ويجوز أن يكون شفعها يوم النحر، ووترها يوم عرفة، لأنه تاسع أيامها وذاك عاشرها، وقد روي عن النبي ﷺ أنه فسرهما بذلك (١٧٤٨). وقد أكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان فيه، وذلك قليل الطائل، جدير بالتلهي عنه، وبعد ما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم ﴿إِذَا يَسۡرِ﴾ إذا يمضي؛ كقوله:

١٧٤٨ ـ رواه النسائي في تفسيره (٢/ ٥٢١) رقم (٦٩١، ٦٩٢).
وأحمد في مسنده (٣/٣٢٧) والبزار رقم (٢٢٨٦ ـ كشف) والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٢٠) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي كلهم من حديث جابر وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٣٧):
«رواه البزار وأحمد ورجالهما رجال الصحيح غير عياش بن عقبة وهو ثقة».
وعزاه الزيلعي (٤/ ٢٠٥) للبيهقي في الشعب وقال: وهذا مسند لا بأس برجاله» ا .هـ.
قال الحافظ: قلت: التعليل من كلام الزمخشري. وأصله عند النسائي وأحمد والبزار والحاكم والبيهقي في الشعب الثالث والعشرين من رواية خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر. قال: لا نعلمه إلا بهذا الإسناد. انتهى.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣﴾ [المدثر: ٣٣]، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧﴾ [التكوير: ١٧]، وقرئ: والوتر، بفتح الواو، وهما لغتان كالحبر والحبر في العدد، وفي الترة: الكسر وحده[1]. وقرئ: الوتر، بفتح الواو وكسر التاء: رواها يونس عن أبي عمرو، وقرئ: والفجر، والوتر، ويسر: بالتنوين، وهو التنوين الذي يقع بدلاً من حرف الإطلاق. وعن ابن عباس: وليال عشر، بالإضافة يريد: وليال أيام عشر. وياء ﴿يَسۡرِ﴾ تحذف في الدرج، اكتفاء عنها بالكسرة، وأما في الوقف فتحذف مع الكسرة، وقيل: معنى «يسري» يسري فيه ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي فيما أقسمت به من هذه الأشياء ﴿قَسَمٞ﴾ أي مقسم به ﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾ يريد: هل يحق عنده أن تعظم بالإقسام بها. أو: هل في إقسامي بها إقسام لذي حجر، أي: هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه. والحجر: العقل؛ لأنه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي، كما سمي عقلا ونهية؛ لأنه يعقل وينهى. وحصاة: من الإحصاء وهو الضبط وقال الفراء: يقال: إنه لذو حجر، إذا كان قاهرًا لنفسه ضابطًا لها؛ والمقسم عليه محذوف وهو «ليعذبن» يدل عليه قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ إلى قوله: ﴿فَصَبَّ ٢/ ٢٦٢ ب عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣﴾ [الفجر: ١٣].

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾

قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح: عاد، كما يقال لبني هاشم: هاشم. ثم قيل للأولين منهم عاد الأولى وإرم، تسمية لهم باسم جدهم، ولمن بعدهم: عاد الأخيرة. قال ابن الرقيات [من المنسرح]:

مَجْدًا تَلِيدًا بَنَاهُ أَوَّلُهُ ... أَدْرَكَ عَادًا وَقَبْلَهَا إِرَمَا[2]

فإرم في قوله ﴿بِعَادٍ إِرَمَ﴾ عطف بيان لعاد، وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة. وقيل:

---

(١) قوله: «وفي الترة الكسر وحده» في الصحاح «الموتور» الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه؛ تقول وتره وترًا وترة، وكذلك: وتره حقه، أي: نقصه. (ع)

(٢) لابن الرقيات، يصف رجلًا بأنه حاز مجدًا تليدًا. أي: قديمًا. وشبهه بالحصن المبني على طريق المكنية وبناه تخييل، أي شرعه وجدده أوله، أي: آباؤه الأولون: أدرك هذا المجد من جدود الممدوح عادًا وإرمًا قبله أي: قبل عاد، لأنه عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، فعقب عاد هذا: هم عاد الأولى، ومن بعدهم: عاد الثانية.
البحر ٨/ ٤٦٦، الدر المصون ٦/ ٥١٩.

﴿إِرَمَ﴾ بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير: «بعاد إرم»، على الإضافة وتقديره: بعاد أهل إرم، كقوله: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضًا للتعريف والتأنيث. وقرأ الحسن: «بعادَ أرمَ»، مفتوحتين. وقرئ: بعاد إرم، بسكون الراء على التخفيف، كما قرئ: «بورقكم» [الكهف] وقرئ: بعاد إرم ذات العماد، بإضافة إرم إلى ذات العماد. والإرم: العلم، يعني: بعاد أهل أعلام ذات العماد. و﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ اسم المدينة وقرئ «بعاد إرمّ ذات العماد» أي جعل الله ذات العماد رميمًا بدلاً من فعل ربك؛ وذات العماد إذا كانت صفة للقبيلة، فالمعنى: أنهم كانوا بدويين أهل عمد، أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة ومنه قولهم: رجل معمد وعمدان: إذا كان طويلًا. وقيل: ذات البناء الرفيع، وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى: أنها ذات أساطين. وروي أنه كان لعاد ابنان: شداد وشديد؛ فملكا وقهرا، ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد، فملك الدنيا ودانت له ملوكها، فسمع بذكر الجنة فقال أبني مثلها، فبنى إرم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة، وكان عمره تسعمائة سنة: وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت. وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة؛ ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته؛ فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا. وعن عبد الله بن قلابة: أنه خرج في طلب إبل له، فوقع عليها، فحمل ما قدر عليه مما ثم، وبلغ خبره معاوية فاستحضره، فقص عليه، فبعث إلى كعب فسأله فقال: هي إرم ذات العماد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال، يخرج في طلب إبل له؛ ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال: هذا والله ذلك الرجل (١٧٤٩) ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا﴾ مثل عاد ﴿فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ عظم أجرام وقوّة، كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع، وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم، أو لم يخلق مثل مدينة شدّاد في جميع بلاد الدنيا. وقرأ ابن الزبير: «لم يخلق مثلها»، أي: لم يخلق الله مثلها ﴿جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتًا، كقوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشعراء: ١٤٩] قيل: أول من نحت الجبال والصخور والرخام: ثمود، وبنوا ألفًا وسبعمائة مدينة كلها من

١٧٤٩ ـ قال الزيلعي (٤/ ٢٠٦) رواه الثعلبي من طريق عثمان بن سعيد الدارمي: أنا عبد الله بن صالح، ثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران، عن وهب بن منبه، عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت. . . . إلى آخره.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من طريق عثمان الدارمي عن عبد الله بن أبي صالح، عن أبي لهيعة عن خالد بن أبي عمران، عن وهب بن منبه، عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت فذكره مطولاً. قلت: «آثار الوضع عليه لائحة». انتهى.

الحجارة. قيل له: ذو الأوتاد، لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا، أو لتعذيبه بالأوتاد، كما فعل بماشطة بنته وبآسية ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡا۟﴾ أحسن الوجوه فيه أن يكون في محل النصب على الذم. ويجوز أن يكون مرفوعًا على: هم الذين طغوا أو مجرورًا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون يقال: صب عليه السوط وغشاه وقنعه، وذكر السوط: إشارة إلى أن ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعدّ لهم في الآخرة، كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذب به. وعن عمرو بن عبيد: كان الحسن إذا أتى على هذه الآية قال: إن عند الله أسواطًا كثيرة، فأخذهم بسوط منها. المرصاد: المكان الذي يترتب فيه الرصد «مفعال» من رصده؛ كالميقات من وقته. وهذامثل لإرصاده العصاة بالعقاب وأنهم لا يفوتونه. وعن بعض العرب أنه قيل له: أين ربك؟ فقال: بالمرصاد. وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه قرأ هذه السورة عند بعض الظلمة حتى بلغ هذه الآية فقال: إنّ ربك لبالمرصاد يا فلان، عرّض له في هذا النداء بأنه بعض من توعد بذلك من الجبابرة، فللّه درّه أيُّ أسد فرّاس كان بين ثوبيه، يدق الظلمة بإنكاره، ويقصع أهل الأهواء[1] والبدع باحتجاجه.

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾

فإن قلت: بم اتصل قوله[2] ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾؟ قلت: بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ كأنه قيل: إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة والسعي للعاقبة، وهو مرصد بالعقوبة للعاصي؛ فأما الإنسان فلا يريد ذلك ولا يهمه إلا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها.

فإن قلت: فكيف توازن قوله، فأما الإنسان، ﴿إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ وقوله: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ﴾[3] وحق التوازن أن يتقابل الواقعان بعد أما وأما، تقول: أما الإنسان فكفور، وأما الملك فشكور. أما إذا أحسنت إلى زيد فهو محسن إليك؛ وأما إذا أسأت إليه فهو مسيء إليك؟ قلت: هما متوازنان من حيث إنّ التقدير: وأما هو إذا ما ابتلاه ربه؛ وذلك أن قوله ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ خبر المبتدأ الذي هو الإنسان، ودخول الفاء لما في «أما» من معنى

---

(١) قوله: «ويقصع أهل الأهواء» في الصحاح «قصعت الرجل» صغرته وحقرته. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: كيف اتصل قوله (فأما الإنسان) بما قبله. . . إلخ» قال أحمد: قوله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة ولا يأمره إلا بها: فاسد الصدر، مبني على أصله الفاسد، سليم العجز.

(٣) قال محمود: «فإن قلت كيف توازن قوله: (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه) وقوله: (وأما إذا ما ابتلاه) قال أحمد: يريد أنه صدر ما بعد أما الأولى بالإسم، وما بعد الثانية بالفعل. ومقصود السائل أن يكونا مصدرين: إما باسمين أو بفعلين.

الشرط، والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير، كأنه قيل: فأما الإنسان فقائل ربي أكرمن وقت الابتلاء، فوجب أن يكون ﴿فَيَقُولُ﴾ الثاني خبر لمبتدإ واجب تقديره.
فإن قلت: كيف سمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء؟ قلت: لأنّ كل واحد منهما اختبار للعبد، فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر؟ وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع؟ فالحكمة فيهما واحدة. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فإن قلت: هلا قال: فأهانه وقدر عليه رزقه، كما قال فأكرمه ونعمه؟ قلت لأن البسط إكرام من الله لعبده بإنعامه عليه متفضلاً من غير سابقة[(١)]، وأما التقدير فليس بإهانة له؛ لأنّ الإخلال بالتفضل لا يكون إهانة، ولكن تركًا للكرامة، وقد يكون المولى مكرمًا لعبده ومهينًا له، وغير مكرم ولا مهين؛ وإذا أهدى لك زيد هدية قلت: أكرمني بالهدية، ولا تقول: أهانني ولا أكرمني إذا لم يهد لك. فإن قلت: فقد قال: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾ فصحح إكرامه وأثبته، ثم أنكر قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ وذمّه عليه، كما أنكر قوله: ﴿أَهَٰنَنِ﴾ وذمّه عليه.

قلت: فيه جوابان، أحدهما: أنه إنما أنكر قوله ربي أكرمن وذمّه عليه؛ لأنه قال على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته، وهو قصده إلى أنّ الله أعطاه ما أعطاه إكرامًا له مستحقًّا مستوجبًا على عادة افتخارهم وجلالة أقدارهم عندهم، كقوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[(٢)] [القصص: ٧٨]، وإنما أعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتدّ الله إلا به، وهو التقْوى دون الأنساب والأحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من أجلها.

والثاني: أن ينساق الإنكار والذمّ إلى قوله: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ يعني أنه إذا تفضل عليه بالخير وأكرم به اعترف بتفضل الله وإكرامه، وإذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانًا وليس بهوان، ويعضد هذا الوجه ذكر الإكرام في قوله: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾[(٣)] وقرئ: فقدر،

---

(١) قال محمود: «فإن قلت هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه، كما قال فأكرمه ونعمه؟ وأجاب بأن البسط إكرام من الله تعالى للعبد من غير سابقة» قال أحمد: «قيد زائد تفريعًا على أصله الفاسد» والحق أن كل نعمة من الله كذلك.

(٢) قال محمود: «فإن قلت: فقد قال فأكرمه فصحح إكرامه وأثبته، ثم أنكر قوله ربي أكرمن وذمه عليه كما أنكر قوله ربي أهانن وذمه عليه، وأجاب بأمرين، أحدهما أن المنكر عليه اعتقاده أن إكرام الله تعالى له عن استحقاق لمكان نسبه وحسبه وجلالة قدره، كما كانوا يعتقدون الاستحقاق بذلك على الله، كما قال: إنما أوتيته على علم» قال أحمد: والقدري لا يبعد عن ذلك، لأنه يرى أن النعيم الأعظم في الآخرة حق للعبد على الله واجب له عليه ليس بتفضل ولا ممنون.

(٣) قال محمود: «الثاني أن ينساق الإنكار والذم إلى قوله: (ربي أهانن) بمعنى أنه إذا تفضل عليه بالخير اعترف بتفضل الله تعالى، وإذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانًا وليس بهوان، ويعضد هذا الوجه ذكر الإكرام في قوله فأكرمه» قال أحمد: كأنه يجعل قوله (فأكرمه) توطئة لذمه على قوله =

بالتخفيف والتشديد وأكرمن، وأهانن: بسكون النون في الوقف، فيمن ترك الياء في الدرج مكتفيًا منها بالكسرة.

﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عن قوله ثم قال: بل هناك شرّ من هذا القول[١]. وهو: أنّ الله يكرمهم بكثرة المال، فلا يؤدّون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد والمبرّة، وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه أكل الأنعام، ويحبونه فيشحون به وقرئ: يكرمون، وما بعده بالياء والتاء. وقرئ: تحاضون، أي: يحض بعضكم بعضًا: وفي قراءة ابن مسعود: ولا تحاضون، بضم التاء، من المحاضة ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ ذا لمّ وهو الجمع بين الحلال والحرام؛ قال الحطيئة [من الطويل]:

إِذَا كَانَ لَمًّا يَتْبَعُ الذَّمُّ أَهْلَهُ ... فَلاَ قَدَّسَ الرَّحْمٰنُ تِلْكَ الطَّوَاحِنَا[٢]

يعني: أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم. وقيل كانوا لا يورّثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون تراثهم مع تراثهم. وقيل: يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة، وهو عالم بذلك فيلم في الأكل بين حلاله وحرامه. ويجوز أن يذمّ الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا، من غير أن يعرق فيه جبينه، فيسرف في إنفاقه، ويأكله أكلا واسعًا جامعًا بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة والفواكه، كما يفعل الورّاث البطالون ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ كثيرًا شديدًا مع الحرص والشره ومنع الحقوق.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا

= (أهانن) لا أنه مذموم معه.

(١) قال محمود: «إنما أضرب عن الأول للإشعار بأن هنا ما هو أشر من القول الأول... إلخ» قال أحمد: وفي هذه الآية إشعار بإبطال الجواب الثاني من جوابي الزمخشري؛ فإنه جعل قوله: (أكرمن) غير مذموم، ودلت هذه الآية على أن المعنى أن للمكرم بالبسط بالرزق حالتين، إحداهما: اعتقاده أن إكرام الله له عن استحقاق. الثانية أشد من الأولى: وهي ألا يعترف بالإكرام أصلًا، لأنه يفعل أفعال جاحدي النعمة، فلا يؤدي حق الله الواجب عليه في المال من إطعام اليتيم والمسكين.

(٢) للحطيئة. واللم: الجمع بين الحلال والحرام من غير فرق. وروي «ربه» بدل «أهله» والطواحن: الأضراس. وتسمى: الأرحاء جمع رحى، يقول: إذا كان الأكل جمعًا، أي: ذا جمع بين الخبيث والطيب يتبع صاحبه الذم، فلا طهر الله تلك الأضراس التي تطحن ذلك المأكول؛ والدعاء عليها: دعاء على صاحبها.
البحر المحيط ٨/٤٦٦، الدر المصون ٦/٥٢٢.

﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم. ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرّطوا فيه حين لا تنفع الحسرة؛ و«يومئذ» بدل من ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾ وعامل النصب فيهما يتذكر ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ دكًا بعد دك. كقوله: حسبته بابا بابا، أي: كرّر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا.

فإن قلت: ما معنى إسناد المجيء إلى الله، والحركة والانتقال إنما يجوزان على من كان في جهة.

قلت: هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه: مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفًا بعد صف محدقين بالجن والإنس ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ كقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥] وروي: أنها لما نزلت تغيّر وجه رسول الله ﷺ وعرف في وجهه حتى اشتدّ على أصحابه، فأخبروا عليًا رضي الله عنه، فجاء فاحتضنه من خلفه وقبله بين عاتقيه؛ ثم قال: يا نبيّ الله، بأبي أنت وأمي ما الذي حدث اليوم، وما الذي غيّرك؟ فتلا عليه الآية. فقال علي له: كيف يجاء بها؟ قال: يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام، فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع (١٧٥٠). أي: يتذكر ما فرّط فيه، أو يتعظ ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ ومن أين له منفعة الذكرى؟ لا بد من تقدير حذف المضاف، وإلا فبين: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ﴾، وبين ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ تناف وتناقض ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ هذه، وهي حياة الآخرة، أو وقت حياتي في الدنيا، كقولك: جئته لعشر ليال خلون من رجب؛ وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان في أيديهم ومعلقًا بقصدهم وإرادتهم، وأنهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي، كمذهب أهل الأهواء[1] والبدع، وإلا فما معنى التحسر؟ قرئ بالفتح: يعذب ويوثق، وهي قراءة رسول

١٧٥٠ ـ رواه الواحدي (٤/ ٤٨٥) في الوسيط وعزاه الزيلعي (٤/ ٢٠٦) للثعلبي وابن مردويه في تفسيريهما كلهم من طريق عطية عن أبي سعيد به وأتم منه.
وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي من طريق عطية، عن أبي سعيد به وأتم منه. انتهى.

---

(١) قوله: «كمذهب أهل الأهواء» إن كان المراد بهم أهل السنة لقولهم بأن الله هو الخالق لفعل العبد فهم يثبتون له الاختيار فيه؛ لأنهم يثبتون له الكسب فيه وإن كان المراد بهم من قال بالجبر المحض وهم القائلون بأن العبد لا دخل له في فعله أصلاً، بل هو كالريشة المعلقة في الهواء، فكلامه مسلم =

الله ﷺ. وعن أبي عمرو أنه رجع إليها في آخر عمره. والضمير للإنسان الموصوف. وقيل: هو أبيّ بن خلف أي: لا يعذب أحد مثل عذابه، ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه؛ لتناهيه في كفره وعناده، أو لا يحمل عذاب الإنسان أحد، كقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥] وقرئ بالكسر، والضمير لله تعالى، أي: لا يتولى عذاب الله أحد؛ لأنّ الأمر لله وحده في ذلك اليوم. أو للإنسان، أي: لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾ على إرادة القول، أي: يقول الله للمؤمن: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾ إمّا أن يكلمه إكرامًا له كما كلم موسى صلوات الله عليه، أو على لسان ملك. و﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآمنة التي لا يستفزّها خوف ولا حزن، وهي النفس المؤمنة أو المطمئنة إلى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك، ويشهد للتفسير الأوّل، قراءة أبيّ بن كعب: «يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة».

فإن قلت: متى يقال لها ذلك؟ قلت: إمّا عند الموت. وإمّا عند البعث، وإمّا عند دخول الجنة. على معنى: ارجعي إلى موعد ربك ﴿رَاضِيَةً﴾ بما أوتيت ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عند الله ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ في جملة عبادي الصالحين، وانتظمي في سلكهم ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ معهم، وقيل: النفس الروح. ومعناه: فادخلي في أجساد عبادي. وقرأ ابن عباس: «فادخلي في عبدي»، وقرأ ابن مسعود: «في جسد عبدي». وقرأ أبيّ: «ائتي ربك راضية مرضية، ادخلي في عبدي» وقيل: نزلت في حمزة بن عبد المطلب. وقيل: في خبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة، فقال: اللهم إن كان لي عندك خير فحوّل وجهي نحو قبلتك، فحوّل الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحوّله، والظاهر العموم.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نورًا يوم القيامة» (١٧٥١).

١٧٥١ ـ تقدم برقم (٣٤٦) قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

= لظهور بطلان مذهبهم. (ع)

سورة البلد

مكية، وآياتها عشرون

[نزلت بعد ق]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾

أقسم الله سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الإنسان خلق مغمورًا في مكابدة المشاق والشدائد؛ واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ يعني: ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم. عن شرحبيل: يحرّمون أن يقتلوا بها صيدًا ويعضدوا بها شجرة، ويستحلون إخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله ﷺ، وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة، وتعجيب من حالهم في عداوته، أو سلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالقسم ببلده، على أنّ الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد؛ واعترض بأن وعده فتح مكة تتميمًا للتسلية والتنفيس عنه. فقال: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾، يعني: وأنت حلّ به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر؛ وذلك أنّ الله فتح عليه مكة وأحلّها له، وما فتحت على أحد قبله ولا أحلّت له فأحلّ ما شاء وحرّم ما شاء. قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة. ومقيس بن صبابة وغيرهما، وحرّم دار أبي سفيان (١٧٥٢)، ثم قال: «إنّ الله حرم مكة يوم خلق السمٰوات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي، ولم تحل لي إلاّ ساعة من نهار، فلا يعضد شجرها، ولا يختلى

١٧٥٢ ـ تقدم وقال الحافظ في تخريج الكشاف: تقدم. وقتل ابن خطل: متفق عليه، وقتل مقيس بن صبابة عند أبي داود والنسائي من رواية مصعب بن سعد عن أبيه وقتل غيرهما تقدم أيضًا. ومنهم الحويرث بن نفيل. رواه الواقدي في المغازي. والمراد بقوله: «حرم دار أبي سفيان قوله ﷺ يوم الفتح: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» وقد رواه إسحاق وغيره.

خلاها، ولا ينفّر صيدها ولا تحل لقطتها إلاّ لمنشد. فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر فإنه لقيوننا[1] وقبورنا وبيوتنا؛ فقال ﷺ: «إلاّ الإذخر» (١٧٥٣).

فإن قلت: أين نظير قوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾ في معنى الاستقبال؟

قلت: قوله عزّ وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠] ومثله واسع في كلام العباد، تقول لمن تعده الإكرام والحباء: أنت مكرم محبو، وهو في كلام الله أوسع؛ لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة. وكفاك دليلاً قاطعًا على أنه للاستقبال، وأن تفسيره بالحال محال: أن السورة بالاتفاق مكية، وأين الهجرة عن وقت نزولها، فما بال الفتح؟ فإن قلت: ما المراد بـ ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾؟ قلت: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ولده، أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسماعيل، وبمن ولده وبه. فإن قلت: لم نكر؟ قلت: للإبهام المستقل بالمدح والتعجب. فإن قلت: هلا قيل ومن ولد؟ قلت: فيه ما في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦] أي: بأي شيء وضعت، يعني موضوعًا عجيب الشأن. وقيل: هما آدم وولده. وقيل: كل والد وولد.

والكبد: أصله من قولك: كبد الرجل كبدًا، فهو أكبد: إذا وجعت كبده وانتفخت، فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة؛ ومنه اشتقت المكابدة، كما قيل: كبته بمعنى أهلكه. وأصله: كبده، إذا أصاب كبده؛ قال لبيد [من المنسرح]:

١٧٥٣ ـ أخرجه البخاري (٤٦، ٤٧): كتاب جزاء الصيد: باب لا يحل القتل بمكة، حديث (١٨٣٤)، ومسلم (٢/ ٩٨٦، ٩٨٧): كتاب الحج: باب تحريم مكة وصيدها وحلالها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد، على الدوام، حديث (٤٤٥/ ١٣٥٣).

وأبو داود (٢/ ٦) كتاب الجهاد: باب في الهجرة هل انقطعت حديث (٢٤٨٠) والنسائي (٧/ ١٤٦) كتاب الجهاد: باب ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة والترمذي (٤/ ١٢٦) كتاب السير: باب ما جاء في الهجرة حديث (١٥٩٠) والدارمي (٢/ ٢٣٩) كتاب السير: باب لا هجرة بعد الفتح وعبد الرزاق (٥/ ٣٠٩) رقم (٩٧١٣) وابن الجارود (١٠٣٠) وابن حبان (٤٨٤٥ ـ الإحسان) والبيهقي (٥/ ١٩٥) والطبراني في «الكبير» رقم (١٠٩٤٤) والبغوي في شرح السنة (٥/ ٥٢٠ ـ بتحقيقنا) من طريق منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ ـ يوم الفتح فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والله فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده لا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ويختلي خلاها» فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال: «إلا الإذخر»، وهذا لفظ البخاري.

قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة وله طرق وألفاظ. انتهى.

---

(١) قوله «فإنه لقيوننا» القيون جمع قين، وهو الحداد كذا في «الصحاح» انتهى

يَـا عَـيْـنُ هَـلاَّ بَـكَـيْـتِ أَرْبَـدَ إِذْ قُـمْـنَـا وَقَـامَ الْـخُـصُـومُ فِـي كَـبَـدِ[1]

أي: في شدة الأمر وصعوبة الخطب.

والضمير في ﴿أَيَحْسَبُ﴾ لبعض صناديد قريش الذي كان رسول الله ﷺ يكابد منهم ما يكابد

والمعنى: أيظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين: أن لن تقوم قيامة، ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه، ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم، وأنه يقول: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم، ويدعونها معالي ومفاخر ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخارًا بينهم، يعني: أن الله كان يراه وكان عليه رقيبًا. ويجوز أن يكون الضمير للإنسان، على أن يكون المعنى: أقسم بهذا البلد الشريف، ومن شرفه أنك حلّ به مما يقترفه أهله من المآثم متحرج بريء، فهو حقيق بأن أعظمه بقسمي به ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ أي: في مرض: وهو مرض القلب وفساد الباطن، يريد: الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات. وقيل: الذي يحسب أن لن يقدر عليه أحد: هو أبو الأشد، وكان قويًا يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول: من أزالني عنه فله كذا، فلا ينزع إلاّ قطعًا ويبقى موضع قدميه. وقيل: الوليد بن المغيرة «لبدا» قرئ بالضم والكسر: جمع لبدة ولبدة، وهو ما تلبد يريد الكثرة: وقرئ: «لبدًا» بضمتين: جمع لبود. ولبدا: بالتشديد جمع لابد.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾ يبصر بهما المرئيات ﴿وَلِسَانًا﴾ يترجم به عن ضمائره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك ﴿وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي: طريقي الخير والشر. وقيل: الثديين ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ يعني: فلم يشكر تلك الأيادي والنعم بالأعمال الصالحة: من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين، ثم

---

(١) للبيد يرثي أخاه أربد. وكبد كبدًا كتعب: وجعت كبده وانتفخت، فاتسع فيه حتى صار كتعب في المعنى أيضًا. يقول: يا عين هلا بكيت أخي وقت قيامنا للحرب وقيام الخصوم معنا فيه. والعاملان تنازعا قوله (في كبد) ونزل عينه منزلة من يعقل، فخاطبها، وهلا: حرف تحضيض.
ينظر: ديوانه ص ١٦٠، وتذكرة النحاة ص ١١٨، والخصائص ٣/٣١٨، ولسان العرب (كبد).

بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة، وأساس كل خير؛ بل غمط النعم[1] وكفر بالمنعم. والمعنى: أن الإنفاق على هذا الوجه هو الإنفاق المرضي النافع عند الله، لا أن يهلك مالاً لبدًا في الرياء والفخار، فيكون مثله ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ. . .﴾ [آل عمران: ١١٧] الآية. فإن قلت: قلما تقع «لا» الداخلة على الماضي إلاّ مكرره؛ ونحو قوله: [الرجز]

فَأَيُّ أَمْرٍ سَيِّىءٍ لاَ فَعَلَهْ[2]

لا يكاد يقع، فما لها لم تكرر في الكلام الأفصح؟ قلت: هي متكرّرة في المعنى؛ لأن معنى ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ⑪﴾ فلا فكّ رقبة، ولا أطعم مسكينًا؛ ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك[3].

وقال الزجاج قوله: (ثم كان من الذين أمنوا) يدل على معنى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ⑪﴾، ولا آمن. والاقتحام: الدخول والمجاوزة بشدّة ومشقة. والقحمة: الشدة، وجعل الصالحة: عقبة، وعملها: اقتحامًا لها؛ لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس. وعن الحسن: عقبة والله شديدة. مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدّوه الشيطان. وفكّ الرقبة: تخليصها من رق أو غيره. وفي الحديث: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: دلني على عمل يدخلني الجنة. فقال: «تعتق النسمة وتفك الرقبة. قال: أو ليسا سواء؟ قال: لا، إعتاقها أن تنفرد بعتقها. وفكها: أن تعين في تخليصها» (١٧٥٤). من قود أو غرم. والعتق

١٧٥٤ ـ أخرجه ابن حبان (١٢٠٩ ـ موارد) والطيالسي (٢/ ٣٠ ـ منحة) رقم (٢٠٠٩) وأحمد (٤/ ٢٩٩) والحاكم (٢/ ٢١٧) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) من حديث البراء بن عازب وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.
وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢٤٣): رواه أحمد ورجاله ثقات.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن حبان والحاكم وأحمد وإسحاق وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد، والبيهقي في الشُعب، والثعلبي وابن مردويه والواحدي من رواية عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب وليس عند أحد منهم قوله «من قود أو غرم» وكأنه من =

---

(١) قوله: «بل غمط النعم» أي: استحقرها. (ع)
(٢) لشهاب بن العيف في خزانة الأدب ١٠/ ٨٩، ٩٠، وتاج العروس (زنأ)، ولابن العفيف العبدي أو عبد المسيح بن عسلة في شرح شواهد المغني ٢/ ٦٢٤، وللعفيف العبدي في لسان العرب (زنأ)، والتنبيه والإيضاح ١/ ١٩، ٢٨٦، ولجرير في لسان العرب (شدخ)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في لسان العرب (زنا)، والإنصاف ص ٧٧، والجنى الداني ص ٢٩٧، ٢٩٨، وشرح المفصّل ١/ ١٠٩، ٨/ ١٠٨، ومغني اللبيب ١/ ٢٤٣، وتهذيب اللغة ١٣/ ٢٦٠، والمخصّص ١٤/ ٣، ١٦/ ٢٣، وتاج العروس (زنا).
(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا يتم له هذا إلا على قراءة «فك» فعلاً ماضيًا. انتهى. الدر المصون.

والصدقة: من أفاضل الأعمال. وعن أبي حنيفة رضي الله عنه: أنّ العتق أفضل من الصدقة. وعند صاحبيه: الصدقة أفضل والآية أول على قول أبي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة: أيضعه في ذي قرابة، أو يعتق رقبة؟ قال: الرقبة أفضل، لأن النبي ﷺ قال: «من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار» (١٧٥٥). قرئ: فك رقبة، أو إطعام، على: هي فك رقبة، أو إطعام. وقرئ: فك رقبة، أو أطعم، على الإبدال من اقتحم العقبة. وقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢﴾ اعتراض، ومعناه: أنك لم تدرِ كُنْهَ صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله. والمسغبة، والمقربة، والمتربة: مفعلات من سغب: إذا جاع. وقرب في النسب، يقال: فلان ذو قرابتي. وذو مقربتي. وترب: إذا افتقر، ومعناه. التصق بالتراب. وأما أترب فاستغنى، أي: صار ذا مال كالتراب في الكثرة، كما قيل: أثري. وعن النبي ﷺ في قوله: ﴿ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ الذي مأواه المزابل (١٧٥٦)، ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم: هم ناصب: ذو نصب. وقرأ الحسن: ذا مسغبة، نصبه بإطعام. ومعناه: أو إطعام في يوم من الأيام ذا مسغبة.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠﴾

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ جاء بثم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة، لا في الوقت؛ لأن الإيمان هو السابق المقدّم على غيره، ولا يثبت عمل صالح إلاّ به. والمرحمة: الرحمة، أي: أوصى بعضهم بعضًا بالصبر على الإيمان والثبات عليه. أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن، وبأن يكونوا

= كلام الزمخشري انتهى.

١٧٥٥ ـ قال الزيلعي (٤/ ٢١٤) غريب وروى الحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٢) من حديث عطية بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ «من أعتق رقبة فك الله بكل عضو من أعضائه عضوًا من النار» وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قال الحافظ: أخرجه الحاكم من حديث عقبة بن عامر بلفظ «من أعتق رقبة». انتهى.

١٧٥٦ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢١٤): «غريب أيضا» ا .هـ.

ورواه الحاكم (٢/ ٥٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل «أو مسكينًا ذا متربة» قال التِّربُ الذي لا يقيه من التراب شيء» وسكت عنه هو والذهبي.

وعزاه الحافظ والزيلعي لابن مردويه من حديث مجاهد عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ: «الذي مأواه المزابل» ا .هـ.

قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه من رواية مجاهد عن عبد الله بن عمر بهذا. وعند الحاكم عن ابن عباس: قال «هو الذي لا يقيه من التراب شيء» موقوف. انتهى.

متراحمين متعاطفين. أو بما يؤدي إلى رحمة الله. الميمنة والمشأمة: اليمين والشمال. أو اليمن والشؤم، أي: الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهنّ. قرئ: موصدة، بالواو والهمزة، من وصدت الباب وآصدته: إذا أطبقته وأغلقته. وعن أبي بكر بن عياش: لنا إمام يهمز موصدة؛ فأشتهي أن أسدّ أذني إذا سمعته.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة» (١٧٥٧).

١٧٥٧ ـ تقدم برقم (٣٤٦): قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة الشمس

مكية، وآياتها خمس عشرة

[نزلت بعد القدر]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾

ضحاها: ضوؤها إذا أشرقت وقام سلطانها؛ ولذلك قيل: وقت الضحى، كأن وجهه شمس الضحى. وقيل: الضحوة ارتفاع النهار. والضحى فوق ذلك. والضحاء بالفتح والمد: إذا امتد النهار وقرب أن ينتصف ﴿إِذَا تَلَىٰهَا﴾ طالعًا عند غروبها آخذًا من نورها؛ وذلك في النصف الأوّل من الشهر. وقيل: إذا استدار فتلاها في الضياء والنور ﴿إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ عند انتفاخ النهار[1] وانبساطه، لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء. وقيل: الضمير للظلمة، أو للدنيا، أو للأرض، وإن لم يجر لها ذكر، كقولهم: أصبحت باردة: يريدون الغداة، وأرسلت: يريدون السماء إذا يغشاها، فتغيب وتظلم الآفاق، فإن قلت: الأمر في نصب «إذا» معضل: لأنك لا تخلو إما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر، فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك: مررت أمس بزيد، واليوم عمرو. وإما أن تجعلهن للقسم، فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه. قلت: الجواب فيه أن واو القسم مطرح معها إبراز الفعل إطراحًا كليًا، فكان لها شأن خلاف شأن الباء، حيث أبرز معها/ ٢/ ٢٦٥أ الفعل وأضمر، فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادّة مسدهما معًا، والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو، فحققن أن يكنّ عوامل على الفعل[2] والجار جميعًا، كما تقول: ضرب زيد عمرًا، وبكر خالدًا؛ فترفع بالواو وتنصب

---

(١) قوله: «عند انتفاخ النهار» في الصحاح: انتفخ النهار، أي: علا. (ع)

(٢) قوله: «عوامل على الفعل» لعله: عمل الفعل. (ع)

لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما. جعلت[1] «ما» مصدرية في قوله: ﴿وَمَا بَنَنٰهَا﴾ ﴿وَمَا طَحَنٰهَا﴾ ﴿وَمَا سَوَّنٰهَا﴾ وليس بالوجه لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ وما يؤدي إليه من فساد النظم، والوجه أن تكون موصولة، وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية، كأنه قيل: والسماء، والقادر العظيم الذي بناها، ونفس، والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها، وفي كلامهم: سبحان ما سخركن لنا. فإن قلت: لم نكرت النفس؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يريد نفسًا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم، كأنه قال: وواحدة من النفوس. والثاني: أن يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: ١٤]. ومعنى إلهام الفجور والتقوى: إفهامهما وإعقالهما، وأنّ أحدهما حسن والآخر قبيح، وتمكينه من اختيار ما شاء منهما[2] بدليل قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّنٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: أما قوله: في واوات العطف (فتنصب بها وتجر) فليس هذا بالمختار، أعني أن يكون حرف العطف عاملاً لقيامه مقام العامل، بل المختار أن العمل إنما هو للعامل في المعطوف عليه، ثم إنّا لا نشاء حجه في ذلك. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «معنى إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما؛ وأن أحدهما حسن والآخر قبيح، وتمكينه... إلخ» قال أحمد: بين في هذا الكلام نوعين من الباطل، أحدهما في قوله: معنى إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما؛ وأن أحدهما حسن والآخر قبيح، والذي يكنه في هذه الكلمات اعتقاد أن الحسن والقبح مدركان بالعقل. ألا ترى إلى قوله: إعقالهما، أي خلق العقل الموصل إلى معرفة حسن الحسن وقبح القبيح، وإنما اغتنم في هذا فرصة إشعار الإلهام بذلك، فإنه ربما يظن أن إطلاقه على العلم المستفاد من السمع بعيد، والذي يقطع دابر هذه النزغة أنا وإن قلنا: إن الحسن والقبح لا يدركان إلا بالسمع لأنهما راجعان إلى الأحكام الشرعية التي ليست عندنا بصفات الأفعال؛ فإنا لا نلغي حظ العقل من إدراك الأحكام الشرعية، بل لا بد في علم كل حكم شرعي من المقدمتين: عقلية، وهي الموصلة إلى العقيدة. وسمعية مفرعة عليها، وهي الدالة على خصوص الحكم. على أن تعلقه بظاهر لو سلم ظهوره في قاعدة قطعية بمعزل عن الصواب. النزغة الثانية: وهي التي كشف القناع في إبرازها أن التزكية وقسيمها ليس مخلوقين لله تعالى، بل لشركائه المعتزلة، وإنما تعارضه في الظاهر من فحوى الآية؛ على أنه لم يذكر وجهًا في الرد على من قال: إن الضمير لله تعالى، وإنما اقتصر على الدعوى مقرونة بسفاهته على أهل السنة، فنقول: لا مراء في احتمال عود الضمير إلى الله تعالى وإلى ذي النفس، لكن عوده إلى الله تعالى أولى لوجهين، أحدهما: أن الجمل سيقت سياقة واحدة من قوله: (والسماء وما بناها) وهلم جرا؛ والضمائر فيما تقدم هذين الفعلين عائدة إلى الله تعالى بالاتفاق، ولم يجر لغير الله تعالى ذكر. وإن قيل يعود الضمير إلى غيره: فإنما يتمحل لجوازه بدلالة الكلام ضمنًا واستلزامًا، لا ذكرًا ونطقًا، وما جرى ذكره أولى أن يعود الضمير عليه. الثاني: أن الفعل المستعمل في الآية التي استدل بها في قوله: (قد أفلح من تزكى) «تفعل»، ولا شك أن «تفعل» مطاوع «فعل» فهذا بأن يدل لنا، أولى من أن يدل له؛ لأن الكلام عندنا نحن: قد أفلح من زكاه الله فتزكى؛ وعنده الفاعل في الاثنين واحد، أضاف إليه الفعلين المختلفين، ويحتاج في تصحيح الكلام إلى تعديد اعتبار وجهه، ونحن عنه في غنية؛ على أنا لا نأبى أن تضاف التزكية والتدسية إلى العبد، على طريقة أنه الفاعل، كما يضاف إليه =

دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ فجعله فاعل التزكية[١]، والتدسية ومتوليهما والتزكية: الإنماء والإعلاء بالتقوى. والتدسية: النقص والإخفاء بالفجور. وأصل دسى: دسس، كما قيل في تقضض: تقضى. وسئل ابن عباس عنه فقال: أتقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾، [الأعلى: ١٤] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]. وأما قول من زعم أنّ الضمير في زكّى ودسى لله تعالى، وأنّ تأنيث الراجع إلى «من» لأنه في معنى النفس: فمن تعكيس القدرية الذين يورّكون[٢] على الله قدرًا هو بريء منه ومتعال عنه، ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها إليه، فإن قلت: فأين جواب القسم؟ قلت: هو محذوف تقديره: ليدمدمنّ الله عليهم، أي: على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ، كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحًا. وأما ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ فكلام تابع لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ على سبيل الاستطراد، وليس من جواب القسم في شيء.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

الباء في ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ مثلها في: كتبت بالقلم. والطغوى من الطغيان: فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء، بأن قلبوا الياء واوًا في الاسم، وتركوا القلب في الصفة، فقالوا: امرأة خزيى وصديى، يعني: فعلت التكذيب بطغيانها، كما تقول: ظلمني بجرأته على الله. وقيل: كذبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله: ﴿فَأُهْلِكُوا بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]، وقرأ الحسن: «بطغواها» بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ منصوب بكذبت. أو بالطغوى. و﴿أَشْقَىٰهَا﴾ قدار بن سالف. ويجوز أن يكونوا جماعة، والتوحيد لتسويتك في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع

= الصلاة والصيام وغير ذلك من أفعال الطاعات، لأن له عندنا اختيارًا وقدرة مقارنة، وإن منعنا البرهان العقلي الدال على وحدانية الله تعالى ونفي الشريك أن نجعل قدرة العبد مؤثرة خالقة، فهذا جوابنا على الآية تنزلاً؛ وإلا فلم يذكر وجهًا من الرد، فيلزمنا الجواب عنه. وأما جوابنا عن سفاهته على أهل السنة، فالسكوت؛ والله الموفق.

(١) قوله: «فجعله فاعل التزكية» مبني على مذهب المعتزلة: من أن العبد هو الفاعل لأفعاله الاختيارية. وذهب أهل السنة إلى أن الفاعل لها في الحقيقة هو الله تعالى، كما تقرر في علم التوحيد. (ع)

(٢) قوله: «الذين يوركون على الله قدرًا» في الصحاح: ورك فلان ذنبه على غيره، إذا قرفه به اهـ، أي: اتهمه. ومراده بالقدرية: أهل السنة، حيث قالوا: كل ما وقع في الكون هو بقضائه تعالى وقدره خيرًا كان أو شرًا؛ وبخلقه تعالى وإرادته، قبيحًا كان أو حسنًا، من أفعال العباد أو من غيرها، كما تقرر في التوحيد. (ع)

والمذكر والمؤنث، وكان يجوز أن يقال: أشقوها، كما تقول: أفاضلهم. والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ يجوز أن يكون للأشقين والتفضيل في الشقاوة، لأنّ من تولى العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ. و﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ نصب على التحذير، كقولك الأسد الأسد، والصبي الصبي، بإضمار: ذروا أو احذروا عقرها ﴿وَسُقْيَاهَا﴾ فلا تزووها عنها، ولا تستأثروا بها عليها ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ فأطلق عليهم العذاب، وهو من تكرير قولهم: ناقة مدمومة: إذا ألبسها الشحم ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ بسبب ذنبهم. وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب، فعلىٰ كل مذنب أن يعتبر ويحذر ﴿فَسَوَّاهَا﴾ الضمير للدمدمة، أي: فسوّاها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ أي: عاقبتها وتبعتها؛ كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقى بعض الإبقاء. ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى: فسوّاها بالأرض. أو في الهلاك، ولا يخاف عقبى هلاكها. وفي مصاحف أهل المدينة والشام: فلا يخاف. وفي قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ولم يخف.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الشمس، فكأنما تصدّق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر» (١٧٥٨).

١٧٥٨ ـ تقدم برقم (٣٤٦): قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة الليل

مكية، وآياتها إحدىٰ وعشرون ٢/ ٢٦٥ب
[نزلت بعد الأعلى]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ٤﴾

المغشي: إما الشمس من قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ٤﴾ [الشمس: ٤] وإما النهار من قوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الرعد: ٣] وإما كلّ شيء يواريه بظلامه من قوله: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]. ﴿تَجَلَّىٰ﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل. أو تبين وتكشف بطلوع الشمس ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد، وقيل: هما آدم ـ عليه السلام ـ وحوّاء. وفي قراءة النبي ﷺ: «والذكر والأنثى». وقرأ ابن مسعود: «والذي خلق الذكر والأنثى». وعن الكسائي: وما خلق الذكر والأنثى بالجرّ على أنه بدل من محل ﴿مَا خَلَقَ﴾ بمعنى: وما خلقه الله، أي: ومخلوق الله الذكر والأنثى. وجاز إضمار اسم الله لأنه معلوم لانفراده بالخلق[1]. إذ لا خالق سواه. وقيل: إنّ الله لم يخلق خلقًا من ذوي الأرواح ليس بذكر ولا أنثى. والخنثى، وإن أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل، معلوم بالذكورة أو الأنوثة؛ فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكرًا ولا أنثى، وقد لقي خنثى مشكلاً: كان حانثًا؛ لأنه في الحقيقة إمّا ذكرًا أو أنثى، وإن كان مشكلاً عندنا ﴿شتىٰ﴾ جمع شتيت، أي: إنّ مساعيكم أشتات مختلفة، وبيان اختلافها فيما فصل على أثره.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وقد يخرج على توهم المصدر أي وخلق الذكر كقوله [من الطويل]:

تَطُوفُ العُفَاةُ بِأَبْوابِهِ ... كَما طَافَ بالبَيْعَةِ الرَّاهِبِ

يجر الراهب على توهم النطق بالمصدر أي كطوف الراهب انتهى. والذي يظهر في تخريج البيت أن أصله الراهبي بياء النسب نسبة إلى الصفة ثم خفف وهو قليل. كقوله أحمري ودواري وهذا التخريج بعينه في قول امرئ القيس [من الطويل]:

فقلْ في مقيل نحسُهُ مُتَغَيِّبِ

كما استشهد به الكوفيون على تقديم الفاعل. انتهى. الدر المصون.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾

﴿أَعْطَىٰ﴾ يعني حقوق ماله ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ الله فلم يعصه ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ بالخصلة الحسنى: وهي الإيمان. أو بالملة الحسنى: وهي ملة الإسلام، أو بالمثوبة الحسنى: وهي الجنة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ فسنهيؤه لها من يسر الفرس للركوب إذا أسرجها وألجمها. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «كل ميسر لما خلق له» (١٧٥٩) والمعنى: فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه وأهونها[1]، من قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾﴾

﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾ وزهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه. أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة، لأنه في مقابلة ﴿وَاتَّقَىٰ﴾. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ فسنخذله ونمنعه الألطاف، حتى تكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشدّه، من قوله: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] أو سمى طريقة الخير باليسرى، لأنّ عاقبتها اليسر؛ وطريقة الشرّ العسرى، لأن عاقبتها العسر. أو أراد بهما طريقي الجنة والنار، أي: فسنهديهما في الآخرة للطريقين. وقيل: نزلتا في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، وفي أبي سفيان بن حرب ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ﴾ استفهام في معنى الإنكار. أو نفي ﴿تَرَدَّىٰ﴾ تفعل من الردى وهو الهلاك، يريد: الموت. أو تردّى في الحفرة إذا قبر، أو تردّى في قعر جهنم.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ إن الإرشاد إلى الحق واجب علينا بنصب الدلائل[2] وبيان

١٧٥٩ ـ أخرجه البخاري (٩/٧٢٦) كتاب التفسير باب فسنيسره للعسرى حديث (٤٩٤٩) ومسلم (٤/ ٢٠٣٩ ـ ٢٠٤٠) كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي حديث (٦/٢٦٤٧).
قال الحافظ: متفق عليه من حديث عمران بن حصين، ومن حديث علي رضي الله عنه. انتهى.

---

(١) قال محمود: «التيسير لليسرى خلق الألطاف... إلخ» قال أحمد: ألا يطيل لسانه ههنا على أهل السنة ولكن قصره الحق فتراه يؤول الكلام بل يعطله، لأنه يحمله ما لا يحتمله، وعلى كلامه في أمثالها روعة السارق الخائف.

(٢) قوله: «له واجب علينا بنصب الدلائل» وجوب شيء على الله تعالى: مذهب المعتزلة. ولا يجب عليه شيء عند أهل السنة، ولكن شأن الكريم تأكيد الوعد. (ع)

الشرائع ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ أي: ثواب الدّارين للمهتدي، كقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

وقرأ أبو الزبير: تتلظى فإن قلت: كيف قال: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى...... وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾؟ وقد علم أنّ كل شقيّ يصلاها[1]، وكل تقي يجنبها، لا يختص بالصلي أشقى الأشقياء، ولا بالنجاة أتقى الأتقياء، وإن زعمت أنه نكر النار فأراد نارًا بعينها مخصوصة بالأشقى، فما تصنع بقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾؟ فقد علم أن أفسق

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: كيف قال لا يصلاها إلا الأشقى وسيجنبها الأتقى، وقد علم أن كل شقي يصلاها... إلخ» قال أحمد: لا شك أن السائل بنى سؤاله على التمسك بمفهوم الآية لورودها بصيغة التخصيص، فحاصل جواب الزمخشري أن التخصيص ههنا لفائدة أخرى غير النفي عما عدا المخصص، وتلك الفائدة المقابلة؛ وحيث تمحض لك السؤال والجواب، فهو يلاحظ نظر الشافعي - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ فإنه لم يقل بمفهوم حصرها، وحملها على أن الحصر لفائدة المقابلة بالرد لأحكام الجاهلية، لا لنفي ما عدا المحصور. على أن الزمخشري إنما ضيق عليه الخناق في هذه الآية حتى التزم ورود السؤال المذكور. التفاته إلى قاعدته الفاسدة وحذره أن تنقض، ويأبى الله إلا نقضها ورفضها، وإذا نزلت الآية على قواعد أهل السنة وضح لك ما قلته، فنقول: المصلى في اللغة أن يحفروا حفيرًا فيجمعوا فيه جمرًا كثيرًا، ثم يعمدوا إلى شاة فيدسوها وسطه بين أطباقه؛ فأما ما يشوى فوق الجمر أو على المقلى أو على التنور فليس بمصلى، وهذا التفسير بعينه نص عليه الزمخشري ونقله عن أهل اللغة في سورة الغاشية أيضًا، وأنا وقفت عليه في كتبهم؛ فإذا عرفت معنى التصلية لغة وأنها أشد أنواع الإحراق بالنار، وفي علمك أن الناس عند أهل السنة ثلاثة أصناف: مؤمن صالح فائز، ومؤمن عاص، وكافر، وأن المؤمن الفائز يمر على النار فيطفئ نوره لهبها ولا يؤلم بمسها ألبتة، وإنما يردها تحلة القسم، والعاصي إن شاء الله تعذيبه ومجازاته فإنما يعذب على وجه النار في الطبقة الأولى باتفاق، حتى أن منهم من تبلغ النار إلى كعبه: وأشدهم من تبلغ النار إلى موضع سجوده فيحسه؛ ولا يعذب أحد من المؤمنين بين أطباقها ألبتة بوعد الله تعالى، والكافر هو المعذب بين أطباقها: تبين لك أن النار لا يصلاها أي يعذب بين أطباقها - كما علمت تفسيره في اللغة - إلا الكافر: وهو الأشقى؛ لأن المؤمن العاصي لا يبلغ مبلغه في الشقاء، وأن المؤمن الفائز وهو الأتقى بالنسبة إلى المؤمن العاصي يجنب النار بالكلية، لأن وروده تحلة القسم لا يصل إليه مسها ولا ألمها، وأن المؤمن العاصي الذي ليس بالأتقى ولا بالأشقى لا يصلاها ولا يجنبها بالكلية؛ لأن وروده تحلة القسم بل يعذب فيها لا بالصلى؛ فهذا أحسن ما حملت الآية عليه، لكن إنما ينزل على جادة السنة. وأما الزمخشري فينحرف عنها، فلا جرم أنه في عهدة الجواب يفكر ويقدر. والله أعلم.

المسلمين[1] يجنب تلك النار المخصوصة، لا الأتقى منهم خاصة؟ قلت: الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين، فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل: الأشقى، وجعل مختصًا بالصلي، كأن النار لم تخلق إلاّ له. وقيل: الأتقى، وجعل مختصًا بالنجاة، كأن الجنة لم تخلق إلاّ له. وقيل: هما أبو جهل أو أمية بن خلف، وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ من الزكاء. أي: يطلب أن يكون عند الله زاكيًا، لا يريد به رياء ولا سمعة. أو يتفعل من الزكاة. فإن قلت: ما محل يتزكى؟ قلت: هو على وجهين: إن جعلته بدلاً من ﴿يُؤْتِي﴾ فلا محل له؛ لأنه داخل في حكم الصلة، والصلات لا محل لها وإن جعلته حالاً من الضمير في ﴿يُؤْتِي﴾ فمحله النصب ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أي: ما لأحد عنده نعمة إلاّ ابتغاء وجه ربه، كقولك: ما في الدار أحد إلاّ حمارًا. وقرأ يحيى بن وثاب: «إلا ابتغاء وجه ربه» بالرفع: على لغة من يقول: ما في الدار أحد ألا حمار وأنشد في اللغتين قول بشر بن أبي حازم ٢/٢٦٦أ [من البسيط]:

أَضْحَتْ خَلايا قِفَارًا لاَ أَنِيسَ بِهَا ... إِلاّ الْجَآذِرُ وَالظُّلْمَانُ تَخْتَلِفُ[2]

وقول القائل [من الرجز]:

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ ... إِلاّ الْيَعَافِيرُ وَإِلاّ الْعِيسُ[3]

---

(١) قوله: «فقد علم أن أفسق المسلمين» لعله: وقد. (ع)

(٢) أضحت خلايا قفارًا لا أنيس بها ... إلا الجآذر والظلمان تختلف
وقفت فيها قلوصي كي تجاوبني ... أو يخبر الرسم عنهم أية انصرفوا؟
لبشر بن أبي خازم. وخلايا: جمع خلية أي خالية، والجآذر والظلمان استثناء منقطع، لأنها لا تدخل في الأنيس. ورويا بالنصب على الاستثناء، وبالرفع على الإبدال من الضمير المستكن في الخبر، كما هو لغة عند تميم. والجآذر: أولاد بقر الوحش. وروي: الجوازئ، وهي الظباء التي اجتزأت بأكل الربيع عن شرب الماء. والظلمان: أولاد النعام. أو النعام نفسه. والقلوص: الفتية من الإبل المكتنزة اللحم، والضمير فيها عائد للديار. وضمير «تجاوبني» لها أيضًا. والرسم: آثار الديار. وأية: اسم استفهام منصوب بما بعده على الظرفية، لقطعه عن الإضافة، أي: صرفهم عزمهم ونيتهم. وشبه الرسم بعاقل على طريق المكنية فأسند له الأخبار تخييلاً، وكذلك الدار ومجاوبتها.
ينظر: البحر ٨/ ٤٨٤، الدر المصون ٦/ ٥٣٦.

(٣) قد ندع المنزل يا لميس ... يعيش فيه السبع الجروس
وبلدة ليس بها أنيس ... إلا اليعافير وإلا العيس
لعامر بن الحارث المشهور بجران العود. ولميس: امرأة. والجروس: كثير الصوت، وبلدة ـ بالجر برب المقدرة بعد الواو، أي: قد نترك المنزل خاليًا من أهله بقتلنا إياهم، أو لارتحالنا عنهم. واليعافير ـ بالرفع ـ: بدل من أنيس على لغة تميم في الاستثناء المنقطع بعد النفي، وإلا الثانية توكيد =

ويجوز أن يكون ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ﴾ مفعولاً له على المعنى، لأنّ معنى الكلام: لا يؤتي ماله إلاّ ابتغاء وجه ربه، لا لمكافأة نعمة ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ (٢١)﴾ موعد بالثواب الذي يرضيه ويقرّ عينه.

وعن رسول ﷺ: «من قرأ سورة والليل، أعطاه الله حتى يرضى، وعافاه من العسر ويسر له اليسر» (١٧٦٠).

١٧٦٠ ـ تقدم برقم (٣٤٦): قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

وقال الحافظ: متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي بلفظ: «فجاءت امرأة فقالت يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك. فأنزل الله (والضحى)» وفي المستدرك من حديث زيد بن أرقم «أن النبي ﷺ مكث أيامًا لا ينزل عليه. فأتته امرأة أبي لهب فقالت: يا محمد» ـ فذكره نحوه.

قال محمود: «إن قلت: كيف اتصل بما قبله؟ وأجاب بأنه لما كان في ضمن التوديع وأتلى أن الله مواصلك بالوحي إليك. . . . إلخ» قال أحمد: وإخراج أهل الكبائر من النار بشفاعته مضاف إلى ذلك.

قوله: «من الفلج والظفر» الفلج: أي الظهور والفوز والقهر، كما يفيده الصحاح. (ح) انتهى.

= للأولى. واليعافير ـ جمع يعفور ـ: دابة قدر السخلة على لون الرماد. وقيل: غزال كذلك. وقيل: ولد البقرة الوحشية. والعيس: البيض من الظباء أو الإبل: جمع أعيس أو عيساء. والعيساء أيضًا: أنثى الجراد، يخالط بياضها شقرة.

ينظر: الصبان ٢/ ١٤٧، البحر: ٨/ ٤٨٤، الدر المصون ٦/ ٥٣٦.

سورة الضحى

مكية وآياتها إحدىٰ عشرة
[نزلت بعد الفجر]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾

المراد بالضحى: وقت الضحى، وهو صدر النهار حتى ترتفع الشمس وتلقي شعاعها. وقيل: إنما خصّ وقت الضحى بالقسم، لأنها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام، وألقي فيها السحرة سجدًا، لقوله: ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩] وقيل: أريد بالضحى: النهار، بيانه قوله: ﴿أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحًى﴾ [الأعراف: ٩٨] في مقابلة (بياتًا). ﴿سَجَىٰ﴾ سكن وركد ظلامه. وقيل: ليلة ساجية ساكنة الريح. وقيل معناه: سكون الناس والأصوات فيه. وسجا البحر: سكنت أمواجه. وطرف ساج: ساكن فاتر ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ جواب القسم. ومعناه: ما قطعك قطع المودع. وقرئ بالتخفيف، يعني: ما تركك. قال [من الطويل]:

وَثَـمَّ وَدَعْـنَـا آلَ عَـمْـرٍو وَعَـامِـرٍ ... فَـرَائِـسَ أَطْرَافِ الْـمُـثَـقَّـفَـةِ الـسُّـمْـرِ[1]

والتوديع: مبالغة في الودع؛ لأنّ من ودّعك مفارقًا فقد بالغ في تركك. روي: أنّ الوحي قد تأخر عن رسول الله ﷺ أيامًا، فقال المشركون: إنّ محمدًا ودعه ربه وقلاه

(١) ثم إشارة لمكان الحرب أو زمانها، واختلف في «دع» بمعنى اترك، هل ينصرف فيأتي منه الماضي والمصدر، واسم الفاعل والمفعول. قال الجوهري: أميت ماضيه وغيره، وربما جاء في الضرورة اهـ، وهو المشهور؛ ولكن حيث جاء في القرآن (ما ودعك) بالتخفيف. وفي الحديث «لينتهين قوم عن ودعهم الجماعات» أي تركهم. وجاء اسم المفعول وغيره في الشعر، فيجوز القول بقلة الاستعمال لا بالإماتة، كما قاله بعض المتقدمين. والفرائس: مفعول ثان، وهو جمع فريسة: وهي صيد الأسد المفترس. والمثقفة: المقومة بالثقاف، وهو آلة تقويم الرماح. والسمرة: لون بين البياض والأدمة. وشبه الرماح بالأسود على طريق المكنية، والفرائس تخييل؛ والأقرب تشبيه آل عمرو وآل عامر بالفرائس تشبيهًا بليغًا لذكر الأطراف؛ إلا أن يقال: إنها تجريد للمكنية؛ لأنها تلائم الرماح.
ينظر: البحر (٨/ ٤٨٥)، الدر المصون (٦/ ٥٣٧).

(١٧٦١). وقيل: إنّ أم جميل امرأة أبي لهب قالت له: يا محمد، ما أرى شيطانك إلاّ قد تركك، فنزلت (١٧٦٢). حذف الضمير من ﴿قَلَىٰ﴾ كحذفه من (الذاكرات) في قوله: ﴿وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] يريد: والذاكراته ونحوه: (فآوى... فهدى... فأغنى) وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾

فإن قلت: كيف اتصل قوله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ بما قبله؟ قلت: لما كان في ضمن نفي التوديع والقلي: أنّ الله مواصلك بالوحي إليك[(١)]، وأنك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجلّ منه: أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجلّ، وهو السبق والتقدّم على جميع أنبياء الله ورسله، وشهادة أمته على سائر الأمم، ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته، وغير ذلك من الكرامات السنية ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ موعد شامل لما أعطاه الله في الدنيا من الفلج والظفر[(٢)] بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة، ودخول الناس في الدين أفواجًا، والغلبة على قريظة والنضير وإجلائهم، وبثّ عساكره وسراياه في بلاد العرب، وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأنهبهم من كنوز الأكاسرة، وما قذف في قلوب أهل الشرق والغرب من الرعب وتهييب الإسلام[(٣)]، وفشوّ الدعوة واستيلاء المسلمين، ولما ادّخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه إلاّ الله. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: له في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك. فإن قلت: ما هذه اللام

١٧٦١ ـ قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن مردويه من رواية العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ قال أبطأ عليه جبريل الحديث انتهى.

١٧٦٢ ـ أخرجه البخاري (٩/٧٢٨) كتاب التفسير باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ حديث (٤٩٥١) ومسلم (٣/١٤٢١) كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين حديث (١١٢، ١١٣/١٧٩٦) والترمذي (٣٣٤٥) والنسائي في «التفسير» (٧٠١) وأحمد (٤/٣١٢) والطبري (٣٠/١٤٨) والطبراني (٢/١٧٣) والواحدي في «أسباب النزول» (٨٥٨) وفي «الوسيط» (٤/٥٠٧).

---

(١) قال محمود: «إن قلت: كيف اتصل بما قبله؟ وأجاب بأنه لما كان في ضمن التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك... إلخ» قال أحمد: وإخراج أهل الكبائر من النار بشفاعته مضاف إلى ذلك.

(٢) قوله: «من الفلج والظفر» الفلج: أي الظهور والفوز والقهر، كما يفيده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «وتهييب الإسلام» أي: تخوف؛ كما في الصحاح؛ أي: تخوف الناس من أهل الإسلام(ع)

الداخلة على سوف؟ قلت: هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة، والمبتدأ محذوف. تقديره: ولأنت سوف يعطيك، كما ذكرنا في: لا أقسم، أن المعنى: لأنا أقسم؛ وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع إلاّ مع نون التأكيد، فبقي أن تكون لام ابتداء، ولام الابتداء لا تدخل إلاّ على الجملة من المبتدأ والخبر، فلا بد من تقدير مبتدإ وخبر، وأن يكون أصله: ولأنت سوف يعطيك. فإن قلت: ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير؟ قلت: معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخّر، لما في التأخير من المصلحة.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾

عدّد عليه نعمه وأياديه/ ٢/٢٦٦ب، وأنه لم يخله منها من أوّل تربيه وابتداء نشئه، ترشيحًا لما أراد به؛ ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه، لئلا يتوقع إلاّ الحسنى وزيادة الخير والكرامة: ولا يضيق صدره ولا يقل صبره. و﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ من الوجود الذي بمعنى العلم: والمنصوبان مفعولا وجد. والمعنى: ألم تكن يتيمًا، وذلك أنّ أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمّه، وهو ابن ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، وعطّفه الله عليه فأحسن تربيته (١٧٦٣). ومن بدع التفاسير: أنه من قولهم: «درّة يتيمة» وأن المعنى: ألم يجدك واحدًا في قريش عديم النظير فآواك. وقرئ: فأَوىٰ، وهو على معنيين: إما من أواه بمعنى آواه. سمع بعض الرعاة يقول: أين آوي هذه الموقسة[1] وإما من أوى له: إذا رحمه ﴿ضَآلًّا﴾ معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع، كقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقيل: ضل في صباه في

١٧٦٣ ـ قال الحافظ الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/٢٢٨): غريب.
وقال الحافظ: لم أجد هذا. وقال السهيلي في الروض: أكثر العلماء على أنه عليه الصلاة والسلام توفي أبوه وهو في المهد، كما ذكره الدولابي وغيره. وقال ابن سعد: لا يثبت أنه مات أبوه وهو حمل. ورواه الحاكم من طريق ابن إسحاق: حدثني مطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، عن أبيه، عن جده أنه ذكر ولادة رسول الله ﷺ. فقال: «توفي أبوه وأمه حبلى به» وبذلك جزم ابن إسحاق. وأما سنه عندما ماتت أمه. فجزم ابن إسحاق أنها ماتت وهو ابن ست سنين. وقال ابن حبيب: وهو ابن ثمان سنين. وأما كفالة عمه له فذكرها ابن إسحاق وغيره. انتهى.

---

(١) قوله: «يقول أين آوي هذه الموقسة» الموقسة: الإبل الجربى، من الوقس: وهو ابتداء الجرب اهـ من هامش، والذي في الصحاح: يقال وقسه وقسًا، أي: قرفه، وإن بالبعير لو قسا: إذا قارفه شيء من الجرب، فهو موقوس. (ع)

بعض شعاب مكة، فردّه أبو جهل إلى عبد المطلب. وقيل: أضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لتردّه على عبد المطلب. وقيل: ضلّ في طريق الشام حين خرج به أبو طالب، فهداك: فعرّفك القرآن والشرائع. أو فأزال ضلالك عن جدك وعمك. ومن قال: كان على أمر قومه أربعين سنة، فإن أراد أنه كان على خلوّهم عن العلوم السمعية، فنعم؛ وإن أراد أنه كان على دينهم وكفرهم، فمعاذ الله؛ والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبّوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة، فما بال الكفر والجهل بالصانع ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨] وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر ﴿عَآئِلًا﴾ فقيرًا. وقرئ: عيلاً، كما قرئ: سيحات. وعديمًا ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ فأغناك بمال خديجة. أو بما أفاء عليك من الغنائم. قال عليه الصلاة والسلام: «جعل رزقي تحت ظلّ رمحي» (١٧٦٤) وقيل: قنعك وأغنى قلبك».

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

١٧٦٤ ـ أخرجه أحمد ٢/ ٥٠، ٩٢ عن أبي النضر، ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، حدثنا حسان بن عطية، عن أبي حبيب الجرشي، عن ابن عمر مرفوعًا «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم».

وأخرجه البخاري تعليقًا ٦/ ١١٥ في الجهاد، باب ما قيل في الرماح بصيغة «ويذكر عن ابن عمر عن النبي ﷺ: جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري».

وقال الحافظ في الفتح: ٦/ ١١٦: في الإسناد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف في توثيقه... وأبو منيب لا يعرف اسمه.

وذكره الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٧٠ وقال: رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وثقه ابن المديني وأبو حاتم وغيرهما وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات.

وقال ٦/ ٥٢: رواه أحمد، وفيه عبد الرحمن بن ثابت وثقه ابن المديني وغيره: وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات.

وقال الحافظ أيضًا: وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن النبي ﷺ بتمامه. اهـ.

وله أيضًا شاهد من المراسيل من مرسل الحسن أخرجه سعيد بن منصور ٢/ ١٧٧ برقم (٢٣٧٠) عن سعيد، نا إسماعيل بن عباس عن أبي عمير الصوري عنه من النبي ﷺ بتمامه.

وقال الحافظ: هذا طرف من حديث. وأخرجه البخاري تعليقًا وأحمد وأبو داود وابن أبي شيبة وعبد بن حميد. وأبو يعلى والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث. عبد الله بن عمر. وفي النسائي عن أبي هريرة أخرجه البزار من رواية صدقة بن عبد الله عن الأوزاعي عن يحيى عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. وقال: لم يتابع صدقة على هذا. وغيره يرويه عن الأوزاعي مرسلاً. وله طريق أخرى في ترجمة أحمد بن محمود في تاريخ أصبهان لأبي نعيم بسنده إلى أنس. وإسناده ساقط. انتهى.

﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه. وفي قراءة ابن مسعود: فلا تكهر، وهو أن يعبس في وجهه. وفلان ذو كهرورة: عابس الوجه. ومنه الحديث: «فبأبي وأمي هو، ما كهرني» (١٧٦٥). النهر، والنهم: الزجر. وعن النبي ﷺ: «إذا رددت السائل ثلاثًا فلم يرجع، فلا عليك أن تزبره»[1] (١٧٦٦) وقيل: أما إنه ليس بالسائل المستجدي، ولكن طالب العلم: إذا جاء فلا تنهره. التحديث بنعمة الله: شكرها وإشاعتها، يريد: ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك. وعن مجاهد: بالقرآن، فحدّث: أقرئه، وبلغ ما أرسلت به. وعن عبد الله بن غالب أنه كان إذا أصبح يقول: رزقني الله البارحة خيرًا: قرأت كذا وصليت كذا، فإذا قيل له: يا أبا فراس مثلك يقول مثل هذا؟ قال: يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ وأنتم تقولون: لا تحدث بنعمة الله. وإنما يجوز مثل هذا إذا قصد به اللطف، وأن يقتدي به غيره، وأمن على نفسه الفتنة. والستر أفضل. ولو

١٧٦٥ ـ أخرجه أحمد (٥/ ٤٤٧)، والدارمي (١/ ٣٥٣) كتاب الصلاة: باب النهي عن الكلام في الصلاة، ومسلم (١/ ٣٨١): كتاب المساجد: باب تحريم الكلام في الصلاة، الحديث (٣٣/ ٥٣٧)، وأبو داود (١/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤): كتاب الصلاة: باب تشميت العاطس في الصلاة، الحديث (٩٣١)، والنسائي (٣/ ١٤ ـ ١٨): كتاب السهو: باب الكلام في الصلاة، وابن الجارود (ص: ٨٢ ـ ٨٣): كتاب الصلاة: باب الأفعال الجائزة في الصلاة، وغير الجائزة، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٤٤٦): كتاب الصلاة: باب الكلام في الصلاة، والبيهقي (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠): كتاب الصلاة: باب من تكلم جاهلًا بتحريم الكلام، وأبو عوانه (٢/ ١٤١ ـ ١٤٢) والطيالسي (١١٠٥) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢١٥) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٩٨، ٣٩٩) وابن خزيمة (٢/ ٣٥ ـ ٣٦) من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار، عن معاوية بن الحكم به.
قال الحافظ: أخرجه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي في أثناء حديث. انتهى.

١٧٦٦ ـ أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٥٥) من طريق الدارقطني، ثنا إسماعيل بن أبي العباس الوراق، ثنا عباد بن العوام، ثنا الوليد بن الفضل العمري، ثنا عبد الرحمن بن أبي حسن، ثنا ابن جريج عن عطاء، عن ابن عباس مرفوعًا.
وقال: قال الدارقطني تفرد به الوليد؛ قال ابن حبان يروي المناكير التي لا يشك أنها موضوعة.
وقال ابن الجوزي: وقد روي من حديث عائشة ثم ساقه من طريق عبد الغني بن سعيد الحافظ بسنده عن وهب بن زمعة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به.
وقال: قال الحافظ عبد الغني: وهب بن زمعة هو وهب بن وهب القاضي.
قال ابن الجوزي وكان يضع الحديث. اهـ وقد روي هذا الحديث عن أبي هريرة.
أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٤١٩) رقم (٤٨٣٠) من طريق طلحة بن عمرو عن عطاء عن أبي هريرة به.

---

(١) قوله: «فلا عليك أن تزبره» تزبره: أي تزجره وتمنعه. أفاده الصحاح. (ع)

لم يكن فيه إلاّ التشبه بأهل الرياء والسمعة: لكفى به. وفي قراءة عليّ ـ رضي الله عنه: ـ «فخبر» والمعنى: أنك كنت يتيمًا، وضالاً وعائلًا، فآواك الله، وهداك: وأغناك؛ فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث. واقتد بالله، فتعطف على اليتيم وآوه، فقد ذقت اليتم وهوانه، ورأيت كيف فعل الله بك؛ وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك، كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر؛ وحدّث بنعمة الله كلها، ويدخل تحته هدايته الضلال، وتعليمه الشرائع والقرآن، مقتديًا بالله في أن هداه من الضلال.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل» (١٧٦٧).

١٧٦٧ ـ تقدم برقم (٣٤٦). قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب، انتهى.

سورة الشرح

مكية، وآياتها ثمانٍ
[نزلت بعد الضحى]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾

استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار، فأفاد إثبات الشرح وإيجابه، فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك؛ ولذلك عطف عليه: وضعنا: اعتبارًا للمعنى. ومعنى: شرحنا صدرك: فسحناه حتى وسع عموم النبوّة ودعوة الثقلين جميعًا. أو حتى ٢/٢٦٧أ احتمل المكاره التي يتعرض[1] لك بها كفار قومك وغيرهم: أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم، وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل. وعن الحسن: مليء حكمة وعلمًا. وعن أبي جعفر المنصور أنه قرأ: «ألم نشرح لك» بفتح الحاء. وقالوا: لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها، فظنّ السامع أنه فتحها، والوزر الذي أنقض ظهره - أي: حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله - مثل لما كان يثقل على رسول الله ﷺ ويغمّه من فرطاته قبل النبوّة. أو من جهله بالأحكام والشرائع. أو من تهالكه على إسلام أولي العناد من قومه وتلهفه. ووضعه عنه: أن غفر له، أو علم الشرائع، أو مهد عذره بعد ما بلغ وبلغ. وقرأ أنس: وحللنا وحططنا. وقرأ ابن مسعود: «وحللنا عنك وقرك». ورفع ذكره: أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب، وفي غير موضع من القرآن ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٣]، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢] وفي تسميته رسول الله ونبيّ الله؛ ومنه ذكره في كتب الأولين، والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به، فإن قلت: أيّ فائدة في زيادة لك، والمعنى مستقل بدونه[2]؟ قلت: في

---

(١) قوله: «المكاره التي يتعرض لك» لعله تعرض بصيغة الماضي. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت ما فائدة لك مع أن الإضافة تغني عنها... إلخ» قال أحمد: وقد تقدم عند الكلام على نظيرها في قوله: «قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري» قريب من هذا المعنى، والله أعلم.

زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح، كأنه قيل: ألم نشرح لك، ففهم أن ثم مشروحًا، ثم قيل: صدرك، فأوضح ما علم مبهما، وكذلك ﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾ و﴿عَنكَ وِزْرَكَ﴾.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾

فإن قلت: كيف تعلق قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ بما قبله؟ قلت: كان المشركون يعيرون رسول الله ﷺ والمؤمنين بالفقر والضيقة، حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله واحتقارهم، فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ كأنه قال: خوّلناك ما خوّلناك فلا تيأس من فضل الله، فإن مع العسر الذي أنتم فيه يسرًا. فإن قلت: ﴿إِنَّ مَعَ﴾ للصحبة، فما معنى اصطحاب اليسر والعسر؟ قلت: أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب، فقرّب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر، زيادة في التسلية وتقوية القلوب. فإن قلت: ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ: لن يغلب عسر يسرين (١٧٦٨) وقد روي مرفوعًا: أنه خرج ﷺ ذات يوم وهو يضحك ويقول: «لن يغلب عسر يسرين» (١٧٦٩) قلت: هذا عمل على الظاهر، وبناء على قوّة الرجاء، وأن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه، والقول في أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرًا للأولى كما كرر قوله: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ [الطور: ١١] لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب، وكما تكرر المفرد في قولك: جاءني زيد زيد، وأن تكون الأولى عدة بأنّ العسر مردوف بيسر لا محالة، والثانية عدة مستأنفة بأنّ العسر متبوع بيسر، فهما يسران على تقدير الاستئناف، وإنما كان العسر واحدًا لأنه لا يخلو، إما أن يكون تعريفه للعهد، وهو العسر الذي كانوا فيه، فهو هو؛ لأنّ حكمه حكم زيد في قولك: إن مع زيد مالاً، إن مع زيد مالا. وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه لك كل أحد فهو هو أيضًا. وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس، فإذا كان الكلام الثاني مستأنفًا غير مكرّر فقد تناول بعضًا غير البعض الأوّل بغير إشكال. فإن قلت: فما المراد باليسرين؟ قلت: يجوز أن يراد

١٧٦٨ ـ قال ابن حجر: حديث ابن عباس لم أجده. قلت ذكره الفراء عن الكلبي عن أبي صالح عنه انتهى.

١٧٦٩ ـ ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦١٦) عن قتادة بهذا اللفظ وعزاه لعبد بن حميد والطبري.
ورواه الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً.
أخرجه الطبري وابن مردويه وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦١٦).
وأخرجه ابن مردويه عن جابر أيضًا وفيه قصة.

بهما ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله ﷺ وما تيسر لهم في أيام الخلفاء[1]، وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢] وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب. فإن قلت: فما معنى هذا التنكير؟ قلت: التفخيم، كأنه قيل: إن مع العسر يسرًا عظيمًا وأيّ يسر، وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة. فإن قلت: فإذا ثبت في قراءته غير مكرر، فلم قال: والذي نفسي بيده، لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، إنه لن يغلب عسر يسرين؟ (١٧٧٠) قلت: كأنه قصد باليسرين: ما في قوله: ﴿يُسْرًا﴾ من معنى التفخيم، فتأوله بيسر الدارين، وذلك يسران في الحقيقة.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

فإن قلت: فكيف تعلق قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ بما قبله؟ قلت: لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة، بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها، وأن يواصل بين بعضها وبعض، ويتابع ويحرص على أن لا يخلي وقتًا من أوقاته منها، فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى. وعن ابن عباس/ ٢/ ٢٦٧ب: فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء. وعن الحسن: فإذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة. وعن مجاهد: فإذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك. وعن الشعبي: أنه رأى رجلًا يشيل حجرًا فقال: ليس بهذا أمر الفارغ، وقعود الرجل فارغًا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه: من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة، ولقد قال ـ عمر رضي الله عنه ـ: إني لأكره أن أرى أحدكم فارغًا سهللًا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة (١٧٧١). وقرأ أبو السّمال: فرغت ـ بكسر الراء ـ وليست بفصيحة. ومن البدع: ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ: فانصب، بكسر الصاد، أي: فانصب عليًا للإمامة؛ ولو صحّ هذا

١٧٧٠ ـ تقدم وينظر الحديث السابق.
وقال الحافظ: حديث ابن مسعود: أخرجه عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان، عن ميمون أبي حمزة عن إبراهيم، عن ابن مسعود قال: «لو كان العسر في جحر ضب لتبعه اليسر حتى يستخرجه: لن يغلب عسر يسرين». انتهى.

١٧٧١ ـ قال الزيلعي (٤/ ٢٣٦) غريب وقال ابن حجر: لم أجده: وقد روى أحمد وابن المبارك والبيهقي كلهم في الزهد وابن أبي شيبة من طريق المسيب بن رافع قال: قال عبد الله بن مسعود: «إني لأمقت الرجال أراه فارغًا ليس في شيء من عمل دنيا ولا آخره» انتهى.

---

(١) قوله: «وما تيسر لهم في أيام الخلفاء» لعله: وما يتيسر، بصيغة المضارع. (ع)

للرافضي لصحّ للناصبي أن يقرأ هكذا، ويجعله أمرًا بالنصب[1] الذي هو بغض عليّ وعداوته ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ واجعل رغبتك إليه خصوصًا، ولا تسأل إلا فضله متوكلاً عليه. وقرئ: «فرغب» أي: رغب الناس إلى طلب ما عنده.

عن النبي ﷺ: «من قرأ ألم نشرح، فكأنما جاءني وأنا مغتمّ ففرج عني» (١٧٧٢).

١٧٧٢ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي بن كعب. ورواه سليم الزهري في البرعنه مرسلاً. انتهى.
وقال الحافظ: أخرجه عبد الرزاق عن معمر، عن أيوب، عن الحسن به مرسلاً، ومن طريقه أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب. ورواه الطبري من طريق أبي ثور، عن معمر. وله طريق أخرى أخرجها ابن مردويه من رواية عطية عن جابر، وصولاً. وإسناده ضعيف. وفي الباب عن عمر رضي الله عنه ذكره مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم عن أبيه وأن عمر بن الخطاب بلغه أن أبا عبيدة حضر بالشام فذكر القصة. وقال في الكتاب إليه: ولن يغلب عسر يسرين» ومن طريقه رواه الحاكم. وهذا أصح طرقه. انتهى.

---

(١) قوله: «بالنصب» في الصحاح: نصبت لفلان نصبًا: إذا عاديته. (ع)

سورة التين

مكية، وآياتها ثمان

[نزلت بعد البروج]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾

أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين أصناف الأشجار المثمرة، وروي: أنه أهدي لرسول الله ﷺ طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه: «كلوا، فلو قلت إنّ فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه، لأنّ فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها. فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس» (١٧٧٣). ومرّ معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبًا واستاك به وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة». وسمعته يقول: «هي سواكي وسواك الأنبياء قبلي» (١٧٧٤) وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: هو تينكم هذا وزيتونكم. وقيل: جبلان من الأرض المقدّسة يقال لهما

١٧٧٣ ـ أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي (ص ٨٢) وقال ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٢١٤): في ثبوته نظر.

وانظر كشف الخفا (١/ ٤٢٣) للعجلوني وقال «جميع ما ورد في الفاكهة من الأحاديث موضوع».

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢٤١) (١٥٠٩) لابن الجوزي في كتابه المسمى بـ «اللقط المنافع في الطب»، والثعلبي في تفسيره من حديث أبي ذر.

«وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو نعيم في الطب والثعلبي من حديث أبي ذر» وفي إسناده من لا يعرف انتهى.

١٧٧٤ ـ أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٣٩٠) (٦٨٢) من طريق معلل بن نفيل الحراني قال حدثنا محمد بن محصن، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري، عن معاذ بن جبل مرفوعًا. . . فذكره. =

بالسريانيّة: طورتينا وطورزيتا، لأنهما منبتا التين والزيتون. وقيل: «التين» جبال ما بين حلوان وهمذان. و «الزيتون» جبال الشام، لأنها منابتهما، كأنه قيل: ومنابت التين والزيتون. وأضيف الطور: وهو الجبل، إلى سنين: وهي البقعة. ونحو سينون: يبرون، في جواز الإعراب بالواو والياء، والإقرار على الياء، وتحريك النون بحركات الإعراب. والبلد: مكة حماها الله. والأمين: من أمن الرجل أمانة فهو أمين. وقيل: أمان، كما قيل: كرّام في كريم. وأمانته: أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه. ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول، من أمنه لأنه مأمون الغوائل، كما وصف بالأمن في قوله تعالى: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٥٧] بمعنى ذي أمن: ومعنى القسم بهذه الأشياء: الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين. فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه، والطور: المكان الذي نودي منه موسى. ومكة: مكان البيت الذي هو هدى للعالمين، ومولد رسول الله ﷺ ومبعثه ﴿فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ﴾ في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه. ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية: أن رددناه أسفل من سفل خلقًا وتركيبًا، يعني: أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة، وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات. أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن الصورة والشكل: حيث نكسناه في خلقه، فقوّس ظهره بعد اعتداله، وابيض شعره بعد سواده، وتشنن[١] جلده وكان بضًا، وكلّ سمعه وبصره وكانا حديدين، وتغير كل شيء منه: فمشيه دليف[٢]، وصوته خفات، وقوته ضعف، وشهامته خرف[٣] وقرأ عبد الله: «أسفل السافلين». فإن قلت: فكيف الاستثناء على المذهبين؟ قلت: هو على الأول متصل

= وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ١٠٠) رواه الطبراني في الأوسط، وفيه معلل بن محمد ولم أجد من ذكره.

قلت: ولعله تصحيف فإن السند لا يوجد فيه «معلل بن محمد» إنما هو «معلل بن نفيل الحراني».

والسند فيه محمد بن محصن وهو العُكاشي قال الحافظ في التقريب (٢/ ٢٠٥) كذبوه.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢٤٢) للطبراني في كتابه «مسند الشاميين» والثعلبي في تفسيره. أخرجه الطبراني في الأوسط والثعلبي من حديث معاذ بن جبل وقال ابن حجر «أخرجه الطبراني في الأوسط والثعلبي من حديث معاذ بن جبل» وإسناده واهٍ. انتهى.

---

(١) قوله: «وتشنن جلده» في الصحاح التشنن: التشيخ واليبس في جلد الإنسان، والضاضة: رقة الجلد ورخوصته. (ع)

(٢) قوله: «فمشيه دليف» أي مشى رويد متقارب الخطو. (ع)

(٣) قوله: «وشهامته خرف» لعله: خوف. (ع)

ظاهر الاتصال، وعلى الثاني: منقطع. يعني: ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم، وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم. فإن قلت: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ من المخاطب به؟ قلت: هو خطاب للإنسان على طريقة الالتفات، أي: فما يجعلك/ ٢/ ٢٦٨أ كاذبًا بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل، يعني أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء، لأنّ كل مكذب بالحق فهو كاذب، فأيّ شيء يضطرك إلى أن تكون كاذبًا بسبب تكذيب الجزاء. والباء مثلها في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ١٠٠] والمعنى: أنّ خلق الإنسان من نطفة، وتقويمه بشرًا سويًا وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي، ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر: لا ترى دليلاً أوضح منه على قدرة الخالق، وأن من قدر من الإنسان على هذا كله: لم يعجز عن إعادته، فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع. وقيل: الخطاب لرسول الله ﷺ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ وعيد للكفار، وأنه يحكم عليهم بما هم أهله. وعن النبي ﷺ: أنه كان إذا قرأها قال: «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» (١٧٧٥).

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والتين أعطاه الله خصلتين: العافية واليقين ما دام في دار الدنيا، وإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة» (١٧٧٦).

١٧٧٥ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٦٤٣) (٣٧٦٦٠) عن قتادة مرسلاً وله شاهد من حديث أبي هريرة عند الحاكم ـ تقدم تخريجه في سورة القيامة.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف. أخرجه الحاكم عن أبي هريرة بالإسناد المتقدم من القيامة ورواه الطبراني من رواية سعيد عن قتادة. قال: ذكر لنا. . . فذكره انتهى.

١٧٧٦ ـ تقدم برقم (٣٤٦): وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة العلق

مكية، وآياتها تسع عشرة
[وهي أول ما نزل من القرآن]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾

عن ابن عباس ومجاهد: هي أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم. محل ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ النصب على الحال، أي: اقرأ مفتتحًا باسم ربك، قل: بسم الله، ثم اقرأ. فإن قلت: كيف قال: ﴿خَلَقَ﴾ فلم يذكر له مفعولاً، ثم قال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾؟ قلت: هو على وجهين: إما أن لا يقدّر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه. وإما أن يقدّر ويراد خلق كل شيء، فيتناول كل مخلوق، لأنه مطلق، فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض. وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق؛ لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض. ويجوز أن يراد: الذي خلق الإنسان، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٢ ـ ٣] فقيل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ مبهمًا، ثم فسره بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ تفخيمًا لخلق الإنسان. ودلالة على عجيب فطرته. فإن قلت: لم قال ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ على الجمع، وإنما خلق من علقة، كقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾؟ [غافر: ٦٧] قلت: لأن الإنسان في معنى الجمع، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر: ٢]. ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾ الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم، ينعم على عباده النعم التي لا تحصى، ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي وإطراحهم الأوامر، ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم، فما لكرمه غاية ولا أمد، وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم، حيث قال: الأكرم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ فدلّ على كمال كرمه بأنه علم عباده ما

لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلاّ هو، وما دوّنت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلاّ بالكتابة؛ ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا؛ ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلاّ أمر القلم والخط، لكفى به. ولبعضهم في صفة القلم [من الكامل]:

وَرَوَاقِـم رُقْـشٍ كَـمِـثْـلِ أَرَاقِـم ... قُـطْـفِ الْـخُـطَـا نَـيَّـالَـةٍ أَقْـصَـى الْـمَـدَى

سُـودِ الْـقَـوَائِـمِ مَـا يَـجِـدُّ مَـسِـيـرُهَـا ... إِلاَّ إِذَا لَـعِـبَـتْ بِـهَـا بِـيـضُ الْـمُـدَى[1]

وقرأ ابن الزبير: «علم الخط بالقلم».

---

(١) للزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ في صفة الأقلام، وكان حقه أن يذكر في حرف الدال؛ لأن حروف الإطلاق وهي الألف والواو والياء الساكنات غير معتبرة في هذه الأبواب؛ وإنما أخرناه ليكون جزاء للأقلام على عملها كما أن الأجير يوفى أجره بعد تمام عمله. والرواقم: جمع راقمة صفة للأقلام، وهو مجرور برب المقدرة. وخبره قوله: كمثل أراقم. أو قطف الخُطَا؛ والأظهر أن الخبر قوله: ما يجد مسيرها. وإسناد الرقم إليها مجاز عقلي، لأنها آلته. والرقش: جمع أرقش. أو رقشاء: الحية المنقوشة الظهر. والأراقم ـ جمع أرقم الثعبان الذي فيه سواد وبياض. والقطف: جمع أقطف، وهو الذي يقارب بين خطاه. والخطا: جمع خطوة بالضم. والمدى، بالفتح: يطلق على المسافة وعلى غايتها. والسود: جمع أسود أو سوداء. والقوائم: الأرجل. والجد بمعنى الاجتهاد أو ضد الهزل. والبيض: جمع بيضاء. والمدى؛ بالضم: جمع مدية، وهي الشفرة، ثم إنه شبه انتقاش الأقلام بانتقاش الحيات، فاستعار له الرقش على سبيل الاستعارة التصريحية؛ وشبهها بالأراقم بجامع التلون والامتداد يمينًا وشمالاً وانشقاق لسان كل شعبتين وإلقائه اللعاب؛ فالجامع مركب حسي. وقيل: إنه من قبيل تشبيه المركب المحسوس بالمركب المحسوس بجامع الهيئات التي تقع عليها الحركة. وكرر أداة التشبيه للتوكيد، ثم شبهها بالدواب السائرة على طريق المكنية، بجامع التلون والتردد، والذهاب والإياب، والتوصل بكل إلى المراد، وإثبات القطف والخطو والقوائم: تخييل. وقيل: يجوز أن هذا من قبيل تشبيه المركب بالمركب أيضًا، وهي وإن كان سيرها قليلاً: تبلغ صاحبها مراده، وإن كان بعيدًا فنسبة النيل إليها مجاز عقلي؛ لأنها آلته. وشبه المراد المعقول بالمقصد المحسوس، وهو آخر المسافة بجامع الاحتياج في إدراك كل إلى أسباب؛ فأقصى المدى: استعارة تصريحية: وهي ترشيح لتلك المكنية؛ وقوائم الأقلام: ما دق وطال من أطرافها، وهي سود دائمًا؛ وإثبات الجد للمسير مبالغة كجد جده. وشبه المدى بما يصح منه اللعب على سبيل المكنية، وإثبات اللعب تخييل هذا بيانه. وفيه من البديع بين الرواقم والأراقم شبه الاشتقاق، وبين «قطف الخطا» «ونيالة أقصى المدى» شبه التضاد؛ وبين السود والبيض، وبين الجد واللعب: طباق التضاد؛ وبين المسير ولعب المدى: شبه التضاد بحسب الظاهر؛ لأن المدى تبطل سير الحيوان إذا لعبت بقوائمه، لكنه مناسب للأقلام. وبين المدى والمدى: الجناس المحرق؛ وهذا مما يدل على أن المصنف ـ رحمه الله وعمه برضاه ـ: كان من مفلقي سحرة البيان، الحائزين قصبات السبق في هذا الميدان.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه، وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴿أَن رَّءَاهُ﴾ أن رأى نفسه. يقال: في أفعال القلوب: رأيتني وعلمتني، وذلك بعض خصائصها. ومعنى الرؤية: العلم، ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين. و﴿ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ هو المعفول الثاني ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ واقع على طريقة الالتفات إلى الإنسان، تهديدًا له وتحذيرًا ٢/٢٦٨ب من عاقبة الطغيان. والرجعى: مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع. وقيل: نزلت في أبي جهل. وكذلك ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾﴾ وروي: أنه قال لرسول الله ﷺ: أتزعم أن من استغنى طغى، فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبًا، لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك، فنزل جبريل فقال: إن شئت فعلنا ذلك، ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة، فكفّ رسول الله ﷺ عن الدعاء إبقاء عليهم (١٧٧٧). وروي عنه ـ لعنه الله ـ أنه قال: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فوالذي يحلف به، لئن رأيته توطأت عنقه، فجاءه ثم نكص على عقبيه، فقالوا له: مالك يا أبا الحكم، فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة فنزلت ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾﴾ (١٧٧٨) ومعناه: أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله. أو كان آمرًا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد، وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح، كما نقول نحن ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك. وهذا وعيد. فإن قلت: ما متعلق أرأيت؟ قلت: الذي ينهى مع الجملة الشرطية، وهما في موضع المفعولين. فإن قلت: فأين جواب الشرط؟ قلت: هو محذوف، تقديره: إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى، ألم يعلم بأن الله يرى؟ وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني. فإن قلت: فكيف صحّ أن يكون ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾

١٧٧٧ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢٤٧) (١٥١٣). وقال ابن حجر: لم أجده.
قلت: وآخره تقدم في الإسراء بغير هذا السياق. انتهى.

١٧٧٨ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٩/ ١٥٣) ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) ـ باب قوله «إن الإنسان ليطغى. . . .» (٢٧٩٧).
والنسائي في الكبرى (٦/ ٥١٨) ـ كتاب التفسير ـ سورة العلق (١١٦٨٣).

جوابًا للشرط؟ قلت: كما صحّ في قولك: إن أكرمتك أتكرمني؟ وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه؟ فإن قلت: فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعول أرأيت؟ قلت: هي زائدة مكرّرة للتوكيد. وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة ﴿كَلَّآ﴾ ردع لأبي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وأمره بعبادة اللات، ثم قال ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما هو فيه ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار. والسفع: القبض على الشيء وجذبه بشدّة. قال عمرو بن معدي كرب [من الكامل]:

قَـوْمٌ إِذَا يَـقَـعُ الـصَّـرِيـخُ رَأَيْـتَـهُـمْ مِـنْ بَـيْـنِ مُـلْـجِـمِ مُـهْـرِهِ أَوْ سَـافِـعِ(١)

وقرئ: لنسفعنّ، بالنون المشدّدة. وقرأ ابن مسعود: لأسفعا. وكتبتها في المصحف بالألف على حكم الوقف، ولما علم أنها ناصية المذكور: اكتفى بلام العهد عن الإضافة ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل من الناصية؛ وجاز بدلها عن المعرفة، وهي نكرة؛ لأنها وصفت فاستقلت بفائدة. وقرئ: ناصية، على: هي ناصية، وناصية بالنصب. وكلاهما على الشتم. ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي. وهما في الحقيقة لصاحبها. وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك: ناصية كاذب خاطئ. والنادي: المجلس الذي ينتدي فيه القوم. أي: يجتمعون. والمراد: أهل النادي. كما قال جرير [من الطويل]:

لَـهُـمْ مَـجْـلِـسٌ صُـهْـبُ الـسِّـبَـالِ أَذِلَّـةٌ(٢) ....

---

(١) لحميد بن ثور الهلالي الصحابي، أي: هم قوم إذا نفع الصريخ، أي: ارتفع الصياح للحرب أسرعوا إليها فتراهم دائرين بين ملجم مهره وسافع، أي: قابض بناصية مهره، ويجذبه إليه بسرعة. ومن زائدة؛ ولو كانت في الإثبات. وأو بمعنى الواو. ويروى: إذا يقع بالياء، أي: يحصل. ويروى: إذا هتف، أي: صاح، فيكون كجد جده. ويجوز أن الصريخ بمعنى الصارخ. ويروى: إذا سمعوا الصريخ فهو مفعول. ويروى: ما بين ملجم. وهذا مما يؤيد أن «من» في تلك الرواية زائدة. ينظر: ديوانه ص ١٤٥، ولحميد بن ثور في ديوانه ص ١١١ وشرح التصريح ٢/١٤٦، وشرح شواهد المغني ١/٢٠٠، والمقاصد النحوية ٤/١٤٦، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨/٢١٨، وأوضح المسالك ٣/٣٧٩، وشرح الأشموني ٢/٤٢٤، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٢٩، وشرح عمدة الحافظ ص ٦٢٨، ولسان العرب (سفع)، ومغني اللبيب ١/٦٣.

(٢) لـهـم مجلس صهب السبال أذلة عـلـى مـن يـعـاديـهـم أشـداء فـاعـلـم

يقول لهم مجلس يجتمعون فيه. أولهم قوم مجتمعون جالسون، ولا ترى ذلك إلا في الرؤساء الأشراف، وصهب السبال: صفة لمرجع الضمير في لهم على الأول، وصفة لمجلس على الثاني؛ لأنه بمعنى الجالسين. والصهبة: حمرة ترهق السواد. والصهب: جمع أصهب. والسال: طرف الشارب جانب الفم، وتلك الصهبة من خواص الروم، وهو كناية عن الغلظة والشدة، وأذلة: أي: فيما بينهم أشداء على من يعاديهم. وقدم المعمول للحصر. فاعلم ذلك وتيقنه فهو حق. ويروى بدل الشطر الثاني:

.... سـواسـيـة أحـرارهـا وعـبـيـدهـا =

وقال زهير [من الطويل]:

وَفِيـهِمْ مَقَـامَاتٌ حِسَـانٌ وُجُـوهُـهُـمْ(١) ....

والمقامة: المجلس. روي: أن أبا جهل مرّ برسول الله ﷺ وهو يصلي فقال: ألم أنهك؟ فأغلظ له رسول الله ﷺ؛ فقال: أتهدّدني وأنا أكثر أهل الوادي ناديًا، فنزلت (١٧٧٩). وقرأ ابن أبي عبلة: سيدعى الزبانية، على البناء للمفعول، والزبانية في كلام العرب: الشرط، الواحدة، زبنية، كعفرية، من الزبن: وهو الدفع. وقيل: زبني، وكأنه نسب إلى الزبن، ثم غير للنسب، كقولهم أمسى؛ وأصله: زباني، فقيل: زبانية على التعويض؛ والمراد: ملائكة العذاب. وعن النبي ﷺ: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانًا» (١٧٨٠) ﴿كَلَّا﴾ ردع لأبي جهل ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ أي: اثبت على ما أنت عليه من عصيانه، كقوله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [القلم: ٨]. ﴿وَٱسْجُدْ﴾ ودم على سجودك، يريد: الصلاة ﴿وَٱقْتَرِب﴾ وتقرّب إلى ربك. وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد» (١٧٨١).

١٧٧٩ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤٤) كتاب التفسير باب ومن سورة العلق حديث (٣٣٤٩) والنسائي في «التفسير» (٧٠٤) وأحمد (١/ ٢٥٦) والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ١٦٤) كلهم من طريق داود عن عكرمة عن ابن عباس به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب قال الحافظ: أخرجه الطبري وابن مردويه بهذا وأتم منه. وهو عند الترمذي والنسائي والحاكم وأحمد وابن أبي شيبة والبزار كلهم من رواية أبي خالد الأحمر عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قلت: وأصله في صحيح البخاري. انتهى.

١٧٨٠ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٧٤٥) كتاب التفسير باب قول الله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ حديث (٤٩٥٨) والترمذي (٥/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤) كتاب التفسير: باب ومن سورة العلق حديث (٣٣٤٨) والنسائي في «التفسير» (٨١، ٧٠٥) كلهم من طريق عكرمة عن ابن عباس به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.
قال الحافظ: أخرجه البخاري والنسائي من رواية معمر عن عبد الكريم الحريري، عن عكرمة، عن ابن عباس به، وهو الذي قبله من قول ابن عباس رضي الله عنهما. انتهى.

١٧٨١ ـ أخرجه مسلم (١/ ٣٥٠) كتاب الصلاة: باب ما يقال في الركوع والسجود حديث (٢١٥/ ٤٨٢) =

= وسواسية كطواعية جمع سواء على غير قياس. وقيل: اسم جمع بمعنى مستوين. يعني: أنهم مستوون في الشرف وكمال الأخلاق، ولولا مقام المدح لكان من قبيل التوجيه، لاحتماله لوجه الذم أيضًا. وأما إن قرئ بالكسر والتشديد، فهو منسوب السواس وهو التمرين على حسن السير، يعني أن جميعهم رؤساء، ولكن الأول أوجه. ومنه الحديث: «الناس سواسية لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى» كما في ترجمة شرح القاموس.

(١) البيت لزهير، ينظر ديوانه (٨٧)، البحر ٥/ ٨٨، العمدة لابن رشيق: ٢/ ١٣٤، اللسان (قوم).

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصّل كله» (١٧٨٢).

= وأبو داود (١/ ٢٣١) كتاب الصلاة: باب في الدعاء في الركوع والسجود حديث (٨٧٥) والنسائي (٢/ ٢٢٦) كتاب الافتتاح: باب أقرب ما يكون العبد من الله عز وجل.

قال الحافظ: أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «وهو ساجد» انتهى.

١٧٨٢ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: «أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مرة بأسانيدهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة القدر

مكية، وقيل: مدنية، وآياتها خمسٌ
[نزلت بعد عبس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ/ ٢/ ١٢٦٩أ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

عظم القرآن من ثلاثة أوجه: أحدها: أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصًا به دون غيره؛ والثاني: أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه؛ والثالث: الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه. وروي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. وأملاه جبريل على السفرة، ثم كان ينزله على رسول الله ﷺ نجومًا في ثلاث وعشرين سنة. وعن الشعبي: المعنى إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها. وأكثر القول أنها السابعة منها؛ ولعل الداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريدها الليالي الكثيرة: طلبًا لموافقتها، فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه، وأن لا يتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفرّطوا في غيرها. ومعنى ليلة القدر: ليلة تقدير الأمور وقضائها، من قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٤] وقيل: سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾ يعني: ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علوّ قدرها، ثم بين له ذلك بأنها خير من ألف شهر، وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها: من تنزّل الملائكة والروح، وفصل كل أمر حكيم، وذكر في تخصيص هذه المدّة: أنّ رسول الله ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المؤمنون من ذلك، وتقاصرت إليهم أعمالهم، فأعطوا ليلة هي خير من مدّة ذلك الغازي (١٧٨٣).

١٧٨٣ ـ أخرجه الواحدي في «الوسيط» (٨٦٤) وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٧١) وعزاه لابن =

وقيل: إنّ الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر، فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد ﴿تَنَزَّلُ﴾ إلى السماء الدنيا، وقيل: إلى الأرض ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ جبريل. وقيل: خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلاّ تلك الليلة ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: تتنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل. وقرئ: من كل امرئ، أي: من أجل كل إنسان. وقيل: لا يلقون مؤمنًا ولا مؤمنة إلاّ سلموا عليه في تلك الليلة ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ ما هي إلاّ سلامة، أي: لا يقدّر الله فيها إلاّ السلامة والخير، ويقضي في غيرها بلاء وسلامة. أو: ما هي ألاّ سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين. وقرئ: مطلع، بفتح اللام وكسرها.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر» (١٧٨٤).

= المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي وقال الحافظ أخرجه ابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به مرسلاً دون قوله: «وتقاصرت إليهم أعمالهم» انتهى.

١٧٨٤ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

وقال ابن حجر: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسندهم إلى أبي بن كعب، انتهى.

سورة البينة

مكية، وقيل: مدنية، وآياتها ثمانٍ
[نزلت بعد الطلاق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾

كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي ﷺ: لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبّي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل، وهو محمد ﷺ، فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق: إذا جاءهم الرسول، ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرّهم على الكفر إلاّ مجيء الرسول ﷺ؛ ونظيره في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه: لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقني الله الغنى، فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقًا، فيقول واعظه: لم تكن منفكًا عن الفسق حتى توسر، وما غمست رأسك في الفسق إلاّ بعد اليسار: يذكره ما كان يقوله توبيخًا وإلزامًا. وانفكاك الشيء من الشيء. أن يزايله بعد التحامه به، كالعظم إذا انفك من مفصله؛ والمعنى: أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه إلاّ عند مَجيء البينة. و﴿الْبَيِّنَةُ﴾ الحجة الواضحة[1]. و﴿رَسُولٌ﴾ بدل من البينة. وفي قراءة عبد الله: رسولا، حالاً من البينة ﴿صُحُفًا﴾ قراطيس ﴿مُّطَهَّرَةً﴾ من

(١) قوله: «والبينة الحجة الواضحة» في نسخة بدل «البهنة»: القرآن، (أو لم تأتهم بينة ما في الصحف =

الباطل ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ مكتوبات ﴿قَيِّمَةٌ﴾ مستقيمة ناطقة بالحق والعدل؛ والمراد بتفرقهم: تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه. أو تفرّقهم فرقًا؛ فمنهم من آمن، ومنهم من أنكر، وقال: ليس به؛ ومنهم من عرف وعاند. فإن قلت: لم جمع بين أهل الكتاب ٢/ ٢٦٩ب والمشركين أوّلاً ثم أفرد أهل الكتاب في قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾؟ قلت: لأنهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم، فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ يعني في التوراة والإنجيل إلاّ بالدين الحنيفي، ولكنهم حرّفوا وبدّلوا ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ أي: دين الملة القيمة. وقرئ: وذلك الدين القيمة، على تأويل الدين بالملة. فإن قلت: ما وجه قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾؟ قلت: معناه: وما أمروا بما في الكتابين إلاّ لأجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة. وقرأ ابن مسعود: «إلا أن يعبدوا»، بمعنى: بأن يعبدوا. قرأ نافع: «البريئة» بالهمز؛ والقرّاء على التخفيف. والنبيّ، والبرية: مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل وقرئ: خيار البرية، جمع خير، كجياد وطياب: في جمع جيد وطيب.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلاً» (١٧٨٥).

١٧٨٥ ـ تقدم برقم (٣٤٦). وقال ابن حجر: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسندهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

= الأولى) ورسول من ا لله: جبريل صلوات الله عليه، وهو التالي للصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التي ذكرت في سورة عبس، ولا بد من مضاف محذوف وهو الوحي. ويجوز أن يراد النبي ﷺ. فإن قلت: كيف نسبت تلاوة الصحف المطهرة إليه وهو أمي؟ قلت: إذا تلا مثل المذكور فيها كان تاليًا لها. . . (ع)

سورة الزلزلة

مدنية وقيل: مكية، وآياتها ثمانٍ
[نزلت بعد النساء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾

«زلزالها» قرئ: بكسر الزاي وفتحها؛ فالمكسور: مصدر، والمفتوح: اسم؛ وليس في الأبنية فعلال بالفتح إلاّ في المضاعف. فإن قلت: ما معنى زلزالها بالإضافة؟ قلت: معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة وهو مشيئة الله، وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده. ونحوه قولك: أكرم التقيّ إكرامه، وأهن الفاسق إهانته، تريد: ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه. الأثقال: جمع[1] ثقل. وهو متاع البيت، وتحمل أثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالاً لها ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها؛ وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء، فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع، كما يقولون: ﴿بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا﴾ [يس: ٥٢]. وقيل: هذا قول الكافر؛ لأنه كان لا يؤمن بالبعث؛ فأما المؤمن فيقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ فإن قلت: ما معنى تحديث الأرض والإيحاء لها؟ قلت: هو مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث بالنسيان، حتى ينظر من يقول ما لها إلى تلك الأحوال، فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات؟ وأنّ هذا ما كانت الأنبياء ينذرونه ويحذرون منه. وقيل: ينطقها الله على

---

(١) قوله: «جمع ثقل وهو متاع» في الصحاح «الثقل»: واحد الأثقال، مثل حمل وأحمال. والثقل ـ بالتحريك متاع المسافر وحشمه. (ع)

الحقيقة. وتخبر بما عمل عليها من خير وشرّ. وروي عن رسول الله ﷺ: «تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها» (١٧٨٦). فإن قلت: (إذا، ويومئذ): ما ناصبهما؟ قلت: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من (إذا)، وناصبهما ﴿تُحَدِّثُ﴾. ويجوز أن ينتصب (إذا) بمضمر، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بتحدّث. فإن قلت: أين مفعولا (تحدث)؟ قلت: قد حذف أوّلهما، والثاني: أخبارها، وأصله تحدث الخلق أخبارها؛ إلاّ أن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيمًا لليوم. فإن قلت: بم تعلقت الباء في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾؟ قلت: بتحدّث، معناه: تحدّث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها، وأمره إياها بالتحديث. ويجوز أن يكون المعنى: يومئذ تحدث بتحديث أنّ ربك أوحى لها أخبارها، على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها: تحديث بأخبارها، كما تقول: نصحتني كل نصيحة، بأن نصحتني في الدين.(١) ويجوز أن يكون ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾ بدلاً من ﴿أَخْبَارَهَا﴾ كأنه قيل: يومئذ تحدّث

١٧٨٦ ـ تقدم في سورة الأنبياء.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من رواية ابن أيوب عن يحيى، عن أبي سليمان المنقري عن أبي هريرة. وسعيد ثقة. وخالفه رشدين بن سعد وهو ضعيف فقال: عن يحيى بن أبي سليمان عن أبي حازم بالسندين المذكورين عن أنس بن مالك. وأخرجه ابن مردويه. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وهو كلام فيه عفش يتنزه القرآن عنه. قلت: وأي عفش فيه مع صحته وفصاحته؟ ولكن لما طال تقديره من جهة إفادته هذا المعنى الحسن. جعله عفشًا وحاشاه.
ثم قال الزمخشري ويجوز أن يكون «بأن ربك» بدلاً من «أخبارها» كأنه قيل: يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها؛ لأنك تقول: حدثته كذا وحدثته بكذا.
قال الشيخ: وإذا كان الفعل يتعدى تارة بحرف جر؛ وتارة يتعدى بنفسه، وحرف الجر ليس بزائد. فلا يجوز في تابعه إلا الموافقة في الإعراب. فلا يجوز: استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم، لجواز أنك تقول: من الذنب، ولا أخبرت زيدًا الرجال الكرام بنصب الرجال، وخفض الكرام، وكذلك لا يجوز أن تقول: استغفرت من الذنب العظيم بنصب العظيم، وكذلك في أخبرت. فلو كان حرف الجر زائدًا جاز الاتباع على موضع الاسم بشروطه المحررة في علم النحو تقول: ما رأيت من رجل عاقلاً لأن من زائدة ومن رجل عاقلٍ على اللفظ، ولا يجوز نصب رجل وجر عاقل على مراعاة جواز دخول من. وإن ورد شيء من ذلك فبابه الشعر انتهى. ولا أدري كيف يلزم الزمشخري ما ألزمه به من جميع المسائل التي ذكرها؟ فإن الزمخشري يقول: إنه هنا بدل من ما قبله. ثم ذكر مسوغ دخول الباء في البدل، وهو أن المبدل منه يجوز دخول الباء عليه. فلو حلّ البدل محلّ المبدل منه ومعه الباء لكان جائزًا لأن العامل يتعدى به، وذكر مسوغًا لخلو المبدل منه من الباء. فقال: لأنك تقول: حدثته كذا، وحدثته بكذا. وأما كونه يمتنع أن تقول: استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم إلى آخره فليس في كلام الزمخشري شيء منه ألبتة، ونظير ما قاله الزمخشري في باب استغفر أن تقول: استغفرت الله ذنبًا من شتمي زيدًا. فقولك: من شتمي بدل من الذنب، وهذا جاز لا محال. انتهى. الدر المصون.

بأخبارها بأن ربك أوحى لها؛ لأنك تقول: حدّثته كذا وحدثته بكذا، و﴿أَوۡحَىٰ لَهَا﴾ بمعنى أوحى إليها، وهو مجاز كقوله: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] قال [من الرجز]:

أَوْحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ[١]

وقرأ ابن مسعود: «تنبئ أخبارها». وسعيد بن جبير: تنبئ، بالتخفيف. ٢/ ٢٧٠أ يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف ﴿أَشۡتَاتٗا﴾ بيض الوجوه آمنين؛ وسود الوجوه فزعين. أو يصدرون عن الموقف أشتاتًا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار، ليروا جزاء أعمالهم. وفي قراءة النبيّ ﷺ: «ليروا» بالفتح. وقرأ ابن عباس وزيد بن عليّ: «يره» بالضم. ويحكى أنّ أعرابيًا أخر ﴿خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ فقيل له: قدّمت وأخّرت؛ فقال [من الطويل]:

خُذَا بَطْنَ هَرْشَى أَوْ قَفَاهَا فَإِنَّه ... كِلاَ جَانِبَيْ هَرْشَى لَهُنَّ طَرِيقُ[٢]

والذرّة: النملة الصغيرة، وقيل: الذرّ ما يرى في شعاع الشمس من الهباء. **فإن قلت**: حسنات الكافر محبطة بالكفر، وسيئات المؤمن معفوّة باجتناب الكبائر، فما معنى الجزاء بمثاقيل الذرّ من الخير والشرّ[٣]؟ **قلت**: المعنى فمن يعمل مثقال ذرّة خيرًا: من فريق السعداء. ومن يعمل مثقال ذرّة شرًا: من فريق الأشقياء؛ لأنه جاء بعد قوله: ﴿يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾.

---

(١) تقدم.

(٢) روي أن أعرابيًا أخر قوله تعالى: (خيرًا يره) عما بعده، فقيل: قدمت وأخرت، فضرب ذلك البيت مثلًا. وهرشى ـ كسكرى: ثنية في طريق مكة عند الجحفة، أي: اسلكا أمام تلك الثنية أو خلفها، فإنه أي: الحال والشأن كل من جانبيها طريق للإبل التي تطلبانها، وتكرير لفظ «هرشى» لتقريرها في ذهن السامع خوف غفلته عنها، والمقام كان مقام هداية، فحسن فيه ذلك.
البيت لعقيل في معجم البلدان ٥/ ٣٩٨ (هرش)، ولسان العرب (هرش)، ومقاييس اللغة ١/ ٤٧، ومجمل اللغة ٤/ ٤٧٥، وتاج العروس (هرش)، (أنف).

(٣) قال محمود: «إن قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر... إلخ» قال أحمد: السؤال مبني على قاعدتين؛ إحداهما: أن حسنات الكافر محبطة بالكفر، وهذه فيها نظر؛ فإن حسنات الكافر محبطة، أي: لا يثاب عليها ولا ينعم. وأما تخفيف العذاب بسببها، فغير منكر؛ فقد وردت به الأحاديث الصحيحة. وقد ورد أن حاتمًا يخفف الله عنه لكرمه ومعروفه، وورد ذلك في حق غيره كأبي طالب أيضًا، فحينئذ لحسنات الكافر أثر ما في تخفيف العذاب، فيمكن أن يكون المرئي هو ذلك الأثر، والله أعلم. وأما القاعدة الثانية: وهي القول بأن اجتناب الكبائر يوجب تمحيص الصغائر ويكفرها عن المؤمن، فمردود عند أهل السنة؛ فإن الصغائر عندهم حكمها في التكفير في حكم الكبائر: تكفر بأحد أمرين: إما بالتوبة النصوح المقبولة، وإما بالمشيئة لا غير ذلك. وأما اجتناب الكبيرة عندهم فلا يوجب التكفير للصغيرة، فالسؤال المذكور إذًا ساقط عن أهل السنة، ولكن الزمخشري التزم الجواب عنه للزومه على قاعدته الفاسدة؛ والله الموفق.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله» (١٧٨٧).

١٧٨٧ ـ ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ٢٦٢) وعزاه للثعلبي بإسناد أهل البيت عن علي بن أبي طالب.

وله شاهد من حديث أنس عزاه الزيلعي لابن أبي شيبة في مسنده والبزار.

وينظر حديث فضائل القرآن رقم (٣٤٦).

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من حديث علي بإسناد أهل البيت، لكنه من رواية أبي القاسم الطائي. وهو ساقط وشاهده عند ابن أبي شيبة والبزار من رواية سلمة بن وردان عن أنس مرفوعًا: إذا زلزلت تعدل ربع القرآن» وأخرجه ابن مردويه والواحدي بأسناديهما إلى أبي بن كعب بلفظ «من قرأ إذا زلزلت أعطي من الأجر كمن قرأ القرآن» انتهى.

سورة العاديات

مكية، وقيل: مدنية، وآياتها إحدىٰ عشرة
[نزلت بعد العصر]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾

أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح. والضبح: صوت أنفاسها إذا عدون. وعن ابن عباس أنه حكاه فقال: أح أح. قال عنترة [من مجزوء الكامل]:

وَالْخَيْلُ تَكْدَحُ حِينَ تَضْـ ... ـبَحُ فِي حِيَاضِ الْمَوْتِ ضَبْحَا[1]

وانتصاب ضبحا على: يضبحن ضبحا، أو بالعاديات، كأنه قيل: والضابحات؛ لأن الضبح يكون مع العدو[2]. أو على الحال، أي: ضابحات ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾ توري نار

---

(١) الكدح: الجد في العدو، والضبح: إخراج النفس بصوت غير الصهيل والحمحمة. وحكاه ابن عباس في التفسير فقال: أح أح؛ وشبه الموت بالسيل على طريق المكنية، والحياض تخييل لذلك. البيت لعنترة. ينظر ملحق ديوانه ص ٣٣٣ ولسان العرب: (صنج)، وتاج العروس (صنج).

(٢) قال محمود: «أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها. . . إلخ» قال أحمد: ولم يذكر حكمة الإتيان بالفعل معطوفًا على الاسم، فنقول: إنما عطف (أثرن) على الاسم الذي هو (العاديات) وما بعده لأنها أسماء فاعلين، تعطي معنى الفعل. وحكمة مجيء هذا المعطوف فعلاً عن اسم فاعل: تصوير هذه الأفعال في النفس؛ فإن التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم، لما بينهما من التخالف: وهو أبلغ من التصوير بالأسماء المتناسقة، وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضي؛ وقد تقدمت له شواهد أقربها قول ابن معدي كرب [من الوافر]:

بأني قد لقيت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرت ... صريعًا لليدين وللجران

الحباحب[1] وهي ما ينقدح من حوافرها ﴿قَدْحًا﴾ قادحات صاكات بحوافرها الحجارة. والقدح: الصك. والإيراء: إخراج النار. تقول: قدح فأورى، وقدح فأصلد[2]، وانتصب قدحًا بما انتصب به ضبحا ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ تغير على العدوّ ﴿صُبْحًا﴾ في وقت الصبح ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾﴾ فيهجنا بذلك الوقت غبارًا ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ بذلك الوقت، أو بالنقع، أي: وسطن النقع الجمع. أو فوسطن ملتبسات به ﴿جَمْعًا﴾ من جموع الأعداء. ووسطه بمعنى توسطه. وقيل: الضمير لمكان الغارة. وقيل: للعدوّ الذي دلّ عليه ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ ويجوز أن يراد بالنقع: الصياح، من قوله عليه الصلاة والسلام: «ما لم يكن نقع ولا لقلقة» (١٧٨٨) وقول لبيد [من الرمل]:

فَـمَـتَـى يَـنْـقَـعْ صُـراخٌ صَـادِقٌ[3]

أي: فهيجن في المغار عليهم صياحًا وجلبة[4]. وقرأ أبو حيوة: «فأثرن» بالتشديد،

١٧٨٨ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ٢٦٥) غريب مرفوعًا ولم أجده إلا من قول عمر قلت: علقه البخاري (٣/ ٥٠٨) كتاب الجنائز باب ما يكره من النياحة على الميت.
وقال الحافظ في «الفتح» (٣/ ٥٠٩): هذا الأثر وصله المصنف ـ البخاري ـ في التاريخ الأوسط من طريق الأعمش عن شقيق قال: لما مات خالد بن الوليد. . . . اهـ.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
[لم أجده مرفوعًا. وإنما ذكره البخاري في الجنائز تعليقًا عن عمر. قال: «دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة» قال: والنقع التراب على الرأس واللقلقة الصوت. ووصله عبد الرزاق، والحاكم وابن سعد وأبو عبيد والحربي في الغريب كلهم من طريق الأعمش عن أبي وائل =

---

(١) قوله: «توري نار الحباحب» الحباحب: اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلا نارًا ضعيفة مخافة الضيفان. فضربوا به المثل حتى قالوا: نار الحباحب: لما تقدحه الخيل بحوافرها. اهـ من الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «فأصلد» في الصحاح: صلد الزند، إذا صوت ولم يخرج نارًا؛ وأصلد الرجل: أي صلد زنده اهـ. (ع)

(٣) فـمـتـى يـنـقـع صـراخ صـادق جـلـبـوه ذات جـرس وزجـل
للبيد بن ربيعة. وجلب على فرسه وأجلب: إذا صاح به وحثه على السبق. وجلب بالتشديد ـ: صوت. والجرس الصوت الخفي. والزجل: صوت كدوي النحل. يقول: فمتى يرتفع صراخ للحرب صادق صرخوه ذات جرس، أي: كتيبة ذات جرس، وهو بدل من فاعل جلبوه. أو جاء على لغة أكلوني البراغيث. والمعنى: أن الصوت المنخفض ملازم لها، بخلاف المرتفع. ويجوز أن «جلبوه» جواب الشرط. ويجوز أنه صفة صراخ، وجواب الشرط فيما بعده، وهو أقرب من الأول. ينظر: ديوانه ص ١٩١، ولسان العرب (نقع)، وتهذيب اللغة ١/ ٢٦٣، وجمهرة اللغة ص ٩٤٣ وديوان الأدب ٢/ ٢١٥ وكتاب العين ١/ ١٧٣، وتاج العروس (نقع). ومقاييس اللغة ٥/ ٤٧٣.

(٤) قوله: «صياحًا وجلبة» في الصحاح: الجلب والجلبة: الأصوات. (ع)

بمعنى: فأظهرن به غبارًا؛ لأنّ التأثير فيه معنى الإظهار. أو قلب ثورن إلى وثرن، وقلب الواو همزة، وقرئ: «فوسطن» بالتشديد للتعدية. والباء مزيدة للتوكيد، كقوله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥] وهي مبالغة في وسطن. وعن ابن عباس: كنت جالسًا في الحجر فجاء رجل فسألني عن ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ①﴾ ففسرتها بالخيل، فذهب إلى عليّ وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت: فقال: ادعه لي، فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله إن كانت لأوّل غزوة في الإسلام بدر، وما كان معنا إلاّ فرسان: فرس للزبير وفرس للمقداد ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ①﴾ الإبل من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى (١٧٨٩)؛ فإن صحّت الرواية فقد استعير الضبح للإبل، كما استعير المشافر والحافر للإنسان، والشفتان للمهر، والثغر للثورة[1] وما أشبه ذلك. وقيل: الضبح لا يكون إلاّ للفرس والكلب والثعلب. وقيل: الضبح بمعنى الضبع، يقال: ضبحت الإبل وضبعت: إذا مدّت أضباعها في السير، وليس بثبت. وجمع: هو المزدلفة. فإن قلت: علام عطف (فأثرن)؟ قلت: على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه؛ لأنّ المعنى: واللاتي عدون فأورين، فأغرن فأثرن. الكنود: الكفور. وكند النعمة كنودًا. ومنه سمي: كندة، لأنه كند أباه ففارقه. وعن الكلبي: الكنود بلسان كندة: العاصي، وبلسان بني مالك: البخيل، وبلسان ٢/ ٢٧٠ب مضر وربيعة: الكفور، يعني: أنه لنعمة ربه خصوصًا

= قال «وقيل لعمر: إن نسوة من بني المغيرة قد اجتمعن في دار خالد بن الوليد يبكين عليه. وإنا نكره أن يؤذينك. فلو نهيتهن فقال: ما عليهن أن يهرقن من دموعهن على أبي سليمان سجلاً أو سجلين ما لم يكن نقع أو لقلقة» وفي رواية ابن سعد قال: وكيع: النقع الشق. واللقلقة الصوت. وقال بعضهم: رفع التراب على الرأس وشق الجيوب. وأما اللقلقة فهي شدة الصوت. ولم أسمع فيه خلافًا. وقال الحربي عن الأصمعي. النقع الصياح. وعن أبي سلمة هو وضع التراب على الرأس]. انتهى.

١٧٨٩ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ١٠٥) والطبري (١٢/ ٦٦٦) رقم (٣٧٧٨١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين وتعقبه الذهبي فقال: لم يحتج البخاري بأبي صخر وأما معاوية البجلي فلا ذكر له في الكتب الستة. اهـ ورواه أيضًا الثعلبي وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٤/ ٢٦٧).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الطبري والحاكم من رواية أبي صخر عن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأخرجه الثعلبي وابن مردويه من هذا الوجه. انتهى.

---

(١) قوله: «للمهر والثفر الثورة» الثفر للسباع كالحياء للناقة، وربما استعير بغيرها. والثورة: تأنيث الثور. قال الأخطل [من الطويل]:

جزى الله عنا الأعورين ملاحة ... وفروة ثفر الثور المتضاجم

وفروة: اسم رجل. والمتضاجم: المعوج الفم اهـ من هامش. (ع)

لشديد الكفران؛ لأن تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة، لأن أجلّ ما أنعم به على الإنسان من مثله نعمة أبويه، ثم إن عُظماها في جنب أدنى نعمة الله قليلة ضئيلة ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ على كنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾ يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره. وقيل: وإنّ الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد ﴿ٱلْخَيْرِ﴾ المال من قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] والشديد: البخيل الممسك. يقال: فلان شديد ومتشدّد. قال طرفة [من الطويل]:

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي ... عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ(١)

يعني: وإنه لأجل حب المال وأن إنفاقه يثقل عليه: لبخيل ممسك. أو أراد بالشديد: القوي، وإنه لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوي مطيق، وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس. تقول: هو شديد لهذا الأمر، وقويٌّ له: إذا كان مطيقًا له ضابطًا. أو أراد: أنه لحب الخيرات غير هش منبسط، ولكنه شديد منقبض ﴿بُعْثِرَ﴾ بعث: وقرئ: «بحثر» وبحث، وبحثر. وحصل: على بنائهما للفاعل. وحصل: بالتخفيف. ومعنى (حصلّ) جمع في الصحف، أي: أظهر محصلاً مجموعًا. وقيل: ميز بين خيره وشرّه. ومنه قيل للمنخل: المحصل. ومعنى علمه بهم يوم القيامة: مجازاته لهم على مقادير أعمالهم؛ لأنّ ذلك أثر خبره بهم. وقرأ أبو السمال: «إن ربهم بهم يومئذ خبير».

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ سورة والعاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعًا» (١٧٩٠).

١٧٩٠ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسندهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

---

(١) لطرفة بن العبد في معلقته. واعتام يعتام اعتيامًا: اختار اختيارًا. والعقيلة من كل شيء: أكرمه. يقول: أرى الموت يختار الكرام فيأخذها، ويصطفي أعز مال البخيل الشديد الإمساك فيبقيه. وقيل: فيأخذه أيضًا.
ينظر: ديوانه ص ٣٤، ولسان العرب (شدد)، (فحش)، (عيم)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٣٢٢، وكتاب العين ٢/ ٢٦٩، ومقاييس اللغة ٣/ ١٧٩، ٤/ ٤٧٨، وتهذيب اللغة ٤/ ١٨٨، ١١/ ٢٦٦، وتاج العروس (شدد)، (فحش)، (عقل)، (عيم).

سورة القارعة

مكية، وآياتها ١١

[نزلت بعد قريش]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)﴾

الظرف نصب بمضمر دلّت عليه القارعة، أي: تقرع ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤)﴾ شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة، والتطاير إلى الداعي من كل جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار. قال جرير [من الكامل]:

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ مَا عَلِمْتُ وَقَوْمَهُ ... مِثْلُ الْفَرَاشِ غَشِينَ نَارَ الْمُصْطَلِي[(١)]

وفي أمثالهم: أضعف من فراشة وأذل وأجهل. وسمي فراشا: لتفرّشه وانتشاره. وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانًا؛ لأنها ألوان، وبالمنفوش منه؛ لتفرّق أجزائها. وقرأ ابن مسعود: «كالصوف». الموازين: جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله. أو جمع ميزان. وثقلها: رجحانها. ومنه حديث أبي بكر لعمر - رضي الله عنهما - في وصيته له: «وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقلها في الدنيا، وحق لميزان لا توضع فيه إلاّ الحسنات أن يثقل، وإنما خفت موازين من خفت

---

(١) لجرير. وما علمت: أي مدة علمي، أو في علمي. وهذا من الإنصاف في المحاورة. والفراش: ما يتطاير إلى السراج؛ وربما مات فيه لحمقه. والمصطلي: المتدفئ بالنار: شبههم به في الذل والجهل والتطفل على الغير، كما يغشى الفراش رأس المصطلي ويحوم حولها. وربما ألقى بنفسه إلى النار، فهم مثله.
ينظر: ديوانه ص ٩٤٣، ولسان العرب (فرش) وتاج العروس (فرش)، وتهذيب اللغة (١١/ ٣٤٦).

موازينه لاتباعهم الباطل وخفتها في الدنيا، وحق لميزان لا توضع فيه السيئات أن يخفّ» (١٧٩١) ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩﴾ من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة[1]: هوت أمّه؛ لأنه إذا هوى أي: سقط وهلك، فقد هوت أمّه ثكلًا وحزنًا قال: [الطويل]

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيًا ... وَمَاذَا يَرُدُّ اللَّيْلُ حِينَ يَئُوبُ[2]

فكأنه قيل: وأما من خفت موازينه فقد هلك. وقيل: ﴿هَاوِيَةٞ﴾ من أسماء النار، وكأنها النار العميقة لهوى أهل النار فيها مهوى بعيدًا، كما روي: «يهوي فيها سبعين خريفًا» (١٧٩٢) أي: فمأواه النار. وقيل: للمأوى: أمّ، على التشبيه؛ لأنّ الأمّ مأوى

١٧٩١ ـ رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤٣٤) الحديث (٣٧٠٥٦) والطبري في التفسير (١١/ ٢٨٦) رقم (٣١٢٧٢) قال: حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال: دعا أبو بكر عمر رضي الله عنهما. . . . فذكره وعزاه الزيلعي (٤/ ٢٧١) لأبي نعيم في الحلية في ترجمة أبي بكر الصديق.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: وهذا منقطع مع ضعف ليث. وهو ابن أبي سليم. وأخرجه ابن أبي شيبة وأبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي بكر من رواية إسماعيل بن أبي خالد عن زيد بن الحرث «أن أبا بكر لما حضره الموت أرسل إلى عمر. فلما أتى قال له: إني موصيك بوصية، إن لله حقًا في الليل لا يقبله في النهار وحقًا بالنهار لا يقبله في الليل. وإنه ليس لأحدنا نافلة حتى يؤدي الفريضة. إنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم. وحق لِميزَانٍ لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل ـ الحديث». انتهى.
١٧٩٢ ـ رواه الحاكم (٤/ ٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يظن أن تبلغ ما بلغت يهوي بها سبعين خريفًا في النار».
وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ورواه أحمد في المسند (٢/ ٢٩٧، ٣٥٥، ٥٣٣) وأبو يعلى في مسنده (١١/ ١٠٩) رقم (٦٢٣٥) وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢٧٢) لإسحاق بن راهويه والبزار في مسنديهما وفيه أحاديث منها حديث أبي هريرة.
أخرجه البخاري (١٣/ ١٠١) كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان الحديث (٦٤٧٧، ٦٤٧٨) ومسلم =

---

(١) قال محمود: «إذا دعوا على الرجل بالهلكة قالوا: هوت أمه. . . إلخ» قال أحمد: والأول أظهر؛ لأنه مثل معروف كقولهم؛ لأمه الهبل.
(٢) لكعب في مرثية أخيه. وهوت أمه دعاء لا يراد به الوقوع بل التعجب. وما مبتدأ، وما بعده خبر. والمعنى: أي شيء يبعثه الصبح منه، وأي شيء يرده الليل، كما روي: وماذا يرد الليل؛ يعني: أنه شيء عظيم. ومنه تجريد مقدر فيه، يعني: أنه كان يغدو في طلب الغارة ويرجع في الليل ظافرًا. وما في الموضعين من الاستفهام، معناه للتعجب والاستعظام. وإسناد الفعل للصبح والليل مجاز.
ينظر: الأصمعيات ص ٩٥، ولسان العرب (أمم)، (هوا)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٦٠٢، ٦٤١، وجمهرة اللغة ص ٢٢٩، وسمط اللآلي ص ٧٧٣، وجمهرة أشعار العرب ص ٧٠٣، وتاج العروس (أم)، (هوى)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٦/ ٤٩٢، ١٤/ ٢٧٤، والمخصص ١٢/ ١٨٢، ولسان العرب (هبل).

الولد ومفزعه. وعن قتادة: فأمّه هاوية، أي: فأمّ رأسه هاوية في قعر جهنم، لأنه يطرح فيها منكوسًا (هيه) ضمير الداهية التي دلّ عليها قوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ في التفسير الأوّل. أو ضمير هاوية والهاء للسكت، وإذا وصل القارئ حذفها. وقيل: حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الإدراج، لأنها ثابتة في المصحف. وقد أجيز إثباتها مع الوصل.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة» ٢/ ٢٧١أ (١٧٩٣).

= (٩/ ٣٤٣ ـ نووي) كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار الحديث (٢٩٨٨) والترمذي (٤/ ٥٥٧) كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس الحديث (٢٣١٤) وابن ماجه (٢/ ١٣١٣) كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة الحديث (٣٩٧٠): والبيهقي (٨/ ١٦٤) كتاب قتال أهل البغي، باب ما على الرجل من حفظ اللسان.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: هذا طرف من حديث أخرجه الترمذي في صفة جهنم من رواية الحسن عن عتبة بن غزوان «أن النبي ﷺ قال: إن الصخرة العظيمة لتلقي من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عامًا ما تقضي إلى قعرها» وقال غريب لا نعرف للحسن سماعًا. من عتبة وهذا منقطع. وقد رواه مسلم من حديث عتبة بلفظ «وذكر لنا» وهو في حكم المرفوع وروى الحاكم من طريق عيسى بن طلحة عن أبي هريرة مرفوعًا «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوي بها في النار سبعين خريفًا» وأصله في البخاري من رواية أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ «يهوي بها في جهنم» حسب. وروى البزار من طريق مجالد عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود رفعه، يؤتى بالقاضي يوم القيامة فيوقف على شفير جهنم فإن أمر به فدفع فهوى فيها سبعين خريفًا». انتهى.

١٧٩٣ ـ تقدم برقم (٣٤٦): وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسندهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة التكاثر

مكية، وآياتها ٨

[نزلت بعد الكوثر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾

ألهاه عن كذا وأقهاه: إذا شغله[1]. و﴿التَّكَاثُرُ﴾ التباري في الكثرة والتباهي بها، وأن يقول هؤلاء: نحن أكثر، وهؤلاء: نحن أكثر. روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عددًا، فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم: إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادّونا بالأحياء والأموات، فكثرتهم بنو سهم. والمعنى: أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات: عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكمًا بهم. وقيل: كانوا يزورون المقابر فيقولون: هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم. والمعنى: ألهاكم ذلك ـ وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم ـ عما يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعنى من كل مهم. أو أراد ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم. منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق إليها والتهالك عليها، إلى أن أتاكم الموت لا همّ لكم غيرها، عما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم. وزيارة القبور: عبارة عن الموت. قال [من الرجز]:

لَنْ يُخْلِصَ الْعَامَ خَلِيلٌ عِشْرَا ذَاقَ الضِّمَادَ أَوْ يَزُورَ الْقَبْرَا[2]

---

(١) قوله: «وأقهاه إذا شغله» مضروب عليه بخط المصنف في نسخة اهـ من هامش. وفي الصحاح: أقهى الرجل من الطعام إذا احتواه. والقهوة: الخمر. يقال: سميت بذلك لأنها تقتهي، أي تذهب بشهوة الطعام. (ع)

(٢) إني رأيت الضمد شيئًا نكرًا لن يخلص العام خليل عشرا
ذاق الضماد أو يزور القبرا =

وقال [من المتقارب]:

زَارَ الْقُبُورَ أَبُو مَالِكٍ ... فَأَصْبَحَ أَلْأَمَ زُوَّارِهَا[1]

وقرأ ابن عباس: «أألهاكم»؟ على الاستفهام الذي معناه التقرير ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إنذار ليخافوا فيتنبهوا من غفلتهم. والتكرير: تأكيد للردع والإنذار عليهم. و (ثم) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأوّل وأشد، كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك: لا تفعل، والمعنى: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدّامكم من هول لقاء الله، وإنّ هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم. ثم كرّر التنبيه أيضًا وقال: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ محذوف الجواب، يعني: لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين، أي: كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور التي وكلتم بعلمها هممكم: لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه؛ ولكنكم ضلال جهلة؛ ثم قال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾ فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به؛ وقد مرّ ما في إيضاح الشيء بعد إبهامه من تفخيمه وتعظيمه، وهو جواب قسم محذوف، والقسم لتوكيد الوعيد، وأن ما أوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب؛ وكرّره معطوفًا بثم تغليظًا في التهديد وزيادة في التهويل. وقرئ: لترؤن، بالهمز وهي مستكرهة. فإن قلت: لم استكرهت والواو المضمومة قَلْبُهَا همزة قياس مطرد؟ قلت: ذاك في الواو التي ضمتها لازمة، وهذه عارضة لالتقاء الساكنين. وقرئ: «لترون» ولترونها: على البناء للمفعول ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ أي: الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته. ويجوز أن يراد بالرؤية: العلم والإبصار ﴿عَنِ النَّعِيمِ﴾ عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه. فإن قلت: ما النعيم الذي يسأل عنه الإنسان ويعاتب عليه؟ فما من أحد إلاّ وله نعيم؟ قلت:

= للأخطل. وضمد رأسه: عصبه. وضمد جرحه: ألصق عليه الدواء. والضمد والضماد: الحقد، لكتمه في القلب والتزوج لضم المرأة إلى الرجل. والنكر: المنكر، ولن يخلص: بيان لوجه إنكار الضمد أي التزوج. والعام: نصب على الظرفية. ويروى: حليل بالمهملة وبالمعجمة. وعشرًا - بالكسر: أي معاشرة، وبفتحها: أي عشر ليال. وذاق الضماد: صفة حليل، فصلت عنه بالمفعول. وشبه الضماد بالمطعوم المكروه بحسب ما رأى على طريق الكناية، والذوق تخييل. وزيارة القبر: كناية عن الموت، أي: لن يخلص إلى أن يموت، ولا ينافيه التقييد بالعام لا مكان الموت فيه، ولعله كان جدبًا.

ينظر: لسان العرب (ضمد). وتاج العروس (ضمد)، جمهرة اللغة ص ٦٤٤، وتهذيب اللغة ١٢/٦.

(١) زار القبور، أي: مات. وفيه نوع تهكم به حيث كنى عن الموت المكروه عادة بالزيارة المحبوبة، والأم: أفعل تفضيل من اللؤم، أي: الخسة. والزوار: جمع زائر، أي: كان ألأم الأحياء، فأصبح ألأم الأموات.

البيت لجرير، ينظر: لسان العرب (كثر)، وتهذيب اللغة (١٠/ ١٧٧)، وليس في ديوانه.

هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات، ولم يعش إلاّ ليأكل الطيب ويلبس اللين، ويقطع أوقاته باللهو والطرب، لا يعبأ بالعلم والعمل، ولا يحمّل نفسه مشاقهما؛ فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها إلاّ لعباده، وتقوّى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل، وكان ناهضًا بالشكر: فهو من ذاك بمعزل؛ وإليه أشار رسول الله ﷺ فيما يروى: أنه أكل هو وأصحابه تمرًا وشربوا عليه ماء فقال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين» (١٧٩٤).

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا، وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية» (١٧٩٥).

١٧٩٤ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢٧٧) «غريب بهذا اللفظ». وقال الحافظ: لم أجده هكذا وهو مخرج من حديثين.

الأول: حديث جابر قال جاءنا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر فأطعمناهم رطبًا وسقيناهم من الماء فقال رسول الله ﷺ: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه». رواه أحمد (٣/ ٣٣٨، ٣٥١، ٣٩١) والنسائي (٦/ ٢٤٦) كتاب الوصايا، باب قضاء الدين قبل الميراث.

وابن حبان (٨/ ٢٠١) رقم (٣٤١١) وأورده السيوطي في الدر (٦). وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

والثاني: حديث أبي سعيد عند أبي داود في سننه كما ذكره الزيلعي (٤/ ٢٧٧).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده هكذا. وفيه تخليط لعله من الناسخ. وهو يخرج من حديثين: أحدهما أخرجه النسائي وابن حبان والطبري وابن مردويه من حديث جابر قال «أكل رسول الله رطبًا وشربوا ماء. فقال: هذا من النعيم الذي تسألون عنه» وروى أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث أبي سعيد الخدري قال «كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعامًا قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين». انتهى.

١٧٩٥ ـ تقدم برقم (٣٤٦): وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة العصر

مكية، وآياتها ثلاث
[نزلت بعد الشرح]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

أقسم بصلاة العصر لفضلها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ صلاة العصر، في مصحف حفصة. وقوله عليه الصلاة والسلام: «من فاتته العصر فكأنما وتر أهله وماله» (١٧٩٦) ولأنّ التكليف في أدائها أشقّ لتهافت الناس في ٢/ ٢٧١ب تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار، واشتغالهم بمعايشهم. أو أقسم بالعشيّ كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعًا من دلائل القدرة. أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب. والإنسان: للجنس. والخسر: الخسران، كما قيل: الكفر في الكفران. والمعنى: أن الناس في خسران من تجارتهم إلاّ الصالحين وحدهم، لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا، فربحوا وسعدوا، ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم، فوقعوا في الخسارة والشقاوة ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وهو الخير كله: من توحيد الله وطاعته، واتباع كتبه ورسله، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات، وعلى ما يبلو الله به عباده.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر» (١٧٩٧).

١٧٩٦ ـ تقدم وقال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنه انتهى.

١٧٩٧ ـ تقدم برقم (٣٤٦): وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة الهمزة

مكية، وآياتها تسع

[نزلت بعد القيامة]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾

الهمز: الكسر، كالهزم. واللمز: الطعن. يقال: لمزه لهزه طعنه، والمراد: الكسر من أعراض الناس والغض(1) منهم، واغتيابهم؛ والطعن فيهم(2) وبناء «فعلة» يدلّ على أنّ ذلك عادة منه قد ضرى بها. ونحوهما: اللعنة والضحكة. قال [من البسيط]:

وَإِنْ أُغَيَّبْ فَأَنْتَ الهَامِزُ اللُّمَزَهْ(3)

---

(1) قوله: «أعراض الناس والغض منهم» في الصحاح: غض منه؛ إذا وضعه ونقص من قدره. (ع)

(2) قال محمود: «قال المراد بالهمزة المكثر من الطعن على الناس والقدح فيهم... إلخ» قال أحمد: وما أحسن مقابلة الهمزة اللمزة بالحطمة، فإنه لما وسمه بهذه السمة بصيغة أرشدت إلى أنها راسخة فيه ومتمكنة منه أتبع المبالغة بوعيده بالنار التي سماها بالحطمة لما يلقى فيها، وسلك في تعيينها صيغة مبالغة على وزن الصيغة التي ضمنها الذنب، حتى يحصل التعادل بين الذنب والجزاء، فهذا الذي ضرى بالذنب جزاؤه هذه الحطمة التي هي ضارية بحطم كل ما يلقى إليها.

(3) إذا لقيتك عن شحط تكاشرني ... وإن تغيبت كنت الهامز اللمزه

لزياد الأعجم. والشحط ـ بالفتح: البعد. وكشر عن أسنانه: أبداها في الضحك وغيره، لكن اشتهر في لسان العرب في الأول. والهمز: الكسر. واللمز: الطعن. روي أن أعرابيًا سئل: أتهمز الفارة؛ فقال: نعم تهمزها الهرة، أي: تأكلها؛ والهامز هنا: المغتاب الغياب، الذي يلمؤ فمه بما يخرم عرض غيره. والهمزة: من اعتاد ذلك. واللامز: الرامي لغيره بالمسبة. واللمزة: من اعتاد ذلك. يقول: إذا لقيتك على بعد المسافة بيننا تضاحكني، وإذا غبت عنك كنت المغتاب المكثر من الطعن في عرضي. وروي: وإن أغيب فأنت الهامز، على البناء للمجهول.

ينظر: ديوانه ص ٧٨، وبهجة المجالس ١/ ٤٠٤، وبلا نسبة في لسان العرب (همز)، وجمهرة =

وقرئ: ويل للهمزة اللمزة. وقرئ: ويل لكل همزة لمزة، بسكون الميم: وهو المسخرة الذي يأتي بالأوابد[1] والأضاحيك فيضحك منه، ويشتم. وقيل: نزلت في الأخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة. وقيل: في أمية بن خلف. وقيل: في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله ﷺ وغضه منه. ويجوز أن يكون السبب خاصًا والوعيد عامًا، ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون جاريًا مجرى التعريض بالوارد فيه، فإنّ ذلك أزجر له وأنكى فيه ﴿ٱلَّذِى﴾ بدل من كل. أو نصب على الذم. وقرئ: «جمّع» بالتشديد، وهو مطابق لعدّده. وقيل: ﴿عدّده﴾ جعله عدّة لحوادث الدهر. وقرئ: «وعدده» أي: جمع المال وضبط عدده وأحصاه. أو جمع ماله وقومه الذين ينصرونه، من قولك: فلان ذو عدد وعدد: إذا كان له عدد وافر من الأنصار وما يصلحهم. وقيل: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ معناه: وعدّه على فك الإدغام، نحو: ضننوا ﴿أَخْلَدَهُۥ﴾ وخلده بمعنى أي: طوّل المال أمله، ومنّاه الأماني البعيدة، حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أنّ المال تركه خالدًا في الدنيا لا يموت. أو يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجرّ وغرس الأشجار وعمارة الأرض: عمل من يظن أن ماله أبقاه حيًا. أو هو تعريض بالعمل الصالح. وأنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم؛ فأما المال فما أخلد أحدًا فيه. وروي أنه كان للأخنس أربعة آلاف دينار. وقيل: عشرة آلاف. وعن الحسن: أنه عاد موسرًا فقال: ما تقول في ألوف لم أفتد بها من لئيم، ولا تفضلت بها على كريم؟ قال: ولكن لماذا؟ قال: لنبوة الزمان، وجفوة السلطان، ونوائب الدهر، ومخافة الفقر. قال: إذن تدعه لمن لا يحمدك، وترد على من لا يعذرك ﴿كَلَّا﴾ ردع له عن حسبانه. وقرئ: «لينبذان» أي: هو وماله. ولينبذن، بضم الذال، أي: هو وأنصاره. ولينبذنه ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها. ويقال للرجل الأكول: إنه لحطمة. وقرئ: «الحاطمة» يعني أنها تدخل في أجوافهم حتى لا تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم، وهي أوساط القلوب، ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد، ولا أشدّ تألمًا منه بأدنى أذى يمسه، فكيف إذا أطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه. ويجوز أن يخصّ الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة. ومعنى اطلاع النار عليها: أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها. أو تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ مطبقة. قال [من الطويل]:

= اللغة ص ٧٢٧، ومقاييس اللغة ٦/ ٦٦، ومجمل اللغة ٤/ ٤٤٨، وديوان الأدب ١/ ٢٥٦، وأساس البلاغة (لمز)، وإصلاح المنطق ص ٤٢٨، وتاج العروس (همز)، وكتاب العين ٤/ ١٧.

(١) قوله: «الذي يأتي بالأوابد» في الصحاح: جاء فلان بآبدة، أي: بداهية يبقى ذكرها على الأبد. (ع)

تَـحِـنُّ إِلَـى أَجْـبَـالِ مَـكَّـةَ نَـاقَـتِـي وَمِـنْ دُونِـهَـا أَبْـوَابُ صَـنْـعَـاءَ مُـؤْصَـدَهْ[1]

وقرئ: «في عمد» بضمتين. وعمد، بسكون الميم. وعمد بفتحتين. والمعنى: أنه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد، فتؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمد، استيثاقًا ٢/ ٢٧٢أ في استيثاق. ويجوز أن يكون المعنى: إنها عليهم مؤصدة، موثقين في عمد ممدّدة مثل المقاطر[2] التي تقطر فيها اللصوص. اللهم أجرنا من النار يا خير مستجار.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه» (١٧٩٨).

١٧٩٨ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

---

(١) يقول: تحنّ ناقتي شوقًا إلى أجبال مكة، جمع جبل، كأسباب وسبب، لأنها وطنها، والحال أن أبواب صنعاء مدينة من اليمن، مؤصدة: أي مغلقة أمامها، والمراد: تحزنه وتشوقه إلى وطنه، ونسبه للناقة مبالغة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٧٣)، القرطبي (٢/ ٤٨)، الدر المصون (٦/ ٥٢٦).

(٢) قوله: «مثل المقاطر التي تقطر فيها» في الصحاح «المقطرة»: الفلق، وهي خشبة فيها خروق تدخل فيها أرجل المحبوسين. (ع)

سورة الفيل

مكية، آياتها خمس

[نزلت بعد الكافرون]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾

روي أنّ أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القُليس[١]، وأراد أن يصرف إليها الحاج، فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلاً[٢]، فأغضبه ذلك. وقيل: أججت رفقة من العرب نارًا فحملتها الريح فأحرقتها، فحلف ليهدمنّ الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود، وكان قويًا عظيمًا، واثنا عشر فيلاً غيره. وقيل: ثمانية وقيل: كان معه ألف فيل، وقيل كان وحده؛ فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع، فأبى وعبأ جيشه وقدّم الفيل، فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح، وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيرها من الجهات هرول؛ فأرسل الله طيرًا سودًا. وقيل: خضرًا وقيل: بيضًا، مع كل طائر حجر في منقاره، وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه رأى منها عند أم هانيء قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره، وعلى كل حجر اسم من يقع عليه، ففرّوا فهلكوا في كل طريق ومنهل؛ ودوى أبرهة[٣] فتساقطت أنامله وآرابه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه. وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائره يحلق فوقه، حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة، فلما أتمّها وقع عليه الحجر فخرّ ميتًا بين يديه. وقيل: كان

---

(١) قوله: «وسماها القليس» بالتشديد، مثل القبيط: بيعة كانت بصنعاء للحبشة: بناها أبرهة، وهدمها حمير، كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «فقعد فيها ليلاً» كناية عن التغوط. وفي الخازن فتغوط فيها ولطخ قبلتها بالعذرة. (ع)

(٣) قوله: «ودوى أبرهة» أي مرض. وآرابه، أي: أعضاؤه. (ع)

أبرهة جدّ النجاشي الذي كان في زمن رسول الله ﷺ بأربعين سنة، وقيل: بثلاث وعشرين سنة[1] (١٧٩٩). وعن عائشة رضي الله عنها: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان. وفيه أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير، فخرج إليه فيها، فجهره[2] وكان رجلًا جسيمًا وسيمًا. وقيل: هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رءوس الجبال، فلما ذكر حاجته قال: سقطت من عيني، جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر، فألهاك عنه ذود أخذ لك؛ فقال أنا ربّ الإبل، وللبيت رب سيمنعه، ثم رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول [من مجزوء الكامل]:

لَاهُمَّ إِنَّ الْمَرْءَ يَمْـ ... ـنَعُ أَهْلَهُ فَامْنَعْ حَلَالَكْ
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... وَمِحَالُهُمْ عَدْوًا مِحَالَكْ
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَكَعْـ ... ـبَتَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكْ[3]

* * *

١٧٩٩ ـ رواه ابن جرير (١٢/ ٦٩٥) رقم (٣٧٩٨٩) حدثنا به ابن حميد قال: ثنا مسلمة بن الفضل قال ثنا ابن إسحاق فذكر حديثًا طويلًا.

---

(١) قوله: «بأربعين سنة، وقيل بثلاث وعشرين» لعله وكان قبله بأربعين سنة. وفي الخازن: اختلفوا في عام الفيل، فقيل: كان قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة اهـ. (ع)

(٢) قوله: «فجهره» في القاموس «جهر الرجل»: عظم في عينه وراعه جماله، كأجهره انتهى. (ع)

(٣)
لا هم إن المرء يمـ ... ـنع أهله فامنع حلالك
وانصر على آل الصليـ ... ـب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم عدوًا محالك
جَرُّوا جميع بلادهم ... والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم ... جهلًا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكعـ ... ـبتنا فأمر ما بدا لك

لعبد المطلب حين أراد أبرهة بن الصباح هدم الكعبة وأغار على مائتي بعير له، فخرج إليه عبد المطلب في طلب الإبل، وقد قيل لأبرهة: إنه سيد قريش، يطعم الناس في السهل، والوحوش في رءوس الجبال؛ فلما طلب الإبل قال له: سقطت من عيني، جئت لأهدم شرفكم فألهاك عنه طلب المال؛ فقال: أنا رب الإبل، وللبيت رب يحميه، ثم رجع وأخذ بحلقة الباب وقال ذلك. ولاهم: أصله اللهم، فخفف. إن المرء يمنع، أي: يحفظ أهله، وأنت الله فاحفظ حلالك، أي: سكان حرمك الذين حلوا فيه. يقال: حي حلال، أي: نزول، وفيهم كثرة. أو الذين هم في حل منك. ويجوز على بعد أنه أطلق الحلال على البيت، أو أهله على سبيل المشاكلة التقديرية للأهل؛ على =

[ومن الرجز]:

يَـــا رَبِّ لاَ أَرْجُـــو لَـــهُـــمْ سِـــوَاكَـــا يَـــا رَبِّ فَـــامْـــنَـــعْ مِـــنْـــهُـــمْ حِـــمَـــاكَـــا[1]،

فالتفت وهو يدعو فإذا هو بطير من نحو اليمن فقال: والله إنها لطير غريبة ما هي ببحرية ولا تهامية.[2]، وفيه: أنّ أهل مكة قد احتووا على أموالهم، وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور[3]، وكان سبب يساره. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سئل عن الطير فقال: حمام مكة منها. وقيل: جاءت عشية ثم صبحتهم. وعن عكرمة: من أصابته جدّرته وهو أوّل جدري ظهر. وقرئ: ألم تر، بسكون الراء للجد في إظهار أثر الجازم: والمعنى: أنك رأيت آثار فعل الله بالحبشة، وسمعت الأخبار به متواترة، فقامت لك مقام المشاهدة. و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بفعل ربك، لا بألم تر؛ لما في ﴿كَيْفَ﴾ من معنى الاستفهام ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ في تضييع وإبطال. يقال: ضلل كيده، إذا جعله ضالاً ضائعًا. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٢٥] وقيل: لامرئ القيس: الملك الضليل؛ لأنه ضلل ملك أبيه، أي: ضيعه، يعني: أنهم كادوا البيت أوّلاً ببناء القليس، وأرادوا أن ينسخوا أمره بصرف وجوه الحاج إليه،

= أن معناه الزوجة. وروي: إن المرء يمنع حله فامنع حلالك. والحل والحلال: ما يحل التصرف فيه. وروي: إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك، وهو يؤيد الأول. والآل لا يضاف إلا لذي شرف؛ فإضافته للصليب ليشاكل ما بعده. أو على زعمهم أنه ذو شرف. وعابديه: جمع مضاف للضمير إضافة الوصف لمفعوله. واليوم: ظرف النصر. والمحال: مصدر ما حله إذا كابده بمكروه. والعدو: العدوان والظلم: وهو نصب على التمييز. أو على المفعول المطلق. ويروى: غدوًا، أي: في الغد، فهو ظرف. ويروى: أبدًا. ويروى: جموع، بدل جميع، وكان معهم اثنا عشر فيلاً فيها فيل جسيم عظيم اسمه محمود؛ فمراده بالفيل: الجنس، أو المعهود. والعيال: مفرده عيل، وجمعه عيائل، كجيد وجياد وجيائد، من قوله وتتعهد شأنه عمدوا: قصدوا، حماك، أي: حرمك الذي حميته لجهلهم. أو جاهلين وما خافوا عظمتك، إن كنت تاركهم مع كعبتنا يفعلون بها ما شاءوا فأمر عظيم ظهر لك منا الآن من معاصينا. أو أمر تعلمه أنت ولا نعلمه من الحكمة والمصلحة. وفيه تفويض إلى الله وتسليم إليه.

ينظر: لسان العرب (محل)، (غدا) وتاج العروس (محل) (غدا).

(١) يـــا رب لا أرجـــو لـــهـــم ســـواكـــا يـــا رب فـــامـــنـــع مـــنـــهـــم حـــمـــاكـــا
إن عـــدو الـــبـــيـــت مـــن عـــاداكـــا امـــنـــعـــهـــم أن يـــخـــربـــوا فـــنـــاكـــا
لعبد المطلب أيضًا، أي: لا أرجو نمنع الأعداء عنا غيرك، وألف القوافي للإطلاق، وتكرير النداء للاستعطاف. والعدو: يطلق على الواحد والمتعدد، أي: من كان عدوًا لأهل بيتك فهو المعادي لك البالغ في العداوة. والفناء: رحبة البيت. وروي بدله «قراكا» جمع قرية؛ وبدء المصراع الثاني بألف الوصل جائز، لأنه محل ابتداء في الجملة، كما نبه عليه الخليل.

(٢) قوله: «ما هي ببحرية ولا تهامية» ببحرية: في أبي السعود: بنجدية. (ع)

(٣) قوله: «وذهبهم الجور» لعله الجرب: جمع جراب، مثل: كتب، جمع كتاب. (ع)

فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه؛ وكادوه ثانيًا بإرادة هدمه، فضلل بإرسال الطير عليهم ﴿أَبَابِيلَ﴾ حزائق، الواحدة: إبالة. وفي أمثالهم: ضغث على إبالة، وهي: الحزمة الكبيرة، شبهت الحزقة من الطير في تضامّها بالإبالة. وقيل: أبابيل مثل ٢/ ٢٧٢ب عباديد، وشماطيط لا واحد لها، وقرأ أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: يرميهم، أي: الله تعالى أو الطير، لأنه اسم جمع مذكر؛ وإنما يؤنث على المعنى. وسجيل: كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار، كما أن سجينًا علم لديوان أعمالهم، كأنه قيل: بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدوّن، واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال؛ لأنّ العذاب موصوف بذلك، وأرسل عليهم طيرًا، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف:١٣٣] وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر. وقيل: هو معرب من سنككل. وقيل: من شديد عذابه؛ ورووا بيت ابن مقبل [من البسيط]:

.... ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الأَبْطَالُ سِجِّيلَا[(1)]

وإنما هو سجينا، والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه؛ وشبهوا بورق الزرع إذا أكل، أي: وقع فيه الأكال: وهو أن يأكله الدود. أو بتبن أكلته الدواب وراثته، ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن، كقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] **أو أريد: أكل حبه فبقي صفرًا منه.**

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ» (١٨٠٠).

١٨٠٠ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن مردويه والثعلبي والواحدي بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

---

(١) ورجلة يضربون البيض عن عرج ضربًا تواصت به الأبطال سجيلا

لابن مقبل. والرجلة: جماعة الرجال. والبيض ـ بالكسر ـ: كناية عن السيوف، أي: يضربون بها؛ وإن قرئ بالفتح فهي المغافر على رءوس الفرسان. والعرج: الميل والاعوجاج. ويروى: عن عرض؛ ولعله تحريف. والمراد: اختلاف أحوال الضرب. والبطل: لشجاع. والسجيل: الشديد، ولكن الرواية بالنون؛ لأن القصيدة نونية، وسنذكر بعضها في أواخر حرف النون.

سورة قريش

مكية، وآياتها أربع
[نزلت بعد التين]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾﴾ متعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين فإن قلت: فلم دخلت الفاء؟ قلت: لما في الكلام من معنى الشرط لأن المعنى: إما لا فليعبدوه لإيلافهم، على معنى: أنّ نعم الله عليهم لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة. وقيل: المعنى: عجبوا لإيلاف قريش. وقيل: هو متعلق بما قبله، أي: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، وهذا بمنزلة التضمين في الشعر: وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقًا لا يصحّ إلاّ به، وهما في مصحف أبيّ سورة واحدة، بلا فصل. وعن عمر: أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب. وقرأ في الأولى: والتين[1] (١٨٠١). والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم

١٨٠١ ـ عزاه الزيلعي (٤/٢٩٣). للثعلبي موقوفًا مقطوعًا فقال: قال عمرو بن ميمون: صليت المغرب خلف عمر... فذكره ورواه عبد الرزاق (٢/١٠٩) رقم (٢٦٩٧) عن الثوري عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال: صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة المغرب فقرأ في الركعة الأولى «بالتين والزيتون وطور سنين» وفي الركعة الأخيرة «ألم تر ولإيلاف» جميعًا وعزاه الزيلعي لابن أبي شيبة في المصنف.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: هكذا وقع في الثعلبي. وقال عمرو بن ميمون: صليت خلف عمر المغرب. فذكر الحديث. وكذا وصله عبد الرزاق وابن أبي شيبة من رواية أبي إسحاق عن =

---

(١) قال السمين الحلبي: وإلى هذا ذهب أبو الحسن الأخفش، إلا أن الحوفي قال: وردّ هذا القول جماعة، بأنه لو كان كذا كان «لإيلاف» بعض سورة «ألم تر»، وفي إجماع الجميع على الفصل بينهما ما يدل على عدم ذلك. انتهى. الدر المصون.

ليتسامع الناس بذلك، فيتهيبوهم زيادة تهيب، ويحترموهم فضل احترام، حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم، فلا يجترئ أحد عليهم، وكانت لقريش رحلتان؛ يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون، وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته، فلا يتعرّض لهم، والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم، والإيلاف من قولك: آلفت المكان أولفه إيلافًا: إذا ألفته، فأنا مؤلف. قال [من الطويل]:

.... مِنَ الْمُؤْلِفَاتِ الرَّهْوِ غَيْرِ الأَوَارِكِ(١)

وقرئ: «لئلاف قريش» أي: لمؤالفة قريش. وقيل: يقال: ألفته إلفًا وإلافًا. وقرأ أبو جعفر: «لإلف قريش»، وقد جمعهما من قال [من الوافر]:

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ ... لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلاَفُ(٢)

وقرأ عكرمة: «ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف». وقريش: ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش: وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن، ولا تطاق إلاّ بالنار. وعن معاوية أنه سأل ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: بم سميت قريش؟ قال: بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلىٰ. وأنشد [من الخفيف]:

= عمرو بن ميمون قال «صلى بنا عمر المغرب. فقرأ في الأولى بالتين. وفي الثانية ألم تر ولإيلاف قريش». انتهى.

---

(١) شددت إليك الرحل فوق شملة ... من المؤلفات الرهو غير الأوارك

الشملة بالتشديد. والشملال والشميل: الخفيفة السريعة السير، أي: شددت الرحل فوق ناقة سريعة السير ذاهبًا إليك، وتلك الناقة من النوق المؤلفات المعتادات الرهو، أي: السير السهل المستقيم. ويروى: الزهو، بالزاي وهو سيرها بعد ورودها الماء. والأوارك: جمع آركة؛ المقيمات موضع الأراك، ترعاه. أو ترعى نبتًا يقال له الحمض، أي: ليست كذلك يلي معلوفة ومكرمة السفر ينظر: لسان العرب (زها)، وتهذيب اللغة ٦/ ٣٧٢، وكتاب العين ٤/ ٧٤، والمخصص ١٠/ ٤٩.

(٢) زعمتم أن إخوتكم قريش ... لهم إلف وليس لكم إلاف

أولئك أومنوا جوعًا وخوفًا ... وقد جاعت بنو أسد وخافوا

لمساور بن هند بن قيس يخاطب بني أسد. وقريش خبر. وقولهم «لهم إلف» استئناف لبيان كذبهم. والإلف والآلاف: مصدر ألفه، إذا أحبه واعتاده ولم ينفر منه. وآلف إيلافًا بينهما: جعل بينهما إلفًا. وقد جمعت قريش بين رحلة الشتاء والصيف؛ فتارة ترحل هذه وتارة هذه بلا خوف ولا فزع «أولئك» إشارة لقريش «أومنوا» مبني للمجهول، أي آمنهم ربهم من الجوع والخوف، وقد جاعت وخافت بنو أسد: التفت إلى الغيبة دلالة على الإعراض عنهم، وتعجيب غيرهم من شأنهم. ينظر: لسان العرب (ألف)، وتاج العروس (ألف)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٤٤٩، وتهذيب اللغة ١٠/ ٣٧٩.

وَقُـرَيْـشٌ هِـيَ الَّـتِـي تَـسْـكُـنُ الْـبَـحْـ ... رَ بِـهَـا سُـمِّـيَـتْ قُـرَيْـشٌ قُـرَيْـشَـا[1]

والتصغير للتعظيم. وقيل: من القرش وهو الكسب: لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد. أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين، تفخيمًا لأمر الإيلاف، وتذكيرًا بعظيم النعمة فيه؛ ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولاً به، كما نصب (يتيمًا) بإطعام، وأراد رحلتي الشتاء والصيف، فأفرد لأمن الإلباس، كقوله: [الوافر]

كُـلُـوا فِـي بَـعْـضِ بَـطْـنِـكُـمُ......[2]

وقرئ: «رحلة» بالضم، وهي الجهة التي يرحل إليها: والتنكير في ﴿جُوعٍ﴾ و ﴿خَوْفٍ﴾ لشدتهما، يعني: أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد/ ٢/ ٢٧٣أ كانوا فيه قبلهما،

---

(١)
وقريش هي التي تسكن البحـ ... ر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ ... رك يومًا لذي جناحين ريشا
هكذا في الكتاب نالت قريش ... يأكلون البلاد أكلاً كشيشا
ولهم آخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الأرض خيلة ورجالاً ... يحشرون المطر حشرًا كميشا

لتبع. وقريش: تصغير قرش. قال ابن عباس: اسم دابة في البحر تأكل ولا تؤكل اهـ فصغر وسمى به النضر بن كنانة، ثم سمى به أولاده. والمحدثون على أنه اسم لفهر بن مالك بن النضر، وقال الروافض: هو اسم لقصي بن كلاب؛ وتوصلوا بذلك إلى نفي إمامة أبي بكر وعمر لكونهما ليسا قرشيين، لأنهما يجتمعان معه ﷺ بعد قصي، والإمامة من قريش، وقريش مبتدأ، والجملة بعدها مستأنفة مبينة لها، وبها سميت خبر، أي: بسببها، سميت هذه القبيلة قريشًا تأكل، أي قريش البحرية. ويؤيده ما روي قبل هذا البيت وهو:

سلطت بالعلو في لُجّةِ البحـ ... ـر على سائر البحور جيوشا

ويحتمل أنها القبيلة. والغث الخبيث. والسمين، الطيب وصاحب الجناحين، كناية عن الطير، أو استعارة للغنى، وبالغ في أنها لا تبقي ولا تذر شيئًا مما تظفر به بقوله: إنها لا تترك ريش ذي الجناحين. ويروى «فيه» بدل يومًا وهو يعني قريشاً البحرية. وهكذا: إشارة لحال دابة البحر، أو لما قاله هو. والكتاب: التوراة أو الإنجيل. أو كتب التاريخ. وقريش هنا: القبيلة، ويروى:

هكذا في البلاد حي قريش ... يأكلون البلاد......

أي: يأخذون أموالها. والكشيش في الأصل: الصوت الخفي، أي: أكلا بسهولة، بلا إرهاب ولا إنعاب، فهو مجاز، والنبي محمد ﷺ. وخمشه خمشًا: خدشه. والخموش: الخدوش. والخيلة: الشبح البعيد. والخيل: الخيالة. والرجال: المشاة على أرجلهم. ويحشرون: صفة لرجال، ويبعد رجوعه لقريش، والكميش: السريع. والمنضم: القاطع، أي: يجمعونها بسرعة، لكن المراد بالخموش هنا: الجروح.

البيت للمشمرج بن عمرو الحميري ينظر: خزانة الأدب ١/ ٢٠٤، والمبرد في المقتضب ٣/ ٣٦٢، ولسان العرب (قرش).

(٢) قوله: «كلوا في بعض بطنكم» بقيته: «تعفوا» وقد تقدم شرح هذا الشاهد. (ع)

وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل، أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم. وقيل: كانوا قد أصابتهم شدّة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة، وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم. وقيل: ذلك كله بدعاء إبراهيم صلوات الله عليه. ومن بدع التفاسير: وآمنهم من خوف، من أن تكون الخلافة في غيرهم. وقرئ: من خوف، بإخفاء النون.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة لإيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها» (١٨٠٢).

١٨٠٢ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة الماعون

مكية: ثلاث آيات الأول، مدنية: البقية، وآياتها سبع
[نزلت بعد التكاثر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ① فَذَٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ ② وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ③ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦﴾

قرئ: «أريت»، بحذف الهمزة، وليس بالاختيار؛ لأنّ حذفها مختص بالمضارع، ولم يصحّ عن العرب: ريت، ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أوّل الكلام. ونحوه [من الخفيف]:

صَاحِ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْحِلَابِ؟[1]

وقرأ ابن مسعود: أرأيتك، بزيادة حرف الخطاب، كقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِى كَرَّمْتَ

---

(١) لإسماعيل بن بشار؛ وفي حياة الحيوان ما هو صريح في أنه لنفيلة بن عبد المدان بن خرشم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود ـ عليه السلام ـ، وصاح مرخم؛ فإن كان أصله يا صاحبي، فترخيمه شاذ من وجهين؛ لأن فيه حذف المضاف إليه وحذف بعض المضاف وكلاهما شاذ وإن كان أصله يا صاحب بلا إضافة. فهو شاذ من جهة أنه ليس علمًا ولا مؤنثًا بالهاء. وقيل: ترخيم النكرة المقصودة جائز، وريت: أصله رأيت؛ فخفف بحذف الهمزة للضرورة، وكان قياس تخفيفها جعلها بين بين. لعدم سكون ما قبلها. وقرى يقرى قريًا: جمع جمعًا. ويروى: ثوى، أي تمكن واستقر. والحلاب: إناء الحلب، وروي: العلاب، جمع علبة، وهي محلب من جلد. يقول: يا صاحبي هل رأيت أو سمعت أن راعيًا رجع في الضرع ما جمع في المحلب من اللبن. وعدى لفعلين، أو بأحدهما بالباء، لتضمين معنى المعلم ويجوز أن الباء زائدة. وحسن حذف همزة رأيت أن «هل» بمعنى «قد» في الأصل وهمزة الاستفهام منوية قبله وورد ذكرها قبلها قليلًا، بل قيل إنها مقدرة أيضًا قبل أسماء الاستفهام كلها، والبيت من باب التمثيل، والمعنى: أن الماضي لا يعود، والواقع لا يرتفع.
ينظر: اللسان (رأى)، والدر المصون ٦/ ٥٧٤.

عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] والمعنى: هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو؟ إن لم تعرفه ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى﴾ يكذب بالجزاء، هو الذي ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه دفعًا عنيفًا بجفوة وأذى، ويردّه ردًّا قبيحًا بزجر وخشونة. وقرئ: يدع، أي: يترك ويجفو ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين، جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف، يعني: أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد، لخشي الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك، فحين أقدم عليه: علم أنه مكذب، فما أشدّه من كلام، وما أخوفه من مقام. وما أبلغه في التحذير من المعصية وأنها جديرة بأن يستدلّ بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين، ثم وصل به قوله ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ كأنه قال: فإذا كان الأمر كذلك، فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها، حتى تفوتهم أو يخرج وقتها، أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله ﷺ والسلف ولكن ينقرونها نقرًا من غير خشوع وإخبات ولا اجتناب لما يكره فيها: من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات، لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف، ولا ما قرأ من السور، وكما ترى صلاة أكثر من ترى الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم. والمعنى: أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة ـ التي هي عماد الدين، والفارق بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك، ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الإسلام ـ علمًا على أنهم مكذبون بالدين. وكم ترى من المتسمين بالإسلام، بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة، فيا مصيبتاه. وطريقة أخرى: أن يكون ﴿فَذَٰلِكَ﴾ عطفًا على ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ﴾ إمّا عطف ذات على ذات، أو صفة على صفة، ويكون جواب ﴿أَرَءَيْتَ﴾ محذوفًا لدلالة ما بعده عليه، كأنه قيل: أخبرني، وما تقول فيمن يكذب بالجزاء؟ وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين؟ أنِعم ما يصنع؟ ثم قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ أي: إذا علم أنه مسيء، فويل للمصلين، على معنى: فويل لهم، إلا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم؛ لأنهم كانوا مع التكذيب وما أضيف إليهم ساهين عن الصلاة مرائين، غير مزكين أموالهم. فإن قلت: كيف جعلت المصلين قائمًا مقام ضمير الذي يكذب، وهو واحد؟ قلت: معناه الجمع، لأنّ المراد به الجنس[1]. فإن قلت: أيّ

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وأما وضعه «المصلين» موضع الضمير وإن المصلين جمع، لأن ضمير الذي بكذاب معناه الجمع. فتكلف واضح ولا ينبغي أن يحمل القرآن إلا على ما عليه الظاهر، وعادة هذا الرجل تكلف أشياء في فهم القرآن ليست بواضحة انتهى. وعادة هذا الرجل التحامل على الزمخشري حتى يجعل حسنه قبيحًا. وكيف يرد ما قاله؟ وفيه ارتباط الكلام بعضه ببعض وجعله شيئًا واحدًا وما تضمنه من المبالغة في الوعيد في إبراز وصفهم الشفيع ولا نشك أن الظاهر من الكلام أن السورة كلها في وصف قوم جمعوا بين هذه الأوصاف كلها؛ من التكذيب =

فرق بين قوله: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ وبين قولك: (في صلاتهم)؟ قلت: معنى: (عن): أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها؛ وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين. ومعنى (في): أنّ السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم. وكان رسول الله ﷺ يقع له السهو في صلاته فضلاً عن غيره (١٨٠٣)؛ ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم. وعن أنس رضي الله عنه:

١٨٠٣ ـ أخرجه مالك (١/ ٩٣) كتاب الصلاة: باب ما يفعل من سلم من ركعتين ساهيًا حديث (٥٨) والبخاري (١/ ٦٧٤) كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد حديث (٤٨٢)، (٢/ ٢٠٥) كتاب الأذان: باب هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس حديث (٧١٤)، (٣/ ١١٨) كتاب السهو: باب من لم يتشهد في سجدتي السهو حديث (١٢٢٨)، وباب من يكبر في سجدتي السهو حديث (١٢٢٩)، (١٠/ ٤٨٣) كتاب الأدب: باب ما يجوز من ذكر الناس حديث (٦٠٥١)، (١٢/ ٢٤٥) كتاب أخبار الآحاد: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد حديث (٧٢٥٠) ومسلم (١/ ٤٠٣) كتاب المساجد باب السهو في الصلاة والسجود له حديث (٩٧/ ٥٧٣) وأبو داود (١/ ٣٣٠، ٣٣١) كتاب الصلاة: باب السهو في السجدتين حديث (١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١) والترمذي (٢/ ٢٤٧) كتاب الصلاة: باب ما جاء في الرجل يسلم في الركعتين من الظهر والعصر حديث (٣٩٩)، والنسائي (٣/ ٢٢) كتاب السهو: باب ما يفعل من سلم من ركعتين ناسيًا، وابن ماجه (١/ ٣٨٣) كتاب الصلاة. باب فيمن سلم من ثنتين أو ثلاث ساهيًا حديث (١٢١٤) والدارمي (١/ ٣٥١) كتاب الصلاة: باب سجود السهو من الزيادة، وأبو عوانة (٢/ ١٩٦) وأحمد (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) والحميدي (٢/ ٤٣٣) رقم (٩٨٣) وعبد الرزاق (٣٤٤٨) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٢٤٣) وابن خزيمة (٢/ ٣٦ ـ ٣٧) رقم (٨٦٠)، (٢/ ١١٧ ـ ١١٨) رقم (١٠٣٥، ١٠٣٦) وابن حبان (٢٢٤٠، ٢٢٤٦) والدارقطني (١/ ٣٦٦) كتاب الصلاة رقم (١) والبيهقي (٢/ ٢٥٤) كتاب الصلاة باب من قال يسلم عن سجدتي السهو، (٢/ ٢٥٦) باب الكلام في الصلاة على وجه السهو، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٤٤٤) باب الكلام في الصلاة لما يحدث فيها من السهو، والطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ١١٢) والبزار كما في «نظم الفرائد» (ص ـ ٢٢٢) والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٣٣٨) من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة به.

وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

وأخرجه مالك (١/ ٩٤) كتاب الصلاة: باب ما يفعل من سلم من ركعتين ساهيًا حديث (٥٩) عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد أنه قال: سمعت أبا هريرة... فذكره ومن طريق مالك أخرجه مسلم (١/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤) كتاب المساجد: باب السهو في الصلاة والسجود له حديث (٩٩/ ٥٧٣) والنسائي (٣/ ٢٠) كتاب السهو، وأحمد (٢/ ٤٦٠، ٥٣٢) وعبد الرزاق (٣٤٤٨)، وابن خزيمة (٢/ ١١٩) رقم (١٠٣٧) وابن حبان (٢٢٤٢) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٤٤٥) والبيهقي (٢/ ٣٣٥) والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٣٣٧ ـ بتحقيقنا).

تنبيه: عزا العلائي هذا الطريق في «نظم الفرائد» (ص ـ ٢٢٤) لأبي داود ولم أجده فيه. =

___

= بالدين ودفع اليتيم وعدم الحض على طعامه والسهو في الصلاة، والمراءاة ومنع الخير. انتهى. الدر المصون.

الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم. وقرأ ابن مسعود: لاهون، فإن قلت: ما معنى

= وأخرجه البخاري (٢/ ٢٠٦) كتاب الأذان: باب هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس حديث (٧١٥)، (٣/ ١١٦) كتاب السهو: باب إذا سلم في ركعتين أو في ثلاث حديث (١٢٢٧) ومسلم (١/ ٤٠٤) كتاب المساجد: باب السهو في الصلاة والسجود له حديث (١٠٠/ ٥٧٣) وأبو داود (١/ ٣٣٢) كتاب الصلاة: باب السهو في السجدتين حديث (١٠١٤) والنسائي (٣/ ٣١) باب التحري، وأحمد (٢/ ٤٢٣) وأبو عوانة (٢/ ١٩٧) والحميدي (٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤) رقم (٩٨٤) وابن خزيمة (٢/ ١١٩) رقم (١٠٣٨) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٤٤٥) والبيهقي (٢/ ٢٥٠) كتاب الصلاة: باب من قال يسجدهما قبل السلام، من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة به.

وأخرجه أبو داود (١/ ٣٣١) كتاب الصلاة: باب السهو في السجدتين حديث (١٠١٢) وأبو يعلى (١٠/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) رقم (٥٨٦٠) وابن خزيمة (٢/ ١٢٤) رقم (١٠٤٠)، (١٠٤١) من طريق الأوزاعي عن الزهري، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن أبي هريرة.

وأخرجه الدارمي (١/ ٣٥٢) كتاب الصلاة: باب سجدة السهو من الزيادة، وابن خزيمة (٢/ ١٢٥) رقم (١٠٤٢، ١٠٤٣) من طريق يونس، عن الزهري، عن سعيد وأبي سلمة وعبيد الله وأبو بكر بن عبد الرحمن.

وأخرجه النسائي (٣/ ٢٠): باب ذكر الاختلاف على أبي هريرة في السجدتين من طريق عقيل، عن الزهري، عن سعيد وأبي سلمة وأبي بكر بن عبد الرحمن وابن أبي حثمة، عن أبي هريرة. وأخرجه مالك (١/ ٩٤) كتاب الصلاة رقم (٦٠) عن الزهري، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة بلاغًا.

وتوبع مالك تابعه صالح بن كيسان.

أخرجه أبو داود (١/ ٣٣١) كتاب الصلاة: باب السهو في السجدتين حديث (١٠١٣) والنسائي (٣/ ٢٥) والبيهقي (٢/ ٣٥٨) كتاب الصلاة.

وأخرجه عبد الرزاق (٣٤٤١) والنسائي (٣/ ٢٤) من طريق معمر عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وأبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة عن أبي هريرة.

وقال الزهري: وكان ذلك قبل بدر ثم استحكمت الأمور ومن هذه الروايات عن الزهري تجد أن الزهري اضطرب في هذا الحديث اضطرابًا شديدًا وقد بين ذلك ابن عبد البر في «التمهيد» فقال:

[وأما قول الزهري في هذا الحديث، أنه ذو الشمالين، فلم يتابع عليه، وحمله الزهري على أنه المقتول يوم بدر، وقد اضطرب على (ب) الزهري في حديث ذي اليدين، اضطرابًا، أوجب عند أهل العلم بالنقل تركه، من روايته خاصة، لأنه مرة يرويه عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة (٧٥٧) قال: بلغني أن رسول الله ﷺ، ركع ركعتين، هكذا حدث به عنه مالك، وحدث به مالك أيضًا، عنه، عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة، بمثل حديثه عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة.

ورواه صالح بن كيسان (٧٥٨)، عنه أن أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة، أخبره أنه بلغه، أن رسول الله ﷺ، صلى ركعتين، ثم سلم، وذكر الحديث وقال فيه، فأتم ما بقي من صلاته، ولم يسجد السجدتين اللتين تسجدان، إذا شك الرجل في صلاته، حين لقنه الرجل، قال صالح، قال ابن شهاب، فأخبرني (أ) هذا الخبر سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: وأخبرني (ب) به أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن عبد الرحمن وعبيد الله بن عبد الله، ورواه ابن إسحاق، عن =

المراءاة؟ قلت: هي٢/٢٧٣ب مفاعلة من الإراءة، لأنّ المرائي يُري الناس عمله، وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به، ولا يكون الرجل مرائيًا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة، فمن حقّ الفرائض الإعلان بها وتشهيرها، لقوله عليه الصلاة والسلام: «ولا غمة في فرائض الله» (١٨٠٤) لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين؛ ولأن تاركها يستحق الذمّ والمقت، فوجب إماطة التهمة بالإظهار؛ وإن كان تطوّعًا، فحقه أن يخفىٰ، لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه؛ فإن أظهره قاصدًا للاقتداء به كان جميلًا، وإنما الرياء أن يقصد

= ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وأبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة، قال: كل قد حدثني بذلك، قالوا: صلى رسول الله بالناس الظهر، فسلم من ركعتين، وذكر الحديث.

وقال فيه الزهري، ولم يخبرني رجل منهم، أن رسول الله ﷺ، سجد سجدتي السهو، فكان (جـ) ابن شهاب، يقول إذا عرف الرجل ما يبني (د) من صلاته، فأتمها، فليس عليه سجدتا السهو، لهذا الحديث.

وقال ابن جريج: حدثني ابن شهاب، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة (أ)، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عمن يقنعان بحديثه، أن النبي عليه السلام، صلى ركعتين في صلاة الظهر، أو العصر، فقال له ذو الشمالين، ابن عبد عمرو، يا رسول الله، أقصرت الصلاة؟ أم نسيت؟ وذكر الحديث، ورواه معمر، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وأبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة، عن أبي هريرة، وهذا اضطراب عظيم، من ابن شهاب، في حديث ذي اليدين، وقال مسلم بن الحجاج، في كتاب التمييز له: قول ابن شهاب أن رسول الله، لم يسجد يوم ذي اليدين سجدتي السهو، خطأ وغلط.

وقد ثبت عن النبي عليه السلام، أنه سجد سجدتي السهو، ذلك اليوم، من أحاديث الثقات ابن سيرين وغيره].

وقال لا أعلم أحدًا من أهل العلم والحديث المنصفين فيه، عول على حديث ابن شهاب في قصة ذي اليدين، لاضطرابه فيه وأنه لم يتم له إسنادًا ولا متنًا، وإن كان امامًا عظيمًا في هذا الشأن، فالغلط لا يسلم منه أحد، والكمال ليس لمخلوق، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ، فليسَ قول ابن شهاب أنه المقتول يوم بدر حجة، لأنه قد تبين غلطه في ذلك.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف. قال المخرج: ورد في ذلك خمسة أحاديث **(الأولى)**: قصة ذي اليدين. متفق عليها من حديث أبي هريرة من طرق عنه ومحصله أنه صلى ركعتين في الظهر أو العصر ثم سلم سهوًا. **(الثاني)**: حديث عبد الله بن بحينة. متفق عليه أيضًا في قيامه بغير تشهد أول وسجوده للسهو قبل السلام. وفيه عن سعد عن أبي يعلى. **(الثالث)**: حديث ابن مسعود متفق عليه أيضًا أنه ﷺ صلى الظهر خمسًا. فقيل له في ذلك. فسجد سجدتين بعدما سلم. **(الرابع)** حديث عمران بن حصين «أنه ﷺ صلى العصر ثلاث ركعات فقام رجل يقال له الخرباق ـ الحديث» **(الخامس)**: حديث معاوية بن خديج قال «صليت مع النبي ﷺ المغرب. فسها فيها. فسلم في ركعتين ثم انصرف» الحديث أخرجه ابن خزيمة وأبو داود وابن حبان وجزم بأن هذه القصة مغايرة لقصة عمران. وأنهما مغايرتان لقصة أبي هريرة: قلت وقد بسط العلائي القول فيه في جزء مفرد. انتهى.

١٨٠٤ ـ تقدم في سورة يونس، وقال الحافظ: هو من الحديث المتقدم في سورة يونس.

بالإظهار أن تراه الأعين، فيثنى عليه بالصلاح. وعن بعضهم: أنه رأى رجلاً في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها، فقال: ما أحسن هذا لو كان في بيتك؛ وإنما قال هذا لأنه توسم فيه الرياء والسمعة؛ على أن اجتناب الرياء صعب إلاّ على المرتاضين بالإخلاص. ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود» (١٨٠٥) ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ الزكاة، قال الراعي [من الكامل]:

قَوْمٌ عَلَى الإِسْلاَمِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلا[1]

وعن ابن مسعود: ما يتعاور في العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها. وعن عائشة الماء والنار والملح؛ وقد يكون منع هذه الأشياء محظورًا في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار، وقبيحًا في المروءة في غير حال الضرورة.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة أرأيت غفر الله له إن كان للزكاة مؤديًا» (١٨٠٦).

١٨٠٥ ـ بيض له الزيلعي، وقال الحافظ: لم أجده.

١٨٠٦ ـ تقدم برقم (٣٤٦) قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه والثعلبي والواحدي بإسنادهم إلى أبي بن كعب.

---

(١) يقول: هم قوم ثابتون على الإسلام، أو مع إسلامهم وزيادة عليه، لم يمنعوا الزكاة ولا غيرها من الخيرات، فلما لاستغراق النفي في الماضي، وإما ترقب حصول المنفي بها فهو غالب وليس مرادًا هنا، ولم يضيعوا التهليلا: أي الصلاة، لاشتمالها على لا إله إلا الله.
ينظر: ديوانه ص ٢٣٠، ولسان العرب (معن)، وتاج العروس (معن)، وبلا نسبة في لسان العرب (هلل)، وتهذيب اللغة ٥/٣٦٨، وتاج العروس (هلل). وانظر المزيد من مصادر البيت في ديوانه ص ٢٣٠.

سورة الكوثر

مكية، وآياتها ثلاث

[نزلت بعد العاديات]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾

في قراءة رسول الله ﷺ: إنا أنطيناك، بالنون (١٨٠٧). وفي حديثه ﷺ: «وأنطوا الثبجة»[1] (١٨٠٨) والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة. وقيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر. وقال [من الطويل]:

وَأَنْتَ كَثِيرٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ طَيِّبٌ وَكَانَ أَبُوكَ ابْنَ الْعَقَائِلِ كَوْثَرَا[2]

١٨٠٧ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٢٥٦) والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣٦٥) رقم (٨٦٢) كلاهما من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن عن أمه، عن أم سلمة به.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال: عمرو بن عبيد واهٍ والحديث ذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٤٤) وقال: رواه الطبراني في «الكبير والأوسط». وفيه عمرو بن عبيد وهو ضعيف جدًا اهـ. والحديث أخرجه أيضًا الدارقطني في المؤتلف والمختلف والثعلبي وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٤/ ٣٠٣).
قال الحافظ: الطبراني والدارقطني في المؤتلف والحاكم وابن مردويه والثعلبي من رواية عمرو بن عبيد عن الحسن، عن أمه عن أم سلمة وعمرو بن عبيد واهي الحديث.

١٨٠٨ ـ قال الزيلعي (٤/ ٣٠٣) ذكره القاضي عياض في الشفا في كتاب النبي ﷺ لوائل بن حجر وقد تقدم.
قال الحافظ: هو في الحديث المتقدم في سورة يونس.

---

(١) قوله: «وأنطوا الثبجة» في القاموس «الثبجة» محركة: المتوسطة بين الخيار والرذال اهـ. (ع)

(٢) للكميت: وأنت كثير: أي كثير الخير والبر. ويروى بدله: كوثر. وفي البداء تنويه باسمه وتعظيم لقدره. واستعار الطيب لحسن السيرة. ويجوز أنه ضد الخبيث. والعقائل: خيار النساء؛ والمراد جنسهن أو ما يشمل الجدات. والكوثر: بليغ النهاية في الخير.
ينظر: ديوانه ١/ ٢٠٩، ولسان العرب (كثر) وتهذيب اللغة ١٠/ ١٧٨، وجمهرة اللغة ص ١١٧٤، =

وقيل: (الكوثر) نهر في الجنة. وعن النبي ﷺ: أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال: «أتدرون ما الكوثر؟ إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي، فيه خير كثير» (١٨٠٩) وروي في صفته: أحلى من العسل، وأشدّ بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد؛ حافتاه الزبرجد، وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء (١٨١٠). وروي: «لا يظمأ من شرب منه أبدًا، أول وارديه: فقراء المهاجرين: الدنس الثياب، الشعث الرءوس، الذين لا يزّوجون المنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السدد، يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره، لو أقسم على الله لأبرّه» (١٨١١). وعن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير، فقال له سعيد بن جبير: إن ناسًا يقولون: هو نهر في الجنة! فقال: هو من الخير الكثير. والنحر: نحر البدن؛ وعن عطية: هي صلاة الفجر بجمع، والنحر بمنى. وقيل: صلاة العيد والتضحية. وقيل: هي جنس الصلاة. والنحر: وضع اليمين على الشمال، والمعنى: أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه أحد غيرك، ومعطي ذلك كله أنا

١٨٠٩ ـ أخرجه مسلم في صحيحه (٢/٣٤٨): كتاب الصلاة باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة حديث (٤٠٠) والنسائي في سننه (٢/ ١٣٥): كتاب الافتتاح، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم، حديث (٩٠٤)، وأبو داود في سننه (٤/ ٢٣٧): كتاب السنة باب في الحوض، حديث (٤٧٤٧).

وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٤٠) حديث (٣٩٥١) قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من رواية المختار بن فلفل عن أنس في أثناء حديث ذكره في أوائل الصلاة. انتهى.

١٨١٠ ـ أخرجه الحاكم (٤/ ١٨٤) من حديث أبي برزة.

وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وله شاهد من حديث ثوبان.

أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) والطبراني في «الكبير» (٢/ ٩٩) رقم (١٤٣٧)، وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الحاكم من حديث أبي برزة رفعه «حوضي ما بين أيلة إلى صنعاء: عرضه كطوله. فيه ميزابان يصبان من الجنان أحلى من العسل، وأبرد من الثلج وأشد بياضًا من اللبن، وألين من الزبد فيه أباريق عدد نجوم السماء ـ الحديث» وفي ابن مردويه من حديث ابن عباس في قصة الإسراء ـ فذكر حديثًا طويلًا جدًا. وفيه ذكر الكوثر وحافتاه من زبرجد. انتهى.

١٨١١ ـ أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٨ ـ ١٤٣٩) كتاب الزهد: باب ذكر الحوض حديث (٤٣٠٣) وأحمد (٥/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) والطبراني في «الكبير» (٢/ ٩٩) رقم (١٤٣٧) من حديث ثوبان وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن ماجه وأحمد والطبراني من حديث ثوبان. وفيه «أن حوضي ما بين عدن إلى أيلة. أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، أكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا وأول من يرد عليه فقراء المهاجرين الدنس ثيابًا الشعث رؤوسًا الذين لا ينكحون المنعمات ولا يفتح لهم السدد» انتهى.

= وأساس البلاغة (كثر)، وتاج العروس (كثر)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٥/ ١٦١، ومجمل اللغة ٤/ ٢١٦، والمخصص ٣/ ٣.

إلٰه العالمين، فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان[1]: إصابة أشرف عطاء، وأوفره، من أكرم معط وأعظم منعم؛ فاعبد ربك الذي أعزّك بإعطائه، وشرفك وصانك من منن الخلق، مراغمًا لقومك الذين يعبدون غير الله، وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت، مخالفًا لهم في النحر للأوثان (إن) من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ لا أنت؛ لأنّ كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، وذكرك مرفوع على المنابر والمنار، وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر، يبدأ بذكر الله ويثني بذكرك، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف، فمثلك لا يقال له أبتر: وإنما الأبتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة، وإن ذكر ذكر باللعن. وكانوا يقولون: إنّ محمدًا صنبور[2]: إذا مات مات ذكره. وقيل: نزلت في العاص بن وائل، وقد سماه الأبتر، والأبتر: الذي لا عقب له. ومنه الحمار الأبتر الذي لا ذنب له.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر٢/ ٢٧٤أ في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر أو يقربونه» (١٨١٢).

١٨١٢ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وقال الحاكم في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي وابن مردويه بسندهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

---

(١) قال محمود: «أي جمعنا لك الغبطتين السنيتين أحدهما إصابة أشرف عطاء وهو الكوثر... إلخ» قال أحمد: جعل الزمخشري توسط الضمير بين الجزءين مقيد للاختصاص لأن إفادته ههنا لذلك بيتة مكشوفة.

(٢) قوله: «إن محمدًا صنبور» ذكر في القاموس معانيه: الرجل الفرد الضعيف الذليل بلا أهل وعقب وناصر اهـ. (ع)

سورة الكافرون

مكية، وهي ست آيات
[نزلت بعد الماعون]

ويقال لها ولسورة الإخلاص: المقشقشتان، أي: المبرئتان من النفاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون. روي أنّ رهطًا من قريش قالوا: يا محمد، هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك: تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلٰهك سنة، فقال: «معاذ الله أن أشرك بالله غيره» فقالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدّقك ونعبد إلٰهك، فنزلت؛ فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رءوسهم فقرأها عليهم. فأيسوا. ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ أريدت به العبادة فيما يستقبل، لأنّ (لا) لا تدخل إلاّ على مضارع في معنى الاستقبال، كما أن «ما» لا تدخل إلاّ على مضارع في معنى الحال، ألا ترى أن «لن» تأكيد فيما تنفيه «لا». وقال الخليل في «لن»: إنّ أصله «لا أن» والمعنى: لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم، ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلٰهي ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾ أي: وما كنت قطّ عابدًا فيما سلف ما عبدتم[1] فيه،

---

(١) قال محمود: «معناه في المستقبل، لأن «لا» تنفي المستقبل، ولا أنتم عابدون ما أعبد: كذلك، ولا أنا عابد ما عبدتم: أي فيما سلف... إلخ» قال أحمد: هذا الذي قاله خطأ على الأصل والفرع جميعًا: أما على أصله القدري، فإنه وإن كان مقتضاه أن النبي ﷺ لم يكن قبل البعث على دين نبي قبله، لاعتقاد القدرية أن ذلك غميزة في منصبه، ومنفر من اتباعه، فيستحيل وقوعه للمفسدة؛ إلا أنهم يعتقدون أن الناس كلهم متعبدون بمقتضى العقل بوجوب النظر في آيات الله تعالى وأدلة توحيده ومعرفته، وأن وجوب النظر بالعقل لا بالسمع فتلك عبادة قبل البعث يلزمهم ألا يظنوا به ﷺ الإخلال بها، فحينئذ يقتضي أصلهم أنه كان قبل البعث يعبد الله تعالى؛ فالزمخشري حافظ على الوفاء بأصله في عدم اتباعه لنبي سابق، فأخل بالتفريع على أصله الآخر في وجوب العبادة بالعقل.
والحق أن النبي ﷺ كان يعبد قبل الوحي ويتحنث في غار حراء، فإن كان مجيء قوله أعبد ـ لأن =

يعني: لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية، فكيف تُرجى مني في الإسلام ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ أي: وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته. فإن قلت: فهلا قيل: ما عبدت، كما قيل: ما عبدتم؟ قلت: لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث، وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت. فإن قلت: فلم جاء على «ما» دون «من»؟ قلت: لأن المراد الصفة، كأنه قال: لا أعبد الباطل، ولا تعبدون الحق. وقيل: إن «ما» مصدرية، أي: لا أعبد عبادتكم، ولا تعبدون عبادتي ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ لكم شرككم، ولي توحيدي. والمعنى: أني نبيّ مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة، فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني، فدعوني كفافًا ولا تدعوني إلى الشرك.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة «الكافرون» فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين، وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الأكبر» (١٨١٣).

١٨١٣ ـ ذكره الواحدي في تفسيره (٤/ ٥٦٤)، في تفسير سورة الكافرون، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٣٠٩) للثعلبي ولابن مردويه في تفسيرهما.
وأخرج صدره الترمذي (٥/ ١٦٥ ـ ١٦٦)، كتاب فضائل القرآن باب: ما جاء في إذا زلزلت، حديث (٢٨٩٣)، من طريق أنس. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ الحسن بن سلم. وفي الباب عن ابن عباس.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بسندهم إلى أبي بن كعب. قلت. وصدره. رواه الترمذي. حديث أنس رضي الله عنه. انتهى.

= الماضي لم يحصل فيه هذه العبادة المرادة في الآية ـ فيحمل الأمر فيها ـ والله أعلم ـ على مجموع العبادات الخاصة التي لم تعلم إلا بالوحي، لا على مجرد توحيد الله تعالى ومعرفته؛ فإن ذلك لم يزل ثابتًا له ﷺ قبل البعث، والله أعلم. أو يكون مجيئه مضارعًا لقصد تصوير عبادته في نفس السامع وتمكينها من فهمه، كقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةً﴾ والأصل: فأصبحت؛ وإنما عدل عنه للمعنى المذكور؛ وهو وجه حسن، فتأمله، والله أعلم.

سورة النصر

نزلت بمنى في حجة الوداع، فتعد مدنية، وهي آخر ما نزل من السور وآياتها ثلاث [نزلت بعد التوبة]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾

﴿إِذَا جَآءَ﴾ منصوب بسبح[1]، وهو لما يستقبل. والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوّة. روي أنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع. فإن قلت: ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه؟ قلت: النصر الإغاثة والإظهار على العدوّ. ومنه: نصر الله الأرض غاثها. والفتح: فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله ﷺ على العرب أو على قريش وفتح مكة وقيل: جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم. وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان، ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب، وأقام بها خمس عشرة ليلة، ثم خرج إلى هوازن، وحين دخلها وقف على باب الكعبة، ثم قال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له صدق وعده

(١) قال السمين الحلبي: وناقشه الشيخ بأن رأيت لا يعرف كونها بمعنى عرفت. قال: فتحتاج في ذلك إلى استثبات. وإما مفعول ثان إن كانت بمعنى علمت المتعدية لاثنين، وهذه قراءة العامة، أعني «يدخلون» مبنيًا للفاعل، وابن كثير في رواية «يدخلون» مبنيًا للمفعول، و«في دين» ظرف مجازي، وهو مجاز فصيح بليغ هنا، قوله: «أفواجًا» حال من فاعل «يدخلون» قال مكي: وقياسه أفوج إلا أن الضمة مستقلة في الواو فشبهوا فعلاً يعني بالسكون بفعل يعني بالفتح فجمعوه جمعه انتهى. أي إن فعلاً يعني بالسكون قياسه أفعل كفلس وأفلس إلا أنه استثقلت الضمة على الواو فجمعوه جمع فعل بالتحريك نحو جمل وأجمال لأن فعلا بالسكون على أفعال ليس بقياس إذا كان فعل صحيحًا نحو فرخ وأفراخ وزيد وأزياد، ووردت منه ألفاظ كثيرة ومع ذلك فلم يقيسوه، وقد قال الحوفي شيئًا من هذا. انتهى. الدر المصون.

ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم قال: يا أهل مكة، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، فأعتقهم رسول الله ﷺ (١٨١٤)، وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة، وكانوا له فيئًا، فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء، ثم بايعوه على الإسلام ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ في ملة الإسلام التي لا دين له يضاف إليه غيرها ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدًا واحدًا واثنين اثنين. وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ: أنه بكى ذات يوم، فقيل له[١]. فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «دخل٢/ ٢٧٤ب الناس في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا» (١٨١٥) وقيل: أراد بالناس أهل اليمن. قال أبو هريرة: لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن: قوم رقيقة قلوبهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية» (١٨١٦) وقال: «أجد نفير ربكم من قبل

١٨١٤ ـ أخرجه ابن إسحاق (١٦٨١ ـ سيرة ابن هشام).
ـ وأخرجه البيهقي (٩/ ١١٨)، كتاب السير، باب: فتح مكة وفي الدلائل (٥/ ٢٤)، باب: «خروج النبي ﷺ لغزوة الفتح....»، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٣١٤) للواقدي في كتاب: المغازي.
قال الحافظ: أخرجه ابن إسحاق في السيرة، وروى البخاري عن ابن عباس «أن النبي ﷺ خرج من مكة في رمضان ـ الحديث، قال: فصبحها لثلاث عشرة خلت من رمضان» وفي الدلائل من طريق ابن إسحاق عن الزهري وغيره قال: فتحت لعشر بقين». انتهى.
١٨١٥ ـ أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٣) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. والحاكم (٤/ ٤٩٦)، كتاب الفتن والملاحم من حديث أبي هريرة. وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٣١٤) للثعلبي ولابن مردويه في تفسيريهما من طريق الأوزاعي، ولإسحاق بن راهويه في مسنده.
قال الحافظ: أخرجه أحمد وإسحاق وابن مردويه والثعلبي من روايه الأوزاعي: حدثني أبو عمار حدثني جابر. لجابر بن عبد الله قال «قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله فسلم عليّ فجعلت أحدثه عن افتراق الناس، وما أحدثوا. فجعل يبكي. ثم قال: سمعت ـ فذكره» وله شاهد عن أبي هريرة في العين من المستدرك. انتهى.
١٨١٦ ـ أخرجه النسائي في تفسيره (٢/ ٥٦٦ ـ ٥٦٧)، في تفسير سورة النصر، رقم (٧٣٢).
ـ والطبراني في الكبير (١١/ ٣٣٠)، رقم (١١٩٠٧).
ـ وابن حبان (١٦/ ٢٨٧)، رقم (٧٢٩٨)، جميعهم عن ابن عباس.
وأخرجه البخاري (٨/ ٤٣٤) كتاب المغازي، باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن، حديث (٤٣٨٨).
ومسلم (١/ ٣٠٥) كتاب الإيمان باب: تفاضل أهل الإيمان. رقم (٥٢) (٨٢) كلاهما مختصرًا من طريق أبي هريرة وابن حبان (١٦/ ٢٨٦)، رقم (٧٢٩٧)، من نفس الطريق السابق.
=

---

(١) قوله: «فقيل له» لعله: فقيل له في ذلك. (ع)

اليمن». (١٨١٧) وعن الحسن: لما فتح رسول الله ﷺ مكة أقبلت العرب بعضها على بعض، فقالوا: أما إذ ظفر بأهل الحرم فليس به يدان، وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل وعن كل من أرادهم، فكانوا يدخلون في الإسلام أفواجًا من غير قتال. وقرأ ابن عباس: فتح الله والنصر. وقرئ: «يدخلون» على البناء للمفعول. فإن قلت: ما محل يدخلون؟ قلت: النصب إما على الحال، على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت. أو هو مفعول ثانٍ على أنه بمعنى علمت ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فقل سبحان الله: حامدًا له، أي: فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال أحد من أن يغلب أحد على أهل الحرم، واحمده على صنعه. أو: فاذكره مسبحًا حامدًا، زيادة في عبادته والثناء عليه، لزيادة إنعامه عليك. أو فصل له. روت أمّ هانئ: أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات (١٨١٨)، وعن عائشة: كان عليه الصلاة والسلام يكثر قبل موته أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك» (١٨١٩) والأمر بالاستغفار مع التسبيح

= - وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٣١٥) لابن مردويه قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه من طريق عبد الرازق أخبرنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين عنه. وأصله في مسلم دون ما في أوله. وله شاهد في ابن حبان والنسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. انتهى.

١٨١٧ - أخرجه البزار (٢/ ٢٧٣)، حديث (١٦٨٩) قال البزار: لا نعلم رواه بهذا اللفظ إلا سلمة بن نفيل، وهذا أحسن إسناد يروى في ذلك، ورجاله شاميون مشهورن إلا إبراهيم بن سليمان الأفطس.

- وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٣١٦) للطبراني في الأوسط ومن مسند الشاميين، وللبيهقي في كتاب الأسماء والصفات.

قال الحافظ: أخرجه الطبراني في الأوسط ومسند الشاميين من طريق جرير بن عثمان عن شبيب بن روح عن أبي هريرة في حديث أوله «الإيمان يمان ولا بأس بإسناده وله شاهد من حديث سلمة بن نفيل السكوني في مسند البزار والطبراني في الكبير والبيهقي في الأسماء والصفات وفي إسناده إبراهيم بن سليمان الأفطس. قال البزار إنه غير مشهور» اهـ.

١٨١٨ - أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٥٢) في قصر الصلاة باب: صلاة الضحى.

والبخاري (١/ ٥١٥)، كتاب: الغسل، باب التستر في الغسل عند الناس، حديث (٢٨٠)، وأطرافه (٣٥٧، ٣١٧١، ٦١٥٨) ومسلم (٢/ ٢٦٣)، كتاب: الحيض، باب: تستر المغتسل بثوب ونحوه، حديث (٣٣٦) (٧٢).

وأحمد (٦/ ٣٤١، ٣٤٣)، والبيهقي (١/ ١٩٨) وعبد الرزاق (٣/ ٧٦ - ٧٧)، حديث (٤٨٦١)، وأبو داود (٣/ ٨٤)، كتاب: الجهاد، باب: في أمان المرأة. حديث (٢٧٦٣). و(٢/ ٢٨)، كتاب الصلاة، باب: صلاة الضحى، حديث (١٢٩١)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٧٥)، حديث (٧٨٠٧).

وابن حبان في صحيحه (٣/ ٤٦٠)، حديث (١١٨٨). وابن خزيمة (٢/ ٢٣٣)، حديث (١٢٣٣).

قال الحافظ في تخريج الكشاف متفق عليه واللفظ لمسلم. انتهى.

١٨١٩ - أخرجه البخاري، حديث (٧٩٤)، أطرافه في: (٨١٧، ٤٢٩٣، ٤٩٦٧، ٤٩٦٨)، ومسلم (١/ =

تكميل للأمر بما هو قوام أمر الدين: من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية، ليكون أمره بذلك مع عصمته لطفًا لأمته، ولأنّ الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس، فهو عبادة في نفسه. وعن النبي ﷺ: «إني لأستغفر في اليوم والليلة مائة مرة» (١٨٢٠) وروي: أنه لما قرأها رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على أصحابه استبشروا وبكى العباس، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا عم»؟ قال: نعيت إليك نفسك. قال: «إنها لكما تقول» فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكًا مستبشرًا، (١٨٢١) وقيل: إن ابن عباس هو الذي قال ذلك؛ فقال رسول الله ﷺ: «لقد أوتي هذا الغلام علمًا كثيرًا» (١٨٢٢) وروي: أنها لما نزلت خطب رسول الله ﷺ فقال: «إن عبدًا خيَّره الله بين الدنيا وبين لقائه، فاختار لقاء الله، فعلم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ، فقال: فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا (١٨٢٣). وعن ابن عباس أن عمر ـ رضي الله عنهما ـ كان يدنيه ويأذن له مع أهل بدر، فقال عبد الرحمٰن: أتأذن لهذا الفتى معنا وفي أبائنا من هو مثله؟ فقال إنه ممن قد علمتم. قال ابن عباس: فأذن لهم ذات يوم، وأذن لي معهم، فسألهم عن قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ ولا أراه سألهم إلاّ من أجلي؛ فقال بعضهم: أمر الله نبيه إذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب إليه؛ فقلت: ليس كذلك، ولكن نعيت إليه نفسه؛ فقال عمر: ما أعلم منها إلاّ مثل ما تعلم، ثم قال: كيف تلومونني عليه بعدما ترون؟ (١٨٢٤)

= ٣٥١)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، حديث (٢٢١) ـ (٤٨٥). وأحمد (٦/ ٧٧، ١٥١).
وابن حبان (٥/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦)، حديث (١٩٢٩).

١٨٢٠ ـ أخرجه مسلم (٩/ ٢٨ ـ ٢٩)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الاستغفار. . .، حديث (٤١) ـ (٢٧٠٢).
ـ والبغوي في شرح السنة (٣/ ٩٥)، كتاب الدعوات باب: الاستغفار، حديث (١٢٨٠).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من حديث الأغر المزني. انتهى.

١٨٢١ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٣١٩) للثعلبي في تفسيره، من قول مقاتل.
قال الحافظ: ذكره الثعلبي عن مقاتل وسنده إليه دون الكتاب. انتهى.

١٨٢٢ ـ بيض له الزيلعي، وقال الحافظ، لم أجده انتهى.

١٨٢٣ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٢٦٨)، كتاب المناقب، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه حديث (٣٩٠٤).
ومسلم (٤/ ١٨٥٤)، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر حديث (٢) ـ (٢٣٨٢).
والبغوي في شرح السنة (٧/ ١٥١) كتاب الفضائل، باب: في مرضه ووفاته ﷺ، حديث (٣٧١٥).
جميعهم عن أبي سعيد الخدري.
قال الحافظ: متفق عليه أصله من حديث أبي سعيد الخدري دون أوله من كونه كان عند نزول السورة. نعم فيه ما يشعر بأن ذلك كان في أواخر عمره ونزولها كان في أواخر عمره بلا نزاع. انتهى.

١٨٢٤ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٦١٣)، كتاب المغازي: باب: منزل النبي ﷺ، حديث (٤٢٩٤). =

وعن النبي ﷺ: أنه دعا فاطمة ـ رضي الله عنها ـ فقال: «يا بنتاه إنه نعيت إليّ نفسي»، فبكت، فقال: «لا تبكي، فإنك أوّل أهلي لحوقًا بي» (١٨٢٥). وعن ابن مسعود أنّ هذه السورة تسمى سورة التوديع ﴿كَانَ تَوَّابًا﴾ أي: كان في الأزمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابًا عليهم إذا استغفروا، فعلى كل مستغفر أن يتوقع مثل ذلك.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة إذا جاء نصر الله أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة» (١٨٢٦).

= والبغوي في شرح السنة (١/٢٤٣)، كتاب العلم، باب: طرح المسألة على الأصحاب ليختبر ما عندهم من العلم.
والحاكم في المستدرك (٣/٥٣٩)، كتاب: معرفة الصحابة.
ـ والبيهقي في الدلائل (٥/٤٤٦) باب: «ما جاء في نعي....».
قال الحافظ: أخرجه البخاري من حديث، من حديث ابن عباس بمعناه. وليس فيه تعيين عبد الرحمن بن عوف، واستدركه الحاكم فوهم، وأخرجه البزار وآخر لفظه عواتق لآخر لفظ المصنف. انتهى.

١٨٢٥ ـ أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٧/١٦٧). وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/٣٢٢) لابن مردويه في تفسيره.
وبعضه في الصحيحين، أخرجه البخاري (٧/٩٧)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ، حديث (٣٧١٥)، ومسلم (٤/١٩٠٢)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل فاطمة حديث (٩٢ ـ ٢٤٤٩) (٩٧ ـ ٢٤٥٠)، والترمذي (٥/٧٠١)، كتاب المناقب: باب: فضل فاطمة حديث (٣٨٧٣)، وأحمد في المسند (٦/٧٧ ـ ٢٤٠ ـ ٢٨٣).
وابن سعد في الطبقات (٢/١٤٨ ـ ١٤٩). قال الحافظ: أخرجه البيهقي في أواخر الدلائل وابن مردويه من رواية هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله ﷺ فاطمة فقال لها إنه قد نعيت إلى نفسي فبكت فقال لها: أصبري فإنك أول أهلي لحوقًا بي. فقال لها بعض أزواج النبي ﷺ» الحديث وشاهده في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها من رواية مسروق عنها مطولاً. انتهى.

١٨٢٦ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

سورة المسد

مكية، وآياتها خمس
[نزلت بعد الفاتحة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾

التباب: الهلاك. ومنه قولهم: أشابة أم تابة؟ أي: هالكة من الهرم والتعجيز. والمعنى: هلكت يداه، لأنه فيما يروى: أخذ حجرًا ليرمي به رسول الله ﷺ ﴿وَتَبَّ﴾ وهلك كله. أو جعلت يداه هالكتين. والمراد: هلاك جملته، كقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] ومعنى: ﴿وَتَبَّ﴾: وكان ذلك وحصل، كقوله [من الطويل]:

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّـهُ شَرَّ جَزَائِهِ ... جَزَاءَ الْكِلابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلْ[1]

---

(١) كأن قد فعل به خيرًا فجزاه شرًا، فدعا عليه بقوله: جزاه الله شر جزائه. جزاء الكلاب بدل من «شر جزائه» وضمير «جزائه» لله. أو للرجل المدعو عليه. وجزاء الكلاب العاويات: رجمها. ويروى «العاديات» بالدال، بدل الواو. وقد فعل: أي فعل الله ذلك الجزاء في الواقع، حيث أوقعه. وفيه من أنواع البديع: الرجوع، وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض لنكتة، لأن مقتضى الدعاء أن المدعو به لم يحصل، فنقضه بقوله: «وقد فعل». ويروى بدل الشطر الأول: جزى ربه عنى عدي بن حاتم. وضمير «ربه» لحاتم، وإن تأخر لفظًا ورتبة للضرورة؛ وأجازه الأخفش، وابن جني وابن مالك في السعة؛ لأن المفعول به كان متقدمًا لشدة اقتضاء الفعل إياه. وقيل عائد للجزاء المعلوم من جزى. ويروى بدل الشطر الأول أيضًا: جزى الله عبسًا عبس آل بغيض. وهي قبيلة معروفة، ولعل الشاعر متعدد، وما حكاه بعض شراح شواهد الجامي من أن عدي بن حاتم رجل رومي بنى قصرًا للنعمان بن امرئ القيس بظهر الكوفة، فأعجبه فسأله: هل بنيت مثله فقال: لا، وبنيته على حجر لو سقط سقط القصر، فألقاه من أعلاه فخر ميتًا: فهو خطأ. والصواب أن هذه الحكاية إنما وقعت لسنمار المذكور في قوله [من البسيط]:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر ... وحسن فعل كما يجزى سنمار

لأن عدي بن حاتم صحابي من لب العرب، وضمير «بنوه»: لأبي الغيلان بالكسر. وسنمار بكسرتين فتشديد. و«عن» متعلقة بجزى، أي: جزاء ناشئًا عن كبر؛ وفيه معنى التهكم. ويجوز أنها =

ويدلّ عليه قراءة ابن مسعود: «وقد تبّ» وروي: أنه لما نزل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] رقى الصفا وقال: يا صباحاه، فاستجمع إليه الناس من كل أوب. فقال: يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، إن أخبرتكم ٢/ ٢٧٥أ أنّ بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقيَّ؟ قالوا: نعم؛ قال: فإني نذير لكم بين يدي الساعة؛ فقال أبو لهب: تبًا لك، ألهذا دعوتنا؟ فنزلت (١٨٢٧). فإن قلت: لم كناه، والتكنية تكرمة؟ قلت: فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون مشتهرًا بالكنية دون الاسم، فقد يكون الرجل معروفًا بأحدهما، ولذلك تجري الكنية على الاسم، أو الاسم على الكنية عطف بيان، فلما أريد تشهيره بدعوة السوء، وأن تبقى سمة له، ذكر الأشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ «يدا أبو لهب»[(١)]، كما قيل: علي بن أبو طالب. ومعاوية بن أبو سفيان؛ لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع، ولفليتة بن قاسم أمير مكة ابنان، أحدهما: عبد الله ـ بالجرّ، والآخر عبد الله بالنصب. كان بمكة رجل يقال له: عبد الله ـ بجرّة الدال، لا يعرف إلاّ هكذا. والثاني: أنه كان اسمه عبد العزّى، فعدل عنه إلى كنيته. والثالث: أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب، وافقت حاله كنيته؛ فكان جديرًا بأن يذكر بها. ويقال: أبو لهب، كما يقال: أبو الشرّ للشرير. وأبو الخير للخير، وكما كنى رسول الله ﷺ أبا المهلب: أبا صفرة، بصفرة في وجهه. وقيل: كنى بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما، فيجوز أن يذكر بذلك تهكمًا به، وبافتخاره بذلك. وقرئ: أبي لهب، بالسكون. وهو من

١٨٢٧ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٧٦٣): كتاب التفسير: باب تفسير سورة تبت يدا أبي لهب، حديث (٤٩٧١)، ومسلم (١/ ٦٢٤ أبي): كتاب الإيمان: باب قول الله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين، حديث (٣٥٥/ ٢٠٨)، وابن حبان (١٤/ ٤٨٦)، حديث (٦٥٥٠) وقال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. انتهى.

= بمعنى البدل، والأوجه أنها بمعنى بعد. وقيل: إنها بمعنى في، وليس بشيء؛ وعبر بالمضارع بدل الماضي استحضارًا لما مضى، لأنه عجيب.

البيت للنابغة الذبياني ينظر: ديوانه ص ١٩١، والخصائص ١/ ٢٩٤، وله أو لأبي الأسود الدؤلي في خزانة الأدب ١/ ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٧، والدرر ١/ ٣١٧، وللنابغة أو لأبي الأسوَد أو لعبد الله بن همارق في شرح التصريح ١/ ٢٨٣، والمقاصد النحوية ٢/ ٤٨٧، ولأبي الأسوَد الدؤلي في ملحق ديوانه ص ٤٠١، وتخليص الشواهد ص ٤٩٠، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٢/ ١٢٥، وشرح الأشموني ٢/ ٥٩، وشرح شذور الذهب ص ١٧٨، وشرح ابن عقيل ص ٢٥٢، ولسان العرب (عوي)، وهمع الهوامع ١/ ٦٦.

(١) قال محمود: «ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب» قال أحمد: وفي هذا دليل لأن الرفع أسبق وجوه الإعراب وأولها. ألا تراهم إنما حافظوا على صيغته التي بها اشتهر الاسم، وكانت أول أحواله.

تغيير الأعلام، كقولهم: شمس بن مالك بالضم ﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾ استفهام في معنى الإنكار، ومحله النصب أو نفي ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ مرفوع. وما موصولة أو مصدرية بمعنى: ومكسوبه. أو: وكسبه. والمعنى: لم ينفعه ماله وما كسب بماله، يعني: رأس المال والأرباح. أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها، وكان ذا سابياء[1]. أو ماله الذي ورثه من أبيه والذي كسبه بنفسه. أو ماله التالد والطارف. وعن ابن عباس: ما كسب ولده. وحكي أن بني أبي لهب احتكموا إليه، فاقتتلوا، فقام يحجز بينهم، فدفعه بعضهم فوقع فغضب، فقال: أخرجوا عني الكسب الخبيث، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه» وعن الضحاك: ما ينفعه ماله وعمله الخبيث، يعني: كيده في عداوة رسول الله ﷺ. وعن قتادة: عمله الذي ظنّ أنه منه على شيء، كقوله: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: ٢٣] وروي أنه كان يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقًا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾ قرئ: بفتح الياء وبضمها مخففًا ومشدّدًا، والسين للوعيد، أي: هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك[2] والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ. وقيل: كانت تمشي بالنميمة ويقال: للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس: يحمل الحطب بينهم، أي: يوقد بينهم النائرة ويورث الشرّ. قال [من الطويل]:

مِنَ الْبِيضِ لَمْ تَصْطَدْ عَلَى ظَهْرِ لأَمَةٍ ... وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بالْحَطَبِ الرَّطْبِ[3]

---

(١) قوله: «وكان ذا سابياء» ذكر في القاموس من هاتيها: المال الكثير والنتاج، والإبل النتاج والغنم التي كثر نسلها. «التالد» القديم. والطارق المستحدث. (ع)

(٢) قوله: «من الشوك والحسك» في الصحاح «الحسك»: حسك السعدان. وفيه «السعدان»: نبت شوك، ولهذا النبت شوك يقال: حسك السعدان. (ع)

(٣) أنشده يعقوب. والبياض: مجاز عن الخلوص من أسباب الذم. وتصطد من الصيد، أي: الوجدان والإدراك، وزنه يفتعل: قلبت تاء الافتعال طاء على القياس. ورواه بعضهم يضدد. وبعضهم: يضطد، بالضاد المعجمة فيهما، على أنه من الضد، ولينظر وجه الثاني؛ لأن الدار فيه حقها التشديد، فلعله خففها للضرورة. واللامة: اللوم وسببه: شبهها بالمطية التي اعتاد صاحبها ركوبها على طريق المكنية، فأثبت لها الظهر تخييلاً لذلك. وروي؛ بالخطر، بدل الحطب: وهو الخشب، والحطب الذي يحظر به؛ والمراد التميحة: استعير لها ذلك بجامع ثوران المكروه من كل، لأن الحطب الرطب إذا أوقدت فيه النار كثر دخانه. وروي: لم يضدد، ولم يمش بالياء على أنها صفة لمذكر.

ينظر: لسان العرب (حطب)، (حظر)، (برعم)، ومجمع الأمثال ١/ ١٧٩، ومقاييس اللغة ٢/ ٧٩، وأساس البلاغة (حظر)، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٩٤، ٤٥٥، وجمهرة اللغة ص ١٢٨٨، وتاج العروس (حطب)، (حظر).

جعله رطبًا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشرّ، ورفعت عطفًا على الضمير في ﴿سَيَصْلَىٰ﴾ أي: سيصلى هو وامرأته. و﴿فِي جِيدِهَا﴾ في موضع الحال، أو على الابتداء، وفي جيدها: الخبر. وقرئ: حمالة الحطب، بالنصب على الشتم؛ وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل إلى رسول الله ﷺ بجميل، من أحبّ شتم أم جميل. وقرئ: حمالة للحطب. وحمالة للحطب، بالتنوين، بالرفع والنصب. وقرئ: ومريته بالتصغير. المسد: الذي فتل من الحبال فتلًا شديدًا، من ليف كان أو جلد، أو غيرهما. قال [من الرجز]:

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيَانِقِ[1]

ورجل ممسود الخلق مجدوله. والمعنى: في جيدها حبل مما مسد من الحبال، وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون: تخسيسًا لحالها، وتحقيرًا لها، وتصويرًا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن، لتمتعض[2] من ذلك ويمتعض بعلها؛ وهما في بيت العزّ والشرف. وفي منصب الثروة والجدة. ولقد عيّر بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بحمالة الحطب، فقال [من البسيط]:

مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي ... أَمْ مَا تُعَيِّرُ مِنْ حَمَّالَةِ الْحَطَبِ؟

غَرَّاءَ شَادِخَةٍ فِي الْمَجْدِ غُرَّتُهَا ... كَانَتْ سَلِيلَةَ شَيْخٍ ثَاقِبِ الْحَسَبِ[3]

---

(١) إن سرك الإرواء غير سائق ... فاعجل بغرب مثل غرب طارق

ومسد أمر من أيانق ... ليس بأنياب ولا حقائق

ولا ضعاف مخهن زاهق

لعمارة بن طارق. يقول: إن سرك الاستسقاء حال كونك غير سائق للإبل التي يسقي عليها، فأسرع إلى ماء بئر بدلو عظيمة مثل دلو طارق أبي. وبحبل أمر: بالبناء للمجهول. أي: فتل فتلًا شديدًا. من أيانق، أي: من أوبارها، أو من جلودها. والأيانق: جمع أينق. والأينق: جمع نوق. والنوق: جمع ناقة، ليس ذلك الحبل أنيابًا، أي: نوقًا مسنة، ولا حقائق: أي فتيات، ولا ضعافًا: أي ليس من هذه الأنواع التي تساق بمشقة ففي هذا التنويع تتغير عنها. ويروى: لسن، أي: النوق التي يفتل منها. والأشبه: أن حق الرواية مع أيانق، أي: أعجل بحبل مفتول من الليف الأبيض. ونوق شداد: لا تحتاج إلى السوق. ومخهن زاهق: قال الفراء: هو مرفوع، والشعر مكفا. يقول: بل مخهن مكتنز سمين على الابتداء، وهذا مما يؤيد رواية: لسن بالنوق. وقال غيره: الزاهق هنا الذاهب، وهو مجرور بالعطف، أي: ولإضعاف مخهن. وزاهق بالجر ردًا على ضعاف، فكأنه رفع مخهن بضعاف.

ينظر: تاج العروس (زهق) لعمارة بن طارق، ولعثمان بن طارق في لسان العرب (زهق).

(٢) قوله: «من المواهن لتمتعض» جمع ماهن وهي الخادم. والامتعاض: الغضب. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) البيتان من روح المعاني للألوسي ٣٣٨/١٥ وهو تعبير الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب. وحمالة الحطب: زوجة أبي لهب؛ فهي جدته. والغراء البيضاء. والشادخة: المتسعة؛ وذلك مجاز =

ويحتمل أن يكون المعنى: أنّ حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك؛ فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها حبل من ما مسد من سلاسل النار؛ كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة»/ ٢/ ٢٧٥ب (١٨٢٨).

١٨٢٨ ـ تقدم برقم (٣٤٦) قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب. ا. هـ.

= عن الظهور وارتفاع المقدار. والسليلة من سل من غيره، والمراد بالشيخ: أبوها حرب، لأنها أم جميل أخت أبي سفيان بن حرب، كانت عوراء، وماتت مخنوقة بحبلها الذي كانت تحمل فيه الحطب. وقيل: حمل الحطب مجاز عن إثارة الفتنة، لأنها كانت نمامة. وإلى شتمي: متعلق بمحذوف أو بأردت على طريق التضمين، أي: أي شيء أردته مائلاً أنت إلى شتمي، أو منضمًا هو إلى شتمي. أو ما الذي أردته من شتمي أو مع شتمي؟ هل أردت أنك شريف لا عيب فيك. ويجوز أن إلى بمعنى من كما قال النحاة، واستشهدوا عليه بقوله [من الطويل]:

تقول وقد عاليت بالكور فوقها ... أَيُسْقَىٰ فلا يروى إلى ابن أحمرا؟

ويمكن أنها للمصاحبة، كما قالوه أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ وتعير: أصله تتعير، فحذف منه إحدى التاءين. أما تتعير من جدتك النمامة لا ينبغي عدم ذلك. وروي: ثاقب الحسب. والمعنى: أن حسبه أصيل، فكأنه داخل في أجداد السابقين، أو سائر بين الناس؛ وذمها الآن مع رفعة شأنها فيما كان: أشد في الامتهان.

سورة الإخلاص

مكية، وقيل: مدنية، وآياتها أربع
[نزلت بعد الناس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾

﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، و﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو الشأن، كقولك: هو زيد منطلق، كأنه قيل: الشأن هذا، وهو أن الله واحد لا ثاني له. فإن قلت: ما محل هو؟ قلت: الرفع على الابتداء والخبر الجملة. فإن قلت: فالجملة الواقعة خبرًا لا بد فيها من راجع إلى المبتدأ، فأين الراجع؟ قلت: حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك: «زيد غلامك» في أنه هو المبتدأ في المعنى، وذلك أن قوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو الشأن الذي هو عبارة عنه، وليس كذلك «زيد أبوه منطلق» فإن زيدًا والجملة يدلان على معنيين مختلفين، فلا بد مما يصل بينهما. وعن ابن عباس: قالت قريش: يا محمد، صف لنا ربك الذي تدعونا إليه، فنزلت: يعني: الذي سألتموني وصفه هو الله، وأحد: بدل من قوله، «الله». أو على: هو أحد، وهو بمعنى واحد، وأصله وحد. وقرأ عبد الله وأبيّ: «هو الله أحد» بغير ﴿قُلْ﴾ وفي قراءة النبي ﷺ: «الله أحد» بغير ﴿قُلْ هُوَ﴾ وقال من قرأ: الله أحد، كان بعدل القرآن. وقرأ الأعمش: «قل هو الله الواحد». وقرئ: «أحد الله» بغير تنوين، أسقط لملاقاته لام التعريف. ونحوه [من المتقارب]:

.... وَلاَ ذَاكِرَ اللَّهَ إلاّ قَلِيلاَ[1]

---

(١) تقدم.
وينظر البيت لأبي الأسوَد الدؤلي في ديوانه ص ٥٤، والأغاني ١٢/ ٣١٥، والأشباه والنظائر ٦/ ٢٠٦، وخزانة الأدب ١١/ ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٧٩، والدرر ٦/ ٢٨٩، وشرح أبيات سيبويه ١/ ١٩٠، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٣٣، والكتاب ١/ ١٦٩، ولسان العرب (عتب)، (عسل)، والمقتضب ٢/ ٣١٣، والمنصف ٢/ ٢٣١، وبلا نسبة في الإنصاف ٢/ ٦٥٩، ورصف المباني ص =

والجيد هو التنوين، وكسره لالتقاء الساكنين. و﴿ٱلصَّمَدُ﴾ فعل بمعنى مفعول، من صمد إليه إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج. والمعنى: هو الله الذي تعرفونه وتقرّون بأنه خالق السمٰوات والأرض وخالقكم، وهو واحد متوحد بالإلٰهية لا يشارك فيها، وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه، وهو الغني عنهم ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنه لا يجانس، حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا. وقد دلّ على هذا المعنى بقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأنّ كل مولود محدث وجسم، وهو قديم لا أوّل لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه أحد، أي: لم يماثله ولم يشاكله. ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح، نفيًا للصاحبة: سألوه أن يصفه لهم، فأوحى إليه ما يحتوي على صفاته، فقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ إشارة لهم إلى من هو خالق الأشياء وفاطرها، وفي طيّ ذلك وصفه بأنه قادر عالم؛ لأنّ الخلق يستدعي القدرة والعلم، لكونه واقعًا على غاية إحكام واتساق وانتظام. وفي ذلك وصفه بأنه حيّ سميع بصير. وقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ وصف بالوحدانية ونفي الشركاء. وقوله: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ وصف بأنه ليس إلاّ محتاجًا إليه، وإذا لم يكن إلاّ محتاجًا إليه: فهو غني. وفي كونه غنيًا مع كونه عالمًا: أنه عدل غير فاعل للقبائح(١)، لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه. وقوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ وصف بالقدم والأوّلية. وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ نفي للشبه والمجانسة. وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾ تقرير لذلك وبت للحكم به، فإن قلت: الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم، وقد نصّ سيبويه على ذلك في كتابه(٢)، فما باله مقدّمًا في أفصح كلام وأعربه؟ قلت: هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه؛ وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهم شيء وأعناه، وأحقه بالتقدم وأحراه(٣). وقرئ: «كفئًا» بضم الكاف والفاء. وبضم

= ٤٩، ٣٥٩، وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٥٣٤، وشرح المفصل ٢/ ٦، ٩/ ٣٤، ٣٥، ومجالس ثعلب ص ١٤٩، ومغني اللبيب ٢/ ٥٥٥، وهمع الهوامع ٢/ ١٩٩.

(١) قوله: «إنه عدل غير فاعل للقبائح» هذا مذهب المعتزلة، وذهب أهل السنة إلى أنه تعالى هو الخالق لجميع الأشياء خيرها وشرها قبيحها وحسنها. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وعلمه بقبح القبيح لا يمنعه من خلقه، لأنه لحكمة وإن لم يعلمها غيره. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف وقد نص سيبويه على ذلك» قال أحمد: نقل سيبويه أنه سمع بعض الجفاة من العرب يقرأ: ولم يكن أحدًا كفوًا له، وجرى هذا الجلف على عادته فجفا طبعه عن لطف المعنى الذي لأجله اقتضى تقديم الظرف مع الخبر على الاسم، وذلك أن الغرض الذي سيقت له الآية نفي المكافأة والمساواة عن ذات الله تعالى، فكان تقديم المكافأة المقصود بأن يسلب عنه أولى، ثم لما قدمت لتسلب ذكر معها الظرف ليبين الذات المقدسة بسلب المكافأة، والله أعلم.

(٣) قال السمين الحلبي: وقال الشيخ بعد أن حكى كلام الزمخشري ومكي وهذه الجملة ليست من هذا =

الكاف وكسرها مع سكون الفاء: فإن قلت: لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها؟ قلت: لأمر ما يسود من يسود، وما ذاك إلا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده، وكفى دليلاً من اعترف بفضلها وصدّق بقول رسول الله ﷺ فيها: إنّ علم التوحيد من الله تعالى بمكان، وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم: يشرف بشرفه، ويتضع بضعته؛ ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى وصفاته، وما يجوز عليه وما لا يجوز، فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله، وإنافته على كل علم، واستيلائه على قصب السبق دونه؛ ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه، وقلة تعظيمه له، وخلوّه من خشيته، وبعده من النظر لعاقبته. اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين

= الباب، وذلك أن قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ ليس الجار والمجرور فيه تامًا إنما هو ناقص لا يصلح أن يكون خبرًا لكان بل هو متعلق بكفوًا وقدم عليه. فالتقدير: ولم يكن أحد كفوًا له. أي مكافئًا له فهو في معنى المفعول متعلق بكفوًا. وتقدم على «كفوًا» للاهتمام به إذ فيه ضمير الباري تعالى، توسط الخبر وإن كان الأصل التأخر لأن تأخر الاسم هو فاصلة فحسن ذلك، وعلى هذا الذي قررناه يبطل إعراب مكي وغيره أن «له» الخبر و«كفوًا» حال من «أحد» لأنه ظرف ناقص لا يصلح أن يكون خبرًا ويبطل بذلك سؤال الزمخشري، وجوابه، وسيبويه إنما تكلم في الظرف الذي يصلح أن يكون خبرًا وأن لا يكون. قال سيبويه وتقول: ما كان فيها أحد خير منك، وما كان أحد مثلك فيها، وليس أحد فيها خير منك: إذا جعلت فيها مستقرًا ولم تجعله على قولك، فيها زيد قائم أجريت الصفة على الاسم، فإن جعلته على: فيها زيد قائم نصبت. فتقول: ما كان فيها أحد خيرًا منك وما كان أحد خيرًا منك فيها. إلاّ أنك إذا أردت الإلغاء فكلّما أخرت الملغى فهو أحسن، وإذا أردت أن يكون مستقرًا فكلما قدمته كان أحسن والتقديم والتأخير والإلغاء والاستقرار عربي جيد كثير قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ وقال الشاعر [من الرجز]:

. . . . مَا دامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حيًّا

انتهى كلام سيبويه، فأنت ترى كلامه وتمثيله بالظرف الذي يصلح أن يكون خبرًا، ومعنى قوله: مستقرًا أي خبرًا للمبتدأ أو لكان: فإن قلت: فقد مثل بالآية، قلت: هذا الذي أوقع مكيًا والزمخشري وغيرهما فيما وقعوا فيه، وإنما أراد سيبويه أن الظرف التام وهو في قوله:

. . . . مَا دامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حيًّا

أجريَ فضلة لا خبرًا كما أن «له» في الآية أجري فضلة، فجعل الظرف القابل أن يكون خبرًا كالظرف الناقص في كونه لم يستعمل خبرًا ولا يشك من له ذهن صحيح أنه لا ينعقد كلام من قوله: ولم يكن له أحد بل لو تأخر «كفوًا» وارتفع على الصفة وجعل «له» خبرًا لم ينعقد منه كلام بل ترى أن النفي لم يتسلط إلا على الخبر الذي هو «كفوًا» و«له» متعلق به، والمعنى: ولم يكن له أحد مكافئة انتهى.

ما قاله الشيخ. قوله: ولا يشك إلى آخره فهو ثابت على الناظر، وإلا فقوله: هذا الظرف ناقص ممنوع، لأن الظرف الناقص عبارة عما لم يكن في الإخبار به فائدة كالمقطوع عن الإضافة ونحو في دار رجل، وقد نقل عن سيبويه الأمثلة المتقدمة نحو: ما كان فيها أحد خير منك، وما الفرق بين هذا والآية الكريمة؟ وكيف يقول هذا؟ وقد قال سيبويه في آخر كلامه، والتقديم والتأخير والإلغاء والاستقرار عربي جيد كثير. انتهى. الدر المصون

لك، القائلين بعدلك وتوحيدك، الخائفين من وعيدك. وتسمى سورة الأساس لاشتمالها على أصول الدين، وروى أبيّ وأنس عن النبي ﷺ: «أسست السمٰوات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد» (١٨٢٩) يعني ما خلقت إلاّ لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته/ ٢/ ٢٧٦أ التي نطقت بها هذه السورة. عن رسول الله ﷺ: أنه سمع رجلاً يقرأ: قل هو الله أحد فقال: «وجبت». قيل: يا رسول الله وما وجبت؟ قال: «وجبت له الجنة» (١٨٣٠).

١٨٢٩ ـ قال الزيلعي (٤/ ٣٣١): غريب وقال الحافظ: لم أجده مرفوعًا.

وقال الزيلعي: «روى ابن أبي شيبة في كتابه المفرد في فضائل القرآن ـ وهو مجلد لطيف ـ ثنا الحسن بن موسى، ثنا أبو هلال عن قتادة، عن عبد الله بن غيلان الثقفي أنه كان أميرًا على البصرة فقال: حدثني هذا الرجل الصالح كعب الأحبار. أن الله تبارك وتعالى أسس الأرضين على «قل هو الله أحد».

قال الحافظ: لم أجده مرفوعًا «وأخرجه ابن أبي شيبة في فضائل القرآن من رواية عبد الله بن غيلان الثقفي عن كعب الأحبار موقوفًا». انتهى.

١٨٣٠ ـ روي من حديث أبي هريرة وأبي أمامة.

أما حديث أبي هريرة: فرواه الترمذي (٥/ ١٦٧ ـ ١٦٨) كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص الحديث (٢٨٩٧). والنسائي (٢/ ١٧١) كتاب الافتتاح، باب الفضل في قراءة قل هو الله أحد.

وفي التفسير رقم (٧٣٥) والحاكم (١/ ٥٦٦) وصححه ووافقه الذهبي ومالك في الموطأ (١/ ٢٠٨) من حديث أبي هريرة يقول: أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلاً يقرأ «قل هو الله أحد» فقال رسول الله ﷺ: «وجبت» قلت ما وجبت؟ قال: «الجنة» والحديث عزاه الزيلعي للبيهقي في الشعب.

وأما حديث أبي أمامة: بنحو حديث أبي هريرة رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٦٦) والطبراني في الكبير (٨/ ٢٥٦) رقم (٧٨٦٦) من حديث علي بن زيد عن القاسم، عن أبي أمامة قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٤٨):

«رواه أحمد والطبراني وفيه علي بن زيد وهو ضعيف» ا.هـ.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم من حديث عبيد بن حنين عن أبي هريرة. وله شاهد في الطبراني الكبير من حديث أبي أمامة. انتهى.

سورة الفلق

مكية، وقيل: مدنية وآياتها خمس
[نزلت بعد الفيل]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾

الفلق والفرق: الصبح، لأنّ الليل يفلق عنه ويفرق: فعل بمعنى مفعول. يقال في المثل: هو أبين من فلق الصبح، ومن فرق الصبح. ومنه قولهم: سطع الفرقان، إذا طلع الفجر. وقيل: هو كل ما يفلقه الله، كالأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحبّ عن النوى وغير ذلك. وقيل: هو واد في جهنم أوجبّ فيها من قولهم لما اطمأن من الأرض، الفلق، والجمع: فلقان. وعن بعض الصحابة أنه قدم الشام فرأى دور أهل الذمّة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم، فقال: لا أبالي، أليس من ورائهم الفلق؟ فقيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدّة حرّه ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)﴾ من شرّ خلقه. وشرّهم[1]: ما يفعله المكلفون[2] من الحيوان من المعاصي والمآثم، ومضارة بعضهم بعضًا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك، وما يفعله غير المكلفين منه من الأكل والنهس واللدغ والعضّ كالسباع والحشرات، وما وضعه الله في الموات من أنواع

---

(١) قوله: «من شر خلقه وشرهم» لعله وشره، أي: شر خلقه حيوانًا أو مواتًا. (ع)

(٢) قال محمود: «معناه من شر خلقه، أي من شر ما يفعله المكلفون... إلخ» قال أحمد: لا يسعه على قاعدته الفاسدة التي هي من جملة ما يدخل تحت هذه الاستعاذة إلا صرف الشر إلى ما يعتقده خالقًا لأفعاله، أو لما هو غير فاعل له ألبتة كالموات: وأما صرف الاستعاذة إلى ما يفعله الله تعالى بعباده من أنواع المحن والبلايا وغير ذلك، فلا؛ لأنه يعتقد أن الله لا يخلق أفعال الحيوانات، وإنما هم يخلقونها لأنها شر، والله تعالى لا يخلقه لقبحه: كل ذلك تفريع على قاعدة الصلاح والأصلح التي وضح فسادها، حتى حرف بعض القدرية الآية، فقرأ: من شر ما خلق بتنوين شر وجعل ما نافية.

الضررِ كالإحراق في النار والقتل في السم. والغاسق: الليل إذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] ومنه: غسقت العين امتلأت دمعًا، وغسقت الجراحة: امتلأت دمًا. ووقوبه: دخول ظلامه في كل شيء، ويقال: وقبت الشمس إذا غابت. وفي الحديث: لما رأى الشمس قد وقبت قال: هذا حين حلها، يعني صلاة المغرب (١٨٣١). وقيل: هو القمر إذا امتلأ، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأشار إلى القمر فقال: «تعوّذي بالله من شرّ هذا، فإنه الغاسق إذا وقب» (١٨٣٢). ووقوبه: دخوله في الكسوف واسوداده. ويجوز أن يراد بالغاسق: الأسود من الحيات: ووقبه: ضربه ونقبه. والوقب: النقب. ومنه: وقبة الثريد؛ والتعوّذ من شرّ الليل؛ لأن انبثاثه فيه أكثر، والتحرّز منه أصعب. ومنه قولهم: الليل أخفى للويل. وقولهم: أغدر الليل؛ لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر وأسند الشرّ إليه لملابسته له من حدوثه فيه ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ النساء، أو النفوس، أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدًا في خيوط وينفثن عليها[1] ويرقين، والنفث النفخ مع ريق، ولا تأثير لذلك،[2] اللهم إلاّ إذا كان ثم إطعام شيء ضارّ، أو سقيه، أو إشمامه. أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه؛ ولكن الله عزّ وجلّ قد يفعل عند ذلك فعلاً على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحقّ من الحشوية

١٨٣١ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٣٣٥) لأبي عبيد القاسم بن سلام في كتابه غريب الحديث من طريق عبيد الله بن عقبة مرسلاً.
قال الحافظ: أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث من طريق عبيد الله مرسلاً انتهى.

١٨٣٢ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٢) كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة المعوذتين الحديث (٣٣٦٦) والنسائي في التفسير (٢/ ٦٢٣) رقم (٧٦٣) وأحمد (٦/ ٦١، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٣٧، ٢٥٢) والطيالسي رقم (١٤٨٦) وأبو يعلى رقم (٤٤٤٠) وعبد بن حميد رقم (١٥١٧ ـ منتخب). والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٠ ـ ٥٤١) وصححه ووافقه الذهبي.
وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/ ٤١٨) لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه كلهم عن عائشة وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٣٣٦) لابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه.
قال الحافظ: أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم وأحمد وإسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلى كلهم من طريق ابن أبي ذئب عن خالد الحرث بن عبد الرحمن، عن أبي سلمة عنها. انتهى.

---

(١) قال محمود: «هن السواحر اللائي يعقدن الخيوط وينفثن عليها... إلخ» قال أحمد: وقد تقدم أن قاعدة القدرية إنكار حقيقة السحر، على أن الكتاب والسنة قد وردا بوقوعه والأمر بالتعوذ منه. وقد سحر ﷺ في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر. والحديث مشهور؛ وإنما الزمخشري استفزه الهوى حتى أنكر ما عرف، وما به إلا أن يتبع اعتزاله ويغطي بكفه وجه الغزالة.

(٢) قوله: «ولا تأثير لذلك» مبني على مذهب المعتزلة من أنه لا حقيقة للسحر ولا تأثير له. وذهب أهل السنة إلى إثباته وإثبات تأثيره لظاهر الكتاب والسنة. (ع)

والجهلة من العوام، فينسبه الحشوية والرعاع[1] إليهنّ وإلى نفثهن، والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبئون به. فإن قلت: فما معنى الاستعاذة من شرّهن[2]؟ قلت: فيها ثلاثة أوجه، أحدها: أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن إثمهنّ في ذلك. والثاني: أن يستعاذ من فتنتهنّ الناس بسحرهنّ وما يخدعنهم به من باطلهن. والثالث: أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشرّ عند نفثهن، ويجوز أن يراد بهنّ النساء الكيادات، من قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] تشبيهًا لكيدهن بالسحر والنفث في العقد. أو اللاتي يفتنّ الرجال بتعرضهنّ لهم ومحاسنهنّ، كأنهنّ يسحرنهم بذلك ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ أي إذا ظهر حسده، وعمل بمقتضاه: من بغي الغوائل للمحسود، لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده، بل هو الضارّ لنفسه لاغتمامه بسرور غيره. وعن عمر بن عبد العزيز: لم أر ظالمًا أشبه بالمظلوم من حاسد. ويجوز أن يراد بشرّ الحاسد: إثمه وسماجة حاله في وقت حسده، وإظهاره أثره. فإن قلت: قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝﴾ تعميم في كل ما يستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد؟ قلت: قد خصّ شرّ هؤلاء من كلّ شرّ لخفاء أمره، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم، كأنما يغتال به. وقالوا: شر العداة المداجي الذي يكيدك من/ ٢/ ٢٧٦ب حيث لا تشعر. فإن قلت: فلم عرّف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه؟ قلت: عرفت النفاثات، لأن كل نفاثة شرّيرة، ونكر غاسق، لأنّ كل غاسق لا يكون فيه الشرّ، إنما يكون في بعض دون بعض، وكذلك كل حاسد لا يضرّ. ورب حسد محمود، وهو الحسد في الخيرات. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا حسد إلاّ في اثنتين» (١٨٣٣) وقال أبو تمام [من الطويل]:

١٨٣٣ ـ ورد ذلك من حديث ابن مسعود، وابن عمر، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري فأما حديث ابن مسعود رواه البخاري ١/ ١٩٩ في العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة (٧٣)، و ٣/ ٣٢٥ في الزكاة، باب إنفاق المال في حقه (١٤٠٩) و ١٣/ ١٢٨ في الأحكام، باب أجر من قضى بالحكمة (٧١٤١). وفي الاعتصام، باب ما جاء في اجتهاد القضاء بما أنزل الله تعالى (٧٣١٦). ومسلم ١/ ٥٥٩ في صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن (٢٦٨/ ٨١٦). وابن ماجه ٢/ ١٤٠٧ في الزهد، باب الحسد (٤٢٠٨). وأحمد ١/ ٣٨٥، ٤٣٢، والحميدي في ١/ ٥٥ برقم (٩٩)، وأبو يعلى (٥٠٧٨)، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٣٦٣ والبغوي في شرح السنة ١/ ٢٣٦ برقم (١٣٨) من =

---

(١) قوله: «فينسب الحشوية والرعاع» في الصحاح «الرعاع»: الأحداث الطغام. وفيه «الطغام»: أوغاد الناس وفيه «الوغد»: الرجل الدنيء الذي يخدم بطعام بطنه. (ع)

(٢) قال محمود: «فإن قلت: ما معنى الاستعاذة من شرهن، وأجاب. . . إلخ» قال أحمد: وهذا من الطراز الأول قعد عنه جانبًا، ولو فسر غيره النفاثات في العقد بالمتخبلات من النساء ولسن ساحرات حتى يتمم إنكار وجود السحر: لعده من يدع التفاسير.

. . . . وَمَا حَاسِدِي فِي الْمَكْرُمَاتِ بِحَاسِدِ(1)

وقال [من البسيط]:

. . . . إِنَّ الْعُلاَ حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا الْحَسَدُ(2)

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ المعوّذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها» (١٨٣٤).

= طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه مرفوعًا «لا حسد إلاّ في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

وأما حديث ابن عمر فرواه البخاري ٨/ ٦٩١ في فضائل القرآن: باب اغتباط صاحب القرآن (٥٠٤٥) و ١٣/ ٥١١ في التوحيد: باب قول النبي ﷺ «رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار» (٧٥٢٩) ومسلم في المصدر السابق، (٢٦٦) والترمذي ٤/ ٢٩١ في البر والصلة، باب ما جاء في الحسد (١٩٣٦) من طريق الزهري، عن سالم عنه مرفوعًا «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفق آناء الليل وآناء النهار».

وأما حديث أبي هريرة فرواه البخاري ٨/ ٦٩١ في فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن (٥٠٢٦)، و ١٣/ ٢٣٣ في التمني في باب تمني القرآن والعلم (٧٢٣٢) وفي التوحيد، باب قول النبي ﷺ: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار» (٧٥٢٨)، وأحمد ٢/ ٤٧٩ من طريقين فيه مرفوعًا «لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار» فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان. فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق: فقال رجل: «ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل».

وأما حديث أبي سعيد فرواه أحمد ٢/ ٤٧٩، وأبو يعلى (١٠٨٥) عن الأعمش عن أبي صالح عنه مرفوعًا بمثل حديث أبي هريرة.

وذكره الهيثمي في المجمع ٣/ ١١١ وقال رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

قال الحافظ: متفق عليه من حديث ابن مسعود، ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما، والبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. انتهى.

١٨٣٤ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب، وقد مضى غير مرة أنها واهنة، وأن الحديث المرفوع في ذلك موضوع والله أعلم. انتهى.

---

(١) وإنـي لـمحسـود وأعـذر حـاسـدي ... وما حاسدي في المكرمات بحاسد

لأبي تمام. يقول: إني جامع للخصال الحميدة، فالحسد كناية عن ذلك. وعذر يعذر كضرب يضرب، أي: أن حاسدي معذور لحسن صفاتي وعظمها، وليس الحاسد في الخصال الحميدة بحاسد مذموم، بل مغتبط ممدوح.

(٢) فافخر فما من سماء للعلا ارتفعت ... إلا وأفعالك الحسنى لها عمد

واعذر حسودك فيما قد خصصت به ... إن العلا حسن في مثلها الحسد

لأبي تمام. وشبه القدر المرتفع بالسماء، واستعارها له على طريق التصريح، والارتفاع ترشيح، لأنه خاص بالمحسوسات وشبه الأفعال الجميلة بأعمدة السماء تشبيهًا بليغًا، لأن بها الارتفاع المعنوي.

سورة الناس

مكية، وقيل: مدنية، وآياتها ٦ [نزلت بعد الفلق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾

قرئ: قل أعوذ، بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام، ونحوه. ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً﴾ [البقرة: ٢٦٠] فإن قلت: لم قيل[1] ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ مضافًا إليهم خاصة؟ قلت: لأنّ الاستعاذة وقعت من شرّ الموسوس في صدور الناس، فكأنه قيل: أعوذ من شرّ الموسوس إلى الناس بربهم الذي تملك عليهم أمورهم، وهو إلههم ومعبودهم، كما يستغيث بعض الموالي إذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي أمرهم. فإن قلت: ﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ ما هما من ربّ الناس؟ قلت: هما عطف بيان، كقولك: سيرة أبي حفص عمر الفاروق. بين بملك الناس، ثم زيد بيانًا بإله الناس، لأنه قد يقال لغيره: رب الناس، كقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وقد يقال: ملك الناس. وأمّا ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣﴾ فخاص لا شركة فيه، فجعل غاية للبيان. فإن قلت: فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرّة واحدة؟ قلت: لأنّ عطف البيان للبيان، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ اسم بمعنى الوسوسة، كالزلزال بمعنى الزلزلة. وأمّا المصدر فوسواس بالكسر كزلزال. والمراد به الشيطان، سمي

---

(١) قال محمود: «إن قلت: لم أضاف اسمه تعالى إليهم خاصة وهو رب كل شيء... إلخ» قال أحمد: وفي التخصيص جرى على عادة الاستعطاف، فإنه معه أتم. عاد كلامه قال: وإله الناس عطف بيان لملك الناس. أو كلاهما عطف بيان للأول، والثاني أبين: لأن ملك الناس قد يطلق لغير الله تعالى، وأما إله الناس فلا يطلق إلا له عز وجل، فجعل غاية للبيان، وزيد البيان بتكرار ظاهر غير مضمر؛ والله سبحانه وتعالى أعلم. هذا ما يسر الله من القول، وإني أبرأ إلى الله تعالى من القوة والحول، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه، لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه. أو أريد ذو الوسواس. والوسوسة: الصوت الخفيّ. ومنه: وسواس الحلي. و﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي عادته أن يخنس، منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعوّاج والبتات[1]، لما روي عن سعيد بن جبير: إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى، فإذا غفل وسوس إليه ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ يجوز في محله الحركات الثلاث، فالجر على الصفة، والرفع والنصب على الشتم، ويحسن أن يقف القارئ على ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ ويبتدئ ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ على أحد هذين الوجهين ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان للذي يوسوس، على أن الشيطان ضربان: جني وإنسي، كما قال ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١٢] وعن أبي ذرّ ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لرجل: هل تعوذت بالله منَ شيطان الإنس؟ ويجوز أن يكون (من) متعلقًا بيوسوس، ومعناه: ابتداء الغاية، أي: يوسوس في صدورهم من جهة الجنّ ومن جهة الناس، وقيل: من الجنّة والناس بيان للناس، وأن اسم الناس ينطلق على الجنة، واستدلّوا (بنفر) و (رجال): في سورة الجن. وما[2] أحقه؛ لأن الجن سموا «جنا» لاجتنانهم، والناس «ناسًا» لظهورهم، من الإيناس وهو الإبصار، كما سموا بشرًا؛ ولو كان يقع الناس على القبيلين، وصحّ ذلك وثبت: لم يكن مناسبًا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع. وأجود منه أن يراد بالناس: الناسي، كقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] وكما قرئ: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] ثم يبين بالجنة والناس؛ لأنّ الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عزّ وجلّ.

عن رسول الله ﷺ: «لقد أنزلت عليّ سورتان ما أنزل مثلهما، وإنك لن تقرأ سورتين أحبّ ولا أرضى عند الله منهما» (١٨٣٥) يعني: المعوّذتين. ويقال للمعوّذتين: المقشقشتان.

قال عبد الله الفقير إليه: وأنا أعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة، وألوذ

١٨٣٥ ـ قال الزيلعي (٤/٣٤١): غريب بهذا الإسناد قال الحافظ: لم أجده بهذا اللفظ. وأوله في مسلم بمعناه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه «أن النبي ﷺ قال له. ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ وآخره في ابن حبان من حديث عقبة بمعناه. وأيضًا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأن يقرأ سورة أحب إلى الله ولا أبلغ من قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس، فإن استطعت أن لا تدعهما في صلاة فافعل». انتهى.

---

(١) قوله: «كالعواج والبتات» بائع العاج، وبائع البتوت: وهي ضرب من الثياب. (ع)

(٢) قوله: «وما أحقه» في الصحاح: حققت الأمر: واحتققته: إذا تحققته وصرت منه على يقين. (ع)

بكنف رحمته الشاملة العامّة من كل ما يكلم الدين، ويثلم اليقين، أو يعود في العاقبة بالندم، أو يقدح في الإيمان المسوط باللحم/ ٢/ ٢٧٧أ والدم[١]، وأسأله بخضوع العنق وخشوع البصر، ووضع الخدّ لجلاله الأعظم الأكبر، مستشفعًا إليه بنوره الذي هو الشيبة في الإسلام، متوسلاً بالتوبة الممحصة للآثام، وبما عنيت به من مهاجرتي إليه ومجاورتي، ومرابطتي بمكة ومصابرتي، على تواكل من القوى، وتخاذل من الخطا، ثم أسأله بحق صراطه المستقيم، وقرآنه المجيد الكريم، وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين، في عمل الكشاف عن حقائقه، المخلص عن مضايقه، المطلع على غوامضه، المثبت في مداحضه، الملخص لنكته ولطائف نظمه، المنقر عن نقره وجواهر علمه، المكتنز بالفوائد المفتنة التي لا توجد إلاّ فيه، المحيط بما لا يكتنه من بدع ألفاظه[٢] ومعانيه، مع الإيجاز الحاذف للفضول، وتجنب المستكره المملول؛ ولو لم يكن في مضمونه إلاّ إيراد كل شيء علىَ قانونه، لكفى به ضالة ينشدها محققة الأخبار، وجوهره يتمنى العثور عليها غاصة البحار، وبما شرفني به ومجدني، واختصني بكرامته وتوحدني: من ارتفاعه على يدي في مهبط بشاراته ونذره، ومتنزل آياته وسوره، من البلد الأمين بين ظهراني الحرم، وبين يدي البيت المحرّم، حتى وقع التأويل، حيث وجد التنزيل: أن يهب لي خاتمة الخير، ويقيني مصارع السوء، ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد، ولا يفضحني بها على رءوس الأشهاد؛ ويحلني دار المقامة من فضله، بواسع طوله وسابغ نوله، إنه هو الجواد الكريم، الرءوف الرحيم.

---

(١) قوله: «المسوط باللحم والدم» أي: المخلوط. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «من بدع ألفاظه» في الصحاح «شيء بدع» بالكسر: أي مبتدع. وفلان بدع في هذا الأمر، أي: بديع. (ع)

فهرس القراءات

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
١٠	﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً	مَرْضٌ ـ مَرْضاً	١/ ١٧٧
	بما كانوا يكذبون﴾	يُكَذِّبُون	١٧٨١
١٥	﴿الله يستهزى بهم ويمدهم	وَيُمِدُّهم	١/ ١٨٦
	في طغيانهم﴾	طِغْيَانِهِمْ	١٨٦١
١٧	﴿فلما أضاءت	ضَاءَتْ	١/ ١٩٢
	ذهب الله بنورهم	أَذْهَبَ اللَّهُ نورَهم	١/ ١٩٣
	ظلمات﴾	ظلمة	١/ ١٩٤
١٨	﴿أو كصيب	كَصَائِبٍ	١/ ٢٠٣
	حذر الموت﴾	حَذَارِ	١/ ٢٠٦
٢٠	﴿يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم	يَخْطِفُ ـ يختطف ـ	١/ ٢٠٧
	وإذا أظلم	يَخَطِّف ـ يِخِطِّف ـ	١/ ٢٠٧
	لذهب بسمعهم﴾	يتخطف.	١/ ٢٠٧
		ضَاءَ لهم	
		أُظْلِمَ	١/ ٢٠٨
		لأذهب بأسماعهم	
٢١	﴿الذي خلقكم	الذي خَلَقْكُمْ	١/ ٢١٢
	والذين من قبلكم﴾	مَنْ قَبْلَكُم	١/ ٢١٢
٢٢	﴿فراشاً	بِسَاطاً ـ مِهَاداً	١/ ٢١٥
	أنداداً﴾	نِدّاً	١/ ٢١٧
٢٣	﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا	أَنْزَلْنَا	١/ ٢١٨
	على عبدنا﴾	على عِبَادنا	١/ ٢١٨
٢٤	﴿أعدت للكافرين﴾	أَعْتَدَتْ	١/ ٢٢٥
٢٥	﴿وبشر الذين آمنوا	وبُشِّرَ	١/ ٢٢٨
	أزواج مطهرة﴾	مُطَهَّرَات	١/ ٢٣٤
٢٦	﴿لا يستحي به	لا يستحي	١/ ٢٣٨
	بعوضة فما فوقها	بعوضةٌ	١/ ٢٣٩
	إني جاعل في الأرض خليفة﴾	جاعل في الأرض خَليقة	١/ ٢٥١
٣٠	﴿ويسفك الدماء﴾	يَسْفُك ـ ويُسْفك ـ	١/ ٢٥٢

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣١	﴿وعلم آدم﴾	وعُلِّمَ آدَمُ	٢٥٣/١
٣٢	﴿ثم عرضهم﴾	عَرَضَهُنَ ـ عَرَضَهَا	٢٥٣/١
٣٣	﴿قال يا آدم أنبئهُمْ﴾	أَنْبِيهِم ـ أَنْبِهِم	٢٥٣/١
٣٤	﴿وإذا قلنا للملائكة اسجدوا﴾	للملائكةُ اسجدُوا	٢٥٤/١
٣٥	﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾	تِقْربا هذي الشجرة ـ الشِّيرة.	٢٥٤/١
٣٦	﴿فأزلهما الشيطان عنها﴾	فأزالهما	٢٥٥/١
٣٧	﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾	آدمَ ـ كلماتٌ	٢٥٦/١
٣٨	﴿فمن اتبع هداي	فمن تبع هُدَيَّ	٢٥٧/١
	فلا خوف﴾	فلا خوفَ	٢٥٧/١
٤٠	﴿أوف بعهدكم﴾	أُوَفِّ	٢٥٨/١
٤٢	﴿وتكتموا الحق﴾	تكتمون	٢٦٠/١
٤٨	﴿واتقوا يوماً لا تجزى نفس	لا تُجزىء نفس	٢٦٤/١
	ولا يقبل	ولاَ يَقْبَلُ	٢٦٦/١
	شفاعة﴾	شفاعةً	٢٦٦/١
٤٩	﴿وإذ أنجيناكم	أَنْجَيْتُكُم	٢٦٧/١
	يذبحون أبناءكم﴾	يَذْبحون ـ يقتلون	٢٦٧١
٥٠	﴿وإذ فرقنا﴾	فرّقنا	٢٦٨/١
٥١	﴿وإذ واعدنا﴾	وَعَدْنا	٢٦٩/١
٥٥	﴿حتى نرى الله جهرة	جَهَرَة	٢٧٠/١
	فأخذتكم الصاعقة﴾	الصعقة	٢٧١/١
٥٨	﴿وقولوا حطة	حِطَّةً	٢٧٢/١
	نغفر لكم خطاياكم﴾	يُغْفَر لكم ـ تُغْفَر.	٢٧٢/١
٥٩	﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً﴾	رُجْزاً	٢٧٤/١
٦٠	﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة﴾	عَشِرَة ـ عَشَرَة	٢٧٤/١

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦١	﴿من بقلها وقثائها	وقُثائها	١/ ٢٧٥
	وفومها	وثومها	١/ ٢٧٥
	الذي هو أدنى	أدنأ	١/ ٢٧٥
	أهبطوا	اهبُطوا	١/ ٢٧٥
	مصرا	مِصْرَ	١/ ٢٧٦
	ويقتلون النبيين﴾	وَيُقَتِّلُونَ	١/ ٢٧٦
٦٧	﴿أتتخذنا هزواً﴾	هُزُوْاً ـ هُزْءاً	١/ ٢٧٨
٧٠	﴿إن البقر تشابه﴾	تَشَّابه ـ تشابهت ـ متشابهة متشابة ـ إن الباقر يشّابه.	١/ ٢٨٢
٧١	﴿لا ذلول	لا ذلولَ	١/ ٢٨٣
	ولا تسقى الحرث﴾	ولا تُسْقِى	١/ ٢٨٣
٧٤	﴿أو أشد	أشِدَّ	١/ ٢٨٦
	قسوة	قساوة	١/ ٢٨٦
	وإن من الحجارة	وإنْ	١/ ٢٨٧
	لما يتفجر	ينفجر	١/ ٢٨٧
	لما يشقق	يتشقق	١/ ٢٨٧
	لما يهبط	يهبُطُ	١/ ٢٨٧
	عما تعملون﴾	يعملون	١/ ٢٨٧
٧٨	﴿لا يعلمون الكتاب إلاّ أماني﴾	إلا أماني ـ تخفيف	١/ ٢٨٨
٨١	﴿وأحاطت به خطيئته﴾	خطاياه ـ خطيئاته	١/ ٢٨٩
٨٣	﴿لا تعبدون إلاّ الله	ألا تعبدوا	١/ ٢٩٠
	وقولوا للناس حسنا﴾	حَسَناً ـ حُسْنىٰ	١/ ٢٩٠
٨٥	﴿تظاهرون عليهم ـ	تظَّاهرون ـ تتظاهرون ـ	١/ ٢٩٢
	أسارى ـ	تظَّهَّرُن ـ أَسْرى	١/ ٢٩٢
	تفادوهم	تفدوهم	١/ ٢٩٢
	يردون ـ تعملون﴾	تردون ـ يعملون	١/ ٢٩٢
٨٧	﴿وأيدناه بروح القدس﴾	وآيَدْنَاهُ	١/ ٢٩٣
٨٨	﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾	غلُفٌ	١/ ٢٩٦

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٨٩	﴿مصدق﴾	مصدقا	٢٩٦/١
٩٦	﴿أحرص الناس على حياة﴾	على الحياة	٣٠٠/١
٩٧	﴿من كان عدوا لجبريل﴾	جبرئيل - جبرئل جبرالّ - جبرائيل - جبرائل	٣٠١/١، ٣٠٢
٩٨	﴿وجبريل وميكال﴾	ميكائيل - ميكائل -	٣٠٣/١،
		ميكئل - ميكئيل	٣٠٣/١
١٠٠	﴿أو كلما	أوْ كلما	٣٠٤/١
	عاهدوا	عوهدوا - عهدوا	٣٠٤/١
	نبذه فريق منهم﴾	نقضه	
١٠٢	﴿ما تتلوا الشياطين	الشياطون	٣٠٦/١
	على الملكين	الملِكين	٣٠٦/١
	هاروت وماروت	هاروتُ وماروتُ	٣٠٦/١
	وما يعلمان	يُعَلِمَان	٣٠٦/١
	بين المرء وزوجه	المُرْءَ - المرّ	٣٠٦/١
	وما هم بضارين﴾	بضاريّ	٣٠٦/١
١٠٣	﴿لمثوبة من عند الله	لَمَثْوَبَةٌ	٣٠٧/١
	لا تقولوا راعنا	راعونا - راعناً	٣٠٧/١
	وقولوا انظرنا﴾	انظِرنا	٣٠٧/١
١٠٦	﴿ما ننسخ من آية	ما نَنْسِخ -	٣٠٩/١
	أو ننسها﴾ ـ	نُنْسخ	٣٠٩/١
		ننسأها - ننسّها -	٣٠٩/١
		وتنسها - ما نُنْسك	٣٠٩/١
		من آية أو ننسخها، ما ننسخ من آية أو تُنْسكها	٣٠٩/١
١١١	﴿من كان هوداً أو نصارى﴾	يهودياً أو نصرانياً	٣١٠/١
١١٤	﴿إلا خائفين﴾	إلا خيفاً	٣١٣/١
١١٥	﴿فأينما تولوا﴾	تَوَلَّوا	٣١٤/١

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١١٦	﴿وقالوا اتخذ الله ولد﴾	قالوا	١/ ٣١٤
١١٧	﴿بديع السَّمٰوات والأرض﴾	بديع ـ بديعَ	١/ ٣١٥
١١٩	﴿ولا تسئل عن أصحاب الجحيم﴾	وَلاَ تَسْأَل ـ ولن	١/ ٣١٦
		تسأل ـ وما تسأل	١/ ٣١٦
١٢٤	﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه	إبراهيمُ ربَّه	١/ ٣١٧
	لا ينال عهدي الظالمين﴾	الظالمون	١/ ٣١٨
١٢٥	﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس	مثابات	١/ ٣١٨
	واتخِذوا﴾	واتَّخَذُوا	١/ ٣١٩
١٢٦	﴿فأمتعه قليلاً ثم	فأمتعه فاضطره ـ	١/ ٣٢٠
	اضطره﴾	فنمتعه قليلاً ثم	١/ ٣٢٠
		نضطره ـ فإضطره ـ	١/ ٣٢٠
		فأمْتِعْه قليلاً ثم اضطرَّه ـ	
		فأطره.	١/ ٣٢١
١٢٧	﴿ربنا تقبل منا﴾	يقولان: ربنا	١/ ٣٢٢
١٢٨	﴿واجعلنا مسلمين	مُسْلِمين	١/ ٣٢٢
	وأرنا مناسكنا﴾	وأَرْنَا ـ	١/ ٣٢٢
		وبإشمام الكسره ـ وأرهم	١/ ٣٢٣
		مناسكهم	
١٣٢	﴿ووصى بها إبراهيم نبيه	وأوصى	١/ ٣٢٩
	ويعقوب	يعقوبَ	١/ ٣٢٩
	يا بني﴾	يا بنِيّ	١/ ٣٢٩
١٣٣	﴿إذ حضر يعقوب الموت	حَضِر يَعقوبُ الموتَ	١/ ٣٣١
	وإله آبائك﴾	وإله إبراهيم ـ	١/ ٣٣٢
		وإله أبيك.	
١٣٥	﴿قل بل ملة إبراهيم﴾	مِلَّةُ	١/ ٣٣٣
١٣٧	﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾	بما آمنتم به	١/ ٣٣٥
		بالذي آمنتم به	١/ ٣٣٥
١٣٩	﴿قل أتحاجوننا في الله﴾	أتحاجُونَّا	١/ ٣٣٦

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٤٠	﴿أم تقولون على الله﴾	أم يقولون	١/ ٣٣٦
١٤٣	﴿إلا لنعلم	إلاّ لِيُعْلَمَ	١/ ٣٤١
	على عقبيه	عقْبَيْه	١/ ٣٤١
	وإن كانت لكبيرة	لكبيرةٌ	١/ ٣٤١
	وما كان الله ليضيع﴾	لِيُضَيِّعَ	١/ ٣٤١
١٤٤	﴿شطر المسجد الحرام	تلقاء المسجد الحرام	١/ ٣٤٣
	عما يعملون﴾	عما تعملون	١/ ٣٤٤
١٤٥	﴿بتابع قِبلتهَمُ﴾	بِتَابِعِ قِبْلَتِهِم	١/ ٣٤٤
١٤٧	﴿الحق من ربك﴾	الحقَّ من ربك	١/ ٣٤٥
١٤٨	﴿ولكل وجهة	ولكل قبلة ـ	١/ ٣٤٦
	هو موليها﴾	ولِكُلِّ وجهةٍ	١/ ٣٤٦
١٤٩	﴿بغافل عما تعملون﴾	تَعْمَلُون	١/ ٣٤٦
١٥٠	﴿إلاّ الذين ظلموا﴾	ألاَ الذين ظلموا	١/ ٣٤٧
١٥٨	﴿أن يطوف	أن يَطُوفَ	١/ ٣٤٩
		ألاّ يطوّف بهما ـ	١/ ٣٥٠
	ومن تطوع﴾	ومن يَطَّوَّع ـ	١/ ٣٥٠
		ومن يتطوع بخير	١/ ٣٥١
١٦١	﴿والملائكة والناس أجمعين﴾	والملائكةُ وَالناسُ أجمعون	١/ ٣٥٢
١٦٤	﴿والفلك التي تجرى﴾	والفُلُك	١/ ٣٥٣
١٦٥	﴿ولو يرى الذين ظلموا	ولو تَرى الذين ظلموا	١/ ٣٥٤
	إذ يرون العذاب﴾	إذ يُرَون العذاب	٣٥٤
١٦٨	﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾	خُطْوات ـ خُطُؤات ـ	١/ ٣٥٥
		خَطَوَاتِ ـ خَطْوات	١/ ٣٥٦
١٧٣	﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾	حُرِّمَ ـ حَرُمَ	١/ ٣٥٨
١٧٧	﴿ليس البر أن تولوا	بأن تولُّوا	١/ ٣٦٢
	ولكن البر من آمن	ولكن البَرَّ ـ البَارَّ ـ	١/ ٢٦٣
	والموفون	ولكن البِرَّ ـ بالتخفيف	١/ ٣٦٣
	والصابرين﴾	والمَوفين	١/ ٣٦٧
		والصابرون	١/ ٣٦٧

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
١٧٩	﴿ولكم في القصاص حياة﴾	ولكم في القَصَصِ	١/ ٣٧٣
١٨٤	﴿فعدةٌ	فعدةً	١/ ٣٧٩
	من أيام أُخر	أيام أُخرى متتابعات	١/ ٣٨٠
	وعلى الذين يطيقونه	يُطَوَّقُونه ـ يتطوَّقُونه ـ	١/ ٣٨٠
	فمن تطوع	يطَّوَقونه	١/ ٣٨٠
	وأن تصوموا خير لكم﴾	فمن يطَّوَّعْ	١/ ٣٨١
		والصيام خير لكم	١/ ٣٨١
١٨٥	﴿شهر رمضان﴾	شَهْرَ رمضان	١/ ٣٨٣
١٨٥	﴿يريد الله بكم اليُسْر ولا يريد بكم العُسْر	اليُسُر ـ العُسُر	١/ ٣٨٤
	ولتكملوا العدة﴾	وَلِتكمِّلوا	١/ ٣٨٤
١٨٦	﴿لعلهم يرشدون﴾	يَرْشَدُون ـ يَرْشِدون	١/ ٣٨٥
١٨٧	﴿أحل لكم ليلةَ الصيام	أَحَلَّ لَكم	١/ ٣٨٦
	الرفث	الرَّفُوثُ	٦/ ٣٨٦
	واتبعوا ما كتب الله لكم	واتبعوا	١/ ٣٨٨
	وأنتم عاكفون في المساجد﴾	في المسجد	١/ ٣٩١
١٩١	﴿ولا تقاتلوهم	تَقْتُلُوهم	١/ ٣٩٦
	حتى يقاتلوكم	يَقْتُلُوكم	١/ ٣٩٦
	فإن قاتلوكم﴾	قتلوكم	١/ ٣٩٦
١٩٥	﴿وأتموا الحج والعمرة	وأقيموا الحج والعمرة	١/ ٣٩٩
	فما استيسر من الهدى﴾	فما استيسر من الهديّ	١/ ٤٠٢
١٩٥	﴿فصيام ثلاثة أيام	ثلاثة أيام متتابعات	١/ ٤٠٥
	وسبعة إذا رجعتم﴾	وسبعَةً	١/ ٤٠٤
١٩٧	﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال﴾	فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ ـ	١/ ٤٠٧
		فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدال	١/ ٤٠٧
١٩٨	﴿فضلاً من ربكم﴾	فضلاً من ربكم في مواسم الحج	١/ ٤٠٩

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٩٩	﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾	من حيث أفاض الناسِ	١/ ٤١٢
٢٠٤	﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾	وَيَشْهَدُ اللَّهُ ـ ويستشهد الله	
٢٠٥	﴿ويهلك الحرث والنسل﴾	وَيهْلِكُ الحرثُ والنَّسْلُ ـ	١/ ٤١٦
		وَيَهْلَكُ الحرثُ والنَّسْلُ	١/ ٤١٦
		ويُهْلَكُ الحرثُ والنسلُ	١/ ٤١٦
٢٠٨	﴿أدخلوا في السلم كافة﴾	السَّلْمِ ـ السَّلَمِ	١/ ٤١٧
٢٠٩	﴿فإن زللتم من بعدما جابرتكم﴾	زَلِلْتُم	١/ ٤١٩
٢١٠	﴿في ظلل من الغمام	في ظِلال	١/ ٤١٩
	وقضى الأمر	وقضاءَ الأمرِ	١/ ٤١٩
	ترجع الأُمور﴾	تَرْجِعُ	١/ ٤١٩
٢١١	﴿ومن يبدل نعمة الله	ومن يُبْدِلْ	١/ ٤٢٠
	زين للذين كفروا	زَيَّنَ للذين كفروا	١/ ٤٢٠
	الحياةُ الدنيا﴾	الحياةَ الدنيا	١/ ٤٢٠
٢١٣	﴿كان الناس أُمة واحدة فبعث الله﴾	فاختلفوا فبعث الله	١/ ٤٢١
٢١٦	﴿وهو كره لكم﴾	وهو كَرْهٌ لكم	١/ ٤٢٣
٢١٧	﴿عن الشهر الحرام قتال فيه	عن قتالٍ فيه قَتْل	١/ ٤٢٤
	قل قتال فيه كبير﴾	قل قَتْلٌ فيه كبير	١/ ٤٢٤
٢١٩	﴿قل فيهما إثم كبير	إثم كثير	١/ ٤٢٩
	وإثمهما أكبر﴾	أَقْرَبُ	١/ ٤٢٩
٢٢٠	﴿قل إصلاح لهم خير	قل إصلح لهم	١/ ٤٣١
	ولو شاء الله لأعنتكم﴾	لَعَنَتَكم	١/ ٤٣١
٢٢١	﴿ولا تنكحوا المشركات	تُنْكِحوا المشركات	١/ ٤٣١
	والمغفرة بإذنه﴾	والمغفرةُ بإذنه	١/ ٤٣٢
٢٢٦	﴿للذين يؤلون من نسائهم	للذين آلَوْا من نسائهم ـ	١/ ٤٣٧
	فإن فاءوا﴾	يقسمون من نسائهم	١/ ٤٣٧
		فإن فاءوا فيهن	١/ ٤٣٨
٢٢٨	﴿ثلاثة قروء	ثلاثة قَرْوٍ	١/ ٤٤٢
	أحق بردهن﴾	بردِّتهن	١/ ٤٤٢

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٢٢٩	﴿إلا أن يخافا ألا يقيما﴾	يُخَافَا ـ يظنا	١/٤٤٦
٢٣٣	﴿أن يتم الرضاعة﴾	أن يُكمِل ـ تَتِمَّ ـ يتمُّ ـ	١/٤٥٥
		الرُّضاعة ـ الرضْعَة	١/٤٥٥
٢٣٣	﴿لا تكلف نفس	لا تَكَلف ـ نكلف	١/٤٥٦
	لا تضار والدة بولدها	لا تَضارُّ ـ تُضَارَّ ـ تَضارَرْ ـ تَضارِرْ ـ تضارّ ـ بالسكون مع التشديد على نية الوقف	١/٤٥٦
		تضارْ ـ بالسكون والتخفيف	١/٤٥٦
		لا تضرر	١/٤٥٧
	فإن أراد	فإن أراد	١/٤٥٧
	إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف﴾	ما أتيتم	
٢٣٤	﴿والذين يتوفون منكم﴾	يَتَوفَّوْنَ	١/٤٥٨
٢٣٧	﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح	أن يعفوْ الذي	١/٤٦٤
	وأن تعفوا أقرب للتقوى	وأن يعفو	١/٤٦٥
	ولا تنسوا الفضل بينكم﴾	ولا تنسوِ الفضل	١/٤٦٥
٢٣٩	﴿فإن خفتم فرجالاً﴾	فرُجالاً ـ فرجَّالاً ـ فِرجْلاً	١/٤٦٨
٢٤٠	﴿وصية لأزواجهم	وصيةٌ لأزواجهم	١/٤٦٩
	متاعاً إلى الحول﴾	متاع لأزواجهم متاعاً ـ فمتاع لأزواجهم	١/٤٦٩
٢٤٦	﴿ابعث لنا ملكاً نقاتل	نُقَاتلُ ـ يُقَاتِلْ ـ يُقَاتلُ	١/٤٧١
	قال هل عسيتم﴾	عَسِيتم	١/٤٧١
٢٤٨	﴿التابوت	التابوه	١/٤٧٣
	فيه سكينة	سَكِّينة	١/٤٧٤
	تحمله﴾	يحمله	١/٤٧٤
٢٤٩	﴿إن الله مبتليكم بنهر	بنَهْرٍ	١/٤٧٥
	من اغترف غرفة بيده	مَن اغترف غَرْفَةً	١/٤٧٥
	فشربوا منه إلاّ قليلاً﴾	إلاّ قليلٌ	١/٤٧٥
٢٥٤	﴿لا بيعٌ فيه ولا خلة﴾	لا بيعُ ولا خلةٌ	١/٤٨٠

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢٥٨	﴿فبهت الذي كفر﴾	فَبَهَتَ ـ فَبَهُتَ	١/ ٤٨٩
٢٥٩	﴿وشرابك لم يتسنه	وهذا شرابك	١/ ٤٩١
		لم يتسن ـ لم يسَّنَّه	١/ ٤٩١
	كيف ننشزها	ننشرها	١/ ٤٩١
	فلما تبين له	فلما تُبَيِّنَ	١/ ٤٩١
	قال أعلم﴾	قال ٱعْلَمْ ـ قيل ٱعْلَمْ	١/ ٤٩١
٢٦٠	﴿نصرهن إليك	فصْرَّهن ـ فصِرَّهن	١/ ٤٩٣
		فَصَرَّهن	١/ ٤٩٣
	منهن جزءاً﴾	جُزُءاً ـ جَزّاً	١/ ٤٩٤
٢٦٤	﴿كمثل صفوان﴾	صَفَوَان	١/ ٤٩٦
٣٦٥	﴿كمثل جنة	حَبَّة	١/ ٤٩٧
	بربوة	بُربوة ـ بِربوة	١/ ٤٩٧
	فآتت أكلها﴾	أَكُلُهَا	١/ ٤٩٧
٢٦٦	﴿أن يكون له جنة﴾	له جنات	١/ ٤٩٧
٢٦٧	﴿ولا تيمموا الخبيث	ولا تأمموا	١/ ٤٩٩
		ولا تُيمِّمُوا	١/ ٤٩٩
	إلاَّ أن تغمضوا فيه﴾	تَغمُضُوا ـ تغمِضوا	١/ ٤٩٩
٢٦٨	﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾	الفُقْرَ الفَقَر	١/ ٤٩٩
٢٦٩	﴿ومن يؤت الحكمة﴾	ومن يؤته الله الحكمة	١/ ٥٠٠
٢٧١	﴿فنعما هي	فَنِعِمَّا ـ فَنَعَمَّا	١/ ٥٠١
	ويكفر عنكم﴾	ونُكَفِّرُ ـ وَنُكَفِّرْ ـ	١/ ٥٠١
		ويكفِّرُ ـ وتكفِّرْ ـ وَيَكَفِرَ	١/ ٥٠١
٢٧٥	﴿فمن جاءه﴾	فمن جاءته	١/ ٥٠٧
٢٧٨	﴿وذروا ما بقى﴾	مَا بَقَىٰ ـ ما بَقِيْ	١/ ٥٠٨
٢٧٩	﴿فأذنوا بحرب﴾	فآذنوا ـ فأيقنوا	١/ ٥٠٨

رقم الآية	الآية	القراءة	الجزء/الصفحة
٢٨٠	﴿وإن كان ذو عسرة	وإن كان ذا عسرة ـ	١/٥٠٨
		ومن كان ذا عسرة	١/٥٠٨
	فنَظرة إلى	فنظْرة ـ فناظِرُه	١/٥٠٨
		فناظِرَةُ ـ	١/٥٠٩
	ميسرة	مَيْسُرة ـ ميسرِهِ ـ	١/٥٠٩
		ميسُرِهِ	١/٥٠٩
	وأن تصدقوا﴾	تَصَدَّقُوا	١/٥٠٩
٢٨١	﴿يوماً ترجعون فيه﴾	تَرْجعُونَ ـ يَرْجعون ـ	١/٥١٠
		تردَون ـ تصيرون	١/٥١٠
٢٨٢	﴿ولا يبخس منه شيئاً	شيَا ـ بدون همزة	١/٥١٢
		شَيّاً ـ بالتشديد	١/٥١٢
	أن تضل إحداهما	إنْ تَضِلَّ إِحداهما	١/٥١٣
	فتذكر إحداهما﴾	أَنْ تُضَلَّ	١/٥١٣
		فتداكر ـ فَتَذْكُرُ	١/٥١٣
٢٨٢	﴿ولا تسأموا أن تكتبوه	ولا يَسْأموا أن يَكْتُبُوه	١/٥١٤
	إلاَّ أن تكون تجارة حاضرة	تجارةٌ حَاضرةٌ	١/٥١٤
	ولا يضار كاتب﴾	وَلاَ يضارِر ـ ولا يضارَر ـ	١/٥١٥
		وَلا يضَارِ	١/٥١٥
٢٨٣	﴿ولم تجدوا كاتباً	كِتَاباً ـ كُتُباً ـ	١/٥١٥
		كُتَّاباً	١/٥١٥
	فرهان مقبوضة	فرُهُن ـ فرُهْن	١/٥١٥
	فإن أمن	فإن أومن	١/٥١٧
	الذي اؤتمن	الذي اؤتمن ـ الذي تمن	١/٥١٧
		الذاتمن ـ إدغام الياء في التاء	١/٥١٧
	آثم قلبه﴾		
		قلْبَهُ ـ أثِم قلبه	١/٥١٨
٢٨٤	﴿فيغفرُ لمن يشاء ويعذب﴾	فيغفرْ ـ ويعذبْ ـ	١/٥١٨
		يغفرْ ـ بغير فاء	١/٥١٩

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢٨٥	﴿وكتبه ورسله	وكتابه ـ	١/ ٥١٩
	ولا نفرق بين أحد	يُفرق ـ يفرقون	١/ ٥٢٠
	من رسله﴾	كتْبه ـ رُسْلِه بالسكون	١/ ٥٢٠
٢٨٦	﴿إلاَّ وسعها	وَسْعَها	١/ ٥٢٠
	ولا تحمل علينا إصراً﴾	آصَاراً ـ على الجمع	١/ ٥٢١
		ولا تُحَمِّل ـ بالتشديد	١/ ٥٢١

سورة آل عمران

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿ الٓمٓ ﴾	نقل حركة الهمزة على الميم الساكنة ـ	١/ ٥٢٥
		الوقوف على الميم كما	١/ ٥٢٥
		يوقف	١/ ٥٢٦
		على الألف واللام ـ	
		آلم ـ القِراءة بالكسر	
٣	﴿نزل عليك الكتاب بالحق	نَزَلَ عليك الكتابُ	١/ ٥٢٦
	وأنزل التوراة والإنجيل﴾	والأنجيل	١/ ٥٢٦
٦	﴿هو الذي يصوركم﴾	تصوركم	١/ ٥٢٨
٧	﴿وما يعلم تأويله إلاَّ الله	إن تأويله إلاَّ عند الله	١/ ٥٢٩
	والراسخون في العلم يقولون﴾	ويقول الراسخون	١/ ٥٢٩
٨	﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾	تزغ قُلُوبنا ـ يزغ قلُوبنا	١/ ٥٢٩
١٠	﴿لن تغنى عنهم﴾	لن تُغْنِيْ ـ بسكون الياء	١/ ٥٣٠
١٠	﴿هم وقود النار﴾	هم وُقود	١/ ٥٣٠
١٢	﴿ستغلبون وتحشرون﴾	سيغلبون ويُحشرون	١/ ٥٣١
١٣	﴿وأخرى كافرة	كافرةٍ ـ على البدل من فئتين	١/ ٥٣٢
		كافرةً ـ النصب على الإختصاص	١/ ٥٣٢
	يرونهم مثليهم﴾	أو على الحال من الضمير في «التقتاً»	١/ ٥٣٢
		تَرونَهم ـ يُرَوْنَهم	

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٤	﴿زين للناسِ﴾	زَيَّنَ للناس	١/ ٥٣٣
١٥	﴿جنات﴾	جناتٍ	١/ ٥٣٣
١٨	﴿قائماً بالقسط﴾	القائم بالقسط ـ	١/ ٥٣٧
		قيما بالقسط	١/ ٥٣٧
١٩	﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾	أن الدين عند الله ـ	١/ ٥٣٧
		إن الدين عند الله للإسلام	١/ ٥٣٨
٢١	﴿ويقتلون النبيين ويقتلون الذين يأمرون بالقسط﴾	ويُقَتِّلُون النبيين ويقاتلون الذين يأمرون ـ	١/ ٥٤٠
		ويقتلون النبيين والذين يأمرون	١/ ٥٤٠
٢٣	﴿ليحكم بينهم﴾	ليُحْكَمَ	١/ ٥٤١
٢٨	﴿تتقوا منهم تقاة﴾	تَقِيَّةً	١/ ٥٤٥
٣٠	﴿تود لو أن بينها وبينه أمداً﴾	وَدَّتْ	١/ ٥٤٦
٣٦	﴿والله أعلم بما وضعت﴾	بما وَضَعْتِ	١/ ٥٥١
٣٧	﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً ـ وكفلها زكريا﴾.	وكَفِلَهَا زكريا ـ وكَفَّلَهَا ذكرياءَ ـ نصب زكريا ـ وأكْفَلَها ـ فتَقَبَّلْهَا رَبَّهَا ـ وأَنْبِتْهَا،	١/ ٥٥٣
		وَكَفِّلْهَا ـ عَلى لفظ الأمر ونصب ربها.	١/ ٥٥٣
٣٩	﴿فنادته الملائكة	فناداه الملائكة	١/ ٥٥٥
	أن الله يبشرك﴾	يَبْشُرُكَ	١/ ٥٥٥
٤١	﴿إلاَّ رمزاً﴾	رُمُزاً ـ رَمَزاً	١/ ٥٥٦
٤٩	﴿أني قد جئتكم	إني قد جئتكم	١/ ٥٦٠
	فأنفخ فيه	فأنفخها	١/ ٥٦٠
	وما تدخرون﴾	تَذْخَرون	١/ ٥٦٠
٥٠	﴿بعض الذي حرم عليكم﴾	حَرَّم عليكم	١/ ٥٦٠

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٥٠	﴿حرم عليكم	حَرُم عليكم	١/ ٥٦١
	وجئتكم بآية من ربكم﴾	وجئتكم بآيات	١/ ٥٦١
٥١	﴿إن الله ربي وربكم﴾	أن الله ربي وربكم	١/ ٥٦١
٥٧	﴿فيوفيهم أجورهم﴾	فنوفيهم	١/ ٥٦٢
٦٤	﴿تعالوا إلى كلمة	كلْمة	١/ ٥٦٧
	سواء﴾	سواءً	١/ ٥٦٧
٦٨	﴿وهذا النبي﴾	وهذا النبيَّ	١/ ٥٦٨
		وهذا النبيِّ	١/ ٥٦٨
٧١	﴿لم تلبسون الحق بالباطل﴾	تُلَبِّسُون ـ تَلْبَسُون	١/ ٥٦٨
٧٣	﴿أن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم﴾	ءأن يؤتى أحد؟	١/ ٥٧٠
		إنْ يؤتى أحد ـ نافية	١/ ٥٧٠
٧٥	﴿يؤده إليك	بكسر الهاء والوصل	١/ ٥٧١
		بكسرها بغير وصل	
		بسكونها ـ يؤدهْ	١/ ٥٧١
	إلاَّ ما دُمت عليه	دِمْتَ ـ من دام يدام	١/ ٥٧١
	إن تأمنه﴾	تِثمنه	١/ ٥٧١
٧٨	﴿يلوون ألسنتهم	يُلَوّوّن	١/ ٥٧٣
	لتحسبوه من الكتاب﴾	لِيَحْسَبُوه	١/ ٥٧٣
٧٩	﴿تعلمون الكتاب	تَعْلمون	١/ ٥٧٥
	تدرسون﴾	تُدَرِّسون ـ	
		تَدْرِسُون	١/ ٥٧٥
٨٠	﴿ولا يأمركم﴾	ولا يأمُرُكم ـ ولن يأمركم	١/ ٥٧٥
٨١	﴿وإذا أخذ الله ميثاق النبيين	ميثاق الذين أوتوا الكتاب	١/ ٥٧٦
	لما آتيتكم	لَمَا آتيناكم ـ لِما آتيتكم	١/ ٥٧٦
		لَمَّا	
	وأخذتم على ذلكم إصري﴾	أُصري.	١/ ٥٧٦
٩١	﴿فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض	ذهبٌ ـ	١/ ٥٨٠
	ذهبا﴾	فلن يَقْبَلَ من أحدهم مِلءَ	١/ ٥٨١

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٩٢	﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾	بعض ما تحبون	١/ ٥٨٢
٩٧	﴿فيه آيات بينات	آية بينة	١/ ٥٨٨
	حج البيت﴾	حِجٌ	١/ ٥٩٨
٩٩	﴿لم تصدون عن سبيل الله﴾	تُصِدُّون	١/ ٥٩٨
١٠٦	﴿يوم تبيض وجوه وتسود	تَبْيَضَ وجوه وتِسْوَد	١/ ٦٠٧
	وجوه﴾.	تَبياض ـ وتَسوادّ	١/ ٦٠٧
١١٥	﴿وما يفعلوا من خير	وما تَفْعَلُوا	١/ ٦١٢
	فلن يكفروه﴾	تُكْفِرُوه	١/ ٦١٢
١١٧	﴿مثل ما ينفقون	تُنْفِقُون	١/ ٦١٥
	ولكنْ أنفسهم يظلمون﴾	ولكنَّ ـ بالتشديد	١/ ٦١٥
١٢٠	﴿لا يضركم كيدهم شيئاً﴾	لا يَضِركم ـ يضرَكم	١/ ٦١٧
١٢١	﴿تبوىء المؤمنين﴾	تبوىء للمؤمنين	١/ ٦١٨
١٢٢	﴿والله وليهما﴾	والله وليهم	١/ ٦٢١
١٢٤	﴿من الملائكة منزلين﴾	مُنَزِّلين ـ مُنْزِلين	١/ ٦٢٢
١٢٥	﴿ مسومين ﴾	مُسوَّمين	١/ ٦٢٢
١٣٣	﴿وسارعوا إلى مغفرة﴾	سَارِعُوا ـ وسَابِقُوا	١/ ٦٢٦
١٤٠	﴿إن يمسسكم قرح﴾	قُرْحٌ	١/ ٦٣١
١٤٢	﴿ولما يعلم الله	يعلمَ اللَّهُ	١/ ٦٣٤
	ويعلم الصابرين﴾	ويعلمْ ـ ويعلمُ	١/ ٦٣٤
١٤٥	﴿نؤته منها	يؤته	١/ ٦٣٨
	وسنجزي الشاكرين﴾	وسيجزى	١/ ٦٣٨
١٤٦	﴿قاتل معه	قُتِلَ ـ قُتِّلَ	
	ربيون	قُرىء بالحركات الثلاث	
	فما وهنوا﴾	فما وَهِنوا	١/ ٦٣٨
١٥٠	﴿بل الله مولاكم﴾	بل اللَّهَ	١/ ٦٣٩
١٥١	﴿سنلقى في قلوب الذين كفروا	سَيُلْقى	
	الرعب﴾	الرُّعُبَ	١/ ٦٣٩

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٥٣	﴿إذ تصعدون	تَصْعَدُون ـ إذ تصعدون	١/ ٦٤١
		في الوادي ـ تَصَعَّدون	١/ ٦٤١
		يصعدون.	
	ولا تلوون﴾	تلون ـ يلوون	١/ ٦٤١
١٥٤	﴿من بعد الغم أمنة	أَمْنَةً	١/ ٦٤٣
	يغشى طائفة منكم	تَغْشَى	١/ ٦٤٣
	لبرز الذين كتب عليهم القتل﴾	كُتب عليهم القتال ـ كَتبَ،	١/ ٦٤٤
		لَبُرِّزَ الذين كتب عليهم	١/ ٦٤٤
١٥٦	﴿والله بما تعملون بصير﴾	يعملون	١/ ٦٤٦
١٥٨	﴿ولئن متم	مُتُّم	١/ ٦٤٦
	لإلى الله تحشرون﴾	يُحْشَرون	١/ ٦٤٦
١٥٩	﴿فإذا عزمت﴾	عزمتُ	١/ ٦٤٨
١٦١	﴿وما كان لنبيٍّ أن يغلَّ﴾	يُغَلَّ	١/ ٦٥٠
		يَغَلَّ	١/ ٦٥٢
١٦٤	﴿لقد من الله على المؤمنين إذا	مِنْ أَنْفَسِهم	١/ ٦٥٣
	بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾	لَمِنْ مَنِّ الله على المؤمنين	١/ ٦٥٤
١٦٩	﴿ولا تحسبن الذين	ولا يَحْسَبَنَّ	١/ ٦٥٧
	قتلوا	قُتِّلُوا	١/ ٦٥٨
	بل أحياء عند ربهم﴾	بل أحياءً	١/ ٦٥٨
١٧١	﴿وأن الله لا يضيع﴾	والله لا يضيع	١/ ٦٥٩
١٧٥	﴿يخوف أولياءه﴾	يخوفكم أولياءه	١/ ٦٦٢
١٧٨	﴿أنما نملي لهم	أنما يُمْلَى	١/ ٦٦٤
	ولا يحسبن﴾	ولا تحْسَبَنَّ	١/ ٦٦٤
١٧٩	﴿حتى يميز﴾	يُمَيِّز	١/ ٦٦٥
١٨٠	﴿ولا تَحسبن	ولا يحسبن	١/ ٦٦٦
	هو خيراً لهم	خير لهم (بدون هو)	١/ ٦٦٦
	والله بما تعملون خبير﴾	بما يعملون	١/ ٦٦٧

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٨١	﴿سنكتب ما قالوا	سَنُكْتَبُ ـ سَيُكْتُبُ	١/ ٦٦٨
	ونقول ذوقوا﴾	ويقولُ ـ ويقال	١/ ٦٦٨
١٨٣	﴿حتى يأتينا بقربان﴾	بِقُرُبان	١/ ٦٦٨
١٨٥	﴿كل نفس ذائقة الموت	ذائِقةَ الموت	١/ ٦٦٩
	لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾	ليبيِّنُه ـ ولا يكتمونه	١/ ٦٧٣
١٨٨	﴿لا تحسبن الذين يفرحون	يَحْسَبُن	١/ ٦٧٣
	بما أتوا﴾	بما فعلوا ـ آتوا	١/ ٦٧٣
١٩٥	﴿أني ـ أُضيع عمل	إنّي ـ أُضيِّع عمل	١/ ٦٧٩
	وقاتلوا وقتلوا﴾	وقُتِّلُوا ـ وقتلوا	١/ ٦٨٠
		وقَاتلوا ـ على التقديم	
		والتخفيف والتشديد	
		وقَتَلُوا وقُتِلُوا	١/ ٦٨٠
١٩٦	﴿لا يغرنك﴾	لا يَغُرَّنْكَ	١/ ٦٨١
١٩٨	﴿لكن الذين اتقوا	لَكِنَّ الذين اتقوا	١/ ٦٨٢
	نزلا﴾	نُزْلاً	١/ ٦٨٢

سورة النساء

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿وخلق منها زوجها وبث منهما	وخالقٌ ـ وباثٌ	٢/ ٦
	تساءلون به	تسلون به ـ مهموز أو غير	٢/ ٦
	والأرحام﴾	مهموز	٢/ ٦
		بالحركات الثلاث	١/ ٦
		وبالأرحام	
٢	﴿إنه كان حوباً كبيراً﴾	حَوْباً ـ	٢/ ١٤
		حابا	٢/ ١٤
٣	﴿وإن خفتم ألا تقسطوا	تَقْسطوا	٢/ ١٥
	مثنى وثلاث ورباع	وثُلَث ورُبَع ـ على القصر	٢/ ١٦
	فواحدة	فواحِدةٌ	٢/ ١٦
	ذلك أدنى ألا تعولوا﴾	ألا تَعِيلُوا	٢/ ١٧

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٤	﴿صدقاتهن نِحْلة﴾	صَدْقَاتهن	١٧/٢
		صُدْقَاتهن	١٧/٢
		صُدُقَتَهُنَّ	١٧/٢
٥	﴿التي جعل الله لكم قياماً﴾	قيما	٢٠/٢
		قِوَاما	٢٠/٢
٦	﴿فإن آنستم	أَحْسَيْتُم	٢٣/٢
	منهم رشداً﴾	رَشَداً	٢٤/٢
		رُشُداً	٢٤/٢
٩	﴿ضعافاً﴾	ضعفاء	٣٠/٢
		ضَعفَى	٣٠/٢
		ضِعَافى	٣٠/٢
١٠	﴿وسيصلون سعيرا﴾	وَسَيُصْلَون	٣٢/٢
١١	﴿وإن كانت واحدة	واحدةٌ	٣٣/٢
	السدس		٣٥/٢
	فلأمه	فلإمِّه	٣٦/٢
	من بعد وصية يوصي بها﴾	يُوَصَّى بها ـ وبالتخفيف	٣٦/٢
١٢	﴿وإن كان رجل يورث	يُورِثُ	٣٨/٢
		يُورِّث	٣٨/٢
	وله أخ أو أخت	أخ أو أخت من الأم	٣٩/٢
	غير مضار وصية من الله﴾	غير مُضَارِّ وصية ـ بالإضافة	٤٠/٢
١٤	﴿يدخله جنات﴾	ندخله	٤٠/٢
١٥	﴿يأتين الفاحشة﴾	يأتين بالفاحشة	٤٠/٢
١٦	﴿واللذان يأتيانها﴾	واللّذانّ	٤١/٢
		واللّذأنّ	٤١/٢
١٩	﴿لا يحل لكم	لا تحل لكم	٤٨/٢
	أن ترثوا النساء كرهاً	كُرْهاً	٤٨/٢
	إلاّ أن يأتين بفاحشة	إلاّ أن يفحشن عليكم	٤٥/٢
	مبينة	مُبَيَّنَة	٤٩/٢
	ويجعل الله فيه خيراً﴾	وَيَجْعَلُ	٤٩/٢

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢٣	﴿وبنات الأُخت	وبنات الأُخت ـ بتخفيف	٢/ ٥٠
	وأُمهات نساءكم﴾	الهمزة	٢/ ٥٢
		نساؤكم اللاتي دخلتم بهن	
٢٤	﴿والمحصنات	والمُحْصِنات	٢/ ٥٦
	كتاب الله	كَتبَ اللَّهُ	٢/ ٥٦
	وأحل لكم﴾	وَأَحَلَّ لكم	٢/ ٥٦
٢٥	﴿فإذا أُحصن﴾	أَحْصن	٢/ ٦٠
٢٧	﴿أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾	أن يَمَيلوا	٢/ ٦١
٢٨	﴿وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً﴾	وَخَلَقَ الإِنسانَ ضعيفاً	٢/ ٦١
٢٩	﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾	ولا تُقَتِّلُوا	٢/ ٦٢
٣٠	﴿عدواناً	عِذْواناً	٢/ ٦٢
	نصليه﴾	نُصَلِّيهِ	٢/ ٦٢
		نَصْلِيهِ	٢/ ٦٢
		وَيَصْليهِ	٢/ ٦٢
٣١	﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه	كبير ما تنهون عنه	٢/ ٦٢
	نكفر عنكم	يُكَفِّر	٢/ ٦٣
	وندخلكم مدخلاً﴾	مَدْخلاً	٢/ ٦٤
٣٣	﴿والذين عقدت﴾	عَقَّدَت	٢/ ٦٦
٣٤	﴿فالصالحات.	فالصوالح	٢/ ٧٠
	قانتات	قوانت	٢/ ٧٠
	حافظات	حوافظ	٢/ ٧٠
	للغيب	في المضجع	٢/ ٧٠
	واهجروهن في المضاجع﴾	في المضطجع	٢/ ٧٠
٣٦	﴿والجار ذي القربى	والجارِ ذا القربى	٢/ ٧٤
	والجار الجنب﴾	والجارِ الجَنْبِ	٢/ ٧٤
٣٧	﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾	بالبَخْلِ	٢/ ٧٤
		بِالبَخَلِ	٢/ ٧٤

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٤٠	﴿لا يظلم مثقال ذرة	مثقال نملة	٢/ ٧٨
	وإن تك حسنةً	حَسَنَةٌ	٢/ ٧٨
	يضاعفها﴾	يُضَعِّفها	٢/ ٧٩
		نضاعفها	٢/ ٧٩
٤٢	﴿لو تسوى بهم الأرض﴾	تلو سَّوَّى	٢/ ٨٠
		تسوى ـ إدغام التاء في السين	٢/ ٨٠
٤٣	﴿وأنتم سكارى	سُكْرَى	٢/ ٨٢
		سَكْرَى	٢/ ٨٢
	من الغائط﴾	من الغَيْطِ	٢/ ٨٥
٤٤	﴿ويريدون أن تضلوا﴾	يَضَلُّوا	٢/ ٨٥
		يَضِلُّوا	٢/ ٨٥
٤٦	﴿يحرفون الكلم﴾	الكلام	٢/ ٨٦
		الكِلْم	٢/ ٨٦
٥٣	﴿فإذاً لا يُؤتون الناس﴾	لا يؤتوا	٢/ ٩٢
			٢/ ٩٤
٥٧	﴿سيدخلهم﴾	سندخلهم	٢/ ٩٤
٥٨	﴿تؤدوا الأمانات	الأمانة	٢/ ٩٤
	نعما﴾	نَعِمَّا	٢/ ٩٥
٦٠	﴿ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك	ما أَنْزَلَ ـ بِالبناء للفاعل	٢/ ٩٧
	وقد أمروا أن يكفروا به﴾	يكفروا بها	٢/ ٩٧
٦١	﴿ تعالوا ﴾	تَعالُوا	٢/ ٩٧
٦٦	﴿إلاَّ قليل منهم﴾	إلاَّ قليلاً	٢/ ١٠٤
٦٩	﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾	وحَسْنَ	٢/ ١٠٤
		وحُسْنَ	٢/ ١٠٤
٧١	﴿فانفِروا ثبات﴾	فانْفُروا ثبات	٢/ ١٠٦
٧٢	﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾	ليبطئن ـ بالتخفيف	٢/ ١٠٦
٧٣	﴿فأفوز فوزاً عظيماً﴾	فأفوزُ فوزاً	٢/ ١٠٧

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٧٧	﴿ولا تظلمون فتيلاً﴾	ولا يظلمون	٢/١١١
٧٨	﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾	مُشَيَّدَة	٢/١١٣
٨٣	﴿لعلمه الذين يستنبطونه﴾	لَعَلْمه	٢/١١٦
٨٤	﴿لا تكلف إلاّ نفسك﴾	لا تُكلَّفْ	٢/١١٨
		لا نُكلِفْ	٢/١١٨
٨٨	﴿والله أركسهم﴾	ركسهم	٢/١٢٢
		ركسوا فيها	٢/١٢٢
٩٠	﴿أوجاءوكم	ميثاق جاءوكم حصرت	٢/١٢٤
	حصرت صدورهم﴾	حصرة صدورهم	٢/١٢٤
		حاصرات صدورهم	
٩٢	﴿إلا خطأ	خطاء ـ بالمد	٢/١٢٥
		خطا ـ بوزن عمى	٢/١٢٥
	إلاّ أن يصدقوا﴾	يتصدقوا	٢/١٢٧
٩٤	﴿إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا	فتثبتُوا	٢/١٣١
	لمن ألقى إليكم السلام	السَّلَمَ	٢/١٣١
	لست مؤمناً﴾	لست مُؤْمَناً	٢/١٣١
٩٧	﴿الذين توفاهم﴾	توفتهم	٢/١٣٦
١٠٠	﴿مراغماً كثيراً	مرغماً	٢/١٣٩
	ثم يدركه الموت﴾	يُدْرِكُهُ	٢/١٣٩
١٠١	﴿أن تقصروا	تُقْصِرُوا	٢/١٤٢
		تُقَصِّروا	٢/١٤٢
	من الصَّلاة إن خفتم﴾	من الصَّلاة أن يفتنكم	٢/١٤٢
١٠٢	﴿ أمتعتكم ﴾	أمتعاتكم	٢/١٤٤
١٠٤	﴿يألمون كما تألمون﴾	ييلمون كما تيلمون	٢/١٤٥
١٠٩	﴿جادلتم عنهم﴾	عنه	٢/١٤٧
١١١	﴿ومن يكسب﴾	يَكِسِّبْ	٢/١٤٧
١١٤	﴿فسوف نؤتيه﴾	يؤتيه	٢/١٤٩

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
١١٥	﴿ونصله جهنم﴾	ونَصْله جهنم	٢/١٤٩
١١٧	﴿إن يدعون من دونه إلاّ إناثاً﴾	وثنا	٢/١٥٠
		أنثاً ـ جمع أنيث أو أناث	٢/١٥٠
		أُنثاً ـ جمع وثن	٢/١٥٠
١٢٧	﴿في يتامى النساء	في ييامى النساء	٢/١٥٥
	ما كتب لهن﴾	ما كَتَب اللّهُ لهن	٢/١٥٥
١٢٩	﴿فَتَذَرُوها المعلقة﴾	كالمسجونة	٢/١٥٩
١٣٠	﴿وإن يتفرقا﴾	وإن يتفارقا	٢/١٦٠
١٣٥	﴿إن يكن غنياً أو فقيراً	غنيٌ أو فقيرٌ	٢/١٦٢
	فالله أولى بهما﴾	أولى بهم	٢/١٦٢
١٣٦	﴿والكتاب الذي نزل على رسوله	الذي أَنزَل على رسوله	٢/١٦٣
	والكتاب الذي أنزل من قبل	الذي نَزَل على رسوله	٢/١٦٣
	وكتبه﴾	وكتابه	٢/١٦٣
١٤١	﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾	ونَمْنَعَكُم ـ بالنصب	٢/١٦٥
١٤٣	﴿ مذبذبين ﴾	مذبْذِبين ـ بكسر الذال	٢/١٦٧
		مَتذبذِبين	٢/١٦٧
		مدبدِبين ـ بالدال	٢/١٦٧
١٤٨	﴿إلاّ من ظلم﴾	من ظَلَمَ	٢/١٧٠
١٥٤	﴿وقلنا لهم لا تعْدوا	لا تعتدوا	٢/١٧٣
		ولا تعدّوا	٢/١٧٣
	إلاّ لَيُؤمِنَنَّ به﴾	إلاّ ليؤمِنُنَّ	٢/١٧٧
١٦٢	﴿والمقيمين الصَّلاة	والمقيمون الصَّلاة	٢/١٧٨
	وآتينا داود زبوراً﴾	زُبُوراً	٢/١٧٩
١٦٤	﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك	ورسلٌ	٢/١٧٩
	وكلم الله موسى تكليماً﴾	وكلَّمَ اللَّهَ مُوسىٰ	٢/١٧٩
١٦٦	﴿لكن الله يشهد﴾	لَكِنَّ اللَّهَ يشهد	٢/١٨٠
١٧١	﴿إنما المسيح	المِسِّيح	٢/١٨١
	أن يكون له ولد﴾	إنْ يكونُ	٢/١٨٢

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
١٧٢	﴿لن يستنكف المسيح أن يكون	أن يكون عُبَيْداً لله	١٨٥/٢
	عبداً لله	فَسَيَحْشِرهم	١٨٦/٢
	فسيحشرهم﴾	فَسَنَحْشُرهم	١٨٦/٢

سورة المائدة

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٢	﴿ولا آمين البيت الحرام	ولا آمِّي البيت الحرام	١٩٣/٢
	يبتغُون	تَبْتَغُون	١٩٣/٢
	وإذا حللتم	أَحْلَلْتُم	١٩٣/٢
	فاصطادوا	فاصطادوا	١٩٣/٢
	ولا يجرمنكم	ولا يُجْرمنكم	١٩٣/٢
	شنئان قوم	شَنْئان قوم	١٩٣/٢
	أن صدوكم﴾	إنْ صدوكم	١٩٣/٢
		إن يصدوكم	١٩٣/٢
٣	﴿والنطيحة	والمنطوحة	١٩٤/٢
	وما أكل السبع﴾	السَبْعُ	١٩٤/٢
		وأكيل السبع	١٩٤/٢
٣	﴿وما ذبح على النصب﴾	النُصْب	١٩٥/٢
٤	﴿مكلبين تعلمونهن﴾	مُكْلِبِينَ	١٩٨/٢
٦	﴿وأرجلكم إلى الكعبين	وَأَرْجُلُكُم	٢١١/٢
	وإن كنتم جنباً فاطهروا	فَأَطْهُرُوا	٢١١/٢
	فتيمموا صعيداً﴾	فأموا صعيداً	٢١١/٢
٨	﴿ شنآن ﴾	شَنْآن	٢١٢/٢
١٢	﴿وعزرتموهم﴾	وعَزَرْتموهم	٢١٥/٢
١٣	﴿وجعلنا قلوبهم قاسية	قَسِيَّة	٢١٦/٢
	تطلع على خائنة﴾	على خَيانة	٢١٧/٢
٢٣	﴿من الذين يخافون﴾	يُخَافُونَ	٢٢١/٢
٣٠	﴿فطوعت له نفسه﴾	فطاوعت	٢٢٦/٢
٣١	﴿ فأواريَ ﴾	فأواريْ	٢٢٧/٢

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣٢	﴿من أجل ذلك﴾	مِنَ أجل	٢/ ٢٢٨
		مِنْ إِجْل	٢/ ٢٢٨
٣٧	﴿أن يخرجوا﴾	يُخْرَجوا	٢/ ٢٣٢
٣٨	﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾	والسارقَ ـ والسارقةَ	٢/ ٢٣٤
		والسارقون والسارقات	٢/ ٢٣٤
		فاقطعوا أيمانهم	
٤١	﴿لا تحزنك	لا يَحْزُنْك	٢/ ٢٣٥
	الذين يسارعون﴾	يُسْرِعون	٢/ ٢٣٥
٤٢	﴿أكالون للسحت﴾	السحت ـ بالتخفيف	٢/ ٢٣٧
		والتثقيل	٢/ ٢٣٧
		السَحَت ـ بفتحتين	٢/ ٢٣٧
		السِحْت ـ بكسر السين	
٤٥	﴿وكتبنا عليهم فيها والجروح قصاص﴾	وأنزل الله على بني إسرائيل فيها	٢/ ٢٤٤
		وأن الجروح قصاص	٢/ ٢٤٤
٤٦	﴿وآتيناه الإنجيل﴾	الأنجيل	٢/ ٢٤٦
٤٧	﴿وليحكم أهل الإنجيل﴾	وأنْ لِيَحْكُمْ	٢/ ٢٤٦
٤٨	﴿ومهيمناً عليه	مُهَيْمَناً	٢/ ٢٤٦
	شرعة ومنهاجاً﴾	شَرْعَة	٢/ ٢٤٧
٥٠	﴿أفحكم الجاهلية	أَفَحُكْمُ	٢/ ٢٤٩
	يبغون﴾	تَبْغُون	٢/ ٢٤٩
٥٣	﴿ويقول الذين آمنوا﴾	ويَقُولَ ـ بالنصب عطفاً	٢/ ٢٥١
		يقول ـ بغير واو	٢/ ٢٥١
٥٤	﴿من يرتد منكم	يَرْتَدِدْ	٢/ ٢٥٢
	أذلة على المؤمنين	أَذِلَّة	٢/ ٢٥٧
	أعزة على الكافرين﴾	أَعِزَّة	٢/ ٢٥٧
٥٥	﴿إنما وليكم الله﴾	إنما مولاكم الله	٢/ ٢٥٨

رقم الآيـة	الآيـــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٥٧	﴿من الذين أوتوا الكتاب﴾	من الذين أوتوا الكتاب ومن الذين أشركوا	٢/ ٢٦٠
٥٧	﴿والكفار أولياء﴾	والكفارِ ـ بالجر	٢/ ٢٦٠
		ومن الكفار	٢/ ٢٦٠
٥٩	﴿هل تنقمون منا	تَنْقَمُون	٢/ ٢٦٠
	وأن أكثركم فاسقون﴾	وإنَّ أكثركم	٢/ ٢٦١
٦٠	﴿مثوبة عند الله	مَثْوَبَة	٢/ ٢٦١
	وعبد الطاغوت﴾	وعبدوا الطاغوت	٢/ ٢٦٢
		ومن عبدوا	٢/ ٢٦٢
		وعابد الطاغوت	٢/ ٢٦٢
		وعابدي	٢/ ٢٦٢
		وعِباد	٢/ ٢٦٢
		وعَبْدَ	٢/ ٢٦٢
		الطواغِيت	٢/ ٢٦٣
٦٤	﴿ولعنوا	ولُعْنُوا	٢/ ٢٦٧
	بل يداه مبسوطتان﴾	بَسْطان	٢/ ٢٦٧
٦٧	﴿فما بلغت رسالته﴾	رسالاته	٢/ ٢٦٩
٦٩	﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا	يا أيها الذين آمنوا. . .	٢/ ٢٧٤
	والصابئون﴾	والصابيون	٢/ ٢٧٤
		والصابون	٢/ ٢٧٤
٧١	﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾	ألا يكونَ	٢/ ٢٧٥
		ألا يكونُ	٢/ ٢٧٥
٧١	﴿فعموا وصموا﴾ .	عُمُوا وصُمُوا	٢/ ٢٧٥
٨٣	﴿ترى أعينهم﴾	تُرَى أَعْيُنُهُمْ	٢/ ٢٨٢
٨٥	﴿فأتا بهم الله بما قالوا﴾	فآتاهم الله	٢/ ٢٨٢

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٨٩	﴿بما عقدتم الأيمان	عَقَدْتم ـ بالتخفيف	٢/ ٢٨٧
		عاقدتم	٢/ ٢٨٧
	ما تطعمون أهليكم	أهاليكم	٢/ ٢٨٧
	أو كسوتهم	كُسْوتهم	٢/ ٢٨٧
		أو كأسوتهم	٢/ ٢٨٧
	فصيام ثلاثة أيام﴾	أيام متتابعات	٢/ ٢٨٨
٩٥	﴿فجزاء مثل ما قتل	فجزاؤه مثل ما قتل	٢/ ٢٩٤
		فجزاءُ مِثلِ	٢/ ٢٩٥
		فجزاءُ مثلَ	٢/ ٢٩٥
	من النَّعَم	من النَّعْم	٢/ ٢٩٥
	أو كفارة طعام	أَو كفَارة طعامِ	٢/ ٢٩٦
	أو عدل ذلك﴾	عِدْل ذلك	٢/ ٢٩٦
٩٦	﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه	وطعمه	٢/ ٢٩٧
	وحرم عليكم صيد البر	وحَرَّم عليكم	٢/ ٢٩٨
	ما دمتم حرماً﴾	ما دِمْتُم	٢/ ٢٩٨
١٠٥	﴿عليكم أنفسكم	أنْفُسُكم	٢/ ٣٠٦
	لا يضركم﴾	لا يَضُرْكم	٢/ ٣٠٦
		لا يَضِيركم	٢/ ٣٠٦
		لا يضِرْكم	٢/ ٣٠٦
١٠٦	﴿شهادة بينكم﴾	شهادةٌ بينكم	٢/ ٣٠٧
		شهادةً بينكم	٢/ ٣٠٧
١٠٧	﴿وما أعتدنا إنا إذا لمن الآثمين	لَمِلاَّثِمِين	٢/ ٣٠٩
		الأوَّلين	٢/ ٣٠٩
		الأوْليين	٢/ ٣٠٩
	الأوليان﴾	الأولان	٢/ ٣٠٩
١٠٩	﴿علام الغيوب﴾	علاَّمَ الغيوب	٢/ ٣١١
١١٠	﴿إذ أيدتك﴾	أَيَدْتك ـ على أفعلتك	٢/ ٣١٢
١١٢	﴿هل يستطيع ربك﴾	هل تَسْتَطِيعَ رَبَّكَ	٢/ ٣١٤

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١١٣	﴿ونعلم أن قد صدقتنا	ويُعْلَمَ	٢/ ٣١٤
		وَتَعْلَمَ	٢/ ٣١٤
	ونكون عليها﴾	وتكون	٢/ ٣١٤
١١٤	﴿تكون لنا عيداً	تكنْ لنا عيداً	٢/ ٣١٤
	لأولنا وآخرنا﴾	لأولانا وأخرانا	٢/ ٣١٤
١١٩	﴿هذا يوم ينفع﴾	يَوْمَ ينفع	٢/ ٣١٨
		يومٌ ينفع	٢/ ٣١٨

سورة الأنعام

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٩	﴿لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم	وَلَبَسْنَا ـ بلام واحدة	٢/ ٣٢٦
	ما يلبسون﴾	وَلَبَّسْنَا ـ بالتشديد	٢/ ٣٢٦
١٤	﴿فاطر السَّمٰوات والأرض﴾	فاطِرَ	٢/ ٣٢٩
		فاطرُ	٢/ ٣٢٩
		فطر	٢/ ٣٢٩
١٤	﴿وهو يُطعِم ولا يُطْعَم﴾	ولا يَطْعَمُ	٢/ ٣٢٩
		وهو يُطْعَمُ ولا يُطْعِم ـ	٢/ ٣٢٩
		والضمير لغير الله	٢/ ٣٢٩
		وهو يُطْعِم ولا يُطْعِم ـ	
		للبناء للفاعل	
٢٢	﴿ويوم نحشرهم جميعاً	يَحْشُرهم	٢/ ٣٣٢
	ثم نقول﴾	ثم يقول	٢/ ٣٣٢
٢٣	﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾	تكن فِتْنَتَهُم	٢/ ٣٣٢
٢٣	﴿تكن فتنهم	يَكُنْ فِتْنَتَهُم	٢/ ٣٣٣
		يكن فِتْنَتُهُم	٢/ ٣٣٣
	والله ربنا﴾	والله رَبَّنَا	٢/ ٣٣٣
٢٥	﴿وفي آذانهم وقرا﴾	وِقْراً	٢/ ٣٣٤
٢٧	﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار	وَقَفُوا	٢/ ٣٣٥
	ولا نكذب بآيات ربنا	ولا نكذِّبُ	٢/ ٣٣٦
	ونكون من المؤمنين﴾	ونكونُ	٢/ ٣٣٦

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣٢	﴿وللدار الآخرة خير	ولدارُ الآخرةِ	٢/ ٣٣٨
	أفلا تعقلون﴾	أفلا يَعْقِلُون	٢/ ٣٣٨
٣٣	﴿قد نعلم إنه ليحزنك	لَيُحْزِنُكَ	٢/ ٣٣٩
	فإنهم لا يكذبونك﴾	لاَ يُكْذِبونك	٢/ ٣٣٩
٣٦	﴿ثم إليه يرجعون﴾	يَرْجِعون	٢/ ٣٤٢
٣٧	﴿أن ينزل آية﴾	أن يُنْزِل آية	٢/ ٣٤٢
٣٨	﴿ولا طائر	ولا طائرٌ	٢/ ٣٤٣
	ما فرطنا﴾	ما فَرطْنَا	٢/ ٣٤٣
٤٤	﴿فتحنا عليهم﴾	فَتَّحْنا عليهم	٢/ ٣٤٦
٤٧	﴿بغتة أو جهرة	بَغَتَة أو جَهَرَة	٢/ ٣٤٧
	هل يهلك﴾	هل يَهْلِكُ	٢/ ٣٤٧
٥٧	﴿يقص الحق﴾	يَقِص الحق	٢/ ٣٥٤
		يقَضى بالحق	٢/ ٣٥٤
٥٩	﴿ولا حبة في ظلمات الأرض	ولا حَبَّةٌ	٢/ ٣٥٥
	ولا رطب	ولا رَطْبٌ	٢/ ٣٥٥
	ولا يابس﴾	ولا يابسٌ	٢/ ٣٥٥
٦١	﴿توفته رسلنا	توفاه	٢/ ٣٥٦
	وهم لا يفرطون﴾	يُفْرطون ـ بالتخفيف	٢/ ٣٥٦
٦٨	﴿ينسينك الشيطان﴾	يُنَسِيِّنَّاك	٢/ ٣٥٩
٧٤	﴿لأبيه آزر﴾	آزرُ ـ على النداء	٢/ ٣٦٥
		أَأَزْراً ـ اسم	
		أَإِزْراً ـ صفة	٢/ ٣٦٦
٧٥	﴿وكذلك نرى إبراهيم	وكذلك تُرى إبراهيم	٢/ ٣٦٧
	ملكوت السَّمٰوات والأرض﴾	ملكوتُ السَّمٰوات	٢/ ٣٦٧
٩٢	﴿ولتنذر أُم القُرى﴾	ولينذر ـ بالياء	٢/ ٣٧١
٩٤	﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾	فرادىً ـ بالتنوين	٢/ ٣٧٤
		فُرَادَ ـ مثل ثلاث	٢/ ٣٧٤
		فَرْدَى ـ نحو سكرى	٢/ ٣٧٤

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٩٦	﴿فالق الإصباح وجاعل الليل﴾	الأَصْبَاح	٣٧٥/٢
		فالقَ الإصباح	٣٧٧/٢
		وجَاعِلَ الليلِ	٣٧٧/٢
		فَلَقَ الإصباحَ	٣٧٧/٢
		وجَعَلَ الليلَ	٣٧٧/٢
٩٩	﴿نخرج منه	يُخْرَجُ منه	٣٧٩/٢
	حباً متراكباً	حبٌ متراكبٌ	٣٧٩/٢
	قِنوان	قُنْوان	٣٧٩/٢
		وقَنْوان	٣٧٩/٢
	انظروا إلى ثمره	ثُمُرِهِ	٣٨٠/٢
	وينعه﴾	وَيُنْعِهِ	٣٨٠/٢
		وَيَانِعِه	٣٨٠/٢
١٠٠	﴿شركاء الجن	الجِنُّ	٣٨٠/٢
	وخلقهم	وَخَلْقِهم	٣٨١/٢
	وخرقوا له﴾	وخَرَّقوا	٣٨١/٢
		وحَرَّفوا	٣٨١/٢
١٠١	﴿بديعُ السَّمٰوات	وبَدِيع	٣٨١/٢
	ولم تكن له﴾	ولم يَكُنْ لَهُ	٣٨١/٢
١٠٥	﴿وليقولوا درست﴾	دَارَسْتَ	٣٨٤/٢
		دَرَسَتْ	٣٨٤/٢
		ودُرُسَتْ	٣٨٤/٢
		ودُرِسَتْ	٣٨٤/٢
١٠٨	﴿فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾	عُدُوّاً	٣٨٦/٢
		عَدْوّاً	٣٨٦/٢
١٠٩	﴿وما يشعركم	وما يشعرهم	٣٨٧/٢
	أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾	لعلها إذا جاءت	٣٨٧/٢
		إنها إذا جاءت	٣٨٧/٢

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
١١٠	﴿ونقلب أفئدتهم	ويُقلِّبُ أفئدتُهم	٣٨٨/٢
		وتُقلَّبُ أفئدتُهُم	٣٨٨/٢
	ونذرهم﴾	ويَذَرُهم	٣٨٨/٢
١١٥	﴿وتمت كلمت﴾	كلمةُ	٣٩٠/٢
١١٧	﴿من يضل﴾	يُضِل	٣٩٠/٢
١١٩	﴿وإن كثيراً ليُضلون﴾	لتَضِلُّون	٣٩١/٢
١٢٥	﴿ضيقاً	ضيقاً ـ بالتخفيف	٣٩٤/٢
	حرجاً	حَرِجاً ـ بالكسر	٣٩٤/٢
	كأنما يصعد﴾	يَتَصعَّدُ	٣٩٤/٢
		يصاعد	٣٩٤/٢
١٣٧	﴿وكذلك زين	زُيِّنَ	٤٠١/٢
	قتل أولادهم	قتلُ أولادهم	٤٠١/٢
	شركاؤهم﴾	شركائَهم	٤٠١/٢
١٣٨	﴿وحرث حجر﴾	حُجُر	٤٠٢/٢
١٣٩	﴿خالصةٌ	خالصةَ	٤٠٣/٢
		خالصة	٤٠٣/٢
		خالص	٤٠٣/٢
	وإن يكن ميتةً﴾	وإن تَكُنْ ميتةً	٤٠٣/٢
		وإن تكن ميتةٌ	٤٠٣/٢
١٤٠	﴿الذين قتلوا﴾	قَتَّلُوا	٤٠٤/٢
١٤١	﴿مختلفاً أكله﴾	أُكْلُهُ	٤٠٤/٢
			٤٠٤/٢
١٤٣	﴿ومن المعز	ومن المعزى	٤٠٥/٢
	اثنين﴾	اثنان	٤٠٥/٢
١٤٨	﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾	كَذَب ـ بالتخفيف	٤١٠/٢
١٥٣	﴿وأن هذا صراط مستقيماً﴾	وأَنْ هذا صراطي	٤١٣/٢
		وهذا صراطي	٤١٣/٢
		وهذا صراط ربكم	٤١٣/٢
		وهذا صراط ربك	٤١٣/٢

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٥٣	﴿فتفرق بكم﴾	فَتَفَرَّق ـ بإدغام التاء	٢/ ٤١٣
١٥٤	﴿على الذي أحسن﴾	على الذين أحسنوا	٢/ ٤١٤
		على الذي أحسنُ	٢/ ٤١٤
١٥٦	﴿أن تقولوا﴾	أن يقولوا	٢/ ٤١٥
١٥٧	﴿أو تقولوا﴾	أو يقولوا	٢/ ٤١٥
١٥٨	﴿أن تأتيهم	أن يأتيهم	٢/ ٤١٦
	لا ينفع﴾	لا تنفع	٢/ ٤١٦
١٥٩	﴿ فرقوا ﴾	فارقوا	٢/ ٤١٧
١٦٠	﴿عشر أمثالها﴾	عشرُ أمثالُها	٢/ ٤١٩

سورة الأعراف

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣	﴿قليلاً ما تذكرون﴾	يتذكرون	٢/ ٤٢٢
١٨	﴿مذءوماً مدحوراً	مذوماً ـ بالتخفيف	٢/ ٤٣١
	لمن تبعك﴾	لِمَن تبعك	٢/ ٤٣١
١٩	﴿هذه الشجرة﴾	هذي الشجرة	٢/ ٤٣١
٢٠	﴿ووري	أورى	٢/ ٤٣٢
	من سوءاتهما	سوأتهما ـ بالتوحيد	٢/ ٤٣٢
		سوَّاتهما	٢/ ٤٣٢
	ملكين﴾	مِلِكين	٢/ ٤٣٢
٢٢	﴿وطفقا	وطفقاً	٢/ ٤٣٤
	يخصفان﴾	يَخِصِّفَان	٢/ ٤٣٤
		يُخْصَفَان	٢/ ٤٣٤
٢٦	﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾	ولباسُ التَّقْوى خير	٢/ ٤٣٥
		ولباسَ التَّقْوى	٢/ ٤٣٥
٢٧	﴿هو وقبيله﴾	وقَبِيْلَهُ	٢/ ٤٣٦
٣٢	﴿ خالصة ﴾	خالصةٌ	٢/ ٤٣٩
٣٤	﴿فإذا جاء أجلهم﴾	آجالهم	٢/ ٤٤٠
٣٥	﴿إما يأتينكم﴾	تَأْتِيَنَّكم	٢/ ٤٤٠

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣٩	﴿لا تفتح لهم أبوابُ﴾	لا يُفَتَّح لهم	٢/ ٤٤١
		لا تَفْتَح لهم أبوابَ	٢/ ٤٤١
		لا يَفتَح لهم	٢/ ٤٤١
٤٠	﴿حتى يلج الجمل﴾	الجُمَّلُ	٢/ ٤٤٢
		الجُمَل	٢/ ٤٤٢
		الجُمْل	٢/ ٤٤٢
		الجُمُل	٢/ ٤٤٢
		الجَمْل	٢/ ٤٤٢
٤٠	﴿في سم	سُمّ	٢/ ٤٤٢
		سِمّ	٢/ ٤٤٢
	الخياط﴾	المخَيط	٢/ ٤٤٢
٤٢	﴿لا نكلف نفساً﴾	لا تُكَلَّفُ نفسٌ	٢/ ٤٤٣
٤٣	﴿وما كنا لنهتدي﴾	ما كنا ـ بغير واو	٢/ ٤٤٤
٤٤	﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾	أنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ	٢/ ٤٤٥
		إنَّ لعنةَ	٢/ ٤٤٥
٤٧	﴿وإذا صرفت أبصارهم﴾	وإذا قلبت	٢/ ٤٤٧
٤٨	﴿وما كنتم تستكبرون﴾	تَسْتَكْثِرُون	٢/ ٤٤٧
٤٩	﴿أدخلوا الجنة﴾	أُدْخِلُوا الجنةَ	٢/ ٤٤٧
٥٢	﴿فصلناه على علم﴾	فَضَّلْنَاهُ	٢/ ٤٤٩
٥٣	﴿أو نرد	أو نُرَدَّ	٢/ ٤٤٩
	فنعمل﴾	فَنَعْمَلُ	٢/ ٤٤٩
٥٤	﴿يغشى الليل النهار	يغشّي ـ بالتشديد	٢/ ٤٤٩
		يَغْشَى الليلَ النهارُ	٢/ ٤٤٩
	والشمسَ﴾	والشَمسُ	٢/ ٤٤٩
٥٥	﴿تضرعاً وخفية﴾	وخِفْيَة	٢/ ٤٥٠
٥٧	﴿يرسل الرياح بُشْراً﴾	نَشْراً	٢/ ٤٥١
		بَشْراً	٢/ ٤٥١
		بُشْرى	٢/ ٤٥١

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٥٨	﴿إلاَّ نكداً﴾	نَكَداً	٢/٤٥٢
٥٩	﴿ما لكم من إله غيره﴾	غيرَه	٢/٤٥٤
		غيرِهِ	٢/٤٥٤
٦٢	﴿أبلغكم﴾	أُبْلِغكم	٢/٤٥٤
٧٣	﴿فذروها تأكل﴾	تأكلُ	٢/٤٦٤
٧٤	﴿وتنحتون الجبال﴾	وتَنْحَتُون	٢/٤٦٤
		وتنحاتون	٢/٤٦٤
٩٣	﴿فكيف آسى﴾	إِيسَى	٢/٤٧٧
١٠٠	﴿أو لم يهد﴾	نَهْدِ	٢/٤٨٠
١١١	﴿قالوا أرجه﴾	أَرْجِئَه	٢/٤٨٥
		أَرْجِهِ	٢/٤٨٥
١١٢	﴿بكل ساحر﴾	سَحَّار	٢/٤٨٥
١٢٣	﴿آمنتم له﴾	ٱَآمنتم	٢/٤٩٠
١٢٤	﴿لأقطعن﴾	لَأَقْطَعَنَّ	٢/٤٩٠
١٢٧	﴿ويذرك وآلهتك﴾	ويَذَرُك ـ بالرفع	٢/٤٩١
		ويَذَرْك ـ بالجزم	٢/٤٩١
		ونَذَرَك	٢/٤٩١
		ويذرك وإلاَّ هتك	٢/٤٩١
١٣١	﴿إنما طائرهم عند الله﴾	إنما طيركم عند الله	٢/٤٩٤
١٣٧	﴿وما كانوا يعرشون﴾	يَعْرُشون	٢/٤٩٨
		يَغْرِسون	٢/٤٩٨
١٣٨	﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر	وجَوَّزْنَا	٢/٤٩٩
	فأتوا على قوم يعكفون﴾	يَعْكِفُون	٢/٤٩٩
١٤٢	﴿لأخيه هارون﴾	هارونُ ـ على النداء	٢/٥٠٠
١٤٣	﴿جعله دكاء﴾	دكاءَ	٢/٥٠٥
١٤٥	﴿سأريكم دار الفاسقين﴾	سأوريكم	٢/٥٠٩
		سأورثكم	٥٠٩

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٤٦	﴿وإن يروا	وإن يُرَوا	٢/ ٥٠٩
	سبيل الرشد﴾	الرّشَد	٢/ ٥٠٩
		الرَّشاد	٢/ ٥٠٩
١٤٨	﴿من حليهم عجلاً	حلِيِّهِمْ	٢/ ٥١٠
		حِلْيِهِمْ	٢/ ٥١٠
	له خوار﴾	له جُؤَار	٢/ ٥١٠
١٤٩	﴿ولما سقط	ولما سَقَطَ	٢/ ٥١١
	لئن لم يرحمنا ربنا	تَرْحَمْنَا رَبَّنَا	٢/ ٥١١
	ويَغفر لنا﴾	وَتَغْفِرْ لنا	٢/ ٥١١
١٥٠	﴿قال ابن أمَّ	ابنِ وأُمّ	٢/ ٥١٢
		ابن أُمِّي	٢/ ٥١٢
		ابن إِمِّ	٢/ ٥١٢
	فلا تشمت بي	يَشْمَتْ	٢/ ٥١٢
	الأعداء﴾	الأَعْدَاءُ	٢/ ٥١٢
١٥٤	﴿ولما سكت عن موسى﴾	سَكَنَ	٢/ ٥١٥
		سُكِتَ	٢/ ٥١٥
		ولما أَسَكتَ	٢/ ٥١٥
١٥٦	﴿إنا هدنا إليك	إنا هِدْنا	٢/ ٥١٧
	أصيب به من أشاء﴾	من أساء	٢/ ٥١٧
١٥٧	﴿ويضع عنهم إصرهم	آصارهم	٢/ ٥١٨
	وعزروه﴾	وعَزَرُوه ـ بالتخفيف	٢/ ٥١٨
١٥٨	﴿ وكلماته ﴾	وكلمته	٢/ ٥١٩
١٦٠	﴿وقطعناهم	قَطَعْنَاهم	٢/ ٥٢٠
	اثنتي عشرة﴾	عَشِرَةَ	٢/ ٥٢١
١٦١	﴿نغفر لكم	يَغْفِر لكم	٢/ ٥٢٣
		تُغْفَرْ لكم	٢/ ٥٢٣
		يُغْفَر لكم	٢/ ٥٢٣
	خطيئاتكم﴾	خطاياكم	٢/ ٥٢٣
		خطيئتكم	٢/ ٥٢٣

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٦٣	﴿إذ يعدون﴾	يَعدّون ـ يُعَدّون	٢/ ٥٢٤
١٦٣	﴿يوم سبتهم شرعاً	إسباتهم	٢/ ٥٢٤
	ويوم لا يسبتون﴾	لا يَسْبُتُون	٢/ ٥٢٤
		يُسْبتون	٢/ ٥٢٤
		يُسْبَتُونَ	٢/ ٥٢٤
١٦٥	﴿بعذاب بئيس﴾	بَئِسٍ	٢/ ٥٢٦
		بيَسٍ	٢/ ٥٢٦
		تَيئِسٍ	٢/ ٥٢٦
		بَيْئَسٍ	٢/ ٥٢٦
		بيِّسٍ	٢/ ٥٢٦
١٦٩	﴿ورثوا الكتاب﴾	وُرِّثوا	٢/ ٥٢٨
١٧٠	﴿والذين يمسكون بالكتاب﴾	والذين مَسَكُوا	٢/ ٥٢٨
		والذين ٱسْتَمْسَكُوا	٢/ ٥٢٨
١٧١	﴿واذكروا ما فيه﴾	وَتَذَكَّرُوا	٢/ ٥٢٩
		واذَّكَّروا	٢/ ٥٢٩
١٧٧	﴿ساء مثلاً﴾	ساء مثلُ القومِ	٢/ ٥٣٣
١٨٦	﴿ ويذرهم ﴾	ونَذَرُهم	٢/ ٥٣٧
		وَيَذَرْهم	٢/ ٥٣٧
١٨٧	﴿كأنك حفى عنها﴾	حَفِيٌّ بها	٢/ ٥٣٩
١٨٩	﴿فمرت به	فاسْتَمَرَّتْ	٢/ ٥٤١
		فَمَرَتْ	٢/ ٥٤١
		فمَارَتْ	٢/ ٥٤١
	فلما أثقلت﴾	أُثقِلَتْ	٢/ ٥٤١
١٩٠	﴿جعلا له شركاء﴾	شِرْكاً	٢/ ٥٤٣
٢٠٢	﴿وإخوانهم يمدونهم﴾	يُمدُّونهُمْ	٢/ ٥٤٧
		يُمادُّونهُمْ	٢/ ٥٤٧
٢٠٥	﴿بالغدو والآصال﴾	والإيصال	٢/ ٥٤٨

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة

سورة الأنفال

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢	﴿وجلت قلوبهم﴾	وَجَلَتْ	٢/ ٥٥٢
		فَرَقَتْ	٢/ ٥٥٢
٧	﴿ليحق الحق بكلماته﴾	بكلمته	٢/ ٥٥٧
٩	﴿أني ممدكم﴾	إني ممدكم	٢/ ٥٥٨
٩	﴿بألف من الملائكة	بآلاف	٢/ ٥٥٩
	مردفين﴾	مُرْدَفِين	٢/ ٥٥٩
		مُرِدِّفِين	٢/ ٥٥٩
		مُرُدِّفِين	٢/ ٥٥٩
١١	﴿إذ يغشيكم النعاسُ	يُغْشِيكُمُ النعَاسَ	٢/ ٥٦٠
	أمنة منه	أَمْنَةً	٢/ ٥٦١
	وينزل عليكم	ويُنْزِلُ ـ بالتخفيف	٢/ ٥٦١
	ماء ليطهركم به	مَا ليطهركم به	٢/ ٥٦١
	رجز الشيطان﴾	رجس	٢/ ٥٦١
١٢	﴿أني معكم﴾	إنِّي معكم	٢/ ٥٦٢
١٦	﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾	دُبْرَهُ	٢/ ٥٦٥
١٧	﴿ولكن الله قتلهم	ولَكِن اللَّهُ قَتَلهم	٢/ ٥٦٧
	ولكن الله رمى﴾	وَلكِنِ اللَّهُ رمى	٢/ ٥٦٧
١٨	﴿وأن الله موهن كيد الكافرين﴾	مُوَهِّن	٢/ ٥٦٧
		مُوهِنٌ كَيْدَ	٢/ ٥٦٧
١٩	﴿ولن تغنى	ولن يغنى	٢/ ٥٦٨
	وأن الله مع المؤمنين﴾	وإنَّ الله	٢/ ٥٦٨
		والله مع المؤمنين	٢/ ٥٦٨
٢٤	﴿يحول بين المرء وقلبه﴾	بين المَرِّ	٢/ ٥٧١
٢٥	﴿لا تصيبن﴾	لَتُصِيبَنَّ	٢/ ٥٧٢
٢٧	﴿وتخونوا أماناتكم﴾	أمانتكم	٢/ ٥٧٤

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣٠	﴿ ليثبتوك ﴾	لِيُثَبِّتوك	٢/ ٥٧٦
		لِيَبَيِّتُوك	٢/ ٥٧٦
		لِيُقَيِّدُوك	٢/ ٥٧٦
٣٢	﴿إن كان هذا هو الحق﴾	الحقُّ	٢/ ٥٧٧
٣٥	﴿وما كان صلاتهم عند البيت	صَلاتَهُمْ	٢/ ٥٧٨
	إلا مكاء﴾	مَكَا	٢/ ٥٧٨
٣٩	﴿إن الله بما يعملون بصير﴾	تَعْمَلُونَ	٢/ ٥٨١
٤١	﴿فأن لله خمسه﴾	فإِن لِلَّهِ خمسه	٢/ ٥٨١
		فلِلَّهِ خمسه	٢/ ٥٨١
٤٢	﴿ليهلك من هلك﴾	ليَهْلَكَ	٢/ ٥٨٦
٤٦	﴿ولا تنازعوا﴾	بتشديد النون	٢/ ٥٨٨
٤٦	﴿وتذهب ريحكم﴾	ويُذْهِبْ ريحكم	٢/ ٥٨٨
٥٧	ف﴿شَرِّد بهم	فَشَرِّذْ بهم	٢/ ٥٩٢
	من خلفهم﴾	مِنْ خَلْفِهِم	٢/ ٥٩٢
٥٩	﴿ولا يسحبن الذين كفروا	وَلاَ يَحْسِبِ	٢/ ٥٩٣
	إنهم	أَنَّهُمْ	٢/ ٥٩٣
	لا يعجزون﴾	يُعَجِّزون	٢/ ٥٩٣
		يُعْجِزُونِ	٢/ ٥٩٣
٦٠	﴿ومن رباط الخيل﴾	ومن رُبُطِ الخَيْل	٢/ ٥٩٤
٦٠	﴿ترهبون به عدو الله﴾	تُرَهِّبُون	٢/ ٥٩٥
		تُخْزُون	٢/ ٥٩٥
٦١	﴿وإن جنحوا للسّلم	لِلسَّلْم	٢/ ٥٩٥
	فاجنح لها﴾	فاجْنُحْ	٢/ ٥٩٥
٦٥	﴿حرص المؤمنين﴾	حَرِّص	٢/ ٥٩٧
٦٦	﴿وعلم أن فيكم ضعفاً﴾	وضُعفاً	٢/ ٥٩٨
		ضُعُفاً	٢/ ٥٩٨

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦٧	﴿ما كان لنبي أن يكون	ما كان للنبي	٢/ ٥٩٨
	له أسرى	له أُسَارى	٢/ ٥٩٨
	حتى يثخن﴾	حتى يُثَخِّنَ	٢/ ٥٩٨
٦٧	﴿تريدون عرض الدنيا﴾	يريدون	٢/ ٦٠٠
٦٧	﴿والله يريد الآخرة﴾	الآخرةِ	٢/ ٦٠٠
٧٠	﴿يؤتكم خيراً	يُثِبْكم	٢/ ٦٠٢
	مما أخذ منكم﴾	مما أَخَذَ	
٧٢	﴿ما لكم من ولايتهم﴾	مِنْ وِلاَيتهم	٢/ ٦٠٣
٧٣	﴿وفساد كبير﴾	كثير	٢/ ٦٠٤

سورة التوبة

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿براَءةٌ	براءةً	٣/ ٧
	من الله﴾	منِ الله	٣/ ٧
٨	﴿ إلّاَ ﴾	إيلا	٣/ ١٦
١٥	﴿ ويتوبُ ﴾	يتوبَ	٣/ ١٩
١٩	﴿ «سقاية الحاج وعمارة» ﴾	سُقاة	٣/ ٢٤
٢١	﴿يبشرهم﴾	بالتخفيف والتثقيل	٣/ ٢٥
٢٤	﴿عشيرتكم﴾	عشيرَاتكُم	٣/ ٢٦
٢٨	﴿ «إنما المشركون نجس» ﴾	نِجسٌ ـ أنجاس	٣/ ٣١
٣٠	﴿يضاهئون﴾	يضاهُؤُن	٣/ ٣٤
٣٥	﴿ يحمى	تُحْمَى	٣/ ٤١
	«فذوقو ما كنتم تكنزون» ﴾	تكنُزُون	٣/ ٤١
٣٧	﴿إنما النسيء	النَسى . . . . . . النِدى	٣/ ٤٣
	يُضَلُّ به	النسى . . . . . النُّهَى	٣/ ٤٣
	ليُوَاطِئُوا	النسء	٣/ ٤٣
	زُيِّن﴾	يَضَلِ	٣/ ٤٣
		يُضِلُّ	٣/ ٤٣
		لِيُوَطِّئُوا	٣/ ٤٤
		زَيَّن	

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣٨	﴿ اثَّاقلتم ﴾	تثاقلتم ـ «أثاقلتم؟»	٣/ ٤٤
٤٠	﴿ثانيَ اثنين﴾	أثانيْ اثنين بالسكون	٣/ ٤٥
٤٢	﴿«ولكن بَعُدت عليهم الشُّقة» ﴾	بَعِدَت	٣/ ٤٧
		الشِّقة «بكسر الشين»	٣/ ٤٧
٤٦	﴿لأعدوا له عدة﴾	عُدَّةُ عِدَّةُ عدّه	٣/ ٤٩
٤٧	﴿ولأوضعوا﴾	ولأرقصوا ولأوفضوا	٣/ ٥١
٤٩	﴿ولا تفتن	«ولا تُفْتِنِّى» من أفتنه	٣/ ٥٢
	سقطوا﴾	سقط	٣/ ٥٢
٥١	﴿قل لن يصيبنا﴾	قل هل يُصِيبَنَا قل هل يصَيِّبنا	٣/ ٥٢
٥٤	﴿أن تقبل﴾	أن يُقْبَلَ أن يَقْبَل	٣/ ٥٧
٥٧	﴿مدخلا	مدَّخلاً «من دخل»	٣/ ٥٨
	لولوا إليه	مَدْخلاً «من أدخل»	٣/ ٥٨
	يجمحون﴾	متدخلاً لوألوا إليه يَجْمَزُون	
٥٨	﴿ يلمزك ﴾	يُلَمِّزُك يُلاَمِزُكَ	٣/ ٥٩
٦٠	﴿ فريضةً ﴾	فريضةٌ	٣/ ٦٠
٦١	﴿ أذنٌ	أذنُ «بالتخفيف»	٣/ ٦٢
	رحمةٌ ﴾	رحمةً	٣/ ٦٢
٦٣	﴿ألم يعلموا﴾	ألم تعلموا	٣/ ٦٣

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٦٦	﴿إن نعف عن طائفة	«إن تُعْفَ عن طائفة	٣/ ٦٤
	نعذب طائفة﴾	إن يَعْفُ عن طائفة يعذب	٣/ ٦٤
		طائفة	
		تُعَذَّب طائفة	
٧٧	﴿يكذبون﴾	يُكذِّبُون	٣/ ٧١
٧٨	﴿يعلموا﴾	تعلموا	٣/ ٧١
٧٩	﴿يلمزون	يُلمَزُون	٣/ ٧٢
	جهدهم﴾	جَهْدَهم	٣/ ٧٣
٩٠	﴿المعذِّرون	المُعْذِرَون بالتخفيف	٣/ ٨٠
	كذبوا﴾	المُعَّذَّرون	٣/ ٨٠
		كذَّبوا	٣/ ٨١
٩٨	﴿عليهم دائرة السَّوْءِ﴾	السُّوء	٣/ ٨٤
٩٩	﴿ الأنصار ﴾	الأنصارُ	٣/ ٨٥
١٠٠	﴿تجري تحتها﴾	تجري من تَحْتِهَا	٣/ ٨٦
١٠٣	﴿تطهرهم	تُطْهِرْهم «بالجزم»	٣/ ٨٩
	وتزكيهم﴾	ويزكيهم	٣/ ٨٩
١٠٤	﴿ألم يعلموا﴾	ألم تعلموا	٣/ ٨٩
١٠٦	﴿مرجون	مُرْجَؤُون	٣/ ٩٠
	عليم حكيم﴾	غفور رحيم	٣/ ٩١
١٠٧	﴿والذين اتخذوا﴾	الذين اتخذوا	٣/ ٩١
١٠٩	﴿أسس بنيان﴾ه	أُسِّسَ بنيانُه ـ	٣/ ٩٤
		أُسُسُ بنيانه (على الإضافة)	٣/ ٩٤
		أساس بالفتح والكسر	
		آساس بنيانه على أفعال	
		جمع «أس»	
		أس بنيانه	
١٠٩	﴿فانهار به﴾	فانهارت به قواعده	٣/ ٩٥
١٠٩	﴿على تقوى من الله﴾	على تقوىً من الله	٣/ ٩٥

رقم الآيـة	الآيـــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١١٠	﴿إلا أن تقطع قلوبهم إلا أن﴾	يَقْطَع	٣/ ٩٦
		تَقْطَعْ ـ	٣/ ٩٦
		تَقَطعَ بفتح التاء بمعنى تتقطع	٣/ ٩٦
		تَقْطَعَ قُلُوبَهُم	
		إلى أن	
		«ولو قطعت قلوبهم»	
		ولو قطعت قلوبهم (خطاب الرسول أو كل مخاطب)	
١١١	﴿التائبون ـ الحافظون﴾	التائبين ـ الحافظين	٣/ ٩٧
١١٤	﴿وما كان استغفار إبراهيم﴾	ما استغفر إبراهيم لأبيه	٣/ ٩٨
		وما يستغفر إبراهيم (على حكاية الحال الماضية)	٣/ ٩٨
١١٤	﴿وعدها إياه﴾	وعدها أباه	٣/ ٩٨
١١٨	﴿خلّفوا﴾	خلفوا	٣/ ١٠٢
		خالفوا	
		وعلى الثلاثة الخالفين	
١١٩	﴿مع الصادقين﴾	من الصادقين	٣/ ١٠٥
١٢٠	﴿ ظمأ ﴾	ظماءِ (بالمد)	٣/ ١٠٧
١٢٣	﴿ غلظة ﴾	غلْظة	٣/ ١٠٩
		غُلْظَة	٣/ ١٠٩
١٢٤	﴿ أيُكم ﴾	أيَكم	٣/ ١٠٩
١٢٦	﴿أو لا يرون﴾	أو لا ترون	٣/ ١١٠
١٢٨	﴿من أنفسكم﴾	من أنفَسِكُمْ	١١١
١٢٩	﴿وهو رب العرش العظيمِ﴾	العظيمُ	١١١

سورة يونس

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢٤	﴿وازَّينت	تَزَيَّنَتْ	٣/ ١٢٩
	كأن لم تَغْنَ بالأمس﴾	أَزْيَنَت	٣/ ١٣٠
		ازيانَّت	
		تَتَغَنَّ	
		يغن	
٢٧	﴿وترهقهم	يَرْهَقُهُمْ	٣/ ١٣٢
	قطعاً	قِطْعاً	٣/ ١٣٢
	كأنما أغشيت وجوهم قطعاً من الليل مظلما﴾	كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم	٣/ ١٣٢
٢٨	﴿ثم نقول للذين أشركوا	وشُرَكَاءَكُمْ	٣/ ١٣٣
	مكانكم أنتم وشركاؤكم	فَزَايَلْنَا	٣/ ١٣٤
	فزيلنا﴾		
٣٠	﴿هنالك تبلوا كل نفس	نَبلُوا كلَّ نفس ـ	٣/ ١٣٤
	الحق﴾	تتلوا ـ	٣/ ١٣٤
		الحقَّ	
٣٥	﴿أمن لا يهدي	لا يَهَدِّي ـ	٣/ ١٣٦
	إلا أن يهدي﴾	إلا أن يَهْدِي	٣/ ١٣٦
		(من الهَدَاة)	
٣٦	﴿يفعلون﴾	تفعلون	٣/ ١٣٦
٣٧	﴿ولكن تصديق﴾	تصديقُ	٣/ ١٣٧
٣٨	﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾	بسورَةِ مِثْلِهِ	٣/ ١٣٧
٤٦	﴿ثم الله شهيد﴾	ثَمَّ	٣/ ١٤٧
٤٩	﴿إذا جاء أجلهم﴾	فإذا جاء آجالهم	٣/ ١٤٨
٥١	﴿ءامنتم به ءالآن وقد كنتم به تستعجلون﴾	ءامنتم به ءالان (بحذف الهمزة بعد اللام)	٣/ ١٤٩
٥٣	﴿أحقٌّ هو﴾	آلحق هو	٣/ ١٤٩
٥٨	﴿فبذلك فليفرحوا هو خير مما	فَلْتَفْرَحُوا	٣/ ١٥٠
	يجمعون﴾	فافرحوا	٣/ ١٥١

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٦٠	﴿وما ظنُّ الذين﴾	وما ظنَّ الذين	١٥٢/٣
٦١	﴿وما يعذُبُ	يعذِبُ	١٥٢/٣
	ولا أصغر من ذلك ولا أكبر﴾	ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ	١٥٢/٣
٦٥	﴿إن العِزَّة﴾	أَنَّ العِزَّة	١٥٨/٣
٦٦	﴿الذين يدعون من دون الله﴾	تَدْعون	١٥٩/٣
٧١	﴿فأجمعوا﴾	فاْجْمَعُوا	١٦١/٣
٧١	﴿وشركاءكم	وشركاؤكم	١٦١/٣
	فأجمعوا أمركم وشركاءكم	فأجمعوا أمركم وادعوا	١٦١/٣
	ثم اقضوا إلى﴾	شركاءكم	١٦٢/٣
		ثم أفضوا إلى «بالفاء»	
٧٤	﴿ نطبع ﴾	يطبع	١٦٤/٣
٧٨	﴿تكون لكما﴾	يكون لكما	١٦٤/٣
٨١	﴿ما جئتم به السحر﴾	آلسحر -	١٦٥/٣
		ما جئتم به سِحْر -	
		ما أتيتم به سحر	
٨٢	﴿ويحق الله الحق بكلماته﴾	بكلمته	١٦٥/٣
٨٨	﴿إنك آتيت -	أئِنَّك آتيت	١٦٨/٣
	اطمس﴾	اطمُس	١٦٨/٣
٨٩	﴿ولا تتبعان﴾	ولا تَتْبَعَانِ	١٦٨/٣
٩٠	﴿وجاوزنا﴾	وجوَّزْنا	١٦٨/٣
٩٠	﴿وعَدْوًا	وعدوًّا	١٦٩/٣
	آمنت أنه﴾	آمنت إنه	١٦٩/٣
٩٢	﴿ننجيك	نُنجِيكَ -	١٧٢/٣
	ببدنك	نُنَحِّيكَ (بالحاء)	١٧٢/٣
	لمن خلفك﴾	بأبدانك	١٧٢/٣
		خَلَقَكَ	١٧٣/٣

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٩٨	﴿فلولا	فهلاً	٣/١٧٥
	إلا قوم يونس﴾	إلا قومُ يونس	٣/١٧٥
١٠٠	﴿ويجعل	ونجعل	٣/١٧٦
	الرجس﴾	الرجز	٣/١٧٦
١٠١	﴿وما تغنى﴾	وما يغنى	٣/١٧٧
١٠٣	﴿ننج المؤمنين﴾	نُنَجِّ	٣/١٧٧

سورة هود

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٥	﴿ يثنون ﴾	تثنوني صدورُهم	٣/١٨٣
		اثنوني تثنون «بالتاء والياء»	٣/١٨٣
		لتثنوني	
		تثنونً ـ	
		تثنئن ـ	
		تثنوى	
٧	﴿إن هذا إلا سحر﴾	إن هذا إلا ساحر	٣/١٨٥
١٥	﴿ نوف ﴾	يُوَفّ	٣/١٨٨
		تُوَفّ	
		نوفى «بالتخفيف»	
١٦	﴿ وباطل ما كانوا يعملون﴾	وبطل «على الفعل»	٣/١٨٩
		وباطلاً «بالنصب»	
١٧	﴿كتابُ موسى	كتابَ موسى	٣/١٨٩
	مِرْيه﴾	مُرْيةٍ	٣/١٨٩
٢٠	﴿يضاعف﴾	يُضَعَّفُ	٣/١٩٠
٢٧	﴿بادي الرأي﴾	باديء	٣/١٩٣
٢٨	﴿فعميت﴾	فَعَمِيَتْ	٣/١٩٣
		فعماها	
٢٩	﴿بطارد الذين﴾	بطاردِ الذين	٣/١٩٤
٣٢	﴿جدالنا﴾	جَدَلَنَا	٣/١٩٥

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٤١	﴿مجراها ومرساها﴾	مَجْرَاهَا ومَرْسَاها ـ مُجْرِيها ومُرْسِيها	٣/ ٢٠٠
٤٢	﴿نوح ابنه	ابنها ـ	٣/ ٢٠١
	يا بنيَّ﴾	ابنهَ «بفتح الهاء» ـ ابناه	٣/ ٢٠١
		يا بنيِّ	٣/ ٢٠٢
٤٣	﴿إلا من رحم﴾	إلا من رُحِمَ	٣/ ٢٠٢
٤٦	﴿فلا تسئلن﴾	فلا تسئلنِّ ـ فلا تسئلنيِّ	٣/ ٢٠٥
٤٨	﴿يا نوح اهبط	اهبُط	٣/ ٢٠٦
	وبركات عليك﴾	وبركة عليك	٣/ ٢٠٦
٥٠	﴿ غيرهُ ﴾	غَيرِهِ	٣/ ٢٠٧
٦٦	﴿ومن خزي يوْمِئذٍ﴾	يوْمَئذٍ	٣/ ٢١٤
٦٨	﴿ألا إن ثمودا ـ لثمود﴾	قرىء كلاهما بالصرف والامتناع	٣/ ٢١٤
٦٩	﴿قالوا سلاماً قال سلامٌ﴾	قالوا سلمًا قال سلمٌ	٣/ ٢١٥
٧٠	﴿فضحكت﴾	فَضَحَكَتْ	٣/ ٢١٦
٧١	﴿وامرأته قائمة﴾	وامرأته قائمة وهو قاعد	٣/ ٢١٦
٧١	﴿ يعقوبَ ﴾	يعقوبُ	٣/ ٢١٦
٧٢	﴿يا ويلتا	يا ويلتي	٣/ ٢١٧
	شيخاً﴾	شيخٌ	٣/ ٢١٧
٧٨	﴿هن أطهر﴾	هن أطهرَ لكم	٣/ ٢١٩
٨٠	﴿أو آوى	أو آوِىَ «بالنصب»	٣/ ٢٢٠
	ركن﴾	رُكُن	٣/ ٢٢١
٨١	﴿إلا امرأتك﴾	إلا امرأتُك	٣/ ٢٢٢
٨٦	﴿بَقِيَّتُ الله خير لكم﴾	تقية الله	٣/ ٢٢٥
٨٧	﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾	أو أن نفعل في أموالنا ما تشاء	٣/ ٢٢٦

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٨٩	﴿لا يجرمنكم	لا يُجْرِمَنَّكُمْ (بضم الياء)	٢٢٨/٣
	مثل ما أصاب﴾	مثلَ ما أصاب	٢٢٨/٣
٩٥	﴿بعدت﴾	بَعُدَت	٢٣٠/٣
١٠٢	﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ﴾	وكذلك أَخَذَ ربُّك إِذْ أَخَذَ القرى	٢٣٤/٣
١٠٤	﴿وما نؤخره﴾	وما يؤخره «بالياء»	٢٣٥/٣
١٠٥	﴿يوم يأت﴾	يوم يَأْتِهِمْ «بغير ياء»	٢٣٥/٣
١٠٦	﴿شقوا﴾	شُقُوا	
١١١	﴿وإن كلاً	وإِنْ كُلاً «بالتخفيف»	٢٤٠/٣
	وإن كلاً لما ليوفينهم﴾	وإن كلٌّ لما ليوفينهم	٢٤٠/٣
		وإن كلٌّ إلا ليوفينهم	
		وإن كلاً إلا ليوفينهم	
١١٣	﴿ولا تركنوا	تَركُنوا	٢٤١/٣
	فتمسكم النار﴾	يركَنوا	٢٤١/٣
		تُركَنُوا	
		فَتِمِسَّكُمُ النار	
١١٤	﴿ «طرفي النهار وزلفا» ﴾	زُلُفاً	٢٤٣/٣
		زُلْفا	٢٤٦/٣
		زُلْفى	

سورة يوسف

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٤	﴿يوسف	يُوسِفَ	٢٥١/٣
	يا أبت	يُوسَفَ	٢٥١/٣
	إني رأيت﴾	يا أبتَ	٢٥١/٣
		يا أبتُ	٢٥٣/٣
		بتحريك الياء «إنّيَ»	
٥	﴿رؤياك﴾	روياك	٢٥٣/٣
		رُيَّاك	
		رِيَّاك	

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٧	﴿آيات﴾	آية	٣/ ٢٥٧
		عبرة	٣/ ٢٥٧
٨	﴿ونحن عصبةٌ﴾	عصبةً	٣/ ٢٥٨
١٠	﴿في غيابت الجب	غَيَابَات	٣/ ٣٥٩
		غيَّابات	٣/ ٢٥٩
		غيْبَة	٣/ ٢٥٩
	يلتقطه﴾	تَلْتَقِطْه	
١١	﴿تأمنا﴾	تأمننا	٣/ ٢٥٩
		بالإدغام بإشمام ونغير إشمام	٣/ ٢٥٩
		تِيمَنَّا بكسر التاء مع الإدغام	
١٢	﴿يرتع ويلعب﴾	نرتع من ارتعى ـ يرتعى	٣/ ٢٥٩
		يرتعُ ويلعبُ «بالرفع»	٣/ ٢٥٩
		يرتعِ «بكسر العين» ويلعبُ	
١٣	﴿الذئب﴾	الذِّيْبُ	٣/ ٢٦٠
١٥	﴿لينبئنهم﴾	لننبئنهم	٣/ ٢٦١
١٦	﴿عشاءً﴾	عُشَيًّا ـ عشوا	٣/ ٢٦٢
١٨	﴿بدم كذب	كذباً ـ	٣/ ٢٦٢
		كدب ـ بالدال المهملة	٣/ ٢٦٢
	فصبر جميل﴾	فصبراً جميلاً	٣/ ٢٦٣
١٩	﴿يا بشرى﴾	يا بشرَايَ	٣/ ٢٦٤
		يا بشرِى	
		با بشرَايْ	٣/ ٢٦٤
٢٣	﴿هيت لك﴾	هِيْتَ لك	٣/ ٢٦٧
		هِيتْ	
		هَيْتَ لك	
		هئتُ لك	٣/ ٢٦٧
		وهُيِّئْتُ لك	

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٢٦	﴿من قبل ـ من دبر﴾	من قُبُلَ ـ من دُبُرَ	٢٧٤/٣
		من قُبْل ـ من دُبْر	٢٧٤/٣
٣٠	﴿نسوة	نُسْوَةٌ	٢٧٥/٣
	قد شغفها﴾	شَعَفَها «بالعين»	٢٧٦/٣
٣١	م﴿تّكَأً	مُتَّكاً «بغير همز»	٢٧٧/٣
		مِتْكَاءً	٢٧٧/٣
	حاش لله	حاشا لله	٢٧٩/٣
		حاشاً لله «بالتنوين»	
		حشا لله	
		حاشْ لله	٢٧٩/٣
	ما هذا بَشَرًا﴾	حاشا الإله	٢٨٠/٣
		بشرٌ ـ بِشَرى	
٣٢	﴿وليكونا﴾	بالتخفيف ـ والتشديد	٢٨١/٣
٣٣	﴿أصب إليهن﴾	أصب إليهن ـ «من الصبابة»	٢٨٢/٣
٣٥	﴿ليسجننه	لتَسْجُنُنَّهُ «بالتاء»	٢٨٢/٣
	حتى حين﴾	عتى حين	
٣٦	﴿أعصر خمراً﴾	أعصر عنباً	٢٨٥/٣
٤١	﴿فيسقى ربه﴾	فيُسْقَى	٢٨٦/٣
٤٥	﴿وادَّكر	واذَّكر	٢٩١/٣
	أمة	إِمَّة	٢٩١/٣
	أنا أنبئكم بتأويله﴾	أنا آتيكم بتأويله	٢٩٢/٣
٤٩	﴿يعصرون﴾	يُعْصرون	٢٩٣/٣
٥٠	﴿ما بال النسوة﴾	النُّسوةِ	٢٩٥/٣
٥١	ح﴿صْحَصَ﴾	حُصْحِصَ	٢٩٥/٣
٥٦	﴿يتبوأ﴾	نتبوأ	٣٠٠/٣
٦٢	﴿لفتيانه﴾	لفِتْيَتِهِ	٣٠٢/٣
٦٤	﴿فالله خير حافظاً﴾	فالله خير حِفْظاً	٣٠٣/٣
		فالله خير حفْظٌ	
		«خير الحافظين»	٣٠٣/٣

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦٥	﴿ردت إلينا	رِدَّت إلينا	٣/ ٣٠٣
	قالوا يا أبانا ما نبغي﴾	ما تبغي	٣/ ٣٠٤
٧٠	﴿جعل السقاية﴾	وجعل السقايةِ	٣/ ٣٠٨
٧١	﴿ما تفقدون﴾	تُفْقِدُونَ	٣/ ٣٠٨
٧٢	﴿صواع﴾	صِوَاع	٣/ ٣٠٨
		صَاعُ	
		صُوع	٣/ ٣٠٨
		صَوْع	
٧٦	﴿وعاء	وُعَاءِ	٣/ ٣٠٩
		إعاءِ	
	نرفع درجات﴾	يرفع درجات	٣/ ٣٠٩
			٣/ ٣١٠
٧٧	﴿فأسرها﴾	فأسرَّهُ	٣/ ٣١١
٨١	﴿سرق﴾	سُرِّق	٣/ ٣١١
٨٥	﴿حرضاً﴾	حُرُضًا	٣/ ٣١٩
٨٦	﴿وحزني﴾	حَزَني	
		حُزُني	٣/ ٣١٩
٨٧	﴿فتحسسوا	فتجسسوا	٣/ ٣١٩
	من روح﴾	من رُوح الله	٣/ ٣١٩
٩٠	﴿أئنك لأنت يوسف﴾	أئنك «على الاستفهام» أنك	٣/ ٣٢١
		«على الإيجاب»	٣/ ٣٢١
		أئنك أو أنت يوسف	
٩٤	﴿ولما فصلت﴾	فلما انفصل	٣/ ٣٢٤
١٠٥	﴿وكأين من آية في السموات	والأرضُ	
	والأرض يمرون عليها﴾	والأرضَ	
		والأرضُ يمشون عليها	٣/ ٣٢٨
١٠٩	﴿ «أفلا تَعقلون» ﴾	أفلا يَعقلون	٣/ ٣٢٩

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١١٠	﴿كُذِبُوا	كُذِّبوا	٣/ ٣٣٠
	فنجى من نشاء﴾	كَذَبُوا	
		فننجي بالتخفيف والتشديد	٣/ ٣٣٠
		فنجا	
١١١	﴿قصصهم﴾	قِصَصِهم	٣/ ٣٣١

سورة الرعد

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢	﴿بغير عمد	عُمُدٍ	٣/ ٣٣٢
	ترونها	ترونه	٣/ ٣٣٢
	يدبر﴾	ندبر	٣/ ٣٣٢
٣	﴿يغشى﴾	يُغَشِّى	٣/ ٣٣٢
٤	﴿وفي الأرض قطع متجاورات	قطعًا متجاورات	٣/ ٣٣٣
	وجنات	وجناتٍ	٣/ ٣٣٣
	وزروع ونخيل	وزروعٍ ونخيلٍ	٣/ ٣٣٣
	صنوان	صُنْوان	٣/ ٣٣٣
	يسقى	تُسْقى	
	نفصل﴾	يُفَصِّل	
		يُفَصَّل	٣/ ٣٣٣
٦	﴿المثلات﴾	الْمُثُلاَت	
		المَثْلات	
		المُثْلاَت	٣/ ٣٣٤
١١	﴿له معقبات﴾	معاقيب	٣/ ٣٣٨
١١	﴿يحفظونه من أمر الله﴾	يحفظونه بأمر الله	٣/ ٣٣٨
١٣	﴿المحال﴾	المَحَال	٣/ ٣٤٢
١٤	﴿يدعون	تدعون	٣/ ٣٤٢
	كباسط كفيه﴾	كباسطٍ كفيه	٣/ ٣٤٣
١٥	﴿بالغدو والآصال﴾	بالغدو والإيصال	٣/ ٣٤٣
١٧	﴿جفاء﴾	جفالاً	٣/ ٣٤٦
٢٣	﴿من صلح﴾	صَلُحَ	٣٤٩

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢٩	﴿طوبى لهم﴾	طِيبى لهم	٣/ ٣٥١
٢٩	﴿وحسنُ مآب﴾	وحسنَ مآب	٣/ ٣٥١
٣٣	﴿وصدّوا﴾	وصَدُّوا	٣/ ٣٥٥
		وصِدُّوا	
		وصَدٌّ	٣/ ٣٥٥
٣٥	﴿مثل الجنة﴾	أمثال الجنة	٣/ ٣٥٥
٣٦	﴿ولا أشرك﴾	ولا أشركُ	٣/ ٣٥٦
٤١	﴿ننقصها﴾	نُنَقِّصُهَا	٣/ ٣٥٧
٤٢	﴿وسيعلم الكفار﴾	الكافرون	٣/ ٣٥٨
		الذين كفروا	٣/ ٣٥٨
		الكفر	٣/ ٣٥٨
		وَسَيُعْلَم الكَافِرُ	٣/ ٣٥٨
٤٣	﴿ومن عنده علم الكتاب﴾	ومِنْ عنده عِلْم الكتاب	٣/ ٣٥٩
		«على من الجادة» ومِن عنده عُلِمَ الكتاب	٣/ ٣٥٩
		وبمن عنده علمُ الكتاب	

سورة إبراهيم

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢	﴿اللهِ الذي﴾	اللهُ الذي	٣/ ٣٦٠
٣	﴿ويصدون﴾	وَيُصِدُّون	٣/ ٣٦١
٤	﴿إلا بلسان قومه﴾	بِلِسَنِ قومه	٣/ ٣٦٢
		بِلُسُنَ	
		بِلُسْنِ	٣/ ٣٦٢
٧	﴿وإذ تأذن ربكم﴾	وإذ قال ربكم	٣/ ٣٦٤
٩	﴿تدعوننا﴾	تدعونًا	٣/ ٣٦٦
١٣	﴿لنهلكن﴾	لَيُهْلِكن	٣/ ٣٦٦
١٤	﴿ولنسكننكم﴾	وَلَيُسْكِنَنَّكُمْ	٣/ ٣٦٨
١٥	﴿واستفتحوا﴾	واستفتِحُوا «بلفظ الأمر»	٣/ ٣٦٩

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٨	﴿ «الريح» ﴾	الرياح	٣/ ٣٧١
١٨	﴿في يوم عاصف﴾	في يومِ عاصفٍ «بالإضافة»	٣/ ٣٧١
١٩	﴿خلق السموات والأرض﴾	خالق السموات والأرض	٣/ ٣٧٢
٢٢	﴿فلا تلوموني	فلا يلوموني	٣/ ٣٧٦
	بمصرخيّ﴾	بمصرخيِّ	٣/ ٣٧٥
٢٣	﴿وأدخل﴾	وأُدْخِلُ	٣/ ٣٧٦
٢٤	﴿ألم تر	ألم ترْ	٣/ ٣٧٧
	أصلها ثابت﴾	ثابت أصلها	٣/ ٣٧٧
٢٦	﴿ومثل كلمة﴾	ومثل كلمةً	٣/ ٣٧٨
٣٠	﴿لِيُضِلُّوا﴾	لِيَضِلُّوا	٣/ ٣٨٠
٣٤	﴿من كل ما سألتموه﴾	من كلٍّ «بالتنوين»	٣/ ٣٨٢
٣٥	﴿واجنبنى﴾	وأَجْنِبْنى	٣/ ٣٨٣
٣٧	﴿أفئدة	آفدة	٣/ ٣٨٥
		أفدة	٣/ ٣٨٥
	تهوى إليهم﴾	تُهْوى إليهم	٣/ ٣٨٥
٤١	﴿ولوالدي﴾	وَلأَبَوَيَّ -	٣/ ٣٨٨
		ولوالِدِيْ «بالإفراد»	
		ولِوَلَدَيَّ	
		ولوُلْدَيَّ	٣/ ٣٨٨
٤٢	﴿يؤخرهم﴾	نؤخرهم	٣/ ٣٨٩
٤٥	﴿تبين لكم﴾	نُبَيِّنُ لكم	٣/ ٣٩٢
٤٦	﴿وإن كان مكرهم	وما كان مكرهم	٣/ ٣٩٢
		وإن كاد مكرهم	٣/ ٣٩٣
		لَتَزُولُ	
	لتزول﴾		٣/ ٣٩٢
٤٧	﴿وعده رسله﴾	وَعْدَه رُسُلِه	٣/ ٣٩٣
٤٨	﴿تبدل﴾	نبدلُ	٣/ ٣٩٤

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٥٠	﴿قطران﴾	قطرآن	٣/ ٣٩٥
٥٢	﴿ولينذوا﴾	وليَنْذِرُوا	٣/ ٣٩٥
		سورة الحجر	
٢	﴿ربما﴾	رُبَّمَا	٣/ ٣٩٦
		رُبَمَا	
		رَبَمَا	٣/ ٣٩٦
٦	ن﴿زِّل عليه﴾	ألقى عليه	٣/ ٣٩٨
٨	﴿ما ننزل الملائكة﴾	ما تُنَزَّلُ	٣/ ٣٩٩
١٤	﴿يعرجون﴾	يَعْرِجُون	٣/ ٤٠١
١٥	﴿سكرت﴾	سُكِرَت	
		سَكِرَت	٣/ ٤٠١
٢٠	﴿معايش﴾	معائش	٣/ ٤٠١
٢٢	﴿الرياح﴾	الريح	٣/ ٤٠٣
٢٧	﴿والجانَّ خلقناه﴾	والجأن	٣/ ٤٠٥
٤٤	﴿جزء﴾	جزء بالتخفيف والتثقيل	٣/ ٤٠٧
		جزّ	٣/ ٤٠٧
٤٦	﴿ادخلوها﴾	أدخلوها	٣/ ٤٠٧
٥٣	﴿لا تَوْجل﴾	لا تُوجل	٣/ ٤٠٧
		لا تأجل	
		لا تواجل	٣/ ٤٠٧
٥٣	﴿نبشرك﴾	نَبْشُرَكَ	٣/ ٤٠٧
٥٤	﴿تبشرون﴾	تبشرونِ «على حذف نون الجمع»	٣/ ٤٠٧
٥٥	﴿من القانطين﴾	من القنطين	٣/ ٤٠٧
٥٦	﴿ومن يقنط﴾	ومن يقنطَ	٣/ ٤٠٩
		ومن يَقْنِط	٣/ ٤٠٩
٥٩	﴿لمنجوهم﴾	لمنْجُوهُم	٣/ ٤١٠

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦٠	﴿قدرنا﴾	قدَرْنا	٣/ ٤١١
٦٥	﴿فأسر﴾	فاسر «بهمزة الوصل»	٣/ ٤١١
٦٦	﴿أن دابر﴾	إِنَّ دابر	٣/ ٤١٣
		وقلنا إن دابر	٣/ ٤١٣
٨٦	﴿إن ربك هو الخلاق﴾	إن ربك هو الخالق	٣/ ٤١٣

سورة النحل

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿فلا تستعجلوه	فلا يَستعجلوه	٣/ ٤٢٢
	يشركون﴾	تشركون	٣/ ٤٢٢
٢	﴿ينزل الملائكة﴾	يُنْزِلُ	٣/ ٤٢٢
		تَنَزَّلُ	٣/ ٤٢٢
٣	﴿يشركون﴾	تشركون	٣/ ٤٢٣
٥	﴿ دفء ﴾	دفٌ	
٦	﴿حين تريحون وحين تسرحون﴾	حيناً تريحون وحيناً تسرحون	٣/ ٤٢٤
٧	﴿بشق الأنفس﴾	بِشَقِّ الأنفس	٣/ ٤٢٤
٨	﴿لتركبوها وزينة﴾	لتركبوها زينة «بغير واو»	٣/ ٤٢٦
٩	﴿ومنها جائر﴾	ومنكم جائر	٣/ ٤٢٧
١١	﴿ ينبت ﴾	يَنْبُتُ	٣/ ٤٢٧
		يُنَبِّتُ	٣/ ٤٢٧
١١	﴿الزرع والزيتون والنخيل والأعناب﴾	الزرعُ والزيتونُ والنخيلُ والأعنابُ	٣/ ٤٢٧
١٢	﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات﴾	وسخر لكم الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ والنجومَ	٣/ ٤٢٨
١٢	﴿وسخر لكم﴾	وسخر لكم الليلَ والنهارَ	٣/ ٤٢٨
		والشمسُ والقمرُ والنجومُ والنجومُ مسخراتٌ وما قبلها بالنصب	٣/ ٤٢٨

رقم الآية	الآية	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢٠	﴿والذين يدعون﴾	والذين تدعون	٣/ ٤٣١
		والذين يُدْعَوْن	٣/ ٤٣١
٢١	﴿ أيان ﴾	إيَان	٣/ ٤٣١
٢٦	﴿بنيانهم	بينهم	٣/ ٤٣٣
	السقف﴾	السُّقُفُ	٣/ ٤٣٣
٢٧	﴿تشاقونَ﴾	تُشَاقُونِ	٣/ ٤٣٣
٢٨	﴿الذين تتوفاهم﴾	الذين يتوفاهم	
		الذين تَوفَّاهم	٣/ ٤٣٣
٣٣	﴿إلا أن تأتيهم الملائكة﴾	إلا أن يأتيهم الملائكة	٣/ ٤٣٤
٣٧	﴿لا يهدي من يُضِل	لا يُهْدَي من يُضِلُّ	٣/ ٤٣٦
		لا هادي لمن يضل	٣/ ٤٣٦
		لمن أضل	
	يضل	يَضَلُّ	
	إن تحرِص﴾	تحرَص	٣/ ٤٣٦
٤٠	﴿فيكونُ﴾	فيكونَ	٣/ ٤٣٦
٤١	﴿لنبوئنهم﴾	لَنُثَوِّيَنهم	٣/ ٤٣٧
٤٨	﴿أو لم يروا	أو لم تروا	٣/ ٤٣٩
	يتفيؤا﴾	تتفيؤا	٣/ ٤٣٩
٥٣	﴿تجئرون﴾	تَجَرُون «بحذف الهمزة»	٣/ ٤٤٠
٥٤	﴿كشف الضر﴾	كَاشِفَ الضر	٣/ ٤٤١
٥٥	﴿فتمتعوا﴾	فَيُمَتَّعُوا	٣/ ٤٤١
٥٩	﴿أيمسكه ـ أم يدسه	أيمسكها ـ أم يدسها	٣/ ٤٤٣
	على هون﴾	على هوان	٣/ ٤٤٣
٦٢	﴿ألسنتهم الكذب﴾	الكذب «جمع كذوب»	٣/ ٤٤٥
٦٢	﴿مفرطون﴾	مُفرِطون	٣/ ٤٤٥
		مُفَرِّطون	
		مُفَرَّطون	٣/ ٤٤٥

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦٦	﴿سائغاً﴾	سيِّغًا	٣/ ٤٤٨
		سيْغًا	٣/ ٤٤٨
٦٨	﴿النحل	النَّحَل	٣/ ٤٥٠
	يعرشون﴾	يعرُشُون	٣/ ٤٥٠
٧١	﴿يجحدون﴾	تَجْحَدُون	٣/ ٤٥٤
٧٨	﴿أمهاتكم﴾	إِمهاتكم	٣/ ٤٥٤
٧٩	﴿ألم يروا﴾	ألم تروا	٣/ ٤٥٨
٨٠	﴿يوم ظعنكم﴾	يوم ظَعِنِكم	٣/ ٤٥٩
٨١	﴿لعلكم تسلمون﴾	لعلكم تَسْلَمُون «من السلامة»	٣/ ٤٦٠
١٠٢	﴿القدس	القُدْسِ	٣/ ٤٧٤
	ليثبت﴾	ليُثْبِتَ	٣/ ٤٧٤
١٠٣	﴿لسان الذي يلحدون	يَلْحَدون	٣/ ٤٧٤
	وهذا لسان عربي﴾	وهذا اللِّسَانُ	٣/ ٤٧٤
١١٠	﴿ما فتنوا﴾	فَتَنُوا	٣/ ٤٧٧
١١٦	﴿الكذب﴾	الكذبِ	٣/ ٤٨١
		الكذُبُ «جمع كذوب»	٣/ ٤٨١
١٢٤	﴿إنما جعل﴾	إنما جَعَل السبت	٣/ ٤٨٥
		إنما أنزلنا السبت	٣/ ٤٨٥
١٢٦	﴿وإن عاقبتم فعاقبوا﴾	وإن عقبتم فعقبوا	٣/ ٤٨٦
١٢٧	﴿ولا تك في ضيق﴾	ولا تكن في ضيق	٣/ ٤٩٠

سورة الإسراء

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿أسرى بعبده ليلا	من الليلِ	٣/ ٤٩٢
	لنريه	لِيُرِيَهُ	٣/ ٤٩٣
	من ءاياتنا	ثُمَّ مِنْ ءاياتنا ـ على طريق الالتفات	٣/ ٤٩٣
	إنه هو﴾	ثُمَّ إنه هو	٣/ ٤٩٣
٢	﴿ألا تتخذوا﴾	ألا يتخذوا	٣/ ٤٩٤

رقم الآية	الآية	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣	﴿ذريَّة﴾	ذُرِّيَّة	٣/ ٤٩٤
		ذِرِّيَّة	٣/ ٤٩٤
٤	﴿لتفسدن﴾	لتُفْسَدُنَّ	٣/ ٤٩٥
		لتَفْسُدُنَّ	
٥	﴿عبادًا لنا	عبيدًا لنا	٣/ ٤٩٥
	فجاسوا﴾	فحاسوا	٣/ ٤٩٥
		فجوسوا	٣/ ٤٩٥
٧	﴿ليسوءوا وجوهكم﴾	ليسوءَ	٣/ ٤٩٦
		لنسوء	
		لنسوأنَّ	٣/ ٤٩٦
		ليسوأنَّ	٣/ ٤٩٦
		لنسوأنْ	
٩	﴿ويبشر﴾	ويُبْشِرَ	٣/ ٤٩٦
١٣	﴿ونخرج	ويُخْرِجُ	٣/ ٤٩٩
	يلقاه﴾	ويُخْرَجُ	٣/ ٤٩٩
		يُلَقَّاه	
١٦	﴿أمَرْنَا﴾	آمرنا	٣/ ٥٠٢
١٨	﴿نشاء﴾	يشاء	٣/ ٥٠٢
٢١	﴿وأكبر تفضيلا﴾	وأكثر تفضيلا	٣/ ٥٠٦
٢٣	﴿وقضى	وأوصى	٣/ ٥٠٦
		ووصى	٣/ ٥٠٦
		وقضاء ربك	
	أف﴾	أفٌّ «بالتنوين وغيره»	٣/ ٥٠٧
		أفاً «بالتنوين وغيره»	
		أفِ	
٢٤	﴿جناح الذُّل﴾	الذِّل	٣/ ٥٠٨

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣١	﴿خشية	خِشْيَة	٣/ ٥١٥
	خطأ﴾	خطأ «بالكسر والمد»	
		خَطَاءً	
		خَطْأً	
		خَطا «بحذف الهمزة»	
		خِطا «بحذف الهمزة»	
٣٣	﴿فلا يُسْرف﴾	فلا تُسْرِفْ	٣/ ٥١٦
		فلا تُسْرِفُوا	٣/ ٥١٦
٣٥	﴿بالقسطاس﴾	بالقُسْطاس	٣/ ٥١٧
٣٦	﴿والفؤاد﴾	والفَوَاد	٣/ ٥٢٠
٣٧	﴿لن تخرق﴾	لن تخرُق	٣/ ٥٢٠
٣٨	﴿كان سيئة﴾	سَيِّئَةً	٣/ ٥٢٠
		سَيِّئًا	
		سيئات	٣/ ٥٢٠
		كان شأنه	٣/ ٥٢٠
٤١	﴿ولقد صرَّفنا	صَرَفنا	٣/ ٥٢١
	ليذَّكَّروا﴾	ليَذْكُروا وبالتخفيف	٣/ ٥٢١
٤٢	﴿كما يقولون﴾	كما تَقُولون	٣/ ٥٢٢
٥٣	﴿يَنْزَغُ﴾	يَنْزِغُ	٣/ ٥٢٥
٥٩	﴿مبصرة﴾	مَبْصرةً	٣/ ٥٢٧
٦٠	﴿الشجرة﴾	الشجرةُ	٣/ ٥٢٩
٦٩	﴿أن يعيدكم ـ	نعيدكم ـ فنرسل ـ فنغرقكم	٣/ ٥٣٣
	فيرسل	فترسل ـ فتغرقكم	٣/ ٥٣٣
	فيغرقكم﴾		
٧١	﴿ندعو﴾	يَدْعُو	٣/ ٥٣٦
		يُدْعَى	٣/ ٥٣٦
		يَدْعُوَا «بقلب الألف واواً»	٣/ ٥٣٦
٧١	﴿بإمامهم﴾	بكتابهم	٣/ ٥٣٧

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٧٢	﴿أعمى.... أعمى﴾	الأولى مُمالاً، والثاني بالتفخيم	٣/ ٥٣٨
٧٧	﴿إذا لا يلبثون﴾	لا يَلْبَثُوا	٣/ ٥٤١
٨٠	﴿مدخل صدق ـ مُخْرَج﴾	مَدخل ـ مَخرج	٣/ ٥٤٥
٨٢	﴿ننزل﴾	نُنْزِل	٣/ ٥٤٧
٨٣	﴿ونئا بجانبه﴾	ناء بجانبه	٣/ ٥٤٨
٩٢	﴿كسفا﴾	كِسْفًا	٣/ ٥٥٢
١٠٢	﴿لقد علمت﴾	لقد علمتُ	٣/ ٥٥٨
١٠٢	﴿وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾	وإن إخالك يا فرعون لمثبورا	٣/ ٥٥٨
١٠٦	﴿وقرآناً فرقناه﴾	فَرَّقْناه	٣/ ٥٥٩

سورة الكهف

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢	﴿لدنه	لدْنِه «سكون الدال مع	٣/ ٥٦٥
	ويبشر﴾	إشمام الضمة»	٣/ ٥٦٥
		وَيَبْشِرَ	
٥	﴿كبرت كلمةً﴾	كبْرت كلمة «بسكون الباء مع الإشمام بالضمة»	٣/ ٥٦٥
٦	﴿باخع نفسك	باخِعُ نَفْسِك	٣/ ٥٦٦
	إن لم يؤمنوا﴾	أن لم يؤمنوا	٣/ ٥٦٦
١٢	﴿لنعلم﴾	ليعلم	٣/ ٥٦٧
١٦	﴿مرفقا﴾	مَرفقا	٣/ ٥٦٩
١٧	﴿تزاور﴾	تتزاور	٣/ ٥٧٠
		تَزَّاوَرْ	
		تَزْوَرّ	
		تَزْوَارّ	٣/ ٥٧٠

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٨	﴿وتحسبهم	وتَحْسِبُهم	٣/ ٥٧١
	ونقلبهم	ويُقَلِّبُهم	٣/ ٥٧١
	وكلبهم	وتَقَلُّبَهُمْ	٣/ ٥٧١
	ولملئت	وكالبهم	٣/ ٥٧١
		ولَمُلِّئت	٣/ ٥٧١
	رعبا	وَلَمُلِيتَ ـ «بالتخفيف والتثقيل»	٣/ ٥٧١
		رعبا	
	بورقكم﴾	بوَرْقكم	٣/ ٥٧٣
		بِورْقكم	٣/ ٥٧٣
		بِوَرِكُّم «إدغام القاف من الكاف»	٣/ ٥٧٣
		بوِرْكم «إدغام القاف من الكاف» وكسر الواو	
٢٥	﴿ثلاث مائة سنين	ثلثمائة سنين «بالإضافة»	٣/ ٥٧٩
		ثلثمائة سنة	٣/ ٥٧٩
	تسعا﴾		
		تَسْعًا	٣/ ٥٧٩
٢٦	﴿ولا يشرك﴾	ولا تشرك	٣/ ٥٧٩
٢٨	﴿بالغداة﴾	بالغدوة	٣/ ٥٨٠
٢٨	﴿ولا تعد عيناك	ولا تعد عينيك	٣/ ٥٨١
		ولا تُعَدِّ عينيك	٣/ ٥٨١
	أغفلنا قلبه﴾		
		أَغْفَلَنَا قلبُهُ ـ بإسناد الفعل إلى القلب	٣/ ٥٨٢
٣٣	﴿كلتا الجنتين آتت أكلها وفجرنا﴾	كل الجنتين آتى أكله	٣/ ٥٨٥
		وفَجَرْنَا	٣/ ٥٨٥
٣٦	﴿خيرا منها﴾	خيراً منهما	٣/ ٥٨٦

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣٨	﴿لكنا هو الله ربي﴾	لكنَّهُ هو الله ربي	٣/ ٥٨٧
		لكنْ هو الله ربي	
		لكنْ أنا هو الله ربي	
		لكنْ أنا لا إله إلا هو ربي	٣/ ٥٨٧
٤٣	﴿ولم تَكن﴾	ولم يَكن	٣/ ٥٨٩
٤٤	﴿الولاية	الوِلايَةُ	٣/ ٥٨٩
	الحق	الحقُّ	٣/ ٥٨٩
	عقبا﴾	عُقُبًا	٣/ ٥٨٩
٤٥	﴿تذروه﴾	تذريه	٣/ ٥٩٠
٤٧	﴿نسير	تُسَيَّرُ	٣/ ٥٩٠
	وترى الأرض	تَسِير	٣/ ٥٩٠
	فلم نغادر﴾	وتُرَى الأرضَ	٣/ ٥٩٠
		فلم يغادر	٣/ ٥٩٠
٥١	﴿ما أشهدتهم	ما أشهدناهم	٣/ ٥٩٢
	وما كنت	وما كنتَ	٣/ ٥٩٢
	متخذ المضلين	مُتَّخِذًا المضلين	٣/ ٥٩٢
	عضدا﴾	عُضْدًا	٣/ ٥٩٣
		عَضْدًا	
		عُضُدًا	٣/ ٥٩٣
		عَضَدًا	
٥٢	﴿يقول﴾	نَقُول	٣/ ٥٩٣
٥٦	﴿هزوا﴾	هُزْأً	٣/ ٥٩٤
٥٩	﴿لمهلكهم﴾	لمهلَكهم	٣/ ٥٩٥
٦٠	﴿مجمع﴾	مِجْمَع	٣/ ٥٩٦
٦٤	﴿نبغ﴾	نبغِيْ	٣/ ٥٩٨
٧١	﴿لتغرق أهلها﴾	لتُغَرِّق	٣/ ٦٠٠
		ليَغْرَق أهلُها	٣/ ٦٠٠
٧٣	﴿عسرًا﴾	عُسُرًا	٣/ ٦٠٠

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٧٤	﴿زكية﴾	زَاكِيَةً	٣/ ٦٠١
٧٦	﴿فلا تصاحبني	فلا تَصْحَبْنِي	٣/ ٦٠٢
		فلا تَصْحَبَنِي	٣/ ٦٠٢
	من لدنى﴾	لَدُنِيْ	
		لَدْنِي	٣/ ٦٠٢
			٣/ ٦٠٢
٧٧	﴿أن يَضيفوهما	أن يُضِيْفُوهما	٣/ ٦٠٢
	يريد أن ينقض﴾	أن يَنْقُضَ	
		أن يَنْقَاضَّ	٣/ ٦٠٥
٧٩	﴿يأخذ كل سفينة غصبا﴾	يأخذ كل سفينة صالحةً غصبا	٣/ ٦٠٧
٨٠	﴿فكان أبواه مؤمنين﴾	مؤمنانِ	٣/ ٦٠٧
٨١	﴿أن يبدلهما﴾	أن يبدِّلَهُمَا	٣/ ٦٠٧
٨٢	﴿فأراد ربك﴾	فخاف ربُّك	٣/ ٦٠٧
٨٦	﴿حمئه﴾	حاميه	٣/ ٦١٠
٨٨	﴿جزاء الحسنى	جزاءُ الحسنى	٣/ ٦١٢
	يُسرا﴾	يُسُرًا	٣/ ٦١٢
٩٤	﴿سدّا﴾	سُدًّا	٣/ ٦١٥
٩٦	﴿آتوني	ايْتُوني	٣/ ٦١٦
	ساوى	سوَّى	٣/ ٦١٦
	الصدفين﴾	سووى	٣/ ٦١٦
		الصُّدُفَيْن	٣/ ٦١٦
		الصُّدْفِين	
		الصَّدْفين	٣/ ٦١٦
٩٧	﴿فما اسطاعو﴾	فما اصطاعوا	٣/ ٦١٦
		اسطاعوا «إدْغام التاء من الطاء»	٣/ ٦١٦
٩٨	﴿دكاء﴾	دَكًّا	٣/ ٦١٦

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٠٢	﴿أفحسب﴾	أَفَظَنَّ	٣/ ٦١٧
١٠٥	﴿فلا نقيم﴾	فلا يُقِيم	٣/ ٦١٨
١٠٩	﴿مدادًا	مِددًا	٣/ ٦١٩
	تَنفذ﴾	يَنفَذ	٣/ ٦١٩

سورة مريم

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿كهيعص﴾	بفتح الهاء وكسر الياء	٤/ ٥
		وبكسرهما	٤/ ٥
		وبضمهما	٤/ ٥
٢	﴿ذكر رحمت ربك﴾	ذَكَّرْ رَحْمَة رَبك	٤/ ٥
٤	﴿وهن العظم﴾	قُرىء «وهن» بالحركات الثلاث	٤/ ٥
٥	﴿من ورائي﴾	من وراى	٤/ ٦
٦	﴿يرثنى ويرث من آل يعقوب﴾	يرثنى وارثَ آل يعقوب	٤/ ٦
		يرثنى أُوَيْرث	٤/ ٦
		يرثنى وارَثٌ	٤/ ٧
٨	﴿عتيا﴾	عَتِيًا	٤/ ٨
		عَسِيا	٤/ ٨
٩	﴿هو عليّ هين	وهو عليّ هين	٤/ ٨
	وقد خلقتك من قبل﴾	خَلَقْنَاكَ	٤/ ٩
٢٣	﴿فأجاءها المخاص	المِخَاضُ	٤/ ١٣
	يا ليتني مت	مُتُّ	٤/ ١٣
	وكنت نسيا	نِسْياً	٤/ ١٤
	مَنسيا﴾	نَسْأ	٤/ ١٤
		مِنسيًا	٤/ ١٤
٢٤	﴿فناداها﴾	فَخَاطَبها	٤/ ١٤

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢٥	﴿تساقط عليك	تَسَّاقط	٤/ ١٦
		تَتَسَاقَط	
		يَسَّاقط	
		تِسَاقط	
		تَسْقُط } للجذع	
		تُسْقِط	٤/ ١٦
		يَسْقُط } للنخلة	
		يُسْقِط	٤/ ١٦
	رطبا جنيا﴾	جِنِيًّا	
٢٦	﴿وقرى عينا	وَقِرِّى	٤/ ١٧
	فإما ترين	تَرَئِنَّ	٤/ ١٧
	نذرت للرحمن صوما﴾	صمتا	٤/ ١٧
		صياما	٤/ ١٧
٣٤	﴿ذلك عيسى بن مريم قول الحق	قَالَ الحقَّ	٤/ ١٩
	الذي فيه يمترون﴾	قُول الحق	٤/ ١٩
		تَمْتَرُون	٤/ ٢٠
٥٩	﴿خَلف أضاعوا	خَلَفٌ	٤/ ٣٢
	الصلاة﴾	الصلوات	٤/ ٣٢
٦١	﴿جنات عدن﴾	جناتُ عدن	٤/ ٣٤
		جنةُ عدن	٤/ ٣٤
٦٣	﴿تلك الجنة التي نُوَرث﴾	نُوَرِّثُ	٤/ ٣٥
٦٤	﴿وما نَتَنَزَّلُ	يَتَنَزَّلُ	٤/ ٣٧
	إلا بأمر ربك﴾	بقولِ ربك	٤/ ٣٧
٦٦	﴿لسوف أخرج حيا﴾	لَسَأُخْرَجُ	٤/ ٤٠
٦٧	﴿أو لا يذكر الإنسان﴾	يَذَّكَّرُ	٤/ ٤١
		يتذكرُ	٤/ ٤١
٧١	﴿وإن منكم ألا واردها﴾	وإن منهم	٤/ ٤٣

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٧٢	﴿ثم ننجي﴾	لَنُنَجِّيَنَّهُ	٤/٤٧
		نُنْجِى	
		يُنْجِى	
		يُنْجَىٰ	٤/٤٧
٧٣	﴿خير مقاما﴾	مُقَامًا	٤/٤٧
٧٤	﴿أثاثا ورئيا﴾	وَرَئْيا	٤/٤٨
		وَرَيْئا	
		وَرِيًّا	
		وريتاً	٤/٤٨
		وزِيًّا	
٧٧	﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾	وُلْدًا	٤/٥١
		وِلْدًا	٤/٥١
٧٩	﴿ونمد له﴾	وَنُمِدّ	٤/٥٢
٨٢	﴿كلا سيكفرون﴾	كَلاً	٤/٥٣
٨٥	﴿يوم نحشر المتقين﴾	يوم يُحْشَرُ المتقون	٤/٥٦
٨٦	﴿ونسوق المجرمين﴾	ويساق المجرمون	٤/٥٦
٨٩	﴿شيئًا إدًا﴾	شيئا أَدًّاً	٤/٥٧
٩٠	﴿تكاد السموات يتفطرن منه﴾	يَكَادُ	٤/٥٧
		يَنْفَطِرْنَ	
		يَنْصَرِ عْنَ	٤/٥٧
٩٣	﴿آتِ الرحمن﴾	آتَ	٤/٦٠
٩٦	﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾	وِدًاً	٤/٦٠
٩٨	﴿هل تحس منهم	تَحِسُّ ـ من حَسَّه	٤/٦٢
	أو تسمع لهم﴾	تُسْمِع ـ مضارع أسمعت	٤/٦٢

سورة طه

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿ طه ﴾	تفخيم الطاء، وإمالة الهاء	٤/٦٣
		تفخيم الهاء	
		طه: أمر بالوطء	٤/٦٣

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢	﴿ما أنزلنا﴾	ما نُزِّلَ	٤/ ٦٥
٤	﴿تنزيلا﴾	تَنْزِيلٌ	٤/ ٦٦
٥	﴿الرحمن على العرش استوى﴾	الرحمنِ	٤/ ٦٧
١٢	﴿إني أنا ربك﴾	أني أنا ربك	٤/ ٧٠
١٣	﴿وأنا اخترتك﴾	وإنا اخترناك	٤/ ٧١
١٥	﴿أكاد أخفيها﴾	أخفيها من نفسي	٤/ ٧٣
		أخفيها من نفسي فكيف أوظهر كم عليها؟	٤/ ٧٣
		أُخْفِيَها ـ بالفتح	
١٨	﴿قال هي عصاي﴾	عصيّ	٤/ ٧٤
		عَصَايِ	
٣١	﴿اشدد به أزرى﴾	أَشدُدْ، وأُشْرِكْهُ	٤/ ٨٠
		أخى وأشدد	
		واشدد به أزرى	٤/ ٨٠
٣٩	﴿ولتصنع على عيني﴾	ولِتِصنَع	٤/ ٨٢
		ولْتِصنعْ	
		ولتصنعَ	٤/ ٨٢
٤٢	﴿ولا تنيا﴾	ولا تِنِيَا	٤/ ٨٣
٤٤	﴿قولا لينا﴾	قولاً لِيْنًا	٤/ ٨٤
٤٥	﴿أن يفرط علينا﴾	يُفْرِطَ	٤/ ٨٤
٥٠	﴿أعطى كل شيء خلقه﴾	خَلَقَهُ	٤/ ٨٦
٥٩	﴿يوم الزينة﴾	يَوْمَ الزينةَ	٤/ ٩٠
٦٣	﴿إن هذان لساحران﴾	إنَّ هذين لساحران	٤/ ٩١
		إنَّ هذان لساحران	٤/ ٩١
		إنْ ذان إلا ساحران	٤/ ٩٢
		أنَّ هذان ساحران	٤/ ٩٢
٦٤	﴿فأجمعوا كيدكم﴾	فَاْجْمِعُوا	٤/ ٩٢

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء / الصفحة
٦٦	﴿وعصيهم	وعِصِيُّهمُ	٤/ ٩٣
	يخيل إليه﴾	تَخَيَّل	٤/ ٩٣
٦٩	﴿يَلقف ما صنعوا	تَلْقَفُ	٤/ ٩٥
	إنما صنعوا كيد ساحر﴾	كَيْدَ ساحر	٤/ ٩٥
		كيد سِحْر	٤/ ٩٥
٧١	﴿لأصلبنكم ـ ولأقطعن﴾	قرىء بالتخفيف	٤/ ٩٦
٧٧	﴿من البحر يبسا	يَبْساً	٤/ ٩٨
	لا تخافا﴾	يابساً	
		لا تخف	٤/ ٩٨
٨٠	﴿قد أنجيناكم	أنجيتكم	٤/ ٩٩
	الأيمنَ﴾	الأيمنِ	٤/ ١٠٠
٨١	﴿ما رزقناكم	رزقنكم	٤/ ١٠٠
	فيحل عليكم﴾	لا يحلن عليكم	٤/ ١٠٠
٨٤	﴿قال هم أولاء على أثرى﴾	أولى ـ بالقصر على أثْرى	٤/ ١٠١
		أُثرئي	٤/ ١٠١
٨٧	﴿موعدك بملكنا﴾	بِمَلِكُنا ـ قرىء بالحركات الثلاث	٤/ ١٠٣
٩٤	﴿لا تأخذ بلحيتي﴾	بِلَحْيَتِي	٤/ ١٠٥
٩٦	﴿بصرت بما لم يبصروا	بَصِرْتُ بالكسر	٤/ ١٠٥
	فقبضت قبضة	قُبْضَة	٤/ ١٠٦
	من أثر الرسول﴾	قبصت قبصة بالصاد من أثر فرس الرسول	٤/ ١٠٦
٩٧	﴿لن نخلفه	نُخْلِفُه	٤/ ١٠٧
	الذي ظلت	ظَلِلْتَ	٤/ ١٠٧
	لنحرقنه	لَنُحْرِقَنَّه	٤/ ١٠٧
	ثم لننسفنه﴾	لَنَنْسُفَنَّه	٤/ ١٠٧
٩٨	﴿وسع﴾	وَسَّعَ	٤/ ١٠٧
١٠٠	﴿يحمل يوم القيامة﴾	قرىء: يحمل ـ جمع	٤/ ١٠٨

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٠٢	﴿يوم ينفخ في الصور	ننفخ	٤/ ١٠٨
	ونحشر المجرمين﴾	يَنْفُخُ	٤/ ١٠٨
		يَحْشُرُ	٤/ ١٠٩
		في الصُّوَرِ	٤/ ١٠٩
١١٢	﴿فلا يخاف ظلما﴾	فلا يَخَفْ	٤/ ١١١
١١٣	﴿أو يحدث﴾	نُحْدِثُ	٤/ ١١١
		تُحْدِثُ	٤/ ١١١
١١٩	﴿وأنك لا تَظمأ فيها﴾	وإنَّكَ	٤/ ١١٤
١٢٤	﴿معيشة ضنكا	ضنكىٰ	٤/ ١١٧
	ونحشره﴾	نحشره ـ بسكون الهاء	٤/ ١١٨
١٣٠	﴿وأطراف النهار	وأطرافِ	٤/ ١١٩
	لعلك ترضى﴾	تُرْضَى	٤/ ١١٩
١٣٣	﴿بينة ما في الصحف﴾	الصُّحْفِ ـ بالتخفيف	٤/ ١٢٢
١٣٤	﴿أن نذل﴾	نُذَلُّ	٤/ ١٢٣
١٣٥	﴿فتربصوا فستعلمون﴾	فتمتعوا فسوف تعلمون	٤/ ١٢٣
١٣٥	﴿السوى﴾	السواء	٤/ ١٢٣

سورة الأنبياء

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٨	﴿فيدمغه﴾	فَيَدْمَغَهُ	٤/ ١٣٤
٢٤	﴿ذكر من معي وذكر من قبلي	ذِكْرٌ من معي وذكرٌ من قبلي	٤/ ١٣٨
	لا يعلمون الحق﴾	ذكرٌ معي و«ذكرٌ قبلي»	٤/ ١٣٨
		الحقُّ	٤/ ١٣٨
٢٦	﴿عباد مكرمون﴾	مُكَرَّمون	٤/ ١٣٩
٢٧	﴿لا يسبقونه﴾	يَسْبُقُونهُ	٤/ ١٣٩
٣٠	﴿أو لم يَرَ؟	ألم ير؟	٤/ ١٤٠
	رتقا﴾	رَتَقًا	٤/ ١٤٠
٣٠	﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾	حَيًّا	٤/ ١٤١
٣٢	﴿عن آياتها﴾	عن آيتها ـ على التوحيد	٤/ ١٤٣

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٤٠	﴿بل تأتيهم	يَأْتيهم	١٤٦/٤
	بَغْتة	بَغَتَة	١٤٦/٤
	فتبهتهم﴾	فَيَبْهتهم	١٤٦/٤
٤٥	﴿ولا يسمع الصم﴾	ولا تُسْمِعُ	١٤٧/٤
٤٧	﴿مثقال حبة﴾	مثقالُ	١٤٩/٤
٤٨	﴿وضياء وذكرا﴾	ضياءً (بغير واو)	١٤٩/٤
٥٧	﴿وتاللَّهِ	باللَّه	١٥١/٤
	بعد أن تولوا﴾	تَوَلَّوا	١٥١/٤
٦٣	﴿قال بل فعله كبيرهم﴾	فَعَلَّهُ	١٥٣/٤
٦٥	﴿ثم نكسوا﴾	نَكَّسُوا	١٥٣/٤
٧٨	﴿وكنا لحكمهم﴾	لحكمهما	١٥٧/٤
٧٩	﴿ففهمناها سليمان﴾	فَأَفْهَمْنَاها	١٥٧/٤
٨٠	﴿لتحصنكم﴾	لِنُحْصنكم	١٥٩/٤
		لِيُحْصِنكم	١٥٩/٤
		لتُحصِّنكم	١٥٩/٤
		لِنُحصِّنكم	١٥٩/٤
		ليُحصِّنكم	١٥٩/٤
٨١	﴿ولسليمان الريح﴾	الرِّيحُ	١٥٩/٤
		الرِّياحُ	١٥٩/٤
٨٣	﴿أني مسني	إنِّي مسني	١٦٠/٤
	الضر﴾	الضَّرُّ	١٦٠/٤
٨٧	﴿إذ ذهب مغاضبا	مُغْضَباً	١٦١/٤
	فظن أن لن نقدر﴾	نُقَدِّرَ	١٦١/٤
		يَقْدِرَ	١٦١/٤
		يُقْدَرَ	١٦١/٤
		يُقَدَّرَ	١٦١/٤
٨٨	﴿وكذلك ننجي﴾	نُجِّيْ	١٦٢/٤
٩٠	﴿رغبا ورهبا﴾	رَغْباً ورَهْباً	١٦٣/٤

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٩٥	﴿وحرام على قرية	حَرَم	١٦٤/٤
		حَرِم	١٦٤/٤
		حَرَّم	١٦٤/٤
	أهلكناها أنهم﴾	حُرِّم	١٦٤/٤
		إِنَّهم	١٦٥/٤
٩٦	﴿يأجوج	آجوج	١٦٥/٤
	وهم من كل حدب	جَدَثٍ	١٦٥/٤
	ينسلون﴾	يَنْسُلُون	١٦٥/٤
٩٨	﴿حصب جهنم﴾	حَصْبُ	١٦٧/٤
		حَطَبُ	١٦٧/٤
		حَضَبُ	١٦٧/٤
		حَضْبُ	١٦٧/٤
١٠٤	﴿يوم نطوى السماء﴾	تُطْوَى السماءُ	١٦٨/٤
١١٢	﴿قال رب أحكم بالحق	قل رب	١٧١/٤
		رَبُّ احكُمْ	١٧١/٤
		رَبِّي أَحْكَمُ	١٧١/٤
	المستعان على ما تصفون﴾	يَصِفُونَ	١٧١/٤

سورة الحج

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٢	﴿تذهل كل مرضعة	تُذْهَلُ	١٧٤/٤
	وترى	وتُرَى	١٧٥/٤
	الناس	النَّاسُ	١٧٥/٤
	سكارى	سَكْرَىٰ	١٧٥/٤
	وما هم بسكارى﴾	بسَكْرَىٰ	١٧٥/٤
		سُكْرَىٰ	١٧٥/٤
		وما هم بسُكْرَىٰ	١٧٥/٤
٤	﴿أنه من تولاَّهُ	إِنَّهُ	١٧٦/٤
	فأنه يضله﴾	فَإِنَّهُ	١٧٦/٤
٥	﴿من البعث﴾	البَعَثِ بالتحريك	١٧٧/٤
٥	﴿لنبين لكم﴾	لِيُبَيِّن لكم	١٧٧/٤

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٥	﴿ونقر في الأرحام﴾	ويُقِرُّ - ويُقِرَّ	٤/ ١٧٧
		ونُقِرَّ	٤/ ١٧٧
		ونَقُرُّ	٤/ ١٧٧
٥	﴿ثم نخرجُكم طفلا﴾	ثم نُخْرِجُكُم	٤/ ١٧٧
		يُخْرِجُكم	٤/ ١٧٧
		يُخْرِجَكُم	٤/ ١٧٧
٥	﴿أرذل العمر﴾	العُمْرِ	٤/ ١٧٨
٥	﴿وربت﴾	ورَبَأَتْ	٤/ ١٧٨
٩	﴿ثاني عطفه	عَطْفِهِ	٤/ ١٧٩
	ليضل﴾	لِيَضِلَّ	٤/ ١٧٩
١١	﴿خسر الدنيا والآخرة﴾	خاسِرَ	٤/ ١٨٠
		خاسِرُ	٤/ ١٨٠
١٣	﴿لمن ضره﴾	مَنْ ضره	٤/ ١٨٠
١٨	﴿وكثير حق عليه العذاب	حُقَّ	٤/ ١٨٢
	فماله من مكرم﴾	حَقًّا	٤/ ١٨٢
		مُكْرَم	٤/ ١٨٢
١٩	﴿هذان خصمان﴾	خِصْمَان	٤/ ١٨٣
٢٠	﴿يصهر به﴾	يصهَّر	٤/ ١٨٣
٢٢	﴿أعيدوا فيها﴾	ردوا فيها	٤/ ١٨٤
٢٣	﴿من ذهب ولؤلؤا﴾	ولؤلوا	٤/ ١٨٤
		ولوليا	٤/ ١٨٤
		ولول	٤/ ١٨٤
		ولؤلؤ	٤/ ١٨٤
		وليليا	٤/ ١٨٤
٢٥	﴿سواء العاكف فيه والباد﴾	سَوَاءٌ	٤/ ١٨٥
٢٥	﴿ومن يرد فيه بإلحاد﴾	ومن يَرِدْ فيه	٤/ ١٨٥

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢٧	﴿وأذن في الناس	وآذِن	٤/ ١٨٦
	يأتوك رجالاً	رُجَالاً	٤/ ١٨٦
		رُجَّالاً	٤/ ١٨٦
		رجالي	٤/ ١٨٦
	يأتين من كل فج	يأتون	٤/ ١٨٧
	عميق﴾	معيق	٤/ ١٨٧
٢٩	﴿وليوفوا نذورهم﴾	وليوَّفُّوا	٤/ ١٩٠
٣١	﴿فتخطفه الطير	فَتِخطِّفُهُ	٤/ ١٩٢
	أو تهوى به الريح﴾	الرَياح	٤/ ١٩٣
٣٤	﴿جعلنا منسكاً﴾	مَنْسِكاً	٤/ ١٩٥
٣٥	﴿والمقيمن الصلاة﴾	والمقيمي الصلاة والمقيمين	٤/ ١٩٥
		الصلاة	٤/ ١٩٥
٣٦	﴿والبدن جعلناها	والبُدُنُ	٤/ ١٩٧
		والبُدُنُّ	٤/ ١٩٧
	صواف﴾	والبُدْنُ	٤/ ١٩٧
		صوافن	٤/ ١٩٧
		صوافي	٤/ ١٩٧
		صوافناً	٤/ ١٩٧
٣٦	﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾	القَنِعَ	٤/ ١٩٧
		والمعترى	٤/ ١٩٧
٣٧	﴿لن ينال الله لحومها	لن تنال الله	٤/ ١٩٨
	ولكن يناله﴾	ولكن تناله	٤/ ١٩٨
٣٩	﴿أذن للذين يقاتلون﴾	أَذِن للذين يُقَاتِلون	٤/ ١٩٩
٤٠	﴿ولولا دفع الله	دِفَاع	٤/ ١٩٩
	لهدمت﴾	لَهُدِمَتْ	٤/ ١٩٩
٤٦	﴿فتكون لهم﴾	فيكون	٤/ ٢٠١
٤٦	﴿فإنّها لا تَعمى الأبصار﴾	فإنه لا تعمى	٤/ ٢٠١
٤٧	﴿كألف سنة مما تعدون﴾	يَعُدُّون	٤/ ٢٠٢

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٥٤	﴿لهاد الذين آمنوا﴾	لهادِ الذين آمنوا	٤/ ٢٠٦
٦٢	﴿وأن ما يدعون من دونه﴾	ما تَدْعُون	٤/ ٢٠٨
		ما يُدْعَون	٤/ ٢٠٨
٦٥	﴿والفلك تجري﴾	والفُلْكُ	٤/ ٢٠٩
٦٧	﴿فلا ينازعنك في الأمر﴾	فلا يُنْزِعَنَّكَ	٤/ ٢١٠
٧٢	﴿تعرف في وجوه الذين كفروا﴾	يُعْرَف	٤/ ٢١١
٧٢	﴿أفانبئكم بشر من ذلكم النار﴾	النَّارَ	٤/ ٢١١
		النَّارِ	٤/ ٢١١
٧٣	﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾	يَدْعُونَ	٤/ ٢١١
		يُدْعَوْن	٤/ ٢١١
٧٨	﴿هو سماكم﴾	الله سماكم	٤/ ٢١٥

سورة المؤمنون

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿قد أفلح المؤمنون﴾	أُفْلِحَ	٤/ ٢١٦
		أفلِحوا	٤/ ٢١٦
		أَفْلَحُ	٤/ ٢١٦
١٤	﴿عظاما فكسونا العظام﴾	عَظْماً فكسونا	٤/ ٢٢١
		العَظْمَ	٤/ ٢٢١
		عَظْما فكسونا العِظَامَ	٤/ ٢٢١
		عِظَاماً فكسونا العَظْمَ	٤/ ٢٢١
١٥	﴿لميتون﴾	لمائتون	٤/ ٢٢٢
٢٠	﴿وشجرة من طور سيناء تنبت﴾	وشَجَرَةٌ	٤/ ٢٢٣
		سينا ـ على القصر	٤/ ٢٢٣
		تُنْبِتُ	٤/ ٢٢٤
		تُنَبَّتُ	٤/ ٢٢٤

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢٠	﴿تنبت بالدهن	تخرج الدهن	٤/ ٢٢٤
		تخرج بالدهن	٤/ ٢٢٤
		تُثمِر بالدهن	٤/ ٢٢٤
		تنبت بالدهان	٤/ ٢٢٤
	وصبغ للأكلين﴾	وصبغ الأكلين	٤/ ٢٢٤
		وصبغا	٤/ ٢٢٤
		وصباغ	٤/ ٢٢٤
٢١	﴿نسقيكم مما في بطونها﴾	تَسْقِيكُم	٤/ ٢٢٥
٣٥	﴿أيعدكم أنكم إذا متم﴾	أيعدكم إذا متم	٤/ ٢٣٠
٣٦	﴿هيهات هيهات﴾	هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ	٤/ ٢٣٠
		هيهاتِ وهِيهاتِ	٤/ ٢٣٠
		هَيْهَاتُ هَيْهَاتُ	٤/ ٢٣٠
		هَيْهَاتٌ هَيْهَاتٌ	٤/ ٢٣٠
		هَيْهَاتاً هَيْهَاتاً	٤/ ٢٣٠
		هَيْهَاتْ هَيْهَاتْ	٤/ ٢٣٠
٤٤	﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا﴾	تَترىً	٤/ ٢٣٢
٥٠	﴿إلى ربوة﴾	رُبْوَة	٤/ ٢٣٤
		رِبَاوة	٤/ ٢٣٤
٥٢	﴿وإن هذه أمتكم﴾	وأَنَّ هذه أمتكم	٤/ ٢٣٥
٥٣	﴿بينهم زبرا﴾	زُبَراً	٤/ ٢٣٥
		زُبْراً	٤/ ٢٣٥
٥٥	﴿أنما نُمدهم	يُمِدُّهُم	٤/ ٢٣٥
	نسارع لهم﴾	يُسَارِع	٤/ ٢٣٥
		يَسْرِعْ	٤/ ٢٣٥
		يُسَارَعُ	٤/ ٢٣٥
٦١	﴿يسارعون في الخيرات﴾	يَسْرِعُون	٤/ ٢٣٧

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٦٧	﴿مستكبرين به سامرا	سُمَّراً	٢٣٩/٤
		سُمَّارًا	٢٣٩/٤
	تهجرون﴾	يُهْجِرُن	
			٢٣٩/٤
٧١	﴿بل أتيناهم بذكِرهم﴾	بِذِكراهُم	٢٤١/٤
٧٢	﴿أم تسئلهم خرجاً مخراج ربك	خَراجاً فَخَرَاجُ	٢٤١/٤
	خير﴾	خرْجاً فَخَرْج	٢٤١/٤
٧٧	﴿حتى إذا فتحنا عليهم﴾	فَتَّحْنَا	٢٤٤/٤
٨٠	﴿أفلا تعقلون﴾	أفلا يَعْقِلُون	٢٤٥/٤
٨٥	﴿أفلا تذكرون﴾	تَذَّكَّرون	٢٤٦/٤
٩٠	﴿بل أتيناهم﴾	أَتَيْتَهُم	٢٤٦/٤
		أَتَيْتُهُم	٢٤٦/٤
٩٣	﴿إما تريني﴾	إما ترئنهم	٢٤٧/٤
١٠١	﴿نفخ في الصور	في الصُّوَر	٢٥٠/٤
	ولا يتساءلون﴾	يَسَّاءلون	٢٥٠/٤
١٠٤	﴿وهم فيها كالحون﴾	كَلِحُون	٢٥١/٤
١١٠	﴿فاتخذتموهم سخريا﴾	سُخْرِيًا	٢٥٢/٤
١١١	﴿إنهم هم الفائزون﴾	أَنَّهُم هم الفائزون	٢٥٢/٤
١١٣	﴿فاسأل العادين﴾	فَسَلِ العادِّين	٢٥٣/٤
		العَادِين وبالتخفيف	٢٥٣/٤
		العَادِيِّين	٢٥٣/٤
١١٤	﴿قال إن لبثتم	قُلْ	٢٥٣/٤
	إلا قليلاً﴾		
١١٥	﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾	لا تَرْجِعُون	٢٥٣/٤
١١٦	﴿رب العرش الكريم﴾	الكريمُ	٢٥٣/٤

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة

سورة النور

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿سورة أنزلناها	سُوَرَةً	٢٥٦/٤
	وفرضناها	وفَرَّضناها	٢٥٦/٤
	لعلكم تذكرون﴾	لعلكم تذَّكَّرُون	٢٥٦/٤
٢	﴿الزانية والزاني﴾	والزَّانِ	٢٥٧/٤
٢	﴿ولا تأخذكم بهما	يأخذكم	٢٦١/٤
	رأفة﴾	رآفة	٢٦١/٤
٣	﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾	وحَرَم	٢٦٧/٤
٤	﴿بأربعة شهداء﴾	بِأَرْبَعَةٍ	٢٦٨/٤
٦	﴿ولم يكن لهم﴾	ولم تَكُنْ لهم	٢٧١/٤
٧	﴿والخامسة أن لعنت الله﴾	والخامِسَةَ	٢٧٢/٤
		أنْ لعنة الله	٢٧٢/٤
٩	﴿أن غضب الله﴾	أنْ غضب الله	٢٧٢/٤
١١	﴿والذي تولى كبره﴾	كُبْرَهُ	٢٧٣/٤
٢٢	﴿ولا يأتل	ولا يتألَّ	٢٧٩/٤
	أن يؤتوا﴾	أن تُؤْتوا	٢٨٠/٤
٢٤	﴿يوم تشهد عليهم﴾	يَشْهَدُ	٢٨٠/٤
٢٥	﴿دينهم الحق﴾	الحقُّ	٢٨٠/٤
٢٧	﴿حتى تستأنسوا	حتى تسلموا على أهلها	٢٨٦/٤
	وتسلموا على أهلها﴾	وتستأذنوا	٢٨٦/٤
		حتى تستأذنوا	
٣١	﴿على جيوبهن	جِيُوبهن	٢٩١/٤
	غير أولى الإربة	غَيْرَ أولى	٢٩٣/٤
	أيه المؤمنون﴾	أَيهُ المؤمنون	٢٩٤/٤
٣٢	﴿والصالحين من عبادكم﴾	عبيدكم	٢٩٥/٤
٣٣	﴿فإن الله من بعد إكرههن غفور رحيم﴾	لهن غفور رحيم	٣٠٥/٤

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣٥	﴿مثل نوره	مثل نور من آمن به	٣٠٧/٤
	في زجاجة	زجاجةً	٣٠٧/٤
	الزجاجةُ	الزجاجةَ ـ الزَجاجةِ	٣٠٧/٤
	يوقد من شجرة مباركة﴾	يُوقَدُ	٣٠٧/٤
		يُوَقِّدُهُ	٣٠٧/٤
		يَوَقَّدُ	٣٠٧/٤
٣٦	﴿يسبح له فيها	يُسَبَّحُ	٣٠٨/٤
		تُسَبِّحُ	٣٠٨/٤
		تُسَبَّحُ	٣٠٨/٤
	بالغدو والآصال﴾	والإيصال	٣٠٨/٤
٣٩	﴿كسراب بقيعةٍ﴾	بقِيعَات	٣٠٩/٤
٤٠	﴿سحاب ظلمات﴾	سحابُ ظلماتٍ	٣١٠/٤
		سحابٌ ظلماتٍ	٣١٠/٤
٤٣	﴿يخرج من خلاله	من خلله	٣١١/٤
	يكاد سنا برقه﴾	يكا سنا ـ على الإدغام	٣١١/٤
		بُرُقه	٣١١/٤
		سَنَاء برقه	٣١١/٤
٤٥	﴿والله خلق كل دابة﴾	خَالِقُ كُلِّ	٣١٢/٤
٥١	﴿إنما كان قول المؤمنين	قولُ المؤمنين	٣١٤/٤
	ليحكم بينهم﴾	لِيُحْكَمَ	٣١٥/٤
٥٢	﴿ويخش الله ويتقهِ﴾	ويَتَّقِهِ	٣١٥/٤
		ويَتَّقِهْ	٣١٥/٤
٥٣	﴿طاعة معروفة﴾	طَاعَةً	٣١٦/٤
٥٥	﴿كما استخلف الذين من قبلهم	كما ٱسْتُخْلِفَ	٣١٨/٤
	وليبدلنهم﴾	ولَيُبْدِلَنَّهُم	٣١٨/٤
٥٧	﴿لا تحسبن الذي كفروا معجزين﴾	لا يَحْسَبَنَّ	٣١٩/٤
٥٨	﴿لم يبلغوا منكم الحلم	الحُلْمَ	٣٢٠/٤
	ثلاث عورات﴾	ثلاثَ	

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦١	﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾	مِفْتَاحَه	٤/ ٣٢٤
٦٢	﴿على أمر جامع﴾	أمر جميع	٤/ ٣٢٧
٦٣	﴿يتسللون منكم لواذا﴾	لَوَاذاً	٤/ ٣٢٨
٦٤	﴿ويوم يرجعون إليه﴾	تُرْجَعُون	٤/ ٣٢٩

سورة الفرقان

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٥	﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها﴾	اُكْتُتِبَهَا	٤/ ٣٣٢
٧	﴿فيكون معه نذيراً﴾	فيكونُ	٤/ ٣٣٤
٨	﴿أو تكون له جنة	أو يكونُ	٤/ ٣٣٤
	يأكل منها﴾	نَأكلُ منها	٤/ ٣٣٤
١٠	﴿ويجعل لك قصوراً﴾	ويجعلْ لَّكَ	٤/ ٣٣٤
		ويَجْعَلُ	٤/ ٣٣٤
		ويَجْعَلَ	٤/ ٣٣٤
١٧	﴿ويوم يحشرهم﴾	نَحْشُرُهم	٤/ ٣٣٧
		يَحْشِرُهم	٤/ ٣٣٧
١٨	﴿ما كان ينبغي لنا أن نتخذ﴾	نُتَّخَذَ	٤/ ٣٣٩
١٩	﴿فقد كذبوكم بما تقولون	بما يَقُولُون	٤/ ٣٣٩
	فما تستطيعون	يَسْتَطِيعُون	٤/ ٣٣٩
	ومن يظلم منكم نذقه﴾	يُذِقْهُ	٤/ ٣٤٠
٢٧	﴿يا ليتني اتخذت﴾	تقرأ على الإدغام والإظهار والإدغام أكثر	٤/ ٣٤٦
٢٨	﴿يا ويلتي﴾	يا وَيْلَتِي	٤/ ٣٤٦
٣٦	﴿فدمرناهم تدميراً﴾	فَدَمِّرَتُهُمْ	٤/ ٣٥٠
		فَدَمِّرَاهُمْ	٤/ ٣٥٠
		فَدَمِّرَانِّهُمْ	٤/ ٣٥٠
٤٨	﴿أيرسل الرياح	الريح	٤/ ٣٥٥
	بشراً﴾	نشراً	٤/ ٣٥٥
٤٩	﴿فنسقيه	فَنَسْقِيَهُ	٤/ ٣٦١
	وأناس كثيراً﴾	وأناسَ	٤/ ٣٦١

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٥٩	﴿على العرش الرحمن	الرحمنِ	٤/ ٣٦٥
	فاسأل﴾	فَسَلْ	٤/ ٣٦٥
٦٠	﴿أنسجد لما تأمرنا﴾	يَأَمُرُنَا	٤/ ٣٦٦
٦١	﴿وجعل فيها سراجاً وقمراً﴾	سُرُجاً	٤/ ٣٦٦
		وقُمْراً	٤/ ٣٦٦
٦٧	﴿ولم يقتروا	يَقْتِرُوا	٤/ ٣٧٠
	وكان بين ذلك قواماً﴾	يُقَتِّرُوا	٤/ ٣٧٠
		قِوَاماً	٤/ ٣٧١
٦٨	﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾	يلق فيه أثاماً	٤/ ٣٧١
		يلقىٰ	٤/ ٣٧١
		يلق أياما	٤/ ٣٧٢
٦٩	﴿يضاعف له العذاب	يُضَعَّفُ له العَذَابُ	٤/ ٣٧٢
	ويخلد فيه مهاناً﴾	نُضَعِّفُ له العذابَ	٤/ ٣٧٢
		ويُخْلَدُ	٤/ ٣٧٢
		ويُخَلَّدُ	٤/ ٣٧٢
		ويَخْلُدُ	٤/ ٣٧٢
٧٤	﴿وذرياتنا	وذرِّيَّتُنَا	٤/ ٣٧٣
	قرة أعين﴾	قُرَّاتَ	٤/ ٣٧٣
٧٥	﴿يجزون الغرفة	في الغُرْفَةِ	٤/ ٣٧٤
	ويلقون فيها تحية وسلاماً﴾	ويَلْقَوْنَ	٤/ ٣٧٤
٧٧	﴿فقد كذبتم	فقد كذب الكافرون	٤/ ٣٧٥
	فسوف يكون لزاماً﴾	فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً	٤/ ٣٧٥

سورة الشعراء

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿طسٓمٓ﴾	بتفخيم الألف وإمالتها	٤/ ٣٧٦
		إظهار النون وإدغامها	٤/ ٣٧٦
٤	﴿أعناقهم لها خاضعين﴾	خَاضِعَةً	٤/ ٣٧٧
١١	﴿ألا يتقون﴾	ألا يَتَّقُونِ	٤/ ٣٧٩
		ألا تَتَّقُون	٤/ ٣٧٩

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
١٣	﴿ويضيقُ صدري ولا ينطلقِ لسان﴾	ويضيق صدري ولا ينطلِق	٣٨٠/٤
			٣٨٠/٤
١٨	﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾	عُمْرِك	٣٨٣/٤
٢٠	﴿وأنا من الضالين﴾	من الجاهلين	٣٨٤/٤
٢٧	﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم﴾	الذي أَرْسَلَ إليكم	٣٨٧/٤
٢٨	﴿رب المشرق والمغرب﴾	المشارق والمغارب	٣٨٧/٤
٣٦	﴿قالوا أرجه﴾	أرجئه ـ بالهمز	٣٨٩/٤
		أرجه ـ بالتخفيف	٣٨٩/٤
٣٧	﴿بكل سحار عليم﴾	ساحر	٣٨٩/٤
٤٢	﴿قال نعم﴾	قال نِعَم	٣٩٠/٤
٥١	﴿أن كنا أول المؤمنين﴾	إِنْ كنا	٣٩٢/٤
٥٢	﴿أن أسر بعبادي﴾	أن اسر ـ بهمزة الوصل	٣٩٣/٤
		سر بعبادي	٣٩٣/٤
٥٦	﴿وإنا لجميع حاذرون﴾	حَذِرُون	٣٩٤/٤
		حاذرون	٣٩٤/٤
٦٠	﴿فأتبعوهم مشرقين﴾	فاتَّبَعُوهُم	٣٩٤/٤
٦١	﴿فلما تراءا الجمعان لمدركون﴾	فلما تراءت الفئتان	٣٩٥/٤
		لَمُدَّرِكون	٣٩٥/٤
٦٣	﴿فكان كل فرق﴾	كل فِلْقٍ	٣٩٥/٤
٦٤	﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾	وأزلقَنا	٣٩٥/٤
٨٢	﴿خطيئتي يوم الدين﴾	خطاياي	٣٩٨/٤
١١١	﴿واتَّبَعَكَ﴾	وأتباعك	٤٠٤/٤
١٢٨	﴿أتبنون بكل ريع﴾	رَيْع	٤٠٦/٤
١٢٩	﴿لعلكم تخلدون﴾	تُخْلَدُونَ	٤٠٦/٤
		تُخَلَّدُونَ	٤٠٦/٤
١٣٧	﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾	خَلْقُ الأولين	٤٠٧/٤
		خُلُقُ	٤٠٧/٤

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٤٩	﴿تنحتون من الجبال	وتَنْحتُون	٤/ ٤٠٨
	فارهين﴾	فَرِهين	٤/ ٤٠٨
١٥٥	﴿ولكم شرب يوم﴾	شُرْبُ	٤/ ٤٠٩
١٦٦	﴿ما خلق لكم ربكم﴾	ما أَصْلَحَ لكم	٤/ ٤١٠
١٧٦	﴿كذب أصحاب الأيكة﴾	أَصْحَابُ لَيْكَة	٤/ ٤١٢
١٨٢	﴿وزنوا بالقسطاس﴾	بالقُسْطَاس	٤/ ٤١٢
١٨٤	﴿الذي خلقكم والجبلة﴾	الجُبُلَّة	٤/ ٤١٣
		الجِبْلَة	٤/ ٤١٣
١٨٧	﴿فاسقط علينا كسفا﴾	كِسْفاً	٤/ ٤١٣
١٩٣	﴿نزل به الروح الأمين﴾	نَزَّلَ به الروحَ الأمينَ	٤/ ٤١٤
١٩٧	﴿أو لم يكن لهم	تَكُنْ لهم	٤/ ٤١٥
	أن يعلمه علماء﴾	تَعْلَمَهُ	٤/ ٤١٥
١٩٨	﴿الأعجمين﴾	الأَعْجَمِيِّين	٤/ ٤١٦
٢٠٢	﴿فيأتيهم	فَتَأْتِيَهُم	٤/ ٤١٧
	بغتة﴾	بَغَتَةً	٤/ ٤١٧
		ويَرَوْهُ بغتة	٤/ ٤١٧
٢٠٧	﴿ما كانوا يمتعون﴾	يُمْتَعُون ـ بالتخفيف	٤/ ٤١٨
٢١٠	﴿وما تنزلت به الشياطين﴾	الشياطون	٤/ ٤١٨
٢١٩	﴿وتقلبك في الساجدين﴾	وَيُقَلِّبُكَ	٤/ ٤٢٢
٢٢٤	﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾	والشُّعَرَاءَ	٤/ ٤٢٥
		يَتْبَعُهُم ـ بالتخفيف	٤/ ٤٢٥
		يَتْبَعْهُم ـ بسكون العين	٤/ ٤٢٥
٢٢٧	﴿أي منقلب ينقلبون﴾	مُنْفَلَتٍ يَنْفَلِتُون	٤/ ٤٢٨

سورة النمل

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾	وكتابٌ مُبين	٤/ ٤٢٩
٨	﴿بورك من في النار ومن حولها﴾	تباركت الأرض ومن حولها	٤/ ٤٣٢
		بوركت النار	٤/ ٤٣٢

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
١٠	﴿كأنها جان﴾	جَأنٌ	٤/٤٣٣
١١	﴿ألا من ظلم ثم بدل	ألا من ظلم ثم بدل	٤/٤٣٣
	حسناً﴾	حَسَناً	٤/٤٣٤
١٤	﴿ظلما وعلواً﴾	عُلِيًّا	٤/٤٣٤
		عِلِيًّا	٤/٤٣٤
١٨	﴿قالت نملة	نَمُلَةٌ يا أيها النَّمُلُ	٤/٤٤٠
	يا أيها النمل	نُمُلَةٌ يا أيها النُّمُلُ	٤/٤٤٠
	أدخلوا مساكنكم	مَسْكَنَكُم	٤/٤٤١
	لا يحطمنكم﴾	لا يَحْطِمَنْكُمْ	٤/٤٤١
		لا يَحَطِمَنَّكُمْ	٤/٤٤١
		لا يِحِطَمَنَّكُمْ	٤/٤٤١
١٩	﴿فتبسم ضاحكاً﴾	ضَحِكاً	٤/٤٤٣
٢٢	﴿فمكث غير بعيد	فَمَكُثَ	٤/٤٤٦
	وجئتك من سبأ﴾	سَبَأَ	٤/٤٤٦
		سَبْأ	٤/٤٤٦
		سَبَا	٤/٤٤٦
٢٥	﴿ألا يسجدوا لله	أَلاَ يسجدوا	٤/٤٤٨
		هلا يسجدوا	٤/٤٤٩
		ألا تسجدون لله	٤/٤٤٩
	الذين يخرج الخبء	الخَبَّ	٤/٤٤٩
	ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾	الخَبَا	٤/٤٤٩
		ما يُخْفُون وما يُعْلِنُون	٤/٤٤٩
٢٦	﴿وهو رب العرش العظيم﴾	العظيمُ	٤/٤٥٠
٣٠	﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله	وَإِنَّهُ من سليمان وَإِنَّهُ	٤/٤٥٢
		أَنَّهُ من سليمان وَأَنَّهُ	٤/٤٥٢
		أَنْ من سليمان وأن بسم الله	٤/٤٥٢
	ألا تعلوا عليّ﴾	تَغْلُوا	٤/٤٥٢
٣٢	﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾	قاضية أمراً	٤/٤٥٢
٣٦	﴿فلما جاء سليمان﴾	فلما جَاءُوا سليمانَ	٤/٤٥٤

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣٧	﴿لا قبل لهم بها﴾	لا قبل لهم بهم	٤/ ٤٥٥
٣٩	﴿قال عفريت من الجن﴾	عِفْرِيَة	٤/ ٤٥٥
٤١	﴿ننظر أتهتدي﴾	نَنْظُرُ	٤/ ٤٥٧
٤٣	﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾	أَنَّها كانت	٤/ ٤٥٨
٤٤	﴿وكشفت عن ساقيها﴾	عن سَأْقَيْهَا	٤/ ٤٥٨
٤٥	﴿أنِ اعبدوا الله﴾	أَنُ ٱعْبُدوا ـ بإتباع النون الباء	٤/ ٤٥٩
٤٧	﴿قالوا أطيرنا بك﴾	تَطَيَّرْنَا بِكُمْ	٤/ ٤٥٩
٤٩	﴿قالوا تقاسموا بالله	تُقْسِمُوا باللَّهِ	٤/ ٤٦٠
	لنبيتنه وأهله	لَتُبَيِّتَنَّهُ	٤/ ٤٦٠
		لَيُبَيِّتَنَّهُ	٤/ ٤٦٠
	ما شهدنا مهلك﴾	مَهْلَكَ	٤/ ٤٦١
		مُهْلَكَ	٤/ ٤٦١
٥٢	﴿بيوتهم خاوية﴾	خاويةٌ	٤/ ٤٦٢
٥٦	﴿فما كان جواب قومه﴾	جَوَابُ قومه	٤/ ٤٦٣
٥٩	﴿آلله خير أما يشركون﴾	تُشْرِكون	٤/ ٤٦٤
٦٠	أ﴿مَّنْ	أَمَنْ	٤/ ٤٦٤
	أإله مع الله﴾	أإلٰهاً مع الله	٤/ ٤٦٥
٦٢	﴿قليلاً ما تذكرون﴾	تَذَّكَّرُونَ	٤/ ٤٦٥
		تَذَّكَّرُون	٤/ ٤٦٥
٦٥	﴿أيان يبعثون﴾	إِيَّانَ	٤/ ٤٦٧

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦٦	﴿بل ادارك علمهم في الآخرة﴾	بل أدَّرك	٤/ ٤٦٨
		بل ادَّراك	٤/ ٤٦٨
		بل تدارك	٤/ ٤٦٨
		بل أأدرك	٤/ ٤٦٨
		بل آادرك	٤/ ٤٦٨
		بَلَ ادّرك	٤/ ٤٦٨
		بلى أدرك	٤/ ٤٦٨
		بلى أأدرك	٤/ ٤٦٨
		أم تدارك	٤/ ٤٦٨
		أم أدرك	٤/ ٤٦٨
٧٠	﴿ولا تكن في ضيق﴾	ضِيْق	٤/ ٤٧٠
٧٢	﴿أن يكون ردف﴾	رَدَفَ	٤/ ٤٧٠
٨٠	﴿ولا تسمع الصمّ الدعاء﴾	ولا يَسْمَعُ الصُمُّ	٤/ ٤٧٢
٨١	﴿وما أنت بهادي العمى﴾	وما أنت بهادِ العُمْىَ	٤/ ٤٧٢
		تَهْدِي العُمْىَ	٤/ ٤٧٢
		وما أن تهدي العمى	٤/ ٤٧٢
٨٢	﴿دابة من الأرض تكلمهم	تَكْلُمهُمَ	٤/ ٤٧٤
		تُنَبِّئُهَم	٤/ ٤٧٤
	أن الناس﴾	بأَنَّ الناسَ	٤/ ٤٧٤
		إِنَّ الناسَ	٤/ ٤٧٤
٨٧	﴿وكل أتوه داخرين﴾	أَتَاهُ	٤/ ٤٧٦
		دَخِرين	٤/ ٤٧٦
٨٩	﴿وهم من فزع يومئذ﴾	من فَزَعِ يَوْمَئِذِ	٤/ ٤٧٧
		من فَزَعٍ يَوْمَئِذِ	٤/ ٤٧٧
٩١	﴿الذي حرمها﴾	التي حرمها	٤/ ٤٧٩
٩٢	﴿وأن أتلو القرآن﴾	واتل عليهم هذا القرآن	٤/ ٤٧٩
		وأن أتلُ	٤/ ٤٨٠
٩٣	﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾	عما يَعْمَلُون	٤/ ٤٨٠

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة

سورة القصص

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦	﴿ونرى فرعون وهامان﴾	ويَرَى فِرْعَوْنُ	٤/ ٤٨٣
٨	﴿ليكون لهم عدوا وحزنا	وحُزْناً	٤/ ٤٨٤
	إنهم كانوا خاطئين﴾	خاطين	٤/ ٤٨٤
٩	﴿قرة عين لي ولك لا تقتلوه﴾	لا تقتلوه قرة عين لي ولك	٤/ ٤٨٥
١٠	﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾	فَزْعًا	٤/ ٤٨٥
		فَزِعاً	٤/ ٤٨٥
		أم مُؤسَى	٤/ ٤٨٦
١١	﴿فبصرت به عن جنب﴾	فَبَصِرَتْ	٤/ ٤٨٦
		عن جَانِبٍ	٤/ ٤٨٦
		عن جَنْبٍ	٤/ ٤٨٦
١٥	﴿فاستغاثه	فاسْتَعَانَهُ	٤/ ٤٨٨
	فوكزه موسى﴾	فلَكَزَهُ	٤/ ٤٨٨
١٩	﴿فلما أراد أن يبطس﴾	يَبْطُشَ	٤/ ٤٨٩
٢٣	﴿لا نسقى	نُسْقِى	٤/ ٤٩٠
	حتى يصدر الرعاء﴾	يُصْدِرُ	٤/ ٤٩٠
		الرُّعَاءُ	٤/ ٤٩١
٢٨	﴿أيما الأجلين قضيت	أي الأجلين ما قضيتُ	٤/ ٤٩٦
		أَيْمَا	٤/ ٤٩٦
	فلا عدوان علي﴾	عِدْوانَ	٤/ ٤٩٦
٢٩	﴿أو جَذْوَة من النار﴾	جُذْوةٍ	٤/ ٤٩٨
		جِذْوَة	٤/ ٤٩٨
٣٠	﴿البقعة المباركة﴾	البَقْعَةِ	٤/ ٤٩٩
٣٢	﴿من الرهب	الرَّهَبِ	٤/ ٤٩٩
		الرُّهُبِ	٤/ ٤٩٩
		الرُّهْبِ	٤/ ٤٩٩
	فذانك برهانان﴾	فَذَانّك	٤/ ٥٠٠

رقم الآية	الآية	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣٤	﴿رداءً يصدقني﴾	رِداً	٤/ ٥٠١
		يُصَدِّقْنِي	٤/ ٥٠١
٣٧	﴿وقال موسى ربي أعلم	قال موسى	٤/ ٥٠٣
	ومن تكون له عاقبة الدار﴾	ومن يكون له	٤/ ٥٠٣
٤٦	﴿ولكن رحمة﴾	رَحْمَةٌ	٤/ ٥١٠
٤٨	﴿قالوا سحران تظاهرا﴾	تظَّاهَرَا	٤/ ٥١٣
٥١	﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾	وَصَلْنَا	٤/ ٥١٣
٥٧	﴿تجبي إليه	يُجْبَىٰ	٤/ ٥١٥
		تُجْنَىٰ	٤/ ٥١٥
		ثُمُرَات	٤/ ٥١٥
	ثمرات كل شيء﴾	ثُمْرَات	٤/ ٥١٥
٦٠	﴿أفلا تعقلون﴾	يَعْقِلُون	٤/ ٥١٧
٦١	﴿ثم هو﴾	ثُمَّ هْوَ ـ سكون الهاء	٤/ ٥١٨
٧١	﴿قل أرءيتم﴾	أَرَيْتُم	٤/ ٥٢١
٧٦	﴿لتنوء بالعصبة﴾	لِيَنُوء	٤/ ٥٢٣
٧٧	﴿وابتغ فيما آتاك﴾	وابتع	٤/ ٥٢٣
٨٢	﴿لولا أن مَنَّ الله علينا	لولا مَنَّ الله علينا	٤/ ٥٢٨
	لخسف بنا﴾	لا نُخْسَفَ بنا	٤/ ٥٢٨
		لَتَخَسَّفَ بنا	٤/ ٥٢٨

سورة العنكبوت

رقم الآية	الآية	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣	﴿فليعلمن﴾	وليعلمن	٤/ ٥٣٤
٨	﴿حسنا﴾	حَسَناً	٤/ ٥٣٧
١٠	﴿ليقولن﴾	ليقُولَنَّ	٤/ ٥٣٩
١٢	﴿ولنحمل خطاياكم﴾	خطيئاتهم	٤/ ٥٤٠
١٦	﴿وإبراهيم إذ قال لقومه﴾	وإبراهيمُ	٤/ ٥٤١
١٧	﴿وتخلقون إفكاً	وتَخْلِقُون	٤/ ٥٤٢
	إليه ترجعون﴾	تَرْجِعُون	٤/ ٥٤٢

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٤١	﴿ظهر الفساد في البر والبحر	في البر والبُحُور	٤/ ٥٨٢
	ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾	لِنُذِيقَهُمْ	٤/ ٥٨٢
٥٠	﴿فانظر إلى أثار رحمت الله	إلى أثر	٤/ ٥٨٦
	كيف يحي﴾	كيف تُحْيِى أي الأرض	٤/ ٥٨٦
٥٤	﴿خلقكم من ضعف﴾	ضُعْفٍ	٤/ ٥٨٧
٦٠	﴿ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾	ولا يَسْتَحِقَّنَّكَ	٤/ ٥٩٠

سورة لقمان

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦	﴿ليضل عن سبيل الله	لِيَضِلَّ	٥/ ٨
	ويتخذها هزواً﴾	ويتَّخِذُها	٥/ ٩
٧	﴿في أُذنيه وقراً﴾	بسكون الذال ـ أُذْنَيْهِ ـ	٥/ ٩
١٤	﴿وهنا على وهن	وَهَناً عَلَى وَهَنٍ	٥/ ١١
	وفصاله﴾	وفَصْلُهُ	٥/ ١١
١٦	﴿مثقال	مِثْقَالُ	٥/ ١٣
	فتكن﴾	فَتَكِنْ	٥/ ١٣
١٩	﴿واقصد﴾	وَأَقْصِدْ	٥/ ١٨
٢٠	﴿أسبغ	أصبغ	٥/ ١٨
	نعمه﴾	نِعْمَةً.	٥/ ١٨
		نعمته	٥/ ١٨
٢٢	﴿يسلم﴾	يُسَلِّمْ	٥/ ١٩
٢٣	﴿فلا يحزنك﴾	فلا يُحْزِنْكَ	٥/ ٢٠
٢٧	﴿والبحر	والبَحْرَ	٥/ ٢٠
		وبحر يمده	٥/ ٢٠
	يمده﴾	تَمُدُّهُ	٥/ ٢١
		يُمِدُّهُ	٥/ ٢١
٣١	﴿الفلك	الفُلُكَ	٥/ ٢٣
	بنعمت الله﴾	بِنَعَمَاتِ	٥/ ٢٣
		بِنَعِمَاتِ	٥/ ٢٣

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣٢	﴿كالظلل﴾	كالظلال	٥/ ٢٣
٣٣	﴿لا يجزى	لا يُجْزِىءُ	٥/ ٢٤
	الغرور﴾	الغُرُورُ	٥/ ٢٤
٣٤	﴿بأي أرض﴾	بأَيَّةِ أَرْضٍ	٥/ ٢٦

سورة السجدة

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٥	﴿ثم يعرج	ثم يُعْرَجُ	٥/ ٢٩
	مما تعدون﴾	مما يَعُدُّون	٥/ ٢٩
٧	﴿خلقه﴾	خَلْقَهُ	٥/ ٢٩
١٠	﴿ضللنا	ضَلِلْنَا ـ صلَلْنَا	٥/ ٣٠
	أءنا﴾	أئنا وأنا	٥/ ٣٠
١٧	﴿ما أخفى لهم	ما أَخْفَى لهم	٥/ ٣٤
		ما نُخْفِي لهم	٥/ ٣٤
		مَا أَخْفَيْتُ لَهُمْ	٥/ ٣٤
	من قرة أعين﴾	من قُرَّاتِ أعين	٥/ ٣٤
١٩	﴿جنات المأوى﴾	جَنَّةَ المأوَىٰ	
٢١	﴿يرجعون﴾	يُرْجَعُون ـ على البناء للمفعول	٥/ ٣٦
٢٤	﴿لما صبروا﴾	لِمَا صَبَرُوا	٥/ ٣٩
٢٦	﴿أو لم يهد﴾	أو لم نهد	٥/ ٣٩
٣٠	﴿منتظرون﴾	مُنْتَظَرُون	٥/ ٤٠

سورة الأحزاب

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢	﴿تعملون﴾	يعملون	٥/ ٤٣
٤	﴿اللائي	اللايِيء	٥/ ٤٥
	تظاهرون	تَظَّاهَرُون	٥/ ٤٥
		تُظْهِرون	٥/ ٤٥
		تَظَّهَّرُون	٥/ ٤٥
		تَظْهَرُون	٥/ ٤٥
	وهو يهدي﴾	وهو الذي يهدي	٥/ ٤٦

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦	﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم	٥/ ٥٠
١٠	﴿الظنونا﴾	[الظنون] عند الوقف والوصل	٥/ ٥٤
		[الظنونا] عند الوقف وبدون ألف عند الوصل	
١١	﴿زلزلوا	إشمام الزاي	٥/ ٥٥
	زلزالاً شديداً﴾	زَلْزَالاً	٥/ ٥٥
١٣	﴿بعودة﴾	بِعَوِدَةِ	٥/ ٥٥
١٤	﴿لآتوها﴾	لأتوها	٥/ ٥٦
١٩	﴿سلقوكم	صلقوكم	٥/ ٥٧
	أشحة﴾	أشحَّةٌ	٥/ ٥٧
٢٠	﴿بادون﴾	بدَّى	٥/ ٥٨
٢٦	﴿الرعب	الرعُبَ	٥/ ٦٢
	تأسرون﴾	تأسُرُونَ	٥/ ٦٢
٢٨	﴿أمتعكن وأسرحكن﴾	أُمتِّعُكُنَّ وأُسرِّحُكُنَّ	٥/ ٦٥
٣٠	﴿يأت	تأت	٥/ ٦٥
	مبيّنة﴾	مُبَيَّنَةٍ	
٣٠	﴿يضاعف﴾	يُضَعَّفُ	٥/ ٦٥
		نُضَعِّفُ	٥/ ٦٥
٣١	﴿ومن يقنت	تَقْنُتْ	٥/ ٦٥
	وتعمل صالحاً نؤتها﴾	وَيَعْمَل - يُؤْتَها	٥/ ٦٥
٣٢	﴿فيطمع الذي﴾	فيطمع - بالجزم	٥/ ٦٦
		فيُطْمِع	٥/ ٦٦
٣٣	و﴿قَرْنَ﴾	وَقِرْنَ	٥/ ٦٦
٣٦	﴿أن يَكون﴾	أَنْ تَكُونَ	٥/ ٧٠
٣٧	﴿زوجناكها﴾	زَوَّجْتُكَهَا	٥/ ٧٤

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٤٠	﴿ولكن رسولَ الله	رسولُ الله	٥/ ٧٦
		ولكنَّ رسول الله	٥/ ٧٦
	خاتَمَ النبيين﴾	خَاتِمَ	٥/ ٧٦
		ولكنّ نبياً خَتَم النبيين	٥/ ٧٦
٥٠	﴿إن وهبت	أن وهبت	٥/ ٨٢
		وامرأة مؤمنة وَهَبَتْ	٥/ ٨٢
	خالصةً﴾	خالصةٌ	٥/ ٨٣
٥١	﴿أن تقر أعينهن﴾	تُقِرَّ أَعينَهن	٥/ ٨٥
		تُقَرَّ أَعْيُنُهن	٥/ ٨٥
٥١	﴿ويرضين ما آتيتهن كلهن﴾	ويُرْضَيْن كلهن بما آتيتهن	٥/ ٨٥
٥٣	﴿غيرَ ناظرين إناه﴾	غيرِ نَاظِرِينَ	٥/ ٨٨
٥٦	﴿وملائكتَهُ يصلون﴾	وملائكتُهُ يصلون	٥/ ٩٢
٦٦	﴿تُقَلَّبُ﴾	تَقَلَّبُ	٥/ ١٠٠
		نُقَلِّبُ	٥/ ١٠٠
٦٧	﴿أطعنا سادتنا﴾	ساداتنا	٥/ ١٠٠
٦٨	﴿كبيراً﴾	كثيراً	٥/ ١٠٠
٦٩	﴿وكان عند الله وجيهاً﴾	وكان عَبْدَ اللَّهِ وجيهاً	٥/ ١٠١
٧٣	﴿يتوبَ الله﴾	يتوبُ اللَّهُ	٥/ ١٠٣

سورة سبأ

رقم الآية	الآية	القراءة	جـ/ ص
٢	﴿وما ينزِل﴾	نُنَزِّلُ	٥/ ١٠٦
٣	﴿لتأتينكم	ليأتينكم	٥/ ١٠٧
	عالِمِ الغيب	عالِمُ	٥/ ١٠٧
		عالِمُ الغيوب	٥/ ١٠٧
	ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ﴾	ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ	٥/ ١٠٧

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٥	﴿معاجزين	معجزين	٥/١٠٨
	أليمٌ﴾	أليم	٥/١٠٨
٦	﴿الحقَّ﴾	الحقُّ	٥/١٠٨
٧	﴿ينبئكم﴾	يُنْبِيكُم	٥/١٠٩
٩	﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو	يشأ يخسف بهم الأرض أو	٥/١١٠
	نسقط	يسقط	٥/١١٠
	كِسَفاً﴾	يخسف بهم (بالإدغام)	٥/١٠٨
		كِسْفاً	
١٠	﴿أوّبى معه والطير﴾	أُوْبى	٥/١١٠
١١	﴿سابغات﴾	صابغات	٥/١١١
١٢	﴿غدوها ورواحها﴾	غُدْوَتُها وَرَوْحَتُهَا	٥/١١١
١٤	﴿فلما قضينا عليه الموت﴾	فلما قَضَى عليه الموتَ	٥/١١٣
١٤	﴿تأكل منسأته﴾	أَكَلَتْ مِنْسَأَتَهُ	٥/١١٣
١٤	﴿تبينت الجن﴾	تُبُيِّنَتِ الجِنُّ	٥/١١٣
		تَبَيَّنَتَ الإِنْسُ	٥/١١٣
		تَبَايَنَتِ الإِنْسُ	٥/١١٣
١٥	﴿لسبإٍ في	لِسَبَأَ	٥/١١٤
	مَسْكَنِهِم	مسكِنِهم	٥/١١٤
		مساكِنِهم	٥/١١٤
	جنتان	جنتين	
	بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفور﴾	بلدةً طيبةً	
١٦	﴿العَرِم﴾	العَرْم	٥/١١٦
١٦	﴿أكُلِ خمط	أُكْل ـ «بالسكون»	٥/١١٦
		أُكُلٌ ـ «تنوين»	٥/١١٦
		أَكلُ (بالإضافة)	٥/١١٦
	وأثلٍ وشيء من سدر	وأثلاً وشيئاً	٥/١١٦
	نجازى﴾	يُجَازِي ـ «الفاعل الله»	٥/١١٦
		يُجْزَى ـ «مبني للمفعول»	٥/١١٦

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٩	﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾	ربنا بَعُدْ بين أسفارنا	١١٧/٥
		يَا رَبَّنَا باعد	١١٧/٥
		رَبَّنا بَعُدَ بين أسفارنا (على	١١٧/٥
		النداء)	١١٧/٥
		بوعد بين أسفارنا	١١٧/٥
		رَبُّنا باعد بين سفرنا	١١٧/٥
		رَبُّنا بعد بين سفرنا	
٢٠	﴿ولقد صدَّق	صَدَقَ	١١٨/٥
	إبليس ظنَّهُ﴾	ظَنُّهُ	١١٨/٥
٢١	﴿لنعلم﴾	لِيُعْلَم «البناء للمفعول»	١١٨/٥
٢٣	﴿أَذِنَ﴾	أُذِنَ	١٢٠/٥
٢٣	ف﴿زِّع عن قلوبهم	فُزِعَ «مخففاً»	١٢٠/٥
		فَزَعَ «البناء للفاعل»	١٢٠/٥
		فَرَّغَ	١٢٠/٥
		أفرنقع عن قلوبهم	١٢٠/٥
	قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾	الحقُّ	١٢٠/٥
٢٤	﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى﴾	وإنا وَإِيَّاكُم إِمَّا على هدى	١٢٢/٥
٣٠	﴿قل لكم ميعادُ يومٍ لا تستأخرون	ميعادٌ يومٌ	١٢٣/٥
	عنه﴾	ميعادُ يوم	١٢٣/٥
		ميعادٌ يوماً	١٢٣/٥
٣٣	﴿مكرُ الليلِ والنهارِ﴾	مكرٌ الليلَ والنهارَ	١٢٥/٥
		مكرُ الليلَ والنهارَ	١٢٥/٥
٣٦	﴿ويقْدِرُ﴾	وَيُقَدِّرُ	١٢٦/٥
٣٧	﴿بالتي تقربكم﴾	باللاتي تقربكم	١٢٦/٥
		بالذي يقربكم	
	﴿الضِّعْفِ﴾	جزاء الضَّعْفُ	١٢٦/٥
٣٧	﴿الغُرُفَات﴾	الغُرَفَات	١٢٦/٥
		الغُرْفَات	١٢٦/٥

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٤٠	﴿يحشرهم	نحشرهم	٥/ ١٢٨
	يقول﴾	نقول	٥/ ١٢٨
٤٤	﴿يَدْرُسُونَهَا﴾	يُدَرِّسُونها «تشديد الراء»	٥/ ١٢٩
		يَدَّرِسُونها «تشديد الدال»	٥/ ١٢٩
٤٨	﴿الغُيوبِ﴾	الغَيوب	٥/ ١٣١
		الغِيوب	٥/ ١٣١
٥٠	﴿إن ضَلَلْتُ فإنما أضل﴾	إن ضَلِلْتُ ـ أَضَلُّ	٥/ ١٣٢
		ضَلَلْتُ ـ إِضَلُّ	٥/ ١٣٢
٥١	﴿فلا فوت	فلا فون	٥/ ١٣٣
	وأخذوا من مكان قريب﴾	وأَخْذٌ	٥/ ١٣٣
٥٢	﴿التناوش﴾	التناؤش	٥/ ١٣٣
٥٣	﴿ويقذفون بالغيب﴾	ويُقْذَفُونَ ـ للمفعول	٥/ ١٣٤

سورة فاطر

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿فاطر السَّمٰوات والأرض	الذي فَطَرَ السَّمٰوات	٥/ ١٣٦
	جاعلِ الملائكة﴾	والأرض	٥/ ١٣٦
		وجَعَلَ المَلائِكَةَ	٥/ ١٣٦
		جَاعِلُ الملائكة	
١	﴿رُسُلاً﴾	رُسْلاً	٥/ ١٣٦
٤	﴿تُرْجَعُ﴾	تَرْجِعُ	٥/ ١٤٠
٥	﴿الغَرُور﴾	الغُرُور	٥/ ١٤٠
٩	﴿الرياح﴾	الريح	٥/ ١٤٢
١٠	﴿إليه يَصْعَدُ الكلم الطيب﴾	إليه يُصْعَدُ الكلم	٥/ ١٤٥
١١	﴿يُنْقَصُ من عُمُرِهِ﴾	يَنْقُصُ	٥/ ١٤٧
١٢	﴿سائغ﴾	سيِّغٌ «بالتشديد»	٥/ ١٤٧
		سيْغٌ «بالتخفيف»	٥/ ١٤٧
١٣	﴿والذين تدعون﴾	يَدْعُون	٥/ ١٤٨
١٨	﴿ولو كان ذا قربى﴾	ذو قُرْبَى	٥/ ١٥٠

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٨	﴿ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه﴾	ومن اذَّكَّى فإنما يُزَّكَّى	٥/ ١٥٠
٢٨	﴿والدوابّ﴾	والدَّوَابِ «مخففاً»	٥/ ١٥٣
٣٢	﴿ومنهم سابِقٌ﴾	ومنهم سبَّاقٌ	٥/ ١٥٧
٣٣	﴿جناتُ عَدْنٍ﴾	جَنَّةُ عَدْنٍ	٥/ ١٥٧
		جنَّاتِ عَدْنٍ	٥/ ١٥٧
٣٣	﴿يَدْخُلُونَهَا﴾	يُدْخَلُونَها	٥/ ١٥٧
٣٣	﴿لؤلؤاً﴾	ولُؤْلُؤاً [بالتخفيف الهمزة الأُولى]	٥/ ١٥٧
٣٤	﴿الحَزَنَ﴾	الحُزْن	٥/ ١٥٧
٣٥	﴿لا يمسُّنا فيها لغوب﴾	لَغوب	٥/ ١٥٨
٣٦	﴿فيموتوا	فيموتون	٥/ ١٥٨
	نَجْزى كل كفور﴾	يُجْزَى	٥/ ١٥٨
		يُجَازَى	٥/ ١٥٨
٣٧	﴿ما يتذكر فيه	ما يذكر فيه	٥/ ١٥٩
	وجاءكم النذير﴾	وجاءكم النُّذُرُ	٥/ ١٥٩
٤١	﴿بينةٍ﴾	بيِّنات	٥/ ١٦١
٤٣	﴿ومكر السيىء		
	ولا يحيق المكرُ السيىءُ﴾	ولا يُحيقُ المكرَ السيىءَ	٥/ ١٦٢
		«الفاعل الله»	٥/ ١٦٣
		ومَكْرَ السَّيِيءْ	٥/ ١٦٣
		ومَكْراً سَيِّئاً	

سورة يس

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿يس﴾	قرىء: يسى (بالفتح) ـ كأين وكيف	٥/ ١٦٤
		قرىء: يس بالنصب ـ على أتل يس	٥/ ١٦٤
		قرىء: يس بالكسر ـ على الأصل	٥/ ١٦٤
		قرىء: يس بالرفع ـ على هذه يس	٥/ ١٦٤
		قرىء: «بتفخيم الألف»	٥/ ١٦٤
		قرىء: «بإمالة الألف»	٥/ ١٦٤

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٥	﴿تنزيلَ العزيزُ الرحيم﴾	تنزيلُ	٥/ ١٦٥
٩	﴿من بين أيديهم	في أيديهم	٥/ ١٦٧
		في أيمانهم	٥/ ١٦٧
	سَداً	سُداً	٥/ ١٦٧
	فأغشيناهم﴾	فأعشيناهم (بالعين)	٥/ ١٦٧
١٢	﴿ونكتب ما قدموا وءاثارهم	ويُكتَبُ ما قَدَّمُوا وآثارُهم	٥/ ١٦٨
	وكلَّ شيء أحصيناه﴾	(البناء للمفعول)	٥/ ١٦٨
		كلُّ شيء ـ بالرفع	
١٤	﴿فعزَّزنا﴾	فَعَزَزْنَا	٥/ ١٦٩
١٩	﴿طائركم﴾	طيركم ـ أي سبب شؤمكم	٥/ ١٧٠
		أطيركم ـ أي كطيركم	٥/ ١٧٠
١٩	أ﴿ئِن ذكرتم﴾	ـ ائن «بألف بينهما»	٥/ ١٧٠
		ـ أأن ذُكِّرْتُمْ «همزة استفهام	٥/ ١٧١
		وأن الناصبة»	٥/ ١٧١
		ـ أن ذُكِّرْتُم «بغير استفهام»، وإن	٥/ ١٧١
		ـ أَيْنَ ذُكِرْتُم «على التخفيف»	
٢٣	﴿إن يردن الرحمن بضر﴾	إن يوردني الرحمن بضر	٥/ ١٧٢
٢٧	﴿من المُكْرَمِين﴾	المُكَرَّمِينَ	٥/ ١٧٣
٢٩	﴿إن كانت إلاَّ صيحةً واحدة﴾	صيحةٌ	٥/ ١٧٤
		زَقْيَةٌ واحدة	٥/ ١٧٤
٣٠	﴿يا حَسْرةً﴾	ويَا حَسْرَةَ العبادِ	٥/ ١٧٥
		يا حَسْرَتَا	٥/ ١٧٥
٣١	﴿كم أهلكنا	من أهلكنا	٥/ ١٧٥
	أَنَّهم﴾	إِنَّهم	٥/ ١٧٥
٣٢	﴿لمَّا﴾	لمَا «بالتخفيف»	٥/ ١٧٥
٣٣	﴿المَيْتَةُ﴾	المَيِّتَة «بالتشديد»	٥/ ١٧٦

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٣٤	﴿وفَجَّرْنا﴾	وفجَرْنَا «بالتخفيف»	١٧٦/٥
٣٥	﴿ثَمَره﴾	ثُمُره	١٧٦/٥
		ثُمْره	١٧٦/٥
٣٨	﴿تجري لمستقر لها﴾	تجري إلى مستعر	١٧٨/٥
		لا مُسْتَقِرَّ لها	١٧٨/٥
		لا مُسْتَقَرٌّ لها	١٧٨/٥
٣٩	﴿والقَمَرَ﴾	والقَمَرُ	١٧٨/٥
٤٩	﴿يَخِصِّمُونَ﴾	يَخْصِمُونَ	١٨٢/٥
		يَخْتَصِمُونَ	١٨٢/٥
		يَخَصَّمُونَ	١٨٢/٥
٥١	﴿ونفخ في الصُّورِ	الصُّوَرِ	١٨٢/٥
		الصُّوْر	١٨٢/٥
	من الأجداث	من الأجداف	١٨٢/٥
	يَنسِلُون﴾	يَنْسُلُونَ	١٨٢/٥
٥٢	﴿قالوا يا ويلنا﴾	يا ويلتَنَا	١٨٢/٥
٥٢	﴿من بعثنا﴾	من أَهَبَّنَا	١٨٢/٥
		من هبَّنَا	١٨٢/٥
		مِنْ بَعْثِنَا	١٨٢/٥
٥٢	﴿في شُغُلٍ فاكهون﴾	في شُغْلٍ	١٨٤/٥
		في شَغَلٍ	١٨٤/٥
		في شَغْلٍ	١٨٤/٥
٥٥	﴿فاكهون﴾	فَكِهُون	١٨٤/٥
		فاكهين	١٨٤/٥
		فَكِهين	١٨٤/٥
٥٦	﴿في ظِلاَلٍ	في ظُلَلٍ	١٨٤/٥
	متكئون﴾	متكين	١٨٤/٥
٥٨	﴿سلامٌ قولاً من رب رحيم﴾	سلاماً قولاً	١٨٥/٥

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦٠	﴿أَعْهَدْ﴾	إِعْهَدْ	٥/ ١٨٥
		أَعْهِد	
		أَحْهِدْ	٥/ ١٨٥
٦٢	﴿جِبِلاً﴾	جُبُلاً	٥/ ١٨٦
		جُبْلاً	٥/ ١٨٦
		جُبُلاً	٥/ ١٨٦
		جِبِلا	٥/ ١٨٦
		جِبْلاً	٥/ ١٨٦
		جبلا «جمع جبلة»	٥/ ١٨٦
		جيلا	
٦٥	﴿اليوم نَخْتِمُ	يُخْتَمُ	٥/ ١٨٧
	وتُكَلِّمُنا	وَلِتُكَلِّمُنا	٥/ ١٨٧
	وتشهد﴾	وَلْتَشْهَدْ	٥/ ١٨٧
٦٧	﴿مكانتهم	مكاناتهم	٥/ ١٨٨
	مُضِيّاً﴾	مِضِيّاً	٥/ ١٨٨
		مَضِيّاً	٥/ ١٨٨
٦٨	﴿أفلا يعقلون﴾	أفلا تعقلون	٥/ ١٨٨
٧٠	﴿لِيُنْذِرَ﴾	لتُنْذِر	٥/ ١٩٠
		لِيُنْذَر	٥/ ١٩٠
٧٢	﴿رَكُوبُهم﴾	ركُوبَتُهُم	٥/ ١٩٢
		رُكُوبُهُم	٥/ ١٩٢
٧٦	﴿فلا يَحْزُنكَ قولهم	يُحِزْنك	٥/ ١٩٢
	إِنَّا نعلم﴾	أَنَّا نعلم	٥/ ١٩٢
٨٠	﴿الأَخْضَرِ﴾	الخَضْرَاءِ	٥/ ١٩٧
٨٣	﴿تُرجَعُون﴾	تَرجِعُون	٥/ ١٩٨

سورة الصافات

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿الصافات صفاً﴾	إدغام التاء في صاد صفاً	٥/ ٢٠٠
٢	﴿فالزاجرات زجراً﴾	إدغام التاء في زاي زجراً	٥/ ٢٠٠

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٣	﴿فالتاليات ذكراً﴾	إدغام التاء في ذال ذكراً	٥/٢٠٠
٨	﴿لا يَسَّمَّعُون﴾	لا يَسْمَعُونَ	٥/٢٠٣
٩	﴿دُحُوراً﴾	دَحُوراً	٥/٢٠٣
١٠	﴿خَطِفَ	خِطِّفَ	٥/٢٠٣
		خَطَّف	٥/٢٠٣
	فأتبعه﴾	فاتبعه «بتخفيف الهمزة»	٥/٢٠٣
١١	﴿أم من خلقنا﴾	أم من عددنا بالتخفيف والتشديد	٥/٢٠٣
١١	﴿لا زب﴾	لا تب	٥/٢٠٣
١٢	﴿عجبْتَ﴾	عجبتُ	٥/٢٠٤
١٧	﴿أو ءاباؤنا﴾	أو آباؤنا	٥/٢٠٤
١٨	﴿قل نَعَمْ﴾	قل نَعِمْ	٥/٢٠٤
		قال نعم	٥/٢٠٤
٢٥	﴿تناصرون﴾	تتناصرون	٥/٢٠٤
٣٨	﴿إنكم لذائقوا العذاب﴾	لذائقوا العذابَ	
٤٧	﴿ينزفون﴾	يُنْزِفُون ـ من أنزف يَنْزُفُون «بضم الزاي»	٥/٢٠٩
٥٢	﴿لمن المصَدِّقين﴾	لمن المُصَّدِّقين	٥/٢١١
٥٤	﴿ مطَّلعون﴾	مُطْلِعُونَ	٥/٢١١
٥٥	﴿ فاطلع﴾	فأَطَّلِـعَ «على المضارع	٥/٢١١
		المنصوب»	٥/٢١١
		ـ فاطْلَعَ ـ ماضي فأطْلَعَ «بالتخفيف» على لفظ المضارع	٥/٢١١
٥٦	﴿ لتردين﴾	لتغوين	٥/٢١٢
٥٨	﴿ بميِّتين﴾	بمائتين	٥/٢١٢
٦٠	﴿ الفوْز العظيم﴾	الرزق العظيم	٥/٢١٢

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦٤	﴿تخرج من أصل الجحيم﴾	نابتة من أصل الجحيم	٥/ ٢١٣
٦٧	﴿لشَوْباً﴾	لشُوبا	٥/ ٢١٤
٦٨	﴿ثم إن مرجعهم﴾	ثم إن مُنقَلَبَهُم	٥/ ٢١٤
		ثم إن مَصِيرَهُمْ	٥/ ٢١٤
		ثم إن مَنفَذَهُمْ	٥/ ٢١٤
٩٣	﴿ضرباً﴾	صَفْقاً	٥/ ٢١٧
		سَفْقاً	٥/ ٢١٧
٩٤	﴿يَزِفُّون﴾	يُزِفُّون	٥/ ٢١٧
		يُزِفُونَ	٥/ ٢١٧
		يَزْفُونَ	٥/ ٢١٧
١٠٢	﴿ما تؤمر﴾	ما تُؤْمَر به	٥/ ٢٢١
١٠٣	﴿أَسْلَمَا﴾	سَلَّمَا ـ	٥/ ٢٢٢
		استسلما	٥/ ٢٢٢
١١٣	﴿وباركنا﴾	وبرَّكنا	٥/ ٢٢٧
١٢٣	﴿وإن إلياس﴾	وإن ألْيَاس ـ على لفظ	٥/ ٢٢٨
		الوصل	٥/ ٢٢٨
		وإن إدريس	٥/ ٢٢٨
		ادرائس	
١٢٦	﴿اللَّهَ ربكم﴾	اللهُ رَبُّكم	٥/ ٢٢٨
١٣٠	﴿سلامٌ على إل ياسين﴾	على ألْيَاسين	٥/ ٢٢٩
		على إدرريسين	٥/ ٢٢٩
		إدراسين	
		إدرسين	٥/ ٢٢٩
		على آل ياسين	٥/ ٢٢٩
١٣٩	﴿يونُسَ﴾	يونِس	٥/ ٢٢٩
١٤٢	﴿وهو مُليمٌ﴾	مَلِيمٌ	٥/ ٢٢٩
١٤٧	﴿أو يزيدون﴾	ويزيدون	٥/ ٢٣١
١٤٨	﴿إلى حين﴾	حتى حين	٥/ ٢٣١

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٥٢	﴿ولد اللَّهُ﴾	ولدُ اللَّهِ	٥/ ٢٣٢
١٥٣	﴿أَصطفى﴾	إِصطفى	٥/ ٢٣٢
١٦٣	﴿صالِ الجحيم﴾	صالُ الجحيم	٥/ ٢٣٤
١٧١	﴿كلمتنا	كلماتنا	٥/ ٢٣٦
	لعبادنا﴾	على عبادنا	٥/ ٢٣٦
١٧٧	﴿نَزَلَ بساحتهم﴾	نُزِل بِسَاحَتِهِمْ	٥/ ٢٣٧
١٧٧	﴿فساء صباح﴾	فَبِئْسَ صَبَاحُ	٥/ ٢٣٧

سورة ص

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿صٓ﴾	قرىء: صادِ ـ صادَ	٥/ ٢٤٠
٢	﴿عِزَّةٍ﴾	غِرةٍ	٥/ ٢٤٠
٣	﴿ولاتَ﴾	ولاتِ	٥/ ٢٤٢
		وَلاَّه	٥/ ٢٤٢
٣	﴿حينَ مناص﴾	حينِ مَنَاص	٥/ ٢٤١
٥	﴿عُجَاب﴾	عَجَّاب	٥/ ٢٤٣
٦	﴿أن أمشوا واصبروا﴾	امشوا واصبروا	٥/ ٢٤٤
		يمشون أن اصبروا	٥/ ٢٤٤
١٥	﴿فواق﴾	فُوَاق	٥/ ٢٤٨
١٩	﴿والطيرَ محشورةً﴾	والطيرُ محشورةٌ	٥/ ٢٥٠
٢٠	﴿وشَدَدْنَا ملكه﴾	وشدَّدْنا ملكه	٥/ ٢٥١
٢٢	﴿بغى بعضنا على بعض	بَغَى بَعْضُهُم على بعض	٥/ ٢٥٣
	ولا تُشطط﴾	تَشْطُطْ	٥/ ٢٥٣
		تُشَاطِط	٥/ ٢٥٣
٢٣	﴿تِسع وتسعون	تَسْع وتَسْعُون «بالفتح»	٥/ ٢٥٤
	نعجة	نِعْجة	٥/ ٢٥٤
	ولي نعجة واحدة﴾	ولي نَعْجَةٌ أُنْثَى	٥/ ٢٧٥
٢٣	﴿وعزّني﴾	عازّني	
		عزني «بالتخفيف»	٥/ ٢٥٥

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٢٩	﴿مباركٌ ليدبروا﴾	مباركاً	٢٦٣/٥
٣٠	﴿نعم العبد﴾	نعم العبد	٢٦٣/٥
٣٣	﴿بالسوق والأعناق﴾	بالسؤوق	٢٦٧/٥
		بالساق	٢٦٧/٥
٣٦	﴿فسخرنا له الريح﴾	الرياح	٢٧٠/٥
٤١	﴿بنُصْبٍ﴾	بِنُصُب	٢٧٢/٥
		بِنَصَبٍ	٢٧٢/٥
		بِنَصْبٍ	٢٧٢/٥
٤٥	﴿واذكر عبادنا إبراهيم﴾	عَبْدنا	٢٧٤/٥
٤٦	﴿بخالصةِ ذكرى﴾	بخالصةِ ذكرى	٢٧٥/٥
		بخالصتهم	٢٧٥/٥
٤٨	﴿واليسع﴾	والليسع	٢٧٥/٥
٥٠	﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾	جناتُ عدنٍ	٢٧٦/٥
٥٣	﴿هذا ما توعدون﴾	يوعدون	٢٧٦/٥
٥٧	﴿وغسَّاقٌ﴾	غَسَاق «بالتخفيف»	٢٧٦/٥
٥٨	﴿من شَكْلِهِ﴾	من شِكْلِهِ	٢٧٧/٥
٦٣	﴿سِخريا﴾	سُخرياً	٢٧٩/٥
٦٣	﴿أتخذناهم﴾	أَتَّخَذْنَاهُم ـ بلفظ الإخبار	٢٧٨/٥
٧٠	﴿إلاَّ أنما أنا نذير مبين﴾	إلا إِنَّمَا أنا	٢٨٠/٥
٧٥	﴿لما خلقت بيدي	بِيَدِي	٢٨٣/٥
	أستكبرت﴾	استكبرت ـ حذف الإستفهام	٢٨٣/٥
٨٤	﴿فالحقُّ والحقَّ أقول﴾	فالحقّ والحقَّ	٢٨٤/٥

سورة الزمر

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
١	﴿تنزيل الكتاب﴾	تنزيلَ الكتاب	٢٨٦/٥
٢	﴿مُخلِصاً له الدين﴾	مُخْلَصاً له الدِّينُ	٢٨٦/٥

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣	﴿ما نعبدهم إلاَّ ليقربونا	قالوا ما نعبدهم إلاَّ ليقَربونا	٥/ ٢٨٧
		ما نعبدكم إلاَّ لتقربونا	٥/ ٢٨٧
		نُعْبدُهم	٥/ ٢٨٧
	كاذب كفار﴾	كذَّاب	٥/ ٢٨٧
		كذوب	٥/ ٢٨٧
٧	﴿يرضه لكم﴾	يَرْضَهْ	٥/ ٢٩١
٨	﴿ليضل عن سبيله﴾	ليَضِلَّ	٥/ ٢٩٢
٩	﴿أمن هو قانت	أَمَنْ هو قانت	٥/ ٢٩٢
	ساجداً وقائماً	ساجدٌ وقائمٌ	٥/ ٢٩٣
	يحذر الآخرةَ	يَحْذَرُ عذابَ الآخرةِ	٥/ ٢٩٣
	إنما يتَذكر﴾	إنما يذَّكَّرُ	٥/ ٢٩٤
١٧	﴿الطاغوت﴾	الطواغيتِ	٥/ ٢٩٦
٢٩	﴿ورجلاً سلماً لرجل	سَلْماً	٥/ ٣٠٣
		سِلْماً	٥/ ٣٠٣
		سلمٌ	٥/ ٣٠٣
	هل يستويان مثلاً﴾	مثلين	٥/ ٣٠٣
٣٠	﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾	«... مائت... مائتون»	٥/ ٣٠٤
٣٣	﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾	والذين جاؤا بالصدق	٥/ ٣٠٦
		وصدقوا به	٥/ ٣٠٦
		وصدَقَ «بالتخفيف»	
٣٥	﴿أسوأ الذي عملوا﴾	أُسْوأ «جمع» «سوء»	٥/ ٣٠٦
٣٦	﴿بكاف عبده﴾	بكافِ عبادَهُ	٥/ ٣٠٦
		بكافي عبادِهِ	٥/ ٣٠٦
		يُكافي عِبَادَهُ	٥/ ٣٠٦
٣٨	﴿كاشفات ضره	كاشفاتٌ ضُرَّه	٥/ ٣٠٧
	ممسكات رحمته﴾	ممسكاتٌ رحمتَه	٥/ ٣٠٧
٣٩	﴿مكانتكم﴾	مكاناتكم	٥/ ٣٠٨
٤٢	﴿قضى عليها الموت﴾	قُضِيَ عليها المَوْتُ	٥/ ٣٠٩

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٥٠	﴿قد قالها﴾	قد قاله	٥/٣١٢
٥٣	﴿لا تقنطوا﴾	لا تَقْنِطُوا «بالكسر»	٥/٣١٢
		لا تَقْنُطُوا «بالضم»	٥/٣١٢
٥٦	﴿يا حسرتي﴾	يا حَسْرَتِي «على الإصل»	٥/٣١٢
		يا حَسْرَتَاي	٥/٣١٢
٥٩	﴿قد جاءتكَ﴾	قد جاءتِكِ ـ بكسر التاء	٥/٣١٦
٦١	﴿ويُنَجّي الله الذين اتقوا﴾	ويُنْجِي	٥/٣١٧
٦١	﴿بمفازتهم﴾	بمفازاتهم	٥/٣١٨
٦٤	﴿تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾	تأمرونَني	٥/٣١٩
		تأمروني	٥/٣١٩
٦٥	﴿ليحبطن عملك﴾	لَيُحْبَطَنَّ عَمَلُكَ	
		لَنُحْبِطَنَّ	٥/٣١٩
٦٧	﴿قبضتُه	قبضتَه	٥/٣٢٣
	مطويَّاتٌ﴾	مطوياتٍ	٥/٣٢٣
٦٨	﴿قيام ينظرون﴾	قياماً ينظرون	٥/٣٢٣
٦٩	﴿وأشرقت﴾	وأُشْرِقَتِ	٥/٣٢٤

سورة غافر

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
١	﴿حم﴾	قرىء بإماله ألف «حا»	٥/٣٢٧
		وتفخيمها	٥/٣٢٧
		وبتَسكين الميم وفتحها	
٤	﴿فلا يغررك﴾	فلا يَغُرُّك	٥/٣٢٩
٥	﴿برسولهم﴾	بِرَسُولِهَا	٥/٣٣٠
٦	﴿كلمت﴾	كلمات	٥/٣٣٠
٧	﴿العرش﴾	العُرْش	٥/٣٣١
٨	﴿جنات عدن	جَنَّة عدنٍ	٥/٣٣٣
	صلح	صلُحَ	٥/٣٣٣
	وذرياتهم﴾	وذُرِّيَّتِهِمْ	٥/٣٣٣

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٥	﴿رفيع الدرجات﴾	رفيعَ الدرجات	٥/ ٣٣٦
١٥	﴿لينذر يوم التلاق﴾	لِتُنْذِرَ على الروح	٥/ ٣٣٦
		لِيُنْذَرَ يَوْمُ التلاق	٥/ ٣٣٦
٢٠	﴿يدعون من دونه﴾	تدعون	٥/ ٣٣٩
٢١	﴿منهم قوة﴾	منكم قوة	٥/ ٣٤٠
٢٦	﴿أو أن يظهر﴾	وأن يظهرَ	٥/ ٣٤١
		أو أن يُظْهِرُ. . . الفسادَ	٥/ ٣٤١
		يَظَّهَّر	٥/ ٣٤١
٢٧	﴿عذت﴾	عُتُّ	٥/ ٣٤٢
٢٨	﴿وقال رجل مؤمن﴾	رَجْلٌ	٥/ ٣٤٢
٢٩	﴿الرشاد﴾	الرَّشَاد	٥/ ٣٤٥
٣٤	﴿لن يبعث﴾	ألن يبعث	٥/ ٣٤٧
٣٥	﴿قلب متكبر﴾	قلبِ متكبّرٍ	٥/ ٣٤٨
٣٧	﴿زُيِّن لفرعون سوء وصُدَّ﴾	وزَيَّنَ له سوءَ	٥/ ٣٤٨
		وصِدّ	٥/ ٣٤٩
		وصَدّ	٥/ ٣٤٩
٤٠	﴿يدخلون﴾	يُدْخَلُونَ	٥/ ٣٤٩
٤٦	﴿النارُ يعرضون عليها أَدْخِلُوا﴾	النارَ	٥/ ٣٥١
		أدْخُلُوا	٥/ ٣٥١
٤٨	﴿وإنا كلٌّ فيها﴾	كلاً	٥/ ٣٥٢
٥١	﴿يوم يقوم الأشهاد﴾	يوم تقوم الأشهاد	٥/ ٣٥٤
٥٢	﴿لا ينفع﴾	لا تنفع	٥/ ٣٥٤
٥٨	﴿تتذكرون﴾	يتذكرون	٥/ ٣٥٥
٦٢	﴿خالق كل شيء﴾	خالقَ كل شيء	٥/ ٣٥٨
٦٢	﴿تؤفكون﴾	يؤفكون	٥/ ٣٥٨
٦٤	﴿فأحسن صوركم﴾	صِوَرَكم	٥/ ٣٥٨

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦٧	﴿شيوخاً﴾	شِيُوخاً	٥/ ٣٥٩
		شَيْخاً «المفرد»	٥/ ٣٥٩
٧١	﴿والسلاسلُ﴾	وبالسلاسلِ	٥/ ٣٦٠

سورة فصّلت

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٤	﴿بشيراً ونذيراً﴾	بشير ونذير	٥/ ٣٦٦
٥	﴿وقرٌ	وِقْرٌ	٥/ ٣٦٧
	إننا عاملون﴾	إنا عاملون	٥/ ٣٦٧
٦	﴿قل إنما﴾	قال إنما	٥/ ٣٦٨
٩	﴿أَئِنكم﴾	إئنكم «بألف بين همزتين»	٥/ ٣٦٩
١٠	﴿سواءً للسائلين﴾	سواءٍ	٥/ ٣٧٠
		سواءٌ	٥/ ٣٧٠
١١	﴿ائتيا طوعاً أو كرهاً﴾	آتيا	٥/ ٣٧١
		آتينا	٥/ ٣٧١
١٣	﴿صاعقةً مثل صاعقة﴾	صَعْقَةً مثل صَعْقَةِ	٥/ ٣٧٣
١٧	﴿وأما ثمود فهدنياهم﴾	ثمودٌ	٥/ ٣٧٦
		ثموداً	٥/ ٣٧٦
		ثمودَ	٥/ ٣٧٦
		ثُمُود	٥/ ٣٧٦
١٩	﴿ويوم يحشر أعداء الله﴾	نَحْشُر	٥/ ٣٧٧
		نَحْشِر	٥/ ٣٧٧
		يَحْشُرُ	٥/ ٣٧٧
٢٢	﴿ولكن ظننتم﴾	ولكن زعمتم	٥/ ٣٧٨
٢٦	﴿والْغَوْا فيه﴾	والغُوا فيه	٥/ ٣٨٠
٢٩	﴿أَرِنا﴾	أرْنا	٥/ ٣٨١
٣٠	﴿ألا تخافوا﴾	لا تخافوا	٥/ ٣٨١
٣٩	﴿وربت﴾	وربأت	٥/ ٣٨٤
٤٠	﴿يُلحدون﴾	يَلْحَدُونَ	٥/ ٣٨٥

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٤٤	﴿ أأعجمي وعربي	أَعْجَمِيٌّ	٥/ ٣٨٦
	وهو عليهم عمى﴾	وهو عليهم عم	٥/ ٣٨٦
٤٧	﴿ من ثمرات من أكمامها﴾	من ثمرات من أكمامهن	٥/ ٣٨٧
٥١	﴿ ونأ بجانبه﴾	ونَاءَ بجانبه: إمالة الألف وكسر النون	٥/ ٣٨٨
٥٤	﴿ مرية﴾	مُرْيَة	٥/ ٣٩٠

سورة الشورى

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٢	﴿ حم عَسَقَ﴾	حم سق	٥/ ٣٩٢
٣	﴿ يُوحى﴾	يُوحَى	٥/ ٣٩٢
		نُوحِي	٥/ ٣٩٢
٥	﴿ تكاد السَّمٰوات	يكاد	٥/ ٣٩٢
	يتفطرن﴾	يَنْفَطِرْن	٥/ ٣٩٢
		تتفطرن	٥/ ٣٩٢
٧	﴿ لتنذر أُم القُرى	ليُنْذِرَ	٥/ ٣٩٥
	فريق في الجنة﴾	فريقاً	٥/ ٣٩٥
١٢	﴿ ويقدر﴾	ويُقَدِّر	٥/ ٤٠٠
٢١	﴿ وإن﴾	وأَنَّ	٥/ ٤٠٣
٢٣	﴿ يبشر الله عباده﴾	يُبْشِرُ	
		يَبْشُرُ	٥/ ٤٠٣
٢٣	﴿ إلاَّ المودة في القربى﴾	إلاَّ مودَّة في القُرْبى	٥/ ٤٠٦
٢٨	﴿ من بعدما قنطوا﴾	قَنِطُوا	٥/ ٤١٠
٣٣	﴿ فيظلَلْن﴾	فيظلِلْنَ	٥/ ٤١٣
٣٤	﴿ ويعف عن كثير﴾	ويعفو عن كثير	٥/ ٤١٣
٣٧	﴿ كبائرَ﴾	كبيرَ	٥/ ٤١٥
٥١	﴿ أو يُرسِل﴾	أو يُرسِلُ	٥/ ٤٢١
٥٢	﴿ لتهدى إلى صراط مستقيم﴾	لِنَهْدَى لتدعوا	٥/ ٤٢٣

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
	سورة الزخرف		
٥	﴿صفحاً	صُفْحاً	٥/ ٤٢٦
	أن كنتم﴾	إِن كنتم	٥/ ٤٢٦
١٥	﴿من عباده جزءاً﴾	جُزُؤوا	٥/ ٤٣١
١٧	﴿مسودّاً﴾	مسودّ	٥/ ٤٣٣
		مُسْوَاد	
١٨	﴿ينشؤا﴾	يَنْشَأُ	٥/ ٤٣٠
		يُنَاشَأ	٥/ ٤٣٠
١٩	﴿هم عباد الرحمن	عبيد الرحمٰن	٥/ ٤٣٤
		وعبد الرحمن	٥/ ٤٣٤
	إناثاً	إِنِثاً	٥/ ٤٣٤
	أشهدوا	أَأُشْهِدُوا	٥/ ٤٣٤
		ءاأُشْهِدُوا	٥/ ٤٣٤
	ستكتب شهادتهم﴾	سَيَكْتُبُ شهادتَهم	٥/ ٤٣٤
		سَنَكْتُبُ شهادتَهم	٥/ ٤٣٤
٢٢	﴿على أمة﴾	على إِمَّة	٥/ ٤٣٥
٢٤	﴿قال أولو	قُلْ أولو	٥/ ٤٣٥
	جئتكم﴾	جئناكم	٥/ ٤٣٥
٢٦	﴿إنني براء﴾	إنني بُرَاء	٥/ ٤٣٥
٢٩	﴿بل متعتُ هؤلاء﴾	بل متعنا	٥/ ٤٣٧
		بل مَتَّعْتَ	٥/ ٤٣٧
٣١	﴿على رجل﴾	على رَجْلٍ	٥/ ٤٣٨
٣٣	﴿سقفا من فضة﴾	سَقْفاً	٥/ ٤٣٩
		سُقْفاً	٥/ ٤٣٩
٣٥	﴿لما متاع الحياة الدنيا﴾	لِمَا متاع	٥/ ٤٣٩
		إلاَّ متاع	٥/ ٤٣٩

رقم الآيــة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣٦	﴿ومن يَعْشُ	ومن يَعْشَ	٥/ ٤٤١
		يعشو	٥/ ٤٤٣
	نقيض﴾	يُقَيِّض	٥/ ٤٤٤
٣٨	﴿جاءنا﴾	جاآنا	٥/ ٤٤٤
٣٩	﴿أنكم في العذاب﴾	إنكم في العذاب	٥/ ٤٤٤
٤٢	﴿أو نرينك الذي وعدناهم﴾	يزُيَنكَ ـ بالنون الخفيفة	٥/ ٤٤٥
٤٣	﴿أُوحِيَ﴾	أَوْحَى	٥/ ٤٤٥
٤٩	﴿يا أيه الساحر﴾	يا أَيُّهُ الساحر	٥/ ٤٤٨
٥٢	﴿أم أنا خير﴾	أما أنا خير	٥/ ٤٥٠
٥٣	﴿ألقى عليه أسورة﴾	أساور «جمع أسورة»	٥/ ٤٥٠
		أساوير «جمع أسوار»	
		أساورة	
		أَلْقَى «على البناء للفاعل»	٥/ ٤٥٠
٥٦	﴿فجعلناها سلفاً﴾	سُلُفاً	٥/ ٤٥١
٥٧	﴿يَصِدون﴾	يَصُدُّون	٥/ ٤٥١
٥٨	﴿ءإلهتنا﴾	آلهتنا بإسقاط همزة الإستفهام	٥/ ٤٥٢
٦١	﴿وإنه لعلم﴾	وإنه لَعَلَمٌ	٥/ ٤٥٣
		وإنه لَلْعِلم	
		وإنهُ لذكر	٥/ ٤٥٣
٧١	﴿ما تشتهيه الأنفس﴾	ما تشتهي	٥/ ٤٥٥
٧٢	﴿أورثتموها﴾	وَرِّثْتُمُوهَا	٥/ ٤٥٥
٧٥	﴿وهم فيه﴾	وهم فيها	٥/ ٤٥٥
٧٧	﴿يا مالك ليقض علينا ربك﴾	يا مالِ	٥/ ٤٥٦
		يا مالُ	٥/ ٤٥٦
٧٨	﴿لقد جئناكم﴾	لقد جئتكم	٥/ ٤٥٧
٨١	﴿قل إن كان للرحمن ولد	وُلِدَ	٥/ ٤٥٩
	أول العابدين﴾	العبدين	٥/ ٤٥٩

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٨٤	﴿في السماء إله وفي الأرض إله﴾	في السماء الله وفي الأرض الله	٤٦٠/٥
٨٥	﴿وإليه ترجعون﴾	تَرجِعُون	٤٦٠/٥
		يُرْجِعون	
		تُحْشَرُون	٤٦٠/٥
٨٦	﴿الذين يدعون﴾	تدعون	٤٦٠/٥
		تدَّعون	٤٦٠/٥

سورة الدخان

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٤	﴿فيها يفرق كل أمر﴾	يُفَرِّقُ كلَّ	٤٦٥/٥
		يُفْرِقُ كلَّ	
		نَفْرِقُ كلَّ	٤٦٥/٥
٥	﴿أمراً من عندنا﴾	أمرٌ من عندنا	٤٦٥/٥
٦	﴿رحمة من ربك﴾	رحمةٌ من ربك	٤٦٥/٥
٨	﴿ربكم ورب آباءكم﴾	ربِّكم وربِّ آبائكم	٤٦٥/٥
١٦	﴿نبطش﴾	نَبْطُشُ	٤٦٨/٥
		نُبْطِش	٤٦٨/٥
٢٠	﴿عذت﴾	عت «بالإدغام»	٤٦٩/٥
٢٢	﴿أن هؤلاء﴾	إن هؤلاء	٤٦٩/٥
٢٣	﴿فأسر بعبادي ليلا﴾	فاسر «بهمزة وصل»	٤٦٩/٥
٢٧	﴿ونَعمة	ونِعْمَةٍ	٤٧٠/٥
	فاكهين﴾	فكهين	٤٧٠/٥
٣٠	﴿من العذاب المهين﴾	مِنْ عَذَابِ المُهِين	٤٧٢/٥
٣١	﴿من فرعون﴾	مَنْ فِرَعَوْنُ	٤٧٢/٥
٣٨	﴿وما بينهما لاعبين﴾	وما بينَهُنَّ	٤٧٥/٥
٤٠	﴿إن يوم الفصل ميقاتهم﴾	ميقاتَهم	٤٧٥/٥
٤٣	﴿إن شجرة الزقوم﴾	إن شِجَرَت الزقوم	٤٧٦/٥
		إن شيرة الزقوم	٤٧٦/٥

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٤٥	﴿كالمُهْل	كالمَهْل	٥/ ٤٧٦
	يغلي في البطون﴾	تغلي في البطون	٥/ ٤٧٦
٤٧	﴿فاعتلوه﴾	فاعْتُلُوه	٥/ ٤٧٦
٥١	﴿في مقام﴾	مُقَام	٥/ ٤٧٧
٥٤	﴿بحور عين﴾	بحورِ عينٍ ـ على الإضافة	٥/ ٤٧٧
		بعيسٍ عِينٍ ـ على الإضافة	٥/ ٤٧٧
٥٦	﴿لا يذوقون فيها الموت	لا يذاقون فيها الموت	٥/ ٤٧٨
		لا يذوقون فيها طعم الموت	٥/ ٤٧٨
	ووقاهم عذاب الجحيم﴾	ووقَّاهم	٥/ ٤٧٨
٥٧	﴿فضلاً من ربك﴾	فضلٌ من ربك	٥/ ٤٧٨

سورة الجاثية

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٤	﴿آياتٌ لقوم يوقنون﴾	آياتِ	٥/ ٤٨٠
٥	﴿واختلاف الليل	واختلافُ الليل ـ	
		وفي اختلافِ الليلِ	٥/ ٤٨١
	وتصريف الرياح﴾	الريح	٥/ ٤٨١
٦	﴿نتلوها	يتلوها	٥/ ٤٨١
	يؤمنون﴾	تُؤْمِنون	٥/ ٤٨١
٩	﴿وإذا علم﴾	وإذا عَلِمَ أُولئك	٥/ ٤٨٣
١١	﴿أليمٌ﴾	أليمِ	٥/ ٤٨٤
١٤	﴿ليجزى قوماً﴾	لِيُجْزَى قومٌ	٥/ ٤٨٥
		لِيُجْزِي قوماً	٥/ ٤٨٥
٢١	﴿ومماتهم﴾	ومماتَهم	٥/ ٤٨٦
٢٣	﴿إلٰهه هواه	آلهة هواه	٥/ ٤٨٧
	وجعل على بصره غشاوة	غَشَاوة	٥/ ٤٨٧
		غُشَاوة	
		غِشْوة	
		غَشْوة	٥/ ٤٨٧
	تذكرون﴾	تتذكرون	٥/ ٤٨٧

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢٤	﴿نحيا	نُحْيَا	٥/ ٤٨٧
	إلاَّ الدهر﴾	إلا دَهْرٌ يَمُرّ	٥/ ٤٨٧
٢٥	﴿ما كان حجتهم﴾	حُجَّتُهُم	٥/ ٤٨٨
٢٨	﴿وترى كل أمة	وترى كلُّ أُمَّةٍ	٥/ ٤٨٨
	جاثية﴾	جاذية	٥/ ٤٨٩
٣٢	﴿والساعةُ لا ريب فيها﴾	والساعةَ	٥/ ٤٩٠
٣٥	﴿لا يخرجون منها﴾	لا يَخْرُجُون	٥/ ٤٩٠

سورة الأحقاف

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٤	﴿أو أثارة﴾	أُثْرَةٍ	٥/ ٤٩١
		أَثْرَةٍ	
		إِثْرَةٍ	٥/ ٤٩١
٥	﴿يدعو من دون الله﴾	يدعو غير الله	٥/ ٤٩٢
٥	﴿من لا يستجيب﴾	ما لا يستجيب	٥/ ٤٩٢
٩	﴿بدْعا من الرسل	بِدَعاً من الرسل	٥/ ٤٩٤
	ما يفعل بي ولا بكم	ما يَفْعَلُ	٥/ ٤٩٥
	ما يوحى إلي﴾	ما يُوحِيْ إلي	٥/ ٤٩٥
١٢	﴿ومن قبله	ومَن قَبْلَه	٥/ ٤٩٨
	لينذر﴾	لتُنْذِرَ	٥/ ٤٩٨
١٥	﴿بوالديه إحساناً	حُسْناً	٥/ ٤٩٩
		حُسُناً	
		حَسَناً	٥/ ٤٩٩
	كرهاً	كَرْهاً	٥/ ٤٩٩
	وفصاله	وفَصْلُهُ	٥/ ٤٩٩
	حتى إذا بلغ أشده﴾	حتى إذا استوى وبلغ أشده	٥/ ٤٩٩
١٦	﴿الذين نتقبل عنهم	يتَقَبَّلُ عنهم	٥/ ٤٩٩
	ونتجاوز﴾	ويَتَجاوزُ	٥/ ٤٩٩

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٧	﴿أف	أفِ	
		أفَ	
		أفٌ	
		أفاً	٥٠٢/٥
	أتعدانني﴾	أتعداني	٥٠٢/٥
		أتعدانّي	
		أتعدانَنِي	٥٠٢/٥
١٧	﴿إن وعد الله حق﴾	أَنَّ وعد الله حق	٥٠٢/٥
١٩	﴿وليوفيُهم أعمالهم﴾	ولِنوَفِّيَهُم	٥٠٢/٥
٢٠	﴿أذهبتم طيباتكم	أأذهبتم «بهمزة الإستفهام»	٥٠٤/٥
		آأذهبتم «بالف بين همزتين»	٥٠٤/٥
	الهون	الهوان	٥٠٤/٥
	تفسقون﴾	تَفسِقُون	٥٠٤/٥
٢٣	﴿وأبلغكم ما أرسلت به﴾	وَأُبْلِغُكُمْ ما أرسلت به	٥٠٥/٥
٢٤	﴿با هو ما استعجلتم به ريح﴾	قال هود بل هو. . .	٥٠٥/٥
		قال بل ما استعجلتم به هي ريح	٥٠٥/٥
٢٥	﴿تدمر كل شي	يدمر	٥٠٥/٥
	لا يرى إلاَّ مساكنهم﴾	لا يَرَى إلاَّ مساكنهم	٥٠٥/٥
		لا تُرَى إلاَّ مساكنهم	٥٠٥/٥
		لا تَرى إلاَّ مسكنهم	٥٠٥/٥
		لا يُرى إلاَّ مسكنهم	
٢٨	﴿قرباناً	قُرُبَاناً	٥٠٩/٥
	وذلك إفكهم﴾	أَفْكهم	٥٠٩/٥
		أفَّكهم «بالتشديد»	٥٠٩/٥
٢٨	﴿ذلك إفكهم﴾	آفَكَهم	٥٠٩/٥
		آفَكُهُم	٥٠٩/٥
٢٩	﴿فلما قُضِيَ ولوا إلى قومهم﴾	فلما قَضَى	٥١٠/٥
٣٣	﴿بقادر﴾	يَقْدِر	٥١٢/٥

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٣٥	﴿بلاغ فهل يهلك	بلاغاً	٥١٣/٥
	يهلك﴾	يَهْلِك	٥١٣/٥
		يَهْلَكُ	
		نَهْلِك	٥١٣/٥

سورة محمد

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٢	﴿بما نزل عل محمد﴾	أُنْزِل	٥١٥/٥
		نَزَّل	
		نَزَل	٥١٥/٥
٤	﴿وإما فداء	فَدَى	٥١٧/٥
	قتلوا في سبيل الله	قُتِّلُوا	٥١٨/٥
		قَتَلُوا	
		قَاتَلُوا	٥١٨/٥
	فلن يضل أعمالهم﴾	يُضَلَّ	٥١٨/٥
		تُضَلَّ	٥١٨/٥
١١	﴿مولى الذين آمنوا﴾	وَلِيُّ	٥١٩/٥
١٣	﴿وكأين من قرية﴾	وكائن	٥٢٠/٥
١٤	﴿أفمن كان على بينة﴾	أمن كان	٥٢١/٥
١٥	﴿مثلُ الجنة التي وعد المتقون	أمثال الجنة	٥٢٢/٥
	غير آسن	أَسِن	٥٢٢/٥
	لذةٍ للشاربين﴾	لذةَ	٥٢٢/٥
		لذةٌ	٥٢٢/٥
١٦	﴿قال آنفاً﴾	أَنِفاً	٥٢٣/٥
١٧	﴿وءاتاهم﴾	وأَعطاهم	٥٢٣/٥
١٨	﴿أن تأتيهم	أن تأتهم	٥٢٣/٥
	بغته﴾	بَغَتَة «على وزن جربة»	٥٢٤/٥
٢٠	﴿سور محكمة	سورة محدثة	٥٢٥/٥
	وذكر فيها القتال فإذا نزلت سورة﴾	وذَكَرَ فيها القتالَ	٥٢٥/٥
٢١	﴿طاعة وقول معروف﴾	يقولون طاعة وقول معروف	٥٢٥/٥

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢٢	﴿إن توليتم أن تفسدوا في الأرض	وُلِّيتُم	٥/ ٥٢٦
	وتقطعوا أرحامكم﴾	تُولِّتُمْ	٥/ ٥٢٦
		وتَقَطَعُوا	٥/ ٥٢٦
٢٥	﴿وأملى لهم﴾	وأُمْلِيَ لهم	٥/ ٥٢٧
٢٧	﴿توفتهم﴾	توفاهم	٥/ ٥٢٧
٣١	﴿ولنبلونكم	وَلَيَبْلُوَنكم	٥/ ٥٢٨
	حتى نعلم المجاهدين	حتى يَعْلَم	٥/ ٥٢٨
	ونبلوا أخباركم﴾	ويَبْلُوَا	٥/ ٥٢٨
٣٥	﴿وتدعوا إلى السلم﴾	ولا تَدَّعُوا إلى السلم	٥/ ٥٣١
		السَّلْمِ	٥/ ٥٣١
٣٧	﴿ويخرج أضغانكم﴾	نُخْرِج أضغانَكم	٥/ ٥٣٢
		تَخرُج أضغانُكم	٥/ ٥٣٢
		يَخْرُج أضغانُكم	٥/ ٥٣٢

سورة الفتح

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦	﴿دائرةُ السوء﴾	دائرةَ السوء	٥/ ٥٣٧
٩	﴿وتعزِّروه﴾	وتعزُّرُوه «بالضم»	٥/ ٥٣٧
١٠	﴿يَنكُثُ	يَنكِثُ	٥/ ٥٣٨
	فسيؤتيه﴾	فسنوتيه	٥/ ٥٣٨
١١	﴿شَغَلَتْنا	شغَّلَتْنَا	٥/ ٥٣٩
	ضَرّاً﴾	ضُرّاً	٥/ ٥٣٩
١٢	﴿إلى أهليهم	إلى أهلهم	٥/ ٥٣٩
	وزُيِّن ذلك في قلوبهم﴾	وزَيِّن ـ على البناء للفاعل	٥/ ٥٣٩
١٥	﴿كَلاَم الله	كَلِمَ الله	٥/ ٥٤٠
	تحسدوننا﴾	تَحْسِدُوننا	٥/ ٥٤١
١٦	﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾	أو يَسْلِمُوا	٥/ ٥٤١
١٧	﴿يدخله جناتٍ	ندخله جنات	٥/ ٥٤١
	يعذبه عذاباً أليماً﴾	نعذبه عذاباً أليماً	٥/ ٥٤١

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٨	﴿وأثابهم﴾	وآتاهم	٥/ ٥٤٣
٢٠	﴿تأخذونها﴾	يأخذونها	٥/ ٥٤٣
٢٤	﴿تعملون﴾	يعملون	٥/ ٥٤٥
٢٥	﴿والهديَ	والهَدِيَّ	٥/ ٥٤٥
	لو تزيلوا﴾	لو تزايلوا	٥/ ٥٤٧
٢٦	﴿وكانوا أحق بها وأهلها﴾	وكانوا أهلها وأحق بها	٥/ ٥٤٧
٢٩	﴿سيماهم	سيماؤهم	٥/ ٥٥١
	من أثر السجود	من آثار السجود	٥/ ٥٥١
	الإنجيل	الأنجيل	٥/ ٥٥٣
	شطأه	شطاه «بتخفيف الهمزة»	٥/ ٥٥٣
		شطه	
		شطوه	٥/ ٥٥٣
	فئازره﴾	فأَزَرَهُ «بالتخفيف»	٥/ ٥٥٣
		فأَزَّرَهُ «بالتشديد»	٥/ ٥٥٣

سورة الحجرات

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿لا تقدِّموا﴾	لا تُقْدِمُوا	٥/ ٥٥٤
٢	﴿لا ترفعوا أصواتكم	لا ترفعوا بأصواتِكم	٥/ ٥٥٨
	أن تحبط أعمالكم﴾	فتحبط أعمالكم	٥/ ٥٦٠
٤	﴿الحُجُرَاتِ﴾	الحُجَرَاتِ	٥/ ٥٦٣
		الحُجْرَاتِ	٥/ ٥٦٣
٦	﴿فتبينوا﴾	فتثبتوا	٥/ ٥٦٧
٩	﴿اقتتلوا	أو اقتتلا	٥/ ٥٧١
	حتى تفيء إلى أمر الله﴾	حتى تفي إلى أمر الله	٥/ ٥٧١
		حتى يفيئوا إلى أمر الله	٥/ ٥٧١
١٠	﴿بين أخويكم﴾	بين إخوتِكم وإخوانكم	٥/ ٥٧٤
١١	﴿عسى أن يكونوا	عسوا أن يكونوا	٥/ ٥٧٦
	ولا تلمزوا﴾	ولا تلمُزُوا «بالضم»	٥/ ٥٧٦

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
١٢	﴿ولا تجسسوا	ولا تَحَسَّسُوا	٥/ ٥٨٢
	ميْتاً فكرهتموه﴾	ميِّتاً	٥/ ٥٨٤
١٣	﴿لتعارفوا	لتتعارفوا	٥/ ٥٨٥
	إن أكرمكم﴾	أن أكرمكم	٥/ ٥٨٥
١٤	﴿لا يلتكم﴾	لا يألتكم	٥/ ٥٨٨
١٧	﴿أن هداكم﴾	إذ هداكم	٥/ ٥٩٠
		إن هداكم	٥/ ٥٩٠
١٨	﴿والله بصير بما تعملون﴾	يعملون	٥/ ٥٩٠

سورة ق

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٣	﴿أئذا متنا﴾	إذا متنا	٥/ ٥٩٢
٥	﴿لَمَا جاءهم﴾	لِمَا جاءهم	٥/ ٥٩٣
١٠	﴿باسقات﴾	باصقات ـ بالصاد ـ	٥/ ٥٩٣
١٨	﴿ما يلفظ﴾	ما يُلْفَظُ	٥/ ٥٩٦
١٩	﴿سكرة الموت بالحق﴾	سكرة الحقِّ بِالمَوْتِ	٥/ ٥٩٨
		سكرات الموت بالحق	٥/ ٥٩٨
٢٢	﴿كنتَ منه تحيد	كُنتِ	٥/ ٥٩٩
	عنكَ غطاءك	عنكِ	٥/ ٥٩٩
	غطاءكَ	غَطَاءَكِ	٥/ ٥٩٩
	فبصركَ اليوم حديدٍ﴾	فَبَصَرُكِ	٥/ ٥٩٩
٣٠	﴿نقول لجهنم﴾	يقول لجهنم	٥/ ٦٠١
٣٦	﴿فنقبوا في البلاد﴾	فَنَقَّبُوا	٥/ ٦٠٣
		فَنَقِبُوا	٥/ ٦٠٣
		فَنَقَبُوا	٥/ ٦٠٣
٣٧	﴿أَوْ أَلْقى السمع﴾	أُلقِيَ	٥/ ٦٠٥
٤٤	﴿تشقق﴾	تَشَّقَّقُ «إدغام الثاءِ في الشين»	٥/ ٦٠٧
			٥/ ٦٠٧
		تُشَقَّق	٥/ ٦٠٧
		تَنْشَقُّ	

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
	سورة الذاريات		
٢	﴿وِقراً﴾	وَقْراً	٥/ ٦٠٨
٧	﴿الحُبُك﴾	الحُبْك «بوزن القُفْل»	٥/ ٦١٠
		الحِبْك «بون السلك»	
		الحَبَك «بوزن الجبل»	
		الحَبْك «بوزن البرق»	
		الحِبَك «بوزن النعم»	
		الحِبِك «بوزن الإبل»	٥/ ٦١٠
٩	﴿يؤفك عنه من أفك﴾	يَأْفِكُ عنه مَنْ أَفَكَ	٥/ ٦١١
		يُؤفَنُ عنه من أُفِنَ	٥/ ٦١١
١٢	﴿أيان يوم الدين﴾	إيان	٥/ ٦١١
١٣	﴿يومَ هم على النار يفتنون﴾	يومُ	٥/ ٦١١
٢٣	﴿مثلَ ما أنكم﴾	مثلُ ما أنكم	٥/ ٦١٤
٢٥	﴿سلاماً قال سلام﴾	سلاماً قال سَلْماً	٥/ ٦١٥
		سلاماً قال سَلْمٌ	٥/ ٦١٥
٣٩	﴿بركنه﴾	برُكُنِهِ	٥/ ٦١٧
٤٤	﴿الصاعقة﴾	الصَّعْقَةُ	٥/ ٦١٨
٤٦	﴿وقوم نوح﴾	وقومِ نوح	٥/ ٦١٨
		وفي قومِ نوح	٥/ ٦١٨
٥٨	﴿إن الله هو الرزاق﴾	إني أنا الرازق	٥/ ٦٢١
	سورة الطور		
١٣	﴿يوم يدعون﴾	يوم يُدْعَوْنَ	٥/ ٦٢٥
١٨	﴿فاكهين﴾	فاكهون ـ فكهين	٥/ ٦٢٥
٢٠	﴿بحور عين﴾	بعيس عين	٥/ ٦٢٦

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٢١	﴿واتبعتهم	وأتبعتهم	٦٢٧/٥
	ذريتهم	ذُرِّياتُهم	٦٢٧/٥
		ذِرِّياتهم	٦٢٧/٥
	ألتناهم﴾	آلتناهم	٦٢٨/٥
		يتناهم	٦٢٨/٥
		ويتناهم	٦٢٨/٥
٢٧	﴿ووقانا﴾	ووقّانا (بالتشديد)	٦٢٩/٥
٢٨	﴿إنه﴾	أنه	٦٢٩/٥
٣٠	﴿نتربص به ريب المنون﴾	يُتَربَّصُ به ريب المنون	٦٢٩/٥
٣٢	﴿أم هم قوم طاغون﴾	بل هم قوم طاغون	٦٣٠/٥
٤٥	﴿يلاقوا يومهم﴾	يلقوا يومهم	٦٣١/٥
٤٩	﴿وإدبار النجوم﴾	وأدبار النجوم	٦٣١/٥

سورة النجم

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٩	﴿قاب﴾	قاد	٦٣٧/٥
		قِيدَ	٦٣٧/٥
١١	﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾	ما كَذَّب الفؤاد	٦٣٩/٥
١٢	﴿أفتمارونه﴾	أَفَتُمْرُونه ـ من المراء ـ	٦٣٩/٥
٢٠	﴿ومناة﴾	ومناءة	٦٤٣/٥
٢٢	﴿ضيزى﴾	ضِئْزَى	٦٤٣/٥
		ضَيْز	٦٤٣/٥
٢٨	﴿وما لهم به﴾	وما لهم بها	٦٤٤/٥
٣١	﴿ليجزى﴾	لنجزى	٦٤٥/٥
٣٢	﴿كبائر الإثم﴾	كبير الإثم	٦٤٦/٥
٣٧	﴿وإبراهيم الذي وفى﴾	وَفَى ـ بالتخفيف	٦٤٧/٥
٤٧	﴿النشأة﴾	النشاءة	٦٤٨/٥

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٥	﴿مذكر﴾	مذتكر	٥/ ٦٥٨
٢٤	﴿أبشراً منا واحداً نتبعه﴾	أبشر منا واحدٌ	٥/ ٦٦٠
٢٦	﴿سيعلمون	ستعلمون	٥/ ٦٦٠
	الأشِر﴾	الأشُر	٥/ ٦٦٠
٣١	﴿كهشيم المحتظِر﴾	كهشيم المُحْتَظَر	٥/ ٦٦١
٣٨	﴿بكرةً عذاب مستقر﴾	بِكرةَ	٥/ ٦٦١
٤٥	﴿سيُهزم الجمع	سنَهْزِم الجمعَ	٥/ ٦٦٣
	ويولون الدبر﴾	الأدبار	٥/ ٦٦٣
٤٩	﴿إنا كل شيء خلقناه	كُلُّ شيءٍ	٥/ ٦٦٤
	بقدر﴾	بِقَدْرٍ	٥/ ٦٦٤
٥٤	﴿ونَهَر﴾	ونَهْر	٥/ ٦٦٥
٥٥	﴿في مقعد صدق﴾	في مقاعدِ صِدْقٍ	٥/ ٦٦٥

سورة الرَّحمٰن

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٧	﴿ووضع الميزان﴾	وخفض الميزان	٦/ ٦
٨	﴿ألا تطغوا﴾	لا تطغوا	٦/ ٦
٩	﴿ولا تخسروا﴾	ولا تَخْسُرُوا	٦/ ٧
		ولا تَخْسِرُوا	
		ولا تَخْسَروا	٦/ ٧
١١	﴿والريحانُ﴾	والريحانِ	٦/ ٧
١٧	﴿ربُّ المشرقين وربُّ المغربين﴾	ربَّ المشرقين وربَّ المغربين	٦/ ٨
٢٢	﴿يَخْرج	نخرج	٦/ ٨
	اللؤلؤ والمرجان﴾	اللؤلؤَ والمرجانَ	٦/ ٨
٢٤	﴿وله الجوار المنشآت﴾	وله الجوارُ المنشِآتُ	٦/ ٨، ٩
٢٧	﴿ ذو ﴾	ذي	٦/ ٩

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٣١	﴿سنفرغ لكم﴾	ستفرَغ لكم	١٣/٦
		سأفْرَغ لكم	١٣/٦
		سَنفَرَغ لكم	
		سِنِفْرَغ لكم	١٣/٦
		سيُفْرَغ لكم	
		سَنفْرُغُ إليكم	١٣/٦
٣٥	﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس﴾	نُرْسِل عليكم	١٤/٦
		شواظٍ من نار ونحاسٍ	١٤/٦
		ونُحَاسٌ	١٤/٦
		شواظٌ ـ ونُحَاسٍ	١٤/٦
		وَنُحُس	١٤/٦
		وَنَحِسُ	١٤/٦
		نُرسِلُ عليكم شَواظاً من نار ونحاساً	١٤/٦
٣٧	﴿فكانت وَرْدَةً﴾	وَرْدَةٌ	١٥/٦
٣٩	﴿ولا جانٌّ﴾	ولا جَأْن	١٦/٦
٤٣	﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾	هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان	١٦/٦
٤٤	﴿يطوفون بها﴾	يُطَوِّفُونَ	١٦/٦
		يَطَّوَّفُونَ	
		يُطَافُونَ	١٦/٦
٥٤	﴿وجنى الجنتين وإن﴾	وَجِنَى الجنتين	١٧/٦
٥٦	﴿لم يطمثهن﴾	لم يَطْمُثْهُنَّ	١٨/٦
٧٦	﴿على رفرف خضر وعبقري حسان﴾	رَفَارِفٌ خُضْرٌ	١٩/٦
		عَبَاقِرِى	١٩/٦
		عَبَاقَرِى	١٩/٦
٧٨	﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال﴾	ذو الجلال	١٩/٦

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة

سورة الواقعة

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣	﴿خافضة رافعة﴾	خافضةً رافِعَةً	٦/ ٢١
٦	﴿هباءاً منبثاً﴾	منبتاً ـ بالتاء	٦/ ٢١
١٢	﴿في جنات النعيم﴾	في جنة النعيم	٦/ ٢٢
١٩	﴿لا يصدعون عنها﴾	يَصَدَّعُون	٦/ ٢٦
٢١	﴿ولحم طير﴾	ولحوم طير	٦/ ٢٦
٢٢	﴿وحور عين﴾	وحورٍ عينٍ	٦/ ٢٦
٢٦	﴿إلاَّ قيلاً سلاماً سلاماً﴾	سلامٌ سلامٌ	٦/ ٢٧
٢٩	﴿وطلح منضود﴾	وطلع منضود	٦/ ٢٧
٣٢	﴿وفاكهة كثيرة﴾	وفاكهةٌ كثيرةٌ	٦/ ٢٧
٤٤	﴿لا بارد ولا كريم﴾	لا باردٌ ولا كريمٌ	٦/ ٣٠
٤٨	﴿أو ءاباؤنا الأولون﴾	أو آباؤنا	٦/ ٣٠
٥٠	﴿لمجموعون﴾	لمُجْمَعُون	٦/ ٣٠
٥٢	﴿من شجر من زقوم﴾	من شجرة من زقوم	٦/ ٣١
٥٥	﴿شرب الهيم﴾	شَرْب	٦/ ٣١
		شِرْب	٦/ ٣١
٥٨	﴿ما تمنون﴾	تَمْنُون	٦/ ٣٢
٦٠	﴿نحن قدرنا بينكم﴾	قَدَرْنا	٦/ ٣٢
٦٢	﴿ولقد علمتم النشأة الأُولى﴾	النشاءة	٦/ ٣٢
٦٥	﴿فَظَلْتُم	فَظَلِلْتُم	٦/ ٣٣
	تَفكَّهُون﴾	تفكنون ـ بالنون ـ	٦/ ٣٣
٦٦	﴿إنا لمغرمون﴾	إئنا	٦/ ٣٣
٧٥	﴿فلا أقسم﴾	فلأقسم	٦/ ٣٧
٧٩	﴿لا يمسه إلاَّ المطهرون﴾	المطَّهِّرُون	٦/ ٣٨
		المُطْهِرُون	٦/ ٣٨
		المُطَهِّرُون	٦/ ٣٨

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٨٠	﴿تنزيل من رب العالمين﴾	تنزيلاً	٦/ ٣٨
٨٢	﴿وتجعلون رزقكم﴾	وتجعلون شكركم	٦/ ٣٩
٨٩	﴿فروح وريحان﴾	فَرُوحٌ	٦/ ٤٠
٩٤	﴿وتصليةَ جحيم﴾	وتصليةِ جحيم	٦/ ٤٠
	سورة الحديد		
٨	﴿وما لكم لا تؤمنون	وما لكم لا تؤمنون	
	بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا	بالله ورسوله والرسول	٦/ ٤٣
	وقد أخذ ميثاقكم﴾	يدعوكم	٦/ ٤٤
		وقد أُخِذَ ميثاقُكم	
٩	﴿وإن الله بكم لرءوف رحيم﴾	لرَؤُوفٌ ـ بالقصر	٦/ ٤٤
١٠	﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾	وكُلٌّ	٦/ ٤٥
١١	﴿فيضاعفه﴾	فيضعفه	٦/ ٤٥
١٢	﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾	ذلك الفوز	٦/ ٤٦
١٣	﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾	أنظرونا ـ بالقطع ـ	٦/ ٤٦
١٣	﴿فضرب بينهم﴾	فَضَرَب بينهم	٦/ ٤٧
١٤	﴿وغركم بالله الغرور﴾	الغُرُور	٦/ ٤٧
١٦	﴿ألم يَأْن لِلذين آمنوا	ألم يَئِن	٦/ ٤٨
	وما نزل من الحق﴾	وما نَزَّل	٦/ ٤٨
١٨	﴿إن المصدقين والمصدقات	إنَّ المُصَدِّقِين والمُصَدِّقَاتِ	٦/ ٤٩
	يضاعف لهم العذاب﴾	يُضَعَّفُ لهم العذابُ	٦/ ٤٩
		يُضاعِفُ لهم العذابَ	٦/ ٤٩
٢٣	﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾	بما أوتيتم	٦/ ٥٠
٢٤	﴿ويأمرون الناس بالبخل	بالْبَخَل	٦/ ٥١
	فإن الله هو الغني الحميد﴾	فإن اللصهَ الغنيَّ الحميدَ	٦/ ٥١
٢٧	﴿وآتيناه الإنجيل	الأنجيل	٦/ ٥٢
	ورهبانية ابتدعوها﴾	ورهبانيَّةٌ	٦/ ٥٢

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢٩	﴿لئلا يعلم أهل الكتاب	لكي يَعْلَمَ	٦/ ٥٤
		لكيلا يَعْلَمَ	٦/ ٥٤
		ليَعَلمَ	٦/ ٥٤
	لئلا يعلم أهل الكتاب	لأن يعلم	٦/ ٥٤
		لين يعلم	
		لَيْلا يعلم	
		لِيْلاَ يعلم	٦/ ٥٤
	ألا يقدرون على شيء﴾	ألا يقدروا	٦/ ٥٥

سورة المجادلة

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿والله يسمع تحاوركما﴾	يسمعُ تُحَاوِرُكَ	٦/ ٥٦
		تُحَاوِلُكَ	٦/ ٥٦
٢	﴿ما هن أُمهاتهم﴾	أُمَّهَاتُهُم	٦/ ٥٧
٧	﴿ما يكون من نجوى	ما تكُونُ	٦/ ٦٢
	ثلاثة إلاَّ هو رابعهم	ثلاثةً	٦/ ٦٢
	ولا خمسة إلاَّ هو سادسهم	ولا خَمْسَةً	٦/ ٦٢
	ولا أدنى من ذلك ولا أكثر	ولا أكْثَرُ	٦/ ٦٣
	ثم ينبئهم﴾	يُنْبِئهم	٦/ ٦٣
٩	﴿فلا تتناجوا﴾	فلا تَنَاجَوا	٦/ ٦٤
		فلا تَنْتَجُوا	٦/ ٦٤
١٠	﴿ليحزن الذين آمنوا﴾	لِيُحْزِنَ	٦/ ٦٥
١١	﴿تفسحوا في المجالس	تفاسحوا	٦/ ٦٥
		في المجلس	٦/ ٦٥
	والله بما تعملون خبير﴾	بما يَعْمَلُون	٦/ ٦٥
١٣	﴿والله خبير بما تعملون﴾	بما يعملون	٦/ ٦٨

سورة الحشر

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢	﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا	فآتاهم الله	٦/ ٧٤
	يخربون بيوتهم﴾	يُخَرِّبون بيوتهم	٦/ ٧٤

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٥	﴿أو تركتموها قائمة	قوَّماً	٦/ ٧٥
		قائماً	٦/ ٧٥
	على أُصولها﴾	على أصلها	٦/ ٧٥
		على أصوله	٦/ ٧٥
٧	﴿كي لا يكون دولة﴾	دُولةٌ	٦/ ٧٨
٩	﴿ومن يوق شح نفسه﴾	يُوَقَّ	٦/ ٨٢
		شِـحَّ	٦/ ٨٢
١٤	﴿أو من وراء جدر﴾	جُذْر ـ بالتخفيف	٦/ ٨٣
		جِدار	
		جَدْر	
		جِدْر	٦/ ٨٣
١٦	﴿إني بريء﴾	أنا بريء	٦/ ٨٣
١٧	﴿فكان عاقبتهما	عَاقِبَتُهما	٦/ ٨٣
	خالدين فيها﴾	خالدان فيها	٦/ ٨٣
٢١	﴿متصدعاً﴾	مُصَّدِّعاً	٦/ ٨٣
٢٣	﴿السلام المؤمن﴾	المُؤمَنُ	٦/ ٨٥
٢٤	﴿البارىء المصور	المُصَوَّرَ	٦/ ٨٥
	ما في السَّمٰوات والأرض﴾	وما في الأرض	٦/ ٨٦

سورة الممتحنة

رقم الآيـة	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣	﴿يوم القيامة يفصل بينكم﴾	يُفْصَلُ	٦/ ٩١
		تُفَصَّلُ	
		يُفَصِّلُ	
		نَفصِلُ	
		نُفَصِّلُ	٦/ ٩١
٤	﴿قد كانت لكم أُسوة	أَسْوَةٌ	٦/ ٩١
		إِسْوَةٌ	٦/ ٩١
	إنا برءاوا منكم﴾	برآء	٦/ ٩١
		بِرَاء	
		بُرَاء	٦/ ٩١

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
١٠	﴿ولا تمسكوا﴾	ولا تُمَسّكُوا	٩٧/٦
		ولا تتمَسَّكُوا	٩٧/٦
١١	﴿فعاقبتم﴾	فَعَقَّبْتُم ـ فَعَقَبْتُم	٩٨/٦
١٢	﴿ولا يقتلن أولادهم﴾	ولا يُقَتِّلْنَ	٩٩/٦

سورة الصف

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٤	﴿الذين يقاتلون في سبيله صفا﴾	يُقَاتَلُون	١٠٣/٦
		يُقَتِّلُون	١٠٣/٦
٦	﴿يأتي من بعدي	بَعْدِيَ	١٠٥/٦
	قالوا هذا سحر مبين﴾	هذا ساحر	١٠٥/٦
٧	﴿وهو يدعى﴾	يَدْعِي	١٠٦/٦
		يَدَّعَى	١٠٦/٦
٩	﴿هو الذي أرسل رسوله﴾	أرسل نبيه	١٠٦/٦
١٠	﴿تنجيكم﴾	تُنَجِّيكم	١٠٦/٦
١١	﴿تؤمنون بالله ورسوله	تؤمنوا	١٠٦/٦
	وتجاهدون في سبيل الله﴾	وتجاهدوا	١٠٦/٦
١٤	﴿كونوا أنصار الله﴾	أنْصَاراً لِلَّهِ	١٠٨/٦

سورة الجمعة

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
١	﴿الملك القدوس﴾	القَدُّس	١١٠/٦
٢	﴿بعث في الأُميين﴾	الأُمين ـ حذف ياء النسب	١١٠/٦
٥	﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾	حَمَلُوا التوراة	١١١/٦
٦	﴿فتمنوا الموت﴾	فَتَمَنَّوِا الموتَ	١١٢/٦
٩	﴿من يوم الجُمُعَة﴾	الجُمْعَةِ	١١٢/٦
١١	﴿انفضوا إليها﴾	انفضوا إليهما	١٢١/٦

سورة المنافقون

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
٣	﴿فطبع على قلوبهم﴾	فَطَبَعَ على قلوبهم	١٢٤/٦
		فَطَبَعَ الله	١٢٤/٦

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٤	﴿وإن يقولو تسمع لقولهم	يُسْمَع لقولهم	٦/ ١٢٤
	كأنهم خشب مسترة﴾	خُشْب	٦/ ١٢٤
		خَشَب	
		خُشَب	٦/ ١٢٤
٥	﴿لووا رءوسهم﴾	لوَوا	٦/ ١٢٥
٦	﴿سواء عليهم أستغفرت﴾	آسْتَغْفَرْت	٦/ ١٢٨
٧	﴿حتى ينفضوا﴾	يُنْفِضُوا	٦/ ١٢٨
٨	﴿ليخرجن الأعز منها الأزل﴾	ليَخْرجن ـ بفتح الياء	٦/ ١٢٨
		لَيُخْرَجَنَّ	٦/ ١٢٨
		لنُخْرِجَنَّ	٦/ ١٢٨
١٠	﴿لولا أخرتني	أخرتنِ	٦/ ١٢٩
	فأصدق وأكن﴾	فألصَدقُ	٦/ ١٢٩
		وأكونَ	٦/ ١٢٩
١١	﴿والله خبير بما تعملون﴾	يَعْمَلُون	٦/ ١٢٩

سورة التغابن

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣	﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾	وصِوَركم	٦/ ١٣١
٩	﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾	نجمعكم	٦/ ١٣٣
١١	﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾	نَهْدِ قلبه	٦/ ١٣٤
		يُهْدَ	٦/ ١٣٤
		يهْدأ	٦/ ١٣٤
		يهْدَ	٦/ ١٣٤
١٧	﴿يضاعفه لكم﴾	يُضَعِّفْهُ	٦/ ١٣٧

سورة الطلاق

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿لعدتهن﴾	من قُبلِ عدتهنَّ	٦/ ١٣٩
٣	﴿إن الله بالغ أمره﴾	بالغٌ أَمْرِهِ	٦/ ١٤٥
		بالغٌ أَمْرُهُ	٦/ ١٤٥
		بالغاً أَمْرُهُ	٦/ ١٤٥

رقم الآية	الآيـــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦	﴿من حيث سكنتم من وجدكم﴾	وَجْدِكم	٦/ ١٤٨
		وِجْدِكم	٦/ ١٤٨
٧	﴿لينفق ذو سعة	لِيُنْفِقَ ذو سعة	٦/ ١٥٠
	ومن قدر عليه رزق﴾	قُدِّرَ	٦/ ١٥٠
١٢	﴿ومن الأرض مثلهن	مِثْلُهُنَّ	٦/ ١٥٢
	ينزل الأمر	يَنْزِلُ الأمر	٦/ ١٥٢
	لتعلموا أن الله﴾	لِيَعْلَمُوا	٦/ ١٥٢

سورة التحريم

رقم الآية	الآيـــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣	﴿عرَّف بعضه وأعرض عن بعض	عَرَفَ بعض	٦/ ١٥٨
	فلما نبأت به﴾	أَنْبأَتْ به	٦/ ١٥٨
٤	﴿فقد صغت قلوبكما﴾	فقد زاغت	٦/ ١٥٩
٥	﴿يبدله خيراً منكن	يُبَدِّلَهُ	٦/ ١٦٠
	سائحات﴾	سيحات	٦/ ١٦٠
٦	﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾	وَأَهْلُوكم	٦/ ١٦١
٨	﴿توبة نصوحاً﴾	نُصُوحاً	٦/ ١٦٢
١٢	﴿فنفخت فيه	فيها	٦/ ١٦٥
	وصدقت بكلمات ربها	وصَدَقَتْ	٦/ ١٦٥
		بكلمة	٦/ ١٦٦
	وكتبه﴾.	وكتابه	٦/ ١٦٦

سورة الملك

رقم الآية	الآيـــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣	﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾	تَفَوُّتٍ	٦/ ١٧٠
٦	﴿فلهم عذاب جهنم﴾	عذاب جهنم	٦/ ١٧٢
١١	﴿فسحقاً لأصحاب السعير﴾	فَسُحُقاً	٦/ ١٧٣
١٧	﴿فستعلمون كيف تذير﴾	فَسَيَعْلمون	٦/ ١٧٥
٢١	﴿هذا الذي كنتم به تدعون﴾	تَدْعون	٦/ ١٧٧

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
	سورة القلم		
١٤	﴿أن كان ذا مال وبنين﴾	أأن كان	٦/ ١٨٤
		إِنْ كان	٦/ ١٨٤
٢٤	﴿ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾	لاَ يُدخُلَنَّهَا	٦/ ١٨٦
٣٢	﴿أن يبدِلنا خيراً منها﴾	أَنْ يُبَدِّ لَنَا	٦/ ١٨٧
٣٨	﴿أم لكم أيمان علينا بالغة﴾	بالغةَ	٦/ ١٨٨
٤٢	﴿يوم يكشف عن ساق﴾	نَكْشِفُ	٦/ ١٩١
		تَكْشِفُ	٦/ ١٩١
		تُكْشَفُ	٦/ ١٩١
		يُكْشِفُ	٦/ ١٩١
٤٩	﴿لولا أن تداركه	تداركته	٦/ ١٩٢
	نعمة من ربه﴾	تَدَّاركه	٦/ ١٩٢
		رحمة من ربه	٦/ ١٩٢
٥١	﴿ليزلقونك بأبصارهم﴾	لَيَزْلقونَك	٦/ ١٩٣
	سورة الحاقة		
٩	﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾	ومن معه	٦/ ١٩٦
		ومن تلقاءه	٦/ ١٩٦
١٢	﴿وتعيها أذن واعية﴾	وتَعْيَهَا	٦/ ١٩٧
١٤	﴿وحملت الأرض والجبال﴾	وحُمِّلَتْ	٦/ ١٩٧
٢٠	﴿حسابيه﴾	إثبات الهاءات وقفاً وسقوطها وصلاً	٦/ ١٩٩
٢٨	﴿ماليه﴾	إسكان الياء بغير هاء	٦/ ١٩٩
٢٩	﴿سلطانيه﴾	إثبات الهاء وقفاً ووصلاً	٦/ ١٩٩
٣٧	﴿لا يأكله إلا الخاطِئون﴾	إلا الخاطيون	٦/ ٢٠٢
		الخاطون	٦/ ٢٠٣
٤٩	﴿تنزيل من رب العالمين﴾	تنزيلاً	٦/ ٢٠٣

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
	سورة المعارج		
١	﴿سأل سائل﴾	سال سائل	٢٠٥/٦
		سال سيل	٢٠٥/٦
١٠	﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾	ولا يُسْأَلُ	٢٠٦/٦
١١	﴿أن يفتدي من عذاب يومئذ﴾	يَوْمَئِذٍ	٢٠٧/٦
		من عذابِ يَوْمَئِذٍ	٢٠٧/٦
١١٦	﴿نزاعة للشوى﴾	نَزَّاعَةً	٢٠٧/٦
٣٣	﴿والذين هم بشهاداتهم﴾	بشهادتهم	٢١٠/٦
٤٠	﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾	برب المشرق والمغرب	٢١١/٦
٤٣	﴿يوم يخرجون من الأجداث	يُخْرَجُونَ	٢١١/٦
	كأنهم إلى نصب﴾	نَصَبٍ	٢١١/٦
	سورة نوح		
٢٢	﴿ومكروا مكراً كباراً﴾	كُبَارا	٢١٨/٦
		كِبَارا	٢١٨/٦
٢٣	﴿ولا تذرن وداً﴾	وُدًّا ـ بضم الواو	٢١٨/٦
٢٥	﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾	من خطيئاتهم ما أغرقوا	٢١٩/٦
		خَطِيَّاتِهم	٢١٩/٦
		خَطاياهم	٢١٩/٦
		خَطِيئَتِهِمْ	٢١٩/٦
٢٨	﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾	وَلِوَلَدَيَّ	٢٢٠/٦
	سورة الجن		
١	﴿قل أوحِيَ إليَّ﴾	أَوْحَى	٢٢٢/٦
		وُحِيَ	٢٢٢/٦
٣	﴿وأنهُ تعالى جد ربنا﴾	جدًا ربنا	٢٢٣/٦
		جدٌ ربنا ـ بالكسر	٢٢٣/٦
٥	﴿وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً﴾	أن لن تقَوَّل	٢٢٤/٦

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٣	﴿فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾	فلا يخف	٢٢٨/٦
١٧	﴿يسلكه عذاباً صعدا	نُسْلِكْه	٢٣٠/٦
	وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾	نَسْلِكْه	٢٣٠/٦
		وإِنَّهُ	٢٣٢/٦
١٩	﴿كادوا يكون عليه لبدا﴾	لُبَّدا	٢٣٢/٦
		لُبُدا	٢٣٢/٦
٢١	﴿ضراً ولا رشداً﴾	غياً ولا رشدا	٢٣٣/٦
٢٦	﴿عالمُ الغيب	عَالِمَ الغيبِ	٢٣٦/٦
		عَلِمَ الغيبَ	٢٣٦/٦
	فلا يظهر على غيبه﴾	يَظْهَرُ	٢٣٦/٦
٢٨	﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾	لِيُعْلَمَ	٢٣٦/٦

سورة المزمل

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿يا أيها المزمل﴾	المتَّزَمِّل	٢٣٧/٦
		المُزَمَّلُ	٢٣٧/٦
		المُزَمِّلُ	٢٣٧/٦
٢	﴿قم الليل إلا قليلاً﴾	وقُمُ الليل	٢٤٠/٦
		قُمَ الليل	٢٤٠/٦
٦	﴿هي أشد وطئا	وِطْأ ـ بالكسر	٢٤٤/٦
	وقوم قيلاً﴾	وأصوب قيلا	٢٤٤/٦
٧	﴿سبحا طويلاً﴾	سَبْخاً طويلا	٢٤٤/٦
٩	﴿رب المشرق والمغرب﴾	رَبَّ المشرق والمغرب	٢٤٤/٦
١١	﴿أولى النعمة﴾	النِّعمة	٢٤٥/٦
		النُّعْمة	٢٤٥/٦
١٤	﴿يوم ترجف الأرض﴾	تُرْجَفُ الأرض	٢٤٦/٦
١٨	﴿السماء منفطر به﴾	مُنَفَطِّر به	٢٤٧/٦
٢٠	﴿ونصفه وثلثه	ونِصْفِهِ وثُلُثِه	٢٤٨/٦
	هو خيراً وأعظم أجراً﴾	هُوَ خَيْرٌ وأعَظَمُ أجراً	٢٥٠/٦

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة

سورة المدثر

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿يا أيها المدثر﴾	المُدَثَّر	٦/ ٢٥٢
٥	﴿والرجز فاهجر﴾	والرِّجْزَ	٦/ ٢٥٣
٦	﴿ولا تمنن	ولا تَمُنَّ	٦/ ٢٥٣
	تستكثر﴾		٦/ ٢٥٣
		ولا تمنن أن تَسْتَكْثِرْ	٦/ ٢٥٣
٢٩	﴿لواحة للبشر﴾	لَوَّاحةً	٦/ ٢٥٨
٣٠	﴿عليها تسعة عشر﴾	تسعة عْشر ـ بسكون العين	٦/ ٢٥٨
		تسعة أعْشُر	٦/ ٢٥٨
٣٣	﴿والليل إذ أدبر﴾	إذ دَبَر	٦/ ٢٦٠
٣٦	﴿نذيراً للبشر﴾	نذيرٌ	٦/ ٢٦١
٥٠	﴿كأنهم حمرٌ مستنفرةٌ﴾	مُسْتَنْفَرَة	٦/ ٢٦٣
٥٢	﴿صحفاً منشرة﴾	مُنْشَرَة	٦/ ٢٦٤
٥٦	﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾	وما تَذْكرون	٦/ ٢٦٤

سورة القيامة

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾	لَأُقْسِمُ	٦/ ٢٦٦
٣	﴿أن لن نجمع عظامه﴾	أن لن تُجْمَعَ عِظَامُهُ	٦/ ٢٦٧
٤	﴿بلى قادرين﴾	قادرون	٦/ ٢٦٧
٧	﴿فإذا برق البصر﴾	بَرَقَ	٦/ ٢٦٨
		بَلَق	٦/ ٢٦٨
٨	﴿وخسف القمر﴾	وخُسِفَ	٦/ ٢٦٨
١٠	﴿أين المفر﴾	المَفِرّ	٦/ ٢٦٨
٢١	﴿وتذرون الآخرة﴾	ويذرون	٦/ ٢٦٩

سورة الإنسان

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣	﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾	أمَّا ـ بفتح الهمزة	٦/ ٢٧٥
٤	﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسل﴾	سَلاَسِلاً	٦/ ٢٧٥

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
١٤	﴿ ودانية عليهم ظلالها﴾	ودانِيَة	٢٧٩/٦
١٥،	﴿ كانت قواريراً. قوارير من فضة	كانت قواريرَ قواريرَ	٢٨٠/٦
١٦		كانت قواريراً قواريراً	٢٨٠/٦
		قواريرُ من فضة	٢٨٠/٦
	قدروها تقديرا﴾	قَدِّرُوهَا	٢٨٠/٦
١٨	﴿ سلسبيلا﴾	سلبيلَ	٢٨١/٦
٢١	﴿ عاليهم ثياب سندس	عَالِيْهِم	٢٨٢/٦
		عالَيْتُهمُ	٢٨٢/٦
		عَالِيَتَهمُ	٢٨٢/٦
	وإستبرق﴾	وإستَبْرَقَ	٢٨٢/٦
		واستَبرقَ	٢٨٢/٦
٣٠	﴿ وما تشاءون إلا	يشاءون	٢٨٥/٦
	أن يشاء الله﴾	إلا ما يشاء الله	٢٨٥/٦
٣١	﴿ والظالمين أعد لهم عذاباً أليما﴾	وللظالمين	٢٨٥/٦
		والظالمون	٢٨٥/٦

سورة المرسلات

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
١	﴿ والمرسلات عرفا﴾	عُرُفاً	٢٨٦/٦
٦	﴿ عذراً أو نذرا﴾	عُذُراً أو نُذْراً	٢٨٧/٦
٧	﴿ فإذا النجوم طمست﴾	طُمِّسَتْ	٢٨٧/٦
٨	﴿ وإذا السماء فرجت﴾	فُرِّجَتْ	٢٨٧/٦
٩	﴿ وإذا الجبال نسفت﴾	نُسِّفَتْ	٢٨٧/٦
١١	﴿ وإذا الرسل أقتت﴾	وُقِّتَتْ	٢٨٧/٦
		وُقِتَتْ	٢٨٧/٦
١٧	﴿ ثم نتبعهم الآخرين﴾	ثم سَنُتْبِعُهُم	٢٨٨/٦
		ثم نتبعْهُم	٢٨٨/٦
٢٣	﴿ فقدرنا فنعم القادرون﴾	فَقَدَّرْنَا	٢٨٨/٦
٢٩	﴿ انطلقوا إلى ظل﴾	أنطَلَقُوا ـ على الماضي	٢٨٩/٦

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣٢	﴿إنها ترمي بشررٍ كالقصر﴾	بِشَرَارِ	٦/ ٢٨٩
		كالْقَصَرِ	٦/ ٢٨٩
٣٣	﴿كأنه جمالت صفر﴾	جمالاتٌ	٦/ ٢٨٩
		جِمالةٍ	٦/ ٢٨٩
٣٥	﴿هذا يوم لا ينطقون﴾	هذا يَوْمَ	٦/ ٢٩٠
٥٠	﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾	تُؤْمِنُون	٦/ ٢٩٢

سورة النبأ

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿عم يتساءلون﴾	عَمَّهْ	٦/ ٢٩٤
		يَسَّاءلون	٦/ ٢٩٤
٤	﴿كلا سيعلمون﴾	ستعلمون	٦/ ٢٩٤
٦	﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾	مَهْداً	٦/ ٢٩٥
١٤	﴿وأنزلنا من المعصرات	بالمعصرات	٦/ ٢٩٦
	ثجاجاً﴾	ثِجَاجاً	٦/ ٢٩٧
١٩	﴿وفتحت السماء﴾	وَفُتِّحَتِ	٦/ ٢٩٩
٢٣	﴿لابثين فيها أحقاباً﴾	لَبِثين فيها	٦/ ٢٩٩
٢٥	﴿إلا حميماً وغساقاً﴾	وغَسَاقاً	٦/ ٣٠٠
٢٦	﴿جزاء وفساقا﴾	وَفَساقاً	٦/ ٣٠١
٣٥	﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً﴾	ولا كِذَابا	٦/ ٣٠٣
٣٦	﴿عطاء حسابا﴾	حِسَّاباً	٦/ ٣٠٣
٣٧	﴿رب السموات والأرض وما بينهما	رَبُّ السموات والأرض	٦/ ٣٠٣
	الرحمن﴾	الرحمنُ	٦/ ٣٠٣

سورة عبس

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٠	﴿فأنت عنه تلهىٰ﴾	تتلهى	٦/ ٣١٥
		تَلْهَى	٦/ ٣١٥
١٢	﴿ثم إذا شاء أنشره﴾	نَشَرَهُ	٦/ ٣١٦
٢٥	﴿أنا صببنا الماء صباً﴾	إِنَّا صَبَبْنَا	٦/ ٣١٦
		أنى صببنا ـ بالإمالة	٦/ ٣١٦

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣٧	﴿شأنٌ يغنيه﴾	شأن يَعْنِيه	٦/ ٣١٩

سورة التكوير

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٥	﴿وإذا الوحوش حشرت﴾	حُشِّرَتْ	٦/ ٣٢١
٦	﴿وإذا البحار سجرت﴾	سُجِرَتْ	٦/ ٣٢١
٨	﴿وإذا المؤودة سئلت﴾	سألت	٦/ ٣٢٢
١٠	﴿وإذا الصحف نشرت﴾	نُشِّرَتْ	٦/ ٣٢٢
١١	﴿كشطت﴾	قشطت	٦/ ٣٢٣
٢١	﴿مطاع ثم أمين﴾	ثُمَّ	٦/ ٣٢٥
٢٤	﴿وما هو على الغيب بضنين﴾	بِظَنِّين	٦/ ٣٢٦

سورة الانفطار

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٣	﴿وإذا البحار فجرت﴾	فُجِرَتَ	٦/ ٣٢٨
		فَجَرَتْ	٦/ ٣٢٨
٦	﴿ما غرك بربك﴾	ما أَغَرَّكَ	٦/ ٣٢٩
٧	﴿فسواك فعدلك﴾	فَعَدَّلَكَ	٦/ ٣٢٩

سورة المطففين

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٦	﴿يوم يقوم الناس﴾	يَوْمِ يَقُوم النَّاسُ	٦/ ٣٣٥
١٤	﴿كلا بل ران﴾	قرئت: بإدغام اللام في	٦/ ٣٣٦
		الراء	٦/ ٣٣٦
		ران ـ بإمالة الألف	
٣٦	﴿هل ثوب الكفار﴾	إدغام اللام في الثاء	٦/ ٣٣٩

سورة الانشقاق

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١٢	﴿ويصلى سعيرا﴾	ويُصْلَى	٦/ ٣٤٢
١٩	﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾	لَتَرْكَبَنَّ ـ خطاب الإنسان	٦/ ٣٤٤
		لَتَرْكَبِنَّ ـ على النفس	٦/ ٣٤٤
		لَيَرْكَبَنَّ ـ بالياء	٦/ ٣٤٤

سورة البروج

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٤	﴿قتل أصحاب الأخدود﴾	قُتِّلَ	٣٤٧/٦
٥	﴿النار ذات الوقود﴾	الوُقُود	٣٤٩/٦
٨	﴿وما نقموا منهم﴾	نَقِمُوا	٣٤٩/٦
١٣	﴿إنه هو يُبْدىء ويعيد﴾	يَبْدأ	٣٥٠/٦
١٥	﴿ذوي العرش	ذي العرش	٣٥٠/٦
	المجيد﴾	المجيدِ	٣٥٠/٦
٢١	﴿بل هو قرآن مجيد﴾	قرآنُ مجيدٍ	٣٥٠/٦
٢٢	﴿في لوح محفوظ﴾	في لُوحٍ محفوظٍ	٣٥١/٦
		محَفوظٌ	٣٥١/٦

سورة الطارق

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٤	﴿لما عليها حافظ﴾	لَمَا عليها	٣٥٢/٦
٧	﴿من بين الصلب﴾	الصَّلَبِ	٣٥٣/٦
		الصُّلُبِ	٣٥٣/٦

سورة الأعلى

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
١	﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾	سبحان ربي	٣٥٦/٦
٣	﴿والذي قدر فهدى﴾	قَدَرَ	٣٥٧/٦
١٦	﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾	بل يؤثرون الحياة الدنيا	٣٦٠/٦

سورة الغاشية

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/الصفحة
٣	﴿عاملة ناصبة﴾	عَامِلَةً نَاصِبَةً	٣٦١/٦
٤	﴿تصلى ناراً حامية﴾	تُصْلَى	٣٦٢/٦
١١	﴿لا تسمع فيها لاغية﴾	لا تُسمَع فيها لاغيةٌ	٣٦٤/٦
		لا يُسمَع فيها لاغيةٌ	٣٦٤/٦
٢٠	﴿وإلى الأرض كيف سُطِحت﴾	سُطِّحت	٣٦٦/٦
٢٤	﴿فيعذبه الله﴾	فإنه يعذبه	٣٦٦/٦
٢٥	﴿ثم إلينا إيابهم﴾	إيَّابهم	٣٦٦/٦

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة

سورة الفجر

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/الصفحة
١	﴿والفجر﴾	والفجرِ	٦/٣٦٨
٢	﴿وليالٍ عشر﴾	وليالِ عشر	٦/٣٦٨
٣	﴿والشفع والوتر﴾	والوِتر	٦/٣٦٨
		والوَتِر	٦/٣٦٨
		والوترِ	٦/٣٦٨
٤	﴿والليل إذا يسرِ﴾	إذا يسرِ	٦/٣٦٨
٦، ٧	﴿بعادٍ إرم ذات العماد﴾	بعادِ إِرَمَ ذات العماد	٦/٣٦٩
		بعادَ أَرَمَ ذات العماد	٦/٣٦٩
		بعادِ إِرَم	٦/٣٦٩
		بعادٍ إِرَمْ ذات العماد	٦/٣٦٩
		بعادٍ إِرَمَّ ذات العماد	٦/٣٦٩
٨	﴿التي لم يخلق مثلها﴾	التي لم يَخْلُق مِثْلَها	٦/٣٦٩
١٥	﴿فيقول رب أكرمنِ﴾	أكرمنْ	٦/٣٧٢
١٦	﴿فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهاننِ﴾	فَقَدَّرَ	٦/٣٧٢
		أَهَانَنْ	٦/٣٧٢
١٧	﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم﴾	لا يُكْرِمُونَ	٦/٣٧٢
١٨	﴿ولا تحاضون﴾	يَحَاضُّون	٦/٣٧٢
		تُحَاضُّون	٦/٣٧٢
١٩	﴿وتأكلون التراث﴾	وَيَأْكُلُون	٦/٣٧٢
٢٠	﴿وتحبون المال﴾	ويُحِبُّون المَالَ	٦/٣٧٢
٢٥	﴿فلا يعذب عذابه أحد﴾	فلا يُعذَّبُ	٦/٣٧٣
٢٦	﴿ولا يوثق وثاقه﴾	ولا يُوثَقُ	٦/٣٧٤
٢٧	﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾	يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة	٦/٣٧٤
٢٨	﴿أرجعي إلى ربك﴾	ائتني رَبَّك راضيةً مرضيةً	٦/٣٧٤

رقم الآية	الآيـة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٢٩	﴿فادخلي في عبادي﴾	فادخلي في عبدي	٦/ ٣٧٤
		فادخلي في جسد عبدي	٦/ ٣٧٤
		ادخلي في عبدي	٦/ ٣٧٤
	البلد		
٦	﴿أهلكت مالاً لبدا﴾	لِبُدا	٦/ ٣٧٧
		لُبُدا	٦/ ٣٧٧
		لُبّدا	٦/ ٣٧٧
١٣	﴿فك رقبة﴾	فَكَّ رقبةً	٦/ ٣٧٩
١٤	﴿أو إطعام	أو أطعم	٦/ ٣٧٩
	في يوم ذي مسغبة﴾	ذا مسغبة	٦/ ٣٧٩
	سورة الشمس		
١١	﴿كذبت ثمود بطغواها﴾	بطُغواها	٦/ ٣٨٣
١٥	﴿ولا يخاف عقباها﴾	فلا يخاف عقباها	٦/ ٣٨٣
		ولم يخف	٦/ ٣٨٣
	سورة الليل		
٣	﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾	والذكر والأنثى	٦/ ٣٨٥
		والذي خلق الذكر والأنثى	٦/ ٣٨٥
		وما خلق الذكرِ والأنثى	٦/ ٣٨٥
١٤	﴿فأنذرتكم ناراً تلظى﴾	تتلظى	٦/ ٣٨٧
٢٠	﴿إلا إبتغاءَ وجه ربه الأعلى﴾	إلا ابتغاءُ	٦/ ٣٨٨
	سورة الضحى		
٣	﴿ما ودعك ربك﴾	ما وَدَعَك ربك	٦/ ٣٩٠
٨	﴿ووجدك عائلاً﴾	ووجدك عيلاً	٦/ ٣٩٣
١١	﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾	فخبر	٦/ ٣٩٥
	سورة الشرح		
١	﴿ألم نشرح لك صدرك﴾	ألم نشرحَ لك	٦/ ٣٩٦

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء// الصفحة
٢	﴿ووضعنا عنك وزرك﴾	وحللنا	٦/ ٣٩٦
		وحططنا	٦/ ٣٩٦
		وهللنا عنك وقرك	٦/ ٣٩٦
٧	﴿فإذا فرغت فأنصب﴾	فرِغْت	٦/ ٣٩٨
		فانِصب	٦/ ٣٩٨
٨	﴿وإلى ربك فارغب﴾	فرَغِّب	٦/ ٣٩٨

سورة التين

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء// الصفحة
٥	﴿أسفل سافلين﴾	أسفل السافلين	٦/ ٤٠٠

سورة العلق

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء// الصفحة
٤	﴿الذي علم بالقلم﴾	علم الخط	٦/ ٤٠٣
١٥	﴿لنسفعاً﴾	لنسفعنَّ	٦/ ٤٠٦
		لأسفعاً	٦/ ٤٠٦
١٦	﴿ناصية كاذبة﴾	ناصيةٌ	٦/ ٤٠٦
		ناصيةً	٦/ ٤٠٦
١٨	﴿سندع الزبانية﴾	سَيُدعَى الزبانيةُ	٦/ ٤٠٧

سورة القدر

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء// الصفحة
٤	﴿من كل أمر﴾	من كل امرئ	٦/ ٤١٠
٥	﴿حتى مطلع الفجر﴾	مطلِع الفجر	٦/ ٤١٠

سورة البينة

رقم الآيـة	الآيـة	القراءة	الجزء// الصفحة
٢	﴿رسول من الله﴾	رسولاً	٦/ ٤١١
٥	﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله	إلا أن يعبدوا الله	٦/ ٤١٢
	وذلك دين القيمة﴾	وذلك الدين القيمة	٦/ ٤١٢
٦	﴿أولئك هم شر البرية﴾	شر البريئة	٦/ ٤١٢
٧	﴿خير البرية﴾	خيار البرية	٦/ ٤١٢

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة

سورة الزلزلة

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿زلزالها﴾	زَلْزَالها	٦/ ٤١٣
٢	﴿تحدث أخبارها﴾	تُنَبِّئُ أخبارها	٦/ ٤١٥
		تُنْبِئُ ـ بالتخفيف	٦/ ٤١٥
٦	﴿ليروا أعمالهم﴾	لِيَرَوا ـ بالفتح	٦/ ٤١٥
٧	﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾	يُرَه	٦/ ٤١٥

سورة العاديات

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٤	﴿فأثرن به نقعاً﴾	فأَثَّرْنَ	٦/ ٤١٨
٥	﴿فوسطن به جمعاً﴾	فَوَسَّطْنَ	٦/ ٤١٩
٩	﴿إذ بعثر ما في القبور﴾	بَحْثَرَ	٦/ ٤٢٠
١٠	﴿وحصل ما في الصدور﴾	وحَصَّل	٦/ ٤٢٠
١١	﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾	خبير	٦/ ٤٢٠

سورة القارعة

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٥	﴿كالعهن المنفوش﴾	كالصُّوفِ	٦/ ٤٢١

سورة التكاثر

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿ألهاكم﴾	أألْهَاكُمْ؟	٦/ ٤٢٥
٦	﴿لترون الجحيم﴾	لَتَرَؤُنَّ	٦/ ٤٢٥
		لَتُرَوُنَّ	٦/ ٤٢٥
٧	﴿ثم لترونها﴾	لَتُرَوُنَّها	٦/ ٤٢٥

سورة الهمزة

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿ويل لكل همزة لمزة﴾	ويل للهمزة اللمزة	٦/ ٤٢٨
		لكل هُمْزَةٍ لُمْزَةٍ	٦/ ٤٢٨
٢	﴿الذي جمع مالاً﴾	جَمَّعَ	٦/ ٤٢٩
٤	﴿كلا لينبذن	لَيُنْبَذَانِّ	٦/ ٤٢٩
	في الحطمة﴾	في الحاطمة	٦/ ٤٢٩

رقم الآية	الآية	القراءة	الجزء/الصفحة
٩	﴿في عمد ممددة﴾	عُمُدٍ	٦/٤٣٠
		عُمْدٍ	٦/٤٣٠

سورة الفيل

رقم الآية	الآية	القراءة	الجزء/الصفحة
١	﴿ألم تر﴾	ألم تز	٦/٤٣٣
٤	﴿ترميهم بحجارة﴾	يَرْمِيهم	٦/٤٣٣

سورة قريش

رقم الآية	الآية	القراءة	الجزء/الصفحة
١	﴿لإيلاف قريش	لئلاف قريش	٦/٤٣٦
		ليألف قريش	٦/٤٣٦
	إيلافهم﴾	إلفهم	٦/٤٣٦
٢	﴿رحلة الشتاء﴾	رِحْلةُ الشتاء	٦/٤٣٧
٤	﴿من خوف﴾	بإخفاء النون	٦/٤٣٨

سورة الماعون

رقم الآية	الآية	القراءة	الجزء/الصفحة
١	﴿أرأيت الذي يكذب﴾	أرَيْتَ	٦/٤٣٩
		أرأيتك	٦/٤٣٩
٢	﴿يدع﴾	يَدَعُ	٦/٤٤٠
٥	﴿ساهون﴾	لاهون	٦/٤٤٢

سورة الكوثر

رقم الآية	الآية	القراءة	الجزء/الصفحة
١	﴿إنا أعطيناك﴾	إنا أنطيناك	٦/٤٤٥

سورة النصر

رقم الآية	الآية	القراءة	الجزء/الصفحة
١	﴿نصر الله والفتح﴾	فتح الله والنصر	٦/٤٥٢
٢	﴿يدخلون في دين الله﴾	يُدْخَلُون	٦/٤٥٢

سورة المسد

رقم الآية	الآية	القراءة	الجزء/الصفحة
١	﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾	وقَدْ تَبَّ	٦/٤٥٦
		يدا أبو لهب	٦/٤٥٦
٣	﴿سيصلى ناراً﴾	سيُصْلَى	٦/٤٥٧
		سَيُصَلَّى	٦/٤٥٧

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
٤	﴿وامرأته حمالة الحطب﴾	ومُرَيَّتُه	٦/ ٤٥٨
		حَمَّالةٌ	٦/ ٤٥٨
		حَمَّالةَ	٦/ ٤٥٨

سورة الإخلاص

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿قل هو الله أحد﴾	الله أحد	٦/ ٤٦٠
		قل هو الله الواحد	٦/ ٤٦٠
		أحد الله	٦/ ٤٦٠
٤	﴿كفواً أحد﴾	كُفُؤا	٦/ ٤٦١
		كُفْؤاً	٦/ ٤٦١
		كِفْؤاً	٦/ ٤٦١

سورة الناس

رقم الآية	الآيــة	القراءة	الجزء/ الصفحة
١	﴿قل أعوذ برب الناس﴾	قُلَ عُوذُ ـ حذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام	٦/ ٤٦٧

فهرس الأحاديث

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	الجزء والصفحة
أشدد وطأتك على مضر		١٧١/٤
أشهد أن الله أباح السلم	ابن عباس	٥١١/١
أشيروا عليَّ	المسور بن مخرمة	٥٥٥/٢
أشيعوا الكنى فإنها منبهة	عمر	٥٧٨/٥
أصبتما خيراً وأفلحتُما		٣٠٩/١
أصبروا فإني لم أومر بقتال		١٩٩/٤
أصحابي كالنجوم	جابر وغيره	٤٦٢/٣
اصرخ بالناس	العباس	٥٥٨/٥
أضاءت لي منها قصور الحيرة	عمرو بن عوف	٥٤٣/١
اضطرب رسول الله خاتماً من ذهب		٢٣٨/١
أضمروا أن يرجعوا	ابن عباس	٦٢٠/١
أطاعوا الكهنة	ابن عباس	٢٦٣/٢
أعددت لعبادي الصالحين	أبو هريرة	٣٤/٥
أعطونا مما زعمتم	فقراء أصحاب النبي	١٨١/٥
أعظم الناس حرما	سعد بن أبي وقاص	٢٨٢/١
اعف عنه يا رسول الله	سعد بن عبادة	١٧٦/١
اعفوا الدجى		٣٧١/١
أعلمكم بالله أشدكم له خشية		١٥٤/٥
أعلى أن أنفر		٤٧/٣
أعوذ بوجهك	جابر	٣٥٨/٢
افترقت أمة موسى	أنس	٤١٦/٢
افترقت اليهود	أبو هريرة، وغيره	٤١٦/٢
إفد ابني أخيك عقيل		٦٠٢/٤
أفضل الجهاد الأمر بالمعروف	علي	٦٠٤/١
أفضل الحج العج والثج		٢٩٦/٦
أفضل الصدقة على ذي الرحم	أبو أيوب	٣٦٤/١
أفضل العمل أدومه	عائشة	٢١٠/٦
افعل (معنى آمين)	ابن عباس	١٢٤/١
أفلح إن صدق	طلحة	٤٦٤/٣
إقامة حد بأرض خير لأهله	أبو هريرة	٢٦٢/٤
اقرءوا القرآن بحزن	بريدة	٣٢/٤

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	الجزء والصفحة
أن رسول الله ﷺ نحر هديه	الزهري	١/ ٤٠٣
أن سودة بنت زمعة وهبت	عائشة	٢/ ٥٦
إن شاء الله	عكرمة	١/ ٦٦٠
إن شاء شرب فضل اللبن	سعيد بن جبير	٢/ ٢٦
إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم		٢/ ٥٩٩
إن شئتم قسمت للمهاجرين		٦/ ٨١
إن صلاته ستنهاه	أبو هريرة، وأنس	٤/ ٥٥٢
إن صلاته لتردعه		٤/ ٥٥٢
إن صورة وجهك أنفك	ابن عمر	٥/ ٥٥١
إن طلاق أم أيوب لحوب	ابن عباس	٢/ ١٤
إن طولها ستون زراعاً		٤/ ٤٧٢
إن عائشة سألت رسول الله		٦/ ١٦٦
إن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا		١/ ١٨٣
إن عبداً خيره الله	أبو سعيد	٦/ ٤٥٣
إن عثمان كان يعطي ماله		٥/ ٦٤٦
إن عدواً يراك ولا تراه	مالك بن دينار	٢/ ٤٣٦
إن علمت من حال الوالدات	ابن عباس	٣/ ٦٠١
إن عندي ما ترون		٣/ ٣٠
إن عيسى عليه السلام ينزل		٥/ ٤٥٣
إن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر	ابن عباس	٢/ ٥٦٥
إن فرعون		٦/ ١٦٥
إن في الجنة لأشجاراً	إبراهيم	٤/ ٥٦٩
إن في القرآن سورة تشفع	عائشة	٥/ ١٩٨
إن في كتاب الله لآية	علي	٦/ ٦٨
إن فيك جاهلية	أبو الدرداء	٥/ ٦٧
أن قطيفة حمراء فقدت		١/ ٦٥١
أن قوما من بني تميم	الضحاك	٥/ ٥٧٨
إن كل شيء نزل فيه	علقمة	١/ ٢١٠
إنكم في منازلكم		٥/ ٦٢
إن كنت ألممت بذنب		٤/ ٢٧١
إن كنت تبغي ضالتها	ابن عباس	٢/ ٢٥

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	الجزء والصفحة
انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب	عائشة	٥/ ٥٧٨
إنك إن تترك ولدك	سعد	٢/ ٣٠
إنك لعريض القفا	عدي	١/ ٣٨٩
إنك لم تترك لى فقأ	سلمان	٢/ ١١٩
إنكم تسمونها سورة التوبة	حذيفة	٣/ ٥
إنكم معشر الأعاجم	ابن عباس	٦/ ٣٣٤
إنما أمرتم أن تعتزلوا		١/ ٤٣٣
إنما أنا بشر	أم سلمة	١/ ٣٩٢
إنما بعثني الله مبلغاً		٥/ ٦٣
إنما ذلك عرق		٣/ ٣٩
إنما الرفث ما كان	ابن عباس	١/ ٣٨٦
إنما السنة أن تستقبل	ابن عمر	١/ ٤٤٤
إنما عنوا هارون النبي		٤/ ١٧
إنما لكم أن يعطى فقيركم	أبو بكر	٢/ ٨٣
إنما نجا بقوله: حسبي الله	ابن عباس	٤/ ١٥٤
إنما هم إخوانكم	أبو ذر	٣/ ٤٥٣
إنما يريد الله ليذهب	عائشة	١/ ٥٦٥
إنه أمر أن تباع جاريته	مسروق	٢/ ٥٣
إنه أمر بقطع يد سارق	عمر	٢/ ١٤٦
إنه بعث خالداً		٥/ ٣٠٦
إنه بعث طلائع		١/ ٦٥١
إنه بكر فرأى ثلاثة	ابن مسعود	٦/ ١١٦
إنه تيمم لرد السلام		٢/ ١٢٠
إنه جمع بين الأمرين	الحسن	٢/ ٢١٠
إنه خلا بجارية فجردها	عمر	٢/ ٥٣
أنه دخل على سعد	جبير بن مطعم	١/ ٤٦٤
أنه رأى جبريل	ابن مسعود	٥/ ١٣٧
أنه رأى رجلاً يتوضأ	عمر	٢/ ٢٠٩
أنه سأل رسول الله	أبو ذر	٦/ ٣٦٠
أنه سأل عبد الله بن سلام	عمر	١/ ٣٤٥
أنه سئل ممن طلق ثلاثا		٦/ ١٤٤

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	الجزء والصفحة
أنه سيأمر		٥٠١/٣
أنه شرط ذلك في التحريم	علي	٥٣/٢
أنه صرم خمسمائة نخلة	ثابت بن قيس	٤٠٥/٢
أنه صلى خلف المقام	سفيان الثوري	٦٧٦/١
أنه قال لنصراني سلم عليه	الشعبي	١٢١/١
أنه قضى بدية المقتول	عمر	١٢٦/٢
أنه كالختم على الكتاب		١٢٥/١
أنه كان في بني إسرائيل شيخ		٢٨٤/١
أنه كان لا يؤتي برجل طلق	عمر	١٤٢/٦
أنه كان يتوضأ لكل صلاة	بريدة	٢٠٣/٢
أنه كان يحلف الشاهد	علي	٣٠٨/٢
أنه كان يخطب فجاء الحسن		١٣٥/٦
أنه كان يخفق الناس	عمر	٤٠٦/١
أنه كان يدير الماء		٢٠٣/٢
أنه كان يصلي رافعاً بصره		٢١٧/٤
أنه كان يعوذ الحسن والحسين		٣٠٦/٣
أنه كان يكلم رسول الله	عمر	٥٥٧/٥
أنه لم ير بعدها		٦٥٠/٥
أنه لما نزل قال الرسول الله أكبر		٢٥٢/٦
أنه مر بظبي	المغيرة	٢٠٤/٢
أنه نعى إليه أخوه	ابن عباس	٢٦١/١
أنه يبعث آكل مال اليتيم		٣٢/٢
إنها أيام طعم ونعم		٤٧٨/٣
إنها تخرج ثلاثة أيام	علي	٤٧٣/٤
إنها الصلاة التي شغل عنها سليمان		٤٦٥/١
إنها كانت تسخر من زينب	عائشة	٥٧٨
إنها لا تقوم حتى تروا	البراء	٤١٥/٢
إنها نزلت في ربيعة	ابن عباس	٦٢/٦
إنها نزلت في معقل بن يسار	جابر	٤٥٤/١
إنهم إذا ارتفعوا إلى حكام	عطاء، والنخعي، والشعبي	٢٣٩/٢
إنهم خرجوا يوم العيد	ابن عمر، وعروة	٦٧٦/١

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	الجزء والصفحة
سياق الأمم ثلاث	عبد الرحمٰن بن أبي ليلى	٥/ ١٧١
سبحان الله مقلب القلوب		٥/ ٧١
سبحان الله وبحمدك	عائشة	٦/ ٤٥٢
سبحان من يسبح الرعد بحمده	أبو هريرة	٣/ ٣٣٩
سبحانك بلى	موسىٰ بن عائشة	٢/ ٢٧٣
سبقك بها عكاشة	ابن عباس	٢/ ٤٦٩
سترون ربكم كما ترون القمر	جرير بن عبيد الله، وأبو هريرة	٢/ ٥٠٦
سرعة المشي يذهب بهاء	أبو هريرة	٥/ ١٦
السلام سنة والرد فريضة	النخعي	٢/ ١٢٠
السلام عليكم بما صبرتم		٣/ ٣٤٩
سمى ذو القرنين		٣/ ٦١٠
سمى يوم الحج الأكبر	الحسن	٣/ ١٠
سوداء شديدة السواد	الحسن البصري	١/ ٢٨١
السورة التي تذكر فيها البقرة		١/ ٥٢٤
سيد الشهداء مهجع	مقاتل	٤/ ٥٣٣
سيطوقون بطوق	النخعي	١/ ٦٦٦
سيكون في هذه الأمة	عبد الله بن مغفل	٢/ ٤٥١
سيكون قوم يعتدون	سعد	٢/ ٤٥١
شارب الخمر كعابد وثن	ابن عمرو	٢/ ٢٨٩
شاهداك أو يمينه	ابن مسعود	١/ ٥٧٣
شتمني ابن آدم		٥/ ٩٧
شر السير الحقحقة	عمر	٦/ ٢٤١
شر ما أعطى ابن آدم	أبو هريرة	٦/ ٢٠٩
شغلونا عن الصلاة الوسطى	على	١/ ٤٦٥
شكرت الواهب وبورك لك	ابن عباس	٥/ ٢٢٠
شيبتني هود والواقعة	أبو بكر، وعمران بن حصين	٣/ ٢٤٠
صب في دقران وهو يحرس	أبو بكر	١/ ٤١٠
صبح رسول الله ﷺ	أنس	١/ ٥٦٤
صحيفتك يا ابن آدم	قتادة	٦/ ٣٢٢
صدقات السر	ابن عباس	١/ ٥٠١

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	الجزء والصفحة
صدقت ذاك من مدد السماء		٥٥٨/٢
صدقتك على المسكين		٣٦٤/١
صدورهم أناجيلهم	ابن مسعود	٥٥٥/٤
الصعود جبل من نار	أبو سعيد الخدري	٢٥٥/٦
صل قائماً	عمران بن حصين	٦٧٦/١
صلاة السفر ركعتان	عمر	١٤١/٢
صلاة العتمة تصليها أمة محمد	الربيع	٦١١/١
الصلاة عماد الدين	عمر	١٥١/١
صلى بنا عمر المغرب	عمرو بن ميمون	٤٣٥/٦
صنع لنا عبد الرحمٰن بن عوف طعاماً	علي	٨١/٢
صيح بالناس		٢٨/٣
ضعها في رأس المائتين	ابن عباس	٥١٠/١
طلاق الأمة تطليقتان	عائشة	٤٤٠/١
طلب الجنة بلا عجل	شهر بن حوشب	٦٣٠/١
العاقل من دان نفسه		٢١١/٥
العالم من عقل عن الله	جابر	٥٥٠/٤
عجب ربكم من إلّكم	محمد بن عمرو	٢٠٤/٥
عجبت لمن لا يطلب الغنى	عمر	٣٠٠/٤
عجبت ممن خف كيف خف	الحسن	٤٩٨/٢
عدلت شهادة الزور الإشراك	خزيم بن فاتك	١٩٢/٤
عدن دار الله التي لم ترها	أبوالدرداء	٦٧/٣
عدة جميلة أن صلحتم ورشدتم	ابن جريج	٢٠/٢
عدة الحامل المتوفى عنها زوجهما	علي، وابن عباس	١٤٦/٦
العسل شفاء من كل داء	ابن مسعود	٤٥٢/٣
علق سوطك حيث يراه أهلك	ابن عباس	٧٠/٢
العلماء ورثة الأنبياء	عبد الله بن مسعود	٤٣٥/٤
علموا أرقاءكم سورة يوسف	أبي بن كعب	٣٣١/٣
على ملة إبراهيم		٥٤١/١
عليك بآخر سورة الحشر	أبو هريرة	٨٦/٦
عليك بالباءة	محمد بن عجلان	٣٠٠/٤
عليكم بهذه الشجرة	عقبة بن عامر	٣٠٦/٤

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	الجزء والصفحة
مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض	ابن عمر	٦/ ١٤٠
مر رسول الله في سوق المدينة	يزيد بن شجرة	٥/ ٥٨٦
مرحبا بمن عاتبني فيه ربي		٦/ ٣١٤
مروهم بالصلاة لسبع سنين	أنس بن مالك	٢/ ٢٢
المستبان ما قالا	أبو هريرة	٢/ ٢٢٥
المستغزر يثاب من هبته	شريح	٤/ ٥٨١
المسجد الحرام ثم بيت المقدس	أبو ذر	١/ ٥٨٥
المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه	أبو هريرة وابن عمر	٥/ ٥٧٣
		٦/ ٣٨
المسلمون تتكافأ دماؤهم	علي وغيره	١/ ٣٦٨
		٤/ ٥٣
مطل الغنى ظلم	أبو هريرة	٢/ ٢١١
معاذ الله أن أشرك بالله غيره		٦/ ٤٤٨
معاذ الله أن يعبد غير الله	ابن عباس	١/ ٥٧٤، ٥٧٥
المعدة بيت الداء		٢/ ٤٣٨
معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب	الضحاك	١/ ٦٢٢
الملك في آل إبراهيم	ابن عباس	٢/ ٩٢
ملك من الملائكة موكل بالسحاب	ابن عباس	٣/ ٣٣٩
من أتى مكان كذا وكذا فله من النفل	ابن عباس	٢/ ٥٥٠
من أحب أن يرتع في رياض الجنة	معاذ	١/ ٦٧٦
من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة	عبد الله بن عمرو بن العاص	١/ ٦٧٠
من أحب أن يكتال بالمكيال الأفى	علي	٥/ ٢٣٩
من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض	جابر بن عبد الله	٥/ ٥٠٩
من أحب فطرتي فليستن بسنتي	عبيد بن سعيد	٤/ ٢٩٥
من أحبني فقد أحب الله		٢/ ١١٤
من ادعى إلى غير مواليه	علي	٤/ ٥٩
من أذى جاره ورثه الله داره		٣/ ٣٦٩
من استرجع عند المصيبة	ابن عباس	١/ ٣٤٨
من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون	ابن عباس	٤/ ٣٨١
من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته	أبو سعيد وأبو هريرة	٥/ ٦٩
من أسرج في مسجد سراجاً	أنس	٣/ ٢٣

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	الجزء والصفحة
من أشرك بالله فليس بمحصن	ابن عمر	٤/ ٢٦٠
من أطاعني فقد أطاع الله	أبو هريرة	٢/ ٩٥
من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة	أبو هريرة	٢/ ١٣٠
من أعظم المساجد حرمة	حذيفة بن اليمان	٤/ ٤٧٣
من ألف المسجد ألفه الله	أبو سعيد	٣/ ٢٢
من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر	عباد بن الصامت	١/ ٦٠٤
من أوتي القرآن فرأى	أبو بكر	٣/ ٤١٧
من بعثناه على عمل فغل		١/ ٦٤٨، ٦٥٢
من ترك البسملة	ابن عباس	١/ ٩٩
من ترك بيضاء أو صفراء كوى بها	أبو ذر	٣/ ٣٨
من ترك الصلاة متعمداً	أنس	١/ ٥٩٥ ـ ٢/ ٤٤، ١٦٨
من تواضع لله رفع حكمته	عمر	٢/ ٤٢٦
من توضأ على طهر	عبد الله بن عمر	٢/ ٢٠٢
من جثى جهنم	الحارث بن الحارث	٥/ ٤٨٩
من حج لله فلم يرفث	أبو هريرة	١/ ٤٠٧
من حدثكم بحديث داود على ما يرونه القصاص	عليّ	٥/ ٢٥٣
من حز به أمر فقال خمس مرات	جعفر الصادق	١/ ٦٨٠
من حق المؤمن على أخيه أن يسميه والنبي ﷺ		٥/ ٥٧٧
من حلف على يمين يستحق بها مالاً	ابن مسعود	١/ ٥٧٣
من خدعنا بالله انخدعنا له	ابن عمر	٢/ ٤٣٣
من دعا لأخيه المسلم	أبو الدرداء	٢/ ١١٨
من دعا لظالم بالبقاء	الحسن	٣/ ٢٤٢
من ذكرت عنده فلم يصل عليّ	أبو هريرة وغيره	٥/ ٩٢
من رابط يوم وليلة	سلمان	١/ ٦٨٣
من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله	عائشة	٥/ ٤٢٢
من زعم أنه مؤمن بالله حقاً	الثوري	٢/ ٥٥٣
من زعم أنه يعلم ما في غد	عائشة	٤/ ٤٦٧
من ساعة إلى ساعة تظهر	جابر	٣/ ٥١٤
من سبقت عينه استئذانه		٤/ ٢٨٦

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	الجزء والصفحة
من قرأ سورة الشعراء	أبي	٤/ ٤٢٨
من قرأ سورة الشمس	أبي	٦/ ٣٨٤
من قرأ سورة ص		٥/ ٢٨٥
من قرأ سورة الصف	أبي	٦/ ١٠٩
من قرأ سورة الطارق	أبي	٦/ ٣٥٥
من قرأ سورة الطلاق	أبي	٦/ ١٥٢
من قرأ سورة طه	أبي	٤/ ١٢٣
من قرأ سورة الطور	أبي	٥/ ٦٣٢
من قرأ سورة عبس	أبي	٦/ ٣١٩
من قرأ سورة العصر	أبي	٦/ ٤٢٧
من قرأ سورة العلق	أبي	٦/ ٤٠٨
من قرأ سورة عم	أبي	٦/ ٣٠٣
من قرأ سورة العنكبوت	أبي	٤/ ٥٦٢
من قرأ سورة الغاشية	أبي	٦/ ٣٦٦
من قرأ سورة الفتح	أبي	٦/ ٣٧٤
من قرأ سورة الفجر	أبي	٦/ ٣٧٤
من قرأ سورة الفرقان	أبي	٦/ ٣٧٥
من قرأ سورة الفيل	أبي	٦/ ٤٣٤
من قرأ سورة ق	أبي	٥/ ٦٠٧
من قرأ سورة القارعة	أبي	٦/ ٤٢٣
من قرأ سورة القدر	أبي	٦/ ٤١٠
من قرأ سورة القلم	أبي	٦/ ١٩٣
من قرأ سورة القمر	أبي	٥/ ٦٦٥
من قرأ سورة القيامة	أبي	٦/ ٢٧٣
من قرأ سورة الكافرون	أبي	٦/ ٤٤٩
من قرأ سورة الكهف	معاذ بن أنس	٣/ ٦١٩
من قرأ سورة الكوثر	أبي	٦/ ٤٤٧
من قرأ سورة لإيلاف	أبي	٦/ ٤٣٨
من قرأ سورة لقمان	أبي	٥/ ٢٦
من قرأ سورة لم يكن	أبي	٦/ ٤٥٤
من قرأ سورة الليل	أبي	٦/ ٣٨٩

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ناركم هذه التي يوقد بنو آدم	أبو هريرة	٦/٣٧
نحن أعلم بهذه الآية وإنما نزلت	أبو أيوب	١/٣٩٧
نزل القرآن بالمسح	الشعبي	٢/٢١٠
نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة	الزهري	٢/٢٩٤
نزلت من اسلام عمر	ابن عباس	٢/٥٩٧
نزلت من أن الواحد يقول	الحسن	٥/٤٥
نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان به	ابن عباس	٥/٥٥٩
نزلت في خسف البيداء . . .	ابن عباس	٥/١٣٣
نزلت في على «الذين ينفقون أموالهم»	ابن عباس	١/٥٠٥
نزلت في فنحاص اليهودي	عكرمة	٢/٢٦٧
نزلت في قول المنافقين	علي	١/٦٣٩
نزلت في قوم هلال بن عويمير		٢/٢٢٩
نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله	قتادة	٢/٢٦٣
نزلت في اليهود	سعيد بن المسيب	١/٥٩٧
نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر	عبادة بن الصامت	٢/٥٥١
النساء لحم على وضم	عمر بن الخطاب	٥/٥٧٤
نسخت الزكاة كل صدقة	علي	١/٣٦٧
نسيتها	عبد الرحمٰن بن أبزى	٦/٣٥٨
نصح قومه حيا وميتا	المغيرة بن شعبة	٥/١٧٣
نصرت بالرعب مسيرة شهر	جابر	١/١٧٦
نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور	ابن عباس	٥/٥٣
نعم إن لم تسجدها فلا تقرأهما	عقبة بن عامر	٤/٢١٣
نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة	معاذ	٦/٤٠٠
نعم القوم أنتم	ابن عباس	٢/٢٤٣
نعم كل شيء يؤذي المؤمن		١/٣٤٨
نعم يا أعرابي إن الجنة نهر حافاته الأبكار	أبو الدرداء	٤/٥٦٨
نعم يبعثك ويدخلك جهنم	قتادة	٥/١٩٦
نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة	ابن عمر	١/٦٦١
نَفَّاعا حيث كنت		٤/١٩
نمر على فراشك وكفر عن يمينك	ابن مسعود	٢/٢٨٥

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	الجزء والصفحة
يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك	عثمان	٣١٨/٥
يا عجبا لابن عمرو هذا	عائشة	٢٤٤/١
يا علي أتدري من أشقى الأولين	علي وصهيب	٤٦٣/٢
يا علي سيد البشر آدم	علي بن أبي طالب	٤٨٦/١
يا علي لا يحل لأحد أن يجنب	أبو سعيد	٨٣/٢
يا علي قل اللّهم اجعل لي عندك عهداً		٦١/٤
يا عمر وصليت بأصحابك	عمرو بن العاص	٦٢/٢
يا عياض لا تزوجن عجوز ولا عاقر	عياض بن غنم	٢٩٦/٤
يا عيينة وأين الاستئذان	أبو هريرة	٨٧/٥
يا فريقة أترى لعاب النحل	الحسن	٢٨٥/٢
يا ليت شعري ما فعل بهؤلاء	ابن عباس	٥٢٥/٢
يا محمد أردد على امرأتي		٩٦/٦، ٩٧
يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك	أبو المرادى	٥٤٥/٢
يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه		٤٦٠/٦
يا معشر الأنصار إنكم ستلقون بعدي أشره		١٨٠/٣
يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الأيمان	البراء بن عازب وغيره	٥٨٢/٥
يا معشر يهود أسلموا	ابن عباس	٥٣١/١
يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين	جابر	٤٠٨/٥
يبعث الله من هذه البقعة	ابن مسعود	٥٩٠/١
يبكي الناس بعضهم بعضاً	قتادة	٥٨٦/١
اليتامى والمساكين ـ أيتامنا ومساكيننا	علي بن أبي طالب	٥٨٣/٢
يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الأجير	محمد بن كعب	٢٦/٢
يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة	أبو أيوب	٢٨٥/٤
يجاوبهم إليك فيكشف لهم عنها	عبد الله بن عباس	٥٠٣/٥
يجتنب من الحائض	عائشة	٤٣٤/١
يجعل النضيج غير نضيج	فضيل	٩٣/٢
يجمعان ولا يفرقان	الحسن	٧٣/٢
يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره	الضحاك	١٦/٦
يجوز أن تقول للكافر وعليك السلام	الحسن	١٢١/٢

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	الجزء والصفحة
يجيء أحدكم بماله كله		٤٣٠/١
يجيء به أحدهم على عمود بطنه	عمر رضي الله عنه	٤٦/٥
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	ابن عباس	٥٠/٢
يحشر الناس حفاة عراه	أم سلمة	٣٢٢/٦
يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث	أبو هريرة	٣٤٩/٤
يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به	ابن عباس	٢٧٢/١
يرث كل وارث من الدية غير القاتل	ابن مسعود	١٢٦/٢
يريد يا أهل مكة	ابن عباس	١٣٩/٥
يسروا ولا تعسروا	أنس	٥٤٤/٢
يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء	عثمان	٦٦/٦
يضرب بيده مع أيديهم	ابن عباس	٢٦/٢
يطوق بشجاع أقرع		٦٦٦/١
يغشاها رفرف من طير خضر		٦٤٠/٥
يغشاها فراش من ذهب	ابن مسعود	٦٤٠/٥
يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار		٥٠٨/٣
يقال للكافر يوم القيامة	أنس	٢٣٠/٢
يقضيه تباعاً	علي وابن عمر	٣٨٠/١
يقول العبد يوم القيامة إني لا أجير على		١٨٧/٥
يقول الله تعالى إني والجن والأنس في نبأ	أبو الدرداء	٣٥٧/١
يقول الله يا جبريل قد أحببت فلاناً		
يكتب في الصحيفة كذا وكذا	سعيد بن جبير	١٤٧/٥
يكشف الرحمٰن عن ساقيه	ابن مسعود	١٩٠/٦
يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع	أبو سعيد الخدري	٢٥٥/٦
يلقى على أهل النار الجوع	أبو الدرداء	٤٥٧/٥
ينادي مناد	أبو هريرة	٤٨٩/٤
ينادي مناد أين الذين كانت أجورهم		٦٢٧/١
ينصب الله الموازين يوم القيامة	أنس	٢٩٤/٥
يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به	عبد الله بن عمرو	٢٤٥/٢
يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى	عائشة	٢٢٠/٦
يؤتي بالموت كهيئة كبَش	أبو سعيد الخدري	٢١/٤
يؤتي برجل يوم القيامة فيقال أكل عياله		١٣٥/٦

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	الجزء والصفحة
يأتي بوال نقص من الحد سوطا		٤/ ٢٦٢
يوم كلم الله موسى كان عليه جبة صوف	ابن مسعود	٤/ ٧٠
يومك هذا	علي	٤/ ٩، ١٠

فهرس الأعلام

(ب)

(خ)

(س)

(ي)

فهرس الآباء

فهرس «أسماء النساء»

فهرس أشعار «الكشاف»

(ء)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(د)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(ل)

(م)

(هـ)

(ي)